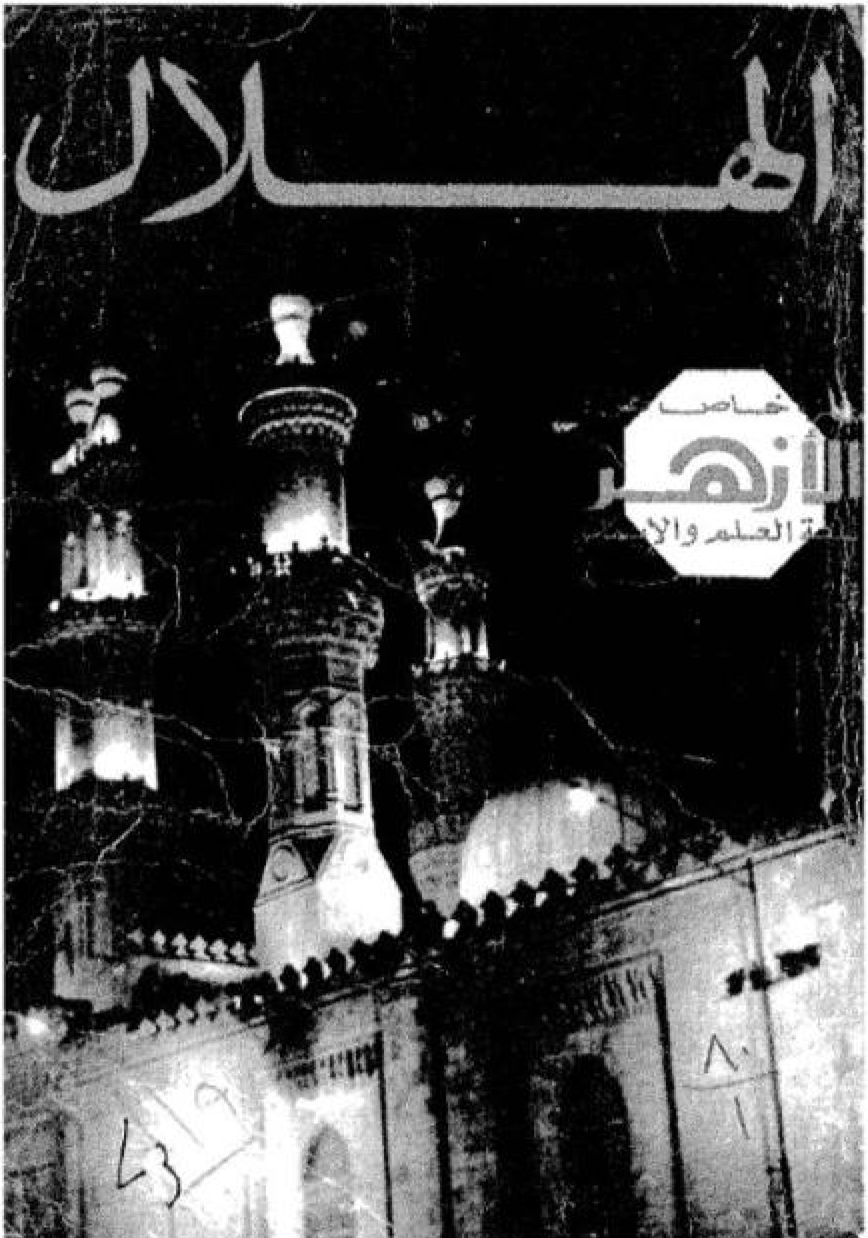

الهلال
الأزهر

الهلال

يناير ١٩٧٢

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الاول – السنة الثمانون – أول يناير ١٩٧٢ – ١٤ ذو القعدة ١٣٩١

رئيس مجلس الإدارة:
يوسف السباعي

رئيس التحرير:
صالح جودت

سكرتير التحرير:
نصر الدين عبد اللطيف

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم – من الكميات المرسله بالطائرة : فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا . فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر انحاء العالم « ونصف دولارات أو ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل الصرف فى جمهورية مصر العربية – والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى – ولضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة

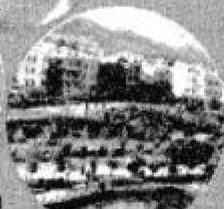
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الوجدان القومى فى
ادب نجيب محفوظ



• فى هذا العدد





مصطفى لطفى
المنفلوطى : اديب
من الازهر . . .

قبلة على راس جلق



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

كلمــــــة

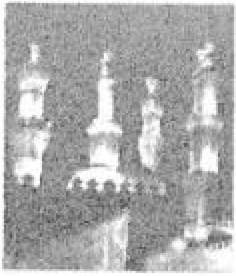
في مثل هذا العام الذي نحتفل بمطلعه اليوم ، ونتوجه فيــه بقلوبنا الى الله عز وجل بان يجعله موعدا للنصر واليمن والبركات ..

في مثل هذا العام ، من الف سنة ميلادية خلت ، اقيمت اول صلاة جامعة في صحن الازهر . وبهذه الصلاة الجامعة بدات القاهرة تجتذب انظار العالم الاسلامي الى هذا البناء الشامخ الذي ما لبث ان اصبح اكبر جامعــة لعلــوم الاسلام ، ومعارف الدين والدنيا ، ومحجا لطلاب النور من جميع فجاج العالم الاسلامي ، ومصـــدر اشعاع للقلوب المؤمنة والعقول الذكية والارواح المتفتحة .

وقد اجتاز الازهر ، في اعــوامه الالف عشرات من المحن ، فاغلقت أبوابه ، وضربت حجارته بالقنابل ، وسقط في رحابه وعند بابه مئات من الشهداء .. ولكنه بقي صامدا امام احداث الزمن ، وخرج من كل محنة وهو اشد وهجا واعمق ايمانا واعلى هامة .

من رحاب الازهر خرجت اعظم الثورات في تاريخ هذا البلد

وفي رحاب الازهر ، تخرج المع الرجالات في كل علم وفن .. في رحابه تخرج اقطاب الشريعة والمحاماة والسياسة والادب والشعر والموسيقى ..



الهـــــــلال

ولولا الازهر ، ما كان لنا ابو العلاء الجديد ، طه حسين • ولعل بروزه من صحن الازهر كان استجابة من القـدر لدعاء من امير الشعراء ، في قصيدة يقول فيها للملك فؤاد ، ناصحا اياه بان يرعى مكفوفي الازهر :

نظرا واحســــانا الى عميانه

وكن المسيح مداويا ومجـبرا

والله ما تدرى ، لعــل كفيفهم

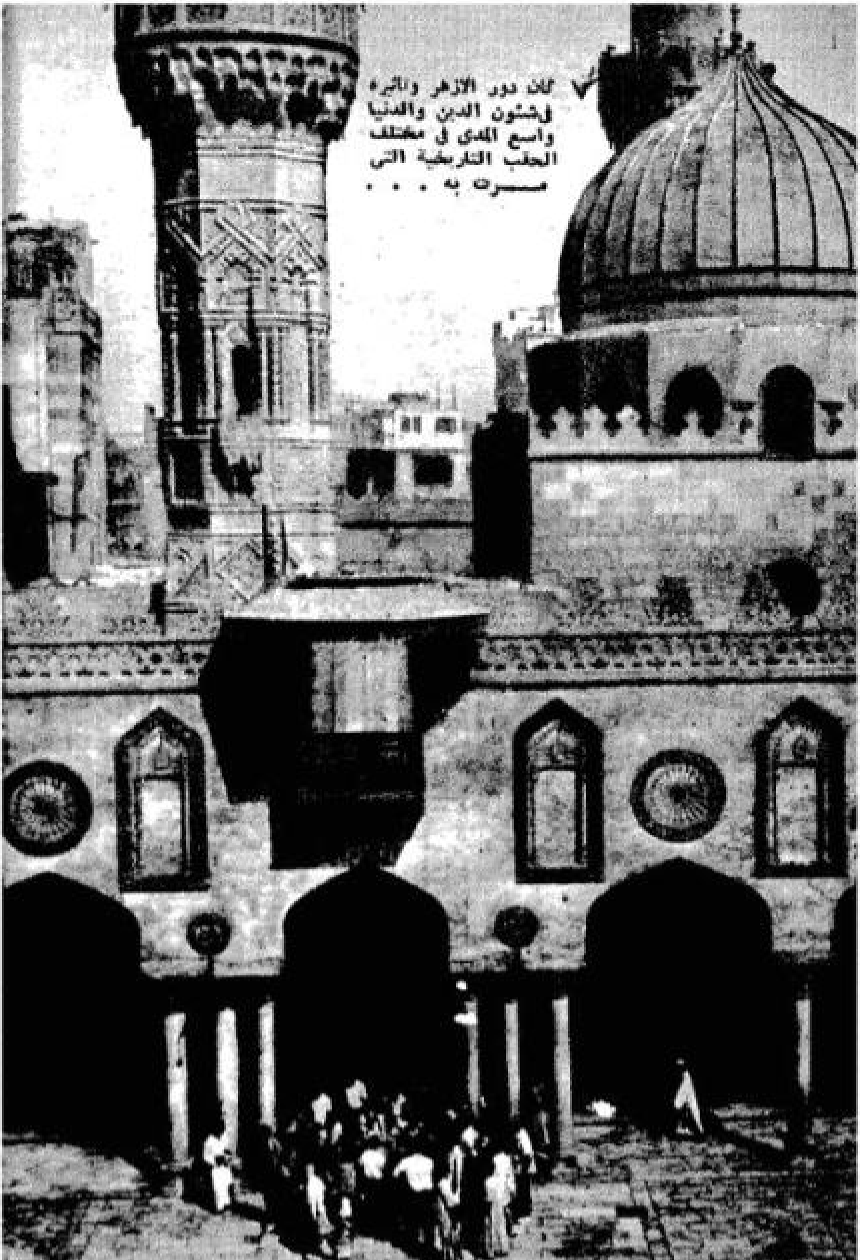
يوما يكون ابا العـلاء المبصــرا

لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد

غبنا ، وجل المشترى والمشـترى

فتحية للازهر في عيده الالفي ، ومازال فينا قلعة تحمى الشعار الذى نحمله في اعماقنا في هذا العصر : العلم والايمان •

● صالح جودت ●



▼ كان دور الأزهر وتأثيره في شئون الدين والدنيا واسع المدى في مختلف الحقب التاريخية التي مرت به . . .

د. سيد نوفل

تتحد العبادة والحضارة في الدعوة الإسلامية، ويتصل الدين بالدولة أوثق الاتصال . بل أن استقامة السلوك البشري والسياسة الإنسانية من أهداف العبادة ومقوماتها الأساسية .. فالنظام الروحي في الإسلام هو قاعدة المبادىء الخلقية . وإذا كان المسجد أو الجامع هو المعهد الإسلامي الأول ، فقد كان يضم العبادة والسياسة وكانت المساجد لعهد الرسالة والخلافة والصالحين من بعد هي منزل العبادة والحكم معا ، تؤدى فيها الصلاة وتقرر السياسة ، وتوجه منها الغزوات . وإذا كان العلم هو قاعدة الدين والدنيا معا في حكم الإسلام ، فقد كان لزاما أن يأوى إلى المساجد أو المعاهد الإسلامية الجامعة . وقد ظهر ذلك على أتمه في مساجد البصرة والكوفة وغيرهما في فجر الإسلام ..

أشهر الثورات السياسية في تاريخ الأزهر

أشهر الثورات السياسية

ومن هنا كان تأسيس الجامع الأزهر دينيـا سـيـاسيا علميـا ، وكان تأثيره ودوره فى شئون الدين والدنيا واسع المدى منـذ نشأته لاكثر من الف عام خلت ، وفى مختلف الحقب التـاريخية التى مرت به •••

لقد انشأه الفاطميون اثر اتخاذهم مصر قاعدة لملكهم ، وسموه الجـامع الازهر ، نسبة الى فاطمة الزهراء التى ينتمون اليها ، وعينوا فيه نحو اربعين من علماء الشيعة ، ينشرون فى الناس مذهبهم الدينى ، ويدعون لسياستهم ، ويبشرون بحكمهم •••

ولهذا كان طبيعيا أن يسعى الايوبيون لتغيير الصبغة الفاطمية فى الأزهر ، وأن يتنكروا له مائة عام حتى يتم لهم هـذا التغيير ويمارس الأزهر دوره السياسي من جديد على وجه يرضون عنه • لكن زاد من شأن دوره العلمى ، قضـاء المغول عـلى مدارس العـلم فى الشرق العربى ، واندثار الوجود الاسلامى الزاهر فى الاندلس ••
وكان صنيع العثمانيين مع الأزهر أشبه ما يكون بصنيع الايوبيين أو أقسى منه ، وان حـاول قادتهم التزلف الى علمائه وطلابه والظفر بتأييدهم ، ويدل على طبيعة الازهر السياسية أنه كـان ينتخب لرياسته ناظر أو وزير من بين كبار رجال الدولة ، وأن الرئيس العلمى أو الشـيخ لم يعرف الا فى العهـد العثمانى •
والحق أن دور الأزهـر الـدينى والسياسى لم يتهيأ لأى من الجامعات الإسلامية أو غيرها • ويشير المؤرخ والمستشرق المعروف ك•فولرز
«K. Vollers»
الى بعض أسباب هذه المكانة المرموقة للأزهر ، فيذكر : « وقوع الازهر فى مكان يتوسط العالم الاسلامى ، وقربه من الحجاز ، واهمية مصر الاقتصادية وصبغتها العربية ، وامتـداد القـارة الافريقية فيما يلى مصر » • ثم يقول : « وأهم من هذا كله ما لوادى النيل من ثقافة عقلية قديمة العهد ، تركت فيـه بذورا صالحة لنمو العلوم والآداب » •
ومهما يكن من أمر ، فان دور الازهر بارز فى جميع الاحـداث والثورات السياسية التى تعاقبت على وطننا منذ نشأته • ودوره فى العالم الاسـلامى يمثل دور مصر البارز لمختلف العصور الاسلامية ، ومنذ الثورةالاسلامية الاولى لعهد عثمان بن عفان •

وقد احتل شيوخه فى التاريخ مكانة لا تقل ، ان لم تفق ، مكانة الكثيرين من الملوك والولاة ، فسجلت عهـودهم وأبعادها وسماتها ••• وأرخ الجبرتى لشيوخ الأزهر فى اتصال وتعاقب امتد مائتى عام •••

وكان شرط القيـادة والادارة مـن الشروط الاساسية فى شـيخ الازهر الصالح • فحين ولى الشيخ ابراهيم ابن محمد الباجورى المشيخة منـذ قرن مضى ، لم يستطع لضعف ارادته النهوض بأعبـاء المشيخة رغم عظمته العلمية • وحين ظهر ضعفه ووهنه ، عين فى عام ١٢٧١ هـ مجلس من أربعة وكلاء للنهوض بأعباء المنصب الكبير•••

ويظهر الاثر السياسى لشيخ الازهر حتى فى عهد طغاة المماليك ... ويروى صاحب عجـائب الآثار ان الطـاغية ابراهيم بك ذهب الى الشيخ العروسى متذللا متصاغرا باكيا ، طالبا ان يؤيده ضد ثورة الشعب على حكمه ..

كمـا يروى المؤرخون انه فى عام ١٧٩٥ م استبد الوالى باهل بلبيس فى تحصيل الضرائب ، فلجأوا الى الشيخ الشرقاوى ، شيخ الازهر ، ليحميهم .. ونصح الشيخ الحـاكمين : مراد بك وابراهيم بك ، ولكنهمـا لم يستمعا لنصحه ... وحينئذ قاد الشيخ ثورة شملت اهل القاهرة وضواحيها ، وتجمع الناس ثلاثة ايام مصرين على سيادة الحق والعدل ، او الجهاد والفداء فى سبيلهما .. ولم يكن بد للطاغيتين من الرضوخ ، وتحرير عهد يوقعانه بالتزام الجباة السيرة الحسنة . والكف عن مد ايديهم الى اموال الناس بغير حق ...

لكن الدور الازهرى لم يكن من صنع شيخ الازهر وحده ، بل من صنع الازهر كله : شيخه وعلمائه وطلابه جميعا ، ومن صنع الرأى العام الوطنى الـذى يقوده الازهر . واذا الم بشيخ الازهر ، او بكبار العلماء ، ضعف عن مسايرة الآمال الوطنية ، او اعترى همتهم فتور ، تصدى لهم جمهرة العلماء والطـلاب ، واعرضوا عنهم ، وتخلوا عن قيادتهم ، بل اوقعوا بهم الاذى ، ومضوا فى سبيل الثورة الوطنية ما استطاعوا الى تادية واجب النضال الوطنى للحرية سبيلا ...

والامثال على ذلك كثيرة :

ومنهـا ما حـدث فى ثورة مارس (آزار) لعام ١٨٠٠ ضد الفرنسيين . فقد طالت مدتها ، وتكبد فيها الفرنسيون من الخسـائر ما لا يقل عن خسـائر الوطنيين . وحينئذ لجأ الفرنسيون الى المصانعة . فاتصلوا بالشيخ الشرقاوى ، شيخ الازهر ، وجماعة من زملائه هم المشايخ المهدى والفيومى والسرساوى . واتصل الشرقاوى وزملاؤه بالفرنسيين ، وعادوا الى الثـائرين يحملون طلب الفرنسيين بايقاف الحرب ، والعفو عن جميع القائمين بالثورة ، واباحة الخروج والبقـاء لمن شاء منهم ... ولم يكد الثوار يسمعون هـذه الشروط التى تبعدهم عن هدفهم ، فى التخلص من احتلال الفرنسيين واجلائهم عن ارض الوطن المقدسة ، حتى استنكروا صنيع الشيخ وزملائه ، ولقنوه وزملاءه درسا لا ينسى ، « فضربوهم ، ورموا عمائمهم الى الارض ، واسمعوهم قبيح الكلام » ، كما تقول الرواية التاريخية المأثورة ...

وقد امتد هذا التأثير الى عهد قريب ، ظهر فى وقفة الشيخ مصطفى المراغى ضد دخول مصر الحرب العالمية الثانية فى خريف عام ١٩٣٩ ، ضنا بمساندة من سامرها سوء العـذاب وتنكروا لحقوقهـا ولسائر الحقوق العربية .. وسارت فى الشعب المصرى العربى ، بل

● **كان سلطـان شيخ الأزهـر كسلطان الـملوك والـولاة**

● **كلمة من شيخ الأزهـر تجنب مصـر ويـلات الحـرب**

أشهر الثورات الشعبية



عمر مكرم : تأييد الازهر للثورة

فى الامة العربية كلها ، قولته المأثورة : « كيف ندخل حربا لا ناقة لنا فيها ولا جمل ؟! » ، وكان لوقفته أثرها فى حركة

علي ماهر منذ نهاية ١٩٣٩ لتجنيب مصر ويلات الحرب ، ثم فى حركة رشيد على الكيلانى العراقية صدى للحركة المصرية ومن بعدها بعامين ...

وكانت مداخلات الشيخ المراغي ذات أثر فى شئون الحكم وتأليف الوزارات لعهديه فى نهاية العشرينات ، وفى الثلاثينات لهذا القرن ...

واذا كان حديث الثورات السياسية فى تاريخ الازهر يطول ، فاننا نكتفى بعد هذه الكلمة العامة بالاشارة الى أشهرها واقربها ..

ثورة أكتوبر ١٧٩٨ على الاحتلال الفرنسى

فى يوم الاحد الحادى عشر من جمادى الأولى لعام ١٢١٣ هـ ، الموافق ٢١ من اكتوبر (تشرين اول) لعام ١٧٩٨ ميلادية ، وبعد ثلاثة اشهر من الاحتلال الفرنسى بقيادة نابليون لمصر .. شبت ثورة القاهرة الاولى ..

وذكرت أسباب كثيرة لهذه الثورة . فقيل انها الكساد وسوء الاحوال . واتفق الجبرتى ونابليون فى رد أسبابها الى الاوامر الادارية الفرنسية التى أرهقت الشعب ، وسنت القروض والبيوع الاجبارية ، والاستيلاء قسرا ، والغرامات ، ورسوم التسجيل وما اليها من الوان الاستنزاف والعنت ..

ويضيف جديدا الى ذلك المعلم « نقولا الترك » اللبنانى ، مراقب الحملة ومسجل احداثها ، فى كتابه « ذكر تملك جمهور الفرنساوية الاقطار المصرية والبلاد الشامية » ، فيذكر المعلم نقولا أن الطبائع المصرية نفرت من أيلاف الاحتلال الفرنسى رغم التودد والتحبب من المحتلين الى الوطنيين ، وأن الاستهتار والدعارة الفرنسيين ضايقا المصريين أشد المضايقة ، فضلا عن « الخمامير التى اشتهرت فى كامل أسواق المدينة جهارا ، حتى وفى بعض الجوامع ايضا » ، مما جعل المصريين يؤثرون الموت على الحياة ، مع أن طبقة الاسافل والاراذل كسبت كثيراً من الاحتلال الشائع .



نابليون : اعلن رغبته في اعتناق الاسلام

ومهما يكن من سبب ، فقـــد كانت الثورة المصرية على الاحتلال الفرنسي ثورة شعبية عامة بشـــهادة المؤرخين الفرنسيين وغيرهم • وقد بلغت شعبيتها

حد انها فاجأت المحتلين واذهلتهم رغم عموم دعوتها قبل وقوعها ، وسيرورة الجهر بندائها في كل مكان •••

وفي ذلك يقول ج• كريستوفر هيرولد «J. Christopher Herold» في كتابه (نابليون في مصر) :

« واغرب ما في الثـــورة المصرية ، التي نشبت في ٢١ من اكتوبر ، انهـــا اخـــذت الفرنسيين على غرة ، مع أن اقترابها كان ينـــادى به على الملأ من فوق سطوح المنازل واعلى المآذن » • ويضيف « هيرولد » أن أعضاء الديوان الذى اقامه نابليون كانوا على علم تام بمقدمات هذه الثورات والاعداد لهـــا ، وانهم مع لقائهم المتصل لنابليون واعوانه لم يفضوا الى الفرنسيين بشيء •• ثم يستظهر أن نابليون كان يدرك النقمـــة المصرية ، ولهذا حـــاول امتصاصها باعلان رغبته في اعتناق الاسلام •••

ويقـــول « المركيز دى لا جونكيير » الضابط الفرنسي ، في الجزء الثالث من



سليمان الحلبي صرع قائد جيش الاحتلال

موسوعته عن حملة نابليون الى مصر : « كانت الدعوة الى الثورة تختلط جهرا بآذان المؤذنين •• فكانوا يدعون الى الله والى الثورة صباح مساء • فبلغت عوامل الاثارة اقصى المدى ، حتى كانت حادثة واحـــدة تكفي لاضرام بركـــان الثورة القومية • وكان فرض ضرائب المنازل سببا كافيا في اثارة نفوس الـــذين لم تستثرهم الدعوة الدينية » • ومن هذا يظهر ان اسباب الثورة كانت أعم مـــن هـــذه الخصوصيات التي حاول بعض المؤرخين ارجاعها اليها •

ولقد كانت هذه الثورة ازهرية القيادة، وكان الجامع الازهر مقر قيادتها العامة، اذا ساغ هذا التعبير عن احـــداث مر عليها مائة وثلاثة وسبعون عاما •

لقد اخذ علماء الازهر يبثون الدعوة الى الثورة بواسطة شيوخ المســـاجد يحثون عليهـــا في عظاتهم وخطبهم ، وبواسطة المؤذنين يدعون اليها خمس مرات في اليوم مع كل صلاة •• فـــكان

الازهريون هم قـــادة الثورة ودعاة الوطنية والفداء • وفي ذلك يقول هيرولد: « اما العناصر المجاهدة حقا ، فهم الغلاة في الدين كالائمة وطلاب الازهر ••• »

ويجمع الجبرتي ونقولا الترك والمؤرخون العرب والاوروبيون على أن الذى تزعم الثورة يوم نشوبها عالم ازهرى شاب هو **الشيخ بدر المقدسى** • فقد نزل الى الشارع ، وخطب فى جمع غفير من الناس ، داعيا كل مؤمن بالله أن يذهب الى الجامع الازهر ، « لان اليوم يوم غزو المؤمنين للكافرين » • ومن بعد ذلك قاد جماعة الى منزل **القاضى التركى ابراهيم ادهم افندى** • وكان وقورا محترما ، وطلبوا منه أن يذهب معهم الى مقر نابليون بونابرت للاحتجاج على المظالم الفرنسية ••• ولم يكد يتخطى عتبة داره حتى رأى الثائرين فى زحف وتكاثر وهياج ، فادرك خطورة الامر ، وانكفأ راجعا الى بيته ••• ولكن الجماهير أصرت على مصاحبته للمسيرة •• وحين تشبث بتخاذله ، سقط ما كان له من الاحترام فى نفوس الناس ، فانهالت الجماهير عليه وعلى رجاله ضربا بالعصى ورجما بالاحجار •••

وشكلت لجنة لقيادة الثورة ، وانتخبت الشيخ السادات من نقباء الاشراف رئيسا لها ، واتخذت فى الازهر مقرها ، ونظمت كتائب المتطوعين وزودتهم بالسلاح والطعام ، واندمج شيوخ الازهر فى الصناع والتجار والعمال وسائر الطوائف يدعونهم الى الجهاد فى سبيل الله والوطن •

وتكاثر المعممون ، كما يقول الجبرتي، يخطبون الجماهير ، ويشعلون نار الحماسة فى قلوبهم • وتطايرت انباء الثورة فى سرعة مذهلة ، واقبل الفلاحون واهل الضواحى الى القاهرة ، وظهرت الاسلحة والرماح والاسهم فى الايدى مع الحجارة والعصى والفئوس وما اليها ، وتجمع فى الازهر عدد قدر باربعين الفا من الثائرين •••

وبلغت انباء التجمهر فى الازهر وخان الخليلى وما حولهما الى الجنرال « ديبوى » حاكم القاهرة من قبل بونابرت • فركب الخيل مع عدد من مساعديه حتى صادفته المتاريس التى

كليبر : لم يفلت من عقاب الثورة



الشيخ السادات : لجنة لقيادة الثورة



● لماذا أعلن نابليون رغبته فى اعتناق الإسلام؟

● نابليون يضرب الأزهر بالقنابل ويأمر بالقضاء على من فيه

اقامها الثوار على ابواب خان الخليلى والنحاسين · وهنا برز له احد الثائرين وطعنه برمح فأرداه قتيلا ، كما اجهز الثوار على مساعديه ···

وكان بونابرت قد غادر القاهرة فى رحلة تفتيشية الى مصر القديمة والروضة · وحين بلغه مصرع «ديبوى» اسرع بالعودة الى مقره وعين « بون » محل « ديبوى » ···

واتخذ على الفور أشد الاجراءات للقضاء على الثورة وتدمير الازهر معقلها

ويقول هيرولد : « اما بونابرت ، فقد ثار غضبه وهو فى مقر قيادته بقصر الالفى ، وأمر مدفعية القلعة المعززة بمدافع الهارتزر والمورتار بأن تسدد المدافع الى الجامع الازهر وما حوله من أحياء هى مركز الثورة ··· وبدأ ضرب الازهر بالقنابل عند الظهر واستمر حتى المساء ، واصدر بونابرت أمره الى الجنرال « بون » بأن يقضى على كل من فى الجامع الازهر ··· »

واخذت القنابل تضرب الازهر وما حوله حتى تصدعت الجدران وانهارت الابنية وسقط الالوف قتلى تحت الانقاض ، وجرى الدم فى الشوارع من الوطنيين والاستعماريين ···

وقدرت المصادر الفرنسية عدد القتلى من الفرنسيين بخمسمائة وعددهم من المصريين بنحو ثلاثة آلاف · ثم اقتحم الفرنسيون الجامع الازهر بخيولهم ، ونهبوا نفائسه وكتبه ، ودنسوا طهارته، وانتهكوا حرماته·واقاموا فيه مركزاً لهم

كما أسر الفرنسيون زعماء الثورة من علماء الازهر ، واعدموهم فى القلعة دون محاكمة ، والقوا بجثثهم خلف الاسوار ، ثم قذفوا بها فى النيل ···

ولم يترك نابليون أسلوبا للوحشية لم يستخدمه فى التنكيل بالثوار والتمثيل بجثثهم ··

ولكنه مع ذلك لم يستطع اخماد الثورة الا بعد أن أحضر طائفة من علماء الازهر الذين لم يشتركوا فيها لاسباب شتى ، وأعلن لهم العفو عما اقترفوه كما قال ، واستكتبهم منشورا يطلب الى الناس الهدوء ، ويزف لهم بشرى الصفح المزعوم والامر باخراج الجنود الفرنسيين من الازهر ، واعادة نفائسه وكتبه اليه،وفى ذلك يقول(هيرولد): « وهكذا نجد الجهر بالعفو عن الابرياء ، واعدام الثائرين فى الخفاء وتحت جنح الظلام · وهى سياسةخليقة بأن تنال رضاء مكيافيللى ! » ·

وهذه الثورة الازهرية ، تخطيطا وقيادة ومقرا ، من اخلد الثورات المصرية على الزمان · واذا قدر لها ان تخمد ، فقد كانت بتجربتها القاسية، وخسائرها الفادحة وتضحياتها الغالية سببا فى اضطراب مقام الفرنسيين بها ، ونشوب ثورات فى جميع الاقاليم ضدهم ، كما كانت اعظم دافع لمصر فى ثورتها الثانية ···

ثورة مارس (آزار) لعام ١٨٠٠

كانت ثورة مصر الاولى وما اثبتته للغزاة الفرنسيين من تعذر استقرارهم فى مصر وتحقيق احلامهم فى السيطرة الدولية عليها ، وما تبعها من هزيمة



سعد زغلول : الثورة والارادة الشعبية

لنابليون في عكا من الاسباب التي دعت نابليون الى العودة خفية الى فرنسا في السابع عشر من أغسطس (اب) عام ١٧٩٩ ، مخلفا قيادة جيش الاحتلال في مصر « لكليبر » . كما شجعت العثمانيين على غزو الفرنسيين في مصر اعتمادا على انضمام المصريين اليهم ·· لكن الغزو العثماني وما صحبه من تدبير

بريطاني ، دفع « كليبر » الى محاربة الجيش التركي المصري ، والانتصار عليه في معركة « المطرية » الطاحنة في ٢٣ من شوال لعام ١٢١٤ هـ ، الموافق ٢٠ من مارس (آذار) لعام ١٨٠٠ ·

وعاد « كليبر » مزهوا بانتصاره الى القاهرة ، لكن الثورة الثانية قابلته في ذات الوقت ·· فقد عز على أهلها هزيمة جندهم وجند اخوانهم الترك المسلمين ، وضياع فرصة التخلص من الاحتلال الفرنسي الباغي الطاغي ··

وكان أبرز رجال هذه الثورة السيد عمر مكرم نقيب الاشراف ومن رجال الازهر الاعلام ·· وقد اعتمد فيها على تأييد شيخ الازهر ، وعلمائه وطلابه الذين انبثوا في الاحياء المختلفة

وأشعلوا الثورة فيها جميعاً ، مستفيدين من تجربة الثورة الاولى في حي الازهر وحده ···

وقد دامت سبعةوثلاثين يوما تخللتها هدنة ، وخرج منها الثائرون بشروط مشرفة تضمنت العفو عنهم ·· وأمتازت هذه الثورة باعلام كثيرة مشرقة أهمها :

اولا ـ الوحدة الوطنية : فقد التقى فيها الامراء السابقون والفلاحون ، والعلماء والعامة ، والاغنياء والفقراء·

ثانيا ـ الشمول : فقد بدأت في حي بولاق ، ثم اشتعلت بها احياء الحسينية وباب الحديد وبركة الرطل وسائر احياء القاهرة ، مما كلف جيش الاحتلال الكثير من الضحايا والخسائر ···

ثالثا ـ الاستعداد : فقد عملوا على الاستفادة من اساليب الحرب الحديثة حينذاك ، وانشأوا بجهودهم الذاتية

ووسائلهم المتاحة معملا للبارود في الخرنفش · وجمعوامختلف الصناعلصنع الذخيرة واخرجوا المدافع والاسلحةالقديمة

من المخابىء والمخازن واصلحوها واستخدموها ، وجمعوا الحديد من كل مكان حتى من المساجد ذاتها ، مؤمنين

بان الاسلام عمل ونضال ، وان أعلى درجات الايمان هو الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمته : كلمة الحرية والعدل والسلام

رابعا ـ التنظيم : فقد قسموا القاهرة الى مناطق عسكرية ، عينوا لكل منها قائدا من أعلام الثوار ، ونسقوا العمل

وكان من العسير على جيش الاحتلال أن يثبت فى المعركة لولا ما اخترعته البعثة العلمية الفرنسية من وسائل الحرب الاشد حداثة ، والتى أطنب الجبرتى فى وصف هولها وفى فظاعة استخدامها بعد ثلاثة أسابيع من بدء المعركة .. ومع ذلك فقد استطاع الثوار مقاومتها لمدة أسبوعين ، ثم نزل الجيش المحتل على شروطهم للمصالحة التى لم يجدوا منها بدا ..

لكن هذه الثورة ، وما أعقبها من مصرع « كليبر » بيد سليمان الحلبى ، وصاحبها من تطورات دولية ، مهدت لتصفية الاحتلال الفرنسى فى مصر بعد ثلاث سنوات من مقامه الدامى فيها .

وبها كتبت مصر ، فى تاريخ النضال البشرى للحرية ، صفحة من أروع الصفحات الوطنية ...

ثورة مايو (آيار) عام ١٨٠٥

ومن الثورات الازهرية التاريخية ، ثورة مايو (أيار) لعام ١٨٠٥ .. فقد تمرس المصريون بأعمال النضال الوطنى وأعبائه ثلاث سنوات حسوما أثناء الاحتلال الفرنسى ، ثم ذاقوا طعم الحرية والنصر بعد جلاء الجنود المستعمرين عن وطنهم .. وقد تبينوا قوتهم ، وعجز العثمانيين واحتماءهم بالبريطانيين المستعمرين لتحقيق الاهداف المشتركة ...

وكان من دواعى الاسى والنقمة على اخوان الاسلام أن العثمانيين بعثوا خسرو باشا ، الطاغية المستهتر الاخرق ، حاكما لمصر بعد جلاء الفرنسيين عنها ، وأن طغيانه وما صحبه من صراع بين المماليك والترك من ناحية ، وبين زعماء كلا الفريقين من ناحية أخرى ، حملت المصريين أشد ألوان العنت ، حتى ضاقت نفوسهم عن جميع مغارم [illegible] عليها .. وكان محمد على قائد الجنود الارناؤد الالبانيين يشارك المصريين النقمة على الحكم العثمانى والحاكم الاخرق خسرو باشا ..

وكان الاعداد لثورة مصرية وطنية بقيادة شيوخ الازهر للخروج على الوالى التركى ولتنصيب محمد على من قبل شعب مصر واليا عليه . وسجلت الحركة الوطنية المصرية نصرا مؤزرا فى المجال

● الأزهر وبطريرك الأقباط يتعاونون على ضرب الإنجليز



أشهر الثورات الشعبية

القومى العربى ، سبق حركة الشريف حسين ملك الحجاز بمائة واثنى عشر عاما ، وكانت له أعظم الآثار فى احياء الحركة العربية وانتصارها من بعد رغم النضال المتصل الذى لاتزال تخوضـــه منذ ستين عاما أو أكثر ..

ففى يوم الاحد ١٢ من مايو (ايار) لعام ١٨٠٥ ، احتشدت جموع الشعب من علمــــاء الازهر وطلابه والتجار والفلاحين والعمال ، بجوار الازهـــر يتزعمهم الشيخ الشرقاوى شيخ الجامع الازهر والسيد عمر مكرم نقيب الاشراف .. وتعالى لاول مرة هتاف الجماهير المصرية العربية بالانفكاك العربى من الرباط العثمانى فى هذهالعبارة البسيطة النقية : « يا رب يا متجلى ـ اهلكالعثمانلى » .

وعقـــد مؤتمر شعبى بجوار الازهر تقرر فيه مطالبة الوالى التركى باخراج الجنود من القــاهرة الى الجيزة ، والا يدخل جندى القاهرة بسلاحه ، وعدم فرض الضرائب الا بموافقة علمــــاء الازهر والاعيان ، واعادة المواصـلات المقطوعة بين القاهرة والصعيد ..

وتلكأ الوالى ، وواصل الثـــائرون اجتماعهم فى اليوم التــالى ، وسارت جموعهم المقدرة بعشرات الالوف والممثلة لطوائف الشعب ، فى يوم ١٣ من مايو (ايار) عام ١٨٠٥ ، الى منزل محمد على باشا ... وقدم اليه شيخ الازهر الشرقاوى ونقيب الاشراف عمر مـكرم شروطا للولاية خلاصتها الحكم بالعدل وفقالشريعة الاسلامية السمحاء ، وعدم ابرام الامور الا بمشورة زعماء الشعب، وعزله عند المخالفة للارادة الشعبية .

ووافق الـــوالى ، وانتصرت ارادة الحرية ، وان قدر لمعاركها أن تتصل من بعددفاعاعنكيانها، وعنعهودهاالمنقوضة

ثورة مارس عام ١٩١٩

وكانت ثورة ١٩١٩ قمـــة الثورات الوطنية المصرية ، وبداية الحـــركة الاستقلالية الفعالة . وقد تمت بارادة شعبية اجماعية ، اشتركت فيها المدن والقرى جميعا ، وشملت الشعب كافة .. وكـــانت اوامر سلطة الاحتـــلال البريطانى تتناول جميع المدن والقـرى دفعة واحدة ، مقاومة للحركة الشاملة الواحدة ...

لكن دور الازهر مع ذلك بارز فيهـا اعظم البروز ، وظاهر اتم الظهور .. فزعيمها الاول سعد زغلول من علمـاء الازهر الذين تعلموا وتخرجوا فيه ، وزادت استنارتهمبما اضافوا الىثقافتهم الوطنية من ثقافة اجنبية ...

والازهر كان الملتقى الدائم للثـوار من المسلمين والمسيحيين على سواء ، يدعمون الوحـدة الوطنية النضالية ، ويعملون لتنفيذ خطط الثورة فى جميع الاقاليم المصرية ...

والذين يطالعون يوميـــات الثورة المصرية كماكتبها المصريون والبريطانيون يتبينون الدور الفعال الـذى نهض به الازهر فى ثورة ١٩١٩ .

وقد ظهر الدور الازهرى القيادى منذ اليوم الاول للثورة : يوم ٩ من مـارس (آذار) لعام ١٩١٩ . لقد نفى فى ذلك اليوم سعد زغلول ومحمــــد محمود واسماعيل صدقى وحمـــد الباسل الى مالطه ، على اثر مطالبة الوفد المصرى بانهاء الحمـاية البريطانية والاعتراف



المراغى : تأثير الأزهر فى شئون الحكم

باستقلال مصر وسيادتها ...

وتقول اليوميات المصرية أن طلبة الازهر كانوا فى مقدمة الطلاب المصريين فى اليوم الاول والثانى للثورة ، مع طلبة المدارس العليا وبعض المدارس الثانوية .

وفى يوم ١٢ من مارس كان أول تعرض مسلح من الجنود البريطانيين لطلبة الازهر ، وكان أول الشهداء من طلبة الازهر .

وفى يوم ١٣ من مارس ظهر الازهريون فى قيادة مظاهرة المسجد الحسينى بعد صلاة الجمعة ، التى أطلقت ـ المدرعات البريطانية ـ عليها النار وقتلت منهم ١٢ شخصا ...

وكان العلماء وطلبة الازهر فىمطلع المظاهرة الكبرى فى ١٧ من مارس .

وكان علماء الازهر فىمقدمة العناصر التى يستشيرها الوفد فى خطواته ، مثلما حدث قبل تقديم تقرير الوفد الى المارشال « اللنبى » فى ٢٦ من مارس ، اذ استشار فيه علماء الازهر وبطريرك الاقباط وبعض الوزراء والنواب .

وفى أول ابريل « اشتدت ثورة الازهر وكثرت اجتماعاته حتى لجأت السلطة العسكرية الى مطالبة شيخ الازهر فى اغلاقه دفعة واحدة ، أو الاكتفاء باغلاقه فى غير أوقات الصلاة فأبى » .

وتؤكد الوثائق البريطانية الدور الازهرى . ففى التقارير اليوميةلرجال بريطانيا فى مصر شواهد كثيرة ، نكتفى بايراد بعض ماتضمنته تقارير سير « م . تشيتام » الىاللوردكيرزون وزيرالخارجية البريطانية .

ففى تقريره عن يوم ١١ من مارس قال : « انتشرت الثورة فى أماكن عديدة من القاهرة . ففى ساعة مبكرة من صباح اليوم تجمع الثائرون ، ومعظمهم من طلبة الازهر ، وبعض الافراد فى الاماكن الرئيسية بقلب المدينة ، وزحفوا نحو ورش السكك الحديدية لاخراج العاملين فيها ..

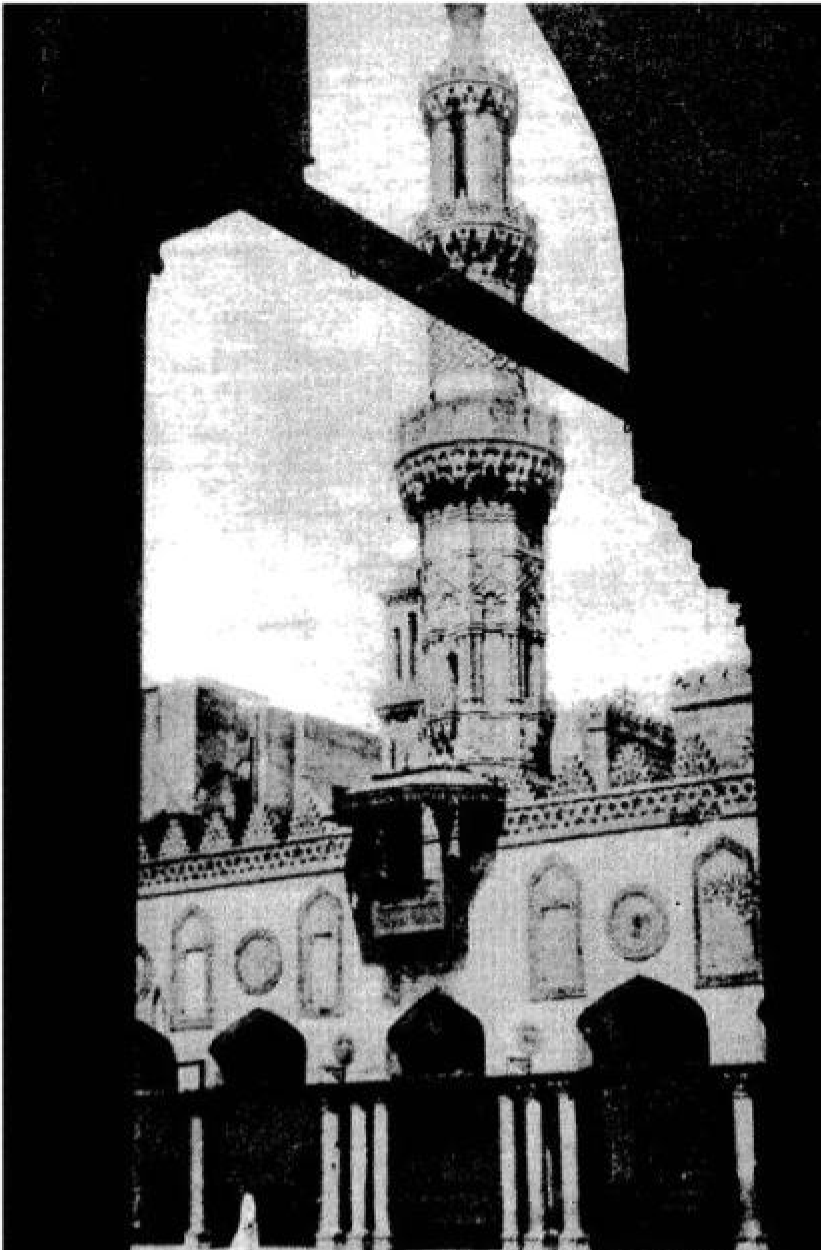
وفى يوم ١٣ من مارس يتحدث عن افراد التنظيم فى حركة الثورة ، وتعذر التغلب على منطقة الازهر ، قائلا : « ان الاضطرابات فى هذه المنطقة يصعب التغلب عليها ، بسبب الرغبة فى منع الجنود البريطانيين من الاقتراب من الجامع الازهر » .

وفى يوم ١٧ من مارس يقول « سارت مظاهرة فى القاهرة ضمت نحو ١٠ الاف شخص بقيادة طلبة الازهر » .

وفى يوم ٢٠ من مارس يتحدث عن تعاون زعماء الازهر مع البطريركية القبطية بطريقة فعالة وحرص الازهريين على كفالة هذا التعاون ..

وهكذا كان دور علماء الازهر الوطنيين المستنيرين فى بداية القرن العشرين مواجهة للاحتلال البريطانى هو دورهم فى نهاية القرن الثامن عشر مواجهة للاحتلال الفرنسى ... وهو دور لم يستطع اخفاءه مؤرخو الحملة الفرنسية من الفرنسيين ومؤرخو الثورة المصرية من البريطانيين .

وهو دور يتفق مع قواعد الدين الاسلامى ومبادئه : قواعد العمل والنضال والفداء وضرب أحسن الاسوة وخير المثل ، ومبادئه الحرية والعدل والسلام ، والعمل الجاد المخلص لسيادة سلطانها واعلاء كلمتها ...



أحمد شوقي

تحية للأزهر

نظم أمير الشعراء هذه القصيدة التي نتخير منها هذه الأبيات الرائعة ، في سنة ١٩٢٤ ، عندما نودي بإصلاح الأزهر .

قم في فم الدنيا وحَيِّ الأزهرا — وانثرْ على سمع الزمان الجوهرا
واجعلْ مكانَ الدُّرِّ إن فصَّلته — في مدحه خَرَزَ السماء النَّيِّرا
واذكره بعد المسجدين معظِّماً — لمساجد الله الثلاثة مُكْبِرا (١)
واخشع ملياً ، واقض حق أئمة — طلعوا به زُهْراً وماجوا أبحرا
كانوا أجلَّ من الملوك جلالةً — وأعزَّ سلطاناً وأفخم مظهرا
زمنَ المخاوف ، كان فيه جنابهم — حَرَمَ الأمان ، وكان ظلُّهم الذرا (٢)
من كل بحرٍ في الشريعة زاخرٍ — ويريكه الخُلُقُ العظيم غضنفرا
لا تحذُ حَذْوَ عصابةٍ مفتونةٍ — يجدون كل قديم شيءٍ منكرا
ولو استطاعوا في المجامع ، أنكروا — من مات من آبائهم أو عُمِّرا
من كل ماضٍ في القديم وهدمه — وإذا تقدم للبناية قصَّرا

(١) المسجدان : الحرام والاقصى
(٢) الذرا : الملجا

تحيـــة للأزهــر

وأتى الحضارة بالصـــــناعة رثة ... والعــلم نزرًا والبيان مثرثرا (١)

***

يا معهـــدا أفنى القرون جدارُهُ ... وطوى الليالى ركنُـــه والأعصرا

ومشى على يبس المشـــارق نورُه ... وأضـــاء أبيضَ لُججِها والأحمرا

وأتى الزمانُ عليـــه يحمى سُنَّةً ... ويذود عن نُسُكٍ ويمنع مشعرا (٢)

فى الفاطميـــين انتمى ينبوعُـــه ... عذبَ الأصول كجدهم متفجرا (٣)

عَيْنٌ من الفرقان فاض نميرها ... وحيا (٤) من الفصحى جرى وتحدرا

ما ضرنى أن ليس أفقُـــك مطلعى ... وعلى كواكبـــه تعلمتُ السُّرى

لا والذى وكل البيانَ اليـــك ، لم ... أكُ دون غايات البيان مقصـــرا

لما جرى الاصلاحُ قمت مهنئـــا ... باسم الحنيفة بالمـــزيد مبشـــرا

نبأ سرى ، فكسا المنارة حَبْرَةً (٥) ... وزها المُصلّى واســـتخف المنبرا

---

(١) النزر : القليل ــ والمثرثر : المخلط

(٢) النسك : العبادة ــ والمشعر : موضع مناسك الحج

(٣) جد الفاطميين ، على بن أبى طالب ، وكان بحرا فى العلم

(٤) الحيا : المطر

(٥) الحبرة : الفرحة

وبـها بأروقة الهـدى فأحلّهـا   فَرْعَ الثريا ، وهي في أصل الثرى
ومشى الى الحلقات ، فانفرجت له   حَلَقا كهالات السماء منوّرا
حتى ظننّا الشافعيَّ ومالكا   وأبا حنيفةَ وابن حنبل حُضّرا
ان الذي جعل العتيق مثابة   جعل الكنانيَّ المبارك كوثرا
العلم فيه مناهلا ومجانيا   يأتي له النزّاع يبغون القِرى (١)

***

يا ثنية المعمور (٢) ، سار حديثكم   ندًا بأفواه الركاب وعنبرا
المعهد القدسيُّ كان نديَّه   قطبًا لدائرة البلاد ومحورا
ولدت قضيته على محرابه   وحَبَتْ به طفلا وشبت معصرا (٣)
وتقدمتْ تزجي الصفوف ، كأنها   « جاندرك » في يدها اللواء مظفّرا

***

هزّوا القرى في كهفها ورقيمها   أنتم لعَمْرُ الله أعصاب القرى
الغافل الاميُّ ينطق عنكمو   كالببغاء مرددًا ومكرّرا
يمشي ويصبح في أوامر دينه   وأمور دنياه بكم مستبصرا
لو قلتم اختر للنيابة جاهلا   أو للخطابة « باقلا » لتخيَّرا
ذكر الرجالُ له ، فأنه عصبةً   منهم ، وفسّق آخرين وكفّرا
آباؤكم قرأوا عليه ورتّلوا   بالامس تاريخَ الرجال مزوّرا

(١) القرى : الضيافة
(٢) المعمور : الازهر
(٣) المعصر : الفتاة المدركة

ثورات فكرية في تاريخ الأزهر

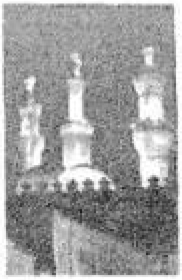
د. أحمد الشرباصي



يذكر التاريخ أن الذي بنى الأزهر هو جوهر الصقلي قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي، وقد أتم بناءه سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وقد أريد للأزهر أول الأمر أن يكون مقرا للدعوة الفاطمية الداعية إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي، وسموه «الأزهر» نسبة إلى «الزهراء» لقب فاطمة رضي الله عنها التي ينتسب إليها الفاطميون، ولكن الله تبارك وتعالى أراد للأزهر بعد ذلك أن يكون معقلا للدراسات الإسلامية والعناية بعلوم الدين واللغة.

ويذكر التاريخ أن الوزير يعقوب بن كلس الذي وقف على الأزهر أوقافا أشار سنة ٣٧٨ هـ على العزيز بالله الخليفة الفاطمي أن يحول الأزهر من مسجد شيعي إلى جامعة لتدريس العلوم الدينية والعقلية، وكان هذا الرأي قد كان بداية بعوث ثورات فكرية كثيرة في الأزهر. لا نستطيع هنا أن نرصدها على وجه الإحصاء ولكننا نستطيع أن نذكر طائفة منها قد تكون أقوى أثرا من غيرها في تاريخ هذه الجامعة الإسلامية التليدة.

صفحات من تاريخ الأزهر



لعل صلاح الدين الايوبى كان أول من قام بثورة فكرية فى الازهر كان لها أثرها وخطرها

فقد كان صلاح الدين سنيا ، فعنى بالقضاء على المذهب الشيعي من الازهر ليغرس مكانه المذهب السنى ، ومهد لهذه الثورة بأن أنشأ فى سنة ٥٦٦ هـ المدرسة الناصرية بجوار جامع عمرو لتدريس المذهب الشافعى ، كما أنشأ المدرسة القمحية بجوار المدرسة السابقة لتدريس المذهب المالكي ، وعزل صلاح الدين القضاة الشيعيين ، وعين بدلهم قضاة شافعيين ، وكان صلاح الدين شافعيا ، وبعد حين ضعف المذهب الشيعي وتقلص ، ثم انقرض من مصر وبعد أن كان اسم الخليفة الفاطمى يذكر على منبر الأزهر ، صار يذكر اسم الخليفة العباسى

ولقد كان سقوط بغداد على أيدى التتار سنة ٦٥٦ هـ سببا في اتجاه كثير من العلماء والفقهاء الى مصر ، والاتصالبالازهر ، والتأثر به أو التأثير فيه ، من أمثال ابن حجر العسقلانى ، والمقريزى ، والعيني ، والبلقيني ، وهم من رجال القرن التاسع الهجرى ، ومن أمثال السخاوى والسيوطى من رجال القرن العاشر • وصار الازهر – بعد غارات التتار المدمرة – هو الجامع الوحيد الذى يرتفع فيه صوت العلم والدين ، وذلك لاكثر منسبب ، فالتتار قد خربوا غيره من المساجد والمدارس والمعاهد ، والحضارةالعربية قد انقرضت منالاندلس – الفردوسالمفقود – والازهر يوجد فى مصر التى تتوسط العالم الاسلامى ، والتى لا تبعد عن الحجاز منزل الوحى ، ولها أهميتها الاقتصادية وصبغتها العربية ، وهى مفتاح قارة افريقية ، وفيها بذور من الثقافةالعقلية المصرية القديمة • •

ويبدو أن الازهر خلال هذه القرون كان مجتلى الرأى العام فى الشعب ، ولذلك يروى أن قايتباى – وكان اكثر الناس رعاية للازهر فى القرن التاسع – كان يتخفى فى زى رجل مغربى ، ويذهب

الى الازهر ويسمع ما يقوله الناس فيه .

كما يبدو ان الناس كانوا ينظرون الى الازهر منذ القديم نظرة خاصة قائمة على الاحساس العميق برسالة الازهر وخطير مكانته ، وقد يدل على ذلك ان الامير بهادر استصدر سنة ٧٨٤ هـ مرسوما من السلطان برقوق ينص على أن من مات من مجاوري الازهر عن غير وارث شرعي ، فان تركته توزع على المجاورين في الازهر ، وقد نقش هذا المرسوم ، وعلق على الباب البحري الكبير للازهر ، ومن الممكن ان يقول القائل المعاصر : ان هذا الاجراء يعد - بلغة العصر - ثورة اشتراكية ، قد يعزز معناها ما عرفه تاريخ الازهر - من قبل ومن بعد - من نظام الاروقة والمساكن والجرايات والهبات التي كانت تخصص لاهل الازهر وطلابه .

مصر منبع العلوم والفضائل

ولقد ظل الازهر قوى الاثر عميق الخطر في الحياة الاجتماعية والعقلية حتى الفتح العثماني لمصر سنة ٩٢٢ هـ ، ثم كان هذا الفتح سببا في ضعف الحياة العلمية في مصر بعامة ، وفي الازهر بخاصة ، وعلى الرغم من هذا الضعف ظل الازهر يصارع ويقاوم ، حيث لم يكن هناك معهد علمي سواه ، وتألقت في سمائه نجوم رجال اعلام من امثال زكريا الانصاري المتوفى سنة ٩٢٦ هـ ، وعبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة ٩٧٣ ، واحمد الدردير المتوفى سنة ١٢٠١ هـ .

واذا كان للحكم العثماني في مصر سوآته الكثيرة ، فان هذا لم يمنع أن نجد أحد الولاة العثمانيين في مصر ، يفتح الباب أمام ثورة علمية في الازهر سنة ١١٦١ هـ ، وذلك الوالي هو « احمد باشا » المعروف بكورويزير ، وكان كما يذكر المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي من أرباب الفضائل ، وله رغبة في العلوم الرياضية ، وكان الازهر قد أهمل دراسة العلوم الرياضية ، وكان شيخ الازهر حينئذ هو الشيخ عبد الله الشبراوي ..

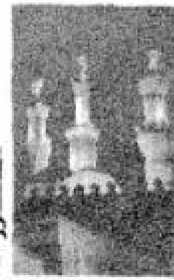
فلما وصل ذلك الوالي الى القاهرة واستقر بالقلعة ، ذهب اليه وفد من علماء الازهر لتهنئته ، فدار بين الوالي والوفد حوار في مسائل من العلم ، الى أن دخل بهم في مسائل العلوم الرياضية ، فأمسكوا عن الكلام فيها قائلين : نحن لا نعرف هذه العلوم ، فعجب الوالي من ذلك أشد العجب . وكان الشيخ الشبراوي بين ذلك الوفد .

وذات يوم اجتمع الوالي بالشيخ الشبراوي وقال له : المسموع عندنا بالديار الرومية (التركية) أن مصر منبع العلوم والفضائل ، ولقد كنت في غاية الشوق الى المجيء اليها .

فقال له الشيخ : هي كما سمعتم معدن العلوم والمعارف .

فقال الوالي : وأين هي وانتم اعظم علمائها ، وقد سألتكم عن مطلوبي من العلوم ، فلم أجد عندكم منها شيئا ، وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول (مثل علم المنطق والتوحيد) والوسائل (مثل علم النحو والصرف) ونبذتم المقاصد (يعني العلوم الرياضية) ؟

فاجاب الشيخ : نحن لسنا اعظم علمائها ، وانما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند ارباب الدولة والحكام ، وغالب اهل الازهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية ، الا بقدر الحاجة الموصلة الى علم الفرائض والمواريث ، وذلك من



فروض الكفاية ، اذا قام به البعض سقط عن الباقين ·

فقال الوالي : واين أجد هذا البعض؟

فأجابه الشيخ : هم موجودون في بيوتهم يسعى اليهم ·

ثم دله الشيخ على حسن الجبرتي ـ والد الجبرتي المؤرخ ·

فطلبه الوالي وسأله عن تلك العلوم ، فوجده يحسن معرفتها ، فسر به سرورا عظيما ، وصار يكثر من الاجتماع به ، ليذاكره فيها ، ويناقشه في مسائلها ·

ولم يكن الشيخ حسن الجبرتي هو الوحيد من رجال الازهر الذين استوعبوا العلوم المختلفة ، بل كان هناك مثل الشيخ احمد الدمنهوري المولود سنة ١١٠١ هـ والمتوفى سنة ١١٩٢ والذى تولى مشيخة الازهر سنة ١١٨٢ وظل فيها ما يقرب من عشر سنوات ، فقد ذكر في سند العلوم التى تلقاها ودرسها انه درس كتبا في علوم الحساب والجبر والمقابلة ووضع المزاول ، وأسباب الامراض وعلاجها ، والحدود والدوائر والفلك ، وعلم الهيئة والهندسة والمساحة والتكعيب ، والممالك الطبيعية : الحيوان والنبات والمعادن ، وعلم استنباط المياه ، وعلم التشريح ··· الخ ·

شعر يتوقد رقة وعذوبة

ونستطيع أن نقول ان الشيخ عبد الله الشبراوى المتوفى سنة ١١٧١ هـ والذى تولى مشيخة الازهر عقب وفاة الشيخ الفيومي ، قد أحدث في البيئة الازهرية ثورة أدبية فنية عاطفية ، بما نظمه من شعر غزلي عذب قد يستبعد كثير من النــاس أن ينسبه الى عالم ازهرى ، فضلا عن عالم جليل يتولى مشيخة الازهر في ذلك العهد السابق القديم ، وحسبنا ان نذكر هنا أن هذا الشيخ هو صاحب تلك القصيدة المشهورة التى تتوقد رقة وعذوبة ، والتى مطلعها :

وحقك أنت المنى والطلب
وأنت المراد ، وأنت الارب



محمد عبده اصدر «العروة الوثقى»

ولى فيك يا هاجرى صبوة
تحير فى وصفها كل صب

فهل من السهل على الناس اليوم ان يصدقوا ان هذا الشعر الغزلى قد صاغه منذ قرابة ثلاثة قرون عالم كبير تولى مشيخة الازهر ما يقرب من عشر سنوات ؟!

فرصة وهزة قوية

وممن قاموا بثورة فكرية فى الازهر الشريف الشيخ حسن العطار الذى ولد بالقاهرة سنة ١١٨٠ هـ ، وتعلم فى الازهر كغيره من الطلاب ، وهام بالسياحة والرحلات شرقا وغربا فى البلاد الاسلامية ، وكان يشاهد ويتابع ويحاور ويجمع المعلومات • وحينما جاء الفرنسيون الى مصر فى حملتهم المشهورة اتصل العطار ببعض افرادها ، واخذ يتعلم منهم ، وينقل عنهم ، ويتشبه بهم فى البحث والتنقيب العلمى والادبى والاجتماعى •

وفى سنة ١٢٤٦ هـ تولى الشيخ العطار مشيخة الازهر ، فانتهزها فرصة ذهبية ، واخذ يهز الازهر هزا عنيفا قويا ليستيقظ ، وتوفى عليه رحمة الله سنة ١٢٥٠ هـ •

عاب العطار على الازهريين انهم يعرضون عن كتب المتقدمين وسعة افقهم •• ولا يستفيدون بتراث السلف القيم العظيم ، فقال :

« ان من تامل فى علمائنا السابقين يجد انهم كانوا مع رسوخ قدمهم فى العلوم الشرعية ، لهم اطلاع واسع على غيرها من العلوم والكتب التى الفت فيها ، حتى كتب المخالفين فى العقائد والفروع ، واعجب من ذلك تجاوزهم الى النظر فى كتب غير اهل الاسلام من التوراة وغيرها من الكتب السماوية واليهودية والنصرانية ، ثم هم — مع ذلك — ما اخلوا فى تثقيف السنتهم برقائق الاشعار ولطائف المحاضرات •

ومن نظر فى ذلك ، وفيما انتهى اليه الحال فى زمن وقعنا فيه ، علم انا منهم بمنزلة عامة اهل زمانهم ، فان قصارى امرنا النقل عنهم ، بدون ان نخترع شيئا من عندنا ، وقد اقتصرنا على النظر فى كتب محصورة الفها المتاخرون المستمدون من كلامهم ، نكررها طول العمر ، ولا تطمح نفوسنا الى النظر فى غيرها ، حتى كان العلم فيها •

فاذا ورد علينا سؤال من علم الكلام لا نجده فيها ، تخلصنا بان هذا كلام الفلاسفة ، او مسالة اصولية قلنا : لم نرها فى جمع الجوامع ، فلا اصل لها ، او نكتة ادبية قلنا : هذا من علوم اهل البطالة ، وهكذا •

فصار العذر اقبح من الذنب ، وحالنا الان كما قال ابن الجوزى فى مجلس وعظه ببغداد :

ما فى الديار اخو وجد نطارحه
حديث نجد ، ولا خل نجاريه

وهذه نفثة مصدور ، فنسال الله السلامة واللطف » •





ويعود الشيخ العطار في حاشيته على كتاب « جمع الجوامع » فيشيد بأمر الكتب العلمية المترجمة الى اللغة العربية ويوصى بالعناية بها عند علماء الازهر ، فيقول :

« قد عربت كتب في زماننا من كتب الفرنجة ، وفيها أعمال كثيرة وأفعال رقيقة ، اطلعنا على بعضها ، وقد استخرجت تلك الاعمال بواسطة الاصول الهندسية والعلوم الطبيعية ، وفي تلك الكتب تكلم القوم في الصناعات الحربية والالات النارية ، ومهدوا فيها قواعد واصولا ، حتى صار ذلك علما مستقلا ذا فروع كثيرة ، ومن سمت به همته الى الاطلاع على غرائب المؤلفات .. ظهرت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم ، وتنزهت فكرته ان كانت سليمة في رياض الفهوم ، فلا تجعل سعيك لغير الحصول على الكمالات العرفانية مصروفا ، ولا تتخذ غير نفائس الكتب اليفا الوفا :

ولا تك من قوم يديمون سعيهم
لتحصيل انواع المآكل والشرب
فهذى اذا عدت طباع بهائم
وشتان ما بين البهيم وذى اللب

وهذه نفثة مصدور أيضا ولله عاقبة الامور » .

ولقد تكلم المرحوم الشيخ عبد المتعال الصعيدى عن شخصية الشيخ العطار في كتابه « تاريخ الاصلاح في الازهر » ونقل نصوصا له ونصوصا قيلت عنه ، وذرء بشخصيته ، وتوسع الاستاذ محمد عبد الغنى حسن في كتابه عن الشيخ العطار ، وذكر أنه قد امتاز بقراءته الواسعة العميقة للكتب العربية والمعربة في زمانه ، ولم يختص بعلم معين ، أو بفن بعينه من الفنون ، ولكنه كان حريصا على الافادة من كل علم ، وأنه كان من القلة الازهرية التي ادركت ضرورة العلوم العقلية والطبيعية لنهوض البلاد ، وكان صاحب فضل في التنبيه الى قيمة العلوم الطبيعية ، والى ضرورة ادخال العلوم العصرية في

الازهر ، والى ضرورة الاخذ بالعلوم الطبيعية والاصول الهندسية ، بجوار الرسوخ في العلوم الشرعية والاصول الفقهية ، وأنه لا شك أن تحرر الشيخ العطار الفكرى ، وبعده عن الجمود ، ودعوته الى الاخذ بالعلوم الحديثة ، مع الاهتمام بالعلوم القديمة ، قد جذب اليه الطلاب من كل فج .

ويقول الباحث المفضال : « اذا كان حسن العطار لم يوفق فى اصلاح الازهر وبرامجه وخطط الدراسة فيه كما كان يريد ، فانه قد رزق حظا كبيرا من التوفيق فى الدعوة الى اصلاح التعليم بالبلاد كلها ، فالمدارس العالية الفنية التى انشئت بمصر فى ذلك العهد — كالهندسة والطب والصيدلة والالسن — هى الاستجابة الحقيقية لدعوة حسن العطار وتطلعاته ومناداته بحتمية تغيير الاحوال فى البلاد ، والكتب التى ترجمت بالمئات فى عصر محمد على هى الصدى المحقق لامنية حسن العطار حين رأى كتب الفرنسيين فى الرياضة والعلوم والآداب » .

دافع لعوامل الثورة الفكرية

وتأتى ثورة رفاعة رافع الطهطاوى :

ولد رفاعة فى طهطا سنة ١٢١٦ هـ ، وتعلم بالازهر حتى تخرج فيه ، ثم اختير ليكون اماما لاول بعثة مصرية ارسلت الى فرنسا سنة ١٨٢٥ ، وهناك تعلم الفرنسية وأجادها ، ودرس كثيرا من العلوم ومنها التاريخ والجغرافية . ثم عاد الى مصر سنة ١٨٣١ م ، فكان رئيسا لترجمة الكتب الى العربية ، وألف كتبا فى التربية والاخلاق ، وأنشأ جريدة الوقائع المصرية ، وأسس مدرسة الالسن ، وتوفى سنة ١٨٧٣م — ١٢٩٠هـ

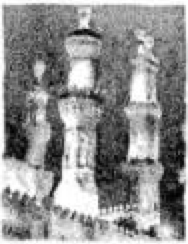
ولقد كان الطهطاوى تلميذا للثائر الازهرى الشيخ حسن العطار ، وممن لازموه بصفة مستمرة ، وحينما هم رفاعة بالسفر الى فرنسا ذهب الى شيخه ليتلقى نصيحته ، فأوصاه بأن يقوم بتدوين كل ما يراه فى تلك البلاد العجيبة ، وأن يعنى بدراسة العلوم التى نبغوا فيها ، وكانت سبب قوتهم ونهضتهم ، ليقوم بنقلها الى اللغة العربية فيستفيد أهلها منها ، وينهضوا كما نهض أهل اوربا .

ومع ان الوظائف التى تولاها الطهطاوى بعد عودته من فرنسا كانت خارج الازهر ، ومع ان صلته الوظيفية او الرسمية انقطعت عن الازهر ، لم يترك تحريك عوامل الثورة الفكرية بين أبناء الازهر ، بل اخذ يتلمس الوسائل الى بث افكاره والاخذ بآرائه فى اصلاح الازهر والنهوض به ، لانه لم ينس انه احد بنيه ، ولذلك نراه فى كتابه « مناهج الالباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية » يتحدث عن فوائد العلوم الحديثة ، ووجوب اغتراف الازهريين من منابعها ، ويقول عن ابناء الازهر : « ان لهم اليد البيضاء فى اتقان الاحكام الشرعية العملية والاعتقادية ، وما يجب من العلوم الآلية ، كعلوم العربية الاثنى عشر ، وكالمنطق وآداب البحث والمقولات وعلم الاصول المعتبر ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

غير أن هذا وحده لا يفى للوطن بقضاء الوطر ، والكامل يقبل الكمال كما هو متعارف عند أهل النظر ، ومدار سلوك جادة الرشاد والاصابة ، منوط — بعد ولى الامر — بهذه العصابة ، التى ينبغى أن تضيف الى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة ، ورفع اعلام

الشريعة المنيفة ، معرفة سائر المعارف البشرية المدنية ، التى لهـا مدخل فى تقديم الوطنية ، من كل ما يحمد على تعلمه وتعليمه علماء الامة المحمدية ، فانه بانضمامه الى علوم الشريعـة والاحكام ، يكون من الاعمال الباقية على الدوام ، ويقتدى بهم فى اتباعه الخاص والعام .

ثم يستحث الطهطاوى همم نجباء أهل الازهـر ليتمسكوا بدراسة العلوم العصرية ، ويقرر أنهم لو فعلوا ذلك « لفازوا بدرجة الكمال ، وانتظموا فى سلك الاقدمين من فحول الرجال ، وربما يتعللون بالاحتيـاج الى مساعدة الحكومة ، والحال أن الحكومة انمـا تساعد من يلوح عليه علامات الرغبـة والغيرة والاجتهاد ، فعمل كل مـن الطرفين متوقف على عمل الاخر ، فترجع المسألة دورية ، والجواب عنهـا أن الحكومة قد ساعدت بتسهيل الوسائط والوسائل ، ليغتنم فرصة ذلك كل طالب وسائل ، وكل من سـار على الدرب وصل ، وانمـا المكافأة على تمـام العمل » .



ثورات فكرية فى تاريخ الأزهر

حدث خطير فى تاريخ الازهر

وممن يمثلون ثورة فكرية فى تاريخ الازهر المرحوم الشيخ محمـد عياد الطنطاوى الذى ولد سنة ١٨١٠ م وكان أبوه من بلدة « محلة مرحـوم » فى محافظة الغربية ، وقد حفظ صاحبنا القرآن الكريم فى « الكتاب » كمـا حفظ فيه طائفة من المتون ، وفى الثالثة عشرة من عمره دخل الازهر ، وتعلم فيه على أيدى الشيخ ابراهيم الباجورى ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ حسن السقا ، والشيخ محمـد الاشمونى ، واستمر فى الازهر سنوات ، ثم مات والده ، فأخذ الابن يجمع بين الدراسة والتدريس ، ليستعين بذلك على مطالب الحياة ، ثم حصل على اجازة التدريس فى ٢٠ من المحـرم سـنة ١٢٤٤ هـ



رفاعه الطهطاوى برواسة العلوم المصرية

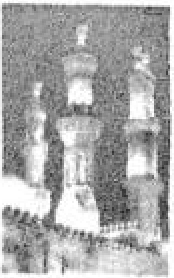
(١٨٢٨م) وقام بالتدريس فى الازهر، حيث درس التفسير والمنطق ، وعنى بالشعر والادب ، وظل يقوم بالتدريس عشر سنوات ، وتعلم فى اثناء ذلك اللغة الفرنسية ، ولم يقتصر على جوه الازهرى ، وبيئته الوطنية ، بل خطا خطوة كان لها أثرها وخطرها فى عهده ، حيث قام بتدريس علوم اللغة العربية فى المدرسة الانجليزية بالقاهرة، وقام بتعليم الفرنجة فى بلاده لغة العرب ، واتصل بالجالية الاوربية بالقاهرة ، وفيها عدد كبير من المهندسين والعسكريين والسياسيين ، فاثر فيهم وتاثر بهم ، وكان استاذا فى اللغة العربية للمستشرق الفرنسى (فرنيل) وقرأ معه ديوان الشاعر الشنفرى .

وكان من تلاميذ الشيخ الطنطاوى : الاستاذ يوسف الاسير الذى ترك اثرا فى الادب العربى والمجتمع العربى ، والاستاذ ابراهيم مرزوق الاديب الشاعر الذى ترجم « امثال لافونتين » ، والشيخ عبد الهادى نجا الابيارى ، والشيخ عبد السلام الحلبى ، وغيرهم من اعلام الادباء والعلماء . ومما يدل على مدى الثورة الفكرية التى اوقدها الشيخ الطنطاوى فى بيئته ان نراه فى سنة ١٨٢٧ م يقول وهو يدرس فى الازهر انه لا يعرف احدا قبله قرأ فى الازهر ما قراه من مقامات الحريرى والمعلقات مع شرح الزوزنى .

وفى سنة ١٨٤٠ دعاه قيصر روسيا ليقوم بتعليم اللغة العربية وادابها فى القسم التعليمى التابع لوزارة الخارجية بروسيا ، فتعلم الشيخ الطنطاوى اللغة الروسية ، وانتقل الى هناك ، فكان انتقاله حدثا خطيرا فى تاريخ الازهر ، وفى صلة العرب بالروس ، وكان سفره الى روسيا يوم السبت ٢٤ من المحرم سنة ١٢٥٦هـ .

وقد وضع المستشرق الروسى « اغناطيوس كراتشوفسكى » كتابا عن حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى ، وترجمت هذا الكتاب الى العربية سيدة فلسطينية هى « كلثوم عودة » وراجع الترجمة وعلق عليها الاستاذان عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغنى حسن ، ونشر الترجمة المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية سنة ١٩٦٤ م . ويقول « كراتشوفسكى » فى كتابه هذا : « كان رحيل الطنطاوى الى روسيا حدثا كبيرا ، ليس فى حياته فحسب ، بل وفى الاستشراق الروسى ايضا ، حتى ان الصحافة الواسعة اولته انتباها كبيرا » .

وهذا هو العالم « سافيليف » الذى صار فيما بعد من علماء الآثار المشهورين واحد مؤسسى جمعية الآثار فى روسيا ، يكتب رسالة الى أحد أصدقائه فى سنة ١٨٤٠ يصور فيها تأثير الشيخ الطنطاوى فى الجو الروسى وغيره فيقول : « أنت تسألنى :



صور من تاريخ الأزهر

من هذا الرجل الجميل فى لباس شرقى، وعمامة بيضاء ، وله لحية سوداء كجناح الغراب ، وعينان تشعان باشعاع غريب ، على وجهه سمة الذكاء ، وقد لفحت الشمس بشرته ، وليست بالطبع شمس بلادنا الشمالية الباردة ، لقد رأيته مرتين يسير بخطوات وئيدة على بلاط شارع « نفسكى » فى جهته المضاءة بالشمس ، ولقد لفت هذا الرجل نظرى ، كما لفت انظار زائرى هذا الشارع فى أيام الجو الطيب ...

« هو ضيف جديد من ضفة النيل . انه الشيخ الفاضل محمد عياد الطنطاوى ، وهذا الاسم معروف لدى كل من يدرس اللغة العربية ، وكل السياح الذين انتفعوا بخدماته ، والمدينون له بنجاح بحوثهم ، يذكرونه بالشكر ، ويكنون له المودة ، مذيعين شهرته فى أوربا » .

وفى القاهرة ، وفى الجامع الازهر ، مدرسة من أحسن المدارس ، ان لم نقل أحسنها ، وهناك عند الاعمدة التى يقوم عليها سقف غرفة كبيرة ، يجلس الاساتذة ، ويجلس تلاميذهم بهيئةنصف حلقة حولهم ، وكنت ترى حول أحد الاساتذة حلقة تتألف من شعوب مختلفة ، وعدد تلاميذها أكثر ممن فى الحلقات الاخرى ، بينهم شباب أوربيون من الذين يريدون دراسة اللغة العربية . هنا كان كرسى الشيخ محمد عياد الطنطاوى ، من اشهر العلماء الوطنيين واكثرهم اطلاعا على الاداب الوطنية والتاريخ ...

وقد اذاع شهرته فيأوربا مستشرقان كانا تلميذيه ، يجلسان عند اعمدة الجامع الازهر ، ثم اشتهرا بمعرفةاللغة العربية واللهجات ، أحدهما فولجنس فرنيل القنصل بمدينة جدة فى جزيرة العرب ، وصاحب الرسائل عن تاريخ العرب قبل الاسلام ، والثانى غوستاف فيل أستاذ هيدلبرج السابق ، ومترجم ألف ليلة وليلة ومؤلف شعر العرب قبل محمد ، والفضل لظهور البحثين عن

جزيرة العرب قبل محمد يرجع لمساعدة الشيخ للمؤلفين ، اذ انه بلا مساعدته ما كان لبحوثهما أن تظهر كما يشهدان .

استاذ الاداب الشرقية فى الجامعة الروسية

ومما يدل على روح الثورة عند الشيخ الطنطاوى أنه فى طريقه الى روسيا نزل فى ايطاليا ، ولم يتردد — وهو الشيخ المعمم فى ذلك الوقت المبكر الذى تتجلى فيه محافظة الازهر على العرف والتقاليد — أن يزور دار الاوبرا مرتين ، حيث شاهد فى المرة الاولى رواية « السلطان محمد » ، وفى المرة الثانية رواية « العاشقين » ، ويذكر الطنطاوى أنه لم يكن هناك معمم من الشاهدين سواه .

وكذلك نزل وهو فى طريقه — مدينة « كييف » ، وحرص على أن يزور دير اللافرا وكنيسة القديسةصوفيا ، وكنيسة القديس أندراوس ، وحضر حفل استعراض الجيش يوم الاحد ، وزار مدرسة البنات ، وسمع العزف على البيانو ، وفعل كل هذا وهو بعمامته وثيابه الازهرية .

وشغل الشيخ الطنطاوى كرسى الاداب الشرقية فى الجامعة الروسية ، وكان يجمع — كما يذكر كراتشوفسكى — بين الطرق النظرية والطرق العملية ، فمن جهة كان يدرس قواعد اللغة ، ويشرح امثال لقمان ، ويقرأ قطعا من مؤلفات تاريخية من مجموعة « بولدريف » ومقامات الحريرى ، ومن جهة أخرىكان يدرس الترجمة من اللغة الروسية الى العربية ، والخطوط الشرقية ، وقرأ المخطوطات ، والمحادثة باللغة العربية ، وزاد على ذلك من سنة ١٨٥٥ تدريس تاريخ العرب ، ونرى من المختصرات المحفوظة بين أوراقه أنه كان يشرح فى محاضراته تاريخ الخلافة حتى عهد فتوحات المغول .

وحاز الشيخ الطنطاوى القابا وأوسمة وميداليات وهدايا من القيصر وولى عهده ، وصنائف فى روسياتقديرا واقتباسها ، وان الاعجاب به كان يتملك كل من يلتقى به من الواقفين على حقائق الامور .

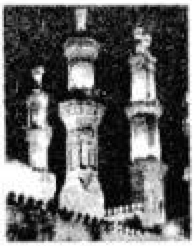
وعلى الرغم من النشاط الموصول الذى كان يبذله الطنطاوى فى التدريس والحوار والرحلة فقد ألف مجموعة قيمة من الكتب ، ألف فى النحو والصرف ، والفلك ، والجبر ، والميراث ، والحساب ، والعقائد ، والتاريخ ، والبلاغة ، والشعر ، والعروض ، والتوحيد ، كما نظم الشعر ، وكتب الرسائل وكتب القصص ، ووضع القواميس .

ولقد استفاد من الشيخ الطنطاوى طائفة كبيرة من المستشرقين ، أمثال نقولا موخين ، وفرين فرانيل ، وبيرون رفيل ، وغيرهم من الفرنسيين والالمان والروس . والذى يزور مقبرة التتر فى قرية « فولكوفا » الروسية يجد فيها قبر الشيخ محمد عيادالطنطاوى المصرى الازهرى الذى كانت حياته صورة من صور الثورات الفكرية الملحوظة فىتاريخ الازهر الطويل .

الدعوة لفتح باب الاجتهاد

ثم جاءت فى تاريخ الازهر ثورة « جمال الدين الافغانى » موقظ الشرق الاسلامى من سباته .

لقد ولد جمال الدين الافغانى فىسنة ١٢٥٤هـ ، ودرس فى افغانستان ،



ثورات الفكر في تاريخ الأزهر

وحصل جملة من العلوم فيهـــا الطب والتشريح والفنون الحربية ، ثم درس في الهند حيث حصل فيها العلوم العصرية وتعلم اللغة الانجليزية ، مع التركيـة والفارسية ، وجاء الى مصر ســـنة ١٢٨٦هـ ، وكان في شرخ شبابه ، فأيقظ شباب الازهــــر ، ودعا الى فتح باب الاجتهاد في الـــدين ، ولقى في سبيل دعوته اهوالا من الاعـداء والاولياء ، وعلى سبيل المثال كان الخديو توفيـق يؤيد جمال الدين قبل أن يتولى هـذا الخديو حـــكم مصر ، وكـــان يقول للافغاني : « انت موضع امالي في مصر ايها السيد » ولكن الخديو انقلب على جمـال الدين بسبب السعايات الاجنبية بينهما ، وكانت النتيجة هي نفي جمال الدين من مصر ، بعد أن بذر في محيط علمـــاء الازهـر بذور ثورة فكرية واجتماعية واسعة النطاق .

واصدر جمال الـــدين مع تلميذه وصديقه الشيخ محمــــد عبده مجلة « العروة الوثقى » التي كـــانت اعظم مجلة اسلامية تهز العالم الاسلامي هزا عنيفا .

ثم جاء الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فحمل مشعل الاصـــلاح والثورة الفكرية في الازهر ، بعد ان ضاق بنظام الازهر منذ شبابه ، واراد اصـــلاح الادارة ، واصـلاح التدريس ، وتغيير الكتب ، واســـتطاع ان يحقق الامور التالية :

١ ــ انشاء مجلس ادارة للازهـــر سنة ١٣١٢ هـ

٢ ــ ضبط مرتبات العلماء وطريقة توزيعها .

٣ ــ ربط المعاهد الدينية في مصـــر بالجامع الازهر .

٤ ــ اصلاح نظام التدريس .

٥ ــ وضع نظم للامتحانات .

٦ ــ اصـــدار طائفة من القوانين للاصلاح .

ولقد قال الشيخ محمد عبده : « اني بذرت في الازهر بذرا اما ان ينبت ويثمر

ويؤتي اكله الغـــذي للروح والعقل ، فيحيا به الازهر حياة جديدة ، واما ان يقضي الله على هذا المكان قضــــاءه الاخير » • وعاد الاستاذ الامام فقال : « انني القيت في الازهر مشكاة لاتنطفيء ان لم تلتهب اليوم أو غدا ، فستلتهب في ثلاثين عاما ، وستكون ضراما » • وقد حورب الشيخ محمد عبده في ثورته الفكرية حربا لا هوادة فيها ، وتفاصيل ثورته كثيرة واسعة تكفلت ببيانهــــا مصادر ومراجع • ولقد عنيت بالاشارة الى ذلك في كتابي « مدرسة الاســتاذ الامام » وكتابي « رشيد رضا صاحب المنار » •

ثم جاءت ثورة فكرية اخرى في عهد **الشيخ محمد مصطفى المراغي** ، وهــو من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، وقــد دعا المراغي الى محاربة الجمود في الازهــــر ، والى صــلة الازهريين بالمجتمع ، والى التجديد في التدريس والتاليف ، والى ربط الدين بالحياة ، ووضع في سنة ١٩٢٨ مــذكرته التي توضح ملامح ثورته الفكرية في الازهر، وفيها يقول :

« يجب ان يدرس القـــرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة، وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغــة العربية : فقهها وادابها من المعاني ، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة ، وأن يبتعد في تفسيرهما عن كل ما اظهــر العلم بطـــلانه ، وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة العربية •

« يجب أن تهذب العقائد والعبادات ، وتنقى مما جد فيهــا ، وابتدع ، وتهذب العادات الاسلامية بحيث تتفق وقواعــد الاسلام الصحيحة •

« يجب أن يدرس الفقــه الاسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولهــــا من الادلة ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالاحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة ، والاحـــكام المجمع عليها ، والنظر في الاحـــكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصـــور والامكنة والعرف وامزجة الامم المختلفة، كما كان يفعل السلف من الفقهاء •

« يجب أن تدرس أصول المذاهب في العالم قديمها وحديثها ، وكل المسائل العلمية في النظام الشمسي والمواليــد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القرآن في أصول الايات التى أشارت الى ذلك •

« يجب ان تدرس اللغة العربيـــة دراسة جيدة كما درسها الاسلاف ، وان يضاف الى هذه الدراسة دراسة اخرى على النحو الحديث في بحث اللغـــات وادابها •

« يجب ان توجد كتب قيمة في جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التاليف الحديثة ، وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة ـ في عصور الاسلام الزاهرة ـ والطرق الحديثـــة المعروفة الان عند علماء التربية • وعلى الجملة يجب ان يحافظ على جوهـــر الدين وكل ما هو قطعي فيه محـــافظة تامة ، وان تهذب الاساليب ، ويهذب كل ما حدث بالاجتهاد ، بحيث لا يبقى منه الا ما هو صحيح من جهة الدليل ، وكل ما هو موافق لمصلحة العباد » •

رصيد الثورات الازهرية

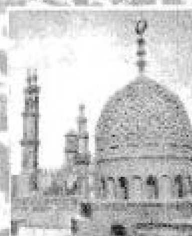
ان في تاريخ الازهر الطويل العريض عشرات وعشرات من الثورات الفكرية وقد ذكرت طائفة منها ، دون أن أدخل في التفاصيل أو اصدار الاحكام على هذه الثورات ، فقد تكون هنـــا بعض الملاحظ ، وقد تكون هناك بعض المآخذ ، وقد تكون هنالك بعض العيوب ، وتبيان ذلك على وجهه الكامل الشامل جهــــد واسع تضيق به ظروف الزمان ، والمكان ، ومن حق كل ثورة من هذه الثورات أن تنال حقها المستقل من التحليل والتمحيص، ولعل ذلك يتيسر لهذا القلم أو ذاك ، وعـــلى اللـــه قصـــــد السبيل • • •

الجامع الأزهر، قلعة حصينة من قلاع الإسلام، على كل من المعتدين والجائرين .. وفي تاريخه الطويل صفحات ناصعة الباقي في سجل الصمود: الصمود في وجه العدوان الذي يحاول تقويضه وهدمه من حيث هو قلعة شامخة وأرض طيبة تتنزل عليها من رحمات الله ما يشاء والصمود في وجه الحرب

الجبرتي

العلنية أو الخفية على ما يرمز له الأزهر من الثبات على الدين الحق .. وإن حفلت برجال الدين ممن [illegible] والآن يريد الله بها أن يميز بين الخبيث والطيب ليكون الصابرون المجاهدون [illegible] [illegible] على الطاعة والعمل على رفع كلمة الله، و[illegible] على مقاتلة الكافرين من حزب الشيطان، وما خلا منهم زمان ولا مكان، [illegible] الله في أرضه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

الأزهـــر كما يصوره



د. عيسى عبده

عرفت الامة الاسلامية للازهر الشريف هذه المكانة ، وكسبت مصر باحتوائها له مكـــانة خاصة فى العالم الاسلامى ·· وحرصت الامة الاسلامية على أن يظل الازهر ـ كما بدأ ـ حصن الدفاع عن العقيدة ومنارة الهداية ، لا تسبقه بقعة فى الارض الا ثلاث تشد اليها الرحال ·

وكما عرفت الامة الاسلامية لهـذا الجامع مكانته ، كذلك كانت الحـــال عند خصوم الاسلام ، فما هادنوه · ومن السـذاجة أن يطمع المرء فى المهادنة من قريب أو عن بعيـــد ، فالحاقدون على الاسلام لا يزيدون على مر الايام الا غلوا فى اثارة الحـرب عليه ·· معلنة أو خفية ، ظاهرة أو مطوية فى ثنايا السلوك ، حتى السلوك

العلمى الصادر عن علماء مشهورين (فى عرف الناس وحسب ·· اذ لا قيمة لأى علم لا يهـدى صاحبه الى التوحيد) وفى هذه العجالة سأضرب مثلين ، وفيهما اشارة كافية ···

● فى دوائر المعارف

انظر الى دائرة المعارف البريطانية، ولهـــا من الصيت ما لا يغيب عن المثقفين ·· ثم ابحث عن الازهر فى كل المظان ، ابحث فى كل مادة لغوية وثيقة الصلة بقلعة الاسلام : تحت كلمة معبد أو مسجد أو جامع أو بيت من بيوت الله · أو تحت الحـــروف الدالة على الازهر بالذات ، وستجد أن هذا المرجع الذى يطمئن اليه بعض الناس قد خلا من النص ومن الاشارة جميعا ! ···

ومن غريب الامر أن تجـــد هيئة التحرير فى هذه الموسوعة لم تجهل مكانة « الازهرى » الزعيم السودانى الراحل ، ثم تقول : الازهرى اسماعيل

·· وتذكر عن مولده ونشاطه ومكانته ما يطيب لها أن تقوله · وبهذا تنتهى مـــادة الازهر والازهريين ـ فى عرف

الأزهـــر
كما يصوره
الجبرتي

هيئة التحرير بدائرة المعــــارف البريطانية !!

وقد يقول قائل : ان دائرة المعارف البريطانية لا تذهب فى ذكر التفصيلات الى حد يسمح لها بوزن « الجامع الازهر » فى التاريخ الاسلامى ، وفى العالم الاسلامى على تتـــابع ادوار القوة والتراجع فى صفوف المسلمين ـ قد يقول قائل حسن الظن بمثل مـــا تقـــدم ··· فنقول : انظر الى دائرة اخرى مختصة بالدين والملل والنحل ، وابحث عن الازهـــر ، بل ابحث عن الاسلام ، وستجد ذكر الاسلام وحسب

فى خمس صفحات · جاء الكاتب فيها على كل ما يظنه من الاسلام ، أو من تاريخـــه ، أو من شئون الامة التى اختارها الله جل شانه لحمل الامانة الى يوم البعث ·· ثم وازن بين هذا التقتير الشديد (بصرف النظر مؤقتا عن سطحية المادة واخطائها) وبين الوفرة والغنى فى تفصيلات الاحداث والاحكام التى تنسب الى سيدنا موسى

او الى سيدنا عيسى عليهما السلام وانك لتجد الكلام المستفيض عن « اليهود » وعن « اليهودية » وعن « المسيحية » ثم انك واجده ايضا عن اسرائيل والصهيونية باسهاب ، بحيث تبلغ صفحات هذه البحوث مجتمعة بضع مئات .. تقابلها عن الاسلام خمس صفحات خاويات جاهلات ائمات !!

قالوا فى لغة السياسة : ان السكوت وسيلة من وسائل الدفاع ، وهو ايضا وسيلة هدم . ولهذا حفل التاريخ بتفصيلات جمة عن حملات السكوت من النوعين ... وما كان اغفال الازهر من المراجع التي يقال لها علمية ، الا مثلا على السلوك الحاقد على الاسلام . « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » .

● مع الجبرتى

هذا المؤرخ العظيم « الجبرتى » عرض للازهر الشريف فى عهده ، من زاوية الاحداث التى جرت وسجلها بقلمه الرصين .. وكان الجبرتى على طريقته ، موضوعيا وحسب .. بمعنى انه يعرض الاحداث تباعاً دون ان يعقب من عنده بالراى او التقدير .. وهذا اسلوب خاص من اساليب التاريخ المعروف باليوميات ، وهو اسلوب صادق امين .. وللدارس ان يمعن النظر فيما جرى به قلم الجبرتى، وانه ليجد بين ثنايا السطور اشارات غير معلنة ، تتكفل بها الاحداث وما بينها من ترابط وثيق . ثم ان لكل حادثة دلالة ..

وقد آثرنا ان نورد النص كما انتهى الينا ، ثم نقف فى اخر المقال وقفة قصيرة ، لعلنا نستشف من وراء الزمان الذى انقضى على حملة الفرنسيين الى يومنا هذا بعض العظات والعبر .. وهذا فرض على المؤمنين الى يوم يبعثون .. اذ جاء فى كتاب الله جل شانه فيض من النور عن القصص وما فيه من علم نافع ، قال تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم ـ وعلينا ان نتبع ـ قال : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » وقال جل شانه « تلك القرى نقص عليك من انبائها » وقال ايضا « لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب » ..

يقول الجبرتى فى الجزء الثالث من الطبعة الاميرية من صفحة ٢٥ ـ ٤٧ ـ تحت عنوان (اطلاق المدافع من الفرنسيين على الازهر) :

« لما ظهرت غلبة الفرنساويين فى القرن الثالث عشر الهجرى على مصر وملكوا القلعة وغيرها ، ارسل كبيرهم الى مشايخ الازهر مراسلة فلم يجيبوه ، فعند ذلك ضربوا بالمدافع على البيوت والحارات ، وتعمدوا بالخصوص الجامع الازهر ، وحرروا عليه المدافع والبنادق ، وعلى ما جاوره من الاماكن كالغورية ، والفحامين ، فضج اهل تلك الجهة ، ونادوا : « يا خفى الالطاف نجنا مما نخاف » .

وتتابع الرمى من القلعة وتلال البرقية حتى تزعزعت الاركان وهدمت حيطان الدور ، فركب المشايخ الى كبير الفرنسيس ليرفع عنهم هذا النازل فيكف عسكره عن الرمى ، فعاتبهم فى التقصير ، فاعتذروا اليه ، فقبل عذرهم ورفع عنهم الرمى ، وقاموا من عنده ينادون بالامان فى المسالك والطرقات واطمانت القلوب .

« ثم بعد الحادثة السابقة ثارت فتنة بين اهل الحسينية والعطوف ، وبين الافرنج وتراموا ، ولم يزل الرمى بين الطائفتين حتى فرغ من الطائفة الاولى البارود ، فاخذتهم الفرنج بالرمى المتتابع .

« وبعد هجعة من الليل دخل الفرنج المدينة ، ومروا فى الازقة والشوارع ، وهدموا ما وجدوا من المتاريس وانتشروا فى الطرقات وتراسلوا

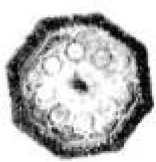
رجالا وركبانا ، ثم دخلوا الجامع الازهر راكبين على خيولهم ، وتفرقوا بصحنه ومقصورته ، وقبلته ، وعاثوا بالاروقة وكسروا القناديل والسهارات، وهشموا خزائن الطلبة ونهبوا أمتعتهم ودشتوا الكتب والمصاحف وطرحوها على الارض وداسوها ، وجردوا كل من وجدوه به واخرجوهم ، واصبحوا مصطفين بباب الجامع ، وكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعا . ونهبوا بعض الدور التي بالقرب من الجامع، وخرج سكان تلك الجهة يهرعون للنجاة بانفسهم .

« وانتهكت حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ، وبقي الامر كذلك يومين قتل فيهما خلائق لا تحصى ، ونهبت أموال لا تستقصى ، فركب المشايخ باجمعهم وذهبوا الى بيت سر عسكر الفرنساوية ، وطلبوا منه الامان فوعدهم مع التسويف . وطلب منهم بيان من تسبب في أثارة الفتنة من المتعممين فغالطوه ، فقال لهم على لسان الترجمان نحن نعرفهم بالواحد فترجوا عنده في اخراج العسكر من الجامع الازهر . فاجابهم لذلك وامر بخروجهم ، وأسكن منهم نحو السبعين في الخطة (١) كالضابطين ، ثم فحصوا عن المتهمين فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان ، والشيخ أحمد الشرقاوي ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوي ، والشيخ يوسف المصيلحي، والشيخ اسماعيل البراري ، وحبسوهم ببيت البكري (٢) .

« ثم ركب الشيخ السادات والمشايخ الى بيت سر عسكر وتشفعوا في المسجونين فقيل لهم لا تتعجلوا ، وبعد أيام حضر جماعة من عسكر الفرنسيس الى بيت البكري نصف الليل وطلبوا المشايخ المحبوسين عند سر عسكر ليتحدث معهم .. فذهبوا الى بيت قائمقام بدرب الجماميز ، وهناك عروهم من ثيابهم وطلعوا بهم الى القلعة تسجنوهم الى الصباح ثم اخرجوهم وقتلوهم بالبنادق والقوهم خلف القلعة .

● رفع البيارق على منارة الازهر:

« لما توجه بونابرت الى الشام بعد استيلائه على مصر استولى على مدينة العريش وغزة وخان يونس ، ورد الخبر الى مصر فعمل الفرنساوية شنكا (٣) وضربوا عدة مدافع من القلعة والازبكية وحضر عدة منهم راكبين الخيول وبعضهم مشاة وعلى بعضهم عمائم بيض وعلى جماعة



الازهر
كما يصوره
الجبرتي

---

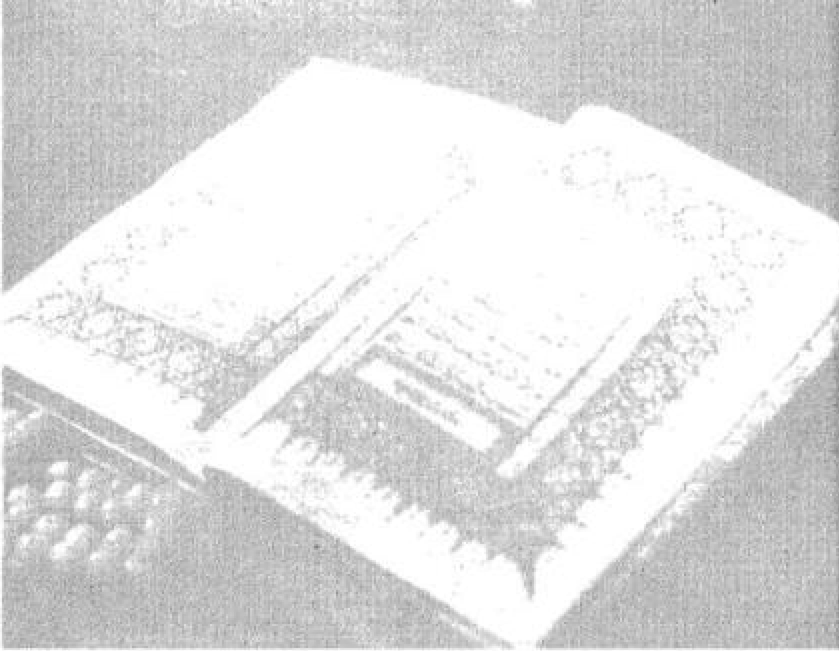
١ ـ الخطة : مثل « الحي »
٢ ـ بيت البكري بالخرنفش
٣ ـ الشنك : صواريخ الاعياد والمناسبات للاحتفاء او لاظهار الفرح

برانيط ، ومعهم نفير ينفخون فيه ، وبيدهم بيارق كانت عند المسلمين بقلعة العريش الى أن وصلوا الى الأزهر واصطفوا ببابه رجالا وركبانا، وطلبوا الشيخ الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر وأمروه برفع تلك البيارق على منارات الجامع الأزهر فنصبوا بيرقين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين ، وعلى منارة أخرى بيرقا ، وضربوا عدة مدافع بهجة وسرورا ، وكان ذلك ليلة عيد الفطر ، وعند الغروب ضربوا مدافع اعلاما بالعيد .

● قتل المجاورين وغلق الأزهر

« وفى افتتاح محرم سنة ١٢١٥ هـ وقعت حادثة عجيبة وهى أن سر عسكر الفرنساوية « كليبر » كان واقفا فى بستان داره بالأزبكية وصحبته أحد خواصه ، فدخل شخص يوهم أن له حاجة وضربه بخنجر فشق بطنه وفر هاربا ، ففتشوا عليه حتى أخرجوه من بئر فوجدوه شاميا ، فسألوه فأخلط فى كلامه فعاقبوه وحرقوا يديه بالنار ، فقال لهم لا تظلموا أهل مصر ، فأنا من جملة جماعة بعثنا أنفسنا للموت واتفقنا على رؤسائكم، فقيل له أين كنت تأوى ، فقال عند فلان وفلان برواق الشوام بالأزهر ولا يدرون حالى .

« فأحضروا الشيخ الشرقاوى (شيخ الأزهر) والعريشى والزهرهما بإحضار الذين كان يأوى اليهم وهم أربعة ، ثم ركبوا الى الأزهر وصحبتهم أغوات الانكشارية وقبضوا على ثلاثة ولم يجدوا الرابع ، ثم صبروا المقتول وألبسوه برنيطة ثم وضعوا معه الخنجر الذى قتل به وحملوه على عربة الى تل العقارب حيث القلعة التى بنوها هناك وضربوا له المدافع ،



واحضروا القاتل وخوزقوه وضربوا رقاب الثلاثة الشوام المظلومين وحرقوا جثتهم ورفعوا رءوسهم على خوازيق بجانب الخوزق ، ثم وضعوا قتيلهم في تخشيبة ووضعوا عندها عسكرا يتناوبون ليلا ونهارا ، ثم ولوا عوضه سر عسكر يسمى (منو) كان بثغر رشيد واظهر انه اسلم ويسمى بعبد الله ، وحضر مع القائمقام والاغا الى الازهر ، وشقوا فيه وفي اروقته وارادوا نبش اماكن للتفتيش على السلاح .

« واخذ المجاورون في نقل امتعتهم واخلاء الاروقة ونقلوا كتب الوقف ، ثم انهم كتبوا اسماء المجاورين في قائمة وامروهم الا يؤووا آفاقيا مطلقا ، واخرجوا منه الاتراك بالكلية، وفي عصريتها توجه الشيخ الشرقاوي

والمهدي والصاوي الى سر عسكر « منو » واستأذنوه في قفل الجامع وتسميره منعا للريبة فربما دس فيه من يبيت به ويفعل ما اراد ولا يمكن الاحتراس من ذلك لكثرة دخانيق الجامع واتساع زواياه ، فاذن لهم بذلك .

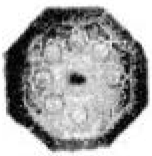
« وسمروا ابوابه وكذا سمروا مدرسة محمد بك (ابو الذهب) المقابلة له واخرجوا منها الاتراك ، واستمرت الشدة والانزعاج الى ان اخذ الفرنساوية في الاتجلاء عن الديار المصرية .

« وفي محرم سنة ١٢١٦ فتح الجامع الازهر ، وكذلك المدرسة ، وفرح الناس فرحا شديدا وهنا بعضهم بعضا ... » .

● عبرة الدهر

اية عبرة بالغة في احداث الحملة الفرنسية على مصر وموقفها من الازهر الشريف ؟ ... بل اية عظات وعبر تلك التي تطاول الزمان وتعلو بصوتها الجهير على كل مستحدث من

الازهر كما يصوره الجبرتي



الدعوات الى الفصل بين الدين وبين مسيرة الامة الاسلامية نحو المكانة التي ارادها الله سبحانه لعباده المتقين ، اذ يخاطبهم بالقول الصريح :

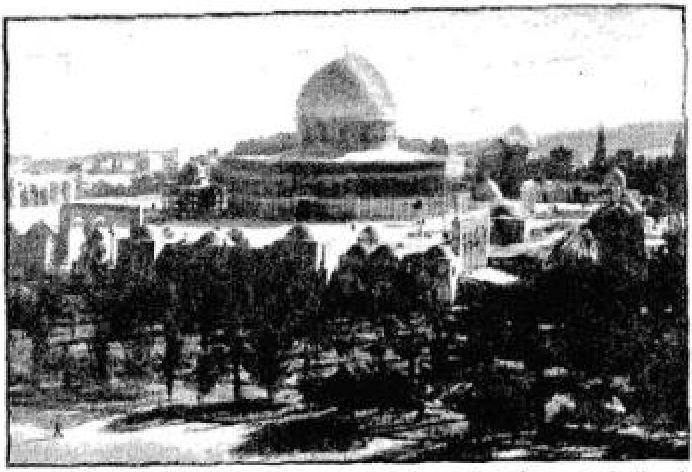
« وكذلك جعلناكم امة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

***

يقولون في الامثال : « ما اشبه الليلة بالبارحة » وان ما فعله المحتلون بالازهر من مائة وسبعين عاما ، هو بعينه ما فعلته اسرائيل بالمسجد الاقصى من عامين ، لا جديد .

بل ان اسرائيل زادت جراة بما عمدت من طبع ايات القرآن الكريم محرفة او منقوصة ، في كتب دراسية فرضتها على الاجيال الناشئة من العرب ، حيثما رزئت دار الاسلام بوجود اسرائيل ، هذا بالاضافة الى تحريف المصحف وترويج ما حرفوه .

اما اقتحام المسجد بالخيول او



فرح المسلمون يوم أعيد فتح الأزهر ، وسيفرحون بعودة المسجد الأقصى .



الشيخ الشرقاوي .. الجلاء عن الجامع الأزهر

بالدرعات ، وأما قتل الابرياء وقصف بيوت الله ، فقد كان من فعل الشاة ، بقدر ما وسعهم البغي والعدوان ..

ولكن أدوات العصر تفوقت بالقصف من الجو ومن الأرض على المدى البعيد ، ثم زادت من وسائل الدمار ماهو معلن وما لايزال طي الكتمان .. والهدف باق على ما كان عليه : هو المسجد وما يتلى فيه من قرآن .

لقد فرح المسلمون حين أعيد فتح الأزهر ، كما يقول الجبرتي فيما تقدم من تاريخه ... ولكن هل تنبه المسلمون الى الخطر المحدق بكل مسجد ، لا بالأقصى وحده ، ولا الأزهر وحده ؟ وهل عرف المسلمون ان مخطط اسرائيل يسير الهوينى ، ولكن في ثبات وهدفه خيبر ؟..

ولقد حذرنا الله كثيرا والناس في غفلة .. فاذا لم يؤمنوا بالقصص الحق « فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون » .


أديب
من الأزهر
مصطفى لطفي

د. أحمد هيكل

كان امتدادا كريما لهذه السلسلة المباركة من رجالات الازهر ، اللذين اسهموا بجهود ميمونة فى صنع تاريخنا الحديث من امثال رفاعة الطهطاوى الذى تالق اسمه منذ فجر النهضة ، ومحمد عبده الذى حمل الراية من بعده .. ومثل الشيخين الرائدين المصلحين حرص المنفلوطى على الا تقتصر جهوده على الميدان الثقافى وحده ، بل ابى الا ان يسهم فى الميدان السياسى والاصلاحى ايضا ، ولذا نراه قد وظف ادبه بالتزام مبكر لخدمة وطنه وترقية امته ، او بتعبير اشمل : للنضال من اجل شعبه ...

المنفلوطي

مصطفى لطفي المنفلوطي

كانت البلاد في تلك السنوات ترزح تحت نير الاحتلال البريطاني ، الذى جثم على صدر مصر سنة ١٨٨٢ ، والمنفلوطي صبي قد بلغ من العمر نحو خمس سنوات ، فعاش بقية صباه وكل شبابه رجل كهولته يتجرع مرارة هذا الاحتلال الكريه .

وكان يساند الاحتلال في تلك السنوات خديو مصر ، الذى أخذ يتغير لقبه فأصبح سلطانا ثم ملكا ، ولكن حقيقته لم تتغير ، كحاكم غريب عن تلك البلاد . كل همه أن يعيش سيدا ، وأن يؤازر من يساندون عرشه الذى تزعزعه دائما حركات الوطنيين الشرفاء .. وهكذا كان هناك اتفاق مصالح بين قوى الاحتلال وقوى القصر ، وبخاصة بعد أن ثبت استدعاء الخديو توفيق للانجليز وضربه بهم لقوى الشعب الممثلة في الثورة العرابية . وظل هذا الاتفاق يتضح حينا ويخفى حينا آخر ، ولكنه بقى حقيقة لا يمكن انكارها لانها موجودة أبدا .

وقد كان من الفترات التى شهدت خفاء هذا التآمر بين الاحتلال والقصر، تلك السنوات الاولى من عهد عباس حلمى الملقب بعباس الثاني . وذلك أن هذا الخديو حين جلس على العرش بعد توفيق ، أراد أن يكسب المواطنين بايهامهم أنه غير سلفه ، وأنه في جانب الوطنيين لا في صف المحتلين . ولتأكيد هذا الايهام أخذ يقرب بعض الزعماء ، كما راح يزور البلاد ، ويبذل كثيرا من المحاولات لكسب ثقة أبناء الشعب ، لكنه ما لبث أن ظهر على حقيقته فعادى الحركة الوطنية ، ونفذ رغبات الاحتلال ، ووقف نهائيا في صف أعداء الشعب .

ثم تتابعت الاحداث ، واشتدت حركة المقاومة الوطنية حتى تمثلت في ثورة سنة ١٩١٩ ، التى قادها سعد زغلول مكملا رسالة مصطفى كامل ، الذى قاد الحركة الوطنية في أول شبوبها عقب الاحتلال .

وانتهت ثورة سنة ١٩١٩ ببعض المكاسب التى تعتبر خطوة على طريق العمل الوطني ، والتى في مقدمتها : صدور الدستور ، وافتتاح البرلمان ، وتأليف حكومة وطنية برياسة سعد زغلول سنة ١٩٢٤ ، وان كانت الفرحة بهذه المكاسب لم تطل ، نظرا لتآمر الانجليز والقصر على كل ما ربحه الشعب من ثورته .. وهذا التآمر لا يتسع له هذا الحديث الذى قصدنا من التمهيد به مجرد تحديد للعصر الذى عاش فيه المنفلوطي وتأثر به وأسهم في النضال بأدبه فيه .. وهذا العصر الذى ينتمى اليه المنفلوطي ينتهى بهذه المرحلة من تاريخ مصر ، لان الرجل انتقل الى جوار الله سنة ١٩٢٤ .



● قصيدة فى منشور الصاعقة

ولد المنفلوطى بمنفلوط ـ احدى بلدان صعيد مصر ـ سنة ١٨٧٦ ـ وحين بلغ سن التعلم تردد على الكتاب فحفظ القرآن الكريم وتعلم ما يؤهله للالتحاق بالازهر · ثم انتقل الى القاهرة ، ودخل الازهر ، وحضر دروس الشيخ محمد عبده · ولكنه اهتم بصفة خاصة بالادب ، فاخــــذ يقرأ روائع كتب التراث ، وجيد مراجع الادب العربى شعره ونثره ، حتى غلبه حب الادب على نفسه ، فترك الازهر بعد دراسة فيه استمرت نحو عشر سنين ··

وكان المنفلوطى قد اتجه الى الكتابة فى الصحف متأثرا **باستاذه محمد عبـده ، ومستفيدا من توجيهـــه وتشجيعه** · وبرز اسمه حين أخـــذ يكتب فى صحيفة المؤيد ، التى كـــان يصدرها **الشيخ على يوسف** منذ سنة ١٨٨٩ ، والتى كانت من كبـــريات الصحف الوطنية والاصـــلاحية ذات النزعة العربية الاسلامية ·

وفى أول عهده بالادب ، كان المنفلوطى يكتب الشعر ، وكان يسهم بهـــذا الشعر كما يسهم بالنثر فى النضال · وقد بلغت به الشـــجاعة أن هاجم بقصيدة من قصائده الخديو عبـــاس الثانى ، بعد أن اتضح للمنفلوطى موقف هذا الخديو وخداعه للشعب ·

وقد وزعت هذه القصيدة فى منشور يحمل اسم « الصاعقة » بمناســـبة حضور الخديو الى القاهرة قادما من الاسكندرية ، بعد رحلة داخلية كانت جريدة المؤيد تعنى برصدها ووصف الاحتفالات بها · وتاريخ توزيع هذه القصيدة فى منشور هو ٤/١١/١٨٩٧ ، وهو اليوم التالى لعودة الخديو · وهذه هى القصيدة :

قدوم ولكن لا اقول ســـعيد
وملك وان طال المـدى سيبيد
بعدت وثغر الناس بالبشر باسم
وعدت وحزن فى الفؤاد شديد
تمر بنا لا طرف نحوك ناظـر
ولا قلب من تلك القلوب ودود
علام التهانى ؟ هل هناك مآثر
فنفرح ؟ أو سعى لديك حميد ؟
اذا لم يكن امر فثم مواكب ؟!
وان لم يكن نهى فثم جنود ؟!
تذكـــرنا رؤياك أيام أنزلت
علينا خطوب من جدودك سود
رمتنا بكم « مقدونيا » فاصابنـا
مصوب سهم بالبلاء ســـديد
فلما توليتم طغيتم ، وهـــكذا
اذا اصبح التركى وهو عميــد
فكم سفكت منا دماء بريئـــة
وكم ضمنت تلك الدماء لحــود
وكم ضم بطن البحر اشلاء جمة
تمزق احشاء لها وكبــود !!
وكم صار شمل للبـــلاد مشتتا

مصطفى لطفي المنفلوطي



مصطفى كامل ... القتال باسم الشعب

وخرب قصر في البلاد مشيد
وسيق عظيم القوم منا مكبلا
له تحت أثقال القيود وئيد
فما قام منكم بالعدالة طارف
ولا سار منكم بالسداد تليد
كأني بقصر الملك أصبح بائدا
من الظلم ، والظلم المبين مبيد
ويندب في أطلاله اليوم ناعبا
له عند ترديد الرثاء نشيد
أعباس ترجو أن تكون خليفة
كما ود آباء ورام جدود ؟!
فياليت دنيانا تزول وليتنا
نكون ببطن الأرض حين تسود

وقد حوكم المنفلوطي — وهو في نحو العشرين — بسبب تلك القصيدة التي لا يقولها الا فنان فدائي . وحكم عليه بالسجن اثنى عشر شهرا . وحين استأنف الاديب الحكم ونظرت القضية من جديد ، خفف السجن الى ستة أشهر .

● تطوير النثر الحديث

وقد عاني المنفلوطي كثيرا بسبب هذه العقوبة ، وظل بعد تنفيذها مبعدا عن أي عمل حكومي ، باعتباره غير متمتع بالصلاحية للوظائف لما في تاريخه من سابقة !!

ولكن مسعى كريما من الشيخ محمد عبده أعاد الى الرجل بعد حين حقوقه الشخصية . وحين تولى سعد زغلول نظارة المعارف سنة ١٩٠٦ عين المنفلوطي في وظيفة تليق ومواهبه الادبية ، وهي وظيفة المحرر العربي بوزارة المعارف .

وكان سعد يعتز بالمنفلوطي ويعرف قدره في المجال الوطني والادبي على السواء . ولذا نراه يتمسك به ويتصدى للمستشار الانجليزي (دنلوب) .. حين حاول هذا الطاغية فصل المنفلوطي من وزارة المعارف ، عقوبة له على هجومه على « روزفلت » الذي كان قد زار مصر ، وانكر — في حديث له — حق المصريين في الاستقلال ، فرد عليه المنفلوطي بمقال تحت عنوان «محاكمة روزفلت امام محكمة العدل» .. وقد كان مما قاله سعد « لدنلوب » وهو يدافع عن المنفلوطي : « أن الحكومة في حاجة الى مثل السيد مصطفى ، وليس هو في حاجة اليها . والوظائف قبور للادباء ، وخير للحكومة ان مثله داخلها » .

وبلغ من اعتزاز سعد بالمنفلوطي أنه كان ينقله الى حيث يعمل ، فحين عين وزيرا للحقانية سنة ١٩١٠ ، نقل المنفلوطي معه ، وأنشأ له تلك الوظيفة التي أنشأها له من قبل في وزارة المعارف ..

وحين انتخب سعد وكيلا للجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ ، أخذ المنفلوطي



ثروت باشا .. مصادرة كتاب « النظرات »

ضمن هيئة الامانة · وبقى فى الجمعية التشريعية حتى تأججت الثورة ، وكتب مقالاته فى القضية المصرية سنة ١٩٢١ مدافعا عن سعد باشا ومنتصفا له من خصومه السياسيين · وحينئذ فصله ثروت باشا من وظيفته ، ثم صودر كتابه « النظرات » الذى كان يضم مجموعة من تلك المقالات ·

وبعد نحو ستة أشهر رؤى استدراج الرجل وكسبه فى صف القصر وأعوانه ، من مناوئى الحركة الثورية أو المتاجرين بها ، فعين فى (سكرتارية) الديوان الملكي على أمل أن يكف عن الكتابة الوطنية والنضال بالكلمة الشريفة · ولكن الرجل ظل على ماكان عليه من قبل ، فأخرج من وظيفته بالديوان بعد قليل ، وألحق بوظيفته بالجمعية التشريعية المعطلة · وظل فى هذه الوظيفة التى هى أشبه بالتعطل الى أن جنى الشعب بعض ثمرات ثورته ، وأسندت رياسة الوزارة الى سعد زغلول ، وافتتح البرلمان ، وتولت قوى الشعب الوطنية الحكم ، فحينئذ عين المنفلوطى رئيس فرقة فى أمانة مجلس الشيوخ · وبقى فى هذا المنصب الى أن مات سنة ١٩٢٤ ·

وقد قام المنفلوطى بأعظم دور فى تطوير النثر العربى الحديث ، واليه يرجع تخليص هذا النثر نهائيا مما كان يتردى فيه من تفاهة وركاكة رانت عليه طيلة عصور التخلف ، وبخاصة فى العهد التركي ، الذى امتد نحو ثلاثة قرون · فقد أفاد المنفلوطى من روح الفترة التى عاشها ، ومن اتجاه الفترة السابقة على فترته ، حيثكانت هناك حركة احياء لروائع التراث العربى الذى خلفته عصور الازدهار ، وكانت تلك الحركة نتيجة لهذا الوعى العميق بالماضى العربي المجيد الذى يمكن أن يكون ركيزة لمستقبل رائع جديد ··

كذلك أفاد المنفلوطى من توجيهات أستاذهمحمدعبده ، الذى دعا باخلاص الى تخليص النثر العربى من الزخارف والصنعة ، وطالب الكتاب وبخاصة من كانوا تلاميذه أو عاملين معه ، أن يترسلوا فيما يكتبون ، وأن يتجهوا وجهة فنية جادة فيما يسطرون ·

● اصالة وطابع خاص

ومن استيعاب المنفلوطى لروائع التراث النثرى المترسل الذى سطره كبار الكتاب فى عصور الازدهار ، ومن توجيهات الاستاذ الامام ، ومن موهبة الرجلواصالته ·· خرج بطريقة فى الكتابة تعتبر المدرسة الام لكل المدارس الفنية الاسلوبية فى الكتابة العربية الحديثة ··

وأهم معالم هذهالمدرسة الام : البعد



عن التكلف ، والنأى عن التقليد ، والقصد الى الصدق ، والاهتمام بالصياغة ، وجمال الايقاع ، ورعاية الجانب العاطفى ، ثم الميل الى السهولة والترسل ، وترك التعقيد والمحسنات ، فيما عدا بعض السجع المطبوع الذى يأتى بين الحين والحين للاسهام فى موسيقى الصياغة ..

وقد كانت طريقة المنفلوطي - برغم محافظتها واتخاذها النثر الجيد القديم مثلا اعلى - طريقة ابداعية في كثير من جوانبها ، ففيها أصالة المنفلوطي وعليها طابعه ، وكل ما كتب بها موضوعات حية هي من تجارب الكاتب المرتبطةبنفسه وقومه وعصره· فهي طريقة في النثر أشبه بطريقة شوقي في الشعر ، فيها محافظة من حيث اتخاذ القديم الجيد مثلا اعلي في الصياغة ، وفيها تجديد من حيث تطوير الاديب واضافاته ، واتخاذ الاطار البياني المحافظ وسيلة للتعبير عن مشاعره هو ، وتجاربه هو ، وعصره هو ، بحيث تتضح شخصيته كاجلى ما تكون ، وتظهر المعاصرة في اسلوبه فلا تخطئها الا عيون المكابرين·

وأهم آثار المنفلوطي الذى تتمثل فيها طريقته : مقالاته التى جمع كثيرا منها فى كتابه « النظرات » والتى تعالج موضوعات سياسية واجتماعية وادبية ، ثم كتاباته القصصية ، التى بعضها موضوع وبعضها معرب ، وبعضها أعمال قصيرة كتلك التى جاءت في « العبرات » ، وبعضها أعمال طويلة مثل « الفضيلة » و « مجدولين » و « الشاعر » و « فى سبيل التاج » ·· وهذه الكتابات القصصية كانت تترجم أولا بأقلام بعض المترجمين ، ثم يأخذها المنفلوطي فيعيد صياغتها بطريقته مع الوان من التصرف تكاد تجعلها جديدة ··

وهكذا عرف المنفلوطي - بعد أن وجد طريقه - كناثر صاحب طريقة ، وأهمل الشعر مكتفيا بريادته لتلك الطريقة الفنية التى عرفت به وأحدث بها فى تاريخ النثر العربى وثبة كبرى ·

وكانت مقالاته وكتاباته الروائية والقصصية موضع حفاوة الجيل التالي لجيله ، ممن كانوا على أول طريق الأدب أيام كان هو ذائع الصيت واضح الطريقة · حتى لقد قرر الأستاذ الزيات ، انه هو وصاحبه طه حسين ورفيقهما زناتي ، كانوا ينتظرون مقال المنفلوطي بشوق شديد ، كما كانوا يقبلون علي قراءته بشغف بالغ ·· ومن هنا رأينا كلا من الكاتبين الكبيرين يأخذ وجهة أسلوبية جمالية فيما يكتب · وهما وان انفرد كل منهما بطريقة خاصة نتيجة لاصالته وثقافته، فقد خرجا قبل كل شىء من جبة



المنفلوطي الذي وجههما وجهة اسلوبية جمالية ، حتى كانا — آخر الامر — من كبار الكتاب الاسلوبيين ٠

مدرسة المرحلة الاولى

وقد عيب على طريقة المنفلوطي : الاهتمام الشديد بالاسلوب ، والفقر فى الجانب الفكرى ، والمبالغة في اصطناع الاسى واثارة العاطفة ، ثم عدم الدقة فى الاستعمال اللغوى احيانا ، والميل الى حشد المترادفات ، والعبارات المكملة ، والكلمات المؤكدة ٠٠ وربما كان الكثير من ذلك حقا ٠ ولكن الحق ايضا أن الكتابات التي خلفها هذا الكاتب بطريقتها الفنية ، كانت أول اتجاه أسلوبى فنى حديث ، رد الى النثر اعتباره ، وجعل ينافس الشعر ، وخرج آخر الامر أعلام الكتاب الاسلوبيين ، الذين يفخر بهم تاريخ أدبنا الحديث ، كالزيات وطه حسين وغيرهما ٠٠

ولايزال المنفلوطي يعيش بفنه الى اليوم ، برغم ما طرا على ادبنا من تطورات وما جد فيه من اتجاهات ، ولا يكاد يشذ اديب — بعد جيل المنفلوطي — عن التلمذة على هذا المعلم الرائد ٠٠

حقيقة لا يكتفي اي اديب بالوقوف عند مرحلة كتابات المنفلوطي وهو يتعلم الادب ، ولكنه لا يمكن ان يتخطى تلك المرحلة دون ان يقف عندها ٠٠ فكتابات المنفلوطي — في اقل تقدير — بمثابة مدرسة المرحلة الاولى لكل من يريد ان يتعلم فن الكتابة ، ولابد من أن يعيش المتعلم حينا على عطائها الرائع السذاجة ، الطفلي الروح ، ثم يعبر منها الى مراحل أخرى اكثر نضجا وابعد عمقا ٠٠

وان من الوفاء لادبنا الحديث أن نذكر رواده الذين عبدوا الطريق ، كالمنفلوطي ٠ وان من مظاهر هذا الوفاء المسعد أن يلتفت بعض شبابنا الجامعي الواعي الى دراسة المنفلوطي والعناية بأدبه ٠٠ وفي هذا الميدان يطيب لي أن انوه بالباحث الجاد « الدكتور محمد ابو الانوار » الذى جعل المنفلوطي وأدبه موضوع رسالته للماجستير ، والذى جمع بعد ذلك من نصوص أدبه كثيرا مما لم ينشر ، وبخاصة هذا الشعر الذى خلفه المنفلوطي متناثرا بين صحف عهده ٠٠ وقد افدت كثيرا مما جمع هذا الباحث الدقيق ، الذى قدم الى طائفة من النصوص والحقائق بسخاء نفس يستحق اطيب الثناء ؟

رحم الله المنفلوطي ، وجزاه عن لغتنا وابنائنا ووطننا وتاريخنا الحضارى الحديث اكرم الجزاء

■ محمد حسن ■

شقيقات الأزهر

من اقدم واشهر الجامعات الاسلامية في العالم ، جامعتا القيروان والزيتونة في تونس وجامع القرويين في المغرب ، وواحدة في الهند هي جامعة عليكره .. وكلها شقيقات الازهر وان اختلفت الاعمار!



على رأس الرموز الاسلامية في تونس : جامع الزيتونة وهو جامعة عريقة اسلامية تونسية .

... بين الاسلام [illegible] وهكذا [illegible] الجامع الاسلامي ، جامعة [illegible] الكلمة من معنى !

● أقدم جامعة

[illegible]

يقول الدكتور صلاح العقاد في كتابه « المغرب العربي » [illegible]

[illegible]



فأيدى جامع الزيتونة فى الاربعينات ، قال : « رأيت الطلبة منكبين على المطالعة والدرس فى أركان المسجد ، فهو منهل للعلوم الاسلامية على طريقة الازهر عندنا ، ويتلقى فيه العلم زهاء ٣٠٠ طالب ، وللغرباء فروع — أروقة — يأوون اليها ، ويخصص لكل طالب أو اثنين غرفة ، ويزيد عدد تلك الفروع على العشرين • وتلحق بالمسجد مكتبة قيمة حوت اثنى عشر الف مجلد ... وللتونسيين اهتمام بمعاونة المنشآت العلمية ، ينفقون عليهـــا كثيرا من أموالهم فى سخاء كبير » •

ولفهم التطور العلمى لجـــامعة الزيتونة ، لابد من المـــامة سريعة بالمذاهب الدينية فى تونس : جلب جند الشـــام المذهب الاوزاعى الى تونس والمغرب والاندلس ، وبعد وفاة الاوزاعى صارت تونس على المذهب المالكى الذى انتشر من القيروان الى بقية المغرب والصحراء والاندلس وجزر البحـــر الابيض • وفى فتـــرة تاليـــة ساد المذهب الحنفى ، وكان أسد بن الفرات — فاتح صقلية — يدرس هذا المذهب بجامع القيروان • ولكن الشعب كان مالكيـــا ، وكان سحنون يدرس المذهب المالكى أيضـــا فى جامع القيروان • أما البربر الضاربون فى الجبال والصحارى والجزر فمعظمهم على مذهب عبد الله بن الاباض • ومع أن المذاهب ظهرت فى تونس العاصمة مبكرة ، فان التعليم ظهر فى القيروان مسبقا ، ولم ينتقل الى جامع الزيتونة الا فى عهد دولة الموحدين • وكـــان التونسيون ، والصقليون المهـــاجرون وأشـــهرهم آل صقلى فى الطب — والاندلسيون — وأشهرهم ابن عصفور وابن القصار فى النحو ، والقلعـــاوى والابلى والوادياشى فى العلوم — هم الذين يقومون بالتدريس — وبعـــد سقوط أشبيليه جاء ابن خلدون ، وابن سعيد ، وابن أبى الحسن ، والمالقى ، وابن الابار وغيرهم •

شقيقـــات الأزهـــر

● قـالوا يكاد العلم يتفجر من بين جدران مدينـــة فـاس

واستعان الموحـــدون فى التعليم بجامع الزيتونة أيضا ببعض الليبيين مثل أبى البركات عبد الحميد بن أبى الدنيـــا ، وكانت العلوم الرياضية والطبيعة والفلك والكيميـــاء والطب والتاريخ والجغرافيا تدرس فى جامعة الزيتونة بالاضافة الى علوم اللغـــة والدين • وقد ذكر العالم الشيخ محمد مخلوف فى كتابه « شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية » طبقات الاساتذة والائمة والعلماء الـذين تخرجوا فى الزيتونة ثم درسوا بهـــا ، ومن بين هؤلاء ابن خلدون ، وابن عرفة ، وابن راشد القفصى وماغوش وغيرهم •

وتحوى جامعة الزيتونة مكتبـــة ضخمة ، أسسها أبو زكريا ، مؤسس الدولة الحفصية ، وأضاف اليها مـــن جاء بعده من الخلفاء الموحدين أو من الامراء المراديين والحسينيين • وكانت المكتبة عند تأسيسها تحوى نحو ٤٠

الف مخطوط بقى منهـــا اليوم ٢٥ الفا ، منها الفريد والنادر والنفيس ، ومن أقدم المخطوطات تفسير ابن سلام القيروانى ، وهـــو مكتوب على رق الغزال بالخط الكوفى الجميل ، ويعتبر من اقـــدم التفاسير – ان لم يكن اقدمها • وفى المكتبة كتب فى السياسة والحرب والطب والتاريخ واللغـــة والفقه والحديث • ولها نظام للاعـــارة المحلية والخارجية •

وطراز جامعة الزيتونة يكاد يكون شاملا للانماط المعمارية الإسلامية : فيه الفن المغربى من افريقى واندلسى ومراكشى ، وفيه الفن الفاطمى والعربى والتركى • والجامع الاول الذى بناه الحبحاب يجمع بين الفنون البيزنطية والإيرانية والعربية : القلعة بيزنطية، والصومعة المستديرة ايرانية ، والنمط العام عربى يشبه جامع الكوفه ••• ومنبر الجامع يعتبر تحفـــة من الفن الاسلامى ، صنع سنة ٢٤٩ هجـرية عـــلى نمط منبر القيروان ، وهو فى مقصورة اليمين المحراب ، يخرجمنها على سكة حين استعماله ثم يعاد بعد ذلك الى مكانه •

وحول جامعة الزيتونة ، أسواق بديعة تتعلق بمهام الجامعة : سوق الكتبيين – باعة الكتب – وســـوق السفارين – المجلدين – وسوق الشهود العدول – المأذونين – الذينيستحضرون الى داخل الجامع لكتابة العقود التى تبرم بعد اداء الفرائض للبيع والشراء والايجار والزواج ، وسوق الفضة التى تصنع فيهاالباخروالمجامر و «المرشات» والمراوح التى يتقى بهـــا المجتمعون داخل المسجد حر الصيف ••• هـــذا فضلا عن سوق العطارين ، وسوق الطيبين – وهم باعة العطور والبخور ••• تمـــاما مثل أسواق العطارين والصاغة والغورية وغيرهـــا ، التى تحيط بالجامع الازهر فى القاهرة •

● مهاجرو القيروان بنوا جامعـــة القـــروين

فى القرن الثامن الميلادى هاجـــر اكثر من ثلاثة آلاف من اهـــالى القيروان ، هربا من فظائع الرومان والبربر فى بلادهم ، وبالقرب من مدينة فاس استوطنوا « عدوة القيروانيين » التى بسطت فيما بعد الى « عـــدوة القرويين » • من هؤلاء المهـــاجرين كانت السيدة فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرى القيروانى ، وحين توفى والدها ترك لها ثروة طائلة ، انفقتها كلها فى بناء جامع القرويين ســـنة ٨٠٢ ، على نمط جامع القيروان فى بلادها ، وتحول الجامع بعد ذلك الى جامعة للدراسات الاسلامية ، وقـــد ظلت فاطمة الفهرية صائمة ، محتسبة الى الله ، حتى تم بنـــاء المسجد ، فصلت فيه شكرا ••• وفى نفس الوقت قامت اختها مريم بعمل مماثل فى جامع الاندلس •

ولم يبق جامع القرويين على حاله، فقد زاد فيه احمد بن ابى بكر الزناتى عامل عبـــد الرحمن النـــاصر ، فبنى الصومعة الموجودة الان وازال القديمة سنة ٣٤٥ هجرية ، ومن بعـــده زاد

● من الجامع الأعظم تخرج ابـن خلدون وابن عرفة وابـن رشـــد

المنصور بن أبي عامر الحاجب فيه ، ثم وسعه علي بن يوسف اللمتوني من دولة المرابطين . وفعل مثله ملوك دولة الموحدين وبنو مرين ، فقد أنشأ السلطان أبو عنان فارس المريني حول القرويين عدة مدارس ، وأسس مكتبة ، وقام يوسف بن تاشفين بتأسيس مدرسة الصابرين ، وبنى السلطان أبو سعيد عثمان بن عبد الخالق مدرسة العطارين ، وشيد أبو عنان مدرسة البوعنانية . وكل هذه المدارس تابعة لجامعة القرويين .

وفي رحاب هذه الجامعة بدأت الدراسات الأولية في اللغة العربية والدين والشريعة ، وذاع صيتها ، فتوافد عليها العلماء من كل قطر ، وفي فاس اليوم لاتزال عائلات كثيرة تحمل أسماء تنتسب الى البلاد التي جاءت منها مثل عائلات التونسي والجزائري والمصري والعراقي واليمني ... وكان من أثر نجاح الجامعة أن أصبحت منارة العلم في العالم الاسلامي ، واشتهرت مدينة فاس حتى أصبح المثل يقول : « يكاد العلم ينفجر من حيطان فاس » .

ولقد سطرت هذه الجامعة العريقة صفحات مشرقة في تاريخ القرويين ، فمنها انبعثت الانطلاقة الأولى سنة ١٩٣٠ لمقاومة « الظهير البربري » الذي أراد به المستعمر فصل البربر عن مسلمي المغرب . ومنها خرجت الحركات الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي ، وكان خريجوها هم رواد الوطنية في المغرب . ولقد اهتم علماء القرويين ، بالاضافة الى ذلك ، بكل العلوم والفنون : كانوا يخصصون مجالسهم داخل المسجد للعلوم الاسلامية وعلوم اللغة ، ويخصصون المدارس المحيطة بالجامع للرياضيات والطب والتاريخ والموسيقى ... وبعض العلوم كانوا يدرسونها في بيوتهم كعادة بعض جامعات أوروبا الآن مثل جامعة « ليدن » في هولندا .

وقد بقيت هذه الجامعة نشطة طيلة تاريخها ، وظلت منارة العلم التي تحدت الاحداث السياسية التي مرت بها ، خصوصا ضغط الاستعمار الفرنسي لطمس معالم العروبة والدين في المغرب ، وبقيت كعبة طالبي العلم في الشرق والغرب ، وجاءها (سلفستر) الثاني طالبا العلم ، ومنها نقل الاعداد العربية الى أوروبا ، ولاتزال تستخدم للآن .

وفي عام ١٩٣١ عين الملك محمد الخامس مجلسا أعلى للاشراف على جامعة القرويين ، فقام بتطوير برامجها لتلائم روح العصر الحديث ، فقسمت الدراسة فيها الى ثلاثة أقسام

● الملك " سلفستر الثاني " تخرج في جامعة القروين

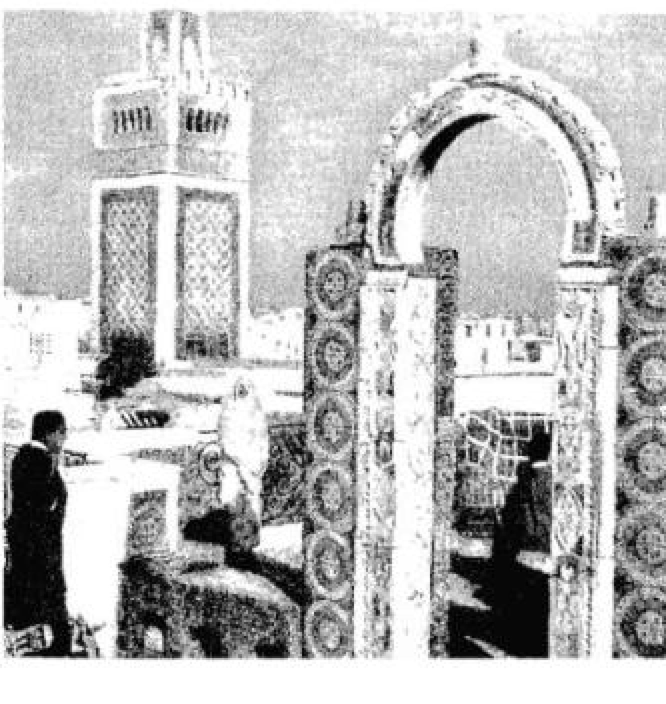
صفحات الأزهر

يمنح الطالب في نهايتها شهادة العالمية . وفي عام ١٩٥٧ أدخلت العلوم الحديثة كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلسفة الاسلامية واللغات الاجنبية . ويسمى نظامها الان «التعليم الاصلي» . ولعل أهم ما في هذا التغيير هو تعريب الدراسة كلها ، مما جعل جامعة القرويين تحتفظ بمكانتها القديمة كمصدر لاشعاع الروح الاسلامية العربية .

وللقرويين دور فعال في تعليم المرأة ... حيث كانت في البداية تتلقى علوم القرويين وهي في دارها وتحضر بعض المحافل التي يعقد فيها الفقهاء مجالسهم ، واستمر اتصال القرويين بالوسط النسوي حتى عصر النهضة الحديثة ، حين نادى الملك محمد الخامس من فوق منبر القرويين بوجوب تعليم الفتاة كالفتى تماما ، فقال : « لا رقي لشعب نصفه أشل » ، ففتحت الجامعة أبوابها للنساء ، وفي عام ١٩٤٧ فتحت الجامعة معهدا للفتيات .

وكانت الجامعة في بداية عهدها تعتمد على كتب الفقهاء والعلماء الخاصة : كان الطلبة ينسخون منها دروسهم . ثم أنشأ السلطان أبو عنان فارس المريني مكتبة القرويين وأودعها كثيرا من الكتب تحتوي على « علوم الابدان والاديان واللسان والاذهان » ... ولقد نمت هذه المكتبة حتى أصبحت اليوم من أضخم المكتبات ، فهي تضم

من روائع التراث العربي الاسلامي المئذنة المربعة في جامع تونس



أكثر من ١٠ آلاف مخطوط فى جميع أنواع المعرفة ، ففيها كتب فى الرياضة والطب والفلك والهندسة وعلم الجبر والحساب وعلوم الفلسفة واللغة ٠ ومن هذه المخطوطات ماكتبه أصحابها بخط يدهم ككتاب « الاوقات » لمحمد ابن كومرت الذى اختصركتاب الموطأ ، وكتاب « الطهارة » وهو مكتوب على رق الغزال ، وكتاب « العبر » لابن خلدون مذيل بتوقيعه ، وكتاب « سير ابن اسحاق » فى القرن الخامس الهجرى ، وهى نسخة فريدة فى العالم، وكتاب « الرجم والحدود » لعلى يوسف ابن تاشفين ، ومنظومة « الطب » لابى بكر بن الطفيل ، وتضم ٧٧٠٠ بيت من الشعر ٠٠٠ هذا فضلا عن كتاب « سير ابراهيم بن الفزارى » على رق الغزال ، وهو من أقدم مخطوطات المكتبة ، ومخطوطة مرسومة بالبيان والتحصيل فى الفقه المالكى للفقيه ابن رشد ، قيل انه استخدم فى كتابته ٣٦٠ غزالا !

وبالمغرب جامعة دينية اخرى هى « جامعة بن يوسف » بمدينة مراكش ، تضم عدة آلاف من الطلبة والطالبات ، وقد طورت مناهجها بعد الاستقلال ، لتقبل المرأة ، فضلا عن تعليم اللغات الاجنبية وباقى العلوم الحديثة ٠

● مؤسسو جامعة عليكرة أنشأوا دولة الباكستان

● من جامعة عليجره تخرج علماء الشرق الاقصى

دخل الاسلام الهند فى القرن الثامن الميلادى على يد الفاتح العربى محمد ابن القاسم ، فى عهد الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك ، وفى القرن الثالث عشر قامت دولة المماليك على يد السلطان قطب الدين أيبك ، وفى مستهل القرن السادس عشر قامت الدولة المغولية على يد ظهير الدين بابر ، وفى بداية القرن الثامن عشر بدأت الامبراطورية المغولية تضمحل وتتفكك ، فبدأ الاستعمار البريطانى يدخل الهند على يد « شركة الهند الشرقية » وفى منتصف القرن التاسع عشر ثار الهنود على الشركة ، فتم قمع الثورة ، وحكم الاستعمار البريطانى بشكل سافر ، وقاطع المسلمون المستعمر تماما حتى أصابهم التلف والجهل ٠٠٠

وفى هذه الظروف المؤلمة برز من بين صفوف المسلمين شيخ تجرع بنفسه مرارة الحرمان والخذلان بعد أن دالت دولة المسلمين فى الهند ، هو السيد أحمد خان ٠ وأدرك الشيخ أن المقاطعة والسلبية لن تؤدى بالمسلمين الا الى مزيد من التلف ، فنادى بتعليم المسلمين حتى يمكنهم أن يلحقوا بمجدهم القديم ٠ وفى عام ١٨٧٧ أنشأ كلية اسلامية فى عليجره تدرس العلوم الاسلامية بالاضافة الى العلوم الحديثة ٠٠ وتوفى السيد أحمد خان عام ١٨٩٩ ، ولكنه خلف رجالا مثل هالى ، وغفر الملك ، وشبلى ومحسن الملك حملوا رسالته ٠ بعض هؤلاء الرجال ، مع آخرين ، أسسوا « المؤتمر

الإسلامي » في مطلع القرن العشرين · وفي عام ١٩١٣ أصبح القائد الأعظم محمد على جناح عضوا في المؤتمر الإسلامي ، وفي عام ١٩٣٠ عقد المؤتمر الإسلامي في مدينة الله أباد برئاسة الشاعر محمد اقبال ، وفي هذا المؤتمر نادى اقبال بدولة للمسلمين · وقام القائد الأعظم محمد على جناح بالجهاد في سبيل الفكرة حتى ولدت جمهورية باكستان الإسلامية ·

غير أن جامعة عليجره الاسلامية بقيت في مقاطعة اوتار براديش بالهند ، ومضت تنتعش حتى ذاع صيتها في جميع انحاء العالم ، بفضل اثنين من ابرز أساتذتها ، هما الاستاذ البريطاني سير والتر رايلي ، والعلامة شبلي النعماني ، المؤرخ الهندي ومؤسس ندوة العلماء بمدينة لكناءو ، والذي كان له الفضل في رفعها الى درجة جامعة ، بعد نداء للاكتتاب تبناه زعيم طائفة الاسماعيلية الراحل أغاخان ، وتم جمع اكثر من ٣٠ مليون روبية · ·

وفي سنة ١٩٢٠ تحولت الكليـة الصغيرة الى ما هو معروف الآن باسم « الجامعة الإسلامية بعليجره » ، أقدم الجامعات التي أسستها الأمة الإسلامية في الهند ، وأكثرها صيتا وشهرة ، فقد أسهمت هذه الجامعة في تثقيف الشباب المسلم وصوغه في قالب جديد · ومعظم زعماء المسلمين في ماضي الهند القريب ، واغلب العلماء الذين برزوا في مختلف العـلوم العصرية ونالوا شهرة دولية اما من خريجي هـذه الجامعة واما ممن كانت لهم علاقة بها

وقد أقيمت الجـامعة على نمط جامعتي اكسفورد وكمبردج البريطانيتين ، مع تعـديل بسيط لتلائم الظروف والأوضاع الهندية · وفي عام ١٩٢٥ احتفلت الجامعة بمرور نصف قرن على انشائها ، ودعى المسلمون الى اكتتاب جديد لاقامة كلية للهندسة ، واقسام للطبيعة والكيميـاء وعلم الحيوان والنبات ، بالاضافة الى تعزيز قسم الجغرافيا · وفي عام ١٩٤٤ أعيد تنظيم اقسام الجامعة بحيث تمارس مختلف الكليـات نشاطها برئاسات مستقلة ، ولتشجيع العـلاج أنشأت الجامعة ـ بمعونة حكومة الولاية ـ معهـدا لتدريس الطب اليـوناني والجراحة · وكانت الجامعة تحاول اقامة كلية للطب الحديث ، فتحققت هذه الامنية في عام ١٩٦٢ ، وأصبح قسم الطب في الجـامعة متكاملا بمستشفياته وصيدلياته ومبانيه ·

ولم تكن بالجـامعة كلية خاصة للبنات ، فتحولت مدرسة البنـات الملحقة بالجامعة الى كلية تؤهل لدرجة الليسانس ، أما الماجستير والدكتوراه فتدرسها البنـات في الجـامعة مع زملائهن من الطلاب · وللطالبات مدينة جامعية منفصلة تسكنهـا الطالبات مراعاة لاصول الاسلام وتعـاليمه ولوائح الجامعة ، مع التزام الحجاب المشروع وعدم الاختلاط بالطلبة الا في قاعات المحـاضرات وفي المناسبات الرسمية ·

وكانت الجامعة ، منـذ انشائها ، جامعة داخلية ، لان تربية الشباب على خطوط معينة واصول خاصة واغراض محـددة ، لن تتحقق الا في جـو الجامعة ، لذلك اقيمت مدينة جامعية رحبة للطلبة ·

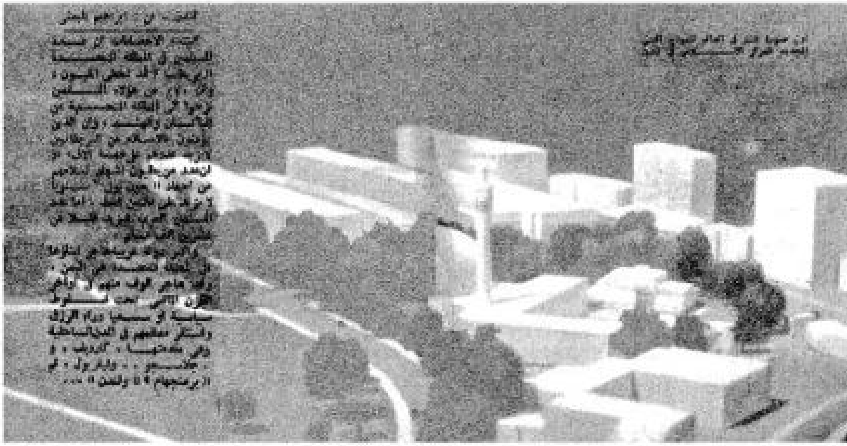
والجامعة تضم اليوم سبع كليات ، هي الكلية الدينيـة وتتألف من قسم للعلوم الدينية على مذهب اهل السنة وقسم للعلوم الدينيـة على مذهب الشيعة ··· وكليـات : الآداب ، والعـلوم ، والهندسة ، والطب ، والحقوق ، والتجارة ·

وللجامعة مكتب نشط للخريجين ، يسـهل لهم الالتحـاق بالوظائف ويرعاهم ويخـلق منهم أسرة مترابطة حتى بعد مغادرتهم للجامعة · · ·

طاقات واسعة

لخدمة قضايا الاسلام والعروبة

مليون مسلم يعيشون في قلب المجتمع البريطاني !



الكاتب: د. ابراهيم [illegible]

[illegible]

وتقول الاحصاءات أيضا أن أغلب المسلمين العرب يعملون فى صناعة السفن وبحارة وضباطا فى الاسطول البريطانى التجارى وكذلك الحربى .

وفى الاعوام الاخيرة زاد عدد الاطباء العرب فى بريطانيا بشكل ملحوظ ، وأغلبهم من مصر ثم من العراق ، وقد شق كثيرون منهم طريقهم الى أعلى درجات الثراء بل وبعض المراكز الهامة ، ولكنهم لم ينسوا دينهم أو يتخلوا عن عروبتهم .

وفى « كارديف » أنشأ أبناء الجالية العربية الاسلامية صحيفة عربيةيومية ومطبعة عربية باسم « دار مطبعة وجريدة السلام » ، ولم يكن نشاطهذه الدار مقصورا على اصدار الصحيفة بل كانت تصدر كتبا اسلامية توضح للاجيال الجديدة من المسلمين فى بريطانيا دقائقالدين الاسلامىالحنيف، وكان القائم على هذا النشاط الاسلامى الكبير رجل عربى مخلص لدينه وعروبته وهو الشيخ عبد الله الحكيم الذى نجح فى اقامة مسجد ومدرسة للمسلمين هناك أحاطهما بخمسةمنازل خصص ايرادها للانفاق على المسجد والمدرسة ...

● تكريم البطولة والابطال

وفى عام ١٩٤٦ وبعد الحرب العظمى الثانية ، قام الشيخ حسن اسماعيل ، وهو أيضا عربى يمنى ، ببناء مسجد آخر فى « كارديف » بعد أن ضاق المسجد الاول بالمصلين ...

وللشيخ حسن اسماعيل قصة تحدثت عنها بريطانيا وقتئذ بالاعجاب والتقدير ، فقد كانت سياسة الحكومة البريطانية قائمة فى ذلكالوقت — وخلال سنوات الحرب — على محاولة كسب ود الجاليات والاقليات التى استوطنت بريطانيا باقامة حفلات التكريم لزعماء وقادة هذه الجاليات ، خاصة وأن بعض أبناء هذه الجاليات — ومنهم الجالية العربية الاسلامية — قد أظهروا الكثير من البطولات خلال الحرب .

وكان بين هؤلاء الذينتقرر تكريمهم الشيخ حسن اسماعيل ، وقد تضمنت مظاهر التكريم أن يقابل الملك جورج ليعبر له عن تقدير بريطانيا ، وفى هذا اللقاء سأله الملك :

● ماذا أستطيع أن أقدمه لك من خدمات يا شيخ حسن ؟

وكان جواب الشيخ حسن :

— كل ما أريده هو أن أراك وكل أهل هذه البلاد ، مسلمين ..

وضحك الملك ، وربت على كتف الشيخ حسن ، ثم قدم له سيارةخاصة هدية لاستعماله الشخصى ، ولكن الشيخ حسن كان يستخدمها فى الطواف على المسلمين فى بريطانيا وخدمتهم ...

هكذا كانت النزعة الدينية والاهتمام الكبير الذى صحبه المهاجرون الاولون منالمسلمين العرب الى المملكةالمتحدة .

طاقات واسعة

لكن ـ ومع الاسف ـ تدخلت النزعات الشخصية بعد فترة ، فدب الخلاف بين المسلمين ، وتعطل نمو هذا النشاط ، وكاد المسجد أيضا يتعطل عن تيسير اقامة الشعائر الدينية ، كما أهملت المساكن المحيطة بالمسجد وأصبحت غير صالحة للسكنى، وتهدم اثنان منها وأصبحت الثالثة

الاخرى آيلة أيضا للسقوط . وبانقطاع هذا المورد عجزت الجالية الاسلامية عن القيام بالاصلاحات المطلوبة ، وأدى الامر الى أن هددت مصلحة البلدية في « كارديف » بالاستيلاء على الاراضي لاقامة مساكن جديدة عليها ، اذا لم يقوموا باعادة بنائها ...

ولجأ المسلمون في « كارديف » الى سفراء الدول الاسلامية في العاصمة البريطانية ، وطالبوا بالمساعدات العاجلة ، التي تمكنهم من الاحتفاظ بملكية هذه العمارات للانفاق من ايراداتها على المسجد الذي مازال يحتفظ بأناقته وسجاجيده الفاخرة .

● في كل عام يتقدم مائتا انجليزي مثقف لإشهار إسلامهم

● الحكومة البريطانية تقرر تدريس الدين الإسلامي في ٣٠ مدرسة

ورواده ... ولكنهم لم يجدوا استجابة حتى الآن .

والواقع أن مشاكل المسلمين في بريطانيا تستحق العناية والدراسة والاهتمام . فهناك مليون مسلم يعيشون في قلب المجتمع البريطاني باستمرار . وكثيرون منهم متزوجون من انجليزيات ، أي أن تأثيرا بين أبناء المملكة المتحدة « بريطانيا » يمكن أن يكون ايجابيا بالنسبة لقضايا العرب في هذه المرحلة الحاسمة ...

كما أن منهم الوفا يحتفظون بروابط قوية مع بلادهم الاصلية في آسيا وافريقيا ، أي انهم يمكن أن يؤثروا أيضا في بلادهم التي تحتاج الى تأييدها لنا . والمهم أن كل هؤلاء يحتاجون الى عون بسيط يمكن أن يجعل منهم طاقات هائلة تتعاطف معنا بصدق واخلاص .

● اجل واعظم الخدمات

ولكن ، ما الذي يحتاجه المسلمون في بريطانيا ؟..

انهم بكل بساطة يحتاجون الى معونة مالية يمكن أن تدفعها دولة اسلامية واحدة ، ولو قسمت على الدول الاسلامية فلن يتجاوز نصيب كل منها مائة الف جنيه ، وحصيلة هذا المبلغ ـ وينتظر أن تكون ثلاثة ملايين من الجنيهات ـ تكفي لحل كل مشاكل المسلمين في بريطانيا ..

● انهم في حاجة الى :

● مجموعة عمارات في كل مدينة للانفاق على المساجد والمدارس الاسلامية التي انتشرت في مدن بريطانيا .

● كتب ومطبوعات اسلامية باللغة الانجليزية قبل العربية .

● مقرئون يتلون القــــرآن فى رمضان وفى غير رمضان ·

ولكى نوضح أهمية ايفاد المقرئين الى بريطانيا نذكر القصة التالية :

– حتى رمضان من العـام الاسبق كان الخلاف الشديد بين المسلمين فى « كارديف » قد استحكم لدرجة القطيعة، وحدث أن أوفدت مصر ثلاثة من المقرئين خصص احدهم وهو الشيخ حسين أبو زيد لمدينة « كارديف » ، واضطر فى البداية الى أن يتلو القرآن ليلة فى المسجد الجـــديد وليلة فى المسجد الكبير القديم . وبعد أيام نجح الشيخ حسين أبو زيد فى التوفيق بين زعماء الفريقين والقضاء على الخلافات بينهم ، فاتفقوا على أن ينتقل الجميع كل ليلة الى مسجد واحد للصلاة وسماع تلاوة القرآن الكريم ، على أن يقصدوا جميعا المسجد الثانى فى اليوم التالى ·

ويقول الدكتور محمد الجيوشى مدير مساعد المركز الاسلامى فى لندن :

– لقد نجح الشيخ حسين أبو زيد فيما لم نوفق فيــــه عبر سنوات ، وحبذا لو أوفدت مصر كل عام عشرة من المقرئين ، فالفوائد التى تعود على الاسلام وعلى مصر اجل واعظم من مئات الجنيهات التى يتكلفها ايفـاد كل واحد من هؤلاء القراء ·

وكما نجح الشيخ حسين أبو زيد فى رمضان قبل الماضى بين أبنـــاء « كارديف » ، أصبح الشيخ ابو العينين شعيشع يتمتع بمـــكانة كبرى بين مسلمى « برمنجهام » و « شفيلد » ، لدرجة إنهم أصبحوا يتسابقون عـلى استضافته ، ولم يكن الشيخ شعيشع يكتفى بتلاوة القرآن ، بل انه يلقى خطبة الجمعة ، ويشجع المسلمين على افتتاح مدارس تعليم اللغة العربيـــة لأولادهم ·

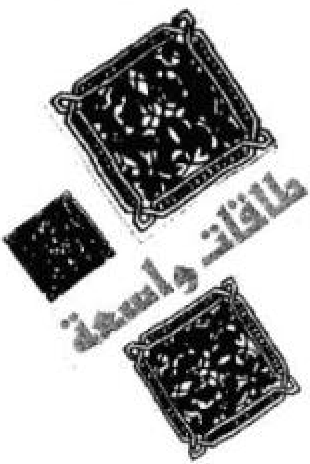
● مطلوب من الدول الاسلامية

ان عدد المسلمين فى لندن وحـدها يبلغ حوالي ١٠٠ الف مسلم يعيشون فى مختلف احياء المدينة التى تبلغ مساحتها ٥٠ ميلا مربعــا ، وفى كل حى من الاحياء هناك مكان للصلاة « زاوية » يستخدم أيضا يومى السبت والاحد من كل أســبوع – وهما يوما الاجــازة الاسبوعية – فى الاجتماعات السريعة لتدبير شئون الجمعيات الاسلامية ، وكذلك تستخدم هذه الاماكن فى تعليم الاطفال المسلمين مبــادىء الاســلام واللغة العربية ليتمـــكنوا من تلاوة القرآن واقامة الصلاة ·

وأكبر هـــذه الاماكن هو المركز الثقافى الاسلامى فى لندن الذى يوجد فى حى هام من العاصمة البريطانية ويطل على حديقة « ريجنت » المشهورة وهى حديقة لها أهميتها عنـد الشعب البريطانى مثل حدائق « هايد بارك » تماما ·

وهذا المركز الكبير له قصة ·

ففى خلال الحرب العالمية الثـانية نجحت مصر فى اقنـــاع الحــــكومة البريطانية بتخصيص هذا المبنى الضخم والحدائق المحيطة به ليصبح مقـــرا للمركز الاسلامى مقـــابل تخصيص قطعة أرض على كورنيش النيل لاقامة



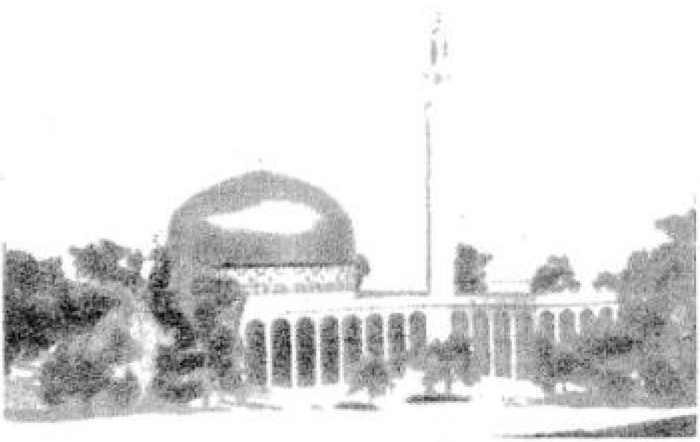
الكنيسة الانجيليكية ، وكان من المنتظر أن يجد المسلمون فى لندن تسامحا مماثلا وتعاونا من جانب السلطة البريطانية فى اقامة مسجد لائق فى حديقة المبنى الذى خصص للمركز الاسلامى ولكن منذ عام ١٩٤٥ والعقبات تتوالى وتحول دون اقامة المسجد · وكانت الحكومة المصرية قد رأت أن المسجد ليس للمصريين فقط وانما لكل المسلمين فدعت الدول الاسلامية الممثلة سياسيا فى لندن فى ذلك الوقت للاشتراك فى تكوين أول مجلس ادارة للمركز الاسلامى · وكانت هذه الدول وقتئذ هى مصر والمملكة السعودية وايران وتركيا ·

واصبح التقليد المتبع منذ ذلك التاريخ حتى الآن أن تعتبر كل دولة اسلامية ذات تمثيل سياسى فى بريطانيا عضوا فى مجلس ادارة المركز الثقافى الاسلامى · ويبلغ عددها الآن حوالى ٢٤ دولة ·

وقد اختير للمركز منذ أن بدأ نشاطه ، رئيس من علماء الازهر ، يقوم بالتوجيه الدينى للمسلمين فى انجلترا كلها ، باعتبار أن الازهر هو المنارة التى تشع نور الاسلام وهديه فى جوانب العالم والحارس على التراث الاسلامى على مدى العصور ، فكان أول رئيس للمركز هو الدكتور على حسن عبد القادر الذى بدأ عمله فى عام ١٩٤٤ وظل يباشره حتى عام ١٩٥٤ ، ثم جاء بعده الدكتور غرابه ، فلم يلبث أن توفى الى رحمة الله ، ثم جاء الاستاذ الشيخ ابراهيم عبد

يحتاج مشروع بناء المسجد الجديد فى لندن الى حوالى مليون جنيه ، وكل مايملكه المركز الثقافى الاسلامى هناك لايتجاوز الآن ربع مليون جنيه ...

المسجد والمئذنة ، تعطلت اقامتهما فى لندن سبعة عشر عاما



الحميد وبقى حتى وقع العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ٠

وظل المركز بدون مسئول من الازهر حتى عام ١٩٥٨ فعاد الدكتور على حسن عبد القادر مرة ثانية وبقى حتى عام ١٩٦٢ ثم عاد ليشغل منصب عميد كلية الشريعة وبعد عام من عودته وصل الدكتور بدوى عبد اللطيف مدير جامعة الازهر حاليا ليقوم بادارة المركز وبقى حتى سبتمبر ١٩٦٥ ، ثم عاد الى الجامعة الازهرية ، ورشح مكانه الدكتور محمود حب الله ، وقبل ذلك بعام كان قد وصل الى لندن الاستاذ محمد الجيوشى ليعمل مساعدا للمدير وقائما بالعمل حتى يصل الدكتور محمود حب الله ، ولكن الدكتور محمود حب الله لم يستمر فى لندن اكثر من سبعة أسابيع ، فقد اضطر للعودة ليباشر مسئولياته وقتئذ كامين عام لمجمع البحوث الاسلامية ، ومرت الايام والشهور ، واقبلت احداث ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، واتخذ مجلس السفراء قرارا بتعيين الباكستانى راجا محمود اباد ، وهو من غير رجال الدين ، وكان حاكما لمقاطعة راجا ، ولايزال قائما بالعمل كمدير للمركز الاسلامى منذ ٢٨ مارس سنة ١٩٦٨ ولم يبق للازهر من هذا المركز الدينى الهام ، غير منصب المدير المساعد ، ويشغله الان الدكتور محمد الجيوشى ، كما أن الشيخ عبد الجليل شلبى يعمل اماما للمركز ويخطب الجمعة ٠

ويحتاج المركز الى اربعة الاف جنيه سنويا لمواجهة النفقات يدفع منها ١٨٠٠ جنيه لاقامة خيام فى حديقة المركز أيام عيد الاضحى وعيد الفطر حتى يتمكن المسلمون من الصلاة والمفروض أن تدفع كل دولة اسلامية – من أعضاء مجلس ادارة المركز – خمسمائة جنيه اشتراكا سنويا ، ولكن معظم الدول لا تفى بالتزامها ٠

● الاسلام فى ٢٠ مدرسة بريطانية

ونعود الى مشكلة اقامة المسجد فى حديقة المركز الاسلامى بلندن ، لقد وضع حجر الاساس للمسجد فى عام ١٩٥٤ ، واعد التصميم على أساس أن يتكلف المبنى ربع مليون جنيه فقط ، وكان التصميم من وضع المهندس المصرى العالمى رمزى عمر ، ولكن السلطات البريطانية لم توافق على اقامة المسجد مبدئية كثيرا من الاعتراضات كانت كلها تدور حول مقاومة فكرة اقامة مسجد بمئذنته فى هذه المنطقة الحساسة من لندن ، بحجة ان النموذج الموضوع لا يتفق مع الشكل العام للبناء فى المنطقة ٠

وبعد ذلك قام السفراء المسلمون بتكوين لجنة برئاسة سفير الكويت وقتئذ الشيخ سالم الصباح السالم الذى بذل جهدا مشكورا ، انتهى بطرح التصميم فى مسابقة عالمية لاختيار احسن نموذج لاقامة مسجد حسب



الشروط التي وضعتها لجنة من الفنيين، ولكي توقف اعتراضات البريطانيين شكلت لجنة من المهندسين الفنيين أحدهم انجليزي والثاني أسباني والثالث باكستاني مسلم ، واختارت لجنة التحكيم في مايو ١٩٧٠ نموذجا من تصميم مهندس انجليزي وكان الفائز الثاني تركي والثالث مصري والرابع مراكشي .

ورغم أن المسلمين في بريطانيا – بعد أن اطلعوا على النموذج الفائز – أمنوا بأن النموذج المصري والنموذج المراكشي هما أحسن النماذج ، فقد رؤى التسليم بقرار لجنة التحكيم حتى لا يتعثر المشروع مرة أخرى .

وأصبح واضحا أن بناء المسجد يحتاج الى مليون جنيه ، وكل مايوجد لدى المركز حاليا ربع مليون جنيه فقط .. وهو مبلغ كان يكفي لو نفذ المشروع في عام ١٩٥٤ .

وقد اتفق مجلس السفراء على ايفاد بعثة منهم الى البلاد الاسلامية لجمع الاموال اللازمة حتى يبدأ البناء مع مطلع العام الجديد ، ولكن لم تسافر هذه البعثة حتى الان .

ان التقدير المبدئي للزمن اللازم للمشروع هو عامان ونصف تقريبا . وبالاضافة الى مبلغ المليون جنيه اللازم للبناء ، فان الامر يتطلب جمع مليون آخر لاقامة مساكن أو الاسهام في شركات يخصص الربح منها في الانفاق على أنشطة المركز ، كما يتطلب الامر ايضا مليونا ثالثا لتغطية احتياجات المساجد الاخرى في باقي مدن بريطانيا .

أى أن جملة المطلوب ثلاثة ملايين من الجنيهات لمؤازرة الاسلام والمسلمين في بريطانيا ، وهذا المبلغ يمكن لدولة اسلامية واحدة أن تدفعه ، ولو قسم على الدول الاسلامية لكان نصيب كل منها حوالى مائة ألف جنيه فقط .

ان المليون مسلم الذين يقيمون بصفة دائمة في بريطانيا يتطلعون بشغف الى الغذاء الروحي ويحرصون على أن يستكملوا وأولادهم تعاليم دينهم الاسلامي ، بل ان كثيرين منهم يحسون بالحرج عندما يسألهم الانجليزي عن تفاصيل دينهم فيعجزون عن الرد ، وكثيرا ما يؤمن الانجليزي بالاسلام اذا وجد من يشرح له بعمق روحي ، « ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » . والانجليز اليوم يخشون انتشار الالحاد ، ويتزايد عدد المؤمنين بينهم بالاسلام .

وقد وافقت الحكومة البريطانية – لمجرد رغبتها في دفع خطر الالحاد وتحديات العصر – على تدريس بعض مبادىء الدين الاسلامي في ٣٠ مدرسة متفرقة في بريطانيا كتجربة ، وهي ترى في هذا معاونة من الدين الاسلامي للكنيسة في صد خطر الشيوعية والالحاد .

● لماذا تخلى الأزهر عن رئاسة المركز الثقافي الإسلامي في لندن ؟

● في خدمة قضايا الاسلام والعروبة ..

ويقوم المركز الاسلامي بجملة انشطة لها اهميتها ـ ومنها :

● اقامة الصلوات بانتظام ، وخاصة صلاة الجمعة ، طوال العام ، ويسبق الصلاة الاستماع الى القرآن الكريم من تسجيلات أشهر المقرئين ، وطبع مواقيت الصلاة على مدار العام وتوزيعها على المسلمين مجانا ، وفي رمضان تعد امساكية خاصة يوضح فيها مواعيد الصلاة ، ومقدار الزكاة الواجب على كل مسلم دفعها ، وميعاد صلاة العيد .

● الاحتفال بغزوة بدر ، وفتح مكة ، وليلة القدر ، وكلها في رمضان ... ويسهر المسلمون في مبنى المركز في ليالي رمضان حتى الصباح .

● تحرير عقود الزواج للمسلمين في انجلترا ، وتبلغ هذه العقود سنويا قرابة مائة وخمسين عقدا . ويتقاضى المركز عن كل عقد خمسة جنيهات وربع جنيه ، ويعفى من الدفع غير القادرين .

● اشهار اسلام الراغبين في الاسلام واعطائهم شهادة بذلك بعد شرح الاسلام لهم ، ومناقشة كل منهم مناقشات قد تستغرق شهورا للتثبت من صدق اسلامه .

● الرد على أسئلة المسلمين واستفساراتهم فيما يعرض لهم من أمور الدين ، وكذلك الاجابة عن أسئلة غير المسلمين الذين يستوضحون بعض الامور في الاسلام . والقيام باعداد دراسات ومحاضرات في المدارس والكليات عن الاسلام والاديان بوجه عام .

● القيام بصلاة الجنازة على المتوفين من المسلمين في لندن .

● اصدار مجلة باللغة الانجليزية تصدر مرة كل ٣ أشهر تهتم بالدراسات الاسلامية والعربية .

● تعليم اللغة العربية للكبار والصغار مرتين أسبوعيا .

وهناك انشطة اخرى عديدة تتصل بقضايا الاسلام والمسلمين وفي مقدمتها قضية فلسطين .

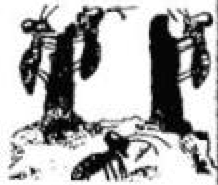
وكل هذه الانشطة تستحق المؤازرة والمساندة كي يتمسك هؤلاء المسلمون بمبادىء دينهم الحنيف ، وليحمل الامانة أولادهم من بعدهم ، وكذلك ليعملوا على نشر الدعوة الاسلامية بين الانجليز .. وهم على استعداد كبير في الوقت الحاضر ... وأخيراً، لكي تكتسب طاقات واسعة لخدمة القضايا الاسلامية والعربية من خلال مليون مسلم يعيشون في قلب المجتمع البريطاني كله ...

الحداد الابيض

لي في بياض الشعر عرض صحائف
ومن استعار من البياض حداده
اني لاسندها برأي محقق
فيها شواهد للمنية تعرض
فقد استعان بحجة لا تدحض
ان المشيب هو الحداد الابيض

مرسي شاكر الطنطاوي

الهـــلال



« مملكة من غير البشر ، مكيفة الهواء في قلب افريقيا ! »

اقرأ التحقيق العلمي: «اولئك امم امثالنا ... ص ٨٠ »



« نريد توكيد الروح القومية مع النزعة الانسانية في كل ما يقدم على مسرح دار الاوبرا المصرية الجديدة .. »

من مقال «لولا الحريق ماكانت عروس الاوبرات ص ٩٤ »



« ان قدرات الاختبار ، عند هؤلاء الفنانين الثلاثة الكبار ـ تملك مخاطرات اقل ، ومحاسبات اوسع .. »

دراسة تحليلية « بالالوان » من « الكتلة والفراغ ص١٢٨»



« لماذا ينفق الانسان مليارات الجنيهات للحصول على حفنة من تراب القمر وقطع صغيرة من صخوره ؟! »

سؤال يجيب عنه العلماء في مقال «البحار المحروسة للفضاء ص١٧»

صالح جودت

قبلة على رأس جلّق

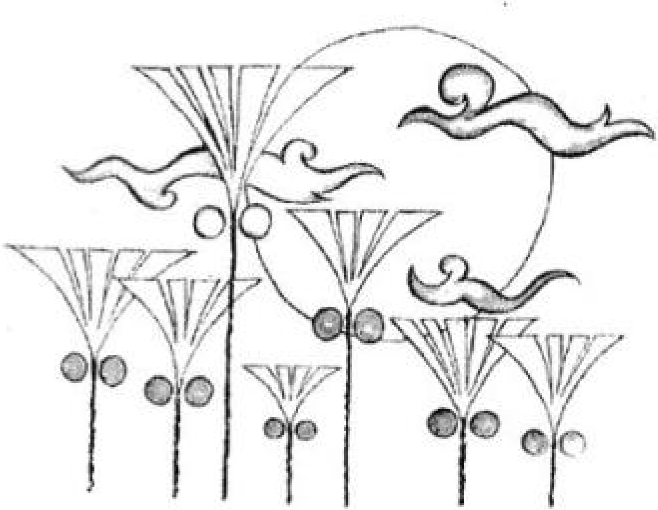
قيلت في مهرجان الشعر الذي عقد بدمشق في الشهر الماضي ، وهو أول مهرجان يقام هناك منذ سنة ١٩٦١ ، حينما وقع الانفصال خلال المهرجان الذي كان منعقدا يومئذ هناك .

●●●

لكم آذى حبك المرهق ... فسامحك الله يا جلّق (١)
عشقتك رغم مدى الانفصال ... وكم يتحمل من يعشق
يمينا بقبر « أبي خالد » ... وبالدمع من حوله يُهرق
وبالحزن في ليله النابغي ... وبالطيب من ذكره يعبق
رجعت الى « بردى » فإذا ... عيون من الفرح تغرورق
رجعت ، فما أنكرتني الروافد ... والسفح والسطح والجوسق
ولا سحر « زلغوطة » من أمية ... وهي بفرحتها تشهق (٢)
وتمشي الي بقلب المشوق ... وقلبي لموعدها أشوق

---

(١) جلق : من اسماء دمشق
(٢) زلغوطة : زغرودة ، بلغة اهل الشام



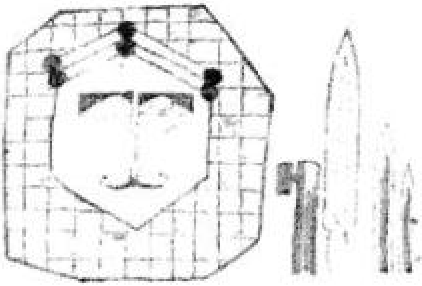
جدائلها الشَّقَّقُ المسجدىُّ ... وأنفاسها الوردُ والزنبق
وفى شفتيها دمُ الكرَزات ... وفى طرْفها الألقُ الأزرق
وفى خطوها عَبَقُ « الغوطتين » ... وفى همسها اللّوزُ والفستق
وقلت لها حين طالعتها ... وفى وجهها نَدَمٌ مُطْرِق
تحملتُ صدك عشرا عجافا ... أنوء بهمى ولا أختنِق (١)
وأسمو بجرحى فوق الجراح ... وأمسح دمعى الذى يَدْفُق
وكيف أضيق بعُمق الجراح ... وهذى عواطفنا أعمق ؟

***

أيا اخوةَ الشام ، ان العتاب ... لِصَفْو ضمائرنا أليَق
تذكرتُ أمسية المهرجان ... اذ اكتمل العقدُ والرونق . (٢)

---

(١) العشر العجاف : سنوات الانفصال
(٢) اشارة الى مهرجان سنة ١٩٦١ الذى وقع خلاله الانفصال



قبلة على رأس جلق

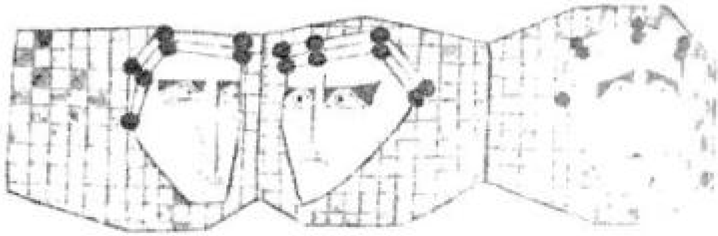
وقد أقبلتْ زمَرُ الشعراء ... بأجمل أحلامها تنطق
وقلتم لنا ما يسر الفؤاد ... وقلنا الذي بالهوى يخفق
فكيف تبدّلَ هذا الحديث ... بليلٍ تنكّبه المنطق ؟
وكيف صحونا على طلقاتٍ ... صدورُ اليهود بها أخلق ؟

***

غضبتم علينا بغير الهوينا ... فضاع المخطط والموثق
وماذا جنيتم ، وماذا جنينا ... وماذا جنى الغضبُ الأحمق ؟
أيُخذل في أرضكم « ناصر » ... ويَنصرَ « أكرم » و «العفلق» (١)
معاذ العروبةِ يا صانعيها ... وأنتم لها الحصنُ والخندق
ووالله لولا دُجى الانفصال ... وما جرّه ليله الأخرق
لمَا أطمع الدهر فينا اليهودَ ... ولا حققوا طيفَ ما حققوا
ولكنها محنةٌ للرجال ... وتصفيةٌ للآلى زندقوا
عرفنا بها أننا أمةٌ ... اذا انقسمتْ سقط البيرق

---

(١) اكرم حوراني وميشيل عفلق داعيتا الانفصال



عرفنا بها أننا دوحة ... بغير التوحد لا تورق
وأن الأُلى باركوا الانفصال ... بُغاث ، وأفقهمو ضيق
وأن عُراهم هي الواهيات ... وأن عُرانا هي الأوثق

❊❊❊

فلا تنكري قومتي يا دمشق ... غداة سرى النبأ المقلق
غداة تهددك المشركون ... وطاف بكِ الخطرُ المحدِق
نسيت بلحظتها الانفصال ... ومن باركوه ومن صفقوا
وقلت حرامٌ عليَّ الحياة ... اذا ماكبا وجهكِ المشرق
وصحتُ بقومي الجهادَ الجهاد ... فما أحجموا عنه أو أشفقوا
وساروا اليه بايمانهم ... شبابا هم الأمَلُ المسوق
ولكن تهاوت بنا الحادثات ... وفاجأنا القدر المخفق
وأُبنا من الحرب أوْبَ الهوان ... وعار الزمان بنا يُطبق

❊❊❊

على أننا قد خرجنا بأنّا ... ضحايا لمن وعدهم زئبق

وأنا خُدِعنـا بقول الكبار ويا قلَّمـا قولهم يصـدق

وقال الكبارُ من الجانبين : أطيلوا الأناةَ ولا تُطْلقـوا !

وقال الكبارُ : اطمئنوا فأنتم مع الحـق ، والحقُّ لا يزهق

وقال حكيمهم الألمعيُّ وقال خطيبهـم المُفلق

وقال الكبارُ .. ومرّ القطارُ ونحنُ على الجسر لا نَلْحَق

سكِرنا ... سكِرنا بقـول الكبار وعُـدنا بسكرتنا نَشرَق

خُدعنا ، وما الحرب الا الخداع ومن لم يخـادعْ بهـا مُخفق

خُدعنا ، وما الحرب الا السباق ويَختطف النصر من يسبق

***

ملوكَ الحمى ، رؤساء الحمى أمـا آن بالله ان تتقـوا ؟

أما آن أن تلتقوا في الجهاد وقـد أذن الله أن تلتقـوا

وأن تجعلوا الحرب قوميـةً فلاباب في وجههـا يغلـق ؟

مصائرنا قَدَرٌ واحـدٌ فلا مغـربٌ فيـه أو مشرق

ألم تذكروا أن عشرين ألفـا على أرض سيناء قد مُزّقوا

وأن ميـاه القنـاة دمـوعٌ وجـولانُ من خزيه مطرقُ

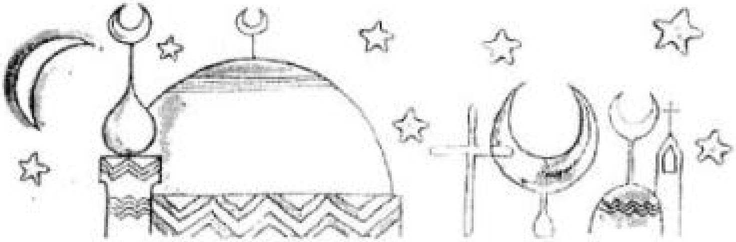
وأنّ مرابِعنـا تُستـذلُّ وأنّ مـواردنا تُسرَقُ

قبلة على رأس جلق

وأن كنائســــنا تســتباح | وأن مســـاجدنا تُحــرَقُ
وأن على القدس ريح الظــلام | تهب ، وغِـــربانه تنْعَـــق
ووجه المســيح حزين السمات | ونور محمـــــد لا يُشرق ؟
صبرنا على العار خمس سنين | فهل حقق الصبرُ ما نَرمــق ؟
ومن يَرض بالصبر بعــد الهزيمة | فالســافيات به أخلــق

***

ومِمَّ نخاف ؟ أمن عصــــبةٍ | اذا خَسرت جولةً تَنفَــقُ
ونحن الملايين تعـــدادنا | وتعــداد دولتهم فيلَق
ووالله لو قـد مشــينا عليهـا | فمن وقع أقدامنـــا تسحق
ووالله لو قد بصــقنا عليهـا | فمن ذوْب أشـــداقنا تَغرق
وما هي في الحـــرب أسطورة | يحيرنا سرهـــا المغلــق
فأشــكول أودت به طلقــة | وايــلات أغرقهـــا زورق
وديانُ لو أدركتـــه حصــاةٌ | لتمَّ عليــه العمى المُطلق
وتاريخهم من ضُــحى خيبــر | الى يومنا في الخنـا مغــرق
ونحن بناة قبــور الغــزاة | وتاريخنــا في الوغى مُعْــرق

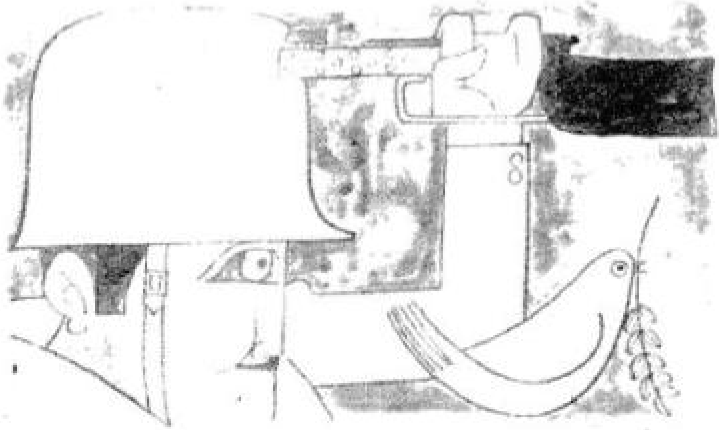


قبلة على رأس جلق

أساطير يفرق منها التتار   وجيشُ الخليفة والسنجق
ومن أشعلوها صليبية   فأودى بهم عصفنا المحرق
ووالله لولا الونى والتواكل   والحقد والحسد الأزرق
ولولا التفرق ، هذا يثور   وهذا يخور ، وذا يأبق
وهذا يقول أنا الهاشمي   وهذا يقول أنا البطرق
وهذا تخدّره غادة   وهذا يبعثره دورق
وهذا يضن على قومه   وينفق فى اللهو ماينفق
لكنا كسرنا رقاب اليهود   بأهون ما يُكسّرُ البندقُ
وسرنا على سيرة البابلى   وقد شدّهم قيدُه الموثق (١)
وسلسلهم فى حبال العبيد   فكادوا من الذل أن يُمحقوا
ولكنه قدرٌ قد ألمّ   لكى تحركَ اذ نأرق

---

(١) اشارة الى حادث الاسر البابلى المشهور فى التاريخ



على أننا قد كشفنا بواقع ... من ضللونا بما زوقوا
ومن أخروا ومن أهدروا ... ومن خدرونا ومن عوّقوا
وبان لنا ان من يشتكي ... على الغير يهبط به المزلق
وان السياسة العسوبة ... وان الخداع بها المنطق
وان السلامة أكذوبة ... وان القتال هو الأصدق
وان الألى يرتضون المذلة ... لا يستحقون أن يخلقوا

***

سنمضي الى ثأرنا كالصواعق ... من كل ناحية تطبق
يباركنا العَلَم الوحدوي ... ويدفعنا الأمل المشرق
ولن نتوقف حتى نرى ... ضُحىً النصر اعلامه تخفق
وترفع قاهرتي رأسها ... تقبل رأسك يا جلق

■ د. عبد المحسن صالح ■

مملكة من غير البشر ، مكيفة الهواء في قلب افريقيـا ! . .

وتلك أمم أمثالنا





وتلك أمم أمثالنا

الانسان - بلا شك - عظيم بعقله، معجب بمدنيته فخور بحضارته .. فهو المخلوق الوحيد على هذا الكوكب الذى استطاع ان يستخدم العلم والتكنولوجيا فى ابتكارات واختراعات لا نكاد نحصيها عدا ، لتجعل الحياة اكثر رفاهية ،واعظم يسرا .

لكننا لسنا وحدنا على هذا الكوكب .. فالعلم والتكنولوجيا موجودان قبل ان يظهر الانسان بمئات الملايين من السنين ، ولهذا كان لابد ان نراجع انفسنا قبل ان نلصق بها كل المميزات التى حرمنا منها غيرنا بغرورنا .. اذ لا يعرف الغرور الا الانسان !

اذكر اننى - فى احد ايام الصيف - كنت استقل القطار الفاخر (او الديزل المجرى كما يطلقون عليه) حيث العربات المقفلة الانيقة ذات الجو المكيف الذى ترتاح اليه نفوسنا ، وبه تهدأ اعصابنا ... لكن شيئا فشيئا حدثت فى العربة موجة غريبة من التذمر ، وبدأنا نحس بالضيق ، فتصبب العرق ، واختنقت الانفاس ، وانقبضت الصدور ، وبدأ الناس يتصايحون منادين ، ارحمونا من ذلك الجو المقبض .. اننا نكاد نختنق ، !

السبب فى هذا لا يحتاج الى شرح ، فلقد توقف جهاز التكييف ، والعربة محكمة الغلق على من فيها ، والهواء فاسد لا يتجدد ، وعندما لم يحتمل البعض هذا الجو الكئيب ، لم يجد بدا من الهرب ، فهاجر الى عربات أخرى !

لكن ما حدث للناس فى عربة واحدة مكيفة ، لايمكن ان يحدث لمدينة او ، مملكة ، يسكنها مئات الالوف او الملايين ، ويعيشون فى جو مكيف يوافق امزجتهم ، فالمدينة او ، المملكة ، مقفلة على من فيها ، والجو متقلب فى خارجها ، لكن التكييف يشتغل باستمرار فى داخلها ، ليمد كل السكان بنسبة من الرطوبة معتدلة ، ودرجة من الحرارة ثابتة ، وتهوية مناسبة لا تلوث فيها ولا فساد ، رغم ان ، المملكة ، - كما ذكرنا - مقفلة على الملايين من سكانها .. لكن الفضل فى ذلك يرجع الى ، تكنولوجيا ، التكييف الذى لا يعطب ، ثم الالمام ببعض اسسه العلمية التى قامت عليها حياة تلك المدينة الهائلة .

لا شك ان هذه المدينة رائعة ومتقدمة عن المدن التى تسكنها ، وتعيش فيها تحت رحمة تقلبـــات الجو ، وتلوث الهواء ، دون أن يكون لنا فى الامر من حيلة الا باللجوء الى شراء اجهزة تكييف باهظة الثمن ، غالية التكاليف .. ولن « يتكيف » بذلك الا كل من استطاع ان يدفع ، وهؤلاء نســـبة ضئيلة ، والسواد الاعظم يعيش تحت رحمة الاقدار !

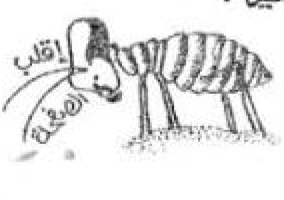
الا ان هذه التفرقة لا تحدث فى تلك « المملكة » ، فاشتراكية التكييف مكفولة للجميع !

وقد تتساءلون الان بدهشة : اين توجد هذه المملكة التى استطاعت ان تكيف جو مدنهـــا وكأنها تعيش فى الفردوس ؟.. واية فكرة عظيمة تكمن فى جهاز يستطيع أن يكيف الجـــو للملايين ؟

الواقع أن هـــذه « الممالك » أو « المدن » تتواجد فى الخلاء بعيدا عن مدن البشر .. فعندما يتجول الانسان فى غابات افريقيا وأحراشها ، فقـــد يشاهد من بعيد بنايات عالية عـــلى هيئة قرى غريبة لها طابع خاص ، فاذا اقترب منهـــا ، ووقف امامها ، وجدها بدون أبواب ولا نوافذ ، ولكن العالمين بأسرار الطبيعة يعرفون – لاول وهلة – انهم يقفون أمام مجتمعـــات منظمة تسكن فى الداخل ، وانهـــا تستحق التأمل والدراسة ، فلقد سبقت الانسان فى الظهور على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، واستطاعت « بافكارها » ان تحل مشكلة التكييف بمقدرة وكفاية نحسدها عليهـــا .. وكأنما هى برهان حى على ما يصلت اليـــه من صمود للمحن رغم ضآلة اجسامها ، فى حين أن الديناصورات قد انقرضت واختفت رغم ضخامتهـــا وقوتها ... ولهـــذا ، فلا يجب ان نقيس مقدار الكائن ببسطة فى الجسم ، أو قوة فى العضلات ، ولكن برجاحة فى العقل ، وصمود للمحن ، وتكيف بالظروف .

الا اننا لا نستطيع أن نضفى عـــلى سكان هـــذه « الممالك » المغلقة صفة العقل ، فنحن الان نتطلع الى : ممالك النمل الابيض .. وتلك مدنه !

صحيح ان طول النملة قـــد يبلغ سنتيمترا أو يزيد قليلا ، ولكن ارتفاع مدينتها قد يتراوح ما بين ستة أمتار وتسعة ، وقد يصل محيطها عنـــد القاعدة الى حوالى ثلاثين مترا .. وهذا يعنى اننا نقف امام مملكة ضخمة .. فلو أنها قورنت بحجم النملة التى شيدتهـــا ، لظهر لنـــا ان اهـــرام الجيزة ، او ناطحات السحاب ليست الا بنايات متواضعة بالنسبة لهـــذه البنايات الحشرية .. فطول البنـــاية هنا اكبر من طول النملة التى شيدتها باكثر من ٦٠٠ مرة ، ولو اننا قارنا منشآتنا بالنسبة لاطوالنـــا ، ثم قارنا ذلك بمنشآت النمل ، فلابد ان تكون بناياتنا اضخم من هرم الجيزة الاكبر بأربع او خمس مرات ، أو ان يصل ارتفاعها الى نصف ميل ويزيد ، ثم لابد ان يكون فى داخلهـــا متسع لسكنى الملايين !



قائمة الاسرار الغريبة ..

وقد يعن للبعض ان يتساءل : كيف يتأتى لنا أن نطلق على هذه البناية اسم « مدينة » أو « مملكة » ، والمدن والممالك لها مرافق تخدمها ، وبشر ذووتخصصات شتى ، وموارد للتموين، وسبل للمواصلات ، الى آخر هذه المرافق التى نعرفها فى حياة المدن والدول ؟!

لكن ما يدريكم أيضا ان هذه المملكة الحشرية لها موارد للتموين ، ومخازن للطعام ، وقوةدفاعية تستميت فى الذود عن أوطانها ، وعمال ذوو تخصصات متباينة ، ودور للحضانة ، وحدائق ومزارع شيدت فى داخلها ،



وبالاختصار ، فنحن نقف أمام مدينة متكاملة يحيا فيها اللابين حياة رغدة هانئة !!

كل هذا قد يهون اذا ما تعرضنا للفن المعمارى ، والهندسة المدنية ، والعلم والتكنولوجيا .. ثم التصميمات الرائعة التى اتخذتها هذه الممالك كوسيلة لتشيد بها تلك المدن الهائلة التى قد تستمر قرونا طويلة ، فلا تكاد تنهار ولا تبلى ، والفضل فى ذلك يرجع الى كفاية السكان فى صيانة مدنهم ومرافقها ، لتصبح اكثر نظاما من مدن البشر .. ولهذا يقف العلماء امامها متأملين باحثين منقبين ، وكأنما لسان حالهم يقول « وتلك أمم أمثالنا » !

لكن .. كيف يعيش سكان هذه الممالك فى تلك المدن المغلقة دون أن يختنقوا ؟.. كيف دبروا أمورهم ، وبأى وسيلة كان التنفيذ ؟.

وجاءت الاجابة كصفعة للانسان الذى قد يقتله غروره .. صحيح أن النمل الابيض لا يستطيع أن يصنع مراوح للتهوية ، ولا أجهزة تكييف كالتى نعرفها حديثا ، ولكنه قدم لنا افكارا رائعة دفعت العلماء دفعا الى البحث العميق عن الوسائل التى صمم بها مدنه المغلقة ، وكأنما هى كواكب صغيرة لها جو خاص يختلف عن جو كوكبنا الكبير ، ورغم هذه العزلة ، فالقوم يعيشون فى جنات تناسب حياتهم !

ان أول حقيقة أساسية أن ساكنى هذه المدن لا يستطيعون الحياة فى الظروف الجوية المتقلبة ، وقد تهلك مملكة باكملها فى غضون اثنتى عشرة

ساعة انهى تعرضتلجو جاف ، ولهذا فقد اغلقوا « الابواب » ، وعاشوا فى داخلها ، واستنبطوا وسائل خاصة ليحتفظوا بنسبة ثابتة من الرطوبة تناسب حياتهم ، وهـذا ما اثار فكر العلماء ، ودفعهم « للتجسس » على هذه المدن باجهزتهم الدقيقة ، ولقد استمرت عمليات التسجيل والقياس شهورا وسنين طويلة ، وخرجوا من كل هـذا بحقيقة غريبة ·· فدرجة الرطوبة فى المملكة تبقى ثابتة ما بين ٩٨ ـ ٩٩٪ ، ولا تنخفض ابدا لاقل من ٩٧٪ ، حتى ولو كان الجو خـارج المملكة غاية فى الجفاف ··· ولابد أن يكون من وراء هـذا الامر تصميم معمارى ، وفكرة علمية لهـا أساس وأصول !

ويتكشف السر ، اول سر فى قائمة من أسرار غريبة متلاحقة ·

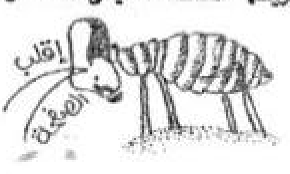
فلقد اماط لنـا العالمان الطبيعيان « بيير جراس » و « شارل نوارو » اللثام عن حقيقة فذة ·· اذ وجـدوا ان النمل الابيض الذى يقيم مدنه فى الصحارى الجافة ، يقوم بحفر خنادق وانابيب فى جوف الصحراء ـ قـد يصل عمقهـا الى اكثر من اربعين مترا ـ حتى يصل الى مستوى الماء الجوفى ، ومنـه تتبخر الرطوبة ، وتنتشر فى الانابيب حتى تصل الى جو المستعمرة عن طريق مسالك متعددة ، وتشع فيها رطوبتهـا ·· ليس ذلك فحسب ، ولكن جهاز التكييف له ايضا نصيب محمود فى بقاء نسبة الرطوبة ثابتة ، وهذا ما سنقدمه بعد حين ·

ثم يتكشف سر جديد ·· سر التهوية للملايين !

ان هذه المملكة الضخمة تحتاج الى الاوكسيجين كما يحتـاجه الانسان والنبات والحيوان لكى يتنفس ويعيش ، وكذلك يتنفس النمل الابيض ، ويتخلص من ثانى اوكسيد الكربون ، ولو تجمع هذا الغاز فى داخل المملكة لاختنقت وهلكت ·· ولقد قدر العلماء ان مملكة واحدة يسكنها مليونا نملة ، تستهلك من الهواء يوميـا ما يزيد عـلى ١٠٢٠٠٠ر٠٠٠ سنتيمتر مكعب ، او ما يقرب من ربع مليون سنتيمتر مكعب من الاوكسيجين النقى ·

لكن الـذى حير العلمـاء واثار فضولهم ان هـذه الحشرات تحيط ممالكها باسوار سميكة ومنيعة ، وقد يصل سمكها فى بعض الاماكن الى متر او يزيد ، ولهذا فمن الصعب تحطيمها بالوسائل التقليدية التى نستخدمها فى هدم بناياتنا الآيلة للسقوط ، لان مواد البناء الداخلة فى تشييد هذه الممالك قد اختيرت بحكمة ، لتصبح صـلبة متينـة ، ولا يستطيع الانسـان ان يهدمها الا بالديناميت !

كان بناة هذه المدن قد درسوا شيئا عن طبيعة مواد البناء كما يدرس ذلك طلبة الهندسة مثلا ـ مع الفارق ـ كما ان هذه الكائنات قد عرفت شيئا عن مبادىء الجيولوجيا او علم طبقـات الارض ، لانهـا تقوم بحفر انفـاق ارضية بحثـا عن طبقة خاصة من الطين ، فاذا ما وصلت اليها ، عرفتها بطريقتها الخاصة ، فياتى « العمال »



او الشغالة ليحملوا هذه الخامات من مناطقها ، والى اعلى يتوجهون ، ثم يخلطونها بلعابهم وبمواد نباتية وبالية اختيرت بكفاءة ، ويصبونها على هيئة قوالب صغيرة تناسب عالمهم ، ويبنونها طوبة من فوق طوبة في شكل هندسي يتوارثه الابناء عن الآباء والاجداد ، حتى اذا ما جف البناء ، اصبح في متانة المسلح !

لكن العلمـــاء توصلوا الى حقيقة جديدة ، وكانما هم يحدثون انفسهم ويقولون : « يبدو اننا لسنا وحدنا في هذا الكون ، ولا نستطيع ان نفخر باننا النوع الوحيـد بين المخلوقات

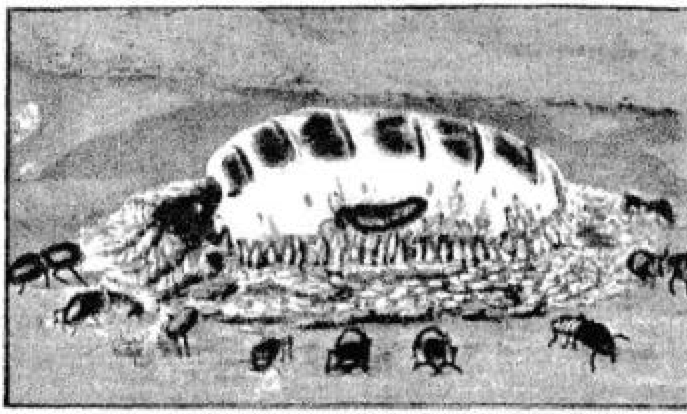


الذى عرف اهمية ارساء اساس المبانى .. فلقد سبقنا النمل فى هذا المضمار بعشرات الملايين من السنين ، وأرسى قواعد ممالكه فى جوف الارض على عمق متر او مترين ، وجعلها كاعمدة المسلح التى ترتكز عليها بناياتنـــا الضخمة ، فلا غرو - اذن - أن تبقى هذه الممالك صالحة للسكنى مئــات السنوات ، وكانها بهذا قد صممت ضد عوامل التعرية والتمـــدد والامطار والزلازل .. الخ !

نفس الفـــكرة التى ندرسها فى الجامعات ..

لكن اعظم الاسرار هـدنا ليس فى هندسة البنـــاء ، أو فى التخطيط الداخلى لمرافق « المملكة » حيث تتواجد الصالات والحجرات والطرق والدهاليز والطوابق والمزارع .. الخ - ولـكن فى الطريقة التى تتم بها تهوية هـذه « المملكة » الضخمة ، رغم أن أسوارها سميكة ، وليس فيها منفذ واحد يمـكن أن تتم عن طريقه عمليات التهوية .. ودعك الآن من فكرة التكييف ، فهذه تكنولوجيا خاصة !

لقد لاحظ العلماء أن أسوار هـذه الممالك تتميز بوجود بروزات خارجية تستطيع أن تراها لو أنك تمعنت فى بعض الصور المنشورة هنا ، ولقد ظن الدارسون أن هذه البروزات ربمـــا تكون قد شيدت لتكتسب بها « المملكة » متانة وصلابة ، ثم عرف العلماء أن افكارهم احيانا ما تكون ساذجة عندما قاموا بشق « المملكة » وتشريحهـــا ليعرفوا السر الذى مازال مطويا .. وحبسوا انفاسهم ، فهـذه البروزات



الغرفة الملكية حيث ترقد الملكة الضخمة وحولها الخدم والحرس والشغالة التي تنقل البويضات وتوصلها الى دور الحضانة ...

ليست الا بمثابة « رئة » الملكة التي تتبادل عن طريقها الغازات !

لكن ليست العظمة الحقيقية في وجود هذه البروزات ، بل في الطريقة العلمية الهندسية التي جاء على اساسها التخطيط والتنفيذ ، لتخرج الى الوجود كقطعة فنية بارعة ، تناسب تماما الغرض الذي انشئت من اجله ، وباقل التكاليف .. ففي كل بروز تتواجد ست أنابيب ضيقة تمتد من اعلى المستعمرة الى اسفلها ، ولكنها تتفرع ايضا تفرعات جانبية اصغر ، كما تتفرع القصيبات الهوائية داخل رئاتنا .. ورغم ان هذه رئة حية ، وتلك ميتة ، الا أن كلتيهما تشتغل بنفس الفكرة مع اختلاف التصميم بين حياة وجماد .. اذ لا يفصل انابيب التهوية عن الجو الخارجي الا طبقات رقيقة من البناء لشيء عرفه النمل قبل أن يعرفه الانسان .. فمن خلال هذه الطبقات تحدث صفقة تجارية رابحة تسير على مبدأ التبادل الغازى ، فيهرب ثاني اوكسيد الكربون الى الخارج ، ويحل محله الاوكسيجين الذى ينفذ الى الداخل ، وهي نفس فكرة النفاذية من خلال الاغشية التي تدرسها في الجامعات !

لكننا نستنشق الهواء ونزفره من خلال صعود وهبوط في قفصنا الصدرى ، ولو توقف ، لتوقفت الحياة .. الا أننا لا نستطيع أن نقول أن هذه البروزات الجامدة تعلو وتهبط لكى يتحرك الهواء فيها وتتبادل غازاته كما يحدث في رئاتنا ، ولكن الفكرة الحشرية قامت على أساس حركة تيارات هوائية بطيئة ليكون لها في الملكة دورات ورحلات ، فترتفع من جوف « الملكة » الى أعلى مارة بكل



الحجرات والردهات والممرات حاملة معها غاز ثانى اوكسيد الكربون ، ثم تمر من أعلى الى أسفل خلال انابيب التهوية ، ليحدث التبادل بين الجو الخارجى والداخلى ، فينفذ الاوكسيجين الى الداخل ، ويهرب ثانى أوكسيد الكربون الى الخارج ، ويعود الهواء بما حمل الى الداخل ، وهكذا تستمر الدورات ..

لكن .. ما هو السر الكامن وراء هذه الدورات ؟.. وما الذى يحركه التيارات لتدور كما يدور الهواء فى غلافنا الجوى ؟



ان لذلك تصميما آخر فى جهاز التكييف ، وقبل أن نعرض عليكم فكرته وطريقة تشغيله ، دعونا أولا نعيش مع هذا اللغز الكبير الذى حير العلماء ، وجعلهم يمسكون بورق وأقلام ، ثم يقدرون بالحسابات ، ويخطون بالمعادلات أسرار هندسة التصميم والبناء التى أقامها «مهندسو» النمل ، دون أن يعرفوا شيئا عن منطق الرسومات والارقام !

لقد وجد العلماء أن نسبة غاز الاوكسيجين تزيد بمقدار ١٠٪ فى كل مرة يدور فيها الهواء خلال أنابيب التهوية دورة واحدة .. وبعملية حسابية تدخل فى أصولها معايير الهندسة الفراغية ، يتبين أن الهواء لابد أن يدور فى اليوم الواحد عشر دورات كاملة ، وبسرعة لا تزيد عن مليمترين فى الثانية الواحدة ، أو بمعدل ١٢ سنتيمترا فى الدقيقة ، ولكن الحسابات على الورق شىء ، والواقع فى داخل « المملكة » شىء آخر مختلف .. اذ تبين بالقياسات أن سرعة سريان الهواء فى الحجرات والردهات لايزيد عن تسعة مليمترات فى الدقيقة الواحدة ، أى أقل من قياسات العلماء بثلاث عشرة مرة !

ترى .. من الذى أخطأ ؟.. قياسات العلماء أم تقدير الحشرات ؟!

الواقع أن النمل لم يخطىء .. ولو أخطأ ، فلا يمكن أن تستمر مجتمعاته بالاخطاء كل هذه الملايين من السنين — ودعنا من أخطاء البشر وما يدعون !

لقد تاهت عن العلماء حقيقة علمية تنبه النمل اليها ، ولم يتنبه لها أصحاب العقول .. فالسر كله يكمن فى الطريقة الهندسية المعمارية التى شيدت على أساسها الفراغات الداخلية فى المملكة الحشرية .. لمبادىء

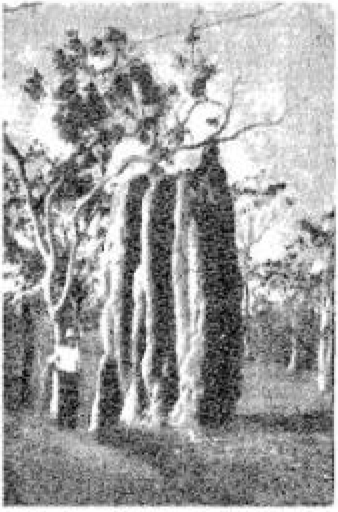
الهندسة الفراغية تشير الى أن سرعة مرور تيارات الهواء فيأنابيب التهوية أكبر من سرعتها فى جوف « الملكة » بثلاث عشرة مرة ، ولابد أن توضع « مقاييس الرسم » التى ستبنى المدينة على أساسها متضمنة لهذه المعايير الهندسية ، حتى لا تهلك « الملكة » !

لكن ٠٠ ماذا يعنى هذا يرب السماء ؟

يعنى أن مصممى مملكتنا الحشرية قد وضعوا فى الاعتبار مقاييس الرطوبة ودرجات الحرارة وكفاءة جهاز التكييف ، ليحفظ أمور التوازن الجوى فى المدينة بنسب لا خلل فيها ولا فوضى ٠

فلو أن مرور تيارات الهواء خلال أنابيب التهوية كان بطيئا ـ كما قدر العلماء وبحساباتهم على الورق ـ فان ذلك سيؤدى الى تسرب جزء من الرطوبة الى الخارج ٠٠ وكلما كان الجو الخارجى جافا ، كان تسرب الرطوبة أكبر ، وهذا سيؤدى الىجفاف نسبى فى « الملكة » ، مما قد يترتب عليه هبوط فى نشاط مواطنيها ، أو ربما يحل بهم الهلاك ٠٠ ولهذا فقد اتخذ النمل كل الحذر والحيطة ، حتى يمر الهواء فى أنابيب التهوية بسرعة مناسبة ، دون أن يفقد الكثير من رطوبته ، ولن يتأتى ذلك الا بحسابات فى الهندسة الفراغية !





فى الخلاء بعيدا عن مدن البشر ، وفى غابات افريقيا واحراشها توجد مثل هذه المستعمرة التى بناها النمل الأبيض



هل تصدق ان هذا البناء الكبير الذى ترى فى قمته رجلا يبدو فى الصورة كقزم ضئيل ، ليس الا مستعمرة من مستعمرات النمل ؟

فكرة حشرية بديعة

هذه واحدة ..

والثانية تتركز فى درجة الحرارة.. فلكى تكون « الملكة » فى أوج نشاطها، فلابد أن تحتفظ فى داخلها بحرارة مناسبة ، فلو أنها انخفضت عن معدلها الثابت بثلاث درجات أو أربع ، فان نشاطها سيقل أو يتوقف ، ولابد أن يدبر أهل المدينة حلا مناسبا لمثل هذا المأزق الخطير ، خصوصا وأن درجة الحرارة خارج « الملكة » تتأرجح دائما بين هبوط وصعود على مدار الفصول ، أو تعاقب الليل والنهار ، ولا شك أن هذا الاختلاف ـ خصوصا اذا كان كبيرا ـ سيؤثر على السكان .. ولقد توصل « مهندسو » التكييف الحشرى الى فكرة ما كانت لتطرأ لانسان على بال !

فى احدى التجارب سجل العلماء درجة حرارة الهواء فى داخل أنابيب التهوية ، فوجدوها ٢٤ر٤ درجة مئوية .. ولكن السكان توافق أمزجتهم درجة حرارة تتراوح ما بين ٢٩ـ٣٠ درجة .. وعندما قاموا بقياس الحرارة فى جوف المستعمرة ، وجدوها بالفعل ٢٩ر٧ درجة .. فكيف ارتفعت الحرارة بمقدار ٥ر٣ درجة ؟. وبأى وسيلة قد اكتسب الهواء الداخل كل هذا الدفء المعتبر ؟

ان الفضل فى ذلك يرجع الى جهاز تكييف الهواء الذى شيدوه فى أسفل « الملكة » على هيئة عدد كبير من الغرف .. ولكن هذا الجهاز لا يشتغل بالطاقة الكهربائية ، ولا يشتعل بالوقود ، فهذا ما لا يمكن أن يكون ، فالنمل لا يعرف عن هذا وذاك شيئا .. ومع ذلك ففكرة التشغيل أعمق من ذلك بكثير ، فهذه الغرف بمثابة مخازن للمواد الخام من بقايا النباتات التى يجمعها الشغالة من البيئة المحيطة عن طريق سراديب أرضية خاصة تنتشر حول « الملكة » لمسافات بعيدة، وهى أيضا بمثابة « مقالب » للقمامة التى « يكنسها » السكان من مرافق الملكة ، وهى كذلك بمثابة القبور التى تحمل اليها موتاها لدفنها فيها ، ثم هى بمثابة « دورات المياه » لتلقى فيها نفاياتها .. وكل هذه الخلطة العجيبة تكوم فى الغرف بطريقة بديعة ، ثم يبللونها بالماء الذى يحصلون عليه من الأنابيب المائية التى شقوها فى باطن الأرض لمسافات بعيدة .. ولم



يتبق بعد ذلك الا زراعة هذه الغرف بما حوت من مواد عضوية غنية ، لتصبح على هيئة مزارع وبساتين قطوفها دانية !

وقد يتساءل البعض بدهشة : ما هذا الخلط الذى ليس له معنى ؟ .. هل نتكلم الان عن أجهزة تكييف حشرية ، أو عن حقول ومزارع وبساتين ؟

ليس فى الامر خلط ، فلقد ضرب النمل عصفورين بحجر واحد ، لان هذه الغرف تشتغل كأجهزة تكييف ، وفى نفس الوقت كمزارع لانتاج المحاصيل ! فكرة حشرية بديعة !

فعلى هذه « الخلطة » يقوم النمل

نموذج حقيقي من مستعمرات النمل الابيض، ذات رفوف لتنحدر عليها مياه الامطار .



بزراعة نوع خاص من الفطريات (العفن) توارثوا بذوره أو جراثيمه جيلا بعد جيل منذ عشرات الملايين من السنين .. وعندما تنمو هذه الكائنات الدقيقة على هذه (الخلطة)

الغنية ، فانها تؤدى الى عمليات تخميرية ، وفيها تتحول الطاقة الكيميائية الى طاقة حرارية ، وفى غرف التكييف تنطلق ، وعلى هذه الغرف تمر مسالك الهواء البارد المحمول من

انابيب التهوية ، وتزوده بالحرارة ، ومنها ينطلق الى جوف « المملكة » عن طريق سراديب أخرى ، فتحدث التدفئة. وتشتغل التيارات الهوائية وتندفع من

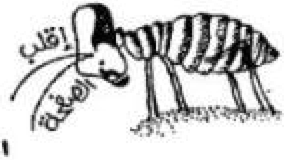
أسفل الى أعلى بسرعة ثابتة ، متمشية بذلك مع الظواهر الطبيعية التى نراها

فى غلاف كوكبنا ، حيث يرتفع الهواء الساخن ، ويهبط البارد ... وكذلك ترتفع التيارات فى جو هذا الكوكب

الصغير ، نعنى فى جو تلك « المملكة » الحشرية ، حتى لا يجد الهواء له منفذا الا بالاندفاع الى انابيب التهوية ،

ليهبط من أعلى الى أسفل ، ويمر بغرف التكييف ، ويكتسب حرارة ، ويندفع الى أعلى .. وهكذا تسير تلك الدورة ومن ورائها فكرة تكنولوجية حشرية قد تسخرون منها وتضحكون ، أو قد تتعجبون !

ومما لا شك فيه ان غرف التكييف لابد وان تتناسب مع حجم « المملكة » ، فكلما ازدادت رقعتها العمرانية ، وتضاعف سكانها ، كان لابد من زيادة كفاءة اجهزة التكييف عن طريق انشاء



غرف اخرى ، وامدادها بالخــامات اللازمة ، للتحول الى مزارع جديدة ، فتتخمر وتنضج ، ويذهب اليها السكان

لجنى محاصيلها الغنية بالسـكريات والبروتينات والدهون والفيتامينات ·· الخ ، ذلك ان تلك (الخلطة) المتخمرة قد اصبحت بمثــابة غذاء متكامل

العناصر ، يجـد فيه السكان خبزهم وادامهم ، كما يجدون فى النمو الفطرى الذى يتفرع بغزارة هنا وهناك فاكهة فيها لذة للآكلين !

وكلما نضب معين غرفة او رقعـة زراعية ، امدوها من جديد بالخامات ، وزرعوها بالفطريات ، ولهذا فالقـوم

دائما فى شغل شاغل ، مزارع تجنى ، واخرى تزرع ·· وكلما زاد السكان ، زادت الرقعـــة الزراعية ، وتوفرت موارد التموين ، فلا ازمات ولا بطاقات ولا سوء تغذية ولا بؤس ولا فقر كالذى يعيش فيـــه أصحاب العقول ، ثم يسعدون بعقولهم أو بها يشقون !

كل ذلك ولا شك راجع الى التخطيط العمرانى الحشرى الذى يسير جنبـا الى جنب مع زيادة السكان ·· فكان هذه الحشرات تعيش فى جنات ، وكان مدينتها هى « المدينة الفاضلة » التى كان يقصدها افلاطون منذ زمان طويل نعم ·· ان الخطط والتخطيط أساس لا يستغنى عنه النمل فى حياته ·· حقيقة عرفتها الحشرات ، ولم يعرفها بعض ذوى العقول !

التكنولوجيا العشرية تحقق اهـــدافها ··

بقيت مشكلة أخيرة .أمام هـــذه الممالك ، هى مشكلة الامطار !

لكنها لا تحمل لذلك هما ، فلقـــد توصل النمل الابيض الى حل يرضيه ويرضينا ·· فغالبا ما يقيم ممـالكه تحت ساتر من فروع الاشجار الكثيفة، فيصبح فى ظل ظليل يحميه من أشعة الشمس فى المناطق الاستوائية الحارة، وفى نفس الوقت يجد تحتها الحمـاية من هطول الامطار ··

لكن ·· ماذا لو أمطرت السـماء لفترات طويلة ، وحدث ما ليس منه بد ، وتبللت « الملكة » ؟

الواقع أن التصميم الهندسى الـذى جاءت به البروزات المسـترلة عن التهوية يجعلهـــا آخر ما يتبلل من « الملكة » ، وحتى اذا حدث البلل ، كان لها منه اقل نصيب ·· فاذا جاءها المطر من ناحية ، اشتغلت النـاحية الاخرى ، واذا ما توقف بعد فترة ،



كانت البروزات أول أجزاء تجف من « الملكة » .. ولكن قد يستمر هطول الامطار بغزارة لساعات طويلة ، ولا شك أن « الملكة » ستتبلل عن آخرها ولا يستطيع النمل رد القضاء ، كما لا يستطيع ذلك الانسان .. عندئذ سيتضاءل تبادل الغازات ، وتفسد التهوية ، ويحس كل فرد في « الملكة » بما حدث ، وكأنما هو « ترمومتر » حي ، ولهذا يشعر – بطريقة لا تدريها – أن نسبة الاوكسيجين قد تناقصت ، وأن غاز ثاني أوكسيد الكربون قد زاد عن الحدود .. فتسرع فرق الانقاذ الى أنابيب التهوية ، فتزيل منها طبقات ، أو تشق فيها ثقوبا دقيقة لتكون على اتصال مباشر بالجو الخارجي .. وهذا أخف الضررين ..

وعندما يتوقف هطول الامطار ، وتجف « الملكة » ، يبدأ « خبراء » التكييف أو عمال الصيانة في سد الثقوب ، أو ترميم الانابيب بطبقات جديدة ، لتعوض لها ما أزيل منها ، وتعود بذلك الى سابق وضعها ، لتتلاءم مع الحسابات التعادلية التي تسير بمقدار !

بقي أن تعرف أن هذا النوع من النمل الابيض يعرف علميا باسم « ماكروتيرمس » ، الا أن هناك نوعا آخر اسمه « كيوبيتيرس » ، وله مع هطول الامطار فكرة أخرى تستحق الدراسة والتسجيل .

فهذا النوع يقيم ممالكه على هيئة طوابق من فوق طوابق – تماما كما يفعل أبناء عمومته من جنس « ماكروتيرمس » – الا انه قد أضاف الى ممالكه فكرة المظلة الواقية من الامطار .. فعند كل طابق مظلة مائلة ، سرعان ما ينحسر عنها الماء ويتساقط بعيدا عن الاسوار ..

وعلى أساس هذه الفكرة الحشرية ظهرت – بعد ملايين السنين – نفس الفكرة البشرية ، فبنيت سقوف المنازل في البلاد المطيرة مائلة حتى لا تتجمع فوقها الامطار ... وأحيانا ما تغرق مدن الانسان أو قراه عندما تتجمع السيول في الوديان التي أقام فيها مساكنه ، لكن هذه الحشرة تعرف كيف وأين تقيم ممالكها ، وكأنما هي تقدر لرجلها قبل الخطو موضعها .. انها – في الواقع – تحتاط للامر ، فتقيمها على سفوح الجبال أو في المنحدرات ، ولهذا لا تغرق ممالكها أبدا ، ولتحيا الممالك .. ممالك الحشرات ، ولا شأن لنا بممالك البشر !

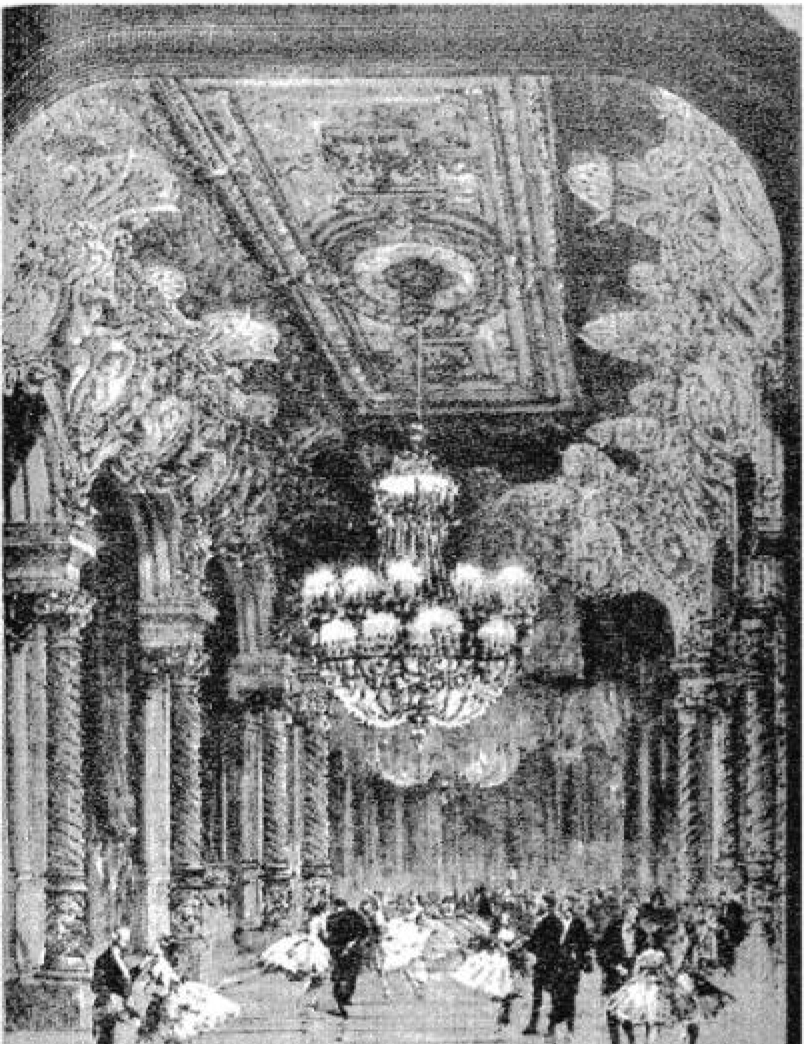
ولابد أن يقفز الآن تساؤل : كيف عرفت هذه الحشرات كل تلك الامور ؟ وأين تعلمت هذه المبادىء ؟.

البعض يقول انها غريزة .. لكن الغريزة لفظ بديل لجهلنا بما هو كائن .. وما كان .. وما سيكون !

وأخيرا .. فقد يصيب البعض غرور ، فيقول بحذلقة : لكن هذه التكنولوجيا الحشرية جد بدائية ... ونقول : لكنها فعالة ، وتقود الى الغرض ، وتخدم الهدف ، ثم انها لا تتعطل ولا تفسد ، كما انها لا تحتاج الى قطع غيار ، ولا الى ورش صيانة ، ولا عملة صعبة ... الخ !

وتكنولوجيا في عالم الحشرات ، خير من عشرة في أفواه الناس ، فما أكثر ما يرددون ، وما أقل ما يفعلون ، وما أعظم غرور البشر ، والغرور قتال لو كنتم تعلمون !

« جفت الاقلام ..
وطويت الصحف » !



٩٤ ردهة الرقص في دار اوبرا باريس

عبد الرحمن صدقي

لولا الحريق ما كانت عروس الأوبرات: "أوبرا باريس"

ذهبت الكثرة من المؤرخين للاداب والفنون ، الى ان الفضل فى ادخال فن الاوبرا الى فرنسا ، يرجع الى كبير وزرائها فى اوائل عهد الملك الصبى « لويس الرابع عشر » اثناء ولاية امه بالاشتراك مع كبير الوزراء ، وهو الكاردينال « مازاران » المولود فى صقلية من اصل ايطالى ، وكان رجلا وافى الذكاء ، واسع الدهاء ، خبيرا بالحرب عالما بالقانون ، شديد الشغف بجمع الكتب ، له ميل للادب ، وذوق فى مختلف الفنون.

وفى اول عهده استقدم الى باريس سنة ١٦٤٥ فرقة ايطالية من فرق المغنين الايطاليين ، لتقديم ذلك الفن المستحدث العظيم : فن الاوبرا .

وفى هذا ما يستلفت نظرنا خاصة ، فان الفرنسيين كانوا ـ مثلنا ـ متاخرين عن ايطاليا فى معرفة فن الاوبرا ، ومن ثمة حرصوا على احياء مواسم لفرق الاوبرا الايطالية فى بلادهم . والامل معقود ان يتحقق لنا ما تحقق لهم ، من قيام فرقة قومية للاوبرا عندنا ، تحيي مواسمها فى القريب فى دار الاوبرا المصرية الجديدة .

« أوبرا باريس »

مواســـم الاوبرا الايطالية فى فرنسا

اختارت الفرقة الغنائية الايطالية التى قدمت باريس سنة ١٦٤٥ للعرض أمام ملك فرنسا الذى كان فى السابعة من عمره ، أوبرا يناسب موضوعها سن الملك الصــغير ، وهى للموسيقار الايطالى « جوليو ستروتسى Giulio Strozzi » واسمها « آخيل فى جزيرة سكيروس «Achille in Sciro» وذلك انهـا تدور حول ما يحكى عن بطل من أبطـال اليونان الاقدمين «آخيل» وموضوعه ، اذ تنبأ الكاهن العراف أنه سوف يهلك فى حرب اليونان مع طروادة ، فجزعت الام وأرادت تفادى الفجيعة ، فألبست ولدها الصبى زى الصبايا ، وأطلقت عليــه اسما من أسمائهن ، وأرسلته على هذه الحال

بعيدا عن موطنه ، الى بلاط الاميــر الحاكم على جزيرة « سكيروس » من جزائر الارخبيل اليونانى ، ليعيش مع الصبايا هناك على أنه صبية ، ثم تتمة لهذه المقدمة ، تعرض الاوبرا ما لابد من حدوثه من جراء هــذا التزييف الخطير لحقيقة الصبى من حيث الجنس ، وما يستتبعه ذلك لا محالة من المواقف المعقدة الفكهة ، والارتباكات المضحكة .

وقد قدمت هذه الاوبرا بعد ذلك فى عرض عام ، على مسرح أستدعى من ايطاليا لبنـائه المهندس المعمـارى الميـــكانيكى « جاكومو توريللى » « Giacomo Torelli » وهو مسرح قصر « بوربون الصغير «le Petit-Bourbon» الملاصق لقصــر اللوفر الشــهير ، فلاقت الاوبرا من النجاح الشامل العظيم ما جعلهـــا حديث الجميع فى باريس .

وكانت النتيجة المنطقية لهذا كله ، أن تكررت زيارة هؤلاء الفنانين أنفسهم الى فرنسا سنة ١٦٤٧ حيث قدموا أوبرا للموســيقار « لويجى روسى «Luigi Rossi» عن أســطورة الموسيقار العبقرى أورفيوس وزوجتـه واسمها بالايطالية «Orfeo e Euridice» فكانت أهم أوبرا من حيث الموسيقى والموضوع والاداء الفنى قدمت فى ذلك العهد ، فافتتن بها الفرنسيون أيمــا افتتان .

وفى سنة ١٦٥٠ جاءت فرقة ايطالية اختارت فى هذه المرة تراجيديا للشاعر « كورنى » أكبــر شــعراء المسرح الكلاســيكى الفرنسى ، وهى تمثيلية تعتمد على المناظر التى يستعان فيهــا بالآلات الميكانيكية المسرحية ، وقــد أدخلت الفرقة عنصر الموسيقى والغناء عليها . كما أسهم فى انجاحها بنصيب وافر اخراج المهندس المعمارى الميكانيكى السالف الذكر « توريللى » الذى بلغ من رضا الملك عنه أن استبقاه الى سنة ١٦٦٢ فى العاصمة الفرنسية .

وبعــد أن سجلت هــذه الاوبرات نجاحها المتكرر الرائع ، تطلع الشعراء والموسيقيون مــن الفرنسيين ، الى ممارسة هذا الفن المستحدث ، والعمل على تقديمه لابناء بلادهم بلغتهم .

اولى دور الاوبرا الفرنسية

مع هــذا الذى قدمه الفنــانون الموسيقيون من الطليــان من عروض الاوبرا الناجحة فى باريس ، تحركت

الغيرة عند الفرنسيين المشتغلين بالآداب والفنون ، فلم يكتفوا كالجمهور بالحماسة لفن الاوبرا ويقفوا عند هذا الحد ، بل صحت عزائم البعض على النزول الى الميدان ليأتوا بمثل ما أتى به هؤلاء الطليان ٠

فكان السابق الى ذلك ، شاعر من المشمولين برعاية كبير الوزراء الكاردينال « مازاران » ، ونعني به شاعر مدينة ليون الذى اشتهر باسم « الاب بيرين «l'abbe Perrin مع انه ليس من رجال الدين ، فكان هو اول من نظم الاوبرا الفرنسية مصبوبة فى القالب المنتظم الاصيل ٠ وكانت اولى اوبراته ، كوميديا عن الرعاة «Pastoral» من خمسة فصول ، وتولى وضع موسيقاها وتلحين اغانيها الموسيقار الفرنسى « كامبرت «Camberi» وقدمت هذه الاوبرا فى البلاط الملكى سنة ١٦٥٩ امام الملك لويس الرابع عشر ، وكانت الولاية قد زالت عنه واستقل بالحكم واصبح لقبه « الملك الشمس «le Roi Soleil

وقد شجع ذلك كلا من الشاعر والموسيقار على وضع أوبرات أخرى ٠ وكان هنالك فى الوقت نفسه « المركيز دى سوردياك «Marquis de Sourdeac. من النبلاء » وافر المال ، شديد الهوس بالفن المسرحى ، وقد نجح فى تحسين آلات المسرح الميكانيكية ، وثبت هذا النجاح من تجربة فى أحد العروض بقصره ، فانضم الثلاثة ، وسعوا فى حصول « الاب بيرين » على ترخيص ملكى بحق الاستئثار بانشاء اكاديمية للاوبرات باللغة الفرنسية ، فصدر له بتاريخ ٢٨ يونية سنة١٦٦٩ الترخيص المطلوب ، لا لباريس وحدها ، بل لفرنسا كلها ، وكذلك لمدة اثنتى عشرة سنة ، فاتخذ مسرحا فى ناحية شارع « جينجود Guene Gaud » من احياء باريس ، وقدم فيه اوبرا باسم « بومونى «Pomone » سنة ١٦٧١ ، وفى السنة التالية اوبرا أخرى باسم « عذاب الحب ونعيمه » ولكن الخلاف على المسائل المالية سرعان ما دب بين الشركاء فى الاكاديمية فانحل عقدها وتوقف عملها ٠

وكان هناك من استغل على الفور هذا الخلاف ، ولعله كانت له يد فى تفاقمه واستحكامه ، لفائدته الشخصية ، ولا سيما انه يعمل فى بلاط الملك مشرفا عاما على الموسيقى ومديرا للحفلات ، وهو « جوفانى لوللى » «Giovanni Lulli الذى بدأ حياته راقصا فى الاوبرات الاولى الايطالية ، وهو ايطالى من مواليد فلورنسا ، وان يكن قد اتخذ بعدها الجنسية الفرنسية

وسرعان ما حصل « لوللى » فى سهولة ويسر ، على ترخيص ملكى يخول له حق الاستئثار الذى كان « للاب بيرين » ، ثم باشر العمل ، فاشرك معه رئيس عمال الآلات الميكانيكية للحفلات الملكية ، فيجارانى «Vigarani الايطالى ايضا ، كما هو واضح من اسمه ، وقد كان الساعد الايمن فى تحويل الردهة الكبرى للعبة الكرة بالمضارب القائمة قريبا من قصر لكسمبورج والمسماة « بالنسيم العليل «Bel-Air» ، الى دار مهيأة مجهزة لتقديم الاوبرا ٠ وسميت الدار بناء على الترخيص الممنوح لمديرها « لوللى » باسم « الاكاديمية الملكية للموسيقى » ، وسمح « للسادة المحترمين الجنتلمن » بالغناء فى الاوبرات دون اعتبار ذلك حطا من مقامهم ، وكانت الاوبرا الاولى من موسيقى « لوللى » ، ومن نظم « كينولت Quinault » الشاعر المسرحى المشهور وعنوانها « اعياد

« أوبرا باريس »



دار اوبرا باريس من الخارج

ربة الحب واله الخمر
«Fêtes de l'Amour et de Bacchus»

واتفق بعد قليل ان توفي عام ١٦٧٣ سيد المسرح الفكاهي « موليير » الذي كان مسرحه منذ سنين في القصر المعروف باسم القصر الملكي ، فحصل « لوللي » على حق اتخاذ هذه الدار الكبيرة بعد الاعداد والتجهيز دارا للاوبرا وفي هذه الاكاديمية الملكية للموسيقى ، اثناء حياة « لوللي » وبعد وفاته (١٦٨٧) اي في عهدي لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر ، قدم مشاهير المؤلفين والموسيقيين الفرنسيين العديد من الاوبرات ، التي انشد ادوارها مشاهير الممثلين المغنين ، ـ والمجال لا يتسع لذكر هذا الفريق او ذاك ـ كذلك قدمت في هذا المسرح عروض الباليه التي رقص ادوارها الراقص العظيم « فستريس «Vestris» الملقب باله الرقص ، والراقصتان المعدودتان من اوائل الراقصات ، كما انهما اول من يرجع اليهما الفضل في تطوير فن الباليه على اثر تقصير « الفستان » والكشف قليلا عن « السيقان » ، وهما الآنسة « كامارجا «Camarga» » والآنسة « ساليه «Sallé» اللتان خلدهما في كتاباته « فولتير » اديب فرنسا الكبير ومن رواد ثورتها الكبرى .

كما بدأت على هذا المسرح الثورة الفرنسية الموسيقية على الموسيقى الايطالية حين قدم المغنون الطليان في أغسطس سنة ١٧٥٢ وقضوا في تقديم عروضهم عشرين شهرا ، فقد انقسمت باريس وقتذاك الى حزبين متناحرين كما لو كان الامر يتعلق بالسياسة او الدين . وقد جاء ذكر هذه المنافسة في « اعترافات » جان جاك روسو ، فوصف المتحازين الى الموسيقى الايطالية بانهم « من اهل الدراية وذوى المواهب والعباقرة وان كانوا قلة ـ وهو منهم ، اما « الكثرة ، فمنها اهل النفوذ والوجهاء والاغنياء والنساء ، وهم يناصرون الموسيقى الفرنسية » . ولعل هذا هو السر في نجاح أوبرا جان جاك روسو « عراف القرية » التي قدمت في المسرح نفسه في العام التالي .

وهكذا صارت الغلبة للموسيقى الفرنسية مع دخول بعض العناصر الجديدة من الموسيقى الاجنبية عليها لمساعدة الموسيقيين الفرنسيين على تطويرها بطريقتهم الخاصة .. كما هو الحال عندنا .

واحترقت اوبرا باريس الاولى

هذه الدار ، دار الاوبرا القائمة في القصر المعروف بالقصر الملكي



رجل المطافىء على المسرح اثناء التمثيل



اسرة فرنسية فى لباب السهرة بالاوبرا

Palais Royal منذ نحو قرن من الزمان تستقبل عشاق الاوبرات وعروض الباليه ...او بعبارة اخرى، هذه « الاكاديمية الملكية للموسيقى » وهو الاسم الذى يطلق حتى اليوم فى باريس على دار الاوبرا .

هذه الدار ظلت طوال السنين منذ سنة ١٦٧٣ ، وهى تواصل نشاطها فى تقديم حفلاتها الفنية الراقية التى كانت موضع التقدير والاعجاب من اهل الفكر والمشتغلين بالادب والفنون وغيرهم من المثقفين ، كما ظل يزداد الاقبال العظيم عليها من الطبقة الارستقراطية وافراد المجتمع الراقى من الجنسين ، الى أن كان اليوم السادس من شهر ابريل سنة ١٧٦٣ ، حيث روع الفرنسيون ، وعلى رأسهم الملك لويس الخامس عشر ، باندلاع الحريق فى تلك الدار التى عاشت بين ظهرانيهم نحو التسعين عاما ، قبل أن تدمرها النار وتأتى عليها هى وما فيها من ذخائر ذات قيمة فنية اثرية وتاريخية .

وقد كان المعتاد فى فرنسا فى تلك العهود الخوالى ، أن يعهد بحراسة المسارح الى فريق من الرهبان المتجولين الذين يعيشون على الاحسان ويعرف معظمهم باسم الكبوشيين Capucins ، ولايزال اسم هؤلاء الرهبان يطلق على الشارع الذى تقوم فيه دار الاوبرا الجديدة حتى اليوم .

وقد استمرت الحراسة فى أيدى هؤلاء حتى انشئت فرقة رجال مطافىء الحريق بخوذاتها النحاسية فى أوائل القرن الثامن عشر ! ولكن الرهبان استمروا مساعدة فرقة المطافىء فى تقديم خدماتهم فى حراسة المسارح .

وقد كان من جراء هذا الحريق لدار الاوبرا بالقصر الملكى ، أن سمحت السلطات لممثلى الاوبرا ، أن يعملوا على مسرح بقصر التويلرى «Tuileries» حيث امتدت اقامتهم فيه سبع سنوات، حتى أعيد بناء مسرحهم الذى اتى عليه الحريق فى موضعه الاصلى نفسه ، وتم افتتاحه سنة ١٧٧٠ حيث قدمت فيه اوبرات عديدة فرنسية واجنبية . وفى هذا المسرح ايضا استمر رد الفعل ضد الموسيقى الايطالية فى فرنسا ، حتى ظهر ذلك جليا فى مناصرة الفرنسيين الحماسية القوية فى المدة من ١٧٧٠ حتى ١٧٨٠ لاوبرات الموسيقار

« أوبرا باريس »

الالماني « جلوك «Gluck » لثورته على القواعد المرعية المصطلح عليها عند الطليان ، وخذلانهم اوبرات المؤلف الموسيقى الايطالي « بيتشيني «Piccinni » حين عرضت منذ سنة ١٧٧٦ ــ وهو فى قمة شهرته فى باريس بالمسرح الفرنسى نفسه ٠

وفى وسط الحيوية الموسيقية التى تجيش بها هذه الدار التى اعيد بنيانها بعد حريقها ، شاء القدر ــ ولم تمض عليها الا ثمانية اعوام ــ ان يشب فيها الحريق فى ٧ يونية ١٧٨١ فيدمرها ويأتى عليها مرة أخرى ٠

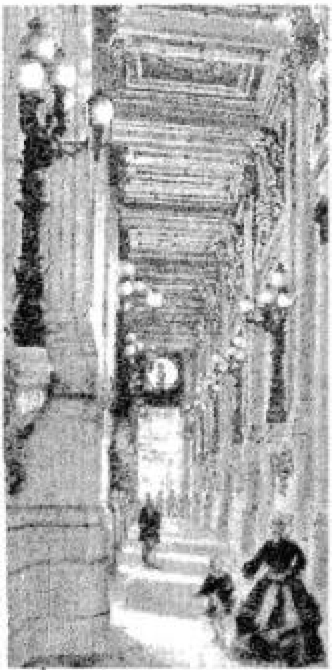
وهكذا ظلت فرق الاوبرا منذ ذلك الحين ، فرنسية كانت او اجنبية ، تنتقل من دار الى دار فى مختلف احياء باريس ، ومن بعدها فى دور أخرى تقام خصيصا للأوبرا دون ان ترتفع الى مستوى الدار الاولى ٠

عروس الاوبرات فى العالم

ان الاقدار التى قضت بأن تحترق دار الاوبرا الاولى بباريس مرتين آخرها سنة ١٧٨١ ، شاءت ــ بعد طول انتظار ــ تعويض الفرنسيين عنها بما هو خير منها اضعافا مضاعفة ، وهى دار الاوبرا التى افتتحت فى ١٧ يناير سنة ١٨٧٥ فى العهد الجمهورى بعد سقوط الامبراطور نابليون الثالث ، وهى فى وسط باريس لا تزال حتى يومنا ــ بين دور الاوبرا فى العالم حديثها وقديمها ــ عروس الاوبرات ٠

ومن عجائب الاتفاق ، ان شاءت الاقدار كذلك ، ان تكون هناك صلة تاريخية بين فكرة بناء اوبرا باريس فى سنة ١٨٦١ بايحاء الحورية الاسبانية « اوجينى » لزوجها الامبراطور نابليون الثالث ، وبين ما اتفق عليه بعد ثلاثمانية اعوام من بناء الاوبرا بالقاهرة سنة ١٨٦٩ فى عهد الخديو اسماعيل بما اوحاه اليه تشريفها احتفالات قناة السويس ٠

ولعل شعورى بهذه الصلة الحضارية



الأروقة الفخمة فى اوبرا باريس

بين فرنسا ومصر العصرية كان من بين دواعي ما كنت أشعر به من الحنين الى السفر الى العاصمة الفرنسية ، مدينة النور «Ville-Lumière» ، للاتصال مباشرة بما تزخر به من الفنون التي كنت ــ مع اهتمامي بالفن عامة ــ أخص ما هو فرنسي منهـا بإحساس أرهف ·

وقد اتفق لي في أواخر الاربعينات ــ وأنا أعمل وكيلا لدار الاوبرا ــ أن أوفدت في رحلة الى أوروبا تشمل ايطاليا وفرنسا وانجلترا ، ولكني سأقصر حديثي هنا على زيارتي لباريس أو بعبارة أدق زيارتي لدار الاوبرا الجديدة التي بدأ العمل في بنائها سنة ١٨٦١ ثم قامت ثورة الشعب على نابليون الثالث بعد هزيمته في حرب السبعين ، فأتمت الجمهورية اعدادها الى أن افتتحت في ١٧ يناير ١٨٧٥ ، أي بعد افتتاح دار الاوبرا المصرية بأكثر من خمس سنين ·

ولما كان من السادة القراء ، من يعرفون أوبرا باريس مثلي وربما خيرا مني ، فاني أوثر مرضاة للجميع ، أن أتحدث عن هذه الدار من خلال أول تجربة لي كما بقيت في ذاكرتي ·

في العاصمة الفرنسية ، كان نزولي مع زميلي مدير الاوبرا المصرية المحبوب من الجميع « سليمان نجيب » في فندق « جراند أوتيل » كعادته ، وقد سرني ذلك لانه مجاور لميدان الاوبرا · وكنا في غرفتين غير متجاورتين · وكان من حسن حظي أن كانت غرفتي تطل على واجهة الاوبرا ، وهو موقع لم يكن يحبه سليمان ، للجلبة من ازدحام الميدان بحركة مرور السيارات والحافلات العامة ، فضلا عن المارة الذين لا ينقطع لهم نزول وصعود في سلالم المحطة الرئيسية للقطار الكهربائي تحت الارض « مترو باريس » ، وكان طبيعيا الا أضيق بهذا ضيق صاحبي ، لانها أول زيارة لي للعاصمة الفرنسية وأول ليلة



تحت « تمثال الرقص » في واجهة أوبرا باريس ، صورة للأستاذ كاتب المقال

لي في الفندق ·

وقد كان أول شيء فعلته في الصباح بعد الفطور ، أن ذهبت الى حيث تقوم « أوبرا باريس » ، فطفت حولها ، فاذا هي واقعة بين شارعين كبيرين يعتبران في لغة القوم من شرايين باريس ، وهما شارع الكبوشيين الرهبان (وقد سبق ذكر صلتهم بالمسارح) وشارع البارون «هوسمان» الذي كان محافظ المنطقة ومن مآثره في عهد نابليون الثالث وزوجته أوجيني ــ أن أعاد تنسيق تخطيط باريس من جديد بما في ذلك تحديد موقع الاوبرا الجديدة · أما الشوارع الاربعة المحيطة بالدار ، فقد كان اختيار أسمائها من بين أسماء مؤلفي الاوبرات في ذلك العهد ، وهم المؤلفان المسرحيان « سكريب «Scribe» و « هاليفي «Halevy» » والمؤلفان

«أوبرا باريس»

الموسيقيان « أوبر «Auber» و « جلوك «Gluck» » وهذا الاخير ألماني ·

وبعد طوافي هذا ، استقبلت دار الاوبرا واقفا أتأمل واجهاتها الرئيسية المزدانة بالرخام الملون ، وهي قائمة على بوائك تزين دعائمها تماثيل ترمز للفنون الغنائية كالموسيقى ، والشعر الغنائي ، والدراما الغنائية ، وخاصة تلك المجموعة المرموز بها الى الرقص ، وهي التي اقامت وقتذاك القيامة عليها دون غيرها ، بما فيها من هذا الانطلاق الرشيق الوثاب من فرح وابتهاج بالتحرر ، ثم لم تلبث هذه المجموعة بعد سنوات أن أصبحت مالوقفةتستاثر الاعجاب بها ، والتوقف عندها لاخذ صورة أمامها كما يفعل عادة الزوار ، وانا منهم ·

وعند انصرافي ، رفعت نظري الى الافريز الاعلى للواجهة فقرأت اسم الدار ، الاكاديمية الاهلية للموسيقى » ·· ومعلوم أن الدار صممها المهندس « شارل جارنييه » بأمر الامبراطور نابليون الثالث ، واستمر العمل في بنائها الى آخر حكمه بعد هزيمته امام الالمان في حرب السبعين ، ومن يتابع تاريخ الدار يعلم انه في ٤ سبتمبر ١٨٧٠ قام بعض العمال الثائرين باحلال وصف الدار «بالاهلية» محل وصفها «بالامبراطورية»

وفي المساء ، طلبت من الموظف المختص بالفندق ، أن يشتري لي تذكرة لحضور ما تعرضه دار الاوبرا تلك الليلة أيا كان · فسألني ان كانت معي « حلة السهرة » فلما سألته عن السبب ، أجابني في أدب « لانه من غير الجائز في الاوبرا ، لغير لابس حلة السهرة ، الجلوس في مقاعد الاوركسترا » · فحمدت الله أن أتيحت لي هذه الحجة ، لكي اطلب مقعدا في الدرجة الادنى ثمنا ، وخاصة اني في الواقع كنت أشد ما أكون شوقا الى مشاهدة عظمة الدار نفسها في الداخل ، من كثرة ما قرأت عنها في الكتب ورأيت في الصور ·

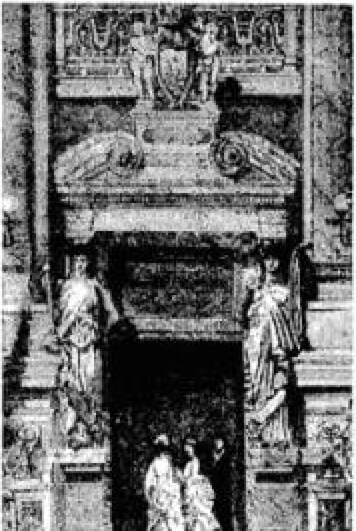
وحين دخلت في المساء دار الاوبرا من باب الواجهة وارتقيت عشر درجات الى الدهليز الاول حيث تقوم تماثيل جالسة للمدير الايطالي المولد لاولى دور الاوبرا في باريس وهو « لوللي » الشهير ، وللثلاثة من المؤلفين الموسيقيين : « رامو » وهو فرنسي و « جلوك » و « هندل » وهما المانيان ، ما كدت اجوز هذا الدهليز حتى وجدتني تجاه السلم الكبير العالي الشهير « سلم التشريف » وهو آية في الفخامة والابداع الزخرفي · ودرج هذا السلم من رخام أبيض ايطالي ، ويحفه « درابزون » من حجر العقيق ، قوائمه من رخام احمر اثري وقواعده من رخام احمر سويدي ، ويؤدي هذا السلم الكبير – قبل أن يتفرع – الى بسطة عريضة امامها باب ضخم ، على جانبيه نصب تمثل شخوصا نسائية ترتكز على رءوسها عارضة سقفه ، وهذا عدا ما بالدار من الاساطين الضخام من الرخام المجزع والسواري من البرونز محفور نيطت به حوامل المصابيح الكهربائية ويفضي هذا الباب الى الطابق الاول الذي به المقاصير المعروفة بالبناوير ، ومقاعد المنصة في المؤخرة والمقاعد الامامية ·· أما السلم الكبير فيتفرع في صعوده بعد ذلك يمينا

ويسارا ليؤدى الى الطابق الثانى ثم الثالث حيث المقاصير المعروفة بالالواج .. ويعلو الطوابق كلهـــا ما نسميه « اعلى التياترو » ويصعد اليه الجمهور من باب مستقل خلف الدار .

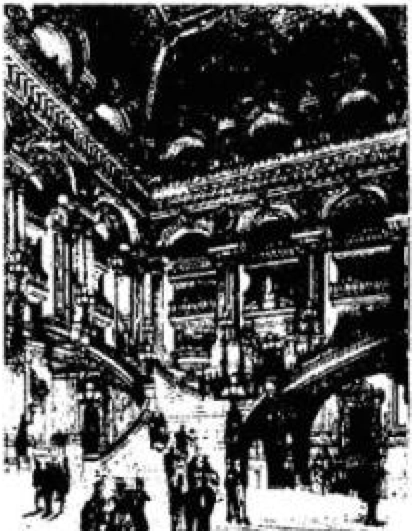
ومع كل الـــذى قلناه على قـــدر المستطاع فى وصف بعض ما لهـــذا السلم الكبير من ضخامة وفخامة ، فان هنالك فى اوبرا باريس ما هـــو اضخم وافخم من ذلك ، وهو « الردهة الكبرى » متنزه المتفرجين من الســـادة والسيدات فيما بين الفصول من فترات الراحة والاستجمام وتبلغ ابعادها طولا ٥٤ وعرضا ١٣ وارتفاعها ١٨ من الامتار .

والغالب عليها من الالوان لون الذهب القديم ، وكذلك الوان سوارى الاعمدة الضخام الشاهقة المحزوزة على الطول وقواعدها البارزة النقوش ، وتيجانها التى تعلوها بدائع التمـــاثيل ، ومن الجدران التى تكسوها الرسوم وانواع الحليات من الاغصـــان والزهور ثم السقف المقوس وتقسيماته الى هامات مختلفة الشـــكول تعمرها عجـــائب التصاوير والتهاويل وتتدلى من جانبيه اسماط من الثريات المنورة كالعنـــاقيد من اصفى البللور ، جعلت كل شىء حولى يسبح فى النـــور ، كانى فى الجنة ، وهذى الغانيات الحسان من الحور .

وقريب من هـــذا ، يمكن قوله عن صالة المتفرجين التى تتسع لنحو الفين ومائتين ، وقد زينت بزخارف ملونة باللونين الاحمر والذهبى ، وفى جوانبها ثمانية اعمدة ضخام مطرفة بالذهب تدعم القسم العـــالى ، ثم السقف



المدخل الى مقاعد المسرح فى الاوبرا



السلم الكبير المؤدى الى المقاصير

وتصاويره التي تمثل ساعات النهار والليل ، وما تحت قبته من الحلية الكبرى على شكل « آلة العود Lyre » وثمة المسرح بأبعاده ومع امكانياته الميكانيكية وعتاده المسرحي .

وكم كنت أود أن أتحدث أيضا عن « ردهة الباليه » لولا انى لم أره حتى أشهد فيه تلك التدريبات التي سمعت عن قسوتها ، لتأهيل الصبية المبتدئة التي يسمونها في اصطلاحهم « الفأرة » لتصير مستقبلا فيما يلي من الليالي « نجمة » .

نريد لدار الاوبرا الجديدة

ان حماستي لدار الاوبرا الباريسية - على فرض بقائها على ما كانت عليه في انطباعي الاول - لم تكن لتغير من محبتي لدار الاوبرا المصرية - فقد كانت أوبرا القاهرة رمز الفن الرفيع في بلدي ، وكانت متعة الحياة الفنية عندي . فلا غرو وقد طالت معها عشرتي ، أن احبها حبي لزوجتي على رغم عيوبها . والزوجة قد تموت ، وينقضي القليل أو العديد من السنين فنتزوج سواها ، ولكننا لا ننساها .

ومع ذلك ، فالتشبيه هنا مع الفارق، فان دار الاوبرا الجديدة التي سوف نبنيها ، ستكون بطبيعة الحال خيرا من القديمة ، شأن أوبرا باريس كما قدمنا في وصفها .

ولقد بلغت دار الاوبرا الجديدة في باريس من روعة الجمال والفخامة ، أن قال فيها بعض الكتاب الفرنسيين « على قدر ما تمثل دار الكوميدي فرانسيز مجد فرنسا وفخارها ، فكذلك تمثل دار الاوبرا زهو فرنسا وغرورها » .

ونحن - بحمد الله - لا نريد لدار الاوبرا الجديدة عندنا ، أن تكلفنا الملايين التي انفقت على دار الاوبرا الجديدة في باريس ، ولا أن تستغرق الاربع عشرة سنة التي استغرقها بناؤها واعدادها من سنة ١٨٦١ حتى سنة ١٨٧٥ .

بل ان دار الاوبرا الجديدة عندنا ، سوف تنبعث من رماد الحريق ، اضخم واروع واكمل مثل اوبرا باريس ، في ربع المدة او يزيد قليلا على ابعد تقدير . وستكون - على بعدها عن مظاهر الزهو والغرور - ممثلة من حيث الشكل والمضمون ، قمة النهضة التي حققناها حاضرا ، بعد التطلعات الثقافية والحضارية التي اعتزمنا تحقيقها مستقبلا ، وذلك بتوسيع رقعة المكان ، وتخفيض الاثمان لتحقيق تكافؤ الفرص للجميع . وكذلك الاهتمام بنوعية العروض وقيمتها للارتقاء بمستوى الجمهور فكريا وفنيا واخلاقيا . وبالجملة توفير الطابع القومي في عمارة دار الاوبرا الجديدة وزخرفها ، واحدث التحسينات في عتادها ومعداتها ، وفوق هذا وذاك ، توكيد الروح القومية مع النزعة الانسانية في كل ما يقدم على مسرحها .

● في الصمت والظلام ●

الجنين لا يولد في الاضواء الباهرة ، وانما في وعاء مظلم صامت .. والفنان لكي يستعد لجنين الفكرة ، يجب أن ينقطع لها في الصمت والظلام !

توفيق الحكيم

د. عبد الحي دياب

من القضايا النقدية التي كانت مثار خلاف بين النقاد ولا تزال، قضية الشعر الحر. فعلى الرغم من انحسار حركة الشعر الحر نوعا ما لدى دعاته في السنين الأخيرة، فإن بعض الشعراء الذين يعدون من دعائم شعر الشطرين قد ولوا وجوههم صوب الشعر الحر ينسجون على منواله.. ولهذا وذاك سأتناول هذه القضية تناولا موضوعيا قدر الطاقة لكي نقف على حقيقتها وظروف نشأتها..

الشعر الحر...



« الذين يتلقون حركة الشعر تلقيا شعوبيا هم الذين يحاربون عمود الشعر باسم التجديد والعصرية »

• نازك الملائكة •

الأستاذ العقاد: دفاع عن شكل القصيدة

بين أيدي الدارسين

ان نازك الملائكة ، وهي أول داعية الى هذا اللون من الشعر ، تقول في كتابها « قضايا الشعر المعاصر » ص ٢١ ، انها اكتشفته بطريق المصادفة ، وذلك في قصيدتها « الكوليرا » التي كتبتها ، معبرة عن أرجل الخيل التي تجر عربات الموتى من ضحايا الوباء في ريف مصر ، وقد ساقتها ضرورة التعبير — كما تقول — الى اكتشاف الشعر الحر في عام ١٩٤٧ .

وقد كانت هذه القصيدة باعثا لكثير من الشعراء ، فنهجوا نهجها في بناء القصيدة من حيث الشكل بحيث نرى بدر شاكر السياب ينشد قصيدته « هل كان حبا » متحللا فيها من القافية بالاضافة الى انها حرة الوزن ، وعلق عليها في حاشية الديوان بأنها من الشعر المختلف الأوزان والقوافي .

وانتشر الشعر الحر انتشارا سريعا وبطريقة مذهلة . وهنا توجست نازك الملائكة خيفة من هذا الانتشار المذهل على حد قولها ، فكتبت في يناير سنة ١٩٥٤ في مجلة « الآداب » البيروتية قائلة : « ان حركة الشعر الحر ستتقدم في السنين القادمة حتى تبلغ نهايتها المبتذلة ، فهي اليوم في اتساع سريع صاعق ، ولا أحد مسئول عن ان شعراء عارين المواهب ، ضحايا الثقافة سيكتبون شعرا غثا بهذه الاوزان الحرة » .

وقد حاولت نازك الملائكة تقييم الشعر الحر في كتابها « قضايا الشعر » الذي صدر في عام ١٩٦٢ ، وانتهت الى انه اشتمل على فجاجة البداية ص ٢٤ ، وانه يفتقر الى القواعد التي يمكن أن يستند اليها ، ورائد شعرائه المجازفة والتضحية » ص ٢٥ ، وأن الاوزان الحرة تنقلب الى مزالق خطيرة » ص ٢٦ » ، و « الحرية تنقلب الى فوضى والموسيقى تؤدي الى ان يكتب الشاعر كلاما غثا ، وتصبح وبالا على الشاعر بدلا من ان يستخدمها ويسخرها في رفع مستوى القصيدة وتلوينها . كما ان التدفق معقد ، لأنه ينشأ عن وحدة التفعيلة التي تتكرر مرات يختلف عددها من شطر الى شطر ص ٣٧ ، بحيث تكون العبارة طويلة طولا فادحا ، وهذا الطول في العبارة عيب تساعد عليه طبيعة الشعر الحر ، ولابد للشاعر من الوعي المتصل لكي يتحاشاه ، وبحيث تبدو القصائد الحرة وكأنها لفرط تدفقها ، لا تريد أن تنتهي ، وليس أصعب من اختتام القصائد ، وسبب هذه الظاهرة انعدام الوقفات » ص ٢٨ ، ٢٩ » .

على ان نازك الملائكة قد اخذت على اصحاب حركة الشعر الحر تطرفهم ضد الشعر العربي ، ونعت عليهم ذلك « ص ٢١ » فقالت : « ان الذين استجابوا للشعر الحر تطرفوا ضد اساليب شعرنا العربي الاخرى جميعا حتى كانت تجرفها وتود طمسها بروح عدائية » .

ومن هنا تؤكد ضيق افق شعراء الشعر الحر ، وانهم يتحمسون لوضوع لا يحتمل الحماسة ، « وحماستهم هذه تجعلهم يظنون الشعر الحر خاليا من المعايب كل الخلو ، فهذا تطرف واحد ، ثم يحسبون ان شعر الشطرين الخليلى مثقل بالمعايب ، وهذا تطرف ثان ، لانه مهما كانت عيوب شعر الشطرين ، فانها لم تمنع الامة العربية من استعماله على مدى ستة عشر قرنا ، ومازلنا حتى اليوم نحب هذا الشعر ونتمسك به » مجلة البيان الكويتية ، فبراير ١٩٦٩ » .

وقد استبعدت فكرة احلال الشعر الحر محل شعر الشطرين بحيث يزول الاخير زوالا تاما ، على حين يتبوأ الشعر الحر منابر الشعر في عصرنا هذا ، ثم قالت انه « على الرغم من ان هذه الفكرة تروعنى واجزع منها ، فاننا لو فرضنا جدلا وقوع مثل هذه الكارثة سنخسر شكلا شعريا رائع الجمال هو شعر الشطرين ، فضلا عن اننا سننفصل عن تراثنا انفصالا رهيبا » .

ثم وضعت يدها على سر التطرف والادعاء ، وذلك بعد تأمل فى اسبابه ، ويتمثل فى ان طائفة شعرية تلقت حركة الشعر تلقيا شعوبيا فاتخذته وسيلة لطعن تراثنا العربي والقضاء عليه باسم التجديد والعصرية « العدد السابق من مجلة البيان » .

وهذه الطائفة تظهر الغيرة على الفكر ، وهى فى الواقع مغيظة من روعة تراثنا ، متوجسة من لغة القرآن وجمالها وكمالها . ومن هنا انبعث

بالائمة على الشعراء والشباب الذين لم يفطنوا الى نوايا هؤلاء والساقوا مع دعوتهم الشبوهة فظنوا ان الشعر الحر ثورة هدم وتخريب ، جوهرها تحدى التراث القديم ، وغايتها الانفصال عن كل ما هو عربي مع اننى حرصت منذ ديوانى « شظايا ورماد » على تعداد البحور التى ينظم منها الشعر الحر ، وقد رفضت رفضا قاطعا ان يظن ظان ان هذه الحركة الجددة منقولة من الشعر الغربى لانها « عربية خالصة » ، نفس العدد من « البيان » .

والى جانب هذا الدفاع عن التراث العربي الشعرى وغيره ، ظلت نازك الملائكة تقول الشعر العربي فى اساليبه واطره القديمة بجوار الشعر الحر ، بل ان نسبة شعرها الحر لا تقاس بجانب شعرها العربى الرصين .

التطور الجمالى للذوق العام

على ان هناك بعض النقاد الاجلاء

الشعر الحر ...

د . مندور : الشعر المصرى بعد شوقى



قد عالجوا قضية الشعر الحر معالجة موضوعية تتسم بالاصالة والعمق رغم ما بين مؤيد له ومعارض ، وبين من عالجها باتزان علمي ووقار ، وهؤلاء النقــاد هم عباس العقاد ، والدكتور مندور ، والدكتور محمد غنيمي هلال ، والدكتورصفاء خلوصي الاستاذبجامعة بغداد .

فالدكتور محمد مندور - وقد كان من اكثر المؤيدين للتجديد في شــكل القصيدة ومن أعرفهم بمواطن القوة والضعف في العروض العربي - يقول فيمقدمة ديوان «عبير الارض»للشاعر فوزي العنتيل : « ان الشاعر الحديث لم يعــد يقــدس البيت كوحــدة للموسيقى ، بل اكتفى بالتفعيلة وتخلص من وحـــدة البيت ليستطيع تجزئته وعرضه على نحو يبرز بعض المعاني ويجاري موجات النفس الموسيقية » .

وفي تصوره كذلك أن موسيقى الشعر تتوفر بتتابع او تناوب وحدات زمنية محددة ، ثم ايقاعات تحدد مفاصل هذه الموسيقى ، وكل ذلك - فضلا - عن الانسجامات الصوتية . وطرق التعبير الصوتي التي تنبع من طبيعة حروف اللغة ومخارجها ، واجتماع بعضها الى بعض في اللفظة او الفقرة ، وكل هذه الخصائص يدركها الشــاعر باذنه ، ويدركها الدارس بتحليله - « مقدمة عبير الارض ص ١١ » و « قضــايا جديدة ص ٨٨ - ٩١ » .

على انه يذهب الى اكثر من هذا ، حيث يمذهب الشعر الجديد فيرى أن جـدته تتمثل في المضمون الاجتماعي الذي رجع كفته تطورنا السياسي الاخير نحو التفكير الجمـــاعي ، والنزعة الاشتراكية الشعبية ، والدعوة الى الحد من الاثرة بل ومـــن الفــرديـة ومن الاهتمام بالمجتمع والشعب ومشكلاته ، وان كان هذا المضمون الجديد لايمكن أن يخمد الوجــدان الفردي وآمــال الشعراء والامهم واشراق ارواحهم . ولكن فلسفتنا السياسية قد وجهت هذا الوجدان الفردي توجيها جديدا ، فلم يعد يبحث في ذاته عن سر سعادته او شقائه ، بل أخذ يبحث عنه في مجتمعه الــذي تنعكس الراحة والراحه على الافراد ، وصلاح هذا المجتمع خليق - بلا شك - بأن يمحو أسباب الحزن والالم والشعور بالغربة والحرمان ، وهي الالام التي كان يدور حولها معظم شعر الوجـــدان الفردي من غير أن يتبين مصدرها الاكيد فيفساد المجتمع وفســاد سياسته وتاخرها « الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة الثــالثة ص ١٠٨ » .

ومن الانصــاف ان نشير الى أن الدكتور مندور لم يكن يؤمن بكل ما يكتبه الشبان في تلك الاونة بطريقــة التقطيع الجديدة . فقد يكون مهشم الموسيقى او فاقدها اطلاقا ، وقد يكون غثا لا قيمة له كشعر او نثر ، كما لا انكــر أن بعض الغرور والاستهتار والتســاهل في قداسة الفن وعسره ربما يكون قد تطرق الى نفوس بعض الشــبان الذين يجب أن يردوا الى رشدهم ، وان يحملوا على ضرورة احترام محراب الفن المقدس وعـدم التهجم عليه « جريدة الجمهورية ١٤ يولية ١٩٦١ » .

ولكنه في الوقت نفسه لايقر محاربة هذا التيار الجديد في الشعر ، لاسيما انه يرى مسايرته للذوق العـــام في تطوره الجمالي ، اذ يرى أن عامة الجمهور قد اخـذ يستسيغ الموسيقى الغربية المنوعة ، ولم يعد يقتنع بموسيقاه التقليدية الرتيبة المكررة النغم ، وهم بذلك لا يعادون موسيقاهم القوميـــة التقليدية ولا يتنكرون لها ، ولكنهم يضيفون اليها فنا حضاريا عالميــــا جديدا ، على نحو ما تفعل كـــافة الشــعوب المتحضرة التي تجمع بين موسيقاها المحلية والموسيقى العالمية الحضارية المتطورة « العدد السابق من جريدة الجمهورية » .

اختلاف الأحوال الاجتماعية والنفسية

أما العقاد ، وهو من المعارضين لهذه الحركة والمتنكرين لها ، فيرى فى الآراء الداعية الى تغيير شكل القصيدة أداة للهدم والتخريب ، وأن العجز عن أوزان الشعر العربى والدعوة الى ابطاله ، نقص فى الملكة الفنية .

ويصف هذه الدعوة بأنها قامت على فكرة متعجلة خاطئة – وأنها نشأت بعد اطلاع قراء العربية على تاريخ الأدب المقارن بين اللغات ، وابتداء حركة الترجمة من اللغات الأوربية . ويعلل خطأها بتفريقه بين منظومات الغربيين ومنظوماتنا ، لأن الاختلاف فى هذا الصدد جاء من اختلاف الأحوال الاجتماعية والنفسية ، ولم يجىء من اختلاف أوزان العروض « كتاب : اللغة الشاعرة » .

وفى تصور العقاد أن المألوف أن يتولد الشعر على حسب الحاجة اليه من دواعى التقاليد والعادات وأصول العبادة والعلاقات بين الناس ، وليس المألوف أن تنتظر الأمم حتى يتيسر لشعرائها النظم على الأوزان التى يستطيعونها ، ثم تبنى شعائرها وعباداتها على تلك المنظومات .

وفى تصوره كذلك أن أوزان العروض على أحكامها وافاتها سهلة الأداء قابلة للتوسع والتنويع الى الغاية المطلوبة فى كل موضوع يتناوله الشعراء ، وتتبين هذه السهولة من مراجعة التاريخ ، كما تتبين من مراجعة التطور الأدبى فى العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر الى أواسط القرن العشرين « أخبار اليوم فى ١٩٦١/٦/١٠ » .

وفى مقام التمثيل يقرر العقاد ، أن شعراء الفارسية والعبرية والاردية اختاروا أن ينظموا بلغاتهم فى أوزان العروض العربية وفضلوها على أوزانهم القديمة لأنها أسهل منها وأجمل فى موقعها من الأسماع والنفوس .

ويتضح من دفاع العقاد عن شكل القصيدة المتمثل فى استخدام بحور الشعر العربى والقافية أنه لا يريد أن يفرض فى موسيقى الشعر التى تتمثل فى الايقاع الذى يقصد به وحدة النغمة التى تتكرر على نحو ما فى الكلام أو فى البيت ، وتمثله التفعيلة فى البحر العربى ، كما تتمثل موسيقى الشعر فى الوزن وهو مجموع التفعيلات التى يتألف منها البيت ، والبيت فى القصيدة العربية هو الوحدة الموسيقية لها .

وإذن فالعقاد يريد من الشاعر أن يحدث فى قصيدته وحدة عامة للنغم ، وتشابها بين الأبيات وأجزائها تشابها ينتج تناسبا تاما ، وتكرارا للنغم ، تألفه الأذن لتسر النفس به وتلذ . ولكن التناسب التام فى الوقت نفسه – كما يقول الدكتور هلال – مدعاة للملل ، بحيث يمل السمع النغمات لرتابتها . ومن ثم حاول العقاد الخروج على تلك الرتابة بنوع من التغيير يتمثل فى تنوع القافية ووقف عند التنوع لا يريم .

ويرى العقاد أنه قد ثبت بالتجربة أن الغاء القافية كل الالغاء يفسد الشعر العربى ولا تدعو اليه الحاجة ، وهى تجربة اشترك فيها ثلاثة من أعلام الأدب العربى الحديث فى القاهرة وبغداد والاسكندرية وهم : توفيق البكرى ، وجميل صدقى الزهاوى ، وعبد الرحمن شكرى ، وهم القدر أبناء عصرهم على الموازنة بين محاسن النظم فى اللغة العربية وبعض اللغات الشرقية والغربية ، ومنهم من كان يقرأ الشعر بالتركية والفارسية عدا ما يعمله من أشعار الافرنج المحدثين والأقدمين .

على أن خلاصة التجارب الواقعية – فى الزمنين : القديم والحديث – أن القافية لم تكن سببا فى اختفاء المسرحية الشعرية من الأدب العربى القديم ، فهناك ملاحم العامة الموزونة المقفاة

فى القصص المطولة من قبيل قصص الزير سالم والغزوات الهلالية وامثالها، وكلها تنظم فى بحور العروض وتلتزم فيها القافية ، ويقدر عليها شعراء اميون لم يدرسوا الادب ولم يتعلموا وزن الشعر ، ولم يرجعوا فى منظوماتهم الى غير السليقة والسماع .

وبجانب ذلك هناك اناشيد الاعراس والمآتم التى تنظم على الوزن وتلتزم فيها القافية من نظم النائحات الجاهلات فى القرى الريفيــة التى لا تتلقى اناشيدها من معلمى الاداب او اساتذة العروض .

كما ان القافية لم تخل فى الزمن الحديث دون ترجمة او وضع الروايات المسرحية فى شتى الموضوعات من حوادث الحاضر او من حوادث التاريخ، وذلك كالالياذة وغيرها من اشعار الامم. ومن هنا يتهكم العقاد بقوله : « فليبحث الباحثون عن اسباب اخرى لاختفاء المسرحية الشعرية فى الادب العربى غير التزام القافية » .

الشعر الحــر . . .

د . غنيمى هلال : ليس للشعر الحــر قيمــة كبيرة . . .



على ان فن الشعر فى تصور العقاد يمكن له ان يتجدد وهو على قوامه الذى ينمو ويتنوع ، ولا يبطـل او ينقص ، لان الكلام المنظوم فى تلك القوالب ممتد مع الزمن يأتى فيه كل عصر بمـا هو اهله من الابداع او الزيادة او المحاكاة .

وتأكيدا لذلك يرى انه من الممكن التـوزيع فى الاوزان العروضية حتى تؤدى الى اشكال غير محدودة من الموازين ، وقد اعتمد فى هذه النتيجة على ما كتبه الاستاذ خليل اللاوردى فى كتابه « فلسفة الموسيقى الشرقية » اذ عقد فيه فصلا لبحث التوزيع والايقاع وتطبيق العروض العربية على الضوابط الموسيقية .

ومن ناحيــة اخرى يذهب الى انه لابد من التفرقة بين القواعد والقيود فى كــل فن من الفنون ، فلا سبيل الى الاستغناء عن القيود التى تعوق حرية الفن ولا يتوقف عليها قوامه الــذى يسلكه فى عداد الفنون .

ويعقب العقــاد على ما ذهب اليه الدكتور منــدور من ان التفعيلة فى الشعر الحر هى اساس الوزن ، وان كل مافيها انها اصبحت بنيانا عروضيا كاملا ... فقد سخر العقاد من هــذا المذهب ، وظن ان الدكتور يمزح ، لان الاحتمال الاخر هو ان يكون على عدم معرفة بمعنى التفعيلة مع ادعائه انه يتصدى لتقويم الشعر .

ويتساءل العقاد فى هذا الصدد عن تلك التفعيلة التى سيجعلها الدكتور مندور اساسا للوزن ، ولكنه يجيب على تساؤله بان التفعيلات كلها تكتب وزنها من البحر الذى تنتظم فيه ، فلا تتشابه التفعيلة الواحدة فى بحرين من بحور الشعر سواء بعدد الحروف او ترتيبها ، او بعدد التفعيلات وطريقة تكرارها .

ومن ناحية اخرى فان هــذه التفعيلات تنتظم فى البحر فتكتسب وزنها منه وتتغير بحروفها واسبابها

وارتدادها وفواصلها على حسب الوزن الذى اكتسبته فى كل بحر من بحورها (اخبار اليوم ١٠/٦/١٩٦١ ، ٢٤/٢/٦١ ـ اللغة الشاعرة ، اشتات مجتمعات ، منبر الاسلام اكتوبر سنة ١٩٦٢) .

والذى نراه فى هذا الصدد ـ على الرغم من دفاع العقاد الحار عن شكل القصيدة التقليدى ـ كما أن العقاد نفسه يعد رائد التجديد فى الشعر الحر، وذلك لانه مادام قد هدم وحدة البيت وجعل بنـــاء القصيدة على حركة الصورة وتسلسل الصور ، فان هذا يفتح المجال لناحيتين : الاولى : من حيث الموسيقى ، فانها لا تكون خارجية، بل تكون وسيلة من وسائل التصوير ، والثانية : اننا لا نعتد بالبيت لذاته ، بل بمدى صلته فى التصوير بما بعده وبما قبله ، وهذا يفتح بالضرورة امامنا عدم تقديس التفاعيل .

جنوح الى اليسر والسهولة

وبين هذين الناقدين المتعارضين فى النهج والغاية يقف الدكتور محمـــد غنيمى هلال الذى يرى أن الشعر الحر لا يلتزم بوزن اصطلاحى ولا قافية ، ولكن له مع ذلك نوعا من ايقاع ووزن خاصين به لا يخلو منهما نثر ادبى رفيع ، وأن لم يدخلا فى معايير الشعر المصطلح عليه ، وليس لهذا النوع من الشعر فى العربية قيمة كبيرة حتى الان (النقد الادبى الحديث ص ٢٤٨ ، ٤٩١) .

وفيما يختص بالقيمة الفنية لهـذا النوع من الشعر يقرر الدكتور هـلال ان التجارب الناجحة تقل فيه حتى الان (١٩٦٤) وذلك لان كثيرا من شعرائنا ينظمون فى الاوزان الجـديدة جنوحا الى اليسر والسهولة ، عن غير ادراك لصعوبة هـــذا النوع من الاوزان الموسيقية الموحية التعبيرية ، لان هذا النوع من الشعر اشق من السير على الاوزان التقليدية ، لانه يستلزم دراية



نازك الملائكة : شعرها الحـــر لا يقـــــاس بشعرها الرصين

الشعر الحـر ..

باسرار اللغة الصوتية ، وقيمهـــا الجمالية ، ووقوفا تاما على التناسب بين الدلالات الصوتية والانفعـــالات التى تتراسل معها ، وما يتبع ذلك من تلميح وتركيز وسرعة وبطء ، وتكرار وتوكيد وتلوين فى النغم ، لا يمكن ان يوفق فيهـــا الا ذو رهف فى الحس وثقافة فنية ولغوية واسعة . (المرجع السابق ص ٤٨١ ، ٤٨٢) .

لكل لغة عبقريتها الخاصة

وكما قرر الدكتور هلال عدم وجود قيمة كبيرة للشعر الحر ، فان الدكتور صفاء خلوصى شك كثيرا فى دوامه وازدهاره (ص ٤١٢ من كتابه : فن التقطيع الشعرى والقافية) .

وفى تصوره ايضا أن فيـه نقصا يتمثل فى عدم وجود العامل الزمنى فى الايقاع ، وذلك لانه اقتبس من كل فن الجانب السائب او الفوضوى منه .. اقتبس من النثر فوضى القافية ، ومن

الرجز فوضى التفاعيل وفوضى ازدواج الاشطر ··· ومن الموشحات والبند فوضى طول الاشطر ··· ومن السريالية فوضى الافكار والمعانى ··· لقد كان من جراء التساهل مع حركة الشعر الحر ان ظهرت حركة أخرى أكثر تسيبا عرفت « بحركة قصيدة النثر » ، ويعلم الله انها ليست قصيدة ولا نثرا ، وانما هى سمادير وهذرمات تقرؤها فتجدها كلمات مرصوفة لا تخرج منها بطائل ابدا (ص ٤١٠ ـ ٤١١ من المرجع السابق) ·

ثم يقول : واننا لنتحدى اى شخص يقول بأنه يستطيع ان يعبر بالشعر الحر أو بالنثر الشعرى ما لا يمكن التعبير عنه بالشعر العمودى وبشكل اروع واقوى · وليس وجود الشعر الحر فى اللغات الافرنجية مبررا كافيا لنقله الى العربية ، فلكل لغة مزاجها الخاص وعبقريتها الخاصة التى لايمكن الخروج عليها · (نفس المرجع ص ٤١١) ·

حركة فقدت اسباب البقاء

والواقع اننا نرى أن حركة الشعر الحر قد فقدت اسباب بقائها المؤسس وجودها عليها ، لانها قامت على اساسين ، اجتماعى وفنى ، فالاجتماعى يتمثل فى التزام الشاعر تجاه مجتمعه ووطنه ، وكانت القصيدة من الشعر الحر تشتمل على مسالة من مسائل المجتمع لا يتصور حلها الا باسهام الشعر فى حلها على حد تعبير الناقد الروسى « ماياكوفسكى » ·

ومعنى هذا أن الواقعية الاشتراكية جعلت الشعر ذا غاية اجتماعية واقعية محددة بحدود مسائل العصر · وفى هذا تحديد جديد لنوع التجارب فى الشعر ، ولنوع الصلة التى تربط الشاعر بالمجتمع ·

فالتجربة فى الشعر الغنائى يجب أن تتجاوب مع الوعى الاجتماعى لجمهور الشاعر ، وذلك كما يقول الدكتور هلال فى كتابه النقد الادبى الحديث ص ٤٩١ ·

واذن قامت حركة الشعر الحر معتمدة فى قيامها على الالتزام الذى لم يحظ به الشعر ذو الشطرين على نحو ما يفلسف به دعاتها ، ولكننا الان نرى الامر على العكس مما سبق ·· فدعاة الشعر الحر اكثر تفريدا لوجداناتهم الذاتية ، وأرباب الشعر ذى الشطرين اكثر التزاما وانصهارا فى بوتقة المجتمع · واذا سقط هذا الاساس فعلينا أن نتوجه الى الاساس الفنى الذى اعتمدوا عليه فى فلسفة حركتهم الشعرية على نحو ما رأينا فى نقد وتقييم الشعر الحر للدكتور محمد مندور ·

ومهما يكن من امر هذا الاساس النظرى لحركة الشعر ، فانه لا يستند الى واقع العروض العربى ، ولكل لغة طبيعتها وعروضها وموازينها على حد تعبير العقاد ، اذ يرى أن التفعيلة فى الشعر العربى لا تصلح أن تكون مقياسا عروضيا متكاملا ، لانها تكتسب وزنها من البحر الذى تنتظم فيه ، فلا تتشابه التفعيلة الواحدة فى بحرين من بحور الشعر سواء بعدد الحروف أو بترتيبها ، أو بعدد التفعيلات وطريقة تكرارها ·

اما عدم اعتماد الشعر الحر على الشكل فيجانب حقيقة الفن الشعرى ، لان الوزن لا يعد من العوامل الشكلية البحتة ، كما انه لا يعد قالبا خارجيا تصب فيه التجربة ، اذ أن الوزن جزء لا يتجزأ من الشعر ، كما انه يولد مع التجربة الشعرية فى لحظة واحدة ·

ومن هنا فالاحساس بالمتعة الموسيقية بالاضافة الى القدرة على توليد هذا الاحساس لدى الغير ، هما هبة الخيال وحده ، ومن الممكن تنمية هذا الاحساس وتثقيفه ، ولكن يستحيل تعلمه · والشاعر الناجح يوائم بين موسيقى شعره وموسيقى احساسه ، أو بين صياغته ونفسه عن طريق

الحركة الشعرية فى تصورها التى يدفع بها الملل الذى يتطرق لاوزانه على حد تعبير « كوليردج » .

وينبع الوزن – كما يقول «كوليردج» ايضا – من حالة التوازن التى توجد نتيجة الصراع بين نزعتين متضاربتين: اولاهما اطلاق العاطفة الشبوبة دون قيد ولا شرط ، والثانية هى السيطرة على هذه العاطفة الثائرة ، وذلك عن طريق فرض نظام عليها ، او وحدة موسيقية تتكرر بشىء من النظام ، وتتخذ حالة التوازن لنفسها شكل الوزن ، وتعمل فى الوقت نفسه على أن تديم الصراع الذى يولدها اصلا ، اذ أن الوزن على الرغم من كونه وليد الصراع بين العاطفة والارادة الواعية، فانه هو ذاته من شانه ان يثير العاطفة ، ويود الشاعر ان تظل هذه العاطفة ثائرة مهتاجة بقصد احداث اللذة ، وباستمرار الوزن تدوم العاطفة وتدوم الرغبة الواعية للسيطرة عليها

ويرى « كوليردج » فى هذا الصدد انه ينبغى للوزن أن يكون مصحوبا بلغة الانفعال الطبيعية ، لان عناصره مدينة بوجودها لحالة من الانفعال الزائد ، وبما ان الوزن نتيجة فعل ارادى لاجل مزج اللذة بالانفعال ، فانه ينبغى ان تكون اثار هذه الارادة واضحة فى سائر اللغة المنظومة حسب هذه الارادة .

ومعنى هذا ان « كوليردج » يؤكد العلاقة العضوية الحية التى يجب توفرها بين الوزن وغيره من مقومات الكلام المنظوم (بيوجرافيا ليتراريا ج ٢ ص ٤٥–٥٧) .

ولما كان الخلق الفنى يعتمد على كل من المبدع والجمهور – كما يقول « سارتر » فى كتابه « ما الادب » بفصل « لماذا نكتب » – لان الكتابة دعوة موجهة الى القارىء ليخرج الى الوجود « الموضوعى » ما حاوله الكاتب من اكتشاف مستعينا باللغة ، نقول لما كان الخلق الفنى هكذا ، فان للوزن علاقة بالقارىء ، لان ما قلناه سابقا خاصا بمصدر الوزن فى نفس الشاعر ، اذ يزيد من انتباهه ومن قدرته على الاستجابة والتأثر ، وبالتالى يخلق فى القارىء حالة على درجة كبيرة من الحيوية والحساسية فى الشاعر العامة وفى الانتباه بوساطة تكرار النغم ، ولكنه لا يتكرر بصورة الية رتيبة ، ففى النغم اذن مواضع شبه ومواضع اختلاف معا ، ومواضع الشبه هى التى يتوقعها القارىء ، وهى ترضى حبه للاستطلاع ، على حين تثير اوجه الاختلاف دهشته ، وتتم هذه العملية على نحو دقيق جدا حتى انه يستحيل ادراكها ادراكا واضحا فى اللحظة الواحدة ، الا ان الاثر الكلى الذى تولده يكون هائلا ويشبه « كوليردج » هذا الاثر الكلى الذى يحدثه الوزن بمفرده باثر الجو العقم ، او باثر الخمر على المرء اثناء اشتراكه فى مناقشة شائقة حية (بيوجرافيا ليتراريا ج ١٢ مصدر الوزن واثاره) .

الشاعر الخلاق لا تستوقفه القافية

وعلى اية حال فان لكلمات القافية صلة بموسيقى البيت ، مع ما لها من قيمة موسيقية فى مقطع البيت وتكرارها يزيد فى وحدة النغم ، لان كلماتها – فى الشعر الجيد – ذات معان متصلة بموضوع القصيدة بحيث لا يشعر المرء أن البيت مجلوب من اجل القافية ، بل تكون هى المجلوبة من اجله ، ولا ينبغى ان يؤتى بها لتتمة البيت ، بل يكون معنى البيت مبنيا عليها ، ولا يمكن الاستغناء عنها فيه ، وبذلك تكون نهاية البيت طبيعية بحيث لا يسد غيرها مسدها فى كلمات البيت قبلها ، ولا يتاتى ذلك الا للشاعر الخلاق الذى اضاف الى موهبته الدراسة المتانية الواعية لاثارنا الشعرية والوقوف على دقائقها



عبد الرحمن شكرى . فى القاهرة وبغداد والاسكندرية

الشعر الحر ...

واسرارها ، ذلك الشاعر لا تستوقفه القافية ، ولا تحد من طاقته قيودها لان حرية الانسان تقاس بعمله بين الاوزان والقوانين ، وحينئذ يكون الشاعر صاحب مشيئة وصاحب قدرة اذا عبر عن معناه فى الاوزان والالحان واستطاع ان يقول ما يريد ، لان الاوزان والقوانين حينئذ هى معيار حرية الانسان الذى يبين لنا ما عنده من قدرة وحرية فى الحركة ـ على حد تعبير العقاد .

وقد سار على ذلك اساتذتنا الاقدمون من الشعراء ، بل كان منهم من يلتزم القافية وحركات اخرى قبلها كابى العلاء المعرى فى لزومياته المشهورة .

واذن فاسقاط القافية بالاضافة الى اسقاط الوزن الشعرى المتكامل والاعتماد على التفعيلة الواحدة بدلا منه على اعتبار انها بنيان عروضى متكامل ، يفقدان العمل الشعرى ، الموسيقى اولا ، وتتكون تلك الموسيقى من مجموعات ايقاعية عديدة ، وهذه المجموعات ليست على درجة واحدة من الاهمية ، والكلمة ذات القيمة هى التى تتلقى النبر ، وقد يتحمل العنصر الموسيقى تحويرات وذلك كالموسيقى الداخلية للمجموعة الايقاعية نفسها ، فهى لا تتحور ابدا الا بتأثير النبر .

واذن فالايقاع يتمثل فى التعبير الملموس عن الحياة الداخلية ، الذى يتخذ بقدر ما طابعا فسيولوجيا ، وهو يفير فى اطار الوسائل الادبية المفهوم النفسى لعملية التنفس ، وهو فى الوقت نفسه ذو امكانات عظيمة تتمثل فى قوة مجموعة من الوحدات المنتظمة وفى حلاوتها ، وفى تتابعها ، وفى شحنة العواطف التى تحملها ـ على حد تعبير العالم الفرنسى « فوشيه » .

فتتابع الايقاع فى البيت ذى الشطرين ـ مع اضافة القافية الموحدة او المتنوعة من شعر مثنوى او مثلثات او مربعات الى آخره ـ يمنحنا موسيقى مؤسسة على ايقاعين : صوتى ، ومعنوى (مواضع التصوير التشخيصى) وهما متساويان فى الشعر ، وجزء اساسى فى التعبير ، لان الدلالة اللغوية لا تكفى وحدها فى الشعر .

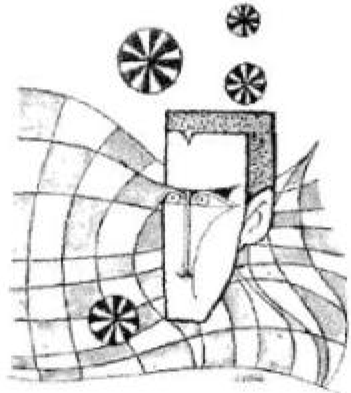
كما ان اسقاط الوزن والقافية يورث ان العمل الشعرى فهاهة وعيا من حيث الشمول فى القصيدة الغنائية ذات الرؤية الجزئية ، وذلك على العكس من استخدام الشعر الحر فى التجربة الموضوعية المتكاملة ، والتى تتمثل فى القصة والمسرحية .

وقد فطن الى ذلك شاعرنا الكبير عبد الرحمن الشرقاوى حيث انشأ ست مسرحيات شعرية فى هذا الاطار الذى اثبت نجاحه فى مسرحيات الشرقاوى . ومن الممكن ان يتطور الاداء التعبيرى للشعر الحر فيقتصر على المسرح والقصة بدلا من تلك الرؤى الجزئية للحياة التى تتمثل فى القصيدة الغنائية ..

محمد المهدي الجواهري

بريد الغربة

« قصيدة بعث بها الشاعر الى اسرته بيغداد وهو في براغ »



لقد أسرى بي الأجلُ وطولُ مسيرةٍ مَللُ
وطولُ مسيرةٍ من دون غاي مُطمَحٍ خَجِلُ
على أني لأنْ يَنْهي غدٌ طولَ المدى وجِلُ
تماهل خشيةً ، وونى وعقبي مهلهِ عجلُ
وقطع خطوهُ جنفاً كما يتقاصرُ الحجَلُ
أشاع اليأسَ بي عمرٌ وكنتُ وكلهُ أمل
وعيشُ المرء فضلُ منىً بها ماشقٌ يُحتمل
فإن ولتْ فلا ثقةٌ ولا حولٌ ، ولا قِبَلُ

***

أقول ــ وربما قولٍ يُدلُّ به ، ويُبتهل :
ألا هلْ ترجع الأحلامُ ماكُحلتْ به المُقل ؟
وهل ينجاب عن عيني ليلٌ مطبق أزل ؟
كأنَّ نجومه الأحجارُ في « الشطرنج » تنتقل
يُساقط بعضُها بعضاً فما تنفكُّ تقتتل

ألا هل قاطعٌ يصل لما عيّت به الرسل ؟

***

ويا أحبابي الأغلين من قطعوا ، ومن وصلوا
ومن همُ نخبة اللذات عندي حين تنتخلُ
همُو إذ كلٌّ من صافيت مدخولٌ ، ومنتحل
سلاماً كله قُبَلٌ كأنّ حسيها شُعَل
وشوقاً من غريب الدار أعيت دونه السُّبُل
مقيمٍ حيث يضطرب المنى والسعيُ والفشل
وحيث يعارك البلوى فتلويه ويعتدلُ
وحيث أديمه يَبَسٌ وحيث جنانه خضِلُ
وإذ نضبتْ أفاويق الصبا فهباتُها وشَلُ

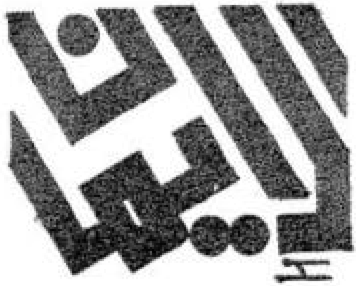
***

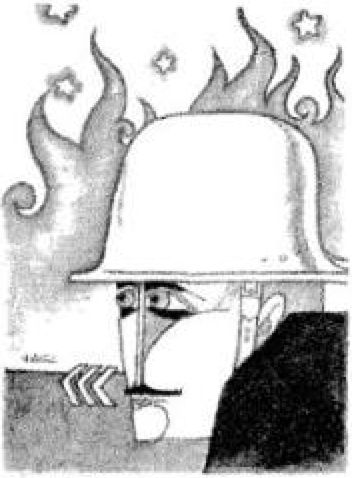
سلاماً من أخي دنف ٍ تناهت عنده العلل
وحيدٍ غيرَ ما شجنٍ بلوح الصدر يعتمل
وذكرى مشرقةٍ حَليتْ بهما أيامهُ الأولُ
تعاوده كتفيئي الظُّلل ، رؤياها وتنتقل
وحيدٍ بالذي غنّى وساقي يضرب المثل
وفيما قال من حسنٍ ، وسيءٍ ، يكثر الجدل

***

سلاماً أيها الثاوون ، إنّي مزمع عجِل
سلاماً أيها الخالون ، إن هواكم شُغُل
سلاماً أيها الندمان ، إني شاربٌ ثمِل
سلاماً أيها الأحباب ، إن محبّةً أمل
سلاماً كله قُبَل ، كأنّ حسيها شُعَل

د. عبد الفتاح الديدى





التطير عيب اصيل في الكيان النفسي للرجل البسيط الذى يعلق كل اوضاع حياته على علامات خارجية وبربط سلوكه وارادته برموز يلتقطها هنا وهناك من مظاهر العالم المحيط به .

ويمكن القول بان التطير لازمة من لوازم التخلف العقلي والنفسي لدى عامة الناس . وكلما تقدم الانسان في حياته وفي معرفته وفي ثقته بعقله ونفسه ، تخلص تماما من هذا التطير ، وصار ينشد الواقع العلمي لحياته بان يميل دائما الى التصرف المعقول المناسب ، لا بحكم علامة سابقة مؤازرة لتوفيقه فيه ، ولكن بحكم الصلاحية العامة لهذا التصرف في حد ذاته ، بدون ارتباط على الاطلاق بمشاعره الخاصة نحوه او بذكرياته القديمة عنه .

الأول

يرفض التفاؤل والتشاؤم في زمن الحروب

والجندي في المعركة هو أول انسان ينشد عدم التصرف وفقا لأوهام التفاؤل والتشاؤم . وإذا صح أن جيشنا قد مر اليوم بتجارب علمية من الدرجة الأولى ، وخاض تجارب عميقة وحصل على خبرات واقعية ، فلا شك في أن رجاله قد صاروا ينفرون عن عمد من كل ما يشعرهم بالتفاؤل أو بالتشاؤم ازاء علامات مختلفة يقرنونها في حالة النجاح في بعض المهام والفشل في غيرها .

فالعلم ينشد السلوك العلمي والتصرف الخالي من أية التزامات عاطفية ازاء وقائع متكررة مبهجة أو غير مبهجة . ويرتبط اداء الواجب في العلم النفسي عادة بمقدرة الشخص على التكيف وعلى المواءمة بين قدراته وكل المعطيات التي تتراءى له في موقف من المواقف .

وإذا سيطر على السلوك الشخصي لدى الجندي في موقف من المواقف أي عامل من عوامل التحيز (التشاؤم أو التفاؤل) خفض ذلك ، لا من قيمته الشخصية ، ولكن من قيمة الايمان الأول ، وهو الايمان بقضية بلاده ، وحقيقة مطالبه وأغراضه الحربية . الايمان الذي يجب أن يعلو على كل ايمان شخصي ، حتى ولو كان من قبيل التمسك بعلامات معينة ملازمة للنجاح أو ملازمة للفشل .

يجب أن يعلو الايمان الاول على كل ايمان من قبيل الوهم النفسى بالجنوح نحو التمسك بعلامات معينة للنجاح وعلامات أخرى معينة للفشل . واذا علا هذا الايمان على كل ايمان غابت معالم التطير ورثب العلم بقواعده وأصوله ليسود الموقف الذى يوجد فيه الجندى ، وينتهى الامر فى عقله وقلبه الى مزيد من الثقة بخبرته وتدريبه السابق بوصفه كل شيء بالنسبة اليه بعد ايمانه بالله تعالى الذى لا تتدخل مع ارادته وحكمه أية مصادفة من مصادفات التشاؤم أو التفاؤل فى الظروف التى يتصرف فيها أو فى الاوضاع التى يتعرض لها .

واذا علق الجندى نجاته من الورطة أو من الخطر على أية علامة من العلامات التى اعتاد أن يتفاءل بها أو يتشاءم منها دون ارادة الله العليا التى لا تقف دونها ارادة ، ودون خبرته وثقته بنفسه وبلياقته الشخصية للمهمة التى يؤديها ، وبكل أوضاع العلم الذى يمضى بقوانين وقواعد لا يحيد عنها ، كان شأنه فى ذلك شأن كل متخلف ناقص فى التكوين والاعداد والتدريب . .

● قبلة التفاؤل فى الصباح

التطير علامة من علامات التخلف العلمى والحضارى ، وهو فى الجيش علامة على فقد الاهلية والثقة بالنفس فضلا عن الايمان بالله تعالى .

واذكر أن ضابطا كان قد اعتاد فى الشهور الاولى من سنة ١٩٦٧ أن ينظر بعينى رأسه الى المصحف وأن يقرأ :

« ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » .

وحدث أنه خرج مرة دون أن تقع عيناه على تلك الآية الكريمة ، وتذكر ذلك بعد أن بلغ الموقع ، فكر راجعا الى بيته ليقرأها ويعود الى المعسكر . ولا شك أنه كان يمكنه أن يذكر الله بينه وبين نفسه فى هذه اللحظة ليمضى فى طريقه بدون ارتباط بتقليد معين للتفاؤل أو للتشاؤم ، فالله خير حافظا أولا وأخيرا .

وتتدخل المهنة تدخلا كبيرا فى خلق عادات التطير لدى الاشخاص . فمن المهن ما يلعب الحظ فيها دورا كبيرا ، ومنها ما يكون للمصادفة فى التأثير على أصحابها جانب ملحوظ . وحيثما بزغت عوامل الصدفة أو الحظ ، خلقت تربة صالحة لكل ضروب التطير وصارت تبعث على التفاؤل والتشاؤم المستمرين .

فالمقامر مثلا رجل متطير بحكم الصدف التى تلعب دورا كبيرا فى خلق مناسبات حظه الحسن أو حظه العاثر ، وكذلك الصيادون والسائقون ورجال المضاربات والتجارة الحرة ، وعلى رأس القائمة العسكريون والجنود .

فهناك مثلا تاجر بسيط يبيع بضاعة محدودة ، لا تفوته على الاطلاق القبلة الاولى التى يطبعها على أول قرش يدخل جيبه فى الصباح ، متفائلا بهذه



سيجموند فرويد .. دوافع عدائية مكبوتة



الحركة ومتشائما لو فاته اداؤها ·

ويوجد قوم من التجار يرفضون ان يقدموا فكة اى مبلغ صباحا قبل سير حركة البيع والشراء ·

وبعضهم يتشاءم من نظرة جاره اليه وهو خارج فى الصباح سعيا وراء رزقه ·

والجنود فى الميدان واثناء المعركة يتشاءمون اذا خانتهم الثقة فى ايمانهم بالله وبأنفسهم وخبرتهم · رغم قد يغفلون عن ضرورة التمسك بالعلمية وتفوتهم طبيعة الاوضاع العلمية فى الا يقع شيء الا من الاعمال ، وفى الا يحدث أمر من الامور الا وفقا لقوانين علمية حتمية ·

ومن مظاهر التطير عند الجنود حمل التعاويذ أو الاستبشار بالمرور فى موقع معين · وكان بعض رجال الطيران فى الحرب العالمية الثانية يحملون التعاويذ معهم ولا يفارقونها لاعتقادهم انها تجلب الحظ ·

● خلفيات الاحداث العشوائية

ويحضرنى بهذه المناسبة قصة الرجل الذى شهد قسيسا على شاطىء البحر وسط اهالى القرية يصلى حتى يطلب الى الله عودة الملاحين على احد المراكب بعد العاصفة ، فدار بخلده : وكم من مرة لم يعودوا مهما علت الصلاة ·

والتطير فى رأى « فرويد » هو الشخص الذى يستشف من الاحداث الخارجية علامات ينتقيها ويسبغ عليها دلالة من عنده ويسقط عليها معنى خاصا فيستبشر ويتفاءل اذا رآها ويتشاءم اذا لم تقع ، ويتخذها نذير شؤم اذا تخلفت · ويؤكد « فرويد » انه ما لم تكن هناك علاقة اقتران او استلزام أو اية علاقة من انواع العلاقات المعروفة التى يمكن أن تخلق تناظرا من اى شكل ، فالمسالة مجرد مصادفة فى الواقع · والتناظر المادى هو اول السبيل الى ايجاد صلة علمية بشكل من الاشكال ·

والمتطير فى العادة لا يدرك خلفيات الاحداث العشوائية ولا يعرف ابعادها ، ويميل على الرغم من هذا كله الى أن يضفى على المصادفات التى تقع فى العالم المحيط به معانى عديدة بالتوجس أو بالاستبشار · وهو يرى ـ فضلا عن ذلك ـ أن الحوادث التى تقع فى الحقيقة بالصدفة المحضة ، علامات تشير الى اشياء مخباة فى عالم القدر وتعبر عن مكنونات الغيب ·

● وراء مصادفات الحياة العادية

ولا شك ان المهن التى يتعرض الشخص اثناء ادائها للاخطار تدفع الى الكثير من أوهام التطير ، والى الذهاب الى حد افتراض القدر الغيبى وراء مصادفات الحياة العادية · بل ويعد المتطير هذه الاحداث العابرة غير المقصودة وغير الهادفة ، جانبا هاما من مصيره الشخصى ·

وقد كان لهذا كله رجاحته فى حياة القدماء حين كانت سيطرتهم وتحكمهم فى الوقائع الحيوية محدودة وغير ممكنة فى معظم الاحوال · وكان جائزا بالتأكيد عندما كانت المصادفة مفروضة فرضا لانعدام التفسيرات ولتوفر المقادير العظمى من المجهولات فى كل موقف وفى كل مناسبة · فكان من الامور الطبيعية جدا ومن المسائل المتمشية مع الحالة العقلية السائدة فى العصور القديمة ، أن يسود التطير بأنواعه وأن ينتشر الاعتقاد فى السحر ، وفى العوامل غير الطبيعية للظواهر ، وفى القوى الغيبية المتحكمة فى المصادفات التى تجرى فى الواقع ·

ولكن هذا كله لا يصح أن يستمر الآن وقد عرفت معظم الاسباب لكل الظواهر الصحية والطبيعية والاجتماعية والنفسية ، ولكل الجرائم والوقائع المادية ومبررات وجود الاحداث السعيدة والاحداث المؤلمة لدى الافراد والجماعات. أو بعبارة أخرى لا محل اليوم في المجتمع الحديث ، وبعد كل هذا التفسير الملموس في مجالات العلم والمعرفة ، لمثل هذه التخيلات • واذا رأى العربي القديم السحب الداكنة فتشاءم ، أو شهد الروماني القديم سرب الطيور فاعتقد انه نذير شؤم ــ فهذا كله يتفق نسبيا مع الحالة العقلية التي كانت تسيطر على خيالات هؤلاء الناس •

● من أخطر الحروب النفسية

واستخلص « فرويد » من دراسته للتحليل النفسي أن سبب التطير وجود دوافع عدائية مكبوتة لدى الشخص • والواقع ــ في نظره ــ أن الجزء الاكبر من أصناف التطير لدى الناس ، تعبر عن خوف متوقع من شر مستطير أو من أحداث خفية مترسبة في اللاوعي • وفي العادة يتوقع العقاب عن الشر من يتمنى السوء لغيره من الناس ، ولكنه يكبت نزعته تلك في لاشعوره بحكم سيادة القانون والاخلاق • ويأخذ توقعه للعقاب عن هذا الشر المكبوت صورة نحس يتهدده من الخارج •

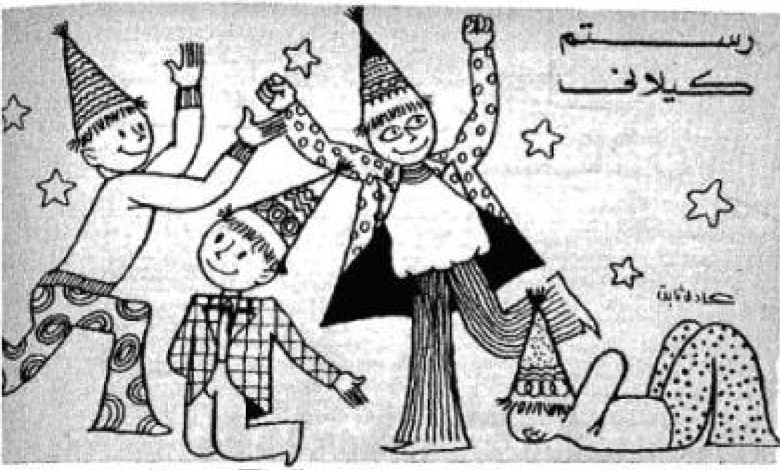
والمهم الآن أن تشيع روح العلم وحتمية الوقائع العلمية وسيادة الاسباب والمسببات الطبيعية في كل موقف ، حتى تستبعد مشاعر الوهم بالنحس أو بالسعد ، وحتى تزيل من احساسات الافراد كل شبهات التوافق الوهمي بين المصادفات الجارية والمقاصد الغيبية الخفية التي تريد بالشخص السوء أو الخير •

ومن أخطر الحروب النفسية التي يشيعها العدو خلق مشاعر التفاؤل والتشاؤم لدى الافراد ، وهز احساساتهم وعقائدهم في العلم الذي يعملون به واتاحة الفرصة أمام غريزة التمسك بالعرف الزائف ، على أنه جزء من العقيدة الدينية ذاتها ، حتى يصرف الناس عن التفكير المتزن الدقيق ، وحتى يبعدهم عن جوهر الايمان الصحيح بالله ويجعلهم يرتبطون بالخرافة شيئا فشيئا الى أن يصبح سلوكهم كله موضع اضطراب •••

ولعل الله أراد الخير لهذه البلاد حين الهم رئيسها ربط العلم بالايمان حتى لا يكون هناك مجال للتطير بعد اليوم في صفوف المتفائلين ، وحتى يخلص الايمان بالعلم من كل ألوان التفاؤل والتشاؤم

● عصر العلم والمعرفة ●

في المجتمع الحديث ، وبعد كل هذا التقدم الباهر في مجالات العلم والمعرفة لا محل اليوم لمثل هذه التخيلات عن التشاؤم والتفاؤل ..



قصة لرأس السنة

وانفض المائدة

لمح سيدة تتشح بملابس سوداء ، على وجهها حزن ظاهر ، وفي عينيها نظرة قلق وحيرة كان شيئا يدفعها وشيئا يعوقها ... لمحها عند خروجه من محل البدال ، وكان يضم الى صدره ما ابتاعه لنفسه ولاصدقائه من لوازم سهرة ليلة راس السنة . واستوقفته السيدة بأدب ، وهمت أن تلقى سؤالا ، لكنها ما لبثت أن عدلت عنه واحتبس فى فمها القول ، واحس هو بذلك فهتف يسألها بعد أن استحوذ منظرها على انتباهه :

– ماذا تريدين ؟

واستبان من ملامحها الامتعاض ، بينما كانت تتلعثم وتتلجلج وهى تقول :

– آسفة .. لقد عطلتك عن المسير .. لكن معذرة يا سيدى

وامسكت عن الكلام هنيهة ، ثم همهمت فى نبرة حزن وقد خنقتها العبرات وهى تفتح قبضة يدها :

– هذه يا سيدى بقايا النقود التى امتلكها من ثمن بيع آخر شيء امتلكه .. وينقصها بعض القروش لتكملة ثمن شراء دواء ابنى المريض اللازم



للفراش منذ اكثر من شهرين .. واقسم لك يا سيدى ان هذه هى المرة الاولى التى اقف فيها هذا الموقف امام انسان للاستجداء منه .

وسكتت .. اطرقت برأسها باكية ، ثم رفعت رأسها لتعاود حديثها :

ـ لقد احاطت بزوجى الذى كان يملأ علينا حياتنا بهجة وسعادة زمرة من اعوان الشيطان فسقط ، واسقطنا معه .. فانفق جميع ما كان لدينا من مال ومتاع فى سبيل غايته ، وهجرنى .. وهجر ابنى .. كما هجر المنزل لا يزوره الا فى اخريات الليل ، ثم لا يسأل عما به وما يجرى فيه بمقدار ما يسأل عن المال ليهرع الى رفقاء السوء لينفقه عليهم .

وما هى الا اعوام قلائل حتى اصبحنا لا نملك غير حجرة صغيرة مفروشة ببقايا الاثاث الذى بيع . اسكنها انا وابنى المريض ، بعد ان مات زوجى اثر مرض قاسى منه عذاب الجحيم، وتركنا فريسة للدائنين كقطعة لحم فى فم حيوان مفترس لا يرحم !

وصمتت .. فاثارت بحديثها عطفه عليها ، فاخرج لها ما يعوضها من نقود دون ان ينبس ببنت شفة ، وربت كتفها حانيا .

ومضت تشكره بصوت واهن مرتعش :

ـ الله يبعدك ياولدى عن طريق زمرة الشيطان

وانطلقت تعدو .. وانحنت مع الطريق ، وقد اولاها ظهره .

***

ووقف ينتظر سيارة اجرة تحمله الى حيث يبغى .. ونظر الى ساعته فالفاها العاشرة مساء .

كانت الشوارع خالية من المارة الا القليل .. الاضواء ساطعة فى كل مكان وخاصة على وجهات المحال التجارية .. عربات تمرق بجانبه كالسهم تحمل بعض

وانفضت المائدة

السكارى الذين يرقدون « الطراطير » المزركشة وفي افواههم مزامير .

كما تناهت الى سمعه ضحكات صاخبة آتية من اعلى العمارة التي يقف

على ناصيتها تحملها اليه نسائم الليل الباردة التي تلفحه .

وقد ظل واقفا بلا امل ، بينما طاف برأسه خاطر محاولة السير

على قدميه الى منزل صديقه الذي لا يبعد كثيرا عن مكانه هذا .

***

واخذ يسير في الطريق وقد بدا خاليا من المارة الذين يحتفلون بليلة راس

السنة ، او الذين يحتمون من البرد في بيوتهم مع اسرهم ، او الذين يستريحون من عناء النهار .

كان الجو باردا ، واحس برجفة تسرى في جميع بدنه عندما رن في سمعه حديث السيدة التي صادفته الليلة عند خروجه من محل البدال .. وطالعه طيفها وهي تقول في مرارة واسف :

« .. لقد احاطت بزوجي زمرة من اعوان الشيطان ، فسقط .. واسقطنا معه .. انفق

جميع ما كان لدينا من مال ومتاع في سبيل غايته ، وهجرني ..

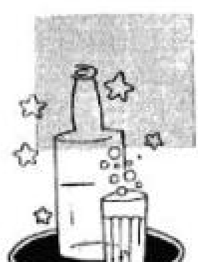
وهجر ابني .. كما هجر المنزل لا يزوره الا في اخريات الليل » ...

ومرقت سيارة مسرعة كاد يصطدم بها ، فقطعت حبل تفكيره

وصدى صوت هذه المرأة البائسة .

وعاد حديث المرأة المسنة من جديد يرن في سمعه مختلطا باصوات

السكارى الذين يركبون العربات التي تمرق من



هنا وهناك في سرعة جنونية .

« ... وما هي الا اعوام قلائل حتى اصبحنا لا نملك غير حجرة صغيرة مفروشة ببقايا الاثاث الذي بيع ... »

واتاه صوت صديقه واحد زمرة سهرة الليلة .. كأنه آت من عالم

بعيد يرن في سمعه كدوى الطبل عندما حاول ان يعتذر له متعللا بقضاء هذه الليلة مع زوجته وابنته الوحيدة «فتنة» :

« ... عيب عليك يارجل ان تقول هذا .. امرتك زوجتك بذلك ؟.. انت من هؤلاء الازواج الذين يؤمرون من زوجاتهم ؟.. هذه ليلة العمر سنقضيها معا لنشرب نخب العام الجديد ونستجلي معا ايامنا الماضية .. نحن في انتظارك انت «زجاجة الويسكي الفاخرة» لوازم عشاء « الشلة » !.. »

وقاطع صوت صديقه ، صوت زوجته وهي تودعه في حنان عند باب الشقة :

« لا تتأخر الليلة .. ساكون في انتظارك انا و « فتنة » لنودع معا عاما قديما ولنستقبل معا عاما جديدا .. »

ووعدها بالا يتأخر عنها .. لكن ماذا

سيكون موقفه لو ضرب بموعد صديقه عرض



الحائط ؟ هل سيرميه بالجبن .. والخوف .. وكذا .. وكذا ؟

وحار فى امر نفسه واخذ يقلب الموقف على شتى وجوهه ..وتهاطلت عليه التصورات .

لو عاد الى البيت متأخرا ، ودنت منه زوجته واشتمت من فمه رائحة الخمر ، وعرفت كل شيء فماذا سيقول لها ؟

وراوده هاتف عنيف .

ـ انت حر .. انت حر ..اذهب الى اصدقائك فهم فى انتظارك الان على شوق .. اذهب .. اذهب !

وماكاد يميل حتى رده صوت آخر هادىء :

« .. لا ليست هذه هى الحرية ، ولست حرا فى هذا السبيل ، وانما انت دنيا لزوجتك ولابنتك . ابتعد عن هذه الزمرة ، زمرة الشيطان .. والا سيكون مصيرك على مر الايام نفس مصير زوج السيدة المسنة التى صادفتك الليلة !» ابتعد عن هذا الطريق وعد الى البيت .. عد الى بيتك ، فزوجتك وابنتك فى انتظارك .. »

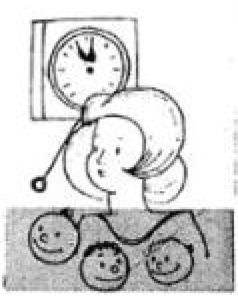
وتظاهر عدم الاكتراث بهذه الاصوات التى ترن فى اعماقه والتى تتكاثر وتتزايد ، وظل سائرا ورأسه يدور كأنه فى دوامة .

***

وعلى درج العمارة التى يسكنها صديقه تلاحقت امام عينيه صور كثيرة .. صورة زوجته الوفية وهى تقول له :

« ... لا تتأخر الليلة سأكون فى انتظارك انا و « فلة » لنودع معا عاما قديما ، ولنستقبل معا عاما جديدا .. »

ثم لاحت امام عينيه صورة المرأة المتشحة بالسواد ، تقول بصوتها



الواهن المرتعش وهى تمضى ذاكرة :

« .. الله يبعدك يا ولدى عن طريق زمرة الشيطان .. »

وقبل ان يصل الى نهاية الدرج الموصل الى الشقة ، احس كأنما غشاوة قد انسدلت على عينيه فحجبت عنه الدرجات ، فكاد يتكفىء على وجهه لولا ان استند الى الحائط بينما وقع كل ما كان يضمه الى صدره من زجاجة الويسكى ولوازم السهرة ..

وتنظر مليا الى الزجاجة وقد تناثرت اشلاؤها هنا وهناك . وبدا منظرها فى نظره كريها ، وخيل اليه ان ما تحتويه نار قد اندلعت من الماء الملون المنساب منها ، والذى فاحت رائحته على الدرج ، وقد حجبت نيرانها المرتفعة عنه رؤية باب الشقة التى بداخلها الزمرة الشيطانية ، وكادت تلهب وجهه ، لكنه حول بصره عنها وهو يحس بقلبه يهوى بين ضلوعه ويشتد به الخفقان ...

وسرعان ما انطلق دون وعى يهبط درجات السلم هربا من مصيره المحتوم ، عائدا الى بيته لقضاء تلك الليلة مع زوجته وابنته ، ليودعوا معا عاما قديما .. وليستقبلوا معا عاما جديدا

الكتلة والفراغ

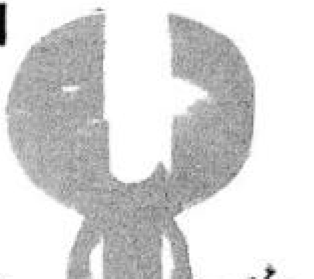
عند صالح رضا .. وآدم

ان المتتبع لاعمال فنانينا الثلاثة « صالح رضا » و « آدم حنين » ، و « عمر النجدى » ، قد يلفته ويثير اهتمامه ان الثلاثة يتميزون بثقل اجتماعى متقارب نوعا ، فهم ينتمون الى جيل واحد هو جيل الفنانين الثالث ، وهم ايضا ومع بعض التجاوز ، يتناولون فى اعمالهم الابداعية ، اكثر من خامة ، فى محاولة لتجريب الكم الابداعى ، حيث يمارسون الى جانب النحت ، التصوير بابعاده الضوئية الخصوصية ، والحفر بوسائله التطبيقية الجمعية ، وايضا الخزف . ومن ثم فلن قدرات الاختبار عند هؤلاء الثلاثة تملك مخاطرات اقل ، ومحاسبات اوسع .

● دكتور صالح رضا ●

● ولد بالقاهرة سنة ١٩٣٢ ● تخرج فى كلية الفنون الجميلة ، وكلية الفنون التطبيقية بالقاهرة ، وواصل دراساته فى انجلترا ، وتشيكوسلوفاكيا حيث حصل على الاسبرانتوريا ● حصل على جائزة الخزف الاولى سنة ١٩٦٤ ، ثم جائزة النحت الاولى سنة ١٩٦٥ من صالون القاهرة ، ثم على جائزة الحفر الاولى من بينالى الاسكندرية الدولى سنة ١٩٦٥ ، ثم على جائزة الدولة التشجيعية مع وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة سنة ١٩٦٥ عن تمثال العائلة ، ثم على جائزة النحت الأولى من بينالى الاسكندرية الدولى سنة ١٩٦٨ ● اقام اكثر من ثلاثة عشر معرضا فرديا ، وله أعمال فى جميع المتاحف المصرية وفى الخارج ● عضو هيئة التدريس بكلية الفنون التطبيقية بالقاهرة .

أحمد فؤاد سليم



حنين • • • وعمر النجدي

ويحق لنا أن نقرر منذ البداية أن صالح رضا فنان محب للحياة .

ومن هذه الزاوية فاننا نعتمد على المبررات الشكلية للابداع الفنى عنده .. وما نعنيه هنا بالمبررات الشكلية هو التاليف التركيبى فى النحت، والتاليف النحتى لا يتأتى الا من خلال وقائع تعبيرية عالية تقوم بمهمة دفع التعبير وتوصيله عموما الى شريك فى تخريج الشكل الابداعى . ولقد قيل فى بعض الاحوال ، أن النحات عندما يتحول الى تصوير شكل على مساحة ، فانه يحرز فيما يحوز ، امكانية اكثر ثقلا وتاثيرا فى التعبير مما يحوز عليه المصور الذى لم يمارس التجربة النحتية . ولقد قيل فى تفسير هذا ، أن النحات يتحوط على مجموعة صفات غالبة ، تجعله قادرا على استشفاف رؤية تصل الى واقع حسى للغاية ، فيما نسميه بالبعد الرابع . ففى حين يكون التمثال حجما فى المساحة ، وكتلة فى الفراغ ، فهو أيضا حركة فى الزمن . فالابعاد الثلاثة فى الكتلة النحتية هى بحالها ابعاد لمسية بحتة ، بينما هى فى اللوحة ابعاد وهمية ، ومغالية فى الزيف . ولذلك فان الاسقاطات الحسية التى يتحصل عليها المثال خلال تجاربه فى النحت ، تدع لمحاولاته فى التصوير امكانيات من نوع مجسد .

غير أننا لا نسلم بطبيعة ما ورد فى هذه القاعدة من تفصيلات ، بل اننا نجرؤ على وصفها باعتبارها نظرة من نوع محدود للغاية نحو الفن كعمل ابداعى . ففى الوقت الذى يعتمد فيه التصوير على العناصر البصرية للتهيئة الشكلية ، يعتمد النحات أساسا على عناصر ملكاته اللمسية . وفى حين يعتمد المصور على الخطوط والنقط فى تمثيل الشكل يعتمد المثال على الكتلة أو الحجم فى حالة تلاؤمها أو تنافرها مع الفراغ ، وفى حين يعتمد المصور على المساحة اللونية والضوئية فى مواترات الابداع ، فان المثال يعتمد على الفضاء غير المحدود ، وعلى اسقاطات المراكز الطبيعية للضوء فى ترسيخ الحجم الممثل . وعلى حين يكون النحت ككل هو نوع من اعادة رؤية الفضاء من خلال واقع فراغى مبتكر ، أى أن الفراغ فى ذاته هو ضرورة ايجادية للحجم النحتى ، فان المساحة اللونية فى اللوحة هى عنصر يقوم بدور جوهرى ، ولكنه تال على كل حال لدور الخط والنقطة .

ومن ثم فنحن اذن أمام جوهرين مختلفين كل الاختلاف من حيث مفهوم

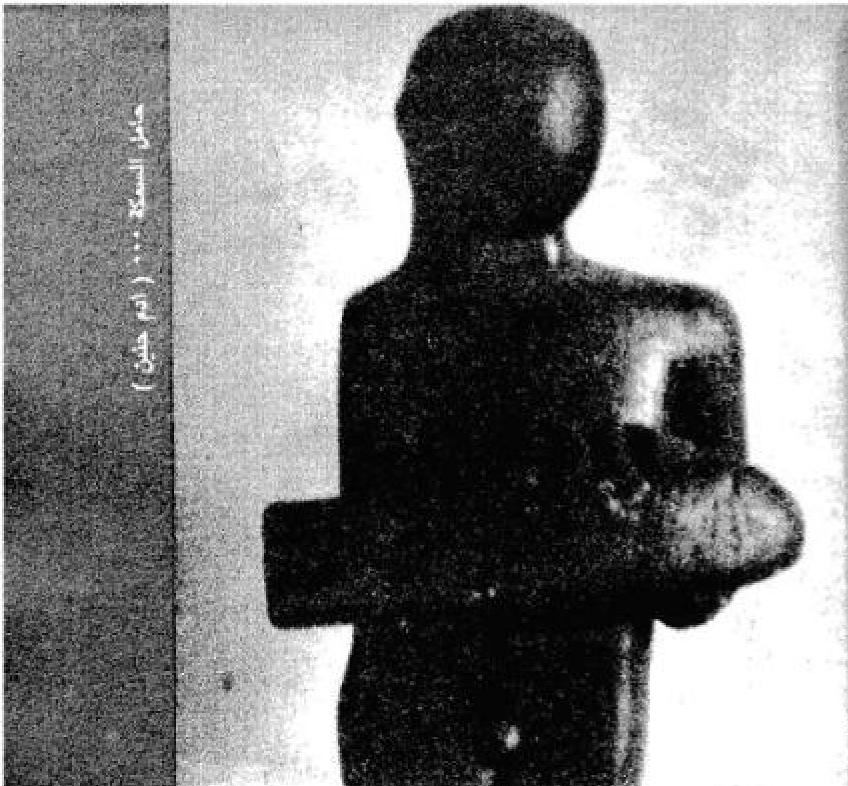
الكتلة والفراغ

الجمال والتكامل ، وأيضا ـ على الارجح ـ من حيث الاهداف الغائية في الفن ونحن نلمس ذلك عندما نرى القيمة النحتية عند مصور مثل « جوان ميرو » اقل من ثرائه التصويرى ـ في حين نجد القيمة التصويرية تفقد بعض مباهجها عند مثال مثل « جون هانز أرب » ـ ولنا على ذلك الكثير من التحفظات ، وليس فيما فصلناه قاعدة يصح أن نسلم باطلاقها ، فثمة في حالة فنان مثل « ميكل انجلو » مالا يدع مفرا من التسليم بثقله الفني في النحت والتصوير .

● وفي تناولنا لاعمال فنان مثل صالح رضا ، عندما عالج القيمة التصويرية الى جانب ابداعاته النحتية . فلعلنا نقرر ـ طبقا لرأينا ـ أن المخيلة التصويرية عند صالح رضا أقل ثراء من مخيلته النحتية في الكثير من الظواهر . ولعل ذلك يرجع بشكل نهائي الى احساسه المركز بالحجم كعامل صراعي يحسم مشكلة الجمال بالنسبة اليه . فاللوحة التصويرية لا تقدم لصالح رضا حجما لمسيا ، وانما واقعا ضوئيا ، وليس في ذلك ما يعوضه عن حياته الطفولية التي قضاها في حي الحسين بالقاهرة ، عندما اخذ يساعد والده في اكتشاف قيمة الفيروز في الاحجار ، ـ هكذا بدأ صالح رضا تنمية غير محددة في أمكانياته اللمسية ، وفي احساسه بالحجم كحقيقة واقعة .

ومن ثم فقد عبر صالح رضا خلال ثلاث مراحل نحتية هامة ، منذ بدأ بشكل رسمى يقدم أعماله للجمهور العام . فلقد انشغل صالح رضا بقضايا ذات سمات اجتماعية صرفة حين قدم الجوعى ، والتضامن والعائلة ، والكفاح ، ولقد كانت في معظمها قضايا يمتلىء بها المجتمع المصرى في ذلك الوقت ، ويطفح بها الانفعال العام . ولكن رضا ظل أمينا على محاولة ابداع الشيء بالحجم الذى يحسه . ولذلك فقد كانت الكتلة عنده في ذلك الوقت صماء ، ثقيلة ، تتحلى بالكثير من التحدى والصلف من خلال النتوءات المنخفضة ، والبروزات العالية ، والتقويسات الحانية ، والوجوه الكثيبة ، والاذرع والاقدام ذات المبالغات اللامبالية . كان الواقع الفكرى العام في ذلك الوقت يشكل عند صالح رضا عنصر احتياج ملح في النحت ، ولذلك فلم تكن لتشغله في هذه اللحظة مشكلة الحوار الوجدانى ، أو الرياضى مع الفراغ المحيط أو المساحة الممتدة ..

ولذلك فقد كانت علاقة الكتلة بالفراغ هي علاقة من نوع غريزى للغاية ، اذ كانت تماثيله هذه ذات التوصيل الوسائطى الساخن تقدم نفسها من خلال وجدان مركز متعارف على كل ملامحه ، فهى اذن لم تكن لتتطلب اشتراكا عقليا من الآخر ـ الذى هو المشاهد ـ بقدر ما تؤكد عنده علامات شبه مصطلح عليها للمشاعر العامة الجارية . ولذلك فلقد قوبل صالح رضا في ذلك الوقت بحماس واحتفال اجتماعي . وسرعان ما تحول هذا الحماس الى اعجاب حين انسحب صالح رضا من عالمه الصارم ، الى عالم نحتى اقل صرامة وغنيا بالتطلعات الرياضية في النحت .



حامل السمكة ... (ام حفين)

الكتلة والفراغ

ولقد بدأ صالح رضا منذ ١٩٥٨ يقدم المرأة المصرية ، وعروسة المولد ، وبنت النيل ، والعائلة ، وحاملة الجرة ، بملابسات وصفية شائعة ، وسمات شعبية ذات طابع مصرى شديد التمييز . ومن ثم فلم تكن لتجىء تماثيله فى رحلته هذه الثانية من واقع اندفاعه الى المشاكل الاجتماعية الراهنة ، أو من موقفه تجاه قضايا محلية قد تثير مشاعر الاحتجاج والمأساة ، وانما جاءت رحلته الثانية تغلغلا جوانيا عذبا داخل الحوارى الشعبية ، وتأملا للمحب أمام الخلاصات الفنية العالية التى أخذت تستوقفه على واجهات الجوامع وملابس الفتيات الشعبيات والخلاخيل الفضية ، وحركة الملاءة الملفوفة والقوام الخصب .

غير أننا سرعان ما نلحظ بعد زمن من التأمل ان ما لجأ اليه صالح رضا لم يكن الا مجرد استعارات لتمثيل الشعبية من الظاهر ، فى حين كانت تماثيله قد أخذت تكشف عن جموحه نحو تحوير الحجم ليصارع مجهولا فراغيا هائلا .. وبدأت لأول مرة فى كتلته النحتية تفريغات فضائية حاسمة ، أخذت تعمل على ايجاد نوع من التوازن التقليدى بين الحجم كخط تحديدى خارجى ، وبين الكتلة كوزن وكثقل وكثافة .

لقد كانت التجربة عند صالح رضا فى ذلك الوقت تقوم على خلق مصالحة معتدلة بين الكتلة وفراغ فيها يعوزها ، فلم يكن ذلك فى حقيقة الأمر الا نوعا من التوازن المباشر بين القوى اللمسية والخطية الكائنة أمام البصر ، وبين الحجم واللاحجم ، وبين الكتلة والضرورة الجمالية .

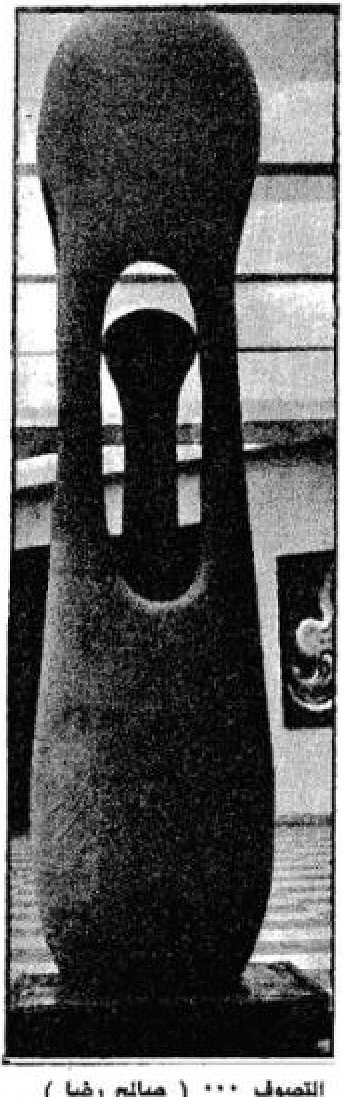
لقد كان صالح رضا حتى هذه اللحظة متصالحا للغاية مع الفراغ الهائل باعتباره حقيقة متسلطة .

ولكن ثمة ما أخذ يبدو جليا فى تجربة هذا الفنان . اذ أخذت تماثيله وأحجامه النحتية تأخذ هيئة راسية على طول الخط . فهى مرتكزة بقوة ، وبشكل عدوانى متعامد على الافقى ، وغير المرئى ، **هكذا بدأ صالح رضا يلخص حبه للحياة واستمرارها .**

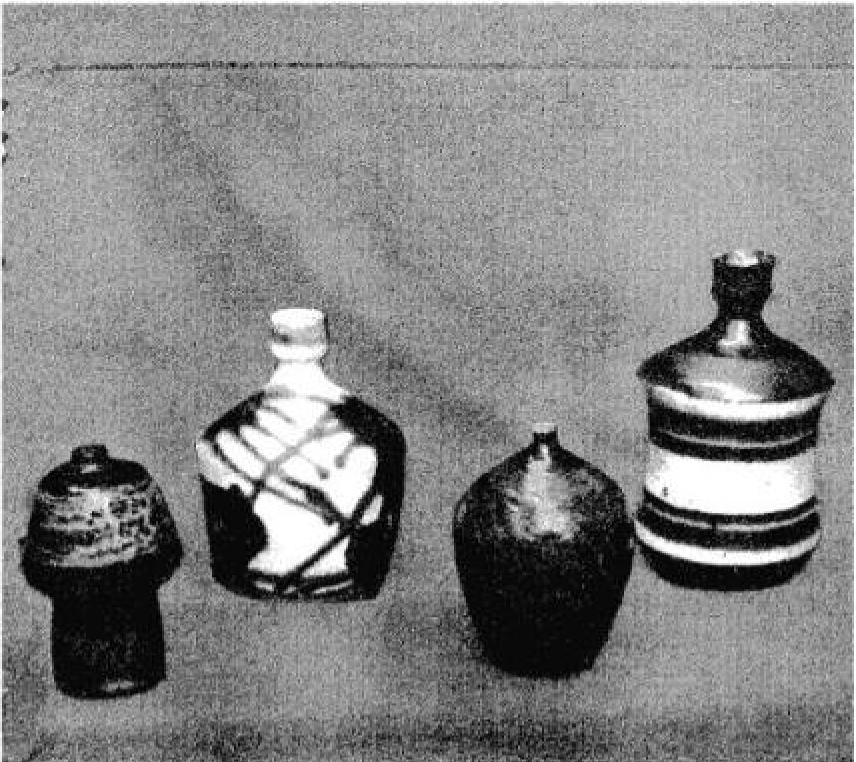
وما أن انتقل صالح رضا بين عامى ٦٤ ، ٦٥ الى تجربته الفنية الثالثة ، حتى بدأ يتجلى الغضب والصرامة فى أعماله ، وأخذت أشكاله تكتسب اسقاطات انسانية شاملة ، وأحكاما قاطعة . ومن ثم ظهرت لأول مرة محاولاته الرياضية فى النحت ، وأخذت « **لعبة الفراغ** » **كحقيقة يمكن محاورتها — من هذا الموقع — تتشكل فى تماثيله بضراوة لا مثيل لها .** هكذا انقلب فعل الفن من مجرد ظاهرة تبدأ بالغريزى اللمسى ، الى عالم بصرى غير منتهى ، كائن حول جميع الاشياء ، ويتمثل فى « الفراغ » .. وانعكست قضية الابداع عند صالح رضا بحيث اكتسب الحجم النحتى مفهوما مخالفا على طول الخط . فالحجم هو تشكيل فى الفراغ ، أو أن الحجم هو منسوب لفراغ جديد ، أو أن الحجم هو نوع من الصياغة المعادة لفراغ راهن . **ولعل تمثال الزعيم ، او الولادة ، او الجنين ، او الصلب ، هى أفضل الاعمال التى تقوم بتمثيل ما ندعيه .** فهى فى معظمها تقوم



شكل ••• (عمر النجدى)



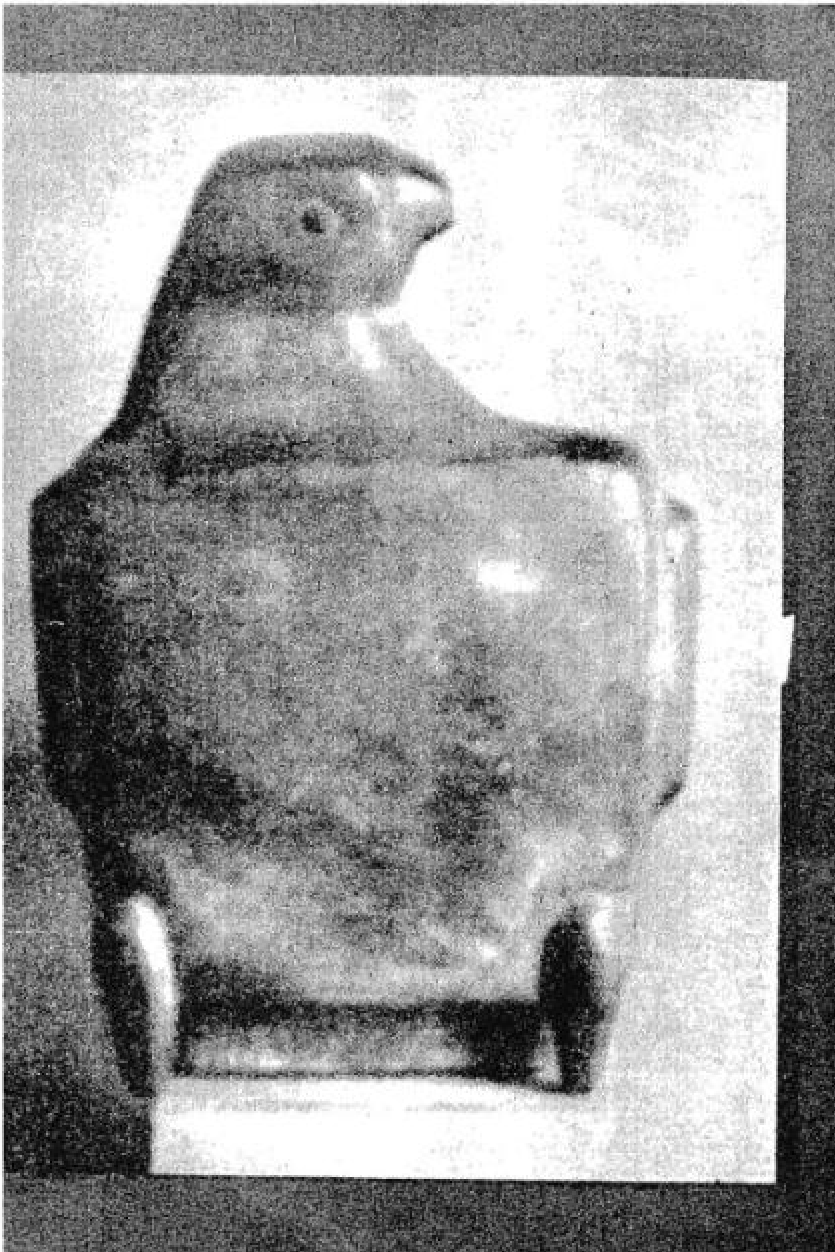
التصوف ••• (صالح رضا)



أوان خزفية ...
من أحدث أعمال
(صالح رضا)

الكتلة والفراغ

المصور ... (ادم حنين)



الكتلة والفراغ

على خطوط متساهية صرحية ، ذات طابع ميدانى صرف ، وفى حين تتحوط على جوهر ما ، الا اننا لا نستطيع أن نتحصل على محاورة مع هذا الجوهر بدون اشتراك متبادل . هكذا تحول صالح رضا الى نهج عقلانى فى أغلب الاحوال ، حين تحولت أعماله من التوصيل الحار الذى لايتطلب اشتراكا من أى نوع ، الى خاصية التوصيل البارد الذى لا يتأتى الا بفعل العقل

وهكذا بدأ صالح رضا ، وعلى التحديد منذ عام ١٩٦٧ المرحلة الصعبة نحو الحرية الفنية . وبالذات عندما بدأ تجربته النحتية الحالية باستخدام خامة الخشب لأول مرة ، حين استعملها من خلال منطق نحتى لم تكن لتعد له اساسا فى الطبيعة ، وهو النحت الهندسى الرياضى .

○ آدم حنين ○

● ولد بالقاهرة سنة ١٩٢٩ ● تخرج فى كلية الفنون الجميلة سنة ١٩٥٢ ● حصل على جائزة الانتاج الفنى الاولى لوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٣ ● عمل رساما بدار روز اليوسف عدة سنوات ، ثم حصل على منحة التفرغ من وزارة الثقافة ● واصل دراساته الخزفية والنحت فى ألمانيا الغربية لمدة عام ● شغل منصب المستشار الفنى لجريدة المساء بدار الجمهورية بعض الوقت

اذا كنا قد وصفنا صالح رضا بأنه فنان محب للحياة ، فان القياس ذاته يلزمنا أن نرى آدم حنين باعتباره فنانا يائسا متبرما بالحياة ، ولا يبدو هذا التبرم عند آدم حنين موقفا ، بقدر ما يبدو استسلاما محبطا ، ويأسا قانطا . فليس فى أعمال آدم حنين شيئا متشبثا بالحياة ، بل بالموت . وليس فى شخوصه التى نحتها غضب ، بل قنوط ، كما أن تماثيله لا تقدم لنا جوهرا مشتركا مع الناس والأشياء ، بقدر ما تقدم لنا افراطا فى الحس الذاتى الصرف والانغلاق حتى البكاء .

ان السمكة التى يحملها الرجل فى تمثال آدم حنين هى عبء ، والكتاب الذى تحمله الفتاة الراكعة هو عبء ، والدرع الذى يحمله الرجل المصارع هو عبء ، وجناحى طائره المحنط هما عبء ، وعالم حماره الصائر هو عبء ، ان كل شىء هو عبء ، بل ان كل شىء هو ظلم ، وهكذا لا نخرج دون أن نستطلع واقعا رومانسيا مفرطا فى التقليدية لا يقدم لنا اجابة شافية الا البكاء والحزن .

ولقد عبر آدم حنين خلال تجربتين هامتين منذ بدأ تأليفاته النحتية على التقريب سنة ١٩٥٤ ، أو فيما قبل ذلك بقليل ، حين اخذ ينشغل فيما بعد بالتعبير عن قضايا ذاتية بحتة تلخص موقفه من الحياة والعالم .

كان مخلصا شديد الاخلاص لذهبه الفكرى العزوف المتكبر ، منقبا تحت احساس مسيطر من الحزن القديم عن العالم القديم ايضا ، ومن ثم فقد تراك المدينة المتلالئة الصاخبة ذات يوم ، الى جــوف الصــعيد • ولكنه لم يكن ليلجا الى هذا الصعيد البعيـــد الا بحثا عن ذاته الحيرة التى شغلته حتى النهاية • **لقد كان ادم حنين اذن فنانا ذاتيا يجرجره الى تجربة الفن شجن فلسفى ، وربما عقائدى دينى ايضا •**

ولذا فقد بدا واضحا أن آدم حنين أخذ ينحو الى أن يقدم فى اعمــاله النحتية بعض الكلماتوبعض الافكار ، بحيث يصير التمثال بدونها وعاء لا وزن له ، أو حجما لا يكون فيه من المفردات الاخرى ما يثيــر الشريك الاخر • هكذا بدأ آدم حنين تجربته الفنية وهو مشغول بتحويل الحجم الى وعاء يستوعب فكرا من الأساس ، أو حسا ذاتيا على جانب عال مــن التركيز • فلم يكن الفراغ عند آدم حنين يمثل اشكالا من أى نوع • فلقد استعار خبرة الانسان بالجمــال النمطى فى ظواهر الاحجــام ، بين الاشياء مثلا والطبيعة ، وبين الطيور والفضاء الصغير ، وبين الحمــار أحيانا وتمثيله للحزن ، وبين الكلب وتمثيله للوفــاء ، وبين القط وتمثيله للغامض والمجهول ـ استعار حنين من **هنا خبرة الجمال الجاهز • تلك التى تم تحصيلها على مدى زمن طويل مــن العراك بين الشىء والطبيعة ، وبين الإعتياد البشرى وتلاؤمه مع شكل الجمال المفروض •** تلك كانت أدوات آدم حنين الرئيسية فى الفعل النحتى حين استخدمها استخداما غائيا بحتا لارفاقها بخلاصة من الفكر الادبى ، أو الشعارات الرومانسية الذاتية •

***

نحت ادم حنين طائره المحنط ، وهو طائر له جميع أوصاف الطيــر بدون

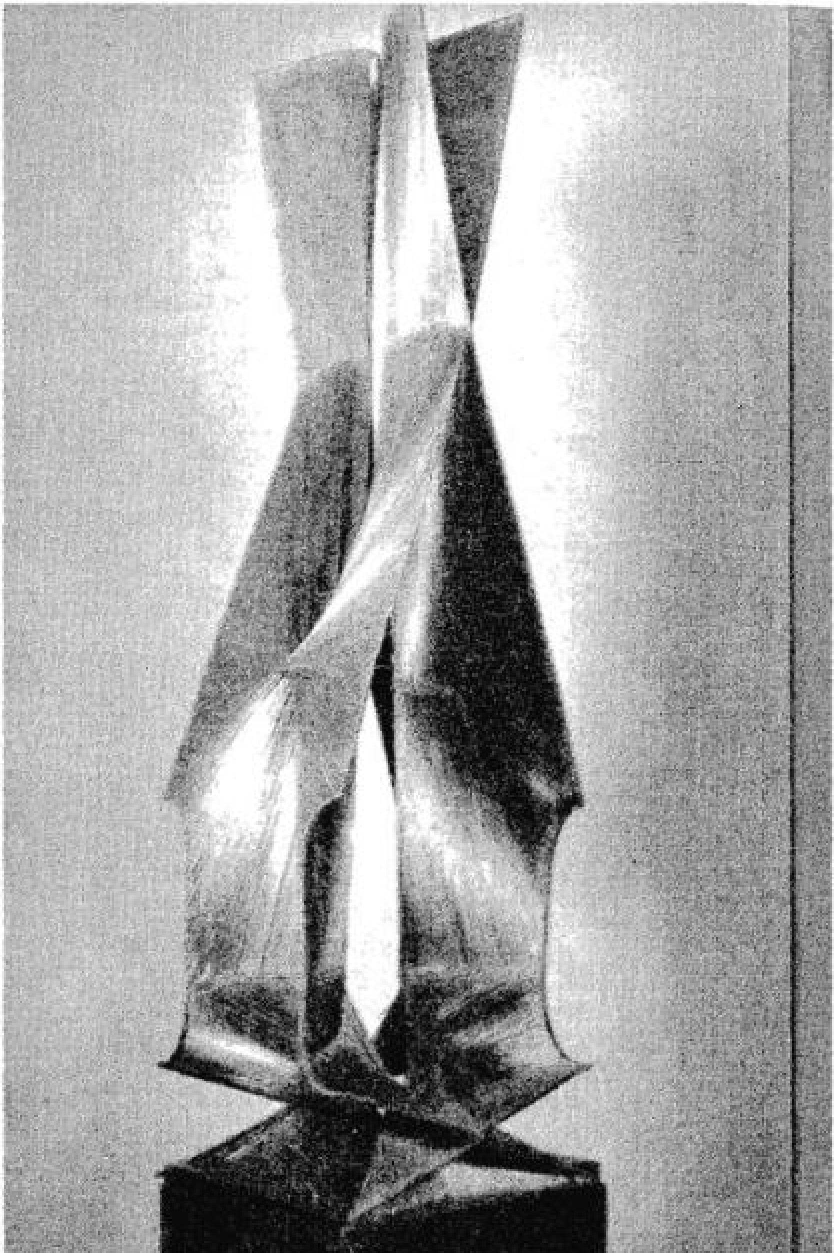


امرأة راكعة ••• (آدم حنين)



صبي يرتدي الشال
... (تصوير زيقى
ـ عمر النجدى)

نحت من البرونز .. للفنان
« يخـس » عام ١٩٦٦



تصريف حجمي من أي نوع . ولكن الفارق الوحيد أنه طائر ميت . ولا تبدو لنا حالة الموت الراهنة في الطائر مجرد فترة لحظية ، أصابت الطائر وهو يتهيأ للطيران ، أو هاجمته وهو يطير بالفعل ، بل هو طائر قد مات ، ثم جرت عليه رغبة الاحتفاظ به ميتا .

ولكن ثمة ما يتبقى لصالح القيمة النحتية في هذا الطائر بالذات ، اذ لم يفت على الفنان أن يضعه على قاعدته مثبتا على هيئة رأسية صارمة . فرأسه مرتفع الى أعلى ، ورقبته مازالت تحمل الكثير من الرغبة في الحياة ، غير أن جميع العوامل الاخرى المساعدة تقف محطمة عن أن تمنحه تصورا لاى جموح منشود .. ان الجمال هنا اذن هو جمال جاهز . والطائر هنا لا يستعيد جوهره الحجمي من كونه نحتا خالصا ، وانما من كونه ممثلا لخبرة الانسان مع الجمال الاعتيادي الموروث .

ومن ثم فنحن نتذكر الاعمال النحتية العظيمة التي قدمها « كونستانتين برانكوزى » عندما تناول الطيور . ان طيور «برانكوزى» تنحو – مع بعض التجاوز – ذات المنحى من حيث الاستلهامات الحسية والاسقاطات الذاتية . ولكن الفارق هو أن «برانكوزى» بدأ ينحت طائره من واقع مفردات نحتية أساسا . لقد بدا الطائر المعاد عند «برانكوزى» باعتباره اشكالا حجميا يتمثل في فراغ غير مراد . ومن ثم فقد اتخذ «برانكوزى» من الفضاءالصرحي المحيط مادته في التشكيل وفي اعادة صياغة فراغه الراهن .

ومع أن «برانكوزى» قد قدم طائره على افتراض أنه طائر ميت ، الا أن الكتلة النحتية ظلت ساكتة عن أن تمنح الشريك المتلقي أى وصف من هذا النوع . وعلى الرغم من أن طائر «برانكوزى» يرتفع رأسيا الى أعلى ، غير أنه بدون رأس ، وعلى الرغم من أنه طائر ميت الا أنه ممتلىء بالعافية والقوة ، وعلى الرغم من أن للطائر جناحين الا أننا لا نتلمس له سطحا ريشيا لسيا ناعما بل نتوءات هندسية تعطى للبناء النحتى أبجديات جوهرية لها عوز ضروري في خلق حوار مع الحجم وفراغه .

تلك كانت المرحلة الاولى الواضحة التي ميزت آدم حنين ، أما المرحلة الثانية فقد تميزت عنده باستخدامه للاشخاص – ولنعترف منذ البداية أن الاختلاف بين المرحلتين ليس متعارضا ، ولا جذريا ، وانما هو نوع من التدرج الشديد البطء المرؤية أكثر واقعية ولا نقصد هنا بالواقعية مفهومها الذهبي الشائع ، وانما نعني بها الطبيعة ، والانطباعية في الفن . فلقد بدأ آدم حنين في أعماله هذه أقل ميتافيزيقية ، وربما أيضا أقل ذاتية ، حين عرض لنا « حامل الدرع الواقي » ، و « حامل الدرع التصفى » ، و « الحارس » . اذ ظل حنين أمينا على سطوحه التعبيرية ، وملامح أشخاصه ذات الترابط الخوفي التأثرى ، كما ظل ملتزما بمنحاه العنيد الى الاسلوب الوصفى للكتلة ، وللايقاع البطيء الشديد السكونية ، حريصا للغاية على تهيئة الاحجام النحتية للاذعان لاحتياجات الموضوع أكثر من اذعانها لضرورات الجمال . واخضاعها لمؤثرات لحظية للغاية بدلا عن دفعها في حالة من حالات الحركة الدائمة .

ومن ثم فقد انسحب الجمود على تماثيله ، وأخذت هذه الحالات الحركية اللحظية في الحجم ، تتحول بعد تجاوزات زمنية الى حركة لم تكتمل ، أو فعل جامد ، أو شخص يجرى عليه التحنيط على أغلب الظن .

هكذا ظل الفراغ عند آدم حنين مجرد فضاء غير فعال . وأخذ

التمثال يدور حول ذاته في إيقـــاع تبادلى متواز ، يتمثل في كتلة يحدها ثقل ، وحجم يحده خطوط ، وموضوع غير واضح على طول الخط .

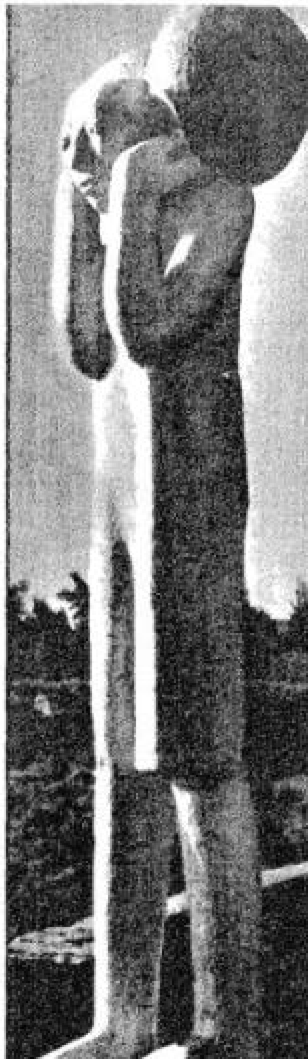
غير أن التداعيات النحتية عند ادم حنين لا تترك لنا مفرا من أن نتذكر مثالا عظيما مثل « مارينو مارينى » ، فعلى الرغم مـــن بعض المطـــابقات المتشابهة فالفارق هو في نفس المعنى الذى فصلناه عند « برانكوزى » ـ فلقد كان « مارينو مارينى » ، فضلا عن انطـــلاقه من مفهوم أن النحت « حركة في المكان ـ وهـــو المعنى الذى تتحمس لصحته ـ كان يزمـــع أيضا الى تخليق جوهر فلسفى من هذا الموقع ، جوهر انسانى يقوم على جعل جميع الآخرين عاملا مشتركا فى الرؤية النحتية . فالشحنة الحسية التى يطرحهـــا « مارينو مارينى » فى تماثيله المشدودة المحنطة ليس حسا ذاتيـــا وانما هو واقع انسانى هام .

● عمر النجدى ●

● ولد بالقـــاهرة سنة ١٩٣١ ● تخرج فى كلية الفنون الجميلة وكلية الفنون التطبيقية واكمل دراساته فى ايطاليا ● نال جائزة عضوية مرسم الأقصر سنة ١٩٥٣ ، ثم جائزة النحت الاولى من بينالى الاسكندرية الدولى سنة ١٩٦٥ ، ثم الجـــائزة الاولى لصالون القاهرة

● اقام اكثر من سبعة عشر معرضا فرديا وله اعمـــال فى جميع المتاحف المصرية ، وكـــذلك بالمكتبة القومية فى باريس ، ومكتبة الكونجرس بامريكا ، وغيرها ● أستاذ مساعد بكليـــة الفنون التطبيقية بالقاهرة . يشـــغل حاليا منصب مراقب عام الخـــدمات الانتاجية ، بالتليفزيون العربى .

◆ بدأ عمر النجدى تجربته الفنيـــة مصورا . ففى أواخر الخمسينات كان قد تم اعتبار عمر النجدى واحدا من



حامل القـــدور ... (ادم حنين)



أولئك الذين يمثلون أملا كبيرا فى التصوير المصرى . وفى عام ١٩٥٩ كان النجدى قد أنجز لوحاته « نساء عند البئر » ، و « صبى يتلفع بالشال » ، و « خطاب الى أبى » ، و « مداح مصرى » .

كان النجدى قد تميز فى ذلك الزمن بحبه العميق للحياة الشعبية المصرية، ولاولاد البلد ، ولاسلوب التركيب المعمارى فى الجوامع . هكذا أخذ النجدى يؤكد امتدادا وايقاعا عذبا كان قد بناه « سيد عبد الرسول » منذ أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات ، بحثا حول ما سمى فى ذلك الوقت بالشخصية المصرية فى الفن . وتلخصت موضوعات النجدى التصويرية فى تلك الفترة بابرازه للفلاحات الحاملات الجرار ، والبائعات الحاملات السلال ، وابن البلد عازف الموسيقى ، والشاعر الجارفة التى تربط الرجل بالمرأة ، والطفل بالعائلة .

ومع أن النجدى لم يتميز عن الاخرين فى ذلك الوقت بنوع الموضوعات التى أخذ يطرقها حينراح يتواكب مع التطلعات التى نهضت للبحث عن الشوارع الخلفية فى المدن ، والناس الفقراء والداحين الدينيين لاتخاذها مادة تحمل سخاءها فى التعبير الفنى ـ الا أن النجدى كان مصورا بكل معنى الكلمة . فقدراته التلوينية تنحوط على ثراء عميق ، وخطوطه وأشكاله على درجة عالية من السلاسة والعذوبة ، وتمثيله للسطح التصويرى كان يعتمد أغلب الوقت على التبادلات التوفيقية بين الالوان وبعضها والسطوح المفتوحة والسطوح المغلقة ، بحيث أستطاع النجدى خلال ممارساته المتواترة أن يقدم لنا فى معظم لوحاته خاصية من الشفافية والنقاء جعلته قادرا للوهلة الاولى على أن يلمس المشاهد لمسا مؤثرا .

وفيما بين عامى ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ بدا

العروسة ... (صالح رضا)



مداح مصرى .. « عمر النجدى »

الكتلة والفراغ

النجدى تحولا خطيرا فى حياته الفنية .. وبدون اية مقدمات تمهيدية كان النجدى قد فاجأ الجمهور العام والخاص بأعماله النحتية فى الحديد بغزارة عقدت الدهشة عند الجميع .

ومن ثم فقد راحت الدوائر الفنية تنظر الى هذا التحول بالكثير من التوقعات ، بينما بدا بعض محبى الفن يأخذون موقفا حذرا حين فوجئوا بأشكال فى الحديد لا تمت الى النجدى بصلة من أى نوع .

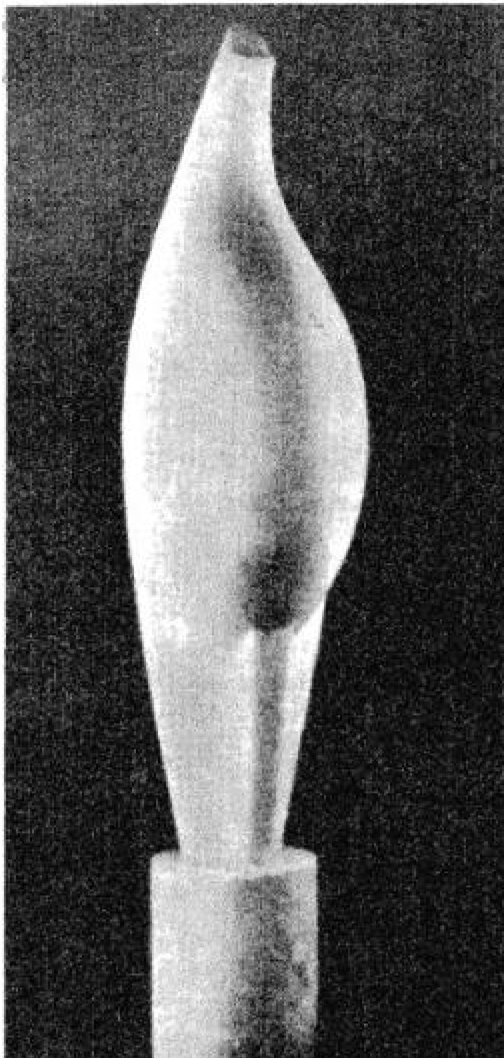
وفيما بين عامى ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ بدأ النجدى حملته الشهيرة حول ما سماه « بالفراغ » . وفى عام ١٩٦٩ زعم النجدى انه قد لجأ الى القرآن الكريم ، فكلماته تحمل الكثير مما يساعد على استنباط فن ذى سمات اسلامية خاصة ، هو فن الشرق الاوسط ، أى « فن مميز الشخصية ، متحرر من التأثيرات الهوروبية الغربية ذات الادعاءات الزائفة » ــ وتجاوز النجدى ذلك الى تصريح مكتوب يقول: فى القرآن الكريم آية نصها : « ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون » .

ومن هنا استلهم فلسفتى ونظريتى.

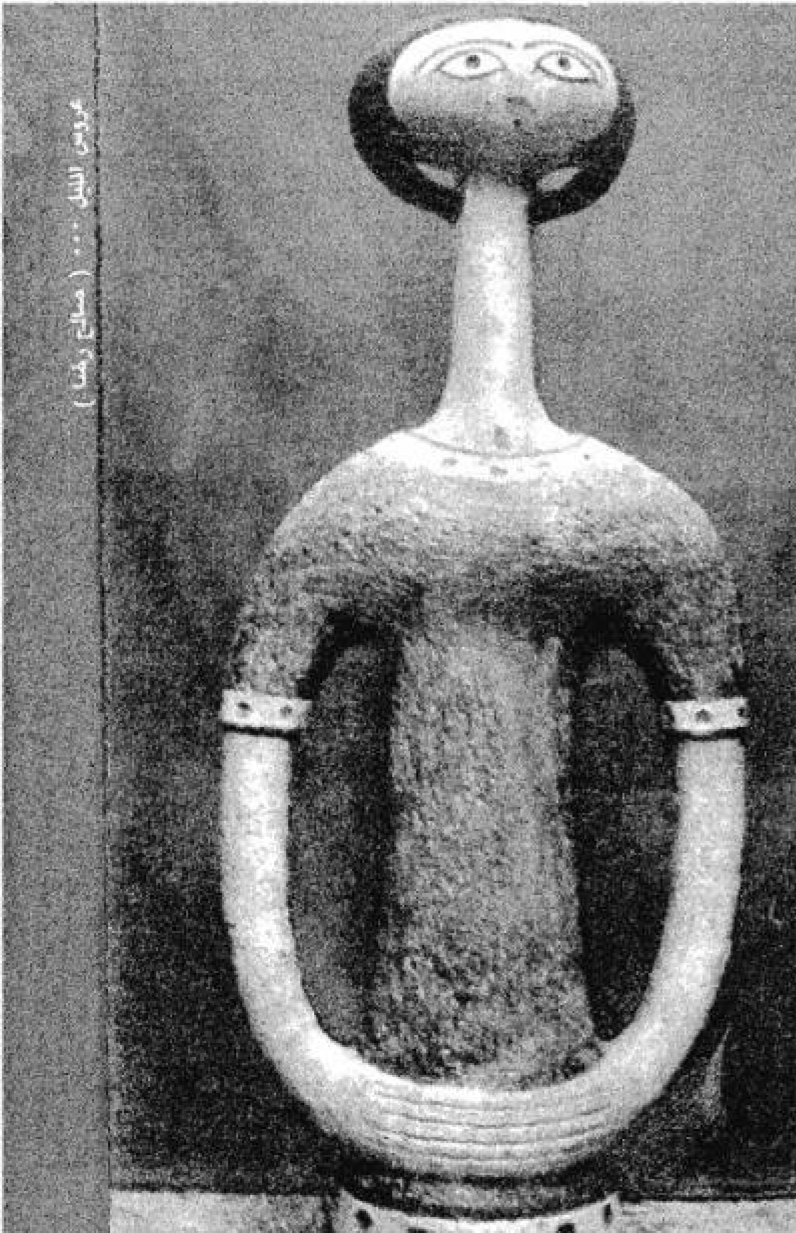
ثم استرسل النجدى موضحا ، ان الموت هو الفعل السلبى ، والحياة هى الفعل الايجابى ــ والفعل السلبى هو الفراغ . والفعل الايجابى هو الحجم .. ولما كان لا غناء للحياة عن الموت ، ولا غناء للموت عن الحياة ، كما يقول النجدى ، فقد عمد الى تفريغ الاحجام عن طريق اقتطاع شكل خاص من كتلة معينة ، ثم وضعه بجوار ، أو خلف ، أو أمام الفراغ الذى استحدثه انتزاع هذا الشكل من الكتلة المعينة . وهكذا تتم عملية التوازن الرياضى بين الكتلة ذات الشكل المستحدث ، وفراغها الخاص ، أى أن هذا التوازن ، طبقا لزاعم النجدى ، هو نفس التوازن الذى يقوم بين الموت والحياة .

مهما يكن من شيء فنحن نفضل الا نعول على ما اثاره النجدى من وجهة النظر الفكرية حول اعماله النحتية حتى نستطيع أن نرى اعماله بوضوح مناسب . ولنعترف منذ الآن ان تجربته فى هذا المجال مازالت تحتاج الى الكثير للحكم عليها ، على الاقل من زاوية ما اثير بصدد الفراغ والضرورة المتماثلة . ففى الوقت الذى لجأ فيه النجدى للتعبير عن احتياجه الى فكر فلسفى فى النحت ، اذ به يتحول الى التشخيصية ، ثم الى التجريدية ، ثم الى التشخيصية من جديد ، ثم الى الواقعية المفرطة عندما نحت « الثعلب والديك » ، ثم الى التعبيرية الرمزية عندما نحت تمثال « الموسيقى » ، و « المسيح » ، ثم الى الواقعية عندما نحت « الجاموسة » .

جرى ذلك كله فى زمن شديد التقارب ، بحيث لا يدع لنا العمل النحتى مفرا دون أن نراه رؤية مخلوطة مغلوطة ، بين كثير من الذبذبات الضجرة ، وبحيث لا يدع لنا الزمن القليل الذى يلخص تجربة النجدى أى مسافة مهما تكن ... لكى نفصل كل تجربة عن بديلتها الاخرى ، حتى نستطيع أن نتمثل وضوحها ، ونؤسس أحكامنا ..



الطائر ... (كونستانتين برانكوزي)


عروس النيل ... (صلاح رضا)



■ فـــؤاد دوارة ■

الوجدان القومي في روايات نجيب محفوظ

من «أولاد حارتنا» إلى «ميرامار»

تعرضنا فى مقال سابق نشر «الهلال على اهم الاهداف القومية فى روايات نجيب محفوظ منذ اول رواياته التاريخية حتى اخر اجزاء الثلاثية ، ولمسنا كيف ان هذه الاهداف كانت تزداد قوة ووضوحا مع كل رواية ، بحيث نستطيع ان نزعم ان هذه الروايات قد صورت بامانة وصدق واقع مصر فى الثلاثينات والاربعينات وكشفت عن كثير من عوامل الفساد والتفسخ والهوان التى طبعت تلك المرحلة من تاريخنا بطابعها ، بحيث لا يملك قارىء هذه الروايات الا ان يرفض ذلك الواقع الزرى ويثور عليه ويحاول تغييره ككثير من ابطال تلك الروايات ..

الوجدان القومي في روايات نجيب محفوظ



« .. لو رد الى الحياة لصاح بكل رجل .. لا تخف .. الخوف لا يمنع من الموت ولكنه يمنع من الحياة .. ولستم يا اهل حارتنا احياء ولن تتاح لكم الحياة مادمتم تخافون الموت .. »

عرفة في « اولاد حارتنا »

ولم يكن نجيب محفوظ في هـذه الروايات الا رافدا قويا وثريا من تيار فكرى كبير انتظم مجمـوعة ضخمة من المثقفين المصريين على اختلاف نزعاتهم السـياسية ، وانتج عديدا من الاعمال الادبية والفنية عمقت في الوجدان المصرى الاحساس برفض واقعه المرير ، ومهد بذلك لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ خير تمهيد كضرورة تحتمها طبيعة الاوضاع التى كانت سائدة وقتذاك .

ولا شك ان نجيب محفوظ كان من أشد المرحبين بقيام هذه الثورة التى بدأت تحقق الكثير مما عاجمه في رواياته كالاحتلال والملكية الفاسـدة وسوء توزيع الثروة والعفن المتفشى في دواوين الحكومة وكل مرافق حياتنا ، ومع ذلك فقد أصابه قيام الثورة بشلل فنى كامل رغم انه كان قد أعد سبعة موضـوعات في نفس الاتجاه الواقعى النقدى الذى تمثله الثلاثية خير تمثيل :

« .. وحينمـا ذهب المجتمع القـديم ذهبت معه كل رغبة في نفسى لنقده ، وظننت اننى انتهيت أدبيا ، ولم يعد لدى ما أقوله او اكتبه ... وظللت على هذه الحال من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٥٧ لم اكتب كلمة واحدة ، ولم تنبعث في نفسى رغبة في الـكتابة ، وكنت أعتبر المسألة منتهية تماما حتى وجدتنى اكتب « اولاد حارتنا » وانشرها سنة ١٩٥٩ »

ماسر هذا التوقف الفنى الطويل بالنسبة لكاتب خصب شديد التنظيم ، تعود الا ينتظر هبوط الوحى عليه ، بل يكتب كل يوم في موعد محدد ، فلم يكد ينقطع من الكتابة والنشر منذ صدور أول رواياته عام ١٩٣٥ حتى قيام الثورة !!

لقد ذكرنا في مقالنا السابق أن نجيب كان قد أعد اربعين موضوعا لروايات تعالج تاريخ مصر القديم ، كتب منها ثلاثا فقط ثم تحول الى الواقعية المعاصرة في «القاهرة الجديدة » ، ورجحنا في تفسير هـذا التحول المفاجىء ، أن الروايات التاريخية ، رغم ماتضمنته من أهداف قومية معاصرة لمحنا اليها ، لم تشبع رغبة الكاتب في توصيل أهدافه القومية المعاصرة للقراء ، ومن ثم كان اتجاهه لعلاج الواقع علاجا مباشرا دون الالتجاء الى التاريخ ، ليقوى بذلك تأثيره في قارئيه .

ونجيب نفسه يقول :

« .. لا فكر خارج الحياة .. لا فكر خارج الزمان والمكان .. لايوجد في التاريخ تفكير مجرد .. أصول كل المسائل النفسية والفكرية ضاربة في الحياة العادية واليومية .. انا اعيش افكارى في نفس الوقت الذى

اعيش فيه الناس .. ولا اكتبها وانما اكتب عن الناس ...

اذا كان الادب الانسانى ـ جدلا ـ يقتضينى الا اهتم ببيئتى او ادرسها بعمق كما يجب فانا لايهمنى كتابته ولاشىء يغرينى به ... »

ومقالنا فى عدد سابق من « الهلال » ليس الا تأييدا لهذا الارتباط الوثيق بين ادب نجيب محفوظ وبين واقع البيئة المصرية .. لا ارتباط درس وتصوير لحسب بل ارتباط نقد وكشف ، وحث على التغيير والتطوير ..

الادب والثورة

وهذا ـ فى الحق ـ شأن كل ادب عظيم .. فالادب العظيم كان دائما ادب ثورة ومعارضة ، ولم يعش ادب جعل همه الاشادة بالحاكمين وتأييدهم .. ذلك أن الحاكم مهما عدل وعبر عن رغبات الشعب لابد أن تشوب حكمه نواقص وسلبيات ، ولابد أن تقع على الشعب ظلامات وأن تتجدد له مطالبات ، ودور الادب العظيم هو كشف هذه النواقص والسلبيات ، والوقوف الى جانب الشعب لتحقيق مطالبه وكف الظلم عنه .

هذه بديهية فنية وفكرية سلم بها كل الدارسين الجادين من قديم ، وان كانت كثيرا ماتغيب عن بالنا مع مايغيب عنه من بديهيات . ويهمنى أن استشهد برأى ناقد معاصر عبر عن هذه البديهية فأحسن التعبير وهو فى مجال الحديث عن ادب نجيب محفوظ بالذات ، وهو احمد عباس صالح الذى يقول :

« .. الادب هو قرون الاستشعار للثورة . انه يسبقها قبل ان تهب هبتها الاولى ، ويسبق خطواتها وهى تتحقق . ولذلك فالادب ثورى دائما . انه تعديل للواقع من طريق نقده ، حتى لو كان هذا الواقع ثوريا ، لان الادب عندئذ يكون اكثر ثورية ...

ان الادب لايعارض الثورة الاشتراكية ، بل هو يعارض اخطاء التطبيق ، يعارض الانحراف ، يعارض كل تلك الرواسب القديمة التى تظل مسيطرة حتى على الثوريين بعد تحقق الثورة . وهو يخلع قيما قديمة خلعا عنيفا ، ويتجه بالمعاناة الذاتية الطويلة الامد الى النموذج الانسانى الموافق لروح الثورة الاشتراكية ...

على ان هناك وقفة للادب ، تحدث عادة عندما تتحقق الثورة . عندما يلغى الاختلال القديم ، ويعيش المجتمع لحظات التوازن التى خلقتها الثورة . وفى هذه الفترة يتوقف الادب ، يذبل ويموت ، او يتحول الى موسيقى نحاسية تشجع على المسير ، انه يخرج عن وظيفته الطبيعية ليمارس وظيفة اخرى ليست من طبيعته

الا ان هذا لايستمر فترة طويلة ، فمثالية الفنان من مثالية الانسان بوجه عام ، وهى مثالية طموح لاتشبع . وستجد فى التطبيق دائما مايوقظ روح المعارضة فى الفنان وفى المجتمع . وبهذه الطريقة تتقدم الثورة نفسها ، ويظل للادب حتى فى مرحلة التغير الثورى وظيفته الثورية . ومن هنا كان الادب دائما اكثر ثورية من الثورة ، لانه كشف عن الضمير الطموح المجتمع فى التطور الى الاحسن .. »

على ضوء هذه البديهية الادبية نستطيع فهم سر توقف نجيب محفوظ عن الكتابة عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو ثم عودته الى الكتابة بعد مايقرب من خمس سنوات ، ولماذا غلب نقد سلبيات التطبيق على رواياته التى عاد بها ابتداء من « اولاد حارتنا » حتى « ميرامار » ..

ملحمة البشرية

لقد نادت الثورة بكل مانادت به روايات

نجيب محفوظ السابقة على قيامها واكثر ، وحققت الكثير منه بالفعل ، كالقضاء على الاحتلال والملكية العابثة والعمل على اعادة توزيع الثروة القومية على اسس اكثر عدالة ، وغير ذلك من اهداف الثورة التى تحققت ، ومن ثم بدأت تنطلق انطلاقة واضحة نحو الاشتراكية ، ولذلك فقد كان من المستحيل أن يمتشق نجيب محفوظ قلمه ليعارض نظاما حقق الكثير مما سبق أن دعا اليه مع غالبية المثقفين المصريين الجادين ، وفى الوقت نفسه لم يستطع أن يحول فنه الروائى المعقد الى « موسيقى نحاسية » تشجع على السير ، وكذلك لم تكن الرؤية واضحة ولا ممكنة فى ظل التغييرات الكثيرة والسريعة التى قلبت طابع حياتنا خلال السنوات الاولى التى تلت قيام الثورة ، ومن ثم كان من الطبيعى أن يتوقف نجيب محفوظ عن الكتابة مايقرب من خمس سنوات ،

لا اشك انه قضاها قارئا مطيلا للتأمل ، واكاد اقطع أن القراءات الدينية والعلمية قد شغلت جانبا كبيرا من سنوات التوقف ، فقد وضح اثر ذلك فى اول أعماله بعد الثورة وهو « اولاد حارتنا » ..

« فأولاد حارتنا » ملحمة روائية تعتمد على التأمل الطويل العميق فى تاريخ البشرية منذ بداية الخليقة حتى عصرنا هذا .. تاريخ عقائدها ودياناتها ، تاريخ كفاحها المستمر المستميت من أجل العدالة والحرية والكرامة .. تاريخ النجاح والفشل .. تاريخ المعركة المحتدمة ابدا بين المؤمنين بالمثل الاعلى وبين الظالمين والمستبدين والمستغلين فى كل العصور .. وكيف تنتصر الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الظالمة .. ثم مايلبث أن ينتكس الانتصار ويسود الظلام مرة اخرى حتى تظهر دعوة جديدة تقاومه .. وهكذا .. فى دورة لاتنتهى ، او لم تنته حتى الآن على الاقل ..

يقول نجيب محفوظ :

« .. الرفض انى اريد كتابة اسطورة .. انا فى هذه الحالة انزل بها من السماء الى الارض ، ولا ارفع الارض الى السماء .. هذا ماصنعت فى « اولاد حارتنا » .. كتبتها قصة واقعية صرفة .. »

وقارىء الرواية يلمس صدق ماقاله نجيب ، لقد جرد تاريخ البشرية من كل عناصره الميتافيزيقية ، وركز اهتمامه على جانب الجهاد المادى من أجل العدالة .. عدالة توزيع وقف « الجبلاوى » بين كل ابنائه مع محاولة تحريرهم من سيطرة الفتوات واستغلال نظار الوقف ، وكلهم من اللصوص المختلسين الذين خصوا انفسهم بخيرات الوقف وحرموا بقية ابناء الحارة من حقوقهم ..

وكما جرد نجيب تاريخ البشرية من كل عناصره الميتافيزيقية والغيبية جرده كذلك من عناصر القدم الزمانى والبعد المكانى ، فحصره فى حارة مصرية معروفة ، وحرك الاحداث القديمة فى ظل ظروف شبيهة بظروفنا المعاصرة أو قريبة منها ، فأصبحت الرواية بذلك ملحمة شعبية معاصرة نقرأ فيها الى جوار كفاح الماضى كثيرا من أصداء حاضرنا وظلاله ..

ولم يكتف نجيب بذلك بل عرض تاريخ البشرية من وجهة نظر تقدمية تؤمن بالعلم



والاشتراكية ، ثم أضاف الى أنبياء الماضى المعروفين أو بدلائهم الفنيين - ادهم وجبل ورفاعة وقاسم - نبيا خامسا سماه « عرفة » رمز به للعلم - دين العصر الحديث - وجعل من عناصر قوته وضعفه صورة طبق الأصل من قوة العلم حين يعمل فى خدمة الناس .. وضعفه حين يستسلم لاطماع الحاكمين - أو نظار الوقف - ويزودهم بأسلحة الارهاب والدمار .. ووضح كيف أن هذا الاستسلام والضعف من جانب العلم لابد أن يقضى عليه هو نفسه كما قضى على « عرفة » قبل أن يبوح للناس بخلاصة تجربته وحياته كلها :

« **لو رد الى الحياة لصاح بكل رجل .. الخوف لايمنع من الموت ولكنه يمنع من الحياة .. ولستم يا اهل حارتنا احياء .. ولن تتاح لكم الحياة مادمتم تخافون الموت ...** »

* * *

على أن رواية « أولاد حارتنا » لاتنتهى هذه النهاية القاتمة بمصرع « عرفة » ؛ فمن قبله مات جده « الجبلاوى » بعد أن أعلن رضاه عنه ، رغم محاولته اقتحام قصره الشامخ المنيف الذى لم يجرؤ احد من أبناء الحارة على مجرد التفكير فى الاقتراب منه .. ومن بعد « عرفة » عاد تلميذه « حنش » الى الحارة ليبحث عن الكراسة التى سجل فيها أستاذه كل معادلاته وأسرار علمه ، ولذلك فقد « ... **استحوذ الخوف على الناظر ورجاله فبثوا العيون فى الاركان وفتشوا المساكن والدكاكين ، وفرضوا اقسى العقوبات على اتفه الهفوات ، وانهالوا بالعصى للنظرة او النكتة او الضحكة ، حتى باتت الحارة فى جو قاتم من الخوف والحقد والارهاب . لكن الناس تحملوا البغى فى جلد ، ولاذوا بالصبر واستمسكوا بالأمل . كانوا كلما اضر بهم العسف قالوا :**

لابد للظلم من آخر ، ولليل من نهار ، ولترين فى حارتنا مصرع الطغيان ومشرق النور والعجائب .. »

اللص الشهيد

بعد « أولاد حارتنا » تأتى « **اللص والكلاب** » (١٩٦١) لتسدد سهامها الى الانتهازية والخيانة ممثلة فى « رءوف علوان » ، و « نبوية » و « عليش سدرة » بعفنهم وتحللهم ..

كان « سعيد مهران » طفلا عاديا كبقية الأبناء الفقراء فى بلادنا .. وفجأة مات أبوه ، ثم مرضت أمه وطردت من المستشفى ؛ فامتدت يده الى السرقة كما تمتد أيدى الالوف من ابناء الفقراء فى بلادنا حين تسوء أحوالهم وتحاصرهم الحاجة .. وضبط « سعيد » وضرب وكادوا يسلمونه الى الشرطة ، لولا تدخل طالب الحقوق « رءوف علوان » الذى انقذه ثم برر له سرقته ، وشرع يحدثه من اللصوص الحقيقيين الذين يسرقون الشعب .. ومن الثورة والعدالة .. وشجعه على سرقة الاغنياء ، وضمه فى الوقت نفسه الى احدى المنظمات الثورية .. حتى أصبحت حياة « سعيد مهران » امتدادا وتطبيقا لافكار « رءوف علوان » الثورية الجريئة ..

ولكن الخيانة مالبثت أن دمرت حياة « سعيد » ، فخانته زوجته « نبوية » مع أقرب اتباعه ، ووشيا به ، فسجن ؛ وحين أفرج عنه وتكشفت له الخيانة من وجهها الشائه الكريه ، لم يجد خيرا من استاذه « رءوف » يلجأ اليه ، فاذا به قد تحول من محرر صغير فى مجلة فقيرة مناضلة الى ألمع محررى جريدة « الزهرة » المضللة ، لايكتب الا عن الموضة ومكبرات الصوت وشكاوى النساء المجهولات .. واذا به يسكن فيلا ضخمة باذخة الثراء

« **ولكن كيف ؟ .. ما الوسيلة .. وفى هذه المدة القصيرة ؟ حتى اللصوص لايحلمون بذلك ...** »



الوجدان القومي في روايات نجيب محفوظ

ويأتيه الجواب على لســـان الثائر القديم :

« ياعم سعيد ، زال تماما ماكان ينغص علينا صفو الحياة .. لتسكن هدئة .. ولكل جهاد ميدان .. »

فيكون تعقيبه الداخلى :

« كل خيانة تهون الا هذه .. يا للفراغ الذى سيلتهم الدنيا .. تخلقنى لم ترتد .. تغير بكل بساطة فكرك بعد أن تجسد في شخصى ، كي اجد نفسى ضائعا بلا اصل وبلا قيمة وبلا امل ، خيانة لئيمة لو اندك المقطم عليها دكا ما شفيت نفسى »

وهكذا تجسدت الخيانة في شـــخص « رءوف علوان » واصبح في نظر « سعيد مهران » رمزا لها ولكل مايحيط بها من خداع وانتهازية وتسلقية وتنكر للمبادىء والنبـــل ، ويصبح الانتقام منه هدفا أساسيا من أهداف ثورته .. بل يصبح لتله الامل الوحيد في ألا تضيع حياته عبثا فهو « **رمز الخيانة التى ينضــوى تحتها عليش ونبوية وجميع الخونة في الارض** »

ان « سعيد مهران » ليس لصا عاديا مغامرا كما قد يبدو للنظرة العجلى ، والا فأين مثل هذا اللص الذى يسرق بنظرية ويقرأ الكتب ويناقش الآراء ويفلســـفها ويشترك في جمعيات الكفاح المسلح ؟! .. وهو وان كان قد بدأ ثائرا على الخيانة الشخصية متمثلة في نبوية وعليش ، فانه بفضل خيانة « رءوف علوان » تحول الى ثائر على الخيانة الســـياسية ، وعلى الفساد بكل صوره ، وبالتالى على المجتمع الذى يســـمح بقيام هذه الخيانات بل ويحتضنها ويحميها .. هـــذا المجتمع الشائه الممسوخ ، حيث تخون الزوجة زوجها ، والتابع صاحب الفضل عليه ، وصاحب المبادىء مبادئه ، ليثرى ويرتفع على أكتاف المؤمنين والضحايا .. وحيث الدين مجرد عبارات مسكنة لانفع فيها ..

ولو كان « سعيد » لصا عاديا مغامرا لما استطاع أن يخرج من محنته الشخصية الى هذا الاحساس العام بفساد العلاقات والاسس التى تسود المجتمع .

ولكن لان سعيد مهران كان وحيدا لم ينجح في اقامة جسر بينه وبين الجمـــاهير المتعاطفة معه ، ولانه لم يستطع أن ينظم ثورته على الفساد ويخطط لها فقد كان مصيرها الفشل وكان مصيره الســـقوط قتيلا ، فلنسمعه قرب نهاية الرواية وهو يناجى نفســه موجها الخطاب الى رءوف علوان :

« .. جاء وقت الحساب ، ولو كان الحكم بيننا غير الشرطة لضمنت تأديبك امام الناس جميعا ، الناس معى ضد اللصوص الحقيقيين ، وذلك مايعزينى عن الضياع الابدى . انا روحك التى ضحيت بها ولكن ينقصنى التنظيم على حد تعبيرك ، وانا افهم اليوم كثيرا مما اغلق على فهمه من كلماتك القديمة ، ومأساتى الحقيقية انى رغم تأييد الملايين اجدنى ملقى في وحدة مظلمة بلا نصير ، فضياع غير معقول ولن تزيل رصاصة هذه عدم معقوليته ، ولكنها ستكون احتجاجا داميا مناسبا على اى حال ، كى يطمئن الاحياء والاموات ولا يفقدوا آخر امل ... »

ان هـذا الثائر الباحث عن الانتقام بتنكس وتطيش رصـــاصاته وتخيب كل مساعيه ، ولكنه يظل حتى آخر لحظة شجاعا مقداما يخلف فى النفس — رغم جرائمه الفاشلة — احساساً عميقا بالاعجاب ببطولته ومقاومته للخونة والانتهازيين .. حتى لكأنى به — وهو اللص القاتل — يموت ميتة الشهداء !!

السياسة والجنس

وتبدأ احداث رواية « السمان والخريف » (١٩٦٢) بحريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وتسجل قيام الثورة ، واهم الاحداث التى تلتهـا من عزل

الملك حتى العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ... وهى احداث معاصرة قريبة يصعب تصويرها فى عمل فنى دون الوقوع فى الخطابية او التسجيلية والتقريرية ،

ولكن اختيار بطل الرواية من بين من أضيروا بقيام الثورة سهل على الكاتب هذه المهمة العسيرة . انه مدير مكتب وزير وفدى سابق ، بدأ حياته السياسية

مجاهدا مخلصا كحزبه ، لم يلبث ان اضروره الفساد الذى اصاب الحزب ، لأنبل يشارك فى مغانم الحكم ، ويعوض ما أصابه من سجن واضطهاد ، فعرف

الرشوة واستغلال النفوذ ، فكان من الطبيعى ان تحيله لجان التطهير التى انشأتها الثورة الى المعاش مع من احالتهم

هذا الوفدى القديم ظل طوال الرواية سلبيا متحيزا او لا مباليا تجاه معظم منجزات الثورة ، وان لم يستطع فى بعض

المواقف الا ان يمنع بعض الانتصارات الثورية شيئا من تقديره وحماسته .. وهـذا التردد والصراع بين مصالحه الخاصة ومصالح حزبه من ناحيـة وبين

مصالح البلاد من ناحية أخرى يظل هو طابع استجابات «عيسى الدباغ» للاحداث الثورية التى يعاصرها ..

ولكن حين تتعرض البلاد للخطر يستيقظ فى نفسه المجاهد القديم ويوشك الحاجز القائم بينه وبين الثورة أن يزول ، وفى لحظة صدق يصارح احد رجال حزبه السابقين بقوله :

« كنا حزب المثل الاعلى ، حزب التضحية والفداء ، حزب النزاهة المطلقة ، حزب « كلا ثم كلا » أمام كافة المغريات والتهديدات ، كنا كذلك حتى قبيل ١٩٣٦ ، فكيف ادركت روحنا الطاهرة الشيخوخة ؟ كيف تدهورنا رويدا رويدا حتى فقدنا جميل مزايانا ؟ وهانحن نقلب ايدينا فى الظلام يملؤنا الشجن والشعور بالالم فواحسرتاه ... »

فاذا اعترض الوفدى القديم انهم كانوا خير الجميع حتى آخر لحظة .. اجابه عيسى بقسوة :

« هذا حكم نسبى لأرتضيه طابع الاشياء ، ولا تقنع به الامم التواقة للحياة ، فواحسرتاه .. »

ورغم ذلك يظل عاجزا عن الاندماج فى المجتمع الجديد ، يظل بلا دور يجعل لحياته معنى :

« كيف يكون للحجر دور فى المسرحية ، وللحشرة دور ، وللمحكوم عليه فى الجبل دور ، وانا لا دور لى ... »

ويزيد من عزلتـه أنه يرفض الادوار الثانوية التى قبلها بعض زملائه القدماء فى الحزب .. يرفض أن يعلن حماسته

للثورة ورجالها ليفيد كسبا او منصبا وهو يشعر كرهه لهم وولاءه لحزبه . ويفضل الانطواء والعزلة حتى اصبح هو

وحزبه كأسراب السمان التى « **تتهاوى الى مصير محتوم عقب رحلة شاقة مليئة بالبطولة الخيالية .. »**

ويقرن الكاتب بين مواقف البطل السياسية وبين علاقاته الجنسية بصورة واضحة ، فيجعل خطيبته لسلوى بنت المستشار الكبير رمزا للفترة التى تقرب

فيبعدها الوفد من السراى وعاداتها ، وزواجه من « الست قدرية » الثرية المقيم طمعا فى ثروتها تلخيصا لارتماء الوفد بين أحضان كبار الاقطاعيين والراسماليين فى السنوات السابقة على الثورة ، اما علاقته « بريرى » الساقطة

وهى أهم علاقاته واخصبها ، اذ أسفرت عن طفلة جميلة رغم ارادته .. لعسرة المال من ناحيته والخوف من ناحية امها .. فمن الممكن ان تشير الى التحام الوفد

بالشعب فترات غير قصيرة من تاريخه ، وكيف اسفر هذا الالتحام عن ميلاد الثورة .. فما أكثر مارمز نجيب محفوظ للشعب بساقطة من حيث ضياعه وسوء أحواله

وامتهان حريته وكرامته على يد كل حاكم مستبد .. وما أكثر مارمز للثورة بالمولود فى عديد من الاعمال الادبية العالية ..

وينكر « عيسى الدباغ » الجنين ويطرد امه من شقته الى الطريق ، ولكنه حين يراه بعد بضع سنوات وقد تحول طفلة جميلة ساحرة يحاول العودة الى « ريرى »

ونسبة الطفلة اليه ، ولكن « ريرى » تنكره وترفض الاستجابة لرجائه جزاء وفاقا لتنكره السابق لها .. فلا يسعه الا أن يعود وحيدا طريدا الى عالم الظلام والضياع .. وتحت تمثال سعد زغلول

يلتقى بشاب « فارع الطول مفتول العضل داكن السمرة ، يرتدى بنطلونا رماديا وقميصا ابيض يكشف عن ساعديه ، وبين أصبعى يسراه وردة حمراء ... » .. ونعلم انه كان معتقلا سياسيا ، ويدعو عيسى للسير فى طريقه ، ولكنه يتردد ، ثم مايلبث أن يقوم بخطوات نشيطة ليتبعه فى طريق اليسار ..

هل معنى هذا أن « عيسى الدباغ » الوفدى قد اختار طريق الثورة أخيرا ؟ .. واذا كان فعل ، فهل يصلح بتكوينه البائس المهترىء — الذى لايخلو من خير مع ذلك — لان يصبح ثوريا حقيقيا كما كان منذ زمن بعيد ؟!

ان الرواية لا تجيب عن هذين السؤالين

الهامين .. ولكنى أعتقد أن « عيسى » كما صوره المؤلف لم يعد صالحا لتبنى طريق الثورة .. لقد قبل الرشوة واستغلال النفوذ وزواج المصلحة ، وتحجر قلبه فلم يتسع لذرة اشفاق على « ريرى » التى أحبته وخدمته باخلاص .. ومن يفعل شيئا واحدا من كل ذلك ولو لمرة واحدة — لا مرات كثيرة ولسنوات طويلة كما فعل « عيسى » — لا يصلح لان يكون الثائر الحق الذى ترجوه البلاد ..

الطريق السهل

وبطل رواية « الطريق » (١٩٦٤) امتداد واضح لابنة « ريرى » فى « السمان والخريف » ، فأمه عاهر محترفة كأمها ،

وابوه شخصية هامة اختفت قبل مولده كابيها .. وهو الاخر ابن غير شرعى يبحث عن ابيه ليكتسب صفته الشرعية ..

واذا كانت « ريرى » قد تنكرت للاب فى « السمان والخريف » ورفضت أن تقوم

بينه وبين ابنته صلة ، فان الام فى « الطريق » هجرت الاب هى الاخرى هاربة مع عشيق ، واخفت اسمه وكل ما يتصل به عن ابنها ، فلما حضرتها الوفاة اخبرته بكل شىء عن

ابيه ، وحثته على البحث عنه ليحصل عن طريقه على صفته الشرعية وما يترتب



عليها من الكرامة والحرية والسلام .. وبذلك تتحول الرواية الى حلقات متصلة من البحث عن ذلك الاب المفقود ..

فاذا كانت « زبري » في « السمان والخريف » هي مصر التي انجبت الثورة، فان « بسيمة عمران » في « الطريق » هي صورة أخرى من مصر السائدة بكل سوءاتها ، وقد آن لها أن تسلم الروح بعد أن قدمت للحياة ابنها ووارثها « صابر » وسلمته كل ما بقي لهسا من ثروة ، وما يثبت بنوته لابيه الوحيد ذي الخطر ، ويبقى عليه أن يعثر على ذلك الاب ويتخذ لنفسه طريقا آخر غير طريق الاثم والجريمة والقوادة الذي عاشت أمه منه .

واثناء البحث المضني عن الاب ينفتح امام « صابر » طريقان : طريق الشهوة والجريمة تمثله « كريمة » زوجة صاحب الفندق العجوز ، وطريق العمل والمثل العليا تمثله « الهام » الموظفة البسيطة الشريفة التي تحاول أن تهييء لصابر فرصة العمل وتنصحه بعدم تضييع وقته في البحث العقيم عن أبيه ، ولقد أحبها « صابر » ووجد فيهسا كثيرا من ملامح أبيه ، ولكنه مع ذلك يستسلم للطريق السهل الممتع ، طريق « كريمة » بما تمثله من استسلام للشهوات وجريمة لعد بثروة الزوج دون عمل ولا عناء ..

ولم يدر « صابر » وهو يبتعد عن الهام ويستسلم لكريمة انه انما يسير في طريق مسدود انتهى به الى المشنقة وبعد به نهائيا عن طريق أبيه وكل ما يمثله من قيم الحرية والكرامة والسلام .. وادرك بعد فوات الاوان ان كل ذلك كان قريبا من يده او آثر طريق « الهام » النظيف الشريف رغم ما فيه من تعب وعناء ومقاومة للشهوات الدنيا ..

واذا كان « سعيد مهران » قد ضل طريق الثورة في « اللص والكلاب » لانه عجز عن الالتحام بالجماهير ولافتقاره الى حسن التنظيم والتدبير ، فطاشت رصاصاته رغم عدالة قضيته وسلامة أهدافه ، واذا كان عيسى الدباغ في « السمان والخريف » قد بعد عن طريق الثورة لسلبيته وعجزه وتمسكه بظلام الماضي لا يريد الخروج منه الى ضوء الحاضر والمشاركة في صنعه وتطويره ، واذا كان صابر الرحيمي في « الطريق » قد بعد عن طريق الشرعية والحرية والكرامة والسلام ومضى في طريق الجريمة ـ لانه خضع لشهواته وآثر الكسب السهل على العمل الشاق والحب السامي النظيف ـ فان عمر الحمزاوي بطل « الشحاذ » (١٩٦٦) قد عاش ازمة من نوع آخر .. انه محام .. انه محام ناجح شريف حقق في حياته كل ما يتمناه انسان: الصحة والمال والزوجة الجميلة المحبة والابناء والسيارة والعقار والاصدقاء .. ومع ذلك فقد اصابه مرض غريب يلخصه بقوله :

« المسألة خطيرة ماثلة في الثالثة ، لا اريد ان افكر او ان اشعر او ان اتحرك ، كل شيء يتمزق ويموت ، فخطر لي على سبيل الامل انني ساجد لذلك سببا عضويا .. »

ولكن الحقيقة ان المرض كان في الروح لا في الجسد .. فقد كان في شبابه مناضلا سياسيا ثوريا يعمل من أجل تحقيق المدينة الفاضلة والاشتراكية ودولة العمال والفلاحين .. ومع اول خطر نجا بنفسه وتخلى عن النضال .. في حين قبض على زميله عثمان خليل وسجن ..

« وذكر الآخر في السجن .. حتى حماسية الصدر بددها الضجر . يوم احترقت بلهيب الخطر . لكنه لم يعترف . رغم الاهوال لم يعترف . وذاب في الظلمات كان لم يكن . وانت تعرض عن الترف . وتنهض الزوجة رمزا للطبخ والبناء . اسأل نفسك الا يضجر النيل تحتنا... »

ومنذ ذلك الحين بعد عمر الحمزاوي عن كل نشاط سياسي وانحصرت دائرة نشاطه في مكتبه وأسرته والنجاح العملي السريع ، ومع ذلك ـ بل ربما بسبب

ذلك — احس بذلك الرفض الروحي الخطير الذى أخذ يهد كيانه ويجعل للحياة طعما مريرا فى فمه .. ولم ينجح العلاج الذى اقترحه عليه الطبيب ، فبدأ علاجا

من نوع جديد تمثل فى علاقات غرامية عابثة .. أجدت فترة ، ثم عادت المرارة تلف كل وجوده من جديد .. فبدأت

تكثر خلواته عند مشارف الصحراء يرتقب موكب الشروق ويتساءل عن سر الوجود يستشرف نشوة اليقين .. ولكن النشوة لم تتكرر والسر لم ينكشف .. فهجر

الحياة كلها ليعيش فى كوخ ناء فى عزلة تامة من الناس فى ضياع عقل قريب من الجنون ..

قد تختلف ازمة عمر الحمزاوى من ازمة عيسى الدباغ فى « السمان والخريف »

فى كثير من مظاهرها ، ولكنى اعتقد ان مصدرهما واحد ، وهو افتقاد كل منهما الى دور سياسى يشارك به فى مسيرة بلاده ويجعل لوجوده مبررا ومعنى ، فقد بدا كل منهما حياته مناضلا سياسيا ، ثم فرض عليه الانزواء والعزلة عن مجريات الاحداث ، ولم تتح له الفرصة للاندماج فى التنظيمات والتشكيلات الجديدة ، فاستسلم لسلبية تامة قاتلة كانت السبب المباشر فى ازمته وضياعه ..

الهاربون من الحياة

ونفس هذه العزلة والسلبية نجدها بوضوح اكبر فى « ثرثرة فوق النيل » (١٩٦٥) حيث الابطال جميعا — باستثناء « سمارة » — من مدمنى المخدرات ، لاتكاد نلتقى بهم الا فى وكرهم العائم يتعاطون الخدر ويستمتعون بالعلاقات المحرمة ويثرثرون فى كل شىء بلا قيم ولا مثل ولا شىء واحد يؤمنون به .. انهم يعيشون فى عزلة كاملة شاملة عما يدور خارج العوامة ، فاذا تناولوه فى ثرثرتهم لم يكن ذلك الا على سبيل الفكاهة والسخرية..

والمرة الوحيدة التى خرج فيها هؤلاء الهاربون من وكرهم الى الحياة الخارجية ارتكبوا فيها جريمة قتل



الوجدان القومي في روايات نجيب محفوظ

.. ولم يكن من المصادفات ان يكون القتيل فلاحا مجهولا ..

ان أبطال نجيب محفوظ فى رواياته ابتداء من « السمان والخريف » حتى « الشحاذ » (ونستطيع أن نضيف اليهم رءوف علوان من « اللص والكلاب »)

جميعهم من البورجوازيين ، وهى الطبقة التى تخصص نجيب فى مرحلته السابقة

فى تصوير صعودها وانتصاراتها وهزائمها ومآسيها ، ولكنه فى هذه المرحلة الجديدة يدينها ويكشف سلبيتها وعجزها وخيانتها ،

فكأنه يبشر بانحدارها وهزيمتها ، وأكاد اقول انتحارها ، ويعلن يأسه منها ومن قدرتها على تقديم شىء نافع لبلادها فى مرحلتها الجديدة ..

ويتأكد هذا الاحساس بصورة قاطعة فى روايته الاخيرة قبل النكسة وهى «ميرامار» (١٩٦٧) .. فلاول مرة يختار نجيب محفوظ فلاحة بطلة لاحدى رواياته ..

انها « زهرة » الشابة القوية التى هجرت قريتها هربا من الزواج بعجوز متهدم ، ولجأت الى بنسيون « ميرامار » لتكسب قوتها [redacted]

وفى البنسيون تصبح زهرة مطمعا لكل نزلائه .. من الاقطاعى العجوز والوزير

السابق الى حسنى علام العابث ابن نفس الطبقة البائدة ، ومنصور باهى الشيوعى السابق المتردد ..

وزهرة لا تستجيب لأى من هؤلاء ، وتحب سرحان البحيرى وكيل حسابات شركة الغزل وعضو لجنة العشرين بالاتحاد الاشتراكى ، والعضو المنتخب من الموظفين بمجلس ادارة الشركة .. ومن قبل كان وفديا ثم عضوا بهيئة التحرير فالاتحاد القومى .. انه احدث نموذج للبورجوازية الانتهازية الصاعدة التى تحاول أن تستولى على مكاسب الشعب باسم اشتراكية لا تؤمن بها ..

وسرعان ما تكتشف « زهرة » خديعتها فى سرحان ، فاذا به يريد معاشرتها والاستمتاع بها دون زواج أو التزام ..

وفى الوقت نفسه تكتشف سرقة فى المصنع كان قد شارك فى تدبيرها .. فينتحر فى الوقت الذى يتصور « منصور باهى » الشيوعى أنه قتله .

لم يبق من نزلاء البنسيون سوى الصحفى الوفدى القديم عامر وجدى .. انه عجوز متهالك لا يملك لزهرة سوى حب الأب لابنته ، فيعزيها بقوله :

« مهما يكن من مرارة التجربة الماضية فلن تغير مرارتها من طبيعة الاشياء ، ستظل غايتك المنشودة هى العثور على ابن الحلال وستجدين حتما ابن الحلال الجدير بك .. انه موجود الان فى مكان ما ولعله يتحين اللحظة السعيدة المناسبة .. لقى ان وقتك لم يضع سدى ، فان من يعرف من لا يصلحون له فقد عرف بطريقة سحرية الصالح المنشود .. »

وهكذا تفضح « ميرامار » البورجوازية قديمها وحديثها ، وتعلق علامة استفهام ضخمة على الطبقة التى تصلح للاقتران بزهرة .. أو بمعنى أصرح لحكم مصر .. وهى بلا شك الطبقة العاملة .. طبقة العمال والفلاحين النامية .التى بدأت تأخذ زمام المبادرة فى توجيه مقدرات بلادها .. فلن يطبق الاشتراكية غير الاشتراكيين أنفسهم ، ولن يحمى مكاسب الشعب ويزيدها سوى الشعب نفسه .. لا مستغليه والمستفيدين من ورائه ..

الانسانية جمعاء

ويبقى ان اهتمامنا بابراز الجانب القومى السياسى فى روايات نجيب محفوظ لا ينفى عنها صفة الانسانية الشاملة العامة ، فحينما قال سعيد مهران للشيخ الجنيدى فى « اللص والكلاب » : **« لست مسئولا عن الدنيا ... »**

أجابه القطب الصوفى الكبير :

ـ انت مسئول عن الدنيا والاخرة ..

وحينما قال عمر الحمزاوى ـ بطل « الشحاذ » ـ لصديقه الشيوعى الخارج من السجن لتوه :

ـ يا عزيزى لست المسئول الوحيد من الحقيقة .

أجابه الصديق بقوله :

ـ الانسان اما ان يكون مسئولا عن الانسانية جمعاء واما ان يكون لا شىء ..

وهذان ليسا الا مثلين لتلك الروح الانسانية العميقة الشاملة التى يرجع اليها بالاضافة الى الصدق فى التعبير عن الوجدان القومى والثورى سر هام من اسرار عظمة روايات نجيب محفوظ وتفوقها .. ففى عصرنا لم يعد يكفى الكاتب أن يعبر فى ادبه عن حبه لبلاده ، بل لابد أن يصدر هذا الحب من قاعدة انسانية عريضة تستشرف الانسانية جمعاء وتحرص على تحررها وتقدمها .. ومثل هذا الحب الانسانى الشامل اذا كان واضحا فى ادب نجيب محفوظ بصفة عامة ، فهو اوضح مايكون فى مرحلته الفكرية الاخيرة التى تبدأ «بأولاد حارتنا»



من التراث المسرحي العربي :

يوم القيامة

كتبها الكاتب الساخر محمد بن محرز الوهراني

في القرن السادس الهجري

■ محمد نخش ■

التراث الذي يواجهنا من الأدب المسرحي العربي قبل العصر الحديث قليل جداً ، وأشهر ما وصلنا [illegible] « بابات ابن دانيال » المتوفى سنة ٧١٠ هـ في كتابه : « طيف الخيال » . ولكن المسرحية التي كتبها الوهراني [illegible] تسبق كتاب « طيف الخيال » بأكثر من قرن من الزمان ، وقد تأثر ابن دانيال بالوهراني في كتابته [illegible] موضوعه ، [illegible] القول [illegible] ، [illegible] قول : انهما [illegible] واحد من [illegible] [illegible] الوهراني [illegible] ابن دانيال [illegible] .

[illegible] الوهراني [illegible] ابن دانيال ، [illegible] مسرحيته : « يوم القيامة » ، [illegible] عبد الله ، محمد بن محرز بن محمد الوهراني ، [illegible] ركن الدين [illegible] جمال الدين ، [illegible] القاضي الفاضل ، [illegible] الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي ، [illegible] صناعة الإنشاء (١) . [illegible] الوهراني ، وابن شامة في كتابه الروضتين في أخبار الدولتين ، [illegible] في صقلية والشام قبل مجيئه الى مصر (٢) كما انه [illegible] سنة ٥٧٥ هـ » .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/٣٦٦
(٢) ابو شامة : الروضتين جـ ١ (القسم ٢) ص ٢٥٤

وقد مارس الوهراني مهنة الخطابة بداريا في دمشق ، برغم ماهو عليـــه من روح فكهة لا تلتزم الوقار فيما يصدر عنها من اقوال واعمال ، فكان على الرغم من منصبه الديني الذي يحكم عليه بالتزام الجد لتاديته ، تغلب عليه الروح الفكهة في اوقات فراغه ، فيكتب ادبا فكاهيا للترفيه عن النفس التي اثقلتها الهموم وضيق ذات اليد.
والوهراني كان يقصد من مجيئه الى مصر أن ينال وظيفة من الوظائف الهامة بديوان الانشاء فحيل بينه وبين ذلك . واذكى هذا الموقف روح التهكم في نفسه ، فاخذ يسلط لسانه على العاملين بديوان الانشاء ، ومنهم القاضي الفاضل رئيس الديوان نفسه ، بل انه لم يسلم منه كثير من كبار رجالات الدولة في العهد النوري والعهد الايوبي ايام صلاح الدين . بل وتهكم على الموظفين في الوظائف الدنيا كالخولي مثلا .
وتكسب الوهراني رزقه من الوراقة اي نسخ الكتب تارة ، ومن التجارة تارة ، كما انه تكسب من طريق فكاهته التي يكدي بها حينا « اي يتسول » او يهدد بهـــا في احيان كثيرة ، فاما ان تصله العطايا جزيلة ، واما ان يستخدم سلاح الســخرية لابتزاز الاموال ، وهو ان كان يكيل المدح لمن ينعم عليه ، فهو يصب الهجاء على من يبخل عليه .
وقد ذكر ابن خلكان ان الوهـران توفي عام ٥٧٥ هـ ودفن بداريا قـــرية على باب دمشق (١) .

●● يوم القيامة

ولنبدأ في تتبع طريقة الوهراني في كتابة مسرحيته عن يوم القيامة على هيئة منام كبير يقـــدم له الكاتب بمقدمة ترسم الجو الذي سيدور فيه الموضوع ، فهو ينفث نفثات فيهـا شكوى وحنين ، وفيها تحسر على النعمة الزائلة ، وبكاء على الحـــظ التعس المنكود ، في رسالة تسبق منامه ، وهـو عندما ينتهي من هذه الرسالة او المقدمة يبدأ المنــام مخاطبا الحافظ العليمي : أبا الخطاب ، عمر بن محمد بن عبد الله الدمشقي ، التاجر الســفار ، كسب الكثير في تجارته بالشام ومصر والعراق وماوراء النهر . وتوفي في شوال سنة ٥٧٤ هـ عن أربع وخمسين سنة ، وكان صدوقا حميــد السيرة ، جيد الفهم والمعرفة (٢)

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٣٤٧
(٢) ابن العمـــاد : شذرات الذهب ٢٤٨/٤ ـ الذهبي : سير اعلام النبــلاء جـ ١٢ م ١ ص ١٢



يبدأ المنام هكذا « فكر الخادم ليلة وصول كتابه اليه في سوء رأيه فيه ، وشدة حقده عليه ، وبقى طول ليلته متعجبا من مطالبته له بالاوتار الهزلية بعد الزمان الطويل ، وامتنع عليه النوم لاجل هذا الى هزيع من الليل ، ثم غلبت عينه بعد ذلك ، فراى فيما يرى النائم، كأن القيامة قد قامت ، وكان المنادى ينادى ، هلموا الى العرض على الله تعالى فخرجت من قبرى ايمم الداعى ، الى ان بلغت الى أرض المحشر (١)

ثم يصور يوم القيامة كما يتخيله في أسلوب فكاهى ، خال من السجع ، فيه وصف رائع لما أصاب المذنبين من الفزع خشية الله تعالى ، وقد خرج مالك خازن النار ، وفي يده السلسلة والمصطيخة(٢) يطوف على القوادين واللاطة ، ثم يصل الى هدفه بأن يتحدث عن الشخصيات التى يريد أن يتكلم عنها ؛ وهنا يلتقى الوهرانى بأناس كثيرين ، قدامى ومحدثين .. منهم الفقهاء ، ومنهم الادباء ، ومنهم الشعراء ، ومنهم الفلاسفة ، ومنهم الصوفية ، ومنهم الملوك والسلاطين ، وذلك كله على نحو يذكرنا « برسالة الغفران » لابى العلاء المعرى (٣)

فالوهرانى يلتقى بكمال الدين الشهرزورى الذى تفرق أعماله جبلى لبير ولبنان ، وهو يحتاج ليوم قيامة لوحده ، لا يحاسب فيه سواه ، وموازين برسمه ، لايشركه فيها غيره ، ولكن الله سريع الحساب ، وهو يقول سبحانه « وماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » ثم يدخل هذا الرجل لجرده في زمرة الروح الامين ، وترفع عنه المظالم .

ومن الممكن ان نقول ان في المنام الكبير

كان مبدأ المسرحية ، فبينما الوهرانى في المحاورة مع صديقه فيما تم لكمال الدين الشهرزورى ، اذ يبدأ المشهد الثانى ، فقد هجم مالك خازن النار عليهما ، وقبض على أيديهما ، وسحبهما خلفه .

ويخاطب الوهرانى مالك ، ويدور الحديث بينهما ، وتكال الاتهامات للوهرانى وزميله ، ويدافع الوهرانى عن نفسه ، ومالك يثبت لهما بالحجة القاطعة انهما فاسقان ، ويرجع الزميلان الى الملاطفة والسؤال الا يعجل بهما العذاب ويتركهما مستجيبا لهما ، ويدخلان في غمار الناس مرة ثانية .

ويتحدث الوهرانى لزميله عن المشهد

---

(١) منامات الوهرانى ومقاماته ورسائله ص ٢٢
(٢) المصطيخة : شجر ينبت في سواحل الشام تذكرة داود الانطاكى ٢/٥٦
(٣) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الادب المصرى ص ٢٠٧ : ٢٠٨

الثالث من فوق جبل الاعراف المطل على الجنة ، ولقد وصف العاملي جبل الاعراف بانه جبل بين الجنة والنار عليه الثمار

والانهار ، فولد الزنا ان كان عبداً مخلصاً يكون على الاعراف ، والذي ذهب مقاتلا

في بلاد الروم حتى قتل مقبلا ، وكان والداه كارهين لقتاله في الروم ، فشهادته تمنعه

من دخول النار ، وعقوق الوالدين يمنعه من دخول الجنة فهو على الاعراف ، والمؤمن

اذا مات عليه ديون للناس فذهب عمله كله في ديون الناس ، وبقي مفلساً ، فهو على الاعراف ، وهكذا (١)

وكان مع الوهراني رقعة ابن العميد

يطلب بها بعض فواكه من الجنة ، ولكن الحسن بن منير حين يراها مع الوهراني

يحذره من تقديمها لرضوان ، ليلطم على باب الجنة عشرة آلاف زربون (٢)

ثم يأتي المشهد الرابع وهو مشهد راقص ، وهنا يذكر الوهراني شخصيات

قديمة غير معاصرة له ، فالمجرمون الثلاثة في حلبة الرقص ، هم عبد الرحمن بن

ملجم المرادي ، والشمر بن الجوشن ، والحجاج بن يوسف الثقفي .

فاما الاول وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، فقد أدرك الجاهلية ، وهاجر

في خلافة عمر ، ثم صار من كبار الخوارج ، قتل علي بن أبي طالب ، فقتله أولاد علي سنة ٤٠ هـ (٣)

وأما الثاني وهو الشمر بن الجوشن الضبابي : ابو السابغة من كبار قتلة

الحسين رضي الله عنه ، كان في أول أمره من ذوي الرياسة في هوازن ، شهد صفين مع علي ، ثم طالبه المختار الثقفي



بدم الحسين فهرب من الكوفة ، وقتل خارجها سنة ٦٦ هـ (٤)

وأما الحجاج بن يوسف الثقفي ، أبو محمد فهو قائد داهية سفاك خطيب ، ولد

ونشأ في الطائف بالحجاز ، وانتقل الى الشام ، فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان ، فكان في عديد شرطته ،

ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره . وأمره بقتال عبد الله بن

الزبير ، فزحف الى الحجاز بجيش كبير ، وقتل عبد الله ومزق جموعه ، فولاه

عبد الملك مكة والمدينة والطائف . ثم اضاف اليها العراق والثورة قائمة فيه ،

فانصرف الى بغداد في ثمانية او تسعة رجال على النجائب فقمع الثورة ، وليث الامارة عشرين سنة ، وبنى مدينة واسط ،

---

(١) العاملي : المخلاة ص ٢١٢ (٢) الزربون : نوع من الاحذية

(٣) ابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ٩٩/٣

(٤) ابن العميد : خريدة العصر ٣٠٣/٢

وكان سخاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين وقيل ان امرأة سبيت في الهند ، فنادت ياحجاجاه ، فبلغه ذلك فجعل يقول : لبيك لبيك ! وانفق سبعة آلاف درهم حتى انقذ المرأة ، وتوفي سنة ٩٥ هـ بمدينة واسط (١)

ويتوصل الوهراني من ذكر هؤلاء الى عقد مقارنة بين الفقيه المجير ، والمهذب ابن النقاش،اما الاول وهو الفقيه المجير «لم نجد له تعريفا» ، واما الثاني وهو المهذب بن النقاش فهو : علي بن عيسى ابن هبة الله ، ابو الحسن ، مهذب الدين ابن النقاش ، عالم بالطب ، اديب ، له مشاركة في الحديث ولد ونشأ ببغداد ، واقام في دمشق ، ثم في القاهرة ، وعاد الى دمشق فتوفي بها . كان له مجلس علم للمشتغلين عليه بالطب ، وخدم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وبقي سنين في «بيمارستانه الكبير» ، وكتب له كثيرا من الرسائل ، وبعد وفاة نور الدين خدم السلطان صلاح الدين وتوفي سنة ٥٧٤ هـ .

ويصف الوهراني الرجلين بانه لم يولد في الاسلام قط ارق منهما دينا وخيرا ، وان ذنوب الراقصين الثلاثة بالنسبة اليهما كالشعرة البيضاء في الثور الاسود .

والمشهد الخامس : مطالبة الوهراني بعشرة دنانير له عند ابن النقاش ، وهو يساومه في الزيادة والا دخل النار بسببه ، وجماعة من اصحابه يضحكون منه ويدخل عزرائيل ويبشره بعد عمره مائة سنة بالدنانير العشرة .

والمشهد السادس : محاسبة ابي القاسم الامور من اتباع يزيد بن معاوية ، ويلتقي بهما شمس الدين الكندي الذي يسب ابا القاسم الامور ، ويعرض اعمال معين ابن حسن ، وما ارتكبه من آثام .

والمشهد السابع : يدعي فيه الوهراني انه من أهل العلم والقرآن ، وانه يستحق ان يشرب من الحوض ، فيسأله امير المؤمنين علي بن أبي طالب ليتبين صدقه.

وهنا يصيح أبو القاسم الامور من بعيد « الله .. الله ياامير المؤمنين (الى) يتم عليك محالهم .. الخ » (٢) فيطلب منهم امير المؤمنين أن يثبتوا براءتهم مما يتهمهم به ، فيذكرون له معارفهم ، فيتضح أنهم من انصار يزيد بن معاوية وينصحهم محمد بن الحنفية أن يفروا بجلدهم ، فينصرفوا خاسئين .

والمشهد الثامن لزين الدين الحكيم ، وحوله امم من النساء لا يحصيهن الا الله تعالى ، يسحبنه الى عرصة القصاص ، وملك النحاة رابح خلفه ، يحرضهن عليه ، ويغريهن به ، ويدور الحديث بينهما ، ويتسامح ملك النحاة ، ويرجع عنه خجلان .

وفي هذا المشهد يتحدث عن شخصيتين اما الاولى فهي : زين الدين الحكيم من معاصري الوهراني .

واما الثانية فهي : ملك النحاة : الحسن ابن صافي ، برع في النحو حتى صار من ائمته ، وقام بتدريسه في بغداد ، وسكن واسط مدة ، واخذ عنه جماعة من اهلها ادبا كثيرا . ثم ولى وجهه شطر الشام فنزل دمشق ، وفيها قام بتدريس ما اتقنه فيه ، ولاسيما النحو ، وتوفي بها سنة ٥٦٨ هـ ، وترك مصنفات كثيرة في النحو

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١/٢٩٢ ياقوت : معجم البلدان ـ ٨/٢٨٢
(٢) منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ص ٥)

والفقه والاصول والعروض والقراءات والادب (١)

والمشهد التاسع النبي محمد «ص» بين أهله ، وأصحابه في موكب عظيم ، والوهراني وصحبه يجرون خلفه ، ويجهدون أنفسهم في طلبه فلا يصلون اليه من شدة الزحام ، ويقف الموكب عند الشرعة ، وهنا يقف الوهراني ليمدح من يشاء ويسب من يشاء . ويسأل عن الصوفية فيقال له : « **هؤلاء قوم كسالى ، هربوا من كد الصنائع والاعمال الى المساجد والمقابر بحجة العبادة ، وليرشفوا الناس بشيء البتة ، فيبتعد الرسول عنهم مزويا ، بينما يستقبل الرسول « ص » أسد الدين ونجم الدين ، ومعهما صلاح الدين استقبال الابطال ، وينصرفون الى المقام المحمود** » .

ونرى في هذا المشهد ما يشبه الموكب الذى كان يحدث عند اعتلاء سلطان جديد عرش الديار المصرية ، وفيه كان يركب السلطان والخليفة العباسي والوزير والامراء والقضاة وكبار رجال الدولة الى سرادق كبير خارج باب النصر . وهناك يقبل الخليفة على السلطان ، ويلبسه بنفسه خلعة السلطنة ويعود السلطان بعد ذلك الى القاهرة ، وذلك من طريق فرشت كلها بالبسط المزركشة ، ويسير الامراء بين يديه والحاشية أمامه ، والجاويشية تصيح ، والموسيقى تصدح ، فاذا وصل الى العرش ، قبل الامراء الارض بين يديه ، ثم يتقدمون ويقبلون يديه ، كل على قدر مرتبته (٢)

والمشهد العاشر هو بحث الوهراني ورفيقه العليمي على من يشهد لهما بالبراءة عند أمير المؤمنين مما قذفهما به من النصب والانحراف عن أولاد فاطمة ، فيتعذر من يقصدانه لانشغاله بنفسه عن غيره ، خاصة وانه اتهم بالفلسفة ، والعمل بأحكام النجوم ، وهو من ذلك في خطر عظيم .

والمشهد الحادى عشر : يأتي الاعور البغدادى ويحاورهما على أن يدلهما على من يسقيهما من الحوض ، ثم يمشيان معه أربعة فراسخ الى أن يصلوا الى جمع عظيم من بني عبد شمس ، ويقولون لهم أننا من اتباعكم ، وقد طردنا من الحوض بسببكم ، وهنا اشارة لما كان بين الامويين والشيعيين من خلافات ، وان لكل منهما أتباعا وأنصارا ، ولكل واحد منهما أيضا منزلة كريمة لقرابتهم جميعا للنبي «ص»

والمشهد الثاني عشر : يأتي القاضي صدر الدين من أتباع الامويين ليشهد بأن أبا القاسم الاعور ، كان رجلا مرتزقا ، يعيش بوجهين فيطرد . أما العليمي فهو قريب لهم ، وأما الوهراني فهو ممن يناصرون الامويين على الشيعيين ، وهنا يحدث قتال كما حدث يوم صفين في الدنيا بين العلويين والامويين من أجل الوهراني وصاحبه .

والمشهد الثالث عشر : يعود اليهما ابو القاسم الاعور ، ويقلب عليهما القوم لمنعه من الشرب معهما من الشرعة ولحدث ضجة عظيمة ، ويتطاير من كانوا حول الحوض ، فتطير عقولهما ، ويبقيان حائرين خائفين ، لقد اخذ على رضى الله عنه يسد الطرقات على الشاميين ، وسرعان ما أتى الخيل فيها محمد بن الحنفية ، وهو يزأر مثل الاسد الهصور ، ويصوب سهمه الى صدر الوهراني ، فيثب من سرير النوم خائفا مذعورا ، ولذة الماء في فمه ، وطنين

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٣٤/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٨٦/٦ ، عمر كحالة : معجم الادباء ١٣٩/٨
(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ص ٦١ ، والمقريزى ٢٠٩/٢

الفجة في أذنه ، ورعب الواقعـة في قلبه الى يوم ينفخ في الصور .

والواقع أن الوهراني في منامه هذا كان يسخر ممن يريد ، ويثني على من يشاء في أسلوب يمتاز بالخفة والرشاقة «جمع فيه ألوانا من المزاح والادب » (١) وذلك بالقياس الى أسلوب المعري الذي امتاز بشيء من الجد والصرامة ، كما امتاز بميل الى الغموض والغرابة ، وذلك في المعنى واللفظ جميعا ، ولقـد فضله الصفدي على رسالة الغفران لابي العلاء المعري، فقال : انه الطف مقصدا واعذب عبارة (٢)

والوهراني يضحكنا في هذا المنـام بعرضه نقائص من يهجوهم ومذلتهم حين حسابهم يوم القيامة في صورة ينقصها المسرح الحديث لتمثل عليه فيغرق النظارة في الضحك . ولعل الوهراني كتب هذا المنام ليضحك ممن يسخرون منه .

ولكننا لسنا ازاء حلم حدث حقـا في النوم للوهراني ، وانما أمام تخيل ووصف وهو في كمال يقظته ، والقلم في يده .

على ان هذا لايدخل ايضا تحت احلام اليقظة بالمعنى النفساني ، بل هو خيال ادبي يحاكي به نماذج سابقة عليه ، مثل التي نجدها في : « رسالة الغفران لابي العلاء المعري » وفي كتاب التوهم للمحاسبي، وفي قصـة الاسراء والمعراج والقصص الشعبي .

وقد كان الوهراني في كتابته لمنـامه متمكنا من رسم الحوادث وتصوير الاشخاص واختيار الزمان والمكان الذي يدير فيـه حوادث مسرحيته ، كما ان الحوار الذي دار على ألسنة شخصيات مسرحيتـه ، كان يمتـاز بالدقة في التعبير ، وكان يخدم الغرض الذي في نفس الوهراني من اقامة يوم القيامة ، ومحاسبة الذين يضايقونه في معيشته محاسبة عسيرة ، ويسخر بهم سخرية لاذعة ، فهو يمدح من يريد في أسلوب بارع ، وبطريقة ممتازة ، وفي جو مناسب .

ولاشك أن الوهراني لم يحصل على هذا التفكير الخلاق ، وهذه الأمثلة الرائعة مما جعل منامه الكبير من النماذج الخالدة في تراثنا العربي بل والعالمي الا بفضـل التحصيل الطويل من الثقافة الاسلامية ، التي تصور لنا اليوم الاخر ، ومافيه من ثواب وعقاب ، ومافيه من جنة وجحيم ، ومافيه من الموقف العظيم يوم ينفخ في الصور ، وقد سجل المسلمون وغير المسلمين في كتبهم تصويرات مختلفة للحياة الاخرة بما فيها من نعيم وعذاب ، غير ان تفكير الوهراني يعد ضربا طريفا اذ انه نهج أسلوب الفكاهة ، فقلب لنا صـورة الحساب بما فيها من صرامة وجد الى مكان فيه مرح ولعب ، بل وفيه رقص كذلك . وهو بهذا الاسلوب يأتي بصورة تكاد تكون جديدة لم يسبق اليها ، وان



(١) الذهبي : العبر في خبر من غبر ٤/٢٢٦.
(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ٦/٢٨٦.

استمد بعض عناصرها ممن كتبوا قبله ، ومن الثقافة الاسلامية خاصة .

والوهرانى بتصويره لما يجيش فى نفسه من الخواطر والالهامات ، وتجسيمها فى آيات جذابة رائعة من الفكاهة البارعة ، أصبحت متعة لنفس مبدعها ، وتسلية له على ما يكابده فى حياته من هموم وآلام ، وكذلك أصبحت متعة النفوس التى تقبل عليها .

غير أنه بعد هذا العرض للمنام يجب أن نثبت عدة نقاط تستحق الوقوف عندها وهى :

اولا : متى كتب الوهرانى منـــامه الكبير هذا ؟

لما كان الذين سخر منهم الوهرانى من معاصريه أحياء ، وان غيرهم ممن ذكرهم مثل على ومعاوية والحسين ويزيد والحجاج ابن يوسف الثقفى من الاموات ، الذين الى بهم لاستكمال عناصر الصورة التى يريد أن يرسمها لمعاصريه .

وكان أحد من سخر منهم من معاصريه هو ملك النحاة المتوفى ســنة ٥٦٨ هـ استطعنا ان نستنبط أن الوهرانى كتب منامه الكبير قبل السنة التى اثبتها فى هذا المنام .

ثانيا : من هى الشخصية الرئيسية فى هذا المنام بعـــد الوهرانى ؟

ان الشخصية الرئيسية بعد الوهرانى فى هذه المسرحية ، هى شخصية العليمى الذى يراه الوهرانى فى منامه عندما قامت القيامة ، ويناديه والقوم بينهمـا ملاحاة يتهدده فيها العليمى بالأذى ، وبأن يشكوه الى القاضى كمـال الدين بن الشهرزورى .

لم يأبى فى هذه الاثناء مالك خازن



النار ، ويقبض عليهما ، والعليمى يرجوه أن يطلقهما ، ولكن «مالك» يعدد ذنوبهما فى الحياة الدنيا ، وهما يلحان فى الرجاء أن يفرج عنهما ، لم يطلقهما مالك بعد جهد .

والوهرانى والعليمى رفيقان يحتــاج أحدهما للآخر – رغم ما بينهما من خلاف – يستعرضان المشاهد المختلفة للمذنبين يوم القيامة ، ويصـــعدان فوق جبل الاعراف معا ، ليريا موكب النبى «ص» وآله وأصحابه ، فقد حاولا أن يصلا اليه فلم يستطيعا الى ذلك سبيلا .

كما انهما يشهدان الصراع على ورود الحوض بين الأمويين والشيعة ، وتنتهى المسرحية والبطلان متــلازمان من أول المسرحية الى آخرها .

وتنتهى المسرحية بأن يســـدل الستار حينما يسدد محمد بن الحنفية السهم ليطعن به الوهرانى ، فيثب بين يديه فى حلمه ، ويقع من على سرير نومه خائفا مذعورا .

ثالثا : كيف صـور الوهرانى شخصيات مالك وعزرائيل وجبريل وغيرهم من الشخصيات غير البشرية وهل سخر من بعض تصرفاتهم ؟

تعرض الوهرانى لذكر بعض الشخصيات الملائكية فى منامه الكبير، وهما مالك خازن النـار ، وعزرائيل ملك الموت ، وكذا جبريل ، وملك آخر لم يسمه ، ولكنه لم يذكر السمات المميزة لهم ، فبينما نجد صورة مالك على سبيل المثال فى قصة الاسراء والمعراج بانه كما قال جبريل لم يضحك قط ، ولم يزل عابسا كالحا مغضبا معرضا من شدة غضبه من أهل النار لغضب ربهم عليهم (١)

نرى الوهرانى يسخر منه، فهو يصوره وفى يده مصطيخة ـ أى فرع من شجرة ـ ولم نسمع قط أن هذا الملك الجبار الذى لا يبتسم ابدا ، يظهر بهذا المظهر، وكأنه معلم فتيان .

والوهرانى يسخر كذلك من عزرائيل ملك الموت ، فينتزع منـه قوته التى يشتهر بها وذلك حينما يشرك الطبيب أبى النقاش معه فى قبض الارواح ليريحه.

والوهرانى فى الحقيقة لا يريد ان ينال من عزرائيل أو يسخر من قوته التى تسبغها عليه كتب الدين، والتى تقتضيها مهمته الموكلة اليه من قبل العزيز الجبار ، الذى يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ، وانما قصده أن يسخر من جهل هذا الطبيب فجعله كآلة من آلات عزرائيل يستعين بجهله فى قبض الارواح .

وهذه الدلائل التى ذكرتها تشير بوضوح الى أن الوهرانى لم يقصد من اقامة يوم القيامة الغرض الدينى ، ولم يلتزم بالصور الواردة فيه . وانما كان غرضه الاول والاخير هو السخرية اللاذعة من الذين يريد أن ينال منهم ، واتخذ من يوم القيامة ومن الملائكة سلما يصعد عليه ليبلغ غايته دون أن يتقيد بما فى الدين من صور مفزعة للعـذاب الذى يلقاه المذنبون ، وكان الوهرانى قد اكتفى بان يعذبهم بلسانه الذى يقسمهم فى صور مزرية مهينة ، نظير اعمالهم الشينة . ثم هو اذا ذكر المحسنين امثال صلاح الدين واقاربه يسبغ عليهم من النعم الدنيوية، وكأنه لا يريد ان يدخل فى تفاصيل النعيم المقيم الوارد فى كتب الدين . وانما يمدح من يحب فيرفعه الى اعلى الدرجات ، وكأنه اعتبر الثواب والعقاب والجنة والنار فيما يصدر منه من اقوال فى حق معاصريه .

رابعا : هل يمكن اكتشـاف صلة نفسية او سردية فى تتابع المشاهد ؟ وهل كان الوهـرانى يرسمها ويتابع بعضها بعضا على خطة ؟ او هى تجىء عفو الخاطر ؟

اذا تتبعنا الصلة السردية فى المشاهد الواردة فى المنام الكبير ، نرى انهـا لم تجىء عفو الخاطر ، وليست على شكل صور الاحلام التى ترد غالبا فى غير انتظام او انسجام . ولكن الوهرانى يرسمها ، ويتابع بعضها بعضا بنـاء على خطة ، فهو لا ينتقل من مشهد الى مشهد الا اذا سبق له بتمهيد يناسب المقام، ويجعل بين المشاهد صلة سردية تصل عرى المشاهد بعضها ببعض ، وهو يسير على المثل القائل الشىء بالشىء يذكر . فهـو والطبيعى فى مستهل المنام يسدائه

---

(١) القشيرى : كتاب المعراج تحقيق الدكتور على حسن عبد القادر ص ٦)

بالمشاجرة والعتاب ، وهنا يلزمهما قاض ، فيظهر كمال الدين بن الشهرزوري ليشكو اليه العليمي الوهراني ، ويتناوله الوهراني بالسخرية . ثم يذكر مالك بعد ذلك مباشرة ليستأذناه في التجول في المحشر ، ثم تحين من الوهراني التفاتة ، فيرى أبا المجد بن الحكم عابرا ، وفي يده ورقة مذهبة حمراء ، فلما سألاه من وجهته ، قال : انه ذاهب ليرد الرقعة التي في يده على صاحبها بعد أن تهكم منه الوهراني على لسان الحسين بن منير ، الذي نصحه بردها اليه .

ثم يحكى ان طلائع بن رزيك سحب كذلك رقعة أبي الصيد التي عرضها عليه الشهرزوري ، وبينما هما في المحادلة بشأن هذه الرقعة ، اذ بضجة عظيمة من جانبي المحشر ، والناس يهرعون نحوها مستبشرين ، وبهذا يتخلص الوهراني من هذا المشهد الى غيره ليصف لنا مشهدا رائعا يوم الحشر ، بسبب الغفران للفقيه المجير والمهذب بن النقاش من المذنبين المعاصرين للوهراني ، فيرقص كبار المذنبين من القدماء .

وهنا يسأل أبو المجد بن الحكم الوهراني بهذه المناسبة عما لعله في العشرة دنانير التي له عند ابن النقاش قبل أن يدخل الجنة ، ويتخذ من ذلك وسيلة لهجائه والنيل منه .

وينتقل الوهراني ورفيقه العليمي الى البحث عن الماء بعد أن أصابهما العطش والتعب من المحاورة والوقوف ، وهنا ينتقل الى وصف الصراع بين الأمويين والعلويين حول الحوض ، فيهجو أو يمدح من يلتقي بهم من المعاصرين له في هذا المكان ، وهو في انتقاله من مشهد لآخر ، ينتقل في نظام ليشعرك بقوة الفن في السرد ، واحكام الربط بين الصور الواردة في هذا المنام .

أما من الناحية النفسية التي تسيطر على المشاهد جميعها ، فالمسرحية عبارة عن نفثة مصدور كما يقول الوهراني في مقدمة هذا المنام ، وقد شفى فيها غليله ممن يتضايق منهم في حياته ، سواء كانوا أشخاصا أم طوائف . وان ما ذكره عن شخصيات تسبق عصره ، أو بعض الوقائع التاريخية ، أن الصور الخاصة بالحياة الاخروية ، كل هذه الأشياء وسائل يصل بها ومن خلالها الى الانتقام ممن يريد لتستريح نفسه مما تكابده من هموم واحزان .

أما ذكره بالخير لمن احسنوا اليه في الحياة الدنيا أمثال صلاح الدين واسد الدين شيركوه واسباغه عليهم صور البطولة . فقد جاء كذلك لغرض نفسي ، فهو في اثناء مدحه لهم يهجو الشيعة الخارجين على الدين ، كما كتب ذلك العلماء في وثائق أثبتوا فيها ضلالهم وغيهم ، وهو لذلك يمدح القائدين المظفرين اللذين طهرا مصر من رجسهم وشرورهم .

اذن نستطيع أن نقول ان الوهراني استطاع ان يستغل شتى الصور التي وردت في منامه الكبير ليعبر عما يجول في نفسه من خواطر مكبوتة تجاه مجتمعه الذي يعيش فيه .

خامسا : كيف صور الوهراني الشيعة والسنة ؟

تعرض الوهراني في منامه هذا للخصومة المعروفة في الحياة الدنيا بين المتشيعين للعلويين والمتعصبين للأمويين ، ونراه يقيم بين الطائفتين معركة صفين أخرى يوم القيامة ، فالاكراد قد انتحلوا ولاء أمويا ، ونراهم يحيون يزيد بقولهم « **السلام عليك يا امام العدل ، السلام عليك يا خليفة الله في الأرض ، السلام عليك يا ابن عم رسول الله .. نفعنا الله بطاعتك وأدخلنا في شفاعتك** » (١)

ثم يتناول الوهراني هؤلاء الأكراد بالسباب اذ ينعتهم بالسرقة ، ويلم

---

(١) منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ص ٥٤



قاضيهم عبد الملك بن درباس ، بينما نراه يمدح صلاح الدين وأقاربه وهم اكراد كذلك . فهو يردهم بنسبة عربية بنسبتهم الى البيت الاموى كما يذهب قلة من المؤرخين ، وان كان الراجح عند غالبيتهم أن بنى شادى ليسوا من بنى امية ، فاذا صح ذلك فان الوهرانى يتملقهم تملقا رخيصا .

ولكننا نعرف أن الايوبيين اسقطوا الدولة الشيعية الفاطمية ، ثم بايعوا الدولة العباسية ، وهى عدوة للأمويين اصلا ، وأسقطتهم من الحكم ، فكيف يستقيم موقف الوهرانى ؟

الواضح أن الصراع بين الشيعة والسنة كان حاداً فى هذا العصر ، وكان يمثل الشيعة الامامية فى العراق ، كما كان يمثلهم الباطنية فى الشام ، وقد حاولوا اغتيال صلاح الدين الايوبى ، وكانوا يأتمرون بالأمير الصباحى صاحب قلعة الموت كما أن قصة الصراع فى عصر بنى امية كانت بينهم وبين العلويين فالتمثيل يقتضى أن ينقلنا الوهرانى الى الجو التاريخى المناسب فى معركته التى اقامها بين الشيعة والسنة فى يوم القيامة ،

وهو لا يرمى من ورائها الا أن يشعرنا بتلميحه هذا الى قصة الصراع فى عصره . ثم انه يريد مهاجمة الاكراد فيلتمس لنفسه المخرج ، فيجد نسبة البيت الايوبى اليهم .

أما موقفه من العلويين فهو لا يقدح فى قادتهم ، ولكنه لا يتورع من أن ينال فى مناماته من الذين يسمون انفسهم الاشراف بمحضر من على بن ابى طالب الذى ينتسبون اليه . فيذكر منهم اناسا لا يتمالك الحسين نفسه حين يسمع اسماءهم من الغيظ فيقول « اليوم يشمت بنا بنو امية » (١)

سادسا : لماذا اشـــتدت حملة الوهرانى على الصــــوفية ؟

فى راى هــذا الاديب ان الصوفيين لا يستحقون شفاعة النبى « ص » ، لانهم قوم غلب عليهم العجز والكسل ، وهربوا من العمل ، ولاذوا بالتواكل وان كنا نحن نعرف ســلفا ، ان موقف الفقهاء من الصوفية كان موقفا عدائيا ، تمثل بوضوح عند ابن الجوزى المعاصر للوهرانى فى كتابه « تلبيس ابليس » ، وفى بعض مقاماته (٢)

ولا يمكن أن يكون الوهرانى فى مسرحيته قد رصد حوادث تاريخية وسياسية بالغة الاهمية ، فى اسلوبه الفكاهى الذى عرف به ، ويــدل اول ما يدل على أن قلب صاحبه قد فطر على الدعابة ، وهــذا ما جعــل منامه ورســائله ومقاماته موضع اهتمـــام الادباء وتقديرهم لفنــه .

---

(١) مجلة اللسان العدد الرابع ١٩٦٦ (الرباط) ص : ١٢١ الدكتور احسان عباس
(٢) مقامات ابن الجوزى (مخطوط) تحقيق محمد نغش تحت الطبع

يتساءل الناس : ما هي الفائدة التي تعود على الانسان بعد زيارته التاريخية الى القمر ؟ ولماذا ينفق مليارات الجنيهات للحصول على حفنة من التراب أو قدر من الصخور ؟ ما قيمة التراب ، وما قيمة الصخور ، وما علاقة ذلك بالتكاليف الباهظة التي استلزمتها رحلات « ابوللو » التاريخية الى القمر ؟

ويرد العلماء على هذه الاسئلة بقولهم : « هناك أسرار كثيرة تكتنف القمر والارض معا ، قد يكون مفتاحها في حفنة التراب أو في قطع الصخور التي جلبتها رواد ابوللو من القمر ... »

ولعل السر الاول الذي يحاول الانسان معرفته ، هو سبب وجود القمر هناك في الفراغ البعيد كتابع للارض ... وبالتحري جدا أن القمر لم يكن له وجود ، فما الذي كان يحدث ؟

كلما سارت الاشياء في سماء الارض في الليل ـ كالقمر من الضوء ـ وانشغل الجمهور برؤيته ومراقبته ، ولكن كان القمر دائما مسيطرا على تفكير الانسان بحسنه وعلى مشاعره وتصوره .

وبعد اختراع « التلسكوب » عندما بحث يعطي القمر على انها عوالم اخرى ، فان اقربها هو كوكب الزهرة مثلا ، لم يقترب منا الا بقدر ٢٥ مليونا من الاميال ، أي أبعد من القمر بمائة مرة ، فما بالك بالمريخ والكواكب الاخرى ؟

القمر عبارة عن صخرة في الفراغ ، وهو يختلف عن التوابع الموجودة في مجموعة النظام الشمسي والتي يبلغ عددها اثنين وثلاثين تابعا موزعا على ستة من الكواكب هي الارض (١) والمريخ (٢) والمشتري (١٢) وزحل (١٠) وأورانوس (٥) ونبتون (٢) ... ويقطر القمر ٢١٦٠ ميلا أي حوالي ٢٧٪ من قطر الارض ، وهو بذلك يعد من الاقمار الضخمة ، وهو الضخم بالمقارنة الى الارض ، هكذا نظر الانسان الى الاثنين من مكان ما في الفراغ ، لاعتقد انهما يكونان كوكبا مزدوجا ... وليس هناك القمر بتابع لها القاهرة .

تقول احدى النظريات أن سحابا من الغبار والغاز ترجمت لتكون الارض ، وأن جزءا كبيرا من هذه السحابة كون قمرا كبيرا خارج الارض ... وربما أن هذا لم يحدث لأي كوكب آخر ، فان التفسير يبدو غير مقنع على الاطلاق .

وهناك نظرية اخرى تقول ربما تكون القمر بطريقة مختلفة ولم يتشكل عن طريق دوامة من الغبار والغاز ، فعندما دار القمر حول الارض جذب اليه ماء المحيط الهادي الذي ...



وفي الاجزاء الضحلة من المحيط فان احتكاك حركة الماء بقاع البحر عمل « كفرملة » لحركة دوران الارض ، ومعنى هـذا ان طول اليوم زاد ببطء ، ومعناه ايضا طبقا لقوانين الطبيعة ، ان القمر يتباعد ببطء عن الارض ·

يقول العالم « اسيموف » كانت الارض منذ مئات الملايين من السنين تدور بسرعة عما هي عليه الان ، وكان القمر قريبا جدا منها · وقبل ذلك منذ مليارين من السنين كانت الارض تدور بسرعة والقمر يكاد يلمسها ·· ومعنى هذا ان الارض عندما تكونت كانت في حاجة الى تابع ، وعندما كانت تدور بسرعة هائلة فان جزءا منها قد انفصل عنها ليصبح قمرا ، وربما يفسر ذلك سر حجم القمر بالمقارنة الى حجم الارض » ·

ومن نظرية « اسيموف » يمكن القول بأن الارض كانت تدور بسرعة بحيث التت بالهواء والماء وببعض كتل من المادة الصلبة الى الفراغ ، فلابد أن يكون ذلك كله قد انتزع من المناطق الاستوائية ، لان هذه المناطق كانت تتحرك بسرعة اكثر من مناطق القطبين ، ثم تجمعت هذه المواد وكونت القمر الذى ابتعد عن الارض وظل يدور حولها موازيا لخط الاستواء ، وهذا ما يفعله القمر اليوم ···

وقد يكون هذا صحيحا ايضا اذا كان القمر قد تكون من الاطراف الخارجية لسحابة الغبار والغاز التي كونت الارض بدورها ، فبدوران هذه السحابة كانت حركتها اسرع في المناطق الاستوائية ثم تجمعت مواد القمر ··· ولكن القمر لا يدور موازيا لخط استواء الارض انما يدور حول الارض وموازيا للارض حول الشمس ، وموازيا بالتقريب لخط استواء الشمس، وعليه فانه يشبه الكوكب ولا يشبه التابع · ومن المحتمل ان يكون القمر كوكبا مستقلا في الاصل ، وأنه لسبب ما تواجد في جوار الارض فأسرته جاذبيتها ···

بحار القمر

● لماذا تتكلف حفنه من تراب القمر هذه المليارات من الدولارات؟

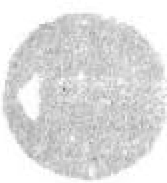
● العينات المأخوذة من القمر تفيد فى مواجهة أخطر الأمراض التى تهدد سلامة البشرية !

● النجيمات والقمر

هناك نظرية على قدر كبير من الاهمية عن حزام «النجيمات». فبين مدارى المريخ والمشترى توجد ألوف من الاجسام الدقيقة «النجيمات» قطر اكبرها لا يزيد على خمسمائة ميل . وهناك اعتقاد سائد بأن هذه «النجيمات» هى بقايا الكواكب التى انفجرت فى الفراغ ، واذا تجمعت هذه الاجسام كونت كوكبا صغيرا ... وهنا يبرز سؤال : هل يمكن أن يكون جزء من الكوكب الاصلى بين المريخ والمشترى مختفيا فى مكان ما ؟.. لو كان هذا الفرض صحيحا لدفع الانفجار هذا الجزء الى مكان قريب من الشمس ، وقد يكون هذا الجزء المختفى هو القمر ..

ولنفرض جدلا أن هذه النظرية صحيحة ، فمتى اسرت الارض القمر ؟

يؤكد بعض الجيولوجيين ان هناك دلائل قوية فى صخور الارض تثبت ان كارثة حدثت منذ مليار سنة ، نتيجة لامواج عاتية من المد والجزر اجتاحت القارات كلها ، وعن طريق هذه الامواج العاتية استطاعت الارض أن تأسر القمر فجأة عندما كان قريبا منها . وعلى ذلك يقول العلماء ان الارض اسرت القمر منذ مليار سنة فقط . وفى هذه الحالة اى فى مدى خمسة مليارات من السنين ، وجدت الارض كعالم او كوكب منفرد لم يضم اليها القمر الا منذ مليار سنة فقط ...



وحتى هذه النظرية التى اثارها فريق من العلماء وفسرها «أسيموف» لايزال ينقصها الدليل القوى ، لان علماء الفلك عندما يحاولون التثبت من أن القمر انفصل من حزام «النجيمات» لتأسره الارض ، فان الامر يختلط عليهم وتتعقد المعادلات تعقيدا عظيما . وعلى ذلك فمن العسير تفسير وجود القمر فى مكانه أو معرفة حجمه . ولكن الحقيقة انه هناك فى الفراغ ، وان حجمه كبير ، وهذا هو السبب الذى حدا بالدول الكبرى الى ضرورة الهبوط على سطحه لمعرفة حقيقة امره ...

● القمر اصلح مكان للمراقبة

من السهل القول بأن القمر أصلح مكان للمراقبة الفلكية وان الرؤية فيه قد لا تبارى ، لانه يخلو من الهواء . وانه يمكن دراسة الشمس والارض منه بطريقة لم تخطر على بال انسان من قبل ، ولكى يتحقق ذلك لابد من معاودة الهبوط على القمر مرة ومرات ، وهذا هو سر تكرار هبوط مركبات «أبوللو» عليه لارساء أجهزة معقدة وانشاء معامل فوق سطحه ، وقد تكون



من رواد الفضاء السوفييت : اليكسي ليونوف ، وبافيل بيلاييف ، وفي الصورة الثانية المحطة الاوتوماتيكية « لونا ١٦ » داخل هيكل تجمع التجارب ، وفي الصورة الاخيرة اثنان من رواد السفينة الفضائية الامريكية « جيمني ٩ ».





بحار القمر

هذه الامكانيات عظيمة ولكن متى يتحقق ذلك ؟

ان الفراغ الذى يحيط بكل جزء من سطح القمر يخلو تماما من الغاز عن أى معمل مفرغ من الهواء أمكن انشاؤه على الارض حتى كتابة هذه السطور ، فوجود الانسان على سطح القمر يمكن ان يجعله يصنع الاشياء بسهولة وبدرجة كبيرة من النقاء • واثناء ليل القمر الذى يطول لمدة أسبوعين يمكن حفظ الاشياء فى درجة برودة تقرب من الصفر المطلق (٤٥٩٫٦٩ درجة فهرانهايت) أكثر من اى جزء فى الكرة الارضية ، وان الاجهزة الدقيقة كالعقول الالكترونية والآلات الحاسبة التى يمكن ان تستغل الامكانيات الموجودة بالقرب من الصفر المطلق ، يمكن بناؤها هناك بسهولة •

ان الاشعاعات النشطة الصادرة من الشمس فى المناطق فوق الاشعة البنفسجية يمنعها جو الكرة الارضية من التسرب الينا ، ولكنها تصل الى سطح القمر ، وعليه يمكن استخدام مثل هذه الاشعة لتكوين عدة مفاعلات كيميائية ، ويمكن دراسة هذه الاشعة وأثرها على التحول الفجائى او الشفاء من السرطان او تخريب الخلايا بسهولة من فوق القمر ٠٠ وسوف يتحقق ذلك بتكرار الهبوط على سطح القمر • فحصول الانسان على عينات من سطح القمر سوف يثبت بالدليل القاطع سر تكوينه• فاذا كان القمر جزءا من الارض أو جزءا من سحابة غازية تكونت منها الارض أيضا ، فان قشرته لابد أن تكون مشابهة لقشرة الارض • ولكن ذلك قد لا يكون صحيحا اذا كان القمر جزءا من كوكب فى حزام « النجيمات » وراء المريخ ، لان سحابة الغبار هناك ــ وهى تبعد عن الشمس بضعفين أو ثلاثة أضعاف بعدنا نحن عن الشمس ــ قد تكون مختلفة تماما فى تركيبها الكيميائى عن سحابة الغبار التى تكونت منها الكرة الارضية • وان الكوكب الذى اتخذ شكلا خاصا تحت ظروف درجات الحرارة والاشعاعات فى هـــذا الجزء من النظام الشمسى ، لابد أنه كون قشرة مختلفة • وان التراب والصخور أو العينات التى جلبها رواد « أبوللو » الى الارض تشبه الى حد كبير تراب الكرة الارضية وانها غنية بمعدن « التيتانيوم » • فاذا كان رواد « أبوللو » قد حصلوا على هـــذه العينات من منجم لمعدن « التيتانيوم » الموجود فى القمر فمعنى هذا أن القمر لم يتكون أو ينشأ فى جوار الكرة الارضية !

ويمكن القول أن العينات التى جلبها كل من « ارمسترونج » و « الدرين » وغيرهما بعد أن قطعوا ٢٣٧٫٠٠٠ ميل فى الفراغ لاكتشاف جزء من النظام الشمسى ٠٠ كان الفضل فيها يرجع الى وجود القمر على ذلك البعد منا • فلو لم يكن موجودا لقطعوا ٢٣٧ مليونا من الاميال للحصول على عينة مماثلة من تابع أو كوكب آخر فى الفراغ •

● هل صحيح أن القمر قد انسلخ من المريخ أو المشترى ؟

● القمر أصلح مكان فى الكون للمراقبة الفلكية ومعرفة ما يدور فى الفراغ !

●● استخدام الإشعاعات الصادرة من الشمس لتكوين مفاعلات كيمائية !!

بحار القمر

● بحار القمر وسفن الفضاء

اذا اثبت تحليل تراب القمر وصخوره انه كان دائما فى جوار الكرة الارضية فيجب الا نصاب بخيبة أمل ، لاننا سوف نتعلم الكثير ، فهناك فوق سطح القمر ظاهرة البحار **Mascons** وهى مناطق ذات كثافة أكثر من معدل الكثافة فوق سطح القمر، تتركز فى مناطق مسطحة تعرف ببحار القمر . وهذه البحار تؤثر فى مدار سفن الفضاء ، وهى تدور فى سمائه . وقد تكشف الايام عن الشهب والنيازك التى دفنت فى هذه المناطق فكونت هذه البحار . أو قد تكون فيها طبقات من الرواسب التى تكونت فى العصور القديمة ، أو اذا كانت هذه البحار ملأى بالماء فى العصور القديمة .

وقد لاحظ رواد الفضاء وجود خطوط فى جبال القمر وفى الجانب البعيد من الارض . ومن الجائز أن هذا الجانب من القمر قد تعرض لعوامل تعرية قوية . وعلى أية حال فان الملاحظات المختلفة لرواد الفضاء كشفت عن أن جانبى القمر لهما تاريخ مختلف . وبجانب ذلك لو سلمنا بأن قشرة القمر تكونت فى جوار الكرة الارضية فربما شابهت قشرة الارض فى بادىء الامر . وتأثرت القشرة الارضية لمدة مليارات من السنين بالرياح والماء وما دب عليهـا من أشياء حية . ولذلك فمن العسير معرفة ماذا كانت عليه الارض منذ نصف مليار سنة مثلا .

اما فوق القمر فان اثر الريح والماء والاشياء الحية قل

طفيفا . لقد تعرضت القشرة القمرية حقبة لاختلاف درجات الحرارة والاشعة الشمسية وأمطار الشهب والنيازك ، ولكن نتيجة ذلك كانت طفيفة بالمقارنة الى اثر العوامل الاخرى على الكرة الارضية . واذن فانه يمكن القول باننا نستطيع ان نعرف الكثير عن قشرة الارض من القمر . ومن ملاحظات « ارمسترونج » و « الدرين » ومن الصور العديدة التى التقطاها اثناء رحلتهما الى القمر (الرحلة الاولى) يمكن دراسة الحالة التى كانت عليها الارض منذ مليارين او أربعة مليارات من السنين بجانب دراستنا لاحوال القمر ذاته على مر الاحقاب والعصور .

وتحليل تراب القمر واكتشاف وجود زجاج فيه ، يقضى على نظريات عديدة . فلو كان أصل القمر من جوار الارض لحصل على نصيب أوفر من المعادن العادية وعلى الذرات التى تكون الجو والمحيطات . ولو كان القمر جزءا من الارض لانتزع بعض الهواء والماء عند انفصاله من أمه الارض ! ولكن جاذبية القمر الضعيفة ما كانت لتكون جوا أو محيطات على مر السنين ، فربما احتفظ القمر على مرور ملايين السنين بكمية ضئيلة من الماء وجو رقيق . وقد اثبتت بعض الصور التى التقطها الرواد الذين هبطوا على سطح القمر ان هناك أنهارا جفت فوق سطحه . وكشفت الصور عن الوان بنية وسوداء وهذه الالوان توحى بوجود أكسيد الحديد وان الاكسيجين الحر وجد فوق القمر فى وقت من الاوقات . واذا كان الامر كذلك فلابد أن ذرات الهواء والماء خضعت لتغييرات مماثلة للتغييرات التى طرأت على الكرة الارضية لان الجسمين تعرضا للاشعاعات النشطة الصادرة من الشمس ..

وعلى ذلك لابد من العودة مرة ومرات الى القمر للحصول على عينات مختلفة من ترابه وصخوره ومعادنه ، على أن تؤخذ هذه العينات من أمكنة مختلفة ومن بيئات مختلفة كذلك . فبعض المناطق القمرية تتعرض لاضواء مباشرة ، وبعضها يتعرض لاشعاعات عظيمة ، وبعضها الاخر يتعرض لدرجات حرارة عالية عن غيرها .

واخيرا ... فان العينات المأخوذة من القمر قد تفيد علماء الاحياء وكذلك الاطباء ، لانهم لا يعرفون الا النذر القليل عما يجرى فى داخل الخلية الحية ، فاذا استطاعوا أن يعرفوا أسرار القمر وكيف نشأت عليه حياة بدائية فى بادىء الامر ، ثم اختفت وتركت آثارها فى رماله وترابه وصخوره ... فمن الجائز أن يصلوا الى سر الخلية البشرية للتغلب على الامراض الخطرة التى تهدد البشرية ، وعلى الاخص فيما يحدث فى الخلية السرطانية وسبب مهاجمة هذا المرض للجسم البشرى .

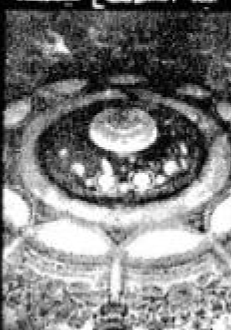


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح :
شعلتان ونصف وتمتاز الشعلة الكبرى بوجود سبرتاية
الفرن الشعبي
شعلتان ونصف وشواية اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. والطلاية السفرة مزهرة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون : ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

● الغلاف الأول والأخير ●



الازهر : قلعة العلم والإيمان
تصوير الفنان :
عبد الفتاح عيد



منظر خارجي ، ولقطة من داخل دار الاوبرا المصرية

هل تعرف من القائل ؟

١ ـ « النساء هن احتياطي القوى الانسانية ، الذى لم يستدع للخدمة ابدا »

هدى شعراوى ـ جورج راسل ـ مارك توين

***

٢ ـ « لا يصدق ايمان المرء حتى يكون بما فى يد الله اوثق منه بما فى يده »

● حديث شريف ـ على بن أبى طالب ـ أحمد بن حنبل

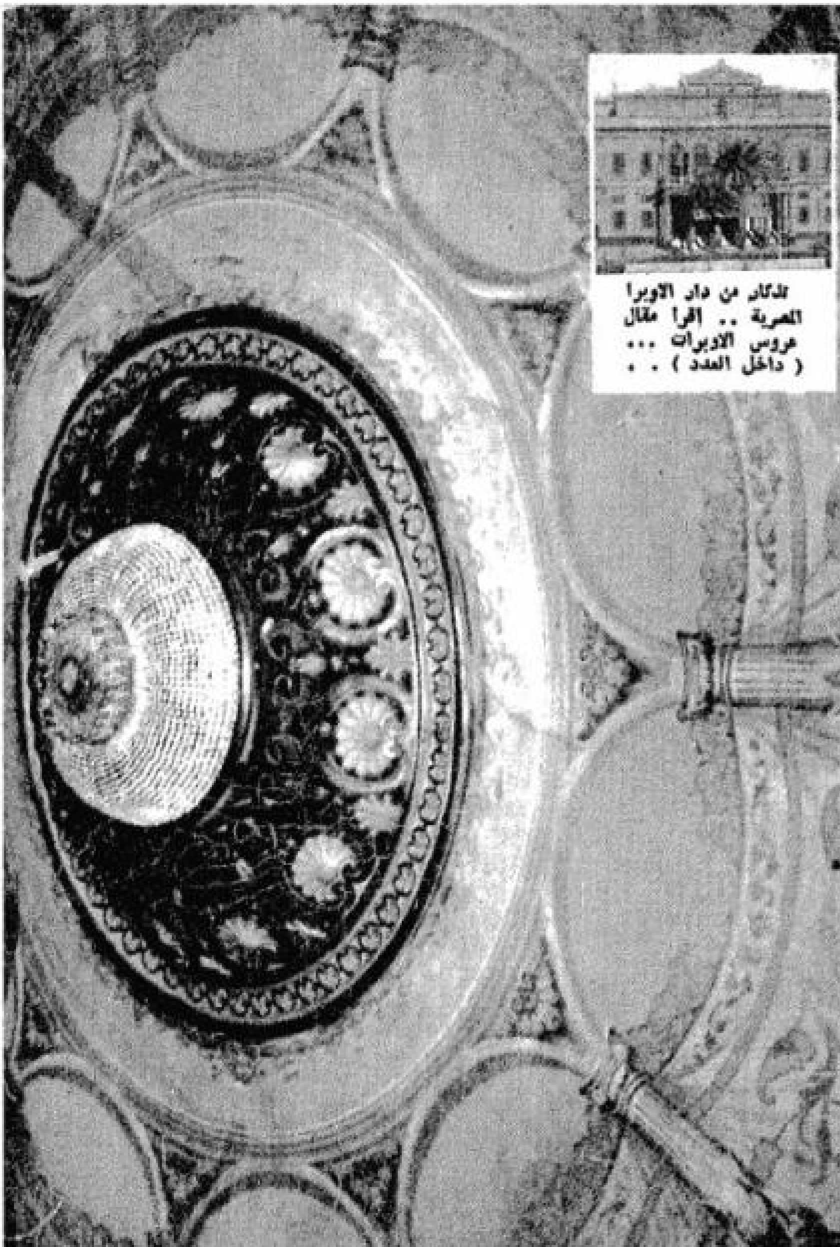
***

٣ ـ « استغفر الله ، الا من محبتك فانها حسناتى يوم القاء »
« فان زعمت بأن الحب معصية فالحب اجمل ما يعصى به الله

● العباس بن الاحنف ـ حفنى ناصف ـ أحمد رامى

الاجوبة

١ ـ الشاعر الايرلندى جورج راسل
٢ ـ على بن ابى طالب
٣ ـ العباس بن الاحنف



تذكار من دار الاوبرا المصرية .. اقرأ مقال عروس الاوبرات ... (داخل العدد) . .

الهلال


جزء خاص عن
الأزهر
قلعة العلم والإيمان
انطباعات من
مؤتمر الأدباء
في دمشق

الهلال

فبراير ١٩٧٢

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الثانى ـ السنة الثمانون اول فبراير ١٩٧٢ ـ ١٦ ذو الحجة ١٣٩١

رئيس مجلس الإدارة:
يوسف السباعى

رئيس التحرير:
صالح جودت

سكرتير التحرير:
نصر الدين عبد اللطيف

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم ـ ثمن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٢٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر انحاء العالم « ونصف دولارات أو ٢ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل الصرف فى جمهورية مصر العربية ـ والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

توفيق الحكيم ..
المرأة في حياته وفنه





محمد عبد الحليم
عبد الله ..
الوجه الآخر



الأميرة سعاد الصباح
.. زمان اللؤلؤة

في هذا العدد



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

كلمة الهلال

عاد موكب الادباء والشعراء من دمشق الفيحاء ..

عاد الادباء من مؤتمرهم الثامن، والشعراء من مهرجانهم العاشر .

وكان ذهابهم الى ربوع الفيحاء هذه المرة يمثل مرحلة جديدة من القصة العربية ، لانهم ذهبوا في سنة ۱۹۷۱ ، ليمسحوا ذكرى شديدة المرارة المت بهم هناك سنة ١٩٦١ ، يوم انقضى مهرجان الشعر على دوى الرصاص في محنة الانفصال .

وكانوا يحتفلون يومئذ بذكرى البحترى ، فشاء القدر الا يتم الاحتفال بهذه الذكرى ، حتى لقد قال استاذنا الراحل عباس محمود العقاد يومئذ : كانوا يقولون ان ابن الرومى منحوس ، ولكن يبدو ان البحترى أنحس منه .

والحقيقة ان النحس قد حل بالامة العربية منذ يوم الانفصال . فلولا الانفصال ما كانت النكسة .

على اننا قد وعينا الدرس ولن ننساه ، وثبنا الى عهد الوحدة ، ليكون طريقنا الى النصر باذن الله .

● صالح جودت ●

د. سيد نوفل

الوحدة العربية في مجال الفكر والثقافة

الوحدة هي تلك الرابطة الوثقي التى تؤلف بين جماعة من الناس، او بنى امة من الامم . اذ يلتقون على فكر جامع وثقافة عامة ، ينجم عنهما راى عام أو ارادة مشتركة . وحينئذ تنزع الامة الى التطلع نحو توحيد قواها ، وتكوين دولة تضم أبناءها أجمعين ، استجابة لذلك الـرأى وتعبيرا عن تلك الارادة ، وتامينا للصوالح الفردية والجماعية ، واتقاء للخطر الخارجي وتوفيرا للامن والتقدم والرخاء الوطنى .

فالارادة المشتركة هي اهم العوامل الدافعة لوحدة الامة ، ولبلوغ آمالها ، ولتحقيق تقدمها . وهى ليست أمرا مستقلا بذاته ، فالفكر والثقافة اساسها ، وهى نتاجهما .. وبقدر سلامة الفكر واكتمال الثقافة ، تكون قوة الارادة ، فقوة الامة ، ومنعة جانبها ووفرة شبابها ..



الرئيس أنور السادات : عهد جديد للوحدة الفكرية العربية الشاملة ..

الوحدة العربية

ليس شباب الامم كشباب الافراد ، وليست مراحل الحياة الجماعية مثل مراحل الحياة الفردية . فحياة الفرد ضعف ثم قوة ثم ضعف ، تتدرج محسوبة بالسنين والايام . اما الامم فلا تسير فى مراحل زمنية محددة ، ولا تخضع لمقاييس مطردة . فقد تطول المرحلة فى تطور الامة الى غير حد ،

وقد تمضى دهرا فى ضعفها وطفولتها . وقد تظل امة موصولة الشباب والازدهار ، لان بنيها تثقفوا والتقوا على فكر جامع دافع ، ولان قادتها وروادها فى مختلف الحقب تعلموا فن الحياة ، وتوارثوا العلم به جيلا بعد جيل ، ودأبوا على تغذية أمتهم بالروح والفكر المتجددين ، فى مرونة وحركة

دائبتين ، فحفظوا بذلك شباب الامة وقوتها ، وصانوا قدراتها ونشاطها المتصلين .

وفى هذه المسيرة لحياة الامة ، يتجاذبها دائما عاملان : عامل التقليد المطمئن ، وعامل التجديد الثائر . ولكل من العاملين خصائصه ومزاياه ، ولهذا يتعين الحفاظ عليهما ، باقدار متفاوتة ، حسب مقتضيات التطور البشرى . وانفراد اى منهما بالغلبة والسيطرة على مقدرات الامة ينتهى الى تطرف وبوار . فمن خصائص العامل الاول اقامة نطاق ثابت وطيد فى بناء الامة الفكرى والروحى ، ومثل عليا تليدة راسخة فى اعماق الانفس والضمائر لمختلف العصور . ومن مساوئه الناجمة من التخلف الفكرى والثقافى ، انه قد ينحرف الى الجمود الصلب ، الرافض لمقتضيات التطور اللازم لاستمرار الحياة وتقدمها .

واما عامل التجديد المتحرك ، فانه يتميز برغبة مطردة فى التغيير ، سعيا نحو الكمال . لكنه اذا انطلق بغير قيد من العامل الاول ، اصبح اداة قلق واضطراب ، وعنصر زعزعة وخلل .

فهذان العاملان المتقابلان فى حياة الامم ، الاساسيان لكفالة اسباب شبابها المنتج واتصال تقدمها الحكيم ، حيويان ما تهيأ اندماجهما وتعاونهما ، وانتجا ثمرات متوازنة . ولن يتحقق الانتاج والتوازن بغير اساس وطيد من الفكر والثقافة والعلم .

● مسيرة الامة العربية ●

واذا نظرنا الى امتنا العربية ، فاننا نتبين – رغم فترات الجهالة والظلام – ان تطورها يعتبر مثالا فريدا فى تاريخ الامم المعاصرة التى سجل التاريخ تفاصيل مسيرتها ... ولعل ابرز مزية للثقافة العربية تلك القدرة الفائقة على الاحتفاظ بالاصول وتراثها ، مع المرونة والامتثال التامين لمتوجات الخلق والابداع ، والمزج الرائع بين التراث والجديد ، مزجا لا يتبين الفاحص ايا من مظاهر النبو ولا الشذوذ فيه ...

والحقب التاريخية العربية ، التى تسمى حقب الاضمحلال او التخلف الحضارى ، انما هى فى حقيقتها مراحل صراع ضد العدوان الخارجى . فقد ارادت جماعات خارجية او دخيلة اخلال التوازن الفكرى والثقافى العربى ، سبيلا للسيطرة على هذه الامة والتحكم فيها . ولكن ما ان تنقشع تلك العوارض حتى تتبين الامة طريقها ، وتلوذ الى مقوماتها ، وتكافح لاستعادة سيرتها الاولى ، والتغلب على ما فرض عليها من تخلف ،

● من أبرز مزايا الثقافة العربية مقدرتها الفائقة على الاحتفاظ بالأصول والتراث، والمزج الرائع بينها وبين ثمرات الخلق والإبداع.

معتصمة بالصبر والمثابرة وان صادفتها العقبات والمخاطر ٠

واذا لم يكن بد من مثل ، على كثرة الامثال ، فلنأخذ نهاية العصر العباسي ، حين حاولت فكرة الشعوبية الحلول محل الفكرة العربية ٠ لقد تطلعت عناصر فارسية – طمعا في السيطرة – الى الاحتفاظ بكيان متميز والانحراف بالثقافة والحضارة العربية الى مجرى غير عربي ٠ لكن المحكومين انفصلوا عن الحاكمين وانهارت المحاولة وانتصرت الدعوة العربية ٠

ومن دواعي التقدير حقا أن هذه المعارك ، رغم مظاهرها السياسية ، كانت في اساسها فكرية ثقافية ، وكانت جميعا تدور في نطاق عربي اصيل ، هو نطاق اللغة العربية وعلومها والشعر العربي وفنونه ٠ وكانت مساجلات الاصمعي والجاحظ ، وغيرهما من قادة الفكر والثقافة العربية ، صورة بينة لما فرضته الارادة القومية على الصراع القائم من لون عربي ٠٠ وكان الجواب على دعوة الشعوبية ميلا نحو الاساس العربي

الوحَدة العربية



القديم ، في غير اهمال للجديد ، حفظا للتوازن بين عاملي البقاء والتقدم الامثين ٠٠٠

ومن بعد ذلك يسجل التاريخ انتصارات للارادة العربية في المسيرة الكبرى ، بلغت حد القدرة على اذابة الفوارق في المجتمع الكبير ، والمحافظة على الحركة المتوازنة لجميع قواه ٠ وكانت المواجهة العربية للحملات الاوروبية ، التي عرفت بالحروب الصليبية ، من أروع الانتصارات التاريخية ٠٠٠ لقد اجتثت فكرة الشعوبية من اساسها ٠ وتزعم حركة التحرير العربية المظفرة ، والجيش العربي المحارب ، قائد كردي الاصل ، هو الناصر صلاح الدين الايوبي ٠

● الاساس الثقافي للوحدة العربية ●

واما الاساس الفكري الثقافي لحركة الوحدة العربية المنتصرة في فجر الاسلام ، فقد اكتمل في القرآن الكريم ٠٠ لقد اجتمع المسلمون حول مبادىء الفرقان واحكامه وتعاليمه ، وكانت ثقافته العربية قاعدة لارادة صلبة هزمت طغيان فارس والروم ، واظلت العالم بالوية الحرية والعدل والسلام ٠ ولقد بهرت هذه المعجزة اللغوية الفكرية الثقافية ، وبهر انتصارها انظار الباحثين والمؤرخين الاجانب ، منذ علت كلمة الاسلام الى هذه الايام ٠٠٠

وفي التاسع والعشرين من مارس (آزار) لعام ١٩٥٠ ، القى جورج سارتون » ، أستاذ التاريخ بجامعة « هارفارد » ، محاضرة في ندوة « كوليدج » بمكتبة الكونجرس الامريكي ، تحدث فيها عن صلابة الاساس الفكري للاسلام ، وقوة الثقافة العربية في انتصار دعوته ٠٠ وكان مما قال الاستاذ المسيحي :

« اسمحوا لي أن أؤكد أنه لم يتح لنبي ، من قبل ولا من بعد ، أن ينتصر انتصارا تاما كانتصار الرسول محمد . وكان الاصرار على تفوق اللغة العربية خاصة ، أو على حاجة الدين اليها ، هو الذي كفل لهما السيرورة وحفظ التفوق العربي ... فمحمد لم يكن رسول الاسلام فحسب ، بل رسول اللغة العربية والثقافة العربية الى الناس جميعا على اختلاف الاجناس والاديان ... »

كما تحدث عن أنه كان من أعظم نجاحات الرسول الباقية على الزمان : « اقامته مركزا ثقافيا للاسلام في الحج ، قبل أن يتبين العالم الى أي حد سيكون مثل هذا المركز الفكري هاما في نشر الاسلام بين أجناس كثيرة وأمم عديدة ... » وذلك فضلا عن اتخاذ الفكر اساسا للايمان .

وكانت مراكز الثقافة العربية في بغداد والبصرة ، توحد الفكر العربي ، وتنشر ثقافتها على المراكز الاسلامية الممتدة من أقصى العالم العربي في غانه والاندلس الى أقصاه في فرغانه والصين .


الكواكبي : واحد من رواد اليقظة العربية

ومن بعد ذلك ، كانت الوحدة الفكرية والثقافية للعرب ، يلتقي فيها المشرق والمغرب في الجامع الازهر بالقاهرة ، كما كانت للازهر دعامة بالمغرب في جامعة الزيتونة التونسية اعرق المراكز الثقافية في المغرب العربي ، وكما كانت له دعامة بالمشرق في مدارس النجف وكربلاء التي يلتقي فيها الفكر الشيعي الاسلامي مع الفكر اللغوي العربي .

وكان الفكر الاسلامي في عصور الوحدة الناهضة مدعوما بخلاصات الفكر والتقدم العالمي قديما وحديثا ، وكانت النهضة الصناعية والعلمية تلازم النهضة الفكرية الثقافية التي تعتبر أساسا لها .

● نهضة بعد كبوة ●

وجاء على العرب حين من الدهر ، فرضت عليهم قوى العدوان والاستسلام ان يعيشوا الحاضر بأسلحة الماضي ، وأن يرضوا بالكتاتيب ابتداء ، الى حلقات الازهر وسواعده انتهاء ، راضين بالنقل والتقليد دون الابتكار والتجديد .

لكن المعاناة المصرية العربية ، وتجارب القارمة للحملة الفرنسية ، والثورة على محاولة العثمانيين تتريك التعليم النظامي في العالم العربي ، ووجود الازهر ملاذ العروبة الحصين — هذه جميعا تعاونت في صهر المعدن العربي الاصيل ، وظهور حركة الوحدة العربية الجديدة ، أو الامبراطورية العربية كما يحلو لمؤرخي الغرب أن يسموها : حركة مصر لعهد محمد علي في مطلع القرن التاسع عشر .

وفي عام ١٨٣٣ كتب «بالمرستون» ، رئيس الحكومة « البريطانية » ، الى السلطان العثماني يعبر عن هلعه في



الوحدة العربية

مكر بريطاني معروف ، وفي استشارة للسلطان ، فقال :

« ان هدف محمد علي الحقيقي هو اقامة امبراطورية عربية تضم جميع البلاد التي تتكلم العربيـــة · وقد لا يحوى هذا المشروع ضررا في حــد ذاته ، ولكنه سيؤدى الى تقطيع أوصال تركيا ، وهذا ما لا نرضى عنه · وفضلا عن ذلك فلا نرى سببا يبرر احــلال ملك عربي محل تركيا في السيطرة على طريق الهند » (١)

وهذه الحركة العربية الجــديدة ، التي تزعم الاستعمار البريطاني مقاومتها ، قد استندت الى الفــكر والثقافة العربية الاصيلين ، ينشرهما الازهر ومعاهده والمساجد والمدارس الناشرة لثقافته ·· كما اكملت أساسها الاخر في العلم والتجديد المعاصرين بالبعوث المصرية الى البلاد الاجنبية ، وبالمدارس الحديثة التي انشأتهـــا الحكومة المصرية في مطلع القرن التاسع عشر ، وانتشر نظامها من مصر الى الكثير من الاقطار العربية وخاصة في بلاد الشرق العـــربي · بل ان رواد الاصلاح في الازهر قادوا حــركة التجديد فيه ، وعملوا لادخال العلوم الحديثة في ميدانه ، استكمالا لمقومات الفكر والثقافة · وهو نجاح ظل يطرد حتى أوشك أن يكتمل ، كما نرجو ، في هذه الايام ·

وكانت مطبعــة بولاق التي انشئت بالقاهرة في عام ١٨٢١ ، وما تلاها من مطبعـــة بيروت في عام ١٨٣٢ وغيرهما ، هي الادوات التي عمل بها رواد اليقظة العربية ، من امثــال البستاني واليازجي والكواكبي ومحمد عبده ·

● في مواجهة العدوان الاجنبي ●

وحارب التحالف العدواني الغربي حركة الوحدة العربية الجديدة ، وقضى عليهـــا قبل منتصف القرن الثامن عشر ، وتبعتها حركة استعمارية شملت العالم العربي من المحيط الى الخليج ، تعمل جاهدة لكي تزيل رواسخ الفكر والثقافة العربيـــة من بلاد المشرق والمغرب جميعا ، طمعا يائسا في أن تقضي على مقومات الاستقلال والوحدة، وقواعدهما في هـــذه الامة الخالدة ووطنها الكبير ···

وفي مواجهة ذلك نهض لاحيـــاء الثقافة والفكر العربيين حراس العروبة في الازهر ، ومبعوثو العـــرب الى أوروبا ، والاحزاب القومية في مطلع القرن العشرين ، ثم الصحافة والاذاعة ونمو الثقافة العصرية في العـــالم العربي نموا صاحب الحركة القومية الجـديدة ، نشـدانا للاستقلال في العشرينات ثم الوحدة مع الاستقلال في الاربعينات ·· وكان الاســـاس الفكرى الثقافي ، شأنه دائما ، هو الدعامة التي تنمو حــركة الاستقلال والوحدة بقدر قوتها وصلابتها ···

(١) انطونيوس ـ اليقظة العربية ص ٢١ـ٢٢ ·

● وحدتنا الفكرية والثقافية في العهد الجديد. يجب أن نكفل لها أسباب النماء والبقاء.

وفي مطلع الاربعينات ، ورحى الحرب العالمية الثانية تدور ، تنادى رجال الفكر العربي بالوحدة . واستطاعت الارادة العربية أن تفرض ما اطلق عليه في عام ١٩٤٣ « محادثات الوحدة العربية » بين الدول العربية المستقلة ، بمعنى الاستقلال حينذاك ... لكن الاساس الفكرى ، والراى العام العربى ، لم يكونا من القوة بحيث تتهيأ لهما الارادة الفعالة . ولهذا جاءت جامعة الدول العربية في ربيع ١٩٤٥ منظمة تعاهدية للتعاون ، لا تلتزم فيها الدول الاعضاء الا بما توافق عليه من قرارات ، وتنفذ هذا الالتزام الذى لا يعدو أن يكون أدبيا بالطريقة التي تراها دون معقب أو متابع ...

● من أجل وطن عربي واحد ●

وكان طبيعيا أن يعمل المؤمنون بالوحدة العربية لدعم الاساس الثقافي سبيلا لدعم الارتباط العربي الجديد ، والانتقال به الى الوحدة المأمولة .

ولهذا لم يكن عجيبا أن تكون « اللجنة الثقافية الدائمة » أولى اللجان التى تؤلف في نطاق جامعة الدول العربية ، وأن تسبق اللجان السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، وأن تعقد اجتماعاتها مع اجتماعات اللجنة التحضيرية لتأسيس الجامعة في وقت واحد . وأن تكون المعاهدة الثقافية أول معاهدة تبرم في نطاق الجامعة ، وأن يقرها مجلس الجامعة في دور انعقاده الاول في ١٧ من نوفمبر (تشرين الثانى) لعام ١٩٤٥

وقد تحرت هذه المعاهدة توحيد الاتجاهات الثقافية العامة ، وتنمية التقارب الذهنى والتآلف الروحى والفكرى بين أبناء الامة العربية ، وتعبئة شعورهم القومى ، وتطوير الحضارة العربية اعتمادا على العلم المعاصر وآثاره ، والحضارة العالمية ومنجزاتها .

ولم يكن من أهداف هذه المعاهدة توحيد نظم التعليم ومناهجه في البلاد العربية ، وان استهدفت تعادل مراحل التعليم وشهاداته تيسيرا لتبادل الطلاب والاساتذة ، كما نصت على اشتراك المناهج فى تاريخ البلاد العربية وجغرافيتها وأدبها ، والعمل على تكوين فكر مبين عن حياة هذه البلاد وحضارتها .

وبذلت جهود في المؤتمرات الثقافية وفي مختلف الوان النشاط الفكرى لوضع هذه المعاهدة موضع التنفيذ بل العمل لتوحيد المناهج بين البلاد العربية .

ووجدت الحركة الوحدوية أن هذا



الوحدة العربية

الاساس الثقافي غير كاف ، ولهذا تطلعت بعد اثني عشر عاما من الممارسة الى دعم عرانٍ في نطاق محدود .. وكان عقد « اتفاق الوحدة الثقافية بين مصر وسورية والاردن » في ربيع ١٩٥٧ ، مستهدفا الوحدة الحقة كما يبين من عنوانه ، وترك الباب مفتوحا لانضمام سائر الدول العربية اليه .

وقد نصت مقدمته على انه اتفاق وحدوي يستهدف تنشئة مواطن عربي يعمل من اجل وطن عربي واحد ، ويقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربي المشترك لعزة الامة العربية ومجدها ، والعمل بجميع الوسائل المتاحة لتحقيق هذه الغاية القومية . كما دلت مواد الإتفاق على اتجاهه الى توحيد مراحل التعليم ، وخطط الدراسة ، والعناصر الاساسية للمناهج في المواد ، ونظم الامتحانات ، وسائر « التشريعات والانظمة الخاصة بالتربية والتعليم والثقافة .. »

وحققت هذه الاتفاقية انجازات مذكورة مثلما حققت سابقتها ، ولكنها لم تحقق جميع الامال .

• تجديد التراث الحضاري العربي •

وجاءت سياسة القمة العربية بامالها الكبار في مطلع عام ١٩٦٤ ، ووضعت قواعد الوحدة العربية سياسيا ودفاعيا واقتصاديا في مؤتمرات القاهرة والاسكندرية والرباط . حينذاك وجهت عناية خاصة الى الجانب العلمي ، ووضع برنامج طموح ابتداء من محو الامية وانتهاء باستخدام الذرة في الاغراض السلمية .

ولم يكن بد من مراجعة الاساس الفكري الثقافي للمرحلة الجديدة في مسيرة الوحدة العربية .. ولم يكن عجبا أن يجتمع مؤتمر القمة العربية الاول بالقاهرة في منتصف يناير (كانون الثاني) لعام ١٩٦٤ ، وأن يعقبه في الشهر التالي ، فبراير (شباط) لعام ١٩٦٤ ، مؤتمر وزراء التربية والتعليم ببغداد ، وأن يقر « ميثاق الوحدة الثقافية العربية » وما يتصل بها من « اتفاقية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم » ، ثم يوافق عليهما مجلس الجامعة العربية في شهر مايو (أيار) من ذات السنة . وهكذا يتم هذا العمل الكبير بمراحله التشريعية في اربعة اشهر فقط .

ولقدر مدى الطموح في ميثاق الوحدة الثقافية حق قدره ، تكفي المقابلة بين نصوصه ونصوص المعاهدة الثقافية التي سبقته بتسعة عشر عاما . لقد كانت معاهدة ١٩٤٥ لا تزيد عن حديث « التعاون والتبادل »

فى بعض الشئون الثقافية والتربوية بين الدول اعضاء الجامعة التى كانت حينذاك سبعا . اما ميثاق الوحدة الثقافية فى عام ١٩٦٤ فيتحدث عن « التوحيد والتماثل » بين الدول اعضاء الجامعة التى اصبحت ثلاث عشرة .

كما ينص على انه جاء استجابة لداعى الوحدة الطبيعية بين ابناء الامة العربية ، وتأكيدا لان « وحدة الفكر والثقافة هى الدعامة الاساسية التى تقوم عليها الوحدة العربية ..

وتتعثر سياسة القمة العربية بعد عام لتصفى بعد عامين . ويتعثر معها أو من قبلها العمل فى دعم الاساس الفكرى الثقافى ، ولو استقام لاستقامت . ويظل ميثاق الوحدة الثقافية حبرا على ورق . ويأتى العدوان الباغى والهزيمة العربية فى عام ١٩٦٧ ، ويزداد الشعور بضرورة الوحدة ، ويزداد معه الشعور بالحاجة الى دعم الاساس الفكرى الثقافى . وفى صراع البناء للقوة العسكرية الوطنية والمكانة السياسية الدولية ، تتكاثف الجهود لاخراج ميثاق الوحدة الثقافية الى حيز التنفيذ ، وتأسيس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ويشهد عام ١٩٧١ خروج الميثاق الى النور ، وتأسيس المنظمة بين المصاعب والامال .

جامعة الدول العربية : اول معاهدة أبرمت فى نطاقها ، هى المعاهدة الثقافية ..



تضم أربع عشرة من الدول أعضاء الجامعة ، ويرجى أن تضم عما قريب الدول الاربع الاخرى التى لم تنضم بعد اليها .

والميثاق بنصوصه وأحكامه يعبر عن آمال الوحدة العربية أبلغ تعبير .

والمنظمة بأقسامها وعموم أنشطتها تشهد بتخطيط متكامل مستقيم .

لقد نصت مقدمة الميثاق على أنه هو والمنظمة المستندة الى مبادئه انما

جاءا « استجابة للشعور بالوحدة الطبيعية بين أبناء الأمة العربية ، وايمانا بأن وحدة الفكر والثقافة هي

الدعامة الإساسية التي تقوم عليها الوحدة العربية ، وبأن الحفاظ على التراث الحضارى العربي ، وانتقاله

بين الاجيال المتعاقبة ، وتجديده على الدوام ، هو ضمان تماسك الامة العربية ، ونهوضها بدورها الطليعي

الإبداعي في مجال الحضارة الانسانية والسلام العالمي المبنى على اسس العدل والحرية والمساواة . »

وحددت المادة الاولى منه هدف التربية والتعليم القومى على الوجه الآتى :

« يكون هدف التربية والتعليم :

« تنشئة جيل عربي واع مستنير ، مؤمن بالله ، مخلص للوطن العربي ، يثق بنفسه وبأمته ، ويدرك رسالته القومية والانسانية ، ويستمسك بمبادىء الحق والخير والجمال ، ويستهدف المثل العليا الانسانية فى السلوك الفردى والجماعى .

« جيل يهيىء لأفراده أن ينموا شخصياتهم بجوانبها كافة ، ويملكوا ارادة النضال المشترك واسباب القوة والعمل الايجابي ، متسلحين بالعلم والخلق ، كي يسهموا في تطوير المجتمع العربي والسير به قدما في معارج

التطور والرقي ، وفى تثبيت مكانة الامة العربية المجيدة ، وتأمين حقها فى الحرية والامن والحياة الكريمة » .

ثم تطرقت الى قواعد العمل المشترك فى هذا المجال ، فقالت :

« وتعمل الدول الاعضاء على رسم الفلسفة التربوية العربية التى تنهض بهذا الهدف العام ، وعلى تعيين أهداف التربية فى جميع مراحل الدراسة ، وابرازها فى مجال العمل والتنفيذ بما يحقق ما تعقده الامة العربية على تربية شبابها من آمال . »

وفى المادة الثانية فصلت أوجه التعاون بين أقسام الوطن العربي كما يلى :

« تتعاون الدول الاعضاء تعاونا كاملا فى ميادين التربية والثقافة والعلوم ، وارساء دعائمها على أساس

من التكافل والتكامل . وتعمل بصفة خاصة على تنسيق أنظمتها التعليمية وتطويرها ، وعلى تبادل الخبرات

الوحدة العربية



والمعلومات وثمرات البحوث العلمية والتقنية ، وتبادل الاساتذة والمدرسين والخبراء ، وقبول الطلبة بالمدارس والمعاهد والجامعات ، وتقديم المساعدات التقنية والمشاركة فى انشاء معاهد البحوث ومراكزها ، وعقد المؤتمرات والحلقات الدورية والتدريبية ، وتيسير انتقال المطبوعات العربية ، وتنسيق الوان النشاط الرياضى ، والفنى ، وتحقيق التعاون بين الهيئات والمجالس المختصة بهذه الشئون حكومية وغير حكومية ٠ »

اما دستور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، فقد بين فى تفصيل نظامها ، ووسائل عمل اقسامها واجهزتها فى سبيل بلوغ هدفها ٠ وحدد هذا الهدف بأنه « التمكين للوحدة الفكرية بين أجزاء الوطن العربى عن طريق التربية والثقافة والعلوم ٠ »

● اعلام فى طريق المستقبل ●

وبعد ، فهل تستطيع الوحدة الفكرية الثقافية لعهدها الجديد أن تبلغ هدفها ؟ وهل تستطيع القوى العربية القائمة عليها أن تكفل لها أسباب النماء والبقاء ؟

الشيخ محمد عبده : لجديد الثقافة العربية الاصيلة



ان الايام والسنين المقبلة جديرة بالجواب عن هذا السؤال ٠ لكن هنالك أعلاما فى طريق المستقبل تقوى من أملنا ، ونرجو أن تزيد من عملنا ٠٠٠

وأول هذه الاعلام ، أن الوحدة الفكرية العربية ليست خلقا جديدا ، وانما هى حركة احياء ودعم وتطوير لواقع استقرت أصوله قرونا طوالا ، ثم نمت فروعه طوال القرنين التاسع عشر والعشرين ٠

وثانيها ، أن تجارب الماضى جديرة بأن تزودنا بقوى جديدة لتجنب الزلل ، والتغلب على المصاعب ، والمضى قدما نحو الغايات ٠

وثالثها ، ان ابعاد الوحدة العربية ومفاهيمها السياسية والدفاعية والاقتصادية والاجتماعية ، اخذت تتحدد ، وتقترب من الالتقاء العربى العام على مدلولاتها ومقتضياتها ٠ وذلك التحديد عامل هام فى استقرار الاساس الفكرى الثقافى للوحدة العربية ٠

ورابعها ، أن مصر ـ وهى أكبر اقسام العالم العربى ، وتجاربها الناجحة خير أسوة دائما لسائر الاقطار ـ قد أكدت فى عهد الرئيس السادات ، وفى بداية العهد الجديد للوحدة الفكرية العربية الشاملة ، عزمها على بناء الدولة المصرية العصرية : دولة العلم والايمان ٠٠

ولست اشك أن النجاح العربى فى مصر ، سيكون خير سند ودعامة للنجاح فى جميع الاقطار العربية ٠

وما ذلك بعزيز على الله ، وعلى المؤمنين العاملين المتضامنين ٠٠

حنفي بن عيسى

الأديب العربي

كلما فكرت في وضعية الاديب عندنا ، اتذكر كلمة قالها ابو الطيب المتنبي ، منذ حوالي احد عشر قرنا · في موقف الساخط على الدهر الذي ارغمه ـ وهو الانسان الابي الانوف ـ على مدح قوم لا قيمة لهم · فقد قال ذلك الشاعر المفوه :

الى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي ؟
وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد !

ولعله ، من القدامى ، الشاعر الوحيد الذي تمردت نفسه على ما سماه صراحة بعملية البيع والشراء ، في سوق يعمه الكساد وليس فيه من يلقي اليك السمع ، أو يلتفت الى ما تقول ···

ومتى بيعت الكلمة ، فقد ذهبت قدسيتها ، وصوحت روضة الشعر ، واقفرت دوحة الادب !

لقد أشار المتنبي الى لون من الادب لم يعد له ، في اغلب الظن وجود في البلاد العربية ، واعني به ادب الارتزاق، القائم على التمسح باعتاب الطبقة المترفة ، والتغني بأمجادها والتقرب من افرادها · أما اليوم فان الاديب ـ لحسن الحظ ـ لا تلجئه الضرورة الى الحالة المحزنة التي وصفها بعضهم ممن هجا المتنبي بالعبارات التالية :

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع في الكوفة الما ء وحينا يبيع ماء المحيا !

بين التراث والمعاصرة

● مظاهر « الادب الاستهلاكى » ●

لقد أصبح الشغل الشاغل بالنسبة الى الاقطار النامية وشعوب العالم الثالث هو الازدهار والتقدم المادى ، الا أن هذه الاقطار والشعوب ليس لها الا سهم قليل فى الابتكار والاكتشاف • ولذلك فان هذه الرغبة الملحة فى الازدهار والتقدم كثيرا ما تنقلب الى نزعة سيئة ، وأعنى بهذه العبارة حرص الدول المتخلفة على كسب جميع « أشياء » الحضارة ومصنوعاتها ، كالسيارة وجهاز الاذاعة وما الى ذلك •

انه لمن الغريب حقا أن يغيب عن أذهان البعض ان الرفاهية ليست كل شىء فى الحياة ، وان لباس البذلة الانيقة ، وتوفير المرافق الحديثة ـ لا يكفى لكى يرقى بالانسان من وضعية التخلف الى وضعية التقدم حضاريا ، فنحن نستورد أكثر مما ننتج • وبعبارة أخرى ، فنحن ننتمى الى حظيرة الشعوب المستوردة • وبطبيعة الحال ، نستورد السلع والافكار • الا اننا فى

اغلب الاحيــان نكتفى باستيراد السلع الجاهزة ، ولا نكلف انفسنا اية مشقة لسلوك دروب الفــكر الذى انتج تلك السلع .

وهذا الموقف من الحضارة المعاصرة له عواقب وخيمة فى مجــال الادب . فهذه العقلية السائدة فى التبـــاهى بمصنوعات غيـــرنا ، والتنافس على كسبها ، جعلت منـــا شعبا يستهلك منتجات الحضارة . وقد أصبح سلوكنا خاضعا فى كثير من مظاهره لهـــذه العقلية ، الاستهلاكية ، اذا صح التعبير، وأخوف ما أخافه أن يكون الادب نفسه قد تحول الى « أدب استهلاكى » بأتم معنى الكلمة .

وأنا لا اقول أن كل ما ينتج عنــدنا يعد من النوع الرخيص ومن البضاعة المزجاة . ومما لا شك فيه انه يوجـــد اليوم فى العالم ادباء لا يقلون مقــدرة واصالة عن غيرهم من مشاهر الكتــاب فى العالم ... وانما اقول اننى أخشى أن تكون قد سرت الى أدبنا تيـــارات زائفة شبيهة باللوثة التى حذر منهــا حافظ ابراهيم فى مطلع هذا القرن ، حينما قال دفاعا عن اللغة القومية :

سرت لوثة الاعجام فيها كما سرى لعاب الافاعى فى مســـيل فرات

ان الشىء الاهم بالنسبة الى عقلية المستهلك هو اللحظة الراهنة . فكما ان الجائع مشغول البـــال باشباع بطنه ، فكذلك الكاتب يتحول الى شخص همه الوحيد حشو الادمغة ، ويعنى بالسفاسف من القول ، والنوادر من الحكايات التى ليس القصد منها سوى التسلية وقضاء الوقت فيما لا يفيد .



الاديـــب العـــربـــي بين الحداثة والمعاصرة

● رائحة المنفعـــة العاجلة ●

من الممكن اذن أن ينساق الاديب وراء الحلول السهلة ، وان تسول له نفسه الاقتداء بالتاجر وغيره من أصحاب المهن الحرة ، ولقد يقول في نفسه : ان المهنة التي أمارسها تستلزم من العناء وتتطلب من الذكاء ما يتطلبه ويستلزمه عمل الطبيب والمهندس ٠ فالي متى أظل محروما من نعم الحياة ؟٠٠٠ والغريب انه يجد من المجتمع حوله تشجيعا على المضي في هذا السبيل ، فاغلب القراء لا يميلون الا لما يسمى بالمطالعات الخفيفة ٠ والناشر سوف يقنعه بأن الكتب المبسطة والروايات والقصص البوليسية ومغامرات الجواسيس ، اكثر رواجا من المؤلفات التي لايزال بعض « المتزمتين » يكتبونها فلا يجدون من يقرؤها ٠٠٠ ورجال الصحافة والاذاعة والتليفزيون سوف يشعرونه بانه لاسبيل الى قبول انتاجه الا اذا توفرت فيه بعض الشروط ، وكتب على نمط خاص مقرر سلفا ٠ اضف الى كل هذا أن الادب أصبح اليوم مصنعا ، «industrialise» بأتم معنى الكلمة ٠ فقد تسربت اليه أساليب لم تكن تستخدم الا في مجال النشاط الاقتصادي كاصدار النشرات المبسطة ، والموضوعات الخفيفة ، والاقتباس والاختصار وما الى ذلك ٠٠٠ بل اصبحت تعقد اتفاقيات دولية لشراء حقوق الترجمة قبل صدور الكتاب في اللغة الاصلية ، ولا يكاد يصدر ذلك الكتاب حتى تتخاطفه دور النشر بالزايدة في الثمن ٠

والترجمة في حد ذاتها ، بصرف النظر عن نواحيها الايجابية ، لا تخلو من جانب استهلاكي ، لانها عملية استيراد للفكر الاجنبي بقصد الاستهلاك المحلي ، على غرار ما تستورد السيارات تماما ٠

● أخوف ما أخافه أن يكون أدبنا المعاصر قد تحول إلى « أدب استهلاكى »

◀

الأديب
العربي
بين
التراث
والمعاصرة

● آية كريمة دفعت العرب فى انطلاقة لم يشهدها التاريخ مثيلا

ولعلكم توافقون بعد هذا اننا لم نحرز فى هذا المجال تقدما كبيرا على عصر المتنبي . فأدب الارتزاق الذى كان سائدا فى عهده وأدب الاستهلاك السائد اليوم فى كثير من الاقطار ، انما هما صنوان متشابهان يتحكم فيهما قانون العرض والطلب ، ويشتم منهما رائحة النفعة العاجلة ، ويتسم كل منهما بطابع الزيف والتفاهة ، وليس في اى منهما شيء من الصدق والاصالة .

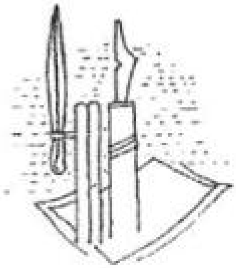
● أدب الظروف الطارئة ●

ولكننا نتساءل بعد هذا كله : هل خلق الانسان لتكديس الارزاق وجمع الكتب من غير تمحيص بين جيدها وزائفها ؟.. أو خلق لتخليد ذكره فى هذه الحياة بالعمل الصالح النافع له ولمجتمعه ؟

وهنا اتى الى الحديث عن لون آخر من الادب ، هو الذى أراه أجدر بهذه الامة ، وأليق بها فى هذه الفترة الحرجة من تاريخها . وهذا الادب أسميه « أدب الظروف الطارئة » أو « أدب الاحداث الجسام » أو يسميه البعض بأدب النضال أو أدب الالتزام .

ومهما اختلفت التسميات ، فان الشيء المؤكد هو أن معركة المصير فى حاجة الى أن يساندها الكتاب والشعراء والفلاسفة والمفكرون لان الاحداث التى يمر بها الوطن العربي تحتم على الاديب أن ينهض بمسئولية عظمى فى التوعية ، وفى معركة المصير بالذات .

ولكنني ، قبل الخوض فى هذا اللون الثالث من الادب ، أحب أن أمهد



له ببعض من الخواطر ، فيما فهمته من عبارتي « معركة المصير » ٠

ان كلمة « المصير » تتضمن معنى الصيرورة في الزمان ، ولذلك فسوف استطرد قليلا لاتحدث عن مفهوم الزمان عند العرب ٠٠ فلامر ما ، لا يوجد في لغة الضاد سوى الماضي والمضارع ،بينما نجد ان الشعوب الاخرى تحدد فكرة الزمان بالماضي والحاضر والمستقبل ٠٠ ولكن المسألة لا تقف عند هذا الحد، بل تختفي وراءها فلسفة عميقة لمن اراد ان يبحث في مكنونات الالفاظ ان ما مضى من الافعال والاعمال انما يمثل بالنسبة الى تاريخ الحضارة ، التراث الثقافي ، لان تلك الافعال ان هي الاعمال اجدادنا وتصرفاتهم وانماط سلوكهم في هذه الحياة ٠٠٠

وكما ان الفعل الماضي في عرف النحاة ، مبني ، أي ملازملحالة واحدة، فكذلك التراث الثقافي ، يمثل القيم الثابتة التي لا تتغير ، ومن واجب الانسان أن يحافظ عليها ، وأن يقاوم كل محاولة لطمس معالمها ، لانهابمثابة الاساس في بناء صرح الحضارة ٠٠٠وكما ان الفعل المضارع في عرف النحاة معرب ، اي متغير الاخر ، فكذلك الاعمال التي نقوم بها في الحاضر أو في المستقبل لا تثبت على حالةواحدة ولانهامتعلقة بالنية في مواصلة المشروع الى النهاية ، أو العدول عنه كلية أو التراجعفي بعض اجزائه ٠

ان مفهوم المضارعة عند العرب شيء طريف حقا ، وذلك أن العرب لا يقيدون انفسهم بالحاضر ، مادام هذا الحاضر سائرا الى المستقبل ، بموجب حتمية التاريخ الزاحف ، وبمقتضى الفلك الدائر ، والزمان المتجدد السائر ...

فالواحد منا لا يكاد يعي نفسه في اللحظة الراهنة حتى تكون تلك اللحظة قد انقضت وحلت محلها اللحظة التالية ، ومعنى ذلك أن فلسفة العرب قائمة على الصيرورة أي على تحقيق المصير ، انطلاقا من الماضي الذي يحمل القيم الثابتة ، وانطلاقا كذلك من الحاضر الذي يتضمن المستقبل وينصب فيه ..

على أن الحاضر انما يمثل في عمر الزمان نقطة تحفز الى المستقبل لأن العربي انسان لا يرضى بحاضره ، بل يظل دائما محدقا بالافق ، متلمحا معالم المستقبل ، وطالبا « للمعالي » على حد تعبير المتنبي .

ان الحاضر يتجسم في وضعية لابد من تجاوزها الى وضعية أحسن منها ، فاذا ما بلغت تلك الوضعية الجديدة ، فلابد من السعي لبلوغ وضعية البدل فكذلك المعاصرة ، تفرض على الانسان العربي أن يكيف وضعه بحسب مقتضيات الاحوال . واذا نظرنا الى تاريخ الفكر العربي الاسلامي ، فاننا نجده حافلا

بالعبارات الدالة على سعي المفكرين العرب لتغيير الواقع وتحسين المعيشة وتصحيح الوضع ... ومن تلك العبارات : الاجتهاد ، والمناقشة ، والمجادلة ، والمناظرة ، والمحاورة ، وكل عبارة من هذه العبارات تحمل في طيها روح الثورة الثقافية .

● مكتبة في كل بيت ●

ان الجزائر التي خاضت بالامس غمار الثورة المسلحة المظفرة ، ترى أن تلك الثورة المباركة لا تكتمل الا اذا ساندتها ثورات ثلاث هي : الثورة الثقافية ، والثورة الزراعية ، والثورة الصناعية . وأنا أعتقد أن كل واحدة



الاديب العربي بين التراث والمعاصرة

من هذه الثورات الاربع هى معركة المصير بالذات ، لانها تعبر عن عدم الرضا بالحاضر ، وتدل على ديناميكية الفكر العربى ، **وتكشف عن محاولة للحاق بركب الانسانية ·**

ويظن البعض أن مفهوم ، الثـورة الثقافية ، مستورد ، وان عبـارات « النهضـة والتوعيـة والتمسك بالشخصية ، وتصحيح الوضع الثقافى، والتبعية الثقافية » ، ان هى الا كلمات مقلوبة اذا صح التعبير ، اى أنهـا وضعت على غرار مثيلاتها الاجنبية ،وربما نسى اكثر **النـاس أن الثورة الثقافية التى احدثها العرب والمسلمون منذ أربعة عشر قرنا ، ليس لها مثيل فى تاريخ البشرية ·**

بطبيعة الحال ، لا يتسع المقـام للدخول فى تفاصيل هـذا الموضوع ، وانمـا اكتفى بالاشارة الى أن الاية الكريمة التى تقول :
« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ··

هى التى **دفعت العرب فى انطلاقة عبر الزمان والمكان ، لم يشهد لها التاريخ مثيـلا ··· ففى تلك الاية ،بصيغة الامر الـذى وردت به ، حث صريح على القراءة ، وارشاد الى سبل المعرفة ، واشارة الى أن صرح الحضارة لايمكن أن يبنى الا اذا استعمل القلم(علم بالقلم)** ، اى أن الحضارة لن تزدهـر الا اذا انتقلت البشرية من مرحلة الرواية الشـفهية الى مرحلة تدوين المعلومات ، وتسجيلها عـلى القرطاس ·

ولا ننسى فى هذا المجال ان هـذه الايات هى اول ما نزل مـن القرآن الكريم ، وذلك دليـل قاطع على اهمية القراءة فى الحياة ·

واسمحوا لى ان استطرد قليـلا لاحدثكم عن اهمية القراءة فى هـذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا ·

● تأسيس المكتبة فى كل بيت يعود ببلادنا إلى تقاليدها العريقة فى حب العلم·

الأديب العربي بين التراث والمعاصرة

ان المعاصرة ـ واعني بها الجهود التي يبذلها المرء ليكون ابن عصره ـ اصبحت تفرض علينا ان نتتبع باستمرار ما يجري في العالم من احداث ، وان ندرس القضايا المعروضة علينا ، وان نستزيد من العلم حتى لا نتخلف عن ركب الحضارة ، وان نرفه عن انفسنا بمطالعات جذابة ... وهكذا نرى الواحد من ابناء هذا العصر ، يطالع الجرائد والمجلات ، وينكب على دراسة التقارير والملفات ، ويقرأ القصص والروايات والمسرحيات ، ويقبل على كتب الثقافة والعلم ، أضف الى ذلك كله ما نتلقاه من رسائل ، وما تصادفه في الطريق من لافتات ، وما نراه ملصقا على الجدران من اعلانات ، فلا يجد مناصا من قراءة كل ذلك ...

وهذا الامر يستوجب على من يريد ان يكون ابن عصره ، أن يتوخى طريقة في القراءة تمكنه من أن يطالع اكبر قدر ممكن . وقد وجد بعض الباحثين أن السرعة في القراءة يمكن أن تتحسن بالتدريب والمران ، وهذا موضوع آخر ، ويكفينا ان نقول بان المطالعة اصبحت من اوكد الواجبات بالنسبة الى معركة المصير ...

ولابد هنا من الاقرار بحقيقة مريرة، وهي أننا لانزال مقصرين في المطالعة ، وأننا نعاني أزمة قراء .. أو ليس من المؤسف أن نرى بعض أنصاف المثقفين عندنا ، يقبلون على شراء مختلف انواع الاثاث ، وتجهيز بيوتهم بمختلف الادوات العصرية ، ومواعين الطبخ الحديثة ، وآلات التسلية ، الا انك تراهم يهملون ركنا اساسيا في البيت، الا وهو المكتبة ...

ان اكثر الناس ، للاسف الشديد ، يتباهون بما لديهم من اثاث ، وقلما يتباهون بما لديهم من كتب ... ان تأسيس المكتبة في كل بيت ، يعود ببلادنا الى تقاليدها العريقة في حب العلم ، ويخلق جوا مناسبا للنهضة الثقافية .

● تراثنا القومي اولا .. ●

ان الادباء هم جنود هذه الثورة وطلائعها ، وروادها . وينبغي أن يقوموا بدور أساسي في التوعية . وكيف يكون للاديب جمهور يتابع انتاجه اذا لم يكن الشعب متعلما واعيا ؟ ولذلك فالثورة الثقافية قائمة

اساسا أولا : على محو الامية بجميع اشكالها · وثانيــا على مقـاومة الخرافات والاباطيل التى الصقتهــا جاهلية القرن العشرين بالدين وبالتراث القومى ، وثالثا على تصحيح الوضـع الثقافى الراهن ، خاصة فى الاقطـار التى عرفت ليل الاستعمار ، وتعرضت للغزو الثقافى ونكبت فى أعز شيء لدى الانسان ، الا وهو اللسان ··· ورابعا على التفتح ···

وأحب أن أشير الى أن التفتـــح لا يمكن أن يكون سليم العواقب الا اذا حصل فى اتجاهين : تفتح على الداخل ، وتفتح على الخارج · وذلك أن كثيرا من الناس يتوهمون أن التفتح عمليــة شبيهة بفتح النافذة لكى تطل منها على الخارج ، وأنا اقول بان عيوننا ينبغى ان تكون مفتحة قبل كل شيء على تراثنا القومى : فكل ما يلهج به الشعب مـن اغان وامثال وحكايات ، وقصص تروى البطولات كل ذلك ينبغى ان يعتبر من الروافد الزاخرة التى تصب فى نهرنا الخالد الا وهو لغة الضاد · اما موقف الاستعلاء والترفع على التراث الشعبى فقد استنكره ابن خلدون بعبارات لاتزال الى اليوم تحتفظ بجدتهـا وطرافتها ، فهو يقول دفاعا عن اللغات الســائدة فى عهده :

« ولا تلتفتن الى خرفشة النحاة ، أهل صناعة الاعراب ، القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وان اللسان العربى فسد ، اعتبارا بما وقع فى أواخـــر الكلام من فساد الاعراب الذى يتدارسون قوانينه ··· وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم والقـــاها القصور فى افئدتهم » ·

ان الاديب الحق لا يتردد اذا اقتضى الامر ، فى الانخراط للعمل فى المصنع ، او فى المزرعة ، أو فى أى مكان آخر يمارس فيه مهنة يدوية تمكنه من تلمس الواقع وتحسس آلام الشـــعب وآماله وأفراحه وأتراحه · بطبيعة الحال يمكن للاديب أن يتخذ موقفا آخر ، هو موقف المتفرج مما يقع حوله ، ولكن ما قيمة الاديب الذى يكتفى بوصف المشــاهد اليومية او سرد الاحداث الخـاصة أو العامة ؟ وما قيمة الاديب الذى يكتفى بالوصف والسرد ويحاول ان يزيد مـن عنـــده شيئا من الشرح والتفســير والتحليل ؟ ان كل هذه المواقف تعتبر انهزامية ، وفيها تهرب من تحمــــل المســئولية فلابد اذن من الاسهام فى عملية التحويل الاجتماعى وفى بنــاء صرح الامة ··

الاديب
العربي
بين
التراث
والمعاصرة

• التربية والدين والتكنولوجيا •

أما التفتح على الخارج ، فهو مكمل للتفتح على الداخل ولا يستقيم بدونه ، وذلك أن الانسياق بدون تحفظ وراء الاتجاهات الاممية فيه خطر كبير على تماسك الشخصية القومية ، ان هذا النوع من التفتح له محاذير أهمها أن الخارج هو دائما مصدر لحملات التضليل .. فمن واجب الاديب أن يفضح بعض الاتجاهات ، وخاصة تلك التي تدعو الى التبعية الثقافية ، بدعوى أننا متخلفون في الميدان التكنولوجي ..

وهذا لا يمنع من القول بأن التفتح على الخارج شيء ضروري ، خاصة أن بعض الجوانب من الحضارة ، كالتربية والدين والتكنولوجيا ، انشأت لدى الناس من مختلف الجنسيات ، العديد من المفاهيم الثقافية والحضارية المشتركة . وعلى سبيل المثال ، فان الانسان الافريقي أخذ يخرج من بوتقته الضيقة ، ويدرك أن هناك « زنوجة » تربط بين الافارقة السود ، وأن هناك عروبة توحد شمل أبناء لغة الضاد ، وانه بعدهذا أو ذاك ، توجد « افريقانية » ينتمي اليها الافارقة مهما اختلفت أوطانهم ولا شك أن المهرجان الثقافي الافريقي الاول الذي عقد بمدينة الجزائر عام ١٩٦٩ قد اتى بالدليل القاطع على أن مختلف الفنون التعبيرية ، من أدب ورسم وغناء ورقص وتمثيل ، تكشف عن تراث مشترك من المفاهيم .

وزيادة على هذا ، فان التفتح يفرض على الكاتب أن يتجاوب مع جميع المعذبين في الارض ، فأينما كانت الحرية ذبيحة ، ينبغي أن يرتفع صوت الاديب منددا بالصهيونية والاستعمار والرأسمالية وجميع القوى التي لاتزال الى اليوم تطبق أساليب التعذيب الوحشي ، وتستعبد الشعوب ، وتعكر صفو العلاقات بين الامم .
ان القيم التي ضمنت للغة قريش الانتشار في المكان ، والديمومة عبر العصور والازمان ، ينبغي ان تكون للادباء العرب خير رائد في مساعيهم للتفتح على العالم بما يعتمل فيه من افكار ، وما يتصارع فيه من مذاهب ، وعندئذ يمكن لهم أن يقولوا مع الشاعر الذي قال :
تبنى كما كانت أوائلنا ... تبنى ، ونفعل فوق ما فعلوا

« من بحوث مؤتمر الادباء الثامن بدمشق »

دفاعا عن ... الأديب العربي

■ مصطفى الفارسى ■

اتيحت لى طيلة الاثنتى عشرة سنة الاخيرة اكثر من فرصة للدفاع عن حقوق المؤلفين على الصعيدين القومى والدولى، وكان لى شرف المشاركة فى اعداد القانون التونسى لرعاية حقوق المؤلفين، وبعث جمعية المؤلفين والملحنين التونسيين . كما كان لى الشرف ان اتقدم الى الجلسة العامة لمنظمة اليونسكو فى دورتها الرابعة عشرة اكتوبر ١٩٦٦ بلائحة خاصة برعاية حقوق التاليف فى البلاد النامية طالبت فيها بمراجعة سياسة الدول المتقدمة فى هذا الميدان الحيوى الذى يتوقف عليه التبادل الثقافى بين الدول والتفاهم المنشود بين البشر على اختلاف اجناسهم واوطانهم ولغاتهم ومذاهبهم السياسية واساليبهم التربوية . كانت هذه اللائحة تدعو الى توحيد الانظمة الدولية الخاصة برعاية حقوق المؤلفين وتهدف بالذات الى مراجعة اتفاقيتى « اتحاد برن » و « الوثيقة العالمية » التى تشرف عليها منظمة اليونسكو ، وقد صدقت الجلسة العامة على اللائحة بالاجماع وكلفت المدير العام للمنظمة بالسعى لتحقيق محتواها فى اقرب الآجال

◄

دفـاعا عن الأديب العـربي

على اثر هـذا الحـدث الهـام دعيت مجموعة من الخبراء الاوربيين والافارقة والاسيويين الى ندوة استشارية فى جنيف مقر « اتحـاد برن » للنظر فى امكانية اعـداد مشـروع لراجعة وثيقة « اتحاد برن » ، وحضر النـدوة مندوبون عن المغرب الاقصى ولبنان وتونس · وسمع الاوروبيون صوت العرب بخصوص هذه القضية ، وتم الاتفـاق على ضبـط خطوط « بروتوكول » صدقت عليـه الـدول المنضوية تحت لواء « اتفاقية برن » فى مؤتمر « ستوكهولم » الذى تمت اثناءه مراجعة هذه الاتفاقية والمصادقة على « البروتوكول » الذى الحق بها لصالح الدول النامية وتيسير التعاون بينها وبين الدول المتقدمة المصـدرة للآثار الفكرية ·

***

ومازالت النـدوات والاجتماعات تتوالى حول هذا الموضوع على الصعيد الدولى ، وآخرها اجتماع عقد بباريس فى شهر يولية ١٩٧١ ، وكان موضوعه الدعوة الى مراجعة الوثيقتين الدوليتين مراجعة أخرى على ضـوء مداولات مؤتمر « ستوكهولم » ١٩٦٧ الذى لم يكتب لقراراته أن تدخل حيز التنفيذ ·

وترمى مراجعة الوثيقتين الى تمكين اكبر عدد من البلاد النامية من التمتع بالآثار الفكرية العالمية على أوسـع نطـاق وبأيسر السبل وبأقل التكاليف الاقتصادية ، خاصة فيما يتعلق بحاجة هذه البلاد النامية الملحة · والمتزايدة الى نقل هذه الآثار الى لغاتها القومية، والى جلب أكثر عدد ممكن من نسـخ هذه الآثار الفكرية الى أوطانها بما فى ذلك الاسطوانات والتسجيلات والاشرطة السينمائية ذات الصبغة التربوية ·

ومعلوم أن الترجمـة والاستنساخ كانا ولم يزالا موردا لا يستهان به من العملة الصعبة التى تتحملهـا الدول النامية رغم ضيق مواردها للحصول على الرصيد الثقافى الذى تستعمله فى برامجها التربوية والتثقيفية ، أما عن طريق الكتاب المطبوع أو عن طريق الصوت المسجل أو عن طريق الشاشة التليفزيونية أو السينمائية ·

ان حاجتنا الى التفتح على الثقافات الاجنبية ، تدفعنا الى الدخول فى حوار مع الدول المتقدمة صناعيا واقتصاديا، لنطـالب اكثر فأكثر بالتخفيض من تكاليف النقل والترجمة والاستنساخ ، دون المساس بحقوق المؤلفين المشروعة، ودون حيف أو تجاهل لمسائل يعتبرها غيرنا فى الـدول المتقدمة جوهرية حيوية ، ومازال البعض منـا — مع الأسف الشديد — لا يقيم لها وزنا ، اما عن جهل أو تعنت أو تكبر أو عدم اكتراث ·

● حقوق الكاتب ودوره فى المجتمـــع ●

العمل الفكرى ينطلق من مجهود فردى ليتصل مباشرة بالمجتمع ويخدم الصالح العام · فهو تجاوز للفردية ولهذا السبب كان للمؤلف دور ·

وان دور المؤلف فى مختلف شعب الثقافة والعلم والمعرفة دور روحانى

سواء بالنسبة الى قومه ومنطقته الجغرافية ودائرته الحضارية ، أم بالنسبة الى ما وراء حدود وطنه وما وراء حدود عصره • فالثقافة تجاوز للزمان والمكان • وعمل المؤلف فى أى شعب وأى زمان اسهام من الفكر البشرى فى تطوير المجموعة الانسانية قاطبة •

ولخطورة هذا الدور ولايجابيته وفعاليته ، أصبح واجب الدولة أن تضمن للمؤلف العيش الكريم ، وأن ترعى حقوقه الشرعية على الاثر الفكرى الذى يعد قطعة من ذاته •

غير اننا كثيرا ما نتحدث عن واجب المؤلف وعن مسئوليته تجاه المجتمع ، وكثيرا ما نطالبه بخدمة قضايا شعبه والقضايا العادلة بصورة أعم • ولكننا لا نتحدث فى نفس الوقت عن حقوق المؤلف •• فما هى هذه الحقوق ؟

من حقوق المؤلف أن تتوفر لديه حرية التعبير وحرية الخلق الفكرى ، ولا يتوفر له ذلك الا اذا كان الاعلام حرا بموجب حق أفراد الامة جميعهم فى العلم والمعرفة •

وحرية الخلق والتعبير تعنى أولا وبالذات حرية المؤلف المطلقة فى البحث والاستقصاء والاستنباط ، وبالتالى فى ترويج نتائج عمله والاتصال بالجمهور وبث أفكاره فيه ، واحاطة الناس علما بما يختلج فى صدره من مشاعر وأحاسيس ، وما حصل له من معرفة عن طريق التجربة والخبرة والتطلع والاستكشاف •

فللمؤلف الحق المطلق فى نشر مصنفاته الفكرية وتوزيعها واذاعتها وترويجها على أوسع نطاق •

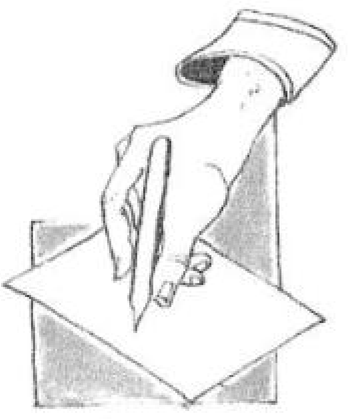
ويتعين التمييز بين أمرين : الاول وهو مبدأ رعاية المصالح العامة بنقل الاخبار ونشر الثقافة وتوزيع الافكار على أفراد الشعب ، والثانى وهو يتمثل فى الدعوة الى رعاية مصالح رجال الصناعة والتجارة ، وبصورة أعم من يستغلون المصنفات الفكرية على حساب أصحابها المؤلفين •

فمن صالح المؤلف أن تذاع أفكاره وتروج آثاره • لكن على الا يكون ذلك على حسابه أو بالرغم منه ، أو بتشويه تلك الآثار ، أو بتوجيهها وجهة لم يقصد اليها صاحبها •

ولا يمكن لاى شعب أن يتثقف ويتطور الا اذا وجد أرباب الفكر فيه كل التشجيع وكل الرعاية من قبل الدوائر المسئولة • فللمؤلف حق فى الحياة الكريمة •

لا حق للمؤسسات الموكول اليها نشر الآثار الفكرية وترويجها أن تتدخل فى شئون الخلق المتصلة بالمؤلف اتصالا عضويا • وما هذه المؤسسات الا وسائل اعلام • ويمكنها أن تحمى نظمها وقوانينها وترتيباتها كما تريد ، لكن بشرط الا تمس هذه النصوص التنظيمية حقوق المؤلف الشرعية •

فللمؤلف وحده حق ممارسة سلطانه المطلق على أثره الفكرى فى جميع وجوه استعماله من قبل مؤسسات الترويج وفى شتى مراحل الاستهلاك • ومن حق المؤلف أن يدحض الدعاوى الرامية الى اعتبار المؤلف مجرد عامل



أجير تستخدمه مؤسسة صناعية أو تجارية تنفرد بحق التاليف لاغراضها ومصالحها وتستغل الاثار الفكرية حسب هواها كما تفعل باى بضاعة مادية معروضة فى سوق البيع والشراء ٠

● الاثر الفكرى اسمى من ان يكون بضاعة مادية ●

ان الاثر الفكرى تعبير صادر عن ذات المؤلف ٠ وهو فى نفس الوقت مورد مادى لا استغناء للمؤلف عنه ، لذلك لا يجوز أن ينتقل حق التاليف من مصدره الى مستعمله الا فى حالة موت المؤلف ، فينتقل الحق من المصدر الى فرعه عن طريق الميراث وبحكمه ٠ فلا فرق هنا بين الاثر الفكرى وبين ما يدخره الانسان فى دهره من مال أو متاع يعود بعد وفاته الى أصل بيته وذوى القربى ارثا طيبا حلالا ٠

فالمؤلف بنشره آثاره الفكرية مدة حياته ، يشرك الناس لا فى ملكيته بل فى التمتع بالثمار التى تجود بها تلك الملكية ، فنفع الاثر الفكرى وحده هو الذى يصبح شيعة بين الناس أى المحتوى المعنوى فحسب ٠ أما الاثر ذاته فيبقى على ملك صاحبه لا حق لاحد عليه سواه ٠

ولذلك فان استعمال الاثار الفكرية لصالح المجتمع وتوعيته وتثقيفه من شانه أن يخضع للشروط التى يضبطها المؤلف بصفته المالك الاوحد لافكاره والمسئول الاوحد عنها ، عن طواعية واختيار ، فلا اكراه فى ميدان الفكر ٠

ولا يحق - والحالة هذه - لاى مجتمع من المجتمعات أن يفرض على المؤلف سلطانه بالرغم منه ، باسم الصالح العام او أى شعار من هذا القبيل بقطع النظر عن قيمة الشعار وعدله وتساميه وانسانيته ٠ بحيث لا يجوز استعمال الاثر الفكرى لاى غرض من الاغراض دون الترخيص الصريح من مؤلفه وموافقته المكتوبة التى يمكن ان تقوم حجة عليه عند الاقتضاء ٠ وبهذه النظرة تختلف الاثار الفكرية عن المخترعات الصناعية ، فالاثار الفكرية تتتابع فى الزمان ، وهى استنباط اشكال تتكامل ولا يمحو لاحقها سابقها أو يحل مكانه باية حال ، أما الاختراعات الصناعية فعبارة عن مجموعة من درجات فى سلم التقدم التقنى ٠ كل درجة تعوض الدرجة التى سبقتها وتحل محلها الى ان تاتى درجة لاحقة فتنسيها ٠

فالتطور الفكرى والتطور التقنى لا يخضعان لنفس المقاييس ٠

● ممارسة حق التاليف وحمايته ●

وانطلاقا من هذا الاعتبار يتعين التمييز بين الاثر الفكرى وبين البضاعة المادية ، فذاك لا يباع ولا يشترى ، وانما هو يستعار ويعاد الى صاحبه ، وتلك اذا بيعت سقط حق بائعها واتصل بذات المشترى بمجرد انتقالها من حوزة الاول الى حوزة الثانى ٠

ولذلك فحقوق المؤلف على اثره الفكرى مختلفة عديدة لانها متصلة باستعمالات مختلفة عديدة منها النقل بالطباعة والصورة والاسطوانة والشريط بنوعيه السمعى والمرئى · ومنها الاقتباس والتمثيل والعزف والاخراج والاذاعة والتلفزة والعرض على الجمهور بصورة أعم · وكل استعمال من هذه الاستعمالات وجه من وجوه الاستهلاك مقيد بموافقة المؤلف ، موقوف على ترخيص صريح صادر عنه دون أى أحد سواه ·

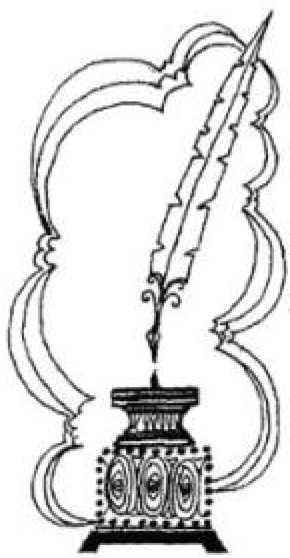
فالمؤلف هو صاحب الامتياز فى كل عملية من هذه العمليات ، وهو شريك فى نجاح الاثر الفكرى لرجال الصناعة والمستغلين لاثره بصورة أعم · ويجب أن تعود آثاره عليه بالنفع المادى الناتج عن ذلك الاستغلال فى صورة نسب مئوية تخصم من المداخيل الحاصلة من العرض على الجمهور على اختلاف العروض وانواعها · ولذلك يتعين أن يكون لكل استعمال حساب · فلكل عمل أجر يناسبه ، وقد تتفاوت مقادير الاجر لكن بعد اتفاق الطرفين : المؤلف ، ومن يستغل اثره الفكرى ·

على انه يمكن استعمال الاثار الفكرية دون ترخيص من مؤلفها فى حالات معينة يضبطها القانون ، منها استعمال تلك الاثار لاغراض اخبارية أو لاسباب تربوية أو تثقيفية محضة لا تعود بالنفع المادى على من يستغلها ولا تلحق ضررا بالاستهلاك التجارى الذى هو من حق المؤلف وحده بصفته مالك الاثر ·

وينبغى أن تأخذ الدول كل هذه الاحوال بعين الاعتبار فتشرع للاستعمال وتضبط حدوده ، وأن تقر قبل كل شىء مبدأ رعاية حقوق المؤلفين الذين هم فى كفالتها حتى لا يبيح التجار لانفسهم حقا راجعا لغيرهم · فلا فرق بين سارق الفكر وسارق المال · ولكل سرقة عقاب ···

وحق المؤلف قد ينتقل عند وفاته الى خلفه أو ذوى القربى من أهله · لذلك يتعين أن تشرع الدولة لحقوق ورثة المؤلفين ليمكنهم ممارسة حقهم والتمتع بموارد الاثار الفكرية بعد وفاة أصحابها · أو تكليف من يستخلصها باسمهم ولصالحهم من مستغليها ·

ومعلوم أن حق التاليف يسقط عن أصحابه بعد مرور سنوات معدودات على وفاة صاحب الاثر الفكرى · وقد تختلف آماد الاستحقاق من قطر الى قطر ومن تشريع الى تشريع · لكن الاثر لا يصبح ملك المجموعة الا بعد مرور سنوات على وفاة صاحبه على كل حال · وفى اقرار هذا المبدا فى كل التشريعات احترام من المجموعة البشرية لروح المؤلف ورعاية لاهله



من بعده ولو في زمن محدود (من خمس الى خمسين سنة) .

وما مبدأ اسقاط الحق المادى مع ابقاء الحقوق المعنوية بعد وفاة المؤلف الا بدافع تعميم الفائدة وتمليك العامة حقا من وراثة خدمة الثقافة واشعاع الفكر ورواج الآثار الفنية والادبية والعلمية والفكرية على أوسع نطاق واشمله .

● مؤسسات رعاية حقوق المؤلفين وواجباتها ●

ولتعقيد المسائل المتصلة بحقوق التأليف ولتشعبها وتنوعها ، وجب على الدول أن تتولى التشريع لها وضبط القوانين لرعاية من تعود عليه بالنفع ماديا ومعنويا ، والى جانب هذه القوانين والتشريعات وجب أيضا بعث مؤسسات خاصة موكول اليها السهر على هذه المصالح المشروعة ، وليست هذه المؤسسات أو الجمعيات أو الشركات ذات صبغة تجارية وليس من غاياتها الاثراء على حساب أصحاب الحقوق ، بل ان دورها يقتصر على استخلاص المحاصيل الراجعة الى المؤلفين وتوزيعها عليهم توزيعا عادلا يضمن لهم العيش الكريم ويرعى أبناءهم وأهليهم من بعدهم الى حين .

ويتعين على الدول أن تعد لهذه المؤسسات ذات الصبغة الانسانية المساعدة لتمكنها من القيام بواجبها على الوجه الأكمل . وتتمثل هذه المساعدة في اعفاء هذه المؤسسات من الضرائب والاداءات في نطاق قانون يحمي حقوق المؤلفين ويضبط ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ، وينظم العلاقات بينهم وبين من يستغلون آثارهم الفكرية .

ومن واجبات مؤسسات الدفاع عن حقوق المؤلفين ، تمثيل هؤلاء أمام السلطات القضائية في حالات النزاع ، كما أن من واجبها الاسهام في اعداد القوانين الوطنية لرعاية حقوق التأليف

وان ايجاد قوانين تضمن حقوق المؤلفين في الدول العربية وبعث مؤسسات يوكل اليها الدفاع عن هذه الحقوق ، قد أصبح اليوم أمرا ضروريا يحتمه العصر وتمليه علينا جميعا سنة التطور .

● رعاية حقوق المؤلفين على الصعيد الدولي ●

نحن في عصر قربت فيه الاقاصي وقصرت المسافات ، وقد دخل التبادل الثقافي في طبيعة البشر ، فأصبحنا نشاطر الناس في ثقافتهم ونشاركهم في أفراحهم وأتراحهم من خلال الشاشة الكبيرة والصغيرة ، وعن طريق السلكي واللاسلكي وكل الوسائل السمعية والبصرية المتنقلة على البسيطة أو السائرة مع أفلاك في الفضاء الفسيح .

ثم اننا لم نزل نستورد من الشرق والغرب الآثار الفكرية التي تثرى رصيدنا الثقافي وتطعمه وتطوره وتنميه ، فتلك حقيقة لا يجدر بنا أن نطمسها او ان نتجاهلها فنكون كالنعامة

دفاعا عن الأديب العربي

التي ترغم أنفها في التراب عندما يداهمها الخطر لئلا ترى الزاحف عليها ·

كنا في عهود النهضة من المصدرين للفكر والثقافة والعلم ، واعترف لنا الاجانب بذلك ومازالوا يعترفون · ولكننا اليوم في حاجة الى استيراد الاثار الفكرية اللازمة لنهضتناالتربوية والثقافية ولثورتنا التقنية والعملية والفنية ···

لذلك يتعين ان نبدأ برعاية حقوق مؤلفينا في مرحلة أولى ، ثم ندخل في حوار مع الغير على قدم المساواة وعن طواعية وبالاختيار فنشاركهم في نهضتهم ، لا من خلال ثقب مفتاح ، بل من باب مفتوح المصراعين ينفذ منه الهواء والنور ذهابا وايابا فينعشنا وينعش غيرنا في طلاقة وحرية · وهذه مرحلة ثانية واجبة وهي أيضا تحتم علينا الانضمام الى المنظمات الدولية الساهرة على رعاية حقوق المؤلفين على الصعيد الكوني ·

فبهذه النظرة يتحتم علينا ، اذا أردنا أن نفتح لمؤلفينا آفاقا جديدة ، أن نعمل على رعايتهم علىالصعيدين : الصعيد الوطني بسن قوانين كفيلة بحماية حقوقهم في أوطانهم ، والصعيد الدولي بالانضمام الى احدىالاتفاقيتين « اتحاد برن » أو « الوثيقة العالمية » أو اليهما معا : كما هو الحال بالنسبة الى لبنان وتونس ·

ونعلم أن البلاد العربية التي سنت قوانين وطنية تحمي حقوق المؤلفين لا يتجاوز عددها الان الستة ، وهي المغرب ، وتونس ، والجزائر (وان كان القانون الذي ورثته عن الاستعمار الفرنسي نافذا الى اليوم) وليبيا ، ومصر ، ولبنان ·

كما نعلم أن من بين هذه الدول دولتين عضوين في اتفاقية « اتحاد برن » هما المغرب وتونس · ودولتين انضمتا الى « الاتفاقية العالمية » التابعة لليونسكو وهما لبنان وتونس·

أما الدول الاخرى فقد أحجمت عن الانتماء لاي وثيقة من الوثائق الدولية الخاصة برعاية حقوق التأليف لاسباب نعرفها أو لاسباب نجهلها ·

أما ما نعرف من هذه الاسباب فيتلخص فيما يلي :

١ – يرى بعض الدول أنه يكفي الاقتصار على سن قانون وطني يرعى حقوق مؤلفيها دون سواهم ، تحاشيا لما قد ينجم عن انضمامها للاتفاقيات الدولية من تصدير العملة الصعبة ·



دفاعا عن الأديب العربي

٢ ـ ويرى بعض الدول أنه لا حاجة لها قطعا بسن قانون وطني لضمان حقوق المؤلفين ، اذ يكفيها أن تشترى الاثار الفكرية من أصحابها وتستعملها ما طاب لها الاستعمال ·

٣ ـ ويرى بعض الدول أن المؤلف مسخر لخدمة المجموعة مجندا أبدا ··· وانه اذا أراد أن يعيش مكرما فما عليه الا أن يتوظف ويعيش براتبه ·

٤ ـ أما الصنف الرابع من الدول العربية فلا يعير للقضية أى اهتمام فهو لا يعترف رسميا بضرورة سن قانون يرعى حقوق المؤلفين ، بدعوى أن الجاحظ فى عصره لم يتمتع بأية رعاية ولم يكن يخطر بباله أنه صاحب حق · ويمكننا أن ندحض هذه المزاعم بما أوردناه من الحجج فى مستهل هذا البحث مع اضافة النقاط التالية :

مسالة رعاية حقوق المؤلفين متصلة بالاخلاق ، فلكل مالك الحق في التصرف في ملكه ، خاصة وان المؤلف من صنف المالكين الذين لا يستغلون عرق جبين غيرهم ·

لكل دولة من الدول الحق في سن قانون وطني يرعى حقوق مواطنيها اكثر من غيرهم · ولها ان تحد من تصدير العملة الصعبة بوضع الموارد المتاتية من حقوق التاليف الراجعة للاجانب على ذمة هؤلاء ، على ان تصرف هذه المبالغ داخل حدودها

ان الاثار الفكرية لا تباع ولا تشترى · وانما تستعار بمقابل ، وليس من الاخلاق الكريمة أن يسلب من المؤلف حقه عن طريق الاكراه ·

والمؤلف مسخر لخدمة المجموعة حتما · لكنه فى حاجة الى الخبز ، فمن السبع مطيته لم يخش فى وسط الطريق ، وشعوبنا فى حاجة الى من يدافع عن قضاياها باستمرار وطول نفس وتفان واخلاص · ولا تكون المثابرة بفراغ البطون ، أما الموظف فمرتبه لا يكون الا فى مقابل عمل ادارى · وكثيرا ما يقعد هذا العمل المؤلفين عن الخلق · وان هو لم يقعدهم فكثيرا ما يطبعهم بطابع الازدواجية وهو مرض عضال يصيب الكثير من أرباب الفكر عندنا عندما يشعرون أنهم فى نفس الوقت «الحاكم» و «المحكوم عليه» و «لسان الدفاع» و «نائب الحق العام» · وقد كتب «كورتلين» من المسرحيات المرحة ـ المرة فى هذا المرض ما يشفى الغليل : وبه نرد على من لا يعير القضية أى اهتمام !

ان من نسيته يتغافل عنك ، ومن لم يلبس عصره ظل على اطلال ماضيه يبكى ويستبكى · أما البكاء فمن حقه ، وأما الباكون الذين يستجيبون لندائه فى عصرنا فقد تقلصت ظلالهم وشغلهم عن البكاء الطموح لتحقيق الغد الافضل · ونحن فى عصر احتل فيه الحوار محل النواح والندم على ما فات ·

خلاصة القول أن التعاون الدولى ولقاح الثقافات ، ووجوب الاتصال والتفتح على الافاق الجديدة ، واجب علينا يخرجنا من الانكماش على أنفسنا والانزواء والعزلة ، ويبوئنا فى الدنيا المكانة التى نستحق ، ومنا من هو جدير بهذه المكانة ، لكن عراقيل

كثيرة تحول دونهم وما يستحقون ·

ومن هـــذه العراقيل تجاهل الدول المتقدمة لثقافتنا وحضارتنا ولغتنـــا ولكل قضايانا بصورة أعم ·· هـــذا صحيح · لكن ماذا فعلنـــا لنعرف بأنفسنا ونفرض وجـــودنا في عالم متحجر لا يعترف الا بمن يسطع نجمه في ميادين الصناعة والتقنية والعلم ؟

هل يجدر بنـــا أن نتجـــاهل من يتجاهلنا · أو هل يتعين علينا ان ندخل في حوار مع الغيـــر لنسمع صوتنا في مرحلة أولى لنشعر بوجودنا ثم نرغم الغير على الاعتراف لنا بما نستحق ، ثم نشوقه الى معرفة المزيد عنا ، ثم نفرض وجودنا عليه فيعترف لنـــا بالمساواة ويبادلنـــا الاحترام والتقدير ؟

على هذا الاساس يقوم التعـــاون الدولي البناء ، بتبادل الآثار الفكرية واشعاع الثقافات وتضافرها وتماسكها في خدمة الانســـان ، وفي تسطير مصير البشرية ·

● توحيد الجهود العربيـــة لرعاية حقوق التـــاليف ●

١ ـ يجب أن نقر أولا بمبدأ ضرورة ايجاد تشريع وطني يضمن حق المؤلف على اثره الفكري في كل دولة عربية على حدة ·

٢ ـ واذا نحن اقررنا بهـــذه الضرورة ، وجب تنسيق أعمالنا لتكون هذه النصوص مستوحاة من واقعنـــا معتمدة تجارب السابقين منا في هـــذا الميدان ، مستمدة روحها من مبـــدأ الاعتراف بالفضل لذويه ·

٣ ـ أن يقع هذا التنسيق عن طريق الجامعة العربية (ولست ادري لماذا **لم تقدم عليه الجامعة حتى اليوم)** أو أي هيئة عربية يوكل اليها النظر في اعـــداد مشروع قانون مثـــالي تتفق عليه الدول العربية بعد المناقشة والتمحيص والاستقصاء واعتبار كـــل الظروف والملابسات الخاصة بكل بلد على حدة ·

٤ ـ يمكن لأي دولة عربية لا تشمل قوانينها الان رعاية حقوق المؤلفين أن تستعين بدولة عربية أخرى لهـــا تلك القوانين ولها مؤسسات خاصة برعاية حقوق المؤلفين · بصورة ثنـــائية · واعتقد أن لا دولة تبخل على شقيقتها بالوثائق او الخبراء في هذا الميدان الحيوي الذي يتعلق بحاضر الانسان العربي ومستقبله ·

٥ ـ ان نتقدم في صف موحد الى المنظمات العالمية الموكل اليها ضمان حقوق المؤلفين · وأن نطالب بمراجعة النصوص الدولية على ضوء ما اتفقنا عليه · وعندها فقط تسمع كلمتنـــا ويخشى خطرنا ··· وكما نعلم فان لنا في العالم الثالث انصـــارا يعيشون محنتنا ولا ينتظرون منـــا الا جمع الكلمة معهم للوقوف صفا واحدا ضد كل تعسف او تجاهل او سيطرة من الدول المتقدمة تقنيا ·

يجب أن نثبت للعالم أن تخلفنـــا ليس تخلف فكر وذهنية ، وليس من عدم قدرتنا اليوم على التفـــاعل مع الثقافات الاخرى وهضم ما طاب لنـــا منها وطبع ما تقبل منهـــا الطابع العربي ·· **ان تخلفنا ليس من احجامنا على الاخذ والعطـــاء ، وليس من انكماش ، وليس من العدو ، وانمـــا هو من ضيق مادي لا دخل للمعنويات فيه · وهو تخلف تتحمل الدول المتقدمة قسطا وافرا من المسئولية فيه ·**

لقد كنا ولم يزل البعض منا نهبا للمستعمرين ، وعرضـــة للامبريالية العالمية وللصهيونية البغيضة ، وللتمييز العنصري ولكل الساحقات والماحقات ، ولم تزل قوى الشر تعرقل مسيرتنـــا الثقافية وتحول دوننـــا ودون نور المعـــــرفة الســـاطع الشامل · · ·

« من بحوث مؤتمر الادباء الثـــامن بدمشـــق »

■ مصطفى جمال الدين ■



« من قصائد مهرجان
الشعر العاشر بدمشق »

شهيد الفداء

يبس الجرح ، فانتفض يا شـــهيد
نام عن ثأرك الـكماة الصـّـيد
العيـــون التى تجمّـر فيهـــا الـ
ـسُّهد يوما .. قد ملّ منهـــا الرقود
والسيوف التى تفجّـــر فيهـــا الـ
حقــد ، حتى ذابت عليهـــا الغمــود
نسيت أنها ، وقد أصـــحر الثـأ
ر ، تهــاوت عليــه وهى جـــريد
والرماح التى ركـــزنا على البيـــ
ـد ، تشـــاوى ، تتيه فيها البيـــد
لم تزل فى الثرى الذليل حيـــارى
تتغنّى بذلـهـــــا وتميــــــد
وانتشى جـــذرها ، فأينع نصــل
أريحىّ الجنى ، وأورق عــــود
كذب الوهم ، ليس يعرف طعم الـ
ـمجـــــد رمح مزوّق رعـــديد
الوغى تصـــطلى حواليـــه حقــداً
وهو فى غمـــرة الجحيم جليـــد

شهيد
الفدا



كل أحلامه ، اذا اشـــتد عصف الـ
ريح فى الثـــائرين ، كيف يحيـــد

***

يا شـهيد الفــداء ، نحن على الدر
ب ، ولكنّ شــــوطنا مـكدود
لم نصل ذروة المثرى بعد ، فالخيـ
ـل عطـــاش ، والقفر جهمٌ بليـد
ورعيل الفــداء بعــدك ، ضـــاقت
بخطـاه ســـهولنا والنجـــود
فتنـــادت عليــه ، والشوط نشــوا
نٌ ، فلولٌ من الاعاصير ســـود
وتبـــارى ايلولنـــا وحـــزيرا
نٌ ، كلا الفــارسين شهمٌ نجيـد
غير أنّا ، والسـهل أدرى ، عرفنــا
كيف نطـــوى قــلاعه ونبيـــد
فأرينــــاه ان أرضـــنا نما بذ
رآ عليهـــا ، ليست له وهو عـود
وجبـالاً شــابت عليهـا الليـــالى
وهو فى جـذع كرمهـا مشـدود

سيدور الزمان فيهـــا ، فيغـــدو
وهو عنهـــا بسيفه مطـــرود
يا لأردننا الجـــــريح ، أغالت
ضـــفتيه عروبةٌ أم يهـــود ؟

***

يا شـــهيد الفداء ، نحن على در
بك ، والبـــذل زادُنا والورود
فى متيهٍ جـــدبٍ تمطّى به الليـ
ـل ، وأرخى عنـــانه التسهيد
وعلى طرّة الصـــباح الذى نن
شد ريبٌ من محنة ، وهمـــود
والى يمنـــة الطـــريق ويسرا
ها ربىً صـــلبة الصـــخور عنود
وشـــعابٌ تخـــادع العين فالقصـ
ـد القريب المنـــال ناءٍ بعيـــد
فمشـــينا ، وأنت تعـــلم أن الـ
ـسّير فى مثلهـــا عسيرٌ شـــديد
تتملى مصـــارع التيـــه حيث الـ
نجم أعمى ، والفجـــر بعـــد وليـــد



واتهينا بعـد اللغـــوب الى سر
حة سَرْوٍ مقيلهـــا ممـــــدود

فحمدنا السُّرَى وقلنـا ســـنغدو
والضـــحى فى جباهنا معقـــــود

ثم هبّ الصــباح يمــلأ برديـ
ـه الغـدُ المرتجى ، وتصحو الرقود

فاذا السروة الغريبـــة أشـــبا
ح ظـــلال مع الرياح تميـــــد

واذا نحن فى لظى القيـظ حقـــل
أجـــرد النبت موحش مخضـــود

يتســـاوى بسـمعه ناعب الليـ
ـل وشـــادٍ على الضحى غرِّيد

***



يا لأحلامنـا الثكالى ، أهـــذا الـ
ـكالح الغر فجـــرنا الموعـــود ؟

أللنار الخمس التى حشـــدتنا
للوغى ، أننـــا قطيـــع بديد ؟

خير ما عشدنا خماس" يشق الـ
ـدرب للســـالكين وهو قعيـــد

شـهـيـد
الفـداء

وخطـــاب" كحـــلوة الورد باقٍ ...
منـــه فى كل ســـــامر توريد
ثم ماذا ؟ مأســـاتنا ان يقـول الـ
بعض لابد للاســـير قيـــود
ويْك ، ان الإســـلام ما كان الا
نفـــرا جلّهم أســـير طـــريد
ثم شـــبّتْ به عزائمــــه الغُـ
رُّ ، فرفّتْ فى الســـند منه البنود
وترانا والمســـجد القـدس منـــا
قيد باعٍ ، لم ندر كيف نُعيـــد
مالنا من صـــلاتنا بعـد هـذا الـ
ذلِّ الا ركوعهـــا والســـجود
أين منا ايماننـــا ، والحفـــاظ الـ
مرّ والبـأس والظبى والصـــمود ؟
طـُـوِىَ الفتح واســـتحال رماداً
فى الملايين جمـــرُه الموقـــود

***

عيَّرونا على الفخـــار بما ضـــ
ـنا ، فقالوا : غواية" وجمـــود

وانطواءٌ على القـديم ، وقد نضّـــ
ر قلبَ الصـــحراء هــذا الجديد

شفقٌ الأمس لن يعود وفى الأفـ
ق بروقٌ لغـــيره ورعــــود

يا دعاة الغـد الجـديد ، لنا اليـو
م بمـا فيـه ، والغـدُ المنشـود

ولنـا الأمس ، فجـره ودُجـاه
وشـبوبٌ عليهمـا وخمـود

ولنـا بعد أنْ جمرا صـكَلِينا
كان منـا ضرامـهُ والوقـود

وكئـوساً قـد رنّحتنا وفـاضت
ليس فيهـا لغـيرنا عنقـود

أمسـنا بالمشرق الشـمس فتح
عـربى وفيـلق محسـود

ليس فيـه والحمـد لله سـيف
فاتك العـذر أو سـنان حقود

عارنا اننـا نسـيناه فاربدَّ
تْ سـمانا وزاحمتنا العبيـد

كيف يقـوى على العواصف غرسٌ
جـذره فى ترابـه موءود ؟

النجف : مصطفى جمال الدين

صالح جودت

رحلة الشهر

(١) في جزيرتنا المنشودة


ممدوح جبة

بدأنا هذا العام مع رحلة مداها الف عام ، هى عمر الازهر المبارك ، الذى اقيمت فيه اول صلاة جامعة سنة ٩٧٢ ــ اى منذ ألف عام ــ فحق لهذا العام الذى نحن فيه أن يسمى بعام الازهر ، وحق علينا الا نكف عن حديث الازهر وتاريخه ورجالاته وأحداثه ، وان نواصل هذا الحديث حتى ينتهى العام التاريخى المجيد ، على أن نصدر فى نهايته كتابا جامعا عن الازهر ، بقصته الكاملة فى الف سنة ، ليكون مرجعا لن بعدنا من الدارسين ·

● وفى مطلع العام ، عاد الادباء والشعراء من دمشق ، بعد مظاهرة ادبية تصارعت فيها الآراء حول بعض القضايا المصيرية التى تشغل الامة العربية فى هذا العصر ، وقد أوردنا فى هذا العدد بضع لقطات من هذه المظاهرة ·

وفى لقاء جميل ، حول مائدة من الصفاء ، فى دار السيد ممدوح جبة ، سفيرنا فى دمشق ، جلسنا : يوسف السباعى ، والدكتورة سهير القلماوى ، والدكتورة لطيفة الزيات ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، وابراهيم الوردانى ، وثروت اباظة ، وأنور

أحمد ، وأنا ... نتساءل : الى أين يقودنا هـذا الصراع فى الآراء ، والقضية التى أمامنا واحدة ؟

القضية التى أمامنا ــ فى الوقت الحاضر ــ هى قضيتنا مع اسرائيل .

هى قضية المعركة ، ولا شيء غير المعركة ..

وكل قضية غير المعركة ، لا يجوز أن تثير أى صراع بيننا فى الوقت الحاضر ، فالوطن العربى فى حاجة الى ايمان واحد ... لا يختلف فيه اثنان منا ، هو الايمان بالمعركة .

اذن ... لماذا لا نحاول أن نصنع جزيرة مشتركة يقف عليها الفكر العربى بجميع تياراته ، ويلتقى عليهـا جميع المفكرين العرب ، على مختلف نزعاتهم ، باحثين عن الافكار المشتركة التى يمكن أن يتعايشوا فى ظلها على أرض هـذه الجزيرة ، طارحين فى البحر جميع أيديولوجياتهم الخاصة التى تتضارب مع هـذه الافكار المشتركة ، مؤقتا ، الى أن تنتهى المعركة ، وليرجع من يشاء منهم بعد ذلك للغوص فى الماء بحثا وراء أيديولوجياته الخاصة اذا أراد ..

ارجو الا يكون حديث جزيرتنا المنشودة فى دمشق ، كلام ليل ، يذوب فى وهج الشمس .

٣ الأمــــة ... عند ابن تيمية



زكى نجيب محمود

وقفت ، وأنا أقرأ الكتاب القيم الذى أصدره الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود أخيرا بعنوان « تجديد الفكر العربى » (١) عند رأى جليل لابن تيمية يتصل بموقف الامة العربية من قضية الوجود الاسرائيلى ، فأحببت أن أنقله الى القراء :

« لقد رأى أعلم من أئمة الفقهاء المسلمين ، هو ابن تيمية ، أن معرفة الله من حيث هو ، ماهية مستحيلة على الانسان ،

وانه لا سبيل أمام الانسان لمعرفة الله الا بمعرفة ارادته التى كشف عنها لانبيائه ، والتى ينحصر واجب العباد فى طاعتها .

« وما ارادة الله الا مجال القيم التى يراد لسلوك الانسان أن يسير على مقتضاها . ولما كان هذا السلوك المراد يتطلب أن يكون ذا صلة بحياة الآخرين فى المجتمع ، كانت فكرة «الامة» ذات أهمية بالغة .

« والذى يجعل من مجموعة الناس أمة واحدة ، ليس هو انهم يعيشون على رقعة جغرافية واحدة ، ولا انهم يستدبرون

---

(١) دار الشروق ــ بيروت .

تاريخا مشتركا ، ولا انهم يتكلمون لغة واحدة · بل هو ـ عند ابن تيمية ـ المشاركة في « فعل » · وبهذه المشاركة ، يجاوز كل فرد حدود نفسه ، لينفتح على الآخرين الذين هم شركاؤه في فعل واحد ·

« وليست بي حاجة الى ذكر الموقف الراهن « للامة » العربية ازاء الوجود الاسرائيلي ، تأييـــدا لرأى ابن تيمية ، فالامة العربية في هذه الحالة لا تتوافر لها صفة « الامة » الا وهي في حالة فعل مشترك » ·

احببت أن انقل هذا الرأى لابن تيمية الى القراء في جميع فجاج الامة العربية ، لاقول لهم ان احدا منهم لا يستطيع أن يزعم شرف الانتساب الى هذه الامة ، اذا هو لم يشترك ، على قدر طاقته ، في هذا « الفعل » ··· الذى هو القضاء عـــلى الوجود الاسرائيلي ·

٣ مــع النـظـريـــة الطـاهـاحسـينيـــة



محمد خلف الله

ما استمتعت بالصدق في كتاب من كتب النقد التي صدرت في الآونة الاخيرة ، قدر ما استمتعت بكتاب « من الوجهة النفسية ـ في دراسة الادب ونقده » للاستاذ محمد خلف الله أحمد (١) ·

ذلك انني اومن بأن الناقد الذى يقبل على تمحيص العمـل الادبي ـ ولا سيما الشعر ـ وفي يده مسطرة وميزان وسيف ونطع ، ليس ناقدا أبدا ، وانما هو سفاح ادبي ·

وأما الناقد الحق ، فهو الذى يقبل على دراسة العمل ، وفي قلبه حب للشعر ، وشوق الى الجمال ، كما فعل الاستاذ العميد طه حسين وهو يتلو هذه الابيات للمتنبي :

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي
شـــيئا تتيمه عين ولا جيـــــد
يا ســاقييَّ ، أخمر في كئـوسكما
أم في كئوســنا هم وتســـــهيد
أصـــخرة أنا ؟ مالي لا تحركني
هذى المدام ولا هذى الأغاريد ؟

(١) معهد البحوث والدراسات العربية ·

اذا أردت كميت اللون صـــافية

وجدتهـــا ، وحبيب النفس مفتود

ثم يقول : « أما أنا فمفتون بهذه الابيات ، وبالثلاثة الاخيرة منها خاصة . وما اعرف انى وجدت فى كل ما قرأت من الشعر العربى ما يشبهها جمالا وروعة ونفاذا الى القلب وتأثيرا فى النفس » ..

ويعقب الاستاذ خلف الله على ذلك بقوله :

« وللباحث فى هذا النوع من التحليل أمثلة جميلة ، بل تكاد كل قصائد المتنبى التى حللها طه حسين فى كتابه « مع المتنبى » تكون أمثلة لهذه الطريقة الفنية التى يتابع الناقد فيها حركة القصيدة وجوها واحاسيس صاحبها ، وما فى اسلوبها من انسجام مع هذا الجو . ومثل هذه الطريقة لا تجىء الا فيض الذوق المثقف ، والحس المرهف ، وثمرة المقـدرة على المشاركة الوجدانية للشاعر » .

ويورد بعد ذلك رأيا لطه حسين يشرح فيه سر طريقته فى تذوق الادب ونقده ، وهذا هو :

« انما اقرأ الادب بقلبى وذوقى ، وبما اتيح لى من طبع يحب الجمال ، ويطمح الى مثله العلماء ، والكاتب المجيد عندى هو الذى لا اكاد اصحبه حتى ينسينى نفسى ، ويشغلنى عن التفكير ، ويصرفنى عن التعليل والتأويل ، ويسيطر على سيطرة تامة تمكنه من أن يقول لى ما يشاء دون أن أجد من نفسى القوة على ان اعارضه او اقاومه ، أو انكر عليه شيئا مما يقول .

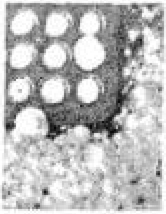
« حتى اذا فرغت من قراءة أثره الادبى ، واضطررت بحكم الفراغ الى أن افارق الكاتب وأشغل عنه وعن اثره وقتا ما ، استطعت بعد ذلك أن أعود الى الاثر الذى بقى فى نفسى بعـد القراءة ، فأفكر فيه ، وأخضعه للنقد أو التحليل والتعليل (١)

واحسب أن الاستاذ خلف الله نفسه ، على غير ما قـد يخدعك به عنوان كتابه هـذا ، من الآخذين بهـذه النظرية إلطاماحسيئية فى النقد ، فهو ــ بعد أن يستعرض جميع مذاهب النقاد ــ ينتهى فى آخر الكتاب الى القول بأن « النقد الادبى فى عصرنا الحاضر لم يعد مجرد قياس على قواعد ، أو حكم بالجودة او ضدها ، أو تفضيل لشـاعر على شاعر ، وكاتب على آخر » أو تتبع لقياسية لفظ أو وروده فى المعاجم ، أو الحذق فى بيان مجاز أو اجراء استعارة ، ولكنه فى مفهوم العصر وساطة بين المنشىء والمتذوق ، يقوم فيها الناقد بجولة فى آفاق التجربة الادبية التى مر بها المنشىء فى ابداعه ، يتعرف أسرارها ، ويتقصى مشاعر صاحبهـــا ، ويعود بكل ذلك الى المتذوق ليساعده على أن يعيش التجربة ذاتهـــا ، وينفعل باحاسيسها ، ويسرح مع خيالها ، وفى ذلك يكمن السر الاكبر للذة الادبية ، ويبلغ الفن غايته من الابداع والامتاع » .

---

(١) « فصول فى الادب والنقد » .

٤ شاعرة « زمان اللؤلؤ »



في هذا العدد قصيدة عنوانها « زمان اللؤلؤ » للأميرة الشاعرة سعاد الصباح ..

وسيجد القارىء في هذه القصيدة أنموذجا جديدا من الشعر النسوي ، ومن الشعر الوطني أيضا ، يعالج قضية اجتماعية شائعة طالما تناولها أكثر من شاعر ، وفي طليعتهم عمر أبو ريشة ، بقسوة بالغة . أما سعاد الصباح ، فتتناولها بأسلوب غير مسبوق ﴾ فيه نعومة المرأة ، وفيه قوة التأثير النفسي ، وفيه موسيقى الأسى والحسرة .

وقد أصدرت الأميرة الشاعرة منذ أيام ديوانا أنيقا عنوانه « أمنية » (١) يضم مجموعة من أرق نماذج الشعر النسوي في هذا الجيل ، في مجالات الوطنية والإنسانية والعاطفة والوجدان

وهي في شعرها الوطني ، تطرح نظرية جديدة ، هي أن الأدب النسوي لا يلزم صاحبته بالضعف الأنثوي ، بل قد يكون في مضمونه أقوى من مضمون أدب الرجال ، ومع هذا يحتفظ في أعراقه بصوت الأنثى ، كما يتبين لك عند مجرد مطالعتك لمطلع قصيدتها « صيحة عربية » التي تصرخ بها في وجه اليهود هاتفة :

أججوا الحقـد أيها الأشقياء ،
لم تمت في عروقنـا الكبرياء
من حنايا عروبتي رضع المجـد
... وكان العـلا وهان الفـداء
أنا أمي الغراء فاطمـة الزهراء
... وأختي العظيمة الخنسـاء
وأبي يعرب الذي بارك الأرض
... وقامت في ظله الأنبيـاء
وأخي قاهر الغزاة الصـليبيين
... ياليت تنطق الأشـلاء

---

(١) دار المعارف بالقاهرة .

وديارى مبرورة بالضـــحايا

ولداتى الأبطـال والشــهداء

فأنت ترى من سمات القوة فى هذه القصيدة تأجج الحقد ، وصرخة الكبرياء ، وحديث المجد والعلا والفــداء ، والزهو بالابطال والشهداء .

ثم تلمح من سمات الانوثة قولها « رضع المجد » واعتزاز المرأة بامها واختها واخيها وأبيها وقومها أجمعين .

وانموذج آخر ، يعد من أجمل نماذج الادب الانسانى ، تجده فى قصيدة « غاسلة الثياب » تثير فيهـا الشاعرة انسانيتك من أعماقها وهى تحدثك عن مأساة غاسلة الثياب المسكينة التى تهرأ جسدها من قسوة كفاحها ، هامسة فى صوت مستضعف !

هذى أنا ، والبرد فى رئتى

يغتال أوصــالى وأضــلاعى

ويدى تجف ، كأنها صهرت

ينبوعهـــا فى نار أوجـاعى

وتتحرك انسانية الشاعرة ، فتمدى لها ما تمدى ، وهذا حساب بينها وبين الله ، ولكنها فى النهاية تقول لك وللناس جميعاً :

ليس السعيد من اغتنى ليرى

مَن حوله يقضــون أنفاسا

ان الســعادة عنـد ذروتها

هى أن أعيش لأسعد الناســا

اما الشعر العاطفى ، فهذا هو اوسع المجالات امام الشاعرة . تعزف فى ميدانه بقيثارة ذات ثراء موسيقى فريد ، كما ترى فى هذا المطلع من قصيدتها « لون عينيك » :

أى نهر فى ربى عينيك يجرى ؟ أى كوثر ؟

أى نور فيهما يبدو لعينىَّ ... فأبهــر ؟

أى نار فيهمـــا تجعـــل قلبى يتبخــر ؟

أى كأس فيهما تنساب فى روحى فأسكر ؟

أى ســهم فيهما ، جعـل كبرى يتكسر ؟

أى لون يتجلى فيهمـــا ؟ ... الله أكبر !

٥ سيرة الصحفى المثالى



امين الرافعى

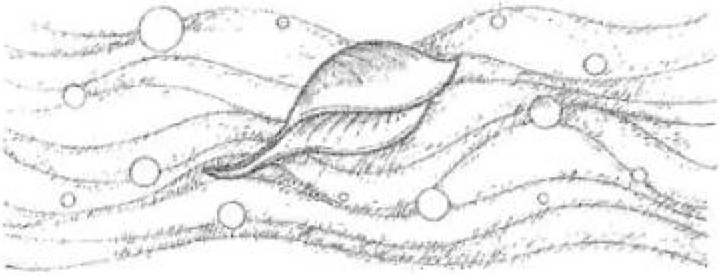
يا أمين الحقوق أديت حتى
لم تخن مصر فى الحقوق فتيلا
ولو اسطعت زدت مصر من الحق
... على نيلها المبارك نيلا
تنشد الناس فى القضية لحنا
كالحوارىّ رتل الانجيلا
ما تبالى مضيت وحدك تحمى
حوزة الحق أم مضيت قبيلا

هذه لقطة من خريدة شوقى فى رثاء أمين الرافعى ، الصحفى المثالى فى تاريخ الصحافة المصرية ، الذى يصفه استاذنا فكرى اباظة فى مقدمته لهذا الكتاب الذى أحدثك عنه « امين الرافعى : مناضل مصرى من اجل الدستور وحرية الرأى » (١) يقوله : « كان امين الرافعى صحفيا ذا رسالة وفى سبيل رسالته الوطنية كان قديسا من القديسين ··· كان لا يكترث اى اكتراث بالاضطهاد والمناوأة والوقف والتعطل والاعتقال والسجن ·· كان ايمانه اعلى وارفع واقوى من كل هذه القوى مجتمعة » ·

ومؤلف هذا الكتاب ، هو زميلنا الاستاذ صبرى أبو المجد ، وهو من الكتاب الدائبين فى البحث عن الحقائق ، والتغلغل الى اعماق الوثائق ، لاذاعة تواريخ من لم ينصفهم التاريخ من الابطال والمجاهدين ·

وانا أعلم أن صبرى أبو المجد قد سهر على انجاز هذا الكتاب ، الذى لا يتجاوز ١٦٠ صفحة ، زهاء عشر سنوات ، كان لا يفتأ خلالها يتسقط أنباء أمين الرافعى من عارفيه القدامى ، من التراث العزيز للحزب الوطنى ، ويجمع المعلومة اثر المعلومة ، ويمحصها ، ويزنها ، ويرجع الى وثائقها ، حتى خرج هذا الكتاب ، لا كمجرد تاريخ لسيرة بطل من ابطال الصحافة الوطنية ، بل جاء فوق ذلك سجلا لحقبة من تاريخ مصر طالما طمست فيها الاضواء الكاذبة كثيرا من حقائق الرجال الصالحين ··

(١) كتاب الجمهورية ـ القاهرة ·



زمن الغوص

في بلادي ... في مغاني أرض أجدادي الجميله
في البوادي ... بعد أجيالٍ من الصفو طويله

***

ذاتَ يوم ... هبط الساحرُ من ماءِ السماء
فكسا بالذهبِ الأسودِ أرضَ الصحراء

***

ورآه القومُ ، واستغرقهم هذا البريق
فتناسَــــوْا أنهم جاءوا من البيتِ العتيق

***

أنهم جاءوا ... وفي جعبتهم خير عتاد
من تقاليدَ وأخلاقٍ وحبّ للجهاد

***

وتناسَــوْا لذّة الكدّ وأيامَ الأرَق
وتناسَــوا لقمةَ العيش يزكّيها العرَق



الأميرة سعاد الصباح

والشُّرَى في زحمة الأمواج ، في وجه الرياحْ
وكفاح البحر ... ما أعظمه هذا الكفاحْ

***

والصَّوارى رافعاتٍ في الورى أشرفَ بَنْدِ
وغناء الرَّحلاتِ الهُوج في هندٍ وسندِ

***

يا لأجدادى ... وكم أودَى بهم طولُ الطريقْ
في سبيل المجد ، ما بين شهيدٍ وغريقْ

***

يالَهُم ، واللؤلؤُ المكنونُ في جوفِ البحارْ
لم يزلْ يسأل عنهم كلَّ ليلٍ ونهارْ

***

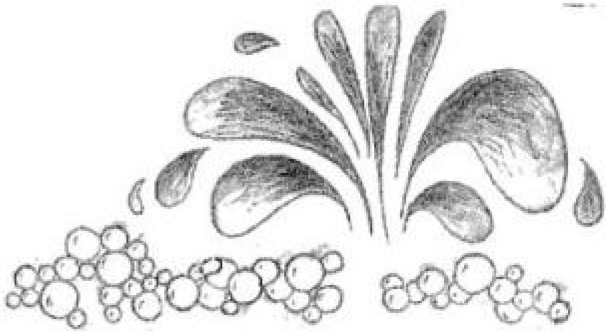
لم يزلْ في شُعَبِ المرجان حياً ودفينْ
في قرارٍ لم تطأْهُ قدَمٌ منذ سنينْ

***

هاتفاً : ماذا دهاكم يا بنى الجيل الجديدْ
فقنعتم بالرغيف السهل والعيش البليد ؟

***

وقعدتم عن طِلابى ، وزهدتم في حياضى
أترون الذهب الأسود أصفَى من بياضى ؟



زمانُ اللؤلؤ

في بلادي ... في مغاني أرض أجدادي الجميلة
لي حكاياتٌ وآياتٌ وأبياتٌ طويلة

***

سوف يروي سِرَّها الأطفالُ للأجيال عنّي
وعن اللؤلؤِ والمَرجان في العهد الأغَنّ

***

وعن الغوّاص لا يعرف ما لونُ الهمومْ
وهو يهوي في دُجَى البحر ويصطاد النجومْ

***

ليسوّيها عقوداً في صدورِ الغانياتْ
تملأ الأيامَ نوراً وتضيء الأمسياتْ

***

هكذا ينتحر الخيرُ ، وتبقى الذكرياتْ
يا زمانَ اللؤلؤ الحر ، زمانَ الحرماتْ !

الهلال

تحقيق أجراه:

عاطف مصطفى



فكري أباظة يقول : كنت أزهريا

● اعرف انك فى صغرك كنت طالبا ازهريا ، واظن ان الكثيرين من ابناء هذا الجيل لا يعرفون هذا ، فهل ترسم لنا صورة عن طفولتك ؟

ـ كان المرحوم والـــدى من طلبة الازهر ، ومن خريجيه ، ولم يكن ذلك غريبا ، فقـــد كان كل ابناء الاسر يلتحقون بالازهر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وربمـــا قبل ذلك بعدة سنين ... لان اباءهم كانوا ينذرونأن «يهبوهم للعلم» ، وكان اخى الاكبر والاخ الذى يليه يتعلمان فى المدارس ، مدرسة « النحــاسين » بالتحديد ، ورأى والـــدى أن اكون « ازهريا » ، والحقنى بكتاب « خان

شيخنا فكرى اباظة على كرسى الاعتراف لم يقسم فى البـــداية أن يقول الحق ، ومع ذلك فـــانه لم يقـــل الا الحـــق ! . . .

وفسدت

جعفر ، من الكتاتيب الملحقة بالازهر ، لأحفظ القرآن ، ومبـــادىء القراءة والكتابة .

ولقد واظبت على الحضور الى ذلك الكتاب مع والدى عدة شهور ، وكنا فى ذلك الوقت نسكن بحى « شبرا »

حيث كان والدى قد استأجر مزرعـــة لسيدة « نصـــاوية » ولم يكن « الترام » قد سار فى شارع شبرا بعـــد ، فكنا نمتطى « الحمير » حتى ميدان « السكة الحديد » ثم نركب عربات « سوارس » التى تجر الواحدة منها أربع خيول ، الى الازهر !

ولكن حدث أننى مرضت فى طفولتى مرضا خطيرا بسبب جلوس عـــلى « البـــلاط » طوال اليوم ، وبسبب

الطعام المـــدمن من الفول المدمس ، والطعمية ، و « الطرشى » ، فاستنجدت بوالدتى وأهلى فى قرية « كفـــر أبى شحاتة » التابعة لمركز منيا القمح ،

وكانت التقاليد تقضى بأن تبقى الاسرة حيـــث هى بالريف ، ونعيش نحن الاولاد ، وحدنا أثنـــاء التعليم فى القاهرة .

وانقذتنى والدتى من كتاب « خـــان جعفر » والتحقت بمدرسة « النحاسين » المواجهة لذلك الكتاب .. ولكن هـــل انتهت علاقتى مع الازهر ؟..

لا .. فقد كان والدى يحرص كل الحرص على أن أقرأ معه الـــكتب « الصـــفراء » ، وأنســـخ منهـــا

ما يرى أن يحتفظ به ، وربما كان هـــذا هو السبب فى أننى ظللت فى

الواقع « ازهريا » رغم التحاقي بمدرسة « النحاسين » .

● كيف بدأت علاقتك بالازهر ؟

ـ كنت في بعض الاحيان اذهب مع والدي الى صحن الازهر لاحضر معه الدروس التي يقوم بالقائها علماؤنا الاعلام ، ونحن جلوس على « البلاط » بالحلقات العديدة في مختلف الموضوعات الدينية من دروس اللغة العربية ، والمنطق ، والحديث ، والتفسير ، الى غير ذلك .

وقد كنت اتمنى ان اتابع دراستي بالازهر ، وأن اتخرج فيه لاكون من بين كبار العلماء ومن يدري ؟ فربما كنت توليت منصب « المفتي » او « شيخ الازهر » من زمن طويل لو انني واصلت دراستي بالازهر .

وقد كان علماء الازهر الاعلام من زملاء والدي يتابعون زيارتهم لنا في قريتنا « كفر ابي شحاتة » وكنت لا افارق مجالسهم مستمعا الى احاديثهم الدينية ، ومنهم الشيخ « المرصفي » والشيخ « البشري » والشيخ « الخضري » وغيرهم ، وغيرهم .

والذي لا يعلمه الجيل الجديد ان طائفة من العبقريات المصرية ، ومن الزعماء السياسيين قد تعلموا في الازهر وتخرجوا فيه ، واصبحوا من اشهر الرجال في السياسة والمحاماة والقضاء ، امثال الزعيم الكبير « سعد زغلول » والمحامي الكبير « ابراهيم الهلباوي » وزميله المحامي الكبير « محمد ابو شادي » والمرحوم « حسن صبري باشا » و « محمود ابو النصر » وكثيرين غيرهم منهم من كان بين زعماء ثورة ١٩١٩ برياسة سعد زغلول ، ومنهم من ولي الحكم رئيسا



فكري
اباظة

للحكومة مثل « سعد زغلول » و « حسن صبري » ومنهم من اشتغل بالصحافة امثال المرحوم « ابو شادي » بل ان بعضهم اختارته الدولة في بعثات دراسية الى فرنسا وفي مقدمتهم الامام الكبير « **محمد عبده** » والزعيم « **سعد زغلول** » و « **حسن صبري** » رحم الله الجميع .

وبالطبيعة تأصلت في نفسي عقيدة « الايمان » والتمسك بمبادىء الدين ، وحفظ القرآن مع تفسيره ، وكذلك الاحاديث النبوية ، ثم كان بعد ذلك ان استوعبنا في نشأتنا الادب العربي القديم من الشعر الجاهلي وما بعده من اشعار العهد الاسلامي ، ولانزال حتى الان نستعيد مراجعة المعلقات السبع لامير الشعراء امرىء القيس ، والأعشى ، وعنترة بن شداد ، والنابغة الذبياني ، الى اخر القائمة .

● هل لك ماخذ على ابناء الجيل الحاضر من الازهريين ؟

ـ لا ادري ما حال ابناء الجيل الحاضر في كليات الطب والهندسة وغيرهما من الجامعة الازهرية ، هل يحفظون قواعد الدين ، ويتبحرون في

تفسير آيات الذكر الحكيم ، والمنطق، وعلم الحديث ، أو شغلتهم الدروس الجامعية العصرية عن دروس الدين المختلفة ؟٠٠ وهل حققت الجامعة الازهرية العصرية ، وكلياتها الفكرة بأن يكون أساس التعليم هو الدين أولا ثم الطب والهندسة وغيرهما ثانيا ؟

أتمنى أن يكون هذا الهدف قد تحقق ، وان كنت قد عارضت الفكرة من أساسها وخشيت على الأزهر من أن يجتاحه هذا التحول الذى يتناقض مع تقليده القديم ٠



سعد زغلول : عبقرية مصرية من الازهر

نابليون بونابرت : الشريعة الاسلامية فى المعاملات



● اذن بماذا تنصح الجيل الجديد من الدارسين ؟٠٠

ـ نصيحتي الى الجيل الجديد تتلخص فى النقاط الاتية :

أولا : أن يعنوا عناية تامة باللغة العربية ، وانى لاجزع أشد الجزع من تدهورها وانحرافها انشاء ونطقا واملاء ، فانها حالة يرثى لها حقا ٠٠ خريجو الجامعات لا يتقنون اللغة العربية بجميع قواعدها الاساسية مثل النحو والصرف والفاعل والمفعول ، وان الاخطاء مزعجة بدرجة قصوى فيما نقرؤه للخريجين ، وفيما نسمعه منهم ، والواجب أن تعالج هذه الحالة ، لاننا نتزعم العالم العربى بحق ووسيلة التفاهم هى « اللغة العربية الفصحى » حيث تختلف اللهجات فى اللغات العامية الدارجة بين قطر عربى وقطر اخر ٠

ولا يجوز لنا أن ننسب التقصير الى « الطلبة » وانما يشتد جزعنا أكثر وأكثر اذا علمنا من اجماع المسئولين عن التعليم أن طائفة « المدرسين » الذين يدرسون اللغة فى المدارس الابتدائية ، والثانوية ، هم أيضا فى حالة يرثى لها ٠٠ ولا أدرى كيف كان ذلك ، وكيف يكون ؟!٠٠

والعلاج يجب أن يتناول الطلبة ، ويتناول فى الوقت نفسه المدرسين الذين لم يتعلموا التعليم العربى الفصيح الكافى لينقلوه الى تلاميذهم٠

وأرى الا يقتصر تعليم اللغةالعربية الفصحى على المدارس الابتدائية والثانوية فقط ، بل يجب أن تدرس فى الكليات الجامعية المختلفة ٠٠ لانه لا يجوز بحال من الاحوال أن تكون اللغة مزيلة فى « مذكرات » المحامين



فكرى
اباظة

الناشئين وفى « مراهقاتهم » أمـــام المحاكم وكذلك الحـــال فى كليات الهندسة والطب ، وغيرهما ·

ان اللغة العربية الصحيحة الفصيحة يجب أن تكون فى ميسور خريجى هذه الكليات والذى يقارن بين ما ينشر من كتب هذه الايام ، وما ينشر فى الصحف والمجلات هـذه الايام وما كان ينشر منها فى الايام السابقة ، يجد الفرق شاسعا بين الاجادة فيما مضى والضعف فى ايامنا هذه ·

لغة « القرآن » يجب ان نوفر لها « القدسية » والبقاء فى كياننا العربى المتـــرامى الاطراف ، وفى « مصر العربية » بالذات ·

ثانيا : الاخلاق ·· والاخلاق فى كل شىء ، وقد جدت بالذات «اخلاقيات» عديدة فى السنين الاخيرة ، وتنوعت الوان الجرائم الخلقيـــة من مادية وأدبية ، وأبشعها « جرائم الطلبة » من المدارس الثانوية والعالية ، وتنشر أحداثها بين يوم وآخر فى الصحف ، ولم يكن هذا التردى الأخلاقى معروفا ايامنا نحن أبناء الاجيـال الماضية ، والرقابة على هذه الاخلاق يجب أن تكون رقابة مزدوجة فى البيت والمدرسة حتى الجامعة · ولكنى الاحظ ــ مع الاسف الشـديد ــ أن الاشراف المنزلى ، أو السلطان الابوى لم يعد له وجود فى الاسر ، وكذلك ضعف نفوذ المسئولين عن التعليم فى المدارس الثـــانوية والجامعات ، فان هؤلاء المسئولين لا يستغلون سلطاتهم فى حدود القوانين واللوائح الوزارية والمدرسية والجامعية فى مراقبة الانحراف الاخلاقى ·

وقـد شاعت بالمدارس الثـــانوية والجامعات « التقليعات » المستوردة من الخارج والتى تتنافى مع التقاليد والدين ، ولم يستعمل الادارى المدرسى والجامعى الحزم مع المترفين مـــن « الهيبيز » و « الخنافس » والمرتديات « المينى جيب » و « الميكرو جيب » الى اخر هذه التقليعات الفـــاسدة التى شوهت صورة عدد لا يستهان به من الطلبة والطالبات ·

ثالثا : لا ادرى كيف تعالج مشكلة كثرة الزاحفين بالألوف على كليـات الجامعة بحيث استعصى على المدرسين والاساتذة أن يعلموهم التعليم الكامل بسبب كثرة العدد فى الفصول وبسبب قلة المدرسين والاساتذة الذين يتنقلون بين محافظة ومحافظة لالقاء دروسهم الخاطفة فى الجامعات الاقليمية ؟·

● **هل يؤدى الازهر رسالته فى العالم الإسلامى كما يجب ؟**

ــ انا شخصيا اتساءل معك نفس هذا السؤال ، بل وأقول ، وهـــل استطاعت البعثات الازهرية الى البلاد الافريقية والاسيوية أن تقوم برسالة كاملة فى هذه البلاد ؟

لا أستطيع الجواب ، لاننى لا أستطيع أن اجيب بالايجاب ، بل يرد عـلى خاطرى تساؤل اخر ، هو سبب تخلف العالم الاسلامى ، هـذا التخلف الملحوظ فى جميع اقطاره ، وما يصيبه من نكبات محـزنة فى اندونيسيا والفليبين والباكستان وغيرها .

ان مصدر الشريعة الاسلامية هو



عبدالعزيز البشرى : احاديث العلماء الاعلام

جوته: القرآن على مكتب نابليون.



« القرآن الكريم » وهو الكتاب المنزل الاوحـــد الذى لم يقتصر عـلى « الروحانيات » والعبادات وانما وضع أسس سياسة الحـكم ، والمعـاملات الدينية والعقوبات وكـل ما احتوته القوانين « الوضعية » العالية ، واذكر بهـذه المناسبة بان العبقرى العظيم « نابليون بونابرت » قال فى أحـد بياناته انه لا يفاخر بالاربعين معركة التى انتصر فيها وانما يفاخر « بقانونه المدنى الفرنسى » والمعـلوم أن بعض مبادىء هذا القانون مستقاة من أحكام الشريعة الاســـلامية فى المعاملات ، واذكر ايضا انه لما اجتـــاح المانيا واستقبل رجال الفكر ، قال فى لقائه مع الكاتب الالمانى الخالد « جوته » : « انك اذا جئت الى باريس ، فسوف تجد على مكتبى كتابين فقط فهـــا : رواياتك الخالدة ، والقرآن الاسلامى العظيم » .

وقد يكون سر تخلف الدول الاسلامية راجعا الى تزمت علماء الدين وتنافسهم فى التطرف ، مبالغة فى مدى اسلامهم وايمانهم ، مع أن القاعدة الاصيلة فى الدين الاسلامى هى انه : « دين يسر لا عسر » .

. . . .

والله أرجو أن يعصمنى من الزلل على قدر امكانى ، وأن يغتفر لى بعض ما ذهبت اليه من ملاحظات ومؤاخذات ، متمنيا لامتنا الاسلامية كل تقـــدم وازدهار ، على يد ابنائها ، بعـد ان يتسلحوا بالعلم والايمـــان ، اقوى وأمضى ســـلاحين ، يتســلح بهمـا المؤمن لخوض معترك الحيـاة .

■ د. بدوى طبانة ■

دار العلوم قبس من الأزهر

من الكلمات الأثيرة عند أبناء دار العلوم تلك الكلمة الخالدة التى حفظوها عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وهى قوله: « إن باحثا مدققا لو أراد أن يعرف أين تموت اللغة العربية ، وأين تحيا : لوجدها تموت فى كل مكان ، وتحيا فى دار العلوم » !

وقد أعظم من شأن هذه الكلمة، أو من شأن هذه الشهادة ، منزلة صاحبها بين العلماء والحكماء ، وما عرف به من صدق الرأى ، وشجاعة القلب ، وصحة الحكم، وسلامة التقدير .

ولنا أن نتصور ذلك العهد الذي قال فيه الاستاذ الامام هذه الكلمة ، وهو عهد فسدت فيه اللغة العربية ، وهبطت الى أدنى منازلها ، فقد اختلطت فيه فصاحة العربية ، بهجنة العامية ، وبعجمة التركية ، مع رطانات شتى من اللغات الاجنبية .

وذلك في وقت اشتدت فيه وطأة **الاستعمار ، وضراوته في حرب اللغة العربية ، ومحاولة القضاء عليها ، اذ كان يعلم انها في مقدمة مقومات هذه الامة ، وابرز مظاهر وحدتها واتصال شعوبها** . وامتحنت هذه الامة بعدد من الذين ينتسبون اليها من الذين ظاهروا الاستعمار ، ومالأوا الاعداء فتنكروا لعروبتهم ، وآثروا لغة الغريب ، استعلاء على اخوانهم وبنى جلدتهم ، فأصبحوا يتشدقون بألفاظها ومصطلحاتها ، احساسا بالضعة التى طبعوا عليها ، والنقص الذى ركب فيهم ، ثم سنة المجتمعات المغلوبة فى تملق المغلوب للغالب ، ومحاكاة الضعيف للقوى فى سلوكه ، واصطناع آدابه ومظاهر حياته عن غير وعى أو بصيرة .

حتى لقد أصبحت القومية فى نظر هؤلاء تعصبا ، والوطنية دعوة الى الانتكاس ، والدعوة الى التحرر والاستقلال تمردا على الطاعة الواجبة لولى الامر ، من غير أن يعرف من هذا الولى للأمر ، ومن غير بحث فى أحقيته لتلك البلاد ، واسترقاق العباد .. وعلى هذا القياس أصبح التمسك

الشيخ حسن الطويل :
احد فطاحل نار العلوم ،
واستاذ المنطق والاصول ، وابرع
معاصريه فى العلوم الرياضية



دار العلوم قبس من الأزهر

بجبال العقيدة أو بأهداب الفضيلة جمودا ، والحفاظ على اللغة ، والالتزام بأصولها ، وسنن أصحابها في التعبير عن المقاصد والاغراض ، رجعية وتخلفا ، أو تقليدا وتكلفا ...

• جامعة حرة للجميع •

وبعد ، فما هي « دار العلوم » التي حيت فيها لغة العرب ، وكانت تموت في كل مكان ـ كما قال الاستاذ الامام ، أو اللغة العربية التي أصبحت تحيا في كل مكان بفضل أبناء دار العلوم ـ كما قال ذلك الدكتور السعيد مصطفى السعيد المدير الاسبق لجامعة القاهرة ؟

دار العلوم هي هذه الكلية العريقة التي تربض في مكانها المعروف بحي « المنيرة » من أحياء مدينة القاهرة . وقد استقرت في هذا الموضع منذ سنة (١٩٠٠ م) بعد رحلة استمرت ثلاثين عاما بين حي « الجماميز » وحي « الناصرية » موضع المدرسة السنية الثانوية الان . وكان البدء في القاء الدروس والمحاضرات على طلبة دار العلوم في « سراى الجماميز » في اليوم الخامس عشر من شهر صفر سنة ١٢٨٨ هـ (٦ من مايو سنة ١٨٧١ م) .

وعلى ذلك تكون هذه الكلية قد قضت من حياتها المباركة أكثر من مائة عام ، وهي تؤدى في صمت ووقار رسالتها الخالدة في خدمة اللغة العربية وادابها والدراسات الإسلامية، وتصل ما غبر من أمجاد هذه الأمة في ميادين المعرفة بما جد من أصول البحث ومناهج التفكير في دراسة علوم العقيدة وعلوم اللسان .

وكان انشاء دار العلوم في ذلك الوقت المبكر رمزا الى تطلع هذه الامة الى النهضة والى تجديد المعرفة في ربوع هذه البلاد ، اذ كانت في مبدأ أمرها تمثل صورة الجامعة كما ارتسمت في ذهن المصلح الكبير علي مبارك الذي كان مديرا لديوان المدارس والأوقاف اذ ذاك ، وكان من أول ما عناه سوء حالة الكتب في مساجد الاوقاف ، وهي في عهدة الجهلة من خدمة تلك المساجد ، وعن طريقهم تسللت نفائس المخطوطات الى أوربا اذ كانوا يبيعونها بأبخس الاثمان لزوار مصر من الاجانب ، ويضعون أثمانها في جيوبهم ، بالاضافة الى ما كانوا يبيعونه من أوراقها للباعة والبقالين ليلفوا فيها سلعهم .. واستطاع علي مبارك أن ينقذ من هذه النفائس ما نجا من أيدى هؤلاء الجهلة وجشعهم ، ويغرس بها نواة « الكتبة الخديوية » التي أصبحت فيما بعد « دار الكتب المصرية » ، واتخذ لها مكانا في سراى درب الجماميز المجاورة لمسجد مصطفى فاضل باشا ، وأنشأ الى جانبها أماكن للآلات والادوات اللازمة لدراسة العلوم الطبيعية ، ثم أنشأ بجوارهما ردهة مدرجة « انفتياتر » ليحتفل فيها بالامتحانات التي كانت تعقد في كل سنة ، ويحضرها كبار رجال الدولة تشجيعا للمتعلمين .

ويعد المؤرخون دار الكتب ودار

● لقد أصبحت اللغة العربية تحيا، وتزدهر، وتنتشر في كل مكان بفضل أبناء دار العلوم

الإمام محمد عبده

العلوم اختين أو توءمين ، فقد اقترنت نشأة كل منهما ، ويشير ذلك الاقتران الى العلاقة الوثقى بين العلم والكتاب.

فقد عز على ذلك المصلح الكبير أن تخلو هذه الردهة المدرجة من طلاب العلم بعد أيام الامتحان ، فأراد أن يعيد الى مصر مفخرة من مفاخرها التي درست ، وهي « دار الحكمة » أو « دار العلم » التي انشأها العزيز بالله الخليفة الفاطمي ، وجعل منها مكتبة ومدرسة يقصد اليها طلاب العلم في هذه البلاد ليجدوا في استقبالهم نفائس الكتب وكبار الاساتذة . ولم يبق أمام على مبارك بعد انشاء دار الكتب وأعداد المكان الصالح للدرس الا أن يجمع الاساتذة والدرسين ، ويعد الطلبة الـذين يتلقون عنهم العلوم والمعارف ، وقد أعانه الله على مـا أراد ، وتحقق حلمه بانشـاء دار الكتب و « دار العلوم » التي أطلق اسمها على ذلك المدرج منذ بدأ القاء المحاضرات به ، ومازالت تحمل هذا الاسم حتى يومنا ، وان كان هـذا الاسم قد زايلها في بعض الفترات في الاوراق الرسـمية ليصبح « قسم المعلمين العربي » مرة ، و « مدرسة المعلمين الناصرية » مرة أخرى ، ولكن الاسم الاصلي « دار العلوم » بقي على ألسنة الناس كما بقي في قلوبهم .

وقد كان الطلبة الذين أمرهوا الى مدرج « دار العلوم » في أول عهدها يمثلون مزاجا عجيبا من طلاب العلم. وهـذا يدلنا على ما كان يحس به المصريون اذ ذاك من الظمأ والشوق الى ارتياد منـاهل العلم ، والسعي اليه ، واغتنام كل فرصة لتحصيله ، ولم يقتصر ذلك على طبقة من الناس دون غيرها من الطبقات .

وكانت دار العلوم اذ ذاك اشبه بالجامعة الحرة التي تفتح ابوابها لكل طارق ، فلم يكن في قانون هذه الكلية ما يحدد نوع الطالب الذي يتلقى العلم فيها أو سنه او نوع ثقافته أو درجة هذه الثقافة ، ولم يكن في قانونهـا ما يحجب أحدا من أبنـاء الامة عن شهود تلك المحاضرات ، والافادة مما يلقيه الاساتذة في شتى فروع الثقافة.

وقد يأخذك العجب اذا عرفت أنه كان من شهود تلك المحاضرات طائفة من اكابر العلمـاء ، وكبار رجال المعـارف أو « ديوان المدارس » والقائمين بأمر التعليم ، وكبار موظفي الحكومة ، وفي مقدمتهم « علي مبارك باشا » .. كمـا كان منهم طلبة من الازهر الشريف ، ومن الفرق العالية من مدرسة الهندسة « المهندسخانة » ومدرسة المسـاحة ومدرسة الادارة « الحقوق » .. وقد جمع بينهم حب العلم والتنافس في طلبه والاستزادة منه ، يجلسون جنبا الى جنب ، وقد أزال طلب العلم ما بينهم من فوارق المناصب والجاه والثراء .

وكذلك اختلفت ثقافات الاسـاتذة كمـا اختلفت موضوعات محاضراتهم اختلافا بينا ، اذ كان فيها محاضرات

فى الموضوعات اللغوية والادبية يلقيها كبار علماء الازهر ، كما كان فيهـــا محاضرات فى أحدث العلوم والفنون يلقيها علماء اجانب أو علمـــاء مصريون ثقفوا هذه العلوم والفنون فى أوربا . وقد تبع ذلك اختلاف لغات المحاضرين بين العربية الفصحى وما يقاربها واللغة الفرنسية مع ترجمة ما يلقى بها الى اللغـة العربيـة حتى يستطيع جمهور الطلاب الافادة ممـا يسمعون .

وكان من أولئك الاساتذة الكبار :

الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى الذى كان يحـاضر فى التفسـير والحديث .

والشيخ عبـد الرحمن البحراوى الذى كان يحاضر فى فقه ابى حنيفة النعمان .

والشيخ حسين المرصفى الذى كان يحاضر فى علوم الادب .

وكان من المحاضرين الاجانب :

هنرى بروكس باشا ناظر مدرسة اللسان القديم ، وكان يحـاضر فى التاريخ العام .

وفيدال باشا ناظر مدرسة الادارة والالسن ، وكان يحاضر فى فن السكك الحديدية .

وفرانس باشـا المدرس بمدرسة المهندسخانة ، وكان يحاضر فى فن الابنية أو العمارة .

وجيجون بك ناظر مدرسة العمليات، وكان يحاضر فى فن الالات .

ومسيو بكتيت ، وكان يحاضر فى علوم الطبيعيات مع شرح الالات التى استحضرها من أوربا .

وكذلك كانت هناك محاضرات باللغة العربية :

فى علم الفلك يلقيهـا اسماعيل الفلكى باشا ناظر مدرسة المهندسخانة

وفى علم الطبيعيات مع التجارب يلقيها منصور أحمـد افندى المدرس بالمهندسخانة .

وفى علم النبـات مع استحضار النماذج يلقيها أحمد ندى بك مدرس النبات بالمدرسة الحربية ومدرسة الطب .

● اهداف العلم ونظام التعليم ●

ذلك هو النظام الفريد الذى ابتدأت به دار العلوم حياتهـا العلمية ، ووجودها التاريخى .

ويبدو أن على باشا مبارك رأى أن هذا اللون من التثقيف العام للكبار قد يكون نافلة من العمل ، قد يكون أوجب منها بالعنـاية وبذل الجهود معالجة الفقر الذى تعانيه الامة فى تربية ابنائها وتعليمهم ، وأحس بحاجة هؤلاء الابناء الى المهرة المختصين من المربين والمعلمين الذين ينشرون أنوار المعرفة فى ربوع البلاد ، ويتعهدون الجيل الناشىء بالتربيـة والتعليم والتثقيف . ورأى أن البدء بهـذه الجهود ينبغى أن يبدأ من حيث يكون البدء ، أى من الادنى الى الاعلى .

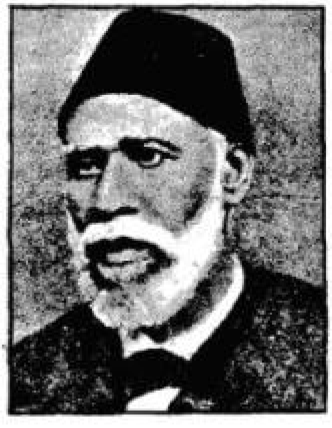
ولذلك رأى على باشا مبـارك أن يغير فى هدفه ، وان يغير كذلك فى خطته ، فقد قرر أن تتحول قـاعة المحاضرات الى كلية لاعداد المعلمين الصالحين ، فكتب على الفور الى شيخ الجامع الازهر اذ ذاك « الشيخ محمد العباسى المهدى » يطلب اليه اختيار بعض العلماء الاعلام للتدريس بدار العلوم على حساب ديوان الاوقاف ، وانتخاب عشرة من نجبـاء الطلبة

بالازهر لحضور الدروس العربيـــة والشرعية بدار العلوم ، يربط لـكل طالب منهم « خمسة وعشرون قرشا فى كل شهر » اعانة لهم من ديوان الاوقاف ، ولهم الحق فى أن يحضروا ــ باختيارهم ــ الدروس الاخرى ، كما جاء فى كتاب على مبارك الى الشيخ العباسى المهدى ، ونص كلامه :

« ... وأما الطلبة المراد تعيينهم كما سبق تحريره لسعادتكم ، فبما أن الـذى يطلب منهم هو حضور دروس العلوم العربيةوالشرعية ، وهذا مقدار ساعة ونصف فى كل يوم ، والحـالة هــذه لا يكون فى ذلك تعطيل عن دروسهم بالازهر ولا معايشهم . وانما اذا ارادوا من تلقاء أنفسهم حضور دروس أخرى بهذا الطرف ــ أى بدار العـلوم ــ كدرس الفلك أو الطبيعة مثلا فيكون ذلك باختيارهم ورغبتهم . كما أن كل سائر احاد الناس ، مـن أراد حضور أى درس مـن الدروس العامة التى صار الاعلان عنهـا فى الوقائع المصرية ، فلا يمنع . ومبلغ الخمسة والعشرين قرشا الذى تقرر ترتيبه لكل من العشرة المطلوبين ليس هو من قبيل الماهية ، وانما المراد منه مجرد الاعانة فقط . لاسيما والقصد من تعيين العشرة المذكورين هو أنه عند لزوم (خوجات) فى بعض المكاتب ينتخب منهم عند الاقتضاء ، وبوقت ذلك كل من صار انتخابه منهم تقرر له الماهية اللازمة ... »

وظل ديوان الاوقاف ينفق على دار العلوم وطلبتها وأساتذتها وخدمتهـا من ميزانية « المكتبة الخديوية » حتى شهر مارس سنة ١٨٨١ م . وفيــه ضمت دار العلوم الى ديوان المدارس (وزارة المعــارف) ليقوم بتدبير أمورها ، ويتولى الانفاق عليها . وكان عدد المدرسين بها اذ ذاك ثمــانية تتراوح مرتباتهم بين ثلاثة جنيهـات وخمسة عشر جنيها ، وكان ناظرها اذ ذاك يتقاضى مرتبا شهريا قدره خمسة وعشرون جنيها . أما طلبتها فقــد بلغ عددهم فى تلك السنة ٣٢ طالبـا يتقاضى كل واحد منهم جنيها واحدا فى الشهر .

وكان على مبارك قد عنى عنـاية فائقة بتجـديد المكاتب الاهلية التى كانت تقوم بتربية النشء فى مدن مصر وقراها ، وعمل علىتنظيمها وتعميمها، ورأى أن ذلك يحتاج بالضرورة الى كثير من مهرة المعلمين الذين يقومون بواجبات حسن التربية والتعليم على الوجه الاتم .. وقد لاحظ أن المشتغلين بوظيفة التعليم فى اللغة العربيـــة والتركية ليس فيهم الكفاية لذلك .. ولذلك تابع جهــوده المخلصة فى



على مبارك : رجل النهضة التعليمية والرائد الاول فى حياة «دار العلوم».

دعم دار العلوم ، والعمل على استقلالها ، فوضع الانظمة والقوانين التى حدد بها نظام الكلية ، وأهداف التعليم فيها ، ونظام القبول بها ·

فقرر :

١ ــ أن يكون عدد الذين يقبلون بهذه الكلية خمسين طالبا ·

٢ ــ الا تقل سن الطالب عن العشرين سنة ، ولا تتجاوز الثلاثين ·

٣ ــ يتم اختيار الطلبة المقبولين عن طريق الامتحان التحريرى والشفهى ·

٤ ــ يجرى للناجحين فى الامتحان « اختبار شخصى » للوثوق من أهليتهم ولياقتهم ·

٥ ــ يلزم الطلبة المقبولون بحضور جميع الدروس والمحاضرات المقررة ، وكانوا قبل ذلك يحضرون ساعة ونصف الساعة فى كل يوم ، وكانت لهم الحرية فى حضور دروس المواد الحديثة بارادتهم ·

٦ ــ يدرس لهم فى « دار العلوم » الملحقة « بالكتبخانة العامرة » ما يلزم لتكميل معلوماتهم واستعدادهم لاداء وظيفة التعليم ، وحسن التربية على الوجه المطلوب ، والاسلوب المرغوب ·

٧ ــ يربط لكل طالب مدة اقامته « تحت التعليم » مائة قرش شهريا ، من ضمن المتحصل للكتبخانة من الرسوم بديوان الاوقاف ·

وعند تعيين أحد من الخريجين فى وظيفة بمكتب من المكاتب « بعد تمام تعليمه ، وظهور براعته فى الامتحان » يربط له بدل المائة قرش المذكورة على الجهة التى يعين لها الماهية اللازمة على حسب الوظيفة التى ينتخب لها ·

ورأى على مبارك أنه بهذه الوسيلة يمكن الحصول على ما فيه الكفاية من المعلمين للغة العربية واللغة التركية ، « ويؤخذ منهم لجهات الاقتضاء على حسب اللزوم ، وبذلك يتقدم ويستقيم أمر العلم والتعليم »··

وكان رحمه الله ينظر الى المدرسين الذين يتولون تربية النشء وتهذيبه وتعليمه فى زمنه فيراهم فريقين : فريق من الأزهر الشريف يعلمون لغة البلاد وما لابد منه من أمور الدين الحنيف ، ومعظم هؤلاء يرون أن كل علم ليس فى الكتب التى تلقوها فى الازهر الشريف ضلال وكفر ، وأن الاشتغال به اشتغال بما لا يجدى ، ويرون أن شركاءهم فى التدريس الذين يدرسون الجغرافية والكيمياء والطبيعة والفلك وغير ذلك من العلوم الكونية ، هم ملاحدة كفار ·

أما الفريق الاخر ، وهم اخوانهم الذين زاولوا دراسة العلوم الكونية وعرفوا صحة نظرياتها بالبرهان القاطع والقياس المنطقى ، فيرون فى معلمى اللغة العربية والدين جهلا فاضحا ، وضلالا واضحا ، قد يدعو الى الشك فى الدين الذى يعتمدون عليه ، ويدعون الاضطلاع به ·

وقد أدرك على مبارك تلك الهوة العميقة ، وذلك البون الشاسع بين الفريقين ، وأراد أن يتلافى ذلك الخلل، وأن يقرب مسافة الخلف بينهما ، فعمل على تأسيس « دار العلوم » ليتلقى فيها طلبتها العلوم الكونية التى

دار العلوم
قبس من الأزهر

سجل "الدرعميون": أبناء دار العلوم - إنجازات باهرة بجهودهم في ميادين التعليم، وما حققوا من تراث العرب، وما ترجموا من آثار الفكر الانساني في أوسع مجالات العلم والمعرفة.

لا تتيسر لهم دراستها بالازهر الشريف ، حتى لا تكون غريبة عنهم ، ويزول اعتقادهم بكفر العالمين بها ، ويزدادوا نورا على نور ، ويزول الفريق الاخر عن اعتقاده الجهل فيهم ·

هذا الى ما يستفيده الاولون من أساليب دراسة العلوم المختلفة وطرق القائها وتلقيها ، حتى يكون لهم ذلك نبراسا يضيء لهم سبيل التعليم ، وهاديا يهديهم طريق الصواب في كيفية افادتهم تلاميذهم المواد التى يزاولونها ·· وقد تم له بدار العلوم ما أراد (١)

اعلام في تاريخنا الجامعي

هذه كلمات عن النشأة الاولى لدار العلوم ، يتضح منها كيف كانت رسالتها تثقيفية عامة يحتشد لها الراغبون في ألوان من الثقافات العالية من كل الطبقات لينهلوا من علم أساتذتها الكبار ، وكيف تحولت الى كلية نظامية تحرص على مستوى أساتذتها ومستوى طلبتها ، وتحدد ما يتلقون من الدروس وما يلقى عليهم من المحاضرات ، وتحدد مستقبلهم ودورهم في النهوض بالوطن، وهو القيام بتربية أبناء البلاد وتعليمهم ·

ومن الطبيعي أن مهمة الخريجين في دار العلوم لم تقتصر على تعليم تلاميذ المرحلة الاولى التى ظهرت الحاجة الملحة اليها أولا ، وانما صار خريجوها يعدون أجيال الشباب في المرحلة الثانوية وفي دور المعلمين والمعلمات ، وما في هذا المستوى من مدارس المرحلة المتوسطة ، ثم كان منهم خيرة الاساتذة في المعاهد العليا والجامعات ، منذ تأسست الجامعة المصرية الاولى سنة ١٩٠٨م ، ومنذ أصبحت جامعة رسمية سنة ١٩٢٥ م ، ومنذ تعددت الجامعات المصرية فيما بعد ، ولايزالون يؤدون واجبهم الى الان ، فقد كانوا أساتذة علوم العربية وآدابها في كليات الآداب ، وأساتذة الشريعة الاسلامية في كليات الحقوق ، وشاركوا في ارساء دعائم الحياة الجامعية في هذه البلاد محاضرة وتدريسا وتأليفا ، وتخرجت على

---

(١) من كلمة المرحوم الشيخ عبدالوهاب النجار في العيد الخمسيني لدار العلوم سنة ١٩٢٧م · وانظر تقويم دار العلوم للمرحوم الاستاذ / محمد عبد الجواد ص ١٨ ·

ايديهم اجيال من العلماء المختصين يعترفون بفضل هؤلاء الاساتذة ، ومدى ما نهلوا من افضالهم ، وما افادوا من علمهم . ومن هؤلاء الاساتذة :

محمد المهدى ، ومحمد الخضرى ، ومحمد زيد الابيانى ، وطنطاوى جوهرى ، وعبد الوهاب النجار ، واحمد ضيف ، وعلى العنانى ، واحمد الاسكندرى ، وحفنى ناصف ، واحمد ابراهيم ، واحمد ابو الفتح ، واحمد الشايب ، ومصطفى السقا ، وعبد الوهاب حمودة ، وعلى عبد الواحد ، ومهدى علام ، وابراهيم سلامة ، وابو العلا عفيفى ، ومحمد خلف الله ، وطه احمد ابراهيم ، وسلطان محمد ، وابراهيم مصطفى ، واحمد عبده خير الدين .. وكثير غيرهم .

ومن الذين لم تقتصر خدماتهم التعليمية على جامعات مصر وحدها ، وانما تجاوزتها الى جامعات اوربا كثيرون ، وفى مقدمتهم الاساتذة الاجلاء :

عبد الرحيم احمد الذى كان استاذا للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس .

حسن توفيق العدل : الذى كان استاذا بالمدرسة الشرقية فى برلين ، ثم استاذا فى جامعة كمبريدج .

عبد العزيز جاويش : الذى كان استاذا بجامعة اكسفورد .

محمد حسنين الغمراوى : الذى كان استاذا بجامعة اكسفورد .

محمد على مصطفى : الذى كان استاذا بجامعة كمبريدج .

محمد احمد جاد المولى : الذى كان استاذا بجامعة اكسفورد .

ابو العلا عفيفى : الذى كان استاذا بجامعة كمبريدج .

منصور سليمان : الذى كان استاذا بجامعة اكسفورد .

احمد عبده خير الدين : الذى كان استاذا بجامعة كمبريدج .

محمد محمود جمعة : الذى كان استاذا بمدرسة اللغات الشرقية بلندن .

مهدى علام : الذى كان استاذا بجامعة مانشستر .

اما ابناء دار العلوم الذين شاركوا فى ارساء دعائم التعليم الجامعى فى البلاد العربية فهم اكثر من ان يحصوا ، بالاضافة الى عدد كبير يشاركون فى النهضة العلمية فى تلك البلاد مدرسين ومديرين وموجهين منذ اكثر من اربعين سنة حتى الآن فى مراحل التعليم العام .

ويذكر التاريخ الجامعى المعاصر ان ثلاثة من ابناء دار العلوم كانوا يشغلون مناصب العمادة فى كليات الآداب الثلاث بالجامعات المصرية فى وقت واحد ، فكان المرحوم الدكتور ابراهيم سلامة عميدا لآداب القاهرة ، والدكتور مهدى علام عميدا لآداب عين شمس ، والاستاذ محمد خلف الله عميدا لآداب الاسكندرية . وفى الوقت نفسه كان الاستاذ ابراهيم اللبان عميدا لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .





اعضاء هيئة التدريس بدار العلوم عام ١٩٠٢ ، يتوسطهم امين سامى « باشا » ناظر دار العلوم ، وبين الواقفين « رقم ٩ » الاستاذ حسن توفيق العدل .

وإذا كنا قد أشرنا الى شيء مما قام به أبناء دار العلوم في ميدان التعليم العام والتعليم الجامعي في مصر وفي غيرها من البلاد العربية والبلاد الأوربية ، فلن تفوتنا الاشارة الى شيء من جهودهم في الكتابة والتاليف العلمي والادبي ، وقد فاقت ما كان مقدرا لها ، بما جددوا وابتكروا وبما ترجموا من آثار الفكر الانساني في اللغة والادب ، وفي المنطق والفلسفة ، وفي التاريخ وعلم الاجتماع ، وفي التربية وعلم النفس ، وبما حققوا من تراث العرب ، وأحيوا من دارسه ، فأعادوا العربية الى عصورها الذهبية ، وأثروا المكتبة العربية بالدراسات الاصيلة والبحوث النافعة العميقة . واستطاعوا أن يرجعوا الى متون اللغة ليتخيروا منها لكتاباتهم ، وما يلقنونه لتلاميذهم ، فنهضوا بأساليب التعبير ، وقووا في تلاميذهم ملكة الانشاء والقدرة على التعبير . وعكفوا على أصول النحو

دار العلوم قبس من الأزهر

والصرف فحلوا مشكلاتها ، وجلوا غوامضها ، وصاغوها صياغة جديدة قربتها الى افهام التلاميذ ، وتدرجوا بها مع النمو العقلي لتلاميذهم ، وجاروا بها تنقلهم في مراحل التعليم المختلفة ، وعمدوا الى كتب البلاغة فاستخرجوا زبدتها ، وقربوها الى الاذواق بما يسروا من حزنها ، وخففوا من مصطلحاتها ، وحببوا الى تلاميذهم قراءة الادب وتذوقه ، واستخلاص ما حوى من الخصائص الفنية والجمالية ، واعانوهم على نقده وتقويمه ٠

● تجديد منهج الدرس الادبي ●

ولا يفوتنا في هذا المجال أن نذكر صنيع رجل من خير من خرجت دار العلوم ، ومن أبر من حملوا رسالتها في خدمة اللغة والادب في صمت الحكماء ، وفي تواضع العلماء ، وفي بعد عن الجلبة والدعوى التي يصطنعها الادعياء في هذا الزمان ٠

ولعل اكثر المعاصرين لا يعرفون أن دراسة التاريخ الادبي للأمة العربية على هذا النحو الذى يدرسونه به في هذا الزمان في المدارس والجامعات مدين بوضعه وابتكاره لرجل من ابناء دار العلوم الاوفياء ، وهو المرحوم « حسن توفيق العدل » ٠

فقد كان درس الادب يقوم على المنهج التقليدى المألوف في الآثار القديمة كالذى نجده في كتاب «الكامل» لابى العباس المبرد ، وهو منهج يقوم على الاستطراد في رواية النصوص الادبية ، وشرح غوامضها ، وتوضيح ما حوت من الاشارات التاريخية ، والفوائد اللغوية ، والقواعد النحوية ، والنكت البلاغية ٠٠٠ وكان في ذلك ما فيه من المشقة على الدارسين الذين يعز على اكثرهم تخليص الحقائق وتحديدها ، ويصعب عليهم تجميع عناصر موضوعاتها ٠٠ وعلى هذا النحو أو ما يقرب منه الف الشيخ حمزة فتح الله كتابه « المواهب الفتحية » والف الشيخ حسين المرصفي كتابه « الوسيلة الادبية » ٠ ولكن المرحوم حسن توفيق العدل نهج نهجا جديدا هو النهج الذى لايزال يدرس الادب على أساسه ، وذلك انه عمد الى الحياة الادبية عند الامة العربية فقسمها الى فترات أو عصور زمنية حددها بكبريات الاحداث في تاريخ هذه الامة ، وجعلها خمسة عصور تبتدىء بالعصر الجاهلي ، وتنتهي بعصر النهضة الحديثة ، ثم درس الحياة الادبية في كل عصر مقدما لها بدراسة العوامل المؤثرة في حياة الادب ومعرفا بأشهر اعلامه وعارضا نماذج من أدبهم المنظوم أو المنثور ٠ وتتابعت الدراسات الادبية على هذا النحو الذى وضع اساسه حسن توفيق ، وحذا حذوه كثير من

قبل إنشاء مجمع اللغة العربية كان نادي دار العلوم أشبه بمجمع لغوي قدم أعضاؤه دراسات رائدة في اللغة والأدب ووضعوا بضعة آلاف لفظة اصطلاحية جديدة .

المؤلفين . وكان ذلك ثمرة من ثمرات عكوفه على الآداب الأوربية ومتابعة دراستها في الفترة التي قضاها في أوربا .

تسمية المسميات الحديثة

ومما يتصل بجهود أبناء دار العلوم ونشاطهم في خدمة اللغة العربية والنهوض بها « نادي دار العلوم » الذي أنشأوه ليكون ملتقى لهم ، ومعرضا لآرائهم الحرة في موضوعات تتصل برسالتهم ، وقد لا تتسع لها حجرات الدروس وقاعات المحاضرات .

وقد افتتح ذلك النادي في شهر نوفمبر سنة ١٩٠٧ م ، وكان أول رئيس له هو المرحوم حفني ناصف ، وكان إذ ذاك قاضيا بمحكمة الأزبكية ،

وكان ذلك النادي أشبه بمجمع لغوي . وقد قال فيه جرجي زيدان « كانت تلقى فيه الخطب ، وأكثر بحوثه في اللغة ومصطلحاتها . وقد وضع أعضاؤه بضعة آلاف لفظة اصطلاحية جديدة نشر بعضها في مجلة كانت تصدر باسم النادي (١) ...

وقد عرض رجال ذلك النادي في جملة ما عرضوا له من الموضوعات ذات الخطر في حياة اللغة العربية لموضوع (التعريب) وقد دارت حول هذا الموضوع مناقشات علمية رائعة تدل على الوعي الصحيح ، والتقدير لظروف اللغة ، ووسائل نمائها ، وقدرتها على مواجهة مطالب الحياة المتجددة . وانتهت تلك المناقشات الجادة بالقرار الاجماعي الذي أعلن نصه الآتي :

« في الساعة العاشرة من مساء يوم الخميس ٢٠ من فبراير سنة ١٩٠٨ م . وبعد سماع ما قاله جميع الخطباء في موضوع « تسمية المسميات الحديثة » قرر « نادي دار العلوم » أن يكون العمل على النحو الآتي :

يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريقة من الطرق الجائزة لغة ، فإذا لم يتيسر ذلك ، بعد البحث الشديد ، يستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية ، ويستعمل في اللغة الفصحى ، بعد أن يعتمده « المجمع اللغوي » الذي سيؤلف لهذا الغرض » .

(١) انظر « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ٨٢/٤

دار العلوم قبس من الأزهر

كان هذا فى فبراير سنة ١٩٠٨ م وكان هذا تفكير أبناء دار العلوم ·· أما المجمع اللغوى – وكانوا يسمونه مجمع فؤاد الاول للغة العربية – فانه لم ينشأ الا بعد أكثر من عشرين سنة ، ولم ينظر فى هذا الموضوع الا فى ١٢ مارس سنة ١٩٣٤ م ، وكان قرار المجمع سنة ١٩٣٤ هو نص قرار النادى سنة ١٩٠٨ م ‼

فاذا عدونا خدمة اللغة والادب ، وخدمة التربية والتعليم التى أجاد فيها أبناء دار العلوم وأفادوا وكان لهم فيها القدح المعلى ، حتى أصبحوا علما عليها ، واذا عدونا كذلك من خرجت دار العلوم من فحول الشعراء والخطباء واصحاب الاقلام ، ومن رجال الوطنية والاصلاح الاجتماعى ممن لا تتسع لهم هذه السطور – اذا عدونا هؤلاء وهؤلاء ألفينا عددا من خريجيها يبرعون فى الثقافة القانونية ، ويصلون بجدهم واخلاصهم وكفايتهم الى ارفع مناصب القضاء الاهلى والشرعى ، ومنهم المرحومون حسن جلال المصرى (باشا) الذى كان مستشارا بمحكمة الاستئناف ، ومحمد عبد الفتاح (بك) الذى عين وكيلا للنيابة ثم قاضيا ، ومحمد صالح (باشا) الذى رأس كثيرا من المحاكم الاهلية ثم عين مستشارا بمحكمة الاستئناف ، وعبد الرحمن ابراهيم (باشا) الذى كان وكيلا لمحكمة النقض والابرام ، وحفنى ناصف (بك) ، وعبد الرحيم أحمد (بك) ومصطفى الخولى (بك) ، وغيرهم ، بالاضافة الى أبنائها الذين شغلوا مناصب القضاء الشرعى ، وزاولوا صناعة المحاماة ، وفى طليعتهم النقيبان محمد عز العرب (بك) وعبد الرزاق القاضى (بك) ···

هذه دار العلوم التى أسهمت بنصيب واضح فى بناء نهضة مصر ولغتها وأدبها ، وتجاوزت رسالتها هذه الحدود الى تلك الآفاق البعيدة مع صعوبة المسلك ووعورة الطريق ·

فقد قاست هذه الكلية طوال حياتها ألوانا من الصراع العجيب ، وكانت لا تخرج ظافرة من معركة الا ابتلتها الاقدار بمعركة أخرى · وقد كتب الله لها البقاء والنصر على جميع القوى التى تصدت لها ، فكانت بذلك آية الآيات فى مجالدة الزمن ومقارعة الخطوب ، ومن المعارك الرهيبة التى خاضتها دار العلوم :

● معركة مع الرجعية والتخلف ، فقد دعا أنصارهما الى مناهضة هذه الكلية ، وهى لم تزل تستقبل حياتها العلمية بدعوى أنها تعلم طلابها علوم الطبيعة والحياة وسائر العلوم الحديثة ، وكان تلقى هذه العلوم اذ ذاك كبيرة من الكبائر ، اذ كانوا يعدون ذلك خروجا على الدين ، وضربا من الزندقة والالحاد · واضطر أساتذتها وطلابها للدفاع عن كيانهم بتبصير الناس بمزايا هذه العلوم التى تعين على الايمان ، والتعرف على آيات الله ·

ويدل على ذلك تلك الكلمة التى القاها الشيخ حمزة فتح الله عندما وكل اليه الدرس العام للغة العربية ، فقال فى كلمته الافتتاحية (فى ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م) مخاطبا طلبة دار العلوم :

« ... انكم فى مكان تحصى فيه الاخلاق فى صكوك وأوراق . ولا ينبغى أن يريبكم ما عسى أن يهجس بخلد البعض فى شأن هذه المدرسة ، فان فنون الطبيعيات لكونها انما تبحث عن الجثمانيات ، وما يعتورها من انواع التغيرات ، فانما هى ضرب من النظر الذى أمر به الكتاب الكريم فى غير ما موضع ، ونتيجتها زيادة الايمان لمشاهدة بعض ما أودع فى الكائنات من الاسرار الالهية ، وعجائب القدرة الباهرة ، اللهم الا من تحتم عليه الشقاء ، ولم يكن فيه استعداد للخير ، فانه شقى حيث كان ، ولو فى الملأ الأعلى :

واذا الفساد عرا المزاج فانه
يجد الدواء لديه عين الداء (١)

● معركة مع الاستعمار واعوانه الذين نظروا الى هذه الكلية نظرة توجس وحذر ، باعتبارها حصنا للعربية ، ومنارا للقومية ، ولان ابناءها ينتشرون فى طول البلاد وعرضها ، وينشرون العلم والنور بين أبناء الامة فى جد وصدق . ومن هنا بدأ التضييق على خريجيها ، فحيل بينهم وبين المناصب الرفيعة فى وزارة المعارف . وسن « دنلوب » المستشار الانجليزى والمصرف الحقيقى لشئون التربية والتعليم سنة الفصل بين ابناء دار العلوم ونظرائهم من خريجى المعاهد الاخرى فى المناصب والدرجات ، فشبت بذلك نار الفتنة بين أبناء البلد الواحد الذين يتعاونون على اداء خدمة وطنية واحدة .

ولكن هذه الخطوب كانت من أهم العوامل فى تطوير دار العلوم وتجديد نشاطها العلمى على مر الزمان ولا سلاح لها الا العمل المؤمن الجاد .

وبعد ، فهذه كلية دار العلوم التى صمدت فى وجه الخطوب وكتب الله لها الحياة والبقاء كما تعهد رسالتها بالبركة والنماء حتى اصبحت احدى مفاخر جامعة القاهرة ، وواسطة العقد بين كلياتها العاملة تتابع دورها فى اداء رسالتها الخالدة .

وقد كانت ولاتزال جديرة بتحية امير الشعراء أحمد شوقى لها فى عيد من اعيادها الماضية سنة ١٩٢٧ بقصيدة من قصائده الجياد منها قوله مشيدا بجهودها العربية والاسلامية وبآثارها فى الحفاظ على اللغة العربية الفصحى :

وجمعت السعادتين فبانت
فيك دنيا الصلاح للدين خدنا
لو تسترت كنت كالكعبة الغر
اء ذيلا من الجلال وردنا
ان تكن للثواب والبر دارا
أنت للحق والمراشد مغنى
يا عكاظا حوى الشباب فصاحا
قرشيين فى المجامع لسنا
فتية محسنون لم يخلفوا العـ
ـم رجاء ولا المعلم ظنا
كلما سار للكهولة شعرى
الشدوه فعاد أمرد لدنا

(١) المواهب الفتحية ٩/١.


الشيخ علي القصبجي:
مواهب

الفنانون والأزهر

كمال النجمى

بعض هؤلاء الفنانين ينتسب الى الازهر بالتخرج فيه ، وبعضهم ينتسب اليه بالاخذ عن شيوخه وخريجيه ، او ينتسب اليه بحكم الجو الثقافي الازهرى الواسع الذى كان مفتوحا لغير الازهريين ايضا .. وقد اشتغل هؤلاء الفنانون بفنهم بعيدا عن الازهر ، ولكن اثره فيهم لازمهم فى حياتهم وفى اعمالهم الفنية التى توجت حياتهم !

الشيخ زكريا احمد : طريقة فنية متميزة



الشيخ سيد درويش : تفوق بالموهبة والابتكار



الشيخ على محمود : تتلمذ عليه الكثيرون



الفنانون
والازهر

قد يبدو في عنوان هذا المقال بعض الغرابة أو بعض المبالغة . فما هي الصلة بين الفن والفنانين ، وبين الازهر المعمور ؟!

ولكن دعني اقل لك شيئا تحت هذا العنوان ، فلعلك تجد في آخر الامر أن الفن المصري ينتسب الى الازهر نوعا من الانتساب لا غرابة فيه ، وان لبث الازهر طوال عمره المديد جامعة لعلوم الدين واللغة والادب وحدها ، واتخذ الفن طريقا مستقلا خاصا .

وحديثنا كله في هذه الصفحات مقصور على فن الغناء ، واهل هذا الفن في عصر يمتد اكثر من مائة عام ، وكلهم انتسب الى الازهر بالتعلم فيه او التعلم منه ، او الاقتباس مما يبعثه خارج جدرانه من النور على سائر الناس .

والغناء ـ كما نعرف ـ يخصه العرب بالحب الشديد منذ الزمان الاول ، وقد ارتبطت أصوله وقواعده منذ الوقت الستين بالشعر العربي ، بل حتى بالكلمة العربية المفردة ، فضلا عن التفعيلة في الشعر ، فضلا عن بحوره المتكاملة التفعيلات والاوزان ..

وتفعيلات الشعر العربي في صميمها ، هي ايقاعات ميلودية مفردة ، قائمة على سلم الغناء العربي او الموسيقى العربية . ولو تجردت هذه التفعيلات على الايقاع العربي لخرجت تماما من الاوزان العروضية العربية القائمة على الصوت العربي ، وعلى اجزائه الدقيقة التي يسميها سادتنا الموسيقيون ، ثلاثة ارباع الصوت ، .. ويسمونها احيانا ـ للاختصار ـ ربع الصوت .

والكلمة العربية المفردة كذلك لا تحيد عن هذه القاعدة ، فان اشتقاق المفردات العربية أساسه التوزين الصوتي في سلم الموسيقى العربية .. وبهذا تختلف اللغة العربية ـ اذ تقوم على الاشتقاق ـ عن اللغات الاوربية القائمة على النحت ويختلف شعرها عن شعرها ، وغناؤها عن غنائها .

ومهما قيل عن تطوير الموسيقى العربية ، فان الحقيقة الثابتة هي أن الكلمة العربية ايقاع .. وبحر الشعر ايقاع .. والوزن اللغوى والوزن العروضى مرتبطان أوثق الارتباط بالوزن الموسيقى .

وهذا الامتزاج الحميم بين الغناء والشعر ، متصل من قديم باسباب أصيلة عميقة في تاريخ الانسان العربي ، فلا سبيل الى التفريق بينهما ، الا اذا هجر الانسان العربي لغته وتكلم باللسان الرومي .. مثلا !

وهذا هو السر في أن فن الغناء العربي قد تطور في عهده الذهبي ـ أيام العباسيين ـ وازدهر واستبحر على أيدى موسيقيين ومطربين كانوا ينظمون الشعر أو يتذوقونه تذوقا صحيحا كاسحاق الموصلي وأبيه ، وابراهيم بن المهدى وابن جامع ومخارق وغيرهم ..

● الشيخ محمد شهاب ●

ولما أخذت الامة العربية تنهض وتسترد شخصيتها بعد حملة نابليون على مصر في آخر القرن الثامن عشر ، مست النهضة العربية الغناء والشعر معا . وحمل لواء هذه

النهضة في الغناء والشعر جماعة من النوابغ انتسبوا الى الازهر درجات متفاوتة من الانتساب ..

وظهر في هذه الفترة فنان موسيقى ـ وشاعر أيضا ـ لا ينساه الموسيقيون العرب ولا ينسون فضله في احياء التراث العربي العريق في الغناء ، وهو الشيخ محمد شهاب الدين الذى ظل يبحث وينقب في الموشحات الاندلسية التي اوشكت ان تندثر حتى جمع منها مئات مختلفة المقامات والايقاعات ، دونها في كتابه المعروف باسم « سفينة شهاب » وقد اطلع على هذا الكتاب وتعلم منه جميع فناني الغناء العربي الرواد في السنوات المائة الماضية

• تلاميذ شهاب •

وفوق « سفينة شهاب » عبر تلاميذه ومريدوه بحر الغناء البدائي الذى كان قد حل في عصور التدهور القومي السالفة محل الغناء العربي الحضاري بعد اندثاره على يد هولاكو عند تدميره بغداد ، ثم اندثار ما تبقى منه عند سقوط غرناطة في أيدى القشتاليين في آخر القرن الخامس عشر وانطواء صفحة العرب في الاندلس

واقبل جماعة من خريجي الازهر أو ممن حضروا بعض دروس الازهر ، أو اخذوا عن الازهريين بعض العلم ، فاكثروا من تاليف القصائد والازجال وتلحينها وانشادها .. وكان هؤلاء الطليعة التي اعادت الغناء العربي الى اسلوبه الحضاري الاول ، بعد أن طغت عليه الاغاني الغجرية والعثمانية والفارسية وغيرها مئات السنين واوشكت مقاماته وايقاعاته واساليبه أن تضيع لولا ما بقى منها فيما استخدمه الفنون الشعبيون والفلكلوريون المجهولون في اغاني الافراح والاناشيد الحزينة في الحقول او في الاعمال الحرفية بالمدن ، أو في انشاد قصص أبي زيد الهلالي وما اليها

وهكذا كان لهؤلاء المشايخ ذوى الفطرة الفنية الحساسة النابغة اكبر الاثر في رد الغناء العربي الى اسلوبه الكلاسيكي او الحضاري الذى كاد يندثر .. وارتبط عملهم العظيم في هذا المجال بالنهضة الشاملة في الشخصية القومية للامة .. وكان فضل هؤلاء الفنانين المشايخ على الغناء ، قريب الشبه بفضل محمود سامي البارودى على الشعر ..وتحرر الغناء العربي من آثار عصور التدهور القومي التي عبثت بكل تراث عربي ، فني أو أدبي .

ولا يثير دهشتنا الآن ارتباط نهضة الغناء العربي بنهضة الشعر العربي ، في زمن واحد ، فان الغناء ـ كما أسلفنا ـ هو قرين الشعر عندنا نحن العرب . كما لا يثير دهشتنا أن المشايخ هم الذين انهضوا الغناء وانهضوا الشعر معا ، فان المشايخ كانوا خلاصة مثقفى الامة الغيورين على تراثها القومي .. واذا تذكرنا اليوم أساتذة البارودى في الشعر والادب ، قلنا ـ بلا حرج ولا مغالاة ـ أن البارودى « المطربش » كان شيخا يتخرجه في الادب والشعر على أيدى الازهريين وكتبهم .

• الحامولي وشيوخه •

واذا استقصينا ما صنعه الفنانون المنتسبون بثقافتهم الى الازهر ، في مجال نظم الاغنية وتلحينها وغنائها ، فضلا عن تلحين القطع الموسيقية من بشارف ودواليب وسماعيات ولونجات وتحميلات ، لما اتسعت لنا هذه

الصفحات . فلعلنا نقنع باستعراض سريع ولكنه شامل بقدر الامكان لهؤلاء الفنانين وأعمالهم ..

وقد تبلغ هدفنا هذا اذا بدأنا بأكبر مطرب عرفه العصر الذى بلغ فيه الفنانون المنتسبون بثقافتهم أو زيهم الى الازهر، قمة فى النضج الفنى مازالت تثير اعجابنا كلما سمعنا ما تنشده فرقة الموسيقى العربية من تراث هؤلاء الفنانين الموهوبين .

كان عبده الحامولى أكبر مطربى ذلك العصر الذهبى - منذ مائة عام تقريبا - ولم يكن أزهريا بنشأته ولكنه اكتسب علمه ورهافة حسه من الازهريين، وغنى اشعارهم والحانهم، فنظم له اغانيه عدد من المشايخ، من بينهم الشيخان على الليثى وعلى أبو النصر - وكانا من اشهر اهل زمانهما - والشيخ عبد الرحمن قراعة مفتى مصر حينذاك، والشيخان محمد الدرويش واحمد وهبة وكانا من اشهر مؤلفى الاغانى ..

وألف الاغانى ولحنها لعبده الحامولى شيوخ آخرون، مع أن الحامولى نفسه كان من أكبر الملحنين، لان الفن كان مرتبطا بأولئك الفنانين الذين انتزعوا بأعمالهم الفنية الكبيرة احترام مجتمعهم، فانضم اليهم فى التأليف للحامولى، اثنان من أشهر باشوات العصر وهما محمود سامى البارودى واسماعيل صبرى .

• الشيخ المسلوب •

ومن لحنوا للحامولى الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب الذى كان فى عصره من أعظم الملحنين .. **وقد تعلم فى الازهر ثم اشتغل منشدا فى الموالد، ولما نضجت موهبته اتجه الى الغناء والتلحين، وبرع فى تلحين التواشيح حتى قيل أن أحدا من الملحنين لم يبلغ مستوى الاندلسيين فى تلحين التوشيح كما بلغه الشيخ محمد المسلوب**

وأشهر ما بقى لنا من تواشيح الشيخ المسلوب، توشيح « لما بدا

محمد سالم العجوز : لم يكن افنديا الا بالطربوش .



الفنانون والازهر

يتثنى ، الذى يعتبر مثــــالا فى دقة الصنعة وحلاوتها وسهولتها وامتناعها .. وقد جمع هذا التوشيح صورا كثيرة للموسيقى والغناء العربى ، ويتمثل فى صيغته أو « فورمته » أرقى ما بلغته الموسيقى الاوروبيـــة ، وهى صيغة « الروندو » .. ويتفق تكوينه الفنى مع الموسيقى العربية فى الوقت نفسه اتفاقا سليما ، وتتمثل فى نغماته وايقاعاته مقدرة الشيخ المسلوب الفائقة ، حتى لقد ذهب بعض من هالتهم دقة وحلاوة هذا التوشيح الى القول بأنه مـــن التواشيح الاندلسية القديمة لا مـــن تلحين الشـــيخ المسلوب .. ولكن « الادوار » التى لحنها الشيخ المسلوب لا تقل روعة عن تواشيحه ، فهل كانت هــذه الادوار أيضـــا من تلحين الاندلسيين ؟!

● الشيخ المنيلاوى ورفاقه ●

وكثر بعـد انقضاء أيام الحامولى أهل الفن من ذوى النسب القريب الى الازهر أو النسب البعيـد ، فكان من بينهم مطربون وملحنون وعازفون على العود والقانون والناى ..

ووثب الى قمة فن الغناء الشـيخ يوسف المنيلاوى ذو النشأة الازهرية ، وقد غنى من الحان الحامولى كما غنى من الحان الشيخ المسلوب والمشايخ الآخرين

واستفاد الشيخ المنيلاوى من غنـاء الالحان الكثيرة المتقنة التى خلفهـا الملحن الكبير محمد عثمان ــ توفى سـنة ١٩٠٠ ــ لطربى بدايات القرن العشرين ، حتى نسبت بعض هــذه الالحان الى المنيلاوى ، ولكن المنيلاوى كان حريصا دائما على أن ينسب هذه الالحان الى صاحبها رحمه الله .. وهكذا كانت أخلاق ذلك الرعيل مـن الفنانين الاصلاء ..

وعرف عصر المنيـلاوى كثيرا من المغنين والملحنين والعازفين البارعين ، كالشيخ سيد الصفتى ، والشيخ محمد الشنتورى ، والشيخ خليـــل محرم ، والشيخ على القصبجى ــ والد الملحن الكبير محمـــد القصبجى ــ والشيخ أحمد ادريس .. وبدأ « الافنـــدية » يتكاثرون بين المشايخ ، فكان اشهر المطربين الافندية عبد الحى حلمى ، ومحمد افندى سالم العجوز الذى لم يكن افنديا الا بالطربوش على رأسه ، أما زيه فكان ازهريا .. وقـــد عاش الشيخ العجوز أو العجوز افندى الى سن المائة أو فوقهـا بعشر سنوات ــ كما يقال ــ ولبث طوال هــذا العمر المديد يغنى !

● الشيخ سلامة ●

وفى ظل هؤلاء الفنـــانين الموهوبين نشأ شيخ آخر ملأ صيته الآفاق هو الشيخ سلامة حجــازى الذى استبدل بالزى الازهرى زى الافندية ولكنه ظل يحمل لقب « الشيخ » الى آخر حياته ، وبعد حياته ، لان نشأته كانت دينيـــة .. وكان مؤذنا فى شبابه .. فلمـــا احترف الغناء أحدث فيه انقلابا ، لانه لم يكتف بالغناء فى الافراح والحفلات الخاصة ، بل انشأ مسرحا غنائيـا ، ونقل الغناء من الصالونات والسرادقات الى المسرح ..

ولم يكن مسرحه فى الحقيقة مسرحا غنائيا بالمعنى الفنى الذى نعرفه الآن ، بل كان مجرد اتجاه الى المسرح الغنائى من ناحية الشكل ، وبقيت الصـــانه المسرحية على الوضع الفنى القديم : مجموعة من الادوار والاغانى ، وكان يغنى على المسرح كل ما يطلبه منـــه المتفرجون بغض النظـــر عن سياق المسرحية وقصتهـــــا ، فاذا طلبوا ــ مثــلا ــ ليـــالى ومواويل ، قطع

التمثيل وغنى لهم ما طلبوه حتى يكتفوا ، ثم يعود الى ما قطعه من مسرحيته وحكايتها ..

● الشيخ سكر والشيخ على ●

وبرغم ظهور « المسرح الغنائى » فى ذلك العهد ، فان المشايخ استمروا فى مذهبهم الغنائى ..

بعضهم ، كالشيخ اسماعيل سكر استمر فى طريقة « الانشاد » فى الموالد ، وقد تتلمذ على يديه «مطربون» استفادوا من طريقته المحكمة فى الانشاد ، كما تتلمذ على يديه ملحنون كان من ابرعهم والمعهم الشيخ زكريا احمد

واذا كان الشيخ اسماعيل سكر هو امام المنشدين فى عصره ، فان الشيخ درويش الحريرى كان استاذ الملحنين والمطربين ، وقد تتلمذ على يديه كثير من الاصوات الرجالية والنسائية ، وله « تركة » لا يستهان بها من الالحان ، ولكن دوره الحقيقى كان دور الاستاذ لمطربى وملحنى عصره

ويمكن اعتبار الشيخ على محمود امتدادا للشيخ اسماعيل سكر فى الانشاد ، ولكن الشيخ على محمود ، غنى أيضا واعتبره معاصروه مغنيا وملحنا لا مجرد منشد أو « موالدى » بارع كسلفه الشيخ سكر ..

ومن يستمع الآن الى قصيدة « يانسيم الصبا تحمل سلامى » التى سجلها الشيخ على محمود على اسطوانة قبل اربعين عاما – وهى تمثل مذهبه الفنى خير تمثيل – يجد أن الشيخ على محمود قد خطا الى الغناء خطوة ، ولكنه لم يقطع صلته بالانشاد كما كان معروفا عند الشيخ اسماعيل سكر

وعلى يد الشيخ على تتلمذ الكثيرون من مطربى وملحنى العشرينات والثلاثينات ، بل تتلمذ عليه أيضا محمد عبد الوهاب الذى أصبح زعيم التجديد فى الغناء العربى الحديث ، وقطع كل صلة بفن الانشاد القديم

وفى عصر الشيخ على كان الشيخ أمين حسنين أو « حسانين » يحاول أن يجارى المطربين اكثر مما يجارى المنشدين .. وتكاد بعض الاسطوانات الباقية لنا من الشيخ أمين حسنين توهمنا بأنه كان من المطربين « الافندية » لنزوعه الى « التجديد »

فى بعض اغانيه نزوعا شديد الوضوح .. ويبدو أن السبب فى ذلك أن عبد الوهاب كان قد سيطر على الاسماع بطريقته الجديدة ، وكان لابد لمن يريد أن يعيش فى أسماع الناس ، من مجاراة هذه الطريقة بما فى وسعه !!

ومع ذلك ، بقيت طريقة الشيخ على محمود فى الانشاد الى اليوم عند المخضرمين أمثال الشيخ محمد الفيومى الذى يغنى لنا الى اليوم أو ينشد بطريقة الشيخ على ، ويكاد احيانا لا يخرج عنها قيد أنملة ، فتذكرنا جودة أدائه وحلاوة صوته بما كان فى سالف الاوان من شيخه النابغة الموهوب

● الشيخ ابو العلا ●

وللشيخ ابو العلا محمد صفحة خاصة فى الغناء العربى خلال نهضته المعاصرة ، لانه كان استاذ

كوكب الشرق أم كلثوم في بدايةحياتها الفنية ..

ومن المصادفات العجيبة أن قصيدة « وحقك أنت المنى والطلب » التى لحنها وغناها الشيخ ابو العلا ناسجا فيها على منوال عبده الحامولي ، هى من تأليف الشيخ عبد الله الشبراوى الذى كان شيخا للأزهر فترة من القرن الثامن عشر ، وكانت له قصائد وتواشيح غناها مطربو عصره ..

وبعد أن غنت أم كلثوم هذه القصيدة وغيرها من الحان الشيخ ابو العلا محمد ، اتجه الشيخ الى التدقيق فى اقامة التوافق بين الكلام والالحان ، فأخرج تحفته الرائعة : « أفديه ان حفظ الهوى أو ضيعا » .. غنتها أم كلثوم منذ أربعين سنة فكانت من أجمل الالحان التى تكامل فيها التوافق بين الشعر والغناء .. فقد وضع الشيخ أبو العلا الكلام واللحن فى وعاء واحد ، وأتاح للصوت أن يستعرض كل قوته وجماله واقتداره .. وعلى هذه الصورة الرائعة كان الغناء العربى الاصيل فيما حدثنا به أبو الفرج الاصبهانى فى كتابه « الاغانى » ..

واسهم الشيخ ابو العلا - من خلال صوت ام كلثوم - فى تخليص الغناء العربى نهائيا من العجمة العثمانية والفارسية والغجرية التى عبثت بحناجر المطربين والمطربات فى مصر والبلاد العربية مئات السنين ..

ولم تكن هذه الوثبة الفنية فى الغناء العربى مستمدة من الغناء الاوربى ، بل كانت قائمة على انبعاث الطريقة العربية الحضارية فى الغناء .. وكان صوت أم كلثوم من اهم العوامل التى جعلت نجاح هذه الوثبة مؤكدا ولا جدال فيه ..



الشيخ محمد الشنتورى : زميل الفنانين الاصلاء .

ام كلثوم : الوثبة الفنيـة فى الغنـــاء العربى . .



● الشيخ سيد درويش ●

ولا داعي بطبيعة الحال للافاضة في الحديث عن الشيخ سيد درويش ، فان الكلام عنه يتجدد عوداً على بدء بلا انتهاء ‥ حسبنا أن نقول عنه في هذه الصفحات انه لم يدخل الازهر ، ولكنه تعلم في الكتاتيب التي كانت تعد تلاميذها للالتحاق بالازهر ‥ وارتدى العمامة والقفطان وعاش الى أخريات حياته شيخا بالاسم والمظهر ، ولم يتطربش ويتفرنج في ثيابه الا في السنوات القلائل الأخيرة من حياته القصيرة الحافلة ‥

كان الشيخ سيد درويش موهوبا بكل معنى الكلمة ، فاستوعب في عمره القصير تراث الغناء ، وصنع مئات من الادوار والتواشيح والطقاطيق والمونولوجات مازالت تحير سامعيها بدقة صنعها وجمال تركيبها ، وقد اتم سيد درويش أكثر هذه الاعمال الفنية العظيمة التي توجها بالحانه المسرحية ، وهو دون الثلاثين من عمره ، ولما مات قبل أن يبلغ الثانية والثلاثين ، كانت غزارة انتاجه تلحينا وغناء قد ساوت بينه ، من حيث الكم ، وبين من عاشوا الى ما بعد الستين من ملحني عصره · وتفوق على الكثيرين منهم بموهبته غير العادية وابتكاراته ‥

ولم يكن سيد درويش بلا اساتذة كما يتصور بعض محبيه ومريديه ، لانه علم نفسه بالاستماع الى الحان كبار الملحنين ، كما استفاد من الشيخ على ابراهيم ضارب الدف ، أو « الرق » الذى كان حجة في الادوار والموشحات ، بصيرا بالايقاعات والمقامات · فالحقه سيد درويش بفرقته وتلقن منه كل ما استطاع أن يتلقنه ، واضافه الى محصوله القديم من ملحني مصر والشام

وممن يذكر في مجال العلم بالادوار والتواشيح والايقاعات والمقامات الشيخ محمود صبح الذى عاش الى بداية الاربعينات وكان فضلا عن كونه حجة في العلم بالالحان صاحب صوت من أوسع الاصوات مساحة ‥

محمد القصبجي : من أوائل دعاة التجديد .



الفنانون والازهر

الشيخان زكريا والقصبجي

بقى شيخان هما : زكريا احمد ومحمد القصبجي .. كلاهما لبس العمامة والقفطان ، ونشأ في الازهر او على مقربة من الازهر ، ثم تحول الى الفن وبرع فيه ووهب له حياته .

لم يتح لزكريا احمد أن يمضى فى دراسته الازهرية الا قليلا ، ثم انضم الى بطانات المنشدين ، ودخل فى فرقة الشيخ اسماعيل سكر ، وتعلم منه الكثير ، ثم تتلمذ على يد الشيخ المريري .. واشتغل زكريا بالغناء والانشاد والتلحين وهو بعد شيخ لم يتحول الى زى الافندية ، ولما تحول الى هذا الزى لم يفارقه لقب «الشيخ» فعاش الى آخر حياته يحمله سعيدا به فخورا ..

والشيخ زكريا الذى توفى منذ سنوات قلائل ، كان بقية الرعيل الاول الذى جدد الغناء العربى والموسيقى العربية ، وكان فى الحانه أمة وحده ، لا ينازعه طريقته أحد .

عاش زكريا أحمد فى عصر التجديد العاصف الذى قاده عبد الوهاب وملحنو جيله ، ولكنه لم يتزحزح عن طريقته . فلحن بها لام كلثوم واصوات أخرى كثيرة ، **وكان وسط ذلك التيار العاصف من التجديد ممثلا لفن التلحين العربى فى اصالته .**

أما الشيخ محمد القصبجي الذى

الشيخ سيد النقشبندى: استاذ فى الانشاد



خلع العمامة والجبة ليدخل فى زمرة الملحنين الافندية ، وهو بعد شاب صغير ، فقد كان ميله الى التجديد فى الغناء العربى واضحا ، بل كان من اوائل دعاة التجديد ، **ويعتبر مونولوج « ان كنت اسامح » الذى لحنه لامكلثوم قبل اربعين عاما أعلى صيحة للتجديد الغنائى فى ذلك العهد ..**

وبعد أن نجح هذا اللحن نجاحا هائلا ، واصل القصبجي النسج على منواله فى التجديد ، فلحن لام كلثوم مجموعة كبيرة من اجمل اغانيها ، انتهت باغنية « رق الحبيب » التى لحنها سنة ١٩٤٦ ثم توقفت قريحته ـ رحمه الله ـ عن التلحين على هذا المستوى الرفيع الذى عرف به خلال اكثر من عشرين عاما لحن خلالها لام كلثوم ومنيرة المهدية وفتحية أحمد وليلى مراد وأصوات أخرى كثيرة .

بقى أن نقول ان هؤلاء الفنانين الكبار الذين انتسبوا الى الازهر تمكنوا من اعادة « تعريب » الغناء العربى ، فان العجمة الطويلة التى رانت على الامة العربية فى ماضيها ، اقتضت حملتين من حملات «التعريب» .. احداهما فى الغناء ، والاخرى فى الشعر والادب والثقافة . وقد تمت الحملتان معا بفضل الازهريين ، والفنانين الذين كانوا فى الاصل من ابناء الازهر او من القريبين الى الازهر وابنائه .. ومازلنا نسمع منهم الشيخين النقشبندي وسيد مكاوى .

وقد ذكرنا فى هذا العرض السريع كثيرا من هؤلاء الفنانين الرواد ، ولكن هناك اسماء غابت عنا أو لم نذكرها .. حسبهم أن اعمالهم الفنية قد دخلت تاريخ بلادهم وشاركت فى النهاض لفن عريق من فنون الامة العربية يتصل بوجدانها وشخصيتها وقد حاولنا هنا ان نرى تاريخهم كله بنظرة واحدة ونسمع اصواتهم فى نشيد واحد ..

■ عبد العزيز الدسوقي ■

لم يتح لى ان اقف بنفسي على الظواهر الادبية والفنية فى مصر عبر القرنين السابع عشر والثامن عشر . وربما النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وانما كنت اكتفى بالاحكام التى انتهى اليها الدارسون من قبـــلى ، وارددا قوالهم عن شعراء هذه الفتـرة وادبائها ، وكانت فى اغلبها احكاما قاسية ، تتسم بطابع التعميم ، فالادب فى هـــذه الفترة ادب متخلف منحط ، والادبـــاء والشعراء نظامون ، اسلوبهم ركيك ولغتهم رديئة وصورهم الشعرية باردة لا ماء فيها ولا رواء .. الى اخر هـــذه الاحكام التى ظللت ارددها ، حتى طلب الى الصديق الشاعر صالح جودت ان اكتب عن شاعر من الازهر ، واختــار لى الشــاعر « حسن العطار » . وبدات اتعرف على تاريخ الرجل وخلفيته الثقافية ، قبل ان الج عالمه الفنى .

شاعر من الأزهر

حسن

● "إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها."

حسن العطار

عجائب وغرائب

وهالني أن أجد تاريخ الرجل حافلا بالعجائب والغرائب ، فهو أستاذ رفاعة الطهطاوى رائد الفكر الحديث فى مصر . وهو الذى اختاره اماما لاول بعثة ارسلها محمد على الى فرنسا . ويحدثنا رفاعة الطهطاوى : أن أستاذه العطار هو الذى طلب اليه قبل رحيله الى فرنسا أن يدون انطباعاته ومشاهداته فى تلك البلاد . فسجلها فى كتابه « تخليص الابريز » .

ويقول عنه : « كان للشيخ حسن العطار حظ فى العلوم العصرية حتى العلوم الجغرافية ، وانه وجد بخطه هوامش جليلة على كتاب تقويم البلدان لابى الفداء . وهوامش اخرى على اكثر كتب التاريخ وطبقات الاطباء وغيرها . وكان يطلع على الكتب المعربة ، وله ولع شديد بسائر المعارف البشرية . وله بعض تاليف فى الطب وغيره (١) » .

وبدأت أتشكك فى الاحكام السابقة التى كونتها بصفة خاصة عن « حسن العطار » ، فرجل بمثل هذه التجارب الثقافية الواسعة لا يمكن أن يكون متخلف التفكير ، ولا يمكن أن يكون أدبه بهذا الوصف الظالم الذى كنت أنعته به .

ويبدو أننا نرتكب اكبر الاخطاء ، عندما نعزل الظواهر الادبية والفنية عن سياقها التاريخى ونحكم عليها أحكاما مطلقة مجردة ولهذا فقد تجردت من كل أحكامى السابقة وبدأت أعيش فى عالم العطار .

حياة متعددة الجوانب

وقبل التعرف على عالمه العلمى والفنى لابد من وقفة قصيرة لنتعرف على حياته . ويحدثنا صاحب « كنز الجوهر فى تاريخ الازهر » أنه ولد فى القاهرة عام (١١٨٠هـ) وكان والده الشيخ محمد عطارا فقيرا له المام بالعلم ، وكان يستعين بولده حسن فى البيع والشراء ويستخدمه فى صغار شئونه ... ثم حفظ القرآن والتحق بالازهر وجد فى التحصيل على كبار المشايخ كالشيخ الامير والشيخ الصبان وغيرهما حتى بلغ من العلوم فى زمن قليل مبلغا تميز به واستحق التصدى للتدريس لكنه مال الى الاستكمال فاشتغل بغرائب الفنون والتقاط فوائدها . ولما دخل الفرنسيون الى مصر فر الى الصعيد كما فعل

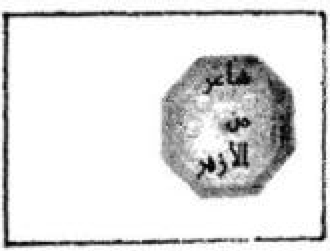
(١) مناهج الالباب المصرية ٣٧٦ طبعة ثانية (الطهطاوى) .

العطار ...

بعض العلماء ، لكنه عاد بعد ذلك واتصل بهم وتعلم من معارفهم ووقف على بعض علومهم وعلمهم اللغـــة العربية · ثم ارتحل فى تلك المدة الى الشام واقام بدمشق زمنـــا واتصل بعلمائها وشعرائها ·

وقد تولى مشيخة الازهر بعد وفاة الشيخ الدمهوجى (١٢٤٦ هـ) وظل شيخاً للازهر حتىاخر عام (١٢٥٠هـ) حيث انتقل الى رحاب الله ·

ويقول عنه صاحب « كنز الجوهر » ص ١٤٠ : « وساح فىبلاد كثيرة ولم يزل مشتغلا بالافادة والاستفادة حتى عاد الى مصر بعلوم كثيرة واقر له



علماء مصر بالانفراد ··· وله تاليف عديدة · منهـــا حاشية على جمع الجوامع فى الاصول · وحاشية على الازهرية فى النحو ، وحاشية على مقولات السجاعى · وحاشـية على السمرقندية ، ورسالة فى كيفية العمل بالاسطرلاب والربعين المقنظر والمجيب والبسائط ، وله رســـائل فى الطب والتشريح وغير ذلك (١) » ·

ونحن نلاحظ أن حياة الرجل كانت غنية متعددة الجوانب فهذا العطـــار الفقير الـــذى كان يشتغل فى دكان والده تمكن من أنيصل الى قمةالحياة السياسية والعلمية ، فـــكان شيخا للازهر وكان محمد على يستشيره فى الشئون العلمية · وهو الذى رشح له « رفاعة الطهطاوى » ليكون اماما لاول بعثة علمية ارسلها الى فرنسا ·

ثم هو الى جانب تضلعه فى علوم اللغة والدين ، عالم بالطب والتشريح والصناعات الحديثة فى ذلك الزمان · وله ولع شديد بالاطلاع على الكتب الترجمة ، ومن خلالها الم بالحضارة الغربية والثقـــافة الفرنسية · وبذلك يكون العطار من الم مثقفينا فى ذلك الزمان · وهو بهذا وحده جدير بأن يتبوأ منزلة رفيعة بين رواد نهضتنا ·

ولكن العطار لم يقف عند هذا الحد بل كان له تصور جديد فى الثقـــافة والحياة ، لخصه فى قوله « ان بلادنا لابد أن تتغير أحوالها · ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها (٢) » ·

ثم يتعجب بعـــد ذلك كيف وصلت فرنسا الى تلك المعـــارف والعلوم ، ويعجب بكثرة كتبهم وتحريرهاوتقريبها لطرق الاستفادة ! ولا شك أن هـــذا التصور كان يعتبـــــر ثورة فى تلك

---

(١) سليمان رصد الحنفى ـ كنز الجوهر فى تاريخ الازهر ص ١٤٠.
(٢) على مبارك ـ الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٣٨

●● كان يصوّر نوازع قلبه وأشواق روحه ، دون أن يضع فى اعتباره منصبه الدينى الكبير كشيخ للأزهر ...

الايام . فالرجل يدعو الى تغيير الحياة والثقافة والحضارة ·

والاستفادة من التيارات الثقافية والعلمية التى عند الامم الناهضة ·

● الروح المصرية العذبة ●

فلا عجب أن يكون هذا الشيخ الجليل ، وهو شيخ للأزهر وامام للمسلمين ، شاعراً ، يكتب فى كل

الاغراض حتى فى الحب ··· ولهذا لابد من الوقوف عند تجربته الفنية

طويلا ودراستها على ضوء جديد فى سياق عصرها بعيدا عن التعميمات

الطاقة المرهفة ، وقد عشت فى ديوانه المطبوع عدة أيام وتمكنت من الوقوف

على بعض الخصائص التى تميزه عن غيره من شعراء ذلك الزمان ·

● فشعره يتمتع بتلك الروح المصرية العذبة ·

● وله ولع بوصف الطبيعة بكل مظاهرها ·

● ثم هو يلجأ فى بعض الاحيان الى التصوير البيانى الرشيق ·

● وقد تخفف الى حد ما من الاعيب الصنعه ·

● وقد صور شعره كثيرا من خبراته العلمية ورحلاته المتعددة وبطبيعة الحال لم يخل شعره من الاغراض التقليدية التى كانت سائدة

فى ذلك الوقت · ولم يصل معظم شعره الى تلك الاساليب الرائعة التى وصلت اليها مدرسة البعث · والتى أعادت الى الشعر العربى ماءه ورواءه ·

ولكنه لم ينحط الى المحاكاة الباردة التى وصلت بالشعر الى نوع سخيف من الحيل والاعيب الصناعة · وفى رايى أن العطار حاول ـ قدر طاقته

الفنية ـ أن يجسد فى موضوعات الشعر ، وأن يتمرد على السابقين .

●● ديوان العطار ، حافل بتصوير الطبيعة ومباهجها يتميز برؤية شعرية متقدمة تنظر الى الناس من خلال أفعالهم وسلوكهم ، لا من خلال طبقاتهم وانسابهم ...

شاعر من الأزهر

فهو لا يريد أن يبكى ، بسقط اللوى بين الدخول وحومل ، كما بكى امرؤ القيس ، ولكنه يصف رياض الشام ومتنزهاتها فيقول :

بوادي دمشق الشاهجزيي اخا البسط
وعرج على باب السلام ولا تخط

ولا تبك ما بكى امرؤ القيس حوملا
ولا منزلا أودى بمنعرج السقط

فان على باب السلام من البهـا
ملابس حسن قد حففن من العط

هنالك تلقى ما يروقك منظـرا
ويسلى عن الاخوان والصحب والرهط

عرائس اشجار اذا الريح هزهـا
تميل سكارى وهي تخطر في مرط

كساها الحيا اثواب خطر فنثرت
بنور شعاع الشمس والزهر كالقرط

واذا كان العطار لم يتوصل الى تجديد حقيقى فى شكل القصيدة أو مضمونها فانه قد أحس الحاجة الملحة الى التجديد ودعا الى مخالفة الاقدمين وعدم السير على نهجهم ، وليس هذا بالشيء القليل ، فقد ظلت دعوات التجديد فى الشعر العربى فى مصر حتى وقت قريب مجرد تصورات نظرية ولم تتحقق بصورة فنية الا فى ثلاثينات هذا القرن .

● رؤية شعرية متقدمة ●

وقد كان العطار كلفا بكتابة المطولات فى شتى الاغراض ، ومن قصيدة له يمدح فيها صديقه « أبا القاسم المغربى » شيخ رواق المغاربة :

انهض فقد ولت جيوش الظلام
واقبل الصبح سفير اللثام
وغنت الورق على ايكهـا
تنبه الشراب لشرب المدام
والزهر اضحى فى الربا ناعسا
لما بكت بالطل عين الغمام
والغصن قد ماس بازهاره
لما غدت كالدر فى الانتظام
. . . .
كانما الورقاء لما شدت
تتلو علينا فضل هذا الامام

ولم يقتصر شعره على هذا النمط اللون ، بل كان له شعر بعيد عن الصنعة يحاول فيه أن يصك بعض الحكم ... يقول فى تهنئة صديق له أبعد عن نقابة الاشراف ثم عاد اليها :

الحمد لله على فضله
قد رجع الحق الى أهله
واخضر روض الفضل ذا بهجة
من بعد ما اقلق من محله
قد يطلب الحسناء من لم يكن
كفؤا لها .. للحمق فى عقله

ومنها :

قد يتساوى اثنان فى منصب
وانما التفريق فى سبله
ويفخر المرء بافعاله

سيبقى هذا الشيخ الشاعر أكبر من شعره ، وستظل أفكاره وآراؤه فى الثقافة والحضارة منارة للأجيال..

لا بالذى قد مات من أهلـــه
وقــد يسود الشـــخص اباءه
ويشرف الفـــرع على أصــله
وقد نرى فرعين من دوحـــة
تخالفا فى الحــكم · مع بطله
فالخل والخمر عصير وقـــد
يابين هــــذا ذاك فى فعــله

وفى هــــذه القصيدة رؤية شعرية متقدمة تنظر الى الناس من خـــلال افعالهم وسلوكهم لا من خلال طبقاتهم واحسابهم وانسابهم ·

وديوان العطـــــار حافل بتصوير الطبيعة ومباهجها · وقد صور بركة الازبكية وما حولها من قصور واشجار ومسرات فى قصيدة منها :

بالازبكيـــة طـــابت لى مسرات
ولذ لى فى بديع الانس اوقـــات
حيث المياه بها والفلك سابحة
كأنها الزهر تحويهـــا السموات
وقد ادير بهـــا دور مشيدة
كأنها لبدور الحسن هـــالات
والماء حين سرى رطب النسيم به
وحل فيه من الادواح زهـــرات
كسابغات دروع فوقهـــا نقط
من فضة واحمرار الورد طعنات

ثم هو بعد ذلك كله يصور نوازع قلبه وأشواق روحه دون أن يضع فى اعتباره منصبه الدينى الكبير كشيخ للازهر ، وقد نظم أكثر من قصيدة فى الغزل ومنها :

أعن الحب نـــاك عنه وجيبه
أم قد دعاك الى البعاد رقيبـــه
هجر الكرى لمــا هجرت وواصلة
ه شجونه وازداد فيه نحيبـــه
لم يجن ذنبا فى هواك وانمـــا
قد كان بالهجران منك نصيبه
افقرته من حسن وصلك بعدما
جادت عليك دموعه ونســـيبه
افلا رثيت لعـــــاشق لعبت به
ايدى النوى ونازعته خطـــوبه
انت النعيم له ومن عجب تعـــذ
به وتعرضـــــه وانت طبيبـــه

والذى يطرق هــذه المعانى ويتذلل للحبيب كل هذا التذلل ويطلب وصاله ورحمته ، ويشكو صده وهجره دون أن يخشى قالة السوء ، أو أن يضع فى حسبانه ما يجب لأمثـــــاله من الشيوخ الاجلاء من التوقر والبعد عن الريب والظنون ، لجـــدير أن يكون أعجوبة الاعاجيب ، وخليق أن نعاود النظر فى شعره من جديد وفى ضوء ظروفه وتجاربه وظروف عصره ، لا أن نكتفى بتلك الاحـــكام الجاهزة التى نرددها فى كل المناسبات ·

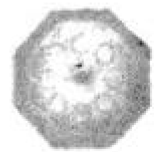
وأعتقد أن القرنين الثـــامن عشر والتاسع عشر فى حاجة الى مثل هذه المعاودة المتأنية فى الدراسة والحكم ·

ولكن ــ مع ذلك ، وبعـــد ذلك ــ سيبقى العطار اكبر من شعره وستظل افكاره وآراؤه فى الثقافة والحضارة منارة تهتـدى بهـــا الاجيال · · ·



القمص سرجيوس

صبري أبو المجد



الأزهر «قلعة الوطنية المصرية»

من ابرز مميزات الحركة الوطنية المصرية التى نبتت فى نهاية القرن التاسع عشر واشتد ساعدها مع مطلع القرن العشرين ، انها كانت لجميع ابناء الشعب على اختلاف طبقاتهم ، واديانهم ومعتقداتهم . . وكانت تعتمد على كل فئات الشعب المسلم ، والمسيحى ، الشاب والكهل . الغنى والفقير . العامل ، والصانع ، التاجر والزارع ، الطالب والموظف وكانت قيادات هذه الحركة كما كانت جماهيرها تؤمن ايمانا صادقا بان الدين لله والوطن للجميع .

الأزهـــر
قلـــعة
الوطنيـــة
المـــصرية

بذل الاستعمار البريطانى الكثير من الجهد ، والمال والنفوذ للايقاع بين أبناء الوطن الواحد تنفيذا لمبدئه الاستعمارى الاساسى ، فرق تسد ، فلم يستطع . حيث لم تمكنه جماهير الشعب من تحقيق مخططاته ، لقد كانت جماهير الشعب تؤمن بصدق احساسها ، ودقة مشاعرها ، وعمق وعيها ، ان الاستعمار لا يبغى من وراء التفرقة بين ابناء الوطن الواحد الا استمرار سيطرته ، واحتلاله ، واستغلاله لمصر ولشعب مصر ... وكانت هذه الجماهير - بما فطرت عليه من وطنية صادقة وايمان خالص - تعتقد انه لا نجاح لأية حركة وطنية الا بوحدةوقوة وتماسك الجبهةالداخلية .

ومرة ، لاحت للاحتلال فرصة ذهبيةللايقاع بينالمسلمين والمسيحيين عندما اغتال ابراهيم ناصف الوردانى - من شباب الحزب الوطنى - فى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٢٠ من فبراير ١٩١٠ بطرس غالى باشا ناظر النظار ، واعترف الوردانى فورتسليم نفسه لرجال البوليس ، كما جاء فى محضر التحقيق الذى نشرته صحيفة « الجريدة » التى كان يصدرها وقتئذ الاستاذ احمد لطفى السيد ، انه اغتال بطرس باشا غالى « لانه وقع اتفاقية السودان عام ١٨٩٩ التى اشركت بريطانيا فى حكم السودان ، ولانه رأس المحكمة المخصوصة التى حاكمت ابناء دنشواى ، ولانه اعاد قانون المطبوعات الذى كمم الصحافة وقضى على حريتها ، ولانه عاكس الجمعية العمومية التىكانت تنظر مشروع امتياز قناة السويس الذى كان يؤيده بطرس باشا ، ولانهيحارب الوطنية المصرية » .

ولان القاتل مسلم ، ولان القتيل قبطى ، فقد استغل الاستعمار البريطانى الفرصة للايقاع بين

امين الخولى : خطباء شباب الازهر



عبد اللطيف دراز : علماء خطباء ثوار



عنصرى الشعب ، واقام مؤتمرا طائفيا لخلق الثغرة الطائفية فى مصر ، ولكن هذا المؤتمر فشل ، واقام المصريون مؤتمرا آخر باسم « المؤتمر المصرى » كتب له التوفيق ، فقد راح

المستنيرون من ابناء البلاد من المسيحيين والمسلمين ، يبذلون كل جهد ممكن لحماية الجبهة الداخلية ، وتفويت الفرصة على العدو المحتل .

● أضع يدى فى يد من قتلوا والدى ، ولكنى لا أضع يدى فى يد من قتلوا وطنى . . ●

وكان ممن اشتركوا فى تلك الحملة المستنيرة الاستاذ نصيف المنقبادى الذى كتب خطابا تاريخيا الى رئيس تحرير جريدة الاكلير الفرنسية يقول فيه : اسمح لى بصفتى مصريا أن

أقرر بعض نقاط تتعلق بمقتل بطرس باشا غالى رئيس الوزارة المصرية ، ليس من اختصاصى تقدير عمل ابراهيم الوردانى ولكنى اريد من صميم فؤادى ان ابدد التهم التى اشاعها الانجليز فى العالم فقد

اتهموه بانه « مختل الشعور » ، « قليل الذكاء » وانه « اطاع داعى التعصب بقتله بطرس غالى المسيحى الذى يقولون انه كان حرا ووطنيا » ، انا أعرف الوردانى شخصيا وهو فتى شديد الذكاء كثير المعارف ، ملء صدره الوطنية الحرة ، وليس رجلا

متعصبا ولم يقدم على عمله الا بداعى الوطنية المتحمسة بعد ان ضاق صدره كما ضاقت صدورنا جميعا بالسياسة الانجليزية التى كان بطرس باشا ينفذها باجتهاد ... وأنا بصفتى قبطيا ، أعنى مصريا مسيحيا ، اصرح بأن حركتنا هى حركة وطنية مجردة ترمى الى الترقى والحرية ، وما

تهمة التعصب الا من الاشاعات التى يشيعها الانجليز لتبرير المظالم التى يرتكبونها فى مصر .

وتفشل المؤامرات البريطانية وتبقى الوحدة الوطنية سليمة قوية ، ويعمل المسيحيون الى جانب المسلمين فى الاحزاب ، والمنظمات الوطنية جنبا الى جنب ... وعندما تعلن بريطانيا الحرب على القوى الوطنية اثر قيام الحرب العالمية الاولى يكون المعتقلون المسلمون الى جانب اخوانهم المسيحيين وتكون منافى « مالطة » و « سيشل » وغيرهما للمسلمين المصريين وللمسيحيين المصريين فى وقت واحد .

وتقوم ثورة ١٩١٩ ويشترك فيها المصريون جميعا تحت شعار « وحدة الهلال والصليب » ويوجه احد قادة الانجليز فى مصر اللوم الى نجل بطرس باشا غالى قائلا : كيف تضع يدك فى يد من قتلوا والدك ؟ » فيرد قائلا : « اضع يدى فى يد من قتلوا والدى ، ولكنى لا اضع يدى فى يد من قتلوا وطنى ! »

● الازهر قلعة الوطنية المصرية ●

لقد كانت ثورة ١٩١٩ مختمرة فى قلوب المصريين واشدتهم لما لاقوه من الاحتلال البريطانى وخاصة فى سنوات الحرب العالمية الاولى ، فلم تكد تنتهى تلك الحرب حتى بدأت الطلائع الوطنية المصرية تتأهب للمطالبة بحقوق البلاد ، ولم تكتد السلطات البريطانية تعتقل بعض قادة الحركة الوطنية وعلى رأسهم سعد زغلول ، حتى هب الشعب على بكرة أبيه ـ دون تنظيم أو ترتيب مسبق ـ يعلن الثورة على الاحتلال .

ومنذ ٩ مارس ، بداية الثورة ، والازهر حصن الثورة الحصين ، نقطة

الانطلاق ، اليه تتجه جماهير الشعب، وفي حرمه يلتقون ، ومن فوق منبره يستمعون الي خطباء الثورة وهم يحرضون الشعب على الثورة ضد الاحتلال ... في اليوم الثاني من ايام الثورة ـ ١٠ مارس ـ اذاع الطلبة المنشور التالي : غدا الثلاثاء سيتحرك المظاهرة السلمية الكبرى في الساعة العاشرة صباحا من الازهر الشريف مارة بالاحياء الوطنية تتقدمها الموسيقى برياسة حسب الله والاعلام حتى تكون الساعة الثانية عشرة تماما امام قصر العيني ، وهناك ينضم اليها فريق من المحامين والاطباء والعلماء والمعلمين والموظفين وطلبة المدارس العالية الذين يسرهم ان يكونوا مثالا عاليا للشعب .. »

ومنذ الفجر ـ فجر اليوم التالي لاذاعة هذا المنشور ، كانت جماهير الشعب تزحف الى الازهر ، وكان العلماء وطلاب الازهر يستقبلون الجماهير ويجلسونهم في اماكنهم في نظام رائع ومن فوق منبر الازهر كان خطباء الثورة يلقون خطبهم النارية ، التي تحرض الشعب على الثورة ...

وكان من بين هؤلاء الخطباء : الشيخ مصطفى القاياتي ، والشيخ علي سرور الزنكلوني ، والشيخ محمود ابو العيون ، والشيخ عبد ربه مفتاح ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، والشيخ عبد الباقي سرور ، وكلهم من علماء الازهر ـ ثم القمص مرقس سرجيوس ، والقمص بولس غبريال ،

ومحمد ابو شادي بك ، ومحمد كامل حسين ، ومحمد لطفي المسلمي ، ويوسف الجندي ، وابراهيم عبد الهادي ، وحسن يس ، ومحمد يوسف ، ومحمود عبدالسلام ، ومحمد شكري ومحمد عبد المجيد بدر ، ومحمد امين صدقي ، وزكي مبارك ومحجوب ثابت ، وامين الخولي ،



الشيخ مصطفى القاياتي : مع جماهير الثوار



بطرس غالي باشا : كان ناظر النظار

الأزهر
قلعة
الوطنية
المصرية

وأحمد أمين وغيرهم وغيرهم من شباب الازهر والمعاهد العليا ، والمدارس الثانوية ٠

ويصبح الازهر ، كما يقول استاذنا عبد الرحمن الرافعي طيب الله ثراه ، مكانا عاما للخطابة ، وهو المكان الفسيح الذى لم تستطع السلطة العسكرية اقتحامه ومنع الاجتماعات فيه ويرجع ذلك الى مكانته ومنزلته الدينية ، فكان لذلك ميدانا تبارى فيه الخطباء من كل الطبقات ، وقدظهرت فيه شخصيات برزت بمواهبها الخطابية ٠

● سرجيوس يخطب فى الازهر ●

ووقف مرة على منبرالازهر القمص سرجيوس بملابسه الكهنوتية - وكان اول كاهن قبطى يعتلى منبر الازهر - وبدا يخطب بلهجة حماسية رائعة أثارت انتباه الحاضرين ، وقال : « كنت اسير يوما فى شارع كلوت بك فوجدت اطفالا يلعبون أمام منزلهم فتحدثت معهم حديثا قالوا لى بعده : ان امنا فى المنزل وهناك بعض الجنود يعتدون عليها ، فعجبت لامرهم ، وسالتهم : كيف ذلك ؟٠٠٠ قالوا : وماذا نفعل ؟٠٠٠ فصعدت الى المنزل فوجدت امراة يعتدى عليها جنود انجليز ٠٠٠ اتدرون من هؤلاء الاطفال ومن هى هذه الام ؟٠٠٠ فقال الجمهور : لا ٠٠٠ وقال سرجيوس : « هم فئة الموظفين والام هى مصر » ! عندئذ ثار الموظفون المصريون ، فقال لها : اذن اظهروا شعوركم حيال امكم مصر » ٠٠٠

وكان أن قرر الموظفون الاضراب احتجاجا على السياسة الاستعمارية البريطانية ٠ وكان الموظفون فى بداية الثورة قد اكتفوا بتوقيع عرائض الاحتجاج على اعتقال سعد وصحبه ، ورفعها الى السلطان ، وكان استمرارهم فى عملهم رغم الغليان الشعبى مثار دهشة بالغة ٠٠٠ وكانت بريطانيا تبذل مع الموظفين محاولات معينة لضمهم الى صفوفها ، غير ان كل تلك المحاولات قد باءت بالفشل ، فقرر الموظفون الاضراب فى ٢ ابريل لمدة ثلاثة أيام ، غير ان اندفاع الحركة الشعبية وشمولها لكل جماهير الشعب قد مدت فى أجل ذلك الاضراب ثلاثة وعشرين يوما ٠٠٠

ويروى القمص سرجيوس قصة ذهابه الى الازهر للاشتراك فى ثورة ١٩١٩ فيقول : عندما كنت بالسودان انشأت مجلتى « المنارة المصرية » وجعلت منها متنفسا لارائى التقدمية ، وكانت هى والخطب والعظات التى القيها مثار اعجاب شديد ، وتك اشد ٠ وفى ذات يوم استدعانى مستر مور مدير الخرطوم وقال لى : « ان الحاكم العام للسودان يطلب اليك ان ترحل فى خلال اربع وعشرين ساعة » ٠ فقلت له :

« انا لست فى لندن حتى يأمرنى الحاكم العام بمغادرة البلاد فى اربع وعشرين ساعة ٠ انا هنا فى بلادى وليرحل هو اذا شاء » ٠ فقال : « لا تحرجنى يا سرجيوس ونفذ الامر » ٠ فقلت : « ان الطريقة التى تستطيع بها تنفيذ الامر ، هى ان تضع القيود فى يدى ، وتخرجنى من بلادى فى الجنوب قسرا حتى اشهد العالم على استبدادكم » ٠٠٠ وعمد الرجل الى الملاينة فقلت له : « اننى اريد ان اعرف السبب اولا » ٠٠٠ فقال لى : « لو قلت لك السبب هل تعطينى كلمة شرف تعد فيها بمغادرة البلاد ؟٠٠٠ » ولما وافقت قال لى : « انت بطبعك تنزع الى الحرية ، ونحن نحكم هذه البلاد بالسيف ولهذا فان طبيعتك لا تلائمنا ، وسوف تتعبك وتتعبنا » !٠

وعدت الى مصر فى سنة ١٩١٥

وقبعت فى بلدتى جرجا ، وظللت بعيدا عن القاهرة حتى شب أولادى ، فأردت أن ألحقهم بالمدارس واضطررت للسفر الى العاصمة واخترت لمقامى مسكنا فى حى الفجالة .

وظلت حياتى موزعة بين الدراسة والوعظ والعبادة حتى أحد أيام ١٩١٩ وكنت قابعــا فى بيتى عنــدما سمعت ضجيجا وصخبا فى الشــارع ولما تبينته وجدته مظاهرة من الشباب تهتف « يحيا سعد ، يحيا الاستقلال » ولــا سألت عن السبب قيل لى ان المستعمرين قــد اعتقلوا سعد زغلول الذى يطالب بالاستقلال التام ، وهنا تدفقت الدماء حارة الى رأسى وكأنما براكين الدنيا كلهــا قد تفجرت فى نفسى ، فأسرعت الى الشارع وانضممت الى المتظاهرين حتى انتهت بنا المظاهرة الى الأزهر ، وكان فى تلك الفتــرة حصن الثورة الحصين وألقيت فيــه عصا الترحال .

وظللت قرابة ثلاثة أشهر ألقى فيه كل يوم ما لا يقل عن خمس خطب فى المواطنين بعد انقضــــاء الصلوات الخمس . وكنت قبل أن أتهيأ للخطابة أذكر كلمات الانجليزى الذى طردنى من السودان وأقول لنفسى : من يكره الحــرية أكرهه ، ومن يحاربهــــا أحاربه » .

ولم أترك شارعا أو مســجدا أو كنيسة الا خطبت فيها داعيــا لتعبئة الشعور ضــد أعداء البــلاد . وحينما احتاج الوفد للمــال صحبت فتح الله بركات فى جولة بين القــرى والضياع وكنت أظل أخطب فى أهلها حتى أحس أن المستمعين قــد وصلوا الى مرحلة التضحية بأموالهم ، فأشير الى فتح الله ، وكان يحمــل حقيبة كبيرة كحقيبة القومسيونجية ، فيفتحها أمام المستمعين واذا هى تمتلىء فى لحظات .

الأزهر قلعة الوطنية المصرية

د . زكي مبارك : فوق منبر الأزهر



وذات يوم كنا فى ميدان الاوبرا وكان اكثر من عشرين الفا قد وقفوا صامتين كأن على رءوسهم الطير يستعدون للاستماع الى خطابى وصعدت على اكتاف طالبين ، وفى وسط هذا الصمت الرهيب بدأت خطابى قائلا : « اهتفوا معى : يحيا الانجليز » وبهت الجمع الحاشد لهول المفاجأة ، وعدت اقول : لن اخطب حتى تهتفوا يحيا الانجليز ، فهتفوا ... واستطردت قائلا : يحيا الانجليز الذين استطاعوا بظلمهم واستبدادهم، وفجرهم ان يجعلوا منا هذه الكتلة الوحدة المقدسة الملتهبة » . وصفق الجميع تصفيقا يصم الآذان .

ومرة اخرى....هكذا يمضى القمص سرجيوس فى ذكرياته عن ثورة ١٩١٩ فيقول : كنت فى السرادق الضخم الذى اقيم لسعد زغلول – تكريما له بعد عودته من المنفى – وكان زعيم الوفد فى اوج عظمته ومجده ، واخذت الجماهير تنادى : « سرجيوس ، سرجيوس سرجيوس » ووقف سعد رحمه الله قائلا : فليسمعنا خطيب الثورة كلمته ... وصمت الجميع ، ووقفت اخطب فقلت : « والله انك لمجنون يا سعد » وبهت الجميع ، ولكننى استطردت قائلا : « والله انك لمجنون يا سعد اذ تقوم على دولة عظمى خرجت منتصرة من حرب عظمى وتملك كل شيء ولا تملك انت شيئا ثم تنتصر عليها » !.. وفى كل مقطع من خطبتى كنت اكرر « والله انك لمجنون يا سعد » وفى نهاية الخطاب قام سعد من مكانه واحتضننى قائلا : مجنون والله يا سرجيوس ! وضجت الجماهير بالهتاف والتصفيق .

وذات يوم استدعانى كين بويز ، مدير الامن العام ، وقال لى : انت عدونا الاكبر ، وبت ليلتى فى ثكنات قصر النيل نزيل غرفة جمعت فى احشائها كل انواع البعوض والبق والبراغيث والفيران ، وفى الصباح اقتادونى الى احد المعتقلات فى رفح ، وكان يزاملنى فيه النقراشى ، والقاياتى ، وأبو شادى ، والخولى ، وغيرهم ، وغيرهم .

وهناك عكفت على قراءة القرآن ودراسة كتب التفسير ، كما قرأت للرازى والنسفى والبيضاوى وتفسير الجلالين ، والنل والنحل وغيرها ، وذات يوم كنا نقف مع ضابط المعتقل فقال : ان المصريين المتوحشين قد قتلوا جنديين بريطانيين اليوم ، ورد عليه احد المعتقلين قائلا : هذا امر مؤسف . فاندفعت انا قائلا : ان قتل جنديين بريطانيين يعد وحشية ، وقتل الصبيان والغلمان المصريين وحصدهم بالمدافع الرشاشة لانهم يطالبون بالاستقلال هل هو فى نظركم مدنية ؟! » وحقد على الضابط الانجليزى ، ولذلك ظللت فى المعتقل حتى اغلقته وجئت بمفاتيحه ، الى القاهرة وكان ذلك فى ١٩٢٠ ، ثم صدر قرار بنفيى من القاهرة الى بلدتى جرجا ، ولكن نسيم باشا وزير الداخلية وقتئذ رفض تنفيذ امر النفى وقال : كيف انفى رجلا وصلتنى ستة زكائب احتجاجات من اجله من المسلمين والاقباط ؟..

ومن مذكرات القمص سرجيوس عن ثورة ١٩١٩ ان ضابطا بريطانيا قال له : « لقد صبرنا عليك اربعين يوما انت تخطب ضدنا فى الازهر » ، واجاب سرجيوس قائلا : اذا كنت انت لم تحتملنى فى بلادى ٤٠ يوما ، فكيف احتملناكم نحن ... فى بلادنا اربعين عاما ؟! » ومما يذكر ان الكثير من ابناء الشعب كانوا يطلقون على سرجيوس لقب خطيب الثورة ، ولقب « خطيب الازهر » .

■ يوسف الشاروني ■

هكذا نتعرف على الوجه الاخر لمحمد عبد الحليم عبد الله ، وقد ترك نفسه على سجيته لا سيما حين تعلو نبرته وتحتد في معاركه الادبية ، بينما يهمس ويرق حين يتحدث عن الحب والصداقة .. انه الوجه الاكثر الفة والذى يقودنا الى قلب الفنان مباشرة ، لانه وجه بلا قناع ولا مساحيق !



الوجه الآخر لمُحمَد عبد الحليم عبد الله

بعض الادبـــاء كالالاسة لهم أكثر من وجه كل منها يشع بريقه الخـــاص ، وقـــد كان الوجه الذى اختاره محمد عبـــد الحليم عبد الله ، أو الـــذى اختاره له مزاجه الادبى ، هو وجه القصصى متنقلا ما بين الرواية حينا والقصة القصـــيرة حينا · أما وجه الناقد ، أو المعترف ، أو الدارس ، أو المتأمل ، فقلما أطل علينا به ·

ومع هذا فقد كان يختلس قلمه بين الحين والحين ، وربما بدوافع البيئـــة الحضارية وما فيها من صـحافة واذاعة وسينما ، ودوافع البيئة الادبية ومـــا فيهـــا من أدباء أصدقاء ، ونقـــاد مهاجمين ، وترجمات عن لغـــات أدبية ··· الخ ، أقول انه كان يختلس قلمه ليسجل ذكرياته وتأمـــلاته وآراءه فى الحياة وفى الاخرين ابتـــداء ممن هم أقرب الناس اليه ·

وهكذا يطل علينا محمد عبد الحليم عبد الله بهذا الوجه الذى توارى لحساب الوجه القصصى ، ومع ذلك فان بصيص الضوء الذى يشعه هذا الوجه التوارى ليثير لنا جوانب فى حيـــاة أديبنا وفى أدبه ، ما كان يمـــكن أن تتكشف لنـــا لولاه ، وهو يؤكد أن وجه المفكر كـــان موجودا دائمـــا خلف وجـــه الروائى والقصصى ·



والواقع أن الناقد أو كاتب السير فى أدبنا العربى ، يجد الطريق أمامه يكاد يكون مســـدودا ، ذلك لاننا تعودنا أن نخفى كل ما من شأنه أن يلقى الضوء على الحياة الخاصة لادبائنا ومفكرينا وعلى اعترافاتهم وذكرياتهم ورسائلهم ، أى وهم فى غير الاوقات التى يرتدون فيها زيهم الرسمى أمام جمهور قرائهم ، فهم دائما يلقونهم من خلف قناع وقلما يلقونهم وهم فى حالة استرخاء عاطفى أو فكرى · بينما يترك الادباء فى اللغات الاخرى تراثا من الرســـائل الخـــاصة والمـــذكرات الصريحـــة والاعترافات الجريئة ، تقدم للناقد او كاتب السيرة معينا خصبا لمادته ، اما نحن ـ فلاسباب تتصل بتقـــاليد البيئة ـ نخفى رسائل الاديب ونعدم أية اشـــارة الى صلاته العاطفية حتى ما انتهى منهـــا الى علاقات شرعية ·

ولهذا فاننا نجد كاتبا مثل عباس خضر حين أخرج لنا كتابيه « طفولة الادباء » و « غرام الادباء » كـــان

مصدره الاساسى روايات هؤلاء الكتاب واشعارهم ، وهذه كلها اقنعة قد تشير الى ما خلفها لكنها لا تسفر عنه ، بمعنى أن العمل الفنى قد يستمد بعض عناصره من حياة الاديب الخاصة لكنه يدخل عليها من عمليات الحذف والاضافة ما يضلل كاتب السيرة لو أنه اعتبرها مادة اولية ·

● الشخصيات ، والحب ، والصداقة ●

من هنا تنبع قيمة هذه المجموعة من الكلمات التى تقدم لنا الوجه غير القصصى لمحمد عبد الحليم عبد الله والتى نشرها خلال ربع قرن ــ هو حياته الادبية ــ فى مختلف الصحف والمجلات ·

أنه يتحدث فيها عن نفسه وعن أمه وأبيه وأخته وزوجته وابنته ، فندرك أنه رجل يحترم العلاقات العائلية ويقدسها ــ تماما كما هو شأن معظم شخصياته الروائية ــ لا يثور عليها ولا حتى يتبرم بها بل هو سعيد بها يعترف بما لها من فضل عليه ·

وهو دائم الاعتراف بما ورثه عن أمه من حساسية للفن ، وبفضلها عليه فى دفعه الى التعليم « كان منظر الطربوش يطيش عقلها لأنه كان رمزاً للحكام والموظفين ورجال الشرطة ، وهكذا باتت الليالى الطوال تحلم بأن تراه على رأسى ··· ثم تموت » ·

ورغم الضوء الضئيل الذى مشى عليه والده فان نور قلبه هداه يوم صمم على تعليم ابنه ليصل به الى شاطىء النجاة · فقد كان أمله أن يرى ملابس ابنه وسكنه ومعرفته خيرا من ملابسه هو وسكنه هو ، وأرقى من معرفته ·

وبنفس الروح يتحدث عن أستاذه ، وعمن لهم فضل عليه فى بداية حياته العملية ، بل اننا نعثر فى بعض هذه الشخصيات على أصول لبعض شخصياته الروائية حتى ليشتركان فى الاسم مثل شخصية عم محمد الجندى فراش المجمع اللغوى الذى نعثر على سميه فى آخر روايات محمد عبد الحليم عبد الله « للزمن بقية » ، حيث أصبح محمد الجندى فراشا لدى عمدة قرية النجومى ·

ولا شك أن م·ع·عبد الله قد قام بعملية تكثيف بين فراش المجمع اللغوى وشخصية قروية أخرى ، ومنح الشخصية المكثفة الجديدة نفس الاسم « محمد الجندى » ·

كذلك حين نقرأ حديثه عن تولستوى وكيف انشأ لابناء الفلاحين مدارس فى ضيعته ، وكان يعلمهم بنفسه ، ويجلب لهم المعلمين على حسابه ويسقيهم الماء بمضخاته ، فثاروا عليه واتهموه بانه سيخرب بيوتهم ــ حين نقرأ ذلك نتذكر على الفور شخصية صلاح النجومى بطل « للزمن بقية » ونعرف ان حياة تولستوى كانت احد منابع هذه الشخصية · فقد تصرف صلاح النجومى تصرفا شبيها بتصرف تولستوى ، وكان رد الفعل من فلاحيه مشابها كذلك لرد فعل فلاحى تولستوى · وسنجد ان محمد عبد الحليم عبد الله حين يتحدث عن الشخصية الروائية يؤكد ان الروائى يستمدها من ذكرياته وتجاربه ·

الوجه الآخر

فاذا إنتقلنا من دائرة الشخصيات الى العلاقات نجده يتحدث عن الحب والصداقة بنفس الاحترام ، فالصديق بالنسبة للانسان كظله الذي يمشي معه ، قد يكون أطول منه مثل الظل فى اخر النهار ، وقد يكون طوله قريبا منه مثل الظل فى أول النهار ، وقد يكون مثل الظل وقت الظهيرة حين تكون الشمس فوق الرأس مباشرة عندئذيكون الظل تحت اقدامنا ، وهكذا قد يفعل الصديق : يكون تحت أقدام صديقه عندما تكون شمس الحوادث فوق رأسه مباشرة · واذا كان الانسان لا يمشي بغير ظل الا فى الظل والظلام فان الانسان لا يكون بغير صديق الا اذا كان فى ظل لا يقع عليه نور القلوب أو فى ظلام لا يستطيع نور الحب أن يضيئه ·

وهكذا يقدم محمد عبد الحليم عبد الله رأيه فى الصداقة عن طريق هذه المجموعات من التشبيهات مما يذكرنا على الفور بأسلوبه القصصي والذى كان التشبيه أحد خصائصه الرئيسية ·

● الجاذبية والعمق معا ●

وبنفس الاسلوب يقدم لنا رأيه فى الحب ، فهو يدخل من النوافذ لكنه لا يخرج منها ، يدخل متلصصا متسللا لكنه اذا ما أراد الخروج سمعنا تحطيم الابواب المغلقة · **وكما أننا نأخذ الحرير لنصنع منه أكثر ملابس الحسان سحرا ، وننسى ـ أو لا يخطر على بالنا ـ أن الكائن الذى غزل هذا مات مدفونا فيه ، فهكذا نأخذ نتاج الحب من أدب وفن كما نأخذ ذلك الحرير · ولا يمكن أن يخطر على بالنا عدد ساعات الارق ولا عدد حبات الدموع التى كانت أشبه بمخاض الولادة لما نتمتع به من أدب وفن ·**

ويشبه محمد عبد الحليم عبد الله الفن فى مرحلة التقليد بمرحلة الرضاع فى عمر الانسان بعدها يستقل عن الام· ومعنى هذا أن اللوحة ـ الواقع والقصة ـ هى رحلة مراحل طفولة الفن التشكيلي والفن القصصي ، وبتطور الانسان ونضجه الحضارى أصبح للفن شيئا فشيئا وجوده المستقل عن الواقع وان كان مستمدا منه ، وترك تسجيل الواقع أو تقليده لوسائل أخرى مثل الكاميرا بالنسبة للمرئيات ،



م. ع. عبـد الله : وقفـة وابتسامة ، فى مناسبة تذكارية ·

[redacted]

والصحيفة بالنسبة للحوادث والاحداث ·

وبروح التسامح والمحبة يعلن محمد عبد الحليم عبد الله أن المدارس الفنية والمذاهب الادبية التى تتعارض وتتعارك ويحاول بعضها أن يمحو بعضها الاخر سابقا بذلك خطوات الزمن ، كلها تخدم بعضها بعضا وتؤلف فى مجموعها باقة الوان · اما مهمة الفنان فهى اسـعاد وارشاد معـــا ، اى بشرط ألا ينفصل أحدهما عن الاخر والا فسدت المهمة · فالاسعاد فقط يجعـل الفن مجرد أداة للترفيه العارض السريع ، والارشاد فقط يجعله بوقا من أبواق الدعاية العارضة السريعة أيضا ، والجمع بينهما هـــو الذى يعطى الفن جاذبيته وعمقه معا

● على باب محكمة الضمير ●

ويقف محمـد عبد الحليم عبد الله أمام الكلمة وقفـة متأملة ، فلكل كلمة سرها ولها خاصية ووظيفة ، وفيهاشحنة من الذكريات ليس فى مقدور كل كاتب أن يطلقها ـ بالاستعمال ـ من كيـان الكلمة · وكما أنه ليس كل النــاس يستطيعون أن يفهموا شخصية غيرهم ، كذلك ليس كل كاتب يستطيع أن يفهم شخصية الكلمة · والذى ينجح فى فهم

فى القرية ، لقطة للاديب الذى كتب معظم انتاجه الفنى عن القرية .



الوجـــه الآخـــر

شخصية الناس ينجح في معاملتهم ، والذي ينجح في فهم شخصية الكلمة (بمعنى طاقتها ومدلولها وذكرياتها) ينجح في استعمالها أيضا ·

غير أننا ما نلبث أن نلمح المرارة تتسرب الى قلمه حين يتحدث عن النقد ، فيعلن انه وان كانت الدائرة الادبية تتكون من أربعة أطراف هي : الكاتب ، القصة ، القارىء ، الناقد ، فالذي لا جدال فيه هو أن الدائرة الادبية تتم بوجود الكاتب والقصة والقارىء ، وان غاب الناقد · ودليله على ذلك ان في استطاعة الكاتب أن يخاطب عددا من القراء تعلقوا به وان غاب الناقد · ولا شك أن محمد عبد الحليم عبد الله كان يشير بذلك الى نفسه والى رواج قصصه التي أغفلها النقد أو تناولها بالهجوم أكثر مما تناولها بالترحيب ·

ثم تبـــدو كلماته أكثر مرارة حين يتحدث عن مأساة أنور المعداوي وأحمد علي باكثير ، ويختتم حديثه قائلا : اذا كان جيل الثلاثين في العمر (يقصـــد الادباء الشبان) قد عمل من أجل نفسه ضجة فان جيلنا (وليسامحه الله) قد تلفع بسكون ، ووقف على باب محكمة الضمير ليذرف دمعة واحدة ثم ··· عندما يخلو الى نفسه يقهقه مكفرا عن الدمعـــة ··· لكن الرحى لم تكف عن الطحن ، ولن يكف الطحين عن التساقط · ولترحم السماء كل الذين لم ترحمهم الارض ·

● المغزى الاجتماعي الصامت ●

ويبدو النـــاقد خلف القصاص حين يتحدث محمد عبد الحليم عبد الله عن الشخصيات الروائية وكيف يستمدها الروائي ــ كما ذكرنا ــ من أعمق ذكرياته وأصدق تجاربه · وتكوينها يتم في جو نفسي متعادل ، فلا هو يشوبه الانفعال الحاد الذي يكون بمثابة الحرارة القاتلة بالنسبة للاحياء ، ولا الفتور الـــذي يتنافى مع طبيعة نفس الفنان · فلابد اذن من جو نفسي صالح يحتضن فيه شخصياته حتى يقدر لهـــا أن تبعث للحياة ·

ولكن الشخصية الروائيـــة لا تنتهي بمجرد انتهاء الروائي من تقديمها في عمله الفني ، بل ان الزمن والنـــاس يعاونان المؤلف بدورهما أو ينوبان عنه في ابراز الشخصية ورفعها الى أعلى ووضعها على قاعدة مرتفعة أشبه بقاعدة تمثال يراه أكبر عدد من الناس ، فقارىء

الرواية يضيف من ناحية كثيرا مـــن خيالاته واحساساته ومعارفه ومعلوماته للرواية ، كذلك فـــان الناس كمجموع يعيدون مرة بعد أخرى خلق الشخصيات التي يصنعها روائي ما بنجاح وتظل

أيدي الناس تتلقف الشخصية من يد الى يد · وفي كل مرة يضاف شيء جـديد الى الشخصية هو مزيد من شـــعور الناس بها حتى يمر الوقت الكافي لتصبح الشخصية عالية وربما في قوة وشهرة شخصيات الاساطير ·

وهكذا يعلن محمد عبد الحليم عبد الله ــ بفهم عميق ــ ان الزمـــن من ناحية ، ومجموع الناس من ناحيـــة أخرى ، يسهمان في تاريخ الفن بدور لا يقل عن دور الفنان الفرد المبدع ·

فاذا تنـــاول ظاهرة التكرار الادبي

اعلن انه كما يحلم الكاتب بحادثة واحدة عدة مرات ، كذلك يصور الكاتب حادثة أو شخصية عدة مرات ، لان استرجاع الحوادث من اعماقنا اثناء الكتابة — التى هى حلم ايجابى — قد يتكرر بالنسبة للكاتب ، لكنه يأخذ صورا مختلفة تتباين عمقا وعرضا وطولا وليس فى ذلك أى عيب على الكاتب · فتردد الحادثة بين روايات الكاتب ليس من الضرورى أن يكون تكرارا ابدا ، بل هو رجوع للتجربة التى تفرض نفسها على الكاتب بالحاحها المتواصل حتى يستكملها تماما · ولا شك أن محمد عبد الحليم عبد الله كان ينفى بذلك عن نفسه تهمة التكرار فى اعماله الادبية والتى وجهتها اليه الدكتورة بنت الشاطىء ذات يوم على صفحات الملحق الادبى بالاهرام ·

ويعلن محمد عبد الحليم عبد الله تحيزه بوضوح الى جانب الرواية على حساب القصةالقصيرة ، رغم انه كاتب للشكلين الادبيين ، فالرواية — فى رأيه — هى الامتحان الحقيقى للكاتب ، لان مزاولة كتابة الرواية ثم النجاح فيها أعسر ألف مرة من مزاولة الاقصوصة · كما أن الشخصيات التى تخلقها اقلام الروائيين — وليس كتابة القصةالقصيرة — هى الاكثر ذيوعا ·

ثم يحدد ما اطلق عليه اسم « الخواص » التى يعتمد عليها كاتب القصة القصيرة ، وهى اللمسةالانسانية ذات المغزى الاجتماعى الصامت والاقصوصة التى تبنى على هذهالخاصة متطلب مزاجا شاعريا وقلبا يحس انة الحزانى ·

وقد يعتمد المؤلف على غرابة الحادثة ، وهو فى هذه الحالة اما أن يكون ممن يستضيفون الراحة التى تمنحها له غرابة الحادثة فيعتمد عليها معظم الاعتماد ويجعل قصته تعيش فى جو أقرب الى جو الرواية البوليسية ، واما أن يكون ممن تحس روحه بالشخصية ممزوجة بالحادثة الغريبة وهذا أروع من الاول بكثير ·

وقد يعتمد الكاتب على خلق مشكلة ثم حلها ، وهذه الخاصة متعبة الى حد ما ، لان العقدة والحل اذا لم يكونا منسجمين معا انسجام تعاشق الحب بدا العمل تافها ، والعقدة والحل ينسجمان معا انسجام حيل النصابين والحيل السينمائية ·

وأخيرا ، قد يعتمد المؤلف على عنصر المفاجاة وهذا أخطر أنواع الخواص التى يبنى عليها الكاتب الاقصوصة لان ذكاء القارىء قد يفوت فى كثير من الاحيان على المؤلف قصده فينهار بناء الاقصوصة

● رأى فى الشعر الجديد ●

وواضح من هذا الكلام أى نوع يؤثره محمد عبد الحليم عبد الله من هذه الخواص فى كتابته الاقصوصة ، ويمكن أن نطبقه على ما كتب فنعثر عليه بسهولة ، فقد كانت معظم أقاصيصه تعتمد على اللمسة الانسانية ذات المغزى الاجتماعى على حد تعبيره ، لان مزاجه كان شاعريا وقلبه يحس انة الحزانى على نحو ما وصف كاتب هذا اللون وكان يقصد بالوصف أولا نفسه ·

ويعلن رأيه فى لغة القصة فيتهكم قائلا : « اننا نصنع من الورق والطين

الوجه الآخر



مع الاصدقاء من أهل قريته ، محمد عبد الحليم عبد الله في جلسة سمر وذكريات

والقش أشياء جميلة ، فلماذا ان نصنع من لغتنا أشياء تافهة أو قبيحة ؟! ، ولغة القصة لديه هي كل الوسائل اللفظية المكتوبة التي ينقل بها المؤلف التجربة من جذورها من نفسه الى نفس غيره . انها البدن الذي نرى الروح من خلاله ولولا البدن ما احسسنا خفقة الروح .

وكما يعلن رأيه في القصة ، فانه يعلن رأيه في الشعر الجديد ، فالثورة الحادة الجامحة التي قامت لتكسير الاوزان والقوافي نجحت تماما في تحطيم الادوات الموسيقية التي تملكها القصيدة ، ولم تنجح في الاستعاضة عنها بمؤثرات أخرى الا بمؤثرات داخلية يجب أن نغوص في بحر الشعر لنصيدها ، وما في كل مرة يغوص الصياد ويطفو ومعه صيد !.

وهكذا نتعرف على الوجه الاخر لمحمد عبد الحليم عبد الله ، وجه قد تحلل من قوالب القصة وضروراتها ، وترك نفسه على سجيته لا سيما حين تعلو نبرته وتحتد في معاركه الادبية ، بينما يهمس ويرق حين يتحدث عن الصداقة والحب . ومن هذا الوجه عرفنا ظروف نشأته وبيئته المبكرة ، وقراءاته . وماذا يحب وماذا يكره ، انه الوجه الحميم الاكثر الفة الذي يقودنا الى قلب الفنان مباشرة ، لانه وجه بلا قناع ولا مساحيق ..

[redacted]

■ إلياس فرحات ■

الثمانون



« قالها الشــاعر المهجرى القومى وقد بلغ الثمانين من عمره المـديد باذن الله »

يا ميُّ إلفكِ يجتـــازُ الثمانينـــا
ماذا ترجّيـــنَ أو ماذا تخافينـــا ؟

خمســـونَ عاماً قطعناها على عجلٍ
لو نستطيعُ جعلنـــاها خماسينا

فينـا طموحٌ اليـه المجـدُ يدفعنـا
وحادثاتُ الليـالى عنـهُ تقصينا

هذى فلسطينُ ما زالتْ مكبّلةً

فكيف نرضى ولم نطلقْ فلسطينا

وفى الشمالِ تناسينا قضيتنا

وهى « اللواءُ » فما أقسى تناسينا!

***

لم يبقَ يا ميُّ من عمرى وعمرك ما

عن طيبِ ما طوتِ الأيامُ يُغنينا

مَنْ لى بحظٍ كحظِّ الروضِ ما عريتْ

إلاّ كساها مُعرّيها رياحينا

نحنُ الشيوخ ليالينا مجوّفةٌ

ما فى دياجرها نجمٌ يسلّينا

ما كانَ أسعدَنا لو قد أعيدَ لنا

ليلُ الشبابِ بألفٍ من ليالينا



هيهـــاتَ ما تمنَّى أنَّهُ أمـــلٌ
يزدادُ عنّـــا ابتعـــاداً في تمنينـــا

***

هل تذكرينَ فريشـــةً كان ملعبَنـــا
ركضـــاً عليـــه وبيتـــاً كان يأوينـــا
بيتـــاً وضـــيعاً شبيه الكوخ يمـلأهُ
حبُّ الحيـــاةِ ، وكان الحبُّ يـكفينا
فالحبُّ كان لنـا دنيـــا وكان لنـــا
على التفـــاوتِ في تفـــكيرنا دينـــا
وقد سرى ســـحرهُ فينا فضـــاعفنا
وطـــالما ضـــاعفَ الحبُّ المحبينـــا
فالحبُّ صـيَّرَ ذاكَ الكوخَ دسـكرةً
وهـو الذي جعـــل الالفينِ عشرينـــا
وهـــدّأ البحـــرَ حتى نال زورقنـــا
عنـــدَ الجنـادلِ والخلجـان تأمينـا
وصــــيَّرَ المدَّ جزْراً في شــواطئه
وعاصـــفَ الريحِ في أمواجـهِ لينـــا



سفينةُ العمر لولا الحبُّ ما عَبرتْ
بحرَ الحياةِ الى أن دانتِ المينا
جازتْ بنا فجواتٍ كان أيسرَها
لو لم تضىء حكمة الربّان يطوينا
ليس الثمانون بالعمر القصير ولا
مجتازها عَدُّ فى الأحياءِ مغبونا
ولستُ أرغبُ فى تمديد مدّتها
إلاّ اذا كان حقُّ العرب مضمونا
فلن يلذَّ لنا عيش يشاركنا
فيهِ على رغمنا أدنى أعادينا
إن الدناية تنمو فى منازلهم
وفى مدارسهم طبعاً وتلقينا
ما يأخذُ المرءُ تلقيناً تطوّرُهُ
الأيامُ حيناً وتمحو بعضَهُ حينا
والطبعُ لا شىء فى الدنيا يغيّرُهُ
وليس يمحوهُ فينا غيرُ ماحينا
جوعُ الذئاب الضوارى استروحت غنماً
جوع الذينَ أرادوا بعثَ صهيونا



لمّا رأوا غدرهم ينمي منافعهم
داسوا الحقوقَ اليهِ والقوانينا
تسلّحوا بابتسامٍ زائفٍ ومشوا
مستضعفينَ خداعاً مستجدينا
قد استعدّوا لشرٍ يبيّتوهُ لنا
ولم نكنْ قطُّ يوماً مستعدينا
نمنا على أمننا دهرا فأيقظنا
لغطٌ تعالى صراخاً في نواحينا
لولا وداعتنا ما انهار حائطنا
ولا جفتنا العُلا لولا توانينا
تكشيرة الذئبِ خلناها ابتسامتهُ
أمّا العواءُ فقد خلناهُ تلحينا
جاءوا الى أرضنا من كلِّ ناحيةٍ
يسوقهم ذو عُرامٍ طامعٌ فينا
تملّكوا دون تسجيل مغانينا
وكلِّ ما وجدوه في مغانينا
قمصاننا انتزعوها عن مشاجبها
حتى سراويلنا حتى القفاطينا

حتى مصانعنا كانت لهم سلباً
حتى مزارعنا حتى مواشينا
حتى دجاجاتنا فى القنِّ رابضةً
فوق البيوضِ سبوها مطمئنينا
سلاّتهم بثمار التين طافحةٌ
سلهمْ متى غرسوا فى أرضنا تينا
كيفَ الذى احتلَّ فى تموزَ باديةً
جرداءَ يقطفُ فى ايلولَ زيتونا
لم يغرسوا قطُّ ليموناً ومن عَجبٍ
أنْ يشحنوا لبلاد اللهِ ليمونا
لمّا ادعوا وأذاعوا انهم نزلوا
صحراء خاليةً كانوا يبينونا
كانوا يريدونَ أنْ يخفوا جريمتهمْ
حتى يبينوا على السرّاق عالينا
كانوا يريدون خدعَ الناس انهمُ
لم ينهبوا بلداً بالناس مسكونا
أمّوا بيوتاً رأوا أصحابها تركوا
فيهَا الذى جمعوا بالجهد مخزونا



لم يأخذوا معهم إلاّ ملابسَهم
كى لا يسيروا أمام الناس عارينا
خافوا ذئاباً لهم سِفرٌ يقول لهم
مَن عفّ عن دم طفلٍ كان ملعونا
فان يكن سفرهم هذا منارتهم
فما أشدَّ ضلالَ المستنيرينا

***

يا مىّ عفوكِ إن مزّقتُ محتدماً
أوراقَ شرٍ أتتْ منها مآسينا
قومى نُعِد ذكر ماضينا القديم فقد
نبنى جديداً على انقاضِ ماضينا
كم فى الثمانينَ من سحرٍ يفيضُ على
ربةِ الثمانين تصويراً وتلوينا
وكم نجوبُ فجاج الأرض نبحثُ عن
سرِّ السموات بحثاً ليس يجدينا
ما عالمُ الغيبِ إلاّ صوغ فكرتنا
صغنا الملائكَ فيه والشياطينا

ومـــا الشرائع إلا وحى حـــكمتنا
فيهـــا أوامرنا ، فيهـــا نواهينـــا

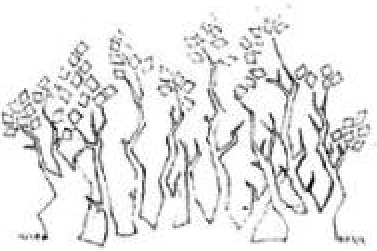
تكادُ أقـــدارُنا تعنـــو لرغبتنـــا
كأنَّ أقـــدارَنا من صـــنع أيدينـــا

أســـلافنا العربُ أعطونا مفـــاخرَهم
ونحنُ نســـعى لنعطيهـــا ذرارينـــا

الجودُ بالنفسِ من أصـــفى مناهلنـــا
والبخلُ بالعرضِ من أســـمى مبادينا

والخـــيرُ والشرُ فرعا دوحـــةٍ نبتتْ
فى قلبِ آدمَ وامتـــدت أفانينـــا

فالنـــاسُ تأكل من أثمـــارها وترى
فى الخير والشرِّ للســـاعى ميادينـــا



لولا غنى (الوحش) ما كانت قذائفه
تهوى فتردى من الخلق الملايينا
فكم يفجر ذو المليون قنبلة
ولا يجرد ذو الفلسين سكينا
وما محبة ذا للسلم رادعة
وإنما العجز خلى الصقر حسونا

***

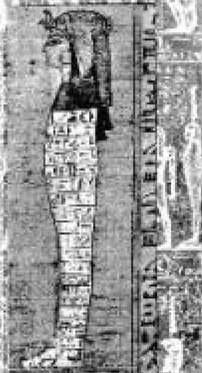
يا مي ما أكرم الدنيا التى احتضنت
تلك الفراخ الغوالى من أمانينا
شبنا وفينا المنى الخضراء منجبة
تعيى السنين وكبح الشيب يعيينا
إنا نخوض الدياجى فى مسيرتنا
فان ضللنا فنور العقل يهدينا
ونشترى المجد بالفعل الحميد فان
شئت كرامتنا عفناه راضينا
إن الكرامة فوق المجد منزلة
لا يستر المجد ذل المستكينا



إذا عـزيزٌ علينـا عابنـا سـفهاً
سقنا إليه كريمَ العـذرِ مغضـينا
وما نبـالغُ في تقـديرِ أنفسِـنا
ولا نقصّر في تقـدير شـانينا
ولا نريدُ مديحـاً زائفـاً فعـلى
من يبتغي وصـفنا ألاَّ يحـابينا
أمّا العيوبُ التي فينـا فلو لصقتْ
ببعضـهم لرأوا فيهـا تياشـينا
في كـل قصرٍ حللنـاهُ لنـا أثرٌ
يحـدّثُ الجـاهلينا عن معـالينا
لو في الـكواكب فيهـا مثلنـا بَشرٌ
لـكان فيهـا خمـورٌ من دوالينـا
أفراحُ أعيـادنا هـذي تذكـرني
بالفطـرِ والفصح طفـلاً والشـعانينا
إنّا لنشربُ في خمـسيننا لنـرى
كلَّ الزمانِ الذي عشـناهُ خمسينا
وهمٌ نـداوي بهِ وهمـاً نـكابدُهُ
بالوهمِ يلقى صريعُ الوهمِ تسـكينا

صورة الآخرة عند الفراعنة

■ رجب ميخائيل ■





صورة الآخرة عند الفراعنه

ومعها الحلى وادوات الزينة ، واحيانا اسلحة واوان وصحاف للطعام وللشراب ، ومع ذلك فان هذا لا يعنى أن المصريين نظروا الى الحياة بعد الموت كاستمرار فعلى للحياة على الارض ، بل انه يبين فقط أن المصريين لم يكونوا يستطيعون ان يتخيلوا أن الحياة - فى اية صورة - يمكن أن تقوم فى الوقت الذى تلغى فيها مطالبها .

وتؤكد مختلف النصوص أن الحياة بعد الموت كانت تتطلب زادها - بمثل ما تتطلبه الحياة على الارض - من طعام وشراب . ومع ذلك ليس من المؤكد تماما أن هذه الفكرة البسيطة استغرقت التفكير المصرى فى حالة حياة الانسان المقبلة ، بل انه ليس صحيحاكذلك أنّ تزويده بالزادالجنازى يتضمن الماديات التى يوحى بها الينا هذا المظهر ، بل ان العكس صحيح ، ذلك أن المظهر الغامض للحياة - الذى يعيش على المادة رغم عدم ادراكه بالحواس وليس ماديا فى ذاته - دعا المصريين لا الى فهم مادى للحياة بل الى نظرة روحية للطعام .

ولقد تشكلت معتقدات قدماء المصريين عن المستقبل - كما سلفت الاشارة - عقب عصر الانتقال الاول ، ولم تحدث بها تغيرات هامة بعد نهاية الاسرة الثامنة عشرة (الدولة الحديثة) ، وكان المصريون - كالعهد بهم - محافظين ، يحتفظون بالافكار القديمة وان تصارعت مع الجديد ، وربما ينطبق هذا أكثر ما ينطبق على ما يتصل بفلسفة « الحشروالنشور » ، اذ يبدو انهم لم يستشعروا تناقضا بين مكان الروح فى السماء ووجودها مع الميت فى القبر فى نفس الوقت ، وليس هناك مجال فكرى شغل به قدماء المصريين قدر ماشغلوا بفكرة « الحشر والنشور » .

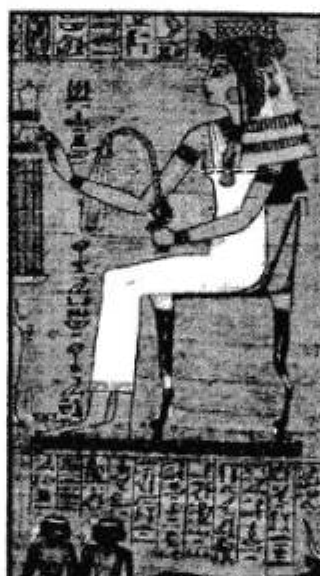
وقبل التوصل الى معرفة الكتابة بزمن طويل ، نجد مقابر عصور ما قبل التاريخ فىمرمدة (قرب الخطاطبة) تضم ماديات يستخدمها الميت فى كيانه المستقبل . وخلال العصر الانيوليتى نلتقى بما يميط اللثام عن حقيقة تتصل ببوادر التفكير فى الموت والمستقبل (فى نقادة وعمرة) هى تقدمات للميت مع طقوس ثابتة لتقديمها .

وتزخر مقابر ملوك الاسرتين الاولى والثانية والمقابر الشعبية فى العصر نفسه بالادلة على ذلك ، تصحبها كتابة بدائية خشنة .

وفى اخريات الدولة القديمة جمع التراث وسجل فيما يعرف بـ « متون الاهرام » ، وفى هذه المتون طرازان من الافكار عن الحياة وراء القبر بالنسبة للملوك : احدهما ، هوالحياة فى السماء ، والآخر ، الحياة فى العالم السفلى . وتتصل الصورة الاصلية للنصوص بالاولى وتتصل الصورة المصوغة بالثانية مع توافق

كثير وامتزاج ، ولا تخلو من اضطراب بين مع ذلك ٠

وقبل الدولة الحديثة ـ خلال عهد الدولة الوسطى ـ نسخت كمية كبيرة من « متون الاهرام » الخاصة بالملوك مع مادة دينية أخرى ، ونقشت على التوابيت من الداخل ، وهي ما تعرف باسم « نصوص التوابيت » ، ثم ظهر فى الدولة الحديثة ما يعرف باسم « كتاب الموتى » الذى يضم بعض المادة الدينية التى استقى جانب منها من أوائل عهد الاسرات ، وكذا مقتطفات من « متون الاهرام » ، ثم مختارات من « نصوص التوابيت » ، وبينما ترجع أوائل صور كتاب الموتى الى الاسرة الثامنة عشرة ، نجد نصوصا متأخرة تختلف عنها مثل التنقيح الذى



استحدث فى عهد الاسرة السادسة والعشرين ، ثم ما نلتقى به فى العصر اليونانى والرومانى حين صحفت محتويات الكتاب ٠

● عناصر ومقومات الشخصية ●

ال « كا »

كان المصريون منذ القدم يعتقدون أن لكل فرد روحا ـ غير مرئية عادة ـ ولكنها تأخذ شكل طائر احيانا ٠ وكانت تمثل على هيئة طائر برأس آدمية وتسمى « با » ٠ ويتكون المرء عادة من الجسد : « خت » ، والروح « با » ٠ وكانوا يعتقدون أن العنصرين وجدا معا عند مولد الانسان ٠

والى جانب هذين العنصرين كان هناك عنصر ثالث هو ال « كا » ٠ وقد اختلف الدارسون فى تعريف هذا العنصر الذى نال من عنايتهم الكثير ، كما اختلفوا فيما بينهم حول طبيعته وكيانه وقيمته : فهو لدى البعض الروح الحارسة أو الواقية ، ولدى البعض الاخر القوة الحيوية أو البديل أو الطبيعة أو روح السلف ، وهو أصل الحياة عند غيرهم ، وهو العبقرية أو الذات أو العنصر أو الفردية أو المزاج ، أو الروح ، عند البعض الاخر ٠

وتوجد ال « كا » ـ أو تأتى الى الوجود ـ فى نفس الوقت الذى يأتى فيه المرء الى الوجود ٠ وال « كا » مادية ، ولكنها ليست عنصرا من عناصر الشخصية ٠٠٠ ويقال ان الفرد يذهب الى ال « كا » التى له فى العالم الآخر (وهو اصطلاح يعنى « الموت ») ٠ وال « كا » غير قابلة للفناء فى السماء ٠ وهى تقود المرء وتحميه فى العالم الآخر ٠ وكان الكاهن الجنازى يسمى « خادم ال كا » ٠٠٠

هذه الصفات وغيرها تجعلنا ننظر الى ال « كا » كأنما هى الهة متجسدة

كبديل ، مسكنها منذ البدء فى العالم الآخر • وحين يموت المرء يبقى جسده فى القبر ، وتذهب روحه الى العالم الآخر لترتبط بال « كا » التى له •

وكانت ال « كا » تعد كائنا محسنا حاميا ، وخاصة فيما يتصل بما بعد الحياة ، وهى التى تمنح المرء الحياة والحظ الطيب والصحة والفرح • وقد تتعدد « كاوات » الملوك والآلهة فتبلغ أربع عشرة ، وتشير كثرة ال «كاوات» الى المرتبة والقوة اللتين لصاحبهما •

وتجسد هذه ال « كاوات » القوة السحرية والفتوة والمجد والثراء والصحة والتغذية والنبل ، والمعدات الجنازية ، والذكاء والبقاء والنظر والسمع والادراك والذوق •

ويمكن أن تكون هناك « كا » للجمادات المجسدة (مثل المعبد) ، ومن الواضح انه ـ بالنسبة للملك ـ تبقى ال « كا » بنفس الحجم حين كان صاحبها صغيرا • ولما كانت كلمة « كا » تعنى أحيانا قوة الانسان غير الحسية ، وكانت تعنى فى حالة الجمع مقومات الحياة ، فانه من أجل ذلك تقدم القرابين فى المقبرة الى « كا » المرء اى الى قوته الحيوية ، ومن ذلك أيضا يقال انه ذهب الى ال « كا » التى له لانه فى الوقت الذى تغادر الحيوية فيه جسده لابد أن يرتبط بقوة الحياة مادام سيبقى •

وكانت فكرة ال « كا » ترتبط فى أول الامر بالملوك وحدهم ، بالموتى منهم فى السماء ••• ففرعون المتوفى ينام ويستيقظ قرب ال « كا » التى له ، ومع ذلك ففى الفترة نفسها (عصر الاهرام) ـ بل وبعدها كذلك ـ كان يظن أنه مادام الملك الها وهو على الارض فله ميزة ان يكون مع ال « كا » التى له •• منذ مولده كما يبدو فى صورة حاشبسوه وال « كا » التى لها ، ثم صورة أمنحتب الثالث وال « كا » التى له ••• بينما يرتبط الافراد بال « كا » بعد موتهم •

وعلى اية حال فان نصوص عصر الدولتين الوسطى والحديثة تشير الى أن ال « كا » تولد مع كل شخص وهى تشبه صاحبها ، ومادامت معه فهو « رب ال كا » وهو « يغدو معها » (وهذا يعنى انه حى يرزق) ومعنى أن تهجره انه « يموت » • وهكذا يفسر الموت بان قوة خاصة ـ هى ال « كا » ـ كانت تلازم المرء ثم هجرته ، على انه كان يرجى منها أن تظل تعنى بالجسد الذى سكنته من قبل •

وتعيش ال « كا » أحيانا فى قبر المتوفى قرب الجسد على تقدمة الوجبة من الخبز والفاكهة ، وهى تبادر الى عونه ان دعاها الى ذلك ، ثم هى تتجول حيثما تشاء • وكان المرء فى عصر البطالمة يدعو قائلا « الا فلتكن ال « كا » التى لى فى السماء وعلى الارض » • ويرى البعض أن ال « كا » التى كانت تعيش على الارض كانت بديلا لمن كان بيته فى السماء ، ولكن ليس هناك من دليل على ذلك ، وفى



صورة رمزية يبدو أن الـ « كا » كانت تعتبر كالرابطة الخالقة بين المعبود والملك والاسرة ·

نسمة الحياة : الروح

الـ « با » :

وترتبط الـ « با » ارتباطا وثيقـا بالـ « كا » وانه لمن العسير كذلك أن نقدم مرادفا دقيقا لكلمة « با » · وقد يكون من السهل أن نسميها «الروح» ، وهى كلمة تناسب ما جاء فى كثير من النصوص ، وان كانت نصوص أخرى تأبى هذا المعنى · ويبدو أن المصريين القدامى انفسهم لم يتفقوا على طبيعة الـ « با » وماهيتها · فأحيانا كـــان يظن أنها نوع من « روح الحلم » ثم هى فى أحيان أخرى « كائن يعيش بعد الموت » أو هى أحيانا « كائن جاء الى الوجود بعد موت الجسد الذىينتسب اليه » ، وحالما يتصل الميت بالـ « كا » التى له يصبح على الفور « با » ، وعندئذ تأتيه نسمة الحياة : «الروح»·

وكان يعتقد أحيانا أن الـ « با » تولد مع جسد المرء وتظل تعيش بعد موته · والفكرة تبدو غير مقنعة فى جوهرها ، لانه ليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأنه فى فترة مبكرة جـــدا استطاع البشر أن يدركوا شيئا يشابه ما نسميه « الروح » · وكانت تتخـذ أحيانا وسائل سحرية لتجعل الـ « با » تخرج من الجسد ·

ونجد فى النصوص القديمة أحيانا ما يشير الى أن الـ « با » كانت تقيم فى السماء ، وقد تصبح نجما هناك ، ولكن كتاب الموتى يمثلها غالبا كأنما تعيش مع الـ « كا » فى القبر حيث تشارك فى التقدمات المادية ، لانهـــا تستطيع أن تأخذ صورة مادية أو غير مادية حسبما يحلو لها · والواقع أن الـ « با » كانت تستطيع أن تأخـــذ صورة المرء أو الحيوان الذى جاءت منه ، وتظهر الـ « با » أحيانا فى هيئة « طائر با » أو « صقر برأس آدمية » وتشير الفصول ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٥ من كتـــاب الموتى الى أن أرواح الموتى تصبح صقورا ·

وكما كان حوريس يسمى « با » فان الفرعون المتوفى الذى يعيش بين الآلهة كان يسمى كذلك « با » · وكما انه كان من الممكن أن يكون للاله أكثر من « با » فان الانسان يمكن أنيكون له كذلك أكثر من « با » ·

وهناك من يرى أن الميت كانيحمل بعد الموت كيانا محببا هو الـ « با » التى لم تكن جزءا من الشخص الحى بل هى كل الشخص كما يبدو بعــد الموت ·

وكانت شخصية المرء الكاملة بعــد الموت تتكون من « با » و « خت » (جسد) ، ويرى « « طائر با » يرفرف غالبا فوق الجسد ، أو يطير الى أسفل بئر القبر للحاق به ·

وفى بردية من الدولة الحديثة نلتقى بفقرة جاء فيهـــا « الا لا تنفصل الـ « با » التى له عنجسده الى الابد ! » وفى حوار « المتعب من الحياة » نجد المتحدث يهم بالانتحار ويحاول اغراء الـ « با » التى تحاول أن تبقى معــه بعد الموت ···

وهناك نص من الدولة الحديثـــة يشير الى الـ « با » وأهميتها وتحولاتها ويتحدث الى الميت قائلا :

سوف تدخل وتخرج وقلبك ســعيد فى رعاية رب الارباب ·
ستتم لك دفنة طيبة بعد عمر طويل والوزر ·
حين يحل أجلك ستأخذ مكانك فى التابوت ، وترتبط بالارض علىمرتفعات الغرب ·
ستتحول الى « با » حية تكون لها القدرة على الحصول على الخبـــز والطعام والهواء ·



صورة الآخرة عند الفراعنة

سوف تتخذ شكل البلشون (مالك الحزين) او السنونو (عصفور الجنة) أو العقاب (الصقر) كما يحلو لك ·
سوف تعبر على قارب العبوروسوف لا تلتفت الى الوراء ·
ستبحر فوق أمواه الفيضان ، وستبدأ حياتك منعشة من جديد ·

سوف لا تبرح الـ « با » التي لك جثمانك ، وستصبح مقدسة مع الموتى المطوبين ·
ستتحدث اليك الـ « باوات » الكاملة، وستكون ندا لها فى تقبل ما يعطى على الارض ·
ستكون لك قوة فوق الماء ، وسوف تستنشق الهواء ، وتنعم بتحقيق رغبات قلبك ·
ستعطى لك عيناك حتى ترى ، واذناك حتى تسمع ، وفمك حتى تتكلم ، وقدماك حتى تمشى ·

ستتحرك من أجلك ذراعاك وكتفاك، وسيكون لحمك ثابتا وستكون عضلاتك سهلة الحركة وسوف تتهلل فى كل اعضائك ·
سوف تختبر جسدك لتجده سليما معافى لم يلحق به سوء او عطب ·
سيكون قلبك الحقيقى معك ... اجل سيكون لك قلبك السابق ·
ستصعد الى السماء ، وتخترق العالم السفلى فى كل الصور التى تروقك ·

ويؤكد هذا النص ارتباط الـ « با » بمتطلبات الحياة وضروراتها وحاجاتها، وبالظروف التي تجعل بقاءها ممكنا فى حالة دائمة ·

● « آخو » او الجسد الروحانى ●

الـ « خت » :

وكان الجسد « خت » قابلا للفساد، وهو يمت لهذه الارض ، ولكنه كان

يقارن أحيانا بـ « جت » اله غير القابل للفناء ، ومع ذلك كان يستطيع الظهور كجسم ادمى ، يزود أحيانا باجنحة ... انه كان الـ (آخو) او « الجسم الروحانى » وهو جسم تغيرت هيئته .. ذهب الى السماء · وتترجم

« اخ » أحيانا الى روح دون أن يكون هناك ما يدعو الى ذلك ويدعمه ، وكان للاله « كا » (معبود) و « با » (روح) و « جت » (جسد غير فان)، وبالمثل كان للفرعون المتوفى « كا »

و « بأ » و « آخو » (خت روحانى) ... ويبدو أن اصطلاحى « آخو » و « جت » يتبادلان المعنى ، والمفهوم واحد ، وخاصة مادام فرعون المتوفى الها ، بل واكثر من ذلك نجد أن

اصطلاح « آخو » أو (الجسد الروحانى) يمكن تطبيقه كذلك على الاله ، لان الجسد الروحانى الذى

« تغيرت هيئته » كـ « آخو » كان جسدا مناسبا لاله ، ومن هنا فان « آخو » الفرعون المتوفى كان يرتبط بالـ « كا » التى له ·



«الحياة بعد الموت تتطلب ازدهارها ، بمثل ما تطلبه الحياة على الارض» ـ من النصوص الفرعونية القديمة

● دلالات معنوية ومادية ●

والى جانب هذه العناصر الرئيسية التى تكون الفرد كانت هناك مصطلحات اخرى تستخدم للاشارة الى بعض المظاهر المتصلة به : ذلك انه طبقا للتفكير المصرى كان الانسان والاله متشابهين فى التكوين والطبيعة ، فيما عدا أن الاله اعظم من كل ناحية ، وعلينا أن نضع فى الاعتبار دائما أن المصرى لم يفرق بين المادى والمعنوى بوضوح كما نفعل نحن الآن .

ومن هنا كانت كثرة استخدامهم لالفاظ ـ فيما يتصل بطبيعة الانسان ـ لها احيانا دلالة معنوية ، واحيانا اخرى دلالة مادية ، ويمكن القول عامة ان اكثر مظاهر الانسان وضوحا ـ كما فى الآلهة ـ هى ال « خت » (جت) وال « كا » وال « با » ، ومع ذلك فكل من هذه المصطلحات ـ كما رأينا ـ يصعب تقديم المرادف الحقيقى المناسب لها تماما ، ويزيد من صعوبة الامر أن المصريين انفسهم لم يعرفوها واضحة وخاصة فيما يتصل بطبيعتها او كيانها أو مجالات نشاطها ، كما أن الافكار حول كل منها تناولها التغيير بمرور القرون الطويلة ، فتباينت دلالاتها حتى أبهم الامر على الكثير من الباحثين أمام الاختلاف اليسير أحيانا والتناقض الشديد أحيانا أخرى .

ولقد كانت هناك عناصر اخرى للشخصية الى جانب « خت » و « كا » و « با » ، هناك ال « ايب » وهو القلب مركز العقل والذكاء والفهم ، وهو يرتبط بكل من « كا » و « خت » ، وهناك ال « سحو » وهو ما يعرف به الميت المطوب ويعنى « الجسد الروحانى » الذى تغيرت هيئته وهو الذى يدخل الى العالم الآخر ليعيش مع «أوزوريس» وهناك ال « رن » وهو الاسم الذى قد يعيش على الارض الى الابد بعد موت صاحبه وهناك ال «سخم » وهو القوة الروحية والمادية .

وهناك ال « عنخ » وهى الحياة .

ثم هناك الـ « خايبيت » الـذى يرتبط عن قرب بالـ « با » ويمثل كبديل أسود للفرد .

« للبحث بقية »

ولات غضراف لشعري رحيق، أيتها الزنابق الواعدة برغم البرودة: لماذا تستيقظين مبكرا هذا الصباح؟

أيها الشاكر العابر الطرقات حاملا الخبز الوطني ... الزنابق في حدائقك تنتظر حبك الذي لا تكمل بوحك وأنه لا ترى صباح الغد؟ دونك وإنساه هناك ويدافع؟

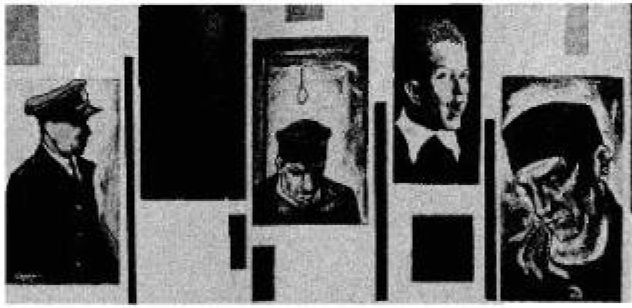
أيتها الزهرة الناعمة الرمزية، ما أجملك وقد احمرت الزنابق وبدت تنمو البرعم؟

ولكن يا زهراتي ... الزنابق في زمنك هذا أن تنفس البرتقال المشانق بالإعدام؟

لم تلح هذه الأفكار على رأسي اليوم؟

لم لا تكون أكثر برودة كما كانت تحسسته من الأمور من قبل؟ لماذا تأبى النفس أن تسلم به كأمر مشروع

■ محمد محمود السباعي ■



• قصة •

نظرة لاتغيب

منه ... من ضرورات العمل ، كمـــا سلمت بغيره من قبل ؟!..

و ... صورته «هو» المرتسمة فى خيالى ... لم لا تفارق ذهنى ؟!

لم اعـــد اطيق ان اغمض عينى حتى لاارى عينيه تبرقان فى الظلام!
اى تعبير تحمل هاتان العينان ؟
ألتوسل .. الرجاء.. الندم .. الامل ؟

ويلى منهمـــا ، من بريقهما يسطع فى خيالى فيطيـر من عينى النوم واتقلب مسـهدا على فراش من الجمرات !
هو الان فى تلـــك الزنزانة الباردة المعتمة.

لعله نائم لم توقظه جلبة السجن والمساجين.

او يستطيع حقا ان ينام ؟..

او انام انا لو كنت مكانه ؟ كيف ؟!.

كيف وانا اعـلم انه بين لحظة واخـرى ، سيلتف حول رقبتى ذلك الحبـــل المتين ، لا استطيع الحراك ، مقيد اليدين والقـدمين ، ثم اهوى بعديرهة الى الموت والعدم ؟!

بدنى يرتعش ، قلبى يرتجف ، شعيرات راسى تقشعر ، وجهى ممتقع.. لمجرد افتراض اننى فى مكانه وموقفه !..

فما باله هو ؟.

هو الموقن بانه لا امل له . وانه مقتول ... مقتول لا محالة ؟!

رباه ! الرحمـــة بى وبه ...

ومع ذلـــك فمازالت اذكره جيدا !...

اذكره صـبيا يجلس الى جوارى على تختة الفصـــل فى المدرسـة الابتدائية ... صـبيا وديعا ذكيا . يتكلم قليلا ويبتسم كثيرا !

اكان يعلم وقتها مـا يخفيه له القدر ؟!

اكنـت أعلم أنا أننى ساقف اليوم امامه لارقبه وهو يموت ولا استطيع له شيئا ؟!..

يا للجحيم !

أيها القدر العابث ، اليس من دلالات عبثك الاحمق أن تصـنع من أحد الصبيين الصغيرين مجـرما قاتلا ، والاخر ضـــابطا يجرى خلف القتلة ؟

لماذا ؟ لماذا لم اكن انا اى شىء اخر سوى هذا.

ولماذا لم تغـــل يده وهو يطلق النار فيصرع المرأة المسكينة ؟.. هو الذى كان متفوقا علينا، هو الذى لم يعرف اللعب واللهو مثلنا ، لا يكـاد ينتهى حتى يحمل كتبه على صدره ويهرع الى بيته . حتى اثامنـــا الصغيرة لم يعرفها !

لم يسرق الحلوى فى غفلة من البـــائع . لم يختلس اقلام زملائه !

كيف ايهـــا القـدر العجيب تحوله الى قاتل يسفك الدماء البريئة ؟. كيف صنعت منه جمادا يضغط الزناد وهو هادىء

ثم يرقب المـرأة تتلوى وتنتفض وتموت وتغـرق فى دمائهـا . ثم يسرق مالهـــا وما ادخرته لشيخوختها ؟!.

عبث فى عبث ..!!..

لو لم يعترف بمـــا اقترف امامنـــا ، لـما صدقت من ذلك شيئا .

يومهـا نظر الى تلك النظرة التى لاتنمحى من مخيلتى ، ثم خفض بصره

نظـــــرة لاتغيب

وطفلت ماقيه دمعة واحدة سالت فى صمت تبلل خديه ثم تسقط على الارض ·

يالها من نظرة كتب على أن اذكرها الى الابد !

ولقد رجوت رئيسى امس بشدة والحاح أن يعفينى من حضور هذا المشهد ، ولكنه رمقنى بنظرته الهادئة المعهودة، وابتسم ابتسامة فيها التشجيع كله وسألنى بنبرته الهادئة الوقور :

ـ لم ؟··

واختلقت له كل المعاذير والمبررات ·

وعاد يبتسم مدركا فاهما ثم يقول :

ـ هذا لا يكفى

قلت له برجاء :

ـ انها اول مرة أحضر فيها تنفيذ حكم اعدام !

قال فى صبر :

ـ لابد لك دائما من مرة اولى !

وفى محاولة اخيرة مستجدية مستميتة قلت:

ـ لقد كان زميلى فى المدرسة !

رمقنى فى هدوء ··· أعطانى سيجارة وأشعل لنفسه أخرى نفث دخانها فى الهواء ، ثم قال :

ـ ذلك أدعىلحضورك

بدت الدهشة فى ملامحى فاسرع يقول :

ـ لو شئت النجاح فانس انك انسان ، وتذكر دائما انك رجل واجب وعمل · لا سبيل لك الا هذا ···

لم اقتنع ، وعاد يقول :

ـ الم يقتل ؟·· الست متأكدا أنه قاتل ؟ ما قولك فى الدين ما قولك فى القانون · اليس من قتل يقتل ؟

هممت بالاعتراض ·

اشار اشارة آمرة أن اصمت ، قال فى لهجة مقتضبة :

ـ لا تتأخر غدا عن موعدك · تفضل !

غادرت حجرته وانا حانق !



عدت للمنزل ممتلئا بالسخط · قوم لايعرفون الشفقة !

وهاهو الصباح اخيرا بعد ليلة مسهدة ·

اقترب الموعد ، لميبق عليه سوى ساعة · فليرحمنى الرحمن !

بدا السجن كئيبا ، رمقت الراية السوداء ترفرف على مبناه ، انقبض قلبى وتلوى شىء فى باطنى يعتصره اعتصارا ·

رايت شقيقه يقفبعيدا على الباب · تحاشيت ان انظر اليه ·

السجنصامت ، صمتا غريبا ·

اين المساجين ؟ اين صخب النزلاء المعتاد ؟ يا للكآبة ···

قابلنى المأمور بترحاب عجيب ، كأنه لا ينتظر شيئا غريبا ·

طلب لى شايا ، لم اذقه !

حضر وكيل النيابة · أنيقا تفوح منه رائحة عطر ثمين ·

حيانا فى حبور وبشاشة ، ياله من رجل بلا مشاعر ···

اخذ يثرثر مع المأمور ويضحك · لعله قال نكتة ! من يدرى ؟··

نظرة لا تغيب

حانت اللحظة ، غادرنا الغرفة ...

وقفنا في الردهة ، أمام الغرفة الرهيبة •

الجلاد ومساعده يثبتان الحبل الغليظ •

شتمته في داخلي • الرفت فيه غضبي في صمت •

ما هو الا قاتل مرخص ، يتقاضى القروش لقاء الرؤوس •

ليس انسانا على أي حال !

أتى الواعظ ، مسبلا محمر الوجنتين منتفخ الجفون • يفتح عينيه المحمرتين بصعوبة بالغة

اصطف الجنود على جانبي الردهة في الممر الطويل •

الغرفة باهتة معتمة ، الحبل يتدلى في منتصفها كشبح الموت !

رأيته من بعيد • يتقدمه ضابط يسير بخطوته المنتظمة وكأنه في طابور استعراض •

يتأبط ذراعيه الحارسان، القيد الحديدي في يديه ، ينقل قدميه بصعوبة وكأنه يقتلعهما من الأرض اقتلاعا !

اقترب أكثر • اختلست نظرة الى وجهه •

رباه ! •• ماله هادىء هكذا •• لم لا يصرخ ؟ لم لا يتوقف عن السير؟ ألا يعلم أنه يسير الى المشنقة ؟!

وقفوا به أمامنا ••• لم انظر اليه ، وأخذت انظر الى السقف البعيد•

تقدم منه المأمور • قال له بثباته المعتاد في هذه الامور :

– تحددت هذه اللحظة لتنفيذ حكم الاعدام الصادر عليك !

– عدت أرمقه خلسة• هز رأسه في استسلام ، لن أنظر الى عينيه !•• كفاني منهما نظرة واحدة لا تغيب !

أخذ المأمور يتلو حيثيات الحكم وكأنه يتلو قطعة محفوظات •

اللحظات تمر كأنها حقب • الالم يعتصرني ، روحي كلها تغوص الى قدمي ، يداي ترتعشان • لم أعد أستطيع الاحتمال ••• من أين لي القوة على كل هذا ؟

سأله المأمور بنبرة روتينية :

– أتريد شيئا ؟

تلاقت نظراتنا على غير انتظار •

ياللشيطان !••• لماذا نظرت اليه في هذه اللحظة ؟•• انه يبتسم في هدوء ••• أتراه فقد العقل والاحساس ؟!

أرجوك يا أخي لاتظن انني أتيت الى هنا اليوم برغبتي ، ليتك تعلم كم حاولت ألا آتي ، ليتك تعلم !

أتاني صوته الهادىء •• انه نفس الصوت القديم للصبي الوديع ، قال في ثقة وايمان :

– حكم الله علي •• جزاء حق لما اقترفت يداي • لا أروم الا مغفرة الرحمن ، تلك محنة وامتحان ، وأنا قابل للجزاء ••

ثم تلا آية من القرآن

تقدم منه الواعظ وأخذ يتكلم بسرعة ، واجب عليه ، يريد أن يفرغ منه ، أخيرا طلب منه الاستغفار ، فاستغفر ، تلا الشهادة مرتين ، تراجع الواعظ الى الخلف وهو يجفف عرقه بمنديل أزرق •

تناوله مساعد الجلاد، استسلم هو تماما •

نزع القيد الحديدي من يديه ، قيده من الخلف برباط مطاط •

كيف يمكن أن أهرب من هذا المكان ؟



قدماى تسمرتا الى الارض ، العرق البارد يبلل جبينى ...

نظرت اليه خلسة ... ما الداعى لهذا الفضول المقيت ؟!

وجهه اصفر ، ذقنه ترتعش ، اهدابه ايضا ترتعش · نظراته زائغة ولكنه صامت مستكين ، شفتاه تتمتمان ·

انتفض فجاة وارتعش بدنه كله ، لوى عنقه يمينا ويسارا ·

هيهات ... لا مفر !

اتوا بالحبل !..

وضعوه حول عنقه ، ثبت الجلاد عقدته فى قفاه ·

وضعوا الطاقية السوداء على رأسه ، اخفت وجهه تماما ·

أهذه رحمتكم ؟

أن تخفوا عينيه الان؟ ماذا تريدون أن تخفوا عنه ؟..

الم تضعوا الحبل حول عنقه ؟·

الم يركم وأنتم حوله شهود على موته ؟·

الم يحس بخشونة الحبل وبعقدته ؟

الم تثبتوه مثل زكيبة الدقيق على الطبلية ...

الم يحس ويشعر بكل هذا ...

ألغاية الرحمة ألا يرى الاشارة تصدر من يد المأمور ؟..

أتلك رحمتكم يا قوم؟

نظرت الى وكيل النيابة ، وجهه كالحجر الصلب ، لا تعبير على الاطلاق ·

رفع يده الى ياقته أصلح رباط عنقه الفاخر ... أناقة !

الطبيب هنا ، عاقد ذراعيه على صدره ، لا يبالى ، الامر لا يعنيه ·

الحبل لا يلتف على عنقه هو !

رفع المأمور يده وأنزلها ...

جذب عشماوى الذراع الحديدية ·

انفتحت الطبلية تحته وهوى الى الفراغ !

صرخته مختنقة ، كالعواء المكتوم !

الحبل يدور به الى أسفل · يدور دورة الى اليمين ودورة الى اليسار ، ظل يتأرجح هكذا ، ثم سكن بالتدريج

انتهى كل شىء ...

الصمت يخيم على الجميع ·

بعد دقائق نزل الطبيب الى أسفل ، جس نبضه ، ثم صعد ، قال وهو يحك أرنبة أنفه بلا مبالاة :

ـ توقف النبض !

رفعوا الجثة ، لم أطق أن أراه !

لاحت لعينى صورة الصبى الوديع ...

ضاقت الدنيا فى وجهى ·

غادرت السجن مذهولا ... تلقفنى الشارع ·

خضت فى غمار الناس·

وودت لو تحدثت مع أى انسان ·

وددت لو سألت أى رجل : ألم تقترف فى حياتك اثما ؟

كلنا اقترفنا آثاما صغيرة ، ولكنها كلها قابلة للغفران ·

أما آثامنا الكبيرة فياويلنا منها يا ويلنا !

قابلنى رئيسى فى هدوء ... سألنى ببساطة لعلها متعمدة :

ـ كيف مر بك الموقف ؟

نظرت اليه فى سخط ، لم أتمالك نفسى ... جرت دموعى على خدى ...

دير سانت كاترين

منذ اسابيع اضرمت اسرائيل النار فى دير سانت كاترين بسيناء . مثلما اشعلتها منذعامين ونصف العام فى المسجد الاقصى ، فاسرائيل تضمر الكراهية للاسلام والمسيحية على السواء . ومن يقرأ « بروتوكولات » حكماء صهيون لا يستطيع ان يتصور فيمن يحرقون اغلى مقدسات الاسلام والمسيحية . ان دير سانت كاترين صومعة علم ، وخزانة وثائق ، ومعرض تحف وايقونات . انه اقدم اديرة العالم ، وهو الثانى فى القيمة الأثرية والفنية بعد الفاتيكان فى روما .

■ فوميل لبيب ■

أقدم أديرة العالم ومتحف المسيحية الثاني بعد الفاتيكان



دير سانت كاترين .. قلعة بين جبل الأنبياء وجبل المناجاة، فيه ١٨ كنيسة ومسجدا. «صورة التقطها المهندس الفنان فوزى منصور»



دير سانت كاترين متحف له سمة القلاع ، يقبع في واد بين جبلين ··· أما كيف بني الدير فهـذا تاريخ ···

عندما انتشرت المسيحية في مصر تصدى لها الرومان ـ حكام البلاد ـ بالاضطهاد ، وتعقبوا من اعتنقوهـا ليلقوا بهم الي الوحوش او يسحلوهم في الطرقات · وفي عهـد دقلديانوس حدثت مذبحة الاسكندرية الكبرى فسمي العهد « عهـد الشهداء » ، ومنه بدأ التقويم القبطي المعـروف · وازداد المؤمنون بالمسيحية تمسكا بعقيـدتهم ، واتجهوا الي الصحاري والقفار يعيشون فيهـا حتى لا تبلغهم يد البطش ولا سيوف الوثنية · وكانت سيناء احدى الجهات التي اتجهوا اليها ، كما اتجهوا الى وادي النطرون ، والصـحراء الشرقية ، والواحات البعيدة المتناثرة في قلب الصحراء الغربية ···

وانتشر صيت رهبان سيناء لان الذي يعانونه في موقعهم البعيد اصبح دليلا جديدا على الصلابة في الدين والرسوخ في العقيدة ، فزارتهم الملكة هيلانة ام الامبراطور قسطنطين الاكبر · وأمرت ببناء كنيسة حول العليقة سميت كنيسة التجلي ، اذ هناك تجلى الوحي الالهي · ولكن الكنيسة بنيت وظل الرهبـان في مغاراتهم المتناثرة حولهـا ، ينكل بهم المعتدون ولا يجدون ملجأ يحتمون به · وقد استغاثوا بالامبراطور جلاستنيان الذي أوفد من يبني لهم الدير الحـالي بسور سميك يرتفع الى خمسـة عشر متـرا أو اثني عشر ـ حسب طبيعة الارض ـ يحيط به فدان ونصف فدان من الارض ، وترتفع على سوره بوابة سميكة لا تفتـح الا اذا نظر راهب الحراسة من كوة اعـلاها ليعرف من القارع ، وقد لا يضطر الى فتح الباب ، ويكتفي بأن يدلي سلبة يأخذ منها رسالة أو بضاعة ، أو يبعث فيهـا للطارق والمسافر بخبز وماء للطريق ···

ولكي يضمن الامبراطور جوستنيان حماية لهؤلاء الرهبان بعث بمائتين من جنوده ·· مائة من الصقالبة سكان البوسنة ـ وهي الان احدى جمهوريات يوغوسلافيا ـ يشتهرون بطول القـامة والصلابة ، ومائة من جنود مصر ابناء

المنطقة · ويقال ان قبيلة الجبالية التي تحرس الدير للان ·· والتى تنتشر فى وادى فيران ، بقايا من سلالة الصقالبة والمصريين ···

● حوار مع خمسين فيلسوفا ●

على أن جوستنيان وهو يبنى الدير قلعة لم يفته أن يبنى الكنائس فى قلبه تحفا معمارية تنافس ما خلف فى روما من ايات البناء · وقد سميت الكنيسة الكبرى كنيسة الخلاص ، وحمل الدير اسم السيدة العذراء فى ذلك الحين ··· وقد تم بناء الكنيسة بين عام ٥٤٨ و ٥٦٥ ميلادية ، **ولكنها بعد ثلاثة قرون حملت اسم سانت كاترين وارتفع فوقها علم يحمل الحرفين الاولين من اسمها باليونانية « ا · ك » اى اجيا كاترينا ، واجيا هى القديسة ·**

ولسانت كاترين قصة ترويهـــا كتب القديسين وسير الشهداء · فهى مـــن الاسكندرية ، وما أعظم الاسكندرية فى تصدير الشهداء والرهبان ··· اعتنقت المسيحية على يد زاهد كانت مخطوبة له ، وتفانت فى الصلاة حتى اتفقت مع

مسجد فى دير سانت كاترين ، تضاء انواره فى ليالى رمضـــان

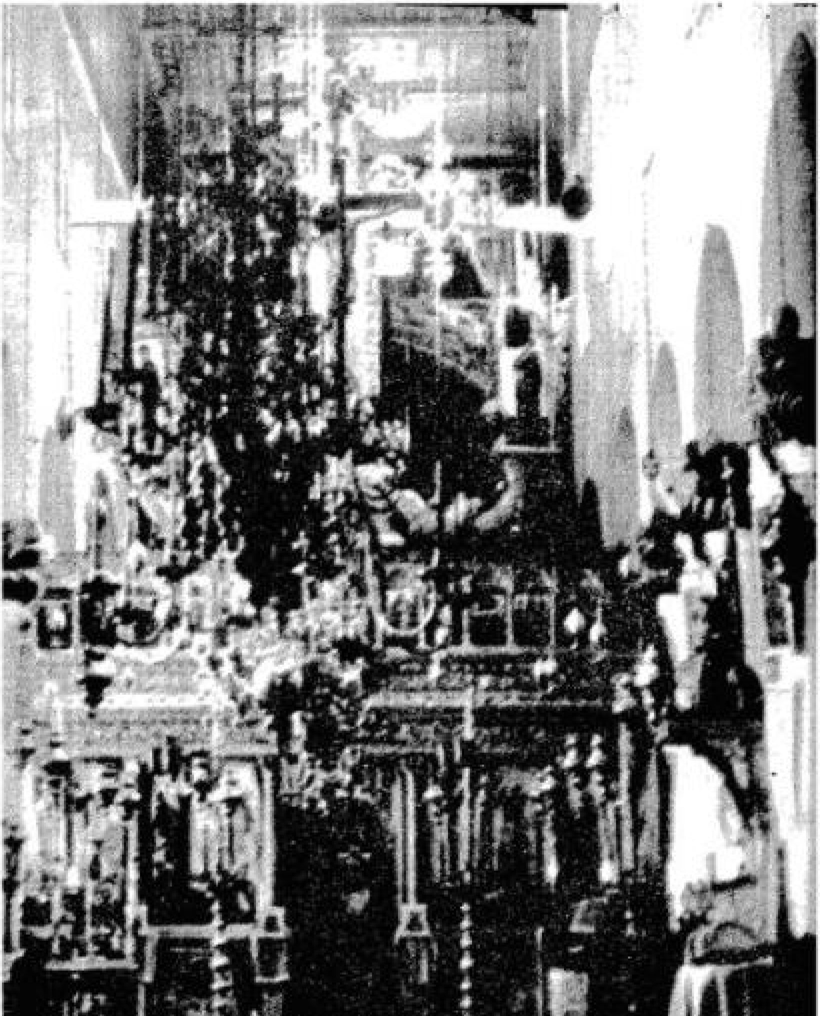




البهو الرئيسي لكنيسة سانت كاترين ، تزينه الثريات واللوحات النادرة

ايقونتان نادرتان من كنز ايقونات في دير سانت كاترين، الأولى لرئيس الملائكة ميخائيل ، والثانية للسيدة العذراء، تحمل الطفل يسوع .





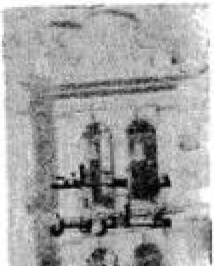
الزاهد على أن يتفرغا للعبادة والتخلي عن كل متعة دنيوية • وفي سن الثامنة عشرة صحت من نومتها مبهورة وتطلعت الى اصبعها وسالت من عينيها الدموع• وتجمع أهلها حولهـا يستوضحون سر دموعها • فقالت لهم أنها رأت السـيد المسيح في منامهـا وهو يلبسها خاتم خطبة في يدها • ومدت أصابعها أمام أعينهم وهي تقول :

ـ وصحوت من النوم فوجدت الخاتم في أصبعي !

واعتبرت كاترين نفسهـا عروس المسيحية • فراحت تبشر باسم المسيح حتى سمع بهـا الامبراطور فاستدعاها اليه ليسألها لماذا كفرت بآلهة روما ، فراحت تتحدث في صوت عـذب عميق عن دينها ، ورفض الامبراطور ان يستمر في الإستماع اليها ، وقال لهـا انه كامبراطور لا يناقش العقائد ، فهذه شغلة الفلاسفة ••• ثم عين لجنة من خمسـين فيلسوفا لتناقشها ، فـاذا بكاترين تخرج من اللجنة التي استمرت أياما في الحوار وقد حولتهـا الى المسيحية !••

وجن جنون الامبراطور ، فأمر بالقبض عليها وأودعها السجن ، ولكنها راحت تبشر بالمسيحية حتى جعلت حراسهـا يعتنقونها • وما ان بلغ الخبر الامبراطور حتى أمر بتعذيبها حتى الموت ، وأذاقها غلاظ الاكباد فنون التعذيب حتى هشموا عظامها ثم بتروا بالسيف رقبتها •••

وحول سانت كاترين التي أصبحت قديسة المسيحية في القـرن الرابع ، نسجت الاساطير واختلطت بالحقائق • وآخر ما تردد عنها كان في القـرن السابع حين صحا أحد رهبـان دير السيدة العذراء من نومه وقال انه رأى في المنام رتلا من الملائكة يحمل جسـد سانت كاترين من الاسكندرية الى جبـل قريب • وتحرك الرهبان صعودا الى قمة الجبل وهناك وجدوا جسدها ، وبجانبه رأسها المفصول •• وسمي الدير بعـد ذلك دير سانت كاترين •••



● آثار اسلامية تستوقف النظر ●

وكان كل امبراطور مسيحى يضيف الى كنائس الدير كنيسة أو لوحـــات وأيقونات تحمل أسمه ، وعلى مرالقرون احتوى الدير من النفائس ما يعتبر الان تاليا لما فى متحف الفاتيكان من آثار المسيحية • وكان رهبان الدير علماء فى

اللاهوت يخطون على البردى أو الورق بحـــروفهم ويكتبون الاناجيـــل بشتى اللغات • وفى الدير وثائق من العلوم القديمة كتبت باثنتى عشرة لغـــة وهى مراجع علمية نادرة لمن يريد أن يفتش فى الماضى ويقيمه •

ولا يخلو الدير بعد هـــذا من آثار اسلامية تستوقف النظر فى معنى عناقها بمـــا خلفت المسيحية فى ذلك الوادى البعيد من آثار •

تعال نتجول فى دير سانت كاترين ••

كنيسة الخلاص متحف معمارى فى كل شبر منها ، من أعمدتها الى حوائطها الى سقوفها ••• ستحلق عينـــاك أولا بذاك السقف الذى يظل الكنيسة على شكل قبة فيها مناظر الفسيفساء للسيد المسيح بين الرسل والانبيـــاء ومؤسس

الكنيسة • على الحوائط لوحات رائعة الصنع ، لا تنتشر هنا فقط بل تجـدها فوق كل حوائط الكنائس والهياكل السبعة عشر الاخرى ، فضلا عن متحف الدير • عدد اللوحات ١٥٠٠ لوحة منهـــا ٣٥٠ تاريخها القرن السادس الميلادى •

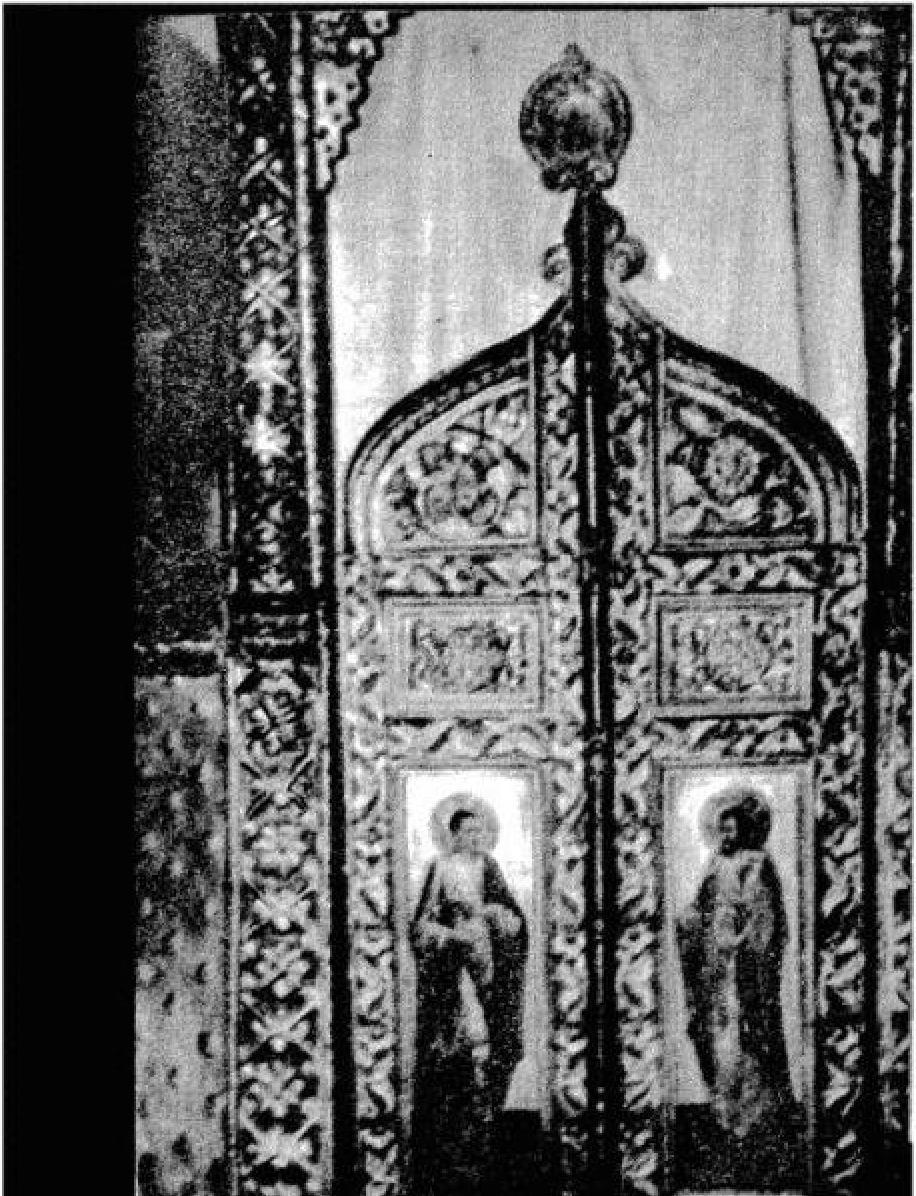
والى جانب اللوحات تزين جـــدران الكنائس فى قلب الدير ألفا أيقونة وأكثر تعتبر أقدم وأكبر مجموعة من الايقونات فى العالم • والايقونة فن مصرى صميم أهدته مصر للعالم • ويعـــد المهندس الفنان فوزى منصور بحثا عن أصول هذا

الفن الشرقى المصرى ، ومن أجل هـــذا البحث اختلف الى دير سانت كاترين غير مرة ونقل صورا للايقونات بدقة وأناة باحث مدقق •

وتلقى هذه الايقونات اهتماما عالميا فقد انعقد فى عام ١٩٦٦ المؤتمـــر البيزنطى الدولى الثالث عشر فى جامعة اكسفورد بلندن واشترك فيه ٣٥٠ مـن



دير سانت كاترين ، مزار سياحى تقصده السياح من انحاء العالم.





في متحف الدير ، صوان يضم عشرة تيجان من الذهب الخالص مرصعة بالاحجار الكريمة النادرة.

حجاب هيكل كنيسة سانت كاترين ، وعليه لوحتان لقديسين « وهو يعتبر تحفة فريدة » . . . »





اساتذة اللاهوت والترميم والتاريخ في جامعات العالم ، وحمل اليه الارشمنديت جريجوار الثانى مطران الدير تقريرا عن حالة اللوحات والايقونات وماتحتاجه من اصلاح ·· وفي نفس العام زارت الدير بعثة من جامعات الاسكندرية وبرنستون ومتشجان ، والاخيرتان امريكيتان ، لدراسة اثار جوستنيان وتصوير الايقونات النادرة ، ورافق البعثة الدكاترة فوزى الفخرانى ، وداود عبده ، وسامى شنودة ·

وكان الطابع الشرقى فى هذه الاثار الفنية داعيا الى التامل فى دلالته ، واليقين أن بعض الايقونات قد أبدع بعد انتشار الاسلام فى المنطقة ، اذ وجدت عليه كتابات عربية ، كما أن ملامح القديسين فوق اللوحات والايقونات شرقية صميمة ، لم تتأثر بموجات الرسم فى عصر النهضة ، تلك التى صورت القديسين بملامح غربية : شعور منسدلة، وعيون زرقاء ···

وقد عكفت بعثة الجامعات الثلاث على وضع كتاب عن هذه الاثار الفنية من خمسة اجزاء ، بينما تفرد الدكتور داود عبده بدراسة العلاقة بين أيقونات دير سانت كاترين ومخطوط قبطى عثر عليه فى دمياط وموجود الان بالمكتبة الاهلية فى باريس ··· على أن اقدم ايقونات الدير ايقونة للقديس بطرس الرسول ·

وقد تعرضت أيقونات الدير للتدمير فى عهد احد أباطرة المسيحية فى القرن الثامن الميلادى ، وأصدر الامبراطور امره باعدام هذه الايقونات ، فبادر الرهبان الى اخفائها ، واحتموا بالحكام المسلمين ـ اذ كان الدير يقع فى دائرة حكمهم ـ وحمى الحكام المسلمون الايقونات ·

فاذا انتهيت من بند اللوحات والايقونات فاليك بند الهدايا والنفائس فى دير القديسة الشهيدة :

● فى هيكل كنيسة الخلاص تابوتان من الفضة ، رسم على غطاء كل منهما صورة القديسة كاترين مصنوعة من الذهب الخالص مرصعا بالاحجار الكريمة ، أحدهما هدية القيصر بطرس الاكبر الذى كان يعتبر نفسه عامود المذهب الارثوذكسى ، والثانى هدية القيصر الكسندر الثانى · وفى الصندوقين تحفظ الهدايا الثمينة التى كانت نذورا يبعث بها الملوك والامراء الى الدير خلال القرون المتعاقبة · والى يمين المذبح ·· فى كنيسة الخلاص صندوقان من

الفضة المنقوشة أحدهمـــا يضم جمجمة القديسة كاترين يحيط بها تاج ذهبي مرصع بالجواهر ، والثاني يضم يدهـا اليسرى تزينها الخواتم المرصعةبالاحجار الكريمة · تعرض هـــذه البقـايا من القديسة الطاهرة يوم ٥ نوفمبر من كل عام على رهبان الدير وزائريه في عيد استشهادها ·

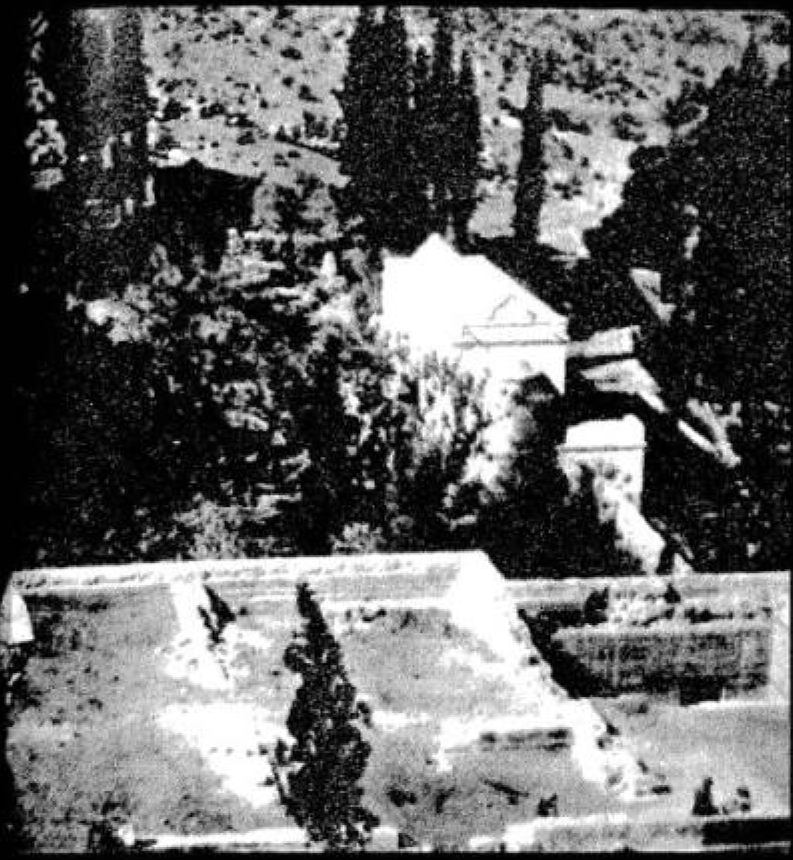
● ١٠٦٧ وثيقة عربية ●

على أن اخر ما تلقاه الدير مـــن هدايا ونذور قلادة ماسية قدمها الملك قسطنطين ملك اليونان السابق عندما شاهد الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على انشاء الدير منذ ستة أعوام ، وقدم الانبا مكاريوس صينية فضية ، فضلا عن الصليب الاعظم الذى قدمه مطران فنلندا ، وطاقم القهوة الذهبي وسوار الذهب وانموذج الكنيسة العـاجي التي قدمها مطران روسيا · وثمة زورق من فضة عليه رسم بحارة من فضة أهـداه ثرى داهمه الموج وهو في قلب المحيط فنذر لسانت كاترين هذا النذر ان انقذته، ووفى بالنذر ··· وهناك عشرات مـــن النذور لا تقدر بمال تضمها صـناديق الديرومتحفه ، منها عشرة تيجان مرصعة بالماس اهديت الى أساقفة الدير مـــن الملوك والاباطرة والقياصرة ، ومنهـــا ثياب مؤ#% الطارنة يتخلل نسيجهاخيوط الذهب والفضة ··· ومنهــا صلبان وأغلفة اناجيل ذهبية ومرصعة · وفيها بقايا من اجســاد القديسين : جمجمة القديس يوحنا وذراع القديس باسيليوس وفك القديس جريجوري ·

ثالث الذخائر في دير سانت كاترين مكتبة ، حيث تحوى عددا كبيرا من الكتب القــديمة والمطبوعة والمخطوطات التي تجمعت فيه منذ انشائه بفضل الرهبان الذين كانوا يأتون اليه من كل انحاء الامبراطورية الرومانية ، ولهذا تضم المكتبة مخطوطات وكتبا باثنتي عشرة لغة - كمـــا قلت - هي اليونانية ، والعربيـــة ، والسريانية ، والقبطية ،والجورجانية ، والحبشية القـــديمة ، والتركية ، والفـارسية ، والارمينية ، واللاتينية ، والسلافونية ، والبولونية ،

ومعظم هذه المخطوطات لاسفار الكتاب المقدس ، اذ يوجد في الدير ايضا اقدم نسخة منه في العالم كله · وقد قامت مكتبـــة الكونجرس الامريكية بواشنطن بتصوير أهم مخطوطات المكتبة بالميكرو فيلم وبفهرسة المخطوطات في عام ١٩٥١ ، ونشرت ذلك في مجلدين ، ووجدت أن بمكتبة الدير ٣٣٢٩ مخطوطة ، و ١٠٦٧ وثيقة عربية ، و ٥٤٩ وثيقة تركية ، ومجموعة المخطوطات اليونانية بالدير أكبر هذه المجموعات ، وقد قسمت الى ٢٢ موضوعا بحيث مادتها ، ومن هـذه المجموعة النص اليوناني للكتاب المقدس الذى كتب في القرن الرابع الميلادي ··· وقد انتقلت من الدير الى متحف سانت بطرسبورج في منتصف القرن التاسع عشر ، نقلهـا تشيندروف ، واشتراها المتحف البريطاني بعد الثورة الشيوعية بمائة الف جنيه ···

وتلى المجموعة اليونانية في المخطوطات المجموعة العربيـــــة واكثرها بالخط



لقطة للدير من فوق الجبل وحوله أشجار سامقة وسور منيع .



في المجد : اجراس
الكنيسة معلقات في دير
سانت كاترين . . .



الكوفى ، وقد كتبت على مدى عشرة قرون ، من القرن التاسع الى القرن الثانى عشر ، وهى تتناول عديدا من الموضوعات بين أجزاء من الكتاب المقدس وكتب كنيسة ولاهوتية وتاريخية وقانونية • بل فى الدير باللغة العربية اقدم مخطوط طبى فى العالم ، هو كتاب الطبيب على بن عيسى فى طب العيون • ومن اثار الفتح الاسلامى التى يعتز بها الدير عهد مكتوب قيل أن النبى عليه الصلاة والسلام منحه لرهبانه لحماية أرواحهم ، وقد استولى عليه السلطان سليم الاول حين فتح مصر ، ووضع بدله صورة منه عليها امضاؤه •

ويضم الدير مسجدا شيد فى العصر الفاطمى بناء على رغبة الوزير أبوجعفر انوشتكين ، وقد ورد الامر ببناء المسجد فى سجل النص المكتوب بالكوفية على منبر الجامع ، وللمسجد مئذنة ترتفع الى عشرة أمتار قبالة برج الكنيسة ••• تضيء المئذنة فى ليالى رمضان فيفطر المسلمون حول الدير ، وتدق أجراس الكنيسة فتتعانق رسالات السماء فى البقعة المقدسة •

والجولة داخل المسجد تضعك أمام أثر اسلامى قيم بتاريخه وفنونه • ففيه القراءة الخشبية والمنبر الخشبى ، ويرجع تاريخهما الى عام ١١٠٦ ميلادية وليس للمنبر صنو فى العالم الاسلامى غير قطعتين واحدة منهما فى بلدة قوص فى أعماق الصعيد ، والثانى فى حبرون بفلسطين المحتلة ، وتزينها ذات النقوش من اشكال النبات وزهور وأغصان ، فضلا عن المربعات والمكعبات والمسدسات الهندسية ••• وفوق المنبر ستة أسطر فيها « أمر بانشاء هذا المنبر • السيد الاجل الافضل أمير الحرمين سيف الاسلام ناصر الامام كامل القضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ابوالقاسم شاهنشاه فى سنة ٥٠٠ هجرية » • أما الكرسى الاثرى فى قلب المسجد فهو على شكل هرمى نقش على جوانبه الاربعة سطران بالكوفية جاء فيهما « بسم الله الرحمن الرحيم : مما أمر بعمل هذا الشمع والكراس المباركة والجامع المبارك الذى بالدير الاعلى والثلاثة المساجد التى فوق مناجاة موسى عليه السلام ، والجامع الذى فوق جبل دير فران ، والمسجد الذى تحت فران الجديدة ، والمغارة التى بحصر الساحل الامير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها أبو المنصور انوشتكين الآمرى » • وقد



وصف هذا الجامع كل رحالة أوربي زار المنطقة ، ووصفه بالدهشة ٠٠ لان اوربا لم تكن تعرف السماحة في امور الدين ٠

وللجامع ثريا تضـــــاء بستة عشر قنديلا بالزيت ٠ وهو يفتح ابوابه لـكل البدو حول الدير ٠٠ وللدير طاحـونة غلال ، ومولد كهرباء ، ودار ضيافة ٠ وفي هذه الدار يقيم الزائرون مقـــابل ايجار رمزي ، وقد أقام فيها أكبر العلماء واساتذة الجامعات من كل أنحاء العالم

على أن الدير ليس المزار الوحيد في تلك الرقعة !٠٠ ان الجبـال من حوله مزار آخر ٠٠ أن الرهبان مهدوا ٣٠٠ درجة من الحجر تصعدها الى قمة جبل موسى في ساعة ونصف الساعة ان كنت في أواسط العمر ، ودون ذلك او اكثر حسب ما سـجلته من أعوام العمر . وجبل الراهبات تروى عنه قصة عدوان بعض البـدو عليهن ، وكن في خلوة الصلاة ، فما ملكن الدفاع امامهم الا حين القين بأنفسهن من قمة الجبل !٠٠

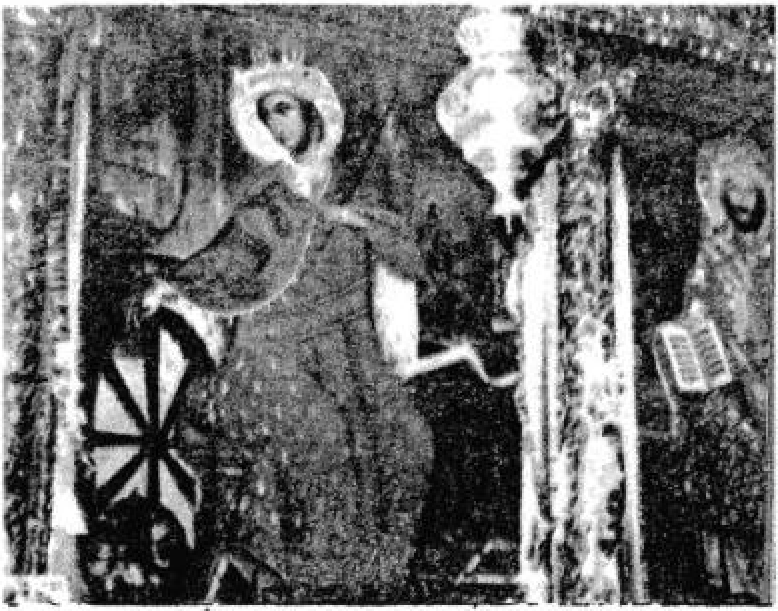
تصد هذه الجبال الريح الباردة عن الدير فتبقي عليه دفئا يرحم سكانه من ريح صرصر ثلجية تدق العظـام دقا ، وتسطع الشمس على الدير أكثر ايام العام بينما يسبح في هدوئه وروحانياته ليل نهار ، لا ترتفع منه غير التراتيل أو صوت المؤذن ، وكلها مناجاة لله قرب أول جبـل للمناجاة عرفه التاريخ ٠

وقد داهم الدير سيل فسقطت أسواره عام ١٨٠٠ ، وكان نابليون في مصر فأرسل قائده كليبر ليصلح سور الدير أو يعيد بناء ما انهار منه ٠ ووضـــع نابليون لوحـــة رخامية تشير الى أن الاصلاح انجز في أول مايو عام ١٨٠١ وقد تكلف ٣٢٠٢٨ قرشا عثمانيا ٠

● الصهاينة احرقوا وسرقوا ●

وماكادت اسرائيل تحتل سيناء في أيام النكسة حتى عبثت بمقدسـات الدير ، واتهمت رهبانه العشرة بأنهم يخفون الفدائيين عندهم ٠ وحملت اربعة منهم الى القدس المحتلة لارهـــابهم ، وظلت تدق بكعوب جنودها أبواب الدير فتفتح الابواب للطـــاغوت الصهيوني الذى لا يحترم دينــــــا ولا أثرا ولا حضارة ٠ لقد سرقوا تل العذراء مريم من كنيسة القيامة ، واحرقوا المسجد الاقصى ٠ فكيف يمكن أن يكنوا الاحترام لدير ســانت كاترين ؟٠٠ أحرقوه ، أشعلوا فيه نارا ، ومثلوا تمثيليتهم التقليـدية ، اذ طـــار قوادهم اليه بالهليكوبتر ، بينما قال أسقفه جريجوار الذى كان يمضي اياما في القاهرة ، أنه يعتقد أن الحريق مدبر وأن القصد منه اخفاء جرائم سرقة ارتكبتهـــــا اسرائيل !

ان الدير معلم حضارى يهم الانسان في كل مكان ٠ انه متحف نادر المثال٠ وقد حاول البعض تقدير محتوياته فقال أنها تساوى عشرة ملايين جنيه ، اما



ايقونة القديسة كاترين ، وهى اقدم ايقونة تحمل صورة القديسة الشهيدة ..



البعض الاخر فقال ، من مقتنياته ما لا يقدر بمال ... ولكن الصهاينة هونوا انباء الحريق بدعايتهم ، وما اشاروا من

قريب أو بعيد الى اتهام اسقف الدير لهم بالسرقة !

يجب ان تقوم لجنة دولية ، من اليونسكو مثلا ، تحصر ما فى الدير

وتراجعه وتضاهيه على ما سجل فى السجلات المطبوعة بأوصافه ، وما صور فى مكتبة الكونجرس من واقع اصوله.

ان حريق دير سانت كاترين ينبغى الا يمر كحدث فى اجتماعيات النكسة ، انه يستحق تحقيقا دوليا يقول للمتهم : انت لص .. وعليك ان ترد ما اخذت !.

■ ميشيل تكلا ■

البحار جسم مائي ضخم ، تغطي ثلاثة ارباع الكرة الارضية ، لكن محيط الهواء اضخم منها .. فهو يتحكم في حياة الانسان والمخلوقات الاخرى ، كما تتحكم المياه في حياة الاسماك ، فمن غير الاكسيجين تموت الكائنات الحية في الحال ... ومن غير تعرية الامطار للصخور لا تنمو النباتات ... وبدون ثاني اكسيد الكربون لا تستطيع النباتات أن تنتج

عن السموات الخمس





الكربوهايدرات ـ وهى الحلقــات الاولية فى سلسلة الطعام الذى تعتمد عليه حياة الحيوان ·

وبدون المظلة الواقية من الاوزون الذى يمتص الاشعاعات فوق البنفسجية من الشمس ، فان وجود البشرية قد يكون مختلفا عما هو عليه الآن ·· كل هذا مجرد جزء من القائمة الطويلة للخدمات العظيمة التى يقدمها الهواء الذى يستنشقه ثلاثة مليارات مــن المخلوقات البشرية ···

والجو عبارة عن خليط غير مرئى من الماء وبخار الماء والدخانْ وذرات الغبار ، بمــا فى ذلك كميــات لم يسبق لها وجود من المواد المشــعة المتساقطة ، بعثرتهــا الانفجارات النووية فى السنوات الاخيرة ·

وعند مستوى البحر الـذى يعتبر القاع الحقيقى لمحيط الهواء ، تجد ان قدما مكعبة من هذا الخليط يزن حوالى اوقية وربع اوقية فقط · اما القوة التى تجعل الجـاذبية محتفظة بالارض فى مكانها فتسبب لها بذل ضغط قدره ١٥ رطــلا على البوصة المربعة · ويتحمل الجسم البشرى هذا الحمل ببذله ضغطا يعــادل الضغط الجوى تماما كما تفعل الاسماك لكى تعيش تحت ضغوط عظيمة فى اعماق المحيطات · وتقل كثـافة الهواء مع الارتفاعات المتزايدة حتى تنعدم تماما فى الفراغ · ولكنه يبقى محسوســا لكى تسبح فيه الطائرات والبالونات على ارتفاع اثنى عشر ميلا او مــا يقرب من ذلك ··

● مناطق السموات الخمس ●

فى السنوات الاخيرة تغيرت وجهات نظر العلماء حول تحليل او «تشريح» جو الكرة الارضية ، فقسموا السماء الى خمس مناطق هى :

(١) الطبقة الجوية السـفلى التى نعيش فيهــا والتى تعــرف باسم (تروبوسفير)

(٢) الطبقة الطخرورية العليــا (ستراتوسفير)

(٣) الطبقــة المعــروفة باسم (ميسوسفير)

(٤) الطبقــة المعــروفة باسم (ايونوسفير)

● المظلة الواقية التى تمتص الإشعاعات فوق البنفسجية من الشمس

(٥) واخيرا الطبقة المعروفة باسم (اكسوسفير)

ويتركز ثلاثة ارباع الغلاف الجوى فى الطبقة السفلى مع الغبار والضباب والسحب والعواصف • وحدودها العليا الطبقة الجوية الوسطى « تروبوسفير » التى يحددها الهواء الساخن والبارد على ارتفاع منخفض لا يزيد على خمسةاميال فوق القطبين ، وعلى ارتفاع عشرة اميال فوق خط الاستواء • وفى منطقة الطبقة الجوية السفلى تنخفض درجة حرارة الهواء ثلاث درجات فهرنهايت مع كل ارتفاع قدره ١٠٠٠ قدم ، وبما أن الطبقة الجوية الوسطى منخفضة عند القطبين ، فان درجة حرارتها تنخفض فقط الى ستين درجة فهرنهايت تحت الصفر ، وفوق خط الاستواء تنخفض الى مائة درجة فهرنهايت تحت الصفر • وفى كل مكان خلال الطبقة الجوية الوسطى يتكون الهواء سواء أكان ساخنا أم باردا ، جافا أم رطبا ، سميكا أم رقيقا — من خليط ثابت : ٧٨٪ نيتروجين ، و ٢١٪ اكسجين ، و ٩٪ ارجون و ٣٪ ثانى أكسيد الكربون مع آثار من غازات أخرى ونسب مختلفة من بخار الماء •

أما الطبقة الثانية الطخرورية « ستراتوسفير » فتمتد من عشرة الى خمسة عشر ميلا ، وفى طبقة « الميسوسفير » الدافئة تصبح درجة الحرارة ٥٠ فهرنهايت وترتفع الى خمسين ميلا ، وهناك تغييرات كيميائية فعالة نشطة فى الهواء • وفى مقدمة هذه التغييرات اضافة الاوزون الى الخليط ، ويحمل نفس رائحة الغاز النظيف الذى يلاحظ حول المولدات الكهربائية والاضواء فوق البنفسجية وهى عبارة عن (اكسجين ثقيل) تحتوى كل جزيئاته على ثلاث ذرات من الاكسجين ، وتتكون عندما يمر شعاع من الاشعة فوق البنفسجية خلال الاكسجين العادى • وفى الجو العالى يمتص الاوزون الاشعاعات فوق البنفسجية التى تنبعث من الشمس •

وفى كل ثانية من ثوانى الحياة فان مليارات المليارات من ذرات الاشعة الكونية تنبعث من مناطق بعيدة فى النظام الشمسى وتصل الى جو الارض،

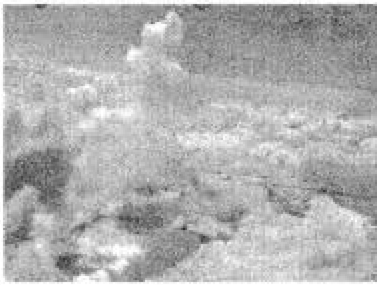
● تأثير المواد المشعة التي بعثرتها الانفجارات النووية في السنوات الأخيرة على الأرض

وتبلغ قوتها أكثر من مليار وات · وعندما تصطدم بذرات وجزيئات الجو تنتج أسطرًا من الذرات الثانوية تنتج في الحال وتواصل هبوطها إلى سطح الأرض · وكل ثانية تراجعها تصطدم كل بوصة مربعة من الأرض في كل طبقة · وأبدانها منها يصطدم بالشرائك البشرية في كل ساعة من ساعات الليل أو النهار · وهذه الذرات طاقة ثابتة ولا يمكن ملاحظة مخاطرها المباشر ولكنها لا تؤثر على الحياة لوجود الغلاف الجوي الذي يضعف مفعولها · ولو كانت هذه الذرات عميقة عن الشعاعات الكونية الزائدة لكان أثرها مهلكا للجنس البشري بأسره ·

أما منطقة «الأيونوسفير» فتبدأ من خمسين ميلا إلى ٦٠٠ ميل حيث الصفة تأثيرات جوهرية في الجو ، بالشمس ، الكبير ، والأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من الشمس تأين الهواء الخفيف وتنتج الكترونات كهربية مع الكترونات غير متحدة · وفي هذه النقطة ترتفع درجة الحرارة إلى ٢٠٠٠ درجة فهرنهايت ولكن الهواء يكون رقيقا · ورغم هذا فإن هذه النقطة لا تمثل إلا ١٠٠١ من وزن الجو فقط ··

● الصواريخ تكشف عن طبقة جديدة ●

وتعكس « الأيونوسفير » الموجات اللاسلكية التي تسافر الآلاف الأميال البعيدة المدى ، وقد عرف العلماء ذلك منذ عشرات السنين حتى عرفوا أنها منطقة من الطبقات المنخفضة الكثيفة التي تمكنت كل ملايين الشمس التي تسقط يوميا في التوسيع الأرض في نطاق تام · ولهم العلماء الأمر على حقيقته بضرورة الرجوع في السنوات الأخيرة عندما بدأ الأقمار بغزو الفضاء ووجهه الصواريخ إلى



الطبقات البعيدة جدا في الجو ، إلى أبعد ، منطقة خارجية ، وهي « الأكسوسفير » ·

وفي عــــام ١٩٦٢ كانت طبقــة « الأيونوسفير » تعرف بأنها محدودة بمنطقة تبيين فيها الذرات المتبعثة من الشمس · وفي نفس العام تقريبا كشف بحوث التوغل في الفضاء شيئا عن محتويات ومكونات « الأكسوسفير » ·· وقررت أنها طبقة ارتفاعها ٦٠٠ ميل من الهليوم تحيط بها طبقة من الهيدروجين تمتد إلى ١٠٠٠٠ ميل في أن تنتظر في مسافات الفراغ ··

وتســاعد الذرات والجزيئات من بعضها البعض في « الأكسوسفير » ولهذا تستطيع أن ترى المطعوة تسافر بعضها وفي تصــادم ســــب الأرض ، ولذلك فإن المحيط الجوي ساكن بحكم بل هو عبارة عن آلة بضخها تستخدم الشعاعات الشمس كمصدر لطاقتها بحرارة تيارات الهواء التي تدور حول الأرض فتكون الرياح ··

ويعتبر الســالم المعروف « أرثر بارس » مثل هذه الآلة المشعة على ، أن كل الأجسام في جميع درجــات الحرارة تشع موجات كهرطيسية من نوع ما ، تحتــال على بـــــا طول الزمن ، بيـــــا في ذلك الزمان

● توغل الصواريخ فى الطبقات الجوية العليا يكشف عن طبقة الاكسوسفير الجديدة

اللاسلكية الطويلة والقصيرة حتى الموجات الاقصر التى لا يزيد طولها على ثلاثين سنتيمترا والتى تستخدم عادة فى الرادارات ، وكذلك الموجات المتداخلة وموجات الضوء المنظور والموجات فوق البنفسجية واشعة « اكس » ، واقصرها جميعا اشعة « جاما » .

كل هذه الموجات لها نفس الطبيعة المادية ولكن أطوالها المختلفة تحدث تصرفات مختلفة . فكلما زادت درجة حرارة الشىء انبعثت منه طاقة كهرطيسية اكبر وموجات اقصر . وحرارة سطح الشمس عظيمة جدا لدرجة أن اشعاعاتها المستمرة تبدو فى الضوء الظاهر من مناطق الموجات الطويلة ، ومع ذلك فان الطبقة الجوية السفلى لا تتاثر مباشرة بهذه الاشعاعات الضوئية . واى اشعاع شمسى قد يفر او يرتد ثانية الى الفراغ عن طريق الغبار أو السحب او تمتصه طبقة الاوزون ، وقد يمر خلال المستويات المنخفضة للجو حتى يصطدم بالارض او بسطح الماء فيبعث فيهما الحرارة ...

وتتقبل الارض هذه الاشعة الشمسية وتعطى مقابلها اشعاعات من الموجات الطولية ، فثانى اكسيد الكربون وبخار الماء فى الجويمتصان بصفة دائمة الاشعة دون الحمراء ، ونتيجة لذلك فانهما يبعثان بالطاقة التى تشع من الارض الى الطبقة الوسطى فتسرى فيها الحرارة . ورغم ان مصدر الحرارة هو الشمس لان اشعاعاتها تسخن سطح الارض ، وتحتفظ بالاشعة تحت الحمراء ، فان الحرارة الحقيقية للجو تنبعث من تحت وليس من فوق مثل الاناء فوق النار .

● ظاهرة الوميض الخاطف ●

يتحرك محيط الهواء كمحيط الماء تماما وبصفة دائمة ، والضوء الذى



يصل الى الارض من الفراغ يلمع بسبب تموجاته • والفلكيون حتى الآن لا يستطيعون النظر بدقة محكمة خلال طبقات الجو وسوف يظلون كذلك ، الى ان يأتى اليوم الذى يرسلون فيه تلسكوباتهم الى الفراغ او فوق سطح القمر لان ما يرونه فى السماء اليوم لا يزيد عن مجرد سراب •

فعند الشروق أو الغروب تبدو الشمس خلال الهواء المتموج كأنها سحابة مفلطحة منقسمة الى اشرطة افقية • واحيانا ترسل الشمس وميضا أحمر اللون فى اعلاه وميض أخضر ، وتحدث انفجارات الالوان هذه عندما تكون الشمس قريبة من الافق ، كما أن اشعة الضوء الاخضر تتأثر برحلتها الطويلة عبر الهواء عن اشعة الضوء الاحمر الذى يختفى تحت الافق فى حين تظل الاشعة الخضراء التى انحنت فى مسارها خلال الهواء ظاهرة للعيان • ويظل الوميض الاحمر والاخضر عادة بضع دقائق قليلة ••

ومن الظواهر الاخرى السحب التى تتكون من بخار الماء الذى يكون بدوره نقيطات الماء وبللورات الثلج الدقيقة التى تمتطى متن التيارات الهوائية قبل ان تتحد بالغبار والملح والذرات الاخرى ، وفى عام ١٨٠٣ صنفها العلماء تحت ثلاثة أنواع : هشة ، ومتراكمة ، ومبعثرة ،

فالسحب الهشة ترتفع الى اربعين الف قدم فى الجو • والسحب المتراكمة لها رءوس رعدية وتنهض الى ارتفاعات عالية • اما السحب المبعثرة فهى سحب الامطار او السحب الطائرة على ارتفاعات منخفضة تحمل معها الامطار والثلوج •

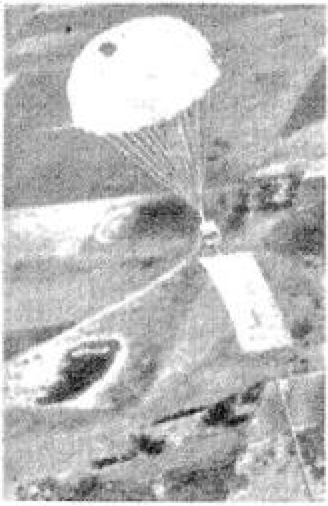
وهناك من الظواهر الطبيعية الاخرى التى تحدث عادة فى الاجواء المنخفضة ، الضباب واقواس قزح التى تحدث عادة عندما تضرب اشعة

الشمس سحابة ثقيلة محملة بنقيطات الماء التى تظل عالقة بالهواء بعد هطول المطر ، ويعكس قوس قزح جميع الالوان الموجودة فى ضوء الشمس .

والضباب هو أيضا نتيجة لبخار الماء الثقيل المركز ، ويحدث عادة عندما يبرد الهواء الموجود فى الطبقات الارضية ، وتبلغ اقطار نقيطات الماء فيه ١ر٠ من المليلى وكثيرا ما يسبب الدخان تلوث الجو فى المناطق المزدحمة بالناس .

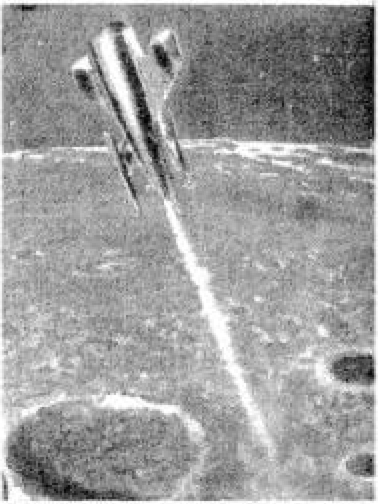
ومن الظواهر الطبيعية المدمرة : العواصف الرعدية التى يبلغ عددها يوميا ٤٤٠٠٠ عاصفة تبرز منها أصابع تتجه مباشرة نحو الارض او

● ظاهرة الوميض الخاطف وتحركات السحب الهادئة والغاضبة



تشير نحوها · ويعبر عنها العلماء بقولهم : « السماء غاضبة تشير باصابعها نحو البشر » ··

والبرق ظاهرة من أعنف الظواهر الجوية التى يخافها الناس ، وهو يكون عادة على هيئة كرات او خطوط ملتوية او كاسنان الشوكة · ويحدث البرق نتيجة للانفجارات الكهربائية فى الجو التى قد تقفز بين السحب المختلفة او بين الارض والسماء · وتبلغ قوة السنة الصواعق عادة مائة مليون فولت · ويجلب البرق نيتروجينا من الهواء الى الارض وذلك بتحويله الى اكسيد يسقط مع المطر ·



● الرياح والامواج المدمرة ●

من الرياح العنيفة التى تهب على الكرة الارضية ، تتكون عادة الاعاصير · ويبدأ تدفق الاعصار مباشرة بعد العواصف الرعدية ، وتمزق السحب · وعندما تستجمع قوتها وتلمس الارض فان اطنانا من الرماد تشكل انفاق الرياح العصائية التى تبلغ سرعتها من مائتى الى خمسمائة ميل فى الساعة · وهذه القوة الهائلة تستطيع رفع منزل باكمله لتلقى به فى مكان بعيد قطعة واحدة او قطعا متناثرة !

اما الرياح التى تهب على المحيطات فهى من اخطر انواع الرياح او الاعاصير المعروفة · ومنذ عام ١٩٠٠ قتلت هذه الرياح اكثر من نصف مليون شخص · فاحتكاك الهواء على سطح الماء يكون الامواج التى تعلو وتهبط تبعا لسرعة الرياح · فالرياح التى تهب بسرعة ثمانين ميلا فى الساعة ترتفع فيها الامواج الى اربعين قدما ولا يزيد ارتفاعها عادة على مائة قدم ·

وفى كثير من الاحيان تزحف موجة عنيفة لعدة اميال عبر مياه المحيطات ثم تتكوم فوق ساحل من السواحل ، واحيانا اخرى تثير حركة الجو المستمرة العواصف فى البحار بسرعة تتراوح من ٧٥ الى ٢٠٠ ميل فى الساعة فتنزل الدمار والاضرار بالسواحل

« يموت الهوى منى اذا لقيتها
ويحيا اذا فارقها فيعود »
« جميل بثينة »



لمحة من أيام زمان .. « الحكيم » وسط مجموعة من الحسان !

توفيق الحكيم

■ فـــؤاد دوارة ■

اثر المراة في حياة توفيق الحكيم وفنه من الموضوعات الهامة التي ينبغي ان تشغل الباحث في ادبه ، لانه يمثل احد المفاتيح الرئيســـــية لمغاليق نفسه ، ومن ثم الى اضاءة جـــوانب كثيرة من كتاباته ، فضلا عن انه يقدم نموذجا فريدا وشيقا لدور المراة الحيوي في توجيه انتاج واحد من اكبر ادباء العربية وبقدر من الوضوح والتفصيل قل ان نجده عند ادباء جيله.

ان توفيق الحكيم يحدثنا في كتابه « زهرة العمر » الذي يضم مجموعة من رسائله الحقيقية عن علاقتين عاطفيتين عاشهما في باريس ، غير أننا لن نستطيع تفهم هاتين العـــلاقتين ما لم نسترجع صورة علاقاته العـــاطفية المبكرة ، لانها هي التي حددت طبيعة علاقاته اللاحقة ، ومنها هاتان التجربتان اللتان عاشهما في باريس .

واول هذه العلاقات العاطفية المبكرة واعمقها اثرا في نفسه هي علاقته بوالدته ، فعلم النفس الحديث يضفي أهمية قصوى على هذه العلاقة ، ويعتبرها الاساس الذي ستقوم عليه كل العلاقات العاطفية التالية .

وما كتبه الحكيم عن والدته في سيرته الذاتية ـ « سجن العمر » ـ يؤكد ، رغم تحفظه ، أن علاقته بها لم تكن علاقة سوية مشبعة ، فقد تميزت والدته ـ تركية الاصل ـ بشخصية قوية عنيفة اشبه بالبركان الثائر ـ على حد تعبيره ـ وبقدر غير قليل من الاثرة والعناد والاهتمام بالمظاهر مع حب للتفاخر والتعالي على الاخرين ، وكلها صفات لا تتيح لابنها الصغير أن يقترب منهـــا ، أو ينعم بحنانها ، بل لعلها تنفره منها وتبعده عنها ، وتؤكد في نفسه صفات الحياء والانطواء ، والميل الى العزلة ، وخاصة اذا كان طفلها الوحيد كما كان توفيق الحكيم .

وما أكثر ما حدثنا الحـــكيم عن منع والدته له عن ممارسة اشياء حبيبة الى نفسه ، كالعزف على العود ، والتردد على دور السينما ، واشار الى انها كان لها نفس السلطان والنفوذ الصارم

على كل من في البيت بما فيهم والده • فاذا أضفنا الى ذلك انشغالها الدائم بشئون الارض حينا ، وشئون المنزل الذى اشترته الاسرة بالتقسيط في الاسكندرية حينا آخر ، فضلا عن انشغالها الطبيعى بشئون معاش الاسرة وتدبير شئونها ــ أدركنا الى أى حد اتسعت الهوة ، من الناحية العاطفية على الاقل ، بينها وبين ابنها الصغير الحساس ••• وقد زادت هذه الهوة بمولد أخيه الاصغر « زهير » ، و « توفيق » لم يتجاوز الخامسة من عمره ، وما ترتب على ذلك من استئثار الوليد بقدر كبير من الرعاية والاهتمـــام اللذين كان توفيق يحظى بهما من والدته قبل مولد « زهير » •

اما الشيء الوحيد المحبب الذى ارتبط في ذاكرة توفيق الحكيم بوالدته ، فهو تلك القصص والحكايات التي كانت تقصها عليه أثناء مرضها ، مما كان له أثره في تفتيق خياله في سن مبكرة •

ومعنى هذا كله أن طبيعة العلاقة العاطفية بين الطفل توفيق الحكيم ووالدته كانت تتسم بشكل عام بالكبت والاحباط والخوف والرهبة ، وبشيء من الخيال الذى حركته فيه قصصها ، وكذلك بشيء من الغموض نتيجة لبعدها وانشغالها عنه ، ولن يصعب علينا أن نتبين هــذا الطابع العام نفسه في كل علاقاته التـالية بالجنس الاخر •

● اللحظة السعيدة بين ذراعيها ●

لعلاقته بالاسطى « حميدة » العـالمة ، رغم ما حققته له من اشباع فنى ، ورغم ما اتسمت به من شغف عاطفى مشبوب من جانبه ، لم تحقق لـه الاشباع العاطفى الذى يتطلبه ، وتتطلبه كل علاقة عاطفية سوية بين طرفين • فلا شك أن « الاسطى حميدة » كانت تحدب عليه وتهتم به ، وتخصه ببعض حكاياتها ومداعباتها ، ولكن أين هذا كله من ذلك الموقف الفريد الذى ظل حيا في عقله ووجدانه ــ رغم مر السنين ــ حين ضمته الى صدرها •••

ان تعلقه الشديد بهذه المطربة الشعبية ، واللهفة الملحة التى كان ينتظر بها زياراتها لاسرته ، كانت تمثــل ، في جانب من جوانبها على الاقل ، نوعا من التعويض عن فشل علاقته العاطفية بوالدته • وما ملازمته للاسطى « حميدة » طوال اقامتها عندهم ، والحاحه في مصاحبتها الى الافراح التى تحييها ، ثم حرصه على الاندماج في التخت ، واصراره على أن يعامل كانه عضو فيه (١) الا تعبير واضح عن رغبته الدفينة في الالتصاق بها والانتماء الى عالمها ، وهو الذى يحس بوحدته وعزلته نتيجة لانشغال والـدته وانصرافها عن اشباع حاجاته العاطفية الطفولية •

وفى وصفه المفصل لحفل الزفاف الذى حضره معها نجد التعبير الصريح عن كل هذه المشاعر المكبوتة • لقد رآها وهى ترقص شبه عارية ، ووصف جسدها الرشيق اللين وصف المفتون المبهور ، وتوقف عند حملقة العيون فيها ومتابعتها لحركاتهـــا في سحر

(١) « عودة الروح » ص ١٦٣ ، ١٦٨ •

واعجاب ، ثم مر مرورا سريعا على مشاعره الخاصة ، ولكنه كاف مع ذلك لتاكيد ما نذهب اليه ..

« .. غير ان بين تلك العيون المنبهرة ، كانت عينا « محسن » اشدها انبهارا وعجبا في سذاجة غريبة ، لا لانه يراها ترقص لاول مرة ، فقد راها ترقص مرارا ، لكنها في تلك الليلة ـ وهي مرمى كل الانظار التي تاكلها اعجابا ـ احس « محسن » اولا شيئا من الزهو والفخر ، اذ يعرفها ويعيش بجانبها ... انه من التخت ... من تختها . ثم شعر بعدئذ باحساسات اخرى مبهمة .. » (١)

ما هي هذه الاحساسات المبهمة ؟ لا احد يعرف على وجه التحقيق ، وان كان ما حدث بعد ذلك من الممكن ان يدلنا على طبيعتها .. فبعد أن انتهى الغناء والرقص ، وانصرف المدعوون وهم ينهالون على الاسطى « حميدة » بعبارات الثناء والاطراء ، « تذكرت محسن ، فدقت على صدرها في قلق وخوف :

ـ ياندامتي !... ياحوستي !... فين محسن ياأولاد ؟!

... وبحثت « شخلع » بعيون قلقة والهة (٢) ، حتى وجدته اخيرا ملقى على الارض ، ونصفه مختف تحت الكرسي وهو يغط في نومه ، فاخذته في الحال بسرعة وقوة في ذراعيها ، وغطت وجهه بقبلاتها ... » (٣) .

ترى هل هي حيلة لا شعورية لجأ اليها « محسن » الصغير ليجتذب انتباه محبوبته اليه بعد أن جرفها بعيدا عنه هذا الموج العارم من اهتمام المدعوين وأصحاب الفرح بها ، واعجابهم بجمالها وفنها ؟.. من يدرى ؟.. المهم أنه فتح عينيه على قبلاتها ..

« وما ان راها حتى ذهب عنه النوم فجاة ، وارتجفت أهدابه واحمرت وجنتاه ، واضطرب قليلا ، لا يدرى لماذا ؟.. ثم تخلص بسرعة من احضانها وجرى ...

ان مر السنوات لن يمحو ابدا من ذاكرته تلك اللحظة الحلوة السعيدة التي فتح عينيه ليرى نفسه بين ذراعيها يتلقى قبلاتها .. »

وكانت تلك هي لحظة الاشباع العاطفية الوحيدة التى عرفها في علاقته بالاسطى « حميدة » الاسكندرانية ، ولذلك ظل يذكرها بعقله ووجدانه رغم مر السنين . فان كنت مازلت في شك من أن قوام هذه العلاقة كان ايضا الكبت والاحباط ، فلنقرا السطور التالية :

« ولما شاءت الظروف بعدئذ أن تتزوج « شخلع » من « الحاج احمد المطيب » ، إحس « محسن » كابة وخيبة امل ، وشبه سراب يزول ، وشيئا كالقنوط يحل في اعماق نفسه دون ان يدرك لذلك

---

(١) « عودة الروح » جـ ١ ص ١٧٤

(٢) لاحظ هنا استخدامه للفظتي القلق والوله ، وهو يصف حالتها اثناء بحثها عنه وهو طفل صغير ، وما اكثر ما يعبر التعبير الفني عن رغبات وامنيات مكبوتة في نفس الفنان ، لم تجد السبيل الى تحقيقها سنوات وسنوات .

(٣) « عودة الروح » جـ ١ ص ١٧٦ ، ١٧٧

أسبابا !... »
« كآبة » . و « خيبة أمل » و « شبه سراب يزول » و « شيئا كالقنوط » ... هل هناك تعبير عن الكبت والاحباط العاطفى - ولا أريد أن أقول « الجنسي » - أوضح من هذا ؟!

غير أنه الى جانب الاحباط ، اتسمت هذه العلاقة أيضا بشيء من الخيال نتيجة للقصص التى كانت تحكيها له ، وبالكثير من الغموض نتيجة لعجزه بحكم سنه عن الاقتراب منهـا واقتحام عالمها الخاص المليء بالاسرار والاحاجى ..

● هنا كل سعادتي ومطمعي ●

وسوف يتكرر ذلك كله فى علاقته الثالثة مع « سنية » بطلة « عودة الروح » ، بل ستصبح « الكآبة » و « خيبـــة الآمال »

باهتمام ، وابتسام ، يزجى «الحكيم» سحره فى الحوار ، مع « سيمون دى بوفوار »



و « السراب الذي يزول » و « القنوط » هي العناصر الرئيسية في كل علاقة عاطفية يعيشها « الحكيم » بعد ذلك ، أو يعيشها أبطال قصصه ومسرحياته ، مع استثناءات قليلة لا تهدم القاعدة العامة بل تؤكدها ، فاذا لم تتحقق هذه العناصر فالعـــلاقة فاشلة أو مرفوضة في نظره ·

وهكذا ترسبت في لا واعية توفيق الحكيم صورة معينة للمرأة ولعلاقته بها · فهي مخلوق غريب محـــاط بهالة من الاسرار والتهاويل ، كل جماله وسحره في بعده وانغلاقه ، فاذا حدث وانفتح امامه هذا العالم المبهم لسبب من الاسباب ، وزالت هالة الاسرار والتهاويل ، خاب أمله ، وانصرف لا يلوى على شيء · وبات يعتقد أن العلاقة العاطفية الفاشلة أو الناقصة هي وحدها الجديرة بأن توقظ روحه وتلهم شياطين فنه وتعيش طويلا في روحه ووجدانه ·

والامثلة على صدق ذلك كثيرة سواء في ذكرياته الشخصية أم في أعماله الفنية ، وبصفة خاصة في كتابه « مدرسة الشيطان » ، ففي قصة « راديوم السعادة » مثلا نجد الكاتب يتردد كل يوم على مقهى ناء في جبال « الالب » ، حيث استهواه جمـــال احدى الساقيات ، وينصرف عن كل شيء الى مراقبتهـــا والاستمتاع بجمالها ، والضيق بالشبان الرياضيين الذين يتنافسون عــلى محادثتها واسترضائها ، ويقول :

« ماذا أعطى انا من اجل لحظة تحادثني فيها هذه الفتاة ؟ نعم ، هنا كل سعادتي ومطمعي : ان استرعى اهتمامها لحظة وان تقبل على تحادثني حديث المشغوف بمحادثتي ! »

فاذا تحقق له ما أراد ، مر به ، ولكن مرة واحدة لا غير ، فاذا تكرر اقبال الفتاة الساحرة عليه تحادثه في مختلف الشئون ، حدث في نفسه هذا التحول الغريب :

« ·· احسست ان كل شيء قد تغير في نفسي ، فالاشجار ليست الاشجار ، والجنة ليست الجنة ، ووجهها لم يعـــد فيه السحر القديم ، والجو الشعرى قد ارتفع عن القهـــوة ، ذهب السحر وتهتكت أستار الاسرار ·· » (١)

وكانت النتيجة انه هجر المقهى الى غير عودة ··

● عند قدمى « افروديت » ●

ومن هذا القبيل كانت علاقته بالفتاة الالمانية « ساشا شوارتز » في باريس وقد روى قصتها كاملة في احدى رسائله التي كتبها لصديقه أندريه بعد عودته الى مصر (٢) ، وهذا ، في حد ذاته ، يكفي لتوضيح تفاهة تأثيرها عليه وهوان شأنها في نظره ، فهو

(١) « مدرسة الشيطان » ص ٣٩ ، ٤٠

(٢) « زهرة العمر » ص ٨٣ ــ ٩٨

لم يحدثه عنها اثناء اقامته معه في باريس ، رغم أن علاقته بها استمرت فترة غير قصيرة ، بل وأطول بكثير مما استمرت علاقته الفعلية بالفتاة الاخرى ــ « ايما دوران » ــ التي خلفت في نفسه اعمق الآثار ، ومع ذلك فلم يفكر في أن يحكي قصتها لصديقه الحميم « أندريه » أو يحدثه عنها في الاصباح والامساء كما كان يفعل بالنسبة « لايما دوران » . لقد جاء ذكر هذه الفتاة الالمانية عرضا في احدى رسائله ، ويبدو أن « أندريه » سأله عنها وعمن تكون ، فكتب له قصته معها في رسالته التالية ، ولولا ذلك لما فكر في أن يقصها عليه .

ان توفيق الحكيم حين رأى « ساشا شوارتز » لاول مرة فتن بها ، وشبهها بتمثال « افروديت » ، ومال على صديقه الفنان العجوز يطلب سكينا يقتل بها نفسه عند أقدام هذه المرأة حبا وجنونا وغراما ، وظل ينظر اليها ويتحسر .. فلما شاءت الظروف أن تكون له في اليوم التالي بلا منافس ، سعد بجمالها ليلة واحدة لا اكثر . ثم ... « **بزغ الصبح . وفتحت عيني وقد راحت السكرة وجاءت الفكرة .. ونظرت الى تلك المرأة النائمة في فراشي وقلت لنفسي : ماذا اصنع بها ؟!...** » (١)

... واذا كان قد احتملها عدة أسابيع بعد ذلك ، فلم يكن ذلك لتعلقه بها ، بل عطفا عليها ومراعاة لظروفها السيئة ..

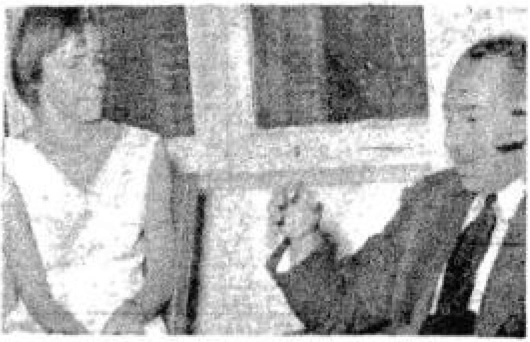
وينبغي أن نتنبه هنا الى أن تلك الفتاة لم تكن قبيحة الوجه أو الجسم ، ولم تكن جاهلة أو ثقيلة الظل ، بل على العكس كان « جسمها يعد خير نموذج لجسم المرأة الجميل » ، كما كانت قارئة نهمة تجيد عدة لغات .. كل عيبها ان ظروف علاقتها به قضت على السحر ، وهتكت الاسرار التي يحرص عليها في كل علاقة له بامرأة .. والغريب في الامر أن « الحكيم » متنبه الى كل هذه الحقائق ، بل لعله أصبح يتصرف في علاقاته العاطفية على أساس وعيه الكامل بها ، فهو يقول في تعليقه على هذه العلاقة :

« **لم يكن بيننا حب قط .. ولا اذكر اننا تبادلنا كلمة واحدة فيها حرارة العاطفة الملتهبة . هذا شيء لايمكن ان يحدث مع امرأة موجودة . موجودة امامي في كل وقت . ان اللحظة الوحيدة التي احببتها فيها حقا هي ساعة دخولها المشرب اول مرة مع صاحبها الإسباني . انها كانت رائعة ، لانها كانت شيئا في السماء مثل كوكب يتلألأ لا يمكن أن تمتد اليه يدى . ولكن هذا الكوكب ما لبث ان وقع في كفي فاذا هو مصباح ضئيل .. يحتاج الى يدى القاصرة لتملأه بالزيت وتحميه من التحطم والسقوط ..** » (٢)

لذلك كله لا نعجب حين لا نجد اثرا واضحا لهذه الفتاة في أي من مسرحيات الحكيم أو كتاباته ، باستثناء هذه الرسالة الوحيدة ، التي كتبها ردا على استفسار صديقه « أندريه » .

---

(١) « زهرة العمر » ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧
(٢) « زهرة العمر » ص ٩٢.



ذكريات « عصفور من الشرق » ، في حديث مع المستشرقة البولندية « كريستينا »

● لماذا يغتر الحب المتهب ●

وعلى العكس من ذلك نجد علاقته العاطفية الاخرى فى باريس ، قد تركت في نفسه أعمق الآثار رغم أن صلته الواقعية بصاحبتها لم تعمر أكثر من أسبوعين . فقد روى قصته معها فى روايته « عصفور من الشرق » ، وفى تمثيليته القصيرة « أمام شباك التذاكر » ، ثم عاد وردد أصداءها فى رسائله التى جمعها فى كتابه « زهرة العمر » . وفى ظنى أن تأثيرها قد امتد كذلك الى بعض أعماله الفنية الاخرى ، فخيالها يتراءى فى مسرحيات : « شهر زاد » و « يا طالع الشجرة » و « الخروج من الجنة » .

كانت عاملة تذاكر فى شباك مسرح « الاوديون » ، ترى هل لعملها بالمسرح صلة بحب الحكيم لها وهو العابد الناسك فى محراب المسرح ، ولماذا لم يقع اختياره مثلا على عاملة تذاكر فى احدى دور السينما ، او عاملة فى متجر ، أو ساقية فى مشرب ، وهن كثيرات فى باريس ، ولابد أن من بينهن عدد غير قليل من الفاتنات !!

هذا مجرد تساؤل لا نملك الاجابة عنه ، وان كان من الممكن أن نزعم دون أن نبعد عن الواقع أن كثرة تردده على مسرح « الاوديون » كان لها اثرها فى لفت نظره الى تلك الفتاة ، والفه لها ، ثم وقوعه فى حبها بعد ذلك ..

ولقد قام خياله بالدور الاكبر فى هذا الحب ، شأنه فى كل علاقات الحكيم الاخرى منذ طفولته المبكرة . وقد كبده هذا الخيال الكثير ، ابتداء من الساعات الطوال التى كان يقفها فى بهو المسرح يختلس النظر اليها ، والساعات الاخرى التى جلسها فى المقهى المقابل ينتظر فيها خروجها من المسرح ، ليحاول تتبعها

ومعرفة مكان سكناها ، حتى اذا وفق أخيرا وبعد جهود شاقة الى انشاء علاقة حميمة معها لم تعمـــر اكثر من اسبوعين ، هجرته بعدهما وقلبه مشغوف بها :

« انى لم ازل احب « ايما » لانها شيء بعيد · غير موجود فى كل وقت ·· يصل الى غناؤها من نافذتها كأنه شعاع يأتينى من بعيد ····· لو ان « ايما » قبلك ان تترك حجرتها كما عرضت عليهـــا وتاتى لتقطن معى فى حجرتى لكان حظهـــا عندى حظ « ساشا » · هنا الفرق بين « الغرام » و « الزوجية » · انى ادرك الان لماذا يفتر الحب الملتهب بين الخليلين اذا تزوجا ··· » (١)

ومعنى هذا ان هذه العلاقة لو قدر لها أن تستمر أكثر ممـــا استمرت لكان تأثير بطلتها على نفس توفيق الحكيم شبيها بتأثير « ساشا شوارتز » ولما قدر لها ان تترك فى مشاعره ذلك الاحساس الملتهب ذى الاثر الواضح فى انتاجه الفنى ·

لذلك لا نبالغ اذا اعتبرنا عاملة شباك التذاكر « ايما دوران » احدى الشخصيات الهامة التى تعلم منها توفيق الحـــكيم فى باريس · وأن الدور الذى قامت به فى حياته رغم قصره والالام التى سببتها له ، يمثلان احد العناصر الهامة فى نضج مواهبه وتكوين شخصيته الفنية ·

وفى حديث أخير لى مع توفيق الحكيم سألته عن « سوزى » بطلة « عصفور من الشرق » وهل هى نفسها « ايما دوران » التى روى قصته معها فى رسائل « زهرة العمر » ، فكانت اجابته واضحة صريحة لاول مرة اذ قال :

« نعم هى نفسها ايمـــا دوران التى جاء ذكرها فى « زهرة العمر » وكذلك فى « أمام شباك التذاكر » · وكانت العلاقة بهـا فعلا علاقة حب · وقد كانت أول مرة أعرف فيها الحب الكامل · اى ذلك الذى يضم القلب والجسد معا · اما قبل ذلك فلم نكن نعرف فى شبابنا لظروف المجتمع فى بلادنا غير نوعين من الحب ، منفصل أحدهما عن الاخر تمام الانفصال · فكان حب القلب شيء وحب الجسد شيء اخر · كان حب القلب هو الحب العذرى الذى لا يتيح لنا الاجتماع بالمحبوب كما كان حب « سنية » بنت الجيران فى « عودة الروح » · اما الجسد فكان مكانه المتاح لنا وقتئذ على يد بائعات الهوى المرخصات رسميا من الدولة فى اماكن خاصة بهن فى شارع وجه البركة وشارع كلوت بك ·

اما فى باريس فالى جانب حب ايما دوران الكامل الجـــامع للقلب والجسد فقد كان هناك حب آخر جسدى محض لا علاقة للقلب به · هو تلك العلاقة مع الالمانية الوافدة الى باريس « ساشا شوارتز » التى شاركتنى حجرتى اكثر من شهر ·· »

---

(١) « زهرة العمر » ص ٩٢ ، ٩٣

● تجارب الحياة والفن والفكر ●

ومع أن الرسائل الحقيقية التى نشرها الحكيم فى « زهرة العمر » لا يمكن أن تحوى كل تجاربه العاطفية فى باريس ، ففى اعتقادى أنه لم يحش هناك تجارب كثيرة من هذا النوع ، ولم تتعدد علاقاته النسائية ، **فباريس فى نظره « لم تكن قط امرأة ·· انما كانت كتابا مفتوحا هو سفر الحياة العليا ·· »** (١)

وحتى لو تصورنا أن علاقاته النسائية تعددت فى باريس ، فالذى لا شك فيه أنها كانت علاقات عابرة سريعة لم تخلف فى نفسه أثرا يذكر ، وبالتالى لم تنعكس بشكل واضح فى كتاباته ، ومن المؤكد أن أمثال هذه العلاقات العابرة ـ على فرض وجودها ـ لم تكن لتصرف توفيق الحكيم عن متابعة قراءاته ومشاغله الفنية والفكرية ، فحتى علاقته القوية بايما دوران ، وهى كما رأينا أخطر علاقاته العاطفية وأعمقها أثرا فى نفسه وقلبه ، لم تستطع أن تصرفه كثيرا عن اهتماماته الثقافية ، ففى بدء تعلقه بها نسمعه يقول عنها لصديقه « أندريه » :

« لم أرها منذ أسبوع ، ولم أنصرف الى غير مطالعاتى · ان الكتب تستطيع أن تشغل رأسى حقيقة ، ولكن هل الرأس هو كل شىء فى حياة انسان؟··· » (٢)

وبعد أن اختلفا وافترقا ، التقى بها عدة مرات وجها لوجه فى المصعد وكانت الفرصة سانحة للصلح وعودة العلاقات ، ولكنه كان مشغولا بمحاولاته الفنية التى مازالت تتأبى عليه ، فيدفعه ذلك الى أن يحجم قائلا لنفسه :

« علام الصلح وأنا لم أزل مع الفن فى خصام ؟ » (٣)

وكان فشله فى علاقته بها ، من بين العوامل الهامة فى أزمته النفسية العاتية التى عاشها فى باريس ، وهى الأزمة التى صهرت نفسه فى بوتقتها واستحصدت كل تجارب الحياة ، وخبرات الفن والفكر التى عرفها ، وظلت تلح عليه وتدفعه دفعا الى محاولة صبها فى تعبيرات فنية ، لم يكن من السهل أن يهتدى اليها لولا هذه الأزمة · وحتى مع هذه الأزمة النفسية لم يكن أسلوبه الفنى لينصاع له طائعا فى سهولة ويسر ، بل كان لابد من محاولات ومحاولات وتجارب عديدة فاشلة وأخرى ناجحة ، قبل أن يكتب مسرحيته الأولى الناضجة ويتبوأ بها مكانه السامق فى تاريخ أدبنا ··

(١) « تحت شمس الفكر » ص ١٣٨
(٢) « عصفور من الشرق » ص ٤٨
(٣) « زهرة العمر » ص ١٢٢

علاء الدين وحيد

... كاتب قصة من السودان

أبوبكر خالد

اظن أن علاقاتنا الثقافية مع البلاد العربية لم تعد تحتمل ان تقوم على الصلات او الاجتهادات الفردية التى تتم بالطبع فى اضيق الحدود ..

اننا نثرثر باشياء كثيرة ضخمة بينما مسئوليتنا الاولى معطلة ... نتطلع الى جائزة « نوبل » وغزو الفكر العالمى وترجمة ادابنا ونحن لم نستطع بعد ان نفعل شيئا ازاء الوحده الثقافيه . وان نلقى فى اضعف الايمان الحاجز . الذى يصدنا عن الاتصال الدائم المباشر بعوالم الادب والفكر والفن التى تتنفسها الجماهير العربية فى اوطانها المختلفة ..

نحن فى حاجة الى ان نلتفت أكثر الى داخلنا ، ولعل يومنا يفوق غيره فى حتمية هذا الالتفات بكل ما يحمل من تحد حضارى نواجهه . وفكر عدوانى نجابهه . وقيام اتحاد عربى بواجباته المتشعبة . ينبغى ان نعترف ان حياتنا الثقافية العربية قد دخلتها دماء واسماء جديدة . بدات تغير من ملامحها التقليدية ..

واليوم نلتقى مع موهبة اصيلة وواحد من هذه الاسماء هو الفنان السودانى . ابو بكر خالد .

ان القارىء ليس بحاجة وهو يقرأ قصة لابي بكر خالد ، الى البحث عن هوية صاحبها ، ليعرف جنسيته ، فالبيئة السودانية المتحركة والجامدة تضع بصماتها على حركات القصة وسكناتها ، وبذلك عكس فناننا أول ملامح التعارف الذى يقوم به الاد بالصادق بين البشر ·

ان الاداب والفنون هي اكثر الوسائل اصالة فى التقريب بين الشعوب ، هي لغة الوجدان والفكر المشتركة · ولذا فهي تقدم دائما بأسلوب متداخل ، النبض الانساني للشعب الذى تنتمى اليه شخصياتها ، بغض النظر عن منهج صاحبها ، وسواء أمن بدعوة مثل الفن للفن أم الادب للمجتمع ·

واللقطات الوصفية التي يقدمها ابو بكر خالد في هذا المجال ليست تسجيلية ، ولا يمكن اقتطاعها من القصة ، لانها تدخل في صميم العمل الادبي ، كما أن هذه البيئة التي يعرض لها غنية معطاء ، وهي مازالت فى صورتها الفطرية ، أقرب الى الارض البكر بكل طزاجتها ، التى تجعلك تشم فى رائحتها العبقة ما يكمن فيها من خصوبة وعذوبة وحركة ، رغم ما يمكن ان يبدو على السطح من رتابة وجفاف ·

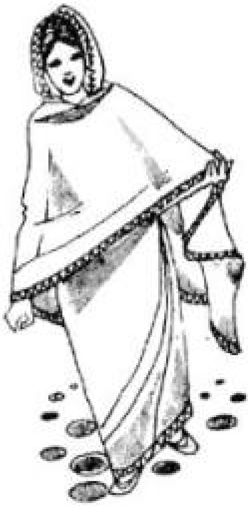
وفى كثير من الاحيان تكاد تتحول البيئة عنده الى شخصية حية تجوس خلال الاحداث بل وتدفع الى بعض هذه الاحداث ، كقلة المياه الصالحة للشرب مثلا

ورغم انه مشغول بهموم عصره وقضايا بلده ، الا أنه لا يجعلها تتحول الى شعارات ممجوجة يحمل لافتاتها فوق أدبه · فمعايشته للحياة معايشة حقيقية ، وادراكه لتطلبات الفن القصصي، ينأى به عن الافتعال ، بكل ما يسترعب هذا النأى من اعماق بعيدة · لذلك ظلت الملامح الانسانية عراله التي يقدمها ·

واستطاع ابو بكر خالد ببراعة أن يفرق بين التزام الفنان بمسئوليته ، الذى يجعل الادب نقدا للحياة والمجتمع، وبين أن يفتعل هذا الالتزام ويحول ما



كاتب قصة من السودان



يكتب الى أدب مناسبات ، أو يجعله ، فنا ، مدرسيا يريد صاحبه أن يحقق فيه نظريات جامدة ··· فمشكلة مثل تعدد أطفال الاسرة أو ما يطلق عليه تحديد أو تنظيم النسل ، نجت عندما تناولها أديبنا في قصة « الزائر الجديد » من أن تكون موضوعا انشائيا كما يفعل الكثيرون عندما يتناولونها ·

وهو نفس ما صنعه أيضا ازاء قضية أخرى هي الجوع والوطنية أو الحقوق والواجبات · فبغير توفير الحد الادنى من الحقوق للمواطن ، ينتفى مطالبته بواجباته · بطل القصة واسمها « فىء للناس » لا يملك أن يفكر فيما حوله من ثورةالناس وأغلاق المتاجر لانه لايستطيع · فجوعه ومرضه يمنعانه من أن يتجاوز نفسه والبحث عن « لورى » يركبه ليوصله الى قريته ، بعد أن خرج من المستشفى الحكومى في عاصمة الاقليم ··· وبالتركيز فناننا الذى يحمل هذه اللمسة الكثير من الدلالات بالنسبة الى المواطن الفقير في السودان وكل بلد نام !

ولكن اللوريات تقف متظاهرة أيضا ، معطلة كالجثث الهامدة ··· وكأن كاتبنا الفنان يريد أن يشير ، سواء أردنا أم لم نرد ، الى حتمية الالتحام بين الفرد والجوع أو الفرد والارض مهما كانت نوعية الصلات بينهما ، قوة أو ضعفا ، ولباعث حقيقي أو مزيف · وعندما يقرر بطل القصة المضى في طريقه مشيا ، يندهش لعربة تقف له · ويفاجأ بأنها ليست « لوريا » بل سيارة خاصة ، ويدعوه صاحبها الى الركوب ·

ان الانصهار في بوتقة المحن يلغى ما بين المواطن والمواطن من فروق اجتماعية واقتصادية ، ولا يبقى الا الهدف الاكبر وحده : الوطن وكرامته وحريته ··

ولذلك ينس « بشير الكملاوى » حين استقل القطار فى مرحلة سفره الاخير وبعد أن يملأ معدته ، كل شيء عن بيته وقريته ، وهو يذوب فى الجماهير التى ركبت القطار الى الخرطوم متظـــاهرة ومشاركة فى الثورة ...

● نبض الحرمان ●

ويعطى ابو بكر خالد اهتماما خاصا فى قصصه للعلاقات الوجدانية ، وهذه العلاقات بجانب ما تقدم من ديناميكية التجدد الحياتى ، فهى تعكس بدقة مدى انغلاق مجتمعها أو انفتاحه . فالصلة بين الجنسين تعــــد مقياسا شديد الحساسية للنبض الحضارى لبلد من البلاد .

والنبض الاول الـــــذى تنتفض به العلاقات الوجدانية فى قصص أبى بكر خالد هو الحـــــرمان ... فالمجتمع السودانى قريب العهد بالقيم الحضارية المعاصرة ، لم تستطع أن تألفهـــا بعد الجماهير العريضة التى تشكل الوجدان الشعبى . كما أن التعليم لم يصل الى درجة الانتشـــــار التى تؤثر تأثيرا جوهريا فعالا فى المفاهيم العتيقة . لذلك كان من اصعب الاشياء لهذا المجتمع أن يسمح بالقيام بعلاقات حب .

ازاء هذه القطيعة الاجبـــارية التى تفصل بين الجانبين ، انغلق كل عـلى دنياه ، وهكذا جاءت تصورات الرجل السودانى عن المـرأة مهوشة ، تنهش على السماع ... يدور هذا الحوار الساخر بين صديقين فى احدى قصصه :

● بم تنصحمن كان فىمثل موقفى ؟

ـ الا يتزوج .. ها .. ها !

● لماذا ؟

ـ ابحث عن فتاة ، وتاكد اولا انها لا تحبك !

● فتاة لا تحبنى واتزوجها ؟

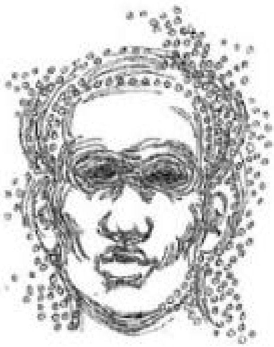
ـ هذا هو العقل بعينه .. انهـــا تعرفك اكثر من غيرها !

● من تجارب الاخرين ●

ومن هنا ايضا وجدت هذه الظاهرة : « العذرية » ... هـــذا التكوين الذى اصبحنا لا نجده الا فى المجتمعات ذات التقاليد القديمة التى لم تتحرر بعد بما فيه الكفاية .

والحس الرومانسى هو اداة العذرية الى تلمس الحياة حولها لتستمد خبرتها البسيطة وهى بلا تجارب من خارجها ، فاعتمادها الاول على الكتب ، أى على تجارب الاخرين .

وفى قصة « قلب انســـان » يحصل بطلهـــا على معرفته بعـــالم حواء



كاتب قصة من السودان

من قصص امين يوسف غراب ومحمد عبد الحليم عبد الله ، وهو يتشرب كتابات الثاني الى الدرجة التى تجعله يتخذ فلسفته من روايات هذا الاديب المصرى .

● ما اخذه الزمن ●

وتبدو قصص فناننا السوداني وكانها تقتنص بذكاء العلامات المميزة لقضية العلاقات الوجدانية فى بلده ، عاكسا احتفاله الكبير بهذا الجانب ، فهو يلتقط ايضا عنوسة الفتيات وخاصة الموظفات اللاتى يقعن ضحية الاجيال الاولى المتعلمة فى بلد لا يعرف الاختلاط الا مكرها وفى اضيق نطاق : فى الوظيفة الحكومية ... فهذا التعليم المستحدث للفتاة قد اتاح لها استقلالها الشخصى والمادى ، ومنحها ايضا ـ وهى بلا تجربة ـ الخروج من عصر الحريم والحجاب ، وحرية أن تقول للرجل نعم و لا ...

وكانت النتيجة انخداعها وخداعها لنفسها فى الوقت ذاته ، ولذا فهى غالبا اما أن تنزلق واما أن يمر بها العمر خاطفا ليسلمها الى خريفه وقد خسرت عواطفها واحلامها « وتصبح فى مرحلة من العمر تتشبث فيها بأى طارق كيفما كان وعلى اى صورة كان مجيئه » ، كما يقول ابو بكر فى احدى قصصه وهى **« ما اخذه الزمن »** .

وفى غير هذه القصة يصور فناننا مرة أخرى هذه الفتاة التى انقضت اجمل ايامها ... وهو هنا يلتفت الى موقف مأساوى ثان من قضية المرأة ، لقد ارادت ان تأخذ المبادرة وتقطع على عوامل الانحراف المختلفة خط الرجعة ، وذلك بالتقوقع تحت جلدها والتنكر لعالم انوثتها ورفضها لهذه العالم ، وكأنها بذلك تبعد متاعب الجنس الاخر عنها ... ويوفق ابو بكر خالد كثيرا فى تجسيد هذه الشخصية ، بالرغم من أنه لم يستطع أن يتجنب انتماءه الى غير جنسها ، وكأنه يرى بعيون الرجال وحدهم ... **« اخذت طريقها لمحطة الاتوبيس ، خطواتها قوية وصلبة ، وما ان تضمها عربة حتى تنكمش فى مقعدها ، وهى لا ترفع بصرها ابدا ولا ترى احدا من هؤلاء الشبان الذين يشاركونها ركوب السيارة كل صباح ... ولعلهم الفوها دائما هناك ، تحتل مقعدا ، كأنها شىء يوضع ويبقى فترة الطريق ... ولا يلمحون فيه اثرا لحياة ! »**

■ د. صلاح عدس ■

إبن حزم يحدثنا عن الحب في الأندلس

تقول الكاتبة الانجليزية « نينا ابتون » فى كتابها « الحب عند الاسبان » « ان الاسبانى بطبعه يميل الى المحافظة وعدم الافصاح عن مكنون صدره · وانما المسلمون هم الذين علموا الاسبان فن الحب .. فالحضارة الايبيرية القديمة فى اسبانيا لم تحفل بالحب كما ان المسيحية رفضت الجنس وانكرت كل ما يتعلق بالمرأة والحب ، ولذلك فان كتاب « طوق الحمامة » الذى كتبه ابن حزم كان اول كتاب فى تاريخ اسبانيا يتحدث عن الحب والمحبين »

ونحن نضيف الى كلامها هذا أن ابن حزم لم يكن أول من تحدث عن ذلك الموضوع من أدباء العرب عامة ، فلقد سبقه أخوان الصفا ، وابن المقفع ، والجاحظ ، الا أن ابن حزم يمتاز عن كل هؤلاء بمنهجه العلمى ، أى اعتماده على الملاحظة والتجربة والامثلة التاريخية الواقعية ، فهو لم يردد الحكايات المعروفة عن حب الاعراب وانما حدثنا عن الحب بين اهل زمانه ، واستطاع أن يحلل ظاهرة الحب نفسها تحليلا نفسانيا عميقا ، وان يدرس سيكلوجية العشاق ودوافع سلوكهم ، كما اعتمد ايضا على تجربته الذاتية كشاعر مرهف الحس ، وهكذا نجد أن ابن حزم قد كتب هذا الكتاب بروح الاديب وعقلية المؤرخ ودقة العالم النفسانى ٠

وقد عاش فى عصر تلاقى فيه الفكر الشرقى والغربى فى جنبات الاندلس ، وعاش فيه المسلمون جنبا الى جنب مع اليهود والمسيحيين من أهل تلك البلاد ، وقد كان لهذا الاختلاط الحضارى أكبر الاثر فى نشأة الصراع الفكرى أنذاك ٠ وتعرض ابن حزم لحملات الهجوم بسبب كتابته فى المنطق وتاييده للفلسفة ، لانها فى نظر معارضيه تتناقض مع الدين ٠٠ وأما مذهبه فى الفقه فهو المذهب الظاهرى الذى يعتمد على التفسير الحرفى للقرآن ٠

وقد كان لاتجاهاته الفكرية هذه اكبر الاثر فى الحروب التى شنها ضده علماء عصره ، وسببا فى جداله العنيف لهم ، حتى اتهموه بالالحاد ، والبوا عليه الحكام والعوام ، فتعرض للسجن والنفى ، بل ان « ابن عباد » حاكم اشبيليه قد أحرق كتبه ، كما ان تشيعه لنصرة بنى أمية كان هو العامل السياسى وراء ما تعرض له من نفى وتعذيب ٠

فلقد عاش ابن حزم فى فترة انهيار دولة الامويين فى الاندلس ، وعاصر



نشأة حكم ملوك الطوائف حيث استقل كل أمير باقليم وادعى الخلافة لنفسه.

• الحب والشعر والجمال •

وهكذا كان عصر ابن حزم عصر حروب داخلية بين الامراء العرب من جهة ، وحروب خارجية مع جيرانهم المسيحيين من جهة أخرى ، وما استتبع كل ذلك من قلاقل وفتن وثورات .. وانعكس بالتالى على حياة ابن حزم ، فنحن نجده مرة يتولى منصب الوزارة ، ومرة اخرى لا يلقى سوى السجن والنفى ، مما اضطره فى النهاية الى هجر السياسة والتفرغ للعلم .

وقد توفى عن اثنين وسبعين عاما ، بعد أن كتب مئات المجلدات فى الفلسفة والدين وفى التاريخ والسياسة وفى الدراسات النفسية والاخلاقية ، الى جانب قصائده الشعرية .

ففى الفلسفة والدين له كتاب « الفصل بين أهل الآراء والنحل » وكتاب « التلخيص والتخليص » وكتاب « التقريب لحد المنطق » وكتاب « الاحكام فى الاحكام » ، وغيرها .

أما فى التاريخ والسياسة فله « جوامع السيرة » وكتاب « جمهرة أنساب العرب » وكتاب « فتوح الاسلام » وكتاب « أسماء الخلفاء والولاة » وكتاب « حجة الوداع » وكتاب « فضل الاندلس » .

وأما فى الاخلاق وعلم النفس فله كتاب « طوق الحمامة » الذى نحن بصدده ـ وكتاب « مداواة النفوس » ..

ولد ابن حزم فى قرطبة من اسرة غنية ، اذ كان والده وزيرا للحاجب المنصور بن ابى عامر .

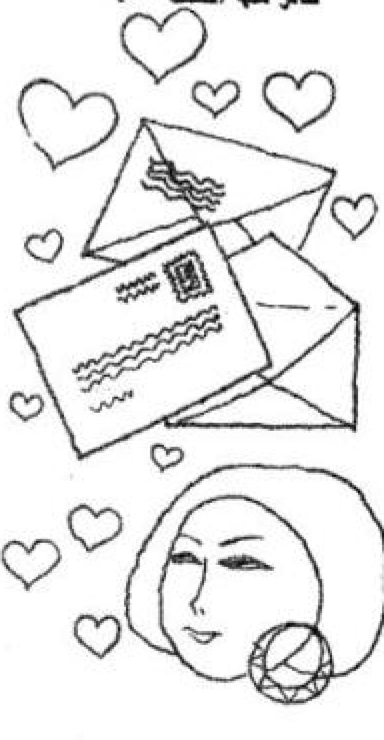
ويحدثنا ابن حزم فى كتابه « طوق الحمامة » عن حياته وطفولته وشبابه وكيف انه تربى فى حجور الحريم اللاتى كان لهن اكبر الاثر فى حبه للشعر والجمال .. فيقول :

« لقد ربيت فى حجورهن ونشأت بين ايديهن ، وهن علمننى القرآن وروينني كثيرا من الاشعار ودربنني على الخط » .

وقد كان لهذا أيضا اثره فى تحليله للدوافع النفسية عند النساء والرجال مما يتجلى واضحا فى كتابه هذا ..

وكانت قرطبة مسقط رأسه مسرحا للخمر واللهو والمجون الى جانب كونها مركزا ثقافيا عظيما ازدهرت فيه العلوم والآداب . ويكفى أن نطلع على كتابه ذاك كي نعرف ملامح المجتمع الذى عاصره ، ذلك المجتمع الذى كان على شاكلة بغداد مسرحا لأحداث ألف ليلة وليلة حيث الجوارى الحسان والقصور التى تزدان حوائطها بالزخارف العربية والخطوط الكوفية وتتردد فى جنباتها الموشحات والاغانى العاطفية .

ويبدا ابن حزم كتابه بتعريف الحب وتعداد انواعه فيقول : « ان الحب استحسان روحي وامتزاج نفساني وهو اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة ·· » وهو بذلك يردد نظرية افلاطون عن الحب الروحي، وان يكن هو نفسه يحاول ان يرد فكرته الى الاية الكريمة التي تقول : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها··· » وكذلك حديث الرسول الكريم : « الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف ·· »



ويقول ايضا : « دقت معاني الحب لجلالتها عن ان توصف فلا تدرك حقيقتها الا بالمعاناة ·· والحب ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة اذ القلوب بيد الله عز وجل »·

وقد امتلأ كتابه بحكايات العشاق من كل الطبقات خاصة الامراء . ومن اشهر تلك الحكايات ما حدث للأمير عبد الملك مع « واهيد » ابنة تاجر الجبن الذى انتهى حبه لها بالزواج ·· ويرى ابن حزم أن أول دليل على الحب هو كثرة الشجار بين المحبين ، وفى ذلك يقول : « انك لتجد المحبين يكثر بينهما الجدل بغير معنى ، ويكثر تضادهما فى القول تعمدا ، وخروج بعضهما على بعض فى كل يسير من الامور ، ثم لا تلبث أن تراهما عادا الى اجمل الصحبة ، وانصرفا فى ذلك الحين بعينه الى المضاحكة والمداعبة ··· هكذا فى الوقت الواحد مرارا » وتجد ابن حزم لايؤمن كثيرا بالحب من أول نظرة ، وفى ذلك يقول : « ان من احب من نظرة واحدة فهو دليل على قلة الصبر ، ومخبر بسرعة السلوان · وهكذا فى جميع الاشياء اسرعها نموا اسرعها فناء ، وابطؤها حدوثا ابطؤها نفادا »

ويرى ابن حزم أن الحب المتأصل يلزم لتكوينه طول العشرة فيقول : « ان ما دخل عسيرا لم يخرج يسيرا وما لصق بأحشائى حب قط الا مع الزمن الطويل ، أما من احب من أول نظرة فلا أجعل حبه الا ضربا من الشهوة »···

● وسائل التعبير العاطفي ●

ويرى ابن حزم أيضا أن الحب الحقيقي لابد أن يقتصر على امرأة واحدة فقط أما التعدد في الغرام فهو تزييف للعواطف وفي ذلك يقول :

ليس في القلب موضع لحبيبين
ولا أحدث الأمور بثاني
فكما العقل واحد ليس يدري
خالقا غير واحد رحمان
فكذا القلب واحد ليس يهوى
غير فرد مباعد أو مدان
وكذا الدين واحد مستقيم
وكفور من عنده دينان

وقد حدثنا ابن حزم عن شخصية « دون جوان » — قبل أن تظهر قصة « دون جوان » التي كتبها الاديب الاسباني « تيرثو » — وذلك في حكايته عن الوزير « أبو أمير » الذي كان يهوى التنقل في الغرام من واحدة لأخرى ، فاذا وقعت له امرأة سئم منها وهجرها الى أخرى ...

وهو يقول عن هذا الصنف من الناس : « أن من كان سلوه عن ملل فليس حبه حقيقة وانما هو طالب لذة ومبادر شهوة ... »

وتقول « نبيلة ابتون » : « ان ابن حزم يحدثنا عن نظرات العيون ودلالاتها ويستفيض في شرح ذلك مما يدلنا على أن فن اللعب بالعين والحاجب الذي يجيده الاسبان حتى الآن هو أمر له جذوره التاريخية ... فالحب عند الاسبان يتميز على مدى التاريخ بثلاثة وسائل للتعبير العاطفي هي حركات العيون وأغاني الجيتار وحركات المروحة في يد المرأة ... »

ويقول ابن حزم عن العين : « انها نافذة الروح وباب النفس فهي المنقبة عن سرائر النفس والمعبرة عن كوامنها وهي نقطة البداية في الحب ... »

ثم يحدثنا عن الرسائل الغرامية التي كان يتبادلها العشاق في زمانه حتي لو كانت بينهم فرص متاحة للتلاقي والزيارات الا أن مصير معظم تلك الرسائل كان هو الاعدام خشية اكتشاف أمرها لان معظم الغراميات كان يشوبها ما يستوجب الكتمان من دواعي السرية أو التحريم ...

● ذوات الحسن والثقافة ●

ومما يذكر أن عادة اخفاء الرسائل الغرامية ظلت قائمة في اسبانيا بعد ذلك لان الشعب الاسباني يتسم بروح المحافظة ، ويقول ابن حزم أن توصيل الرسائل بين المحبين كان مشكلة . الا انهم كانوا يعتمدون على النساء اللاتي يدخلن البيوت بحجة أو أخرى أو الحلاقين أو المعلمين أو غيرهم ... ومعظم حالات الحب التي وصفها لنا ابن حزم كانت بطلاتها من الجواري ، ولا غرابة في ذلك فقد كان يجري اختيارهن من بين ذوات الحسن والجمال بل كان بعضهن على درجة عالية من الثقافة ، ولعل أشهرهن

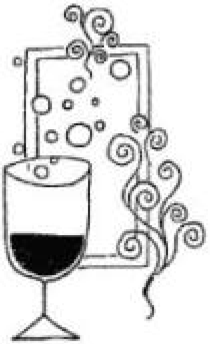
الحب
في الأندلس

الشاعرة « ولادة بنت المستكفى » التى كان لها صالون أدبى فى القرن الحادى عشر ولها علاقات مع شعراء عصرها وعلى رأسهم « ابن زيدون » ، ومن أشهرهن أيضا الشاعرة « رومياكية » التى تزوجها « الأمير المعتمد » ·

ويحدثنا ابن حزم بعد ذلك عن لظى البين ولوعة الفراق وما يحدثه موت الأحبة من عذاب ، فيقول انه هو نفسه كان يحب في شبابه جارية فاتنة أشد الحب ولكن الموت اختطفها فظل يبكيها طويلا ولم يغير ثيابه سبعة أشهر بل لم يذق بعدها طعما للسعادة ·

ويحدثنا ايضا عن أخيه « أبى بكر » وحبيبته « عاتكة » وكيف مات أخوه فى زهرة شبابه فظلت تبكيه ليل نهار وعاشت مخلصة لذكراه تدعو الله أن تلحق به ، حتى ماتت بالفعل بعده بقليل ·

وكان ابن حزم يتصف بالوفاء حتى انه يحدثنا عن حبه فى صباه لجارية نشأت فى دار أهله وكانت رائعة الحسن لكنه لم يظفر منها بنظرة او لفظة ، ثم حدث أن رحله أهله دون أن ترحل هى ، ولكنه التقى بها بعد عدة سنوات فى أحد المآتم فتذكر العهد القديم ·



وكان ابن حزم يتسم بالعفة وحسن السمعة رغم ما فى بيئته من دواعى الفساد والغواية ، ولذلك نراه يختم كتابه بالحديث عن العفة والفضيلة وكيف أن الحب عاطفة مقدسة لا يجب تدنيسها فيقول فى تمجيده للعفة : « ان الرسول خص بمدحه رجلا دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال انى أخاف الله ، وليس عند الله معصية أقبح من الزنا »

● من تراث الانسانية ●

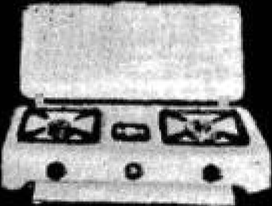
ونراه يحكى لنا كيف كان الشيخ « أبو سعيد » يردد فى مسجد قرطبة أن الزانى والزانية المحصنين جزاؤهما الرجم بالحجارة حتى الموت ·

ويروى لنا ايضا حادثة وقعت لرجل من اتقياء قرطبة حين ذهب الى صديقه فلم يجده فى بيته وحاولت زوجته ان تغريه بنفسها لكنه وضع يده على لهب المصباح ثم قال ماذا تكون هذه بالنسبة لنار جهنم ؟·· واعرض عنها · وهكذا فان ابن حزم لم يتناس الخير حين حدثنا عن الجمال ·

وتقول « نيثا ابترن » أن دولة العرب بعد أن زالت من أسبانيا ظلت تلك **الأفكار التى سجلها ابن حزم عن القيم الاسلامية والحياة العاطفية تؤثر على الحياة فى أسبانيا وفرنسا وأوروبا فى** العصور الوسطى وانتقلت تلك الأفكار فى الأغانى التى يرددها شعراء « التروبادور » ··· **وظل كتاب « طوق الحمامة » بمثابة وثيقة تاريخية للحياة العاطفية فى الأندلس** ، بل هو أيضا دراسة سيكلوجية عميقة لعاطفة الحب وجزءا خالدا من تراث الانسانية ···

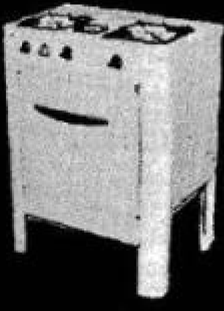
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية

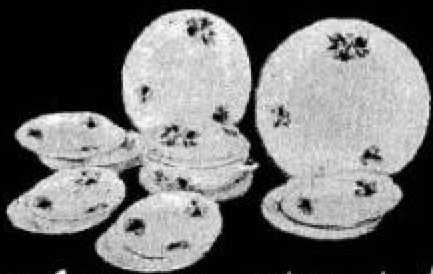
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي



موقد مسطح :
شعلتان ونصف وتمتاز الشعلة
الكبرى بوجود سبرتاية

الفرن الشعبي
شعلتان ونصف وشواية
اقتصادي ومريح





أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباقه السفرة
مزهرة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة

شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية

الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

هل تعرف من القائل؟

● ان المثل الهزيلة تجعل من الضعف فضيلة ، ومن الخـوف والفزع صبرا ورحابة صدر ، ومن العجز عن رد الشر بالشر طاعة !

ـ نيتشه ، جمال الدين الافغانى ، ياسر عرفات .

***

● تقرأون قوله تعالى ، وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون » ـ اسألوا انفسكم : كم اليوم فى كل مدينة يفسد ولا يصلح ؟

ـ عمر بن عبد العزيز ـ عقبة ابن نافع ـ مالك بن دينار

***

● من ولاه الله شيئا من امور المسلمين فاحتجـب دون حاجتهم وفقرهم ، احتجب الله دون حاجته وفقره يوم القيامة .

ـ حديث شريف ـ الامام على ـ الامام الغزالى

الاجوبة

١ ـ جمال الدين الافغانى
٢ ـ مالك بن دينار
٣ ـ حديث شريف

● الغلاف الأول والأخير ●



سيدتان من غوطة دمشق، مع اللمسات الاخيرة فى سجادة بنقوش عربية ..



حاملات الزهـور ، من بساتين دمشق ...




الهلال
عدد خاص
أطباء أدباء
تطلب مع العدد
الزهور
الملحق الأدبي للهلال

الهلال

مارس ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال ـ العدد الثالث ـ السنة الحادية والثمانون ـ أول مارس ١٩٧٣ ـ ٢٦ محرم ١٣٩٣ ...

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليماً ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة ـ في سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا ـ في الأردن ١٥٠ فلسا ـ في العراق ٢٠٠ فلس ـ في الكويت ٢٢٥ فلسا ـ في السعودية ٢٫٥ ريال سعودي .

قيمة الاشتراك السنوي : ١٫٢٠٠ عددا في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٢٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة تلاء بالبريد العادي ـ وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

فى هذا العدد


ابراهيم مدكور


د. مهدى علام


د. عبد الحليم منتصر


حافظ جميل



كلمة الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

ينعقد مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر هذا العام ، فى تونس الخضراء ، فى النصف الثانى من هذا الشهر

وهذه اول مرة ينعقد فيها المؤتمر والمهرجان فى شقيقة من شقيقاتنا فى المغرب العربى ، بعد أن كانا فى السنوات السابقة لاينعقدان الا فى عواصم المشرق

ولعل هذه اول مرة يشهد فيها اكثر اعضاء الوفد المصرى أرض تونس الخضراء ، رغم الوشائج الاصيلة التى تشد الشعبين المصرى والتونسى ، بعضهما الى بعض ، منذ أقدم العصور

فمن الناحية التاريخية ، لايزال الازهر العامر ـ حصن العلم والايمان فى مصر ـ يذكر انه ليس الا يدا من أيادى المعز لدين الله الفاطمى ، ولايزال كل مصرى يذكر أن القاهرة الحبيبة ، هى من صنع جوهر الصقلى ، قائد حملة المعز لدين الله .

ومن الناحية الجغرافية ، اصبحت تونس هى حدودنا الغربية مباشرة ، بعد أن انخرطنا نحن ومواطنونا الليبيون فى دولة واحدة

ومن الناحية الثقافية ، تروى الاسفار صفحات مشرقة عن العلماء والشعراء والادباء والقضاة والمتصوفين الذين هاجروا من تونس الى مصر ، وتولوا فيها مناصب مشيخة الازهر والقضاء والافتاء والتدريس فى عصور مختلفة

قبلة من ثغر القاهرة السمراء ، على جبين تونس الخضراء .

● صالح جودت ●

د. إبراهيم مدكور

الطبيب كامل حسين أديباً



عرفته منذ نصف قرن تقريبا من خلال صحيفة احدثت ما احدثت من حركة في حياتنا الادبية والفكرية ، واعني بهما « السياسة الاسبوعية » . وكان يسهم فيها مع قادة النهضة الادبية المعاصرة : امثال هيكل ، وطه حسين . واختار لنفسه اسما مستعارا هو « ابن سينا» وسالت عن « ابن سينا » القرن العشرين هذا . فقيل لي انه طبيب شاب حصل على بكالوريوس الطب ولما يجاوز الثانيةوالعشرين وما ان امضى سنتى الامتياز بطب القاهرة حتى اوفد في بعثة الى انجلترا ، ومن هناك كان يراسل « السياسة الاسبوعية » وينشر فيها بواكير انتاجه الادبي ولم تقف مقالاته عند الطب والصحة العامة ، بل امتدت الى « اللغة العربية » ، « والبحوث العلمية » ، ولو سمى نفسه « ابن المقفع » ، او « عبدالحميد» ما عز عليه ذلك ..



احمد لطفي السيد : اوجه الشبه بينه وبين ارسطو كثيرة

... وجمعتني واياه مجالس لطفي السيد ، وكم كانت ملأى بالادب والحكمـــة ، والعلم والفلسفة ، والتوجيه والاصلاح . وتمر بنا امور لها شانها ، وقل أن نفكر في تسجيلها مع انها من نخائر الماضي ومن عدد المستقبل . وما اشبه مجالس لطفي السيد بمجالس « الامتـــاع والمؤانسة » ، الا انها لم تجد ابا حيان معاصرا يعنى بتدوينها . وكان صوت كامل حسين فيها مسموعا ، وكلامه عذبا – وتعليقه واضحا ، ونقـــده سمحا .

وكلنا يعرف منزلته بين العلمـــاء والاطباء ، ومع هذا كان حديثه في هذه المجالس يدور غالبا حول الادب واللغة ، والاصلاح والتجـديد . وما ازال اذكر مجلسا منها عقد بقاعة لطفي السيد في نادي محمد علي – نادي التحرير اليوم – على اثر ظهور قصة اديبنا الخالدة : « قرية ظالمة » ، وكان من بين من شهده عبد الحميد بدوي ، وبهي الدين بركات . وما كان اشبه هذا المجلس بحفل تكريم منه بمحاكمة ادبية ، وان لم يخل من نقد لطيف ، وايحاء بتوجس أن تثير القصة بعض رجال الدين ، وكان الجميع قد قرأوها وقدروها قدرها .

وتوثقت صلتي به يوم أن اختير عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٥٢ وسعدت باستقباله ، وقلت فيه حين ذلك : قل أن نجد من يقبل على الثقافة اقباله ، ومن يحب القراءة حبه . فلا تكاد تذهب الى محاضرة عامة في علم او ادب او فلسفة ، الا وتراه في مقدمة المستمعين . ولا يكاد يظهر كتاب قيم في العربية او الانجليزية او الفرنسية الا ويسارع الى قراءته . وكم سألت نفسي كيف يوفق صاحبنا بين هذا وبين اعبائه المتعددة ، في درسه ، وفي عيادته الخاصة ، وفي سهره على مرضاه في منازلهم او في المستشفيات

ولم تقف قراءته عند الحـــديث والمعاصر ، بل أبى الا أن يجمع بين الماضي والحاضر . ودون أن أعرض لالمامه الواسع بالثقافات العالميـــة الكبرى ، احب أن اشير الى تمكنه من الثقافة العربية . عرف اصولها ، واحاط بشتى جوانبها ، درسها في عمق وسعة ، وكون فيها رايه الخاص . وهل من بين اقرانه من يعنى بقراءة « المغنى » و « التصريح » في النحو ، أو من يفتش كثيرا في « القاموس » « واللســـان » من كتب اللغة ؟ اما الادب فله فيه درس وبحث ، ونقـــد وتعليق ، وحكم ورأى ، وقد وقف طويلا عند المتنبي وأبي العلاء . وكشف في مجمع الخالدين عن حسه اللغوي وذوقه الادبي

في ضوء التقدم العلمي

والواقع أن كامل حسين يؤمن ايمانا جازما بأن العربية لغة حية ، كفيلة بأن تؤدي رسالة العلم والحضارة اليوم كما ادتها بالامس . وحياة كل لغة بحياة أهلها ، فهم الذين يستطيعون أن يغذوها وينشروها ، أن يلائمـــوا بينها وبين حاجات العصر ومقتضياته . وهي أداة اساسية من ادوات التفاهم والتبادل ، يملكها اصحابها ومن العبث أن تملكهم وتتحكم فيهم . وهي ملكية عامة شائعة

بين الجميع ولا يقبل اليوم بحال ان تقصر على الخاصة أو على طبقة بعينها وانظروا أمنيته الحارة التي استقبل بها عام ١٩٤٢ « دعاء الكروان » اذ يقول : « امل ان ارى يوما هذه اللغة الشعرية تتمدد دون ابتذال ، ودون ان تفقد من رونقها شيئا، الى ان تصبح اداة فعالة لمجرد رواية حادثة وشرح موقف » ٠

يلمس اديبنا الصراع بين العربية والعامية، ويراه دورا من أدوار التطور في حياة اللغة ٠ وعلينا أن نواجهه ، ولا سبيل الى ذلك الا بتيسير العربية على الناس كتابة ، وقراءة ، وتعلما ٠ وبهذا تحيا وتنتشر ، ويقبل عليها النشء ، والا عز عليه امرها ، واستبدل بها وسائل تعبير اخرى ٠

ويسهم كامل حسين في هذا التيسير اسهاما جادا ، فيعرض للاملاء ورسم الحروف مقترحا طريقة سهلة لكتابة الهمزة ، واخرى لرسم الكلمات الاجنبية

ولفت نظره ما في بعض قواعد النحو من غموض او تعقيد ، واستوقفه بوجه خاص جنس العدد ، ولا يستلزمه من تذكير او تأنيث للفظ العدد نفسه ٠ ويرى أن ييسر ذلك بابقاء اسم العدد على حاله دائما ، مع الفصل بينه وبين المعدود بحرف « من » ، فيقال دون تفرقة خمسة من الرجال وخمسة من

د. محمد حسين هيكل : السهم في حياتنا الادبية والفكرية ..



النساء ٠ ويذهب بوجه عام الى أن في النحو توسعا وفلسفة ، ان لاءمت الخاصة فانها لا تلائم العامة ، ولا بد أن نيسر تعليمه على الناشئين ٠ وهذا امر فكرت فيه وزارة المعارف ـ وزارة التربية والتعليم اليوم ـ منذ اربعين سنة أو يزيد ، واقترحت نحوا مدرسيا ميسرا ، وتركت للمتخصصين أن يدرسوا فلسفة النحو ما وسعهم ٠ وعرض هذا الاقتراح على مجمع اللغة العربية ، واقره في تعديل يسير ٠ ولم يفت أديبنا أن يدلي بدلوه في هذا التيسير ، واقترح ما سماه « النحو المعقول » ، وبسط قواعده بالقدر الذي ارتضاه ٠

وكتب اللغة في رأيه تحتاج الى تعديل وتنقيح ، فتكتب بروح العصر وفي ضوء التقدم العلمي الحديث ، وتستبعد منها المماحكات اللفظية ، والتعديلات السطحية ٠ ونحن باختصار في حاجة ماسة الى معجم حديث مصفى ، حديث في اختيار الفاظه ، وحديث في تحديد معانيه ٠ لا يذكر فيه اختلاف اللهجات ، ولا استعمال الاضداد للفظ الواحد ٠ ولا يقبل فيه الا صيغة واحدة للكلمة ، والا مصدر واحد للفعل ، والا جمع واحد للاسم٠ وتشرح الالفاظ شرحا دقيقا واضحا يتمشى مع ما انتهى اليه العلم الحديث٠

مع اللغات العالمية الكبرى

يقدر كامل حسين العربية قدرها ويعتز بها ، ويريد لها أن تستعيد مجدها ، وأن تصبح لغة العلم والفن ، وأن تؤدي رسالتها على اكمل وجه ، وأن تأخذ مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى ٠ ينقد بعض جوانبها ، ولكنه نقد بناء يرمي الى الاصلاح والتجديد ٠٠ وليس ثمة لغة لا مأخذ عليها ٠

وحسه الأدبي لا يقل عن حسه اللغوي درس الادب العربي درسا عميقا وحاول أن يطبق عليه المنهج المقارن فيقارن ادباء العربية بعضهم ببعض

ويقارنهم ببعض الادباء العالميين · وفي المقارنة تشويق وفتح لابواب مغلقة · ولعله لا يسلم بنظرية التحليل النفسي سيكلوجيا ، ولكنه لا يرفض أن يطبقها في دراساته الادبية ·

فهو يرى مثلا أن ما في شعر المتنبي من غموض وتعقيد أحيانا انما يرجع الى ما صادفه من خيبة وفشل، ذلك لان هذا الشاعر الكبير الذى شغل الدنيا وملأ الاسماع لم يحقق شيئا من أهدافه السياسية والاجتماعية ، فشاء أن يتخيل في شعره مشاكل وصعوبات يحاول تذليلها ، فينجح هنا بعد أن فشل هناك · ونقائض الفرزدق، وقوله الفاحش ، ومجاوزه المقذع حتى لنفسه وأهله ربما كان وليد ضعف وقصور في الشخصية ·

وبعكس هذا سما أدب أبي العلاء خاصة بسمو شخصيته ، وهو في رأيه أقوى رجال الادب العربي شخصية ، وأعمقهم تفكيرا ، وأصدقهم عاطفة ، وأحدهم ذكاء · لم يخل نثره وشعره من مآخذ ، ففي سجعه ضعف وتكلف أحيانا ، وفي شعره تشبيهات غامضة، في معانيه تكرار ، وفي تعبيراته اسراف في بيان ثروته اللغوية · ومع ذلك يعد انتاجه من الادب الرفيع ، لصدقه وقوة تعبيره ، وأدبه في الواقع هو كل حياته ، عاش فيه وله ، وعن طريق اللغة عرف الحياة كلها ، ولا غرابة اذن أن تطغى على نثره وشعره

نعمة الفكر المستقيم

وكامل حسين أديب موضوعي يعني بالحقائق والمعاني ، يجمعها ويتخير أرنقها ، يهذبها وينسقها بحيث تبدو جلية واضحة · وقد مكنه اطلاعه الواسع من أن يعرض منها ألوانا شتى : في الادب والتاريخ ، في العلم والفلسفة ·

وهو ممن يؤمنون بوحدة المعرفة وارتباط جوانبها بعضها ببعض علم النفس ما يوضح بعض المشاكل الادبية ، والتاريخ وثيق الصلة بعلم الاجتماع والسياسة ، وكثيرا ما تقود الدراسات الطبيعية الى ضرب من الميتافيزيقيا ·

ويترجم لبعض الشخصيات المعاصرة ، فيقف عند أبرز المعالم وأوضح السمات · فلطفي السيد في رأيه أرسطي صادق في أرسطيته ، ولا غرابة فوجوه الشبه بينه وبين أرسطو كثيرة : « كلاهما معلم ، وكلاهما شديد العناية بالكليات عناية فائقة · وكلاهما مرهف الحس من ناحية المنطق البحت، يدرك الخطأ في التفكير بطبيعته الصافية » ·

والدكتور على ابراهيم بناء،و شيد كثيرا ، وكأنما عاهد على الا يترك شيئا مما تفخر به البلاد الحديثة الا أنشأ له شبيها في مصر · وكان يرى أن ينشىء أولا ، وأن يترك للتطور الطبيعي أن يتم ما أنشأ · وقد عيب عليه ذلك، ولكنه لم يكن يؤمن بالطفرة ·· وكان يرى أن الامور يجب أن تبدأ صغيرة ، وأن علينا أن نبدأ وعلى الزمن أن يستكمل النقص · »

وكامل حسين ناثر ، ولم أر له الا قصيدة واحدة تحت عنوان : « لقمان والريض » ، وهي من شعر الشباب وأرجح أنها لم ترقه وترك الشعر جانبا ·· ونثره نثر رقة وحضارة ، سهل واضح ، فلا يرتضي اللفظ الغامض ولا التعبير المعقد · أسلوب مطرد لا علو فيه ولا انخفاض ، حلو عذب يستسيغه القارىء، يقرب الافكار البعيدة ، ويبسر البرهنة المحكمة الحلقات · يمقت الصناعة اللفظية والجمل الطنانة ، ويكره السجع والتكرار · كان معجبا بالفكر المستقيم ، ويعده أكبر نعمة وأكبر لذة في الحياة ·· والفكر المستقيم عادة يؤدى الى تعبير مستقيم

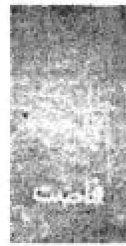
ابن سينا

الطبيب الأديب

د. سيد نوفل



الشيخ الرئيس كما لقب ، أو استاذ العصر ، كما يمكن ان يلقب ، صفة طابقت اصدق المطابقة علم ابن سينا وايمانه وحكمته ، وتوجيهه لبني زمانه ، وآثاره البادية في الفكر الاسلامي والمسيحي اجيالا وعصوراً من بعده .. فقد امتثل قائد الفكر المبرز فلسفة المصريين واليونان والرومان لمختلف ادوارها ، وامتزجت في نفسه تاملات الصوفيين ومجادلات المتكلمين في العصر الاسلامي ، وأحاط بمعارف السابقين في الدين والادب ، والطب والفلك ، والهندسة والجغرافيا ، والموسيقى والجمال ، وأشرب في قلبه الايمان والحكمة معا ..



نقل ابن سينا فيضها الذاتي على الحكماء والمفكرين والساسة اينما كانوا ، فساروا في دربه ونهجوا منهجه لعدة قرون ..

ومن هنا أرجع اليه الباحثون العرب والغربيون تطور الحركات الفكرية التي أعقبته .. فاذا نجمت حركة رجعية تهاجم الفلسفة ومبادئها والفلاسفة ومذاهبهم ، حملوا ابن سينا وزرها وتبعتها .. واذا اخذت الفلسفة في المغرب العربي تزدهر ، والمناهج الفكرية تنمو ، والاساليب العلمية تبين ، قالوا ان أبا العلوم كلها ، الشيخ الرئيس ، هو نبع الاصلاح ومصدر التقدم .. واذا تطور البحث في علوم الطب والمنطق والفلك وحقق انجازات مذكورة ، ارجعوا التطورات والانجازات الى الدعائم التى ارساها ابن سينا .. واذا تعمقت مصطلحات العلوم اللغوية وتباينت مدلولات الفلسفة ، ذهبوا الى أن ابن سينا هو الذى سن السنة الاولى ، ووجه التوجيه المبكر .

البيئة والفكر

ومع أن ابن سينا كان متفوقا في استعداده الذاتي ، فذا في نضجه العقلي ، فانه شأن القادة في كل زمان ومكان ، كان نتاجا صادقا لبيئته التى استجاب لوحيها ، وتطلع الى استكمال مطالبها ومصالحها . فقد ولد عام ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) في ظل الدولة السامانية بفارس ، وبعد مائة عام من نشأتها وتبعيتها للخليفة العباسي اسما ، واستقلالها عنه واقعا وعملا كسائر الدويلات الاسلامية لذلك العصر .

وكان المفكرون حينذاك يتطلعون الى الخلاص من النظام العباسي الواهن المتداعي ، الذى افقد الدولة العربية الاسلامية وحدتها وقوتها ، يدينون

بالطاعة والتشيع للعلويين ، أملا في استعادة المجد الذاهب والقوة النائية . ولهذا لم يكن عجبا ان يدين الكندى وابن سينا والفارابي جميعا بالتشيع الى آل بيت الرسول .

وكان أبوه واليا للدولة السامانية على بعض بلاد بخارى ، وكان من أسرته الولاة والوزراء وذوو الرأى ..

وفي بخارى تلقى أبو على بن سينا العلم ودرس الادب وحفظ القرآن قبل أن يبلغ العاشرة من عمره ، حسبما أملى ابن سينا ذاته على تلميذه أبي عبيد الجوزجاني كاتب سيرته . ومن بعد ذلك درس الفقه ، كما تتلمذ في المنطق والهندسة وعلم النجوم على أبي عبد الله الناتلي الشهير لعصره . ولكن التلميذ الصبي بذ استاذه ، ودرس وحده الطبيعيات والالهيات والطب ، ونبغ في الطب خاصة في سن مبكرة ، وأخذ يمارسه عملا . واكتمل نضجه العقلي في سن الحادية والعشرين فأخذ يؤلف الكتب في أسلوب واضح مبين ، يدل على الفهم السليم ، وينجو من التعقيد والابهام اللذين عرف بهما الكثير من كتاب الحكمة والعلم في عصره .

وتوفي ابوه وهو في الثانية والعشرين من عمره ، فاضطربت حياته ، واخفق في بعض مقاصده . لكنه ولي الوزارة في بعض الاوقات ، وظل وفيا على كل حال للعلم ، متوفرا على التأليف . فظهر كتابه « الشفاء » الذى يعد دائرة معارف فلسفية ، كما ظهر كتابه القيم : « القانون في الطب » . كما كتب رسائل كثيرة في نواحي الحكمة والعلم والمعرفة ، واستمر يشتغل بالسياسة حينا ، وبالعلم في اكثر الاحيان . وعانى في سبيل الرأى والسياسة فاضطهد وسجن .. وتوفي بهمذان غربي ايران ، في الحادية والخمسين أو الثالثة والخمسين من عمره . وكانت وفاته اثر مرافقته الامير علاء الدين في حملة منتصرة على المدينة هزم الامير فيها الثائرين على سلطانه .

وهكذا انتهت حياة ابن سينا التى عاشها كما أرادها وأحبها ‥ فقد روى انه كان يصرف أعمال الدولة بالنهار ، ويجلس للتدريس والتأليف بالليل ، ثم يسمر للغناء والطرب من بعـد ذلك ٠ لعجب البعض من أمره ، واكتمـال قدراته العقلية والجسـمية جميعا ، وسالوه عن مسلكه المرهق ، فقال : انى أحب الحياة عريضة قصيرة ، ولا احبها ضيقة طويلة ‥

من ابرز مواهبه

ومن أبرز المواهب التى خلـدت ابن سينا فى تاريخ التطور العلمى ، وأحلته أرفع المنازل فى المجال العالمى ، موهبة الطب ٠ وهى ذاتها الموهبة التى عادت عليه بالحظوة فى الحياة الدنيا ، وجعلته من الوزراء المرموقين ٠٠٠

ومهما يكن من أمر ، فقد برز الشيخ فى الطب وهو لا يزال صبيا كما اشرنا قبلا ٠ وتختلف الروايات فى مصـدر علمه بالطب ٠ فيقول البعض انه علم نفسه بنظره وملاحظته وتجربته ٠ ويقول البعض انه تلقاه عن عيسى بن يحيى ، وأبى سهل المسيحى وأبى منصور القمرى ‥ ويتفق الجميع على انه بذ الجميع فى هذا العلم ، وبلغ فيه ما لم يبلغه أى من الاطباء المعاصرين له ٠



وحين الم بأمير بخارى منصور بن نوح داء عضال ، لم يهتد الاطباء الى علاجه ، وحار فى امره ، استدعى ابن سينا ، فعالجه حتى أبل من مرضه ٠ وحينئذ اغدق الامير على الفيلسـوف الطبيب ، وقربه منه ، وفتح له مكتبة القصر العامرة بذخائر العلم والحكمة ، فنهل منها ابن سينا ما شاء أن ينهل ، وافاد منها اعظم الفائدة ‥

واستدعى شمس الدولة أمير همذان ابن سينا لعلاجه ، وتم للامير الشفاء على يديه ٠ فأدنى الامير الفيلسـوف الطبيب منه ، وعينه وزيرا له ٠ ولكن ابن سينا كان معتـزا مغرورا بعلمه ومواهبه ، فتعاظم على خاصة الامير ، واشتد فى معاملة الجنود ٠ مما دفعهـم الى الثورة عليه ونهب أمواله والمطالبة بقتله ٠ وحينئذ اضطر شمس الدولة الى اقصاء ابن سينا عنه ونفيه ‥ وبعد وقت عاودت الامير علته ، فلم يجد بدا من استدعاء ابن سينا لعـلاجه ، وتسليمه مقاليد الوزارة من جديد ‥ وكانت لابن سينا موعظة من الماضى ، فغير مسلكه وظل فى الوزارة الى أن مات شمس الدولة وخلفه ابنه تاج الدولة ، وحينئذ نجمت الاحن القديمة ضده ، فغضب عليه تاج الدولة وسجنه ٠

واستطاع ابن سينا الفرار من السجن متنكرا فى زى الصوفية ، والذهاب الى اصبهان ، حيث اكرمه اميرها عـلاء الدين لنبوغه فى الطب خاصة والفلسفة عامة وظل معه حتى مات ٠

مكانته العالمية

على أن مكانة ابن سينا فى الطب لم تكن مقصورة على العالم العـربى الاسلامى فى افريقية وآسيا ، وانمـا تخطته الى أوربا وأرجاء المعمـورة ٠

ويعدد المستشرق « دى بور » مآثر ابن سينا على الطب فى الغرب ، ويقول : أن سلطانه عليه امتد من نهاية القرن الثانى عشر حتى القرن السابع عشر ،



ابن سينا

وان آثاره امتدت الى القرن التاسع عشر ..أما آثاره فى طب الشرق فقد ظلت الى هذه الايام .

وقد ترجم « جيرار دى كريمون » فى سنة ۱۱۸۷ موسوعة ابن سينا فى الطب (القانون) الى اللاتينية . لكنها لم تكن ترجمة دقيقة ، ولهذا اعاد العلماء الغربيون النظر فى الترجمة ، وبذلوا فيها أعظم الجهد حتى تمت لها الدقة والمطابقة .

ومنذئذ اصبح مرجعا اساسيا للاساتذة والطلاب فى دراسة الطب بالجامعات الاوربية . وطبع باللاتينية كاملا ست عشرة طبعة فى السنوات الثلاثين الاخيرة من القرن السادس عشر . اما الطبعات التى تتناول اقساما معينة من الكتاب ، فان طبعاتها قد تجاوزت الحصر . وفى عام ١٥٩٣ نشر النص العربى فى روما .

ويقول « ليبون » فى كتابه : « حضارة العرب » ان كتاب القانون لابن سينا كان من أهم مراجع جامعة مونبلييه حتى العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، كما ظل يدرس فى جميع الجامعات الاوروبية الى عهد قريب . وكذلك عنى بدراسة طب ابن سينا طائفة من علماء الغرب فى هذا القرن العشرين .

بالمعنى العلمى الحديث

ومنهاج ابن سينا الطبى يمكن أن يسمى منهاجا علميا بالمعنى الحديث . فهو يقوم على الترتيب والتنسيق فى وقت عز وجودهما فيه . وهو يأخذ بالاسلوب الذى سار من بعده فى التشخيص أو شرح الاعراض فوصف العلاج . كما أنه يورد أسماء العقاقير والادوية ، ومواطن الجراحات وادوات الجراحة .

وقد افاض « نيوبرجر » فى كتابه : « تاريخ الطب » ، فى الحديث عن اسلوب ابن سينا الطبى ، وطريقته العلمية الفريدة لعصره . وكان مما قاله ان الاطباء كانوا ينظرون الى كتاب القانون كانه تنزيل سماوى . ويزيدهم اعجابا بآرائه التنسيق المنطقى ، والقسمات التى لا تنقض .

ومع انتشار السحر والشعوذة والخرافة فى العلاج لعهد ابن سينا فقد برىء كتابه منها جميعا ، ولم يستثر فى الوقت ذاته غضب الجامدين المتخلفين .. ومن ذلك ما اورده فى شرح اعراض « المالنخوليا » . فقد قال ان بعض الاطباء ينسبونها الى الجن ، ولكن ذلك لا يدخل فى اختصاص الطب ، وانما يدخل فى اختصاصه معالجة حالة السوداء القائمة فى المريض ، من حيث انها حالة جسدية ونفسية معا . وبصدد العلاج فيذكر انه الغذاء الصالح ، والعوامل النفسية ، والمنومات التى لا ضرر منها . ويفصل كل ذلك تفصيلا .

ويذكر مؤرخو الطب فى الغرب ان الطب قد انتقل من جالينوس الى ابن سينا ، بل انهم يفضلون ابن سينا على جالينوس ، اذ الاول واضح منظم والثانى غامض مضطرب . كما اكدوا انه لم يظهر من قبل ابن سينا ولا من بعده مثل نضجه المبكر وسهولته الممتنعة ، وفطنته ودأبه ..

فى عالم الشعر والادب

يعد الشيخ الرئيس ، علم الفلسفة والطب ، من الادباء المرموقين لعصره . وقد نشأ نشأة أدبية ، اذ حفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره . كما أتم دراسة اللغة والادب ، حسبما يروى ، وهو فى العاشرة . ويذكر أنه كان فى

هذه السن المبكرة أنجب تلاميذ أبي بكر أحمد بن محمد البرقي الخــوارزمي الاديب اللغوى المعروف ، كما يذكر أن الشيخ الرئيس عرف منذ طفولته بقـوة حافظته ودقة وعيه ٠

وموهبته الادبية ليست مقصورة على العربية ، اذ يروى انه كان من المبرزين بين شعراء الفارسية ، وانه كان من الرواد الاوائل فى نظم الرباعيــات الفارسية التى عرف بها من بعده بنحو قرن أبو الفتح عمر الخيام ٠

ويدل على تفوق ابن سينا فى اللغة العربية ما روى من انه الف كتابا جامعا فى اللغة سماه « لسان العــرب » لم يؤلف حينذاك فى اللغة مثله ٠ » لكن الزمن لم يمهل ابن سينا حتى يبيضه ، فبقى فى مسودته لا يهتدى اليه احد ٠٠ واذا صحت هذه الرواية ، صحة سائر الروايات المنسوبة للجوزجاني راويها ، فان ابن سينا يكون قد سبق بفكــره اللغوى ابن منظور صاحب معجم « لسان العرب » الشهير بنحــو قرنين من الزمان ٠٠

ولابن سينا شعر ســائر باق على الزمان ٠ ومكانته الشــعرية رفيعة بالقياس الى معاصريه فى المشرق العربى وتمتاز كتابته الفلســفية باسلوبه الادبى ، مثلما يمتاز شعره بفكــره الفلسفى ٠

ويظهر ذلك فى مثل قوله :

شربنا على الصوت القديم قديمـة
لكل قـــديم اول ، وهى اول
ولو لم تكن فى حيز قلت انهــا
هى العلة الاولى التى لا تعــلل

فهو هنا متأثر بالفكر الكلامى فى الحديث عن واجب الوجود بذاته ، الذى ليس له مكان ، وهو علة الموجــودات جميعا ٠ كما انه متأثر بفكرة القــديم الازلى ، ومراتب القدم الفلسفية ٠

لكن لابن سينا شعرا رقيقا فى باب طريف من أبواب الشعر العربى ، وهو باب الحب والخمر ٠

ومن ذلك وصفه الخمر ، وبريقهــا



الشفاف المضيء فى الكاس اكثر مما يضيء السراج ، وأن الســاقى خالها نارا فطفاها بصب الماء عليها :

صبها فى الكاس صرفــــا
غلبت ضــــوء السراج
ظنها فى الكاس نــــارا
فطفاها بالمــــــزاج

والشاكلة بين الحب والخمر تبدو فى أروع ماتكون حين يقول الفيلسوف الاديب :

أساجية الجفون ! ٠٠ اكل خــود
سجاياها استعرن من الرحيــق
هى الصهباء مخبرها عــــدو
وان كانت تناغى عن صــديق !

وقد عالج ابن سينا الفخر فى شعره ، كما شكا الزمان وصروفه والنـــاس ومساوئهم ، ولكن فى غير تشاؤم ولابرم بالحياة ٠ فقد كان ابن سينا متفائلا يؤصل الخير فى الانسان، ويهيم بالحياة ومتاعها ويستغرق فى جمالها ٠

ولعل اشهر شعره الصوفى الفلسفى قصيدته العينية التى تحــدث فيها عن النفس الانسانية مثل حديث افلاطون ، وشبهها بالحمامة التى تهبط كارهة على الجسد من عالم الافلاك الى الارض ثم تفارقه على كره كذلك بعــد ان الفت متاعها ولذاذاتها الوضيعة ٠ ومطلعها :

هبطت عليك من المحــل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنـــــع

ويصفها بأن العــارفين الذين كشف عنهم الغطاء يحسون بوجــودها ، ولا

يرونها مع أنها سافرة لم تتعمد اخفاء نفسها ، وأنها جاءت الى الدنيا مجبرة يقودها الاثم والشوق الى عالم الشر والنقص ، وأنها تترك الجسد والدنيا باكية بعد ايلافها باطل الحياة ومتاعها الزائف :

محجوبة عن كل مقلة عارف
وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهى ذات تفجع
تبكى وقد ذكرت عهودا بالحمى
بمدامع تهمى ولما تقلع

ويصف بكاءها على خرائب الدنيا ، وتعلقها بشرك الحياة السفلى الذى حبست فيه ، وحجب عنها بهاء الحياة العليا ‥ ثم يقول أنها لا تلبث بعد تحررها من وزر الطبيعة ، أن تبصر الحق الذى لا تدركه العيون المحجوب عنها

ابن سينا

ضياؤه ، وأن تغدو تغرد فى طرب بعد أن سمت بها المعرفة ، وأعلى شأنها العلم :

هجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت
ما ليس يبصر بالعيون الهجع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
والعلم يرفع كل من لم يرفع

على أن أروع الادب للرئيس الشيخ نثره الذى يمتاز بالافكار الفلسفية وبالنزعة الاخلاقية التأديبية ٠

وهو يصطنع الرسائل القصصية تارة ، والمقالة الاخلاقية تارة أخرى ٠٠٠

ومن أروع رسائله رسالة الطير ٠ ويتحدث فيها عن الصداقة والاخلاص والتعاون بين الاخوان ، الذين جمعتهم القرابة الالهية ، والفت بينهم المجاورة العلوية ، فلاحظوا الحقائق بعين البصيرة ، وجلوا أدران الشك عن السريرة ، فلن يجمعهم الا منادى الله ،

ثم يناشد اخوان الحقيقة أن يدعموا روابطهم فى صدق ، قائلاً مثل قوله :

« ويلكم اخوان الحقيقة ! باثوا وتضاموا (١) ، وليكشفن كل واحد منكم لاخيه الحجب عن خالصة لبه ، ليطالع بعضكم بعضا ، ويستكمل بعضكم ببعض ٠٠٠ »

ويهيب بالاخوان كى يتجردوا من الشرور والموبقات ، فانهم بالخير يطرون الملائكة ، وبالشر يقصرون عن الحيوانات ‥ ثم يقص قصته ، فيصور نفسه وبعض الناس بجماعة من الطير ، اصطادتهم مغريات الحياة الدنيا ، فوقعوا فى الشرك والحبائل ٠ واخذوا يحاولون الخلاص فى البداية لكنهم لم يلبثوا أن ألفوا الشباك واستأنسوا الى الاقفاص ٠

ولكنه لم يلبث أن رأى جماعة من الطير تخلصت من الشرك وطارت وفى أرجلها بقايا الحبائل ، فالتمس منها النصح والعون ، فأعانوه على الخلاص من الشباك ، ومكنوه من الطير مثلهم وفى أرجله وأرجلهم ما يثقلها من بقايا الحبائل ‥ وظل معهم فى رحلة طويلة تخطوا فيها سبعة جبال عالية بعد معاناة وأعياء ، ويأس من بلوغ القائم الاعلى ‥ وعند الثامن بلغوا قصر الملك ببهائه وجنانه ٠ ومثلوا فى حضرته ، فقلبهم الدهش بجلاله عن مطلبهم وهو الرفع لبقايا الحبائل من أرجلهم ، لكنه يؤنسهم ويزيل دهشهم ، فيبثونه شكواهم ، ويجيبهم بأن سيرسل اليهم رسولا يضع عنهم أصرهم ويفك أغلالهم ٠

وينهى الرسالة بالعجب ممن يشكون

---

١) باثوا : ليبث بعضكم بعضا ما فى قلوبكم ٠ تضاموا : لينضم بعضكم الى بعض

في قصته ، ويخالونها بجهالتهم وهما ..

وهو هنا يرمز الى الله سبحانه وعزته الالهية بالملك ، ويشير الى ان العلم ، وان كان الزم اللوازم للبشر ، فانه لا يقوى وحده على تحرير الانسان ، وانه لا مناص معه من الشريعة والايمان . فهما اللذان يقربان الانسان من الله القادر على أن يهبه الحرية والخلاص والنجاة ...

ومن خير مقالات ابن سينا الادبية ، ما تضمنه مؤلفه القيم : كتاب السياسة ... فهو مثل رائع للأدب الساعي الى خدمة المجتمع ، وتنمية امكانيات افراده ومصادر قواه .

وحديثه عن تربية الناشيء يرقى الى مراتب الاحاديث التربوية في ادق ملاحظاتها ، واحكم آرائها ، واوفى تجاربها . ومثله سائر الموضوعات التي عالجها ..

انه يتحدث عن افضل الطرق لتربية الناشئة ، ويرى أن التربية تبدأ من الساعات الاولى للحياة مثلما تؤكد أحدث النظريات التربوية .. ويقرر أن اللبن يعدى ، ولهذا ينبغي أن تختار المرضعة سليمة الجسم والعقل معا . فاذا فطم الرضيع بدأ تعويده على مكارم الاخلاق ، وابعاده عن مساوئها ، والحرص على الا تقع عينه ولا يطرق سمعه سوى المهذب الحسن الجميل . وحين يستقيم لسانه يؤخذ في تعليمه القرآن والكتابة والادب ، ويتحدث في دقة ، عن التدرج والاختيار والمحاكاة والاستقلال والتخصص ، حديث العالم المجرب الواعي ومن أقواله المستفيضة :

« وينبغي أن يروى الصبي الرجز ثم القصيد ، فان رواية الرجز أسهل ... ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الادب ومدح العلم . واصطناع المعروف وقرى الضيف وغير ذلك من مكارم الاخلاق ..

« وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ، ذا دين ، بصيرا برياضة الاخلاق حاذقا بتخريج الصبيان . قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي . وينبغي أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية حسنة آدابهم فان الصبي عن الصبي القن . وهو عنه آخذ وبه آنس . وانفراد الصبي الواحد بالمؤدب اجلب الاشياء بضجرهما .

« واذا فرغ الصبي من تعلم القرآن واصول اللغة ، نظر بعد ذلك الى ما يراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه » ..

وبعد أن يتحدث عن التخصصات في الحساب أو الهندسة أو الطب او غيرها يقول :

« ولهذه الاختيارات أسباب غامضة وعلل خفية . فلذلك ينبغي لمدبر الصبي اذا رام اختيار الصناعة ، أن يزن أولا طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك .. فاذا اختار له احدى الصناعات تعرف قدر ميله اليها ورغبته فيها . ونظر هل جرت منه على عرفان أو لا ؟ وهل ادواته والاته مساعدة له عليها او خاذلة ؟ ثم يبت العزم . فان ذلك أحزم في التدبير ، وأبعد من أن تذهب أيام الصبي في مالا يؤاتيه ضياعا .. فاذا وغل الصبي في صناعته بعض الوغول ، فمن التدبير أن يعرض للكسب ، ويحمل على التعيش منها . فاذا كسب الصبي بصناعته ، فمن التدبير أن يزوج ويفرد رحله » .

وهكذا يؤكد الشيخ الرئيس على الاختيار الملائم في التخصص ، ويدل على أن التربية العربية لعصره كانت أقوم من التربية العربية لعصرنا ، اذ نفرض على الطلاب تخصصات طبقا لمجموع من الدرجات في مواد عامة شاملة ، ودون نظر لرغباتهم واستعداداتهم الذاتية مما يكلفنا ويكلف الوطن الكثير .

وهكذا كان ابن سينا اديبا مؤدبا ، بقدر ما كان فيلسوفا طبيبا . وهكذا كان جديرا بان يكون الشيخ الرئيس الموجه لعصره وللعصور التي جاءت من بعده ▮

احمد عمار

■ د. مهدى علام ■



يسعدنى أن اكتب بعض ما أعرف عن زميل كريم تمتد معرفتى به نحو ربع قرن ، فى عضوية مجلس جامعة عين شمس ، وعضوية مجمع اللغة العربية • واذا كان اجتماعنا فى مجلس الجامعة كان يحدث مرة كل شهر ، فان مجمع اللغة العربية يجمعنى به ثلاث مرات كل اسبوع ، مرة فى الجلسة العامة لمجلس المجمع ، ومرتين فى لجنة المصطلحات الطبية ••

ولنا فى كل هذه الجلسات ـ فى الجامعة والمجمع ـ مساجلات شعرية لتصوير بعض المناقشات او وصف بعض الاحداث ، يملا بها الدكتور عمار ظرفا كبيرا يحتفظ به و « يهددنى » ، بنشره أحيانا !

ولكن الصورة الجادة التى يجدر بى أن اصور بها صديقى الكريم فى ما أسطره هنا •••

وأبدا بما قاله عنه المرحوم الدكتور منصور فهمى ، الامين العام السابق لمجمع اللغة العربية ، فى يوم استقباله

الطبيب اللغوى الأديب

بالمجمع ، فى الرابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٥٦ ٠

« انى اجتزىء بالاشارة الى تلك الكراسات التى كان يوافينا بها الدكتور عمار قبيل اختياره لعضوية المجمع ، مشحونة بدراساته وبحوثه لمصطلحات طبية دقيقة يكتشف لها كلمات عربية ٠٠ صحيحة تؤدى مدلولها فى دقة وضبط ٠٠ سأترك هذا كله ، منصرفا الى ناحية من نواحى شخصية الدكتور عمار ٠ وهو يتميز بها كل التميز ٠ تلك هى ناحية العصبية للغة ، وليست عصبيته هذه من ذلك النوع الذى يستطبعه كل انسان ، وانما هى عصبية كريمة قادرة ٠٠ أساسها نوع من الحب أو الشغف بما يتجلى فى اللغة من خصائص القوة والحياة ، ومن ميزات يتذوقها عشاق الجمال فى موسيقى الحروف والصيغ والاصوات ٠ وقد تتصل هذه العصبية كذلك بلون من الوان الوطنية الكريمة، والقومية الرشيدة ، يدعو الى الاعتزاز بتلك اللغة التى تكمن فيها عناصر أصلية من ذاتية الامة وشخصيتها » ٠

ثم يحلل الدكتور منصور فهمى نشأة هذه العصبية بالمراحل التى مر بها الدكتور عمار منذ طفولته : فقد ولد فى سنة ١٩٠٤ فى قرية « متاوهلة » بمحافظة المنوفية ، ودخل مكتب القرية صبيا ، فحفظ القرآن وجوده وهو فى سن الثامنة ، ثم انتقل الى المدرسة الابتدائية فى شبين الكوم الع تلميذ فيها منذ كان فى سنتها الاولى ٠ وقد ظهر ميله الى اللغة والادب حين كان يلتقى بلداته واخوانه من أبناء قريته الذين كانوا يدرسون فى معاهد الازهر، فكان يساجلهم فى دراساتهم الادبية ؛ سمع منهم عن المعلقات والمفضليات وغيرها من روائع الادب القديم ، فحفظها، وراض القول وهو فى الدراسة الثانوية ، نثرا وشعرا ٠

وظل على وفائه للغة والادب فى اثناء دراسته للطب ، وان كان ذلك لم يحل بينه وبين تخرجه أول دفعته وأصغرها سنا ٠ وقد بعثته الدولة الى انجلترا للتخصص فى أمراض النساء والولادة ٠ وهناك أظهر من نبوغه بين أقرانه البريطانيين ما أظهره بين أقرانه المصريين ٠ ولكنه ـ وهو هناك ـ وجد



د. منصور فهمي : اشاد بجهد الدكتور عمار في المجمع اللغوى

الى جانب الدراسات الطبية ، منهلا عذبا من الادب الانجليزى ، فتزود منه بما جعله من المالكين لناصيتي اللغتين

وقد اثمرت هذه الدراسات اعظم الثمار في الميدان الذى اخصص له هذه المقالة . فقد شمل نشاط الدكتور عمار في مجمع اللغة العربية نواحي متعددة ، ان يكن الطب اهمها ، فانه لا ينفرد دونها . ومحاضر جلسات المجمع شاهدة باقتراحاته وآرائه في تعريب المصطلحات وترجمتها . وله في ذلك منهج يمثل ارشد ما يسير عليه المجمع . فقد القى في مؤتمر المجمع سنة ١٩٥١ بحثا فيما جاء فيه :

« ان لكل لغة أوضاعا مأثورة ، ومطالب يقتضيها منها العصر . وعلى قدر توفيقها في المزاوجة بين الحفاظ على تراثها ومسايرة زمانها ، يكون حظها من قوة الحياة . فان هي اشتطت في المحافظة الى حد الجمود ، او نبذت قديمها تهافتا على الجديد ، دب اليها دبيب الوهن ، وتناوشتها عوامل الفناء » .

ثم انتقل الى حديثه عن اللغة العربية فقال :

« ولغة هذا شأن تراثها — بل شأوه من التقديس — لا عجب اذا هي انقادت ببديهتها ، فغلت في المحافظة حذر التجديد ، ولكنها ان اعملت رويتها ، ادركت انها ان تغل في الحذر ، فمن مأمنه قد يؤتى الحذر ، وانها ان تجمد على القديم تصبح على الايام لغة مقصورة على الدين ، بعد أن كانت في عنفوانها لغة الدنيا والدين ، وتتنكر بذلك لتراثها ذاته ، بل لسنة الحياة لا تبديل لها ، وهي أن ما ينفع الناس يمكث في الارض ، فتلك سنة لا تند عنها اللغات ، فهي انما تمكث في الارض بما توفره من منافع للناس في شتى ضروب تواصلهم في أمور معاشهم . وأنا لنعاصرنا لغات موفورة الحياة ، لا تكف عن التجديد ليل نهار ، لتلاحق فيوض القرائح ، وأفانين الابتكار — فلا يلحقها من هذا التجديد ضير ، بل لا يزيدها التجدد الا قوة ونماء .

« ولقد وسعت لغتنا في ريعانها من مطالب الحضارة أعلى مرتقى ، وأصعبها شعابا ، ومن بينها الطب ، اذ بلغ شأوها فيه أن تلقاه عليها الغرب ، وتدارسه في كتبها حقبا طوالا .. وما كان ذلك الا لان أسلافنا لم يبتلوا بذلك الداء الدوى ، وهو فرط الحذر ، ولم يخشوا في النقل عمن سبقهم من الامم لومة لائم ، بل اقبلوا عليه اقبالا لعلهم كانوا فيه الى العجلة والاندفاع اقرب منهم الى التؤدة والاناة فما اضر بهم ولا بلغتهم قليل الاندفاع ولو انهم اسرفوا في الحذر لما خلد لهم في التاريخ ذكر ولا بقى لهم في العلم اثر . »

وقد ختم الدكتور عمار بحثه بقوله :

« لنضع نصب أعيننا في اصطلاحنا

بما نحمل من امانة اللغة اثر الا ثلاثة ·

اولها قول الجاحظ : ما على الناس شيء اضر من قولهم : ما ترك الاول للآخر شيئا ·

وثانيها قول أبى عثمان المازنى : اذا قال العالم قولا متقدما فللمتعلم الاقتداء به والانتصار له، والاحتجاج بخلافه اذا وجد الى ذلك سبيلا ·

وثالثها ماجاء فى كتاب نقد النثر : كل من استخرج علما أو استنبط شيئا، وأراد أن يضع له اسما من عنده ، ويواطيء عليه من يخرجه اليه فله أن يفعل ذلك » ·

وحسبنا فى تقدير البحـوث التى يكتبها الدكتور عمار أن نذكر ما علق به المرحوم الاستاذ عباس العقاد عقب استماعه الى بحث من هذه البحوث :

« اظن اننا بعد سماع هذه المحاضرة القيمة امكننا أن نثبت من جديد حقيقة محبوبة لدينا نحن المتكلمين بالعربية· وليست هى فى الواقع حقيقة جديدة ، ولكنها تحتاج فى عصرنا الحاضر الى اعادة اثبات ، وهى أن الباحث فى العربية يستطيع أن يكون علميا محققا ، وبليغا مبينا غاية البلاغة والفهم · وهكذا كانت محاضرة الدكتور الاديب الذى سمحنا لانفسنا بأن تسـميه الدكتور الشيخ احمد عمار ، وذلك لبلاغته واجادته فى التعبير اللغـوى مع التحقيـق العلمى · ومما يروق للمجمع ان يسجله ان صفة الجمال التى أطلقت على العربية لا تحـرمها من صفة الدقة العلمية كما سمعناها بليغة دقيقة محققة · والشيء الوحيد الذى اخالف الدكتور احمـد عمار فيه هو انه وصف محاضرته بأنها جافة · والواقع انها ممتعة ندية لطيفة مشوقة نتمنى أن نستزيد منها · وقد وعدنا بالاستزادة ، ونرجو ان يكون ذلك قريبا » ·

والدكتور أحمد عمار صـاحب « مجموعات » علمية لغوية ينسقها فى جذاذات تضم كل جذاذة منها مجموعة الفاظ متقاربة في المعانى ، تعرض لنا فى المصطلحات العلمية عامة ، والطبية خاصة ، وبعد البحث يخصص لكل لفظ انجليزى منها لفظ عربى يقـابله · ويحدث أن يغيب عنا أحيانا بعض هذه الالفاظ ، ولكن معنا دائما ذاكـرة الدكتور عمار لا يغيب عنها اسم من هذه الاسماء وفى « أرشيفه » (وهو غالبا فى حيوية هـذه الجـذاذات يقدمها لنا لنسترشد بها عند الحاجة اليها ·

فمن ذلك مثلا مجموعة الاعمار :

وليد	New-born
رضيع	Infant
طفل	Child
بالغ	Pubescent
مراهق	Adolescent
راشد	Adult
شاب	Youth

وهذه المجموعة :

سحج	Abrasion
كدم	Bruise
رض	Contusion
خدش	Excoriation

خدش	Scratch
كشط	Scraping

وهذه المجموعة التي تمثل قمة الدقة :

مرض	Disease
داء	Illness
سقم	Sickness
علة	Ailment
بلاء	Evil
اصابة	Trauma (Injury).
آفة	Lesion
عاهة	Infirmity
غيبوبة	Coma
اغماء	Fainting
سبات	Stupor (Letherg')
غشية	Syncope

ولن أحول هذه المقالة الى ما يشبه قاموسا علميا •

ولا لم يكن بد من أن أشير الى بعض الانتاج الادبي واللغوي في اطار العلوم الطبية للدكتور عمار - وهو لا يمثل الا قدرا محدودا من نشاطه المودع في أعمال المجمع - فهذه أهم مؤلفاته في هذا المجال :

أحمد عمار

ثلاث مجموعات في المصطلحات الطبية المعربة ، وكتاب « في صحة المرأة » ، والاشتراك أو الاشراف اللغوي والعلمي على هذه الاعمال الضخمة :

١ - الموسوعة الطبية الحديثة •

٢ - المعجم العلمي المصور •

٣ - المعجم العسكري الموحد •

٤ - الموسوعة العربية الميسرة •

٥ - معجم دودن . (Duden).

على انني أود أن اقتبس فقرة من كتابه « في صحة المرأة » ، فهي تبين كيف يتناول هذا الطبيب موضوعا علميا بقلم الاديب المشرق : يقول تحت عنوان « المرأة بعد الاربعين » :

« ان القراء قد ألفوا من الكتاب حينما يعرضون للمرأة في القصص والوصف والشعر والغزل ، أن يعرضوا لها في صباها وشبابها حيث لا تزال في ربيع الحياة ، رطبة العود ، غضة الاهاب ، واهية الخصر ، مصقولة النحر ، هيفاء القد ، ملساء الخد • وتراهم يذهبون في وصفها كل مذهب ، ويشبهونها بكل جميل في الطبيعة من الطير والزهر وغير ذلك •

« ولقلما انصرف الكتاب او العلماء الى هذا الجانب من حياة المرأة في دور كهولتها بعد الاربعين • بل لعلهم ان عرضوا له فانما ليصوروا فيه الارض القاحلة لا تزكو بثمر أو شجر، والصحراء المقفرة لا خضرة فيها ولا ماء ، والليل المظلم البارد لا ضوء فيه



العقاد : لقب احمد
عمار بالدكتور الشيخ

ولا نفعه ، والدار الموحشة لا انيس بها ولاسامر ·ثم نراهم يتحدثون عن سن اليأس في المرأة حين تسرع بها الخطا نحو الخامسة والاربعين أو الخمسين، فيبدر الى الذهن ان هـذه هي ســن الذبول والخمــول واليأس من سرور الحياة وبهجتها · والحقيقة الا يأس هناك ولا قنوط الا من وظيفة واحـدة من وظائف المرأة ، وهي في الواقع عبء كانت تحمله في فترة حياتهـــا الخصبة ، فتخففت منه بعد هذه السن ، وتعفى به عبء التناسل ، وما يقترن به من وعكة الحيض ، وتعب الحمل ، وألم الولادة ، ومشـــغلة الرضاعة ، وحســبك هذه السلسلة الطويلة وما يلازمها من الضـــيق والهم والقلق والانزعاج · وهذه الحلقة المفرغة التى لا تكاد المرأة تنتهى من أحد أدوارها حتى تدخل فى دور آخر ·

« ومن الحق ان نقول ان المرأة بعد الاربعين تكون قد قاربت الانتهاء من اداء رسالتها من انتاج النســـل ، فتستطيع بعد ذلك ان تفرغ لنفســـها ولزوجها ، وان تقوم بقسط اوفر من الحياة العامة ، وبنصـــيب اوفى من الشئون الانسانية » ·

ان كتابة هذا الطبيب بقلم الاديب يذكرني بكتاب كان علينا أن ندرسه فى أيام الدراسة فى انجلترة ، كتبه طبيب أديب شاعر اسمه
Ronald Campbell Macfie
ويدل عنوان الكتاب على أسلوب المؤلف فيه ، فمع انه كتاب في علم وظائف الاعضاء ، سماه
The Romance
of the Human Body
« رومنسية الجسم البشرى »

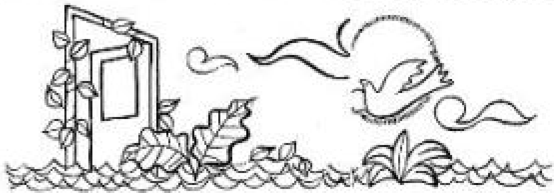
وبعد فان لى فى وصف الدكتور عمار عبارتين : احداهما ارددها فى لجنة الطب بالمجمع ، عندما نجتمع قبل بدء العمل ، فاذا هو يبادرنا بقوله : قرأت بالامس كذا فصلا من كتاب « الاغانى » طلبا لاستيفاء موضـــوع كذا ، او راجعت فى تفسير « القرطبى » معنى كلمة كذا ، او قضيت مساء أمس بين صفحات « القاموس المحيط » تحقيقا لبعض الالفاظ ـ فاداعبه بقولى : يبدو انك احـــرص على تعقب كلمة تعلن ميلادها فى اللغة ، منك على فحص سيدة تريد ان تعلن ميلاد طفلها على يديك ·

اما العبارة الاخرى فليس فيهـــا دعابة ، انها حقيقة اعلنها لتصـــور مقدرته الطبية واللغوية :

ان الدكتور عمار يتعامل على قدم المساواة مع كتاب
William's Obstetrics
وكتاب « لسان العرب » ·

محمد الجهيدار

داري في الشاطئ الآخر



كان غيم المساء يزحم نفسي كيفما من ذكريات الحب وبكائي ... طائر يبث قديم كم يحب بابه ... على راحتيه رحلت نظرتي وراء الزرقات لداري ... في الضفة القريبة قرمزن ... كما بنتها به الشمس ذراعا الأرض يوم الجب وعتها الشمس ... لوطن فيه القسمات من العطاء الزركية كرواني هناك حلم مسجونا ولداني ، في صمته ... ببسكنه وارتماش الهمس في ماثر القمح ... وتلك العامة الارديه وتلك الشكور يقبل منها تهمسات البلور تنعو طيبه عطرها ... سيرة ... أزهر بقلبي ... علم الطفيح اللغة باديه فوق بابي ، ليالية ... مانبتني وعلى الركن ... كم بكت الزهرية وانا ما الربيع خاف خجولا ... ويسدله أويالله الذهب فراشي ... كانه يوح طير ... فكتبه أسرابه الليب

***

ايها النهر كيف تجري سريعا ولن ارسل المياه الأليه .. كيف لا تحترق المياه لهيبا أو يدوي الطوفان منه البريه كنت ملاح ذلك النهر .. يوما ، وشراعي ... أنشودة غربية .. وهنا ... عند الشيخ دم الأرض ... ومرت سفينة الحريه

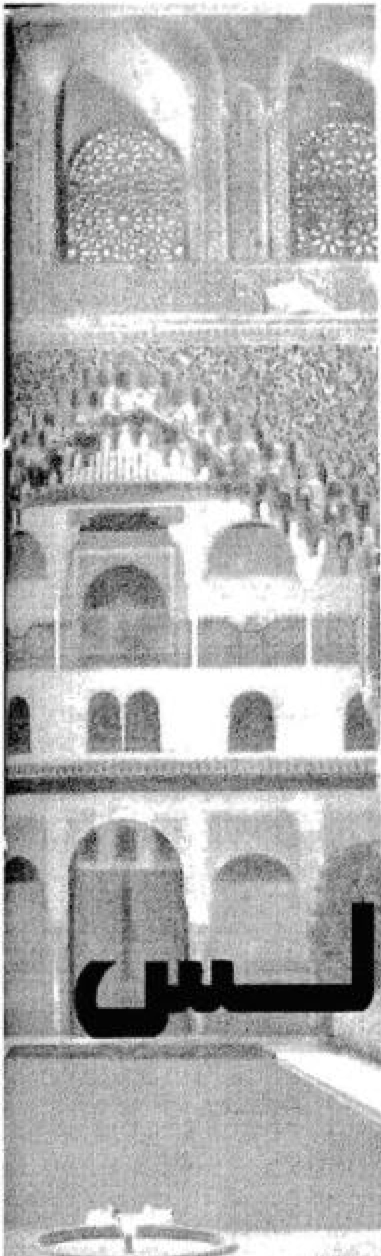
كيف يبدو الشطآن .. مثل الجناحين .. ولكن ... في غربة الأليه يا رماد الشيخ ... تطفو الى الموج غريقا ... كمسكبة نسب

***

كلما مر في السماء قطار طرت في صوته لأرضي الغضبه ثم لن القطار ... يمضي كمخلي فيعود الدخان ، يبكي عليه وانا شاخص ... أمد خيالي جسر نار على قرى اللهيب صفعتني يداي ، فخلت لوجهي : أين انا ... لأرضي الوفيه ! ايه يا دار ... حين زارك قلبي عمل قمت السودة الترابيه ؟ من ترى يطعم الحمام بنيها ؟ .. تساب فوق الزيتونة الطفليه كتلك الأصدقاء ... انسري للذي معرفا حطمته كف لويه .. زغردت الوداع ... فسوق جدادي لم تزل من جراحنا مسرويه ما زرعت الزيتون يوما ليسكر فوق نعش السلام .. يبكي عليه على الثمر فوق كرمة داري بابه للصدو شاخت بيه كقميص ممزق ... لبهودا ، كان الحنان خلفه مجدليه !

***

وكما تصبر الجذور طويلا لتعيش الاشجار دهرا قويه يصير النار في عروقي حتى يتحدى السيف ريحا عتيه فصرون الاطفال محكمة الله ... ادانت جريمة البربريه



■ د. أحمد هيكل ■

بين كل طوائف الاندلسيين يبرز عدد غير قليل من الادباء الموهوبين . وقد برز بين اطباء الاندلس بخاصة ادباء مرموقون ، يمكن ان يلفت النظر من بينهم اناس بلغ بهم النبوغ فى الطب والادب مبلغا محيرا ، حتى لايكاد يعرف الدارس لآثارهم وحياتهم اين يضعهم ، أفى الاطباء الادباء؟ ام مع الادباء الاطباء؟ وذلك لاتضاح النبوغ وعظمة النتاج فى الطب والادب على السواء .

من أطباء الأندلس الأدباء

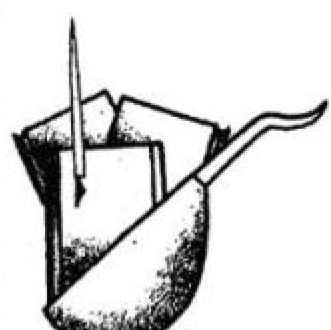
يمكن أن نأخذ مثـــالا لهؤلاء الاطباء الادباء المحيرين من أبنـــاء الاندلس « أمية بن عبد العــــزيز الدانى » الذى يطلق عليه كذلك « أمية بن أبى الصـــلت الاندلسى » ، وهو ـ كما يرى ـ مشتبه الاسم مع الشاعر المشرقى القديم « أمية ابن أبى الصلت » ، غير أنه يفـــرق بينهمـــــا بالحاق لقب « الدانى » بصاحبنا الطبيب ، أو الحـــاق لقب « الثقفى » بالاخر المشرقى ، فصاحبنـــا الطبيب الاندلسى من بلدة « دانيـــة » الاندلسية ، على حين ينتسب الاخـــر الشرقى الى قبيلة « ثقيف » احـــدى الاصول العربية المشرقية ..

وقد عاش أديبنا الاندلسى الشـــاعر حياة حافلة بالنضال والارتحـــــال ، موزعة بين اليسر والعسر ، فكانت حياة غنية خصبة ، مفعمة بالحـــركة ثرية ـ لهذا كله ـ بالنتاج !

فقد ولد سنة ٤٦٠ هـ ببلدة دانية فى شرقى الاندلس ، ونشأ بها فى عهـــد ملوك الطوائف · ومعروف أن « دانية » كانت تحت حكم العامريين فى تلك الفترة ، ثم تحت حكم بنى هود ، الى أن انتزعها المرابطون · ومعروف أيضا أن « دانية » فى ذاك العهد كانت احدى العواصـــم العلمية بالاندلس ، أى أنها كانت بيئة ثقافية صالحة لينشأ بها هذا الوليـــد الواعد « أمية بن عبد العزيز » · وقد تلقى بالفعل على شـــيوخ « دانية » أصول العلوم العربية والإسلامية ، كما تلقى قدرا لابأس به من العلوم العقلية

ولأمر ما ترك أمية « دانية » ورحل الى اشبيلية فى عهد المعتمد بن عباد · ومعروف أنها كانت من اعظم العواصم الاندلسية ازدهارا بالفن ، وبخاصـــة الادب والموسيقى · ومعروف أيضا أنها كانت مركزا من مراكز دراسة العلوم ، وبخاصة الطب ·· ومن هنا يمكن أن نتصور ما كان لتلك المدينة المزدهرة علما وفنا من تأثير فى تكوين أمية وانضاج ثقافته وتنويعها ·· غيـــر أن اشبيلية والاندلس كلها كانت فى عهد قلق وضعف فى أواخر سنوات الطوائف ، كما كانت مهددة بالاسبان من الشمال ، وبالمرابطين من الجنوب · لهذا لم يقنع صـــاحبنا باشبيلية ولا بالاندلس جميعاً ، بل يمم وجهه نحو مصر ، حوالى سنة ٤٨٠ هـ ، وزاول فيها نشاطا فكريا وأدبيا كبيرا ·

غير أن الحظ خانه أثناء مقـــامه بمصر ، فحدث ما أدى الى سجنه نحو ثلاث سنوات بالقاهرة · ذلك أن السلطان الفعلى بمصر حينذاك كان للوزير الافضل ابن بدر الجمـــالى ، وكان رجله فى الاسكندرية القاضى ابن حديد ، وحدث أن جاءت الى مياه الاسكندرية سفينة محملة بالنحاس ، وقد أصيبت السفينة بعطب وغاصت فى المياه · ولما كان أمية فى الاسكندرية حينـــذاك ، ولما كان عارفا بالهندسة ـ ضمن معـــارفه العلمية المتنوعة ـ فقد تكفل بتعويم السفينة من جديد وانقاذ حمـــولتها ، وتعهد بذلك



من أطباء الأندلس الأدباء

للقاضي ابن حديد الذي تعهد بدوره للوزير الافضل بالقاهرة ..

واعد أمية آلات هندسية معينة ، وربط السفينة بحبال خاصة ، واستخدم نحو مائة وخمسين من الرجال الاشداء في جذب الحبال ، فطفت السفينة وأوشكت المحاولة أن تنجح ، لولا أن تكاثر الناس على الشاطيء ، واشتركوا في عملية الجذب دون نظام ، مما أدى الى انقطاع الحبال وغرق السفينة ثانية ، واصابة كثير من الناس باصابات مختلفة نتيجة لوقوع بعضهم على بعض .. وغضب القاضي ابن حديد ووبخ أمية فلم يقبل الاهانة ، وابلغ الامر للوزير الافضل — مع ما يوغر صدره بطبيعة الحال — فأمر بالقبض على العالم الاندلسي الاديب ، وارساله الى القاهرة حيث سجن .

غير ان هذا الحادث وما اعقبه من سجن لا يشوه الوجود المشرف لامية على ارض النيل ، فقد تفاعل مع البيئة العلمية والادبية بمصر تفاعلا خصبا ، فناظر العلماء ، وعلم التلاميذ ، وعمل في ديوان الانشاء ، وشارك في شتى الوان النشاط العلمي والفني . وخاصة الطب والفلك ، والكتابة والشعر . كما الف اعمالا ممتازة من بينها « الرسالة المصرية » التي تحدث فيها عن كثير من عادات المصريين وتقاليدهم ، كما عرض للبيئة المصرية وكثير من علمائها وادبائها .. كذلك من بين مؤلفاته في مصر « الوجيز » في علم الهيئة ، و « رسالة العمل بالاصطرلاب » ، وكتاب الادوية المفردة في الطب ، وكتاب « تقويم الذهن » في المنطق ، الى غير ذلك من الكتب ..

وفي سنة ٥٠٠ هـ أو بعد ذلك بسنوات قليلة ترك أمية مصر الى تونس ، حيث نزل بالمهدية . وكانت تونس حينذاك تحت حكم بني باديس من قبائل صنهاجة ، وكانت ككثير من بلاد الشمال الافريقي مسرحا لصراعات شتى بعضها بين القبائل الافريقية من أبناء البلاد ، وبعضها الاخر بين الوجود العربي الاسلامي على تلك الارض ، وبين العدوان « النورماندي » والصليبي عليها ..

ومع ذلك يبدو أن أمية رأى أن الشمال الافريقي أنسب لاقامته من مصر ، وبخاصة اذا كانت مصر — في تلك الاونة — هي الاخرى لم تمنحه السلام الذي كان يحلم به . وهكذا اتخذ أمية « تونس » مستقرا ، وعاش في ظل ثلاثة من حكامها الصنهاجيين ، وهم : يحيى ابن تميم ، وعلي بن يحيى ، والحسن ابن علي .

وفي هذا المستقر الافريقي ، اكمل أمية ما كتب له من عمر ، ثم مات سنة ٥٢٩ هـ أو نحو هذا التاريخ . كما اكمل مسيرته العلمية والفنية والادبية ، وأنجز بقية مؤلفاته ، وأعطى هذا العطاء الفني المتنوع المحير ، لاننا امامه لا نتساءل فقط : اكان أمية اديبا يهوى الطب ، أم كان طبيبا يهوى الادب ؟ بل نتساءل — ونحن في دهشة بالغة — اكان مهندسا ام فلكيا ام فيلسوفا ام مؤرخا ام موسيقيا ام طبيبا أم أديبا ؟؟ فقد أثر عنه نشاط موفور ونتاج خصب في كل ميدان من تلك الميادين . حتي أوقع في الدهشة

البالغة من عبقريته الفذة ، وموهبته النادرة المتعددة الجوانب ..

ان اجتماع الموهبة الادبية مع فرع واحد من فروع المعرفة – كأن يكون الرجل مهندسا واديبا ، او طبيبا وكاتبا – مما يدعو الى الاعجاب . فماذا يمكن ان يقال فى هذه الشخصية العربية العجيبة التى مارست كل تلك العلوم والفنون ، على ما بين بعضها وبعض من تناقض او ما يشبه التناقض فى اقل تقدير ؟ !

ففى مجال الهندسة أثر عنه كتاب يسمى « الوجيز » وآخر يسمى « الاختصار » ، يقال انه اختصار لكتاب « اقليدس » .. ولا يمكن أن ننسى فى هذا المجال ، تلك المحاولة التى سجلها له التاريخ ، وهى محاولة تعويم سفينة غارقة فى مياه الاسكندرية ، فهى محاولة – رغم انتهائها بالفشل – قد نجحت أول الامر واستطاع بها أن يجعل السفينة تطفو بفضل ما استخدم هذا المهندس العربى من علمه وأدواته . ولولا ما أحاط بالمحاولة من أخطاء خارجة ساعة



التنفيذ ، لنجحت وسجلت سبقا كبيرا لهذه الشخصية العربية العبقرية !

وفى مجال الفلك خلف لنا أمية رسالة فى « العمل بالاصطرلاب » ، منها نسخة مخطوطة فى برلين وأخرى فى ليدن وثالثة فى باريس . كما خلف أيضا صحيفة جامعة تقوم بها جميع الكواكب، كما نص على ذلك « بروكلمان » فى ملحق تاريخه المشهور . كل هذا بالاضافة الى نص جل من أرخوا لحياة أمية على انه كان من كبار العلماء فى الفلك ، هكذا يقرر الثقاة من المؤرخين بعبارات مختلفة ، كالسيوطى والذهبى وغيرهما .

وفى مجال الفلسفة قد خلف لنا أمية كتابه « تقويم الذهن » وهو فى المنطق ، وقد نشره المستشرق الاسبانى « جونثالث بالنثيا » سنة ١٩١٥ . وقد تكون له كتب أخرى تتجاوز المنطق الى فروع أخرى من فروع الفلسفة ، فقد سجل جل من كتبوا عنه من القدماء ما يؤكد اشتغاله بالفلسفة ، حتى أصبحت هى أو الحكمة من بين ما يخلع عليه من ألقاب ، فقد وصفه ابن سعيد فى كتابه « المغرب » بصفة فيلسوف ، ومثله فعل ابن العماد فى كتابه « شذرات الذهب » .. أما ابن خلكان فيقول عنه فى كتابه « وفيات الاعيان » : انه كان عارفا بفن الحكمة ..

وأما فى مجال التاريخ فقد أثر عنه كتاب اسمه « الديباجة فى مفاخر صنهاجة » وعن كتابات أمية التاريخية ينقل عدد من المؤرخين التالين له مثل : ابن الابار ، وابن عذارى،وابن الخطيب

وأما فى مجال الموسيقى فقد ألف رسالة لعلى بن يحيى بن تميم بن باديس،

وهى رسالة تقول دائرة المعارف الاسلامية عنها ان أصلها العربى قد فقد ، وبقيت لها ترجمة عبرية محفوظة فى باريس ٠ وبالاضافة الى هذه الرسالة يذكر المؤرخون أن أمية كان من اعلام الموسيقى علما وعملا ، بل يذكر ابن سعيد أن أهل افريقية قد أخذوا عن أمية الالحان التى هى الآن (أى فى القرن السابع الهجرى) بأيديهم ٠٠

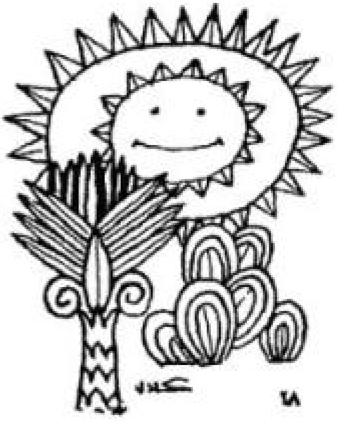
وأما فى مجال الطب فقد برز أمية ربما أكثر من تبريزه فى أى علم آخر ٠ ويبدو أنه نبغ فيه نبوغا ملحوظا جعل ابن سعيد يقولا عنه : « قد بلغ فى صناعة الطب مبلغا لم يصل اليه غيره من الاطباء » ٠ وقد ألف أمية فى الطب عددا من الكتب منها : « الادوية المفردة » ، ومنها أيضا كتاب « الانتصار لحنين ابن اسحاق » ، وهو كتاب دافع فيه أمية عن حنين وانتصر له من عالم آخر ، هو على بن رضوان ٠٠ وفى « الرسالة المصرية » اشارات طبية بارعة تدل على تمكن أمية من مهنة الطب فى صورة متطورة ، فهو مثلا يوجب على الطبيب الالمام بثقافات أخرى تعينه على عمله الانسانى ، ويجعل فى مقدمة هذه الثقافات العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية والموسيقى ٠ كما يدعو الاطباء الى الاهتمام بالروح المعنوية للمريض ، حتى ليدعو الى الحاق بعض رجال الفكاهة بالمستشفيات ليرفهوا عن المرضى وينشطوا نفوسهم ويساعدوا بذلك فى عملية العلاج ٠٠

وأما فى مجال الادب فقد تألق أمية كما يتألق أى أديب موهوب محترف ، بل عمل فى جل فروع الادب والمعرفة فى عصره ، فكتب وشعر ، وتنوعت كتاباته كما تفرعت فنون شعره ، بل انه عمل كاتبا رسميا فى ديوان الانشاء بمصر ، وخلف ديوانا شعريا كبيرا ٠٠

ومن أهم ما بقى من آثاره الادبية نثرا « الرسالة المصرية » ٠ ومن أهم ما بقى من آثاره الشعرية ، مجموعة ضخمة حفظها العماد الاصفهانى فى كتابه المعروف « خريدة القصر » ٠ أما ديوانه الشعرى نفسه فلا يزال غير معروف المصير ٠

ومن خلال ما بين أيدينا من نثر أمية نستطيع أن نقرر أنه كان ناثرا متمكنا مجودا ، ونثره يميل الى الجزالة مع اليسر ، والى التجويد مع الابتعاد عن التعقيد ، وهو نثر توشيه بعض الزينة البلاغية المتقنة غير النابية ولا المفتعلة ، كما تتخلله اقتباسات واستشهادات تدل على سعة الالمام بالتراث ، وقوة المنشىء على استغلال محفوظه العظيم ٠ ولعل النموذج التالى يوضح سمات نثر أمية ، وهو سطور من رسالته المصرية ، يقول فيه موضحا سبب ارتحاله عن الاندلس :

« كنت ـ ابان عصر فيه الشباب مونق ، وغصن الصبا مورق ،



اذ لقى مســـــــــــودة
ولـــــــــاء وجهى رونق

ممن سامحه الدهر بغفلة من غفلاته ، وتجافى له عن غفوة من غفواته ، فعاش آمن السرب ، سائغ الشرب ، لا يفرغ من ادب برود رياضه ، ويرد حياضه ، الا الى طرب يعمر ميدانه ، ويسحب ذيوله واردانه · ثم تلون فقلب لى ظهر مجنه ، وسقانى دردى دنه ، فتدارك ما اغفله ، واسترد ما بذله · واضطر الى مفارقة الوطن ، والخـــــروج عن العطن · فتماسكت اشفاقا من مفارقة اول ارض مس جلدى ترابها ، وشدت على التمائم بها · وجاءت أمور لا تطاق كبار ، فلما لم يمكن القرار ، ولم يبق الا الفرار ، قلت : ليس لى الا ان ارمى بنفسى كل مرمى ، واطرحها كلا مطرح ·

لابلغ عذرا او انال رغيبـــــة
ومبلغ نفس عذرها مثل منجـــح

وسكنت الى البيت المشهور :

تلقى بكل بلاد ان حللت بهـــــا
اهلا باهـــــــل واوطانا باوطان

ومن خلال ما بين ايدينا من شعرأمية نستطيع أن نقول : انه كان شـــاعرا موهوباً متقفا متمرسا بقول الشـــعر مفتنا فيه · وقد قاله فى جل الاغراض المعروفة ، وكان يؤثر الاتجاه المحافظ الجديد ، الذى سبق اليه من الاندلسيين ابن دراج ، ومن المشارقة البحترى ، والذى يمثل المتنبى قمته الفنية فى الشعر العربى القديم كله ·

على أن أمية كان يسير بشعره أحيانا فى اتجاه المحدث ، الذى راد اليه فى الشرق الشاعر العباسى أبو نواس ، ثم انتقل الى الاندلس ، فكان من أعلامه قبل أمية الشاعر يحيى الغزال ··

وكان أمية ــ كاكثر الشعراء ــ يميل الى الاخذ بالاتجاه المحافظ الجديد ، حين يكون الموضوع الشعرى اقرب الى المحافظة أو الجدية ، أو حين يكـــون الموقف يحتم الوقار · أما حين يكـــون الموضوع من تلك الموضوعات التى الف المحدثون الخوض فيها كالغزل والدعابة والزهد ، أو حين يكون الموقف بعيدا عن اعتبارات الوقار ودواعى الجد ، فان أمية كان يجنح الى الاتجاه المحدث ··

وهكذا نجد أسلوبه يميل الى الجـــزالة وعلو الرنين وفخامة الاداء ، حين يأخذ بالاتجاه المحافظ ، على حين نجد أسلوبه يميل الى السلاسة ، وهمس الموسيقى وبســـاطة الاداء ، حين يتجه وجهة الشعراء المحدثين ··

على أن شعره عموما يتسم بالوضوح والبساطة والغنائية ، كما تنعكس عليه احيانا ثقافته المنوعة ، فتتناثر هنـــا أو هناك كلمات او معان طبية او فلسفية او نحو ذلك مما مرده الى الميدان العلمى الذى كان امية فارسا من فرسانه الكبار

ولعل من أعذب شعر أمية ما قاله فى الحكمة معبرا عن تجـــارب السنين واستشعار حقيقة الزمان والحيـــاة والناس ، وما تمتلىء به تلك الحقيقة من أسى ومرارة ولوعة ·· ومن ذلك الشعر الحكمى قول أمية فى الدنيا :

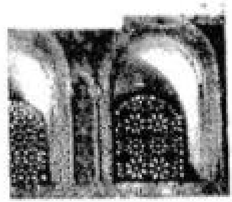
تضايقنا الدنيا ونحن لهـــا نهب
وتوسعنا حربا ونحن لها حـــرب
وما وهبت الا استردت هبـــاتها

وجدوى الليالى ـ ان تحققتها ـ سلب
تؤمل أن يصفو بها العيش ضلة

وهيهات أن يصفو لساكنها شرب
الا ان ايام الحيـــاة باسرها
مراحل نطويها ونحن بهـــا ركب

ومن شعره الحكمي أيضا قوله في الناس :

ولم يبق في الباقين حافظ خلة
فعش واحدا ما عشت تنج وتسلم
فلست ترى الا صــــديقا لوسر
حسودا لمجدود عدوا لمعـــدم
وكنت اذا استبدلت خلا بغيره
كمستبدل سرحان قفـــر بأرقم
فجانبهم ما اسطعت واقبل نصحيتي
ومن لم يطع يوما اخا النصح يندم
فان لم يكن بد من الناس فالقهم
ببشر وصن عنهم حديثـك واكتم



ومن شعره في الصمود أمام متاعب الناس والزمان قوله :

يارب ذي حسد قدزيته كمـــدا
اذ رام ينقص من قدري فما نقصا
فان رخصـــت ولم انفق فلا عجب
للفضل في زمن النقصان ان رخصا
وان حبست فخير الطيــر محتبس
متى رأيت حداة أودعت قفصا

ومن هذا اللون المنبيء عن خبـرة ومعرفة بالدنيا والناس ، وصمود برغم كل شيء قوله :

متى صفت الدنيا لحــر فابتغي
بها طيب عيش أو خلوى من الحزن
وهل هي الا دار كل ملمـــة
أمض لاحشاء اللبيب من الطعـن
وان هي لانت بعد ذلك فاخشها
فان اشد الطعن طعن القنا اللدن

وواضح ما في شعر أمية من عاطفة حزينة وتشاؤم جـــريح .. وليس من الصعب تفسير ذلك ، فأمية قد عانى كثيرا في حياته ، ولقى مصاعب جمة في مسيرته الطويلة، حتى لقد قسم عمره بين أقطار ثلاثة : الاندلس ومصر وتونس بل قد قاده حظه العاثر الى السجن كما عرفنا ، ولم ينل كل ما يستحق من تكريم لقاء علمه الغزير وفنه الرفيع ، بل لم ينل بعض حقه . ومن هنا لا نعجب لهذه النبرة الحزينة في شعره ، لانها تعبير صادق عن الام حقيقية ، وتصوير دقيق لتجارب فعلية ..

ولان عاطفة أمية أقرب الى الحزن ، وأدنى الى الاسى ، فقد كان أقدر على التعبير عن التجارب الحزينة . ومن هنا برع في غرض شعري كالرثاء . ولذا نراه يقول في أمه هذا الشعر الصادق الذي ينفذ الى أعماق القلوب :

وارسل طرفا لا يراك فانثـرى
على كبد حســـرى وقلب مكلم
وما أشتكى فقد الصـــباح لانني
لفقدك في ليل مدى الدهر مظلم
وما ليل من وارى التراب حبيبـــه
بأقصر من ليل المحـــب المقيم
فكــــم بين راج للاياب وآيس
وأين جميـــل في الاسى من متمم

وواضح في هذا البيت الاخير أثر ثقافة الشاعر الادبية والتاريخية ، فهو يضرب مثلا لفاقد من يحب ولكن مع رجاء اللقـــاء ، بجميل بثينة ، الذي افتقد صاحبته لكن على أمل اللقاء ، كما يضرب مثلا لفاقـــد من يحب لكن مع اليأس الكامل من أي لقاء في الدنيـا بمتمم بن نويره الذي فقد أخاه مالك ابن نويرة ، وكان لفقده أشـــد الوقع على نفسه وأقساه .

وفي أبيات أخرى نرى أمية يقول راثيا صديقا :



سوابق عبرتي سحى وفيضى
وان تفض الدموع فلا تغيضى
رمى حد الردى من كان منى
بمنزلة الشفاء من المريض
وكم لاقى الردى بطعان سمر
وشد سوابق وقراع بيض

وليس يخفى تأثر الشاعر بحرفته كطبيب ، حيث ذكر « الشفاء » و « المريض » وجعل احساس المريض بالشفاء هو ذروة الاحساس الحبيب ..

ومما يعكس ثقافة أمية ـ أو جانبا منها ـ قوله فى الاصطرلاب :

جرم اذا ما التمست قيمته
جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو اذ تفتشه
عن ملح العلم غير مختصر

تحمله وهو حامل فلكا
لو لم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الارض وهو منبئها
عن جل ما فى السماء من خبر

ومن بديع شعر أمية وصفه لمظاهر الطبيعة ، من مثل قوله فى روضة :

خضر خمائلها ، زرق جداولها
فالحسن مؤتلف فيها ومختلف
دوح وظل يلذ العيش بينهما
هذا يرف كما تهوى وذا يرف
يجرى النسيم على ارجائها دنفا
وملؤه أرج يشفى به الدنف
غريرة من بنات الروض ناعمة
يثنى معاطفها فى السندس الترف

وقد سجل أمية فى بعض أشعاره جانبا من العادات المصرية فى الاحتفال بالنيل كقوله فى مهرجان توقد فيه الشموع على صفحة النهر الخالد :

كأنما النيل والشموع به
افق سماء تألقت شهبا
قد كان من فضة لعنصره
توقد النار فوقه ذهبا

وحتى هنا يمكن أن نستشف انعكاس ثقافة الشاعر الفلكية ، والطبيعية والكيماوية ، تلك الثقافة التى اثرت الصورة الشعرية ومنحتها حيوية لا تخفى .

وبعد ، فهل عرف تاريخ الفكر الانسانى كثيرا من أمثال أمية بن عبد العزيز الدانى الاندلسى ، فى تنوع معارفه وتشعب مواهبه ؟ لا أظن ، فهو واحد من تلك الفلتات العبقرية التى تصنعها السماء الشبيه بالمعجزات ، وهيهات أن تتكرر كثيراً هيهات !

أهم مراجع المقال : الاعلام للزركلى ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ، والمغرب لابن سعيد ، وخريدة القصر للعماد الاصفهانى ، والرسالة المصرية لابى الصلت أمية بن عبد العزيز ، وطبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ، والبحث الجامعى الممتاز الذى أنجزه الباحث الليبى الشاب الاستاذ عبد الله الهونى، وهو بحث نال به صاحبه درجة الماجستير من كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .

د. محمد أحمد
خلف الله



الدكتور محمد

كان من اصحاب الرؤى ، من الذين يدركون واقع امتهم ويتصورون المستقبل من حياتها ، ومن الذين يدركون ايضا متطلبات الحضارة في العصر الذي يعيشون فيه ، واحتياجات الحياة في المجتمع الذي ينتمون اليه .

وكان من اصحاب الهمم العالية . من الذين يلمون الماما واعيا بما فيهم من طاقات ، وبما لديهم من قدرات ، وبما عندهم من امكانات ، ومن الذين يستثمرون ذلك كله في تحقيق متطلبات الحضارة وفي تلبية احتياجات المجتمع ...

كان الدكتور محمد شرف يعرف فى دقة ان اللغة القومية ـ باعتبارها الوعاء الثقافى للفكر والفن ، وباعتبارها الاداة التى يعبر بها المجتمع عن نفسه وتمارس بها الحياة اليومية ـ غنية من جانب ، وفقيرة من الجانب الاخر .

هى غنية من حيث كثرة عدد الفاظها فى الميادين الأدبية والدينية والتشريعية وما أشبه . وهى فقيرة من حيث قلة عدد الفاظها أو عدم وجود هذه الالفاظ على الاطلاق فى ميادين المصطلحات العلمية ـ وبخاصة ميادين الطبيعة والكيمياء وميادين الصناعة ، وميادين علوم الاحياء من انسان وحيوان ونبات .

فأخذ على نفسه وهو الطبيب الداوى ، وهو المدرس لعلوم الاحياء فى المدارس الثانوية ، أن يعالج ما فى اللغة القومية من فقر ، ويكمل ما فيها من نقص ، ويسد ما فيها من فراغ .

وكان من الذين يحسنون التصور لما يريدون القيام به من عمل . من الذين يحددون الاهداف ، ويحددون الوسائل ، ويتصورون فى دقة ما يمكن أن يقوم فى سبيل العمل من عقبات يعملون على تخطيها بعد تذليلها أو الانصراف عنها لوجود بدائل لها هى اولى منها بالتنفيذ .

لقد كان هدفه اثراء اللغة العربية بالمصطلحات العلمية الحديثة . أثراؤها باعتبارها اللغة القومية ، وباعتبارها الأداة التى تمارس بها فئات من الناس حياتهم اليومية والعلمية . ولقد حدد هو هذه الفئات بالاطباء والمعلمين والصحفيين وطلاب المدارس العصرية .

وكانت وسيلته وضع معجم عصرى تثبت فيه المصطلحات العلمية الحديثة، وتبرز فيه مزايا اللغة العربية ، ويتخلص فيه من كثير من الاوهام ، والابهامات التى تمتلىء بها المعاجم العربية القديمة .

المعرب والمولد والفصيح

وقد عرف منذ اللحظات الاولى أن هذا المعجم سيكون على نسق المعاجم الاوربية الحديثة ـ المعاجم المثبتة للمصطلحات العلمية فى لغتها التى أقرها العلماء المحدثون ، وهى اللغة اللاتينية . ومن هنا كان ادراكه للفروق التى تكون بين عمله فى اللغة العربية وعمل زملائه من أصحاب المعاجم فى اللغات الاوربية أو الفرنجية كما يقول هو .

انه يقول : المطلوب من واضعى المعاجم الفرنجية فى هذا الزمن اثبات وجوه استعمال الالفاظ بحسب

شرف ومعجمه



الدكتور محمد شرف

ما تعرفها الخاصة والعامة حالا ـ لاظهار آرائهم الفردية فيما يجب ان تكون عليه معانيها · وليس من شأنهم خلق معان او الفاظ جديدة ·

ان مهمتنا فى وضعه ـ يقصد معجم شرف ـ تفوق ما يجب على زميلنا الفرنجى ـ : نقل اوضاع لا مقابل لها فى العربية ·

ايراد اوضاع عربية تؤدى المعانى الجديدة ·

تعريب الفاظ فرنجية او ترجمتها ·

اصلاح قصور معاجمنا القديمة وابهامها واوهامها واثبات الفاظ مالوفة لعامة الكتاب ويأبى البعض أن يعدها من الفصيح لانها لم تثبت فى تلك المعاجم ·

وكما يصور لنا المجهودات التى يبذلها وتفوق عمل زميله الفرنجى ·

يصور لنا أيضا القصور الذى يقع فيه بسبب اللغة العربية ذلك القصور الذى يجعله مقصرا عن زميله الفرنجى ويقول : ولم يكن من غرضنا ان نحذو حذو معجم اكسفورد الانجليزى الواقع فى عدة مجلدات ضخمة ، ونشرح معانى الالفاظ ونستشهد بأمثلة من الكلام المأثور ونذكر أصولها الراجحة والمرجوحة ، وتاريخ التقلبات التى طرأت عليها وما آل عليها من التجديد اذ لم يكن فى الامكان متابعة التحول الذى حدث فى أصول كل كلمة عربية من الوجهة التاريخية، ولا يمكن الرجوع بأكثر الكلمات الى أصولها لأن تاريخها غير معلوم ، وليس فى طاقة مؤلف واحد أن يفهم جميع الالفاظ التى استعملت قديما فى العربية وما طرأ عليها من قلب ···

وجرى الدكتور شرف فى معجمه ـ حسب ما يقول ـ على الوجه التالى :

« جمعنا فى معجمنا بين المعرب والمولد والفصيح ،وبذلك تأهلت العربية لمجاراة اللغات الحية ، وبما اتخذناه فيها من المفردات العلمية المعربة ·

ولم نستعمل فى أغلب الاحيان من الكلمات المترادفة القديمة الا ما كان مؤتلفا مع الاستعمالات الحديثة او كان لازما للانتفاع بالمؤلفات القديمة الشهيرة ·

بين الاصيل والدخيل

« واذا كان عملى شبيها ببناء بيت من انقاض قديمة فانا ملزم باستعمال كثير من هذه الانقاض ، ولم أجد سبيلا لاهمالها بتاتا ولها حق فى الوجود ···

وقد يكون من هذه الالفاظ الفصيح وغيره ، والمشهور والضعيف والراجح والمرجوح ، ولكنا لانعدل عن المشهور الا لسبب قوى · ولم نشأ أن نقطع بقول فى أصول كلمات كثيرة يتصادف توافق لفظها وكلمات فرنجية ، لأن ذلك محوج الى نصب آخر ، ومؤد الى غرض ثانوى غير مطلوب منا ··

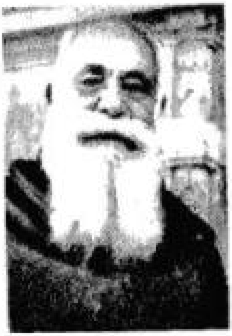
« لقد وضعت المعجم لفائدة الاطباء والعلمين والصحفيين وطلاب المدارس المصرية فكان لابد أن يشتمل على اكثر الالفاظ التى يسمعونها يوميا فى مختلف العلوم الطبيعية والطبية ، ولا بد من استعمال كثير من الألفاظ المسموعة ·

هذا الدستور الذى وضعه الدكتور محمد شرف لنفسه فى عمل معجمه قد اغضب علماء اللغة الذين يلتزمون

في عمل المعاجم بالفصيح الذي ورد في المعاجم القديمة فلم يكن منه الا ان رد عليهم في كلمة وجهها الى العالم اللغوي الشهير الأب انستاس الكرملي قال فيها : لم التزم ايراد الجانب الفصيح من هذه الالفاظ واهمال الاخر مداجاة لأنصار القديم أئمة اللغة الذين يأبون الاعتراف بفصاحة المولد أو المحدث من الكلمات غير القاموسية التي لم تثبتها المعاجم.

والتقدم العصري لا يطيق الصبر على هؤلاء المتحكمين الذين يريدون أن يجعلوا عربيتهم الفصيحة لغة تعبدية يجب الاذعان لما ورد فيها من الفاظ وصيغ قديمة . ويجب أن يعرفوا أن لا حياة للعربية اذا اكتفوا بالميراث القديم لا غير وانزلوه منزلة الالهة ... فان شايعتهم الاغلبية فبشرهم بأن ابناءها المتعلمين سيطلقونها ، وسيكون مآلها الزوال حتما ...

• ان الغرض الاول الذي وضعناه نصب أعيننا هو التوفيق العلمي واثبات المصطلحات وما يقابلها بالعربية . ورأيت الاجدر بي افراغ جهدي في التمحيص العلمي . ورأيت من الفضول اشتغالي باللغويات وانا غير لغوي ، وبخاصة حين تبين لنا كثرة اختلاف فقهاء اللغة في معرفة أصول الكلمات والتمييز بين الاصيل والدخيل، وحين تبين لنا أيضا الخلاف الواقع في اعتبار زيادة الحروف في الالفاظ العربية والدخيلة ، واختلافهم في معرفة المولد .


الأب انستاس الكرملى : رسالة

• تدفعا للتشويش على طالب العلم فضلنا عدم التعرض لهذا المسلك الوعر ، ورأينا الا نتهافت على شرح أصول الالفاظ وتمييز طبقاتها من جهة الافصح والفصيح والمولد خشية الخطأ، واهمال الجانب العلمي . ان دواوين اللغة محشوة بالاوهام من أوصاف الحيوان والنبات ، وكثيرا مايذكرون خرافات لا يقبلها العقل في عصر العلوم الحالي وفيها من التشويش ما يجعل المعتمد عليها وحدها حائرا في تخصيص المدلول منها .

• لذا اثبتنا من الالفاظ المولده ماورد في كلام مشاهير الكتاب ،أوعلى السنة المتعلمين أو ما شاع استعماله على السنة العامة والخاصة – وان لم يرد في المعاجم القديمة .

ولماذا لا يعتبر هذا فصيحا ؟ انه يفصح عن المعاني المطلوبة ، ويوافق الذوق العصري ولا يشين على العربية في استعماله بعد ان صار جزءا ضروريا فيها .

الحقيقة العلمية أولا

ولم يفت الدكتور محمد شرف أن يحدد لنا الاسلوب الذي جرى عليه العمل في المصطلح العلمي من حيث ترتيب الاسماء أو الالفاظ الدالة عليه فيقول : وبما أن الاغريقية واللاتينية هما أساس الالفاظ العلمية المشتركة بين كل اقطار العالم المتمدن ، وجرت العادة بتسمية الذوات الطبيعية بأسماء مأخوذة منها ، وحتمرا على جميع المعاهد العلمية الاخذ بها استحسانا ، أن نذكر أولا الاسم الفرنجي المعرب ، ثم نشرحه بأسمائه

العربية المعروفة ·

وأسماء الاجناس لا توجد غالبا في العربية الاصيلة ، واذا وردت في تآليف قدماء العرب تكون في الغالب معربة عن الفارسية او اليونانية ·

ومن النباتات ما لم تعرفه العرب قديما ابدا فتؤخذ اسماؤها من اللغات الفرنجية ولم نحسب حسابا لمن ينتفع بهذا المعجم وليست له دراية بلسان فرنجى ·

وهكذا يمضى الدكتور محمد شرف فى اثارة المشكلات اللغوية واحدة بعد الاخرى · وهى مشكلات لا تزال قائمة حتى اليوم ، ويواجه بها الذين يقومون بعمل المعاجم اللغوية ·

والامر الذى نريد أن نؤكده فى هذا المقام هو ان الدكتور محمد شرف كان يحرص فىمعجمه هذا على أمرين :

الاول منهما : ان الحقيقة العلمية اولى بالرعاية من القيمة اللغوية ، وانه لا يمكن التضحية بالاولى فى سبيل الثانية مهما يكن الامر ·

الثانى : ان المصطلحات العلمية يجب ان تذكر فى لغتها الدولية اولا ، تلك اللغة التى ارتضاها العلماء · وانه لا يمكن اهدار اللغة القومية للمصطلح فى سبيل الحرص على الفاظ اللغة القومية ، حتى ولو كانت هذه اللغة لغة دينية ·

من اخلاق العلماء

وللدكتور محمد شرف الى جانب هذا المعجم كتب لغوية اخرى · كتب هى من النقود اللغوية · فله كتاب اسمه « اسماء الحيوان » يرد فيه على الدكتور امين المعلوف وينقد فيه ما جاء فى معجم الحيوان ، وملحقه · وله كتاب آخر اسمه « مصطلحات النبات » ينقد فيه معجم الدكتور احمد عيسى الخاص بالنبات · وله كتاب ثالث اسمه « المصطلحات العلمية والطبية ونقد معجم شرف » يرد فيه على النقد الذى وجهه الى معجمه العلامة اللغوى الاب انستاس الكرملى ·

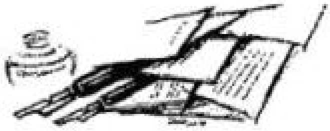
وهذه الكتب الثلاثة تكشف عن صفات هامة من الصفات التى يتحلى بها العلماء تكشف اولا عن رصيد هائل من المعرفة كونته قراءة كتب عديدة فى لغات مختلفة قرأها بوعى وتفهم ·

والملاحظة الجديرة بالاعتبار فى هذا المقام أن من هذه الكتب عددا لا بأس به يعتبر من الغريب النادر الذى لا يقع عليه العلماء المتخصصون فى سهولة ويسر ·

وتكشف ثانيا عن لقاء مع الصيادين والرحالة والاخذ عنهم مباشرة · ونراه يقول فى بعض المواضع من كتبه : انى اخذت بعض اسماء الصقور من المغفور له الامير كمال الدين حسين ، ومن المرحوم الطحاوى بك ، وعالجت هذا العربى الصقار من مرضه اعواما ، وطالما الح فى دعوتى مرارا لصيد الغزال بالصقر معه فى صحراء الشرقية ، ولكن كثرة اعمالى لم تسمح لى باجابة دعوته ·

واذكر ايضا انى اخذت بعض اسماء الطيور من حسين سريلم البدوى الصياد المعروف من قبيلة العبايده ـ وقد صاد فى الشام ·

وتكشف ثالثا عن تحليه باخلاق العلماء تلك الاخلاق التى تجعل هدف



العالم الكشف عن الحقيقة وتحريها ، والرجوع احيانا عما اهتدى اليه من قبل اذا نبه الى خطأ وقع فيه .

ولعل الفقرة التالية التى نختم بها هذا المقال تكشف لنا عن الكثير من اخلاق العلماء :

« ولم يكن معجمي هذا قرانا خلا من التصحيف والاغلاط فلم يؤذن باصلاحه صيانة له عن كل مس . ورجوت في مقدمته ممن يقف على سهو او خطأ فيه ان ينبهني اليه لاصلاحه . وعند اخراج الطبعة الثانية حاولت اصلاح ما اكون قد قصرت في ضبطه او اخطات فيه من الالفاظ العربية او الافرنجية ، ولم ال جهد في التثبت والتحقيق بالرجوع الى مراجع الطبعة الاولى ، والى ما استجد عندى منذ نشرها .

« وفي اثناء مراجعة تجارب الطبعة الثانية ارسل الى حضرة سمو الامير يوسف كمال بعضا من النسخ المكررة من انفس الكتب التى عنى بجمعها لتاليف كتابه الجغرافى الشهير فكان من بينها تقويم سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٢٨ عن جنوب أفريقية ومشرقها وقد قراتها بامعان لاننا قررنا السفر سويا الى أواسط افريقية .

« ذكر هذا التقويم كلب السمع ص ٨٥٩ ، ٨٦٠ كما يرى من الصورة المنقولة عنه بالطريقة الزنكوغرافية . ولما رأيت هذا الرسم مخالفا للرسم الذى اقتبسته عن رويل ، وأن كتاب الافرنج يفرنجون الاعلام العربية الى لغاتهم باستهتار شديد ، رجعت ثانيا الى كتاب رويل فوجدته يقول « سمر أو سمير »

« وبينما كنت أبحث فى معجم لين فى مادة سمع لاستخراج المشتقات المتعلقة بالسمع وهى كثيرة فى الطب وجدته يقول : السمع والانثى السمعة . ذكر ذلك عن الصحاح . والمصباح، والقاموس ، والمغرب .

« رجعت الى كتاب الدميرى فوجدته يقول : السمع ولد الذئب من الضبع ، وهو سبع مركب فيه شدة الضبع وقوتها وجراءة الذئب وخفته .

« كما رجعت الى كتاب الجاحظ فوجدته اجاد فى وصفه وصفا دقيقا.

ينفى كل لبس ، فتأكدت ان صواب اللفظ السمع ، وأن السمر اما أن يكون لغة محلية فى شرق السودان سمعها رويل فاثبتها ، واما أن يكون لغة من يقلب العين راء ، أو رسما مفرنجا .

« وقدمت السمع الذى ورد فى المعاجم والدواوين العربية وأرجعته الى الجاحظ أحسن من عرف هذا الاسم . لذلك جاء فى طبعتى الثانية السمع كلب صيد تسميه العرب سمراً » .

***

وللدكتور محمد شرف كتب اخرى غير لغوية . كتب للمدارس الثانوية وكتب فى طب الأطفال ، وتاريخ الطب فى مصر وعند العرب لم نتعرض لها لأنها خارجة عن نطاق هذا المقال



عانق النجم وابتسم
بينها عاشق القمم

فمها العذب فرحة
تتهادى متى ابتسم

تلمس الافق كفها
والثرى يلثم القدم

ترمق البدر في الدجى
وترى الدر في الخضم

كلل النجم رأسها
وبدت منه وسط يم

نقط النور في الفضا
وعلى الارض تنتظم

نور الدين صمود

فهي في الافق تزدهي
وهي في « السين » تستحم

حلوة النور والسنا
رفرفي النور في الظلم

ايه باريس علمي
وامنحي الشعر والنغم ...

لفتى ضاع عمره
في هوى الطرس والقلم

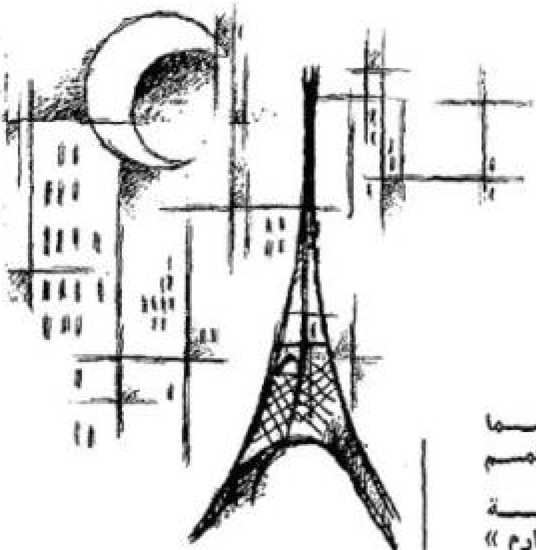
واسكبي الشعر في دمي
انه بلسم الألم

وافخري جنة الورى
بالحضارات والنظم

وتعالي على الذرى
واذكري مجدلا الأشم

باريس





أنت في الأرض كالسما
قمم فوقها قمم

وصروح عظيمة
اين من سحرها « ارم »

الأساطير حدثت
عن أعاجيبها .. فلم ...

يبلغ الوهم بعض ما
تشهد العين من أمم

ودروب ترى بها
صنما إثره صنم

التماثيل صففت
مثلما الشهب تنتظم



فأرى الصمت ناطقا
وأرى الصخر يبتسم

وإذا بي أخاله
مثلنا ينقل القدم

وأرى الغابر الذي
ضاع وانحل وانعدم ...

يتهادى كأنه
راقص هزه النغم

فامسحي مقلة الدجى
بيد العاج والعنم

واجعلي بيتك السما
والبس السحب والسدم

● نور الدين صمود ●
● تونس ●

■ محمد عبد الغنى حسن ■

أطباء أدباء شعراء من العراق

حفلت أرض العراق ، « ومدينة السلام » في القرنين الخامس والسادس بطائفة من الاطباء الذين جمعوا بين الطب والادب ، وغلب في ادبهم الشعر الجميل يقولونه في شتى المناسبات والاغراض ، ولا يقصرون شعرهم على الحكمة والفلسفة والغيبيات ، بل يتعدون ذلك المجال الى افسح المجالات التى كان ينظم فيها الشعراء من وصف ، ومدح ، وتهنئة ، وهجاء ورثاء وغزل وخمريات ...



أول من نلقاه من هؤلاء الاطباء الادباء الشعراء الطبيب الحكيم الفيلسوف الشاعر « ابن الشبل البغدادي » الذي اشتهر في كتب الادب والتاريخ والتراجم والطبقات بقصيدته الفلسفية الرائعة التي مطلعها :

بربك ايها الفلك المدار
أقصد ذا المسير ام اضطرار ؟

وابن الشبل بغدادي المولد والنشأة ، وقد لقيه « أبو الحسن الباخرزي » صاحب « دمية القصر » وسمع منه ، واخذ عنه ، واشار اليه اكرم اشارة في مقدمة « الدمية » وهو يتحدث عن الادباء الذين لقيهم بمختلف الاقطار ، ثم عاد فترجم له في القسم الثالث من الكتاب ، الذي عقده لفضلاء العراق ٠ وافتتح ترجمته له بقوله : (رأيته ببغداد سنة خمس وخمسين واربعمائة ، فوجدته وقد شد على الادب الجزل ازرار ثيابه ، وجمع اقسام الفضل ملء اهابه ٠ وذكرته في خطبة الكتاب ، عند ذكر السادات الارباب ، وفرغت ثم مما يليق بهذا الباب ، وقد كان اعارني صدراً صالحا من فوائده ، واهدى الي قدرا كافيا من فرائده ٠٠)

ومن الطريف أن « ابن الشبل البغدادي » كان من شعراء المشيب الذين زينوه وحسنوه في أعين الرائين ٠ فجعل بياض الشيب في الشعر الاسود صبحا يتنفس في غياهب الظلام ٠٠ وهو معنى سبق اليه هذا الطبيب الشاعر ، ولكنه اجاد صوغه على كل حال حيث يقول :

قالوا المشيب ، فقلت صبـ
ح قد تنفس في غياهب
ان كان كافور الدجـا
رب ذر في مسك الذوائب
فالليل احسن ما يكو
ن اذا ترصع بالكواكب

ولا نعدم عند « ابن الشبل البغدادي » لمسة الغزل الرقيق فيما كان يعرض له ولقلبه من أمور العشق ٠ وله في هذا الباب بعض المعاني الجياد ٠ فحين مات محبوبه أراد صحبه أن يسلوه عنه بأن ثانيه في الحسن موجود ، فأجابهم : اذا كان الحب الجديد موجودا فأين لي به وقد ذهب شبابي ، وولى صباي ٠ وهو يعبر عن هذا بقوله :

قالوا وقد مات محبوب فجعت به
وبالصبا ، وارادوا عنه سلواني :
ثانيه في الحسن موجود ٠ فقلت لهم :
من أين لي في الهوى الثاني صبا ثاني؟!

واذا حدق الطبيب الشاعر « ابن الشبل البغدادي » الى الحكمة والمثل فانه يوردهما اجمل الموارد ، في أسلوبة

أطباء أدباء شعراء من العراق

يصيب الهدف ، ويبلغ القصد ، فى غير تصنع ولا تكلف · أسمعه وهو يرسل هذا البيت الحكيم :

اذا اخلى الزمان على كـــريم
اعار صديقه قلب العـــدو

واسمعه وهو يدعو الى الحرص على صون النفس ، بعكس المال الذى اذا ضاع فاته يعـــوض ، واذا اتلف فانه يكتسب من جديد :

تسل عن كل شيء بالحياة ، فقـد
يهون بعد بقاء الجوهر العـــرض
يعوض الله مالا انت متلفـــه
وما عن النفس ان اتلفتهـا عوض

واسمعه وهو يقول فى القناعة :

قالوا القناعة عز ، والكفاف غنى
والذل والعار حرص النفس والطمع
صدقتم ·· من رضاه سد جوعتـه
ان لم يصبه ، بماذا عنه يقتنع ؟

وعلى ما كان عند « ابن الشـــبل البغدادى » من مذاهب الفلاسفة ، فانه كان شديد الايمان بالقضاء والقدر ، وكان على يقين بأن الارزاق فينا مقدرة ، فلا يخطئنا ما هو من نصيبنا ، ولا يصيبنا من الرزق ما ليس لنا · وهذا الايمان المطمئن للنفس فيه العزاء كل العزاء لمن تحير البابهم اسباب الارزاق · وفى هذا يقول « ابن الشبل » وهو مما انشده صاحب « الدمية » :

وحتم قسمة الارزاق فينـــا
وان ضـــعف اليقين من القلوب
وكم من طالب رزقا بعيـــدا
اتاه الرزق من امد قـــريب

ولا ادرى لماذا كان يستكثر النــاس على « ابن الشبل البغدادى » هذا الشعر الجيد العالى النفس ، مع ان مســتواه لا ينحط عن اقدار كثير من الشعراء الكبار ؟ لقد استكثروا عليه القصيدة الرائية الفلسفية التى يخاطب بها « الفلك الدار » ، فنسبها بعض الناس الى الحكيم الشاعر الفيلسوف قبله : ابن سينا · ولكن الثقة الخبير : «ابن ابى أصيبعة» يؤكد انها لابن الشبل البغدادى ، وينكر نسبتها الى ابن سينا ·

ولم يكتف المستكثرون عليه بهذا بل نسبوا مرثيته الجيدة فى رثاء اخيه « أحمد » الى ابى العلاء المعرى · ولكن اديبنا المصرى الكبير صلاح الدين خليل ابن ايبك الصفدى يؤكد فى كتابه العظيم : (الوافى بالوفيات) انها لابن الشبل لا للمعرى · ويقول اديبنا الصفدى فى ذلك بنص عبارته : (كثير من الناس ينسب هذه القصيدة لابى العلاء المعرى وهو معذور · لانها من نفسه ·· وانما هذه لابن الشبل يرثى بها اخاه احمد)

والحق اننــا نقصر فى حق الطبيب الشاعر الاديب « ابن الشبل البغدادى » حين يفوتنا فى هذا المقام الاستشهاد ببعض قصيدته فى الفلك الدار ، وبعض مرثيته لاخيه ·· فمن الاولى قوله :

بربك ايها الفلك المـــدار
أقصد ذا المسير ام اضطـــرار ؟
مدارك قل لنـــا فى اى شيء
ففى افهامنا منك انبهـــار
وفيك نرى الفضاء ، وهل فضاء
سوى هذا الفضـــاء به تدار
وعندك ترفع الارواح ام هـــل
مع الاجساد يدركها البـــوار ؟
وموج ذا المجـــرة ام فرند
على لجـــج الدروع له أوار ؟
وفيك الشمس رافعة شـــعاعا
بأجنحة قوادمها قصـــار
وطوق فى النجوم من الليـــالي
هلالك ام يد فيها ســـوار ؟

وهى طويلة مملوءة بالتساؤلات عما وراء الستار من أسرار ، وهى تذكرنا بقصيدة الشاعر ايليا أبى ماضى فى المعاصرين التى عنوانها : « الطلاسم » ، وقد شهد صاحب « عيون الانباء » فى طبقات الاطباء » لقصيدة ابن الشبل الحكمية هذه ، فقال فيها : (وهذه القصيدة من جيد شعره · وهى تدل على قوة اطلاع فى العلوم الحكمية ، والاسرار الالهية ··)

أما مرثية ابن الشبل لاخيه أحمد ، فنيها يقول :

غاية الحزن والسرور انقضاء
مالحي من بعد ميت بقاء
لا « لبيد » بأربد مات حزنا
وسلت عن شقيقها « الخنساء »
مثل مافى التراب يبلى الفتى فالحز
ن يبلى من بعده والبكاء
غير ان الاموات مروا ، وبقوا
غصصا لا تسيغها الاحياء
انما نحن بين ظفر وناب
من خطوب أسودهن ضراء
نتمنى ، وفى المنى قصر العمـ
ـر ، فنغدو كما نسر نساء

لقد كان ابن الشبل البغدادى شاعرا مطبوعا · واذا كان قد نهج فى قصيدة (الفلك المدار) منهج الفلاسفة المتحيرين المتسائلين ، فأنه فى سائر أشعاره سلك مسلك الشعراء المطبوعين ، فهو يحتال على المعانى الدقيقة اللطيفة ، ويبتكر أبكارها بما لم يسبقه اليه سابق ولا يلحقه لاحق ، كقوله الذى ابدع فيه :

لاتظهرن لعاذل ، أو عاذر
حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حزازة
فى القلب ، مثل شماتة الاعداء

ويظهر أن هذين البيتين قد نزلا من نفس الاديب المؤرخ الصفدى أكرم منزل، وأطيب موقع فرواهما أول ما روى فى ترجمته لابن الشبل البغدادى فى (الوافى بالوفيات) ، ثم أتى بعدهما بطائفة من أشعاره ، ومنها رائيته « الفلك المدار » ، ومرثيته الشقيق · كما أن صاحب (النجوم الزاهرة) رواهما أول ما روى من شعره فى ترجمته له فى وفيات سنة ٤٧٣ هـ ، على حين أن صاحب (عيون الانباء فى طبقات الاطباء) لم يشر اليهما على الاطلاق ، وكذلك فعل صاحب (دمية القصر) ·

روح بغداد والبغاددة

وثانى الاطباء الادباء الشعراء فى العراق : البديع الاسطرلابى ، وهو بغدادى أصيل · وقد جمع بين الطب والفلسفة وعلم الكلام والفلك والادب



والشعر · ويشهد له ابن خلكان صاحب « وفيات الاعيان » بانه كان وحيد زمانه فى عمل الالات الفلكية ، متقنا لهذه الصناعة ، وحصل له من جهة عملها مال جزيل فى خلافة « المسترشد » العباسى · كما يشهد له بانه لما مات لم يخلفه فى عمل الاسطرلاب والالات الفلكية مثله · ويشهد له ياقوت الحموى فى « معجم الادباء » بانه كان اديبا فاضلا شاعرا بارعا ، حكيما عارفا بالطب والرياضة والهيئة والنجوم والرصد والزيج ، متقنا علم الالات الفلكية ، ولاسيما الاسطرلاب ، فنسب اليه ·

وتجمع كتب الطبقات والتراجم والتاريخ على فضل « البديع الاسطرلابى » ، وعلمه ، وتعدد نواحي ثقافته ، كما تجمع على الثناء عليه والاشادة بذكره · كما نجده عند « الخطيرى » فى كتابه (زينة الدهور) ، وعند العماد الاصفهانى فى « الخريدة » ·

ومن عجائب المقدور ان هذا الطبيب الشاعر العالم الفاضل قد ظلم فى شعره فلم يصل الينا من اشعاره الكثيرة الا ترجمته لابن الشبل البغدادى فى نتف قليلة تقع فى البيتين او الثلاثة ، على الرغم من ان له ديوان شعر دونه وجمعه بنفسه ، فضاع ديوانه فيما ضاع من تراثنا العظيم ·

ونلاحظ على شعر البديع الاسطرلابى ابتكار المعانى واللطف فى استخراجها ، والخفة فى التعبير عنها · فلا تجد هبوطا فى عبارته ، ولا ابتذالا فى معانيه ·· كما انه يمتاز فى اسلوبه بالتانق فى اختيار الالفاظ البغدادية المليحة التى لا تستعمل فى قطر عربى آخر · فهو اذا عبر لجا الى الفاظ « البغادنة » وعباراتهم فاستعملها فى شعره · ومن هنا كانت روح بغداد واضحة فى شعره ·· ويذكرون له فى هذا المجال قوله فى الغزل على طريقتهم يومئذ :

اذاقنى حمرة الثنايا
لما اكلنى خضرة العذار

وقد تبدى السواد فيه
وكارتى بعد فى العيار

فعبارة : (كارتى بعد فى العيار) هى بغدادية محض ، وهى ـ كما يقول ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان : (من اصطلاح البغادنة ، فانهم يقولون : وكارتى بعد فى العيار · بمعنى انه ناشب معه لم يتخلص منه · و « الكارة » عندهم فى الدقيق ، بمثابة « الحملة » فى ديار مصر ··)

واذا كان أهل بغداد ـ نضر الله وجهها يعبرون عن « الحملة » بالكارة فان أهل العراق ـ عامة ـ فى عصر الاسطرلابى كانوا يعبرون عن « الثلج » بكلمة « الوفر » · فالوفر هو الثلج بلغة أهل العراق · وهنا نجد طبيبنا وشاعرنا وفلكينا « البديع الاسطرلابى » يستعمل لفظة « الوفر » حين نزل ببغداد فى عصره ثلج كثير ، فقال موجها كلامه الى « صدور الزمان » ورؤساء الاوان فى العراق :



يا صـــدور الزمان ليس بوفر
ما رأيناه في نواحي العـــراق
انما عم ظلمكم ســـائر الار
ض ، فشابت ذوائب الافـــاق !

فبياض الثلوج هنا ليس بياض الثلج المعروف بأسبابه الطبيعية ، ولكنه بياض الشيب في ذوائب الآفاق من كثرة ظلم الصدور والرؤساء · وهـــذا التعليل البديعي في هذين البيتين هو من النكت البديعية المعروفة في علم البديع وليست بغريبة على شاعرنا وطبيبنا « البديع »·

واذا كان ذانك البيتان يحملان نكتة بديعية ، فانهما — من ناحية أخرى — يعبران عن احساس شاعر عراقي بمـا كان يعانيه العراق من ظلم اجتماعي في تلك الزمـــان ·· واذا كان الطبيب الشاعر « البديع الاسطرلابي » يتظرف بعض الحين ، و « يتبغدد » باستعماله الفاظا بغدادية محلية في شعره ، فانه — بعض الحين — كان يتظرف أيضـــا باستعمال الفاظ اعجمية في شـعره ، كقوله في الغزل :

قال قوم : عشقته امرد الخـــد
وقد قيل انه « تكـــريش »
قلت : فرخ الطاووس احسن ماكا
ن اذا ما علا عليه الـــريش !

فكلمة (تكريش) لفظة اعجميـــة ، ومعناها — كما يقول ابن خلكان — لحية جيدة ·

ويبدو أن تظرف الطبيب الشـــاعر « البديع الاسطرلابي » قد بلغ عنـــد بعض مؤرخي الادب حد (الخلاعة) و (المجون) · فهذا صاحب « وفيات الاعيان » يقول عنه : (كان كثير الخلاعة يستعمل المجون في أشعاره ، حتى يفضي به الى الفحش في اللفظ) ويظهر أن مجون « البديع الاسطرلابي » لم يبدُ فقط في شعره هو ، بل بدأ في اختياراته من شعر الشاعر الماجن (ابن حجاج) من شعراء « اليتيمة » المشهورين ·

ومن المعاني الجيدة المبتكرة « للبديع الاسطرلابي » قوله وقد أهدى هدية الى أحد الرؤساء :

أهدى لمجلسك الشريف ، وانمـــا
أهدى له ما حزت من نعمـــائه
كالبحر يمطره السحاب ، وماله
فضل عليه لانه من مـــــائه

ولا يفوتنا هنا في معرض الحـــديث السريع عن الطبيب الشـــاعر « البديع الاسطرلابي » أن نصحح بعض الاوهام ، التي وردت في أكثر من مقام · فقـــد وردت كلمة (الاصطرلابي) في عيـون الابناء ، لابن أبي أصيبعة ، بالصـــاد المهملة وبعدها طاء ، وكررها المؤلف — أو الناسخ — أكثر من مرة على هذا النحو · ولكنها في (مرآة الزمان) وفي (معجم الادباء) لياقوت ، وفي (وفيات الاعيان) وردت بالسين والطاء ، وهو الهجاء الأكثر دورانا في الكتب والمصادر القديمة ·

وينطق كثيـــر من النـــاس لفظة (الاسطرلاب) بكسر الطاء · وقد سمعت باذني الشاعر اللبناني الكبير شـبلي الملاط ينطقها هكذا في قصيدته البائية التي قالها في حفل تكريم الشاعر أحمد شوقي ومطلعها :

ربت على مطامحي وشـــبابي
ذكرى الصبا ، وملاعب الاحبـــاب

والصواب — على ما ذكره أهـــل التحقيق — أنها بضم الطاء لا بكسرها ، وأن الهمزة في أول الكلمة مفتـــوحة لا مكسورة كما هو الشائع ··

وهناك وهم ثالث لابد من تصحيحه في هـذا المعرض ، فقد جاء في طبعة (معجم الادباء) لياقوت ، بتحقيـــق الدكتور أحمد فريد رفاعي ونشره ، ج ١٩ ص ٢٧٤ أن البديع (مات ببغداد بعلة الفالج سنة أربع وثلاثين ومائة) وهو خطأ واضح كما ترى ، وصوابه

(سنة أربع وثلاثين وخمسمائة) ، وضبطها بالارقام ٥٣٤ هـ ٠

ناثرا اجود منه شاعرا

ويجيء معاصرا «للبديع الاسطرلابي» طبيب بغدادي اشتهر بالأدب والشعر والخط الجميل ٠ وهو هبة الله بن صاعد البغدادي المعروف : « بابن التلميذ » ٠ ويصفه ياقوت الحموي في معجمه بأنه (كان واحد عصره في صناعة الطب ، متفننا في علوم كثيرة ، حكيما أديبا ، شاعرا مجيدا ، وكان عارفا بالفارسية واليونانية والسريانية، متضلعا بالعربية ٠٠ وله النظم الرائق ، والنثر الفائق ، ونثره اجود من شعره) ٠ أما صاحب « عيون الانباء » فيصفه بقوله : (اوحد زمانه في صناعة الطب ، وفي مباشرة أعمالها ٠٠ ويدل على ذلك ماهو مشهور من تصانيفهوحواشيه على الكتب الطبية، وكثرة من رأيناه ممن قد شاهده ٠٠ وكان جيد الكتابة ، يكتب خطا منسوبا ، وقد رأيت كثيرا من خطه ، وهو في نهاية الحسن والصحة ٠ وكان خبيرا باللسان السرياني والفارسي ، متبحرا في اللغة العربية ٠وله شعر مستظرف حسن المعاني : الا ان اكثر مايوجد له البيتان او الثلاثة ٠ واما القصائد فلم اجد له منها الا القليل ، وكان ايضا يترسل ، وله ترسل كثير جيد ٠٠)

والحق أنه ما مدح رئيس مقدم عالم من النصارى بمثل ما مدح به « ابن التلميذ » الطبيب الشاعر ٠ فقد كان جوادا سباقا الى المكارم ، هماما ذا نجدة ومروءة، وقورا ، وصولا للاخلاء فمن قول أحد الاشراف النقباء في مدحه :

أمين الدولة اســلم للايادي
على رغم المناوىء والمعـادي
وللمعـروف تنشره اذا ما
طواه تناوب النوب الشـداد
فانت المـرء تلفي حين تدعى
جوادا بالطريف وبالتـلاد

كما مدحه الشريف أبو يعلى محمد بن الهبارية بقصيدة محكمة النسج يقول فيها :

يابني التلميـد ! لو والفيتكم
لم تكن نفسي بأهلي شـفقه
وتسـليت بكم عن صبيتي
وغدا وسطي ثقيل النصـفه
انمـا طافت (كرمان) بكم
انكـم لي عوض ما اشرفه !

كما مدحه ابو اسـماعيل الطغرائي حين جاءه مستشفيا من الم في ظهره بقوله :

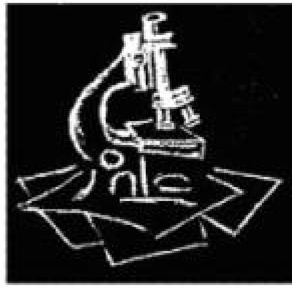
يا سـيدي والذي مودته
عندي روح يحيا بها الجسـد
من الم الظهر أسـتغيث وهل
بالم ظهر اليك يسـتند ؟

والحق انه كان في مجمل سيرته عمار الظهر وسناده للمعوزين واللاجئين ٠٠

ولقد كان « ابن التلميذ » يكثر من المقطعات الشعرية القصـيرة التي لا تزيد على ثلاثة ابيات ٠ ولعل قصر النفس في القصيدة الواحدة قد منحه طول التفنن في الكثير من المقطعات ٠ فله في كل مناسبة دائرة مقطوعة او اكثر ٠ وما ترك غرضا من اغراض الشعر الا نظم فيه على البيتين والثلاثة فتغزل وقال في الخمر ، والتهنئة والرثاء كما نظم في الحكمة والفلسفة ٠ ولكن يلفت نظرنا كثرة شـعره الذي يقوله في جواب الرسائل او في صدور الكتب ، فهو في هذا الميدان فارس لا يلحق ٠

فمن صدور رسائله الشعرية ماكتبه الى الوزير « سعد الملك نصير الدين »:

أطباء
أدباء
شعراء
من العراق



لا زال جدك بالاقبال موصــولا
وجد شــــدك بالاذلال مغلولا
ولا عدمت من الرحمــن موهبة
تعيد ربعك بالعــافين ماهولا
لتقــم منطلق الكفين انت اذا
اضحى اللئيم عن المعروف مغلولا

ومنها أجاب على رسالة « لجمال الملك على بن افلح » :

واني وحبيــك مذ بنت عنـــ
ـــك قلبي حزين ، وتمعى هتون
واخلف ظنى صـــبر معين
وشاهد شـــكواى دمع معين
فلله ايامنـــــــا الخاليا
ت لو رد ســــالف دهر حنين !

على أن طبيبنا الشاعر المترســل « ابن التلميذ » قد شغل نفســـه في مقطعاته الشعرية بالالغاز . فهو يلغز في « السحاب » قائلا :

وهاجـــم ليس له من عــدوى
مســتبدل بكل مثوى مثوى
بكاؤه وضـــحكه في معنى
اذا بكى اضحك أهل الدنيا (١)

وهو يلغز في « الظل » قائلا :

وشيء من الأجســام غير مجسم
له حركات تارة وســـكون
يتم اواني كونه وفســـاده
وفي وقت محيـــاه المحاق يكون
اذا بانت الانوار بان لناظـــر
وأمـــــا اذا بانت فليس يبين

وهو يلغز في « الميزان » فيقول :

ما واحد مختلف الاهـــواء
يعدل في الارض وفي الســماء ؟
يحكم بالقســـط بلا رياء
أعمى يرى الرشـــاد كل رائي
اخـــرس لا من علة وداء
يغني عن التصريح بالايمـــاء
يجب ان ناداه ذو امتـــراء
بالرفع والخفض عد النـــداء

ولم يشتهر الطبيب الشاعر الناثر « ابن التلميذ » بعمل الالغاز الشعرية وحدها ، ولكنه اشـــتهر فوق هذا بنظم الشـــعر الذى يكتب او يطرز او ينقش او يسطر على الاشياء والآلات كالسيوف ، والحصير والمبخرة ، ومغسل الشرب ، والابواب والدور وغيرها . فمن نظمه الذى صنعه ليكتب على حصير :

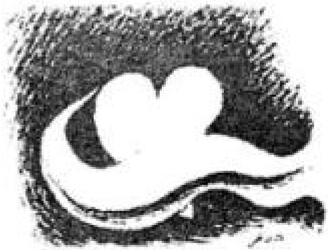
افرشت خدى للضـــيوف ولم يزل
خلقي التواضـــع للبيب الاكيس
فتواضعي اعلى مكـــانى بينهم
طورا ، فصرت احل صدر المجلس

ومن نظمه الذى صنعه ليكتب على مدخنة البخور :

اذا الهجر اضرم نار الهـــوى
فقلبي يضرم للهجـــــر نارا
ابوح بأسرارى الضـــمرات
تبدو سرارا وتبدو جهـــــارا
اذا ما طوى خبري صـــاحب
ابى طيب عرفي الا انتشـــارا

ونلاحظ على الشعر المتنـــاثر الذى نظمه « ابن التلميذ » هنا وهناك انه كان مولعا بتأييد القضية التى يعالجهـــا بالمثال المادى أو الصورة الحسية . نوع من البديع نسميه « التأكيد بالا

(١) يعني ان السحاب اذا بكى بدموع المطر ، اضـــحك أهل الارض ب وازدهار الثمر .



ويعتمد اكثر ما يعتمد على التشبيه الحسى ، كقوله فى « العلم » :

العلم للرجـــل اللبيب زيادة
ونقيصة للأحمق الطيـــاش
مثل النهار يزيد ابصـار الورى
نورا ، ويعشى اعين الخفـــاش

وقوله فى « التواضع » للرفيــع ، والتسامى الوضيع :

تواضع كالبدر اســتنار النظر
على صفحات الماء وهو رفيــع
ومن دونه يسمو الى المجد صاعداً
سمو دخان النار وهو وضـــيع

فالقضية لم تكتمل وتتوكد الا بالمثال المحسوس ، وهو سمو الدخان مع ضعته وصغر شأنه وهوانه ، وتواضــع البدر على صفحة الماء مع رفعته وجلال قدره

وكقوله فى النهى عن احتقار الصغير، فقد يكون منه الامر الخطير :

لا تحقرن عدوا لان جـــانبه
ولو يكون قليل البطش والجلــد
فللذبابة فى الجرح الممد (١) يد
تنال ما قصرت عنه يد الاســـد

وكقوله فى رؤية عيوب « الغير » وعدم رؤية عيوب النفس :

وارى عيوب العـــالمين ، ولا ارى
عيبا لنفسى وهو منى اقـــرب
كالطرف(٢)يستجلى الوجوه، ووجهه
منه قريب ، وهـــو عنه مغيب

وقد جمع الطبيب الشاعر المترسل « ابن التلميذ البغدادى » الى خلال الخير التى كانت فيه صفة البراعة فى معاملة الناس ، والكياسة فى التعـــامل مع الاصدقاء والرؤساء · فقد ذكروا أن أبا القاسم بن الفضل قد عتب على امين الدولة ابن التلميذ عتبا مريبا ، فاجابه أمين الدولة بأن خلع عليه قميصـــا مصمتا أسود ، وكتب اليه مع الخلعة .

احبك فى الســـوداء تسحب ذيلها
خطيا ، ولكن لا يذكر مثـــالبى

كما اشتهر طبيبنا الشـــاعر « أمين الدولة ابن التلميذ » بأدبه الفــائق فى الشكوى ، فهو فى هذا الباب يلمح ولا يصرح · فلقد حدثنا « ياقوت الحموى » فى معجمه أن « دار القوارير » ببغداد كانت من اقطاعات ابن التلميذ ، فلمـــا ولى الوزارة يحيى بن هبيرة حل اقطاع هذه الدار ، واخذها من طبيبنا الشاعر· فحضر ابن التلميذ يوما عند الخليفـــة العباسى « المقتفى » على عادته · فلمـــا أراد الانصراف عجز عن القيام ، وكان قد أصابه الضعف من الكبر فقال له الخليفة المقتفى : كبرت يا حكيم ·· قال : نعم ! كبرت يا مولاى وتكسرت قواريرى ·· (وهذا مثل يتماجن به أهل بغداد فى أحاديثهم) ·

فقال الخليفة : رجل عمر فى خدمتنا وماتماجن قط بحضرتنا·· فلهذا التماجن سر ! ·· ثم فكر ساعة وسأل عن دار القوارير فقيل له : قد حل الوزير ابن هبيرة اقطاعها وأخذها من ابن التلميذ· فانكر « المقتفى » على وزيره اخذ دار طبيبنا الشاعر الاديب انكارا شديدا ، وردها على ابن التلميذ ثانية ، وزاده اقطاعا آخر ·

---

(١) أمد الجرح : اى صارت فيه المدة (بكسر الميم) · وهى المادة التى تفرزها الجروح والقروح ·

(٢) الطرف : اللحظ والعين ·

طبيب شاعر خبيث اللسان

ونخرج من طوافنا القصير مع الطبيب الشاعر ابن التلميذ ، الى طبيب شاعر اخر ، ولكنه اشتهر فى ميدان الهجاء ، فاوفى فيه على الغاية ، حتى لم يكد يسلم من لسانه أحد .. وهو الطبيب « ابو القاسم » هبة الله بن الفضل » . وكانت بغداد عاصمة العباسيين له دار مولد ونشأة . وكانيعانى صناعة الطب ويباشر اعمالها فى منتصف القرن السادس الهجرى . وله ديوان شعر ، كما كان للبديع الاسطرلابى ديوان شعر ، ولكننا لا نعلم شيئا عن مصير هذين الديوانين .

واذا كان العصر الاموى قد منى بمهاجاة شديدة بين الشاعرين : جرير والفرزدق ، فان النصف الاول من القرن السادس من العصر العباسى قد منى بالمهاترةوالشنآن بينالشاعرين : الطبيب ابى القاسم هبة الله بن الفضل ،والامير أبى الفوارس سعد بن محمد الصيفى المشهور فى كتب الادب والتاريخ باسم : « حيص بيص » !

وشاعرنا الطبيب هبة الله بن الفضل هو الذى أطلق لقب : « حيص بيص » على الشاعر الامير ابى الفوارس . فقد ذكروا أن العسكر ببغداد قد هم بالخروج الى السلطان السلجوقى وذلك فى عهد الخليفة العباسى « المقتفى لامر الله » ، فبات الناس من ذلك فى هرج ومرج ، وحديث كثير ، وحركة زائدة . فقال الامير ابو الفوارس فى ذلك : مالى أرى الناس فى حيص بيص ؟! فأطلقها عليه طبيبنا الشاعر هبة الله بن الفضل فصدقت به ولم يستطع ان يتخلص منها فى حياته وبعد مماته ، وصار « الحيص بيص » لقبا لهذا الامير الشاعر .

ولقد خلع الطبيب الشاعر « هبة الله ابن الفضل » ثياب الوقار ، وطرح ازار الجد ، ولبس رداء المجانة والخلاعة والمعابثة ، والنكتة المكشوفة ، والمهاجاة الفاحشة ، فلم يسلم من لسانه صغير ولا كبير ، ولا سوقة ولا أمير ، حتى الطبيب الشاعر «أمين الدولة ابن التلميذ» الذى سبق الحديث عنه لم يسلم من خبث لسانه ولذع هجائه ، حيث قال فيه :

هذا تواضعك المشهور عن ضعة
قد صرت فيه بفضل اللؤم تتهم
قعدت عن أمل الراجى ، وقمت له
هذا وثوب على القصاد ، لا لهم

وما أنطع الطبيب الشاعر « هبة الله ابن الفضل » وهو يهجو الجالس على سرير الحكم :

يا معشر الناس ! النفير النفير
قد جلس الهربب فوق السرير
وصار فينا امرا ناهيا
وكنت أرجو انه لا يصير
فكلما قلت : فذى ينجلى
وظلمة عما قليل تنير
فتحت عينى فاذا الدولة المدو
لة والشيخ الوزير الوزير

وما اشد خبث لسان هذا الطبيب الشاعر وهو يهجو (ابن المرخم) حين صار اليه القضاء والحكم فى اداة الحكم العباسى :

يا ابن المرخم صرت فينا حاكما
خرف الزمان تراه أم جن الفلك ؟
ان كنت تحكم بالنجوم فربما
اما شريعة « احمد » من أين لك ؟

ويبدو أن ابن المرخم هذا هو بعينه (ابن المرجم) الذى ورد اسمه فى (مرآة الزمان) لسبط بن الجوزى هكذا بالجيم لا بالخاء ، والذى كتب فيه شاعرنا الطبيب « هبة الله بن الفضل » رقاعا والصقها فى المساجد والجوامع والشوارع يقول فيها :

يا حزينة الطمى الطمى !
قد ولى ابن المجرم ..
ى على الشرع والقضا

أطباء أدباء شعراء من العراق

وعلى كل مسلم

وما أصدق حكم ابن خلكان على الطبيب الشاعر « هبة الله بن الفضل » وهو يقول عنه : (وكان غاية فى الخلاعة والمجون ، كثير المزاح والمداعبات ، مغرى بالولوع بالمتعجرفين والهجاء لهم . وله فى ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة) اما أبو سعد السمعانى فقد كتب عنه فى كتابه « الذيل » قائلا : (شاعر مجود مليح الشعر ، رقيق الطبع ، الا أن الغالب عليه الهجاء ، وهو ممن يتقى لسانه) أما العماد الاصفهانى فقد ذكره فى الخريدة قائلا : (وله شعر كثير لم يدون ، والغالب عليه الهجاء والمجون . وما خلا من ذلك لا يكون له طلاوة . هجا الاكابر ، ولم يغادر احدا من أهل زمانه) — خريدة القصر ، قسم العراق ج ٢ ص ٢٧٠

احب عنترة فاشتهر بالعنترى

بقى من هذه الحفنة الكريمة من الشعراء الاطباء الادباء فى العراق فى القرن السادس الهجرى طبيب شاعر اشتهر بالطب كما اشتهر بالشعر ، وهو «ابو المؤيد محمد بن المجلى بن الصائغ» المعروف « بالعنترى » . وذكروا فى سبب هذه النسبة انه كان فى اول امره يكتب أخبار عنترة العبسى وأشعاره وقصص بطولاته ، فصار مشهورا بنسبته اليه ، وصار معروفا فى كتب الطبقات بالعنترى ، لا ينصرف هذا النعت الى غيره . ولقد اشتهر «العنترى» بالنثر كما اشتهر بالشعر ، ولكنهما لم يطغيا على شهرته طبيبا مذكورا حسن المعالجة . ولقد وصفه ابن أبى أصيبعة بانه كان (جيد التعبير ، وافر الفضل ، فيلسوفا متميزا فى علم الادب ، وله شعر كثير فى الحكمة وغيرها)

وللطبيب الاديب الشاعر العنترى لفتات ذكية فى الفلسفة والحكمة واكتناه أسرار الحياة . فمن شعره النفسى الفلسفى قوله :

نفسى تطالبنى بما فى طبعها
والعقل يزجرها عن الشهوات
والنفس تعلم ان ذلك واجب
والطبع يجذبها الى العادات
والطبع يقصر عن مراد كليهما
فكلاهما وقف على الحسرات
والنفس منخمر الحياة وسكرها
ستفيق بين عساكر الاموات

وقوله :

لو كنت تعلم كل ما علم الورى
جمعا لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب كل من
يهوى خلاف هواك ليس بعالم
استحى ان العقل اصبح ضاحكا
مما تقول ، وانت مثل النائم
لو كنت تسمع ما سمعت ، وعالما
ما قد علمت خجلت خجلة نادم
وضع الاله الخلف فى كل الورى
بالطبع حتى صار ضربة لازم

وحين يسبح طبيبنا الشاعر «العنترى» سبحاته فى آفاق الفكر الرفيع ، فانه لا يلبث أن يهبط معنا بعض الحين ببشريته الى الارض ليصف لنا ثمار النارنج ، والرمان الحامض ، وليصور لنا غلمانا يسبحون فى نهر دجلة وكأنهم وسط لج الماء « در تجرد فى بحر من الصدف » ، وليهجو الشاعر « على بن مسهر » افحش هجاء ، وليخوض معنا فى معارك الناس من أجل البقاء ، وهو تنقل بين الارض والسماء ، وبين الثرى والثريا ، ليرينا باجلى بيان أن فى الانسان وفى فطرته المتقلبة شيئا من الملك وشيئا من الشيطان ..

ماذا ارد على اكتئابك ... ان كان مابي فوق مابك
الله يشهد ما جزعت ... لغربة مثل اغترابك
حسبي من العبرات ما ... اهرقتها لك في غيابك
يا ساعة امضيتها ... بين التياعي واضطرابك
لم ادر ما ابكي بها ... اعلى مصابي ام مصابك ؟
اتراك هالتك النوى ... فكشفت عن هول ارتعابك
عبثا احاول ان اعيد ... اليك شيئا من صوابك
كيف التفت بسمت لي ... عن هش وخز من عتابك
حتى لخلت الدمع في ... عينيك لونا من عقابك

***

(آمال) هل انا لو علمت سوى المتيم من صحابك

واعيذ قلبي ان يكابر ... في النزول على طلابك
اأذا بكيت بغير دمع ... كنت مدعاة ارتيابك ؟
ولم الدموع ولوعتي ... اضعاف دمعك وانتحابك
ياما وقفت مولها ... طول النهار امام بابك
على اغازل ان خطرت ... رفيف شعرك او ثيابك
اعيا فاترع بالهوى ... كاسي واشرب من حبابك
ولكم اخذت عليك بخلك ... حين اطمع في رضابك
وانا الذي لو شئت ... عاقرت المنون على حسابك

وجعلت من عيني طعامك والمفضل من شرابك
ولطالما عريت نافذتي لتنشق من ملابك

ولمحت مقدمك الاغر ... وكنت في جمر ارتقابك
ارنو اليك وانت في ... طول انشغالك وانكبابك

***

(آمال) لا جاد الزمان ... بصحبة بعد اصطحابك
مثلت لي طهر العذارى ... في شذاك وفي اهابك
ما كان اسعدني بقربك ... احتذي عطف اقترابك
كم مجلس عطرت ، روعه ... المفاجيء من ذهابك
ان كان من امل يرد ... له السرور ففي ايابك
(آمال) يا حلمي ولم ... اكذب عليك ولم احابك
ما كان غير دعاك لي ... بالصبر خفف من عذابك
قبلت صوتك في دعاك ... وحلو ثغرك في خطابك
وشممت مسكي الهوى ... في كل حرف من كتابك
ما همني عمري اذا ... ولى وكان فدى شبابك
ففي دموع رسالتي ... وتبسمي لي في جوابك

● بغداد ● ... ● حافظ جميل ●

حسن كامل الصيرفي



أحمد زكي أبو شادي

في بيت من بيوتات القاهرة الكريمة لرجل اجتمعت له الزعامة في نواح شتى : خطيب مصقع يهز المنابر صوته الجهير ويستولي على الألباب ويلهب الأكف تصفيقا له وأعجابا ، ومحام ضليع جاب صيته آفاق البلاد - بحريها وقبليها - تشرئب الأعناق وتنصت الآذان لتستمع الى براهينه وحججه في حرمان العدالة ، متعلقة بما يقول أرواح لوه خافقة قلوبهم ، ليرد عليهم حياتهم لئلا أن تزهقها حبال المشانق أو تبتلعها أعماق السجون .

ثم هو أديب متمكن من لغته التي تلقى علومها في الأزهر . وشاعر نسج على منوال عصره برود النظم ، وصحفي

انشأ جريدة تتلاقى على صفحاتها الاقلام مشرقة . وصاحب ندوة ادبية يجتمع فيها صفوة رجال الفكر فى ذلك العصر .

ثم هو بعد ذلك كله سياسى وطنى مناضل بقلمه ولسانه ، شارك فيما بعد حركات القومية الوطنية مناصرا «مصطفى كامل» ومحمد فريد ثم سعد زغلول . وانتهت اليه نقابة المحاماة .

وفى احد شوارع هذا الحى الذى شهد وقفة «احمد عرابى» ورفاقه من الضباط المصريين امام الحاكم الذى يتسنم عرش بلد لا تجرى فى عروقه قطرة من دم ابنائه — «حى عابدين» ، كان يقوم هذا البيت الذى سكنه هذا الرجل الخطيب ، المحامى ، الشاعر ، الصحفى ، صاحب الندوة الادبية «محمد ابو شادى» مع زوجته الشاعرة «أمينة نجيب» ، اخت الشاعر الناثر «مصطفى نجيب» ، رفيق مصطفى كامل فى جهاده وعمة الفنان «سليمان نجيب» .

من هذا البيت «الهادىء الهانىء» فى هذا الحى الذى دوى فيه صوت «عرابى» مطالبا بحق ابناء وطنه فى حياة حرة كريمة ، انطلق — بعد سنوات عشر — صوت ضعيف فى ليلة من ليالى الشتاء القارس يخرج من عالم الأجنة لينشد حقه فى حياة حرة كريمة ...

كانت هذه ليلة اليوم التاسع من شهر فبراير عام ١٨٩٢ . وتهلل وجه هذا الرجل الذى جاوز الخمسين بعامين وهو يستقبل وليدا ذكرا انعم الله به عليه ، بعد أن رزق من زوجتين سابقتين بابنتين .

وكأن هذا الرجل ذا النظرة الثاقبة والفكر اللماح قد استشف من ملامح هذا الوليد ما سوف تكشف عنه السنون من مواهب ونبوغ ، فأطلق عليه اسم «احمد زكى» .

على ضوء المشاعل الفكرية

وبدأ الطفل يستقبل نسمات الحياة كل يوم هينة لينة مع طفولة ناعمة باسمة هانئة . يسمع من صيت أبيه فتمتلىء نفسه حبورا وفخرا وسعادة ، وهو لايعلم ما سوف يستقبله بعد سنوات من زوابع واعاصير ، وما خط له القدر فى لوحة من نهاية ومصير .

عاش «احمد زكى ابو شادى» فى كنف أبيه يرعاه وينمى مواهبه ، ويتعهدها بالصقل . يخلو الى نفسه فى وقت فراغه فى مكتبة أبيه يعب فى نهم ونشوة كل ما تحوى من نفائس ، ثم يجلس الى جوار أبيه فى كل امسية تنعقد فيها ندوته فيستمع الى الكوكبة من رجال السياسة والعلماء والادباء والشعراء الذين تحفل بهم هذه الندوة ، وكل منهم له مكانة وصيت ، فتعى ذاكرته معا يقولون الكثير من الافكار ، ويستضىء ذهنه بما يرى ويسمع ، فيثب خياله الى عوالم رحاب .

وفى ظل هذه التنمية وهذا الصقل وعلى ضوء المشاعل الفكرية التى كان

طبيب وشاعر متعدد المواهب

يعيش عليها استطاعت مواهبه أن تتفتح مبكرة . فلم يكد يبلغ السادسة عشرة حتى نراه قد فكر فى اصـــدار مجلة قصصية هى « حدائق الظاهر » مستمدا اسمها من اسم جريدة أبيه « الظاهر » وذلك سنة ١٩٠٨ ونجد فى تصديره لها ما يكشف عن نبوغ مبكر ، وعن رغبة فى احتضان لون جديد فى الادب العربى بنفس الروح التى تجلت بعد أربع وعشرين سنة من ذلك التاريخ حين فكر فى اصدار مجلة تحتضن مواهب الشعراء هى مجلة « ابوللو » التى ظهرت سنة ١٩٣٢ .

فهو يذكر فى تصديره لمجلة « حدائق الظاهر » انه كان « مقسما بين فكرتين : الاولى : تشجيع القصص المصرى بمعناه الصحيح تصـــويرا لبيئاتنا الوطنية المختلفة كوسيلة من وســائل التــاريخ للمجتمع المصرى وتشخيص امراضـــه ووصف علاجها على نمط فنى راق كما هو المعهـــود فى القصص الغربية ، والثانية : تشجيع النقــل عن روائع الادب القصصى فى الغرب مؤثرا النقل الامين على التمصير والاقتباس . ففى هذا القصص الاوربى كثير من المسائل الانسانية ومن الحقائق العليا لابسة ثوب القصة بدل ان تلبس ثوب المقالة او الحكم النثرية المرسلة او الحكم النظمية كمـــا كانت عادة العرب » ... ثم يقول : « واخيرا استقر رايى على الجمع بين الفكرتين ، وعززنى من اختـــرتهم من اصدقائى الكتاب للقيام بهذا العمل الذى يفتقر الى كثير منه أدبنا العربى » .

ان هـــذا الاسلوب من هذا الفتى ليكشف كذلك فى وضوح عن اثر الوراثة الادبية التى تجرى فى عروقه : فأبوه « محمد ابو شادى » شاعر وناثر ، وجده الشيخ « ابو شادى المحدوح » الذى ينتهى نسبه الى الشيخ ابراهيم الدسوقى ومن ثم الى الحسين بن على رضى الله عنهما والذى توفى عام ١٨٨٠ – كان عالما اديبا ، وامه « امينة نجيب » شاعرة ، وخاله « مصطفى نجيب » له باع فى النثر والشعر ، كما ذكرنا .. بل امتد اثر هذه الوراثة – فيما بعد – الى ابنته « صفية ابو شادى » صاحبة الشعر المنثور الرقيق الذى ضمه ديوانها « الاغنية الخالدة » .

العمل من اجل المجموع

وفى تلك الفترة أيضا بدات شاعريته تتفتح لتتفتح عالم الادب الى جنب موهبته النثرية بالزكى من الشذا . وكان اطلاعه قد بدأ يخرج عن حدود ما فى مكتبة ابيه من عيون الادب العربى ، الى ما تفيض به جداول الادب الغربى ، فامتدت يده الى ما ينشر فى الخارج يعب منه فى شغف موسعا دائرة ثقافته .

وتتدلع فى قلبه شرارة حب تضفى على شاعريته وهجا يؤجج مشاعره ، ويلهب كلماته ، ويلون تعبيراته . ولقد كان لهذا الحب اثر كبير فى تغيير مجرى حياته على غير ما كان فى حسبانه .

كان ابوه قد طلق والدته ، وتزوج سيدة أخرى ، وأقام الفتى مع والدته فى منزل بسراى القبة غير بعيد عن منزل أبيه الذى اقام فيه مع زوجته الجديدة. وكان لهذه الزوجة شقيقة متزوجة من أحد أعيان القاهرة وهو صديق عزيز لابيه قامت بينهما الصــداقة منذ زمن طويل . وكان هذا الصديق يقيم فى سراى له بضاحية الزيتون ، وكان ابو شادى الكبير يصحب ولده « احمد زكى » فى زياراته لهذا الصديق الذى كان يرى فيه مكان العم ، فتعلق قلب الفتى بالابنة الكبرى لهذا الصديق ، وكان يتردد على منزل عديل ابيه يساعد الفتاة وشقيقتها الاخرى فى مراجعة دروسهما ، فوطد الحب دعائمه فى هذين القلبين الصغيرين كانت هذه الفتاة ابنة لشقيقة الزوجة

الجديدة ، ولم تكن تقيم معها ومع شاعرنا تحت سقف واحد ، كما ذكر بعض الاساتذة الشعراء والنقاد ، بل كانت تقيم فى بيت والدها بالزيتون ولم تقم مع خالتها قط · كما لم يقم شاعرنا مع زوجة ابيه بل ظل مقيماً مع أمه بعد طلاقها ينفق عليه أبوه ·

ولم يمض على تعلق هذين القلبين الصغيرين سنتان حتى تقدم احد اصدقاء ابيها خاطبا لها ، وتم زواجه بها · ولم يحتمل الفتى الطرى العود هذه الصدمة ـ وكان قد التحق بمدرسة الطب ـ وبدات صحته تتدهور ثم تزداد سوءا ، ففكر

ابوه فى ان يبعث به الى الخارج عسى ان يسلو غرامه ويشفى من مرضه خلال دراسته بعيدا عن وطنه ، فسافر الى انجلترا فى ابريل عام ١٩١٢ ·

***

وكان هذا الفتى الجريح الحزين قد اراد أن يداوى جراحه ويغرق أحزانه فى محيط من العمل الدائب فى مجـــالات متعددة · فنراه بعد عام قد بدأ يسهم فى « انشاء النـــادى المصرى » بلندن ويتولى سكرتيريته ، ونراه ينشىء هناك

« جمعية آداب اللغة العربية » ويتـولى سـكرتيريتها أيضا ويكل الى المستشرق الانجليزى دكتور مرجليوث رياستها ، ثم نراه يتجه صوب خدمة قضية وطنه فيجمع الشباب المصرى وينظم حفل اســتقبال للزعيم محمد فريد · ومن ثم بدأ نضاله الوطنى ضد عدو وطنه داخل بلاده ·

وفى هذه الفترة تبدأ ناحية فنية كامنة فى نفس هذا الشاب الطموح فى الظهور اذ يتجه الى فن الرسم يدرس أصوله · وهو مع هذا كله لم يقصر فى دراسته

للطب حتى ظفر عام ١٩١٥ باجازته العلمية من جامعة لندن ، ثم تخصص فى « البكتريولوجيا » وحصل على مرتبة الشرف فيها من هذه الجامعة ســنة ١٩١٧ ·

فى هذه السنة فجع الشاعر ـ وهو بعيد عن وطنه والحرب العالمية الاولى مشتعل أوارها وأحرار الوطن مشردون عن هذا الوطن أو مكبلة أقلامهم مبيضة صحفهم بما يحذف الرقيب ـ بوفاة أمه ، واشتد حزنه عليها ، فعاد مرة أخرى يغرق احزانه فى شىء جديد ، فاتجه صوب عالم اهله يشبهونه فى كثير من صفاته : الدأب على العمل المضنى من أجل الاخرين ، ذلك هو عالم النحل يدرسه دراسة علم



سعد زغلول : ناصره أبو شادى فى وقفته الوطنية المشهورة

وتطبيق حتى اصبح عالما متخصصا فيه ، له مكانته المقدرة عند الاعلام من علمائه ، واسس هناك سنة ١٩١٩ ناديا دوليا ، واصدر مجلة متخصصة ظلت تصدر حتى بعد عودته الى الوطن لسنوات عدة وهى تحمل اسم مؤسسها ·

وفى خلال ذلك تزوج بفتاة انجليزية مثقفة كانت عونه فى عمله ، ورحلت عن وطنها معه الى وطنه لتهيىء المنزل الهادىء الذى يأوى اليه كل مساء هذا الرجل الذى يقضى نهاره موزع النشاط والجهد فى جوانب متعددة متغايرة العالم تبدو وكأن لا تآلف بينها ، فيوحدها هذا الرجل ويؤلف بينها عند غاية واحدة



مجيب فريد : موقف وطني يشرف من ابي شـــــادي . . .

في العمل من اجل المجموع الذي يفنى هو نفسه فيه :

اعيش لنوعي لا لنفسي وحـــدها
وانشر روح الحب غير مبـــدد

حدث فكري عظيم

ويعود ابو شادي الى وطنه عام ١٩٢٢ بعد غيبة عشر ســـنوات حيث يحمـــل ما في روحه من امال ، ويبث ما في ذهنه من مشاريع بهذه الروح الانسانية والمثل العليا والمبادىء التعاونية . فنراه بعد أن عين سنة ١٩٢٢ في معامل الصحة بالقاهرة قد نقـــل مديرا للمعمـــل البكتريولوجي في السويس ، ونراه هناك قد خلق حركة ادبية نشطة شاركه فيها الاستاذ حسن الجداوي المحامي ، ثم نقل الى بور سعيد فدبت مع خطاه حركة ادبية ، ثم الى الاسكندرية فسعت معه الحركة وشـــاركه فيها طائفة من ادباء الثغر ومعهم الاستاذ احمد الشايب وكان مدرسا هناك . ونراه ينشىء في هـــذا الثغر « جماعة الادب المصري » . وفي تلك الفترة دعا الى ضرورة أن تنشأ في هذا الثغر جامعة كجامعة القاهرة ، وقد تحققت دعوته بعد ذلك بسنوات .

ثم ينقل الى القاهـــرة سنة ١٩٢٨ ليؤسس فيها « رابطة الادب الجديد » ثم يتسع نشاطه الثقافي فيفكر في اوائل سنة ١٩٣٢ في تكوين « جمعية أبوللو » ولم يكد يحل الثلث الاخير من ذلك العام حتى كانت هذه الجمعية قد برزت الى الوجود وظهرت معها « مجلة ابوللو » لسانها ومنبرها . ومن اجل ذلك يؤسس « ندوة الثقافة » التي احتضنت « جماعة الادب المصري » و « رابطة الادب الجديد » و « جمعية ابوللو » ثم « رابطة مملكة النحل » و « الاتحاد المصري لتربية الدجاج » و « جمعية الصناعات الزراعية » ولكل منها مجلة خاصة .

وبالروح التعاونية التي يمجدها ويدعو اليها انشأ لهذه الاعمال مطبعة خاصة أسبغ عليها اسم « مطبعة التعاون » ، وبنفس الهواية المحببة اليه وهي انشاء المناحل ، استطاع أن يجعل من هـــذه الندوة منحلا للفكر تتوافد عليه من كل مكان طوائف تقدم للناس في تضحيات كريمة شهدها المصفى

وفي الحق أن « مجلة ابوللو » بصفة خاصة ، كانت حدثا فكريا عظيما ، ولقد اجتمعت فيها اقلام كانت الحزبية العمياء تفرقهـــا ، فائتلفت وتوحدت تحت راية « أبوللو » .

ولكن العنت الذي كان يجابه ابا شادي فيثبت أمامه كل مرة ، كان قد ألقى بكل أثقاله على هذا الرجل الناضل فأوقف نشاطه في القاهرة وانتقـــل الى عمله الجديد في الاسكندرية ثانية .

قد يغيب اللفظ الرشيق

وبعد ، فلعل أحدا من الشعراء لم يلج عوالم شتى قد تتهيبها اجنحة الشعر كما ولج الدكتور « احمد زكي أبو شادي » ، ولعل أحدا من الشـــعراء في العصر

الحديث لم يلق من الجحود ما لقى أبو شادى . ومرد هذا الجحود هو هذا الولوج الجرىء ، ولا أتهيب أو أغالى حين أقول : هذا الفتح أو هذا الارتياد .

ولقد قال عنه أستاذه « خليل مطران » في تصديره ديوان « أطياف الربيع » : « فاجا هذا الطبيب الشاعر الاديب السليقة العربية مفاجاة جاوز بها جراة المجترئين على التجديد من قبل ولم يرع ان تلك السليقة بطيئة فى تحولها ، حريصة على مالوف يسرها ويرضيها ، ومازالت متشبعة باقتناعها ان فيها الكفاية والغناء عن كل ما سواه » !

ولقد كان النقد ـ منذ ظهر أبو شادى بتياره الادبى الجديد والى حقبة طويلة ـ قائما على أسس من ماضينا النقدى الذى لم يحفل باستكناه النفس واعتبار اثر الكاتب أو الشاعر ـ بصفة خاصة ـ جزءا من نفسه لا يتجزأ ، يجب عند نقده أن نصل الى نفس صاحبه لنعرف البواعث على هذا الاثر وما فيه من سمات صاحبه ، وما تنفضه نفسيته المتأثرة بمختلف التيارات من الوان على هذا الاثر . فكان النقد المتأثر بالماضى



مصطفى كامل . احمد ابو شادى
وشارك فى معاركه القومية الوطنية ..

وسيلة الناقدين يومذاك . وكان التجريح والغض من كل جديد غير مالوف هدف أولئك النقاد ، فلم تكن نفوسهم تحتمل الكد الذهنى أو الخروج بالشعر الى ميادين يعرفها الاقدمون .

لذلك وجد أمثال هؤلاء هدفهم فى الشاعر « أحمد زكى أبو شادى » يفرغون ما فى جعابهم من سهام مسمومة الى شعره ، وتبعهم فى الاخذ بآرائهم الخاطئة جيل من الناس يقتنعون بأن يدلى لهم غيرهم بالرأى فيكون هو القول الفصل ، دون أن يبحثوا بأنفسهم عن الحقيقة .

فذهب شعر هذا الرجل ضحية النقد المغرض الذى لم ينهض على قوائم من الحق ، ولا على أسس من علم النفس . وكم جنى مثل ذلك النقد على مواهب كثيرين لم تكن لهم قوة أبى شادى وصلابته وحيويته .

وليس معنى قولى هذا أن شعر أبى شادى خال من النقص ، مبرأ عن النقد ، ولكن معناه أن الناقد يجب الا يلتمس جانب الضعف فى شىء فيضخمه حيث لا حاجة الى التضخيم ، ثم يطمس المحاسن فلا يشير اليها ، ثم لا يتوخى دراسة نفس المنقود الى جانب دراسة اثره ، كما ذكرت ذلك فى ديسمبر ١٩٥٠ حين نقدت ديوان أبى شادى « من السماء » .

فلقد يؤخذ على أبى شادى كثرة ما نظم ، فهو بلا شك أوسع شعراء العربية جميعاء ملكا لابيات القريض ـ وقد بلغ عدد دواوينه ٢٥ ديوانا ـ وهو يتناول فى شعره أشياء لا يرى كثير من الشعراء بله النقاد ضرورة فى أن تهبط عرائس الشعر اليها ، ولا يفرط فى شىء مما ينظم ، وقد تضعف موسيقى الشعر امام هذا الموكب الزاخر من الوان لا حصر لها أو تبعا للموضوع الذى يتناوله مما لايمت الى الروح الفنى بسبب .

أحمد زكى أبوشادى



كما يؤخذ عليه سرعة النظم ، ولو عرف أن الرجل سريع التأثر فى فرحه ، سريع التأثر فى حزنه لالتمس له العذر ، وانى لاذكر أنه يوم مات « شوقى » ، ويوم مات شيخ العروبة « أحمد زكى باشا » كنا نمشى فى الجنازتين وقصيدتا رثائه فيهما منشورتان بجريدة « البلاغ » فى حينهما ...

وأبو شادى ــ كما قلت ــ رجل متعدد الجوانب متباينها ، ولكن هناك وحدة فى نفسه تؤلف بين هذه الجوانب ، تلك هى الروح الغالب على كل مواهبه المسيطر عليها . فهو فى حياته بين الناس شاعر ، وهو فى معمله شاعر ينظر فى مجهره كما ينظر فى عالم النجوم فى مرقبه فلا يرى الا عوالم يحيلها روحه الفنى الى مصادر شعرية تستحق التسجيل ، وهو يخاطب هذا المجهر فيقول :

المجهر الكاشف لا ينثنى
يشوقنى وهما ولا يمترى
أستنبط الأحياء فى نوره
كأننى مستنبط عنصرى

وهو فى حياته الخاصة شاعر يحيل متاعبه فى عمله ومتاعبه من هرمه ومن جحود الناس الى مزج بين الزهر والنحل لتستعمل مرارة الدنيا شهدا فى كأسه .

من أجل ذلك حول أبو شادى كل ما وقعت عليه عيناه من أحياء أو جمادات شعرا ولم يتهيب شيئا غير القائل :

كن أنت نفسى واقترن بعواطفى
تجد المعيب لدى غير معيب

وهو بين هاتين العمليتين : عملية تلقى الاشياء التى تمر به فى مواكب شتى وبين عملية احالتها الى مشاهد شعرية قد يغيب عنه اللفظ الرشيق الذى يعنى به شاعر آخر أو النغم المنسجم الذى تنصت اليه اذن شاعر غيره ، ولكن المعنى الذى أراد من ورائه تسجيل تجربة قد يراها غيره تافهة هو الهدف الذى يحسب له كل حساب .

وهو لا يفرط فى شىء مما ينظم الان له غاية أخرى يضعها نصب عينيه ــ وقد يكون مصيبا فيها ولكن الى حد ما ــ هذه الغاية هى أن يضع للمؤرخ الادبى الخيوط البيانية لشعره ، فهو يسجل له كل شىء .

وثمة شىء آخر هو حيوية هذا الشاعر ونشاطه وسعة أفقه سبب من أسباب التدفق النظمى الذى عرف به ، وأخذه عليه بعضهم ، وهو يعمل بوحى طبيعته ، وتبعا لهذه الكثرة والتنوع تؤخذ عليه بعض المآخذ . (١)

وحسبه ردا على ذلك قوله :

وما كان شعرى فى نظيم أصوغه
ولكن شعرى أن أكون أنا الشعرا

فهذا الرجل منذ عرفته فى أول لقاء عند الأستاذ « اسماعيل مظهر » فى مجلة « العصور » سنة ١٩٢٨ حتى

---

(١) انظر مقالى عن ديوان « من السماء » فى عدد ديسمبر سنة ١٩٥٠ من مجلة « الكتاب » .



العقاد : ترحيب بلقاء أبي شادي

انتقل الى جوار ربه لم يكن الا شاعرا في أفراحه وأحزانه ، وفي صداقته وخصومته • وما رأيته على كثرة ما أوذي به من بعض أصدقائه وغير أصدقائه بالحاقد على أحد منهم يريد بهم سوءا بل كنت أراه معلنا حزنه اذا ألمت بواحد من هؤلاء الخصوم مصيبة •

وكان يتناسى الخصومات السابقة مرحبا بالصفاء والوفاق ، كما حدث له مع « أحمد شوقي » فقد رحب بالوفاق بينه وبين هذا الشاعر الكبير حتى اختاره رئيسا لجمعية أبوللو • واني لأذكر هنا انني خلال المعركة الأدبية التي دارت بين « أبوللو » والاستاذ العقاد ، فكرت في أن أجمع بين الرجلين أبي شادي والعقاد ، وطلبت من شاعر من أصدقاء الاستاذ العقاد هو الاستاذ عبد السلام رستم ـ رحمه الله ـ وكانت تربطني به صداقة وثيقة ، أن يهييء لي لقاء في منزل العقاد ، وعلمت منه أن الاستاذ العقاد يرحب بهذا اللقاء ، ولكن جاء الى الدكتور أبي شادي من يبلغه أنه سب في ندوة العقاد ، فاعتذر لي في أسف عن قبول ما عرضت حتى لا يساء اليه •

وكان أبو شادي متلافا للمال يعين به كثيرا من أصدقائه ، وان كان في أشد الحاجة اليه في بعض الظروف ، واني أذكر ـ للحق والتاريخ ـ أن بعض من تحولوا من أصدقاء الى أعداء يكيدون له ، ويطلقون ألسنتهم الحداد في حقه ـ بل يحرضون غيرهم لينتقدوه في غير تورع ـ انما كان الدافع الى خصومتهم امتناعه تحت وطأة أزمة مالية تلم به عن تقديم ما يطلبون ، ناسين ما دبجوه في الاشادة به ، مذيعين أنه يتلقى معونات من مصادر شتى والا ما كان في طاقته أن يصدر مجلاته المتعددة • متناسين قوله :

حسدوني لحبهم ، وأنا الحا ني عليهم ، والمستعين بنفسي

ويعلم الله أن أبا شادي انما كان ينفق على مجلاته مما يقتطعه من مرتبه ومن المبلغ الذي تدفعه له وزارة الزراعة لقاء اشتراكها في عدد من النسخ من « مجلة مملكة النحل » اعترافا بفضله وجهوده في هذا الجانب الزراعي الاقتصادي ، فقد كان هو الداعية الى انشاء النحالة العصرية في مصر اثر عودته الى الوطن ، وعلى اثر دعوته هذه انشأت تلك الوزارة فرعا للنحل أسندت أمره الى من تلقوا عنه الخبرة فيه • ولكن هؤلاء المسئولين استشروا، بل استأسدوا عليه • وكانوا يعرقلون صرف قيمة الاشتراك ، وبلغ بهم الأمر في محاربته الى الحيلولة بين اشتراك هذه الوزارة في المجلات الاخرى التي تتصل برسالتها •

وصدرت « مجلة أبوللو » ولم تشترك وزارة المعارف في نسخة واحدة منها لمكتبات مدارسها أسوة بالمجلات الاخرى حتى أوقف صدورها على حين اشتركت وزارة المعارف في العراق في هذه المجلة لمدارسها ومعاهدها •

وانتقل أبو شادي الى الاسكندرية يعاود فيها نشاطه الثقافي ، ولكن بجراح مثخنه ، وتعرف اليه هناك « اسماعيل أحمد أدهم » • وبدأت الحركة الادبية تنشط وتنهض في الثغر،

على حين ران عليهـــــا النعاس فى العاصمة .

واشتملت « جامعة الاسكندرية » التى نادى بها ، واختير استاذا فى كلية الطب بها ، ثم اختير وكيلا لهذه الكلية ، غير أن آراء ابى شادى الجريئة فى محاربة الديكتاتورية الحاكمة والفساد السياسى والثورة على الاقطاع ، لا يخشى بطش الملك ولا ســـطوة الحاكمين . دفعت هؤلاء الى محاربة الرجل الحـــر حين جاء دور اختيار العميد ، فعين استاذ من طب القاهرة عميدا لطب الاسكندرية . ليتخطوا ابا شادى .

وكان صدر الرجل قد بدأ يضـــيق والازمات المالية تأخـــذ بخناقه ومرض زوجه يســـتفحل ، وبدأت غيوم الأسى وظلمات اليـاس تخيم على داره وتلقى بظلالها على نفسه ، ففكر فى أن يرحل مرغما عن وطنه يعالج زوجه مما ألم بها ، ويعالج روحه مما يكدر صفوها . وشاء القدر أن يسبق رحيل زوجه معه الى العالم الجديد الذى سيتجهان اليه ، رحيلهـا الى عالم ليس فيه ألم وسقم ، فأودعهـــا ثرى هذا الوطن ، وحمل أولاده كما حمل أحزانه فى ١٤ ابريل سنة ١٩٤٦ واتجه صوب امريكا

وعاد للمرة الاخيـــــرة يغرق فى الغربة فى هذا العـــالم الجديد أحزانه بنشاط لا تحتمله ســـنه وجهد تنوء تحته صحته ، فى كفاح مرير من أجـل حياة كريمة . يعمل حينا مســـتشارا للوفد السعودى وللوفد الاريترى فى هيئة الامم المتحدة ، ويدرس حينا الادب العربى فى معهد أســـيا بنيويورك ، ويلقى أحاديث فى الاذاعة فى الادب والنقـد والتاريخ وغير ذلك ، ويحرر فى بعض الصحف ، ويكتب ويؤلف فى قضـايا فكرية متعددة وينظم دواوين شـــعر جديدة بالعربية والانجليزية . ويؤسس جمعيـــة أدبية هى « رابطة ميترفا » ، ويختار عضوا فى لجنة حقوق الانسان الدولية . وقد لقى هناك من الحفاوة والتكريم فوق ما كان يتصور .

ولكن أصـــابع الرجعية الحاكمة فى مصر ، ودسائس القصر وأذنابه راحت تحاربه فى مهجـــره وتؤلب عليه بعض الجهات حتى يحـــرم من الموارد التى تعينــــه على العيش فى غربته ، وفى تحاربه فى مصر بعرقلة وصـــول مرتب المعاش اليه

ولم يفت ذلك فى عضده فهو يجار ويجهر بآرائه الجـــريئة حول ما كان يحاربه وهو فى بلده ويطالب بضرورة القضاء على نظام الحكم الفاســـد فى وطنه واعلان الجمهورية .

وهو بين هذا النشاط الذهنى الكبير والجسمانى العنيف لا يشعر أن جسده بعد السنوات الستين قد بدأ ينهـار ، وهو يرد على من يسأله عن سبب رحيله ولكن فى مرارة :

ســـألونى لم ارتحلت ؟ كأنى
لم أجبهم بســـيرتى نصف قرن
شاديا بالطليق من شـــعرى ألبا
كى أغنى لجـــــدهم ما أغنى
وحياتى لعزهم فى كفـــــاح
ككفاح الشعاع فى وســـط دجن

ثم يقول :

ما كفـــاهم انى اضحى بروحى
حينـــــا عز من يضحى ويفنى
ما كفاهم انى تناســـيت نفسى
فوق نســـيانهم حقوقى وأمنى
ما كفـــــاهم انى لهم ذلك الرا
ئد يشـــــقى كالراح فى اسر دن
ما كفاهم هذا وهـــذا فنادوا
بعقوقى ، وما رعوا حق ســـنى
ثم حالـــوا بين المثـــالية العل
يا لفكرى وبين شـــعبى وبينى
فترحلت حيث يحترم الأحـــرار
وحيث الهـــــواء طلق لذهنى
واظـل الوفى رغم اغتـــرابى
لبــــلادى ، ما غبت قط عنى



شوقى: كانت له خصومات مع ابىشادى



خليل مطران : راى فى شعر ابى شادى

ويرحل الملك الطائش عن مصر ، ويختفى الكابوس الذى كان جاثما على صدر الوطن ، فابعث الى الرجل الحر اطالبه بالعودة الى وطنه ، ويبعث اليه غيرى بهذه الرغبة ، فتكون اجابته على وعلى من كتبوا له : لن اعود الا اذا اصبحت مصر جمهورية ٠

وتصبح مصر جمهورية ، ولكن الرجل الذى هتف من أعماق قلبه :

وددت قبل مماتى
اراك ، يا مصر ، مرة
وان اكن فى جلسان
فريدة الحسن حسره

كان قد أحس فى أعماق نفسه دبيب اليأس من حياة جديدة فى سن لا يستطيع معها بدء كفاح جديد حيث لم تبق فيه بقية العراك ، لقد باع كل ما يملك الا كرامته وانسانيته وقلمه ، ولم يبق بين يديه ما يستردبه ما باع من مقومات حياة تابى الراحة والسكون

وفى المنزل الهادىء البسيط الذى أوى اليه فى واشنطن بعد أن ترك نيويورك فى سبتمبر عام ١٩٥٤ صعدت روح هذا الشاعر الكبير فى اليوم الثانى عشر من شهر ابريل عام ١٩٥٥ ــ شهر ابريل الذى شهد اول رحلة له الى انجلترا عام ١٩١٢ ، وشهد اخر رحلة له عن وطنه فى عام ١٩٤٦ ، ثم شهد اخر رحلة من الحياة عام ١٩٥٥ ٠

صعدت روحه وصدى صوته يتردد فى سمع الزمن بقوله :

اسفا أعود الى السما
ء كما اتيت بتبسع فنى
لم الق فى دنيا الأنا
م سوى المهازل والتجنى
دنيا تقوم على الدما
ء ، وبالدماء هوى تغنى
ويسوسها البلهاء من
غبن تعاشيه لغبن
فالى السماء أعود لم
يفن التانى والتمنى
فحروبها أجدى واو
فى للحياة وكل فن
وسلامها ابقى وات
قى للوجود المطمئن
ولعل أمى الأرض فى الحـ
ـالين فى ذهنى وعينى

وخبا الذهن المتقد الذى كان يعى حقائق الاكوان ويشع بباهر الاضواء واغمضت العينان اللتان كانتا تكشفان دقائق الاحياء، وسكن الجسد الذى كان لا يعرف الكلال والاعياء ٠٠٠

د. عبد الحليم منتصر

أحمد عيسى طبيب بارع وعالم كبير ١٨٧٦ ١٩٤٦

طبيب عالم ، ولغوى ضليع ، ونباتى بارع ، ذلك هو الاستاذ الدكتور احمد عيسى .. انه واحد من فروع تلك الشجرة الباسقة التى ضمت نخبة من الاطباء العظام ، وهم فى الوقت نفسه من الادباء الكبار او الشعراء او اللغويين الممتازين ، من امثال الدكتور على ابراهيم ، والدكتور على ابراهيم رامز والدكتور محمد شرف ، والدكتور ابراهيم ناجى وغيرهم كثير ممن طوعوا اللغة ، كما طوعوا المشرط فى ايديهم

انها العبقرية النادرة ، وأنهم العباقرة تتعدد مواهبهم فتتسع للاحاطة بكثير من العلوم والفنون ، كذلك كان الاستاذ مصطفى نظيف والدكتور على مشرفه وكذلك هم الدكاترة كامل حسين ، وأحمد عمار ، وأحمد زكي مد الله في أعمارهم ٠ وكذلك عرف عن جان جاك روسو انه كان يحاضر سيدات الطبقة الراقية في باريس في علم النبات ، لأنه كما يقول يلائم الفواتن الرقيقة ، وكذلك فعل « جوته » شاعر المانيا الاشهر حين الف وحاضر في علم النبات ٠

لقد وضع الدكتور على ابراهيم رامز وهو الجراح الكبير مؤلفا في الفلورة المصرية ، يعتبر أحد مراجعها الممتازة ٠ كما وضع الدكتور محمد شرف معجما طبيا ، أنه موسوعة ضخمة لا للعلوم الطبية فحسب ، بل وايضا للعلوم الطبيعية من نبات وحيوان وغيرهما ٠ فما أن يعرض لجنس من النبات أو الحيوان حتى يتابع ذكر انواعه وسلالاته متابعة العليم الخبير

وها وهو عالمنا الكبير ، وطبيبنا البارع الدكتور أحمد عيسى ، يضع معجما بأسماء النبات يقول في مقدمته انه قد عنى من زمن بوضع معجم بالعربية وبعض اللغات الاعجمية ، يشمل المصطلحات التي انتجتها قرائح العلماء والمفكرين والمبدعين في شتى العلوم والفنون ، وكان مما عنى به عناية خاصة « اسماء النبات » فجمع من مصادره ومراجعه الشيء الكثير ، فاجتمع لديه الكثير من اسماء النبات ومرادفاتها في جميع العصور ، ومن مختلف البلدان العربية اللغة ، كمصر والسودان وبلاد العرب واليمن والعراق وسوريا وفلسطين وبلاد المغرب ٠ ويضيف ان لغويي العرب ، قد عنوا بالنبات واسمائه ، كما عنوا بغيره من مواد اللغة ، وصنفوا في ذلك الكتب والتصانيف الممتعة ، ثم تبعهم النباتيون والعشابون ، فأوضحوا من ذلك الشيء الكثير في تصانيفهم وزادوا عليه ما اقتبسوا من نبات الهند وفارس واليونان وغيرها من البلدان، فامتلأت اسفارهم بالعربي الفصيح والمعرب والمولد

لقد جمع الدكتور عيسى ذلك ، على ما في جمعه من جهد ومشقة ، حيث التحريف والتصحيف ٠٠٠ ولا يقدر الجهد الذي بذله الدكتور عيسى في هذا المقام ، الا من مارس العمل في مثل هذه المراجع مثل الجامع لمفردات الادوية لابن البيطار ، أو تذكرة داود ، أو بغية الفلاحين في الاشجار المثمرة والرياحين للغساني وتحفة الأحباب في ماهية النبات والاعشاب ، وتذكرة الوزير أبي العلاء زهر بن عبد الملك ، وحسن البراعة



روسو : كان يحاضر سيدات الطبقة الراقية في علم النبات

في علم الزراعة للهيجري بك ، أو حسن الصناعة في علم الزراعة لأحمد ندا ، وكتاب الفلاحة لابن العوام ، وكتاب النبات والشجر للأصمعي ، وكتاب ديسقوريدوس في النبات والنبات للدينوري وثمة مراجع أجنبية كثيرة رجع إليها الدكتور عيسى من أمثال شفينفورث ، وبوستـه وبليل ، وبواسيه ، وبيلي ، ودوزيه، ودرا جنتورف وغيرهم كثير

لقد قصد الدكتور عيسى أن يكون معجمه شاملا كل ما عرف من أسماء النبات في المصنفات العربية مهما اختلفت جنسية الكلمة ، وأن يكون مرجعا لتحقيق الكلمات التي أتت بها المصنفات العربية ولم تكن معروفة الأصل ، فيرجع إليه الباحث عن الكلمات الغريبة وأصولها ، فيقل الوقوع في الحيرة ، لنقص مثل تلك المراجع في العربية مع وجود أمثالها في اللغات الأجنبية ولا مراء في أن مؤلف هذا المعجم قد عانى الكثير من النساخ من مثل الاشتباه بين الهمزة والعين ، وبين الحاء والهاء ، وبين الجيم والقاف والكاف . وأنه ليدعو إلى ايفاد بعثات علمية متخصصة ترتاد البلاد العربية وتحقق بنفسها ما يمكن تحقيقه . ويعترف أنه لا يدعي العصمة ولا الكمال ، فهما لله وحده .

ومع ذلك فاني – كمختص في علم النبات – أحني الهام اجلالا واكبارا، لهذا الجهد الخارق الذي بذله الدكتور عيسى في وضع معجمه في أسماء النبات حيث ذكر ألوف الأنواع النباتية مع ذكر فصائلها وأسمائها باللاتينية والعربية والأسماء المحلية في البلاد العربية وغيرها من البلاد ، ثم بالانجليزية والفرنسية ...

يقول عن الرمان بعد أن يذكر اسمه



د. مصطفى نظيف : طبيب وعالم متعدد المواهب

العلمي وفصيلته ، وما يعرف به في الانجليزية والفرنسية ، يذكر أنه : نار (فارسية) والز – واللفان (الشام) ، المظ (رمان البر ، بنور ولا يعقد والامليس (لا عجم له) .. نوره يسمى جلنار ، وتأويله زهر الرمان ، وعتم (فارسية) ، والجنبذ (سريانية) .. والرغث – وثمره يسمى نارمشك ، وقشوره الجشب ، وجذوره عقار ادم

ويتحدث عن الكمثرى بعد ذكر الاسم العلمي والفصيلة والاسم باللغتين الانجليزية والفرنسية ، يقول : (وهي الاجاص عند عامة الشوام) وشاه أمرود ، أمرود ، شاهلوك ، وشاهلوج (فارسية) وانجاص (سوريا واليمن)

وعن القيصوم ، قيصوم انثى قيسون انثى ، بابونى (بالقاهرة عند العطارين) بوى ماران (فارسية، بوى : رائحة وماران : الحيات ، لأن الحيات تهرب من رائحته وماران ج . مار) – قيسوم – علك الغزال . علجم ، بعيثران (سوريا) – قيصوم جبلي وعن اللبخ (هذا هو الاسم الحالي

للبيخ ، الا انه غير اللبيخ المذكور فى كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادى ، وفى مفردات ابن البيطار ·· ذقن الباشا (زهرة) بمصر

وعن الهليون (يونانية) ـ اقلام الذهب ـ برامع (ج · براميع) ـ ضغبوس (ج ضغابيس) قال ابو حنيفة الضغبوس وثبات الهليون سواء)

ـ اذن الحلوف (مراكش) ـ سكوم (بربرية) اسفراغ ـ أسفرغس ـ مارجوبه ـ مارنشوبه (فارسية) ـ همد (لبنان) ـ كشك الماس ·

وعن الشهدانج ـ شهدانه (فارسية معناها سلطان الحب ـ دانه بمعنى الحب) شاهدانج ـ شادانق ـ

شاهدانق ـ قنب ـ بنج ـ قنب هندى حشيشة ـ الزكوة (رومية) تنوم ـ الابق وبذره يسمى بذر القنب (مصر)

وعن العصفر (هو النبات



جوته ألف وحاضر في علم الحيوان

بالعربية) ـ قرطم ، قرطم (قرطم هندية هو البذر) ـ شوران ، وهريق بهرم ـ بهرمان ·· وبهرن ··· بهران ـ جاد جيله ـ كاجيله ـ كاجيره ـ زردق ـ زردج ـ زرنك (كلها فارسية) ·· زرد (سنسكريتية ومعناها اصفر ، وزهره يسمى عصفر ، وحبه يسمى احريض ـ احريضه) خريع ـ الشيخ ـ شجرة الشيوخ ـ لقد ـ نقد ـ نقد ·

ليس من اليسير استقصاء اكثر من الف نوع نباتي ذكرها عيسى في معجمه على هذه الصورة الدقيقة من اسماء علمية وأسماء انجليزية وفرنسية وعربية محلية في بلدان مختلفه أما كتابه المحكم فى أصول الكلمات العامية ، فانه هو الآخر تحفة قل أن نعرف لها نظيرا فى هذا

الفن · يقول الدكتور احمد عيسى فى مقدمة كتابه المحكم ، ان التحريف فى اللغة العربية قديم ، وله أسباب بعضها فى اللغة والبعض الاخر خارج عن

اللغة ، الاولى مثل تعدد اللهجات بتعدد القبائل واختلافها وخصائص اللغة نفسها ، واتساع اللغة ، والثانية مخالطة العرب لغيرهم من الاعاجم ·

ويتحدث عن الرديء والمذموم من لغات العرب ، ويعد من ذلك الكشكشة

فى ربيعة والعنعنة فى لغة قيس وتميم ، والفحفحة فى لغة هذيل ، والشنشنة فى لغة اليمن ·

ويتحدث عن اختلاف لغات العرب كالاختلاف فى الهمز والتليين ، والحذف والاثبات والامالة والتفخيم وفى صورة الجمع نحو أسرى وأسارى ·

ويقول ان للغة العربية خصائص

وسنناً مشى عليها العرب في كلامهم ، وكان لها اثر في نشوء اللغة العامية، فان الاتســاع في الجرى عليهــا والتسامح في الشطط فيها ادياً الى التحريف والتغيير في كثير من حروف

اللغة · ويضيف ان من خصائصها القلب ، نحو جبذ ، وجذب والابدال مثل مدحه ومدهه ، وفلق وفــرق ، وسراط وصراط وسقبه ومصقبه ·

ويضيف الدكتور احمد عيسى انه قد تيسر له جمع الكثير من مفردات العامة وعمل على تحقيق اصــولها وردها اليها ، ورتبها حسب حروف

الهجاء ، فذكــر اللفظ العامي اولا ، وبجانبه تفســيره عند العوام ، ثم يأتي بالاصل الصــــحيح ، ويذكر تفسيره في معجمات اللغة كاللسان

والتاج ، مبينا الحقيقة فيه والمجاز · واورد على هذا النحو ما يزيد على الالفين من الكلمات العامية الشائعة الاســــتعمال في مصر ، من مثل اتمطس ، واتمهمــز ، وادحدح ،

واتصلطح بمعنى استلقى ، وتمدد ، واسمه بمعنى اسم انه وســـكع اصلها سقع وصقع ، وهو الضرب بباطن الكف

ويقول ان سلبط اصــلها اسبط بمعنى انبســط على وجه الارض · وتقول فلان دائما يسال ويطقس تريد انه يدقق في السؤال استقصى فلان في المســـألة وتقصى بمعنى ، وعزا ، اصــــلها عزق · وهكذا يتابع اصــول الكلمات العامية ، ويرجعها الى اصولها العربية الفصــيحة ، ويشرح كيف اعتراها التحــريف حتى

وصلت الى ما وصلت اليه · ولامراء في انه بحثسمتع بذل فيه الدكتور عيسى جهدا خارقا ·

وفيما يلي قائمة باسماء مؤلفاته ، يكفي تصفح بعضــــها لتقدير عبقريته الفذة واحاطته الشـــاملة بمختلف العلوم ·

د. علي ابراهيم : اديب ولغوي ممتاز



مؤلفاته

١ ـ كتاب صحة المرأة في ادوار حياتها

٢ ـ امراض النساء ومعالجتها وصفا وجراحة (جزءان) ـ ترجمة

٣ ـ التهذيب في اصول التعريب

٤ ـ التفسرة، اي الاســــتدلال بأحوال البول على المرض

٥ ـ الات الطب والجراحة والكحالة عند العرب

٦ ـ معجم اســـماء النبات ـ باللاتينية والفرنســــية والانجليزية والعربية

٧ ـ الترقيص او الغناء للاطفال عند العرب

٨ ـ تاريخ البيمارســــتانات في العهد الاسلامي (بالفرنسية)



د. مشرفة : عبقرية نادرة

٩ ـ تاريخ البيمارستانات فى الاسلام (بالعربية)

١٠ ـ العاب الصبيان عند العرب

١١ ـ المحكم فى أصول الكلمات العامية

١٢ ـ الجامع لأشتات النبات ـ معجم شامل لجميع أسماء النبات فى اللغة العربية

١٣ ـ تاريخ علم النبات عند العرب

١٤ ـ الدعاء للانسان وعليه

١٥ ـ المأثور من كلام الأطباء

١٦ ـ تاريخ الأطباء من القرن السابع الهجرى الى وقتنا هذا أو ذيل لعيون الانباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ٠

١٧ ـ تاريخ حياة الرئيس ابن سينا ومؤلفاته ومظان وجودها

١٨ ـ تاريخ حياة الرئيس موسى ابن ميمون ومؤلفاته ومظان وجودها

١٩ ـ معجم لمصطلحات العلوم الطبية بالفرنسية والانجليزية والعربية

٢٠ ـ رسالة مختصرة فى علم التشريح (مخطوطة)

***

وبعد : فلم نقصد أن نقدم فى هذه العجالة دراسة شاملة لأعمال عالمنا الكبير ، فهذا ما تنوء به عصبة من أولى العزم من الدارسين ، وما أشك فى أن كل مؤلف من هذه المؤلفات يحتاج الى دراسة واعية من عالم مختص يتوافر على الدراسة والبحث والاستقصاء ، ليدل الأجيال الصاعدة على الجهد العظيم الذى بذله هذا الجيل من العلماء الذين يعتبرون بحق رواد النهضة العلمية فى مصر فى العصر الحديث ٠ الذين توافروا فى دأب منقطع النظير على الانتاج العلمى الرفيع ٠

وكم أتمنى أن يضطلع نفر من شباب العلماء على تجلية أعمال هؤلاء الأفذاذ ، لعلها تكون هادية للشباب على سلوك الطريق الصحيح للريادة العلمية من صبر وجلد وثبات وجد صارم مما جعلهم يقرنون الى أعاظم العلماء فى كل عصر ، وانهم لمثل تحتذى على مر الزمان وانى لأرجو أن تتاح لى فرصة أرحب للتعريف بأعمال الدكتور أحمد عيسى وغيره من أعلام النهضة العلمية الحديثة الذين أعلوا بنيانها ورفعوا من شأنها ومكنوا لها لتعلو على الأحداث وتسمو مع الأيام ٠٠ وعلى الله قصد السبيل

أطباء لمعوا في سماء الأدب الفرنسي المعاصر

د. سامية أسعد

اذا نظـــرنا الى أدب القرن العشرين فى فرنسة لفت نظرنا توا اسمان لمعا فى عالم الأدب وان لــم يلمعا فى عالـم الطب الذى ينتميان اليه : أولهمـــا « جورج دوهاميـــل » ، وثانيهما » « لوى فرديناند سيلين »

ولد جـــورج دوهاميل فى باريس فى ٣٠ يونيو ١٨٨٤ ·
واشترك ــ وهو ما زال طالبا فى كلية الطب ــ عام ١٩٠٦ فى تأسيس جماعة ، L,abbaye · · وصادق كلا من « شارل فيلدراك » و « جول رومان » · لكن حبه للعزلة والدراسة النفسية الفردية جعلاه يقف بمنأى عن الحركة « الاونانيمية » التى انحاز لها زملاؤه · وفى قصائده : « زملاء » (١٩١٢) و « رثاء » (١٩٢٠) دليل على ذلك ·

استدعى « دوهاميل » عام ١٩١٤ كجراح ، واثارته مآسى الحرب · يشهد على ذلك نصان رئيسيان « حيـــاة الشهداء » و « حضارة » (١٩١٤ ــ ١٩١٧) · وفاز « دوهاميل » بجائزة جونكور ، ونادى ، ازاء عذاب العالم وآلامه ، بالاخوة ، ومعرفة الاخـرين معرفة عميقة ، وكتب « امتلاك العالم » (١٩١٩) ، وبدأ مجموعته الروائية الاولى « مغامرات سالافان » وفيما عدا هذه المجموعة الاولى ، نشر دوهاميل « حجر حوريب » (١٩٣٦) ، حيث روى قصة شباب أحد الطلاب · وقام ، فى الوقت نفسه ، برحلات كثيرة ، وأسفرت رحلاته عن « رحلة الى موســـكو » (١٩٢٧) ، و « مشـــاهد من حياة المستقبل » (١٩٣٠) ··

ودافع دوهاميل عن « الحضـــارة الاخلاقية » ، وندد بأخطار النزعة المادية ، والعقلانية ، والميل الى الآلية، وكان قد شاهد كل هذا فى أمريكا · ومجد النزعة الفردية فى « خطاب الى السحب » (١٩٣٤) ، والثقـــافة الانســـانية فى « دفاع عن الاداب » (١٩٣٧) · وفى هذه الاثناء كان يكتب مجموعته الروائية الثانية « آل باسكييه » التى صور فيها المجتمع الفرنسى فى القرن العشرين من خلال قصة احدى العائلات ·

وفي عام ١٩٣٥ ، دخل الاكاديمية الفرنسية • وانضم الى المقاومة اثناء فترة الاحتلال ، بعد أن تابع في الم تطور الازمة العـــالمية • وبدأ كتابة مذكــــراته عام ١٩٤٤ ، ثم عاد الى الرواية الاجتمـــاعية وكتب « رحلة باتريس بيريوه » (١٩٥٠) • واكمل مؤلفاته العديدة بمجلدات جمع فيهـا بعض المقالات ، والمذكرات ، الخ •••

وينتمي دوهاميل ، مع جول رومان، وجان جيرودو ، وفرانسوا مورياك ، الى ذلك الجيل الذي قال عنه الناقد « ر • كالترز » انه اوجد « العصر الذهبي للرواية » الفرنسية • وكان دوهاميل يحمل في نفسه مزاجـــا « انسانيا » ، كان انسانيا بالاحساس اولا • لم يحترف الادب أصلا ، ولم يكن مثقفا بالمعنى الرديء لهذه الكلمة• واكسبته تجربته كطبيب تعاطفا هائلا ، عميقا مع البشر ، تعاطفا لا تضارعه الا قسوته على كل ما يمس نقاء الانسان ويشوه جسم الانسان وروحه • كان انسانيا بثقافته ايضا • كان ينظر الى المجتمع والعالم على انهما بيئة غير



فرانســـوا موريـاك : العصر الذهبي للـــرواية الفرنســية

متجانسة تتصارع أو تتصـــادم فيها القوى المادية والروحية التي تتنـــازع الانسان ، ويتحتم عليه ان يبحث عن سبيله بينها • ولقد انعكس هذا في محاولة دوهاميل التوفيق بين الواقعية والمثالية •

مشغول بتأمل ما بداخله

تشتمل مجمـــوعته الروائية الاولى «مغامرات سالافان» على مجلدات خمسة : « اعتراف منتصف الليل » (١٩٢٠) و « رجلان » (١٩٢٤) ، و « يوميات سالافان » (١٩٢٧) ، و « نادى الليونيين » (١٩٢٩) ، و « كما هو » (١٩٣٢) •

يقول الكاتب نفسه انه اراد أن يروى هنا « قصة رجل حرم من اى محـــور ميتافيزيقي ، ومع هذا لا يتنازل عن الحياة الاخلاقية ، ولا يقبل السقوط » •• عندما نلتقي بسالافان لاول مرة ، نرى موظفا صغيرا بائسا طرده رئيسه منذ قليل وهام على وجهه في شوارع باريس ، بحثا عن وظيفة اخرى • يسير سالافان وحيدا وسط الجماهير، ويبدو ضـــعيفا ، مترددا ، مستسلما لنوازع القلب المتناقضة الغريبة •

يصوره الكاتب بلا رحمة ، ويركز على عاداته ، وحماقته ، ورغبـــاته الفاسدة التي لا يستطيع كبتها ، وان احس مثالا بمسئوليته عنها • ذلك ان قدر هذا المسكين يكمن في قوة حياته الداخلية الحميمة • فهو ، كما يقول لنا الكاتب ، « مشغول دائما بتأمل ما بداخله »• كثيرا ما يحظى اثناء تنزهه في الشارع ، بلحظات يتملكه خلالها احساس عنيف بجمال العالم وطيبته • انذاك، يشعر بالسلام والوئام، والرغبة في الحب •• نراه ، مع ذلك ، لا يحتمل

أطباء لمعوا في سماء الأدب الفرنسي المعاصر

الاخرين ، ويتطلع بطريقة شبه حتمية الى العودة الى عزلته الداخلية. صحيح انه حاد البصيرة ، لكنه يفتقر الى الحزم الذي يمكنه من السيطرة على الحياة ، والتغلب على الاشمئزاز ، والقوى اللاشعورية الآلية . وفي افضل اللحظات التي مر بها ، لم يتجاوز حسن النية .

ويختتم البطل المجلد الاول بهذه العبارة المؤثرة : « يفلت العالم منى ! ... اتخبط بين الظلال . ماذا افعل ؟ .. ومن ذا الذى يهب لغارتنى ؟ » . فى المجلد الثانى ، عبثا يحاول سالافان ان يصادق ادوارد ، ذلك الانسان السليم نفسيا بالقياس اليه ، الانسان الذى يعرف كيف يدافع عن نفسه ازاء الشفقة التى يولدها فيه زميله . ويلتجىء سالافان ، فى نهاية الامر ، الى « جو العزلة البارد » .

وفى المجلد الثالث . يغوص البطل فى الحياة اليومية التافهة ، ونراه موزعا بين الميل الى الهجاء والنقد ونداء مبهم يدفعه الى الله والدين . ويحاول سالافان ان يهرب من هذا الدوار ، فيقرر ان « يرى العالم » على حد قوله ..

ويروى المجلد الرابع تجربته الاجتماعية هذه . واذ ينتهى الى خيبة الامل ، يتساءل سالافان عما اذا كان سيتوصل الى القيام يوما بثورته الشخصية ...

وفى المجلد الخامس والاخير ، نرى سالافان فى تونس ، وقد تملكه الاحساس بالفشل : لن ينجز شيئا ، حتما ، لن يتوصل ابدا الى تبديد شكوكه ، والتغلب على خوفه البورجوازى الصغير . لكنه يؤكد ، ازاء هذه الحياة التى تتعلل امام ناظريه ، ان هناك آمالا سامية ، واتجاها داخليا نحو ما لا بد من تسميته غفرانا . لقد اكتسب سالافان على الاقل وعيا حادا بضعفه ، واصدر على تفاهته حكما سليما ، وبذا بدأ يتغلب عليها . لم يلهه شىء عن طلب الكمال والحنين الى السمو . وبوسعه الآن ان يموت ، بعد ان تصالح مع نفسه وتعلم كيف يقبل ذاته .

وقد أجمع النقاد — المعجب منهم بدوهاميل والمناهض له — على ان دوهاميل خلف فى عالم الادب عامة ، شخصية لا تنسى ، وصورة انسانية كبرى فى شخصية «سالافان» . واتفقوا على ان « مغامرات سالافان » عمل ادبى حى يتلق وروح العصر . وقالوا ان هذه المجموعة تحتل بين كتابات دوهاميل مكانة فريدة، وانها اهم اعماله واكثرها ابتكارا ، وان مجموعة « ال باسكييه » تبدو شاحبة امامها ، وان فاقتها من حيث الكم . وذهب البعض الى حد القول ان « سالافان » عمل اساسى ولحظة حاسمة فى تاريخ الرواية الفرنسية .

ولكن ، لم كل هذا الثناء ؟ ... يعتبر الكثيرون ، بالفعل ، سالافان نمطا حقيقيا للانسان فقط ، للانسان فى كل زمان ومكان فالقارىء ايا كان ، يجد فيه شيئا من ذاته ، وبعضا من ملامحه الشخصية . ومشاكل سالافان الداخلية مشاكل لا عمر لها ، ولا وطن لهما ، ولا تختص بطبقة اجتماعية بعينها .. سوف يطرح الانسان دائما مثل هذه التساؤلات ويلقى مثل هذا العذاب ، ما دامت الآسى المعنوية عالية الطابع ، وجزءا

لا يتجزأ من مصيره · فضلا عن أن بعض النقاد رأوا في سالافان « مرحلة من مراحل الوعي بالشقاء ، ونموذجا لأولئك المساكين الذين استولى عليهم مرض الحياة » ، وكثيرا ما تلقاهم في أدب اليوم ، والأدب الوجودي بالذات· نقول ، في النهاية ، أن « سالافان » تصور بطـــريقة ما نوعا من الدراما الميتافيزيقية التي تمزق البشر في أيامنا هذه ·

لابد من الكفاح

أما « آل باسكييه » فتتألف من عشرة مجلدات نشرت فيما بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٤٤ ، وتصور تطور إحدى العائلات البورجوازية خلال الســـنوات العشر الأخيرة من القرن التاســـع عشر ، والسنوات الثلاثين الأولى من القرن العشرين · يقدم المؤلف هنا مجموعة من الشخصيات المتباينة المميزة · الأب ريمون باسكييه ، انسان فاشل ، أناني، مغرور · وزوجته نموذج للزوجة التي جعلت من التضحية مبدأ حياتها ·· وأولادهما : جوزيف ، الانسان الذي لايؤمن بالمبادىء ، ويعبد المال، ويقودنا الى أوساط الرأسمالية والمضاربات ـ وأخوه البيروقراطي التـافه · أما بنتاهما فسوزان التي تكتشف معها مسرح لى فيوكولومبييه أيام جاكوبو ـ وسيسيل الشابة الرائعة التي تعـــزف الموسيقى · وتتوق الى المطلق والطهر ·· لكن الشخصية الرئيســـية في المجموعة هي لوران الابن الثالث ، والعالم النابغة الذي سيصبح « أميرا » في ميدان العلم · انه نفس جميلة تتوق هي الأخرى الى الجمال والكمال ·

من خلال لوران ، نرى دوهاميل نفسه وهو يكتب مذكراته ، ويعترف بما يقلقه ويحلم به · ونتابع حيـــاة البطل الداخلية ، ومراحل تكوينه ، وإعداده للسياة العلمية· يلتقي لوران، منذ أن يبلغ الشباب ،بالمرارة وبخيبة الأمل · ويكتشـــف الكذب في عائلته ذاتها · هاهو ذا في الحادية عشرة فقط قد بدأ يشك في والديه ، وفقد إيمانه ·· ولكنه لا يلبث أن يتخـــذ قرارا حاسما : سيحدد بنفسه مجرى حياته : « أريد أن أنقذ نفسي فقط » · لن يتجنب التجارب الأليمة ، لكنه سيتغلب عليها نتيجة لصحته المعنوية ، ولأن التفاؤل الذي لا يقهر يحدوه دائما · يفقد لوران أستاذه الجليل ، ويقترب من أئمة العلم المعاصر · لكنه يدرك أن هـــؤلاء الأساتذة ليسوا هؤلاء الرجال المدهشين الذين تخيلهم عندما كان بعيدا عنهم · ذلك لأن الحقد القاتل يمزق عالم الذهن الخالص أيضا ·

ويذهب لوران من خيبـــة أمل الى خيبة أمل · ومع ذلك ، يواصل تطوره المعنوي ·نراه ، على عكس سالافان ، يبني حياته شيئا فشـــيئا · لم يعثر على الخلاص في الصداقة ، أو العمل الجماعي، أو الحب· وهاهو ذا يكتشفه شيئا فشيئا في حياته الخاصة كعالم ، وحبه للمعرفة ، وان كان البحث العلمي نفسه يدخر له أنواعا أخرى من خيبة الأمل ، أقسى من سابقاتها بكثير · ويدرك العقل عجزه عن اشباع حاجته الى المطلق بقواه وحدها ·

وإذ يرى لوران أخته تتجاوز ميدان الفن لكي تجد السلام في الايمان، يشعر بالشك والندم يتخللان نفسه · فهو لم يفقد الايمان · حتى عندما شـــاع الاضطراب في نفسه ، وجد فيها إيمانه

بالقوى الانسانية وحدها ، القوى معا كان ابدا · لاشـــك ان هذه القوى لن تقهر الشر وعذاب العالم · لابد من التسليم اذن بأن هناك نقصا في الطبيعة البشرية · لكن ، لابد من الكفـــاح ، والابقاء على القيم الانسانية المهددة على الدوام ·

كان لابد أن تتخلص الرواية ، بعد « سالافان » ، من شكل الاعتـــراف الضيق · كان لابد أن تتغلب أيضـــا على تسلط الشخصية الوحيدة ، حتى لو احاط بها عالم غني بالاحـــداث الانسانية · ولقد حدث هذا فعلا في « آل باسكييه » ، ذلك العمل الضخم الذى لا يسع القارىء ازاءه الا أن يذكـــر محاولات « زولا » و « جول رومان » في هذا المجال · في هذه المجموعة ، ينقد دوهاميل الحضارة الحديثة ، ويطـــرح قضايا عصره الكبرى للبحث وسيطرة المال ، والتقدم ، والعلم وعلاقته بالدين ·· الخ ··· ويصور الاوساط الطبية التى عرفها حق المعرفة في كلية الطب والكوليج دى فرانس ، ومعهد باستور · ويصور ايضا الاماكن التي ولد فيها من القرن العشرين · لكنه اراد أن يؤكد الطابع المبتكر لمحاولته ، بالقياس الى سابقيه ومعاصريه · على سبيل المثال تختلف وجهة نظره تماما عن النزعة « الاونانيمية » التى خضع لها جول رومان · حتى عندما يصور المجموعات ، يهتم دوهاميل دائما بالحالات الخاصة ·· فهو لم يرد أن يكتب التـــاريخ الطبيعي والاجتماعي لاحدى الاسر ، على طريقة زولا ، بل أراد ان يكتب قصة انسانية ، يعمل فيها على رسم بعض المصائر الفردية ، أولا وقبل كل شيء ·

رحلة الى نهاية الليل ...

اما لوى – فرديناند ســـــيلين (اسمه الاصلى لوى – فرديـنـــاند ديتوش) فقد ولد في كوربوفوا في ٢٧ مايو ١٨٩٤ ، ومات في ميدون في اول يوليو ١٩٦١ · كان ابوه الحاصل على ليسانس الاداب مندوبا لاحدى شركات التامين · وكانت امه تنحدر من أسرة نورماندية ذات أصــــل نبيل · أمضى سيلين في باريس طفولة اقل بؤسا من تلك التى حدثنا عنها في روايته الاولى « موت على الحساب » ·

بعد حصوله على الابتدائية ، ارسلته عائلته الى المانيا وانجلتـــرا (عام ١٩٠٨ و ١٩٠٩) · ثم عمل بائعا ، واستعد لامتحان البكالوريا دون أن يعاونه أحد · والتحق بالجيش عام ١٩١٢ ، بعد أن قطع صلته بعائلته · في عام ١٩١٤ ، اشترك في معركة « في فلاندر » ، وحاز على ميدالية عسكرية بعد أن اصيب في رأسه واجريت له عملية تربنة · لذا ، سرح عام ١٩١٦ ، وارسل لقضاء عدة اشهر في الكاميرون ·· وادى امتحانات الجزء الثاني من البكالوريا ، وبدأ يدرس الطب · ثم تزوج واستقر في مدينة دين (١٩١٩) ·· وفي عام ١٩٢٤ ، تقدم برسالة للحصول على الدكتوراه · لكنه تراجع امام الاســتقرار الذى انفتحت ابوابه أمامه ·

ابتعد عن عائلته منذ عام ١٩٢٥ ، ودخل عصـــبة الامم ، وعاد الى



جول رومان : أعجب النقاد بثقافته القصصية ..

الكاميرون ووصل الى الولايات المتحدة الامريكية (١٩٢٦) ، حيث درس طب العمل في مصانع فورد ، واقام فترة في كندا وكوبا ، وانتهى به المطاف الىفرنسا عام١٩٢٨ • وكان أثناء ذلك قد حصل على الطلاق من زوجته الاولى، وعمل بعدئذ طبيبـــا في حي كليشي الشعبي • ومنذ عام ١٩٣١ ، عمل في مستوصف في حي مونمارتر ، بينمـا كان يمضي لياليه في كتابة « رحلة الى نهاية الليل » • وبعد أنْ انتهى من هذا الكتاب ، أرسله الى الناشر دينوييل الذي نشره عام ١٩٣٢ • وقوبل الكتاب بحماس شـديد من قبل كل من ليون دوديه ، و ج • برنانوس ، والاوساط الادبية الطليعية • وتوج نجاح الكتاب بحصوله على جائزة رينودو•

اشتهر سـيلين آنذاك بانه كاتب شعوبي يساري • وفي عام ١٩٣٦ ، العام الذي ظهرت فيه روايته الثانية « موت على الحساب » ، قام برحلة الى الاتحاد السوفييتي ، مكنته من القيام بها حقوق ترجمة كتابه « رحلة الى نهاية الليل » الى الروسية • ولم تكن المترجمة سـوى « الزا » زوجة الشاعر أراجون • وعند عودته ، كان قد طرأ عليه تحول جذري نشر على اثره مؤلفا مناهضا للشيوعية سـماه « خطيئتي » (١٩٣٦) • وفي عام ١٩٣٧ ، ادهش الجمهور عندما نشر نصا هاجم فيه النزعة الســامية

منذ ذلك الحين ، تحاشاه اليسار ، ونظر اليه اليمين نظرة يشوبها الشك• وهكذا ظل سيلينوحيدا، ورفض افكار عصره واستحث النازية ضـد العالم الحديث الذي افسده المال ، واليهود ، وادمان الخمر، الخ •• لكن هذا لايعني انه تعاون مع الالمان • فلقد ظل بعيدا عنهم ، لانه شك ، منذ البداية ، في امكانية انتصارهم •

وفي عام ١٩٤٤ ، بدأت الفتـــرة الامريكية في حياته • وأوحت اليـه الحياة في الولايات المتحدة الامريكية برواية جديدة ، وتزوج عام ١٩٤٣ الراقصة لوسـيف المانزور التي كان يعيش معها منذ عام ١٩٣٦ • وغادر باريس في يوليو ١٩٤٤ ، يحدوه الامل في الوصول الى الدانمرك ، حيث كان قد أودع مدخـــراته • لكن الالمان احتجزوه • ولم يلبث أن شهد اندحار النازية وأعوانها • وفي مارس ١٩٤٥، وصل الى الدانمرك • وسرعان ما قبض عليه بتهمة التعاون مع العدو • وظل أربعة عشر شهرا في الســجن ، ثم دخل احد المستشفيات • وأفرج عنه في يونيو سنة ١٩٤٧ • وعاش بعد ذلك حياة بائسة ، في الاثناء التي حكم عليه فيها غيابيا بالسجن لمدة عام (١٩٥٠) • لكن قرارا بالعفو عنه صدر في العام التالي •

وعاد الى فرنسا ، وعمل طبيبـــا للفقراء في ميدون ، وعرف الشهرة مرة أخرى عندما تحدث عن انهيـار المانيا • ثم مات نتيجة لاحتقان في المخ • وظل نبأ وفاته سرا لبضعة أيام، وتم دفنه ، دون أن يعلم بوفاته أحد تقريبا ، في ٤ يوليو ١٩٦١ ، في مقابر ميدون • وعلى هذا النحو انتهت حياة

واحد من أبرز الكتاب الفرنسيين واكثرهم ابتكارا ٠

حيث يصبحون جنودا

مصدر رواية سيلين الرائعة المسماة « رحلة الى نهاية الليل » ومضمونها ، حياة سيلين نفسه : نكاته ، وملاحظاته وانفعالاته ، بعد نقلها الى اطار روائي معاصر ٠ ينتمي باردامو البطل الى البورجوازية الصغيرة التي تقطن ضواحي باريس، وينقلنا معه من تجربة الى اخرى ٠٠ وتبدأ الرواية مع حرب البلقان ، وتنتهي مع اولى انتصارات النازية ٠

أطباء لمعوا في سماء الأدب الفرنسي المعاصر

يجلس باردامو مع زميله الطالب ارتور في أحد المقاهي ، ويتبادل معه بعض العبارات ثم يتبع على اثرها كتيبة مارة ٠ ويجد نفسه بعد ذلك بقليل في احدى الثكنات العسكرية ٠ وسرعان ما تندلع نيران الحرب ٠ يشهد الجاويش باردامو المعارك اكثر مما يشترك فيها ٠ ويتراجع في دخيلة نفسه اذ تذهله المذبحة الاليمة التي تنعكس آثارها على كل شيء : البشر، والحيوانات ، والاشياء ، بل والطبيعة ذاتها ٠ ويقتنع ان سبيله الوحيد أثناء الحرب ، هو التستر والتظاهر بالايجابية ٠ ويتعرف باردامو ، اثناء نوبة استطلاع ، بجندي من المشاة يدعى روبنسون ، يتضح فيما بعد أنه أمهر منه في انقاذ حياته من الطلقات الطائشة ٠

يجرح باردامو ويعود الى باريس حيث يقضي فترة النقاهة ٠ ويتعرف على لولا الامريكية التي تصبح في نظره صورة للعالم الجديد عليه اكتشافها ٠ لكن الخوف من المخاطر يعاوده ٠ ويتعلم كل ما يمكن ان يتسلى به أولئك الذين تتكون منهم الجبهة الداخلية ـ ويتخلص باردامو بعد ذلك من الحرب والجيش ، ويقرر السفر الى افريقيا حيث يكتشف بعد فوات الاوان ان الشخص الذي حل محله في العمل ليس سوى روبنسون ٠ وتحاك ضده مؤامرة يكاد يلقى به على اثرها في البحر ٠ فيغادر السفينة في أول ميناء تتوقف فيه في الكونغو ، ويلتحق بالعمل في احدى الشركات ٠(ممايتيح للكاتب الفرصة لوصف حياة المستعمرين وحياة المستعمرين، على مستوى المدينة والريف ، والطبيعة الاستوائية) ٠ وتهدده الحمى والحشرات ٠ فيشعل النار في كوخه وفي البضاعة التي عهد بها اليه ، ويهرب الى الغابة ، ثم ينتهي به المطاف الى سان تابيتا ، حيث يأويه رجل يبيعه لقافلة للعبيد ٠

يعبر باردامو الاطلنطي ، ويصل الى الولايات المتحدة الامريكية ، حيث يحتجزه الحجر الصحي ٠ لكنه يهرب ويعمل في مكاتب التهجير الامريكية ٠ ثم يذهب الى نيويورك ، حيث يهيم بضعة ايام على وجهه باحثا عن شجاعته وعن قرار يتخذه وعمل يتعيش منه ٠ ويتيح كل هذا للكاتب الفرصة لرسم لوحات انتقادية لاسلوب الحياة الامريكية ٠ يتردد باردامو في الذهاب الى لولا ، ومع ذلك يزورها

ويأخذ منها مائة دولار تمكنه من السفر الى ديترويت ، حيث يحصل على عمل عند فورد . لكن حاجته الميتافيزيقية الى الرحيل دوما تجعله يهجر المرأة الوحيدة التي أحبته لشخصه ويعود الى أوربا

يتم باردامو دراسة الطب التي بدأها فيما مضى ، ويستقر في رانسي ، حيث تضم عيادته زبائن أفقر منه بكثير . وتتوالى زياراته لرضاه ، ومن بينهم امرأة شابة أجريت لها عملية اجهاض ترتبت عليها مضاعفات معقدة ، وعائلة تحاول أن تحصل منه على شهادة تدخل بمقتضاها الحماة مستشفى الامراض العقلية . وسرعان ما يغادر د . باردامو رانسي ، دون أن يترك عنوانه لاحد ، ويهيم على وجهه مرة أخرى في باريس ، ويحصل على دور كومبارس في أحد الاستعراضات المسرحية . ثم ينتقل للعمل باحدى المصحات . وهناك ، يسلي المدير بحديثه ومعلوماته ، خاصة معرفته للانجليزية ، مما يزيد صلتهما وثوقا . ويقرر المدير القيام برحلة حول العالم ، فيعهد الى باردامو بادارة المصحة . ويموت روبنسون برصاص عشيقته ، واذ يموت ، يخلص باردامو . وهكذا تنتهي «الرحلة الى نهاية الليل »

ان الشعور بالوحدة أحد الموضوعات الرئيسية في هذه الرواية . كل الكائنات التي تتمتع هنا بقدر من السلطة مسجونة في سجن الحماقة ، والتفاهة ، والقسوة ، والرذيلة . أما الفقراء ، فيتروكون لامر أنفسهم ، اللهم الا في وقت الحرب ، حيث يصبحون جنودا . أما في الحياة اليومية ، فلا تقوم اية صلة حقة بينهم ، باستثناء الاشفاق على الاطفال . وتقتصر العلاقات الانسانية ، في أخف الحالات الما على الزمالة ، واللقاءات النسائية العابرة .

ونشعر في كل صفحة من صفحات الرواية أن الفجر لن يجيء عندما يبلغ هذا الليل نهايته .

موت على الحساب

من الصعب – بل لا جدوى – من سرد أحداث « موت على الحساب » ، لان السرد هنا يخضع لدفعات الذاكرة أو الخيال أكثر مما يخضع للتطور المنظم . لقد قرر سيلين هنا أن يحدد هوية البطل : أنه هو نفسه . نقرأ في الصفحة الاولى هذه العبارة : « لم أمارس الطب دائما » . لكن الدكتور ديتوش ينقل لنا ، بادىء ذي بدء ، تفاصيل شتى عن حياته المهنية ، قبل أن يحدثنا عن مخطوط يود أن يأخذ فيه رأى قريب له – يعمل طبيبا أيضا – فيه . وفي غابة بولونيا ، تستولى عليه رؤى عدوانية تضطره الى ملازمة الفراش حتى تهدأ الحمى . وكما يحدث في السينما ، يعود بنا الى الوراء ، ويعيدنا الى أيام صباه . نتتبع فرديناند الصغير من فصل الى فصل . نراه يواجه عصره فرنسا وانجلترا قبل عام ١٩١٤ – وتربيته ، وسلسلة من التجارب العائلية ، والسياحية ، والجنسية ، والمدرسية ، الخ ...

ها هو ذا يشب بين والدين يسمم كل منهما حياة الاخر ، ويكيل للطفل الوحيد اللوم المر الاليم . ولا يجد في عائلته الفقيرة الا جوا خانقا ، تبعث

أطباء لمعوا في سماء الأدب الفرنسي المعاصر

الهواء فيه شخصيتان : الجدة كارولين والعم ادوارد الذى يخرج فرديناند دائما من المآزق · يعمل الابن عاملا ، وسكرتيرا ، الخ ··· لكن أصحاب العمل يطردونه دائما بعد فترة قصيرة

ونلمس ها هنا ان ما يجذب اهتمامنا ليس مغامرات الشاب فرديناند ، وانما الأسلوب الذى يرويها به الكاتب· مثال ذلك الصفحات التى يصف فيها معركة بين والديه ، تنتهي بالاشتباك بالايدى، والصفحات التى يحدثنا فيها عن اقامته في انجلترا ·· حيث يلتقى فرديناند بامرأة ساحرة غامضة هى زوجة مدير المدرسة التى التحق بها · يتمثل في هذه الشخصية شيء من القدر الانثوى · مما يفسر الطريقة التى تنتهى بها علاقتها بفرديناند ، اذ تنتحر المرأة بعد دقائق من اللذة العارمة مع الشاب · على البطل اذن ان يعود الى باريس ، ويلتقى بوالديه ، ويبحث عن عمل · وهنا ايضا ، يهب العم ادوارد لنجدته ، فيجد له عملا عند مخترع افاق يضطر الى الهرب من المدينة والاتجاه الى الريف ، حيث يفتتح مدرسة ويبدأ بعض التجارب الثقافية العلمية · وينتهى به الامر الى الموت انتحارا · ويرفض فرديناند مساعدة عمه، ويود أن يلتحق بالجيش : وهنا تتوقف أحداث الرواية، لكي يواصل المؤلف السرد في كتب اخرى ، مستعينا باللغة جديدة واسماء جديدة ايضا ·

عبث الحياة الانسانية

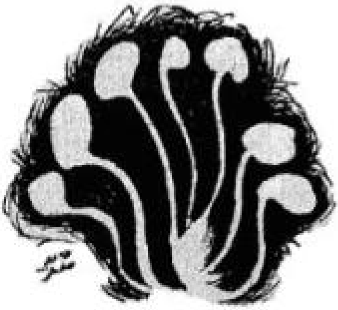
عندما كتب سيلين « رحلة الى نهاية الليل » ، قدم للادب المعاصر واحدا من أعماله الرئيسية · ومن المؤكد أن هذا الكتاب لن يفقد مع الوقت شيئا من اشعاعه الاسود · فهو – مثل « موت على الحساب » – صرخة وحشية قاسية ، لا تحتمل ، يطلقها الانسان معبرا عن اليأس الذى استولى عليه · كما انه ملحمة للتمرد والاشمئزاز ، وكابوس طويل يسيطر عليه وجه برداسو ·

ولقد تركت « رحلة الى نهاية الليل » بالذات أثرا بالغا في عالم الرواية المعاصرة· فنحن نجد فيها ذلك الشعور الذى ظل يغذى الادب المعاصر ومازال : عبث الحياة الانسانية ·· ولم يؤثر هذا الكتاب على الاحساس فحسب ، بل أثر على الاسلوب أيضا · اذ كان سيلين أول من كتب لغة مباشرة ، وحرر الحديث التقليدى ، وفتح باب العامية على مصراعيه · ولنذكر بين من تأثروا به في هذا الصدد الكاتب الكبير ريمون كينو ·

***

ولنتساءل الآن : هل ترك الطب بصماته على ما كتب دوهاميل وسيلين من اعمال أدبية ؟ ·· مما لا شك فيه أن دراسة الطب وممارسته كان لها أثر على اعمال كل منهما ، اثر يتمثل في الموضوع أو طريقة معالجته ، او اسلوب السرد والتحليل ، الخ ·· لكن، ما مدى هذا التأثير ؟ من الواضح ان الاجابة عن هذا السؤال تحتاج الى دراسة لا يتسع المقام لها هنا ، تتناول حياة كل منهما ، واعماله بل تتعدى ذلك الى عملية الابداع الفنى ذاتها ·

عبد المنعم الأنصاري



رايت قرطبة بالقار تغتسل   رايت اهدابها بالذل تكتحل
رايتها تحت امطار الظلام وفى   عيونها رغبة خضراء تشتعل

***

يقال كانت بماء الورد تغتسل   يقال كانت بنور الله تكتحل
يقال كانت وكان الحب يحرسها   بعسكر تتقى اخطاره الدول

***

أكاد أعبدها مما رواه ابى   عنها وما قاله عشاقها الاول
أكاد اسمع - رغم البين - همستها   تقول اقبل فانت المنقذ البطل

***

طال الفراق وقلبى ليس يحتمل   عيون قرطبة للوصل تبتهل
وشعر قرطبة كالليل ينسدل   على جبين كشبه البدر يكتمل
من اغنيات لها حارت على شفتى   وليس عند سواها ينشد الغزل

***

انى عرفت طريقى نحو قرطبة   وكان زادى عليه الحب والامل
عرفته بعلامات تميزه   وهانا بجوادى فيه ارتحل
أكاد ألمح عن بعد مآذنها   ودون ابوابها الفرسان تقتتل
فاستحث جوادى نحوها وانا   خلف المسافات قلب بالمنى ثمل
تمضى السنون على هذا الطريق وما   أزال اركب اصرارى ولا اصل

***

بعيدة لم تزل يا عين قرطبة   بعيدة وجوادى مسه الكلل
بعيدة يا جوادى لا تزال فهل   يوما سنبلغها ؟ ام ينتهى الاجل

أنور الجندى



إبراهيم ناجى مأساة الطبيب الأديب

نشا فى الاداب العالمية المعاصرة فن رفيع اطلق عليه اسم « النوابغ خارج دائرة تخصصهم » تناول بالبحث اولئك الاعلام الذين نبغوا فى فن اخرغير الفن الذى اختاروه صناعة للحياة ، وقد ادرج كثير من الباحثين الاطباء فى هذا المجال بوصف ان مهنة الطب من اكثر المهن التى تنوع النبوغ فيها خارج دائرة الاختصاص .

لو نظرنا في محيــــط الادب العربي الحديث لوجدنا هذا الاتســـــــاع والتنوع :

نجد الدكتور شبلي شميل ، حامل لواء النظرية المادية ·

الدكتور عبد العزيز اسماعيل الذى انشأ فنا عاليا من البحث بين الاسلام والطب ·

الدكتور محجوب ثابت الذى كان يداعب شوقي في مجالات السياسة واندية الادب ·

الدكتور أحمد فؤاد ، داعية وحدة وادى النيل وقطب الحزب الوطني ·

الدكتور عبد الحميد سعيد ، حامل لواء (لا مفاوضة الا بعد الجلاء) وزعيم الشـــبان المسلمين وخطيب البرلمان في مواجهة الاخطار ·

هذه بيئة الاطبــــاء التى عاصرها ناجى فأين نجده منها ؟ ·· لا نجده الا وقد قصر نفسه على قصيدة واحدة طويلة من شعر الوجــــدان والحب والعاطفة اســــــتنفدت حياته كلها وتتــــابعت في دواوين ثلاثة : وراء الغمــــام ، ليالى القاهــــرة ، الطائر الجريح ·

د· محجـــوب ثابت · داعب شوقي في مجالات السياسة



ولكن ابراهيم ناجى كان طبيبـــا نابغا ، موفقا في فحوصه ، حنــــونا رفيقا بمرضاه ، متابعا آخر تطورات الطب ونظرياته ، يعطى مهنته من ذات نفسه الى الحد الذى يضـــــحى فيه بموارده ·

الطبيب منطلق الاديب

وكانت صلته بمرضاه آية من آيات الرحمة والاخلاق ، كان يدخل بسيارته الحوارى الضيقة في الليالى الباردة ، ويفحص ، ثم يمضى فيشترى الدواء أحيانا من جيبه الخاص · تلك خلة عرفت عن ناجى واستفاضت بهــــــا الانباء ، يصدر منها عن سجية خالصة وطبع مصرى أصيل ·

ولقد أعطت صناعة الطب لناجى ضوءا وتجربة وفرضت عليه تحديات وانقلت جناحيه بمتاعب وأزمات ·

كشفت له عن النفس الانســــانية وابانت له حقائق باهــــرة قوامها أن مرضى الاجساد هم مرضى في النفوس اساسا ، وان ابتســــامة الطبيب هي نصف العلاج ، واستطاع هو بما وهبه الله من طبيعة سمحة كريمة أن يجلو صدأ كثيــــر من القلوب ، وأن يزيل كثيرا من الالام وان يمسح بيده الحانية على كثير من النفوس المعذبة ·

ولكنه من خلال التجربة : رأى صورة المجتمع غارقا في الازمات والتحديات التى فرضتها عليه الحضارة الحــــديثة والاحتلال وتحرير المرأة ·

يقول ناجى : « ان الاطباء لو كتبوا اجادوا ، لو اذاعوا ما علموا لاحدثوا رجة في الادب وتغييرا في أســــاليب الحياة لانهم وحدهم الذين سيكتبون بلا نفاق ويبوحون بالحقائق من غير رياء ، ذلك لأنهم لا يخشون احدا ولا يرهبون صولة انسان ، واشــــار الى كتابات كثير من الاطباء في الغرب تميــــزت بالبساطة التامة واشار الى دوره في هذا المجال فقال :

« انى من أكثر الاطباء اختلاطا بالناس واندماجا فى الشعب ، صغيره وكبيره ، مرضاى اصدقائى ، وزبائنى ليسوا غرباء عنى ، فهم جزء غير منفصل من حياتى ، ولقد عشت أومن بان المريض ليس (حالة) كما يقول الاطباء كثيرا ، وانما هو انسان وان العلاج لا يكون فى تذكرة الدواء وانما فى فهم ذلك الانسان وفى مقاسمته الامه ·· فى الاصغاء الى متاعبه وفى بذل العطف الصادق له وفى منحه الحنان الذى فقده فى العالم الواسع ·

ويكشف ناجى عن مزيد من تجربته فيقول : لا أحب أن أزور منازل الاغنياء ولا أفرح للمال الذى يبذلونه لى ، واحب أن البى دعوة الفقراء وان أغشى منازلهم وانتى على فقرى أحفظ السر واحسن التضحية » ·

ثم يتساءل فى مرارة فيقول : « ماذا تجدينى السمعة الطبية بينما جارى الذى يعج بالمغازى يمطر عليه الذهب حتى اكاد اسمع رنينه من عيادتى » !

مواجهة التجربة والخطة

والطبيب والشاعر فى ناجى



د. طه حسين : اغرى ناجى بترجمة شعر بودلير

لا ينفصلان ، فهو فضلا عن انه يعامل المرضى معاملة شاعر ، فان تجربة شعره كلها تكاد تكون ثمرة من ثمار حياة الطبيب ولولا الطب لما انفتحت امام ناجى كل الابواب وعرف كل الوجوه التى عطف عليها واحبها ، والتى اغرقت قلبه فى تلك الدوامة التى لم ترحمه وانكشفت له اسرار البيوت وعرف ما لم يعرفه أحد ·

ولقد حاول ناجى ان يعبر عن هذه الرابطة حين قال :

« خلقت بقلبين : قلب الطبيب وقلب الشاعر · قلب الطبيب يمتلىء وقلب الشاعر يعبر ، فقد كانت التجارب الانسانية ترتسم فى خواطرى مضاعفة، والآلام البشرية لها فى جوانحى صدى مرن » ·

وقد اجمع الذين كتبوا عن ناجى ودرسوه على انه عاش حياة قلقة مريرة. يقول محمد عبد الغنى حسن : (١) انه شاعر عاش حياته حائرا مفتتنا وعاش ظامئا على كثرة الموارد حوله، وجائعا على وفرة الزاد عنده ومقيما كالمسافر وثاويا كالمهاجر » ·

ويقول عبد العزيز الدسوقى : (٢) أن ناجى روح عاطش متعطش دائما للحب يبحث عنه فى كل الاوقات فى عينى كل امرأة وفى صحبتها ، ويبدو أن المثال الذى كان يتصوره لفتاة أحلامه، كان مثالا خياليا مسرفا فى الخيال ، ولعل ناجى القلق الملول الذى كان يشبه الطائر المتوجس لا يستقر على حال ولا يهدأ لحظة فى مكان ، فحبه عاثر دائما وتجاربه العاطفية كلها دموع والم من هذا الفشل الذى كان يتربص بحبه دائما ويعيش على الذكريات وكلها ذكريات كئيبة معتمة لا تلوح منها بارقة أمل » ·

ويقول الدكتور مندور :(٣) بوبالرغم

(١) مقدمة ديوان الطائر الجريح ·
(٢) جماعة أبوللو واثرها فى الشعر الحديث ·
(٣) الشعر المصرى بعد شوقى ·



بودلير : اذاع شعره طه حسين

من ان ناجى كان متزوجا وله أبناء الا انه ظل طوال حياته «ظمآن» للحب الذى يملأ فراغ نفسه ، وهناك علاقة غرامية خاصة لم ينسها طوال حياته وقد اوحت اليه بالكثير من روائع شعره وفى مقدمتها قصيدة العودة » ·

وفى هذا كله اجماع على طبيعة رقيقة حالمة ، لا تظاهرها قوة نفسية أو روحية كبرى تحول بينها وبين الانهيار والتحطم ، فقد كان ناجى عاجزا عن أن يواجه أزمته النفسية مواجهة صادقة · وتلك هى « أزمة العصر » التى وقع فيها كثير من الادباء ومن بينهم زكى مبارك وجلال شعيب بطل قصة (اديب) للدكتور طه حسين ، هؤلاء الذين عجزوا عن مواجهة المجتمع الجديد وهو يتفتح للتجربة والخطأ · ذلك أن المجتمع الذى ارتاده الدكتور ناجى بعد تخرجه فى كلية الطب كان هو المجتمع المصرى ثمرة الثورة على الاحتلال ، وكانت بعض الاسر فيه قد وقعت فى براثن ماأطلق عليه طبيب زميل للدكتور ناجى فى العصر وفى الادب ، هو الدكتور حسين الهراوى ، لقد كتب الدكتور الهراوى بضع مقالات فى السياسة الاسبوعية عما سماه (الفتنة الغربية) كشف فيها عن اخطار الامر مما وقع نتيجة انطلاق الحرية ·

وقد كشف الدكتور ناجى عن مثل ذلك فى كتابه (ادركنى يا دكتور) ورسم صورة ذلك المجتمع المترف الارستقراطى الذى كانت تسقط بعض عناصره فى الخطأ ، وكيف رفض هو — اى ناجى — ان يجرى عملية اجهاض بالرغم من دسامة المبلغ الذى قدم له ، هذا المجتمع بصوره المتعددة ، كان بعيد الاثر فى نفسية ناجى ، فان ناجى الذى تعالى نفسيا على أخطاء المجتمع، وعايش الفقراء ، لم يستطع ان يتحرر ذهنيا من النظرية الجمالية للفن ومفهوم الابيقوريين اليونان وتابع فرويد فى رأيه فى الجنس ، ويمكن القول ان ثلاثة من اعلام الادب والفكر كانوا بالغى الاثر فى فكره ونفسيته ، وربما التقوا به عن طريق التشابه فى المزاج العصبى او الرقة النفسية او غلبة الطابع الوجدانى : اولئك هم أبو نواس، وبودلير ، وفرويد ·

أما أبو نواس فقد قرأ عنه ناجى عشرات من الفصول التى نشرت فى ذلك الوقت والتى بعثته من جديد ، هو وزملاؤه بشار والخليع والضحاك ·

أما بودلير فقد اذاع شعره الدكتور طه حسين واغرى به أمثال الدكتور ناجى الذى ترجمه والف عنه ، أما فرويد فقد استطارت شهرته فى تلك الفترة بوصفه مبتدع التحليل النفسى · فأعجب به ناجى وتمنى ان يكون (فرويدمصر)

ويصور ناجى هذا المعنى فى بعض كتاباته فيقول : « كان طبيبا يميل الى قراءة الفلسفة على فرط ما كان يجيش به قلبه الانسانى من العاطفة الدافقة ، وكان هذا الميل الى الجدل هروبا من العاطفة العمياء »

ومن الحق أن ناجى لم يوفق فى قراءاته الفلسفة ، فقد ارتضى مفهوم فرويد فى الجنس ولم يكن هذا هو الرأى الاخير ، فقد عارضه زملاؤه أمثال ادلر ويونج فى مفهومه هذا

ابراهيم ناجي

واعتبروا ان تأكيد الذات ، وليس الجنس ، هو العامل القوى فى توجيه الانسان ، وتابع ناجى هواه مع أبو نواس حتى لقد اعتبره مثله الاعلى (١) وبذلك انتقل نقلة كبرى من كوكبة الشعراء الى دولة الظرفاء .

ولقد جاءت قراءات ناجى الغربية متباينة متضاربة فلم يستطع الشاعر أن يواجهها بأساس صامد من ايمان أو منهج فكرى له جذوره العربية ، ومن هنا كان ذلك التمزق بين عاطفته وعقله .. وكانت هذه الحيرة النفسية والصراع العقلى اللذان عجلا بانطفاء مصباح حياته

وقد كشف هو عن هذه الحيرة على نحو صريح حين قال :

« شاء ابى ان اكون طبيبا ، وليس بالطب من حرج ، وانما الحرج أن يكون الخيال مركبا فى طبيعة الانسان، فاذا القدر يضعه فوق أسنة المادة ويزجه فى الدائرة التى لا شعر فيها ولا خيال ، وانما الحرج ان تكون طبيعته ان ينصت الى أنات الروح ، فيأخذه القدر الى حيث ينصت الى أنات الجسد ، وشتان بين هذه وتلك ، وانما الحرج ان تجذبه طبيعته لناحية ومهنته لأخرى حتى يتمزق بين شد هذا وجذب تلك ، وانما الحرج ان تلائم بين الضدين وتوفق بين النقيضين ، وأخيرا يلتفت فاذا نفسه اشلاء واذا الذبالة تحترق والزيت ينضب ، واذا معين القوة قد أشرف على الزوال واذا الجبار قد مزق أوصاله ذلك النضال العنيف بين الغرائز والقدر ، وبين الميول والصروف ، وبين الخيال والمادة وبين الوهم والواقع ، وبين الروح والجسد » .

تلك مأساة ناجى : وذلك هو الصراع الذى لم يحسمه حاسم .

أغلب الظن أن احدا لم يكن يفهمه ، أو يصل الى أعماق نفسه أو يعطيه ما يرضى روحه القلقة ، أو انه هو الذى انداح وراء مفاهيم المدرسة السيكولوجية فلم يستطع أن يحتفظ بايمانه الموروث ، أو يحفظ نفسه من الانزلاق فى أخطار التمزق والفصام .

لقد عبر « ناجى » عن خلاصة حياته وتجربته فى بيت واحد من الشعر هو خلاصة حياته : ذلك قوله :

أشترى الاحلام فى سوق المنى
وأبيع العمر فى سوق الهموم

نظرة فنية للحياة

لقد كان ناجى كما وصفه النقاد : صاحب رقة لا تستطيع مواجهة العواصف والاحداث فهو شاعر « هين لين رقيق » كما وصفه طه حسين ، شعره أشبه بما يسميه الفرنجة(موسيقى الغرفة) أو أنه يحمل سمات الضعف والمرض كما وصفه العقاد : « وانه من أولئك الذين يفهمون الرقة ترادف البكاء وأن الشاعر ينظم ليبكي ويشكو فاذا هجره حبيبه بكى ، واذا تناجى مع حبيبته قال لها هاتى حديث السقم والوصب » .

ومن الحق أن ناجى قد تلقى حدة خصومه بين ابوللو وطه حسين والعقاد فقد كانت مصر تحكمها السياسة وكانت

(١) كتاب دولة الظرفاء

ابوللو فى نظر الكاتبين زعامة جديدة تريد ان تفرض نفسها على زعامة الكاتبين الكبيرين . ولقد عرف ناجى بانه رائد الاتجاه الوجدانى فى جماعة أبوللو وتابعه كثيرون ووصفه أبوشادى بانه شاعر اللهفة .

ومن الحق ان يقال ان ناجى كان شاعرا مطبوعا وان اداءه يهز النفس حقا ، ورؤياه مصقولة ، وكلماته رائعة ولكنه كان حزينا مبلوسا ، وكان مستسلم الطبع امام الاحداث ، وامام صولة الحبيب ، على نحو يشيع روح اليأس والهوان .

وقد أخذ على ناجى قصوره عند فن واحد ، وأنه لم ينظم فى القضايا الوطنية والقومية ولم يشارك أمته فى تحدياتها واخطارها التى مرت بها خلال تلك المرحلة الدقيقة من حياتها ، بل لقد صبغت المدرسة الوجدانية الشعر فى ذلك الوقت بطابع التخاذل ، مما حمل اليها الاتهام بأنها ، مخدر ضار ، يصرف الشباب عن الجهاد والنضال فى مقاومة الاحتلال ، وحين نرى (على محمود طه) وهو شاعر وجدانى وقد

د. محمد مندور: تقييم لاعمال ناجى الادبية



التفت فى قصيدته عن فلسطين الى معان تهز النفس تعجب لتخلف ناجى فى هذا الميدان .

ومن الحق ان يقال ان ناجى فى المرحلة الاخيرة من حياته قد عزل نفسه تماما عن تحديات مجتمعه ووطنه وقصر نفسه على بعض اسمار يطلق فيها فكاهاته الساخرة المريرة ، التى يسخر فيها من كل شىء وكل انسان بينما اتجه اترابه فى ميدان الشعر الوجدانى الى آفاق اخرى من الشعر الوطنى والقومى يستوحونها ويعمقون شخصيتهم ويواكبون الاحداث

واذا كان الشعر هو قمة ادب ناجى وذروة انتاجه فان ناجى لم يرد أن يقصر نفسه على نظم الشعر بل تطلع الى منزلة ادبية واسعة فكتب القصة وسرعان ما أصدر مجموعته (مدينة الاحلام) بعد ان اصدر ديوانه الاول - ولقى من نقد النقاد مالقى - بوقت قصير ، ولم تكن (مدينة الاحلام) قصة كبرى أو مجموعة قصص مترابطة بل كانت خليطا بين المؤلف والمترجم لا تعطى له امتيازا ما فى مجال القصص وتوسع ناجى فى انتاجه فكتب مقالات فى الطب وفى النفس واهتم بدراسة ويلز وفرويد ، وحاول أن ينشىء نظرة فنية للحياة من خلال قراءات طائرة متفرقة غير متعمقة، واعتمد على نظرية داروين اساسا واخذ مفاهيمه فيها من الماديين ، ولو انه اطلق لنفسه حرية البحث وقرأ جوليان هكسلى فى الداروينية الجديدة او اليكسى كاريل فى (الانسان ذلك المجهول) لاهتدى الى اشياء كثيرة ربما كانت له عاصما وحاميا مما تأثرت به نفسه اى شأن الخلق والخلود ولماذا جئنا والى اين

تذهب من نظرة متشائمة الى الوجود من طابع اللا ادرية الذى مس فكره ، فقاده الى نوع من الشك فى كثير من القيم الاصيلة ·

ومعى صديق تأملاتى

ولقد توسع ناجى فى بحوث الفلسفة وكتب فيها وحاضر ،.ولم يصل فيهـا الى فكرة واضحة بل بقى فى ضباب المذاهب النفسية والميتافيزيقية · والى هذا المعنى اشار الدكتور محمد مندور وهو يقيم تراث ناجى حين قال : (١) « لقد كانت طبيعته دائمة التوثب والتنقل من فن الى فن كالطائر سواء بسواء ، ومثل هذه الطبيعة لا قدرة لها على التحليل والدرس والصـبر عليهما ، لذلك تراه يقفز فى بحوثه من فكرة الى اخرى ولكنه قلما يستطيع بناء فكرة على اخرى ، أو توسيع الاساس الذى يبنى عليه لبنات افكاره فى بناء متكامل سليم ·· »

ومن اجل هذا لم ير مندور فى تراث ناجى ما هو اهل للتقدير غير شعره الذى هو بحق عصارة روحه ، والذى وصفه ناجى نفسه بانه « النافذة التى أطل منها على الحياة واشرف منها على الابد وما وراء الابد ·

وقد طالع فنــــون الشعر العربى القديم وقرأ فى فن العروض والقوافى ثم طالع فى الادب الانجليزى والفرنسى فنونا مختلفة من الشعر والنثر ، وكان لمولده فى شبرا على أطراف المدينة اثر بعيد فى اعجـــابه بالطبيعة : يقول : كنا نسكن شبرا ··· وشــــبرا منذ ثلاثين عاما كانت بساطا اخضر شعريا بديعا تتوسطه ساقية وعلى حفافيه شـــجيرات جميز وتـــــوت فكنت أمشى الى تلك المـــروج ومعى صديق تأملاتى (دافيد كوبر فيلد) فما زلت به حتى قرأته مثنى وثلاث ورباع وما زال بى حتى خلق منى اديبا وشاعرا سامحه الله ، والحق اننى لا أدرى الحسن القدرام اساء · ابى كان يحبب (دكنز) الى ليصقل شعورى ويزرع فى الانسانية ويعلمنى التأمل والملاحظة ، اما دكنز فقد حبب الى الادب على الاطلاق اما (دافيد كوبر فيلد) فقد خلق منى شـــــاعرا وجعلنى ابحـــث لى عن (دورا) أخرى اشرب من عينيها خمر الحياة ســامحه الله لقد عذبتنى (دورا) هــذه وشـــطرت روحى شطرين ·

تلك هى اعماق المأساة : شاعر حالم ومعه مثل من امثلة الخيال ، لا توجد على الارض الا قليلا دفعه الشوق الى البحث طويلا حتى ارهقه التجوال فلما وجده او وجدها لم يســــتطع ان يستخلصها لنفسه فتضـــاعفت الازمة وطال به العذاب !

(ولد ناجى ١٨٩٨ وتخـــرج فى مدرسة الطب ١٩٢٢ وعمل فى وزارات الصحة والمواصلات والاوقاف وتوفى فى ٢٥ مارس ١٩٥٣ بعد ان ترك خدمة الحكومةبعامواحد فقضاهمريضا عليلا)



(١) الشعر المصرى بعد شوقى حـ ٢


لأنه الأفضل.. حصل على علامة الجودة
ES
سافو
يغسل أكثر بياضاً!
SAVO
سافو
SAV
سافو
سافو
سافو
سافو

د. انجيل بطرس

أطباء ادباء..

حظى الادب العربي في بلادنا باجتذاب عدد من الاطبـــاء الذين اثروا الانواع الادبية المختلفة بانتاجهم، فكان منهـم الشاعر والكاتب المسرحى والروائى وكاتب القصة القصيرة .. اما في الادب الانجليزى فمن بين الادباء الذين مارسوا مهنة الطب أو درســوا الطب ثم هجروه الى الادب نجد الشاعر مثل « جــون كيتس » الشــاعر الرومانسي الخالد، ثم الروائى مثل « توبياس سموليت » ـ احد كبار روائيى القرن الثـامن عشر و «الدوس هكسلى» مؤلف « العالم الجديد الجميـل » ، والروائى والقصـــاص والكاتب المسرحى المعــاصر « سمرسيت موم »

قضى جون كيتس (١٧٩٥ ـ ١٨٢١) عدة سـنوات من عمره القصــير في دراسة الطب ، ولكنه كان طوال تلك السنوات شـديد الولع بالشــعر وبالاداب اليونانية بوجه خاص . اهتم بقراءة الميثولوجيا اليونانية وشعر شيكسبير وسبنسر والتعرف على الفنـون . وما لبث أن هجر الطب وكرس حياته لكتابة الشعر ، فترك لنا في حياته القصيرة ثروة شعرية ضخمة ، وقارنه بعض النقاد بشيكسبير اعظم الشعراء الانجليز ، لقدرته الشـعرية الفائقة ووفرة انتاجه وتميزه . فاذا تساءلنا عما اذا كانت دراسـة الطب قـد تركت اثرا واضحا على شـعر جون كيتس ، فلعل الاجابة ستكون بالنفي..

كان كيتس مولعا اشــد الولع بالنواحي الجمالية والانفعالات الحسية وكانت له فلسفته الخاصة في الجمال ومعرفة الحقيقة ، ولا نظن انها تأثرت بدراسته للطب بشكل من الاشكال .

لقد تأثر « كيتس » بفنون الاغـريق وادابهم وجمال الطبيعة ، وجاء شعره شاهدا على حبه للانسانية والحرية والحق والجمال .

رائحتهم تزكم الانوف

فاذا انتقلنا الى ميدان الرواية كان توبياس سموليت (١٧٢١ ـ ١٧٧١)

فى الأدب الإنجليزى

اول من يقابلنـــا فى هذا • كان « سموليت » طبيبا مارس مهنة الطب بالفعل فعمل طبيبا بحريا ، وترك لنا سجلا شيقا لبعض تجاربه على السفن التى عمل بها ، كما توحى جميع اعماله بما يعانيه رجل الصحة الذى يعيش فى عصر لا يعرف قواعد الصحة ولا يهتم بالنظافة بل تسوده القذارة والوحشية، كما كان الحال فى انجلترا فى القرن الثامن عشر •

وقد كان « سموليت » الى جانب كونه طبيبا يدرك تمام الادراك اهمية



الدوس هكسلي : كرس حياته للكتابة الادبيــة

النظافة ومراعاة القواعد الصــحية ، رجلا مرهف الحس تؤلمه قذارة المجتمع الذى يعيش فيه وقســوته ووحشيته •

وكأنه يحس بجميع حواسه الحياة التى يعيشها ويعيشـــها الناس من حوله •

ولذا فقد جاءت اعماله تعج بالاحتقـار والغضب •

كتب أحد النقاد يقول أن «سموليت» كان حساسا بشــكل مفرط ولذا سعى لشـــفاء معاصريه من الوسخ الذى يعيشون فيه وذلك عن طريق حك انوفهم فى ذلك « الوســـخ » ، أما ما يعيبه عليه فهو انه فى معظم اعماله ، لا يخفف من هــذا التقزز الذى يشــعر به نحو المجتمع الانســـانى بشىء من العطف والتسامح والشىء الوحيد الذى يجعل منظر الحياة محتملا هو أن يرى فيها مادة للكوميديا • ولما كانت تلك الكوميديا صادرة عن احساس عارم بالغضب والاحتقار فقد جاءت كوميديا قاسية •

كتب « سموليت » عددا من الروايات التى اتخذت شكل قصص البيكاريسك نسبة الى اللفظ الاسبانى بيكارو ، أو قصص الشطار كما يطلق عليهـــا أحيانا ، وتعـــالج عادة عددا من الاسفار والمغامرات والأحداث التى يربط بينها حدوثها لشخص واحد هو بطل القصـــة • واهمها « روديريك راندوم » (١٧٤٨)، « وبريجرين بيكل » (١٧٥١) ، « ورحلة همفـــرى كلينكر » (١٧٧١) وهى آخر اعماله واقلها قسوة • ومنها يتضـــح أن « سموليت » لم يكن كارها للبشر بقدر ما كان كارها لما يعيشـــون فيه من قذارة وما يعـــانون منه من أمراض وما يتحملون من قسوة وغلظة • ومما

يؤكد ذلك شخصية السيد برامبل الذي يمثل الكاتب ذاته ، والذي يخفي تحت مظهره العابس الصارم قدرا كبيرا من الحب للغير والتعاطف معهم والشفقة بهم والتسامح مع اخطائهم ·

ولكن « سموليت » مثله مثل غيره من روائيي النصف الاول من القرن الثامن عشر كان يهدف الى التعليم والتهذيب وتغيير سلوك المجتمع عن طريق النقد والسخرية اللاذعة · ولذا فقد هاجم عصره في أكثر نقطه ضعفا·

فاذا ما كان القرن الثامن عشر يفخر بعمارته وجمال مبانيه فقد كشف لنا « سموليت » عما يخفيه جمال الواجهة ووقارها من قذارة وعفن · كشف لنا كيف تستخدم درجات السلم مرحاضا عاما وكيف تفرغ القاذورات من النوافذ العليا ، وكيف كانت رائحة السيدات والسادة الذين يرتدون الملابس الفاخرة تزكم الانوف لافتقارهم الى النظافة واهمالهم الاستحمام ·

كذلك فهم فريسة أمراض النقرس والبدانة نتيجة الافراط في الأكل والشراب أو أمراض سوء التغذية نتيجة للفقر والحرمان · وفي الوقت الذي كان بعض الافراد يجمعون ثروات كبيرة كانت الاغلبية الساحقة تعيش في فقر مدقع · وكان أصحاب المال هم أصحاب السلطة والنفوذ · وكان المال والنفوذ والقوة أدوات ارهاب وقهر واذلال لمن لا يملكونها · فاذا ما كانوا فقراء او بحارة او اطفالا فهم يعانون من وحشية السلطة وتقلبها ، وسيجلدون ويجوعون حتى يفقدوا الاحساس أو يصابوا بالاسقربوط · واذا أعوزتهم النقود يدفعونها رشوة لقضاء مطلب ، فسيظلون تحت رحمة أولئك الاكثر ثراء أو قوة منهم · وعلى أي حال فسيسرقهم ويخدعهم من هم أعلى منهم ·

وقد صور لنا «سموليت» في روايته « رادريك راندوم » و « بريجرين بيكل » قسوة حياة الأطفال في المدارس وعمليات الجلد والضرب الخالية من الانسانية وحياة البحارة على السفن وحياة الفقراء والمظلومين بوجه عام ·

أما في روايته الاخيرة « رحلة همفري كلينكر »التي تصف رحلة يقوم بها ماثيو برامبل وأسرته عبر انجلترا واسكتلندا فيتوقف عند مدينة باث الشهيرة بحماماتها الرومانية القديمة ومياهها المعدنية والتي كانت مركزا لتجمع طالبي الاستشفاء أو الترفيه والمتعة · وينقل الينا صورة لذهاب ماثيو برامبل الى الحمامات وكيف يشعر بدوار وغثيان وكيف يستدعي الطبيب الذي يخبره بانه بخير وان ما حدث له كان نتيجة للزحام الشديد ولتاثير الروائح الكريهة على طبيعته الحساسة بشكل غير عادي · ويعلق برامبل على ذلك بقوله انه يعجب كيف يتحمل الاخرون تلك الروائح النفاذة التي هي خليط من الروائح الكريهة والعطور القوية ، خليط من روائح الافرازات الآدمية والادوية والعطور ،

كل تحاول أن تسوء الأخرى ، وذلك كله فى تلك الاجتماعات « الراقية » والتى يأسف انه يترك هواء جبال ويلز النقى المنشط من أجلها ٠

ويصف فى مكان آخر كيف يختلط المريض بالمعافى فى تلك الأماكن وكيف يستحم الجميع فى نفس المياه ، فتنتقل العدوى عن طريق الجراثيم ومخلفات الاغتسال من الواحد الى الآخر ٠ ومن المحتمل أن تنتقل هذه المياه ذاتها الى الانابيب يشرب منها آخرون فى النهاية ٠

كما يلفت النظر أيضا الى الشوارع الضيقة المظلمة التى تتراكم بهـــا القاذورات والمخلفات ، والى المنازل التى لا تدخلها الشمس والهواء والتى تؤدى بسكانها الى الضعف والمرض ٠

وهـكذا نرى أنه من المحتمل أن كون « سموليت » طبيبا قد جعله أكثر ملاحظة لتلك الاشياء وأكثر اهتماما للكشف عنها أملا فى أن يؤدى ذلك الى القضاء عليها ٠ ومن المحتمل أيضا أن يرجع ذلك أساسا الى حساسيته الشخصية وكرهه الفطرى للقذارة وتقززه الشديد منها ٠

ماقد يحدث فى المستقبل

أما ألدوس هكسلى (١٨٩٤ ــ ١٩٦٣) الذى ينتمى الى أسرة من العلماء والأدباء ، فقد درس الطب ثم منعه ضعف ألم بعينيه من ممارسته

فاتجه الى الكتابة وكرس حياته لها ٠ نشر روايته الأولى فى ١٩٢١ واستمر فى الكتابة حتى آخر حياته تقريبا ٠

ولما كان « هكسلى » قد بدأ نشاطه الأدبى فى الفترة التى اهتم فيهـا الروائيون بالتجريب والتجديد فى ميدان الرواية أملا فى تطوير هذا النوع الأدبى وجعله أكثر قدرة وفاعلية على تصوير الحياة الانسانية فى المجتمع الحديث ٠٠



ارنولد بينيت : من كتاب الرواية فى انجلترا



سومرست موم: اكثر الادباء انتشارا بين جمهور القراء ٠٠

فقد بدا أول الامر أنه سيدلى بدلوه فى هذا الميدان ٠٠ وقد كشفت بعض أعماله المبكرة عن اهتمام بالتجديد الفنى واستخدام لبعض الاساليب المستحدثة ٠ ولكن ما لبث أن بدا واضحا أن هناك أفكارا معينة تسيطر على ألب « هكسلى » وأنه يميل الى استخدام الرواية كوسيلة لمناقشة تلك الافكار ونقلها الى القارىء فى شكل فنى مشوق ٠

كان من الواضح أيضا أنه يرمى الى تصوير الحياة المعاصرة من وجهة نظر ناقدة ساخرة ، ساخطة متشائمة فى كثير من الأحيان ، وذلك عن طريق

تقديم بعض النماذج المألوفة وتشريحها تشريحا يكشف عن خوائها وفسادها ٠ ولعل خير مثل لذلك روايته : « تقابل الالحان » (١٩٢٨) التى تدور حول العلاقات المتبادلة بين عدد من المثقفين

والادباء وتقدم فريقين متميزين همـا فريق الاشتراكيين من أبناء الطبقة العليا وفريق المثقفين وذلك فى انجلترا فى أواخر العشرينات من هذا القرن ٠

أما الشخصيات التى اختارها لتكون نماذج نمطية فقد أخذ بعضهـا من دائرة أصدقائه ومعارفه والبعض الآخر من الشخصيات الأدبية ٠ أما شخصية

فيليب كارل فتمثل المؤلف ذاته ، ويمثل رامبيون الروائي المعروف د ٠ هـ ٠ لورانس ، وتمثل شخصية بيرلاب صديق لورانس وكاتب سيرته : ميدلتون مورى ٠ اما سباندريل فيمثل الشاعر الفرنسي الشهير : بودلير ٠

ومن الملاحظ أن « هكسلى » يفشل في معظم الاحيان في خلق شخصيات مقنعة تنبض بالحياة ٠ اذ تتحول معظم شخصياته الى ابواق تنقل افكارا وتميل الى الكاريكاتور اكثر من الشخصيات المتكاملة ٠

في الأدب الانجليزي

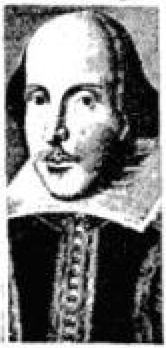
ويلخص أحد النقاد تلك الشخصيات بقوله ان كل ما تفعله هو أن تتحدث وتمارس الجنس واحيانا تستمع الى الموسيقى أو تكتب ٠ ومن هنا فعالمه يفتقر الى الحيوية والاقناع ويعلل النقاد ذلك بعدم قدرة « هكسلى » على خلق الشخصيات واستخدام الحوار من ناحية ولسيطرة نظرته المتشائمة للحياة من ناحية أخرى ٠ فالعالم الذى يقدم فى هذه الرواية مثلا لا يخرج الى حيز الوجود كائن حى على الاطلاق وكأن « هكسلى » يأخذ فى تشريح هذا العالم قبل ان يتم خلقه ٠٠ ثم يبدو وكأنه يحاول اثبات قضية ما وهى أن جميع أنواع النشاط الانسانى لا تؤدى الا الى العذاب العقلى وبالاحساس بالفشل ، فهى عديمة القيمة ، عديمة الجدوى ، مخيبة للامال ٠ ويكشف عن فلسفة الية تدفع بالشخصيات للتصرف تبعا لخطة مرسومة بحيث لا يتمتع بالحرية — حرية الاختيار والسلوك — الا قلة نادرة منهم ٠

وذلك لا يعنى بالطبع ان جميع اعمال «هكسلى» هى أعمال فاشلة من الناحية الفنية فبعض اعماله تتميز بقدر غير قليل من المرح والذكاء والنفاذ الى اعماق المواقف والشخصيات كما هو الحال فى « انتيك هاى » ثم فى « ضرير فى غزة » الا أن اهم عيوبها هو الافتقار الى التعاطف والغضب على حد سواء بحيث تبقى علامتها المميزة السخرية المتشائمة ٠

فاذا القينا نظرة اكثر تمهلا على فلسفة « هكسلى » بوجه عام وجدناه يبدو تدريجيا ولكن بشكل واضح ، شديد التقزز من النواحى الحسية للحياة الانسانية ، ميالا ، وخاصة فى أعماله المتأخرة الى فلسفة تميل الى التقشف والزهد والروحانية ٠ ويبدو ذلك واضحا فى رواياته اليوتوبية التى تصور المستقبل ٠ ففى احدى هذه الروايات « بعد الكثير من مواسم الصيف » : (١٩٣٩) يصور كيف نجح الانسان فى اطالة عمره على الارض ، وهو حلم طالما راود خيال الانسان ، ولكن يصبح اقرب الى الحيوا نمنه الى الانسان بحيث نرى فى النهاية الرجل وزوجته اللذين تم لهما ذلك فى قفص وقد عادا الى حالة من الوحشية ، والانحطاط الذين يبعثان على التقزز والاسى ٠

أما فى « العالم الجديد الجميل » ٠٠ (١٩٣٢) التى يعتبرها كثير من النقاد اكثر اعمال « هكسلى » نجاحا ، فيقدم لنا صورة لعالم المستقبل الذى انتصرت فيه الالة والتكنولوجيا والعلوم

شيكسبير : مقارنة بينه وبين جيتس ..



موباسان : نموذج جيد لكتابة الرواية الطبيعيـة . . .



يحدث الآن بيننا عند سـماع نكته « خارجة » ولا يعني ذلك بالطبع ان الجنس قد اختفى من ذلك العـالم . فبعد أن تحرر الناس من انجاب الاطفال أصبحت الممارسة الجنسية غير معقدة، تشجعها الدولة ما دامت غير مرتبطة بشخص بالذات بحيث يمكن أن تؤدى الى ارتباط عاطفى او علاقة شخصية بين فردين من الافـراد ، وما دامت تتخذ الاحتيـاطات اللازمة لضبط عملية الانجاب . أما ما اختفى بالفعل فهو الحب بالمعنى المعروف في عالمنا . فقد اختفت العلاقات الانسانية كلها بوجه عام .

كل ذلك جزء من صورة العالم القبيـح فى الواقع ، الجميل على السطح الذى يعكسه أمامنا « هكسلى » على سبيل التحذير مما قد يحدث فى المسـتقبل ان أفرطنا فى اعتمادنا على التقدم العلمى والتكنولوجى وفى ايماننا بفائدة التنظيم الاجتماعى الذى يجعل من الفرد اداة لا حيلة لها فى يد السلطة الحاكمة ، بحيث تقضى على الصفات الانسـانية والقيم الانسـانية وتحول العالم الى شىء كريه جاف يدفع بالزائر البدائى الذى يأتيه من احد المستعمرات الامريكية البدائية الى الانتحار .

وليس هنـا مجال الدخول فى تفاصـيل هذا العالم العجيب الذى استطاع « هكسـلى » عن طريقه ان ينير ضوءا أحمر دلالة على الخطر الذى تواجهه الانسانية أن لم تتخذ الحيطة اللازمة . أما ما نريد الاشارة اليه فهو أن بعض تفاصيل هذا العالم تعتمد على قدر غير قليل من المعرفة بعلوم البيولوجيا والفسيولوجيا وبعض فروع علم النفس — وهى اشياء لا بد

من ناحية والتنظيم السياسي من ناحية أخرى .. ففى ذلك العـالم لا يولد **الاطفال بالطريق الطبيعى بل يصنعون فى انابيب الاختبـار ويشكلون تبعا لاحتياجات المجتمع الذى يحدد سياسته** عدد من الحكام . وفى هذا العـالم الجديد ينتمى بنو البشر الى فئـات محددة ، لكل فئة صفات مميزة تأتى نتيجة للتحـكم الكيميائى البيولوجى الذى يقوم به العلماء عند اختيـار البويضات للتفريخ أولا ثم معالجتها بالطرق العلمية أثنـاء نموها فى انابيب الاختبار ثانيا ثم بعد « فقسها » أو خروجها الى العالم الخارجى عن طريق استخدام الوسائل الفسيولوجية والنفسية ثالثا .

وفى هذا العالم اصبحت كلمـات الميلاد أو الاب أو الأم كلمـات نابية يتحرج الجميع من ذكرها ، فان ذكرت عرضا فى محاضرة علمية أو حديث تاريخى احمـرت الوجوه وتلاقى السامعون عيون بعضهم البعض ، أو تضاحكوا ان كانوا اكثر جرأة كما

ان « هكسلي » قد تزود بها اثنـــاء دراسته الطبية • ومن هنا يمكن القول بانها انتاج مشترك للاديب والطبيب •

فاذا عدنا لحظة الى تطور نظـرة « هكسلي » الى المستقبل وجدناه في روايته التالية « القرد والجوهـر » (١٩٤٨) يصور نهاية العالم نتيجة لانفجـــار ذري لا يترك في الوجود الا جماعات متفرقة من البشر تبدأ سلسلة التطور من جـــديد • ثم يتحول في روايته الاخيرة « الجزيرة » (١٩٦٢) الى تصـــوير عالم يجمع بين بعض انجازات العلم وفلســـــفة الشرق الروحانية ويحيا فيه الانسان حيـــاة سعيدة قريبة الى الطبيعة •

فلسفة قدرية متشائمة

اما المثل الاخيـــر للطبيب الاديب في الادب الانجليزي فهو سمرسيتموم (١٨٧٤ ــ ١٩٦٦) ، ولعله اكثـــر الادباء الذين ذكرناهم هنا انتشـــارا بين جمهـــور القراء • ومرة أخرى نرى أنه درس الطب والتحق بمستشفى استعدادا لممارسته ولكن نجاح روايته الاولى شـــجعه على التحول الى الكتابة والادب •

وقد كان « موم » كاتبا متعـــدد القدرات غزير الانتاج ، ولعل سمته الاساسية هي اهتمامه بالوصول الى جمهور عريض ولذا فقد كتب كثيرا من الاعمال الترفيهية التي تفتقر الى درجة العمق والاصـــالة الفنية التي تتصف بها الاعمال الادبية الكبرى •

ويعد « موم » أحـــد رواد الرواية الطبيعية في انجلتـــرا مثله في ذلك مثل جيسينج ، وبنيت ، في انجلترا ،



إميل زولا : من رواد الرواية في فرنسا

وزولا ، وموبا ســـان في فرنسا •

ويعتمد المذهب الطبيعي اساســـا على الروح العلمية والملاحظة الموضـــوعية لظاهر الحياة ، ويميـــل رواده الى اعتناق فلسفة قدرية متشـــائمة الى حد كبير •

وقد بدأ « موم » حياته الادبية على نهج زملائه في هذا الميدان ، بتصـوير حياة الطبقات الدنيا وكشف حيـــاة الفقر والذل والمعاناة التي يحيـــاها افراد تلك الطبقــــات وذلك في رواية « لايزا » (١٨٩٧) • اما روايتــه « عبودية الانسان » (١٩١٥) التي تعتمد الى حد كبير على قصـة حياته فتعد ســجلا قيما لفترة من الفترات ونظرة معينة للحيـــــاة تعكس ذلك الاعتقـــــاد بأن الحياة عديمة المعنى عديمة الهدف وأن حياة الانســـان خاضعة لظروف لا يد له فيها ولا حكم له عليها • فمهما حاول الانسان فهو فريسة تلك الظروف ، نتاج حتمي لها ويرتبط بذلك ايضا تصويره لما يعاني منه بطل القصة من عزلة نفســية لا نتيجة للعاهة الجسمية التي تلازمه

طوال حياته بل لا حساسه باختلافه عن غيره من الناس وعدم قدرته المواءمة بين ذاته وبينهم ·

وتشير بعض اعمال « موم » المتأخرة الى ميله الى فلسفة الشرق وسخريته من القيم المادية التي تسود العالم العصرى وتكاد تقضى على القيم الانسانية التي قد تضفى شيئا من المعنى على الحياة ·

فاذا اخذنا مثلا رواية « حد الموسى » (١٩٤٤) ـ التى نقلها الى العربية فى ترجمة جيدة الاستاذ سليم الأسيوطى ـ وجدنا بطل القصة لارى ، الشاب الامريكى ، الذى يلتحق بالسلاح الجوى الأمريكى ولما يبلغ الثامنة عشرة من العمر ، ويصاب بصدمة عنيفة نتيجة موت خير صديق له فى السلاح الجوى وهو يحاول انقاذه من موت محقق ، يهجر المجتمع الأمريكى بما يقدمه له من فرص للعمل والكسب السريع والزواج من الفتاة التى يحبها ، ويتجه الى قراءة الأدب والفلسفة فى باريس ، ثم الى العمل فى المناجم والحقول فى المانيا ثم ينتهى به المطاف فى الهند حيث يقضى خمس سنوات يتعرف على فلسفة الحكماء الهنود ويتعلم منهم الشىء الكثير ويحاول أن يجد الاجابة على تساؤلاته عن الله ومعنى الحياة وماهية الموت · **ويعود فى النهاية وقد حصل على شىء من راحة النفس والثقة والاطمئنان التى تبدو واضحة فى سلوكه وفى تعامله مع الغير ·**

ويقدم لنا « موم » الى جانب شخصية لارى عددا من الشخصيات التى تمثل اهتمامات العالم الذى هجره هذا الشاب فى بحثه عن الحقيقة ، مثل اليوت الثرى الامريكى الذى جمع ثروته من التوسط بين تجار التحف وعملائهم وحقق مركزا اجتماعيا عن طريق الاطراء والمداهنة واقامة الحفلات والولائم ، بحيث كان اكثر ما يهتم به وهو على فراش الموت هى دعوة تأتيه من اميرة تقيم حفلا تنكريا فى مدينة من مدن شاطىء الريفيرا وتدعو اليها كبار القوم من ملوك سابقين وامراء ونجوم مسرح وسينما · ومثل ايزابيل الشابة الامريكية الجميلة التى تهوى لارى ولكنها تفسخ خطبتها له عندما يرفض العودة الى شيكاغو والعمل فى مؤسسة مالية كبرى يديرها والد صديقه جراى ، وتتزوج جراى الشاب الغنى الذى يوفر لها حياة رغدة ويستطيع أن يهديها ماسة مربعة مرة ومعطفا من الفراء الثمين مرة أخرى ·

ولعل « موم » ينقل الينا موقفه من هذه الانماط البشرية بطريقة مسرحية لا تخطئها العين عندما يصور لنا الانهيار المالى الذى يصيب امريكا فى ١٩٢٩ فيفلس جراى ويموت والده نتيجة أزمة قلبية ويصاب هو نتيجة للشعور بالفشل بنوبات من الصداع المؤلم الذى لا يخلصه منها الا لارى الذى يعود فى ذلك الوقت من الهند حاملا فى جيبه تعويذة يستخدمها كما يقول ليساعد جراى على أن يساعد نفسه فيسترد ثقته بذاته ويتركه الصداع ويفكر فى العودة الى العمل·

فاذا تساءلنا عن اثر الطبيب فى مثل هذا الانتاج الأدبى فقد لا نصل بيسر الى اجابة مقنعة · ولكن الحقيقة التى لاجدال فيها هى أن الادب قد استهوى طبيبا تركلنا آثارا ادبية مازلنا نقرؤها ونستمتع بها

مصطفى
محمد
الغماري

ابتسام حزين

روى الليل اشواقى فداعبها البدر
وماجت بآفاقى فعانقها الفجر

وتاهت على اهدابها سكرة الهوى
مفوفة الاهداب يغفو بها السحر

تفتح اكماما ترف بها الصبا
وتبدع انغاما يجاذبها السكر

فيا نغمة تنآد فيها رفارف
من الحسن غنى فى تلاميعها العطر

ويا همسة فى واحة الوصل عذبة
يميد لها غصن ويزهو بها ثغر

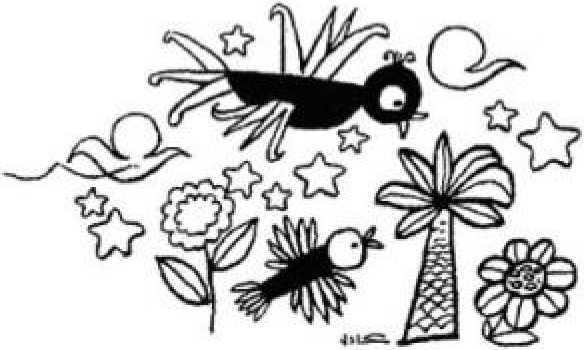
تغنى فتصفينى النشيد ، تأودت
مفاتنه . من عطرها ثمل الطير

وتحنو على قلبى . وتختال فى الرؤى
منغمة فى جفنها حلم الزهر

وتدنو ، وقد غنى من « الغار » باغم
يقول : ابعدى يا أنتى أنت والهجر

ويسرى الى روحى حنان مواصل
كانفاس قلبى حين تسكرها الخمر

وهبت مواويلى على جنة الهوى
تناجى الحنان الغض انفاسها الخضر



وتاهت ترانيمى ، وقــد رقــد الورى
سوى عاشق يشــدو فيصغى له الفجر

وفى جانبيه من حنــان الهــوى الذى
يبــدده شــوقى ، فيفتضــح السر

حنـايا اجتبـاها الحب مجلى وهيــكلا
وسبح فيهــا باسمه ، فانتشى الثغــر

وغرد فيهــا بالمفــاتن والهــا
يهدهده صــبر ويودى به جمــر

فياراهبا فى القلب ، مغنــاك بلقــع
وروضــك محزان .. بذاحكم الدهــر

فهلا تخلت البدر مغنــاك فى الهــوى
فجاءتك تســعى للهوى الانجم الزهــر

ســلام فان الروح بدد شــمله
صدود ، وان القلب يجــتاحه الهجــر

وكفرا بدهر صــار فيه جمــاله
يجيــد فنون الحب وهو بهــا غــدر

فــلا كاس لى غــير الاسى يلهب الاسى
وتنهــار آمالى فينفطر الصــبر



أيام في الدوحة "مركز الإشعاع في الخليج


الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر

وكانت الرحلة الكبيرة الى الشقيقة الرشيقة « قطر » .. النائمة على ذراع الخليج العربي ، غير بعيدة عن نفحات الاراضي المقدسة التي اضفت على القطريين المذهب السلفي ، مذهب الامام محمد بن عبد الوهاب ، ، فسلكوا ، ولا يزالون ، دروب السلف الصالح في الحرص على الدين وعدم الترخص في فروضه واوامره ونواهيه ..

واذا كانت « قطر » دولة حديثة في المجتمع العربي ، فان الحفريات تقول انها اهلت بالسكان منذ العصرين الحجرى والحديدى .

ويقول التاريخ ان « قطر » كانت منذ قديم طريقا اساسيا للتجارة بين الشرق والغرب ولم تطأها قدم اجنبية حتى القرن السادس عشر ، عندما اقام البرتغاليون على شاطئها بعض المستعمرات والقلاع .

ثم اعقب ذلك دخول الاساطيل البريطانية والفرنسية والهولندية مياه الخليج العربي ، واشتدت المنافسة بينها جميعا حتى استقر الامر للسيطرة البريطانية سنة ١٧٦٦ .

ومر الزمان ، وانبثق الزيت يبارك شبه الجزيرة الصغيرة ،

وتطلع القطريون الى الاستقلال حتى ظفروا به فى سنة ١٩٧١ ، وبدأ تنظيم الدولة على أحدث الاسس ، وارسى الدستور ، الذى نص على الشورى ممثلة فى مجلس الشورى ، كما نص على أن شعب قطر جزء من الامة العربية ٠

ويبلغ عدد سكان « قطر » نحو ١٣٠ر٠٠٠ نسمة ، يقيم معظمهم فى العاصمة « الدوحة » ٠ وقد وصل انتاج « قطر » من البترول فى العام الاخير الى حوالى ١٨ر٠٠٠ر٠٠٠ طن

وهناك نهضة تعليمية واسعة تسير بخطا حثيثة نحـــو القضاء على الامية بين الصغار والكبار على السواء ، كما أن هناك نهضة ادبية وفنية مزدهرة تسهم فيها أجهزة الاعلام ـ وعلى رأسها الاذاعة والتليفزيون ـ اسهاماً مشرقاً ٠

ويتتبع القطريون الحركات الادبية فى العالم العربى ، ولا سيما مصر ، باهتمام بالغ ٠ وعندهم مثل ما عندنا من معارك حامية بين الشعر القويم والشعر الجـــديد ، وبين المذاهب الكلاسية والمـــتحدثة فى ســـائر مجالات الادب ، ولكنهم لا يسمحون بأى عبث بحرمة العقيدة تحت ستار الافكار الطليعية والمذاهب الوافدة التى تتناقض مع اصــــالة الأمة العربية

وسأعود الى الحديث عن شعراء قطر وادبائها باسهاب فى العدد القادم ان شاء الله ٠

وقد احتفلت قطر منذ أيام بذكرى مرور عام على حـــركة التصحيح الواعية المستنيرة التى نهض بها أمير قطر فى سبيل تطهير أداة الحكم وأرساه مخطط حضارى واســـع يجرى تنفيذه الان على قدم وساق لتصبح هذه الدولة الشقيقة ـ على صغر حجمها ـ من مراكز الاشعاع العربية الخلاقة فى منطقة الخليج ٠٠٠

الدكتور سعيد عبده القصصى الشاعر الزجـــال



د. سعيد عبـــده

كنت اتمنى ان يحتوى هذا العدد من «الهلال» على دراسة عن الدكتور سعيد عبده ، الذى قضى أوفى من حياته فى دارنا ، رئيسا لتحرير مجلة «طبيبك الخاص» ٠٠ لولا انه يؤثر دائما أن تغلب فيه صفة الطبيب على صفة الاديب ، ولهذا لا يحرص على جمع ما تناثر من أدبه خلال نصف قرن من الزمان ٠

بدأ الدكتور سعيد عبده حياته الادبية وهو طالب فى كلية الطب ، وكان يكتب بانتظام فى مجلة « الصباح » ٠

والتفت أمير الشعراء ـ رحمه الله ـ الى بريق قلم ذلك الشاب يومئذ ، فاســـتدعاه وقربه اليه ، واتخذه أمنا ثالثة يقرأ عليه قصائده قبل أن ينشرها ، فيقترح عليه سعيد أن

يحذف ذلك البيت ، أو يصقل ذلك المعنى، أو يستبدل تلك الكلمة بكلمة اخرى يقترحها له ٠

وكان شوقى يستجيب دائما لما يقول سعيد ، تقديرا لاذنه الموسيقية وذوقه الحساس ٠

وعندما شرع شوقى فى كتابة مسرحياته الشعرية ، كان سعيد عبده هو الذى يجمع له المادة التاريخية ٠

وفى تلك الاونة ، نظم سعيد عدة أغنيات للمرحومة اسمهان ، كما ان له أغنيات اخرى ، غناها عبد الوهاب ، ولكنها نسبت الى غير مؤلفها ٠

واتجه سعيد – بعد تخرجه فى كلية الطب – الى الصحافة محتــــرفا ، الى جانب وظيفته المهنية ٠ فكان يكتب المواويل السياسية المثيرة فى مختلف الصحف الاسبوعية ، كما أصبح فى ذلك الحين من رواد القصة القصيرة ، ونظم كثيرا من الشعر الفصيح ٠

وعين بعد ذلك استاذا لعلم الصحة فى جامعات العراق ، فاعتزل الادب حينا ، الى ان عاد الى القاهرة ، فركز اكثر جهده على ركنه الصحفى المعروف « خدعوك فقالوا » وتنقل به من « الاخبار » الى « المصور » الى ان استقر به فى « الاهرام » ومزج فيه علم الطبيب باسلوب الاديب فى براعة مأثورة ٠

ليلى .. عاشقة الريحانى التى لم تره أبدًا

د . ليلى
ابو سيف



من أجمل الكتب التى قرأتها فى تاريخ المسرح المصرى ، كتاب « نجيب الريحانى وتطور الكوميديا فى مصر » الذى صدر هذا الشهر عن دار المعارف ، لعاشقة الريحانى ٠٠ الدكتورة ليلى ابو سيف ، الاستاذة المساعدة بمعهد الفنــــون المسرحية ، ومدرسة الادب الامريكى المعاصر بكلية الاداب بجامعة القاهرة ٠

واقول ان ليلى عاشقة الريحانى ، مع انها لم تره فى حياتها الا فى الناحية على الشاشة ٠

ولكنها فى خلال رحلتها مع المسرح المصرى ، دراسة مستوعبة احست ان هذا الفنان الكبير قد حمل وحــــــده عبء الانتقال بالكوميديا المصرية من « الفصل المضحك » فى صــورته البدائية الساذجة الى الكوميديا الساتيرية فى أجمل صورها الحضارية الاجتماعية الاخلاقية ، فى جهاد مرير استمر اكثر من ثلاثين عاما ، لم ينزل عليه الستار الا حينما نزل الستار على حياة البطل نفسه ٠



نجيب الريحاني

وللكتاب مقدمة علمية مشرقة عن تاريخ المسرح ، وكيف نشأ في ظل الفراعنة منذ خمسة الاف سنة ، ثم كيف انتكس بعد ذلك قرونا طويلة ، حتى بدأ ينبثق ضوءه باهتا من جديد في اواخر القرن التاسع عشر ، على يد الفرق الوافدة من الشام .. ثم كيف بدأ عصر النهضة على ايدى عزيز عيد وجورج ابيض ونجيب الريحاني ويوسف وهبي ومعاصريهم .

وتتوالى فصول الكتاب بعد ذلك تروى قصة الريحاني ، وما عبر به من الجوع والحرمان في سبيل عبادته للمسرح ، وما هبط به في بعض الاحيان الى مستوى الارتزاق بارخص الاساليب الفنية في اضحاك الجماهير ، ثم تتوالى الومضات في تاريخ هذا الفنان الخالد ، فينتقل ـ بعد الفصل المضحك ـ الى ما يشبه خيال الظل ، ثم الى فنون الاستعراض والفرانكو اراب والاوبريت ، حتى يصل ، مع شريك مجده بديع خيرى ، الى اعماق المسرح الفرنسى ، يقتبسان منه اجمل اساليبه ويمصرانها تمصيرا يكاد يصل بالعمل الى الاصالة المحلية ، ويستحدث مدرسة راسخة وبناء شامخا في تاريخ المسرح المصرى .

كتاب انجزته كاتبته عن حب ، وعن علم ، وعن احساس عميق بالمصرية ، وبالمسرح ، وبالحياة ..

الشاعر الهاشمى المارونى



امين نخلة

ومن « الدوحة » ذهبت الى بيروت ..

وما كدت اضع رجلى حتى زارنى الصديقان ، الاستاذ ميشال الغريب المحامى ، والاستاذ احمد ابو سعد ، الاديب والشاعر المعروف ، وسالانى ان اتحدث باسم شعراء مصر في المهرجان الكبير الذى يتاهب له ابناء لبنان ، تتويجا لشاعر لبنان الكبير امين نخلة ، خليفة الاخطل الصغير ، في ابريل « نيسان » القادم ..

وامين ، هو ابن المرحوم رشيد نخلة ، الشاعر والزجال الفحل ، الذى نظم النشيد القومى اللبنانى .

واعجب ما في قصة امين نخلة ، انه هاشمى الاصل ، مع انه مسيحى مارونى . ولا يزال يحتفظ في بيته بشجرة اسرته التى تثبت صحة نسبته الى بنى هاشم .

وقصة ذلك ان اجداده حينما هاجروا من الجزيرة العربية الى ربوع الارز منذ اجيال طويلة ، شانهم في ذلك شان كثير من الاسر التى هاجرت في طلب العيش او المرعى ، نزلوا محلا

سهلا فى بعض القرى المسيحية ، ولان عيشهم بها ، فاعتنقوا دين أهلها ٠

وهذه القصة شبيهة بقصة زميلنا الراحل حبيب جاماتي ، فهو ينتمى فى اصوله الى أسرة اسلامية ايرانية ، كان أفرادها يشتهرون بصناعة الجام ، أى الورق من الزجاج الملون وغيره ومن هنا جاءت تسمية « جاماتي »

ثم نزح اجداده الى لبنان ، ووقع لهم نفس ما وقع لبيت نخلة ٠

وأمين نخله ـ فضلا عن روعة شعره ـ ناثر يندر أن تجد شاعرا ينثر مثله بهذه الاناقة والبلاغة والاشراق

وهو أمير من أمراء الغزل والخمريات ٠ ولست أدرى كيف وقعت فى يدى هذه الابيات لأمين نخله ، بخط يده ، بعنوان « دن » يستجيب بها لطلب لصديقه أحمد رامى ، اذ استهداه بعض نبيذ لبنان ، فاهداه أياه مع هذه الابيات :

اليـــــــوم لا عيب ولا مأثم
قد حل فى لبنان ما يحـــــــرم
تطلب منى الخمـــــــر نصرانة
فاشرب وعنك العفو يا مســـــلم
كأنها فى طيب أنفاســـــــــها
بعض قوافيـــــــه التى تنظم
طعم العناقيد ، ولكنـــــــــه
من ، فمن اين اتى العلقـــــــم ؟
جاءتك فى الدن ، ومـــــا خبئت
وانما فى الختم ما يوهـــــم
نســـــيم لبنان منى خلقهـــــا
وكرمه والغيث والموســـــم

حبيبة كامل الشناوى


كامل الشناوى

تسللت يد الشاعر الغنائى مأمون الشناوى الى مكان خفى، كان شقيقه الشاعر الراحل كامل الشناوى يحتفظ فيه برسائل حب محرقة محترقة ، كتبها الى حبيبته ، واحتفظ بأصولها لديه ، أو لعله كتبها ولم يرسلها بالمرة ٠

ورأى مأمون أن هذه الرسائل قد أصبحت تراثا من حق الادب أن يحتفظ به ، ومن حق الاجيال أن تقرأه ، فجمع هذه الرسائل فى كتاب أنيق عنوانه « حبيبتى : رسائل حب »

اليك بعض هذه الرسائل :

● « حبيبتي
« ما زلت على عدوتي ، لم اثر ولم اغضب ، ولم اعاتبك ، ورضيت ان اقبل مصيري كما هو ، لا كما ارجو ان يكون « من يدري »

● « حبيبتي
« لقد احببتك من قلبي ، وكرهتك من قلبي
منحتك دمي ووقتي وعقلي ، ثم كشفت لك صدري لاتلقى اوسمة رضاك ، فرشقت مكان الاوسمة سهاما مسمومة
« لقد فتحت لك ذراعي لتملئي بوفائك ما بينهما من فراغ ، فاذا انت تملئين هذا الفراغ غدرا وحقدا »

● « حبيبتي
« لم يعد بيننا ما يغري بأن اخدعك او تخدعيني ، لقد خرجت من حياتي وانا ايضا خرجت من حياة نفسي
« لا تدهشي ، فالحياة التي أحياها اليوم لا يربطني بها ما يربط الناس بحياتهم من أمل ويأس ، او راحة وعذاب .
« انها حياة لا اتحرك فيها ، ولكن اتمدد كالجثة ، وهي لا تضمني بين احضانها ، ولكن تلفني كالكفن ..
« في استطاعتي الان فقط أن أصارحك بحقيقة قصتي معك .
لقد خدعتني وخدعتك
« خدعتني بكذبك الذكي ، وخدعتك بصدقي الغبي ... »

معارك
هذا
الشهر

معركة الشعر في إسرائيل

على صفحات هذا العدد من « الهلال » اكثر من معركة ادبية .
وعلى صفحات العدد المرافق من « الزهور » ايضا معركة حول قضية الشعر القديم والشعر الجديد ومعركة اخرى على المسرح الاسرائيلي
وبين هاتين المعركتين القول ان قضية الشعر القديم والشعر الجديد هي مجال صراع دائر في اسرائيل في هذه الاونة فهناك ـ كما في كل مكان ـ شبان يكتبون الشعر الجديد ، وهناك من يقاومونهم
وقد تعالت في الاونة الاخيرة شكوى اولئك الشبان من اهمال دور النشر لانتاجهم ، واعراض اجهزة الاعلام عنهم ،

مما حجبهم عن فئة كبيرة من القــــراء ، وحال بينهم وبين الاضواء

واثاروها معركة عقدوا لها ندوة كبيرة ، دعوا لهــــا ايجال الون ، نائب رئيسة الوزراء ووزير الثقافة فى اسرائيل، وهو فى طليعة مناهضى حركة الشعر الجديد

وقد القى الون فى هذه الندوة خطابا جريئا ، قال فيه ان اعز ما يجب أن تعتـــــز به الدول هو تراثها ، فعلى اساسه تبنى دعائم مستقبلها الفكرى · ولما كانت اسرائيل دولة حديثة العهد بالحياة ، فليس لها تراث الا ما تجمـع لها منذ سنة ١٩٤٨ ، أو ـ على أسخى الفروض ـ ما تجمع لها منذ المؤتمر الاسرائيلي الاول ـ مؤتمر هرتزل سنة ١٨٩٢ ، فان انتشار بدعة الشعر الجديد تتهدد هذا التراث المعدود بالزوال ، وهذا هو الخطر الأكبر على مستقبل الفكر الاسرائيلي

أحب أن اقول للشــباب ان علينا ان ننتفع بدراسة فكر اعدائنا

واذا كان أعداؤنا الذين لا تراث لهم يبحثون عن التراث ويحرصون عليه حتى يكون لهم شىء من الذكر فى محيط الفكر العالمى ، فما أحرانا نحن ، أصحاب التراث الضخم من عشرات القرون ، الا نقوضه أو نتنكر له أو نهدمه لنبنى على انقاضه الوانا لا صلة لها بأصولنا وأعراقنا ·

عبد الرحمن صدقى فى ذمة الله



عبدالرحمن صدقى

فقدت اسرة « الهلال » منذ اسابيع صديقا قديما ، وشاعرا وناثرا ودارسا مقتدرا ، طالما أمتع قراء « الهلال » بأدبه وشعره وذكرياته ودراساته فى الآداب العربية والاجنبية

وعبد الرحمن صدقى من مدرسة العقاد فى الشعر ، التى تتميز بالتيار العقلانى ، رغم انه نظم كثيرا من الشــعر العاطفى ، اذ كانت المرأة دائما محورا من اهم محاور حياته وله فى رثاء زوجته الاولى ديوان يعد من عيون شــعره

وقد كان عبد الرحمن صدقى واحدا من ثلة العقاد القريبة اليه ، الامينة على اسراره ، وهى ثلة كان قوامهــا هو ومحمود عماد وطاهر الجبلاوى وصلاح طاهر ومحمد حسن الشجاعى

عرفت عبد الرحمن صدقى منذ سنوات طويلة ، كواحد من ثلاثية محببة فى دار الاوبرا الراحلة ، والآخران هما سليمان نجيب وصلاح ذهنى ، عليهما رحمة الله

وكانت لنا مع هذا الثلاثى الحبيب فى الاربعينات من هذا القرن لقاءات فكرية جميلة فى غرفة المرحوم ســليمان نجيب بدار الاوبرا ـ وهو يومئذ مديرها ـ وكثيرا ما شهد هذه

الندوات معي نفر من أعلام الادب والفن ، على رأسهم الدكتور ابراهيم ناجي ومحمود تيمور ويوسف وهبي والدكتور حسين فوزي وغيرهم ، كنا ننتقل من هناك – بعد انتهاء الاوبرا – الى مقهى « ريجينا » بشارع عمـــاد الدين ، حيث كانت تنعقد ندوة اخرى من ندوات الادب والفن ، فننضم اليها ، ثم نظل ننتقل من مقهى الى مقهى ، ومن ندوة ساهرة الى ندوة أطول سهرا ، حتى مطلع الفجر ••

وذهب سليمان نجيب الى رحمة الله ، فجلس عبد الرحمن صدقي مكانه في دار الاوبرا ، ثم عين مستشـــــارا فنيا للتليفزيون المصرى عند انشائه ، فشاركني حينا في مراجعة نصوص الاغاني والاوبريتات ، ثم كان له فضل الاشراف على انشاء فرقة الفنون الشعبية الخاصة بالتليفزيون ، الى ان تقاعد ، وقصر نشـــاطه على ما حفلت به « الهلال » من مقالاته الممتعة

عوضنا الله فيه خيرا ، وكتب له واسع رحمته ورضوانه

قرأت هذا الشهر

● **معروف الرصافي ، شـــاعر العرب الكبير – حياته وشعره :**

سفر ضخم في حوالي اربعمائة صفحة ، ضم بين دفتيه ثلاث دراسات ممتعة عن شاعر العراق الكبير معروف الرصافي

الاولى ، تروى سيرة الرصافي منذ مولده في سنة ١٨٧٥ ببغداد ، الى ان لقى وجه ربه في ترابها سنة ١٩٤٥ ، بقلم قاسم الخطاط

والثانية تتناول شعر الرصافي بنظرات دارسة متعمقة ، بقلم مصطفى عبد اللطيف السحرتي

والثالثة ، تبرز نواحي التجديد في شـــعر الرصافي ، بقلم محمد عبد المنعم خفاجي

● **التطور الاتحادى العربي :**

دراسة سياسية وقانونية واعية لاسس التطور الاتحادى العربي والانجازات العملية لهذا التطور ، بقلم المـــامى اللبناني اللامع ميشال الغريب

● **عمي بوشناق :**

مجموعة من القصص القصيرة للكاتب المغربي عبد الرحمن الفاسي ، ترسم للقارىء في مجموعها صورا متلاحقة زاخـــرة بالحياة والحركة للوجدان المغربي المعاصر

● **اغنيات على شواطىء الحب :** ديوان انيق من الشعر العاطفي المجنح ، للشاعر الســـكندرى فؤاد طمان ، تتميز بالنبرة الموسيقية والوجدان الدافىء

● ص • ج ●

معارك أدبية

عبد الرازق الهلالى

من هو ناقد شعر شوقى؟ أهو الكرملى أم الزهاوى؟



قرأت فى باب (معارك ادبية) فى عدد (الهلال) الصادر فى شهر يناير سنة ١٩٧٢ ، كلمة للأستاذ حارث طه الراوى عنوانها (شوقى فى ميزان الكرملى) فاتضح لى بأنه (موقن) ان الذى كتب كلمة (الشعر فى مصر) فى العدد الثامن من السنة الخامسة من مجلة (لغة العرب) البغدادية ، هو المرحوم الاب انستاس مارى الكرملى .. واستنادا الى هذا (التيقن) ، بنى رأيه الذى قال فيه: « ان الاب المحترم ، لم يكن موضوعيا فى بعض نقده ، وانما كان عاطفيا ، ومتحاملا بشكل واضح ، وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، فان موقفه من شاعر العصر ، احمد شوقى ، رحمه الله – ان دل على شىء ، فانما يدل على حقد شخصى ، لاسباب يعلمها الله سبحانه وتعالى ، والراسخون فى علم الاهواء والاغراض الشخصية ».

ثم قال : (ولكنى لا افهم لماذا يهاجم رجل محافظ واسع الاطلاع على لغة العرب وادابها كالأب الكرملى ، شوقيا بحجة ان شوقى ليس من (المجددين ؟!) واذا كان الاستاذ حارث قد ثبت له ، ان كاتب تلك الكلمة هو المرحوم الاب الكرملى ، فهل لنا ان نسأله عن دليله فى ذلك؟!

لقد قال ، ان الكرملى نشر مقال (الشعر فى مصر) بتوقيعه المستعار (جهينة) واعتبر هذا (التوقيع) دليلا على صحة ما ذهب اليه ، فهل كان ما خرج به من رأى تؤيده الوقائع والاحداث فى هذا الموضوع؟ اننا مع الاسف لا نستطيع أن نقف

موقفه في هذه القضية لاسباب عدة ، قبل يسمح لنا الاخ الراوي ، في بيان ما لدينا من تعليق في هذا الباب ؟! اننا ايضاحا لذلك نقول ، ان المرحوم الكرملي ، لم يكن هو الذي كتب ذاك المقال لسبب ظاهري هو ان كاتب المقال (جهينة) قد وضع في آخر مقاله كلمة (مصر) مما يدل على انه بعث به الى المجلة من (مصر) فكيف ننسب هذا المقال الى الكرملي الموجود في بغداد ؟!

ربما يرد الاستاذ الراوي علينا ، قائلا ، ان الكرملي الموجود في بغداد ، كان قد ذكر كلمة (مصر) لابعاد الشبهة عنه ، وزيادة في التمويه

فاذا كان الامر كذلك فان هناك سببا ماديا ، وتعني به التوقيع المستعار (جهينة) . وقد ظهر لنا حين رجعنا الى كتاب (الاب انستاس ماري الكرملي) لمؤلفه البحاثة الاستاذ كوركيس عواد ، ان هذا التوقيع أي (جهينة) لم يكن من بين التواقيع التي احصاها له تلميذه البحاثة الاستاذ كوركيس !

فمن كتب هذه المقالة اذن ؟!

اننا نكاد نميل الى القول ، بان كاتب هذه الكلمة هو شاعر العراق المرحوم جميل صدقي الزهاوي وان هذا الميل ، تسنده بعض الوقائع والحقائق اهمها ما يلي :

١ ـ عدم وجود هذا المقال في (الثبت) الذي أعده الاستاذ كوركيس عواد لجميع ما كتبه الاب انستاس من مقالات ونبذ وتعليقات في مجلة (لغة العرب) وغيرها سنة ١٩٢٧ـ وهي السنة الخامسة من مجلته .

٢ ـ ان الاستاذ الزهاوي كان قد استعمل توقيع (جهينة) حين نقد شعر الاستاذ معروف الرصافي على صفحات جريدة الفيحاء الدمشقية .

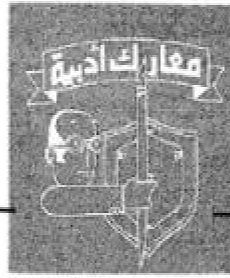
٣ ـ الخطة التي درج عليها الاستاذ الكرملي في نقد الشعر أو تقريظ الدواوين الشعرية ، اذ كان يحيل هذه الامور الى صديقه الاستاذ الزهاوي لابداء رأيه فيها . (نحتفظ بادلة ثابتة على ذلك)

٤ ـ الاسلوب الذي كتب به هذا المقال وغيره من المقالات النقدية التي زخرت بها مجلة لغة العرب ، يشير الى انه اسلوب الاستاذ الزهاوي نفسه .

٥ ـ كون الاب الكرملي ، غير شاعر ، وليس له ما للاستاذ الزهاوي

جميل صدقي الزهاوي





من اراء فى الشعر وتجديده يؤيد كون الزهاوى كاتب ذلك المقال .

٦ ـ ان للزهاوى مواقف عدة ، هاجم فيها شعر احمد شوقى ، بداها منذ عام ١٩٢٣ ، حين هاجمه بقصيدته التى رثى بها الشاعر اسماعيل صبرى ، وانتهاء برايه المنشور فى جريدة (السياسة الاسبوعية) القاهرية الصادرة فى شهر نيسان سنة ١٩٢٧ ، فماذا قال فى رايه هذا ؟ لنقرأ ما قال معا ...

« لى تجاه شوقى بك ، روحان تتناقضان : روح متواضعة ، هى تراث المدرسة القديمة ، تكاد اذا سمعت ، شعر شوقى ، تخر ساجدة لجلاله ، تارة وجماله اخرى !

وروح متمردة ، هى وليدة الثقافة العصرية فى المدرسة الجديدة ، ترى ان شوقى شاعر كبير ، ولكن لا بدرجة ان يسمى (امير الشعراء) كما يطريه المطرون . فشوقى من شعراء الماضى ! شوقى وجهه الى الوراء فى سيره الى الامام . اما اعجاب الاكثرين من الجمهور العربى بشعر شوقى ، فلكونه يناسب مستواهم ، ويلمس اذواقهم . فاذا تقدم الجمهور فى المستقبل القريب ، مات شعر شوقى الا قليلا !

ولولا تقليد شوقى للمتقدمين فى غالب شعره ، ومبالغات شوقى التى ينبو عنها الذوق العصرى لكان شوقى بحق اميرا للشعراء . ولو نظم شوقى فى الاكثر عن شعور تجيش به نفسه لاكبرته الاجيال الاتية ،اكبار جيله له »

تلك هى اهم الاسباب التى تحملنا على الاعتقاد بان كاتب مقال (الشعر فى مصر) هو الزهاوى نفسه ، ولكننا لزيادة هذه القضية وضوحا نعرض خلاصة عن سبب هذا الهجوم ! فنقول :

فى الصفحة (٢٨٣) من الجزء الخامس من السنة الخامسة بمجلة (لغة العرب) نشرت القصيدة التى نظمها الشاعر الاستاذ احمد زكى ابو شادى ، لتلقى فى الحفل التأبينى الذى يقام لتأبين عميد مجلة (المقتطف) المرحوم صروف ، ولكن المجلة نشرت بعد تلك القصيدة كلمة علقت فيها على الشعر فى مصر ، وتعرضت بشعر شوقى ، ومما جاء فى كلمتها تلك قولها :

« ومما يجب ان نتنبه له ، هو انك لا ترى فى جميع ابياتها ، خيالا كاذبا ، وتصويرا وهميا ، بل تلقى الحقيقة مبثوثة فى ثنايا كلمها ، بثا عجيبا ! وان قيل ان فى وادى النيل شعراء ينظمون الشعر ، نظما رقيقا قلنا لهم : ليس فى ذلك النظم احساس ، كما فى هذه الابيات ،ولا تجس فيه اوتار القلب كما يجسها ابو شادى ...

ثم تختتم تلك الكلمة بالقول :

على اننا لو كنا من اهل المراهنة لراهنا على انها لن تلقى فى اللجنة القادمة ، الا الاعراض عنها ، لاننا نعلم حق العلم ، ان فؤاد الفندى صروف هو صاحب شوقى ، وشوقى لا يريد ان يقوم بجانبه مناوىء لا سيما اذا كان المناوىء ممن اقر بفضله وشعره ، القاصى والدانى

والرائع والغادى مثل الحكيم ابى شادى !

نشر هذا الكلام فى العدد الخامس، حتى اذا صدر العدد الثامن من المجلة . نقرا فيه كلمة عن ("الشعر فى مصر) فما الذى وجدناه فى هذه الكلمة من الكلام الذى يجلب النظر ويوجب الاهتمام ؟! وجدنا ان (جهينة) الذى (يفترض) انه كان قد بعث بكلمته هذه من مصر ، وجدناه يمدح (ادباء العراق) مدحا ملحوظا يمكن اعتباره خروجا عن الصدد ، مادام الامر ، امر مقارنة بين شعر شاعرين مصريين كبيرين !! فماذا جاء فى تلك الكلمة التى المشار اليها الاستاذ حارث الراوى فى مقاله؟! لقد جاء فيها ما يلى :

• ويبن ادباء مصر من يدهشهم تعالى ادباء العراق عنهم ، ناسين ان هذا لا يرجع الى كبرياء وغطرسة فى الطبع ، ولاالى غرور ممقوت ، وانما يرجع الى سبب خلقى معقول : فان الكثير من الصحف والمجلات المصرية تستهويه المجاملات ، ويدين فى باب الادب عامة ، والشعر خاصة الى نفوذ شوقى بك !! » ثم يقول (يترفع اذن ادباء العراق بحق عن المشاركة فى هذه السخافات ، ويؤلمهم ان يروا رجال الشعر فى مصر ، من طائفة المحافظين ، عقبة كاداء فى طريق شاكلتهم ، ومن هم اولى بتعضيدهم ومؤازرتهم ··· وبعد كل هذا يعجب اولئك السادة المحافظون لتجنب معظم ادباء العرب - وفى مقدمتهم ادباء العراق - الاشتراك فى المهازل الشوقية ، والمجاملات الفارغة التى لم يربح منها الادب الصحيح اية غنيمة ، بل كانت عاملا من عوامل التأخر الفكرى واساءة الى نهضة الشعر فى مصر والى كرامته ؟!)

اننا لو قارنا هذا الكلام ، مع ما جاء فى رأى الزهاوى ، بشاعرية احمد شوقى بك وبشعره ، لوجدناه كلاما يتطابق فى كثير من ارائه وعباراته

نخلص من كل ما تقدم ، الى القول باننا نميل الى اعتبار كاتب مقال (الشعر فى مصر) هو الاستاذ الزهاوى سوليس الأب انستاس الكرملي ولذلك فاننا نشكر الاخ الاستاذ حارث الراوى الذى كان له الفضل فى حملتنا على كتابة هذه الكلمة فله منا مزيد الاحترام والتقدير ··

● عبد الرزاق الهلالى ●

● بغداد ●

اسماعيل صبرى



معارك أدبية

صالح جودت وأشياء أخرى

فاروق شوشة



هذا كلام غير جاد جدا أسوقه (علو الخاطر) في شبه (فلاشات) أدبية وغير أدبية - وليعذرني من تعود مني ومن غيري كلاما متسلسلا جادا مثل خطاب من الخطابات التي تلقى في مجلس الامن حول الامن ولا تحقق الامن ..

الاستاذ صالح جودت صديق للتونسيين وهو أهل لذلك . وقد قال في (الكواكب) وفي (الهلال) كلاما طيبا حول تونس بلاد (الشابي) وحول التونسيين الذين احسنوا استقبال صاحب ديوان (ليالي الهرم) ...

والاستاذ جودت قد اعجبته اصالة الكلمة العربية كما اعجبته كلمة (سي) التونسية لانها تقرن باسم عظيم القوم وباسم رجل الشارع دون ميز طبقي اجتماعي ..

ولكنني كتونسي من غير الجيل الذي استقبل الاستاذ صالح جودت ، ومن غير الادباء الذين يتلذذون « مقاتلة » الاستاذ صالح جودت للشعر الحر ، ولقصيدة النثر ، ولكل المحاولات الجريئة التي يقوم بها المجددون في العالم العربي ، اقول للاستاذ ان ايماني بالافكار المضادة لمعتقداتي هو شيء مرادف لايماني بالاشياء والمعتقدات التي يهاجمها صاحب (ليالي الهرم) بكل الاسلحة التي تملكها سنة ١٩٣٢ ، وهي السنة التي قامت فيها جمعية « أبوللو » وبالطبع جمعية « ابوللو » التي كان الاستاذ صالح جودت من اصغر عناصرها سنا قد كانت ثورة في ذلك العهد او شرارة من نار الثورة ، ثم



نازك الملائكة

.. (دارت الايام) .. واصبحت اسلحة (أبوللو) غير اسلحة المجابهة الدامية للصهيونية ، وللواقع العربي المتخلف ، ولمرحلة البناء ، ولمرحلة الرفض ، ولمرحلة ما بعد الأزمة . وباختصار شتان ما بين اسلحة ١٩٣٢ و ١٩٧٢ . فالواقع قد تغير وكذلك النقد والفن .

ومهما يكن من أمر ، فليدافع الاستاذ صالح جودت ضد التجديد ، وضد تفجير الشكل الفنى ، وضد فاروق شوشة الذى لم يتفق مع الاستاذ حول (امارة الشعر) .. ليفعل الاستاذ صالح جودت ماتمليه عليه سنة ١٩٣٢ ، وأنا شخصيا اعتبر صموده ضد التجديد ظاهرة طبيعية يقتضيها منطق التطور .. وما قيمة التاريخ لولا صراع الاضداد .. وعلى هذا الاساس فقط نصافح الاستاذ صالح جودت عن بعد ، ونقول للمجددين فى مصر وفى المشرق العربى اننا نحسدهم - نحن ابناء المغرب العربي - لاننا نملك نسخا كثيرة من الاستاذ الكبير صالح جودت ولكننا لا نملك صالح جودت وشتان ما بين الاصل ونسخة منه .

***

أثارت الشاعرة العراقية اهتمامى مرة اخرى بموقفها « التوفيقى » بين انصار الشعر العمودى وانصار الشعر الحر . وأذكر اننى تحدثت فى هذا « التساوط فى الخط » مع الشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى وقال لى ان الشاعرة « نازك الملائكة » كان من المنتظر ان تتذبذب لانها عندما كتبت الشعر الحر لم تكن ثورتها تحمل تبريرا تاريخيا وفكريا وانها منذ البدء .. كانت على الهامش ..

والمشكلة رقم واحد فى قضية الاشكال ان « نازك الملائكة » لم الشكل الا على اساس انه وعاء كاوعية الاكل والشرب . وهى تتوهم ان الشكل القديم بامكانه ان يحمل مضمونا ثوريا ، وهذا فهم تجاوزته الاحداث .

ولئن كنا نحترم الاستاذ صالح جودت على شيء فاننا نحترمه على الاقل على صموده فى اتجاهه الكلاسيكى ورفضه للتذبذب . اما الشاعرة « نازك الملائكة » .. فهى « شيء » مرفوض من رافضى التجديد ، و « شيء » مرفوض من الاستاذ عبد الوهاب البياتى وغيره من رافضى الوقوف والتوقف ..

وبالمناسبة التقى فى نقطة من نقاط الرفض لموقف « نازك الملائكة » مع حلقة من حلقات برنامج « قضايا الادب » الاذاعى . وقد احسن الاستاذان احمد اللغمانى والمنجى



الشملي عندما رفضا الموقف « التصالحي » المصطنع الذى حددته « نازك الملائكة » ..

***

قرأت بملحق النهار البيروتية حديثا اجرته الجريدة مع الشاعر نزار قباني والطريف في موقف نزار قباني انه تحول من الشعر الحر ومن الشعر العمودي الى قصيدة النثر التي ترفضها نازك الملائكة ويرفضها عبد الوهاب البياتي ويرفضها صالح جودت واحمد اللغماني والنجي الشملي ..

ومعلوم انني لست على رأى هؤلاء كما انني قد لا اسمي ما كتبه الشاعر نزار قباني (قصيدة نثر) وانما « شعرا منثورا » على اساس ان الشعر المنثور تمهيد « لقصيدة النثر » وعلى اساس ان هذه الاخيرة تمهيد لما يسمى « بالكتابة » الرافضة للشعر وللنثر معا ، والتي هي (كتابة ــ فن) وتفجير دائم للقوالب الجاهزة وللابنية الموروثة وللهياكل الخارجية التي تمكسها الهياكل الموروثة والابنية الجاهزة في الفن ..

ومهما يكن من امر ، فلااظن ان الاستاذ صالح جودت سيشك في شاعرية نزار قباني لمجرد ان هذا الاخير قد قدم دليلا اخر على جنونه الفني . كما لا اظن ان .. نزار قباني سيتهم بشيء من التهم التي تعود خصوم التجديد الصاقها ... بنزار قباني .

● محمد مصمولي ●

● تونس ●

عندما ماتت خنازير فرحات

وصديقنا الأستاذ جورج صيدح لا يريد أن تنتهي المعركة بينه وبين صاحبنا الشاعر الياس فرحات . وها هو ذا يبعث الينا من باريس بمزيد من الادلة على انه بريء من تهمة الكذب التى رماه بها شاعر الافق الجميل ، الياس فرحات يقول :



جاء في كتاب « قال الراوي » بقلم الياس فرحات طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٦٥ ص (٣٤) :

« في سنة ١٩٣٣ فجعت الامة العربية بفقدها قائدها وحبيبها الملك فيصل الاول فقامت المآتم بين الجوالي العربية في كل بلد عربي ونظم الشعراء في رثاء الراحل العظيم من الشعر ما لو جمع لكان منه مجلدات ومجلدات . ومن هذه المآتم مأتم عظيم اقامته الجالية العربية في سان باولو، ومأتم اعظم اقامته اختها في بوينس ايرس .

وقد اشتركت في المأتمين وذلك أن جاءتني من جالية بوينس ايرس دعوة رسمية للاشتراك بحفلة التأبين كما جاءت دعوة منها الى زميلي وصديقي القديم الشاعر القروي .

عندما وصلتني الدعـوة كنت في مدينة لابا في ولاية برنا . وكانت الدعوة تقول انني أجد جواز السفر في سان باولو جاهزا « لحسابي » وأن « القروي » سيكون رفيقا لي في هذه السفرة ولم يكن معي من النقود ما يوصلني الى سـان باولو وكان القروي قد كتب الي يستعجل حضوري لاعداد اوراق السفر فاجبته طالبا منه ان ينوب عني في اعداد اوراقي فاجابني :

« صحيح انك مجذوب ! كيف تريد أن أعد أنا اوراقك ولا بد من توقيعك عليها . وهب اني وقعتها عنك فلابد من صورتك . افتريد ان اضع صورتي مكانها واقول هذا فرحات » ! فراعني هذا « التهـديد » من القروي ولجأت الى الحل الوحيـد الذي يمكن ان يوصلني الى سـان باولو وذلك ان كان عندي قطيع من الغنم فيه بعض الحملان فبعت هذه وسافرت بثمنها الى سان باولو . وفي اثنـاء وجودي في سان باولو اقامت الجالية حفلتها للمرحوم الملك فيصل فاشتركت ورشيدا فيها وكان الخطيب المشهور الاستاذ (ميكال قزما) قد جاء من بوينس ايرس الى سان باولو فعرفه بي احد الاصدقاء قائلا : هذا هو الشـاعر الذي يربي الخنازير في برانا فقلت : وفي سان باولو ايضا ... »

وفي الصفحة ٢٨ جاء ما يلي : « راحت الســكرة وجاءت الفكرة . وصـــلت الى لابا فرأيت نفسي بعد مهرجانات بوينس ايرس مضطرا الى العمل فان الخنازير التي تركتها ماتت في غيابي جوعا اكل بعضها بعضا فكان اذا مات منهـا واحد يجتمع عليه اخوانه فيلتهمونه ! وهكذا لم اجد من خمسين رأسا سوى اربعة كتب لها السلامة فاتفقت مع صـديقي التاجـر (عبده نقلا) ان اتجول في داخل الولاية ابيع له لحفا » .

***

جاء في كتاب « الياس فرحات شاعر العرب في المهجر حيـاته وشعره » بقلم سـمير بدوان

معارك أدبية



لويس الثالث عشر لا السادس عشر

قطامي – طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٧١ ص (٩٩) :

• تفجع الامة العربية سنة ١٩٣٣ بفقد الملك فيصل الاول فتقوم المآتم بين الجوالي العربية وفي كل بلد عربي ، ومن هذه المآتم ، مأتم أقامته جالية سان باولو وآخر اقامته جالية بوينس ايرس في الارجنتين ، ويدعى فرحات للاشتراك في هذين الحفلين . وعندما تأتيه الدعوة يكون في مدينة (لابا) في ولاية برنا يعمل في تربية الحملان والخنازير . ولم يكن يملك من المال ما يكفي لسفره الى سان باولو فيقوم ببيع بضعة حملان ويسافر بثمنها .

• وعند عودة فرحات يجد ان الخنازير التي تركها قد ماتت في غيابه ، فيضطر الى العمل متجولا من جديد ، ويتفق مع صديقه التاجر عبده تقلا ان يتجول في داخل ولاية برنا يبيع له لحقاً .

• لم يهدا فرحات بعد ذلك . بل استمر في حياة المشاق والكفاح ، فتارة نراه يعمل وسيطا لبعض المصانع حيث كان له ٥٪ من قيمة البيع (في ولاية ميناس) ثم يجعل له صاحب المصنع النسبة ٣٪ .

• وتارة نراه ينتقل في بيع المأكولات أو عرض النماذج لبعض المصانع من مكان الى اخر ، وأخيرا نراه يترك ولاية برنا سنة ١٩٤١ منتقلا بأسرته الى ولاية ميناس ، حيث يبدأ سلسلة أخرى من تحديات الزمن والمصاعب .

من فمك أدينك يا فرحات ..

أعليه الهلال على موقفها الشريف ..

الحقائق أولى من الصداقات الكاذبة .

جورج صيدح

في عدد فبراير سنة ١٩٧٣ من الهلال ـ وهو الخاص بالمدينة الفاضلة ـ نشرتم مقالا جيدا للدكتور حامد ربيع عنوانه : « كامبانيلا ومدينة الشمس » وقد جاء فيه أن السفير الفرنسي في ايطاليا (قد ساعد الفيلسوف الايطالي كامبانيلا على أن يغادر الأراضي الايطالية حيث قضى بقية حياته في باريس تحت حماية ملك فرنسا لويس السادس عشر) وفي موضع آخر من المقال نشرتم صورة للملك لويس السادس عشر وقد وضعت فوقها هذه العبارة : « لويس السادس عشر عاش كمبانيلا تحت حمايته بباريس » .

واسمحوا لي ان اصحح ماقد عن الحق والصواب في هذا الكلام ، حتى لا يختلط الأمر على القراء الكرام . فان الفيلسوف الإيطالي « تومازو كامبانيلا » ولد سنة ١٥٦٨ كما هو معروف وكما جاء في مقال الباحث الفاضل نفسه وتوفي سنة ١٦٣٩ كما جاء في المقال نفسه ، وكما هو مدون معلوم في كتب الفلسفة والتراجم والموسوعات التي ترجمت لهذا المفكر . فليس من المعقول ـ اذن ـ ان يكون التجاؤه الى فرنسا ، واحتماؤه بملكها ، في عهد لويس السادس عشر ، الذي تولى الحكم في فرنسا سنة ١٧٧٤ ، ومات سنة ١٧٩٣ . محكوما عليه بالاعدام في الثورة الفرنسية .

وقد مات الفيلسوف كامبانيلا قبل أن يولد لويس السادس عشر بمائة وخمسة عشر عاما ، وقبل ان يجلس على العرش بمائة وخمسة وثلاثين عاما . ودوت شهرته في ايطاليا وفرنسا وأوربا كلها والملك لويس السادس عشر لايزال جنينا ببطن الغيب لا ببطن أمه ...

ومن هذه التواريخ لولد الفيلسوف كامبانيلا ووفاته يتضح أن الملك الفرنسي الذي لجأ كامبانيلا الى حمايته بباريس هو الملك لويس الثالث عشر ـ الملقب بالملك العادل ـ الذي ولد سنة ١٦١٠ ، وتوفي سنة ١٦٤٣ ، وانتقل الملك الى ولده لويس الرابع عشر في ذلك التاريخ .. أرجو التفضل بنشر هذا التصحيح خدمة للحقيقة والتاريخ

محمد عبد الغني حسن



عود الحطب

قصة قصيرة

يقول علماء النفس في مؤلفاتهم :

« العادة ميل مكتسب بالتكرار » ... وتلك الحقيقة تثبت صحتها لكل من يستقل احد الاتوبيسات التي تسير ما بين الزقازيق

وميت نجم ... فقد اصبح سائقوها يعملون ارجلهم تلقائيا دون تفكير ، في الفرامل مهدئين من سرعة سياراتهم في غدوهم ورواحهم عندما يلمحون عود الحطب الذي يقف نشازا عند حافة البساط السندسي الاخضر المطل

على الطريق الزراعي ، وهناك يهب الركاب واقفين ، ويهرعون الى النوافذ .. يتدافعون ويتزاحمون صوبها مشرئبين باعناقهم مشيرين بسباباتهم الى ذلك العود اليابس وقد ارتفع لغطهم ...

والآن نترك هذا المشهد ونرجع الى قرية الرامة حيث حدثت فضيحة في البلدة الصغيرة عندما هربت زوجة أحد معلمي المدرسة الابتدائية مع شاب آفاق .

ان الناس الذين يقطنون المدن الكبيرة لا يكادون يدركون كيف تنتشر مثل هذه الانباء بسرعة البرق في مكان محدود مثل الرامة .

وما تثيره من تعليقات عن العفة والفضيلة وغضب السماء ويمكننا تصور الفضيحة عندما اختفت سارة اسحاق ،

المتزوجة بعضو من هيئة التدريس بالمدرسة مع شاب خالي الوفاض، صفر اليدين يدعى صموئيل دافيد . كان هذا في يونيه ١٩٦٤ .

لقد اصبح الزوج جورج بشارة محطم القلب كما نطق ذلك بلسانه . كان رجلا وقورا قصير القامة ممتلىء الجسم ذا لهجة مهذبة .. عف اللسان شأنه شأن افراد عائلته التي كانت تربي أولادها على نسق عال من الاخلاق .

كان هناك احتمال ان يقدم استقالته ويرحل من البلدة . بيد أن محاولات كبيرة قد بذلت لتجنب الفضيحة . لقد زاره الاب قسطندي قسيس القرية في اليوم التالي لهرب سارة ليواسي أحد رعاياه في محنته وليمد له يد المساعدة . لم يكن يعلم بذلك الأمر بعد سوى قلة من الناس . عند انتهاء اليوم المدرسي ، الذي تغيب فيه جورج عن عمله ، توجه القس اليه في منزله . كان رجلا طويل القامه أبيض البشرة والشعر . ذا لحية قصيرة وعينين

صافيتين . ويتميز بحس رقيق . لقد شعر بانقباض وهو يسمع الغربان تنعق فوق أعالي الاشجار .

استقبله جورج بشارة في حجرة معتمة كئيبة مقبضة للنفس . بها

مكتب قديم وبضعة مقاعد . ووقف قبالته ساهما فقال له القس :

– اجلس ... يا صديقي العزيز ! .. أنها فاجعة لا شك . ولكنك يجب أن تتشدد ولا تستسلم لليأس .

حجب جورج عينيه براحة يده في غمرة من الحزن والاسى ، بينما

جلب القس كرسيا وجلس بجواره وأخذ يربت برفق على

كتفه وهو يتنحنح استعدادا ليبدأ نصائحه التي أعدها لهذه المناسبة

غبريال وهبه

• عندمـــا جلس جورج وهو ينتفض ..

— يا للفضـــيحة ! انني محطـــم النفس . مهيض الجناح أيها الاب الورع .. محطم النفس .. مهيض الجناح !

— يجب الا تستسلم لاحزانك بهذا الشكل .. ليســت هناك فضيحة

تمسك . اى نعم هناك فضـــيحة ولكنها تمس الآخرين !

— ولكن فكـــر في مركزى . لقد فقـــدت اعتبـــارى وهيبتى .. واشعر بانني يجب ان اقدم استقالتي .

— اســـــتقالتك ؟ هراء ! .. يجب الا تقدم على ذلك .. لماذا ؟ ..



والا كنت كمن يعترف باقترافه اثما ..

— ولكن كيف يكون موقف ناظر المدرســـة مني ؟

— لقد رأيته هـــذا الصــباح . وقد طلب مني ان أبلغك مؤازرتــه لك في شدتك ورغبته في مقابلتك . وانني اعلم ان الاســـتاذ خطاب سيتضايق، بل وسيغضب ان تحـــدثت عن الاستقالة .

زفر جورج زفـــرة حرى . واســـترخى فى مقعده ..

استأنف القس حديثه قائلا :

— يجب الا تفكر ثانية في الاستقالة . فانت لم تذنب وترتكب اثما . بل انت المطعون والمعتدى عليه . صـــحيح ان

تصرفها يتسم بالطيش والحماقة . ولكن هناك دائما الرحمة والتسامح

. فحاول ان تعفو عنهـا ولا تتوان فى أن تعيدها

الى بيتك مرة أخرى . وبهذا تتجنب الفضيحة، وتعود الميـــاه الى مجاريها .

هز جورج رأسه وهو يغالب البكاء ، وأخرج

من جيبه ورقة مكورة . ثبت القس نظارته فوق عينيه وقطب جبينه وقرأ ما يلى :

.. عزيزى جورج

• اكتب اليك لاخبرك انني قد هجـــرتك الى الابد مع صمويل دافيز الذى احبه . وسيسعدني ان تطلقني . ولكنني اشك في أنك ســتحقق لى امنيتى .

انى اعلم انك ستشعر بالمرارة . وسوف تلتمس الاعذار لنفسك وتكدس الذنوب كلها فوق رأسي. ولكنني اعلم ايضا انني افعل الشيء الوحيد في الحيـــاة الذى يمنحني الحرية والســـعادة . انني عشيقة صمويل منذ ثلاثة اشهر ... انها لحظات خاطفة نلت فيها سعادة لم اذق مثلهـــا طوال حياتي من قبل . لا تتصور انني ساعود اليك . وحتى اذا هجرني صمويل فانني افضـــل الموت على الحيـــاة معك تحت سقف واحد .

يجب ان اتحدث اكثر من هذا .. ولكنني ذاهبة الى حبي ، الى سعادتي ... والسعداء لا وقت لديهم لاضاعته سدى..

انني آسفة اذا كان هذا ســيؤلمك ، ولكنني سئمت الحياة معك ومع

ذلك ارجو لك السعادة .

سارة .

•يونيه ١٩٦٤

•••

وضع القس الخطاب فوق ركبته على مهـــل



وخلع نظـــارته ثم قال مؤكدا :

ـ جـــورج ! ·· تلك رسالة مؤلمة قاسية · ولا تصـــدر من شخص لديه ذرة من الكرامة ·

***

ومع ذلك فلننظر الى الموقف من زاوية أخرى·

ان سارة هى الابنة الرابعة فى عائلة اسحاق هارون الذى كان يعمل أمينا لمعمل مدرســـة ثـانوية فى مصر · كان أبوهـــا فى الدرجة الخامسة ويعيش عيشة

راضية الا ان الوعود الخلابة أسالت لعابه وجعلته يلجأ الى تقديم طلب لزيارة أقـــاربه المقيمين بايطاليا ومنها هاجر الى اسرائيل بهذه الحيلة ·

وهناك صـــدم عندما راى الوظـــائف المحترمة مقصورة على يهود اوربا وامريكا ··· فعانى من الفقر والبطـــالة الشىء الكثير · واخيرا اضطر

ان يعمل صبى خباز · كان عليه ان يصحو فى الرابعة من صـــباح كل يوم ليســـير على قدميه عشرات الكيلو متـــرات موزعا الخبـــز على الزبائن ·

عانت ســـارة كثيرا من شظف العيش · وقد لاحظت أسرتها أنها غريبة الاطوار ·

كانت تحب قـــراءة القصص والاســـاطير القديمة وقضاء ساعات طويلة وحـــدها فى الحقول قابعة تحت ظلال

اشجار البرتقال تطوف بمخيلتها احلام المراهقة · فها هو ذا فارســـها قد جاء واختطفها فوق صهوة حصانه الاشهب

·· وها هى ذى تشعر بذراعه تلف خصرهـــا بقوة · وبدروعه الفولاذية الصـــلبة تلمس يدها ووجنتها فتشـــعر بالامن

والدفء وهى تهتـــز وترتج فوق الجـــواد الراكض الذى راح ينهب مزرعة كبيرة يتوسطها قصر منيف ·· وها هى ذى تنجب العـــديد من الابناء يعمـــرون أرض الميعاد ···

كانت تعود الى دارها وقد امتلأت عينـــاها بالنشـــوة وهى ما زالت مســـتغرقة فى احلام اليقظة · فيقابلونهـــا بالسخط والاستنكار ·

وعندما بلغت التاسعة عشرة من عمـــرها كانت تقضى معظم وقتهـــا جالسة فى هدوء لائذة بالصمت ·

اما كيـــف تزوجت جورج بشارة فقد لعبت الاقدار دورها فى هذا الزواج · كانت الأسرة تعيـــش فى فقر مدقع

وخاصـــة بعد أن مات عائلهم ، اسحاق هارون · واذا بسارة تصدمها سيارة فتصاب بكسر فى

فخـــذها وتنقل الى مستشفى حيفا · وهناك وضعوا ســـاقها فى الجبس ·

كانت المريضـــة التى تشـــاركها الحجرة انطوانيت شقيقة جو··

الذى مال الى ··
شقيقة ثم مال ا

•فتقدم طالبا يدها • لم يكن بالطبع فارس أحلامها القديمة ولكنه كان الرجل الوحيد الذى تقدم اليها • فدفعتها الاسرة الى قبوله حتى يخفف عنهم بعض العبء الذى ينوءون تحت ثقله•

لم تكن تكرهه وخاصة بعد أن تردد كثيرا على المستشفى ليعود اختها • كان شابا خجولا عطوفا قليل الكلام • لقد اشتهاها بعنف ولكنه كان يقاوم هذا الشعور حتى بينه وبين نفسه •

ثم تزوجا بعد أن قدمت للقس الذى عقد زواجهما طلبا صوريا للانضمام الى المسيحية• وقد حاولت فى أول الأمر أن تتظاهر بأنها سعيدة •• لم تحمل منه• وبذلت

قدر استطاعتها لتقوم بواجباتها كربة منزل • بيد أنها كثيرا ما امتدت يدها الى كتب زوجها القيمة فتبيعها لتشترى بثمنها الملابس الغالية •

وفى غضون سبعة أشهر أصبحت لا تشعر بالسعادة • وتسرب الملل اليها من الحياة الرتيبة التى تحياها • ورويدا

رويدا وجدت نفسها تنساق الى المشاجرة مع جورج لأتفه الاسباب • كانت هذه التوافه رموزا للعداء والنفور الخفى الذى لم تكن تدركه •



كان يقابل ثورتها باللين والملاطفة دون أن يظفر منها الا بالامتعاض •وكم كانت تنفر وتشمئز من قبلاته قبل النوم •

وبعد عام ونصف من الزواج اضحت تكاد تنفد من السآمة والضجر

• ولم يكن يريحها الا نوبات البكاء فتتحسن حالها ليوم أو اثنين •

***

كانت سارة تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها بعد انقضاء زهاء أربعة أعوام منذ زواجها عندما قابلت صمويل ••

كان ذلك فى أثناء زيارتها لاحدى صديقاتها •• لقد بهرها شعره الاشقر وفمه الذى يشع منه الدفء • كان حديثه مرحا وضحكاته رنانة • وأحست بالحزن عندما رأته ينهض منصرفا • وها هى ذى تراه ينظر

الى عينيها نظرة مشربة بالود والصداقة • وعجبت اذ شعرت بتصاعد الدم الى وجنتيها •

وفى تلك الليلة رأت فيما يرى النائم أنها فى حفل كبير أقيم لتتويجها ملكة ، وقد تقدم منها صمويل الذى

عين ملكا على البلاد ، بعد أن وصلت اسرائيل الى ما كان يراود خيالها • وألبسها تاجا ذهبيا •

ولا حاجة بنا أن نقول انهما وقعا فى الحب وكان لهذا تأثيره السحرى على سارة التى أصبحت تبدو جميلة فى أعين الجميع •وتشع الحيوية من عينيها الزرقاوين المتبلورتين • وكانت تارة تبدو مبتهجة مرحة منشرحة وتارة أخرى تصمت ساعات طوالا ، شاردة اللب • هائمة فى أودية الخيال

• وكان يبدو انهـــا تحتضن سرورا خفيا • لم تكن ترى الا شيئا واحدا ••• ان صمويل رجلها • وانهـــا تحب لأول مرة واستطاعت ان تخدع زوجهـــا بهدوء مصـــطنع • ولم تكن تبالى قط بالمستقبل ، وكانت تعيش فقط على امل اللقاء التالى معه الذى لم يكن سهلا •

واخيرا وجد عمـــلا متواضـــعا فى شركة العال بتل ابيب • وبدلا من ان تحلق فـــوق اجنحة السعادة سارت ســارة بخطا ثقيلة الى حيث تلقاه • لقد اختفى النور من العـــالم كانما ســـقط احدهم على زر لغرفات البلدة الصغيرة فى الظـــلام والطين والشوشاء • انهـــا تخشى ان ينقضى كل شىء بعد رحيل صمويل •

اســـتقبلها صمويل بذراعين مفتوحتين عندما قدمت الى حجـــرته • وعندما قبلها لاحظ انها ترتجف وان شـــفتيها ســاخنتان وجافتان • فنظر اليها مليا وشاهد الما شديدا فى عينيها •

ــ ما الذى حدث ؟ماذا دهاك ؟

حولت وجهها ناحيـــة اليمين فراى دموعـــا غـــزارا تنهمل على وجنتيها • واحس بهـــا مسترخية بين ذراعيه ، وعهده بهـــا ممتلئة حيوية ونشاطا •

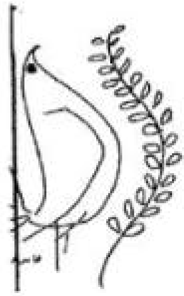
ــ عزيزتى الجميلة ، اخبرينى ما الذى حدث ! اننى لا استطيع احتمال تعاستك • ما خطبك ؟

فقالت وهى تبذل جهدا كبيرا :

ــ كنت افكـــر فى ان ذلك •••

واختنق صـــوتها ••• فتناول راسها بين يديه ، ونظر فى عينيها المبتلتين بالدموع • وتحدث على مهل :

ــ هـــل تظنين ذلك حقا ؟ هل تتصورين اننى استطيع ان افقدك انت يا شـــعاع حياتى ويا زهرتى الجميلة ؟



شعرت سارة بجاذبيته ولطفه •

ــ لم افكر فى ذلك من قبل !

ــ حقا ؟

ــ لاننى فى غمـــرة السعادة • كما اننى اثق بك •

ــ ولكن الذى يبدو لى الان انك لا تثقين بى ؟! يا عزيزتى • تعلمين اننى يجب ان اذهب ، ولكننى لن ارحل وحـــدى •• مالم ••

لم تنبس ببنت شفة •

ــ سوف تاتين ؟

ظلت صامتة •

ــ اننى فقير • وها هى ذى الفرصة تسنح لى بوظيفة صـــغيرة ضئيلة المرتب • ولكن هذا افضل من حيـــاة التشرد ••

فقبلته قائلة :

ــ لا تكن احمق •• اننى متيمة بك • ولو لم تكـــن تريدنى ، لقتلت نفسى •

***

مرت خمسة اسابيع ولم يطلقها جورج • فقد منعته كبـــرياؤه من الوقوف فى المحكمـــة ليعترف ان امـــراة تنحت عنه وهجرته دون تردد فرحة مسرورة •

ولم يكن يحتمل فكرة قراءة خطاب سارة على الملا .

كانت سارة وعشيقها في سعادة معا . وكان أصدقاؤهما ليسوا من هؤلاء الناس الذين يسألون عن كنه العلاقة بينهما ونوعها قبل أن يمدوا اليهما يد الصداقة .. أحبت سارة حياتها الجديدة . وقد أطربتها المغامرة التي هزت وجدانها وعواطفها . انهما يقطنان شقة صغيرة مكونة من حجرتين متواضعتين في تل أبيب .. وكثيرا ما كانت تتردد وهما يتنزهان معا سيرا على الاقدام في شوارع المدينة :

ـ ما أحلى اللهو والمغامرة !

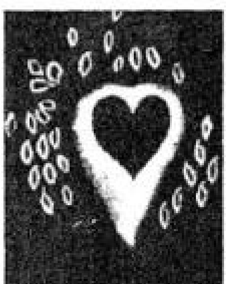
لم تكن سارة تبالي بدخول السينما في المقاعد الامامية الرخيصة مع يهود الشرق الفقراء الذين كانوا يكثرون من البصق على الارض . وكانت تحرم نفسها من تناول وجبة الغداء لكي توفر أجر تذاكر السينما ان ثلاثة جنيهات في الاسبوع لم تكن كثيرة بالنسبة لشخصين في وقت تستعد فيه اسرائيل للحرب . واصبح الغلاء فيه فاحشا . تذرعت سارة بالصبر والشجاعة .

وكان عليها ان ترتق ثيابها القديمة متناسية ان هذا ما كانت تبتئس منه في صغرها .

وذات مرة سرق منها كيس نقودها وكان به خمسة جنيهات من نقودها الضئيلة فاعترفت لصمويل بذلك فالقى عليها محاضرة طويلة في ضرورة التيقظ والحرص على المال والمحافظة عليه .

فتذكرت سارة كيف كانت تتصرف في كتب جورج بالبيع دون ان يحرك ساكنا او يوجه اليها كلمة تأنيب واحدة . فانفجرت باكية ...

ومرت على علاقتهما معا ثلاث سنوات . وما جاء عام ١٩٦٧ حتى تحسنت الحالة . فقد تم تدريبه على قيادة الطائرات ونقل الى وظيفة مساعد طيار . فأصبحت سارة تدخل السينما في الدرجة الاولى . وارتاحت من رتق ملابسها القديمة . وابتسمت لهما الحياة وبدا لهما انه لا توجد قوة بشرية تستطيع أن تحطم سعادتهما .



ولكن لم تلبث الحال ان تبدلت . اذ جند صمويل والحق بسلاح الطيران . وأخيرا لاح شبح الحرب في الافق واصبحت اسرائيل تهدد بغزو سوريا فاعلنت مصر ان أي اعتداء على أي بلد عربي هو اعتداء عليها وانها ستدخل الحرب فورا اذا ما نشبت الحرب . كانت سارة في خوف مرير ورعب رهيب من أن تفقد صمويل اذا ما نشبت الحرب . وها هي ذي تعاني الاما مبرحة كلما مر بذهنها هذا الخاطر .

وودعها صمويل ذات ليلة . واخذت تقبله وهي تتظاهر بالسعادة . وشعرت بعده بفراغ موحش وكآبة وتعاسة لا توصفان . وقد أمضها

البكاء .. وكانت تعجب كما لو كانت طفلة من اين تأتى كل هــذه الدموع ؟ ! . لقــد انحصرت كل سعادتها فى الخطابات التى كان يبعث بها صمويل اليها من معسكره السرى . كانا يتبادلان الخطابات يوميا ... خطــابات مملوءة بالعواطف الحارة والتى يمكن تلخيصها فيما يأتى :

« اننى أحبــك .. ما أتعسنى بدونك ...

كم أتمنى أن تجمعنــا الحياة معا ثانية .

اصبحت سارة خائرة النفس حزينة وقد جف عودها وشحب وجههــا وانطفأ بريق عينيها . انها لا تستطيع تصــور فكرة الموت ، أو تشويه جسد حبيبها الذى طالما غمرته بقبلاتهــا . ان الافكار الســوداء تلح عليهــا ليلا ونهارا .

كانت تقتطع من قوتها لترســل له الهدايا . واستمرا يكتبان الرسائل لبعضهما يوميا . وكان يحدث احيانا ان تمــر بضــعة ايام دون ان تتلقى خطابا منه فكانت تعيش فى فــزع من ان يكون قد اصابه سوء . ثم لا تلبث أن يصلها خطابان او ثلاثة دفعة واحدة . فربمــا يكون قد انتقل الى موقع اخر

انتهى شــهر مايو وسحب الحرب تخيم على الشرق الاوســط وجاء شــهر يونيه وفى صبيحة اليوم الخامس منه انتشرت أنبــاء الهجوم الجــوى على مصر والاردن وسوريا.

اضــطربت وازدادت ضربات قلبها شدة وهى تســـتمع لهذا النبأ وارتجفت ساقاها حتى لم تعــودا تقويان على حملها . اذن فهو فى المعركة ! .. يا الهى انه فى المعركة !

مر يومان دون أن تصلها منه خطابات وهى تكــاد تجن . وفجأة ادارت الراديو واخذت تبدل وتغير فى أطــول الموجــات . فاذا المذيع يقول :

« هنا القاهرة .. لقد اسقطت المدفعية المضادة طائــرة اسرائيلية فى احــدى ضواحى مدينة الزقازيق . فقفز الطيار بمظلته الواقية . وهبط فى حقــل . وما ان وطئت اقــدامه الارض حتى شهر مسدســه واطلق منه الرصــاص على احدى الفلاحات . فاندفع زوجها ومعه رهط من الفــلاحين وتلقفوه بالعصى والفئوس فخــر صريعا . واتضــح من بطاقته ان رقمه العسكرى ٣٨٤١٢٩ ويدعى صمويل دافيــد . وقد دفنه الاهالى هناك ووضعوا شاهدا على قبره عودا من الحطب » .

انســلت من المنزل دون أن تنبس بحرف واخذت تسير ساعات متوالية خلال شــوارع تل أبيب المملــوءة بالضجيج والغبــار فى جو يونيه الخانـق دون أن تلــوى على شىء . وكان وجهها مكتئبــا تشــوبه صفرة تحاكى الموتى . لم تبــك .. ولكنها بين الحين والاخر كانت تمد الى اصابعها تمسح بها العــرق من فوق جبينها بحركة الية . كان جســدها كله يؤلمها من راســها الى قدميهــا . وكانت ترتجــف من التعب والحزن .

وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة . شاهد شرطى الدورية امــرأة تلقى بنفسها امام احدى السيارات التى كانت قــادمة بسرعة . ولم يســتطع انقاذها قبل ان تدهمها السيارة وتقضى عليهــا ...



د. نعيم عطية

من الأدب اليوناني المعاصر

الأوديسية الجديدة لكازنتزاكى

تعتبر « الاوديسية الجديدة » التى كتبها شاعر اليونان واديبها الاكبر نيقوس كازنتزاكى « ١٨٨٣ - ١٩٥٧ » من أضخم الاعمال الشعرية ليس فى اليونان الحديثة فحسب بل وفى الادب الاوربى قاطبة .

ويكاد هذا العمل الذى يزيد على الثلاثة والثلاثين الف بيت يكون مجهولا من القارىء العربى ، فهو لم يترجم الى لغته بعد ، ونظرا الى اهمية « الاوديسية الجديدة » كعمل متميز اقتضى من كاتبه اشد العناء واكبر الجهد فى انجازه ، فمن الجدير ان نلم المامة عاجلة بمضمونه ، وبالظروف التى كتب فيها ايضا .

مضمون الاوديسية

يستهل الشاعر قصيدته بأن يطلب الى الشمس التي ترى كل الاشياء ، الا يغيب بصرها عن اوديسيوس ، وأن تحكى له ما سوف يحدث ، وسوف تتحول كل هذه الأمور المرئية في بوتقة الشاعر الداخلية الى اشكال متحركة .

عندما عاد اوديسيوس الى اثياكا بعد رحلته الاولى عمد الى تطهير الجزيرة من الادعياء . لكنه لا يشعر بالاستقرار في جزيرته . فقد غرست الأقدار في صدره قلبا لا قرار له ، وفي عقله بذرة مضيئة ، ودست في يده مدية من الصلب . ولهذا كان مكتوبا الا يبدد عمره في اثياكا التي تقصر عن طاقته .

رفض اوديسيوس السعادة العائلية الى جوار زوجته الوفية بنيلوبي . وقرر ان يخرج في رحلة جديدة .

خرجت السفينة الى عرض البحر لا تعرف وجهتها . فلتذهب الى اسبرطة . فقد حملت الرياح الى اوديسيوس شكوى هيلين في قصر مينيلاوس . انها مخلوق قلق لا يعرف الراحة مثله . قتل اوديسيوس حارس المدينة وخرج هاربا بها . حاملا اياها الى مركبه .

الى اين تمضى سفينة هؤلاء القراصنة ، وقد اصبحت في عرض البحر من جديد ؟ الى كريت حيث تبشر الدلائل بمقدم عهد جديد . ملكها في الطريق الى كهف الثور ليستمد منه قوة جديدة . ينضم اوديسيوس الى الرعية ، ويحرقون قصر « الملك – الثور » ذات صباح في الربيع . ينصب اوديسيوس على العرش التليد ملكا جديدا . ويترك على أرض الجزيرة هيلين وابنها الرضيع .

الآن ، وقد خرج أوديسيوس ورفاقه الى عرض البحر من جديد ، فالى اين يقصدون بسفينتهم التلهفة للاسفار والمغامرات ؟ الى مصر ، حيث نما الى علمهم من ملك شرير عذابات الطبقة العاملة

يقول أوديسيوس عن مغامرته هذه :
« من قبل كان مطلب الجمال يقودنا . وقد اوصلنا الى هيلين الاسبرطية ، أما من الآن فصاعدا فان الجوع اله ذو سلطان ايضا . ويعبر ذلك عن انشغالات كازنتزاكى الاجتماعية ، وحلول مطلب العدالة الاجتماعية محل مطلب الجمال .

يصل اوديسيوس الى هيليوبوليس، المدينة المقدسة . ويشارك في ثورة العبيد فيؤسر ويلقى به في السجن . يستدعيه كي يبدد عنه كآبة حطت عليه . يرقص اوديسيوس امامه رقصة مخيفة وقد ارتدى قناعا من الخشب كان قد نحته ، للاله المحارب ، في سجنه ، اشد الانزعاج كان قد رأى في حلمه رأسا يشبه هذا القناع .

ان الحضارة الفرعونية بدورها تجيء ، كل من حضارة اسبرطة وكريت من قبل .

يمضى اوديسيوس الى الجنوب . وقد الى على نفسه ان يبنى مدينته المثالية عند منابع النيل .

يصعد الى قمة جبل حيث يخلو الى نفسه سبعة ايام يستلهم فيها صورة المدينة وقوانينها العادلة . يأتي اليه الهام الاله في رؤيا مثل لهب يخترق الوجود .

هو الآن مستعد لبناء المدينة الفاضلة ، لكن ثمة ثعبانا صغيرا خبيثا – يمثل الشك والاغراء – يعبث في عقله ويسخر منه .

وعندما ينزل اوديسيوس من الجبل يجد شعبه قد انقسم على بعضه ، فيقرر ان يقتلاه ولو رغما عنه . وينجح في بناء مدينة فاضلة قانونها ان الاين يجب ان

من الأدب اليوناني المعاصر

يتجاوز الاب .

لكن البطل لا يهتز بعمله . فالبركان الذى باعلى الجبل ينفجـــر ، ويلقى بحممه على المدينة المثلى . ويصحب ذلك زلزال كبير يدك المدينة دكا .

يعتزل اوديسيوس العالم ويصبح راهبـــا يحج اليه الناس ليتبركوا بحكمته . ولكنها حكمة مريرة قاسية. ليس ثمة فردوس او جحيم ، ليس ثمة فضيلة او عدالة . لقد وصل البطل الى قمة يأسه .

تطهر اوديسيوس من ربقة الموجودات . ويبلغ حريته كاملة . الاشياء فى نظـــره حلم يولده العقل برهة ، ثم لايلبث ان يتبخر وينطفىء . ان العالم كله من خلق عينيه .

يمضى اوديسيوس جنوبا . ويمثل الموت أمامه فى هيئة فراشـــة ليلية كبيرة ، كما فى بعض الأغانى الشعبية الكريتية . يلتقى بقافلة امير يستمع الى كلمات الراهب اوديسيوس الذى يقول له « الموت ملح الحياة » وعندما يصلان الى المدينة تستضيفهما غانية ترد على اوديسيوس قائلة « حتى لو كانت الحياة مجـــرد طيف زائف ، فسأســـتمتع بها حتى يغمض الموت عيني » .

يواصل اوديسيوس رحلته وحيدا ..

تتفتح فى جبين البطل عين ثالثة يرى بها الموت قبالته . يســـتمهله الجوال الهائم على وجهه حتى يصـــل الى البحر من جديد ، ويبنى سفينته الاخيرة ، يبنى نعشه .

وفى الطريق يلتقى بناسك اعيته حياة الفضيلة . يلفظ انفاســـــه الأخيرة ، بين ذراعى اوديســـيوس الذى يسأله عن ســـبيل الخلاص ، فيجيبه الناسك ان الفضيلة لم تحقق له راحة البال ، ولوكتب له عمر جديد لغير طريقة حياته كلها .

يتصلب الجثمـــان الذى انطلقت فيه جذوة الحياة ، ولكن راحة اليد تظل مبسوطة الى ان يودع فيهـــا اوديسيوس حفنة من التراب ، فتطبق عليها وتستريح .

ويصادف اوديســـيوس فى طريقه قبطانا فيه شبه كبير من دون كيشوت المثالى غير العملى ، ينقذه من قبضة بعض البرابرة كانوا على وشـــك ان يأكلوه مشويا . وفى حديثهما يقول له اوديســــيوس : اننى احيى فيك الجنون الذى يعادل جنونى ، لكننى ارفض تصورك للحياة .

كما يلتقى اوديسيوس بنبيل يفخر بانه كالنحلة ، يرشـــف الرحيق من كل زهرة . فيحدثه اوديســـيوس عن حبه المتأجج للحياة . ثم يهبط الليل، فيرى فى حلم مزعج رجـــلا عجوزا يذبحه ابناؤه ليظفروا بزوجاته .

يبلغ اوديسيوس فى النهاية شاطىء البحر . استقر عزمه على ان يقطع الاشجار ليبنى من اخشابها سفينته . وعندما تكتمل يبحر بهـــا الى القطب



ميجيل اونامونو : طموح الادب ليواجه المشكلات الانسانية العامة

الجفويى .

انه الآن فى عزلة تامة ، سعادته غامرة وبلا حدود ، تغيب الشمس فى الضباب ، يقصر النهار ، وتضحي تيارات الماء اقوى واشد . الشفق القطبي يغمر السماء . في الليلة ذاتها يرتطم مركبه بالصخور . ينزل اوديسيوس الى الشاطيء ، ويبلغ قرية يقضى الشتاء بين سكانها . جليد ، وجوع ، ورعب من غوائل الطبيعة ، وصلاتهم تتلخص فى « يا الهى ، لا تقتلنى » ثم ياتى الربيع ويعد اوديسيوس قاربا جديدا من جلد وعول البحر . يخرج اهل القرية على زحافاتهم وسط الجليد وقد غمرهم الفرح . من البحر ، يتابعهم اوديسيوس وفجاة ينشق السهل الابيض ، وتبتلع الارض اهل القرية بزحافاتهم . لقد قتلهم الاله

ان الانسان انما يبحر على سفنتين ربانه الموت .

يعود الشاعر فيطلب من الشمس ان تأخذ اوديسيوس بين احضانها . تبكى الشمس من اجله . لقد قبع الموت قبالته على مقدمة القارب . تتزاحم الذكريات فى عقل اوديسيوس . حياة حافلة لم يكن بالامكان ان يرجى غيرها . يضيء فى ذهنه حلم . الطيور والوحوش والنجوم والافكار الكبيرة والاشباح تأتى موجة فى فى اعقاب موجة لوداعه .

يختفى الموت من مقدمة القارب . يمد اوديسيوس ذراعيه ويترك التيار يجرفه . ان الاوان كى يفترق عن جسده فيبعث بالتحية الى الارض والنار والهواء والى العقل فى النهاية ، ذلك البناء الكبير الذى جعل الكل متماسكا .

يمر امام اوديسيوس جبل من الثلج العائم ، « انه الفيل الذى سينقله الى هادس ! » يقفز من قاربه اعزل عاريا ويتسلق الحائط البللورى . يغنى البحر مرثيته . وينادى اوديسيوس رفاقه « يا ايها الرفاق، يا ايها الاحباء ، الاحياء منكم والاموات ، تعالوا الى ، تعالوا » .

كل الرفاق الذين احبهم اوديسيوس يأتون اليه . يجلسون الى جواره على جبل الثلج . وكل الاشياء التى احبها ايضا ، من نبات وفاكهة وحيوان ، محمولة على سحابة تقيل . وتفد الى الاسماع اغنية العود الابدى .

يتحرك جبل الثلج مبتعدا مثل كتلة من ضباب .

ويدعو الشاعر الشمس دعاء الختام . فتبكى وهى ترى بطلها الحبيب يتلاشى مثل خاطرة عابرة .

كتابة الاوديسية

انجزنيقوس كازندزاكى صياغته الاولى للاوديسية فى الثانى والعشرين من سبتمبر عام ١٩٢٧ . لكن الشاعر لم يكن يحس بالراحة لذلك . فمازال هناك الكثير مما يريد ان يقوله محتبسا فى اعماقه .

يقول كازندزاكى انه طوال حياته اجهد فكره من اجل الوصول الى فكرة كبيرة تعطى معنى جديدا للحياة وللموت ، وتكون عزاء للانسانية . وقد صور كازندزاكى اوديسيوس مدفوعا بعطش فى اعماقه للحياة لا يرتوى ، وهو الذى جعله يمضى رغم كل شيء فى رحلته الاسطورية التى ترويها ابيات الملحمة الجديدة . ان اوديسيوس يقوده جوع اليم يعادل الاحساس التراجيدى بالحياة . ولقد كانت المادة التى عليه احتوازها واستيعابها ضخمةوغير ذات حدود . واوديسية كازندزاكى لم تكن عملا

محليا قوميا بل عملا انسانيا عالميا .
وقد كان زاد كازنتزاكى الكاتب من الفلسفة اكثر من الادب ، فاستطاع بذلك، مثل معاصريه الكبيرين أونامونو الاسبانى وبيجى الفرنسى ، ان يطور الادب من مجرد كلمة منمقة منتقاة الى مواجهة للمشكلات الانسانية الكبيرة والحاسمة .

طرق كازنتزاكى فى أوديسيته القضايا الوجودية التى أصبحت بعد عشرين عاما على ايدى كامو ، وسارتر ، ومالرو ، موضوعات مألوفة فى الأدب الفرنسى ومن بعده فى الاداب الاخرى . ولا تقل مصادر الرموز التى تضمنتها اوديسية كازنتزاكى عن حضارات خمس هى

من الأدب اليوناني المعاصر

الكريتية ، والاغريقية ، والمسيحية والهندية ، والافريقية . وقد مضى يستعير أيضا صورا من اساطير بدائية متعددة ، وتعبيرات من اعمال الفن المنتمية الى كل الازمان والاماكن .

وعندما يتقصى كازنتزاكى عن دعامات لخياله فانه يجدها فى مشاهد على قدر كبير من التنوع ، فمن صور الحيوان والطير على حوائط كنوسوس فى كريت ، والآلهة المهيبة فى مقابر الفراعنة ، والاقنعة الافريقية والقفر القطبى المترامى الاطراف . ولكنه على الرغم من اختياراته الموغلة فى القدم فقد ظل كازنتزاكى فتى عصره . وقد انعكس ذلك على أسلوب الشاعر بالأخص . فان النمط الملحمى خلال تجربة مئات السنين يقوم على تمجيد ابطال تجرى فى عروقهم فى أغلب الاحيان دماء ملكية ، وذلك بسرد مغامرات يتغلبون فيها على صعاب تتجاوز القدرات الانسانية .

وهؤلاء الابطال الملحميون يقدمون للجماهير نماذج للرجولة والتضحية والحكمة . وتتلاقى الاعمال الحلية مع حاجة الانسان الى المثالية وتلبى شوقه الى الآلهة . وكما أن الهدف من العمل الملحمى تمجيد البطولة فان القالب الذى يفرغ فيه تحقيق هذا الهدف يتصف ايضا بالضخامة والعظمة .

ومن الجلى ايضا ان النمط الملحمى يحتاج لكتابته وتذوقه من الناحية التاريخية الى عصر بطولى ، فاذا بدا الفساد والتحلل يدب فى عروق حضارة عتيقة فان النمط الاحمى يصبح غريبا عن العصر . ولهذا فان بطل أوديسية كازنتزاكى قد تخلى عن كثير من صفات اوديسيوس هوميروس العريق . فقد تأثر بطل كازنتزاكى باخلاق وصفات كثير من الصعاليك والرعاع المحيطين به . واصبح بطلا من أبطال القرن العشرين يعدت به الشقة كثيرا عن سلفه العظيم بطل أوديسية هوميروس الذى يرجع الى بضع مئات من السنين قبل الميلاد . ولعل من أبرز الفوارق بين البطلين هو ان البطل الجديد قد تخلى عن اليقين الراسخ فى عقل وقلب البطل القديم ، ومضى يبحث بلهفة وجزع عن يقين جديد صار اصعب منالا . ومن ثم لم تعد رحلة اوديسيوس مجرد رحلة مغامرات وخوارق ، بل رحلة حطام فى بحار الموت والعدم .

وقد ادخل كازنتزاكى فى الادب اليونانى الحديث ببطله اوديسيوس الجديد - بل بأبطاله جميعا - شعورا لم يكن موجودا فى ادب اتسم بالدعة والسكونية ، شعورا بالقلق والتوجس من عالم الغد المتنبأ به فى الأعماق . لقد تخلصت سطور كازنتزاكى من الميوعة واكتسب خشونة نابعة من نظرة لا رحمة فيها الى العالم . وجاء بطله اوديسيوس مثله ذا حيوية لا يهدأ لها قرار ونزعة استقلالية متطرفة .



اندريه مالرو :
وقضايا من الوجودية

عندما انتهى كازنتزاكى من الصياغة الاولى لاوديسيته غمره الشعور بالعزلة، انه بلا اصدقاء ، ولا اتباع، ولا جمهور ، ولا ناشر · مثقل بالديون لقاء ما اقترضه للانفاق على معيشته طوال الشهور التى تفرغ فيها لكتابة قصيدته · وما ان رفع رأسه من اوراق ديوانه حتى وجد نفسه مضطرا ان يقبل ما كلفه به احد الناشرين من كتابة مئات الموضوعات لموسوعة يزمع اصدارها ·

كان كازنتزاكى فقيرا للغاية ، مكبلا بضرورة أن يعمل كى يكسب عيشه · على أن ما عانى منه حقا ، لم يكن الفقر بقدر ما كان العزلة التى القى به اليها رفضه أن ينزل عن استعلائه · فقد كانت المعايير المثالية الصارمة التى ربط نفسه بها سببا فى عذابه · ومثل كل شعراء الملاحم رأى كازنتزاكى الشرارة تصبح جذوة ملتهبة وعلى الرغم من كل خصومه احس كازنتزاكى فى اعماقه بعظمته متوحدا ببطله الملحمى اوديسيوس ، وتغلب على احساسه « باللاشىء » من خلال تشييده صرحا شعريا ضخما · وقد كانت اسفار كازنتزاكى نوعا من الاختبار والملامسة ،والتقاط الخفى الذى يخطو على الاشياء المرئية ويتجاوزها صاعدا الى اعلى · كان يجمع فى رحلاته الصور والانطباعات ويختزنها لعمله الشعرى الكبير · « ما اروع هذا العالم · ان تطأ بقدمك أرضه ، وأن تعبر الفيافى والقفار وان يكون لك عينان · اننى قد رأيت ما اشتهيت ان اراه ، وان اسمع ما اشتهيت ان اسمع · لقد تعلمت واستمتعت » · ثم مضى كازنتزاكى يغذى ماراه ايضا بالقراءات العديدة وقد مكنته معرفته باللغات الالمانية والفرنسية والانجليزية ان يجمع الافكار والخواطر من شتى البقاع · فى رحلاته يقول « عيناى تمتلأن ، والاوديسية فى اعماقى تنمو وقرارى بأن اكتبها يقوى »

●●●

فى الخامس من فبراير سنة ١٩٢٩ اجتاز كازنتزاكى جبال الاورال ودخل سيبريا فكتب الى صديقه بريفيلاكى يقول « انا وحيد ، هادىء ، وعلى غاية من السعادة حقا ، برد مخيف · انهم يقطعون اللبن هنا بسكين ، والنهر بكل امواجه قد تجمد » ، ثم كتب بعد ذلك فى السادس عشر من فبراير الى صديقه يقول « اننى افهم الآن الامر بجلاء · ان الذى يهمنى ويشغلنى ليس هو الانسان ، ولا الارض ، ولا السماء ، بل تلك النار التى تفترس الانسان والارض والسماء · هذه النار التى يجب أن أمسك بها، واعبر عنها · وحينئذ فقط سأتجاوز كل المراحل التى سبقت » ·

عمد كازنتزاكى الى صياغة اوديسيته صياغة ثانية · ومع الاحتفاظ بالغرض من القصيدة لجأ الشاعر الى تغيير الكثير من التفاصيل لبلوغ مزيد من السيولة والبساطة التى تتصف بها الاغانى الشعبية · كما ان وجهة نظر كازنتزاكى الى

الامور تغيرت فى العـــــديد من الموضوعات ٠

وفى مارس ١٩٣٠ كان كازندزاكى قد انجز الصياغة الثانية للأوديسية الا انه لم يبق من الصياغة الاولى والثانية الا بعض الشذرات التى بعث بها الشــاعر الى صديقه الاديب الشــاب بريفيلاكى الذى الف كتابه المعروف عن الأوديسية وشاعرها ٠ وقد اعتمد عليه كثيرا فى هـــذه الصفحات ٠

ولكن ها هو الشاعر قد اصــبح مســتعبدا بالقصيدة ٠ وما انجــز صياغتها الثانية حتى اصبح متلهفا الى صياغتها للمرة الثالثة ٠ « يجب ان القى نظرة على الشــعر الصينى والافريقى وعلى بعض الكتب الاخرى ٠ ان الصــياغة الثالثة قد بدات تقلقنى لدى افكار جديدة ٠ كما اريد ان ابذل مزيدا من الجهد كى تتحول الافكــار المجردة الى صور وحــركة ٠٠٠ الى اســطورة ٠٠ » كانت الاوديسية فى الاصل مدلولا فكريا ،ولكن يجب للفكرة ان تذاب مثل الملح فى الماء ٠ ان يبقى فى الماء مذاقها دون ان ترى ٠

ان شـــغف كازندزاكى بالتاريخ الطبيعى ، بالاغانى الشــعبية ،

ســارتر : تالر باراء كازندزاكى فى اوديسيته



بالحكايات البدائية بالاسفار ،لا يفسره سوى رغبته فى اعطاء المجرد شكلا مجسما ٠ ولشـــد ما كان كازندزاكى يكره لغة اهل المدن الذين يتكلمون عن الفجر والغروب ، دون ان يكــونوا قد عاينوا ايا منهما ، دون ان تكونوا يقادرين ان يجسموا لك فى كلمات هذا الشروق او هذا الغروب ٠

فى ديســمبر ١٩٣١ بعد عمل متواصل لمدة ســتة اشهر انجز كازندزاكى الصياغة الثالثة ٠ ويقول « كم كان ســيكون الامر مخيفا ان اموت قبل ان انجز هذه الصياغة الثالثة ولكن من يدرى لو لم اقل هذا ايضا عندما امضى الى صــياغة رابعة او خامسة ؟ »

وفى عزلته المطبقة يحـــادث كازندزاكى نفســـه ٠ يسترجع ليس ذكرياته فحسب بل واحلامه ايضا ، ويرهف السمع ليلتقط صــوت عقله الباطن ٠ وانزلق الشاعر الى عـالم خيالى باعتباره ابلغ صور الحرية ٠ وكان يقول « كلما انغمست فى تشييد الاوديسية ايقنت ان السعادة هى ان تعطى روحك الى وحش كبير يلتهمها ،

فرغ كازندزاكى من الصــــياغة الثالثة للاوديسية فى الايام الاولى من ديسمبر ١٩٣١ ولكنه لم يكف عن مراجعتها وتنقيحها حتى مايو ١٩٣٢٠

شرع كازندزاكى يكتب اوديســيته للمرة الرابعة فى ابريل ١٩٣٢ وانجز هذه الصياغة الجــديدة فى ثلاثة اشهر ٠ وفى هذه المرحلة يجد الباحث المخطوطين الثالث والرابع للاوديسية جنبا الى جنب ، ويستطيع ان يجرى المقارنـــات ويتبين التعديلات التى اجراها الشاعر ٠

ماذا كان جـــزاء كازندزاكى عن هذا العمل الصعب الطموح الخلاق ؟ لا شىء ٠ ولهذا فقد قنع بلقاء الغرف



كامو : عالج قضـــــايا الوجودية في الأدب الفرنسي

واتقان العمل . وهذه خصيصة الرجل المنعزل ، الذي يكـــون ضميره هو حكمه الأوحد والأخيـر في عالم من غير المؤمنين وذوى الألسنة الحداد ، حيث لا فضيلة ، كان على كازندزاكي أن يحتفظ بيقينه وبراءته حتى يحافظ على ايمانه بقداسة الأمل الأسمى . ولكن في بعض اللحظات كان ينتابه الغثيان من كل شيء . وقد كان هـذا يعطى الاحساس بأن الأوديســـــية بالنسبة له جزيرة خيالية بناها بكفاح دموى ضد الفوضى ، وبامكان نسمة خفيفة من الهواء أن تعصف بهـــا وتبعثر أشلاءها .

وفي الفترة بين الصياغتين الرابعة والخامسة عاش كازندزاكي صراعه بعمق . كتب يقول من جزيرة أجينا في الثامن من أغسطس ١٩٣٤ « أتوق الى رحلة طويلة . لا بد أن أملأ عيني من جـــديد . أن أتخلص من العادات السـهلة ، وان أجمع حطبا لصياغتي الخامســــة : الصين ، افريقيا ، امريكـا . ربما ينفعني أن يداهمني مرض شديد ، واجتاز تجربة حزن مزلزل . انني في حالة مبهمة من التوتر وعدم الراحة .. ثمة ظل يرفرف على ، يضفي على الأشياء أشكالا ليس لها ، ويصبغها بلون أســـود . في بعض الأحيان ينتابني شعور بالاختناق ، وأصـــيح قائلا : « كفى ! » ثم يمضى كازندزاكي قائلا « متى سأشرع في الصياغة الخامسة ؟

بدأ كازندزاكي الصياغة الخامسة في خــــريف عام ١٩٣٥ . ومضى مستغرقا في عمله هـــذا حتى بداية الربيـــــع . رحلة مزدوجة داخلية وخارجية . انها ليست رحلة العين والأذن فحسب بل ورحلة الروح والقلب أيضا وعلى الأخص الأبيات تنم تارة عن حرية خلاقة تتجـــاوز كل زمان ومكان ، » وتارة أخـــرى تنم عن الرغبة في احداث ثورة في الأوضاع والنظم ، وتارة أخرى تفصـــــح عن عزلة لا يبره منها ، ومعركة محارب يائس لا ينتظر لحربه جزاء . السعادة هبة عطر مبدد ، نغمة بعيدة تخبو ، والحياة حلم داخل حلم . والروح يصارع الشر ويفترس الجسد .

عندما شرع الشاعر في صياغته السادسة كان عليه أن يقلم حديقته الشعثاء . فخفض أبياته من ٤٢٥٠٠ الى ٣٣٣٣٣ بيتا . « بشق الأنفس . كما لو كنت أقطع لحمى . اقتضتني هذه المهمة شتاء وربيع سـنة ١٩٣٧ بأسرها » .

ولكن كازندزاكي لم يكن راضيا عن عمله بعد وشرع في الصياغة السابعة والأخيرة للأوديســـية من أول مايو حتى نهاية نوفمبر سنة ١٩٣٨ .

وفي العام ذاته أيضا بدأ يطبـــع عمله في أثينا . لم يكن ذلك بفضل ناشر من الناشرين ، بل بفضـــل سيدة غير يونانية ، ثرية من عاشقات الأدب ، تولت على نفقتها اصدار الطبعة الأولى للأوديســـية من ٣٢٥ نسخة . وحتى اللحظة الأخيرة مضى الشاعر في اجراء التصحيحات على ملحمته . وكل ما كان باســـتطاعته أودعه في عمله . وفي الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٣٨ صـــدرت أوديسية كازندزاكي بعد عشر سنوات من الكفاح والصمت .

أثر الهرمونات في الشعر العاطفي

د . صلاح عدس

يقول « كولن ويلسون » في كتابه « الجنس والشباب المثقف »: ((أليس غريبا ان يأتي اعظم شعر في القرن العشرين نتيجة لخصية قرد)) .. وهو يقول ذلك بصدد حديثه عن الشاعر الانجليزي الكبير « ييتس » الذى اجريت له عملية لاعادة الشباب عن طريق زرع خصيتي قرد في جسده وما استتبع ذلك من تغيرات هائلة في شخصيته وأشعاره ..



لكى نفهم تلك الحكاية الغريبة نحب أن نشير أولا الى أثر الهرمونات فى شخصية الانسان على وجه العموم وفى الشعر العاطفى على وجه الخصوص ؟

فالذى يحدث فى سن المراهقة والشباب هو أن الغدة النخامية المجاورة للمخ تستيقظ فتنبه الغدد الجنسية التى تفرز هرمونات خاصة تثير فى الانسان الدافع الجنسى كما تحدث به تغيرات فسيولوجية ونفسية متعددة هى ما تعرف بتغيرات المراهقة .. وفى تلك الفترة من العمر يبدأ الانسان فى نظم الشعر العاطفى للتنفيس عن مشاعره تجاه المرأة وكى يتغنى بجمال محبوبته ويتودد اليها ..

والهرمونات هى مواد كيماوية تفرزها غدد خاصة تسمى الغدد الصماء اى التى لا قنوات لها ، لانها تصب افرازاتها مباشرة فى الدم ، فهناك مثلا الغدة الدرقية التى توجد فى مقدمة الرقبة والتى لها علاقة وطيدة بالذكاء والنشاط العقلى بل وبالنمو الجنسى والنمو الجسدى ، حتى أن الطفل المصاب بنقص فى افرازات الغدة الدرقية نجده مصابا بتأخر فى نموه الجسدى والجنسى والعقلى ..

وهناك أيضا الغدة الكظرية التى توجد فوق الكلية وتفرز هرمون الادرينالين الذى يؤثر علينا فى المواقف العاطفية والانفعالية فيجعل القلب يدق بسرعة وتزداد حركة التنفس وترتفع حرارة الجسم ويتصبب العرق ..

وهناك افرازات أخرى للغدة الكظرية لها علاقة بالحالة المزاجية للانسان اذ أن زيادة نشاطها أو قلته تحدد ما اذا كان الانسان يعيش فى فرح وانبساط أو يعيش فى اكتئاب وحزن ..

وقد نجد فى ذلك تفسيرا لتشاؤم الفيلسوف « شوبنهور » أو تشاؤم الشاعر « توماس هاردى » اذ ربما كان لديهما خلل فى هرمونات الغدة الكظرية مما أثر على نظرة كل منهما للحياة فانعكس ذلك فى انتاجهما الفكرى وربما تغير الحال تماما لو انهما تعاطيا بعض الكيماويات التى تستعمل فى الطب النفسى الحديث لعلاج الاكتئاب ..

وخلاصة القول ان الهرمونات لها اكبر الاثر فى تحديد شخصية الانسان الى جانب عوامل أخرى بالطبع مثل العوامل الاقتصادية والاجتماعية ..

ولنعد الان الى حديثنا عن الهرمونات ، فهناك أيضا غدة البنكرياس التى تفرز الانسولين ويسبب نقصه مرض السكر ، ومن المعروف أن مرض السكر قد يؤدى الى العجز الجنسى ..

الشباب مسألة هرمونات

والنقطة الهامة التى نريد ان نؤكدها من وراء ذلك كله هى ان تلك المواد الكيماوية تؤثر على النشاط الذهنى والجهاز العصبى ، وما الشعر او الفن عامة سوى نشاط ذهنى يقوم به الجهاز العصبى .. فهل هنـــاك علاقة بين الهرمونات والمخ ؟ أجل .. فالغـدة النخامية تقع عند قاعدة المخ ، وهى التى تتحكم فى نشاط بقية الغدد وتنظم افرازاتها فهى بمثابة « المايسترو » الذى يقود الفرقة الموسيقية ..

ولعل كل هذا يفسر لنا العلاقة بين الحب والشباب وبين الحب والهرمونات وبين الجنس والعقل بطبقاته الواعية واللاواعية ، وبين كل هذا من ناحيـة والشعر العاطفى من ناحية أخرى .. فالســـبب فيما يتميز به الشباب من بهجة أو غراميات أو شعر عاطفى يرجع فى نهاية الامر الى الهرمونات الجنسية .

ولعل هذا أيضا يفسر لنا تأكيـد « فرويد » وعلماء التحليـل النفسى أن الجنس هو الدافع الاساسى عنـد الانسان ، وانه حتى النشاط الذهنى ومن بينه الشعر والفن عامة يختفى وراءه الدافع الجنسى ، أو هو عملية « تسامى » عن طريق استغلال الطاقة الجنسية فى نشاط خلاق . اى ان الذى يلهم الشعراء ليس هو « شـــيطان الشعر » وانما هو الهرمونات .. وما فكرة شيطان الشعر التى كانت سائدة عند العرب القــــدامى الا افتراض ميتافيزيقى ظهر فى عصر ما قبـــل الكشوف العلميــــة المتعلقة بوظائف الاعضاء .. فقد أصـــبح الان علم النفس جزءا من علم الفسيولوجيا وراح يدرس الســـلوك البشرى على أسس مادية ..

وقد اظهرت البحوث العلمية انه ما دام هناك نشاط فى الهرمونات الجنسية فهذا معناه نشاط الشباب ونشاط الحب وبالتالى نشاط الشعر العاطفى حتى لو حدث هذا النشاط فى الشيخوخة ..

فالشباب ليس مسالة عمر وانما هو مسالة هرمونات .. وقد يحدث عنـد بعض الشيوخ انقلاب هرمونى مفاجىء وازدياد فى الهرمونات الجنسية نتيجة لتضخم البروستاتا مما يجعل هؤلاء الشـــيوخ قادرين على الحب والعطاء الشعرى أيضا ، وهذا معنى قولهم ان الشباب ليس شباب العمر وانما هو شباب الروح والقلب .

أثر الهرمونات فى الشعر العاطفى



شوبنهور : رأى حول تشاؤمه من خلال اتجاهه الفكرى ..

ومما يؤكد نظريتنا تلك ما حدث للشاعر الانجليزى « يتس » الذى يعتبر من أعظم شعراء انجلترا فى القرن العشرين .. فكلنا قد سمع عن المحاولات الطبية لاعادة الشباب وما قام به العالم « شتيناك » بالاشتراك مع العالم « فورنوف » فى هذا الصدد .. فقد اتضح لهما من التجارب أنه عندما تنزع خصيتين من حيوان شاب وتزرعهما فى حيوان عجوز فان هذا العجوز يستعيد حيويته وشبابه من جديد بينما يبدو على الحيوان الذى انتزعنا منه خصيتيه أعراض الذبول . وقد نجحت تلك التجارب على الديوك والفئران .. ثم حاول « فورنوف » تطبيق هذه التجربة على الكائنات البشرية ولكن المشكلة التى قابلته هى رفض الشبان لاجراء عملية الخصاء لهم ولذلك اضطر الى استعمال خصية القرود .

حديث الأغصان الثلاثة

ويحدثنا « كولن ويلسون » فى كتابه « الجنس والشباب المثقف » عن هذا الموضوع فيقول : « لقد كان لتجربة غدة القرود تأثير غريب على الأدب الانجليزى المعاصر ، وذلك لأن الشاعر « يتس » قد أجريت له عملية غدة القرود هذه وهو فى أواخر « العقد » السادس من عمره . وقد كانت أعمال « يتس » الأولى عبارة عن قصائد حالمة عبر فيها عن هروبه الى أرض الجنيات بعيداً عن عناء هذا العالم وخشونته .. ولم يكن سعيداً فى حياته العاطفية اذ أنه أحب امرأة تدعى « مود جون » عدة سنوات لكنها تزوجت شخصاً آخر . ولما حاول بعد عشرين عاماً أن يطلب ود ابنتها ويخطبها قوبل بالرفض .. كما كان له علاقة حب أفلاطونية مع الممثلة « فلورانس فار » التى استمتع بحبها « برناردشو » وحده .. وأخيراً تزوج « يتس » فى العقد الخامس من عمره .. .

ويستطرد « كولن ويلسون » قائلاً أنه قد أجريت للشاعر عملية « فورنوف » بعد عشرين عاماً من زواجه مما كان له أبلغ الأثر فى شخصيته اذ أن موضوع الجنس بدأ يتطرق الى أشعاره لأول مرة فى حياته .. وقد كتب عدة قصائد عن عاهرة تدعى « كيرازى جين » ما كان ليكتبها فى شبابه .. ويصدق هذا



توماس هاردى : هــل حــدث خلل فى هرمونات الغدة الكظرية

ايضا على قصائده الاخيرة التى تدعى « الاغصـــان الثلاثة » والتى يتحـدث فيها عن العلاقات الجنســية لاحدى النبيلات مستعملا تعبيرات تفوح منها رائحة الجنس كما أن اســـتعادته لشبابه قد اعطت اشعاره مسحة من البهجة العنيفة التى كان يفتقدها من قبل .

ولنسمعه يقول فى قصيدة بعنوان « سقوط الأوراق » التى كتبهـــا قبل اجراء العملية الجراحية وفيها يبدو الحزن والاكتئاب :

الخريف يغطى الأوراق الصــفراء
وقد تعبت أرواحنـــــا الحزينة
فلنرحـــــل الآن لأن زمـــــن
العواطف قد نســـــينا

ثم اسمعه يقول فى قصـــيدة من شعره بعد العملية تتفجر فيها البهجة والفكاهة :

ان الموظف المســـئول رجل طيب
وهو يكذب فى تقـــــاريره
والصحفى يكذب ويأخذك فى دوامة
الكلمات

ولذلك الزم بيتك واشرب البيـرة
ودع الجيران يدلون بأصـــواتهم
فى الانتخابات

واسمعه يقول ايضا فى احــــدى دعاباته الشعرية :

طف بالريف والمـــــــدن
واقذف بكل عاشقين الى السرير
واقـــذف بكل الآخرين الى الأرض

ويضيف « كولن ويلسون » قائلا ان تأثير غدة القرود على « يتس » لم يكن تأثيرا جنســيا فقط وانما تعتبر قصائده الاخيرة اعظم انجازاته الشعرية لأنها تنبض بالحيــاة والعواطف .. ثم يقول « كولن ويلسون » : ولكننا لا ندرى تأثير تحوله هذا على زوجته اذ ربما كانت غير سعيدة اطلاقا بما حدث له لأنه يبدو من قصائده الأخيرة ان عيونه قد بدأت « تزوغ » وصار يتحدث عن : فتيات يجلســـن على الشاطىء ويفهمن ما يعنيه الكلام

واخيرا يقول « كولن ويلسون » : « اليس غريبا ان يأتى اعظم شعر فى القرن العشرين نتيجة لخصية قرد؟ »

ونحن نرد على تساؤله قائلين ان هذا ليس أمرا غريبا خاصة بعد ان اوضحنا العلاقة بين الجنس والعقل ، بين الهرمونات والشخصية ، وما الشعر الا انعكاس لشخصية الشاعر وعقليته فلا غرابة اذن ان يتـــــأثر الشــعر العاطفى بالهرمونات والجنس حتى لو كـــــان الشاعر فى سن الشيخوخة ..

أول رحلة إلى النجوم

ميشيل تكلا

فى شهر مارس من عام ١٩٧٢ انطلقت سفينة او مركبة ، على هيئة طبق طائر من كيب كينيدى للقيام برحلة علمية تفوق الخيال .. تزن هذه السفينة ٥٧٠ رطلا ، وقد اطلق عليها (بيونير العاشر) وهي تعمل تلقائيا ، ولا يقودها انسان بل يسيطر عليها العديد من الاجهزة الحاسبة الالكترونية . وبعد ان تعبر السفينة كوكب المشترى الضخم فسوف تنحرف عن النظام الشمسى الى طريق اللبانة او الطريق اللبنى الذى يقع على بعد ثمانمائة تريليون ميل وتصله السفينة فى عام ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ بعد الميلاد !!

سوف تشق (بيونير العاشر) طريقها بعد ذلك نحو كوكبة الثور ، وتحملق فى النجم المعروف باسم قرن الثور الشمالى ، ثم تتجه نحو دائرة المجرة والى ماوراءها . واثناء مرور المركبة بالكون ، فسوف تبلغ سرعتها حدا لم تبلغه او تحققه أى مركبة صنعها الانسان حتى كتابة هذه السطور ..

وسوف تحصل أجهزتها النووية على ثروة من العلومات من أماكن متفرقة ودقيقة فى النظام الشمسى لم تصل اليها مركبة أخرى من قبل . واذا كانت هناك مخلوقات بشرية فى الكواكب أو السدم او المجرات ، فان المركبة تحمل لوحا من الذهب الخالص عليه رسم رجل وامرأة عاريين ، وتحمل رسالة تصف فيها الكرة الارضية ونظامها الشمسى حسب مفهومنا ، وعليه يمكن لسكان الكواكب الاخرى أو المجرات فك طلاسمها فى أى مكان فى الكون .

وربما يأتى اليوم الذى يستطيع فيه الانسان ان يتتبع رحلة (بيونير) ويلاحق خطوات السفينة . وفى زمننا الحالى يمكننا متابعتها فى اخيلتنا

فقط ·· ولنفرض أن بالسفينة العظيمة انسانا بفما الذى سيراه اثناء رحلته الاولى الى النجوم ؟

فى تمام الساعة الثامنة والدقيقة التاسعة والاربعين من مساء يوم ٢ مارس عام ١٩٧٢ انطلق صاروخ اطلس الجبار من قاعدة كيب كيندى ، وقد ركبت فوقه سفينة ضخمة غريبة الشكل ·· وفى دقـائق قليلة كانت سرعة الصاروخ قد بلغت واحدا وثلاثين الف ميل فى الساعة ، وفى خلال ساعتين كانت المركبة تخضع لبعض خطـوات البرنامج المعقد ولمناورات غريبة · وفى الداخل سيطر جهاز حاسب كمبيوتر

أول رحلة إلى النجوم



صغير على المحركات النفاثة واشعلها لادارة المركبة بسرعة خمس لفـات فى الدقيقة ، وهـذا الدوران يوزع الحرارة الشمسية بالتساوى على جسم السفينة من الخارج ، ويسمح للاجهزة العلمية ان تمعن النظر فى كل شىء تراه خمس مرات فى كل دقيقة ، وبجـانب ذلك فان نظام الملاحـة الاوتوماتيكى يعمل مع الاجهزة الحساسة الاخرى ، يوجه جهازا مثلث الشكل نحـو الشمس والارض والنجم المعروف باسم سهيل ، وفى الوقت نفسه يجعل من الطبق الهوائى (الانتينا) فى اتجاه الارض دائما · وقد قام بتصميم هذه المركبة فحول العلماء والرياضيين فى العالم ·

وبالسرعة الهائلة للمركبـة ــ وهى تبلغ تسعة اميال فى الثانية ــ فانها سوف تصل بك الى القمر فى نحو احدى عشرة ساعة فقط ، وبعد مرور ثلاثة وثمانين يوما من انطلاقك من الكـرة الارضية فانك ستعبر الطريق المدارى لكوكب المريخ ، وبذلك تحطم اى سرعة سبق ان حققها الاتحاد السوفييتى او الولايات المتحدة عند ارسالها مركبات الى كوكب المريخ وغيره من الكواكب الاخرى ·

وبعد مرور خمسين يوما أخرى ، اى على بعد مائة وعشرين مليونا من الاميال من الارض تدخل سفينتك حزام النجيمات الغريب أو الغامض · وهو عبارة عن منطقة من فتات الصـخور والذرات سمكها حـوالى خمسين مليونا من الاميال · ويتكون هذا الحـزام او الجسم السماوى من عوالم صـغيرة مبعثرة هنا وهناك لم تتحد مطلقـا لتكون كوكبا من الكـواكب برغم ان « سيريس » وهو اكبر جسم فيها قطره ٤٨٠ ميلا ، اما باقى الاجسام فعبـارة عن صخور وحصى تتدحرج او تدور فى الفراغ ···

أما احتمال الاصطدام بنجيمات امر كبير مشكوك فيه والاصطدام حتى باقل كسرة او فتات من الصخور التى تتحرك بسرعة ١٨ ميلا فى الثانية ــ كفيل بان يبيد المركبة ويقضى عليها تماما · ولـكن المركبة وما بها من أجهزة حساسة سوف تمنع ذلك الاصطدام وتتحاشـاه لان عيونها لا تنام ·

وبعد سنة كاملة من ارساء المركبة تخرج من حزام النجيمات وتكون الارض على بعد ٤١٥ مليون ميل وقد اصبحت كنجم لامع فى السماء وتقل المسافة

من قرص الشمس وتجعله كقرص أبيض فى حجم ممحاة القلم الرصاص ، وبعد مرور ثمانية عشر شهرا يبدو لك كوكب المشترى ككرة قدم بعد أن تكون قد ابتعدت عن الارض بنحو نصف مليار من الاميال ، ولكى اقرب الامر الى ذهنك فمن المعروف أن الاشارات اللاسلكية التى تنطلق بسرعة الضوء (١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية) تستغرق ٤٥ دقيقة لكى تصل اليك ..

وقبل أن يظهر أمامك كوكب المشترى تنخفض سرعة السفينة الى نحو ثلاثة وعشرين الف ميل فى الساعة ، ولكنها تزداد عندما تبدأ جاذبية الكوكب تجذبها نحوه . وعلى بعد عشرين مليونا من الاميال يصبح كوكب المشترى اجمل جسم سماوى فى الفراغ . ويتعذر عليك رؤية حجمه الحقيقى برغم أنه اضخم ثانى جسم فى المجموعة الشمسية لانه اضخم من الارض بنحو ١٣٠٠ مرة . وسنة هذا الكوكب تعادل اثنتى عشرة سنة من سنوات الارض ، ولكن برغم ضخامته هذه فان سرعته عظيمة بحيث لا يزيد طول يومه عن عشر ساعات .

حصيلة عظيمة من المعلومات

وعندما تعبر المركبة الجانب المشمس لكوكب المشترى بسرعة واحد وثمانين الف ميل فى الساعة فانه يعسر عليك تصديق أن جاذبيته لم تبد مركبتك ، وتجد نفسك تحملق فى الكوكب الضخم الذى يكسف الشمس الصغيرة اللامعة .. ولعدة دقائق قليلة تحيط انوار ذهبية بسفينتك وفجأة ترى السفينة وقد ابتلعتها ظلال الكوكب الغامض ، ولا يغلفك الظلام تماما لان انهارا من الغازات الملونة تتدفق من الافق وهى من ظواهر جو كوكب المشترى الغامض

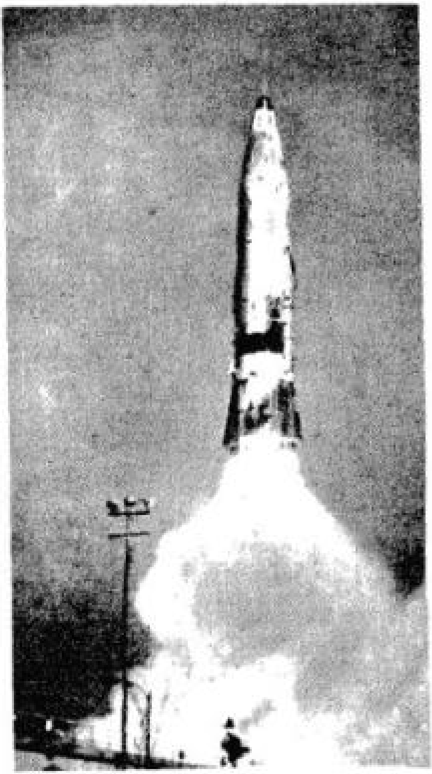
اما كيف يبدو حقيقة ذلك الجو ، فانه على بعد عدة الوف من الاميال تحت جو الكوكب البدائى ، حيث غازات الهليوم والهيدروجين والنشادر والميثان والماء وهذا الخليط الكيميائى الذى يعتبره العلماء السبب المباشر فى ايجاد الحياة على الارض منذ اربعة مليارات ونصف من السنين ، فان العلماء يتخيلون عالما يبلغ فيه الضغط الجوى نحوا يقدر بمائتى الف مرة اكثر من الضغط الجوى على الكرة الارضية قد كون قارات من الهيدروجين الجامد تسبح فوق محيطات من الهيدروجين ! ومن هذا المرجل او القدر الذى يغلى ويفور بصفة مستمرة ترتفع أعمدة من الغاز فى حجم المحيط الباسيفيكى الى الجو المجاور وتطلق عواصف كهربائية هوجاء لا يمكن تخيلها .. أنه الجحيم الذى لا يجرؤ الانسان أو الاجهزة أو الالات على دخوله ابدا ..

وتتحرك المركبة وتندفع بسرعة خيالية حتى لا تأسرها جاذبية كوكب المشترى ، وتتسلق وجه الكوكب الملتهب وتعبر خط الاستواء الى نصفه الشمالى .. وفى الحال سوف تلاحظ جسما برتقاليا لامعا يتجه نحوك باندفاع وعناد فوق الافق من الجانب المضىء للكوكب وهذا الجسم السماوى هو القمر «ايو» احد اقمار المشترى الاثنى عشر .. وسماء ليل المشترى تبدو كالجنة للعشاق والمحبين . ولكن مراقبة اقمار المشترى تحتاج الى مسطرة حاسبة كما يقول العالم «كارل كريستوفرسون» ، لان ثمانية منها تتحرك فى اتجاه واحد فى حين يتحرك الاربعة الباقون فى الاتجاه المضاد .

وفى عبورك للجانب الخلفى للمشترى فسوف تشعر بالوحدة والكآبة ، فضخامة الكوكب تظهر بوضوح بينك وبين الكرة الارضية ، وتفقد اتصالك نهائيا

بالارض ، ويعد مرور ساعة كانها دهر كامل تتجه نحوك حزمة من الضوء القرمزي الذي يتحرك الى لون احمر وردي ثم الى لون ذهبي • ويعد ذلك ينفجر الى العديد من الالوان الجميلة

ويعد دقائق تفلت السفينة من ظلال المشترى وتنلف الى نور يوم بهيج • وفي الحال تصطدم الاشارات اللاسلكية الصادرة من الارض بجسم السفينة عندما تظهر من وراء المشترى ، وتبدا السفينة في التقاط الاشارات اللاسلكية والرد عليها ، وفي ثوان قليلة تصدر



من المشترى حصيلة عظيمة من المعلومات تلتقطها اجهزة «بيونير ١٠» وتعكس عدسات السفينة صورا على جانب كبير من الاهمية وتوجهها نحو الارض •

عندما تنكمش الشمس

بعد ذلك تأتي مرحلة من أهم مراحل الرحلة الغريبة عندما تندفع « بيونير ١٠ » نحو الفراغ مرة أخرى • وخروج السفينة من مدارات الكواكب وعودتها الى الفراغ أمر ضروري للوصول الى ما وراء النظام الشمسي، فتبلغ سرعتها واحدا وثمانين الف ميل في الساعة تشق طريقها نحو الكوكبة أو نحو الكواكب الخارجية هناك عند الصمت المطبق في الكون •

ويعد مرور عامين كاملين ، ويعد ان تكون المركبة قد قطعت نصف مليار ميلا ، تدخل الطريق المداري لكوكب زحل • ولكن السفينة تكون في ذلك الوقت مشغولة في رصد الاشعاعات الكونية التي تاتي من مصادر من النجوم المتفجرة (سوبيرنوفا) ومن البولسار (النجوم المتداعية) • وترقب عداداتها المغناطيسية عواصف الرياح الشمسية التي تبلغ سرعتها مليونا من الاميال في الساعة من قصف البلازما الساخنة التي تغمر الكواكب السيارة بذرات ذات طاقات عالية ، وتعمل الاجهزة الخاصة بالكشف عن الاشعاعات فوق البنفسجية على مراقبة الغبار والغاز الكوني • وترقب عدادات خاصة النجيمات الدقيقة وذرات الشهب

وترسل المعلومات أولا بأول الى علماء الارض بواقع عدة مئات معلومة في الثانية ، وسوف يشغل سيل المعلومات العلماء لعدة سنوات طويلة •• وسوف يكون لبعضها أثر مباشر على النظريات العلمية الموضوعة •

مثال ذلك المعلومة الخاصة بجو كوكب المشترى المثير سوف تفيد فى فهم حـــــركة الجو الارضى ودورانه · وسوف تحفظ بعض المعلومات لاجيال مستقبلة لفحصها على ضوء تقـــدم التكنولوجيا ، وعليه سوف تحل هــذه السفينة كثيرا من اسرار الكون والخلق

وبعد مرور اربع سنوات على انطلاق المركبة من الارض ، تعبر مدار كوكب زحلا ، وتصل الاشارات اللاســلكية الصادرة من الكوكب الارضى ، وهي على بعد مليون ميل بعد ساعة واحدة لتصل الى السفينة ·

وعلى بعد ٨ر١ مليار ميل من الارض تعبر « بيونير ١٠ » الوكب اورانوس ويتوقف الارسال لان المسافة بعيدة جدا وتصبح السفينة بكماء تمـــاما ، وبعد ان تقطع مليار ميل اخر تدخـــــل السفينة مدار الكوكب بنتيون · ولا يمكن رؤية الارض بالعين المجـــردة وتبدو الشمس قد انكمشت الى نقطة لامعة ·

بعد ثمانين الف قرن

وبعـــد مرور خمسة عشر عاما من انطلاق السفينة من الارض تعبر مدار الكوكب بلوتو ، ابعد الكواكب عن الشمس ، وتكون الارض على بعـــد اربعة مليارات من الاميال وبذلك يكون رائد السفينة قد عبر بها حدود النظام الشمسي ودخل الفراغ البارد للنجوم· ومن خلفه يكون النظام الشمسى بأسره قد اختفى الى الابد فى السواد الاعظم للكون · وتكون الشمس المعروفة لنـــا قد اصبحت مجرد نجم لامع بين مائة مليار شمس اخرى فى الكوكبة ·

وعندما تتجه المركبة نحو كوكبـــة الثور — فى منطقة البـــروج بتكيف عقلك بالخلود،فقى هذا الصمت الأبدى تصبح المركبة كلعبة اطفال صـــغيرة تسبح فى الفراغ · وبرغم انك تنطلق سبعة اميال فى الثانية ، فلن تعرف ذلك او « توجد الطريقة التى تجعلك تعرف ذلك » ·

وتمر الاسابيع والشهور ثم يمر عام باكمله تموت بعدها المركبـــة وتتوقف مولداتها من انتـــــــاج ثانى اكسيد البلوتنيوم ٢٣٨ · ويخيم على السفينة سكون مطبق يهز الروح هزا ، وتتعلق افكارك بهوة الزمن وبالنجوم التى تبعد عنك بسنوات ضوئية · وتتساءل كم من هذه النجوم لديها نظم شمسية مثل نظامنا الشمسى ؟

مما لاشك فيه ان هناك نظمـــــــا شمسية تعد بالمئات او الالوف ، ربما تسكنها مخلوقات ذكية ·

وبعد مرور ثمانين الف قرن وبعد ان يكون الانسان قد سيطر على النظام الشمسي — او اختفى من العالم كنوع من الانواع — تدخل الســـفينة عنقود نجوم كوكبة الثور·وهناك بجوار نجم قرن الثور الشمالى يكون اول مرفأ او ميناء فى الكوكبة وقد يأسرها سكان المجـــرة وقد يفحص السكان اللوح الذهبى الذى نقلته من الارض وبذلك يعلمون انهم ليســـوا الوحيدين فى الكون ·

ووراء نجم قرن الثور الشمالى · من يدرى ماذا ستجد السفينة هناك بعـــــــد ان تكون قد وصلته فى سنة ٨ر٠٠٠ر٠٠٠ بعـــد الميـــلاد ؟ ! ··


الكبير
قصة قصيرة
عبدالوهاب الأسوانى

« كيف الخروج من هذه الأزمة؟» قال هذا لنفسه وهو يعبر الشارع في طريقه الى بيت صديقه المحامي . كان الهم يملأ نفسه

كلما تذكر انه سيضطر للاقتراض للمرة الأولى في حياته .. « من يصدق يا محمود يا سامح أن المحضر سيأتيك غدا من اجل

خمسين جنيها لا تملك منها غير عشرين ؟ ! »

ضغط على جرس الباب ووقف ينتظر ...

صدر عن الجرس صوت موسيقى تنهد له في

ارتياح ... فتح الباب عن وجه جميل لفتاة في

السابعة . ابتسمت له في ود وصاحت في فرح

تنبيء عن مقدمه بصوت ملائكي ممطوط :

ـ عمو ...محمووودا

حملها على ذراعه وقبلها في حنان

فأمسكت بربطة عنقه وقالت كالغاضبة :

ـ اين الفلوس ؟

غمرته السعادة وهو

« يشخشخ » لها بعدة قروش ويضحك من

قلبه .. لكنه تجهم للحظة وتساءل بينه

وبين نفسه : أكل معارفك اعتادوا على الأخذ ، حتى الاطفال ؟ ! » وفي

سرعة طرد هذا الخاطر من رأسه وعاد يبتسم

... وتعجب من نفسه .. كيف يخطر له مثل هذا الخاطر ؟.. هل بسبب ازمته الحالية ؟

انتفض حتى الثمالة وهو يقاوم الطفلة التي

أمسكت يده بكلتا يديها في محاولة جبارة

لا ستخلاص النقود ... سعادته الكبرى في ان

يعطي ... كسب كثيرا وانفق كثيرا حتى اطلقوا عليه

« المليونير » والله وحده يعلم بالحقيقة .

عرك الحياة وعركته اكلت عليه وأكل عليها.

لكن متعته الكبرى في العطاء .. لا يوجد في

أصدقائه أو معارفه من لم يأخذ منه بصورة من الصور ،لكنه لم يجرب

الاقتراض في حياته برغم سواد شعره الذي توارى في بياضه ...

***

اهتز عوده الفارع وهو يفيق على صوت

صديقه المحامي يهلل له مرحبا :

ـ اهلا بالسيد محمود .. أهلا أهلا .. تصافحا في حرارة وجلسا على مقعدين متقابلين تفصل بينهما

منضدة صغيرة ، .. وجلست الطفلة على

ركبته تتأمل النقود في سعادة بعد ان نجحت

في استخلاصها وراح ينظر في عينيها ويبتسم

ويتمنى لو لم يأت للاقتراض .

فتح المحامي علبة سجائره. مدها اليه وهو يقول :

ـ بلغني كل ما فعلته مع سمير افندي يا سيد محمود . أنت لها والله

ابتسم في خجل تخالطه السعادة وقال :

ـ الرجل كان ملهوفا يا أستاذ كمال .

وصاحب البيت كاد يطرده .. و ..

لم يجد ما يقوله فاكتفى ببسط يده وأطرق في حياء

وقال المحامي وهو يقرب اليه منفضة السجائر :

ـ الحقيقة ان الخبر

لم يكن مفاجأة لي

قلت لنفسي السيد محمود مطبوع على الكرم (ثم

في حماس) والله العظيم انا كلما قرأت شيئا عن

حاتم الطائى اتذكرك فى الحال .. اقول لنفسى كل ماكتب عن حاتم الطائى لا مبالغة فيه . والدليل الحى على هـــذا هو محمـــود السامح الذى يعيش بيننا .

« قل له حاتم الطائى جاء الان ليقترض منك ولا يجرؤ على فتح فمه .. قل له انك ستغير رايك فيه بمجـــرد ان يفاتحك فى الامر ! »

اجتـــــاحه حزن كالطـــوفان وهو يتمتم بصوت متهدج :

ـ المـــال مال الله يا استاذ كمال

قاطعه المحـــامى فى حماس :

ـ انا اتكلم بالخلاص والله . لو كان الاغنياء فى بلدنا مثلك لاصبحنا دولة اشـــتراكية دون اللجـــوء الى اجراءات اشتراكية .. انت المثال الطيب لما يجب ان يكون عليه الغنى الكريم .

« يتحـــدث عن الغنى ولا يعـــرف الحقيقة .. الناس لها الظاهر ! »

ـ اشكرك يا استـــاذ كمال . هذا من كرمك فقط .

ـ ابدا . هذا اقل ما يجب ان يقال عنك .

« كيف تفاتحه بعـــد هـــــذا ؟ .. انقلب الصورة فى نظره ؟ ! »

اخـــذته العزة وهب واقفا :

ـ استأذن انا ..

رفع اليه المحامى وجها امتلأ بالدهشة وقال :

ـ تستأذن ؟ .. انت لم تتم خمس دقائق ولم تشرب القهوة

ـ متشكر .. مرتبط بموعد .

تردد قليلا امام موقف الاتوبيس . القى نظرة على الوجوه الواقفـــة وتمنى لو لم يجد فيها من يعرفه . لكنه شعر برجفة عندما لمح وجهـــا مألوفا له . يهز له رأسه ويبتسم ... رفع يده الى محاذاة كتفه وهـــو يغتصب ابتسامة ويطرد من رأسه فكرة ركـــوب الاتوبيس .. لوح بيده لعربة اجرة تســـابق مرورها ونلف بداخلها .

وقال لسائقها وهـــو يتنهد :

ـ المنشية من فضلك .

وترامى اليه هـــدير الموج والعربة تسير به فى محـــاذاة الطوار اللاصق للبحـــر .. ومرقت امامه عربة فارهة تحمل علامة « القاهرة »

فتذكر الايام الخوالى .. « ابراهيم الملوانى جاءك فى عربة مثل هذه ... وضـــع امامك رزمة من الاوراق الحمراء وقال لك لا تســـــاعد خصوصى فى مزاد البلدية .. يومها رفضت . قلت له من ينافسونك مساكين . وينفقـــون على عشرات العائلات فاترك هـــذا المزاد لهم . هددتك انك ستتدخل ضده ان هـــو زاحمهم .. كان يخشاك ظانا انك تملك امـــوالا طائلة . استعاد نقوده ووضعها فى حقيبته .. ترى ، لو عرض عليـــك مثل هذا العرض اليوم ، هل ترفض ايضا ؟ »

عقد ما بين حاجبيه وضغط على فكيه ، ثم ضرب ركبته بقبضة يده كأنه يقول « نعم » !

●●●

القى نظرة سريعة على لافتات المحلات ، ثم ثبت بصره على لافتة طويلة كتب عليها بخط عـــريض « محلات السواحلى » .. شعر بارتيـــاح والانوار الساطعة تغمر بتلتـــه الحريرية البيضـــاء على عتبة المتجر الكبير . وهز رأســه لفتاة الخـــزينة عندما ابتسمت له . وسار قليلا وسط « فاترينتين » مســـتطيلتين فيما يشبه



الزحام . ثم اتجه الى اليمين فـلاح له مكتب يجلس خلفه شاب أثير ق

فون العشرين . هب له واقفا، ودار حول المكتب ومد يده في احترام :

ـ اهلا عم محمود .. اهلا وسهلا

ـ اهلا بك يا عصام .. كيف حالك ؟

وجلس بعد أنصافحه وتساءل :

ـ أين الوالد ؟

لم يرد الشاب . نظر الى أحد عمال المحـل ورفع اليه سبابته قائلا بلهجة آمرة :

ـ كوكاكولا .

ثم التفت اليه بسرعة مغيرا من لهجته :

ـ الوالد ؟ .. سيأتي حالا . شرفتنا يا عم محمود

ـ دخلت اي كليـــة يا عصام .

ـ التجارة .

وظهر رجـل كروي المظهر ، ضيق العينين . تهلل وجهه الاحمـــر السمين وهو يقول :

ـ زارنا النبي

تصـــافحا ، وجلس الرجل مكان ابنه وهـــو يقول مرحبا :

ـ من اجل هذا نور البلد زاد !

ـ منورة باصحابها

بسط يده السمينة على المكتب وقال فيما يشبه الاحتجاج :

ـ ما هذا الذي تفعله بمالك ؟ .. كل من يجيد سـكب الدموع ويحفظ بضع كلمات يشحـــذ عليك ويأخذ منك مالا ؟

ضايقته طريقة الرجل في الكـــلام ، لكنه قال بنبرة حاول جهده أن تبدو طبيعية :

ـ المـــال مال الله يا حاج عبده .. وانت رجل مؤمن .

ـ انا عارف انه مال الله . لكن الله قال لنا تصدقوا بحساب .. أم انك تريد أن يحدث لك مثلما حدث لاســماعيل شاكر ؟

ـ ماله ؟

ـ ظل يبعثـــــر في امواله حتى فلســها . وامس جاءني كي يقترض مني .. رفضت طبعا !

« رفضت ؟ .. لحم اكتافك من خيــــره ورفضت ؟ » .

تنهد وهو يقول :

ـ ربنا يجعل العواقب سليمة .

ـ ربنا جعل لنا عقلا نتصرف به ، القـــرش الابيض ينفع في اليـــوم الاسود .

« صدقت .. لـــذلك فكل الايام القادمة في نظرك سوداء ! »

ـ فعلا يا حاج !

ـ انا غير راض عنك، لو منك لما اعطيت احدا مليما واحـــدا .. كيف حالك يا سيد محمود ؟

« حالي في كرب عظيم لو اردت الحقيقة . لكن الموت اهون من مفاتحتك

فى شيء ! »

— مستورة والحمدلله .. من شكره زاده

قالها وهو يقف ... وودعه الرجل حتى الباب .

***

لم يبق امامك غير الاستاذ ماجد . له عدة سنوات يعمل ولا يخلو مثله من مال .. أبوه رحمه الله كان صديقك ولك عليه اكثر من جميل .. لكن لا تتردد فى مفاتحته . بمجرد أن تجلس قل له جئتك لطلب هام . قبل أن تشرب القهوة قل له هذا . لا تفكر فيما ستقوله بعدها .. لا تعطه فرصة يحدثك عن مالك وكرمك كيلا تأخذك اوهام العزة وتتراجع .. هذه آخر فرصة لك بعد هذه الجولة الفاشلة التى تعدت خمسة أشخاص مصيبتك الكبرى أن أحدا لا يصدق أن مثلك يحتاج الى قرض .. يجب أن تتعظ من مثل هذه المواقف . لن يأخذ منك أحد مليما واحدا بعد اليوم .. « جئتك لأمر هام » .. قبل أن تجلس انطق هذه الجملة . أجل قبل أن تجلس !

***

— أهلا سعادة البك .. كنت فى طريقى اليك الآن .. عمرك أطول !

قالها السيد محمود فيما يشبه الانزعاج . وقال ماجد وهو يشد على يده مصافحا أمام مكتبه :

— أشرب القهوة أولا

— أليس من الافضل أن تعطينى فكرة ؟

— قبل القهوة ؟

— يستحسن .

ضغط ماجد على جرس مثبت خلفه وقال وهو يتنهد :

— بصراحة كنت فى غاية الحيرة . ولما أعيتنى الحيل قلت ليس أمامى غير محمود بك !

— أنا تحت أمرك

— الحكاية وما فيها انى نويت على الزواج .. وبعد عذاب عثرت على شقة بوساطة سمسار ، أعطيته المائة والخمسين جنيها التى كانت معى ، واعتمدت عليه لمرفته القديمة بالوالد ، واتضح فى النهاية أن الامر يحتاج الى خمسين أخرى ... اللعين كان يقول لى كلاما . ويقول للمالك كلاما ، تجدنى فى غاية الحرج الآن . ولما مررت على الاصحاب ، اتضح لى أن كلمة الصداقة هذه غير صالحة للاستعمال الا فى أيام اليسر .. أخيرا قلت لنفسى اذا قصدت فاقصد كريما (ثم ضاحكا) وها أنت قد جئت بنفسك !

« جئتك يا عبد المعين تعيننى ، فاذا بك فى قبضة سمسار ! يوم الغارة الكبيرة تساقطت القنابل فدارت بك الأرض . لكن الزلزال الآن أشد وأنكى ! »

انتبه على الشاب يحدق فيه بعينين جاحظتين . فقال وهو يحاول الابتسام :

— أبو الكل موجود .

— أنا قلت هذا والله! .. ليس لى الا الله وأنت يا محمود بك .

تغلبت عليه طبيعته السمحة وغمرته السعادة للحظات « مسكين يا ماجد ، ظهر عليك الهم يا بنى .. شفتاك ترتعشان وأنت تتكلم .. آه لو لم تكن الظروف معاكسة ، لدفعت لك كل ما تطلب » . وانتبه ليجد الساعى يقف أمامه ، فقال وهو يحاول الابتسام :

— قهوة سادة

ثم أضاف فى نفسه « مثل القطران ! »

ووضع يده على المكتب ونقر عليه قليلا

وقال فى لعثمة :

ـ بصراحة لن تجد كل مطلبك . أعنى ... أريد أن أقول .. أنا .. أمامى مشروع كبيـــــر .. و ..

وصاح الشـــاب فى لهفة :

ـ أى شيء يا محمود بك ، أى مبلغ ، أنا فى غاية الحرج والله .. أنا لا أنام الليل والله ...

لالله قبض المبلغ ويماطل فى رده .. أما أن تدفع له الباقى والا ضـــــاع المبلغ كله !

شـــــملته موجة من الاريحية ، مد يده بعدها الى جيبه، ووضع ما معه على المكتب وقـــال فى حماس :

ـ هـــذا كل ما معى الان .. عشرون جنيها!

***

عندما مر السـيد محمـــــود امام المقهى المجاور لبيته ، مال احد الجالســين على زميله وقال له فى همس وهو يشير اليه :

ـ سبحان العـاطى الوهاب .. عنده فلوس مثل الأرز !

لم يســمعه السيد محمود .. كان لحظتها يتطلع الى السماء ويتمتم فى انكسار :

« ابـــو الكل موجود »


شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
٣- تنفيذ المشروع بكامل معداته طبقاً للمواصفات العالمية.
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية

من القائل ؟

(١) المصيبة للصابر واحدة ، وللجازع اثنتان

*

الامام الغزالي ـ الامام موسى بن جعفر ـ محيى الدين العربي

***

(٢) اذا سمعت احداً يقول لك ، انى لا اطلب كذا حباً للمال ، ولكن تمسكا بالمباديء فقط ، فكن واثقا انه يحب المال ولا يعرف المباديء

*

● مكيافيللي ـ روزفلت ـ المازني

***

(٣) من أمسى كالا من عمله ، أمسى مغفورا له

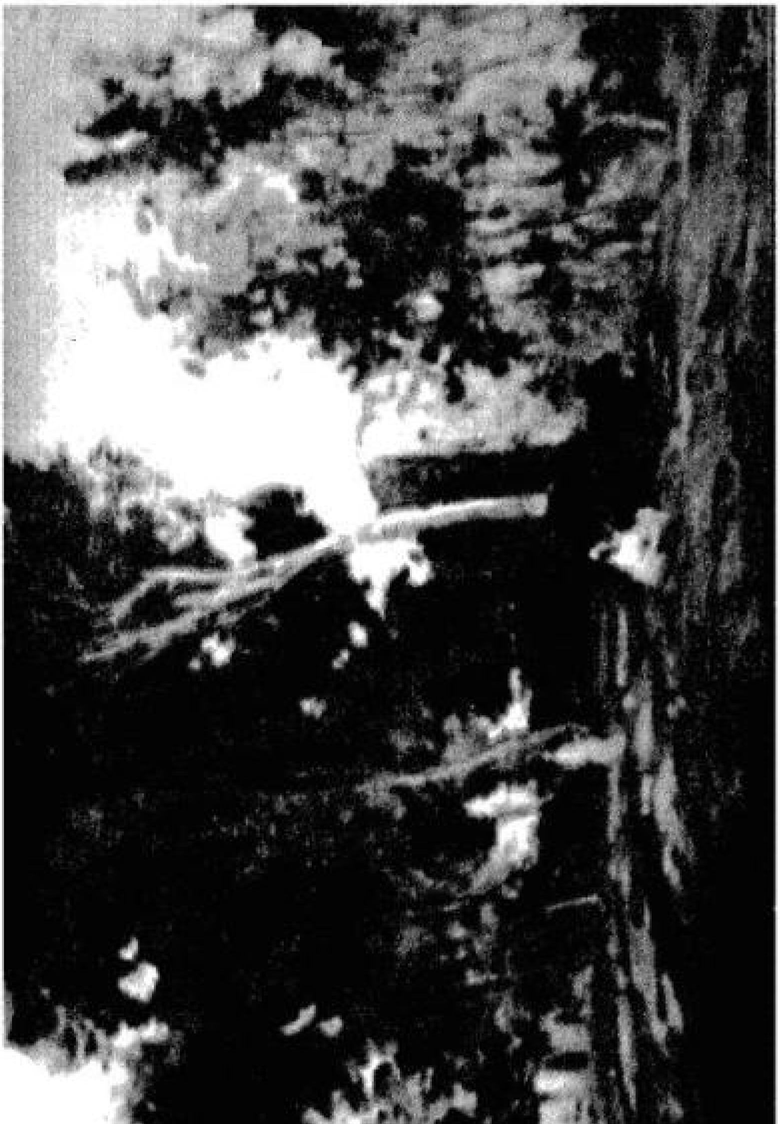
*

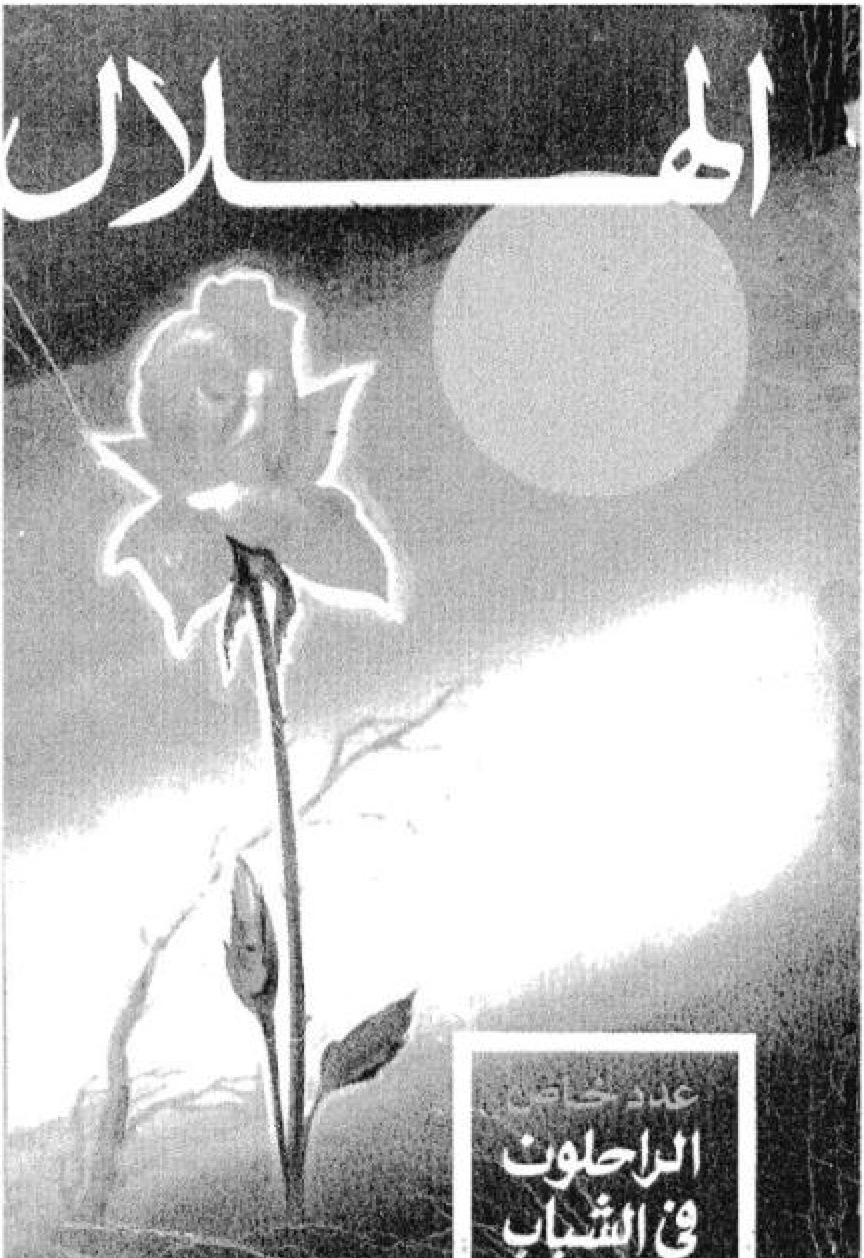
● حديث شريف ـ عثمان بن عفان ـ عمر بن عبد العزيز

● الاجوبة ●

(١) الامام موسى بن جعفر .
(٢) روزفلت .
(٣) حديث شريف .






الهلال
عدد خاص
الراحلون
فى الشباب

الهلال

أبريل ١٩٧٢

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الرابع - السنة الثمانون - اول ابريل ١٩٧٢ - ١٧ صفر ١٣٩٢

رئيس مجلس الإدارة:
يوسف السباعي

رئيس التحرير:
صالح جودت

سكرتير التحرير:
نصر الدين عبد اللطيف

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم - عن الكميات المرسلة بالطائرة ، فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر انحاء العالم « ونصف دولارات او ٢ جـ ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل الصرف فى جمهورية مصر العربية - والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

ابوالقاسم الشابي ..
ارادة الحيــاة ...





الإمام محمد عبده
مسيرة اصلاح
الازهــر . . .



م.ع. الهمشري ...
لفتة من القــدر ..

في هــذا العـــدد



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

كلمة الهلال

كنا مرة فى جلسة للجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب منذ بضع سنوات ، ومقررها يومئذ هو العملاق الراحل عباس محمود العقاد

وكان الحديث عن زهور الادب والشعر التى ذوت فى الشباب ، بعد ان تركت بصمات عميقة فى الآداب العالمية ، مثل شلى وكيتس فى الادب الانجليزى ، والهمشرى والشابى فى الادب العربى

وقال احدنا : لو طالت اعمار هؤلاء الراحلين فى الشباب ، لاضافوا الى تراث الفكر اضعاف ماخلفوا من الروائع

فقال العقاد : ان الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل اجل كتابا . وانى لأومن بان كل امرىء على الارض يستنفد طاقته كاملة فى حياته ـ على قدر ماقسمها الله له ـ فاذا انتهى اجله ، فمعنى هذا انه قد استنفد هذه الطاقة ولم يعد يملك اى جديد يضيفه الى ماقدم من قبل ، سواء اكان فى اجمل العمر ام فى ارذله ..

وبين ايدى القراء فى هذا العدد سيرة طائفة من الراحلين فى الشباب ، وهناك غيرهم ممن لم تتسع لهم الصفحات هذه المرة ، وان كانت ستتسع لهم فى المستقبل ، كالشاعر السودانى التجانى يوسف بشير ، والشاعر الفلسطينى ابراهيم طوقان ، وغيرهما

وسيرى القراء ان تراث هذه الزهور الذاوية ، جدير بأن يكتبهم فى سجل الخالدين ، وان يجعلهم فوق مستوى كثيرين ممن عمروا طويلا فى الارض

فليس المهم ان يقال عن امرىء كم عاش ، ولكن المهم ان يقال عنه : ماذا اضاف الى الحياة ؟

● صالح جودت ●

■ د . سيد نوفل ■

الشاعر الثائر

طرفة بن العبد

كان شعر امرئ القيس والمهلهل وعلقمة وعبيد ، وشعر الفوارس ـ أو العدائين أو الصعاليك ـ يمثل شعر الاصالة فى الادب الجاهلى : شعر بسيط الفن ، صادق التعبير عن النفس والطبيعة ، مبرأ من التعقيد ، مصور للحياة البشرية بافكارها ونزعاتها واحاسيسها .

ومن بعده جاء دور التقليد والتكسب بالشعر وان لم يخل من معانى الاصالة ، يمثله الاعشى ، واوس ، والنابغة ، وزهير .

وفى دور التقليد واسار المدح ، برزت طائفة من الشعراء ترفعت عن التكسب بالشعر . واعتصمت بالحرية محرابا للفن ، وغلبت شخصيتهم سلطان المجتمع قدر ما استطاعوا الى غلبته سبيلا . واعلام هذه الطائفة ثلاثة ، طرفة ، وعنترة ، ولبيد ..

أول الشعراء الأحرار ، عمرو بن العبد الملقب « طرفة » . وقد ولد بالبحرين على الخليج العربي ، عام ٥٤٣م في أرجح الروايات . وأبوه العبد من بني بكر بن وائل . وأمه وردة بنت عبد المسيح من ربيعة . وبهذا جمع مجد الحسب من طرفيه ، مثلما جمع مجد الشعر من جميع أطرافه . فقد كان أبوه شاعرا ، وكان خاله « المتلمس » شاعرا ، وكان جده وأبوه وعمـاه « المرقش الاكبر » و « المرقش الاصغر » شعراء ...

وقد مات أبوه وهو مازال في طفولته ؟ تكفله أعمامه ، ونموا فيه ملكة الشعر .. لكنهم في ذات الوقت غرسوا في قلبه النقمة على ذوي القربى ، الذين استباحوا مال والدته وحجبوه دونه ، وقال فيهم من بواكير شعره ، منددا بظلمهم المتمثل في الاستيلاء على المال بغير حق وحرمان الاولاد الصغار منه ، ومنبها الى أن هذا الظلم قد يلد أعظم الأخطار ، ويشعل نار حرب تشبه حرب البسوس التي دمرت « بكر وتغلب » من وائل :

ما تنظرون بحق وردة فيكم
صغر البنون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره
حتى تظل له الدماء تصبب
والظلم فرق بين حيي وائل :
بكر تساقيها المنايا تغلب

حياة قصيرة عريضة

ولعل لهذا الظلم المبكر أثرا في حياة الشاعر القصيرة ، المفعمة بالتقلبات والمنتهية بمأساة . فطرفة الشاعر الحر قد مات قبل أن يكتمل شبابه ، ولم يشهد في الحياة سوى ستة وعشرين ربيعا . قتل في نهايتها جزاء غير وفاق على سلوكه الحر الأبي الذي لم يخضع لسطوة الجبارين ...

فهذا الطفل الذي غلبته الحياة على أبيه فمات ، وعلى أمه فابعدت عنه في طفولته ، وعلى ماله فاغتصبه أعمامه ـ هذا الطفل قد اندفع في اللهو واللعب والشراب ـ غير حافل بالناس ، ولا آبه للقيم والاعراف التي كفر بها جميعاً ... ولم يكن بد من أن ينأى عن عشيرته ، وأن تنأى عشيرته عنه ، وأن ينعزل كالبعير الأجرب :

ومازال تشرابي الخمور ولذتي
وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي
الى أن تحامتني العشيرة كلها
وأفردت افراد البعير المعبد

شاعر الوطن العربي

وحينئذ هاجر من موطنه البحرين ، وأخذ يضرب على ناقته في بلاد الوطن العربي لتلك الايام . فعايشها جميعا ، حتى بلغ أطراف جزيرة العرب ، أو تجاوزها في بعض الروايات الى الحبشة . وبهذا تهيأ لشعره أن يكون مرآة تنعكس فيها جميع معاني الاقطار العربية لعصره ، وأن يكون بحق شاعر الوطن العربي ...

ووصف الناقة في المعلقة يبين في وضوح أنه بحق شاعر الوطن العربي ، حيث تجتمع رقة الحضر مع خشونة البادية . يشبه الناقة وأجزاءها التي يستوعبها ببابي القصر الشامخ ، ودلوي ناقل الماء ، وقنطرة الرومي ،

والسقف المبني باللبن المتساند ، ودقة السفينة الصاعدة في دجلة ، وحرف المبرد ، والجلد اليمني المدبوغ ، والبقرة الوحشية ، والثور الوحشي ، والظليم ، والنسر ، والمرداة التي تحطم الصخور ، والمرآة ، وحفرة الماء . ومنها قوله :

كأن علوب النسع في دأياتها
موارد من خلقاء في ظهر قردد (١)
تلاقى واحيانا تبين كأنها
بنائق غر في قميص مقدد (٢)
واتلع نهاض اذا صعدت به
كسكان بوصي بدجلة مصعد (٣)
وجمجمة مثل العلاة كأنما
وعى الملتقى منها الى حرف مبرد (٤)

طرفة بن العبد

وخد كقرطاس الشامي ومشفر
كسبت اليماني قده لم يجرد (٥)
وعينان كالماويتين استكنتا
بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد (٦)

انه يصطنع تشبيهاته من تصعيد السفينة في دجلة ، والكتابة في الشام ، ودباغة الجلد في اليمن ، كما أصطنعها في مواضع أخرى من الملاحة في خليج فارس ، وصناعة السفن في البحرين ، والبناء الرومي، بل يؤلف بين معنى حضري وآخر بدوي حين يشبه عينيها بالمرآتين صفاء وبريقا ، وبما يجتمع من الماء في الصخر . وهذا التأليف واضح في الصور الاخرى التي عرضنا لها .

ودقة التمثيل تظهر في البيتين الاولين ، اذ يشبه آثار الحبال في صدر الناقة بآثار المياه المنحدرة فوق صخرة ملساء بأرض غليظة صلبة ، تتلاقى حينا وتبتعد حينا ، كأنها قطع من نسيج أبيض تظهر في قميص شق ووصل .

والعناية بالنظم واضحة فيها كلها ، وأثرها باد في الطباق البديع بالبيت الثاني .

والاتجاه الى الالوان وتصويرها بارز كذلك حين يذكر أنها صهابية العثنون ، ويصف الفصل ، بالكلف والبنائق بالغر ، وما الى ذلك .

والتتبع أوضح ما يكون ، فهو يذكر كل ما يتصل بها من قوة ومظهر ومرعى وحركات ، ويحافظ على وحدة الموضوع فلا يخرج الى غير أوصافها ، وحين يذكر حيوان الوحش لا ينتقل الى وصفه .

ويعنى بوصف حسها ، وذكائها ، وابراز جمالها على نحو انساني ، في مثل قوله :

---

(١) علوب النسع : آثار السير الذي تشد به الاحمال . دأياتها : ضلوع صدرها . الخلقاء : الصخرة الملساء . القردد : الارض الغليظة الصلبة .
(٢) بنائق : قطع تخاط بالقميص ليتسع .
(٣) أتلع : المراد عنق طويل . سكان بوصي : دقة سفينة .
(٤) العلاة : السندان . وعى : جمع .
(٥) السبت : جلد البقر المدبوغ .
(٦) الماوية : المرآة . الحجاج : عظم الحاجب . قلت : نقرة في الحجر تمسك الماء .

تربع الى صـــوت المهيب وتتقي
بذى خصل روعات اكلف ملبـــد
وصادقنا ســمع التوجس للسرى
لهجس خفى او لصوت مندد (١)

وقوله :

وان شئت لم ترقل وان شئت ارقلت
مخافة ملوى من القد محصـــد
وان شئت سامىواسط الكور راسها
وعامت بضبعيها نجـاء الخفيدد

وقوله :

فذالت كما ذالت وليـدة مجلس
ترى ربها اذيال سحل معــدد

فهذا الوصف يمثل صدقا فنيا فى تصوير العـاطفة الانسانية ، وينبعث منه هيام بالناقة وحب خالص لها .

الوطن وحياة الرعاة

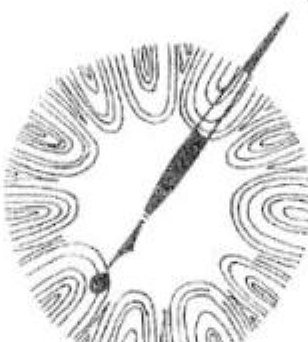
ومهمـا يكن من امر فان طرفة . الشاب الثائر القلق ، قد حن الى مسقط راسه ، بعدطول هجرتهومعاناته ومغامراته . فعاد الى البحرين ، بعد أن قاسى مرارة الغربة ، وعانىشظف العيش ... وعــزم أن يسير طوع القادة من عشيرته ، والا ينتقد لهــا رأيا ، ولا يهاجم مسلكا ...

ورضى فى فقره وعنائه أن يرعى ابل معبد ، اخيه لابيه ، لــكن الشعر والحرية يملكان عليه هواه ، وليس من اليسير على عاشقهما هجرهما . ولهذا غلبه نظم الشــعر ، فشغل به عن السهر عـلى الابل حتى ضاعت ... فطالبه اخوه بالابل مهـــددا متوعدا ، فلجا الى ابن عمــه يطلب العون فخذله ... لكنه لقى العون من سيدين كريمين فى قومه ، يقدران فنه وحريته ، فأصبغا عليه العطــاء ، واعاناه فىرد ابل اخيه اليه..وحينئذ أرضى هواه الثانى فى المتاع بالحياة والشراب ، ووجد أن العيش فقيرا بين أهله موت أو ما يشبه الموت .

الهجرة والنهاية المفجعة

وحينئذ هاجر من موطنه ثانية ، واخذ يطوف الآفاق ، حتى بلغ بلاط ملك الحيرة . ولقى الملك عمـرو بن هنــد ، فاكرمه الملك وقربه اليه .. وقد اعانه على هذا مكانته الادبية ، وان كان فى بلاط الملك خاله المتلمس ، وزوج أخته عبد عمرو بن بشر . لكن حرية الشاعر وحبه لأختـــه ورداء

(١) مندد : رفيع .



مورد التهلكة ...

فقد هجا صهره : عبد عمرو بن بشر لاساءته معـــاملة أخت طرفة ، ووصفه متهكما عليه ـ وكان ضخما حينئذا لا رواء لخلقه ـ بلطف الخصر، والبهاء واعتـــدال القوام ، وبالغنى الذى لا خيرفيه سواه :

ولا خير فيه غيــــر أن له غنى
وأن له كشحا أذا قام أهضما (١)

بل انتقد الملك عمرو بن هند ذاته، وقال انه عديم الغناء والنفع ، وأن الرغوث أو الناقة الحلوب أنفع منـــه وأجدى على أهلها .

فليت لنا مــــكان الملك عمرو
رغوث حول قبتنا تخـــــور

وهجا قابوس أخا الملك ، فنعى عليه النوك أو الحمق الذى يدين به مع أخيه شئون الناس :

لعمــــرك ان قابوس بن هنـــد
ليخلط ملــكه نوك كثيـــــر !..

ولم يكن بد للشاعر الشاب الثائر على الأوضاع ، الهاجم للحاكمين ، من أن يلقى مصرعه ... ولهذا بعث به عمرو بن هنـــد الى عامله على البحرين ، فقتله شر قتلة ، ومثل به أسوأ تمثيل .

وفى رواية ان عامل البحرين كان قريب الشـاعر ، فأبى قتله ، وأوعز اليه بالفرار ، لكن الشاعر ابى الهرب .. فحبسه الوالى ، وبعث الى عمرو ابن هند قائلا : « ابعث الى عملك من تريد فانى غير قاتله !.. » فولى ملك الحيرة على البحرين رجلا من تغلب احضر الشـــاعر ، وقال له : « انى قاتلك لا محالة ! فاختر لنفسك ميتة تهواها ! » . فقـــال طرفة : « ان كان ولابد ، فاسقنى الخمـــر وافصدنى ! » . فنفذ الوالى رغبته ، وظل الشاعر الشاب ينزف دما حتى مات !

ومهما يكن من أمر هذه الرواية ، واذا كان الانتحال يستند دائما الى الحقائق السائرة ، فانها تدل علـى شجاعة الشاعر ، واستهانته بالموت، وفتنته بالشراب ، وحب الناس له .

وقد عبرت الخرنق الشـاعرة أخت طرفة عن الأسى على أخيها ، فبكته مر البكاء ، وكان من قولهـا فيه ، تأسى على موته فى ريعان شـــبابه وانضر أيامه : لا طفلا ولا هرما .

عددنا له ســتا وعشرين حجــة
فلما توفاها استوى سيدا ضخما..
فجعنــــا به لـــما رجونا ايابه
على خير حال لا وليداولا قحما (٢)

طرفة بن العبد

شعر الطبيعة عند طرفة

وطرفة من أعـــلام شعر الطبيعة العربى . وشعر الطبيعة عنده يمثل حياته أصدق تمثيل . يمثل الجمـع بين معانى البادية التى طافها عـلى ظهر ناقته ، وبين معانى الحضرالذى نشأ فيه بين جماعة بكر بالبحرين ، وشاهد معــــانى أقوى له فى قصر عمرو بن هند بالحيرة ، وفى أطراف الجزيرة العامرة ...

---

(١) الكشح : الخصر ، الأهضم : النحيف اللطيف .
(٢) الضخم : العظيم . القحم : الشيخ الهرم .

انه يبدأ المعلقة بحديث الأطلال ووصف مراكب النساء ، طالبا الى أصحابه التجلد • وشخصية طرفة البدوية الحضرية تظهر حين يشبه المراكب متنقلا بين معاني البادية الى معاني الحضر ، ثم راجعا بمعاني الحضر الى معاني البادية ، أو ما أشبه بها ، فيقول : كان مراكب الحبيبة وصواحبها سفن عظام يوجهها الملاح الى امام تارة وينحرف بها أخرى ، تشق صدورها الماء وتقسمه كما يقسم اللاعب التراب بيده ، ويذكر من مواطن البحرين « عدولى » ومجارى المياه بوادى « دد » • وقد سبقه المرقش الاكبر فى تشبيه الرحيل بسير السفن ، بل وامرؤ القيس ، لكنه أول من أطنب فى وصف السفن على هذا النحو •

وهذه المقومات واضحة فى قصيدته :

أشجاك الربع ام قدمه
أم رماد دارس حممه

بكى الأطلال فى سبعة أبيات فقال : أحزنك من هذه الديار بعد العهد بأهلها ، أم رماد نارها القديم • كان رسومها التى عبثت السيول بها الكتابة الأنيقة فى صحيفة من الجلد !•• وانها لتملك على نفسى ، ولو طارعتها ما رحلت عنها ، مع أن هذه الرسوم موحشة ليس بها سوى النعام رافعا أجنحته كاماء تحمل حزم الحطب فوق رءوسها • ويظهر أثر البيئة الحضرية البدوية فى شعر طرفة حين يصطنع صورة المرقش ، ويتحدث عن صحيفة الجلد ، ويشبه حال النعام باماء يحملن الحطب فى قصيدته :

وركوب تعزف الجن به
قبل هذا الجيل من عهد أبد

يصف الفرس فيقول : انى أركب جوادا كريما طويلا غير متثاقل ، ولا مرهق بالسوط ، فأسلك به طريقا شاقا تصوت به الجن من أقدم العهود ، قد أغرق السيل كهوفه بما فيها من ضباب حملها الماء فيما يحمل من غثاء •

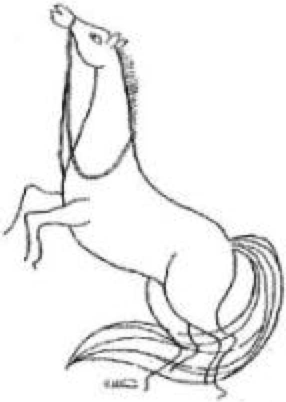
وفى قصيدته :

أصحوت اليوم أم شاقتك هر
ومن الحب جنون مستعر

وصف الفرس فى الحرب وصفا نرى فيه طرافة حين يشبه الحوافر بمعاول ركبت فى القوائم ، والأعناق بجذوع مقشورة ، وضرب الأرض بالرجم • كما أنه أحكم جو الوصف باستخدام معانى الدمار ، من فلق الصخر والرجم والمعاول ، فى مقام الحرب •

وتأثره بامرىء القيس واضح فى

طرفة بن العبد



جملة أوصافه الطبيعية . يصور الفرس تصويره ، ويقتضب صورة له في صفة الناقة ، ويمثل في اقتضاب الرياح تستدر المطر ، والسيل يحمل الضباب مع الغثاء .

وقد يتصرف في معانيه وألفاظه : كان يقول امرؤ القيس :

كأن ثبيرا في عرانين وبله
كبير أناس في بجاد مزمل

فيقول طرفة في صفة عقاب :

وعجراء دقت بالجناح كأنها
مع الصبح شيخ فيبجاد مقنع

ويشبه فنه فن امرىء القيس من ناحية التصوير الحسي ودقة التمثيل ، والعناية بالتشبيهات . وهذه العناية تظهر واضحة في بعض قصائده .

وكيفما كان الأمر ، فامتثال القديم والاضافة اليه من مقومات الأدب الحي ، وفن طرفة له مشخصاته ومقوماته التي تمثل صاحبه ، بمسكنه الحضري في البحرين ، وبما أفاد من رحلاته في قلب شبه الجزيرة وأطرافها . وتمثل الـماه السريع بالحياة الصحراوية ، اذ لا يصف البقر ، والثيران ، والحمر الوحشية ، ومعارك الصيد ، وورود الماء ، كما تمثل امتثاله لفن امير الشعراء الأحرار : امرىء القيس .

اختراعاته الشعرية

والقدماء حين يذكرون طرفةينسبون اليه كثيرا من الاختراعات الشعرية(١) .. ولا ينسون تبريزه في وصف الناقة بالمعلقة . وهـذا الوصف قد اتفق القدماء على روايته ، وعـدم الشك فيه . وقـال « ماكس ملجسون » ناشر ديوان طرفة :

« لا شك أن أبيات المعلقة جميعا لطرفة ، وأن هـذا معـا لا يحتمل خلافا (٢) » .

لكن أحـد أعلام الأدب المعاصرين قد أنكر نسبة هذا الوصف الى طرفة، معتمدا على أمرين لهما ظاهر من الوجاهة : الأول أن هـذا الوصف أقرب الى عمل اللغويين منه الى عمل الشعراء ، والثاني سهولة سـائر المعلقة بالقياس اليه .

والحجة الأولى يدفعها أن هـذا الوصف يسير على طريقة الجاهليين في وصف الأجزاء واستيعابها ، وأنه زاخر بالحياة الشعرية التي تبعث فيه الحركة والنشاط ، وبخاصة اذا لاحظنا أنه يصف محتذيا لا مبتكرا ، وان كانت له خصائصه ومميزاته . وأغلب الظن أنه اتبع طريقة امرىء القيس في وصف الفرس ، فاستقصى خلق النـاقة وملامحها ، موضحا بالتشبيهات ، ثم وصف الخلق والقوة .

أما الحجة الثانية فيردها أن هذه الظاهرة عامة في الشعر الجاهلي ، نستطيع تبينهـا في صحيحه كله . فالشـاعر حين يصف الحيـوان والصحراء يغرب علينا . أما حين يتغزل أو ينصح أو يصف منـاظر مألوفة لنا ، فان معانيه تكون أقرب منا . ولسنا في حاجة الى ايراد أمثلة ، فكل القصائد العربية من لدن امرىء القيس الى ذى الرمة مثال له (٣) .

وتفسير هذا يسير جدا . ذلك أن القاموس الصحراوي الذى يمثل الحياة البدوية ، بأعلامها ومعاهدها

---

(١) العمدة لابن رشيق . ج ١ ص ١٧٦ .

(٢) ديوان طرفة (باريس ١٩٠٥) ص ٩٢ .

(٣) د. سيد نوفل : شعر الطبيعة في الادب العربي ، مطبعة مصر ١٩٤٥ ص ٩٧ ، ص ١٠٥

وحيوانها ، لم يدر فى لغتنا الحديثة الا أقله ، لبعده عن مألوفنا وعدم الحاجة اليه · أما القاموس الذى يصور العواطف والمعانى والصور والمواد المألوفة فى حياتنا وبيئتنا ، فانه ، او اكثره ، سائر بيننا · وانن فهذه الغرابة وهذا الاختلاف منا نحن ، وليس من الشعر ذاته ·

ويزول كل اثر للشك حين تطبق الشخصات الفنية لمدرسة المرقش وشعر طرفة على وصف الناقة فى المعلقة ··

طرفة بن العبد

فلسفة طرفة وتفسيرها

اذا كان القلق والثورة باديين فى حياة طرفة ، فانهما أظهر ما يكون فى فلسفته وشعره ·· فهو ينغمس فى الحياة المادية الى اعمق الأبعاد · ويفلسف هذا الانغماس محتجا بأن الموت لا مناص منه وان ابطأ احيانا· فهو نهاية الحى ، وهو يسوى بين الحريص على المال ، والمبذر له فى الملاهى ·· وهو ملم بالغنى والفقير ، وبالشجاع والجبان ، وينتهى من ذلك الى نتيجة تجمع الضدين ، وهو خوض الحروب حين يدعو داعيها ، والمتاع بملذات الحياة انى اتيحت فرصتها :

الا أيهذا اللائمى اشهد الوغى
وان احضر اللذات ، هل انت مخلدى؟
فان كنت لا تستطيع دفع منيتى
فدعنى أبادرها بما ملكت يدى
لعمرك ! ان الموت ما اخطأ الفتى
لكا لطول المرخى وثنياه باليد(١)
ارى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غوى فى البطالة مفسد (٢)

ومضيا فى هذه الفلسفة الجامعة بين الضدين ، فانه يأوى الى حلقات الشيوخ وأهل الرأى الذين يسوسون شئون القبيلة ، كما يأوى الى الحوانيت ودور الشراب والغواية ···

وان تبغنى فى حلقة القوم تلقنى
وان تقتنصنى فى الحوانيت تصطد!

وهو جرىء مقدام معتز بالصدق الذى يمليه شرف المحتد :

ولكن نفى على الرجال جراءتى
عليهم واقدامى وصدقى ومحتدى

وتفسير التناقض فى حياة طرفة ، وفى فلسفته الجامعة بين المادية والمثالية ، وفى ثورته على مجتمعه والاخلاق السائدة لعصره مع انغماسه فى لهو الحياة ومتاعها ، تفسير ذلك يسير ·· فطرفة عاش الحياة التى سبقت الاسلام ، وعاصر المجتمع الذى افعم بالأوزار والمتناقضات ، ومات فى عام ٥٦٩م ، اى قبل عام واحد من مولد الرسول محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذى اخرج الله به الناس من ظلمات القلق والفساد والضلال الى نور السكينة والصلاح والايمان · فكانت ثورة المفكرين التى أوردت بعضهم مورد الهلاك ، من معاول الهدم فى المجتمع الفاسد ، ومن مظاهر الارهاص ، والاعداد للبيئة التى تنمو فيها الرسالة الاسلامية وتزدهر

---

(١) الطول : الحبل · ثنياه : طرفاه
(٢) النحام : الحريص ·

د. أحمد هيكل

ابن هانئ الأندلسي

شاعر من كبار شعراء المغرب الاسلامي ، ولد ونشا بالاندلس ، وعاش ومات في شمال افريقيا ، وعاصر ثلاثة من الخلفاء الكبار ، هم عبد الرحمن الناصر ، والحكم المستنصر في الاندلس . ثم المعز لدين الله الفاطمي في شمال افريقيا .. كما عاصر الشاعر المشرقي الكبير ابا الطيب المتنبي وحاول ان يسير في اتجاهه الفني ، حتى لقبه بعض مواطنيه « متنبي الاندلس » .

كانت الفترة التي عاش خلالها ابن هانيء في الاندلس ، من أعظم فترات الازدهار السياسي والانتصار العسكري والتقدم الفكري والرقي الفني ، بتلك البلاد في ظلال العهد الاسلامي ...

كذلك كانت الفترة التي عاش خلالها ابن هانيء في شمال افريقيا من اكثر فترات التحرك والصراع والتفاعل في مجالات العقيدة والفكر والسياسة والحرب ...

ففي تلك الفترة كانت الدولة الفاطمية تكمل بناءها وتؤكد وجودها وتواجه بالاسلحة المختلفة مناهضيها ، الذين كان العباسيون أهمهم في المشرق ، والامويون أهمهم في الاندلس ... على أن الصراع على الميدان الاقرب ، كان بين حكام الاندلس الامويين وخصومهم الفاطميين ، وذلك لتجاور القطرين قبل انتقال الفاطميين الى مصر ، ولارتباط الاندلس بالشمال الافريقي بكثير من الوشائج منذ كان الفتح الاسلامي ، بحيث لا تحتمل طبيعة الاقليمين وجود دولتين مختلفتي المذهب والفكر والسياسة – في حالة مواجهة ...

ومن هنا نتصور ابن هانيء وقد عاش شطر حياته الاول في مناخ سياسي وفكري معين ، ثم أمضى شطر حياته الثاني في مناخ اخر ، يوشك ان يخالف المناخ الاول تمام المخالفة .

وشاعرنا هو ابو الحسن محمد بن هانيء الازدي ، يتصل نسبه من جهة ابيه بالمهلب بن ابي صفرة . وكان ابوه يستوطن أولا احدى قرى شمال افريقيا ، ثم هاجر الى الاندلس ، حيث ولد له ابنه محمد بمدينة اشبيلية سنة ٣٢٦ هـ (أو سنة ٣٢٠ على خلاف في ذلك) .

وكان الوالد شاعرا ومشتغلا بالادب ، فنشأ الولد – بين اشبيلية والبيرة – نشأة ادبية شعرية . ولما أستوى شاعرا ، اتصل بصاحب اشبيلية ونال مكانة عنده . غير أن مقامه بالاندلس لم يستمر ، بل كان ما حمله على الهجرة الى شمال افريقيا ، وهو ابن سبعة وعشرين عاما . ذلك انه كان – فيما يبدو – قد تعلق بالدعوة الفاطمية ، وعرف ذلك عنه ، ولعله قد صرح بشيء من ذلك في شعره . وكانت الدعوة الفاطمية مرفوضة من حكومة الاندلس الاموية ، لان تلك الدعوة تمثل خطرا سياسيا يهدد هذه الحكومة . فكان في تعلق ابن هانيء بتلك الدعوة ، ثم في اتصاله بحاكم اشبيلية من قبل الامويين الاندلسيين ، خطر لا على ابن هانيء وحده ، وانما على حاكم بلده أيضا . ومن هنا نصح هذا الحاكم ابن هانيء بمغادرة اشبيلية والاندلس جميعا ، فهاجر الى عدوة المغرب .

وقد تعود المؤرخون لحياة ابن هانيء أن يذكروا في سبب هجرته الى الشمال الافريقي وتركه للاندلس ، انه كان متهما بالفلسفة كثير الانهماك في الملذات . وهذان السببان غير مقنعين ، فالفلسفة لم تكن في ايام ابن هانيء تهمة توجب المطاردة ، بل قد ثبت أن كثيرين من أهل الاندلس كانوا يشتغلون بها في تلك الاونة ، التي عرفت بحرية الفكر واحترام كل الاتجاهات والاهتمام بكل العلوم .

كذلك لم يكن الانهماك في الملذات مما يسبب اخراج اندلسي من بلده ، فقد كان حب الشراب والسماع والاقبال على المتع والوان اللهو ، مما يشيع بين الاندلسيين في اكثر الاحايين . ولم يكن ابن هانيء بدعا بين مواطنيه في ميله الى الملذات ، ولا في الانهماك فيها ..

لهذا كله يرجح أن تكون هجرته لسبب سياسي ، وهو اتصاله بالدعوة

ابن هانئ الأندلسي

الفـاطمية . ولعل صلته مبـاشرة بالحكام والقواد الفاطميين بعد هجرته الى شمال افريقيا ، ثم تمكنه مـن الفكرة الفاطمية ، ومعرفته بمصطلحات الشيعة ـ كما يدل على ذلك شعره ـ مما يؤيد هـذا التفسير لهجرة ابن هانيء من الاندلس (١) .

ومهما يكن من أمر ، فقد اتصـل ابن هانيء فى شمال افريقيا بالقائد جوهر الصقلى ومدحه ، ثم اتصـل ببعض الولاة ونال جوائزهم عـلى اشعار قالها فيهم .. وأخيرا وصـل خبره الى المعز لدين الله الفاطمى ، فطلب أن يراه ، فتوجه ابن هانيء الى لقائه ، وكانت له فيـه اشعار توبلت بالتقدير والانعام .

وظل ابن هـانيء شاعر المعـز المفضل ، وداعية دولتـه الاثير .. ولما توجـه المعز الى مصر شيعه ابن هانيء ، ثم رجع الى المغرب لاخذ عياله واللحاق بالخليفة . وفعـلا استعد الشاعر وتبع المعز ، ولكنه لم يلحق به . وذلك انه حين وصل الى برقة انتهت حياته نهاية غامضة . فقيل : « ان شخصا من أهلهـا استضافه ، فاقام عنده اياما ، ثم كانت عربدة عليـه فى مجلس أنس سببت موته » . وقيل : « انه خرج سكران من دار مضيفه فنام فى الطريق وأصبح ميتا » . وقيل : « انه وجد فى ساقية من سواقى برقة مخنوقا بتكة سراويله » . وأغلب الظن أن ابن هانيء قد قتل قتلا سياسيا على يد بعض أنصـار حكومة الامويين الاندلسيين المناهضين للفاطميين (٢) .

وليس أدل على ذلك من هذا الغموض الشديد الذى يكتنف ميتة ابن هانيء أو قتله ..

وعلى اية حال ، قد كانت نهـاية الشاعر سنة ٣٦٢ هـ ، بعـد أن بلغ من العمـر ستا وثلاثين سنة (أو اثنتين وأربعين على خلاف فى ذلك) هذا ، وقد كان فى طبع ابن هانيء كثير من الحدة ، وفى عقيدته كثير من القلق ، وفى سلوكه كثيـر من الاستهتار .

اما شعره ، فقـد كان يسير فى الاتجاه المحافظ الجديد ، الذى كـان على رأسه بالمشرق فى تلك الفترة ابو الطيب المتنبى .. وكان ابن هانيء قد عرف من قبـل شعر البحترى وابى تمام ، كما درس بعنـاية شعر ابى الطيب وتعلق بمذهبـه . ثم كانت موهبته الخاصة وملكته المميزة ، فكان اختياره للاتجاه المحافظ الجديد اولا . ثم كان تميزه بسمات خاصة ثانيا .

---

(١) انظر : تبيين المعانى فى شرح ديوان « ابن هانيء » للدكتور زاهد على صفحة « ٢٠ »

(٢) انظر : تبيين المعانى فى شرح ديوان ابن هانيء للدكتور زاهـد على صفحة « ٢٢ »

ومن هنا لم يكن شعر ابن هانىء شعرا يحول فيه اللون الخاص ، او يعتمد فقط على الشاعرية التي تمدها القراءة ويعينها الاطلاع لكي تنتج نتاجا كالذى قرىء . وانما كان لشعر ابن هانىء هذا اللون المميز والطابع الخاص ، الذي لا يعدو تحصيل صاحبه أن يكون زادا كالذى ترشفه النحلة من الازهار المختلفة ، لتخرجه بعد ذلك شيئا آخر ، فيه طبيعة النحلة وعملها، الى جانب طبيعة الرحيق وعنصره .

اما اهم تلك السمات الفنية الخاصة التي تميز شعر ابن هانىء – برغم سيره في اتجاه المتنبي وسابقيه من المحافظين المجددين – فيمكن تركيزها في سمتين اثنتين ، هما : الحدة الفنية ، ثم الذهبية . والسمة الاولى ، وهي سمة الحدة ، تتضح في شعر ابن هانىء ، وتتمثل في مضمونه وشكله على السواء . فهو فنان حاد في فنه الشعرى ، صارخ في لونه الادبي ، وحدته تبدو في معانيه وصوره ، وفى الفاظه وتعابيره ، بل في اوزانه وقوافيه .

اما الافكار فيلاحظ أن ابن هانىء يتعمقها ، ويبالغ احيانا فيها ، ولا يهمه بعد ذلك أيقبلها العقل ام لا يقبلها ، فهو يقول مثلا في سيفه :

لي صارم وهو شيعي كحامله	يكاد يسبق كراتي الى البطل
اذا المعز – معز الدين – سلطه	لم يرتقب بالمنايا مدة الاجل

وهذه حدة مقبولة ، بل جميلة ، لان الشاعر خفف منها في البيت الاول بقوله عن سيفه « يكاد » ، ثم بتلك الصورة الفنية التي تصور السيف يسابق صاحبه الى العدو .. كما خفف منها في البيت الثاني أن الآجال غير معروفة ، فكون السيف لا يرتقب مدة الاجل ليقضى على العدو يبدو شيئا مقبولا بل جميلا .

لكن ابن هانىء احيانا يصل في حدته المتصلة بالافكار الى درجة لا يستسيغها العقل ، وقد يمجها الذوق . ومن ذلك قوله في كرم ممدوحيه :

من كان اول نطقه في مهده	ان قال : اهلا ، للعفاة ومرحبا

وقوله في أهمية آخر :

هو علة الدنيا ومن خلقت له	ولعلة ما ، كانت الاشياء

ثم قوله المعروف في المعز :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار	فاحكم فانت الواحد القهار

وليس من شك في أن الحدة تكون مقبولة حينما تكون عمقا في الفكرة ، او حرارة في الاحساس . اما حين تكون مبالغة متورمة ، يرفضها الذوق ، او العقل ، فانها تأتي ساقطة ليس لها حظ من السمو الفنى .. وقد تورط ابن هانىء في بعض هذه الافكار غير الناجحة نتيجة لحدته التي كان لا يستطيع السيطرة عليها احيانا ..

وابن هانىء حاد كذلك في صوره الشعرية ، فهو يوسع رقعتها ، ويبرز خطوطها ، ويظهر الوانها ، ولا يعنيه بعد ذلك اجاءت الالوان صارخة أم هادئة ، ولا يهمه أأتت الخطوط متناسقة أم متنافرة . فهو يقول مثلا في تصوير اكول :

ياليت شعرى اذا اوما الى فمه	احلقه لهوات أم ميادين ،
كأنها وخبيث الزاد يضرمها	جهنم قذفت فيها الشياطين
تبارك الله ما امضى اسنته	كأنما كل فك منه طاحون
كأن بيت سلاح فيه مختزن	مما اعدته للرسل الفراعين

كأنما الجمل المشوى في يده ... ذو النون في الماء لما عضه النون(١)
كأن في فكه ايتام أرملة ... أو باكيات عليهن التبابين (٢)

وهذا من جميل التصوير ، لان المقام يحتمل المبالغة ، فهو مقام سخرية يصلح لها هذا التعبير « الكاريكاتيرى » .. غير أن ابن هانىء في مقام آخر يصل في حدته التصويرية الى درجة تفسد الصورة . ومن ذلك قوله يصف وجها جميلا ، ويتحدث عن الخد وما يجاوره من شعر يسمى العذار :

وكان صفحة خده وعذاره ... تفاحة رميت لتقتل عقربا

فهنا قد أدت المبالغة ـ أو الحدة ـ في الصورة الى ما يبعث على النفرة ، حيث جعل الشاعر خد الجميل تفاحة وجعل شعر العذار عقربا ، وصور التفاحة وقد قذف بها العقرب ، وكأنه ليس عقرب شعر ، وانما هو عقرب حقيقى من تلك الحشرات المخيفة الكريهة ، مادام الامر محتاجا الى الرمى والقذف والرجم .

وابن هانىء كذلك حاد في ألفاظه وعباراته ، فهو يؤثرها فخمة ذات جرس عال ورنين واضح ، وهو في كثير من الاحيان موفق في ذلك ، كأن يكون المقام محتاجا لعلو النبر وارتفاع الايقاع ، مثل قوله من قصيدة في جيش المعز :

رأيت بعينى فوق ما كنت اسمع
وقد راعنى يوم من الحشر اروع
غداة كأن الافق سد بمثله
فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم ادر اذ سلمت كيف أشيع
ولم ادر اذ شيعت كيف اودع
وكيف اخوض الجيش والجيش لجة
وانى بمن قاد الجيوش لمولع
واين؟ ومالى بين ذا الجيش مسلك
ولا لجوادى في البسيطة موضع
الا ان هذا حشد من لم يذق له
غرار الكرى جفن ولا بات يهجع

على أنه في أحيان أخرى تدفعه الحدة المؤثرة للفظ الفخم والرنين العالى الى الصخب والقعقعة والاتيان بالغريب . ومن هذا قوله في حسناء اراد أن يصف كثرة حليها :

---

(١) النون : هو الحوت، وذو النون هو سيدنا يونس الذى ابتلعه الحوت.
(٢) التبابين : جمع تبان ، وهو السروال الصغير : (المايوه) .

ابن
هانئ
الأندلسي

اصاخت فقالت : وقع اجرد شيظم وشامت فقالت : لمع ابيض مخذم (١)
وما ذعرت الا لجرس حليهـــا وما لحت الا برى فى مخــذم (٢)

وقد عيب على ابن هانىء هـــذا اللون من الحدة فى الالفاظ والتعابير. وهو عيب من غير شك اذا جاء فى غير موضعه .. ومن الانصـاف أن يقال : ان هذا العيب ليس عاما فى شعر ابن هانىء ، ولا فى اكثره ، حتى يحكم به على فنه جملة .. ومن هنا كان ابو العـــلاء المعرى غير دقيق الحكم ، حين اعتبر شعر ابن هانىء شيئا لا طائل تحته ، وقال : « مـــا اشـبهه الا برحى تطحن قرونا » . فالحق اولا أن اكثر شعر ابن هانىء لا تصل فيه حدة التعبير الى الصخب والجلبة والقعقعة ، وانما أكثره فيه ميل حقيقـة الى اللفظة الفخمة والى العبارة الجزلة . وهذا لون من التعبير ومذهب من مذاهب الاداء ، فكما يحب البعض الهمس والهدوء فى الاداء ، يؤثر البعض الاخر الجهـــر وعلو النبرة فى التعبير .

والحق ثانيا أن حب ابى العـــلاء الشديد للمتنبى وشعره ، هو الـــذى جعله يهجن مـــن شعر ابن هـــانىء الاندلسى ، الذى كان كثير من مواطنيه يقارنونه بابى الطيب ويعتبرونه منافسا له . والا فكيف يصدق حكم ابى العلاء على مثل قول شاعرنا :

فتكات طرفك ام سيوف ابيك ؟
وكئوس خمر ام مراشف فيك ؟
اجلاد مرهفة وفتك محـــاجر ؟!
ما أنت راحمـــة ولا اهلوك !
يا بنت ذى البرد الطويل نجاده
أكذا يكون الحكم فى ناديك ؟!
قد كان يدعونى خيـــالك طارقا
حتى دعانى بالقنا داعيـــك
عيناك ام مغناك موعـدنا وفى
وادى الكرى ألقاك ام واديك ؟!
منعوك من سنة الكرى وسروا فلو
عثروا بطيف طـــارق ظنوك !
ودعوك نشوى ما سقوك مدامة
لما تمـــايل عطفك اتهموك !

وابن هانىء كذلك حاد فى موسيقى شعره ، فهو يختار قصائده من البحور الكثيرة التفاعيل العالية النغم الجلية الموسيقى ، ثم هـــو يؤثر القوافى الرنانة ، ويصل احيانا الى اختيـــار روى غريب لم يؤلف من قبله . بل نستطيع أن نقول : انه حاد فى كم أبيات قصائده ، فهو اميل الى القصائد والى المطولات بصفة خاصة ..

هـذه هى السمة الاولى من سمتيه البارزتين ، وهى سمة الحـــدة . اما السمة الثانية ، وهى المذهبية ، فتبدو فى كون ابن هانىء شاعرا مذهبيـــا لا يؤمن بالفن لذاته ، وانما يوظفه لتدعيم مذهب يميل اليه ويدعو له . فابن هـــانىء قد اتصل بالحـــركة الشعرية وهو فى الاندلس ، وكانت السبب فى خروجه من بلده وهجـرته الى شمال افريقيا . ثم انه قد اتصل

---

(١) اصاخت : انصتت . والشيظم من الخيل : الطويل الجسم ، وشامت : تطلعت . والمخذم : السيف القاطع .
(٢) البرى : الخلاخل . المخذم : موضع الخلخال .

ابن هانئ الأندلسي

بزعماء الفاطميين اتصالا مباشرا بعد هجرته وعمل للدعوة الفاطمية ، فكان من السنتها الناطقة ومن دعاتها أصحاب الصوت الجهير · ومن هنا كثرت في شعره مصطلحات الشيعة وافكارهم ، وبدت في نتاجه خطوط مذهبهم وروح دعوتهم ، واشتمل اسلوبه كثيرا على الحجاج والجدل والتعليل في محاولة للاقناع ، شأن أصحاب المذاهب ·· وربما لا تخلو قصيدة من قصائده الكثيرة في المعز من امثلة على ذلك · فهو يقول مشيرا الى فكرة الامامة :

امام عدل وفي في كل ناحيــــة كما تقضوا في الامام العدل واشترطوا

ويقول مشيرا الى فكرة العصمة :

مؤيد باختيـــار الله يصـحبه وليس فيمــا اراه الله من خلل

ويقول في فكرة ميراث آل البيت للحكم :

هو الوارث الارض عن والـدين
اب مصـــطفى واب مرتضى

ومثل هـذه الافكار الشيعية كثير في شعر ابن هانيء ، قد استخرجها العلماء الذين عنوا بهذه الناحية في تراثه ، مثل الدكتور زاهد علي الذى شرح ديوان ابن هانيء وحققه وقدم له (١) ·

ولما كان ابن هانيء متفقـا مع المتنبي في حدة الطبع ، وفي الاخذ بمذهب واحد في الفن الشعرى ، ولما كان معجبا به ودارسا له ايضا ، فقد وجد في تراث ابن هانيء بعض آثار المتنبي ، حتى عيب ذلك على ابن هانيء وعد من المآخذ التي وجهت اليه · ومن ذلك مثلا قول ابن هانيء :

الم يبد سر الحب ان من الضنـا رقيبا وان لم يهتك السر هاتك ؟!

فان هذا المعنى قد سبق اليه المتنبي حين قال :

واذا خامر الهـوى قلب صب
فعليـــه لكل عين دليــل

ومنه ايضا قول ابن هانيء :

ان ذل العـــزيز افظع مراى بين عينيه من لقـــاء الحتوف

فهذا المعنى أيضا قد سبق به المتنبي حين قال :

غير ان الفتى يلاقى المنـايا
كالحـات ولا يلاقى الهوانا ·

غير أن ذلك وما سبق من مآخذ لا يغض من قيمـة ابن هانيء ، ولا يزحزحه عن الصف الاول بين شعراء الاندلس ، فهو من غير شك شاعر ممتاز ، يجمع الى الاصـالة الفذة التمكن من أدوات الشعر ، يحشد له غالبا المعنى العميق واللفظ القوى والعبارة المحكمة والصورة الباهرة والموسيقى الرنانة ، مع طول نفس ووفرة انتاج

(١) سمى الدكتور زاهد على عمله باسم « تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانيء »



حسن كامل الصيرفي

أبو القاسم الشابي

عندما يذكر اسم ابى القاسم الشابى (١) شاعر تونس الشاب الذى سطع كنجم متالق ، وخبا كبرق خاطف ، تعود بى الذاكرة الى اوائل الثلاثينات حيث صدرت مجلة « ابولو » لسان حال هذه الجماعة التى ضمت عددا من شيوخ الشعر وشبابه ، واستقبلها شاعر العربية الخالد احمد شوقى الذى راس اول مجلس ادارة لها بقوله :
« ابو لو » مرحبا بك يا « ابولو » فانك من عكاظ الشعر ظل
فحققت فى سنواتها القلائل التى عاشتها من سبتمبر سنة ١٩٣٢ الى ديسمبر ١٩٣٤ والتى سطعت فيها هى ايضا كنجم متالق ، وخبت كبرق خاطف ـ امل شاعرنا الكبير حين قال :

عسى تاتيننا بمعلقات نروح على القديم بها ندل
لعل مواهبا خفيت وضاعت تذاع على يديك وتستغل

---

(١) الشابى (بتشديد الباء الموحدة) نسبة الى مسقط راسه « الشابية » بتشديد الباء الموحدة ايضا ·

أبو القاسم الشابي

لقد بسطت هذه المجلة ـ التي كانت حدثا تاريخيا في عالم الادب حيث تتفرد صحيفة بالشعر فتناصره على شتى الوانه ومذاهبه ، وتحتفي بالشعراء من كل قطر على تفاوت اعمارهم ومواهبهم ـ ذراعيها لتحتضن كل المواهب ، ما عرف منها وما لم يعرف ، وما كان قد كشف عنه وما لم يكشف ·

ولم تمض اشهر ثلاثة على صدور عددها الاول حتى كانت تتلقى من الاقطار العربية القريبة فيضا زاخرا من القصائد والبحوث ، وامتدت هذان الذراعان القويتان لتجذبا الى روضها المشرق المونق بلابل كانت تصدح بعيدا بعيدا فلا تسمع في ارجاء العالم العربي : من سنغافورة والهند شرقا ، ومن تونس ومراكش غربا ، ثم من الامريكتين حيث يعيش عدد غير قليل من الشعراء العرب الذين حملوا معهم عند هجرتهم املا عريضا في أن يبعثوا حيث حلوا صورة جديدة من الاندلس تعيد الى الاذهان ملامح الاندلس التى بعثها اجداد لهم منذ قرون في القارة الاوربية ·

وكانت « أبولو » تنشر في العدد الواحد العشرات من القصائد ، بل تنشر لشاعر واحد قصيدتين أو ثلاثا ، على حين كان الشعر لا يشغل من كثير من الصحف الادبية في النادر الا اضيق حيز ، بل كان لا ينشر منه الا شعر الكبار من الشعراء ·

في هذه الفترة القصيرة في حساب التاريخ الزمني ، الطويلة في حساب التاريخ الادبي ، وعلى وجه التحديد : في شهر مارس سنة ١٩٣٣ ، حمل البريد الى تلك المجلة « أبولو » من « تونس » ، وعلى وجه التحديد ايضا من تلك البلدة الرابضة في الجنوب الغربي من ذلك القطر وهى : « توزر الجريد » ، قصيدتين لشاعر لم يعرف عنه أهل الشرق شيئا ، بل كان غريبا بين أهل المغرب ، هذا الشاعر هو « ابو القاسم الشابى » ، وكانت القصيدة الاولى بعنوان « صلوات في هيكل الحب » ، والاخرى بعنوان « السعادة » ·

كانت القصيدتان مكتوبتين بالخط المغربي ، فدفعت بهما الى المطبعة ـ وكان لى شرف المشاركة في تحرير تلك المجلة ـ فجاءني صفافو الحروف حائرين مشدوهين سائلين مستفسرين ، فاسترجعت القصيدتين ، وخلوت اليهما استوضح ما أبهم من حروفهما ، ثم كتبتهما من جديد بالخط الشرقي بين سطور ابياتهما · وكانت هذه المحاولة مني فاتحة معرفتي بالخط المغربي اعانتني بعد ذلك فيما اخذت به نفسي من تحقيق التراث العربي عند الرجوع الى بعض المصادر التي حفظتها لنا خزائن الكتب في بلدان المغرب ·

وقد نشرت هاتان القصيدتان في العدد الصادر من « أبولو » في شهر ابريل سنة ١٩٣٣ فلفتتا الى صاحبهما الانظار · وكان قد ارسل الى المجلة

نسخة من كتاب له ضم محاضرة القاها على جمهرة من المتأدبين في تونس عالج فيها « الخيال الشعرى عند العرب » فتولى زميلنا الشاعر « مختار الوكيل » نقد هذا الكتاب ، ورد عليه « الشابى » بعد ذلك ٠

وفي عدد مايو سنة ١٩٣٣ نشرنا له قصيدة ثالثة عنوانها «الجنة الضائعة»

وفي يونية سنة ١٩٣٣ نشرت له قصيدتان هما : « انا ابكيك للحب » ، و « الابد الصغير » ٠

وفي سبتمبر سنة ١٩٣٣ نشرنا له قصيدتيه : « قلب الام » ، و « في ظل وادى الموت » ٠

وفي يناير سنة ١٩٣٤ نشرت قصيدتاه : « الصباح الجديد » ، و « الحسانى السكرى » ٠

وضم عدد فبراير سنة ١٩٣٤ اربع مقطوعات له هى : « الناس » ، و « الرواية الغريبة » ، و « ايتها الحالمة بين العواصف » ، و «صوت من السماء»

وفي شهر مارس سنة ١٩٣٤ نشرنا قصيدته : « من اغاني الرعاة » ، وكان قد بعث برسالة الى الدكتور « احمد زكى ابو شادى » يعلنه فيها انه يعد للنشر ديوانه الذى سماه « من اغانى الحياة » ٠ فاعلن الدكتور « ابو شادى » عن ذلك فيما صدر بعد ذلك من اعداد المجلة ، وكان الشاعر قد ابدى رغبته فى ان يطبع هذا الديوان بالقاهرة وان يشرف عليه « ابو شادى » ٠

وفي شهر مايو سنة ١٩٣٤ نشرنا له ثلاث قصائد هى : « الى طغاة العالم » ، و « الايمان بالحياة » ، و « نشيد الجبار او هكذا غنى بروميثيوس » ٠

ثم انقطعت رسائل الشاعر فترة حتى تلقى الدكتور « ابو شادى » فى شهر اكتوبر سنة ١٩٣٤ رسالة كان قد كتبها « ابو القاسم » اليه قبل وفاته مع رسالة تنعاه حيث فاضت روحه فى فجر التاسع من اكتوبر بعد مرض طويل هد قواه ولم تنفع فى درئه العناية والعلاج ٠

وقد علمنا بعد ذلك ان سر انقطاع رسائله اشتداد العلة عليه ، وانه عاد الى « تونس العاصمة » فى اواخر اغسطس ليعرض نفسه على الاطباء ، واقام فى ضاحية « اريانة » ، ولكن المرض لم يرحم هذا الجسد الواهى الذى يضم هذا الشعاع الشاعرى الالهى ، فاشتدت وطأته عليه ، فادخل المستشفى الايطالى ، ولم يمض اسبوع على دخوله المستشفى حتى كانت نهاية الصراع بين الحياة والموت ، وبين التغريد والصمت ٠

وقامت تلك المجلة التى احتفت بشعره وهو حى ، تحتفى بذكراه وهو ميت ، تلك المجلة التى كانت المنبر الذى علا صوته من فوقه الى بقاع الارض ، فنشر الدكتور ابو شادى فى عدد نوفمبر سنة ١٩٣٤ قصيدة فى رثائه مطلعها :

ابا القاسم الشابى ! ابا القاسم الشابي! مكانك فى الأخرى مكانة ارباب

واشار الى الرسالتين اللتين وردتا اليه ، فقال :

اتاني كتـــاب الود منك ، وطبه   نعيك ! يا للروع ينسف اعصابي !

وصدر عدد ديسمبر سنة ١٩٣٤ يحمل دراستين واحدة عن شعر الشابي بقلم الشاعر « حسن محمد محمود » (وهو الدكتور حسن حبشي) ، والاخرى عن فن الشابي بقلم الناقد « تفنى خليل » . وثلاث قصائد احداها للاخ الشـــاعر « صالح جودت » عنوانها « بين عالمين » مطلعها :

من وراء الغمام في الافق الذا   هل من حالكة الفضـــــاء المقبب

طالعتني في رهبة وجـــــــلال   لمحـــــة من خيـــــاله تتوثب

ثم خاطب الشاعر بقوله :

ايها الشـــاعر الذى بعث النشـ   ـوة في عالم جريح معـــــذب

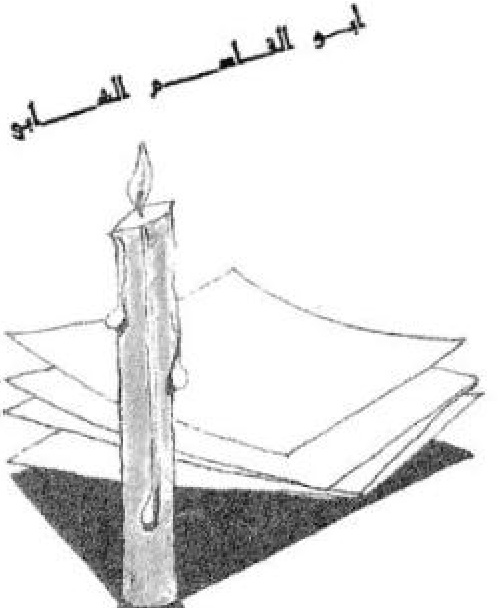
كلما رجعوا نشيده عـــادوا   موجـــات بلحنه تتطـــــرب

ايها الساحر الذى هدهد الار   ض ســـناء منبهـــة وتغيب

الهتيهـــــات لا يقصن خلودا   فهو كالله عمره ليس يحسب

وقصيدة للشاعر « محمـــــــد سعيد السحراوى » عنوانها « زورق الصياد » مطلعها :

رسا زورق الصياد في غسق الدجى   على شط بحر موجه متـــلاطم



ثم قصيدة لكاتب هذه السطور ، وقدجعلت عنوانها « الصباح الجديد » ، وهو عنوانٌ قصيدة للشاعر الشابى ،وقد قلت فى مطلعها :

ايهـــا المتعب الذى	حطم النـاى واستراح ،
هذه غاية المنى ····	هذه غاية المراح ···

وكنت قد اشرت فيها الى ما لقيه هذا الشاعر من جحود ، وما ترك هـذا الجحـود فى نفسه من مرارة ، وفى قلبه من جراح ، وفى جسده من ضنى، فقلت :

فى طريق مـن الاسى	وظـــلال من النواح
فوق اشـلاء بعثرت	من امانيـك الرزاح
وصخور ··· كانمـا	تنبت الشوك كالرمـاح
سرت تشكو وتشتكى	الم الجهد والكفاح···
الم الياس فى المنى··	الم الوخز والجـراح
عشت تشدو لعـــالم	قـد تلهى بكاس راح
الاعاصير لهوه ····	واغاريده الرياح ···
كيف يصغى لشـاعر	وهو جذلان بالنبـاح

وكان الشـــاعر نفسه ــ قبل موته بتسعة اشهر ــ قد اطلق صيحته المدوية التى ختمها بقوله :

اسكنى يا جـــراح	واسكتى يا شـجون
مات عهـــد النواح	وزمان الجنـــون
واطل الصـــباح	من وراء القـــرون

***

من وراء الظـــلام	وهدير الميـــاه
قد دعانى الصــباح	وربيع الحيـــاه
ياله من دعـــاء !	هز قلبى صــداه !
لم يعد لى بقـــاء	فوق هذى البقـــاع

***

الـوداع ! الـوداع !	يا جبــال الهموم !
يا ضـباب الاسى !	يا فجـاج الجحيم !
قــد جرى زورقى	فى الخضـم العظيم
ونشرت القـــلاع	فالوداع ! الـوداع !

ومع خفوت صوت هذا الشاعر الذى انطلق فى جنبات المشرق والمغرب من فوق منبر « أبولو » من القاهرة ، خفت صوت هذا المنبر أيضا الذى رفع للشعر منـــارة مازالت اشعاعاتها حتى الآن تضىء جوانب العالم العربى ·

وبعد ان سكت منبر « ابولو » اصدر الدكتور احمد زكى ابو شادى فى سنة ١٩٣٦ عددا ضخما من مجلة « الامام » التى كان قد بعثها الى الوجود مـن جديد ، قصره على « الشـابى » ضم عددا من الدراسات عن هـذا الشاعر باقلام طائفة من ادباء العرب ·

هذا هو « الشابى » حين احتضنت مصر ادبه وقدمته الى الامة العربية جمعاء منذ قرابة اربعين عاما ·

أبو القاسم الشابي

لابد أن يستجيب القدر

أما الشاعر نفسه ـ قبل أن تعرفه مصر وتحتضن أدبه ـ فقد تمخض عنه القرن العشرون بعد أن خطا هذا القرن الى السنة التاسعة منه ، فى جزء من الجناح الغربى للوطن العربى كان ـ وقتذاك ـ رازحا تحت نير استعمار بغيض يريد أن يطفى حتى على لغته ، يريد كتم أنفاسها لتتقطع الصلات بينه وبين اخوة له فى ذلك الوطن الكبير . هذا الجزء من هذا الجناح هو «تونس»

وسمعت سماء هذه القرية الوادعة الحالمة بين النخيل المتراقص «الشابية» التى تحتضنها مدينة « توزر الجريد » القابعة فى الجنوب الغربى من «تونس» صوت صرخات الوليد الصغير تنبعث من بيت وادع ترفرف عليه اجنحة سلام وايمان ، وتغمره تمتمات شيخ وقور غمر الايمان قلبه ، يقضى نهاره قاضيا فى امور الخلق ، ويقطع ليله فى التامل والتسبيح للخالق .

وكانما أراد القدر ان يظل بكاء الطفل عند ولادته متصل الانين والزفرات يتبعث صداهما من أعماقه فى صباه وفى شبابه حين أودع فى كيانه سرعة الانفعال وحدة الذهن .

ثم أراد القدر مرة أخرى أن يهيىء نفس هذا الوليد عندما بلغ حد الادراك لتختزن فى أعماقها آلام الناس تكبر معه كلما كبر ، وتنمو مع احساسه كلما نما ، ليكون فيما بعد الشاعر المترجم الصادق لآلام البشرية .

وعلى الرغم من جمال الطبيعة ومفاتنها مما كان يحيط بالشاعر فى مسقط رأسه ، وفى البقاع التى كان يتنقل فيها مع أبيه حين ينقل الأب الى وظيفة هنا أو هنا ، ثم انتقاله هو الى العاصمة التونسية ليلتحق بجامع الزيتونة وهو فى الثانية عشرة من عمره من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٧ عند تخرجه ، فان هذه المفاتن ـ وان كان قد استطاع أن يرسم لنا بشعره صورا ساحرة خلابة منها ـ فانها لم تستطع أن تضفى على أغوار نفسه الالوان المشرقة التى أضفاها هو عليها ، وكأنه كان يحس أن فى هذه الاغوار عالما غير هذا العالم الذى يعيشه ، عالما منفصلا عن كل ما حوله ، عالما كله أشباح عدم ، وأصوات ألم ، وصراخ ندم ، وصراع سقم .

وماتكاد قيثارة هذا الشاعر تعزف لحنا طروبا حتى يرتد هذا اللحن سريعا ليرتفع عليه صدى ألحان الأسى وهتاف الغيب المحجب بضباب كثيف .

فما سر ذلك ؟

لقد كان وراء هذا عوامل عديدة . لعل أقواها فى نظرنا هذا المرض الذى بكر معه ربما يخطر فى كيان هذا الفتى حتى استفحل أمره فى القلب وفى

الرئتين معا : ضيق فى القلب ، وضيق فى الرئة يتعذر معه التنفس ، فكان يضطر الى التنقل من الجنوب الى الشمال ، يقضى الصيف فى مصايف وطنه ، ويسكن فى الشتاء الى مشاتيه حسب أوامر الاطباء طلبا للعلاج والتماسا للشفاء .

وقد حرمه المرض منذ نعومة أظفاره من مجاراة أندادة من الصبيان فيما يلهون به ، أو مشاركة زملائه من الشبان فيما يظفرون من متع ومراح ، حتى لنراه يخط فى يومياته فى مستهل عام ١٩٣٠ : « ها هنا صبية يلعبون بين الحقول ، وهنالك طائفة من الشباب الزيتونى والمدرسى يرتاضون فى الهواء الطلق والسهل الجميل . ومن لى بأن أكون مثلهم ؟.. ولكن انى لى ذلك والطبيب يحذر على ذلك لان بقلبى ضعفا . آه يا قلبى ، أنت مبعث الاسى ومستودع أحزانى ! وأنت ظلمة الاسى التى تطغى على حياتى المعنوية والخارجية » .

ولكنه على الرغم من هذا الضيق النفسى كان يحب الحياة فيصرخ فى قصيدته « نشيد الجبار » :

ساعيش رغم الداء والأعداء ... كالنسر فوق القمة الشماء
ارنو الى الشمس المضيئة هازئا ... بالسحب ، والأمطار ، والانواء
لا أرمق الظل الكئيب ، ولا أرى ... ما فى قرار الهوة السوداء
واسير فى دنيا المشاعر حالما ، ... غردا ... وتلك سعادة الشعراء
اصغى لموسيقى الحياة ووحيها ، ... واذيب روح الكون فى انشائى
واصيخ للصوت الالهى الذى ... يحيى بقلبى ميت الاصداء

وينصحه الاطباء بعدم الزواج ، ولكنه يتزوج عام ١٩٣٠ لان فى أعماقه نداء جارفا بحب الحياة ، بأن تستمر حياته فى عقب له .

وتشتد عليه العلة فى عام ١٩٣١ فينصحه الاطباء مرة أخرى بالابتعاد عن كل عمل يرهق فكره وجسده ، ولكنه مرة أخرى لم يستمع لهذه النصيحة لانه يستمع الى نداء أقوى يطالبه بأن يعمل ليعيش بعد ذلك خالدا فيما يتركه بعده لتستمر حياته فى آثاره .

وانى لأراه فى قصيدته « ارادة الحياة » كما أرى « البحترى » فى قصيدته « ايوان كسرى » . فقد وقف « البحترى » يقارن — وهو فى موقف الاسى والضيق — بين ذاته التى تكاد تهوى بها الاحزان ، وبين الايوان الذى يتحدى الزمان عصيا أبيا متماسكا ، فيتماسك هو أيضا حين أرادت به الاحداث أن تزعزعه حتى لا يضعف فيحل به الهوان ، وحسبه هذه العظة من هذا الايوان .

ويقف « الشابي » يقارن كذلك ـ وهو في موقف الاسى والضيق ـ بين ذاته التي يريد المرض بقسوته أن يحطم روحهـــا ويزهقها ، وأن يطمس معالم الحيــاة فيها ويغرقها ، وبين شعبه العصى الأبي العريق الـذى يريد المستعمر الصفيق بقوته أن يحطم روحه فلا تنبض ، وأن يطمس معالم عروبته فلا تنتفض ، فيريد الشاعر لنفسه القوة والعزيمة ، ويريد لشعبه قوة الشكيمة والثورة ، فيصرخ في قصيدته هذه الصرخة التي شرقت وغربت :

اذا الشعب يوما اراد الحيـــاة   فلابد ان يســـتجيب القـــدر
ولابد لليــــل ان ينجـــلي   ولابد للقيـــد ان ينكســـر
ومن لم يعانقه شوق الحيـــاة   تبخـــر في جوهـــا ، واندثر

ثم يهتف في ختام هـــذه القصيدة بصوت لا يعرف اليأس ، وكأن القلب الذى يصـــدر عنه لم يصب بمرض ، ونحس أن صوت شعبه يتردد في صدى صوته :

اذا طمحت للحيـــاة النفوس   فلابد ان يستجيب القـــدر

● مع صراع الحيــاة والموت ●

ويجيء العامل الثاني ، وهو مرض ابيه وتحير نظره بين هذا الراقد امامه وبين اخوته الملتفين حول سريره صغارا لا يدرون ما يفعل القدر ثم يفجع بموت أبيه في مارس سنة ١٩٢٩ فكان لهـذه الفجيعة اثران كبيران : اثر في اشتداد وطأة المرض عليه ، واثر في حيـــاته حين يرى أن هذه النهاية ستلقى عليـه أعباء الاسرة ، وهو الذى أبى أن يلج بابا من أبواب الرزق ٠

لقد كتب الى صديقه « محمد الحليوى » في تلك السنة خلال مرض ابيه رسالة تطفح بالاسى وتنضح بالمرارة يقول فيها:

« انني أحاول أن أخط اليك ماتحسه نفسي من مرارة الاوجاع وهموم الزمن الجائر فلا أستطيع الا مثل هذه الكلمات المتقطعة التي لا تكاد تبين عما أكـابد من غصص العيش وبأسائه ، ولا تفصح عما يساورني من الافكار المدلهمة كقطع الليل المظلم ٠ لا أنكر أن قد مرت علي فيما سلف من عمرى ايام انكد من هذه الايام او أشد ٠ في الصباح اجلس الى أبي الـــذى أنهكه المرض وأضنـــاه ، وأرمضـــه الالم وأذواه ، وطرفي الى وجهه الشاحب العليل والى جفنه الذابل الذى أبله الالم وأذوته الحمى ، والى جسده المهتضم الواهن ، وســـمعي الى نفسه المتقطع وتأوهاته المتتـــابعة ، وعهدى به ذلك الرجل الجليد ، فما اراه كذلك الا وتملأ صدرى الزفرات ، وتملأ عيني العبرات ، وتنطلق من قلبي المكلوم وصـــدرى المكلوم انات القهر ودعوات الرجاء الى اله الحياة والموت وباسط النور والظلمات ان يشفى هـــذا الاب الواهي الطريح » ٠

أبـــو القـاســـم الشـــابي

ثم يجيء العامل الثالث وهو احساسه بالغـربة فى وطنه ، حين يرى التنكر لاديه وعدم تقدير البيئة التى يعيش فيها لهذا اللون الجديد من الشعر ، ويشهد صخورا جامدة تقف أمام هذا التيـار لتصده وتحوله عن المضى فى طريقه ، فتراه يقول فى احدى يومياته التى خطها فى السابع من يناير عام ١٩٣٠ :

« اشعر الآن انى غريب فى هـذا الوجود ، واننى ما ازداد يوما فى هذا العالم الا وازداد غربة بين ابناء الحياة وشعورا بمعانى هاته الغربة الاليمة ، غربة من يطوف مجاهل الارض ويجوب اقاصى المجهول ثم يأتى ليحدث قومه عن رحلاته البعيدة فلا يجد واحدا منهم يفهم من لغة نفسه شيئا ... غربة الشاعر الذى يستيقظ قلبه فى اسحار الحيـاة حينما تضطجع قلوب البشر على اسرة النوم النـاعمة ، فاذا جاء الصباح وحدث عن مخاوف الليل واهوال الظلام وحدثهم فى اناشيده عن خلجات النجوم ورفرفة الاحلام الراقصة بين التلال ، لم يجد من يفهم لغة قلبه ولا من يفقه اغانى روحه » .

ويناقش ناقديه الذين يطالبونه بأن يدع خطرفة الخيال ويحدثهم عن الحقيقة فيقول انه « حينما تحدث عن الحقيقة لم يتحدث بتلك الاحاديث التافهة التى الفوا ان يسمعوها عن جدتهم فى سكون الليل ، وهم بين تهويم النوم ومنـاجاة الاحلام » .

ويسخر من الذين يقولون له : صف لنا الحياة ! فيقول : « وهل وصفت لهم غير الحياة منذ غنيت لهم اناشيدى ؟! ولكنى حينما وصفت لهم الحيـاة لم اصفها لهم من نواحيها القريبة الواضحة .. لقد وصفتها من نواحيها البعيدة الغامضة المحجبة بالضباب » .

ويسخر من قوم آخرين يعيبون عليه خلو شعره من التفكير مع ان له اسلوبا جميلا لا يجدونه عند سواه . فيقول : « ليت شعرى ! ما هو التفكير ان لم اكن مفـكرا فى اغانى ؟ لست ادرى حين يقولون ذلك : هل انا الشاعر المجنون الذى يترنم منشدا بين القبور ، او هم الاغبياء الذين لا يفهمون اشواق الحياة ؟» .

هكذا قال شاعر ناول النـــا ... س من رحيق الحياة فى خير كاس
فاشاحوا عنها ، ومروا غضابا ... واستخفوا به ، وقالوا بيأس :
قد اضاع الرشاد فى ملعب الجـ ... ـن ، فيا بؤسه ! اصيب بمس
طالما خاطب العواصف فى الليـ ... ـل ، وناجى الأموات فى غير رمس
طالما رافق الظلام الى الغـا ... ب ، ونادى الارواح من كل جنس
طالما حدث الشياطين فى الوا ... دى ، وغنى مع الرياح بجرس
انه ساحر ، تعلمه السحـ ... ـر الشياطين كل مطلع شمس



ابو القاسم الشابي

ابعدوا الكافر الخبيث عن الهيـ ـكل ، ان الخبيث منبـع رجس
اطردوه ، ولا تصيخوا اليـه فهـو روح شريرة ذات نحس

ويغص حلقه بالمرارة ، ويحز فى قلبه الالم ، فيختتم قصيدته بقوله :

يالها من معيشة هى فى الكو ن حيـاة غريبة ذات قدس

● ارقى من تصورات البشر ●

واما شعر « الشابى » الذى خـرج جديدا فى بيئته على غير ما الفت من حيث الشـكل والمضمون ، ومن حيث الافكار والاخيلة ، ثم من حيث الاغراض والابواب ـ فهو شعر غنائى عذب ينبع من وجدان متاجج ومن عاطفة متوثبة وحس مرهف وبصيرة لماحة ، يجنح الى الرومانسية ، وتغلب عليـه الرمزية ، ويشف كثير منه عن نزوع الى التـامل والتفكير اللذين يدفعانه احيـانا الى القلق والحيرة ، والى التمرد والثورة .

وهو فى كل ما يصدر عنه تتجلى فيه الـدقة فى التصوير ، والصـدق فى التعبير ، لان هذا الشاعر كان مدركا لحقيقة الشعر حين قال انه : « تصوير

وتعبير : تصوير لهذه الحياة التى تمر حواليك مغنية ضاحكة لاهية ، او مقطبة واجمة باكية ، أو تصوير لآثار هـــذه الحياة التى تحس بها فى اعماق قلبك وتقلبات افكارك وخلجات نفسك ورفرفة احــلامك وعواطفك • وتعبير عن تلك الصور أو هـــاته الآثار بأسلوب فنى جميـــل ملؤه القوة والحياة ، يقرؤه الناس فيعلمون انه قطعة انسانية مـن لحم ودم وقلب وشعور » • ثم يجمـــل الشـــاعر ذلك فى قوله : « التصوير الصادق الذى يريك تصورات الشـــاعر ارقى من تصورات البشر • والتعبيـــر الفنى الجميل الذى يكون قالبا انسانيا حيا لذلك المعنى الذى يشمله » •

ويظهر فى شعر « الشـــابى » اثر انكبابه على قراءة الادب المهجرى قراءة مستمرة وحفلا مستقرا فى اعمـــاقه فترك هذا الأدب ـ وبخاصة اثار جبران خليل جبران ـ فى تعبيره أو تصويره ، وفى افكاره او ارائه ـ على حد تعبيـــر مواطنه الاستاذ « ابى القاسم كرو » ـ خطوط واضـــحة تدل على منبعهـــا الاصلى • وان تميز « الشابى » بعد ذلك باسلوب فيه جزالة وقوة •

● مع آخر نسمات الحيـــاة ●

ثم تمضى السنون منذ أن سمعت سماء « الشابية » قبل خمس وعشرين ســـنة بكاء الوليد الجديد مؤذنا بخروجه مـن عالمه الضيق الى عالم فسيح ولكنه على فسحته قد ضاق بآمال هذا الوليد بعد ذلك ، لتعود سماء « الشابية » تردد بكاء قوم قد تجمعوا حول هيكل بشرى انطلقت منه الشعلة المتوهجة ، وخمد فيه النفس الشعرى الجميل ، واغمضت منه العينان اللامحتان اللتـــان كانتا ترودان هذه الارض الجميلة لتصور ما فيها من مظاهر الطبيعة الفتانة بعد ان تضفى عليهـــا من خيالها جمالا علويا سرمديا •

ويسكت الصوت الذى غنى فتصاممت اذن الجحود زمنا عنه ، وكأن جنبات المكان الذى سجى فيه تهتف بقوله فى قصيدته « الناس » :

النـــاس لا ينصفون الحى بينهم حتى اذا ما توارى عنهم ندموا

وتنتهى غربة الشاعر •

وبانتهاء هذه الغربة التى اقلقت روح هذا الشاعر منذ استقبلت أولى نسمات الحياة فى السادس والعشرين مـــن فبراير سنة ١٩٠٩ حتى اسلمت انفاسها مع آخر نسمات الحياة فى فجر التاسع من اكتوبر سنة ١٩٣٤ ـ انتهت حيـــرة الشاعر وتســـاؤله فى مرارة وحسرة حين قال :

« وليت شعرى ، هل يأتى ذلك اليوم الذى تعـــانق فيه احلامى قلوب البشر فترتل اغانى ارواح الشباب المستيقظة ، وتدرك حنين قلبى واشواقه ادمغـــة مفكرة سيخلقها المستقبل البعيد ؟

نعم ايها الشاعر الذى مر بهـــذه الدنيا كنسمة ، وبقى فيها كنغمة ، جاء اليوم ، فطب روحا كما قال لك شاعر منذ ثمان وثلاثين سنة وهو يرثيك :

نم قريرا فقـــد سرى لحنك العذب فى البطاح
فجرك الحلو لم يضع بين ايامك الشـــحاح
فهو مازال ســـابحا هاتفا خافق الجنـــاح
ان يكن غـــامر الدجى فلقد شارف الصـــباح



صالح جودت

غداً يا خيالى تنتهى ضحكاتنا
وآلامنا تفنى ، وتفنى المشاعر
وتسلمنا أيدى الحياة إلى البِلى
ويحكم فينا الموتُ ، والموت كافر

لو رايت قائل هذين البيتين قبيل وفاته .. لما صدقت انه قائلها .. او انه ممن يتحدثون عن الموت ، فقد كان ممتلئا شبابا وحياة ، يمشى فى الارض مرحا فى اعتداد وكبرياء ، والابتسامة دائمة على شفتيه متأنقا فى ملبسه ، متخيرا لاربطة عنقه الوانا زاهية ، واحيانا صارخة ، حاملاً فى عروة صدره وردة حمراء مشتعلة اللون يملأ الجو حوله حبا وصفاء بضحكته العالية

اما اذا درست شعره ، فانك لاتجد فيه اثرا لضحكة اوابتسامة، بل لعلك واجد فيه كل ما هونقيض ذلك ، من تجهم وتشاؤم وحديث عن الموت وتنبؤات بدنوه منه

وحسبك من ذلك ان تقرا له قصيدة مثل « شاطىء الاعراف » لتجده يتمثل نفسه بين غياهب الاخرة ، وتجده يردد كلمات «الموت» و « المنايا » و « المنون » و «البلى» و « العدم » و « الفناء » وكل ما يؤدى هذا المعنى .. اكثر من مائة مرة ... مع انه كان يوم ان بدا ينظم هذه القصيدة الملحمية ، لا يتجاوز السادسة عشرة، وكان يوم ان انجزها ، دون العشرين !

لولا لفتة من القــدر ، لانتمى هــذا الشاعر الى دولة بعيــدة عن مصر ، ولنظم كل ما نظم ، بلغة غير اللغـة العربية ·

ذلك ان جده ، أحمد الهمشرى ، كان البانيا ، ثم نزح الى مصر فى ظروف لا نعرفها ، ويغلب على ظننـا انها نفس الظروف العسكرية التى حملت كثيرا من الالبــان (وكانوا يسمون بالارناءوط يومئذ) على النزوح الى مصر منذ عهد محمد على ·

وطاب عيش جده هــذا فى أرض مصر الطيبة ، وانجب فيمن أنجب

م : ع :



على محمود طه



د. ابراهيم رشاد

ولدا ســماه عثمان ، واورثه بعض الارض فى مركز السنبلاوين ، وبعض البيوت فى المنصورة والقاهرة ·

ودرس عثمــان الهندسة ، وانشا وابور طحيــن طيب الدخــل فى السنبلاوين ، وتزوج سيدة تركية ، ثم اعقبها بزوجة مصرية من المنصورة ، هى الســيدة عائشة ، شقيقة الكاتب الكبير محمد التابعى ، ورزق منها بنتا وخمسة اولاد ، اكبرهم شاعرنا محمد ·

وفرح به أبوه ، واستبشر بعطـاء الله ، فسماه محمــد عبــد المعطى الهمشرى ·

وعنـدما تفتحت شاعرية محمــد ، كره أن يكون فى اسمه « عبد المعطى » ··· وصار يوقع قصائده هــكذا : م·ع· الهمشرى ··· عــلى غــرار ما كان يصنع قرينه الاثير فى الادب الانجليزى : ب·ب· شلى ·

***

ولد شاعرنا فى يولية سنة ١٩٠٨ ، على شاطىء رأس البر ، اذ كــانت الاسرة تصطاف هناك وشب والموسيقى فى دمه ·

ويحدثنى فيلسوف التعــاون ، الـدكتور ابراهيم رشاد ـ وهو ابن عمة أبيــه ـ فيقول : « ان هــذا الارناءوطى كان رجلا فذا فى مواهبه · وكان يعشق الموسيقى والطرب ، ويجيد العزف على القانون ، ويكثر من دعوة اهل الغناء الى بيته ·

وانسابت الموسيقى فى دم محمد ، فاستحالت الى شعر ، وفى دم شقيقه أحمد ، فتمثلت غناء ·

***

والتحق شاعرنا فى طفولته بمدرسة المنصورة الابتدائية ، ثم فى يفـاعته بمدرسة المنصورة الثانوية ·

والمنصورة أرض طيبة ، تنبت الشعر والجمال ، وتلهب القلب والخيــال ،

ويشتهر رجالها بالظرف والذكاء ، والاغراق في حب الادب والفن ، كما تشتهر نساؤها بالجمال والخفة والانوثة والشاعرية ٠

وقد كانت صورة الحياة في المنصورة ضاحكة في ذلك العهد ٠

فمعهد الموسيقى فيها متألق مزدهر والاندية على طول شاطيء النيل ممتدة لامعة الاضواء ، يؤمها أهل الفن من القاهرة ، ويحيون فيها أطيب الليالي ٠

واهل المدينة يعيشون عيشة ميسرة، يحبون المرح ، ويحسنون النكتة ، ويقبلون على الحياة ، ويعشقون النيل ، يغنون له في زوارقهم عصر كل يوم ٠

ويزيد من زهو أهل المدينة بمدينتهم، ان فيها رائحة التاريخ وعبير البطولات ، ولست بحاجة الى أن أعيد هنا سيرة معركة المنصورة ٠٠٠

***

في هذا الجو الحافل بالشاعرية ، عرفت الهمشري في عهدنا بالدرسة الثانوية ٠

وشاء القدر أن يكون بالمنصورة في ذلك العهد شاعران يكبراننا سناء ولكنهما لم يكونا قد أخذا طريقهما الى القمة بعد ، هما : على محمود طه المهندس ، والدكتور ابراهيم ناجي ، الطبيب ٠

وتصادقنا نحن الاربعة ، وعقدنا حلقا أدبيا لطيفا يضمنا في جلسات يومية على شاطيء النيل ، يقرأ كل منا فيه على أصحابه ما نظم في يومه ، ويحدثهم عما قرأ في ليلته ٠

وهكذا أثر كل منا في الاخر وتأثر به ٠

***

من هذه الينابيع استقى الهمشري ثقافته ٠

وكان أول ما سمعنا منه ، شعره الغزلي ، شأننا جميعا ، وشأن كل شاعر في مثل تلك السن ٠

وقد بدأ بأبيات محدودة ، متقطعة الانفاس ، منها انني كنت ألقاه معه على شاطيء النيل ، قرب المساء ، فمر بنا وجه مليح يحيي تحية المساء ، فقال الهمشري من فوره :

لا تقـــل لي يا حبيبي
اسعد الله مساءك
اي سعد لي سيبقى
يا منى النفس وراءك ؟

ومنها « صورتك السماوية » ؟

ما البدر الا صورة
لك يا وحيدا في البهاء
عكست محاسنك البهية
حين واجهت السماء

ومنها « فجر الحسن » :

ايها المشرق في عليائه
حسنك العالي على الدنيا سبانا
انت لحن الحب في ارض تغني
ذلك الحسن بضاحيه افتتانا

ومنها « حبك » :

لقد كان مثل النسيم الخفي
يحس ولا يرتقبه البصر
فلما تجاليت شاع الهوى
فاصبح مثل شعاع القمر

ثم طالت أنفاسه قليلا ، في فترة تأثر فيها بالشعراء الظرفاء ، مما يتجلى لنا في مثل هذه الابيات التي قالها في مليح يلبس ثوبا أصفر :

يا قطرة من ندى
رفت على زهره
يا قمرا ساطعا
قد لاح في صفره

يا لمة ســـــطعت
في الفجــــر من دره
مكن محبـــــك من
ثغرك ذا مـــــــره
دعني على ثغـــك كي
اطفيء بي جمـــره
لمى رضــــابك لي
يا منيتي خمـــــره
كم اشتهي ان ···
اموت راشفا ثغــره
وان امت ··· فشعاع
··· ذاب في قطــرة
او انني نحلــــــة
ماتت على زهــــره

***

كانت هـــذه « مرحلة البداية » في شعر الهمشري ·

ومن العجيب أن الشاعر الذي بدأ هذه البداية العاطفية ، حتى أوشـــك أنيكون من « شعراء الرقة العاطفية » كما كان العقاد يسمي ناجي وأضرابه ··· قد أقلع عن الشـــعر العاطفي اقلاعا تاما بعد نضج شاعريته ·

وهكذا جاءت المرحلة الثـانية في حياة هذا الشـاعر ··· وقد أحسن استقبالها حين فطن الى حقيقة رائعة تغيب على أكثر الشعراء في مثل تلك السن المستوعبة ، ولا سيما شـعراء اليوم ، هي أن الشاعر ينبغي له أن يتزود بقوة روحية عميقة الجذور ، تحميـــه من الوقوع في شرك المادية الذي يفسد الروح ويتلف الشعر ·

قرأ الهمشري القرآن ، كمـــا قرأ كثيرا من التفاسير · واستعان بهذه القراءات في نظم ملحمتـــه الكبرى « شاطيء الاعراف » التي تكفي وحدها لاثبات مكانته في تاريخ الادب العربي، حتى ولو لم ينظم غيرها في حياته ·

كانت « سورة الاعراف » هي وحي هذه الملحمة ، والاعراف ـ في التفسير ـ مكان بين الجنة والنار · وقــــد التقط الهمشري منـه رمزيته ، فجعل اعرافه في ملحمتـــه الكبرى شاطئا خياليا يقع وراء عالم الحيـــاة ، ويشرف على عالم الموت ·

وراح يتخيل نفسه في رحلة الحياة والموت وما بينهما ·

وقد بدأ احساس الهمشري بهـــذه الملحمة ، بعد اخفاق قصة حب كبيرة في حياته ، ممـــا أضفى على روحه كآبة ممزقة ، حملته على خوض غمار هذه الرحلة الحزينة في عالم الخيال، واصـــفا سفن الموت التي حملته بين موج العواصف الى شاطيء الاعراف بقوله :

تصلت من غبارها سفن الموت
··· وسارت بمن ثقل خفـــاقا
لفها الموت في غياهبه الســـود
··· واسرى يطوى بها الاسداقا
وبها راية تشير الى الشـــط
··· وروح يهـدى له زفزافا
كلما طافها الفنـــــاء بصوت
رفعت قلعهـــــا له ارهاقا

ثم يختص السفينة التي ركبها هو في هذا الاسطول الخيالي بهـــذه الابيات :

وارى فلـــكى الكسير عليـــــه
يتهادى من بينها مبهـــــــوتا
فاجاته الويلات من كل صـــوب
خلفته من عصفها مبهـــــوتا
في ذنابى الافلاك يهفــــــو الى
··· الشط فيلوى به الردى مكبوتا
لـــماذا·عاده من الشــط طيف
فذ من قلعه يسارى الحـــــوتا

وتبدو الآلهة ··· ويرى الشـاعر نورا يغشى الافق ، فيسأل عن سر هذا النور ، فيجاب بانه نور موكب الآلهة· ويرافق الشاعر موكب الآلهة الى



عباس العقاد



د. ابراهيم ناجي

الجنة ، جنة الشعراء ، التى يصفها بقوله :

جنة صاغها الاله من السحر
... ففيها صبابة السعداء
نورها من وشائع من هواء
فهى منه فى رقة القمراء
من خيال الاشعار قد صاغها الله
... ففيها روائع الشعراء

***

ثم تأتى المرحلة الثالثة — والاخيرة — من حياة الهمشرى ، حين يأتى الى القاهرة فى سنة ١٩٣١ ، ويلتحق بكلية الاداب ، بيد أن نزوعه الى الثقافة الحرة دون الثقافة المقيدة ، قد زهده فى الدراسة الجامعية ، فترك الجامعة ليعمل محررا بمجلة التعاون سنة ١٩٣٤

وقد فتحت هذه الوظيفة للهمشرى الابواب على مصراعيها ليحمل رسالة من أجل الرسالات القومية ، حملته على أن يلقى وراء ظهره الشاعر العاطفى ، والشاعر الملهمس ، ليكون شاعر الحضارة الريفية .

كان على رأس الحركة التعاونية يومئذ ، رائدها الكبير الدكتورابراهيم رشاد — وبينه وبين الهمشرى أصرة أسرية كما أسلفنا القول — ووجد الدكتور رشاد فى الهمشرى ضالته المنشودة ، فقد كان يبحث عن الشاعر القرين لشاعر الحركة التعاونية فى ايرلنده ، الثائر الكبير جورج راسل .

وقرأ الهمشرى حياة راسل ، وآمن بالرسالة التى دعا اليها ، رسالة الحضارة الريفية ، التى تتلخص فى ضرورة العمل على تمتع الريف بمزايا الحضارة ، بدلا من قصرها على المدن

ان الحضارة ليس معناها ان يستأثر بها الحضرى ، ولاسيما أن الريف هو ، مشتل الحضر ، الذى يمده بقوته الجسمانية والذهنية . ولو لم يغذ الريف الحضر بصالح رجاله ونسائه ، لقضى على الحضارة ذاتها . لان الحياة فى الحضر هدامة بطبيعتها ، لما فيها من حركة دائمة وتفكير مرهق وضوضاء متواصلة وهواء غير نقى ، مما يوهن الاعصاب ويهد الجسوم ويؤثر على العقول ، فلا تلبث الاسرة بعد ثلاثة أجيال ، أو اربعة أو خمسة على الاكثر ، أن تنحل وتختفى من الحياة العامة ، فان لم تحل محلها أسر ريفية قوية سليمة العقل هادئة الاعصاب ، تقاوم عوامل الهدم فى الحضر ، وتعمل على ما تتطلبه الظروف الجديدة من انتاج مجهد ونشاط مضن ، وقفت الحضارة ، بل ورجعت القهقرى

آمن الهمشرى بهذه الرسالة ، وراح يتجول فى ريف مصر من اقصاه الى اقصاه ، يبشر بالرسالة ، ويصف طلوع الفجر عليها قائلا :

ايها النعسان فى دنيا السنا
تتمطى فى سرير الشفق
الندى حولك يمشى موهنا
والازاهير حيارى الحدق

*

ارفع الكلة (١) تبصر عجبا
عالما يسبح فى بحر الضياء
وعيونا دافقات ذهبا
فى مقاصير عطور وغناء

(١) الكلة : حاجبة . البعوض : الناموسية .

وتقبل عليه ساعة القيلولة في القرية ، فيلمح فلاحا يستريح من وعثاء السير في ظل نخلة ، فيقول على لسان هذا الفلاح :

قد طاب لي مقيلي
في سهلك الجميل
في ظلك الظليل
يا شجر النخيل

*

يا جنة الظلال
يا مسبح الجمال
ويا جنى الدوالي
يا شجر النخيل

*

فاملك الهيفاء
ثمارك الحمراء
والخير والرجاء
يا شجر النخيل

*

عروسة الصحراء
يا كعبة الرجاء
ويا هدى التيهاء
يا شجر النخيل

*

قد طاب لي مقامي
ورفرفت أحلامي
في ركنك الحرام
يا شجر النخيل

ثم يعبر بأشجار الليمون ذات العطر الهادىء العميق ، فيقف عندها ليهمس لها بهذه الابيات الحلوة :

قد فاح عطرك في الفضاء كأنه
سحري لحن طاف قرب نعاس
هو روح موسيقى سرت في سحرة
من بيعة سحرية الأجراس
وتلألأت فوق الصباح عرائسا
وتساقطت نفاحة الأنفاس
هبطت بروحي في ركاب خيالها
أرض السلام وخدرت احساسي

***

ثم يطلع المساء على القرية ، فيصفه في قصيدة عنوانها « ليلية » :

ولى النهار واقبل الغسق
والصمت يجثم خلفه الأفق
والروض ينشر فيه موكبه
هذا الضباب ، ويلمع الشفق
والدوح مرتعش يخالسه
بين السحائب كوكب خفق
صه ، فالمساء هنا كمختشع
في الدير ، جلل قلبه الفرق
والروض رنق للنعاس فلا
طير يرف به ولا ورق
أرخى الظلام عميق وحشته
فوق الديار ، وأخلت الطرق

***

تلك هي المراحل الثلاث في حياة شاعر كان يحب الحياة ، ويفرق من الموت ، ولكنه كان يحس دائما بدنو أجله ... حتى نزلت الستارة على حياته فجاة ، في اليوم الرابع عشر من ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، وهو ابن ثلاثين ربيعا ، على اثر جراحة كان خطأ الطبيب فيها هو ارادة القدر .

وذهب الى جنة الشعراء وهو يهمهم ببعض أبياته :

اذا ذبل النارنج ، عاش عبيره
وكان له في الوهم من نفحه مجبا
ويخلد بعد البدر في الفكر رونق
يغذي خيالالشعر ، والحب والوحبا

صلاح عبد الصبور



شاعر الصبر الجميل

بدر شاكر السياب

ذات خميس حزين ، في اواخر عام ١٩٦٤ ، صعدت روح الشاعر الى بارئها ، خالصة متخلصة من عناء عمر قصير مرير ، وحمل جسده من مستشفاه بالكويت الى قريته في جنوب العراق ، وكم كان الجسد خفيفا على اعناق حامليه ، وقد امتص الداء الطويل ريانه ليتركه نضوا لا يستطيع حراكا ، حتى تحركت به الاكف التي قلبته بين مودع ومكفن ومهيء للقاء الله..

واضيف اسم بدر السياب الى اسماء الشعراء الذين اخترمهم الموت في مطلع الشباب او اوجه ،جون كيتس ، وابي تمام ، اللذين احبهما وتركا في شعره بعض الاثر ، واخرين غيرهما مثل الشابي ، والهمشري ، ولوتريامون ورامبو ، وبوشكين ، ولرمنتوف ، وبروك ، وبايرون ، وشللي منهم من اخذه اليه البحر او اصيب بقذيفة في حرب او بطعنة سيف في مبارزة غرام ، ومنهم من اخذه داء الشعراء وذوي الحساسية ، فتهدم صدره انقاضا اذ عربدت فيه رياح السل ، ومنهم من آثر ان يقلب بيده صفحة حياته بعد ان خط في نهايتها كلمة الختام .

كانت اقامة بدر شاكر السياب في المستشفى الكويتي خمسة أشهر قبل موته انتظارا للموت . فقد كان الاطباء في حواضر الطب كلندن وباريس قد رأوا نهايته الوشيكة . ورآها هو في رقدته بأحد مستشفيات العراق اذ مصت القروح جسده من طول رقدته ، وتعرت عظامه وعموده الفقري ، حتى أصبح النوم أشد ألما من اليقظة ، وتخايلت لعينيه ذكرى المعذب القديم « أيوب » صاحب الصبر الجميل على طويل البلاء :

قالوا لأيوب : « جفاك الإله ! »
فقال : « لا يجفو
من شد بالايمان لا قبضتاه
ترخى ، ولا اجفانه تغفو »
قالوا له : والداء من ذا رماه
في جسمك الواهي ، ومن ثبته ؟ »
قال : هو التكفير عما جناه
قابيل ، والشاري سدى جنته
سيهزم الداء : غدا اغفو
ثم تفيق العين من غفوه
فاسحب الساق الى خلوه
اسال فيها الله ان يعفو

ولكن الايام مضت ، ولم تبرأ القروح ، بل أصبحت جراحا ناغرة فاغرة . وبحثت الحكومة في أوراقها فوجدت أن مرض الموظف مالموانى بدر شاكر السياب قد طال ، فمنعت عنه نصف راتبه ، وربما زاحمه مرضى جدد على سريره ، فآثر خلصاؤه أن ينتقل الى مستشفى الكويت الاميرى . حيث العلاج بالمجان ، والاسرة لايزاحم عليها أحد . وهناك ظل في رقدته خمسة اشهر كسيح الساقين مهترىء الظهر .. متفجر الشعر ، صارخا يطلب من الله رصاصة الرحمة التى تنقذه من الامه :

اليس يكفى ايها الاله
ان الفناء غاية الحياه
فتصبغ الحياة بالقتام
تحيلني - بلا ردى - حطام
سفينة كسيرة تطفو على المياه
هات الردى ، اريد ان انام
بين قبور اهلى المبعثره
وراء ليل المقبره
رصاصة الرحمة .. ياإله !

وانطلقت رصاصة الرحمة فاخترقت حياته في الرابع والعشرين من ديسمبر ، يوم عيد من أعياد المسيح الذي أحبه ، وأمطرت السماء في ذلك اليوم في الكويت ، وهم يصلون على جسده صلاة العصر في مسجد السيف ، وكان المطر خامس المشيعين للجنازة ، فقد كان وراءه صديقان له وعابر اسبيل ...



بـــــدر
شـــاكـــر
الســـيـــاب

ثلاثة نعي السياب ثلاثة أيام حتى وصل القاهرة ، وفي مساء الاحد السابع والعشرين من ديسمبر كنـــا صحبة من الاصدقاء في مجمع شعر ، حين جاءني من يهمس في أذني ينعي الســـياب ، وتوقفت عن الحـديث أو الانشاء ـ لا أذكر ـ لانعي الى شباب الشعراء أحد روادهم وأحبابهم على البعد ، وكان صمت مطبق ، ثم اجهاش بالبكاء ، وحين خلوت الى نفسي ذكرت ما كان بين السياب وبيني ... نقاش طويل ، ولقاء قصير .

يتحدث الدكتور احسان عباس في كتـــابه ، بدر شاكر السياب ، عن النقاش بين السياب وبيني ، عـــلى صفحات مجلة الآداب في أوائل عام ١٩٥٦ ، وقد أصابني في هذا النقاش كثير من غضب السياب ، وكان السياب سريع الغضب ، حريصاً ـ وله الحق ـ أن تنسب اليه ريادة الحركة الشعرية الجديدة ، فلا ينازعه فيهـا منازع ، وهو قد تصور من نقد للمرحوم رئيف خوري أنه يضعني في مكان أحجبــه منه ، فتصـــدى لرئيف ولي ، وأذكر أنني قلت في الرد عليه أنني رغم هذه الخصومة الطارئة مازلت أحب شعره وأقرؤه ، وأغلق باب النقـــاش حتى التقيت بالسياب في أواخـر أغسطس عام ١٩٥٨ ببغداد ، وكنت موفدا مــن احدى الدور الصحفية في القـــاهرة لمتابعة ثورة العراق بعد أربعين يوما من انطلاقها ، وهناك تكرم الاخـوة الادباء بلقـــائي ومؤانستي ، حتى أوشكت أن أنسى مهمتي الصـــحفية ، وكان من تلك المؤانسة لقاء في رابطة أدبية رأيت فيه بدر شاكر السياب .

كان بدر في تلك الفترة مازال صحيح البدن ، ولكن العين لا تملك الا أن ترى في ثنايا هذا الجسم الناحل المتوفز قدرا متواضعا بل بالغ التواضع مـــن الصحة ، وكان بدر في ذلك اللقـــاء ســـمحا رقيق الحاشية ، فلم نذكر الخصومة أو نتعاتب فيها ، بل أسمعني وأسمع الحـــاضرين في تلك الليلة قصيدته عن بورسعيد عام ١٩٥٦ ، فاذا انفض الســـامر وخلا المجلس للاوداء أخذنا بأطراف الاحاديث الهنية الرقيقة المجاملة ، ولما قلت له ان في أحد مقاطع قصيدته عن بور سعيد أصداء من بائية أبي تمام الشهيرة ، تقبل القول راضيا :

ماويك اعلى من الطاغوت فانتصبي
ما ذل غير الصغار للنار ، والخشب
ان الحديد الذى صنت الحياة به
غير الحديد الذى وافاك بالعطب
والخير فى بندقيات قذائفهـا
حتف المغيرين ، والميلاد فى قضب

وعدت من العراق بعد هذه الزورة القصيرة ، ومرت الايام وانا اسمع اخبار بدر السياب مصطبغة باخبار السياسة ، فاعرف ان الحكم العراقى القاسمى قد فصله من عمله ثم زج به فى السجن ، ثم اعاده بعد زمن الى عمل آخر ، وان مواقفه السياسية يحسبها بعض الناس له ، وبعضهم عليه ، ثم تمر الايام لاسمع اخباره مصطبغة بأخبار المرض ، حتى اصبح شعره هو دليل مرضه ومؤرخه ، وخلص هذا الشعر من ظلال الانشغال بالسياسة والقضايا العامة على اختلافها ، ليصبح سجلا لآلام جسده الهاوى نحو الموت ، وروحه المتطلعة الى السماء .

● من نقيض الى نقيض ●

شغل بدر نقاده فى حياته بتغيير مواقفه السياسية من نقيض الى نقيض ، فقد بدأها فى صفوف الشيوعيين ، ثم ما لبث ان عاداهم ابلغ عداء واوجعه ، ومال الى صفوف القوميين ، حتى اذا التقى بمجلة « شعر » اللبنانية ومحرريها انخرط فى صفهم ، وتبنى مفاهيمهم الشعرية والسياسية التى هى اكثر قربا الى الغرب منها الى الشرق .

ولا اظن ذلك النوع من الاهتمام الا مرحلة عابرة تقتضيها المعاصرة ، ولكن الشعر لا يكتب لجيله او زمانه ، وكثيرا ما تتغير الظروف والاحوال والاسماء ، ويبقى الشعر ، فقد بقى شعر ابى الطيب المتنبى ، واصبح سيف الدولة فى تاريخ الادب هامشا على قصائده ، لا يرجع للقصيدة فضلا او يسلبها جمالا ، فان الفن اكثر حياة وثباتا من تقلبات السياسة وتغيرات الايام ، ولسنا حين نتحدث عن شاعر بمطالبين ان نكتب تاريخ الدول والملوك، ولكننا نكتب تاريخ الادب .

ان للتجربة الشعرية لكل شاعر نضجها الباطنى ، فحين يبدأ الشاعر طريق الشعر ، تتكون لديه على مدى ايام تجربته صورة متلمسة للشعر ، نستطيع ان نسميها مثالا . ان شعره الذى يكتبه هو « الوجود » اما ما يطمح الى تحقيقه فهو « الماهية » ، اذا جاز لنا ان نستعمل هذين المصطلحين الفلسفيين . والشاعر يجهد جهدا متصلا لكى يصل الى هذا المثال او يقترب من تلك الماهية . ولو مضينا مع بعض علماء النفس الذين يرون ان لكل انسان قناعا يلبسه ليواجه به الناس ، والذين يجدون فى الاشتقاق اللغوى معينا لهم اذ تعنى كلمة « برسونا » فى اللاتينية معنيين هما

الشخص والقناع ، لو مضينا مع هذه البادرة لوجدنا مدخلا اخر الى قضية الشعر والشاعر يناقض المدخل الاول ويكمله ايضا ، فالشاعر حين يحس في بداية حياته بأنه مؤهل لطـريق الشاعر ، ما تلبث ان تتكون في نفسه صورة للشاعر العظيم او الشـاعر المثالي ، او لنقل شاعر هذه المرحلة من العصر والاوان ، وهذه الصورة رغم أنها صورة عقلية مفترضةمتجمعة العناصر من عديد من المصادر الا ان الشاعر يستطيع أن يضم ملامحهـا المختلفة في وجه واحد ، يصنع منـه قناعا ، ثم مايلبث أن يضع على وجهه هذا القناع الذى هو شخصه الجديد·

وقد كان قناع الشـاعر الرومانسي هو قناع الغارق في الخيال والنشوة ، اللاهي عما في هذا الكون من صغائر أمور الحياة المادية ، الباهت المـلامح كالشـهيد على وشك تجرع كأسه الاخيرة ، وكان قناع الشاعر الواقعي هو قناع المكافح اليقظ ،المنتمى الى قضيته ، البـالغ الاحساس بجسامة مسئوليته عن تغيير الحياة لا تفسيرها·

تلك ملامح عامةللاقنعة التي اختارها من ينتمـون الى مدرستين شعريتين واسعتين ، ولكن لا شك ان هناك خلافا بين أبناء المدرسة الواحدة ، فقـد اختلف قناع شللي عن قنـاع وردز وورث ، كما اختلف قناع بريخت عن قناع اراجون · وكان تصور كل منهم لماهية الشعر يختلف عن تصور رفيقه في مدرسته الشعرية ·

وقد كان السياب اكثر معـاصريه فطنة في تصوره لماهية الشـعر ، واشدهم اخلاصا للقناع الذى اختاره فقد وهب السياب حسا تاريخيا بهذه الرحلة التي يجتازها شعرنا العربي ، مشاركا فيها سواه من أوجه الحياة العربية الحديثة في طموحه وطموحها الى التجـدد والتوفيق بين الاصالة والمعاصرة أو بين الموروث والمستفاد · فقد بدأ السياب حياته كشاعر ينتمي الى المدرسة الرومانسية العربيـة ، وكان صوته في معظم الاحيان يختلط بصوت علي محمود طه ، وبخاصة في دواوين علي محمود طه الاولى عندما كـان يعبر عن صورة الشـاعر الرومانتيكي في قصائده التي يتحدث



بـدر شـاكـر السيـاب

فيها عن ضياع الشاعر وحيرته بين البشر ، وجلسته الكئيبة وقـد مضى الليل ، اوفى قصائده التى يتحـدث فيها عن هواه الأول بين الزروع على شط النهر ، وذلك قبل أن ينشر على محمود طه شراع رحلته أو رحـلاته الاوربية ، ويتخذ لنفسه قناع شاعر الصبوات العـارمة والغرام العصرى المتسيب ، يقول السياب فى عـــام ١٩٤٧ :

اشاهدت يا غاب رقص الضياء ... على قطـرة بين اهدابهـــا
ترى اهى تبكى بدمع السـماء ... اســاها واحزان اترابهـــا
ولكنهـــا كل نور الحقـــول ... ودفء الشذى بين اعشابهـــا
وافراح كل العصافير فيهـــا ... وكل الفراشات فى غابهـــا

***

وذاك الخصام الذى لو يفـدى ... لفـــديت ســـاعاته بالوئام
افـــديه من اجـــل يوم ترف ... بدفيه او لفتة بالســــلام
ومن اجـــل عينين لا تستطيعا ... ن أن تنظرا دون ظل ابتســـام
تذوب له قسوة فى الاســـــا ... رير كالصحو ينحل عنه الغمـام

ان تاريخ هذه القصيدة هو اوائل عام ١٩٤٧ ، وقبلها بسنوات ارسل بدر شاكر السياب من بغداد مخطوطةشعره الى على محمود طه ليقدم لها ، ويعوق الوقت ثم الموت على محمود طه عن كتابة المقدمة ٠

كان السياب فى ذلك العام فى اواخر دراسته الجامعية ، وقد قرا بعضا من الشعر الانجليزى الحديث ، وراقه ما فيه من خصوبة فكرية تهيىء لها هذه المرونة فى اوزانه وقوافيه ، فطمحت نفسه الى تجديد الشعر العربى ، بل واعد نفسه لهذا الدور ، وكان هـذا الدور هو قناعه الجديد :

ويكتب بدر قصيدته « هل كان حبا » ممهدا لرؤيته الجديدة لموسيقى الشعر:

هل تسمين الذى القى هياما
ام جنونا بالامانى ، ام غراما
ما يكون الحب نوحا وابتساما
ام خفوق الاضلع الحرى اذا حان التلاقى
بين عينيا فاطرقت فرارا باشتياقى
عن سماء ليس تسقينى اذا ما
جئتها مستسقيا الا اواما

***

العيون الحور ، لو اصبحن ظلا فى شرابى
جفت الاقداح فى أيدى صحابى
دون ان يحظين حتى بالحباب
هيئى يا كاس من حافاتك السكرى مكانا
تتلاقى فيه يوما شفتانا
فى خفوق والتهاب
وابتعاد شاع فى افاقه ظل اقتراب

تلك كانت هى البداية ، التى خطت للشعراء المحدثين معالم من هـــذا الطريق ، ولكن طموح بدر للريادة كان هو سر تفوقه وتقصيره معا ٠ فقـد خرج بدر عن ساحة الشعراء الغنائيين الى ساحة جـــديدة يهيئها له نهجه



بدر
شاكر
السياب

الجديد » وابتدأ ذلك التجاوز بملمحين أساسيين أولهما : القصيدة الطويلة ، فالقارىء للأدب الاوروبي لابد أن تفاجئه هذه المطولات ذات العنصر القصصي ، وقد شرع بدر في محاذاتها بقصائده « حفار القبور » و « المومس العمياء » و « الاسلحة والاطفال » ٠

والان وقد مر الزمان على قصائد بدر الطويلة ، واحتلت مكانها في ذاكرة الشعر العربي الحديث فاننا نستطيع أن نقول ان في ثناياها مقاطع ناجحة تصويرا وصياغة ، ولكنها لم توفق الى خلق القصة الشعرية العربية ٠ وثانيهما : هو الاهتمام بالاساطير والموروث التاريخي كزاد للتعبير الشعري يستمد منه الشاعر صوره وخياله ، وقد كان عالم الاساطير عند بدر غنيا واسعا الفني ، ولكن الرأي الذي نرتئيه انه أبهظ تجربته الشعرية دون أن يثريها ، فحينما يقول مثلا :

المومس الاجيرة الحقيرة
اكثر من حبيبتي سخاء
اتيتها مساء
معانقا اعانق الهواء
مقبلا عيونها الخواء
كانني « كيشوت » في الاصيل
يركض خلف ظله الطويل
ويطعن السنابل الكسيرة
يظنها الاعداء
شممت منها جثة بيضاء

عندما نقرأ هذه الابيات نجد أن هذا الاستطراد عن دون كيشوت قد أبهظ القصيدة دون أن يثريها ٠

ولكن هذا لا ينفي أن بدرا قد وفق في بعض الاحيان في خلق هذا الالتئام بين المادة التاريخية والشعر كما يتبدى في قصائده التي استغل فيها عناصر « التموزية » ، او عناصر حياة المسيح كما في قصيدته الرائعة « المسيح بعد الصلب » ٠٠

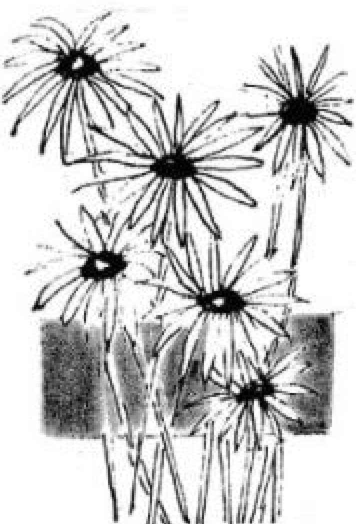
ولقد عاد بدر الى طبيعته الغنائية حين استبد به المرض ، ونفض يديه من هموم السياسة أو هموم الريادة ، فعاد لنا منه صوت غني بالغ الرقة والجمال ولكنه لم يعش – وا أسفاه – حتى يحقق كل ما أراده لشعره وللشعر العربي ، وان بقي لنا منه ديوان من اخلد واصدق ما عرفه عصرنا الحديث من روائع الكلم ٠٠

وردة ...
عاشت كما يعيش الورد
فترة صباح ...

بمثل هذا المعنى المأثور عن الشاعر الفرنسي رنسار Ronsard والمؤثر في كل سامع وقارىء يرثي الناس أحباءهم ممن يولدون في السحر ويموتون قبل أن تبلغ الشمس رأد الضحى .

وهكذا عاش فوزي المعلوف عمر الورد فلم يكد ينعم برونق الشباب ويقضي ربيعه الثلاثين على هذه الارض حتى ارتحل الى جنات النعيم حيث مأوى الملائكة والقديسين تاركا في الدنيا ذكرا حبيبا موشحا بأبراد الخلود ... ولله در شوقي اذ يقول :

وليس الخلد مرتبة تلقى وتؤخذ من شفاه الجاهلينا



شاعر شعلة العذاب
فوزي المعلوف

عادل الغضبان

ولكن منتهى همم كبار ... اذا ذهبت مصادرها بقينا
...شباب قنع لا خير فيهم ... وبورك في الشباب الطامحينا

***

ولد فوزي المعلوف بمدينة زحلة في لبنان يوم الحادي والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٩٩ من أسرة كريمة عريقة في الحسب والنسب مشهورة بالجاه والعلم . فأبوه عيسى اسكندر المعلوف عالم ومؤرخ وأديب وشاعر وعضو في أكثر من مجمع للغة العربية ورب مكتبة عظيمة في بيته بزحلة جمعت فوعت كل مخطوط ومطبوع . ولفوزي شقيقان شاعران هما شفيق صاحب الدواوين الكثيرة وفي طليعتها «عبقر» ، ورياض مترجم عدد من الدواوين باللغات الثلاث العربية والفرنسية والانجليزية .

في هذه الاسرة المباركة أسرة العلم والادب ، نشأ فوزي المعلوف وترعرع وكان له أولا من والده نعم المثقف المربي ونعم المفتح له موهبته الشعرية يوم آن لها أن تتفتح .

التحق فوزي المعلوف في مطلع طفولته بالكلية الشرقية بزحلة ، فتلقى فيها علومه الابتدائية ثم التحق بمدرسة الفرير ببيروت في سنة ١٩١٤ ولكن مدرسة الفرير قفلت أبوابها في العام نفسه فعاد الفتى الى زحلة وكان له من والده ومن مكتبة المنزل الزاخرة مرشداً وهاديا الى منابع العلم . ومال وهو في سنه المبكرة الى قرض الشعر والتأليف والترجمة ، فترجم رواية « كنز لف القرطبي » وألف رواية « الحمامة في القفص » وضع مسرحيته « ابن حامد .... أو سقوط غرناطة » فضلاً عن المقطوعات والقصائد التي ينظمها كل فتى ريق الشباب يرى من نفسه هوى الى نظم الشعر ، ولما اشتد ساعده وهاجر ترجم عن الفرنسية والبرتغالية والاسبانية

وفي عام ١٩١٨ كان والده العلامة عيسى اسكندر عضوا في المجمع العلمي بدمشق وقيما على الآثار العربية فسعى له في وظيفة يشغلها فوفق الى تعيينه أمينا لصندوق دار المعلمين ثم انتقل منها الى وظيفة كاتم لأسرار المعهد الطبي العربي .

ثم عاف هذا كله وآثر الهجرة الى مدينة سان باولو بالبرازيل ، فركب البحر اليها في السابع عشر من سبتمبر سنة ١٩٢١ ومضى هو وشقيقاه اسكندر وشفيق وبعض اخواله ينشئون مصانع للحرير في تلك المدينة ، ولم تلبث ان نجحت تلك المصانع نجاحا منقطع النظير ، وكان فوزي المعلوف في خلال

فوزي المعلوف

ذلك النجاح التجارى لم ينقطع عن نظم الشعر والتحليق على المعانى فى أجواء الخيال العليا حتى أن شركة هافاس للأنباء - يوم استأثرت به رحمة الله - أشارت الى المزيتين اللتين ينعم بهما فى عالم الشعر وعالم الصناعة فقالت : « مات الشاعر الكبير فوزى المعلوف ، وهو من كبار رجال الصناعة فى سان باولو » .

ومع انصراف فوزى المعلوف الى الصناعة والشعر لم يبخل على المجتمع العربى هناك بهمته واهتمامه ، فأنشأ المنتدى الزحلى ، وكان رئيسه ما سمح بذلك له العمر .

وشاء القدر ان ينتقل الشاعر الشاب الى الرفيق الأعلى فى عنفوان شبابه فأصيب فى العشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٩ بداء عضال تطلب جراحة عاجلة، وبعد أن مكث فى المستشفى نحو أربعين يوما أسلم الروح الى بارئه فى السابع من يناير سنة ١٩٣٠ وذهب مبكيا على شبابه وأخلاقه مأسوفا على نبوغه وعبقريته واستقامته ، فنعته صحف المهاجر والوطن وعددت مآثره وصفاته، ومازالت الأقلام تغمس ريشتها فى مداد مواهبه ومآثره وتكتب عنه الدراسات المختصرة والضافية وتستشهد بما نظم وكتب ، وستبقى على هذه الحال الى يوم يبعثون ، وهكذا يعيش الخالدون .

وتكريما لمواهب الشاعر ونبل خلاله ، أهدى مهاجرو العرب فى البرازيل الى مسقط رأس الشاعر تمثالا نصفيا له مصنوعا من الشبه (البرونز) فنصب فى حديقة المجلس البلدى بزحلة وأزيح عنه الستار فى الثانى عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٧ فى احتفال مهيب تكلم فيه نخبة من الأدباء والشعراء .

وكانت حياة فوزى المعلوف ، قصيرة كعمر الورد ، عطرة كشذا الريحان ، جميلة كجمال السحر ، بعد ان خلف لنا دواوين اربعة هى (من قلب السماء) و (اغانى الأندلس) و (تأوهات الروح) و (شعلة العذاب) فضلا عما ترجم وألف ، وفى طليعة تلك الترجمات بكاء « غرناطة » وقد نقلها الفقيد شعرا ، فضلا عن قصيدة (على بساط الريح) العظيمة التى صاغ فوزى المعلوف عقود جمانها بعد رحلة جوية قام بها فى مايو سنة ١٩٢٦ من مطار « ريو دى جانيرو » ، وطارت لتلك القصيدة شهرة كبيرة فنشرت فى غير صحيفة فى الشرق والغرب وطبعت غير مرة فى طبعات مختلفة كان منها طبعات فاخرة مزينة بالرسوم الملونة .

وبعد ، فشاعر في ريعان الشباب ينتمي الى أسرة جليلة ، ويحف به والدان كريمان وشقيقتان وأشقاء ، وتحتفي به الصحف في الوطن العربي والمهاجر فتتهافت على نشر شعره وآثار قلمه ، ويعنى بأدبه وموهبته الادباء والشعراء والدارسون في مشارق الارض ومغاربها فيسارع العرب منهم الى دراسته ونقده ، ويعمد الاجانب منهم الى نقل روائعه الى لغاتهم وتدبيج الاحاديث الطوال عنه ... مثل ذلك الشاعر هل كان سعيدا في حياته ؟.. وهل كان مطمئن النفس الى قدره ؟

يقول لنا بعض شعره القليل انه كان سعيدا سعادة الفتى اليافع الذي يبتسم للحياة ومباهجها ويخفق قلبه بهوى الحبيب ، فاذا ذهب الى دمشق وعاقه عن السير فيها وحل يمسح الطرق شحك للقدر ، وقال يصف تلك المدينة الموحلة معارضا الحصري القيرواني صاحب « ياليل الصب متى غده » في الوزن والقافية فقط :

هل سيل يهدر جارفه ... او بحر يزخر مزبده
... لم تهمله بلديتنا ... حاشا حاشا ما اسرده
ما يثنى لا يثنى ليل ... مقطوب الحاجب أسوده
لا نور الشارع يخرقه ... او نجم الافق يبدده
اسرى فيه سير الأعمى ... يستهدى اللمس فيرشده
ويرجلى (كالوش) لزج ... يهوى في الوحل فاسنده
(كالوش) رجلى تزرعه ... في الأرض وكفي تحصده
فلم حولى مطر فوقى ... وحل تحتى اتوسده
وفرعت أغنى من ولهى ... (يا ليل الوحل متى غده)

واذا رأى فتاة تستحم بمياه البحر وقد ضمها البحر الى صدره بذراعي أمواجه تبسم شاعرنا للمنظر الجميل تبسم الشاب المغرم بالجمال بل تبسم الشاعر المرهف الاحساس فقال :

وقفت وحر الشمس مضطرم ... تغلى به الاجسام في جمر
حورية في جفنها حور ... مكشوفة الساقين والنحر
واصطفت الامواج والهة ... لعناقها مفتوحة الصدر
فتفلفلت فيها تنقل من ... صخر الى سطح الى قعر
وكأنها - والماء كلله ... زبد حبال بياضها النضر -
في الروض زنبقة يحيط بها ... ورق الربيع وياسم الزهر

وحتى حين يدخن لفافة تبغ تدفعه السعادة وقلبه الخافق ينبض الحب الى أن يتمثل محبوبه وجماله في سحب الدخان المتصاعد من تلك اللفافة فيقول :

والثمها لا لثمة الوجد انما ... لماما كتقبيل الفراشة للورد
أراك خيالا في ضباب دخانها ... تنقل من احلامي البيض في برد
أرى فيه حينا شكل عين جميلة ... وألمح حينا فيه تكويرة النهد

ان المحب السعيد هو من يتخيل السعادة فى جليل الاشياء التى يراها او فى هينها فلا عجب ان تجيش عاطفة شاعرنا الشاب يوم يرى قفازا مطروحا على الارض المفروشة بالثلج فيلعب به الخيال لعبه ويخفق قلبه خفقانا كأنه فى حضرة الحبيب او فى حضرة متاع يخص الحبيب فينشىء قصيدته المعروفة باسم (القفاز المفقود) ويقول فيها :

عبرت به فى الارض والثلج باسط … عليه جناحيه النقيين كالطهر
فساءلته عمن رماه فلم يحر … جوابا بلى كان الجواب شذا العطر
فلم يبق من ريب بان التى رمت … به غادة او ضاع منها ولم تدر
فيالك قفازا طريحا على الثرى … يعانى عذاب البرد والذل والهجر
نعمت بيمناها وكم لك قبلة … على الثغر منها والغدائر والصدر
لئن صح حسبانى وكنت لغادة … فيا سعد حظى منك باللمس والذكر
وان كنت يا قفاز ملك فتى فيا … ضياع الذى انشدت فيك من الشعر

وحبذا لو اننا لم نقع فى شعر فوزى المعلوف الا على هذه النماذج من النفس المرحة الباسمة السعيدة التى تختلج حبا وتقاء للدنيا ومفاتنها ولكن هذا الضرب من الشعر الضاحك هو بالاسف النذر اليسير من شعر فوزى المعلوف فاذا نحن عرضنا لجميع ما خلف لنا من شعر ونثر انقلبت نفسه على الفور بين اعيننا الى نفس حزينة يعصرها الالم كانها غريبة عن هذا العالم وكانها من طينة غير طينة هؤلاء الناس ٠

لقد وهب الله لفوزى المعلوف نفسا رقيقة الشعور مرهفة الاحساس رباها والداه على نبل الخلال وكرم السجايا بحيث اصبحت لا ترى الناس ودنياهم الا الفاضل يعيشون فى المدينة الفاضلة ثم قدر للفتى وهو حدث يافع ان يحيا فى وطنه طول الحرب العالمية الاولى وان يشهد ما لحق بلبنان من مجاعة واهوال وما بدر عن بعض الاخلاق من ضعف والرة فاصبح لا يرى ولا يمضى قلمه الا رائيا لبنى الانسان ناقما على شرورهم يود لو خرج من هذه الدنيا ناجيا بنفسه من غدر الناس وقسوة الزمان ٠

والشواهد على هذا فى اثار قلمه اكثر من ان تحصى ٠

كتب قبيل هجرته الى البرازيل فى مفكرته يقول :

« ٠٠٠ خلقت فى ايار (مايو) فى حضن الربيع ، والارض بما فيها زاهية باسمه وانا فوقها منقبض النفس مقطب الجبين وما امر العبور فى محيط الابتسامات ، لذلك اتمنى ان يطرحنى الدهر عند موتى فى حضن الخريف بين

فوزى
المعلوف

اصفرار الاوراق وذبول الازهار وبكاء السماء ... حينذاك قد ابتسم عند عتبة الموت غير آسف على فراق حياة قطعتها في خريف صامت ذاو ... وتركتها في خريف صامت ذاو ... »

وكان الدهر قد اجابه الى مطلبه فقد مرض في الخريف ولفظ انفاسه في مطلع الشتاء .

وفي ساعة يأس وزهد في هذه الحياة وهو بعد لم يجاوز ربيعه العشرين يتمنى الموت فيخاطبه قائلا :

والآن يا موت الى اقترب   يا مرحبا بالموثق المعتق
معتق نفسي من قيود الاسى   موثق جسمي في المدى الضيق
هاك شبابا ناضرا فاحتسب   وهاك قلبا نابضا فاختنق
لم يبق لي في الارض من بغية   ما الارض الا جنة الاحمق

اما عن آثام الانسان وشروره ، وعن غدره وحسده واطماعه وحبه للخراب والدمار ، فاننا نجد هذا في اكثر من موضع في شعره ، وحسبنا ان نجتزىء عنه بقطعة من نشيده الحادي عشر من مقطوعته (على بساط الريح) :

انا عن وصف شره عاجز   والله مهما افضت في تبيانه
نسي الخير حين اوغل في الشر   فداس الضمير في عصيانه
فاذا بالاذى وليد حجاه   واذا بالشرور بنت لسانه
زج بالعلم في الفضاء طيورا   من جماد يديرها ببنانه
ما بناها الا لهدم المباني   ولسفك الدماء في طيرانه
ليته لم يكن ذكيا فكل   الويل في الكون من نهى انسانه
ليت عمرانه تاخر اجيالا   فكل الخراب في عمرانه

بقي ان من الاسباب التي غذت قلب الشاعر بالحزن العميق ولا شك غرام عنيف يحملنا على وجوده تغني الشاعر به في غير قصيدة ، بل بكاؤه منه وشكواه كانما الحبيب قد اخفر ذمامه ونكث عهده وترك الشاعر في لهفة وحزن امد العمر ولم يكن بالطويل ، فهل تكررت مع فوزي المعلوف ماساة جبران خليل جبران التي يصفها لنا في كتابه (الاجنحة المتكسرة) اي هل قامت بعض التقاليد والقوانين سدا منيعا بين الحبيبين لم يفصح شعر الشاعر العاشق عن شيء من هذا واقتصرت شكواه على حب يلقى منه الحرقة والاسى والنأى والهجران فنراه تارة يشير الى عبودية لذلك الحب وان اكتوى بناره فيقول :

عبد حبي الزلته من فؤادي   فكوى اضلعي بنار سعيره

ونراه تارة يشكو جواه الى الزهر والبلبل والبدر والفجر فيتحف الشعر بهذه المقطوعة الجميلة ويقول :

لو يعلم الزهر حبيب الهوا   مافي فؤادي من جراح الهوى
لذوب البلسم في عطره   فيه ليشفيني
ولو راى البلبل بين الغصون   نار ضلوعي في مياه الجفون
لحول الحزن من شعره   شدوا يسليني
ولو درى البدر عشيق النجوم   بما الاقي من فنون الهموم
لاهمل الشهب ومن قصره   اهوى يواسيني

فوزي المعلوف

ولو درى الفجـــر باني ارق — من نسمة الفجر لطول الارق
لبلّ الاضلع من قطـــره — وراح يبكيلي

ويوم تمنى أن يموت ويخـــرج من وادي الدموع رثى حبـــه الذاوي ورد لو حقق له الدهر أمنية واحدة وهي أن يلمح محبوبته ، فقال يخاطب الموت :

الحب ٠ قف يا موت واشفق على — قلبي ودعه لحظـــة يخنـــق
دع مقلتي تبكي قبيـــل النوى — تبكي على الورد عـــلى الزنبق
تبكي على روض غـــرام ذوى — ما فيـــه من زاه ومـــن ريق
لي بغية قبـــل الردى ليتهـــا — تمـــت فلم اسف ولم افـــرق
وقـــه ان الح محبـــوبتي — فنحن بعـــد اليوم لن نلتقي

ويقول فوزي المعلوف :

الا فاكشفي عني الرداء وحدقي — بصدري ترى ما لا ترى اعين الناس
ضلوع ولكن لاويات من الجـــوى — وقلب ولكن كالمدامة في الـــكاس
ولا تلمسي جسمي فجسمي ، شعلة — من النار لا صدري سليم ولا راسي
اخاف على ورد بخـــديك ناضر — من الموت ان هبت على الخد انفاسي
انا الليـــل ممسود الجوانح مرعب — وانت على بعـــد المزارة نبراس
انا الحزن مرسوم ، انا السقم ظاهر — انا الحب مصدود ، انا الالم الراسي
انا العابد العاني ، انا هيكل الهوى — الم تسمعي من اضلعي صوت اجراس
صلاتي المعاري وانجيلي الهـــوى — ودمعي ، قرباني وذكراك قـــداسي

***

على ان فوزي المعلوف لم يقصر حزنه على هواه الضيع وامله الخابي بل كان للوطن والمجتمع نصيبه من ذلك الحزن المتأجج في فؤاده عـــلى وطن اغراه السبات فتأخر ومجتمع آثر الجمـــود والاستعباد فنام في حضن الجهـــالة والاهمال ، حتى اذا طال ذلك العهـــد الكئيب على البلاد بدا بنوه الاحـــرار يهاجرون الى ما وراء البحار التماســـا لمنابع الرزق ونشدانا لروابع الحـــرية وتقديس الراي ، وكان شاعرنا اذا صمت حينـــا خاف على وطنيته ان ترمى بالسلبية والعقوق ، وان تكلم حينـــا اخر خشي مغبة قولة الحق ، وهو رجل حر يدافع عن الحق ولا يقول الا صدقا :

تجاهلت في شعري السيـــاسة مدة — لعلمي بما يرمى به قائل الصدق
وعندي شئون لو اردت بيانهـــا — لكان نصيبي ان اساق الى الشنق
ارى امتي تمشي بكل غبـــاوة — الى حيث لا تلقى سوى البؤس والسحق
لقـــد قيل ان الشرق اتعس موطن — ونحن لسوء الحظ ابقى بني الشرق

ويوم يتخذ لبنان علمه باضافة أرزة الى وسط العلم الفرنسى المثلث الالوان يثور الشاعر ويغضب ويؤثر أن يكون للبنان علمه المستقل فيهدر صائحا :

يا حنيني الى قضبانك لولا ... ما به اليوم من غمائم سود
والى الارز شامخ الراس لولا ... انهم حملوه ذل السجود
وضعوه حي المثلث تحت ... البيض بين الدما وبين الحديد

ومثل هذه الكبرياء نلمسها فى غير موضع من شعر الشاعر . أجل انه هجر وطنه وهاجر شأن الكثيرين من بنى قومه على حبهم لبلادهم واعتزازهم بمجدها ، ولكنه كان مكرها أخاك لا بطل ، فلولا حزنه على الحال التى وصلت اليها بلاده من ذلّ الاستعمار لما هاجر بل لقال لتلك السفينة التى مبت تمخر به عباب الماء الى الشاطىء النائى عودى بنا عودى :

لهفى للربوع تضحى وتمسى ... وهى خلو الا من التنكيد
ينزح الساكنون عنها ووجه الا ... رض رحب الى المزار البعيد
هجروها وماءها وهواها ... لم يطيقوا فيها هوان القعود
ودعوها والدمع ملء الماقى ... لتواها والنار ملء الكبود
ولو ان الاصم يسمع صوتا ... صرخوا بالبواخر الصم عودى

ولم تكن وطنية فوزى المعلوف وقفا على وطنه الصغير بل تتجاوزه الى وطنه العربى الكبير تليدة وطريفة ، ولك فى (اغانى الاندلس) وفى (مأساة غرناطة) التى ترجمها شعرا الدليل المقنع .

***

ولقد كتب كثيرون (١) عن فوزى المعلوف فأجمل ما نختم به هذه الترجمة رأيان فى الشاعر الراحل أحدهما من أسبانيا هو رأى الشاعر الاسبانى « فرنسيسكو فيلاسباسا » والثانى من مصر هو رأى عميد الادب العربى الدكتور طه حسين قال الشاعر الاسبانى :

« ... ان فوزى المعلوف كأنبياء التوراة علق ربابته على غصن صفصافة لتعزف على هوى الريح ناطقة بما فى لغة الطبيعة من نبرات خفية تهمس بها الالوهة .. »

وقال الدكتور طه حسين :

« مر فوزى المعلوف بالارض مرا سريعا ، ولكنه ترك فى النفوس صدى يتردد فيها حلوا لاذعا محرقا معا ، ولا أعرف أننى تأثرت بشاعر كما تأثرت بهذا الشاعر الشاب حين قرأت قصيدته (على بساط الريح) فاهتزت لها نفسى اهتزازا ، وانشق لها قلبى انشقاقا ، ثم قرأتها اليوم فوجدت لقراءتها مثل ما وجدت أمس أو أكثر مما وجدت أمس ، وما أرى الا أنى سأقرأها ، وأقرأها ، وسأجد فى قراءتها فى هذه المرة اللذة التى يحبها الاديب حين يقرأ الشعر الجيد الرائع الجميل ... فأى روح عذب وأى نفس حلوة وأى سحر خلاب وأى فن رائع وأى موسيقى خليقة بالبقاء ... »

ذلكم هو الشاعر فوزى المعلوف ، الوردة التى عاشت كما يعيش الورد : فترة صباح ...

(١) راجع كتاب (شاعر الطيارة) للبدوى الملثم : دار المعارف ١٩٥٣ .

محمد عبد الغنى حسن

أربعة شعراء

نجيب الحداد

أديب اسحق

خليل اليازجي

عبد الباسط الصوفي

أحمد شاكر الكرمي

وأدباء رحلوا في سن الشباب

عبد القادر رشيد الناصري

تصادفنا فى الادب العربى ، كما تصادفنا فى غيره من الاداب الاخرى ، شخصيات ادبية كثيرة اختطفها الموت وهى فى الريعان ، ولم يبال بشبابها الناضر ، وحينها الباكر .. ومن الملاحظ ان اكثر هذه الشخصيات المختطفة لم تغادر هذه الدنيا الا بعد ان ملأتها انتاجا ، واثرتها عطاء وكانها صنعت فى هذه الرحلة القصيرة من حياتها الوشيكة ما لم تكن تصنعه لو طال بها العمر ، او امتد بها الاجل .. كان القدر يقوم لها هنا بعملية من التعويض تتم به عدالة التوزيع ويعتدل به الميزان بين الزيادة والنقصان .

أربعة شعراء

في الادب الانجليزي نتصادفنا من هذا الشباب المهتصر، ثلاث شخصيات من الشعراء الناثرين الانجليز تلاقوا في زمن واحد، وجاءت وفياتهم متقاربة ما بين سنتي ١٨٢١، ١٨٢٤، واولهم «كيتس» الذي عاش ستة وعشرين عاما من سنة ١٧٩٥ الى سنة ١٨٢١ · وثانيهم «شيلي» الذي عاش ثلاثين عاما، من سنة ١٧٩٢ الى سنة ١٨٢٢، وثالثهم اللورد بيرون الذي مات بعد أن تجاوز الثلاثين بستة اعوام، فعــاش من سنة ١٧٨٨ الى سنة ١٨٢٤ ·

كمـا تصــادفنا في الادب الفرنسي شخصيات منها «الفرد دي موسيه» الشــاعر الفرنسي الغزل الــذي رثاه الشاعر خليل مطران بقوله :

عاش هــذا الفتى محبا شقيا
وقضى نحبــه محبــا شقيا
وبكى دمع عينه في سـطور
جعلته على المدى مبكيــا
منشد للغــرام لم يشد الا
كان انشاده نواحا شجيــا

اما الادب العربي فتصادفنا فيه بين قديم وحديث أسمــاء شعراء وادباء اختطفهم الردى على نضرة من العمر، وغضــارة من السن، منهم طـرفة بن العبد، وابو تمام، وابو فراس، وابن هانىء الاندلسي في القدامى — وفخرى ابو السعود، وفوزي المعلوف، ومحمد تيمــور، والتيجــاني يوسف بشير، والشابي، ومحمد عبد المعطي الهمشري في المحدثين ·

على اننا سنتناول هنا كاتبين واربعة شعراء من باقة الادباء الذين ماتوا، واعوادهم مخضرة، وثمارهم مرجوة، فلم يترك الموت فيهم بقيــة لامل، ولا فسحة من العمر لراج، وهم غير مــن ذكرنا من الاسماء السابقة · واحــد الكاتبين هنا جمع بين الشعر والنثر، اما الكاتب الاخر فقد وقف قلمه عـلى النثر وحده، وجود فيه حتى أوفى على الغاية فكان كاتب مقال مشهور ·

● الشاعر الناثر المفكر ●

نبدأ بأول هــذه الجذوات المنطفئة الست، وهو «أديب اسحاق» الشاعر الناثر المفكر التواق الى الحرية، ومن اوائل الداعين اليها في القرن التاسع عشر · ولعل كثيرا من القراء لايعلمون انه صــاحب البيتين المشهورين اللذين جريا مجرى الامثال، وهما :

قتــل امرىء في غابة
جريمــــة لا تغتفــر
وقتـــل شــعب آمن
مسألة فيهــا نظر !

واديب اسحاق متعدد النواحي، فهو اديب، صــحافي، خطيب، كــاتب مسرحي، مترجم، شاعر، ناثر · وهو مسيحي العقيدة، ارمني المذهب، لبناني الاصل، دمشقي المولد، كثير الرحلة · اقام في بيروت، ومصر، والاسكندرية، وباريس · وهو يتقن اللغات العربيــة والفرنسية والتركية · وهو خطيب عرفته المنابر واهتزت له اعوادها، حتى لقد روي أن سعد زغلول قد ذكره في جملة الخطباء الذين تاثر بهم في الخطابة،

وشهد له جرجى زيدان بانه اذا خطب تدفق تدفق السيل ، يهتــز له المنبر ، وتنقاد له الكلمات آخذا بعضها برقاب بعض • ومن عجيب امره أنه كان يحفظ القرآن الكريم ويستشهد بآياته فى كلامه وخطبه ، وحفظ كثيرا من عيون الأدب العربى شعره ونثره • وسرعان مااتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني ، وكان من رواد حلقته والمعجبين بآرائه وأهدافه ، وتعرض للنفي والتشريد كمــا تعرض جمال الدين •••

والحق أن أديب اسحاق يمثــل فى الانشاء العربى دور الانتقال من النثر المتكلف المصنوع المزدحم بالمحسنات التى لا طائل وراءها فى المعنى ، الى النثر المتأنق الذى يبلغ المراد من المعنى بأيسر زخرف • على أن نثره بالطبع لم يخل من السجع ولا من بعض الزخـــارف اللفظيــة التى لم يسرف فى استعمالها اسراف من سبقوه ، وكان لتراكيبه رنة موسيقية يدركها القارىء فى كتابته ، ويحسها السامع فى خطبه • ولقد شهد له مؤرخو الادب فى عصره بأنه قدوة المنشئين وعمدة الكتاب • ولقد وصفــه الشــاعر خليل اليازجى ـ الــذى مات شابا مثله وكان صديقا له ـ بقوله :

الكاتب ، اللبق ، الأديب ، وحسبه
أن اسمه الباهى عليه وســـام
متنبه الأفكار يقظـــــان الحجى
حتى لأعجب منه كيف ينــــام
فــاذا تروا كاتبـــا لجميعه
فكر ، فتوشك تفصح الأقـــلام
واذا اليــراع تداولتـــه يمينه
فصريره طــرب به وهيـــــام
واذا امتطى يوما جيــاد كتابة
فظهورهن على الرجال حرام •••

ولقد كان أديب اسحاق ثورى الروح فى كتاباته وأفكاره وتطلعاته للنهضة العربية ، ولكن موقفه من الثورة العرابية لم يكن مع عواطف الثوار ، فقد بعث الى شريف باشا رئيس الوزارة المصرية التى أسقطها الثوار واعقبتهـــا وزارة الشاعر محمود سامى البارودى بقصيدة دالية بعث بهـا من بيروت • وتعــد القصيدة انحــاء باللوم على العرابيين وشماتة فى خذلان حركتهم ، وان كــان فيها شديد الالم للمصير الذى انتهت اليه الثورة باحتلال بريطانيا لمصر •

ولعل أديب اسحاق كان مــن أوائل الداعين الى الوحدة العربية • وكــان يرى أن فى وحدة العرب ضمانا لتقوية كلمتهم ، وصيانة حقوقهم ، ففى مقال له بعنوان « دولة العرب » يقول : (قد جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، وهبت الحاصبة تليها العاصفة ، فذرت حقوقنا فصارت هبــاء منثورا ، وألمت بنـــا القارعة ، ووقعت الواقعة ، فصرنا كأن لم نغن بالامس ولم نك شيئا مذكورا ، فهلم ننشد الضالة ونطلب المفقود ، لا نقوم بامر ذلك فئة دون فئة ، ولا نتعصب لمذهــب دون مذهــب ، فنحن فى الوطن اخوان ، تجمعنا جامعـــة اللسان ، فكلنــــا وان تعدد الافراد انســان ، أيحسبون أن ذلك الصوت لا يكون له من صدى ؟ أم يخافون أن يذهب ذلك الاجتهاد سدى ؟ أم لا يعلمون ان مثــل ذلك الاجتماع ـ منزها عن المقــاصد الدينية ، منحصرا فى العصبية الجنسية والوطنية ، مؤلفا من أكثر النحل العربية ـ يزلزل الدنيا اضطرابا ، ويستحيل الدول جذبا وارهابا ، فتعود للعـــرب الضالة التى ينشدون ، والحقوق التى يطلبون ، ولا خوف على زعمائهم ولا يحزنون) •

ولم يصح لدينا أن أديب اسحاق له

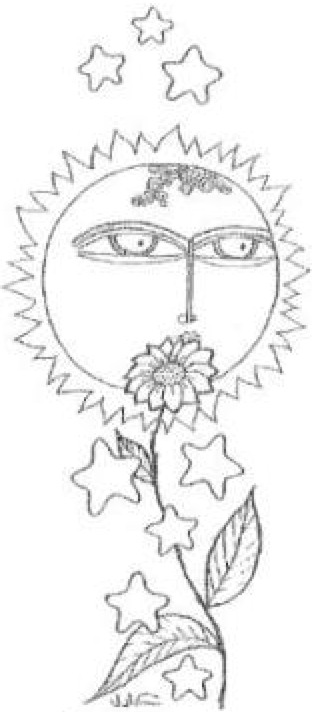
ديوان مطبوع عنوانه « أنيس الجليس » كما جاء في الجزء الثاني من كتاب « أدب المقالة الصحفية في مصر » ، فديوان أنيس الجليس هو ليوسف الشلفون ، وان كان يقال ان الشلفون هذا سطا على قصائد للدكتور لويس صابونجي ، وسليم نقاش ، ومصباح رمضان ، وأديب اسحاق ونسبها لنفسه

لقد تفرق شعر أديب اسحاق وتبعثر ولم ينشر في كتاب ، على ان له أبياتا سارت ودارت على الألسنة ، وكان الناس يتناقلونها ويحفظونها ، ويدلون بها في مواطن الاستشهاد ، منها أبياته الصادقة في « المرأة » :

حسب المرأة قوم الله
من يدانيها من الناس هلك
وراها غيرهم امنية
ملك النعمة فيها من ملك
فتمنى معشر لو نبذت
وظلام الليل مشتد الحلك
وتمنى غيرهم لو جعلت
في جبين الليث او قلب الفلك
وصواب القول لا يجهله
حاكم في مسلك الحق سلك
انما المرأة مرآة .... بها
كل ما تنظره ، منك ولك
فهي شيطان اذا افسدتها
واذا اصلحتها فهي ملك

ويشاء القدر أن يصاب اديب اسحاق بعلة الصدر ، وهو في باريس ، والا يعيش بعد الاصابة كثيرا فيموت في سنة ١٨٨٥ في قرية « الحدث » بلبنان عن تسعة وعشرين عاما ، فهو من مواليد سنة ١٨٥٦ . ويقول الذاكرون لحسنات الموتى أن علة الصدر جاءته من اثر البرد القارس في باريس .

ويقول الصرحاء ان العلة جاءته من (تساهله في طرق معاشرته ، واطلاقه هوى النفس فيما تسرق اليه الشبيبة ، حتى أثر ذلك في مزاجه ، وعجل منيته.



أربعة شعراء

نقصفت غصنا رطيبا لم يبلغ ثلاثين ربيعا ...) كما يقول جرجي زيدان .

صاحب نسمات الاوراق

ولم يكن أديب اسحاق الوحيد من بين أدباء الشباب الذين أصيبوا بعلة الصدر وماتوا بها في سن الشباب ، فقد كان الشاعر « خليل اليازجي » أحد هذه الاغصان المقصوفة ... وقد ولد خليل اليازجي بلبنان سنة ١٨٥٦ ، ومات سنة ١٨٨٩ . وغريب أن يموت في قرية « الحدث » كما مات من قبله أديب اسحاق ، وشيعت مدينة بيروت جثمانه بمشهد رهيب ، ولا يتفقان في العلة ، ومكان الموت وحسب كما رأيت ... ولكنهما اتفقا في موقفهما المتخاذل من الثورة العرابية ... فقد نظم اليازجي قصيدة قافية يهنيء بها الخديو توفيق بخذلان الثورة العرابية ، واخفاق العرابيين ... وتحيل القارىء على ديوانه « نسمات الاوراق » لخليل اليازجي ، ص ٤٩ ليرى فيها روح الشاعر وتكرار نغمة عقوق العرابيين وعصيانهم لمولاهم ! وكأن الشاعرين وغيرهما من أعداء الثورةالعرابية كانوا يمتحون من معين واحد ...

ولن يصرفنا هذا الموقف المتخاذل عن ايفاء الرجل حقه من البحث ، فهو ابن الشيخ ناصيف اليازجي العلامة الكبير، وشقيق الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب مجلات البيان ، والضياء ، والطبيب ، ومن مؤلفاته المطبوعة ـ غير ديوانه المذكور ـ رواية « المروءة والوفاء » وتنقيح كتاب « كليلة ودمنة » ، حتى صارت نسخته أصح النسخ وأقربها الى الاصل .

ويظهر أن علة الشاعر خليل اليازجي في صدره جعلته يعطف على ذوي العلة من أصدقائه ومعارفه ، ويوصيهم بالصبر والتجلد ، ويعزيهم فيما رمتهم به الايام ، فحين أصيب « ابراهيم الشخيل » بمرض عضال ، بعث اليه بقصيدة يقول فيها :

صبرت على ما لا يطاق من البلى
طويلا ، فنلت الاجر يقرن بالفخر
ولكن ما قد زال فوق الذى بقى
ولو حل في صخر لاثر في الصخر
تجلدت حتى لات حين تجلد
على محنة لله درك من در

ونرى له في مناسبة مثل هذه قصيدة جرى فيها على فلسفة الالم ، يقول فيها :

لا بأس من ضنك السقام وبؤسه
فعسى بسقم الجسم صحة نفسه
لم تأتنا صم الصخور بجوهر
الا على برد الزمان وشمسه
والجسم ترس النفس ، الا انه به
تحمى كما يحمى الكمي بترسه
لا تكرهوا شيئا ، لعل لكم به
خيرا كيوسف في عواقب حبسه
ان الزمان مبارز ... لكنه
يبغي مبارزة الشجاع لبأسه
لا تيأسن من الزمان ... فربما
نال الفتى آماله في يأسه

ولما مات صديقه أديب اسحاق قبله بأربعة أعوام أشار في مرثية له الى علته ـ أي علة أديب ـ وانتهاك جسمه في المطالب العالية ، فقال في مطلع رثائه :

أخلق بجسمك أن يبيت كليلا
عن جهد نفسك ، أو يموت عليلا
نهكته نفسك في المطالب والعلا
حتى تعلى للفراق سبيلا

وقد أكثر الشاعر خليل اليازجي من الغزل والنسيب في شعره ، وهو غزل تقليدي ، ليثبت به مقدرته على القول

أربعة شعراء

فى أغراض من الشعر ، ولا تبدو عليه أصالة الغزل ولس الهوى ... وتبدو الصنعة البديعية البيانية على غزليته التالية :

سألته عن حـــاله
فقال : ليس يحتمـل
سألته عن قلبــه
فقال : قلبي مختبـل
سألته عن شـوقه
فقال لى : مثل الجبل
سألته عن صـبره
فقال : صبرى قد رحل
سألته عن حبـــه
فقــال : مضرب المثل
سألته عن نفســه
فقال : لها الحب قتل
سألته عن جسمـه
فقال : جسمى فى علل

ومما يدل على اغراقه فى الصنعة ، لا تفانيه فى الحب ، انه صنع قصيدة غزلية طويلة ، ضمن كل شطر منهـا حسابا بالتاريخ الهجرى لسنة ١٢٩١ هـ وليس بعد هذا عبث ، وبعد عن الحب الصادق .

● التحرر من المحسنات اللفظية ●

وما ساقتنا قرابة الشـيخ نجيب الحداد للشاعر خليل اليازجى المذكور هنا فى هذا العرض ، ولكن الـذى ساقنا هو قدره المحتوم فى ميعـة الشباب ، فقد مات عن اثنين وثلاثين عاما ، اى اصغر من خاله خليـل اليازجي بعام واحد . واذا كان من مواليد بيروت سنة ١٨٦٧ فان مصر قد احتضنته فى سنة ١٨٧٣ وله من العمر ست سنوات . ومن هنا يبدو لنا حبه لمصر ، وادارة اسمها فى كثير مـن شعره . وهل تنسى مصر له قوله فيها :

يا أرض مصر تحيـة وسـلام
وسقاك من صوب الغمام ركـام
بل انت غانية عن المطر الـذى
يهمى ، فان النيل فيك غمـام
نهر تبارك ماؤه فتكـاد ان
تحيـا بطهر ميـاهه الآثام
ويكاد لو رشف العليـل زلاله
يشفى العليل ، وتذهب الأسقام
يحيى البلاد بمائه ، فكأنه الـ
روح التى تحيا بها الأجسام
ان شـابه كدر ، ففى اكدار،ه
صفو ، وفى فيضـانه انعـام
يجرى على أرض مباركة ، كمـا
تجرى فتحيى الشاربين مـدام
ارض اذا لم يعل فى ارجائهـا
علم ، فان كرامها أعـلام

وهل تنسى له مصر قوله فيهـا من قصيدة اخرى :

زر أرض مصر وقف على ربواتها
واحفظ فؤادك من ظبا ظبياتهـا
وتوق انفاس النسيم فانهـا
ممزوجة بالحب من غاداتهـا
ارض كساها النيل زخرف وجهه
واعار برد ميـاهه نسماتها
فبدت كأن الأرض وجه مليحـة
وكأنها خال على وجناتهـا
لله روضتها وقد حيا الصبـا
اغصانها ، فحنت له هاماتهـا
وتحدثت امواهها فوق الحصـا
توحى لطير اراكه نغماتهـا
والأرض من ظل الغصون كأنمـا
نثرت دنانير على جنباتهـا :

وتبدو أوصاف الشاعر نجيب الحداد حية أكثر من أوصاف خاله خليل اليازجي ، فقد تحرر كثيرا من الصنعة التي أغرق فيها خاله ، ولا يزال ديوانه المعنون « تذكار الصبا » يحمل لنا قصائد في وصفه للقمر ، ولجبل لبنان ، وللبحر ، ولمدينة دمشق ، ولقطارات السكة الحديدية التي كانت مصر حديثة عهد بها ، وللسيدات العصريات — في وقته — اللائي كن يركبن المركبات ذوات الجياد ٠ وتذكرنا قصيدته في وصف القمر بقصيدة الشاعر الكبير خيرالدين الزركلي التي عنوانها « لم تك ياقمر ! » والتي يقول فيها :

لم تبق أيدى الحادثات ولم تذر
فعلام تضحك في سمائك يا قمر !

أرأيت تائهة على أترابها
فتانة بسفورها وحجابها
خلابة بدلالها وعتابها
غلابة بحديثها وخطابها
ذهب الزمان بمالها وشبابها
وتفردت بأنينها ومصابها

ناجتك شاكية تصاريف القدر
وظللت تضحك في سمائك ياقمر !

و (قمرية) نجيب الحداد لا تنعكس فيها الانفعالات والاحاسيس ولا مفارقات الحياة ، ولا فروق ما بين أعراس السماء ومآتم الارض كما في (قمرية) الزركلي ، فصور الحداد جامدة باردة ، وصور الزركلي زاهية متحركة عاطفية ٠ وحتى لا نظلم الحداد نأتي بأبيات من قصيدته يقول فيها :

اذا مللت من البدر العيون
وهاجت منه أو سكنت جفون
واقبل في منازله انتقالا
يحف به من الليل السكون
رأيت بدائع الافلاك تجلى
بما يجلو به الهم الحزين
وسار البدر يسبح في سماء
عليها من كواكبها سفين
تمر به السحائب مسرعات
فيخفى تحتهن ويستبين

فهنا وصف تقريري سردي لا مجال فيه لتصوير أحاسيسنا بالقمر ، ولا انعكاس أوصافه على مشاعرنا ٠ وكذلك وصف نجيب الحداد للبحر في الاسكندرية يعتمد على التقرير أكثر مما يعتمد على تصوير الاحاسيس :

وقد كان « الحداد » موزع الحب بين مصر ولبنان ، فما فتىء دائم الحنين الى قمم لبنان وأوديته ٠ على أنه وهو يمدح الجبل لا يفوته أن يمدح أفراده ويعدد مآثرهم ، فمن شعره في ذلك قوله :

قف في ربى لبنان بين وهاده
واقرأ السلام لاهله وبلاده
جبل بأرض الشرق قام وفوقه
قد قامت الاطواد من أفراده
ألقى نفوسا من بياض ثلوجه
واسع جودا من مسيل عهاده
واشد من أسواره ، وأشم من
أطواده ، وأعز من أنداده
قوم لهم عمن سواهم رفعة
مثل ارتفاع الطود عن أنجاده

وكما كان نجيب الحداد سابقا في الموت المبكر ، فقد كان سابقا في النبوغ المبكر ، فقد حرر في صحيفة الاهرام المصرية وهو في الخامسة عشرة من عمره ، وظل يحرر فيها اثني عشر عاما بلا انقطاع ، وأنشأ صحيفة « لسان العرب » سنة ١٨٩٤ وسنه سبعة

وعشرون عاما ، واشـــتراكه في حركة ترجمة القصص والمسرحيات الاجنبيـة وهو قبل العشرين بسنوات ، والف كثيرا من القصص والروايات في ذلك الحين . وقد قضى سنوات عمره القصير في العمل الدائم بلا انقطاع بين التأليف والترجمة والكتابة في الصحف والمجلات ، ونظم الشعر . الى أن اصيب بذات الرئة ، فلم تمهله العلة طويلا وانتهت حيـاته في سنة ١٨٩٩ .

كاتب المقال الادبي الممتاز

لقد عاش الثلاثة الادباء السابقون في القرن الماضي وماتوا شبابا فيه ، فاذا ما جاء القرن العشرون رأينا يد المنون تمتد الى كاتب فلسطيني واديب عربي جهيـــر الصوت فتختطفه وهو في سن الثالثة والثلاثين ، ذلكم هو الـكاتب القصاص المترجم احمد شاكر الكرمي الذي نسيه الناس او كادوا منذ انتقل الى جوار الله سنة ١٩٢٧ .

واحمد شاكر الكرمي ليس دخيـلا على الادب ولا غريبا عن العلم ، فأبوه الشيخ سعيد الكرمي احد الاعضـاء الثمانية المؤسسين للمجمع العلمي العربي بدمشق سـنة ١٩١٩ برياسة المرحوم محمد كرد علي ، ولاتزال مقالات الشيخ سعيد الكرمي وبحوثه الضـافية في الاعداد الاولى من مجلة المجمع شاهدة له بالفضل والتبحر في العلم ، وخاصة دراساته القيمة في افتتاحيات الجنة لنفائس المخطوطات العربية ، واخـوه صديقنا الشاعر الكبير عبـد الكريم الكرمي : « ابو سلمى » الجهير الصوت على منـابر الشعر ، واخوه محمود الكرمي شـاعر كذلك ، واخوه حسن الكرمي صاحب « طبقة الفهماء » و « قول على قول » وغيرهما من اللمع اللوامع، واخوه عبد الغني الكرمي اديب موهوب .

ولد احمد شاكر الكرمي في طولكرم بفلسطين سنة ١٨٩٤ ، ولما ترعرع جاء الى مصر ليكون في عداد طلبة الازهر ، ولما قامت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ حـالت دون رجوع الفتى الى وطنه ، فسـافر الى الحجاز ، ودعاه المرحوم محب الدين الخطيب الى الاشتراك معه في تحرير جريدة « القبلة » التي صدر اول اعدادها سنة ١٩١٦ . وقـد توطدت الصلة بين الشابين ، والف بين قلبيهما هدف اسـلامي عربي جليل ، واصطحبا على الحلو والمر ، واجتمعا بعض الحين وافترقا بعض الحين الى أن دعت شاكرا منيته في دمشق سنة ١٩٢٧ ، فرثاه في مجـلة « الزهراء » صديقه ورفيق نضاله المرحوم محب الدين الخطيب قائلا من كلمة كريمة وفية :

(صحبته في البر والبحر ، وعرفته في اوقات الرخـاء وساعات الشدائد ، وسلختا الايام معـا من الصباح الى الليل سنة كاملة او اكثر من سـنة ، وكنا نتفق في الرأي ونختلف ، فكنت – في كل ما بلوته من احواله – ازداد اعجابا بمكانة اخلاقه ، وطهارة نفسه، وادخاره القوة بالصمت ليوم العمل).

لقد خلق احمد شاكر الكرمي ليكون كاتب مقال ادبي ممتاز . وانتهز فرصة وجوده في مصر بعـد عودته مـن الحجاز ، فتعلم اللغة الانجليزية ، ووصل فيها الى درجة تعينه على الترجمة منها والنقل عنها . وقد ساعدته قراءاته على التجويد في الكتابة ، حتى اذا ما

أربعة شعراء

ذهب الى دمشق سنة ١٩٢١ اشتغل بالتحرير في صحيفة « الفيحاء » ، ثم وجد من نفسه القدرة على انشاء مجلة الميزان ، وكان يحرر أكثر أبوابها ، ويترجم عن الانجليزية ، وكان من قبل ينشر مقالاته الادبية والاجتماعية في جريدة (ألف باء) الدمشقية بتوقيع : قدامة . وقد أعانته مقدرته في الكتابة، وشهرته الادبية على أن يكون له جمهور من القارئين المعجبين به المواظبين على قراءة مقالاته ، ولم تمنعه مقالاته وترجماته عن المشاركة في ألوان من النشاط الادبي في الشام ، فأسهم في انشاء أول هيئة أدبية في سورية عرفت باسم « الرابطة الادبية » ، كما اشترك في تحرير مجلتها التي كانت تحمل اسمها .

ولا أعرف العلة التي مات بها أحمد شاكر الكرمي في تلك السن المبكرة ، ولكن الذي أعرفه أنه مات في دمشق سنة ١٩٢٧ ، وأنه دفن في مقبرة باب الصغير ، وأن الشاعر السوري الفحل محمد البزم نظم تاريخا ليكتب على على قبره ، وجعله في هذين البيتين :

ثوى تحت هذا الثرى أحمد
فأشعل في القلب نيرانه
وأسرع يبغي رضا ربه
وتاريخه : ود غفرانه

الشاعر الانسان المحب للحرية

واذا كانت دمشق قد ضمت رفات أديب عربي مات في ريعان الشباب ، فان مدينة حمص ـ بعد موت أحمد شاكر الكرمي بثلاث سنين ـ ماكادت تقدم الى الدنيا شاعرا انسانيا محبا للحرية ، حتى تلقت في سنة ١٩٦٠ نبأ مصرعه ... ولم يكن بين الميلاد والوفاة الا ثلاثون عاما . وهذا الشاعر هو « عبد الباسط الصوفي » .

ولد عبد الباسط الصوفي بمدينة حمص ، ونشأ بها وتعلم في مدارسها ، ثم يممشطر دمشق ليدرس في جامعتها ، وتنقل في العمل بين الاذاعة ، والتدريس ، ولكن المدرسة التي عين فيها كانت بقرية « دير الزور » ، فقضى ثلاث سنوات في هذه القرية يجمع بين رتابة الحياة في التدريس ، ورتابة الحياة في القرية ، وهو لون من الحياة لايقوى عليه صبر شاعر . وهنا فكر جديا في الانطلاق من هذا الأسر الرتيب ...

واتجه تفكيره الى بلد افريقي بعيد . فذهب الى غينيا ، وهناك وفي لفح الهجير في شهر يوليو سنة ١٩٦٠ أصيب الشاعر الشاب بضربة شمس شديدة ، فطلب من سفارة بلده أن تعيده الى وطنه ، ولكن شركة الطيران لم تأخذ على عاتقها مسئولية سفره على احدى طائراتها الا في رفقة ممرضة ، فان مرضه لم يكن ليسمح له بالسفر وحده ، فلما لم توافق السفارة على طلب الشركة آثر شاعرنا المسكين أن يخلص من نزاع الطرفين بأن يتخلص من الحياة جملة فانتحر ...

في مهرجان الشعر الاول الذي أقيم بدمشق سنة١٩٥٩ كان شعر عبدالباسط الصوفي يرتفع على المنبر بقصيدة عنوانها « موعد المدينة » ، ولعل هذا المهرجان كان أول عكاظ جديدة يسمع فيها شعر عبد الباسط ، وان كان عدد من قصائده نشر في مجلة « الآداب » البيروتية ، ومنها قصائد الغريب ، وطبول افريقيا وغيرهما ، وكان حريصا على أن يختم كل قصيدة بنشيد للحرية . وقصيدة « موعد المدينة » التي سجلها مهرجان الشعر الاول في دمشق لم تكن الا تحية لجمال عبد الناصر ، وفيها يقول الصوفي :

مدينتي لا تملك الــــذره
مدينتي طيبـــة حـــره
لا تصلب الانســـان في الة
او تمضغ الاحقاد في فكره
مدينتي ، نبضات قيثـــارة
حينا ، وحينـــا ضحكة ثره
تنيمة ، كالحب ، ميــلادها
لما صحا درب الهــوى مره

● اشعار الحنين والاغتراب ●

واذا كنا قرانا في اوائل هذا المقال ان علة النــاثر الشاعر اديب اسحاق التي مات بسببها قد جاءته ـ كما يقول المؤرخ جرجي زيدان ـ من اطلاقه هوى النفس فيما تسوق اليه الشبيبة ، فــان هناك شاعرا عراقيا مات في اواخر عهد الشباب واوائل عهد الكهولة بالعـلة نفسها التي مات بها اديب اسحاق .

وندع الحديث عن مزالق الشـــاعر العراقي عبد القــادر رشيد الناصري ومهاويه الى الاديب الاستاذ حارث طه الراوي في كتــابه « مع الشعراء » . فقد هتك المؤلف استار هـــذا الشاعر الوجداني الرقيق ، على الرغم ممـــا بينهما من اخوة وصداقة .

ولقد عرفت « الناصري » في القاهرة ولقيتهمرة او مرتين لا اذكر ، ثم نسيت كل شيء عنه ، الا شعره ، فقد كنتاعاود قراءته من حين الى حين . ثم جمع اخي الشاعر المحقق الاستاذ هـــلال ناجي ، وزميله الاســـتاذ عبـــد الله الجبوري بقية شعر عبد القادر الناصري في جزء ثان جعلاه تتمة للجزء الاول الذي اصدره الاديب السيد كامل خميس سنة ١٩٦٥ .

وقد ترجم مؤلف كتـــاب (شعراء العراق المعاصرون) للناصري ترجمـة وافية في حياته لحياته ومولده ونشاته ودراسته ووظائفه ومؤلفـــاته المطبوعة التي تبلغ عدتها ثلاثة كتب ، وغيـــر المطبوعة التي كانت في تقدير الاديب غازي الكنين ـ مؤلف الكتاب ـ اربعة عشر مؤلفا ، كما ترجم له قبل وفـاته باربعة اعوام الاستاذ رضوان ابراهيم في تعليقاته المفيدة على كتاب « شعراء العرب المعاصرون » للدكتور احمد زكي ابو شادي . كمـــا ترجم له في ثلاثة اسطر الاستاذ احمد ابو سعد في كتابه: (الشعر والشعراء في العراق) . ونقل الاستاذ حارث طه الراوي كثيرا مـــن الترجمة التي جاءت في كتاب (شـعراء العرب المعاصرون) ، وصرح بذلك في الفصل الـــذي كتبه عن النــاصري في كتابه : « مع الشعراء » .

ونخلص من هذه التراجم انالناصري ولد سنة ١٩٢٠ في لواء السليمانية من ابوين كرديين ، ثم انتقـــل الى بلدة النـــاصرية مع اسرته التي تركت لواء السليمانية الى لواء المنتفك . ومـــن الناصرية جاء تلقيبه بالناصري . وفي الناصرية انجز شاعرنا دراستهالابتدائية والمتوسطة ، ثم قصد بغداد لاكمـــال دراسته الثـــانوية . وفي العـــاصمة العراقية انفتح امامه باب الاتصـــال برجـــال الادب والشعر ، كالمهـــدى الجواهري ، ومحمد حسين الشبيبي ، وعبد المجيد الملا ، وفؤاد عبـــاس . وافاد في البلاغة والبيان والمنطق مـــن دروس الشيخ عبد القادر عبد الرزاق الخطيبخطيب جامع الامامالاعظم. وفي سنة ١٩٤٨ اشتغل بالاذاعة العراقية ، فوق اشتغاله بالكتابة في بعض الصحف والمجلات . وفي سنة ١٩٤٩ اوفـــدته الحكومة في بعثة دراسية الى باريس لاكمال دراسته . ولم تطل مدة مقـــام الناصري في باريس اكثر من عـــام واحد ، عاد بعده الى بغداد ليعمـــل موظفا في امانة العاصمة . ومنباريس نظم الشاعر الناصري ارق قصـــائد الحنين الى الوطن كقصـــيدته (بين بغداد وباريس) التي يقول فيها :

انا مالي فقـــدت حتى رشـــادي
القليـــل على هجـــر بلادي ؟
يا بلادي التي اراهـــا بعيني

أربعة شعراء

منهــلا ســـائغا الى الوراد
الثلاثون عشتها في مغـــانيـ
ـك كطير في مكمن الصـــياد
حاملا في يدى جراح الليـــالي
وعلى منكبي عبء الجهـــاد
بالهـــول الفـــراق ! اى جحيم
ألتقى به ، وكيف ابتـــرادى ؟
قيل : باريس ، قلت : اشهى لروحى
باسقات النخيـل في بغــــداد

ويمضي الناصرى في هذه القصيدة ، فتمضي به الذكريات في دار غربته الى مفاتن بغداد ونهرها ولياليها الحمراء ، وفراشات الربيع فيهـــا ، ورياضها ، وغصونها الخضر ، والى كل ملمح مـن ملامح الجمال فيها :

الوحدة النكراء تلهب خاطـــرى
وفراق احبـــابي ، وبعد الدار
وتشيع والدة ، وحسرة والـــد
يتلو التمـــائم خيفة النظــــار
طارت نفوسهم شعاعا ، حينمـــا
ازف الرحيل كفتية الغــــرار
وقفا لتوديعي ، وقد ريعـــا أسى
والثغر يضحك والدموع جوار ..

واذا كان الشاعر الناصرى قـــد احس بالغربة والوحدة في باريس ، فان غربته هذه هينة بالنسبة الى غربتـــه الكبرى في وطنه العراق ، وفي عاصمته بغداد . فقد كان صاحبنا المسكين يحس العذاب والالم ، ويكابد المعاناة شائعا في المجتمع العراقي ، وعلى الرغم من حنينه وهو في الغربة للوطن ، فانه لم يكذبنا أن يصف شعوره بالغربة والجراح في قلب بلاده ، فيقول من قصـــيدة « يا جحيم الهوى » المنشورة في مجلة الرسالة سنة ١٩٥٠ :

ان تنعمت في الحيـــاة بباريس
والهاك سحر لهوها المحبوب (١)
فانا في العراق ازرع عمـــرى
امنيـــات حصـــادهن ندوبى
وانا في العـــراق طير سجين
ملء الحـــانه عويل الكـروب
وانا في العراق اطوى جنـــا
حى على غربة وجـــرح خضيب

ولم يسلم شعر الناصرى على قوة أسره ، واشراق ديباجته ، وعمق خياله، واحكام نسجه من بعض المآخـــذ ، كاضطراب الوزن احيانا قليلة ـ وخاصة في البحر الخفيف ـ وكالاتهام بالسرقة .. وكتكرار الابيات وورودها عـــلى اكثر من قصيدة ، كانما قـــد استهلك عباراته فعاد يعلكها في قصائد اخرى . وهي مآخـــذ لا تغض قـــــدر انملة مـــن قيمة هـــذا الشـــاعر الوجـــداني الغـــزل الرقيـــق . . .

(١) في الشطر الثانى من هذا البيت اختلال في الوزن .

صالح الشرنوبي

شاعر الشك

كانت ولادة الشرنوبي فى اسرة لا تجعبها الحاجة، فقد ولد لاب كان يشتغل فى تجارة الاسماك ، وقد انجبه بعد عشر سنين من انجابه ابنه الاول شرنوبي فكان لذلك بشير فرح بعد طول ترقب وانتظار ومن هنا قرر والده أن يعلمه « العلم الشريف » على حد تعبيره وفهمه للازهر ، وليكون قربانا لله ازاء نعمته عليه بالانجاب مرة ثانية .

وقد نشأ الشرنوبي فى بيت يطل على ساحل بحيرة « البرلس » ، وكان الركن المخصص لشاعرنا فى الطابق الثالث منه ، حيث يطل على البحيرة من جهة ، كذلك على « برج حمام » اقيم فوق بعض المحلات التجارية التى يمتلكها والده .

كان والده معروفا بالشدة والصرامة ومع هذا كان تقيا ورعا ، بحيث تطالعك امارات الوقار على وجهه . وتشرك اباه فى ذلك والدة الشاعر التى تتصف بالشدة على الاسرة فلا تقبل اعوجاجا فى سلوك .

د.عبدالحى دياب

والحرمان

ويغلب على ظننا أن هذه النشأة الدينية ليست غريبة على البيئة المصرية لاسيما فى الاقاليم ، فهى تكمن فى نفس كل فرد ، ومن ثم فان تقديرنا لعبقريته الفنية يزداد بمعرفتنا لنشأته الاولى بين هاتيك التقاليد التى لا تتيح للفرد خروجا عليها الا فى قالب مثيا ٠

ومما هو جدير بالذكر ان نسب جده لوالده يرجع الى عبد الله محمد عبد اللطيف جحا سنجق مرى ، وقد جاء مع محمد على ونزل ببولاق الدكرور ، وكان عبدالله ملتزما ببحيرة البرلس ٠ كما ان جدته لوالده من الاتراك المتمصرين ، وكانت تتكلم التركية ، وتنطق العربية بلكنة غريبة ٠

بين رفض الحياة وتقبلها

وقد درج الشاعر فى « بلطيم » وكانت ، ولاتزال ، تتمتع بطبيعة ساحرة ، اذ تحيط بها المياه من كل جانب ، وقد شيدت مساكنها على ربوات عالية ، بحيث لا يطل المرء من مسكنه حتى يرى المياه او المزارع من النخيل والاشجار المثمرة وغيرها ٠

اما مناخ « بلطيم » فمتقلب بين الصحو والغمام ، والرياح هادئة متقلبة حتى لتصل فى بعض الاحيان الى حد العواصف الهوجاء ، والجو ممطر فى اكثر الاحيان ٠ ومن هنا كان الشرنوبى يتنزه فى مزارعها وعلى ساحل البحيرة ، او على شريط الدلتا بحيث يكون بحر « تيرة » ذو المياه العذبة على يمينه ، والمزارع الخضر من النخيل على يساره ، لاسيما وقت الاصيل ، او فى الليالى المقمرة ، ولطالما جلس على شريط الدلتا وهو

صالح شرنوبي

ماخوذ بجمال النخيل ، يتسمع الى حفيف سعف النخل ، على حين تداعب الريح وجناته ·

كما كان يجلس هناك على أعلى ربوة في « بلطيم » بجوار سيدى « فتح الاسمر » مطلا على مقابر المدينة وهي متدرجة في الرمال ، وعلى مد البصر توجد المزارع من الجهة البحرية ، والبحيرة من الجهة القبلية ، وكانت الجلسة تطول في بعض الايام حتى لتستغرق اليوم كله دون أن يتناول شيئا من الطعام – كما يقول أقرباؤه ومعاصروه في « بلطيم » – بل يكتفى عنه بالتأمل في الطبيعة التى تبدو من خلالها « بلطيم » كالعروس المجلوة ليلة زفافها · وكان يشعر في تلك الجلسة بالوحدة والانفصال عن عالم الناس ، وما أكثر ما أوحت اليه تلك المناظر المتعارضة المتناقضة بالقداسة المحاطة بالاسرار العميقة في النفس والشعور ، تلك القداسة التى نحسها ولا نحيط بها ، فتملأ الاعماق والشعور ، وتتحدى القوى وتسبر أغوار المظلمة في مكامن النفس ·

وقد أوحت اليه هذه المناظر أيضا بالتقلب بين رفض الحياة وتقبلها ، كما هو واضح في شعره ، مما أدى الى اهتزاز رؤيته الى الحياة ··

وقد غذى هذا التقلب في نفسه بعض المظاهر الشكلية التى لا تعدو أن تترك أثرا في نفس الطفل ، من ذلك أن والدته كانت تضع في أذنيه قرطا وتطيل شعره خوفا عليه من الحسد ، لانه جاءها بعد أن انقطعت عن الولادة عشر سنوات ·

وحينما كبر كانوا يطلقون عليه في القرية « يونس » على حين كان الاسم الحقيقى له هو « صالح » ·

ومما يذكر أن شاعرنا قد عانى أشد المعاناة وأقساها من الشيخ « على أبو دعلة » الذى تكفل بتعليمه القرآن في البيت ، وكان هذا الشيخ ضرير العينين والشعور ، لانه كان يضرب الشاعر – وهو المرهف الحس الرقيق – ضربا ينوء بمثله كبار الرياضيين وذلك ليقنع والد صالح بأنه يحلل ما يمنحه اياه من المكافأة على تعليمه اياه ، غير أن هذا المنطق قد تمرد عليه الطفل ، وكان تمرده في صورة الهرب من البيت حينما يأتى موعد مجيء الشيخ ، ويظلون يبحثون عنه في البلدة حتى يؤتى به قسرا واقتدارا · وكان الطفل يوسط عبد اللطيف « الدويك » الذى يعمل عند أبيه ، لدى أبى دعلة هذا

لئلا يضربه • وغالبا ما كانوا يعثرون عليه في هربه وهو جالس على اعلى ربوة في « بلطيم » بجوار سيدى « فتح الاسمر » ، وهو يتأمل الحيـــاة في الطبيعة ، ويتأمل في الوقت نفسه الموت، في خوف وفزع ، ممثلا في المقابر الماثلة امامه ••

ولم يقتصر هربه من الشيخ أبودعلة على « بلطيم » ، بل تجـــاوزه الى أن يخرج من « بلطيم » قاصــــدا المحلة مرات ومرات لدى أخواله •• ومع ذلك كله حفظ القرآن وهو دون العاشرة •• وفي الوقت نفسه ظهرت بوادرشاعريته في هذه الفترة العصيبة من حياته التي كان غذاؤه فيها الضرب من ابى دعلة والقسوة من والده واخيه الاكبر الذي صلبه يوما ما على جذع شجرة ، لانه رآه يلعب مع ابنة الجيران ، فأخذاله بمبدأ الوقار صلبه وضربه وذلك كما يقول طلعت الشرنوبي •

وفي هـــذه البيئة العملية ــ التي ينقضي اليوم فيها ما بين بيع وشراء ــ تصادق مع حلاق أسرته في « بلطيم » ويدعى محمـــد بيومي ، وكان هـــذا الحلاق زجالا ، وكان يكتب على لافتة « صالونه » (شاعر البرلس) ، ومـن هنـــا كان شاعرنا يألفه في حداثته ويقضي معه وقتا طويلا كل يوم ويستمع الى زجله ويعيه •

● قصيدة في رثاء اســمهان ●

وعلى اية حال فقد نفذ والده رغبته في أن يكون ابنه من علماء الازهر ، وذلك بادخاله معهد دسوق الديني مع طالب يكبره في السن والدراسة مـــن « بلطيم » ، وانتقل معه صـــالح الى القاهرة حينما انتهى ذلك الطالب مـن الحصول على شهادة الثانوية ، وقد حصــــل الشرنوبي على الشــــهادة الابتدائية في عام ١٩٣٩ ، وبعــد ذلك انتقل الى معهد طنطا الثانوي الديني في عام ١٩٤٤ حينما ادخل والده اخويه عبــد العزيز وطلعت المدارس ، وأرسل معهما والدتهما ، وظل معهما حتى عام١٩٤٧ ، حينما حصل على الثـــانوية الأزهرية من معهد طنطا •

وفي ١٥ يولية ١٩٤٤ حدث ، وهـــو يقضي الاجــــازة الصيفية ، أن ماتت المطربة اسمهان ، فرج هـــذا الحادث شاعرنا رجا ورثاها ــ وهو في العشرين من عمره ــ بقصيدة حاكى فيهـــا أبا القاسم الشابي •

ويبدو أن شاعرنا لم يكن يرغب في الانتقال الى طنطا نظرا لما حصل عليه من معارف انسانية وفكرية ، ونظرا لان رغباته ونزواته كانت تكفلها له القاهرة الواسعة العريضة أكثر من طنطـــا الضيقة الرحاب ، المتزمتة في التقاليد، غير أن رسوبه في الدراسة ، وانصرافه الى الشعر والادب ، واشتغاله بالسياسة •• كل هـــذه الامور مجتمعة جعلت والده يصر على نقله الى طنطا •

وقد ترتب على هذا ان تأزم الشاعر وانطوى على نفسه الى حد انه كـــان يغلق على نفسه حجرته ويمكث فيهــــا طويلا ، وفي الوقت نفسه كـــان توتره النفسي يعنف في بعض الاحيـــان وذلك عقب انشاده للشعر ، حتى ليخيل الى اهله أنه فقد السيطرة على قواه العقلية ، ولذا فقد عرضوه على طبيب الاسرة ، وهـــو طبيب عام لا صلة له بدراسة الامراض النفسية ، ولمـــا كان الطبيب

يعرف كثرة رسوب الشاعر فى دراساته الدينية ، ولما كان الشاعر أمامه قوى البنية مفتول العضلات ، فقد أشار عليهم بادخاله مستشفى الامراض العقلية ، وكان لابد للاسرة أن تنزل على رغبته ، أليس هو الصديق للأسرة قبل أن يكون طبيبها ؟

● ولكن .. الى اين ؟ ●

ويدخل الشاعر المستشفى ويمكث فيها ردحا من الزمن وهو أكثر ما يكون انطواء على نفسه ، الامر الذى جعل المسئولين يهتمون بصمته وانطوائه ، وما أن عرفوا طرفا من حياته ، وما أن أنشدهم الكثير من شعره ، حتى ثبت لهم أنه بكامل قواه العقلية ، ومن ثم اخرجوه ·

وقد ظل دخوله مستشفى الامراض العقلية عاملا من العوامل التى كانت تؤثر فى نفسه تأثيرا عميقا ، كما كان وسيلة لان يعيره بها بعض الشعراء والاصدقاء ، وذلك كما فعل عبد العليم خطاب حينما قال فى الشرنوبى :

وأحنى رأسه طوعا بسلطان الالاعيب
وقضى عمره ضيفا بمستشفى المجاذيب

وعلى أية حال فقد حصل الشاعر على شهادة الثانوية من معهد طنطا الدينى ، وتأهب لدخول كلية دار العلوم، لان أمنيته فى اتمام تعليمه فى المرحلة العالية كانت تتركز فيها ، وكان يقول فى هذا الصدد وهو لايزال فى المرحلة الثانوية : « الى دار العلوم شددت رحلى » · واجتاز امتحان مسابقتها التحريرى بنجاح مشرف ، غير أن التوفيق لم يصبه فى الامتحان الشفهى فى القرآن الكريم ، اذ قيض الله لآماله أن تتقوض على مذبح تعنت رئيس قسم الشريعة بها انذاك ، لانه ترصده فى حفظ القرآن ، وبجرة قلم وأد آمال شاعرنا ·

واضطر الشرنوبى حينذاك الى دخول كلية أصول الدين ، ومكث بها ما يقرب من سبعة أشهر ، غير أنه نفر منها ومن طريقة التعليم فيها ، ومن ثم رأى أنه لا يفلح فى هذا اللون من الدراسة ، وكان لابد من حل ، ولكن الى أين .. الى لا شيء ·

ويستقر فى مصر شهرا يبحث عن عمل ، ويظل يبحث حتى يجد العمل فى مدرسة « بلطيم » الابتدائية للبنات ، وذلك بوساطة عبد الحميد عبد الحق الوزير الاسبق ، ويرجع الشاعر الى « بلطيم » بلا أمل بعد أن خرج منها وهو مفعم بالامل ·

رجع الى « بلطيم » وفى نفسه استعداد للتصوف كبديل عن الآمال الضائعة التى ذهبت أدراج الرياح ، ولذا فنحن لا نستغرب من شاعرنا أن تعتريه نوبة تصوف عارمة ــ وهو يقوم بالتدريس ــ جعلته يعفى لحيته ويتوب الى الله ، وفى هذا الصدد يكتب قصيدة نثرية يبتهل فيها الى الله :

اللهم انى تبت اليك من ذنوب انت تعلمها وقدرتها فكانت ..

وانا اعلمها ولم اقدرها وكانت ..

صالح شرنوبي

وفى هذه الفترة كان يؤذن للناس بصوته الرخيم فى صلاة الفجر ، ويؤمهم فى الصلاة حتى التف حوله الناس

ذهب الصدق والصديق

ويحدثنا عبد المقتدر خطاب ابن خالة الشاعر وزميله أن «صالح» قد وصله فى هذه الاثناء خطاب من الشاعر صالح جودت الذى أبى أن يدفن الشاعر حيا فى « بلطيم » وطلب من شاعرنا أن يرسل له أغنية من شعره لتغنيها له « لورد كاش » فارسل له قصيدته « من أحلام الصيف » والتى يقول فيها :

خطرت كالنسمة السكرى بانواء الصباح
فكرة من فكر الحسن تجلت فى وشاح
عبقرى النسج رفاف كاحلام الملاح

وما أن وصله هذا الخطاب من صديقه صالح جودت حتى غير رأيه فى أمر عزلته ، وحضر الى القاهرة .

وقد مد له صالح جودت يد المساعدة ، وذلك باذاعته لشعره فى البرنامج الذى كان يقدمه فى الاذاعة وهو برنامج « براعم الشعر » ، كما قدمه لكثير من الشعراء والادباء وغيرهم ، وكما حرضه على حلق لحيته ، فاستجاب .

وبعد أن عاش فى القاهرة ، وهو اقرب الى الاعتدال منه الى الاضطراب النفسى والتوتر العصبى اللذين يظهران فى تصرفاته وسلوكه فيما بعد ، بعد أن عاش فى القاهرة أراد أن يتزوج ، واختار للزواج احدى قريباته ، غير أن أهلها لم يوافقوا على زواجه .

ومعنى هذا أننا أمام مرحلة جديدة ، خرج فيها شاعرنا من ربقة التصوف ، وتزلزلت قيمه ، وهام على وجهه فى المنتديات الادبية والملاهى وغيرها ، وأفرط فى أسباب اللهو وغيره وظل هذا الجرح داميا يحز فى نفسه ، وراح يتخيل انسانة تحبه وتعطف عليه فى قصيدته « قلب بلا حب » التى اهداها الى حوائه التى خلقها من أوهامه ويقول فى مطلعها :

تعالى يابنة الأحلام يا مجهولة الذات
تعالى يا ضياء لم ينور افق ليلاتى

تعـــالى يا رحيقـــا لم يزل يروى خيـــالاتى
تعـــالى نجمع المـــاضى الـــذى راح الى الآتى
تعـــالى يا غراما تاه فى دنيـــا الصبابات

وابتلعت القـــاهرة شاعرنا فيمن ابتلعت حينذاك من فنانين أصلاء أنقياء الضمير الحي ، والاحساس المرهف ، وأخذ يتردد على أصدقائه ، يستضيفه هذا ويأويه ذاك ، وحينئذ منع عنـــه والده النقود ليرغمه على الرجوع الى « بلطيم » وترك حيـــاته الجديدة ، وليتوب عما اقترف من آثام فى سبيل ايثاره نزعاته ومواهبه الفنية على رغبة والده فى أن يكون عالما هاديا للناس ·

وغدا صـــالح الشرنوبى يفكر فى مصيره ، لان استضافة أصدقائه لايمكن أن تكون دائمة ، بل ان بعضهم أصبح يتنكر له فى محنته ، ومن هنـــا نراه يقول فى قصيدته « الصديق » :

ذهب الصدق والصديق فدنيا النا　　　س دنيا الذئاب والأغنـــام

ومعنى هـــذا أن شاعرنا قد خسر أصدقاءه فى الوقت الذى خسر فيـــه أهله ، وأصـــبح يعيش يومه وليلته فحسب وتزلزلت قيمه ، وغدت حياته جحيما يتلظى ·

وعلى الرغم ممـــا كان يعـــانيه شاعرنا ، فانه لم ينزل بشـــعره الى حضيض التكسب به كمـــا كان يفعل الأغلب الأعم من شعرائنا ، ومن ثم حـــاول بعض أصدقائه وهو الاستاذ فريد منمى أن يغريه بالعمل مدرســـا للغة العربيـــة بمدرسة جمعية القديس جرجس ، وحـــدد له المرتب وهو ١٠ جنيهات ، واستلم صـــالح عمله فى المدرسة ، وفى هذه الفترة كان شاعرنا ملتحيـــا ، اذ عاد الى شنشنته الاولى وهى التصوف واعفاء اللحية ، ولكنه فصل منها لتأخره عن مواعيد العمل التى تحكم المدارس بها على المدرس ·

فصل بعد شهور تعد على أصـــابع اليد الواحـــدة · ورجع الشاعر الى الضياع والتشرد · حيث طردته صاحبة البيت الذى كان يسكن فى احـــدى حجراته المتواضعة على السطوح ·

وخرج الشرنوبى من الحجرة التى أنشد فيها قصيدته المشهورة « الغرفة المهجورة » ، والتى يقول فيها :

أراقت عليهـــا معاني الفناء ظلال السكون الحزين الرهيب
ولفت معالمهـــا ظلمـــة بصارعهـــا النور حتى يغيب
يكاد الظلام اذا جاءهـــا يفر فـــان همهمت لا يجيب
تفـــزعه دونهـــا وحشة مطلسمة كالشـــعاع الغريب
وتعول في صمتهـــا الذكريات فيفرق منهـــا الوجود الكئيب

وفي هذه الهجرة أيضا ذرف دموعه في قصيدته « من دموعي » .

عـــلى افقى ســـحابات وفي نفسي اعاصـــير
تهـــارى التـــائه الحيرا ن تقـــدير وتدبيـــر
وليلى الشـــارد اليقظـــا ن اوهـــام وتفكيـــر

● قصيدة عيد ميلاده ●

ويلتجىء الشاعر الى مغارة في المقطم يعيش فيها ، وفي هذه المغارة سجل لنـــا الشرنوبي احساسه الثوري في قصـــيدة تحت عنوان « على ضفاف الجحيم » ، وقد قدم لها الشاعر بقوله : « اليك ياقاهرة ·· الى اضوائك القاسية

التي طالما عذبت عيني ، وأنا قابع هناك في الجبل المضياف ، بصخوره الحانية، وكلابه العاوية ، وصمته الكئيب ·· ثم الى هؤلاء المترفين الكسالى ·· الذين ينكرون على ايماني بالألم ، وعبادتي للدموع ، واخلاصي للأحزان » ، ويقول في مطلعها :

انى هنـــا ايتها المدينـــة الحـــرة الفـــاجرة المجنونة
احبس في جفني الرؤى السجينه والأدمع الوالهـــة السخينه
انى هنـــا أغربل السـكينه وأزرع الخـــواطر الحزينـــه
مله ضفاف الوحـــدة المسكينه وفي يدى فجـــر ستعبدينه
يوم تزول الوحـــدة الملعونه

وفي هذه الاثناء يحاول أن يدخل دار العلوم مرة ثانية ، لانها تمنح طلابها وجبة غداء بالاضافة الى ثلاثة جنيهات كل شهر والكتب والمراجع ، لكنه يخفق في دخولها مثل المرة الاولى ، فيلتحق بكلية الشريعة ، ولا يستطيع البقـــاء فيها شهورا تعد على الاصابع ويظل في المغارة حتى ذاع التجاؤه بهـــا في الاوساط الفنية والادبية ، وحينئذ سعى اليه الاستاذ ابراهيم السيد الفنـــان وأرغمه على أن ينتقل معه الى سكنه وهو « بدروم » في شارع البهاء زهير، وفي هذه الفترة أصيب بأزمة الشك في كل شيء ، وعبر عنها في شعره كثيرا .

وفي قصيدة « السراب الخـــالد » يتساءل عن حقيقة وجوده ونهايته ، وحقيقة الحياة وما وراءها ، وما غاية الدهر الى آخر ما ينم عن الحيـــرة والقلق والشكوك التي تعصر قلبه وعقله معا :

من انا ؟ من اكون ؟ ما بدء وجودي؟متى تكون النهـــــاية ؟
ما وراء الحياة ؟ ما غاية الدهر ؟ وما كان قبل بدء الـــرواية ؟

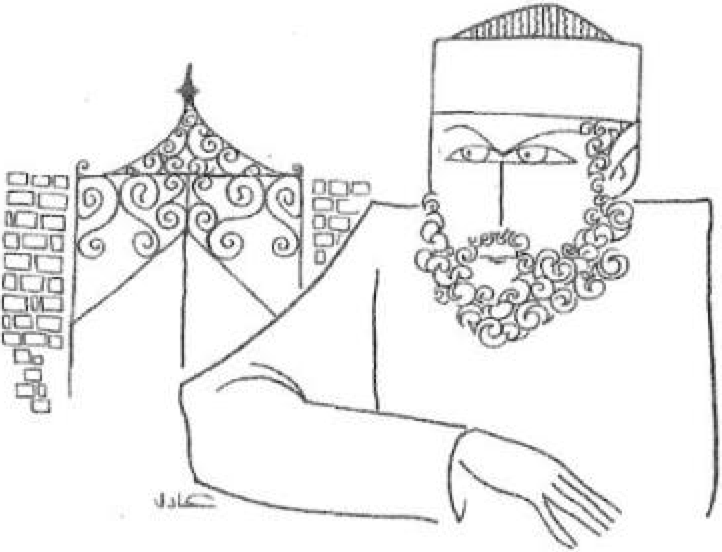
صالح شرنوبي

كان من اوجد الورى من تراب وله في الوجــــــود اعظم اية
ثم ماذا ؟ صمت ·· وعي ·· وعجز ·· وظلام ·· وحيرة ·· وعماية
وشكوك تعب ايام عمري وتريني ضلالتي كهـــــــــدايه
ومقادير تستحث خطانا وهي تجري بنا الى غيـــــــر غايه

ويحس أن وجوده غلطة فات ميعاد تداركها ، واخذ احساسه بالموت يتجسد في نفسه ، وان حياته مثل الليــــل الدميم الرؤى :

فما اظن الارض تحـــوى فتى وجوده قد كان احدى الكبـــر
مثـــل فتى يدعونه شـــاعرا وما بغير الموت يوما شـــعر
حيـــاته ليـــل دميم الرؤى مروع الاشــباح كابي الصور

ثم يدركه عيـــد ميلاده الخامس والعشرون ، فكان لابد أن يكون باعثــا لشاعريته ولابد أن يحتفل به ، فماذا أعد له ؟ لقــد اعد له قصيدة تموج



بالكآبة والحسرة ، لانه يصور فيهـا حياته ويطلب من الله أن يريحه من عناء الدنيـا ، لان راحته فى موته ، ومطلع القصيدة :

خمس وعشرون عـــاما — مرت ســـحابا جهـــاما
فمـــا زرعن صـــفاء — ولا حصـــدن ســـلاما
ومـــا زرعن سوى البـأ — س ناشرا بســـاما
ولا حصدن سوى العـــ — ـــر انجمـــا لقرامى

ويقول فيها كذلك :

سئمت ذاتي وظلي وصبوتي والغراما
وصار أقصى أماني ان اذوق الحمـاما
وبات عيشي على الارض محنة وغراما
سئمت حتى التمني والدمع والابتساما
والحسن والعـاشقيه والزهر والانساما
والشعر والفكر والفن والهوى والهياما
والليل يشبه حظي والنور يحكي الظلاما

● شـــــــارد فى ضوء القمر ●

وما ان عرف كامل الشناوى قصته حتى عينه فى جريدة الاهرام مصححا ، وانتقل الشرنوبى من مسكنه الى حجرة فى حارة فى الفجالة كان يسكن فيهـا قبله جمال رسلان موسيقى من سوريا .. وتبسمت له الحيـــاة نوعا من الابتسام ، أو ان شئت فقل انه وجد ضرورات الحياة ، وحينمـا استقر به المقام فى الاهرام شعر برغبة جامحة فى السفر الى « بلطيم » وأخبر ابراهيم السيد حينما التقى به فى اليوم الذى سافر فيه فى قهوة « ركس » انه مسافر الى « بلطيم » ومعه احساس غريب انه لن يعود ..

وتوجه الشاعر الى « بلطيم » يحدوه أمل غريب فى أن يلتقى بأهله الذين لم يروه طوال ثلاثة أعوام ، والـــذين ارسلوا اليه ليقضى العيد الكبير معهم ، لان اخاه شرنوبى فى « بلطيم » .

ووصل الى « بلطيم » ورحبت به والدته واخوته ، وخرج صالح ـ بقصد التنزه ـ الى المزارع ، وسار حتى وصل الى شريط « الدلتا » ، وجلس هناك فى ضوء القمر على الشريط شاردا ، حتى وصل القطار حوالى الثامنة مســـاء فدهمه فقضى عليه ، اذ أصيب بكسر فى الجمجمة ونزيف داخلى وكســـور فى رجليه ، لانهما ظلتا على شريط القطار ـ كما يقول تقرير الطبيب الشرعى ـ وظل على هذا الحال حتى الصباح .

وخرجت « بلطيم » فى يوم ١٧ من سبتمبر ١٩٥١ تشيع أعز أبنائها الى مثواه الاخير ، وقد كتب على قبره : شهيد الشعر والشباب .

وهكذا انتهت حياة الشاعر ، تلك الحياة التى تعد دراما غنائية خاطفة ، والتى لم يلق فيها من الناس حانيا ، بل كان كل ما وجده فيها هو الجحيم والحرمان .

وعلى الرغم من صغر سنه ـ ٢٧ عاما ـ فقد خلف ما يربو على خمسة الاف بيت من الشـــعر ، اكثرها جيد ، وذلك عـــدا بعض المحـــاولات التمثيلية والنثر الشـــعرى ....

من اضخم التجارب التى نكابدها فى حياتنا الانسانية ، تجربة الموت ، ومن العجيب اننا نعانيها قبل ان نمر بها ، او نعرفها ، لكننا مع ذلك موقنون كل اليقين انها الحقيقة المؤكدة فى هذه الدنيا ، حتى لقد اعتبرها بعض الفلاسفة جزءا من الحياة لانهم يرون « ان ليس خارج الحياة شىء ، فالحياة هى الكل »(١) ومما يؤكد ذلك صرخة الفيلسوف الالمانى « نيتشه » « خوار ان تقول ان الموت مضاد للحياة » وقول الفيلسوف الالمانى « زمل » « ان الحياة تقتضى بطبيعتها الموت ، بحسبانه هذا الشىء الاخر الذى بالنسبة اليه تصير شيئا ، والذى بدونه لن يكون لهذا الشىء معناه وصورته » (٢) . والمتدينون يرون ان الموت نهاية كل حى وان « كل نفس ذائقة الموت » .

---

(١) د . عبد الرحمن بدوى — الموت والعبقرية ص ١٨

(٢) المصدر السابق .

◆ ومن هنا يجىء الاحساس الحاد الذى يعترى بعض الناس حيال فكرة الموت ، فهو يتحول عندهم من اشكال عام ، الى مشكلة شخصية تؤرق حياتهم ، وتصادر امنهم ، وتطاردهم بالعذاب والعناء فى كل لحظات حياتهم ، ولعل الادباء والمفكرين من أشد الناس احساسا بتجربة الموت وما يثور حولها وما يرتبط بها .

ولقد ارتبط الموت بالعبقرية وبالحب وبالحرية . وللفلاسفة عامة وللوجوديين منهم بصورة خاصة مباحث خصبة حول هذه القضايا ، ليست مجال بحثنا ، ولكننا نلاحظ هنا ملاحظة عامة وهى أن العباقرة والافذاذ الذين رحلوا فى الشباب أحسوا تجربة الموت احساسا حادا ، وارتبطت هذه التجربة بعبقريتهم وسلوكهم ، وتوهجوا بصورة غير عادية ثم انطفأت شعلتهم سريعا ... ولعل أبناء المدرسة الرومانسية فى الادب الاوربى يمدوننا بالدليل على هذه الملاحظة . فالشعراء « كيتس » و « شلى » و « بيرون » وهم عباقرة الشعر الرومانسى قد ماتوا فى فجر الشباب . الاول مات ولم يتجاوز السنة والعشرين ربيعا والثانى مات وسنه ثلاثون عاما . اما بيرون فقد تجاوز الثلاثين بستة اعوام . وتصدق هذه الظاهرة أيضا على أدبنا العربى . فقد لمعت فى سماء الادب العربى شعلات مضيئات توهجت ثم انطفأت سريعا . ورحل أصحابها قبل الاوان ...

المنتحران

عبد العزيز الدسوقي

وسأتناول فى هذا المجال حياة بعض هؤلاء الذين صوحت الاعاصير بغض حياتهم فى ربيع العمر ومطلع الشباب ·

اثنان منهم وضعا حدا لحداتهما بالانتحار هما اسماعيل أدهم واحمد العاصى ·

المنتحر فى الاسكندرية ..

اما أول المنتحرين فهو الباحث الناقد اسماعيل احمد أدهم ، وهو من أعمق الباحثين الذين ظهروا فى الثلاثينات من هذا القرن ، وتميزت دراساته الادبية والفكرية بالتزام منهج علمى دقيق وتمحيص المعلومات والوصول الى الحقائق من خلال هذا المنهج · الى جانب ذوقه المرهف ، وحسه النابض وادراكه الواعى ، وثقافته الموسوعية الغزيرة ·

ولقد اهتم بالادب المعاصر وكتب عدة كتب قيمة لاتزال المصادر الاولى فى بابها · منها كتابه عن « توفيق الحكيم » وكتابه عن « خليل مطران » وكتابه عن « الزهاوى » وكتابه عن « أبو شادى » و « طه حسين » وقد فتحت بعض هذه الدراسات مجالات جديدة أمام الدارسين والباحثين وخاصة دراسته عن « توفيق الحكيم » التى كتبها فى عام ١٩٣٨ ثم نشرت بعد ذلك فى كتاب فى عام ١٩٤٥ بعد ان اضاف اليها الدكتور ابراهيم ناجى جزءا آخر عن اعمال توفيق الحكيم ، التى لم يتناولها « ادهم » ·

وقد جاء فى مقدمة هذه الدراسة : « وانى لآمل أن تكون دراستى هذه مع ما أنشره من دراسات فى الادب العربى سببا لتوجيه الادب العربى بعض التوجيه نحو « الموضوعية » فى البحث وذلك نتيجة لاسلوب بحثها العلمى ووسائل درسها التحليلى ، كما وانى أرجو أن تكون دراساتى هذه ، مقدمة لاهتمام زملائى الجامعيين فى أوربا وامريكا من المستشرقين والمستعربين ، بالادب العربى المعاصر واعلامه ، فيتولونه بالدرس الذى يتفق وما له من المميزات التى تجعل له مكانا بين آداب الامم (١) » وهى بالفعل دراسة علمية دقيقة ذات منهج سليم وتتميز بكثير من الاجتهادات الذكية التى تدل على قدرة

---

(١) توفيق الحكيم ص ١٣

والراحلون في الريعان

ادهم الفنية والعلمية • وقدانتهب معظم الذين كتبوا عن توفيق الحكيم هــذه الدراسة ولم يشـيروا الى اسماعيل ادهم • والذين اشاروا اليه فعلوا ذلك فى ابتسار لا يتفق مع حجم الفائدة التى اخفروها من كتابه •

حياة غامضة مثيرة ..

ولكن يبدو أن « اسماعيل ادهم » قد صادف فى حيـاته الغامضة المثيرة ، احداثا كثيرة ، وعقبات متعددة جعلته يتخذ هذا القرار الخطير ويقـدم على الانتحار ، على الرغم من قيمته العلمية ومنزلته الادبية • وقد حاولت منــذ اعوام طويلة أن اجمع كل ما يتصــل بشـخصية ادهم حتى اعرف الظروف النفسية التى كان يعيش فى ظلالهــا والبواعث التى كانت وراء عمليــة انتحاره • فوقفت اولا على سيرة حياته

فهو « اسماعيل احمـــد اسماعيل ابراهيم ادهم » ولـد بالاسكندرية فى عام ١٩١١ وظلت حياته هادئة حتى عام ١٩٣٦ ، وقد بدأ ينشر موجزا لحياته يقول فيه : انه عالم فى الرياضيات ، مشارك فى الادب والتاريخ • وانه من أصل تركى وأمه المانية ، وقد اكمــل تعليمـه فى القسطنطينية وروســيا • وحصل على الدكتوراه فى العلوم من جامعة موســكو فى عام ١٩٣١ وعين مدرسا للرياضيات فى جامعة « ســان بطرسبرج » وانتخب عضوا فىاكاديمية العلوم السوفيتية • ثم صار وكيــلا للمعهد الروسى للدراسات الاســلامية وقد عاد الى مصر وشارك فى الحياة الادبية والفكرية منذ عودته فى عــام ١٩٣٦ •

المنتحران

وقد التقيت ببعض الادباء الـــذين كانت لهم صلة بادهم فاكدوا لى حينذاك أن كل هذه المعلومات التى نشرها ادهم عن نفسه لا اساس لهــا • وانما هى احــلام يقظة وانه فلاح مصرى وأمه مصرية ولا علاقة لها بالالمان وانه لم يغادر القاهرة طوال حياته •

وقال لى آخرون انه فعلا كما يقول مع بعض التغييرات الطفيفة فى سيرة حياته •

ولما سالت المرحوم « احمـــد حسن الزيات » عن حقيقـة اسماعيل ادهم ، ابتسم ولم يجب •

فقلت له : لقد كانكاتبا كبيرا وانتحر فى عام ١٩٤٠ وصاحب الرسالة لايمكن أن يمر عليه هذا الحادث الكبير دون أن يعرف عنه شيئا فقال لى الزيات : ياولدى : « اسماعيل ادهم كان شابا متحررا درس فى روسيا • وكان له اخ فى معهد الاسكندرية الدينى اقرب الى التصوف ، فكان يكره اخاه • ويعتقد فيه الالحاد ، فضـايقه وأغرى به « الغوغاء » فى الاسكندرية • ورفع عليه كثيرا من القضايا يتهمهفيها بالالحاد •



هاشم الرفاعي

واذكر أن النيـــابة سألتنى مرة عن المقـــالات التى كان ينشرها ادهم فى الرسالة • وقد كان رحمه الله فقيـــرا يعيش على قلمه ، وقليلا ما كان يجدى هذا ، كما كان يعتمد على ايجار منزل صغير فى الاسكندرية ، وقد أصيب هذا المنزل بقنبلة دمرته فاجتمع عليه ضيق الحال ، واضطهاد اخيه ورمى بنفسه فى البحر • وفهمت من كلام المرحوم الزيات ان ادهم بالفعل عالم واديب ، وانه تعلم فى روسيا وعلم فيهـــا فترة من الزمان وانه صادف من الاضطهاد ما جعله يقدم على الانتحار •

ومن الممكن أن يكون هـــذا تفسيرا معقولا لاقدام « اسماعيل ادهم » علـى الانتحار • فهـذه الشخصيات القلقة المتمردة من الممكن أن تقدم على هـــذا العمل اذا ما صادفتها عقبات فى الحياة ••• ولقد كان ادهم شخصية من تلـك الشخصيات المتمردة المتحررة • وكانت آراؤه مثيرة للنزاع والجدل • وكـــان يعتنق مجموعة من الاراء التى تخـــالف اتجاه الراى العام حينذاك • والاهم من هذا أن آراءه فى العقيدة الدينية كانت جريئة تصل فى بعض الاحيـــان الى الخروج على الدين • وقد كتب كتـــابا بعنوان « لماذا انا ملحد » يبرر فيه هذه الآراء الشاذة • ولعل هذا الكتاب هو الـذى اثار عليه العواصف وجلب له المتاعب والمحاكمات وجعلت اخاه يرفع عليه القضية تلو الاخرى •

ولـكن هل تكفى هـــذه المضايقات والمتاعب المالية وحدها لان تجعله يقدم على هذا القرار الخطير ، ويلقى بنفسه فى أعماق البحر الابيض المتوسط • فى الثالث والعشرين من يولية سنة ١٩٤٠ قبل أن يصل الى الثلاثين ؟•

أرجو أن نعـــود الى دراسة تلك البواعث ونتقصى تلك الاسباب حينمـــا تتاح معرفة الحقائق التى تحيط بتلـك الشخصيات الادبية ولكن مع ذلك سيظل اسم « اسماعيل احمد ادهم » يتردد فى تاريخ الادب العربى ، فقد ترك تراثا عميقا فى مجالات متعددة ، فالى جانب دراساته الادبية التى اشرنا اليها كتب كتابا بعنوان « من مصادر التـــاريخ الاسلامى » وكـــتابا آخر عن « علم الانساب العربية » وكتابا عن « حـرية الراى » •

وكلهـــا دراسات تتسم بالعمـــق والموضوعية والمنهج العلمى الدقيق لفتت اليه كثيرا من الانظار ، ولاتزال تلهم الدارسين • وتفيد الباحثين •

احمد العاصى ••

أما ثانى المنتحرين • فهو الشـاعر الوجدانى الرقيق « احمـــد العاصى » سطع هو الآخر فى حياتنا الادبية والفنية ثم انطفأ قبل الاوان وقد كانت اشعاره من معدن ذلك الشعر الوجدانى الـذى

اشاعته جماعة أبولو فى الثلاثينات وقبل ذلك بقليل .

غير أنه كان شعرا شديد الحزن والتشاؤم ينبض بالحرارة والصدق وقد أصدر فى عام ١٩٢٧ ديوانا بعنوان « ديوان العاصى » صدره « شوقى » بقصيدة من روائع شعره ، وقد لاحظ شوقى ما يضج به شعره من الشكوى والحزن والانين فقال له :

ولتعلمن اذا الثون تطاولت
أن التشكى كان قبل أوانه

وكان العاصى طالبا بكلية الطب فهجرها الى كلية الآداب فى عام ١٩٣٦ لضعف أعصابه ونفوره من مشاهدة مناظر التشريح ، ويصفه استاذه المرحوم الدكتور « زكى مبارك » بأنه « شاب قصير خافت الصوت يخاطبك كأنه يناجيك عيناه مثقلتان بالتعب والخمود وكان يحضر الدرس بقلب غائب وفكر عازب لا هم له الا قرض الشعر » .

وكان العاصى شديد الاحساس بالموت ودنو الاجل . وكان مرهفا يبكى لاقل بادرة من زميل أو معاتبة من صديق . وتخرج فى كلية الآداب فى عام ١٩٣٠ ثم عين فى مكتبة الجامعة .
ثم انتحر بعد ذلك بقليل ...

وكانت قصة انتحاره مثيرة فقد سكب على جسمه كمية كبيرة من مادة كاوية وصلت الى قلبه . ووجد رجال البوليس الى جانب مقعده رسالة بالانجليزية مغلقة كتب على مظروفها : « الى من يهمهم أمرى » وقد وجد رجال البوليس فيها هذه العبارات :

« جبان من يكره الموت . جبان من لا يرحب بهذا الملاك الطاهر . اننى استعذب الموت الذى هو كالرائحة الزكية عندى »

أحمد العاصى – ليسانسيه فى الآداب

***

ولقد ظلت قصة انتحار العاصى تتردد فى الصحف والمجلات فترة طويلة ، حتى لقد نشرت مجلة الصباح محضر التحقيق كاملا ونشرت حوارا دار بينه وبين خادمته القروية الصغيرة جاء فيه :

« انت أسعد منى يا فاطمة فى هذه الحياة

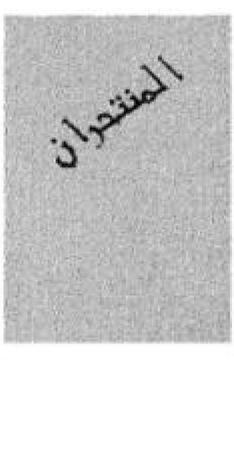
– وليه بقى ياسيدى ؟

– لان لك أهلا يحوطونك بالرعاية ، اما انا فلا اهل لى

– بعيد الشر يا سيدى . واهلك جرى فيهم أيه ؟

– انا خلقت من غير أهل يا فاطمة. وفى رأيى ان الموت هو اشهى ثمرة يقتطفها كل راغب فى السعادة »

ومن هذا الحوار والعبارات التى تركها العاصى فى رسالته .. ومن



قصائده يتبين لنا انه كان يستعذب الالم والموت على طريقة الرومانسيين الذين أصيبوا بمرض العصر ... وظل هذا الاحساس يتجمد حتى وضع حدا لحياته قبل أن يصل الى الثلاثين .

الراحلون فى الريعان ..

وهناك ادباء آخرون غادروا دنيانا فى ريعان الشباب منهم « محمد رشاد راضى » وقد كان شاعرا من انضج شعراء الوجدان وهو لم ينتحر كزميليه ادهم والعناصى ; ولكنه كان يحس بغروب الحياة ، وعبث الدنيا ، والضجر والملل . ويبدو أنه فشل فى تجربة حبه فكتب فى مؤخرة ديوانه « مقابر الفجر » .. يقول « برمت بالحياة واتعبنى الفكر حتى صرت أسخر بوجودى وانى لاحمل يدى حملا على الكتابة والقلم يكاد يتملكه الاغماء فى هذه اليد ... انى عشقت واحببت لفظا ومعنى فصبيت... ثم دفن هذا الهوى فتصرمت ... لذلك أسميت ديوانى مقابر الفجر رمزا الى نهايتى فى ريعان صباى » .

وقد تحقق حلمه فى الموت فمات قبل الاوان وترك لنا ديوان مقابر الفجر . وهو نفثات حارة حزينة شاكية يحلق فيها مع « الشاعر والزمان ص ١٢ » و « الشاعروالمرآة ص ١٣ » و « الشاعر والربيع » و « الشاعر والحياة » ويمضى الى الشاطىء المجهول وتتبدد الحانه فى « نغماتى الضائعة ص ٨٥ » ويبكى فى « المساء » ص ٢٢١ مع « اكفان الذكرى » ص ١١٠

والشاعر يحس أنه يكتب بدمه يقول فى قصيدته (ادبى) ص ١٠ من مقابر الفجر :

هذا دمى العذب منقوش على كبدى
ما ذاك شعر ولا قرطاسه ورق
أتاك اليه وزن ما فيه من شجن
تشم ريحة قلبى وهو يحترق

ونحن نحس بالفعل رائحة احتراق قلب الشاعر وعواطفه وأحلامه من خلال صرخاته التى تتردد فى ديوانه « مقابر الفجر » ونشعر بالضياع وهو يردد فى قصيدته « نغماتى الضائعة » :

هذه الالحان كانت
فى فؤادى يا حبيبى
كم تسمعت صداها
فى فم الفجر الطروب
وسمعت الطير يشدو
بعضها عند الغروب
وكان الليل يسقيها
غناء للغريب

وفى قصيدته « الشاعر والزمان » نحس أنه يشير الى تجربة حبه فيقول :

أيا طائرا طائرا من يدى
ظلام الالوهة يا معبدى
ويا سلواتى ويا ادمعى
وحسرة امسى ودنيا غدى
تصيدت من مقلتيك الزما
ن ابيض فى افق أسود

وقد كان يحس بنهايته ودنو اجله يقول فى قصيدته « الكاس الأولى » :

العمر يمضى مثل خفق الشعاع
وفى لقاء العيش نفس الوداع
فانهب ليالى عمرنا انه
لا تشترى ايامه أو تباع

ويقول فى قصيدته « اكفان الذكرى »:

لما فقدت عزيزتى
وحييت فى الدنيا وحيدا
عفت الوجود لأنها
كانت لدى هى الوجودا

ورحل الشاعر عن الوجود بعد أن أهدى ديوانه الى :

« الليالي السود ... الى الجسد المنكود ... الى مهجعي الخالي من عصفورته... الى عنادل وحدتي الواهي ... الى دموع خريفي المجدب ... الى الله في صورته قربان تكفير وندم » .

هاشم الرفاعي ..

أما الشاعر الراحل في أول الشباب هاشم الرفاعي فقد كانت مأساته أليمة تحرق النفوس وتلهب القلوب فقد امتدت اليه يد أثيمة طعنته طعنة قاتلة ، فقد على أثرها حياته في الثاني من يوليه سنة ١٩٥٩ وهو في الرابعة والعشرين من عمره (ولد في عام ١٩٣٥) وقد تألقت موهبته الشعرية قبل الأوان فقد كان يهدر بالشعر الثوري والشعر القومي وهو طالب في معهد الزقازيق ثم وهو طالب في دار العلوم ...

وقد كان يحس نهايته ودنو أجله ... نلمح هذا في شعره ، حتى وهو في أسعد اللحظات ففي قصيدته « بسمة الحياة » يخاطب حبيبته بقوله :

على شط من الألحان والأزهار والعطر
بروض الحب والأنغام والاخلاص والطهر
تعالى نقطع الايام في حلم على النهر
نرى الدنيا وقد فاضت أفانين من السحر

ثم يقول :

قريبا تظلم الدنيا وتمضي بهجة العمر

ولكرة اظلام الدنيا وافول الحياة ، ونهاية الاشياء كانت تسيطر على هاشم الرفاعي بصورة لافتة للنظر ، حتى وهو كتب عن أيام الطفولة يقول :

المنتحران

هي الايام لا تبقي عزيزا
وساعات السرور بها قليلة
اذا نشر الضياء عليك نجم
وأشرق ، فارتقب يوما أفوله

وكتب مطولة رائعة يتناول فيها أحد شهداء القومية العربية بعنوان « رسالة في ليلة التنفيذ » ومن العجيب أن الشاعر سجل نهايته الأليمة على لسان الشهيد وكأنه كان يقرأ كتاب الغيب قال:

أبتاه ماذا قد يخط بناني
والحبل والجلاد ينتظران
لم تبق الا ليلة أحيا بها
وأحس أن ظلامها أكفاني
الليل من حولي هدوء قاتل
والذكريات تمور في وجداني

***

هذا دمي سيسيل يجري مطفئا
ما ثار في جنبي من نيران
وفؤادي الموار في نبضاته
سيكف في غده عن الخفقان

***

وسال دم هاشم الرفاعي بالفعل بعد



د. اسماعيل ادهم

أن سدد اليه الجاني طعنة قاتلة وترك لدنيا الشعر شفقا عذبا حزينا ·

محمد ابراهيم نجا ..

وهناك شاعر آخر مات في الشباب هو الشاعر محمد ابراهيم نجا ، وهو من تلك السلالة الحزينة سلالة الشعراء الوجدانيين المعذبي الطموح ، الذين تصارعهم الحياة فيشعرون بالاسى والحزن ويهربون الى الطبيعة والحب ويتمنون الموت حتى يريحهم من الامهم وقد تخرج في كلية اللغة العربيـة واشتغل بالتدريس وفاز ديوانه « حياتي ظلال » في عام ١٩٥١ بالجائزة الاولى في الشعر من مجمع اللغة العربية وفاز بلقب المعلم المثالي ، وكان يكتب المقالات الادبية والقصص القصيرة والبرامج الغنائية ، الا انه ظل على الرغم من كل هذا حزينا يحس الوحشة والغربة وهو بين الناس ، ويشعر ان حياته « ظلال ضائعة » وان أيام عمره قليلة ، وفي شعره الرقيق العذب روح درامية اكتسبها من كتابته البرامج الاذاعية ، وان كانت لم تخرجه عن غنائيته الشجية · وفيه ايضا روح من الرضا والتسليم تلطف من رقته وحرارته وكأنه يعرف طبائع الاشياء ، يقول في قصيدته « مادمت أنت معي » من ديوانه «أيام من عمري»:

كنا معا طفلين لاندري الهوى
الا حنينـــا مبهم الاصداء
ومضى الزمان بنا بصوغ شبابنا
في قدرة وبراعة وخفــــاء
حتى انتفضت على صبابة ادم
وافقت انت على هوى حواء
فعرفت ان الحب اشعل في دمي
لهبا ، وشب النار في احنائي
وسألتني عــن سره ببراءة
فأجبت : تلك طبيعة الاشياء

وفي قصيدته « وبقيت وحـــدي » يصور مشهده الاخير بقوله :

ياويح قلبي حين يقبل في غد شبح الفناء
وانا المعذب في الحياة اظل ارغب في البقاء
لكن اذا نزل القضاء فلا مفر من القضاء
هذا انا ··· نعش يسير مشيعا بالاصدقاء
هذا انا جسد يعود الى الثرى من حيث جاء
هذا مصيري بل مصير الناس من قبلي وبعدي
فعلام اجزع ان تخطفني الردى وبقيت وحدي

ورحل الشاعر في الشباب وشيعه الاهل والاصدقاء ، وعاد جسده الى الثرى من حيث جاء ولكن انغامه الرقيقة العذبة ستظل باقية في دواوينه « حياتي ظلال » و « أيام من عمري » و « الحياة الحب » و « على رمال الزمان » و « الحان الغروب » ·

***

وهناك ادباء آخرون ماتوا في ريعان الشباب · ورحلوا عن دنيانا قبل الاوان ، منهم «هلال رياض» و « ابراهيم طوقان » و « معاوية نور » و « فخري أبو السعود » وغيرهم وغيرهم من الذين سيتناولهم البـــاحثون في هذا العــدد الخـاص بالراحلين في الشـباب ·


أصغر الراحلين
في الأدب الفرنسي
أكبر شعراء عصره

عبد الرحمن صدقي

عندما ظهرت مجموعة اشعار الفتى الشاعر محققة كاملة سنة ١٨٩٩ ـ أى بعدما عاجلته المنية باكثر من قرن من الزمان ـ تكشف للنقاد وقراء الادب الفرنسي فى العالم كله ، ان الفتى الشاعر « اندريه شنييه » كما تحققوه اليوم ، غير الذى توقعوه .. أنه على صغر سنه قد اصبح معتبرا باجماع النقاد اجمعين ، اكبر شعراء عصره ، وقد وصفه الناقد الفرنسي « اميل فاجيه » بانه ليس الشاعر الكلاسيكي فحسب ، بل اكثر شعراء فرنسا الكلاسيكيين اجمعين كلاسيكية ، فضلا عن اعتباره صاحب مذهب فى تجديد الكلاسيكية ، لم يلبث ان ظهر أثره البعيد فيمن خلفوا من بعده . وزاد على ذلك « سانت بيف » اكبر نقاد القرن التاسع عشر ، فذهب الى انه رائد الرومانسية قبل فكتور هيجو .

وهذا كله ، على رغم موته وهو فى الحادية والثلاثين من عمره ..

أصـــر الوطـــنيين

تحت سماء الشرق
كان مولد شاعر الغرب

ولد الشاب الفرنسي الشاعر « اندريه شــنييه » بالشرق الاوســط فى العــاصمة العثمانية وقتذاك استامبول ، فى بقعة من أجمل البقـــاع المطلة على القرن الذهبى فى البسفور ، وهى ضاحية «غلطة» المشهورة بمناظرها الطبيعية الخلابة ، المتصلة بالسوق الشرقية المعروفة باسم « بازار بيرا » · فلا غـــرو اذا هى اجتذبت اليها السائحين ، وحببت المقام فيهــا للهيئات الدبلوماسية والاجانب النزلاء ·

من هؤلاء النزلاء كان والد الشاعر ـ واسمه « لويس شنييه » ـ الذى وفد الى هذه البـــلاد الشرقية سنة ١٧٤٧ لا لتصلا فى الســـفارة الفرنسية على القول المشهور ، بل ممثلا لشركةتجارية كبرى فى مرسيليا ، ثم اتسع نشاطه حتى شمل غيرها من الشئون التجـــارية الفرنسية · ولم تات سنة ١٧٥٥ حتى تزوج من الشــــابة الجميلة المثقفـــة « اليزابيث سانتي لوماكا » وهى مـــن أسرة يونانية غنية أصلها من جـــزيرة قبرص ، ورزق الزوج الفرنسى من زوجته اليونانية خلال احدى عشرة سنة عـلى التوالى ثمانية ، من البنين والبنـــات بالتساوى · وكان ثالث الذكور شاعرنا « اندريه شنييه » الذى كان ميلاده فى الثـــلاثين من اكتوبر سنة ١٧٦٢ فى البلدة الساحلية السالف ذكرها ، وهى « غلطة » التى حرص الشاعر فى مستقبل أيامه على زيارتها مستهلا تحيتها فى شعره بقوله :

سلاما يا « غلطة » ، يا من طـــال
ـ منذ فارقتك صبيا ـ
اشتياق عيناى الى رؤياك شابا فتيا ،
فهنا فى جنتك الشرقية
لاقت فى ريحان الشباب غانيه يونانية
زوجا راقت فى عينيه من ابنـــاء
الامة الفرنسية
فكانت ثمرة الحب ، مولدى هنـــا ،
فرنسيا على أرض بيزنطية

والواقع ان الصبى لم يكن قد أتم الخامسة من عمره ، حين عاد والده ـ سنة ١٧٦٧ ـ مع سائر الاسرة الى فرنسا ، ثم بعد سنتين سافر ـ وحده دون أسرته ـ الى بلاد المغرب مع مبعوث سياسى فرنسى فى مهمة للتفاوض فى أمر تعرض القراصنة فى البحـــر الابيض المتوسط للسفن التجارية · وكان مـــن نتيجة نجاح المفاوضات أن بقى هنـــاك طوال سبع عشرة سنة قنصـــلا عاما للحكومة الفرنسية ·

وأما الاسرة ، فقد استقرت منـــذ سنة ١٧٦٧ فى باريس ، وتولت الام المثقفة تعليم ابنائها فى المرحلة الاولى · ولما كان ابنها « اندريه » فى حاجة الى سماء الجنوب المشمسة ، فقد كان فى صغره يقضى مع عمته بعض الشتاء فى

هذا الاقليم الذى تركت طبيعة تربتــه الفنية وآثاره التاريخية اثرا باقيا فى نفسه ، سجله بعدها فى بعض الصفحات المشرقة من نثره .

تأثير الام اليونانية فى نشــأة شــاعر الغرب الادبيــة :

يرجع الاثر الاكبر فى نشأة شاعرنا الادبية أولا وأخرا ، الى ما كانت عليه امه اليونانية من الثقافة التى لم تكن كما هي عندالكثيرات من النساء ، ثقافة مظهرية سطحية ، بل كانت نافذة الى الصميم منها ، ممتزجة بكل جارحة من جوارحها ونسيج من أنسجة كيانهــا ، مستولية على نفسها وعقلها جميعــا . فقد كان لها ولع واهتمام بكل مايتصل بالاداب والفنون ، وكانت هى نفسهـا مؤلفة ، ومن مؤلفاتها « رسالة فى فن الرقص اليونانى » و « رسالة عن عادات الدفن عند اليونان » ، كما كانت

شارلوت كورداى



تقتنى مجموعة فنية اثرية من الانواط (الميداليات) والرسوم المطبوعة من نماذج قديمة محفورة . والى جانب ذلك ، كان بيتها بمثابة صالون أدبى يجتمع حولها فيه من العلماء والادباء والشعراء والفنانين امثال عالم الكيمياء المشهور « لافوازييه » ، والعلامة « برونك » من اشهر جامعي الشعر اليونانى ومترجميه ، والاب «بارتليمي» جامع العاديات اليونانية القديمة ، والفنان « دافيد » الذى اشتهر بلوحته التى تمثل موت سقراط ، وشاعر الحكايات على لسان الحيوانات « فلوريان » خليفة « لافونتين » ، والشاعر الغنائى « لبران » الملقب باسم الشاعر اليونانى بندار ، والموسيقار « ليسوار » وغيرهم ، ولا شك فى ان « اندريه » ـ بحكم ما ورثه من مزاج امه ـ أخذ يألف هذا الجو الذى تشيع فيه وتتغلب عليه أحاديث الفن والادب والعلم ، حتى صار مع مر السنين واطراد نموه ، حريصاً على شهود ما يعقد فى البيت من هذه الجلسات .

ونجم عن ذلك أن تاقت نفسه أن يحيا حياة كحياة هؤلاء ، يعكف فيها على دراسات كهذه الدراسات التى تجمع بين المعرفة والمتعة .

وفى سنة ١٧٧٣ بلغ الفتى الحادية عشرة من عمره ، فألحقته امه بكلية نافار المشهورة فى باريس ، حيث واصل فيها الدراسة حتى أتمها كالمعتاد بقضائه سنتين فى قسم البيان والادب ثم سنتين أخريين فى قسم الفلسفة . وقد ظهر منذ البداية نبوغه فى علوم البيان والادب بدليل فوزه بالجائزة الاولى فى المباراة التى عقدت فى الكلية سنة ١٧٧٨ ، مما شجعه على المضى فى نظم الشعر ، وكان منذ صباه يرد مناهله وخاصة فى اللغة اليونانية التى

كان فى سرعة تعلمها كأنمـــا رضعها وهو طفل مع لبن أمه ·

وكان شاعرنا شديد الحب للحياة ، كثيرالنهم اليها ، حريصا على الاستمتاع بها ، يتعلق هواه بكل شيء فيها حتى ما كان عاديا من الاشياء اليوميـة ·

واقرب مثال على ذلك ، تجده فى كلامه هو ذاته ، فى وصفه للحياة فى تلـك الغرفة الصــــغيرة المتواضعة القليلة الاثاث غير المرتبة · فان غرفة عـــلى الحال الذى وصف ، عنـــد مثله ممن عرفوا الكثير أو القليل من الترف ، ما كانت لتثير كل هـــذه الحماسة التى اثارتها فى نفسه ، لولا انها فى حقيقة الامر حماسة المتفائل فى فرحته بالحياة نفسها من حيث هى حياة ، حتى فى ابسط مظاهرها :

« انه قصر « اللوفر » نفسه ، تحت سقفى
« وان يكن منخفضا يكاد يمس راسى
« ان شمس الشرق نفسها اول مـــن يوقظنى
بأشعتها الذهبية التى تداعبنى ،
« وفى غرفتى سرير ، ومقـــاعد ، ومنضدة
« فوقها كلها ، ومن كل جانب
« كتب ، ورسوم ، واقلام ، متناثرة بغير نظام ·
« هنـــا انام ، واغنى ، واقرا ، وابكى ، واعكف على الدرس
« وهنا افكر فيما سوف اكونه يوما من الايام
« فاجدنى اصفق وحدى لنفسى ، من فرط الاطمئنان :
« انى ابلغ ما اريد ان اجلى »

الحياة الشعر والحب فى انتظار الموت فى سبيل المجد :

كان من دواعى تفاؤل الشاعر الشاب بالحياة ، ما اقره عليه اهله من حرية الاختيار ، فهو سيد نفسه متصرف فى جميع أمره ·

ولما كان فى عنفوان شبابه ، مستكمل القوة موفور الحيوية ، لا يدركه الكلل ولا يسرع اليه الملل ، فقد أمعن – كما رأينا – فى ارهـاق أعصابه واجهـاد ذهنــه فى ادمانه للقراءة والدرس فى الآداب القديمة فى لغاتهـــا الاصلية ،

وهذا كله دون أن يقتصر فى دراسة الادب الفرنسى وقراءة آثار مواطنيـه الادباء والشعراء الفرنسيين ، وخاصة فى القرنين الماضيين : عصر النهضة والعصر الذهبى للكلاسيكية ، فذلك – الى جانب كونه واجبا وطنيا على كـــل فرنسى – أمر ضرورى حيوى لا غنى عنه لمثله ، من حيث هو أديب ، لغـة التعبير عنده الفرنسية التى يكتب بهـا مترجماته عن الاقدمين ، وبهــا يكتب مؤلفاته ، نظما كان ذلك او نثرا ·

وهذا التنقل فى قراءاته يمتـــد الى

كتاباته ، وهـــذا هو السبب فى أن الكثير من منظوماته ، ان هو الا أجزاء من مشروعات كبرى لم يستكملها مثـل مشروع المنظومة الكبرى التى أسماها « هرمــــز » عن تاريخ الانســــانية منـــذ أول الخلق • وقـــد كان الشاعر يعرف هذه الخصلة فى نفسه غير مستطيع التخلص منها ، وقد عثرنا على حديث له عنها فى خطاب منه الى بعض أصدقائه : « انك تعرف ولا شك ، **كم هن متشردات عرائس شعرى ، فهن لا يستطعن الصبر على انجاز مشروع واحد • بل يسقن أمامهن مائة مشروع مرة واحدة ، كل واحد منها أعرج »** •

ولم تدم الحال طويلا على ذلك كله، فقد اشتكى الشـــاب الشاعر ألما فى الكلى بسبب الاملاح المترسبة ، التىكان فى اكترائه بهـــا يسميها « الـــرمال المحرقة » ، فاقتضى العلاج أن يمتنع عن معظم الوان الاطعمة فالح عليه الهزال والسقم ، حتى داخل أصدقاءه الوهم من جهته وخشوا عليه الموت ، ولم يغب ذلك عن الشـــاعر ، فبعث اليهم يودعهم الوداع الاخيــر ، ويوصيهم أن يتولوا عن أهله أمر دفنه ، فلا يدفنوه وراء أسوار المقابر حيث الوحشة والسواد ، والبكاء والنواح ، والصلوات الجنائزية وقرع النواقيس المحزن الرهيب • بل يوسدوه جنب غدير صاف من المـــاء النميـــر ، فى ركن غابة بعيـــدة عن الضجيج ، ليكون فى هـــذه الطبيعة الجميلة الساكنة مثواه الاخير •

ولكن المريض الذى كان مشرفا على الهلاك ، أخذت حاله بفضل العنـــاية التى أحاطته بها أمه تتحسن ، وتماثل للشفاء • وكان من أخلص أصـــدقائه الذين يعودونه اثنان ، هما الاخـــوان « تروردان » • فدعواه فى هذه الفترة من النقـــاهة الى السفر معهمـــا الى « سويسرة » ، فلما تم له هناك الاستجمام وراجعته الصحة والقوة ، اصطحبوه فى رحلتهم المزمعة فى ايطاليا واليونان واستامبول ، وكانت مدة الرحلة سنتين أو تزيد •

وقد عاد الشاعر بعد هذه الرحلة الى باريس معافى البـــدن موفور القوة • فاستأنف ما فاته من أوقـــات الدرس لفلاســـفة عصره واعلام كتـــابه ، والاستمتاع بقـــراءة ما يطيب له مـــن دواوين الشـــعراء والعكوف على نظم الاشعار فى موضوع ما مر بنا ذكره من الاسفار •

ولا يسعنا الا أن نلاحظ هنا ، ظهور جانب جديد علينا فى شخصية الشاعر • لا أحســـبنا نخطىء فى رده الى تأثير الشهور العديدة التى قضاها فى روما خاصة •

فالقارىء لانطبـــاعاته عن روما فى شعره ، يلمس التأثير الكبير الـــذى تركه طوافه المتـــكرر فى حـــاضرة الامبراطورية الرومانية سيدة العـــالم دانيه وقاصيه طوال قرون عـــديدة ، بين آثار المدينة الخالدة ، من معـــابد رائعة للآلهة القديمة ، ومن العمـــد السامقة والاساطين الضـــخمة واقواس النصر تسجيلا للانتصارات المتعـــاقبة للقادة الرومان ، ومن ملاعب شـــاهقة جسيمة للعروض الدامية للصراع حتى الموت بين المصارعين من العبيـــد أو الاسرى أو بينهم وبين الوحوش ، ومن الساحات الكبرى المزدانة بالتمـــاثيل والنصب التذكارية ، حيث كان يجتمـــع الشيوخ من الاعيـــان ونواب الشـــعب يلقون الخطب الرنانة التاريخية ، وهم يتدارسون القوانين ومســـائل السلم والحرب وغيرها من شئون العالم كله ومصائره •

وسط هذه الآثار العظام التى امتلات نفس الشاعر الشاب بعظمتها ، وملكت عليه حسه بروعتها ، احس الشاعر فى غمرة انفعاله وتصورات خيـــاله ، باطياف العظماء من الرومان ، وكـأنه يراهم راى العيان ، تنظر اليه نظـرة كلها استخفاف وهوان .

لقد رجع شاعرنا الى نفسه هنـا ، فذكر ما شغل به ايام شبابه فى حيـاة اللهو مع الحسان من بنات اللهو ، الى جانب هذه العظائم التى اشتغل بهـا الرومان ، فجاش صدره ، وامتـلات بالطموح الى العظمـة نفسه ، واحس الانفة من اشتغاله باللهو الرخيص ، وتمنى لو اتيح له أن يبدأ حياته منجديد

الشاعر فى انجلترا :

كان « اندريه شنييه » سعيدا كعادته فى باريس ، بحياته التى لا يعدل بهـا حياة ، بين الدرس الجـــاد وغرام الشاب ، حرا طليقا كالطير فى غدوه ورواحه ، وفى حله وترحاله ، غير مقيد بوظيفة تشغله عن هوايته أو تحد من حريته ، حتى جد من الامور ما كـدر صفاء عيشه .

فقد حدث أن قررت الحكومةالفرنسية ارسال سفير جديد لهـا فى البـلاط الانجليـزى ، ووقع اختيـارها على « المسيو دى ليزرن » .

ولما كانت للسفير الجديد صلة قرابة بوالد الشاعر ، فقد رؤى أن الحـاق ولده سكرتيرا للسفارة يدر عليه مزيدا من المال ، ويجعله من اهل الوظائف المرموقة . فلم يزل به يلح عليـــه فى القبول ، حتى قبل الرحيل الى انجلترا على كره .

اصغـــر الوطنيـــين

ومع أنه باشر عمله فى المبنى الفخم الرسمى للسفارة الفرنسية . فقد عاد الى الشكوى . انه يشكو بعد عبوره المانش من المقام فى لندن وقتامة جوها وجهامة مبانيها ووطأة الشعور بالوحدة فيها . وفى مقطوعة ثالثة يتناول الانجليـز انفسهم بالهجاء ، ناعيا عليهم البرود فى طبعهم والبلادة فى حسهم الى حد يثقــل على نفسه ، وشموخ انوفهم وانتفاخ صدورهم بالغرور والكبرياء الى قدر يفوق الاحتمال .

وعـــلى الرغم من ذلك ، فان ولع شاعرنا بالاطلاع على آداب الشعوب على اختلافها ، حداه الى الاقبال عـلى دراسة الادب الانجليزى . وكما شهـد شاعرنا الفرنسى تمثيل مسرحية لشكسبير فى لندن . والظاهر انه احسن الشـهادة لشاعر انجلترا الاكبر عند اخيه الاصغر « جوزيف شنييه » من شعراء التراجيدية ابان الثورة الفرنسية ، فقد جاء فى رد اخيه عليه فى رسالة بتاريخ ١٣ فبراير ١٧٨٨ قوله معقبا على حسن الشهادة :

« يبدو انك متسامح مع شكسبير » . ولم يكن هناك محل لذكر التسامح ، لان



روبسبير : عدالة الثورة

شاعرنا كان يكره الانجليز ، وانما قال ما قاله لانه حكم النقد الصحيح ، وقد قاله على كره منه نزولا على الحق .

وقد اتينا على هذه التفاصيل ، لانها من صفات شاعرنا التى تؤهله عند قرائنا للمزيد من التقدير .

حماسة الشاعر للثورة الفرنسية

ان فقدان الحب عند الفرنسيين للانجليز ، لا يحتاج الى سبب اكثر مما بينهما من الاختلاف فى المزاج ، دون الحاجة الى وجود بواعث اخرى لخلق هذه الكراهة . ولكن هذه الكراهة – وان تكن موجودة تلقائيا من الداخل بحكم الطبيعة – يمكن انتزيد وتتضاعف زيادتها اذا جدت عليها بواعث خارجية .. كالمنافسات الاستعمارية او التجارية الحرة ، او الخلافات الايديولوجية ، او التعصبات الدينية ، وسائر ما هنالك من دواعى المنازعات التى تحسمها الحروب لانها جميعا اوضاع يمكن تغييرها ، بخلاف ما لا يمكن تغييره مثل احجام الجماجم والوان البشرة وطبيعة المزاج

وقد جد بالفعل باعث ادى الى زيادة ما يكنه الفرنسيون للانجليز من الكراهة وهو اظهارهم العداوة للثورة الفرنسية ومحاربتها بكل الوسائل ظاهرة وخفية، ونضرب مثلا على هذه الوسائل ما جاء فى رسالة شاعرنا سكرتير السفارة الفرنسية فى انجلترا الى والده فى فرنسا بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٧٨٩ أى بعد اقل من اربعة اشهر ونصف الشهر من قيام الفرنسيين بثورتهم الكبرى .

وهذه الاخبار التى تذاع فى انجلترا عن فرنسا ويشكو شاعرنا الشاب الى ابيه من تشويه الانجليز لها ، هى أخبار قيام الثورة الكبرى فى فرنسا فى ذلك العام (١٧٨٩) التى أملى الشعب فيها لاول مرة ارادته على حكامه الظالمين ، وهدم حصن الباستيل الذى اتخذوه سجنا للاحرار الوطنيين دون محاكمة ، واقسم نوابه فى اجتماع عقدوه أن لا يجلسوا فى مجلس أدبى وحدهم ، بل مع مندوبى الاعيان ورجال الكنيسة سواء بسواء فى البرلمان ، واطلقوا على البرلمان اسم مجلس الامة ، وهو المجلس الذى أعلن حقوق الانسان حيثما كان ، فى الحرية والعدالة والمساواة .

والقارىء لكتاب شاعرنا الفرنسى سكرتير السفارة الفرنسية فى لندن الى ابيه فى باريس ، يشعر لا محالة بمبلغ حماسته لثورة بلاده ، واشفاقه عليها مما يذاع فى انجلترا عن فظائع انحرافها ، وحرصه الشديد على سلامتها ونجاحها .

ولا غرابة ، فان حب الحرية – كما مر بنا – كان فى طبعه ومزاجه ، فضلا عن انطباعه بالافكار التى نشرها فى

القرن الثامن عشر مؤلفو «الانسكلوبيديا» من العلماء العصريين ، وما ذاع في الآفاق على لسان الفيلسوف « فولتير » من الدعوة الى الحرية بأنواعها : حرية التفكير وحرية التعبير وحرية الاعتقاد الديني ، وعلى لسان الاديب الرومانسي « جان جاك روسو » من الدعوة الى المساواة وحكم الشعب ٠

فمن الطبيعي أن يستقبل الشاعر — وهو في لندن — قيام الثورة الفرنسية بالفرح الشديد — على الرغم من الروح العدائية لها في البيئة المحيطة به ٠ وحسبنا الرجوع الى قصائده حتى قبل الثورة الفرنسية مثل قصيدة «الحرية» التي نظمها في ١٢ مارس ١٧٨٧ لنرى مبلغ حبه الطبيعي للحرية في هتافه :

كوني معقلي دائما ، أيتها الحرية الغالية

يا أم الفضائل كلها ، يا أم الوطن

كذلك شعوره بما دفع الشعب الفرنسي الى الثورة من حال البؤس والفقر المدقع وانتشار التسول ، وعدم جدوى البكاء عند أقدام العظماء ، مع تظاهرهم بالصمم عن سماع زفرات الألم ٠٠٠ هذا الشعور العميق الانساني ، نلقاه في أكثر من قصيدة ، وعندي أنه على أشده في قصيدة « فرنسا أو العدالة » ٠

وهكذا كان ايمان شاعرنا بضرورة تغيير الاوضاع القائمة بوضع حد للفقر واقامة العدل ، ايمانا راسخا رسوخ الجبال ٠ وكذا كانت حماسته الشابة للمثل العليا في اعلان حقوق الانسان لا تقل عن عبادته للجمال ٠

الشاعر السجين
يحيى جمال المرأة في السجن

لم يزل القلق الذي استبد في لندن بالشاعر الفرنسي على الثورة الفرنسية يزداد ويشتد ، حتى دفعه آخر الامر للعودة الى باريس في ربيع سنة ١٧٩٠ ، فلم تكد تطأ قدمه أرض بلاده حتى قام في وجه الاحزاب السياسية المنحرفة ، فكان مصيره الى الاعتقال في مارس ١٨٩٤ في سجن «سان لازار» ٠

لم يبق في فرنسا محل للفصل بين الجنسين ، بعد أن بلغ من مشاركة النساء للرجال في الثورة الفرنسية ، أن المؤرخ لا يكاد يذكر ما يفيد أن الثائرين الذين هاجموا في ١٤ يوليه ١٧٨٩ حصن الباستيل واستولوا عليه وهدموه كانوا رجالا كلهم أو معظمهم ، حتى نراه يذكر في أحداث السنة نفسها في ٥ و ٦ من اكتوبر ، أن الزحف على قصر فرساي والاستيلاء هذه المرة على الملك نفسه واعادته ومعه أسرته الى باريس كالرهائن ، وهي مهمة عظيمة كسابقتها ان لم تكن أعظم ، كان القائمون بها — ان لم يكن كلهم فمعظمهم — من النساء ، ومن ثمة ، فلا عجب أن تكون السجون في عهد الارهاب في فرنسا مشتركة للجنسين ، غاصة بالرجال والنساء على السواء ٠

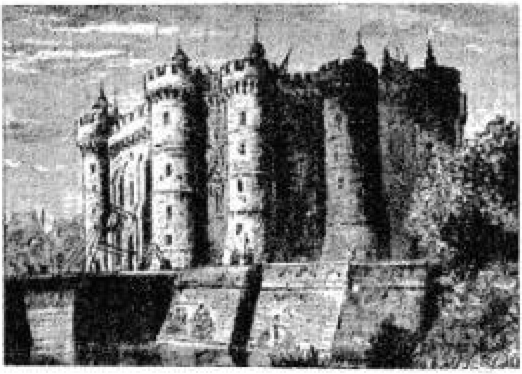
أمطـر السلاطـين

ولما كانت الفرنسيات الباريزيات — على تفاوت طبقاتهن الاجتماعية — اكثر نساء العالم مراعاة للاناقة فى الملابس أيا كان نوعها ، مع العناية بالزينة والتجميل للرجال جهد ماتسمح به الحال، فانهن لم يفقدن هذه الخصال حتى فى أعنف المظاهرات مع اشتراكهن فيها عمليا ، وحتى أثنـــاء الازمات التموينية مع وقوفهن أمام المخابز واحدا وراء الآخر بغير فارق مدى الساعات الطوال .. ومن ثمة فلا غرابة اذا اضفنا هنا ، ان الحال فى سجن « سان لازار » — كسائر السجون — على هذا المثال .

كانت أبواب الغـــرف المخصصة للسجينات ، وأبواب الغرف المخصصة للسجونين ، تفتح للجميع فى وقت واحد، فى الفترات المحـــددة يوميا للنزهة والتجول فى الاروقة والفناء الكبيـــر رجالا ونساء مجتمعين . فاذا المظهر الجميل الذى عليه النساء خاصة عند خروجهن الى النزهة المشتركة ، جدير بأن يخدع العيون وينسى المساجين أنفسهم أنهم فى سـجن ، ان الوجوه المبيضة الموردة ، وهذه الشعور المرجلة معقوصة كانت أو مرسلة ، وهذه الغلائل الرقيقة والثياب اللطيفة التى يتأنقن فى لبسها . هنا كان كل هـذا التجمل الذى لا تشجع عليه قذارة السجن ، ورائحة الغرفة المتداعية الجدران التى تضم كل واحـــدة منهن ، وخشونة الحصيرة التى ترقد عليها ولا فراش لها غيرها . ولكنها غريزة المرأة فى حرصها على اثارة الاعجاب والحظوة فى أعين الرجال .

فى فترات النزهة هذه التى يجتمع فيها نزلاء السجن من النساء والرجال ، كـــان السجن يتحول الى صـــالون استقبال ، بكل ما فيه من المناظرات فى الفن والادب ، ودعاوى الجمـــع بين الجمال ورقة الدلال مع رجاحة العقل هنا وهنـاك ، والتعصب فى الكراهية وحدة الذكاء ، والمنافسات على الحب والميل بغير اسباب ، وغلبة التظـــاهر والتصنع ، وشيوع الاهتمام للتفاهات الى آخـــر ما يتسم به المجتمع فى الصالونات .

فى مجتمع هذا الصالون — صالون السجن — كان يعيش شاعرنا السجين الشاب كالغريب ، فى نفسه مرارة ، وفى قلبه ثورة ، وفى وجهه شحوب .



سجن الباستيل .
دمره الثوار ..

وهــذا هو يذهب ويجيء ، ويخترق الجموع في هذا الوسط ، مطرق الرأس من وطأة الفكر ، مكتوف الذراعين من شعوره بالعجز • ومع ذلك ، كان في الحين بعد الحين يرفع نظره كلما مرت شابة بعينها من بين السجينات ، ربمـا تجاوزت العشرين بسنتين او ثلاث ، رائعة الجمال نادرة المثال لان كل شيء فيها جميل ، ومصداق ذلك عندنا ، ما قالت عنها رسامةشهيرة من أهل زمانها ، ذهبت في وصفها الى ان الطبيعة خلعت عليهـــا كل المحاسن : « وجه فاتن ، عينان نجلاوان يتوقدان ، قوام بديع التكوين ، عقل ممتاز ، ونفس مشبوبة الشعور مولعة بالفنون » •

وقد جرى اكثر من لقاء بينهـــــا وبين الشاعر ، فلم يذهب في معـرفة حياتها الى اكثر من معرفة اسمها وهو الآنسة « ايمى دى كوينى » •

وكان من تاثير عبادته لجمالها ، ان تصورها مثال الفضائل كلها ، فأزعجه واقض مضجعه حرمان الحيـــاة من مثلها ، وان يحصد منجل المقصلة مثل هذا الغصن الرطيب ويسرع البلى الى مثل هذا الحسن النادر العجيب ، حتى ألهته خشيته على مصيرها من التفكير في مصيره •

ومـــن وحى ذلك العشق العـــذرى للجمال ، وذلك الاشفاق الانسانى على الشباب ، كانت قصيدة « الاســيرة الشابة » التى نظمهـــا على لسانها ، لتكون صورتها في خيال كل قارىءوهى متجهة مباشرة اليه وجها لوجه تشكو حالهـــا ، ارقع في النفوس وافجع ، وادعى للرثاء لها •

ومما يدل على دقة الحس الفنى عند الشاعر ، ماكان من صدق حسهوأصالة رأيه ، في تقديره ، تحقيق اقصى النجاح لهذه القصيدة بانتهاج تلك الطريقة •

وقد نشرت هـــذه القصيدة في بعض الصحف بعـــد ستة اشهر من موت شاعرنا ، وعلى الرغم من جميع ما جمع في طويل الســنين من شعره ، ونشر المرة بعد الاخرى مـع الزيادات والشروح والدراسات ، فان قصـــيدة « الاسيرة الشـابة » لم تزل حتى اليوم اشهر أشعاره عنـــد جمهور القراء ، وفيما يلى مطلعها :

ان السنبلة الناشئة لايقربها المنجل

الا بعد ان تبلغ نضجها
والجديد الغض من غصون الكروم
يظل يحتسى مايهديه اليه الفجرمن الندى

طوال ايامالصيف غير خائف منالمعصره
وانا مثل سنبلة القمح وعنقود الكرم
لازلت صبية وجميلة
ومهما تكن حياتىالان تهب القلق والملل
فانى لا اريد أن يعاجلنى الاجل

ومازال لى فىالحياة اربيتعلق به الامل

الشاعر في الطريق
الى موته البـــاكر

أيا كانت حقيقة السر في امر « الاسيرة الشابة » التى نظم الشاعر فيهـــا تلك القصـــيدة الرقيقة غاية الرقة ، التى مازالت عند قراء شعره اشهر قصائده واحبها ، فان عروس القصيدة نفسهـــا

كائنا ما كانت ، قد تحقق لها ما أجراه الشاعر على لسانهـــا من امل ، ولم يعاجلها المصير المنتظر المشترك لـكل من فى السجون فى عهد الارهاب مـن الموت بالمقصلة ٠

لقد انفتحت أبواب السجون كلها ، لكل الباقين الـــذين لم يكن قد جاء ـ بعــد ـ دورهم من المساجين ، فى التاسع والعشرين من شهر يوليـــة ١٧٩٤ ، على اثر سقوط زعيم الارهابيين « روبسبيير » ولحاقه بمن سبقه مـن ضحاياه الذين سقطت رءوسهم تحت سكين الجيلوتين ٠

فى جملة هــذه البقية الباقية مـن الاحياء الذين افرجت السجون عنهم ، خرجت « الاسيرة الشابة » لا يصحبها الشاعر الذى أحبها وخلد ذكرها ، بل

يتابط ذراعها فتى مثلها جميل الطلعة، خفيف الروح شديد الجاذبية ، هـو آخر من عقدت معهم الصداقة وبادلتهم الحب فى السجن ٠

اما الشاعر النكود الطالع ، فلم يكن له نصيب من الحظ الذى تمناه فى قصيدته للهته فى السجن ٠ فقد شاء القدر لها ان تمتد حياتهـــا لتستانف مغامراتها حتى تستوفى غاية ايامهـــا فى الدنيا ٠

ذلك ان شاعرنا ، شملته فى العشرين من يولية ١٧٩٤ تلك الدفعة الاخيرة من المساجين ، التى كان رجال «روبسبيير» يطلبون من السجون ارسالها كالمعتـاد كل حين ، فى عربات خاصة مكشوفة حمراء ، الى المقصلة التى ظلت بأمره طوال هذه السنة مستمرة غير معطلة ، الى يوم ان جاء ـ بعد أسبوع واحد ـ الــدور على روبسبيير للاطاحة براسه تحت نصلها ٠

ومن سخرية الاقدار ، أن يكون من اسباب ضم الشاعر الى دفعة المطلوب اعدامهم المشار اليها ، ما كان من تكرار سعى أبيه عند السلطات للافراج عنه ، اذ كان من المحتمل وسط تلك الجمـوع الغفيرة من المساجين فى سجون باريس التى زاد عددها الى العشرين ، أن يظل الفتى منسيا فى سجن « سان لازار » بعد قضــائه فيه أربع سنين ونصف السنة ، ولكن شوق الوالد الى ولده ، وتكراره السعى فى شانه لدى رجـال روبسبيير ، اذكرتهم به ، فأحـالوه الى المحاكمة وكان الحكم بالاعدام كالمعتاد، وسيق الشاعر وثمانية وثلاثون اخرون تحملهم جميعا العربة الحمراء المكشوفة الى المقصلة ٠

وكان مع الشاعر فى العربة صديقه الشاعر « روشيه » ، وكان شـارد الذهن مستغرقا فى التفكير فى امراته واسرته ، فرأى شاعرنا أن يلهيـه بالحديث عن صداقتهما ، فحضرتهمـا

ابيات للشاعر الفرنسى العظيم «راسين» عن الصداقة فى المشــــهد الاول من تراجيديته المشهورة « اندروماك » فجعلا وسط زحمة العربة وجلبتها ينشدانها ٠٠

ثم انتقل الصديق وهما فى الطريق الى صـــعود المقصلة ، الى سؤال الشاعر عن آخر شعره ، فانشده :

« مثلما يلمع شعاع اخير
« وتسرى نسمة اخيرة
« فى اصيل يوم جميل
« اقف على سلم المقصلة وقيثارتى فى يدى
« انشد على اوتارها لحن الوداع للوطن الحبيب »

وهنا ينقطع الصوت عن الانشاد ، اذ يدفع معاونو الجلاد صاحب الصوت الى المقصلة ٠ فيضرب الشاعر الشاب بيده على جبينه ، قبل ان يقدم للمقصلة راسه ، هامسا :

« وا اسفاه ، ان يطاح هــذا الراس ، ولم تزل فيـــه الشياء والشياء » ٠

رحلة الشهر

تاريخ الفن

وتبدأ رحلتنا هذا الشهر بكتاب يحملنا الى رحلة أخرى ... طويلة ... طويلة جدا .. تبدأ من مئات الألوف من السنين ... قبل التاريخ ... ثم تسير بنا خطوة خطوة فى مدارج الحضارات التى صنعها الانسان فى مختلف العصور حتى اليوم ... تلك الحضارات التى بدأت من هنا ... من أرض مصر الطيبة ..

الكتاب هو : تاريخ الفن

ومؤلفه هو عاشق الفن : الدكتور ثروت عكاشة

والعمل الضخم الذى بين أيدينا الآن - أكثر من خمسمائة صفحة - ليس الا المجلد الأول من كتاب « تاريخ الفن » وقد خصصه المؤلف للحديث عن الفن المصرى ... وستليه مجلدات أخر ، عن الفن العراقى ، ثم الفارسى ، ثم الاغريقى ... الى أن يصل المؤلف - بالقلم والعدسة والوثيقـــة - الى الفن المعاصر .

ويثير المؤلف - فى خضم هذه الموسوعة الرائعة - سؤالا هاما : هل تغنى المتعة بالفن نفسه ، عن التوغل فى مطالعة تاريخ الفن ؟.

ويضع المؤلف السؤال على الصورة التالية :

« هل يمكن أن نقول ان تاريخ الفن لا جدوى منه ، مادام النظر فى الأعمال الفنية كافيا ؟ » .

ثم يجيب عن السؤال بقوله :

« كلا ، فان تاريخ الفن يعلمنا كيف نقترب من الأعمال الفنية ، وكيف نتقبل أشكالها المختلفة ، التى ابتكرها الانسان عبر الزمن وفى قارات الارض المختلفة .

« ان تاريخ الفن يطلق العقل من اسار الصيغ المفروضة عليه ، ويعلمه أن يبحث عن الجمال خارج حدود المذاهب التى كانت تسجن الافكار وتجمدها » .

ومن هنا ... من ذلك السؤال وهذا الجواب ، تبدأ متعة القارىء وهو ينطلق الى هـذه الرحلة الطويلة الجميلة مع تاريخ الفن .

د. ثروت عكاشة



أدب شوقى فى السياسة والاجتماع



احمد شوقى

يقول الاستاذ العميد الدكتور طه حسين فى حديثه عن أمير الشعراء أحمد شوقى :

« لغيرى أن يمدح شوقى بغير حساب . أما أنا فلا أريد أن أمدح ولا أريد أن أذم ، وانما أريد أن أنقد . فقد شبع شوقى ثناء وتقريظا ، وأحسبه لم يشبع نقدا بعد » (١)

وهكذا مضى الاستاذ العميد ، جل حياته الادبية ، ينقد شوقى ، وان كان نقده له أقرب الى القدح ، لأنه كان من خصومه ، ذلك انه كان اكثر انتماء الى العقاد .

وصحيح أن شوقى قد تلقى من مدح المادحين فى حياته اكثر مما تلقى من قدح القادحين . ولكنه لم يكن بحاجة الى النقد ، نقد الاستاذ العميد او غيره ، وانما كان ، ولايزال ، بحاجة – اكثر من ذلك – الى دراسة الدارسين .

ذلك أن شوقى كان وجودا شخصا ، لم يترك أمرا من أمور الدنيا او الآخرة ، ولا عصرا من عصور الحياة ، ولا ظاهرة من ظواهر النفس ، ولا حدثا من أحداث التاريخ ، الا تناوله تناول الشاعر الفنان .

ومع هذا ، فقد حام النقاد حول شعره ، دون أن يوغلوا فى جوهره .

حكاياته الخمسون التى نظمها على لسان الطير والحيوان – مثلا – اخذها اكثر النقاد – بل كلهم – على أنها حكايات مكتوبة للأطفال . والحقيقة انها لم تكن كذلك ، وانما كانت حكايات من صميم تاريخ هذه الأمة فى تلك الحقبة ، لم يستطع أن يكتبها شعرا لصلته بالقصر ، ولأن القصر والضالعين معه من الحكام كانوا الهية فى يد الاستعمار . فلجأ شوقى الى الرمز ، وأنطق الحيوان والطير فى هذه الحكايات بما يسخر من كل هؤلاء ، وبما هو جدير بأن يثير النفوس ، لو أن هذه النفوس تفهم ما يقول .

وهذا هو الجديد فى الكتاب الذى أحدثك عنه اليوم . كتاب « أدب شوقى فى السياسة والاجتماع » ... الذى كتبه الدكتور أحمد سويلم العمرى ، وهو رجل ليست صناعته الأدب ، وانما هو أستاذ للعلوم السياسية ، دخل الى هذا الوجود الشوقى العريض السامق... دخلة دارسا ، لا مادحا ولا قادحا ولا ناقدا ، ليسالك أن تسائل نفسك من هو الرجل من ساسة مصر ، الذى عناه شوقى فى احدى تلك الحكايات

---

(١) كتاب « حافظ وشوقى » لطه حسين ، ص ٩٣

بقوله :

سقط الحمار من السفينة في الدجى
فبكى الرفاق لفقـــده وترحموا
حتى اذا طلع النهـــار اتت به
نحو السفينة موجة تتقــــدم
قالت : خذوه كمـــا اتاني سالما
لم ابتلعـــه لأنه لا يهضـــم

سامي الكيالي



سامي الكيالي

نعت الينـــا العاصمة السورية الثـــانية ـ حلب الشهباء ـ شيخ ادبائهـــا ، المرحوم الاستاذ سامي الكيالي ـ الصحفي والمؤرخ والاديب الـــذي جعل مدينته الجميلة من ابرز العواصم الفكرية في المشرق العربي ، وعاش جل حياته يدعو اليها المؤتمرات وينظم فيهـــا مواسم المحاضرات ، حتى لا نكاد نعرف علمـــا من اعلام الادب او الشعر من جميع فجاج الأمة العربية ، لم يقف على منـــابر حلب ، وحتى أصبحت دار الكتب الحلبية ـ بفضل ســـامي الكيالي ـ من اثرى المكتبات القومية .

ولم يكن سامي الكيالي صاحب قلم وحسب ، وانما كان صاحب رسالة عربية كريمة .

كان لا يفتا يتجول بين فجاج الأمة العربية من الخليج الى المحيط ، يتعرف الى أدبائها ، ويطالع نتاجاتهـــا ، ويرتاد مجامعها العلمية ، مبشرا بوحدة الثقافة العربية ، اذ كان يرى أن هذا السبيل هو اعمق السبل الى الفكرة الجامعة ، فكرة الوحدة العربية .

اكرم الله مثواه ، وطيب ذكراه ..

تكريم موسى كريم

يحتفل أدباء المهجر البرازيلي وشعراؤه هذا الشهر بتكريم الصحفي المهجري الكبيرالاستاذ موسى كريم ، صاحب مجلة « الشرق » التي أنشأها هناك منذخمس واربعين سنة ، وجعلها سجلا امينا لنتاج اعلام الادب العربي في البرازيل .

وقد كرس موسى كريم حياته لخدمة الكلمة العربية ، ونقل الكثير من روائعها الى اللغة البرتغالية ، فله ، الى جانب مؤلفاته العربية الكثيرة ، عدة كتب باللغة البرتغالية ، جعلها جسرا للتعـــارف بين ابنـــاء عروبته وابناء مهجره ، منها « سيرة الخلفاء الراشدين » و « خلاصة من أروع نتـــاج المتنبي والمعري وأبي نواس وعمر بن ابي ربيعة » و « مقدمة ابن خلـــدون » و « رحلة ابن بطوطة » و « دراســـة دانتي ورسالة الغفران » وغيرها .

● ص . ج ●

مـــع غـبـطـــة الـبـــابـــا

تعتز مجلة « الهلال » أيما اعتزاز بالمقالات الروحية الكريمة التى يكتبها على صفحاتها غبطة البطريرك شنودة الثالث بين الحين والحين ، غير راج عليها جزاء ولا شكورا .

واعترافا بهذا الجميل ، أهدت « الهلال » الى غبطته ثبتا تذكاريا يضم مجموعة من صوره ، التقطها مصورو دار الهلال لغبطته فى مناسبات روحية ووطنية ورقوية مختلفة ، فتفضل بقبوله مشكورا .



غبطة البطريرك يتلقى « الثبت » المصور من موريس عزيز مبعوث الهلال

د. عبد الحميد يونس

الفروسية في



عندما نذكر الملاحم الشعبية ، فلا ينبغي ان يتبادر الى الذهن اننا نستدعى موازنة غير مباشرة بين ملاحم رفيعة واخرى شعبية ، فالواقع ان الملاحم ، باعتبارها جنسا ادبيا عالميا ، انما تستكمل مقوماتها الادبية والفنية بالشعبية . ولقد حرص النقاد ، منذ امد غير قصير ، على ان يفرقوا بين الملاحم الاصيلة التى تصور الواقع التاريخى تصويرا ادبيا ، وبين ملاحم اخرى يحاول مبدعوها تقليد المثال الاول ، والاعتماد على الخيال وحده فى رسم الشخوص والاحداث.

الملاحم الشعبية

من المفيد فى هذه المناسبة أن نسجل صنيع النقاد فى التمثيل للملاحم الشعبية بالياذة هوميروس ، التى تعد أشهر الملاحم فى الآداب العالمية على الاطلاق.

وما دامت الملحمة الشعبية تحكى وقائع الابطال ، كما تتصورهم المجتمعات الانسانية فى مرحلة او مراحل من تاريخها ، فقد اقترنت بالفروسية اقترانا حيويا مباشرا ، ذلك لان الصراع الجماعى ، او الصراع الفردى ، الذى يصدر عن عواطف الانتماء الى مجتمع بعينه ، قد استعان منذ أقدم العصور بالفرس وفنون الفروسية .

ولسنا نبالغ اذا نظرنا الى الفرس واثرها فى تاريخ الانسان ، كما ننظر الآن الى ما تحدثه بعض وسائل النقل الحديثة من انقلاب فى الاحساس بالمسافة ، ومضاعفة الطاقة على انتقال الانسان ونقل حاجياته ، كالقطار والسيارة والطائرة . وان اكثر المتخصصين فى الثقافات والحضارات القديمة يعترفون بما أحدثه قدرة الانسان على استئناس الخيل وتربيتها وتدريبها من ثورة فى اساليب الحياة والعيش .

والخيل هى التى صاغت الكثير من الثقافات والحضارات فيما اصطلحنا على تسميته بالعالم القديم . و



الفروسية في الملاحم الشعبية

التي جعلت للفرسان المكانة الممتازة في تلك الثقافات والحضارات . ويعترف المؤرخون بأن ثقافة جديدة ظهرت في الشرقين الاقصى والاوسط وانها اتسمت بالحيوية والقوة وكان للجواد فيها شأن عظيم منذ مستهل الالف الثانية قبل الميلاد . ولقد استبدل بفضل هذا التطور ، بتقديس الايل ، الذي كان من قبل محور التصورات الدينية لصيادي الشمال واساطيرهم ، تقديس الجواد الذي ارتبط بعبادة آلهة الخصب القديمة .

ولقد تفجرت الثورة الحاسمة - التي يمكن أن نطلق عليها اسم « بداوة الفروسية » - بعد انتشار عادة ركوب الخيل في السهول الفسيحة والصحارى الشاسعة في المنطقة الدافئة والمعتدلة من الشرق القديم وعرف المؤرخون مكانة الفرس ، لا في العصور القديمة فحسب ، ولكن على طول التاريخ الانساني أيضا ، ولاحظوا - كما قال جون ترتوود مور - أن حوافر الخيل تظهر جنبا الى جنب مع آثار اقدام الانسان أينما وجدت في مسيرته الطويلة التي تحول فيها من البدائية الى البداوة ثم الى الحضارة .

وتذهب الاساطير والحكايات الشعبية الى أن كل الحضارات القديمة انما قامت بين الامم التي عرفت الجياد واستأنستها وامتطت صهواتها ، أما الامم التي لم تعرف الجواد او لم تستأنسه ، فقد ظلت تضرب في متاهات التخلف ، محدودة التجربة ، محصورة في وطن متعزل ، معرضة لان تكون فريسة سائغة للغزاة .

ولقد أصبح « الفارس على صهوة جواده » على مدى التاريخ رمزا للقوة والعزة والسلطان . واتخذ الجواد مكانه بين الكائنات التي لها شأن في حياة الانسان ، فنقشت صورته على النقود ، ونحتت تماثيله في المعابد ، وارتقى عند بعض الشعوب القديمة ، حتى أصبح عضوا في مجمع الآلهة . وهناك مثل صيني قديم يلخص هذه الحقيقة وهو : ان صهوة جواد كفيلة بأن تنشىء دولة !

والجياد العربية من أشهر الخيول في العالم ، ومن أقدمها في الوقت نفسه ، ولسنا نعرف على التحقيق متى دخلت الفرس الى الجزيرة العربية ، ولكن الذي لا يختلف أحد عليه هو أن الفرس قد صحبت التاريخ العربي من قديم ، وأنها أسهمت في صياغة هذا التاريخ . وكما أن الجزيرة العربية كانت معينا بشريا يمد ما حواليه بمدد من الفترة بين حين وحين ، فكذلك كانت موطنا لاصائل الخيل ، يستعين بها الانسان في السلم والحرب على السواء .

ومما هو جدير بالذكر ان الكثير من الوقائع التاريخية يمكن ان يرد النصر فيها الى خيول من أصل عربي .

والـــذين يؤرخون لهجرات الخيول يسجلون أن الاصائل العربيـة عرفت طريقهـا الى اوروبا فى الحضارات القديمة ، كما انها عبرت المحيط الى القارة الامريكية الجديدة عن طريق اسبانيا التى كان العرب قد اتخذوا منها موطنـا جديدا لتربية الافراس العربية ٠

فى مواجهة الشدائد والاهوال

ومصطلح « الفروسـيـة » يدل فى اوروبا اليوم على لقب من القـاب الشرف ، يمنح لمن يقوم بخدمة عامة ممتازة ، تعترف بهاالهيئة الاجتماعية٠ وقد يقترن اللقب بوسام او نوط من انواط الجدارة ٠ ولكنهـا كانت فى الاصل صفة يعرف بهـا الفـارس المحترف ، ثم أصبحت مصطلحا يدل على نمط تقليدى من انماط السلوك ، لابد أن يصدر عن الفارس فى ظروف السلم والحرب معا ٠

وكان الفرسان لاول عهدهم يؤلفون جماعات خاصة بهم ومقصورة عليهم، ولها أهداف خاصة وغايات محددة ٠ أما الآن فانها عبـارة عن هيئات ينتسب اليها أو يعين فيها رجـال ونساء ، اعترافا بما قدموه من خدمة عامة ممتازة ٠

ولما كانت الفروسية ترادف التحول من العجز الى القدرة ، ومن الضعف الى القوة ، ومن الطفولة الى الشباب والرجولة ، فان الفارس لا يحمل هذا اللقب من قبل زمرته أولا ، ومن قبل الهيئة الاجتماعية التى ينتسب اليها ثانيا ، الا اذا مر باختبارات معينة ، يثبت فيها استيعابه لمعارفها النظرية والتطبيقية ، وتحليه بالفضـائل التى تميز الفارس من غيره ٠ وليس مـن شك فى أن مهنة الفروسية كانت تجمع اخلاقيات وتقاليد ترسب المعـارف ، وتؤصل المثل ٠ ومن أجل ذلك كانت الاختبارات الخاصة بهـا طويلة وعسيرة ، وكثيرا ما تتجاوز الممكن والمعقول ٠

وكلما لاحظنا الاختبارات الشعبية اليوم تذكرنا ما كان يفرض عـلى الفرسان فى الامس القريب أو البعيد٠ ولقد صاغت طبيعة كل مهنـة شكل الاختبار المرتبط بها ، وحسبنا فى هذا المقام أن نشير الى اختبار الفتى للتعرف على تحوله من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب ٠ ولقـد تفننت المجتمعات فى تلك الاختبارات ، لانها تجسم اعتراف الهيئـة الاجتماعية بأهلية الفتى للحياة مستقلا بنفسه ، قادرا على اعالة غيره ، جـديرا بالزواج من فتاة تكافئه ٠ ولعـل العبارة المشهورة على الاقلام والالسنة فى حياتنا اليوم تصور هذه الحقيقة وهى أن الفتاة تنتظر دائما فـارس أحلامها، اى أن الزوج المنتظر تشخصه صورة الفارس ، كما رسمته الملاحم الشعبية ٠

ومن اجـل ذلك تتعـالى طبيعة الاختبارات الخاصة بالزواج مع تلك التى كانت تعقد للاعتراف بظهورفارس جديد ٠ وهى جميعا تستهدف التأكـد من قـدرة الفتى وجلده وشجاعته واقدامه ٠٠ من ذلك ما كانت تمارسه الجماعات البـدائية ٠٠٠ ومن ذلك ضربهم بالسياط لاختبار جلدهم ٠٠٠

ومن ذلك تكليفهم بمصارعة بطل عرف بالتغلب على جميع الاقران ، ومن ذلك المبارزة بالسيف او المقارعة بالعصا ·· ومن ذلك تكليفهم بمهام خطيرة ، بل تكاد تكون مستحيلة فى نظر العاديين من غير الفرسان ، كالقضاء على وحش مفترس فى اجمة قريبة ، او الاتيان بشيء نفيس بعيد المنال ، الا على كل فارس مستكمل لمقومات الفروسية ، قادر على احتمال السفر الطويل ومواجهة الشدائدوركوب الاهوال ·

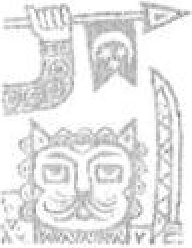
وتورد الملاحم الشعبية فى العالم كله صورا من هذه الاختبارات ، التى تتخذ صورة تخرج دائما عن حدود الممكن والمعقول · ويعد مثل هذا الاختبار فى الملاحم والحكايات الشعبية جزءا لا يتجزأ من سياقها ، واصلا من الاصول الفنية فى بنائها · ولا تكاد تخلو ملحمة أو حكايةشعبية من اختبار او اكثر ، يؤكد البطل بوساطته اهليته للبطولة ··· على البطل أن ينجح وحده ، فى حين يفشل الآخرون ··· عليه أن يتغلب على خصم رهيب···عليه أن يعود باكسير الحياة ، أو يقتل التنين ذا الرءوس السبعة ··· عليه أن يظفر بالجزة الذهبية أو صندوق التراجيه أو النوق العصافير !·

ملامح التاريخ الوجدانى

وكان تنصيب الفارس من الايام المشهودة فى المجتمع بأسره ، لانه يحتاج الى الاعتراف بأهليته من الجميع · واذا كان النهوض بمهنة كالطب يحتاج الى اشهاد علنى ، فان تنصيب الفارس يرتبط بهذا الاشهاد الجمعى اكثر من أى شخص آخر ·

ولقد كان الصبى يلتحق بخدمة أحد الفرسان ، وهو بعد فى السابعة من عمره حتى اذا بلغ الثانية عشرة يأخذ الفرسان فى تدريبه ، لا على فنون القتال فحسب ، ولكن على فنون العيش أيضا ، ويعرف فى هذه المرحلة بـ « الغلام » أو « التابع » · ويظل كذلك الى أن يسمح له فارسه بأن يصحبه فى احدى وقائعه وأن يحمل له درعه وأسلحته ، ويعمل سائسا لخيله ·

ويجيء اليوم الموعود ، فيقام حفل مشهود ، ويتقدم فارسه نحوه أمام الجمع الحاشد ويقلد الغلام سيفا ، ويثبت مهمازين على عقبيه ، ثم يضربه بجمع يده على كتفه أو يصفعه على قفاه ، ويردد فى الوقت نفسه صيغا تدل على الثناء بفضائل الفتى والترحيب به عضوا جديدا فى زمرة الفرسان · وأغلب الظن أن اللكمة أو الصفعة التى يتلقاها الفتى من فارسه ترمز الى اختبار تصويرى للاحتمال ·· كما تدل على المودة والاخاء فى مرحلة الرجولة ، ذلك لان تنصيب الفارس الجديد انما يجسم التحول من مرحلة اتسمت بشيء من الضعف



الفروسية فى الملاحم الشعبية

والاعتماد على الغيـــر الى القوة والاعتماد على النفس .

وتطورت اللكمـــة أو الصفعة الى الربت على الكتف بظاهر السيف .. وكان من حق كل فارس فى أول الامر أن يدرب صبيا أو أكثر ، حتى اذا بلغ مبلغ الفرسان قام بتنصيبه نيابة عن الزمرة ، ثم أصبح هـــذا الحق مقصورا على أمراء الاقطاع ، وانتهى الامر به الى أن يكون وقفا على الملوك أو توابعهم .

لقد كانت الملاحم الشـــعبية تؤلف التاريخ الوجدانى للجمـــاعات التى تحفظها وترددها وتقبل على انشادها. وهى عند مؤرخى الادب ونقاده نمط من التعبيـــر الادبى ، يصـــدر عن الواقع ، كمـــا يتصوره المبـــدعون والمتذوقون ، وهـــو واقع يســـتعين بالخيال .

والملحمة تختلف عن الاسطورة ، لانها تنتخب ابطالهـــا من النماذج البشرية المشخصة لمثل الجمـــاعة ، المعبرة عن مفاخرها والموصلة لقيمها العليا ، فى حين تنزع الاسطورة الى حكاية الآلهة وأشباه الآلهة بالتجسيم والتشخيص والتمثيل ، تفسيرا لظواهر الكون والطبيعة والحياة ... الملحمة الشعبية انســـانية تستعين بالقوى الخارقة ، وواقعية تجنح الى الخيـــال فى بعض الاحيان .

ولسنا نريد أن نتابع فى هذا المقال ما ألح عليه الكتاب فترة طويلة من الزمن ، فقد شغلوا أنفسهم بمحاولة الدفاع عن الادب العربى ، واثبات وجود الشـــكل الملحمى فى مطولاته الشعرية . وحســـبنا أن نسجل أن العرب فى جاهليتهم الاولى كانوا ، كغيرهم من المجتمعـــات الانسانية يعيشون فى مرحلة الفكر الاسطورى ، وأن هذه المرحلة قد أسلمت الى مرحلة أخرى ، أحست فيها القبائل التى قوى سلطانها بذاتيتها الجماعية ، وعملت على انتخاب النموذج أو المثال من امرائها وأبطالها ، الـــذين اشتهروا بفضائل المروءة والفروسية .

وما من مصنف جمع بين دفتيـــه النصوص والروايات والاخبـــار عن الجاهلية والجاهليين الا وفيه ملامح من التاريخ الوجدانى للقبائل العربية.



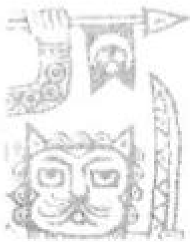
الفروسية في الملاحم الشعبية

وليس من شك في ان « ايام العرب » كانت السجل الذي جمع المعالم البارزة والمذكورة من هذا التاريخ الوجداني · ولذلك اتسمت ببعض الملامح ، التي ظهرت فيما بعد واضحة ومميزة للملحمة الشعبية العربية ·

بالشعر وبالنثر الموقع

ونحن نذكر ان اليوم الواحد من ايام العرب لا يدل على الوحدة الزمنية المعروفة ، ولكنه يرادف في هذا المجال الواقعة او المعركة · وقد يستغرق اليوم شهورا وقد يطول أعواما ، وهو يسمى عادة باسم المكان الذي تدور المعركة فيه او بالقرب منه ، ولابد ان يكون علما مشهورا ، وتزداد شهرته باقترانه بهذا اليوم او ذاك من ايام العرب · ولقد غلبت الفروسية على هذه الايام ، ومهما كانت البواعث التي حفزت اليها ، فان خلائق الفروسية كانت الفيصل دائما في التأييد والمخالفة ، في النصر وفي الهزيمة · وهذه الخلائق هي التي جعلت الايام تزخر بشعر الحماسة وخطب الاستنفار ووصايا الحكماء والكبار ، وما الى هذا بسبيل · ولعل المقوم الاكبر والاهم من مقومات ايام العرب انها كانت بمثابة التمهيد للملاحم الشعبية العربية ، لانها كانت نبضات وجدان قبلي ، مهما تشعبت القبيلة ، واتسعت منازلها ، وكثر رهطها ·

اما الملحمة الشعبية فهي نبض وجدان ، يتجاوز العصبية القبلية الى عصبية اعظم واوسع واعمق هي عصبية الشعب بأسره · وهذا هو السبب الذي جعل الرواة يصنفون الايام على اساس الانساب ، وهو الذي جعل المؤرخين يصنفونها على اساس



اشمل ويجعلونها تنقسم الى الايام الداخلية ، التي تشتجر فيها الثارات بين فروع قبيلة واحدة ، وكثيرا ما يتسع الفرع حتى يصبح كفؤا لقبيلة قوية ، ويرى ابناؤه ان اشياخهم احق بمكان الصدارة من غيرهم ·

ومما يؤكد ان العصبية محور جميع الوقائع ان هذه الايام الداخلية كانت تشتجر بين فروع الزعامة او المشيخة او الرئاسة ، بين الاخوة ·· بين الاعمام وأبناء الاخ ··· الخ ، والى الايام الخارجية ، التي كانت تقوم بين مختلف القبائل ، وان التقت في شجرة النسب الى اب واحد او الى أبوين مختلفين · وتنتظم الايام الخارجية هذه جميع الفروع أو معظم الفروع ، في كل قبيلة تنفر الى القتال ·

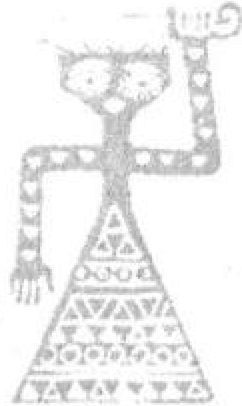
بيد ان هناك ضربا ثالثا من ايام العرب ، ادخل في الملحمة من الضربين السابقين ، لانه كان يصدر عن وجدان

فبالغت فى المفاخر وأسقطت المثالب ، وسجلت الانتصارات ، وتجاوزت عن الهزائم او بررتها على أقل تقدير ، يضاف الى ذلك انها كانت أقرب ما تكون الى المناظرة ، تقلل من شأن الخصوم ، وقد تهجوهم ، وتغض النظر عن محامدهم وانتصاراتهم ، وتشبه فى هذه الناحية الاشكال الادبية التقليدية ، التى عرفت بالمفاخرات والنقائض .

اختلاف الاخبار والاسمار

وكثيرا ما نجد الملحمة الشعبية العربية تعتز بانتسابها الى أحد فحول الرواة كالاصمعى وأبى عبيدة . وفى هذا برهان على أن الملاحم الشعبية العربية انما تطورت عن تلك الايام ، سواء منها ما اشتجر بين فروع القبيلة الواحدة أو بين قبائل متعددة أو بين العرب من ناحية والفرس والروم من ناحية أخرى .

ومهما قيل عن افادة الملاحم الشعبية من التدوين أو احتفاظها بالرواية الشفهية ، فان الايام انقسمت ، حتى بعد مرحلة التدوين على أساس الرواية ، الى « الايام الطوال » و « الايام القصار » . ولقد عرف القسم الاول منها بهذا الاسم لا تعبيرا عن المرحلة الزمنية التى استغرقتها اليوم أو الواقعة ، ولكن لطول الرواية وتسلسل الخبر وتعدد الاشخاص ، مع التفصيل فى الوصف والتصوير .



قومى .. كانت هذه الايام تدور بين العرب والفرس أو بين العرب والروم .

وليس أدل على تأثير الروايات الخاصة بهذه الايام فى الملاحم الشعبية من اعتمادها على الرواية الشفهية دهرا طويلا ، بل ان تدوين أخبارها لم يذهب بأثر الرواية فيها . ومعنى ذلك أنها اعتمدت على الذاكرة أكثر من اعتمادها على التدوين ، وحفلت ، من أجل ذلك ، بالشعر وبالنثر الموقع ، وبالخطب المشهورة ، وبالامثال السائرة وجوامع الكلم .. واستوعبت الايام بطبيعة الحال أسماء الفرسان الذين استطاعوا أن يحفروا أسماءهم فى ذاكرة الرواة ، والذين تقترن فعالهم فى تلك الايام بمفاخر قبائلهم .

وليست هذه الصيغة الادبية للايام تاريخا خالصا ، لانها صدرت عن وجدان القبيلة ، وتأثرت خيالها ،

أما القسم الثاني فقد عرف بهذا الاسم لما اتسمت به الرواية من تركيز وتلخيص وذكر للمعالم الرئيسية دون تفصيل أو اطناب .. الاول يحتفظ بالوقف الشعوري ، ويحتفل بالتعبير الادبي ، والثاني يعنى بمجرد التذكير والتاريخ . واغلب الظن أن الملاحم الشعبية كانت أكثر اعتمادا على الايام الطوال منها على الايام القصار ، حتى بعد أن تكاملت واستعانت بالتدوين .

وهذه الصورة من التاريخ المتوسل بالتعبير الادبي ، لها بطبيعة الحال سمات ملحمية ، ولكنها لم تتخذ شكلا واحدا لكل يوم أو لمجموعة مترابطة من الايام .. ولم تتخذ القصيدة المطولة قالبا لها يستوعبها ، وانما اكتفت بتجميع مايرتبط بالمعركة من خطبة أو وصية أو مقطوعة شعرية أو مثل سائر . ومع ذلك فانها تعد معينا لا ينضب للملحمة الشعبية المتكاملة .

وليس من شك في أن هذه الاخبار ، التي صاغها وجدان القبائل ادبا متنوع الاشكال ، تختلف عن مجموعات الاسمار التي لها ايضا أصل جاهلي ، وهي المقامات التي تؤلف كل واحدة منها حديثا موصولا ، استهدف السمر لا الخبر التاريخي .

والفروسية قوام الايام والملاحم الشعبية جميعا ، واذا كان الفارس يحتاج الى اشهاد علني يجعل العشيرة أو القبيلة أو الشعب يعترف بفروسيته ، علما وعملا وسلوكا ، فان الكثير من العلاقات المرتبطة بقوام المجتمع يحتاج بدوره الى مثل ذلك الاشهاد العلني ، فالخلع والجوار والولاء والحلف ، كل أولئك من وشائج الفروسية ، التي لابد لها من اعتراف جمعي .

وأخبار الاحداث الخاصة بتلك العلاقات تؤلف حلقات في أيام العرب ، لانها ترتبط بأحداث لها خطرها في القبيلة ، ولها تأثيرها ، تبعا لذلك ، في قبائل أخرى ، وهي تأتي مع كل ما يتصل بالقتال والاستنفار له في باب أخلاقيات الحرب في الجاهلية وصدر الاسلام .

ومهما يكن من شيء فان الملاحم الشعبية العربية انما كانت امتدادا طبيعيا لايام العرب ، تقوم بالوظائف التي قامت بها الايام ، وهي الاحتفاظ بقوة الولاء للجماعة ، عشيرة كانت أو قبيلة أو شعبا ، بحيث يصبح الدفاع عن الذات يرادف الدفاع عن الجماعة .

ولقد كانت كل ملحمة شعبية في أصلها نواة مستخلصة من تلك الايام ، وأخذت تنمو بعد ذلك ، وتضاف اليها عناصر ، فتتعقد احداثها ، ويطول سياقها ، ولكنها تتركز في الغالب الاعم حول بطل واحد ، أو عدد قليل من الابطال ، يشخصون القيم والمثل ، التي ارتضتها الجماعة واستخلصتها من وقائعها وتجاربها .

الملاحم الشعبية والفروسية



وكل واحد من افرادها يصبو الى ان يكون واحدا من الابطال ، وهو كلما استمع الى الملحمة اندمج مع البطل ورهطه ، وانبسطت نفسه أو توترت تبعا للموقف الشعورى الذى يمثل تجربة من تجارب الجماعة ·

واذا كانت هذه الملاحم الشعبية قد استكملت مقوماتها ، وتكاملت وثبتت على صورتها التى عرفت بها بعد ذلك ، فانها ظلت تعتمد على الذاكرة وعلى الانشاد والتمثيل المباشر ، وتجاوزت البداوة الى الاستقرار فى الريف والمدن ، وظلت الزاد الوجدانى للاميين والمتعلمين دهرا طويلا ·

الابطال والعاطفة القومية

لم تعد الملاحم الشعبية مجرد قصص يتلهى به الناس فى أوقات الفراغ ، ولكنها اصبحت وثائق تاريخية وادبية واجتماعية · وهى تجمع فى اعطافها وقائع من الماضى ، استطاعت ذاكرة الشعب اختزانها ، الى جانب مواقف من الحاضر ، تبدو فى انتخاب الشخوص واختيار الاحداث ، واسباغ الجو المشرق على حلقة من السياق ، والجو القاتم أو الكئيب على حلقة أخرى ، تعبيرا عن رأى ، أو تجسيما لفكرة ، أو ابرازا لموقف نفسى ·

ولقد استوعبت هذه الملاحم الشعبية تاريخ الفرسان ، كما تصورتهم الشعوب فى الحاضر أو فى الماضى القريب أو البعيد · والشعوب لا تحتفل بالتتابع الزمنى ولا تعنى بالتناسب الواجب بين الطاقة والفعل أو بين الحركة والمكان أو الزمان ، ولكنها تزاوج بين الواقع والخيال ، وبين الماضى والحاضر ، وبين الارادة والرغبة ·

والشعب العربي كغيره من الشعوب يكبر من شأن الابطال ، لقد كانوا فى ذاكرته النماذج والمثل لما ينبغى أن يكون عليه الانسان العربى من قدرة وطاقة وفضيلة · والابطال فى الامة العربية تجمعهم الفروسية ، وتطبعهم الفتوة بطابعها المعروف المشهور ·

وكل من يواجه أدب الحرب فى لغة العرب تطالعه الفتوة بخلائقها ووقائعها وابطالها · والفتى يرادف فى اللسان العربى الفارس ، والاصل فى الفتوة لغة هو الشباب ، والفتى فى الاصل



فى الشباب ، ولذلك أصبحت تدل على الفتوة التى تقترن بالشباب عادة . ولكنها استوعبت الفضائل الانسانية مثل الكرم والشجاعة والعزة والدفاع عن الضعيف واغاثة الملهوف وحماية الارض والعرض والمال . ولم يكن من قبيل المصادفة أن يستهل الشاعر الشعبى وهو يستحضر البطل بقوله : « يقول الفتى فلان الفلانى » أى يقول الفارس الذى يتحلى بخلائق الفروسية، كما يتصورها المجتمع .

ولقد اصطلح الادب الشعبى العربى على تسمية ملاحمه بالسير الشعبية . وهى شكل من اشكال الادب القصصى، يتسم بالطول ويتجسم أحداث لها مكانتها عند الشعب الذى يتذوقها ، كما أن أبطالها من الفرسان المشهورين الذين حفرت أسماؤهم فى ذاكرة الشعب . وليس من اليسير التعرف على نشأة هذه السير وتحديد تاريخها بشىء من الدقة ، ذلك لان مراحلها الاولى يكتنفها الغموض عادة . وحسب الباحث أن يسجل أن السير الشعبية بدأت كل واحدة منها نواة حية نامية على الايام بحيث تساير تاريخ الشعب ومواقفه الفكرية والشعورية .

وهناك روايات قليلة تتحدث عن بعض هذه السير ، مما يدل على أن نواة المشهور منها قد ظهرت مبكرة فى تاريخ الامة العربية مثل سيرة عنترة بن شداد العبسى ، والزير سالم وسيف بن ذى يزن .

ولقد أصبح واضحا الآن بعد الدراسات المتتابعة التى قام بها الشرقيون والمستشرقون أن هذه السير الشعبية انما تكاملت وثبتت على صورتها النهائية فى العصر الذى صارع فيه الشعب أجنبيا دخيلا ، تحيف أرضه ، وسيطر على مقدراته ابان الحروب الصليبية . ويبدو هذا جليا فى تقاليد الاداء والحاح الراوى على تقديم بطله بعد الصلاة على النبى العربى أو التهامى أو سيد ولد عدنان . وفى هذا اشارة الى ان المجتمع والبطل معا يشملهما موقف واحد يصدر عن عاطفة قومية .

وثمة حقيقة لا يمكن اغفالها عند تقويم الملاحم الشعبية العربية ، وهى أن التاريخ الطويل للامة العربية قد صهر وقائعها وجلى أحداثها ، وأبرز فرسانها ، ولكن العصبيات المختلفة ، قبلية أو طبقية أو مهنية أو قومية ، قد ظهرت متداخلة فى بعض السير الشعبية ، كما هو الحال فى سيرة الظاهر بيبرس .

ففى هذه السيرة تبرز العاطفة القومية فى الابطال من العرب ، كما تبرز المقومات الصوفية فى الابطال من الاولياء ذوى الكرامات ، وتبرز فوق هذا وذاك ضروب من مشاعر الولاء لمهنة من المهن ، وان ارتبطت بالفروسية مثل طائفة سواس الخيل ، الى جانب المماليك الذين كانوا يؤلفون طبقة الجند والحكام ، فى مرحلة من مراحل الصراع بين المسلمين والصليبيين . والواقع أن سيرة مثل سيرة الظاهر بيبرس توضح بجلاء امتزاج الفروسية ، التى درج العرب عليها ، والتى صدرت عن الولاء للقبيلة وللقوم ، الى فروسية أخرى ، صدرت عن نمط جديد من الولاء ، يجعل الفرسان طبقة قائمة برأسها لها خلائقها وأهدافها .

ولكن هذا التداخل بين القطاعات المختلفة لم يكن له تأثير كبير على القوام الفنى لهذه السيرة ، التى ظلت زاد الشعب فى الشرق العربى فترة طويلة من الزمن . ومن المقطوع به أن جماهير المتذوقين لها قد اثروا فى



الفروسية في الملاحم الشعبية

صياغتها ، واسبغوا الطابع القومي على العناصر غير العربية ، فوصلوا الظاهر بيبرس ، الذى قدر عليه ان يصفى البقية الباقية من الجيوب الصليبية فى الوطن ، بأصل عربى ، وجعلوا سائر الابطال ، على اختلاف بيئاتهم من الفرسان ، فى السمت والقوة والسلوك ، بل انهم اسبغوا صفة الفروسية على بعض الشخصيات النسائية · ولم تكن الواحدة منهن مجرد رمز لحب الافلاطونى او زوجى ، ولكنها كانت محاربة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، ففيهـا من القوة ، وعندها من الاقدام ومن الخبرة بفنون النزال ما عند الابطال ·

صف واحد امام العدو

ويدل هذا الاثر الادبى على اتساع مفهوم « الفتوة » ، التى كانت تدل على الطابع الفروسى فى تلك الرحلة من مراحل التاريخ العربى ، والاسلامى ، ولم يكن الفتيان يمثلون الشيوخ والامراء وابناءهم ، فى القبيلة او الشعب ، ولكنهم كانوا يمثلون جميع القوى العاملة فى الهيئة الاجتماعية ، بمعناها المتسع والشامل ·

ويبدو أن النماذج البشرية فى سيرة الظاهر بيبرس كانت مقتطعة من الواقع الاجتماعى ، وان كان واقعا حددته المدنية ، بصفة خاصة · ونحن نذكر أن مدينة مثل القاهرة أو مثل دمشق ، كانت بمثابة مجتمع ذى طابع عالمى أو شبه عالمى ، ينتظم القادة والجند ورجال الدين والتجار وأصحاب المهن وغير أولئك وهؤلاء ، ممن يؤلفون مجتمع المدينة فى العصر الوسيط · ولكل قطاع شخصية أو أكثر تمثله فى السيرة تمثيلا صادقا ، وهم جميعا يقفون صفا واحدا أمام العدو ، وتجمعهم خلائق الفترة ، بمعناها فى تلك الحقبة ·

ويبدو طابع المدنية فى القوام الفنى لسيرة الظاهر بيبرس ، فلم تكن كغيرها من الملاحم الشعبية العربية وحدة عضوية كاملة ، ولكنها كانت تتألف من اقسام رئيسية · ولم تكن هذه الاقسام مجرد فصول فى أثر قصصى متكامل ، ولا مجرد حلقات فى سياق ، بحكم التتابع الطبيعى ، ولكنها كانت وحدات يكاد يستقل بعضها عن بعض ، وكل وحدة فيها تكاد تستوعب قطاعا بعينه من العناصر التى فرض عليها الاتحاد فى وجه العدو المشترك ، فللايوبية قسم محدد ، وللفداوية من شيوخ الجبل قسم ، وللمماليك ، وعلى رأسهم محمود بيبرس ، قسم ثالث ، ولسواس الخيل ، يتزعمهم الاسطى عثمان قسم رابع ، وللابطال المتخصصين فى ركوب البحر قسم خامس ، وهكذا ··

ويؤكد هذه الخصيصة المدنية لهذه الملحمة الفذة بين ملاحم الشعب العربي أنهـــا كانت تختلف ، مـــن حيث الصياغة ، عن اكثر الملاحم الاخرى · ولقد ظلت مرددة ، يتذوقها الشعب العربي في امصاره الى اواخر القرن الماضي وربما الى أوائل هذا القرن · وكان المتخصصون في اذاعتها على الجماهير كثيرا ما يستعينون بنص مدون ، تماما كما يفعل القصاص في بعض ربوع الاندلس وجنوب فرنسا · وهذا المستشرق الانجليزى « ادوارد لين » يسجل ما استمع اليه بنفسه

في منتصف القرن الماضي ، ويذكر ان القصاص في القاهرة كانوا ينقسمون الى فريقين متمايزين ، يعرف اولهما بالشعراء ويستعينون بآلة موسيقية هي رباب الشاعر ، ويعرف ثانيهما بالمحدثين ·· الاولون ينشدون وقـــد يمثلون ، والاخرون يقصون وقـــد ينقلون من نص مكتوب ·

ولعل غلبة القصص المروى بهـــذه الصورة هو الذى دفع بعض المتخصصين في الادب العربي الى القول بأن هذا الادب اذا لم يكن قد عرف الملحمة ، كما حددها أرسطو من قديم ، فقـــد عرف طائفـــة من قصص الفروسية الرومانسى · والواقع أن سيرة الظاهر بيبرس تحمل الطـــابع الملحمي في وقائعها وشخوصها ووظائفها ، ولكنها تقوم بالنثر ، والشعر فيهـــا يؤدى وظيفة ثانوية ، فهو يخلق الجـــو الشعورى في موقف تغلب العـــاطفة عليه ، أى أنه ذو صفة غنـــائية ، ويقوم كـــذلك بالوعظ ، وقد يورده القصاص ابرازا لحكمة ، او ضربا لمثل ، او استشهادا بأبيات كان المثقفون يكلفون بها ، وقد ينسبها الى بعض المشاهير ، كما هو الحال في الاساليب القصصية التي غلب النثر عليها ·

السلوك الاجتماعى المتوازن

اما الطائفة الاخرى من الملاحم ، التي عرف منشدوها بانهم شعراء ، فكانت زاد الشعب العربي في باديته وريفه وحضره ، وقد تختلف باختلاف اللهجات ، وقد يضاف اليها او يحذف منها ، كما هو الحال في الآداب التي تقوم على الانشاد والرواية الشفهية · والشعر قوام هذه الملاحم ، ويقوم النثر فيهـــا بوظيفة ثانوية ، كالاستهلال والختام ، وتقديم بطل من الابطال ، أو توضـــيح موقف ، أو استدعاء شخصية غابت في تضاعيف السياق · ومن الممكن أن تحذف مثل هذه الفقرات دون أن تتأثر الملحمة في صميمها · وعلى رأس هذه الطائفة تأتى ملحمـــة عنترة وملحمة القبيلة الهلالية ·

وليس من شـــك في ان الشعب العربي قد حول العصبية القبلية في هاتين الملحمتين وامثالهما الى عصبية قومية · وليس من شك ايضا في أنه كان يحس بأن الفروسية بخلائقهـــا ليست ثمرة بيئة محدودة أو عصـــر مضى ، ولكنها تجسم المثل والقيم التي يريد الشعب ان يصدر عنها كل فرد



من افراده ، لا في مواقفه العامة فحسب ، ولكن في علاقاته الخاصة ايضا

واذا كان القتال ووقائع الحرب هي المحاور الرئيسية التي صاغت الاحداث وانتخبت الابطال ، فان فضائل الفروسية كانت تصوغ الحياة في السلم أيضا · وكانت بمثابة القوانين الاساسية التي تضبط الاعمال والعلاقات ، ففي هذه الملاحم الشعبية نجد الدفاع عن الحق والحرص على العدل ، والنهوض بكل ما يتطلبه السلوك الاجتماعي المتوازن من واجبات · ونصت هذه الملاحم على الطاقة الروحية للشعب وسجلت دفاع الابطال عن الفضيلة ومحاربتهم للمطلقين في الميزان والمستغلين لاقوات الشعب ·· وكانما اتخذت الجماهير من هذه الملاحم وسيلة لاستحداث التوازن بين الواقع والامل ، وبين الارادة والرغبة ، وبين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون ··

لقد كانت الفروسية بحق جوهر هذه الملاحم الشعبية ، ولم تكن ثمرة الظروف التي غلبت على الشرق العربي في القرون الوسطى وما تلاها ، ولكنها كانت اعرق واعمق من أن ترد الى تلك الحقبة من الزمان ، ذلك لان الفروسية ـ كما راينا ـ قد لازمت الشعب تاريخه كله من اقدم الازمنة الى ايامنا هذه ، وليست الشعبية دليلا على هبوطها من ناحيتي الفن والمعاصرة ، وهي تتسم بما عرف عن العناصر الفولكلورية من مرونة تجعلها قادرة على مسايرة التطور ·

ولقد فعل الزمن فعله فحجب بعضها ، وعدل بعضها ، وحرص على نماذج منها ، لانه وجدها متنفسه في حياته المتجددة · ولابد من التنويه بوجوب الحرص على الوظيفة الاساسية للملحمة الشعبية · واذا كانت الفروسية عند المؤرخين نمطا من أنماط الثقافة أو الحضارة ، قد مضى ، فليس معنى ذلك ان خلائقها قد رست من الوجود ، ولكن المعنى أنها لاتزال مقوما رئيسيا من مقومات الحياة الانسانية والخدمة العامة بصفة خاصة ·

ويخطيء من يظن ان الادب الملحمي بمعناه الصحيح قد انقرض ولاتستطيع الحياة بعثه ، لانه لايزال حيا مرددا بين جماهير الشعوب بصفة عامة ، وجماهير الشعب العربي بصفة خاصة ·

وليست هذه الملاحم من قبيل القصص الذي يستهدف التسلية والترفيه ، ولكنها تتجاوز مجرد التعبير والتسجيل الى المحافظة على مقومات الشخصية العامة ، وابراز ما تنشده من المثل والقيم الانسانية العليا · وهي من أجل هذا كله تعد من ذخائر الشعب ومن عناصر زاده الثقافي وحوافز ابداعه الفني ·

الفروسية
في الملاحم الشعبية



بسم الله الرحمن الرحيم

"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"

يسرُّ

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يقدم للعالم الإسلامى

المصحف المجوَّد



١٢٠ اسطوانة

لأول مرة يتم تسجيل كامل
للقرآن الكريم مجوداً بأصوات كبار القراء :

الشيخ مصطفى اسماعيل • الشيخ عبد الباسط عبد الصمد
الشيخ محمود خليل الحصرى • الشيخ محمود على البنا

كل جزء من القرآن الكريم على أربع اسطوانات طويلة المدى
تجويد القراء الأربعة .. مع كل اسطوانة غلاف فاخر

سعر البيع للاسطوانة الواحدة ٨٠ قرشا ومناسبة العام الهجرى الجديد تخفيض عام ٢٠٪
سعر البيع للاسطوانة الواحدة بالسعر المخفض ٦٤ قرشاً

البيع نقداً وبالتقسيط لموظفى الحكومة والقطاع العام

مراكز البيع :

القاهرة : مخازن اسطوانات القرآن المرتل / ٧٦ شارع الجمهورية الدور الثالث
الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٤٢ ش سعد زغلول الدور الرابع

قصة قصيرة

السيد

سعد حامد

أحست بأنه يتبعها ، فقد رأته يختلس اليها النظر ثم يبطىء الخطو وعيناه مركزتان عليها ..

كان الوقت غروبا ، وكانت تمضى فى الطرقات على غير هدى عندما وقع بصرها عليه .. ولكنه يبدو خجولا يكاد يتعثر ، فما أن نظرت اليه حتى تشاغل بنظراته بعيدا كأنه يخشى أن تضبطه وهو يحدق فيها .

وسارت خطوات ، ثم وقفت تتطلع الى المعروضات فى واجهة أحد المتاجر . لكنه وقف بعيدا عنها أمام متجر آخر ...

لماذا لم يقترب منها يتطلع الى نفس الواجهة؟ انه يبدو شابا قليل التجربة .

والتقت عيناها بعينيه فالطرق ... كم يبدو وسيما مفرط الوسامة ، أنيقا فى بدلته الكحلية وحذائه اللامع الجديد ... قوامه طويل رشيق ، ولكنه يبدو نحيلا كأنه لا يأكل ... أما شعره الأسود الناعم الذى تركه مسترسلا كالفنانين فانه جميل وجذاب .

لكن لماذا لم يقترب منها ويحاول أن يكلمها؟ لقد شجعته بنظراتها ، وشارع محمد فريدمزدحم بالمارة ، وليس هناك من يراقبهما أو يحصى حركاتهما ، لكنه يبدو وجلا كمن يوشك أنيسقط فى الماء وهو لا يعرف السباحة .

وتحركت خطوات وهى تختلس اليه النظر من طرف عينيها .. انهيبدو كطالب فى الجامعة ... ترى هل معه نقود ليدفع ؟.

ولكن لماذا تفكر فى هذا الآن ؟

لقد سرها أن يتبعها هذا الشاب الصغير السن ، الوسيم ،الأنيق، الذى يشبه ممثلى السينما ... سرها ذلك كثيرا فقد كان الرجال الذين يتبعونها معظمهم



كبار السن ، وبعضهم من ذوى الكروش التى تهتز عليها سلسلة ساعة الجيب الذهبية !

وتبعها بنفس الخطوات البطيئة الهادئة • ومرة أخرى وقفت تتطلع الى المعروضات فى واجهة متجر ••• وكان جريئا هذه المرة ، يبدو أن نظراتها اليه قد شجعته قليلا ، فقد وقف غير بعيد منها يتطلع الى نفس الواجهة •

ونظرت اليه وابتسمت •• لكنه سرعان ماهرب بنظراته وتشاغل بالنظر الى المعروضات •

لماذا لا ينظر اليها ويبادلها النظرات والابتسام ؟•• ماله يبدو هكذا خجولا مضطربا كفتاة صغيرة ؟!

وظلت واقفة •• وظل واقفا كأنه تمثال فرعونى قديم يحدق فى الواجهة الزجاجية بعينين لا تطرفان • وغلبها الضحك من منظره ، فالتفتت اليه وضحكت •••فنظر اليها ، والتقت عيناهما ، فابتسم لها ••• قالت له :

ـ هذا « البلوفر » جميل •• ما رأيك فيه ؟

فهمس وهو يختلس اليها النظر :

ـ فعلا ••

ونظر حوله فى جزع وخوف ، كأنه لص يخشى أن يضبطه أحد متلبسا• فعادت تضحك من جديد، فنظر اليها مندهشا ••• فقالت له وهى تدنو منه فى بساطة :

ـ مالك تبدو خائفا هكذا • كأنك تخشى أسدا سيهجم عليك ؟!• الدنيا بخير يابنى ، والناس كل مشغول بأمره •

ومدت يدها ، وجذبته نحوها وهى تقول ضاحكة :

ـ هيــــا سر امامي يا صغيرى ودعك مـن أمور التلاميذ هذه ٠٠

وشاركها الضحـك ، وقد تضرج وجهـــــه خجلا ٠

وسارا جنبـــا الى جنـب ، وقـــالت له مشجعة :

ـ والآن الى اين ستمضى بي يا عزيزى الـدون جوان ؟٠٠

ـ كما تريدين ٠٠ انا تحت امرك

ـ أنت الرجـــل ٠٠ وانت الذى تختار

ـ نجلس في أحـد المشارب الهادئة لنشرب قدحين من الشـــاى فى هذا الجو البارد ٠

وقالت ضاحكة :
ـ ولــــماذا لا نشرب قدحين من النبيــذ أو الروم يبعثان الدفء فى جسدينا ؟

ـ انا لا أشرب الخمر قط ٠

ـ نشرب قدحين من القرفة مثـلا ٠٠ مـــا رأيك ؟

فلم يجب ، وانمـــا استغرق فى الضحك ٠٠ فقالت له :

ـ اذن نتعارف ٠٠ ما اسمك ؟



قبلة على اليد

ـ اسمى شوقى ٠٠ واسمك ؟

ـ خديجة ويدعوننى ديدى ٠٠قل لى ياأستاذ شوقى ، ماذا تعمل ؟

ـ لم أعمل بعد ٠٠ حصلت عـلى ليسانس الآداب وانتظـر دورى فى التعيين ٠

ـ وماذا تفعل الآن٠٠ كيف تقضي وقت فراغك؟

ـ اكتب قصصا ٠٠٠

ـ واين تنشرها ؟

ـ علي السطح !
وضحك ٠

ـ اذن فانت تهيم فى الشوارع بحثـــا عن القصص ؟

ـ تقريبا !

ـ الحيـــاة كلهـــا قصص ٠٠٠ حيـاتى انا مثلا قصة ٠ ساحكيها لك يومـــا ما ٠٠ والآن

اين نجلس ٠ لقد تعبت قدماى من المشى ٠

ودخــــلا أول مشرب قابلهما ، وشربا قدحين من الشاى ، وجلســــا يتحدثان ٠٠٠ وتأملتـــه

مليا ٠ وجهه وشـعره وثيابه الأنيقة ، وحركات

يديه ، وحديثـه العـذب ٠٠٠كل شيء فيه أعجبها

٠٠ وشعرت بميل اليه ٠٠٠ انه رقيق جـدا ،

ومهذب ، ولطيف ، ويبدو أنه ابن أسرة محترمة ٠

كانت تفـكر ٠٠ انه مازال فى حكم الطالب٠ ترى هل معــــه نقـود ليدفع ؟

انها فى حاجة شديدة الى النقود ٠ لقـد مرت بهـــا ثلاثة ايام ولم تصاحب رجلا ، والبيت

خال من الطعام او يكاد ٠٠والأم والطفل فىحاجة الى الطعام ٠

كانت تريد أن تسأله ٠٠٠ولكنها تريثت ، ولما

رأته يحاسب «الجرسون» لمحت أوراق النقد فىيده فاطمأنت ٠٠ انها لا تريد أن يضيع وقتها سدى ٠

لقد مات زوجها ولم يترك لها شيئا ٠ وفجأة وجدت نفسها بلا عائل ٠٠ وكان لها طفل ، وامها الكفيفة تعيش معها ، وهكذا بدأت هذا الطريق مضطرة ... ثم استسلمت على مضض لهذه المهنة المريحة والتى تأتى بالنقود ، فبعض الرجال يدعونها الى العشاء ، ويشترى لها هدية ، وعندما يعرف أن لها ولدا يشترى له حلوى غالية ثم يمنحها نقودا كثيرة ٠

***

كان المساء قد أقبل، واضيئت المصابيح ، وتألقت الطرقات ، وغادرا المشرب ويدها فى يده ٠ وقد زالت بينهما الكلفة، وكأنهما تعارفا منذ سنوات طويلة ، وقال لها وهما واقفان على باب المشرب :

ـ والآن الى أين تذهب؟

فقالت فى بساطة :

ـ الى بيتى ...

وذهبا ٠٠ كانت تسكن فى شارع صغير هادىء فى الطابق الاول من منزل مكون من طابقين ، وسبقته ، وتركت له الباب مفتوحا ، فتسلل داخلا وراءها ٠

كانت الشقة هادئة ، والاثاث نظيفا مرتبا ٠٠

وجلسا فى حجرة صالون ، جنبا الى جنب على الأريكة ٠

وساد بينهما الصمت، وراح يتأملها مليا ...

كانت جميلة بحق ، فأخذ يحدق فى وجهها الجميل بعينين ظامئتين ، وتناول يدها بين يديه ، وقالت هى لنفسها :

ـ لا ريب أنه سيقبلنى الآن ...

لقد شعرت بميل شديد اليه ، واحست بأن هذه هى قبلتها الاولى ٠ وأن كل القبلات التى تبادلتها مع زوجها ومع الرجال من قبل كانت زيفا وباطلا ٠٠ وأن حياتها ستبدأ بهذه القبلة ...

وضمها الى صدره ، وقبلها فى حنان ، على خدها ، كطفل يقبل امه ... وقالت لنفسها :

ـ هذا الشاب فى حاجة الى الحنان والعطف اكثر مما هو فى حاجة الى ارواء رغبة الجسد ٠

وسألته :

ـ هل اعجبتك ؟

فقال وهو يشملها بنظراته فى اعجاب شديد :

ـ انت جميلة جدا ٠٠ وفاتنة !

ـ اشكرك ٠ انت فى غاية الظرف والرقة ٠٠ صدقنى ، لم التق من قبل برجل له مثل جاذبيتك ولطفك ٠

واسند رأسها على صدره ٠٠ وظلا هكذا فترة طويلة ، ثم رفع يدها الى شفتيه وقبلها، فقالت له متعجبة :

ـ اتقبل يدى ؟

فأجاب فى وجد :

ـ ولم لا ؟ ٠٠ لقد قبل « راسكولينكوف » بطل رواية « الجريمة والعقاب » لدستويفسكى يد « سونيا » ٠ ولما سألته ، كما فعلت انت، لماذا قبل يدها ، قال لها « اننى لا اقبل يدك ، وانما اقبل الانسانية المعذبة فى شخصك » ٠

ولم تفهم شيئا ٠ او لعلها فهمت ٠ وابتسمت

كانت تبدو سعيدة لكنه كان يبدو اسعد منها ٠

وأخذ يمسح على شعرها فى حنان ٠ فقدمت اليه شفتيها ،

واسبلت اجفانها ، فغابا فى قبلة طويلة •

ومنحته لحظات حب لن ينساها أبدا •••

وعندما تاهبليلنصرف خطر لهـــا أن ترفض النقود عنـــدما يقدمها اليها •• سوف تفعلهذا هذه المرة ، فانها ترى فى عينى كل من يمد يده اليهـا بالنقود نظـــرة احتقار • وهى لا تريد ان يحتقرها هذا الشاب ••• لا تريد ان ترى فى عينيه هـــذه النظرة •

قبلة على اليد



ولكنها الليلة فى حاجة شديدة الى النقود •

كانت تريد ايضا الا تتركه يذهب • واحست بالحزن وهى تفكر فى انه سيغادرها بعد دقائق • انها لا تريده أن يذهب، تريد أن يقضى معهـــا الليل كله ، بل العمـــر كله • وقـــالت له فى توسل واستعطاف :

ـ الا تقضى الليـــل هنـــا •• وتذهب فى الصباح ؟

فقال فى رنة حزن :

ـ لا أســـتطيع •• والدتى واخوتى يصابون بقلق شـــديد لاننى لم اتعود ان ابيت خـــارج البيت •

ولمحته يمد يده ليضع جنيها تحت الوســـادة ، فقالت له :

ـ لا •• لا اريد شيئا

وتنـــاولت الورقة النقدية ودستهافى جيبه، واصرت على ذلك ، فلم يجد بدا من السكوت ، واحمر وجهه ، وقالت له وهى تداعـــب خـــده بيدها :

ـ هل تعود غدا ؟•• سانتظرك فى الثـــامنة مساء • سأترك لكالباب مفتوحا •••

فقال لها فى حزن :

ـ ولكنك غداستجدين رجلا اخر •

وسمعا صوت طفـــل يقول :

ـ ماما •• ماما

وصوت ســـيدة ترد عليه قائلة :

ـ ستحضر ماما حالا يا حبيبى •

ثم تناهى اليهماصوت بكاء الطفل ، فجفلت ، وتحـــركت فى قلق ثم قالت له :

ـ لحظةواحدة واعود اليك •

وخرجت من الحجرة• وتلفت حـــوله فى حيرة ، وقال لنفسه وهو يحس بالالم يحـــز فى صـــدره ، لا شك انه ابنها ، وفى سرعة دس الجنيه تحت الوسادة •

واقبلت تعتـــذر ، فصافحهاموعدا ، وخرج الى الطريق • وهـــو يشعر بنشوة لم يحس بمثلها منقبل ، ولا يظن أنها ستتكرر ، وحتى لو تكررت فستصبح معادة، وستفقد روعتهـــا ••• ومضى عائدا الى بيتـــه وئيـــد الخطا يفـــكر فيهـــا ، ويحلم بعينين مفتوحتين •• ولكن هل عاد اليهـــا ؟

نورالدين صمود



النور الحريري

ماذا اقول لمن اتتنى تسال   ويمقلتيها للمفاتن منهل :
« شعرى ، صرفت العمر فى تدليله   كم ذا اظل اصونه وادلل ؟!
« نور حريرى الشعاع يلفنى   تغفو العيون على سناه وتذهل
« المشط يسبح فى بحار عبيره   ويدى تغازل ذا الحرير وتغزل
« وانا اروم اليوم حصد حريره   لكنتى قد جئت رايك اسال ؟ »

ماذا اقول ، فشعرها دنيا شذى   من ذا راى العطر الشذى يجدل ؟!
ما قيمة الأزهار فى بستانها   ان لم يضع منها العبير ويرفل ؟!
وعلام تزهر فى الربيع رياضنا   ان لم يغرد فى رباها البلبل ؟!
فلتتركى هذى السنابل حرة   اياك أن يعدو عليها المنجل
انى أحب فروعها وعطورها   ويروقنى أن يستطيل السنبل
وأحب فى الطاووس قوس سحابه   اذ يستعز بذيله ويهلل

هو جدول للعطر سحرى الشذى   من ذا يحبذ ان يجف الجدول ؟!

تونس   نور الدين صمود

حول ديوان المصري

قرأت المقال الجيد الذي كتبه الاستاذ عبد العزيز الدسوقي في العدد الماضي من « الهلال » ، الخاص بفرسان السيف والقلم ، وعنوانه : « زعيم جماعة الفرسان الشعراء : عبد الحليم المصري » ، وقد قرر كاتب المقال انه عاش مع الجزء الاول من (ديوان المصري) ، وتساءل ان كان قد اصدر بعد ذلك الجزء الثاني من الديوان ، كما كتب في نهاية الجزء الاول ؟؟

وجوابا عن هذا التساؤل ، اود أن اقول ان الشاعر عبد الحليم المصري قد وفي بوعده فاصدر الجزء الثاني من ديوانه سنة ١٩١١ ـ اى بعد عام من صدور الجزء الاول ، كما أصدر في سنة ١٩١٨ الجزء الثالث من ديوانه ، وبذلك اجتمع في المكتبة العربية ثلاثة أجزاء من (ديوان المصري) هي كل ما وصل الينا من شعره الذي صنعه على عينه ، ونشره بعنايته . وان كانت له منذ سنة ١٩١٨ الى وفاته سنة ١٩٢٢ قصائد وأبيات متفرقة هنا وهناك ، ومنشورة في بعض صحف ذلك العصر ومجلاته لم يجمعها كتاب .

وقد طبع الجزء الثاني من (ديوان المصري) في مطبعة التأليف ، وصدره صاحبه بتقدمة لا تتجاوز عشرة اسطر قال فيها كلاما لا بأس من ايراده هنا للعبرة وبيان أخلاق أهل ذلك الزمان ، قال رحمه الله : (ولقد يظلمني اليوم من يسجل علي حكما في صحيفة من صحف التاريخ . فأنا لم يقف بي يأسي ، وأنا أعلم بنفسي ، ومن كان مثلي قريب العهد فلا يقف عند هذا الحد . ومادامت الجياد في منتصف سبيل السباق ، أو السيوف بين الأرءس والأعناق ، فلا يقال : سبق أو يسبق هذا العتيق ، ولا غلب أو يغلب هذا الفريق ، بل الحكم عند الختام ، والله أعلم والسلام) .

وظل الشاعر على تواضعه وطموحه .. فلم يدع أنه بلغ شيئا ، أو نال نضجا ... فكتب الى والده اسماعيل حسني يخاطبه في خاتمة الجزء الثاني من ديوانه قائلا : (والله يوفقني الى رضاكم ، وينضج ثمرة أدبي في أيامكم ...)

وفي سنة ١٩١٨ أصدر الجزء الثالث من ديوانه مطبوعا في مطبعة المعارف بالفجالة لصاحبها نجيب متري والد صديقنا الاستاذ شفيق متري ، وقدمه بثلاثة أسطر لاتزيد ، قال فيها : (هذا ثالث اجزاء ديواني ، وأول شعري ، سيقرؤه أحد رجلين : رجل يقول : أحسن ، فقل له : ان عاش سيزيد . ورجل يقول : أساء ، فقل له : ان عاش سيحسن والسلام)

وشاء الله الا يعيش عبد الحليم المصري بعد ذلك الا اربعة اعوام ، ولكنه ملأ الدنيا في ذلك العمر القصير ، بأعذب الكلام ، وأحلى الأنغام .

● محمد عبد الغني حسن ●

قصة قصيرة

أنا وورقة

هدى جاد

الازهار تحيط بى والافراد والشجر والشمس والهواء • وها هى السماء ترمقنى كما ارمقها ومع ذلك فلا اشاهد الا نفسى .. عاشت معى سبعة عشر عاما •

قالوا لى : لن تكونى وحدك ابدا .. كنت فى اسرة وفى مجتمع احيانا وفى مدرسة احيانا اخرى ولكنك هناك أو هنا ستلتقين وتعيشين — الى متى لا ادرى — مع الناس ربما يلاشونك ..

مددت يدى لاقطف زهرة وردية فى طريقها لأن تكون بنفسجية ، لكننى سرعان ما أحجمت

ورددت يدى .. لا .. لأن اللوائح تقول : « لا تقطف الأزهار » ، بل لأن

هناك شيئا آخر شدنى لرؤيته ، حشرة صغيرة .. نملة فارسية .. تاملتها عن كثب وتحركت من مقعدى واطللت براسى مع انحناء جسدى حتى صرت قاب قوسين من الأرض •

لماذا لا أكمل دائما ما بدأته ؟ • ها هى ذى طائرة تحلق فوق رءوسنا وازيزها يدوى أهى منا أم علينا ؟ وارتفعت الرءوس تحدق فيها ، وكثر اللغط .. ثم سرعان ما هدأ بعد أن مرت ولم تترك شيئا •

نسيت الأزهار ، وتاهت منى الحشرة ، ومرت الطائرة ، وخلوت الى نفسى مع أن عدد ما يحيط بى من الناس يزيد على العشرات •

ما هذا الفوج ؟ مجموعة من الناس تفد الينا فى يوم من أيام الاسبوع • شدتنى احداهن • تكاد تشبهها تماما .. نفس العينين والشعر والابتسامة .. أه .. ها هى ذى تبتسم ، لقد اكتملت ملامحها تماما لولا فارق فى السن لا يقل عن خمسة عشر عاما •

ساوجه انتباهى الى الناحية الأخرى .. لا • لن أنظر اليها !

على الاطلاق ! .. دقات الحصى تتوالى كأجراس كنيسة ثم تعلو وتعلو ، وأقدام الفوج تقترب .

***

في يوم مـــن الايام كانت الساعة الثامنة مساء ، واستمرت دقاتها تتـــــوالى حتى قاربت الحادية عشرة .

وسألت نفسي :

هل استذكرت شيئا ؟

لم اكن ادرى سوى أن النوم كان يكتم انفاسى ، ولسبب لا أدريه تحولت عقارب الســـاعة من الثامنــــة الى الحادية عشرة ، وتناولت حبة .. تعاوننى على السهر

***

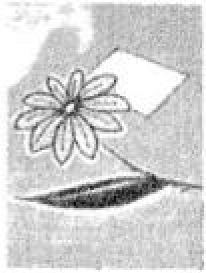
ما زالت دقات الحصى تتوالى كأجراس كنيسة ثم تعلو وتعلو .

وأقدام الفوج تتحرك بعضها يعلو وبعضـــها يثبت على الحصى ، وهى .. فى بعيهـــا ترمقنى وتبعث لى بابتسامة

مددت يدى لأقطف الزهرة ، وعندما لامست أصابعى صفحة أوراقها،

قامت فجأة وبلا تمهيد عاصفة رملية ، وابتعدت الزهــــرة عن يدى ، ووجدت نفسى أحمى عينى من ذرات الرمل ونسيت الزهرة نسيانا تاما .

هل أصبحت وحيدة بعد



أنا ورقة

أن حجبت بيـدى عينى عن الرؤية ؟ .

***

قـــالت لى أمى فى صبيحة احد الايام وانا عازمة على الخروج :

— لن أوصيك يا وفاء .. ركزى جل انتباهك اثنـــاء الشرح حتى ..

حتى تحصلى علىمجموع طيب . ولنأذكرك بالعام الماضى ..

المـاضى .. المـاضى يلاحقنا دائما ! . لقد قيل لى اكثر من مناسبة أن ما فات قد فات .. لماذا نربط بين ما حدث وبين ما يحدث وما قد يحدث

ولن نستطيع مهما بذلنا من جهد أن نغير مـــا حدث بالفعل ؟

آخ .. أحسست بلدغة . هاهى الحشرة تعود ثانية لتلسعنى بعد أن نسيتها تماما ... أهى بعينهـــا أم أخـــرى أنابت عن الاولى ؟ مددت يدى أحاول تخفيف الالم ، وتحركت اصابعى تبغى ازالته فى دائرة اتسعت واتسعت حتى اصبحت رقعة الالم اكبر من أن تلاحقهـــا اصابعى .

أما زالت العـــاصفة قائمة ؟ وانكانت لاتزال فلماذا لم أعد أرىأفراد الفوج ؟

نعم لقـــد زالت الآن وأفراد الفوج لم أعــد أراهم أمـــامى لانهم اصبحوا بجـــانبى .. ولابد أن وقتا طويلا قد مضى مع أحلامى ..

أكانت حقا أحلاما ؟

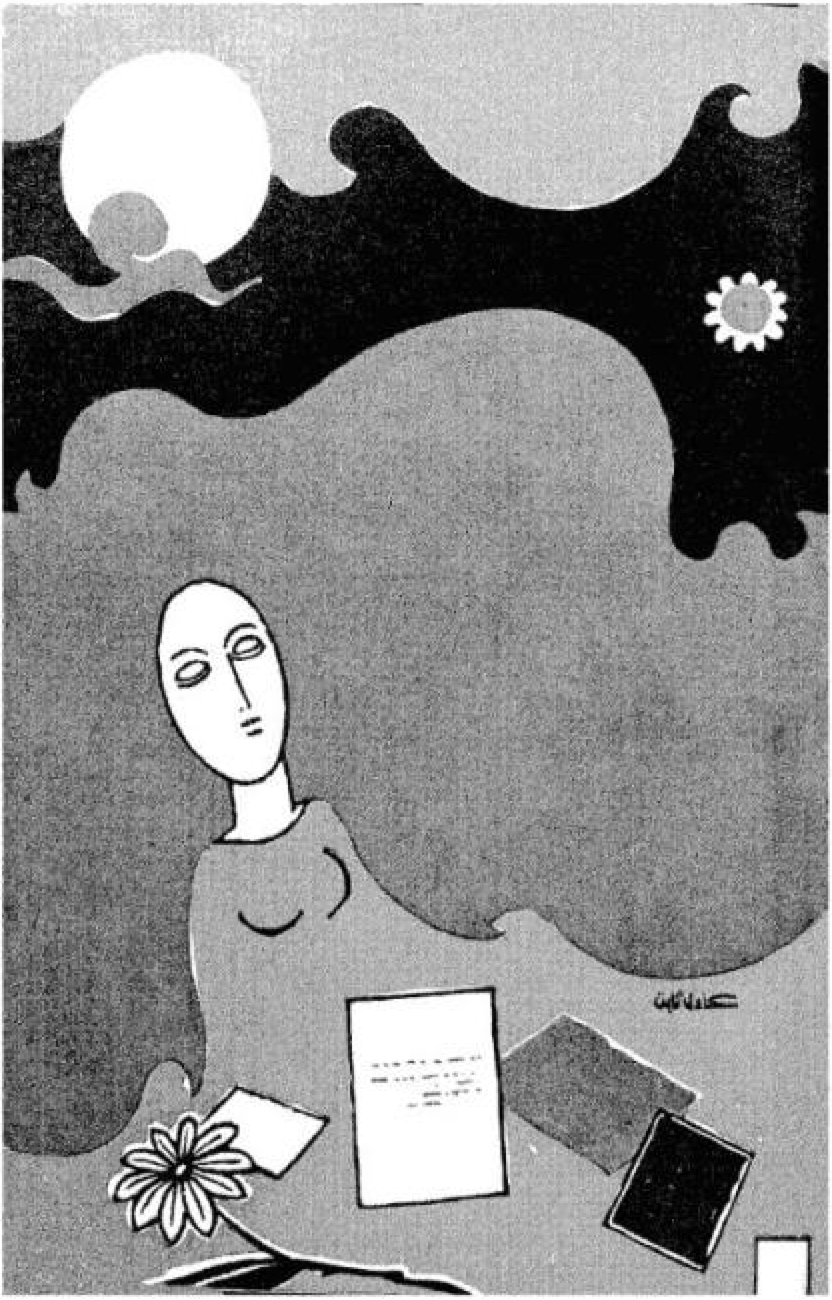
وما هو الحلم ؟ أن نشاهد ما لن يحـــدث اطلاقا، أو هىارهاصات بما قد يحدث بالفعل

ما هى رســالتى ؟ أن أتأمل السماءوالازهار والحشرات وأرفع رأسى دون قامتى لألمح طائرة مرت لم تصنع شيئا سوى ارسـال ازيز لم يعد يفيد أحدا الا فى الازعاج ؟

***

تأبطت حقيبـــة كتبى ونزلت السلم . لم تعد هناك جدوى مناستعمال المصعد فقد قال البواب

— وهو صنيعة صاحب العمارة — انالمصعد لمن يصعدون فقط ، ومـــا أسهل النزول .. انه لا يكلف جهدا .



تأملت المدرس· كانت شفتاه تتحركان واصابعه تتشنج احيانا وتنقبض احيانا اخرى ثم المح ظهره واعد المربعات التى تكتمل فى النهاية فتتحول الى بدلة من قطعتين وربما ثلاث تختفى بين القميص والجاكت وبداخل ذلك كلــه مدرس لا اراه اطلاقا ..

وعندما يسألوننى ماذا سمعت ، اقول صادقة ، لا شيء سوى ازيز طائرة وصيحات بائعى الجرائد واصوات المذيعين

وتسألنى امى مروعة : والدروس ؟

فاقول صادقة : اراها فقط !

وتصرخ امى : وصوت المدرسين ؟

واجيب بهــدوء يمزقنى : ارى اصواتهم ولا اسمعها ·

وتمسك امى برأسها بين يديها وتبكى لجيرانها وصديقاتها وتنتحب وهى تقول :

ـ لا اريد من وفاء الا الحصول على الشهادة ، وبمجموع عال .. هذا ما اريده فقط · هــل اطلب الكثير ؟

***

لــماذا تأملت تلك الشابة التى تشبه امى تماما فى كل ملامحها ، لقد رأيتها هى فقط .. اننى هكذا لا اشاهد الا ما اريد رؤيته دائمــا وتنطمس كل المرئيــات الاخرى · هذا الفرج من رجال ونساء لم أعد أرى بينهم سوى هذه المخلوقة .. اقتــربت منى كان

هناك شيئا يربط بيننــا او لعلنى توهمت هذا · قالت فى عجلة ككــل امراض ومتطلبــات العصر : ترى أين يجلس المرضى ؟

وتأملتهــا وابتسمت فعاودت ســؤالها وهى اكثر احراجا :

ـ اعنى هل يختلطون بالاصحاء ؟

وخرج صوتى : ماذا تريدين بالتحديد ؟

لقد كانت امى تقــول لى دائمــا ان حديثى يشوبه المنطق ، والمنطق دائما يبحث فى الحق ، لابد اننى صادقة ..

وتأملتنى الــزائرة ثم اجابت : طبعا انت احدى الزائرات ولا بد ـ بمــا انك سبقتنى ـ تعــرفين كثيرا عن هذه المصحة ؟

ويبدو أن عينى قــد التمعتا او شابهما شيء ما ، فقد تراجعت خطوة وهى تقول : آســفة احسبنى قد اثقلت عليك

وعاودنى الابتسام·· اننى ابتسم دائما لغباوة هذا العالم ، وهــذه المخلوقة كائن غبى فى هذا العالم · سأداعبها واراوغها فقد فاتنى ان افعل ذلك مع امى

قلت لها بلا انفعال :

ـ سألتك ماذا تريدين بالتحديد ولم تجيبى عن سؤالى حتى نتفق على شيء · هل أعاود السؤال مرة أخرى أو ستختصرين الطــريق وتجيبيننى مباشرة ؟

قالت بسرعة وخجل : اريد حديثا من احــدى المريضات نزيلات هــذا المستشفى ·

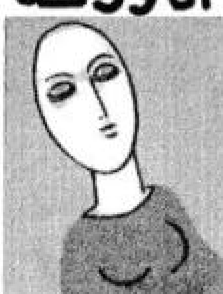
وأتاها ردى : هــل استشرت أحد الأطباء ؟

وتهلل وجهها وقالت : انك ذكية جدا لقد فاتنى هذا ، وصدق حدسى ، لابد انك .. احــدى الزائرات .. !

***

قالت امى لاحــدى صديقاتها المقربات فى يوم ما : اريدها طبيبــة يا هنية .. انا صــاحبة مرض وكل الاسرة تشكو امراضا مستعصية · ليت وفاء تحصل على مجموع عال يؤهلها لدخول كلية الطب ·

أنا ورقة



وعلقت الست هنية : هـذه ثاني سنة لها ، ارجو ان تنجح .

ورفعت امي يديهـا للسماء قائلة : ليوفقهـا الله .

***

تلفت حـولي .. اغلبهن من النسـاء ، ويقولون ان المصـابين معظمهم من الرجـال انسوا أن الاناث اكثـر حساسية ؟ ماذا تبـقى لدي ؟ بل ما الذي حصلت عليـه من قبل ؟ طعام يذوب في جسم اضنـاه التعب وسوائل تمتصـها المسام ثم تفرزها عرقا مكدودا .. الشهادة هي كل شيء .. لم يعـد لدينا مال يا وفاء . مات ابوك ولم يترك لنا ارثا .. سـواك .. اريدك طبيبة .. أريدك طبيبة .. أريدك طبيبة ..

وتلفت فزعة سمعتهم الآن ينادون : سيحضر الدكتور فوزي حالا .

رمقني الدكتور فوزي، لعنة الله على الدكتـور فوزي وعلى كافة الاطباء وعلى كل المستشفيـات والـزائرين والـزائرات وخاصة هذه التي تشبه امي تماما .. لقد جاءت وبرفقتهـا الدكتور فوزي .. لماذا الومها ؟ الست انا التي نصـحتها باستشارته ؟ من منـا الذي فقد عقله ؟ هي .. والعالم بأجمعه أم أنا ؟

***

قالت امي : الا يحسن بي أن ارتدي السواد ؟ وأجبتها حينـذاك وعيناي مقرحتان : لماذا يا امي ؟

وقالت او على الاصح صرخت قائلـة : الا تستحين .. ترسبين في الثانوية العامة لثـاني سنة ؟ ماذا أصنع . هل ازوجك ؟

ولم احر جوابا .

وامسـكت بذراعي تهزها : الا تدركين كم اعاني لاحصـل على مصروفات تعليمـك .. دائما تخذلينني . دائما دائما دائما دا ...

***

دائما يختـارون الدكتـور فوزي يوم الزيارة لاستقبال الوفود

وصحوت من صحوي وتأملت عيني الدكتـور فوزي الذي رمقني ووجه في نفس الوقت حديثـه للمخلوقة التي تشـبه امي :

ـ عامل الوراثة كان ضعيفا لكن الصدمة كانت قوية !

وقالت الـزائرة بدهشة : أيعقل انها .. لم اكن محتـاجة لاتبين سبب فزعها ، لم تصدق انني مريضة .. ومن قال انني مريضة ؟ لقد كنت حقا مريضة .. فيما مضى ، حينما اطيع امي طاعة عمياء ، اما الان فقد شفيت .. لقد حولتني امي الى ورقة . شـهادة .. ارقام .. مضمون ، اعني مجموع! لكنني الان لست حاصل ضرب او كسر او طرح ، بل انا كائن حي يتنفس يشاهد طائرات لا تصنع شيئا سوى أن تستعرض نفسها .

انني اعرف تماما كنه هذه الفترة التي نمر بها .. خيط دقيق يفصـل بيننا وبين حياة العقلاء .. خيط دقيق .. دقيق جدا ..

***

اتصدقونني أن الساعات التي قضيتها على مكتبي في بيتنا طبعا، تربو على الالوف اكثـر من التي قضيتها على الموائد او الكراسي او مكتبي في المدرسة .

غالبت النـوم والاستغراق في مشاكل الحب والاسرة ودائرة الصديقات . ومشـاكل العصر . والحـرب والسلام .. لكنني نمت

.. نمت نوما طـــويلا وعميقا رغم اتساع عيني لقد كانت عيناي مفتوحتين تريان ولا تشاهدان شيئا .. كل عام كنت اقطعه .. اتحول فيه الى ورقة

بل قصاصة ورق مقطوعة من صفحة تائهـــة عن كتابها .. واختلط على

الامر ، لم اعد أميز بين الادب والعلم ثم كانت الطامة الكبرى عنـدما

أسروا في اذني : لم يعد هناك احد يرعاك يا وفاء سوى الله !

***

مـا لهـذه المخلوقة تقترب جدا من الدكتور فوزي لتسر اليه باشياء ويسر اليها باشياء ؟ .

مابال الهمس يدور دائما بين النـــاس ؟ لماذا لا يصـــنعون شيئا كما صنعت انا ؟ لقد رسبت في شهادة الثانوية العامة

ثلاث سنوات .. ما معنى هذا ؟ معنـــاه انني كافحت وثابرت وقطعت من وقتي بل من حياتي كل شيء حتى النـوم .

استعصيت عليه ، غالبته باقراص تعـاونني على

اليقظة على ان ارى كل شيء ، وكانت النتيجـة انني لم انم ولم انجح .

الحمد لله انهـا رحلت قبل ان تعرف ما حصلت عليه .

لا يا امي لن ادخـل كلية الطب ولن اصـبح طبيبة .. هؤلاء الاطباء ، الدكتور فوزي وامثاله ، يلتقون بنا نحن المرضى فاقدي العقول ويستريحون مســـاء في بيوتهم وينـــامون ويحلمون ويشاهدون الطائرات التي لا تزعجهم ابدا ، فصراخ

المرضى اعنف الف مرة من ازيز الطــائرات . وهذه الصحفية .. نعم لابد انها صحفية .. لم لا اسالها ؟ لم لا نتبادل الشخصيات ؟ لقد كنت في يوم ما ورقة والان اســتردت نفسى ثانية فصرت مرة اخرى وفاء .. ســـاسالها : لم اختــرتني انا بالذات والقيت على اكثـر من سؤال ؟

ستجيبني : لا تبـدو عليك اية عـــلامة من علامات المرض .

وساسالها مرة اخرى: انني في حالة انفصام ، وهي السلبية التـامة ، وعدم الانفعال ، والمصابة به يمكن التحدث اليهـا بسهولة . ارايت ؟ لقد تفوقت عليـك بالعلم .

كل هــذا قراته قبلك . لا بعدك ، فربما لم تقرئيه بعدي او لم تقرئيه اصلا .. ساخدعك قطعا امره

عليك لان هــذا الكلام سمعته من الدكتور فوزي وزملائه الأطبــاء ووعته ذاكرتي تماما ..

ولكنهـــا لن تيأس وستلقي علـى السؤال تلو السؤال : مـا هي أزمتك ؟

وساجيبها ، لــكنني قبـــل أن اجيب ساكون صادقة وصريحة ، فقـد سمعت باذني كل ما قاله الطبيب فوزي : فرضت عليها كلية الطب . لا

كحلم بل كحقيقـة .. لا ميلا بل ضـــغطا .. ضاعفت مجهود الذاكرة

ولم تتمـــكن فلجأت للاقراص التي تعاونهـا على السهر واسرفت في تعاطيها لتتجنب النوم .

حتى اصبحت هي والنوم في خصام تام .. وعامل الوراثة لديهـــا كـــان ضعيفا ، لكن الصـدمة

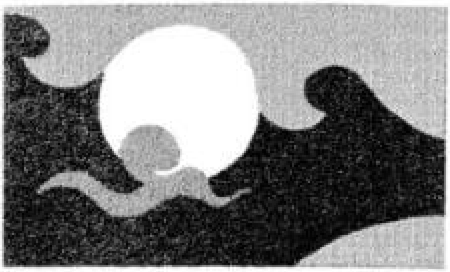
كـانت قوية ! والسؤال هو : ما كنه الصدمة .. ما كنهها ؟

***

ما بال الأزهار تميل الى اللون الداكن ؟ لقد تحــولت ذات اللون

الوردي الى اللـــــون البنفسجي .. لقـــد حدست ذلــك في اول الامر وامتلات الارضية بالنمل الفارسي وازدادت

خشخشة الحصى . لقد كثرت الاقدام التي تحمل فوقها اناسا فضوليين .. كلهم فضوليون .. لماذا يأتون ؟ هل تحولنا الى دمى في فترينـــات تقع



أنا ورقة

على نواصي الشوارع ؟ لعلني احدى الدمى .. لقد قال بعضهم : خسارة ... انها جميلة جدا !

ولماذا خسارة ؟ انني هنا .. انام كما اشاء واتحول الى كائن من عظام يكسوه اللحم ويغذيه الدم . والام . والام . والا ..

***

قال الدكتور فوزي للصحفية : والام ايضا لا اعفيها مما حدث .

وتحول الهمس الى حديث قد يكون مسموعا؛ لكن القدر لم يمهلها كي تحصد نتيجة مازرعت .

ـ كانت تعاني من ضغط الدم . تعرفين ولا شك نتيجة هذا المرض . انفجار في المخ ..

ومرت طائرة ولم تلق الصحفية اليها بالا واستأنفت الانصات والحديث .

ـ اذن فموت الامنتيجة طبيعية لما حدث لـ ...

وابتسمت وفاء ، لابد انهم ذكروا اسمها ، لم لا تثبت وجودها فتسأل الاثنين معا هكذا :

ـ اتظنان انني مريضة حقا ؟

وابتسم الدكتورفوزي .. ان ابتسامته تذكرني بابتسامة امي وهي تناولني كوب الشاي على مكتب الاستذكار . لكنه لن يقدم الاجابة تماما كما كانت تفعل امي .

ـ من قال انك مريضة يا وفاء ؟

انني لا انفعل هكذا يقول تشخيص الطبيب

ـ اذن فما سيبقاني في هذا المصح ؟

وهرش رأسه .. من منا المجنون ايها الطبيب المعتوه ..

ـ لقد كنت مريضة .

ـ والآن ...

ـ في طريقك الى الشفاء ان لم تكوني شفيت فعلا .

انهم لا يعرفون من المجنون ومن العاقل ، وحتى يعرفوا ، سيدركون أن هذه الطائرة التي تمر في وضح النهار ما هي الا طائرات اعداء .. تماما كما كانت تصنع امي . تنقلق على وتراقب على تلقيمي ثديها بعد أن صرت بالغة . ومع هذا ادرك تماما ولا أحد يدرك مثلي انها عدوة . لقد حولتني الى .. الى ..

***

قالت الصحفية : أريد شهادة تثبت وجودي وأن تحقيقي الصحفي ليس من بنات افكاري . نعم لقد حولتني امي الى شهادة .. ليتني كنتها .. شهادة أو ورقة فربما طرت الى أي مكان آخر .

قالت الصحفية : يا صبحي اضبط الكاميرا .. اضبطها جيدا والتقط الصورة بالزاوية الملائمة

اعرف تماما ماسيحدث لي . ستلتقط لي بعض الصور وتنشر في مجلة مرموقة وتتحول الطالبة .. عفوا التي كانت طالبة ، الى « كارت » أو .. أو ورقة ..!

عبد الحميد حمدى

رحلوا في أجمل العُمر وخلفوا بصَمَات عميقة في الفن

على طريق المعاناة والخلق والابداع ، تألقت فى سماء الفن التشكيلى المعاصر، مواهب مصرية شابة فتحت للفن آفاقا جديدة رحبة ، ومنحته دفعات قوية ملهمة ، ثم لم تتسع لها فسحة من العمر ، فانطفأت شموع حياتها قبل الأوان ، وتركت لنا من أعمالها وانتاجها آثارا باقية تضاف الى أمجاد فننا المصرى العريق ..

وهذه جولة بين تراث عدد من الزهور الذاوية من فنانينا التشكيليين الذين رحلوا عن الحياة فى ربيع الشباب وخلفوا للفن وللأجيال المقبلة من الفنانين انتاجا ملهما وجديرا بأن يكتبهم فى سجل الخالدين ...

● دسة : عبد الفتاح عيد ●



« زهور » طبيعة صامتة .. من آخر الأعمال
التى عرضت بالمعرض العام للفنان: كمال خليفة

رحلوا في أجمل العمر

● **محمود مختار**
فنان « نهضة مصر »

هو مثال مصر الاول ، ولدبقرية نشا بالقرب من المنصورة ، وكان من الممكن ان يبقى فى قريته وأن يصنع على شواطئها مواهبه التى بدأ وميضها فى تلك التماثيل الصغيرة يسجل فيها مشاهد طفولته ، ولكن المنابع الريفية التى أمدت القاهرة بطاقات النبوغ بعثته اليها كما بعثت زعماء الفكر والسياسة والادب امثال محمد عبده ، وسعد زغلول ، وطه حسين .

وفى مجتمع المدينة الكبيرة لم يكن هناك فى ذلك الحين ، مجال لحياة الفنان التشكيلى ، ولم تكن هناك مدارس ومعاهد لدراسة الفنون الجميلة ..

وعندما افتتحت مدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩٠٨ ، كان اصراره على الالتحاق بها بداية الطريق الى اكتشاف مواهبه . ولم يقنع مختار بما قدمته له دراسة الفنون فى القاهرة ، وأوفد فى بعثة الى فرنسا ، حيث تفوق فى مدارس باريس الفنية . وكان أول مصرى يطرق معرضها الرسمى السنوى وتقبل اعماله فيه ...

وفى باريس قدم مختار نموذجا لتمثاله « نهضة مصر » ونال عليه جائزة تقدير فى اكبر معارض فرنسا سنة ١٩٢٠ .

ويعود مختار الى مصر فى ذلك الوقت فتستقبله الثورة والمظاهرات

« أوقفوا التجارب الذرية » .. تمثال من الحجر الجيرى يمثل ثلاث أمهات ، كل منهن تبغى حماية طفلها من أهوال الحرب الذرية ، للفنان انور عبدالمولى

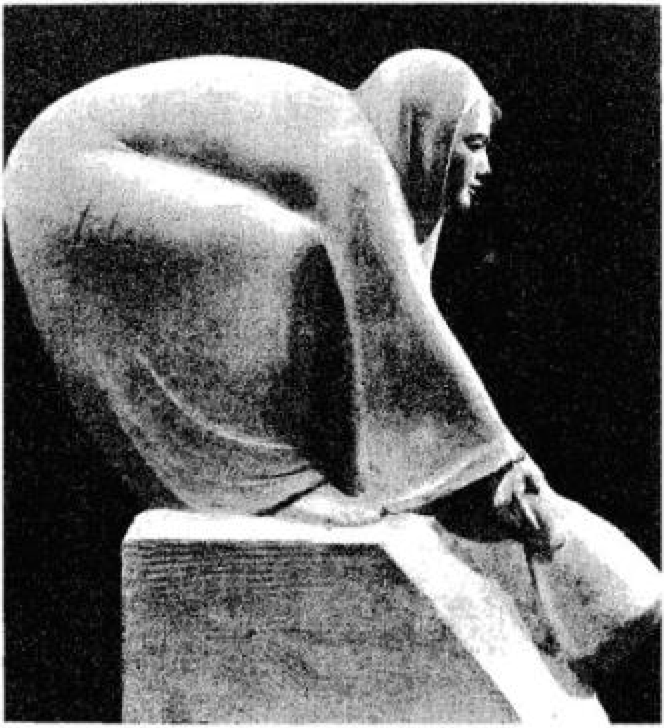


الشعبية فيندفع اليها ويشارك فى احـداثها ويقبض عليه ويودع السجن ، ثم يفرج عنه بعد ذلك ليحمل الازميل ، ويبدأ فى صنع التمثال الذى يرمز الى نهضـة الشعب .

وقد استغرق صنع تمثـال « نهضة مصر » ثمانى سـنوات توقف العمل خلالها مرارا نتيجة للعراقيل التى كانت تضـعها السراى والرجعية فى طريقه حتى ينصرف عن صنع التمثال ، ولكن ارادة الفنان انتصرت فى النهـاية واحتفل بازاحة الستار عن التمثال فى مايو سنة ١٩٢٨ .

ولقد واجه مختار مثل هـذه المؤامرات اثناء العمل فى تمثال سعد زغلول بعد وفاته والـذى اراد أن يرمز به للثورة والزعامة الوطنية .

فلاحة مصرية تملأ جرتها من النيل ، للمثال محمود مختار



« العودة من النيل » .. تمثال من الحجر يعبر عن اعتزاز الفلاحة المصرية ، ويبرز مدى تمكن الفنان من ارساء قواعد النحت المصري الحديث

« ابن البلد » .. لوحة زيتية تمثل المراحل الاولى للتعبير عند الفنان عبد الهادي الجزار





رحلوا في أجمل العمر

وكان للحلاق « نهضة مصر » أثر كبير في الحركة الفنية ، فقد أنشأت الدولة مدرسة الفنون الجميلة العليا ، كلية الفنون الحالية ، في نفس السنة .

واستفاد مختار من جميع الإمكانات الفنية المتوافرة التي أتاحتها له فرنسا أثناء بعثته الدراسية .

وقد فارق عالمنا المبدع الجميل بعد مرض طويل وهو لم يتجاوز الثالثة والأربعين من عمره ، مخلفا وراءه كثيرا من الأعمال يضمها متحفه الذي أنشأته وزارة الثقافة بحديقة الحرية ويحمل اسمه .

● عبد الغني الدري

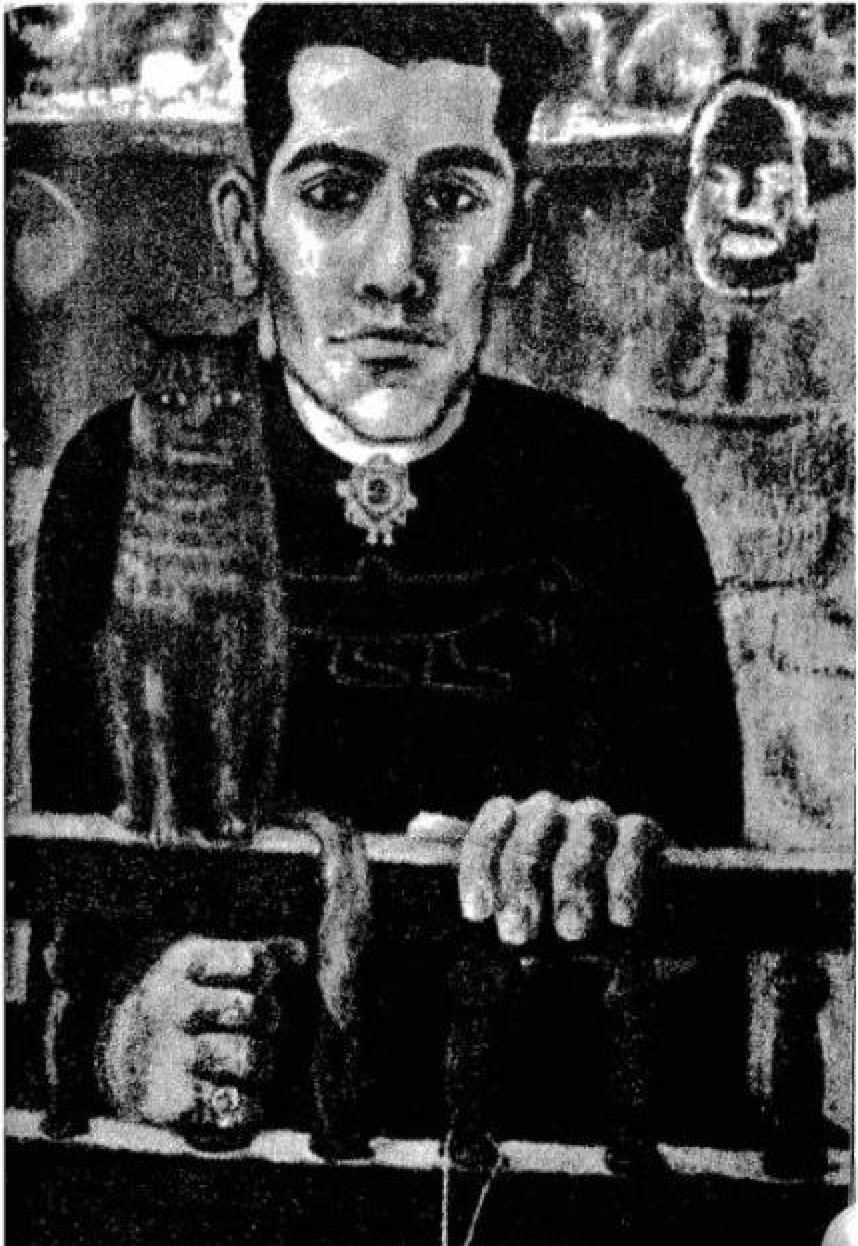
صراع الحياة والفن

كان حبه للفن يملك حياته ..

وعندما صادفه سوء الحظ في بداية الدراسة بمدرسة الفنون الجميلة العليا ، لم تصده تلك الصدمة عن مواصلة الجهاد في سبيل الفن ، فسافر إلى إيطاليا حيث التحق هناك بأكاديمية



● العودة من الحقل ، حفر : الفنان [illegible] ..



« بورتريه » يعكس براعة الفنان فى اكتشاف أعماق النفس البشرية وإبراز الانفعالات ، للفنان : عبد الهادى الجزار



« رقصة من سيام » .. تظهر فيها براعة الفنان ادهم وانلى ومقدرته على تسجيل الحركات السريعة فى رقصات الشعب ..

الفنون الجميلةالعليا بروما ،وأنهى بها دراسته وحصل على دبلوم الاكاديمية .

عاد قدري الى مصر وقلبه الكبير يضيق بالاعمال العظام ، وبتطلعاته الى آفاق رحبة وغير محدودة .. ولكنه لم يكد يلتقي بالواقع بعد قدومه الى أرض الوطن ببضعة أيام حتى واجهته المشكلات والمتاعب ، وظل سنوات دون أن يجد عملا يقتات منه ، ثم اتيح له الالتحاق بعمل في وزارة التجارة بأجر لا يتجاوز خمسة عشر قرشا في اليوم ، واستغنت عنه وزارة التجارة بعد ذلك ضمن سبعين آخرين من العاملين بأجر يومي .

وأمام صمود الفنان قدري شاءت الاقدار ان يبتسم له الحظ فدعي للعمل بمدرسة الفنون التطبيقية ، ولم تمهله المنية سوى يومين قام فيهما بالتدريس ثم لقى ربه .

وقد أقامت رابطة الفنانين المصريين معرضا لاعماله بعد وفاته ضم احدى وأربعين صورة .

● **تحيا سعد**
في البيئة المصرية الصميمة

في عام ١٩٣٣ تخرج تحيا سعد في مدرسة الفنون الجميلة العليا ـ قسم التصوير ـ ولكنه احب فن الحفر ، وخصص له اكبر جانب من اهتمامه وانتاجه ..

وكان يمني نفسه ـ وهو الفنان الاصيل المتحمس للفن المصري القديم ـ ببعثة الى اوربا ليتعرف



« امومة » .. لتمثال من الجبس الملون ، يمثل الرحلة التجريدية للفنان كمال خليفة ....

رحلوا في أجمل العمر



« اهتزاز » .. تمثال من حجر الجير تظهر فيه قدرة التحكم والتشكيل الرائع للكتلة ، للفنان انور عبد المولى ...



« الراحة » تمثال من البازلت للفنان محمود مختار ....

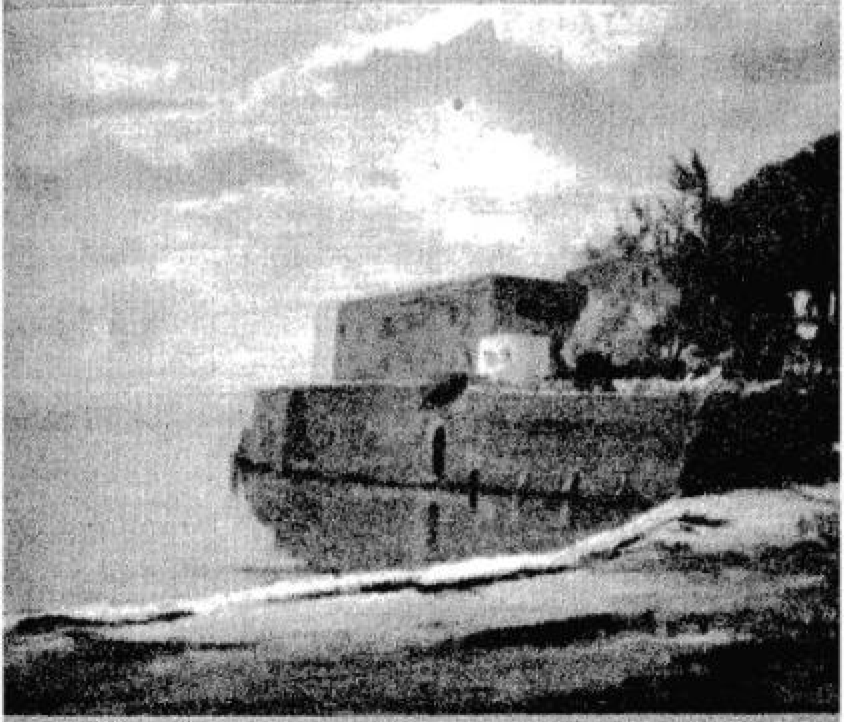
على الحركة الفنية في ايطاليا وفرنسا ، وقد رفض العمل كمدرس للرسم في مدارس وزارة المعارف - وقتذاك - ليتفرغ للبحث والانتاج حتى يشبع غريزته الفنية رغم الصعاب التي كانت تعترضه

وقد حصل تحيا سعد على بعثة داخلية بالاقصر عام ١٩٤٢ ، اذ كان ضمن الدفعة الاولى في مرسم الاقصر الذى أنشىء عام ١٩٤٢ للممتازين من خريجي مدرسة الفنون الجميلة العليا لدراسة الفن المصرى العظيم ومعايشة البيئة المصرية الصميمة فى قرية القرنة بالاقصر .

وبعد نحو عام ونصف عام ظهرت عليه اعراض مرض الصدر فادخل مصحة حلوان ، ثم تمكن منه المرض فتوفى بالمصحة يوم ٨ أبريل سنة ١٩٤٥ .

وقد ترك تحيا سعد اعمالا قيمة فى فن الحفر الذى عشقه وفضل ممارسته على تخصصه

« طائر السلام » تجريد..
للفنان : كمال خليفة ..



« النيل فى العادى » منظر
عن الطبيعة من اللوحات
التى امتاز بها الفنان
الراحل جورج صباغ ..



رحلوا في أجمل العمر

الذى درسه وهو فن التصوير .
وتمتاز جميع أعماله بالبساطة وجمال الخطوط وعمق الفكرة ومتانة التكوين ، وقد عرضت اعماله فى معارض داخلية كثيرة كما عرض بعضها فى مدينة البندقية بايطاليا ، ومعرض باريس الدولى بفرنسا .

● عبد الهادى الجزار ثروة فنية رائعة

كان وجدان عبد الهادى الجزار محملا بالرؤى التى ملأت نفسه فى سنى نشأته بحى القبارى بالاسكندرية . وبحى السيدة زينب بالقاهرة ، وكانت تظلل الكثير من انتاجه احلام طفولة غامضة ورواسب من جو السحر والاحجبة والتعاويذ . وقد تشبع بالجو الذى خلقه له ولزملائه من تلاميذ المدارس الثانوية، استاذهم حسين يوسف امين ، الذى كان يدرس لهم مادة الرسم فى المدرسة .

وبعد ذلك التحق عبد الهادى الجزار بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، وكان يتميز بحماسة البحث والدراسة ، كماكان ينطلق فى بحوث فنية حرة وجريئة . وقد سافر فى بعثة الى ايطاليا لتكملة دراسته باكاديمية الفنون الجميلة بروما ، وعمل بعد عودته مدرسا بكلية الفنون الجميلة بقسم التصوير ، وكان من اوائل الفنانين المصريين الذين اعتنقوا مذهب السريالية فى الفن ،وكان

« طقوس سحرية » لوحة زيتية ، تعكس ميل الفنان التشكيلى لتسجيل الرموز ، للفنان عبد الهادى الجزار



غزير الانتاج ، واشترك فى كثير من المعارض فى الداخل والخارج، وقد اقيم له بعد وفاته معرضـان بالقاهرة ، وعرضت بعض اعماله اخيراً فى باريس ضمن معروضات الفن المصرى المعاصر .

توفى عبد الهادى عام ١٩٦٦ وعمره لا يتجاوز واحدا واربعين عاما ومنحصيلة نشاطه وحماسته لفنه الذى عشقه وعاش من اجله، ترك لنا عبد الهــادى الجزار من اعماله الفنية ثروة رائعة ..

● كمال خليفة
بين النحت والتصوير

فنان اصيل ، أبدع الكثير من الاعمال الفنية الممتازة فى النحت والتصوير ..

وفى بداية حياته التحق كمال خليفة بقسم النحت بكلية الفنون الجميلة بالقاهـرة ، ولــكنه لم يستطع مواصلة دراسته ، فقد فاجأه مرض الصدر ، وتعذر عليه الاستمرار فى الدراسـة ، خاصة وأن النحت يحتاج لمجهود كبير .

« زهور » طبيعة صامتة .. للفنان جورج صباغ الذى مات فى باريس وهو متصل بالفن . . .



« ادم وحواء » تمثال يعكس مقدرة الفنان فى استخدام الازميل لتقديم اعمال فنية معبرة .



فترك الدراسة وهو فى السنة الثانية ، ثم عاد اليها مرة اخرى بعد أن تحسنت صحته ، ولكن المرض كان قد تمكن منه فمات فى ريعان الشباب ..

واتجه المرحوم كمال خليفة الى التصوير لاشباع غريزته الفنية فى هذا المجال الذى لا يحتاج لمجهود جسمانى شاق مثل النحت ولذلك كان انتاجه خليطا بين النحت والتصوير .

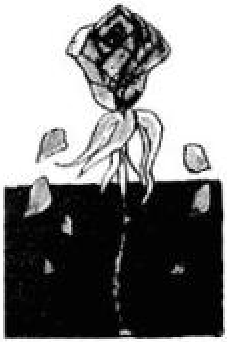
ترك لنا كمال خليفة اعمالا هامة فى النحت وفى التصوير ، وكان يحترم فى عمله الطبيعة ويعالجها بأسلوبه المبسط الجميل .

وقد ولد كمال خليفة عام ١٩٢٦ وفارق الحياة قبل أن يتم الاربعين من عمره .

● وجه فتاة ، تمثال من البرونز ، للفنان : كمال خليفة ..



عبد اللطيف عبد الحليم



الخوف من المطر

الغيم والاشباح والمنحنى
وظلمة القاع بأعماقنا
كأننا نجمان ، لا نلتقي
بلغنا الغيم ، فافتقدنا
وكلما أومض برق به ...
ويهزم الرعد عنيف السرى
فيتثنى ، يطل من أعين
تغل منا الساق والأعينا
تذوى الأزاهير ، تميت المنى
الا شعاعا خافتا مذعنا
نخاف في المهمه ، ان تدفنا
نقتله ، يشتد في قتلنا
نطويه في الاضلاع كي يسكنا
يعتلج السهد بها والضنى

* * *

نخاف عند الملتقى ، ربما
فخطوة ترتد مذعورة
ونظرة شلاء ، لا ترعوى
تطرق من خوف وفي ذلة
عانت امانينا ، فلا كلمة
لاشيء غير الحزن في ضحكنا
نعيش في الغيم ، فلا شمسنا
نرجع محزونين ، في ظلمة
وكلما عدنا الى الملتقى
يحترق النجمان في خطونا
وخطوة تمتد نحو السنا
تجنب أضلاعا بكت شجونا
عاتية ، تسرف في طيننا
تدفىء ثلجا مد من حولنا
لاشيء غير الضحك في حزننا
بانت ، ولا الغيث الينا دنا
عشنا على الموت ، وعاشت بنا
فالغيم ، والاشباح ، والمنحنى

د. سهير القلماوي

خاضت الفروسية العربية تاريخا طويلا ، وخضعت لمؤثرات تاريخية كثيرة قبل ان ينقلها الفرسان العرب الى اسبانيا ، ومنها الى اوروبا لتصبح عصرا كاملا في الشعر والفن عامة بل في احداث التاريخ في اوروبا كلها . هذه الفروسية العربية التي يسوق الباحثون الدليل تلو الدليل على عروبتها بعد ان امتزجت باحداث العصر فكونت فروسية القرون الوسطى ، عاشت قرونا وتقلبت عليها الاحداث والعوامل الاجتماعية فعكست لكل عصر طابعه ولكل بيئة خصائصها ، وظلت صورها في الادب الرسمي ثم في الادب الشعبي ، منارات مضيئة تدل على تاريخ حي طويل وعلى وجدان انساني متدفق سام ...

مع فرسان المذاهب السياسية

وحلّت العقيدة محل الحبيبة

كان الفارس الجاهلي يدور في فلكين متقاربين : فلك الفخر بنفسه وبفروسيته التي يخوض في سبيلها غمرات الحروب ليكتب في سجلها شرفا تليدا (تباهى به سائر القبائل) • وفلك اللذة التي تتعدد مصادرها • ولكن الحب انعسير المنال وأحيانا الحب عامة ، هو أهم هذه المصادر • ويحلق من فوق هذين الاهتمامين ايمان عميق بأن الحياة قصيرة ، وان المتعة زائلة ، وان خير ما يقضى فيه العمر هو المغامرات :

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني ابادرها بما ملكت يدي

هكذا كان يقول طرفة بن العبد منذ ستة عشر قرنا ويوضح اهتمامه في الحياة بقوله :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك لم احفل متى قام عودي

ثم يعدد هذه الثلاث فاذا هي ركوب الخيل ، والخمر ، والحب •

ولا يخرج شعر امرىء القيس ولا غيره من شعراء الجاهلية عن هذا الاطار : اطار الاستهانة بالحياة والايمان بانها قدرية والتعلق باللذة او بالمجد ، على أن المجد له وللقبيلته شرف يصل الى مرتبة اللذة التي من دونها لا تحلو الحياة •

● فيض الوجدان العربي الاصيل ●

اما الفخر وحب القتال والفروسية في الحروب في الغزوات التي تكسب القبيلة مجدا وتفوقا على اعدائها او ميزة حتى على قريناتها أو قريباتها • فان جزءا كبيرا من شعرنا الجاهلي ينتظم هذه المعاني •

والفرسان الشعراء في هذا الميدان ، يكادون يكونون كل من حمل من الشعراء سيفا في غزوة أو حرب • وقد تكون حربا بين قبيلة وأخرى عربية ، وقد يكون الشاعر مشاركا في حروب قبائل عربية ضد المناذرة أو الغساسنة أي ضد الفرس أو ضد الروم • وهنا يتغنى ، لا بفخر القبيلة وحدها ، وانما بفخر العرب على العجم أو على الروم •

والى جانب هؤلاء الشعراء الفرسان الذين كانوا يعيشون على مسرح الحياة في الضوء وفي وضح النهار ، كان يعيش فرسان الصعاليك الذين يمثلون اقدم صورة مشوقة متكاملة لما نعرفه اليوم باسم « اللص الشريف » • اللص الذي يسرق لا ليأخذ وانما هو يسرق ليعطي ••• لص يدفعه الشعور بالظلم والضيق مما يقاسي من ضيم وشقاء ، فيشنها غارة ماكرة بارعة ليأخذ ممن عنده فوق ما يحتاج اليه ثم ليفرق هذا الذي حصل عليه على اخوانه وأعوانه من المحتاجين •

وفي اواخر العصر الجاهلي تألقت صورة للشاعر الفارس لتتغلب على كل هذه الصور • صورة الفارس الذي يخوض غمار الحرب ذودا عن

وحلت العقيدة محل الحبيبة

القبيلة أو في سبيل أن يخط لها مجدا ، ولكن الحبيبة تتراءى له في كل حروبه ، وهي لا تجعله يجبن أو يعود على عقبيه ، وانما هي تجعله يذوب رقة ويعتريه ضعف ما يلبث أن يفيق منه ليعود الى قتاله وحربه • فان الحبيبة أو طيفها انما هو عرض يظهر لنا رقة الشاعر وعذوبة نفسه ، ولكن الفارس شجاع غير هياب حتى ولو سجنه الاعداء فالى جانب قول عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
منى وبيض الهند تقطر من دمي

نجد صورة هذا السجين بمكة وقد زاره طيف الحبيبة :

ألمت فحيت ثم قامت فودعت
فلما تولت كادت النفس تزهق
فلا تحسبي أني تخشعت بعدكم
لشيء ولا أني من الموت أفرق
ولا أن نفسي يزدهيها وعيدهم
ولا أنني بالمشي في القيد أخرق
ولكن عرتني من هواك صبابة
كما كنت ألقى منك اذ انا مطلق

هذه الرقة وتلك العذوبة التي نجدها في شعر المتأخرين من الجاهليين هي التي حملها فرسان العرب معهم الى الاندلس ، أو هي التي فاضت في وجدانهم العربي الاصيل عندما تجلت لعيونهم طبيعة الارض الرائعة التي عمروها في ربوع أسبانيا ، وعندما خاضوا غمار حروب خاطفة سريعة أهدتهم نصرا بعد نصر بلا حساب ، مما أذهل المؤرخين أنفسهم •

● عروبة الايمان والنبل والصلابة ●

وينعم الله على الجزيرة العربية بالهدى ويتبلج نور الاسلام فيدخل في لوائه المسلمون قلة أولا ثم كثرة غالبة • ويخوض الفارس المسلم حروبا في سبيل العقيدة • وتختفي من حياته اللذات الرخيصة • وترتفع المرأة الى منزلة الانسان المؤمن ، كالرجل سواء بسواء ، وتحمل المسئولية مع جيش المؤمنين على قدر ما أراد الله لها أن تحمل ، واذا العقيدة شغل المؤمنين الشاغل ، وتبدأ حروب الغزوات وتتبعها في سرعة حروب الفتوحات والفارس مشغول بايمانه يقول فصيح القول فطرة عربية فريدة ، ولكنه قلما يقول الشعر وقد يتمثل به •

ولكن الشعراء يرون النور ويهزهم الاستشهاد المجيد وتمتلىء الدنيا من حولهم ايمانا ونبلا وصلابة عربية

وقدرة تصل الى مرتبـــة الخوارق الشاذة .

ويقف التاريخ من هذه الظاهرة ، ظاهرة انتشار الاسلام واتساع رقعة الدولة الاسلامية ، مبهورا لاهثا .

ظاهرة لم يرها من قبل ولم تتكرر من بعد . ماذا فى هؤلاء الفرســان العرب من سحر يدفع بهم الى هــذه البطولات ؟!

ويقول الشعراء شعرهم . مــــن حسان بن ثابت الى الكميت شعراء لا يخوضون الحرب فعلا وانما هم يشعرون عن ايمان صادق وعقيـدة واضحة وتهزهم بطولات الحروب كما تروعهم مآسيها .

ولكن الامة الاسلامية ما تكاد تتم بعـد الهجرة ما يقرب من الاربعين عاما حتى تشـــهد المأساة . مأساة الخلاف حول الخـــلافة تتفجر بشكل دموى . ولأول مرة فى تاريخ الاسلام يقف المسلم لا ليقتل كافرا او مشركا وانما ليقتل اخا له ، مسلما مثله .

من صفين خرج المسلمون اشياعا . كان على ، كرم الله وجهه ، احنى على المسلمين مما يتطلبه الموقف .

وكان معاوية احزم للامر ، وعنده جند الشام المنظمين منـذ أيام الرومان .

وضاع الحق واتخذ كل فريق طريقــا مختلفــــا . وبدات حروب وخطت صفحات من الفروسية الفذةالشاعرة وصفحات من الدم والآلام والحسرة .

وسرعان ما قامت من بعـد صفين احزاب اخرى متفرعة عن الخوارج وعن الشيعة ، وغير متفرعة عنهمـا مثــل حزب الزبيريين ، ولكل حزب حروبه وتاريخه وفرسانه وشعراؤه .

اما الحزب الذى ملأ فرسانه افق الشعر والنثر وملأت اخبار بطولاته بطون التاريخ ـ رغم الاضطهاد المادى والمعنوى وحرص الامويين والعباسيين على السواء أن يطمسوا اخباره وأن يضيعوا شعره ـ فهو حزب الخوارج .

هذا الحزب الذى نادى بالجمهورية الإسلامية منذ ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا .

قام على قولة ، لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ، . واذن فالخلافة حق لكل مسلم يبايعه المسلمون ، وليست هى وقفا على آل البيت من ابنـــاء على ، أو على قريش أو على اسرة معاوية وبنى عمومته .

● الايمان الملتزم بالجهاد ●

من هـــذا المنطلق خرج الخوارج على على . وكانت لهم موقعـــة النهروان نارا عـــلى لظـــاها صهرت العقيـدة ومحصت الرجال .

واصطلى الخــوارج حروب عـــلى ومعاوية على السواء ، وصـــمدوا للجيوش وقتل منهم عشرات الألوف ، ولكن الدعوة ظلت فى صـــدورهم لا يطفأ لهـــا لهيب ، وتوالت عليهم الحروب وصبت عليهم الويلات .

وشاعرهم الاكبر قطرى بن الفجاءة يؤمن انه لا يمـكن أن يضيف لعمره يوما واحدا فلمــاذا اذن الخوف أو الحذر او حتى التريث .

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الابطال ويحك لا تراعى

فانك لو سألت بقاء يوم
على الاجل الذى لك لن تطاعى !

بهذا الصدق ، بتصوير النفس تطير شعاعا وتتمزق خوفا أمام الابطال من الخصوم ، وبهذه البساطة

والصرامة فى الايمان بالذهب يخوض

قطرى حروبه فارسا يحمل السيف

ويقول الشعر فطرة سليمة تمدها الحروب والازمات بالصور

والموضوعات ، ولكنها – وهذا هو الاهم – تمدها بالايمان الواضح .

ولا يفكر الفارس فى شىء آخر غير المعارك والحروب والموت فى سبيل الفكرة الصارمة . ان الموت ليس

قدرا فحسب ولكنه رياضة سهلة مادام الفارس يقدم عليه بثقة . ان الحياة

الباقية ليست على هذه الارض ، لذلك يدعو قطرى اعداءه الى البراز

وحلت العقيدة محل الحبيبة

وكانما هو يدعوهم الى شراب :

الا ايها الباغى البراز تقربن
أساقك بالموت الزعاف المقشبا

فما فى تساقى الموت فى الحرب سبة
على شاربيه فاسقنى منه واشربا

وهو لا يدعو أعداءه للبراز فحسب وانما هو لا يؤمن بالتقية . وردعه لنديم الحجاج سبرة بن الجعد (وكان تقيا ورعا قبل أن يصبح للحجاج

نديما) يدلنا على احساس ملتزم ، كما نقول اليوم ، بان المؤمنين جميعا يجب الا يتهاونوا فى الجهاد من

أجله . وهو يعقد هذه المقارنة الحية ليخجل ضمير هذا المؤمن . ولقد فعل قول قطرى فعله فى نفس ابن الجعد :

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا
اذا نحن رحنا فى الحديد المظاهر

نجاهد فرسان المهلب كلنا
صبور على وقع السيوف البواتر

وراح يجر الخز عند أميره
أمير بتقوى ربه غير آمر

ثم يقول :

فان الذى قد نلت يفنى وانما
حياتك فى الدنيا كوقعة طائر

ولايحتاج ابن الجعد الى كثير تقريع أو عتاب ، فهو يترك كل شىء لينضم الى صفوف المقاتلين ويموت فى سبيل عقيدة الخوارج . ذلك أن :

سبيل الموت غاية كل حى
فداعيه لاهل الارض داعى

لذلك لا يكف قطرى عن جمع الجند

للحرب وعن تأنيب من يتقاعس :

أبا خالد فانفر فلست بخالد
وما ترك الرحمن عذرا لقاعد
أتزعم أن الخارجى على التقى
وأنت مقيم بين لص وجاحد

هذا الايمان الملتزم بالجهاد بالحرب الفعلية ، بالاستشهاد لا بروح الشعار وتكراره حتى الملال ، هو الذى يميز شعراء الخوارج الفرسان وخطباءهم · بل انه يميز ايضا نساءهم بشكل ظاهر ·

فاذا كنا نرى عند الخوارج بوادر الايمان بالحكم الجمهورى ، وبوادر الالتزام بقضية الايمان ، فاننا نرى فيهم ايضا صورة مثلى للمساواة بين المرأة والرجل · تظل المرأة فيها حبيبة الفارس ولكنها تجاهد معه بل تقود له الجيش فى غيبته ·

وابرز مثل على هذا غزالة زوج شبيب بن يزيد الشيبانى التى هددت الحجاج واحتلت مدينته وهو فى عنفوان سطوته وهزمت له جيوشه مرارا ، ولم تقتل الا خدعة ·

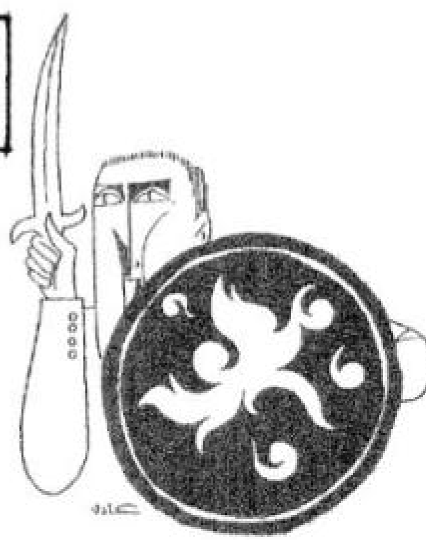
وقد عير الشاعر الخارجى عمران ابن حطان الوالى الحجاج بذلك قولته التى صارت مثلا :

أسد على وفى الحروب نعامة
فتخاء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى
بل كان قلبك فى جناحى طائر

● خضم من الشعر العظيم ●

وقد خطت المرأة الفارسة التى عرفوها فيما بعد فى القرون الوسطى باسم « الامازون » ـ أروع صفحات الجهاد والفروسية تحت راية الخوارج، ولكنها لم تكن شاعرة ولا خطيبة الا بمقدار ما كان يتاح للعربى العادى فى ذلك الزمان من فصيح القول وقوة البيان ·

والى جانب الفارس الشاعر قطرى والفارس الخطيب شبيب ، شعراء وخطباء من الخوارج لم يشرفوا بالقتال والجهاد والاستشهاد ، ولئن



وحلت العقيدة محل الحبيبة

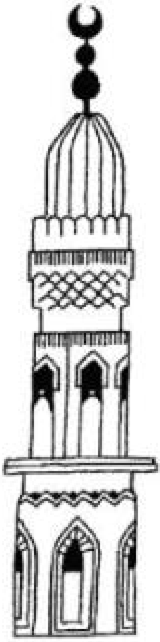
كانت نهاية قطرى الفارس ماساوية حزينة ، فانها نهاية فارسة ملهمة ، فقد وقع فى يد علج من علوج الصحراء بعد آخر موقعة له ، واضطر فى اسى اليم ان يبيعه فرسه لقاء شربة ماء شربها ومات ، وظفر العلج بماله

وبفرس ما كان احرى ان تخلد له رسوم وصور وهو يحمل فارسه عبر حروب وحروب طوال عشرة اعوام او نحوهـا يقوده من ظفر الى ظفر ويقود جيشه الذى انفض من حوله وخانه ، من نصر الى نصر ، حتى بطرت نفوسهم وضعفت قلوبهم بل رقت من كثرة الانتصار فلم تحتمل الصبر فى الهزائم ٠

والى جانب فرسان الخوارج وفى نفس الفترة التاريخية يصور لنا التاريخ الاسلامى فوارس الشيعة فى اجمل اطار ٠ فوارس يقف على قمتهم على بن ابى طالب بفصاحته التى تتجلى فيما جمع لنا من خطبه وهى تراث فنى فريد بين تراث الخطابة العالمية ٠

والى جانب الامام على يقف ابنه الحسين ، سيد الشهداء ٠ الذى فجرت ماساة قتله خضما من الشعر العظيم ، ومازالت الى اليوم تفجر شعراً بل مسرحا شعريا عند شاعرنا عبد الرحمن الشرقاوى ٠

وكان الحسين رضى الله عنه بليغا فى قوله ٠ لم تؤثر عنه خطب كثيرة ولكن له اقوالا فى الايمان والصمود ووجوب الاستشهاد اذا وضعناها الى جانب ما قام به فعلا من استشهاد فريد فى التاريخ ، لخرجنا بصورة تاريخية جميلة للفارس الخطيب فى اروع المواقف واكثرها شحنة ،



ترحى بأعمق معانى الحياة واخصب آيات النبل والروعة البطولية .

ولم يكن للشيعة فى فوارسها المجاهدين شعراء لهم قيمة تتوارث ، ولكن شعراءهم كانوا جميعا خارج ميدان القتال يسجلون ويدافعون بالحجة والبرهان عن أحقية العلويين فى الخلافة . ولكن شعرهم الاجمل والاروع انما كان فى الرثاء . فعندما تقترن العقيدة بحب آل البيت ويجد الشاعر آل البيت يتهاوون صرعى حروب وخيانات واغتيالات .. هنا يفيض معين الشعر بكاء ورثاء وفخرا واعتزازا .

● تيار مستمر من مشكلات العصر ●

يقول الكميت عندما استنفره زيد ابن على وقال له اخرج معنا :

تجود لكم نفسى بما دون وثبة
تظل لها الغربان حولى تحجل

هذا هو مبدأ الشعراء الشيعة : الحب والايمان ولكن دون تضحية ولا بأس بالثقة باظهار الايمان لانها عندهم اولى بأن يبلغ الائمة مآربهم بالسياسة وتكوين الاحزاب السرية واستقطاب القادة الحربيين . وبمرور الزمن واستتباب الامر لبنى أمية وبشاعة ما تعرض له آل البيت فى موقعة كربلاء ثم استقرار الامر لبنى العباس لا لابناء فاطمة بنت الرسول (ص) - تزداد آلام الشاعر الشيعى ويضطر الى اخفاء عقيدته وربما الى مدح الامويين أو العباسيين طلبا للتقية ودرءا للاضطهاد ، فدعبل الخزاعى الذى يرثى ائمتهم أروع رثاء قائلا :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحى مقفر العرصات

آل رسول الله نحف جسومهم
وآل زياد حفل القصرات

بنات زياد فى القصور مصونة
وآل رسول الله فى الفلوات

ويرثى الحسين ويبكيه وكان يقول : « انى أحمل خشبتى على كتفى منذ خمسين سنة ولست أجد أحدا يصلبنى عليها » ، كان ينال عطاء الرشيد حينا ثم ثار عليه وهجاه . ولكن الكميت شاعرهم الاكبر اضطر فى آخر أيامه الى مدح الامويين لما أجاره هشام بن عبد الملك وأخذ عطاياهم .

ولما كان شعر شعراء الشيعة لا يستقى من نبع الجهاد الفعلى فى ساحة الوغى والحروب ، فقد استعاض بالحزن الاسوى عن ذلك وأمده التاريخ بعناصر هذا الحزن يروى منها شعره لولا أنه اتخذ التقية أحيانا مذهبا فخففت هذه الانغام الحزينة الحلوة أحيانا ، ولكنها هى التى بقيت للشاعر الشيعى بعد زوال السلطان الدنيوى عن أعداء آل البيت ، وأخذت حتى يومنا هذا تيارا مستمرا يستقى من مشكلات العصر الحديث لعصرها يلون به هذا الشعر الحزين الذى لايزال يرثى الحسين خاصة .

ولا نستطيع ان نختم الحديث عن الشعراء الفرسان فى هذه الحقبة من الزمن دون أن نقف ولو وقفة قصيرة امام شاعر فذ لحزب سياسى لم يكن له شأن كبير فى تغيير مجرى الاحداث ولكنه حفل بالاحداث القوية التى تلهم الشعراء وغير الشعراء بانبل المعانى • هذا هو حزب الزبيريين المنادين بان تكون الخلافة فى قريش لا فى ال النبى (ص) وحدهم •

ولضعف هذا الموقف سياسيا ، ضعف أمر الزبيريين ولم يمتد لهم تاريخ بعد مقتل أعلامهم • فلئن كانت الخلافة ملكا يتوارث عند بنى أمية ، وخلافة فى آل النبى عند الشيعة ، وجمهورية حرة لكل المسلمين عند الخوارج ، فان لكل زاوية من زوايا هذا الفكر ما يمكن أن يجد ثقلا يسانده من العقيدة ذاتها أو من طبيعة العصر آنذاك ، أو من مخلفات ما ترك حكم الرومان على أرض الشام العربية ، أو من غير هذا وذاك من منطلقات التفكير •

ان الاسلام اتى ليمحو عصبية القبائل

وحلت العقيدة محل الحبيبة

وليوجد عصبية العقيدة مكانها أو ليوجد قوة العقيدة والايمان بالله وباليوم الآخر مكان أية عقيدة أخرى •

فصاحة بيان القائد

وشاعر الزبيريين عبيد الله ابن قيس الرقيات (وقد سمى الرقيات بسبب حبيباته الثلاث وكل منهن اسمها رقية) قد مارس الحروب وشغل بها زمانا • ولذلك نراه وان اضطر الى مدح الامويين ومدح عبد الملك بن مروان بالذات وله ما له من خصال وفعال تلهم الشاعر المداح ، لم يستطع أن يكون منصفا فى الشاعرية بين ولائه للزبيريين وولائه لعبد الملك •

يقول فى مدح مصعب بن الزبير :

أيها المشتهى فناء قريش
بيد الله عمرها والفناء
انما مصعب شهاب من الله
••• تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك قوة ليس فيه
جبروت ولا به كبرياء

ثم يقول فى ضرورة الخروج والحروب :

كيف نومى على الفراش ولما
تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى
عن براها العقيلة العذراء

وحين يناله الضر فى الحرب يتوعد بالثأر :

والله ابرح فى مقدمة
اهدى الجيوش على شكيته
حتى الجهم باخوتهم
وأسوق نسوتهم بنسوته

ولكنه عندما يمدح عبد الملك وليس وراء عبد الملك قوم يجاهدون او يحاربون وليس وراء عبد الله الا

قتل عبد الله بن الزبير في الكعبة في مشهد تزيده أمه العجوز أسماء روعة بحضها اياه على الانتحار

الحربي في سبيل ما آمن به وليس وراء عبد الملك الا مقتل مصعب أيضا وما شرد به الشاعر من بعده وما تحمل في سبيل الاستخفاء من عذاب واضطهاد وتعرض للخطر كل حين ٠

لما مدح عبد الملك لم ير فيه الا خليفة يحكم وعلى رأسه تاج وجبينه ذهب :

خليفة الله فوق منبره
جفت بذاك الاقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

ويقال ان عبد الملك انتقد هذا المدح لما قارنه بقولة الشاعر : « انما مصعب شهاب من الله » فأين شهاب الله من اعتدال التاج فوق جبين من ذهب ؟!

وهكذا ضعف شعر الشاعر البارع لما طلق حياة الفروسية الفعلية والحرب في صفوف جيش مصعب بن الزبير متحديا بذلك سلطان الامويين وولاتهم الباطشين متطلعا الى آمال النصر وقد كان يقترب أحيانا من التحقيق ،

فقد دان للزبيريين العراق والحجاز ومصر واليمن ، ولم يبق الا الشام ، ومع ذلك هزم الزبيريون فلم تكن حركتهم الا ثورة طارئة لها شهداؤها ولكنهم شهداء فكرة ارستقراطية لم تلق لدى الشعراء من بعدهم من يستطيع ان يستخرج منها شعرا او صورا بيانية جميلة ٠ فشهداء الزبيريين ليسوا كشهداء الشيعة بأي حال ، ولم تكن حروبهم الا سجالا بينهم وبين جيش الدولة المنتظم ، بينما حروب الشيعة فوق ان ابطالها من آل البيت ومن عترة رسول الله (ص) فقد كانت تحفل بمآسي الغدر والخيانة والنكوص والخديعة واحتفالها ببطولات رائعة

وايمان ثابت لا يتزعزع ولا يجبن حتى الانتحار والى آخر رمق في الحياة ٠٠٠ يزين كل هذا فصاحة بيان القائد ورباطة جأشه وايمانه بالمبادىء لا يعتورها تردد ولا تتخذ بعد اعلان الحرب أي سبيل الى أية مساومة ٠ قد تتخذ سبل التخطيط السري دون اعلان الحرب أو خوضها ، ولكنها متى اعلنت الحرب كانت ساطعة واضحة ٠

صور نستلهمها بالصمود

من هذا العرض السريع لفرسان المذاهب السياسية في طور نشأتها ، نرى أن فرسان الخوارج ، شعراء وخطباء ، كانوا فعلا فوارس الميدان كله ٠ فلم يكن اعتمادهم على أي رصيد شعبي من حب لآل البيت ، أو رصيد قبلي من الاعتزاز بقرشية القرشي ، أو رصيد حربي اقتصادي نظامي يمكن فعلا من الحكم كما يمكن لبني امية ، وانما اعتمادهم كله كان على العقيدة ٠ العقيدة وحدها مثالية مجردة بسيطة تمرق في سماء التاريخ كالشهاب الراصد أو تسري في الناس كما عبر عنها بعض القدماء « وكأنما هي النار في الهشيم »

ولكن التاريخ له في مساره اعتبارات قد تكون العقيدة مسارا منها ، ولكنها ليست المسار المؤدي وحده الى النصر المبين ٠ ولنا في فرساننا اسوة ، فقد بذلوا النفس عطاء سخيا لا يتوقف ولا يسالمنا ، ليظلوا لنا منارات نتعرف طبيعتها وندرك قصورها ونعي عيوبها ، ولكنا ابدا نحمل لها الحب والاعجاب ونستلهمها الصمود في فخر واعتزاز ٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"

يسر

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

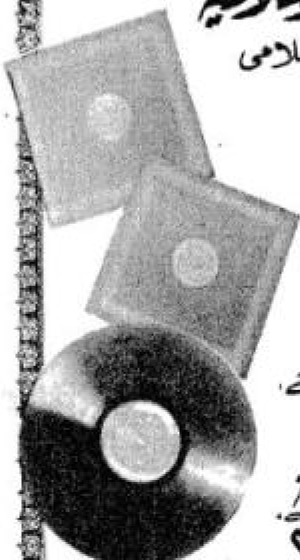
أن يقدم للعالم الإسلامي

اسطوانات

القرآن المرتل

قراءة

ورش عن نافع



٦٨ اسطوانة طويلة المدى سرعة ٣٣ ١/٣ لفة

سعر البيع للمصحف ١٥٠ مليم ٣٥ جنيه

وبمناسبة العام الهجري الجديد تخفيض عام ١٥٪

سعر البيع للمصحف بعد التخفيض ٨٦٩ مليم ٢٩ جنيه

البيع بالنقد والتقسيط لموظفي الحكومة والقطاع العام

مراكز البيع:

القاهرة: معارض اسطوانات القرآن المرتل / ٧٦ شارع الجمهورية الدور الثالث

الإسكندرية: فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / ٤٩ ش سعد زغلول الدور الرابع

د. أحمد الحوفي



٨ مراحل حديثة

ظل الازهر منذ انشائه مركزا عظيما للثقافة الاسلامية والعربية، يدرس علومها، ويدرس علوما غيرها، ويؤلف رجاله في هذه وفي تلك مؤلفات عظيمة القـــدر، ويستقي من ينابيعه الطلاب من مصر ومن غير مصر، ويتصدر للتدريس به علماء من مصر ومن غيرها، فلا تخلف ولا جمود، ولا معاداة للتفكير ولا معارضة للتقدم.

ولكن الأزهر بدأ يتوقف ويتخلف منذ الفتح العثماني لمصر سنة (٩٢٣ - ١٢١٣ هـ ١٥١٧ - ١٧٩٨ م) فقد كان نذيرا بالشرور على الحضارة الاسلامية في جميع مظاهرها بعامة، وعلى الثقافة العربية بخاصة.

وقد تبينت مخاطر هذا الفتح المشئوم على مصر منذ وقف السلطان سليم أمام باب زويلة يشهد رأس طومان باي يطيح به الردى، ويذهب في أثره استقلال سياسي وزعامة دينية وفخار عظيم في خدمة الاسلام والمسلمين امتد ثلاثة قرون. وقضى السلطان سليم بالقاهرة نحو ثمانية أشهر ينهب آثار مساجدها ويسلب كتبها ويرسل علماءها الى بلاده.

ثم فرض العثمانيون لغتهم التركية رسمية في مصر، وصارت لغة التخاطب مزيجا منها ومن العامية. ولذلك كان العصر العثماني عصر ظلام، وحكما

• حينما كان مرتب عالم الدرجة الأولى ١٥٠ قرشا فى الشهر

في اصلاح الأزهر

استبداديا جائرا ، فلا غرابة أن غربت من مصر أشعة الفكر ، فأقفرت من العلماء والكتاب والمؤلفين ، وتخلفت فى ميادين الثقافة كلها . وما الذى نتوقعه من الأزهر فى ذلك العهد ؟

اننا نظلمه أن توقعنا منه شذوذا على ما أصاب مصر كلها .

لقد تضاءل الأزهر حتى تدهور ، ونضبت موارده ، وسلب الحكام أوقافه ، فقل عدد أساتذته وطلابه ، وهجر القاهرة كثير من العلماء والطلاب الى أقاصى الصعيد فرارا من عسف الحكام ، فقامت فى قفط وقوص وغيرهما حركة علمية وأدبية .

كان من نتائج هذا كله أن تخلف الأزهر وجمد ، حتى أن المؤلفين لم يبتكروا فى ذلك العصر جديدا ، وفى هذه الحقبة التى تعثرت فيها الخطوات العلمية اقتصر الأزهر على تدريس العلوم الدينية واللغوية ، وانصرف عن تدريس غيرها من العلوم .

على أن الأزهر استطاع فى ذلك الوقت أن يكون أعظم حصن للغة العربية ، حماها من أن تطغى التركية عليها ، كما كان أعظم مركز للثقافة الاسلامية

فلما جاء القرن التاسع عشر وبدأت مصر تتحرك وتتجدد ، وتدخل نظم التعليم الغربية فى مدارسها كان الأزهر بعيدا عن هذا كله .

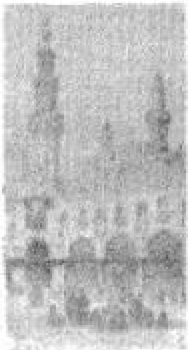
ولهذا تعالت الدعوات الى اصلاحه وانهاضه ، وتنوعت الجهود التى بذلت لتحقيق هذا الغرض .

المرحلة الاولى

رفاعة الطهطاوى

لعل رفاعة الطهطاوى كان أول من دعا الى ادخال العلوم الحديثة بالأزهر ونبه فى صراحة الى اهمال محمد على تعميم تلك العلوم به .

واننا لنجد فى الفقرات التى ننقلها



٨ مراحل حديثة

من كتابة (مناهج الألباب) انه كان يود ادخال العلوم الحديثة بالازهر ، وأن بعض المشايخ درسوها على بعض الأساتذة فى مؤلفات معينة .

قال رفاعة : ولو انه ـ يريد محمد على ـ أعلى منار الوطن ورقاه لم يستطع الى الآن أن يعمم أنوار هذه المعارف المتنوعة بالجامع الازهر الانور ، ولم يجذب طلابه الى تجميل عقولهم بالعلوم الحكمية التى كبير نفعها فى الوطن ليس ينكر .

« نعم ان لهم اليد البيضاء فى اتقان الأحكام الشرعية العملية والاعتقادية ، وما يجب من العلوم الآلية كعلوم العربية الاثنى عشر ، وكالمنطق والوضع وآداب البحث والمقولات وعلم الاصول .

غير أن هذا وحده لا يفى للوطن بقضاء الوطر ، والكامل يقبل الكمال كما هو متعارف عليه عند أهل النظر .

« ومدار سلوك جادة الرشاد والاصابة منوط بعد ولى الامر بهذه العصابة التى ينبغى أن تضيف الى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة ورفع أعلام الشريعة المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التى لها مدخل فى تقدم الوطنية ، من كل ما يحمد على تعلمه وتعليمه علماء الأمة المحمدية ، حتى اذا دخلوا فى امور الدولة يحسن كل منهم فى ابداء المحاسن المدنية لاسيما وان هذه العلوم الحكمية العلمية التى يظهر الآن انها اجنبية هى علوم اسلامية نقلها الاجانب الى لغاتهم من الكتب العربية ، ولم تزل كتبها الى الان فى خزائن ملوك الاسلام كالذخيرة .

وهذا حق ، فان من يطلع على سند شيخ الجامع الازهر الشيخ احمد الدمنهورى الذى ولى مشيخة الازهر فى الفترة من (١١٨٢ ـ ١١٩٠ هـ) (١٧٦٧ ـ ١٧٧٦ م) يرى انه قد أحاط من هذه العلوم بكثير ، وأن له فيها المؤلفات الجمة ، وأن تلقيها الى ايامه كان عند أهل الجامع الازهر من الامور المحلية الخاصة

يقول الدمنهورى فى سنده بعد سرد ما تلقاه من العلوم الشرعية وآلاتها :

« أخذت من أستاذنا الشيخ على الزعترى ـ خاتمة العارفين بعلم الحساب واستخراج المجهولات . وبما توقف عليها كالفرائض والميقات ـ وسيلة ابن الهائم ومعونته فى الحساب، والمقنع لابن الهائم ، ومنظومة الياسمينى فى الجبر والمقابلة ودقائق الحقائق فى حساب الدرج ، والدقائق لسبط المارديني فى علم حساب الارباح ، ورسالتين احداهما على المقنطرات . والاخرى على ربع الجيب للشيخ عبد الله المارديني جد السبط ، والمنحرفات للسبط المارديني فى علم وضع المزاول، وبعض اللمعة فى التقويم ، وأخذت عن سيدى احمد القرافى الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز واللمحة العفيفة فى اسباب الامراض وعلاماتها ، وبعضا من قانون ابن سينا ، وبعضا من منظومة ابن سينا الكبرى ، والجميع فى الطب ، وقرأت على استاذنا الشيخ عبد الفتاح

الدمياطي كتاب لقط الجواهر في معرفة الحدود والدوائر للسبط الماردينى في الهيئة السماوية . ورسالة قسطا بن لوقا في العمل بالكرة وكيفية أخذ الوقت منها ، والدرر لابن المجدى فى علم الزيج .

« وقرأت على أستاذنا الشيخ سلامة الفيومي أشكال التأسيس في الهندسة وبعضا من الجغميني في علم الهيئة ، وبعضا من رفع الإشكال عن مساحة الأشكال في علم المساحة .

« وقرأت على أستاذنا الشيخ عبد الجواد المرحومي جملة كتب ، منها رسالة في علم الأرتماطيقى للشيخ سلطان المزاحي .

« وقرأت على الشيخ محمد الشهير بالسحيمي منظومة الحكيم درمقاش المشتملة على علم التكسير ، وعلم الأوفاق وعلم الاستنطاقات وعلم التكعيب ، ورسالة أخرى في رسم ربع المقنطرات والمنحرفات لسبط المارديني ، وعلم المزاول ، ومنظومة في علم الأعمال الرصدية وروضة العلوم وبهجة المنطوق والمفهوم لمحمد بن مساعد الانصارى وهي كتاب يشتمل على سبعة وسبعين علما ، أولها علم الحرف ، وآخرها علم الطلاسم ، ورسالة للأسرائيلي ، ورسالة للسيد الطحان ، وهما في علم الطالع ، ورسالة للخازن في علم المواليد ، أعني الممالك الطبيعية وهي الحيوانات والنباتات والمعادن .

« وأخذت عن شيخنا الشيخ حسام الدين الهندى شرح الهداية في علم الحكمة ، ومتن الجغميني في علم الهيئة .

« وأخذت عن سيدى أحمد الشرقي — شيخ المغاربة — بالجامع الأزهر كتاب اللمعة في تقويم الكواكب السبعة »

ولما ذكر ما تلقاه من هذه العلوم ، أعقبه بما طالعه بنفسه بدون الأخذ عن شيخ .

ومن هنا يتبين أن رفاعة كان سباقا الى الدعوة لاصلاح التعليم بالأزهر . وكان صريحا في لوم محمد علي لانه أهمل التعليم بالأزهر ، وكان صريحا في تنبيه العلماء الى موضع تقصيرهم ومشاركتهم في تلك الاهمال .

وكان في الوقت نفسه حصيفا في عنايته بسرد أسماء العلوم والمؤلفات التي سبق اليها الشيوخ الأقدمون ، ليبين للمعاصرين أنها ليست جديدة عليهم ، ولا صعبة المنال ، ولا خارجة على ما يقتضيه التدين .

المرحلة الثانية

محمد العباسي

كان الشيخ محمد العباسي المهدى شيخا للأزهر أيام الخديو اسماعيل ، وكان عالما ذكيا مستنيرا ، هاله أن بعض الناس يدعون العلم وهم جهال ، وأن بعضهم يتظاهر بطلب العلم فرارا من خدمة الجيش ، وأن في طلاب الأزهر أشخاصا تزيد أعمارهم على الستين عاما ولا هم لهم الا الحصول على الجراية .

فاستصدر الشيخ المهدى قانونا من الخديو سنة (١٢٨٧ هـ ١٨٧٢ م) يقضي بما يأتي :

١ — أن يكون نيل العالمية بامتحان أمام لجنة من العلماء يختارهم شيخ الجامع الأزهر

٢ — أن ينقسم العلماء الى ثلاث درجات : أولى وثانية وثالثة .

٣ — أن يصدر بذلك قرار عال .

٤ — أن يمتاز أصحاب الدرجة الأولى بكسوة تشريف ينعم بها عليهم الجناب العالي

٥ — أن العلوم التي يمتحن فيها الطلبة هي :

الفقه ، الأصول ، التوحيد ، الحديث التفسير ، النحو ، الصرف ، المعاني ، البيان ، البديع ، المنطق .

وقد أراد الشيخ المهدى بهذا القانون أن يبعد عن الأزهر العناصر

التى لا تمتاز بالعلم والكفاءة .
وكان هذا القانون حدثا جـــديدا بالنسبة للأزهر

وقد الفت لجنة من ستة أعضاء ، وعينت المواد التى يجب الامتحان فيها ثم تقررت مكافآت دراسية للطلبة .

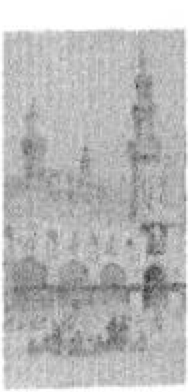
وما ان صدر قانون الأزهر هـــذا حتى سميت علوم الأزهر العلوم (الاحد عشر) وبقيت على حالها حوالى ربع قرن ، لم يضيفوا اليها شيئا من السيرة النبوية والاخلاق وحكمـــة التشريع ومصطلح الحديث والانشـــاء والاملاء والخط وآداب البحث والميقـات وأسر اللغة ، مع قيمة هذه العلوم وحاجتهم اليها ، بل انهم كانوا يقاومون هـــذه العلوم ويتهمـــون بالتهجم على الدين وضعف العقيدة من يحاول أن يضيف الى العلوم الأحد عشر علما آخر ممـــا سموه العلوم الحـــديثة ، وهى فى الحقيقة ليست حديثة ، بل كانت تدرس هى وغيرها فى الأزهـــر من قبل ، وبعضهم حضر العهد الذى درست فيه.
لكن الجامدين من رجال الازهر كانوا يعادون كل اصلاح وتجـــديد ، وكان يتزعمهم الشيخ محمد عليش ، فجعلوا يهاجمون اصلاحات الشيخ المهـــدى العباسى ، وســـاعدهم على ذلك أن الخـــديو اسماعيل مشـــغول بالمحن السياسية والاقتصـــادية ، وأن مصر شغلت كلها بالاحتلال الانجليزى ســـنة ١٨٨٢ م .

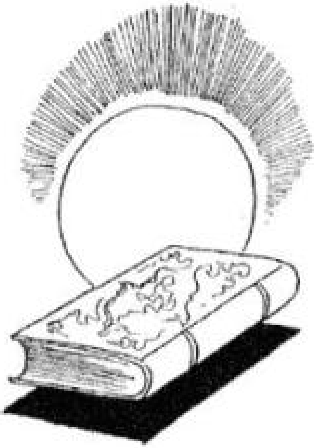
واذا كان أكثر المعاهد المصرية قد تأثر بالآراء الغربية الحديثة فان الكثرة الغالبة من علماء الازهر ورجاله كانوا يفاخرون بأنهم بمعزل عن هذه التيارات الحديثة ، ويزعمون أن اصلاح الازهر افساد له وقضاء عليه ، حتى أن الامر بلغ بالمجاورين الى أن رموا الشرطة بالحجارة واكرهوهم على الانسحاب من الازهر حينما أرادوا أن يدخلوه فى ٧ يونيه سنة ١٨٩٦ للتحقق من تنفيذ بعض الاحتياطات الصـــحية التى اقتضـــاها انتشار الطاعون .

وقد ظل الازهر حومة صراع خفى بين طلاب الاصلاح المجددين وبين شيعة الجمود والتقليـــد من المحافظين على القديم .

فاذا تولاه شيخ عصرى ، أو شيخ فتى بالقيـــاس الى شـــيوخه المعمرين سعى سعيه البطىء الى تنظيم الادارة وترتيب أوقات العمل ، ومواعيـــد الامتحـــانات وشروطها دون مساس بجوهر التعليم من موضوعات الدروس وكتب التدريس وأشخاص المدرسين .
لهذا سارت الحكومة فى اصـــلاح الازهر على خطة الانتظار ، وآثرت أن تتلقى طلب الاصلاح من أهله فتلبيه ، وظلت على هذه الخطة لا تجرؤ على تبديلها الى ما بعد الاحتلال البريطانى . واستيلاء المحتلين علانية على دواوين الحكم بدعوى الاصلاح والتنظيم .
وحينئذ لم يبق للخديو مكان يعمل فيه مطلق اليدين غير الجامع الازهـــر وديوان الاوقاف والمحاكم الشرعية ، فدبر مع المخلصين من طلاب الاصلاح حيلة شرعية للبدء فى الاصلاح المنشود واتفقوا على اســـتفتاء شيخ الجامع

٨ مراحـــل حـــديثة





الازهر ومفتى الديار المصرية فى مسألة العلوم التى يجوز تدريسها بالجامع ، وكلفوا عالما تونسيا فاضلا هو الاستاذ محمد بيرم اشهر علماء الزيتونة فى عصره أن يتوجه بهذا الاستفتاء الى الشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الازهر يومذاك (١٣٠٥ هـ ــ ١٨٨٧ م) فكتب اليه بعد التمهيد

• ما قولكم رضى الله عنكم : هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف ، لا سيما ما يتبنى عليه من زيادة القوة فى الامة بما تجارى به الامم المعاصرة لها فى كل ما يشمله الامر بالاستعداد ؟

• بل هل يجب بعض تلك العلوم على طائفة من الامة بمعنى أن يكون واجبا وجوبا كفائيا على نحو التفصيل الذى ذكره فيها الامام حجة الاسلام الغزالى فى احياء العلوم ونقله علماء الحنفية ايضا واقروه ؟

• واذا كان الحكم فيها كذلك فهل يجوز قراءتها مثل ما تجوز قراءة العلوم الآلية من نحو وغيره الرائجة الآن بالجامع الازهر وجامع الزيتونة والقرويين ؟·· افيدوا بالجواب مازلتم مقصدا لاولى الالباب •

وقد كان الشيخ الانبابى يعلم مصدر الاستفتاء ، فكتب فى جوابه :

• يجوز تعلم الرياضة مثل الحساب والهندسة والجغرافية ، لانه لا تعرض فيها لشىء من الامور الدينية ، بل يجب منها ما تتوقف عليه مصلحة دينية او دنيوية وجوبا كفائيا كما يجب علم الطب لذلك كما افاده الغزالى فى مواضع من كتابه الاحياء ، وما زاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل به زيادة فى القدر الواجب فتعلمه فضيلة ·

• ولا يدخل فى علم الهيئة الباحث عن اشكال الافلاك والكواكب وسيرها علم التنجيم المسمى بعلم احكام النجوم ·· وهو الباحث عن الاستدلالات بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية ، فانه حرام كما قال الغزالى،

• واما الطبيعيات وهى الباحثة عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها كما فى كتاب الاحياء فى الباب الثانى من كتاب العلم فاذا كان ذلك البحث عن طريق اهل الشرع فلا مانع منها ، كما افاده العلامة شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمى فى جزء الفتاوى الجامع للمسائل المنتشرة ، بل لها حينئذ اهمية بحسب اهمية ثروتها كالوقوف على خواص المعدن والنبات المحصل للتمكن فى علم الطب ، وكمعرفة عمل الآلات النافعة فى مصلحة العباد ·

• وان كان على طريقة الفلاسفة فالاشتغال بها حرام ، لانه يؤدى للوقوع فى العقائد المخالفة للشرع ، كما افاده

العلامة المذكور ·

نعم يظهر تجويزه لكامل القريحة الممارس للكتاب والسنة للأمن عليه مما ذكرنا ، قياسا على المنطق المختلط بالفلسفة على ما هو المعتمد فيه من أقوال ثلاثة ، ثانيها الجواز مطلقا وثالثها المنع مطلقا ·· » الى آخر الجواب ·

وبعد أسبوعين من صدور هذه الفتوى من قبل شيخ الازهر الشافعي صدرت الموافقة عليها من مفتي الديار المصرية وهو حنفي المذهب فقال : « ان ما افاده حضرة الاستاذ شيخ الاسلام موافق لمذهبنا ، وما استظهره من ان الخلاف الجاري في علم المنطق يجري في علم الطبيعة أيضا وجيه ، والله سبحانه وتعالى أعلم · »

ويتبين من الفتوى انها ليستصريحة في تدريس المنطق والطبيعيات ، لأنه من الممكن أن يعترض على كتاب فيها بأن فيه شوائب او مسائل من الفلسفة والتنجيم ·

واغلب الظن ان هذه كانت نية شيخ الازهر ، لأنه أفتى وهو غير مقبل على برنامج الاصلاح المطلوب ، فقيد فتواه بتعلات من السهل أن يتعلل بها من يريد تعويق السير في طريق الاصلاح ·

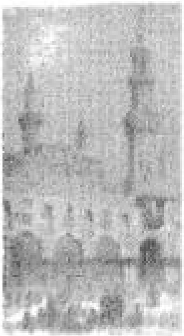
وانه ليعزز هذا الترجيح أن الشيخ محمد عبده عاد من المنفى واقترح على الشيخ الانبابي تدريس مقدمة ابن خلدون ، فلم يجبه الى اقتراحه . بدعوى أن العادة لم تجر بذلك ·

المرحلة الثالثة

محمد عبده

اذا ما ذكرنا الاصلاح في الازهر فلا بد من اقترانه بالشيخ محمد عبده ، لانه صاحب الدعوة القوية الى الاصلاح ، وواضع الاساس الوطيد في صرح الاصلاح ·

وقد كان الشيخ محمد عبده يؤمن



٨ مراحل حديثة

بان تربية الامة وتعليمها واعدادها للرقي خير وسيلة لضمان نهضة حقيقية قوية ثابتة ، ولهذا اتجه الى اصلاح التعليم واصلاح الازهر ·

وكان الشيخ محمد عبده قد بذل جهدا كبيرا أيام الخديو توفيق في اقناع الشيخ محمد الانبابي شيخ الجامع الازهر بأن يوسع منهج الدراسة ويدخل بعض العلوم الحديثة ، ولكن شيوخ الازهر عارضوه معارضة شديدة ، فحاول أن يتقوى بالخديو توفيق فلم يجد عنده أمله ·

فلما تولى عباس الثاني حاول أن يستعين به على الاصلاح ، فرفع اليه تقريرا عن الازهر وعن وسائل اصلاحه ، وصادف التقرير تقبلا من الخديو ، فاصدر القانون الذى سنتحدث عنه ·

وتسربت آراؤه هذه الى كثير من مريدي الاصلاح ، فترددت في الازهر صيحات تنادي بالاصلاح صادرة عن كثير من الطلبة والاساتذة وحينئذ اضطر بعض العلماء الى رفع عريضة للخديو عباس يعرضون فيها سوء الحالة في الازهر ، ويلتمسون وضع حد للفوضى ، فصدر القانون في ١٧

● السلطان التركى ينهب مساجد القاهرة ويسرق العلماء

رجب سنة ١٣١٢ هـ «١٥ يناير ١٨٩٥م» ويمقتضى هذا القانون الف مجلس لادارة الازهر من اكابر شيوخه الذين يمثلون المذاهب الاربعة، ومثل الحكومة فيه الشيخ محمد عبده وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان .

بقيت فتوى الشيخ الانبابى مشروعا لم يتحقق منه شىء حتى انشىء للازهر مجلس خاص ، فوضع الفتوى موضع التنفيذ ، وكان الشيخ محمد عبده عضوا فيه .

وفى الوقت نفسه عين للازهر وكيل متشوق الى الاصلاح هو الشيخ حسونة النواوى ، ثم عين شيخا ، وهو من اصدقاء الشيخ محمد عبده ومن العلماء المجددين ، فكان اختياره خطوة فى طريق التنفيذ والتطبيق العملى لما يصدر من قوانين الاصلاح .

وفى مدة وكالته ومشيخته للازهر ادخلت علوم لم تكن تدرس قبل هذه الفترة كالحساب والهندسة والجبر والجغرافية والتاريخ والخط ، وقسمت الدراسة الى اثنتى عشرة سنة حتى ان الطالب الذى يتم دراسة مواد معينة فى ثمانى سنوات وينجح فيها يعطى شهادة الاهلية ، ومن يستمر فى الدراسة بعد ذلك اربع سنوات وينجح يحرز شهادة العالمية .

وانشئت فى سنة ١٩٠٣ مشيخة علماء الاسكندرية لتسير فى التعليم على مقتضى هذا النظام .

ولا شك فى ان الفضل فى اصلاح الازهر يرجع الى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، لانه اول من ندد بعيوب الازهر ، واقترح الوسائل لعلاجها ، واقترح ان يكون الاصلاح بالتدريج ، فيقيد حضور الطلاب وغيابهم ، ويهتم المدرسون بتفهيم الطلبة الموضوع نفسه اكثر من اهتمامهم بالكتاب ويجب على الازهر ان يدرس علوما جديدة ، وليس هناك ما يمنع من ان تشرف وزارة المعارف على التعليم بالازهر .

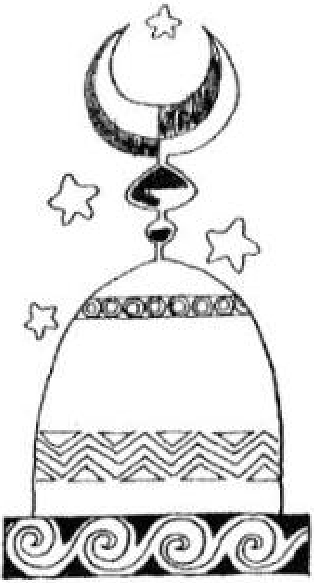
وترتب على الدعوة الاصلاحية التى نهض بها الشيخ محمد عبده كثير من التغيير فى النظم الازهرية .

منها تدريس العلوم الحديثة التى كانت محرمة لا تدرس فى الجامع ، وتدريس علوم السلف وان كانت من الفلسفة او مذهب المعتزلة ، ومنها العناية بالشئون الصحية ، فانشئت للجامع صيدلية خاصة وعين له طبيب متقطع لعلاج الطلبة بالمجان .

ومنها العناية بالحضور والغياب ، وتحديد مواعيد للعمل والعطلة والامتحان .

ومنها ترتيب اجور ثابتة للمدرسين، اذ بذل الشيخ محمد عبده جهوده عند الوزارة لتخصيص مبلغ من ميزانية الدولة ومن ميزانية الاوقاف ، تنفق منه على الدراسة بالازهر فخصص له مبلغ سنة ١٨٩٥ م ورفعت رواتب المدرسين الى المستوى اللائق بهم .

والذى ينظر فى المرتبات قبل الاصلاح يدهش اعظم الدهشة لضالتها فقد كانت نوعين : مرتبا سنويا يسمى بدل الكسوة، ومرتبا شهريا للعلماء ولاولاد المتوفين منهم ، وكان الامر موكولا فى النوعين الى شيخ الازهر ، وكان بعض



العلماء يتقاضى فى الشهر من رواتب الاوقاف ستة عشر قرشا ، وبعضهم لا ينال شيئا ، وكان مرتب الدرجة الاولى للعالمية مائة وخمسين قرشا ، ومرتب الدرجة الثانية مائة قرش ، ومرتب الدرجة الثالثة خمسة وسبعين قرشا ، وقلما بلغ راتب الاستاذ ستة جنيهات .

وانه لعمل عظيم من الشيخ محمد عبده انه استطاع السعى لاصدار قانون جديد فى ١٦ من المحرم سنة ١٣١٢ هـ ، ١٨٩٥ م ، بعد تعيين الشيخ حسونة النواوى شيخا للازهر .

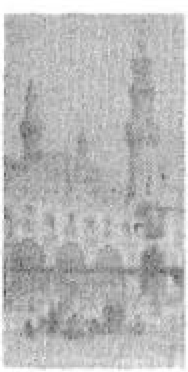
وفى هذا القانون نص على أن بدل الكساوى يجب الا يقل عن أثنى عشر جنيها فى السنة ، والا يزيد على ثلاثة وثلاثين جنيها فى السنة . وعنى الاستاذ الامام بشئون الازهر الادارية، فبنى مكاتب بالقرب من الجامع بها عدد من الكتاب لمعاونة شيخ الجامع ، بعد أن كان فى الماضى يدير الازهر من منزله ، ويذهب اليه المدرسون والطلبة . تاركا الامور الى كاتب خاص يبت فيها كما يشاء .

وجدد الشيخ محمد عبده اروقة الازهر ، وكفل لها الشروط الصحية واوصل اليها المياه النقية . وحول قناديل الزيت الضعيفة الضوء الى مصابيح قوية تضاء بالبترول .

ولاحظ ان الجراية التى تصرف للمجاورين ليست كافية لغذائهم ، فسعى حتى رفعها من خمسة الاف رغيف يوميا الى خمسة عشر الفا .

ونظم ادارة الاوقاف المحبوسة على الازهر ، فارتفع ايرادها من اربعة الاف جنيه الى اربعة عشر الفا وسبعمائة وخمسين جنيها .

٨ مراحل حديثة



كان الاصلاح الذى تزعمه الشيخ محمد عبده وهو عضو فى مجلس ادارة الازهر يقصد الى عدة أمور ، وقد اعد بها مشروع قانون لتحديد اختصاص مجلس الادارة واختصاص شيخ الازهر ، وشروط قيد الطلبة ومدة

الدراسة والاجازات والمواد التي تدرس وبيان علوم المقاصد (التوحيد والتفسير والحديث والفقه والاصول والاخلاق الدينية) وعلوم الوسائل (النحو والصرف والبلاغة ومصطلح الحديث والحساب والجبر والمنطق) والامتحانات للحصول على شهادة العالمية وشهادة الاهلية ·

ووضعت علوم اخرى للمفاضلة بين الناجحين في العالمية للحصول على الوظائف والدرجات وهي التاريخ الاسلامي والانشاء ومتن اللغة وتقويم البلدان ومبادىء الهندسة · وكانت كلها اختيارية ·

كذلك وضعت قواعد عامة للتدريس كالعناية بالتطبيق على علوم البلاغة والنحو · واختصاص علوم المقاصد بعناية اكبر من علوم الوسائل والاقتصار على المتون وشرحها بعبارات واضحة في السنوات الاربع الاولى

ورأى الشيخ محمد عبده ان يستشار كبار الشيوخ في هذا الاصلاح ليسهل تنفيذه وتألفت لجنة الاصلاح من ثلاثين عضوا برياسة الشيخ سليم البشرى ، واختيرت معها لجان فرعية، ثم قدم مشروع الاصلاح فشكلت لجنة ضمت اليها بعض أعضاء مجلس الادارة وصدر القانون في ٢٠ من المحرم « ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٩ »

وبذلك صارت مشيخة الازهر مشيخة نظامية وكثر المتخرجون في كل سنة فبعد ان كان لا يتقدم لامتحان العالمية الا ستة في السنة بغير مراعاة للاقدمية ، ولا للمقدرة على التحصيل، نظر مجلس الادارة في الشكاوى المقدمة اليه ، فاباح الامتحان للجميع، فتقدم في سنة ١٣١٥ هـ تسعة وعشرون نجح منهم ثمانية عشر ، وفي السنة التالية تقدم ثمانية وعشرون نجح منهم ثلاثة عشر وهكذا ·

وكذلك ظهر التغيير الجوهري في مدة الدراسة ، اذ انها لم تكن تتجاوز في كل عام ثلاثة اشهر ونصف شهر ، فحدد القانون الجديد الاجازات واختصرها · وراقب الطلبة وبعض المشايخ ، فتحسنت الحال تدريجيا ، وصارت السنة الدراسية تبدأ في العاشر من شهر شوال ، وتنتهي في الخامس عشر من شهر شعبان ، مع اجازة شهرين في الصيف ، هما يوليه واغسطس اذا لم يصادف الصيف الشهور العربية ·

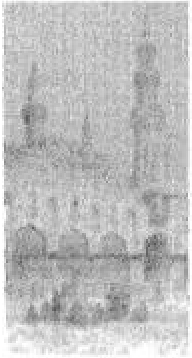
وعني مجلس ادارة الازهر بنظام الكافآت للمتفوقين ، وكانت الجوائز توزع عليهم في بدء العام الدراسي في حفل كبير برياسة شيخ الازهر ويحضره اعضاء مجلس الادارة وبعض العلماء ·

وقد شجعت هذه الجوائز الطلبة على المنافسة في تحصيل العلوم الازهرية والعلوم الحديثة ، واستطاع بعض المتخرجين في الازهر أن يقوموا بتدريس الحساب والجغرافية في احسان واتقان ·

ولقد احتمل الشيخ محمد عبده في رسالته الاصلاحية هذه الوانا من الاعنات والتشهير ، كان محورها الخديو عباس ، لانه ادرك اخيرا ان اصلاح الازهر قد حرمه سلطانه ، وافقده الاموال التي كان يجنيها لنفسه ، ويغدق منها على حاشيته واعوانه ·

ولهذا كان يستثير الجهلاء والرجعيين ضد الشيخ محمد عبده ، ولم يدع وسيلة يدرك بها مآربه غير مبال بما يعقبها من الاثر على سمعته وسمعة وطنه ، بل على سمعة دينه البرىء مما يفتريه عليه وعلى اهله ·

ولم يتورع – وهو امير البلاد – عن التحريض على اثارة الشغب بين طلاب الازهر وخدمه وعماله ، ولا عن تسخير الصحف التي تتجر بنهش الاعراض والمساومة على الفضائح والوشايات والافتراء على مخالفيه ، وهو أعلم الناس بنزاهتهم عما يدعيه ، ما دام هذا يساعده على اقصاء



٨ مراحل جديدة

الشيخ محمد عبده ، وكبار الموظفين من اعوانه عن ادارة الازهر وعن الافتاء وديوان الاوقاف .

واذا كان الشيخ محمد عبده قد اضطر الى الاستقالة من العضوية بمجلس الازهر فى ١٩ مارس سنة ١٩٠٥ فان دعوته الى الاصلاح بقيت تعمل عملها مستعلنة تارة ومستخفية تارة حتى تم للازهر اصلاحه المنشود؛ ولقد كان الشيخ محمد عبده يشعر بان غراسه لابد ان يثمر ، يدل على ذلك قوله للشيخ مصطفى عبد الرازق عقب استقالته من الازهر . « يظنون اننى بخروجى من الازهر تركته مرعى خصيبا لشهواتهم ترتع حيث تشاء ، الا اننى القيت بين جوانح هذا المكان مشكاة لا تنطفىء ان لم تلتهب اليوم، غدا . فستلتهب فى ثلاثين عاما ، وستكون ضراما » .

توقف الحركة الاصلاحية

خرج الشيخ محمد عبده من مجلس ادارة الازهر مضطرا ، وكان الخديو يريد عزله منمنصب الافتاء – لولا أن كرومر عارضه – لانه كان مغيظا من الشيخ محمد عبده لامور كثيرة منها اصلاح الازهر كما تقدم ومنها معارضته للخديو عندما اراد أن ينعم بالكساوى على أناس لا يستحقونها ..

ثم صدرت المراسيم بعد خروج الشيخ محمد عبده باختيار شيخين من الحزب القديم لاكبر المناصب الدينية، فعين الشيخ عبد القادر الرافعى مفتيا للديار المصرية ، وعين الشيخ عبد الرحمن الشربينىشيخا للجامعالازهر.

أما المفتى فقد توفى علىإثر تعيينه.

وأما شيخ الجامع الازهر فقد صرح برأيه فى الاصلاح فى حديث نشرته جريدة الجوائب المصرية فى ١٢ من مارس سنة ١٩٠٥ جاء فيه « ان غرض السلف من تأسيس الازهر اقامة بيت لله يعبد فيه ويؤخذ فيه شرعه ، ويؤخذ الدين كما تركه لنا الائمة الاربعة رضوان الله عليهم ، وأما الخدمة التى قام بها الازهر للدين وما زال يؤديها فهى حفظ الدين لا غير ، وما سوى ذلك من أمور الدين وعلوم العصر ، فلا علاقةللازهر به ولا ينبغى له » وسخر بفكرة الاصلاح فقال « وانى أسمع منذ سنوات بشىء يسمونه حركة فى الازهر أو اصلاح الازهر ، ولكننى لم أر لهذه الحركة وهذا الاصلاح من نتيجة سوى انتشار الفوضى فى ربوعه » .

وختم حديثه بالدعوة الى أن يكون الاصلاح ضيق الحدود يهتم بصحة الطلبة وغذائهم ، وأما غير ذلك من الفلسفة والعلوم الحديثة فلتدخله الحكومة على مدارسها الكثيرة .

ومعنى هذا أن مشيخة الازهر آلت الى شيخ لا يميل الى تطوير الازهر وتدريس العلوم الحديثة به ، وبسبب هذا التخوف الفى دراسة المنطق والفلسفة بالازهر .

ولم يسكت الشيخ محمد عبده ، فرد على الشيخ الشربينى بجريدة المقطم ، وعجب من تناقضه مع نفسه ، لانه

متخصص فى علم الكلام وهو علم فلسفى على حين انه يحرم دراسة الفلسفة فى الازهر ، وانتقده فى محاربة بعض العلوم الحديثة كدراسة الاخلاق الدينية ودراسة تاريخ السلف. ورد على الشعب بانه مؤامرة على اصلاح الازهر لا دخل للاصلاح فيها ·

ثم كشف صراحة عن الباعث له على حديثه فقال له انك تزعم انك لا تشتغل بالسياسة مع انك تشتغل الان بها ·

على أن الشيخ الشربينى لم ينجح فى ادارة الازهر، فاستقال سنة ١٣٢٤هـ ـ ١٩٠٦ م وأعيد الشيخ حسونة النواوى الى المشيخة ·

وانه لجدير بالانتباه أن الشيخ محمد عبده قد وضع قبل وفاته تقريرا عن اهمال كثير من مواد قانون الازهر ·

المرحلة الرابعة

الأحمدى الظواهرى داعية قبل أن يتولى المشيخة

كان الشيخ الأحمدى الظواهرى يتطلع الى اصلاح الازهر قبل أن يتولى مشيخته بزمن بعيد ، فقد الف فى سنة ١٩٠٢ م كتاب (العلم والعلماء) شخص فيه الداء والدواء متأثرا بآراء الشيخ محمد عبده ، عرض فيه لانصراف العلماء عن هداية الأمة الاسلامية بالوعظ والارشاد ، وايثارهم العزلة ، وجهلهم بالعلوم الحديثة ، وأنفتهم من التدريس بالمرحلة الاولى ، وبنى على ذلك تأخر المسلمين ، وزوال هيبة العلماء ومعاداتهم لكل اصلاح ·

كما عرض فيه لنظام الازهر واحوال الطلبة وما يرى فيهما من عيوب ، وبين ما فى العلوم التى تدرس بالازهر من قصور وجمود وتخلف ، وفصل القول فى ذلك علما علما ، وعاب الكتب وطريقة التدريس منها ·

ورأى انه لا اصلاح بغير اصلاح طريقة التدريس ، والتخلص من الكتب العتيقة المعقدة ، وتأليف كتب جديدة مشوقة سهلة ، وأشار بضرورة الحرص على الامانة العلمية ، فلا يصح للاستاذ تبرير الخطأ او الدفاع عن باطل ·

ونصح بضرورة التطبيق على العلوم النظرية ، والواجب العناية بالتفسير والاخلاق والتوحيد والحديث كالعناية بعلوم اللغة ·

وحينما ظهر الكتاب رحب به بعض الازهريين ، وحمل عليه آخرون ·

واثار الخديو عباس لانه صدى لآراء الشيخ محمد عبده ، ولهذا أغضب شيخ الازهر ··

ورأى الشيخ الظواهرى ان الظروف غير مواتية للعمل بآرائه ، فعول على الاعتماد على نفسه ، وجعل يهتم بالوعظ والارشاد فى الاسكندرية ويحاول أن يبث تعاليمه بين طلبة المعهد ·

ثم هدات ثورة الخديو على اصلاح الازهر بعد وفاة الشيخ محمد عبده ، وتطلع الازهريون الى الاصلاح بعد انشاء مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧ م لانها منافس خطير لهم ستستأثر بوظائف القضاء ، فنادوا بالاصلاح واصدر الخديو عباس قانونا لنظام الازهر والمعاهد الدينية سنة ١٩٠٧ واضاف الى العلوم الدراسية علوما جديدة ، وجعل الامتحان فى العلوم الحديثة اجباريا فى كل قسم من الاقسام الابتدائية والثانوية والعالية للحصول على شهادته · لكن الثورة على هذا القانون لم تلبث ان قامت فى الازهر ، على حين انها لم تكن فى المعاهد الدينية ، لانها الفت هذا النظام الجديد ، او لان شيوخها اخمدوا الفتنة قبل أن تظهر ، وحينئذ وجد علماء الازهر وطلابه انهم يضيرون انفسهم بتعويق الاصلاح ، فسكنت الفتنة واعاد الخديو القانون سنة ١٣٢٧ بعد ان كان قد الغاه ·

ولما هدات الامور ، وشق الاصلاح طريقه استقال الشيخ النواوى بعد ما

تولى المشيخة مرتين ، وخلفه الشيخ سليم البشرى ، فتولى المشيخة مرة ثانية . وسعى لاستصدار قانون جديد سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) زيدت فيه مدة الدراسة الى خمسة عشر عاما ، وبقيت العلوم الحديثة من تاريخ وجغرافية وحساب وهندسة وطبيعة وكيمياء، ووزعت دراستها في القسمين الابتدائي والثانوي ، واختص التعليم العالي بالعلوم الدينية ، ونفذ هذا النظام في معهدى الاسكندرية وطنطا للتجربة ، على ان يطبق بعد نجاحه في الازهر ، وأنشأ القانون هيئة كبار العلماء لتدريس الفقه والاصول والحديث ومصطلح الحديث والتفسير وعلوم العربية والتوحيد والمنطق والسيرة النبوية والاخلاق الدينية ·

وأنشيء للازهر مجلس برياسة شيخه ، كما انشئت مجالس ادارة مماثلة للمعاهد التابعة للازهر ·

وفى ذلك الوقت كان الشيخ الاحمدى الظواهرى شيخا لمعهد طنطا ، فبدأ ينفذ منهج الاصلاح فى الجامع الاحمدى بالقدر الذى تخوله سلطته لانشا جمعية التوحيد بالمعهد لمناقشة الشبه والرد عليها ، وانشأ جماعة للخطابة ومجلة للمعهد وعين مراقبين على سلوك الطلبة وارشادهم · ثم ضم فى عهد السلطان حسين كامل الى المجلس الاعلى للازهر ·

وهنا بدأت مساعيه تصطبغ بصبغة رسمية ، فقد قابل السلطان حسين وعرض عليه زيادة مرتبات العلماء فوافقه ·

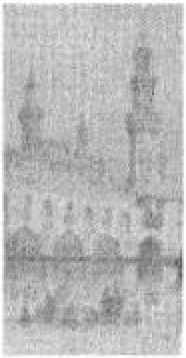
وحدث فى هذه الفترة أن صدر قانون سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) جعل فترة الدراسة ستة عشر عاما اذ زيدت على المراحل الثلاث مرحلة التخصص التى يدرس فيها كبار العلماء ، وكانت مرحلة التخصص هذه وسيلة لالغاء مدرسة القضاء الشرعى ، لانها ضمت باساتذتها وطلابها الى قسم التخصص فى القضاء ، ولكن الامور لم تتحسن ، لان طلاب الازهر كانوا يريدون ان تفتح وزارة المعارف الابواب امامهم للعمل كما تفتحها امام طلبة دار العلوم ·

المرحلة الخامسة

محمد المراغى

عين الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخا للازهر ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨م) وكان من تلاميذ الشيخ محمد عبده المتطلعين الى الاصلاح ولم يمكث بالازهر بعد تخرجه فلم تنتقل اليه عدوى الجمود كما انتقلت الى كثير من تلاميذ الشيخ محمد عبده الذين بقوا فى الازهر ، بل اختير لوظيفة القضاء الشرعى ، ثم اختير رئيسا لقضاة السودان ، فاختلط بالناس وعرف ما يجرى خارج الازهر، فادرك انه يقف جامدا والحياة تتحرك بسرعة ، ولهذا قويت فى نفسه بواعث الاصلاح ، فلما اختير للمشيخة وجد النظام الحديث لا يرحب به الا قليل من العلماء ، ووجد الطلبة على النقيض ، يريدون النهوض ، ويطالبون بمالهم من حقوق ولكنهم يخطئون الطريق الموصل

٨ مراحل حديثة



الى حقوقهم . لهـــذا أعلن أنه يريد للأزهر اصلاحا شاملا يوقظه من سباته ويفتح فيه باب الاجتهـــاد فى العلم والدين ، فثار انصار القديم ، ولكنه لم يبال بثورتهم ، ومضى فى طريقه ·

وكان أول ما عمله أنه وضع مذكرة ضمنها أصول الاصلاح المنشود وهى تدل على حماسته للاصـــلاح وتبين الآمال العظيمة التى يعلقها عليه ·

وبين أنه قد صار من الحتم لحماية الدين لا لحماية الأزهر انيغير التعليم فى المعاهد الدينية ، ولا يبالى المصلح بما يحدثه التغيير من ضجة وصراخ·

ورأى أنه من الواجـــب أن يدرس القرآن والحديث دراسة جديدة يبتعد فيها عن كل ما أظهر العلم بطـلانه ، وأنه من الواجب أن تهذب العقـــائد والعبادات ، وتنقى مما جد فيهـا من بدع ، ويجب أن يدرس الفقه دراسة خالية من التعصب لمذهب من المذاهب، وأن ينظر فى احكامه الاجتهادية نظرة تجعلهـا ملائمة للعصور والأمكنة ، ويجب أن تدرس الأديان ليظهر مـــن المقارنة بينها وبين الاسلام فضـــله عليها ·

ويجب أيضا أن تدرس اللغةالعربية دراسة جيدة كما درسها السلف وأن يضاف اليها دراسات أخرى عـــلى الطريقة الحديثة فى بحث اللغةوآدابها· ولابد من تأليف كتب قيمة فى جميــع فروع العلوم الدينية واللغوية عـــلى طريقة التآليف الحديثة ·

ثم ذكر أنه بعد هـــذا يستطيع أن يضع أسسا اجمالية للنظــــام الذى يقترحه للأزهر والمعاهد الدينية ·

١ ــ يقسم التعليم الـــديني الى قسمين ، قسم يحـــدد عدد طلابه ، وترتب درجـــات تعليمهم وتبين لهم حقوقهم وأعمـــال الدولة التى ستوكل اليهم ، وهو القسم الذى سيكونموضع العناية ومكان الرجاء والأمل ·

وقسم لا يراد منه الا سد حاجة من يريد التفقه فى الدين ومعرفة اللغـــة العربية ، ليخرج من ظلام الجهالة الى نور العلم ، وهـــذا القسم توضع له نظم تكفل مراقبة الأخـــلاق ، وتعليم طلابه تعليما بعيدا عن الخرافات ·

٢ ــ تكون مراحل التعليم فىالقسم الأول ثلاثا : القسم الأولى ــ القسم الثانوى ــ القسم العالى ·

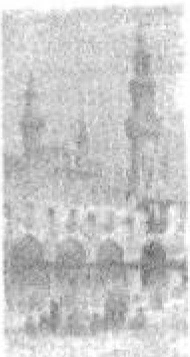
ويكون التعـــليم فى القسم الأولى والقسم الثانوى عاما على مثالالتعليم فى المدارس الابتدائية والثانوية ماعدا اللغات الأجنبية · وتدرس فيها علوم الأزهر بالقدر المؤهل للقسم العالى :

٣ ــ يقسم التعليم العالى الى ثلاثة اقسام : قسم اللغة العربيـــة ــ قسم الفقه ــ قسم الدعوة والارشاد ·

٤ ــ يستغنى بأقسام التعليم العالى عن مدرسة القضـــاء الشرعى ودار العلوم ·

٥ ــ يكون علماء اللغة العربيـــة أساتذة فى المعاهد الدينية وفىمدارس الحـــكومة ، ويكون علمـــاء الدعوة والارشاد أساتذة فى المعاهد الدينيـــة وخطبـــاء أو ائمة ووعاظا ومرشدين ويكون علماء الفقه أساتذة فى المعاهد الدينية ومدارس الحكومة ، ويختص

● الخـــديو يحـــرض الصحـــافة الرخيصـــة على نهـــش الإمـــام محمـــد عبـــده



٨ مراحل حديثة

علماء فرقة القضاء بأن يكونوا قضاة ومحامين ومفتين ٠

٦ ـ يلغى قانون التخصص لعدم فائدته ، ولأن أقسام التعليم العالى تغني عنه ٠

وقد ألفت الحكومة لجنة لوضع الاصلاح على هذه الأسس برياسة الشيخ المراغى ، وأقرت النظام الذى وضعه ٠ وجعلت مراحل التعليم أربع مراحل :

١ ـ ابتدائية ومدتها أربع سنوات
٢ ـ ثانوية ومدتها خمس سنوات
٣ ـ عالية ومدتها أربع سنوات
٤ ـ تخصص ومدتها سنتان ٠

وانتهت من ذلك فى ربيع الأول سنة ١٣٤٧ هـ ثم قدمته الى الحكومة ليأخذ طريقه الى التنفيذ ٠ ولكن حدث بين الملك والشيخ المراغى خلاف اضطر الشيخ الى أن يستقيل سنة ١٣٤٨ هـ ٠٠

والملاحظ على مذكرة الشيخ المراغى أنه اقتبس نظام دار العلوم والقضاء الشرعى ، ودعا الى الغائهما لقصر وظائف التدريس والقضاء على المتخرجين فى أقسام الأزهر ، وكأنه بهذا يريد بناء الأزهر على أنقاض معهدين كان لابد من بقائهما ، لأنهما أديا رسالتهما على خير وجه ، على حين أنه كان يستطيع النهوض بالأزهر بغير الغاء هاتين المدرستين ٠

المرحلة السادسة

الأحمدى الظواهرى ـ شيخا

اختير الشيخ الظواهرى لمشيخة الأزهر سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩م) وفرح الأزهريون بتعيينه لأنهم يعرفون ماضيه وحرصه على الاصلاح منذ زمن بعيد ٠

وفى عهده وضع قانون للاصلاح فى ٢٤ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ (١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م) وهو القانون الذى حدد كيان الأزهر منذ ذلك الحين ، وقسمه الى كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية ٠

وحددت أقسام التخصص ، فصار هناك تخصص فى المهنة ، وتخصص فى المادة ، الأول لزيادة أهلية المتخرج لتولى المهن السابقة والثانى لتأهيله للتدريس بالكليات ٠

وحددت مدة القسم الابتدائى بأربع سنوات تدرس فيها علوم الفقه والأخلاق والتجويد والتوحيد والسيرة النبوية والمطالعة والمحفوظات والانشاء والنحو والصرف والخط والاملاء والتاريخ والجغرافية والحساب والهندسة ومبادىء العلوم وتدبير الصحة والرسم ٠

وهذا المنهج يكاد يكون هو منهج مدارس المعلمين الأولية أما القسم الثانوى فحددت مدته بخمس سنوات، يدرس فيها الفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف ، والبلاغة والمطالعة والمحفوظات والانشاء وأدب اللغة والحساب والهندسة والجبر والكيمياء والتاريخ الطبيعى والمنطق والتاريخ والجغرافية والأخلاق والتربية الوطنية

وقد تمكن الشيخ الظواهرى من الغاء مدرسة القضاء الشرعي اكتفاء بكلية الشريعة ، ومن الغاء تجهيزية دار العلوم تمهيدا لالغاء دار العلوم ، لتحل كلية اللغة مكانها · وأطلق اسم الجامع الازهر على كليات التعليم العالي وعلى أقسام التخصص ·

وأطلق اسم المعاهد الدينية على معاهد التعليم الديني الاسلامي التي يكون التعليم فيها بقصد تفقه الطلاب في دينهم وفي اللغة العربية واعدادهم لدخول الجامع الأزهر ·

والتعليم في هذه المعاهد ابتدائي وثانوى ، وأنشئت سبعة معاهد جديدة وقضى القانون الجديد بتأليف هيئة تشريعية لها حق النظر فى اللوائح والقوانين ، وتسمى مجلس الأزهر الأعلى ·

ثم وضع قانون التخصص سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) وقد جاء فيه :

١ ـ التخصص فى القضاء الشرعي ، ويختار طلابه من خريجي كلية الشريعة ·

٢ ـ التخصص فى الوعظ والارشاد ويختار طلابه من كلية أصول الدين ·

٣ ـ التخصص فى التدريس ، ويختار طلابه من خريجي كلية اللغة العربية والشريعة وأصول الدين ·

المرحلة السابعة

عودة المراغى ثانية

عاد الشيخ المراغى الى مشيخة الأزهر فى ١٢ مايو سنة ١٩٣٥ م فسعى لاصدار قانون جديد سنة ١٩٣٦ م ألغى به القانونين الصادرين فى سنة ١٩٢٣ م وفى سنة ١٩٣٠ م وهذا القانون الذى صدر سنة ١٩٣٥م شديد الشبه بالقانون الصادر فى سنة ١٩٢٧ ماعدا بعض تغييرات مثل تسمية المعهد الأزهرى بمعهد القاهرة وتسمية هيئة كبار العلماء باسم جماعة كبار العلماء ·

أما الأقسام الابتدائية والثانوية والقسم العام فقد بقيت على حالها ، وأما المناهج الدراسية فانها بقيت كذلك كما كانت مع التقليل من العلوم الحديثة فى القسم الثانوى ·

المرحلة الثامنة

فى عهد الثورة

ثم جاءت ثورة مصر سنة ١٩٥٢ ، فغيرت كثيرا ، وأصلحت وجددت كثيرا ، وكان نصيب الأزهر من عنايتها كبيرا ، فبقيت كلياته الثلاث المعروفة وزادت قوة وحركة وحياة ، وتطورت أقسامه الثانوية في برامجها، وأنشئت به كليات جديدة لأول مرة في تاريخه مثل كلية الطب وكلية الهندسة وكلية الزراعة وكلية التجارة ·

وأنشئت به كلية خاصة بالبنات ذات أقسام عدة ، وعما قريب تصير هذه الكلية جامعة للبنات تضم كليات متعددة لدراسة اللغة والأدب ، ولدراسة الشريعة والقانون ، ولدراسة الطب وغيره ، واننا لنأمل في المستقبل أملا عظيما ، لأن جامعة الأزهر ولأن كلية البنات يأوى اليها ألوف من الطلبة المسلمين من أنحاء العالم كله ، وهم رسل طيبة بين بلادهم وبين مصر ، ورسل بين أهليهم وبين الثقافة العربية والاسلامية ، يعودون بعد تخرجهم ويعدن بعد تخرجهن دعاة الى الاسلام، حراسا على تراثه ، قادرين على صد الهجمات التى تصوب اليه من أعدائه·

أما الذين يتخرجون فيه من أبناء مصر وبخاصة فى الكليات العملية كالطب والهندسة والزراعة والعلوم ، فانهم مزودون بقسط كبير من الثقافة الاسلامية ليكونوا دعاة وهداة حيثما حلوا وأينما ذهبوا

هذا أمل نتطلع اليه فى ثقة وايمان · · ·


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح :
شعلتان ونصف وثمان لشعلة
الكبرى بوجود سبرتاية
الفرن الشعبي
شعلتان ونصف وشواية
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. والطبانة للسفرة
مزهرة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

● الغلاف الأول ●



الراحلون ل الشباب ..
للفنان جمال قطب

● الغلاف الأخير ●



وجه من النوبة ..
للفنان محمود مختار

هل تعرف من القائل ؟

١ ـ ان امنيتى بعد السن التى بلغتها ، هى قبر فى وطنى ، لا قصر فى غربتى .

❋

● جبران خليل جبران ـ السيد جمال الدين الافغانى ـ الشاعر القروى .

❋❋❋

٢ ـ لا تعذلوا ملكا تذلل فى الهوى
ذل الهوى عز وملك ثان

❋

● الأمير المعتمد بن عباد ـ الخليفة سليمان المستعين ـ الملك الظفر .

❋❋❋

٣ ـ جرائد ما خط حرف بها
الا لتفريق وتضليل
يحلو بها الكذب لاصحابها
كانها اول ابريل

❋

● الشيخ عبد العزيز البشرى ـ يعقوب صنوع ـ حافظ ابراهيم

● الاجوبة ●

١ ـ الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى)
٢ ـ الخليفة سليمان المستعين (الاموى)
٣ ـ حافظ ابراهيم



الهلال



عدد خاص

رواد القصة الأوائل

الهلال

مايو ١٩٧٢

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الخامس ـ السنة الثمانون ـ اول مايو ١٩٧٢ ـ ١٧ ربيع الاول ١٣٩٢

رئيس مجلس الإدارة:
يوسف السباعى

رئيس التحرير:
صالح جودت

سكرتير التحرير:
نصر الدين عبد اللطيف

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة ، فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : ٥٫١٢ عددا ٤ فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ ٠فى سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات او ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل الصرف فى جمهورية مصر العربية ـ والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

د. سيد نوفل .. حديث عن صاحب «زينب» ...



في هذا العدد



محمد المويلحي .. لصة عيسى ابن هشام



« سارة » .. خلفة قلب العقاد ..

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



كلمة الهلال

اقامت « دار الادباء » بالقاهرة فى مطلع الشهر الماضى حفلة استقبال للاستاذ « تيت » .. الكاتب الصحفى اليوجوسلافى الذى يقوم فى هذه الايام بجولة فى البلاد العربية ، ليتعرف على الاتجاهات المعاصرة فى الادب العربى ، ويكتب عنها فى صحف بلاده

وكان فى صحبة الاستاذ « تيت » يوم لقيناه ، السيد « دوزان زافاسنيك » القنصل اليوجوسلافى للشئون الثقافية بالقاهرة ، الذى انتحى بى ناحية ليحدثنى عن الادب فى بلاده ، وليسألنى عن الادب فى بلادى

وذكر لى السيد « زافاسنيك » ، انه من خلال مطالعاته للقدر اليسير الذى ترجم من الادب المصرى المعاصر الى اللغة اليوجوسلافية ، يستطيع ان يجزم بان القصة المصرية قد طفرت فى هذا العصر حتى بلغت مكانة عالمية ، وان فى مصر الان اكثر من قصصى يرقى الى مرتبة اعظم اعلام القصة العالميين

وتأسيسا على هذه الحقيقة التى يقررها السيد « زافاسنيك » ، كما قررها عشرات من نقاد الادب فى مختلف الدول الاوربية من قبل، بعد ان نقلت الى لغاتهم مؤلفات العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم فى مجال القصة ، واصبحت موضعا للدراسة ، ومنطلقا للاطروحات فى اكثر من خمسين جامعة من جامعات العالم .. نقول ، من قبيل الاعتراف بالحق وعرفان الجميل ، ان هذه المرتبة القصصية التى ارتقت اليها مصر ، لم تجىء طفرية ولا عفوية ، وانما شبت على اعناق الرواد الاوائل للقصة المصرية ، الذين تجد سير بعضهم فى هذا العدد ، وان ضاقت صفحاته عن تسجيل بقية السير العاطرة ، كمحمود طاهر لاشين وعيسى عبيد وشحاته عبيد وغيرهم ممن شق ركبهم الدرب فسلكه اللاحقون .

من أجل هذه الحقيقة ، نقدم هذا العدد من «الهلال» تحية لهؤلاء الرواد ، وباقة ورد على قبور الراحلين منهم ، وقبلة ود على جبين الاحياء.

● صالح جودت ●

محمد حسن



مؤرخ التمدن الإسلامي

جرجي زيدان

عبقري صنع من طباخ، و«اسكافي»، وقماش، طالب طب وصيدلة، وعالما متواضعا كل التواضع، مكافحا غاية الكفاح، صادقا منتهى الصدق، مثابرا شديد الجلد، مؤمنا الى أجمل حدود الايمان .. هذا هو جرجي زيدان مؤسس «الهلال»

جرجي زيدان

كان جرجي زيدان رائدا احتمل مشقة الريادة ، وهجوم الجامدين والمعوقين، واسفاف المغرضين ، لا يحسب حسابا الا للعلم الصادق الباقي • وانطوت الزوابع وهو ثابت على معدنه الاصيل ••• بقي معلماً خالداً ، اثاره تنفع الناس •

وقصة حياة الرجل ملحمة رائعة : فيها العصامية وفيها الصدق ، فيها الزهد وفيها التصوف ، فيها الشمم والكبرياء النفس القائم على العفة والخلق والتسامي عن الماديات :

كانت حياته محصلة شعارية في العمل والحياة : « لا يصح غير الصحيح » و « الى الامام » ••• دائما الى الأمام • ولايزال يصارع الحوادث وتصارعه حتى بلغ الهدف الذى توخاه : العالم ، المعلم ••• الشعبي !

شق على جده – زيدان – أن تصادر أمواله ويضطهد بلا ذنب جناه ، فتدهورت صحته ومات عن

ارملة وابنتين وصبيين ، ولم تجد الأرملة بدا من الهجرة الى بيروت ، وهناك اصبح أبوه حبيب – اكبر الصبيين – وهو في العاشرة ، كبير الأسرة المسئول عن معاشها •

كان حبيب فقيرا أميا ، لم يوفق لن يلحقه بالدراسة ، ولو اتيحت له لما استطاع ، لانه كان مضطرا لاعالة والدته واخوته ، فاشتغل بالقرانة والخبازة والأطعمة •

وربح من مطعمه وتحسنت حاله ففكر في الزواج ، وتزوج في وقت بدأ فيه الصراع بين العرب والدولة العثمانية الحاكمة عام ١٨٦٠ :

« وانقضت تلك الحوادث ، ولم تصب بيروت بضرر يذكر ، وعاد الناس الى أعمالهم ، ووالدى في دكان بالقرب من البرج الكشاف ، واخذت مكاسبه تتزايد ، وولد له الأولاد ، وأولهم أنا ••• ولدت في أواخر سنة ١٨٦١ »

***

ولد جرجي زيدان والصراع على أشده بين العرب والعثمانيين ، وكان من ابرز حاجات هذا الصراع رغبة ملحة في تبادل الاراء والافكار العلمية المتقدمة التى اخذت تجتاح اوروبا التى استكملت ثورتها الصناعية • وتطلعت أسرته المتوسطة ، التى اخنى عليها الدهر ، الى تعويض مكانتها المنهارة بمكانة جديدة مرموقة ، فحرصت الأم على ادخال ابنها جرجي المدرسة ، ووافق الاب على أن يتعلم الابن القراءة والكتابة والحساب ، لكي يضبط له مشتريات المطعم ومبيعاته ••

وفي بيته المتواضع تعلم جرجي الصغير اول درس في حياته :

« نشأت في صباى وأنا أرى والدى يخرج الى دكانه من الفجر ولا يعود الا نحو منتصف الليل ، وأرى والدتي لا تهدأ لحظة من الصباح الى المساء ••• همها تدبير بيتها وتربية أولادها •• فشبت على ذلك وألفته ، فانغرس في ذهني أن الانسان خلق ليشتغل ، وأن الجلوس بلا عمل عيب كبير » •

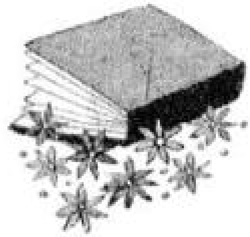
● طريق الكفاح الطويل ●

دخل جرجي الصغير مدرسة « المعلم الياس » •• « ولا يتبادر الى الاذهان

أن المعلم الياس كان عالما ، فانه يكاد لا يحسن القراءة فى الانجيل . وكانت مدرسته لا تزيد عن قبو واسع ، ثم صار القبو فرنا ··· فكان أشبه بالزريبة منه بالمدرسة ، يجتمع فيه

أبناء أهل الحى من سن الرابعة الى العاشرة ، ذكورا واناثا ، يجلسون على حصير ، ويجلس هو فى صدر القاعة وبين يديه صندوق صغير يضع عليه كتبه وأقلامه ، ويجمع الى يمينه عصيا تختلف طولا ودقة ، يستخدم كلا منها فى محله ··· حسب سن الولد وجنسه وبعده منه وقربه » !

قضى جرجى الصـــــغير سنتين فى



هذه المدرسة ، أعلن بعــــدها المعلم اليــاس أن جرجى قــد ختم درسه وأصبح يفك الحرف ـ اى يفك الخط ··· ويقــول جرجى : « كنت اقرأ جيدا ، لكننى لم اكن افهم ما اقرأ » !

وسرعان ما ادرك الأب أن مجـرد « فك الحرف » لا يكفى لتدوين حسابات المطعم ، فنقله الى مدرسة الشوام ،

وفى هـذه المدرسة لم يتعلم جرجى الصغير مبـادىء الحسـاب والنحو والخط فقط ، وانمــا تعلم درس حياته : أن الانسان هو صانع نفسه

··· كان ناظر المدرسة المعلم ظاهر خير الله الشورى ، أصله بناء ، وفيه ذكاء ، فتعـلم وتثقف على نفسه ، وصار معلما براتب حسن » !

وبعد سنتين من الدرس على المعلم ظاهر ، احتاج والـده الى مساعدته ، مؤقتا ، ريثما يوفق الى مساعد غير الذى تركه ··· « قال لى : تعــال يا جرجى لمســاعدتى سبعة أيام أو ثمانية ، ريثما أجد من يقوم مقامك · فأتيت كرها لأننى كنت أحب التعليم كثيرا ، ولكنى أطعته وأنا أعلل النفس بالرجوع الى المدرسة ، فامتدت تلك الأيام السبعة الى سبعة أعوام ، أو ثمــانية ، قضيتهــا فى أسواق بيروت ، بين عامتهــا ، وأنا مضطر لعاشرة إحط الطبقات فيها » !

المحل فى ساحة البرج ، والساحة يومئذ ملتقى الرعاع وأهل البطالة··· « فيهم السكير والمقامر وأهل الدعارة والخصــام » ، ولكن طبيعة جرجى الأصيلة ونفسه الأبية تعصمــه من الزلل · وفى نفس الوقت كانت الأم تكره المطــاعم ، وتلح على الوالد ليواصل الولــد الدرس ، ولكن الأب المحافظ كان مقتنعا بأن الابن « قــد اتم دروســـه ، ولا فائدة من كثرة الدروس » ·

واتفق على أن يتعلم صناعة أخرى « بعيدة عن « رائحة الزفر والانحباس فى الدكان ليل نهار » فعلموه صناعة الأحـذية ، وبعــد سنتين فى مهنة الاسكاف عاد الى المطعم مرة أخرى ، بعــد أن تدهورت صـحته من فرط الاعتكاف على العمل طول اليوم ···

هنا ادرك الصبى أنه لا جدوى من محاولات الانتظام فى التعليم ، وأنه اذا كان حقا يريد العلم فليكن هــو معلم نفسه ··· وبدأ الصبى طـريق الكفاح الطويل · فى السنوات الأولى بهره « الحكواتى » ، وعلى البـاب الخلفى للدكان كان الصبى ينس نفسه ويصـــغى بكل حواسه الى قصص

فيروز شاه ، وعنترة ، والزير سالم ، وعلى الزيبق وغيـــره من القصص الشعبى ·· وبقى معه هـــذا الحب العميق للفن الشعبى ، حتى لقـــد أصبحت رواياته التاريخية فيما بعـد نهجا على هـــذا المنوال ، حيث مزج القصة المسلية بالتاريخ ، وتميز أسلوبه فى الكتابة بالبساطة واليسر مما جعله قريبا من أفهام الناس ··

● الايمان وطموح الشباب ●

وفى وسط يأخذ بالتفاخر والطرب والشراب والاقتتال بالسكاكين · أحس الصبى بالغربة ، وبدأ ينتقى أصدقاءه ، وعن طـــريق هؤلاء الصـــفوة أحب الشعر ، وحببه الشعر فى القراءة··· « فاقتنيت المتنبى وابن الفارض ··· واخذت اقرؤهما وأتمعن فيما أقرؤه ، فاذا وفقت لفهم بيت من الأبيـــات الغامضة ، لذ لى ذلك كأنى فتحت بلدا أو لقيت كنزا » ·

واســتمع الصبى الى رواد مطعمه من المثقفين ، واستفاد منهم ، وتعلم اللغة الانجليزية فى وقت فراغه حتى أتقنها ، وكان يقضى الليل فى الدرس والمطـــالعة ··· « وكثيرا ما تشرق الشمس وأنا جالس اقرأ » ·· وكثيرا ما نهره والده على هـــذا السهر ، خوفا على صحته · واتفق يوما أن وفق الصبى لشراء نسخة قديمة مـــن « مجمع البحرين » للشـــيخ ناصيف اليازجى ، بنصف ثمنها ، فلما رأى والده الكتاب سأله عنه ، فلما علم أنه اشتراه غضب لأنه اســـتبدل ورقا بالنقود !··

وكانت مجلة المقتطف قـــد ظهرت حديثا ، واطلع على نسخة كانت مع أحد رواد مطعمه ، وقرأ مقـــالا عن الخسوف ، فبهره أن الأرض تدور حول نفسهـــا وتتوسط الشمس والقمر ، ووجد فى العلم بعد الأدب لذة ، وفى مطالعته نشوة ، واقبـــل على علوم الحياة ، وحفزه « المقتطف » عـــلى كتابة أول مقالة ، ولم ييأس لأن المقالة لم تنشر : « فهمت أنهـــا لم تنشر لضعفها واتخذت من ذلك درسا لنفسى ··· اعتقدت انى لم أصر بعد أهلا لنشر مقالاتى ، ولم أكتب لأية صحيفة منـــذ ذلك الحين الا بعد أن درست الطبيعيات ودخلت مدرسة الطب حيث تفقهت فى بعض فروعه » !

وكان قد اطلع على كتاب « سر النجاح » الذى نقله الى العربيـــة الدكتور يعقوب صروف ··· « فهاج

جرجى زيدان

فى نفس النشاط والحماسة بما سجل من تراجم بعض العظماء ، ممن بلغوا ذروة المجد والنجاح بجدهم واجتهادهم واعتمادهم عـــلى أنفسهم ، وفيهم ابن الحلاق ، والاسكافى ، والصانع ، والخادم ··· وكنت كلما قرأت شيئا من ذلك ، اهتـــاجت مشـــاعرى ، واستولى على الأرق فلم أجد ســـبيلا الى النوم ··· كما يتملكنى الشـــعور بالأسى والأسف والانقباض ، اذ أجد نفسى مقيدا باستمرار فى عملى البعيد عن العلم ، والمستقبل الذى أتوق اليه » .

زاد طموح الشاب ، وزاد ايمانه بأنه ينبغى أن يتخلص من أسر المطعم ، فقرر أن يدرس الطب ، ولم ييأس من

طول الطـــريق ، أو الدروس الكثيرة التي لابد له من دراستهـــا لتؤهـــله للالتحـــاق بكلية الطب ، ووراءه امه تشجعه ، وبقوة ارادته قضى الشهور في الدرس ، ثم تقدم ·· ونجح وتفوق!

● القاهرة نقطة تحول ●

وأصبح الكفاح كفاحين ··· كفاح في سبيل لقمة العيش وتدبير نفقات الدراسة بعد أن رفض أن ينفق عليه والده ··· وكفاح في سبيل العلم ، ولم يتناقض الكفاحان ، بل تلاقيـــا كأحسن ما يكون اللقاء بين الأطراف ··· وحققت الارادة المستحيل !

وشيئا فشيئا فارق الشـــاب تهيبه واندمج مع زملائه واقبل على دراساته ، وكلما درس علما وجده « لذيذا » ··· « والواقع اني كنت في أوائل عهدى بدراسة العلوم الاعدادية ، لا أكاد أمضي قليلا في دراسة أحـــدها حتى احسب انه الذ العلوم وانفعها ، فلما شرعت في دراسة العـــلوم الطبيعية والرياضية ، تحول اعجابي اليهـــا ، ثم تحول الى علوم النبات والتشريح والفسيولوجيا والاقربازين والكيمياء · على انى مازلت حتى الآن أعتقـــد أن الكيمياء الذ العلوم وانفعهـــا عـــلى الاطلاق » !

وفي نهـــاية السنة الأولى حصل الشاب على شهادتي امتياز ، ثم انتقل الى السنة الثانية ، وبعد بضعة شهور وقع في الكلية حادث الاضراب من أجل حرية الفكر « الذى يعد أول حادث من نوعه في الشرق » · عرض أحـــــد الأساتذة نظـرية داروين في النشوء والارتقاء التي كان يعارضها رجـــال الدين في ذلك الوقت ، ولم يعارضها الأستاذ المتحـــــرر ، فقررت الـــكلية فصله » ورأى الطلبة أن في هـــــذا حجرا على حرية الفـــكر ، فاضربوا والفوا لجنـــة كـــان جرجي زيدان



جرجي زيدان .. في ثلاث مراحل من حياته وكفاحه

رئيسها ، وقدمت اللجنة مطالب الطلبة ، ورفضتها الكلية ··· وبذلت كل جهد بما في ذلك الترغيب والتهديد لفض الاضراب ، فلما فشلت ، فصلت المضربين جميعا ··· » كنت اكثر الطلبة شعوراً بالخطر على المستقبل ، لأني دخلت كلية الطب على أمل استطاعتي بعد سنتين ان امارس العلاج البسيط في الحي الذي نقيم به ، فأحصل بذلك على نفقات اتمام تعليمي حتى نهاية السنة الرابعة ، فأتخرج وامارس المهنة رسميا ··· فلما خرجت من الكلية على هذه الصورة ، شعرت بانقطاع حبل الأمل ، وبأن جهودي ذهبت سدى » ···

ومع ذلك فلم ييأس الشاب المكافح ، وحين أبدى وكيل مدرسة الطب في قصر العيني بالقاهرة استعداده لقبول المضربين ، لم يتردد في السفر الى مصر ··· « ولم أكن أملك نفقات السفر ، وما كنت أدري كيف أحصل عليها ، وعلى نفقات تعليمي بالقاهرة ، ولكن جارا قديما لنا علم بالأمر ، فاستدرجني في الحديث حتى صرحت له بحقيقة الأمر ، فأعطاني ستة جنيهات ، فأخذتها شاكرا له اريحيته ، وضممتها الى ما كان معي من مال يسير » ·

وكان وصول جرجي زيدان الى مصر نقطة تحول في حياته ، فقد أدى طول مدة الدراسة الطبية الى تحويل عزمه من صناعة الطب الى صناعة القلم ، فالتحق بجريدة « الزمان » ، التي كانت الصحيفة اليومية الوحيدة في القاهرة حينذاك ، ليعبر من خلالها عن تمرده وطموحه ، وبعد عام قام بأول رحلة صحفية : رافق الحملة النيلية الى السودان سنة ١٨٨٤ ، وحين عاد من السودان بعد عشرة أشهر ، سافر الى بيروت ليدرس اللغات الشرقية : العبرية والسريانية ، وفي تلك الفترة ألف أول كتبه عن « الفلسفة اللغوية » ، واختاره المجمع الشرقي عضوا عاملا فيه ، وهو لايزال في الرابعة والعشرين من عمره ·

وفي صيف العام التالي — ١٨٨٦ — سافر الى انجلترا ، وأخذ يتردد على مكتبة المتحف البريطاني ، وهناك راقته فكرة تأليف « تاريخ آداب اللغة العربية » · وفي شتاء ذلك العام عاد الى القاهرة ، حيث تولى ادارة مجلة « المقتطف » ، المجلة التي رفضت أول محاولاته في الكتابة !

● لايصح غير الصحيح ●

وفي خلال عمله بالمقتطف ، الذي استمر سنتين ، وضع « تاريخ مصر الحديث » و « تاريخ الماسونية العام » و « التاريخ العام » · وفي أواخر سنة ١٨٨٩ تولى التدريس بالمدرسة العبيدية ، وفي خلال سنتي التدريس الاثنتين ألف أول رواياته « المملوك الشارد » ، فصادفت اقبالا غريبا ، وأعيد طبعها أكثر من مرة !

وفي سنة ١٨٩٢ كان جرجي زيدان قد حدد طريقه تماما ···طريق العلم والبحث والتاريخ ، فأصدر مجلة الهلال وتفرغ للتأليف · قال في أول عدد للهلال : « دعونا مجلتنا هذه بالهلال لثلاثة أسباب : تبركا بالهلال العثماني الرفيع الشأن ، واشارة لظهور الهلال مرة كل شهر ، وتفاؤلا بنموها مع الزمن حتى تتدرج في مدارج الكمال ، فاذا لاقت قبولا واقبالا ، أصبحت بدرا كاملا باذن الله » واتخذ لمجلته شعارا : « الى الامام » ومبدأ ثابتا : « لا يصح غير الصحيح ولا يبقى الا الأصلح » ، فكان صدور مجلة الهلال ، باجماع المؤرخين : « حدثا هاما في تاريخ النثر والمقالة والدراسة في العالم العربي » ·

وفى البداية كان جرجي زيدان هو محرر المجلة وكاتبها ومديرها وطابعها ، فلما اتسع عملها ، عهد الى شقيقه مترى بادارتها ، وتفرغ هو للكتابة والتاليف ، فكتب ٢٢ رواية

عن تاريخ الاسلام ، والف « تاريخ التمدن الاسلامى » فى خمسة أجزاء ، و « العرب قبل الاسلام » ، و « مشاهير الشرق » فى جزءين ، و « تاريخ اداب اللغة العربية » فى اربعة اجزاء .

و « انساب العرب القدماء » ، و « طبقات الامم » ، و « عجائب الخلق » والجزء الأول من « تاريخ انجلترا » .

جرجي زيدان

وفى سبيل الكمال كان جرجي زيدان دائما يطلب النقد لايمانه بأن « الكتب الهامة تزداد بالانتقاد شيوعا ورواجا ، ويزداد اصحابها رسوخا

فى عالم الشهرة ... فالانتقاد مفيد للكتاب وصاحبه وقارئه » ولقد افاد جرجي زيدان كثيرا من النقد . ولقد تعرضت كتبه لحملات من النقد لم

يشهد لها كثير من المؤلفين مثيلا ، واحس هو بذلك ، فكتب فى مقدمة الجزء الثالث من « تاريخ آداب اللغة

العربية » يقول : « لا نظن كاتبا من كتاب العصر لاقى ما لاقيناه من الانتقاد فى أثناء اشتغالنا بهذه الصناعة منذ بضع وعشرين سنة ، ومع ذلك فما

اتسع صدر كاتب عندنا للنقد كما اتسع صدر جرجي زيدان ، فكان دائم الالحاح على قرائه فى نقده ، وكان يرسل بنفسه نسخا من كتبه الى

نقاده ، وكان يجمع الانتقادات التى تنشر فى الصحف والمجلات أو ترسل

اليه بالبريد ، ويعيها وعى العالم المدقق ، فاذا ما استقر عنده صحتها ، لم يتردد فى الاخذ بها وشكر مقدميها .

● كل السعادة فى العمل ●

ولقد فتح جرجي زيدان ، بدراسته لتاريخ العرب والاسلام ، على نفسه بابا للهجوم عليه لم يغلق الى اليوم ،

وعلى الرغم من الحيدة المطلقة والتجرد فى تاريخه للعرب والاسلام «وتمدنهما» ،

فانه لم يسلم من اتهام المسلمين والمسيحيين على السواء . وعلى رأس المسيحيين الأب لويس شيخو الذى كان يرى أن ما أرخه قبيح

« ... وأقبح منه تاريخ الماسونية العام ، الذى ذهب فيه جرجي زيدان مذاهب صبيانية خرافية » ، كذلك رسالة

ابن حسن الدنى « ونبش هذيانه » ، والشيعي النجفى الذى هو من « أسرة كاشف الغطاء » . وقاد الشيخ شبلى النعمانى ، أحد مؤسسى جامعة عليكرة

بالهند ، عليه حملة شعواء ، فاتهمه بالشعوبية ، والتعصب ومحاولة

التهوين من شأن العرب والاسلام . ولما تكاثرت عليه الاتهامات ، كتب فى

مقدمة الجزء الثالث من « تاريخ آداب اللغة العربية » يقول : « تصدينا للكتابة فى تاريخ الاسلام ، والقراء لم يتعودوه ، والمسلمون معجبون

بتاريخهم ، وغير المسلمين لا يعرفون عن الاسلام الا ما وصلهم من مطاعن الأجيال المظلمة ، فكان حظنا من

المؤاخذة مضاعفا : غضب بعض المسيحيين لاننا – على زعمهم – بالغنا فى ذكر فضائل الاسلام حتى اتهمنا بعضهم بالمروق من النصرانية ، وقال بعض المسلمين اننا قصرنا فى ذكر فضائل الاسلام » !

وفى أوج هذه المعركة ، رأى بعض المنصفين فى الجامعة المصرية ، ان بحوث الرجل التاريخية ومؤلفاته ، تؤهله بحق لاحتلال كرسى التاريخ الاسلامى فيها ، فلما تسرب الخبر للصحف شن حساده حملة شعواء على الرجل ، فتراجعت الجامعة ...

جرجى زيدان

وباعصاب هادئة ، كتب جرجى زيدان يروى القصة لقراء الهلال ...

« لا خلاف فى اننا اول من دعا الى انشاء الجامعة المصرية ، بمقالات نشرناها فى اماكن كثيرة من الهلال منذ بضع عشرة سنة ، فنحن من اكثر الناس غيرة عليها ، واشدهم رغبة فى انجاحها ، فلما انشئت فرحنا بذلك ، ونظرنا فى امرها بعين الاهتمام ، ورأينا فى برنامجها نقصا ، فانتقدنا خطة التدريس وقلة العلوم المقررة فيه ، فاهتم مجلس ادارتها بملاحظاتنا ، وقرر اضافة كثير من العلوم التى ذكرنا حاجة البلاد اليها ، وارسل نخبة من الشبان الاذكياء لتلقى تلك العلوم فى أوروبا ليعودوا ويعلموها هنا ، فسرنا أن يكون ولاة أمر هذا المعهد منزهين عن كل غرض غير خدمة الأمة المصرية . ونحن فى ذلك ، فاجاتنا الجامعة بكتاب مؤرخ فى ١٦ يونيو سنة ١٩١٠ ، تطلب الينا فيه تدريس تاريخ الأمم الاسلامية » .

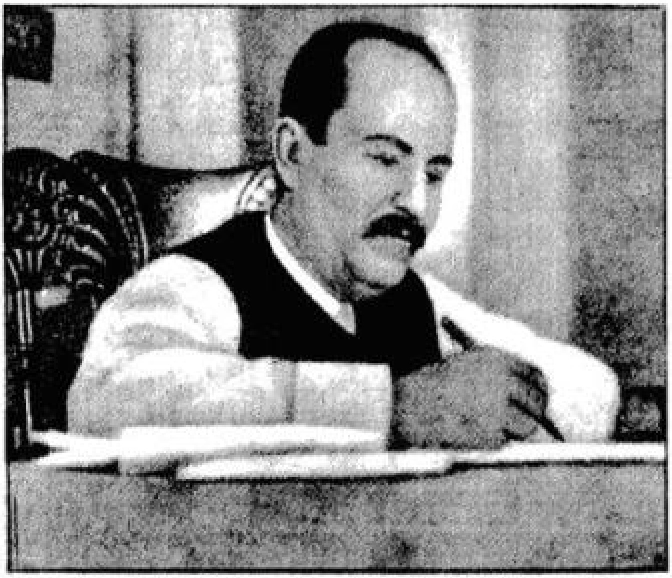
ونشر جرجى زيدان نص خطاب الجامعة ، ثم قال : « وصلنا هذا الكتاب ونحن غارقون فى اشغالنا ، وهى على معظمها فى ذلك الشهر والذى يليه ، لاننا نشتغل فيهما باصدار ملحق الهلال كل سنة . وكنا أكثر شغلا فى هذه السنة لان موضوع الملحق « تاريخ آداب اللغة العربية » من المواضيع التى تفتقر الى بحث وتنقيب ، فلما جاءنا كتاب الجامعة وقفنا فى حيرة ، وكان أول خاطر بدا لنا أن نعتذر بكثرة اشغالنا ، لكننا أعدنا النظر فى ذلك الكتاب ، فوجدنا الجامعة تدعونا الى « خدمة العلم ومنفعة أبناء هذا الوطن » ، وهو الغرض الذى وقفنا له حياتنا وقوانا ، فترددنا لحظة ، خطر لنا فى اثنائها ما قد يعترض تعييننا من القيل والقال ، لاختيارنا لهذا المنصب مع وجود من يقوم به من المسلمين ، وأن دلنا التاريخ على خلاف ذلك ، فان الخلفاء فى صدر الدولة العباسية لم يستنكفوا من أن يستخدموا تراجمة من غير المسلمين ، وفيهم النصرانى واليهودى والسامرى والمجوسى والصابى .

« لكننا علمنا من قرائن كثيرة ان حالنا غير حالهم ، فرأينا ان نعرض هذه الملاحظة على ولاة أمر الجامعة ، فيكون لنا بذلك عذر على الامتناع ، فنتفرغ لعملنا . وقد فعلنا ، فاجابونا بانهم لا يرون بأسا فى ان يكون استاذ هذا التاريخ مسيحيا ، ولا يظنون ذلك يسوء احدا ... فلم يعد بوسعنا الامتناع ، ولو امتنعنا لحسب

ذلك علينا ، لاننا نزعم اننا نخدم الوطن واللغة ونتنقد الجامعة ونطلب زيادة دروسها ، ثم يطلب منا ان نخدمها بدرس هو من خصائصنا ونأبى ، فقبلنا ، على ان نتحاشى الخوض فى غير التاريخ السياسى •

وكتب جرجى زيدان الى الجامعة موافقا ، وعكف كعادته يحضر لعمله الجديد ، فأعد الخرائط اللازمة له بنفسه ، مما أخر صدور ملحق الهلال لاول مرة منذ انشائه • ثم طلبت اليه الجامعة اعداد برنامج الدروس فوضعه مفصلا ، واخذ فى تحضير المواد اللازمة لها ، مما اضطره الى تأجيل صدور ملحق الهلال مرة أخرى ••• وتناقلت الصحف العربية خبر تعييننا لهذا المنصب ، فاتخذه الناس دليلا حسنا على التساهل الدينى ، ثم نشرت الجامعة برنامج التدريس فى الصحف، وأخذنا نحن فى كتابة المحاضرات • ونحن فى ذلك ، قرأنا فى « المؤيد » أن مجلس ادارة الجامعة ناقش فى هل يجوز أن يتولى تدريس التاريخ الاسلامى استاذ مسيحى ، وان الاكثرية قررت أنه لا يليق أن يتولى تدريسه الا أستاذ مسلم بدلا من صاحب الهلال ، فاستغربنا الخبر لأنه لم يصلنا من مصدره •••

فى خلال فترة لا تتجاوز اثنين وعشرين عاما اخرج جرجى زيدان ثلاثمائة مجلد من الهلال ، بالاضافة الى مؤلفاته ومترجماته . . .



« وفى اليوم التالي جاءنا وفد من مجلس ادارة الجامعة ، بسط لنا الحقيقة ، وهى على نحو ما قرأنا ، وأن الجامعة عمدت الى تعديل قرارها الاول مراعاة لعواطف الأمة ، فلم نجد فى ذلك غرابة ، لأننا نبهنا اليه منذ خمسة أشهر ، ولكننا تأسفنا لشيوع ذلك الخبر على صفحات الجرائد قبل مخابرتنا ، فأدى الى انتقاد افاضل يبذلون اقصى جهدهم فى خدمة هذه الأمة . ولو شعرنا باقل خلاف جرى فى الجامعة بشأن تعييننا، لكفيناها مؤونة المناقشة على أهون سبيل ، وخففنا عنها عناء اللوم ..

وفى كل حال فاننا تلقينا عذرها بالقبول ، ووافقنا على تعيين من تشاء، ورجعنا الى عملنا ، وضميرنا فى راحة وطمأنينة ، ونشعر أننا قمنا بما علينا ، وندعو للجامعة المصرية بالنجاح والسداد ... »

وبسماحة ، وبلا غضب ، اهدى الرجل ما اعده من محاضرات الى الجامعة المصرية ، لعلهم يفيدون منه ولايزال مخطوطه « مصر العثمانية » ، الذى يشمل تاريخ مصر من الفتح العثمانى حتى الحملة الفرنسية ، ويقع فى اربعة اجزاء ، مودعا فى مكتبة الجامعة ... ينتظر من يزيح الغبار عنه .

وانصرف جرجي زيدان عن منبر الجامعة الى منبر الهلال ، يرسل من فوقه دروسا تدخل رءوس الوف المثقفين .. وقد نسى التاريخ كثيرا من اساتذة الجامعة ، ولكنه لم ينس جرجي زيدان . بل لقد اصبح الهلال منبرا لنوابغ الجامعة ، ينشرون فيها محاضراتهم وفصولا من كتبهم ، فتذاع على الملايين ، قبل ان تلقى فى قاعات الجامعة على العشرات او المئات ...

وعلى صفحات الهلال عرف العالم دكتور طه حسين ، وحسين هيكل ، ومحمد فريد وجدى ، واحمد امين ، وعلى الجارم وغيرهم .

ومضى الرجل يعمل ، فالسعادة كل السعادة عنده أن يعمل ...

● البحث فى أسرار الوجود ●

ولا شك أن الجهد الضخم الذى بذله جرجى زيدان خلال اثنين وعشرين عاما ، من عام ١٨٩٢ الى عام ١٩١٤ ، كان من شأنه ان يعجل بنهاية العالم

جرجى زيدان

الذى يعتمد على قوته الذاتية واعصابه القوية ، ويكتفى بالقليل ، ويرضى بالضرورى ، ولا يتطلع الى الكماليات والمظاهر . ففى خلال أقل من ربع قرن اخرج اكثر من ثلاثمائة مجلد من الهلال ، و ٢٣ قصة من عيون الأدب التاريخى ترجم معظمها الى اللغات الأجنبية ، فضلا عن ١٩ كتابا فى الأدب والتاريخ والعلوم ترجمت الى لغات أوروبا وآسيا ... بالاضافة الى مخطوط فى اربعة اجزاء لايزال مودعا فى جامعة القاهرة ... اخرج كل هذا فى صبر وثقة واناة .

بعد ازمة الجامعة بعام ، ظهرت سنة ١٩١١ اولى طبعات كتابه « تاريخ

أداب اللغة العربية » في أربعة أجزاء ضخمة ، وفي سنة ١٩١٢ ظهر كتابه « عجائب الخلق » ... وبعد وفاته صدر « أنساب العرب القدماء » و « مختارات جرجي زيدان » .

وكان الرجل يشغل وقت فراغه بالبحث في أسرار الوجود ، وكان يقول : « لقد اكتفينا من هذه الحياة علما بعجزنا وقصورنا عن ادراك أسرار الكون ، فلتعجل بنا الحياة الاخرى ، لعلنا ندرك من تلك الآثار ما يشفي الغليل » ! وقد صور أمير الشعراء أحمد شوقي أمنية الرجل هذه ، فقال :

وضعت خير روايات الحياة فضع
رواية الموت في أسلوبها العالي
وصف لنا كيف تجفو الروح هيكلها
ويستبد البلى بالهيكل الخالي
وهل تحن اليه بعد فرقته
كما يحن الى اوطانه الجالي ؟

وفي أواخر أيامه ، كان الرجل يقول لخلصائه : « أود أن أكون جالسا ، فتفارقني الحياة فجأة » ... وقد كان ، ومضى راهب العلم وشهيده !

في صباح يوم ٢١ يوليو سنة ١٩١٤ ذهب جرجي زيدان الى مكتبه كعادته ، وكان في ذلك اليوم أقوى ما يكون بنية ، وأوفى صحة ، وأوفر نشاطا ... كان يشتغل كأربعة رجال من غير كلل أو ملل ، فأكمل « العدد الأخير » من السنة الثانية والعشرين من الهلال ، وراجع « آخر » ملزمة من الجزء الرابع ، ثم عاد الى بيته. وفي الحادية عشرة من مساء نفس اليوم كان لايزال يقرأ ويبحث ، حينما وافاه الأجل فجأة ... كما أراد !

ونظر أهله فاذا وجه هادىء ... ما كان في أعماق الرجل قد طفا على



فتح جرجي زيدان صفحات «الهلال» لكبار الكتاب في الوطن العربي ..

صفحة وجهه : سماحة ورضا وطمأنينة ... وبسمة صافية ... لا ، ليس هذا ميتا !

وفي هذا المعنى قال الشاعر حفنى ناصف :

أزيدان ما انصفتنا اذ تركتنـــــا
عليك بكيا بينمـــا انت تبسم

نسيت ولم ننس الوداد وانتنــــا
عليـــــك لفى بؤس وانت منعم

ففارقتنا عمدا ونحن بحــــاجة
لمن ينصف التاريخ فينا ويحـــكم

جرجي زيدان

وحتى بعد الصلاة على الجثمان في اليوم التالى ، لاحظوا أن هيئة الموت لم تبد على وجه الفقيد ، بل صارت علامات الحياة اشد وضوحا ، وفحصه الأطباء ، وقالوا أن كل الدلائل تدل على حدوث الوفاة ، ولكن الريبة فى وفاة الرجل لم تفارق أهله ، فعدلوا عن دفنه فى ذلك اليوم ، وقرروا بقاءه الى الصباح ... ولما كان الصباح خاب أملهم الضعيف ، فدفنوا فقيدهم ... وان لم يصدقوا انه مات !

وهكذا مضى نمط رفيع من الأنمــاط الانسانية الثابرة فى الحياة ، ولكن ... بقيت حياته درسا بليغا لكل من يحـــاول أن يدرسها ويتعمق فى جوانبها : شخصية العصامى الموهوب القوى الارادة ، العميق الايمان بالله وبامته وبنفسه ... فقد كان لا يريد النجاح لنفسه بل لامته ، فيستخرج من كل تجربة عبرة تفيد الناس وتبصرهم بتاريخهم وامجادهم .

● امانة الكلمة ●

اخيرا ، وقد هدأت الضـــجة التى ثارت حول الرجل بعد اكثر من نصف قرن على وفاته ، فماذا قالوا ؟..

يقول الدكتور محمد حسين هيكل : « من من الذين عاشوا ايام نشـــاط جرجى زيدان لم يتصـــــل بكتبـــه ومؤلفاته ، وبمجلة الهلال وما كـــان يكتب فيها ، ومن منهم لم يأخذه العجب والاعجاب بهذا النشاط الجم الــذى لم يفتر يوماولم يعترهملل أو سأم ؟ »

وقال المؤرخ محمد فريد وجدى : « لو قدر لى أن أعد الأفذاذ الــذين نشأوا فى الشرق فى السنوات الخمسين الأخيرة ، وافادوه بكتاباتهم وآرائهم ، لرأيتنى مضــــطرا أن اضــع جرجى زيدان فى مقدمتهم ، فان الحـــركة الفكرية التى أحدثها بأعماله العلمية ، وآثاره الأدبية ، بعيدا عن الطنطنة والادعاءات الفارغة ، لهى كبيرة الى حد انى اعتبر أن الشرق ، وان لم يجهل مكانه ، لم يوفه حقه » .

وقال الأديب الكبير مصطفى لطفى المنفلوطى : « كنت أقرأ ذلك الأسلوب الذى يكتب به ، فاتخيله مرآة نقيـــة صفيه ، وقد ارتسمت فيهـــا صورة نفس الكاتب واضحة جلية : كنت أرى عذوبة نفسه فى عذوبة لفظه ، وطهارة قلبه فى طهارة لسانه ، وصفاء ذهنه فى وضوح أغراضه ومراميه ، وجمال ذوقه فى جمال ملاحظاته واستنتاجاته

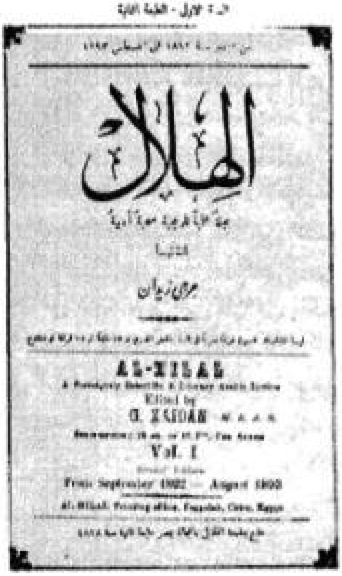
... كان يؤثر أن يتعلم عنه الجاهلون، على أن يرضى عنه المتحذلقون » .

وقال الأستاذ عباس محمود العقاد: « لو كان جرجي زيدان من كتاب الإنحراف والتحيز لا من كتاب الاستواء والطبع السليم لظهرت دعوته اوضح من هذا الظهور ، وتحيزت رسالته كما تتحيز كل رسالة يبعث اليها التعصب لفكرة خاصة والاندفاع في طريق دون سائر الطرق ، والاستحماس لمذهب من المذاهب يراد به الهدم اكثر مما يراد به البناء ... ولكن جرجي زيدان لم يكن يتعصب ولم يكن يتحزب، ولم يكن يصبغ اراءه بلون من الوان الطيف الشمسي ، غير اللون الاصيل الشائع في ضياء النهار ... تقرأ جرجي زيدان في جميع موضوعاته فاذا هي مطبوعة بطابع السداد والاستقامة والاستواء : هي جدول وليست بشلال ، وهي نبت الدوام وليست نبت الفلتات والجمحات » .

وقال هو نفسه : « لا يصح غير الصحيح : ان هذه القضية من القوانين الطبيعية ، بل هي اصدق القوانين ، لان الطبيعة بذاتها لا تعرف غير الصحيح ، ولا تقبل التملق او التمويه ، ولا تعرف للسبب الواحد الا نتيجة واحدة ... فكم من الاراء العلمية طمستها الاغراض ، وحالت دون ظهورها دهرا طويلا ، ثم ظهرت كالشمس ، وفاز اصحابها ... وهو صحيح ايضا في الاراء الاصلاحية ، اذا وقفت في سبيل ذوي الاغراض من المقلدين الجامدين ، فانها قد تبقى قرونا يغشاها غبار التمويه والمغالطة ، ثم تظهر ولو بعد حين .. كان ذلك حظ اكثر المصلحين ، من الفلاسفة القدماء ، الى الشارعين الانبياء ، لم يقل احدهم قولا ، الا صبر على ظهوره دهرا » .

واليوم ، وبعد اكثر من ربع قرن على وفاة جرجي زيدان ، اصبحت المؤسسة المتواضعة التي انشاها منذ ٧٠ عاما ، صرحا صحفيا ضخما يحمل امانة الكلمة ... واكتمل الهلال بدرا بشعاره القديم السليم : لايصح غير الصحيح !

غلاف مجلد السنة الاولى من « الهلال » .



علـــى أدهـــــم

فى تقديرى ان من بين المؤلفات الهـامة التى ظهرت بمصر فى العقد الاول من القرن الراهــــن ثلاثة كتب حظيت باهتمام القراء واقبالهم عليها، وكان لهـا تأثير بالغ فى التفكير الدينى ، والثقافة الادبية ، والاحوال الاجتماعية ، وهـــذه الكتب الثلاثة هى كتاب « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » للاستاذ الامام الشيخ محمد عبـده ، وكتاب « تحرير المرأة » للمحدرة القانونى قاسم امين ، وكتاب « حديث عيسى بن هشام او فترة من الزمن » للكاتب الكبير محمد المويلحى ...

ومـرد التأثير الـذى أحدثته هذه الكتب الثلاثة عاملان ، العامل الاول طرافة الموضـــوعات التى تناولها مؤلفوها ، والعامل الثـــانى مكــانتهم فى الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية والادبيـة فى عصرهم ، فالشيخ محمد عبده كان من كبـار رجال الاصلاح الدينى الذين عـــرفهم الشرق الاوسط بوجه خاص ، وقاسم امين كان من افذاذ المفكرين الاجتماعيين ، ومحمد المويلحى كان كاتبا من الطراز الاول ، وفى طليعة الادباء الذين عرفهم الادب المصرى .

محمد المويلحى

منشئ عيسى ابن هشام

كان محمد المويلحى من الثمرات الناضجة التى أخرجها احتكاك الشرق الاوسط بالثقافة الغربية الذى بدأ منذ عهد الحملة الفرنسية على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر . فقد كان لهذه الحملة أثر كبير فى ايقاظ مصر والشرق الاوسط من الركود الذى شملهما من جراء سوء الحكم التركى ، وتخلف الدولة العثمانية صاحبة السيادة على مصر والشرق الاوسط .

ولد محمد المويلحى فى القاهرة سنة ١٨٥٨ فى عهد الخديو سعيد باشا ، واصل اسرته من مرفأ المويلح ببلاد العرب ، وقد نزح أجداده الى مصر قبل عهد محمد على والغزو الفرنسى . وكان جده من التجار فى عهد محمد على . ونستبين من ذلك أنه سليل أسرة ارستقراطية موفورة الثراء ، بارزة المكانة ، وكان أبوه ابراهيم المويلحى الذى قال عنه الاستاذ الامام انه « جاحظ العصر » لتمكنه من فنون الادب ، وسعة اطلاعه ، وقدرته الانشائية .

وقد اشتغل والده فى بادىء أمره بالتجارة جريا على تقاليد الاسرة ، ولكن ميله الى الادب تغلب عليه واجتذبه ، فصحب كبار أدباء عصره ، وتتلمذ على جمال الدين الافغانى ، وحذق الفرنسية والتركية ، واشتغل بالصحافة ، فأخرج مع محمد عثمان

محمد المويلحي

جلال صحيفة « نزهة الافكار » ولكنها لم تستمر طويلا ، ولما افلست تجارته عينه الخديو اسماعيل عضوا في مجلس الاستئناف ، ولما ساءت احوال مصر المالية ، ونفى الخديو اسماعيل

الى ايطاليا صحبه ابراهيم المويلحي حينا من الزمن ، ثم انتقل الى الاستانة ، وجعل عضوا في مجلس المعارف تقديرا لمكانته ، وعاد في اواخر القرن الماضي الى مصر ، فاخرج مجلة « مصباح الشرق » وكانت اهم مجلة

ادبية في عصرها ، ومن اثاره المشهورة كتابه « ما هنالك » وهو وصف لبلاط السلطان عبد الحميد وما كان فيه من دسائس ومؤامرات ، واحوال الدولة العثمانية التي لمسها عن قرب في ذلك العهد .

نشأ محمد المويلحي في ظل رعاية والده ، وقد عني بتربيته ، فبعث به وهو في التاسعة من عمره الى مدرسة الخرنفش ، واظهر فيها تفوقا في دراسة اللغة الفرنسية وذلك برغم انه لم يكن مثابرا على الذهاب الى المدرسة ،

ويبدو أن نفوره من المجتمعات وميله الى العزلة كانا اصيلين فيه ، ولذلك كان يمتنع في اكثر الايام عن الذهاب الى المدرسة ، ويعكف على قراءة الكتب في منزل أسرته تحت اشراف أبيه وتوجيهه ، ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره أمسك عن الذهاب الى المدرسة .. فاختار له والده بعض من يحسنون اللغة الفرنسية ، ويجيدون اللغة العربية ليستكمل تعليمه في المنزل ، وكانت هذه الطريقة مألوفة في ذلك الوقت ، وبخاصة بين ابناء الاسر الميسورة ، وكان محمد المويلحي في الوقت نفسه يتردد على الازهر ليزداد

تمكنا من دراسة اللغة العربية والعلوم الاسلامية ، وكان يحضر مع أبيه دروس جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، ويستمع الى الاحاديث الادبية ومساجلات الادباء ومطارحاتهم في منزل والده ، وكان لذلك كله اثره في تكاثر معلوماته ، وايقاظ ملكاته الادبية .

ولما سافر ابوه الى ايطاليا تلبية لدعوة الخديو – المنفى – اسماعيل باشا ، ظل محمد في رعاية عمه عبد السلام المويلحي ، والتحق في ابريل سنة ١٨٨٢ بخدمة الحكومة المصرية .

وحدث في اثناء ذلك مذبحة الاسكندرية ونشبت الثورة العرابية ، وانحاز محمد المويلحي الى جانب الثوار متاثرا باتجاه اساتذته واصدقائه ، مثل ابراهيم اللقاني ، وحسن موسى العقاد وغيرهما ، واسفرت مشاركته في الثورة عن فصله من وظيفته ، فآثر السفر الى ايطاليا ، وهناك درس اللغة الايطالية

وتوسع في دراسة الادب الفرنسي ، وقضى في اوروبا ثلاث سنوات متنقلا بين ايطاليا وفرنسا وانجلترا . وعرف في هذه الفترة الكاتب الروائي الفرنسي اسكندر ديماس الابن ، وبعض أدباء الفرنسيين وأعيان رجالهم ، ولقي في باريس السيد جمال الدين الافغاني ، وشاركه في بعض وجوه النشاط الادبي الذي كان يقوم به ، وذهب بعد



احمد عرابى



حافظ ابراهيم

ـلك الى الاستانة ، واستغل وجوده هنـــاك ليفيد من الاطلاع على ذخائر الادب العربى الموجودة فى خـــزائن مكاتبها الحافلة ، وتمكن فى اثناء ذلك من نسخ « رسالة الغفران لابى العلاء المعرى » ورسائل الجاحظ . وديوان ابن الرومى ، ومختارات من شتى كتب الادب ، ومما يسر له ذلك صداقة والده لمنيف باشا الذى كان ناظرا للمعارف فى تلك الفترة .

من تجارب الايام

وعاد الى مصر فى سنة ١٨٨٧ ونشر سلسلة من الفصول فى جريدة المقطم ، ولما عاد والده الى مصر فى سنة ١٨٩٥ عين محمد المويلحى معاون ادارة بمديرية القليوبية ، ثم مأمورا لمركز دكرنس ، ولكنه مل خدمة الحكومة ، واعتزلها فى اوائل سنة ١٨٩٨ واشترك مع والده فى تحرير جريدة « مصباح الشرق » ، وفى هذه الجريدة نشر المويلحى حديث عيسى بن هشام فصولا متتابعة ، وظل يوالى نشر تلك الفصول حتى سافر فى سنة ١٩٠٠ الى انجلترا فى معية الخديو عباس حلمى الثانى ، وزار معرض باريس ، ونشر أول رسالة له فى وصفه بجريدة « مصباح الشرق » .

وكان والده ينشر بمصباح الشرق فى ذلك الوقت كتابه « مرآة العالم او حديث موسى بن عصام » وظل يوالى الكتابة مع والده حتى توقفت الجريدة عن الصدور فى سنة ١٩٠٢ ، وتوفى والده سنة ١٩٠٦ وظل محمد يوالى الكتابة فى الصحف حتى سنة ١٩١٠ التى عينه فيها الخديو عباس مديرا لادارة الاوقاف ، وبقى فى هذه الوظيفة حتى سنة ١٩١٥ حيث آثر الاستقالة وركن الى العزلة ، وكان يوافى الجرائد من الحين الى الحين ببعض الفصول التى يكتبها ، ولكن نشاطه الادبى فى تلك الفترة الممتدة الى يوم وفاته لم يكن ملحوظا بصورة تلفت النظر ، وقد توفر فى خلال تلك الفترة على تأليف كتابه « علاج النفس » وانتهى من تأليفه قبيل وفاته بأسابيع ، وهو مجموعة من الفصول عن « بساطة الفلسفة » و « الغضب » و « ساعات الحياة » و « كدر النفس » وما الى ذلك من الموضوعات الشائقة الحافلة بالحكمة والنظرات السديدة ، والكتاب ثمرة خبرة واسعة بأحوال الحياة وأخلاق الناس ، ونتيجة تأملات عميقة ، واطلاع واسع .

وهو يقول فى التمهيد الذى كتبه ليقدم به هذه الفصول « هذه رسالات فى الاخلاق لعلاج النفس ، وطيب العيش ، حتى تتسنى لها سعادة الحياة ، لم ننشئها من لدنا انشاء ، ولم نبتدعها من عندنا ابتداعا ، وانما هى ضوء اقتبسناه من المطالعات فى كتب الاوائل والاواخر من شرقيين

وغربيين ، وثمرة مجنية من مشاهدات الزمن ، وتجارب الايام ، مما جعلناه لانفسنا درسا في تقويم النفس ، عسى ان تكون قد انتفعنا بها شيئا قليلا ، والقليل في شفاء النفس كثير ، ولا فضل لنا فيها الا مثل فضل النحل ، تجنى من اثمار الاشجار واكمام الازهار ، ما تحوله في بطنها عسلا وشهدا ، فيه شفاء للصدور ، ونحن نعرضها اليوم على اعين الناس ، عسى ان ينتفعوا ان شاء الله منها بالشيء الكثير ، وليس تقديمنا اياها لهم في منزلة أوامر الطبيب للمريض ، بل في منزلة دواء مجرب من مريض الى مريض ، ومن عاجز مستفيد الى مستفيد » .

وهو كلام مادوم بالسداد ، واذا كان اختيار المرء جزءا من عقله فقد دل محمد المويلحي باختياره تحرير هذه الفصول على رجاحة فكر ، وسمو نفس ، وحسن اختيار ، والكتاب في مجموعه جدير بمؤلف حديث عيسى بن هشام .

ويقول الاستاذ العقاد في تقديره لهذا الكتاب القيم ولما فرغ من نشر « عيسى بن هشام » لم يعد الى اتمامه ، و « تذييله » كما يقال في اصطلاح التأليف .. ولكنه عمد الى موضوع آخر من موضوعات الحكمة والتهذيب تليق بتلك الشرفة التى يستوى عليها الناقد الاجتماعى ... فألف كتابه « علاج النفس » الذى طبع بعد وفاته ، وساقه مساق الواعظ الحكيم للمتأدب المستمع ، وان كان قد تلطف فى تقديمه فقال انه ليس « فى منزلة أوامر الطبيب للمريض ، بل فى منزلة دواء مجرب من مريض الى مريض ، ومن عاجز مستفيد الى مستفيد » ، ولا نرى ان الامر فى لياذه بتلك « الشرفة » كان امر وجاهة وسمعة وكفى ، فانه كان فى لبابه اقرب الى قداسة الدين لما فيه من حفظ امانة الانتساب الى خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، اذ كان بيت المويلحى ينتسب الى الحسين رضى الله عنه ، وكانت له بهذا النسب سيادة مرعية فى بلاد العرب ، وولاية على محلة « المويلح » لاينساها خلفاؤه الادباء فى عهد المنافرة والمنازعة بين سلالة العرب الاقدمين ، وسلالة الترك المحدثين .

طبع الترفع والاباء

والذين عرفوا محمد المويلحى عن قرب يقولون انه فى حديثه لم يكن من ذوى اللسان والفصاحة ، فالاستاذ البشرى يقول عنه « يحسن بى ان اقرر انه لم يكن على حظ من نطاقة اللسان ، بل لقد كان يعتريه فى بعض الحديث ما يشبه الحبسة ، بل لقد تتحشر الكلمة فى حلقه فلا يستطيع ان يلفظها الا بمط عنقه ، كانما يمرىء لها مجرى الصوت ، ومن اهم ما يلفت النظر فى خلاله انه كان اقل خلق الله تأثرا بما يغمر المرء من متعارف الناس ومصطلحاتهم فى عاداتهم وتقاليدهم وسائر اسبابهم ، بل لقد كان له نظره الخاص فى الاشياء ، وكان له حكمه الخاص عليها ، وهو انما يأخذ نفسه

محمد المويلحى

بما يصح عنده من هذه الاحكام ، لا يبالى أحدا ، ولا يتأثر ، كما قلت ، بأثر خارجى ، ولو كان مما انعقد عليه اجماع الناس ، واذا كنت قد نعته « بالفيلسوف » فانما أعنى هذه الصفة فيه ، فانني لم اكد أرى رجلا لاءم كل الملاءمة بين رأيه فى أسباب الحياة ، وشدة تحريه أخذ النفس بأحكام هذا الرأى ، كما بان لى من خلة هذا الرجل ، بحكم ملابستى له السنين الطوال ، ولقد كانت له آراء فى كثير من الأشياء قد تبدو غريبة ، حتى يظن أن فى طريقة تفكيره شيئا من الشذوذ والانحراف ، وما احيل هذا الا على انه لا يخف لمطاوعة الناس فى كل ما يستوى من الادراك للناس »

والاستاذ العقاد وقد عمل معه فى ادارة الاوقاف يقول « ...... ولكنك تقدر له ما شئت من الصناعات الموقرة غير صناعة القلم أو صناعة الكتابة الفنية ، فاذا تكلم زادك ايمانا بأنه من أبعد خلق الله عن الكتابة ، ولا سيما كتابة اللباقة الفكاهية ، لانه يتعثر فى كلامه ، وتعترضه فأفأة قد تطول حتى تضطره الى اختتام الكلام والاشاحة بوجهه علامة الضجر من الحديث أو الرغبة فى السكوت ، وانما هو استحياء من تلك العثرات التى تعترضه احيانا خلال الحديث » .

وهو فى هذه الصفة يذكرنى بالكاتب الروائى البريطانى القدير « سمرست موم » الذى توفى منذ بضعة اعوام ، فقد ابتلى بحبسة فى اللسان زاد من خطورتها الحياء الشديد الذى كان غالبا على طباعه ، ولا يشترط فى بلاغة القلم ان تصحبها على الدوام فصاحة اللسان .

وكان محمد المويلحى بحكم نشأته ومزاجه ارستوقراطى النزعة ، مطبوعا على الترفع والاباء ، لايميل الى الدخول فى زحمة الجماعات ، ولا يستريح بالحديث الى من لا يعرف من الناس ، ويكره الابتذال ، يقول عنه العقاد « من مراقبتى لمسلكه المطبوع قرابة سنتين استطيع ان افهم انه كان يرتضى لنفسه سمتا واحدا لا يعلوه عنده سمت يظهر به الانسان بين الناس ، وذلك هو سمت السرى الحكيم العزوف عن مواطن الزحام ، فهو عنده اعز واكرم من سمت الرئيس الملقب والاديب المشهور » .

وقد عرف بقوة العزم ، وشدة الصبر ، والقدرة على كبح جماح النفس ، وكان لا يشكو طوارق الحوادث ، ولا يتبرم اذا تنكر له الحظ ، واساءت اليه الايام ، وقد كانت وفاته فى سنة ١٩٣٠ ، واقيم له حفل تأبين ألقى فيه الشاعر الكبير حافظ ابراهيم احدى قصائده الرائعة فى رثائه ، يقول فى مطلعها :

دفعة من دموع عهد الشباب
كنت خبأتها ليوم المصاب
ليت اليوم يا محمد لما
راعنى نعى أكتب الكتاب

وقد أهدى المويلحى كتابه « حديث عيسى بن هشام » الى الاساتذة الذين اخذ عنهم وتأثر بهم ، وهو يقول فى هذا الاهداء « الف المؤلفون والكتاب أن يبدأوا كتبهم عند نشرها باهدائها الى بعض ذوى الشأن والفضل ، والضعيف العاجز يهدى هذا الكتاب الى كل من يقرؤه ، من أديب يجد فيه طرفا من الادب ، وحكيم يرى فيه

لمحة من الحكمة ، وعالم يبصر فيه شذرة من العلم ، ولغوى يصادف فيه اثرا من الفصاحة ، وشاعر يشعر فيه بمثل طيف الخيال من لطف ، وأهديه الى أرواح المرحومين ، الاديب الوالد ، والحكيم جمال الدين ، والعالم محمد عبده ، واللغوى الشنقيطى ، والشاعر البارودى ، اولئك الذين انعم الله عليهم ، واولئك الذين تأدبت بادبهم واخذت بهديهم »

حدود الأسوار الفاصلة

اطلع المويلحى على الاداب الاوربية من نثر وشعر ، وقد اجتذب نظره من غير شك الادب الروائى بوجه خاص ، لانه يحتل مكانا مرموقا فى ادب الغرب ، وهو اكثر الفنون الادبية رواجا ، وابلغها تأثيرا فى نفوس جمهرة القراء لتنوع موضوعاته ، واتساع آفاقه ، وقدرته على بث الآراء الاجتماعية ، واذاعة الافكار المستحدثة بطريقة تقربها الى الاذهان ، وقد أراد المويلحى أن ينحو هذا النحو فى النقد الاجتماعى ، وكان المويلحى واسع الاطلاع فى الوقت نفسه على الادب العربى ، وفيه ميل شديد الى المحافظة على التراث القديم ، وهذا الميل الى المحافظة يبدو فى أسلوبه وكثرة استشهاده بالشعر العربى فى شتى المناسبات ، وقد حمله ذلك على أن ينهج فى كتابه نهج المقامات مع توسيع نطاقها ، فاستعار من مقامات بديع الزمان الهمذانى شخصية راوى حوادثها عيسى بن هشام ، والمقامات فى اصلها حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالى مثل أبى زيد السروجى راوى مقامات الحريرى ، ومثل مقامات الزمخشرى التى تصور رجلا سماه أبا القاسم يصغى الى وعظه ونصائحه .

محمد المويلحى


الامام محمد عبده

ويرجح ان المحاولة القصصية التى قام بها قبله على باشا مبارك فى كتابه « علم الدين » كانت من بواعث توجيه المويلحى هذه الوجهة ، وتقع قصة علم الدين فى اربعة اجزاء ، ويقول عنها الدكتور شوقى ضيف « هى رحلة تقع فى اربعة اجزاء قام بها الشيخ علم الدين مع مستشرق انكليزى ، فطافا معا بجوانب الحياة المصرية ، ثم رحلا الى بلاد الانجليز ، وصور على مبارك مشاهداتهما هنا وهناك بلسانهما ، وقد وضعت الرحلة فى شكل مسامرات بلغت خمسا وعشرين ومائة ، وفيها يصف الكاتب حياة الشيخ علم الدين فى الازهر ،

كما يصف حياتنا في حفلات الزواج وفي المواسم والاعياد ، ويلم بحياة الانجليز ، وفي اثناء ذلك ينثر فوائد متفرقة في العلوم الشرعية ، والفنون الصناعية ، واسرار الكون والخليقة ، وربما استلهم علي مبارك في هذه الرحلة كتاب « اميل » للكاتب الفرنسي جان جاك روسو ، اذ اجرى على لسانه اراءه وافكاره ، وقد اختار لرحلته الاسلوب المسجوع » .

ويقول الدكتور شوقي « كان هذا هو المثال الوحيد امام المويلحي ، فرأى أن ينتفع به في قصته ولكن مع هدف جديد ، فان رحلة علي مبارك كتبت قبل عصر الاحتلال ، ولم تكن قد برزت مشاكلنا الاجتماعية على السنة المصلحين من مثل محمد عبده وقاسم امين ، وايضا لم نكن قد اندفعنا اندفاعا شديدا في تقليد الحضارة الغربية المادية ، فقد أخذ الاتصال بيننا وبين اوروبا يشتد بعد الاحتلال ، وأخذ كثيرون منا يقلدون الغربيين حتى في العادات بدون ملاحظة ما بيننا وبين القوم من اسوار فاصلة في المشارب والاذواق .

اسرار البعث والنشور

وقد نهج على مبارك في كتابه منهجا تعليميا ، قصد به الى نقل المعارف المنوعة باسلوب قصصي ، اما المويلحي فقد اتجه الى النقد الاجتماعي ، وقد سلك في الكتاب سلوك المجددين في رسمه للمواقف ، وتصويره للاشخاص ، وقد صور لنا شخصية العمدة تصويرا بارعا وشخصية رجل الشرطة وشخصية القاضي والمحامي واحوال المحاكم الاهلية ومحكمة الاستئناف والوقف ، ووصف لنا المحامي الشرعي ، والدفتر خانة الشرعية والمحكمة الشرعية ووصف الخبير الذي يعرف مكمن الداء ، وبواعث العلة ، ومواطن السخرية والفكاهة .

وهو في كتابه ينتقل من موضوع الى موضوع ناقدا للمجتمع ، قاصدا الاصلاح بكشف العيوب ، واظهار المساوىء الباعثة على السخرية والزراية ، وقد استعان في روايته للاحداث وتصويره للشخصيات بطريقة السرد والحوار ... والشخصيتان البارزتان في القصة هما راوي احداثها عيسى بن هشام ، وبطلها وهو احمد باشا المنيكلي ناظر الجهادية في فترة تقع في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وقد تمثله المويلحي على انه بعث على طريقة اهل الكهف ، ويروي لنا ذلك على لسان عيسى بن هشام قائلا :

« رأيت في المنام ، كأني في صحراء الامام ، امشي بين القبور والرجام ، في ليلة زهراء قمراء ، يستر بياضها نجوم الخضراء ، وكنت احدث نفسي بين تلك القبور ، وفوق هاتيك الصخور ، بغرور الانسان وكبره ، وشموخه بمجده وفخره ، واغتراره في دعواه ، واسترساله في هواه ، واستعظامه لنفسه ، ونسيانه لرمسه ، فقد شمخ المغرور بأنفه ، حتى رام أن يثقب به الفلك ، استكبارا لما جمع ، واستعلاء بما ملك ... وبينما انا في هذه المواعظ والعبر ، وتلك الخواطر والفكر ، أتأمل في عجائب الحدثان ، واعجب من تقلب الازمان ، مستغرقا في بدائع القبور ، مستهديا للبحث في اسرار البعث

محمد المويلحي

والنشور ، اذا برجة عنيفة من خلفي ، كادت تنفي بحتفي ، فالتفت التفاتة الخائف المذعور ، فرأيت قبرا انشق من تلك القبور ، وقد خرج منه رجل طويل القامة ، عظيم الهامة ، عليه بهاء المهابة والجلالة ، ورواء الشرف والنبالة ، فصعقت من هول الوهل والوجل ، صعقة موسى يوم دك الجبل، ولما افقت من غشيتي ، وانتبهت من دهشتي ، اخذت أمرع في مشيتي ، فسمعته يناديني ، وابصرته يدانيني ، فوقفت امتثالا لأمره ، واتقاء لشره ، ثم دار الحديث بيننا ، وجرى على ما تسمع وترى ، بالتركية تارة والعربية أخرى :

الدفين : ما اسمك ايها الرجل ، وما عملك ، وما الذي جاء بك ؟...

قلت في نفسي : حقا ان الرجل لقريب العهد بسؤال الملكين ، فهو يسأل على اسلوبهما ، فاللهم انقذني من الضيق ، وأوسع لي في الطريق ، لاخلص من مناقشة الحساب ، واكتفي، شر هذا العذاب ، ثم التفت اليه لأجيبه :

عيسى بن هشام : اسمي، عيسى بن هشام ، وعملي، صناعة الاقلام .

الدفين : واين دواتك يا معلم عيسى ودفترك ؟

عيسى بن هشام : انا لست من كتاب الحساب والديوان ، ولكني من كتاب الانشاء والبيان .

الدفين : لا بأس بك ، فاذهب ايها الكاتب المنشيء فاطلب لي ثيابي ، وليأتوني بفرس « دهمان » !

عيسى بن هشام : واين يا سيدي بيتكم فاني لا اعرفه

الدفين : قل لي بالله من اي الاقطار انت ؟ فانه يظهر لي انك لست من اهل مصر ، اذ ليس في القطر كله من احد يجهل بيت احمد باشا المنيكلي ناظر الجهادية المصرية

عيسى بن هشام : اعلم ايها الباشا انني رجل من صميم اهل مصر ، ولم اجهل بيتك الا لان البيوت في مصر اصبحت لا تعرف باسماء اصحابها ، بل باسماء شوارعها وازقتها وارقامها، فاذا تفضلت واوضحت لي شارع بيتكم وزقاقه ورقمه انطلقت اليه ، واتيتك بما تطلبه

الباشا (مغضبا) : ما اراك ايها الكاتب الا ان بعقلك دخلا ، فمتى كان للبيوت ارقام تعرف بها ؟ وهل هي «افادات احكام » او عساكر « نظام » ؟ والاولى ان تناولني رداءك استتر وتصاحبني حتى اصل الى بيتي ...

النقد والسخرية اللاذعة

ويسير المويلحي في هذا الكتاب على هذه الوتيرة متنقلا من موضوع الى موضوع ، وعندما انتهى به الحديث الى الاهرام قال عيسى بن هشام : ولما وقفت بنا الركاب في ساحة الاهرام ، وقفنا هناك موقف الاجلال والاعظام ، قبالة ذلك العلم الذي يطاول الروابي والاعلام ، والهضبة التي تعلو الهضاب والآكام ، والبنية التي تشرف على رضوى وشمام ، وتبلي ببقائها جدة الليالي والايام ، وتطوى تحت ظلالها

اقواما بعد اقوام ، وتفنى بدوامها أعمار السنين والاعوام ، خلقت ثياب الدهر وهي لاتزال في ثوبها القشيب ، وشابت القرون وأخطأ قرنها وخط المشيب ، ما برحت ثابتة تناطح مواقع النجـــوم ، وتسخر بشواقب الشهب والرجوم ، وتحدث حديث المشاهدة والعيان ، ما تعاقب الفتيان ، وتناوب الملوان ، عن قدرة هذا الانسان ، في بدائع الصنع والاتقان .

ويبدو في أسلوب هــذا الوصف طريق الميــل الى الوعظ والاستطراد المألوف في المقامات مما يوضح فرط تأثر المويلحي بها .

ويصف لنا المويلحي على لســان عيسى بن هشام الحالة الثقافية التي كانت غالبة في مطالع هــذا القرن فيقول « نعم شاعت العلوم في هــذا العصر ، وترقت الفنـــون ، وكثرت المطابع ، وسهل على الناس اقتناء الكتب ومطالعتها ، ولكن قل بيننــا عدد الراغبين فيها والمطالعين لها ، لكسدت سوقها ، وبارت تجــارتها ، واغفلها من ينتفع بهاللاشتغال بسواها من الامور الباطلة ، والاشياء التافهة ، ورغب عنها من كان يقتنيها للزينة ، لكثرة الانتشار والتبذل ، والنــاس اليوم في حركة لا شرقية ولا غربية ، قد اشـتغل بعضهم ببعض ، واكتفوا من دهرهم بحوادث يومهم ، فتعطلت بينهم مجالس العلم ، واندثرت مجامع الادب ، واقتصروا على مطــالعة أخبارهم في الجرائد والصحف دون الدفــاتر والكتب ، وأنى يكون لهم الاستقرار في المجـــالس ، وهم لا يستقرون في مكان ، ولا يهدأون مــن حركة ، ولا ينفكون عن غدو ورواح .

وقد تناول المويلحي اكثر جوانب الحياة المصرية ، والعادات المألوفة ، والتقاليد المتبعة بالنقــد القارس والسخرية اللاذعة ، وهو يصفمظاهر الحياة الاجتماعية وصف العـــارف الخبير والمجرب الحكيم ، حتى ليكاد كتـابه يكون وثيقــة تاريخية تؤرخ لذلك العصر ، وتصف واقع حياته ، وغرائب شخصياته .

مظاهر المدنية الغربية

وقد أضاف المويلحي في الطبعــة الرابعة للكتـــاب الى رحلة المنيكلي وعيسى بن هشام في عالم الاحيــاء المصرى رحلة ثانية الى باريس ليشاهد المنيكلي معالم المدنية في الغرب وليرى بعض معارضها ، ويعودان الى مصر وقد اقتنع المنيكلي بأن المدنية الغربية ليست شرا خالصا ، وانه لا بأس من أن نستمد منها ، ولكن على أن يوافق ما نستمده تقاليدنا وطباعنا وأمزجتنا الشرقية ، ويستهل المويلحي حديثه عن الرحلة الى باريس قائلا على لســان عيسى بن هشام : « سبحان من لاتجرى الامور الا بتقديره ، ولا تنفذ العزمات الا بتيسيره ، فقد يسر لنا الله الرحلة الى الديار الاوربية ، لنشهد مظاهر المدنية الغربية ، وبلغنا من ســفرنا المدى ، فالقينا بباريس العصــا ، وشرعنا نجوب منها الطرقات الجامعة ، والساحات الواسعة ، فلا القبــائل تدعى وتهرع ولا الجيوش تحشـــد وتجمع ، ولا الموتى وهم ينشرون ، ولا الخلق وهم يحشرون ، يضــاهي ما القوم فيه من ازدحام والتحــام ، واصطدام والتحام ، متـــدفقين في سيرهم تدفق الســيل ، تحت أضواء

محت آية الليل فلا ليل ، يخشى فيها على الابصار ، ان تعسو من شدة الانوار ... »

ويسترسل فى الحديث عن باريس فيقول : « هذه هي اليوم بيت العلم والفضل ، ودار السلام والعدل ، ومعهد الحق والانصاف ، ومهد الاتحاد والائتلاف ، هذه هي المدرسة التى يشرق منها على العالم شمس الهدى والعرفان ، ويتلقى الانسان عنها حقوق الانسان ، ويعرف منها وجوه الخير والاحسان ، ولكل انسان وطن، وهى لكل وطنى وطن ثان ... »

ويبدى المويلحى رأيه فى الحضارة الاوربية موجزا على لسان الحكيم قائلا : « لهذه المدنية الكثير من المحاسن كما ان لها الكثير من المساوىء ، فلا تغمطوها حقها ، ولا تبخسوها قدرها ، وخذوا منها معشر الشرقيين ما ينفعكم ويليق بكم ، واتركوا ما يضركم ، وينافى طباعكم ، واعملوا على الاستفادة من جليل صناعاتها ، وعظيم آلاتها ، واتخذوا منه قوة تصد عنكم اذى الطامعين ، وشره المستعمرين ، وانقلوا محاسن الغرب الى الشرق ، وتمسكوا بفضائل اخلاقكم وجميل عاداتكم ، فانتم بها فى غنى عن التخلق باخلاق غيركم ، وتمتعوا فى رخاء بلادكم ، وسعة ارزاقكم ، واحمدوا الله على ما آتاكم » .

طليعة كتاب الشرق

ويبدو من خلال صفحات حديث عيسى بن هشام ميل المويلحى الى الفلسفة العلائية وكثرة استشهاده فى مواقف شتى بشعر ابى العلاء ، وهو يصارحنا بهذه النزعة التشاؤمية فى قوله على لسان صاحبه عيسى بن هشام « واعتزلت بالباشا مدة من الدهر : نستملح العزلة ، ونستعذب عليها الصبر ، ونعيش فيها عيش الحكماء ، من حسن الرضاء بحسن الاكتفاء ، ونستروح راحة البعد عن هذا العالم واذاه ، واغماض الجفون على قذاه ، مؤتنسين كل الائتناس ، بالوحشة من الناس ، بعد الذى شهدنا من اعمالهم ورأينا ، وسمعنا من اقوالهم ووعينا ، وقاسينا من عشرتهم ما قاسينا ... ان سالمتهم حاربوك · وان وادعتهم ناصبوك ، وان صادقتهم خانوك ، وان وافقتهم


جمال الدين الافغانى
قاسم امين

محمد المويلحى

كـــادوك ، وان خالطتهم لا تامن الإعتداء ، واذا مازجتهم لا تعـــدم الافتراء ، واذا طالبتهم بحق فانك لا تسمع الصم الدعاء ··· ولو انك لم تخالطهم الا فى مجـــالس انسهم وصفوهم ، ومعاهد لعبهم ولهوهم ، لم تجن منهم الا كـــل ما يبعد وينفر ، وينغص ويكدر ، تدخلها اذا دخلتها مستروحا مستبشرا ، وتخرج منهـــا مستعجبا مستنكرا ، فعيشتهم فى كلتا الحالتين قرارة معـــايب ، ومجتمع نقـــائص ومثالب ، ومنابت اكدار ، وينابيع اضرار ، ولا راحة فى الدنيـــا الا لمن تنسك وتزهد ، ولا ســلامة من الخلق الا لمن اعتزل وتوحد ، وابعد الناس عن معاشرة البرايا ، اقربهم الى كرم الســجايا ، وكذلك فى قوله على لسان الحكيم الفرنسى « تبـــا للانســـــان فما أعق عمله ، واقبـــح صنعه ! »

وقد اتبع المويلحى اسلوب المقامات بعد أن طوره بمـــا يلائم روح العصر وتأثره بالثقافة الغربية ، وادخل فيه الحوار الطويل ، ورافقه التوفيق فى تصوير بعض الشخصيات مثـــــل شخصية العمدة الذى حضر من الريف الى العاصمة فاستهوته ملاهيهـــا ، وعصفت بلبه ، ومثل وصفه للمحامى الشرعى ورجال الشرطة وطبقة التجار والاثرياء ، ودور اللهو والتمثيل ولم يترك على وجه التقريب جانبا من جوانب حياتنا الاجتماعية فى اواخـــر القرن الماضى واوائل القرن الراهن الا تناوله بالوصف البارع ، والتحليـــل الناقد ، والسخرية النافذة ، مظهـــرا نواحى الضعف والتهافت ·

وكان يجد الفرصة فى كتابه مـــن الحين الى الحين لاظهـــــار قدرته البلاغية ، وبراعته البيانية ، فيعمد الى الســـجع والمحسنات اللفظية ، ولكن هذا مع ذلك لم يزد بأسلوبه من الناحية الانشائية وفن الكتابة ، وان كان مهد السبيل لتوجيه النقد اليه من ناحية عدم تمكنه من الاسلوب الروائى الفنى الحديث ·

وقد يدفعنا ذلك الى التساؤل عن مكانة المويلحى بين كتاب القصة فى العصور السالفة والعصر الحديث ، فقـــد عرف الادب العـــربى القصة الموضوعة والقصة المنقولة · ولكنهما لم يرتفعا من الناحية الفنية الى مستوى القصة فى الادب العـــالمى الحديث ، ورواد القصة فى الادب العربى الحديث هم امثال الدكتور محمـــد حسين هيكل فى رواية « زينب » ، والاساتذة نجيب محفوظ ، ويوسف السباعى ، وطاهر لاشين ، ويحيى حقى ، وعبد الحليم عبد الله واضرابهم من كتـــاب القصة المحدثين ···

وكتاب عيسى بن هشام وان لم يرتفع الى مستوى القصة الفنية الحديثة الا أن ما لقيه من تقدير وما قدمه مـــن نماذج فى تصوير الشخصيات ، وسرد الاحداث ، ربما كان من الحوافز التى دفعت الكتاب على المضى فى كتـــابة القصة ، والارتقاء بها الى مستوى القصة فى الادب العالمى الحديث ·

وقد حاول احـــد المولعين بنشر الاشاعات والاراجيف التشـــكيك فى نسبة كتابة كتاب حـــديث عيسى بن هشام الى محمد المويلحى وزعم أن والـــده ابراهيم المويلحى هو كاتبه ، ولكن الادباء العارفين الذين كـــانوا يقدرون ادب محمد المويلحى ومكانته نفوا ذلك ، ولا يمارى النقاد المحدثون فى ان محمد المويلحى كان فى طليعة كتـــاب الشرق فى العهد الحديث ···



لا أعرف قائدا فكريا فى أمة ، ولا زعيمـــا تقدميا فى وطن ، قصرت أمته ومواطنـوه فى الوفاء بحقه وامتثال آثاره ، ما قصر العرب عامة والمصريون خاصـــة ، فى الوفاء بحق الدكتور محمد حسين هيكل وامتثال آثاره . لقـد عاش الدكتور هيكل ثمانية وستين عاما كلها عمـــل وانتاج ووطنية . وحين انتقل الى جوار ربه فى نهاية عام ١٩٥٦ ، ترك أغزر انتاج وخير أسوة ..

د. سيد نوفل

صاحب «زينب» محمد حسين هيكل

عرفناه مرة رائد القصة المصرية في فجرها الحديث. وعرفناه ثانية كاتب المقال السياسي المحكم، وعرفناه ثالثة صاحب «ثورة الادب» والدراسات الرائعة في الادب العربي والاوروبي، وعرفناه رابعة مؤرخ سيرة الرسول العربي وخلفائه وصحبه، وعرفناه خامسة السياسي البارز الذي أعلى كلمة الحرية في مصر، وأعلى مكانة وطنه في الامم المتحدة والمحافل الدولية. لكننا مع ذلك كله عرفنا جانبا أو جوانب من حياته الفكرية والسياسية، ولم نعرف «القيادي» تمام المعرفة، ولم نقدره حق قدره في مسيرة حياتنا.

حقا ان كتبه «حياة محمد» و «في منزل الوحي» و «الصديق ابو بكر» و «الفاروق عمر» حظيت بسيرورة، وأعيد طبعها مرات عديدة ولاتزال، ولم يتهيأ لأشهر المؤلفين المعاصرين ان تحظى أي من آثاره ببعض ما حظيت به هذه الآثار للدكتور هيكل.. لكن هذا الانتشار وهذه السيرورة لم يكن مصدرهما الفقه لقدر الرجل الفكري الحق ومكانه في الثقافة القومية بقدر ما كان التعلق بمعان ومشاعر دينية.

رائد في فن القصة

ان الدكتور هيكل هو رائد القصة المصرية الوطنية في مطلع العشرات لستين عاما خلت.

وقصة «زينب»، أول أعمال الدكتور هيكل الأدبية المأثورة، تمثل حياة فتاة ريفية فقيرة جميلة، تمارس العمل في الحقول أجيرة شأن أترابها الفلاحات الفقيرات. أحبت «ابراهيم» رئيس العمال لدى السيد محمود وجيه القرية الذي كانت تعمل زينب في حقوله. وبادلها ابراهيم حبا

بحب · لكن حامد التلميذ ابن السيد محمـــود يفتن بزينب وبجمـــالها ، ويبادلها كذلك أسباب الغرام ، ويقضى أوقاتا ممتعة معها ·· ولا يقف امر بطلة القصة بين حامد المفتون بهـــا وابراهيم حبيبها ، فهذه المشكلة يسيرة الحـــل ·· ذلك بأن زينب اذا بادلت ، حامد ، الود لا تتطلع الى أن تكون شريكته بحـكم الفـارق الاجتماعى ، وانما تتطلع الى ابراهيم الذى محضته هواها وحبها ··

لكن زينب تتزوج ، بحكم والديها ، حسن ابن الشيخ خليل الموسر ، وتعيش حياة زوجية مشردة بين الحب والزوجية ·· ويعاود ابراهيم الاتصال بزينب ، لكنه لا يلبث أن يدعى الى الجندية ، وان يجند لعجزه عن دفع البـــدل النقدى ، وأن يســـافر الى السودان للخدمة بالجيش المصرى هنـــاك ·· وتشتد لواعج الهـــوى وتبرح الامه بزينب ، حتى تصاب بالدرن وتموت ضحية الداء العضال ، وهى تبكى حب ابراهيم النائى ، وتمسك بمنـــديله الذى تركه لها تذكارا قبل رحيله الى السودان ·

واذا كانت حياة زينب بطلة القصة موفورة المشاكل والأسى ، فان حـــامد بطلها لا تقل حياته مشاكل ومصاعب·

قصة بطل القصة

كان حامد ، التلميذ الفـــلاح ابن وجيه القرية وسيدها ، يحس منـــذ نعومة أظافره كأن صوتا دائبا فى قلبه يحدثه عن الحب ولذاذاته ، ويصور له فى أبهى صورة جناته اليانعة وطيوره المغردة ، ويؤكد له فى كل نظرة لفتاة أن الحياة بغير الحب حياة ضـــائعة القيمة باهتة اللون · فشرد لبه يبحث عن الملاك الذى يمنحه السعادة وسر الهناء ومعنى الوجود ·· وبعد عناء لقى فتاة حيرى مثله ، هى عزيزة ابنة عمه فى القرية المجاورة · فتعلق بها ، وأنس لصحبتها ، وأخذ اقاربهمـــا يتحدثون عن وفاقهما ، وأخذ أبواه يمزحان بخطبتها له من أبويها على عادة الصغار فى مثل هذه السن ··

لكن الصغيرة حين تبلغ السادسة عشرة تحتجب فى المنـــزل ، وتلبس السواد القاتم فى الخـــارج ، ولا تأتى الى القرية للقاء حامد ، ولا يلقاها حامد

حين يذهب الى قريتها · وتتهيأ له فرصة الاتصال من جديد فى زيارة عزيزة لقرية حامد · ولـكن هـــذه الزيارة لا تلبث ان تنتهى ، وان ترحل عزيزة الى قريتها ويطول غيابها ·

وفى غمرة أساه ، الذى تعمل فيه يد النسيان عملها ، يلقى فى مزرعة أبيه بين العـــاملات زينب ، فيخالها رسول الحب من السماء الى الارض ·· وظل اعجابه بها ينمو فى قلبه ، حتى أخذ يذهب الى المزارع فى انتظام ليراها ، بعد أن كان يزورها من قبل صدفة ولماما · بل وأخذ يشاركهـــا عملها ولعبها ويجد السعادة كـــل السعادة فى هـــذه المشاركة · وجاء اليوم الذى تزوجت فيه زينب ، فعاهد حامد نفسه ان ينساها الى الابد مادامت لغيره ، نائيا أن يقترف ما يأباه مـــن منكر الغدر ·

وتهيأت له بعد معاناة فرصة الاتصال من جديد بعزيزة ، وأمضى معهـــا أوقاتا هنيئة · لكن هذه الفرصة لاتلبث

زينب

ان تنتهى الى غير عودة بزواج عزيزة من غيره .. فتولى حامد حزن غامر، لم يلبث ان ازاح عن كاهله أثقاله ، وأنغمس فى شعور من عدم المبالاة بما حدث فى الماضى ، ولا بما يمكن أن يحدث فى المستقبل .

لكن هـــذا الشعور لا يلبث ان ينتهى ، وان ينتابه من جديد التعلق بزينب ، وان يصمم على تنفيذ خطة لتملك الفتـــاة الريفية رغم انهـــا متزوجة ، غير آبه لما يقوله النـــاس عنه ، ولا لما يتقولونه عليهما .. لكن حامد يستطيع فى ساعة الضياع ان يملك نفسه ، وان يلجأ الى الشـــيخ مسعود ، شيخ الطـــريق ، يعترف له بقصة حبيه كاملة ، ويأخذ عليه عهدا

ويشعر بالاطمئنان النفسى . لــكن هذا الاطمئنان لا يلبث غير ســاعات قليلة هى ساعات الليـــل .. وحين يطلع النهار ، تطلع معه منجديد جميع آلام حامد التى كانت معه ، وفوقها ألم جديد هو « انه اعترف لانســـان بهواجس نفسه وكمين قلبه ..اعترف بها لمن لا يفهمها ومن لا يجيبه عنها بغير كلمة « نعم » ولا يقدر له على شيء ... » وشعر بالهوان ، وهـــو الفتى المتعلم ، « أن يتعهد لانســـان مثل هذا الأبله بأن يعمل خيرا » ، وحدثته نفسه أن يسعى الى هـــذا المفترى الكذاب ويقتله .

وبعد وقت تهدأ نفس حامد قليلا ، وبعد أيام يغادر قريته فى مطلع العام الدراسى الى القاهرة ، راجيا أن ينسى مشاكل حبه وآلامه ..

لكن المدينة لم تستطع أن تنسيه حبه الريفى . فظل شهرا يجـــاهد نفسه حتى غلبته ، فهجر بيته ينشـد الوحدة بعيدا عن أهله ، ويحاول أن ينسى بكد العمل معتمدا على نفسه فى كسب العيش آلام القلب ، ويترك من ورائه رسالة الى والديه يقص عليهما قصته فى حبيه وفى نزوة لجوئه الى شيخ أفاق ، ويطلب صفحهما لهجـــر داره وأهله ، ويعدهما بالعودة متى عثر على حب جديد يعوض ما فاته من الحبين الذاهبين ...

الاساس السياسى للقصة

ولقصة زينب أساس سياسى ، شأن سائر الآثار التى أخرجهـــا الدكتور هيكل طوال حياته .. بل ان كتابه « حياة محمد » ذاته ، وان الف الناس صـــبغه بالصبغة الدينية ، كـــان له أساس سياسى أيضا .. فقد دفعه الى كتابته معارضة اتجاه ظهر أيامهوزارة اسماعيل صدقى فى بداية الثلاثينات، وبدت آثار له فى محـــاربة المقومات الفكرية العربية لمصر والسعى الى ان تستبدل بها مقومات أجنبية ، مثلما حوربت فى سائر أقطار الشرقوالغرب العربية . ونسب الى المستشرقين والى البعثات التبشيرية العمل فى خـــدمة هـــذا الاتجاه . وقيل ان الوزارة الاسماعيلية الصدقية لا تعـــارضه . وقـــد انبرى لمعارضته الاحـــرار الدستوريون ، وكاتبهم الاول وزعيمهم من بعد : الدكتور هيـــكل . وجاءت كتبه فى سيرة الرسول وخليفته أبى بكر وعمر ثمرة متصلة النفع لهـــذه المعارضة ..

وليس أبلغ من الدكتور هيكل تبيانا لأساس « زينب » السياسى ، حين يقول تعليلا لنشره الرواية فى أولى طبعاتها « بقلم مصرى فلاح » ، مغفـــلا ذكر اسمه خشية ما تجره عليه حرية القول فى شئون الهوى والحب من ســـمعة ضارة فى ممارسة المحاماة التى بدأها حينذاك بالمنصورة ... فيقول :

« ولقد دفعنى لاختيار هاتين الكلمتين شعور شباب لا يخلو من غرابة . وهو هذا الشعور الذى جعلنى اقدم كلمة « مصرى » حتى لا تكون صفة للفلاح اذا هى أخرت فصارت « فلاح مصرى » . ذلك أنى الى ما قبل الحرب كنت احس كما يحس غيرى من المصريين ، ومن الفلاحين بصفة خاصة ، بان ابناء الذوات وغيرهم ممن يزعمون لانفسهم حق حكم مصر يتظرون الينا جماعة المصريين وجماعة الفلاحين بغير ما يجب من الاحترام . فاردت أن أستظهر على غلاف الرواية ، التى قدمتها للجمهور يومئذ والتى قصصت فيها صورا لمناظر ريف مصر واخلاق اهله ، ان المصرى الفلاح يشعر فى اعماق نفسه بمكانته وبما هو اهل له من الاحترام ، وانه لا يانف أن يجعل المصرية والفلاحة شعارا له يتقدم به للجمهور ، يتيه به ويطالب الغير باجلاله واحترامه » .

وهذا الهدف ، فى الاصلاح السياسى الاجتماعى ، وفى تنمية الشعور بالشخصية المصرية ، يظهر على أتمه فى جميع أبواب الرواية .

انه يعارض ذهاب ابراهيم للجندية والخدمة فى السودان عبدا للاستعمار البريطانى ، الذى يحكم السودان ومصر معا ، ويكره المصريين على هذه الخدمة تمكينا لاستمرار اشقائهم فى الجنوب .. ويكرر مثل قوله :

« سيذر ابراهيم البلد ، ويذهب الى العاصمة أولا ، ثم من بعد ذلك الى مجاهل السودان وخط الاستواء .. الى عذاب شديد ، وما هو فى ذلك بالغازى ولا بالفاتح ، ولكنه الخادم المطيع .. هناك سيقضى اياما حلوة من عمره ، لم يرجع ولا فخر له .. » ويحمل على نظام البدل الذى يدفع به القادر المال المفروض لقاء اعفائه من الجندية . ويقول فى وطنية صادقة ، وثورة على المجتمع المستغل للفقراء :

« وكلما سمع ابراهيم كلام زينب وصور امام نفسه مصيره هناك فى مجاهل البلاد الجهنمية حيث لا يعرف ما سيلاقى ، وحيث لايفهم سببا لوجوده الا أنه عبد مأمور ، تهيجت نفسه مشمئزة متألمة ، وحنق الا يجد بدلا نقديا يدفعه » .

« هكذا يفهم الناس معنى العدالة . من اجل انى غنى أعفى من الخدمة العسكرية ، ولأن آخر فقير يساق رغم انفه » .

ويصور وطنية الفلاح المصرى فى صدق ، حين يسأل حامد ابراهيم عما عساه يفكر فى شأن سفره للجندية فى السودان ، فيقول ابراهيم :

« والله أمر شغل بشغل ، ولكن اللى مضايقنى انى مش عارف رايح أعمل ايه : يعنى يا سى حامد حانفتح بلاد الغرب . أمر ان كان هناك والا هنا الانجليز فوق أكتافنا وهم الحكام » .

والرواية كما يبدو من خلاصتها تحارب القسر فى الزواج ، والتفريق بين الارواح المتآلفة بحجة الفواصل بين الطبقات ، كما تحارب الحجاب ، وتبدو فيها مظاهرة الكاتب لدعوة أستاذه : محرر المرأة ، قاسم امين .

ولعلها لم تدع سمة من سمات التخلف الاجتماعى الا نبهت الى ضرورة الخلاص منها ، مستخدمة السخرية والظهار الساري» .

انه يعالج مشكلة الرى وادواره القاسية على الفلاحين ، ومشكلة الاستدانة والحجز ، ومشكلة المرض والعلاج ، ومشكلة الزواج والطلاق ، ومشكلة الخرافة بين مشايخ الطرق واتباعهم ، ومشكلة الصحافة والاسفاف بين كتابها ونقد الفلاح المصرى لاساليبهم ·· ومشكلة البطالة بين العائدين من الجندية وغيرها من المشاكل ··

وهو يأسى لحال الفلاح ، ويعجب بجلده ، « ذلك الجلد الذى يبتدىء مع القدم ويسرى فى الزمان من فلاح فرعون الى فلاح اسماعيل والى فلاح اليوم، والذى يجود على هاته الطائفة التعيسة بشىء من السعادة فى الحياة، ويجعلها امام تلك اللانهاية فى الفقر تحتمل مضض الايام وعلى وجهها الناشف ابتسامة القانع · »

الرواية بين الواقع والخيال

اما اشخاص رواية « زينب » فهم حقيقيون · فزينب باسمها وحياتها شخصية حقيقية ، ولا يزال بعض الاحياء من أهل كفر غنام : قرية الكاتب يذكرون ماساتها · وابراهيم الخولى او رئيس العمال ظل حيا الى ثلاث سنوات مضت يعمل لدى اسرة الكاتب ·

والاعجب من ذلك كله ان حامد هو الدكتور هيكل ذاته ، وان محمودوجيه القرية وسيدها هو ابوه · وعزيزة كانت احدى بنات عمه وانكانت باسم اخر ·· وقد شاءت الاقدار ان يتزوج من بعد ذلك بسبع سنوات « عزيزة » اخرى ، اوفر ثقافة واعلى قدرا ، يسعد بها ويقوى ويعتز طوال حياته ويطمئن فى مثواه الاخير حين يخلفها بين ابنيه وبناته بعد مماته ·

وهكذا كان عمل الكاتب المبدع فى خياله الخلاق هو تصوير المشاعر والعواطف والمعانى ، واخراج القصة محكمة الاطراف ، مكتملة الجوانب ، مستقيمة الوسيلة ، بينة الهدف ··

وليس يملك من يقرؤها الا ان يقول : حقا ان للاديب عينا ترى ما لا يراه الناس ، واذنا تسمع ما لا يسمعون ، وعقلا يدرك ما لا يدركون ، وقلبا يشعر بما لا يشعرون ··

اسلوب الكاتب

والاسلوب اللفظى للدكتور هيكل فى زينب تظهر فيه نشاته الاولى · فهو يعبر عن انه فلاح باستعمال لهجة الريف والفاظه ومصطلحاته فى احاطة شاملة ، والمام بارع ·· وهو الى جانب ذلك يستعمل الفصحى ويزاوج بين الاثنتين فى مهارة فائقة ، تفتنك فى الاولى ، وتفتنك فى الاخرى، ولا تحس بانتقال بينهما ·· وفى استعماله الفصحى يستفيد اعظم الاستفادة من التعبيرات القرآنية · ويدل بذلك على نشاته فى المدرسة وبين بعض اقاربه من علماء الازهر ، ومطالعته القرآن فى صباه ، وذاكرته الواعية المستوعبة للجملة وللتفاصيل الدقيقة جميعا

اما اسلوبه المعنوى ، فقد استفاد فيه من الأدب العربى والاوروبى معا ·· واوصافه للطبيعة تدل على تاثر باسلوب شعراء الطبيعة فى الغرب ، فضلا عن الصدور عن المعانى الذاتية فى الريف المصرى ·

وطريقته فى الاعتراف الكامل تدل على تاثر بكتاب الغرب ، وخاصة جان جاك روسو الذى ترجم له من بعد ، واخرج فيه كتابين ·

لكنه يمتثل دائما ما يصل الى نفسه امتثالا تاما ، ويصدر عنه خلقا جديدا ، ونتاجا ذاتيا للكاتب المبدع الخلاق ·

والكتاب من الفه الى يائه شاهد بذلك ·· وفى هذا المقام نكتفى بايراد أمثال قليلة

انه يصف تجمع الفلاحين فى بيت العمدة وأحاديثهم فى السياسة ونقدهم اللاذع ، على وجه يستهوى افئدة المعايشين للقرويين ، فيقول :

« ولما اتموا واجب التحية وشربوا القهوة ابتدأوا حديثهم فى السياسة حديثا طويلا · ووافق كل صاحبه فى المذهب الذى يتعصب له والجريدة التى يقدس والاشخاص الذين يعتقدهم معصومين · فجعلوا يمدحون فى هؤلاء ويقصون الحكايات عنهم ويضيفون لقصصهم كلمات الاعجاب والاطراء ، ثم يذكرون آخر المقالات التى كتبت وأخذت بنفوسهم · وانحوا على الاخرين من سياسيى البلد باللائمة ، وتدرجوا الى الحكم عليهم بانهم مخطئون ثم حكموا عليهم بالجنون :

— « والا لو كان فى دماغ أى واحد منهم شوية عقل كان خلوا مقالة أول امبارح تظهر · دول جماعة شاطرين فى التهبيص الفارغ » ·

— « لا · وكل عبارة يقضلوا يزعقوا لها ليحيا وليسقط ، لما يدوشوا دماغهم ودماغ الناس معاهم · والانجليز قاعدين والخديو فاضل زى ماهوه ! »

ويتحدث عن استغراق زينب فى أصحاب ابراهيم من الحيوان والاشياء بعد رحيله عنها الى السودان ، ويذكر كيف تتعزى بلقاء الثور والذهاب الى التابوت حيث كان يجلس ابراهيم ، وكيف تستغرق فى الطبيعة التى تبادلها الحزن والأسى من بعده ، ويقول :

« ثم رنقت بالشجرة العزيزة التى طالما جلسا تحتها قبل وداعه ، وهى الاخرى تصفر أوراقها حزنا على فراقه وأسى من أجله · والبقعة التى كانا يجلسان فوقها وشجيرة التوت الصغيرة التى عندها وعيدان الغاب المحيطة بها ·· الا تندب هذه الاشياء صديقا كابراهيم ؟·· حقا كل هذه الاشياء غارقة فى أسى كالذى أصاب زينب ، ولولا ذلك لما كلمتها جميعا وكلها الرقة والحزن » ··

ويسترسل فى الحديث عن حرص زينب على التردد على الشجرة « الشهيدة على ما كان بينهما » ، وأنسها الى « أدوار الملية » من الترعة لأنها تذكرها بلقاءات الحبيب الذاهبة ·· ثم يقول : « فلما غيض الماء ولم يبق للملية من سبيل ، لم تنس أن تروح الى المحطة لترى الوابور ، ولترسل الى أسود الوجه فاحم القلب الذى أبعد عنها محبوبها نظرة حقد وكراهية ·· »

فنحن هنا نرى المزاوجة بين العامية والفصحى وتعبير القرآن ، ورياح لامارتين وروسو وشيلى وكيتس ووردزورث من شعراء الطبيعة الملهمين · ونرى من قبل ذلك وبعده أصالة الكاتب المبدع الفنان ·

هيكل او المصرى الفلاح

والدكتور هيكل ، أو حامد ، أو المصرى الفلاح — كما سمى نفسه فى أولى طبعات القصة — مفتون أشد الفتنة بالريف وطبيعته وخلائقه ، وعمله ولعبه ، وبناته وسائر أهله··

وهو يرى ، رغم دعوته الى اصلاحه، أن الطبيعة منحت الفلاحين من أسباب الجمـــال والمتعة والقوة ما عوضهم الكثير بل أكثر مما منحت أهل الحضر .. ولهذا فان الريف عنـــده مليء بالفتنة والطرب والشباب والهوى . وشتان بين ريفه وريف معاصريه من مشاهير الكتاب ومن والاهم . ولعـل لغنى أسرة هيكل ، وأسباب الحيـاة المتوفرة له فى الريف ، شأنا فى ذلك .

لكن عظمة الكاتب الذاتية تبـدو على أتمها حين يشيع الصـدق فى فنه ، وحين ينتصف لفقـــراء الريف من أغنيائهم ، ويطلب رفع مستوى أجورهم .. بل أنه ينتقد أباه ذاته ، حين يتحدث فى سخرية عن السيد محمود الذى يأسى على الماضى القريب اذ كان يؤجر الفلاح قرشا فى اليوم فاصبح يؤجره قرشين ، وحين يحمل على الأغنياء الـــذين يقسون على الفقراء ، ويشقون عليهم فى العمل ، ويرهقونهم من أمرهم أشد العسر .

فالدكتور هيـــكل أو حامد فلاح خالص ، تستولى على عقله وقلبـه طبيعة الريف ، وخلائق أهله ، وجمال بناته .. ومن دواعى الاعجاب أن يكتب هيكل قصة زينب فى أوروبا حين ذهب اليهـــا للحصول عـــلى درجة الدكتوراه فى الحقـوق من فرنسا . يكتب القسم الأكبر بباريس منذ ربيع ١٩١٠ الى ربيع ١٩١١ ، كما يكتب قسما فى لندن وآخر فى جنيف أثناء العطلة الجامعية . ولا تصرفه الطبيعة فى فرنسا وسويسرا وانجلترا ، ولا تصرفه مفاتن اوروبا عن الريف المصرى وطبيعته وجماله ومعاهد حبه ، بل تزيده به تعلقا وله حبا ..

ولكن العجب يزول اذا طالعــــت خلائق الكاتب فى شخصية حامد ، فهو فلاح جوهرا ومخبرا وعملا ولعبا .. ان لغته لغة الفـــلاحين ، وانه يصاحب الخفراء والعمـــال ويندمج فيهم اندماجا ويشـــاركهم السراء والضراء . وانه ليبيت الليل فى الحقل بالعش أو بجوار الساقية ، ويأنس اليه أكثر مما يأنس الى فراشه الوثير فى بيت أبيه الوجيه .. وانه ليسهر على الساقية طوال الليل ، ويمـارس رى الحقل ، ويبدل الثور المكدود بثور نشيط ، ويأكل مع العمال على الارض حول « الطوالة » بجوار الماشية ، ويطرب أشد الطرب الى قيثـارته أو « سلاميته » ، يحرك عليهـا أصابعه ويرسل النغمات المشبعة لنفسه وهواه . بل يجلس فى دائرة الفلاحين والفلاحات من العمال فى حقل أبيه ، ويلعب معهم واحدا منهم دون شعور بالغربة ، بل سعادة بالاندماج .

ولقـــد فتن الدكتور هيكل طوال حياته بالأسفار ، وتمتع بالحياة فى مصايف مصر ومشاتيها ، وفى جبال لبنان وربوع الشام ، وفى فرنســـا وسويسرا وألمانيا والنمسا والسويد وانجلترا وأرجاء أوروبا ، وفى أمريكا .. ولكنه بدأ حياته وأنهاها ، مصريا فلاحا ، يؤمن بالعمل والانتاج ، ولا فضل للانســـان عنده الا بهمـــا ، ويسعد بالحديث مع الناس أيا كانت موضـــوعاته أو نزعتهم وأراؤهم ، ويؤمن بالحـرية والصراحة ويزدرى الخنوع والنفاق ، ويهيم حبا بوطنـه الذى عاش حياته كلها من أجله ، ومات بعـــد أن أدى له أعظم مـــا يؤديه القـــادة المؤمنون العاملون . . .



أنور أحمد

ظاهرة فريدة في زمانه

محمد تيمور

لم يكن محمد تيمور قد بلغ الثلاثين من عمره عندما اختطفه الموت فى فبراير عام ١٩٢١ ، ومع ذلك فقد شغل الناس وترك من بعده دويا ، ذلك أنه كان رائدا فى أكثر من ميدان من ميادين الفن والادب بما تهيأ له من مواهب جعلته ظاهرة فريدة فى زمانه .

نشأ محمد تيمور فى أسرة عريقة غنية ، فجده الأكبر هو « محمد تيمور كاشف » الكردى الأصل ، الذى جاء الى مصر مع الجيوش التى أرسلها السلطان العثمانى بعد جلاء الحملة الفرنسية ، وترقى فى سلك الجندية حتى أصبح من كبار القواد .

ولم ينجب محمد تيمور كاشف سوى ولد واحد هو « اسماعيل » . ويقول أحمد تيمور باشا فى كتابه « لعب العرب » ان اسماعيل « مال منذ صغره الى الاشتغال بالعلوم والآداب ، فتأدب فى العربية والعلوم الاسلامية على من اختارهم والده من المؤدبين ، وتخرج فى التركية والفارسية على يد عبد الرحمن سامى باشا ، ولبراعته فى الانشاء التركى اتخذه محمد على كاتبا خاصا ، ثم عين وكيلا لمديرية الشرقية فمديرا ، ثم تولى عدة مناصب كبيرة بديوان الخديو فى عهد ابراهيم ، وعباس ، وسعيد ، واسماعيل الذى منحه لقب « باشا » . وكان شغوفاً بالعلم والعلماء لا يخلو مجلسه منهم ، مولعا بالمطالعة ، مع المغالاة فى اقتناء الكتب النفيسة والاقبال على مطالعتها ، حتى روى عنه أنه كان يقول :

ـ « انى لاستحى ان يقع فى يدى كتاب ولا اطالعه ! »

وتوفى اسماعيل عن ابن واحد هو احمد تيمور باشا ـ والد محمد تيمور ـ وعن ابنتين احداهما الشاعرة عائشة التيمورية . وقد ورث احمد تيمور عن ابيه ثروة طائلة كما ورث عنه مكتبة كبيرة ، واتجهت نفسه الى العلم والادب ، وعزف عن الوظائف العامة ، وانقطع لادارة ضياعه الواسعة ودراسة الادب وعلوم التاريخ والفلسفة واللغة حتى تمكن منها واصبح عالما خبيرا باسرارها



محمد تيمور

وكانت مجالس احمد تيمور فى قصره القديم بدرب سعادة ثم فى قصره الجديد بعين شمس ، ندوات مفتوحة للعلماء والادباء والشعراء ، لا يكاد يخلو مجلسه منهم يوما ، ومعظمهم من ابناء الشعب الفقراء . وفى هذا الجو العائلى ولد وعاش محمدتيمور .

كان مولده فى عام ١٨٩٢ بالمنزل الكبير الذى بناه جده الاكبر بدرب سعادة . وتوفيت والدته وهو صغير فاحضر له ابوه مربية مصرية تولت تربيته تحت اشراف جدته ورعايتها .

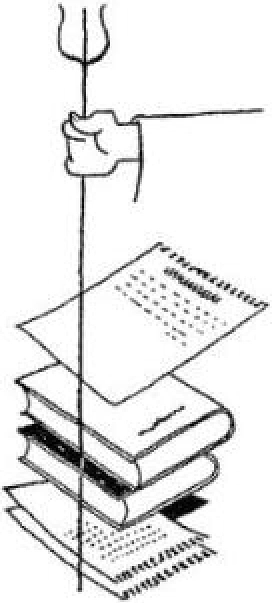
ودخل محمد تيمور المدرسة الخديوية ، والى جانب هذا التعليم الرسمى كان الوالد العالم الاديب يوجهه مع اخويه الى قراءة الادب والشعر .

وبدأ محمد تيمور ينظم الشعرمقلدا الشعراء القدماء ، ويلقى قصائده فى حفلات المدرسة ، ويقول اخوه محمود انه كان يلقيها فى حفلات التكريم للفرق الرياضية ، وفى مناسبات الوداع للمدرسين فى ختام العام الدراسى حتى لقبه الجميع بشاعر المدرسة الخديوية . ولم يكن نشاطه الادبى مقصورا على نظم الشعر ، فقد مارس الكتابة الادبية منذ صغره ، وتاقت نفسه لنشر ما يكتب ، فأصدر مع اخيه محمود مجلة منزلية كان يطبعها على « البالوظة » ، حتى اذا استوى عوده واستقام اسلوبه ، اخذ ينشر فى الصحف مقالاته الوطنية والاجتماعية .

الممثل الصغير

وقد شغف محمد تيمور بالتمثيل والمسرح واستبد به هذا الشغف منذ صباه حتى ملك عليه نفسه واصبح محور حياته كلها .

بدأ هذا الشغف منذ الليلة الاولى التى شهد فيها التمثيل على مسرح « اسكندر فرح » بشارع عبد العزيز حيث تقوم حاليا « سينما اوليمبيا » . كان ابوه يصحبه مع اخويه الى دار التمثيل ، فبهره ذلك العالم المسحور الذى يتحرك على خشبة المسرح ، وراح يقلد ما يسمع ويرى ، وينشىء مع اخيه « محمود » فرقة تمثيلية منزلية



على نحو ما رواه الأستاذ محمود تيمور في كتابه « طلائع المسرح العربي » اذ يقول :

« ومما اذكي هذا الميل في نفسي انا واخواي ، ان ابي احمد تيمور كان ولوعا بالمسرح ، لا يكاد يفلت مسرحية ، اطيب لياليه اليه هي التي يقضي سهرتها مشاهدا التمثيل .

« واذكر انه كان ممن يحجزون لأنفسهم مقصورة دائمة في مسرح اسكندر فرح بشارع عبد العزيز ، فله فيه ما يشبه الاشتراك ، ويبدو ان اختلافنا الى مسرح اسكندر فرح اجج بين جنوبنا الشغف بالمحاكاة والتقليد ، فشرعنا ننشيء فرقا منزلية ، ونؤلف لها مسرحيات ، ونتخذ من جنبات المنزل منصات للتمثيل بما توافر لنا من عدة وعتاد . ولطالما تصيدنا النظارة من اهل المنزل ، ومن اترابنا في الحي ومن اليهم ممن تصلنا بهم علائق الجوار . وظل مسرحنا المنزلي في هذه الحدود الضيقة حتى التحق بزمرتنا الفتى « زكي طليمات » الذي كان بفطرته الفنية الأصيلة محور التطور لذلك المسرح المنزلي الصغير ، فبفضله انتقل المسرح من الحجرات الداخلية الى الابهاء والردهات والحدائق حيث الطلاقة والهواء والنور » .

ومن طريف ما رواه محمود تيمور من ذكريات تلك الايام ان الفرقة كانت تمثل في احدى ليالي رمضان مسرحية « عايدة » ويقول تيمور :

ـ وبينما التمثيل يجري والموقف حماسي حار ، سمعنا صوت ابي يطلب احد الغلمان في شان من الشئون ، وكان ابي لا يدري من امر حفلتنا التمثيلية شيئا ، وكان الغلام في هذه اللحظة يمثل دور « عمو ناصر » والد عايدة في لحيته الكثة ووجهه المربد ، فما سمع الغلام صوت ابي يناديه حتى قفز من المنصة دون وعي مستجيبا للنداء ! فلما الفى في هيئته وشارته ادرك ابي على الفور ما كنا منهمكين فيه ، فصرف عنه البطل الممثل والد عايدة ليستكمل اداء دوره ، وانتحى هو ناحية من الدار يشرف منها ـ دون ان يراه احد ـ على تمثيلنا الصبياني الأنيس .

وهذه الحادثة الطريفة تدلنا على الجو العائلي الذي نشأ فيه تيمور

في مدينة النور والفن

عندما انتهى محمد تيمور من الدراسة الثانوية تطلعت نفسه الى السفر الى أوربا متمنيا أن يدرس الأدب والفن ، واستطاع أن يقنع أباه بالموافقة على سفره لدراسة الطب في برلين . ولكنه لم يطق هذه الدراسة فتحول عنها بعد شهرين الى باريس لدراسة الحقوق .

وفي باريس قسم محمد تيمور وقته وجهده شطرين ، أحدهما للدراسة الرسمية للحقوق ارضاء لأبيه ، والآخر للدراسة الحرة للأدب والفن اشباعا لميوله .

ويحدثنا شقيقه محمود تيمور عن أثر السنوات التي قضاها في فرنسا في تكوينه النفسي فيقول :

ـ ان البيئة التي عاش فيها ، بيئة الحرية والثورة الفكرية والعلم والنقد الصحيح ، قد أثرت فيه تأثيرا شديدا قامت على أثره في نفسه ثورة فكرية هائلة انتهت بذلك التطور الجديد الذي ظهر في كتاباته نثرا ونظما فيما بعد .. كان قلبه في ذلك الوقت يلتهب بنار الاصلاح للأدب والمسرح المصري، وكانت خطاباته مفعمة بآرائه وميوله في سبيل ذلك . تفتحت عيناه فرأى بعين غير عين أمس ذلك النقص الهائل في الأدب العربي والمسرح المصري ، فغير كثيرا من مذاهبه القديمة التي اقتنع بخطئها . وأهم فكرة اختمرت في رأسه ومازالت تكبر وتتسع ، فكرة « تمصير الآداب » أي أن تكون ذات صبغة مصرية وألوان محلية بحتة .

أما أفكاره وآراؤه في التمثيل فقد تطورت كتطور أفكاره في الأدب ، وازداد شغفه وميله اليه بعد أن رأى مكانة ذلك الفن في فرنسا ومقام القائمين به ممثلين كانوا أو مؤلفين، وأمل أن يرى في مصر عهدا جديدا للتمثيل ، فكان يطلب مني دائما أن أوافيه في خطاباتي بأنباء الحركة التمثيلية في مصر ، والروايات الجديدة ، فكنت أكتب له كثيرا عن



محمد تيمور

ذلك ، خاصة عن الحركة الاصلاحية التي قام بها جورج أبيض وانضم اليه فيها الممثلان الأديبان عبد الرحمن رشدي المحامي والكاتب الأديب فؤاد سليم ، فكان أعجابه بذلك شديدا » .

وبعد أن قضى محمد تيمور ثلاثة أعوام في فرنسا عاد الى مصر لقضاء الاجازة الصيفية كما تعود أن يفعل ، ثم لم يستطع العودة لاتمام دراسته بسبب قيام الحرب العالمية الأولى وانغلاق طرق المواصلات ، فبقي في

مصر ينتظر انتهاء الحرب التي طالت، وانصرف مضطرا عن اتمام الدراسة.

ولقد عاش محمد تيمور بعد عودته سبعة أعوام حافلة بالنشاط الأدبي والفني الذي جعل منه رائدا في اكثر من ميدان .

رائد القصة القصيرة

لم يكن محمد تيمور أول من حاول كتابة القصة القصيرة ، ولكن محاولات من سبقوه (١) ، لم تبلغ مابلغته قصصه من التكامل الفني للقصة بمفهومها الحديث . وقد تأثر فيها بالكاتب الفرنسي « جي دي موبيسان » ، أخذ عنه الشكل ، وصب فيه مضمونا مصريا طبقا لنزعته ودعوته الى التعبير عن واقع الحياة المصرية وخلق أدب مصري متحرر من التقليد » !

وكانت قصته القصيرة الاولى هي قصة « في القطار » التي نشرها في ٧ يونيو سنة ١٩١٧ بجريدة «السفور» وهي لا تحتوي على حادثة معينة ، وانما يقدم فيها للقارىء لوحة فنية تصور نماذج مختلفة لشخصيات من المجتمع جمع بينها ديوان في قطار .

وتتابعت بعد ذلك قصصه القصيرة اكثر نضجا من الناحية الفنية ، وكلها تتجه نحو الواقعية ، وتحاول تصوير البيئة المحلية بنماذجها الانسانية وما يسود فيها من عادات وتقاليد . ومما يلفت النظر في هذه القصص أن « محمد تيمور » سليل البيت التركي العريق ، وابن الأسرة الواسعة الثراء ، قد اتخذ في هذه القصص موقف الملتزم بالدفاع عن الفلاحين والطبقات الفقيرة والمحرومة ، ونقد العيوب الاجتماعية بأسلوب فني غير مباشر ، بل انه في اكثر من قصة ومسرحية هاجم بعنف وسخرية طغيان الحكام الأتراك والمماليك ، وانتصر للفلاحين والمواطنين من أبناء الشعب .

وقد عالج « محمد تيمور » كتابة القصة الطويلة ، فكتب رواية سماها « الشباب الضائع » ، ولكنه توفي قبل أن يتم كتابتها ، وقد نشرها شقيقه في مجموعة « وميض الروح » .

ومهما يكن الرأي في قيمة هذه القصص من الناحية الفنية ، فلا شك أن لمحمد تيمور فضل الريادة في لون من الأدب لم يكن مألوفا في الأدب العربي ، ومع ذلك فان بعض هذه القصص يقف على قدميه كأثر أدبي له قيمته ، ويثبت للنقد بأي ميزان عصري حديث .

والى جانب هذه القصص كتب محمد تيمور مقالات عديدة في الأدب والاجتماع ، وسجل خواطره عن الحياة ، ونشر مقطوعات وجدانية ، كما نشر مذكراته عن حياته في باريس ، وكلها تعتبر في مجموعها من النثر الفني الذي يشهد لصاحبه بالتمكن والاصالة .

تيمور الشاعر الغرامي

كانت المحاولات الاولى لمحمد تيمور للتعبير عن نفسه تتمثل فيما ينظمه

---

(١) محمد تيمور ـ حياته وأدبه للأستاذ عباس خضر .

من الشعر منذ صباه مقلدا فى أول أمره الشعراء الأقدمين ، ثم تطور هذا الشعر بعد عودته من فرنسا ، وأخذ ينظم ما يمكن أن نسميه بالشعر الدرامى • كان يؤلف مقطوعات شعرية فى شكل « مونولوج » و « ديالوج » ثم يقوم بالقائها أو بالأحرى بتمثيلها فى حفلات السمر بالنادى الأهلى وغيره ، مشبعا بذلك هوايته العارمة للتمثيل •

والواقع أن الشعر فى ذاته لم يكن الدافع له على نظم هذه المقطوعات ، ولكنه وقد استعصى عليه أن يعتلى المسرح ممثلا محترفا كما سنرى ، أراد أن يشبع هوايته بهذا اللون من التمثيل فى المناسبات العامة ، فنظم هذه المقطوعات التمثيلية الشعرية الطريفة ، التى كانت شيئا جديدا ، والتى يمكن اعتبارها من ارهاصات المسرح الشعرى الذى حمل لواءه شوقى بعد ذلك • ولم ينشر محمود تيمور من هذه المقطوعات سوى سبع فى الجزء الثانى من كتاب « مؤلفات محمد تيمور » وهى : ابن الوطن ، الزوج القاتل ، شاعر يتألم ، الوردة الذابلة ، الغنى والفقير ، القاتل وطيف المقتول ، العفو عند المقدرة •

كانت هذه المقطوعات تفيض بالرومانسية ، وتعبر عن التزام محمد تيمور ونهجه ، وقد شاعت واعجب بها الناس ، وحفظها الشباب وقاموا بتمثيلها فى حفلاتهم المدرسية •

والى جانب هذه المقطوعات التمثيلية الشعرية ، نظم محمد تيمور قصائد كثيرة ، وقد جمعها شقيقه فى الكتاب الاول من مجموعة مؤلفاته • ولكن الشعر لم يكن على كل حال من اهتمامات تيمور الأساسية ، ولعل شعره التمثيلى هو أجمل ما نظم من الشعر ، لانه يتصل بهوايته الكبرى التى كانت كما قلنا محور حياته كلها وهى المسرح والتمثيل •

تيمور والمسرح

شغف محمد تيمور بالمسرح منذ صباه ، وسافر الى فرنسا فتمكن منه هذا الشغف حتى استولى عليه تماما• وعاد الى مصر وقد نضج وعيه الفنى بما شاهد ودرس ، ولم يلبث أن اتصل بالوسط الفنى ، وتوثقت الصلة بينه وبين جورج أبيض وعبد الرحمن رشدى وغيرهما من نجوم المسرح •

« وفى تلك الأيام كان النادى الاهلى يقيم حفلات سمر يجمع فيها بين الأدب والطرب والتمثيل ، فما اسرع ما بزغ نجم محمد تيمور فى هذه الحفلات بقصائده التمثيلية التى كان يؤلفها ويشترك فى ادائها مع رفيقه داود عصمت » (١) •

كان محمد تيمور يلقى مقطوعات شعره التمثيلى فى حفلات النادى الاهلى ونادى الموسيقى ، ونادى موظفى الحكومة ، بطريقة تدل على مقدرته التمثيلية ، وعلى أنه يستطيع

---

(١) طلائع المسرح العربى لمحمود تيمور •

أن يؤكد وجوده كممثل ناجح لو اعتلى خشبة المسرح ·

وانضم تيمور الى « جمعية أنصار التمثيل » التي أسسها محمد عبد الرحيم ، وكانت الجمعية تعمل في اخراج مسرحية ، الممثل دافيد جرك ، فاكتفى تيمور بالمساعدة في اخراجها وتدريب الممثلين على اداء أدوارهم · ولكن هل يكتفي بذلك تيمور ؟

لقد كانت نفسه تضطرم شوقا الى اعتلاء خشبة المسرح ، واشباع رغبته العارمة في التمثيل · وثار في نفسه صراع رهيب بين هذه الرغبة وبين رغبته في ارضاء والده وأسرته · ان أباه لم يكن راضيا عن هذه الهواية · ومهما بلغ تسامح أبيه وسعة أفقه



محمد تيمور

وحبه للأدب والفن ، فان هذا كله لا يصل الى حد أن يسمح لابنه بالاشتغال بالتمثيل الذي كانت تنظر اليه الطبقات المتوسطة العادية ــ بله العريقة الراقية ــ نظرة استخفاف ومهانة · انها قد تذهب الى المسارح للمشاهدة والترفيه ، كما يشاهد الانسان المحترم السيرك وألعاب الحواة ومروضي القرود ، ولكن أن يحترف أحد أفرادها هذه الأعمال ، فأمر شائن يجلب المهانة والعار ·

وكان محمد تيمور يدرك هذا كله وان كان لا يؤمن به · لقد رأى في فرنسا المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها كبار فناني المسرح ، ورأى في مصر نفسها كيف خرج عبد الرحمن رشدي على تقاليد مجتمعه ، فخلع روب المحاماة ليرتدي ملابس التمثيل ويعمل ممثلا محترفا في فرقة جورج أبيض · ولكن هل يقوى هو على تحطيم قلب أبيه الذي يحبه ويحترمه ، والذي لم ير منه الا الحب والعطف والايثار ؟

لقد كان هذا التمزق النفسي قمة المأساة في حياة محمد تيمور · ويقول زكي طليمات في هذا الصدد :

ــ لا أقدر ·· كان جوابه لكل معجب به أو صديق يصارحه أمنية بأن يراه زعيما لفرقة مسرحية ، فاذا ألح هذا الصديق مثيرا كوامنه بلوم على احجامه لم يكن ليقول أكثر من هذه الجملة ، ماذا أفعل ؟ ·· ان أبي لا يريد ذلك ، · هذه الجملة المقتضبة المنبثة عن نفسيته قد تراها غريبة الضعف ، كانت تخرج من فيه بنغمة رائعة يفوح منها أرج التضحية في سبيل الطاعة الوالدية ، بينما يلبس وجهه بسمة باهتة ، ثم يجمد بصره برهة ، ثم يعود الى حديث جديد » ·

واختار محمد تيمور في النهاية طريقا وسطا ، فلم يكون فرقة بزعامته ، ولم ينضم الى احدى الفرق القائمة ، ولكنه وافق على اعتلاء خشبة المسرح في المسرحيات التي تقدمها جمعية أنصار التمثيل · انها جمعية من الهواة لا تقدم الا حفلات معدودة في العام ، فهو بذلك لا يحترف التمثيل ولا يغضب أباه ، ويستطيع أن يشبع الهواية التي تأكل صدره ·

وهكذا مثل تيمور دور البطولة في مسرحية « عزة بنت الخليفة » التي كتبها ابراهيم رمزي وقدمتها جمعية أنصار التمثيل ·

ونجح محمد تيمور في دور الأمير سيف الدين نجاحا كان حديث الناس ، فقد أثبت مقدرته كممثل وهبته الطبيعة كل ما يحتاج اليه ممثل أدوار « الفتى الأول » من وسامة ورشاقة وصوت

معبر ، فضلا عن براعة الاداء وروعة الالقاء ·

من المسرح الى قصر السلطان

بعد شهر من تقديم جمعية انصار التمثيل لمسرحية « عزة بنت الخليفة » اعادت تمثيلها على مسرح الاوبرا فى حفلة خيرية اقامتها الجمعية الخيرية الاسلامية تحت رعاية السلطان حسين كامل الذى حضر الحفل وشاهد تمثيل المسرحية · واعجب السلطان حسين بمحمد تيمور وامر بتعيينه امينا بديوانه بالقصر ·



محمد تيمور

وان الانسان ليتساءل عن الدافع الحقيقى الذى حمل السلطان حسين على تعيين محمد تيمور فى هذه الوظيفة ذات الحساسية بالقصر ·

هل هو مجرد الاعجاب بالشاب اللامع الذى رآه على المسرح ؟ ان السلطان قد علم بغير شك أن هذا الشاب هو ابن « أحمد تيمور » الذى كان من اصدقائه · وقد اخبرنى الأستاذ محمود تيمور ان السلطان حسين استدعى والده لمقابلته بعد حفلة الجمعية الخيرية ، وأن تعيين أخيه محمد بالقصر قد تم بعد هذه المقابلة·

ترى ماذا جرى من حديث فى تلك المقابلة ؟·

الا يجوز أن يكون السلطان قد اراد ان يعصم محمد تيمور من الاندفاع مع هوايتــه التى قد تؤدى به الى احتراف التمثيل ، وانه كان متفاهما فى ذلك مع ابيه ؟

مهما يكن من الامر فان محمد تيمور قد اعتزل التمثيل المسرحى بعد ان تسلم عمله بالقصر ، فلم يكن معقولا فى ذلك الوقت أن يظهر أمين السلطان على المسرح !··

واتجه محمد تيمور فى تلك الفترة الى الكتابة الادبية ، فنشر قصصه القصيرة ومقالاته الاجتماعية ·

وبعد عام واحد من عمله بالقصر توفى السلطان حسين وخلفه السلطان احمد فؤاد ، فقدم محمد تيمور استقالته وتحرر من القيود الرسمية ، واسترد حريته مرة اخرى ·

ولكنه مع ذلك لم يعد للتمثيل على خشبة المسرح ·

تيمور المؤلف والناقد

تحول محمد تيمور الى التأليف للمسرح الذى لم يكن يستطيع الابتعاد عنه ، فكتب مسرحيته الاولى « العصفور فى القفص » واهداها الى فرقة عبد الرحمن رشدى » ، وكانت تدور حول الاسلوب الخاطىء فى تربية الابناء فى الجيل الماضى ، وما يتسبب عن ذلك من سوء العلاقة بين الابن وأبيه ·

كان تيمور يحاول تمصير المسرح بتقديم مسرحيات تعالج مشاكل المجتمع المصرى ، وتصور عيوبه ، وقد كتب يقول فى ذلك :

– والآن نريد ان نبحث عن أسباب تدهور التمثيل الفني ، وأول هذه الاسباب تهافت جوقاتنا الفنية على تمثيل الروايات المترجمة التي لا يفهمها الشعب المصرى ، ولا يرى فيها شيئا من اخلاقه وعاداته . ليس التمثيل هو ان نقدم للجمهور روايات اجنبية قيمة محبوكة السبك ، ولكن التمثيل هو ان نقدم للجمهور روايات تبحث في شئونه العصرية ليأخذ منها درسا يستفيد منه » .

وقد حققت مسرحية محمد تيمور الاولى بعض النجاح ، ولكنها لم تثبت لمنافسة الفرق المسرحية الاخرى ، فرق « كشكش بيه » والكسار وغيرهما ، التي كانت تقدم للجمهور ما يشتهيه من الروايات الاستعراضية الغنائية التي تتملق غرائزه وترفه عنه في سنوات الحرب العالمية الاولى .

وشعر تيمور بخيبة آماله في النهوض بالمسرح ، وادرك ان سبب فشل مسرحيته الجادة هو انصراف الجمهور الى المسرحيات التافهة المسفة التي افسدت ذوقه ، فتحول الى النقد ، وبدأ يكتب المقالات في نقد المسرح والمثلين ويهاجم ما يقدمونه للناس من تفاهة واسفاف ليس له صلة بالفن الصحيح .

في تلك الايام كتب تيمور مقالاته عن « التمثيل الفني واللافني » شرح فيها من وجهة نظره انواع المسرحيات وقسمها الى مسرحيات فنية واخرى غير فنية ، وحدد فيها اسباب نجاح النوع الاخير من الروايات .

وكتب نقدا مباشرا لنجوم المسرح ، حاول فيه ان يضع تقييما فنيا لهم . وتناول فيه سلامة حجازى وجورج ابيض وعكاشة وعزيز عيد وروز اليوسف وعبد العزيز خليل وغيرهم . وكانت له في هذه المقالات آراء قيمة ونظرات نفاذة ، ونذكر هنا بعض ما قاله عن كبار المثلين :

قال عن الريحاني :

– ممثل كبير تدخره الاقدار للكوميديا الاجتماعية .

ولو امتد العمر بتيمور لرأى كيف تحققت نظرته الى الريحاني ، وكيف تحول في عهده الاخير الى الكوميديا الاجتماعية الراقية .

وقال عن جورج ابيض :

– ممثل التراجيديا العملاق لولا كسله واهماله .

وعن سلامة حجازى :

– جاهل بالتمثيل ساحر بالصوت .

وعن عزيز عيد :

– اكثر المثلين كفاءة واتعسهم حظا .

وعن منيرة المهدية :

– ذات الصوت العذب ذى البحة الجميلة . وجهلها بالتمثيل لا يعوقها عن الوصول ان اجتهدت لما لها من جسم وروح يؤهلانها للتمثيل الجيد .

وعن آل عكاشة :

– ان جهلهم المطبق بالتمثيل وصوتهم النشاز يعوضهما سياستهم الناعمة وظرفهم مع الجمهور ! . .

ثم كتب تيمور عدة مقالات في نقد مؤلفي المسرح بطريقة مبتكرة ، ذلك انه جعل نقده في صورة محاكمات . ولعله اقتبس هذه الفكرة من « ارستوفان » الذى حاكم شعراء التراجيديا اليونانية القديمة في مسرحية « الضفادع » .

والواقع ان هذه المحاكمات كانت من امتع ما كتبه تيمور في النقد ، وكانت تكشف بذكاء عن مقدرته على تصوير الشخصيات بسماتها وملامحها النفسية .

***

لم يستطع محمد تيمور ان يهجر التأليف المسرحي بعد خيبة امله في مسرحيته الاولى ، فعاد الى تأليف المسرحيات ، وكتب مسرحيته الثانية « عبد الستار افندى » التي مثلتها فرقة منيرة المهدية واشترك فيها عزيز عيد . ولكن حظ مسرحيته الثانية لم يكن خيرا من الاولى ، لانها كانت

خالية من غناء منيرة المهدية التى يذهب الجمهور الى فرقتها لسماعه ·

وبعد هذه التجربة الثانية قرر محمد تيمور أن يقدم على خطوة رأى أنها توفق بين أهدافه وبين ما يريده الجمهور الذى يقبل على كشكش بيه وأمثاله · وكانت فكرته أنه لكى يرفع الجمهور الى المستوى الذى يريده ، يجب أن يلتقى معه فى منتصف الطريق ·· لقد أدرك أنه لا يستطيع أن يقاوم وحده أصحاب الفرق الهزلية التى تملقت غرائز الجمهور وأفسدت ذوقه، فلماذا لا يتعاون معهم ماداموا يسيطرون على أحاسيس الجماهير · وكتب يقول :



محمد

تيمور

ـ لقد عرفوا الجمهور وكونوا لهم من وراء اقباله ثروة عظيمة · وليس فى طوقى أن أقف فى وجوههم وأغلق بيدى باب مكاسبهم · ولكن أريد أن أقتدى معهم الى وسيلة تحول بهـا ميل الجمهور من الفوضى التمثيلية الحاضرة الى شبه الفن ، ثم من شبه الفن الى الفن الصحيح · أريد أن نستدرج الجمهور حتى نصل به الى غايتنا المنشودة ، اذ من العبث مصادمة تياره الجارف ، وان فعلنا ذلك أصابنا الفشل ، وفى ذلك القضاء على فن من الفنون نود من صميم قلوبنا أن تزدهر فى بلادنا حدائقه وتينع زهوره ·· ·

وهكذا اتجه تيمور الى نجيب الريحانى ، الذى طالما نقده ، واتفق معه على أن يكتب له مسرحية من نوع الاوبريت ، تجمع بين الفكاهة والغناء، دون أن يكون فيها مكان للاسفاف والابتذال ·

وهكذا اقتبس تيمور عن المسرحية الفرنسية « ذو اللحية الزرقاء » روايته الشهيرة « العشرة الطيبة » واختار لها عصر حكم المماليك فى مصر ، فسخر من جهلهم وطغيانهم مما أثار عليه سخط من ينتمون الى الاتراك · وقد كتب بديع خيرى أزجالها ولحنها سيد درويش فلقيت نجاحا طيبا ·

وفى هذا الوقت انشئت فرقة ترقية التمثيل بزعامة أولاد عكاشة ومعاونة طلعت حرب الذى بنى للفرقة مسرح حديقة الازبكية ، فانتعشت من جديد آمال محمد تيمور بعد أن أعلنت الفرقة أن هدفها ترقية التمثيل والنهوض به ، فكتب لها مسرحيته الرابعة « الهاوية » · وهى مسرحية جادة تعالج مشكلة انتشار ادمان « الكوكايين » فى ذلك الوقت وبخاصة بين شباب طبقة الذوات ·

وعندما بدأت الفرقة اجراء التجارب على المسرحية ، مرض محمد تيمور باليرقان ولزم فراشه ، فكان الممثلون يزورونه ويقرأون عليه أدوارهم فيمدهم بملاحظاته وتوجيهاته ·

كان يعيش مع المسرح حتى لحظاته الاخيرة ، ولم يكن يدرى أن القدر لن يتيح له أن يشاهد الستار يرفع عن مسرحيته ، لانه عندما رفع الستار عن « الهاوية » ، كان الموت قد أسدل الستار على حياته ·

وكان النجم الهاوى فى التاسعة والعشرين من عمره ···

مسابقة القصة القصيرة

اعلن نادى القصة « ٦٨ شارع قصر العينى بالقـــاهرة » عن مسابقته السنوية فى القصة القصيرة . وجوائزها :

٦٠ جنيها مع ميدالية ذهبية للفائز الاول

٣٠ جنيها للثانى

٢٠ جنيها للثالث

وكل قصة من السبع التالية : خمسة جنيهات

وباب الاشتراك مفتوح الى آخر يونية

ويشترط الا تزيد القصة على ٣٠٠٠ كلمة ، والا تكون منشورة من قبل ، وان تكون مكتوبة على الالة الكاتبة من ٣ نسخ ويجوز للمتسابق ان يقدم اكثر من قصة

ورسم الاشتراك ٣٠ قرشا مصريا او ما يعادلها ، تدفع عند استلام استمارة الاشتراك فى المسابقة ، أو ترسل بالبريد باسم : سكرتير عام نادى القصة ٦٨ شارع قصر العينى – القاهرة

عبد العزيز الدسوقى

حركة الاقتباس

منذ مطالع القرن التاسع عشر بدأ العقـــل العربى فى مصر يحتك بالحضـــارة الاوربية ، وظل هذا اللقاء الحضارى الجديد ينمو ويتطور عبر القرنين الأخيرين ، حتى أسهم فى هـــذه النهضة الحديثة فى كل المجالات الادبيةوالعلمية.
ولقد كان للمبعوثين المصريين ، الذين عايشـوا تلك الحضارة ـ فكرا وسلوكا وطريقة حياة ـ اثر كبير فى اذكاء تلك النهضة العربية المعاصرة، فبعد ان عادوا الى البلاد من بعثاتهم ، نقلوا الى اللغة ثمار الحضارة الغربيـــة والادب الاوربى ٠
وأثروا بسلوكهم ومناهجهم التى الفوهـــا فى طريقة الحياة والسلوك والتفكير ٠


احمد لطفى السيد


مصطفى لطفى المنفلوطى

والترجمة في القصة الحديثة

في هذه الدراسة السريعة ، سأحاول أن أحدد معالم هذا اللقاء الحضاري في مجال واحد هو مجال القصة ، أو بمعنى أدق سأتناول ، حركة الترجمة والاقتباس والتمصير ، في القصة الحديثة ٠

ولن أستخدم ، مصطلح القصة ، هنا بمعنــــاه الدقيق ، بل سأتجوز في الاستعمال ليشمل الأقصوصة والرواية والمسرحية ٠ فليس الهدف دراسة هذه الانواع الادبية دراسة نقدية تحليلية ، وانمـــا الغرض الاساسي من هـــذه الدراسة ، القاء الاضواء على الحركة الكبيرة من الاقتباس والتمصيروالترجمة الى العربية في مجال القصة ، لان هذه الحركة كانت من أهم العوامل في نشأة القصة العربيـــة في مصر ونموهـــا وتطورها ٠

بدايات التمصير

والموضوع واسع الجنبات ، متشعب المسالك ٠ ولايزال في حاجة اليدراسات متخصصة كثيرة ، تتنـــاول موضوع الترجمة على حدة ، لا ضمن الدراسات التي تتناول الموضوعات الادبية ، وليس يكفي ما صدر حتى الآن حول هـــذا



رفاعه رافع الطهطاوى



احمد حسن الزيات

الموضوع (١) مادمنا نريد أن نلاحق التيارات الأدبية والفكرية · التي تصطرع في عالمنا المعاصر · ولهذا سأحاول أن أقسم هذا الموضوع ، من باب التحديد فقط وتيسير الدراسة ، الى أربعة أقسام ، بداية وثلاثة تيارات ... وسنقف في البداية عند علمين من الرواد هما رفاعة الطهطاوي ، ومحمد عثمان جلال ·

الطهطاوي

إما رفاعة الطهطاوي فرائد من أكبر رواد الفكر العربي في مصر · وهو أول رائد من رواد الترجمة الى العربية في مختلف المجالات · وهو الذي أسهم في انشاء مدرسة الألسن التي قادت أكبر حركة للترجمة في مجالات الادارة والطب والهندسة والتاريخ والأدب والعلوم العسكرية · وقد أسهم « رفاعة » شخصيا في ترجمة كثير من كتب الطب والهندسة والادارة والتاريخ والجغرافيا

وقائع « تليماك »

وفي مرحلة من مراحل حياته نفاه « عباس » الى السودان ، وكانت فترة قاسية على نفسه ، أحس فيها بالتمزق والوحدة والضياع فأخذ يشغل نفسه بترجمة رواية الكاتب الفرنسي «فينلون» : « وقائع تليماك » وسماها : « مواقع الأفلاك في وقائع تليماك » · والرواية من منتجات الأدب الفرنسي في القرن السابع عشر حاكى فيها « فينلون » الأدب اليوناني وصور مغامرات « أوديسيوس » و « تليماك » كما فعل هوميروس في ملحمته الكبرى · ونقل الى الفرنسية جو الأساطير اليونانية الذي تختلط فيه الأشباح وتتصارع الآلهة ، في صورة بشرية ، صراعا ضاريا ·

وقد اتخذ رفاعة من مادة الرواية اطارا صب فيه أشواق نفسه وأحداث حياته · ونثر خلالها رؤيته الحضارية· وهاجم استبداد الحكام · ودعا الرعية الى الاتحاد والتماسك · لذلك لم يجيء عمله ترجمة للرواية بالمعنى الدقيق بل كانت أقرب الى التمصير فقد حور الطهطاوي ، أسماء الأعلام واستبدل بالصفات الفرنسية صفات مستمدة من القصص الشعبي لا سيما من ألف ليلة · ومن الاصطلاحات اللغوية في التراث القومي كله بما فيها القرآن الكريم (٢)،

---

(١) هناك ثلاث دراسات تناولت هذا الموضوع وقد اتيح لي أن أطلع عليها وهي على الترتيب :

● حركة الترجمة الادبية في مصر من تاليف جاك تاجر « ١٩٤٦ »

● أثر الحضارة الغربية في الفكر المصرى الحديث (رسالة ماجستير) لمحمد الطيب حسن

● حركة الترجمة الادبية في مصر « ١٨٨٢ ـ ١٩٢٥ » رسالة دكتوراه ـ للدكتورة لطيفة الزيات

(٢) دكتور محمود شوكت ـ الفن القصصي في الأدب العربي الحديث ص٤٩



محمد السباعي .. اول من اصدر مجلة سماها « الرسالة »..

على أن الطهطاوى كان يعرف أنه يصدم الذوق الأدبى حينذاك · فهذا الجو الوثنى المشحون بالخوارق · وصراع الهة اليونان كان لا يمكن تقبله بسهولة ولهذا كتب فى مقدمة ترجمته تبريرا يقول فيه « أن تعريب تليماك بكل ما فى حماك · او ليس أنه مشتمل على الحكايات النفائس ، وفى ممالك أوربا وغيرها عليه مدار التعليم فى المكاتب والمدارس ، فانه دون كل كتاب ، مشحون بأركان الآداب (١) » ·

ولعل هذا التبرير هو الذى جعل الباحثين (٢) يظنون أن الطهطاوى ترجم هذه الرواية لهدف تعليمى · ومع أن أى عمل فنى قادر على الايحاء والتأثير والتعليم ، الا أننى أعتقد أن رفاعة الطهطاوى كان يلتمس فى هذا الاثر الفنى شفاء نفسه والتعبير عن وجدانه وأحزانه الخاصة ، فالهدف اذن من تمصير هذه الرواية ، كان هدفا نفسيا وفنيا ·

وأسلوب الترجمة مسجوع على طريقة ذلك الزمان · يقول رفاعة « عوليس (٣) أحد شجعان سالف الازمان وملوك اليونان ، الذى اشترك فى حصار طروادة ولم يقدر له الرجوع لوطنه · وخرج ابنه تليماك للبحث عنه فى صحبة الحكيم اليونانى (منظور) · فيجرى ما يجرى له من الحوادث ، مما كانت غرابتها باعثة للحبر النحرير «فينلون» الفرنساوى الشهير ، على نظمها فى سلك الاختراعات ، وادخالها فى مضمار المبتدعات · وتفصيلها الى مقالات » ·

وقد التقى « تليماك » بعد مغامرات مضنية فى صحبة الحكيم اليونانى « منظور » بوالده وعاد الجميع الى بلادهم والتقوا بأحبابهم ثم تحول « منظور » بعد ذلك الى صورته الالهية ·

وليس من شك فى أن هذه الترجمة تعتبر الريادة الحقيقية لحركة الترجمة فى الرواية ، على الرغم مما شابها من قصور واستطراد وعدم تقيد بالأصل ·

محمد عثمان جلال (١٨٢٨ـ١٨٩٨)

وفى مرحلة البدايات تبرز موهبة محمد عثمان جلال · فقد قام بتمصير عدد من الروايات والمسرحيات ··· ترجم « بول وفرجيني » عن « برناردين سان بيير » وسماها « الأمانى والمنة فى حديث قبول ووردة جنة » ·

ونقل خرافات « لافونتين » بالشعر العامى وسماها « العيون اليواقظ فى الأمثال والحكم والمواعظ » وهى ترجمات تتسم بالذكاء وخفة الظل يستخدم فيها

(١) مواقع الافلاك (٢) دكتور عبدالمحسن طه بدر ـ تطور الرواية العربية الحديثة سنة ١٩٦٣ ·
(٣) مواقع الافلاك وراجع تطور الرواية العربية ·

كل طاقة اللغة العامية وحلاوتها وقدرتها على الايحاء ، ويستخدم فيها الامثال العامية الاليفة · فمثلا يقول :

قانما تاخـــذ من سماطي
ما تاخذ الريح من البـــلاط

ويقول :

صدقني حاجة ما تهمـــك
وص عليهـــــا جوز امك

كما ترجم عن (موليير) « الاربع روايات في نخب التياترات » ومن بينها « النساء العالمات » ومسرحية « ترتوف » التي اطلق عليها « الشيخ متلوف » · وترجم بعض مسرحيـــــات (راسين) وسماها « الروايات المفيــــدة في علم التراجيدة » وكتب لها مقدمة يقول فيها : « ان من الروايات الجارى تمثيلها في اوربــا ، مايسمى بالتراجيــدة ، وهي عبارة عن وقائع اما حربية واما عشقية وقد اشتهر في فرنســـا رجل يسمى « راسين » وكان في عهد لويس الرابع عشر ، فاخترت من كتابته ثلاث روايات وهي اشبه بالفرج بعد الشدة · وبلوغ الامل بعد مدة » وترجمات محمد عثمان جلال على ـ ريادتها ـ اقرب الى التمصير منها الى الترجمة الدقيقة ·

حركة الاقتباس والترجمة

بعد ذلك تطورت الترجمة ودخـــل الميدان فرسان كثيرون ولا يمـــكن أن نستقصي ـ في هذه الدراسة السريعة ـ كل فرسان هذه الحركة · ولذلك سنقف عند ثلاثة تيارات تعطى صورة سريعة لحركة الترجمة في مطلع هذا القرن وهي التيار التجارى · والتيار الرومانسي · والتيار الموضوعي ·

« ١ »

التيار التجارى

وهو تيار كان يهـــدف الى الكسب والترفيه عن القارىء وتسليته بترجمة مجمـــوعة مـــن القصص والروايات والمسرحيات المثيرة ، أو قصص الحب وقد قاد هذا التيار في الأعم الأغلب مجموعة من الاخوة العرب الذين هاجروا من الشام الى مصر وانشأوا الصحافة· واستعانوا بترجمة القصص والروايات لترويج صحفهم وضمان ربط القارىء بهم ···

ولذلك تحول هـــذا التيار الى سيل جارف من الترجمات الرديئة غير الامينة في الغالب ، واقبل القراء على هـــذا الغـــذاء المثير فظهرت مجلات كثيـــرة للقصة مثل « المسامرات الاسبوعية » (١٩٠٩) و « مســـامرات الملوك » (١٩١٢) ، و « منتخبات الروايات » وسلسلة الروايات لبشير الحلبي وقد احتشد هـــذا التيار بالترجمات عن الفرنسية والانجليزية ·

ومن اعلام هذا التيار نقولا رزق الله، وطانيوس عبده ، ونجيب الحـــداد ، وبشارة شـــديد ، ويعقوب صروف ، وأسعد داغر ، والياس فياض ، وأمين حداد ، وشبلي شميل ، وخليل بيدس وغيرهم وغيرهم ولم يكن لهذا التيار اية قيمة أدبية على الرغم من ذيوعه واقبال الناس عليه · فقد ظل محدود القيمة ضعيف الأثر ·

أما التيار الذى أحدث أثرا كبيـرا فهو التيار الرومانسي ·

« ٢ »

التيار الرومانسي

وهو تيار وجداني ساعدت على قيامه ظروف الحياة السياسية والاجتماعية في أوائل القرن العشرين وما بعدها فقد كانت الفترة التي انقضت على فشل الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي قد طالت، وخيم على النفوس والقلوب والعقول جو كئيب مظلم يائس ، واتسعت الفجوة بين الواقع والاحلام فسقط شباب الجيل الجديد في هذه الهوة الفاغرة ٠ وراحوا يتوجعون ويتألمون ويلتمسون العزاء في أحضان الطبيعة أو في ظلال الماضي أو في عالم الحب ، أو في ارسال قطرات الدموع ، واصطبغ كل شيء بهذه الصبغةالوجدانية الرومانسية ٠

واستجاب الأدب لهذه الحالة العارمة وتأثر بها ، وكان من الطبيعي أن يذيع وينتشر تيار وجداني في الترجمة ٠٠٠ ولقد قاد هذا التيار مصطفى لطفي المنفلوطي (١) بحق وأثر تأثيرا عميقا في شباب الأدباء في مطلع هذا القرن



طانيوس عبده

على الرغم من أنه كان لا يحسن لغة أجنبية ، وكان يستعين ببعض المترجمين الذين يترجمون له الآثار الاوربيةترجمة حرفية ، ثم يعيد هو خلقها وصياغتها من جديد ٠ وقد نقل عن الأدب الفرنسي مجموعة من الاقاصيص والروايات ، كلها تسبح في هذا الجو الوجداني الدامع الحزين ٠ وعبر عما يجيش في نفوس الشباب من أشواق وأحزان وآلام، وكانت ترجماته وكتاباته بمثابة قطرات من الدمع يسكبها بين أيدي القراء ٠

وفي مقدمة كتابه « العبرات » يصور ذلك بقوله « الاشقياء في الدنيا كثير ، وليس في استطاعة بائس مثلي أن يمحو شيئا منبؤسهم وشقائهم ، فلا أقل من أن أسكب بين أيديهم هذه العبرات علهم يجدون في بكائي تعزية وسلوى »٠

ومن أهم الترجمات التي نقلها المنفلوطي عن اللغة الفرنسية « بول وفرجيني – الفضيلة » عن « برناردين سان بيير » و « ماجدولين » أو تحت ظلال الزيزفون عن « ألفونس كار » ، و « في سبيل التاج » وهي صورة للبطولة الرومانسية وأهداها الى « سعد زغلول » وليس عجبا أن يلهب « المنفلوطي » بهذه الترجمات خيال الشباب ٠ ويثير أحلامهم ، ويشعل في نفوسهم الحنين الى ارتياد هذه العوالم الوجدانية الرفافة والاجواء الغامضة الشجية التي يسبح فيها أبطال مترجماته ٠ وأحدث أثرا كبيرا ، وتأثرت به مدرسة في الترجمة حذت حذوه في النقل عن التراث الرومانسي في الآداب الاوربية ، وغلب هذا التيار الوجداني في مطلع القرن العشرين وعلى ما عداه ، ونقلوا مجموعة من أكبر الاعمال الروائية والقصصية في الادبين الفرنسي والانجليزي بصفة خاصة وغيرهما من الآداب بصفة عامة ٠

ومن أبرز رواد هذا التيار بعد المنفلوطي :

---

(١) ملامح القصة في مصر – عبد العزيز الدسوقي ص ٥٩

حركة الاقتباس والترجمة

حافظ ابراهيم الذى ترجم « البؤساء » عن « فيكتور هوجو » واحمد حسن الزيات الذى ترجم « آلام فرتر » عن « جوته » ، و « رفائيل » عن « لامرتين » وحسن صادق ، ومن مترجماته « ادولف » عن « بنجامان كونستان » ، وعلى ادهم وترجم « رينيه » عن « شاتوبريان » ، وفليكس فارس ، وترجم « اعترافات فتى العصر » عن « الفريد دى موسيه » ، واحمد الصاوى محمد وترجم « الزنبقة الحمراء » ، ومحمد عوض محمد وترجم « فاوست » عن « جيته » ، وفخرى ابو السعود وترجم « نس سليلة دربرفيل » عن « توماس هاردى » ، واحمد زكى وترجم « غادة الكاميليا » ·

وقد كانت هذه الترجمات جميعا صورا ادبية مشرقة من حيث جمال الترجمة وجاذبية الاسلوب العربى ، ورشاقته · وكانوا جميعا يحسنون اللغة التى ينقلون عنها ويجيدون اللغة التى ينقلون اليها ، ولهذا جاءت كل ترجماتهم ـ رغم دقتها وتقيدها بالاصل (١) ـ جميلة رائعة وكأنها كتبت أصلا باللغة العربية ، وهذا هو سر تأثير هذا التيار فى أجيال عديدة من الادباء ، بالاضافة الى المضمون الوجدانى الذى كان يصدر عنه ، والذى وجد فيه الشباب ريا لعطشهم الروحى ، وملاذا من هجير الحياة ·

وكان هؤلاء المترجمون من كبار الادباء الذين يدركون عبقرية اللغة ويعرفون مدى ما تحدث ظلال الالفاظ من شحنات شعورية وايحاءات فنية ، فاذا اجتمع لهم هذا الاحساس والذوق الفنى وتوافرت لهم أدوات الترجمة علمنا اى قيمة كبرى لهذا التيار الرومانسى المرهف ·

على أن أهم سبب من أسباب ذيوع هذا التيار وانتشاره هو هذا المضمون الوجدانى المرهف الذى عبر عن « مرض العصر » الذى كان قد استحكم فى نفوس الشباب ·

ويحدثنا المرحوم الزيات فى مقدمة ترجمته لرواية « رفائيل » عن بواعث هذا التيار الرومانسى ، ويشخص الداء فى حرارة قائلا « تسألنى لماذا ترجمت فرتر ··· عن هذا السؤال حديث · والحديث غدا سيكون قصة · وليس يعنيك اليوم الا ما نجم عنها ·· قال جيته يوما لصديقه اكرمان : ··· كل امرىء يأتى عليه حين من دهره يظن فيه أن فرتر انما كتبت له خاصة · وأنا فى سنة ١٩١٩ كنت أجتاز هذا الحين · شباب طرير حصره الحياء والانقباض والدرس ونمط التربية وطبيعة المجتمع، فى حس مشبوب ، يتوقد شعورا بالجمال ، وقلب رغيب يتحرق ظما الى الحب ، ونوازع طماحة ما تنفك تجيش ، وعواطف سيالة ما تكاد تتماسك · فالطبيعة فى خيالى شعر · وحركات الدهر نغم وقواعد الحياة فلسفة · وكان فهمى لكل شىء وحكمى على كل شخص، يصدران عن منطق · المعد أقيسته الخيال · وزور نتائجه المثل الاعلى ، ··· قرأت هيلويز الجديدة » ، و « رينيه »

(١) راجع « جاك تاجر ـ حركة الترجمة الادبية فى مصر ومحمود شوكت ـ الفن القصصى سنة ١٩٥٦ ·

و « أتالا » و « أدولف » و « دمينيك » و « ماريون دلورم » و « مانون ليسكو » و « ذات الكاميليا » و « جرازيلا » و « رفائيل » و « جان دكريف » · رتوثقت بأشخاصهم صلاتى ، وتمثلت فى نهايتهم الحزنة نهايتى ، ولكنهم كانوا جميعا غيرى ، نتفق فى الوضوع ونفترق فى الوضع ··· فلما قرأت آلام فرتر ، سمعت نواحا فى ذلك النواح · ورأيت روحا غير هاتيك الارواح واحسست حالا غير تلك الحال ، فنبت فى « جبيته » وقادنى الهامه وروحه · واهبت بلغة القرآن والوحى أن تتسع لهذه النفحات القدسية ، فاسعفتنى ببيانها الذى يتجدد على الدهر ، ويزهو على القرون ··· ثم أصبح « فرتر » بعد ذلك لنفسى صلاة حب · وتشيد عزاء ورقية هم » ·

واذا كانت طبيعة الزيات المثالية الحالمة قد وجدت عزاءها فى « رفائيل » الحالم و « فرتر » الخيالى المعذب الباكى فان « فليكس فارس » قد عالج التمزق واليأس والضياع بنقل اعترافات موسيه ، وفيها الكثير من خطايا الشباب وقلقه وتمزقه بين طموحه وداء العصر ، وقد كتب فى مقدمة ترجمة تلك الاعترافات يقول « وقفت الطليعة الاولى من فتيان القرن العشرين فى الاقطار العربية ، تستشرف غدها ، حائرة بين تذكاراتها وآمالها ··· واذا بزعازع السياسة تهب دافعة بالاقلام الى معاركها محولة لها عن الاصلاح الاجتماعى ، الى ان اجتاحت الدنيا كارثة الحرب العظمى (١) ، تزيد داء العصر استفحالا فى هذه البلاد ككل بلاد ضرب حولها نطاق النار والدم مكرهة او مختارة ، ربما انقشع عثير الروع ملقيا بياضه على لم الطليعة الاولى ، حتى بدا فتيان الكتيبة الثانية يقتحمون الحياة ، وفى كل موطن من بلادهم ، رجة لم تستقم لهم معها طريق · وفى كل أفق من آفاقهم لمعات بروق وحالكات غيوم ··· ان شبيبتنا اليوم تعانى داء روح الغرب فى أوائل القرن التاسع عشر ، وهو لما يزل يقوض فى أساس مجتمعاته ·· غير أنه استحال هناك الى علة مزمنة أدمنتها الشعور ··· أما هنا فداء العصر لم يزل يراود تفكير الشبيبة وعواطفها مراودة لا تستسلم لها القلوب والعقول ، فان شمس هذى السماء لم تشرق يوما على جيل جحد ربه وقتل صبابة حبه ، بالقضاء على غيرته المقدسة ···

ويقينى أن كل فتى يقذف به تيار التقليد الى هذه الحياة التى يصفها « موسيه » فى اعترافاته ، تجتاحه نوب من صراع الحقيقة مع الباطل فى أعماق سريرته ، لذلك أكملت نقل الاعترافات الى العربية لاهديها للشبيبة الحائرة المتألمة فى أوطانى ، شهادة على المدنية الزائفة التى تراود حياتهم ، وتغالبهم فطرتهم ، شهادة حق يؤديها للتاريخ شاعر تسامى بالهامه فوق الحاد « فولتير » وياس « جوته » وشكوك « بيرون » (٢) ·

واذا كان هذا التيار الوجدانى قد عبر أصدق تعبير عما يجيش فى نفوس طلائع الشباب العربى فى بدايات القرن العشرين وعشريناته وثلاثيناته فقد اثر فى كل صور الادب الاخرى غير الترجمة وغير القصة ، ومن أجل هذا اكتسب هذا التيار فى مجال الترجمة نفوذه وأهميته ·

اما أهم تيار من تيارات الترجمة فى مجال القصة الحديثة فهو تيار عميق لم تدفع اليه الحاجة التجارية أو ظروف العصر وأحداث الحياة وانما اتخذ الترجمة علما موضوعيا دقيقا غير متأثر بشىء غير اثراء اللغة العربية بما تبدعه العقول فى التراث الانسانى كله ·

(١) حرب سنة ١٩١٤ (٢) اعترافات فتى العصر ، ترجمة فليكس فارس سنة ١٩٣٨ ·

حركة الاقتباس والترجمة

ولذلك تجرد اعلام هذا التيار من كل شيء وزهدوا في المجد واوهام الحياة ، وعزفوا عن الشهرة السريعة وانكبوا في جلد وصبر ومثابرة على الروائع العالمية ينقلونها الى العربية في كل المجالات ... ومن كل اللغات والآداب ، فترجموا من الآداب الانجليزية والفرنسية والالمانية والهندية والفارسية والروسية واليونانية وغيرها من الآداب .

وهذا التيار في حاجة الى دراسة مستقلة قد أعود اليها ... ولكن لابد من الاشارة اليه في نهاية هذه الدراسة .

« ٣ »

التيار الموضوعي

ورواد هذا التيار كانوا مزودين بكل أدوات الترجمة وكانوا متبحرين في اللغات الاوربية وخاصة الانجليزية والفرنسية ، الى جانب حسهم الادبي الرفيع وفهمهم الدقيق لأصول الترجمة والنقل عن اللغات الاخرى وبذلك وضعوا الاساس السليم لمدرسة الترجمة العربية التي اثمرت وخرجت كثيرا من التلاميذ في مصر والاقطار العربية الاخرى ... بل لعل بلجنة التأليف والترجمة والنشر، ثمرة من ثمار هذا التيار العميق .

ومن اعلام هذا التيار محمد السباعي ، وابراهيم عبد القادر المازني ، ومحمد مسعود ، واحمد لطفي السيد ، ومحمد بدران وعادل زعيتر ودريني خشبة ، وعباس حافظ ، وزكي نجيب محمود ، وابراهيم المصري ، ومحمد عبد الله عنان . وغيرهم وغيرهم هؤلاء اشاعوا جوا من الاصالة والدقة والجدة في مجال الترجمة ولذلك جذبوا اليهم كثيرا من أبناء الجيل المعاصر لهم او الجيل الذي يصغرهم فامتد هذا التيار الى بعض المعاصرين والذين لايزالون يحتفظون بتقاليد هذا التيار العريق اذ يمتلكون مثل ابنائه الحس الادبي الرفيع والذوق المرهف ويجيدون اللغة التي ينقلون عنها مع قدرتهم واصالتهم في اللغة العربية ومن ابرع هؤلاء عثمان نويه وعبد الرحمن بدوي وعبد القادر القط وسامي الدروبي ومجيد الشوباشي وغيرهم .

ولا شك أن رائد هذا التيار الموضوعي في الترجمة في مجال القصة الحديثة هو « محمد السباعي » وسأقف عنده وقفة قصيرة حتى أعود اليه بعد ذلك مرة أخرى وانا اتناول هذا التيار بالدراسة المستأنية .

محمد السباعي

وهو فنان متحرر بوهيمي ، تخرج في مدرسة المعلمين العليا مع المازني وشكري وغيرهما من اعلام نهضتنا الحديثة ، وهجر التعليم في المدارس وتفرغ للعمل في الصحافة والترجمة . وقد نشر معظم ترجماته في البيان الذي كان يصدره البرقوقي في مطلع هذا القرن ... بدأ ينشر منذ عام ١٩١١ ثم نشر بعد ذلك في البلاغ الاسبوعي . وانشأ مجلة في اوائل هذا القرن على هيئة كتاب سماها « الرسالة » قبل رسالة الزيات بأعوام طوال ، ولست أدري هل اطلع صديقنا الكبير « يوسف السباعي » على هذه المجلة التي اصدرها والده قبل ان يصدر هو رسالته الجديدة بنحو نصف قرن ؟ .

وقد كان محمد السباعي من أقدر المترجمين قاطبة . وأسرعهم وأشدهم جلدا ومثابرة على العمل رغم ما أشاعوا من حكايات عن بوهيميته وتحرره فهو على الرغم من هذا ظل ممسكا بالقلم يعمل ويترجم حتى مات وهو ينتج . وربما كانت طاقة يوسف السباعي وقدرته على العمل وجلده مستمدة من هذه الطاقة الكبيرة التي كان يتمتع بها محمد السباعي مع بعض تحوير وتنظيم أفادهما من عمله في القوات المسلحة .

ومحمد السباعي لم يكن منضبطا في مظهره بهذا المعنى التقليدي لكلمتي (الضبط والربط) الشائعتين في الاوساط العسكرية . ولكنه مع ذلك ترجم مئات القصص ونقل الى العربية العديد من الروايات ... ونقله الرائد لرائعة « شارلز ديكنز » : « قصة مدينتين » منذ عام ١٩١٢ كان ريادة حقيقية لهذا التيار الموضوعي .

وقد عمل محمد السباعي في « الجريدة » عام ١٩٠٨ وفي البيان منذ عام ١٩١١ .

وقد أشار يوسف السباعي الى أن والده محمد السباعي بدأ بنشر قصصه المترجمة في البلاغ الاسبوعي عام ١٩٢٧ بدأها بقصة « ما تشاء » لشكسبير وختمها بقصته الطويلة التي لم تتم وهي الفيلسوف (١) وقد أكمل هذه القصة صديقنا الاستاذ يوسف السباعي .

على أن قدرة محمد السباعي الحقيقية في الترجمة تتجلى في الدقة والاصالة فهو من أكثر المترجمين محافظة على الاصل كما يقول المازني . ومن أقدرهم أيضا على المحافظة على جزالة اللغة العربية وجمالها . فقد كان يقتبس ويضمن في أسلوب الترجمة بطريقة طبيعية تحس معها أن أبيات الشعر أو آيات القرآن أو الحكم التي تضمنها ترجمته جزء من النص المترجم وتلك قدرة لم تتوافر لاحد من بعده ...

ثم انه كان يترجم في المقهى أو في المكتب أو في البيت دون أن يرجع مرة الى معجم عربي أو أجنبي . وهذا دليل على وفرة محصوله في اللغتين الانجليزية والعربية . ويقول ابراهيم عبد القادر المازني معللا هذه الظاهرة « كان محوله محفوظه وهو وافر ... وهو الذي عرفني بابن الرومي وكان ديوانه مخطوطا في دار الكتب فنقله بخطه في كراريس (٢) » .

ثم يقول المازني :

« واذا ما نظرنا الى ما ترجم الفيناه من خير ما في أدب الغرب وهو أول من عنى بأن يترجم من الانجليزية طائفة من أسمى ما في أدبها وليس السبق بفضل في ذاته وانما الفضل في حسن الاختيار وحسن الاداء حتى لكأن ما ترجم كان قد كتب بالعربية في الاصل »

وتلك شهادة عميقة من المازني وقد كان هو الآخر - يرحمه الله - من أقدر المترجمين وأبرعهم وأسرعهم .

تطور حركة الترجمة

ثم تطورت حركة الترجمة بعد ذلك في مجال القصة والرواية والمسرح تطورا كبيرا واكتسبت مجموعة كبيرة من المترجمين الذين نقلوا ألوف الاعمال الى العربية من مختلف الآداب العالمية . ولا يمكن استيعاب هذا التطور في هذه الدراسة فحسبنا ذكر البدايات ...

---

(١) يوسف السباعي مقدمة المائة قصة لمحمد السباعي .
(٢) أنور الجندي : تطوير الترجمة العربية ص ٤٩ .

د. أحمد هيكل

طه حسين ....



مُبدِع «الأيام»

اكاد اعتقد ان استاذنا الدكتور طه حسين لم يعد بحاجة الى مزيد من التعريف به ، ولا الى جديد من الدرس له ، وان كان مستحقا دائما للنهل منه والثناء عليه ... فقد أصبح - بحياته المعجزة ، وعبقريته الفذة وتاجه الخالد - اشبه بالظواهر الطبيعية الحيوية ، التى تبهر بجلالها الاحياء ، وتسحر بروعتها العلماء ، فلايزالون يمتزجون بها بحثا ودرسا ، حتى تصير - آخر الامر - حقيقة مقررة ، او فكرة مسلمة ، يصعب على من يتناولها من جديد ان يقول فيها اى جديد ، ويشعر من يعاود الحديث عنها انه يقلد ويعيد .. ولكن هذه الحقيقة المقررة او الفكرة المسلمة ، تظل دائما زادا خصبا للعقول ، ومددا حيويا للحياة والاحياء ، تستحق من اجله كل حب واجلال وثناء ..

لقد كتبت عن أستاذنا الجليل الدكتور طه حسين، الكتب المتخصصة ، وقدمت الرسائل الجامعية المتعمقة ، وأفردت لحياته وأدبه أعداد ممتازة من المجلات الادبية ، والقيت مئات الاحاديث والمحاضرات حول جوانب مختلفة من علمه ونتاجه وأثره ، ولم يقتصر ذلك على لغتنا العربية ، بل تعداها الى لغات أجنبية عديدة أخرى ، ولهذا كله يكون موقف المتحدث عنه من جديد صعبا ، الا اذا خفف من تلك الصعوبة استشعار أن الحديث أقرب الى التحية المجددة منه الى الدرس الجديد ، وأن الموقف ـ قبل كل شيء ـ موقف تمجيد لظاهرة حيوية فى حياتنا تستحق دوام التمجيد .

ومهما كتب عن طه حسين فليس من المعقول أن يترك الحديث عنه فى مجال الحديث عن أدبنا العربى الحديث جملة ، ولا فى مجال الحديث عن فرع من فروع هذا الادب ، لان طه حسين يمثل بابا كبيرا من أبواب أدبنا الحديث كله ، كما يمثل فصلا مضيئا من فصول كل فرع من فروع هذا الادب .

وهكذا لا يمكن ان يترك الحديث عن طه حسين فى مقام الحديث عن أعلام الفن القصصى فى أدبنا ، ولا أن يغفل كتاب « الايام » فى موقف الاشادة بالنتاج الرائد الذى يعتبر معالم مشرقة على طريق تطور فنون لغتنا ... أجل ، لا يمكن أن يترك الحديث هنا عن طه حسين والايام ، مهما تعددت الكتابات من قبل وتنوعت ، لان الحديث هنا ـ بالاضافة الى تكميل ملامح الصورة ـ اعتراف متصل بالجميل ، لعلم أسدى الى أمته ولغته وحضارته كل جميل ...

طه حسين

رائد فن « الترجمة الذاتية »

ولد طه حسين فى عزبة الكيلو (على بعد كيلو من مغاغة مركز المنيا) وذلك سنة ١٨٨٩ . وتلقى دروسه الاولى فى كتاب القرية بمغاغة ، ثم انتقل الى القاهرة لكى يتم تعليمه فى الازهر سنة ١٩٠٢ . وحين انشئت الجامعة الاهلية أخذ يتردد عليها من سنة ١٩٠٨ . ثم تفرغ لها حين أسقط فى امتحان العالمية الازهرية سنة ١٩١٢ . وقد نال درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية الاهلية سنة ١٩١٤ عن بحثه « ذكرى أبى العلاء » .

ثم أوفدته الجامعة مبعوثا لها فى العام نفسه الى فرنسا ، فدرس نحو عام فى « مونبلييه » ثم عاد الى مصر لعجز ميزانية الجامعة سنة ١٩١٥ . وبعد معاناة شديدة سافر ـ بعد اصلاح شئون الجامعة ـ الى باريس فى أواخر سنة ١٩١٥ لاتمام دراسته . وظل فى باريس حتى سنة ١٩١٩ .. وقد نال درجة الدكتوراه سنة ١٩١٨ على بحثه فى « فلسفة ابن خلدون » . كما نال دبلوم الدراسات العليا فى التاريخ القديم سنة ١٩١٩ .

واخيرا عاد الى مصر ، فعمل مدرسا للتاريخ القديم بالجامعة المصرية الاهلية ، ثم أستاذا للادب العربى حين أصبحت الجامعة حكومية سنة ١٩٢٥ . ثم انتخب عميدا لكلية الآداب سنة

١٩٣٠ . ولكنه أخرج من الجامعة في عهد صدقي سنة ١٩٣٢ . ثم أعيد الى الجامعة سنة ١٩٣٦ . ثم انتخب عميدا للآداب سنة ١٩٣٨ . ثم عين مستشارا فنيا لوزارة المعارف . ثم مديرا لجامعة الاسكندرية سنة ١٩٤٢ . ثم أحيل الى التقاعد سنة ١٩٤٤ . ولكنه عاد وزيرا للمعارف سنة ١٩٥٠ . ونال جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦١ . وخلف بعد ذلك الاستاذ لطفي السيد في رياسة المجمع اللغوي (١) .

والذى يهمنا هنا من هذه الحياة الخصبة العريضة ، هو جانب حياته ونشأته في القرية ، ثم جانب طلبه للعلم بالازهر ، وهذان الجانبان هما اللذان قد جلاهما بطريقة فنية رائعة في كتابه « الايام » ، الذى يعتبر الريادة الحقيقية لفن « الترجمة الذاتية » في أدبنا الحديث ، والذى يعتبر اروع اسهام لطه حسين في مجال الفن القصصي عموما ، بحيث يتصدر كتاباته الاخرى في هذا الفن ، مثل : « دعاء الكروان » و « شجرة البؤس » و « اديب » و « المعذبون في الارض » و « أحلام شهر زاد » وغيرها من كتابات طه حسين القصصية .

قصة حياة أسرة مصرية

ففي الجزء الاول من « الايام » اتجه طه حسين الى التاريخ للفترة الاولى من حياته ، منذ الطفولة والنشأة في القرية ، الى الصبا والقدوم على القاهرة لاتمام الدراسة في الازهر ...
ولم يقف الكاتب عند حدود ذاته وحياته الخاصة فحسب ، بل تجاوز ذاته وحياته الى ذوات المتصلين به وحيوات أخرى قريبة منه ، وذلك ليؤرخ في الوقت نفسه لحياة أسرة فقيرة هي أسرته ، باعتبارها نموذجا لالوف من الاسر المصرية ، وليسجل كذلك حياة قرية مصرية متخلفة هي قريته ، بوصفها صورة لعديد من القرى المتناثرة على أرض الوطن .

ولم يكن الكاتب مصورا صادق اللمسات فحسب ، وانما كان ناقدا ومصلحا وموجها في الوقت نفسه . فقد كان يتخذ من الصورة التي يعرضها سبيلا الى تجسيم عيب أسرى او اجتماعي أو تربوي ، ليذبه اليه ويلفت الانظار الى اصلاحه والقضاء عليه .

فهذا الجزء الاول من « الايام » (٢) يحكي مأساة الصغير الذى فقد بصره نتيجة للتخلف البيئة واهمال التنشئة فيها ، فراح هذا الصغير يتعرف على الدنيا ويتصل بالحياة بحواس ناقصة وامكانيات محدودة . ويبذل في سبيل ذلك الكثير من هدوء النفس ومغالبة الضعف .

والكاتب يصور صورا عديدة حية لاسرة هذا الصبي ، من أبيه المثقل

---

(١) اقرأ عنه في : « طه حسين الكاتب والشاعر » لمحمد السيد كيلاني .. و « مع طه حسين » لسامي الكيالي ، و « مجلة الامناء العدد الخاص بطه حسين » و « الهلال عدد فبراير ٦٦ » .
(٢) ظهر سنة ١٩٢٦ .

طـــــــه حســـــين

بسببه العيال وزحمة العمل ، الى امه الجهدة بشئون البيت ورعاية الاولاد والزوج ، ومن أخيه الازهرى الذى كان المثل الاعلى للصبى ذات يوم ، الى أخيه الآخر المدنى الذى اختطفه الموت وهو فى عمر الورد ، ثم من تلك الاخت الطيبة التى كانت تحنو عليه وتؤثره بالرعاية ، الى هـــذه الاخت الاخرى التى خلف فقدها حسرة للاسرة لا تعدلها الا الحسرة على أخيها الذى داهمه الموت ... كل هذا الى حيـاة الاسرة فى نظـــــام عيشها وأسلوب علاقاتها ، وما يكون لها من افراح حينا ، واتراح فى كثير من الاحايين .

ويخرج هذا الجزء من « الايام » من رسم هـــذه الصور الاسرية ، الى مشاهد اكثر اتساعا واكبر حجما ، فى مشاهد قروية . ويهتم الكاتببصفة خاصة « بالكتاب » الذى حفظ فيه الصبى القرآن ، ويتحدث عن «سيدنا» و «العريف» ، وعن غير هذا وذاك ممن يضمهم « الكتاب » الذى يعتبر الخطوة الاولى فى حياةاهل الريف الثقافية ... كذلك يصور الكاتب كيف كانت الحياة فى هـــذا « الكتاب » ، وكيف كانت العـلاقة بين المعلم والمتعلم لا تقوم على أسس سليمة ، ومن العسير أن تنتجعقولاقويمة ، او اجساما صحيحة ، أو نفوسا بعيدة عن التعقيد .

ولا يكتفى « الايام » بالحديث عن « سيدنا » كعلم من اعلام القرية فى ميدان المعرفة ، بل يتحدث عن قاضى الشرع وعن امام المسجد ، وعن بعض اصحاب الطرق الصوفية ، وعن اثر هؤلاء جميعا على القرية ، حيث يغلب ان يتجه الناس بسببهم الى كثير من الخرافات ، ويقع كثير منهم فى حبائل الاحتيال والوان الاستغلال .

جزء هام فى تاريخنا الحديث

ويمضى المؤلف فى عرض حياته ، وما حولها من حياة أسرته ، وما حول حياة أسرته من حياة القرية — بقيمها المادية والروحية — حتى نراه قد أتم حفظ القرآن واستوعب ما هو ضرورى من المعرفة الدينية لكى يلتحق بالازهر .

ويصف لنا الكاتب كيف كان امله لا يحد ، وكيف كان شوقه الى الازهر لا يوصف . الى أن يوقفنا على فجيعته وخيبة امله وبرود شوقه . فقد ذكر أنه جاء الى القاهرة ، وذهب به أخوه الى الازهر ، فجلس يستمع الى أول درس يلقيه الشيخ ، وكله حس مرهف وسمع مصغ . ولكن الشيخ بدأ يقول فى درس عن الطلاق : « ولو قال لها أنت طلاق أو طلام أو طلال ، او انت طلاة ، وقع الطلاق ولا عبرة بتغير اللفظ » ...

ويتابع المؤلف الحديث عن أولدرس له فى الازهر ، وعن الشيخ الذى كان يدرس الطلاق ، فيقول طه حسين بعد أن ذكر قول الشيخ والفاظه : « يقول ذلك متغنيا به مرتلا له ترتيلا فىصوت لا يخلو من حشرجة ، لكن صاحبه يحتال أن يجعله عذبا . ثم يختم هذا الغناء بهذه الكلمة التى اعادها طوال الدرس : (فاهم يا ادع ؟) واخــذ الصبى يسأل نفسه عن (الأدع) هذا ما هو ؟ حتى اذا انصرف عن الدرس سأل أخاه : ما الأدع ؟ فقهقه أخوه ، وقـــال : الأدع : الجدع فى لغـة

الشيخ (١) » •

وقد واصل المؤلف فى الجزء الثانى من « الايام » (٢) حديثه عن حياته فى الازهر حتى انهى الدراسة فيه أو كاد ، وحتى اتصلت أسبابه بالجامعة المصرية الاهلية •• وكان فى هذا الحديث كعهدنا به فى الجزء الاول ، يتخذ من الحديث عن ذاته وحياته سبيلا الى الحديث عن ذوات الآخرين وحيواتهم ، كل ذلك ليصور البيئة ويشخص العصر ويقدم لنا سجلا حيا عن الحياة العلمية والعقلية والنفسية والادبية فى البيئة الازهرية وما يتصل بها فى تلك الآونة التى عاشها طه حسين ، والتى تعتبر جزءا بالغ الاهمية من تاريخنا الحديث •

ومعروف ان طه حسين بدأ يكتب ايامه بعد الضجة التى اثيرت حول كتابه عن « الشعر الجاهلى » • فكأنه اراد من خلال التأريخ لحياته ان يعبر عن أمرين اساسيين ، كان التعبير عنهما ضروريا بالنسبة اليه فى هذه الظروف • أما الأمر الاول ، فهو تأكيد ذاته وتصوير عظمة كفاحه ، وعرض صفحات مشرقة من جلده وثباته برغم اقسى الظروف •• وأما الأمر الثانى ، فهو الكشف عن جذور الجهل فى البيئة الثقافية التى تعرضت له ، وأدانة التخلف الفكرى الذى قاوم تقدميته فى نظره (٣) •

بعض الملاحظات الطفيفة

وقد كان خروج المؤلف من ذاته الى بيئته الى مجتمعه ، أول ما يسجل له بالتقدير • كما كان اهتمامه بالنقد والاصلاح ثانى ما يذكر له بالثناء •• ثم كانت هذه الجوانب الفنية الممتازة التى ابتعد بها الكاتب عن الاسلوب المقالى المباشر ، ثالث ما يصعد بهذا العمل الى المستوى الرفيع •••

واولى هذه الوسائل الفنية انتقاء الاحداث انتقاء ملائما ، وترتيبها ترتيبا فنيا ، وعرضها – فى الغالب – عرضا مصورا صادقا حيا ، حتى اتخذت احيانا سمات قصصية جذابة ، ونبضت احيانا اخرى بنبضات شعرية حارة ••

وثانية هذه الوسائل ، حكاية الكاتب للاحداث بطريقة الحديث عن الغائب ، وكأنه يتحدث عن شخص اخر غير شخصه ، وذلك ليعطى نفسه – وهو الكاتب الكبير – فرصة ايراد الافكار العالية والصور الممتازة والاسلوب الاخاذ • بخلاف ما لواجرى الكلام على لسان نفسه بطريقة المتكلم ، فهنا كان ملزما ان يحصر نفسه فيما يمكن ان يكون للشخص المتحدث – فى مرحلة الطفولة او الصبا – من افكار وصور وعبارات(٤)

وثالثة هذه الوسائل ، الميل الى الاطلاق وعدم التحديد فى الاسماء والاماكن عندما لا تدعو الضرورة ،

---

(١) انظر الايام ج ١ ص ١٣٠ – ١٣١ •
(٢) اتم كتابته سنة ١٩٣٩ •
(٣) انظر : « تطور الرواية العربية » للدكتور عبد المحسن بدر ص ٣٠٤ •
(٤) انظر المصدر السابق ص ٣٠٤ •

وذلك لتكون الشخصيات التي يعرض لها ، والاماكن التي يتحدث عنهــا بمثابة النماذج التي يراها الرائي في كثير غير شخصيات الكتاب ومسرح احداثه (١) . فوالد الصبي ، هـذا الرجل المثقل بالاعبـاء ، يسمى « الشيخ » . وبلدته ، تلك التي رزحت تحت الفقر المادى والفكرى ، تسمى « القرية » . ومعلم الكتاب ، هـو « سيدنا » . وهكذا . ومن هنا نجد وجه « الشيخ » في كل أب مكافح من أجل عياله الكثيرين ، ونرى صورة « القرية » في كل قرية تعيش على التخلف والفقر ، ونطالع « سيدنا » في كل معلم ضئيل الحظ من المعرفة عديم الوسائل الفنية في تربية النشء .

عـلى ان في « الايام » بعض الملاحظـات الطفيفة ، التي يمكن ان تؤخذ عليها ـ وأن كانت لا تغض من قيمتهـا الكبرى ـ ومن هـذه الملاحظات : عدم التعاطف مع بعض الشخصيات التي من شانها ان تستحق العطف . او القسوة في التهكم ببعض البسطاء الذين حسبهم قسوة الحياة عليهم ، ومن ذلك حديث المؤلف عن « سيدنا » وعن قبح صوته وهـو ينشد أبياتا من البردة ، وقول المؤلف عن الصبي واحساسه ازاء هذا الشيخ وصوته : « وما قرا صاحبنا قول الله عز وجل : (ان انكر الاصوات لصوت الحمير) الا ذكر سيدنا وهو يوقع أبياتا من البردة في طريقه الى الجامع منطلقا لصلاة الظهر ، او في طريقه الى البيت منصرفا من الكتاب (٢) .

ومن هـذه الملاحظات ايضا ترك المؤلف للمحور الاساسي احيانا ، لكي يفصـل القول في أمور جانبية او مواضيع بعينها ، فياتي القول اشبه بالمقال منه بفصل من ترجمة ذاتية . ومن امثلة ذلك حـديث المؤلف عن مصادر الثقافة والمعرفة في القرى ، وتفصيل القول في ذلك تفصيلا يبعد تلك الصفحات التي شغلها عن انتكون من صميم « الايام » التي هي قبل كل شيء « ترجمة ذاتية » .

سطور من « الايام »

ولكن هذه الملاحظات وشبيهاتهـا لاتغض ـ كما قلت ـ من القيمة الكبرى لهذا العمل الفنى العظيم ، الذى بدأ به طه حسين فن الترجمة الذاتيـة في أدبنا الحديث ، والذى تمثلت فيه شخصية طه حسين وأسلوب طه حسين وموهبة طه حسين وأصالة طه حسين، كما لم تتمثل في أى عمل آخر مـن أعماله الكثيرة الجليلة الاصيلة ...

ولهذا لا عجب أن اعتبر المستشرق الانجليزى الكبير الاستاذ « جيب » هذا العمل احسن عمل ادبى في الادب المصرى الحديث ، وذلك حين كتب عنه سنة ١٩٢٩ ، بعد ظهور الجزء الاول من « الايام » بنحو ثلاث سنوات ..

---

(١) انظر الهلال العدد الصادر في أول فبراير سنة ١٩٦٦ ، مقال الاستاذ عبد الرحمن صدقي ص ١٨ .

(٢) انظر الايام ج ١ ص ٢٨ .

ولا عجب ايضا أن تتوالى ترجمات « الايام » الى اللغات الاجنبية الحية ، حتى أصبح يقرأ فى معظم تلك اللغات ، ناقلا الى جماهيرها المثقفة نموذجا رائعا لادبنا ، الذى وصل بمثل « الايام » الى المستوى العالى الصحيح، وذلك بما توفر له من اللون المحلى، فى المادة ، والشكل العالى فى القالب، والروح الانسانى فى المضمون .

ولعل خير ما نختتم به هذا الحديث هو أن نعيش مع تلك السطور من « الايام » لتكون بحق مسك الختام .. يقول الدكتور طه حسين موجها الحديث الى ابنته ، ومديرا لهذا الحديث حول نفسه فى مرحلة الصبا ، وكأنه يتحدث عن صبى غيره :

« عرفته فى الثالثة عشرة من عمره ، حين أرسل الى القاهرة ليختلف الى دروس العلم فى الازهر . ان كان فى ذلك الوقت لصبيا جد وعمل . كان نحيفا شاحب اللون ، مهمل الزى أقرب الى الفقر منه الى الغنى ، تقتحمه العين اقتحاما ، فى عباءته القذرة وطاقيته التى استحال بياضها الى سواد قاتم ، وفى هذا القميص الذى يبين اثناء عباءته ، وقد اتخذ الوانا مختلفة من كثرة ما سقط عليه من الطعام ، وفى نعليه الباليتين المرقعتين . تقتحمه العين فى هذا كله ، ولكنها تبتسم له حين تراه ـ على ما هو عليه من حال رثة وبصر مكفوف ـ واضح الجبين مبتسم الثغر ، مسرعا فى مشيته الى الازهر ، لا تختلف خطاه ولا يتردد فى مشيته ، ولا تظهر على وجهه هذه الظلمة التى تغشى عادة وجوه المكفوفين . تقتحمه العين ولكن تبتسم له فى شىء من الرفق ، حين تراه فى حلقة الدرس مصغيا كله الى الشيخ يلتهم كلامه التهاما ، مبتسما على ذلك لا متألما ولا متبرما ، ولا مظهرا ميلا الى لهو ، بينما الصبيان من حوله يلهون أو يشرئبون الى اللهو ...

« عرفته يا ابنتى فى هذا الطور ، وكم أحب لو تعرفينه كما عرفته ، اذن تقدرين ما بينك وبينه من فرق . ولكن أنى لك هذا وأنت فى التاسعة من عمرك ، ترين الحياة كلها نعيما وصفوا .. عرفته ينفق اليوم والاسبوع والشهر والسنة لايأكل الا لونا واحدا ، يأخذ منه حظه فى الصباح ، ويأخذ منه حظه فى المساء ، لا شاكيا ولا متبرما ولا متجلدا ولا مفكرا فى أن حاله خليقة بالشكوى . ولو أخذت يا ابنتى من هذا اللون حظا قليلا فى يوم واحد لاشفقت أمك ، ولقدمت اليك قدحا من الماء المعدنى ، ولانتظرت أن تدعو الطبيب !

لقد كان ابوك ينفق الاسبوع والشهر ولا يعيش الا على خبز الازهر ، وويل للازهريين من خبز الازهر ، ان كانوا ليجدون فيه ضروبا من القش والوانا من الحصى وفنونا من الحشرات ، وكان ينفق الاسبوع والشهر والاشهر لا يغمس هذا الخبز الا فى العسل الاسود ، وأنت لا تعرفين العسل الاسود ، وخير لك الا تعرفيه (1) ... »

(1) انظر الايام جـ ١ ص ١٣٥ـ١٣٩

فؤاد دوارة



توفيق حكيم

ومثل هذا الحديث لا يمكن أن يصدر الا عن كاتب يدرك أن اسهامه في الرواية والقصة لا يرقى ـ كما وكيفا ـ الى مستوى مسرحياته ، ويدرك في الوقت نفسه أن القصة ، والرواية على وجه الخصوص ، هما أقدر فنون الادب على استيعاب روح الشعب والتعبير عن تطوره وتشابكه وهما الوريثة الشرعية للملحمة القديمة ـ كما يقرر النقاد الثقاة ـ وهي من أقدر الاشكال الفنية الحديثة على النقد الاجتماعي والسياسي حث خطا الشعب الى امام ، ومن ثم لاندهش حين نقرأ ما يقوله « الحكيم » بعد كلمته السابقة :

« .. كان الأمر اذن ـ ولم يزل ـ فيما يتعلق بكتابتي للرواية والقصة تطوعا قوميا وفنيا ، اقوم به كلما شعرت ان هناك حاجة الى الاسهام بجهد ، وان الواجب يدعو الى المحاولة .. »

ويترتب على ذلك قلة اسهام « الحكيم » في فن الرواية بالقياس الى مسرحياته ، فمجموع رواياته خلال اكثر من خمس وأربعين سنة ، هي فترة الانتاج في عمره المديد باذن الله ، لا يزيد على ثمان ، بالاضافة الى محاولته للمزج بين الفنين في « بنك القلق » .

وأول ما نلحظه على هذه الروايات

.... روائيا

يقول توفيق الحكيم في كتابه «سجن العمر» :

شيطان الفن عندى كان قد ارتدى ثوب التمثيلية قبل ان يلتفت الى ثوب القصيدة الشعرية . ولما حل فيها كمن واستقر ولم يعد **يفكر في الخروج الى غيرها من اثواب واشكال. حتى عندما فكر فيما بعد في اتخاذ ثوب الرواية والقصة ونحوهما فانه اتجه الى ذلك بدافع العقل الواعي والحاجة الماسة ، حاجة المواطن** الى التعبير عن حماسته لبلاده وعن رؤيته لتطور مجتمعه . وحاجة الادب وقتئذ الى اقرار هذه **القوالب الجديدة على نحو جاد لتحمل موضوعات** جديدة ، ما كان يمكن ان تحملها غير الرواية **والقصة ... »**



توفيق الحكيم روائيا

الثماني هو غلبة عنصر التجربة الذاتية عليها، بعكس معظم مسرحياته، فثلاث منها تكاد تكون سيرة ذاتية لؤلفها وهي :

– «عودة الروح» – (١٩٣٣) ، وان كان قد كتبها قبل ذلك بخمس سنوات اثناء دراسته بباريس .

– « يوميات نائب في الارياف » (١٩٣٧) ، وقد نشر فصولها في مجلة « الرواية » في العام نفسه قبل جمعها في كتاب .

– « عصفور من الشرق » (١٩٣٨)، وهي التسجيل الفني لفترة دراسته بباريس .

وثلاث من الروايات الخمس الباقية تعتمد اساسا على تجارب شخصية عاشها الكاتب في فترات مختلفة من حياته، وتدخل الخيال بدرجات متفاوتة في صياغتها الفنية ، فبطلها جميعا أديب فنان مفكر ، تنطبق كل صفاته على توفيق الحكيم ، وهذه الروايات الثلاث هي :

– « راقصة المعبد » (١٩٣٩) ، وقد نشر بعض فصولها في « مجلتي » في ديسمبر ١٩٣٦ ، وينـاير ١٩٣٧ بعنوان « عدو المرأة » .

– « حمار الحكيم » (١٩٤٠) .

– « الرباط المقدس » (١٩٤٤) .

والروايتان الاولى والثانية مكتوبتان بضمير المتكلم ، والثالثة نشر بعض فصولها في الأعداد الستة الاولى من مجلة « الثقافة » في يناير وفبراير ١٩٣٩ بعنوان « تحت مصباحي الأخضر » ، مستخدما فيها ضمير المتكلم ، فلما نشرها في كتاب عدل عن ضمير المتكلم ، واسبغ على نفسه وصف « راهب الفكر » .

أما الروايتان الاخيرتان ، وهما « أشعب ، أمير الطفيليين » (١٩٣٨) أو « تاريخ حياة معدة » في بعض طبعاتها ، و « شجرة الحكم ·· في الدنيا » (١٩٤٥) ، فقد كتبت كل منهما استجابة لدافع معين فرض عليها طبيعة خاصة ستعرض لها عند حديثنا عنهما ، وهما غير مدرجتين حتى الآن ضمن نتاج الحكيم الروائي .

● واقع الفلاح المرير ●

و « عودة الروح » ظلمها البعض – بحسن نية – حين اعتبروها تسجيلا فنيا لثورة ١٩١٩ ، في حين أن أحداث الثورة لا تستغرق فيها أكثر من ست عشرة صفحة من بين أكثر من خمسمائة وأربعين . والاقرب للصواب أنها استلهمت روح ثورة ١٩١٩ ، وحاولت ، كتماثيل مختار وألحان سيد درويش ، التعبير عن شخصية مصر وروحها الخالدة . وحققت ذلك على مستويين : المستوى الواقعي في حارة سلامة بالسيدة زينب وحياة الأسرة المتوسطة ، وفي القرية بين الفلاحين وحيواناتهم وحقولهم ، والمستوى الفكري التاريخي من خلال استخدام الرمز وبالاستعانة بأحاديث عالم الآثار الفرنسي المسيو «فوكيه» ، واذا كان الكاتب لم يوفق كل التوفيق في ادماج المستويين في وحدة عضوية

متماسكة ، فلا ينبغى أن ننسى أنها كانت أول محاولاته فى فن الرواية ، دون أن يكون وراءه تراث عربى ناضج يستند اليه فى هذا المجال .

ان معظم أبطال الرواية من أبناء القرية ، ومعيشتهم المشتركة فى المدينة التى تستغرق غالبية الجزء الاول تمهد بشكل طبيعى لصور حياة الفلاح فى الجزء الثانى ، لولا كثرة التفصيلات والاستطرادات الفرعية ، التى تكاد تطمس معالم الفكرة الرئيسية التى حرص المؤلف على تأييدها بصوره وأحداثه ، واختار عبارة تلخصها من « كتاب الموتى » وضعها فى صدر الجزء الاول :

« عندما يصير الزمن الى خلود سوف نراك من جديد لأنك صائر الى خلود حيث الكل فى واحد » .

وعلى أساس هذه الفكرة يمكن أن نفهم لماذا حرصت الرواية على الاشادة بالفلاح المصرى وأسلوب حياته ، باعتباره ممثل الشخصية المصرية الأصيلة ، فى أعماقه يكمن تراث قرون طويلة من الحضارة العريقة ، ونومه فى حجرة واحدة مع بهائمه ليس مظهرا للتخلف والقذارة كما يظن السطحيون ، ولكنه دليل على ايمانه بوحدة الوجود والاصل المشترك لكافة المخلوقات !

وكل ما ينقص شعب مصر لكى ينهض ويتقدم هو المعبود ، أو الزعيم ، الذى يوحد شمله ، ويكشف عن قوته الكامنة فى أعماقه . وحين ظهر هذا الزعيم فى شخص سعد زغلول عادت الروح الى شعب مصر ، تماما كما عادت من قبل الى جسد « أوزيريس » فى الاسطورة المصرية القديمة :

« انهض ! .. انهض يا أوزيريس أنا ولدك « حوريس » ... جئت أعيد اليك الحياة .. لم يزل لك قلبك الحقيقى .. قلبك الماضى » .

وهذا هو تفسير الرواية لقيام ثورة ١٩١٩ التى شارك فيها أبطالها جميعا وافرغوا فيها شحناتهم العاطفية المتأججة بعد أن خاب حبهم المشترك لسنية .. فوجدوا فى حب مصر خير عوض ..

● واقع الفلاح المرير ●

واذا كانت الصورة التى تقدمها « عودة الروح » للفلاح المصرى مستمدة من التأمل النظرى بالدرجة الأولى ، بهدف تأكيد الايمان بعظمة الشعب المصرى وخلود روحه المستوعبة لحضارات ألوف السنين ، أكثر مما تهدف الى تصوير الواقع بغية نقده والدعوة لاصلاحه ، فان توفيق الحكيم يقدم فى عمله الروائى التالى صورة مناقضة تماما لتلك الصورة المثالية الحالمة التى قدمها للفلاح فى « عودة الروح » .

لقد عمل « الحكيم » وكيلا للنائب العام فيما بين عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٤ بطنطا ودسوق ودمنهور وكوم حمادة ، حيث عايش الريف المصرى عن قرب ، وغاص حتى الأذنين فى مشكلاته وواقعه المتخلف ، فلم يسعه الا أن يقدم انطباعه الصادق فى « **يوميات نائب فى الأرياف** » ، فكانت بداية النظرة الواقعية النقدية فى أدبنا الروائى ، فحتى المشاعر الذاتية التى عبرت عنها كانت مشاعر وكيل النيابة المرهق بعمله الشاق ، المتمرد على نصوص القانون الجامدة التى

يضطر الى تطبيقها تطبيقا أعمى على مجموعة من المرضى الجهلة ، لم تتوفر لهم أبسط ضرورات الحياة ، ومع ذلك نفترض فيهم القدرة على احترام مواد القانون المستورد من فرنسا وسويسرا

وهكذا لم يعد الفلاح – في نظر الحكيم – فكرة مجردة كما صوره في « عودة الروح » ، لا ينقصه سوى ظهور المعبود لينفض غبار القرون عن شخصيته المتحضرة العريقة .. ويثور، بل استحال في « اليوميات » – نتيجة للاحتكاك المباشر – فلاحا آخر جاهلا مريضا ، يحمل فوق كتفيه ذل أجيال طويلة من الاقطاع والاستعمار والاستغلال بكافة صوره .. وشتان ما بين الفلاحين !

وتقوم « اليوميات » على فكرة نظرية هي الأخرى ، ولكنها فكرة مستمدة هذه المرة من الواقع والمعايشة المباشرة ، وليست مفروضة على الواقع من كتب التاريخ والتأمل الطويل .. وهي ببساطة ، تلك الهوة الشاسعة بين نصوص القانون المصري المستورد وواقع الفلاح المصري المرير .

و « الحكيم » لا يعالج هذه الفكرة في « اليوميات » علاجا نظريا مباشرا ، بل يعرضها من خلال مواقف حية مؤثرة ، وان لم تخل من فكاهة صافية في أحيان كثيرة ..

ولم تكتف « اليوميات » بهذا العرض الحي المؤثر لواقع الفلاح المصري في الثلاثينات ، بل حرصت في الوقت نفسه على ادانة المسئولين عن هذا الواقع ، ابتداء من الخفير والعمدة حتى القاضي والمأمور ، والنظام كله .. فكلهم فاسد ، يضطهد الفلاح ويستغله ، ويشارك بصورة من الصور في افساد الحياة السياسية بتزييف انتخابات مجلس النواب على أوسع نطاق .



توفيق الحكيم روائيا

● أمجاد الشرق الروحية ●

وتسجل « عصفور من الشرق » تجربة توفيق الحكيم العاطفية والفكرية في لقائه الأول بالحضارة الأوربية خلال السنوات الثلاث التي عاشها في باريس دارسا ومتأملا فيما بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٨ .

وأول ما يلفت النظر في هذه التجربة أن الحضارة الأوربية لم تبهر « الحكيم » كما بهرت بعض كبار مثقفينا ، اذ سافر الى فرنسا بعد أن قارب الثلاثين ، ونضج فكره ووجدانه ، وبعد أن عاصر ثورة ١٩١٩ وتشبع بروحها وأفكارها ، وأهمها اعتزازها الشديد بالشخصية المصرية، باعتباره أساس مطالبتها بالاستقلال والتحرر .

فاذا أضفنا الى ذلك قوة الاحساس الديني ، والنزعة الروحية في تكوين « الحكيم » ، مما يمكن تتبعه في الكثير من كتاباته ، أمكننا أن ندرك لماذا لم ينبهر بالحضارة الغربية في أول لقاء له بها . لقد أعجب بكثير من جوانبها المتمثلة في الفكر والفن والعلم ، وتأثر بها أعظم التأثر ، ولكنه لم يستسلم لها بحيث تطمس معالم شخصيته القومية والذاتية ، ورفض في الوقت نفسه جوانبها الأخرى المغرقة في المادية والمتمثلة

بصفة خاصة في الصناعة الرأسمالية النامية ، وما صحبها من اضطهـــاد للعمال وامتهان لانسانيتهم •

وهذا كله واضح في « عصفور من الشرق » ابتداء من اهدائها :

« الى حاميتي الطـــاهرة السيدة زينب • »

حتى حديث العامل الروسي المتصوف في الفصلين الاخيـــرين عن عظمة الحضارة الشرقية بقيمهـا الروحية ، وفساد الحضارة الغربية بتكالبها على الماديات •

واتبع « الحكيم » في « عصفور من الشرق » نفس المنهج الذي اتبعه في « عودة الروح » ، من حيث الاعتماد على تجاربه الشخصية ، وبؤرتهـــا الرئيسية تجربة حب ، مع محـــاولة اضفاء ابعاد رمزية على الشخصيات الرئيسية ، تخدم القضية الفكرية التي تعرضها الرواية ، بل ان في « عصفور من الشرق » عدة اشارات الى وقائع « عودة الروح » وابطالهـا ، بحيث يجوز أن نعتبرها جزءا متمما لها •

ان « سوزي » الفتـــاة الجميلة الشقراء التي تقيم علاقاتها على اساس المصالح المادية وحدها ولا تقيم وزنا للعواطف او القيم الروحية ، ليست الا صورة او رمزا للحضـارة الاوربيـة المادية في مرحلة نموها الرأسمالي ، في حين أن محسن (او المؤلف) يمثل الصورة المقابلة لعالم الشرق بعواطفه المرهفة ومشاعره الروحية السامية •

وكما اختار « الحكيم » في « عودة الروح » شخصية أخرى غير شخصية البطل لتحمل رسالة الرواية الفكرية ، وهي شـــخصية عالم الآثار الفرنسي « فوكيه » ، اختار اجنبيـــا آخر في « عصفور من الشرق » ليقوم بنفس الدور ، وهو هنـــا العامل الروسي المريض « ايفان » ، الذي انطقه رسالة الرواية الفكرية ، ولكن من خلال معاناته الشخصية هـــذه المرة ، وليس نتيجة للقراءة والتأمل وحدهما كما كان الحال مع « فوكيه » في « عودة الروح » •

ومن الانصـــاف أن نشير الى ان الصراع بين الشرق والغرب في الرواية ليس تعصـــبا أعمى للشرق ضـــد الغرب ، بل هو نوع من الايمان بالقيم الروحية المثـــالية التي نبتت في الشرق ، ثم ما لبث أهـــل الشرق أن تخلوا عنها ففقدوا امجادهم وتقدمهم ، واستسلموا لحضارة الغرب المادية ، ولم يأخذوا منها غير القشور دون اللباب في أغلب الاحوال •

غير أن هذا الصراع لم يعمر في نفس الحـــكيم طويلا ، لانه كان في حقيقته اشراك المقاومة يشرعها فتى شرقي معتز بقوميته وقيمه الروحيـة في وجه حضارة الغرب ، لكيلا تجرفه في تيارهـــا العنيف وتطمس مقومات شخصيته ، فلما اطمأن الى نجـــاح مقاومته ورسوخ اقدامه ، هدأت حدة هـــذا الصراع في نفسه ، ووجدناه يكتب في « زهرة العمر » :

« ان هزة التصـــادم بين الشرق والغرب هي وحدها التي تفتح الاعين المغلقة في الشرق والغرب ••• ما من مرة احتك فيها الشرق بالغـرب الا وخـــرج من احتكاكهما ضـوء انار العالم •• »

● الكراسة الحمراء ●

وتحفل رواية « الرباط المقدس » هي الاخرى بجوانب من تجارب الحكيم الذاتية وآرائه الشخصية ، وموضوع الرواية

هو خيانة زوجة شابة تفيض حيوية نتيجة لضيقها بجمود زوجها المثقف ووقاره فى معاملتها .. فى بداية الرواية تنجح فى خداع راهب الفكر – الذى تنطبق كل صفاته على المؤلف كما اشرنا – فيظنها نموذجا للمرأة

الحديثة المستنيرة ، ويكتب بوحيها عددا من الرسائل عن دور المرأة الملهمة فى حياة الرجل ، يروى خلالها سيرة السيدة خديجة وايزيس وغيرهما من النساء الخالدات .. ثم ما تلبث

أن تنكشف لراهب الفكر حقيقة تلك الزوجة من خلال كراستها الحمراء ، التى تضم اعترافاتها الصريحة بمغامراتها العاطفية والحسية ، اذ يعثر عليها زوجها مصادفة ويطلع الراهب عليها .

ومرة أخرى يلتقى بها بعد أن تغيرت صورتها ، فتجتهد لتثير فيه الرجل ، وتكاد تنجح فى اغرائه لولا رنين التليفون معلنا انتحار ابن خالة الزوج نتيجة لشكه فى زوجته بعد أن أطلعه قريبه على الكراسة الحمراء .

وفى علاقة راهب الفكر بالزوجة أصداء واضحة من رواية « تاييس » لاناتول فرانس ، و «الكراسة الحمراء» تلتقى اثر سميتها لاندريه موروا ..

وان كنت حين تنتهى من قراءتها لاتملك الا أن تتساءل : هل فى مجتمعنا زوجة تستطيع أن تواجه نفسها وتعبر عن مشاعرها كتابة بمثل هذه الصراحة والاسلوب الادبى الناضج ؟!

وتكاد « الكراسة » مع رسائل الراهب التى لم يرسلها للزوجة يكونان جزءين منفصلين عن مسار الرواية وايقاع أحداثها .

ومع ذلك تظل « الرباط المقدس » واحدة من انضج روايات الحكيم واحفلها بالحياة الدافقة والمشاعر الدافئة والتحليل النفسى العميق ،

بحيث تكاد تكون أقرب رواياته الى رواية التحليل النفسى التى تعنى اكثر ما تعنى بتحليل نفسيات ابطالها والتعمق فى مشاعرهم ونوازعهم ودوافع سلوكهم ، وان لم تخل هى الاخرى من قضية فكرية كزميلاتها ، وهى قضية المرأة الحديثة التى طالما شغلت « الحكيم » ، كما تنبه ، بأسلوب غير مباشر ، الرجل الى أن زوجته انسان حى مثله ، له مزاجه ومطالبه ورغباته التى تتطلب العناية والارضاء ، لكيلا تتعرض الزوجة لغريات الانحراف .

● اعتراف صريح !!

هذه الروايات : « عودة الروح » ، « يوميات نائب فى الارياف » ، « عصفور من الشرق » ، و « الرباط المقدس » – حافلة بتجارب « الحكيم » الذاتية كما أوضحنا ، ولكن هل يعنى هذا أننا نستطيع أن نعتبرها سيرا ذاتية له ؟

لقد كتب « الحكيم » يقول :

« .. ان اعتماد العقاد على الواقع فى قصة « سارة » يشابه اعتمادى على الواقع فى « عودة الروح » أو « يوميات نائب فى الارياف » ... »

وصرحت والدته لمجلة « صباح الخير » منذ سنوات :

« .. لقد رسم ابنى معظم شخصيات الرواية (تقصد « عودة الروح ») من بين أفراد الاسرة ، فأنا السيدة التركية بنت السلطان ، وعمته جليلة هى زنوبة ، وعمه حسن الحكيم هو الذى يلعب دور حنفى فى الرواية » .

وفى كتابيه « سجن العمر » و « زهرة العمر » اللذين يضمان سيرته الذاتية الصريحة ، وفى العديد من مقالاته الصحفية والادبية ، ذكريات وأحداث وشخصيات كثيرة تؤكد انطباق معظم أحداث هذه الرواية على سيرة



توفيق الحكيم روائيا

حياته ، ولكن يظل هو وحده مع ذلك صاحب الحق فى الاقرار بصدق ذلك. وبدون هذا الاقرار لا يستطيع الدارس الاعتماد على هذه الروايات كسير ذاتية ، قصارى ما يستطيعهان يعتبرها من روايات التجارب الشخصية . لذلك فقد توجهت اليه بهذا السؤال منذ سنوات ، فأجاب بقوله :

« الواقع ان القصاص او صاحب العمل الفنى الذى يصور فيه جانبا من حياة الناس والاشخاص لا يعطينا ترجمة ذاتية حقيقية حتى وان تطابقت الوقائع والشخصيات والطباع مع ما نعرفه عنه وعمن حوله ، وهو فى نفس الوقت لا يعطينا عملا منفصلا عن ذاته تماما ، بل يقدم عجينة او طبخة تمتزج فيها وقائع حقيقية مع وقائع متخيلة مع مشاعر صادقة ومفترضة ، وكل هذا يقلب تقليبا جيدا ويمزج مزجا بارعا ليصب فى قالب تسميه القصة او الرواية او غير ذلك من الانواع الادبية . »

وحذر الحكيم بعد ذلك من اعتبار هذه الروايات وثائق تاريخية يعتمد عليها فى التاريخ لحياته ، وان وافق على اعتبارها صورة عامة لتطوره الفكرى والعاطفى .

ومنذ عامين وفقت الى انتزاع اعتراف اصرح منه بأن « سوزى » بطلة « عصفور من الشرق » هى نفسها « ايما دوران » التى جاء ذكرها فى « زهرة العمر » ، وانه أحب فى صباه بالفعل « سنية » بنت الجيران على النحو الذى ذكره فى « عودة الروح ».

وفقنا الله الى انتزاع المزيد من اعترافاته الصريحة لكي تستقيم دراستنا لادبه .

● التراث فى اطار حديث ●

وخلال بحث الحكيم الدائب عن أدب مصرى متميز الشخصية اهتدى الى ان الرجوع الى المنابع الاولى قد يعينه على تحقيق غايته . فاستلهم الاساطير المصرية القديمة والتراث العربى عددا من مؤلفاته ، كعودة الروح ، و « شهرزاد » ، و « اهل الكهف » .. ولكنه فى « الشعب » فعل شيئا آخر يشبهه « بالطبخة » ، ويصفه قائلا :

« لقد استحضرت اللحم والبقل والتوابل والابازير من حوانيت اربعة مشاهير : الجاحظ وابن عبد ربه والخطيب البغدادى وبديع الزمان الهمذانى ، فقد بهرنى حقا ، وأسال لعابى ما وجدته لديهم من اللذائذ والطرائف . غير انى وجدت كل هذا مبعثرا ضمن بضاعتهم ، وملقى على غير نظام ، حتى وقع الملح على السكر ، كما وجدت اكثر هذه الاشياء

شائعة مكررة بنصها وتفصيلها عند الاربعة ، كل يضعها فى حانوته نفس الوضع ، ويعرضها عين العرض ، فملأت يدى مما تخيرت من اطيابها ، وذهبت الى « مطبخ » فنى ، حيث مزجته وخلطته وجعلت منه « عجينة » واحـــدة ، صنعت منها هـــذه القصة المتصلة الفصول ...

ورغم ذلك ففضل «الحكيم» فى هذه الرواية التى لم يؤلفهـا لا يقل أهمية عن فضله فى رواياته الاخرى ، فقد استطاع بحسن ذوقه أن ينتقى مـــن حشد النوادر والحكايات والاخبـــار مجموعة ممتازة متلائمة ، قام بتنسيقها بحنكته الفنيـــة ، وحذف وأضاف وبسط ، وسوى الشخصيات واستكمل الثغرات ، ثم اخرجها لنا فى هـــذا الاطار الفنى المتطور الذى يستسيغه القارىء الحديث ، دون أن تفقـــد النوادر القديمة نكهتها الاصيلة مع ذلك .

فقدم لنا بذلك عملا فنيا ، قيمته الـكبرى انه استطاع تقريب التراث العربى القديم لمن لا يعرفونه فى صياغة تمكنهم من فهمه والاستمتاع به . ولو وجدت هذه التجربة الفنية الرائدة من يتابعهـــا من أدبائنا ، لما ظلت درر تراثنـــا العربى مجهولة حتى اليوم لغالبية قراء العربية .



توفيـــق الحكـــيم روائيـــا

ان نجاح هـــذه الرواية وتعدد طبعاتها يلفتنا الى أن تراثنا العربى ليس فى حاجة الى نشره نشرا علميا محققا فحسب ، ولكنه فى حاجة أيضا الى تبسيطه وعلاجه علاجا فنيا قادرا بستهوى القارىء العربى العادى ، لكى يستطيع تمثله ، فيصبح جزءا مـــن مقومات شخصيتنا الثقافية القومية ، مع المحافظة ـ بطبيعة الحال ـ على روحه ومضمونه .

● فساد وتفسخ .. وابهة ●

فى نوفمبـــر ١٩٣٨ ادلى توفيق الحكيم بحديث الى مجلة «آخر ساعة» نقد فيه عيوب النظام البرلمانى القائم وقتذاك ، فثارت ثائرة الحـــاكمين وعاقبوه ، اذ كان وقتها موظفـــا حكوميا ، « عقاب اللص والمختلس » على حـــد تعبيره ، ولم يسمحوا له بالـــدفاع عن نفسه ، فكشف له ذلك الاجراء عن فساد نظام الحكم وزيف « ديمقراطيته » الدعاة ، فشرع قلمه يدافع به عن نفسه فى عدد من المقالات ويهاجم الفساد ، ولم يكتف بذلك ، بل بدأ ينشر منـــذ فبراير ١٩٣٩ رواية بعنوان « يوميات وزير » .

وفى عام ١٩٤٥ استكمل هـــذه الفصول واضافها الى كتابه المشهور « شجرة الحكم » الذى يضم خمسة فصول حوارية سخر فيها من حـــكام ذلك الزمـــان ومستوزريه ، وقـــد تصورهم « فى الآخرة » ، فى حين عنون القسم الثانى « فى الدنيا » وهو الذى يضم فصول رواية « يوميـــات وزير » بعد أن حول ضمير المتكلم فيها الى الغائب .

والرواية تصـــور تهالك احـــد المستوزرين على كرسى الوزارة ، حتى ليقبل الاشتراك فى احدى الوزارات قبـــل أن يعرف الوزارة التى اختيرت له ، وتمضى فصـــول الرواية لتصور

جو الانحلال والتفسخ والوساطة والمحسوبية المتفشية فى دوائر الحكم ، ومزايدات الاحزاب للفوز بتأييد النواب والطلبة ٠

وفى خلفية الرواية قصة حب بين طالب وطالبة فى الجامعة تعاهدا امام نصب الشهداء على الوفاء لقضية البلاد ، فلما تخرجا اثر الشاب التضحية بحبه وخطب ابنة الوزير سعيا وراء الجاه والترقى فى الوظائف ، فلا يسع الطالبة الا أن توافق على زواج زعيم الطلبة السابق الذى اصبح الآن محاميا مرموقا من انصار الحزب الحاكم ينتظره هو الآخر مستقبل مشرق !٠٠

ويؤكد « الحكيم » فى ختام الرواية أن ضياع الشباب وتخليه عن مبادئه ومثله العليا فى سبيل المناصب والمنافع المادية انما هو مسئولية « قادة الرأى وزعماء الحكم ورؤساء الاحزاب ٠٠ أليسوا كلهم يعيشون على مذهب اخر قوامه ابهة الحكم ومتعة الحياة ٠٠٠ أليس ذلك هو نصيبهم التذكارى ؟ »٠٠٠ الذى يقابل نصب شهداء الجامعة الذى يقطر دما ويقول للشباب كل صباح : « انا التضحية فى سبيل مصر الخالدة ؟ »

ان قيمة الرواية السياسية والفكرية اكبر بكثير من قيمتها الفنية ٠٠ اذ من الواضح أن الحكيم كتبها بسرعة وانفعال استجابة للحالة النفسية التى مر بها سنة ١٩٣٨ ، وتعبيرا عن احساسه بالفساد المستشرى فى نظام الحكم وقتذاك ٠٠

● خصائص عامة ●

بعد هذه الرواية اغلق توفيق الحكيم « دكان » الرواية الذى افتتحه « كتطوع فنى وقومى » على حد تعبيره ، فقد وجد فى الميدان فرسانا مهرة يستطيعون حمل امانة هذا الفن وتطويره ، فانصرف هو بجل جهوده الى المسرح فنه الاصيل ، مكتفيا بكتابة قصة قصيرة بين الحين والآخر ، وعدد كبير من المقالات القصيرة والطويلة فى كل اتجاه ، ولم يعاوده الحنين الى كتابة الرواية الا بعد اكثر من عشرين عاما ، فلم يستطع أن يعود الى كتابتها بنفس الاسلوب القديم ، بل لعله لم يستطع أن ينتزع نفسه من قالب المسرحية الذى ملك عليه زمام نفسه ، فاذا به يولف بين الفنين ، فن الرواية وفن المسرحية ، فى مسروايته « بنك القلق » (١٩٦٦) وهى فى رأيى اخل فى فن المسرح منها فى فن الرواية ، بالرغم من فصولها الروائية الجيدة ، التى يمكن اعتبارها مداخل مطولة للفصول المسرحية ٠

اعتقد أن بوسعنا الآن أن نجمل خصائص فن « الحكيم » الروائى فى النقاط التالية :

١ ـ غلبة التجربة الذاتية ووضوحها فى معظم رواياته بقدر اكبر بكثير من وضوحها فى مسرحياته ٠

٢ ـ اعتماد كل رواية على قضية فكرية ، تسعى الاحداث والشخصيات الى اثباتها ، فتوفق حينا وتتعثر حينا آخر ٠

٣ ـ احتفال التصوير الفنى فى معظم رواياته بالنقد الاجتماعى بصورة تدعونا الى اعتباره واحدا من اكبر رواد الواقعية النقدية فى ادبنا الروائى بالرغم من رومانسيته المثالية السافرة فى عدد غير قليل من رواياته ٠

٤ ـ غلبة الروح الفكاهية المرحة على كثير من المواقف وملامح الشخصيات ، واستخدامها فى كثير من الاحيان بهدف النقد الاجتماعى اللاذع والسخرية من الفساد ٠

٥ ـ استخدام الحوار على نطاق واسع ، وهو أمر طبيعى بالنسبة لكاتب مسرحى فى الاساس ٠

٦ ـ التأثر ببعض أساليب « الحكى الشائعة » فى تراثنا العربى القديم كالمقامات والف ليلة وليلة ٠

٧ ـ كثرة الاستطرادات الى آراء أو أحداث فرعية ، وهى احدى خصائص ، أو عيوب ، الرواية الاوربية الواقعية التى تعلم منها الحكيم ونهج نهجها ٠

● بحيرة فيكتوريا ●

ويبقى سؤال :

الى أى حد اثرت روايات توفيق الحكيم فى الجيل التالى له من الروائيين والادباء ؟

انى مازلت اذكر كلمة نجيب محفوظ فى الاحتفال بعيد ميلاده الخمسين حين قال :

ان توفيق الحكيم هو بحيرة فيكتوريا التى خرجنا منها جميعا (يقصد نفسه وكتاب جيله) كما خرجت افرع النيل وتهيراته من قلب البحيرة الكبيرة ٠

ولم يكن نجيب مجاملا ولا مغاليا ، فاصداء الحارة والمقهى وحياة اسرة الطبقة المتوسطة والخط السياسى الوطنى فى « عودة الروح » تتردد بوضوح فى مؤلفاته ابتداء من « خان الخليلى » حتى الثلاثية ٠

وعندما هوجم احسان عبد القدوس عند نشره « النظارة السوداء » ، اعترف بدينه الكبير لصراحة «الحكيم» وجرأته فى « الرباط المقدس » ٠ وما أظن المرحوم أمين يوسف غراب ويوسف السباعى الا معترفين مثله بدينهما لهذه الرواية بالذات ، وان كان الاخير قد تأثر اكثر بما فى روايات الحكيم من روح المرح والفكاهة وكثرة الاستطرادات وخفة الاسلوب وتحرره ٠

وليس من الصعب أن نلمح فى « الارض » للشرقاوى أصداء من « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الارياف » ، والاخيرة بصفة أخص ، وهى نفسها التى تأثر بها سعد الدين وهبة فى مسرحية « المحروسة » وبعض قصصه القصيرة حيث يقترن النقد الاجتماعى لحياة القرية المصرية بالفكاهة الساخرة المريرة ٠ ونهج الفريد فرج فى مسرحيته حلاق بغداد نهج « الحكيم » فى « الشعب » حينما اعاد صياغة بعض نوادر كتب الادب العربى القديم ، فقدم للمسرح الفكاهى المصرى واحدة من انضج اعماله ٠

وليست هذه سوى امثلة لآثار روايات « الحكيم » فى انتاج ابنائنا التالين له ٠٠ يحق لنا بعدها ان نزعم ان رواياته ، رغم قلتها بالقياس الى مسرحياته التى تربو على السبعين ، لم تكن اقل منها اثرا فى تطوير ادبنا الحديث والرائه ٠ ٠ ٠



توفيق الحكيم روائيا

عالم محمود تيمور

ان حياة الكاتب لا تنفصل ابدا عن انتاجه .. فالكاتب هو انتاجه وقالوا ان الرجل هو اسلوبه، او ان الاسلوب هو الرجل .

■ فتحي الأبياري ■

حياة الكاتب لها ناحية ظاهرة ، وهي بيئته التي يعيش فيها وظروفه التي تحيط به ، وعمله الذي يشغله . وهناك ناحية باطنية لحياة الكاتب لا تقل عن تلك الحياة الظاهرة خطرا ان لم تزد. وهذه الناحية الباطنة هي مزاج الكاتب النفسي ، وأفقه الفكري ... ومن كلتا الناحيتين مجتمعتين يتكون انتاج الكاتب .

وعالم محمود تيمور الرحيب .. فيه من الاسرار التي تفسر كثيرا من انتاجه الروائي والقصصي . فما هو هذا العالم ، وما هي ملامح شخصيته الخاصة والادبية ، وما هي نظرته الى عصرنا بعد أن اطفأ ثمانية وسبعين شمعة يوم ١٦ يونيو الماضي، وبعد أن مارس كتابة فن القصة ، والرواية ، والمسرحية ، والدراسات اللغوية والادبية والاجتماعية ، طوال نصف قرن ، باستمرار ، واصرار ، وتجديد . بحيث أصبح شيخ القصة العربية الآن ، وقد كان من أوائل رواد فن الاقصوصة العربية ...

قال عنه طه حسين عند استقباله عضوا بمجمع اللغة العربية « .. فاذا قيل انك اديب عربي ، ففي ذلك تقصير في ذاتك ، وانك توفي حقك اذا قيل انك اديب عالمي ، وبأدق معاني الكلمة واوسعها واعمقها » .

وقال عنه المستشرق الروسي « اغناطيوس كراتشوفسكي » : « ان تيمور يعمل بهمة دائبة ، وجهد



عالم محمود تيمور

موفق ، وما وصل الينا من مؤلفاته ، يدل على انه زعيم القصة المعاصرة »٠

رواسب فى أعماق الوجدان

ولد محمود تيمور فى ١٦ يونيو ١٨٩٤ ، بدرب سعادة ، الذى يقع بين الوسكى وباب الخلق من مدينة القاهرة ٠ وهذا الحى أصيل فى شعبيته ، يجمع أشتاتا من الطوائف والفئات ٠ وهو حافل بالصناع والتجار وأرباب الحرف من كل صنف ، وفيه تتوهج التقاليد والعادات ، والخصائص التى تتبلور فيها شخصيتنا المصرية فى المدينة ٠

وقد اندمج تيمور فى هذا الحى ، فى عهد الطفولة ، وجانب من عهد الصبا ، اختلط بأهله ، ولاعب أولاد الحارة ، وعامل أصحاب الدكاكين المجاورة ، واستمع الى أحاديث الأهلين ، صباح مساء ، ووقعت عيناه على شخصيات وأحداث ٠٠ فيها العادى المألوف وفيها الطريف العجيب ، وفيها المضحكات المبكيات ٠

وعندما بلغ السادسة من عمره ، ألحقه والده أحمد باشا تيمور بمدرسة الناصرية ، ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الالهامية الثانوية ، وانتقلت أسرة تيمور الى ضاحية « عين شمس » فعاش هناك حياة ريفية بكل ما للريف من أوضاع ونظم ٠ وبعد ذلك عادت الأسرة الى القاهرة ، فسكنت حى الحلمية ، وهو حى وطنى كان يقطنه فى ذلك العهد فئات من العلماء والموظفين وذوى الجاه ، وكان له طابعه فى النماذج البشرية التى يموج بها

وهذه الحيوات المختلفة ، فى تلك البيئات الشعبية ، والوطنية والريفية ، كانت ينبوعا تروى منه تيمور ما استطاع ، ولا ريب فى ان كثيرا من صور تلك الحيوات وأحداثها وشخوصها ، قد ترسبت فى أعماق

وجدانه ، وانهاكانت مددا له ، استعان به فيما كتبه من قصص ، وما رسم من مناظر مألوفة ·

النزعة الرومانسية الحلوة

وقد اثرت اربعة عوامل في حياته كاديب ، اولها والده احمد تيمور الذى كان يرعاه ، ويشير بالكتب الهامة التى ينبغى أن يقرأها ، وقد كتب محمود تيمور قصة اسماها « الشرف الرفيع » ·· ولم ينس أن يرصعها ببيت المتنبى

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم

وعندما انتهى منها ، هرع الى ابيه ، ورجاه أن يبعث بها الى احدى الصحف ، لكى تنشرها باسمه · وكانت سنه اذ ذاك لا تتجاوز الرابعة عشرة ، وربت أبوه على كتفه وقال : « حسنا كتبت ·· وسانظر فيما رغبت فيه من نشر القصة » ·

ومضت الايام ، ولم تنشر القصة ، ووجدها تيمور مسجاة فى زاوية من مكتب ابيه وعندما أخبره بأن القصة لم تنشر ، طلب منه والده أن يعاود التجربة مرة اخرى ، وأعطاه كتاب الف ليلة وليلة ، ليقرأه ، فبهر به ·

وكانت عمته الشاعرة عائشة التيمورية ترعاه أيضا وتقرأ له الاشعار والحكايات . لكن أخاه « محمد » ، قد اثر فى تكوينه كاديب تأثيرا كبيرا · فوالده قد أورثه مؤهلات الكتابة ، وتعهده منذ النشأة ، وحبب اليه المطالعة والتأليف · ومحمد قد هذب ذلك الحب والذكاء ·

وعندما قرأ تيمور ، كتاب « الف ليلة وليلة » ، تأثر به كثيرا ، لأنه رأى فيه التراث الذي يساعد القصاص على انماء موهبة التخيل ، لأن الخيال هو العامل الاساسى فى التأليف القصصى ، وبدونه يكون القصاص عاجزا عن الخلق ، والابتكار ، فتخرج

اثاره سطحية لا تزيد قيمتها عن تدوين الحوادث الجارية ·

ولما تهذب ذوقه فى المطالعة اقبل بشغف على قراءة « المنفلوطى » فقد كانت نزعته الرومانسية الحلوة تملك عليه مشاعره ، وأسلوبه السلس بسوسه · ويقول تيمور فى ذلك « وكل انسان فى أوج شبابه تطغى عليه النزعة الرومانسية ، والموسيقى ، فيصبح شاعرا ، ولو بغير قافية ، وقد يكون أيضا شاعرا ، بلا لسان ·

وكانت المدرسة الادبية الشعرية التى انشأها اللبنانيون والسوريون فى المهجر قد بسطت نفوذهـا على الادب المصرى ، فشغف بها تيمور كل الشغف ، وخاصة بزعيمها « جبران » ذلك الشاعر الرمزى المغرق فى الرمزية ، وكان كتاب « الاجنحة المتكسرة » أول كتاب حظى منه بأوفى حب · وتأثرت به أولى كتاباته ·

مع زعيم الاقصوصة الاكبر

وعاد شقيقه محمد من أوربا ، محملا بشتى الاراء الجريئة ، وكان يتحدث بها الى محمود الذى استقبلها بعاطفتين لا تخلوان من تفاوت ، عاطفة الحذر ، وعاطفة الاعجاب · وكانت أمنية شقيقه التى يرغب فى تحقيقهـا هى انشاء أدب مصرى مبتكر ، يستملى وحيه من دخيلة نفوسنا وصميم بيئتنا ·

وهناك حادثة فى حياة تيمور ، حولته الى الحياة الادبية ، اذ أصيب بمرض « التيفوئيد » ، وكان فى العشرين من عمره · واشتدت عليه وطأة المرض ، فلزم الفراش ثلاثة أشهر قضاها فى ألوان شتى من التفكير العميق والقراءة المتواصلة · واستطاع أن يهضم الكثير من الاراء التى تلقاها من أخيه ·· أو التى استمدها مما قرأه فى الكتب ·

ولما شفى محمود تيمور من المرض ، أراد استئناف دراسته العالية فى

عالم محمود تيمور

المدرسة الزراعية العليا ، لكنه لم يستطع ، لان صحته كانت ضعيفة جدا · فعاش فترة من الزمن متعطلا ، واطلق لنفسه العنان ، فخرج عن الكثير مما يقيده من تحفظات الاسرة·

واحس برغبة عارمة فى الاتجاه الى الادب · فوضع لنفسه برنامجا دراسيا شبه منظم ، وخصص له وقتا معينا كل يوم ، لدراسة اللغة ، والادب ، والتاريخ ، والفلسفة · وكانت حادثة المرض بداية حياة جديدة ، وميلاد جديد فى الحياة الادبية·

وكان يستعين فى دراسته الخاصة بآراء وافكار شقيقه · فنصحه بقراءة « عيسى بن هشام » ، و « زينب » ، فرأى فيهما لونا يختلف عن اللون الرمزى الرومانسى الذى كان غارقا فيه ، لونا من الواقعية يهبط بالقارىء من سماء الخيال – حيث يعيش الناس كالملائكة مثلنا على فطرتهم التى خلقوا عليها – واتسعت مطالعاته فيما بعد فى الادب القصصى والاوربى ، ولكنه حتى اليوم مازال محتفظا لموباسان بالمكان الاول فى نفسه · فهو عنده زعيم الاقصوصة الاكبر · وفى « موباسان » فن متكامل ، توفرت فيه كل العناصر اللازمة لبناء قصة قوية ، من حيث عرض الموضوع ، ومعالجته ، وتحليل شخصياته ، وتسلسل الحوادث وخواتمها · ولا يذكر تيمور انه قرأ قصة «لموباسان» ، ولم تهزه ·

ثم انتقل تيمور بعد ذلك الى القصص الروسى ، وقرأ « تشيكوف » و « تورجنيف » ، و « تولستوى » ، وغيرهم ، ولكنه رأى تأثير «موباسان» واضحا فى بعض انتاجهم ·

كوخ الشيخ جمعه

وانتهت الحرب ·· واصاب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية كثير من التغييرات ، حتى الادب نفسه ، قد اصطبغ باللون المحلى الصارخ · ورأى الادباء انفسهم يتجهون نحو الواقع · فاصبحوا عمليين ، بعد ان كانوا شعراء خياليين ·· وشاع المسرح المحلى وخاصة الهزلى منه ، وانتشر الاقتباس ، وبدأ الابتكار ، على حين تضاءلت الترجمة· وفى هذا المناخ كتب محمد تيمور اقاصيصه « ماتراه العيون » · وقد نحا فيها منحى المذهب الواقعى ، وصور فيها مناظر مختلفة من بيئتنا المصرية ، واشخاصها · فاعجب بها تيمور اعجابا شديدا ، دفعه الى ان يؤلف باكورة انتاجه القصصى « الشيخ جمعة » ، ثم اقصوصة « يحفظ بالبوستة » ·

وظهرت اقصوصته «الشيخ جمعة» التى كتبها عام ١٩٢١ ، فى أول مجموعة له عام ١٩٢٥ · ومن اعزازه لهذه الشخصية ، اعاد نشرها فى مجموعة قصص « قال الراوى » ، التى صدرت فى اوائل العام الماضى · فما هى قصته مع الشيخ جمعة ··· لقد بدأت الحكاية عندما كان تيمور يتردد على الريف فى شبابه الباكر ، حيث كانت لاسرته مزرعة فى « قويسنا » ، وهناك تعرف بالشيخ جمعة ، حارس الجرن ، وكان يروى له قصة « سيدنا سليمان » وما جرى له مع النسر



الهرم الذى عاش الف سنة ... وكبر تيمور ، ونما عقله ، فأصبح يجالس الشيخ جمعة ، ليستمع الى قصصه الخرافية ، بلذة مصحوبة بتهكم .

ومرت السنوات ، وتغير كل شىء على الارض الا « الشيخ جمعة » ، فهو .. هو .. الرجل ذو العمامة الحمراء ، والجلباب الواسع الاكمام . هو ذو العينين البراقتين ، والابتسامة العذبة ، ذو اللحية المتهدلة ، والصوت الرقيق .

وكان « الشيخ جمعة » اذا ما اتم حديثه مع تيمور ، تنهد من اعماق قلبه ، والابتسامة العذبة تتضاءل رويدا رويدا على شفتيه ، ثم يقول فى حسرة : « يا الله حسن الختام » !.

وقد اثرت هذه الشخصية فى نفس تيمور الى حد كبير ، حتى لنراها فى عدد من شخصيات قصصه ، مصورة بطرق مختلفة ، ولغايات متباينة .

ونتيجة لهذا التاثر ، وبعد مرور خمسين عاما على كتابة تيمور لقصة « الشيخ جمعة » ، عاد تيمور مرة أخرى الى هذه الشخصية ، والسبب فى ذلك كما قال لى اديبنا الكبير

فى احدى جلساتنا : « وجدتنى بعد مرور خمسين عاما ، اعود الى مناجاة هذا الشيخ الطيب فى قصة لم تنشر بعد . وفيها مناجاة لصديقى الشيخ جمعة الذى أوحى لى بهذه القصة .

والذى كان ملهماً لى بعد خمسين عاماً بفلسفة الطبيعة . و « الشيخ جمعة » هو الذى الهمنى حب الطبيعة ، وفلسفتها الهانئة . بعد أن اقنعنى بافلاس العلم والحضارة . وبعد خمسين عاماً من الكفاح والصراع ، وجدتنى قد رجعت الى كوخ « الشيخ جمعة » البسيط ، استلهم فلسفة حقيقة الحياة . لقد أربكنى العلم ، والتأملات لم تعط لى شيئا ، ولكننى قد وجدت الراحة عند «الشيخ جمعة»!

الاديب لا يتمذهب

وفى ليلة الثامن والعشرين من شهر ديسمبر ١٩١٩ ، عقد محمود تيمور قرانه بعد أن قدم والده مهرا خمسمائة جنيه ذهبا فى كيس من الحرير الاخضر ، الى والد العروس سعيد ذو الفقار « باشا » ، وكان فى ذلك الوقت كبيرا لامناء القصر .

ويقول تيمور : « فى مستهل سنة ١٩٢٠ تزوجت .. لم أر زوجتى قبل الزواج ، ولكنى اصررت على أن أرى صورتها ، ولما رأيت صورتها اعجبتنى جدا ، وتزوجتها واحسست انها حبى الاول والاخير ، وكانت كذلك . كان حبها هو الاول والاخير ، وكانت زوجتى ، هى الاولى والاخيرة ، وبعدها ختمت قلبى بالشمع الاحمر ، ولم احب سواها ، وانجبت لى زوجتى ثلاثة اطفال : بنتين وولدا » .

وفى عام ١٩٢١ ، فجعه القدر فى شقيقه « محمد تيمور » وهو فى عنفوان شبابه ، وحوله هالة من الامانى تتالق ولا تعرف مصيرها من بعده ، اتخبو بموته ، أم تتاح لها حياة وبقاء .. ودهمه اليأس ، ورأى نفسه أضعف من أن يخلف شقيقه فيما كان يبشر به من انشاء أدب مصرى جديد ، ومرت الايام ، وبدت عجلة الحياة القاسية تسير فى طريقها لا يعنيها من امور العالم الا استكمال دورتها ، فاخذت

الجروح تندمل ، وان كانت الذكرى باقية ببقاء الروح فى الجسد ٠

وبدأ تيمور اولى رحلاته الى الخارج عام ١٩٢٥ ، وقضى فى أوربا ، وعلى الاخص سويسرا ، ما يقرب من العامين ٠ وهناك تفرغ للقراءة ، واتصل بالادب الاوربى الحديث اقرب اتصال ٠ وهناك صادفته مرئيات ومناظر هزت نفسه ، وتغلغلت فى صميم قلبه ، واتسعت خبرته بالحياة ٠ ورأى على ضوء مطالعاته الجديدة وفهمه لنظرات الادب العالمى ان اللون المحلى ليس كل شىء ، بل هو بعض الشىء ٠ وما الادب الكبير الا انه يواجه الانسان وجهه شطر النفس البشرية ٠ فحول اتجاهه نحو هذه الوجهة ٠٠ محاولا التقدم فيها ما استطاع الى ذلك سبيلا ٠ واعتقد تيمور ان الاديب يجب الا يقيد نفسه فى التأليف بمذهب يتمذهب به ، فالادب ميدان واسع ، على الكاتب ان يمرح فيه طليقا ٠ فليرسل روحه على سجيتها ، فما المذاهب الادبية الا من صنع النقاد ، لا من صنع الادباء ، وضعوها ليتقاضوا بها فنهم ، ويخضعوه لقوانين منطقية ٠

تقديم « القائد الحضارة »

وكانت الضربة الثانية التى فاجأه بها القدر ٠٠ حينما شاهد فلذة كبده « سعيد » الزهرة اليانعة ، تذوى فجأة ٠ وكان فى العشرين من عمره ، عندما اصيب بأزمة مفاجئة فى « المصران الاعور » ، ولم يكن هناك من وسيلة للعلاج اذ ذاك ٠ فمات بين يدى تيمور فى لحظات ٠

ولم يصدق ، ولم تصدق والدته ، أن يحرما من ابنهما فى لحظة ٠٠٠ وكانت تلك الحادثة الثانية هى التى صبغت حياته بلون قاتم ، ولاتزال ذكرى « سعيد » فى قلبه وعينيه ، ولايزال يذكره كلما رأى شابا مستقيما ، طيبا على قدر من العلم والادب والطاعة مثل ابنه « سعيد » ٠

ولم يكن امام «تيمور» الا السلوى ، فسافر هو وزوجته الى امريكا ، ليلتمس السلوى والنسيان ، وهناك كتب أبدع انطباعات صادقة نفسية ، هى كتابه « ابو الهول يطير » ٠ فكان يكتب فصوله ، كأنه يرسل خطابات الى ابنه « سعيد » فى مصر ، متخيلا انه لم يمت ، يصف له كل ما يشاهده فى هذه البلاد ، من مناظر ، وأحداث ، ومواقف ٠

وظل تيمور يغذى المكتبة العربية بالعديد من مجموعاته القصصية ، والروائية ، والمسرحية ، وكتب الدراسات ، ويسهم فى كافة مجالات النشاط الادبى ، من محاضرات وندوات وأحاديث صحفية ، واذاعية ، الى أن جاء عام ١٩٤٧ ، وقرر مجمع اللغة العربية تتويج جميع انتاجه القصصى ، ومنحه الجائزة الاولى فى القصة ، وذلك يوم ٥ ابريل ١٩٤٧ ، وكان قد ألف حتى ذلك الحين خمسة وعشرين كتابا ٠

وفى عام ١٩٤٩ عين محمود تيمور عضوا فى مجمع اللغة العربية ، واستقبله المجمع فى جلسة علنية عقدها يوم الخميس ١٦ من يناير ١٩٥٠ ، وارتجل الدكتور طه حسين عضو المجمع ، الذى كان وزيرا للمعارف وقتذاك ، كلمة طويلة قال فيها:

عالم

محمود

تيمور

« فادبه ليس مقصورا على مصر، ولا هو مقصور على البلاد العربية وحدها ، ولكنه تجاوز حدود مصر ، ثم ضاقت به حدود البلاد العربية ، فعبر البحر الى اقطار مختلفة من « أوربا » . ترجمت الى الفرنسية والانجليزية ، واحسب أنه ترجمت اللغة الروسية ايضا · وانه توفى حقه اذا قيل انه اديب عالمي ، بادق معاني هذه الكلمة واوسعها واعمقها »

وفي عام ١٩٥٠ كرمته الدولة فمنحته « جائزة الدولة للآداب » وكرمته الثورة ايضا ، ومنحته جائزة الآداب ، في عيد العلم · وظل يواصل انتاجه الادبي ، فكانت آخر مجموعة قصصية صدرت له في العام الماضي بعنوان « بنت اليوم » التي نشرها « كتاب اليوم » وقد كتبت مقدمة شاملة عن أدب تيمور والقاء الاضواء على هذه المجموعة بالذات ··· كما ظل يمارس نشاطه المجمعي في تقديم « ألفاظ الحضارة » ·

واديبنا الكبير محمود تيمورمازال حتى الآن يواصل تغذية الفن القصصي، بعد أن كتب اكثر من اربعمائة اقصوصة صدرت في ثلاثين مجموعة قصصية ، وغذى المكتبة المسرحية بست عشرة مسرحية ، وثماني روايات ، واربعة كتب في الرحلات ، ومجموعة كتب في الدراسات اللغوية والادبية والقصصية ، واخرى في الخواطر والنقد ·

وصدر بعض الكتب والدراسات النقدية عن أعماله يستطيع من يريد ان يستكشف عالم تيمور بدقة أن يطلع عليها ، ومنها :

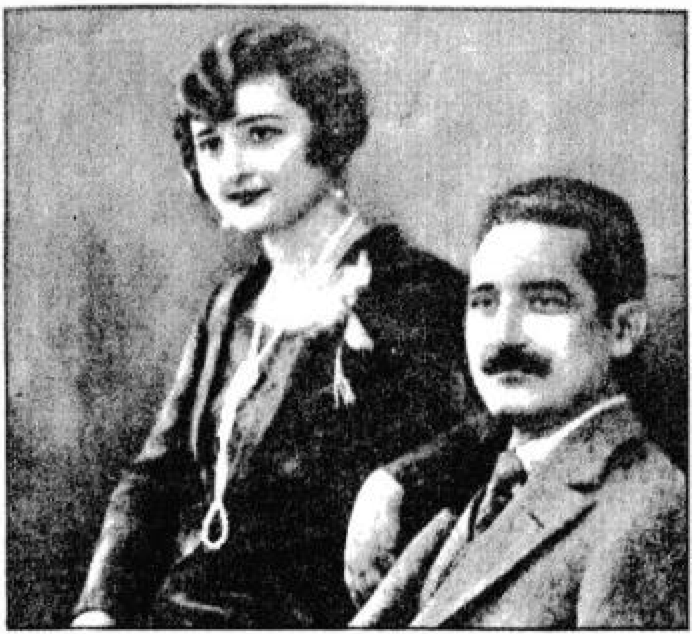
محمود تيمور رائد القصة العربية تأليف نزيه الحكيم ـ وقصة محمود تيمور لانور الجندي ـ وفن القصة عند تيمور ، وكذلك محمود تيمور وفن الاقصوصة العربية تأليف فتحي الابياري ـ وأدب تيمور لمحمود بن الشريف ـ ودراسة عن (تيمور وفن القصة القصيرة في مصر من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٣) وهي جزء من كتاب الدكتور سيد حامد النساج « تطور فن القصة القصيرة في مصر » ، ومقابلات ودراسات أخرى في المجلات الادبية والصحف ·

ازدهار على مر الايام

وهناك من الاحداث الهامة التي اثرت ومازالت تؤثر في مجرى حياة تيمور : صحته ··· فمنذ الصغر والعلل تتردد عليه حتى الفها الآن ، واصبحت غير غريبة عنه · فمنذ سنين طويلة وهو في رقابة الطب ، في مأكله ، ومشربه ، وفي نومه ، وفي يقظته · سن له هذا الجبار قوانين لا يستطيع الخروج عليها · فهو يعيش في مرضه في قفص ، ينظر الى الاصحاء من الناس يستمتعون بكامل حريتهم ، فيغبطهم ، وتتناله حسرة اليمة ، ويقول :

« وهكذاكنت احس في اعماق نفسي بنقص يحجزني عن الاستمتاع بما ينعم به غيري ، هذا النقص دفعني ولايزال يدفعني الى أن استكمل في الخيال ما عجزت عن اتيانه في الواقع ·· ومع ضعف صحتي ، وما نالني من مرض ، أجد نفسي قد تخطيت الثامنة والسبعين ، ومازلت حيا ارزق ، فاعجب لذلك واقول : « لسه لك عمر » !!

والانتاج الفني لمحمود تيمور في ازدهار وانتعاش على مر الايام · وهو بحق شيخ القصة المصرية الذي عبد لها الطريق ، بل وكان راعيا لكثير من القصصيين الذين يحتلون الآن مكانة ملحوظة في ادبنا القصصي · وبالرغم من كل ذلك ، فهو يواصل تغذية الاقصوصة ، والقصة العربية ، بكل مبتكر ، وجديد ·



«سارة»

• مولـــــدها • قضـــاياها

العقـــاد

الحب كان ولا يزال ، فى طويل الزمان وعلى تعاقب الاجيال ، موضوع القصة الرئيسى فى معظم الاحوال ، سواء اكانت القصة حقيقيه ام من نسج الخيال ..

ومع ذلك ، فان القارئين والقارئات لادب العقاد ، ما كادت تطلع عليهم ((سارة)) فى قصتها المقتضبة التى نشرها صاحبها سنة ١٩٣٨ على نفقته أول ما نشرها ، حتى اشتد الجدال فى صحة نسبتها الى فن القصة ، ثم كثر سؤال المؤلف : لم كتبت سارة ؟ ولم كتبتها على هذه الطريقة ؟ ولم اخترت لها هذا الاسم بالذات، وهل هى واقعية او خيالية ؟

فكان من شان هذه الاسئلة ان حركت عند استاذنا الشبهة فى حسن نية بعض السائلين فكتب عند صدور الطبعة الثانية بعد خمس سنوات مقدمة لها ـ لم يتكرر بعد ذلك نشرها ـ بعنوان ((قصص عن قصة)) متحديا الخصوم على طريقته ..

• مكانها من فن القصة

■ عبد الرحمن صدقى ■

يقول العقاد « نويت أن أكتب قصة « سارة » لأنها تجربة نفسية لابد أن تكتب في يوم من الايام ، وان كنت قبل كتابتها قد ارجأتها من حين الى حين ، متخيرا للوقت ، ملاحظا ما تقتضيه دواعي التفصيل والاجمال » .

أما تحقيق تلك « النية » التي كانت في ضمير أستاذنا العقاد – وما أكثر أمثالها في ضمائرنا نحن الكتاب – فكان على يد «دار الهلال» التي تنسمت خبرها ، فلم تضيع الوقت في انتظارها ، بل أمسكت بزمام المبادرة كما تفعل دور النشر في البلاد المتحضرة ، فاتصل بالاستاذ العقاد على الفور رئيس تحرير

مجلة « الدنيا » الاسبوعية المرحوم طاهر الطناحي ، واقترح عليه أن يكتب لمجلة الدنيا سلسلة مقالات بعنوان « مواقف في الحب » . وفعلا بدأت السلسلة في أواخر سنة ١٩٣٥ بظهور الفصل الاول والثاني ، وظهر الفصل الثالث في أول سنة ١٩٣٦ وانقطعت بعد ذلك السلسلة . ويقول العقاد في تعليل انقطاعها : « ثم عاقني عن

مواصلة الكتابة عائق عارض ، فأمسكت الى أجل ، ثم فرغت لاتمامها بعد برهة ، فأتممتها على الصورة التي ظهرت بها : رواية تحليلية أو تحليلا روائيا كما يشاء من يشاء » .

«ساره» العقاد

كان العقاد حين عرفته – قبل العشرينات – لا يخلو جيب سترته من قصة يقرؤها بالانجليزية لبعض مشاهير الروائيين ، في المقهى أحيانا ، وفي الترام دائما ، واذا كانت قد أخذت بمجامع قلبه واستغرقت حسه واستولت على عقله ، فانه ينكب عليها بعض الوقت في مكتبه ويخلو بها قبل النوم منبهة في فراشه .

بيد ان هذا الاهتمام كله بقراءة القصص العالية ، لم يمنع العقاد من أن يقول في صراحة : « نحن نقرأ القصص التي تجود بها قرائح العباقرة من أمثال ديكنز ، وتولستوى ، ودستيفسكي ، وبورجيه ، وبروست ، وبيراندلو ، فنؤمن بتلك العبقريات التي لاتجارى في هذا المضمار ، ولكن ايماننا بها لا يلزمنا أن نضع القصة في الذروة العليا من أبواب الآداب ، ولا يمنعنا من أن نقدم عليها غيرها في التقدير والتمييز » .

وهو يرى أنه ليس من البر بجماهير الشعب ولا من المصلحة العامة تعويدهم على قراءة القصص وحدها كأنهم لا يرتقون الى ما فوق الحكايات ، بل الواجب تشجيعهم الى التطلع الى مطالعات غير قصصية أيضا ، توفيرا لمعارفهم واستكمالا للجوانب الاخرى من ثقافتهم .

والعقاد يقول فيما يتعلق به : « اني لا أقرأ قصة حيث يسعني أن أقرأ كتابا أو ديوان شعر » .

وهذا يعود بنا الى سؤال سائليه : لماذا – اذن – كتبت « ساره » ؟

هل كتبها ، كما زعم البعض ، ليجرب قلمه في القصة ؟

يقول العقاد ردا على هذا الزعم من مزاعم الزاعمين :

« هو سبب قد يصح ، أو يكون له نصيب من الصحة ، لو انني أعتقد أن

القصة ضريبة على كل كاتب ، أو أعتقد أن القصة أشرف أبواب الكتابة فى الفنون الادبية ، أو أعتقد أننى مطالب بالكتابة فى كل موضوع تجول فيه أقلام المؤلفين ... لست أعتقد شيئا فى ذلك، فان القصة عندى لا تعدو أن تكون بابا من أبواب الكتابة الادبية ليست بأشرفها ولا بأرجحها على الكاتب . انها ان أحسن مؤلفها فهى حسنة ، وان أساء وأسف ، فهى من أسوأ المكتوبات وأدناها الى الضعة » .

وقد خطر للكثير من القراء – بل القارئات على الأصح – التوجه الى العقاد بهذا السؤال : لم كانت فتاة القصة أجنبية أو اسرائيلية ، ولم تكن مصرية ؟

ونسوق فيما يلى جواب العقاد على لسانه :

« أما فتاة القصة ، فلم تكن أجنبية ولا اسرائيلية . وانما كان اسم «سارة» على عمومه بين الاديان بمثابة الترجمة لاسمها ، كما كانت أسماء شخوص القصة الآخرين ، ونعنى بالترجمة هنا المشابهة بالدلالة أو بالوزن أو باقتران الاسماء على الألسن وفى « الاسماع »

وقد ذكر ان اسم سارة الحقيقى هو « اليس » ، ولكننا نعتقد وقوع بعض التحريف هنا ، والصحيح ان اسمها كما تذكر من كتابتها له بالافرنجية هو « السا «Elsa» كما جاء فى جواب العقاد نفسه وهى غير يهودية .

الاختيار بين النور والنار

هذا كيان انسان بأسره يهتز للحب ولا نعنى بالحب ما يقع كل يوم من استحسان رجل لا مرأة ، مهما يبلغ هذا الاستحسان حد التولع والكلف ، ومهما يبعث من حرقة الشوق ويعقب من حسرة الحرمان .

انه هنا أكثر من هذا ... انه حب الرجل يجمع بين النفس البشرية الشاعرية ، السابحة وراء المعانى اللطيفة الروحية ، وبين الحس المرهف المتقزز ، المتفتح على الدنيا المشبوب الحيوية . مثل هذا الرجل كثيرا ماتراه يحيا حياة مزدوجة ، حياته الروحية وحياته الجسدية كلا منهما على حدة . وهو فى مداولته بين الارتياش الروحى والاستمتاع الجسدى كالمتنقل بين سماء علوية وجنة ارضية ، يجد ما لابد أن يجده مثله من الكلفة كل مرة من عبور البرزخ الذى لابد أن يعبره بينهما ، وهو فيما يتكلفه من هذه النقلة يستشعر فى كل حالة شيئا من الوحشة أو الغيبة بمقدار ما بين هذين القطبين من بعد الشقة ، وما أبعدها شقة عند هذا الرجل ومن على شاكلته ، حتى ليصح القول انه فى حاليه ، انما يحيا بأحد شطريه ، لا بهما معا ، مفرقا ، لا بكيانه جملة .

هذا الرجل هو « همام » فى قصة العقاد ، واذا شئنا الواقع هو « العقاد » نفسه ...

هذا الرجل شاءت له الاقدار – على الرغم مما بذله من المحاولة وصبر عليه من المطاولة – أن يخفق فى الاحتفاظ كما يشاء بهذا الحب أو ذاك ، كما تمثلها – فى اللوحة المعروضة فى متحف بورجيزى فى روما ، لفنان النهضة الايطالى « تيسيان «Tician» امرأتان كاسية وعارية ، تجلسان احداهما قرب الاخرى على حافة الحوض الذى يحيطه « نبع الحب » فى انتظار الواردين العطاش الى الحب .

ولم يكن الاخفاق فى الاحتفاظ بالمرأتين مرجعه زهد أو تقصير من جانب هذا الرجل الذى كان فهمه للحياة يزداد كل يوم . بل جاء من جانب احدى المرأتين ، وهى بطبيعة الحال – التى تمثل الحب العلوى . ولم

«سارة» العقاد

يكن ذلك لان « هند » تزعم بينها وبين وجدانها انه معزول عن عالم النساء ، غير انها لم تكن تحفل اتصاله بالنساء مادام اسمهن نساء لا يلوح بينهن اسم امرأة واحدة . فلما شعرت بأن النساء تحولن الى امرأة لها شأن ، غير شئون اخواتها من بنات حواء ، زارته على حين غرة فى مكتب عمله ، وهى الزيارة الاولى والاخيرة من قبيلها ، ولم يكن لها مسوغ من طول الغيبة ولا امتناع حديث التليفون ·· فرحب بها ، وابدى لها استغرابه لزيارتها وابتهاجه بسؤالها عنه ، وانصت مترقبا ···

فقالت بعد فترة وصوتها يتهدج :

لست زائرة ولا سائلة !

قال : اذن ···

ولم يتمها لانها نظرت اليه كمن يستحلفه الا يتكلم · وانحدرت من عينيها دمعتان · فما تمالك نفسه أن تناول يدها ورفعها الى فمه يقبلها ويعيد تقبيلها ، فمانعته ، ولم تكف عن النظر اليه · ثم استجمعت عزمها ونهضت منصرفة ، وهى تتمتم هامسة : « دع يدى ، ودعنى ! » ثم انصرفت بعد أن سكن جائشها وزال من صفحة وجهها اثر الدموع · وللقراء ان يرجعوا الى صفحة ٢٩٥ من الجزء الرابع من ديوان العقاد ليعرفوا من قصة اتبكين اثر هذه الدموع فى نفسه ·

ويقول العقاد فى قصته :

« لو جاءت هذه الزيارة و « همام » فى بداية العلاقة بسارة ، لما كان بعيدا ان تقضى على تلك العلاقة ، وان ترد سارة اسما مغمورا فى عامة عنوان النساء · بيد انها جاءت وقد اوغلت العلاقة بينهما ايغالها الذى لا تراجع فيه ، وصمدت على طريقها تعدو مع الايام عدوا لا تنظر فيه الى الوراء · وفسح لها الطريق ان هماما لم يكن يوغل مثقلا بتبكيت الضمير ، لانه لم يخن هندا ، ولم يقصر فى حقها عليه ، ولا وهم انها تغضب من أمر لا عهد بينه وبينها فيه » ·

والواقع أن الذى كان بين العقاد والآنسة « مى » حتى اذا استقبلته فى موعد خاص فى البيت ، أو واعدته فى دار خاصة للعرض السينمائى ، لا يخرج عما وصفه الشاعر مهيار الديلمى :

قد كان ما ارضى العفاف كله ،
وبعض ما يرضى الغرام لم يكن

فالعقاد من حيث هو رجل ، لا يعرف الحب بالروح دون أن يشترك فيه الحس بنصيب · وهذا واضح جلى ، ومفهوم للقارىء من خاتمة العبارة التى نقلناه عنه فى اعتذاره لنفسه · وقد اجتمعت لنا الادلة العديدة على ذلك من مراجعة الجزء الرابع من ديوانه تحت هذا الضوء · فقد استطعنا التعرف على كل ما نظمه فى الآنسة « مى » معتمدين فى المراجعة على تلك العلامة الدامغة المشتركة فى حصة « مى » من اشعار الديوان سواء ذكر فيها اسم « هند » أم لم يذكر ، فهى جميعا فى الشكوى مر الشكوى من ضن الحبيبة وتمنعها · وقد كانت الآنسة العاقلة الفاضلة



رسائل متبادلة بين الآنسة
« مي » و « العقـــاد »



حريصة على الا يصارحها العقاد بحبه ، أو يسمي حبه لهـــا حبا ، خشية أن تضعف أمام هذه الكلمة ، أو حـــذار أن يزداد اجتراء على استهوائهاوتزيين الخطيئة لها ..

تقول لها احبك ، وهي غضبى
اتقلاها اذن لتلين قلبـــا ؟
وما بيديك أن تقلى ، ولـــكن
تحب ، ولا تسمى الحب حبـــا

انا لا اعرف في شرع الهـــوى
خصلة يندى لهـــا ذلك الجبين

***

اتلعبين بحبي أم تجدينـــا
وتضمرين الهوى ام انت تلهينـــا
انى لأعلم ان الهزل يتبعـــه
في الحب حد ، وان مارينه حينـا
فالهى بنا او فجدى ، لست ناجية
منه وان رغت منا ما تروغينـــا

واكبر الظن أن العقاد أحس منهـــا المزيد من العطف ، فأسرع في لهفة الى الاعتقاد بأنه « مولد الحب » وأرسل لها القصيدة التي نظمها في هذا المعنى ، فتعهدت أن تقسو عليه وتعرض عنه ، حتى يتراجع الى موقفه الاول · فأسرع الى نظم قصيدة « موت الحب » ومطلعها:

ولد الحب لنا ، وافرحتاه
وقضى في مهده ، واأسفاه

وكان هذا هو الحب بالروح والحس كما اراده العقاد حتى من الآنسة « مي » التي يجلها ويعرف لها المنزلة الرفيعة في الادب والمجتمع ·

اما الآنسة « مي » ، فكان حبهـــا للرجل من نوع آخر ، فلا شك انهاكانت تأخذ على العقاد ما يغلب عليه حيال المرأة من انانية الرجل الطبيعية ، بدليل قوله لها :

لا تعدى على عيبـــا ، فانى
لك كـــل محـــاسنى وعيوبى
وعيـــوب المحب اولى بعطف
من كمـــال فيه وحسن وطيب
هى كالطفلة الشـــقية تلقى
من حنـــان الآباء اوفى نصيب

بيد انها مع ذلك لم تكن تنسى العقاد حتى وهي بعيدة عن مصر ، فكانت تراسله من الخارج لا بارسال بطاقة

مصورة من كل مكان تزوره كما هى عادة المسافرين ، بل كانت تعنى بتدبيج الرسائل المطولة اليه ، وكان فيما تسطره ما يدل على انها تفكر فيه ، ومن ذلك اهتمامها بالبحث عن كتاب للاديب الايطالى امانولى كان مهتما به او كانت هى المهتمة بان يقرأه ، فهى تقول فى رسالتها للعقاد « ان رايت ان ارسله لك ، او يكون معى لحين عودتى ، فاكتب لى بذلك ... وسأحضر لك مجموعة من صور روما العريقة فى الفن والجمال والمدنية » ثم ارفقت بالرسالة وصفا من اربع صفحات عنوانه « نشيد الى ينابيع روما » .. وفيما يلى فقرة من هذا النشيد تنم على ما فى تلك النفس من الحب المكبوت وثورة القلب المحروم:

« يا ينابيع روما ، كم ذا سألتك خريرك ان ينسينى نفسى الجريحة .

نسيت نفسى ! يااللرغد وياللهناء ، لكنى اعود فاذكرها ويشتد عطشى الملتهب العميق ، واتلقى من مائك يا ينابيع روما ، واشرب شربة لها فى فمى طعم الترياق والكوثر .

« لحظة ليس غير . فقد رجعت الى حالى ، فما ارتويت بقطرة الا كانت لهيبا فى الاوان الذى لا يرتوى . وما فزت بلهم جديد الا كانت الخاطرة المستحدثة وقودا لعذاب فكرى ولمعه الى توسيع حدوده . وما نعمت بنعمة عطف الا كانت زكوة لعاطفة الحنان التى لا تشبع ولا تكتفى » .

ولقد أرسل العقاد ردا على رسالة روما هذه بقصيدة مطولة الى « مى » فى روما ، ومطلعها :

الـ روما لـكمو منـا الولاء
وثنـاء عاطر بعـد ثنـاء

فى حماكم كعبة ترمقهـا
مهج منـا وأمان ظمـاء

كعبـة لا كالتى يعمـرها
بينكم رهط القسوس الحنفـاء

من حيـاة هى ، لا من بنية
شادها صخر ، ووشاها طلاء

قبلتى يا « مى » فى ذاك الحمى
أنت ، لا القبلة من ذاك البنـاء

فبعثت اليه « مى » وهى فى برلين رسالة ختمتها بقولها « لقد أعجبتنى أبياتك وابكتنى ، هذه النفس الحساسة العالية ، الجياشة بالشاعر ، الزاخرة بالحب الرفيع ، هى الحب الاول الذى انصرف عنه العقاد الى « سارة » ذلك الانصراف الجسدى المشبوب ، حين لم يبق أمامه الا الاختيار بينهما ، بين النور والنار ...

بين الفتنة والحكمة

وكان العقاد بعد خمسة وثلاثين سنة من الحرمان ، قد صار فى دور « المراهقة ، الثانى » ، فلم يتمالك العقاد ان اذهلته تلك النار المتراقصة المتوهجة بالوانها القانى منها والارجوانى ، فانجذب اليها متعزيا عن النور بما يلمح وسط الدخان من بصيص

أترى العقاد كان واهما فى هذه المرأة « سارة » وهمه الاكبر ؟

حسبنا أن نقرأ قصة « سارة » لنعلم

« سارة »
العقاد

حق العلم ، أنه لم يكن هو نفسه ـ حتى فى غمرة هذه الفتنة ـ غافلا عن حقيقة زعمه ، بدليل قوله :

« منذ الازل وقفت هذه الفتنة الى جانب ، ووقف الى الجانب المقابل لها حكماء الارض وهداتها ومشترعوها واصحاب النظم والدساتير فيها . وقالت هذه الفتنة ، وقال الحكماء والهداة كلمتهم . وتظرت ونظروا ، ووعدت واوعدت ، ووعدوا واوعدوا امامك الناس جميعا ، فاسألهم واحدا واحدا : كم مرة سمعتم هذه ، وكم مرة سمعتم هؤلاء ؟

وانا الضمين لك ، ان فى تاريخ كل انسان مرة واحدة على الاقل ـ سمع فيها لهذه الفتنة ، ولم يسمع معها لحكمة الحكماء ولا لشىء من الاشياء !

ليست هى « المرأة » المسموعة هنا ، ولكنها هى « الطبيعة » ...

ليست ترجمة ذاتية

الواقع ان المقارنات التى عقدناها بين قصة « سارة » للعقاد والجزء الرابع من دواوينه لا تترك مجالا للشك فى ان القصة واقعية ، بل لعلى اخر من يجوز له الشك ، وانا لى اخر دور فيها .

فأنا ذلك العشير القديم الذى شهد خاتمة ماساة صديقه العظيم فى يوم « القطيعة » (الصفحات من ١٠٩ ـ ١١٢٠) . وكم كان بودى ـ لولا ضيق الرقعة ـ ان انقل الى القراء وصف العقاد الرائع الفاجع لذلك المشهد الاليم فى اليوم الذى تواعدا فيه للمقابلة الاخيرة القصيرة عند غبش المساء ، فى مفترق للطريق كان ملتقاهما مدى سنين ، ليسترد كل منهما رسائله وصوره وذكرياته ، ثم يفترقان ذلك الفراق الذى ليس له حتى آخر الدهر من تلاق . وكان العقاد قد دعانى لان اكون فى بيته قبيل الموعد او ذلك فيما امكن حتى يمنعه وجودى من التفكير فى العدول عن قراره القطيعة ... وهذا هو ذا يخرج امامى والعزم كله فى وجهه ، وان يكن علام الغيوب وحده هو الذى يعلم ما بقلبه . ولم تمض ربع الساعة حتى عاد . ولم يكد يدخل المنزل حتى تهافت على اقرب كرسى فى الحجرة التى كنت فيها . فلو شهده شاهد يجهل ما كان فيه ، لخاله قادما من مسيرة ايام لا مسيرة لحظات ...

واترك للاستاذ هنا ان يصف موقفه من كلمتى فى العزاء التى ماكان ليسمعنى او يسمع غيرى ان يجد ما كان يمكن ان يجدى بعد القطيعة غيرها ، الا اذا كان خير العزاء بعد القطيعة هو التهويل فى ضربة القضاء :

« وكان فى المنزل عشير قديم يعلم اين ذهب ومن اين عاد . فلما طال سكوت همام وعزوفه ، قال له صاحبه يمازحه ويسليه : علام انت اسف يا صاح ؟ هل تركت فيها من بقية وطر تشتهيها ؟ هل عندها من متعة لم تستوف شبعك منها ؟ فما بالك تأسى وتكتئب وقد اراحك الله من رفاتها بعد ان نعمت بروحها ولبابها ؟

« عزاء حسن حين تكون المرأة التى تفقدها مائدة تفرغ منها وقد اتيت على اخر لقمة فيها . اما حين تكون جزءا من الحياة لاتنفصل الا فصلت معها شطرا من لحمها ودمها وظاهرها وباطنها ، فذلك اضعف العزاء ، بل هو نقيض العزاء !

« انما يعزيك الزميل الذى تحسه قريبا منك بشعور مثل شعورك ... لقد يغنيك من عزائه احساسك بقربه ساعتئذ وهو صامت واجم دون كلام ولا ايماء . اما الكلام الذى سمعه همام من صاحبه وهو فى جواره ، فقد تركه ـ وهو يصغى اليه ـ وكأنه يتسمع الفاظا مغلقة من هاتف لا يراه ! »

« سارة » العقاد

هذا هو دورى ولا أعرف لى غيره ·

بعد هذه الشواهد كلها ، لا تبقى خلجة من الشك عند قارىء من القراء ، فى أن القصة واقعية ، ولكن ، هل يلزم من ذلك ، اعتبارها ترجمة ذاتية للعقاد اكثر منها قصة ؟

نقول كلا ، وما اكثر من قالها غيرنا من مشاهير النقاد ·

« سارة » ومكانها من الفن

الفن أو الاسلوب الفنى ، هو أول ما نلمسه لاول وهلة ، حين نفتتح من « سارة » أول صفحة « مضت خمسة أشهر قبل أن يجرؤ على عبور ذلك الشارع مشيا على قدميه · وليس الشارع مقفرا أو مخيفا ، لانه محاط بالعمار ، مزدحم فى جوانبه بالسابلة والسكان ، وليس هو بالبعيد عن طريقه ، لانه يوشك أن يحتاج اليه فى ذهابه وايابه الى حيث يقيم فى ضاحية المدينة · ولكنه كان شارعا يلتقيان فيه عند ذهابهما الى دار الصور المتحركة ، ثم يلتقيان فيه عند خروجهما منها ···

« فلما وقعت الجفوة بينهما ، وانقطع طريقهما الى تلك الدار ، كانت كل خطوة فى تلك الطريق كانما تثقل النفس بالام فوق اكام من الذكريات والالام · وكانت كل زاوية من الزوايا كانما تختفى فيها رصدا من الشياطين الثائرة والعقبان الكاسرة ، وكان اجتناب تلك الطريق أسلم الامور وأهون المحذورات ·

« ثم مضت الاشهر وخيل الى صاحبنا انه لم يعد يخشى او يذكر ، فاجترأ على العبور بالطريق مرة بعد مرة ، وعبر بها ثلاث مرات او اربعا على الاكثر ·

« فلما عبر الشارع المهجور تلك الليلة ، مطرقا كعادته حين يسير على غير قصد الى مكان معلوم ، سمع من جانبه صوتا يناديه ، صوتا يعرفه بين الف صوت ، بل بين جميع ما خلق الله من الاصوات والاصداء : صوتها هى بعينها يهتف به : اهو انت ؟

اهو انت ؟··· سمع هاتين الكلمتين فاحس لهما صدى كالقفار الهاوية تحت السفينة فى البحر اللجى من اثر عاصفة او زلزال ، وقبل ان يجيب عن ذلك السؤال الذى لا يحتاج الى جواب ، وفى اقل من رجع الصدى بل فى اقل من اللمحة الخاطفة التى انقضت بين ارتفاع رأسه اليها والتقاء نظره بنظرها ـ هجم على نفسه طوفان من الدوافع والهواجس التى لا يوجد لها اسم فى اللغات الانسانية ، لان اللغات الانسانية لا تستطيع ان تضع اسما لالوف من النقائض والمفاجآت التى يجتمع فيها الرعب والسرور ، والشوق والنفور ، والهيام والاشمئزاز ، وتريد فيها النفس ان تقف ، وتريد فيها القدم ان تسير ، بل تريد فيها النفس ان تقف ، لانها لا تقوى على ان تريد » ··· (باختصار من طبعة الهلال ـ الصفحات من ١١ ـ ١٦) ·

نقف عند هذا الابتداء الذى خرج به العقاد عن الترتيب الزمنى للوقائع ، حين اختار موقفا مكانه فى وسط القصة ، فجعله فاتحة القصة لنرى ما فى المخالفة لمنطق الواقع فى هذا التصرف من موافقة للفن ·

ان هذه اللحظة بالذات من القصة ، هى ــ عند العقاد وعند القراء ــ بمثابة موجة وقفت به وسط البحر المضطرب الاشباح المتلج الامواج ، وهو على قمته وبه شىء من الدوار · وليس فى الامكان فى هذه اللحظة الاطمئنان حق الاطمئنان ·· والبحر على الحال التى هو عليها ــ أن سيستمر انحدار الموجة به فى وجهتها الى ناحية البر ، ام أن ريحا معاكسة ستهب فتدفع الموجة الى الانحدار من جانبها الآخر عائدة من حيث جاءت الى لجة البحر التى ليس لها قرار ، الى الدوامة نفســـــها ، الى الاعصار المائى الموار الـــذى ظل امدا يدور به حتى كاد من الدوار يفقد وعيه، وهو تارة مســـتطار به الى الآفاق محلقا ، ثم اخرى مخســـوف به حتى أعمق الاغوار مغرقا وقد أوشك على الهلاك ··

هذه اللحظة الحاسمة التى ساقتــه اليها الاقدار ، والتى لا شك مع ذلك فى ان العقاد أسهم ــ من حيث يشعر أو لا يشعر ــ فى تعريض نفسه لها ·· هى لا شك من الاهمية ، بحيث يقضى الفن جعلها فى مقدمة القصة ــ تماما كما فعل العقاد ــ لان هذا الاجراء فى مقدمة الوسائل الفنية التى تضفى على الواقع صفة الفن ·

وقد يحرر العقاد متعمدا فى مواضع خاصة أخرى من القصة ، وســـــائل التقديم والتأخير فى طلب التأثير

ونكتفى ، بعد ما قدمناه فى الابتداء من المثال على التقديم ، ان نقرنه بهذا المثال على التأخير · فقد انتظر العقاد حتى استوفى الكلام عن العلاقات بين بطل القصة وبطلتها ، وما قام فى نفس الرجـل من الشكوك فى وفاء المرأة ولجوئه الى فرض الرقابة عليها ، وما كان من تعثرها اول الامر ، ثم الوقوع على الحقيقة ومن بعدها القطيعة هــذا الشوط الطويل كله انتظر العقاد حتى قطعه ، وبعـــده فصلان فى تحليـــل البطلة ، بعنـــــوان : « من هى » و « وجوه » ·· اى انتظر حتى صفحة (١٤٣) ليروى لنا « كيف عرفها ؟ » ، على خلاف العادة التى تقضى بأن يكون هذا التعريف فى البداية

هذا التصرف من العقاد ، فى سرد الوقائع على غيـــر الترتيب الواقعى ، متعمداً ذلك لاحداث ما يريده من التأثير قد خرج بكتاب العقاد من كونه تسجيلا لسيرة حياته فى اطار الترجمة الذاتية ، الى كونه قصة فى عداد الأعمال الفنية

ونعود الآن الى « قصة سارة » لنزيد على ما قلناه فى صفتها الفنية كقصة ، انها لا تعيش على واقعيتها · فنحن لا نكاد نعنى بواقع حوادثها فى ذاتها ، لاننا لا نكاد نحس لها على مسرح الواقع وجودا مستقلا عن المؤلف · ذلك ان مسرح وقائعها اولا واخــــرا هو قلب العقاد وفكره ، تخطر فيها كالاطياف فى صورة ذكريات متقطعة تصدر عن ذاكرته على حسب المناسبات ، سعيدة كانت او تعيسة ، فتلبس لبوسها وتتلون بالوانها ، حتى صورة « سارة » نفسها.

وبعد هذا كله، احسبنا نكون مقصرين التقصير كله فى حق « قصة سارة » ، اذا لم نذكر بالاعجاب الذى لا حد له ، ما تزخر به من التحليل النفسى حتى « فى بيتى » وهو أصغر كتبه حجما ، بل فى عبقرياته الاسلامية ، حتى آخر مؤلفاته التى اوفى عددها على المائة ·

ولا غرابة ، فالتحليل النفسى ربمـــا كان اكبر ملكات العقاد التى لا ينازعه فيها منازع · وهذا يحدونا الى أن نعيد مرة اخرى فى ختام مقالنا قولة استاذنا على طريقة التحدى التى لازمته ولازمها.

حتى صارت مألوفة عنه ، بل لطيفة منه : « واخيرا فرغت لاتمام « سارة » ، فاتممتها بعد برهة ، على الصورة التى ظهرت بها : رواية تحليلية او تحليلا روائيا ، كمـــــا يشــــاء مـــن يشـــاء » ·



يحيي حقي فنان

الصورة القصصية

يوسف الشاروني

ولد يحيى حقى فى السابع من يناير عام ١٩٠٥ فى درب الميضة وراء مسجد السيدة زينب ، ولاشك ان مولده فى هذا الحى كان له اثره فى ان تكون الاحياء الشعبية - وحى السيدة زينب بالذات - مسرحا محببا الى قلبه فيما ابدعه من انتاج أدبى فيما بعد . ويبدو انه فقد اباه فى طفولته ، فتحملت امه مسئولية تربيته واخويه ابراهيم واسماعيل ، فحرصت على الحاقهم باعلى مستويات التعليم . وحصل يحيى حقى على « البكالوريا » عام ١٩٢١ ، ولما كان من بين الخمسين الاوائل فقد التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها عام ١٩٢٥ .

عمل يحيى حقى معاونا للادارة لمدة سنتين فى مدينة منفلوط بالصعيد الاوسط ، وقد سجل ذكرياته خلال تلك الفترة فى كتابه « خليها على الله » ، ثم انتقل للعمل بالسلك الدبلوماسى مما اتاح له التنقل فى كثير من البلاد الاجنبية ، لا تنقل السائح العابر بل تنقل الرحالة الذى يتاح له أن يعيش من الداخل مع كل قوم يقيم بينهم ، حتى أن زوجته الثانية فرنسية ، وكانت الزوجة الاولى قد توفيت بعد فترة قصيرة من ولادتها ابنته الوحيدة . وهو يوضح أثر السنتين اللتين أمضاهما فى الصعيد فى ختام كتابه « خليها على الله » فيقول انه كان يمكن - خلال عمله الدبلوماسى - أن تأسره المظاهر البراقة ويشبع ويصبح « ثقافة لابسة سموكن » ، لكن شيئا واحدا انقذه هو عمله بالصعيد الذى طالما أرهقه وأذاقه من عذاب الجسد والروح اشكالا والوانا ، فقد عرف بفضله بلده وأهله ومشاكله وشدة حاجته لمن يأخذ بيده من أبنائه حتى كاد يؤمن أن خير من يصلح للتمثيل الدبلوماسى هو من غرق فى الريف بين احضان أهله زمنا غير قليل .

الى جانب ما كان لمسقط رأسه ولاول مكان عمل فيه من اثر على انتاجه الادبى ، فقد كان للبيئة التى

نشأ فيها اثرها بدورها عليه . لقد نشأ يحيى حقي في وسط يحب القراءة، فأخوه الاكبر ابراهيم كون مكتبةعربية انجليزية كانت أول معين استقى منه ، وأخـــوه اسماعيل كتب مسرحية لم تمثل . أما عمه محمود طاهر حقى فهو مؤلف رواية عــــذراء دنشواى وقصص ومسرحيات أخرى .

كذلك اذا لاحظنا أن سنوات النضج الفنى المبكرة ليحيى حقى كانت عقب ثورة ١٩١٩ ، وجدنا انهـــا تركت بصماتها الواضحة على انتاجه الادبى واهمهـا الشعور بالقومية المصرية . فهذا الشعور ترك آثاره على الفنون والآداب بمختلف انواعها فى ذلــك الوقت . فظهر مختار فى الفن التشكيلى يستلهم مصر الفرعونية ومصر الحديثة فى تماثيله شكلا ومضمونا ، وظهر سيد درويش الذى أجرى تغييرا حاسما فى الموسيقى الشرقية ، فبعد أن كانت تعتمد على الطــرب وعنصر التكرار عمل على ايقـــاظ الشعب بأغــان استخدمت معانيهـــا كمـــا استلهمت موسيقاها من حياة الطبقات الشعبية .

أما فى مجال القصة القصيرة فقــد ظهرت مدرسة اطلقت على نفسها اسم « المدرسة الحديثة » تدعو الى ايجاد فن مصرى صادق الاحساس ، وأدب واقعى متحرر من التقاليد . هـــذه المدرسة هى التى اتصل بهـــا يحيى حقى ، ونشر فى صحيفتها : الفجــر (صحيفة الهدم والبناء) أولى قصصه عام ١٩٢٦ ، وكان لا شقيقا وبالتالى يتأثر بما يكتب فيها ، وبما يدور من مناقشات بينه وبين من يكتبون فيها .

يحـــى حقـــى

وكان رئيس تحريرها أحمــد خيرى سعيد ويلقبه يحيى حقى بناظر المدرسة التى كان من أعضائها محمود طــاهر لاشين وابراهيم المصرى وحسن محمود ومحمود عزى وحبيب الزحلاوى والدكتور حسين فوزى .

ويرى يحيى حقى ان اعضاء هــذه المدرسة ـ وهــو أحــدهم ـ مروا بمرحلتين : مرحلة اتصـــال بالادبين الفرنسى والانجليزى واطلق على هذه المرحلة الحاسمة اسم مرحلة الغــذاء الذهنى ، ثم مرحلة الاتصال بالادب الروسى وتلك هى مرحلة الغـــذاء الروحى ، وقد بهرهم الكتاب الروس بمـــا حرك نفوسهم والهب عواطفهم ودفعهم للكتابة بحرارة الشباب ، ذلك لانهم وجدوا أدبا يتحدث عن الاعتراف والنزعة الى التطهر والفداء والبكـاء على مآسى الحياة والايمان بالقــدر والثورة عليه فى وقت واحد ، أدبا يتحدث عن الصـــلاة والتراتيل وعن الخمر والبغاء والجريمة والعقـــاب والقديسين والشياطين ، وهو يحفــل بدراسة النفس البشرية والمشـــاكل الاجتماعية نفس حفاوته بوصــــفه الطبيعة ومشاهدها والتغنى بجمالها ... وهذه أجواء توافق مزاج الشباب الشرقى الملتهب العاطفة المحروم مــن الحب . وقد ترك هذا كله اثره الواضح بدوره على النتاج يحيى حقى الادبى ، كما تركه على النتاج زملائه .

تأملى ، وصفى ، تحليلى

الى جانب ما تركه مسقط رأسه والبيئة الاسرية واتصـــاله بالمدرسة الحديثة وليدة ثورة ١٩١٩ ، نجد أن الجو الادبى بالمعنى الاوسع كان له

اثره الاقوى لا سيما في الشكل الادبي الذي تميز به يحيى حقي . فلا شك انه قرأ في شبابه البكر عبرات المنفلوطي ونظراته وهو مما يعتبر في باب المقالات القصصية ، كما رأى ادباء يبرعون في هذا الفن مثل ابراهيم عبد القادر المازني .

كل هذا كان له تأثيره عليه الى جانب مزاجه الفني الخاص . فيحيى حقي هو التيار المستمر الذي يمثل انتاجه صراع المقال الادبي مع القصة القصيرة بالفن الغربي التي وفدت علينا في اواخر القرن التاسع عشر حتى امكن شتلها في بيئتنا المصرية قبل ثورة ١٩١٩ . فكانت محصلة هذا الصراع لديه هي غلبة ما يعرف في النقد الادبي بالصورة القصصية .

ولعل مجموعته ، عنتر وجولييت ، هي انصع دليل على هذا الصراع ، فقد قسمها قسمين : القسم الاول تسع قصص ، والقسم الثاني احدى عشرة لوحة كما سماها . وهو يصف هذه اللوحات بانها شيء متردد بين الانتساب من قريب الى المقال والانتساب من بعيد الى القصة القصيرة ، فليس غرضه الاول هو عرض اراء بل وصف الحياه وطبائع البشر .

وهذه اللوحات لم تولد منفصلة عن القصص ، بل ان يحيى حقي يدلنا بنفسه عن كيفية ولادتها اثناء صراع القصة والمقال في لحظة ابداعه الفني . فهو يردد قول تشيكوف ان القصة القصيرة الجيدة هي التي لها مقدمة محذوفة . ويضرب مثلا على ذلك بقصته المساء ، في العيادة ، فهو يقول انه وجد نفسه حين كتبها يطيل المقدمة حتى بلغ حدا يفوق القصة ذاتها كمقدمة للقصة ، وان ابقاها في الكتاب بين لوحاته . ويستطرد قائلا : وسيلاحظ القارىء ان المقدمة هي التي هيأت لي ان ابدأ القصة ذاتها وانا شديد الاحساس بعذاب الانتظار ، فالقصة تدور حول عانس تعاني انتظار الزوج ، والمقدمة تصف عذاب زوار العيادة في انتظار الطبيب .

ويمضي يحيى حقي خطوة ابعد في اعترافه بالشكل الادبي الذي يؤثره حين يتحدث عما نشره على انه قصص ، مثل قصة ، قنديل ام هاشم ، التي يقول عنها : انا ادرى الناس بعيوب هذه القصة ، واهمها خلوها من الحوادث ، وربما كان رشاد رشدي على حق حين نفى عنها صفة القصة ، ولكنها تمثل مع ذلك فهمي الخاص للقصة ، فانا ضيق الصدر بالسرد وتتابع الحوادث واحب ان اصل بسرعة الى المغزى والدلالة .

واخيرا يعمم يحيى حقي هذا الحكم على انتاجه بقوله : على كل حال تستطيع ان تصف اغلب انتاجي بانه تأملي وصفي تحليلي . ولذلك فعنصر الخيال فيه ضعيف والحادثة كذلك ليست بذات اهمية .

خطوات التجارب الميدانية

ونحن وان كنا لا نوافق الاستاذ يحيى حقي على بعض هذا القول - ففيه شيء كثير من تواضع الفنان - الا انه يحدد لنا الشكل الادبي الذي اثره . فعنصر الخيال موجود بلا شك فيما قدمه يحيى حقي من صور قصصية .

وهو نفسه يعود في مقال له عما سماه باللوحات القلمية للشيخ مصطفى عبد الرازق فيصفها بانها تنأى عن الاسلوب التقريري والتعبير المباشر والهدف المفضوح ، ولهذا فلا يمكن تسميتها بالمقال لانه ليس من شأن هذا الفن صنع اداة من منطق سليم يخاطب العقل وحده ويزيده علما ، بل ان يحدث في روح القارىء هذه الهزة اللذيذة التي هي من فيض ربات الفنون وحدها

يحيى حقي

مهما تعددت أسماؤها ، انه اذن فن بين بين ، ولعل هذه الصفة البينية هى التي تضفى عليه جماله الفريد الحائر النسب ، وهى التى يكمن فيها كذلك سر تضعضعه واهمـــاله عندما يستبد عند النقاد مطلب التزام القوالب المقررة المعتمدة •

وعمـــر الفن يمضى فى محـــاولة الابتكار ، ويهرب من قيود الحـدود المرسومة • انه فن يحركه مزاج يمنحه ندرة الانتباه لتعدد الخيوط وتشابكها فى نسيج الحياة ، والوقوف عنــد التناقضات وقفـــة التعجب ، لطلب التفكه تارة ، وطلب التأسى تارة ، أو لطلب أرقى متعة وتعقيد يختلط فيه التفكه والتأسى معا ••وهو فن ألفاظه غير مستمدة من القاموس ، كمـــا فى المقالة ، بل من التفاعل الداخلى فى العمل الوليد ، ومن تشابك الاشارات المتبادلة بين جوانبه من قريب ومن بعيد •

ويرى يحيى حقى انه وان كان هذا الفن قريبا من القصة لهذا السبب ، فهو أيضا قريب من الفنون التشكيلية لان متعته الكبرى الرسم وان كـــان بالكلمة لا باللون والفرشاة • فالمرئيات مجاله كمــــا هى مجــــال الفنون التشكيلية ، وان تعداها فطمع أيضا أن يرسم بالقـــلم ملامح العواطف مستقلة فى عالمهـــا المعنوى وليس باعتبارها ملاحظة بادية على الوجوه ناطقة فى العيون • ولهذا فهو أيضا من أقرباء الشعر •

ويعلن يحيى حقى أن هذه اللوحات القلميـــة أو الصور القصصية تكاد تستقل بأغلب الانتاج البكر لمحمـــد ومحمود تيمور وطاهر لاشين وبقيـــة أعضاء المدرسة الحديثة ، لانها كانت بمثابة الخطوات الاولى والتجـــارب الميدانية فى فن القصة القصيرة •

المرحلة المبكرة من انتاجه

فاذا استعرضنا ما كتبه يحيى حقى فى الفترة الاولى من حيـــاته الادبية (من عام ١٩٢٦ حتى عام ١٩٣٢) سواء فى صحيفة (الفجر) أم فى صحف أخرى كالسياسة ، والمجلة ، والمجلة الجديدة ، فاننا نجد فيه بذور معظم انتاجه الادبى بعد ذلك •

فقصـــة قلة ومشمش ولولو قصة ثلاثة كلاب تمثل ثلاثة اجنـــاس أو طبقات فى المجتمع المصرى وقتئـذ ، مشمش قط بلدى من متشردى القطط تمتلكه أسرة أبو السعود أفنــــدى المصرية ، ولولو كلب صغير الحجم من صنف خليط بين البلدى والرومى له ذيل مقطوع وشعر غير طويل ، علقت صاحبته الرومية فى رقبته جرســـا صغيرا يرن كلمـــا جرى أو مشى ، وتسمع نباحه الضئيل كلما أقبل طارق على باب الشقة • أما قلة فهى مـــن الصنف الرومى بيضاء اللون ذات ذيل قصير وشعر طويل ورأس صـــغير مستدير وعينين مستديرتين لونهمـــا أزرق كلون السماء الصافية وتملكها امرأة تركيـــة ، وتتلخص القصة فى هجوم مشمش على قلة وتدخل لولو ،

وينعكس هذا بدوره على اصحاب الكلاب الادميين فتدور معركة بينهم .
نلاحظ في هذه القصة اهتمام يحيى حقي المبكر بعالم الحيوان ، هذا الاهتمام الذي لازمه واصبح من اهم معالم ادبه فيما بعد ، ولعل هذه القصة - التي لم تضمها احدى مجموعاته - كانت وراء كتابته قصة عنتر وجولييت فيما بعد ، وهما بدورهما كلبان احدهما بلدي والاخر افرنجي . ولئن كنا نلحظ في هذه القصة بذور الاهتمام من ناحية المضمون بعالم الحيوان ، فاننا نلحظ فيها اهتمامه من ناحية الشكل بالصورة الوصفية التي اصبحت هي ايضا من معالم فنه القصصي ، حيث قدم لنا في هذه القصة ثلاث صور وصفية للكلاب الثلاثة .
اما قصة السخرية او الرجل ذو الوجه الاسود فهي قصة يعترف مؤلفها انه كتبها متاثرا بالقصاص الامريكي ادجار الان بو بعد ان قراه ، وفيها نجد بذور اتجاهه الرمزي الذي وصل الى ذروته فيما بعد في قصته «صح النوم» .

وبعكس ذلك نجد أن قصة « قهوة ديمتري » تمثل اتجاهه نحو الواقعية، وكان يحيى حقي يفهم الواقعية في ذلك الوقت بالمعنى التسجيلي ، ويعترف هو نفسه بذلك قائلا انها قهوة حقيقية موجودة في مدينة المحمودية ، وقد اعطتني هذه القصة درسا انتفعت به طول حياتي . فقد سجلت فيها الواقع كما هو ، ووصفت العمدة بطربوشه المائل كما هو في الحقيقة ، مجرد وصف برىء لا اقصد به شيئا، فاذا بالعمدة يغضب غضبا شديدا ويظنني اهزأ به ، فتجنبت ذلك فيما بعد ، وفهمت أن الادب الواقعي ليس هو التصوير الفعلي ، واصبحت الشخصيات التي ارسمها ليست منقولة عن فرد واحد بل عن مجموعة من الافراد .

اما قصة « الموت والتفكير » فقد وضح فيها اتجاهه الذي سيصبح هو الاتجاه المسيطر على ادبه كله فيما بعد كما ذكرنا ، وهو الشكل الفني الذي يجمع بين القصة والمقال ، وهو يحدد هذا الشكل لنفسه بنفسه في تلك الفترة في بعض ما كتب ، فقصة « عشمه » التي نشرت في صحيفة السياسة عام ١٩٢٨ يقول عنها انها « صورة اجتماعية » ، بينما يجعل عنوان قصة اخرى « صور من الحياة » .
اما « قصة في سجن » فانها تمثل بذور موضوع من اهم الموضوعات التي اهتم بها يحيى حقي في قصصه فيما بعد وهو عامل الارادة في حياة الناس .

وحين سئل يحيى حقي عن اهم الافكار التي تلح عليه في قصصه كان اول هذه الافكار هو الاعلاء من شان الارادة وجعلها اساسا لجميع الفضائل .. وهذا ناتج عن تصوره ان العالم معركة كبيرة ، والسلاح هو الارادة . ثم يستطرد قائلا انه اغرم بان يصف مرارا شخصية رجل طيب لكنه ضعيف الارادة فتكون النتيجة انه يجرن . نجد هذا في نهاية الشيخ مصطفى التي نشرها في السياسة ، وفي قصة ام العواجز ، والسلحفاة تطير ...
و « قصة في سجن » تمثل اثر الضغط الجنسي على ارادة الرجل في علاقته بالمراة ، فهي قصة عليوى الفلاح المجتهد الامين الذي وثق به صاحب الارض فكلفه بان يمضي بقطيع له من الاغنام الى تاجر من معارفه بالبندر ليعقد صفقة بيعها . فتلتقي القادر في طريقه بغجرية شابة يهيم بها الى حد الهوس ، ويعرض عن حياته السابقة كلها ، حتى يبدد ما اؤتمن عليه ،

ويصير صعلوكا يلاحق الغجــــر في طوافهم ، ويصبح طريدا مثلها ، بعــد أن ذابت ارادته في ارادتها ٠

وقد تتبع الدكتور نعيم عطية هذا الخيط في قصص يحيى حقي في بحث طويل مخطوط لم ينشر الا جزءا منه في مجلة الرسالة الجــديدة (مايو ١٩٧١) عن الضــغوط الاجتمــاعية في عامل الارادة في أدب يحيى حقي ، وفي فصول البحث الاخرى يتحــدث عن أثر الضغوط الجنسية على هـــذا العامل ، ثم واصل انهزام هـــــذه الارادة من التردد الى التراجع الى الهاوية فالانعدام التام بلا ارادة ٠

والقصص التي أشرنا اليها ، لاسيما « قصة في سجن » تستخدم « الحــوار العـــامي » ، وهو أمر ظل يحيى حقي مخلصا له حتى آخر مجموعة قصصية نشرها وهي « عنتر وجوليت » ٠ أما السرد فقد أوضح لنا في مقدمة هذه المجموعة انه يستخدم فيه اللفظ العامي بشروط معينة يلتزم بها ٠٠٠

كذلك فان « قصة في سجن » تدلنا على اهتمام يحيى حقي المبكر بتجاربه على الشكل القصصي ، فقد حـــاول ــ خلافا لزملائه ــ الا تجيء قصصه على وتيرة واحدة ٠ ففي هذه القصة مثلا نجد استخدام أكثر من وسيلة للسرد القصصي ففيها الوصف وفيهــا الحوار والمونولوج وهو شكل لم يكن مألوفا وقتئــــذ ٠ كذلك فان قصة « السلحفاة تطير » التي نشرت في تلك المرحلة تنتهي بما تبدأ به ، وهو ما أطلق عليه يحيى حقي اسم الشــــكل الدائري ٠

وهكذا نجد ان قصص يحيى حقي المبكرة تتضمن معظم البذور التي تطورت ونمت فيما كتبه فيما بعد وأولهــــا تطبيق الدعوة الى خلق أدب مصري نابع من بيئتنا ، واهتمامه بعـــــالم الحيوان ، واتجاهه الواقعي والرمزي ، واهتمامه بعامل الارادة في حيــــاة أبطاله لاسيما عامل الجنس في تلك المرحلة الاولى ، ثم حواره العامي ، واجراء أكثر من تجربة على الشكل القصصي وأخيرا ــ وهو أبرز خصائصه الفنية ــ غلبة الصورة القصصية على انتاجه ، والى جانب ذلك فقد بدا في هذه المرحلة المبكرة اتجاهه الى النقد الادبي ، وهو ما عده البعض ــ ومنهم يحيى حقي نفسه ــ انه ينتمي الى النقد التأثري ٠ بينما رأى بعض النقـــــاد ــ كالدكتور محمد مندور ــ انه ادخل في باب النقد التقييمي ٠

تلك هي أبرز معالم المرحلة الادبية المبكرة ليحيى حقي ٠ ولعل السنتين اللتين أمضاهما في الصعيد كانتـــا أكثر السنوات تأثيرا في حيــــاته الشخصية وانتاجه الادبي على السواء، فقد استقل في معيشته لاول مرة في حياته كما أتيحت له حرية الاتصـــال الجنسي وتجربة أول حب في حياته ، واتصل بالطبيعة المصرية اتصــالا مبـــاشرا حيث عرف الريف المصري وفلاحه وحيوانه وما فيه من جمـــال وبؤس ٠ وسجل هذه التجربة علــى مستويين :.مستوى الذكرات في كتابه « خليها على الله » ومحورها الهوة التي تفصل بين الحكومة والفلاحين٠٠٠ ومستوى التصوير القصصي في مجموعة دماء وطين وهي صعيديات تدور في منفلوط ، ولهـــــا بقية في مجموعة أم العواجز كقصة « قزازة ريحه » و « حصير الجـــــامع » ٠ ومن أجل قصصه التي استلهمها من تجـــربة وجوده بالصعيد وكتبها في تلك المرحلة قصة « البوسطجي » ، وفيها يواصل تجربته في الشــــكل القصصي حيث يستخدم ما يعرف بالفلاش باك وهــو شــكل كان نادر الاستخدام في ذلك الوقت ٠

المراحل الاخرى

اما المرحلة الثانية فتبدأ بسفره الى الخارج الذى انتهى الى اوربا عام ١٩٣٤ مارا بالحجاز وتركيا . تلك مرحلة اتصاله بالحضارة الاوربية وبدء تتلمذه فى الموسيقى والتصوير والمسرح . وكان اثر هذه المرحلة فى حياته اتساع افق ثقافته . وبعد عودته من اوربا كتب قصته القصيرة الطويلة الشهيرة « قنديل ام هاشم » التى عبر فيها عن مشاعر الصراع بين الشرق والغرب ، كما عبر توفيق الحكيم عن الموضوع نفسه فى « عصفور من الشرق » ومن بعدهما كثير من الادباء المصريين والعرب لعل آخرهم الطيب صالح فى روايته « موسم الهجرة الى الشمال » .

فاسماعيل بطل قنديل أم هاشم ظن أن ما تلقاه فى الغرب من علم كفيل وحده بان يعالج أدواء الشرق ، فاعلن حربه على ما رآه جهلا وخرافة ، لكنه ما لبث أن أدرك خطأ تهوره ، وأن لا علم بلا ايمان ، او على الاقل أن عليه الا يهزأ بمعتقدات قومه اذا اراد ان يكتسب ثقتهم ويفيدهم بعلمه .

أما المرحلة الاخيرة فى حياة يحيى حقى الادبية فتتمثل فى قراءته قدرا كبيرا من الادب العربى القديم ، ابتداء من عام ١٩٣٩ سواء من الشعر الجاهلى أم امهات الكتب العربية .. ومنذ ذلك الحين وهو شديد الاهتمام باللغة العربية وأسرارها .

وفى هذه المرحلة كون فكرته عن قدرة اللغة العربية على الاختصار الشديد مع الايحاء القوى . ونتيجة لاهتمامه المزدوج باللغة العربية من ناحية والآداب الاجنبية من ناحية أخرى تحمس لاصطناع اسلوب جديد اطلق عليه اسم الاسلوب العلمى الذى يهتم بالدقة والعمق ، ودعا الى هذا الاسلوب فى محاضرة القاها بدمشق عام ١٩٥٩ طالب فيها باسقاط حروف السببية وروابط الجمل ، وعدم الاستطراد وترديد المترادفات ، وبعبارة اخرى دعا الى الثورة على ما سماه بالسجع الذهنى بعد أن تخلصنا من السجع اللفظى . وطبق هذا الاسلوب الذى يدعو اليه فى قصته « عنتر وجولييت » .

أما الخاصية الثانية التى تميز بها اسلوبه فى هذه المرحلة المتأخرة فهى الاسلوب الفكاهى ، وهو أسلوب نابع من استمرار محاولته خلق أدب مصرى نابع من الروح المصرية التى تعشق الفكاهة ، حتى لنحس كأنما هو أسلوب أولاد البلد أثناء سمرهم . وتدلنا على ذلك عناوين بعض كتبه التى نشرها فى تلك المرحلة مثل « دمعة فابتسامة » ، وهذه العناوين تدلنا على أن فكاهته ليست فكاهة خفيفة ولا هى فكاهة لفظية ، بل هى فكاهة ممتزجة بالمأساة حينا ، وبالفكر حينا ، فكاهة نابعة من ميل كاتبنا الى السخرية فهى وسيلته الى نقد ما يراه من عيوب .

يحيى حقى

أما الخاصية الثالثة التى أصبحت من معالم أسلوبه فهى الجمل الاعتراضية والاستفهامية ، وقد غلبت

ذلك الدكتورة نعمات أحمد فؤاد تعليلا ذكيا حين قالت انه الراغ معنى فى الطريق للتخلف منه فى زحمة المعانى والافكار • كما عللها مصطفى ابراهيم حسين فى كتابه الذى الفه عن يحيى حقى بأنها قد تكون لايضاح الجملة الاصلية أو تحديد اطلاقها أو تحديد معنى جديد أو استلفات الانتباه الى فكرة جانبية • كما قد تكون نوعا من الميل الجارف الى الاستطراد والتزيد ، أو نوعا من تمرد الافكار والمعانى الفرعية عند الكاتب فتتدافع بقوة لتضعف أمامها قوة الفكر الاساسية •

كذلك يتسم أسلوبه بكثرة التشبيهات المستمدة من صميم حياتنا • ويحيى حقى يرى أن التشبيه من الادوات الرفيعة التى يعتمد عليها الاسلوب الفنى ، وفيه تظهر فلسفة المؤلف فى ضم الاشتات المتفرقة المتنافرة فى وحدة لها مغزى ، هو وسيلة المؤلف فى التقريب بين عالم الماديات والمعنويات ، وهو الدليل على مدى نفوذ نظرته الى الكون •

هذا من ناحية الاسلوب •• اما من ناحية الموضوع فنجد ان يحيى حقى شغف بالدراسات النفسية ، وكانت له فيها قراءات مستفيضة وفى تراجم كبار الفنانين المصابين بتمزقات روحية ونفسية • ومن القصص التى يتضح فيها هذا الاهتمام قصة « مرآة بغير زجاج » من مجموعة ام العواجز ، و « سوسو » من مجموعة « عنتر وجولييت » ، حتى تصل الى اخر قصة أعتقد أن الاستاذ يحيى حقى نشرها فى قصة « السرير الشاغر » وفيها يصل التمزق النفسى الى مدى بعيد •

الرمز والواقع الحى

ولعل كتابه « خليها على الله » هو ابرز ما الفه – وليس ما جمعه ونشره – فى تلك الفترة • ففى هذا الكتاب الذى استعاد فيه ذكرياته عن صعيد مصر وهو على بعد ثلاثين عاما مما يكتب ، نجد أن فن الصورة القصصية يتألق عنده بصورة لم يسبق اليها ، وكأنه وجد ذاته الادبية القصصية ، فهو فى رأيى جوهرة ما كتب • ان يحيى حقى لا يبلور لنا فى هذا الكتاب شكله الادبى الاثير فقط ، بل وموضوعه الحبيب الى قلبه : مصر بكل ما تنبض به أعماقها، يقدمها لنا عارية تحت وهج شمس الصعيد بكل خصائصه الاسلوبية وقد نضجت ، فتضحك وتبكى ، وتحب الحيوان وتشفق على الفلاح وتسخر من بعض من وكل اليهم ادارة الامور•

وفى نهاية هذا الكتاب وعدنا بجزء ثان عن ذكرياته اثناء عمله الدبلوماسى خارج مصر • لكنه وان لم يف بوعده تماما الا انه دون لنا بعض ذكرياته فى استانبول فى كتابه « دمعة فابتسامة » ، كما انه قدم لنا كتابا طريفا ممتعا عن رحلة أخيرة له فى باريس لمدة شهر بعنوان « حقيبة فى يد مسافر » •

ولئن كان موضوع كتابه « خليها على الله » هو الهوة التى تفصل بين الحكومة والفلاحين ، فان موضوع « حقيبة فى يد مسافر » هو الهوة الحضارية التى تفصل بيننا وبين الغرب ، حتى النظافة التى يحض عليها الاسلام افتقدناها هنا بينما تجدها هناك حتى قال الامام محمد عبده : « ان اهل اوربا هم مسلمو هذا العصر اما نحن فكفرته » • لهذا يتساءل هذا الكتاب فى كل صفحة من صفحاته عن سر هذا الجنس الابيض ، ما سر تفوقه علينا ، اين يكمن فيه الفضل وأين يكمن فينا العيب ، هل تستطيع

يحيى حقي

أن تلحقه أو نماشيه وكيف ؟ هنا خلفت حدة السخرية واستحالت أسى ، وتوارت الفكاهة خلف ابتسامة باهتة ، فنحن امام تحد جاد لانفسنا قبل أن يكون مع غيرنا ، أن يحيى حقي تؤرقه هذه الهموم ويجعلنا نأرق معه.

أما الاستفادة الفنية من كتاب « خليها على الله » ، فقد جاءت في أطول قصة كتبها يحيى حقي بعد ذلك بعنوان « صح النوم » ، وهي تجربة فنية فريدة من نوعها قدم لنا فيها يحيى حقي قرية مصرية في عهدين : الأمس واليوم ، وكيف أن الامور تطورت في عهد اليوم الى افضل لكن برزت مشاكل جديدة أهمها أن هناك من يريدون أن يعيشوا عيالا في الذل وعيالا في الحرية أيضا حتى أن احدهم يسأل : متى ننعم بالرخاء الموعود ، فناكل مثل الحكام لحما كل يوم لا مرة كل أسبوعين . فيكون الجواب : حين تحسن زرع الارض ، فيعود محصولها، وتحسن زرع الخضر والفاكهة وتربية الدواجن والنحل ، وتحسن نسج الصوف ، فليت كان سؤالك الآن متى أتعلم مثلهم .

والرمز في هذه القصة واضح ، وكان يمكن ان يتهددها خطر التجريد لسيطرة الفكرة لولا الاستفادة السابقة للمؤلف من تجربته في منفلوط والتي قدم ذكرياته عنها في كتابه « خليها على الله » . وبذلك استطاع ان يكسو هيكله الرمزي بما في الواقع من لحم حي . فالقرية اقرب ما تكون الى احدى قرى الصعيد التي عايشها المؤلف في شبابه المبكر ، وخمارتها لابد مستمدة من خمارة منفلوط التي كان يملكها أجنبي وجاء ذكرها في ذكرياته ، كذلك السيرك في « صح النوم » لا شك استمد أصوله من ذلك السيرك الوارد في « خليها على الله » وليس الامر مقصورا على الاماكن فحسب بل ان الشخصيات في « صح النوم » مستمد بعضها من شخصيات « خليها على الله » ، مثل العمدة رمز الحكم الفاسد والشيخ رمز النفاق . أما الصور الوصفية والقصصية التي قدمها في « صح النوم » فليست الا امتدادا لهذا الفن الذي برع فيه يحيى حقي وتألق به في « خليها على الله » . وهكذا نجد أن هذه الذكريات هي مصدره الحي الذي منه سرت شرايين الواقع الدافىء الحي في قصته « صح النوم » .

بالشجاعة والصبر والاصرار

ونحب اخيرا أن نلخص ما تميزت به هذه المرحلة الاخيرة من حياة يحيى حقي الادبية فيما يلي :

أولا : أنه جمع في كتب ما سبق ان نشره متفرقا في الصحف ، فاتيح للاجيال التالية أن تتعرف على أدبه المبكر .

ثانيا : غلبة الصورة القصصية على كتابته نهائيا ، بينما اصبح للنقد المرتبة الثانية . كما انه دخل ميدان التاريخ الادبي بتاريخه لجيله من

الرواد في كتيبه «فجر القصة المصرية» الذى يعتبر احد المراجع الهامة لتلك الفترة بالرغم من صغر حجمه لانه بقلم واحد من ابناء هذا الجيل نفسه. اما القصة القصيرة فكانت تتوارى تماما .

ثالثا : احتضانه الادبى لكثير من الادباء الشباب ، وتمثل ذلك علي الاخص فيما كتبه من مقدمات لكثير من الروايات والمجموعات القصصية التى كتبها الجيل الثالث من الادباء . وهو يكتبها بروح الابوة التى لاتقسو لتهدم لكنها ايضا لا تدلل فتفسد .

رابعا : اسهامه فى الترجمة من اللغتين الفرنسية والانجليزية لعدد من المسرحيات والسير والمؤلفات الوصفية . وهي ترجمات وان حرصت على الاحتفاظ باسلوب مؤلفها الا ان القارىء لا يخطىء اسلوب يحيى حقى خلفها . فقد كانت هذه الترجمات انجح تطبيق لاسلوبه الذى التزم به منذ بدء حياته الادبية فى اعماله المبكرة ، وذلك امر طبيعى حيث انه كان يضع الاساليب الاجنبية وما فيها من تركيز نصب عينيه وهو يتخذ هذا الاسلوب منهجا له ، فكان من السهل عليه تطبيق دعوته حين يترجم عن اللغات الاجنبية .

***

يقول يحيى حقى ان ميله الي التحديد والحتمية هو الذى جعل قبضته فى القصة الطويلة تضعف ، ولعل هذا هو الذى جعله لا يجرب كتابة الرواية. كما يقول أنه احيانا يكتب الجملة الواحدة من سطر ونصف سطر اكثر من ٣٥ مرة حتى يشعر انها جاءت متقنة ، ولعل هذا هو الذى جعله مقلا. لكنه هو الذى جعله ممتازا .

ان يحيى حقى قد تحمل مع زملائه ممن نسميهم اليوم شيوخ ادبنا المعاصر عبء الريادة واهم ما فيها تطويع اللغة العربية لمطالب القصة المعاصرة شكلا ومضمونا ، وما يتطلبه هذا العبء من شجاعة وصبر وتعثر واصرار ومواصلة . فكان قصاصا وناقدا ومؤرخا وموجها لكثير من ابناء الاجيال التالية ...

بماذا ؟

« قيلت فى حسناء تزوجت شيخا غنيا »

تزوجت هذا المسن ، لماذا ؟ الست ترين بهذا شواذا ؟
تسيرين معه بوسط الطريق فيسال قوم : اجدك هذا ؟
وتلهين عند الصباح بمال وفير ، وعند المساء ... بماذا ؟

الياس فرحات



لاتزال طلاوة الصور الشائقة المتوثبة فى كتاباته ، هى الإبتسامة المجلوة على وجه القصة المصرية الحديثة

لقد كان ، بالفطرة وشمول الثقافة وأصالة الموهبة ، قصاصا مبدعا .. وفى التراث العريض الذى أضافه ــ للأدب العربى والانسانى ــ ابراهيم عبد القادر المازنى ، تتألق حيوية لا تنطفىء من عذوبة الفكاهة ولذع السخرية ، ويبدو طابع القصة والسرد القصصى سمة بارزة متميزة فى كل ما ألف وصنف وكتب فى شتى فنون الأدب ..

نصر الدين عبد اللطيف

المازني.. ساخرا

من نفسه ، ومن الناس ، ومن كل شيء ، سخر المازني ... وعاش رحلة عمره يخوض عباب العواصف والاعاصير بمجدافين من الفكاهة والسخرية !

في كتاباته ، سخر ملء السطور والصفحات ، وجعل السخرية تطل برأسها من خلال عناوين كتبه : « ميدو وشركاه » ، « قبض الريح » ، « صندوق الدنيا » ، « حصاد الهشيم » ، و « عالماشي » !

وفي واقع حياته ، كان يخرج لسانه لعابري الطريق .. بل لقد تمنى لو استطاع ، بعد الموت ، أن يخرج لسانه للأحياء على طريقة ذلك الشاعر الذي أعجب به لأنه وصى بأن يكتب على قبره ، هذان البيتان من شعره :

أيها الزائر قبري
اتل ما خط أمامك
هاهنا ، فاعلم ، عظامي
ليتها كانت عظامك

وفى تحفته البـــــاهرة « ابراهيم الكاتب » ـ اطول ، وربمـــا اجمـــل رواياته ـ يطلق فى أولى الصفحات ، احدى سخرياته الضاربة فى الاعماق ، فيقول فى « الاهداء » :

« الى تلك التي لها احيا ...

« وفي سبيلها اسعى ...

« وبهـــا وحدها اعنى ، طائعـــا او كارها ...

« الى ... نفسى ! »

ولكن هذه السخرية الضاحكة المترعة بوخزات اللذع والعمق ، والتى تتواثب فى صفحات أدب المازنى وفى حياته ، سخرية رائقة سمحة ، لا تنطوى عـلى النكاية بأحد ، ولا تدل على حب النكاية، وانما هى ـ كما يؤكد الاستاذ العقاد ـ عن معرفة واختبار : حب « المعاكسة البريئة » ، أو هى الدعابة لا ضير فيها على احد ، ولا فرق بين الدعابة على النفس والدعابة على الآخرين ... لقد

اطارف..

كان المازنى مرحا بطبيعته ، حتى فى احرج المواقف . وقد لازمه حب الدعابة حتى آخر لحظة ، وفى اواخر العمر ، عندما عين عضوا فى المجمع اللغوى ، لم يكن فى احاديثه ومسامراته يذكره باسمه كما هو : « المجمع اللغوى » ـ وانما كان يطلق عليه اسم : « قرافة الخالدين » !

● طلاب الانساب العريقة ●

« الترجمة الذاتية » ميدان مستحدث خصب ، يتطلع اليه باهتمام ادبنـــا العربى المعاصر ...فى هذا الميدان بدأ استاذنا الدكتور طه حسين تجربة رائدة بكتابه الجليـل « الايام » الذى يصور ابرز الملامح فى نشأته الاولى ومسيرته فى طريق العمر كفـــاحا وصـــمودا وانطلاقا ...

وقدم عملاق الفكر والشعر والادب : العقاد ، قطعة من حياة قلبه ضمنهـــا رائعته الفريدة ، والوحيدة « سارة » ... وسجل توفيق الحكيم ـ باصـــالة فنه وسحر حواره ـ شرائح من حياته الحافلة فى « عودة الروح » و « عصفور من الشرق » وغيرهما من ثمار نتاجه الوافر المتجدد ..

ولكن المازنى اعطى فى هذا الميدان ما هو اكثر واكثر ...

فهو فى كل ما كتب ، قد زحم السطور وملأ الصفحات بما قدم عن نفسه وحياته

تسجيلا وتحليلا وتصويرا من مختلف الزوايا وفى شتى المواقف ... وكما تقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد صاحبة أوفى دراسة فى « أدب المازنى » : « لعل كاتبا لم يصف نفسه وصفا دقيقا متشعبا محيطا كما فعل المازنى ، حتى قصر القامة – قصر قامته – لم يدع فى كتبه واحدا لم يشر فيه الى ضآلة جسمه ، وان لم يكن هذا منه عبثا ، بل قصد اليه ليتخلص من عقدة نفسية كان خليقا أن يعانى منها ، لو أنه كبت هذا الشعور بالقصر وذلك الاحساس بالنقص ... أما العرج الذى أصيب به كبيرا فقد أشار اليه فى مقدمة روايته « ابراهيم الكاتب » وفى كتابه « خيوط العنكبوت » ...

***

ولد المازنى عام ١٨٨٩ ، ونشأ فى بيت كان عامر الثراء ، لأب « حضر العلم فى الأزهر وسافر الى فرنسا ، وكان بعد عودته محامى الخديو » ، وفى كتابه « رحلة الحجاز » يقول المازنى : « وأنا ابن هذه البلاد – الجزيرة العربية – بل ابن مكة بالذات ، فان جدتى لأمى مكية زوجوها وهى بنت عشرين سنة رجلا فحلا من أهل المدينة فنشزت ، فطلقوها ، ثم احتملوها الى مصر بعد وفاة أبيها وخراب بيته وتجارته ، فتزوجت جدى ... و ... هذا كله وما بعده مفسر فى « صندوق الدنيا » فليرجع اليه من شاء من طلاب هذه الانساب العريقة ! »

ولقد ذاق المازنى مرارة اليتم صغيرا بوفاة والده ، واستولى أخوه الأكبر – وكان غير شقيق – على مال أبيه وأضاعه بددا ، فلم يبق له الا صبر أمه وحسن تدبيرها ورعاية بعض الأقارب ...

وفى مدرسة المعلمين العليا ، بعد الدراسة الابتدائية والثانوية ، تخرج المازنى عام ١٩٠٩ وكان وقتئذ أصغر الخريجين ، ثم اشتغل بالتدريس فى المدارس الثانوية الرسمية والأهلية ، حتى اتصل بالأستاذ العقاد ، فتحول مجرى حياته ، واحترف الصحافة والأدب منذ عام ١٩١٨ .

وكل هذه المراحل وما بعدها من حياته ، نلتقى بها متناثرة فى كتاباته الخصبة المنوعة ، قصصا ومقالات واعترافات ، يتألف من مجموعها ما يكفى ، ويزيد ، لتقديم « ترجمة ذاتية » شاملة وكاملة .

● ملامح الشخصيات والأحداث ●

من فيض موهبته الأصيلة الخصبة ، أعطى المازنى للصحافة والأدب نتاجا غزيرا متعدد الألوان ، يشمل المئات من مقالاته فى الصحف والمجلات ، بالاضافة الى مؤلفاته التى يناهز جمعها الثلاثين،

المازني..

والتي احتل بها في ادبنا العربي المعاصر مكانته المرموقة شاعرا وكاتبا وقصاصا وناقدا ومترجما يتميز بملكة نادرة سماها العقاد « عبقرية الترجمة » ...

وفي تحفته الاثيرة « ابراهيم الكاتب » يتألق المازني كفنان روائي مبدع خلاق. استطاع أن يرسم بقلمه لوحات باهرة من واقع الحياة والطبيعة في الريف ، ونماذج بشرية متميزة تكاد تخفق على الورق بنبض الحيوية وهموم الحياة...

وقصة « ابراهيم الكاتب » هي - مع تغيير طفيف في الاسماء وبعض الاحداث - قصة حياة ابراهيم عبد القادر المازني ...

ورغم ما اثاره النقاد حول هذه القصة عند صدورها في عام ١٩٣٢

وما فيها من صفحات تكاد تكون ماخوذة بالنص من القصة التي ترجمها المازني نفسه باسم « ابن الطبيعة » عن الكاتب الروسي « ارتزيباشيف » - فانها تحمل لقراء العربية على مر الاجيال ابرز واجمل مميزات فن المازني القصاص ، بسلاسة اسلوبه وطلاوته ، وبراعته في تجسيد ملامح الشخصيات ، وانفعالات المواقف والاحداث ، بالاضافة الى فكاهاته الشائقة وسخرياته النافذة الى الاعماق ...

في الفصل التاسع من « ابراهيم الكاتب » ، وكان ينزل شيئا عند اقارب في الريف ، كتب يقول : « ديسمبر - في الريف ... يظهر أن البقر احس بالفجر من الديكة ، واسرع الى تحية الصباح من العصافير ، وفي وسع من يعنيه ذلك أن يقضي ليلة في الريف ويبكر في القيام قبل الفجر بساعة وبعض ساعة » ..

« وليس في الريف ذلك السكون المزعوم ، فانه اذا سكنت الطبيعة هاجت الابقار ... ويجب على من يطلب الراحة والنوم العميق في الريف ان ياخذ معه كمية من الاسبرين والاقراص المنومة تكفي له وللبقر عند الحاجة » !

● ذكريات « ثالوث القلب » ●

قال « ابراهيم الكاتب » في الفصل الاول من القسم الثاني من روايته ، يحكي لصديقه الدكتور ما حدث لقريبهما العملاق الشيخ علي بعد أن زلت قدمه ، وتطلب الامر نقله الى غرفته في البيت الريفي :

« حاول أن يحمله أربعة من رجـاله الاشداء ، فكان منظرا لن انساه ماحييت، الشتائم والاوامر التى كـــان يصدرها ـ هذه وحـــدها ستظل منقوشة على صدرى أبد الدهر ··· كـــان منظرا « هومريا » اذا كنت تفهم ما أعنى ، ليس فى وسع ريشة أن تصوره وأن تثبت الجـــو الـــذى كـــان يحيط به ، فقد أبى الشيخ على الا أن يشترك عمليا فى « محاولة » نقله الى غرفته ، فكان يصدر الاوامر ويجاهد ـ أثنـاء القيام بنقله ـ أن يصحح الخطأ الـذى يقع من رجاله فى تنفيـذ أوامره أو نواهيه ـ نواهيه على الاكثـر ـ وأن ينزل العقوبة الجسدية بالمخـالف أو المخطىء ···

« وأراد فى خلال هذه الرحلة أن يصل الى « ابو حسين » ليهشم له رأسه ، فاعتمد بيده على وجه « زناره » فكاد المســكين يختنق ، ولولا أن شككت الشيخ على بدبوس واضطررته أن يرفع كفه عن وجه الرجـــل لكان قد هوى براسه على الارض ··· وقـد كافأنى الشيخ على بأن أمرنى أن أدفن نفسى حيا ! »



وفى ختام صفحات الفصل السادس، يقول « ابراهيم الكاتب » لنفسه « وهو يفــكر فى ثالوث قلبه » : عجيب ، عجيب ··· حين اذكر « مارى » أحس سطوة القوة ، وصيال العزم ، وعتو الجبـــروت ··· واتصور « شوشو » فاحس وقار التجربة ، وسمت العلم ، وابهـــة الشيخوخة ··· واكون مع « ليلى » فأرانى كأنى اتعـــلم رقصة الحيـــاة على ايقـــاع الشباب ··· عجيب ، عجيب ···! »

رصيد الحظ والحظوة

ثلاث محبوبات ، حسان ، عاشقات رائعات ، كن « ثالوث القلب » خـــلال تلك الفترة الوجيزة من حياة « ابراهيم الكاتب » ···

و « ابراهيم الكاتب » هو فى الواقع ،

المازني..

وكما نعرف ، ابراهيم المازنى ...

هل كان له حقا كل هــذا الحظ ، والحظوة ، لدى المرأة ؟

كتب الاستاذ توفيق الحكيم (١) فى مجلة الثقافة عام ١٩٣٩ مقـــالا عن « اثر المرأة فى ادبائنا المعاصرين » يقول فيه : ان الكذب هبة المازنى ، وهنا لا أجد أعسر على من البحث عن المرأة فى حيـــاة المازنى ... ان المازنى اكثر الكتاب تصويرا لنفسه ولحياته وبيئته ، ومع ذلك فالويل لمن يؤرخ له ... ان قدرة المـــازنى فى الخيال والاختراع ، واختلاط حقه بباطله قــد أسدل حجابا كثيفا على وجهه الحقيقى ... وانا فى الحقيقة عاجز عن ان استخلص مـــن بين رواياته الكثيرة اللذيذة ـ التى تعج بالنساء المدللات والاوانس الرشيقات ـ امرأة واحدة استطيع أن اقول انها كانت صاحبة الشأن الاول فى حياته ... على ان الذى لا شك فيه عندى بلا نزاع ان هذه المرأة موجودة بالفعل ، ولولاها ما استطاع المازنى ان يكتب قصصا !... »

وقال المازنى فى رده على مقـــال الحكيم : « وليس الصدق عنـــدى ـ واحسب الاستاذ توفيق مثلى ـ أن يروى الكاتب قصة وقعت كلها بجملتها وتفصيلها بلا نقص أو زيادة ، فما لهذا قيمة ، ولا هو الادب الجدير بهذا الاسم ... وانما المعول فى الصدق والكذب عـلى طريقة العرض ، وأسلوب التنـــاول ، والاخلاص فى التعبير والتصوير ، ولا وزن لكون القصة ممـــا وقع للكاتب او لسواه او مما تخيل ...

« ومع ذلك اذا كان لابد للاســـتاذ الحكيم من الحقيقة فى السرد والرواية ، فعنده روايتى « ابراهيم الكاتب » وفيها صفحات قليلة من حيـــاتى ، واناس حقيقيون لقيتهم واتصلت بهم ، وكان لى معهم شأن ... وان كان لا يمكن ان يقال ان القصة كما هى مروية واقعـة حقيقية ، فما كانت العناية بالسرد ، بل

---

(١) كتاب « أدب المازنى » للدكتورة نعمات احمد فؤاد ـ ص ١٤٤

بتصوير حالات النفوس وتنوع استجابتها للحوادث ورسم الشخصيات المختلفة ».

● الحب الافلاطوني والوفاء ●

ولكن ... أي نوع من النساء، المدللات و « الآنسات الرشيقات » في رواياته الكثيرة اللذيذة ـ أحب المازني ؟

لقد عبر عن رأيه في الحب، وبصراحة مباشرة، أكثر من مرة في أكثر من مقال :

« انى لا أومن بالحب الافلاطوني ولا بالوفاء، ولست أعنى أن استهجنهما أو أعيبهما، فليس الامر أمر استهجان أو عيب، وانما أعنى انهما لا يوجدان مع الصحة والسلامة ...

« واذا كان من الممكن أن يشبع الجائع بالنظر الى الطعام في اطباقه على السفرة، وأن يحيا المرء بأن يأكل بعينه أو خياله، فانه من الممكن أيضا ارضاء عاطفة الحب عند الرجل السليم المعافى بالنظر الى المرأة والاستماع الى حديثها والتمتع بابتسامتها، ورشاقة رقتها، أو حسن جلستها ...

« والذى يقنع من المرأة بذلك يكون أحوج الى الطبيب المداوى منه الى المرأة !.. »

● قد يحدث لك .. ●

ومع ذلك فان « ابراهيم الكاتب » لم تكن له « نهاية سعيدة » مع أى من الجميلات الثلاث « ـ ثالوث القلب ـ فقد تزوجت « شوشو »، « واختفت « ايـلى »، وتبخرت ساعات النشوة مع « مارى ».

وبقى « ابراهيم » وحيدا في ختام الصفحات الاخيرة، يصقليلته « حالكة متراكبة الظلمة »، « يقتلع خطواته في الصحراء، ويسمع حديث الرمال، وهمس الرياح »، « فرفعت رأسى حائرا، وأدرت عينى واجما، ثم أطرقت مغمما، ثم مضيت أمشى ... »

ربما تأسى وتحزن لهذه النهاية الأسيفة ...

وقد يحدث لك مثل ما حدث لى ...

عندما انتهيت من قراءة فصل الختام، وجدتنى أقلب صفحات الرواية من جديد بين يدى، فتلمح عينى بعض ما تزخر به من صور الفكاهة والسخرية، فاضحك واضحك مرات ومرات، وبصوت عال !

لم يكن ذلك عن قصد منى، ولم ارتب له ...

وانا احب المازنى، وأرثيه، واتلقى ادبه باهتمام المحب المتأدب ...

غير انى، في بعض الاحيان، اتمثل بقول الشاعر الذى احبه هو واعجب به:

ان من ساءه الزمان بشيء
لخليق اذن بان يتسلى !

صالح جودت

رحلة الشعر

رحلة هذا الشهر



بيرم التونسى

اكتب رحلة هذا الشهر ، وانا اتهيأ للسفر الى تونس الخضراء ، منبت العبقريين : امير الزجالين محمود بيرم التونسى — وشاعر الجبل الاخضر » ابى القاسم الشابى ·

ولهذين الاسمين أثر عميق فى نفس كل مصرى ·

فبيرم — رغم أصله التونسى — هو أعظم من كتب باللهجة المصرية فى تاريخ الأدب الشعبى · كتب بها المقامة والمقالة والزجل والمواليا والاغنية والمسرحية والفيلم ·

والشابى — الذى مات دون الثلاثين — هو صاحب البيتين اللذين يحفظهما كل مصرى ويرددهما عن ظهر قلب ، منذ سنة ١٩٣٤ حتى الآن ، كلما ألمت بمصر محنة سياسية ، وما اكثر ما ألمت بها المحن :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى
ولابد للقيد أن ينكسر

ويسألنى كثير من القراء عن هذين البيتين : أهما بيتان مفردان ؟

فأقول : لا ، بل هما مطلع قصيدة طويلة للشابى ، عنوانها « ارادة الحياة » ··· ومن أجمل مقاطعها هذا المقطع :

وقالت لى الأرض لما سألت
« أيا أم ، هل تكرهين البشر ؟ » :
أبارك فى الناس أهل الطموح
ومن يستلذ ركوب الخطر
والعن من لا يماشى الزمان
ويقنع بالعيش ، عيش الحجر

هو الكون حي ، يحب الحيــــاة
ويحتقــر الموت مهمــا كبر
فلا الأفق يحضن ميت الطيــور
ولا النحــل يلثم ميت الزهــر
ولولا أمومــة قلبي الــرءوم
لما ضمت الميت تلك الحفــر
فويل لمن لم تشقه الحيــــاة
من لعنــــة العــدم المنتصر

شــــوقـــ ....وذوقــــ ..


محمد بن فضل

ويسألني أكثر من قارىء : هل انتهى الشعر في تونس ، بعد الشابي ؟
وأقول له : لاأحسب ، ومازال الشعر هناك بخير، وان تكن موجة الشعر الجديد قد أصابت القوم هناك كما أصابت القوم هنا ، وكما أصابتهم في كل بقعة عربية .

بيد أن الشعر الأصيل لايزال بخير ، وقد نشرنا في العدد الماضي من « الهلال » أبياتا حلوة للشاعر التونسي نور الدين صمود ، ونشرنا في « الكواكب » منــذ نحو عامين نشيدا جميلا في تحية مصر ، للشاعر التونسي ضياء الدين النقاش ، غنته الفرقة التونسية للفنون الشعبية عند مقدمها الى القاهرة .
ويزيدني الصديق الكبير ، السيد محمد بن فضل ، سفير تونس في القاهرة ، تفصيلا في الجواب عن هــذا السؤال ، فيرسل لي منذ أيام أربعة دواوين من الشعر التونسي المعاصر .
وأسهر مع هذه الدواوين الأربعة بضع ليال ، لأخرج بأن كلا منها يمثل مدرسة مستقلة في الشعر ، مما ينطق بثراء الشعر التونسي في هذا الجيل .
● الأول ديوان « شوق وذوق » للشاعر مصطفى خريف ، ويبدو من مقدمته أن هذا الشاعر جاوز الستين ، وأنه نزيل أحد المستشفيات ـ شفاه الله ـ وأنه عرك الشــعر منذ أكثر من أربعين عاما ، توالى عليه خلالها مختلف المدارس ، فتأثر من كل منها بأحسنها .
فهاهو ذا ، في ظلال المدرسة الكلاسية ، يعارض القصيدة القديمة الحلوة « ياليل الصب متى غده » كما عارضها شوقي قائلا « مضناك جفاه مرقده » ... فيقول :
العهــــد ، فلم نجــــدده
فالدهر قد انبســـطت يده
وتغرد فوق النخل يمــــام
... كم يشجيك تغــــرده

والبلبل هـــز الغصن وغنى
... لحن الحـــب يردده
يتلو تسـبيح صـــبابته
فيرتلــــه ... ويجــوده

ثم تمضي الايام ، وتتبـــل المدرسة الغنائية ذات الأوزان المتراقصة المتشحة بلون الموشح الاندلسي القديم ويتأثر شاعرنا بها ، فيقول في اغرودة عذبة :

هو ذا الفجر ، فقومي يا طيور
غـردى
انشـــدى انشودة الفجر النضير
انشدى
زحزح الفجـــر جلابيب الظلام
فاختفى الليـــــل وراء الافق
وبدا في الارض لالاء ابتســـام
فرحـــا مـــــن نوره المنبثق
وتولى ذلـــك الليـــل الوقور
ســـاحبا ذيل الرداء الاسود
بعـــد ما اشرق في الآفاق نور
عسجدى
هو ذا الفجر ، فقومي يا طيور
غـردى

لـــــــونـــــــان نقيضـــــــان

ثم ننتقل الى الديوانين الثاني والثالث ، فاذا هما لونان نقيضان :

● والثاني : ديوان «ابتهالات» للشاعر المتصوف محمد الناصر الصدام . وله مقدمة بقلم العلامة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور ، مفتي الديار التونسية الراحل ، يستهلها بهذا البيت من الديوان :

لا در دري ، ولا بلغت اوطـــاري
ان لم اجد في رسول الله اشعاري

وتطالع الديوان ، فتجده يطوف بك في آفاق أصـــحاب الروحانيات ، من أمثـــال كعب بن زهير وحســان بن ثابت وعبد الله بن رواحة والبوصيري ، وهؤلاء الأبرار والصديقين.

● والثالث ، ديوان « نجوم على الطريق » للشاعر جعفر ماجد . وهنا نجد لونا جديدا من شعر الشباب ، لشاب في الثلاثين ، حسنت ديبـــاجته العربية ، ثم ازينت بالاصباغ والالوان والعطور من باريس ... فهو يقول :

باريس ، مـــا ابهي
ظلامهـــا الشرق
غيومهـــا ورد
حدودهـــا زنبق
باريس حمـــراء
وفجرهـــا ازرق
تعيش في كـــاس
وتشرب المطـــلق
في كـــل ما مقهي
شبابها يحـــرق
بشـــعرة تلـوي
بقبـــلة تسرق
عيونهم حيـــرى
وروحهم مـــرهق
شفاهم جمـــر
دخانهـــا يعبق
ســـجاير تتلـــو
ســـجايرا تسحق
وجرعـــة عطشى
بجـــرعة تشرق
عـــروق ايديهم
تهم ان تنطـــق
هنـــا ، بدت عين
تجـــول كالزئبق
ظلالهـــا تغـــرى
وبحرهـــا يغـــرق
وخلف فنجـــان
انا هنـــا مطرق
انوه بالدنيـــا
وسرها الأخـــرق !



زبيـــــــدة بشـــــــير



زبيدة بشير

● والرابع ، ديوان « حنين » للشاعرة زبيـــدة بشير .

وهذه شاعرة جميلة ، كأنهـــا نافورة ملونة من الشباب والثورة والجراة والطموح ، عرفنـــاها في مهرجان الشعر ببغداد سنة ١٩٦٥ .

شعرها ـ كشخصها ـ يفيض بالانوثة الصارخة .

واذكر انها جاءت الى مهرجان بغداد ، وفي انامها قصيدة

عاطفية جامحة ، سمعناها منها ـ رامي وأنا ـ خلف كواليس المهرجان ، وتساءلنا فيما بيننا : هل تجرؤ على القائها ؟

وقبيل موعدها ، جاءها ناصح تونسي أمين ، وهمس لها بأن تفكر مرتين ، قبل أن تصعد الى المنبر بهذه القصيدة ٠

وفكرت زبيدة مرتين ، ولم تصعد الى المنبر ٠٠

وقد بحثت عن هـــذه القصيدة في هـــذا الديوان ٠٠٠ « حنين » ٠٠ فلم أجدها ، فقلت في نفسي : أجل ٠٠ كان ذلك سنة ١٩٦٥ ، وقد مرت منذ يومئذ ثماني سنوات ، وكبرت زبيدة ، ولعلها جاوزت الثلاثين بقليل ، وعدلت رأيها فيما يقال وما لا يقال من الشعر ٠

يقول مصطفى خريف ، في تقدمته لهذا الديوان :

« انى سعيد بأن ارى شاعرتنا النابغة تختارنى من بين المعجبين لاكتب كلمة عن هذه المجموعة الشعرية التى تتقد بين سطورها احاسيس شبابها الباكر الطموح » ٠

ثم يقول ان فى شعرها ميزتين :

احداهما ، اعتزازها بأنوثتها وحرصها على اثبـــات خصائصها وقسماتها بنص الالفاظ والمعانى ، وبموضوعات القصائد ، تقصد الى ذلك عمدا ، وتندفع اليه بفخر ٠

والميزة الاخرى ، ان زبيدة لم تستجب يوما لاغراء المطالب المادية ، ولم تستهوها مجاراة شعراء جيلها من التعرض لأضواء المجتمع باسم « الالتزام » ٠٠٠ وما يستوجب ذلك التعرض من تزاحم وتهافت وضيق نفس ٠٠٠ واسفاف احيانا

واليك ايها القارىء ، هذا الأنموذج الجميل من شـــعر زبيدة :

زرعت لك الحـــب ، شبرا بشبر
ولكن أرضـــك لا تثمـــر
فواأسفا ، كيف ضيعت عمـــرى
ترانى بقلبـــك لا أخطـــر
وقلبى بغيـــرك لا يشـــعر
***
قدرت ٠٠٠ وما كنت احسب انى
ســـامنح حبى لمن يغـــدر
عـــذرتك بالأمس ايان كنـــا
ولكننى اليـــوم لا اعـــذر
وقلبى على العفو لا يقـــدر
***
نسيت الذى كـــان من حبنـــا
فكيف ساعفو ؟ وهل اغفـــر ؟
وقلبى شراع يظل الوفـــــاء
الى شـــاطىء القدر لا يبحـــر
ابى على الهجر لا يصـــبر
***
سترجع يومـــا لجنـــة حبى

سدى تدعى غير ما تضمر
فحبى حنان وواحة أمن
ومرج شهى الجنى أخضر
أحقا نسيت ، فما تذكر ؟

الصالونات الأدبية


عبد المنعم الرفاعى

كانت « الصالونات الادبية » ظاهرة من الظواهر الثقافية اللامعة فى القاهرة فى العصر الماضى ·

وكان أبرز هذه الصالونات ، صالون الآنسة مى ··· الذى كان يحتشد فيه أقطاب الفكر كل ليلة أربعاء ، ومنهم أحمد لطفي السيد وشبلي شميل وانطون الجميل واسماعيل صبرى وخليل مطران واضرابهم ، وكل منهم يضمر في نفسه الغيرة من صاحبه ، ويتمنى أن يكون هو صاحب الحظوة عند الاديبة الذكية الحسناء ، التى كانت - كما يقول التعبير العميق - تعطى لكل منهم كل شيء ، وهى لا تعطى لأى منهم شيئا بالمرة !

كانوا يخرجون من عندها مزودين بالالهام ···

ولو جمعت أحاديث مى ، وصالون مى ، وما كتبت مى لأصحابها من رسائل ، وما تلقت منهم من رسائل ، وما نظم فيهـا الشعراء من شعر ، لكان هذا العمل سفرا من أجمل أسفار الأدب ·

كان العقاد يرتاد صالونها غرارا ···

وقد نظم فيها شعرا كثيرا ، ولكنه لمح أنها تنصرف عنه الى غيره ، من أصحاب الجاه ، وهو يومئذ شاب قليل الضوء ، مما أثار فى أعماقه كثيرا من الشجن الذى تحدثك عنه قصيدته « ليلة الأربعاء » التى يقول فى مطلعها :

ليلة الأربعاء بالله عودى
وأعيدى يا ليلة الأربعاء
كم وصلنا مساءها بصباح
ووصلنا صباحها بمساء

الى أن يقول محزونا :

حسبنا منك انتراك ، وان···
كنت تميل الجفون للاغضاء
وتجل الغنى ، وما الحسن الا
سلعة عند معشر الأغنياء

وكان للعقاد بعد ذلك صالون أدبى ، يحتشد فيه تلاميذه ومريدوه كل يوم جمعة · ومن أسف أننى - على علمى بأمر هذا الصالون ، وعلى صلتى الوثيقة بالعقاد - لم أشهد ذلك الصالون البتة ·

ذلك انني ـ على حبي للعقاد ، واجلالي لفكره ـ لم اكن من مدرسته في الشعر ، لانتمائي للمدرسة النقيضة ، مدرسة امير الشعراء احمد شوقي .

ولكنني اتصور انه لو قام اصحاب العقاد وتلاميذه ومريدوه ، وهم جميعا من صفوة اهل الأدب والفن ، كعبد الرحمن صدقي وعلى أدهم وصلاح طاهر والعوضي الوكيل ونظمي لوقا وصوفي عبد الله وخليفة التونسي وغيرهم ، بمحاولة لجمع احاديث هذا الصالون ، لكان لنا مما يجمعون ذخر أدبي ثمين .

***

وعندما كان صديقنا الشاعر الكبير الدكتور عبد المنعم الرفاعي ، سفيرا للاردن في القاهرة ، كان في بيته صالون ادبي اسبوعي لامع ، طالما جمعنا : عزيز اباظة وأحمد رامي وصقر بن سلطان وانا وغيرنا ، وطالت سهراتنا في أحاديث الشعر والأدب والفن .

ويبدو ان الصالونات الادبية في القاهرة قد انتقلت في هذا العصر من بيوت الادباء الى بيوت السفراء ، فهناك صالون ادبي اسبوعي في بيت السيد حمد الرجيب ، سفير الكويت ، وهو موسيقي وملحن وعازف قانون من طراز رفيع ، وهكذا تمتزج في صالونه الآداب بالألحان .

وهناك صالون آخر في بيت السيد محمد بن فضل ، سفير تونس ، تلتقي فيه عشرات من نجوم الأدب والصحافة والاذاعة

وصالون ثالث ، في بيت السيد عبد اللطيف العراقي ، سفير المغرب ، تلتقي فيه القيم الادبية والفنية الاصيلة ، لا من مصر وحدها ، بل من جميع الدول العربية .

حكاية البهائيين والصهيونية


احسان الجابرى

ومنذ أيام ، حدثني الوطني الكبير الاستاذ احسان الجابري ، رئيس وزراء سوريا الاسبق ـ المقيم بالقاهرة ـ عن صالونات القاهرة الادبية في العصر الماضي ، وتساءل : لماذا لا نحييها بكل ما كان لها من رواء ، وبكل ما كان فيها من حيوية ؟

وبدأ المحاولة بالفعل ...

واجتمع في صالونه نفر من الشعراء والادباء والمفكرين وكريمات العقائل ، وكان نجم الصالون في هذه المرة ، هو صديقنا الدكتور الشيخ احمد الشرباصي ، وهو من الطلائع الثورية التي تمثل الازهر الجديد بتفتحه ، ومواءمته بين القديم والجديد ، وتوفيقه بين العلم والدين .

وانهالت عليه الأسئلة ، وكان في مقدمتها حكاية البهائيين الذين انكشف أمر تجمعاتهم في بعض أرياف مصر منذ أيام

بعد أن عطلت الدولة نشاطاتهم وأغلقت معابدهم منذ سنوات ، وأعلنت أنهم من أهل الردة على الاسلام .

وقد اظهر التحقيق معهم أنهم على صلة باسرائيل ...

وقد روى لنا الدكتور الشرباصي قصة نشوء هذا المذهب في ايران ، وكيف تسلل زعيمهم الى عقول السذج والبسطاء باعتبار انه « الباب » الذى ينقل عن الامام المختفى فى المذهب الشيعى ، ثم تدرج فادعى أنه هو الامام المختفى ، ثم امعن فى التدرج حتى ادعى دعوة الحلول ، التى ادعاها الحاكم بأمر الله من قبل ، وزعم أن الله ـ وأستغفر الله ـ قد حل فيه .

ثم روى لنا كيف أن حفيد هذا الدعى ذهب الى امريكا ، وراح ينشر مذهبه ، فاحتضنه اليهود ، وتآمروا معه على ان يجعل مذهبه مزاجا من الاسلام والمسيحية واليهودية ، حتى يستهوى الناس جميعا ، بينما الهدف الخفى هو استدراج اتباع المذهب الى مساندة الصهيونية العالمية وتحقيق اطماعها الدنيوية .

وانتشرت الدعوة فى أمريكا ، ثم انتقلت الى أوربا ، وأصبح لها أتباع كثيرون فى سويسرا بالذات .

ولقد أسهم هؤلاء جميعا فى مساندة حكاية الوطن القومى لليهود ، حتى قامت اسرائيل ، فأصبحت حيفا عاصمة للبهائيين ، ومقرا لمعبدهم الاكبر ، وبؤرة تحاك منها التآمرات الصهيونية باسم الدين الجديد

ص . ج

حول المعرى والأشعار المكذوبة عليه

ختم الاستاذ محمد عبد الغنى حسن مقاله الممتع عن « الشعر المكذوب على أبى العلاء » فى العدد الماضى من « الهلال » الاغر بقوله انه لايعلم أن أحدا سبقه الى معالجة هذا الموضوع من الباحثين والدارسين !

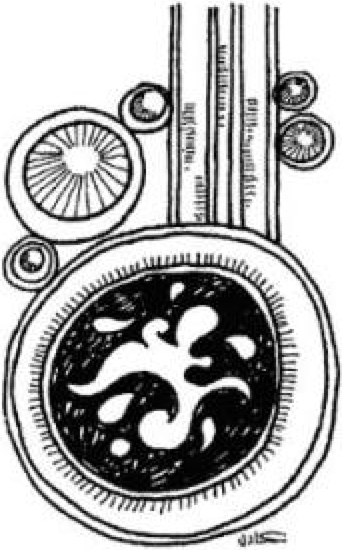
والذى نعلمه أن أستاذتنا الدكتورة بنت الشاطىء تعرضت لهذا الموضوع مرارا فى كتاباتها ومؤلفاتها عن شيخ المعرة ، وأخص بالذكر كتابها « أبو العلاء المعرى » ـ عدد ٢٨ من أعلام العرب ـ اذ تناولت فيه قضية الاشعار المكذوبة على أبى العلاء من نفس الزاوية التى تناولها بها الاديب الفاضل واستشهدت بنفس ما استشهد به من حديث المعرى عن « الاحرار النسكة » وحساده الذين كذبوا عليه ... الخ فهى بهذا أولى بأحقية السبق ان اقتضت الامانة العلمية اثباته لصاحبه ، ومعذرة للاستاذ .

محمد الحسن فضل المولى
رميك العليا ـ ام درمان

ميشيل تكلا

الانفجارات النووية الرهيبة التى سمع بها الناس فى السنوات الاخيرة ، سوف تصبح أسلحة الحروب القادمة · وقد تركزت البحوث الحديثة لاستخدام طاقتها العظيمة فى الاغراض السلمية· وقد يأتى يوم يستطيع فيه الانسان بوساطتها أن يشق القنوات لتمخر مياهها السفن الضخمة ، أو أن ينقل الماء الى المناطق الجرداء ، أو يبنى موانىء عظيمة على السواحل الخطرة·

كما أن الانفجارات العميقة تحت الارض قد تساعد على كشف المصادر الطبيعية كالبترول والغاز والخامات الثمينة · وتطبيق الانفجار النووى فى مثل هذه الحالات لايزال موضع الدراسة الدقيقة فى البلاد المتقدمة علميا كالاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية ·



موجات من الصدمات

ويعقب الانفجارات النووية عادة ارتفاع هائل فى درجات الحرارة والضغط ، وخروج كميات عظيمة من الطاقة ·

لو حولناها من

الانفجار

ولما كانت درجات الحرارة ترتفع ارتفاعا خطيرا ، فان جميع المواد التى تتعرض لها تتحول الى غازات تحتوى على الكترونات وايونات موجبة .

وهذه الغازات تتمدد بسرعة تحت الارض بسبب درجات الحرارة المرتفعة والضغوط ، فتنهض على الاثر ضغوط او موجات من الصدمات فى الصخور المحيطة . ويستمر الغاز فى التمدد حتى يتعادل الضغط عن طريق وزن وقوة الصخور المتراكمة تحت الارض .

واذا حدث الانفجار النووى على عمق من الاعماق ، فان فجوة ذات قطر معين تظهر فى الحال . والذى يحدث عادة ان الضغط والصدمة يسببان تشقق الصخور فتتحرك من مكانها ، ثم تدفع الفجوة — التى تكونت — الصخور وتسبب انبعاج السطح . ويستمر تمدد الفجوة وتحدث شروخ وتشققات خلال السطح ، وبذلك تسمح للغاز المضغوط عاليا بالفرار . وتلقى نصف المواد الموجودة فوق الانفجار الى الجانبين بينما يسقط الباقى فى قلب الفجوة ذاتها ...

وخبرة العلماء لاتزال محدودة بالنسبة الى الفجوات التى تحدثها الانفجارات النووية .

ولكن العقول الالكترونية أو الاجهزة الحاسبة الدقيقة تستطيع أن تحدد بالضبط نتائج الانفجار وحجم الفوهة .

مثال ذلك أن العلماء اجروا اخيرا تجربة هامة لتحديد ما يحدثه انفجار نووى قوته كيلو طن واحد ، وهل تصبح الفوهة ذات قاع أملس ؟ وأمد العلماء العقول الالكترونية بكافة المعلومات والمعادلات الرياضية اللازمة لتحديد عمق الفوهة . ونجحت التجربة وظهرت الفوهة ذات قاع أملس ، وأصبحت مثل الفوهات التى يحتاج اليها الخبراء عادة لحفر القنوات او الطرق الطويلة خلال سلاسل الجبال الوعرة . وثبت لهم أن المتفجرات تستطيع ان تحفر مساحات كبيرة على هيئة فوهات البراكين .

وقد امكن اجراء تجارب عديدة فى هذا المجال . فدفنت متفجرات قوتها عشرة كيلو طن على عمق ٦٣٧ قدما تحت سطح الصحراء ، وهى قوة تعادل مائة طن من مادة (ت٠ن٠ت) الشديدة الانفجار ، فاحدثت الانفجارات

النووية
الحرب إلى السلام

طريقا طويلا يصلح ليكون قناة قوية الاركان والجوانب ٠

أخطار تهدد البشرية

والاشعاعات التى تحدث عقب الانفجارات النووية خطر يهددالبشرية٠ ومع ذلك فان العلماء يستطيعون السيطرة عليها وذلك باستخدام متفجرات محدودة تنتج كميات ضئيلة من الاشعاع ٠ واثناء الانفجار فان جزءا كبيرا من الاشعاعات يحبس فى بركة من الزجاج الذى يتكون بسبب الحرارة الشديدة ٠

اما الجزء الباقى من الاشعاع فيختفى فى الارض او فى طيات الصخور المحطمة او يدفن بجوار الفوهة ذاتها ، فى حين يندمج جزء يسير من الاشعاع مع ذرات الغبار فى الهواء ثم يسقط على الارض مع حركة الرياح خلال ساعتين بعد الانفجار ٠ وتظل آثار من الاشعاع عالقة بالهواء لمدة طويلة ، وتنتشر بصورة عامة حتى يبطل مفعولها بعد ان تكون قد قطعت عدة أميال بعيدا عن الفوهة ذاتها ٠

الانفجارات النووية

ان أى مشروع من مشاريع البناء يعتمد عادة على تكاليفه ٠ ولكن الانفجارات النووية تعد مصدرا عظيما للطاقة ، رخيصة التكاليف بالمقارنة الى المشروعات الاخرى ، فتفجيرات وزنها « ٢ ميجا طن » قد تكون أرخص مائة مرة من ثمن شحنة من مسادة (ت٠ن٠ت) ٠

فمن الناحية الاقتصادية يمكنوضع هذه الكمية (٢ ميجا طن) فى حفرة قطرها لا يزيد على أربعة اقدام ٠ وبحيث لا يزيد وزن المتفجرات على عدة أطنان ٠ ولكن نفس القدر من المتفجرات النووية قد يلزمه عشرات الالوف من الاقدام المكعبة من المواد الكيميائية الاخرى ، ووزن يربو على مليونين من الاطنان ٠ ومن الطبيعى أن انتاج هذه الكميات الضخمة من المواد المتفجرة وكذلك تكويمها من الامور المستحيلة ٠

لذلك اتجهت الانظار الىالانفجارات النووية كأساس للتغلب على المشكلة٠٠ وهناك اعتبارات امن كثيرة يمكن تطبيقها عند الشروع فى الحفر النووى ، فتعرض الناس للاشعاعات يجب ان يكون مسيطرا عليه تمام السيطرة بحيث لا يتعرض اى انسان لاخطار هذه الاشعاعات ٠ وذلك بطبيعة الحال يحتاج الى مساحة شاسعة غير ماهولة بالسكان ٠ وكذلك تجب معرفة ظروف الرياح التى تهب على المنطقة بحيث يمكنها الاحتفاظ بالمواد المشعة والسيطرةعليها ٠ وتحت هذه الظروف فان مشكلة الاشعاع تصبح غير ذات موضوع ٠٠

ومن الاعتبارات الاخرى ، الهزات العنيفة التى تحدث عقب الانفجار ٠

فلكي يتفادى العلماء تصدع المباني بسبب الحركات الارتجافية ، فان الانفجارات يجب أن تتم بعيدا عن مناطق المباني والمنشآت العامة ·

والاعتبار الثالث هو الدوي الهائل الذي يحدثه الانفجار فيسبب خسائر جمة للمباني والممتلكات · فالاشعاعات والصدمات الارتجافية والدوي العنيف قد يحددتطبيق أو استخدام الانفجارات النووية على نطاق عام ، ولهذا كان من الضروري أن تقام أعمال الحفر النووية في مناطق بعيدة غير مأهولة بالناس ·

يقول العالم دكتور جلن سيبورج « ان علم الجغرافيا قد لعب دورا هاما في حياة الناس وخدعهم في كثير من الاحيان ، فجعل البعضمنهم يسلك طرقا بحرية طويلة للدورانحول القارات لولا وجود قناتين كقناة السويس وقناة بناما · فقناة السويس شقت في عشر سنوات منذ مائة عام تقريبا ، وكذلك قناة بناما شقت هي الاخرى في عشر سنوات والتتحمنذ أربع وخمسين سنة · واحتاجت الى نظام هندسي معقد اعتبر أعجوبة زمانه ·· ومع ذلك فالقناة غير وافيةبالغرض الذي شقت من اجله · ولهذا فهناك اتجاه لشق قناة أخرى تتسع لطريقين من السفن الضخمة وذلك باستخدام الانفجارات النووية لشق مثل هذه القناة في مدة لا تزيد على ثلاث سنوات وبحيث لا تزيد تكاليفها على مليار من الدولارات ·

وهناك اتجاه مماثل لنقل الماء من المناطق الغنية به الى مناطق جافة عن طريق قنوات تشق بالانفجارات النووية · فالمناطق الجافة التي لا تهطل عليها الامطار يمكن نقل المياه اليها عن طريق فوهات كبيرة للري · اما المناطق التي تهطل عليها الامطار بنسبة قليلة فيجب أن تبنى فيها السدود باستخدام حافة الفوهة وذلك بتدمير حائط الصخور أو باستخدام الانفجارات النووية بعد دفنها فيمكان قريب لاحداث صدع في الصخور لبناء السد المطلوب ·

وفي مناطق كثيرة من الكرة الارضية توجد مصادر غنية بالخامات لم تمسها يد الانسان بعد ، نظرا لتكاليف نقلها الباهظة · وعليه يمكن استخدام الانفجارات النووية لبناء موانىء تستطيع أن ترسو فيها سفن البحوث ·

- إستخدام الإنفجارات النووية فى الأغراض السلمية وشق القنوات المائية الطويلة

- الانفجارات العميقة تحت الأرض تكشف عن المصادر الطبيعية كالبترول والغاز

الانفجارات النووية

ثروات فى باطن الارض

فى أقل من جزء واحد على مليون جزء من الثانية بعد أى انفجار نووى قوته مائة كيلو طن على عمق ٣٠٠٠ قدم ، نرى أن الطاقة الكاملة تجسد طريقها الى الخارج • وان صدمة دائرية قوية تتحرك نحوالخارج تسحق وتصهر وتبخر للصخور • وان معظم طاقة موجة الصدمة هذه تتكون عادة على هيئة حرارة • والصخور التى تبخرت تتمدد كفقاعات الغاز وتكون فوهة حتى يتعادل ضغط الغاز مع الصخور الملقاة ويقف نمو الفوهةعند دائرة قطرها ١٥٠ قدما • وعندئذتكون الفوهة قد صهرت ٦٠ر٠٠٠ طن من الصخور ، وتبلغ حرارة الغاز عدة الوف من الدرجات المئوية • وقد تتركز الابخرة وتتجمعالمواد المذابة فىقاعدة الفوهة ، ولكن تحت مختلف الظروف فان سقف الفوهة ينهار ليكون مدخنة اسطوانية من الصخور المهشمة •

وتجرى فى الوقت الحاضر عدة تجارب هامة فى كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية تستخدم فيها الانفجارات النووية للحصول على الغاز الطبيعى بكميات وفيرة • وذلك بتوسيع دائرة الفوهة واحداث مداخن نووية عميقة •

وقد اجريت هذه التجارب باستخدام ٢٦ كيلو طنا فجرت على عمق ٤٢٤٠ قدما تحت الارض فى حوض سان جوان بالمكسيك الجديدة • ودلت النتائج الاولية للانفجارات النوويةالتى وقعت فى يوم ١٠ ديسمبر عام ١٩٦٧ والتى كان الهدف منها احداث مدخنة اسطوانية من الصخور المحطمة تحت الارض ، انها نجحت تماما وبلغ قطر هذه المدخنة ١٦٠ قدما وارتفاعها ٣٥٠ قدما •

ومما يذكر أن النيتروجلسرين كان قد استخدم فى قاعدة سان جوان للحصول على كميات منالغاز الطبيعى •• وكان يستخدم من ٩٥٠ الى ٢٤٠٠ لتر منه لاحداث الانفجار المطلوب ليتسرب بعده الغاز الطبيعى • ولكن باستخدام الانفجارات النووية الحديثة كانت الطاقة التى احدثتها الانفجارات تعادل اثنى عشر مليون لتر من النيتروجلسرين وبهذا أمكن استخراج كميات من الغاز الطبيعى بقدر سبعة أضعاف • وسوف تستخدم نفسالطرق للحصول على النفط (الزيت الحجرى) وهو فحم هيدروكربونى يسمىكيروجين •• وعندما يسخن الكيروجين الى ٣٥٠ درجة مئوية فانه سيتحول الى عدد من الغازات وهيدروكربون سائل ورواسب كربونية • وكان التسخين يستخدم منذ قرن مضى لانتاج زيت من الزيت الحجرى • والاخير ينتج حاليا بكميات ضئيلة جدا فى الاتحاد السوفييتى والصين فقط ••

ويمكن اليـــــوم استخراج الزيت الحجرى بالانفجارات النووية وذلك بعد تكوين مدخنـــة من فضــلات الزيت الحجرى يحيط بها من كل جانب خام الزيت نفسه ٠ ويمكن تسخين هــذه المدخنة وهى فى مكانها فتخرج بعد ذلك كميات من الزيت الحجرى النادر٠

وبجانب استخراج مليارات البراميل من الزيت باستخدام الانفجـــارات النووية بدون اخراج الزيت الحجرى الى السطح ، فان ذلك يجنب الخبراء مشاكل تلوث الماء ورواسب الغبار ٠ وهناك اقتراحات عديدة لتخزين الغاز الطبيعى والزيت الحجرى فى مداخن صخرية تحدثها الانفجارات النووية٠ وهذه المخازن يمكن تكوينها فى مناطق خاصة تحت المحيطات أو فى المناطق الثلجية ٠

وفى المستقبل القريب سوف تستخدم الانفجارات النووية لاستخراج المعادن من باطن الارض بعـــد ان ثبت ان الكميات التى تستخرج من النحــاس مثلا لا توازى ثمن تكاليف استخراجها بالطرق المألوفة ٠ وكذلك يأمل العلماء ان يطبقوا نفس الطريقة فى استخراج كميات من الماء وتخزينها فى مداخن صخرية تتسع لاربعمائة مليون قـــدم مكعب لكل كيلو طن من المتفجرات ، وحفظها فى المناطق الجرداء او فى بعض الجزر التى تكثر فى المحيطــات وبذلك يتفــادون تبخر المــــاء من الخزانات المفتوحة بل يحفظ بكميـات لعدد طويل من السنين ٠

واخيرا سوف يتعلم العلماء كثيرا من الانفجارات النووية لان التكنولوجية الحديثة قد تقدمت كثيــرا وأصبحت تبشر بمستقبل عظيم للبشرية لتسخير باطن الارض وما يحتوى عليه مـن ثروات عظيمة وغيرها من المــواد الطبيعيـــة التى أصبحت نادرة قليلة ٠٠٠

● أخطار الإشعاعات النووية على الإنســان والحيوان .. وكيفــ يمكـــن تجنبها

● المداخن الاسطوانية من الصخور المنصهـرة تحتفظ بالغاز والمــاء كمستودعات طبيعية

لا تقتصر رسالة الازهر على العلم وحده ، انما هو متحف عتيد للفنون الرفيعة والمعمار الاسلامي منذ الف سنة وقد تطور الفن في الازهر اخيرا . ولم يقتصر على النقوش الاسلامية والخط العربي . بل بدات معاهده الازهرية والجامعية اثر حركة التطوير الاخيرة تحمل الى جانب العلم مشعلا جديدا للفن .

والفن في الازهر لا يقتصر على الفن التشكيلي وحسب . بل يشمل المسرح والخطابة والشعر والموسيقى .



الفن في الأزهر

عاطف مصطفى


المسحراتي

الفن في الأزهر

دور بارز للمعاهد الأزهرية

والمعـــاهد الازهرية هي النواة الاولى لهذا التطور المدرس الذي نراه الآن ، فقد اولت الفن التشكيلي أهمية كبيرة ، على أساس أن الفن الاسلامي هـــو احد الدعامات الهامة التي قامت عليها الحضارة الاسلامية منـــذ عصورها الاولى ٠

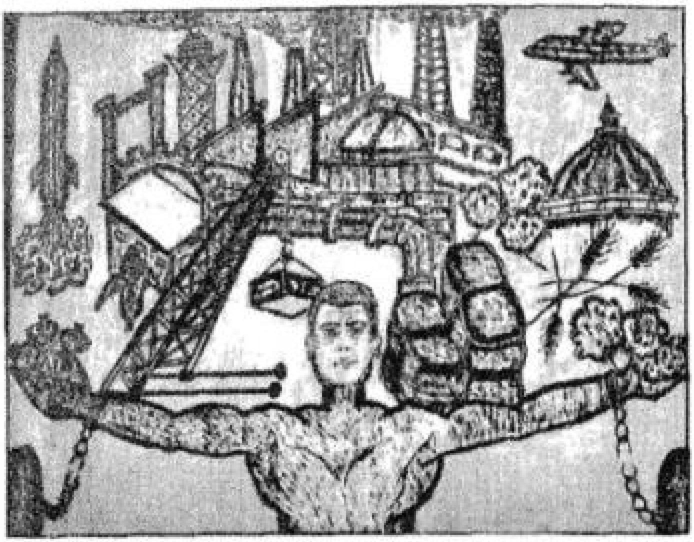
واذا نظرنا للفن المعاصر في هذه المعاهد وجدناه يعـــالج كل ما في الحيـــاة ، بنظرة متطورة واعية ٠٠ فاللوحات تتنوع فيهـــا الموضوعات كالمقاومة ، والعمل ، واختيار النماذج الجمالية للطبيعة ، وايضا بالنسبة للخط العربي فقد تطور من حيث حرية التشكيل والانماط ، بحيث لم يعـــد يكتب بالطريقة التقليدية ، فهنـــاك الخط البارز ، والخط الجائر ، كـــل هذا في أشكال جمالية متعددة ٠

وتظهر روعة الاعمال في الخزف ، والنحت ، والحفـــر ، بحيث يرى المشاهد لهذه الاعمال مقدرة فائقة على استيعاب أنماط البيئة ونقلها في نماذج فنية رائعة ٠

هذا الفن يبـــدأ من منطلق اسهام شباب الازهر بتصيبه في ميدان الفن، منطلقا بفكره في أرض الله وسمائه ، وفي كونه الفسيح المليء باياته ، ثم تأتي ريشته فتسجل هذه المشـــاهد والمشاعر في صورة فن ناطق بعظمة الله وجـــلاله وبديع صنعه ، مشبع بايمان الفنان ، وصدقه ، مما يعـــد اثراء للحياة ، واعلاء لقيمة الفن ، وتجديدا للمعاني الكريمة في المجتمع ٠

والى جانب الاهتمـــام بالفن في المعاهد الازهرية على كافة مستوياتهـــا (الابتدائية والاعدادية والثانوية) أنشيء في سنة ١٩٦٥ مركز للفنـــون التشكيلية للازهر بالقاهرة يضم عددا كبيرا من الموهوبين من طلاب الازهر الشريف ، ويتكون هذا المركز من ست شـــعب هي : الخـــزف ، والتشكيل بالكتابات العربية ، النجارة والتطعيم والحفر ، والتصوير الضوئي ، وشعبة عامة للمرحلة الابتدائية ٠ والى جانب هذا النشاط الفني تضم خطة عمـــل المركز البرامج الثقـــافية والعروض السينمائية في الفنون التشكيلية والتي يشرف عليها متخصصون في هذه الفنون

وقد بدأ الطلبة الذين يعشقون هذا الفن بدراسة الكتابات العربية دراسة اكاديمية بحتـــة على الاسس التي خلقها لنا التراث الاسلامي ، وعندما عايشوا هذه الكتابات تشربوا روحها ونسبها الدقيقـــة ، وأحسوا بالقيم التشكيلية فيهـــا من حيث الاستطالة والاستدارة والليونة والصـــلابة ٠٠



« التصنيع » .. للطالبة جمال محمد السيد

والشاهد لهذه الاعمال يشعر بالاتزان الذى يحسه عندما يشاهد هذه الكتابات العربية الجميلة فى البيئة الاسلامية فى المساجد وعلى المنتجات الاسلامية المتنوعة ، وفى الوقت نفسه يحس فيهما بفكر العصر الذى نعيشه وروحه .

واهمية الخط العربى فى اعمال الطلاب انه كائن له شخصية حية تتنفس وتقف شامخة معبرة عن أرضنا وترابنا منسجمة مع فكر القرن العشرين ، ومع هذه التجربة الحية لمركز الفنون التشكيلية نماذج من نشاط شعبة الخزف ، والتصوير الضوئى والرسم ، والزخرفة والاعلان

ولا يخلو الامر فى المعاهد الازهرية من مزاولة كافة الانشطة الفنية المختلفة الاخرى التى تخلق جيلا متحفزا من الشباب الاسلامى الواعى بتراث وحضارة بلده الاسلامى العريق .

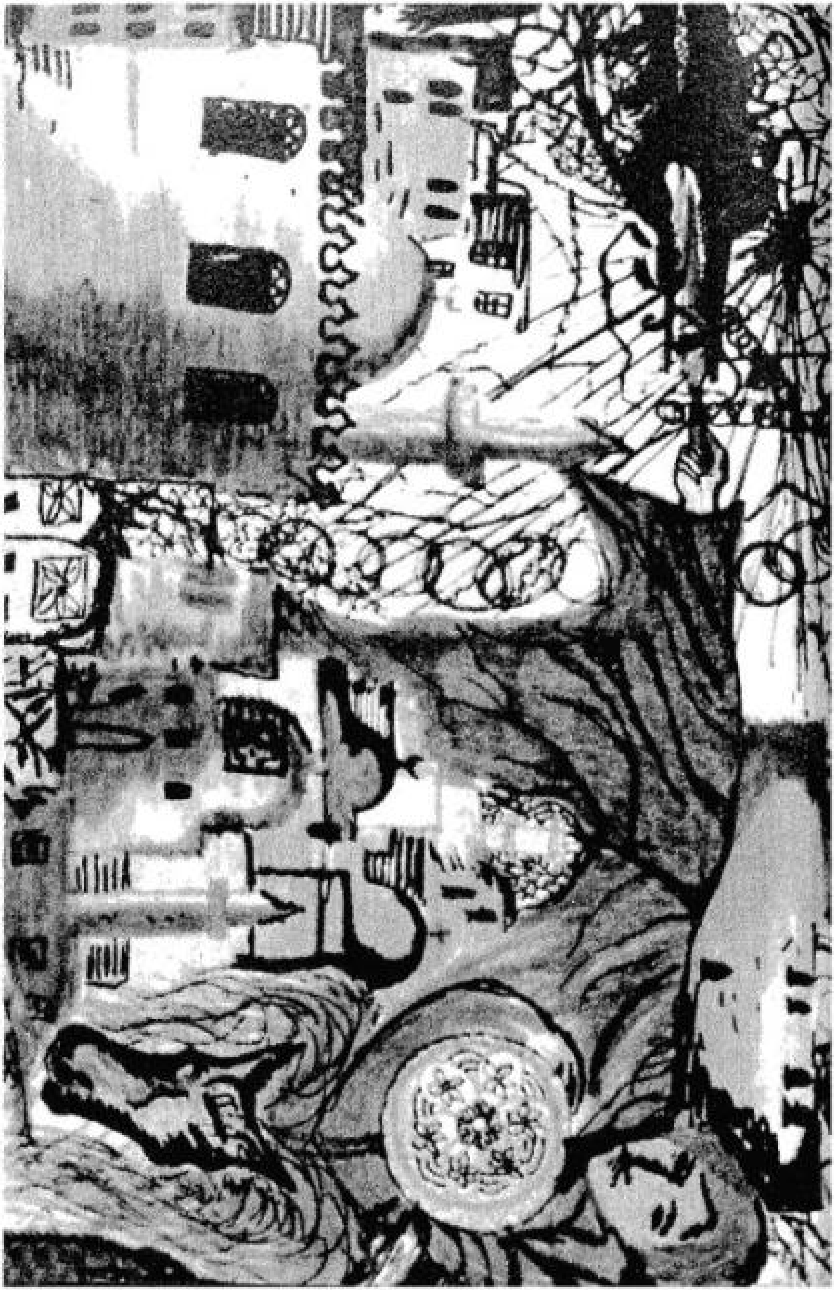
***

واذا انتقلنا الى الجامعة الازهرية بعد ما نالها من التطوير سنة ١٩٦٢



« قاع البحر » .. للطالبة زينب الاشوح

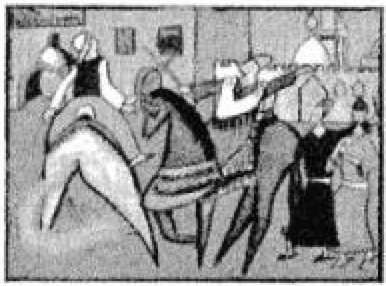
" العنكبوت " .. للطالبة عزه بيومي



الفن في الأزهر

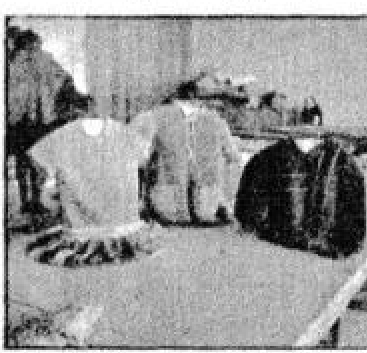
وجدنا جيلا متحفزا يحمل مشعل العلم والايمان ، كل ما يؤديه ويقوم به في اطار الدين الاسلامي الحنيف .

والجامعة الازهرية بكلياتها المختلفة ، بما فيها كلية البنات الاسلامية ، تظهر فيها الآن صورة جديدة لشباب الازهر الذي يواكب التطور الجامعي في كافة أوجهه ، واذا ما استعرضنا الانشطة الفنية المختلفة داخل كليات الازهر وجدناها قد تطورت تطورا ملحوظا ، خاصة بالنسبة للفن التشكيلي .



رقصة من الفن الشعبي .. حفر على الخشب .. للطالبة سمر حسن توفيق

" ملابس اطفال " .. من اعمال طالبات مركز الفنون بكلية البنات





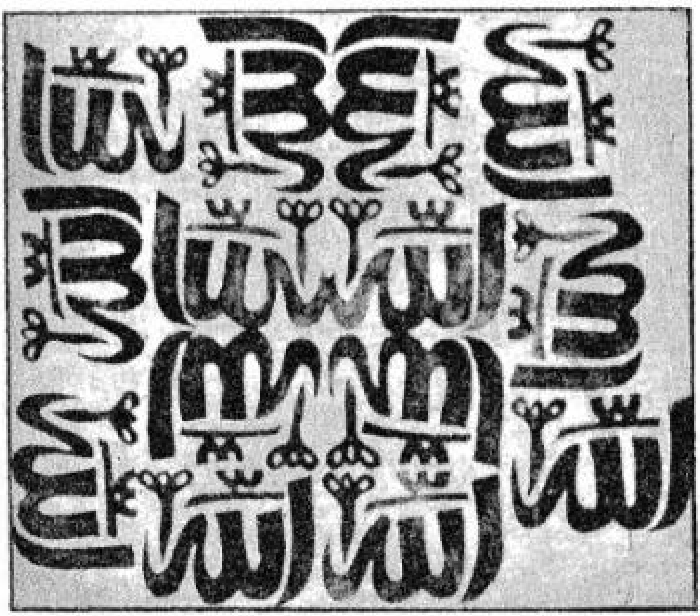
" خزف " .. للطالب نمر مصطفى

وتقوم اللجان الفنية بدور فعـــال في تنمية الحس الفني عند الطلاب عن طريق توضيح مفـــاهيم الفن ودوره في الحياة ، وقـد استلزم ذلك اقامة مكتبة فنية وقاعة استماع للموسيقى واصدار النشرة الفنية التي توضح أعمال الفنانين العالميين والعرب في شتى الموضوعات الفنية من موسيقى ومسرح وفن تشكيلي .

ومن اجل تنمية الحس الفني داخل الكليات الازهرية يقام اليوم الفني لكل كلية من الكليات حيث يقـام معرض للفنون التشكيلية بكل انواعها ، ثم يعقبه برنامج للسمر تقدم فيه عروض للمسرح وللموسيقى . والغرض من هذا النشاط الهادف تنمية روح الفن عند طالب الازهر وخلق جمهور واع للمسرح يفرق بين المسرحيات الهادفة وغيرالهادفة ، ويعطي دفعة قويةلكيفية مواجهة الجماهير .

وغالبية الاعمـــال التي قدمت في المعارض والمسابقات يغلب عليها طابع

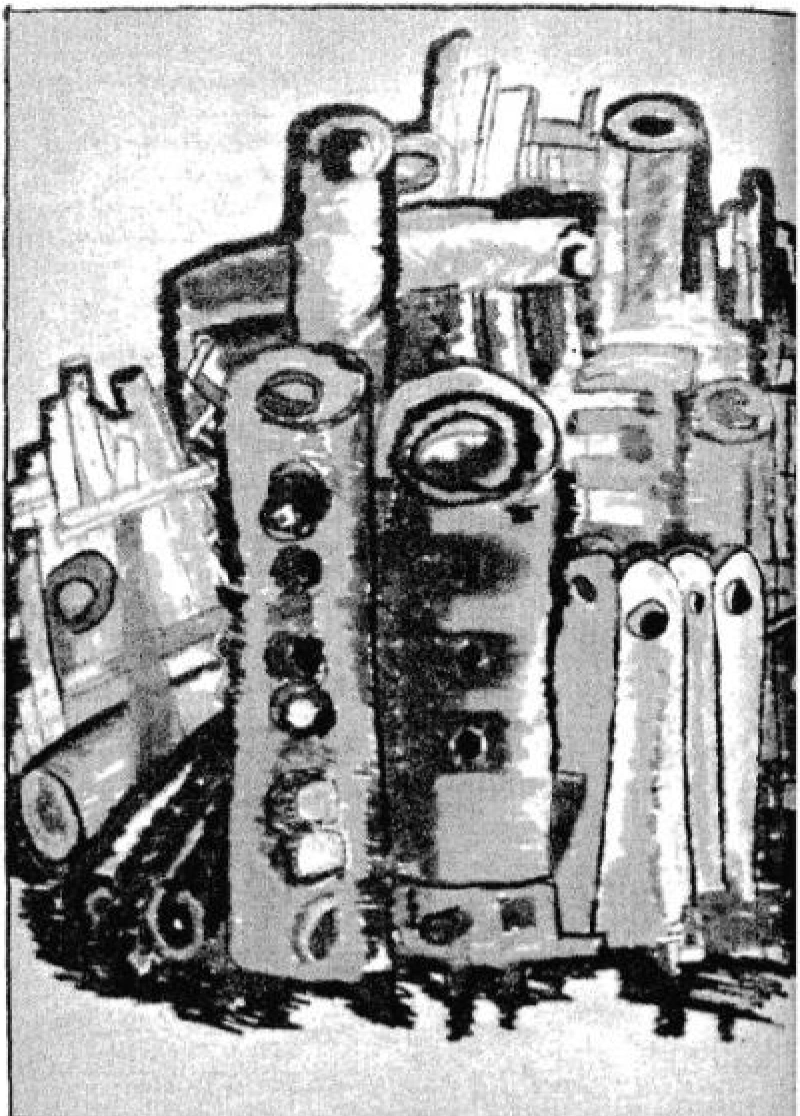
«الخط العربي» .. من اعمال طلبة مركز الفنون التشكيلية لمعاهد الازهر



« التصنيع » .. للطالبة جمـــال محمد السيد

« راحة ثم عودة للعمل » .. للطالب زكريا عبد القاهر





المدرسة التجريدية والتأثيرية وتتناول موضوعات وطنية ، وموضوعات تعالج نزعات الشباب المختلفة وانفعالاته ، ويغلب الطابعان الدينى والشعبى أيضا على أعمال الفنانين من الطلبة فى رسمهم للمآذن والمساجد والاحياء المحيطة بالجامعة ، كالدراسة والحسين

جيل جديد من الفنانات

ودور كلية البنات واضح فى تطور الفن فى الأزهر ، فقد أنشىء فى مبنى الكلية بمدينة نصر معرض دائم للفنون التشكيلية تعرض فيه نماذج فنية تمثل الاتجاهات الفنية المختلفة . وقد استخدم فى رسم اللوحات القلم الرصاص ، والزيت والألوان المائية ، ويشتمل المعرض على لوحات الخط العربى بأشكاله المختلفة ، وأيضا الفنون التقليدية كالتطعيم بالصدف على الخشب ، والضغط على النحاس ، وغالبية هذه الأعمال من الفن التجريدى والسيريالى ، وتعالج القضايا الوطنية والاجتماعية المتعددة

وفى رمضان الماضى اشتركت كلية البنات فى المعرض الذى أقيم بقاعة الشيخ محمد عبده ، وعرضت فيه مجموعة رائعة من المفارش عليها رسوم اسلامية جميلة ، وكذلك أعمال الكانفاه والتريكو والكروشيه والشنط والعقود .

وتعتبر هذه سمة من السمات الهامة لملء الفراغ عند الفتاة الاسلامية ، حيث توجه طاقتها توجيها مثمرا يقابل بحماس شديد من الطالبات ، حيث يركز كل هذا بطريق غير مباشر على الجانب الذى يفيدهن فى المستقبل

وعلى مستوى الجامعة الازهرية تتوالى افكار اللجنة الفنية للاحتفال بالعيد الالفى للأزهر بصورة تتفق مع جلال وقدسية هذا المعهد العلمى العتيد الذى يشع العلم والحضارة على ما يقرب من نصف الكرة الارضية .

اما بقية الفنون فى الأزهر فتسير بنفس الخطا الوثابة يؤازرها جيل واع ينظر الى الحياة نظرة متطورة ، فيها مزيج من الايمان ، ومزيج من الواقعية ، التى نعيشها الآن فى عصر التطور ، وسباق غزو القمر والكواكب

***

جانب آخر من جوانب الفن فى الأزهر ، هذه الندوات الشعرية التى تقام من حين الى آخر فى المناسبات الوطنية والدينية المختلفة ، وطابع هذه الندوات غالبا ما يعكس آثارا مختلفة للمدارس الشعرية فى مصر والوطن



العربى ، بمعنى أن كل التيارات التى تموج داخل الوطن تنفتح عليها جامعة الازهر ، فلا تقتصر على طائفة معينة ايمانا منها بالتطور الثقافى وعـــدم محلية الفكر .

فى هذه الندوات يدعى كبارالشعراء فى مصر والـــذين يحـــافظون على مضامين الشعر بأصوله العربيـــة العريقة والتى تعتز بها جامعة الازهر لانها تحـــافظ على التراث العربى ، وتريد أن يبقى وجه الادب العربى مرآة صافية ، لا تشوهه بثور الغرب ولا الثقافات المستوردة .

وتقـــام الندوات النقـــدية سواء بالنسبة للقصة أم الشعر أم المسرح لمناقشة انتاج الادباء الشبان ، وغالبا ما تحرز كلية اللغة العربية المراكـز الاولى فى انتـــاج الشعر والقصة والمسرح



« نمـــوذج للتصـــوير الصوفى » ــ كلية الهندسة

المسرح فى الازهر

والمسرح فى الازهر يغلب عليـــه الطابعان الاسلامى والوطنى ، ولكن يعيب هذا المسرح انه يخلو مـــن العنصر النسائى ، وهذا الحذف يؤثر على قيمة النص الفنية ، ولا ندرى ما سبب حذف الشخصيات النسائية مـــن المسرحيات ، طالما انها تعالج مشاكل وقضايا عامة تهم الناس ، ولا يوجد حتى الآن مسرح مجهز ، حتى قاعة

فرقة موسيقية فى المولد
« نموذج عرايس » ..
للطالب محمد نجيب السيد

« ماكلوين » .. للطالب
أحمد السيد ناجى





الفن في الأزهر



« خان الخليلى » ..
للطالب محمد الحلفاوى

« الذبيح ».. للطالبة سحر توفيق

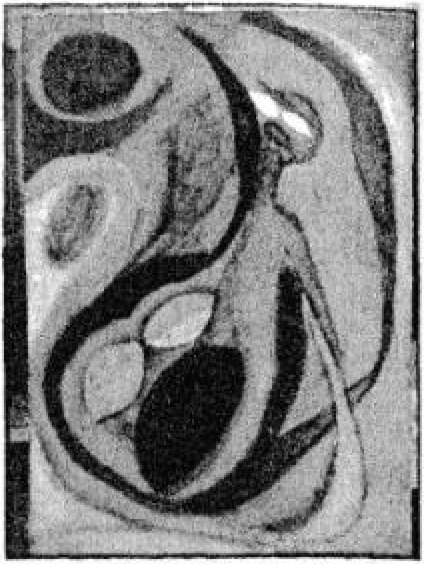
من الفن الشعبي « حفر على الخشب » .. للطالبة عائشة محمود عبد الحليم . . .



الشيخ محمد عبده لا تصلح كمسرح والكليات الاخرى غير مجهزة بمسرح لتقديم العروض والمسابقات المسرحية.

ان المسرح ضرورة هامة بالنسبة للازهر كوسيلة للدعوة الدينية ، وياحبذا لو ارتقى الفن المسرحي في الازهر ، لانه اذا تدين رجل الفن ، وتفنن رجل الدين ، التقيا على طريق واحد لخدمة القضية .

وليس معنى هذا أن الفن المسرحي متوقف في الازهر ، ولكن هناك المسابقات السنوية للكليات الازهرية، ويتم اختيار أحد مسارح القاهرة لتقديم العروض المسرحية ، وتمنح الكلية الفائزة درع التفوق .





« الصبر » .. للطالب صلاح زغلول زايد



«الامومة» نحت : للطالبة نبيلة محمود يوسف



« نموذج من الخط العربي » من اعمال مركز الفنون التشكيلية لمعاهد الازهر

الموسيقى فى الأزهر

ويمارس طلاب الجامعة النشاط الموسيقى عن طريق مراكز التدريب على مستوى الجامعة ، ويقوم مدربون متخصصون بالاشراف العلمى على هذه المراكز · وتقوم الفرق الموسيقية بعزف الالحان الشرقية بمصاحبة فرق الانشاد الدينى فى اطار النشاط الفنى داخل كليات الازهر ·



« ماساة » .. للطالبة نادية محمد عليان

وهذا اللون المحبب للنفس من الفنون يحتاج ايضا الى رعاية وعناية خاصة ، حيث يمتاز طالب الازهر بميزة الحفظ ، وجودة الاداء ·· وهذا من دواعى ضرورة اهتمام المسئولين عن التربية الفنية داخل الازهر بهذا الفن الذى كان ذات يوم من أهم ما يتمتع به رجال الازهر وخريجيه ، حيث برع الكثير منهم فى الموسيقى من أمثال الشيخ محمد شهاب والشيخ ابو العلا محمد ، والشيخ زكريا احمد ، والشيخ محمد القصبجى وغيرهم ·

***

الى جانب هذه المعالم الفنية فى اطارها الدينى المتميز ، الذى تحكمه علاقات محددة واضحة ، توجد انشطة متنوعة اخرى ، كالنشاط الرياضى والكشفى والاجتماعى · وابرز ما يميز هذه الجوانب المشرقة للنشاطات داخل الازهر مزيد من العلم ، ومزيد من الوعى يؤازرهما تدعيم لاواصر الصداقة والمحبة بين الازهريين ، ويلقى شعاعا وضاء لنهضة فنية تؤازرها الف سنة هى عمر هذا الشامخ العملاق ··· الازهر ··

الفن فى الأزهر

د . سلمى الخضراء الجيوسى

إبراهيم طوقان

رائد شعر المقاومة

كان ابراهيم طوقان (١٩٠٥ - ١٩٤١) اكبر شعراء فلسطين فى العشرينات والثلاثينات ، فهو الذى خرج بالشعر الفلسطينى الى المعاصرة، وشق الطريق الى الصدق فى التعبير عن التجربة المعاشة . انه من نابلس، تلك المدينة العريقة الرابضة فى الوادى بين جبلى جرزيم وعيبال .

وقد نهضت بيوتها تتسلق من السفح الى صدر الجبل ، ومن حولها جبال اخر هى معاقل الثوار الفلسطينيين فى الثلاثينات ، فتحنا أعيننا نحن الجيل اللاحق على سماع ذلك الاسم الملئ بالاريحية الثورية علما يعرف بنابلس وضواحيها: جبل النار حيث تحصن ابناؤها المحاربون ، يضربون العدو ويحتمون بمعاقل الجبال الوعرة، تساندهم قراها برجالها ونسائها وأطفالها . وتروى عنهم قصص بطولية حقيقية بعضها اشبه بالاساطير . . .



ظلت نابلس منيعة رافعة الرأس ، فلم تسمح باستيطان أحد من اليهود الوافدين اليها ، ولم يكن فيها منهم الا بقية السامريين ... والى جانب ثورية نابلس ، فقد اشتهرت بحب العلم ، ومنذ العقود الاولى من هذا القرن سافر شبانها يطلبون المعرفة خارج بلدتهم . فلم تكن قادرة على كفايتهم . وكانوا يذهبون الى بيروت واسطنبول والقاهرة وسواها ليدرسوا في معاهدها العالية ، غير انهم كثيرا ما رغبوا عن العودة الى نابلس وبقوا مغتربين عنها ، لما خيم عليها من روح المحافظة والتمسك بالتقاليد بالرغم من ذلك المزاج الثورى المتوهج ، فحرمت البلدة من الانتفاع بمؤهلات ابنائها الثقافية . وقد كان فقدان الحرية الشخصية فى البلدة من أهم أسباب التمرد والحزن فى نفس شاعرتها الشهيرة ، فدوى طوقان ، شقيقة ابراهيم .

ولعبت نابلس دورا مهما فى حياة ابراهيم طوقان ، فعكس شعره مزاجها الثارى وفورانها القومى . وقد كان شعره سجلا للاحداث السياسية فى فلسطين فى العشرينات والثلاثينات ، ولصراعها البطولى ضد الصهيونية وضد الجهل والركود والفتور والانانية التى قتلت حيويتها ، كما كان أيضا سجلا لما أحاط بها من خيانة وغدر ساقاها فى النهاية الى مصيرها الفاجع سنة ١٩٤٨ ، بعد وفاة طوقان بسبع سنوات .

وقد كانت لأسرة طوقان تقاليد ثقافية ساندت موهبة ابراهيم اليانعة ، فوجد تشجيعا على قرض الشعر من جده الذى كان ينظم الشعر والزجل . وكانت امه ـ تلك السيدة الحصيفة الوقور التى توفيت سنة ١٩٦١ ـ تحب الأدب البطولى فى العربية ، وكان أبوه حريصا على أن يدرس ابراهيم واخوته القرآن الكريم ، فنشأ ابراهيم طوقان متعلقا به ، يختمه فى شهر رمضان من كل عام .

وتوجه ابراهيم سنة ١٩٢٣ الى الجامعة الامريكية فى بيروت حيث بقى الى سنة ١٩٢٩ ودرس مع أساتذة معروفين منهم انيس الخورى المقدسى . وفى بيروت تفتحت شاعريته ولقى فى الجامعة شعراء ناشئين من بلاد عربية أخرى وصادقهم كحافظ الجميل من العراق ووجيه البارودى من سوريا . كما لقى فيها صديقه الحميم وكاتب سيرته فيما بعد ، عمر فروخ .

الحب لأول مرة

وفى جو لبنان الاكثر انطلاقا وحرية عرف ابراهيم الحب لأول مرة ، فقد شاهد الجمال الانثوى عن كثب فى الجامعة وخارجها ، وسجل هذا شعرا ، فقال فى قصيدته « غادة أشبيليه » :

أول عهدى بفتون الهوى   بيروت ، انعم بالهوى الأول
بيروت لو شئت دفعت النوى   طوعا ، ولم أهجرك فالويل لى

غير أن طوقان ، فى سنواته الجامعية ، أصيب بالقرحة وفى أساس المرض الذى قضى عليه أخيرا وهو بعد فى السادسة والثلاثين من عمره .

وبعد تخرجه تنقل ابراهيم مدة اثنتى عشرة سنة من نابلس الى القدس والى بيروت وبغداد ، متحولا من التعليم الذى كان يكرهه الى الوظيفة الحكومية .

إبراهيم طوقان

وقد وصف كرهه للتعليم فى قصيدة « الشاعر المعلم » وهى تجمع بين المرارة والفكاهة :

(شوقى) يقول وما درى بمصيبتى :   « قم للمعلم وفه التبجيـــلا »
لو جرب التعـــليم شوقى ساعة   لقضى الحياة شقاوة وخمـــولا .

. . . .

يا من يريد الانتحـــــار وجدته   ان المعـــلم لا يعيش طـــويلا

ولم تفت طوقان زيارة مصر ، فقــدجاءها يسعى وراء العلاج ، ويبدو انه استمتع باقامته فى القاهرة ، فقد وجدفيها مباهج تفوق مباهج بيروت . كتم يقول :

هبطت مصر وظنى انهـــا رقدت   فى ظل اجنحة من ليلهـــا جون
كانهـــا وكان الليل منصـــدعا   بنورها من صـــدر غير مكنون
والازبكية فى الامســـاء راقصة   لهـــا غلائل من شتى الرياحين
والنور ذو لحظات فى خمائلهـــا   كانهـــا لحظات النهـــد العين
هـــذا ومصر بســـاتين منمقة   (شبابها) بعض ازهار البساتين
خاضوا ميادين من جد ومن لعب   فاحرزوا السبق فى كل الميـــادين

روح الثورة والاصرار

يمتاز شعر ابراهيم طوقان باخلاصه وصدقه العاطفى . انه واضح ومباشر ، لغته بسيطة منتقاه وعباراته قوية متينة النسج ، يظهر فيها بوضوح تاثير الثقافة الكلاسيكية والقرآن على الشاعر . ولقد اتسحت رؤياه فاكتشفت العيوب المعششة فى الامة ، وبلهجة عراف كاشف للغيب رسم ابراهيم تلك الرؤى الراعبة لخراب قريب ومنفى محتوم ، فقال فى قصيدته « مناهج » :

امامك ايهـــا العربى يوم   تشيب لهوله سود النواصى
وانت ، كما عهدتك ، لا تبالى   بغير مظاهر العبث الرخاص
مصيرك بات يلمسه الاداني   وسار حديثــه بين الاقاصى
فلا رحب القصور غدا بباق   لساكنها ولا ضيق الخصاص

وفى قصيدته « يا قوم » :

هزلت قضـــيتكم فلا   لحم هنـــاك ولا دم
حتى العظام فقد تعرقهـ   ـــا الذئاب والتهموا

يا قوم ليس عدوكم	ممن يليـن ويرحم
يا قوم ليس اسامكم	الا الجلاء « فحزموا »

ليس هذا شعر منطق كما يبدو لنا لأول وهلة بعد أن وقعت الكارثة المدمرة ؛ بل شعر رؤيا وكشف . فحتى المخلصون في ذلك الوقت (الثلاثينـات) لم يشعروا بكل هذا الخطر ، ورؤيا الشاعر التي كشـفته لم تقنعهم بالرغم من بساطتها وصراحتها . فيالها من نبوءة صادقة سبقت الوعي المعاصر لها بعشر سنوات على الاقل !

كان ابراهيم طوقان يحب الحيـاة وقواها الحيوية ، فغنى أغنية احتفال طويلة ممجدا الصراع البطولي الـذي بذله شبان وطنه ، رافضا رفضا لايعرف المهادنة ولا المصالحة جميع قوى الشر والخمول والغدر التي كانت تستنزف حيويته . لقـد كان ابراهيم شاعر المقاومة الأول ومعه عبد الرحيم محمود الشاعر الفارس الذى وقع شهيدا على أرض المعركة . ان شعراء المقـاومة الفلسطينيين المعروفين اليوم ينتسبون الى خلفية قوية من المقاومة والتحدى وروح الهجـوم والثـورة ، والاصرار . وابراهيم ، رائدهم الأول ، نظـر الى الواقع حوله فرأى البطولة ورأى الآفات التى كانت تفترس مساعيها الفائقة ، فمجد البطولة وأدان أصحاب الآفات . وترتسم بحيوية وتوهج فى شعر ابراهيم شـخصية البطل والثـائر والشهيد ، بقدرتها الهائلة على التضحية ، وبفدامة مسـعاها ... يقول فى قصيدته « الفدائى » :

لا تسل عن سلامتـه	روحه فوق راحتـه
بدلتـه همـومه	كفنـا من وسادته
يرقب الســاعة التى	بعـدها هول ساعته
شاغل فكر من يراه	باطراق هامتـه
بين جنبيه خـافق	يتلظى بغـايته
من رأى فحمة الدجى	اضرمت مـن شرارته
حملتـه جهنم	طرفا من رسـالته

●●●

هو بالبـاب واقف	والردى منـه خائف
فاهـدئى يا عواصف	خجـلا من جراءته

ان الحياة نفسهـا لا تستطيع أن تغتصب بطولة الفدائى التى تلزع حتى الموت . ويبقى تصور طوقان للبطـل صافيا براقا ، وتظل الرؤيا الفعمـة بالتمجيد لنمـوذج أعلى رؤيا مقترنة لأنها تضع البطل على بعد مسـافة طويلة من الانسان العادى ، فهو لايمس ولا يتلوث أبدا ، وشجاعته لا تهتز ولا

تتفاءل ، والموت لديه يلتبس جمالاً محببا وجاذبية مقدسة لأنه ارتبط بحتمية التضحية والفداء .

بطلي اشد على لقاء الموت من هم الصخور
جذلان يرتقب الردى فاعجب لموت في سرور

من « الثلاثاء الحمراء »

والموت ليس هباء ولا سدى ، بل هو لغاية معقودة لا مفر منها ، لغاية نبيلة ، متوهجة ، شديدة البراءة . ليس في كل ابياته التي قالها في الفداء والشهادة عبارة رثاء واحدة أو أسف يتفوه بها الفدائي أو الشهيد . فأبطاله صامتون ، لا يتحركون الا نحو الهدف :

صامت لو تكلما لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته خلق الحزم أبكما
وأخو الحزم لم تزل يده تسبق الفما

من قصيدة « الفدائي »

ولكن روح البطل ليست انعزالية ولا هي منحصرة في عالمها الخاص ، بل انه بطل فردي متميز ، ولكنه اجتماعي ومنطو في آن ، ولا يكتسب فرديته الا بدخوله في العلاقة الاجتماعية الاكيدة . وتتحد الحرية والمسؤولية عنده لتبعده عن البطل الرومانتيكي الصرف ، فهو يواجه العالم المعادي منفردا ولكنه يواجهه من أجل الآخرين . انه منهم ومعهم ووحيد في الوقت نفسه :

أي وجه تهللا يرد الموت مقبلا
صعد الروح مرسلا لحنه ينشد الملا
أنا لله والوطن

من قصيدة « الشهيد »

لقد أشار طوقان الى عظمة النفس المتمردة دون أن يدرك أنه أشار أيضا الى الخطر الكامن في الثورة اذ قرنها بالموت . غير أن مذاق الموت سعيد وقرير ، وما وعى الثائر وثورته الا تصميم ممعن على حماية الحق :

لا تلوموه قد رأى منهج الحق مظلما
وبلادا أحبها ركنها قد تهدما

من قصيدة « الفدائي »

إبراهيم طوقان

هذه الشخصيات النبيلة : البطل ، الفدائي ، الشهيد ـ تقف في جلالهـا المطلق جنبـا الى جنب مع شخصيات حقرتها مساعيها الخسيسة : شـخصية السمسار ، وبائع الاراضي ، والزعيم الذي يسعى الى مطامحه الشخصية :

اما سماسرة البلاد فعصبة ... عار على اهل البلاد بقاؤها
ابليس اعلن صاغرا افلاسه ... لما تحقق عنده اغراؤهـا
يتنعمون مكرمين ، كأنمـا ... لنعيمهم عم البلاد شقاؤهـا
هم اهل نجدتها ، وان انكرتهم ... وهمو ، وانف الراغم ، زعماؤها
وحماتها ، وبهم يتم خرابها ... وعلى يديهم بيعها وشراؤها

من قصيدة « السماسرة »

عنـدما يتحدث ابراهيم طوقان عن الشجاعة والبطولة فان شعره يجيء مكثفا ، متينا شديد الأسر :

عبس الخطب فابتسم ... وطغى الهول فاقتحم
رابط الجاش والنهى ... ثابت القلب والقـدم
نفسه طوع همـة ... وجمت دونهـا الهمم
تلتقي في مزاجهـا ... بالأعاصـير والحمم

من قصيدة « الشهيد »

وعندما يتكلم عن الزعماء المتاوشين ، الساعين وراء مطامحهم الخاصة ، فانه كثيرا ما يكون ساخرا شديد السخرية :

انتم (المخلصون) للوطنية ... انتم الحاملون عبء القضية
انتم العاملون من غير قول ... بارك الله في النفوس القوية
(وبيان) منكم يعادل جيشا ... بمعدات زحفه الحربيـة
(واجتماع) منكم يرد علينا ... غابر المجد من فتوح امية
وخلاص البلاد صار على الباب ... وجاءت اعيـاده الوردية
ما جحدنا (افضالكم) غير انا ... لم تزل في نفوسنا امنيـة
في يدينا بقية من بلاد .. ... فاستريحوا كيلا تطير البقية

من قصيدة « انتم »

لقد ادرك طوقان وظيفة الشاعر التي تؤكد « ان كل ما بامكانه أن يفعل هو أن يحذر ! » وبادراكه لها كان عليه ان يكون صادقا ـ وليس الصدق هينا في ذلك المجال ـ ولكن طوقان وجده في منتهى السهولة ، وينتقل الينا سريعا احساسه الحميم بالصدق والاخلاص اذ يطالعنا بذلك الاسلوب العفوي ، الشديد الاقتناع بما يقول ، القاهر النافذ بتهكمه

وهو يقتصد في عاطفته هنا ، فلا يورد منها الا ما هو جوهري ، نافيا من هذه العاطفة الساخرة الغاضبة كل شائبة رناقلة ، وباباء شديد يرفض أن يسترحم ويستعطف ، بل انه بدلا مـن اللجوء الى الاستعطاف يورد صورا كهذه :

قضية نبذوها بعدما قتلت ... ما ضر لو فتحوا قبرا يواريها

من قصيدة « القدس »

هذه صورة القضية صارمة تدين حتى النهاية . لم يكن في نية ابراهيم طوقان ان يصالح الاشرار بل ان يفضحهم ـ فرؤياه الثابتة التي لم تزل صـالحة حتى اليوم ، لم تستطع ان تفترض نظرة ديالكتيكية للحياة ـ فلم تحـاول ان تعتصر الامل من محض الشر والخيانة ـ ولذا فقد هاجم الاشرار متهـكما ،

إبراهيم طوقان

لاذعا ، مدينا الى الابد . ولم يعبا بان يجد جذورا لهذه الخيانة في المجتمع او التاريخ ، بل انه يصورها « كفقع قرقرة في البيد الاماليس » على حد قول جرير ، والمجتمع ليس خالقها بل ضحيتها الاكيدة .

ان هذا الاشتراك والاندماج الحميم في حياة وطنه وكفاحه ، وهو موقف جوهرى في شعره ، منحه شهرة سريعة راسخة . ولم تكن القضية التى اعطت هذه الحدة القاطعة وهذا الايمان العارم بوجوب القتال والفداء تنبع فقط من قضية الانسان امام الظلم والطغيان ، بل ايضا من قضيته امام خطر الاقتلاع وفقدان الهوية . لعل شاعرا انجليزيا كسيجفريد ساسون يجد نفسه قادرا على الوصول الى الايمان النهائي بان المسالمة هى الحل الوحيد لمشكلة الحرب الرهيبة، ولعل شاعرا انجليزيا آخر كويلفريداوين يستطيع ان يظل حائرا بين الشرين : شر الحرب ، وشر المسالمة التي تعنى الخضوع للطغيان . اما عند طوقان ، وعند معاصريه من الشعراء امثال عبد الرحيم محمود وابى سلمى (عبد الكريم الكرمى) وعند ورثته من شعراء المقاومة المعاصرين ، فالقضية تختلف جوهريا لانها كانت ايام طوقان تتعلق بالمحافظة على هويتنا وجذورنا ، واصبحت الان تتعلق باسترداد هويتنا وجذورنا .

قبل فوات الاوان

كان موضوعه الاول هو الوطن وموضوعه الثاني هو المرأة ، شأنه فى ذلك شأن عمر ابو ريشة ، والشابي ، والجواهرى ، وأبى سلمى وسواهم فى ذلك الزمن . كان طوقان شاعرا واقعيا ولكنه كان عاشقا للجمال الانثوى :

واما وقلب قد رأى — فى الساجدين تقلبه
صلى لجبار الجمال — ولايزال معذبه

من قصيدة « فى المكتبة »

غير ان موقفه الاساسى من المرأة كان موقف من يود ان يقتطف الثمر المتاح قبل فوات الاوان . وقد جاءه الحب بسهولة ولم يحتج معه الى العذاب والتأمل والتفلسف فى كنهه ومعناه ، ان رقته فى قصائد كقصيدته البديعة « حيرة » ، وتنهمه الغريزى للتقاليد الاجتماعية المفروضة على فتاة متحررة فى العشرينات كما فى قصيدته الحسناء « فى المكتبة » – كانت تقابلها شيطنة جذابة فى مواقف مغايرة نحو المرأة ، يتقمصها كلما وجد فرصة الى ذلك .

ولم تكن الوطنية والحب هما الموضوعان الوحيدان اللذان عالجهما

طوقان في شعره ، بل انه كتب بعض قصائد المناسبات بالاسلوب المأثور في زمنه ، وبعض قصائد اصيلة ذات علاقة بتجاربه الاخرى في الحياة . ولا شك ان احدى هذه القصائد على الاقل نالت شهرة كبيرة ، وهي قصيدة « ملائكة الرحمة » التي غنى فيها اعجابه المفعم بالرقة والتعاطف بالمرضات اللاتي اشرفن عليه يوم كان طريح الفراش في عام ١٩٢٤ :

بيض الحمـــائم حسبهنه | اني أردد ســـجعهنه
رمز السلامة والوداعة منـــذ بدء الخلق هنـــه

ويتساءل الناقد لم لم يكن شـــعر طوقان ابعد غورا في معالجته لقضية المرض والموت وهو الـــذي كان فريسة المرض وضعف البنية اغلب حياته ؟. لقد اضفى الاحساس بالمرض والعجز عن الخلاص منه كآبة خاصة على شعر الشابي ، كمـــا شغل السياب بمرضه العضال انشغالا كليا طبع شعره الاخير بالتفكير الدائم في الموت ، ولكن ابراهيم لا يبدو شديد الانهمـــاك بقضية موته القريب بالرغم من ادراكه الحـــزين لحقيقتها .

لقد اكتست بعض مقاطع قصـــيدته « غادة اشبيليه » بنغمة حزن فريدة ، قل ان نراها في شعر طوقان الواثق الذي هيمنت عليه روح القوة والمقاومة والصبر والبأس ، او نغمة السخرية اللاذعة . فهذا الشاعر لا يشـــغل نفسه عادة بالتصورات الميتافيزيقيـــة . انه ابن الارض ، تشغله مشاغلها وهمومها ولا يلتفت الى ما بعد هذه الحياة كثيرا . ولابد ان لنشأته في جو مـــن الصراع والبطولة ، ولمشاعر الوطنية والحماسة التي ملأت عليه نفسه ، اثرا كبيرا في اقصـــائه عن الانكفاء على الـــذات وهمومها ومخاوفها ، وهو انكفاء طبيعي في حالة كهذه . اما في المقطوعة التالية فان الحزن على النفس يملأ قلب الشاعر:

بلا لي يا عين ان تسهدي | وتشتري الصفو بطيب الكرى
في رقدة طويلة في غـــد | لله ما اعمقهـــا في الثرى
الم ترى طير الصبا في يدي | اخشى مع الغفلة ان ينفـــرا
طال جفاءه وقد يهتـــدي | الى اعالي دوحة مبـــكرا

من قصيدة « غادة اشبيلية »

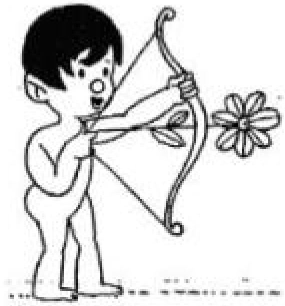
●●●

لقد نزعت تجربة طوقان الشعرية الى الحداثة ولكنها بقيت ضمن الاطـــار الكلاسيكي . ونعني بهـــذا ان طوقان حافظ على بعض مميزات الشـــعر الكلاسيكي : واقعيته ، ومتانة السبك في عباراته ، ولغته القوية الدقيقة . غير ان روحه كانت عصرية ولم يتحدث الا عن زمنه وتجربتـــه على الصعيدين الشخصي والقومي . وهو يبقى حتى اليوم احد الشعراء القلائل جـــدا في الشعر العربي الحديث الذين استطاعوا ان يدخلوا عنصر التهكم والســـخرية بنجاح الى الشعر .

وبالرغم من الاطار الكلاسيكي تبـــدو شخصية طوقان في هذا الشعر متألقة . ويظل شعره سجلا حقيقيا لأحـــداث الحياة في زمنه . وبالرغم من مرضه ومن رفضه وتمرده ، فانه لم ينتشو في الرومانتيكية التي كان يتبعها عدد من الشـــعراء في الوطن العـــربي في نفس الفتـــرة ، بل بقي ابن الارض وان استطاع ان يحلق الى اجواء لا محـــدودة يوم مجـــد شـــهداء بلده وثوارهـــا الابرار في شـــعره . . .

ادوار حنا

سعد



آذار

همستْ بأصداء الجناح المنشدِ ... وتسربت عطراً لبابى الموصدِ

وأتت بطاقتها الىّ .. ووريقةً ... خضراءُ تولد فوق كرمى الأجردِ

فخرجت أستجلى مطالع صحوة ... آذار موعدها الحبيب وموعدى

وأشيم مركبة الربيع تنزلت ... بالنور حول مسارِها والمسجد

يخفى الغمام جيادها .. فتشقه ... بيضاً مجنحةً وضاء المقود

ركبٌ بسحر المعجزات موكلٌ ... سارٍ بربات الأوليمب الخرد

الموقظات الأرض بعد سباتها ... والشاديات على لسان المنشد

والطائفات على الجوانح والربا ... بمعتق من خمرها .. ومجدد

كوبيد بين وعيدها ووعودها ... يرمى بمشتقٍ فى السهام ومسعد

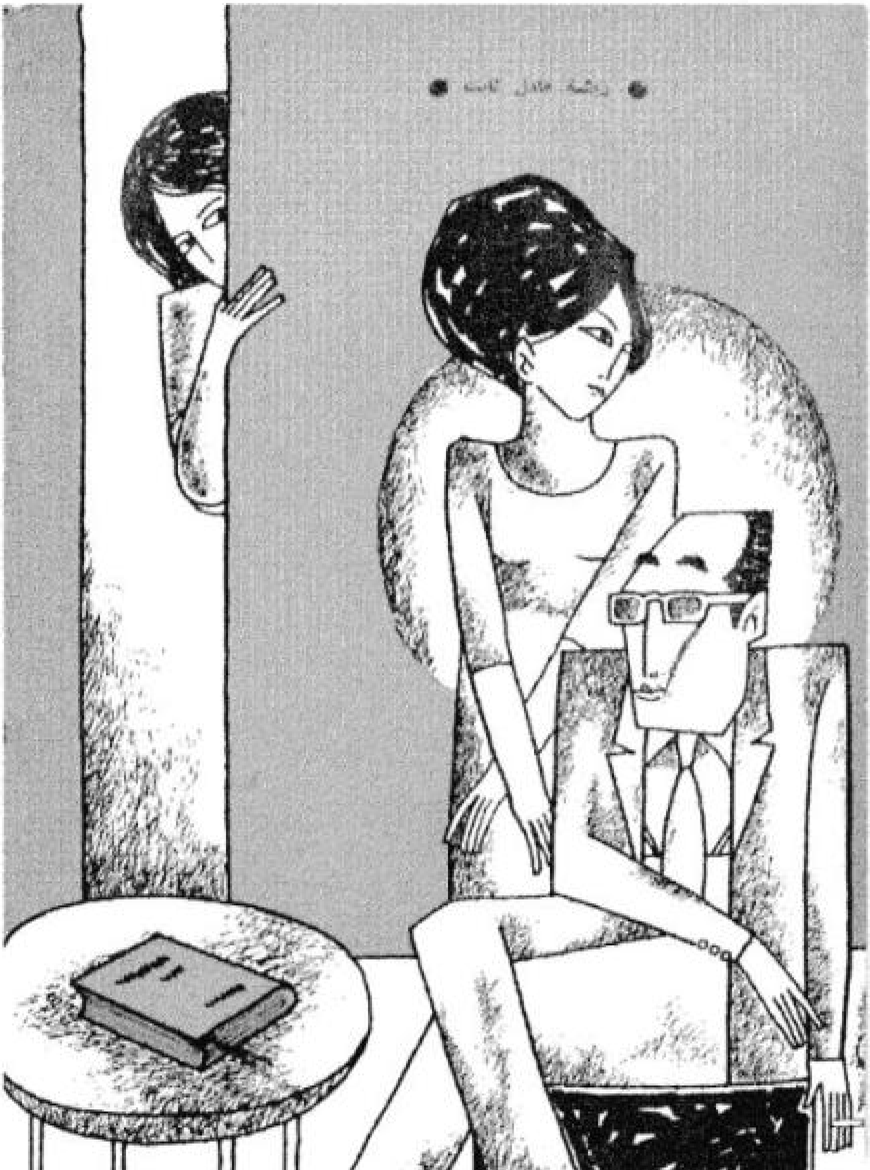
ترتد فيه الأرض بعد مشيبها ... غيداء فى ألقِ الربيع الأغيد

ينساب أحلاما بشغاف الدجى ... ويرف أشواقا على الفجر الندى

عدوى أسرٌ بها فيخفق معزفى ... وتذوب غيماتى .. ويخبو موقدى

وتشوقنى حسنا ، فتصبح ملعبى ... وتروعنى معنىً .. فتصبح معبدى

الاسكندرية ... ادوار حنا سعد



حديث في الظلام

• قصة قصيرة •

غبريال وهبة

ادار المفتاح في ثقب الباب ودلف الى الداخل . وراحت يده تتحسس مفتاح الضوء ... الا انه وقف مترددا بضع ثوان وقد حبس انفاسه،

ثم اسرع ثانية الى الباب واطل برأسه الى الخارج ، وقال :

ـ ادخلي يا حبيبتي .. فلا يوجد غيري في الشقة .

ثم قفل الباب قائلا :

ـ لقد قلت لك ان فريال قد خرجت مع احدى صديقاتها . ولو لم تأت معي اليوم ، لكان علي أن أمضي هذا المساء وحيدا ... لقد طفح بي الكيل ، ولم أعد أحتمل اكثر من ذلك .. انني سأطفيء النور فيما بعد . ان المرء يجيد الحديث في الظلام . ولدي الكثير عن فريال لأقصه عليك ... وافضل الا ترى وجهي . تعالي ، ودعينا نجلس ... اعطني يدك .

وارتمى فوق الاريكة المجاورة لحجرة النوم متعبا مكدودا ... ثم قال بحزن :

ـ أخشى أن أضايقك ... ولكني اكاد أجن . لقد برح بي الأسى ورأسي يكاد ينفجر .. وأشعر كأن مطارق بخارية ضخمة تهوي فوقه تكاد تحطمه !.. ويجب أن أتحدث هذه الليلة الى شخص ما ... وعهدي بك دائما انك تحسنين الاصغاء ، ولا داعي لأن تتفوهي بكلمة واحدة ، كل ما ارجوه منك أن تنسي جميع ما ستسمعينه . ويمكنك تصور حالتي كشخص يعاني من اعياء شديد من طول مكافحته للأمواج ، وقد اكتنفته دوامة هائلة مسعورة ، واطبقت عليه من كل جانب ، فطوته في اعماقها السحيقة ، والفينة بعد الفينة تراه يطفو على السطح خائر القوى يتلمس النجاة مذعورا .

مرت لحظة سكن فيها صوته العميق . ثم استأنف حديثه في الظلام :

ـ كانت مفاجأة سارة لي عندما رأيتك أول مرة ... لقد حضرت لزيارتكم يوم وقفة عيد الفطر الماضي ... كم كنت رائعة وأنت ترتدين ، البيجاما ، وقد انحنيت فوق قطع الاثاث تنظفينها . وفجأة رقع

بصرك علـى وانا اقف داخل حجرة الاستقبال بعد ان اجتزت بابهـا المطل على الحديقـة · لحييتـك ·· ودعينى

استعد ما دار بيننا من حديث · واعيد علـى مسامعك كلماتك العذبة التى صرت احفظها عن ظهر قلب ·

لقد ابتدرتك سائلا :

ـ هــل حضرتك الدكتورة هدى ؟

فهززت راسك بالنفى ··· فسألتك مندهشا :

ـ اذن من تكونين ؟·

ـ اننى شقيقتها ·

فزادت دهشتى لاننى كنت اظن ان والدتك لم ترزق سوى ابنة واحدة ··· ثم قلت لك :

ـ حقا !·· هذه اول مرة اراك فيها · واين الدكتورة هدى ؟

ـ لقد تزوجت ·

ـ « عقبالك » ·

ـ اشكرك !
ثم اردفت قائلة :

ـ انك لم تقل لى حتى الآن من حضرتك ؟

ـ اننى قريبك ·

ـ ولكننى لم اتشرف بمعرفتك قبل الآن ·

ـ هذا لاننى لم ازركم منذ حوالى عشرين عاما ·· لان عملى كانخارج القاهرة ·· وقد نقلت حديثا الى العاصمة · وكنت اليوم فى مهمـة رسـمية فى المعصرة · فاتيت لتحية والدك الذى يعتبر من الرواد الاوائل لهذه الضاحية ·

ـ ومـا هى وظيفة حضرتك ؟

ـ سـاترك ذلـك لتقديرك

ـ حضرتك طيار ؟
وهنـا قلت لـك باستغراب :

ـ كيف اكون طيـارا وانا ارتدى منظارا ؟

ـ هذا لا يمنع

ـ على اية حال فهذا يطمئننى علـى اننى مازلت شابا ، وبصحة جيدة ··



ثم سالتك :

ـ انك لم تقولى لى اذن لم اصلح ؟

ـ تصلح لكل شىء ·

ـ انك تزيديننى ثقة بنفسى ·

ـ حضرتك مدرس ؟
ـ كلا اننى مفتش ·

ـ مواد اجتماعية ؟

ـ كلا ·· انني‌مفتش تموين

ـ حضرتك متخرج فى اية كلية ؟

ـ كلية الزراعة ·

ـ اننى اميـل الى العلوم الزراعية

ـ وماذا تعملين ؟

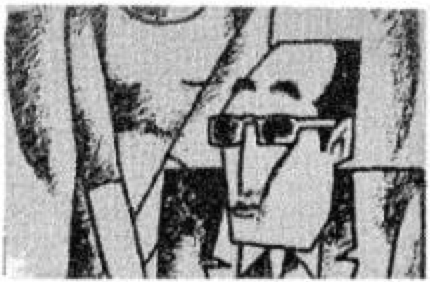
ـ انا مدرسـة علم نفس بمعاهد العلمات ·

ـ ماشاء الله

وسكت لحظة ازدردت فيهـا ريقى ·· ثم استطردت قائلا :

ـ وهنا استاذنت منى لفترة وجيزة قدمت لى بعدها فنجانا من الشاى ·· وبعـد ان ارتشفته اخبرتنى بمرض والدتك، وانها تطلب رؤيتى ·· فقدتنى الى حجرتهـا ، حيـث رحب بى والدك ايمـا ترحيب ···

ولااطيل عليك الحديث ، فقد تزاورنا عدة مرات بعد ذلك ·



انني اشعر دائما بارتياح في صحبتك . وقد صرت بالنسبة لي كطوق النجاة بالنسبة للغريق . وسأقص عليك الآن ما انوء بحمله . انها طبعا فريال .. التي يجب أن اتعود من الآن فصاعدا عدم ذكر اسمها

اتعلمين يا عزيزتي ، انه من أشق الأمور على المرء ، عندما يكون متزوجا لمدة طويلة ، ان يقرر عدم رؤية زوجته ثانية... وانها ستصبح شخصا غريبا عنه اذا ما التقيا وجها لوجه !؟

نشأت في أسرة محافظة ، لم تكن تزور أو تزار الا نادرا . وما أن تخرجت في الجامعة وعينت بوزارة التموين حتى فاتحت والدتي لتخطب لي ابنة الجيران .. التي لم يكن أمامي سواها .

كانت في مستهل زواجي بها طيبة القلب ، تكن لي كل تقدير واحترام . واظهرت لي شتى صنوف الحب . ولكنها للأسف .. وبعد عشرة دامت عشر سنوات ، قلبت لي ظهر المجن ... اختلطت ببعض العاطلات بالوراثة فأدمنت السهر خارج المنزل . وأصبحت لا أراها الا لماما . فشعرت بفراغ كبير ملأته بالدراسة بدلا من الجلوس في المقاهي ... كافحت كثيرا حتى نلت درجة الماجستير في مقاومة الآفات الزراعية . ثم ليسانس اللغة الايطالية من القسم المسائي بمدرسة الالسن العليا .

توقعت ان ازداد قدرا في عيني فريال . وأن تغمرني بحنانها وتشجيعها ، ولكن خاب ظني .. اذ زاد تبرمها بالحياة معي . وأصبحت مسرفة اسرافا بلغ درجة السفه ، مما أرهقني وأثقل كاهلي ، وجعلني دائم الاستدانة لتلبية طلباتها ... فقد كنت لا ادخر وسعا لارضائها . وياليت الأمر اقتصر على ذلك . بل انها كانت في كل مرة أعود فيها متأخرا من معمل بحوثي بالكلية . تعتقد أنني أخدعها . فحولت حياتي الى جحيم لا يطاق بشكها الدائم ...

والأدهى من ذلك انها تتحدث في هذا الأمر مع صويحباتها واقاربها مما جعلني مضغة في افواه الناس . انها تغار منك بالذات غيرة عمياء ... ولم تدرك أبدا أنها كانت الشخص الوحيد في هذا العالم الذي احببته باخلاص .. انني آسف يا كيكي . ولا اقصد اغضابك ... واني لا انسى انك ساعدتني في محنتي كصديقة عزيزة . والآن قد انتصرت . فريال انتهت من حياتي . وكأنني لم اكن أعرفها . ان ذكرياتي عنها قد تلاشت بعد حديثي هذا معك ، كما يتلاشى الدخان الذي يلفظه القطار من جوفه ...

●●●

ومرة أخرى توقف برهة وقد أصاخ السمع كأنما ينصت لشيء ما . ثم استطرد قائلا :

ـ انني ساكف عن التفكير فيها اطلاقا ... واني اعلم يا كيكي ان استماعك الى ليس بالشيء السار . ولكنني فرغت الآن من قصتي . ودعينا نتحدث عن انفسنا يا حبيبتي . فليس من الحكمة ان نرثي حبا ميتا .

كيكي !.. اقتربي مني ... انه لنبل منك انك ساعدتني على نسيان فريال تماما ... اليس كذلك ؟ ومع هذا فان فريال تسمعنا الآن . وارجو ان تسمع كل كلمة . انت لا تصدقينني! انني اؤكد لك انها تقف خلف باب حجرة النوم وتسترق السمع لكل كلمة نتفوه بها . انصتي جيدا يا حبيبتي ... اتسمعين وقع اقدامها ؟. لا ريب ان فريال كانت في حجرة النوم قبل مجيئنا . وقبعت داخلها عندما احست بنا ... انها تعرف الآن كل شيء . وقطعا ستغادر المنزل غاضبة طالبة الطلاق .. وسيصبح العالم لنا وحدنا . نرتشف فيه كئوس الحب والسعادة ...

***

وفجأة سطع الضوء وغمر الردهة . كان يدا سحرية ادارت مفتاح النور ... وسقط شعاع ضوئي ، انبعث من الثريا المدلاة من السقف، على وجه منير الذي التفت ناحية زوجته مبتسما :



ـ مساء الخير يا فيفي !

فصاحت فريال من خلال دموعها وقد اختنق صوتها من الغضب :

ـ اياك ان تنطق باسمي على لسانك ... بعد ان ضبطتك اخيرا أيها الخائن !

ثم صرخت في وجهه وهي ترتجف انفعالا :

ـ أين هي .. أين اخفيتها ؟

فاجابها منير في هدوء وقد تصنع الدهشة :

ـ أين .. من ؟! أوه .. اتقصدين كاميليا ؟!

اغلب الظن انها في منزلها ... وانت يا زوجتي العزيزة ، لا تسرعي بمغادرة المنزل غاضبة لانني كنت اتحدث مع نفسي ، كنت أردد الحوار الذي يدور في القصة التي سأبعث بها الى المجلة ...

اندفعت فريال صوب التليفون ورفعت سماعته وادارت القرص في لهفة:

ـ ألو !

ـ هل الأستاذة كاميليا موجودة ؟

ـ نعم .

ـ من حضرتك ؟

ـ انني الشغالة يا سيدتي .

ـ أأستطيع أن احادثها ؟

ـ انها نائمة ... فهل أوقظها ؟

ـ ....

ـ ألو .. ألو ..

وضعت فريال السماعة في عجلة ، وأسرعت الى زوجها وطوقت عنقه بذراعيها ودفنت رأسها في صدره ، وانفجرت باكية ... حاولت أن تعتذر . فخرجت الكلمات من فمها متعثرة ... وارتفع نشيجها . فاحتضنها بقوة واسكتها بقبلة طويلة . . .

شفيق

جبري

غزو الكواكب

ما للغزاة على الأفلاك تزدحم ؟
أجرّهم أملٌ أم غرّهم حلُم ؟
أضاقت الأرضُ عن آثام آثمهم ؟
ألم يروا كم جنَوا فيها وكم أثموا ؟

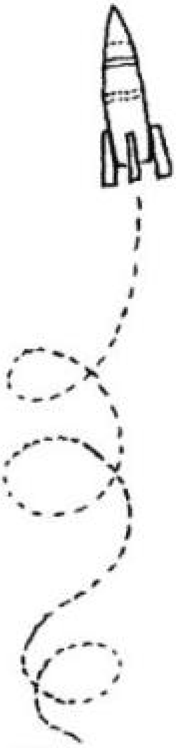
***

يا راكب الريح تطويه وتنشره
كأنه كرةٌ تلهو بها قدم
ما أنت والقبة الزرقاء تقحمها
أما على جنبات الأرض مقتحم ؟

أتعبت فكرك ، ماق جوها نسم
تعدو عليهم اذا طابت لك النعم
لا العشب ينضر ف آفاق تربتها
ولا البحار عليها الموجُ يلتطم
ما تسمع الأذن حسا ف مسارحها
ولا ترى العين ما يجرى به القلم
لا الجن ف جوفها يعلو عزيفهم
اذا سجا الليل أو ماجت به الظلم
ولا على الإنس خوف من مصارعهم
اذا تلهّبت الهيجاء واصطدموا
فما يجول بها وحش يروّعها
ولا يعيش بها ذئب ولا غنم
فلا الأسود تدوى ف مفاوزها
ولا العنادل يبدى شجوها النغم

***

كنا نعيش على وهم يخامرنا
والناس ف غبطة الأيام ما وهموا
لو قلت للقبح أنت الحسنُ أجمعه
لراح من قولك الخلاّب يبتسم
دنيا الحقائق ما تنفك مؤلمةً
فكم تمادى على أفيائها الألم
لا تحسبن كمال الحسن ف قمر
غنّى به الثغرُ وازدانت به الكلم
فما على وهده غير التراب ولا
على الأهاضيب غير الصخر ينحطم



غزو الكواكب

خابت ظنونك ، أين الحسن تطلبه
فليس يفصح عن بدر التمام فم

***

ما أعظم الكون من يدرى مجاهله
ضاعت على وجهه الأحقاب والأمم
هب أدركت همة" من سره طرفا
أليس تفنى على أطرافه الهمم ؟
أمنتهى الكون شمس نستضىء بها
اما شموس وراء الشمس تضطرم ؟
فهل لعالمنا حد" نحيط به
اما ترامت به الأحداث والقدم ؟
غض الشباب فلم تذبل نضارته
ولا ألم به شيب ولا هرم
غابت عن العين أفلاك" مبعثرة"
تظنها العين فوضى ليس تنتظم
لكنها ان نأت عنا وان شمخت
فما تضل على أجوازها النجم

بئس العلوم اذا الافلاك مطمحها
فليت من علموا فى الخلق ما علموا
متى نرى الخلق فى سلطان دولتها
تمضى الليالى وقد لذوا وقد نعموا
أغاية العلم أنْ نفنَى بمخترع
من الصواريخ فى نيرانها العدم ؟
فكم أزاحوا رجالا عن ديارهم
فهل حوتهم على جنح الدجى الخيم ؟
وكم أبادوا شعوبا فى مرابعهم
فسل" جهنمهم فى العلم هل رحموا
برد" وجوع" فكل العمر فى نعم
فما الحياة اذا أودى بها السقم

***

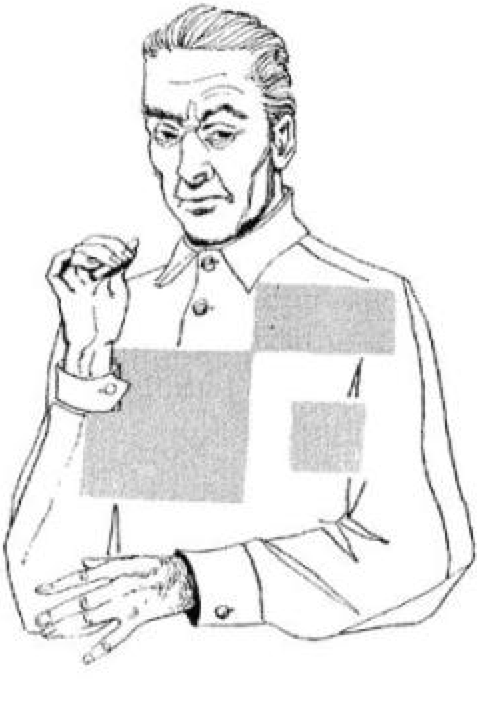
أينفق المال فى الأفلاك عن سعة
والناس فى البؤس لا نُعمى ولا نعم ؟
ضاقت قلاعهم فى الأرض فالتمسوا
لهم قلاعا عن الأنظار تنكتم
كى يصبحوا بأمان فى فضائهم
فلا يبالون ما هدوا وما هدموا
أيزعمون سبيل العلم وجهتهم ؟
أمالهم وجهة غير التى زعموا
غزو الكواكب كشف العلم ظاهره
والله يعلم ما أخفوا وما كتموا

بلودان — شفيق جبرى

الحقيقة الصغرى

قصة قصيرة

عدنان الداعوق



أصوات بعيدة تصل الى قرارة نفسه فيرتجف ... وتبدأ يده في حركة لا مبالية تتناول لفافة اثر أخرى ، فينفث دخانها من أعماقه ، ويتبع الدخان حسرة عميقة مضنية !

أعقاب اللفائف تركد في موت في قعر صحن نحاسي يلمع بكآبة بطيئة ... والاعقاب تؤلف بمجموعها جيشا من الاقزام تحتشد وتحتقد لتبدو في النهاية كتلة متراصة من نفايات تخلفها الحياة بعد معركة ينتصر فيها الموت أخيرا

صحيفة كبيرة ذات عناوين ضخمة كتبت باللون الاحمر تحتل المقعد الخالي بجانبه . بينما الطاولة الصغيرة أمامه يشغلها الصحن النحاسي محتويا الاقزام المطفأة ... وفمه الذي أصبح مقبرة للدخان ، يتفرج من كلمات لايدرك لها أي معنى ، حتى الكلمة أصبحت فوق لسانه وكأنها قطعة من التبن الجاف ، يابسة ميتة ، ولكنها سريعة الاحتراق شديدة اللهب!

عاد وألقى نظرة سريعة على الصحيفة بجانبه . كان قد فرغ منذ لحظات من قراءة

مثال لم يبع منه غير فكرة انتصار الانسان على نفسه .. وعلى الرغم من انها الفكرة التي شملت كل المثال الذي

قرأ ، الا انه لا يدرى لماذا سيطرت عليه وشدته من عمقه الى عالم آخر .

ربما القصة ترجع الى عهد بعيد جدا . ولكنه مع ذلك ، رغب فى ان يسترجع تلك الاحداث التى نبهته الى مكان وجوده فى العالم .

كان يحلم وهو حديث السن بأن يسير متنقلا من مكان الى آخر فى مختلف ارجاء العالم حاملا جواز سفر كتب عليه بالخط الواضح العريض : الجنسية :

– انسان . واراد ان يمارس انسانيته بأجمل المعانى وابهج الصور ، ولكنها لم تكن لتتمثل

لديه الا فى احلامه ، فقد صعب على الحقيقة الصغرى ان تستوعب حقيقة كبرى حدودها

امل مشرق تسج خيوطه الذهبية فوق ثرى ارضه المقدسة الطاهرة مع مطلع كل شمس .

***

عاد والقى نظرة جديدة على الصحيفة بجانبه ، على ذلك العالم الكبير ، فاختلطت امام عينيه اكثر من حقيقة



واحدة . وساقته الايام بعيدا الى الوراء ...

وراح يفكر ، ويتذكر الف حادثة فى وقت واحد .

ووجد منتهى اللذة والسعادة وهو يمر بأيامه الخالية الماضية . وتمنى

ولو للحظات ان يعود طفلا صغيرا ينطلق مع الايام كنسمة ربيعية .

حدق فى الصحن النحاسى ، وتأمل اكوام اللفائف ... كان كل قزم منها يصور حياة

بأكملها ، حياة مليئة بالصخب ، حافلة بشتى الوان الدخان . الدخان .

راح يمضغ هذه الكلمة فى فمه ويحس مرارتها وألمها .

***

البيت يشتعل بالدخان . والنار تأكل كل شيء فيه .. واشباح لولبية الشكل ترقص على انغام النار رقصة ليس فيها اى

معنى للسلام . كان خارج المنزل عندما عاد تلك الامسية ، واخترق الدخان ولفت رائحة الحريق انفاسه عن بعد

حريق هائل ، ظنه بادىء الامر آتيا من مكان بعيد ، ولكنه لما اقترب من المنزل وجد الناس يتزاحمون امامه ويصرخون .

حتى تلك اللحظة لم يكن متأكدا من ان النار تأكل بيته . فاندفع مع المندفعين ولكنه استعصى عليه الدخول . فقد كانت النار تقف عملاقة فى وجهه وتتحدى كل شيء .

لم يعد يستطيع ان يملك نفسه ، بعد ان سمع صراخ ابنه الصغير يبكى بصوت باكٍ مصحوبا بصوت النار وهى تلفح راقصة بجنون فى المنزل .

سأل من حوله بجنون :

– وامى .. هل رآها احد ؟

فاجابه رجل عجوز اتسخت يداه ووجهه :

– كانت قد همت بالخروج من المنزل بعد ان هبت النار فيه . لكنها عادت اليه بعد ان سمعت صراخ ابنها الصغير .. ولاتزال حتى الآن فى الداخل . تصور يابنى : الحب يتحدى

الحقيقة الصغرى

كل شيء .. حتى النار !

***

ـ ماذا تنتظرين مني أن أفعل ؟

قال عبارته هذه دون أن يدرك مدى الاثر فى

نفسها . وراح يمتص الانفـــاس الاخيـرة من دخينته .

وغاب فى متـــاهات المطلق الرامع الفسيح . وانطلق يسابق الغـــد والمجهـــول . وتطلع اليها ...

كانت تبتسم ، ولـكنه استطاع أن يلمح دموعها من وراء بسمتها المشعة .

تلك الدموع التى تتعلق على الاهداب كما يتعلق العصـــر فوق أوراق الخريف الصفراء .

وتعانقت نظـــرته ببسمتها ، ووجد فى هذه الابتسامة أملا بعـــودة الربيع من جديد .

فالحيـــاة فى دوران مستمر ، والفصول فى تعاقب متلاحق ، وهـــو

نفسه سيصير غيـــره غدا ، وهى نفسها ربما غدت فتـــاة أخرى ،

فيلتقى المطلق بالخريف . وتتوالـــد الايام وتنجب الابن البار لهذا الانسان المعذب .

ـ انى معذب يارجاء

ومسحت دمعتها قبل

أن تسقط من أهدابها ، وقالت له :

ـ ابحث عن نفسك . عن وجودك ، تكفيك هذه الغربة . ربما تستطيع أن تجد شيئا .. فقط عليك أن تحاول !

وقبل أن ينطق بكلمة أخرى ، وجـــد نفسه يبتسم لها ابتسامة بلهاء

لم يدرك لهـــا معنى ، ســـوى أنه يريد أن يبتسم .

وفجأة انفجر بضحكة هستيرية ، وهب مـــن مقعـــده وانطلق الى النافذة .

كان المساء حرا ...

القمر يغســـل قمم الاشجار عـــلى طول الطريق التى تنفسح أمام

النافذة . وتكاد الدنيا كلها تذوب فى بحر من فضة راقصة .

والتفت اليها ، وقابل وجهها بابتسامته البلهاء

.. كـــانت ترتعش .

ترتجف . ومع ذلك لم تكن خائفة .

اقترب منها واحتضن وجهها المشرق بكلتـــا يديه ، ومـــال وقبـــل جبينها .

واحس ببرودة قارسة

***

كانت الارض كالثلج لا نبـــات هنـــاك ولا زرع . الاشجار العارية مكسورة حتى قممهـــا بالثـــلج . والطريق

الطويلة خاليـــة من أى أحد . والاصوات نائمة ، والكائنات تعـــانى مـــن الموت الطويل الكئيب .

البرودة تلفح وجهه ، والثلج يتساقط بغزارة ويطمس كل معالم الحياة

... الوجـــود سيندفن تحت أنقاض الهزيمة .

هزيمة الارض من همجية الصقيع .

ليت الشمس تسطع من جديد ... سيذوب الثـــلج . ستنكشف

الطريق ... القمر يحتضر خلف السحب البـــاردة الجـــامدة . والضوء

الغض يتأوه . لـــكن البرودة تميت كل نأمة وكل صرخة . فالوجود

في الثــلج بلا شمس هلاك ·

كــل شيء سيدفن · كل الحياة ستغدو بعد لحظات هشيما ، كمــا كانت في ذلــك اليوم البعيد ، لكن الفرق بين ذلك اليوم وبين هــذا اليوم كالفرق بين النار والحريق ، وبين الثلج والصقيع ·

***

وسقط عنــد حضن « رجاء » يبكي :

ـ هناك قضت عــلى نفسها من اجل الحب ، ضحت بنفسها وارتمت فوق النار من اجل ابنها ··· الحب يتحدى كل شيء حتى النار · حتى الصقيع ، حتى الجليد· حتى الثلج !

وبعد أن مسحت له دموعــه براحتيهــا النــاعمتين ، نهضت متثاقلة بخطــاها ، وتوجهت نحوباب منزله، وذهبت دون أنتلقي عليه نظرة أخيرة ·

ظل في مكانه يابسا لا يتحرك ··

راح يتذكر الامس ، الامس البعيد ، وحرقته النــار وهو يتذكر ، وتحسس يده ورقبتــه وساقه ، ولمس الندوب الظــاهرة والخفية التي خلفتها النيران يوم رأى المنزل يحترق ، وسـمع أن أمه قد دخلت تدس نفسها بين اللهيب مـن اجل ولدها الصغير · كان يريد أن يحترق · يود لو يحترق كله من اجل أن تحيــا روحه طاهرة نقية وقد تخلصت من جميع أدرانها التي خلفتها الحيــاة في أعماقه ·

وأحس اذ ذاك ببرودة وحــرارة ملهبة في أن واحــد · مكان الندب التي خلفت وراءها اللحم المحترق ·

وهــز رأسه طويلا · تأرجح على حافة هاوية تفصل بين نار وصقيع، وهو فوق سياج دقيق لا يراه ·



وجد على المقعد الذى كــان يحضن جســد « رجاء » الرائع وردة حمراء ومنديلا صغيرا طرزت حواشيــه بحرف مشرق ، هــو حرف « س » ·

وبين الذكرى والالم ، والنــار والجليــد ، والشمس والظلام ، وكل متناقضات الوجــود · ضحك ، وضحك حتى كاد يغمى عليه ·

حرف « س » ؟

الم تكن « رجاء » تحب شابا يعرفه ؟

كان أشقر الشعر ، كانه جــاء من بلاد لم تلفحها الشمس ، طويلا كنخلة نبتت وحيدة فوق صحراء لم تعرف قافلة استظلت بظلها في يوم قائظ ·

كانت تحبه · اجــل كان اسمه « سامي » ·

«سامي» ··· وضحك بينمــا كان يمزق بين أنامله المجنونة ويبعثــر الحرف المعبود عنــد « رجاء » ·

وضجت الاصــداء حوله ···

المقعد يرمىء اليــه ويقول : « سامي » ·

الصحف والمجلات أمامه طمست منها كل الكلمات

وحل محلها إسم « سامى .. سامى .. سامى .. سامى »

وقرب الوردة الحمراء القانية من وجهه ، ومررها على صفحة خده .

مضمل من الخجل ظل صامتا لحظة ، احس

بعدها انه قد تخلص من الصدى الاجوف العميق

غير ان الوردة ذبلت

بين اناملة ، وانطوت

على نفسها وانت وهى تحتضر وتقول :

« سامى .. سامى »

***

شمس مشرقة فوق أرض باردة . قمر

الحقيقة الصغرى

عاشق يقبل ذؤابات الشجر ، ووجود فرحان يغسل نفسه بعصير الورد .

وانتصر ...

انتصر على نفسه وهو يسحق الوردة الحمراء القانية فى كفه اليابسة،

ويطمر فى الصحن النحاس امامه بقايا الوردة العاشقة .

واشعل دخينة أخرى . ثم ما لبث ان اطفأها بجانب بقايا الوردة . تسمرت عيناه على تلك

البقايا .

لعلمها بلهفة العاشق .. وحملها الى غرفة أخرى ، وفتح كتابا سميكا وأودع البقايا الحمر فيه .

وعاد الى النافذة .

فتح زجاج النافذة واطل على الشارع . كان المنظر لايزال هو نفسه يتكرر امامه . وسمع رجلا عجوزا من بعيد يقول :

— الحب يتحدى كل شىء .. حتى النار !

وتحسس من جديد الندوب الظاهرة والخفية من آثار الحروق .

واحس بحرارة شديدة تمسه ، كانت النيران تشتعل فوق الجروح القديمة المتكمشة .

***

هتف بأعلى صوته يجيب الشيخ العجوز :

— اجل . الحب يتحدى كل شىء .. حتى

الصقيع !

وامسك بسكين صغيرة كانت ملقاة باهمال فوق الطاولة الصغيرة بجانب نصف تفاحة ، وقربها من الجرح القديم فى

يده ، وطمر نصلها فى مكان الجرح ، فاندفق الدم احمر كنافورة صغيرة ...

وابتسم وهو يغرز السكين مرة اخرى فى مكان الحرق القديم من ساقه ...

وضحك عاليا وهو يغرزها مرة أخرى فى رقبته .

وسمع صوت «رجاء» وهى تقول :

— حاول ان تجد نفسك !

وحين كان يسبح فى نافورات دمائه المتدفقة من جروحه الجديدة ، كان يردد لنفسه بصوت لا يكاد يسمعه :

— الحب يتحدى كل شىء ...حتى الحياة

روحية القلينى

ثلاث ليال

تمر ثلاث ولا تحضر ،
على سفر انت ، ام ها هنا ،
وتعرف انى اذا مر يوم

اضل وتغمرنى حيرة
وينعشنى الهمس عبر الأثير

كأنا معا ، والهوى ثالث
ففى الجفون رؤى سابحات

أتذكر كيف ابتدأنا الهوى ؟
حكاية حبك قصة عمرى

يسجلها القلب شوقا وحبا
وتبلو الصعاب وتملأ دربى

وقصتنا فى حنايا الضمير

سوى ان عينيك فضاحتان

وكم قائل ان رآنى يقول
فاضحك وحدى، وقلبى المشوق

هوانا هوى عبقرى المثال
فكيف تمر ثلاث ليال

وابحث عنك فلا اعثر

تروح وتغدو ولا تغير ؟
ولم يروني صوتك المسكر

على طول بعدك لا تصبر
بكل حنان الهوى يقطر

اراك ، وغيرك لا انظر
كأنك انت معى تسهر

اذا كنت تنسى ، انا اذكر
وعمرى بها عالم اخضر

تمر الليالى ولا تفتر
فامشى عليها ولا اعثر

نصون هوانا ولا نجهر

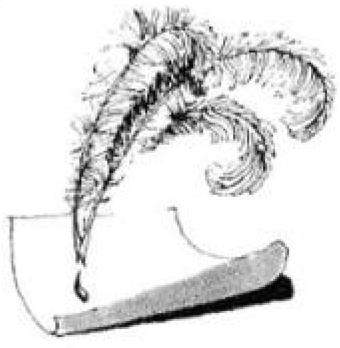
وشعرى يغنى بما اشعر

ملامحها بالهوى تزخر
يقول احب ولا اظهر

وما بيننا فى الهوى يسطر
على طولها الصبر لا يقدر ؟

صـــديقيَ إبليسٌ أديبٌ معلمُ ... أنيقٌ فصـــيحٌ البثِ لا يتلعثم
رقيق حواشي النفس عذبٌ حديثهُ ... ينفرّ طيرَ الهم عني ــ فأبســم
اذا ما أجتويتُ النظم يوماً رأيته ... يزين ليَ المعنى الجميـــلَ فأنظم
ويُلهمني ما ليس يُلهَمُ شــاعرٌ ... فتنهــلُ أضــواءٌ وترقص أنجم
يــلازمني كيف اتجهتُ كأنــه ... لظلّيَ ظــلٌ لا يمــلُ ويأجم
فيالخدينٍ إن زهــوتُ زها معي ... وإن آلمتني حــالةٌ يتـــالم

صديق ابليس ..



■ شكر الله الجُـر ■

اذا غازلت عيني الحسان رأيته تراقص مزهواً وراح يتمتم
ويغمزني بالحاجبين كأنما يقول : اغتنم إن الملذات تغنم
وان رحت أشكو الحب يوماً لغادة يُسرّ لها ـ همساً : شقيٌ متيم
فرفقاً له يا من سلبت فؤاده وأجرك عند الله والناس يعظم
ولا تختشي ضيراً اذا ما وهبته جمالك .. وهو العاشق المتكتم
ولا حرج ان جئته ذات ليلة ملفّعة بالغيم ، والناس نوّم
وألقيت بالنهدين من فوق صدره وجُدت بشهد الثغر والثغر قمقم
لقد خلق العنقود من قلب كرمة ليروى ظما الظامي ويمتصه فم
كذا وُلد الورد الندي ليجتني ويلهو فراش الحقل فيه وينعم
هو الحب ـ لو تدرين ماالحب. إنه لأقدس غايات الوجود وأعظم
به تبصر العين الكفيفة ربها وينطق بالتسبيح للحسن أبكم
الا أنه (سلوى) الحياة و (منّها) (وخبز) به تحيا النفوس وتحلم
وأجمل مازان الصبا ، الحب بالصبا اذا فاتنا هيهات يجدى التندم
وما الكاعب المغناج الا كزهرة فإما ذوت تذوى الحياة وتجهم
وأنكد ما في العيش أن يرحل الصبا ولا يقطف الورد الشذى ويلثم

***

وما انفك يغريها ، ويطرى جمالها ويلهب من أشواقها ما تكتّم

ويوحي لها ان السماءَ خرافةٌ ... وتفاحةَ الفردوس وهمٌ مجسَّم
الى أن عَتَتْ .. فاقتادها نحو هيكل ... يباح به للعاشقين المحرَّم
به للندامى قهقهاتٌ على الطلى ... وللشهوات الحمر خيلٌ تحمحم
وفيه لكهّانِ الجمال أسرّةٌ ... أُريقَ على أطرافها الدمعُ والدم
وان هي إلا سكرةٌ .. وارتعاشةٌ ... تفتّح فيها للزنابق برعم

***

لحا اللهُ إبليس الذى كان شاخصا ... يصفق مسرورا ولا يتكلم
وكم غادة حسناء أصغت لنصحه ... فراحت على جهلٍ تضل وتأثم
وكم مرةٍ عنّفته .. وزجرته ... فكان على زجرى له يتبسم
تروقك منه عفةٌ فى لسانه ... واشراقةٌ فى الوجه لا تتجهم
ولكنه إن رنَّ ناقوسُ راهبٍ ... بصومعةٍ .. يُرغى، ويعوى ، ويشتم
وكم شنّ فى وجه المصلّي وذي التقى ... مواقع منها تستعيذ جهنم !

***

على انه مهما يكن .. فهو صاحبى ... أبرّ به عطفاً ولا أتجهّم

● جبيل لبنان ● ● شكر الله الجر ●

المسيح الثاني

« نظم رشيد سليم الخوري ، الشاعر القروي ، هذه الابيات في مهجره بالبرازيل ، قبيل عودته الى لبنان ، احتفالا بالثمانين » .

***

انا لو ثمانيني رجعن ثمـــــان
لحزمت امتعتي الى لبنـــــان
واخذت عند حدوده درسا على ال
ابطال ، اطفال الحمى ، اخواني

وجعلت تـــــل أبيب قبلة نقمتي
ودككت قلعتهـــــا برخص بناني
زناري « الدنميت » لا صوف الألى
بربائهم حملوا على ايمـــــاني
هذا هو المجد الذي ان شئت ان

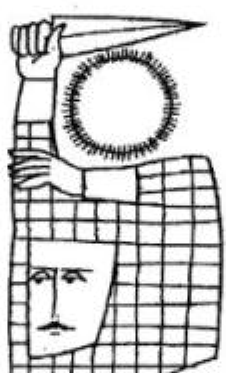
تكسى به فانزل الى الميـــــدان
مجد الفدائي الذي فتكـــــاته
خلقت فلســـــطينا بكل مـــكان
ملك الفضاء على العدا ، فنفوسهم
طارت به جزعا من الطـــيران

فلتحى تربتها المقدســـــة التي
ولدت لنا هذا المسيح الثـــاني
بطلا يمضي على الجهاد ممزقـــــا
بيد العدالة بيرق الطغيـــــان

بهرت شجاعته الورى بخوارق
لم ترو عن انس ولا عـن جـان
ود الصهاين كلمـــا سمعوا بهـــا
لو انهـــم خلقـوا بـلا آذان

هذا هو الحب المحرر ، لا الذي
يستعبد الانسان للانســـــان
هذا هو الشرف الفـــدائي الذي
وطني يتيه به على الاوطـــــان

شرف اناف على النجوم وجاوز ال
سبع الطبـــاق ، فهن منه ثمان



■ رشيد سليم الخوري ■



شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح :
شعلتان ونصف وثنائي الشعلة
الكبرى بوجود سبرتاية
الفرن الشعبي
شعلتان ونصف وشواية
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباق السفرة
منقوشة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

هل تعرف من القائل؟

● الخلاف الأول والأخير ●



« شخصيات : من رواد القصة المصرية الاوائل »
تكوين الفنان : عادل ثابت



ـ فى الحياة كثير من الحماقات والقضايا ، يتعالى الفن عن التدلى اليها من سمائه العالية ·

ت·س· اليوت ـ بدر شاكر السياب ـ ابو القاسم الشابى

***

ـ يجب ان يكون الزعيم قويا وليس بقاس ، رحيما وليس ضعيف ، خطيبا قوى الحنجرة ، حسن البيان والالقاء ، يقدر الكبير من اعوانه ولا يجرح صغيرهم ·
قبل ذلك ان يكون حسن الوجه ·
لم يرسل الله نبيا قبيح الخلقة قط ·

● احمد محرم ـ احمد الكاشف ـ احمد شوقى

***

٣ ـ وما صين حق ، لا سلاح لربه
وارخص انواع السلاح التادب

● الياس فرحات ـ محمود غنيم ـ محمود حسن اسماعيل

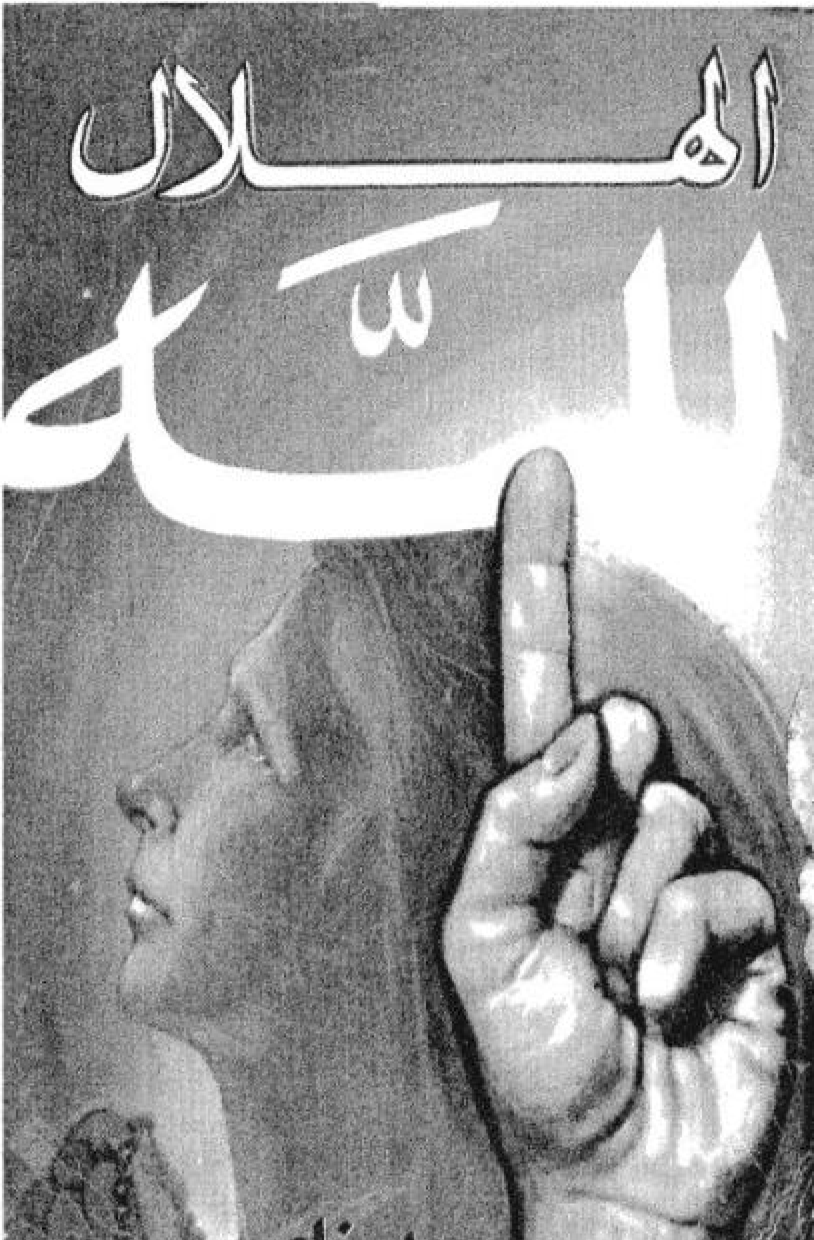
● الاجوبة ●

١ ـ ابو القاسم الشابى
٢ ـ احمد شوقى
٣ ـ الياس فرحات

فلال عبد خاص



رواد القصة الأوائل


الهلال
عدد خاص

الهلال

يونية ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر عن
دار الهلال ـ العدد
السادس ـ السنة
الثمانون ـ أول يولية
١٩٧٢ ـ ١٩ ربيع
الآخر ١٣٩٢

رئيس مجلس الإدارة :
يوسف السباعى

رئيس التحرير :
صالح جودت

المشرف الفنى :
جمال قطب

سكرتير التحرير :
نصر الدين عبد اللطيف

الاشتراكات

ثمن العدد: فى جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة . فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الأردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : ١٢ عددا، فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات أو ٢ جـ ل والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل الصرف فى ج ٠ م ٠ ع ° ـ والأسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

د. ابراهيم مدكور :
الالوهية سر الوجود



في هذا العدد



ميخائيل نعيمة :
شعاع من
ضياء الله . . .



د. عبدالحليم محمود:
البحث عن الله . .



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الهلال

فى مثل هذا الشهر من الف عام ، اقيمت اول صلاة جامعة فى رحاب الازهر ، واحتشدت فى صحنه جموع المسلمين تحتفل بقيام اعظم جامعة اسلامية فى الارض ، وتعالى من مئذنته الدعاء باسم الله جل جلاله

وقد توالت الاحداث على مصر ، وتعاقب الغزاة ، وتحكم الطغاة ، وانعكس كل ذلك على الازهر ، فاصابه ما اصاب مصر من نكسات ، ووقع فيه ما وقع فى مصر من فتن ... كما كلله ماكلل مصر من انتصارات ، وارتفع به ما ارتفع بمصر من وثبات

● حاول بعض الحكام فى بعض الآونة ان يطفىء منارة الازهر ، ببناء ما يضاهيه ، كالجامع الانور ، ولكن بقيت منارة الازهر خفاقة ، وانطفأ ما عداها من منارات

● وحاول بعض الغزاة ان يهدر كرامة الازهر ، فاقتحمه نابليون بخيله ورجله ، ولكن نابليون خرج من مصر ، وذهب فى النهاية الى المنفى كسيرا ذليلا ، وبقيت حرمة الازهر مطهرة مكرمة

● وغرت الدنيا بعض شيوخ الازهر فى فترة من ضباب الزمن ، فتسابقوا الى المناصب والمكاسب ، وقامت بينهم المعارك فى صحن الازهر ذاته ، ولكن لعنة الله حلت على عشاق الدنيا فذهبوا بفتنتهم ، وبقى الازهر خالصا لوجه العلم والايمان

● وقد فصلنا فى هذا العدد موقف البشر من الفكرة الالهية فى مختلف الامم ، ليدرك المؤمنون ان الكتاب الذى نزل على محمد مبشرا بالله الاحد الذى لا شريك له ، انما هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وانه لم يتنزل لأمة دون امة ، بل للبشرية جمعاء

ان الله ـ جل وعلا ـ يحرس بيوته ... وبسم الله ، واحتفالا بهذه الذكرى العزيزة على قلوب المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، نقدم هذا العدد من « الهلال » زلفى لوجهه تعالى ، وهو ولى النصر ، وهو نعم المولى ونعم النصير ..

● صالح جودت ●

د. عبد الحليم محمود
وزير الأوقاف وشئون الأزهر

الإنسان

في رحلة البحث عن الله عز وجل

من روائع مناجاة ابن عطاء الله السكندري ما يلي :

« الهي، كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك ، ايكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ » ..

«متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك؟».

« ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك ؟ » .

الإنســـان

في رحلة البحث
عن الله عز وجل

ان مسالة وجود الله (١) لم تكن فى يوم من الايام محل بحث عند ذوى الشعور الدينى السليم ..

ولم ينشأ الجدل فى هـذه المسالة الا فى العصر اليونانى : فهو العصر الذى جعل منهـا مشكلة قابلة للاخذ والرد ، والقبول والرفض .

والواقع أن ظروف العصر اليونانى القديم هى التى جعلت منه مثلا سيئا فى كل ما يتعلق بالدين والخلق .

لقد كان عصرا خلا من الدين الحق ، ولم ينعم بالمعرفة الصحيحة عن طريق الوحى ، فحاولت طائفة منه أن تصل الى الوحى عن طريق الكهانة ، ومن ذلك كاهنات معبد دلفى المشهورات ..

وحاولت طائفة اخرى أن تصل الى الوحى عن طريق النسك والعبادة والذكر، ومن هؤلاء : فيثاغورث واتبـاعه ، وافلاطون والافلاطونيون ، القدماء منهم والمحدثون ، لقـد حاولوا أن يقتنصوا الوحى اقتنـاصا ، وأن يكشفوا عن الحجب ، وأن يزيلوا الاقنعـة ، وأن يصلوا الى الله فيتصلوا بالجمال والجلال والخير المطلق .

بيد أن الطريق الذى سلكوه انما هو طريق خاطىء ، لانه لم يؤسس على وحى يرسم طريق الهداية الصحيح ، وانمـا أسس على نهج عقلى بشرى ، أو على تقاليد متوارثة .

ومن أجـل ذلك لم ينتج الثمرات المرجوة ، ثم هو طريق صعب المرتقى لانه يعارض النزعات الحيوانيـة فى الانسان ، ويحاول السمو بها واعلاءها ، ويريد أن يرقى بالانسان الى ما يقرب من المستوى الروحى الملائكى .

ولـكن بنى البشر فى الاغلب منهم يخلدون الى الارض ، ويتبعون أهواءهم ، ولذلك كانت قلة قليلة تلك الفئة التى حاولت اتباع هـذا التيار فى صرامة واخلاص .

---

(١) حينما يكتب الكاتبون عن مثل هذا الموضوع يبدءون عادة باثبات وجود الله سبحانه ، ويتخيلون أن هذه المسالة اهم ما فى الموضوع ... وهذا النهج ـ فيما نرى ـ لا يقره دين ولا تقره فطرة ، وقد حاولنا ان نستفيض فى بيان رأينـا فى هذا النهج ، مبينين أن الدين لا يضع مسـألة وجود الله موضع بحث ، وان الفطرة السليمة لا تقر ذلك .

اما الاغلبية العظمى من اليونان فقد اتبعوا التيار الذى يعتمـد على العقل البشرى اعتمـادا كلياً ، وكان زعيمهم الاكبر فى ذلك أرسطو ، فهو الذى وطد أركان العقل البشرى ، وأشاد به كأساس للبحث فى عالم ما وراء الطبيعة ، وفى عالم الفضيلة أو الخير ٠

وما كان العقـــل فى يوم من الايام ـ عند حكماء المصريين او حكمـــاء الهنود ـ أهلا لان يكون مصدر المعرفة فى عالم الغيب ٠

واخذ العقل ـ عقل أرسطو ومن لف لفه ـ يجـادل ويمارى فى الحقـــائق : صـــغرت أو كبرت ، ودقت أو جلت ، واضحة كانت كوضوح النهار ، أو خفية كانها غلفت بقطع من الليـــل المظلم ، وتجرأت أقلامهم على تناول عالم الغيب وعالم الخير بالانكار أو الشك ، أو ترجيح الوجود أو ترجيح العدم ٠

وحاول كل زعيم أن يصور الامر فى هذين الميدانين ـ ميدان ما وراء الطبيعة وميدان الاخـــلاق ـ بحسب مزاجه وأهوائه ، وبحسب ما تمليه عليه ثقافته وبيئته ، وبحسب ما تمليه عليه طبيعته الجسمانية وجبلته الخلقية ٠

وانتهى الامر بأن حـــاول المثبتون الرد ، فحاول المنكرون تعليل الرفض ٠٠ وزالت قدسية الموضوع ، واصبحنا امام جو من اللجاج والمماراة لا يليق بجلال الله وعظمتـــه و « ما قدروا الله حق قدره » ٠٠

ولو قيض الله للبيئة اليونانية جوا من الخير والهدى ، ولو أنعم الله عليهم بنشأة رسول فيهم ، لما كان هذا الانحراف الذى انتشر فيهم ـ منـــذ أرسطو ـ انتشار الوباء الخبيث ، والذى تغلغل حتى وصل به الامر ـ وهو انحراف منحرف ـ الى أن أصبح ـ وكأنه الوضع الطبيعى ـ فسادا فى كل بيئة ، وغزا كل عقـــل ، وكلمـــا تقدم به الزمن ازداد رسوخا وثباتا ، وازداد انتشارا ، حتى لقد غزا الاديان نفسها التى تأبى أن تقره أو تعترف به ٠

لقد تغلغل فى المسيحية فوضع رجال المسيحية مسألة وجود الله وقضـــية الفضيلة موضع البحـــث ، ونزلوا الى مجال المجادلة والمماراة ٠٠

واخذ هـذا الوضع يتخطى القرون حتى جاء الاسلام ، فوضـــع الامر فى نصابه ، ووجه الاذهان الى أن الامر الاساسى انما هو مسألة الوحدانية : « أشـــهد أن لا اله الا الله » ٠٠ وجه الاسلام الاذهان فى عنف وفى قوة الى التوحيد ، لا الى اثبات الوجود ٠

لقد وجه الاسلام الاذهان الى أن الله لا يحتاج فى اثبـــاته وفى وجوده الى دليل ٠ وهو ـ على العكس ـ الدليـــل على غيره ، فغيره ثابت به ، والعالم ثابت به ، والسموات والارض والعرش والكرسى ، كل ذلك موجود بوجوده ، ثابت بثباته ٠٠ والوجود بأكمله محتاج فى كل لحظة اليه ، فضلا عن احتياجه اليه فى نشأته الاولى ووجوده الاصلى ٠٠« ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا » ٠٠

انه يمسكهما فى كل آونة ، وفى كـل لحظة ، فاذا ما تخلى عنهما طرفة عين تلاشتا فكانتا هباء ، وكانتا عدما ٠٠ وكل ذرة فى العالم ، وكل خليـــة فى كائناته انما ثباتها بالله وقيامها به ٠٠

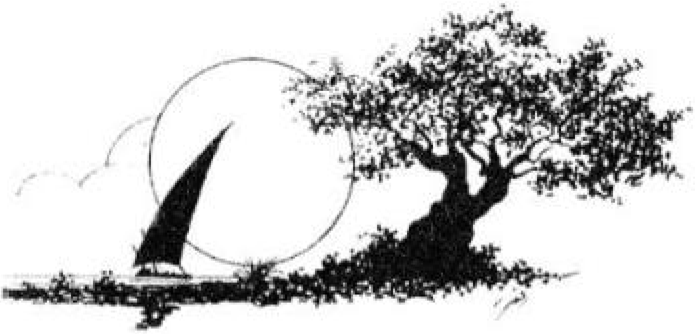
مسئولية عظيمة خطيرة

ومثل الانسان كمثل اى كائن آخر من حيث وجوده وقيامه بالله ، وقد كرمه الله وأعطاه الكثير من المنح والمزايا ، ووهبه هذا التمييز والفهم ، وسخر له الكثير من العوالم الاخرى ، وجعله خليفة فى الارض ٠

ومن أجل ذلك كانت مسئوليته فيما يتعلق بتصحيح الصلة بينه وبين الله عظيمة خطيرة ٠

أما تصحيح هذه الصلة فان ذروتها العليا ومثلها الاسمى انما هو ما امر به صلوات الله وسلامه عليه فى قوله تعالى :

« قل ان صلاتى ونسكى ومحيـاى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين » ٠٠



الانســـان

فى رحلة البحث
عن الله عز وجل

وفرق هائل بين من يتخذ هذه الاية القرآنية شعارا ، ومن يحاول ـ متجاوزا قدره ـ الاستدلال على وجود الله بمخلوق من مخلوقاته ..

ان الفرق بينهما هو الفرق بين طريق الهدى والصواب ، وطريق الجـدل والشك . وجاء الاسلام ـ كما قلنا ـ ليضع الامور في نصابها ، وليصحح الاوضاع التي انحرفت .

ومن هذه الاوضاع المنحرفة الشرك بالله .. والانسان يشرك بسبب الضعف على وجه العموم ، وقد يكون هـذا الضعف فقرا ، وقد يكون جهلا ، وقد يكون طمعا وجشعا ، وقد يكون خوفا وفزعا ، وقد يكون غير ذلك .. ومهما يكن من امر الشرك فانه اينما وجد ليس الا مظهرا من مظاهر الضعف ..

وحاول الاسلام اول ما حاول ان يطهر النفوس من هذا الضعف ، وان يعيدها ـ بالتوحيد ـ الى مجالات العزة والكرامة ... « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ـ فكانت دعوته للتوحيد .

رحمة الخالق بعباده

اما ما في القرآن مما تخيله بعض الناس استدلالا على وجود الله ، وأعتقد ان القرآن قصد بذكره الاستدلال على وجود الله ، فليس الا بيانا لمظاهر قدرة الله وعنايته بالعالم ، ومن ذلك مثلا :

« وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل » .

وأن الله سبحانه وتعالى جعل :

« الارض مهادا ، والجبال اوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنـا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات الفافا » ..

و « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الـذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن مـن تفـاوت فارجع البصر هـل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » ..

وما مثل هذا في تصوير قدرة الله الا كمثل :

« ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ، فيذرها قاعا صفصفا ، لا ترى فيها عوجا ولا امتا ، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصـوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ، يومئـذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ، يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ، وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمـل ظلما » .

ان ذلك وكثير غيره انما ذكر ليبين عظمة الله وجلاله وقدرته ، ويبين رحمته بعباده وعنايته بهم ..

وما من شك في انه يمكن ان يؤخذ من ذلك ادلة كثيرة على وجود الله ..

الإنسان

في رحلة البحث
عن الله عز وجل

وما من شك في ان الادلة التي تؤخذ من ذلك يمكن أن تصاغ في أسلوب منطقي ، في قياس يشتمل على المقدمات والنتائج ، ويكون متفقا مع قواعد المنطق الارسطي ومبادئه ، ولكن ذلك لن يكون قط تصويرا لهدف من أهداف القرآن ، فالقرآن لا يضع قط وجود الله موضع شك حتى يحتاج الى الاستدلال عليه .

من روح القرآن

ومن القصص التي تروى على أنحاء شتى ، وبأساليب مختلفة تتفق في الجوهر وتختلف في الرسم ، ما يحكى من أن بعض مشاهير العلماء ألف كتابا ضخما في اثبات وجود الله ، فاقام له أصدقاؤه حفلة تكريم من أجل عمله الضخم هذا ، ومر بهم بعض الصالحين، فأخذوا يحدثونه عن عبقرية المؤلف ، فسال :

« ومتى غاب الله حتى يكون في حاجة الى اثبات » ؟

فوجم الجميع ، ولم يستطع المؤلف الاجابة ، وتركهم الرجل الصالح وهو يردد :

« قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » ..

وقال رجل للثوري - الصوفي المعروف - : ما الدليل على وجود الله ؟

قال : الله ..

قال الرجل : فما العقل ؟..

قال : العقل عاجز ، والعاجز لا يدل الا على عاجز مثله ..

كل ذلك يؤيد ما قاله الشاعر :

من رام بالعقل مسترشدا ... سرحه في حيرة يلهو
وشاب بالتلبيس اسراره ... يقول من حيرته هل هو ؟

والنتيجة التي نريد أن نصل اليها هي :

أن روح القرآن اذن هي قيادة النفوس الى التوحيد ..

« وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » ..

« وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ، قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون » ..

قصة هزتني من الاعماق

وتأتي مشكلة الملاحدة والوجوديين المنكرين لوجود الله ، ماذا نفعل بازائهم؟

ان مثل هؤلاء لا وجود لهم في مجتمع سليم طاهر ، ويكفي اعتزالهم كمرض خبيث ينفر الانسان منه ، ويكفي عزلهم عن أن يفسدوا الآخرين ! تلاميذ كانوا أو طلبة ، أو عمالا أو مزارعين ، ولن تمر فترة طويلة عليهم في هذا الوضع حتى يرتدعوا ويعدلوا عن اتباع أهوائهم وشهواتهم

وما الوجودية الا الهوى ، أنها هوى النفس التي لا تحتمل القيام بالواجب الاجتماعي والديني ..

والالحاد ضعف : لانه محاولة للفرار من التكاليف .

ومع كل ما تقدم ، فانه لا يتأتى لي أن أترك هذا المجال دون أن أذكر قصة سمعتها حديثا ، هزتني من الاعماق أيضا ، ووقعت من نفسي موقعا من الروعة والجلال لا يمكنني تصوير مداه .

لقد ذكر لي هـــذه القصة فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ مدثر الحجاز ، وكيل جامعة أم درمان ورئيس الطريقة التجانية بالسودان :

في احدى القرى النائية المنعزلة من قرى السودان ، كان يعيش رجل عابد صالح ، وكان يقضي وقته بين المسجد والبيت ، لم يكن يفارق القرية يوما ما ، والقرية في انعزالها كأنها — بالنسبة له — العالم كله .

وفي يوم من الايام ، ولظروف معينة، غادر هذا الرجل الصالح القرية بصحبة صديق له ، وجدا في السير حتى وصلا الى الطريق الذي يؤدي الى المدينة ..

وما أن وصلا الى الطريق حتى رأيا — بطريق المصادفة — رجلا من رجـــال الجيش الانجليزي بملابسه العسكرية : مترف الظهر ، متحليا بكل ما يمكن أن يتزين به رجل الجيش المترف الانيق .. ولم يكن الشيخ الصـــالح قد أتاحت له الظروف رؤية مثل هـــذا المنظر في قريته أو في عالمه المنعزل النائي الذي اختصره الشيخ — مع صغره — مـــن قرية الى بيت الى مسجد .

وتأمل الشيخ رجل الجيش الانجليزي في دهشة ، ثم سأل صديقه مشيرا الى هذا الشيء الغريب :

— ما هذا ؟

فقال له صديقه :

— هذا كافر ..

وعاد الشيخ يسأل في دهشة أشد ، وفي استغراب أقوى :

— أهو كافر بالله ؟

فقال صديقه : نعم ..

وما أن نطق صديقه بذلك حتى تملك الشيخ شعور بالاشمئزاز منعه من أن يتلفظ أو ينطق . وغمره احســـاس بالغثيان أخـــذ يقوى ويزداد بسرعة سريعة واذا بالشيخ يتقـــايأ اشمئزازا وغثيانا وتقززا من هذا الكافر ..

هذه هي القصة .

أترى تصويرا أدق للشعور بالنسبة للملحد من هذا الاشمئزاز ؟.

أترى صدقا أصدق من الغثيان مـــن الكافر ؟.

وأي قلم يبلغ في التعبير ما بلغ هذا الشيخ ، وأي أسلوب ؟.

الانســـان

في رحلة البحث
عن الله عز وجل

من صنع الله

ان جميع الاعراف في جميع أرجاء الكون ، تتفق في الاشمئزاز ممن ينكر الجميل .. وهـذا الاشمئزاز يتفاوت بنسبة قيمة الجميل الذي يسدى ، وبنسبة درجة النكران التي تقـابله ، وبنسبة صفاء النفس التي تعلم أو ترى هـذا النكر .

والانسان ـ ايجاداوخلقا وتصويرا ـ من صنع الله .. وهو ـ بصرا وسمعا وذوقا واحساسا وشعورا ـ من صنع الله .. وهو ـ عقلا وفكرا ـ من صنع الله ..

وكل نعمة ظاهرة وباطنة ـ ونعم الله لا تعد ـ انما هي من صنع الله ..

« وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .. « وما بكم من نعمة فمن الله » .

ان الانسان ـ مادة ومعنى ، حسـا وعقلا ، شعورا وفكرا ـ وما بالانسـان من نعم يتقلب فيها ليلا ونهارا ، صباحا ومساء ـ ان كل ذلك من الله .

فاذا ما كفر انسان بالله ، فانه يكون أخس من أن يعاقبه الانسان بالصفع ، واحقر من أن يبصق الانسان في وجهه، ولا يستاهل الا الاشمئزاز الى درجة التقايؤ ..

أما الجزاء في الدين الاسلامي فـانه معروف :

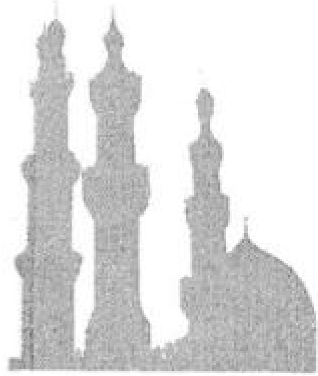
يستتاب ، فان لم يتب قتل مرتدا .

مسئولية علماء الدين

ومما لا شك فيه أن من الوســائل الكريمة التي تحول دون انتشار هـذه القيادات الفاسدة الملحـدة في المجتمع ما يرجع الى علماء الدين : فانهم وقـد هيأ الله لهم أن يتولوا قيـادة المجتمع دينيا لا شك يكون تأثيرهم جـارفا اذا كانوا مثلا عليا للفضيلة : للفضيلة في أسمى معانيهاوأشملها .. أي اذا كانوا ـ حقـــا ـ بالمنزلة التي ترضى الله ورسوله : علما وخلقا ، وحبا للخير ، واخلاصا في كل ما يأتون وما يدعون .. وقد بين الله مقاييس الخير وموازين الفضيلة ، وبين طريق الخيـــر وسبل الضلال ، وعلماء الدين اعرف بذلك من غيرهم ، فمسئوليتهم أشـد ،وواجبـاتهم اصرم ، وتأثيرهم في المجتمع : بادية وحاضرة ، لا شك كبير ..والله يهدينا جميعا سواء السبيل

■ حافظ جميل ■

يارب



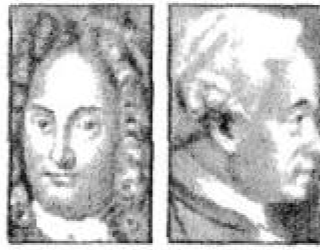
أدعوك يا رب السموات ... تمحو من اللوح خطيئاتي
أدعوك يا أرحم من طبقت ... رحمته كل البسريات
أدعوك يا أكرم من يرتجى ... عند الرزايا والملمات
أنت الذى بصرتنى بالهدى ... بعد غروبى فى الضلالات
لولاك يا ربى لما أقلعت ... عن غيها جامح لذاتى
إن لم أكن أخلصت فى طاعتى ... فشافعى مُخلص نياتى
ما اقتربت من أجلى ساعة ... إلا تخيلتُ عقوباتى
ويلى من الحشر وأهواله ... إن نشرتْ سودُ صحيفاتى
ويلى من الله إذا لم يتب ... علىّ فى أحرج ساعاتى
يا دعوةَ التائب ؟ مَن شافعى ... عند محيط بالشفاعات ؟
هبك تشفعت فمَن ضامن ... أنى من النار بمنجاة ؟
وأى جدوى لىَ مِن شافع ... إن كره الله ملاقاتى ؟
يا دعوة التائب لا تقنطى ... فالله أدرى بالسريرات ..

● بغداد ● ● حافظ جميل ●

د. إبراهيم مدكور

الألوهية

سر الوجود ، رمز الجلال والعظمة ، مبعث الخوف والرجاء ملاذ من لا ملاذ له . . لجا اليها الانسان الاول طلبا لقوته ، وانتصارا لضعفه ، ودفاعا عن نفسه وحماية لماله وأهله . وصورها على غرار صورته ، او على نحو شيء مما يحيط به فرآها في رئيس قبيلته ، في عاهله وملكه . او تلمسها في الشمس مصدر الدفء والحرارة ، او في القمر كاشف الظلمة والهادي ليلا ، او في المطر منبت الزرع ومطفيء ظما الانسان والحيوان . وقد يراها في البرق الخاطف ، او الرعد القاصف ، او الجبل الشامخ او في بعض الطير والحيوان . اله في يسر ، وقدس في غير تقيد وحد وعد ، وقد يضع على رأس الالهة الصغيرة الها اقوى واكبر ، ولايزال الانسان يؤله حتى اليوم من يرى فيه خرقا للعادة ، وخروجا على المألوف .



كانط : العقـــل اســـبينوزا : وحـرية الارادة .. الجوهر الوحيــد

لم تقف فكرة الالوهية عند هــذه الصورة الســاذجة السهلة ، بل نزهتهـــا الاديان السماوية عن المادية والجسمية عن الزمانية والمكانية ، عن الحدوث والفناء ، عن التغير والتحول ، عن الميول والاهواء ، عن الفحش والدنس، وردت الى الالــه كل شيء ، فهــو الواحد الاحد ، الاول والآخر ، الظاهر والباطن ، الحى القيوم ، الســميع البصير ، الحـــكم العدل ، اللطيف الخبير · وهو المبدىء المعيد ، المحيى المميت ، الخــالق الرازق ، الغنى المغنى ، النافع الضار ، المعز المذل ، الرحمن الرحيم ·

الكون صنعه ، خلقــه وأبدعه : ورعاه بكرمه وعنايته ، لا وجود له بدونه ، ولا بقاء له بغيــر تدبيره وحكمته ، مالك الملك رب السموات والارضين ، والانســـان خليفته فى ارضه ، فضله على سائر المخلوقات ، ووهبه ما يميز به الخبيث من الطيب ، وما يواجه به أعباءه ومسئولياته · ارسل اليه الرسـل ، وكلفه بتكاليف معينة ، ووضعه موضع الاختيــار ، « فمن احسن فلنفسه ، ومن اســاء فعليها » ·

الفلاسفة المؤلهون

وقد شغل الفلاسفة والحكماء بتفهم سر الوجود وتوضيح أصل العالم ، واستوقفتهم مشكلة الالوهية طويلا · ففى مصر وبابل عرفت الفلسفة الالهية، قبـــل ان تعرف الفلسفة الرياضية والطبيعية · والبراهمية ، والبوذية ، والكونفوشوسية ، معتقدات دينية ،قبل أن تكون فلسفات نظرية · وفلاسفة اليونان ، الذين أولعوا بعالم الحس والواقع ، لم يروا منــاصا من أن يبحثوا فيما وراء الطبيعة ، والالهيات باب هام من أبواب بحثهم ·

واله افلاطون (٣٤٧ ق·م·) اقرب ما يكون الى مثال الخير أو مثــال الجمال ، وقد يسميه « الصانع » ·

وبرغم أن أرسطو (٣٢٢ ق·م·) كان يرهب عالم السماء ولا يحب الخوض فيه ، لم يستقم له تفسير حركة الافلاك الا بالتسليم بمحرك أول يحرك غيره ولا يتحرك هو ، وهو عقل يعقـــل نفسه ، وغاية فى الكمال والجمال ، ولا تتحرك الكائنات العلوية الا بعـــامل الشوق والرغبة فى التشبه به ·

واله الرواقيين نار مقـدسة هى أساس العالم ، وقانون ضرورى وعقل

الألوهية

كلى منبث فى الكون بأسره ، فهم من القائلين بوحدة الوجود · والاول أو الواحد عند أفلوطين (٢٧٠) ، هو مبدأ الكل ، وعنه صدر العالم جميعه· وفلسفة القرون الوسطى لدى المسلمين والمسيحيين فلسفة دينية فى أساسها ، تحرص على أن توفق بين العقل والنقل، وتربط الحكمة بالشريعة ، وهى باختصار فلسفة مؤلهة ·

ولم يبعد كبار الفلاسفة المحدثين عن هذا كثيرا « فديكارت (١٦٥٠) ، ابو الفلسفة الحديثة وزعيم العقليين فى القرن السابع عشر ، يرى أن « من منحهم الله العقل ملزمون باستخدامه خاصة فى معرفة الله ومعرفة انفسهم » ·· ومعرفة الله عنده عماد اليقين ودعامة الحقائق على اختلافها ، والاله هو الموجود الحق اللامتناهى · وفكرة الالوهية اجلى الافكار واوضحها ، ووجودها فى الذهن دليل قاطع على وجود حقيقة خارجية هى مصدرها · وليس بلازم أن نبحث عن الله فى العالم المحيط بنا ، بل يكفى أن نغمض أعيننا ونعطل حواسنا ، ثم نفتش فى عقلنا عن الافكار الجلية الواضحة ، وستجد لا محالة فكرة الألوهية فى مقدمتها ·

وجد اسبينوزا (١٦٧٧) فى أن يقيم صرحا قاعدته الاستدلال والبرهان ، وقمته نور الايمان وغبطة العرفان · والله عنده جوهر لا نهائى أزلى ثابت لا يتغير ، بل هو الجوهر الوحيد ، والحقيقة المطلقة · هو جوهر موجود بنفسه وقائم بنفسه ، بل لا موجود سواه ، والعالم كله أعراض له · وهو عالم علما أزليا ابديا ، وعلمه وارادته لا يختلفان ولا ينفصلان ·

وتعود فلسفة ليبتنز (١٧١٦) كلها الى فكرة الالوهية ، فالمنادات او الذرات الروحية التى قال بها وعدها أساس العالم ، تستلزم فى نشأتها وحفظها وتناسقها صانعا حكيما يوجدها ويرعاها ، ويسيرها على نظام ثابت ، وكان طبيعيا أن يقول بالعناية والانسجام الازلى ، وأن يردهما الى الله وحده · وكمال العالم واتساقه وما فيه من خير آية من آيات الله وحكمته ، وهو العالم القادر المريد·

ويرد بركلى (١٧٥٣) الحقائق كلها الى العقل ، ويحارب المادية التى يراها سببا فى انتشار الاباحية والخروج على المبادىء الدينية والاخلاقية· ويستمسك بعالم الارواح ، لانه الحقيقة الثابتة التى نصل اليها مباشرة وبدون واسطة · ويعتقد أن ظواهر الكون جميعها ترجع الى الله ، فهو فى نظره علة العلل ومصدر الاحداث المختلفة ·

وكشف كانط (١٨٠٤) بمذهبه النقدى عن تناقض الفلاسفة السابقين ، وهدم كثيرا من آرائهم ، بل امتد نقده الى ما عرف قبله من وسائل البرهنة على

وجود الله . نقد « العقل النظرى » كما نقد « العقل العملى » ، أو بعبارة أخرى نقد « مشكلة المعرفة » كما نقد « مشكلة السلوك » . ولكنه أقامهما بعد هذا على بناء أقوى وأسلم . ولم تستقم له أخلاق الواجب إلا بإقامتها على ثلاثة مبادىء هامة ، هى حرية الإرادة ، وخلود الروح ، ووجود الله.

وبدون الحرية لايكون للتكاليف معنى ، ونحن بأدائنا للواجب إنمــــا ننشد السعادة والخير الأسمى ، والحيــاة الدنيا أضيق من أن نحققها بصورة كاملة ، وإذن لابد أن نسلم بحيــــاة أخروية . وتقضى العــدالة أخيرا أن توزع السعادة على النـــاس حسب استحقاقهم وأدائهم لواجباتهم ، وهذا يستلزم قوة عظمى ترعى توزيع الخير والسعادة بين النــــاس بالقسطاس المستقيم . وإذا كان « كانط » لم يجد سبيلا لادعام الحقائق الدينية عن طريق العقل النظرى ، فإنه وجـــده عن طريق العقل العملى ، وفى هــذا ما يفسر عبارته المشهورة : « اضطررت لإلغــــاء العلم ، كى احتفظ بمكان للعقيدة » .

الفلسفة الرافضة

ولا نريد بهذا أن نذهب الى أنه لم يكن بين المفكرين شكاك وملحـــدون فى التاريخ قديمه وحديثه ، وإنمـــا شــئنا فقط أن نشير الى آراء بعض الفلاسفة المؤلهين . ويبــدو أن موجة الشك والإلحـــاد قويت واشتدت فى الفلسفة المعاصرة ، ولعل ذلك راجع الى طغيان المادة ، واتساع مجـــال البحوث العلمية ، وكشفها عن خفايا كثيرة ، واهتدائهـــا الى عجـــائب تكنولوجية باهرة . وربما كان للمذهب النقدى شأن فى ذلك ، فقد وجه الى أمور ومشاكل لم يتنبه اليها « كانط » نفسه ، ففى النصف الاول من القرن الماضى قال « أوجست كونت » (١٨٥٧) بالفلسفة الوضعية التى ترفض التفسير اللاهوتى والميتافزيقى للظواهر الكونية، وتدعو الى الملاحظة والتجربة ، وتفسر هذه الظواهر فى ضوئهما تفسيرا علميا، وتعد ذلك قمة المطاف للفكر الانسانى.

ثم جاءت الوضعية المنطقية ، وغلت فى هذا غلوا كبيرا . وعدت الميتافيزيقا كلهــــا خرافة ، وأنكرت كثيرا من القضايا ، مثل : النفس خالدة ، زاعمة أنها ليست من القضايا التحليلية ولا التركيبية . ودعت الى فلسفة تقــوم على العلم ، وعلى العلم وحده .

ويحـــاول الوجوديون أن يقصروا البحث الفلسفى على الانسان الــذى يصنع نفسه بنفسه ، ويملأ وجــوده على النحو الـــذى يلائمه ، وكأنهم لا يرون وجودا سواه . وبين النزعات المادية نكتفى بأن نشير الى الماركسية وما اعتمدت عليه من مادية تاريخيـــة تتلخص فى أن الوقائع الاقتصادية هى أساس كل الظواهر الانسانية الحاضرة والماضية ، فهى وحدها تحددها وتتحكم فيهـا ، ولا تدع محلا لمؤثرات أخرى سواها فكرية كانت أو روحية ، وإذن لا اعتبـــار لقيم دينية أو أخلاقية . وباختصار لم تصادف مشكلة الالوهية فى الفكر المعاصر ما صادفته فى الفكر القـــديم والحـــديث ، وتكاد تدور الدراسات الميتافيزيقية المعاصرة حول نظرية المعرفة وحدها .

الشك مرحلة لليقين

ولكن ليس معنى هذا أنه لم تعرف فى التاريخ المعاصر فلسفات مؤلهة ،

لا بل بالعكس ظهرت تلك الفلسفات ، وحاولت أن تقيم فكرة الالوهية فيعمق ودقة على أساس من العلم والواقع · فهيجل (١٨٣١) ، الذى عولت عليه الماركسية وأخـــذت عنه ماديتهـــا الجدلية ، انما تفلسف فى الغالب دفاعا عن المسيحية ورغبة في تكوين فلسفة دينية · وبرغم أخذه بالفينومونولوجيا أو علم الظواهر ، ينتهى الى مثـــالية مطلقـــة تعبر عن المطلق فى أوسع معانيه ·

ووليم جيمس (١٩١٠) ، الذى قال بالبرجماتية وذهب الى ان معيـــار صدق الآراء والافكار انمـــا هو فى فوائدها وقمة نفعها ـ يحلل التجارب الدينية تحليلا دقيقا ، ويقيم العقيـــدة على أساس سيكلوجى ، ويرى المرء في حياته الروحية يتصل بمقام أسمى، فيحس في نفسه بقوة أعظم وثقة اتم ، ويشعر بغبطة وسعادة لا حد لهما ·

وبرجسون (١٩٤١) الذىربط الحياة بالزمن والمادة بالروح ، يرى أن الله في غنى عن أن يبرهن عليه ، لأنا نحس به ونستمد منه الحياة · وما الحياة الا اعتقاد فى الله ، وما معرفته الا شعور بكل ما تقتضيه الحيـــاة · وأدع جانبا « التوماسية الجديدة » التى عنيت بها خاصة جامعة لوفان ، وتحـــرص على أن توفق بين فلسفة القديس توماس الاكوينى ومعطيـــات العلوم الحديثة من مناهج وقوانين ·

وفى وســـعنا أن نلاحظ أن بين الشكاك والمفكرين الأحرار المعاصرين من شك بلسانه وفى قلبه بقيةايمان ، ومنهم من انتهى به المطاف الى فلسفة مؤلهة ، وكأنما كان الشك مرحلة قلق وحيرة ، أعقبهـــا ضرب من اليقين والاطمئنان ·

الألوهية

● ايمان العوام ●

والنـــاس فى اعتقـــادهم وتأليههم أصناف ، فأغلبهم ينشأ على ما كان عوده أبوه :

وما دان الفتى بحجا ولكن
يعلمه التـــدين أقربوه

وايمـــان العوام سهل مريح ، لا تزعزعه ريب ، ولا تصاحبه حيرة · هو ايمان راسخ متين ، يملأ القلب ، وتطمئن اليـــه النفس ، وكيف لا وهو أمنية من لا يجده : « اللهم ايمانا كايمان العوام » · فيه ثقة ورضا ، وأمل وتفـــاؤل ، يتحمل الضراء فى صبر وجلد ، ويواجه السراء بالشكر والحمد · يعين على قطع رحلة العمر فى يسر ، ولا ييأس فيما بعدها من روح الله · هو شيء من لا شيء له ، وعون من لا عون له ، من حرم منه عز عليه أن يعوضه · ولا حياة لمجتمع بدونه ، ومن لم يؤمن باله موسى آمن باله المسيح ، أو رسم لنفسه الها على نحو ما ·

ولا يشك العامة فى وجود الههم ، فهم يرونه فى كل شيء ، ويحسون به دون انقطاع · ولا يقفون عنـــد فهم



الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد



الفارابي : بالقسطاس المستقيم

طبيعته وتوضيح صفاته ، فهم يؤمنون به دون حاجة الى شيء من ذلك • وجل ما يتصورون انه الجلال والعظمة ، والبأس والقوة ، والعدل والحكمة ، والعون والنصرة ، والخير والنفع •

ويخطيء الخاصة حين يريدون بهم أن يفلسفوا فكرة الالوهية مثلهم ، فيحملوهم ما لاطاقة لهم به ، ويخوضوا بهم غمارا ما أغناهم عنه • وتلك كانت غلطة معتزلة بغداد ، حين شاءوا أن يجعلوا من القول بخلق القرآن عقيدة رسمية للدولة • وقد اشتجدل المسلمين حول الباريء وصفاته في القرن الرابع والخامس للهجرة • الامر الذى دفع الغزالي (١١١١) الى أن ينادى « بالجام العوام عن علم الكلام » ، و « بالاقتصاد في الاعتقاد »

● وايمان الخاصة ●

وللخاصة أن يفلسفوا فكرة الالوهية كما يشاءون ، وقد فعلوا • يمقتون التقليد ، ويأبون الا أن يحكموا عقولهم في كل شيء ، حتى فيما لا يجد العقل سبيلا اليه • يقيسون الغائب على الشاهد ، وهذا قياس مع الفارق • ويحكمون منطق البشرية في عالم الالوهية ، فيقعون في أخطاء ومفارقات • حاولوا البرهنة على وجود الله ، ولعل هذه أيسر مهامهم ، فاياته ناطقة ، واثاره باهرة • وتفننوا في ذلك ما وسعهم ، فبرهنوا عليه برهنة طبيعية معتمدين على العلة الفاعلة أو العلة الغائية ، وملاحظين أن كل صنعة لابد لها من صانع ، أو أن الصنعة الدقيقة تستلزم هدفا وغاية ، ولم يخلق العالم عبثا ، ولهذا البرهان صور شتى لدى الفلاسفة القدامى والمحدثين • وبرهنوا عليه أيضا برهنة أنطولوجية ، مستنبطين وجود الله من ذاته نفسها ، وهو لا شك كامل كمالا مطلقا ، ولا يتصور من كامل أن يكون معدوما •

وقد اتجه نحو هذا البرهان ابن سينا (١٠٣٧) بين المسلمين ، والقديس أنسلم (١١٥٩) بين المسيحيين ، وتوسع فيه « ديكارت » و « ليبتنز » بين المحدثين • وبرهنوا عليه أخيرا برهنة أخلاقية مستمدة من فكرة الحقوق والواجبات ، والتكاليف والمسئولية ، والثواب والعقاب ، ولابد لهذا جميعه من مشرع ومنظم وحاكم عادل ، وتعتمد الاخلاق الدينية كلها على هذا الاساس • ومن الغريب أن هذا الاسلوب من البرهنة هو الذى راق « كانط » ، المثالي المفرط في مثاليته ومؤسس المذهب النقدى ، في حين أنه نقض البراهين الاخرى نقضا تاما •

وعرض الفلاسفة لذات الباريء

الألوهية

وصفاته ، وهذه ناحية تسمو على منطق البشر ، ولا سبيل للعقل الانسانى أن يصورها الا بشىء من التجريد والتنزيه أو الشمول والعموم . ويمكن أن ترد محاولاتهم بوجه عام الى بابين : فجماعة يفصلون السماوى عن الارضى فصلا تاما ، ويباعدون بين الالهى والانسانى بعدا مطلقا ، وهؤلاء هم انصار التجريد والتنزيه ، وممثلوهم كثيرون .

وكان كبار فلاسفة اليونان يقدسون العقل تقديسا كبيرا ، ويذهبون تبعا لهذا الى أن الاله معنى مجرد أو مثال ، بلغة أفلاطون ، أو عقل يعقل نفسه بلغة ارسطو ، أو هو الاول الواحد الذى لا يشبهه شىء بلغة أفلوطين . وقد جاراهم العقليون اللاحقون فى ذلك ، أمثال الفارابى (٩٥٠) ، وابن سينا ، والقديس توماس الاكوينى (١٢٧٤) . ودنس اسكوت (١٣٠٨) فى القرون الوسطى ، وديكارت وليبنتز فى التاريخ الحديث . وقارب آخرون بين الانسانى والالهى ، فشبهوا وجسموا ، وقالوا بشىء من الحسية والمادية ، والزمانية والمكانية ، وان اختلفت هذه الامور كلها بالنسبة لله عنها فيما عرف لدى الانسان . وقد يخلطون بين السماوى والارضى ، فيذهبون الى أن الله كامن فى كل شىء ومنبث فى العالم بأسره .

وقد يردون العالم كله الى الله ، وينتهون الى صورة من صور وحدة الوجود .

والباحث فى صلة الواحد بالمتعدد بين أحد أمرين : اما أن يرد كل شىء الى الله ، فلا يبقى للانسان ولا للعالم شىء ، واما أن يحتفظ لهذين بوجود وأثر ، وحين ذلك تعترضه صعوبة شمول قدرة الله وعنايته . ولايزال المرء يبحث ، وهو مولع بكشف المغيبات ، وحين يخيل اليه أنه وقف على سر منها ، ازداد حماسة للكشف والبحث .

● منهج المتصوفين ●

ومن الخاصة فريق الروحانيين الذين ينكرون المنهج العقلى لما فيه من جفاف وحيرة ، ويؤثرون عليه منهج الذوق والالهام . والمتصوفة جميعا مؤلهون ، يؤمنون بروح الارواح وقدس الاقداس ، ويسعون وراء النور الاسمى والحقيقة الازلية .

وعندهم أن العقل يهدم ما بنى ، ويقول بالشىء وضده . أما القلب فسبيل المناجاة ومقر الحديث النفسى ، ومبعث الطمأنينة ، ومركز الحب والوجد والاشراق والالهام . متى صفت صفحته وانجلت غشاوته اصبح أهلا للادراك الذوقى والمعرفة الدينية . وادراك القلب مختلف عن ادراك العقل ، الاول معرفة والثانى علم . والمعرفة فى رأيهم أسمى من العلم لانها حال من أحوال النفس ، وتجربة صوفية تتحد فيها الذات المدركة بالشىء المدرك . هى باختصار كشف عن عالم الباطن ، فى حين أن العلم يقف عند عالم الظاهر . فهم يؤمنون بالعاطفة القوية النيرة ، ويحلونها محل العقل والمنطق .

. هكذا تتم معرفة الله عندهم ، فهو

لا يرى بالحواس لانه غير مجسم ، ولا يدرك بالعقل لانه لا يرقى اليه وانما يعرف معرفة ذوقية مباشرة . لا تقوم على منطق ، ولا تعول على استدلال ، وانما هي اتصال بالله وفناء فيه او اتحاد معه ، هي حضرة وشهود يتصل

فيها المحب بالمحبوب الاعظم . والعبد بهذا في غير حاجة الى البرهنة على وجود الله ، وفي غنى عن تحديد ذاته وشرح صفاته . وليس راء كمن سمعا !

وفي القول بالاتحاد أو وحـــدة

الشهود ما يؤدى الى القول بوحـــدة الوجود . وهـذا ما انتهى اليه بعض الصوفية . فيقود الوجدان والذوق الى مذهب وحدة الوجود ، كما قاد اليه

العقل والمنطق . والواقع أن هـذا المذهب في أساسه وليد فرط ايمان ،

تدفع اليه عاطفة قوية وشعور فياض ، وهو بهذا يلائم الصوفية والروحانيين .

وفكرة الالوهية عند الصوفيةتعتمد على الذوق والتجربة الشخصية ،وتقوم

على أساس من الشعور والوجدان . فهي فكرة تنبعث من الباطن ، ويصعب نقلها الى الخارج . يحس الصوفي

بجمال الله وجلاله احساسا صادقا ، ويعز عليـــه أن يصور احســاسه للآخرين ، وكل ما يملك هو أن يدعوهم أن يرجعوا الى أنفسهم ، لكي يحسوا بما أحس ويشعروا بما شعر . ومن

العقليين من انتهى به المطاف الى طرح براهينه العقلية وأفكار أدلته المنطقية ، وقنع بأن يرجع الى سريرته ويركن الى ما اطمأنت اليه نفسه .

سر الوجود

هذا هو موقف العامة والخاصة من مشكلة الالوهية ، أو ان شئت موقف

العوام والعقليين والروحانيين . ولكل لغته مهما زاد تعليمه واتسعت ثقافته ،

ولا سبيل لان يفهم غيرها . فهنـــاك روحانيون بفطرتهم ، وآخرون عقليون

باستعدادهم ، والى جانب هؤلاء وهؤلاء الجماهير التي لها من العقل والروح نصيب ، ولكن لا طاقة لها على أن تتعمق في هذا أو ذاك ، وتأخذ الامور

ببساطة ، وتقتنع منها بما يلائم حياتها ويحل مشاكلها . وهؤلاء جميعا في أغلبهم مؤلهون ، وعلى هذا ستبقى الالوهية ما بقي الانسان ، ستبقى لانها

ضرورة من ضرورات المجتمع ، وحاجة ماسة من حاجات الفرد . ولن يضيرها في شيء أن يكون هناك كفار وملحدون ، فقد صادفتهم في مراحل التـــاريخ

المختلفة ، ولم يعوقوا سيرها ، ولم يضعفوا نفوذها . حقا ان في الكشوف

العلميـــة ما يبهر العقل وما يزلزل العقيدة . ولكن هل يزعم العلم انه كشف كل شيء ؟ قطعا لا ، ومتى ادعى ذلك انقطـــع سيره وتوقف عمله .

ومادام في الكون خفايا فهذا سر الوجـود وأســاس فــكرة الالوهية . . .



وليم جيمس : أساس سيكولوجي



برجسون : ربط المــادة بالروح

صالح جودت

آلهة الجاهلية كيف صنعها الانفجار السكاني ؟

دبت الغيرة فى قلب « سارة » بعد أن وضعت « هاجر » المصرية ولدها اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، فخرج ابراهيم بهاجر وولدها يضربون فى الارض ، حتى بلغوا موقع مكة وهناك بنى البيت ، واستقرت الام ووليدها ، وتفجر الماء ، واخذت القبائل تفد على هذا الموقع طلبا للسقيا فطاب لها المقام ، وتكاثر الناس حول البيت ، ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، واخرج بعضهم بعضا ..

وكانوا جميعا على دين ابراهيم حنفاء يعبدون الله الأحد الذى لا شريك له ..

فلما حدث هذا الانفجار السكانى فى مكة ، اخذ كل قوم - وهم راحلون - حجرا من احجار الكعبة تيمنا بها ، ثم ما لبثوا أن عبدوا هذا الحجر ...

وهكذا عادت الوثنية بعد الدين ! ..

قبل هذه القصة بكثير ، كان ادم وحواء يعيشان فى الجنة ، الى أن قربا الشجرة المحرمة ، طاعة لابليس ، فغضب الله عليهما ، ونزلا الى الارض ·
أين نزلا ؟··
تلك هى البقعة التى اختلفت فيها الروايات ···
وتقول أحداها ، ان الهبوط كان عند جبل « نوذ » بالهند ، وهو أخصب جبل فى الارض ·
وظل ادم وامرأته وأبناؤه يعبدون الله ، حتى مات ادم ، فدفنه ابنه « شيث » فى مغارة بالجبل ، وراح هو وأبناؤه بعد ذلك يطوفون بهذه المغارة ويبكون أباهم وهم يذكرون الله ·
فقال رجل من بنى قابيل بن ادم ـ أخى شيث ـ لابنائه : ان لابناء شيث ما يطوفون حوله ويعظمونه ، وانتم مالكم من شىء ، وانى لصانعه لكم ·
ونحت لهم صنما ، وراح ابناء قابيل يطوفون حوله ، فكان اول صنم فى الارض ·

***

وجاء نوح عليه السلام يدعو الناس الى عبادة الله ونبذ الاصنام ·
وكانت الاصنام على عهد نوح خمسة ، ذكرها الله فى كتابه الكريم ، فى قوله : « قال نوح رب أنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ، ومكروا مكرا كبارا ، وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا ، ولا تزد الظالمين الا ضلالا » (١)
فما قصة هذه الاصنام الخمسة ؟
قبل أن نرويها ، نحب ان يعرف من لا يعرف من القراء ، الفارق بين الصنم والوثن فى اللغة ، لا فى الاستعمال ·
يقول أبو المنذر هشام بن محمد الكلبى : « اذا كان معمولا من خشب أو ذهب او من فضة على صورة انسان ، فهو صنم ، واذا كان من حجارة ، فهو وثن » ·

ثم يقول ان تلك الاسماء الخمسة ، ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ، كانوا قوما صالحين ، ماتوا فى شهر ، فجزع عليهم ذوو قرباهم . فقال رجل من بنى قابيل : هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ، غير انى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ؟

قالوا : نعم ·
فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ، ونصبها لهم ، فكان الرجل منهم يأتى الصنم الذى يشبه أخاه أو عمه أو ابن عمه ، فيعظمه ، ويسعى حوله ، حتى ذهب ذلك القرن الاول ·

---

(١) الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ من سورة نوح ·

ثم جاء قرن آخر ، فعظموهم أشد من تعظيم القرن الاول .

ثم جاء من بعدهم القرن الثالث ، فقالوا : ما عظم أولونا هؤلاء ، الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله ، فعبدوهم .

وعظم أمرهم ، واشتد كفرهم ، فبعث الله اليهم ادريس عليه السلام نبيا ، فدعاهم ، فكذبوه .

ولم يزل أمرهم يشتد حتى جاء نوح ، فدعاهم الى الله ، فكذبوه ، فأمره الله أن يصنع الفلك ، ففرغ منها ، وركبها من ركب ، وغرق من غرق .

***

ونعود الى ما ألمحنا اليه في المقدمة لهذا الحديث من حكاية الانفجار السكاني في مكة .

يقول ابو المنذر الكلبي أنه لما كثر نسل اسماعيل عليه السلام في مكة حتى ملأوها ونفوا من كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم الرقعة ، ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، فاخرج بعضهم بعضا ، فتفسحوا في البلاد التماسا للعيش .

وكانوا اذ هم في مكة ، لا يزالون على دين ابراهيم حنفاء . فلما خرجوا ، أخذ كل قوم معهم حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للبيت وتذكارا للوطن ، فكانوا حيثما حلوا ، نصبوه وطافوا حوله ، الى أن انتهى بهم الامر الى عبادته واتخاذه وثنا لهم ، وهم مع ذلك يعظمون البيت ويحجون اليه ويؤدون الطواف والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة .

وهكذا بدأ الشرك ، فكانت نزار ـ مثلا ـ تقول اذا اهلت :

« لبيك اللهم لبيك

« لبيك لا شريك لك

« الا شريك هو لك

« تملكه وما ملك »

وهكذا يؤمنون بالقول ثم لا يلبثون أن يشركوا .. ويوحدون ثم يجعلون مع الله شريكا من خلقه !

وكان أول من غير دين اسماعيل ، ونصب الاوثان ، هو لحى بن حارثة .

وكانت أم عمرو بن لحى ، هي فهيرة بنت عمرو بن الحارث .

وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة ، فلما بلغ عمرو ابن لحى ، نازعه في الولاية وغلبه وتولى حجابة البيت .

ثم مرض مرضا شديدا ، فقيل له أن بالبلقاء من الشام حمة ان أتيتها برأت .

فأتاها ، فاستحم بها ، فبرأ .

ووجد أهلها يعبدون الاصنام ، فسألهم ما هذه ، فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ، ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة .

وكان هذا أول عهد مكة بالوثنية ·

***

وأول صنم عبده العرب هو « مناة » وكانت منصوبة على البحر ، بين مكة والمدينة · وقد عظمها العرب جميعا ـ ولا سيما الاوس والخزرج ـ وذبحوا وأهدوا لها ، الى أن كانت السنة الثامنة من الهجرة ، فهدمها على رضى الله عنه ·

وثانى اصنامهم هو « اللات » ··· وهى بالطائف ، وكانت صخرة مربعة ، ولم تزل معبودة حتى أسلمت ثقيف ، فبعث النبى صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة ، فهدمها وحرقها بالنار ·

وثالث اصنامهم هو « العزى » · وكانت بواد من نخلة الشامية ، عن يمين المصعد من العراق الى مكة ·

وكانت العزى أعظم الاصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح ·

ولم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه ، فأمر خالد بن الوليد أن يسير اليها فى عام الفتح ، فسار اليها فحطمها ·

وكانت قريش تقول فى هذه الأصنام الثلاثة :

« واللات والعزى
« ومناة الثالثة الاخرى
« فانهن الغرانيق العلا
« وان شفاعتهن لترتجى »

وكانوا يقولون : هن بنات الله ، وهن يشفعن اليه ·

فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم ، انزل الله عليه قوله الكريم :

« أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، ألكم الذكر وله الانثى ، تلك اذا قسمة ضيزى ، ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان » ·· (١)

***

وكانت للعرب ـ الى جانب هذه الثلاثة ـ أصنام كثيرة أخرى ·

وكانت لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها ، أعظمها « هبل » · وكان مصنوعا من عقيق أحمر على صورة انسان، يده اليمنى مكسورة ، فصنعوا له يدا من ذهب ·

وكانوا يضعون أمامه قداحا سبعة لاختبار الامور ··

فاذا شك أحد الناس فى ولده ، استشار هذه القداح ، فاذا خرج قدح « صريح » كان الولد ولده ، والا كان الولد ابن سفاح !

وكذلك كانوا يستشيرونها فى الزواج والسفر والتجارة ··· الخ

ومن هذه الاصنام ، أساف ونائلة ·

وتقول الاسطورة ان اسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من

---

(١) الآيات ١٩ ، ٢٠ و ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ من سورة النجم ·

جرهم ، وانهما تحابا ، ودخلا البيت ، فلما أمنا العيون ، ارتكبا الحدث داخل الحرم ، فسخطهما الله فأصبحا صنمين .. وعبدهما الناس !

فلما كان يوم فتح مكة ، دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد ، والاصنام منصوبة حول الكعبة ، فجعل يطعن بسية قوسه فى عيونها ووجوهها ويقول « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » . ثم امر بها فكفئت على وجوهها ، ثم اخرجت من المسجد فحرقت .

وفى ذلك قال راشد بن عبد الله السلمى :

قالت هلم الى الحديث ، فقلت لا
يأبى الاله عليك والاسلام
او ما رأيت محمدا وقبيله
بالفتح حين تكسر الاصنام
لرأيت نور الله أضحى ساطعا
والشرك يغشى وجهه الاظلام

وكانت لهم الى جانب الاصنام ، بيوت يصنعونها على غرار بيت ابراهيم ، ويقدسونها ويطوفون بها .

فكان لحمير بيت بصنعاء ، يقال له « ريام » يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح . وقد بقى « ريام » حتى هدمه أحبار اليهود ، حينما انتشرت اليهودية فى اليمن .

وروى الجاحظ فى كتاب « الحيوان » انه كان لثقيف بيت للات بالطائف ، له سدنة ، يضاهون بذلك قريشا .

وكذلك كان للعزى بيت بواد من نخلة الشامية .

وكان لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن عبد مناة ، بيت يقال له « رضى » هدمه المستوغر ، عمرو بن ربيعة فى الاسلام ، وقال :

ولقد شددت على رضاء شدة
فتركتها تلا تنازع اسحما
ودعوت عبد الله فى مكروهها
ومثل عبد الله يغشى المحرما

وكانت لبنى الحارث بن كعب كعبة فى نجران ، يعظمونها

وكانت لاياد كعبة أخرى بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة .

***

مما تقدم ، نستخلص ان العرب بطبيعتهم قوم مجبولون على الايمان ، ولولا ذلك الانفجار السكانى الذى وقع فى مكة ، وانتهى الى تفرق بعض اهلها فى الارض ، لبقى جمعهم على دين ابراهيم حنفاء .

ولكنهم ، حتى بعد أن تفرقوا فى الارض ، تشبثوا وهم راحلون ببعض حجارة الكعبة تمسكا بدين ابراهيم ، فلما أوهن الزمن وازع الدين ، وقويت نوازع السياسة ، حفظوا على مكة ان بها البيت ، وهو الذى يجعل لاهل مكة السيادة

على العرب ، فبنى كل قوم لانفسهم بيتاً ، واستقلوا بآلهتهم عن آلهة مكة ٠

ودليلنا على هذا أن رجلا من جهينة ، يقال له عبد الدار ابن حديب ، قال لقومه : هلم نبنى بيتا نضاهى به الكعبة حتى نستميل به كثيرا من العرب (وفى رواية أخرى : حتى يشتمل به العرب) ٠

واقترح عليهم مكانا من ارضهم يقال له الحوراء ٠

ولكن قومه ابوا عليه ذلك اعظاماً للكعبة ، التى بقيت لها مكانتها الراسخة فى قلوب العرب رغم سائر ما ابتنوا من بيوت يضاهونها بها ٠

وقد بلغ من حب العرب للعبادة ، انه كانت لهم حجارة غير منصوبة ، يطوفون بها ويعترون عندها (أى يذبحون عندها) يسمونها الانصاب ، ويطوفون بها ، ويسمون الطواف « الدوار » ٠

وكانوا فى أعماقهم يحسون رهبة التعبد ووجوب التطهر بازائه ، فيمنعون الحائض من النساء أن تدنو من الاصنام أو تتمسح بها ، بل تقف بمنأى عنها ٠

ومن « الانصاب » ايضا أن من لم يقدر منهم على اتخاذ صنم أو بناء بيت ، نصب حجرا أمام الحرم وأمام غيره ، ثم طاف به كطوافه بالبيت ٠

وكان الرجل منهم اذا سافر ، فنزل منزلا ، اخذ اربعة احجار فنظر الى احسنها ، فاتخذه ربا ، وجعل الثلاثة الباقية اثافى لقدره ٠

***

ومما يثبت قولنا أن الفكرة فى اتخاذ البيوت والاصنام المستقلة ، كانت فكرة سياسية النشأة ، ان ابرهة الاشرم بنى بيتا بصنعاء ، وجعله كنيسة سماها « القليس » وزينها بالرخام والخشب المذهب . وكتب الى ملك الحبشة يقول له : « انى بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها احد قط ٠ ولست تاركا العرب حتى اصرف حجهم عن بيتهم الذى يحجون اليه » ٠

وسمع بعض أهل مكة من نساة الشهور هذه الحكاية ، فأوفدوا رجلين من قومهم الى صنعاء ، فقصدا الى القليس فتغوطا فيه ٠ فلما علم ابرهة بذلك غضب ، وقال : من اجترأ على هذا ؟ قيل : بعض اهل الكعبة ٠

فازداد غضبه ، وخرج بالفيل والحبشة ، فكان من أمره ما كان مما روته سورة الفيل ٠

***

وبعث الله نبيه عليه الصلاة والسلام ، فهدم الاصنام والاوثان والانصاب ، وأتى القوم بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وجعل البيت الذى لا بيت سواه قبلة لسائر المسلمين ، حتى أخذهم العجب وقالوا : « أجعل الآلهة الها واحدا ، ان هذا لشىء عجاب »

محمد عبد الغني حسن

الله في الشعر العربي

هل يختلف الشاعر القديم عن الشــاعر الحديث في الاتجاه الى الاله اذا اظلم ليـــل ، او حزب امر ؟ الم يتجه شـاعر قديم الى الله حين ضاق عليه الامر ، لعله يجد له مخرجا مما هــو فيه ،وفرجا مما هو ملاقيه ،وعبر عن ذلك بقوله :

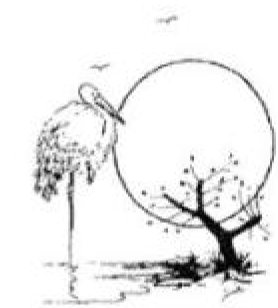
واني لادعـــو الله والامر ضيق
علي ، فما ينفك ان يتفرجـــا
وكم من فتى ضاقت عليه وجوهه
اصاب لها في دعوة الله مخرجـا

لا يختلف الشاعر الاسلامي عن الشاعر الجـاهلي في الابتهـال واللجـوء الى الله والانس بحضرته · ولا يقال ان الاصنام كانت تعبد في الجاهلية من دون الله ، وان الشرك كان فاشياً ، والكفر كان طاغيا ··· ففي غمرات ذلك الجـو الملبد بالاشراك كانت تلتمع هنالك ومضات من نور الايمان ، وضوء التوحيد · فليس طبيعيـا أن ينقطع ما بين الله والناس في فترة من فترات الشرك · والا فمـا بال هؤلاء (الحنفاء) قبل ولادة محمد عليه الصلاة والسلام ـ بله بعثته ورسالته ـ ما بالهم وقد اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه ، وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويطيفون به · فخلص منهم أربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصـادقوا ! وليكتم بعضكم على بعض · قالوا : اجل !

وكان هؤلاء النفر الاربعة : ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان ابن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل، فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله ما قومكم على شيء · لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم · ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟··· ياقوم التمسوا لانفسكم دينا ، فانكم والله ما انتم على شيء ··· ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية : دين ابراهيم عليه السلام ·

فأما ورقة بن نوفل ـ ابن عم السيدة خديجة ـ فاستحكم في النصرانية ، وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هـو عليه من الالتباس حتى هـداه الله الى الاسلام فأسلم · وأما عثمـان بن الحويرث ، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر ، وأما زيد بن عمرو بن نفيـل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه من قريش ، فاعتزل الاوثان والاصنام والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ، وقال : أعبد اله ابراهيم (١) · وقد قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام : (انه يبعث يوم القيامة أمة وحده) ·

القديم



ولم يكن هؤلاء الحنفاء أربعـة وحسب ، ولم يكونوا في مكة وحدها ، بل كانوا في المدينة وفي بقاع أخرى من جزيرة العرب ، ولم يكونوا شـعراء وحسب ، بل كان فيهم الشاعر والكاهن والخطيب · وهدى الله كثيرا منهم الى نور الاسلام ، وحلاوة الايمـان كأبي ذر الغفاري ، وصيرمة بن أبي أنس الذي كان يكنى بأبي قيس ·

وهؤلاء الشعراء الحنفاء في الجاهلية كان يدور اسم (الله) في كثير من شعرهم، ويتكرر في عدد من قصائدهم ، حتى لتكاد تعجب من دوران لفظ الجـلالة

---

(١) ذكر الدكتور شوقي ضيف أن زيد بن عمرو أسلم وكان من الصحابة الاولين ـ وهو وهم ـ والحق انه توفي قبـل مبعث النبي ورثاه ورقة بن نوفل قبـل ظهور الاسلام ·

فى اشعارهم الى هذا الحد ، وهم فى بيئة مفعمة بالشرك ، كأنما نصبتهم « العناية الالهية » ليكونوا معالم فى طريق الايمان ، ومنائر فى سبيل التوحيد

وكثيرا ما نلقى اسم « الله » فى شعر هؤلاء الجاهليين الحنفاء فى معرض الحلف به والقسم بقسمه ، والحمد له ، والثناء عليه ، والدعاء بالخير والشر باسمه ، ووصفه بأنه يعلم كل خافية ، ويدرى كل جانحة ، وأنه يحيى ويميت ، ويهلك ويبقى .

ففى معرض الحلف بالله نجد الشاعر « عدى بن زيد العبادى » يقول مخاطبا النعمان :

اننى والله ، فاقبـل حلفى   لأبيل كلمـا صلى جار

ونجد الشاعر زهير بن ابى سلمى يقول فى كافيته المشهورة :

تعلمن ها لعمر الله ذا قسما   فاقدر بذرعك وانظر اين تنسلك

ونجد الشاعر عبيد بن الابرص يقول :

فوالله ان مت مـا ضرنى   وان عشت ماعشت فى واحده

ونجد الشاعر النابغة الذبيانى يقول من داليته التى يعتذر بها الى النعمان :

« فلا لعمر الذى طيفت بكعبته ... الخ   ويقول من ابيات اخرى :

فقالت : يمين الله افعل اننى   رايتك مسحورا يمينك فاجره

ونجد الشاعر كعب بن سعد الغنزى يقول فى مرثيته لاخيه ، المعدودة من مراثى العرب المشهورات :

فوالله لا انساه ما ذر شارق   وماهتز من فرع الاراك قضيب

وفى معرض الحمد لله نجد الشاعر امرأ القيس يقول :

أرى ابلى ـ والحمد لله ـ اصبحت   ثقالا اذا ما استقبلتها صعودها

ونجد النابغة الذبيانى يقول :

فاذ وقيت ـ بحمد الله ـ شرتها   فانجى فزار الى الاطوار فاللوب

وفى معرض الدعاء الى الله بالخير نجد النابغة الذبيانى يقول :

حياك ربى ، فانا لا يحل لنـا   لهو النساء ، وان الدين قد عزما

ونجده يقول فى ابيات اخرى :

لا يبعـد الله جيرانا تركتهم   مثل المصابيح تجلو ليلة الظلم

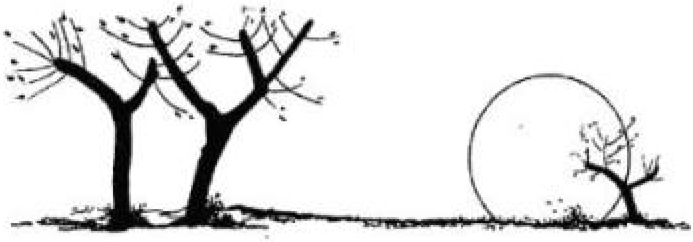
ونجد عنترة العبسى يقول :

لا ابعد الله عن عينى غطـارفة   انسا اذا نزلوا ، جنا اذا ركبوا

ونجد حاتما الطائى يقول :

سقى الله رب الناس سحا وديمة   جنوب السراة من مآب الى زغر

وفى معرض الدعاء الى الله بالشر نجد الشاعر عميرة بن جعيل التغلبى



يقول :

كسا الله حي تغلب ابنـــة وائل   من اللؤم أظفارا بطيئا نصولهـا

ونجد الشاعر قيس بن زهير يقول :

لحا الله قوما أرشوا الحرب بيننا   سقونا بها مرا من الشرب آجنا

***

واذا تجاوزنا هذه المعاني الجزئية من وجود لفظ الجلالة : « الله » في الشعر الجاهلي ، الى المعنى الكلي من وجود الله نفسه ، وفكرة الألوهية الشاملة للتوحيد ، وجدنا شعراء جاهليين فاضت أشعارهم — التي رويت لنـــا عنهم — بفكرة الله صاحب الكمـــالات والآيات البينات . ويتمثل هذا كثيرا في شعر « أمية بن أبي الصلت » الـــذي فكر كثيرا ، وقرأ في كتب الاوائل كثيرا ، فتعبد وتحنف وذكر ابراهيم ، ونبـذ الاوثان ، والتمس الدين ، وهو صاحب البيت المشهور :

كل دين يوم القيـامة عند اللـــ   ـــه الا دين الحنيفـــة — زور

ومن شعره الالهي قوله ، وفيه يعد آلاء الله :

اله العـــالمين وكل أرض   ورب الراسيات من الجبـال
بناها ، وابتنى سبعا شدادا   بلا عمد يرين ولا رجـــال
وسواها وزينهـــا بنور   من الشمس المضيئة والهلال
ومن شهب تلألأ في دجاها   مراميها أشد من النصـال
وشق الارض فانبجست عيونا   وأنهـــارا من العذب الزلال
وبارك في نواحيها ، وزكى   بها ما كان من حرث ومال
فكل معمر لابد يومـــا   وذي دنيـا يصير الى زوال
ويفنى بعـــد جدته ويبلى   سوى الباقي المقدس ذي الجلال

واذا كان شعر أمية بن أبي الصلت قد امتلأ بألفاظ لم تكن في المعجم العربي في عصره ، كلفظـــة « السلطيط » ، و « التغرور » ، « ، » ، وكلفظة « الساهور » وغيرها ، فان معجمه الايماني التوحيدي — ولا نقول الاسلامي — كان يفيض بألفاظ ومصطلحات وعبارات اسلامية كأنه كان يمتحها من معين الفكر الاسلامي الذي لم تعش فيه الا حتى نهاية الســنة الثانية من الهجرة ، وله قصيدة دالية طويلة تفيض بمصطلحات اسلامية لا تجــد مثلها حتى عنـــد « حسان بن ثابت » شاعر الدعوة الاسلامية ، والدافع عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، يقول أمية :

فسبحان من لا يعرف الخلق قدره   ومن هو فوق العرش فرد موحد
ومن لم تنازعه الخـــلائق ملكه   وان لم تفرده العبـــاد فمفرد

وروى مؤرخ السيرة النبوية : ابن هشام للشاعر أميـــة بن أبى الصلت شعرا فى توحيد « الله » يقول فيه من قصيدة يائية :

الى الله أهدى مدحتى وثنائيــا ... وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا
وانى لو سبحت باسمك ربنــا ... لأكثر الا ما غفرت خطائيــا
فرب العباد ! الق سيبا ورحمـة ... على وبارك فى بنى وماليــا

ومهما كانت هذه القصيدة لزيد بن عمرو بن نفيل كما قال الرواة ، أو لابن أبى الصلت كما قال ابن هشام مؤرخ السيرة ، ومهمـــا كانت صحيحة أو منتحلة ـ كمـــا يقول أصحاب فكرة الانتحال فى الشعر الجاهلى ـ فانهـا ابتهالات صــافية خالصة الى الله ، وترانيم من التوحيد ، وهى ـ على زمانها الجاهلى ـ تذكرنا بقصائد الهية حديثة من شعر ميخائيل نعيمه ، وندرة حداد ، وأنور العطار ، ومسعود سماحة الشاعر المهجرى ، وخليل مردم بك ، ورياض المعلوف وغيرهم .

على كل حال ، قد لجـــأ الشاعر الجاهلى فى شعره الالهى الى اظهار أيات الله ، وعجائب خلقه ، وبديع صنعه فى الكون . ولم يأل أن يدير النظر فى مجال الكون ، كأنه يستجيب ـ قبل نزول القرآن الكريم ـ الى قوله تعالى : (أو لم يروا الى ما خلق الله من شىء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون) ـ سورة النحل ـ آية ٤٨

وقد أطال الشاعر أمية بن أبى الصلت الدوران فى هـــذا المدار ، فنرى له قصيدة رائية الهية يقول فيها :

ان أيات ربنا باقيـــات ... ما يمارى فيهن الا الكفور
خلق الليل والنهار ، فكـل ... مستبين ، حســابه مقدور
ثم يجلو النهــار رب كريم ... بمهاة شعاعهـا منشور (١)

ولا نكاد نستحضر فى الذكر قصائد ابن أبى الصلت « الالهية » الجاهلية ، الا استحضرنا معها فى الذهن قصيدة الشاعر المهجرى مســعود سماحة ، وقصيدة الأديب الشاعر خليل مردم بك ـ رحمه الله ـ التى استهل بها ديوانه بعنوان : « الله » ، والتى يقول فيها :

سبحانك اللهم انك أكبـر ... من أن يحيط بكنهك المتفكر
حار اللبيب ، وزاغ عنك البصر ... ورمى فأخطأ سهمه المتدبر
أقصى مدى للعقل فيك تحير

على أن الزمان الذى أبقى لنا قليلا من شعر « ابن نفيل » الالهى ، أبقى لنا

---

(١) المهـــاة : هى الشمس ، ومن أسمائها أيضا : الغزالة ، وذكاء .

كذلك بعض القليل من شعر « ورقة بن نوفل » ، وقد كان حنيفا كصاحبه وما أصدقه وهو يقول :

لا تعبدن الها غير خالقكم ... فان دعوكم فقولوا : بيننا حدد
سبحان ذى العرش سبحانا نعوذ به ... وقبل قد سبح الجودى والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له ... لا ينبغى ان يناوى ملكه أحد
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته ... يبقى الاله ، ويودى المال والولد

ومن الطريف أن هؤلاء الشعراء الاحناف فى الجاهلية ، كانوا يتلاقون فى العيان ، كما يتلاقون فى الفكر الالهى المشرق . ويظهر انهم كانوا يتباحثون ، ويتبادلون الرأى ، ويهنىء بعضهم بعضا بما ادركه ـ على هدى الفطرة ـ من الوصول الى الله . فقد روى لنا الرواة أن « ورقة بن نوفل » حين التقى مع ابن « نفيل » تباحثا وتناشدا الاشعار التوحيدية ، فقال يهنىء صاحبه :

رشدت ، وانعمت ابن عمرو ، وانما ... تجنبت تنورا من الله حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله ... وتركك جنات الطواغى كما هيا
وادراكك الدين الذى قد طلبته ... ولم تك عن توحيد ربك ساهيا

واذا كان الشعراء الاحناف ـ أو الحنفاء ـ فى الجاهلية ، قد جاشت خواطرهم بالشعر الالهى المقصود لذاته ، والذى كان نتيجة لميولهم واتجاهاتهم الفكرية الغالبة ، ودراساتهم وقراءاتهم ، فان ديوان الشعر الجاهلى كله لا يخلو من خطرات الهية لشاعر هنا وشاعر هناك . وهذه الخطرات تأتى فى معارض القول العامة كأنها توكيد لمعانى الالوهية فى النفس العربية منذ القديم . فهذا الشاعر « زهير بن أبى سلمى » يقول :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ... ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر ، فيوضع فى كتاب ، فيدخر ... ليوم الحساب ، أو يعجل فينقم

ويقول فى قصيدة أخرى ، مؤمنا ببقاء « الله » وإهلاكه الماضين :

ألا : لا أرى على الحوادث باقيا ... ولا خالدا الا الجبال الرواسيا
والا السماء ، والبلاد ، وربنا ... وأيامنا معدودة ، والليانيا
الم تر أن الله اهلك تبعا ... وأهلك لقمان بن عاد ، وعاديا ؟

ويقول معتقدا بأن الله حق :

بدا لى أن الله حق فزادنى ... الى الحق تقوى الله ما كان باديا

وهذا الشاعر أعشى قيس يدعو الى تسبيح الله قائلا :

وسبح على حين العشيات والضحى ... ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا

وهذا الشاعر عبيد بن الابرص يقول :

من يسال الناس يحرموه ... وسائل الله لا يخيب
بالله يدرك كل خير ... والقول فى بعضه تلغيب
والله ليس له شريك ... علام ما اخفت القلوب (١)

وهذا الشاعر ذو الاصبع العدوانى يعاتب ابن عمه فيقول :

الله يعلمنى ، والله يعلمكم ... والله يجزيكم عنى ويجزينى !

وهذا الشاعر سويد بن كاهل يحمد « الله » على ما وهب له ولقومه من سعة الخلق ، والاباء لصغائر الامور ، وبناء المعالى ، فيقول :

---

(١) اضطرب الوزن الشعرى عند الشاعر عبيد بن الابرص ، وتفطن له الناس من قديم ، وأشار اليه أبو العلاء المعرى فى قوله :

وقد يخطىء الرأى امرؤ هو حازم ... كما اختل فى وزن القريض «عبيد»



كتب الرحمن ، والحمد له ،   سعة الاخلاق فينا والضلع
وإباء للدنيـــــات اذا   أعطى المكثور ضيما فكنع
وبناء للمعالى ... انمـــا   يرفع الله ، ومن شاء وضع

هذه رحلة روحية ممتعة مع الشعر الالهى في الجاهلية ، ومع موقف الشعراء هناك من « الله » ، وفكرة الألوهية . وهو موقف العبد الخاشع الضعيف من الاله القوى العزيز ، فماذا كان موقف الشعراء بعد أن جاء محمد عليه الصلاة والسلام يصـــدع بأمر ربه ، وينشر الاسلام ، ويرسى قواعد الايمان ؟

لقد كان شعراء الدعوة الاسلامية ينـافحون عن النبى ، ويدافعون عن الدين ، فكان طبيعيا أن تمتلىء قصائدهم بالشعر الالهى ، ولكن الحق أن أكثر ما روى لنا من شعر عصر النبوة وصدر الاســـلام كان منصبا على الدعوة الاسلامية ذاتها ، وعلى صاحبها محمد عليه الصلاة والسلام . فكان محمد ودعوته ورسالته هى مدار الكلام عند الشعراء . واقتضى ذلك بالطبع أن تتعـدد وتتجه أهداف الشعر الاســـلامى الى مدح الرسول ، ومدح الانصار والصحابة ، وهجاء قريش والمشركين ، ونشر العقيدة وإعلان الشهادة بالاسلام ، والفخر بأن الله من على الشاعر بالاسلام ، والفرح بالاصابة فى سبيل الله ، ورثاء النبى عليه الصلاة والسلام ، ورثاء الشهداء فى الغزوات . فهـذا شاعر (كالجارود العبدى) يفد على النبى فيعلن اسلامه ، ويشهد بأن الله حق ، ويعبر عن ذلك بقوله :

شهدت بأن الله حق وســـامحت   بنات فؤادى بالشـــهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عنى رســـالة   بأنى حنيف حيث كنت من الارض

وهذا حسان بن ثابت يصف النبى وقد أتى على فترة من الرسل ، والأوثان فيهـــا تعبد ، فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا ، ونذيرا وبشيرا . ولكنه لا يكتفى بذلك بل يجعل محمدا سبيلا الى قوله فى تسبيح الله :

وأنت اله الخلق ، ربى وخالقى   بذلك ما عمرت فى الناس أشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا   سواك الها ، أنت أعلى وأمجـد
لك الخلق ، والنعماء ، والامر كله   فاياك نستهدى ، واياك نعبـــد

أما أبو قيس بن أبى أنس ، فقد كان تنسك فى الجاهلية وفارق الأوثان ، واعتزل فى بيته وقال : أعبـــد اله ابراهيم . فلما جاء الاسلام وفد على النبى عليه الصلاة والسلام ـ كما يقول « ابن عبد البر » فى كتابه « الاستيعاب » ـ وهـــو شيخ كبير ، فأسلم وحسن اسلامه ، وعده ابن الأثير وابن عبد البر من الصحابة . وقد كان أبو قيس هذا شاعرا . فمما ذكرته كتب السير

من شعره في تسبيح « الله » قوله :

سبحوا الله شرق كل صـــباح ... طلعت شمسه ، وكل هـــلال
عالم السر والبيـان لديـنـــا ... ليس ما قال ربنا بمحـــال ...

ويتقدم بنا الزمن بعد صدر الاسلام خطوة أو خطوات ، فنلتقي في آخـر القرن الهجري الاول بالرجاز المشهور : « العجاج » ، فنراه يدخل مجال الشعراء الالهيين بأرجوزة له في « الله » يحمده ويعدد آلاءه ، قائلا :

الحمـــد لله الـــذي تعلت ... بأمره الســـماء ، واستقلت
باذنه الارض ومـــا تعنـت ... أرسى عليهـــا بالجبـــال الثبت
وحى لهـا القرار ... فاستقرت ... رب البـــلاد والعبـــاد القنت
والجاعل الغيث غياث المسنت (١) ... والباعث النـــاس ليوم الموقت
بعد الممات ، وهو محيي الموت ... يوم ترى النفوس ما أعـــدت

وقد مضى العجاج يصف يوم الحساب وأهواله ورحمة الله التي وسعت كـــل شيء ، ولعل أرجوزته — على قدر مـــا علمنا — هي الوحيدة في ديوان الشعر العربي ، التي تزاحم بمنكبيها قصائد الشعراء ومقطعاتهم .

وما أطمع الشاعر الناسك في كرم الله وهو يقول :

أليس الله في كل قريبـــا ... بلى ! من حيثما نودي أجابا
ولم تر سائلا لله أكـــدى ... ولم تر راجيا لله خابا ..

ولعل مقطوعته الصغيرة الدالية في التدليل على وجود « الله » ، ووحدانيته هي من أشهر ما يحضر للاستشهاد في مقام الشعر الالهي ، وفيها يقول :

ألا اننـــا كلنـــا بائد ... وأي بني آدم خـــالد ؟
وبدؤهم كـــان من ربهم ... وكـــل الى ربه عـــائد
فياعجبـــا كيف يعصي الاله ... أم كيف يجحـــده الجـــاحد ؟
ولله في كـــل تحـريكة ... وفي كل تسكينة شـــاهد
وفي كـــل شيء له آية ... تدل على انه الواحـــد .

ولقد سبق أبو نواس — في الزمن وفي الشعر الالهي — صاحبه ومعاصره « أبا العتاهية » ، فقد توفي ســـنة ١٩٨ هـ ، ولكنه يلتقي مع صاحبه في الاتجاه الى الله ، والابتهـــال اليه ، والتماس العفو من أوسع أبواب رحمته .. وهما متشابهان في اسرافهما في أمرهما ، فمن الطبيعي أن يتشابها في طلب العفو ، وفي احســـان الظن بالله وجميل الرجاء ، وما أصدقه وهو يقول :

أيها الغافل المقيم على السهـــو ، ولا عذر في المقام لســـاه

---

(١) المسنت = الذي أصابه الجدب ، وأسنت القوم أي أجدبوا .

لا بأعمالنا نطيق خلاصـــا يوم تبدو السماء فوق الجبـــاه
غير انى على الاســـاءة والتفر يط راج لحسن عفـــو الله

ويلح أبو نواس عـلى موضـوع « عفو الله » وكونه أكبر من كل ذنب كبير ، فيقول :

يا نواسي توقـــر وتجمل وتصـــبر !
ساءك الـدهر بشيء وبمـــا سرك أكثر
ياكبير الذنب ! عفو الله ـــه من ذنبك اكبر
أكبر الاشياء عن أصغـ ـر عفو الله اصغر !
ليس للانســـان الا ما قضى الله وقـــدر
ليس للمخلوق تدبيـــــر بل الله المــــدبر ...

والحق أن الشعر الالهي عند أبي العتاهية وأبى نواس كان نابعا مـــن الشعور بالذنب والطمع فى العفـــو ، وابتهالات النواسي في ديوان شعره تتجه هذا المتجه . فهو حين يفر الى الله ، فانما يفر منه فى الوقت نفسه .. اذ يفر من حساب الله وعقابه ، الى رحمته وعفوه وثوابه .

وأكثر ابتهالات أبي نواس وتسبيحاته في تلك التلبية الخاشعة التي نظمهـا وتلاها بين يدى الله فى الموقف الكبيـ بعرفات عندما حج . اننا نسمعها اليوم ينشدها أحد المنشدين فتهتز قلوبنا حين يقول :

الهنـــا ما اعدلك مليك كل مـــن ملك
لبيك قـــد لبيت لك
لبيك ان الحمـــد لك والملـــك لا شريك لك
ما خاب عبـــد سألك أنت له حيث ســلك
لولاك يا رب هلك ...

واذا كانت الذنوب تلجىء الشعراء الى باب اللهالتماس عفوه ، فانالشدائد والنوازل تلجئهم الى باب الله لكشف الضر ، وازاحة الشر . والشاعر « على ابن الجهم » المتوفى سنة ٢٤٩ هـ خير مثال على هذا ، فقد غضب عليه الخليفة المتوكل يوما وأمر بحبسه ، فكتب اليه من السجن قصيدة يقول فيها :

توكلنا على رب الســـماء وسلمنا لاسباب القضـــاء
ووطنا عـلى غيـــر الليـالي نفوسا سامحت بعـد الاباء
وافنية الملوك محجبـــات وباب الله مبذول الفنــــاء
فما أرجو سواه لكشفضري ولم أفزع الى غيـــر الدعاء
ولم لا أشتكى بثى وحزنى الى من لا يصم عن النداء ؟

وادام « على بن الجهم » اتجاهه الى الله وهو فى سجنه.، وكان المحبس كان له خروجا من الدنيا ، فليس وهو فيها من الاحياء ولا الموتى . وفى مـــذا رفع شكواه الى الله قائلا :

الى الله فيما نابنـــا نرفع الشكوى ففى يده كشف الضرورة والبلـــوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلهـــا فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى (١)
اذا جاءنا السجان يوما لحـــاجة عجبنا ، وقلنا : جاء هذا من الدنيا !

وسجن العقوبة عند الشاعر « ابن الجهم » ، كسجن الخطايا وأسر الذنوب عند الشاعر الاندلسى « ابن الفرضى » ، فقد وجد هذا نفسه أسير آثامه ، فاتجه الى باب الله يلتمس فكاساره ، والتخلص من أوزاره ، قائلا :

أسير الخطايا عنـــد بابك واقف على وجل مما به انت عـــارف

---

(١) همزة القطع فى كلمة « اهلها » يجب وصلها لوزن الشعر .

يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها   ويرجوك فيها فهو راج وخائف
فياسيدى ! لا تخزنى فى صحيفتى   اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
فكن مؤنسى فى ظلمة القبر عندما   يصد ذوو القربى ، ويجفو المؤلف
لئن ضاق على عفوك الواسع الذى   أرجى لاسرافى فانى لتالف !

ويمثل لنا ابن الفرضى هذا المتوفى سنة ٤٠٣ هـ شعر الاتجاه الى الله فى اوائل القرن الخامس الهجرى · على أن شاعرا كبيرا من شعراء أهل البيت يشاركه فى هذا المجال فى القرن نفسه ، وهذا الشاعر هو « الشريف المرتضى » – شقيق الشريف الرضى – المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، فقد كان مثالا للتوكل على الله فى كل شأن ، ولم يكن متواكلا ولا متكاسلا · ومن أمثلة شعره فى « التوكل على الله » وخشيته دون سواه ممن لا يستطيعون أمرا ، ولا يملكون نفعا ولا ضرا ، قوله :

ما ضر من رهب الملوك لو انه   رهب الذى جعل الملوك ملوكا ؟
واذا رجوت لنعمة او نقمة   فارج المليك وحاذر المملوكا
واذا دعوت سوى الاله فانما   صيرت للرحمن فيك شريكا ···

ولم ينقطع فيض اتجاه الشعر والشعراء الى « الله » على مر القرون، ففى القرن السادس نجد « ابن السيد البطليوسى » الاديب المتمكن المتوفى سنة ٥٢١ هـ يلتجىء الى باب الله قائلا :

الهى انى شاكر لك حامد   وانى لساع فى رضاك وجاهد
وانك – مهما زلت النعل بالفتى –   على العائد التواب بالعفو عائد
تباعدت مجدا ، وادنيت تعطفا   وحلما فانت الدانى المتباعد
ومالى على شىء سواك معول   اذا دهمتنى المعضلات الشدائد

ونجد فى القرن السابع الهجرى عالمنا وفقيهنا وشاعرنا الصعيدى « ابن دقيق العيد » المتوفى سنة ٧٠٢ هـ ينسلخ من الناس الى الله ، فيوصى بالهرب منهم والاتجاه الى باب الله قائلا :

قد جرحتنا يد ايامنا   وليس غير الله من آس
فلا ترج الخلق فى حاجة   ليسوا بأهل لسوى الياس
ولا ترد شكوى اليهم ، فلا   معنى لشكواك الى قاس
ولا تقس بالعقل افعالهم   ما مذهب القوم بمنقاس !
فاهرب من الناس الى ربهم   لا خير فى الخلطة بالناس

ويمثل لنا الشاعر الصوفى « عبد الرحيم البرعى » المتوفى سنة ٨٠٣ هـ الى الله قولا وسلوكا بمجموعة أشعاره الالهية الرفيعة · وتلتقى مدائحه النبوية مع النفحات الالهية التى كانت تعطر روضة ديوانه · وابتهالات « البرعى » الى الله كثيرة يكاد المرء يتحير عند أيها يقف ، وبأيها يلم ··· ففى واحدة

منها يقول :

كل شيء منكم عليكم دليل   وضح الحق واستبان السبيل
احدث الخلق بين كاف ونون   من يكون المراد حين يقول
من اقام السماء سقفا رفيعا   يرجع الطرف عنه وهو كليل
ودحا الارض ، فهي بحر وبر   ووعور مجهولة وسهول
وجبال منيفة شامخات   وعيون معينة وسيول
سيدى ! انت مقصدى ومرادى   انت حسبي ، وأنت نعم الوكيل
احى قلبي بموت نفسى ، وصلنى   واتلنى ، أن الكريم بنيل ...

وفى أخرى يقول :

قف بالخشوع ، وناد ربك ياهو !   ان الكريم يجيب من ناداه
واطلب بطاعته رضاه ، فلم يزل   بالجود يرضي طالبين رضاه
واساله مسالة وفضلا ، انه   ميسوطتان لسائليه يداه
واقصده منقطعا اليه ، فكل من   يرجوه منقطعا اليه كفاه .

وتتعدد قصائد (البرعى) الالهية ، ويطول نفسه فيها ، ومع ذلك فلا تحس هبوطا في شعره ، ولا ضعفا في عبارته ، بل يظل ساميا جليلا بجلال موضوعه .

و « البرعى » فى تصوفه ورقة شاعريته يذكرنا ويسوقنا الى الحديث عن الشاعر المتصوف الزاهد الشيخ « عبد الغنى النابلسى » المتوفى سنة ١١٤٣ هـ ، وسنجعله خاتمة الشعراء الالهيين فى القديم ، واذا كان مستواه فى الشاعرية دون مستوى البرعى ، فان اشراقاته وتجلياته تكشف عن فيض غزير . وما الطفه فى قصيدته (كن مع الله) التى يقول فيها :

كن مع الله ، تر الله معك   واترك الكل وحاذر طمعك
نورك الله ، به كن مشرقا   واحذر الاضداد تطفىء شمعك
واعبد الله بكشف واصطبر   وعلى الكشف توق جزعك
لا تقل : لم يفتح الله ، ولا   تطلب الفتح ، وحرر ورعك
كيفما شاء فكن فى يده   لك ان فرق ، أو ان جمعك
فى الورى ان شاء خفضا نقته   واذا شاء عليهم رفعك
واذا ضرك لا نافع من   دونه ، والضر لا ان نفعك
واذا اعطاك من يمنعه ؟   ثم من يعطى اذا ما منعك ؟

وبعد ! فارجو مخلصا ان نكون قد خرجنا من هذه الرحلة فى رحاب الله على مدار تاريخ الادب الالهى بما يطمئن القلوب .



■ رياض المعلوف ■

الله والشاعر

في كل آونة بعيني اشهد   عظمات ملكك كلها واعـدد:
وكفى بقول الله حتى تنتشي   نفسي،وتشخص مقلتاي فاسجد
يا صاحب الملك الذي لا ينتهي   ابدا ، وسدته الملا ، والسرمد
بيني وبينك الفة ومـودة   ابدا تزيد ، ودائما تتجدد ..
رحماك رغم تباعد بمقـامنا   اني احبك ، هل ترى انا ملحد؟
اتعد هاتيك النجوم ، ونورها   ام خلقنا ، ام فضلك المتعدد ؟
يتخاصمون عليك في صلواتهم   واوخجلتاه ! وانت انت الاوحد
فخذالصلاة من الورودعلى الشذى   ومن الطيور على المناقر تنشد
نورت اعيننا بانوار الهـدى   فاذا بهن مشـاعل تتوقد
فبكل عين للورى لك شـمعة   منذورة ، وبكل صدر معبد
فلما خلقت الموت يا باري الورى   ولما نموت ، ولا نعيش ونخلد؟
الهمتنا الشيء الكثير ، ولم يزل   هذا الغشاء ، ترى متى يتبدد؟
ان كان يغنينا الممات فمعشر الشـ   عراء من كل البرية اخلـد
في فقرهم كل الغنى وثرائـه   ان الغنى لمـاله مستعبد
لوحات رافاييل لامـال يوا   زيها ، ولا اقدارهن تحـدد
كم قطعة تغني النفوس ثقافـة   وقصـيدة بكلامها يستشهد
فالشعر في انجيلنا وكتـابنا   والشاعران هما: المسيح واحمد

● زحلة ●   ● رياض المعلوف ●

محمد حسن

كيف رأوا الله ؟

ثلاثة من المفكرين .. واحد سار على طريق العقل والمنطق : فادرك ان الله « ذات » ، وان الذاتية هى اعلى مراتب الكائنات على الاطلاق .. والثانى سلك طريق العلم : فرأى ان مافى الكون من وحدة وتنسيق ، من عمل « عقل » منسق مدبر .. اما الثالث فرأى ان معجزة القرآن العلمية ، دليل اكيد على وجود الله ..

الحقيقة الكبرى على دفعات

يرى الاستاذ العقاد ، في كتابه « الله » أن معرفة الانسان بالحقيقة الكبرى دفعة واحدة في المحال بعينه ، وأن سنة الانسان في كل مطلب ، هي الاخذ به خطوة بعد خطوة ، فمنذ نشأة الانسان على الارض ، استغرق وقتا طويلا ليتقن غذاءه ، الذى يعد من ألزم حاجاته ، وهى حفظ الحياة ، فلا عجب ان فاته أن يدرك « الوجود المطلق » قبل مضى زمن طويل .

ورحلة الانسان على طريق الايمان طويلة طويلة ... فالرجوع الى أصول الاديان في عصور الجاهلية الاولى يدل على أن الحقيقة الكبرى اكبر من أن تتجلى للناس كاملة في عصر واحد ، وأن الناس عرفوها عصرا بعد عصر ، وطورا بعد طور ، وأسلوبا بعد أسلوب .. ويرى كثير من المفكرين أن الاساطير هي أصل الدين بين البدائيين ، ويرى أخرون أن عبادة الاسلاف هي أقدم العبادات ، وعليها أسست عبادة الارباب ... ويرجح اخرون ان السحر هو أصل العبادات ، وهو اعتقاد خاطيء لان السحر منوط بالامور الخبيثة والوسائل الدنسة ، بينما العبادة توسل الى الخير بنوع من الطهارة ورجاء في كرم المعبود ... غير أن الذى لا شك فيه أن هناك صلة بين العقيدة الدينية وضعف الانسان بين ظواهر الكون وأعدائه من قوى الطبيعة والاحياء ، ومن ثم فلابد له من سند « يبتدعه » ليشعر بالامن وهو يعول عليه ويتوجه اليه بالصلوات في شدته وبلواه .

ومع ذلك فان الضعف الانساني لا يعلل العقيدة الدينية كل التعليل ، فليس معدن الايمان من معدن الضعف في الانسان » وليس أكثر الناس ايمانا هو أوهاهم وأكثرهم هزالا ، وانما الايمان يعظم في الانسان بقدر ادراكه بعظمة الكون وأسراره وخفاياه . وطائفة أخرى من علماء الانسان تظن أن « الطوطم » هو طليعة الاديان ، فالبدائي قد يتخذ حيوانا أو نباتا أو حتى حجرا ، يزعم أن اباه الاعلى قد حل فيه ، ومن ثم فلابد من تقديسه ، بينما يرى آخرون أن الايمان « هبة » عريقة في الانسان تجعله يحس بروعة المجهول وجلال الابد منذ أقدم العصور ، على انه يمكن القول أن العقيدة هي الصلة بين الكون والانسان ، وان الوعي الكوني في الانسان ملكه ـ أو هبة ـ قابلة للترقي والاتساع ... والديانات ، منذ القدم ، تترجم هذا الوعي الكوني فيما تشاء من الرموز والعبادات .

وتاريخ الايمان يدل على انه مر بأطوار ثلاثة ...

● طور التعدد : وفيه تتخذ الارباب بالعشرات وأحيانا بالمئات ، بحيث يكون لكل أسرة أو قبيلة رب تعبده ، أو تعويذة تنوب عن الرب . مثل أرباب الطبيعة : تتمثل فيها قوى الرعد والبرق والمطر والفجر والظلام والينابيع والبحار والشمس والقمر والسماء والربيع . وأرباب الانسانية : وتقترن بأسماء الابطال والقادة القادرين على الخوارق والمعجزات . وأرباب الاسلاف : يعبدهم أبناء الاسرة ويقدسون ذكراهم بالقرابين . وأرباب المعاني : كرب الحب أو الحرب أو الصيد أو العدل أو الاحسان أو السلام . وأرباب البيت : كرب الموقد أو البئر أو الجرن أو الطعام . وأرباب النسل والخصب وهي غالبا على صورة الاناث . وآلهة الخلق : التي ينسب اليها خلق السماء والارض والانسان والحيوان . والآلهة العليا : التي تدين بشرائع الخير وتضمن السعادة الابدية للارواح .

● طور التمييز والترجيح : وفيه تبقى الارباب على كثرتها ، ويبرز منها

كيف رأوا الله ?

أحد الارباب ، اما لانه رب القبيلة الكبرى التى تدين لها القبائل الاخرى بالزعامة وتعتمد عليها فى شئون الدفاع والمعاش ، واما لانه يحقق لعباده مطلبا الزم من سائر المطالب التى تحققها سائر الارباب الاخرى ، كأن يكون رب المطر فى اقليم تعتمد حياته على المطر او رب الزوابع والريح فى اقليم يعانى من الزوابع والريح .

● طور الوحدانية : وحين تتوحد الامة ، توحد عبادتها فى اله واحد ... مع تعدد الارباب فى كل اقليم . وقد تفرض الامة القوية ربها على غيرها ، كما تفرض سيادة تاجها أو عرشها ، وقد ترضى الامة المغلوبة بالخضوع لالهها ، مع بقاء الهتها على صلة التابع بالمتبوع !

والطور الاخير هو ما يسمى « بالوحدانية الناقصة » ، ولا يصل اليه الانسان الا بعد اطوار من الحضارة تشيع فيها المعرفة ، ويتعذر على العقل قبول الخرافات البدائية ، فتصف الله بما هو اقرب الى الكمال والقداسة ، وكثيرا ما ينفرد الاله الاكبر بالربوبية الحقة ... وتنزل الارباب الاخرى الى مرتبة الملائكة ، او الارباب المطرودين من الحظيرة السماوية !

غير أن هذه ليست خاتمة المطاف ، فبعد « الوحدانية الناقصة » جاءت « الثنائية » ، وليس هذا نكسة فى الايمان كما قد يتبادر الى الذهن ، بل هو تقدم من الادنى الى الاعلى ... لتنزيه الرب والارتفاع بصفاته ، حيث يكون هناك اله للشر واله للخير ، وواضح أن اله الخير هو أعلى مراتب الآلهة .

بعد كل هذا تأتى وحدة الوجود ، التى تثبت وجود الله ثبوتا لا شك فيه ... وهو ثبوت الكون بالحس والعقل والايمان .

التوحيد اذن هو نهاية المطاف فى جميع الحضارات الكبرى ، فكل حضارة قد آمنت باله يعلو على باقى الآلهة قدراً وقدرة ، وينفرد بالجلالة بين أرباب تتضاءل وتخفت حتى تزول ... أو تحتفظ ببقائها فى زمرة الملائكة التى تحف بعرش الاله الاعلى .

ولكن الاديان الكتابية هى التى بلغت بالتوحيد غايته ، وعلمت الناس شيئا فشيئا عبادة الاله « الاوحد » ، الذى خلق الوجود من العدم ، ووسعت قدرته كل موجود فى السموات والارض ، ولم يكن له شريك فى الخلق ولا فى القضاء .

وفى بداية الرحلة نحو الايمان اهتدى الانسان الى فكرة « الروح » بالطريقة



عباس العقاد : معرفة الإنسان بالحقيقة الكبرى كانت رقيا .. خطوة بعد خطوة

التي تلائمه ، فكانت هذه النهاية هي مفترق الطرق في الثقافة الانسانية ، فتمنى له بذلك أن يفتح لعقله منفذا الى ما وراء المادة المطبقة على حسه وفكره ... وربما وقع الانسان على فكرة الروح خطأ ، ولكنه خطأ توقف عليه الهام الصواب في عالم العقل وعالم الضمير . ان عقيدة الارواح لم تفارق أطوارها الاولى ، وعبادة الاسلاف امتزجت بعبادة الارواح ، ثم اتسع افق الانسان في نظرته الى دنياه ، فالتمس لها علة في السماء ، فكانت الشمس هي اكبر ما رآه ، فتوجه اليها بالعبادة ... ثم أصبحت الشمس رمزا للخالق، حين تجاوزها الانسان بنظره الى ما هو اعظم منها واعلى ، ولم يبق أمامه بعد الشمس رمزا للقوة الكونية الاقبول التوحيد الصحيح ، فتعلمه الانسان من الديانات الكتابية شيئا فشيئا ... حتى بلغ بالقوة الالهية نهاية التنزيه .

تبقى بعد ذلك براهين العقل والمنطق، وهي براهين المفكرين على وجود الله ، وهذه يمكن تلخيصها في اربعة :

● **برهان الخلق : او البرهان الكوني ، وهو اقدم البراهين وابسطها واقواها ، وخلاصته ان الموجودات لابد لها من موجد ... المتحرك لابد له من محرك ، والمحرك لابد له من محرك ، وهكذا الى أن يقف العقل عند محرك واحد لا تجوز عليه الحركة ، لانه قائم بغير حدود في الزمان والمكان ... وهو الله .**

والماديون يقولون أن المحرك هو « المصادفة » اسفرت عن تماسك الكون، ويرد العقاد عليهم بتساؤل : لماذا بعد تماسك الكون مصادفة ، لم يسرع اليه الخلل والفوضى ؟

وانصار « الحيوية المنبثقة » أو « التركيبية الكاملة » يقولون ان الحياة تتجه الى التركيب فتنبثق الحياة منها ، هي كالتفاعل الذي ينتج عن اتحاد مادتين او اكثر ، وهم يرون أن « العقل » الالهي نفسه نشأ في الكون على هذا المنوال . **ويرد عليهم العقاد ايضا بتساؤل : لماذا يتصور العقل البشري أن الله مخلوق من المادة ... ولا يتصور المادة مخلوقة من الله ؟**

● برهان الغاية : او برهان القصد ، وهو نمط موسع من برهان الخلق ، لانه يتخذ من المخلوقات دليلا على وجود الخالق ، ويزيد على ذلك أن هذه المخلوقات تدل على مقصده في تكوينها، وحكمة في تسييرها وتدبيرها ، فالكواكب في السماء تجري بنظام وتدور وتسكن بحساب ، وعناصر المادة تتآلف وتفترق ، وهي في تآلفها وافتراقها تصلح لنشوء الحياة ودوام الاحياء ، وأعضاء

الجسم الحية تتكفل بأداء وظائفها التي تتحقق الحياة بمجموعها ··· وكذلك لا يمكن أن يتم مجرد مصادفة ·

● برهان المثل الاعلى : فالعقل الانساني كلما تصور شيئا كاملا ، تطلع الى ما هو اكمل منه ، ثم ما هو اكثر كمالا وهكذا ··· الى نهاية النهايات في الكمال ، اي الكمال المطلق · والكمال المطلق موجود ، لان عدم وجوده ينفي عنه صفة الكمال ، وهو صفة الخالق وليس صفة المخلوق ، لان كل مخلوق محدود ···

● برهان الاخلاق ووازع الضمير : وهو برهان الفيلسوف « ايمانويل كانت » ، فعنده ان برهان الخلق وبرهان القصد يثبتان وجود الصانع القادر ، ولكن ذلك لا يلزمه أن يكون الها يصدر منه الخير والرحمة ويعبده الناس عبادة الحب والايمان ، وانما يثبت وجود هذا الاله بعلامة في النفس الانسانية ، لا يتأتى وجودها فيها بغير وجود اله ، تلك هي علامة الوازع الاخلاقي ، أو علامة الواجب او الضمير ··· فالانسان يدين بالحق من تلقاء نفسه ، وهو يطيع الواجب الكريه الى نفسه ولا يطيع الهوى المحبب اليه !

وفي النهاية فان العقاد يضع أربع حقائق اساسية ···

الحقيقة الأولى أن التوحيد هو أشرف العقائد الالهية ، وأجدرها بالانسان في أرفع حالاته العقلية ···

والحقيقة الثانية أن الاله الواحد « ذات » ، فالذاتية هي أعلى ما يمكن تصوره من مراتب الكائنات على الاطلاق « والاقدمون الذين قالوا بالعقل والهيولي ، والمحدثون الذين قالوا بالنشوء والارتقاء ، كلهم مجمعون على أن الترقي هو الانتقال من وجود بغير ذات الى وجود له ذات ، أي وجود يعلم ذاته ويشعر بوجوده ، والنشوء يكون من الادنى الى الاعلى ، الجماد ثم النبات ثم الحيوان ثم الانسان ··· ثم الذات التي لا تلتبس بذات أخرى من نوعها ··· وهذا هو المقياس الصادق لترتيب درجات الكمال في جميع الكائنات ·

والحقيقة الثالثة هي ادراك هذه الذات ، فتقييد الذات الالهية بصفة من الصفات التي نعرفها لا اساس له ··· الذات الالهية ليس كمثلها شيء ، كل ما نعلمه أنه « كمال مطلق » ، وأن العقل المحدود لا يحيط بالكمال المطلق الذي ليس له حدود ·

الحقيقة الرابعة هي الصلة بين العقل والايمان ، فكيف نؤمن اذا كان العقل الانساني قاصرا عن ادراك الذات الالهية ؟ الواقع أن الصلة بين الخالق

كيف رأوا الله ؟

وخلقه لا تتوقف على العقل وحده ، لان العقل محدود ، والمحدود لا يدرك المطلق . بل هي تتوقف على الوعي الديني ، فالانسان لديه وعي يقيني بالوجود الاعظم . والوعي والعقل لايتناقضان ، لان الوعي اعم من العقل في ادراكه ... للحس فيها نصيب ،فنحن نحس أن الايمان ظاهرة طبيعية في هذه الحياة ، ونشعر بأن غير المؤمن انسان « غير طبيعي » ... في حيرته واضطرابه ويأسه ، وانعزاله عن الكون الذى يعيش فيه .

بقيت مسألة الخير والشر التى كانت سببا في تثنية الالهة قديما : اله للخير واله للشر . ففى سياق الكلام عن كمال الذات الالهية . كيف يتفق الكمال مع ما في العالم من نقص وخير وشر ؟ والجواب أن الكمال المطلق صفة الخالق وليس صفة المخلوق . وكل مخلوق محدود . وكل محدود فيه نقص ... ولو خلق الله الها آخر لوجب ان يكون الاله المخلوق ناقصا . وكيف نعرف ان النقص الذى لا يرضينا هو أقرب الى الكمال من الكمال الذى نرضاه ؟ أليس حافز الالم هو وسيلة الشوق الى الكمال ، بل الواقع أن الآلام وسيلة الارتقاء والتهذيب والزيادة في نمو فضائل الانسان .. ولو سألنا رجلا ناضجا هل يسقط من حياته آثار آلامه أو آثار مسراته .لتردد كثيرا بين الآلام والمسرات ، ولعله في النهاية يسقط آثار المسرات ،ولا يسقط آثار الآلام !

.في مسألة الخير والشر ينبغى أن نتوقف عن الحكم على غايات الابد بتجارب العمر القصير ...

وخاتمة المطاف عند العقاد ، أن الحس ، والعقل ، والوعي ، والبديهة جميعا هي مصدر الايمان بالذات الالهية، وان هذا الايمان الرشيد هو خير تفسير لسر الخليقة ... يعقله المؤمن ، ويدين به المفكر ، ويتطلبه الادراك السليم .

وحدة الكون من وحدة الله

ويرى الاستاذ عباس محمود العقاد أن أفضل العلماء في بحث المسألة الالهية هم علماء الطبيعة والفلكيون ، لان الفلكي يعتمد على تجارب العقل والرياضة ، والطبيعي يعتمد على تجارب الحس الخارجية . أى أن هؤلاء العلماء يجمعون بين تجارب الحس والعقل ، ومن ثم فهم يجمعون بين دلائل العقل والمشاهدة ، ويبنون حكمهم على نظام السموات ،ونظام الملموس في حياتنا الارضية ... أى أنهم يتلقون الفكرة الالهية في أوسع نطاق .

وعلى هذا الاساس يتناول الدكتور احمد زكي فكرة الله ، فهو منذ البداية يقول في كتابه « مع الله في السماء »انه لن يتعرض للفلسفة أو للدين ، وان

● دكتور أحمد زكى : العلم يؤكد أن وراء وحدة الكون عقلا مدبرا منسقا واحدا..



كيف رأوا الله ؟

سبيله في اثبات الفكرة الالهية هـو سبيل العلم ، ومنطقه هو منطق العلم ، وان هدفه من كتابه هو اثبات وحدة الكون :

● من ادراك أن وراء ما في هـذا الكون من تنظيم وتنسيق ، « عقـل » منظم ، منسق ، مدبر •

● أن هذا التنظيم والتنسيق يجرى على اسلوب واحـد ، مما يدل على أن « العقل » المنظم ، المنسق ، المدبر ـ في هذا الكون ـ واحد ••• هو الله •

ويمضى الدكتور احمد زكى فيقول ان الآراء ثلاثة انواع : الرأى البديهى ، أى المسلم به ، بلا وعى أو تفكير ••• والرأى الفلسفى الذى لا يكون الا بعد فحص وتمحيص ، وأن كلا الرأيين قد يخطىء وقد يصيب ، ومن ثم فـانه يختلف مع الاستاذ العقاد ، فى أن العلم أولى من الفلسفة فى اثبـات الحقيقة الالهية ، لان العلم يقوم على التجـربة والملاحظة ، يعمل فيهما العقل ليصل الى نتائج ••• صادقة •

والعلم يرى أشياء كثيـرة ••• لا تراها عينه ، ويسمع اشياء كثيرة ••• لا تسمعها أذنه ، ويحس أشياء كثيرة ••• يعجز عنها الحس العادى ، العلم يتحدث عن الذرة ، ولم ير ذرة قط ، وعن الالكترون ••• ولم ير الكترونا أو بروتونا أو حتى نيوترونا ، وليس من الضرورى للعلم أن يؤمن بشىء حتى يراه ، وان كـان يراه استنتاجا فى سلاسل من المعقولات ••• بل هو ينكر الرؤية ، احتراسا من خـداع العيون وانخداع الافهام •

والله لم يره أحد ، ولا نظن أن انسانا على ظهر الارض سوف يراه ، الله معنى ليس كالعلم ما يثبته ، واثبات وجوده يكون باثبات الوحدة القائمة فى هـذا الكون •

الجاهل يأخذ الله قضية مسلمة : لفظا مفرغ من المعنى ، هو يعبد الله كما يعبد الصنم ، ولكن العالم يأخذ الله لفظـا ومعنى ، عن فكر وتأمل ••• وعبادة ، أى استكناه المعبود بالمعرفة ، والعـلم سبيل معرفة الله ، معرفة لا ريب فيها •

الحيوان قوامه افقى ، ومن ثم فعينه تتجه الى أسفل ••• الى الارض التى تهمه لان فيها طعامه وقوام معاشه ، كان الذى « صممه » وركب هيكله ، لم يره من تصميمه أن يتمكن من النظر الى السماء ، لانه ، بعقله العـاجز ، لا يستفيد من هذا النظر شيئا •

اما الانسان فقوامه راس ، كان الذي صممه وركب هيكله ، اراده ان ينظر الى السماء ، لأنه ، بعقله الواعي ، الكثير الوعي ، القادر على الاستفادة من النظر الى السماء ••• الى الكون ، على اختلاف اشيائه وتباعدها ، ليدرك ان الكون شيء واحد ، أبدعه مبدع واحد ، على اختلاف مكان وزمان •• ابدعه العقل الاوسع والاشمل ••• الازلي بقدر فهمنا للازل ، الابدي بقدر فهمنا للآباد•

ومع اول نظرة الى السماء نرى الشمس ••• كرة من نار تدور ، وحولها أسرتها : الكواكب ••• كالارض ، وعطارد ، والزهرة ، والمريخ ، والمشترى ، وزحل وغيرها ••• وكلها كرات ، من غير نار ، تدور حول نفسها ، وحول الشمس ••• واقمار الكواكب تدور حول نفسها وحول كوكبها ••• كل ما في السماء يدور بقدر معلوم !

ولولا دوران الارض – بقدر معلوم – لفرغت البحار والمحيطات من مائها ولما انطلقت الرياح ، لو ابطأت الارض لهلكت الحياة بسبب الحر والبرد ، ولو اسرعت لتناثر ما على سطحها في الفضاء ، فكلما زادت السرعة زادت القوة الطاردة ، وقلت الجاذبية ، فيقل بالتالي ارتباط ما فوق سطح الارض ، بهذا السطح •

والجاذبية تملأ الكون – بقدر معلوم – كل شيء في هذا الوجود يجذب شيئا آخر والجاذبية جبارة عارمة في السماء ، حيث الكتل هائلة ، وهي لابد أن تمسك اجرام السماء بعضها ببعض ، والا انفرط نظامها ، ومدبر الكون لا يريد له انفراطا ، لذلك سن قانونا اودعه طبيعة الاشياء ، لتطيعه كل الاشياء ••• واذا طلبت برهانا على وحدة هذا الوجود وانتظامه ، لكان قانون التجاذب هذا اول البراهين : قانون يعمل في كل ذي حياة وجماد ، كل ما له ارادة ، وما ليس له ارادة لا يستطيع خرق هذا القانون ، لو حاولت انت خرقه لقيت العقاب الصارم ••• فورا • لو حاولت المشي على الهواء مثلا ، دق عنقك !

وعناصر الارض اكثر من ٩٠ عنصرا ، في كرة ملتهبة الباطن ، تلفها قشرة باردة من صخر وماء ، ويلف الصخر والماء طبقة من هواء ، ومن الهواء نستمد انفاسنا ، ويعادله النبات ، ولولا الهواء لخرج من اجسامنا ماؤها وفسدت الدماء ، ولولا الهواء لما انتشر الضياء ••• وعلى الارض ساعة ، هي عنصر اليورانيوم الذي تنشطر نواته ويتحول الى رصاص بانتظام عجيب ، لا تؤثر فيه حرارة او ضغط ، وبحسبة بسيطة عرف الانسان عمر الارض ، هو الفا مليون عام !

منذ الفي مليون عام ولدت الأرض – الملتهبة – قمرا ••• اقتطع من ارض المحيط الهادى ، وانطلق القمر يدور حول امه الارض ، ولكن لان جرمه اصغر من أمه فان جاذبيته اقل ، ومن ثم فانه لم يفلح – كامه – في اجتذاب جوه من ماء وهواء ، فانفلت من على سطحه ••• فانعدمت من على سطحه مقومات الحياة !

ولكل كوكب قمر – او اقمار – للارض واحد ، وللمريخ اثنان ، وللمشترى ١٢ ، ولزحل ٩ ، ولاورانس ٥ ، ولنبتون اثنان ••• وكل الاقمار تدور حول نفسها ، وحول كوكبها ، والكل يدور حول ربة الاسرة : الشمس ••• لكل مداره الذى لا يتخطاه : كلما بعد الكوكب عن ربة الاسرة طال مداره : الارض تدور دورة كل ٣٦٥ر٢٥٦ يوما وعطارد دورة كل ٨٨ يوما ، والمريخ دورة كل ٦٨٧ يوما ، والمشترى دورة كل ١١ر٨٦٢ عاما ، وزحل دورة كل ٢٩ر٤٥٨ عاما ، واورانس دورة كل ٨٤ عاما ، ونبتون دورة كل ١٦٥ عاما ، وبلوتو دورة كل ٢٤٧ عاما ، فهو اطول الكواكب مدارا ••• تسق

واحد لاشباه ونظائر ، ردوا أصلها الى ربة الاسرة الشمس : سواء بالتصادم مع جرم سماوي أم بالانكماش فهي من أصل واحد ، وعناصرها واحدة ، وان اختلفت ظروف سطحها بسبب كبر أو صغر .

وربة الاسرة : الشمس هي واهبة الحياة في أسرتها ... اطفيء الشمس تنطفيء الحياة ... لذلك عبدها القدماء لانها واهبة الحياة . هي كرة من نار . ملايين الانفجارات الهيدروجينية . عناصرها – بفضل التحليل الضوئي – هي نفس عناصر الارض وسائر الكواكب والاقمار ... ومن بين أسرتها كوكب كان يقع بين المشترى والمريخ ، انفجر منذ زمن بعيد ، وتناثرت قطعه ، منها ما جبسته ربة الاسرة في مدار دائري حولها ، وهي الكويكبات . ومنها ما جبسته ربة الاسرة في مدارات بيضاوية حولها وهي المذنبات ، ومنها ما جبسته ربة الاسرة في مدارات مخروطية مفتوحة وهي الشهب ... والشهب هي الشيء الملموس للارض ، بعضها احترق في جوها ، والبعض الاخر هبط على أرضها ... ومن تحليله عرفنا أن عناصره من عناصر الارض !

والشمس نجم ، وهي ليست النجم الوحيد في قبة السماء ، هناك « شموس » كثيرة ... نجوم أطلق عليها الناس أسماء : هناك في قبة السماء « كلبان » و « دبان » و « عقرب » .. وجدى ، وحمل ، وثور ، وسنبلة وقوس وميزان ... وكل النجوم ملتهبة نيرة ، ولكل نجم كواكب – ككواكب الشمس – غير نيرة ولكنها تعكس نور النجم ، وتدور حوله ... بقانون واحد

والمجرة هي ملايين الاسر النجمية ، والمجرة نفسها تدور ... ومجرتنا : دنيانا سماها العامة « سكة التبانة » ، وسماها الغربيون « سكة اللبان » ... وفي الكون مجرات أخرى : دنيات أخرى ، أقربها الى دنيانا هي مجرة الاندروميدا ... فضلا عن مائة مليون مجرة أخرى ، كلها متشابهة تدور بقانون واحد ، وتركيبها واحد ... كلها تلفها سحب غاز وغبار ، تعرف بالسديم ، وجمعها سدم ، ومن هذه السدم بالتكاثف تتكون النجوم .

وعناصر الكون قاربت التسعين ، أخفها الايدروجين ، وأثقلها الثوريوم ... وكلها وحدتها الذرة ، والذرة تتكون من بروتونات ونيوترونات والكترونات ، والبروتون هو شمس الذرة ، تدور حوله الكواكب من الالكترونات وأقمار أو توابع هي النيوترونات ...

كيف رأوا الله ؟

الكون كله كومة هائلة من البروتونات والنيوترونات والالكترونات ... تأتلف في ذرات ، والذرات تأتلف في عناصر ، والعناصر تكون مركبات ... هذه هي المادة ... مادة الكون .

بقيت القوى ، ويردها العلماء الى أصل واحــد : الضوء ، الحرارة ، الاشعة السينية ، الاشعة اللاسلكية ، الاشعة الجيمية ، وكل اشعاع في الدنيا ... كلها صور متعددة للقوة المغناطيسية الكهربائية ، وما اختلافها الا اختلاف موجه ، والمادة والقوى شيء واحــد ، كامن في الذرة .

أما الجاذبية التى تربط أجزاء الكون كله ، فهى طبقا لنظرية الحقل الواحد ، هى والقوة المغناطيسية الكهربائية فى أعماق الطبيعة متواصلان ...

تلك هى الوحدة العظمى ، التى تجرى فى الكون أجمع ... وراء كل هــذا الحكمة ، احكم ما تكون ، والجمال ، اجمل ما يكون ... وراء كل هــذا قدرة عاقلة مهيمنة ، هى الله .

الله نور السموات والارض

لم تتكرر البراهين على اثبات وجود الله فى كتاب من كتب الاديان السماوية كمــا تكررت فى القرآن الكريم .... « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

ويتفق الاستاذ عبد الرزاق نوفل ـ فى كتابه « الله والعلم الحديث » ـ مع الاستاذ عباس محمود العقــاد فى ان الانسان يولد بايمان فطرى بوجود قوة خفية تسيطر عليه وعلى الحياة مـن حوله ، قوة يفزع اليها عند الحاجة ، ويطمئن بوجودها على حياته ، فنزعة الايمان بالله قديمة فى الانسان قــدم خلقه ، وما عباد الاصنام ، والشمس ، والنار ، والبقر ، الا قوم عمرت قلوبهم بالايمان الفطرى ، وان ضل بهم التصور ، وبعد بهم التخيل ، ومع ذلك فمن الواضح أنهم كانوا لا يعبدونها لذاتها ، وانمــا تقربا الى الله ، الذى لا يستطيع عقلهم البدائى تصوره .

وظل الانسان على ايمانه الفطرى حتى بدأ نور العلم يبدد ظلام الجهــل فى عقله ، وكلما اتسعت مداركه العلمية ، زاد ايمــانه بالله عمقا ، والاســتاذ نوفل هنا يتفق أيضا مع الدكتور أحمد زكى ، على أن العلم والايمان يتفقان كل الاتفاق ، لأن العلماء هم بنــاة معابد العلم ، التى يسبح فيها للخلاق العظيم

● عبد الرزاق نوفل : الإعجاز العلمى للقرآن ، دلــيـل عــلى وجــود الـلــه .



كيف رأوا الله ?

... وآية ذلك « ان الذين اوتوا العلم من قبله . اذا يتلى عليهم . يخرون للاذقان سجدا » .

وفى القرآن آيات كثيرة تحث على طلب العلم ، ودراسة آيات الخالق : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » و « قل سيروا فى الارض فانظروا » و « فى انفسكم افلا تبصرون » ... والسماء وما فيها ، والارض وما عليها من نبات وحيوان وانسان ، كلها آيات وجود الله : لقوة الحكمة التى خلقت فاتقنت ، وصورت فابدعت ، وكونت فنظمت ... كا ىء بدقة ونظــــام وتقدير ، وهى قوة رحيمة أيضا ، لم تترك كائنا الا شه برحمتها ، ترزقه وترعاه وتحافظ عليه من نفسه ، ومن عدوه .

وقد اتفق العلماء على انه لا يمكن ان تك ـلصادفة هى التى أوجدت هذا الكون ...

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف ـناها وزيناها وما لها من فروج » « او لم يروا أن السموات والارض ـ رتقا ففتقناهما » ... الارض انفصلت عن الشمس و « الارض بعد ذلك ـا ، اخرج منها ماءها ومرعاها » ... دحا الله الارض اى جعلها كالبيضـ ، وهذا بالضبط ما وصل اليه العلم . ولحكمة بينها فى دورانها الذى لولاه لبقى النهار نهارا ابدا . والليل ليلا ابدا ... « قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة، من اله غير الله يأتيكم بليـــل تسكنون فيه . أفلا تبصرون » ...

وبردت قشرة الارض ، وظهر الماء ، فظهرت الحياة ... « والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على اربع ، يخلق الله ما يشاء » ... « والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قـدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهــــار ، وكل فى فلك يسبحون » !

وفى عجائب خلق الانسان آيات ... « فلينظر الانسان مم خلق » ... « الم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعلنا منه الزوجين الـــذكر والانثى » ... « لقد خلقنا الانســـان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة

في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ،فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما » ٠٠٠ومن لا يصدق أن الانسان من طين ـ اى تراب وماء ـ فليرجع الى بحوث العلماء عن عناصر الكون الواحدة ، وهي عناصر التراب والماء ٠ « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » و « جعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » ٠٠٠ ولقد اتفق العلماء على عظمة الجهاز الانساني ، الذى لا يأتيه الخلل ، ولا تعوزه الدقة والانتظام ، مما يشهد بعظمة خالقه ٠ ولقد حاول الماديون ان يكونوا مادة الخلية الانسانية ، ولكنهم عجزوا عن تكوين الحياة ٠٠٠ الروح ٠ « ويسالونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » !

« وعلم ادم الاسماء كلها » معجزة اخرى ، ليس للانسان فقط ٠٠٠ « حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » ٠٠٠ كل كائن حي له لغته ، يتفاهم بها ويتعارف مع غيره ، ويطلب الغذاء اذا جاع ويستغيث اذا الم به مكروه ٠

وعجائب طعام الانسان ٠٠٠ « وان لكم في الانعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونه ، من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » ٠٠٠ وعسل النحل « يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه ، فيه شفاء للناس » ٠

والنبات عالم قائم بذاته ، يشهد بعظمة خالقه ، كائن حي يعيش ويتنفس ويتغذى ٠٠٠ و « يتناسل » ٠ « وهو الذى انزل من السماء ماء ، فاخرجنا به نبات كل شيء ، فاخرجنا منه خضرا ، نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ، ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون » ٠٠٠ « وأرسلنا الرياح لواقح » ٠٠٠ للنبات ، فتكاثر ، حياة دقيقة جليلة ، عاقلة ، رشيدة ، هدفها حفظ النوع وامتداد الحياة ٠٠٠

واخيرا ٠٠٠ ما وصلنا اليه فيما سبق ، من ان الكون ذرات ٠٠٠ كومة هائلة من الكترونات تسبح حول بروتونات ونيوترونات ٠٠٠ الكل يسبح سبحا متواصلا ٠٠٠ لخالقه « تسبح له السموات السبع ، والارض ، ومن فيهم ، وان من شيء الا يسبح بحمده »

كل شيء في الوجود يسبح للموجود العظيم : الله ٠

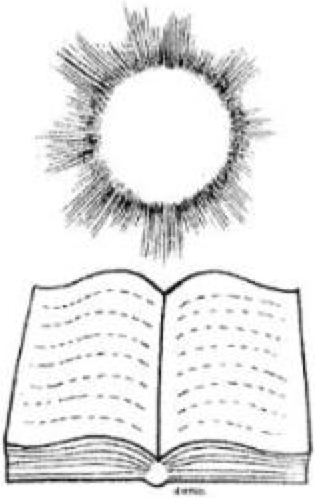
وقد احاط القرآن بجميع البراهين التى يستدل بها على وجود الله : براهين الخلق ، وبراهين القصد والنظام ، وبراهين الكمال والاستعلاء والمثل الاعلى ٠٠٠ « ليس كمثله شيء » و « لله المثل الاعلى » ٠٠٠ ولعل أهم هذه البراهين هي براهين ظهور الحياة في المادة « يخرج الحي من الميت » ، وبرهان التناسل بين الاحياء لدوام بقاء الحياة « جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا » ، فلم يفلح الماديون ابدا في تفسير ظهور الحياة في المادة الصماء ٠٠٠ لابد لها اذن من خالق مريد يعلم ما اراد ، وهذا هو سبب وجود الحياة على كوكب دون كوكب ، وفي زمان دون زمان ، ولو كانت الحياة من خواص المادة ، لظهرت في الطبيعة منذ الازل ، وعلى جميع الكواكب وفي كل الازمان ، واذا كان قد فاتنا أن ندرك مقاصد الله من خلق الحياة في الزمان والمكان ، فلا غرابة في ذلك ، فعقلنا القاصر لا يمكن أن يحيط بعلم الله ، ولكننا نقول أن اختيار الزمان والمكان من فعل مختار مريد ، يعلم ما قد اختار وما قد اراد ٠

اخراج الحياة من المادة الصماء اذن معجزة حقيقية بتوكيد القرآن ، وادراك العقول ٠ ٠

ميخائيل نعيمة

كحّل اللهم عيني

كحّل اللهم عيني بشعاع من ضياك كي تراك
في جميع الخلق ، في دود القبور
في نسور الجو في موج البحار
في صهاريج البراري ، في الزهور
في الكلا ، في التبر ، في رمل القفار
في قروح البرص ، في وجه السليم
في يد القاتل ، في نجع القتيل
في سرير العرس ، في نعش الفطيم
في يد المحسن ، في كف البخيل



فى فؤاد الشيخ ، فى روح الصغير
فى ادعا العالم ، فى جهل الجهول
فى غنى المثرى ، وفى فقر الفقير
فى قذى العاهر ، فى طهر البتول
واذا ما ساورتها سكتة النوم العميق
اغمض اللهم جفنيها الى أن تستفيق
● وافتح اللهم أذنى كى تعى دوما نداك من علاك ●
فى ثغاء الشاة فى زأر الأسود
فى نعيق البوم ، فى نوح الحمام

فى خرير المـاء ، فى قصـــــف الرعود
فى هـــدير البحـــر ، فى مر الغمـــام
فى غنـــا البلبـــل ، فى ندب الغــراب
فى ديب النمـــل ، فى هب الريـــاح
فى طنين النحـــل ، فى زعق العقـــاب
فى صراخ الليـل ، فى همس الصــباح
فى بكا الأطفــــال ، فى ضـحك الكهول
فى ابتهـــالات العــراة الجـــائعين
فى انتحـــاب الناى ، فى دق الطبـــول
فى صـــلاة الملك والعبـــد الســجين
واذا ما قرب الموت ووافاها الصـــمم
فاختمن ربى عليهـا رشمـــا تحيـا الرمم
وليكن لى يا الهى من لسانى شاهدان صادقان
ان أفـــه بالحـــق فليشـــهد معى
أو أفه بالبطـــل فليشـــهد على
واذا ما قـــام غـــيرى يـــدعى
يا إلهى الحـــق فى بطـــل وغى
فليـــكن ســـيفا لســـانى حـــده
فى ســـبيل الحق ماض لا يهـــاب
لا يـــكف الضرب حتى ضـــده
ينثنى عن غيـــه نحـــو الصـــواب

واذا ما خان نطــقى قلــمى
فأراه البُطــل فى الحــق الصريح
فى كــلام الغير ، فاجعــل من فمى
للســانى أيهـا البـارى ضريح !
فلســان" يعلن الحق وسرا يذبحـــه
ليت شعرى غير صمت الموت ماذا يصلحه ؟
● واجعل اللهم قلبى واحة تسقى القريب والغريب ●
ماؤها الإيمـان أمـا غرســها
فالرجا والحب والصــبر الطــويل
جــوها الإخـلاص ، أما شــمسها
فالوفا والصــدق والحلم الجميــل
فاذا مـا راح فـكرى عبثـــا
فى صـحارى الشـك يستجلى البقـاء
مـر منهــوكا بقلبى فجثــا
تائبـا يمتص من قلبى الرجـــاء
واذا مـا أمــلى يومـا مشى
تائهـا فى مهـمه العيش السحيق
عاد لمـا كاد يقضى عطشـــا
يحتسى الايمـان من قـلبى الرقيـق
واذا الإيمان ولى والرجا أضحى ضرير
فلينم قلبى الى أن ينفخ البـوق الأخير

عبد العزيز الدسوقي

التجربة الالهية في الشعر المعاصر

التجربة الالهيـة التى اقصدها ، هى تلك المكابدة التى يعانيها الانسان ، وهو يفتش فى الوجود عن السر المحجب خلف مظـاهر الطبيعة والحيـاة . وهى معاناة باطنية تحتـدم فى وجـدان الكائن البشرى احتداما عنيفا يصل به فى بعض الاحيان الى حالة من الفناء ، ولكنها تظل فى معظم الاحيان رؤيا حارة عميقـة تزلزل الكيان الانسانى وهو يحس عظمة الله الواحـد الاحد . وهنا تتحول هذه المعاناة الى حـدس باطنى يتصل بالنبع الأسمى .


اسماعيل صبرى : رحمـة الجبار


علي محمود طـه : مطولة رائعـة

... وفي حالة الفناء تتحول التجربة الالهية الى « وجد صوفي » عند بعض العارفين الذين يعرجون الى سماء الحقيقة ـ كما يقول الامام الغزالي ـ وهنا يتفقون « على انهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق . لكن منهم من كان له هذا الحال عرفانا علميا . ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقيا . فصاروا كالمبهوتين (١) » وهنا تعترى عقول بعض المتصوفة غيبوبة تامة ، ويتصورون انهم اتحدوا بالذات العلية ، فتصدر عنهم بعض الشطحات مثل قول أحد المتصوفة « انا الحق » وقول الآخر « سبحاني ما اعظم شاني » وقول بعضهم « ما في الجبة غير الله » .

وليست بطبيعة الحال اقر تلك الشطحات الصوفية فهي لون « من الغيبوبة العقلية» تعترى بعض السالكين في لحظات التوهج الروحي . والانصهار الباطني العنيف ، فيخالون انهم اتحدوا بالله تنزه عن ذلك . ولكنهم كما يقول الغزالي « اذا ردوا (٢) الى سلطان العقل الذى هو ميزان الله في ارضه عرفوا ان ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل شبه الاتحاد ، مثل قول العاشق : في حال فرط عشقه : انا من اهوى . ومن اهوى انا » .

***

ذلك مظهر من مظاهر التجربة الالهية ... وهناك مظهر آخر من مظاهر هذه التجربة المقدسة ، عندما ينصهر الوجد الديني المشبوب في وجدان الاديب والفنان ويتحول الى معاناة تصبغ تصوره للكون والحياة والاشياء . وتصبح رؤيا باطنية لا يدرك الاشياء الا من خلالها .

وقد تتوهج تلك الرؤيا عند الادباء والفنانين لتصبح « وجدا فنيا » فالوجد الفني هو التعبير الادبي الجميل عن لحظات التوهج والاشراق الباطني الذى يمور في وجدان الفنان . وتمتزج فيه أدوات التعبير الجمالي ، والتصوير الفني بالرؤيا الباطنية المتوهجة .

وسأتناول في هذا المقال بعض هذه التجارب الالهية . وكثيرا من ذلك التناول الذى اتخذ من « الله » موضوعا لشعره أو وقف عند المناسبات الدينية والقضايا الروحية .

وشعرنا الحديث زاخر بهذه النغمات الروحية والتأملات الدينية .

● تجربة صبري ●

وسأبدأ بتجربة الشاعر اسماعيل صبري ، وهي تجربة حارة عميقة على الرغم من تلقائيتها وبساطتها ، وخلوها من التأمل الفكري ، تمتاز بالتوهج الباطني العنيف والاحتدام الروحي الذى يزلزل الاعماق ، ويختلط فيها الاحساس الحاد بغضب الله الجبار العالم بكل الاسرار والاوزار ، بالامل المشرق في رحمة اللطيف العفو الغفور ، والذى تملأ رحمته السموات والارض وهنا يتردد الشاعر بين غضب اللطيف ورحمة الجبار ، ولكنه موقن في النهاية أن رحمة الله تسع الورى ولا تضيق بأعظم الاوزار ، كل هذه العناصر تمتزج في وجدان الشاعر وتتوهج وتمتزج بأداته الفنية وتخرج في النهاية قصيدة بعنوان « الى الله » يقول فيها :

يا رب اين ترى تقام جهنم
للظالمين غدا وللاشرار ...
لم يبق عفوك في السموات العلا
والارض شبرا خاليا للنار
يا رب أهلني لفضلك واكفني
شطط العقول وفتنة الافكار

---

١ ـ ابو حامد الغزالي ـ مشكاة الانوار ٥٧
٢ ـ المصدر السابق

الشعر المعاصر

ومر الوجود يشف عنك لكى ارى
غضب اللطيف ورحمة الجبـــار
يا عالم الأسرار حسبي محنـــة
علمي بانك عـــــالم الاسرار
اخلق برحمتك التي تسـع الورى
الا تضـــــيق باعظم الاوزار

● التمرد والايمان ●

وأحيـانا تتوهج التجربة الالهية فى وجدان الشاعر وتتصهر وتغلى غليانا عنيفا يصهر الفكر فيشطح الشاعر بعض الشطحات ولكنه فى النهاية يثوب الى الايمان والتسليم لله رب العالمين .

وسأتناول من هذه التجارب تجربتين لشاعرين من شعراء « أبولو » همـــا على محمود طه . وصالح جودت .

أما التجربة الاولى فقد صبهاالشاعر على محمود طه فى قصيدته أو مطولته « الله والشاعر » التى زادت على المائتين من الابيات ويضمها ديوانه (المـــلاح التائه) وهى تجربة جادة تمتزج فيها عناصر كثيرة من الشك والايمان بدأها بقوله :

لا تفزعى يا أرض لا تفرقى
من شبح تحت الدجى عابر
ما هـــــو الا آدمى شقى
سموه بين الناس بالشاعر !

طغى الاسى الداوى علىصوته
يا للصدى من قلبه النـاطق
مضى يبث الدهر فى خفقتـــه
شكاية الخلق الى الخـــالق

***

لا تعـدني يا رب فى محنتى
مـــــا انا الا ادمى شــقى
طردتنى بالامس مـــن جنتى
فاغفر لهذا الغاضب المحنق

وفى هـــــذا الاطار النفسى المتمزق الخاشع يروح الشاعر يناجى الله قائلا

ما انا بالزارى ولا الحاقد
لكننى الشاكى شقاء البشر
أفنيت عمرى فى الاسى الخالد
فجئت استوحيك لطف القـدر

ويروح يعدد كيف تمردت روحه على هيكل الجسم . ويتحدث بعد ذلك عن الخير والشر والثواب والعقاب .. والوعد والوعيد ويهتف صارخا :

أيستحق الناس هذا العقاب
أم حانت الساعة من نقمتك
ما احتملوا ياربهذا العذاب
الا رجاء الغوث من رحمتك

***

ما عرفوا فى صعقات الردى
الاك من غوث ومن منجـــد
ولا سرى فى الارض منهمصدى
الا ودوى باسمك الامجـــد

وطوال هـــذه المطولة الرائعة نحس توهج التجربة واحتدام الخوف منخشية الله الذى يزلزل كيانالشاعر . فنتعاطف معه ونهتف فى حرارة ورجاء :

لا تعدنى يا رب فى محنتى
مـــــا انا الا ادمى شقى
طردتنى بالامس مـــن جنتى
فاغفر لهذا الغاضب المحنق



محمد عبد الغنى حسن : من وراء الافق . . .



محمود حسن اسماعيل : معاناة عميقة . . .

● رسالة الى الله ●

أما التجربة الثانية فهى تجربة الشاعر صالح جودت ، وهى تجربة تختلط فيها الرؤية العقلية بالنبض الوجدانى ، والحيرة الفكرية بيقين القلب ... وقد ألت بالشاعر فى مطلع الشباب . وفروسية العقل حيرة حاول أن يصل من خلالها الى اليقين فكتب « رسالة الى الله » يقول فيها :

ويا الهى بعيد على نقض يمينك
لكن قومى يودون أن أدين بدينك
وانا عيش جهولا بما اختفى من شئونك
وطى نفسى سؤال محير فى فنونك
كتمته الناس لكن لم يحتجب عن عيونك
فاكشف غياهب شكى بلمحة من يقينك

ويبدو أن الله قد استجاب دعاء الشاعر فملأ قلبه يقينا وحبا وتحول الى شاعر يرسل الضراعات الحارة تهز الوجدان يقول من قصيدته : «دعاء» :

اناديك يا من تلبى النداء
وادعوك يا مستجيب الدعاء
اللتنا الأمانا
وسدد خطانا
وطهر حمانا من الاشقياء
بحق حبيبك فى الانبياء

ولعله أغرق فى الصوفية الى اكثر من هذا العمق فى « الثلاثية المقدسة » !

وعلى الرغم من غرامه الدائم ، وبدوات قلبه ونزوات وجدانه نشعر فى تجربته الالهية بالصدق والحرارة والمعاناة .

● الوجد الشعرى ●

وهناك تجارب الهية وصلت الى درجة الوجد الشعرى ، فالشاعر محمود حسن اسماعيل يعطينا تجارب الهية كثيرة ، وقد عانى خلال هذه التجارب الالهية معاناة عميقة . وهو يفتش عن الطريق بين الصخور والادغال حتى وصل الى القمة وتحولت انغامه الى صلوات حارة لله رب العالمين .

وقد حدثنا فى مطولته « أنا والنفس والطريق » (ص ٩ من ديوان قاب قوسين) عن هذه الرحلة الطويلة التى مر بها قبل أن يصل الى هذا الوجد الشعرى . يقول ـ مخاطبا نفسه ـ :

اتبعينى فى دروبى واحذرى اى هروب
فانا اظما واسقيك من السر الرهيب
وانا اشقى واشجيك بمزمارى الغريب
وانا اسرى فاهديك الى الشط الرحيب
وانا اغنى فاحييك بانغامى وكوبى
فاذا ناداك لليل مناد لا تجيبى
واسمعى شدوى وكونى من صلاتى عن قريب

وفى قصيدته العودة الى الله يقول ،

رب انى لك عدت من سراب فيه تهت
وعلى وجهى شظايا ندم فيه انتهيت
وكهوف من خطايا تحتها نار وصمت

وبعد أن استعرض الدموع التى ذرفها فى طريقه وهو يبحث عن النور الالهى يهتف قائلا :

عذبتنى بخطاها وهواها فاستجرت

والي قدس على من شفاف النور طرت
بعد ما جربتذاتي وعن النفس انفصلت
والي الله بنوحي وعذاباتي اتجهت
وشبيت الجسم نارا وهشيما واشتعلت
رب من بقيا رمادي وحصادي لك جئت
رب غفرانك انى فى ظلامى قد ولدت

ولا شك اننا فى عالم الشاعر محمود حسن اسماعيل نحس بتلك الرؤيةالكونية الكبرى التى تحتضن الزمان والمكان

والآزال والاباد ونشعر باحتدام التجربة الالهية تزلزل الاعماق فنهتف مع الشاعر :

تباركت (١) يا رب هذا الجمال
طريق اليك انتهي واتحد

ومحمود حسن اسماعيل مثال واقى الدلالة على نظريتى فى الوجد الفنى وكيف تتحول التجربة الالهية فى باطن الفنان الى تجربة فنية ترتبط فيها أدوات

الابداع الفنية بمكونات التجربةالشعرية ارتباطا وثيقا بصورة تلقائية ولاتزال التجربة فى حاجة الى مزيد من الدراسة الوضوعية المستأنية ٠

● اشواق بوذا ●

ومن التجارب الالهية التى تستحق الالتفات هنا تجربة الشاعر أحمد مخيمر وهو من أكبر شعراء الامة العربية المعاصرين ، وقد أخملته طبيعة

حياته وظروف نفسه ٠ وأنا شخصيا احس امامعبقريته بالذنب لانتى لماتوفر على دراسة شعره بصورة جادة ٠٠٠

وذاك استطراد يدفعنى اليه الاحساس بالذنب ، وانما الذى أشير اليه هنا هو تجربة مخيمر الالهية ٠ وهى تجربة متفردة توصل اليها من خلال قناع

اتخذه من شخصية « بوذا » ويحاول من خلاله ان يصور أشواق نفسه وأحداث حياته وطموحه وآماله ٠ ولكنه

مع ذلك ايضا اتخذه دليلا لرحلة الخلاص والوصول الى الله ٠

وتصور القصيدة التى جاءت على لسان عجوز امام تمثال بوذا تجربة مخيمر الروحية وفيها يقول :

سلام وحب (٢) لا يبيد وفرحة
تشعشعها فى النفس لقياك عنقرب
الاقيك فى جسم من الصخر صامت
وانت وراء النفس روح من الحب
يخيل لى ان السنين التى مضت
تركن على عينيك ظلا من العتب
فيا ارغن الآزال والابد الذى
يمد جناحيه على العالم الرحب
أتيتك بالحب القديم وشوقه
وبالفرح المغرى وبالامل المصبى
***
اعود كانى لم اغب عنك ليلة
ولم ينا هذا العمر قلبك عن قلبى
واشواق قلبى فى ضلوعى مشاعل

الشعر المعاصر

---

١ ـ قصيدة الطريق الى الله من ديوان اين المفر ص ١٠٩
٢ ـ احمد مخيمر ـ اشواق بوذا ص ٢٩٨



كامل امـــين : عن « السموات السبع » ...



عزيز اباالـــة : ملحمة السيرة النبوية .....

تمد على الآفاق نورا من الغيب
لعلك من غور السكينة غافر
لروح اقرت بالخطيئة والذنب
اصاخت الى صوت السراب واغلقت
مسامعها عن صوت منهلك العذب
فامست على الدنيا فكاهة ساخر
وقصة مسلوب العزيمة واللب
وشمس حياة ، لم تشاهد شروقها
سوى لحظة ، ثم استقلت الى الغرب

● السموات السبع ●

وهناك تجربة الهية اخرى للشاعر كامل امين نعثر عليها ضمن ملحمته الرائدة « السموات السبع » وهى تزيد على الالفى بيت حاول كامل امين ان يؤرخ من خلالها للانسانية ويسجل تاريخها الديني . وقد بدأ هذه الملحمة باسم الله يقول فى افتتاحيتها :

الله ، باسم الله جل جلاله
نور على نور اروذ سمائى
باسم السماء نشرت قصتها وباسم
الله سرت بها على الغبراء

وقد جسد الشاعر كامل امين تجربته الالهية فى مقطوعة صغيرة جاءت تحت صورته فى صفحة خاصة يقول فيها :

يا رب جسدت الحياة وانت رو
ح الكون مهما كان لم يبلغ مداك
هل كان يدرى الغيب ما تدرى وهل
كان التراب يحس ما صنعت يداك
خلقت ما خلقت من قبل الوجو
د وبعده وفصلت ارضك عن سماك
ورأيت نفسى حيث كنت اراك فى
نفسى فكيف اقول انى لا اراك
فاذا بعدت فلست عنك بمبعد
واذا رجعت فلن اعود الى سواك

● ميادين اخرى ●

هناك مجالات اخرى اتخذ منها الشاعر الحديث ميدانا لتناوله الشعرى، وموضوعا لعديد من قصائده ـ وان لم تصل الى درجة التجربة الفنية ـ ولهذا نجد معظم الشعراء المعاصرين قد اتخذ من الذات الالهية موضوعا لقصيدة ، او عرج على النبع الاسمى يستمد منه العون وهو ينظم فى موضوع آخر .

● كما كانت المناسبات الدينية والمواسم الاسلامية فرصا اتاحت لكثير من الشعراء المعاصرين ان يتناول القيم الروحية والدينية .

● واستاثرت شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالجانب الاكبر من شعر الشعراء وكذلك آل البيت وأبطال المسلمين .

● وكانت الخلافة الاسلامية فى مطلع هذا القرن ميدانا فسيحا للشعر الاسلامى والدينى .

● وكان الشعراء يتخذون من الاطار الدينى مجالا يصبون فيه همومهم السياسية والاجتماعية والروحية .

● واتخذ بعض الشعراء موضوع « الله » وحيا لافكارهم التاملية . وتتباين قيمة هذا الشعر باختلاف

الشعر المعاصر

مصادره وطاقة الشعراء الذين يتناولونه ، وثقافتهم وموهبتهم الفنية ، فهو عند البعض مجرد نظم تقليدي لا يرتفع الى درجة الشاعرية ، وعند البعض قصائد موحية تنبض بالصدق والشاعرية ·

وقد حاول عدد من الشعراء أن يحول بعض هذه الموضوعات الى اشكال فنية تتلاءم مع وسائل العصر الحديث ،الكبيرة التاثير كالاذاعة والمسرح والسينما ·

ونذكر في هذا المجال على سبيل المثال « الثلاثية المقدسة » للشاعر صالح جودت التي لحنها رياض السنباطي وغنتها ام كلثوم ·

و « محمد : قصيد سيمفوني » للشاعر الدكتور عبده بدوى وقد لحنها زهير جرانه واعدها للاوبرا ولكنها للاسف لم تر النور حتى الآن ·

و « مأساة الحلاج » للشاعر صلاح عبد الصبور ، وهي مسرحية شعرية حاول الشاعر من خلالها أن يتحدث عن الحق والحقيقة وأن يفرغ فيها مضمونا معاصرا ويتناول هموم دنيانا

فعندما يسال احد اشخاص المسرحية ـ الحلاج : ـ **يعنى هل كنت تحض على عصيان الحكام**

يجيب الحلاج : بل كنت احض على طاعة رب الحكام

برأ الله الدنيا احكاما ونظاما

فلماذا اضطربت واختل الاحكام

خلق الانسان على صورته في احسن تقويم

فلماذا رد الي درك الانعام

وعلى الرغم من ذلك فاننا نرى في المسرحية حديثا على لسان بعض الشخصيات يصور رحلة الانسان في الوصول الى الله ·

كالحديث الذى دار بين « الشبلي والحلاج » والذى يقول فيه الشبلي :

ـ لسنا من أهل الدنيا · حتى تلهينا الدنيا

اسرعنا لله الخطو العجلان · فلما اضنانا الشوق الظمآن

طرنا بجناحين

ولسنا اهداب النور

ومسرحية « ثار الله » للشاعر عبد الرحمن الشرقاوى التى اتخذ فيها من شخصية الحسين ثائرا وشهيدا موضوعا لمسرحيته وصب فيها مضمونا معاصرا وعرض فيها لكثير من قضايا الحرية والعدل الاجتماعى · و « عبد القدير » للشاعر بولس سلامة ولا شك

ان الاستعانة بالوســـائل والادوات العصرية تمنح هذه القضايا الروحيــة والتجارب الالهية قوة ونضارة وتأثيرا اعمق واشمل ·

● التعبير الذاتى ●

ونعود الى الشعر الذى تناول تلك الموضوعات التى حصرناها قبـــل ذلك لنذكر امثلة تغنى عن الحصر لاننـــا

لا نستطيع حصر كل القصائد التيتناولت الموضوع بفروعه المختلفة فى مقـــال سريع كهذا ·

ولابد من الاشارة الى تجربةالشاعرات فى هذا المجال ، فهن يتخذن من « الله » فى معظم الاحيان وحيا ، واحيـــانا

يجسدن منه عاشقا يبثثنه لواعج الشوق والغرام والهيام ·

فالشاعرة جميلة العلايلى تقول :

هـذا القلب صبا كانه صب
وفاض حنـانى فاين المصب
اصبت بحب الجمـال فواها
ومن اين ريح الجمـال تهب

ثم نعرف ان هذا الحب هو الله ·

جليـلة رضـا : من وحي الله · ·



روحيـة القليني : ابتهالات قلب ...



والشاعرة روحية القلينى تحول حبها لله الى اشواق حارة وضراعات عميقة،

ولها ديوان كامل بعنوان « ابتهـــالات قلب » ، تصور فيه شوقها وتجسد غرامها للذات الالهية ·

وكذلك فعلت الشاعرة جليلة رضا ، والشاعرة طلعت الرفاعى ، والشاعرة

سلمى الخضراء الجيوسى ، والشاعرة ثريا ملحس وغيرهن ·· وغيرهن ·

● الشعر الصوفى ●

وهناك من حول هذه الموضوعات الى شعر صوفى وشعر دينى يتحـــدث عن

النبى وآل البيت · وامام هـذا الضرب فى الشعر المعاصر هو الشاعر « محمود

جبر » الذى يعرف بشاعر آل البيت · ومن الممكن ان نضم الى مدرستهالشعراء

قاسم مظهر ، وعبد الله شمس الدين ، والربيع الغزالى وغيرهم ·

● التأمل والايمان ●

وبعض الشعراء كان يتخذ من هذه الموضوعات اطارا يصب من خـــلاله

تأملاته الذهنية · واشواقه الفكرية ·· كما فعل ابراهيم عبد القادر المازنى فى قصيدته « العراك » · وكما فعلالشاعر

محمد عبـــد الغني حسن فى قصيدته « الى الـــــدير » (ص ١٠٧ من وراء الافق) · والشاعر محمود عمـــاد فى

قصيدته « الله » (ص ١٩٥ من ديوان عماد) · والشاعر احمد زكى ابو شادى

فى قصيدته « الهى الظنون » · والشاعر حسن كـــــامل الصيرفى فى كثير من قصائده التى تمتزج فيهـــا التجربة

الروحية بالشوق الكونى الملح ، وتختلط فيها عناصر الايمـــان والنور والشوق

والحب » و « شعلة الاله » للشاعر مصطفى عبد اللطيف السحرتي (١٦٢ ازهار الذكرى) والشاعر عبد الرحمن شكرى فى قصيدته « صوت الله » (من ديوان شكرى ص ٣٤٩) و « يا رب » للعقاد (أعاصير مغرب) · والشاعر محمد التهامى فى كثير من قصائده ·

● الجانب القومى والاجتماعى ●

على أن أخصب جوانب هذا البحث هو ذلك المجال الذى حاول الشعراء فيه أن يتخذوا من الموضوعات والمناسبات الروحية والشخصيات الدينيـة مناسبة يتحدثون من خلالهـا عن كثير مـن همومهم القومية والسياسية والاجتماعية·

وقد رصد الدكتور سعد الدين محمد الجيزاوى كثيرا من النماذج فى هـذا المجال فى كتابه القيم « العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث » ·

ويمكن ان نقرر فى هـذا المجال ان معظم الشعراء ـ على امتداد الارض العربية ـ فى العصر الحديث ، حاولوا فى هذا المجال محاولات كثيرة · ولعل اسلاميات شوقى · وقصـائده عن الخلافة ومدائحه النبوية صورة مشرقة لهـذه الجوانب · وكذلك اسلاميات محرم ، ونسيم ، والكاشف ، ومحمود ابو الوفاء ، والغاياتى ، وعزيز أباظة ، وغيرهم من الشعراء ·

ولعل قصيدة الشاعر القروى « أين وجدت الله (١) » تعطينا نموذجا لهذه الصورة الواقعية التى كانت تمزج كل الاشواق الروحية بهموم الانسـان ومشكلاته يقول فيها :

ارى الله لفظـا بالمكارم ينطق
ودينا بمحمود الفعال يصدق
كفاكم كـلاما ان تلوتم كلامه
وما زاد عنه فالـذى زاد احمق
تلوكون لفظ الحب مليـون مرة
تروجتموه وهو منـكم مطلق
ولم يوصكم ربى بأن تتشـدقوا
ولـكنه اوصى بأن تتصـدقوا
فبالبر والاحسان صلوا وسلموا
عليه · وبالغفران والرحمة اتقوا

وما أروع وأجمل ملحمة الشـاعر العربى الكبير « عمر أبو ريشة » وهو يصور نضال النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى قصيدته (محمد) التى يبدؤها بقوله :



د . عبده بدوى : قصيد سيمفونى . لم ير النور .



عبد الرحمن الشرقاوى : قضايا الحرية

الشعر المعاصر

---

١ ـ ديوان الشاعر القروى ص ٨٢٢

اى نجوى مخضلة النعماء
رددتها حناجر الصحراء
سمعتها قريش فانتفضت
غضبى وضجت عصبية الأهواء

والتى يحاول فيها أن يربط الماضى بالحاضر ويناجى فى نهايتها أمة العرب بقوله :

يا عروس الصحراء ما نبت المجد
على غير راحة الصحراء
كلما اغرقت لياليها فى الصمت
قامت عن نباة زهراء
وروتها على الوجود كتابا ذا
مضاء او صارما ذا مضاء
فاعيدى مجد العروبة واسقى من
سناه محاجر الغبراء
قد ترق الحياة بعد ذبول
ويلين الزمان بعد جفاء

وهناك شعراء كثيرون صنعوا صنيع ابى ريشة فى اتخاذ سيرة النبى العربى محمد صلى الله عليه وسلم مناسبة مزجوا بها همومنا الوطنية والقومية وصوروا من خلالها نضالنا العربى الحديث ، منهم محمد التهامى ، وهارون هاشم رشيد ، وعلى هاشم رشيد ، وعبد الله شمس الدين وغيرهم من الشعراء .

● تجربة عزيز اباظة ●

وللاستاذ عزيز اباظة ملحمة رائعة .. صاغ فيها السيرة النبوية بشعره المشرق الرصين . وتناول من خلالها حياة النبى عليه الصلاة والسلام ورسالته حتى توفاه الله .

رفع الله اليه روحه
عام ان ثبت للدين الدعاما
اجل المرء مقدور له
ثم يمضى ان لله الدواما
حسبه وهو نبى بشر
انه قد ايقظ الكون وناما

وقد سمى هذا العمل « من اشراقات السيرة الزكية » .

● الوجد الفنى ●

ولايزال هناك الكثير من تلك النماذج التى اتخذت الله . أو المناسبات الدينية والروحية ـ موضوعا لها ـ ويمكن أن نملأ بها المجلدات .

اما التجربة الالهية التى أشرت اليها فى مطلع هذا البحث . والتى وقفت عند بعض نماذج قليلة منها فشىء آخر .

ذاك شعر يمكن أن نطلق عليه الشعر الدينى أو الشعر الصوفى أو النظم فى المناسبات الدينية والشخصيات الروحية

ولكن شعر التجربة الالهية شعر كونى كبير فيه تحتدم عناصر كثيرة فى وجدان الفنان والاديب وتمتزج بتصوره الدينى واحساسه بالله . وتنتقل كل هذه المعانى من مجال التاملات الفكرية والسبحات الذهنية فى داخل جهاز الفنان الى رؤيا باطنية ، وتجربة كبيرة ترتعش بالنبض الوجدانى والدفقات الشعورية ، وترتعد بالصدق الفنى .

وقد تمتد التجربة الى أدوات الفنان التعبيرية والتصويرية وتصهرها فتربط ادوات التعبير الجمالية بالرؤيا الباطنية ارتباطا عميقا وفى هذه الحالة يكون الفنان قد وصل الى درجة الوجد الشعرى ان كان شاعرا . أو الوجد القصصى ان كان قاصا ... الخ .

وارجو ان يتاح لى مرة اخرى ان اطيل التأمل فى شعر « التجربة الالهية » حتى نفى مباحث « الوجد الفنى » وهو الطريق الى علم جمال عربى ...

علـى أدهـم

الله عند بوذا وكونفوشيوس

يمتاز القرن السادس قبل الميلاد بظهور طائفة من العباقرة الافذاذ الذين اثروا فى تاريخ البشرية تأثيرا بعيد المدى ، وفى طليعتهم ((ماهافيرا)) وبوذا فى الهند ولا وتزى وكونفوشيوس فى الصين ، وزرادشت فى فارس ، وفلاسفة ما قبل سقراط فى اليونان ومما يمهد السبيل لظهور الرجل العظيم او رجل الافكار قدرته على ان يلبى حاجة عصره وقد جاء كثير من العظماء فى الوقت المناسب لظهورهم ووجدوا المجال لاداء رسالتهم ...

كانت الهند في القرن السادس قبل الميلاد قد بلغت مستوى عاليا في الاخذ بأسباب الحضارة ، وازدهرت بها الصناعة والتجارة ، واتسع ثراؤها ...

واذا عم الرغد والرخاء ساعدا على ظهور النزعة الابيقورية ، ومالت النفوس الى التحرر من قيود الورع ، والاسراف في طلب المتعة ، مما يفسح المجال لظهور النزعات الاخلاقية ، والاتجاهات الفكرية المناسبة لذلك ، ولكن هذه الحالة نفسها تستدعى ظهور رد فعل يحد من طغيانها ويحاول صد تيارها ، وقد تكرر ذلك في كثير من الحضارات التي عرفها التاريخ ، وكان ظهور البوذية في الهند والكونفوشيوسية في الصين من قبيل الاستجابة لهذه الحاجة التي شعر بها العصر ، واحسها الناس ، وظهور العظماء في اغلب الاحايين يتفق مع منطق الاحداث واتجاهات التاريخ وسير الحضارات .


بوذا

كونفوشيوس


طريق الحكمة والقداسة

ولد بوذا في سفوح جبال الهمالايا شمال الهند في المنطقة المعروفة باسم مقاطعة بهار ، ويرى معظم الباحثين انه ولد سنة ٥٦٣ ق.م. بمدينة كابيلافاستي ، وكانت المدينة الرئيسية في الناحية التي تقيم بها قبيلة ساكيا على مسافة مائة ميل من بنارس الحالية ، وكان والده سدذونا من ابناء عشيرة جوتاما ، احد فروع قبيلة ساكيا ، وكان حاكما على مدينة كابيلافاستي ومن طبقة الكشاتريا أي المحاربين ، وهم من القبائل الارية التي غزت الهند حوالى سنة ١٦٠٠ ق.م.

وقد توفيت والدته في اليوم السابع من ميلاده ، فتولت شقيقتها حضانته وكانت الزوجة الثانية لأبيه ، وقد نشأ جوتاما — وهو الاسم الذي غلب عليه — في قصر أبيه وتوفرت له كل

نواعي الرغد وأسباب المتعة ، ولكنه كان شديد الحساسية ، كثير التفكير ، جم العطف ، وكان حينمايشاهد الجهد المضني الذي يبذله الفلاحون وهم يباشرون أعمالهم في الحقول واهلاك الحشرات ، يتملكه الاسى ، ويثير تفكيره ، وكان والده مدفوعا بحبه الابوي يحرص على أن يجنبه مشاهدة ما تعانيه البشرية من فوادح الالام ، فلما بلغ رشده قرر أبوه أن يزوجه ، وترك له حق اختيار الزوجة تبعا للتقاليد المرعية ، وقد اختار الامير جوتاما الاميرة الحسناء ابنة عمه من بين الوف الشابات اللاتي عرضن عليه ، وكان زواجه سعيدا موفقا ، ولما كان من طبقة الكشاتريا فقد روعي تدريبه على الفنون الحربية ، ولكنه الى جانب ذلك درس المذاهب الفكرية التي كانت سائدة في عصره ، وعرف العقائد البرهمية الشائعة ٠

وتروي الروايات انه خرج ذات يوم من قصره ومعه سائق مركبته شونا ، وسار في بعض الطرقات حيث عامة الناس فرأى رجلا مسنا قد أحنت الايام صعدته ، فتركت رؤيته في نفسه أثرا باقيا جعله يعود الى قصره مفكرا مهموما ، وخرج من القصر في اليوم التالي فوقعت عيناه على رجل مريض قد شفه المرض ، فعاد الى القصر حزينا مغموما ، وخرج من القصر في اليوم الثالث فرأى ميتا محمولا الى القبر ، ورأى اخيرا احد النساك ، وكان شونا الذي صحبه في جولاته يحدثه عن المرض والموت ونبذ الحياة ٠

ولم يسترح أبوه حينما لحظ أثر الحالات النفسية التي يعانيها ابنه ، وأراد أن يشغله بالملهيات والمتع الحسية ، ولكن هذه المحاولات كانت تزيده عزوفا عن اللذات الدنيوية ، وأصبحت الرفاهية التي نشأ في ظلالها تثير اجتواءه واشمئزازه ، وحدثت الازمة بعد أن رزق طفلا أسماه راهولا ، وبرغم تعلقه بزوجته فان خبر مولد الطفل جعله يطيل التفكير ، وقد رأى في ميلاده عقبة جديدة في طريقه ، ورأى أن الوقت قد حان ليقوم بما سماه الاعتزال ٠

وتقول الروايات المأثورة انه حينما عقد العزم على تنفيذ الخطة التي رسمها لنفسه أرسل شونا سائق مركبته لاعداد الجواد واسراجه ، ولما أسدل الليل ستاره تسلل الى مخدع زوجته ، وألقى عليها وعلى ابنه راهولا نظرة أخيرة ، وامتطى ظهر جواده يصحبه سائق عربته شونا وقد تعلق بذيل الجواد قبل أن ينبلج نور الفجر ، وخرج من باب المدينة حتى وصل الى الغابة التي يقيم بها الكثيرون من النساك والعباد ، وترجل عن جواده ، وصرف سائق مركبته الامين بعد أن أعطاه ما معه من الحلي والاردية الثمينة التي اصبح في غير حاجة اليها ، وطلب من ناسكي الغابة وحكمائها أن يعلموه كيف يصل الى الحكمة والقداسة ٠

وكان قد سمع عن الاساليب الشديدة التي يتبعونها في تعذيب أنفسهم وقهر شهواتهم ، فقد كان بعضهم يكتفي بأن يعيش على القليل من حبات القمح ٠ والبعض يكتفي بتناول الحشائش النابتة في المزارع ، وكانوا يعتقدون أنهم يبلغون الكمال عن طريق ارهاق الجسد وتعذيبه ٠

سنوات تعذيب النفس

وصار في زمرة النساك الجوالة وتتلمذ على اثنين منهم وهما (١) الاراكالاما وأوداكا ، وسلك سلوك النساك في تعذيب النفس وقهرها وأخذ يقلل من تناول الغذاء حتى صار يكتفي بحبة واحدة من حبات القمح وضمر جسده وضعفت بنيته ، ولكيلا

(١) صفحة ٣٥ من كتاب البوذية المبكرة للعلامة رايس دافيدز ٠

يقال عنه أنه اخفق فى التغلب على نفسه وقهرها استمر فى متابعة هذا التقشف المردى والانهاك الجسدى الصارم حتى أشرف على الموت ·

وبعد ست سنوات من التزام هذا الاسلوب القاسى فى حرمان النفس واذلالها رأى أن هذا الاسراف فى تعذيب النفس ليس هو السبيل الى الاستنارة المنشودة ، وان الامر على نقيض ذلك ، فهذه الصرامة البالغة قد ولدت فيه الشعور بالزهو الذى يفسد القداسة ، ويغرى بالاستغراق فى الذات ، ويولد سرعة الغضب ، وينأى بالانسان عن الهدوء والطمأنينة ، واستبان له أن عليه أن يعيد الى نفسه توازنها ، ويرد عليها هدوءها ووداعتها ، ويستعيد قوته ، وان الانسان يبلغ الراحة العقلية بالتوسط بين الاسراف والحرمان ، وان هذا التوسط هو سبيل التفكير المستقيم والتأمل السليم ، وتناول اللبن والارز ، وعاد الى أسلوب تغذيته المألوف حتى استرد عافيته وعادت اليه قوته ، ولكن تغيير السلوك الذى اخذ نفسه باتباعه ابعد عنه اتباعه الخمسة الذين اجتمعوا حوله ليكون لهم المرشد الى الطريق والقدوة الصالحة وجعلهم يقولون « لقد اخفق الناسك جوتاما ، وليس عنده ما يعلمنا وقد حاد عن الطريق » ·

وسط الزوابع والأعاصير

وحينما نبذ جوتاما الاسلوب المسرف فى التقشف وانهاك النفس بالمبالغة فى الكبت والحرمان لم ينقطع عن ممارسة التفكير الروحى ، والاستغراق فى التأمل السامى ، ومكنه استرداده لقوة بنيته من المضى فى هذا السبيل ، ورأى أن عليه أن يبلغ هدفه ، أو يعترف بهزيمته فى تحقيق مطلبه ، وذهب الى الغابة ورأى سرحة لبنانة وارفة الظلال ، متهدلة الاغصان ، وهى شجرة « البو » فى غابات جايا بمدينة بهار الحديثة ، فجلس هناك جلسة مستقيمة لا حركة فيها ، وصمم على الا يبرح مكانه حتى تأتيه الاستنارة ، واقبل الليل ، وأرخى عليه سدوله ، فحجبه عن الانظار ، وكانت ليلة رهيبة ، حاول فيها الاغراء محاولة شديدة ، وتراءت له صور حياته السالفة ، صور الحب والترف والمتعة والقوة والسلطان ، وناوشت عقله الشكوك ، وهاجمته المشكلات المحيرة ، وتجمعت حوله الاحلام الخادعة والاوهام المضلة ، ولكن حب الانسانية والعطف الشديد عليها وحرصه على بلوغ مرتبة الاستنارة ، مكنه ذلك كله من الثبات فى وسط الزوابع والاعاصير ، واستمسك بهدفه الاصيل كالسفينة العظيمة التى تشق طريقها بين العواصف وثوائر الموج الى شاطىء الامن والسلام ·

قانون الثواب والعقاب

ولما انجلى الظلام ، وأسفر الصبح تلقى الاستنارة كاملة لا يشوبها نقص ، واضحة لا يحيط بها غموض ، ورأى الماضى والحاضر والمستقبل كلا لا يتجزأ ، وعرف العلل والاسباب ، وأسرار الميلاد والموت ، والانتقال الى حيوات جديدة ·

ومن أقواله فى وصف تلك الحالة « وهكذا ركزت عقلى فى حالة من نقاء وصفاء ··· ركزته فى فناء الكائنات وعودتها الى الحياة فى ولادة جديدة ، وبناظرة قدسية مطهرة رأيت الكائنات الحية تمضى ثم تعود فتولد ولادة دنية او سنية ، خيرة او شريرة ،



سعيدة أو شقية ، حسب ما يكون لها من « الكارما » وفق ذلك القانون الشامل الذى بمقتضاه سيتلقى كل فعل خير ثوابه ، وكل فعل شرير عقابه ، في هذه الحياة أو في حياة تالية تتقمص فيها الروح جسداً آخر (١) » ٠

مشكلات ما وراء الطبيعة

وقد ظهر مذهب تناسخ الارواح الذى أشار اليه بوذا في المؤلفات البرهمية ورسائل الاوبانيشاد قبل أن يولد بوذا بقرون عدة ، وقبول هذا المذهب يظهر الانسان مقيداً دائماً بصورة من صور الوجود ، تختلف فيها رتبته من الحشرات التى لا تكادتتنفس حتى تهله الى اله من آلهة الفيدا ، وذلك أن هذه الآلهة لم تكن معصومة من دورة التناسخ ، ومن ثم كان فلاسفة ذلك العصر يلتمسون مخرجاً من هذا التكرار الذى لا نهاية له ورأوا أنهم وجدوا هذا المخرج في الفكرة القائلة بامكان تحقق النفس في الكلى الشامل ، لان النفس اذا أدركت أنها جزء من الكلى وحققت هذه الوحدة في لحظة من لحظات التجرد المطلق وشطحة من شطحات التصوف تحطمت الروابط التى تربط الانسان بالحياة الى الابد ، وقد يعيش الانسان سنوات قلائل في جسمه الفانى ، ولكنه حينما يتجرد منه يستريح راحة أبدية لا راحة الفناء والعدم ، وانما راحة الاتحاد بالكلى الذى هو روحه الحق ٠

وكان بوذا يؤمن بالتناسخ ، ويرى العمل على الخلاص من دوراته ، ولكنه كان في مشكلات ما وراء الطبيعة لا ادريا ، وكان يرفض أن يبحث مع اتباعه المسائل الخاصة بالمطلق وعلاقة الروح بالمطلق ، ومسألة لا نهائية الزمان والمكان او تناهيهما ، بل وصل به الحال الى حد انكار الرغبة المتأججة عند الكادرين من اتباعه لمعرفة هل مصير جسم الرجل الذى وصل الى الاستنارة الكاملة هو الفناء التام بعد الموت او ان مصيره لون من الوان الحياة الخالدة ؟

واكبر الاسباب التى آلمت نفس بوذا ، وجعلته يضيق بالحياة البشرية هو هذا التعاقب المستمر بين الموت والولادة ، فكيف نتقى شره ونأمن دوران عجلته ؟٠٠ ومادام يشك في وجود المطلق فهو لا يرى الخلاص عن طريق الاندماج في المطلق كما رأى فلاسفة البراهمة ، وقد هداه تفكيره وتأملاته الطويلة الى أن الانسان اذا عاش عيشة يسودها العدل والحب والرحمة والشفقة ، وامتنع عن الايذاء وازهاق النفوس ، وتخلى عن المطالب الدنيوية والمآرب والمطامع والشهوات ، فانه يستطيع أن يطهر نفسه من الآثام والشرور ٠

ولا يعبأ بوذا بوجود الآلهة أو عدم وجودها لان الانسان في رأيه هو صانع مصيره ، وهو يوصى الانسان بالا يلجأ الى أحد غير نفسه ، وقد رأى بوذا انه قد وفق الى الحل المناسب للقضاء على شقاء الحياة وايقاف دورة التناسخ ، وهذا الحل هو القضاء على الرغبة في الحياة ، وهذه ثمرة الجهل بحقائق الحياة ، ومتى استطاع الانسان اخمادها تيسر له الوصول الى « النرفانا » وتخلص من جحيم الرغبة وآلام الجهل

---

(١) صفحة ٧١ من الجزء الثالث من كتاب « قصة الحضارة » لول ديورانت ، وترجمة الدكتور زكى نجيب محمود ٠

وهكذا بعد أن قضى بوذا سبع سنوات متأملا في الحياة ، أدرك أنه قد وجد طريق الخلاص ، فأخذ سمته نحو مدينته بنارس ليبشر بمذهبه ويبصر الناس بطرائق الخلاص من شقاء الحياة وآلام الوجود ، وقد قضى بوذا بقية حياته متنقلا يبشر بانجيله في الخلاص ، وكان في كل مكان يحفز الناس الى تكوين جماعات من الرهبان لا يخضعون لنظام مقرر وانما يتعاهدون على أن يعيشوا وفقا للمثال الذى قدمه لهم ، وكان اسلوبه في نشر تعاليمه هو الحوار والمحاضرة وضرب الامثال ، وكان يتحاشى الغوص في مسائل ما وراء الطبيعة لانها فوق ادراكنا ، ولانها من ناحية اخرى لا تؤدى الى الخلاص المنشود .

وكان بوذا في مناقشاته مع خصومه ومعارضيه واسع الصدر ، كثير الحلم ، محبا للسلام ، يرد السيئة بالحسنة والكراهية بالحب ، واذا احتدم الجدل بينه وبين من يحاوره آثر الصمت ، ولم يكن يدعى القدرة على شفاء الامراض او الاتيان بالاعمال السحرية ، وانما كان يبشر بما كان يعتقد أنه الحق ، ولما لقى في تجواله تلامذته الخمسة الذين هجروه اعتزموا الابتعاد عنه لظنهم أنه تنكر لمبادئه ، ولكنه تجاهل اعراضهم عنه ، ولما داناهم وهو يحمل في يده الاناء الذى كان يجمع فيه الصدقات وجدوا انفسهم مندفعين نحوه ، فشرع في توضيح رسالته لهم ...

وذكر لهم أن الوجود بدون استنارة ليس سوى تكرار ممل للميلاد والموت ، وان اول عقبة في سبيل الحصول على الاستنارة هي الاسراف في المتع الحسية ، لان شدة التورط فيها يزيد عدم اقتناعنا بها . ويغرى بطلب المزيد منها ، ويصبح الانسان مثل الرجل المدين الذى يكثر من الاستدانة ليسدد ديونه ، وان العقبة الثانية في طريق الخلاص هي المبالغة في التحامل على النفس ، والاسراف في تعذيب النفس غير مجد مثل الاسترسال الجامح مع الشهوات ، والذى علينا تحقيقه هو الوصول الى الهدوء والطمأنينة ورباطة الجأش ، وهي علامة الحكمة وسمتها ، والطريق النبيل يتكون من الآراء الصائبة ، والمقاصد السليمة ، والحديث الحق ، والسلوك المستقيم ، واسلوب الحياة الحكيم ، والعقلية السامية ، والتفكير الخالص ، وعن طريق خلق هذا التوازن نصل الى الخلاص من الشقاء الشامل الذى هو ثمرة الاشتهاء

اجابات غير مقنعة

ومسألة الخلاص في رأى بوذا أجل شأنا واكثر اهمية من معرفة أصل الحياة والشر ووجود الله ، وحينما كانت توجه اليه أسئلة عن الله كان يجيب اجابة غامضة ، وفي بعض الاحايين غير مقنعة ، سأله مرة أحد أتباعه قائلا : « سيدى ، هل هناك اله ؟ » فأجابه بوذا قائلا : « أتراني قد قلت ان هناك الها ؟ » فدهش السائل ، وراجعه قائلا : « اذن ليس هناك اله ياسيدى ! » فسارع بوذا الى الاجابة قائلا : « أتراني قد قلت انه ليس هناك اله ! »

ولا تتفق هذه الاجابة مع ما كان يكثر من ترديده على مسامع تلامذته وهو قوله « اذا كان هناك بيت قد

اشتعلت فيه النيران ، فهل تبـداون بالبحث عن أصل النيران أو تحاولون اطفاءها ؟ »

وكان بوذا يشبه سقراط في كراهيته للتفكير فيما وراء الطبيعة ، ويقول الاستاذ وادبا البحاثة الهندى الحديث: « ان مسالة هل كان بوذا موجد دين او صاحب فلسفة من المســائل التى تتعارض فيها الاراء ، وانها تتوقف الى حـد كبير عـلى مسالة ماذا نعنى بالفلسفة وماذا نعنى بالدين ، فـاذا كان ما نعنى بالــدين الايمان بقوة أسمى منا وعدد من العقائد التى تقبل بوصفها حقائق كشفت لنا ، فان من الحقق أن بوذا بهذا المعنى ليس موجد ديانة ولو أن اتباعه فى القرون التالية قد الهوه ، وقبلوا ما جاء به باعتباره حقـائق لا سبيل الى نقضها ، وقد صارت البوذية ديانة ، ولكن هذا لم يكن من عمل بوذا نفسه ، وانما كان من عمل اتباعه ، وهو فى الواقع كان يحاول أن يبشر بآرائه بطريقة منطقية وباعتبارها قائمة على التفكير العقلى الخالص ، ولذلك يعد فى الواقع من أصحاب المذاهب الفلسفية ·

ويرى الاستاذ وادبا انه لا يمـكن أن يقوم دين بغير اله ، وليس فى حياة بوذا ولا فى تعـاليمه ما يدعو الى تاليهه ، ولكن منطق الدين كان يستلزم أن تستدرك البوذية هذا النقص مادامت قد اعتبرت دينا ، ولذلك لم يجد فريق من اتباعه مناصا من أن يسموا به الى مرتبة الالوهة كمــا فى البوذية المعروفة باسم « بوذية مهايانا » ·

وقد مات بوذا سنة ٤٨٣ ق·م· وهو فى عامه الثمانين ، وحدث بعـد موته خـلاف بين اتباعه كاد يودى بالبوذية لولا ظهور الملك أسوكا الذى بدأ يحكم معظم أجزاء الهند سـنة ٢٧٣ ق·م· ، فقد قام فى منـاصرة البوذية بالدور الذى قام به الامبراطور قسطنطين فى مســاندة المسيحية ، وبذل مجهودا عظيمــا فى سبيلها ، وشيد لهـــا الاديرة ، وبنى باسمها المستشفيات ، وأرسل مبشرين بالعقيدة البوذية الى أجزاء الهند جميعا والى جزيرة سيلان ، ولم يكتف بذلك بل أرسل البعــوث الى ســوريا ومصر واليونان ، ولم يمض بعد وفاته الا زمن قصير حتى غادرت بعوث المبشرين بلاد الهند الى التبت والصين ومنغوليا واليابان لنشر التعاليم البوذية ·

الله عند كونفوشيوس

ولد كونفوشيوس ـ واسمه الحقيقى كونج شيو ـ فى مملكة لو ـ واسمها الآن شانتونج ـ سنة ٥٥١ ق·م· وكان والده كونج فى الســبعين من عمره حينما ولد له ولده ، ومات حين بلغ ابنه سن الثالثة ، وكان كونفوشيوس يعمل بعد الفراغ من المدرسة ليساعد على اعالة والدته ، ويقول هنــــــــري ول ديورانت « ولعله قد تعود فى طفولته تلك الرزانة التى هى من خصـائص كبار السن ، والتى لازمتـــه فى كل خطوة خطاها طوال حياته ، لكنـه مع هذا وجد متسعا من الوقت يحذق فيه الرماية والموسيقى ، وبلغ من شدة ولعه بالموسيقى انه كان يسـتمع مرة الى لحن مطرب ، فتاثر به تاثرا حمله على أن يمتنع عن أكل اللحوم ، وظل بعدئذ ثلاثة أشهر لا يذوق فيها اللحم أبدا ، وقد تزوج فى التــاسعة عشرة من عمره ، ولكنه طلق زوجته وهو فى الثالثة والعشرين ويلوح انه لم يتزوج بعدها قط ·

وفى الثانية والعشرين من عمره بدأ

يشتغل بالتعليم ، وعرف منذ مستهل شبابه بالحكمة والاستقامة ، والبلاغة والفصاحة ، وشجعه بعض الـذين أعجبوا بمواهبه على أن يجعل من داره مدرسة يؤمها طلاب المعرفة ، وكـان يتقاضى من تلاميـذه ما يستطيعون اداءه ، ولم يشرع فى تزويدهم بالحكمة المجردة ، وانما كان يختار موضوعات معينة ، وبوجه خاص التاريخ والشعر وآداب اللياقة ، وكان يعتقد اعتقـادا راسخا ان للموسيقى تأثيرا كبيرا فى صقل الاخلاق ، وتهذيب الشخصية ، وهو فى هذا الاتجاه يشبه الفيلسوف الالمانى المعروف آرثر شوبنهاور •

ولما كثر تلامذته بدا يعظم تأثيره ، وبعض الشبان الذين حضروا دروسه وتشبعوا بآرائه أسندت اليهم مناصب لها أهميتهـا ، وفى سنة ٥١٨ ق•م• ابدى احد وزراء « لو » وهو عـلى فراش الموت رغبته فى أن يلتحق ابنه بمدرسة كونفوشيوس ، ومن تلك اللحظة أصبح كونفوشيوس معلم الامراء •

ويؤكد تلاميذه انه كان مبرأ مـن اربعة عيوب ، كان لا يجادل اثناء المناقشة وفى عقله حكم سابق مقرر ، ولا يتحكم فى الناس ويفرض عليهم عقائده ، ولم يكن عنيدا ولا انانيا ، وشعر برغبته فى التنقل والسفر ليفسح آفاق تفكيره ، وينشر علمه وحكمته ، وكانت اولى رحلاته الهامة الى لويانج المعروفة الآن باسم هونان ، وقد فتن فيها بالحفلات التى اقيمت فى معابدها الفخمة ، وكان يقيم فى لويانج حينذاك الحكيم الصينى « لاوتزو » وقد بلغ السابعة بعـد الثمـانين من عمره ، ولما لقيـه كونفوشيوس وجـه اليه بعض الاسئلة عن التاريخ السابق وبعض الحكماء القدامى ، فاجابه لاوتزو : « ان الذين تسال عنهم قد بليت عظامهم ، واستحالت ترابا ، وحينما تدق سـاعة الرجل العظيم يسمو الى مرتبة القيادة ، ولكن قبل أن يأتى زمنه تعتاقه العقبـات فى كل ما يحاوله ، ولقد سمعت ان التاجر الناجح يخفى بعناية واحكام ثروته ويعمل كأنه لا يملك شيئا ، وان الرجل العظيم مع كثرة انجازاته يكون بسيطا فى مظهره وعاداته ، فتخلص من كبريائك ومن مطامعك الكثيرة ومن عواطفك والمغالاة فى أهدافك ، وهذه نصيحتى لك » •

فيلسوف النزعة الانسانية

ويبدو أن كونفوشيوس أخذ هـذه النصيحة مأخذ الجد ، فلما عاد الى تلامذته نقـل اليهم الانطباعات التى تركها فى نفسه الحكيم المتقـدم فى السن قائلا « انى أعرف كيف يستطيع الطير أن يطير ، وكيف تسبح الاسماك ، وكيف تجرى الحيوانات ، ولكن الذى يجرى يمكن أن يقع فى الشبكة ، والذى يسبح يمكن أن تصيده الصنارة ، والطائر يمكن أن يصيبه السهم ، ولكن هناك التنين ، انى لا أعرف كيف يرتقى الريح خـلال السحب ويرتفـع الى السماء ، ولقد رأيت اليوم لاوتزو ولا اقرنه الا بالتنين » وهذه هى تحيـة التقدير التى قدمهـا فيلسوف النزعة الانسـانية كونفوشيوس الى رسول الصوفية الطبيعية ، وهى تحية تنطوى على بيان الفرق بين الاتجاهين ، اتجاه « لاوتزو » الصوفى الطبيعى واتجـاه كونفوشيوس العملى الانسانى •

وكان كونفوشيوس لا يميل بطبيعته الى النزعة التصوفية ، ولـكنه كان يعـرف قوة تأثيرها السحرى على الكثيرين من الناس ، ولم يكن ينكر

وجود عالم روحي متسام ، وانما كان يعطي الاولوية للحكومة الانسانية وما فيه سعادة البشر ورفاهيتهم .

وكان في تعليمه وتفكيره يخضع للمنطق ولا يطلب الحكمة عن طريق الشطحات الصوفية ونوبات التجلي ، وانما يلتمسها في اعمال الفكر والتأمل العقلي ، ومن مأثور اقواله : « لقد قضيت اليوم كله دون أن أتناول طعاما ، وأمضيت الليل دون أن يغمض لي جفن لكي أسترسل في التأمل ، ولم يجد ذلك علي شيئا » وكان حينما توجه اليه أسئلة عن أمور تتجاوز تجربة الانسان المباشرة ، يرد باجابات أشد من في الصراحة من اجابات بوذا ، وحينما سأله تلميذه تزولو عن واجبات الانسان نحو أرواح الذين رحلوا الى العالم الآخر اجاب قائلا : « مادمت غير قادر على أن تقوم بواجبك للاحياء فكيف تستطيع أن تقوم بواجبك نحو الموتى ؟ » .

وسئل مرة في مناسبة أخرى عن طبيعة الموت فأجاب : « مادمت لا تفهم الحياة فكيف تظن أنك تفهم الموت ؟ » .

الحب والفضيلة والجمال

وفي سنة ٥٠١ ق.م. عين كونفوشيوس حاكما لمدينة شونج تو ، وقد استطاع في مدى قصير أن يسمو بأحوالها الاجتماعية ، وبلغت الاخلاق مستوى رفيعا لم تصل اليه قبل ذلك ، وبدا كأن العصر الذهبي قد أقبل وعمت الامانة والاستقامة ، وعجب الناس من الفضائل التي اشتملت عليها نفوسهم ، ورأى الدوق صاحب المدينة ـ وكان اسمه تنج ـ أن يجعله وزيرا للشئون العامة ، فقام بمشروعات جلبت الرخاء ، وسر الامير فوسع دائرة اختصاصه ، وجعله رئيس الوزارة ، وأحسن السياسة وأجاد تصريف الامور وصار معبود الشعب .

وقد ساء هذا النجاح أمراء الحكومات المجاورة لولاية لو ، ودبر وزير ماكر من وزراء تشي مكيدة للايقاع بين دوق لو وكونفوشيوس ، فأشار على دوق تشي أن يبعث الى دوق « لو » بهدية فاخرة مكونة من ثمانين من الفتيات الحسان المغنيات وعشرين جوادا ، ولما علم كونفوشيوس بخبر الهدية أمر بابقائها خارج العاصمة ، ولكن أحد اتباع الدوق تسلل الى المكان الذي حفظت فيه الهدية وأبلغ الدوق عنها ، واستسلم الدوق للاغراء غير حافل بمعارضة كونفوشيوس ، وحملت الفتيات المغنيات الى القصر الملكي ، وأقيمت الحفلات الصاخبة ، ووجد كونفوشيوس انه لا يستطيع أن يصنع شيئا ، فترك وظيفته وعاد الى حياة التنقل والتفي ، وعلق على هذه التجربة قائلا « لم أجد قط من يحب الفضيلة كما يحب الجمال » .

وقد ظل في جولاته ثلاث عشرة سنة تعرض فيها لاخطار عدة ، ووجه اليه الكثير من قوارص النقد والتجريح والسخرية ، ولكنه ظل برغم ذلك كله محتفظا برباطة جأشه ، وحاسة الفكاهة التي كانت ملازمة له ، ولم تثنه تقلبات الحظ وعثراته عن محاولة أن يكون نافعا لاخوانه البشر ، وكان دائما على أتم الاهبة ليقدم جليل خدماته لمن يطلبها ، ولكنه كان يرفض المساومة على مبادئه ...

وقد قال أحد النساك المسنين لتزولو ـ من اتباع كونفوشيوس ـ

أليس الافضل أن تتبع هؤلاء الذين أعرضوا عن الدنيا برمتها بدلا من أن تتبع هذا الذي يتنقل من ولاية الى ولاية أخرى ؟ ... وكانت تبدو هذه اللاحظة نصيحة مناسبة لكونفوشيوس .. ولكنه كان يرى أن اليأس هو أعظم الآثام ، ولم يشعر بأن تجولاته عديمة الفائدة .

وكان كثيرون من حكام الولايات في الصين يرون في كونفوشيوس ما يهدد سلطتهم ، وينال من مكانتهم ، ويحول بينهم وبين الافادة من استغلال الاستبداد والاستمتاع بالسلطة المطلقة، ولكن لم يجترىء مع ذلك أي حاكم على أن يطيح برأسه واكتفوا بتعريضه للسخرية والتنقص والزراية ، وقد لقي في النهاية نوعا من التقدير ، فقد مضى زمن على وفاة الدوق تنج الذي قضى نحبه صريع الانهماك في الملذات وخلفه على عرش « لو » الدوق جاي، وأرسل هذا الدوق بعض الهدايا الى كونفوشيوس الذي كان في التاسعة بعد الستين من عمره ، واستدعاه ليعود الى وطنه ، وأشاعت هذه الدعوة السرور في نفس كونفوشيوس، واستجاب لها ، واكتفى هذه المرة بتقديم النصائح ودراسة المشكلات ، وقضى نحبه بعد أن أمضى خمس سنوات في الدراسة وكتب تاريخ قومه ، ومات في الثالثة بعد السبعين من عمره ، وتقول الرواية أن تلميذه الوفي تزي كونج ظل ملازما قبره مدة ست سنوات ، وفي كتابه المسمى «الحوار» الكثير من الاحاديث التي تنم عن شخصيته واتجاه تفكيره ، وهي ترينا انه كان جم العطف على الذين يشقون في هذه الحياة ، ولكنه كان يميل الى أن يعبر عن عواطفه بطريقة عملية ، فحينما أصيب احد اصدقائه بكارثة أمر باطلاق احد خيول عربته وأهداه الى أسرته المنكوبة ، وقال « انى اكره أن أكون الا بتبع دموعي عطف عملي » وكان هذا ديدنه في شتى المواقف والحالات.

وقد حاول الامبراطور شيه هوانج تي (٢٢١–٢١١ ق.م.) اثبات أن التاريخ يبدأ به ، وكره أن يكون لتعاليم كونفوشيوس أثرها في نفوس الصينيين ، فأمر بحرق الكتب ، وخاطر كثير من العلماء الصينيين بالاحتفاظ بكتبه ، ولكن بعد موته حدث رد فعل فقد جعل الامبراطور « وو تي » — الذي خلفه — المبادىء الكونفوشيوسية ديانة الدولة في سنة ١٣٦ ق.م.

الحياة بعد الموت

ويقول البحاثة بريديل كيث في الفصل الذي كتبه لتاريخ العالم عن البوذية والكونفوشيوسية « كان كونفوشيوس يعتقد اعتقادا قويا بضرورة الحفلات الدينية . ومع ذلك فان عقيدته لم يكن يبدو فيها أثر للشعور الديني . ولعل من الواضح أن الصينيين انتهوا الى الاعتقاد بأن السماء شخصية الهية حقيقية ، وانها صاحبة السيادة في العالم الاعلى ، وانها القوة العليا التي تهدي الناس في مصيرهم ، وتكلأ هذا المصير ، ولكننا نجد أن كونفوشيوس يقدم للآلهة الولاء الواجب في حين يقصيهم كل الاقصاء من وصاياه الاخلاقية ، وهو في الواقع لا يعيرهم الثقافة من هذه الناحية كأنهم الآلهة الغريبة الاطوار المتخلفة بالآداب التي خلفها

خيال اليونان الشعرى ، وهو لايتجاهلها فحسب ، بل هو على ما يبدو قد اظهر نحوها شكا عميقا ، وهو يرى من الحكمة للانسان أن يعرف الحدود الحقيقية لمعرفته ، وان يقـــدر مدى جهله ، اذ كيف يستطيع الانسان ان يعرف شيئا عن السماء على حين أنه من الصعب عليه أن يعرف ما يحدث فى الارض ، وكان على هـــذا النحو يتحاشى فى أحاديثه التعرض لاعمال الارواح ، لانه كان يرىأن أرواحهم لا تغنى شيئا فى بناء الاخلاق أو هى لا تغنى الا شيئا قليلا ...

وكان يرفض الاجابة عن الاسئلة التى توجه اليه عن الحياة بعد الموت ، ومن اقواله : « اذا قلت لكم ان الموتى يعون ويشعرون فان الابناء الـذين يحبونهم سيقضون على انفسهم لــكى يجتمعوا بآبائهم الموتى ، واذا قلت لكم انهم لا يعون ولا يشعرون فان الابنـــاء العاصين سوف لا يقدمون حتى على دفن موتاهم » وهذا هو صوت العقلية السليمة التى يمكننا ان نتبين فيهـــا عدم الاعتقـــاد الحقيقى فى استمرار وجود الانسان بعد انقضاء حيـــاته القصيرة .

وقـــد علق كونفوشيوس بفضيلتين عدهما اهم الفضائل ، والفضيلة الاولى فى رأيه هى السلوك السليم أو التزام مراعاة قواعد الخلق القويم ، ويشمل ذلك الادب وآداب اللياقة ، والشعائر الدينية ، والمبـــادىء الاخلاقيـــة ، والفضيلة الثانية هى حب الغير وقـــد ضمنها قوله « لا تفعل بالغير ما لا تحب أن يفعلوه بك » .

وقـــد أضـــاف كونفوشيوس الى فضيلتى الســـــلوك السليم والحب فضائل أخرى وبخاصة الولاء والامانة والحكمة والاستقامة والحياء والوداعة والتواضع .

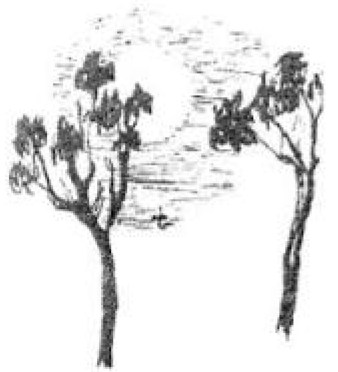
ويقول الاستاذ هومر هـ. دبس – وهو أحـــــد المتخصصين فى دراسة كونفوشيوس – « لسنا نعرف هل كان كونفوشيوس يؤمن بوجود الآلهـــة والارواح الشائعة ، وانمـــا نعرف أنه كان فى الاغلب يعتقد أنها لم تكن سوى صنائع للاله الاعلى وهو السمـــاء . فكـــأن كونفوشيوس يقول اذا كـــان الانسان قد أخطأ فى حق السماء فلن ينفعه التوسل لاى اله آخر لمساعدته ، ولا يوجد اذن سوى اله واحد فى الكون له قدرة ... ففى عصر الاعتقاد بتعدد الآلهـــة كان كونفوشيوس يؤمن باله واحد ، وهذا الاله الاسمى كان يعتقد كونفوشيوس أنه قد أرسله ليعـــلم الناس . وكان يعتقد أن الله سيحميه لانه فى حـــاجة اليه . ففى عصر الاعتقاد بتعدد الآلهة كان موحدا » .

والواقع ان بوذا وكونفوشيوس لم يكونا صريحين فى الحديث عن وجود الله أو عـدم وجوده ، وكانا حينمـا يواجهان بسؤال فى هـــذا الموضوع يجيبان اجابة يشوبها الغموض ، وكانت عناية بوذا واهتمـــامه متجهين الى تخليص الانسان من ربقة الشقاء وقيود تكرار الحيـــاة ، وكان كونفوشيوس معنيا بتوضيح معـــالم الطريق الى الحياة السعيدة التى يتغلب فيهـــا الانسان على مشكلات المجتمع ومتاعب الحياة ، وكلاهمـــا كان لا يميل الى التفكير فيما وراء الطبيعة .

ويرى بعض المفكرين أنه لا يمـكن أن يقوم دين الا على أساس الاعتقاد بوجود اله يثيب المحسن ويعـــاقب المسىء ، ولذلك رأى فريق من المفكرين أن البوذية والكونفوشيوسية أقرب الى المذاهب الفلسفية والانماط الاخلاقية وأشبه بها ، وان بوذا وكونفوشيوس من الهداة المصلحين والمفكرين المرشدين وليسا من طبقة الانبياء أصحاب الرسالات السماوية وحملة الوحى الالهى ..

أنور العطار

الله جلّ جلاله



يا الهى ! قلبى الرقيق تنهد ... مذ صداك الحبيب فيه تردد
يا الهى : طيف العفاء يناجيك وتجواه آنة تتصعد
غاب لما دعاك عن وهدة الاثم .... وعن طينة من الاثم اوهد
يا الهى : انا الفناء اناديك ... وأنت البقاء ترجى وتقصد
اى الطافك العذاب تجلى ... اى آلائك العظام تعدد
حفل القلب بالتقى ، فتصفى ... وجلاه الهدى ، فصلى ووحد
ولهى بهجة ، وحبى لحن ... وابتهالى الغالى نشيد مقصد
فنيت مهجتى بحبك يسارب ... وتغلغلت فى الفناء لاشهد :
اجد الفرحة العظيمة فى الذل ... لربى ، وفى انكسارى سؤدد
شفنى الحب ، فاستحلت نداء ... ومن الحب أيد تلوب وتسهد
وانا العبد هام وجدا بمولا ... ه ، وان الحن فى المحبة أوجد ..

***

يا الهى روحى توله حيرى ... لا تعى امرها ، وثغرى يحمد
طى جفنى عالم لك حلو ... وبنفسى قصيدة لك تنشد
ازرعتها ملائك الحب بالسحر ، فغنى بها الوجود ، وغرد
ما جفت مقلتاى هذا الكرى الها ... نى، كفرا ، الا ووجهك اسعد
انا فى هيكل اللهيف دعاء ... فاض من سرك اللطيف الممجد
ساهد الجفن، خاشع القلب، باك ... ذاهل الروح مستهام مشرد

ارقب الفجـر في غلائله البيض وقد شف عن غبار مبدد ...
جدول رائع يرف من النـور وامواهـه تكاد تـورد
غرق يغمر القلوب ابتهـالا وسنا يملأ النواظر عسجد
واطلت ذكاء في الموكب السـا حر دنيـا من الرؤى تتوقد
انـا آمنت يا الهي بنعمـا ك يقينا ، وما خلقت لأجحد ...

❊❊❊

رب طاو على الضغينة صـدرا عاش في زحمة البلى يتمـرد
نسي الخالق اللطيف وجـدوا ه وعاف التقى ، وتاه وعربـد
لا يبـالي انام في حفر الـديدان ام بالدجى الرهيب توسـد
يومه آثم ، وامسي مجنـون والغد المستهل حلم منضـد
لا يحس الحياة الا ضـلالا من يجدها هدى يسلم وينقد
والاله الرحيم بوسعه الخـير فلا يرعوي ، ولا هـو يرشد ...
يا الهي جداك غمر واحسـا نك فيض على الندى ليس ينفـد
تنطـوي الارض في غياهبها السحم ، وينهار كل برج مشـيد
ويدوي الوجود بالعاب والهـو ن وينسى اخو الهـوى من تودد
يمحي الـرفق من قلـوب المحبين ولا يرحم السـعيد المنكـد
وتمـوج الاكـوان بالبغض والشر وتغلي فيهـا نفوس توعـد
ونداك العميم ينهل سـكبا وآلاؤه تظـل تجـدد

❊❊❊

عزت البيد ، انها موطن البـا س ومجلى عيش النعيم الممهـد
تتثنى بكل اروع سـبا ق وتزهى بكل أبلج أصـيد
ولد الحب في رباها نقيـا وعلى ساحها العـلاء توطد
يا الهي حليت بالنور مغنـا ها ، ومن مهدها أطل محمد ..

● دمشق ● ● أنور العطار ●



■ د. محمد أحمد عوف ■

● القاديانية ●

كانت شبه القارة الهندية ابان اواخر القرن الماضي، تعاني من نير الاستعمار البريطاني ، فحاولت انجلترا بكل الوسائل الفكرية والتبشيرية والمادية تامين الوجود البريطاني في بلاد الهند · ووسط هذا الوجود الاستعماري برزت « القاديانية » عام ١٨٨٤ م · وتزعم هذه الدعوة (ميرزا غلام احمد) في بلدة « قاديان » باقليم البنجاب بالاراضي الهندية · حيث روى قائلا : « دخلت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حجرة · فسالني قائلا : ما هذا بيمينك يا احمد فنظرت فاذا بكتاب بيدى اليمنى

آلهة من صُنع الاستعمار

« اذا اردنا ان نضعف قوة بريطانيا فعلينا أن نضعف الجماعة القاديانية · »

● نهرو ●

وخطر بقلبي أنه من مصنفاتي ، فقلت يا رسول الله اسمه « قطب » ، فقال : « أرني كتابك القطبي » · وبينما انا في هذا الخيال اذا الميت جاءني حيا وهو يسعى وقام وراء ظهري وفيه ضعف كأنه من الجائعين ، فألقى الله في قلبي أن الميت هو الاسلام وسيحييه الله على يدي بفيض روحانيته » ·

وقد نشأ غلام احمد بين أحضان الارساليات الانجليــزية التي كانت موجودة في بلدة (سيالكوت) بالهند· وكانت شخصيته شخصية خيـلائية Farasold في كـل تصرفاته حيث كان يضفي هالة حوله بتصرفاته الشاذة · فتراه يقول أنه « المسـيح الموعود » الـذي بشر به الرسول في حديث « نبوي » وأن روح المسيح حلت فيـــه وأنه « أفاتار كراشن » «Avatar krushn» معبود الهندوس ·

وعلى هذا تجده يفسر لنا الصراع الـــذي سيقوم بين المسيح الموعود والمسيح الدجال · بأنه صراع كلامي· والسلاح الذي سيشهره في وجه الدجال هو سلاح روحاني لان قوة المناهضين لدعوة « المسيح الموعود » سوف تذوب كما يذوب الملح في الماء ·

ومما يؤكد فكرة « الخيلائية » لدى غلام احمد انه طالع الشعب الهندي بمقالة قال فيها « انه عثر في قرية ـ سرنجار ـ بولاية كشمير على قبر السيد المسيح حيث هرب من اضطهاد اليهود له ، واخذ يبشر فيها بالمسيحية والانجيـل » · ومرة اخرى يدعي أن السـيد « المسيح » مدفون في قبـــر الرسول صلى الله عليه وسلم ·

وفسر غلام احمد قصة « يأجوج ومأجوج » التي ذكرها القرآن تفسيرا رمزيا فأطلق على المعسكر الشرقي « يأجوج » وعلى المعسكر الغـــربي « مأجوج » · وبهذا القول اوجد غلام احمد جوا من المشاحنات والمنازعات لخلق فتنة بين المسلمين بالهنـــد لينصرفوا عن قضية تحرير بلادهم ·

والصهيونيـــة
القاديانية
والبهـائية

● تعاليم القاديانية ●

ـ أعلن (غلام احمد) ألا جهاد في الاسلام ولا تسفك الدماء ، ولاسيما دماء الانجليز · وعلى المسلمين أن يضحوا بأنفسهم لحمـــاية الوجود البريطاني بينهم· فها هو ذا يقول في كتابه « تعاليم الاســلام » : أن ديني الذي أبديه للناس مرة بعد مرة هو أن الاســـــلام ينقسم الى منقسمين : الاول أن نطيع الله تعالى · والثاني أن نطيع الحكومة التي أقامت الامن وأظلتنا بظلها وحمتنـــا من الظالمين وهذه الحكومة هي الحكومة البريطانية

وفسر غلام احمـــد قوله تعـالى (اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي

القاديانية والبهائية

الامر منكم) بان « اولى الامر » هم الانجليز · وقال « ان اجهل الناس واحقرهم وابلههم ذلك المسلم الذى يحقد على هذه الحكومة البريطانية »·

٢ ـ كل مسلم لا يتبع « القاديانية » يعتبر كافرا ·

٣ ـ لا تصح الصلاة للقاديانيين فى مساجد المسلمين أو فى جمع منهم كما لا تجوز الصلاة على ميت مسلم او دفنه فى مقابر القاديانيين ·

٤ ـ لا يتزوج القاديانى من مسلمة ولا تتزوج القاديانية من مسلم· لان المسلمين كفرة فى نظر القاديانى ·

٥ ـ محمد رسول الله ، لكن « خاتم النبيين » حسب الفكر القاديانى ، يقصد به «طابعهم» وليس آخرهم·لان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، معه « خاتم » يختم به كل رسالة اتى بها الانبياء · وعلى هذا يقول « غلام احمد » انه مبعوث الله وانه نبى ، وان محمدا ختم رسالته بخاتم الانبياء ·

٦ ـ القاديانية يطلقون على غلام احمد « المسيح الموعود عليه السلام » والدعاء له كالآتى « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى عبدك « المسيح الموعود » وبارك وسلم انك حميد مجيد » ·

٧ ـ يقول غلام احمد عن نفسه انه « كليم الله ، ومحدث الله » ويقول ان الله قال له « انى خلقتك من جوهر عيسى ، وانك وعيسى من جوهر واحد وكشىء واحـــد » · وقال فى كتاب « الاستفتاء » ان الله خاطبه بقوله له « انت منى بمنزلة ولدى » ·

٨ ـ خص غــلام احمــد نفسه بالكينونة قائلا ان الله قــال له « اذا أردت شيئا ان تقول له كن فيكون » ، « لان ما اعطاه الله لكل نبى واحدا واحدا اعطاه لى جميعا » · ويقصــد بهذا الوصف انه يبز الانبياء جميعهم·

٩ ـ يحج القــاديانيون الى بلدة « قاديان » حيث يطلقون على قبــر داعيتهم بها « مقر النبى العظيم » وهذا القبر حسب المفهوم القاديانى يفوق فى قدسيته الحج الى مكة !!

القاديانية المعاصرة

بعــد موت غلام احمــد انقسمت القاديانية الى جناحين :

أولا : جماعة « القاديانية » وهذه تعتبر من الغلاة لانهــا تطلق على « غلام احمــد » النبى « المسيح الموعود » وتتهم كــل مسلم لا يؤمن بتعاليم القاديانية بالكفر ·

وثانيهما : جماعة « الاحمدية » او جماعة « لاهور » وهذه الجماعة تعتبر غلام احمد مجــددا للاسلام · لكن « مولاى محمد على » وصفه بانه كليم الله فى تقديمه لكتاب « تعــاليم الاسلام » الذى وضعه غلام احمد ·

و « جماعة لاهور » ، رغم انهـا قللت من التعــاليم القاديانية والغت الكثير منها ، الا انها تعتبر كــل مسلم لا يؤمن بدعوتهــا فاسقا ··· كما انهــا عام ١٩٤٠ م حاولت الزج بطالبين فى كلية اصول الدين بالازهر الشريف لكنهما طردا بامر من شيخ الجامع الازهر عقب محاولتهما نشر كتب عن الاحمدية ، واعتبرتهمــا مشيخة الازهر كافرين ·

وللقاديانية عدة مراكز يطلقون عليها المراكز الاسلامية الاحمدية · وهى منبثة

في أرجاء العالم رافعة شعار الاسلام، وتمارس الدعوة للتبشير القاديانى . قلبها مراكز فى (هامبورج) بالمانيا ، ولنـــدن ، ومـــدريد ، وزيوريخ ، وواشـــنطن ، ونيويورك ، وشيكاغو ، وســـان فرانسيسكو ، وسيراليون ، وساحل الذهب ، ونيجيريا ، ونيروبى، وتابور ، وعدن ، ولبنان ، وسيلان ، وبورمـــا ، وماليزيا ، وأندونيسيا ، والفلبين ، وسنغافورة .

● البهائية ●

طلع « على محمد » عام « ١٨٨٤م » بمقالة ادعى فيها انه « الباب » أى الباب الموصل الى الله . وبعـــد أن أعدم ، انقسمت الدعوة البـــابية الى ثلاثة أحزاب هى :

١ ــ « جماعة البـــابية الخلص » التى التزمت بالخط البـــابى الملتزم بالبيان كتابها المقدس .

٢ ــ « جماعة البابية الازلية » ، وهى التى تزعمها بعد الباب « صبح أزل » الذى وضع لاتباعه كتابا مقدسا قلد فيه القرآن فى ترتيب سوره وآياته وأسلوبه ، لكنه أخفق .

٣ ــ « جماعة البهـــائية » ، وهى الدعوة التى ظهر بها « ميرزا حسين على » عام « ١٨٩٣ م » حيث أعلن أنه « البهاء » وأنه « مظهر الله الاكمـــل وجماله البهى الابهى » . وأن الرسل الذين سبقوا ظهوره بما فيهم «الباب» أتوا جميعهم يبشرون بمجيئه . « وهو الاله لا اله الا هو ولا قيامة ولا آخرة الا بدايته ولا دين الا دينه »

ودبت المشاحنات بين هذه الاحزاب الثلاثة لدرجة الهجوم الســافر وتكفير كل حزب للآخر . ممـــا جعل الخليفة العثمانى يأمر بطـــرد كل البـــابيين والبهائيين من العـــــراق واحضارهم لتركيا ، حيث عاش الازليون والبهائيون فى منطقة « أدرنة » التى كانت معقلا يهـــوديا وكانت مركزا للصهيونية العالمية .

وأوعز اليهود الى سلطان تركيا بان ينفى الازليين الى قبرص والبهائيين الى « عكا » بفلسطين . فنجد « البهاء » يأمر اتباعه وهم معه فى هذه المنطقة بأن يكفوا عن الجهاد للتمهيد للوجود الاستعمارى الصهيونى . وهذا يبث فى النفوس الخنوع والخضوع . كما اباح « الربا » ليعطى فرصة للمرابين من اليهود بان يتسلطوا على الاقتصاد الفلسطينى والسيطرة عليـــه لاستغلال الفلسطينيين .

وكان « البهـــاء » يرى فى الاسواق سائرا وعلى وجهه برقع ليخفى « بهاءه » المصطنع عن الاعين . فلايحق لشخص رؤية « بهائه الذى لاتدركه الابصار »!

ولما مات « البهاء » دفن فى قبره « الاقدس » بعـــكا ، ويتجه اليـــه البهائيون فى حجهم وصلاتهم كل يوم وهذا تخطيط لجعل كل البشر يتجهون بدعوتهم الى « اسرائيل » تحقيقـــا لمـــا جاء فى بروتوكولات حكمـــاء « صهيون » .

وخلف « عباس افندى » اباه وأطلق على نفسه لقب « عبد البهاء » . وكان يسير فى شوارع القدس مرتديا زيا كهنوتيا شاذا يلفت به الانظار ، وكان يضع على رأسه تاجا اشارة الى تملكه للعالم .

و « عبد البهاء » كان له دوره البارز

في تاريخ الحركة البهائية حيث طور تعاليمها لتلائم التفكير الغربي ، واستقى من اليهودية تعاليمها واستعان بالعهد القديم وأحبار اليهود الذين أمدوه بالمعلومات التي بثها في نطاق البهائية .

وفي عام ١٩١٢ سافر « عبدالبهاء » الى امريكا ومكث هناك تسعة أسابيع زار فيها الجامعات الامريكية وهللت له صحافة الولايات المتحدة . ثم زار بعدها باريس ولندن والمانيا والنمسا ..

ولما نزلت القوات البريطانية فلسطين هلل لها « عبد البهاء » قائلا : « أن الله خلص فلسطين من أيدي العرب لتعود الى أصحابها » (يقصد الصهاينة) . وزاره الجنرال « اللينبي » وقدم له وسام الامبراطورية البريطانية من طبقة « سير » في احتفال مهيب لاضفاء هالة حول الداعية البهائي .

وبعد « عبد البهاء » خلفه « شوقي افندي رباني » الذي أطلق على نفسه « ولي أمر الله » ولما سافر الى بريطانيا داهمته أزمة قلبية قضت عليه ، وواجه البهائيون مشكلة نقل جثمانه لان عقيدتهم تحرم نقل الميت اكثر من مدة ساعة زمن ، فاضطر البهائيون لدفنه في صندوق وضعوه في مقبرة خاصة قرب لندن ، وهي الآن مزار للبهائيين .

وللآن لم يقول زعامة البهائيين سوى مجلس مشكل في اسرائيل ومقره حيفا ، حيث يشرف على شئون الطائفة البهائية في العالم ، وتطبع كتبها لدى الحكومة الاسرائيلية التي تمدها بالاموال والمعونات .

● التعاليم البهائية ●

١ ـ البهاء هو مظهر الله مجسدا على الارض وهو اله الخلق حسب مفهوم البهائيين .

٢ ـ الصلاة ثلاث صلوات « حين الزوال ، وفي البكور ، والآصال »

القاديانية والبهائية

وتشمل الصلوات الكبرى ، والوسطى ، والصغرى ، والصلاة فردية ولا توجد صلاة جماعة سوى الصلاة على الميت .

ويقول البهائي في صلاته الكبرى « يا اله الاسماء وفاطر السماء أسالك بمطالع غيبك العلي الابهى بأن تجعل صلاتي نارا لتحرق حجباتي التي منعتني عن مشاهدة جمالك ونورا يدلني الى بحر وصالك » . ثم يقول « الله أبهى » في تكبيره .

وفي الصلاة الوسطى يقول البهائي : « شهد الله (البهاء) انه لا اله الا هو (أي البهاء) له الامر والخلق ، قد أظهر مشرق الظهور ومكلم الطور الذي به أنار الافق الاعلى ونطقت سدرة المنتهى ، وارتفع النداء بين الارض والسماء ، قد أتى المالك الملك والملكوت والعزة والجبروت لله مولى الورى ومالك العرش والثرى » .

وفي الركوع يقول : « سبحانك عن ذكري وذكر دوني ووصفي ووصف من في السموات والارضين » .

وفي الصلاة الصغرى يقول البهائي : « أشهد يا الهي بانك خلقتني لعرفانك وعبادتك أشهد في هذا الحين بعجزي وقوتك ، وضعفي واقتدارك ، وفقري وغنائك ، لا اله الا أنت المهيمن القيوم » .

والصلاة على الميت ، يكبر ست تكبيرات يقال فيها « الله أبهى » ..

وهناك صلاة على الميت الذكر يقال فيها : « يا الهي هذا عبدك وابن عبدك الذي آمن بك وبآياتك وتوجه اليك منقطعا عن سواك انك انت ارحم الراحمين » .

والميت الانثى يقال عليها في الصلاة : « يا الهي هذه امتك وابنة امتك التي امنت بك وبآياتك وتوجهت اليك منقطعة عن سواك انك ارحم الراحمين » .

٣ ـ والحج مقصور على الرجال دون النساء وهو التوجه الى «الاقدس» المقام المقدس في عكا باسرائيل او الى بيت بالكرخ في العراق حيث كان ينزل البهاء ابان محنته ، وهذا البيت رغم انه حول الى مسجد « الحسينية » الا ان البهائيين يعتبرونه « كعبتهم » .

٤ ـ الزواج .. لا يتعدى زواج الاثنين ، ولا يمكن ان تتعدى الخطبة ٩٥ يوما ، والا تتجاوز المدة بين العقد والزفاف اليوم الواحد . ويستحسن البهائيون الزواج من الاباعد ، ويجوز الزواج دون شهود أو عقد ، وصيغة العقد أن يقول الرجل « انا لله راضون » ، وتقول المرأة « انا لله راضيات » .

٥ ـ أماكن العبادة يطلق عليها البهائيون المحافل البهائية . وهذه المحافل منبثة في معظم بلاد العالم في طهران ، وفي بغداد (الغيت أخيرا) ، واستانبول ، ونيو دلهي ، وكراتشي ، وجاكارتا ، وطوكيو ، وكمبالا ، ولندن ، وجنوب أفريقيا ، وباريس ، وبون ، وفينا ، ومدريد ، وشيكاغو ، وفرانكفورت ، وسدني ، وتونس ، وقطر ، وجواتيمالا . علاوة على بعض المحافل التي يطلق عليها « مشارق الاذكار » .

٦ ـ تدعو البهائية الى فكرة الدين العالمي واللغة العالمية وهذا تحقيق لاهداف بروتوكولات حكماء صهيون .

٧ ـ الحرية يقول عنها البهاء في « الاقدس » الكتاب المقدس لدى البهائيين : « اننا نرى بعض الناس أرادوا الحرية ويفتخرون بها أولئك في جهل مبين ، ان الحرية تنتهي عواقبها الى الفتنة التي لا تخمد اوارها » .

وفي هذا لا شك تمهيد للاذهان لعدم الجهاد ضد المستعمر في فلسطين .

٨ ـ الاعياد البهائية هي عيد « النيروز » وهو أصله عيد فارسي ، وعيد الرضوان وهو اليوم الذي أعلن فيه البهاء أنه مظهر الله . وعيد ولادة الباب ، وعيد ولادة البهاء ، وعيد اعلان دعوة الباب .

٩ ـ والسنة البهائية ٣٦١ يوما . وتضم ١٩ شهرا بهائيا كل شهر ١٩ يوما ... وهذه الاشهر هي « شهر البهاء ، وشهر الجلال ، وشهر الجمال ، وشهر العظمة ، وشهر النور ، وشهر الرحمة ، وشهر الكلمات ، وشهر الكمال ، وشهر الاسماء ، وشهر العزة ، وشهر المشيئة ، وشهر العلم ، وشهر القدرة ، وشهر القول ، وشهر المسائل ، وشهر الشرف ، وشهر السلطان ، وشهر الملك ، وشهر العلاء)

١٠ ـ الاسبوع سبعة أيام يطلق عليها :

يوم السبت هو يوم الجلال

الاحد هو يوم الجمال

الاثنين هو يوم الكمال

الثلاثاء هو يوم الفضال

الاربعاء هو يوم العدال

الخميس هو يوم الاستجلال

الجمعة هو يوم الاستقلال

هذا عرض سريع لطائفتين ظهرتا بافكهما في أحرج الفترات التاريخية التي مرت بالعالم الاسلامي . وكان هدفهما تدعيم الوجود الاستعماري والصهيوني وخلق الفتن بين المسلمين وتشكيكهم في عقائدهم ...

مسعود سماحة



الملك ملكك والبهــــاء بهاكا ... والارض ارضك والسماء سماكا
الكون مع ما فيه من متحرك ... او ســـاكن قد كونته يداكا
نظمت امكنة النجوم وسيرها ... والارض والقمرين والافــلاكا
لا مسعف الاك ، لا متسامح ... الاك ، لا متســلط الاكـــا

***

تهوى العروش وعرش مجدك ثابت ... وسواء ملكك كل ملك فـاني
سلطان مجدك انت فيــه أول ... لا رأى فيما ترتئيه لثـــاني
من بعض حسنك كل حسن في الورى ... والنور بعض بهاك والقمـران
لا العقل يدرك كنه سرك، لا ، ولا ... تلقى جمالك مقلتا انسان ...

***

والملحدون وكلهم متجـــاهل ... او جاهل لا يقبـــل البرهانا
قالوا الزمان هو الرقى وقولهم ... يوهي الجحود ويدعم الايمانا
من أوجد الاسماك في ابحارها ... من كون الاجسام والانسانا ؟
من قيد الابحار في قيعانهـــا ... من نظم الافـــلاك والاكوانا

***

حارت عقول الباحثين وقصرت ... وسواك كل عاجـــز ومقصر
لم يعثروا الا بما اوحيتــــه ... والاعته لهم ، ولما يعثروا ...
ما قصروا في البحث .. لكن لم تشا ... رفع الحجاب عن المصون فقصروا
لو رمت كشف حجاب سرك للالى ... بحثوا لابصره الذى لا يبصر



رصدوا النجوم فلم تفتهم غاية ... منها ، ولم يشكل عليهم امرها
والكيميـــا دانت لعلمهم ولم ... يغمض عليهم حلوها او مرها
قاسوا البسيطة: برها وبحورها ... وعنا لهم قر الفصول وحرها
لكن بعض سرائر حجبتهـــــا ... طمست عقولهم ، واغلق سرها

❋❋❋

هذا باطمار يطوف وغيـــــره ... بالفرو والخز الموشى يرفـــل
هذا قوى الجسم ، هذا واهن ... هذا بلا حول ، وهـــذا احول
هذا فضولى ، وهذا فاضـــــل ... هذا نطاسى ، وهذا اخطـــل
سر جلالك صانه ، فعلى الورى ... ان يذعنوا لعلاك ،لا انيسالوا

❋❋❋

لك رحمة فيها اليـــراع مقصر ... وبيان ارباب الفصـــاحة اعجم
لو رمت عدلا فى الخليقة لم يعد ... فى الارض مخلوق به يجرى الدم
قالوا الخطاة المجرمون مصيرهم ... لجهنم ، وسواك كل مجـــرم
حاشى لرحمتك الوسيعة ان ترى ... نفسا وانت صنعتها تتـــالم

❋❋❋

ضل الغنى بماله ولو اهتــدى ... لراى الغنى بازاء باب المحسن
إعطيته مالا ، فمجـــــد ماله ... لا مؤمن بالتبر فيـــك بمؤمن
لم يـــدر ان المقتنى يفنى ونـــور ... علاك وضـــاح ، ويفنى المقتنى
والموت قد ساوى الورى، ففقيرهم ... يتجرع الكاس العتيـــدة كالغنى

❋❋❋

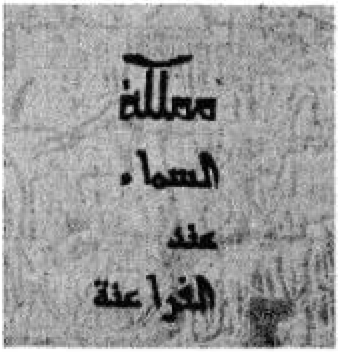
نخشى الممات ، وما لنا من حيلة ... فى رده عنا ، ولا من مهـــرب
الملك كالمملوك .. يجرع كاسه ... والطفل يطرق بابـه كالاشيب
نعنو له متهيبين .. وليتنـــــا ... نعنو لسطوته بدون تهيب !
فالموت مرقاة النفوس لربهـــــا ... وهنا يزول شقاء جسم المتعب



مملكة السماء عند الفراعنة

د . نجيب ميخائيل

كان المصري القديم يخشى الموت عادة ، ويخشى قوى الشر المتصلة به ، ولكنه كان يدرك انه وسيلة لاتخاذ صورة جديدة للحياة .. ورغبته في المحافظة على الصلة بين الـ « با » والـ « كا » في عالم ما وراء القبر ، فقد وجد أن من الضروري أن يظل الجسد سليما بقدر الإمكان ، ومن أركان التحنيط الذي يستهدف حفظ الجسم من البلى ، وكانت عملية التحنيط كله ما تم بالنسبة « لأوزيريس » الذي يفترض أن « أنوبيس » جمع أعضاءه بمعونة ايزيس ونفتيس ..



وقد عاد « أوزيريس » للحياة ثم أسس مملكة الابدية فى العالم الآخر ، وكان الناس يستطيعون أن ينعموا - كما نعم « أوزيريس » - بالحياة بعد الموت ، وذلك بأن تمارس لهم نفس طقوس التحنيط . ولسنا نعرف على وجه التحقيق ان كان الجسد يقطع فى هذه العملية عمدا (تقليدا لتقطيع أوصال أوزيريس) أو لا ، وان كان الكشف عما يبدو أنه أجساد مقطعة نسبيا داخل لفائف كتانية سليمة فى دشاشة يوحى بذلك · ولكن يبدو أن ثورة ما قامت ضد هذا الاجراء أدت الى القضاء عليه ·

ومن أهم طقوس الدفن طقس فتح الفم الذى كان مقصورا فى أول الامر على الملوك ثم شاع بين الافراد ، وهدفه اعادة الميت الى قواه العادية لتمكينه أحيانا من ترديد كلمات صحيحة وجعله حيا من جديد · وهكذا فانه طقس بعث وخلود · وكان القبر هو الاداة التى يمكن التغلب بها على تحلل شخصية المرء نتيجة للموت

فهو مكان تغير الشكل « ساخ » ، وهى كلمة تطلق على الشعائر الجنازية ، وتعنى تحويل الميت الى « آخ » أو « روح تغير شكلها » · ويضم القبر الهيئة العضوية كمومياء أو تماثيل ، ويضم مجازا مئونة من أجل الـ « كا » ، ويمنح الفرد أساسا لكيانه بعد الموت ، ذلك الكيان الذى يمتد وراء حدود القبر ·

من أجل هذا حرص المصريون منذ عصور ما قبل التاريخ على دفن موتاهم ، وكانوا يؤمنون بأن روح الميت وجسده الذى يدفن مقرها الارض أو العالم السفلى · وكانت أرواح الموتى تهيم فى الصحراء ، ولكن مقرها فى العالم السفلى ومعها هناك متطلبات الجسد · وقد استحدثت بعد ذلك - فى عصور ما قبل التاريخ كذلك - فكرة جديدة عن المستقبل برزت وتطورت ، هى فكرة ان الميت حين يموت تترك روحه الجسد فى القبر وتطير الى السماء كطائر ، وهناك تلتقى ببديله · أى أنه كان يظن ان المرء - شأنه فى هذا شأن الآلهة - يستطيع أن يكون فى السماء وعلى الارض فى نفس الوقت ، وان كان ذلك فى صور مختلفة ·

والبديل - كبديل - كانت له روح وجسد وان اختلفت طبيعته فهو أثيرى مثل جسد الآلهة · وحين تصل « با » المرء الى السماء تصبح « الروح الخارجية » للـ « كا » التى له ، ومعنى هذا أن المرء فى السماء يتكون من جسد أثيرى له روحه بالاضافة الى « الروح الخارجية » التى كانت هى الـ « با » الخاصة بجسده حين كان يعيش على الارض · والـ « كا » السماوية (أو الـ « كا » « كـ » « أخو ») وكذلك الـ « با » الارضية ، كانا الهين فى السماء ، وكانت الروح (الـ « با » أو الروح الخارجية) هى وحدها التى

تستطيع أن تزور القبر متخذة هيئة الطائر أو الطائر برأس آدمي .

وعن طريق الطقوس الجنازية يصبح الموتى « أخو » ، ويعرفون بـ « الأرواح المتغيرة الهيئة الكاملة العدة » وبينما يظهر الميت على الأرض كـ « با » نجده منفصلا بوصفه « أخو » عن البشرية تماما ، ومن ثم كان يرى ليلا على هيئة نجم في السماء .

وليست الأفكار عن الـ « با » والـ « أخ » متعارضة أو متضادة ، ذلك أن الميت يمكن أن يظهر على الأرض كـ « با » ولكنه في الوقت نفسه « أخ » في صورته المميزة للكيان . والفكرة عن الميت كـ « أخ » تبدو أكثر الأفكار انعزالا وغموضا ، ولكنها هي التي تمنحه أعظم رونق لأنها تتضمنه في النظام الفلكي الدائم .

وقد نتساءل كيف أن المصريين وهم يرون ـ كقاعدة ـ أن التغيير المتكرر المنتظم هو التغير العام التقليدي ، استطاعوا أن يهتموا بموت الانسان ، وهو على أية حال حدث فردي ؟..

ان الايمان بالخلود في القبر وظهور الـ « با » لا يجيب عن هذا التساؤل ، ولكن الاعتقاد في الـ « أخ » يدل على أن التغير بسبب الموت ينقل المرء من مجال عدم الاهمية الى مجال الاهمية ، ومن صورة الوجود القريبة السريعة الزوال ، الى صورة دائمة غير متغيرة .

● البديل والروح والجسد ●

يشير تقديم القرابين والتقدمات في المقابر منذ عصور ما قبل الأسرات ، الى أن القوم اعتقدوا في الوجود بعد الموت ، وهو وجود حي لا للجسد ، بل لعنصر آخر يستطيع أن يكون منفصلا عن الجسد لفترة طويلة بعد الموت . وهذا العنصر غير مرئي عادة (وإن كان من الممكن أن يرى أحيانا) وهو يخلد عن طريق الطقوس (مثل طقس فتح الفم) ويمكنه ـ مع بديله ـ أن يظلا خالدين عن طريق التقدمات .

وهذا العنصر ليس خالدا في ذاته وإن كان من الممكن أن يجعل كذلك ، ويمكن أن يوفر الحياة الأبدية للمرء ـ للـ « با » ـ عناية النسل من الأحياء عن طريق التقدمات التي تستطيع الـ « با » عن طريقها أن تصبح « قوية » و « قادرة » أي « حية » ، والروح هي التي تعاد للحياة ، ويحتفظ بها خالدة أما الجسد « خت » فلا يبعث بل يظل في القبر .

وتتصل الـ « با » التي « تحيا » بالبديل (كا أو كا كـ « أخ ») للميت « كروح خارجية » ، والتقدمات التي تقدم عند القبر (وتمثل على الجدران) تجعل كلا من الـ « با » والـ « كا » (الروح والبديل) يعيشان الى الأبد . وهذا هو المعنى الوحيد الذي نستطيع أن نقوله عن « البعث » .

أما الجسد في القبر فيظل محفوظا على طريق الاضاحي كما يستطيع بديله في السماء أن يمكن من الحياة ، ومن ثم فلا بعث للجسد المادي وان كان الجسد الروحي « أخو » يصعد الى السماء حيث يبدو أنه يتطابق مع الـ « كا » . ولا يستطيع اتحاد الـ « با »



وال « كا » أن يعبدأ التجسد بالمعنى الحديث · ان ال « كا » بديل يحتل جسداً روحياً وليس جسداً مادياً ·

أفكار موغلة في القدم

مما تجدر ملاحظته أن هدف الرحلة «مسكن الموتى» قلما يوصف · والفقرات القليلة التي تتحدث عما وراء عالمنا الذي نعيش فيه ، والتي تشير الى حقول الشعير ذي السنابل التي يبلغ طول الواحدة منها خمس أذرع تعتبر ثانوية كما سنرى ·

والاوصاف المقابلة هي لعالم سفلي مظلم مرعب · ونحن لا نجد في النصوص المصرية وصفاً للحقول أو جزيرة المنعمين · ويتفق تحديد العالم الآخر والعقيدة التي تلتقي بها تحت مختلف صور الحياة بعد الموت · لم تكن هناك أرض للموتى حتى توصف ، بل ان الموتى كانوا « يعيشون في مدار فلكي للشمس والنجوم ··· كانوا يعيشون في السماء كما يعيشون وراء الافق في العالم السفلي ··· كانوا ينزلون في الغرب ويقومون في الشرق ، وقد حصلوا في نفس الوقت على بعض الصلة بقبورهم ، وعن طريقها بالحياة على الأرض ، ولكن سعادتهم الدائمة كانت وراء الارض والقبر » ·

وحين كان من الضروري الاشارة الى الاقليم الذي يسكن به الموتى ويراد تجنب كلمات « السماء » و « العالم السفلي » كان الاصطلاح الذي يستخدم هو « حقل القصب » أو « حقل الأسل » وهناك اصطلاح بديل أحياناً هو « حقل التقدمات » وهي تسمية قد تبدو غريبة لمكان الحياة الدائمة ، ولكنها تشير الى ان المرء يجب أن يكون « معداً اعداداً تاماً » حتى يخلد دواماً ، وهي تبين كذلك

مملكة السماء عند الفراعنة

ان الافكار المتصلة بالقبر لم تكن تتعارض مع معتقد الخلود ·

ومما تجدر ملاحظته أن تعبير « حقل الأسل » له صلة بأفكار بدائية موغلة في القدم فهو يتجاهل الحياة الزراعية التي تميز العصور التاريخية في مصر ويضغط على المنظر البدائي للوادي قبل أن تهذبه جهود الانسان وفي حالته قبل ممارسة الزراعة ، ومن ثم فان « حقل الأسل » والتفكير فيه كأرض للموتى يرجع الى أقدم طبقات العقائد المصرية ·

ولم يكن اعتقاد المرء في الخلود بعد الموت ليمحو من خاطره الخوف من الموت الذي نجد له صدى في العوائق التي تعترض الطريق الى النعيم ، ومن بينها : البحيرة الدوارة ، بحيرة الألف طائر المائي ، بحيرة ابن أوى · ثم هناك كذلك بحيرة الأسل وبحيرة الفجر ·

و « حقل الأسل » جزء واضح من هذا المنظر يعبره المرء من أحد جانبيه

فى الطريق الى الماء او ينزل من « الحقل » بعد عبوره ، ومن هنا يبدو الحقل كمكان يمر فيه المرء على « الطريق الصحيح ··· طريق المدار الفلكى » ، فحقل الأسل هو التكملة الخيالية للعائق المائى الذى يجب على الميت أن يتخطاه ··· وهو فى بعض النصوص مكان التطهير الذى يصعد منه الى السماء بل هو فى بعضها السماء نفسها ···

وعلى أية حال فليس لحقل الأسل مكان محدد بل انه يلتمس كانما هو المكان الذى يرتبط فيه الموتى بأى جزء من المدار الشمسى أو النجمى ··· واذا نحن تابعنا الفكرة القائلة بأن الميت يلحق بالشمس ، فان العائق المائى يصبح بحيرة الفجر التى تخرج منها الشمس (كما سنرى فيما بعد) ولكن الماء الذى تشرق منه الشمس هو كذلك « نون » المحيط البدائى الذى انبثقت منه الشمس يوم الخليقة ، والذى احاط بالارض ودعمها منذ هذه المرحلة ·· تلك الارض التى برزت من وسطه ···

وهذه الفكرة منطقية مادامت للمحيط البدائى قوة الاحياء ، وهكذا فان الماء الذى يعبر هو المحيط البدائى ، واما الهدف فهو جزيرة اللهب حيث خرجت الشمس عند خلق العالم · واذا كان على المرء أن يعبر الامواه البدائية فى الموت — وهى تحت الارض كذلك — فانه ليس هناك من تناقض اذا افترض أن ينزل المرء الى مقبرته ، لكى يعبر هذه المياه فى العالم السفلى ، ذلك لان الشمس بدورها تنزل فى الغسق وتمر فى العالم السفلى قبل الصعود فى الفجر ، وبنزول الانسان الى القبر يتصل بالشمس فى سراها الليلى ·

وفى الموكب الجنازى يتم عبور النيل كذلك وهو أمر يستهدف دعم جهد الميت ، ولئن كان هناك ماء يعبر فلابد من نوتى يساعد على العبور ، ولئن كانت هناك بوابة فلابد من بواب يصر على سماع كل الردود أو تقاضى الاجر ، ومن ثم كان على المرء أن يسلح نفسه بالتعاويذ والاوراد والرقى ليتخطى هذه المخاطر والصعاب والعقبات جميعا ·

● فلسفة الحشر والنشور ●

كانت هناك فكرتان عامتان عن عالم ما وراء القبر تطورتا فى مصر القديمة · أما اقدمهما فعن العالم السفلى حيث يحكم اوزيريس ، وأما الاخرى فمملكة سماوية حيث « رع » (إله الشمس) سيدا وملكا ، وهى كالاولى أرض بلا عودة ·

وتمثل المملكة السماوية فى رأى كهنة الشمس املا فى مجد دائم فى حضرة بهاء اله الشمس « رع » ، ولم يكن يدخلها فى أول الامر سوى الملوك ، ولكنها أصبحت بعد ذلك مشاعا للجميع · اما عالم المستقبل « الاوزيرى » فعالم سفلى فى مظهره · وقد أدرك المفكرون الدينيون فى « أون » (مقر عبادة الشمس) قوة تأثير اللاهوت الاوزيرى ، وحاولوا أن ينسجوه فى طريقتهم الشمسية كما يتضح فى متون الاهرام ·

ومكان المستقبل « الاوزيرى » فى السماء كذلك ··· فى الافق ، أو فى الاقليم السفلى من السماء · ولقد أقام « رع » — « أوزيريس » من الموت وأطلق عليه لقب « سيد السماء »



كمـــا يزعم لاهويتو « أون » وان لم يستطيعوا أن ينتزعوا منـــه حقوقه القديمة والقابه فهو « سيد الذات – العـــالم السفلى » ، والنجـوم التى لا تفنى هى « أتباع أوزيريس » ٠

وقد ازرت (نسبة الى اوزيريس) الحواريس الاربعة الشرقية ، كمـــا ازرت الطقوس الجنـــازية فى متون الاهرام واصبح « النـــاظر للوراء » « بواب أوزيريس » ، وبالمثل كان له السلم ، وقارب التعـــدية ، وطوف القصب ٠٠٠ الخ ، ولكن بينما كانت « الفـــكرة الاوزيرية » للغرب تقحم نفسهـــا فى متون الاهرام بدىء فى تخذيلها وظلت التعاليم الشمسية عن العـــالم الآخر تسيطر على لاهوت « أون » ٠

ونحن نلتقى بفلسفة الحشر والنشور الاوزيرية فى اربعة كتب متأخرة عن متون الاهرام ، وكلها نال منها النقل عـــلى مر العصـــور وهى كتب ٠ « الطريقـــان » ، « المـــوتى » ، « البوابات » ، « أم دوات » ٠

وقد جرى العرف على تقسيم الاوراد الجنازية الى ثلاث مجموعات كبيـرة وذلك بالنسبة لعهد كل منها واسلوب كتـــابته وهى « متون الاهــــرام » (وظهرت فى مقـــابر ملوك الاسرة الخـــامسة – آخر ملك – والاسرة السادسة) ٠ و « نصوص التوابيت » (وكتبت فى عهد الدولة الوسطى على الجـــدران الداخليـــة لكثير من التوابيت) ٠ و « كتاب الموتى » (وهو عبارة عن أوراد كانت تكتب عـــلى قرطاس من البردى يوضع الى جانب الميت منذ الدولة الحديثة) ٠

ويطلق على العالم الاوزيرى اسم « دات » او « دوات » ٠ وهناك كلمات اخرى تعبر عن هـــذا العالم مثل « ايجرت » (مكان الصمت) و « قبحو » (مكان المـــاء البـــارد) و « ايمنت » (الغرب) و « حرت نثر » (مملكة المـــوتى) و « زسرت » (الارض المقدســـة) و « تا عنخ » (أرض الحياة) ٠

● السحر والرقى والطقوس ●

و « سيد الذات » هو «أوزيريس» ٠ ووظيفته سلبية كما سنرى فيما بعد ، اذ انه يجلس على عرشه حيث يتقدم اليه الميت يقوده له ابنه « حورس » او يقوده اله الموتى القديم «انوبيس» ٠٠٠ و « الدوات » صورة أخرى من مصر ، وهنـــاك « دوات عليـــا » و « دوات سفلى » بهـــا نهر يجرى بحر فوقه قارب الشمس ٠ وبالدوات سبع صالات (وفى نص آخر ٢١) وكذلك ١٠ – ١٥ صرحا (وفى نص آخر ١٤٩ او ١٥٠) وبه ١٤ او ١٥ تسما ٠ وهناك نص فى كتاب البوابات يشير الى اثنتى عشرة بوابة ، وفى كتاب الـ « أم دوات » ، تسمى أجـزاء الدوات « ساعات » منهـــا ١٢ تمثل الوقت الذى تستغرقه رحلة اله الشمس فى « الدوات » ٠

وهنـــاك تعريف عام للدوات (او جزء منه كما يظهر فى النصف الاول من الدولة الوسطى) هو « راستاو » الذى يشير بصـــفة عامة الى مدخل العالم السفلى ، وتبين احدى خرائط العالم الثانى ان من يدخل ممـــلكة الموتى من يكونون فى هـــذا المكان المقدس (راستاو – بالقرب مـــن الجيزة) فانه يجد امامه «الطريقين» ٠

ولم تكن « الفـــكرة الاوزيرية » لعـــالم المستقبل مهمـــة فى متون

مملكة السماء عند الفراعنة

التوابيت اهمية الفكرة الشمسية ، ولكن التفكير حول الموتى شغل الاذهان فلم يمض قليل حتى استطاعت « القضية الاوزيرية » أن تجعل من نفسها أمرا محسوسا فاصبح «الغرب» مهما كـ « السماء » وان حرص دعاة اللاهوت الشمسي على نشر فكرة الرعب عن مملكة الموتى الرهيبة ... واخذت العقيدتان تتداخلان فطبقا للعقيدة الاوزيرية كان على الميت ان يراعي جمع الملائه في العالم السفلي ، وطبقا للعقيدة الشمسية كان عليه أن يراعي أمر زينته اليومية كاله الشمس .

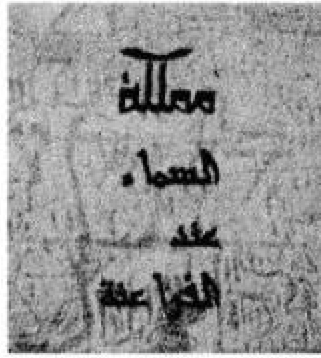
وقد استغلت العقيدتان في السحر والاوردة والرقي والصلوات والاناشيد والطقوس ، واستطاعت العقيدة الاوزيرية بنهاية الدولة الوسطى أن تتغلغل في أعماق الشعب وتستحوذ على خياله وارتبطت الاخلاقيات بـ « الكائن الطيب » (أوزيريس) وازرت في نهاية الامر فلسفة الحشر والنشور تماما . ومنذ بداية الاسرة الرابعة والعشرين على الاكثر حتى نهاية الفكر الديني المصري ، ظلت العقيدة الاوزيرية عن المستقبل كما هي دون أن يعتورها تغيير .

● يعيش على الطعام السماوى ●

ولقد كان المصريون يعتقدون في حساب كل الارواح بعد الموت ، وطبقا للعقيدة الاوزيرية كانت كل روح تتقدم نحو « أوزيريس » كقاض ومن ورائه « ايزيس » و « نفتيس » ، ويقودها الى حضرته « حوريس » أو « أوزيريس » ، ومن حوله اثنان واربعون من القضاة . وتعد اثنتان واربعون جريمة أو اثما تنكرها الروح ، ويلي ذلك وزن القلب مقابل ريشة (رمز الحق) . ويمثل «تحوت» دور الكاتب . فاذا ابينت الروح افترسها وحش معد لهذا الغرض . واذا برئت سمح لها أن تتجول في حقول المباركين الطوبين .

واما طبقا للعقيدة الشمسية فان قاضي الموتى هو « رع » تساعده ابنته « ماعة » ربة الحق » ورمزها ريشة كذلك » .

وتبين دراسة العقيدتين أنه منذ عهد الدولة القديمة كانت هناك حالتان متميزتان تؤديان الى التطويب هما الطهارة والعفة ... والطهارة جسدية مادية ، واما العفة فمظهر من الاستقامة والعدالة ، وكما يستحم « رع » في المحيط السماوى حين



يشرق في الصباح ، فان الملك المتوفى كان يفعل ذلك أيضا • وكانت للتطهر دلالة روحية كذلك • اما تقييم العفة فيتم عن طريق الاختبار الخلقي وهو المحاكمة التي عرفت منذ عهد الدولة الوسطى على الاقل ، وقد سرى الاعتقاد بعد ذلك بأن كل روح يجب أن تمر بمحنة الاختبار الخلقى مما ادى الى زيادة الايمان بالسحر والتعاويذ كوسيلة لتنظيم المحاكمة والتغلب على بعض العقبات • وليس للروح التي تمر بتجربة المحاكمة ان تخشى موتا ثانيا اذ أنها تعلن كـ « ماع خرو » (صادق الصوت) أو « مبرر » ويصبح صاحبها تحت حماية الآلهة ، وكان يظن أن كيانه مادى تماما فهو يرتبط بأسرته ، وينعم بما يقدمونه من طعام ، ويعمل من اجله خدمه ، ويتلقى العديد من المزايامقابل المنح التي قدمها للمعابد خلال حياته ••• ومع ذلك فانه كان يظن أن هناك شيئا روحيا حول هذه الاشياء لانه – حتى الجثة – لم تكن قابلة للفناء ، وكان المرء – كالآلهة – يعيش على الطعام السماوى •

● من خزائن الإله العظيم ●

ولكن •••••

كيف نشأت كل من الفكرتين الشمسية والاوزيرية ؟ وكيف ارتبطتا وامتزجتا ببعضهما البعض ؟ أما الفكرة الشمسية فربما جاءت نتيجة الملاحظة ثم التفكير : ذلك ان المصرى كان يرى الشمس تغيب كل مساء فى الغرب لتبدو من جديد فى الشرق فى اليوم التالى ، ومن ثم فكر فى أنها ربما جابت خلال الليل عالما سفليا أى سماء ثالثة فى أسفل الارض • وكان من اليسير التفكير فى أن هذا العالم لا يدخله الاحياء • ومن ثم فهو عالم الموتى ••• يذهب اليه الموتى من الغرب ، ويعيشون فى عالم مظلم لا يتألق فيه نور الا اذا مضت من فوقهم الشمس فى رحلتها ليلا • وادى هذا الى تسمية عالم الموتى باسم « الغرب » وتسمية الموتى بـ « أهل الغرب » •

والوجود فى هذا العالم محزن على اية حال ، ومن هنا نشأ تفكير جديد : هل يتساوى الاخيار والاشرار هناك؟ انه لابد أن يكون هناك وجود افضل للارواح الممتازة « والتي ينبغى ان تعيش وفقا لامر الآلهة » •

وكان المصريون يستهدون النجوم الكبرى كالشعرى اليمانية ، والجبار ، ونجمة الصباح فتخيلوها آلهة تركت الارض – كما فعلت الشمس – واما النجوم الصغيرة من حولها فهى الارواح السعيدة وجدت طريقها الى السماء حيث ظلت فى سناء دائم الى جانب الآلهة •

وطبقا للعقيدة الشعبية كان المجدون يتخذون مقرا ثابتا ، على الجانب الشرقى للسماء فى الجزء الشمالى بين ما لا يفنى من النجوم ،

.. وزاد الشعب فى صورة مقـــر الابرار ، فتصوره مجموعة مـــن الجزر تحيط بها المياه المختلفةوتسمى احداها « حقل الاطعمة » وازكى منه شهرة « حقل الأسل » الـــذى ظلوا يعدونه مقر المجدين .

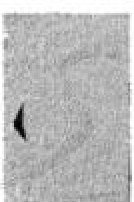
وتصور المصريون هاتين الجنتين على غرار بلادهم اذ يغمرهما الفيضان وتزدهر المزروعات بما يوفر للموتى طعامهم . وفى شرق السماء « شجرة الجميز حيث تجلس الآلهـــة » وهى شجرة الحياة التى يعيشون عليها ، ويتغذى الابرار من ثمارها . وهناك كذلك الهات السماء تزود الميتبطعام اطهـــر واكثـــر براءة ... تعطف الواحدة منهن على البار « وتدنى له ثديهـــا لترضعه » وهو يذهب الى « والدتيه الرحيمتين (نوت والحية التى تحمى الشمس) ذواتى الشعر الطويل والثـــدى النـــاهد واللتين تجلسان على جبل سحسح فتمـــدان ثدييهما الى فمه ولا تفطمانه ابدا » وله كذلك أن يطعم من اطعمة أخرى فيتلقى نصيبه مما فى خزائن الاله العظيم » ويلبس من الثيـــاب ما لا يفنى » ، و « ينام كل يوم فى صحة وعافية » ، و « له من الخبز والجعة ما يبقى ابدا » ، و « لا يضطر الى ان يأكل الجوع ويشرب العطش » ، و « لا يخشى ان يرغم يوما على ان يأكل العذرة » .

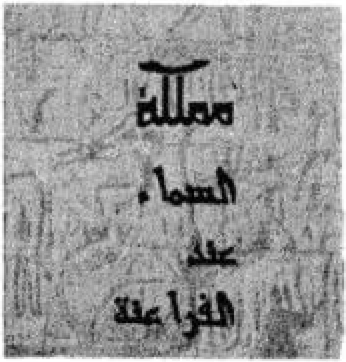
ويتطلب الوصول الىالجزر اجتياز المياه التى تحيط بها فمنهم من يطير على جناحى « تحوت » ومنهم مـــن يتجه الى الشمس لتعبر به ، ولـــكن أغلبهم كانوا يعتمدون على نوتى هو « الناظر الى وراء » ، وهو « نوتى حقل الأسل » لا ينقل غير « الرجل القويم الذى لا قارب له » والذى وجد مقسطا » امام السماء والارض وامام الجزيرة نفسها » .

وتتطلب «الآلهة من العابر اليهـــا طهـــارة الجسد قبل اى شىء آخر ، فالآلهة التى تشرف على المياهالجائشة فى « الفتتينى » تطهره باربعة قدور من الماء أو « هو يغتسل مع « رع » فى بحيرة يارو » ثم « يجفف حوريس جسده ويجفف تحوت قدميه » .

● طابع شعبي واضح ●

وكان الى جانب هذه الخيالاتتصور آخر عن « أوزيريس » الاله الذى مات لغدا ملكا للموتى ومثالا لهم يحتذونه، والـــذى أصبح مصيره المؤثر – من موت وبعث – عزيزا عـــلى قلوب المصريين . وكـــان المصريون يرون فى « أوزيريس » مثالا للميت منهم ، فالرجل الذى يدفن فى الارض يلقى نفس مصـــير الاله ، وكمـــا أن « أوزيريس » حى فسيحيا هو كذلك ، وكما أن « أوزيريس » لم يمت فانه لا يموت هو أيضا ... انه سيبعث فى هيئة « أوزيريس » ثان الى حياة جديدة سعيدة ... ولقد كان الاتقياء من عباد « أوزيريس » يتوقعون هذا المصير ، فهم « لا يذهبون أمواتا بل احياء » وهم « يبعثون لحياة حقيقة جـــديدة يحرزون فيهـــا اجسادهم وارواحهم . فلهم قلـــوبهم ، ولهم أرواحهم ، ولهم افـــواههم ، ولهم أرجلهم ، ولهم اذرعهم ولهم ســـائر أعضائهم » .





ويرجع اعتناق العقيدة الاوزيرية ــ كما سلفت الاشارة من قبل ــ الى عهد بالغ القدم ، فالاوراد التى يرد بها ذكر « أوزيريس » توجد بكثرة فى اقدم ما حفظ لنا من ادب جنازى ، الا وهو « متون الاهرام » (الخاصة بالملوك) ولكن الفكرة انتقلت الى الشعب فى « متون التوابيت » وفى « كتاب الموتى » وأصبحت الحياة السماوية توهب للافراد بعد أن كانت مقصورة على الملوك ··· على أنه أعجب من هذا أن يصبح كل ميت الها فى العالم السفلى ، وهكذا نشأ خليط قلما يجدى ترسم خطوطه · يضاف الى هذا ما تمتاز به نصوص « كتاب الموتى » من طابع فمعظمها صيغ سحرية ، ذلك انه لكى يتم للميت أمر من الامور كان يتلو وردا يتخذ فيه شخصية أى اله اعتقادا منه انه بهذه الوسيلة يكتسب صفاته ·

ولكتاب الموتى طابع شعبى واضح ، وكان يجب ان تتحد الروح مع الجسد من جديد وأن تجد باب القبر مفتوحا حتى « تستطيع أن تخرج نهارا » فى أى شكل يروق لها ، وكانت هذه الامنية ــ وهى اقامة الميت بعض الوقت على الارض عندما تضىء الشمس هربا من الظلمة التى يخلفها غيابها عن عالم الموتى ــ هى الامنية التى تلعب دورا كبيرا فى « كتاب الموتى » حتى اطلق عليه كله فيما بعد « كتاب الخروج نهارا » ·

على أن أهم من هذا كله فكرة ضرورة تبرير الميت ، وهى فكرة حديثة نسبيا ؛ لقد قاضى من قبل الاله « ست » أخاه « أوزيريس » المتوفى واجتمعت الآلهة فى هليوبوليس لمحاكمته و « حققت كلامه » (أى وجدته بريئا) فبرأته · ويبدو من « كتاب الموتى » أن هذه المحكمة اجتمعت كذلك فى أبو صير وبوتو وأبيدوس وهيراكليوبوليس وفى سكورنى منف وفى أماكن أخرى مقدسة ، وكان « تحوت » هو الذى برأه · وقد أدى هذا التصور الى أنه أصبح يرجى أن يبرر « تحوت » الميت كذلك بصفته « أوزيريس » جديدا ، وكما أن « أوزيريس » وجد محقا فقد وجب أن يثبت كذلك أن الميت فى مملكة الموتى طاهر مبرأ من كل اثم ، وفى هذا مظهر خلقى وجد سبيله فى أسطورة « أوزيريس » الى العقائد المصرية ، ومنذ ذلك الوقت لم يعد الرجل القوى هو الذى ينتصر فى الموت بل الرجل الحق البرىء من كل ذنب ·

من هنا كانت مرافعة الميت أمام المحكمة التى يرأسها « أوزيريس » ومن حوله القضاة الاثنان والاربعون (الذين يمثلون بعددهم عدد أقسام مصر) تلك المرافعة السلبية والايجابية التى ينفى فيها الميت عن نفسه ارتكاب الآثام أولا ··· ولكن لما كان هذا غير كاف لتبريره فانه كان عليه أن يقدم حسابا عما قدم من أعمال طيبة (المرافعة الايجابية) · والموتى الذين يخفقون فى هذا الامتحان لا يدخلون

مملكة « أوزيريس » ، وفي هذا الكفاية من البؤس والشقاء لانهم يظلون في مقابرهم يضنيهم الجوع والعطش ، ولا يشاهدون الشمس نهارا او ليلا .

وكما ان المذنب يلقى في محاكم الدنيا عقوبة خاصة فان مثل ذلك يتم بالنسبة للمذنبين حيث يحمل القضاة سيوفا لمعاقبة المذنب ، كما تدل اسماؤهم على عقوبات مروعة ، والحيوان الواقف امام « اوزيريس » « يلتهم الميت » ويمزقه ، وهو كائن مخيف بصفة خاصة يدعى « باباي » .. واما البرئ فليس هناك شيء كثير واضح عن مصيره وان كان « له مقره امام الاله العظيم ، وهو يخرج الى حقل يارو ، ويعطى الفطائر والخبز ويقيم وقتا في حقل الطعام الخ »

وهناك طريقان الى مملكة الموتى يؤديان الى مملكة الابرار : احدهما عن طريق الماء ، والاخر عن طريق الارض . وهما متعرجان ولكن الاتصال بينهما غير ممكن اذ ان بينهما بحرا من نار ... وهناك طرق جانبية لا ينبغي سلوكها ، لانها تؤدي الى النار او الى طرق ملتوية . وقبل الدخول في احد الطريقين يمضي الميت من باب من النار ، وتعترض الميت بوابات الى جانبها حراس اشرار في أيديهم نصال تعلوها الثعابين .

وقد تطور الادب الجنازي بطريقة خاصة الى كتابين حافلين ، الحق فيهما طريق الميت بالرحلة التي تقوم بها الشمس في ساعات الليل الاثنتي عشرة عبر العالم السفلي الذي ينقسم وفقا لما جاء في كتاب العالم السفلي (ويعرف عادة باسم « أم دوات ») الى اثني عشر قسما مما يتفق وعدد ساعات الليل ، وتسمى هذه الاقسام بالحقول او المغاور وهي اهلة بالالهة وارواح الموتى .

وقد حفظ لنا كتاب آخر هو كتاب « البوابات » ، ان بين الساعات وبعضها البعض حصون عالية وصروح عليها حراس وثعابين تنفث النار . والكتاب اكثر رعاية للتصورات الشائعة من الـ « أم دوات » ، واقل منه احتفالا بالاغراض السحرية .

● لا ماء ولا خبز ولا حب ●

لقد كان الموت شيئا رهيبا لدى قدماء المصريين ، حتى الاتقياء منهم كانوا يفزعون منه ويرهبونه كما يخشون رسول « أوزيريس » ، ذلك لان لـ « أوزيريس » رسلا ذوي نظرات شرسة يطلبون الناس ولا يخشون احدا من الالهة ... وليس هناك من يعلم متى يأتي الرسول .

وفي صراحة تامة يذكر احد شعراء الدولة الوسطى ان الدفن لا يجلب سوى الاسى والدموع ... ان سائر المقابر الجميلة متهدم بلا شك ، ومن دفنوا فيها ليسوا احسن حالا من الفقراء ومن الذين يموتون مجهدين على رصيف الميناء .

وفي أحد نصوص « كتاب الموتى » ـ في حديث بين « اتوم » و « اوزيريس » ـ ان مملكة « أوزيريس » أرض لا ماء فيها ولا هواء ، ولا خبز ولا جعة ، ولا حب ... حقا لقد أقسم « اتوم » الى ان « اوزيريس » سيتعيش بنعم الدنيا هذه راحة البال والتمجيد ، ولكن من المحقق ان الامر لم يكن كذلك مع البشر دائما ، فلم يكن سائر الموتى يفرحون حقا بالراحة التي يرجوها لهم اخلافهم الاحياء ، لان افكار الكثيرين منهم ظلت تتعلق بالدنيا والحياة فيها ، كما ظل البعض يحتفظون بسخط دائم يودون ارضاءه على حين كان آخرون يتبرمون بحياة من خلفهم من الاحياء .

د. عبد المحسن صالح

هَل نحن وحدنا العُقلاء

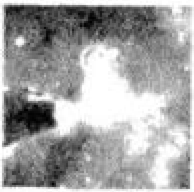
ان من يقـول ان الارض هى الكوكب الوحيد الذى نشـات عليـه مخلوقات عاقلة ، كمثـل من يقول انه هـو الوحيـد بين بـلايين البشر الـذى يسـتطيع ان ينجب ذرية ، وكل ما عـداه عقيم !

في الكون ؟

إننا نستطيع أن نرى بعض كواكب المجموعة الشمسية بالعين المجردة لقربها منا (كالمريخ والزهرة والمشترى .. الخ) ، ولكننا لا نستطيع أن نرصد كواكب الشموس الأخرى لبعدها السحيق عن أرضنا وشمسنا ، حتى ولو استخدمنا لذلك أقوى التلسكوبات الفلكية ، فأقرب نجم أو شمس بعد شمسنا يبعد عنا بمقدار ٢٦ مليون مليون ميل .. ولو لم تكن نجوم السماوات شموسا ضخمة ومشعة كشمسنا ، لما استطعنا أن نراها على مثل هذا البعد الرهيب ، فكيف إذن نرى كواكبها وهي ليست شيئا مذكورا بالنسبة لضخامة الشموس ، كما أنها ليست أجراما مشعة كنجومها ؟

ونحن لا نرى الكواكب التي امتلكتها الشموس لتطوف حولها كما تطوف الكواكب حول شمسنا ، ولكن ليس معنى ذلك أنها غير موجودة ما دمنا لم نستطع رصدها ولا رؤيتها .. ومن يقول ذلك ، مثله كمن يقول : « إن الميكروب غير موجود لأنني لا أراه بالعين » ، ولكن الطبيب يستطيع أن يعرف وجود الميكروب من أعراض المرض ، كما أن غيره يعرف حلول الجنين في رحم أم من أعراض الحمل ، رغم أننا لا نرى الجنين ، وعلى نفس المبدأ نعرف الشموس التي « حملت » من أعراض الحمل ، وما حملها إلا كواكب تدور حولها ، ولقد سجلت الأجهزة الحديثة هذه الأعراض بدقة تامة ، وصنفها العلماء على أسس من علم ، فكانت الحوامل وغير الحوامل ، فكيف يكون ذلك ؟

لقد نبعت هذه الحقيقة من حالة غريبة يطلق العلماء عليها « حالة



وهـل نحـن وحدنـا العقلاء فـي الكون ؟

الحركة المفقودة » .. فالنجوم الوليدة - اى التى فى دور التكوين - تدور حول نفسـها بسرعة كبيرة ، والتى « هرمت » تبطىء حـركتها ، وبطء الحركة يشير الى ان النجم قد اصبح له اسرة من الكواكب .. لا تختلف هذه الحقيقة بين انسـان ارتبط بأسرة فيعطيها من روحه وماله وكده ونفسه، وبين شمس او نجم له عائلة ، فيعطيها شيئا من طاقته ، أو بمعنى آخر من حركة دورانه حول نفسه ، فتختفى منه لتظهر فيما حوله من كواكب .. وكل شيء هنا بحساب ومقدار ، ولا شيء الى ضياع أو فناء ، حتى ولو كان ذلك فى حركة نجم أو خليـة أو ذرة أو انسان .. الخ .

فلو أن شمسنا قد جاءت بدون اسرة كوكبية ، لكان فى استطاعتها أن تدور حول نفسها أسرع خمسـين مرة من وضعها الحالى ، ولكن حركتها المفقودة التى تصل الى ٩٨٪ من حركتها الكلية قد ظهرت فى كواكبها ، وبها دارت !

وبمثل هذه الفكرة استطاع العلماء - من خلال الرصد والحسابات - أن يدللوا على أن كثيرا من شموس هـذا الكون أو نجومه تدور حولها كواكب شتى ، أى أن معظمها خصيب ، والبقية الباقية عقيمة - أى بدون كواكب .. والخصيب منها قد يدور حوله كوكب أو كوكبان أو ثلاثة أو ستة أو عشرة أو اكثر ، مثلها فى ذلك كمثل عائلات البشر ، فمنهم من تتكون أسرته من وليد وحيد أو اثنين أو نصف دستة أو اكثر .. وكلما زاد عدد افراد الاسرة ، كلما احتاج ذلك الى مجهود اكثر من رب الاسرة ، وكذلك تكون النجوم ، فكلما زاد حملها بكواكبها ، بطأت حركتها ، وزاد عبؤها !

يحملنا هذا الى الافتـراض بأن الكواكب التى تنتشر فى الكون اكبـر عددا من النجوم ، فنجمنا (أو شمسنا) يمتلك وحده كواكب تسعة، وربما يكون غيره قد حمل على « عاتقه » كواكب اكثر مما حمل نجمنا ، أو ربما اقـل .. لسنا فى الواقع ندرى ، فمازلنـا على درجة كبيرة من الجهـل بأمور السماوات .

ورغم أن الكواكب التى تطوف حول النجوم - ولا نراها - قد تقع فى حدود الوف بلايين البلايين ، الا أن هذا لا يعنى أنها كلها مسـكونة بمخلوقات عاقلة أو غير عاقلة ، أو أنها جميعـا قاحلة ، فكلا الرأيين لا يستقيم مع عقل أو منطق ، فحيث توفرت الظروف لنشأة الحيـاة على أى كوكب من الكواكب ، فانها ستنشأ ، ولا شك أننا نقيس الأمور هنا بنفس المعايير التى نعرفها على كوكبنا أو فى مجموعتنا الشمسية التى نسكن أرضها ، وقـد نكون فى ذلك مخطئين ، أو قد نكون على صواب .. لسنا ندرى !

● اذن ... فالاساس واحد ●

فلكي تنشأ الحياة على الكواكب ، كان لابد من توافر شروط نذكر منها باختصار :

● أن يكون النجم أو الشمس ذا عمر طويل جدا ، اى فى حدود عدة بلايين من السنين ، حتى تتهيأ الفرصة لتفاعلات كيميائية مستمرة على سطح الكوكب التابع لهذا النجم ، وأن يساعد النجم باشعاعاته وحرارته التى « يرضعها » لكواكبه على مدى عدة مئات الملايين من السنين ، أن يتوج هذه التفاعلات بظهور جزيئات أعقد وأعقد ، لتنبثق منهاالجزيئات الوراثية التى تظهر فىالخلية الأولى (وسنوضح ذلك فيما بعد)

● أن يكون الكوكب على مسافة مناسبة من شمسه حتى يستقبل « الرضعة » المناسبة من الأشعة والحرارة ، لأنها اذا زادت عن الحدود كوته وأحرقته بسعيرها ، واذا تناقصت ، تجمدت « أوصاله » من شدة البرودة .. ويعتبر كوكب الأرض بوضعه الحالى مثاليا لظهور الحياة وتطورها حتى يومنا .

● أن يكون الكوكب فى حجم مناسب ووزن مناسب حتى تصبح الجاذبية ذات أثر فعال على غلافه ، فالكواكب الصغيرة تفقد غلافها الهوائى .. وتضيع مياهها بالبحر فى الفضاء، لأن جاذبية الكوكب ضعيفة ، ولهذا لا تستطيع الاحتفاظ طويلا بالمقومات اللازمة لظهور الحياة، والعكس صحيح مع الكواكب الضخمة التى يجثم عليها غلافها كالكابوس الرهيب .. وأرضنا وسط بين هذا وذاك – وخير الأمور الوسط كما يقولون – حتى ولو كان ذلك على مستوى اجرام سماوية وكواكب !

● أن يدور الكوكب على محوره لتتوزع الأشعة والحرارة بالتساوى على سطحه فىفترات متقاربة (كتعاقب الليل والنهار على كوكبنا) .

● أن تكون فى الكوكب العناصر المناسبة لنشأة الحياة كما هو الحال فى أرضنا ... وهنا قد يبرز سؤال : وما يدرينا أن العناصر التى نشأت بها الحياة الارضية هى نفس العناصر الموجودة فى الكون كله ؟

الواقع أن الكون – كما يراه العلماء – وحدة واحدة ، وكأنما هو فى البداية كان بمثابة « طبقة » هائلة توزعت على هيئة « أطباق » ظهرت فى مجرات ونجوم وكواكب وأقمار ... فالشمس مثلا تشتغل بنفس العناصر التى تشتغل بها كل النجوم ، ولقد تكونت الكواكب حول نجومها من نفس المادة التى تكونت بها الأرض وأخوتها الثمانية حول شمسها ، ومع ذلك فنحن نستطيع أن نكتشف عناصر الكون دون أن نذهب الى النجوم ونحضر منها عينات للتحليل ، فالكون يذيع أسراره على هيئة موجات خاصة ، وكل عنصر فى السماوات يبعث لنا بأطياف عناصره لتسجلها الاجهزة على أرضنا كخطوط ثابتة لا تتغير للعنصر الواحد .. فللأيدروجين طيفه ، وكذلك للحديد والنيكل والكربون .. الخ ، ولقد اصبحت هذه الأطياف او الخطوط بمثابة « بطاقات الشخصية » او « بصمات الاصابع » التى تحدد لنا العناصر الموجودة فى الكون ، وفى لا

تختلف عن العناصر التى نعرفها فى شمسنا أو أرضنا ٠٠ اذن ، فالأساس واحد ، وان اختلفت الصور !

● كوكب واحد يتيم ! ●

والسؤال الذى يفرض الآن نفسه : كم كوكبا فى الكون يمكن أن يكون صالحا لنشأة الحياة وظهورها ؟

لكى نجيب عن هذا السؤال ، علينا أن نسقط من حسابنا كل الكواكب التى لا تدور فى فلك نجم مناسب ، أو أنها لا تقع على البعد المناسب ، أو لم تأت بكتلة مناسبة ، أو لم يتهيأ على سطحها الجو المناسب ، أو أية ظروف أخرى لا ندريها ، وعلينا أن نكون حريصين حتى لا نبالغ فى تقديرنا ، ولهذا دعنا نفترض أن من بين كل مليون كوكب لا يوجد غير كوكب واحد « يتيم » تهيأت فيه الظروف لنشأة الحياة العاقلة ، ورغم أن فى ذلك اجحافا كبيرا « لحقوق » ٩٩٩٩٩٩ كوكبا ، الا أن هذا لا يدعو للأسف أو الاكتئاب ، اذ سيتبقى لدينا فى الكون المرصود أكثر من ألف مليون مليون كوكب صالح لظهور الحياة ، ولكننا لا نعرف أشكال ولا أحجام ولا ألوان ولا أمزجة ولا لغات هذه المخلوقات التى تسكنها .

ولا ندرى كذلك ان كان بعضها أكثر تقدما ومدنية وحضارة من هذا الانسان الذى يسكن كوكب الارض ، أو أن بعضها أحط منه شأنا .

● الخلايا ولعبتها الخالدة ●

والواقع أن الظروف اذا تهيأت لعناصر الكوكب - أى كوكب - ووجدت البيئة الصالحة لتفاعلها ، فلابد أن تظهر الجزيئات وتتعقد وتتطور وتنتظم فى جزىء كبير يكون تتويجا لهذا التفاعل الذى يستمر عشرات أو مئات الملايين من السنين .

وعندما يظهر هذا الجزىء - الذى هو بمثابة « آدم » الجزيئات فى عالمه - فان من صفاته التكاثر والانقسام ، أى تخلقه ذرية جزيئية تشبهه فى النظام والتكوين ، وبهذه الجزيئات التى نعرفها الآن باسم « الجزيئات الوراثية » تكونت الخلية الحية الأولى منذ أكثر من ألف مليون عام ، وأصبحت هذه الخلية بمثابة « آدم » الخلايا ، ومنها اشتقت كل سلالات أو أنواع الخلايا التى نعرفها اليوم على أرضنا فى كل المخلوقات - من أول الميكروب الى الانسان العاقل - ولايزال كل منا حتى يومنا هذا يبدأ بدايته بخلية ملقحة فى رحم أم ، وكذلك القردة والخنازير والحمير والحشرات والديدان والنباتات ٠٠٠ الخ .



هل نحن وحدنا العقلاء فى الكون ؟

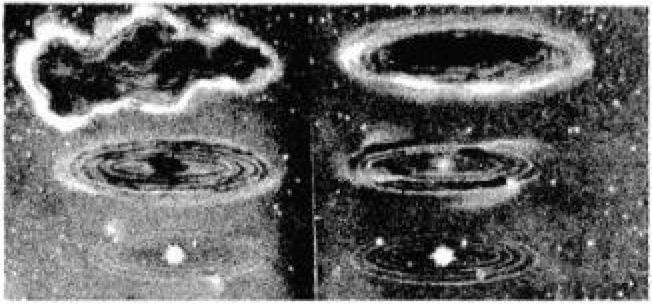
وكل هــذا ــ فى الواقع ــ امتداد للخلية الاولى التى تمركزت فيهــا الجزيئات الوراثية فى نواة ، واصبحت هذه النواة بمثــابة « الادارة » الحــكيمة ، او العقــل المدبر ، او « الارشيف » الدقيق المكدس بالمعلومات الكيميائية ، او الشفرات الوراثية ...

ولقد تطورت هذه المعلومات والشفرات على مر مئات الملايين من السنين حتى استطاعت ان تتوج مشوارها الطويل بانسان عاقل او « ادم » البشر كما يقولون ، فاصبح هو الاساس فى كل هذا الطوفان البشرى بسلالاته والوانه وامزجته ولغاته ، ووراء كل هــذا خلية او خــلايا جنسية تنتقل مــن مخلوق الى مخلوق من نفس النوع .. وكانما هى تلعب لعبتها الخالدة لتيسير التطور الى مداه العظيم ، وعلى حسب الخطــة الموضوعة من قديم الأزل ، لتكون هناك عقول اكفا وارقى واكثر تطورا وتقدما .

ان نشأة الحياة على أرضنا ليست بدعة أو شذوذا أو حالة خاصة ، فهناك نواميس كونية ، وقوانين طبيعية تتحكم فى كوكبنا كما تتحكم فى الوف الملايين من الكواكب التى تنتشر فى الكون ، ولهذا فان نشأة الحياة فيهــا امر طبيعى .. لكن ليس معنى هذا ان تكون نسخة طبق الأصل لما حدث فى كوكبنا ، فقد تكون بذرة الحيــاة او الخلية الاولى التى ظهرت فيها قــد تطورت بطريقة أو بأخرى ، ونتج عن ذلك مخلوقات تتــاقلم وتتكيف مع ظروف الكوكب الذى نشأت فيه ...

وأيا كانت اشكال أو صفات هــذه المخلوقات ، فان الهــدف يتركز فى النهاية على تتويج مخلوقات الكوكب ــ اى كوكب ــ بعقل مدبر حكيم ، ليكون خليفة فى هذا الكوكب ، كمــا جاء الانسان ليكون خليفة فى "الأرض" !.

رسم توضــيحى يبــين كيف تتشــكل المجموعات الشمسية من سحب كونيــة ضــخمة فيظهر النجم أو الشمس ، وحــوله تدور الــكواكب . . .





وهل نحن وحدنا العقلاء في الكون ؟

ان الله يحب الباحثين المفكرين المتاملين فى كل هذا الابداع والنظام المتقن الذى تزخر به السماوات والارض ، ولقد وضع النواميس ، وترك الامور تجرى مجراها الطبيعى دون عجلة او تسرع ٠٠ ولقد اكتشف العلماء كل ذلك على هيئة قوانين كونية تتحكم فى كل هذه الظواهر التى نفهمها والتى لا نفهمها !

اذن ٠٠ فهناك فكرة وهدف ، والهدف هو وجود عقول كثيرة ومتنوعة لتتفكر فى هذه الاكوان ، ولتبحث فيما خلق الله ٠٠ ففى الحديث القدسى « كنت كنزا مخفيا . فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق ليعرفونى » ٠٠ ولن يعرف الخالق الا بالعقل – اى عقل – فى اى كوكب من بلايين البلايين من الكواكب ، والا فهل جاء كل هذا بدون هدف أو تدبير ؟

لو قلنا ذلك ، لكان مجيئه بمثابة عبث فى الخلق ، فالكون المعمور افضل عنده من الكون الخراب ، والعقل المدرك خير من كل صور الحياة غير المدركة .

ان التطور صفة بارزة من صفات الكون والحياة ، والتطور يحتاج الى وقت طويل ، فلقد جاء الانسان منذ مائة الف عام – وهى فترة قصيرة للغاية بالنسبة لمراحل التطور التى سبقت الانسان ، واستمرت اكثر من الفى مليون عام ، فجاءت مخلوقات ، وراحت أخرى ، حتى ظهرنا فى النهاية

الا أن الانسان الاول قضى معظم هذا الوقت هائما على وجهه ، يعيش حياة اقرب الى الحيوان منه الى الانسان . ثم بدأت حضارته فى الظهور تدريجيا منذ حوالى ١٥ الف عام ، الا ان قفزته الهائلة فى المعرفة ، وحصيلته من العلوم التجريبية بدأت منذ حوالى قرنين من الزمان ، وبلغت قمتها فى القرن العشرين ، ومجدها فى النصف الثانى من القرن العشرين ٠٠ ولكن الامجاد الحقيقية ستأتى على أيدى الاجيال القادمة ٠٠ فكل شيء سيتطور تطورا هائلا مادام العقل قد اشتغل ، وأمام هذا العقل المتطور الوف الملايين من السنين ، فمازالت شمسنا فى عنفوان شبابها ، وستبقى فى هذه المرحلة النضرة اكثر من خمسة الاف مليون عام ، ومادامت هناك شمس قائمة ، فلابد من وجود ارض وانسان ، ومالم يدمر هو نفسه بنفسه ، فان حياته على ارضه ستستمر كل هذا العمر الطويل !

ترى ٠٠ الى اية درجة من العظمة والتطور العقلى سيصل الانسان بعد الف أو الفى مليون عام ؟ ٠٠ لا احد يستطيع أن يتنبأ بشيء ، ولكن من



منظار فلكي يوضح مناظر الكون لمسافات تبلغ ملايين السنين الضوئية ...

المؤكد أنه سيتوصل الى حقائق ومعلومات واكتشافات لا تطرأ لنا على بال ، ولا تخطر في عقولنا حتى ولو بطيف خيال ... وقد يقول عنا أحفادنا في المستقبل البعيد « كم كانوا بعقولهم متحجرين هؤلاء الذين كانوا يعيشون في الأزمنة الغابرة ! » كما نقول الآن على انسان العصر الحجري الذي لم يعرف من الادوات الا الحجارة ٠

انه اذن عامل الزمن ، والتطور يحتاج الى زمن ، وكلاهما صفتان من صفات الكون !

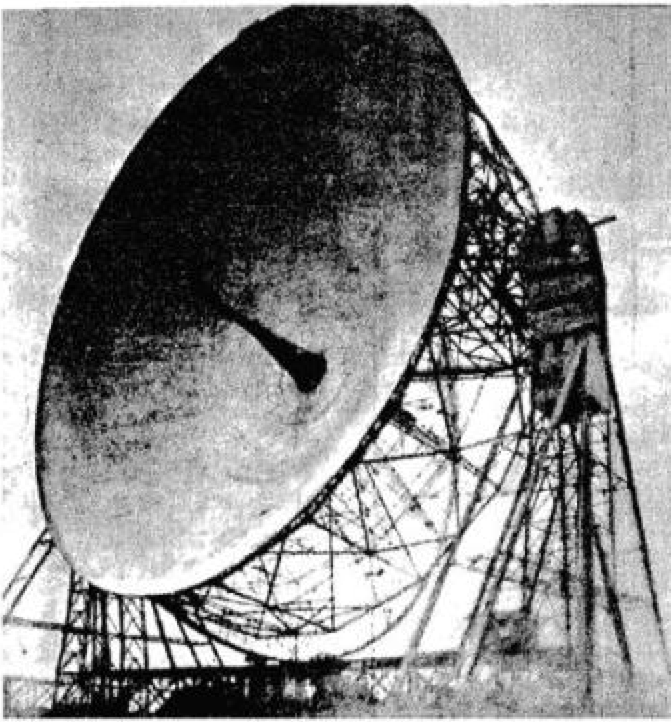
● العقول المفكرة المتطورة ●

ان ما يسري على المخلوقات يسري أيضا على الكواكب والنجوم ، فالكل يسير في عملية خلق وتجدد وتطور مستمر .. فالمخلوق ينشأ ثم يمر بمراحل العمر ويموت ، وينشأ غيره .. وكذلك الحال مع النجوم ، فلقد سجل العلماء بمناظيرهم الفلكية نجوما في مراحل التكوين ، ونجوما في حالة الاحتضار ، أو ما بين ذلك تكون أقدار النجوم الاخرى .. فعمر شمسنا وكواكبها يقدر بحوالي خمسة آلاف مليون عام ، وأمام الشمس عشرة الاف مليون عام أخرى قبل أن تهرم وتحتضر وتموت ، ومعنى هذا أن كثيراً من نجوم السماوات أقدم بألوف الملايين من السنوات من عمر شمسنا وأرضنا.

ويتبع ذلك أن بعض الكواكب المعمورة التي تطوف حول نجومها قد نشأت قبل نشأة شمسنا وأرضنا بمئات وألوف الملايين من الاعوام ٠

ويتبع ذلك أيضا أن بعض المخلوقات العاقلة التي تسكن هذه الاكوان قد ظهرت قبلنا بمئات أو ألوف الملايين من الأعوام ، وهي فترة لا تقارن بالمائة ألف عام التي مضت على ظهور الانسان على كوكبنا ٠ ويعني هذا وجود عقول أكفأ وأذكى بكثير من عقول أهل الأرض .. لأن الزمن - كما ذكرنا - كفيل بتطوير العقول ، وربما الحواس أيضا .. وقد تكون بين مخلوقات الكواكب الكونية (ولا شأن لنا هنا بمخلوقات كواكب الاسرة الشمسية ان وجدت في غير الأرض) عقول ترى وتستوعب أبعادا أكثر من أبعادنا ، فنحن لا نستطيع مثلا أن نرى البعد الزمني أو البعد الرابع كما يطلقون عليه ، رغم أنه منسوج في الكون ، ولكننا نرى فقط أبعادا ثلاثة ، فتبدو بها الأشياء أمامنا مجسدة .. وقد تكون هناك مخلوقات أخرى ترى أبعادا خمسة وستة وسبعة .. الخ !

لقد توصل العلماء - بالفعل - الى هذه الأبعاد في معادلاتهم الرياضية ، وليس لها ، بطبيعة الحال مغزى ، لا في عقول العلماء ولا في عقول الناس



« الراديو تليسكوب » ، او التليسكوب الموجى الذى يتصنت على انباء النجوم والكواكب ويلتقط موجاتها « الاذاعية » علها تحمل فى طياتها نبأ حياة عاقلة هناك



هل نحن وحدنا العقلاء في الكون ؟

.. وربما لأن عقولنا وحواسنا لم تتطور بالدرجة التى تصلح لاستيعاب اسرار الكون الغامضة .. وربما

استوعبتها المخلوقات العاقلة الأخرى التى ظهرت قبلنا فى الكون بمئات والوف الملايين من الاعوام !

وليس ببعيد أن يتطور عقل الانسان فى عشرات الملايين من السنوات القادمة

الى درجات هائلة .. فهدف الخالق يتركز على العقول المفكرة المتطورة ..

لا الجامدة ، لأن الكون نفسه ليس جامداً ، بل اساسه الحركة والتفاعل والنظام والجمود ... فقال : « لو كنتم تعلمون ! »

● احتمال غير محتمل ●

يبرز الآن امامنا سؤال الخير : اذا كان الكون يحوى ملايين الملايين من الكواكب المعمورة بمخلوقات عاقلة ، وكان بعضها اكثر منا تقدما وعلما وحضارة وعقلا وتفكيرا ، فلماذا لم يحاولوا الاتصال بنا حيث نحاول نحن ذلك رغم القصور النسبى فى علمنا وتقدمنا ؟

يجيب عن ذلك « آرثر كلارك » فى كتابه « الانسان والفضاء » فيقول ان هناك احتمالات ، ولك ان تختار منها ما تشاء .

● **احتمال اننا المخلوقات الوحيدة العاقلة فى الكون ، وهذا فى الواقع احتمال غير محتمل ، ولو قلنا ذلك ، لكان دليلا على الجهل او ان الانسان مصاب بجنون العظمة !**

● احتمال اننا على قدر كبير من عدم الذكاء لدرجة ان احدا من أصحاب العقول الخارقة الذكاء لا يجد فينا ما يثيره حتى يكلف نفسه مشقة الاتصال بنا ، وهو احتمال مقيض ، ولكنه اكثر احتمالا !

● احتمال انهم قد حاولوا الاتصال بنا ، أو انهم يحاولون ، ولكننا لم نستطع ان نتوصل الى كيفية استقبال اشاراتهم ورموزهم (وقد يكون الاتصال قد حدث منذ مئات أو عشرات الالوف أو ملايين السنين .. فنحن حديثو العهد جدا بأجهزة الاستقبال الكونية)

● احتمال انهم يراقبوننا ويدرسوننا بأجهزتهم المتقدمة كما يراقب دارس المخلوقات الدقيقة « الميكروبات مثلا » تحت عدسات الميكروسكوب !

● **احتمال أن السفر بين النجوم غير ممكن لأسباب تكنولوجية ، أو لأخطار كامنة فى الفراغات الهائلة التى تفصل بين النجوم (ونحن فى الواقع لا نعرف عنها شيئا) ولهذا لم يحضروا لزيارتنا .**

● احتمال امكان السفر بين النجوم ، ولكن عدد الكواكب التى تطوف حول نجومها فى الكون كعدد حبات الرمل المنتشرة على شواطىء بحار ومحيطات العالم ، ولذلك فان اختيار كوكبنا للزيارة احتمال ضئيل للغاية .. مرة واحدة فى عدة ملايين من الأعوام !

ومن يدرى ؟.. فقد نلتقط اشارة بالأجهزة الضخمة التى شيدها الانسان حديثا على أرضه ، ربما نلتقطها غدا او بعد الف عام او مليون عام ، لسنا ندرى .. ولكن الاحتمال قائم ، كما ان احتمال زيارتهم لكوكبنا قائم ، وعندئذ سنعرف الخبر اليقين .. قد يكون ذلك فى جيلنا أو فى ملايين الأجيال القادمة ، أو قد لا يأتى هذا اليوم على الاطلاق ، وتبقى أمور الكون مدثرة بالسرية والغموض !

وما نهاية المطاف اذن ؟

لا نهاية .. واذا أردت نهاية ، فاليك الآية الكريمة « ومن آياته خلق السموات والأرض ، وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » !

■ عبد العليم القباني ■

صلوات لله في محراب الطبيعة

الغروب فى الصحراء

الغروب المهيب ، يحنو على الأفق ويفضي بروعة الصحراء
ويحيل الأصداء نفحة عطر من عبير الحقيقة الغراء
فاذا الأنجم الوضاء شموع تتلالا على رحاب المساء
واذا النخل احرف من صلاة تتسامى فى نشوة ورجاء
والغمام الشفيف ينساب شعرا عبقريا من وحى رب السماء
واذا الكون معبد يتراءى فيه سر الحياة ‥ والأحياء
واذا بالوجود نغمة حب تتعالى على ذرى الاشياء
واذا دعوة هنالك حامت ثم طافت بالقبة الزرقاء
بثها فى مسامع الليل قلب وسع الكون كله بالصفاء
يا اله الوجود انى قريب منك ، قربا ‥ احسه فى ندائى
كل ما فى الوجود حولى دعاء وانا نغمة ‥ بهذا الدعاء

سبحان الخالق

لمن ذلك الليل ؟ من ابدعه ؟ ومن بالكواكب قد رصعه ؟
ومن بارك الشمس فى افقها البهيج ، ومن بالسنا شعشعه ؟
ومن طاف بالنهر بين الشعاب ، وفجر فى صخرها منبعه ؟
ومن مد فوق الضفاف الجمال وزينها بالرؤى الممتعه ؟
ومن جمل الروض بالياسمين وبالورد ، من فى الربى نوعه ؟
وفاض على الأغصن الناضرات بسحر على زهرها وزعه ؟
ومن شد فى لهوات الطيور وارهف اوتارها الطيعة ؟
تخافت فهى عتاب بطىء وتصدح فهى بنا مسرعه ؟
ومن فرق الحسن عند الصباح ومن عاد عند المسا جمعه ؟
ومن قال كن ‥ فاسترد الربيع من الأمس كل الذى ضيعه؟
هو الله ‥ خالق هذا الوجود ‥ له الملك ‥ ما من اله معه

والليل اذا سجى

سكون الليـــل ياربي صفاء شـاع فى دربي
وروى مهجتى بالنــــور والايمـــان والحب
***
رايت الليل حين سجى ووشى الـكون بالشهب
جمـــال فيه سر منك فوق العقـــل ياربى
***
رايت الليـل حين سرى على مهـد من العشب
وغاب الساحر الفضى فى عش من : السحب
***
فكان الـكون فى عينى وفى سمعى وفى قلبى
صــلاة حرة الاعمـــاق فى محـــرابك الرحب
***
ومرت نســـمة عذراء فوق المنهـل العـذب
فنادى البلبـل المسـحور يا الله . . . يا ربى . .
***
نداء هائم النغمـــات سمح الشرق والغـرب
يضم الروح فى رفـق كضم الهدب للهـــدب

الليل والنهار

اذا الليل يارب ضم الـــوجود ولف المروج ضياء القمـــر
وعادت الى صـمتها الـكائنات فما عدت اسمع همس الشجر
دعوتك يارب هذا الســكون ويا من تعاليت فى قـــدرتك
ذنوبى تهبط بى للقــــرار وروحى تســمو الى رحمتك
***
الهى وان لاح صبح جـديد واشرقت الشـمس فوق الربا
وغنت على الاغصـن الباسمات صـوادح فيهن سحر الصـبا
دعوتك يارب هذى الحيـــاة ويا من على عرشه قد ســـما
على الارض القيت ما فى يدى وجئت لاطرق باب الســـما
***
الهى دعوتك فى وحــــدتى وفى الجمع والناس حولى زمر
مع الليل ادعـو وحين الضحى وعند الاصيل ووقت الســحر
الهى : رضـاك دليـــل القلوب لشط النجاة ونعم الدليــل
فجـد يا الهى بنور الطـريق لمن ضـل يوما سـواء السبيــل

رحلة الشهر

بالإيمان .... قطعنا رأس جرجير



الشيخ الخضر حسين:
اخلاق القديسين ..

اكتب وأنا فى الطريق الى تونس ، الشقيقة الحسناء ، قرية التين والزيتون ، وقرة الشعر والغناء •

اكتب فى هذه الفترة الضنينة من تاريخنا العربى ، التى حبست عنا من ارضنا قطعا عزيزة علينا ، لأذكر هذه الامة بما يستطيع الايمان أن يجزله من عطاء •

بالايمان ••• بالايمان قبل العدد والعدة ••• استطاع العرب أن يخرجوا من رمال الصحراء فى فجر الاسلام ، ليكونوا خير امة أخرجت للنـــــاس ،وليفتحوا مصر ، ويواصلوا المسيرة الى شاطىء المحيط الاطلسى ، ويصـــعدوا شمالا الى الاندلس ، ويصلوا الى حدود فرنسا •

ولولا أنهم فقدوا ايمانهم بعد ذلك ،وتفرقوا شيعا وأحزابا ، ينشـــدون الدنيا ويطلبون ملكهـــا ، لواصلوا مسيرتهم حتى دانت لهم الدنيا بأسرها•

فى عام ٢٧ من الهجرة ـ ٤٦٨ م ـ أمر الخليفة عثمان عامله على مصر وأخاه فى الرضاع ، عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، بأن يواصل مسيرة الفتح الى الغرب • فخرج فى عشرين الفا من الصحابة والتابعين ، وبعـد أن قطع الجيش مفاوز برقة وطرابلس ، دخل القطر التونسى ، وأناخ على « سبيطلة » حيث يقيم أحد عمال الروم ، وهو المسمى « جرجير » الذى كان قد خلع طاعة حكومة قرطاجنـــة البيزنطية وادعى الاستقلال •

فلمــا نزل الجيش العـــربى على عاصمته ، تأهب « جرجير » للحرب ،

وخرج فى مائة ألف مقاتل من الروم والبربر ·

والتحم القتال ، فنصر الله المسلمين ، وقتل « جرجير » بضربة سيف من يد عبد الله بن الزبير ، وانهزمت عساكره العديدة ، ودخل العرب سبيطلة ، ومنها بثوا السرايا فى الناحية الجنوبية ·

وقد أسرع الروم والبربر الى طلب الصلح ، فأمنهم الامير عبد الله بن أبى سرح ، وصالحهم على مقدار من المال ، قيل ثلاثمائة قنطـــار من الذهب ، قدموه ، وقفل الجيش العربى راجعـا الى مصر سنة ٢٩ هـ ـ ٦٥٠ م ـ بعد أن مهد النواحى للفتح الحقيقى ، الذى بدأ بعد ذلك فى عهد معاوية ·

عشرون الفـا من المؤمنين ، غلبوا مائة الف من غير المؤمنين !

هذه هى القصة التى يرويها لنـا المؤرخ حسن حسنى عبد الوهاب ، فى كتابه الدسم « خلاصة تاريخ تونس » ·

مأساة الإمام ابن خلدون


محمود بيرم التونسى : اديب الشـعب ...

ولتونس فى أرض مصر أكثر من نفحة عطرة فى أكثر من باب من أبواب الحياة ·

فمنها ، جاءنا الامام الراحل الشيخ الخضر حسين ، شيخ الازهـر الاسبق ، وكانت له اخلاق القديسين

ومنهـا ، جاءنا اباء اديب الشعب الخالد ، محمود بيرم التونسى ، الذى اثار الهمم المصرية ضد الظلم والاستبداد والاحتلال ، وكان من ابرز نافخى النار فى ثورة سنة ١٩١٩ ·

ومنها ـ فى سالف الزمان ـ جاءنا امام عصره ، ولى الله أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، صاحب المقـدمة الشهيرة ، الحـافلة بالآراء السامقة فى الفلسفة العمرانية والآراء الاجتماعية ، التى ترجمت الى جميـع اللغات الحية ، وقيمها الدارسون فى الغرب أجمل تقييم ·

ومقـدمة ابن خلدون ، ليست الا مقدمة لسفر جليل من اسفاره ، هـو كتاب « العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، فى ايام العرب والعجم والبربر » · وهو مرجع من أجل مراجع التاريخ ·

جاء ابن خلدون الى مصر فى سـنة ٧٨٤ هـ ـ ١٣٨٢ م ـ فنزل بالاسكندرية ، ثم نزح الى القاهرة ، وأخذ يبث فيهـا العلم ، فاحتشد حوله الطلاب من كـل فج ، وجلس للتدريس فى الجامع الازهر

وسمع به برقوق ، سلطان مصر يومئذ ، فاكرمه واحسن مثواه ، ثم ولاه قضاء المالكية فى مصر ، فعدل فى القضاء ، وانصف المظلوم ، وسحق ابواب الفساد ·

ودعا أهله من الغرب ليقيموا معه ، ولكن ريحا صرصرا عاتية ادركت السفينة قبل أن ترسو فى الاسكندرية ، فغرقت ، وغرق معها أهله وولده جميعا ·

وهزته النكبة ، فاعتزل القضــــاء والتدريس والتأليف ، وخرج للحج ، ثم عاد الى مصر ، وبقى منقطعا للعلم الى أن لقى وجه ربه سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) ودفن فى مقابر الصوفية خارج باب النصر بالقاهرة ·

الباليه ... فن قصيدة رثاء



محمد عثمان يس : باليه الشاعر ...

من الاعمال الادبية الفريدة التي يجب أن يتلفت اليها النقد في هذا الجيل ، كتاب انيق للاديب السوداني الكبير محمد عثمان يس ·

اسم الكتاب : باليه الشاعر

وموضوع الكتاب ، محاولة فريدة وجريئة ، استغرقت الشاعر ، في موجة افتتانه العام بالشعر الكلاسي ، وافتتانه الخاص بذكرى أمير الشعراء احمد شوقي ، ومرثية الشاعر الكبير بشارة الخوري « الاخطل الصغير » له ، وهي التي كانت أم المرثيات في حفلة تابين امير الشعراء ، الاول استغرقته حتى استحدث من هذين الحدثين ـ الذكرى والمرثية ـ عملا جديدا ، هو مزاج بين الادب والفن ، اذ أعد سيناريو لباليه من خمسة مناظر ، وزع بينها مقاطع القصيدة توزيعا ابتداعيا فائقا ، وابتكر من ربات الشعر والنثر ، واتراب مريم ورهط جبريل ، وملائكة الحسن والاحسان ، وغير أولئك وهؤلاء من ذرية الخيال ، شخصيات شادية راقصة تفتح مجالات واسعة للمزاوجة بين الشعر والفن في أسلوب حضاري فريد ·

أولئك هم صناع الوحدة

في رواق الحكيم الذي ينعقد صباح كل جمعة بفندق سميراميس بالقاهرة ، وتطرح فيه كل أسبوع قضية من قضايا الفكر ، كانت اهم قضايا الشهر ، هي القضية التي اثارها صديقنا المجاهد القومي الكريم ، الدكتور فوزي الكيالي ، وزير الثقافة السوري ·

انها قضية الردة من القومية الى الاقليمية في أدب ما بعد النكسة ·



د. فوزي الكيالي : اهم قضايا الشهر ..

والسؤال الكبير الذى طرحه توفيق الحكيم فى الرواق ، ونحن نعالج اوصال هذه القضية :

ـ من هم الذين صنعوا الوحـــدة العربية ؟

وامساك خيوط الجواب عن هـــذا السؤال الكبير ، هو الدرب الوحيد الذى يستطيع أن يهدينا الى السبيل الامثل لتاصيل الفكرة العربية ٠

يجب أن نعترف بأن زعمـــاء مصر الاوائل ، مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ومعاصريهم ، لم يلتفتوا الى قضية الوحدة العربية ، لانهم كانوا مشغولين بقضية مصر ، أو قضية مصر والسودان معا ، ضد الاحتلال البريطانى، وكانت شعاراتهم « مصر للمصريين » و « مصر والسودان لنا » و « النيل لا يتجزأ » ٠٠٠

فالقضية فى نظرهم قضـية مصرية ووحدة مصر والسودان فى حسبانهم هى قضية وحدة اقليمية ، جغرافية ، لا يرد فيها حساب الفكرة العربية ٠

وجامعة الدول العربية ـ ويجب أن نعترف بالحق ـ هى وحدة حكومات لا شعوب ، وقد قامت سنة ١٩٤٢ ، بعد أن تأصلت الفكرة القومية فى نفوس ابناء الامة العربية ٠

فمن هم الذين ارسوا دعائم الفـــكرة القومية ؟

انهم المفكرون والكتاب والشعراء : عبد الرحمن الكواكبى ، واحمد شوقى، وخليل مطران ، وبشـــارة الخورى ، وزكى مبارك ، ورشيد سليم الخورى ، وعلى الجارم ، والياس فرحات ، واحمد امين ، واحمد زكى ، واضرابهم ٠٠

اولئك هم أصحاب الاصوات العالية التى نادت بوحدة هذه الامة ، وتعاطفت مع أحداثها ، وحاربت أعداءها ٠

والفارق الكبير بين أولئك جميعا ، وهؤلاء الذين يتناولون القضايا العربية بعد النكسة ، أن أولئك كانوا من أصحاب الوجدانيات العربية الخـــالصة ، بلا عقائدية الا العقيدة القومية المؤمنـــة الواحدة التى لا تتجزأ ٠٠٠ أما هؤلاء ٠٠٠ فقـد توزعوا بين الايديولوجيات الجديدة التى اغارت على الفجـــاج العربيـــة فى أعقاب الحرب العـــالمية الثانية ، فبدلت حتى اسلوب النثر وقوام الشعر ، ووزعت الكاتبين والنــاظمين الجدد بين عقائديات متضاربة ، مـــن لم يؤمن بواحدة منها ، فهو فى نظـــر تابعيها خائن أو رجعى او متعفن أو متحجر ٠٠

أخطاء في معجم الخالدين


أمين نخلة : طبق اليوم في الجندول ...

منذ ثلاثة أعوام ـ أو نحو ذلك ـ كنت أتناول الغداء في مطعم « الجندول » ، على الروشة ، ببيروت ، ومعي صديقان من العراق ، همـــا الآن في ذمة الله ، أولهما الدكتور ناصر الحانى ، وكان يومئذ سفير العـــراق في بيروت ، والثاني ، الشاعر أكرم أحمد ، ومعنا الشاعر اللبنانى الكبير أمين نخلة ، شفاه الله .

وكان طبق اليوم فى ذلك المطعم ، هو « الضولمة » ...

وقال قائل منـــا : لمـــاذا نسميها « ضولمة » وهى كلمة تركية ، ولا نسميها باسمها العربى « محشى » ؟

وقال قائل آخر : هل الكلمة الصحيحة « محشى » أو « محشو » ؟

واختلفنا ، ورجعنا فى المساء ذاته الى المعجم الوسيط ، الذى أصــــدره الخالدون ، باسم مجمع اللغة العربية ، ففوجئنا بأن فعل « حشا يحشو » غير موجود بالمرة ، لا هو ، ولا أى مـــن مشتقاته !

واستبعدنا أن يكون هذا الفعل غيـــر موجود فى اللغة ...

ورجعنا الى المعاجم العربية الاخرى، كالمحيط والمخصص وغيرهما ، فوجدناه موجودا ، بجميع مشتقاته .

وكتبت هذه الحكاية فى « المصور » فى حينها ... فاتصل بى أحد الخالدين، وهو أستاذنا الدكتور مهدى علام ، وقال ان الفعل صحيح ، ولكن بطاقته سقطت من بين البطاقات عند طبع المعجم !

أعود الى هـــذه الحكاية ، بمناسبة مراجعة أجراها الاستاذ حسن الجافى ، المفتش العام للغـــة العربية بالمدارس الثانوية سابقا ، على المعجم الكبيـــر ، الذى أصدره مجمع اللغة ، فاذا هو يظفر فيه بمئات من الاخطـــاء التى لا يجوز أن تفلت من بين أيدى الخالدين ، منها :

● فى المعجم الكبير ●

(الجزء الاول ـ طبعة المجمع) :

أخطاء كثيرة يمكن تقسيمها مبدئيا الى :

١ ـ مطبعية : لاداعى لذكر شىء منها ، وان كان الواجب فى معجم يصدر من

مجمع اللغة أن يخلو من هـذا النوع وغيره ·

ب ـ غير مطبعية : وهي أقسام عدة تبلغ مفرداتهـــا أكثر من ثلاثمائة وساقصر البيان الآتي على أربعة أقسام: النحوية ، والعروضية ، والاملائية ، واللغوية ، ضاربا لكل نوع مثالين كنموذج :

أولا : من الاخطاء النحوية :

هي كثيرة منها مما انعقد الاجماع على خطئه وصوابه الذى اذكره بعد بيان الخطأ :

١ ـ الا و كان ص ٢٨٦ بأخرهـا تقريبا عمود (١) والصـواب : حذف الواو ·

٢ ـ ٣ مليون ص ٦٤٩ بأولها عمود (١) والصواب : ملايين ·

ثانيا : من أخطاء العروض :



د. طه حسين :
المجمع والمعجم الكبير

هذا النوع من الاخطاء ليس بكثرة الاخطاء النحوية ، ومنه :

١ ـ أبصرتني بأطيـــر الرجـال
ل وكلفتني ما يفـوق البشر

ص ٢٤٧ عمود (١) والصواب : نقل اللام من الشطر الاخير الى الشطر الاول،

فالبيت من المتقارب ولايمكن أن يجتمع في تفعيلة منه ثلاثة متحركات متوالية كما يرى في كتابته الخاطئة (ل و ك) في أول الشطر الاخير ·

٢ ـ ومن دوني الاعيار والقنع كله   وكتمان أيها ما أشت (وما أبعدا)

ص ٦٦٥ عمود (٢) وهـو من الطويل ، فيجب حذف (ما) من عبارة (وما أبعدا) لتصير (وأبعدا) وإلا أختل الوزن ، والله أعلم ·

ثالثا : من الاخطاء الاملائية :

هذا النوع كثير جدا حتى ليزيد على مائة ومنه :

١ ـ اللؤلؤى ص ٥٦ بآخرهـا تقريبا عمود (١) والصواب : اللؤلئي باجماع علماء الرسم · فالهمزة المتطرفة اذا طرأ عليها ما يجعلها متوسطة تأخذ حكما في الرسم جديدا يخالف رسمها وهي مفردة في مثل : (يدء) فالهمزة

مفردة ، فاذا قلت (بدئي الاكل باسم الله) وجب كتابتها على ياء كما ترى لا مفردة ، ومثل هذا (اللؤلؤ) فهي على واو وهي متطرفة لضم ما قبلها ، فاذا زيدت ياء النسب أصبحت متوسطة وكسرت ، فيجب أن تكتب على ياء باجماع علماء الرسم ·

٢ ـ توام ص ٧٥ فى وسطها عمود(١) والصواب : توءم مفردة باجماع علماء الرسم ، فالقاعدة التى تسير عليها كتب الاملاء فالمدارس أن الهمزة المتوسطة التى سبقتها مباشرة واو ساكنة تكتب مفردة اذا كانت مفتوحة او مضمومة تقول : وضوءك سابغ « بضم الهمزة » ، وان وضوءك سابغ ، « بفتح الهمزة » ، أما اذا كانت الهمزة مكسورة فيجب أن تكتب على ياء تقول : لا تسرف في الماء في وضوئك ، وكل هذا باجماع علماء الرسم ·

ملحوظة :

مما يدعو الى بلبلة القارىء فى المعجم فى رسم الكلمات ان المفردة تاتى مرسومة فى موضع صحيحة مثل : جزائى ص ٢٦٠ بآخرها تقريبا عمود (١) ، وفى موضع آخر تاتى مرسومة خطأ مثل : جزئيه ص ٢٨٩ بآخرها عمود (٢) ،فان الصواب جزائيه ، وهنا يتحير القارىء غير الخبير ، فلا يدرى : أيهما الصحيح ؟ وأيهما الخطأ ؟ بل ربما يعتقد ان الرسمين صحيحان ، وكل هذا بلبلة ما كان اغنى عنها لو كتبت الهمزة صحيحة فى الموضعين !

رابعا : من الاخطاء اللغوية :

١ ـ آمِد : أعظم مدن ديار بكر ،وهى بلد قديم حصين على نهر دجلة فى غربيه ص ١٥ عمود(١) · والصواب: فى غربه ، والا كانت البلدة فى النهر نفسه ، وهو غير الواقع ، ولذلك يصح أن يقال : الاهرام غرب القاهرة ، ولا يقال : الاهرام غربى القاهرة ، وأسيوط جنوب بني سويف ، ولا يصح أن يقال: أسيوط جنوبي بنى سويف ، والا كانت أسيوط جزءا من بنى سويف وداخلة في مساحتها ، وهذا الخطأ كثير جدا فى الكتاب ·

٢ ـ الحاجيات : ص ٢٣٨ ، بآخرها عمود (١) والصواب : الحاجات · فادخال ياء النسب هنا خطأ ·

ملحوظة اخرى :

مما يدعو الى حيرة القارىء ايضا ان الكلمة تاتى صحيحة فى موضع ، وخطأ فى موضع آخر مثل : (الرئيسة) لقد جاءت صحيحة بصفحة ٢٩٢ بوسطها عمود (٢) ، اذ كتبت (الرئيسة)

وجاءت خطأ في موضع آخر بصفحة ١٦٨ بآخرها تقريبا عمود (١) ، اذ كتبت (الرئيسية) كما هو شائع على ألسنة كثير من الكتاب وكتاباتهم ، وهذا لا يصح مهما كانت شائعة ، فالمجمع يجب أن يكون أهم المراجع لتصحيح الخطأ الشائع ، وبخاصة في معجمه الكبير ، والله أعلم .

هذا هو قول الاستاذ حسن الجافي في المعجم الكبير ، أما قوله في المعجم الوسيط فله حديث آخر موعدنا به الشهر القادم .

ص . ج .

حول مقال ..

أربعة شعراء وأديبان

قرأت المقال القيم الذي كتبه الاستاذ محمد عبد الغني حسن في « الهلال » الماضي بعنوان « أربعة شعراء وأديبان رحلوا في سن الشباب » فوجدت فيما كتبه عن الشاعر المرحوم الاستاذ عبد الباسط الصوفي ما يستوجب التنويه .

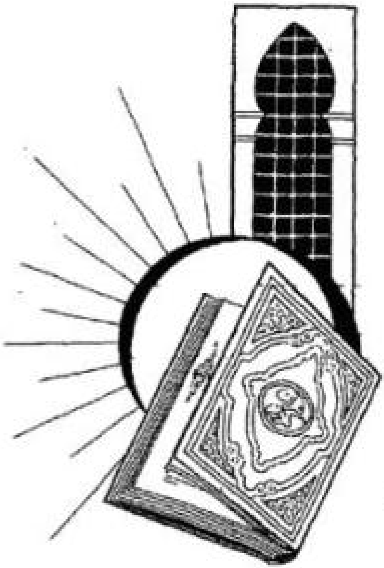
جاء في المقدمة التي كتبها الدكتور ابراهيم الكيلاني مدير التأليف والترجمة والنشر بوزارة الثقافة السورية للكتاب الذي أصدرته الوزارة بعنوان « آثار عبد الباسط الصوفي الشعرية والنثرية » ـ ما يلي :

« ولد عبد الباسط بن محمد أبي الخير الصوفي سنة ١٩٣١ في مدينة حمص في دار أسرته بجانب جامع آل الصوفي بمحلة ظهر المغارة ، ولما بلغ سن الطفولة أدخل المدرسة الابتدائية الخيرية الاميرية ثم التحق بالمدرسة التجهيزية بحمص فنال شهادتها سنة ١٩٤٦ والشهادة الثانوية سنة ١٩٥٠ ثم عين معلما في مدرسة قرية عز الدين ، ثم مدرسا للغة العربية في متوسطة قرية فيروزة وفي سنة ١٩٥٢ انتسب الى المعهد العالي ونال شهادة الليسانس في الآداب سنة ١٩٥٦ ثم واصل مهنته التدريسية في مختلف الثانويات في دير الزور وحمص حتى شهر شباط سنة ١٩٦٠ حين أوفدته وزارة التربية والتعليم في بعثة الى غينيا لتدريس العربية . فتوفي في كوناكري في ٢٠ تموز سنة ١٩٦٠ . مات منتحرا في المستشفى الذي نقل اليه اثر اصابته بانهيار عصبي وقد نقل جثمانه بحرا ودفن في مسقط رأسه حمص بعد شهرين من وفاته . »

ومن قراءة ما كتبه الاستاذان محمد عبد الغني حسن والدكتور ابراهيم الكيلاني يتضح للقارىء التباين حول « دير الزور » بأنها قرية وأنحياتها رتيبة ، وهي مركز محافظة الفرات العظيم ، وهي مدينة جميلة ذات مناظر خلابة ، تتمتع بحدائق غناء ، وفيها تسعة جسور فخمة على الفرات .

دير الزور — عبد الجبار الرحبي

محمود الحتريس



نور الله

من همـــومي فيك ما اعيا البشر   يا ابنة الشمس ويا اخت القمر
ان يكن ذنبي اني عاشـــق   حسنك العاتي فما ذنب الآخر
ليس ذنبا ذلك العشـــق فما   يسال النشوان عن سحر الوتر
لا ولا تسال عن حب السـنا   أعين كبلها ليـل الضـــجر
وقلـــوب اجدب الزرع بهـــا   ونأى عنها السحاب المنتظر
ليس عـدلا لومهـــا من لائم   لو ترامت تحت اقـدام المطـر

***

يا منى الايام عــذرا للـــذى   ما له فى نعمـــة الدنيا وطـر
فيك يا فتنــة عمـــرى كل ما   يفعم السمع ابتهاجا والبصر
ذلك اللحـــن على ايقـــاعه   يرقص الغصن فيهتز الثمـــر
والربيع الحلو ريان الصبـــا   والصبا الريان عذرى الصـور

***

يا ابنــة الشــمس امانا انهم   اعلنوا الامر ولم يخفوا الخبـر
وانا فى ركبهم لا انثـــنى   انشـــد البيد هواها والحضر

انمـــا الحب كتاب ثائـــر ... يكره الصمت - ثقيلا - والحذر
والتى نعشـــقها حـــورية ... حرة كالطير نشـوى كالزهـر
لو درى كل الورى من امـرها ... بعض آلاء سـجاياها الغـرر
لمضوا فى موكب فوق الضحى ... يسحق الليل ويهـوى بالأشر

***

اسـألوا عنها صـناديد الوغى ... واذا شـئتم فرهبان الديـر
مهروها بالعـزيز المفتـدى ... وفدوها بالثمـين المدخـر
ايه يا حـرية الانسـان كم ... ارهقت دنياك احلام الزمـر
وتنادت بك فى ليل الـردى ... انبيـاء وهـداة ونـذر

***

انتى الأكـبر يـوما اشرقت ... فيه انوارك بالصـبح الأغـر
اذا تجلى العـدل فى عليـائه ... واختفى البغى - ذليلا - فى الحفر
يوم شـاء الله بعثا للهـدى ... بعد موت من ضـلالات الفكر
يوم ميلاد الرسـول المصطفى ... سـيد الأكوان مشـكاة العصر
كان عرسا فى السـموات العلا ... رجعت افراحـــه ارض البشر

***

يا رسـول الله عفـوا انما ... تعثر الاقلام فى وشى السـطر
ويضـل المرء فى رحلتـه ... عندما يفقـد اسباب السفر
وانا قد خاصمت عينى الـكرى ... وذوى جفنى من طول السـهر
ودهـانى مادهى قـومى من ... خدر الوهم ومن وهم الخـدر
واحاطت بى الخطـايا لا ارى ... فى دياجيها الى اين المفـر
يا نبى الحـــق انى تـائب ... اترى تشـفع لى فيمـا غبر
عل رب العفو يجلـو صفحتى ... ويزيل الهم عنى والكـدر

***

انتى مازلت فى درب المـنى ... أنزع الايام من ازكى السـير
قبس الدعوة فى « دار الحجا » ... وصدى «الاسرا» فى الليل العطر
ورؤى الهجـرة بالدين الى ... قلعة الحب ومحـراب الذكر
ودعاء « الفتح » فى بطحائها ... وتكابـير الاماسى والبـكر
وبنـاء عـز بأسـا وتقى ... فى رحاب الارض بالعدل استقر
ها هو الاسـلام ياقومى لو ... صنتموه صـانكم عند الغير
ولعشتم فى حمـاه امـة ... يرهب الشر حماها والخطـر

***

ايه يا حـرية الانسـان كم ... حقق الاسـلام احـلام الزمر
رددى فى موكب التوحيـد ما ... لم ترده الاناشـيد الأخر
انه ركب الفدا فرسـانه ... الهـدى والسيف والرأى الأبر
واحفظيها ان اردت المـرتقى ... جـذوة لا ينطفى منهـا الشرر



● ريشة عادل ثابت ●

قصة قصيرة

الدنيا

إحسان كمال

نظر اليها بسخط شديد ... بالامس لم يتكلم رغم ان لحم الديك الرومى السكريه فى فمه

اكد انه لم يكن سمنا ذلك الذى طهى به ، ماذا استخدمت الان ؟·· حنظل ؟!

خشى ان تسخر منه·· لكنه اليوم لم يستطع

السكوت ·· سالها بغيظ : هل نسيت وضع السكر ؟·

ـ كيف ؟

ـ الشاى مر !

ـ وضعت قطعتين كالعادة !·· لست ادرى والله ماذا حدث لك !

خبط الكوب امامها بسخط وقام ··

هو لم يتغير ولكن الدنيا هى التى تغيرت

·· تغير لونها فى عينيه ·· طعمها فى فمه · كل شىء اصبح مرا ، جسد

زوجته الممتلىء فى فستانها الضيق اصبح

يثير اشمئزازه ··مرح اولاده وصخبهم ينزل

على ام راسه كالمطارق ، يترك المنزل هاربا الى

المقهى ·· لكنه لا يجد اصدقاءه ·· احتلت كراسيهم جثث عفنة ، لم يعد يحس باية متعة او سعادة ·· كره كل شىء ، كره الدنيا باسرها ، ولكن ·· الى اين يهرب ؟ اين المفر ؟ ، بيوت الله ؟·· لكنه فى الزاوية لم يتمكن من الصلاة ، لم يستطع ان يركز ذهنه ·· ضحك فجاة من اراجوز لم يره لكنه احس به يقوم ويقعد !· لماذا لم تقدح عينا الشيخ شررا وهو ينظر اليه ؟ فقط استفسار صامت ، رد عليه :

ـ حتى العبادة مللتها!

بدت على الشيخ بوادر الفهم :

ـ تسير ثقيلا ··

ودهش · قوامه نحيف ·· وعاد الشيخ يهز راسه :

ـ ليس ثقل الشحم واللحم اعنى ، ولكن ثقل الاوراق ، اوراق كثيرة تحملها على عاتقك وتربطها الى ساقيك فلا تستطيع السير الا زحفا ··· تخفف منها تحس بالانتعاش !

لكن سخطه كان فى ازدياد ، احس بالاثقال تغل قدميه حتى عن الزحف ·· بدا يموت ويتعفن وقلبه مازال يدق ·· فتح كل دواليب

واخرج الاوراق ٠٠ أوراق ملونة مرسومة وأخرى مكتوبة بأيدى محامين وموظفى مكاتب الصحة والشهر العقارى ، انها لحقيبة عجيبة حقا أن اتسعت لكل هذا .

وهو بسبيل الخروج اسرعت زوجته وراءه تناديه ، كيف علمت ؟٠٠

على انه لن يرجع عما انتوى مهما حاولت ٠٠ عادت تناديه فاستدار اليها ٠٠ زعقت :

– اشتريت سمكا هذا الصباح ٠٠ حاول أن تعود مبكرا اليوم قبل أن يبرد حتى لا يثير تأففك !

لم تنتظر رده ٠٠ عادت وهى ترتف كأنما لنفسها : كالغلب ما أطهره هذه الايام !

اتجه صوب الزاوية على الشاطىء والحقيبة فى يده ، وسأل الشيخ :

– هل أرمى بها فى النهر ؟

لكن الاخير لم يبد عليه أنه سمع أو فهم واستمر فى مناجاته :

فتح يده ولكن ، باللعجب ، لم تسقط الحقيبة ٠٠ جلدها ساح وجلد يده أيضا والتحم الاثنان ٠٠ حاول أن يخلص احداهما من الاخرى ولكن عبثا ،

أصبحت يده والحقيبة شيئا واحدا ٠٠

ولم يكن هناك حل غيره ٠٠ ألقى بنفسه فى الماء ، لم يسمع لارتطامه بالماء صوتا شديدا ، اذابت المياه اللحام فتخلصت يده من الحقيبة ، وبدأ يطفو ويطفو حتى وصل الى السطح ، خرج من الماء ٠٠ لدهشته لم يكن بملابسه أى أثر للبلل ، ولا نقطة ماء واحدة !

ما هذا المكان ؟ جمال ما رأى ولا سمع له مثيل من قبل ، الا الجنة ٠٠ هل وصل الى الجنة ؟٠ كيف ومازال حيا يتنفس؟ حدائق وزهور وطيور وجداول بالوان ماأبدعها

ظل يسير خفيفا سعيدا يريد أن يغنى ٠٠ فجأة فقدت الجداول والسماء زرقتها والحشائش خضرتها والورود جميعا الوانها ٠٠ تلون كل شىء بلون رمادى باهت ٠٠ لم يعد لها لون على الاطلاق .

قرصه الجوع قرصة عنيفة ٠٠ غريب أن تخلو الجنة من أى شىء يؤكل

٠٠ عن بعد بداله محل يخطف لألاء الماس فى نوافذه الابصار ٠٠كيف رآه ماسا ؟ محل فول وواجهاته من زجاج ٠٠ تقدم اليه مندفعا ويده فى جيبه ، ثم توقف مرة واحدة ٠٠ لعنة الله على غبائه ٠٠ ألم يكن فى امكانه أن يأخذ ولو جنيها واحدا من الالوف التى كانت فى الحقيبة ٠٠ ولكن البائع خاطبه بلطف :

– جوعان ٠٠ فلماذا لا تأكل ؟

– ليس معى نقود

– نقود ؟٠ ما معناها؟

– نقدية ٠٠ فلوس ٠٠ مصارى ٠٠ برادس ٠٠ موني !

لكن الرجل ظل على استنكاره ٠٠

– اريد طبقا من الفول ٠٠ ماذا ادفع لك ؟

– تكبر لله خمسا !

هل يسخر منه الرجل؟ فليجرب ٠٠

لم يأبه لشعور الامتلاء وطلب طبقا ثانيا ودفع كما دفع أولا ٠٠ هذا الرجل مجنون ولا شك ، ولكن ٠٠ ما شأنه هو ٠٠ هل من واجبه رد المجانين الى صوابهم ؟ لم يقل ترحاب الرجل له فى الغداء عنه فى الافطار ، ولا فى العشاء أيضا ، بالعكس كان اكثر سرورا كأى بائع تروج تجارته ٠٠ ناوله الطبق مزهوا !٠

ـ يبدو انك تحب الفول جدا !

يا لسذاجته !.

ـ احب كل شيء ولكني كما قلت لك ليس معي نقود !

ـ عدت ثانيا للبلوسة ؟!

ـ تعني أن الجميع هنا يبيعون بنفس عملتك ؟!

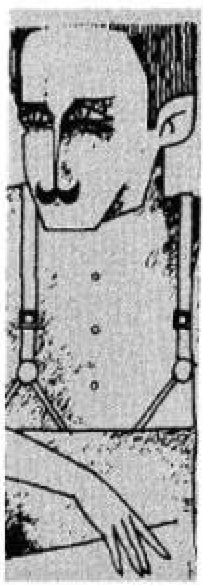
انتقم من الكباب والفواكه لمعدته التي اثقلتها أطباق الفول .. ترك النوم في الحدائق عندما علم أن اصحاب المنازل أيضا يقبضون ايجارها تكبيرا لله ...

عندما تمتلىء الحوصلة ويتم تجهيز العش يبدأ التفكير في الوليف ، قال له بائع الفول الذي أصبح صديقه :

ـ اذهب الى الميدان الكبير يوم السوق تجد جميع فتيات المدينة ، من تعجبك منهن صبح عليها .. فاذا ردت السلام كان معناه انها موافقة وبعدها تطلبها من ابيها وتدفع مهرها .. الله اكبر مائة مرة !

***

لم يكذب خبرا واختار اجمل فتيات البلدة .. تزوجها ، ثم جاءت الذرية ، صبيين وبنية ، كان يحس أنه أسعد مخلوق على الارض .. فقط هناك اشياء كانت تثير دهشته وتساؤله لكن احدا لم يرد عليه .. على العكس كانت اسئلته تثير في سامعيها دهشة أضخم من دهشته .. كيف يتصور أن تعاملهم بالالفاظ يجعل الناس لا يقنعون ؟ هل الورق اغلى من الكلمات؟ هل يعقل أن يأخذ



الانسان اكثر من حاجته ؟ ثم كيف يسأل لماذا يعمل الناس اذن ... وهل هذا سؤال ؟ هل يمكن أن يظل انسان بلا عمل ؟!

ظن أنه فهم سبب دهشتهم ، ترى ما هو القانون الرهيب أو السلطة القوية التي تضطرهم برغم سهولة الحياة الفاخرة الى العمل بكل هذه الهمة التي لا تعرف الكسل ؟! لا شك سيجيء دوره ليحاسبوه على بطالته .. لكنه ظل طويلا بعيدا عن أعين البوليس .. أو هكذا ظن .. حتى اكتشف أن لا ظل هناك للقانون ولا لممثليه على الاطلاق !

رغم عدم حصوله على ردود ما لم يستطع أن يبتلع تساؤله ، جميع المهن موجودة عندهم .. أين رجال البوليس والنيابة والقضاة ؟.. وكيف رغم اختفائهم يسيطر الهدوء على المدينة فلا يرتفع فيها صوت قط ؟ كيف يبدو الامن مستتبا الى هذه الدرجة ؟ ، هذه المرة جاءه الرد : كل فرد متروك لضميره يحاسبه على اعماله بدون أي

تدخل من أحد !

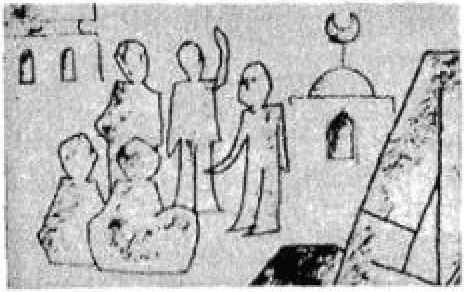
فعــلا .. رغم كرم الجميعوبذلهم وبشاشتهم لم يكن أحد منهم ليرحب بأى تدخل فى شئونه ، وهو بالتالى لا يتدخل فى شئون غيره ، وكان لهــذا الطبع حسناته الـكبرى .. لم يجبره احد على القيــام بأى عمل ، بل حتى ليسأله شخص لماذا لا يعمل .. يوما قال لبــائع الفول بعد ان التهم طبقين :

ـ صحتى ضــعيفة جدا ، لا تساعدنى على العمل !

فرد عليــه دون ان تبدو فى عينيه اية نظرة كان يتوقعها :

ـ هذا شأنك وحدك !

حاول أن يأخذ عنهم هذه العادة لكنه لم يفلح تماما .. يوما كان فى نزهــة بالريف .. و لك الله يا هذا البلد العجيب .. كل ما يقع فوق أرضك غريب ، هذا الرجل يرى جاريه .. الــذى الى اليمين قد فتح قناة بين أرضه والترعة لتــروى زراعته وهو مستريح ، والذى الى الشمال يدير شادوفا يستعمل هــذه الطريقــة البدائية بل العقيمة .. فليت الدلو كان سليما .. المــاء كله يتسرب من الثقــب الصغير بقاعه قبل ان



يصل أرضه ، ومع ذلك يعيد الكرة مرة ثانيــة وثالثة وعاشرة فى صبر وجلد عجيبين دون أن تنال زراعتــه الا النذر اليسير .. تقدم منــه صاحبنا ناصحا :

ـ حتى الصباح ستظل تعمل دون أن تســقى زرعك ، لماذا لا تقــلد زميلك الاول .. أو حتى الثانى ؟ العرق يتصبب منه لكن أرضه تروى على أى حال !

لم يرد عليه الرجل ، فتذكر الطبع الغريب .. مضى وتركه يسير ويسير والدلو فى يده ، يذرف الدموع أسى على ذلــك الجهد الضائع ٠

فى المنزل وجد زوجته غاضبة :

ـ لماذا تحشر نفســك فى شيء لا يخصــك ولا تفهمه !؟ هذا الاعتراض عندنا جريمة !..

أدهشه علم زوجته بما حدث ، على أنه وعدها الا يكرر ذلك ، لــكنه نسى الوعد بل نسى نفسه فى نزهة أخرى .. ذلك الفلاح لا شك مجنون ٠ هل يمــكن أن يفعل أى عاقــل ذلك ؟ ما أعظم خسارته .. لو أنه حتى حصد محصولهوهو بعد و فريك ، أخضر كالفلاح الثانى لاستطاع بيعــه ولو أن مكسبه لن يكون كالفلاح الاول الذى يجنى قمحه بعد تمام نضجه ... اقبل عليه بلا تروٍ :

ـ ما الذى تنتظر أن تكسبه من هذا العشب .. ضيعت هباء مجهود الشهور الماضية كله !٠ كان فى وسعك أن تنتظر بضعة أسابيع أخرى ٠

هذه المرة أيضا لم يرد عليه الفلاح المسئول وظل يعمــل منجله بلا رحمــة ولا أسف فى

العشب الاخضر ، أسرع الى منزله وهو يدعو الله الا تكون زوجته قد علمت بما كان ، لكن منظر غضبها وبكائها اكدا له انها علمت .. ألهمته أن هذه آخر مرة .. وانه اذا عملها مرة ثالثة فهو لا شك مطرود من البلد :

ـ كل شيء مقدر ومرسوم يسير كالساعة أو كتعاقب الشمس والقمر .. هل تستطيع بنصيحتك ان تؤخر هذا أو ذاك ولو للثوان ؟

ظل في المنزل اياما لا يخرج خوفا من الغلط ، حتى مل .. عاد للخروج وقد قرر ان يكبح جماح فضوله . كان معذورا في المرة الثالثة .. اى انسان لا يمكن ان يرى هذا ويسكت !: زوجته نفسها لو رأته لتقدمت ناصحة
ـ لقد استطاع ان يعود نفسه على كثير من التصرفات الشاذة ، لكن شذوذ اليوم فاق المعقول .

كيف يتصور كل هؤلاء الناس ان الصخرة ستتحرك بهذه الطريقة وكل منهم يشد على هواه ؟

أكثر من عشرين رجلا يجذبونها بعشرين حبلا ، كل في اتجاه .. كل يضيع مجهودات زملائه .. ما تكاد تتحرك مع أحدهم شبرا الى الشرق حتى يجذبها آخر الى الجنوب .. ثم يعيدها ثالث الى مكانها الاول يجذبه ايابا الى الغرب.

لم يدهشه أبدا انهم خلال ساعة كاملة لم يستطيعوا تحريكها قيد أنملة .. الذى يدهش انهم يأملون غير ذلك..



أليس فيهم واحد فقط يدرك عقم المحاولة ؟ أخيرا صاح فيهم :

ـ بهذا الشكل لن تتزحزح الصخرة من مكانها أبدا .. لماذا لا تتحدون جميعا وتجذبونها ناحية واحدة ؟.. لن تستعصى عليكم حينذاك فتذهبون بها الى أى مكان تريدون !

لو كانت الصخرة العتيدة سمعت ، لكانوا هم سمعوا .. لو ردت ، كانوا هم ردوا ، ظلوا مستمرين شدا وجذبا .. بعد فوات الوقت أدرك الهوة التى تردى فيها .. اسرع الى منزله عدوا لكن زوجته ابت ان تفتح له :

ـ لم يعد لك منزل ، ولا زوجة ، ولا أولاد .. بل لم يعد لك حياة هنا !

ماذا ؟ أهى مؤامرة اشترك فيها ضده جميع البائعين في المدينة ؟. يبيعون لكل الناس فلماذا يرفضون طلبه هو ؟ بل انهم لا يرفضون، ولكنهم لا يردون عليه أو يعيرونه أى التفات كما لو كان شبحا لا يرونه أو حشرة لا يحسون بها .. أو ربما أصبح بين دقيقة وأخرى رجلا خفيا .. هل هذا معقول ؟ انه يكاد يهلك جوعا والمدينة ملأى بما لذ وطاب بالمجان تقريبا .. وتذكر صديقه الاول ، بائع الفول .. الطيب ، يتنكر هو الآخر للصداقة !

حث رجليه ، ولكن حتى البائعين في أطراف المدينة وصلتهم أخبار القاطعة .. لم يأخذ منهم سوى الاعراض التام .

عجبا .. هل يحلم ؟ فرك عينيه لكن المنظر هذا

كما هو .. هذه الشجرة الباسقة فى الزاوية على حافة الترعة تشبه تماما تلك التى ألقى بنفسه من تحتها .. وخطر له

خاطر لا يدرى أكان رأسه مصدره أم أمعاؤه التى تتلوى فارغة .. لماذا لا يكرر ما حدث له

من قبل ويلقى بنفسه فى الماء ؟ ترى من الذى انتشله ؟ لا أحد بجواره فى الزاوية القديمة سوى

الشيخ العجوز .. انه يبدو أضعف من أن يفعل ذلك .. ولكن هذه الحقيبة

بيده ، انها حقيبتى .. حقيبتى التى كانت تحوى أموالى وأوراقى والتى ابتلعها اليم من سنوات

طويلة .. هل سيعترف بسهولة أنها تخصنى أو يدعى أنها ملكه الشخصى؟ باستطاعتى رغم الزمن الطويل أن اذكر له بعض ما بها .. كدليل ،

ولكن الشيخ قدمها اليه من تلقاء نفسه :

— حاجاتك .. ما كان أغناك أن تسأل كل تلك الاسئلة .. مازلت متطبعا بطبائع الدنيا ، متعودا عاداتها ، وفى نفسك أطماعها وشهواتها

أى شيطان أخبره هو الآخر بما كان ؟ غمغم:

— سألت برغمى !· تصرفاتهم كانت تدعو للجنون !· مع ذلك نصائحى كانت فى صالحهم !

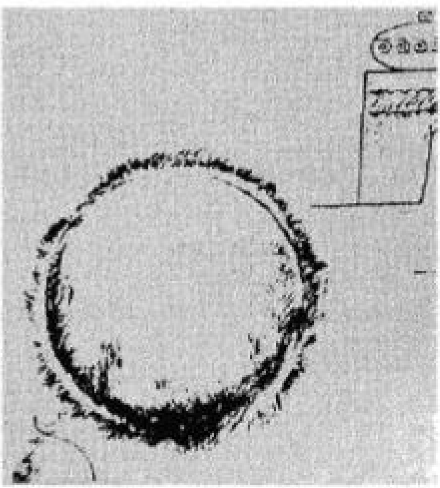
— بل لم تكن لتغير من الامر شيئا· فالارزاق فى يد الله وحده سبحانه هو الرازق الكريم يرزق من يشاء بغير حساب ويمنع عمن يشاء ، كذلك الاعمار محدودة بمواقيتها ولكل أجل كتاب ، ومن جاء أجله مهما كانت سنه لا يتأخر دقيقة ولا يتقدم ·

ضرب بيده على جبهته : ياالهى !· نعم، نعم .. ولكن ، الصخرة الكبيرة .. ما هى ؟

— هى الدنيا !· الكل يطمع فيها لنفسه .. مثلك .. متعلق بها وطباعها تجرى فى دمك .. لم تكن زاهدا فيها أبدا ، وانما أزمة عابرة ... ونصيحتى كانت أن تتخفف من بعض ، لا من كل ما تملك ، والناس .. أولى من البحر !

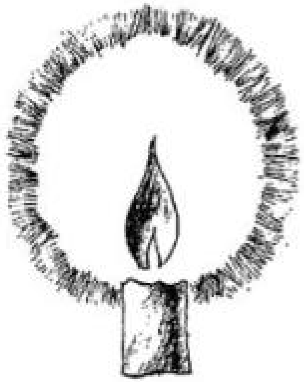
رغم السنين ، لم يتغير فى الشوارع شيء .. ومنزله هو هو .. ما كانت زوجته تراه حتى شهقت بدهشة .. قطعا كانت قد فقدت الامل فى عودته .. أردفت :

— الانثى قلت لك لاتتأخر ، تعود بعد ساعة واحدة ؟· كيف تظن بالله عليك انني فى هذه الفترة القصيرة استطعت «قلى» السمك ؟ !



ندرة حداد

الله



ملكوت الله بدر ساطع   في الأعالي ومروج نضره
وعيون جاريات الفت   لحياة الكون منها أنهره
حرة لم تطق السجن فما   لبثت ان خرجت منفجره
هو نور في قلوب البررة   ضاء حتى في نفوس الكفره
هو في المحسن يعطي باسما   في وجوه للجدا مفتقره
هو رب لليهودي ، كما   هو رب للخطاة السحره
هو في المهد نمو ظاهر   وقبيلا قوة مستتره
قوة تحمل ذا الكون كما   يحمل اللاعب في الكف الكره
يا ابنة الدهر هنيئا للالى   حفظوا قبل الوصايا عبره
جعلوها كوكبا في تيههم   ودليلا في الخطوب العسره
ان نفسا حاربت أوهامها   لهي نفس خلقت منتصره..

بيوت الله

الله اكبر .. الله اكبر .. الله اكبر ..

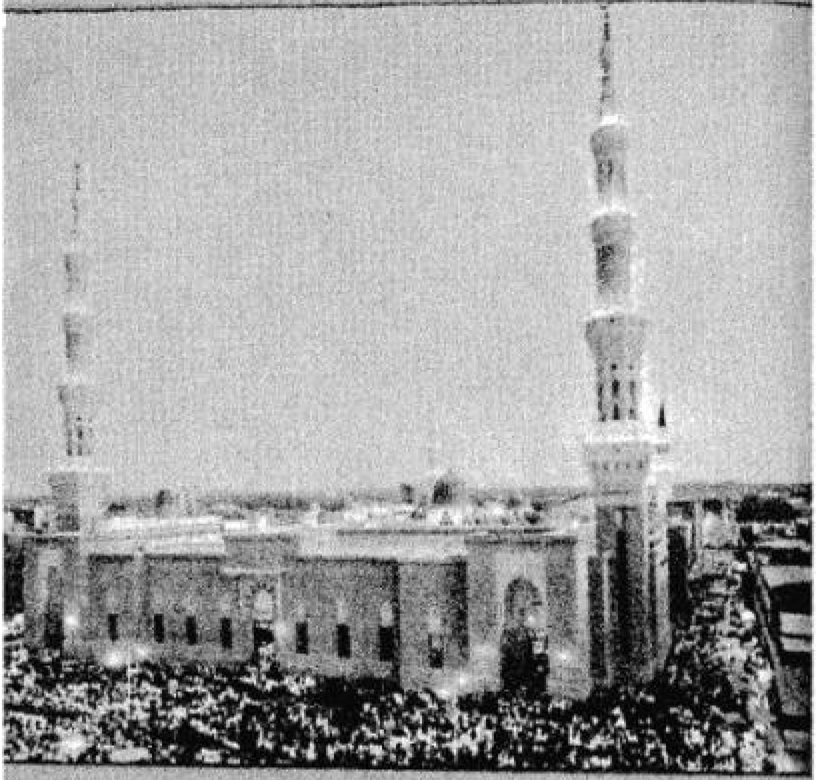
تنطلق على المآذن خمس مرات كل يوم ، تدعو المسلمين الى اللقاء الروحى بالله عز وجل ، لذكره وشكره على نعمائه ، والاستزادة من فضله تعالى .

يقول سبحانه وتعالى : ((فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة . يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار .. ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب)) .



مسجد قباء اول مسجد اسس فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ..

عاطف مصطفى



المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة وتبدو مئذنتاه شامختين .

بيوت الله

وبيوت الله تحظى بالتقديس والتكريم ، وكتب التاريخ مملوءة بالقصص المشوقة من شخصيات ارادت التقرب الى الله فقامت ببناء مساجد تحمل عظمة عصرها وابداعه فى فن المعمار .

وفى المدينة المنورة اقيم اول مسجد على قطعة ارض كانت ملكا للمجاهد الجليل « ابو امامه اسعد بن زرارة » كان يصلى فيها مع اصحابه قبل هجرة الرسول الكريم ، وكانت مقاييس المسجد أول الامر ٧٠ ذراعا فى ٦٢ اى أن مساحة المسجد كانت على وجه التقريب ٣٥ × ٣١٫٥ من المتر أى أنه كان مربعا أقرب الى الاستطالة .

وقد جعل الرسول من أول الامر للجامع قبلة ، وكانت القبلة الاولى تجاه بيت المقدس واشتمل المسجد عناصر خمسة هى :

الصحن ، أى مساحة مكشوفة ، **وبيت الصلاة** : وهو الجزء المغطى ، **والقبلة والمحراب والمنبر** .

وفى أيام الرسول لم تكن المئذنة ضرورية ، فكان المؤذن يؤذن من أعلى بيت مجاور للمسجد .

وعلى الرغم من التطور الشامل الذى مر به فن بناء المساجد عند المسلمين الا أن أحدا لم يضف بعد أيام الرسول الكريم عنصرا أساسيا ، وعلى غرار مسجد الرسول قامت فى المدينة المنورة مساجد كثيرة على أيامه صلى الله عليه وسلم .

وحين بدأ عصر الفتوحات الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين ، كان أول ما يعنى به المسلمون فى كل فتح من فتوحاتهم أن يقيموا مسجدا جامعا للصلاة ، حتى أنهم كانوا يشترطون فى معاهدات الصلح ضرورة الحصول على أرض لبناء المساجد ، وكانوا يحددون موقع المسجد ، ويحرصون على أن يكون هذا الموقع فى وسط المدينة الجديدة ، أو فى موضع قريب من هذا الوسط ، بحيث يكون مجاورا لدار الامارة أو لقصر الخليفة .

وقد كان مسجد المدينة يجاور مساكن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما مسجد الكوفة فقد حدد موضعه أولا ثم حددت مساكن القبائل من حوله ، وكذا مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط كان يلتصق بدار الامارة .. والامثلة على ذلك عديدة ، ولم ينشأ مسجد جامع بعيدا عن العمران مما يتفق وحرص المسلمين على توسيع المفاهيم الدينية وارساء تعاليم الاسلام فى البلاد التى فتحها المسلمون وذلك ببناء المساجد فى وسط هذه البلاد . حيث أن المساجد بالدرجة الاولى هى المراكز الحيوية فى المدن .

أما الخطوة التى تلى تحديد موقع المسجد فهى تحديد مساحته ، وكانت المساحة فى الغالب شاسعة ، وأول مسجد جامع اقيم فى الاسلام وهو مسجد المدينة كان يشغل فى البداية مساحة نصف فدان ، وزيدت فى عهد الرسول فاصبحت تقرب من مساحة فدان ، ومسجد الكوفة شغل عند انشائه مساحة تقرب من ثلاثة أفدنة ، ومسجد ابن طولون شغل أيضا نحو ستة أفدنة .. أما مسجد سامراء فكان يشغل مساحة عشرة أفدنة بدون زيادات ، وأربعين فدانا اذا احتسبت الزيادات .

وعلى طراز مسجد الرسول اقيمت المساجد الجامعة الاولى فى عواصم البلاد التى فتحها المسلمون . ولم تكن المساجد مزخرفة فى العصر الاول ، بل كان المسلمون يهتمون بان يكون فناء المسجد فسيحا ، لاستيعاب اكبر عدد

من المصلين ، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وتأثر العرب بمظاهر الترف الفارسي فازينت المساجد بالنقوش وتأنق العرب في اظهار اهتماماتهم الدينية بالمساجد ، وذلك في ابرازها في ثوب قشيب من النقوش والرسوم والزخارف . ولم تكن المساجد الاولى تحتوى على المآذن ، واول منارة انشئت كانت بمسجد سيدى عقبة بالقيروان سنة ٨٤ هـ .

***

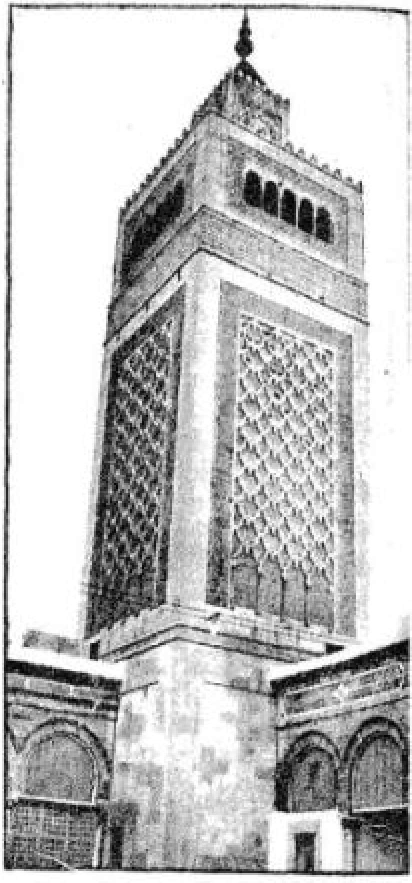
وكان من أهم المساجد التى أنشئت فى صدر الاسلام مسجد البصرة وأنشىء عام ١٤ هـ ومسجد الكوفة (١٥ هـ) ثم أنشىء مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط (٢١ هـ ـ ٦٤٢ م) ثم مسجد عقبة بن نافع بالقيروان ، والمسجد الاقصى ، بالقدس .

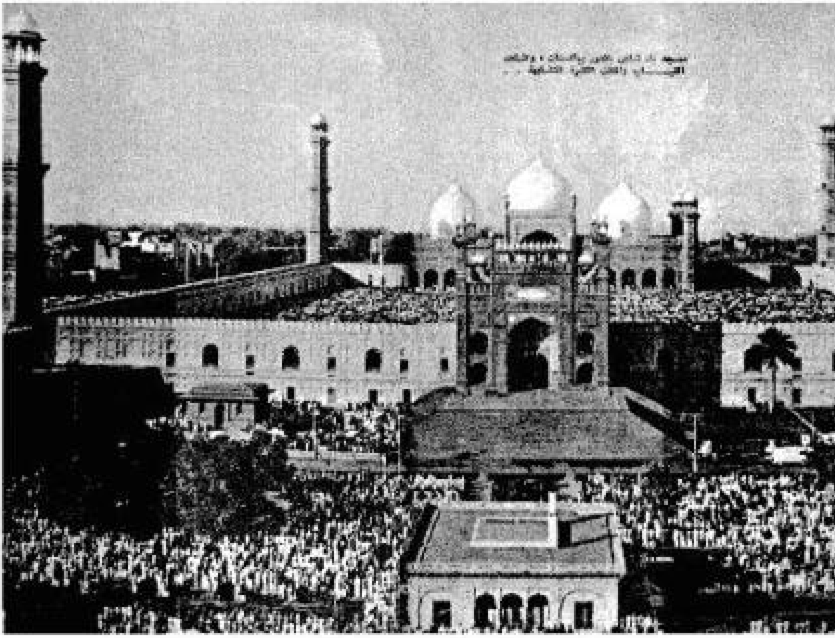
وهذه المساجد الخمس الى جانب المسجد النبوى الشريف هى آباء مساجد الاسلام كلها ، ويليها المسجد الجامع بواسط وقد بناه الحجاج بن يوسف (٨٤ هـ) والمسجد الجامع الاموى فى دمشق وبناه الوليد بن عبد الملك فيما بين سنة (٨٧ ـ ٩٦ هـ) .

● المسجد النبوى ●

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، استقر رأيه على انشاء مسجد للجماعة ، لتقيم فيه صلواتها ، وليكون مركزا لوحدتها ، وقد اختار الرسول للمسجد قطعة أرض قام هو وأصحابه بتنظيفها وتسويتها ، وذلك لاقامة المسجد عليها . وكان هذا المسجد يحتوى على العناصر الاساسية للمساجد ، فأصبح قدوة

جامع الزيتونة بتونس





تحتذى عند انشاء أى مسجد فيما بعد. وقد قام الخلفاء الراشدون باجراء عدة تعديلات على نظام المسجد وانشاءاته، وهذا المسجد هو محط انظار المسلمين فى شتى انحاء الارض وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا ، والمسجد الحرام، والمسجد الاقصى » .

● مسجد البصرة (بالعراق) (١٤ هـ ـ ٦٣٥ م) ●

كان مسجد البصرة أول مسجد أنشىء بعد الفتوحات العربية ، وقد اندثر هذا المسجد وانشىء على يد عتبة بن غزوان ثم بناه ابو موسى الاشعرى باللبن ، ثم بناه زياد بن أبيه بالحجر سنة ٤٤ هـ ـ ٦٦٥ م .

● مسجد الكوفة (بالعراق): (١٥ هـ ـ ٦٣٦ م) ●

كانت الكوفة ثانى مدينة احدثت فى الاسلام ، وانشىء المسجد على يد سعد بن ابى وقاص ، ولم يكن للمسجد جدار أول الامر ثم عمل له جدار من القصب ، ثم بنى باللبن ، ثم بالحجارة سنة ٥١ هـ ـ ٦٧٠ م .

● مسجد عمرو بن العاص ـ (بالفسطاط) ـ (٢١ هـ ـ ٦٤٢ م) ●

هو أول جامع انشىء فى مصر ، انشاه عمرو بن العاص ، وكانت مساحته وقت انشائه صغيرة ، ولكنه

بيوت الله

هدم ووسع وبنى عدة مرات ، حتى انه لا يمت فى عمارته الحالية الى المسجد الاول بصلة .

● مسجد عقبة بن نافع (بالقيروان) ـ ٥٥/٥٠ هـ ـ ٦٧٥/٦٧٠ م) ●

بناه عقبة بن نافع ، وقد مر بأدوار شتى فى تاريخه ، وجدد كثيرا ، ولكن هيئته الحالية أصيلة ترجع الى ايام أمراء بنى الاغلب فى افريقيا .

● المسجد الاقصى ـ(بالقدس) (٦٥ هـ ـ ٦٨٥ م) ●

كرم الله المسجد الاقصى ، واختصه بالمعجزة الكبرى ، معجزة الاسراء والمعراج ، وانزل فيه قوله الكريم ، « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا ، انه هو السميع البصير » .

كان المسجد الاقصى قبلة الاسلام الاولى ، وقد أعاد بناءه بالحجر عبد الله بن مروان سنة ٦٥ هـ ـ ٦٨٥ م ، ثم جاء الوليد بن عبد الملك فأعطاه صورته التاريخية التى ظل محافظا عليها رغم التجديد ، واعادة البناء المتكرر ، وكان ذلك سنة ٨٧ هـ ـ ٧٠٦ م .

● المسجد الجامع بواسط ـ (٨٤ هـ ـ ٧٠٣ م) ●

كانت واسط العراق خامس مدينة احدثت فى الاسلام وقد بنى الحجاج ابن يوسف الثقفى مسجدها الجامع وانتهى من البناء سنة ٨٦ هـ ـ ٧٠٥م .

● المسجد الاموى (بدمشق) ـ (٨٧ هـ ـ ٧٠٦ م) ●

من مفاخر العمارة العربية بناه الوليد بن عبد الملك فيما بين سنة ٨٧ هـ ـ ٧٠٦ م الى سنة ٩٦ هـ ـ



جامع قرطبة فى اسبانيا ، اكبر دليل على مدى ابداع الفنان العربى وتفوقه فى العمار الاسلامى

٧١٤ م . وقد حليت جدرانه كلهـا بالرخام المجزع المفصل أشكالا وألوانا واكملت الى السقف بالفسيفساء ولقد عد المسجد الاموى آية من آيات العمارة والفن ، وحينما شاهده أحد الموفدين من الدولة البيزنطية قال : « اننـا الآن وقد شاهدنا هذا البنيان الرائع لموقنون بأن العرب باقون فى هذه البلاد الى الابد وانه لا رجعة لبيزنطة اليها بعد اليوم » ...

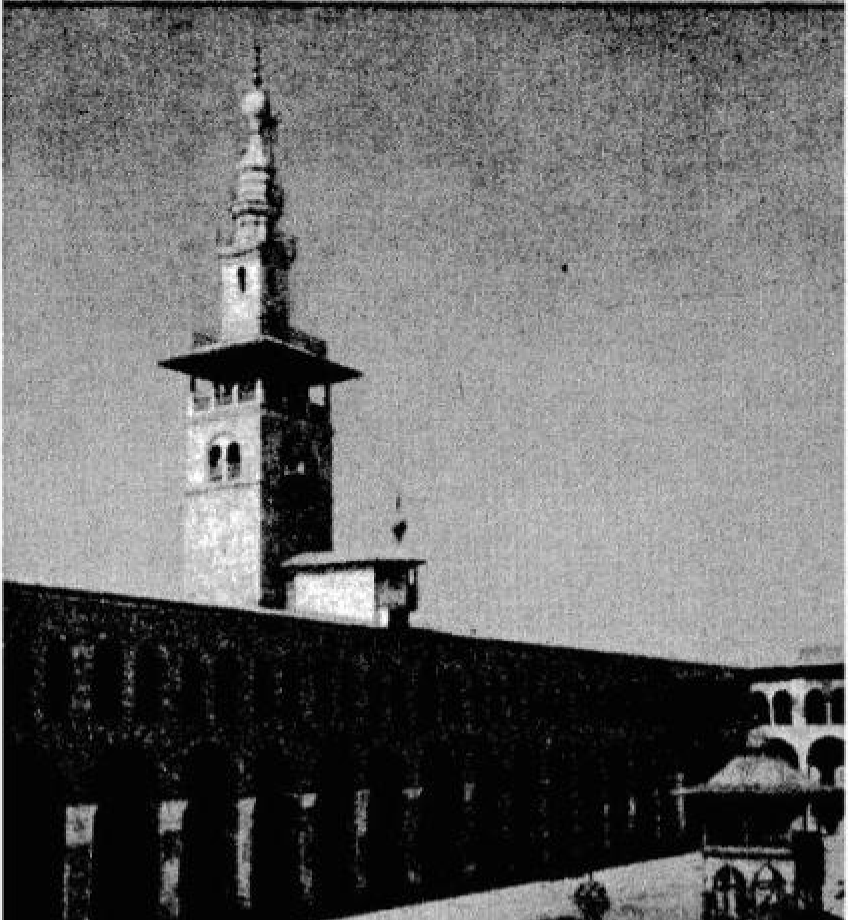
● مساجد مصر ●

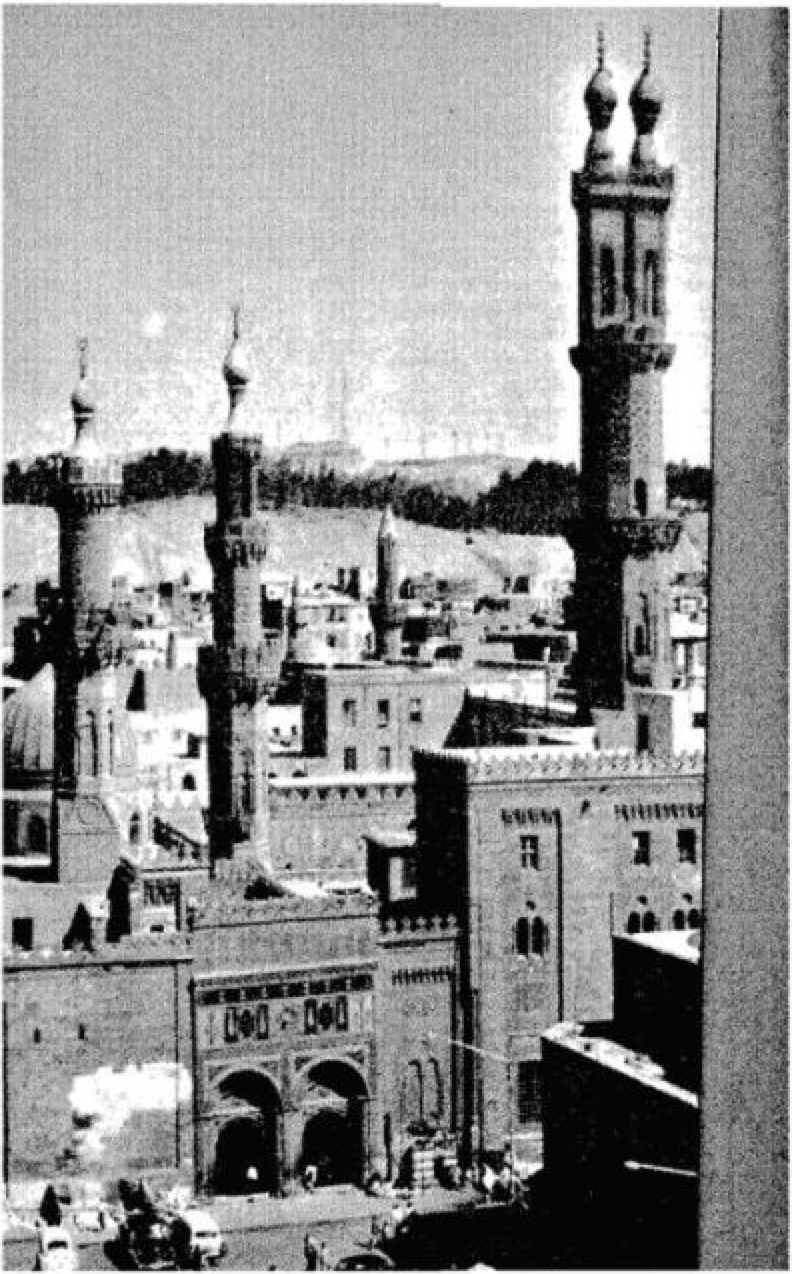
كان جامع عمرو بن العاص ـ كما اوضحنا من قبل ـ هو أول جـامع

بيوت الله

الأزهر الشريف .. من
المآثر المعمارية الفائقة
لدولة الفاطميين بالقاهرة

الجامع الأموى بدمشق احدى مظاهر العمارة العربية الإسلامية





بيوت الله

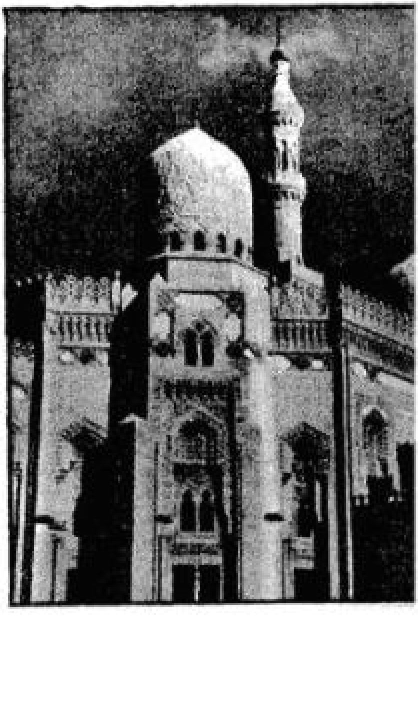
النشء في مصر ، ثم انتشرت المساجد بعد ذلك ، وقد بنى احمد بن طولون مسجده الشهير بالقطائع وظلت عمارة المساجد تزدهر في مصر حتى جاء الفاطميون ، وأنشأ جوهر الصقلي قائد جند المعز لدين الله الفاطمي الجامع الازهر عام ٣٥٩ هـ ليكون مسجداً جامعا للقاهرة الفاطمية الجديدة ، فكان اول جامع انشيء بمدينة القاهرة، وقد قام الجامع الازهر باداء الرسالة الدينية على خير وجه ، الى جانب قيادته للحركة الفكرية في مصر والشرق حيث ظل مركزا للتوجيه والاشعاع الديني والفكري في العالم الاسلامي ·

وقد مرت عصور مظلمة بالازهر الشريف نظرا للظروف السياسية الحالكة التي مرت بها مصر ·

وقد كان دور الازهر بارزا اثناء الغزو المغولي والصليبي حيث أصبح ملجأ وملاذا فكريا للعلماء الفارين من ضربات المعتدين في الشرق والغرب، وقد تبوأ الازهر مركز الزعامة الفكرية والثقافية والدينية ليس في مصر وحدها وانما في العالم الاسلامي كله



مسجدا المرسي ابي العباس بمدينة الاسكندرية ، والسيد احمد البدوي بطنطا وهما من اكبر مساجد جمهورية مصر .



وتجلى ذلك واضحا ابان سنوات الغزو الفرنسي ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م ·

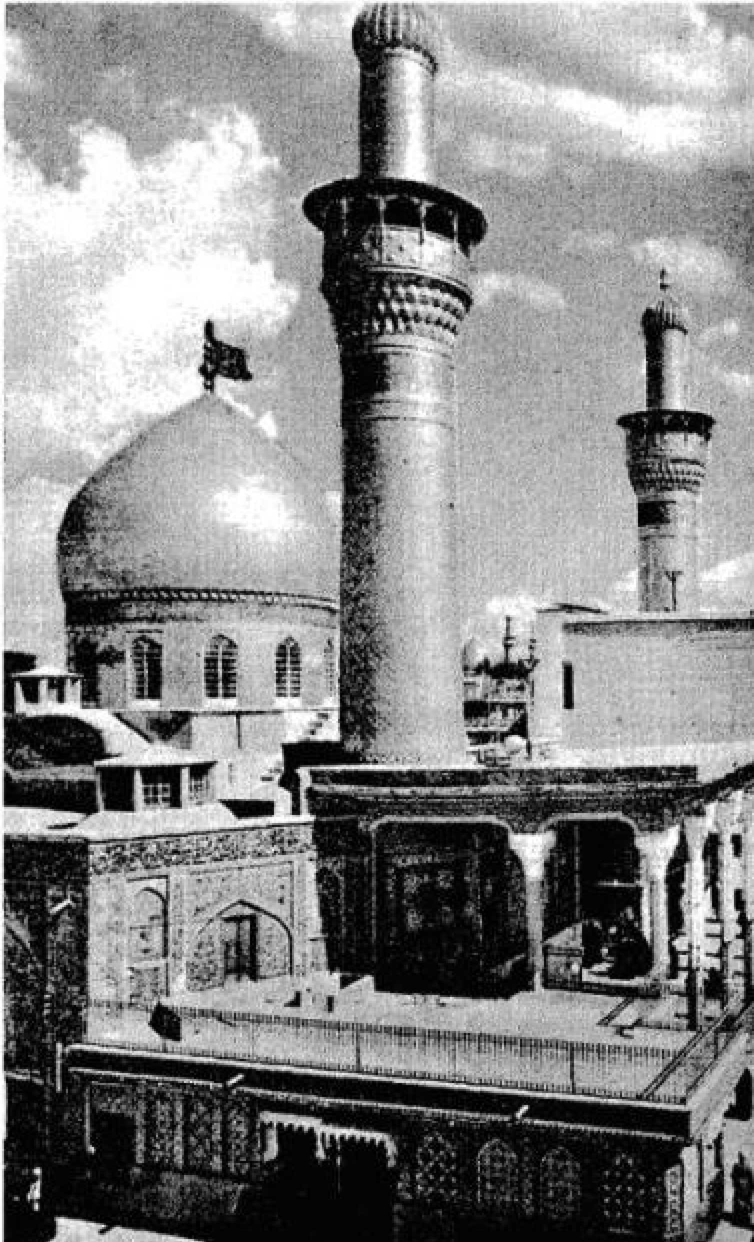
ويشمل الازهـــــر أروقة مصرية اقليمية وأروقة اســــلامية مثل رواق الحرمينورواق البغدادية ، ورواق السليمانية ، ورواق المغاربة ، ورواق الهنود ·

وقد اهتمت مصر بالبعثات الثقافية الملحقة بالازهر وأولتها عنـاية فائقة حتى تكون حلقة الاتصـــــال الفكرى والروحى فى العالم الاسلامى النابض·

والى جانب الازهر بالقـاهرة ذات الالف مئذنة توجد مساجد عريقةتحمل طرزا مختلفة لفن المعمار الاسـلامى ذى الطابع المصرى الاسلامى الاصيل فمنذ انشاء مسجد عمرو بن العـاص بالفسطاط القديمة الى انشاء مسجد صلاح الدين الايوبى بالروضة انتشرت مساجد شهيرة عريقة فى معمارهـــا ومدى الابداع فى الفن الاســـلامى الاصيل ، لعل اشهرها المشهدالحسينى والمشهد الزينبى ومســـجد الرفاعى ومسجد السلطان حسن ومسجد محمد على · على أن كل مسجد من هــذه المساجد يحمل فىطياته تطورا للمعمار الاســلامى ويطوى بين جدرانه قصة حضارة وتاريخ فن ، وعمق فكر وعلى اتســـاع رقعـــة مصر وفى مختلف

جامع ايا صوفيا تعلوه قبـــــة رئيسية ، وعدة قباب اخــــرى اصغر منها .



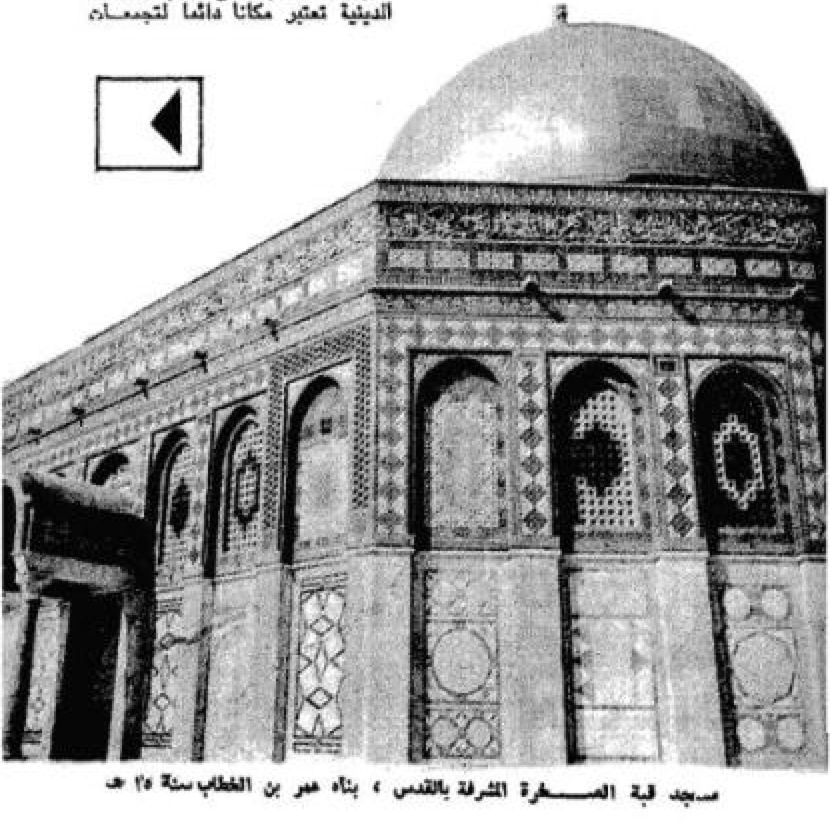


مسجد الإمام الحسين بكربلاء في العراق تعلوه مئذنتان ، وقبة تكسوها صفائح من الذهب الخالص

بيوت الله

محافظاتها وضواحيها ترتفع الآن ولا يمكننا حصرها وان كنا لا نغفلمساجد شهيرة مثل مسجد سيدى أحمد البدوى بطنطا وسيدى المرسى أبى العباس ، وسيدى جابر ، وسيدى بشر بالاسكندرية ، وسيدى ابراهيم الدسوقى بمدينة دسوق ، والشيخ حسنين بالمنصورة والمتبولى بدمياط وسيدى عبد الرحيم القناوى بقنا والفولى بالمنيا ... الخ .

وهذه المساجد الى جانب رسالتها الدينية تعتبر مكانا دائما لتجمعات



مسجد قبة الصخرة المشرفة بالقدس ، بناه عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ

المسلمين وعاملا من عوامل وحدتهم الفكرية وتفانيهم الروحى وتآخيهم الاجتماعى ، وتوادهموتراحمهمكمجتمع سليم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بوحدانية الله ·

● المساجد فى العالم الاسلامى ●

تفنن المسلمون فى ابداء البراعة والتفوق الحضارى فى فنون المعمار بتنويعهم واهتماماتهم بزخرفات ونقوش المساجد فى البلاد الاسلامية المختلفة ، فقد تنوعت أساليب العمارة التى شهرت بها هذه المساجد ·

● ففى العراق ●

ترى العتبات المقدسة وتوجد العتبة الاولى فى النجف لمسجد الامام على ابن أبى طالب وهو عبارة عن قبة ومئذنتين وعتبات ثلاث من الذهب ، وبداخلها عتبات ثلاث من الفضة ثم قبر الامام على ·

العتبة الثانية هى عتبة الحسين ابن على رضى الله عنهما وبه مئذنتان وقبة مكسوة كلها بصفائح من الذهب الخالص مثل مآذن الامام على بالنجف ويبهرك سقفه ، فحينما ترفع رأسك للسقف ترى كأن النجوم اجتمعت وأصبحت كتلة واحدة مضيئة براقة فى سقف المسجد ، وتوجد عتبةبالمسجد بابها من الفضة وأرضها من الفضة وثالث العتبات المقدسة ، جامع العباس ابن على وله أيضا مئذنتان وقبة مكسوة بالذهب الخالص ، وأهم ما

بيوت الله

يتميز به المعمار الاسلامى لمساجد العراق ، وخصوصا العتبات المقدسة ، كثرة ما يحليها من الذهب والماس ، الذى يقدر بملايين الجنيهات ·

● وفى المغرب ●

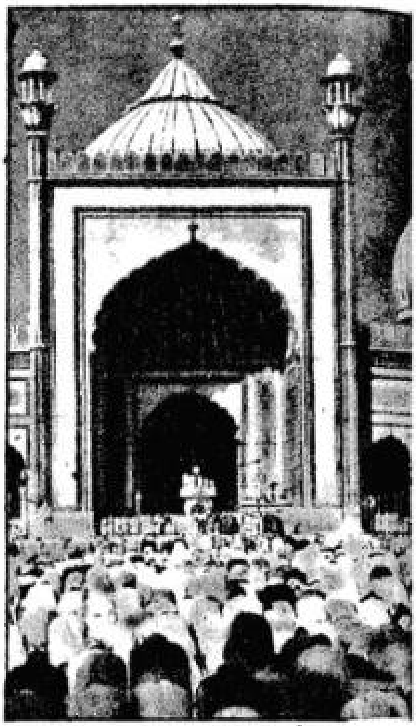
التى تضم مجموعة من المساجد العتيقة والتى اقيمت فى القرون الثلاثة الاولى بعد الهجرة والتى تحتفظ بعناصرها المعمارية ونظم تخطيطها الاولى ، تحافظ هذه المساجد على عراقتها التاريخية وورونقها الاسلامى فمازال مسجد القيروان قائما على ما كان عليه ايام هشام بن عبد الملك ·

وقد اقيمت فى عهد الاغالبة فى البلاد التونسية مساجد عدة ، وفى مدينة سوسة وحدها ثلاثة من هذه المساجد ، مازالت تحتفظ بتاريخ انشائها مسجلا بالحجارة على بنائها وذلك بالاضافة الىاحتفاظها بعناصرها المعمارية والزخرفية القديمة · ومن اشهر المساجد بتونس أيضا مسجد الزيتونة الجامع وأنشىء عام ١١٤ هـ وجدد هذا المسجد وجمل وزخرف فى عصور مختلفة وسجل كل هذا بدقة فى نصوص تاريخية منقوشة على الحجارة ذكر فيها وصف الاعمال وتاريخها حتى أن الباحث فى آثار هذا المسجد يستطيع أن يحدد فى ثقة تامة مراحل تطوره سواء من حيث تخطيطه أم من حيث بنائه وزخرفته ·

● وفى الاندلس ●

التى فتحها العرب فى صدر الاسلام كثرت المساجد فى القرنين الثانى والثالث الهجرى لكنها اندثرت بسقوط الاندلس فى يد الفرنجة بعد اضمحلال الحكم الاسلامى فيها ، الا أنها مازالت غنية بآثارها العربية ومازال ينتصب فىربوعها مسجدقرطبة الذى انشىء عام ١٧٠ هـ ــ ٧٨٦ م وهو اكبر مسجد قائم فى الاسلام وثالث المساجد الكبرى مساحة بعد مسجدى سامراء وابى دلف بالعراق ·

وهو أكثر المساجد أهمية معمارية



المسجد الجامع بمدينة دلهي عاصمة الهند

وفخامة زخرفية ، واحفلها تاريخا ، وقد شيده عبد الرحمن الداخل وتبلغ مساحته بعد التعديلات والاصلاحات التي ادخلت عليه ما يزيد على خمسة أفدنة ، يشغل بيت الصلاة منها اكثر من ثلاثة أفدنة • ويعتبر هذا المسجد من أعظم المساجد في العالم الاسلامي حجما وأكثرها أتساعا وأجملها عمارة

● وفي تركيا ●

وحين تحملت الدولة العثمانية أمانة الخلافة الاسلامية وأخذت على عاتقها مهمة احياء الحضارة العربية ، وحين استطاع محمد الفاتح الاستيلاء على القسطنطينية استطاع أن يحمل لواء الاسلام الى أوربا وحاول أن ينشر الدين الاسلامي في بقاعهـــا ، وقام بتحويل الكنيسة الشهيرة «أيا صوفيا» الى مسجد عظيم شيد له المنـــابر والقباب الرائعـــة وزينه بالنقوش وسجل عليـــه فنانو المسلمين أروع آيات الفن الاسلامي الممزوج بالنسق البيزنطي ، والـذى يدل على تزاوج الحضارات والتحام الفنون ، وتداخل العبقريات •

وتتسع رقعة الـــدولة الاسلامية ، وتترامى أطرافها حتى تشمل أقاصي الصين وأطراف الهند •

● وفي الهند ●

استطاع الاسلام أن يرسي تعـــاليمه ويرسخ مفاهيمه حتى نجد المسجد في الهند شامخا يؤكد عظمة هذا الدين ، والمسجد الهندى يتكون عادة من أربع منارات عالية رقيقة أو اكثر وفنـــاء فسيح يتوسطه حوض للوضوء وللمسجد عدة مداخل ، والمساجد القديمة تحيط بها أروقة واسعة ، كان يسكن بهـــا طلاب العلم كما تضم هـــذه المساجد أقساما وكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الدينية •

ومن أهم المساجد الهندية : « المسجد الجامع » بدلهي وهو أروع مسجد في شبه القارة الهندية وأكبرها مســاحة وقد تكلف بناؤه مليون روبية واستغرق بناؤه ست سنوات (١٦٥٠م-١٦٥٦م) وقد أقامه الامبراطور شاه جيهـــان على مكان مرتفع له سلالم طويلة من ثلاثة جوانب للوصول الى فنـــاء



بيوت الله

المسجد ، والجزء المسقوف منه يحتوى على سبعة محاريب ومحراب آخر كبير ، وثلاث قباب ، وترتفع منارتاه اربعين مترا وتوجد داخل كل منهما ممرات للصعود الى القمة ، وقد شيد المسجدبالحجر الاحمر والرمرالابيض ، والفناء الكبير يحيط به رواق طويل مع أبواب شامخة من ثلاثة جوانب تنتهى عندها السلالم .

● وفى باكستان ●

تتشابه طرز العمارة الاسلامية فى المساجد الى حد كبير مع الفن المعمارى الهندى ، ومن اشهر المساجد فى الباكستان ، مسجد باد شاهى بلاهور ويسع ثلاثمائة الف مصل ويعتبر من اكبر مساجد العالم اتساعا وقد بدأ بناءه شاهجان الا أن ابنه الامبراطور أورنجزيب أكمله سنة ١٦٧٤ م ، ويتضمن المسجد قبابا ومحاريب رائعة

***

وعلى اتساع رقعة العالم الاسلامى تنتشر المساجد التى تقوم برفع راية الفكر الاسلامى ونشر الثقافات الدينية والدنيوية ، وتحمل فى كل بلد طابعا متميزا من ناحية الفن والعمارة موحدا من ناحية الفكر الدينى ، وترتفع المآذن فى السودان وليبيا والجزائر والكويت وبلاد الخليج العربى ، وايضا فى اندونيسيا وأفغانستان والبانيا وبقية بلاد العالم مبشرة بالدين الحنيف ، دين الاسلام السمح القويم ، مؤصلة روابط الحب ، ووحدة الهدف ، مزاجل السلام والعدل الذى حث عليهما الدين الاسلامى لسعادة البشرية وامنها وطمانينتها ...

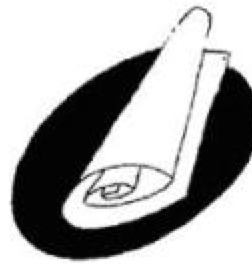
مسجد بنى على الطراز العربى الاصيل فى الكويت



تحفة فنية من الفن الاسلامى باحد المساجد الشهيرة بتركيا

■ د. يوسف خليف ■

فروسية الشعراء الصعاليك



تهيا للفروسية ان تزدهر، وان ترسخ تقاليدها فى نفوس العرب فى العصر الجاهلى، بحكم طبيعة الحرب فى ذاك العصر، فلم تكن الحرب فيه حرب زحوف وكتائب وانما كانت حرب كر وفر. ومثل هذا الاسلوب من الحرب يعتمد اكثر ما يعتمد على الفروسية الفردية، وتشكل جماعات الفرسان فيه العناصر الفعالة فى احراز النصر ودحر الاعداء.

ومن هنا احتل الفرسان مكانة مرموقة فى مجتمع القبيلة الجاهلية، فهم حماة ذمارها، المدافعون عن حماها، المتصدون لاعدائها حين يشتد البأس، المؤكدون لوقفتها المتحدية فى اوقات السلام، ولذلك كانت القبيلة تمد الولائم، وتقيم حفلات الغناء والرقص والموسيقى، وتفد القبائل عليها لتهنئها، اذا ولد غلام لها او نتجت فرس من افراسها، وذلك لانهما يكونان فارسها المنتظر وبطلها المنشود. ولم تكن تعدل هذه الفرحة فى حياة القبيلة الا فرحتها بشاعر ينبغ فيها،

لأن الشاعر – كما يقول ابن رشيق – « حماية لأعراضهم ، وذب عن احسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم » ، « وجرح اللسان كجرح اليد » – كما كان يقول الشاعر القديم – ومن اجل ذلك كان ارفع وسام تخلعه القبيلة على احد ابنائها أن تصفه بأنه « شاعر فارس » .

ومعنى هذا أن فرسان القبيلة كانوا كشعرائها جنودا عاملين فى جيشها ، ومحاربين اشداء فى ساحات حربها ، وقوة ترهب اعداءها المتربصين بها فى اوقات الأمن والسلام . وقد فرض عليهم هذا الوضع ، عقد اجتماعى ، تعارفت عليه القبائل انطلاقا من ايمانها بعصبياتها القبلية ، يفرض على فارس القبيلة كما يفرض على سائر ابنائها ان يعملوا جميعا من اجلها ، وأن يهبوا حياتهم لها ، وأن يدور كل فرد منهم فى فلكها لا ينحرف عنه ولا يخرج عليه ، تذوب شخصيته الفردية فى شخصيتها الجماعية ، وتختفى ذاتيته وراء ستار العصبية الصفيق الذى اسدلته القبائل على عيون ابنائها .

● الأستاذ والشيطان الرجيم ●

فى هذه الظاهرة يكمن الفرق الأساسى بين فرسان القبائل وفرسان الصعاليك . لقد رفض الصعاليك فكرة العصبية القبلية ، وكفروا بالعقد الاجتماعى الذى تعارفت عليه القبائل من خلال ايمانها بهذه العصبية ، لأنهم – ببساطة – خرجوا على قبائلهم ، وتمردوا على تقاليدها واعرافها ، وقطعوا ما بينهم وبينها فلم تعد تربطهم بها رابطة ، ولا تصل بينهم وبينها وشيجة من تلك الوشائج التى تصل بين الفرد وقبيلته ، فلم يعودوا مسئولين عنها ولا سائلين ، واستبدلوا بذلك كله عصبية من لون جديد ، عصبية مذهبية تؤمن بالجماعة الثائرة المتمردة المكافحة من أجل المبادىء التى خرجت من اجلها بحثا عن حياة حرة كريمة تسودها العدالة الاجتماعية ، وتذوب فيها الحواجز الطبقية ، ويعتدل معها الميزان الاقتصادى ، وتتكافأ فيها فرص العيش امام الجميع . ومن هنا لم يكن غريبا أن نرى طوائف منهم لا تتورع عن مهاجمة قبائلها ، ولا تجد حرجا فى أن تتجه بغاراتها الرهيبة نحوها ، على نحو ما كان يفعل الشنفرى وعصابته .

لقد خرج الشنفرى على قبيلته اليمنية ، الأزد ، واهدر من نفسه كل معانى العصبية القبلية ، وانتقل الى قبيلة فهم المضرية حيث اتصل بأستاذه فى الصعلكة تأبط شرا الذى وجد بدوره فيه تلميذا ممتازا ، فلقنه دروس الصعلكة ومبادئها حتى تحول به الى شيطان رجيم .

ومع عصابة من صعاليك القبائل

المختلفة ربطت بينهما عصبية المذهب انطلق الشنفرى يصب نيران حقده وتمرده على قبيلته انتقاما لكرامته التى امتهنوها ، وثأرا لانسانيته التى اهدروها ، صائحا فى وجوههم : « اما انى لن ادعكم حتى اقتل منكم مائة بما استعبدتمونى » ٠

لقد كان الشنفرى ابن الأمة السوداء واحدا من « الفهود السود » الذين ثاروا على التفرقة العنصرية فى المجتمع الجاهلى ، وخرجوا على قبائلهم التى كان سادتها البيض يمارسون ضدهم الوانا من الاضطهاد العنصرى بسبب لونهم ٠ ومضى الشنفرى يتحداهم ، فكان لا يقتل واحدا منهم حتى يعرفه بنفسه ، وكان لا يغزوهم حتى يخلف وراءه ما يدل عليه ، فكان اذا رمى رجلا منهم قال له متحديا : اطرفك ؟ ، ثم يرمى عينه بسهمه فلا يخطئها ، وكان يصنع السهام ويجعل افواقها من القرون والعظام ، فاذا غزاهم عرفوها بأفواقها فى قتلاهم ٠

وتمتد معركة الثأر بينه وبينهم حتى يقتل منهم – فيما تزعم الروايات – تسعة وتسعين رجلا ، ولكنهم يتربصون به ذات ليلة فيصيبون منه غرة فيأسرونه ثم يقتلونه بعد أن يتفننوا فى تعذيبه عذابا شديدا ٠ وفى غمرات العذاب الذى يلقاه على أيديهم ، وقبل أن

يلفظ أنفاسه الأخيرة ، يوصى بجسده للضباع الجائعة ، أصدقائه ورفاق تشرده فى ليالى الصحراء المظلمة الرهيبة ، كأنما يعد لها من جسده مائدة شهية وفاء منه لمبادىء الصعلكة التى

تفرض عليه أن يشرك فى طعامه وماله كل جائع أو فقير ، وأن « يقسم جسمه » – كما كان يقول داعية المذهب الكبير عروة بن الورد – « فى جسوم كثيرة » ٠ وفى قمة المأساة التى كانت تشهدها كثبان الرمال الحزينة الواجمة يتغنى بالغناء الصادر من أعماقه الدامية ٠

ويقتل الشنفرى ، ويلقى أعداؤه بجسده فى العراء بعد أن يفصلوا عنه رأسه ، ويمر واحد منهم – بعد حين – بجمجمته ، فيضربها بقدمه ، فتعقره فيموت ، وتتم به المائة التى كانت حلفته على قتلهم ٠

● حين يطلق ساقيه للريح ●

وفرق آخر بين فرسان القبائل وفرسان الصعاليك يصدر عن طبيعة حياتهم وأسلوب العيش الذى سلكوه فى هذه الحياة ، فقد كان فرسان القبائل يعتمدون على الخيل فى غزواتهم ، تحملهم الى المعركة ، وتخوض بهم غمراتها ، وتتيح لهم فرصة الكر والفر ، وتتلقى بصدورها الطعنات معهم ، وتثبت معهم فى المواقف الضيقة ، وتشترك معهم فى تحمل شدة القتال وضراوته ، ثم تعود بهم بعد النصر الى ديارهم ، أو تساعدهم على النجاة عند الهزيمة ٠

فروسية الشعراء الصعاليك

ومن أجل ذلك تغنى الشعراء العرب بخيلهم ، وخلعوا عليها أكرم الصفات، ونعتوها بأروع النعوت ، وسجلوا اعتزازهم بها ، وتقديرهم لها ، وعنايتهم الفائقة بها • وفي الشعر العربى صور كثيرة رائعة لدور الخيل فى الحرب ، وما تسديه لفرسانها من عون صادق ومشاركة فعالة •

أما فرسان الصعاليك فلم تكن الخيل وسيلتهم الاساسية فى غاراتهم ، لانهم — ببساطة — لم يكونوا يملكون خيلا ، فقد كانت الخيل من سمات الارستقراطية العربية فى العصر الجاهلى ، وانما اعتمد الصعاليك اعتمادا أساسيا على اقدامهم فى كرهم وفرهم ، وجعلوا العدو السريع أساسا لخططهم القتالية، وقد عرف الصعاليك بسرعة العدو ،

بل عرفوا بسرعة العدو الخارقة للعادة ، ومن أجل ذلك كانوا يطلقون عليهم « العدائين » أو « الرجليين » أو « الرجيلاء » ، وضربوا المثل بطائفة منهم فى سرعة العدو ، فقالوا « أعدى من الشنفرى » و « أعدى من السليك » ، ويصفوهم بانهم « أشد الناس عدوا » أو انهم « لا يجارون عدوا » أو « لا يلحقون » !

وعرف عن طائفة منهم انهم كانوا يسبقون الخيل والظباء وهى أسرع حيوان الصحراء عدوا ، ويصفون تأبط شرا — الأسطورة الرهيبة الغامضة — بانه« كان أعدى ذى رجلين وذى ساقين وذى عينين » ، ويروون عنه انه كان اذا جاع نظر الى الظباء فانتقى على عينيه أسمنها ، ثم انطلق خلفه « فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله » •

ويروون عن حاجز الأزدى — ثعلب الصحراء — ان قبيلة خرجت تطارده بخيلها السريعة ، ففر أمامها على قدميه وسبق الخيل ، فاعترض طريقه الضيق فى أحد شعاب الجبل ظبيان منعاه من تجاوزهما ، ولكن الطريق لم يكد يتسع به وبهما حتى انطلق فسبقهما وخلفهما وراءه يعدوان !

ويذكرون عن أبى خراش الهذلى انه دخل مكة ذات مرة وللوليد بن المغيرة المخزومى فرسان يعدهما للسباق ، فقال له : ما تجعل لى ان سبقتهما ؟ فقال : ان فعلت فهما لك ، فأرسلا وعدا بينهما فسبقهما فأخذهما • ويقولون ان خطو الشنفرى ذرع ليلة قتل ، « فوجدت أول نزوة نزاها احدى وعشرين خطوة ، والثانية سبع عشرة خطوة ، والثالثة خمس عشرة خطوة »

وفى شعر الصعاليك فخر عريض بهذه القدرة على العدو ، وتصوير رائع لها ، واعتزاز بالغ المدى بها • يقول تأبط شرا :

ليلة صاحوا واغروا بى سراعهم
بالعيكتين لدى معدى ابن براق
كأنما حثحثوا حصا قوادمه
او ام خشف بذى شث وطباق
لا شىء اسرع منى ، ليس ذا عذر
وذا جناح بجنب الريد خفاق
حتى نجوت ولما ينزعوا سلبى
بواله من قبيض الشد غيداق

انه سريع كالظليم أو الظبية حين اطلق ساقيه للريح والخيل تطارده ، بل انه أسرع من كل شىء حتى الخيل الجياد والطير الجارحة فوق قمم الجبال•

ويقول الشنفرى مصورا مباراة

فروسية الشعراء الصعاليك

غريبة بينه وبين القطا في الوصول الى الماء ، تنتهي بفوزه عليها وادراكه الماء قبلها ، بل لقد شرب وارتوى قبل أن تصل هي الى الماء ، فلما وصلت لم تجد الا سؤرا تشربه من بعده :

وتشرب اسآرى القطا الكدر بعدما
سرت قربا احشاؤها تتصلصل
هممت وهمت ، وابتدرنا ، واسدلت
وشمر منى فارط متمهـــــل
فوليت عنها وهي تكبو لعقـــره
يباشره منها ذقون وحوصـــل

ومع ذلك فقد كان بعض الصعاليك يملكون خيلا ، ولعل بعضها من غنائمهم في غاراتهم ، وعرفت أسماء بعض خيلهم ، « فقرمل » فرس عروة بن الورد ، و « النحام » فرس السليك ، و « اليحموم » فرس الشنفرى ، وكانوا يعتمدون عليها أحيانا في غاراتهم الى جانب اعتمادهم التقليدي على اقدامهم .

ويتردد ذكر الخيل كثيرا في أخبار عروة وصعاليك عصابته ، وربما كان السبب في ذلك أن مسرح نشاطهم كان في نجد وشمالي الجزيرة العربية حيث تكثر الخيل ـ خيل نجد المشهورة الذائعة الصيت ـ بسبب خصب المنطقة وانتشار المراعي الصالحة لتربيتها بها .

وفي شعر الصعاليك احاديث كثيرة عن هذين الأسلوبين من الغزو : الغزو على الخيل ، والغزو على الأقدام . يقول عروة متحدثا عن زوجته التي تلومه على مخاطرته بنفسه :

تقول لك الويلات هـــل أنت تارك
ضبوءا برجـــل تارة وبمنسر

انها تلومه على غاراته التي لاتكاد تنتهي ، والتي يقوم بها تارة مع رفاقه من العدائين الـــذين يغيرون على أرجلهم ، وتارة أخرى مع رفاقه من الفرسان الذين يغيرون على الخيل .

ويقـــول تأبط شرا مكررا نفس الصورة :

فيـــوما بغـــزاء ويوما بسربة
ويوما بخشخاش من الرجل هيضل

فهم يغيرون في جمـــاعات مسلحة تارة على الخيل وتارة على الأقدام . ويصرح عروة بأنه لن يكف عن المغامرة ومعه جماعة كثيرة العدد من الصعاليك الفرسان حتى يحقق أهدافه أو يحذر نفسه :

فاني لمستاف البـــلاد بسربة
فمبلغ نفسي عـــذرها او مطوف

ويعلن في بعض شــعره اعتزازه بجواده الذي نجاه من مأزق صعب وقع فيه ذات ليلة :

وليلة شيباء التي لست ناســـيا
وليلتنا اذ من ما من قرمـــل

وكذلك يعلن السليك العداء المشهور ببعد غاراته عن شدة حاجته الى جواده حين يتحرك في ركب من فرســـان الصعاليك نحو أهدافهم البعيدة :

ومـــا يدريك ما فقري اليـــه
اذا ما الركب في نهب اغـــاروا



ولعل أطرف صورة رسمها الشعراء الصعاليك لخيلهم تلك الصورة التى رسمها الشنفرى لجواده ، والتى تراه فيها صعلوكا مثل صاحبه ، هزيلا كهزاله ، ولكنه مثله جرىء قوى مجنون ، وكم حوى من خيل سمينة ضخمة كشان صاحبه مع اغنياء مجتمعه السمان المترفين المتخمين :

ولا عيب فى « اليحموم » غير هزاله
على انه يوم الهياج سمين
وكم من عظيم الخلق عبل موثق
حواه ، وفيه بعد ذلك جنون

وحين يقتل الشنفرى ، يقف استاذه ورفيق تصعلكه تأبط شرا يرثيه ، لا ينسى هذا « الجواد الصعلوك » فيخلع عليه من الصفات ما اعتاد الشعراء الصعاليك ان يخلعوه على رفاقهم ، فهو سريع الجرى كأنه عقاب كاسرة تنقض على فريستها من بين جبلين شامخين ، وهو شديد النشاط لا يهدأ ولا يستقر كأنه البحر الصاخب الذى تجيش امواجه البعيدة والقريبة :

واشقر غيداق الجراء كأنه
عقاب تدلى بين نيقين كاسر
يجم جموم البحر طال عبابه
اذا فاض منه اول جاش آخر

● فى مواجهة التيار الجارف ●

وفرسان الصعاليك ـ بعد ذلك ـ كفرسان القبائل شجعان اقوياء ، بل ربما كانوا اشد منهم جراة واكثر مغامرة ، حتى لتضرب بشجاعتهم الامثال ، وقد وصف رسول للمهلب بن ابى صفرة بعث به الى الحجاج قتاله الخوارج بانه « كان يقاتلهم بجنده مقاتلة الصعلوك » .

ويصرح عمرو بن معديكرب فارس اليمن الذائع الصيت بانه لا يخشى احدا من فرسان العرب الا اربعة احدهم السليك الصعلوك ، وانه يستطيع ان يحمى الظعينة وحده ويخترق بها اعماق الصحراء ما لم يلقه واحد من هؤلاء الاربعة ، وهم : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وعنترة ، والسليك .. ومعروف ان ارفع درجات الفروسية عند العرب فى العصر الجاهلى كانت « حماية الظعينة » ، ولم يطلق العرب لقب « حامى الظعينة » الا على عدد محدود من فرسانهم .

وحسب السليك الصعلوك ان يقترن بفرسان من امثال عامر وعتيبة وعنترة ، وان يخشى بأسه فارس كعمرو بن معديكرب .

اتسمت فروسية الصعاليك بالجراة والمغامرة والاستهانة بالحياة ، لان طبيعة حياتهم الخارجة على القانون ، المتمردة على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، الواقفة فى وجه المجتمع كانت تدفعهم دفعا عنيفا للوقوف فى

وجه التيار الجارف الذى ألقى بهم بعيدا على هامش النهر المتدفق ، نهر الحياة ، الى حيث يركد الماء ويتجمع الغثاء . وهم فى سبيل ذلك لا يبالون بشىء حتى بالحياة نفسها ، لانهم جميعا مؤمنون بفكرة الفناء فى سبيل المبدأ :

فقلت له : الا احيا وانت حـــر
ستشبع فى حيـــاتك او تموت

***

فسر فى بـــلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار او تموت فتعــذرا

***

ومن يك مثلى ذا عيـــال ومقترا
من المال يطرح نفسه كل مطــرح
ليبلغ عـــذرا او يصيب غنيمــة
ومبلغ نفس عــذرها مثل منجح

على هذه الصورة كـــان عروة بن الورد ، فيلسوف الصعاليك ، يعبر عن هذا المبدأ فى شعره . ان مشكلة الفقر والجوع التى يثيرها فى هذه الابيات وفى غيرها من شعره ليست الا رمزا للمشكلة الكبرى فى حياتهم .

لقد كان الصعاليك جميعا أقوياء فى نفوسهم ، ذوى عزيمة صادقة وهمــة بعيدة ، آمنوا بأن الحياة الذليلة التى يحــاول مجتمعهم أن يفرضها عليهم لا قيمة لها ، وأن الموت خير منهــا ، « وللموت خير من حياة على رغم » ــ كما كان يقول بعض شعرائهم . وماذا فى حياتهم يحرصون عليها من أجله ؟ وما الذى يغريهم فيهــا بالتمســك بها ؟ ومن ذا الذى يبكى عليهم بعد موتهم ؟ انهم يعيشون وحــدهم ، ويشقون طريق الحيــاة الوعر حتى نهايته المحتومة وحدهم ، وعندما يصلون الى هذه النهاية المحتومة سيكونون وحدهم ايضا :

اذا ما اتتنى ميتتى لم ابالهـــا
ولم تذر خـــالاتى الدموع وعمتى

وما الذى يخشونه من الموت ؟ أليس هو المصير الذى ينتظر الجميع سواء منهم من خاطر بنفسه ومن نجا بها ؟ انه المصير الذى لا يملك أحد أن يفر منه مهما يطل به الأجل ، ومهما يحط نفسه بأسباب الحمـــاية والمنعة ، بل ربما ينجو المغامر وتدرك المنية مـــن تخلف فى أهله طلبا للنجاة :

ارى ام حســان الغـــداة تلومنى
تخوفنى الاعــداء ، والنفس اخوف
لعل الذى خوفتنا من امامنــــا
يصـــادفه فى اهــله المتخلف

***

وانى وان عمــــرت اعلم اننى
سالقى سنان الموت يبرق اصلعــا

***

لو كنت فى ريحــان تحرس بابه
اراجيـــل احبوش واغضف آلف
اذن لاتتنى حيـــث كنـــت منيتى
يخب بهـــا هـــاد بامرى قائف

على هذه الصورة عاش الصعاليك وفى أعماقهم هذه الاستهانة بالحياة ، وهذا الاطمئنان الى المصير المحتوم ، وهو اطمئنان جعلهم لا يبالون بشىء ، ولا يخشون شيئا ، ولا يعرفون معنى للخوف أو الفزع أو التردد أو الانهزامية المنهارة .

فروسية
الشعراء
الصعاليك

مع المستضعفين في الارض

وفرسان الصعاليك ـ كفرسان القبائل ايضا ـ كرماء أجواد ذوو مروءة ونجدة • وعلى الرغم من فقرهم كانوا جميعا كرماء ، وقد ضرب بهم المثل في الكرم ، فقالوا : « كل صعلوك جواد » ، وقرنوا عروة ابن الورد بحاتم الطائى أروع مثل عرفه العرب في الكرم في تاريخهم الطويل كله ، فقد قال عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى الذكى : « من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد » ، وتعجب من أن الناس ينسبون الجود والسخاء الى حاتم وينسون عروة •

ومعروف أن حركة الصعاليك قامت على أساس العطاء لا الأخذ ، واذا كانت في ظاهرها وفي اهدافها القريبة حركة سلب ونهب ، فقد كانت في حقيقتها وفي أهدافها البعيدة حركة تستهدف اشراك الفقراء في اموال الاغنياء ، ورد بعض حقوقهم التى اغتصبوها منهم نتيجة لاوضاع المجتمع الفاسدة وموازينه المختلة ، ولذلك كان اكثر الاغنياء تعرضا لغاراتهم اولئك البخلاء الاشحاء الذين لم يؤدوا حقوق مجتمعهم عليهم •

واذا كانت الوسائل التي سلكوها وسائل غير مشروعة فان ذلك مرده الى طبيعة عصرهم وظروف مجتمعهم ، وحسبهم ـ على كل حال ـ أن غايتهم تهدف الى تحقيق حياة افضل تتكافأ فيها الفرص أمام الجميع •

كان الصعاليك فقراء ، ولكنهم كرماء ، ينهبون ويغنمون ، ويعرضون انفسهم لكل ألوان الخطر وكل صنوف الهلاك ، ويتحملون مشقة الفقر والجوع والحرمان ، ولكنهم ـ مع ذلك كله ـ لا يؤثرون انفسهم بشيء ، بل يوزعون ما يغنمون على فقراء مجتمعهم ، ويقسمونه عليهم قسمة عادلة ، سواء منهم من شارك في الغزو والغارة ، ومن تخلف لظروف اقعدته عن المشاركة فيهما من ضعف أو مرض أو هرم ، فالكل امامهم سواء ، والجميع لهم حقهم المفروض في هذه الغنائم • انها حقوق المجتمع وليست حقوق فرد منه، اغتصبوها من الاشحاء بها ، وقدموها راضين لاخوانهم من الفقراء والمعوزين والمستضعفين في الارض والكادحين في الحياة •

يا ابا الصعاليك اغثنا

من بين هؤلاء الصعاليك الذين سطروا على رمال الجزيرة العربية أروع صفحات الفروسية يلمع اسم داعية مذهبهم وزعيمهم الشعبى الكبير عروة بن الورد مثلا رائعا ونموذجا لهذا لفروسيتهم بكل مقوماتها وخصائصها وتقاليدها الانسانية النبيلة •

وعروة من قبيلة عبس التى أنجبت كبار الفرسان في العصر الجاهلى ، وعلى رأسهم عنترة فارس العرب غير منازع • يقدمه صاحب الاغانى بأنه « شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد »

وقد تضافرت ـ منذ صباه المبكر ـ عوامل متعددة لتخلق منه عندما يكتمل شبابه فارس الصعاليك ، أو « أبا الصعاليك » ـ كما كان رفاقه يطلقون

فروسية الشعراء الصعاليك

عليه . فقد كانت قبيلته تتشاءم بأبيه ، لانه كان السبب فى تجدد نيران الحرب الطاحنة بينها وبين ذبيان ـ حرب داحس والغبراء ـ بعد أن تم الصلح بينهما فى أعقاب معارك رهيبة دامت بينهما ـ فيما يزعم الرواة ـ اربعين سنة كاملة . وكانت امه من قبيلة نهد القضاعية ، وهى اقل شرفا من قبيلة أبيه ، فلم تنزلها عبس منها منزلة كريمة .

وأدرك عروة منذ وقت مبكر من حياته أنه قد وضع بين شقى الرحى : بين تشاؤم قبيلته بأبيه من ناحية ، واستهانتها بأمه من ناحية أخرى . وكان لعروة أخ أكبر منه ، وكان أبوه يؤثره عليه ويقربه اليه ، وكان قومه ينكرون عليه ذلك ، ويقولون له : « أتؤثر الاكبر مع غناه عنك على الاصغر مع ضعفه ؟ » ، ولكنه كان يقول لهم : « أترون هذا الاصغر ؟ لئن بقى مع ما أرى من شدة نفسه ليصيرن الاكبر عيالا عليه » .

على هذه الصورة المختلة من الحياة تفتحت عينا عروة ، واستقرت هذه الصورة فى أعماقه لتنبعث بعد حين صورة مكبرة مجسمة لمجتمع مختل التوازن يؤثر الاغنياء بكل شىء مع غناهم ، ويحرم الفقراء من كل شىء مع فقرهم . وبدأت براعم فلسفته الاجتماعية والاقتصادية فى الظهور . ولم تلبث أن تفتحت لنرى عروة وقد خرج ثائرا على أوضاع مجتمعه . وجماعات الفقراء والمستضعفين فى الارض يلتفون حوله ليرد لهم شيئا من اعتبارهم الضائع فى هذا المجتمع.

ولم يعجز عروة عن الاهتداء الى الوسيلة التى تحقق له اهدافه وتصل به الى غاياته . انها « الغزو والغارة السلب والنهب » . وكما اهتدى عروة الى الوسيلة اهتدى أيضا الى اهدافه، وحددها تحديدا دقيقا ، فاتجه

بغزواته وغاراته نحو طبقة أرباب الابل وأغنياء القبائل وأصحاب القوافل التجارية ، ووقف بالذات عند البخلاء منهم انطلاقا من فكرة أن هؤلاء البخلاء لم يؤدوا حقوق مجتمعهم عليهم ، فمن حقه وحق الصعاليك المؤمنين بمبادئه أن يغتصبوا منهم هذه الحقوق بالقوة، ماداموا لا يعرفون الا منطقها .

واجتذبت حركة عروة اليها كثيرا من العناصر الفقيرة والمغلوبة على أمرها فى هذا المجتمع ، وكثيرا من طبقة العبيد والهجناء والاغربة الذين لم يجدوا لهم مكانا فيه ، وأيضا كثيرا من خلعاء القبائل وشذاذها الذين أسقطت عنهم قبائلهم « جنسيتهم القبلية » ، وحرمتهم من حق الحياة الطبيعية معها .

والتف الصعاليك حول عروة ، فاذا اشتدت عليهم الحياة راحوا يستنجدون به : « يا أبا الصعاليك أغثنا » ،

فيخرج بأقويائهم ليغير ، ثم يعود فيوزع ما غنموه على من أغار بهم وعلى من تخلف أيضا من المرضى والضعفاء والمسنين ، قسمة عادلة لا ضيم فيها . وعرف عروة لهم حقوق « الأبوة » فلم



يكن يؤثر نفسه على « عياله » ـ كما كان يطلق عليهم ـ بشيء ، بل يأخذ من الغنائم مثل نصيب أحدهم .

وأساس فلسفة عروة أن المال عصب الحيـــاة ، وأن الفقر هو المشكلة الاساسية فى المجتمع الانسانى ، وأن كل مشكلات الحياة انما تأتى نتيجـة له ، وحسب الفقير مرارة لنفسه انه

شر الناس عنـــد الناس ، يحتقرونه ويزدردونه ، ويســـخرون منـــه ، ويتباعدون عنه ، لا لشيء الا لانه فقير ، أما الغنى فهو خير الناس عند الناس ، يحترمونه ويقدرونه ، ويتوددون له ، ويتقربون اليه ، ومهمـــا يفعل يقبلوا منه ، ومهمـــا يخطىء يغفروا له ، لا لشيء الا لانه غنى ، فللغنى ـ فى نظر عروة ـ رب يغفر الذنوب جميعا :

ذريني للغنى أســـعى فـــانى
رأيت النـــاس شرهم الفقيـــر
وأدناهم واهـــونهم عليهـــم
وان أمسى له حســـب وخيـــر
يبـــاعده القريب ، وتزدريه
حليلتـــه ، وينهره الصـــغير
ويلقى ذو الغنى وله جـــلال
يكاد فؤاد لاقيـــه يطيـــر
قليـــل ذنبـــه ، والذنب جم
ولـــكن للغنى رب غفـــور

ومن العار أن يقنع الفقير بحظه الذى تفضلت به الحياة عليه ، وأن يعيش على هامش مجتمعه ينتظر فضـــل الاغنياء واحسانهم اليه ، وانما عليه أن يعتمد على قوته وقوة أمثاله من الفقراء ليسترد حقه الـــذى ضن به هؤلاء الاغنياء :

لحا الله صعلوكا اذا جن ليـــله
مصافى المشاش الفـــا كل مجزر
يعـــد الغنى من دهره كـــل ليلة
أصاب قراها من صـــديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح طـــاويا
يحت الحصى عن جنبه المتعفـــر
قليل التمـــاس الزاد الا لنفسه
اذا هو امسى كالعريش المجـــور
يعين نساء الحى ما يســـتعنه
فيمسى طليحـــا كالبعير المحسر
ولكن صعلوكا صحيفة وجهـــه
كضوء شهاب القـــابس المتنور
مطـــلا على اعـــدائه يزجرونه
بساحتهم زجر المنيـــح المشـــهر
فان بعـــدوا لا يأمنون اقترابه
تشوف اهل الغـــائب المتنظـــر
فذلك ان يلق المنية يلقهـــــا
حميدا ، وان يستغن يوما فاجـــدر

ان أسوأ الصعاليك عند عروة هم أولئك الضعفاء الخاملون ، اليائسون من الحياة ، المستسلمون لوضـــعهم الذليل المهين الذى فرضـــه عليهم مجتمعهم ، أما الصـــعاليك الأقوياء

العاملون ، الرافضون لأسباب اليأس وعوامل الهزيمة، فهم جديرون باعجابه وثنائه ، لأنهم هم الذين تقوم على أكتافهم الحركة ، والغزو والغارة وقطع الطريق على هذه الطبقة ٠ وهو سبيل ليس وراءه الا احدى نتائج ثلاث كلها مريح لنفسه : نجاح الغزوة ، أو اخفاقها، أو الموت دونها ٠٠٠ فان كانت الأولى فقد حقق الهدف وبلغ الغاية ، وان كانت الثانية فقد أعذر نفسه ، وان كانت الثالثة فقد ذهب فداء مذهبه ، وقدم نفسه قربانا على مذبح مبادئه ، والموت ـ على كل حال ـ خير من حياة كلا حياة ٠

وهو ـ بعد ذلك ـ بل من قبل ذلك لا يطلب المال من اجل الغنى ، فالغنى ليس هدفه الحقيقي ، ولكنه وسيلة للبذل والعطاء ، واكتساب المحامد ، والتشبه بالسادة الأغنياء في الكرم والجود ، أو ـ بعبارة أخرى ـ وسيلة لحياة حرة كريمة تسودها العدالة الاجتماعية :

دعيني أطوف في البلاد لعلني
أفيد غنى فيه لذى الحق محمل
أليس عظيما أن تلم ملمة
وليس علينا في الحقوق معول
فان نحن لم نملك دفاعا بحادث
تلم به الأيام فالموت أجمل

وأسمى درجات الفروسية عنده أن يقسم الانسان جسمه في أجسام الفقراء المحتاجين اليه ، فيعطيهم عن رضا وطيب خاطر ما هو في حاجة اليه ، وأن يؤثرهم على نفسه ولو كانت به خصاصة :

انى امرؤ عافى انائى شركة
وأنت امرؤ عافى اناءك واحد
أتهزأ منى أن سمنت وقد ترى
بجسمى مس الحق ، والحق جاهد
أقسم جسمى في جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء ، والماء بارد

هكذا مضى أبو الصعاليك ينادى بمذهبه في أرجاء المجتمع الجاهلي ، فتلتف من حوله جماعات الثائرين والمتمردين على أوضاعه الاجتماعية وموازينه الاقتصادية ، رافعين معه شعار الحرية والعدالة والمساواة ، فتردد الرمال والكثبان والجبال أصداءه في كل مكان من الجزيرة المترامية الأطراف ، وتظل الأصداء تدوى في سمع الزمن حتى لتسمع الخليفة الأموى معاوية يقول : « لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج اليهم » ، ثم نسمع من بعده الخليفة عبد الملك بن مروان يقول : « ما يسرني أن أحدا من العرب ولدني ممن لم يلدني الا عروة بن الورد » .

على هذه الصورة كانت صعلكة عروة ، أو فروسيته ، نزعة انسانية نبيلة، وضريبة يدفعها القوى للضعيف، والغنى للفقير ، وتهدف الى تحقيق لون من ألوان العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادى بين طبقتى المجتمع الجاهلى المتباعدتين : طبقة الأثرياء البخلاء وطبقة الكادحين من الفقراء والمستضعفين في الأرض ٠

ميشيل تكلا

مولد الألم وموته

منذ فجر التاريخ والانسان يحارب المرض ويتحداه ، ولم يسجل التاريخ شيئا عن الالم في أزمان ما قبل التاريخ · ولكن منذ عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، وفي وادى النيل وما بين النهرين ، بدأت الحضارة الحقيقية للجنس البشرى ، وسجلت جميع أوجه نشاط الشعوب ومشاكلها ، وهذا ما نسميه بالتاريخ·

وواضح من هذه السجلات أن الحضارات على اختلاف انواعها اهتمت اهتماما كبيرا بوسائل علاج الناس من أمراضهم وآلامهم ، ومع ذلك فمنذ عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد ولمدة ١٨٠٠ سنة لم يستطع الانسان أن يقضى على الالم الذى تسببه الجراحة· فقد كان هناك أطباء وجراحون ولكن لم تكن هناك وسائل للتخدير على الاطلاق · ومع ذلك عرف الانسان منذ أمد طويل كيف يستخدم العقاقير او المخدرات لينام نوما صناعيا · وكانت هذه العقاقير تفقد الانسان شعوره ، وتركب عادة من الجذور والاعشاب والحبوب وبراعم الزهور · اما تلك التى استخدمت لتخفيف الام الجراحة فكانت : السيكران (قاتل الدجاج) والخشخاش (أبو النوم) والماندراجورا (وهو نبات من عائلةالبطاطا) والقنب الهندى ·

● مع حضارة وادى النيل ومابين النهرين بدأ البحث عن وسائل الشفاء من الألم

● الطب العربي كان له أثر كبير على حضارة أوربا

ذات مرة جمع الملك حامورابى ملك بابل (٢١٢٣-٢٠٨١ قبل الميلاد) قوانين الدولة فى دستور واحد ، بما فى ذلك القوانين الخاصة بمزاولة الجراحة • وجاء فى وصف العقاقير الاشورية التى كانت تستخدم للقضاء على الالم فى الموسوعة العلمية التى وضعت فى ذلك الوقت انها كانتتتكون من نباتات : ست الحسن او البلادونا ••ونبات القنب والقنبس والماندراجورا •• وكان لنبات الخشخاش اثره الطبى على الالام المبرحة • وكان لنبات ست الحسن اثره المرموق لتسكين الالم ولفحص تدفق اللعاب ولتخفيف تشنجات المثانة والالتهاب الشعبى والام الربو ••

وو صفت احدى اللوحات الفخارية البابلية من نيبور (٢٢٥٠ قبل الميلاد) طريقة فريدة للقضاء على الام الاسنان وعلى الاخص فى سن نخرة • ولعل هذه « الوصفة » كانت اول سجل للتخدير فى العالم ، فكانت توصى بعمل عجينة من حبوب نبات السيكران ثم توضع فى السن النخرة لوقف الالم فورا ••

وبجانب ذلك كان الطب المصرى القديم خليطا من العلم والشعوذة • وكان الجانب الطبى يختص بمعالجة الكسور وجبرها وكذلك الجروح •ولكن السحر سيطر على كل نشاط طبى فى ذلك الوقت • ومن المعروف أنالساميين كانوا يضغطون على العروق أو الوريد قبل اجراء عمليات الختان •

وعرف فيما بعد أن المصريين والاشوريين كانوا يجلبوننوما صناعيا لمرضاهم وذلك بالضغط بسرعة على الشريان السباتى للعنق لايجاد حالة انيميا فى المخ •

اما الهندوس فقد مارسوا التنويم المغناطيسى لعلاج الامراض وعلى الاخص عند اجراء العمليات الجراحية، فكانوا يأخذون مرضاهم الى معابد النوم كما كان ذلك معروفا فى بابليون ومصر واليونان •

وكان العالم « سوسثروتا (٦٠٠ قبل الميلاد) يجرى عمليات الجراحة الترقيعية (التقويمية) ولم تعرفها اوربا الا فى القرن السادس عشر بعد الميلاد ••• وكان هذا العالم ايضا رائدا من رواد التخدير ، لأنه كان يستخدم دائما مخدر السيكران فى عملياته الجراحية • كما ظهر فى الصين الجراح العظيم (هوثو) الذى اجاد استخدام العقاقير المخدرة ،

مولد الألم وموته

ونبغ في علوم الجراحة ، وكان يضع دائما في النبيذ مسحوقا يخدر المريض في الحال ، حدث ذلك في عام ٢١٠ بعد الميلاد . فقد أزال من جسم مريض طحاله وهو في حالة تخدير تام .

ولم يسجل التاريخ الطريقة العلمية التى ركب بها مسحوق المخدر . وربما كان يتكون من نبات القنب والطاطورة ونبات آخر من فصيلة الدفلى والياسمين والاقونيط أو نبات خانق النمر أو الذئب وبعض مواد أخرى مخدرة لها أثرها المسكن ...

وكان أثر الطب المصرى عميقاً من الطب الاغريقى . وفى الياذة (هوميروس) ذكر ان (هيلين) ابنة (زيوس) حضرت دواء أو مخدرا من الافيون وأذابته فى النبيذ لتنام بعد أن استبد بها الحزن والغضب ولكى تنسى الألم .

وفى عام ٤٥٠ قبل الميلاد انشأ ابوقراط مدرسة للفكر الطبى لاتزال أساسا لعلوم الطب حتى يومنا هذا ، فقد كتب عن الذبحة اللوزية يقول : يجب ادخال انبوبة فى بلعوم المريض على طول عظام الفك وبذلك يمكن للهواء أن يدخل الى الرئتين ..

● الطب العربى وأثره على حضارة اوربا ●

يستشهد المؤرخ الايرانى شيكوة حمزة بور بأن مدينة جندى شاه بور كانت من المدن القديمة التى انشأها الآريون وأطلقوا عليها اسم (جنداشاه بوتا) أى مدينة الحدائق الجميلة .

وكان الفضل فى انشائها يرجع الى الشاه بور الاول ملك الفرس (٢٤١ ـ ٢٧٢ بعد الميلاد) بعد انتصاره على الامبراطور الرومانى (فالريان) ثم جاء بعده الشاه بور الثانى (٣١٠ ـ ٣٧٩ ميلادية) فازدهرت المدينة فى عصره . وأثناء حكم خلفه الملك ناشيرفال ، اصبحت مركزا عظيما للعلوم فى العالم . وبين جدرانها الم الطلبة بالعلوم والفلسفة الاغريقية والفارسية والهندية حتى غزا العرب المدينة فى عام ٦٣٦ ميلادية واستولوا عليها ، وأصبحت جامعتها أعظم مركز للطب فى جميع العالم الاسلامى .

بعد ذلك ظهر العصر الذهبى للحضارة العربية بين عام ٧٥٠ و ٨٥٠ ميلادية . وظهر كذلك دور الكيمياء فى تاريخ التخدير وكان رائد هذا الميدان جابر بن حيان (القرن التاسع الميلادى) الذى لقب بابى الكيمياء العربية . فقد شرح هذا العالم العربى الطرق الصحيحة للتبخر وتصعيد الترشح والانصهار والتقطير والتبلور . وكان له الفضل فى استخدام المصطلحات الكيميائية التى يستخدمها العلماء اليوم فى شتى انحاء العالم فهى من اصل عربى مثل الكيمياء والكحول والملح القلى .

ومن العلماء الافذاذ الذين ظهروا بعد ذلك العالم ابو بكر محمد بن زكريا الرازى (٨٤١ ـ ٩٢٦ ميلادية) ولد

جابر بن حيان وأبو بكر الرازي وابن سيناء رواد عرب في عالم الطب والكيمياء

في مدينة راى بالقرب من طهران بفارس . وعرف في أوربا بأنه اعظم طبيب عربى . وكان على علم ودراية بأثر الكحول كمخدر . ويقال أنه عرف اكثر من ثلاثة وعشرين نوعا منه .

ومن اعلام العرب ايضا ابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) وله مؤلفات في الجراحة ، وكان ينصح بتبريد الصدر قبل اجراء جراحة فيه . وكان هذا اعلانا صريحا منه بالتخدير البارد .

ومن علماء العرب في الجراحة ايضا أبو القاسم (عام ٩٣٦ ميلادية) والذى تعرفه أوربا باسم «Albucasis» كتب اول كتاب في الجراحة وصور اكثر من مائتى مبضع ومشرط . ولكنه لم يذكر شيئا عن التخدير اللازم لاجراء العمليات الجراحية .

وفى القرون الوسطى احترف القساوسة والرهبان والراهبات أساليب العلاج من الامراض . وكان الاعتقاد السائد انهم يستطيعون أن يتغلبوا على الالم ويدحروه . وكان الرهبان في عام ١٥١٣ يستخدمون الكحول لتخفيف الالم قبل وأثناء اجراء العمليات الجراحية .

وقبل ذلك أى في عام ١٢٠٠ ميلادية حضر العالم « هيو » من مدينة لوكا بايطاليا منوما من الافيون ، وبعض المركبات الاخرى لاجراء العمليات الجراحية الخطيرة . ولكن لم يعمل بهذه المركبات نظرا لانها كانت تجلب الموت أحيانا للمرضى . ولم يشجع ذلك الاطباء على مواصلة البحث للتغلب على الالم . كما أن الاعتقاد السائد في هذه العصور كان يرمز الى الالم كاحساس مقدس ضرورى للناس .

ورغم أن البحوث الطبية بدأت تتقدم في العصور الوسطى وكذلك علم الجراحة الا أن التخدير لم يكن له وجود بمعنى الكلمة . وكان على المريض أن يحتسى قدرا من الخمر تجرى له بعدها العملية الجراحية وقد تعود اليه الحياة أو لا تعود .

ويصف الفردوسي الشاعر الفارسي العظيم في شهنامته كيف كانت تجرى العملية القيصرية تحت تأثير المخدر فيقول : كان الكاهن يأتى ويعطى الجميلة قدرا من الخمر وبخفة ومهارة يشق جانبها لتبرز على الاثر راس الجنين من بين جوانب الجرح . ويخرج الصغير بدون أذى . وتنام الام طول الليل تحت تأثير النبيذ القوى !

وفى عصر النهضة من القرن السادس عشر تقدمت العلوم تقدما ملموسا وعلى الاخص علوم الكيمياء والطبيعة . ورغم أنه في القرن الثالث عشر ظهر عالم الكيمياء الاسبانى (رايمونداس ليليوس) الذى لاحظ وجود سائل أبيض أطلق عليه اسم الزاج الابيض (سلفات الزنك) . ولكن اكتشاف الاثير يرجع الى العالم (باراكليسوس) الذى مات في سويسرا

في عام ١٥٤١ . وقد استطاع العالم (ليليوس) في بحثه عن عامل أساسي يقضي على الالم ان يخلط حامض الكبريتيك بالكحول ثم قطر الخليط فاكتشف زاجا حلو المذاق . وقد وصف هذا الاثر في كتابه «Paradoxa» الذي ظهر في عام ١٩٠٥ بعد موته بأن هذا الاثير يقضي على الالم . وكان العالم الالماني (فاليريوس كورداس) قد سبقه في وصف الزاج الحلو في عام ١٥٦١ عندما ذكر الطريقة التركيبية للاثير . وفي عام ١٧٦٦ استطاع العالم « مسمر » أن يقدم للبشرية « المذهب الحيوي » الذي عالج اليقظة النومية والتنويم المغناطيسي . وباستخدامهما أمكن تخفيف حدة الالم اثناء العمليات الجراحية . وفي عام ١٨٠٧ أعلن البارون (لاري) الجراح العام في جيش نابليون أن التبريد هو احسن الوسائل لتخدير الجسم اثناء الجراحة .

وظهر من الاكتشافات العظيمة في الكيمياء ، ثاني اكسيد الكربون الذي اكتشفه جوزيف بلاك (١٧٥٤) واكسيد النتروس (الغاز الضحاك) الذي اكتشفه جوزيف بريستلي (١٧٧٢) . وهذان الاكتشافان العظيمان جعلا همفري ديفي (١٧٩٥) وهو في السابعة عشرة من عمره يجري تجربة على (اكسيد النتروس) وذلك باستنشاقه . فبدلا من أن يموت طغت عليه موجة من الضحك ، ولاحظ أن سمعه اصبح قويا ، وشعر باسترخاء في عضلاته .

وقد نصح باستخدام هذا الغاز في العمليات الجراحية كما نصح هنري هيل هيكمان (١٨٠٠-١٨٣٠) باستنشاق غاز ثاني اكسيد الكربون لان بعض أبخرته اذا دخلت الرئتين تسري في دورة الدم ، ومن ثم ينام المريض نوما صناعيا تجرى له الجراحة بعدها . ولكن الدوائر العلمية لم تأخذ بنصيحته فمات وهو في التاسعة والعشرين مهموما لسوء تقدير أهل عصره لعلمه . وفي منتصف القرن التاسع عشر استخدم الاطباء الامريكيون الاثير والغاز الضحاك في العمليات الجراحية .

مولد الألم وموته

● استخدام الاثير المخدر في العمليات الجراحيةالخطيرة ●

ان الفضل في استخدام الاثير يرجع ، في حقيقة الامر ، الى دكتور (وليم توماس جرين مورتون) الذي استخدمه كمخدر فعال في العمليات الجراحية . وكان (مورتون) هذا طبيب أسنان أجرى عدة تجارب على الكلاب ، كما جرب الاثير على نفسه باستخدامه قارورة وأنبوبة زجاجية ، فنجحت تجربته تماما . فشرع يستخدم الاثير في ازالة الاسنان النخرة .

وأعلن في جمعية الاطباء بعد ذلك عن نجاح تجاربه وقرر أن يجري تجربته أمامهم . فدلف الى غرفة العمليات بالمستشفى العام بمدينة بوسطن والتف حوله عدد كبير من الاطباء ثم استخدم (مورتون) الاثير

فى تخدير عامل مطبعة برقبته ورم • فنام العامل فى الحال ، ثم شرع كبير جراحى المستشفى دكتور (جون وارن) فى ازالة الورم • ولدهشة الحاضرين لم يصدر المريض أى صوت اثنـــاء الجراحة وعندما أفاق من نومه قال انه لم يشعر بأى ألم على الاطلاق • ثم استدار دكتور (وارن) الى زملائه وقال : سادتى••ليست هذه(شعوذة)!

شهد هذا اليوم ١٦ اكتوبر عـــام ١٨٤٦ ولادة علم التخدير الحديث • وشرع الاطباء بعدها يستخدمون الاثير المخدر فى عمليات جراحة القلب والمخ والرئتين حتى تم اكتشاف الكلوروفورم فى عام ١٨٤٧ فقد استخدمه الطبيب (جيمس سمبسون) فى اسكتلنده • وفى عام ١٨٨٤ اســتخدم الكوكايين كقوة جوهرية فى التخــدير ، وقـــد اكتشفه طبيب فى مستشفى فيينا العام•

وكان لهذا الاكتشاف مع الابرةالتى تغرس تحت الجلد فى عام ١٨٥٣ اكبر الاثر فى معـــاونة الجراح (وليم هالستيد) للقيام بعدة تجارب تقــدم بها علم التخدير تقدما عظيما • فقــد وجد (هالستد) انه بحقن محلول الكوكايين حول عصب رئيس يستطيع أن يخدر ذلك الجزء من الجسم الذى

● اكتشاف الأثير فى القرن السادس عشر واستخدامه فى العمليات الجراحية الخطيرة

يسيطر عليه العصب الرئيسى•واستمرت البحوث بعد ذلك مستخدمة وسائل (هالستد) الفنية حتى أمكن استخدام الوسائل الجديدة لتخــــدير العمود الفقرى وأبطل استخدام الكوكايين •

وفى عام ١٩٠٢ بدأت العقاقيرالمنومة تظهر فى العالم • وفى الثلاثينات بدأ استخدام التخـدير فى داخل الوريد ولايزال يستخدم حتى الآن • وفى عام ١٩٢١ استخدمت طريقــة استنشاق المخدر لاول مرة بعد الاثير المخدر وذلك عن طريق انبوبة يسرى منها الغــاز ، وكان الفضــل فى ذلك يرجع للدكتور (ارنو لوكهارت) الذى وقف عـلى طريق الاثيلين الذى عزله تماما فى عام ١٩٢٣ على يد الطبيب (كارتر)•

وفى عام ١٩٣٠ تم استنشاق غـــاز مخـــدر آخر هو (سايكلوبروبين) وفى عام ١٩٤٢ تم استخدام (الكروير) لاسترخاء العضلات • وكان (الكروير) نوعا من اقوى انواع الســموم التى استخدمها الهنود الحمر فى تلويث سهامهم القاتلة ، وفى عام ١٩٤٢ تم أيضا اكتشاف عدد آخر من الوسائل للتخدير •

وفى الخمسينات شرعت الاجهــزة الكهربائية تثبت وجودهـــا فى غرف العمليات الجراحية ، وشهر جهـ از القلب والرئة وتحدى علماء التخدير بينما شكلت وسائل التخدير الغــازى خطرا وهددت بالانفجــار فى وجود الكهرباء التى تحدثها اقدام الاطباء

وهميجرون عملياتهم الجراحية الخطيرة •• ومهدت هذه المشكلة الى اكتشاف غازات غير ملتهبة أو قابلة للاشتعال بحدث يمكن استخدامها حتى فى وجود الكهرباء أى فى غرف العمليات المزودة بالاجهزة الالكترونية حيث يجـــرى فيهــــا زرع الأعضـــاء البشرية ••

الفصل الأخير

● قصة قصيرة ●

● للكاتب الفرنسى : ايريك ويستفال ● ترجمة : عادل شريف ●

- هل أنت بخيل ..
.. ومتغطرس ؟
- لا ..
- أغضوب انت .. أم كسول ؟
- لا ..
- حقود ؟ حسود ؟ جحود ؟
- لا .
- هل تشرب الخمر ؟
- لا ..
- أتكفر بالله ؟
- لا ..

وهنا تنهد القسيس .. وسأل الرجل المجهول الذى كان يدلى باعترافه:

- اذن ، فماذا تفعل هنا .. فى جوسق الاعتراف ؟

ومن الناحية الاخرى من الجوسق ، رنت ضحكة خافتة اخترقت الحاجز الرقيق الفاصل بين القسيس والمعترف المجهول ..الذى رد فى همس :

- اننى هنا .. لأن معاييركم محدودة .. يا أبتاه !
- محدودة ؟ ماذا



تعنى يا بنى ؟

ـ مثـلا ، انتم لا تقتلون ، بينما انا امارس ·· القتل !

ـ تقتل ؟ يالهول ! · هل هذا هو ما قلته ؟

ـ نعم ·· وما فى هذا ؟

ـ ولكن ·· هذا شيء خطير · وخطيئة كبرى !

ـ هذه ·· وجهـة نظر !

ورسم رجل الـدين علامة الصليب ، وتلعثم وهو يتمتم :

ـ و ·· و ·· جهة ·· ن ·· نظر !؟

وطلب القسيس من الله ان يلهمـه الكلمـات المناسبة · اذ لم يكن معتادا الا على اعترافات سـيدات الحى ، وما تتضمنه من خلافات او غيرة زوجية ، او بعض الافكار الجـامحة ·· وكـانت تلك اول مرة يستمع فيها الى اعتراف من ··· قاتل !

وساله فى لهجـة شديدة :

ـ أين ·· ومتى ·· وكيف ؟

ومن الجـانب الآخر



انطلقت ضحكة خلية ·· وويل للشجى من الخلى !

ـ هل انت قسيس ·· او وكيل نيابة ؟

ـ اذن ·· لماذا تقتل؟

ـ هذا سؤال وجيه !

ـ وهل يمكنك الرد عليه ؟

ـ بالطبع ·· ولو ان المسالة صعبة ومتشعبة ·· ومع هـذا ، فلنقل انى اقتـل بسبب ·· المثالية !

ـ مثالية ؟ اى نوع من المثالية تلك ؟

ورد المعترف فى حزم وتاكيد :

ـ انهـا مثـالية ·· الطهر !

ـ هل لك ان تشرح لى هـذا النـوع من المثالية ؟

ـ ان الانسان طاهر بالسليقة ، بالطبيعة ، ولهـذا يجب ان يكون سعيدا ·· ولقد اوضح جان جاك روسو ذلك فى كتاباته · ولكن المجتمع يفسده عندما يفرض عليه قوانين صارمة جامدة من الصعب عليـه ان يغيرها ، ومن ثم يظن أنه دنس · ومن هنـا يبـدأ شقاء الانسان وتعاسته ··· ولـذلك تعهـدت بان اخرس الى الابد كل من يسن هذه القوانين ، حتى يمـكن للانسان بعد ان يتخلص من النفاق ·· ان يعثر على السعادة الجـدير بها :

ـ ولكن من هم هؤلاء الذين يفرضون القوانين؟

ـ انهم كثيـرون ، القضـاة ·· ورجال البوليس ·· والمدرسون ·· والعسـكريون ·· والقساوسة ·· وغيرهم ·

ـ معنى هذا ·· أن أمامك عملا ضخما ·· وأن عليك ان تبذل جهدا خارقا !

ـ نعم يا أبى ، عمل كثير جدا ·· ولما كان من المحال ان انجزه دفعة واحدة ، فلذلك اخترت أن أبدأ بالقساوسة !

ـ آه ·· هكذا ·· ولـماذا اخترت البدء بالقساوسة ؟

ـ لانهم أشد تلك الفئات خطرا . فهم عندما يبشرون بمذهب غير عملي . يسببون الشقاء للانسان .. فالانسان يمكنه عبور الشارع من أى مكان ، ولن يحس أنه ارتكب ذنبا لو عبره من غير المكان المخصص لعبور المشاة .. ولكن كيف يتسنى للانسان أن يعيش في ظل رقابة رب .. لا يغفل عن شىء ؟

ـ ولكن الله .. غفور .. رحيم .

وقاطعه صوت المجهول في غلظة :

ـ هه .. هه !

وتنهد الكاهن .. وواصل حواره :

ـ و .. وكم .. حتى الآن ؟

ـ اثنى عشر !

ـ يا للهول .. يا الهى .. احقا ؟!

ـ ويك انت .. سيرتفع الرقم الى .. ثلاثة عشر !

ـ و .. وانا .. ايضا ؟

ـ طبعا .. بكل تأكيد !

ومن الطرف الآخر من الكنيسة دوى صوت اغلاق باب .. كان مساعد القسيس في طريقه الى تناول الغداء .

وأدرك الأب أنه قد أصبح وحده مع .. القاتل المجنون !

وأخرج منديله ومسح العرق الذى بدأ يتصبب فوق جبينه .. وهمس :

ـ فلتكن ارادة الله .. ولتنفذ مشيئته . ولكن .. لكم كنت أود أن أعيش مدة أطول !

وراءه الصوت المجهول :

ـ انه .. القضاء والقدر .. يا أبتاه !

ـ ولكن .. لماذا اخترت هذه الكنيسة بالذات ، ولماذا .. أنا ، ولم اخترت .. هذا اليوم ؟

ـ لان هذه الكنيسة .. تقع عند آخر خط الترام !

وهنا .. صاح القسيس

ـ آه .. اذن فانت القاتل المشهور .. قاتل القساوسة ، الذى يحير الناس ويدوخ البوليس .. من شهرين !

ـ يبدو انه لا يمكنني ان اخفى عنك شيئاً !

وابتسم القسيس في مرارة .. وردد :

ـ يا لحظى التعس .. يا لمصيرى الحزين .. نهاية خط الترام .. ونهايتي انا أيضا !

وفجأة ، عاودته شجاعته .. فتساءل في حدة :

ـ ولكن من انت حتى تقبض حياة انسان ؟ ان الله وحده هو الذى يقرر هذه الامور .



- ولكني لست مؤمنا!

- ايها التعس .. الا تعلم ان المسيح مات من اجلك فوق الصليب ؟

- لا تتعب نفسك يا ابى !

وخفت صوت المجهول وهو يواصل جملته :

- والان ، صل فى تركيز .. لانها ستكون صلاتك الاخيرة !

- ولكنى .. لا اريد .. انى انذرك ..سوف أصرخ !

- عبثا تحاول ، فلن يسمعك أحد .. ونحن وحدنا هنا ! ولا تفكر فى الهروب ، فالرب فى انتظارك .. ابتهج يا ابناه !

وحاول ان يبتهج .. ولكم الله المحاولة ، لقد كانت امنيته ان يعيش حياة سوية ، وان يموت وهو على فراشه محاطا بمحبة اهله . وها هو ذا ، وهو رجل الدين ، يحرم من المسحة الاخيرة .. مسح المحتضر بالزيت المقدس !

وعاد من رحلة تاملاته على الصوت المجهول وهو يستحثه :

- اسرع ايها القسيس .. فليس لدى وقت اضيعه !

فرد القسيس بجفاء :

- لم التسرع .. هل شب حريق ؟

وانتفض برهة ، صلى فيها القسيس من أعماقه، فى تضرع ورجاء .. واطال الدعاء ليخلصه الله من تلك الورطة السوداء ..

ثم قال بصوت متهدج:

- انى مستعد .. ولقد طلبت لك من كل قلبى المغفرة .. لانك لا تعلم ما انت فاعل ، يا بنى .

- هذه مكرمة عظيمة منك يا ابى !

- هل تسمح لى بأن ...

- صه .. صه .. لن نبدأ من جديد . لقد صليت بما فيه الكفاية .. ولم يعد هناك مزيد لقول !

وقسا صوته وهو يكمل عبارته :

- والان ، أخرج من مكانك .. ولا تلتفت وراءك !. سر ببطء نحو المذبح .. وثق انى لن اسبب لك الما .. ولك ان تعتمد على مهارتى وخبرتى فى اللحظات الاخيرة من حياة ضحاياى !. الى اللقاء ايها الاب . اتمنى لك يوما طيبا .. هناك .. فوق !

وازاح القسيس الستار الاسود المسدل وخرج..

وفى هدوء خطا نحو الرواق ، ليمسك بقوة بمؤخرة كرسى خشبى عتيق . ثم رفع المقعد واستدار . وهوى به فوق الستار الاسود الآخر المسدل فوق كرسى الاعتراف ... وكان القسيس ضخما وقويا كالثور . وكتب لتلك الحركة اليائسة ، النجاح التام !

وتحطم المقعد .. وجمجمة المعترف المجهول !!

واغرقت الدماء المتدفقة البلاط المتاكل القديم .. وارتعدت كل اوصال القسيس وهو ينحنى فوق الجثة ... وكانت للاخ بيستاش !! القس الشاب الذى يثير - دائما - المرح ، والمتاعب البيضاء .. الناتجة عن المقالب الطريفة التى يدبرها لزملائه !

وهكذا اسدل الستار على الفصل الاخير ... من فصول الاخ بيستاش !..

د. نعمات أحمد فـؤاد

● ٧٦ عاما علو مولـد دكـتـور منصور فهمي

صفحة من حيـاة

أنت أنت الله

(اذا ما اتجه الفكر فى السموات حيث انتشرت النجوم فى الليـل ، واذا ما كل البصر فيما لانهاية له من الآفاق المظلمـة ، واذا ما خشعت النفس خشـعتها من رهبة السـكون الشـامل .. فانك تشرف بوجهك الكريم من خلال هذه الآفاق ، وتسمع صوتك فى ذلك السكون ، وتمس بعظمتك النفس الخاشعة المطمئنة حينئذ تبدو الآفاق المظلمة كأنها باسمة مشرقة ، ويتحول السكون الى نبرات مطربة تنبعث من كل صـوت ، وحينئذ تتغنى النفس الخاشعة لتقول : أنت أنت الله .)

صفحة من حياة

بهذه الصيحات تغنت نفس منصور فهمي في الثلاثينات ، رقرقها بأسلوب العصر الذي كان يتوخى الجزالة والفصاحة والرنين . وهي سمات بلاغية يوفرها صاحبها أكثر عندما يكون الموضوع شاعريا أو متصوفا ، تصوفا دينيا أو تصوفا وطنيا .

ولد الدكتور منصور فهمي في ١٧ يناير سنة ١٨٨٦م في بلدة طلخا التابعة لمديرية المنصورة من أعمال مصر حيث كان والده مأمورا لهذا المركز وكان له فيه ضيعة وأرض مستبدلة بطريق المعاش . وقد شاهدت هذه الارض طفولة منصور فهمي وصباه الباكر .

والدكتور منصور فهمي من أرومة شريفة فهو ابن السيد على فهمي البقلى ابن المرحوم السيد عبد العال محمود فهمي البقلى ، المتصل نسبه بالسيد سليمان البقلى مؤسس زاوية البقلى بالمنوفية حوالى القرن السابع الهجرى ابن السيد أحمد ناصر الدين المدفون بأسيوط ، ابن السيد منصور البطائحى المتصل بعلى زين العابدين بعد عشرين جدا الى أبى عبد الله الحسين ابن على بن أبى طالب .

ويقول الدكتور منصور فهمي في مذكراته ، ان جدوده كانوا من الفلاحين المتصلين بالعلوم الدينية والتصوف . والمعروف أيضا أن أسرته لها أصول مغربية من تلمسان والساقية الحمراء .

وقد تلقى منصور فهمي علومه الابتدائية في مدرسة المنصورة الابتدائية ثم تلقى علومه الثانوية في مدرسة فرنسية حرة بالقاهرة حيث نال شهادة التعليم الثانوى (البكالوريا) سنة ١٩٠٦ والتحق بمدرسة الحقوق ثم بالجامعة المصرية .

وكان خلال الدراسة يكتب في « الجريدة » التى كان يصدرها الاستاذ لطفى السيد . وقد ظل يدين له بالولاء حتى حين بلغ القمة ، فقد سئل منصورفهمى قبلوفاته بعامين عن الفرق بينه وبين لطفى السيد فقال في غير تردد :

(لطفى له أسبقيته في الاستاذية ، ونحن نرعى له هذه الاسبقية ، ثم انه الرجل الذى دعا الى الديمقراطية ونحن ندين له بهذه الدعوة ، فضلا عن أنه رجل معروف بمنطقه السليم وغزارة علمه في الادب العربى ولا نرى له بديلا) .

وقد أوفدته الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ في أول بعثة لها الى باريس . ليدرس الفلسفة بجامعة السربون فاستشرف طموحه الى مزيد فالتحق أيضا في باريس بكلية العلوم ومعهد الدراسات العليا والكوليدج دى فرانس

وفى سنة ١٩١٠ نال دبلوم الدراسات العليا وفى سنة ١٩١٢ نال شهادة في علم الجنين ووظائف الاعضاء . أما في سنة ١٩١٣ فقد ظفر بدكتوراه الدولة في الفلسفة كما ظفر في تلك السنة بليسانس العلوم وشهادة في الجغرافية الطبيعية .

وقد مكث في باريس زهاء خمسة أعوام كان فيها فوق أعبائه العلمية التى حدت بالمشرف على البعثة أن يقول عنه في تقريراته السرية :

« يخشى على هذا الشاب من المرض للارهاق ... »

كان منصور فهمي مع هذا ، داعيا الى فكرة العروبة في ظل جماعة الاخوة الاسلامية .

كان طالبا طلعة لفت الانظار فى مصر بفتوحاته العلمية فكتب اليه المرحوم أحمد زكى الامين العام للجامعة يقول من كتاب رقيق : « كيف غاب على حكيمنا فى المستقبل مقولة حكيمنا الاول : (ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) ٠

وحدث أن جاء فى تقرير لرئيس الجامعة بعد سياحة فى أوربا سنة ١٩١٠ « ان منصور فهمى هو احسن من عملوا بجدهم واجتهادهم ، وان الجامعة المصرية يحق لها أن تفخر به » ٠ وفى جلسة ٢ مارس سنة ١٩١١ أثنى الرئيس عليه ثناء طيبا لحصوله على دبلوم الدراسة العالية فى الفلسفة بنجاح باهر ٠ وطلب الى مجلس الجامعة أن يرسل اليه كتابا للتشجيع والثناء ٠

وقد قرر مجلس الجامعة فى شهر يونية سنة ١٩١٣ أن يسند اليه كرسى تاريخ المذاهب الفلسفية وان لم يتم له ذلك ، فقد قرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٤ يناير سنة ١٩١٤ الاستغناء عن تعيينه لاسباب تتصل فى ظاهرها بالرسالة التى تقدم بها الى جامعة باريس لنيل الدكتوراه وموضوعها « المرأة فى تقاليد الاسلام وتطوره » ٠

وقد كان لهذه الرسالة التى تعتبر أول رسالة للجامعة صداها فى وقتها لما جاء فيها من عبارات بدت وكأنها تجافى التقاليد الاسلامية ، حتى لقد بذلت الجامعة ومجلس ادارتها مساعى موصولة لصد منصور فهمى عن تقديمها ، ولكنه أصر على تقديمها اصرارا تخطى العوائق والصعوبات٠ وكان أن نوقش فيها وحصل من السوربون على شهادة الدكتوراه مع أعلى درجات الشرف ٠ ولكنه دفع الثمن بعدها فقد ظل يناضل من أجل لقمة العيش ست سنوات شعر خلالها شعور المضطهدين المحرومين « اللهم لقد قطعنا من العمر مراحل فيها كبونا ، وزلت النفس وعثرت القدم ، فأعنا على أن نستفيد لبقية طريقنا من كبوة كبوناها فيما مضى ، وعثرة عثرناها ، فيما انقضى ٠ اللهم لقد كتبنا بأعمالنا صحفا تشهد عندك علينا بما أحسنا وبما أسأنا ، فأعنا على أن نكتب فى صحيفتنا الجديدة ما يزيد فيها الحسنات على السيئات » ٠

(خطرات نفس ص ١٧٥)

وقد تعلم من سنى المحنة الحذر والحيطة فتطامن من نقده لما توجس الشر من الرأى الجرىء ومن الناس ٠

على أن الجامعة عادت فألحت فى طلبه سنة ١٩٢٠ فعاد اليها فى نوفمبر أستاذا بكلية الآداب بالجامعة القديمة ثم انتخب فى سنة ١٩٢٤ وكيلا لها ٠ ثم عميدا للكلية فى مارس سنة ١٩٣٣ ثم مديرا لدار الكتب سنة ١٩٣٦ ، ثم مديرا لجامعة الاسكندرية فى ١٩٤٤/١٢/١٢ ٠

وفى ١٩٤٦/١/٢٤ أحيل الى المعاش ٠ وقد اتصلت حياته بالجامعة ربع قرن سواء أكان داخلها أم خارجها ٠ وهو بهذه الصلة بما لها من آثار يعد من بناة صرحنا الجامعى الحديث ٠

وقد تزوج الدكتور منصور فهمى سنة ١٩٣٥ من سيدة لها فى التعليم المصرى تاريخ حافل مجيد هى السيدة انصاف سرى وقد ظلت الى جانبه تقوم بدورها فى تنشئة الجيل خير قيام لم يحجبها عن رسالتها بل ساندها فيها مقدرا ٠٠ وعاش الدكتور منصور فهمى معها حياة موفقة متكاملة حتى لقد كان يطلق عليها « مورد اليمن » تيامنا وعرفانا ٠ و « مورد اليمن » هو الاسم الذى أطلقه فيما بعد على بيتهما الكبير الذى أقامه فى الدقى ٠

عن الايمان والجمال

وفى حياة منصور فهمى أشخاص وحوادث كيفتها ورسمت لها وجهتها

فعندما اندفع بحرارة الشباب يكتب عن المرأة فى الاسلام دون أن يرفده نبع صاف أو اطلاع عميق ، بل مظهر متأخر للعالم الاسلامى شاب رأيه فيه وشبه الحقائق عليه فلم يكد يعود الى مصر متوسما مستقبلا زاهرا حتى وجد فى انتظاره ضجة كبرى ارتفعت فيها أصوات تتهمه بالكفر والزندقة ٠

وكانت حائلا بينه وبين الجامعة كما أشرنا وكانت هذه الحركة كفيلة بأن يظل سادرا فى تيه يضل فيه السائرون حتى قيض الله له صدورا رحبة حانية، وآفاقا واسعة مدركة فى الشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ الزنكلونى والشيخ حسونة النواوى هؤلاء الذين يمثلون الاسلام تمثيلا مشرقا وكانوا له خير منقذ فثاب الى الهداية وآب الى الرشاد وغدا على أيديهم أصبح ما يكون اسلاما وأعمق ما يكون ايمانا حتى لقد انقلب متصوفا متساميا طيب له وتعذب منه الكتابة عن الايمان والجمال والفن ٠٠

كان الدكتور منصور فهمى يعتبر علم الجمال أهم المواد التى كان يعلمها فى الجامعة ، كان يلقن طلابه معنى الجمال وكنه فلسفته سواء فى الفن أم فى الأدب

وكان يرى أن الحياة الاجتماعية لاتستقيم الا بدواعى الايمان (فتيارات الحياة الاجتماعية المتلاحقة المتضاربة قلما توصل المرتاب المتردد ، وقلما تدنى الأنانى المتشائم من بر السلامة ، لكنها تحمل المطمئن على أمواجها والمتفائل المستبشر المتوكل على الله الراضى بقضائه الى شاطىء التوفيق)٠ مؤمنا (ان الديانات حين تلتقى فى الايمان بالاصول العليا وفى الشخوص الى العظمة اللانهائية ، وحين تتجه أعمال الانسان الى هذه العظمة ، فان هذه الاعمال تكسب ألوان التعاظم والتسامى ، ومن ثم يصبح الدين والايمان عملا ويصبح العمل ايمانا ودينا ٠) (١)

لقد درس الفلسفة وتخصص فيها ولكنه بطبعه كان ينزع الى الادب بل لقد كان أديبا أكثر منه فيلسوفا وخير كتبه كان أدبا مصفى ولو أنه تأملات وخطرات (٢) ، فان هذا الكتاب اذا كان له كما يقول الاستاذ محمود تيمور (قيمته فيما سجل من آراء وخواطر ، وفيما تستشعره فيه من نبضات قوية تخفق بها الصفحات ، ولكن ثمة ميزة فى هذا الكتاب جديرة أن تكون موضع التقدير من مؤرخى الادب فى نهوضه الحديث ، تلك هى ميزة التعبير والتصوير ٠) (٣)

صفحة من حياة

مزيج من العاطفة والفكر

وهنا أقف وقفة عند أسلوب د٠منصور فهمى فى هذا الكتاب لأقول أنه أسلوب مجود بعناية شديدة ومقصودة فقد وفر له موسيقى قد تكون عالية الايقاع فى بعض المواضع وفى الكتاب التقسيم والسجع حتى ليطغى السجع أحيانا على اللفظ المناسب فى المكان

(١) من محاضرة القيت بقاعة يورت التذكارية اول يناير سنة ١٩٤٣ ٠٠ « كيف ينبغى أن تكون العلاقات الدينية بين الامم لتحقيق تعاون عالمى »
(٢) كتاب (خطرات نفس) ٠
(٣) كتاب (ملامح وغضون) ص ٨٧ — ٨٨ ٠

المناسب وان كان غير خاف على كاتبنا الاديب . مثال هذا قوله :

(واذا ما أعجب المعجبون بجمال الفجر المتنفس وتغريد الطير المتربص وعاود الصدر انشراحه وملأ القلب ارتياحه ... الخ) .

أليس الطير (الشادى) خير من حيث اللغة بل من حيث الجو النفسى السائد فى القطعة من (المتربص) بما فى التربص من « كثافة » فى النطق والمعنى لا تناسب شاعرية التغريد والرفيف ....

أحسب أن اللفظة وضعت لمقابلة « المتنفس » تلك الصفة الجميلة للصبح والفجر حتى ليقف عندها طويلا الأستاذ العقاد فى كتابه (الفصول) .

على أن أسلوب الدكتور منصور فهمى بعامة أسلوب مركز دسم مزيج من العاطفة والفكر سهل على حفاوة فيه باختيار الالفاظ واصطفائها ودقتها أيضا فى التعبير عن المعنى المراد وقدرتها على الايحاء والتصوير فى قصد وبلاغ .

ولما كانت دراسة منصور فهمى الاصيلة هى الفلسفة فقد تتلمذ لأكثر من عالم وفيلسوف فقد دخل الفلاسفة حياته شرقيين وغربيين فممن تأثر بهم فى حياته من الشرقيين ، الامام الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال) لدقائقه فى المنطق حين يتعرض لتفسير القرآن ، ثم (ابن رشد) لاتجاهاته نحو العلم الراقى .

ومن الغربيين « كانت » الالمانى لكثرة تفكيره فى ترجيح الشيء وضده ، ثم « برجسون » الفرنسى لنزعاته فيما وراء الطبيعة فى صورة صوفية . كما تأثر خاصة بليفى بريل أحد اقطاب المدرسة الاجتماعية الفرنسية فى أوائل هذا القرن .

وقد كان منصور فهمى يجيد الفرنسية اجادته للعربية حتى لقد ألف الكتب بها ، أما الانجليزية فقد كان يعرفها لماما وكذلك الالمانية .

حوليات المجمع

وللدكتور منصور فهمى فى المجمع اللغوى تاريخ وحده . فقد كان كاتب السر فيه منذ سنة ١٩٣٤ الى يوم وفاته كما كان عضو مكتب المجمع ومجلس الادارة وعضوا فى تسع لجان من لجانه .

ولما انشىء مؤتمر المجمع مضت لائحته على سنة القاء كاتب السر تقريرا عن المجمع فى افتتاح المؤتمر .

وقد كانت خطبه السنوية التى كان يلقيها فى المجمع تسمى حوليات المجمع أو حوليات منصور فهمى لما كان يوفره لها من شمول ضاف لتقدير فى حينها صدى لما يدور فى الافكار حول مهمة المجمع وأعماله ونشاطه .

وكان الدكتور منصور فهمى يلمع الماعا رقيقا الى نقد الناقدين ومداعبات المتفكهين ، ويعبر عن استجابة المجمع لكل ما يتجه اليه البحث أو النقد .

وفى هذه الحوليات تتناثر أفكار وصور وخواطر ، تمثل فكر الدكتور فهمى من ناحية ، كما تصور فلسفة العمل فى المجمع من ناحية أخرى .

وحولياته هذه وثائق تاريخية علمية لوجهة نظر المجمعيين .

واتصلت دراساته ما امتدت به الحياة لأمهات المسائل التى يطرحها المجمع على بساط البحث وتعقيباته عليها كدراسته للكتابة العربية وفى البحث الذى قدمه الى مؤتمر المجامع اللغوية العلمية الاول المنعقد بدمشق سنة ١٩٥٦ بتنظيم من الادارات الثقافية بالامانة العامة للجامعة العربية .

كان الدكتور منصور فهمى رسولا معبرا عن المجمع وأغراضه وغاياته فى تقاريره وبحوثه سواء منها ما القاه فى مصر أم فيما أسفر عنه فى الخارج .

وحين أثير فى المجمع موضوع المصطلحات العلمية ومدى حق المجمع فى تناول هذه المصطلحات بالتغيير ومدى التعريب . كان الدكتور منصور

صفحة من حياة

فهمي يمثل وجهة النظر القائلة بايثار الالفاظ العربية ، واعد بحثا في هذا قدمه الى المجمع سنة ١٩٥٥ ٠

ومثل هذا حدث حين اثير نقاش في مجلس النواب وفي مجلس الشيوخ بشأن مهمة المجمع ودراسة اللهجات وتشجيع الانتاج الادبي ٠ فقدم منصور فهمي لاعضاء المجلس النيابي من التقارير ما ينهض دفاعا جامعا عن المجمع وما يهدف اليه من غايات ٠٠ (سنة ١٩٣٨) ٠

وطالما صال قلم منصور فهمي وجال على صفحات الصحف فنافح عن الالفاظ العربية الاصيلة سواء منها ما كان قابعا في المعاجم القديمة أم في كتب السلف العلمية والادبية أم ما كان منها وسيلة الاشتقاق أم المجاز أم التضمين أم النحت ٠٠ كان يرى للفظ العربي أسره الخاص لاعتبارات شتى بعضها وراثي والآخر ذاتي ينبعث من اللفظ نفسه بما يوحيه من صور وذكر ٠ كان حفيا بالطاقات المعنوية للالفاظ العربية ومن ثم كان ظاهر النفرة من تعريب المصطلحات الاعجمية ويرى عدم استبدالها بالعربية الا لضرورة قصوى من عجز تام عن ايجاد لفظ عربي يغني غناءها ٠ ولعله من اجل هذا ألزم نفسه بما لا يلزم كأبي العلاء ٠٠٠ فان المصطلحات بخاصة تأخذها اللغات الحية الاخرى كما هي ، ببساطة شديدة ورضا ٠

ولطالما أشاع الدكتور منصور فهمي جاهدا الفاظا عربية وافتى بها ٠

سئل مرة عن كلمة تقابل (طاقم السفينة) لكي تدخل الكلمة في قانون أعدته احدى مرافق الحكومة ، فافتى بكلمة (الزملة) للتعبير عن مجموعة العاملين في السفينة من ربابنة وبحارة ٠ ولكن هذه الكلمة لم يكتب لها الانتشار ، قد يكون هذا لغرابتها على الاذن أو صعوبتها في النطق والشائع الآن طاقم السفينة أو الطائرة٠٠

كما أشاع كلمة « الغيرية » للمذهب الاخلاقي الفلسفي الذي يقابل الفردية او الانانية ، اذ كان يرى في كلمة الايثار دلالة أدبية لا تؤدي المعنى المذهبي ٠

كما كان يرى تسمية حديث النفس « الهس » والكلمة بجرسها توحي معناها حتى لتكاد تفصح عنه ٠

بل لقد بلغ به الامر مبلغ المبدأ الذي يعتنقه صاحبه حتى لقد حرص قبل انشاء المجمع حين ترجم قصة (هيرمان ودوروتيا) على أن تكون الكلمات الاجنبية الاصطلاحية لها ما يقابلها ، حتى أسماء الآلهة والقابها التي تتردد في الاساطير ٠

وكان على محافظة فيه ، من انصار حرية الابتكار مادام لا يمس الاصل او الجوهر مخالفا بذلك من ارادوا وضع قيود وحدود ، وهو يقول في هذا الصدد : « لا نقيد احدا بشيء ، فاننا لو اكثرنا من القيود والشروط كان مثلنا كمثل من يقول : ابحثوا عن شريطة الا تفعلوا شيئا ، فلنتقبل كل شيء ولنترك الحرية لكل باحث ، فقد يؤدي بنا الحال الى تغيير كل شيء ، وقد لا نحتاج الى تغيير شيء البتة »٠

كتبه وآثاره الادبية

ولما اعلن ميلاد الجمهورية العربية المتحدة راح الدكتور منصور فهمي يؤكد دعوته التي طالما نادى بها وهي وجوب تضافر أهل البلاد العربية لخدمة اللغة المشتركة بينهم وتنسيق الجهود من اجل هذه الغاية وكتب

برغبته الى المسئولين واشترك اشتراكا واضح الاثر فى مشاورات حول الصلة بين المجمع المصرى والمجمع السورى انتهت باعداد مشروع يوحد اهداف المجمعين وينسق عملهما وينظم بينهما الصلات .

وقد عين الدكتور منصور فهمى عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٣٣ ، وانتخب كاتب سر له منذ سنة ١٩٣٤ واعيد انتخابه حتى اختاره الله الى جواره .

كما كان رئيسا للمجمع العلمى المصرى سنة ١٩٣٥ وظل عضوا به الى يوم وفاته .

وكان عضوا مراسلا بالمجمع العلمى العربى بدمشق .

وكان عضوا مراسلا بالمجمع الايرانى سنة ١٩٣٨ .

وكان عضوا مراسلا بالمجمع العراقى سنة ١٩٤٩ .

واشترك فى عدد كبير من المؤتمرات والمحافل الدولية وكان آخرها رحلته الى الكويت لحضور مؤتمر الادباء بدعوة من الحكومة الكويتية فى ديسمبر سنة ١٩٥٨ .

وللدكتور منصور فهمى من الكتب والآثار الادبية :

كتابه (خطرات نفس) طبع سنة ١٩٣٠

وطبع من محاضراته :

اوقات الفراغ وكيف تستثمرها ـ مطبعة الهلال عام ١٩٣٦

الضعف الخلقى واثره فى حياتنا الاجتماعية ـ طبعة رابطة الاصلاح عام ١٩٤٠

ذكرى المولد النبوى ـ مطبعة دار الكتب عام ١٩٤٢

رائدات النهضة النسوية

عائشة التيمورية ومى وملك حفنى ناصف ـ معهد الدراسات العليا لجامعة الدول العربية .

جملة بحوث ومقالات وخطب بالصحف والمجلات العربية .

جملة بحوث وخطب ومحاضرات بمجلة مجمع اللغة العربية فى اجزائها العشرة :

كما الف بالفرنسية رسالة عن (المرأة فى تقاليد الاسلام وتطوره) .

وكذلك عن الاطفال الاميين والقارئين وهى دراسة نفسية .

وتمثل المقالات والبحوث والمحاضرات والاذاعات جانبا كبيرا من نشاطه بل لعلها الجانب الاكبر من ذلك النشاط .

ففى عام ١٩٣٨ كانت له مساجلات مع الاستاذ توفيق الحكيم فى مشكلات الفكر والحياة والاجتماع . نشرت فى صحيفة الاهرام .

وأرسل من محطة الاذاعة عدة أحاديث فى علم الجمال .

واذا كانت الرحلة جامعة الحياة فان الدكتور منصور فهمى كان كثير الاسفار جوابا ...

والدكتور منصور فهمى كان قد شرع فى كتابة مذكراته ولكنه لم يتمها اذ وافاه الاجل سنة ١٩٥٩ وما كتب من المذكرات محفوظ بمكتبته الخاصة .

كما كان قبل وفاته قد رتب أوراقه ومقالاته وبحوثه واختار منها مجموعة بغية اصدارها بعنوان : « المصادر والاصول » .

كما كان يريد اخراج الجزء الثانى من كتابه خطرات نفس على نسق الجزء الاول بحيث يكون امتدادا له فى الروح والطابع والاسلوب العاطفى وان لم يخل من عمق وفلسفة هى اشراقات روحية ، وسبحات فى عالم الحقيقة لا الخيال .

لقد كتب عن الدكتور منصور فهمى الدكتور كامل حسين فى كتابه (المتنوعات) والاستاذ محمود تيمور فى كتابه (ملامح وغضون) والدكتور طه حسين فى مجلة الكاتب المصرى والدكتور عبد اللطيف حمزة ..

والى هذه الكتابات أضيف هذه الصفحة تحية له فى ذكراه . .

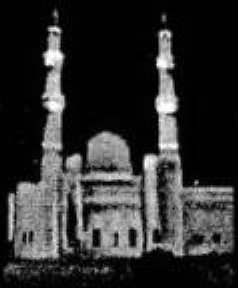

شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح :
شعلتان ونصف وتنار الشعلة الكبرى بوجود سبرتاية
الفرن الشعبي
شعلتان ونصف وشواية
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباق السفرة
منقشة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

● الغلاف الأول ●



لوحة للفنان : جمال قطب

● الغلاف الأخير ●



مسجد صلاح الدين تصوير
الفنان : عبد الفتاح عيد

هل تعرف من القائل؟

١ ـ لم أر وجها حسـنا
منذ سكنت اليمنـا

فيا شقاء بلـدة
أجمل من فيها .. أنا

● الحريرى ـ الحطيئة ـ البردونى

●●●

٢ ـ خرجت من البلاد أجر سعفى
وعدت الى البلاد أجر ساقى

أتدفعنى وقد هاضت جناحى
وتجذبنى وقد شدت وثاقى ؟

● على محمود طه ـ ابراهيم ناجى ـ محمود أبو الوفا

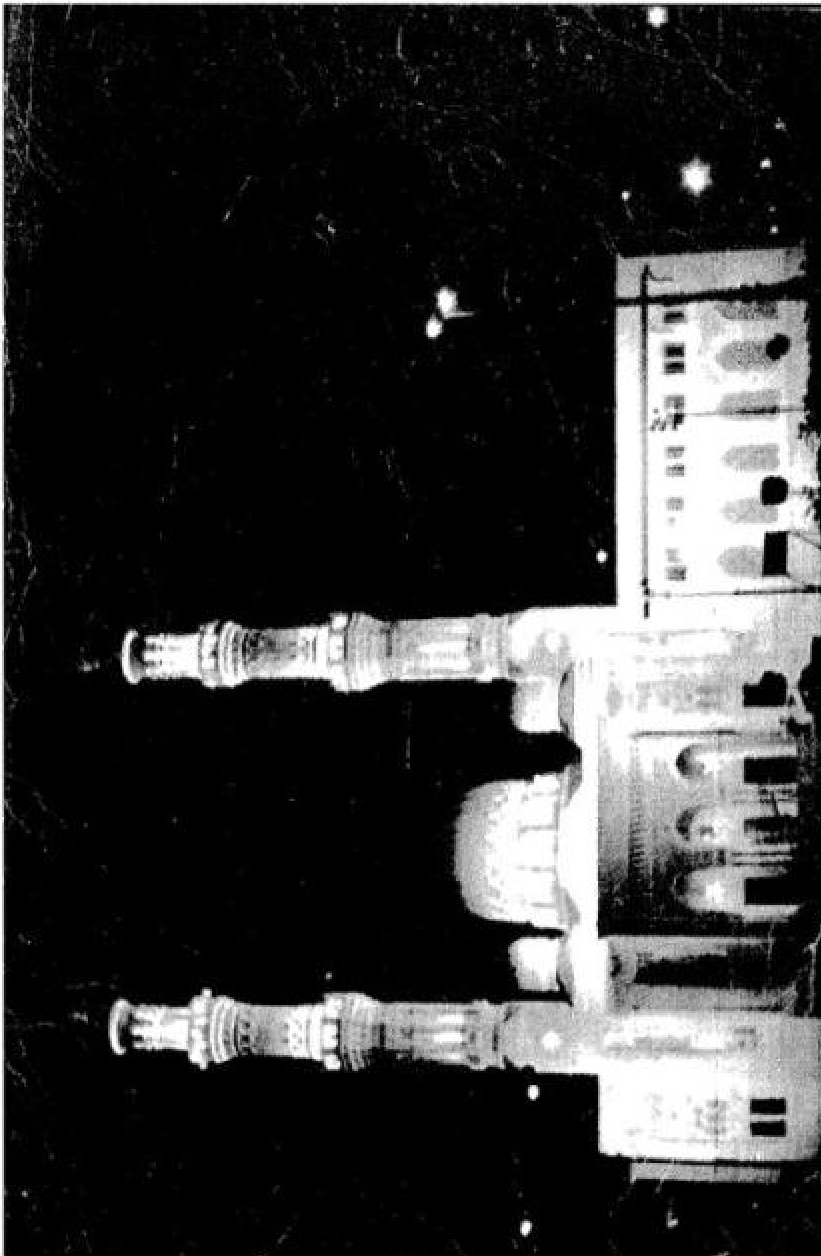
●●●

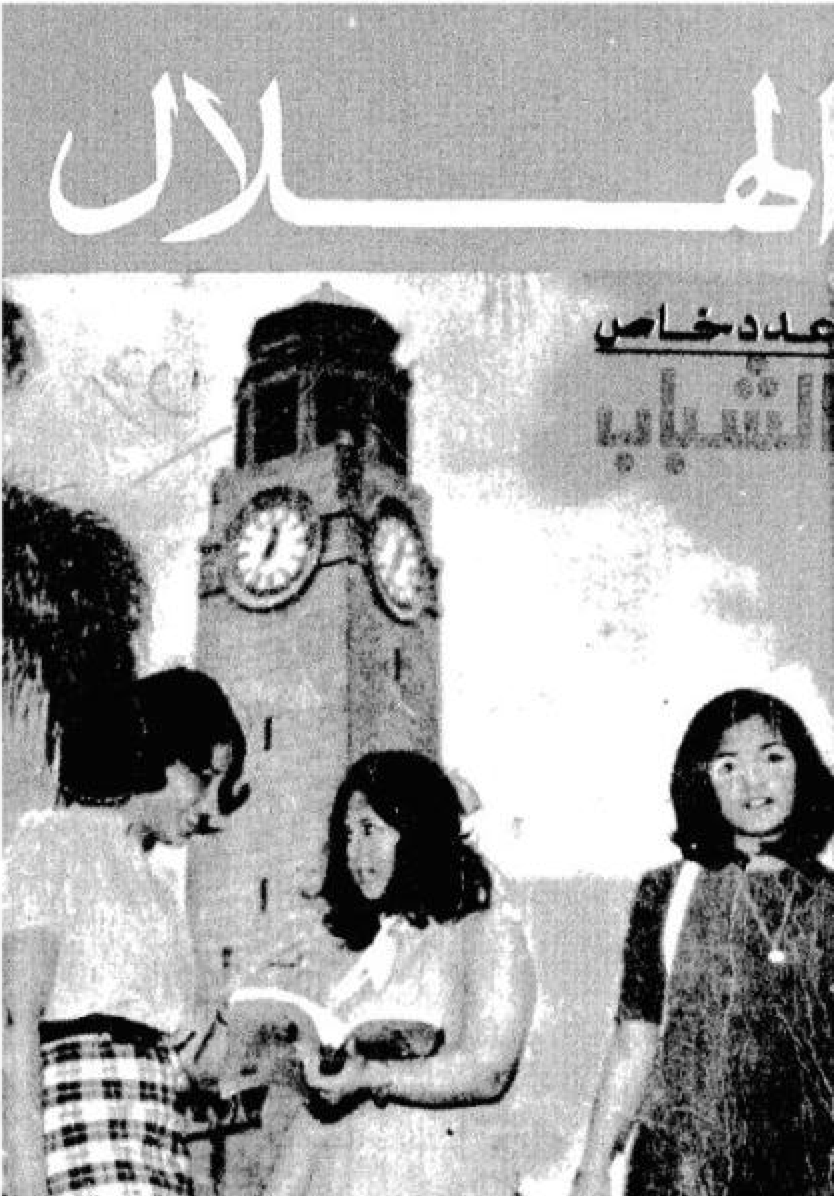
٣ ـ ماعلى الارض ، فهو كاف بليها
لو القاهره بينهم بالسواء

● حافظ ابراهيم ـ محمد الاسمر ـ أبو العلاء المعرى

● الاجوبة ●

١ ـ الحريرى
٢ ـ ابراهيم ناجى
٣ ـ محمد الاسمر




الهلال
عدد خاص
الشباب

الهلال

يولية ١٩٧٢

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال –
العدد السابع –
السنة الثمانون –
اول يولية ١٩٧٢ – ٢٠
جمادى الاولى ١٣٩٢

رئيس مجلس الإدارة :
يوسف السباعى

رئيس التحرير :
صالح جودت

المشرف الفني :
جمال قطب

سكرتير التحرير :
نصر الدين عبد اللطيف

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم – في السكيبات المرسلة بالطائرة في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، في الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : ١٢٥ عددا في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربي والافريقي ١٠٠ قرش صاغ . في سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات او ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بتحويل او بشيك مصرفي قابل الصرف في ج . م . ع – والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادي – وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

د. يوسف عز الدين :
شباب الجيل الغاضب



عبد الرحمن الكواكبي : قلم في وجه سيف

شاعر الشباب :
قصته مع رباعيات الخيام

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

يصدر هذا العدد من « الهلال » مؤرخا بيوم يقع بين يومين لا تنساهما مصر ، هما : ٥ يونية و ٢٣ يوليو

٥ يونية ، كان اليوم الرابع الاسود فى تاريخ الامة العربية ، بعد سقوط بغداد ، وخروج العرب من الاندلس ، وضياع فلسطين .

و ٢٣ يوليو ، كان الثمرة الناضجة لجميع الثورات التى اشعلتها مصر فى العصر الحديث :

● ثورة السيد عمر مكرم ، التى كانت غايتها ان يكون من حق شعب مصر وحده اختيار من يحكمه

● وثورة عرابى ، الرجل الذى قال للخديو التركى : لقد ولدتنا امهاتنا احرارا ، والله لن نكون عبيدا لاحد بعد اليوم

● وثورة سنة ١٩١٩ ، التى رفعت شعار الحرية ، وطالبت بخروج الانجليز

ولكن الصليبية الجديدة ، وهى الامبريالية ، لم تكن لتترك مصر تنعم بالثمرة الناضجة لثوراتها المتتالية ابد الدهر ... فما لبثت ان حاولت اختطاف الثمرة من يد مصر سنة ١٩٥٦ ، فاخفقت ، فاعادت الكرة فى سنة ١٩٦٧

فهل نجحت هذه المرة ؟

كان هناك يوم فى الغيب .. هو ١٥ مايو

كانت هناك ثورة فى صدر الرجل الجديد ، الذى ورث مصر النكسة ، فقرر ان يجعلها مصر النصر

وكان سلاحا هذا الرجل : العلم والايمان

وصحا شباب مصر على هذه الصيحة ، فمزق الشعارات الكاذبة ، والعقائد الطارئة ، والمذاهب المستوردة ، وعرف ان التقدمية — كما تقول فى هذا العدد — لا تستورد ، ولكنها تنبت فى تربة العلم ، وتنبع من اعماق الايمان

فليبارك الله شباب مصر ، وليثبت ايمانه فى طريق النصر

● صالح جودت ●

د. سيد نوفل

من شهداء الشباب وأبطاله في فجر الإسلام

بعث الله سبحانه رسوله محمداً ، صلوات الله وسلامه عليه ، فى الاربعين من عمره ، ليخلق الأمة العربية خلقاً جديداً ، ويخرج البشرية كلها من الظلمات الى النور ، ويهدى الناس جميعا الى سبيل الحق والتعاون والعدل والسلام .. وقد اختاره فى هذه السن للرسالة الكبرى ، بعد ان صهرته المعاناة الشديدة ومرسته التجارب الشاقة ، وحين اكتملت له فى اقصى الشباب ومطلع الشيخوخة اسباب الحكمة والرشاد ، واتم الله عليه نعمة الخلق العظيم بدعامتيه الوطيدتين : الفكر الراجح والارادة القاطعة ، او مزية الشيوخ والشباب على سواء ..

لا ريب أن سواعد التغيير وجنده هم الشباب دائما ، وفى جميع البلاد والعصور ... انهم يصلون ما بداه آباؤهم ويعضدون معهم بالفتوة والقوة مايعجز الأباء عن انجازه ... والاباء يورثون أبناءهم خلاصة أفكارهم ومقومات نموهم الذهنى ، مثلما يورثونهم ملامح تطورهم البدنى . ثم يظل الأباء والابناء يعملون فى مشاركة لا يمكن فصل عراها ، لكى يتصل التطور البشرى ، وتمضى الانسانية فى سبيلها الصاعد الى أن تبلغ غايته ، وتظن أنها قادرة على كل شيء ، فيرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

دور الشيوخ والشباب

ومن هنا فان دور الشيوخ ودور الشباب دور واحـــد فى الواقع ذو وجهين أو طاقتين ، تمتزج فيهمـــا الوسائل والغايات . ويمتـــاز دور الشيوخ عامة ببروز قوة القيادة ووفرة الحكمة ، كما يمتاز دور الشباب عامة ببروز قوة النضال ووفرة الارادة . وأقول عامة لان من الشيوخ شبابا ذا عزم متين وارادة غلابة ، ومن الشباب حكماء توفر لهم فى القليل من أيامهم ما لم يتوفر للكثير من الشيوخ فى الكثير من أيامهم .

والتطور البشرى يسهم فيه الناس جميعا بقـدر ، ويتأثرون كلهم بصوره وبحركته الدائبين . لكن صناع التطور وبناته الاولين ، هم الصفوة أو القادة الـــذين يعبرون عن حركة الحيـــاة وناموس الطبيعة ، ويقودون الانسانية فى صراطها المستقيم . ولهـــذا فان الصفوة من الشيوخ والشباب يتلاقون فـــكرا وارادة ، على وجه العموم ، ويصـــنعون بتـــلاقيهم المعجزات ، ويحققون بوحـــدة عملهم أضخم المنجزات .

ومن هنـــا فالواهمون هم الـــذين يتصورون خطا فاصلا بين الشيوخة والشباب ، ودائرة مغلقة على الشيوخ وأخرى مغلقة على الشبان .. وكيف يصح هذا التصور والشيخ لا تنقطع حياته فترة يحياها الشاب المعاصر لعمن دونه ، حتى يتهيأ للثانى ما لم يتهيأ للأول من قوى ومؤثرات ، ويمتاز عليه امتيازا كليـــا فى بعض جوانب الحياة ؟!

ان حياة الشيخ متصلة فى الماضى والحاضر ، كما أن حيـــاة الشاب مستحدثة فى الحاضر ومستفيدة من الماضى بالوراثة والتعليم والتدريب... والامتياز العام هو فى تطور الحيـــاة الفردية التى تبدأ من ضعف الطفولة ، ثم تتطور الى قوة الشباب ، ثم تنتهى الى الوهن والفناء ... ومن هنا فان العنصر الغالب على الشباب بقوته هو عنصر النضال والمجالدة وما يترتب عليهما من التضحية والشهادة .

الحياة المثلى فى الاسلام

والشهادة فى الاسلام مصدر عمل وقوة ومعين عمل واقدام . يســعى اليهـــا المؤمن سعيدا ان اشترى الله

من شهداء الشباب وأبطاله

نفسه وماله بأن له الجنة · وبالها من صفقة مربحة أعظم الربح لبائع الفناء الفاني بالخلود السعيد ... فقيمة الحياة في الإسلام هي قيمة ما تبذل الحياة في سبيله · فالذي يحمل حياته على كفه مناضلا من أجل الله والوطن ، لينتصر كلمة الله والوطن ، له أعظم الجزاء في الدنيا والآخرة ، وله الجنة أن استشهد في سبيل ما جاهد لإعلاء كلمته ، وضرب المثل الحي لمعاصريه ولمن بعده كي ينهجوا نهجه ، ويبلغوا ما قصر عن بلوغه من أسمى الغايات وأنبلها ... أما الذي يبذل حياته في سبيل غرض وضيع أو منفعة شخصية فانية ، أو يمسك عن الجهاد حين يدعوه الحق اليه ، فهو ملق بحياته الى التهلكة التي يأباها الإسلام وتعاليمه المثلى ، وهو أبعد ما يكون عن جادة المؤمنين الصادقين لما عاهدوا الله عليه ·

سدنة الإسلام وغزاته

والشباب قد ورثوا النقمة على المجتمع الجاهلي ، وتفتحت عيونهم على مساوئ المستشري ، وتناقضاته المزرية ومداخلات فارس والروم التي لم تبق للكرامة الانسانية ولا للأستقامة فيه باقية · ووجدوا في رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه ارادة الشباب وحكمة الشيوخ ، أو المزاوجة بين مواهب الجيل القديم والجيل الجديد ، مزاوجة يسرت له السعادة مع خديجة التي تكبره قليلا وعائشة التي تصغره كثيرا · وكل أولئك جعل الشباب ، بما ينشدون من روح التغيير ويتحمسون له ، سدنة الإسلام الاولين وجنوده حتى النصر والسعادة أو الموت والشهادة ...

ولهذا لم يكن عجبا أن يكون أول المتبعين للرسول بعد خديجة هو الصبي الشاب علي بن أبي طالب · فلقد أخذت دعوة محمد الامين اياه الى الإسلام بمجامع قلبه ، واستمهله حتى يشاور اباه أبا طالب عم النبي · وقضى الصبي ليله في بيت الرسول مضطربا بين الاجابة دون مشورة أبيه الى دعوة الحق ، أو بعد المشورة · فاذا أصبح الصباح غلبته روح الابتداع الخلاقة في الشباب فابتدر الرسول معلنا اسلامه دون مشورة أبيه ، قائلا في قوة ثائرة وايمان غلاب : « لقد خلقني الله من غير أن يشاور أبا طالب ، فما حاجتي أنا الى مشاورته لأعبد الله ! »

في مطلع الرسالة وفي خاتمتها

وهكذا كان أول من آمن برسالة محمد من الذكور صبيا في العاشرة من عمره هو علي بن أبي طالب ... اعتز به الإسلام في مطلع الرسالة الاولى · واعتز به الإسلام حين أعان النبي على الهجرة التي أعلت كلمة الإسلام ونام في فراش النبي بعد أن مكن لهجرته ، وضيع على المشركين المحاصرين لبيت الرسول فرصة القضاء عليه والحيلولة دون قصده · وشهد جميع الغزوات مع الرسول عدا تبوك اذ استخلفه النبي في أهل بيته · وظل طوال حياته في نضال متصل في سبيل ايمانه ورأيه حتى سقط شهيدا ·

ومن بعد علي أسلم زيد بن حارثة مولى النبي ، وهو لايزال شابا دون الثلاثين واعتز به الإسلام وفتوحاته مثلما اعتز بعلي بن أبي طالب ·

واذا افتتحت رسالة محمد بعلي ابن أبي طالب يستجيب لها ، بعد خديجة زوج الرسول ، وهو لايزال في العاشرة من عمره ـ فقد اختتمت رسالة محمد بشاب آخر يوليه محمد قيادة جيش المسلمين ، ويؤكد الرسول بذلك تقديم الشباب وايثاره اياه على الشيوخ ، في أحرج المواقف ، وأشدها خطرا ، وأعظمها مسئولية ·

ففي خاتمة حياة الرسول ، وقبيل مرض الموت ، وبعد أن اطمأن الإسلام

من شهداء الشباب وابطاله

في شبه جزيرة العرب . وأدى محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، حجة الوداع . ولم يكن هناك ما يهدد الاسلام من ناحية الجنوب . كان تفكير الرسول وصحبه متجها الى ناحية الشمال ، وخاصة بعد غزوة مؤتة التي لم يحقق فيها الاسلام نصرا على الروم . وان عجز الروم عن تحقيق هدفهم بجيشهم الكبير على جيش المسلمين الصغير .. ولهذا امر الرسول بتجهيز جيش لجب الى الشام ، جعل فيه جلة المسلمين الاولين وشيوخهم ، وفيهم ابو بكر وعمر ، وولى اسامة بن زيد بن حارثة امارته ... وكان اسامة بن زيد حينئذ صبيا حدثا لا يعدو السادسة عشرة من عمره في بعض الروايات ، او دون العشرين ميلادية في أرجح الروايات . ويروى المؤرخون أن امارة اسامة على المتقدمين الاولين ، من المهاجرين والانصار ومن كبار الصحابة ، قد اثار دهشة النفوس لولا الايمان المكين الصادق بالله ورسوله . لكن الرسول الكريم كان يعمل بوحي الله لكي ترتفع رايات دينه الحنيف في العالم ، وتتمم البشرية بقواعده ومبادئه الى أن يرث الله الارض ومن عليها : الى يوم الدين ... ولهذا قصد الرسول أن يبعث في نفوس الشباب الهمة والاقدام ، وأن يعودهم الاضطلاع بأعباء التبعات الجسام ، وأن يظهر في الوقت ذاته التقدير لروح الشباب التي بثت الاسلام ونصرته ونافحت عنه وقهرت أعداء الحياة والحرية والتقدم ...

وكان امر محمد الى اسامة ان يدخل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، وان ينزل بالروم هزيمة تريهم بأس الاسلام والمسلمين ، ثم يعود بجيشه الى عاصمة الرسول ، انتظارا لفتح هذه البلاد وغيرها من بعد ، ورفع علم الاسلام في ربوعها جميعا ... واشتد المرض بالرسول قبل ان يسير أسامة بجيشه لملاقاة الروم في فلسطين . وهبط اسامة وهبط الناس معه من الجرف الى المدينة . وذهب اسامة ليرى النبي في مرضه الاخير ، فاذا بالرسول البطل المبين قد أسكته المرض وعقل لسانه فلا يتكلم . لكنه مع ذلك لا ينسى أن يكرم الشباب المناضل في شخص اسامة . فلما بصر باسامة اخذ ، صلوات الله وسلامه عليه ، يرفع يده الى السماء ثم يضعها على اسامة علامة الدعاء له ، وتأكيدا للثقة في قيادته وقيادة الشباب المؤمن العامل المناضل ... واختار الرسول الرفيق الاعلى في الثامن من يونية (حزيران) لعام ستمائة واثنين وثلاثين .

ولم يكد ابو بكر يبايع بالخلافة حتى نفذ امر الرسول في ايفاد اسامة وجيشه لملاقاة الروم ، وأبى الاستماع الى مشورة القائلين بتعيين قائد أسن من اسامة .

ولم تمض عشرون يوما حتى لقي اسامة وجيشه الروم في البلقاء ، وانزل بهم هزيمة نكراء ، وقدم لهم آية المستقبل الذي ينتظرهم حين تحرر فلسطين من نيرهم ، وتعود الى وطنها الام العربي . وعاد أسامة بجيشه المظفر الى المدينة ممتطيا جواده المظفر يتقدمه اللواء الذي عقده رسول الله



بيديه • وكرم المسلمون اسامة وكرموا الشباب معه وفيه •••

وطوال حياة الرسول العربي التي أعزت العروبة والامة الاسلامية ، ووهبت البشرية طاقاتها المتجددة الدائمة الاثر والفاعلية الى يومنا هذا والى يوم الدين ، خاض المعارك وقادها شباب مؤمن مقتدر ، وسقط منهم الضحايا الكثيرون في ربيع الحياة سعداء بلقاء الله وبالشهادة في سبيل دينه الحق ••• وليس من اليسير الاحاطة بهؤلاء الشباب في مثل هذه العجالة ، ولهذا نكتفي بالاشارة الى امثال قليلة منهم •

شهداء الشباب في بدر

وغزوة بدر التي كانت فاتحة الانتصارات الاسلامية الكبرى ، ومعلية كلمة الاسلام على كلمة الجهالة والشرك ، كان للشباب دور بارز فيها• وكان شهداء الشباب مضرب المثل في البطولة والفداء •

عمير بن ابي وقاص

واول الشهداء المذكورين عمير بن ابي وقاص أخو سعد القائد الشهير • وكان عمير صبيا في السادسة عشرة من عمره ، وكان حريصا أعظم الحرص على المشاركة في الغزو طلبا للشهادة• وكان يخشى أن يرده رسول الله عنها. فكان يحاول جاهدا اخفاء صغر سنه ••• ويروى سعد قصة أخيه الشاب البطل الشهيد فيقول :

« رايت أخي عمير بن ابي وقاص قبل ان يعرضنا رسول الله للخروج الى بدر يتوارى • فقلت مالك يا أخي ؟! فقال : انى اخاف ان يراني رسول الله فيستصغرني فيردني،وانا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة ! فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستصغره ، فقال : ارجع ! فبكى عمير •• فاجازه رسول الله » • ثم يقول سعد معرفا بتدريب اخيه المبكر على القتال : « فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره • فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة ••• »

عمير بن نضلة

ومن شهداء بدر الشباب عمير بن عمرو بن نضلة • ويسمى ذا اليدين أو ذا الشمالين • وقد ناضل في حرب المشركين نضال المؤمنين الصادقين ، وأنزل بالمشركين أفدح الاصابات ، وظل يقاتل ويتلقى الضربات حتى خر صريعا هو ويزيد بن الحارث الذى آخى النبي بينه وبين عمير • وكان عمير في الثلاثين مستليء القوة والشباب •••

عاقل بن ابي البكير

ومن الشباب الشهداء في بدر عاقل ابن أبي البكير • وهو من المسلمين الاولين ••• وقد نهض بدور مأثور في نشر الاسلام والدفاع عن الرسول ودعوته ، ولقي الوانا من العنت والاذى ، ولكنه مع ذلك ازداد ايمانا وعزما على الدفاع عن الاسلام والعمل

لنشر دعوته . وقد قتل ببدر وهو فى الرابعة والثلاثين بعد أن سجل فى الحرب بطولات كانت مضرب الامثال .

من شهداء الشباب فى احد

وشهداء الشباب فى احد هم كثرة الشهداء . شأن الشباب فى جميع الحروب لجميع المواطن والازمان . ويذكر منهم عمرو بن معاذ الذى قتل وهو فى الحادية والثلاثين . كما يذكر الحارث بن أوس الذى قتل فى السابعة والعشرين .

مصعب الخير

ومن أشهر شهداء الشباب فى أحد مصعب بن عمير السمى مصعب الخير .. وهو فتى قريش شبابا وجمالا .. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه :

« ما رايت بمكة احدا احسن لمة ، ولا ارق حلة ، ولا انعم نعمة من مصعب بن عمير » ويذكرون ان امه كانت مليئة كثيرة المال ، تكسوه احسن ما يكون من الثياب وارقه ، ومع ذلك لم يزده النعيم الا قوة وايمانا وتصميما على القتال حتى النصر او الشهادة . بل انه آثر ان يلبس الثياب البالية الممزقة وان يقاسى شظف العيش فى سبيل الله على النعيم فى الشرك ...
وقيل : اقبل مصعب بن عمير ذات يوم ، والنبى جالس فى اصحابه ، عليه قطعة نمرة قد وصلها باهاب ، قد ردنه ثم وصله اليها . فلما رآه اصحاب النبى نكسوا رءوسهم رحمة له ، ليس عندهم ما يغيرون عنه . فسلم ، فرد عليه النبى ، وأحسن عليه الثناء . وقال : الحمد لله ليقلب الدنيا بأهلها : لقد رايت هذا (يعنى مصعبا) وما بمكة فتى من قريش انعم عند ابويه نعيما منه . ثم أخرجه من ذلك الرغبة فى الخير فى حب الله ورسوله .

ويعتبر مصعب أول دعاة الاسلام فى المدينة . وقد أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفقه الانصار ويقرئهم القرآن ، ويدعوهم الى الاسلام . فدخل كثير منهم فى دين الله افواجا ، بعد بيعة العقبة الاولى . ثم عاد الى مكة مع السبعين الذين وافوا رسول الله فى العقبة الثانية . وكان لواء رسول الله (صلعم) الاعظم لواء المهاجرين يوم بدر مع مصعب . وقد حمله يوم أحد ، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب ، فاقبل عليه ابن قميئة ، فضرب يده اليمنى ، فقطعها ، فاخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه ، فضرب يده اليسرى فقطعها ، فحنا على اللواء ، وضمه بعضديه الى صدره ، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فانفذ ، واندق الرمح ، ووقع مصعب ، وسقط اللواء فاخذه ابو الروم بن عمير (أخوه) ، من عمير ، فلم يزل فى يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون .

وروى أن النبى (صلعم) وقف على مصعب وهو منجعف على وجهه ، فقرأ هذه الآية :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » ثم قال : ان رسول الله يشهد انكم الشهداء

من
شهداء
الشباب
وأبطاله

عند الله يوم القيامة ، ثم اقبل على الناس فقال : أيها الناس زوروهم ، واتوهم ، وسلموا عليهم · فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم مسلم الى يوم القيامة الا ردوا عليه السلام ·

وروى عن خباب بن الأرت ، قال : هاجرنا مع رسول الله ، صلعم ، فى سبيل الله ، نبتغى وجه الله ، فوجب أجرنا على الله · فمنا من مضى ، ولم يأكل من أجره شيئا · ومنهم مصعب ابن عمير ، قتل يوم أحد ، فلم يوجد له شيء يكفن فيه الا نمرة · قال : فكنا اذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه ، واذا وضعناها على رجليه خرج رأسه ، فقال لنا رسول الله (صلعم) اجعلوها مما يلى رأسه ، وجعلوا على رجليه من الاذخر ·

قتل رحمه الله وهو فى نهاية الثلاثينات من عمره ، بعد أن أمضى شبابه فى الجهاد اعلاء لكلمة الله ···

الشباب فى غزوة مؤتة

ولعل اهم غزوة فى الإسلام ، من ناحية الدلالة على دور الشباب والقدامه واستهانته بالموت ، هى غزوة مؤتة التى وجهها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الى الشام ردا على أعمال الروم وتابعيهم العدوانية على المسلمين ·

لقد واجه فيها ثلاثة الاف اكثرهم من جنود الإسلام الشبان مائة الف فى رواية ، ومائتى الف فى رواية اخرى ، واجتمع فيها جموع الروم والاغريق ومن والاهما من قبائل العرب المشركين ضد هذه الالاف الثلاثة المؤمنة الشابة الصابرة ··

وولى رسول الله على الجيش زيد ابن حارثة وكان لايزال فى الاربعينات ، وفى عنفوان القوة والبأس · وقال الرسول : « ان أصيب زيد فجعفر ابن أبى طالب على الناس ، وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » ·· وكان جعفر فى الثالثة والثلاثين القمرية أو الثانية والثلاثين الميلادية فى عنفوان شبابه ، كما كان عبد الله لا تزيد سنه عنه الا قليلا ·

وهكذا تولى الشباب قيادة الجيش ، مثلما كان الجنود شبانا · ولم يكن فى مقدور الشيوخ ان يهاجموا مثل هذه الهجمة التى يقل فيها العدد ويتأى المدد على عكس قوة اعدائهم ···

وحين بلغ المسلمون الشام ، وواجهوا قوة اعدائهم الجرارة · حمل زيد بن حارثة راية النبى وحارب فى بسالة ، حتى مزقته رماح العدو وهو قوى مستبشر بالجنة ··· فتناول الراية من يده البطل الشاب الشجاع الوسيم جعفر بن أبى طالب ، وقاتل جعفر والراية فى يده ، حتى اذا أحاط العدو بفرسه نزل عنها وعقرها ، واقتحم بنفسه وسط القوم ، منطلقا انطلاقة السهم ، يهوى سيفه برءوسهم حيثما وقع ··· وكان اللواء بيمين جعفر فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه ، حتى ضربه رجل من الروم ضربة قطعته نصفين · ومن بعده تلقى الراية عبد الله بن رواحه ، وقاتل حتى استشهد · ومن بعده أصطلح الجند على تولية خالد بن الوليد ، فمارس فنون الحرب والمداورة حتى انجى جيش المسلمين من قبضة الروم والمشركين ، وفتحت غزوة مؤتة ببطولة الشباب الفلابة ابواب غزوة تبوك كما تلاها بعد موت النبى ، صلى الله عليه وسلم ، من فتح الشام ، ثم ارتفاع راية الاسلام على ربوع آسيا وافريقيا وأوربا ···

وبعد ، فهذه اشارات وجيزة الى بطولات الشباب الخارقة فى فجر الإسلام · وانها لجديرة بأن تزيدنا عزما ، وان تقوى ايماننا بالنصر فى معركة التحرير المرتقبة ، حيث نرفع اعلام النصر على الارض المحتلة ، وينحسر الغزاة الصهيونيون ، ويعود التاريخ سيرته الاولى ·

د. أحمد الشرباصي

الحركات التقدمية في تاريخ الإسلام

ان الاسلام دين يمثل التقدم والتجدد والتطور ، لانه راعى الظروف المتجددة التى يتعرض لها الانسان والمكان والزمان ، فاتى بقواعد كلية ومبادىء اساسية ، تصلح لكل الظروف ، ثم ترك الفروع والاجزاء والوسائل ، تكفيها عوامل التغير والتطور ، فى نطاق ما شرع الله الحكيم من اركان ودعائم .

لعل من ابل الشواهد على ان الاسلام يتسع لصالح التقدم وسليم التطور ونافع التجدد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

ولقد قال العلماء فى تفسير هذا الحديث ـ كما ذكرت فى كتابى : الغزالى والتصوف الاسلامى ـ ان معنى التجديد هو ان يبين المجدد السنة من البدعة ، ويؤيد أهل العلم والاتباع ،

ويذل أهل الضلال والابتداع ·

وقد يمكن أن نضيف الى هذا ما يوضحه ويجلوه ، وهو أن المجدد لدين الله يبعث في الامة المؤمنة بهذا الدين روحا جديدة ، تستيقظ بها من سباتها ، وتقوى من ضعفها ، وتعز بعد ذلها ، فتعاود سيرة سلفهـــا ، من التزام الصراط المستقيم ، والاحتكام الى دين الله عز وجل ، وجعله رائدا في الحياة يسدد خطاها ، ويحفظ عليها هداها ، ويحسن لها الجمع بين الدين الحق والحياة السعيدة ، ويهبها من سنائه وسناه ما يجعل أهلها يزدادون ايمانا بأن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان ، بما فيـــه من أصول عامة ، ومبادىء كلية ، وأحكام الهية ، تحدد الاهداف والمقاصد ، وترسم الخطط والمناهج ، وتضع الحـدود والضوابط ، ثم تتيح المجـــال ذا سعة لتطوير الحيـــاة والاحياء ، وتطوير الوسائل والاسباب ·

واذا كانت العقـائد والمبـــادىء والاخلاق ثابتة في نظر الدين ، لا تتغير ولا تتبدل ، فان أمور الدنيا في الاجتماع والحياة تتجدد وتتبــــدل ، وتتطور وتتقدم ، والاسلام دين قد جاء لاسعاد الانســــان ، فمن الطبيعي أن يهيىء للانسان ما يفتح عليـه كل حين من بركات ربه وخيرات كونه وأســـباب تطوره ما يجعله في تقدم وارتقاء ·

والقاعدة الاساسية في الاسلام انه دين العقل ، ولذلك قال أحد الاعراب وقد وعى الاسلام : « ما رأيت محمدا يقول في أمر : افعل ، والعقل يقول : لا تفعل ، وما رأيته يقول في أمر : لا تفعل ، والعقل يقول : افعل » · وهذا العقل هو الذي يزوده ربه تباعا بالعلم والمعرفة وسعة الادراك ، ولعل القرآن يشـــير الى ذلك حين يقول : « علم الانسان ما لم يعلم » · ويقول : « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليـك عظيما » ، ويقول : « وقل رب زدني علما » ، ففي هــــذه الآيات اشـــارات واضحات الى أن العلم ينمو ويزداد ، وكلما نما العلم وزاد اكسب صــحبه مرحلة من مراحل التقدم والتطور ·

ولا شك أن المسلمين في عهد رسول الله عليه الصــــلاة والسلام كانوا محكومين بأمرين لا يحتاجون معهما الى ارهاق النفوس في تطلب وسائل التجديد ، وهمـــــا القرآن والسنة ، فالدعوة الالهية مازالت آياتها تتنزل من لدن الحكيم الخبير ، فيها البيان والعلاج والهداية ، وكلما جدت حادثة أو عرضت مناسبة ، جاءت آيات من القرآن تحكم وتفصل ، والداعية الاول الموحى اليه المعصوم بتأييد ربه ـ وهو النبي ـ موجود بين المسلمين ، يفسر لهم ، ويطبق الدعوة أمامهم ، ويترجم لهم القرآن الى عبـادات ومعاملات ، وسلوك ، ويقول لمن حوله : « خذوا عني مناسككم » ·

ومع ذلك نلمح باكورة من بواكير الاجتهاد تشرق بشعاع مبشر بمـــا وراءه ، وتتمثل تلك الباكورة في موقف معاذ بن جبل رضي الله عنه ، حينمـــا اختاره النبي ليكون قاضيا في اليمن ، فقد سأله النبي فقال له :

بم تقضي يا معاذ ، ان عرض لك القضاء ؟ ·

فأجاب معاذ : أقضي بكتاب الله عز وجل ·

فسأله النبي : فان لم تجد ؟

أجاب : فبسنة رسول الله ·

فسأله النبي : فان لم تجد ؟

أجاب : أجتهد رأيي ولا آلو (أي لا أقصر في الاجتهاد) ·

فأعجــب الرسول برده ، وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ·

والاجتهاد هو أن يبذل المجتهد ـ الذي توافرت له شروط الاجتهاد ـ ما في وسعه لاستنباط الاحكام من أدلتها

الحركات التقدمية في تاريخ الإسلام

التفصيلية ، ولعل موقف معاذ كان أول موقف يتحمل فيه مسلم تبعـــة الاجتهاد ، وهو يتولى مهمة الحكم بين الناس والفصل في قضـــاياهم باسم الاسلام ، ولذلك لا يصعب علينا أن نعد هذا الموقف طليعة مواقف التقدم والتطور في الاسلام .

ولقد يبدو لنا هـــذا الموقف اليوم يسيرا محدودا ، والسبب في هـــذا التصور منا هو أننا ننظر اليه بعد أن مضى عليه أربعة عشر قرنا ، وبعد أن عرفنا في تاريخ الاسلام ما عرفنــا من مراحل التقدم والتجدد ، والتطور والاجتهاد ، ولكن لو عدنا الى الوراء كل هذا الزمن ، وشهدنا المجتمـــع الاسلامي الاول ، وهو يحتكم في كل أموره الى قرآن يتنزل آيات بعدآيات ، والى نبي مرسل حمله الله تبعة البيان لهذا القرآن ، لأدركنـــا أهمية الموقف الذي وقفه معاذ ، وارتضاه الرسول عليه الصلاة والسلام .

وقفة الحزم والعزم

وتمضي الايام ، ويتم نزول القرآن ، ويتردد في أسماع المسلمين قول ربهم : « اليـــوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » . وبعد قليل تقع الواقعة ، التي تزلزل الارض ، وتبلبل العقول ، فيلحق الرسول بربه ، ويقف جمهور المسلمين باكيا مدهوشا لا يدري ماذا يصنع بعد أن انقطع نزول الوحي من السماء ، ورحل الوحي اليه الى عالم البقاء .

وهنا يقف ابو بكر رضي الله عنــه وقفة حازمة صارمة مشهودة ، ليصدع أسماع القوم بهذه الصيحة : « من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شـــيئا ، وســـيجزي الله الشاكرين » .

انها وقفة لم تستغرق دقـــائق ، ولكنها بقيت معلما بارزا من معـــالم المسيرة الراشدة المتقدمة الى الامام ، حيث فرقت بين الدعوة الدائمة والداعية الذي يدركه الموت ، وذكرت بأن عبادة الخالق فوق تمجيد القائد ، وأن الامر كما قال الله لرسوله : « قل انمـــا انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبـــادة ربه احدا » .

وبعد قليل يخطو ابو بكر خطوة اخرى لها جلالها وأهميتها ، فهو يطبق نظام المشاورة في تنظيم شأن الحكم ، وفي اختيار الخليفة للرسول ، ويتألق نجمه في اجتماع « السقيفة » ، وحين يبايعه الناس واليا عليهم ، يقف بينهم ، ولاول مرة في تاريخ الاسلام يرسم حدودا وقيودا للحاكم ، ويبين العلاقة بين الامة وواليها ، ويضع الضوابط التي يلزم الوالي أن يحتكم اليهـــا ويتقيد بها ، فيقول في أول خطبة له بعد استخلافه :

« أيها الناس ، اني وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فان رأيتموني على

حق فأعينوني ، وان رأيتموني على باطل فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لي عليكم ، الا ان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم » .

ويخطو ابو بكر خطوات اخرى تقدمية ، فيجمع القرآن في مصحف ، وهذا امر لم يحدث في عهد الرسول ، ولم يفكر فيه المسلمون من قبل ، بل عارضه بعض المسلمين حين سمع به ، محتجا بأن هذا لم يحدث في عهد النبي ، ولكن ابا بكر رآه خيرا فأقدم عليه ، بعد أن أقنع الناس بفائدته ، ويطبق أبو بكر مبدأ ان الأنبياء لا ميراث لهم ، وأن ما تركوه صدقة، برغم ما لقي ابو بكر في ذلك من معارضة .

ومع هذه الخطوات لم يفرط ابو بكر في دينه ، ولذلك وقف موقف الحزم أمام تمرد المرتدين وقال قولته المشهورة : « والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه » .

خطوات أوسع وأكثر

ويمضي ابو بكر الى ربه ويقبل عمر الفاروق .

وتلوح خطوات عمر التقدمية اكثر عددا وأوسع اثرا ، فهو يجتهد ويقف مواقف تستلفت الانظار وتثير الافكار، فهو مثلا يمنع الزكاة عن المؤلفة قلوبهم ، مع أن ذكرهم قد جاء ضمن مستحقي الزكاة في آية من القرآن ، ويقول عمر قولته : « ان الله أعز الاسلام وأغنى عنكم ، فان تبتم والا بيننا وبينكم السيف » .

وهو بهذا لا يعطل نصا من نصوص القرآن كما قد يفهم بعض الغافلين ، ولكنه يرى أن العلة الداعية الى اعطائهم غير موجودة .

وهو لا ينفذ حد القطع فيمن سرق عام المجاعة ، لا على اساس انه يعطل حكما ، بل على اساس ان هناك شبهة السرقة للحاجة والجوع ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ادرءوا الحدود بالشبهات » . وهو يهدد صاحب العمل الذي سرقه بعض اجرائه ، لانه لم يعطهم اجرا موازيا لجهودهم ، ويقول عمر لهذا الظالم : لئن عدت الى ظلمك وجاءت تشكوهم لأقطعن يدك !.

وهو يؤمم الارض المفتوحة في سواد العراق وغيره ، حتى يحتفظ بمصدر رزق لبقية الامة ، ولمن يأتي منها في المستقبل بوجه خاص ، ولايزال يقيم الادلة على صواب ذلك حتى يقتنع برأيه معارضوه ويسلموا به .

وهو يرى أن نصارى تغلب يدفعون الجزية ، لانهم لم يدخلوا في الاسلام، ولكنهم يأنفون من كلمة « الجزية » ويعرضون على عمر أن يدفعوا ضعف ما يطلبه منهم ، على أن يسميها « زكاة » ، فيقبل ذلك دون تعقيد ، وهو لا تعنيه الاسماء ، ولكنه يعنيه فائدة المجتمع ومنفعة الناس ، فليسمها هؤلاء « زكاة » ، وليضاعفوها ، فانهم على الحالين يدفعون ما يكون مقابلا لحماية الدولة الاسلامية لامنهم والدفاع عنهم .

وهو ... وهو .... وهو . ان خطوات عمر في الاصلاح والفقه والتقدم بالمجتمع كثيرة وفيرة ، ولو عكف باحث على تحليل هذه الخطوات لرأينا كيف كان الفاروق مجتهدا واسع آفاق الاجتهاد ، دون تضييع لحق الله او حق الرسول .

رجل سابق لأوانه

ويطلع علينا الثائر الاسلامي ابو ذر الغفاري ، الصحابي المشهور ، الباحث عن الحقيقة ، المهتدي الى الله

الحركات التقدمية فى تاريخ الاسلام

فى سبق وتبكير ، المدافع عن الاسلام وحرماته بحماس وشجاعة ، وأول من حيا رسول الله بتحية السلام ، فقال له حين لقيه : « السلام عليك يارسول الله » ، والذى كلفه الرسول أن يبلغ الاسلام الى قومه : قبيلة غفار ، ودعا له بالنفع والاجر ، والذى جهر بالاسلام فى أول أمره ، فاعتدى عليه المشركون وأوسعوه ضربا وايذاء ، وعاد الى قومه يدعوهم الى الله ويبشر فيهم بالاسلام حتى استجابوا وهاجروا ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « غفار غفر الله لها » .

وكان أبو ذر رجلا سابقا لاوانه ـ كما نعبر فى عصرنا ـ فكان قبل أن يسلم يديم النظر فى ملكوت السموات والارض ، ويفكر فى الحياة والاحياء ، وفيما قبل الحياة وفيما بعدها ، ويحاول بكل ما استطاع أن يهتدى الى طريق الحق ، ولذلك كان يبحث ويتعلم ويتفلسف ، حتى اتسع رصيده فى هذا المجال ، وكانت له أفكار بينه وبين نفسه لا يريد أن يعرضها على الناس ، لانهم لايطيقونها أو لايدركونها ، ولذلك قال عنه الامام على رضى الله عنه : « وعى أبو ذر علما عجز الناس عنه ، ثم أوكا عليه فلم يخرج شيئا منه » .

وكان صادقا صريحا ، مناضلا زاهدا ، قوالا للحق ، مناصرا للعدل ، مقاوما للباطل ، لا تأخذه فى الله لومة لائم . وعاش فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يرى العدل والقصد وحياة الكفاف ، ثم عاش فى خلافة أبى بكر يرى قريبا من ذلك ، ثم عاش فى خلافة عمر يرى الخير الكثير الغزير يتوالى على الدولة بسبب الفتوح . ولكن عمر لا يترك طريقا لانحراف أو اعتساف ، بل هو ساهر دائب يقيم الناس على سواء الطريق .

ثم عاش أبو ذر فى خلافة عثمان ، فرأى ذلك التحول الاقتصادى الذى طرأ على الدولة ، فقد ظهر الثراء والغنى ، وأعطى الخليفة لاقاربه وغيرهم كثيرا من القطائع ، ومدت الدراهم خراطيمها ، وتجلت مظاهر البذخ والتوسع ، وارتفعت دور وقصور ، وقد تكون مصادر هذا كله حلالا أو غير حرام ، ولكن ذلك لايمنع القول بأن تغيرا اقتصاديا واضحا قد ظهر فى هذا المجتمع الاسلامى .

وارتاع لذلك أبو ذر المسلم الفقير الزاهد ، المناضل المجاهد ، فأخذ يدعو بدعوته الجريئة الصارمة ، وهى أن يكون مال المسلمين لخدمة المسلمين ، لا يستأثر به حاكم ولا غنى وجعل يردد قول الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » . وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة » .

وكان يقرر أن كل فرد له فى مال المجتمع حقوق تماثل حقوق الآخرين ،

وأن واجب المسلم في ماله لا يقتصر على الزكاة ، وأنه لا يجوز للمالك أن يدخر شيئاً من ماله ، ولا أن يحتفظ بأكثر من قوت يومه وليلته ، وأن الحاكم لا يحق له أن يطلق يده في أموال المسلمين يتصرف فيها برأيه وهواه .

وأخذ أبو ذر يعرض فكرته ، وينشر دعوته ، ويتوسع فيها ما شاء له زهده وغيرته ، وألمه للفقراء وضيقه بتوسع الأغنياء ، وبلغ الخليفة عثمان ما يقوله أبو ذر ، فأحضره وناقشه ، وكان مما قاله له : أرأيتم من زكى ماله ، هل فيه حق لغيره ؟

فتلا أبو ذر قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة

وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

فقال له عثمان : أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين ، فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ، ونعطيكموه ؟ . فأجابه أبو ذر بأن ذلك

لا يحل له ، واشتد النقاش ، وأصر أبو ذر على موقفه وصراحته ، فقال له الخليفة : ما أكثر أذاك لي ، غيب وجهك عني ، فقد آذيتنا . فخرج أبو ذر الى الشام .

وفي الشام رأى أبو ذر ما زاد قلقه ، وضاعف غضبه ، فاعترض على معاوية الوالي ، متهما له بأنه يتصرف في « مال الله والمسلمين » برأيه وحريته

وهواه ، وجعل يقول له : يا معاوية ، لقد أغنيت الغني ، وأفقرت الفقير وطالبه بأن يتقي الله في أمانة المال لديه .

وأخذ أبو ذر يهاجم الأغنياء ، ويطالبهم بترك الكنز والاحتكار ، وجعل يردد : « يا معشر الأغنياء ، واسوا الفقراء » ثم يقول : « بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار ، تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » . وتوسع في ذلك توسعاً ظاهراً .

واستطاع أبو ذر أن يثير فريقاً من الفقراء ضد الأغنياء .

واقبل معاوية الوالي على أبي ذر يقول له : خير لك أن تنتهي عما أنت فيه ، فيجيبه : والله لا أنتهي حتى توزع المال على الناس كافة ، وغضب معاوية ، وأعاد أبا ذر الى المدينة حيث يوجد الخليفة ، وحاول الخليفة مرة أخرى أن يسترضي أبا ذر ، وأن يصرفه عن اتجاهه ، ولكن أبا ذر أصر وواصل ، فغضب الخليفة وأمره بالخروج الى قرية « الربذة » للاقامة فيها بعيداً عن الناس .

وخرج الامام علي ليودع أبا ذر ، ويقول له : « يا أبا ذر ، أنك غضبت لله ، فارج من غضبت له ، ان القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فاترك في ايديهم ما خافوك عليه، واهرب بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم الى ما منعتهم ، وما أغناك عما منعوك ، وستعلم من الرابح غداً ، والأكثر حسداً ، ولو أن السموات والأرض كانتا على عبد رتقا ، ثم اتقى الله ، لجعل الله له منهما مخرجاً ، لا يؤنسك الا الحق ، ولا يوحشك الا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ، ولو قرضت منها لأمنوك » .

وهناك في « الربذة » قضى أبو ذر سنتين ختم بهما حياته سنة ٣٢ هـ ، وتذكر الناس قول الرسول فيه : « يرحم الله أبا ذر ، يعيش وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » ! ...

عظمة أهل اليقين

ثم اقبل أبو الشهداء الحسين بن علي رضوان الله عليهما ، ليخطو تلك الخطوة التقدمية الثائرة المزكاةبالعرق والدم والروح ، يقول العقاد في كتابه عن الحسين : « وجملة ما يقال : ان خروج الحسين من الحجاز الى العراق، كان حركة قوية لها بواعثها النفسية التي تنهض بمثله ، ولا يسهل عليه ان يكبتها ، أو يحيد بها عن مجراها . وأنها قد وصلت الى نتائجها الفعالة من حيث هي قضية عامة تتجاوزالافراد



الى الاعقاب والاجيال ، سواء اكانت هذه القضية نصرة لآل الحسين ، ام حربا لبني امية .

« انما يبدو الخطأ في هذه الحركة حين تنظر اليها من زاوية واحدة ضيقة المجال قريبة المرمى ، وهي زاوية العمل الفردي الذي يراض بأساليب المعيشة اليومية ، ويدور على النفع العاجل للقائمين به ، والداعين اليه. فحركة الحسين لم تكن مسددة الاسباب لمنفعة الحسين بكل ثمن ، وحيثما كانت الوسيلة .

وعلة ذلك ظاهرة قريبة ، وهي ان الحسين رضي الله عنه طلب الخلافة بشروطها التي يرضاها ، ولم يطلبها غنيمة يحرص عليها مهما تكلفه من ثمن ، ومهما تتطلب من وسيلة » .

ولقد قال الباحث الالماني «ماربين» في كتابه « السياسة الاسلامية » هذه العبارة : « ان حركة الحسين في خروجه على يزيد انما كانت عزمة قلب كبير ، عز عليه الاذعان ، وعز عليه النصر العاجل ، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته ، ويحيي به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة » .

ويقدم العقاد لحديثه عن الحسين فيقول هذه الكلمات : « لا تتحقق مصلحة الانسانية الا اذا عمل لها كل فرد من افرادها ، وهانت الشهادة من اجلها على خدامها ، وتقدم الصفوف من يقدم على الاستشهاد ، ومن ورائه من يؤمن بالشهادة والشهداء .

« لا عظة ولا نصيحة ، ولكنها حقيقة تقرر كما تقرر الحقائق الرياضية ، فلا بقاء للانسانية بغير العمل لها ، ولا عمل لها ان لم ينس الفرد مصلحته ، بل حياته في سبيلها.

« لا بقاء للانسانية بغير الاستشهاد، وفي هذه الآونة التي تتردد فيها هذه الحقيقة « في كل زاوية من زوايا الارض. نلتفت نحن ابناء العربية الى شهيدها الاكبر ، فنحني الرءوس اجلالا لأبي الشهداء » !

والحق كما جاء في المجموعة الثانية من كتاب « بطولات اسلامية وعربية » ، أن الحسين كان « خير من وقف في وجه الباطل الباغي المتجبر ، مستهزئا به ، ثائرا عليه ، متمردا في وجهه ، مرغما لاهليه على الاقرار بعظمة أهل اليقين والايمان ، وأفضل من تحدرت دماؤه الزكية فوق أرض كانت تئن وتتوجع من ضلال سائد ، وظلم فاحش ، وحق مضيع ، لا يسمع له صوت ، ولا يستجاب له نداء » .

الامام المجدد الاول

ومضت عشرات من السنين ، ثم اقبل الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه ، وهو الذى ترجع الى وصفه فى الجزء الاول من كتاب خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز، فاذا هو الامام المجدد الاول فى الاسلام ، والمعتصم بالكتاب والسنة ، والقوال بالحق ، والناطق بالصدق والمراجع للجائرين والجبارين والطواغيت ، والمنكر على الخلفاء ما أساءوا ، وصاحب الكلمة البليغة ،

الحركات التقدمية فى تاريخ الإسلام

والعظة الموجعة ، والجواب الرشيد ، والبيان الناصع .

وإذا هو الحاكم الثائر العادل ، فى دنيا شاع فيها الجور والباطل ، والذى اخذ الحقوق من الاغنياء ، وردها على الفقراء ، فالتقى الجميع على شرعة سواء ، واشتغل القادر ، وعف الواجد ، واعطى صاحب الفضل ، واستغنى الضعفاء عن السؤال .

ولذلك يروى عن الامام العظيم احمد ابن حنبل أنه قال : « يروى فى الحديث ان الله يبعث على راس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة دينها ، فنظرنا فى المائة الاولى فاذا هو عمر بن عبد العزيز » .

ولقد خطا عمر بن عبد العزيز خطوات تقدمية اصلاحية جريئة ، فقد كانت هناك وصية من الخليفة السابق له سليمان بن عبد الملك بان يكون عمر خليفة من بعده ، وبايع الناس على هذا الترشيح ، ولكن عمر تنازل عن هذه البيعة ، وأعفى الناس من تبعتها ، فعادوا الى مبايعته من جديد ، وبذلك أوجد عمر نظاما جديدا فى تصحيح أمر البيعة التى يعطيها الشعب للخليفة .

وقدموا اليه عقب استخلافه مراكب الخلافة الخاصة ، وفيها الخيول المسرجة المطهمة ، ومعها الفرسان المدربون ، فرفض عمر ذلك وقال :

قدموا لى بغلتى . وأحضروا اليه صاحب الشرطة للحراسة ، فقال له : تنح عنى ، مالى ومالك ؟ انما انا رجل من المسلمين .

ورأى السرادقات والحجرات والستور والثياب والفرش المخصصة للخليفة ، فأبى ذلك كله وقال لتابعه: ضم هذا الى بيت مال المسلمين . وقدموا اليه الطيب الفاخر والعطور المخصصة للخليفة ، فقال لتابعه : ضم هذا الى بيت مال المسلمين .

وقال للناس فيما قال : « الا انه ليس لاحد ان يطاع فى معصية الله عز وجل ، الا انى لست بخيركم ، ولكنى رجل منكم ، غير ان الله جعلنى اثقلكم حملا » .

واخذ يرد المظالم ، وأمر مناديه ان ينادى فى الناس : من كانت له مظلمة فليرفعها ، وجاء الناس بمظالمهم وجعل الخليفة الثائر على الظلم والجور ، يصحح الاوضاع ، فلا يدع شيئا مما كان فى ايدى أخذيه بغير حق الا رده ، وبدأ بأهله وقومه ، وأمر زوجته بنت الخلفاء ان ترد الى بيت المال كل ما اخذته عن طريق اهلها ، حتى ماتتحلى به من جواهر .

وانتزع كل القطائع التى اخذها اهل قرابته ، وردها الى بيت مال المسلمين، ومنعهم كل الامتيازات التى اعطاها لهم الخلفاء قبله ، فهاجوا وماجوا ، ولكنه لم يابه لهم ، فاستعانوا عليه بالوسطاء والشفعاء فلم يفلحوا ، توسطوا لديه ببعض أولاده ، وبعمته، وبغيرها ، ولكن ذلك كله لم يرد خامس الراشدين عما اراد ... لابد من تطهير المجتمع من المظالم والمآثم ، وكذلك كان .

وسيدهم من الحسنات

وهناك من الحركات التقدمية فى

الحركات التقدمية فى تاريخ الاسلام

تاريخ الاسلام حركة « المعتزلة » . وقد يبدو فى أول الامر ان فرقة « المعتزلة » قد اقتصر نشاطها على التفكير الدينى ، وبخاصة ما تسميه « علم التوحيد » ، ولكن الواقع ان هذه الطائفة قد أمتد نشاطها واتسع ، فصارت له شعب تتصل بالدين وبالمجتمع وبالفلسفة وبالسياسة ايضا .

نشأت حركة المعتزلة فى العصر الاموى ، واتسع نشاطها فى العصر العباسى ، ويقال ان بدايتها كانت من طائفة من اصحاب الامام على ، انصرفوا الى البحث فى العقائد ، واعتزلوا السياسة ، ومنهم واصل بن عطاء الذى كان أبرزهم فى الدعوة الى مذهبهم ، ومن المعتزلة ايضا الحسن البصرى .

واتجهت هذه الجماعة الى الاخذ بمنطق الفلاسفة فى بحث الموضوعات، وكانوا يسمون انفسهم اهل التوحيد والعدل ، ويصورون العدل بان الله تعالى لا يحب الفساد ، ولا يخلق افعال العباد ، بل يفعلون ما امروا به او نهوا عنه بالقدرة التى جعلها الله لهم وركبها فيهم ، وان الله لا يأمر الا بما اراد ، ولم ينه الا عما كره ، وانه ولى كل حسنة أمر بها ، وبرىء من كل سيئة نهى عنها ، لانه يقول فى كتابه: « ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن نفسك » . وان الله لم يكلف النّاس ما لا يطيقون ، الخ

ونادى المعتزلة بعد تقريرهم هذه الحرية الانسانية فى التصرف والسلوك، بان كل مسلم يجب عليه ان يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وقاموا بالدفاع عن حقائق الاسلام امام طوفان الالحاد والزندقة الذى اخذ يظهر فى بعض جوانب المجتمع الاسلامى ، وكانوا يعتمدون على العقل ، ويثقون بتفكيره ، فهم يعرضون كل مسألة على العقل ، فما قبله العقل اقروه ، وما اباه رفضوه ، وكانوا يقولون : « المعارف كلها معقولة بالعقل ، واجبة بنظر العقل » .

وقد استمد المعتزلة بعض افكارهم من الفلسفة اليونانية ، لانهم وجدوا فيها ما يرضى نهمهم العقلى وطموحهم الفكرى ، ولانهم انتفعوا بطرق الفلسفة فى الرد على الذين هاجموا تعاليم الاسلام ومبادئه ، وكان المعتزلة اقوياء فى هذا الدفاع ، لانهم تدثروا بفقه المنقول وادراك المعقول ، وهكذا اخذوا يقرعون الحجة بالحجة ،

ويواجهون الدليل بالدليل .

ولقد أيد الخليفة العباسي «المأمون» حركة المعتزلة ، ومن هنا أخذ خطريقها الى مجال السياسة ، وعد المأمون نفسه معتزليا ، وأسرف حينا في تأييد الاعتزال مستغلا سلطته ، واكتسب المعتزلة عداوة طائفتين الاولى منهما هي طائفة الزنادقة ، والاخرى هي طائفة الفقهاء والمحدثين الذين كانوا ينظرون الى المعتزلة كأنهم قد أحدثوا في الاسلام خرقا أو ثلما ، لانهم لم يقتصروا في استقاء الاحكام على القرآن والسنة ، بل احتكموا الى العقل ، وجعلوه أساس بحثهم ، والعقل يخطيء ويصيب ، وفي العقل طموح قد يؤدي به الى جموح .

وكذلك كره الفقهاء والمحدثون « المعتزلة » لانهم تأثروا بمذاهب الفلاسفة والزنادقة من وراء اشتغالهم بالرد على هؤلاء ، وهذا الرد يقتضي النظر في آرائهم وأساليبهم ، وهذا يؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر ، ولان المعتزلة كانوا يلجأون الى تأويل النص حتى يتفق مع رأيهم ، وهذا ناشيء عن توسعهم في الثقة بالعقل ، حتى شذ بعضهم فردوا أمورا لاتوافق الشرع ، ولان المعتزلة كانوا يحملون على مخالفيهم من رجال الفقه والحديث حملة شديدة ، فيصفونهم بأنهم عوام مقلدون ... الخ .

وزاد موقف المعتزلة حرجا أنهم استعانوا ببعض رجال السياسة في العصر العباسي فساعدتهم الدولة بقوتها ضد أعدائهم ، وقد وقع صراع عنيف بين المعتزلة ومخالفيهم من الفقهاء ورجال الحديث ، واتخذ هذا الصراع صورة الاعتساف أو المهاترة احيانا ، ولكن مهما افترى بعض الناس على المعتزلة من أباطيل أو أقاويل ، فقد كان في المعتزلة أعلام ضربوا أروع الامثال في الدفاع عن الاسلام ومقاومة الزندقة والالحاد ، والتنزه عن الحرص أو التعرض لجاه الدنيا ، ومع هذا لم يسلم المعتزلة من نوازع اعتسفوا فيها أو شذوا ، فلهم نصيبهم من السيئات ، كما أن لهم رصيدهم من الحسنات ، ومن ذا الذي ما ساء قط ؟.

واذا كان المعتزلة قد عبوا قدر ما استطاعوا من العلوم الفلسفية ، فينبغي لنا أن نتذكر أن هذه العلوم عرفت طريقها الى المجتمع الاسلامي بوسيلة الترجمة من اليونانية والفارسية والرومية والهندية ، وهذه الترجمة قد بدأت من عهد المنصور الذي تولى الخلافة سنة ١٣٧ هـ وازدهرت في عهد المأمون ، وينبغي أن نعد هذه الترجمة من أوسع الحركات التقدمية في تاريخ الاسلام .

مجدد القرن الخامس

وممن قاموا بحركة تقدمية في تاريخ الاسلام « الفارابي » المولود سنة ٢٦٠ هـ والمتوفى سنة ٣٣٩ هـ وهو يعد أول فلاسفة الاسلام ، ويسمى « المعلم الثاني » ، وأرسطو كان المعلم الاول ، وقد استوعب الفارابي علوم الفلسفة اليونانية ، وهضمها وهذبها ، ثم وسع أسس الفلسفة الاسلامية .

وقد خطا الفارابي خطوة تقدمية حين ألف كتابه « المدينة الفاضلة » الذي حاول به اصلاح نظام الحكم بين المسلمين ، وقد تأثر فيه بكتاب « الجمهورية » لافلاطون ، ولكنه كان صاحب رأي مستقل متميز ، ويقال ان الفارابي قد وضع كتابا سماه « التعليم الثاني » ، ولم ينشره على الناس ، وعثر عليه ابن سينا فلخص منه كتابه « الشفاء » .

ثم يأتي حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي صاحب كتاب « المنقذ من الضلال » وكتاب « أحياء علوم الدين » ، ويكاد العلماء يجمعون على

ان الغزالي هو مجدد القرن الخامس الهجري ، ولذلك يقول السيوطي في منظومته عن المجددين :

والخامس الحبر هو الغزالي
وعده ما فيه من جـــدال

ولقد رجا الذين عرفوا الغزالي في حياته ان يكون مجدد القرن الخامس، والغزالي نفسه ـ كما ذكرت في كتاب « الغزالي والتصوف الاسلامي » ـ كان يأمل ان يكون احد المجددين في الدين ، ولذلك نجده عندما يتحدث عن الاسباب التي دعته الى التدريس بعد انقطاعه عنه يذكر ضمن هذه الاسباب قوله :

« وانضاف الى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرها الله سبحانه وتعالى على رأس هذه المائة، وقد وعد الله سبحانه باحياء دينه على رأس كل مائةسنة ، فاستحكم الرجاء، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات، ويسر الله الحركة الى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين واربعمائة » .

ولا جدال في ان الغزالي قد اثر في الحياة العقلية والحياة الروحية في الاسلام ، فأحيا دراسة الدين وجدد علومه ، وعاد بالاسلام الى اصوله الاولى ، وجمع بين روحانية المادية ومادية الروح .

وهناك كثير من المستشرقين يشبهون الغزالي في تجديده الديني بمن يعدونه اكبر مجدد في الدين المسيحي خلال القرون الوسطى ، وهو القديس « اوغسطين » الذي ولد بقرب « قرطاجنة » سنة ٣٥٤ م . وحينما بلغ الثلاثين اتجه الى روما واعتنق المسيحية ، وقام بالتدريس سنتين في « ميلان » ، ونشر بحوثا عن نظام « الاعتراف » في المسيحية .

ومنهم من يشبه الغزالي المجدد بالثائر الديني « مارتن لوثر » الالماني الذي تزهد ، والتحق بالطائفة الاوغسطينية ، وطال تشككه ، ثم ارتاح قلبه ، وبدأ جهاده الديني التاريخي ، وانتقد المؤسسة البابوية ، ونشر بحوثه الدينية الخطيرة .

وسواء اصبح التشبيه هنا من كل الوجوه او بعضها ، أم لم يصبح في شيء منها ، فلن يعيب الغزالي ان يرد اسمه في مجال التشبيه بهؤلاء ، مع اختلاف الاعتقاد ، ولن يضيره شيئا اذا لم يستقم التشبيه ، فقد استطاع

الحركات التقدمية في تاريخ الاسلام

الغزالي ان يفرض اسمه على تاريخ الاصلاح الديني في المجتمع الاسلامي بلا جدال .

وحسب الغزالي انه الذي اتخذ الشك العميق الموغل سبيلا الى الايمان واليقين .

علماء واعلام

ثم ظهر هنا وهناك اعلام كثيرون قاموا بحركات تقدمية في تاريخ الاسلام ، ويصعب علينا ان نحصيهم ، فيكفينا ان نشير الى بعضهم ، فمنهم ابو محمد علي بن احمد بن حزم الاندلسي المولود سنة ٣٨٤ . والذي

تثقف ثقافة ، ودرس علوم الدين والفلسفة والأدب والتاريخ . وكان حاد الذهن مفرط الذكاء ، ولم يتقيد بالمذاهب الفقهية الاربعة المشهورة ، بل أخذ يستنبط الاحكام من القرآن والسنة، وكان ذلك اساسا لمذهب الظاهرية الذى يمثله كتاب « المحلى » لابن حزم .

وقد هاجم ابن حزم من خالفهم من الفقهاء ، وحمل على آرائهم بأسلوب عنيف حاد ، كما هاجم التصوف وسلبيته . ولذلك أوذى وتشرد فى البلاد طويلا .

ومنهم الامام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم الشهير بابن تيمية المولود سنة ٦٦١ هـ . وقد درس مذاهب الفقه الاسلامى ، كما برع فى علوم النحو واللغة ، وحينما اشتد ساعده بدأ جهاده فى ميدان الاصلاح ، فجاهد المتصوفة جهادا عنيفا ، وتعرض للنفى والحبس بسبب آرائه ودعوته . وكان ينادى بفتح باب الاجتهاد فى الفقه ، وناضل كثيرا لبث روح الجهاد فى نفوس المسلمين لتحرير الارض وطرد الغاصبين . وقد جاء فى كتاب « فدائيون فى تاريخ الاسلام » هذه العبارة عن ابن تيمية :

« وكما كان ابن تيمية مجاهدا فى ميدان السلاح والعتاد ، كان مجاهداً فى ميدان الفقه والعقيدة ، فقد كان يقاوم البدع والخرافات والمنكرات ، ويحاربها حربا عنيفة لا هوادة فيها ، وكان يجاهد لاحياء السنة المطهرة ، والعودة الى الاخذ من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولقى فى سبيل ذلك ما لقى من العنت والشدة والاضطهاد والافتراء .

ولقد نخالف ابن تيمية فى بعض آرائه ، ولقد نأخذ عليه لونا من الحدة أو العنف فى نقاشه وهو يدافع عما يراه ويؤمن به ، ولكن هذا لا ينفى روعته فى جهاده من أجل اعتقاده .

ولقد اشتدت الخصومات بينه وبين طائفة من رجال الدين الذين استعانوا برجال الحكم فى عصره ، فحبسوه أكثر من مرة .

وكانت سنة ٧٠٥ هـ هى سنة المحنة بالنسبة الى ابن تيمية ، لان اعداءه كادوا له عند الحكام واستغلوا حدته من ناحية ، وبعض آرائه الدينية من ناحية أخرى ، حتى توصلوا الى حبسه ، وظل فى السجن عاما وبضعة أشهر ، وحاولوا اخراجه فى مقابل أن يتخلى عن بعض آرائه فأبى .

وكان يقول : « ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى ، أين رحت فجنتى معى لا تفارقنى : ان حبسى خلوة ، واخراجى من بلدى سياحة ، وقتلى شهادة » !

وجاء بعد ابن تيمية ابن القيم الذى كان تلميذا لابن تيمية ومحبا له ومقلدا، وقد ذاق السجن معه ، ثم جاء الشوكانى اليمنى صاحب « نيل الاوطار » والمولود سنة ١١٧٢ هـ والمتوفى سنة ١٢٥٠ هـ ، وعلى الرغم من أنه تفقه على مذهب الامام زيد ، فانه جنح الى مدرسة ابن تيمية ،وترك التقليد ، ودخل باب الاجتهاد ، وخطا خطوة تقدمية حينما تحرر من مذهبه الذى نشأ عليه ، وانطلق حرا مجتهدا

وأخيرا جاءت مدرسة جمال الدين الافغانى ، ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبى وأضرابهم ، وهى مدرسة تمثل حركة تقدمية واسعة النطاق فى تاريخ الاسلام ، وقد تعددت مظاهر الحركة التقدمية فى هذه المدرسة ، كما طال عنها الحديث من باحثين كثيرين فى الشرق والغرب ، فلا علينا اذا لم نطل عنها الحديث فى هذا المجال . . .

الشباب الغاضب والهوة بين حضارتى الشرق

كان العرب فى القرن ١٩ قبل دخول الحضارة الغربية يعيشون حياة محدودة ساذجة . ولما انهمرت على العربى مسارب هذه الحضارة شعر بثقل الوطأة على كاهله ، ولم يقدر على هضمها والانتفاع بها فى سهولة ويسر ، ولم يستطع حتى هذا اليوم الانتفاع الكامل بتيارها العارم .

وقد غيرت هذه الحضارة المثل القيمة واستبدلت حياتنا بمثل تلائم متطلبات الحياة الجديدة وحاجات المجتمع الحديث . فالامور المستهجنة بالامس اصبحت امرا مباحا ومألوفا، وما كان مباحا اصبح لا يلائم الحضارة ولا يساير التطور

حياة الشباب العربى المعاصر هى حياة الانسان الممزق ، المشحون بالمتناقضات الاجتماعية والسياسية والفكرية . فقد ولد وقلبه يطفح بالامل وهو يدرس تاريخ امته الزاخر بالبطولات وتفتح ذهنه فرأى هذا التمزق الكبير بين أبناء الوطن الواحد ، فأراد الوطن الوحدة والعيش الرافه . وصدمته نتائج الحروب مع العدو فثار وجدانه ولم يجد لثورته مجالا فكانت عوامل الحيرة والقلق والضياع تعصف فى وجدانه .

وقد حدث اليوم مثل ما حدث بالامس ، وعندما اتصل العربي بالحضارة الغربية مباشرة هزت الشباب وزعزعت ثقتهم بانفسهم وبحضارتهم ، لان الاكثرية لم تكن عندها قاعدة فكرية قوية تحميهم من بهرجة الحضارة المعاصرة ، ولان مشكلاتها وضياع شبابها انعكس في ابنائنا ، فقد غيرت السلوك الاجتماعي الذي ورثه وتعلمه من اسرته واختلت انظمة الحياة التي شب عليها ·

وقد برم الشباب بحضارة الغرب ، لانها لم تعط العرب حقهم في الحياة ، وجاءت ومعها مشكلاتهم ومزقتكياناتهم السياسي ، وقارن الشباب واقعه بواقع حياة عدوه فوجد نفسه مكبلا بالف قيد فولدت في نفسه عقد نفسية

والغرب

د. يوسف عز الدين

كانت قاعدة غضبة وحيرته ، وبات وجدانه تطاحنا فكريا ورفضا لكل شيء ، فارتضى لنفسه الاقتداء بالغاضبين والثائرين والناقمين على مجتمعاتهم ، فاستأثر «جون اوزبورن» وجماعته باعجاب العربي ، وآمن بأن الحضارة الغربية لم تأت الا لسحق البشر بعد أن عبد المادة وغاص في لجتها ، واعجب بـ : « جان جينيه » مع أنه لص وشاذ في كل حياته منذ ولادته لانه مثل ثورته وغضبه ·

واعجاب الشاب العربي بالغضب الغربي يختلف كل الاختلاف عن غضب وحيرة شبابه ، ولكن الصلة الوثقى هي : تحدي المجتمع ، والثورة على كل القيم والعادات التي ورثها ·

ثار على حياة الزراعة الساذجة التي سيطرت على المجتمع العربي وهاجم هدوءالحياة ودعتها وبساطتها، ولم يرض عن اساطيرها وتقاليدها ·

والشبابنبع ثري وقابليةمعطاءة ، فاراد ان يضع ثورته وسخطه على الورق ، اراد أن يعبر عن هذا الخضم الزاخر في حياته فثار وكتب ، فكانت كتاباته كلها حيرة ، وسادها القلق وادى الامر الى الغموض ·

***

وشباب هذا العصر ضحية الحياة المعاصرة التي ادت به الى هذا الاضطراب الروحي والحيرة الفكرية وقلق الوجدان ·

ودوافع الحيرة كثيرة منها :

١ ـ الانتقال الحضاري الجديدالذي انتقل اليه العرب ، والعراق بخاصة، فقد ادى هذا الانتقال السريع الى أن يكون العرب فريسة سهلة لكلالتيارات الفكرية · فقد بدأ في تغيير طراز الملابس والطعام والشراب وهندسة البناء ، وانتهى الى اعتناق الفكر الجديد الذي كان سببا في البلبلة والفراغ العميق · لان الجيل لم يقدر أن يهضم التيارات الفكرية الجديدة ويرفض تياراته العربية والاسلامية ، ولما لم يجد ما يملأ فراغ وقته وروحه،

الشباب الغاضب

عاش في الضياع ، فهو لم يرتض الحضارة الغربية وان عاش في خضمها ، ورفض حياة امته وهي قاعدته الذهنية • فكان من مظاهر حياته القلق والضياع •

فقد وصلتنا – الى العراق – حضارة الغرب وفلسفته عن طريق الترجمة التي كانت تقدمها لنا في اوائل القرن ، القاهرة في « المقتطف » و « الهلال » وكانت فيها آراء «داروين» و«بكارت» و «اينشتاين» و«ميكافيللي» و «روسو » ، فاضحت مثل الجيل الذي ألاق بعضه ، وحاربها الجيل الذي قبلنا ، وشنت حروب على هذه الآراء ، واعتبر الجيل الماضي الجريدة شيئا نجسا ، ومن يقرأ الجريدة او المجلة فهو ملحد •

وقد مرت قبلنا مصر بما مرت به العراق فعندما سار الترام في القاهرة سنة ١٨٩٦ اعتبر الترام دليلا على الانحلال العائلي ، لان الناس خرجوا من بيوتهم وذهبوا للنزهة على شواطيء النيل وخطب بعض العلماء في المساجد طالبين من الباري عز وجل أن يدفع هذا البلاء عن مصر العزيزة •

***

وبعد الحرب الثانية غزى العراق بصنوف شتى من الكتب والآراء ، واتسعت حركة الترجمة فوجد الشباب الآراء الجديدة من وجودية وفوضوية، واشتراكية بالمفهوم الاوربي وما تحمل في طياتها للدين والقومية من نظرات جديدة •

ان مفهوم الاوربي للدين يختلف اختلافا كبيرا عن مفاهيمنا • ثم ان الدين في الشرق ادى من الاعمال الجليلة ما لم يؤدها في الغرب ، ولم يكن رجال الدين في الشرق على ما كان عليه رجال الدين في الغرب من طبقية وارستقراطية ، لهذا ثار رجال الدين في الغرب على الدين نفسه وحدثت ثورات اصلاحية كثيرة ، وظهر « كالفن » و « لوثر » ، في محاولة لاصلاح الدين الذي تودى به في الشرق فيما بعد ، واختلف كل الاختلاف عن اساليبه الغربية •

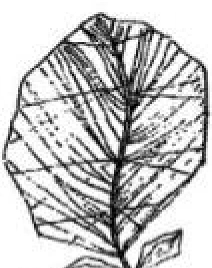
الاختلاف بين النظرتين كان جوهريا ، لان الدين الاسلامي ينظم حياة الناس ويربط المرء باخيه ، وينظم حياته الاجتماعية والاقتصادية • هذا الاختلاف جر الى الشك بالقديم ، واصبحت النظرة الجديدة بان الاصلاح يجب ان يتم بالوسائل المادية ، فانتشرت بيننا الآراء الغربية عساها تجد راحة في وجدان الشاب العربي، كالسريالية والوجودية والمعقول واللامعقول ، وسمعنا « بسارتر » و « بيكيت » و « اراجون » و « سيمون دي بوفوار » و « كولن ولسن » ، وارتمى المستجدون على آرائهم الغربية عساهم يجدون السلوى والعزاء عن ضياعهم عند الغربيين في حضارتهم وادبهم وشعرهم •

السبب الثاني هو اختلاف وجهات النظر الى المؤسسات العامة القديمة ، كالاسرة والدولة والمدرسة ، فقد اصبحت المثل التي تعيش عليها هذه المؤسسات لا تلائم العصر الحديث •

وقد تغير كثير من المفاهيم التي كانت تتعلق بها ، فقد كانت الاسرة احدى وسائل حياة الزراعة والفلاحة لصيانة نفر محدود من البشر خوف الحاجة والأذى وهي النواة الاولى للمجتمع الانساني الذي توسع الى قبيلة ثم

قرية ومدينة ، وكان نظامها وتقاليدها ووازعها الاجتماعي هو الذي يحمي أبناء الاسرة ·

ولكل نظام قواعد تحميه وتصونه من عاديات الزمن وغارات المعتدين ، لذلك كانت الاسرة مجتمعاتعاونيا ينمو الاطفال في ظله علىعاداتها وتقاليدها وتصبح مثلها وازعا داخليا يرد الوازع الخارجي والاغراء النفسي ، بينما حضارة الغرب تسيطر بالوازع القانوني الذي يذهب اذا ما ذهبت السلطة وتنتشر الفوضى ثانية ، وكان الوازع الداخلي خير ما نظم حياة العرب والمسلمين فقد نسق العلاقات وفرض احترام القانون والتقاليد ، كمساعدةالوالدين والاخوة ونجدتهم ، وقد بقي هذا مؤثرا في علاقات الافراد حتى وصلت اوربا بحضارتها الصناعية ونشأ الاستقلال المادي وبعدت الاسرة عن المثل القديمة فقد تفككت الروابط التي كانتحتربط ابناءها واحس الفرد بالوحدة والقلق بعد ان فقد الضمان في الاقتصاد والاجتماع والروح ، لان الغرب بنى مقومات حضارته على الآلة وسير حياته بهدى نظامها ، ونمت حضارته حسب حاجته المتدرجة ·



والتقدم الحضاري او الفكري يسيران وراء التقدم المادي فالنهضة الفكرية لم تظهر في مصر بعد الحملة الفرنسية مباشرة ولا زمن محمد علي، انما ظهرت في عصر اسماعيل ولم نجد اثر الحضارة الغربية فيالعراق الا بعد فترة طويلة من الاستعمار البريطاني للعراق ، وهذه الفترة هي فترة القلق والحيرة التي مازلنا نعاني منها ، فنحن نعيش في فراغ كبير وانفصال فكري بين التقدم المادي السريع الذي وصل الى الصواريخ ، وبين الحضارة الغربية ·

ان وفرة المال في الوطن العربي لن تحل المشكلة لان الحضارة تحتاج الى زمن طويل ، ومازال العرب يعيشون في عقلية القبائل والعشائر والاسر ، وكلما قطعنا شوطا كان الغرب قد قطع اشواطا وعدم اللحاق بالحضارة سبب القلق والحيرة الدائمين ·

***

والامثلة على تخلفنا الحضاري كثيرة ، فنحن اخذنا السيارات والآلات الميكانيكية وطراز اللباس وحتى تسريحات الشعر ، ولكننا لم ننظم علاقتنا بالحياةالمادية تنظيما حضاريا، لان الدافع الاول كان الشعور بالنقص ومعناه ان نقلد دون وعي وادراك لحقائق الحضارة ومسبباتها ، فالراديو والتليفزيون ومكبرات الصوت دخلت العالم العربي ، فهل اخذنا بآداب هذه الآلات وحافظنا عليها كما حافظ الغربي عليها ، او انناطلقنا لاصواتها العنان دون ان نلقي اهمية لراحةالجار المريض والطالب الدارس والسائر في الطريق ؟

فمازلنا نسمع بوق السيارةفيهدأة الليل ينبه صديقا لصاحب السيارة يسكن في الدور العاشر دون ان يفكر براحة الالاف الساكنين بل ان هؤلاء لا يكترثون · فهل يختلف هذا المالك للسيارة عن اولئك الاعراب الذين كانوا يعيشون مع الرسول ويناودنه من وراء الحجرات ؟ فأين

الحضارة والتمدين هل في بنـــــاء العمـــارات وشراء السيارات أو في ادابهم وأسلوب استعمالها ؟؟

والمرأة تقلد الغرب في تسريحات الشعر دون وعي أو ادراك أو ترتدي طرازا من الملابس دون أن تنظر الى وزنها وتقاطيع جسمها وتدرى هندسته ولون البشرة ·

ويظهر القلق بوضوح زائد في العدد الكبير من الطلاب الذين يدرسون خارج الوطن العربي ويعودون الى أوطانهم ويصابون بالخيبة التي كثيراً ما تدعو الى التذمر والسخط ، ومنهم من لا يعود لوطنه ، وعـــدد هؤلاء للأسف الشديد كبير ، فقـــد سيطر التقـــدم الحضاري على عقولهم فأربكهم ولم يكونوا بقادرين على الاندماج بالحياة القـــديمة التي بدت لهم متخلفة ، فعـــاشوا في صراع مرير بين حب الوطن والرغبة في خدمته وتقدمه ، وبين حياتهم المتطورة ماديا وحضاريا، فأدى ذلك الى الهجرة أو السخط ·

***

وينعكس هذا على العائدين المستوطنين فقد ضاعت شخصيات كثير من الذين تعلموا في الغرب وأصبحوا نسخا غربية ، فلنضرب مثلا بالمهندس الذي درس الهندسة ، فهو يأتي بالخرائط ويطبقها كما قرأها ورآها في الكلية دون أن يدرى طبيعة المناخ العربي في حره وصيفه وتقلبات الطقس فيـــه · فأنا أسكن في غرفة في مؤسسة كبيرة تصبح دامسة الظلام اذا انقطع التيار الكهربائي ولا أحس بالهواء اذا وقفت آلة التهوية الاصطناعية · بينمـــا استفاد المهندس العربي القديم من كل هذه الامور ، ففي الجامعة المستقرية يجد الانسان الدفء في الشتاء والبرودة في الصيف فقد درس المهندس القديم طبيعة البناء واختار المواد المساعدة لان المهندس العربي القـــديم نشأ مع الحاجة الحضارية فاستغلها واستفاد منها والماد ·

وفي الادب أصبح هؤلاء نســـخا مكررة للفكر الذي درسوه سواء كان في الشرق أم في الغرب ·

ان التقدم الحضـــارى والفكرى في بلادنا الزراعية النـــامية التي تسرع لتكون صناعية مازالت أدواته بدائية وتحتاج الى انتقال من حياة الزراعة الى حياة المصنع والمعمل وما فيهـــا من تناسق ، تخالف طبيعة الحيـــاة القديمة فهنا النقـــابات التي تنسق وترتب الامور ، وليست القبيـــلة أو الاسرة ، والاختلاط بين المرأة والرجل والمساواة في العمـــل غيـــرت نظرة الانسان واكسبته خبرة خالفت مفاهيمه الموروثة وغيرتها ·

كانت المدارس في المساجد وكانت المناقشات في الدواوين والمقاهي وفي هذه المؤسسات القديمة نمـــا العلم وخلقت الاتجاهات الفكرية وتربى بها المواطن ، واليوم أصبحت الجامعات والنوادي والمســـارح والمصـــانع والجمعيات الفكرية والادبية والعلمية هي المجال الواسع للتعبير والميدان الذي تلقى فيه القصص والقصـــائد والمسرحيات وأصبح مكان الاجتماع في هذه المؤسسات بعـــد ان كانت المقاهي ودواوين الأثرياء والعلمـــاء هي ميدان الثقافة ، وفيها تتلى قصص الف ليلة وليلة ونوادر جحا والزير سالم وقصة أبي زيد الهـــلالي ·

الشباب الغاضب



فلاتزال اسماء بعض المقاهي في بغداد - مثل مقهي عارف اغا ، والزهاوي ، والبيروتي - معروفة عند الادباء ، وفي القاهرة كان بار اللواء ومقهي الفيشاوى .

كانت هذه المقاهي ملتقى الشعراء والادباء في جميع اقطار الوطن العربي بصورة عامة .

حتى قصص الفروسية العربية التي تمتاز بالنخوة والشهامة وحماية الضعيف استبدلت بالروايات التي تعتمد على السطو والسلب والنهب والقتل والحرق فاستعاض الجيل بمثله الروحية القديمة السرقة وحب الذات تقليدا للافلام الغربية .

ومن جراء انتشار الحضارة انتشرت افلام الجنس وقصص الجنس والحديث عن الجنس ، فلقد رأيت في سفرتي الاخيرة في لندن الوفورة الجنس في كل شيء حتى في الاعلانات التجارية واعلانات الوظائف الرسمية !

ولا ذنب للشاب وهو يعيش بين مثل قديمة تمنعه من امور كثيرة يراها تجرح الحياء اصبحت اعتيادية في الشارع والكتاب والرواية ، ويراها جاءت من الغرب الذي استعمر بلاده وصعد الى القمر وزاحم الطبيعة بالكواكب وهو لا يزال يحرث الارض بالمحراث البابلي او الفرعوني !

اين يسير ؟ مع الغرب القوي الصارع الجبار ، أم يسير مع نصائح والديه وقادة المؤسسات التي شب عليها وترعرع ؟!

***

والسبب الثالث الذي اثر في قلق الشباب وحيرته في العالم العربي ، وهو السبب الرئيسي وبجانبه السببان الماضيان يكونان لاحقين به : هو القلق السياسي في اوطاننا ، ان ارادة الامم وبخاصة العرب هو التخلص من الاستعمار بكل انواعه ، وتغيير المجتمع القديم والسعي الى تطويره لبناء مجتمع جديد يحس العرب فيه بالحرية والرفاه ، والشباب العربي يريد ان يرى وطنه منتصرا ، وقد رآه مخذولا في حربين ، وكانت التطورات السياسية في الشرق اداة قوية في تغيير كثير من المثل ، وتغيير انظمة الدول .. وهذا دليل واضح على القلق والحيرة ورغبة في تقدم المجتمع العربي وتطويره ومواجهة الموقف العربي في تحديه للعصر ومكونات الطبيعة العالمية

ودخلت عوامل جديدة على المثل القديمة التي نادى بها القوميون في اوائل القرن العشرين ، التي كانت تدعو الى الوحدة العربية ، هي فكرة الاصلاح الاجتماعي بصورة العدالة الاجتماعية ، ومعناها تحرر العرب سياسيا واجتماعيا والتخلص من القوى التي وقفت في طريق تطوره كالاقطاع والراسمالية المستغلة لانها كانت تصاحب الدعوة الى القومية والدعوة الى الوحدة العربية ثم اتخذت الحرية شعارا جديدا .

ثم ظهرت احزاب سياسية واجتماعية وتطاحنت هذه الاحزاب في الوطن الواحد . فأين مكان الشاب العربي الطموح وهو يرى التطاحن الفكري

الشباب الغاضب

والعقائدى وتشعب المذاهب الفكرية التى يدعو لها كل حزب وكل قطر من اقطار الدنيا العربية ؟! وقد صحب هذه التيارات الفكرية العنف والبطش لكل من لا يساير السلطات الحاكمة ، فهزت الاساليب المختلفة فى الوطن العربى حيرة الشاب العربى وغدا نهبا مقسما لا يدرى ما يصنع والى اين يكون المصير ؟!

وقد ساعدت الدول المستفيدة من المناطق العربية على بذر روح الفتنات والقطيعة بين ابناء الوطن العربى الواحد ، وسدت امامنا طريق الوحدة التى هى الامل الذى يعيش عليه العرب عندما تحالفت على زرع اسرائيل .

ان دارس التاريخ يجد فكرة اسرائيل واضحة فى يوميات « هرتزل » ويجد تخطيط الاستعمار فى تقسيم الوطن وخوفه من يقظة العرب فى كثير من الوثائق القديمة والحديثة .

وقوة الامة العربية واصالتها زادت فى ضراوة الاستعمار وتحديه ، فعندما كان العراق ومصر والشام تحت الاستعمار وحاول المستعمرون ان يغرسوا الروح البابلية والفرعونية والفينيقية واكدوا الاقليمية ، فرسموا على الطوابع والنقود فى العراق الثور البابلى المجنح والقلاع فى دجلة ● بغداد ● وطاق كسرى . وفى مصر نجد الاهرام وابا الهول ، وفى الشام قلعة حلب وآثار تدمر وقلاع الشام القديمة ، وفى لبنان نهر الكلب وبعلبك وبيت الدين ، كل ذلك لقطع الصلة العربية الاسلامية ، والتاكيد على التاريخ البعيد لتظهر الشعوب العربية وكانها امم لا رابط بينها ، ومازالوا يحاولون بث اللغة العامية ويساندون الدعوة لها لان اللغة هى اهم اسس الوحدة واتخاذ عدة لغات انجع السبل فى الاقليمية .

ان قوة الاحداث وعرامة الثورات التى مر بها العرب دليل واضح على نمو الوعى وانتشاره ، وانا من اكثر المتفائلين بالمستقبل العربى فكل نكبة تزيدنا وعيا وادراكا ولعل النكبات اعمق فى وحدة الصف بالمفاوضات المموهة بالباطل ، لكن السياسة كلها

لم ترض الشاب العربى لانه ما زال فى حاجة للثورة الفكرية والادبية ويريد ان يفصح عن ارائه ، وخشى السلطان فاضطر الى الغموض والابهام وركوب الاساليب التى لم يالفها العرب من قبل ، وبذلك ابتعد عن الجماهير فى المضامين ولم يؤد واجبه فى خدمة الامة العربية .

واخيرا ليس للشاب من ذنب فى قلقه وحيرته فهو ابن البيئة الحساس وفى ادبه ظهرت تعقيدات الشرق وغموض الغرب الذى ادى الى التراكيب الغربية البعيدة عن الاطارات العربية والمضامين الفنية .

ومن الضرورى ان يوجه الشاب ويؤخذ برفق ويسر ليكون اداة صالحة فى خدمة امته ولا سيما الادباء والشعراء الجدد فلاتزال تجاربهم لم تتوضح ولم تستكمل مقوماتهم الشخصية والفنية ، ولن يؤدى الشاب دوره مادام الفراغ الروحى مسيطرا عليه والاضطراب الفكرى مهيمنا على ادبه . . .

● د. يوسف عز الدين ●

صالح جودت

نداء الشباب

لكِ اللهُ مالكِ يا طفلتى
تذوبين فى حبكِ الصامتِ
أطالعه فى اختلاج الشفاه
وفى صوتكِ الناعم الخافت
وأشهده فى رفيفِ العيون
وفى لونك الشاحبِ الباهتِ
وألمحهُ فى اضطرابِ القميص
على صدرك الثلجيِّ النابت
وما كنتُ يوماً حديد الشعور
ولا كان قلبىَ بالمائت
ولكنْ .. أتصلح عشرون عاماً
تدورين فى طوقها الكابت
وتمشينها فى رُواءِ الشباب
كأنك أمثولةَ الناحت
لحبِّ فتىً جاوز الأربعين
يجرُّ فى عمره الفائت
ويسمعُ منك نداء الشباب
وترهبه ضحكة الشامت ؟



مع :

الشريف المرتضى

في كتاب.. الشهاب

محمد عبد الغني حسن

يظهر ان موضوع الشيب والشباب قد استأثر من عناية المؤلفين العرب واهتمامهم بنصيب غير قليل. فلم يترك رجال الفكر العرب هاتين الظاهرتين الطبيعيتين في حياة الانسان تمران دون الالمام بهما والوقوف عليهما ، والتحدث عنهما ، ومن وجهة النظر الادبية والشعرية التي املتها حصيلة كبيرة من شعر الشعراء منذ العصر الجاهلي .

ولا أدل على اهتمامات المؤلفين العرب بموضوع الشيب والشباب من اننا نجد في كتب التراث العربي مجموعة من الكتب المصنفة في هذا المجال يرجع كثير منها الى العصور الاولى لتاريخ العرب والاسلام ، وان كان اكثرها لا يزال مفقودا فيما ضاع من كتب التراث .

.. فى المشيب والشباب

قد يكون من الفائدة أن نشير فى هذا المقام الى حفنـــة من الكتب الضائعة ، منها كتاب « معانى الشيب وادابه » لعبد الله بن حماد بن مروان الكاتب الذى أعترف ابن النديم صاحب « الفهرست » بأنه لا يعرف من أمره غير هذا • وكتاب « الخضـابات ، وذم الشيب ومـدح الشباب » ليعقوب بن محمد بن على ، وكتاب « الشباب وفضله على الشيب » لأبى عبد الله محمد الحكيمى ، ولا يعرف عصره وان كان المقطوع به أنه لم يتجاوز المائة الرابعة ، وكتاب « الشيب والشباب » للحسن بن خلاد وكان يسلك طريقـــة الجـاحظ ويذهب مذهبه فى التأليف ، وهو من أبناء القضاة ، وكان مختصـا بابن العميد ، وله شعر جيد وعاش فى القـــرن الرابع ، وكتـــاب « الشيب والتعمير » للامام بن أبى الدنيـــا من أبناء القرن الثالث الهجرى ، واشتهر بالتأليف والتصنيف فى موضوعات كثيرة وتوفى سنة ٢٨١ هـ ، وقد أشار صاحب « كشف الظنون » الى كتابه هذا ، وان كان قد فات ابن النـــديم صـاحب « الفهرست » أن يشـــير اليه فى ثبت رسائله ومؤلفاته •

ويشير حاجى خليفة الى كتاب « الشباب والهرم » لأرسطو ، ولكنه لا يذكر لنـا اسم من نقله الى العربية ، ولعله مـن أوائل الـــكتب التى نقلت فى العصور الاولى لحركة الترجمة عن اليونانية •

ويظهـــر أن « الشريف المرتضى » ، الشاعر العالم المفسر ، وشقيق الشاعر الأبى « الشريف الرضى » ، والمتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، كانت تحت يديه وهو يؤلف كتابه « الشهاب ، فى الشيب والشباب » مجموعة من الرسائل والمصنفات التى ألفت قبله فى موضوع الشيب والشباب ، وخاصة تلك الرسائل التى تجمع ما قاله الشعراء ، حتى عصره ، فى ذلك المجال • ويظهر أن تلك المجموعات الشعرية لم تكن تحوى دائما أحسن ما قيـــل فى موضوع الشيب والشباب ، كمـــا هو الشأن دائما فى كتب المنتخبات الشعرية التى تتفاوت خسة وارتفـــاعا بحسب أذواق جامعيها ومقدار تذوقهم الأدبى •• كما يظهر ذلك جليا فى الفرق بين الحماستين : حماسة أبى تمام وحماسة البحترى ، فقد كان أبو تمام فى اختياره أرق ذوقا ، وألطف حسا ، وألطف ميزانا ، وأصفى اختيارا من تلميذه البحترى

ومن حسن الحظ أن الأيام أبقت لنا من كتب الشيب والشباب كتاب الشهاب للشريف المرتضى ، كأنهـــا أرادت الا تكون المكتبة العربية عاطلة من كتـــاب فى هذا الميدان ، ولا شك أن الفضل فى صدوره سنة ١٨٨٥ م يرجع الى العلامة اللغوى أحمد فارس الشدياق صـاحب جريدة « الجوائب » ومطبعتها الشهيرة بالقسطنطينية ، التى كان لها فضل أى فضل على الكتاب العربى القـــديم ، باخراج مجمـــوعة من كتب التراث وابرازها الى عالم النور بعد أن ظلت

مــع :

الشريف المرتضى

قرونا متعاقبة حبيسة فى ظلام الخزائن، وفى بطون المكاتب ، لا تتناولها يد ، ولا تطلع عليها عين ، ولا يفيد منهـا قارىء ، ولا يرجع اليها باحث ·

لقد قدم فارس الشدياق هذا الكتاب الى المطبعة العربيـة لاول مرة سنة ١٨٨٥ · وقد مرت على تلك الطبعةقرابة تسـعين عاما ، فلم يفكر أديب عربى محقق بان يعيد الى هذا الكتاب الشائخ شبابه ، بأن يعيد طبعه وتحقيقه عـلى احدث اصول العلم والتحقيق والمقابلة والتخريج ، ليجـد فيه ادباء اليوم ، وشباب العصر ، ادبا سيظل جديدا لاتبلى جدته ، ولا تذهب بشاشته ·

وعلى الرغم مما اطنب به شعراء ماقبل عصر « المرتضى » من شعر فى الشيب والشباب والخضاب ، فان التجويد لم يتفق لهم جميعا ، والاحسان فى معالجة الموضـوع لم يكن لاكثرهم بل لاقلهم · ومن هذه القلة الشاعران الطـائيان : ابو تمام ، والبحترى ، وابن الرومى ، والشريف الرضى ـ شـقيق مؤلف الشهاب ···

هؤلاء هم الشعراء الاربعة المحدثون بالنسبة الى عصر المرتضى ـ الـذين راهم صاحبنا اكثر الشعراء تجويدا فى موضوع « الشيب والشباب » ، واكثرهم غوصا على المعانى ، وادارة لهـا ، ولطفـا فى استخراجها ، وبلاغة فى التعبير عنها ·

ولم يكن الشريف المرتضى الشـاعر العالم المتواضع من اهل الدعوى والغرور والاعجاب بالنفس حتى يضفى على نفسه من الفضـل ما ليس به خليقا ، ولكنه تلفت فوجـد نفسه من اكثر الشعراء اطالة فى موضوع الشيب والشباب ومتابعة له ونظما فيه ، سواء فى مضـامين المدح ، والتهنئة ، والفخر ، والحماسة، والرثاء ، والغزل ، أم فى القصـائد والمقطعات المفردة الخـاصة بالشيب ، فاضاف نفسه الى شـعراء الشيب والشباب ، وأتى بشعره مع شعرهم ، وضم ازهاره فى هذا المجال الى باقتهم، فاجتمع من ذلك كله مصدر شعرى انيق لشـعر الشيب والشباب والخضاب فى الادب العربى حتى سنة ٤٣٦ هـ · والحق ان هؤلاء الشعراء الخمسة لم يمتازوا فى هذا الباب بكثرة ماقالوه فيه وأداروه عليه وحسب ، ولكنهم يمتازون ـ مع الاطناب والاكثار ـ بالتجويد والتلطف فى المعـانى التى يمكن ان ترد على الخواطر اللماحة الذكية فى هذا المقام، والا فان هناك ابياتا مفردة ، وفقرات متناثرة لامثال ابن حازم الباهلى القائل عن كل انسان :

ويسلبه الشيب شرخ الشـباب   فليس يعـزيه خلق عليـه

ومسلم بن الوليد القائل :

الشيب كره ، وكره ان يفـارقنى   اعجب بشىء على البغضاء مردود

يمضى الشباب ويأتى بعده خلف   والشيب يذهب مفقـودا بمفقود

وعلى بن جبلة القائل فى استثقال حلول الشيب :

القى عصـاه وارخى من عمـامته

وقال:ضيف ، فقلت : الشيب ؟ قال : اجل!

فقلت : اخطات دار الحي ! قال : ولم
مضت لك الاربعون الوفر ، ثم نزل !..
فمـــا شجيت بشيء ما شـــجيت به
كانما اعتم منــه مفرقي بجبــل !

اليست هذه صورة طريفة لتصوير ضيف نازل ثقيل ؟

لقد سجل « الشريف المرتضي » هـذه الابيات المفردة في كتابه ، ولكنه جعل اولئك الشعراء الخمسة بيت القصـيد في كتابه ، فساق لابي تمام في « الشيب والشباب » تسعة وثلاثين بيتا ، وللبحتري مائة واربعين بيتا ، ولابن الرومي بضعة واربعين بيتا ، وللشريف الرضي مائتين ونيفا وسبعين بيتا ، كما ساق لنفسه ما يزيد على ثلاثمائة بيت ....

والحق أن تنـــاول الشريف المرتضي للشيب والشباب في ديوانه الضخم يشكل ظاهرة تلفت النظر ، حتى لقـد بلغت قصائد الشيب ومقطعاته في الجزء الاول فقط من ديوانه اثنتين وعشرين قطعة ، ومن هنا كان على حق حين نظم نفسه في سلك شعراء « الشيب والشباب » .

ويلتقي شعراء كتاب « الشهاب » في معان ويفترقون في اخرى ، ولم يرتب « الشريف المرتضي » كتابه حسب هـذه المعاني المتجاورة أو المتغايرة ، ولكنه رتب الشعراء الخمسة واحدا بعد واحد ، وجمع لكل واحد أجود ما وقع له . ومن هنا كان الكتاب جمعا لما قيل ، ولـكن المرتضى لم يكتف بالجمع ، بل غلبتـه طبيعة العالم فشرح ما قد يكون غامضا ، وفصل بالتعليق ما قد يكون مجملا . ثم استعمل حقه وذوقه في النقد والموازنة بين معنى ومعنى ، وبين قائل وقائل ، ثم افاد من نقد « الآمدي » حينـــا في الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، وعلق عليه واستدرك حينا آخر ، وبهذا كـان كتابه « الشهاب » لونا من كتب النقـد الادبي في نطاق محدود ، بالاضـــافة الى كونه كتابا جامعا لما قيل في الشيب والشباب من شعر .

و « الشباب » عند شعراء « الشهاب » يمثل شيئا جميلا نضيرا في الحياة ، فهو يجمع بيض الايام ونعيمها كمـــا يقول « الشريف الرضي » متحسرا عليه :

الا اين ذاك الشـــباب الرطيب ام اين لي بيض ايامـيــــه ؟
مضى الــدهر بيني وبين النعيم ظلمـــا وغير من حاليـــه

و « الشباب » يمثل جديد العيش كما أن « الشيب » يمثل العيش الخلق البالى كما قال البحتري :

خلق العيش في المشيب وان كـــا
ن نضيرا ، في الشباب جـــديده

والشباب قصير العمر على غضارة حسنه وجماله كما يقول البحتري ايضا :

واری الشباب على غضارة حسنه وجماله عددا من الاعـــداد

والشباب تنقضى معه البشاشة واللهو ، وهو حين يفارق لا يعود كما قال الشريف المرتضى :

لا تطلبي مني الشباب ، فمـــا عندي شباب والشيب قد وفـدا
اين شبابي وقد اتفت على السـتين ســـنا ، وجزتها عــددا
فمن بغى عندي البشاشة واللهـــو وبعض النشاط ما وجدا ...
وقــد مضى من يدي وفارقني مـــا لا اراه براجع ابدا ...

وتلح فكرة عدم رجعة الشباب عـلى الشريف المرتضي اكثر من مرة ، فيقول :

ولا تطلبي شرخ الشباب وقد مضى فــذلك شيء مـــا اراه يؤوب

ويسبق البحتري الى هـــذه الفكرة فيقول :

تضوت الصبا نضو الرداء ، وساءني مضى اخي انس متى يمض لايجي ..

والمرء بعد الشباب يغدو كأنه ربع موحش ، او واد مجدب ، كما يقول المرتضى :

كأني ربع بعده غير اهل ... وواد جفاه القطر غير خصيب

ومن هنا يتحسر عليه الشريف الرضي وعلى الغض من ورقه الناضر قائلاً :

واها على عهد الشباب وطيبه ... والغض من ورق الشباب الناضر !

ويديم الشريف الرضي التحسر عليه قائلا من قصيدة أخرى :

لهفي لأيام الشباب على ندى ... اطرافهن وظلهن الأبرد !

ايام انفض للمراح ذوائبي ... واروح بين معلل ومفند

ويتذكر « المرتضى » زمن الشبيبة ليحييه ، ويدعو له بالسقيا والمطر ، ويصف أيامه قائلا :

زمن الشبيبة ! لا عدتك تحية ... وسقاك منهمر الحيا ما استقرا

فلطالما اضحى ردائي ساحبا ... في ظلك الوافي ، وعودي اخضرا !

ايام يرمقني الغزال اذا رنا ... شغفا ·· ويطرقني الخيال اذا سرى

وفي الشباب يكون الفتى امرا ناهيا في حبه ، وتكون قلوب الحسان في اسره ، ويظل في ليل سواده الفاحم ساريا في متاعه ، كما يقول «المرتضى» :

سقى الله ايام الشبيبة ربها ... ورعيا لعصر بان عني من عصر !

ليالي لا يعدو جمالي مقلتي ... ولم ترد الحسناء نهيي ولا امري

وليل شبابي غارب النجم فاحم ... ترى العين تسري فيه دهرا بلا فجر

واذ انا في حب القلوب محكم ... وافئدة البيض الكواعب في أسري !

ولكن مع الاسف تتحول حلاوة أيام الشباب الى مرارة أوقات المشيب ، متى استحالت الشعرات السود الى شعرات بيض ، فتحول عن وصله الحبيب ، كما يقول البحتري :

شعرات سود ، اذا حلن بيضا ... حال عن وصله المحب الحبيب

مر بعد الشباب ما كان يحلو ... مجتناه من عيشنا ويطيب

والشباب لا يعرف قدره ، ولا يرى حق رؤيته الا في زمن المشيب . وهكذا كل شيء لا يعرف الا بعد فقده وعند عدمه ، كالشمس لا يعرف فضلها الا حين تمتليء الارض بالظلام ، ومن هنا وجب البكاء على عهد الشبيبة بالدم لا بالدموع . ويعبر ابن الرومي عن هذا بقوله :

لا تلح من يبكي شبيبته ... الا اذا لم يبكها بدم

عيب الشبيبة غول سكرتها ... مقدار ما فيها من النعم

لسنا نراها حق رؤيتها ... الا زمان الشيب والهرم

كالشمس لاتبدو فضيلتها ... حتى تغشي الارض بالظلم

ولرب شيء لا يبينه ... وجدانه الا مع العدم ··

مع :

الشريف

المرتضى

ولم يطل الشعراء فى الحديث عن الشباب مثـــل ما أطالوا الحديث عن الشيب ، ولعل الفرحة بالشباب والمتاع بنضارته تغنى عن الحديث فيه ، أما التحسر على الشباب فى زمن المشيب فيقتضى اسرافا دائمـا فى الحديث عن المشيب • ومن هنا كان شعر الشيب فى كتاب « الشـــهاب » أوفر عددا وأكثر تنوعا من شعر الشباب •

وليس من الضرورى أن يكون بيـاض الشيب نتيجة لكبر السن ، وتطـــاول العمر ، فقد يأتى الشيب من كثرة الهم •• والى هذا يشير ابو تمام بقوله :

نال رأسى من ثغـــرة الهم لمـا ... لم ينله من ثغـــرة الميـلاد

وقد لوحظ أن الشعر الابيض يتكاثر وينمو بسرعة ، وكل شعرة بيضاء تعدى أختها ، فوصف البحترى ذلك ، وشبه تكاثره ونموه بنمو السر حين لا يصبر صاحبه على كتمانه ، أو حين يضيق به صدر مذيعه ، فقال وأحسن :

مشيب كبث السر ، عى بحمـلـه ... محدثه ، أو ضاق صـدر مذيعه

تلاحق حتى كاد يأتى بطيئـــــه ... لحث الليالى قبـل اتى سريعه !

وهـذا الشريف المرتضى يجعل أوائل الشيب أواخر العمر فيقول :

اجرر ذيل الصـــبا جامحـــا ... بلا امـــر وبلا زاجـــــر

الى ان بدا الشيب فى مفـــرقى ... فكـــانت أوائله آخـــرى •

ويعود الى هذا المعنى مرة ثانية فى مقطوعة أخرى فيقول :

وما الشيب الا توءم الموت للفتى ... وعيش امرىء بعد المشيب جهاد

وأيا ما كان الامر فقد جعل الشيب نظيـــرا للموت لانه مؤذن به ، ومدن اليه ، فالشريف الرضى يذم طلوع الشيب لانه قرب الطلوع الى المنية : شعوب :

ولم اذمم طلــــوعك بى لشىء ... سوى قرب الطلوع الى شــعوب

ويراه مرة أخرى يسوق صـــاحبه سوقا عنيفا نحو الموت ، فيقول :

كان الشــباب دجنـــة فتمزقت ... عن ضـــوء لا حسن ولا مألوف

ولئن تعجل بالنصول فخلفـــه ... روحـــات سوق للمنون عنيف

ويراه مرة ثالثة وهو يحل بالهموم ، ويرحل بانهاء الاجل ، فيقول :

يجىء بالهم ، ويمضى بالاجـــل ... فاوه ان حل ، وواها ان رحل !

ويراه مرة رابعـــة ، بعـــد سواد الشباب ، وقد صار رائدا للاجل فيقول :

وروضة من سواد الرأس حاليـــة ... كان المشيب اليها رائد الاجـــل

اما اخوه الشريف المرتضى - مؤلف كتاب الشهاب - فيرى الشيب مدنيا من الموت في قوله :

أليس الشيب يدني من مماتي ... ويطمع من قلاني في رواحي ؟

ويعاود المعنى مرة أخرى في قوله من مقطوعة أخرى مفردة في الشيب :

يقولون لي : لم انت للشيب كاره ... فقلت : طريق الموت عند مشيبي

وقد نظر البحتري الى هذا المعنى نظرا خفيا لاحا في قوله :

يعيب الغانيات على شيبي ... ومن لي أن امتع بالمعيب ؟
ووجدي بالشباب وان تقضى ... حميدا ، دون وجدي بالمشيب

وانما جعل البحتري وجده بالشباب اقل من وجده بالمشيب ، لانه يفارق الشباب بالشيب ، وصاحب الشيب باق في الحياة على كل حال ، والشيب لا يفارق الا بالموت ..

ومن لطائف الشاعر الشريف المرتضى انه هون نزول الشيب بجعله بدلا من المنية ، وفداء من الموت . فالشيب على كرهه وبشاعته اخف كثيرا من الهلاك .. ويقول في هذا :

وقال لي الدهر لما بقيت ... اما المشيب أو المهلك !
فقولي وانت تعيبينني : ... لأي طريقيهما اسلك ؟"

ولا شك ان الحبيبة هنا وفي هذا المأزق الحرج تؤثر شيب صاحبها على مماته !.. وقد صرح « المرتضى » في مقطوعة له اخرى بهذا الخيار بين أمرين احلاهما مر ، فقال :

وان انت يوما تخيرت لي ... فشيبي اصلح من ميتتي !
فلا تغضبي من صنيع الزمان ... فما لك شيء سوى الغضبة !

***

ويبدو أن بعض الشعراء لما وجدوا الشيب خطرا لابد منه ، وقضاء - لمن امتد عمره - لا محيد عنه ، فانهم حاولوا أن يهونوا من شانه ، ويخففوا من وقعه على النفوس ، وأن يسلوا النفس عن مكروهه باضفاء بعض المحاسن اليه ، وخلع بعض المزايا عليه ... وبالطبع هذه مغالطة مكشوفة . فهذا الشاعر أبو تمام يقول ان التماع بياض الشيب في الراس هو بسمة الرأي والادب :

فلا يؤرقك ايماض القتير به ... فان ذاك ابتسام الرأي والادب !

أما الشاعر البحتري فيحسن بياض الشيب بانه ليس عارا ، ولكنه جلاء الشباب فيقول :

عيرتني المشيب وهي رمتــه ... في عذاري بالصد والاجتناب
لا تريه عارا فما هو بالشيب ... ولكنه جلاء الشباب !

ويعود البحتري فيهديء من ارتياع المحبوبة حين رأت الشعر الابيض يلم به ، فيزين لها بياض الشيب بانه انيق اناقة الاقاحي البيضاء في

الرياض ، وبأن بياض الشيب يكمل سواد الشباب ، كما يكمل بياض العين سوادها ، فيقول :

وزارت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلمة فى شروق
ولعمرى لولا الأقاحى لأبصرت أنيق الرياض غير أنيق
وسواد العيون لو لم يكمل ببياض ما كان بالموموق ...

وقول البحترى هنا شبيه بقول الشاعر القديم « أبى عبد الله الاسباطى » ، وقد رواه الشريف المرتضى غير منسوب لقائل ، ولكننا حققنا الرواية عن أبى هلال العسكرى فى كتابه « ديوان المعانى » حيث يقول :

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله انما الشيب زينة ووقار
انما تحسن الرياض اذا ما ضحكت فى خلالها الانوار !

ويفلسف الشريف المرتضى « الشيب » بأن « الشباب » على عنفوانه وريعانه لا يحمى صاحبه من الموت ، فكيف ننتظر من المشيب حماية لنا من المنون ؟ فاذا كان لابد من جزع فانه يكون فى جميع الأحوال : أى فى الشيب والشباب ، ويقول فى هذا الخاطر :

وأزال من خطر المشيب توجعى علمى بأن لبس الشباب بمعقل
فلئن جزعت فكل شىء مجزعى ولئن أمنت فشيبة المسترسل

والحق أن « الشريف المرتضى » أخذ مسألة الشيب ببساطة ، فلم يرتع لها كما ارتاع غيره من أعداء الشعرات البيض ... وحاول أن يقنع نفسه بأن الشيب ما هو الا تبديل لون بلون ، ورداء برداء ... وأن الشيب لم يضعف منه قوة ، ولم ينقص منه بأسا أطال به على العداة وأعرض ... فقال وأجاد :

لم ينتقص منى أوان نزوله بأسا أطال على العداة وأعرضا
فكأنما كنت امرأ مستبدلا أثوابه ... كره السواد فبيضا .

ثم عاد فكرر هذا المعنى فى مقطوعة أخرى حيث يقول :

فلا تنكرى لونا تبدلت غيره كمستبدل بعد الرداء رداء

ويلتقى الشريف المرتضى فى هذا المعنى المتكرر مع شاعر آخر لم يذكر لنا اسمه ، يقول :

لم ينتقص منى المشيب قلامة الآن حين بدا ألب واكيس (١)

وواضح أن الشريف المرتضى كان مخلوع الفؤاد أمام الشيب ! ولكنه كان يستتر فزعه بالتجلد ، ويخفى مخاوفه تحت ستار التشجع . فاذا علل نفسه يوما بأن الشيب طريق الى الحلم والحجى ، فانه لا يلبث أن يعود الى الحقيقة المؤلمة فيتساءل ساخرا : ما قيمة الحلم اذا كانت نتيجته الموت الوشيك ؟ ثم يقرر — ساخرا أيضا — بأنه كفاه ما قبل المشيب من الحلم :

وقالوا : أتاه الشيب بالحلم والحجى فقلت : بما يبرى ويعرق من لحمى
وما سرنى حلم يفىء الى الردى كفانى ما قبل المشيب من الحلم !

ثم يتنبه مرة أخرى الى أنه حين يضفى المحاسن على الشيب فانما يخادع نفسه .. فاذا قيل له — على سبيل التسلية والتعزية — ان المشيب نباهة ، تمنى أن يبقى عليه خمول الشباب ، فما جدوى نباهة تدنى من نهاية العمر ؟ :

قالوا المشيب نباهة ، وأود أن يبقى على من الشباب خموله !
والفضل فى الشعر البياض ، وليته لم يشجنى بفراقه مفضوله !

و « المرتضى » فى ثانى البيتين يقول اذا كان البياض فى الشعر فضلا — كما يقول المغالطون — فليت سواد شعر الشباب المفضول لم يحزنه بفراقه ...

---

(١) أى أكثر لبا ، وأشد كياسة

وياليت هذا الشعر الاسود ظل باقيـا ولم يفسح الطريق لبياض الشيب ·

والحق ان بياض الشيب قد اخـذ من شعراء الشيب والشباب اهتمـاما كثيرا ··· فاذا كان بيـاض الشيب ناصعا فى العين والنظر ، فانه اسود فاحم فى القلب ··· وقد عبر عن هذا ، الشاعر ابو تمام بقوله :

له منظر فى العين ابيض ناصـع ولكنه فى القلب اسود اسـفع

وقد اكثر ابو تمام من التبرم بهذا الابيض المظلم ، وهذه الغرة البيضـاء المرة ، وقال انه كان اغر ايام أن كـان شـعره اسود ، فالسواد غـرة ، اما البيـاض فليس غرة الا فى ظاهـر اللون ، وهذه الشعلة البيضاء فى المفارق لا تخلف فى القلب الا الثكل :

وشعلة فى المفـارق استودعتنى فى صميم الفؤاد ثكلا حميمـا

غرة مرة ··· الا انما كنت اغرا ايام كنـت بهيمـا (١)

وقد تابع « الشريف المرتضى » شاعرنا ابا تمـام فى الجملة على « بياض الشيب » ووصفه بأنه هو السواد الحالك بعينه ، فيقول فى قطعة مفردة خـاصة بالشيب :

شعر ناصـع ووجه كئيب ان هـذا من الزمان عجيب

يا بياض المشيب لونك لو انصـفت رائيـك حـالك غربيب

ثم يقول فى قصيدة :

لا مرحبا بالشيب ! اظلم باطنى لما تجللنى ، واشرق ظـاهرى !

ويقول فى قصيدة اخرى :

لا مرحبا ببيـاض راس زائرا اعيـا على حلوله ورحيله !

ويرفض – لو كان له الخيار – ان يختار البيـاض بديلا من السواد فى قوله :

لو تخيـرت والسواد ردائى ما اردت البيـاض منه بديلا

وقد تنبه ابو تمام فى لمحة ذكية الى أن الابرار يعودون فى الجنـة شبانا لا شيبا ، فلو كان فى الشيب فضـل لجاور الابرار ربهم فى الخلـد شيبا لا شبانا ··· وما اظرفه وهو يقول :

لو راى الله ان فى الشيب فضـلا جاورته الابرار فى الخلد شيبا !

وقد التمس ابن الرومى الاعـذار للحسان اذا اعرضن عن اصحاب الشيب وانصرفن عنهم · فان بياض الشـعر قبيح فى ذاته ، واذا نظر الشيـخ الى مرآة ورأى فيها بياض شعره استقبح شكله ، واستفظع منظره ، فما الشـأن بالغوانى اذا رأينه ؟ واذا كرهت عين الفتى وجه نفسه ، فان عين غيره اجدر

---

(١) اسود الشعر كالليل البهيم

مـع :

الشريف المرتضى

بالكراهية ... وهنا أجاد ابن الرومي معنى وتعبيرا حيث قال :

اذا ما رأتك البيض صدت وربما   غدوت وطرف البيض نحوك اصور(١)
وما ظلمتك الغانيات بصدها   وان كان من أحكامها ما يجور
أعر طرفك المرآة وانظر فان نبا   بعينك عنك الشيب فالبيض أعذر !
اذا شنئت عين الفتى وجه نفسه   فعين سواه بالشناءة أجدر !

والبياض لون محبوب لانه يشبه - أو يشبه به - الضوء ، والنور ، والشمس والاقاحي ، والنهار ، والنوار ... الا بياض الشيب وضوءه وقبسه ونوره فانه عند « الشريف الرضي » ضوء لا يستضاء به ولا يستصبح ، حيث يقول مخاطبا الشيب في ظرف ولطف وعتاب :

ان الله فعلك في فراق أحبتي   فلسوء فعلك في عذارى أقبح
ضوء تشعشع في سواد ذوائبي   لا أستضيء به ولا أستصبح !

بل هو عند الشريف الرضي أيضا تسير المنية على هداه الى صاحب الشيب ، أما سواد شعر الشباب فلا تهتدي المنايا فيه ... وهكذا كل شعرة بيضاء نابتة فهي ضوء تعشو المنايا اليه ، وتسير على هداه الى ذي الشعر الابيض :

وأرى المنايا ان رأت بك شيبة   جعلتك مرمى نبلها المتواتر
تعشو الى ضوء المشيب وتهتدي   وتضل في ليل الشباب الغابر

والحق أن « الشريف الرضي » لم يكن ابن بجدة هذا المعنى الطريف ، وقد كشفه أخوه « الشريف المرتضى » مؤلف الكتاب الذي نعرضه اليوم ، فدل على انه مسبوق اليه ، وأن السابق اليه هو ابن الرومي كما يقرى في كتبه ، وهي لفتة من الشريف المرتضى تدل على أن الحق عنده فوق كل اعتبار ، ولو كان اعتبار الاخوة ... وقد أورد المرتضى أبيات ابن الرومي هكذا :

كفى بسراج الشيب في الرأس هاديا   الى من أضلته المنايا لياليا
أمن بعد ابداء المشيب مقاتلي   لرامي المنايا تحسبيني ناجيا ؟
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه   لشخصي وأخلق ان يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى   فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا

وعلق عليها تعليقا أدبيا جميلا وخاصة على البيت الاخير حيث قال : (ولقد أحسن - يعني ابن الرومي - في البيت الاخير كل الاحسان ، لان المعنى الذي قصده تكامل فيه ، وانتهى الى الغاية عنده ، وساعده اللفظ وحسن العبارة ، فلم يبق عذر في قبول القلوب له ، وعلوقها به . ومن شأن ابن الرومي ان يورد المعنى ثم يأخذ في شرحه في بيت آخر ، وايضاحه وتشعيبه وتفريعه ، فربما أخفق وأكدى ، وربما أصاب فأصمى ، لان الشعر انما تحمد فيه الاشارة والاختصار والايماء الى الاغراض ، وحذف فضول القول . وفي هذه الابيات قد اتفق له انه لما كرر المعنى واعاده وأبداه ، خلص في البيت الأخير ، وصفا ، وعذب مذاقه ...)

وهذا النقد يمثل لنا المذهب الغالب في نقد الشعر عند العرب الذين لم تعجبهم طريقة ابن الرومي في تحليل المعنى وتشقيقه وتقصيه الى درجة استهلاكه .

والطريف عند الشريف المرتضى انه لم يكشف عن أخذ معنى ابن الرومي عند أخيه الشريف الرضي وحسب ، بل كشف عن أخذه هو نفسه هذا المعنى بعينه حيث يقول :

(١) اصور اي مائل اليك

مع :

الشريف المرتضى

ولاح بمفرقى قبس منير   يدل على مقاتلى المنونا

ولم يكتف « المرتضى » بأخذ معنى ابن الرومى مرة واحدة ، وكأنه استحلاه فأخذه مرة أخرى فى قطعة مفردة فى ذم الشيب حيث يقول :

وزارنى لم أرد منه زيارته   شيب ، ولم يقن أعوانى ولا حرسى
يفىء بعد سواد فى مطالعه   لفاغر من ردى الايام مفترس

***

واذا كان بياض المشيب قد شبه بتشبيهات كثيرة ، فان تشبيهه بغبار حروب الزمان ، ومعارك الايام هو من التشبيهات العجيبة المصيبة الموفقة ، وقد سجل الشريف المرتضى ابيات أخيه الشريف الرضى التى يقول فيها :

وما شبت من طول السنين وانما   غبار حروب الدهر غطى سواديا

ولكن طبيعة العالم الناقد لم تفته ، فقال ان هذا التشبيه شبيه بقول ابن المعتز :

قالت : كبرت وشبت ، قلت لها   هذا غبار وقائع الدهر

فدل فى ادب ناعم على ان اخاه « الرضى » مسبوق الى هذا المعنى ، وانه أخذه من ابن بجدته : ابن المعتز .

وتحضرنا بهذه المناسبة حول هذا المعنى نكتة يسوقها المقام ويقتضيها . فقد توهم العماد الاصفهانى فى « الخريدة » حين روى بيت « الغزى » :

مسحت عارضى وما ذاك الا   انها ظنت المشيب غبارا

توهم انه كان يظن أنه مبتكر هذا المعنى فى قوله :

ليل الشباب تولى   والشيب صبح تالق
ما الشيب الا غبار   من ركض عمرى تعلق

ولم تفت هذه الدعوى من العماد الاصفهانى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ على « الشهاب الخفاجى المصرى » صاحب «ريحانة الألباء والمتوفى سنة ١٠٦٩ هـ ، فأنكر على العماد أن يتوهم انه مبتكر هذا المعنى (مع قول ابن المعتز : قالت كبرت الخ ، وهو مسطور فى ديوانه ، وقد تابعه عليه كثير من الشعراء ، وتطفل عليهم العماد ، لكنه طفيلى !) فانظر كيف لا يسكت الشعراء عن هتك المستور ، ونبش المطمور . ولو بعد بضعة من العصور !..

و « الشيب » - على جملته - ذنب لا عذر منه عند الحسان ، ولا يدرى شاعر كالبحترى كيف يحمل عند محبوبه ذنب الشيب ، حتى كأنه هو الذى ابتدعه ، مع انه لا يد له فيه ، فيقول :

وحملت عنده ذنب المشيب   حتى كأنى ابتدعت المشيبا

بل هو عند الشريف الرضى من شر الذنوب عند البيض الحسان ، حيث يقول :

ما لقانى من عدوى   كلقائى من مشيبى
موقد نارا أضاءت   فوق فودى عيوبى
وبياض ، وهو عند البيض من شر ذنوبى

ويشترك الشريف المرتضى مع البحترى فى توهمه - أو توهم الحسان على الاصح - أنه هو الذى جنى المشيب ، فيقول مقلدا البحترى :

وبيض راعهن البيض (١) منى — فقطعن العلائق من حبالى
جعلن الذنب لى حتى كأنى — جنيت انا المشيب على جمالى !
وليس الشيب من جهتى فالحى — ولا رد الشبيبة فى احتيالى !

وكان (المرتضى) استحلى هذا المعنى المسبوق اليه ، فكرره غير مرة فى مثل قوله :

وبيض لواهن المشيب عن الهوى — فازورن(٢) من وصلى واوسعن من هجرى
والزمننى ذنب المشيب كانما — جنته يداى عامدا آخر الدهر

***

ويضاف الى كراهة الشيب ، وبغضة شكله ، ومساءة نثره ، ثقل محمله ، رما صور شاعر من شعراء « الشهاب » هذه الناحية كما صورها الشريف الرضى حيث يقول :

واللمة البيضاء اهون حادث — فى الدهر لو ان الردى لا يعجل
ولقد حملت شبابها ومشيبها — فاذا المشيب على الذوائب اثقل (٣)

ولم يكن سائغاً أن يتحدث كتاب عن « الشيب والشباب » ، دون الطروق الى حديث « الخضاب » ، ومهما كان فى الخضاب من احسان باخفاء لون البياض المكروه فان الشعراء على كل حال لم يقبلوه ، ولم يرضوا بخداعه ، وكيف يخدع المرء نفسه ؟ فوجدنا اكثرهم يذمه ، حتى ليقول فيه « المرتضى » :

ولو كنت يوما بالخضاب موكلا — خضبت لئن يخفى عليه خضابى
فان تعطنى اولى الخضاب شبيبة — فان له اخرى بغير شباب
واى انتفاع لى بلون شبيبة — ولون اهاب الشيب لون اهابى ؟

ومعنى البيت الاخير : كيف أدلس بياض شعرى بتسويده بالخضاب ، مع ان لون جلدى التغضن المتشنج من اثر الشيخوخة لا يليق بالشباب ؟ وكان « المرتضى » - باعترافه - يظن أنه متفرد بهذا المعنى حتى وجد لابن الرومى من قبله قوله :

رأيت خضاب المرء عند مشيبه — حدادا على فرخ الشبيبة يلبس
والا فما يغزو امرؤ بخضابه — ايطمع ان يخفى شباب مدلس
وكيف بأن يخفى المشيب لخاضب — وكل ثلاث صبحه يتنفس ؟
وهبه يوارى شيبه ، أين ماؤه — وأين اديم للشبيبة أملس ؟

ومع كراهة الشعراء للشيب ، فانهم تمنوا لو بقى لتبقى معه الحياة .. وهذا شاعرنا البحترى يقول :

فهل الحادثات يا ابن عويف — تاركاتى ولبس هذا البياض ؟

ثم يكرر المعنى فى قصيدة أخرى فيقول :

يعيب الغانيات على شيبى — ومن لى ان امتع بالمشيب ؟

وقانا الله جميعاً الحادثات فى سواد الشباب وبياض الشيب على السواء

---

(١) البيض الاولى هى : الحسان ، والثانية هى الشعرات البيض فى صاحب الشيب .
(٢) ازورن من وصلى اى جعلنه نزرا قليلا .
(٣) الضمير فى شبابها ومشيبها يعود على اللمة .

ربما كان لهذا النمط من الكلام الذى يطلق عليه اسم الشعر الحر ما يبرر اطلاق هذا الاسم عليه ، فهو فعلا متحرر من كل قيود الشعر ، وان كان الشعر لايسمى شعرا بدونها • وربما امتد هذا التحرر الى ما وراء الوزن والقافية ، فتناول المضمون الذى لايعتبر مجرد الكلام مجرد كلام بدونه • من اجل هذا قلنا : ان لهؤلاء القوم شبهة فى اطلاق اسم الشعر الحر على هذا الكلام الذى هو باللغو والهذر اشبه • غير ان كلمة الحر تستعمل اكثر ما تستعمل فى الشىء الاصيل المحض الخالى من الشوائب ، ولدفع هذا الايهام ينبغى ان نضن - كما ينبغى على كل غيور على الشعر ان يضن - بكلمة الحر على هذا النحو من اللغو ، لذلك آثرنا ان نطلق عليه اسم « الشعر المنحل » فهو مثل اعلى فى الانحلال : اعنى التحلل من القيود التى سبقت الاشارة اليها •

محمود غنيم

نصيحة من شاعر شيخ إلى شعراء الشباب

الشعر المنحل ..

«

وقد كان هـذا الضرب من الكلام أهون علينـا وعلى الناس من أن نجرد الاقلاما للكشف عن زيفه ، واثبات أن دعوى الحـاقة بالشعر ، كدعوى آل حرب في زياد ، • غيـر أننـا – بكل اسف – وجدنا هذه الدعوة تستشرى ، وتجـد لها شيعا ومؤيدين على رأسهم طائفة من المارقين من حظيرة الضـاد الذين يشنون الغارة الشعواء تلو الغـارة الشعواء على كل ما هو عربي ، أو يمت الى العروبة بسبب ، وقد بدأوا بالدعوة الى العامية ، واعتبارها اللغة الرسمية ، فلما باءت هذه الحملة بالفشل لجـأ هؤلاء الى مهـاجمة العروبة في أغلى مقدساتها ، أعنى في الشـعر العربي الاصيل الذى هو ديوان العرب ، وسجل مفاخرهم ، ووعاء أمجادهم •

ويزداد خطر هؤلاء بازدياد نفوذهم في بعض المناصب ، ويبلغ الخطر أشده حينما يتصل هـذا النفوذ بوسـائل الاعلام : بأن يهيمن أحدهم على دار من دور التحرير أو النشر او برنامج مـن برامج الاذاعة ، أو يشرف على صحيفة سيارة ، أو على الصفحة الادبية مـن صحيفة سيارة ، هنالك تطبع الدواوين التي ينتهي بها المطاف الى أسوار حديقة الازبكية ، أو ينسج حولها العنكبوت خيوطه على رفوف المكاتب ، وهنـالك يذاع الكلام الغث الـــذى يصك آذان المستمعين على الرغم من نغمـات الموسيقى التي تتخلله ، أو تمهد له ، أو يختتم بها ••• وهنالك تنشر القصائد الزائفة على أعمدة الصحف ، كلمة في سطر ، واثنتان في آخر ، وجملة في ثالث ، وأمام كل سطر ما تيسر مـن عـلامات التأثر والاستفهام ، ويكتنف القطعة كلهـا ما تأنق المصورون في رسمه من صور كاسية حينا ، عارية في أغلب الاحيان •

ضرب في حديد بارد

ولسنا من التحامل بحيث نعزو كل ما نراه من تشيع لهذا الشعر المنحل الى انحـراف المشرفين على بعض زوايا الاعلام عن العروبة ، فليس من شـك في أن فريقا من هؤلاء حسنو النية في تأييدهم لهذا المذهب ، ولكن ينقصهم البصر بالشعر ، والتمييز بين صحيحه وزائفه •

وكم عانى الشعراء من عبث هؤلاء بما يقدم اليهم للنشر او الاذاعة عبثـا لا سبب له الا الجهل وقصر النظر • ولأضرب مثلا لذلك العبث وهذا القصور أكتفى بذكر الحادثين الآتيين :

الاول منهمـا أنني بعثت من سنين بقصيدة عنوانها « العيد والازمة » الى جريدة سيارة ، وكانت القصيدة طويلة ، ومطلعها :

لا الشعر الحر

ها هو العيد قد اطل
ما توارى من الخجل
حل ضيفا ولا قرى
لا على الرحب اذ نزل

ولشد ما كانت دهشتي عندما نشرت القصيدة كلها دون مسخ أو تحوير الا فيما يتعلق ببيتى المطلع السابقين ، فقد نشرا على الصورة التالية :

ها هو العيد قد اطل
وعلى غير رحب نزل

وفى ذلك من المسخ والتشويه واختلال الوزن مالا يخفى على القارىء .

اما الحادث الثاني فيتلخص في أنني بعثت الى الاذاعة بناء على طلبها

الشعر المنحل

توفيق البكري : الشاعرية .. والاسلوب ..

احمد حسن الزيات : نثر كله الشعر .





بقصيدة عنوانها « تأميم القناة » (١) منذ سنوات أيضا ، ولشد ما كانت دهشتي عندما حان موعد الالقاء ، وتسلمت النسخة المعتمدة ، فوجدت اشارة الاستبعاد أمام بيتين من أبياتها .. أما القصيدة فمطلعها :

ربض الجيش على خط القناه
وعلى شاطئها ألقى عصاه
أيها الجيش أعدها للحمى
فلذة قد نزعوها من حشاه
وأما البيتان المستبعدان فهما :
هتف الثورة من خاصمها
وعلى قائدها التى عداه
والتى ثرت بسناها أعين
تنكر الصبح اذا لاح سناه

وعندما استفسرت عن سبب الاستبعاد كان الجواب أن في البيتين ما يشير الى أن للرئيس أعداء ، وهذا يغض من مقامه ، فقلت : ان الذى يغض من مقامه الا يكون له أعداء ، وجعلت أستشهد بأعداء السماء والمشركين بخالقها ، وأعداء الانبياء وعظماء الرجال ، وقلت أخيرا : أليست اسرائيل تقف من الرئيس موقف العداء ؟ انني أعلن انهم أعجبوا بهذه الضربة التى أصابت المفصل ، ونفذت الى الصميم .

على أن هذا الدفاع كله كان ضربا فى حديد بارد ، ونفخا فى زق مقطوع .

هذا قليل من كثير عانيته من جراء قصور القائمين على بعض زوايا الاعلام ، ولعل غيرى عانى أكثر مما عانيت .

ما وراء كلمة التجديد

وثمة سبب ثالث نستطيع أن نضيفه الى أسباب التشيع لهذا المذهب ، وتحلى

(١) كانت هذه القصيدة ضمن ما اختير فى كتاب الادب التوجيهى ، وظلت مقررة على الفرقة التوجيهية بضع سنوات .

به الانسياق وراء كلمة « التجديد » . ولفظ التجديد في ذاته لفظ جذاب خلاب يخلب العقول والالبـــاب ، وما أيسر الاحتجاج به على كل متفيهق متحـذلق تحاجه او يحاجك في هـــذا المضمار ، ووراء من يزعمون هذا التجديد طوائف اخرى ينطبق عليهم قول العقاد : « ان كثيرا من المجددين مقلدون في كراهية التقليد وزعم التجديد » .

ونقف وقفة قصيرة عند هذا التجديد المزعوم ، فنقول : أن التجديد لا يسمى تجديدا الا اذا كان في الجديد مزايا القديم وزيادة ، ولنضرب مثلا لذلـــك استعمال الاسلحة في فن الحروب ، فقد كان أبرزها الحربة والسيف والرمح ، ثم اخترع المدفع ، فكان أشد فتكا مـــن الانواع الثلاثة ، فاعتبر اختراعه تجديدا في فن الحرب ، ثم اخترع الصاروخ ، فكان أشد فتكا من المدفع ، ثم اخترعت القنبلة الذرية ، فغطت على جميـــع ما تقدم ...

واذا شئت مثلا آخر ، قدمنـــا لك التجديد في وسائل النقل ، وكيف تطورت من الجمل الى السيارة فالطيارة ، حتى اخترعت المراكب الهوائيـة التي هبطت بركابهـا على ســـطح القمر ، فأنت باستقراء هذين المثلين ترى أن كل مظهر من مظاهر التجديد يشتمل على مزايا ما قبله ، ثم يزيد عليه .

فهل كان التجديد الذي تناول الشعر العمودي ، ووصل به الى هذا الشـعر المنحل من هـــذا القبيل ؟ وهل اشتمل الشعر المنحل على فاعلية الشعرالعمودي وتأثيره في النفوس ، وعلوقه بالاذهان، وخفته على شفاه الرواة ، ومقدرته على السيرورة عبر التاريخ عشرات القرون ، بل مئاتها ، دون أن تبلى جدته ، او ينال منه مر الزمان ؟

فنقول : هل اشتمل الشعر المنحـــل على تلك المزايا ، فضلا عن أن يزيد عليها ، حتى يكون دعاته جديرين بأن يكونوا مجددين ؟ انني لا اطرح هـــذا السؤال لكي يجيب عليه الشعراء ، او المشتغلون بالادب ، او المثقفون أيا كان نوع ثقافتهم ، بل أطرحه ليجيب عنـــه كل من كان ذا عرق ينبض ، أو عاطفة تحس ، او كان له قلب ، او القى السمع وهو شهيد ...

ان هؤلاء المجددين مازادوا على أن جردوا الشعر من أكبر خصائصه ، وأجمل مزاياه ، ورجعوا به القهقرى الى عصور سحيقة موغلة في أعماق التـــاريخ ، فالذي لا شك فيه أن الشعر لم ينشـــأ مكتمل الاوزان ، مستقيم البنيان ، على الصورة التي نراه عليها الآن ، وانمـــا نشأ متهافتا متخاذلا ، واجتـــاز عدة أدوار ، حتى وصل الينا على هـــذه الصورة ، وبين الادوار التي سلكهـــا هذا الدور الذي ينادي هؤلاء المتحذلقون بالعودة اليه .

حيث يرصون الكلام رصا

وسواء كان الباعث على التشيع لهذا المذهب الانحراف عن العروبة ، أم قصر النظر ، أم الانسياق وراء كلمة التجديد ، فقد استغل هذا التشيع فريق من محبي الشهرة وعشاق الظهور ، رأوا الشعر أرفع أنواع الكلام قـــدرا ، فأرادوا أن يكونوا شعراء ، ولم يدخلوا الشعر من بابه ، وانما دخلوه من نافذته الخلفية بعد أن تسلقوا اليهـــا أنابيب المياه ، حاول هؤلاء معالجة الشعر الاصيل ، فالتوى عليهم ، وقديما قالوا :

الشـــعر صعب وطـــويل سلمه
اذا ارتقى فيه الـــذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قـــدمه
يريد أن يعـــربه فيعجمـــه

غير أن هؤلاء لم تزل أقدامهم ، وانما وجدوا من يأخذ بأيديهم الى حظيــرة الشعر المنحل ، حيث يرصون الــكلام رصا ، فيأخذ مكانه فى أعمدة الصحف ، أو يأخذ سبيله الى أمواج الأثير ، ولا عليهم اذا آذوا شعور القراء ، أو حسبوا المستمعين ، فوضعوا أصــابعهم فى آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأنكروا ما يسمعون •

يوءد يوم يولد

ومن نافلة القول أن نطيله أو نوجزه فى بيان فضل القوافى والاوزان ، أو نحتكم فى ذلك الى الفطرة والــذوق السليم ، أو نسأل ، لماذا كان العسل حلوا مستساغا والصبر مرا غيــر مستساغ ؟ ولماذا كانت ريح التفــاح طيبة وريح البصل خبيثة ؟ ولماذا كــان صوت الكروان غير أصــوات البوم والغربان ؟

من العبث أن نطرح هذه الاسئلة ، فقد فرغ من الاجابة عنها مؤرخو الادب وصيارفة الكلام من قرون خلت • وقديما قالوا : « ان ما قيل من النثر أضعاف ما قيل من الشعر ، فلم يحفظ من النثر عشره ، ولا ضاع من الشعر عشره » وهنا نتساءل عن الشعر المنحل : أهو من أرخص النثر الذى لايحفظ منه عشره ، أم من الشعر الذى لا يضيع منــه عشره ؟ أغلب الظن أنه من النثر الذى لا تعى الأذن الدهر منه قليلا أو كثيرا ، بل يوءد يوم يولد ، وأذكر أن هــذه العبارة « يوءد يوم يولد » جعلتهــا صــحيفة سورية عنوان حديث طويل أدلينا به الى مراسلها فى هذا الموضوع فى احدى رحلاتى الى دمشق ، ولم أدل بمثل هذا الحديث فى دمشق وحدها ، بل أدليت بأمثاله فى العراق والحجاز وطرابلس والخرطوم فى أثناء رحلاتى



حفنى ناصف : من الشعر المنحل ...



عباس العقاد : عناصر الحياة للشعر ...

الى تلك البقاع لأغراض ادبية أو ثقافية ، وكنت أعجب كيف استطاعت هذه الدعوة الطائشة أن تشق طريقها الى تلك الاصقاع ، ولكنها الدعاية المحكمة المحبوكة الاطراف ، ورحم الله العقاد حين يقول :

احرى مزاعمهم بالشك اسيرها
فالحق متئد والافك عجلان

على أن هذه الدعاية مهما تكن قد احكمت، وحبكتاطرافها فلن تستطيع ان تفرض هذا القول على الزمن ، أو تبعث فيه الحياة ، فالشعر يحمل بين طياته عناصر موته أو حياته ، وهل كانللمتنبي وأمثاله طبول وأبواق جعلتنا نتمثل بأبياته بعد ألف عام مرت على وفاته ؟

وهنا اقف وقفة قصيرة لانبه القارىء الى انه لا تناقض ولا شبه تناقض بين انتشار دعوة هذا الشعر وموت الشعر نفسه ، فثمة فرق كبير بين سيرورة الدعوة وسيرورة البيت ، وسيقضي عدم سيرورة البيت على سيرورة الدعوة في زمن قريب ، حيث يحمل نعشها على أكتاف مروجيها وهم احياء يرزقون .

مسالة لرجال الدين

ونعود الى فصل القوافي والاوزان فنقول : اننا اشرنا الى ادراك موقعهما من الشعر بالسليقة والحس المرهف والذوق السليم ، ولكن الدكتور ابراهيم أنيس لا يكتفي بذلك ، بل يعلل له تعليلاً نفسيا حيث يورد في كتابه « موسيقى الشعر » صفحة « ٥ » ما نصه :

« ويحدثنا من كتبوا في علم النفس الموسيقى عن كيفية شعور المرء بنغم الكلام ، فيقولون : ان هناك ميلا غريزيا في كل منا لتجميع المقاطع المسموعة ، وجعلها كتلا صوتية تتالف كل كتلة من عدة مقاطع تشبه الفقرات القصار ، او العبارات الصغيرة ، فلا نسمع في عشر من الثواني ما يكاد يبلغ خمسين مقطعا صوتيا ، تسمعها الاذن ، فتلتقطها كتلا من المقاطع تطول او تقصر ، فاذا ترددت في اواخر هذه الكتل الصوتية مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديدها ، واحسسنا بغبطة وسرور من سماعها ، وبعث هذا فينا الرضا والاطمئنان اليها، وهنا نلحظ سرا من اسرار حبنا للكلام الموزون المقفى » .

وفي صفحة ١٣ من الكتاب نفسه يورد الدكتور انيس ما يفهم منه ان القوافي والاوزان في الشعر الغربي لا تقل اهميتها عنهما في الشعر العربي ، بل يذهب الى ابعد من ذلك ، فيقول : ان من شعراء الغرب من كان يقف عند المأثور من هذه الاوزان والقوافي ، ولا يطلق الحبل على الغارب لكل من اراد العبث بهما باسم التجديد ، وذلك حين يقول ما نصه : « ومثل هذا القول يشبه ما ذهب اليه « ورد زورث » في شأن الوزنوالقافية حينأكد لنا ان لهمامناهج مقررة موحدة لا مجال فيها للخروجعلى النظام المرسوم ، ولا لتحكم الشاعر في القارىء » .

ثم يسترسل الدكتور انيس في ذكر تعصب هذا الشاعر لرأيه حتى ليطلق على صديقه « كولردج » حين عارضه في هذا الرأي لقب الاحمق او المجنون ، او على الاقل ينبغي ان يسمى دعيا او واهما او جاهلا .

ونحن بدورنا نقول : اذا كان هذا الشاعر يطلق هذه الالقاب على من يحاول الخروج على المألوف عن القوافي والاوزان فماذا عسى أن نطلق نحن من

الشعر المنحل

الالقاب على من لا يحاول الخروج عليهما فقط ، بل يلقى بهما معـــا فى قرار المحيط ؟!

ان القريض بلا وزن وقافيــــة
خنثى فلا هو بالانثى ولا الرجـل
ماالبس الشعر سربال الجمال سوى
مستفعل فاعل مستفعل فعــــل

ونعود ايضا الى دعوى التجـــديد المزعومة ، فنقول : اننا قررنا ان أسلوب الشعر المنحل لا يعدو أن يكون طورا من الاطوار التى اجتازها الشعر الاصيل ، حتى استقامت أوزانه ، واتسقت قوافيه، ولكن يبدو أن الشعر حتى بعـــد أن استقامت أوزانه ، واتسقت قوافيه لم يتخلص نهائيا من هذا الانحلال ، فنحن نرى أبا الفـــرج الاصفهانى يورد فى كتابه الاغانى ما لا تكاد تجد فرقا بينه وبين ما نطالعه هـــذه الايام فى بعض الصحف الكبرى ، وسنجتزىء من ذلك بايراد القطعتين التاليتين :

الاولى وردت فى الجزء الحـــادى والعشرين فى ترجمة تأبط شرا عـلى لسان أمه ترثيه ونصها :

« وابناه وابن الليل ٠٠٠ليس بزميل
شروب القيل ٠٠٠ رقود بالليــــل
وواد ذى هول ٠٠٠ جزته بالليــــل
تضرب بالذيل٠٠٠يرجل كالغول » (١)

أما القطعة الثانية فقدوردت فى الجزء الثالث والعشرين عند ترجمة الشـاعر الماجن أبى العبر ، ونصها :

« ويأمر بى الملـــك ، فيطرحنى فى البرك ، ويصطادنى بالشبك ٠٠ كأنى من السمك ، ويضحك ٠٠ كك كك ، كك كك »

وقد يكون أسلوب هـــاتين القطعتين أرفع مستوى من بعض ما يطالعنـــا ونطالعه من الشعر المنحل ٠ على اننـــا لسنا من التحامل بحيث نضع كل مـــا نقرؤه من هذا الشعر فى الدرك الاسفل، فمنه ماله مضـمون ، وما يرمى الى هدف ، وهذا النوع اعتبره بالنثر الجيد اشبه ٠

ولو كنت أسوغ اطلاق اسم الشـــعر على غير الموزون المقفى لاطلقت على كثير من نثر أحمد حسن الزيات ، والسـيد توفيق البكرى ، وحفنى ناصف ، وصادق عنبر ، وامثالهم ٠ على أن ثمة مـــا يمنعنى من ذلك باعتبارى مسلما أومن بكل ما ورد فى التنزيل الحكيم ، وبيان ذلك أن فى القرآن – بلا شك – صورا شعرية ، بل ما يعتبر فى قمة هـــذه الصور ، مما ورد فى كثير من السور ، واذا شئت مثلا من ذلك فخـــذ قوله تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى

---

(١) علقنا على هذه القطعة وشرحناها فى الجزء الحادى والعشرين من كتاب الاغانى الذى قمنا بتحقيقه ، وليرجع اليه من يشاء ٠

الجنة زمرا حتى اذا جاءوها ، وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خـالدين ••• » الخ

السورة الكريمة فليس ثمة شك فى اننى واجد هنا من الصور الشـعرية ما لا يبلغه اكبر الشعراء ايغالا فى الخيال ،

وأيسر ذلك ابراز ما سيحدث بعد قرون سحيقة فى صورة ما حدث فعلا ، وذلك عن طريق التعبير بالفعل الماضي «وسيق»

اقول : لو ساغ لنا أن نطلق اسم الشعر على غير الموزون المقفى لوجب أن نطلق اسم الشعر على كثير من آيات الذكر

الحكيم ، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول عنه : « وما هو بقول شاعر » وانى اترك لرجال الدين الحكم على موقف دعـاة الشعر المتحلل من هـذه المسألة الدينية الشائكة •

همسة فى آذان المجددين

وبعد ، فما بال الشعر وحده يتعرض لهـذه الحملة الطائشة ؟ ان لكل فن قيودا لابد من مراعاتها ، وان للنثر ايضا قيودا ثقيلة من ضوابط اللغة وقواعد النحو والاشتقاق ، فهل نشاهد غدا من يدعو الى النثر الحر ، وينادى بتحريره من كل هذه القيود ؟!

اننى اهمس منذ الآن فى آذان هؤلاء المجددين قائلا : انكم ان فعلتم فستجدون انصارا كثيرين ممن برموا بقواعدالنحو والصرف ، وحاروا أمام رد كل فعل من

الافعال الى ابوابها الستة ، واضيف الى ذلك أنهم لن يعدموا من يقول لهم : لقد اضعتم موسيقى الافعال ، كما قلتـنـا لهم : أضعتم موسيقى الشعر ، وذلك

أن الفعل لا يتأثر جرسه اذا كان مـن باب نصر ، فجعلنـاه نحن من باب ضرب ، أو من باب علم ، أو من باب فتح ، بل لن يضار الفعل اذا جوزنا

النطق ، على كل صـورة من صور الافعال الستة التي ذكرها علمـاء الصرف ، وللقائل أن يقول : ان فى هـذا يسرا فى التعبير ، وثروة طائلة تضاف

الى لغتنا الجميلة ، أما نحن فنقول : اذا قامت هذه الدعوة ، وتردد صدى هذا القول فعلى العربية السلام ، وعلى العروبة كلها العفاء •

وخير ما نختتم به هذا المقال تلك الابيات الموجزة التى نظمناها بعنوان « النثر الحر » ووجهنـاها الى دعاة التجديد فى الشعر :

حرروا الشعر من قيود الخليـل
وحمـوه من فاعل وفعـول
لهم الله مالهم يتركون النـ
ـثر رهنا بكل قيـد ثقيل ؟
ايها القوم حرروا النثر ايضـا

لتتموا بذاك صنع الجميـل
حرروا النثر من قواعـد صرف
مشكلات كدت كبار العقـول
حرروه من نحو زيد وعمـرو

وخـلاف بين النحـاة طويل
حرروه من أحرف الجر والجز
م ومن فاعل ومن مفعـول
ما لتلك الأسماء ترفع كالهـا
م وهذى تجر جـر الذيول ؟

ما لتلك الافعـال هـذا عليل
بات يشكو وذاك غير عليـل ؟
انطقوا بالكلام دون مراعـا

ة فروع لضبطه او اصـول
واطرحوا هذه المعاجم فى المجـ
ـلة او فى الفرات طرح المغول

واتركوا هذه المجامع ينعـا
ها لأربابهـا نعاة الطلـول
ايها العابثون بالضاد رفقـا
ما تبقى للعرب غير قليـل
انه الضـاد مارق من بنيهـا
هو شر من ألف ألف دخيـل

شاعر الشباب أحمد رامي

د. نعمات أحمد فؤاد

أنا إن عشت لا أبغي التأسي
فطالبي استراحة قلبي
إنما العيش روضة لنا فيها
زهرة لا تطال فوق الغصن
صباح تشرق وضاحك الفجر لم
ينتشله إلا لوائح تغريد
يا صوتي في ضجة الناس لا
تسمع فيهم تناوحي وأزيز

لقد قلنا شاعر الشباب ومادرى ، من ذا لم يردد التوجعه وأغنيه صباح مساء ؟ من ذا لم يلن معه في مطالع الشهور وليالي الأنس وأفراح النيل ؟

إن الغناء المصري قبل رامي لم يكن يتطلب الصوت الجميل الرائع ، ولم يكن يتطلب [illegible] ، ولم يكن يتطلب [illegible] الأداء الفني الممتاز ... [illegible]

[illegible] رامي [illegible] في العربية فحسب ، [illegible] في ١٩٦٧/١١/١٧ :

(His style is terse. Every verse contains a thought expressed in delicate and fitting language, and the whole is a work of Art.)

كما [illegible] ١٩٢٦ [illegible]

[illegible] ١٩٢٦ [illegible] Journal des Poètes [illegible] The Sphinx [illegible] Gaston Hartley [illegible] Oubliez, c'est encore se Souvenir [illegible] Image et Poèmes d'Egypte [illegible] ، مصر .

[illegible] رباعيات الخيام [illegible] :

[illegible] رباعيات الخيام [illegible] من الانجليزية .

ثم دخل المعلمين واتقن الانجليزية فقرأ الرباعيات في الانجليزية عن « فتز جيرالد » ولكنه أحس احساسا خفيا انها في لغتها الاصيلة لابد ان تكون اسمى من هذا .. لقد تفتحت نفسه الان وتيقظ طموحها فلم تعد تقف عند السطور بل تتطلع الى ما وراءها ، ولم تعد تقنع باليسر لها بل تنشد الكمال الممكن ... وطوى طالب المعلمين جوانحه على أمنية ..

تخرج احمد في دار المعلمين واشتغل بالتدريس ثم التحق بدار الكتب . وكان الله اراد به خيراً فهيأ له اسبابه . لقد بدا للدار أن ترسل مبعوثا لدراسة فن الكتبات واللغات الشرقية فوقع الاختيار عليه ...

وما اسرع ما سعى الحالم بالخيام الى باريس . وسال مدير البعثة شاعرنا عن اللغة الشرقية التي يروم دراستها فقال له على الفور : « الفارسية » ... وهنا ساله الرجل مستطلعا : « لماذا ؟ » فقال رامي : ان في دار الكتب الف مخطوط بالفارسية ، واللغة العربية ملأى بالالفاظ الفارسية .. » وما زاد وما حاد ، وان كان الجواب الصحيح اوأهم ما فيه ، مكنونا في نفسه لا يبديه .. لعله قدر ان من اللباقة ان يقول ماقال ليخلع على مهمته طابع الجد ، ويضفي على رغبته صفة الرسمية .

على كل حال لقد كان له ما اراد ودرس اللغة الفارسية ليقرأ فيها رباعيات الخيام ..

وانصرم عام على طالب البعثة ولكنه لم يضع هباء ، فقد أصبح يفهم عن الفارسية .. ووقعت له في هذه الاثناء نسخة من الرباعيات بالفارسية مترجمة في باريس الى الفرنسية نثرا فحدت به الى الاطلاع على غيرها . حتى اذا انس الى الفارسية ترجم لنفسه الرباعيات على هامش كتاب المسيو نيقولا (نسخة طهران) .

ثم قابل احمد رامي الاستاذ « ادوارد براون » في كمبردج وذهب الى برلين وغيرها من العواصم ، والرباعيات ابدا تخايله .. كان يتغنى بها بينه وبين نفسه حتى رضي واطمأن الى ان يخرجها سنة ١٩٢٤ فكان بهذا اول شاعر شرقي



محمد السباعي
الرائد في ترجمة
الرباعيات . .

عربي يترجم رباعيات الخيـــام عن الفارسية شعرا .. وتلاه بعد هذا من العراق الزهاوي ، والصافي النجفي ،وحامد الصراف ، وعبد الحق فاضل . وقام الصراف وفاضل بدراسة الرباعيات

الرباعيات والنقاد

وحين ظهرت رباعيات الخيام في ثوب عربي من صنع رامي اختلفت الآراء ازاءها اختلافها ازاء شعره . فبينما يقول الاســتاذ محمد فريد ابو حديد (وانا لمغتبطون بان في مصر مثل رامي من يذيقنا بمثل هذا اللفظ السهل الممتع شيئا من اللذات المعنوية التي يشعر بها قارىء رباعيات الخيام .) عدد اللواء في ١٩٢٤/٩/١١ ، اذ بالاستاذ سلامة موسى يقول : (كلا البستاني والسباعي ترجم عن الانجليزية ، أما الترجمـــة الثالثة فهي لأحمد رامي وقد ترجمها عن الفارسية) ..

« وبعد المقابلة والمراجعة اقول ان السباعي قد فاز بمراحل على غيره في ترجمة الرباعيات . وليس ذلك بغريب فالتبريز في الترجمة هو على الدوام لمن كان اكثر تضلعا في اللغة واتقن صنعة والسباعي لا يزاحم في كلتا الخاصتين » ـ عدد البلاغ ١٩٢٤/٨/٣

هذا حين يقول الاستاذ صدقي عن رامي : (تمتاز ترجمته على سابقتيها انها اقرب مأخذا وأرق حاشية واجمـــل تصويرا ، لولا ان بعض رباعياتها ادنى الى النثر منها الى الشـــعر فيحس القارىء عند قراءتها بافتقار الى النغم الموسيقي والنشوة الروحية .) كما تمنى الناقد (لو راعى المترجم الاديب تنسيق الرباعيـــات حسب تداعي معانيهـــا وتسلسل روحها على قدر المستطاع حتى يبلغ المعنى الى الصميم من نفس القارىء ويشيع في اجزائها ، لا ان تعبر الرباعية في اثر رباعية من نوع آخر فيتــوزع التأثير ويقل فعله في النفس . على اننا نعلم ان النسخ او النسخة التي نقل عنها المترجم الاديب غير متسقة هذا الاتساق الذي تقول به .) عدد السـياسة ١٩٢٤/٨/٢٢ .

ومن حق رامي على التاريخ هنا ان تسجل ايضا له شهادة الاستاذ . ك . هوار الذي يقول (ويظهر لي ان الترجمة تشابه الاصل بقدر ما يتمكن الاصطلاح السامي على نقل الاصل الآري .)

وممن نقد الرباعيات الاستاذ ابراهيم عبد القادر المـــازني فقد عد ترجمة فتزجيرالد : (الشعر صورة) مع اقراره بانها قد لا تكون أصدق صورة (أما ترجمة رامي افندي فقد تكون دقيقـــة ولكن الروح الشعرية فيها ضـــعيفة وحسبك ان تقرأ له :

يا دهر هذا العبـــد ماذا جنى   فتبتليه بصنوف العنـــــا
والقوت لا يجنيــــه من غير أن   يريق ماء الوجه في الاقتنـــا

لتتوهم انك تقرأ أورادا لا شعرا .. أو قوله :

عيشي من غير الطلا مســـتحيل   لانها تطرد همي الطـــــويل
ما أعذب الســـاقي اذا قال لي   تناول الكأس ، ورأسي تميـــل

أو قوله :

لا الوصل ميســـور ولا مهجتي   تطيق حمل الهجر والفـــرقة
وليس في وسعي الشكو فمـــا   اعجب في هذا الهـــوى شقوتي

لتكره الشعر كله والخيام قبل سواه .. على ان له رباعيات وفق في نظمها بعض التوفيق مثل قوله :

لم يجن شيئا من مجتلى الوجود   ولن يغير الكـــــون الى ابيد
واخبـــــرنى ما قال لى قائل   ماذا اشتعال الروح ماذا الخمود

ولكنا بعد الفراغ من تصفح الكتاب رأينا انفسنا نقول ما اشد افتقارنا الى ترجمة للخيام ٠ »

وفى معرض النقد وقف المازنى عند ترجمة الرباعية ٠

وانما نحن رخاخ القضـــــاء   ينقلنا فى اللوح انى يشـــــاء
وكل من يفـــــرغ من دوره   يلقى به فى مستقر الفنـــــاء

وقارنها بترجمة « فتزجيرالد » :

هذه رقعة شطرنج القضـــــاء   ولها لونان : صبح ومســـــاء
تنقل الخطو بها كيف يشـــــاء   ثم تطوينا صناديق الفنـــــاء

(والصورة هنا اتم والتعبيـــــر عن المعنى ادق ، والفرق ظاهر بين القول بان القضاء (ينقلنا) على رقعة الشطرنج ٠٠ والقول بانه ينقلنا من هنا الى ههنا كما يشاء وهو اصح التعبيرين ٠ وتأمل هذه لرامى افندى :

لن يرجع المقدار فيما حكـــم   وحملك الهم يزيد الالـــــم
ولو حزنت الدهـــــر لا ينمحى   ما خطه فى اللوح ذاك القـــــلم

وضع الى جانبها قول « فتزجيرالد » وهو اسمى واشعر واقوى :

ابدا يســـطر ما شـــاء القلم   ثم يمضى : نافذ الحـــكم اصم
ليس يمحو نصف ســـطر ورع   لا ولا يغسله دمع ســـجم

وهذه ايضا لرامى افندى :

سمعت صوتا هاتفا فى السحر   نادى من الغيب (غفاة البشر)
هبوا املأوا كأس الطلا قبل ان   تفعم كأس العمر كف القـــدر

ويقابلها من ترجمة « فتزجيرالد » :

بينما احلم والفجـــر رطيب   طرق السمع من الحـــان مهيب
كأسكم من قبـــل ان تؤذنكم   كأس محياكم بمحتوم النضـــوب

« وواضح ان افعام القدر لكأس العمر ـ وهو تعبير غريب ـ دون ايذان كأس الحياة بالنضوب الذى لا مفر منه ٠٠ »

كما اخذ المازنى على رامى انه لم يتقيد بالبحر الذى اجرى فيه الخيام هذه الرباعيات ٠٠٠

شاعر ؛ فنان ؛ طروب

سمع الشاعر المترجم هذا كله وانفعل به فكان جوابه على الناقد الاســـتاذ المازنى :

« يأخذ المازنى افندى على ـ بعـــد ذلك ـ انى لم اتقيد بالبحر الذى اجرى فيه الخيام هذه الرباعيات وهو بحـــر معدوم فى اللغة العربية فهل اخـــذ المترجمون قبلى على انفسهم ان ينزلوا على حكم البحر الذى ترجموه للشعراء؟

اما مقارنة حضرة الكاتب ترجمـــة « فتزجيرالد » او بالاحرى ترجمته له ـ بترجمتى فشىء لا ارضاه بعد ان وضح للمتأدبين ان « فتزجيرالد » كان يترجم الرباعية الى نثر ثم يحيل هذا النثر شعرا ينظر فيه الى اذواق القـــارئين وتمشى المعانى مع اللغة الانجليزية ، وبعد ان قال ناشر ترجمة لرباعيات الخيام فى نسخة « توخنتز » انه اباح لنفسه حرية شديدة فى عدم التقيـــد بالاصل ٠٠٠

ولئن راق المازنى افندى « فتزجيرالد » نقلا عن الفارسية فلن يروقنا ما ترجم هو نفسه عن الرباعيات الانكليزية ، ولن يعطينا صورة عن الخيام الذى شوهت



سلامه موسى : موازنة بين التراجم .. شيكسبير : ترجم لرامي ابراهيم المازني : نقد في « حصاد الهشيم » ..

رباعياته في ترجمتين متتابعتين .. اما اخذ المازني افندى على قولي (تفعم كاس العمر كف القدر) وعده ذلك تعبيرا غريبا ، فشيء يلام عليه الخيام نفسه - اذا صح لحضرة الكاتب ان يلومه . لانه هكذا تصور وهكذا قال .. وما ترجمة « فتزجيرالد » لهذه الرباعيــة الا تعبير تراءى له وفضله على الاصل.

بقى علي ان أقول للمازنى افندى ان « فتزجيرالد » اهمل قسما كبيـرا من رباعيات الخيام وهو قسم المناجاة . وفي هذا القسم ، الرباعيات التى لم ترق لحضرته فسماها اورادا لأنه لم يتعود هذا النوع فيما قرأ من ترجمة « فتزجيرالد » .. اما انزاله القراء على كراهية الشعر والخيام عند قراءتهم ما ترجمت من رباعياته فشيء يطالب به نفســـه ، لان الاذواق تختلف والاراء تتضارب والامزجة تتباين ، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه ولم يبخس الناس اشياءهم .. » الاخبار ١٩٢٤/٨/٦ .

لقـد لاح الغضب على وجه رامي ولكن تساوق رده واتزانه يوحي انه غضب الطموح الذي تمنى فاجتهد ، فادرك ، ثم غبن او ظن انه مغبون ..

وقد عاد الأستاذ المازني فنقح نقده للرباعيات عندما جمعـــه في كتابه (حصاد الهشيم .) :

« على ان ترجمة رامي للرباعيات مهما تباعدت الاراء فيها او تلاقت فان فيها نفحة من روح الخيام وقبلا منها من طول معاشرة الشاعر له واهتمامه به وحبه له . ولعل رامي كلف بالخيام لان فيه منه اشباها ، فشاعر الفرس قدرى مثله، طروب مثله ، غنائي مثله . فلا غرو أن يتلاقيا عبر الاجيال ..

انا لا احكم بهذا لترجمـــة رامي للرباعيات فما بهذه السهولة تصـدر الاحكام .

هذا فضلا عن ان الرباعيات ترجمها الكثيرون ودرسها آخرون دراسة وافية يستطيع من يشاء ان يرجع اليها في تلك المصادر فهي في ذاتها موضـوع يفرد له البحث والتاليف . وهي من هذه الناحية موضوع كبير شانه اجهد البحث وشعب الاراء بين محو واثبات فلم ترق فيه حجة بعد الى فصل الخطاب ...

ولكن لماذا شعر الخيام دون سواه ؟

لقد ترجم رامي هملت ، ويوليوس قيصر ، والعاصفة ، وروميو وجولييت لشكسبير

كما ترجم النسر الصغير ، لروستان

وسميراميس ، لبلادان

وفي سبيل التاج ، لكوميه

وشارلوت كوردي ، لبونسار

وجان دارك ، لباربيه

ويهوديت ، لبرنشتين

وارناني وماريون دي لورم ، لهوجو

ولكن هذه كلها مسرحيات .. لهذا يظل السؤال حيث هو : لماذا شعر الخيام ؟

لعل في نشأته الاولى مفتاح الجواب

فتح الشاعر عينيه طفلا على بيت ناغم .. وكان ابوه جميل الصوت عذب الغناء وكان بيته منتدى لا تخلو من عازف او مغن من اصدقائه هواة الموسيقى ومنهم من عازفي العود (موسى صادق) و (محمود لطفى) و (ابراهيم الدهان) .

ومن ثم نشا طروبا لان الطبيعة تعرف ان الطرب بعض وسائله شاعر .

وكما نشا طروبا شب عامر النفس بمعنى الحب ، معطر الجو بعبير الهوى قبل ان يطالع روضه او يقبل ورده . فهو قاهرى صميم عرف الازقة والحارات والجوامع والمغنا

ودرج رامي في مدراج الصبا فاذا الحب في نفسه خاطر حائم وشعور هائم وخيال صناع . حتى اذا التقى بالحبيب اول مرة لم يره غريبا .. ان الشاخص ماثل المعنى بعد ان تحدد ، والخاطر بعد ان قر ، والشعور بعد ان استقر ، والخيال بعد ان تميز ، والظنون بعد ان تجسمت حقيقة وتمثلت واقعا ، يقول رامي من قصيدة (اللقاء الاول) :

لست انساه اذ وقفت عليه	وهو ما بين خاطرى وظنونى
فاذا روحه تصافح روحى	قبل شدى بعبلة بيمينى
واذا الوجه ليس بغريب على	انا شاهدته بعين يقينى
واذا نحن قبل ان لبدا القول	حبيبان من طوال السنين

وهكذا حدث بداية حياته ، بدايته الفنية بل وما بعد البداية .. فجو التصوف والحب والطرب الذى نشا فيه عطفه على عمر الخيام لانه قدرى مثله، طروب مثله مثلما يجنانى على غراره فترجمه وطبعه وهو في باريس .

ثم عاد من باريس لينظم الشعر ويصوغ الاغانى فكانت اغانيه اشواق روح وكان شعره عفا شفا لم يعلق بهجاء انسان ولا مدحه ايضا . ترفع عن هذا وتعفف عن ذاك . لقد عاش رامي للحب والوفاء والصداقات والسبحات الشاعرة . حتى الغزل لايتعلق عنده بالاوصاف الحسية ولكنه شوق وتحرق وظما وحرمان سعيد لوصح هذا التعبير ، فان الشاعر يصرح في اكثر من موضع بانه راض بالظما قانع بالجفا ، بل جاء عليه وقت قال فيه . حتى الجفا محروم منه . .

هذه قصة من كثير ، فلرامي مع الغناء قصة ، ومع الشعر قصة ، ومع الزجل قصة ، ومع الحب قصص وحكايات لاتستوعبها المقالات المحدودة التى تشير ولا تحيط . لان الاحاطة لها بعد ، مقام عريض .

الحبيب شيبوب



حبيب الأمس

« سألته حسناؤه عند الوداع ، أن ينظم شكواها شعرا ، ففعل »

بعد ما أقسمتَ لي أنك ترعاني ولن تذبل وردي
كيفَ باللهِ تناسيتَ غرامي وتسليتَ لبعدي ؟
يا حبيبَ الأمس .. أضنيتَ فؤادا ساءه منك التحدّي
عجبا يُرضيكَ أن أقضي ليالي بدمعي وبسهدي
وحنيني للقاءاتٍ تساقينا بها وداً بودٍ ؟ !

***

طالما ألهبكَ الشوقُ ، فكان الصفوُ والإيناسُ عندي
كم ترشفتَ رحيقَ الوصل من ثغريَ سلسالاً وخدّي
وشممتَ العطرَ من شعري ، وناغيتَ ـ كما أحببتَ ـ نهدي
وزعمتَ العمرَ من دوني سراباً يخدع النفس ويُردي
وسأبقى منكَ بالقربِ أناجيكَ ، وتبقى ليَ وحدي

***

ما الذي غيّركَ اليومَ ، فأمسيتَ على كرهٍ وصدٍّ ؟
عبثاً أشكو إلى قلبكَ مما بي .. فلا أحظى بردٍّ
لا أرى الشكوى تسليني عن الذكرى ، ولا لومك يُجدي
غير أني أحمل الجرح بجنبيَّ .. ولا أبديه جهدي
فامضِ .. لا لاقيتَ إلا السهد والوحشة والحرمان بعدي !

● الحبيب شيبوب ● ● تونس ●

ماذا قال الفيلسوف "هكسلي" بعد أن تناول عقاقير الهلوسة؟

الكارثة التي تهدد شباب هذا الجيل



د. سانحة أمين زكي

العقار والعقير ما يتداوى به من النبات والشجر . والعقار كل نبت ينبت منه شفاء . ولا تسمى شجرة العطر والطيب عقارا . والعقاقير اصول الادوية .

فلا غرابة ان كان النبات اول شيء تداوى به الانسان منذ عصوره الاولى وقد وجد الانسان قسما من هذا النبات يؤثر في النفس ويبعث فيها خدرا وراحة ونشوة . فاستفاد منهما في اغراض متباينة واهداف مختلفة في الطقوس الدينية والتقاليد الحربية . فقد عثر على بقايا الخشخاش في كهوف الانسان البدائي في العصر الحجري . ومنه يستخرج الافيون . ووجدنا بعض الخوابي لصناعة النبيذ منذ اقدم الازمنة ويستنتج بان الانسان اهتم بنشوته وخدره قبل ان يمارس الزراعة لغذائه ومعيشته .

جرت في العصر الحديث عدة اختبارات على النباتات وانواعها واستخلص منها انواع شتى من العقاقير المهدئة والمخدرة والشافية ، وقد استعملت خلاصتها دواء لكثير من الامراض وتسكين الالم • ولاتزال تسمع بالمزيد منها يحضر في مخابر العلماء لراحة الانسانية ولتخليصها من ربقة المرض الفتاك •

وهناك بعض المواد التي تخدر الدماغ وتؤثر في وظائفه •

والعقاقير التي تؤثر في الدماغ ثلاثة انواع هي :

١ ـ المواد المخدرة او المثبطة لوظائف الدماغ : كالافيون والكحول، معروفة ومستعملة في جميع انحاء العالم •

٢ ـ المواد المنبهة او المحفزة للدماغ : كالشاي والقهوة والكوكاكولا • انتقلت من الشرق الى الغرب •

٣ ـ المواد المهلوسة : وهي المواد التي تؤدي الى تغيرات ذهنية ونفسية تشبه حالات الاختلال العقلي ـ الشيزوفرينيا ـ فيرى الشخص صورا ويسمع اصواتا لا وجود لها • توجد في « الحشيش » و «المسكالين» المعروف لدى الهنود الحمر •

وقد اضاف العلم الحديث الى هذه الاصناف طائفة عديدة من المواد الكيمياوية التي تصنع في المختبرات وتستعمل للاغراض الطبية او للنشوة التي تبعث الى الادمان •

وقد جنح البشر في بحثه الغريزي عن السعادة ، فاتخذ العقاقير سبيلا للهرب من واقع مرير ليستمد النشوة والانطلاق من تاثير هذه المواد رغم درايته بان السعادة التي يحصل عليها ليست غير فردوس وهمي مؤقت ينتهي به الى اسوأ العواقب •

ويبدو لي ان غريزة البحث عن السعادة او كما يقول البعض ـ الرغبة في منح النفس اجازة كيماوية من الواقع التعيس ـ متاصلة في النفس البشرية ولم توقفها صرامة القوانين او يردعها تحريم الاديان السماوية •

وقد اكتشفت في الاعوام الاخيرة عقاقير متعددة قيل انها القت ضوءا على اللغز المحيط بالنفس البشرية واقتحمت جانبا من اسرار الغموض التي تغلف النفس الانسانية • وكانت اول خطوة في هذا السبيل اكتشاف مفعول مادة « ل•س•د » (ليزرجيك داي ايثايل امايد) واستعماله لغايات التشخيص والعلاج في الامراض العقلية والنفسية ، ثم كتبت المقالات الطبية العديدة واجريت التجارب النزعة عن هذا العقار والمادة المشابهة ، (المسكالين) • وقد انتشر استعمال



الدوس هكسلي : معجزة الحياة المجردة ..

عقاقير الهلوسة

« ل . س . د » بين الشباب بشكل بعث على القلق وغدا « مودة » منتشرة في أوساط الجامعات والمؤسسات والنوادي المختلفة .

وتعود قصة اكتشاف الـ « ل.س.د » الى نهاية الاربعينات من هذا القرن عندما كان العالم الكيماوي (هوفمان) يعمل بمختبر ادوية (ساندوز) المشهورة فيمدينة (بازل) في سويسرة لاستخراج مادة كيماوية استحضرها بنفسه من شبه قلويات (الارغوت) وهو نبات من فصيلة الطفيليات ..

وبينما كان العالم في غمرة العمل، بدأت تنتابه مشاعر عجيبة واومضت في عقله افكار غريبة لا ارتباط بينها ، فقد شعر كأن جسمه انفصل عنه وانتابته نشوة جارفة وسعادة غامرة دون مبرر لها . أو سبب لبعثها . وتوقف الرجل عن عمله وقرر أن يذهب الى البيت . وعندما هم بامتطاء دراجته الهوائية احس بانه فقد السيطرة على توقيت حركاته وعلى ضبط المسافات ، فاقتاد الدراجة بيده وعاد الى بيته ونام ..

وفياليوم التالي زالتتلك الاعراض ففكر في الامر طويلا واستنتج ان السبب كامن في تلك المادة الجديدة التي استحضرها البارحة أو انه قد اصيب بالجنون . فقرر اعادة التجربة وتناول ربع ملليجرام من المادة عن طريق الفم ، فتكررت لديه نفس الاحاسيس والصور، وبعد ساعة توقف عن العمل وعاد الى بيته ثانية يجر دراجته دون أن يمتطيها .

وفي اليوم التالي قص ما حدث له على زميلين من الاطباء فلم يصدقا كلامه ولعلهما ظنا ان زميلهما قد اصابه مس من الجنون . وتحدياه بأن تناول كل منهما الكمية نفسها ، ولما بدأت الاعراض تظهر عليهما ذهبا الى البيت . ولما وصل أولهما الى بيته كان يحاول عبثا ضبط نوبة قوية من الضحك داهمته بشدة .. وطلب فنجان قهوة من زوجته ولما ناولته الفنجان انفجر ضاحكا بكل قواه ثم قذف بالفنجان وصحنه الى سقف الغرفة فهرعت الزوجة الى التليفون لكي تستدعي الطبيب ، فقيل لها انه قد استدعي لمعالجة الزميل الثاني الذي تناول المادة نفسها معه !

وهكذا عرفت هذه المادة ، وابتدأت حولها البحوث على نطاق واسع في جميع معاهد الغرب الطبية . وقد اجريت عندنا في كلية الطب بحوث عملية متنوعة وتجارب عديدة على مختلف الاشخاص الاسوياء منهم والمصابين بامراض عقلية وكانت النتائج مطابقة للتجارب التي اجريت في المعاهد الغربية .

ومن هذه المواد : مادة المسكالين

مادة شبه قلوية تستخرج من نبات الصبير المكسيكي تجفف وتؤخذ عن طريق الفم . وقد عرفها الهنود الحمر واستخدموها منذ قديم الزمان وبخاصة في المراسم الدينية .

وتأثيرها يشبه تأثير « ل.س.د » الى حد كبير وقد اجريت عليها التجارب العلمية واستعملها علماء النفس للتحليل النفسي كما درس بوساطتها علماء الكيمياء الحياتية

موضوع « الجنون المتسبب من المواد الكيماوية » .
ثم انتشر استعمالها بين الشباب أيضا ، وكان أهم من كتب عن تأثيرها العالم المشهوروالاديب «الدوس هكسلي» الانكليزي عندما نشر انطباعاته عن المسكالين في كتاب صغير أصبح مرجعا لهذا الموضوع .

أوهام السمع والبصر

وتأثيرات «ل.س.د» و «المسكالين» متشابهة المفعول على الجسم وتنحصر بما يلي :

اوهام بصرية :

فعندما يتعاطاها الانسان يتشوش البصر قليلا ثم تحدث له تخيلات بصرية كأن يرى أشياء غير موجودة تمر أمام عينيه وتتغير ألوان الاشياء حوله . وهذه الاوهام البصرية تقل اذا عصبت عين الشخص اثناء التجربة .. تتغير أشكال الاجسام حوله أو تبدو مشوهة أو غريبة ويتجلى لقسم منهم ضخامة الاشياء الصغيرة وأهمية خاصة للتافهة منها كعلامة على الحائط أو صورة صغيرة .

اوهام سمعية :

وهذه اقل حدوثا من الاوهام البصرية ويسمع الانسان أصواتا لا وجود لها وتزداد حدة سمعه وقد يكتسب فجأة احساسا موسيقيا لم يكن يملكه من قبل .

عدم الاكتراث بالزمن وقيمته

ويبدو لمتناول هذا العقار بأن الوقت قد توقف أو أنه يجري بسرعة عظيمة فترسم أمامه ألوف السنوات بحوادثها التاريخية وهو في الحالتين لا يأبه بالزمن ولا يسأل عن الوقت أو ينظر الى الساعة .
ويصعب عليه حل المشكلات الذهنية حتى البسيطة منها وتكثر أخطاؤه فيها . أما الطعام فيبدو لديه خشنا وغليظا في الفم مع فقدان الشهية ، وقد يترك الشخص أطرافه مدلاة في أوضاع غير مريحة أثناء جلوسه ولمدة طويلة دون أن يأبه لذلك .

الحالة النفسية :

وقد ينتابه شعور بسعادة كبرى فيتراخى ويمعن في ـ التأمل الذاتي ـ ويحس الكثير منهم بفهم معنى « النعيم الابدي » أو « التجلي الاعظم » أو غيرهما من الاشياء الرمزية .

وقد ينتاب الشخص القلق والكآبة والخوف الى درجة الرعب فيرفش عرقه ويهبط ضغط دمه مع مغص معوي أحيانا أو ضيق في التنفس وانحصار في الصدر . وقد يصف ذلك ـ بالجحيم ـ اذا صحبه شعور بنور قوي ملتهب ، أو يصفه ـ بالزمهرير ـ اذا اعتراه الاحساس بالبرد والضيق .

سبب التأثير :

لقد كشف العلم عن تأثير هذه المواد الكيماوية على الانزيمات الحيوية التي تقوم بتنظيم عمل خلايا الدماغ . وتعلم أن البعض من الانزيمات والهورمونات تقل أو تنعدم في الدماغ بتأثير هذه المواد . أما علاقة ذلك بخلل وظائف الخلايا وشل عملها فلا يزال مجهولا لدينا . كما أن ميكانيكية المفعول غير معروفة الى الآن . وقد تحدث هذه الاعراض نفسها أو ما يشابهها في حالات أخرى لا علاقة لها بتناول الموادالكيماوية أو تعاطيها. في حالات منها عند تراكم ثاني أوكسيد الكربون في الدم لفترة طويلة وبنسبة معينة دون درجة الاختناق طبعا . ويحدث ذلك لمارس تمارين ـ اليوجا ـ الهندية حيث يتدرب الشخص على قطع نفسه فترات طويلة فيتراكم ثاني أوكسيد الكربون في الدم . وتحدث تغيرات في خلايا

الدماغ تؤدى الى ظهور رؤى وخيالات يدخل الشخص من جرائها فى حالة ـ التجلى ـ متخيلا الفردوس تارة والجحيم اخرى ٠

وقد يحدث الشىء عينه لمن يغنى أو يرتل لساعات طويلة وبخاصة عندما يذهل الانسان وينسى ما حوله فتلوح أمامه الرؤى والخيالات ٠

وكذلك فى حالات الصيام الطويل المصحوب بخلوة وانقطاع فى محل قليل الضياء مع سكون تام ـ مثل صوامع النساك ـ لتحدث تغييرات فى الجسم بسبب كل ذلك ، وهكذا يؤدى الاعتكاف الذى يفرضه الناسك على نفسه الى ما يشبه انفتاح أبواب الفردوس والنعيم أمامه ٠

وفى الامراض العقلية «الشيزوفرينيا» يرى المريض ويسمع أشياء لا يراها غيره ، أشياء تسعده أو تشقيه ٠

وأحيانا قد يرى المرء فى ساعات الموت أبواب عوالم خفية رائعة الجمال تكتنفه وتتفتح أمامه ٠

عقاقير الهلوسة

يومه الاول فى الجنة

هـذا باختصـار ما نعرفه عن تاثيرات مواد الهلوسة ٠

ومن الطريف أن نقتبس بعض مـا نشر عن تاثيراتهـا مـن مختلف الاشخاص ٠ فقد كتب العالم الاديب « هكسلى » بعد أن تناول «المسكالين» وجلس مع زوجته وأحد أصدقائه وسجل انطباعاته على شريط نشره فى كتاب سماه « أبواب الادراك » نقتبس منه ما يلى :

« أرى أمامى أضواء ذهبية اللون ترقص ببطء ٠ ثم ظهـرت سطوح حمراء صقيلة ، أخذت السطوح تتسع ثم بدات تتفتح منها نقـاط براقة متحركة تهتز بحيوية وتتغير عـلى الدوام ٠

« ونظرت الى مزهرية زجاج صغيرة تحوى ثلاث زهرات كنت قد رأيتها فى ذلك الصباح واعجبت بجمالها ... ولكنها لم تكن مجرد زهرات جميلة ٠ انما ارى ما رأى « ادم » فى يومه الاول فى الجنة يوم فتح عينيه، فما أرى غير زهرات فقط ، لكن امامى معجزة الحياة المجردة ٠ الزهرات تلتمع بنور داخلى ذاتى وكأنها ترتجف مشحونة بمعنى عميق ذاتى ..

« انها منبع مقدس لكيان تالق صاف اطلت النظر اليها والى نورها الحى وانا مبهور ، أراها وكأنهـا تتنفس تنفسا لا بداية له ٠ ولا نهاية وانمـا يبدا بدفق من الجمال ويتحول الى شىء أكثر جمالا ، اما المعانى فيها فتتحول من معنى عميق الى معنى أعمق ، فقد توالت فى ذهنى كلمات مثل (النعيم الالهى) ٠ (التجـلى الاعظم) ٠ (الحقيقة الازلية) ٠ ولاول مرة خيل الى اننى افهم معنى تلك الـكلمات وما تشير اليه ٠

« نعم المعاني أمامي واضحة كالنهار جلية كالشمس ، بدت في الزهرات وكأنها تضم معنى الوجود . هنا أمامي النعيم والفردوس !

« ونظرت الى كتبي في رفوفها حول جدران غرفة المكتبة واذا بها تتوهج كلها وتلمع كالازهار أو الاحجار الكريمة وقد اكتسبت جميعها معنى عميقا ... الكتب الحمراء تلمع كالياقوت ، والخضراء كالزمرد ، والبيضاء كالعقيق الابيض ، والزرقاء كاحجار البحر .. كلها ذات معنى وذات وجود . ذات معنى عميق وكأنها على وشك أن تترك رفوفها وترمى نفسها على لتجلب انتباهي . سألني صديقي :

« هل تغيرت في نظرك المسافات والبعد بين الاشياء ؟

« وكانت الاجابة على هذا السؤال صعبة . صحيح ان الجدران تبدو وكأنها لا تلتقى مع بعضها في زاوية قائمة ولكن ذلك لم يكن يهمني قليلا او كثيرا لانى فقدت الاهتمام بالمسافات او كم يبعد شيء عن شيء آخر .. اشياء تافهة . لدى اشياء اكثر اهمية بكثير ، ان موقع كتبي فوق الرفوف لا يهمني ، ما يثير اهتمامي انها جميعا تلتمع بنور حي واخاذ . يبدو البعض منها اشد بهاء من البعض الآخر اما موقعها من الغرفة أو على الرفوف فأمر ما كان يعنيني مطلقا . ولكني لم افقد شعوري بالمسافة والمكان .. كنت امشي واسير في الغرفة بصورة طبيعية واتناول أي شيء اشاء بسهولة . والفضاء والمسافات لاتزال موجودة ولكنها فقدت اهميتها عندى وقد فقدت الاهتمام بالزمن . يبدو الوقت طويلا ومتوفرا ولكن ذلك لا يهمني لانى لم انظر الى ساعتي . انا في عالم والساعة في عالم اخر ولا يربطنا رباط .

« كنت أعيش في حاضر مستمر ليس له ماض ولا مستقبل .. حاضر دائم متكون من رؤى قدسية بهية تتجلى أمامي وتتغير على الدوام ! »

وهكذا يستمر « هكسلي » في وصفه لكراسي الغرفة وكأنها قطع فنية – لها ارجل الملائكة – ويرى ثنيات بنطلونه القديم الرصاصي اللون وكأنه قماش نفيس غامض لم ير له مثيلا من قبل بحيث انه لا يملك ان يرفع بصره عنه . الى آخر ما جاء في وصف الكاتب الكبير .

ارهاب ذاتي لا ينتهي

وتتكرر كلمات (النور ، والالوان البراقة ، والمعنى الذاتي للاشياء ، والفردوس الابدى ، والحقيقة الخالدة) في أقوال الذين تناولوا هذا العقار كما أن هناك تشابها فيما كانوا يرون من اشكال تمر أمامهم كالاشكال الهندسية الملونة والاشياء التي تشبه السجاد المزخرف والمجوهرات الغريبة و « الموزائيك » والمناظر الريفية الجميلة التي تتغير على الدوام .

ان ما يراه الشخص متأثرا بهذه العقاقير هي اشياء غريبة ومذهلة لم يرها من قبل . انه لا يخترع هذه الاشياء من ذاكرته لانه لم يره ما يشبهها في حياته . انه ينظر ويتفرج على خليقة جديدة غريبة الاشكال بهية الالوان . وبهذا تختلف عن حالة الاحلام . ففي الاحلام معظم الصور والوجوه والامكنة معروفة وتأتي من الذاكرة بينما هنا الوجوه والاشياء لا تمت بصلة لمن يعرف ولما لا يعرف ... ان المواد المصنوعة منها هذه الخليقة الجديدة هي من تجارب الشخص البصرية في حياته ولكن القوالب التي تتخذها هذه المواد الاولية والاشكال التي تنسجم بشكلها هي ليست من صنع الشخص أو اختراعه .

وقد تناول شخص آخر هذا العقار

فرأى نفسه قد دخل الجحيم فقال يصف :

« يبدو الناس من حولى مجرد آلات ليس لها أرواح ... أما الصداقة والعاطفة فلا أعرفها . وفى وسط الزحام أقف منفردا . والكون كله أراه آلة بخارية هائلة الحجم تسير دون غاية ليس لها هدف سوى سحقى . فأشعر بخوف شديد ورعب هائل وجبن فظيع يسمرنى فى مكانى . وأتوقع حدوث الشر والأذى من مصدر مجهول . وأقوم بحركات عشوائية كالتى الأخرى ، ويظهر ضياء ساطع جهنمى يغمرنى ويحيط بى لهيب لا يخمد ولا ينطفىء . وأشعة الشمس مؤذية شديدة اللمعان . وكل شىء يهددنى . وأنفاسى تضيق وصدرى ينعصر وأكاد أختنق ! »

وقال آخر يصف ما يعتريه :

« أحس بأن جسمى يصغر حجمه وتزداد كثافته حتى بدأ يضيق بأحشائى الداخلية . وأنفاسى تنحبس وهناك ضغط على أضلاعى لأن العالم يهددنى وأنا خائف وأرتجف وأشعر ببرد كالزمهرير » .

وفى هذه الحالات تتكرر كلمات الخوف ، والتهديد ، والاتهام ، وضيق النفس ، وبأن كل شىء يحوى إرهابا ذاتيا وتهديدا أزليا لا ينتهى . أما العواطف فكلها سلبية كالخوف وانعدام الثقة بالنفس وكره الناس والشعور بحرارة وأشعة تؤذيان البصر أو ببرودة وقشعريرة تسيطر على جسم الإنسان ليرتجف من شدتها .

خلل فى خلايا الدماغ

ونعود الى دماغ الانسان فنقول ان مراكز الدماغ ذات الوظائف المعلومة هى — كالعالم القديم — المعروف فى الكرة الأرضية قبلا . وهناك مراكز نعرف شيئا عن وظائف ونجهل التفاصيل وهى مراكز — تحت الوعى — فى الدماغ ، وهى مثل مناطق الأمازون وقلب أفريقيا بالنسبة للعالم القديم المعلومات عنها قليلة وغير وافية . ولكن الدماغ يحوى أيضا «استراليته» مجهولة ، وهى المراكز ذات الوظائف المجهولة لدينا والتى تحوى داخلها أسرارا غامضة غريبة كغرابة حيوانات استراليا إبان اكتشافها للمرة الأولى إنها مراكز لا نعلم عنها شيئا لها وظائف غير ضرورية للحياة ولا تتعلق فى مشاعر الحياة اليومية ومشكلاتها .

وهذه المناطق تطغى عليها المراكز المهمة فى الدماغ وتحجبها عن الوعى ولكنها موجودة . والقليل جدا من يتمكن من السفر الى تلك المجاهل فى الدماغ ويكتشف ما تحويه من صور غريبة ومشاعر غير مألوفة ، وما استعمال هذه العقاقير المهلوسة إلا احدى الوسائل للاكتشاف لأنها تسبب خللا كيماويا فى خلايا الدماغ عندما تشل المناطق الحيوية عن العمل وتزيل تأثيرها الذى يحجب المناطق الأخرى المجهولة . فتتيح بذلك الفرصة لتظهر تأثير تلك المناطق المجهولة الى منطقة الوعى وتفتح نوافذ جديدة يطل منها

المرء على عالم خفي غريب . اى كما يحدث لضوء الشمعة الخافت المجهولة أمام نور قوى ساطع . فاذا اطفا النور الساطع ظهر نور الشـــمعة فتدركه الحواس انذاك ويسجله الوعي .

وهذا التعليل لا يختلف كثيرا عن النظرية الكيماوية الحديثة التى تنظر الى التجارب النفسية التى يمر بهـــا الانسان نظرة مادية كيماوية ليس من حيث السبب فقط بل من حيث النتيجة ايضا . فالتغيرات التى تحدث في دماغ الشخص بحيث تؤدى الى (الهلوسة) هى تغيرات كيمياوية فى الانزيمـات وفى الهورمونات التى تؤثر على خلايا الدماغ . نعلم بحدوثها ولكننا نجهل ميكانيكية تاثيرها على الخلايا . فمن المعروف أن هناك مادة الاسيروتونين « ٥ هـ ت » الموجودة بصورة طبيعية فى الدماغ وتكثر فى ساق المخ وفى القسم الاول من نواة «الهيبوثالاموس» .. وأن اية زيادة او نقص فى فعالية هذه المادة سواء جاء تلقائيا أو بسبب حالة مرضية أو روحية او نتيجة تناول عقار معين أو اثر انفعال نفسى يخل ميزانها ويؤثر فى وظيفة القسم الامامى من النواة المذكورة ويحـــدث ذلك اضطرابا فى وظيفة الدماغ . وقــد ينتج ذلك ايضا من جراء دخـــول مادة سامة فى غذاء الشخص او شربه او قد يتكون فى الجسم نتيجة تجمع زائد للمواد الموجودة اعتيــــادا فى الجسم او نفاياتها الكيماوية .

والعلم الحديث لا ينظر الى التجارب النفسية كحـــالة عقلية مجردة قائمة بنفسها غير معتمدة على اساس مادى فى الدماغ بعد البحوث العديدة فى ميدان الفسلجة النفسية والعقــاقير النفسية ، التى كشفت على ان التجربة النفسية تخضع لاسس مادية كيماوية تتركز فى مجموعات معينة من خلايا الدماغ وان هذه الخلايا تتاثر قليــلا او كثيرا باى تدخل فى تغذيتها .

الى الجنون او الانتحار

واخيرا هل هناك فوائد طبية فى استعمال « السكالين » وال ل.س.د» ؟ لقد تضاربت الاراء حول الفوائد التى تجنى من استعمالها ، ويعتقد قسم من علماء النفس بانها تفيد فى دراسة شخصية المريض العقلى وتقصر فترة المعالجة ، ولهـــا فائدة فى تشخيص (الشيزوفرينيا الكامنة) وفى التحليل النفسى ، الا أن فوائدها العـلاجية لم تظهر بعد بصورة حاسمة .

أما خطورة استعمالها من قبـــــل البعض ممن لا علاقة له بالطب فالخطر يكمن فيما تسببه التجربة العـاطفية للشخص والاتجاه الذى ياخذه بعـــد استعمالها . فقد تؤدى الى انفعالات واستجابات خطـــرة تهز نفوس ذوى العواطف المضطربة ، وقد تؤدى بهم الى الجنون او الانتحار . وقد يقول « هكسلى » انها مفيدة من اجل التامل الذاتى ، ولكن التامل الذى توحيـــه هذه العقاقير هو تامل سلبى لاينسجم والعمل المثمر اذ انه يقتل الرغبة حتى بالتفكير فى العمل . وهذه العقــاقير لا تحـــــل مشكلات الفرد ولا تنير له الطريق لايجاد الحلول ، اما قوله انها فسرت له معانى ـ التحـــدى ـ فى الحياة وماهية التحرر التام الذى سببه شعور « الاستجابة » لذلك التحدى لديه . ولكنه لم يحدد نوع التحدى الذى اثاره « السكالين » ولم يصف ماهيـــــة الاستجابة التى نتجت عن ذلك .

وكل ما نرجوه ان يبعد النـاس عن تناول مثل هــــذه العقاقير لان ضررهـــــا الاجتماعى والاقتصـادى والفكرى اكثر من نفعها ولم يجربهـا الغرب الا للعلم اولا وللهرب عن واقع الحياة المتناقضة التى تهدد كل يوم بالات الدمار والفتك والخوف من زوال العـــالم بالقنابل الهيدروجينيــــة . . .

● عن الكتاب ـ بغداد ●

● د . سانحة امين زكى ●

لا تأسفوا على الشباب

ريمـــون برنــو

يعتقد معظم الناس في ايامنا هذه ان الشيوخ الـذين علا الشيب راسـهم جمـاعة من « الاحياء ـ الاموات » ، لم يدع الله منهم الا انفاسا صـاعدة نازلة في صدورهم تشهد على انهم لا يزالون بعد في الحياة · ولهذا يتصـورهم اغلب الناس انهم ليسوا الا عالة على المجتمع اذ لم يعد بوسعهم القيام بشيء ينتفع به مجتمعهم : انهم وعدد السنين الكثيرة التي سلخوها من جسم الدهر ـ اشباه الحصادين الحاملين حزم السنابل الى البيادر لتسحقها شفرات النوارج فتتناثر الحبوب ولا يبقى منها الا القش اليابس

··· هذا هو الشيب : هذا هو مصير الانسان الشيخ المنتظر هبـوطه الى الهاوية ليصبح غذاء لديدان القبر ·

ليت للشباب عينا لترى ما يفعله به الشيب !

هذه هي سنة الله في خلقه اذ جعل لكل كائن زمانا ومكانا ·· ولكل دولة مدة ورجالا · ولهذا لا نراه صوابا ان يمتهن الشيب او يحتقر لمجـرد بلوغ أصحابه الى دركة عميلة من الضعف والوهن · والامثـــال التالية تؤيد نظريتنا ·

●●●

اما ادباء العرب وشـعراؤهم فقد احترموا الشيب على مدى التـاريخ

واعطوه حقه من التقدير والتكريم ٠ولا عجب فالخمرة المعتقة يلذ طعمها ويطيب بمرور الزمن عليها ٠ وهكذايجب أن يكون بنو آدم ، لان تجارب هذه الحياة واختبـــاراتها تكون قدزادتهم حكمة وحصافة رأى ٠ فالشيوخ أكبر عقلا ، واعمـــق روية ، وأطول صبرا ، وأكثر خبرة من الشـــباب ـ ولهذا فقد عبر عن ذلك الشاعر الكبيرابو فراس الملقب بالفرزدق حين قال :

ان المشيب رداء الحلم والأدب   كما الشبابرداء اللهو واللعب

والشاعر نفسه يعبر عن قوة الشيبوضعف الشباب فى خوض مشاكل الدهر فيقول :

اذا نازل الشيب الشباب فاصلتا (١)   بسيفهما ، فالشـــيب لا بد غالبه

وهذا الشاعر الاخر ابو تمام حبيببن أوس الطائى ـ السابق الشعراء والمخجل الفصحاء ـ يدافع عن الشيبأمام حبيبته التى راعها ان ترى القتير يعلو رأسه على رغم حداثة سنه فيقولها :

ولا يؤرقك ايماض القتيـــر به   فذاك ابتســـام الراى والأدب

اما دعبل الخزاعى الذى يقرن الشيبدائما بالعلم والحكمة فهو يجعل من الشيب صفة محمودة يجب الا يستغنىاحد عن الازديان بها فاسمعه يقول :

علم وتحكيم وشيب مفارق   طلس ريعان الشباب الرائق

وهذا سراج الدين عمر بن محمد بنحسن الوراق يصـــف الشيب بالنهار البهى الوضاح الذى يعقب الليل الحالكالاعمى ، ظنا منه ان أيام الشـــباب يعتورها الجهل وأيام الشيب يزينهـــاالعقل فيوجه الى حبيبته هذين البيتين :

وقالت : يا سراج علاك شيب   فدع لجديده خلع العـــذار

فقلت لها : نهـــار بعد ليل   فما يدعوك انت الى النفـــار ؟

وقد سار قول المتنبى « الشيب اوقروالشبيبة انزق » مثلا على الالسن ٠ وغيره قال مثلا آخر : ان الشـــبابمطية الجهل ٠

***

ومن فحول الشعراء الذين دافعوا عنالشيب بحرارة الشاعر الكبير أبو العلاء المعرى الذى يرى ـحسنـا فى الشيب نوراًمشرقاً ولوناً بهياً وشيئاً مرغوبا فيه الكثير من ثغر الحبيب فيقول :

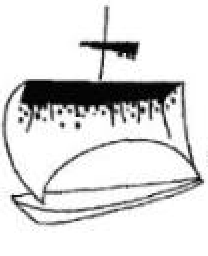
خبرينى ماذا كرهت من الشيـــب فلا علم لى بذنب المشيب

أضياء النهار ام وضح اللؤلؤ   ام كونه كثغـــــر الحبيب ؟

وهذا شاعر المهجر الاكبر ايليا أبوماضى يسوءه ان يعاب المرء على مشيبه ويلوم من يهزأ بالشيب فها هو يقول :

---

(١) تبارزا



واذا يعاب على المشيب فتى　　　فمن ذا لا يعـــــاب ؟
او كان يمدح بالســـواد　　　فمن ترى مدح الغـــراب ؟

ويذهب هذا الشاعر المهجري اللبناني الى ابعد فيقول في قصيدته « مجاهد » التي كان قد القاها في حفلة تذكارية اقامتها جمعية المسلمين ببروكلن لفقيد الأمة المرحوم موسى كاظم باشـــا الحسيني :

وهش المشيب براسه فاذا به　　　كالحقل ، فيه الزهر والاثمار

●●●

ويرى جرير ـ اشعر الشعراء الثلاثة البارزين في صدر الاسلام ـ ان العمر لا يقاس بالسنوات بل بحيوية الرجل وقدرته على العمل وميله الى المسرات وصلابة عوده مشيرا الى بقاء الرجل شابا ، مقتول الســاعدين رغم وخط الشيب راسه فيقول :

تقول العاذلات : علاك شيب　　　أهذا الشيب يمنعني مراحي ؟

كما ان ابا بكر بن دريد يصـــف الشيب بسقم غير مؤلم فيقول :

هو الســقم الا انه غير مؤلم　　　ولم ار مثل الشيب سقما بلا الم

ويؤيد هذا القول الشريف الرضي حين ينشد متأوها فيقول :

أه من داءين : عــدم ومشيب　　　رب ســقم لا يداوى بطبيب !

ويجرى على هذا النمط ابن المعتز غير حافل بالشيب فيقول :

جاء الشيب فما تعســــت به　　　ومضى الشباب فما بكاي عليه ؟

●●●

هذه الوان متعددة قدمها لنا فطاحل الشعراء وادباء العرب عما تصوروه في الشيب احببنا ان ترسم منها لوحـــة خيل لنا ان عرضها على القراء يروق لنواظرهم ويلذ لذوقهم

فاذا كان ثمة بيننا من يستاء من الشيب فلنقص في موازين اعتباره ومن النـــاس من لا يريد ان يرى الا بعين عمياء فيرى الحسن قبحا والخير شرا ·

اما اذا كان للناس ان يستاءوا حقا فمن كلا الشباب والمشيب معا اذا كان اصـــحابهما غير نافعين في محيط اجتماعي يشغلانه · وعلى هذا وحده فقط يجب ان يبكي المرء في زمني شبابه او مشيبه لانه امضى حياته لهوا ولعبا وفي النتيجة لم يكن مفيدا لغيره وفيما عدا ذلك فلا نرى خيرا من ان نتسمع الى اسطوانة المطرب العراقي المرحـــوم ناظم الغزالي حيث قال :

عيرتني بالشيب وهــو وقار　　　ليتها عيرت بما هو عار !

● نيويورك ●　　　● ريمون صادق برتو ●

« عن صحيفة الإصلاح المهجرية »

رحلة الشهر

وجـــوه مـــن تـونـس الخضـراء


سى صالح المهدى

وكانت رحلة الشهر ، عشرة ايام حلوة فى ربوع تونس الخضراء ، تنسمت فيها عبير الاندلس ، وعشتها بين نغمات « المالوف » والموشحات ... وبين ايقـــاع الشعر القويم والشعر الملحون (أى شعر البادية) .

عشرة ايام ، رايت فيهـــا عشرات من الوجوه التونسية السمحة الطيبة .

سى صالح المهدى ، الرجل الذى يحمل على كتفيه امانة احياء التراث الموسيقى الاندلسى ، ويحتضن بين يديه رسالة نشر الوعى الفنى ووثبـــة الغنـاء والعـــزف والرقص الكلامى والشعبى .

وسى محمد الحبيب ، ذلك الشيخ العمم الـــذى كان من الرواد الاوائل فى ميدان المسرح التونسى .

وسى محمد المرزوقى ، ذلك الرجل الضئيل القامة ، العريض الهامة ، الذى وهب حياته لنشر التراث التونسى من الشـــعر الملحون والاساطير والامثال والحكم والنكات الشعبية .

وسى الهادى العبيدى ، صاحب جريدة « الصباح » اليومية الكبرى ، والشاعر والناقد والزجال والمسرحى وكاتب الاغانى العاطفية الرقيقة .

وسى مامون الشطى ، مدير الاذاعة والتليفزيون ، الـــذى وثب بفن الشاشة والميكروفون وثبة رائعة .



زبيدة بشير

وسى جلال الدين النقاش ، الشاعر المطبوع الذى نظم أجمل أغنية فى تحية مصر ... الاغنية التى رددتها فرقة الفنون الشعبية التونسية يوم قدمت عروضها الباهرة فى القاهرة منذ أعوام قريبة .

وسى الحبيب شيبوب ، وهو ظاهرة أدبية فريدة فى العالم العربى ، اذ يحفظ تواريخ جميع الادباء والشعراء والنقاد وكتاب القصة فى المشرق والمغرب ... الى جانب ثلاثين ألف بيت من الشعر على الاقل ، أكثرها لشعراء مصر ... هذا فوق أنه شاعر عاطفى موهوب .

وسى نور الدين صمود ، شاعر الشباب ذو اللحية الانيقة ، ونجم الاذاعات الشعرية الموسيقية .

والشاعرة النبيهة الحسناء ، زبيدة بشير ، التى حدثتكم عن ديوانها الاخير فى عدد سابق .

وقد هيأ لنا سى صالح المهدى امسية شعرية جميلة فى مبنى الكونسرفتوار ، اتيح لى خلالها أن التقى بكثير من المؤلفين والملحنين والشعراء الشابهين ، واستمع الى باقة مختارة من مزاج لطيف من شعراء الامة العربية : المفدى زكريا من الجزائر ، والحبيب شيبوب من تونس ، وفاضل الخلف من الكويت ، ويوسف عز الدين من العراق ، وجودت نور الدين من لبنان ... وأنا ، من مصر .

وما أعجب أن تلتقى هذه الصحبة الشاعرة فى امسية واحدة ، ولكن لا عجب ، ففى رحاب تونس الفتانة ، تستطيع أن تستاف عبير الاندلس ، وتهب عليك نسمات الشرق ، وتنعم بروح المغرب .. وتظل عليك مفاتن باريس !

ولقد تحدثت عن هذه الايام العشرة من مختلف زواياها، فى زميلاتنا « المصور » و « الكواكب » و « حواء » ... ولكن هناك بقية من الحديث الممتع عنها ، ارجئها الى عدد قادم من « الهلال » باذن الله .

دراسات وتراجم عراقية



صدقى الزهاوى

هذا مرجع من الثمن الراجع فى دراسة الادب العراقى ، صدر أخيرا للاديب العراقى الكبير عبد الرزاق الهلالى ، فيه تراجم مشرقة لحياة الشيخ محمد رضا الشبيبى ، والشيخ محمد باقر الشبيبى ، وأبو المعز القزوينى ، والاب انستاس مارى الكرملى .

يليها بحثان عنوانهما « الزهاوى والاشتراكية » و « هل كان مدحت باشا شاعرا ؟ » .

ثم دراستان تتناولان بالنقد البناء كتابين عن الادب العراقى ، هما كتاب « الزهاوى » للدكتور ماهر حسن

فهمي «وكتاب « فهمي المدرس : من رواد الفكر العربي الحديث» للدكتور يوسف عز الدين ٠

وهكذا تجد للزهاوي نصيب الاسد من كتاب الاستاذ الهلالي ٠ وبحثه في مدى ايمان الزهاوي بالاشتراكية ممتع ونافع يصف فيه ميل الزهاوي الى القناعة بآراء جوستاف لوبون ، ومع هذا ، فان في الكثير من شعره تناقضات غريبة مع هذه القناعة ٠

ومهما يكن من امر ، فان الزهاوي خلص في النهاية الى نظرية خاصة في تصوره للمدينة الفاضلة ٠

قال : اني لاتصور للمستقبل جمهورية تخالف جمهوريات عصرنا وما تقدمها ، معتقدا فيها السعادة للبشر كافة ، واقول باحتمال ان يجيء يوم يطبق عليها الانسان فيه اجتماعه ٠ وهذه الجمهورية مبنية على المساواة بين الناس في الحاجيات ، مع بقاء التفاضل في الجاه والمنزلة ٠

الناشر : مكتبة النهضة ، بغداد

كلمات من الهند

من الكلمات الجميلة التي قرأتها في وصف حقيقة الاسلام ، ودعوته الى المزاوجة بين العقيدة والعلم ، كلمة قرأتها في صدر مجلة « البعث الاسلامي » التي تصدر عن «ندوة العلماء » في « لكهنو » بالهند ـ تقول الكلمة :

« قامت ندوة العلماء على مبدأ الجمع بين الدين الخالد الذي لا يتغير ، وبين العلم النامي الذي لا يتحجر ـ بين صلابة الحديد في الثبات على العقيدة ، وبين نعومة الحرير في اقتباس العلوم النافعة ٠ فبينما العالم الديني في عقيدته وعبادته جبل ثابت ، اذا هو في علمه ودراسته وتقدمه نهر عذب جار ـ وبينما هو في نصوص الدين وعزائمه مرابط على الثغر وحارس للامانة ، اذا هو في تفهيمه ودعوته جندي مهاجم ، ومسلح على احدث طراز ـ وبينما هو في الاول لا يعرف الهوادة ، اذا هو في الثاني لا يعرف الجمود » ٠

مصر في القصص المعاصر


محمد جبريل

« مصر في قصص كتابنا المعاصرين » .. ليس مجرد دراسة ادبية ، بل هو عمل وطني ضخم ، يقع في اكثر من اربعمائة صفحة ، انجزه مؤلفه ، الاستاذ محمد جبريل في اربع سنوات ، عكف خلالها على دراسة كل قصة لكل علم من أعلام القصة المعاصرة ، بادئا بالرواد الاوائل ، المويلحي صاحب حديث عيسى بن هشام ، وحافظ ابراهيم صاحب ليالي سطيح ، ومنتهيا بأعمال اقطاب هذا العصر وأعلامه ، ثم على دراسة الاحداث المصرية الكبرى منذ ثورة عرابي حتى ثورة سنة ١٩٥٢ ، واستعراضها في مرآة القصص التي صورتها في الاطار الادبي للحـــدث السياسي او الاجتماعي أو الروحي .

عمل جليل ، تخرج منه بأن كتاب القصة المعـــاصرين لم يكونوا مجرد ادباء مبدعين ، وانمـــا كانوا في الوقت ذاته مؤرخين أمناء .

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ وزارة الثقافة

الرصـــافي ... بائع الدخان


معروف الرصافي

وكما عاش الشاعر المهجري الكبير ايليا ابو ماضي فترة من حياته يبيع الدخان في دكان متواضـع بالاسكندرية .. عاش الشاعر العراقي الكبيـر معروف الرصافي فترة من حياته ، كصاحبه تماما ، يبيع الدخان في دكان متواضع بحي الاعظمية ببغداد ، ويعلق على باب الدكان بيتين من شعره ، اعلانا عن « سيجارة غازي » وهو الصنف الذي يبيعه في الدكان ... يقول :

دخن سـجارة « غازي »   في وقفـــة واجتيـــاز
وجـــاز نصحي بخيــر   ان كنت ممن يجـــازى

هذه القصة ، يرويها لنا كتاب جليل صدر اخيرا بعنوان « معروف الرصافي ، شاعر العراق الكبير ، حياته وشعره » تأليف الاساتذة قاسم الخطاط ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ومحمد عبد المنعم خفاجي .

وقد صعد الدهر بالرصافي وهبط اكثر من مرة ، فبينمـــا اكرمه السلطان العثماني محمد رشاد ، حتى جعل له المكانة

اللامعة والمنصب الكبير ... ثم أصبح بعد ذلك عضوا فى مجلس (المبعوثان) نائبا عن لواء المنتفك يجلس فيه ، الى جانب الامير فيصل ، النائب يومئذ عن الحجاز (وملك العراق فيما بعد) ... اذا بالدولة العثمانية تنهار بعد الحرب العالمية الاولى ، ويذهب الرصافي الى دمشق ، فلا يكرمه أحد ، فيشتغل بالتدريس فى القدس حينا ، ثم يعود الى العراق ، فلا يجد له مكانا لائقا ، فيعيش ثائرا مندفعا طورا ، ويائسا معتزلا تارة ، وهو بين هذا وذاك مستغرق فى لهوه وعبثه ومجونه ... الى أن يلقى وجه ربه ، ويسكن عنه الدهر ، ويبدأ التاريخ روايته عن عظمته وعبقريته .

الناشر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

دراسات يمنية

« دراسات فى الادب اليمنى الحديث » ... كتاب جديد للاستاذ محمد عبد الله محمد ، طرق فيه موضوعا يستحق الدراسة ، لان الادب اليمنى عاش أجيالا طويلة خلف ستار حجرى .

والمؤلف يستعرض نتاج هذا الجيل اليمنى فى مجالات الشعر والقصة والمسرح .

ولكنه ـ فى الفصل الخاص بالشعر ـ يبدى رأيا شاردا فى تقييم عمود الشعر ، ويقول بحتمية ما يسمى بالشعر الجديد، ويترك دراسة الشعر اليمنى الرصين ، كشعر البردونى وأحمد الحضرانى وولده ابراهيم الحضرانى ، مكتفيا بأن يخصص جل هذا الفصل لدراسة ما لدى هذا الجيل اليمنى من الشعر الجديد .

على اية حال ، الكتاب يستحق القراءة ، لجدة الموضوع .

● ص . ج ●

محمود عوض



قلم .. ..في وجه

هكذا عبر جمال الدين الافغاني عن دهشته من كلمات رئيس الديوان السلطاني داخل قصر السلطان بمدينة الآستانة ، عاصمة الامبراطورية العثمانية . ان رئيس الديوان يلفت نظر جمال الدين الى انه كان يلعب بحبات مسبحته ، بينما هو في حضور السلطان عبد الحميد ، وفي هذا عدم احترام كبير للسلطان ..

ولكن الكلمات تندفع من فم جمال الدين الافغاني وهو يرد : « سبحان الله ! .. ان السلطان يلعب بمستقبل الملايين من الامة على هواه ، وليس من يعترض منهم .. أفلا يحق لجمال الدين ان يلعب بمسبحته كما يشاء ؟ !

سيف

كان السلطان عبد الحميد لا يقبل اعتراضا من احد· انه « شاهنشاه ··· ملك الملوك ··· السلطان الاعظم والذات الاقدس ··· » انه « خليفة المسلمين ، وسلطان البرين وخاقان البحرين » ·· القاب رسمية ··· ان عبد الحميد هو السلطان العثماني فى تلك السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر · انه يرأس امبراطورية عثمانيةيزيد سكانها على ٣٠٠ مليون، وتقع أراضيها فى ثلاث قارات : أوربا ، وآسيا ، وافريقيا·امبراطورية يديرها السلطان من داخل قصره فى مدينة الأستانة بتركيا ·

أن الأستانة ـ فى تلك السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر ـ هى مدينة خانقة · لقد وصفها الشيخ محمد عبده بدقة عندما قال انه لم ير بيئة فى العالم كالأستانة فى « ·· سوء تأثيرها فى العقل والفكر والقلب !·· » ولهذا كان احرار الترك معذورين فى شرودهم منها ، وتوطيد أنفسهم على كل ما يمكن أن يلقاه الانسان من ضروب البلاء والمحن » ·

والسلطان عبد الحميد نفسه ـ بتعبير جمال الدين الافغاني ـ هو شخص « ·· سيىء الظن ، لا يأمن احدا ، ويسىء الظن بكل احد » ·

والواقع أن السلطان عبد الحميد لم يكن يستطيع غير ذلك · انه لا يستطيع أن يحكمالناس بالاختيار ، ولا بالثقة ، ولا بالحب ، ولا بالرضا · اذن فعليه ان يحكمهم بالسيف ·

ان كل عميل للسلطان يتحسس سيفه فورا اذا التقطت اذنه كلمة واحدة : الحرية · عند هذه الكلمة يفقد السلطان عقله ويفقد التكلم راسه ·

انه حر فى ايقاف العمل بالدستور الذى سبق أن أصدره هو نفسه ··· حر فى الحكم على اى شخص بأنه عدو أو صديق ، ولا وسط ··· حر فى نفى عدوه أو سجنه أو قتله · ولا مراجعة !

لهذا كان طبيعيا أن يصبح الجو كله معبابالظلم والاضطهاد والاستبداد ثم : الرغبة فى كسر هذا الاستبداد · لقد فر عدد من ابناء البلاد المثقفين الى مدن اوربا يكتبون فيها آراءهم بصراحة وحرية ضد السلطان ، ويطبعون فيها المنشورات التى تتسرب سرا الىالاستانة · ان مدنا مثلجنيف او باريس اصبحت ميدانا للعمل الحرى ضد السلطان الحاكم بأمره ·

وفى داخل البلاد انتشرت الجمعيات السرية التى تريد الاصلاح · ولكن بمرور الوقت لم يعد الاصلاح كافيا لتصحيح ما يرتكبه السلطان · ليس اقل من الثورة التى تهدم كل شىء فوق رأسه ·

ولم يكن السلطان يستطيع ان

يمسك بالسيف الا ضد مواطنيه فقط . أما مع الاعداء الحقيقيين له ولمواطنيه . فانه لا يستطيع أن يستخدم ضدهم سيفه .. ولا حتى صوته . ان فرنسا تحتل الجزائر - لا يهم . تحتل تونس - لا يهم وبريطانيا تحتل عدن - لايهم . تحتل مصر لايهم، اذن .. ماذا يهم ؟ لا شيء . لا شيء سوى أن يظل السلطان في كرسي الحكم ، حتى ولو كانت خزائنه مدينة بـ ١٠٦ ملايين جنيه استرليني ، حتى ولو كانت امبراطوريته هي « الرجل المريض » في العالم .

في مدينة حلب

ان مدينة حلب هي - في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر - صورة مصغرة لما يحدث في الامبراطورية العثمانية كلها . فيها ، والي عثماني صغير ، يمثل السلطان العثماني الكبير - الوالي عارف باشا - وفيها ايضا صوت صغير يشكو من ظلم الوالي . صوت رجل عادى اسمه .. عبد الرحمن الكواكبي .

ان الكواكبي يعيش في مدينة حلب منذ ولد بها في سنة ١٨٤٨ .

وعندما وصل عبد الرحمن الكواكبي الى سن العشرين اصبح يتكلم الفارسية والتركية ، بالاضافة الى العربية ، وبالاضافة الى دراسة الكتب الدينية والتاريخية وقوانين الدولة العثمانية . بعدها عمل الكواكبي في وظائف عديدة . عمل صحفيا وكاتبا ، ومفتيا ، ورئيسا للبلدية ، ثم محاميا، وقاضيا للحاجات ، وتاجرا .

وفي كل وظيفة عمل بها الكواكبي ، فانه كان يرى الاستبداد والطغيان حوله في كل مكان . ان الولاة والحكام يستخفون بالشعب . ان الشعب عندهم لا جدوى له سوى دفع الضرائب . انهم ينشرون فيه الرشوة والفساد . يحكمونه بالسيف والجواسيس . يستعبدون الناس ويخرقون القانون ويدوسون العدالة ، ويتجاهلون



الحقوق، ويستغلون الريف ، ويفسدون الاخلاق ، ويراقبون الصحف ، ويحجبون الحديث . ويسجنون الاحرار ، ويعدمون المتمردين .

وشيئا فشيئا بدأ الكواكبي يضع يده على بعض الاجابات . هناك اشياء كثيرة يراها سببا لتدهور حال المسلمين .

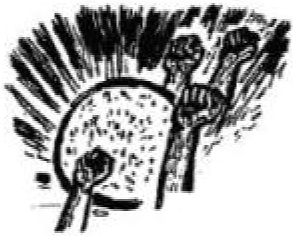
اسباب دينية : اهمها الايمان بالقضاء والقدر .

اسباب خلقية : اهمها استيلاء الياس على النفوس واهمال طلب الحقوق العامة جبنا وخوفا .

اسباب سياسية : اهمها فقدان المسلمين للحرية بجميع انواعها : حرية التعليم ، حرية الخطابة ، حرية البحث العلمي .. الخ .

الاستبداد ... كلمة لا تمر بسهولة . والذى يقصده الكواكبي بالاستبداد : الوالي ؟ الصدر الاعظم؟ السلطان ؟ ان أحدا منهم لن يتسامح اذا سمع من الكواكبي - أو من غيره - هذه الكلمة . من هنا بالضبط سوف تبدأ مشاكل الكواكبي مع الولاة الذين يمثلون السلطان الاكبر ..

هذا هو جميل باشا والي حلب يتنبه الى الكواكبي . لقد علم أن جميع ما تنشره صحف الاستانة وبيروت ضده مستمد من قلم الكواكبي . والشكاوى التي يكتبها الناس استغاثة من ظلمه اسهم في تحريرها الكواكبي لهذا بدأ الوالي في مراقبته ، في التضييق عليه . واخيرا .. قام بالقاء القبض عليه .



التهمة : التآمر على الوالى

المتهمون : الكواكبى وآخرون .. ان الوالى . واثق من ادانتهم الى درجة انه سمح بمحاكمتهم سياسيا .

براءة ... ولكن البراءة لم تكن نهاية كل شىء بالنسبة للكواكبى . لقد منعه من السفر وراقبه ووضع الجواسيس فى ذيله واغتصب مزرعته ونهب أمواله . ولكن هذا ايضا لايكفى .. فعندما جاء الى حلب وال آخر – هو عارف باشا – وجد ان الكواكبى قد افتتح مكتبا للمحاماة خصصه للدفاع عن المظلومين ضد مظالم الوالى وكبار الاعيان . وحتى يستريح الوالى الجديد من ازعاج هذا الكواكبى ، اختار لاسكاته سلاحا آخر : القبض عليه بتهمة انه يعمل على تأليف جمعية لمعاداة الدولة ... تهمة خطيرة . سلاح قاتل . ولكى تكون الاصابة مضمونة فان الشرطة – عند تفتيش منزل الكواكبى – دست له فى الاوراق المصادرة صورة خطاب – مزور طبعا – زعموا ان الكواكبى قد « .. بعث به الى قناصل الدول الاجنبية يحرضهم فيه على مخاصمة الحكومة والعمل على تخليص البلاد من المظالم » .

فتحت الجلسة

« واذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل » . هكذا يقرأ الكواكبى من مكانه داخل قفص الاتهام فى عدلية حلب – محكمة حلب – أن الكواكبى واثق من براءته . واثق تماما .

ولكى تكون ادانة الكواكبى مضمونة فانه لم يكن يكفى شاهد واحد . لا يكفى عشرة . لا يكفى عشرون . لابد من ثبوت التهمة هذه المرة . تهمة الخيانة العظمى . اذن . ليس اقل من خمسين شاهدا حتى تكون الخيانة مؤكدة .

ولكن الكواكبى مازال واثقا من براءته . ان الوالى يستطيع أن يشترى الشهود . ولكنه قطعا لن يستطيع شراء القضاء أو ارهابه ... ان الفيصل فى النهاية هو أن ينتظر الكواكبى . ساعة او ساعتين . حتى يتبين بالضبط .. هل يمكن أن يخضع القضاء للاستبداد؟

وبعد سماع الشهود والادلة والمرافعات – كما لو كانت المحاكمة عادلة حقا – نطقت المحكمة بالحكم : الاعدام !

مكتب ناظر النفوس

عندما قام مدير جوازات بيروت – يسمونه ناظر النفوس – بمراجعة جوازات المسافرين على الباخرة من بيروت الى الاسكندرية ، لم ينتبه الى أن من بينهم رجلا فى السابعة والاربعين ، مستدير الوجه ، واسع الجبين ، ازرق العينين ، والى جانبه يسير ابنه الشاب – كاظم .

وبعد أن مر الجميع على رجال الشحنة (الشرطة) صعدوا الى الباخرة . ساعتها فقط التفت كاظم الى أبيه وتنهد بعمق ثم قال : الحمد لله .

وتمتم الاب : نعم يابنى . الحمد لله اننا نجونا اخيرا من هذه البلاد . هذه بلاد لا يعيش فيها حر ، ولا ينجح نزيه ، ولا يسلم مفكر .

ولم يكن هذا الرجل سوى شيخ سورى اسمه عبد الرحمن بن أحمد بهائى بن محمد بن مسعود .. الكواكبى .. نعم الكواكبى الذى صدر ضده حكم الاعدام من قبل فى مدينة حلب

... لقد كان هذا الحكم صدمة عنيفة بالنسبة للكواكبي ، صدمة كشفت له عن قرب أن الاستبداد يستطيع أن يشترى كل شيء ، يستطيع أن يشترى الشرطة والشهود والقضاة والصحفيين . صدمة جعلته يتحرك بضراوة دفاعا عن نفسه .

لقد اعترض الكواكبي على حكم الاعدام ، واعلن عدم ثقته بحكومة حلب وواليها ، واصر على ان تحول محاكمته الى محكمة اخرى ، وبعد اخذ ورد مع نظارة العدل في الآستانة . قررت محكمة التمييز محاكمته امام محكمة بيروت . وفي بيروت تبينت المحكمة أن التهمة ملفقة من اساسها ، فحكمت ببراءة الكواكبي . وطلبت عزل الوالي ...

وعندما اطلق سراح الكواكبي عين نائبا شرعيا في قضاء راشيا بولاية سوريا ، ولكنه قبل ان يتسلم عمله الجديد بدأ يفكر .

لقد قضى عمره حتى الآن يصطدم بالاستبداد العثماني ويصارعه . وفي كل مرة اصطدم فيها بوال او سلطان كان يكتشف أن المشكلة ليست مشكلة جميل باشا او عارف باشا ، او اي باشا . المشكلة هي اسلوب في الحكم ، في الادارة ، في السياسة ، انه ... الاستبداد . هذه هي المشكلة . اذن ... لماذا لا يتفرغ لدراسة الاستبداد كاسلوب في الحكم ، ما هي اسبابه ، ما هي نتائجه ، وما أساليبه ؟

ان هذا أمر طيب حقا . ضرورى حقا ، ضرورى أن يدرس الاستبداد ، ان يكتب عنه ، ولكن ، أين ينشر ما يكتبه ؟ لماذا لا يهاجر ؟ ولكن الى أين ؟ الى مصر ...

انها قطعا بلاد اكثر امنا . فان مصر تبعد عن السلطان العثماني الف كيلو متر .

انه سوف يقضى بقية حياته في مصر . الحياة في مصر !

سوف يجد الكواكبي في مصر كثيرين على شاكلته . سوف يجد كثيرين من احرار الشام الذين سبقوه الى مصر . حاملين نفس التوقعات بين صدورهم .

القاهرة سنة ١٩٠٠

هذه فصول تنشرها جريدة « المؤيد » في القاهرة . غريبة في اللهجة والاسلوب والموضوع . انها فصول مشبعة بالصراحة والجرأة انها مجهولة التوقيع .

ـ « ترى ، من الذى كتبها ؟ هل يكون كاتبها هو الشيخ محمد عبده ؟ مستحيل . فصحيفة المؤيد هي لسان حال الخديو عباس الثانى ، الذى بدأ يختلف مع الشيخ الامام . ان الشيخ على يوسف ـ صاحب المؤيد ـ علاقته بالشيخ محمد عبده سيئة .

هكذا بدأ الجمهور يتساءل عندما بدأ الكواكبي ينشر مقالاته عن طبائع الاستبداد في صحيفة « المؤيد » بالقاهرة . فمنذ وصل الكواكبي الى القاهرة سنة ١٨٩٩ توثقت علاقته بالشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » بواسطة صديق مشترك هو رشيد رضا ـ مفكر سورى آخر هاجر الى مصر ـ وبعد ايام قليلة من وصول الكواكبي الى القاهرة بدأت مقالاته الغريبة تنشر في « المؤيد » التوقيع : مجهول .

وفي هذه الصلة ـ ١٩٠٠ ـ جمع

الكواكبي مقالاته في كتاب . وحتى عندما فعل ذلك فانه لم يوقع باسمه . ان الكتاب كان عنوانه غريب هو « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » وهي كلمات حق وصيحة في واد ، ان ذهبت اليوم مع الريح لقد تذهب غدا بالاوتاد . محررها هو الرحالة ك .

ان الكواكبي يبدأ كتابه بالتساؤل: ما هو الاستبداد ؟

ان الاستبداد هو « .. صفة للحكومة المطلقة العنان ، التي تتصرف في شئون الرعية كما تشاء بلا خشية ولا عقاب » .

وسبب الاستبداد هو أن تكون الحكومة « .. مطلقة العنان ، لا يقيدها قانون ولا ارادة أمة ، او انها مقيدة بنوع من ذلك ولكنها تملك بنفوذها ابطال هذه القيود والسير على ما تهوى » .

والحكومات ميالة بطبعها الى الاستبداد . لا يصدها عنه الا « .. وضعها تحت المراقبة الشديدة ومحاسبتها محاسبة لا تسامح فيها ، والا قوة الرأى العام وعظمة سلطانه .

« والمستبد انسان مستعد بالفطرة للخير والشر . فعلى الرعية أن تكون مستعدة لأن تعرف ما هو الخير وما هو الشر . مستعدة لأن تقول لا أريد الشر . مستعدة لأن تتبع القول بالعمل .

« .. والحكومة المستبدة تكون مستبدة في كل فروعها من المستبد الاعظم الى الشرطي الى الفراش الى كناس الشارع . ولا يكون كل صنف الا من أسفل أهل طبقته اخلاقا ، لأن الأسافل لا يهمهم جلب محبة الناس ، انما غاية مناهم اكتساب ثقة المستبد فيهم بأنهم على شاكلته ، وأنصار لدولته ، وشرهون لاكل القطعات من ذبيحة الامة ... وبهذا يأمنهم ويأمنونه .

ان الاستبداد الذى يكتب عنه الكواكبي ليس مجرد كلمة . ليس خيالا يطوف برأسه . انه سيف يهدد رأسه . شيء أمام عينيه . عفريت . شبح . اننا نحس باثار الاشباح ولكن لا نراها . الكواكبي يراها . انه يرى جواسيس السلطان حوله في كل مكان . ان الخوف داخل كل منزل . والسيف فوق كل رأس .

ان الكواكبي يعلم أن علاج الاستبداد هو الحرية . لهذا يدعو للحرية في كل صفحة . ان المهمة امامه صعبة مرتين . مرة لانه يريد نشر الدعوة للحرية ، ومرة لانه يريد نشر الايمان بالحرية نفسها . انه يكتب عن الحرية وسط قوم غابت عنهم الحرية زمنا طويلا . لقد غابت عنهم لضعفهم، وغابت عنهم لاهمالهم . ان الحقوق والحريات يمكن فقدها بالاهمال، مثلما يمكن فقدها بالهزيمة . ان الحرية كالقوة ، كالذراع ، كالعضلات . وحينما يخسر شعب حريته فانه يدفع لاستعادتها ثمنا مضاعفا .

ان البقاء في السلطة هو عند المستبد هدف يسعى اليه . وعند الحاكم ثمن يدفعه . لهذا نجد أن المستبد يحس بالراحة حتى ولو كان كل شيء على خطأ . بينما الحاكم يحس بالخوف عندما يبدو كل شيء على ما يرام . لهذا نجد أن رءوس الناس هي عند المستبد مجرد جماجم يسير فوقها . وعند الحاكم هي عقول يستنير بها .

ان المستبد يريد من حوله بطانة تغذى فيه نقاط الضعف . بينما الحاكم يريد مساعدين يؤكدون فيه نقاط القوة . لهذا فعندما ينتهى كل شيء ، نجد أن المستبد قد ترك خلفه كلابا تتقاتل على السلطة ، بينما الحاكم يترك خلفه تقاليد تحكم السلطة .

وعندما نعود الى الكواكبي وكتابه نجد أن كل شيء لم ينته بعد . انه سوف ينتهي يوما ما . ولكن ليس بعد . لهذا نكتشف – عندما نعود الى تأمل كتاب الكواكبي من جديد – انه



يكتب كلماته بالقطارة . ان الكتاب نفسه هو كتيب باكثر مما هو كتاب . انه مجرد وسيلة للوصول الى الهدف من اقصر طريق . الهدف عند الكواكبي هو كشف الاستبداد ونتائجه . الهدف هو ان ينزع الكواكبي كل الستائر التي يغطى بها الاستبداد نفسه . وكلما نزع الكواكبي ستارا وجد ستارا اخر تحته . وبعد ستائر كثيرة يكشف لنا الكواكبي عن الوجه الحقيقي للاستبداد .. وجه قبيح .

ان الكواكبي يبحث في الكتاب علاقة الاستبداد بالدين . انه ينقل عن الافرنج رأيهم في ان الاستبداد في السياسة متولد من الاستبداد في الدين او مساير له . انهم يقولون ان الاديان تعلم الناس الخوف من قوة عظيمة لا تدرك العقول كنهها . وتهددهم بالعذاب ان لم يطيعوها .. والمستبدون السياسيون يتبعون نفس الاسلوب . فيرهبون الناس ويذلونهم . بالقوة وسلب الاموال والارهاب ـ حتى لا يجدوا مفرا من التزلف اليهم وتملقهم .

ولكن الكواكبي يدلل على ان الاسلام قد فرق بين شيئين جديدين : النظرة الى الله . والنظرة الى الحاكم . ان الحاكم فرد . يخطىء ويصيب .. يظلم ويعدل . انه في جميع الاحوال يلتزم ـ بحكم الدين ـ ألا يستبد بالرأى . ان الله تعالى يقول « وشاورهم في الامر » اى في الشأن . ويقول : « وامرهم شورى بينهم » اى شأنهم . ويقول : « يايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » . اى اصحاب الشأن منكم . وهم العلماء والرؤساء على ما اتفق عليه اكثر المفسرين .

اذن .. لماذا استبد الحكام برغم تعاليم الاسلام ؟

يقول الكواكبي ان اهمال الشعوب مراقبة امرائهم ومؤاخذتهم وسؤالهم هو الذى اوسع لهم مجال الاستبداد وتجاوز الحدود .

العلماء يحذرون

ثم ينتقل الكواكبي الى نقطة اخرى هي : علاقة الاستبداد بالعلم .. يقول : « ما اشبه المستبد في نسبته الى رعيته بالوصي الخائن القوى على ايتام اغنياء . يتصرف في اموالهم وانفسهم كما يهوى ما داموا قاصرين فكما انه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الايتام رشدهم . كذلك ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم » ان الحاكم المستبد يخاف من انتشار العلم . انه يريد الابقاء على رعيته في الظلام . لان الجهل يضاعف سيطرته عليهم . بل ان الكواكبي يكتب انه حدث مرة ان « .. حاكما مستبدا شرقيا كان له مرب سويسرى فقال له يوما بعد ان تأمر : ليتك تعنى بتربية الشعب وتعليمه ..

فقال الامير : كلا ! « انى ان علمته صعب على حكمه » !

ان الكواكبي يرى ان الحاكم المستبد « لا يخشى علوم اللغة . وكذلك لايخاف من العلوم الدينية . لاعتقاده انها لا ترفع غباوة ولا تزيل غشاوة » ولكن المستبد يخشى . بل ترتعد فرائصه من « .. علوم الحياة مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية . وحقوق الامم . وسياسة المدينة والتاريخ المفصل والخطابة الادبية وغيرها » . وبالاجمال

ان المستبد لا يخشى من العلوم سوى تلك التى « .. توسع العقول وتعرف الانسان ما هو الانســـان وما هى حقوقه وهل هو مغبون وكيف الطلب وكيف النوال وكيف الحفظ » .

« ان المستبد سارق ومخـــادع ، والعلماء منبهون محذرون ، وللمستبد اعمال ومصالح ـ مصالح ـ لا يفسدها عليه الا العلماء .

« المستبد كما يبغض العلم لنتائجه يبغضه لذاته ، لان للعلم سلطانا اقوى من كل سلطان . لذلك لا يحب المستبد أن يرى وجه عالم ذكى ، فاذا اضطر لمثل الطبيب والمهندس يختار المتصاغر المتملق ..

« وينتج مما تقدم أن بين الاستبداد والعلم حربا دائمة وطرادا مستمرا ، يسعى العلماء فى نشر العلم ، ويجتهد المستبد فى اطفاء نوره ..

والكواكبى يخصص فصله التالى فى الكتاب لمناقشة علاقة الاستبداد بالمجد والتمجد . فصل اخر لمناقشة عـلاقة الاستبداد بالمال .

وفى ظل الحكومة المستبدة يصبح التظاهر بالفقر ميزة كبرى لان احـدا لا يامن على ماله . ان « .. حفظ المال فى عهد الادارة المستبدة أصعب مـن كسبه ، لان ظهور اثره على صـاحبه مجلبة لانواع البلاء عليه ، ولذلك يضطر الناس فى زمن الاستبداد لاخفاء نعمة الله ، والتظاهر بالفقر والفاقة » .

والحكومة المستبدة تغرق المال على محاسيبها ومـــن يساعدونهـــا فى طغيانها ويكفى الواحد منهم أن تكون له علاقة بواحد من المستبدين حتى يصبح فقره ثروة ونفاقه نفوذا ورياؤه سلطة .

ولا يقف تاثير الاستبداد عند الدين والعلم والمال . انه يمتد ليؤثر فى كل شىء حتى اخلاق الناس . هذا هو الفصـــل التالى فى كتاب الكواكبى . ان الاستبداد فى رأى الكواكبى يضعف الاخلاق ويفسدها أو يمحوها .. انه يجعل الانسان كافرا بمن انعم عليه ، حاقدا على قومه لانهم عون الاستبداد عليه . انه يصبح « .. فاقدا حب وطنه لانه غيـــر امن على الاستقرار ويود لو انتقل منه .. وضعيف الحب لعائلته لانه ليس مطمئنا على دوام علاقته معها .. ومختل الثقة فى صداقة احبابه لانه يعلم انهم مثله .. قـــد يضطرون لاضرار صديقهم ـ بل وقتله ـ وهم باكون » ان الاستبداد ينشر النفاق بين الناس . انه يفقدهم ثقتهم ببعض وثقتهم بأنفسهم ..

ثم يرد الكواكبى على المزايا التى يدعى الحكم الاسـتبدادى عـادة انه يحققها . ان الاستبداد يعلم الطاعة والانقياد . صحيح .. ولكنها طاعة عن خوف وجبن لا عن ارادة واختيار .. الاستبداد يربى النفوس على احترام الكبير وتوقيره . صحيح . ولكنـه احترام عن كراهيـــة لا عن حب . الاستبداد يقلل الفسق والفجـــور . صحيح ايضا . ولكن الفجور يقل عن فقر وعجز لا عن عفة ودين . الاستبداد يقلل الجرائم . صحيح . ولكن الجرائم لا تقل . وانما تصبح خفية . انهـا لا تختفى ولكن الذى يختفى هـــو الحديث عنها علنا ..

ان الاستبداد يسىء ايضـــا الى التربية . انه « .. يضطر الناس الى اباحة الكذب والتحيل والخـــداع والنفاق والتذلل ومراغمة الحس واماتة النفس » .. ان الاباء يرون أن تربيتهم لابنائهم تذهب عبثا تحت اقدام التعاليم التى يضربها لهم الاستبداد فى سوء التربية . ان الاستبداد يسمى الشجاعة طيشا والانسانية حمقا والنفاق سياسة والدناءة لطفا والنذالة ظرفا ..

اراد الكواكبى أن يكون كتابه مصباحا ينير الطريق امام امته . ولكنه نسى أن هناك رجلا اخر يهمه الامر . طـــرفا اخر تعنيه المسألة ، تعنيه جدا .

لقد نسى الكواكبى ـ يبدو هذا ـ أن هناك سلطانا يحكم ، ويحكم بنفس

الاساليب التى كشفها هو • نسى الكواكبى ان السلطان عبد الحميد يقضى حياته فى التلصص وراء كل فرد من رعاياه والتجسس عليه بعصا غليظة فى يده ـ بل بسيف حاد • ان السلطان يراقب من قصره فى الاستانة ـ كل صوت يهمس بين رعاياه فى اى

جزء من الامبراطورية العثمانية كلها • ان جيش الجواسيس الذى كان يجب ان يعرف مطامع الدول الاجنبية فى اراضى الامبراطورية •• قد ترك مهمته الاصلية وتفرغ ليسمع همسات المواطنين داخل الامبراطورية •

الاستانة ١٩٠١

كتاب الكواكبى قيد البحث • من الناحية المبدئية يمنع الكتاب ـ رأى كتاب آخر للكواكبى ـ من التداول • امر سلطانى يبلغ الى جميع الولاة فى الامبراطورية العثمانية • هناك عقوبات أخرى فى الطريق •

ان السلطان هو الذى يبحث المسألة •• شخصيا • هذا طبيعى • ففى السجن تستطيع أن تجد دائما ان اكثر الناس قلقا هو السجان • ان السلطان مرتعد ، انه خائف على

نفسه ، على سلطته • انه مهزوم امام الدول الاجنبية ، فلا اقل من ان ينتصر على مواطنيه كبديل وتعويض •

اذا كان الكواكبى قد اصدر هذا الكتاب متنكرا • فان السلطان سوف يعاقبه متنكرا ايضا • اذا كان الكواكبى يملك قلما ، فان السلطان يملك سيفا • ان القلم يكتب ، يناقش ، يرد ، يعترض • ولكن السيف لا يناقش لا يفكر • انه يقتل •• فقط •

الاسكندرية ١٩٠٢

« •• يا كواكبى ، اريد ان استشيرك فى امر يخصك • اننى استعد السفر الى الاستانة لاجدد فروض الطاعة لمولانا السلطان •• لماذا لا تحضر معى لاستجلب رضا السلطان عنك ؟ »

هذه هى الفكرة التى قالها الخديو عباس للكواكبى عندما استدعاه فى الاسكندرية • لقد خرج الكواكبى من القصر وهو يحس شيئا مريبا فى الامر • لا يمكن ان تكون هذه فكرة الخديو • لا يمكن ان تكون الفكرة بهذه البساطة •

وعندما سأل الكواكبى صديقه محمد كرد على عن رأيه قال له : ان السلطان لا تأخذه رحمة بالذين يخرجون عليه • لقد اغرى جمال الدين الافغانى من قبل بالذهاب الى الاستانة •• وحينما ذهب الافغانى اكتشف انها خدعة • ان السلطان جاء به الى الاستانة ليراقبه •• ليحد من نشاطه ، ليجعله حيا كالميت ••

و •• اعتذر الكواكبى عن عدم السفر مع الخديو الى السلطان • اذن •• لم تنجح هذه الحيلة •

القاهرة ١٩٠٢

مقهى « بلنز » حديقة الازبكية

ـ يا كاظم ؟ هات لى كوبا من الماء ! بسرعة يا ولدى ••

ـ ماذا بك يا أبى ؟

ـ لا شىء يا بنى • مجرد الام بسيطة •• هات لى الحنطور •• اريد أن اعود الى البيت ••• الى الازهر يا اسطى •• الى شارع الامام الحسينى بالازهر وفى الطريق كان الابن قلقا



بينما الاب يفكر كثيرا : « ماذا جرى لك يا كواكبى ؟ لقد اعتدت أن تجلس فى مقهى « يلدز » منـــذ سنتين . واعتدت أن تشرب فيه القهوة السادة فى كل مرة .. لماذا .. لماذا .. لماذا اذن كانت القهوة غريبة المذاق هذه المـــرة .. لماذا يا كواكبى ؟.. ان الفنجان كان طعمه غريبا .. وهـــذه الآلام حلت بك بعد فنجان القهوة بنصف ساعة فقط .. ماذا جرى ؟ » .. اللهم أجعله خيرا ! » .

حى الأزهر
شارع الامام الحسينى ..
الخميس ١٤ يونيو ـ ١٩٠٢

بمجرد وصول الكواكبى الى منزله فى هذا المساء بدأت الآلام تطـــارد جسمه جزءا جزءا . من الامعاء الى القلب ، الى الصدر . بعد قليل أصبح واضحا بالضبط ماذا جرى . بعد قليل أصبح كاظم ـ ابنه ـ يعرف بالضبط سر الخطر . ولكن الابن يتساءل بينه وبين نفسه .. لماذا اختار السلطان ، أن يقتل الكواكبى بالسم .. وليس بأى سلاح آخر ؟

ولم تكن الاجابة صـــعبة . ان الكواكبى فضح فى كتابه استبداد السلطان جزءا جزءا .. لهذا أراد السلطان أن يجعـــل جسم الكواكبى يموت قطعة قطعة . ان السم وحده يضمن ذلك . انه الآن يسرى فى جسم الكواكبى ان الكواكبى كان جريئا . ان جرأته كانت فى عقله .. الآن يجد السم فى دمائه . هذا عقاب السلطان .



عقاب تحت الجلد . عقاب بطىء .. وعذاب بطىء ..

ان الكواكبى يحاول الآن ان يتحدث مع كاظم ، مع ابنه . انه يقول له بصوت عال يتجه الى الانخفاض شيئا فشيئا : يا بنى .. استدع لنا طبيبا فورا .. دكتور .. بسرعة .

حى الأزهر
منزل المرحوم الكواكبى
اليوم التالى لدفنه ..

شىء غريب !. كيف اســـتطاع السلطان عبد الحميد ـ وهو فى قصره بالاستانة ـ أن يعلم بوفاة الكواكبى بمثل هذه السرعة ، كيف استطاع خبر اتمام المهمة ان يصله فى مثل هـذا الوقت الضيق ؟

لقد أرسل السلطان الى مندوب له فى بيروت بأن يهبط سريعـــا الى القاهرة . هناك سيجد أن الكواكبى قد مات . هناك سيقابل اناسا آخرين يمثلون السلطان . ان على الجميع أن يذهبوا فورا ـ مع أقصى الحذر ـ الى بيت الكواكبى . ان السلطان يريد مصـــادرة كل الاوراق التى كتبهـــا الكواكبى بخط يده . هـــذه الاوراق يجب أن ترسل فورا الى السلطان عبد الحميد شخصــــيا فى قصر يلدز بالاستانة ، السلطان نفسه ينتظرها .

ان المهم .. هو السرعة ، قبـــل أن يظهر أى دليل يشير الى عـــلاقة السلطان بوفاة عبد الرحمن الكواكبى .. ولكن ..

عندما ذهب جنود السلطان الى بيت الكواكبى بعد يوم واحد من دفنه .. وجدوا مفاجأة جديدة فى انتظارهم .

فمن بين الاوراق والكتب التى تركها الكواكبى بعد وفاته كان هناك كتاب قد بدأ تأليفه .. ولم ينته منه بعد . كتاب يحمل عنوانا بسيطا . عنوانا يقول : « العظمة لله » !

ان الكـــواكبى ـ حتى وهـــو ميت ـ ما زال محتفظا برأيه الله وحـــده هو العظيم الله وحــــده . الله

ثغرات في ....

حسن الجاف

نشرنا في العدد الماضي بعض الهنات التي وقع عليها الباحث في « المعجم الكبير » الصادر عن مجمع اللغة العربية • وننشر هذه المرة نظائرها في «المعجم الوسيط» .. للمجمع ايضا ، آملين ان يتدارك الخالفون هذه الهنات في الطبعات القادمة•

قرات هذا المعجم بجزايه ، فوجدت فتحا جديدا وثمرة طيبة يجب ان نقابلهما بموفور الشكر للسادة الذين اخرجوا هذا العمل الكبير وان كانوا في غنى عن كل شكر .

غير اني في اثناء قراءتي الفيت بعض هنات وثغرات لعل بعضا منها جاء من المطبعة ، وبعضها الثاني عن سهو وبعضها الثالث عن نسيان ، ولم يتدارك اى من هذه الانواع الثلاثة في اخر الجزء « الثاني » كما وعد في المقدمة .

ولكثرة كل نوع منها عما يتسامح فيه في المعتاد - رايت ان انبه الى كل حرصا على لغة الضاد ، وابتغاء ان تاتى الطبعة التالية في اكمل حال ممكنة .•

يمكن تقسيم ما عثرت عليه في جزأى المعجم الوسيط الى : اخطاء مطبعية ، واخطاء نحوية أوصرفية او تفسيريةلقصور فيها ، واخطاء املائية تبلغ بانواعها الثلاثة اكثر من ستمائة ، فضــلا على عدة ملحوظات سأذكرها فيما بعد ٠

● اولا : الاخطاء المطبعية

بالجزأين منها ما يزيد على أربعين خطأ وهذا نموذج منها :

أ ـ بصفحة ٦٧ باخر العمود الثانى :وقد تجيء (لا) بعد (بل) فيكــون نصها موجها الى الكلام الســـابق ولاتأثير لها فيما بعد (بل) : فان كان مثبتا نفته مثل :

وجهك البدر لا بل الشمس لو لم يقض للشمس كســـفة وافــول

والصواب : وقد تجيء لا قبل (بل) فيكون نفيها الخ : فعبارة المعجم خطأن

ب ـ بصــفحة ٧٥ باخر العمـــود الثالث : الباز : ضرب من الصــقور يستخدم فى الصيد : والصواب : من الصقور كما لا يخفى ٠

جـ ـ بصفحة ٢٣٢ عمود (٣) : المخزية : يقال : قصيدة مخزية اى نهاية فى الحسن ، يقال لقائلها : أخزاه الله :والصواب : اى نهاية فى الخزى ٠

د ـ ص ٤٦٧ عمود (٢) سطر ٧ ، ٨ : « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود » بكسر النون : والصواب :فتحها

المعجـــم الوســـيط

هـ ـ ص ٧٢٧ : المقدم عمود (٢) :رتبة من رتب الجيش والشرطة فــوق الرائد ودون النقيب : والصواب : ودون العقيد ، وكان الاولى للايجاز غير المخل أن يقال : رتبة بالجيش الخ ٠

و ـ ص ٨٤١ عمود (٢) اللقطة :الشيء تجده فتأخذه : بنصب المضارع (فتأخذه) والصواب رفعه ٠

● ثانيا : الاخطاء اللغوية

اخطاء نحوية أو صرفية أو تفسيرية لخطأ أو تصور فى شرح المفردة ٠ وهذه أكثر الانواع ولا سيما فى الجزء الاول،وتبلغ فى الجزأين معا أكثر من ٣٩٢ خطأ ، وهاهو ذا النموذج منها مع ذكر صواب كل حتى لا تعرض قضــية الا ومعها البرهان :

١ ـ ص ٤ عمود (١) مادة ابي : ٠٠٠ تنازل عنه أصحابه : والصواب : نزل فى هذا الاسلوب ، فالتنــــازل يستدعى طرفين ٠

٢ ـ ص ١١ عمود (٣) اذن الحمار : عشب ينبت فى جنوب أوربة ٠

والصواب : فى جنوبى اوربة ، لان جنوب أوربة هو البحر الابيض ٠

٣ ـ ص ٢١ بالعمود الثانى : الافق ٠٠٠ ومنتهى ما تراه العين من الارض كأنما التقت عنده بالسماء والصواب التقت عنده والسماء فالفعل (التقى) بهذا المعنى يحتاج الى اكثر من فاعل ٠

٤ ـ ص ٢٦ العمود الثانى : أمريكة الجنوبية : وهى بين المحيطين الاطلسى والهادى وفى جنوبى امريكة الشمالية :والصواب : فى جنوب ٠٠ والا كانت

جزءا من أمريكة الشمالية وهو غيــر الواقع ٠ والخطأ الثانى والثالث والرابع مكثرة فى الجزأين ٠

٥ ـ ص ٦٩ عمود (٢) : البلغة : ما يكفى لسد الحاجة ولا يفضل عنها : واللغة الصحيحة :

أ ـ ما تكفى بالتاء فى أول المضارع. لأنه تفسير لمؤنث مجازى ، ولا يقال : (يكفى) تفسير لـ (ما) بمعنى شيء مثلا ، فضمير (عنها) يمنع ذلك ٠

ب ـ تكفى سد الحاجة بحذف اللام ، فالفعل تكفى متعد بل متعد لاثنين : فيقال : تكفى سد الحاجة وتكفيه مئونته كما جاء فى المعجم نفسه فى مــــادة (كفى) ٠ ولا يقـــــال : انه من باب التضمين ، اذ لا داعى اليه ، والفعـــل (تكفى) ليس من الافعال التى تكون متعدية مرة ولازمة مرة أخرى ٠

جـ ـ وتعـــريف (البلغة) بما تكفى سد الحاجة الخ يشعر بأنها عامة فى جميع ما يحتاج اليه الانسان : فاذا احتاج المرء مثلا الى حذاء ووجد ثمنه عد ذلك (بلغة) مع أن البلغة كما تنص كتب اللغة الاخرى خاصة بما يطعم ، لذلك كان ينبغى أن يقال : البلغة : ماتكفى سد الحاجة من الطعام ولا تفضل من هذه الحاجة ٠

٦ ـ ص ١٣٥ عمود (٣) أجمع : اسم يدل فى التوكيد على الشمول الى أن قال : تلت حقى اجمعه (تشكل الميم بالفتحة) : وكلمة أجمع فى التوكيد لا

ثغرات

●●●● فى المعجم الوسيط

تضاف لفظا ، وانما يقال : تلت حقى اجمع ، والافصح : تلت حقى كله أجمع : قال تعالى : « فسـجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس » : ٠

ولا يقال : ان المراد اجمعه بضم الميم على أنه جمع تكسير ، فقد ضبطت الميم بالفتحة فى المعجم على أنها من ألفاظ التوكيد كما يدل الشرح قبلها ٠

٧ ـ ص ١٣٧ عمود (٢) الجمل : ٠٠٠ من حيث النسب والابعاد والوضعة والحركة والشبه (مع شكل ما بعـــد حيث بالكسرة) : والقاعدة النحــوية تحتم أن ما يلى (حيث) ان كان اسما يجب رفعه ، اذ حيث لا تضــاف الى المفرد ، وانما تضـــاف الى الجملة بقسميها

٨ ـ ص ١٨٢ عمود (٢) الحطم : الاكول الذى لا يشبع : وكل كتب اللغة المتداولة بأيدينا ما عدا المعجم الوسيط تقول : الكثير الاكل ٠

وأرى عقلا أن الادمى الذى لا يشبع لم يخلق بعد ٠

٩ ـ ص ٢٨٣ عمود (١) الدرهم ٠٠٠ وقطعة من فضة مضروبة للمعاملة (ج) دراهم : والتعريف ينقصه ،

أ ـ كان من الواجب أن يبين زمن تداوله للمعاملة كالدولة العباسية مثلا ٠

ب ـ كان ينبغى أن يبين مقـــدارم بالنســــبة لعملة زماننا فيقال : انه يساوى من عملة اليوم : قرشين ونصف القرش تقريبا ٠

١٠ ـ ص ٣٧١ بآخر عمود (١) ٠٠٠ وركع المصلى : انحنى حتى تنال راحتيه ركبتيه : والصواب راحتــــاه (لانها فاعل) ٠

١١ ـ ص ٣٩٦ عمود (٢) مادة (زغرد) ٠٠٠ والمرأة رددت صـــوتها بلسانها فى فمها عند العرس : والزغردة ليست عند العرس فقط ، فتكون عنـــد النصر والنجاح ، واستقبال الغائب ونحو ذلك ، فكان الواجب أن يقال عند العرس

مثلا ، أو عندما يسر كالعرس .

١٢ _ ص ٤٠٥ عمود (٢) مادة(زهد) ... ويقال : زهد في الدنيا : ترك حلالها مخافة حسـابه ، وترك حرامها مخافة عقابه : ولا ادري : كيف يعيش هذا الزاهد حينئذ ؟ فكان ينبغي ان يقال مثـلا كما قالت كتب اللغة الاخرى : اعرض عن الاقبال عليها ،او يقال : اعرض عن ترف الدنيا واقتصر على ما هو ضروري للحياة .

١٣ _ ص ٤٣٤ عمود (٢) سافحها :أقام معها من غير زواج صحيح : وهذا التفسير غامض غير دقيق : فمن يقيم في غرفة مفروشة مع امراة في البيت الذي به هذه الغرفة ينطبق عليه هـذا التفسير ، وكذلك من يقيم مع سـيدة بزواج عرفي . اذ الزواج العرفي يعـد غير صحيح بحسب القانون المعمول به الان في محاكمنا وان كان صـحيحا بحسب الشرع ، لذلك كان الواجب ان يقال : سافحها : باشرها من غير زواج صحيح في الشرع والقانون . او يقال كما قيل في كثير من كتب اللغـة الاخرى :

سافحها : زنى بها . وان قيل _ ان (أقام معها) كناية ، عن المباشرة ، قلت ان هذه كناية غامضة جدا وفي التفسير يجب الوضوح .

وما ادق معجم « لسان العرب » في تفسيره هذه المادة اذا لحظنا انه لم يكن في زمنه قانون يبطلان الزواج العرفي فهو يقول : في تفسير السفاح ... أن تقيم امراة مع رجل على فجور من غير زواج صحيح .

١٤ _ ص ٤٧١ عمـود (٢) :السياف : من يكلفه السلطان بضرب اعناق الجناة : والصواب حذف الباء من (بضرب) ، فالفعل (يكلف) متعد لاثنين :

قال تعالى : « لا يكلف الله نفسـا الا وسعها » .

١٥ _ ص ٤٩١ عمود (٣) ... صوغ كلمة من أخرى حسب قوانين الصرف :

والصواب : بحسب او على حسب .

١٦ _ ص ٥٤٦ عمود (٣) مادة ضمن ... وعلى أهله ونحوهم صار كلا وعالة عليهم : وكلمـة (عالة) جمع لا مفرد ، فلا يصح أن يخبر بها عن المفرد ، وانما يقال : هم عالة على أهليهم مثلا .

(واستعمال (عالة) للمفرد في المعجم الوسيط ليس مرة واحدة كما في العبارة السابقة ، وانما جاء أكثر من مرة ، فقد أتى في ص ٨٠٢ عمود (٢) قوله : من يكون عالة على غيره ،فأخبر بها عن المفرد وهو خطأ كمـا سبق شرحه .

١٧ _ ص ٦١٥ عمود (١) العطف عند النحويين : تابع يتبع سابقه في اعرابه : وهو تعريف يشـمل النعت والتوكيـد والبدل : فكان الواجب أن يقال : العطف عند النحويين قسمان :عطف نسق : تابع يتوسـط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف . وعطف بيان وهو الخ فضلا على أن التعبير بكلمة (سابقه) ليس دقيقا ، فكـان الواجب أن يقال (متبوعه) .

١٨ _ ص ٦٨٧ عمود (٣) و ص ٦٨٨ عمود (١) : الفارس ... (ج) فوارس ، ولم يذكر ان هذا الجمـع (فوارس) شاذ لا يقاس عليه ، وحينئذ يفهم الكاشف ان ذلك مقيس في كل ما كان على وزن (فاعل) فيقول : خامل (للرجل) وخوامل ، وعقل (للرجل)وعوامل ، وهذا خطأ بالطبع ، فكتب الصرف تقول : ان (فاعل) وصفا لمذكر عاقل لا يجمع على فواعل وشذ من ذلك فارس وفوارس .

١٩ _ ص ٧٦٧ عمود (١) كهرباء وص ٧٦٧ عمود (٢) الكهـرباء :

والصواب كما يتعلم الطلبة في المدارس كهربا الكهربا .

٢٠ ـ ص ٧٩٦ عمود (٢) مادة الكميت : ويكثر في المناطق التي توجد بها الحدائق والبساتين : والصـــواب حذف كلمة (توجد) ، فانها كون عام ، والاصح أن يقال ـ مبنى مجمع اللغـة العربية يوجد في شارع مراد ـ ولم يقل بذلك أحد لرأيه وزن ، ولا يقال : ان هذا من باب التوكيـد ، اذ لا داعي اليه هنـــا ، وكان ينبغي حـــذف (والبساتين)

٢١ ـ ص ٨١٤ عمود (١) مـــادة كيف : ··· في مكان بواسطة مكيف الهواء : والصواب في مكان بوســـاطة مكيف الخ ، أو في مكان مكيف الخ ، فكلمة (واسطة) لا تصح هنا .

٢٢ ـ ٨١٦ عمود (١) وتدخل (اى لام الابتداء) على خبر ان ··· والظرف مثل : (وانك لعلى خلق عظيم) وخبر ان هنا ليس ظرفا وانمـــا هو جار ومجرور ، فكان الواجب ان يقال مثلا : ان قدرة الله لفوق كل قدرة .

٢٣ ـ ص ٨٧٦ عمود (١) مادة مسك ··· مسك الثوب مســـــكه ، والصواب مسك به أو امسكه او امسك به كما في المعاجم الاخرى ، اذ مسك الثلاثي لازم .

٢٤ ـ ص ١٠٠٧ عمود (٢) مـادة الهندازة ··· وطوله ســـتة وسبعون

ثغـرات

●●●● في المعجـم الوسـيط

سنتيمترا : والصواب ســنتيمتر بكسر الراء فان « سنتيمتر » مركب تركيبـــا اضافيا .

٢٥ ـ ١٠٦٦ عمود (١) : الوكر : عش الطائر ··· سواء أكان في جبل أو شجرة أو غيرها : والصواب (أم) بدل (أو) في الموضعين ، لان همزة التسوية يجب أن يكون بعدها أم المعادلة كما في المغني : قال تعالى : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون » والله أعلم .

● ثالثا : في القواعد الاملائية

مفردات مكتوبة املائيا خطأ لا تتفق كتابتها والقواعد الاملائية التي يتعلمها الطلبة بمختلف مراحل التعليم ، وتبلغ أكثر من ١٧١ خطأ منها كنموذج :

١ ـ ص ٩٠ عمود (١) مادة تاق تئوقا : والصواب تتوقا .

٢ ـ ص ١٣٦ عمود (٢) مادة الجماع : الثريا : والصواب الثريى .

٣ ـ ص ٢٢٥ عمود (٢) مادة الحثل : رؤوس ، رؤوسها : والصواب رءوس ، رءوسها .

٤ ـ ص ٢٦٠ عمود (٢) ـ مادة خار : خؤورا والصواب خئورا :

وقد جاء في ص ٥٨١ عمود (١) سطر (١٢) ـ تطبيق القاعدة تطبيقا صحيحا في خئور وظئور ، مما يوقع غير العارف في بلبلة اذ (خئـــور وظئور) من باب واحد ، فكيف تكتب خئور على واو بعدها واو ، وتكتب ظئور على ياء بعدها واو ؟

٥ ـ ص ٤٠٣ عمـــود (٢) مادة أزهر : شؤها ، : والصواب شوءها . ومن الغريب أن (شوءه) جاءت كتابتها صحيحة في ص ٥٨٠ عمود (١) سطر (١٠) : انتشر شوءه ، فلا يدرى غير العليم ما الصحيح منهما ؟

٦ ـ ص ٤٤٩ عمود (٢) السموال : والصواب : السموءل ·
٧ ـ ص ٥٠٢ عمود (٢) مادة كشوع : التوامين : والصواب : التوءمين ·
٨ ـ ص ٥١٤ عمود (١) مادة التصريح : مسؤول : والصواب : مسئول ·
٩ ـ ص ٦٣٢ عمود (١) سطر ٩ لا تياس : والصواب : لا تيئس · مثل هيئة وجيئة ، فالقاعدة واحدة·
١٠ ـ ص ١٠٥٠ عمود (٢) سطر ٤ : شؤون والصواب شئون والله اعلم

● رابعا : الملحوظات

الاولى :

عدم الوضوح فى تفسير المفردة فى كثير من الاحيان حتى ليضطر الكاشف الى الكشف فى مادة أخرى ليلم بمعنى المفردة كما فى ص ١٢٨ بالعمود الاول : الجفل : خثى الفيل · وهو تفسير كما يقال (الماء بالماء) ، فالكاشف لا يعرف الجفل الا اذا كشف فى مادة خثى ·

وان قيل : ان فى التعريف الماما بمفردة جديدة ـ كان ينبغى أن يقال : الجفل : خثى الفيل وهو (····) حتى لا يضيع وقت وجهد فى الكشف من غير داع ·

ومثل هذا ما فى صفحة ٢٧٣ عمود (٢) · التحملة : المرأة الضخمة التارة : ولا يعرف الكاشف (التارة) الا اذا كشف عنها فى مادة (تر) ·

الثانية :

عبارات لا تتفق مع اللغة الفصحى كما فى صفحة ٤٤ عمود (٣) مادة بذخة ··· يقال : لو سالتهم لما بذخوا بشىء : واللغة الفصحى الا تثبت اللام فى جواب لو الشرطية المنفى فتقول : لو اتحد العرب ما جرؤت اسرائيل على الحرب · ومثل ادخال (أن) على خبر كاد فى قول المعجم ص ٩٨٤ عمود (٢) ··· وقد كاد أن يروب ، فاللغة الفصحى حذف (أن) فى خبر كاد : قال تعالى : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » ·

الثالثة :

ترك ما يحسن اثباته بل يجب لكثرة دورانه على حين يثبت ما هو أقل منه أهمية ·

فمن الاول : عدم التنبيه على مفرد ابابيل بصفحة (٣) بالعمود الثانى او ذكر انها لا مفرد لها فى راى بعض اللغويين ، اذ ابابيل تكاد يعرفها اكثر الناس او يسمعونها فى القرآن الكريم ·

ومن الاخر : اثبات (الاخيخة) بصفحة (٨) بالعمود الاول مع ان هذه الاخيخة لا يكاد يسمع بها احد او تقرا او تستعمل فى كتابة ·

الرابعة :

خاصة بالشكل لا بالوضوع كما يقول علماء القانون : ذلك بأن المقدمة رقمت بالاعداد من ١ ـ ١٦ ، ثم بدىء بترقيم باب الهمزة بالاعداد من ١ ـ الى آخر الجزأين · وكان الاولى أن يكون ترقيم المقدمة بالحروف ثم يرقم ما بعدها بالاعداد ، أو ترقم المقدمة بالاعداد وما بعدها بالاعداد ايضا بما يلى آخر رقم فى المقدمة حتى لا يكون (١ ـ ١٦) مشتركا فى المقدمة وما بعدها · ومن نحو سنتين كتبت رسالة الى احد السادة المسئولين بالمجمع جاء من بين ما فيها هذه الملحوظة ، ولذلك رقم الجزء الاول من المعجم الكبير كما اقترحت

من الرواد
محمد فريد

حدثان هامان اثرا فى حياة « محمد فريد أبو حديد » ولوناها تلوينا عميقا وشكلا ــ فيمابعد ــ مسيرته الفنية والفكرية ، واسلوب عيشه فى دنيا الناس ..

كانت الظروف المادية القاسية التى أحاطت بوالده ــ هى الحدث الاول ــ حيث كان والده يعمل فى الدائرة السنية نفصل منها مع موظفى الدائرة بعد تصفيتها ، واضطر الى ان يهاجر من القاهرة الى دمنهور ، ويبدأ مع أخيه فى التماس مصدر رزق جديد ، فاشتريا أرضا فى البحيرة واستصلحاها وعملا بالزراعة وكان « محمد فريد أبو حديد » فى هذه الفترة ، طفلا يستقبل الحياة



وتنطبع على نفسه احداثها وظروفها القاسية المحيطة به ، بعد ذلك ، وفي عام ١٩١٤ حدث نزاع بين والد « محمد فريد » وعمه وانفصلا نهائيا ، ويبدو ان ذلك قد أوقع والده في ضائقة مالية شديدة ، وأصابه بأقدح الأزمات النفسية

في هذا العام كان « محمد فريد أبو حديد » قد تخرج في مدرسة المعلمين العليا في خلال هذا الجو العائلي الكئيب وكان اشتعال الحرب العالمية الاولى ، قد سدت الأبواب فلم تعينه الحكومة مدرسا بمدارسها الأميرية كما

أبو حديد والتيار التاريخي في الرواية الحديثة

■ عبد العزيز الدسوقي ■

كانت تفعل عادة مع خريجي مدرسة المعلمين العليا ، وظل يعمل في التعليم الاهلي حتى عين في عام ١٩١٩ في مدرسة بني سويف الابتدائية .

أما الحدث الثاني : فقصة غرام فاشلة احدثت جرحا عميقا في نفسه حول مجرى حياته ، وأصابه بأقدح الآلام الممضة الصامتة .

وهذان الحدثان هما اللذان شكلا حياة « محمد فريد أبو حديد » الفنية والفكرية وصبغا نفسيته بهذه الصبغة القاتمة التي لم يستطع ان يتخلص منها حتى غادر دنيانا يرحمه الله في سنة ١٩٦٧

فلقد ظل الرجل حذرا متوجسا منعزلا منطويا على نفسه رغم اشتغاله بالتعليم فترة طويلة من فترات حياته ولقائه بالناس ، الا أنه ظل يحمل نفسا أبية منطوية تأبى الخوض في غمار الحياة وممارستها بجسارة كما فعل بعض زملائه من الرواد في مطالع نهضتنا الحديثة .

ولقد صور في كتابه « مذكرات المرحوم محمد ، صحائف من حياته الشخصية تحس فيها صدى هذه الاحداث القاسية على نفسه .

واتيح لي أن التقي في عام ١٩٦٥ بالمرحوم « محمد فريد » في مراجعة أدبية طويلة لأعماله . وحدثته عن اثر هذين الحادثين على نفسه وعلى قصصه ، فوافقني على انهما من الاحداث الهامة في حياته . ولكنهما لم يغيرا مجرى حياته في شيء .... ثم ابتسم في رزانة وقال :

– أهم حادث غير مجرى حياتي هو دخولي مدرسة المعلمين العليا . فقد كنت أتوق الى دراسة القانون في مدرسة الحقوق .

□ ولكنك دخلت بالفعل مدرسة الحقوق وحصلت على اجازة الحقوق في عام ١٩٢٤ وبذلك حققت أمنيتك فلماذا يتغير مجرى حياتك ؟

– لذلك حديث شخصي طويل يابني .

وصرف المرحوم « محمد فريد أبو حديد » الحديث الى وجوه أخرى بعيدا

محمد فريد أبو حديد



عن هذه المسائل الشخصية ، ولكنني قلت له ضاحكا :

□ أرجو ان توافقني على ان مخيلاء هذه الفتاة العربية المأسورة في قصر « غمدان » في روايتك «الوعاء المرمري» ليست بعيدة كل البعد عن احداث حياتك !

وضحك الرجل – في رضا – وقال :

– لك الحرية ان تفسر ابطال رواياتي وبطلاتها كما تشاء ، فنحن نكتب فنا يحتمل كل وجوه التأويل ..

●●●

وعندما بدأت أكتب عن « محمد فريد أبو حديد » هذه المرة ، أحسست أننا نصل الى تفسير كثير من اعماله الروائية ، لو تمكنا من جمع كل الوثائق النفسية التي تدور حول هذين الحدثين، أو على وجه التحديد تجربة حبه الفاشلة ، واعتقد ان اذاعة الحقائق عن اعلامنا ورواد نهضتنا عمل تقتضيه طبيعة الدراسة الادبية ، مهما كانت هذه الحقائق خاصة بتجارب القلب والنفس.

وما دمنا لم نصل الى تلك الوثائق النفسية ، فلنكتف بالوقوف على بعض احداث حياته ومراحل تعليمه ومجالات عمله .

ولد « محمد فريد أبو حديد » في حي عابدين في اول يوليو من عام ١٨٩٣ ثم هاجرت أسرته بعد تصفية الدائرة السنية التي كان يعمل فيها والده الى البحيرة واستقرت في دمنهور ، والتحق بمدرسة دمنهور الابتدائية وحصل على الابتدائية في عام ١٩٠٧ وأتم تعليمه الثانوي في مدرسة رأس التين بالاسكندرية ، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا وتخرج منها في عام ١٩١٤ وعمل في مجالات متعددة وتنقل في كثير من انحاء مصر.

● عمل مدرسا بالمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد العالية ، ومراقبا للمطبوعات بالداخلية ، وعميدا لمعهد التربية العالي الثانوي .

● وعمل مراقبا للمطبوعات بوزارة الداخلية .

وعين في عام ١٩٥٠ مديرا للجامعة الشعبية ، ثم عاد مديرا للتعليم الاولي وقد احدثت رحلة حياته الوظيفية في نفسه أعمق الآثار ومنحته كثيرا من الخبرات والهمته العديد من المواقف والصور التي ظهرت في رواياته .

هو والتيار التاريخي ...

ولا شك أن «محمد فريد أبو حديد» من الع رواد التيار التاريخي في الرواية العربية الحديثة ، بعد رائده الاول جرجي زيدان ، بل لعله هو الرائد الاول من الناحية الفنية ، اذا قصرنا ريادة زيدان على السبق التاريخي ، لان روايات « أبي حديد » تعتبر من الناحية الفنية شيئا جديدا .

●●●

وقد كان اتجاه « محمد فريد أبو حديد » الى التاريخ يعيش في رحابه ويناجي ابطاله – هروبا رومانسيا – من عالمه الجديد ، الى عالم يعبق بالبطولات والامجاد ، ويتنسم في ظلاله نفحات وجدانية حرمها في عالم الواقع .

كان هروبه الى التاريخ ضرورة نفسية فقد اتخذ من اشخاصه وشخصياته اطارا يصف فيه اشواقه الفكرية والروحية ، كان يبوح بأسراره واشواقه لابطال التاريخ وبطلاته ، بعد أن قعدته ظروف العمل في التدريس ومراعاة السمت والوقار من ان يكتب تجاربه النفسية وصور وجدانه ...

على انه لم يقتصر على التعبير عن وجدانه الخاص بل السمت رقعة فنه

فشملت آفاقا متعددة ، فعبر عن أشواق جيله وآماله .

● اتخـــذ من تاريخ مصر الوطني مصدرا من مصادر الهامه .

● وعاد الى التــاريخ العــربي في عصور جاهليته الاولى يستوحيه .

● واستلهم التاريخ الإســلامي . وصور الحياة المعاصرة .

ولكنه كان يجعل كل هذه الصــور والعناصر التي يستمدها من التــاريخ الى «موكب فني» رشيق التعبير شاعري الاسلوب مرهف الرؤية الفكرية محكم البناء ، قادر النفاذ الى اعماق النفس الانسانية يحلل ادق خفاياها ، ويرسم خلجاتها .

ويحدثنا فريد ابو حديد عن تجربته مع التاريخ في مقدمة روايته « زنوبيا » بقوله « كنت اقرأ التاريخ ، فاذا بي أحيا مع من اقرأ سيرتهم ، وأعاشر اهل العصور الغابرة كأني من بعضهم ... اكاد اشعر بأنفاسهم وأحس احساسهم . فعزمت أن أتجه في منهجي نحو القصص العربي الذي نعرفه في صورة ساذجة فأعيد عرضه في الوان الحيــــاة الحديثة » .

● مراحل فنه

ولقد مرت تجربة « ابي حديد » الفنية بمراحل ثلاث :

المرحلة الاولى : وتصورها تجـربة « ابنة الملوك » التي صدرت في عام ١٩٢٥ وهي رواية ملتزمة بالتاريخ اقرب الى روايات زيدان لا يظهر فيها الفن كثيرا .

المرحلة الثانية : هي تلــك المرحلة التي تظهر فيها مقدرته الفنية الكبيـرة وتحويه صور التاريخ العربي الى مشاهد روائية محكمة البناء قوية التأثير غزيرة الشاعرية ويمكن ان تعتبر من حصاد هذه المرحلة «زنوبيا» و «الملك الضليل» و « المهلهل سيد ربيعة » و « عنترة »

المرحلة الثالثة : وهي المـــــرحلة الفلسفية تمتاز هذه المرحلة بانها انضج مراحل فنه من حيث البنـــاء الدرامي المحكم والشكل الروائي الاكثر تعقيدا ، وغنى وخصوبة ، وتشع كثيراً من القيم الانسانية والاجتماعية وتحفل بالرموز ، وتصور نضال الشعب . ويمكن أن ندخل في هذه المرحلة « جحا في جانبولاد » و « الام جحا » و « الوعاء المرمري » و « ازهار الشوك » و « أنا الشعب » .

ويمتاز « محمد فريد ابو حـــديد » بقدرته على التحليل والوصــف واحكام البناء الفني ، واحتفاله بالاسلوب الفخم الذي يضفي على الرواية جمالا وبهــاء وجلالا .

وطريقة رسمه لشخصـــيات ابطاله تلامس فن المسرحية ، ولعـــــل تأثره بشيكسبير وفنه هو الذي هداه الى تلك الطريقة في تصوير الشخصيات فشخصية البطل عنــده « كالشخصية » البطل في المأساة الاغريقية والانجليزية يسير الى الكارثة مدفوعاً بعيب في شخصيته (١)

وكذلك يصور في داخـــــل النفس الانسانية الصراع النفسي والصراع مع البيئة .. الصراع بين الخير والشر . بين المبادىء وبين واقع الحيـــــاة و « فريد أبو حديد » قادر على تصوير النهايات الحزينة الاسية فمشهد «زنوبيا» وهي تسير الى الاسر بعد أن فقدت كل شيء الحب والمجد والايمان يقطع نياط القلب ويرج الوجدان .

وهو قادر على أن يجمع في القصة الوانا من الشخصيات الممتازة وصورا متعددة للصراع فهو تارة صراع حربي ، وطورا صراع ديني . ومرة صراع نفسي يحتدم بين العقل والغريزة .

وقدرة « ابي حـــديد » على رسم الاجواء تفوق كل قدراته . فهو يصور ادق الجزئيات التي تتصل بالنظر العام الذي سيحرك فيه اشخاصه ، واحيانا

---

(١) الدكتور محمود شوكت : الفن القصصي في الادب العربي الحديث ص ٨٩



محمد فريد أبو حديد

يستخدم الالفاظ كما تستخدم الموسيقى التصويرية فى التمهيد للاحداث ·

وانا لا اريد ان اقف عند اسلوبه العالى الرفيع الجليل البهاء ولكن اقف عند تلك القدرة المذهلة على رسم ادق جزئيات المشهد حتى يتحول الى لوحة فنية تحسها وتراها وتستمتع بجمالها · فهو لا يعبر بالقلم وحده ، ولكنه يجسد ويرسم وينحت التجارب حتى تتحول الى صور حية شاخصة تحس وتسمع وترى·

اتجاهه الفنى

والظاهرة العجيبة فى حياة « محمد فريد ابو حديد » هى غزارة انتاجه ، على الرغم من ظروف حياته واحداثها الصاخبة ، ورغم اشتغاله بالتدريس وتنقله بين المدارس والتلاميذ ·· ذلك العمل الذى يرهق النفس والبدن والشخصية · فى هذا الجو المعوق ابدع « محمد فريد ابو حديد » اعماله الفنية ، ونظرة واحدة على خريطة اعماله الفنية تريك مدى المقدرة الشخصية والصلابة والصمود وعظمة النفس التى كان يتمتع بها ذلك الرائد العظيم ، فقد كتب الرجل السيرة الوطنية والسيرة الذاتية ، والشعر المرسل ، والرواية التاريخية ، بصورة متتابعة لم تتوقف · ومن هذه الاعمال :

● صحائف من حياة او مذكرات المرحوم محمد (١٩٢٤) ● مقتل سيدنا عثمان (١٩٢٥) ·

● ميسون الغجرية (مطولة شعرية) (١٩٢٧) ● صلاح الدين الايوبى (١٩٣٠)

● خسرو وشيرين (تجربة من الشعر المرسل سنة ١٩٢٧) ● سيرة عمر مكرم (١٩٣٧) ● الملك الضليل (١٩٤٣) ·

● جحا فى جانبولاد (١٩٤٣)

● مع الزمان (١٩٤٤) ● المهلهل سيد ربيعة (١٩٤٤)

● زنوبيا – ملكة تدمر (١٩٤٤)

● الام جحا (١٩٤٤) ● عهد الشيطان (١٩٤٥) ·

● ابو الفوارس عنترة (١٩٤٧)

● عمرون شاه (١٩٤٧) ● كريم الدين البغدادى (١٩٤٧) ·

● ازهار الشوك (١٩٥٠)

● الوعاء المرمرى (١٩٥١) ● انا الشعب (١٩٥٤) ·

● ترجمة « مكبث » عن شيكسبير (وهى ترجمة رائدة بالشعر المرسل)

● ترجمة « فتح العرب لمصر » تاليف « الفريد بتلر »

● ترجمة دعائم السلام ● ترجمة الة الزمان ● ترجمة فن التعليم ·

كتب كل هذه الاعمال الى جانب عمله الوظيفى وعمله فى مجمع اللغة العربية الذى حظى منه باهتمام كبير ، فقد عمل فى لجان :

١ – اللهجات
٢ – التاريخ
٣ – تيسير الكتابة

والقى فى المجمع عدة بحوث منها :

١ – موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى ·
٢ – نظرات فى جموع الثلاثى ·
٣ – جموع غير الثلاثى ·
٤ – بعض ملاحظات فى اللهجة الليبية وصلتها بالفصحى
٤ – الموضوع فى الادب العربى (١)

(١) دكتور محمد مهدى علام – المجمعيون ص ١٨٨

ونحن نلاحظ ان بعض فترات حياته كانت تتسم بكثرة الانتاج ففي عام ١٩٤٤ انتج أربع روايات هي مع الزمان .. والمهلهل سيد ربيعة . وزنوبيا ملكة تدمر .

وفي عام ١٩٤٧ ابدع ثلاثة اعمال هي أبو الفوارس عنتره وعمرون شاه ، وكريم الدين البغدادي .

وبالرجوع الى وقائع حياته كنا نجد ان هذه الفترات التي يغزر فيها انتاجه هي الفترات التي كانت تستقر فيها نفسه او يشعر بالراحة في حياته الوظيفية او يتخفف فيها من اعباء التدريس .

● أنا الشعب

على ان الام « محمد فريد أبو حديد » الشخصية واحزان قلبه لم تشغله عن اشواق وطنه واحلام أمته . بل لعلها كانت دافعا له لأن يمزج هذه الالام والاحزان الخاصة ، بهذا الوجدان الجماعي ولهذا جاءت بعض رواياته تعبيرا عن هذا الوجدان الجماعي الثائر .. وروايته «انا الشعب» تصوير لمجتمع مصر قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ . وقد صور الام الريف وحياة الفلاحين في روايته « ازهار الشوك » .

● رؤيته الفكرية

وقد عاش محمد فريد أبو حديد في احداث التاريخ ، واستغرقته تلك الاحداث ، وهاله الصراع الدائر بين الاشخاص وتغير الظروف والمصائر ، وتقلب الزمان ، فعاش في واقع الحياة مترددا بين قيم الخير والشر .. بين الوصول الى الخير من خلال العنف والاقتحام . او التسامح الانساني والحب الشامل الذي يقوم بين البشر دون دخول في نزاع وصراع ... ولهذا لم تتكون له رؤية فكرية محددة يصارع في سبيلها ، ويخوض المعارك وينتمي الى الاحزاب السياسية كما فعل بعض زملائه الرواد كالعقاد وطه حسين وهيكل .

ولكن الرجل استعاض عن ذلك كله بالرؤية الفنية التي اتخذت من التاريخ اطارا لها . كما اتخذت من بعض احداث الحياة المعاصرة معينا وسندا ، ومن خلال هذه الرؤية الفنية وفي اطارها يمكن ان نعثر على كثير من افكار « الرجل » في كثير من القيم والمعاني السياسية والاجتماعية فلا شك ان شخصية « جحا » في روايته « جحا في جانبولاد » و « الام جحا » في شخصية محمد فريد أبو حديد وقد تمكن بحسه المرهف ونفاذ فكره ان يخلص شخصية « جحا » من انطباعها الشعبي المعروف. ويجعل لها فلسفة جادة عميقة من خلال سخرية نافذة بصيرة . ونحن نشعر بانفاس « محمد فريد أبو حديد » من وراء تلك الشخصية الشعبية الهازلة . وفي بعض الاحيان نسمع صوته عاليا . وتتحول شخصية « جحا » الى بوق يردد افكار « محمد فريد أبو حديد » وسخريته من القيم الفاسدة التي يراها في مجتمع « ماهوش » او « جانبولاد » يسخر من الانتهازية والوصولية والجهل .. والاغراق في الحياة المادية . والعناية بالمظاهر الزائفة . ويبشر بالحب والتسامح الانساني . وكان قد توصل الى هذه المعاني بالفعل بعد ان اكتسب خبرات كثيرة ومرت به تجارب مريرة في الحياة ، تركت على صفحة روحه نقوشا عميقة فهو يؤكد هذه المعاني بقوله :

« علمتني الحياة ان اخذ الناس كما اراهم ، فهكذا خلقهم الله . وهكذا اراد ان يعيشوا . انهم من طين الارض لا يستطيعون ان يكونوا من ملائكة السماء . وما احرانا اذا رأينا العيوب ان نزيد عطفنا على اصحابها ورفقنا لهم . لاننا من البشر نحس ثقل الطين في طبعنا ، واكرم ما يستطيعه انسان ان يملأ قلبه بالعطف على المخطيء والاثم . لان هؤلاء أحوج اخوانه في البشرية الى عطفه » (١)

---

(١) جحا في جانبولاد ص ١٠٤



محمد فريد أبو حديد

ولست ادرى هل لهذه الفلسفة المتسامحة علاقة على نحو ما بتجربة حبه؟ وهل لهذه التعبيرات الموحية «نحن من طين الارض»، «نحس ثقل الطين في طبعنا»، «العطف على المخطىء والاثم» علاقة بتلك الظروف والاجواء التي تنفست فيها تجربة غرامه الاول ؟

لا اريد ان اغوص من خلال هذه المنافذ التعبيرية الى باطن تجربته الشعورية التي الهمته تلك الفلسفة، لان الوثائق النفسية الخاصة بهذا الموضوع ليست تحت يدى، وأعتقد اننا لن نعثر عليها في يوم من الايام. فنحن في الامة العربية لا نزال نعتبر هذه الاشياء اسرارا عائلية يجب ان نحيطها بالقداسة ونخفيها حتى في مجال الدراسات النفسية الجادة.

ولقد ضاعت من قبل وثائق حياة المرحوم احمد حسن الزيات النفسية التي كتبها في «ذكرى عهود» والتي رأيتها بنفسى قبل موته بأعوام ثلاثة ولكن لا أظن اننا نستطيع ان نخفي اشعاع الاعمال الفنية وايحاءها الصريح عندما تنفذ الى اغوار تلك الاسرار.

● شخصية خيلاء

ولهذا لابد من الاشارة الى شخصية «خيلاء» في رواية «الوعاء المرمرى» وشخصية «ريحانة» من تلك الرواية لانني أعتقد انهما نافذتان تطلان على بعض اجواء تجربة «فريد أبو حديد» وهذا الموضوع في حاجة الى دراسة جمالية فنية ننفذ من خلالها الى باطن التجربة الشعورية ونحاول ان نستخلص بعض الخيوط التي قد تدلنا في المستقبل على عالمه النفسي. ولا يتسع المجال هنا لتلك الدراسة، وتلخيص الاحداث غير مستطاع.

ولكن لا شك ان «فريد ابو حديد» كان يضع قطعا من قلبه ولوحات من ذكرياته في «الوعاء المرمرى»

في «سيف بن ذى يزن» وهو يخوض المعارك ويحارب الاحباش. ويقع في احابيل المؤامرات. وتطحنه الاحداث، لمحات من نفس «محمد فريد ابو حديد» والملكة «ريحانه» وهي تخاطب ابنها «سيف بن ذى يزن» قائلة له: «فيك العفاء يا سيف، احس كأن قلبي مات في صدرى فلا اطرب ولا ارجو ولا اجزع .. واستقبل البشير كما استقبل النذير»

هذا الجو النفسي قريب من اجواء كامنة كانت تحيط بحياة «محمد فريد ابو حديد»، والفتاة المرهفة العربية «خيلاء» التي اسرت في قصر غمدان بيد الاحباش وكرهت هذا العالم المزيف الذى تعيش فيه واحبت «سيف بن ذى يزن» حبا عميقا وكانت تمتلىء بالوساوس والهواجس وتخشى على حبها فوهبت نفسها للمسيح ودخلت دير نجران ... في الوقت الذى عاد فيه سيف منتصرا ظافرا وكان من الممكن ان يتزوجها ويحقق احلامها ويرفعها الى ذروة المجد .. ولكنها كانت في الطريق الى الله.

ويجد «سيف» نفسه حزينا آسيا فقد انتصر وطهر قصر غمدان من الاحباش ولكنه لم يحقق شيئا .. انه يحس بالغربة والضياع، لانه فقد المجد الحقيقي وهو «الحب» الحب العائلي والحب الانساني .. فامه «ريحانه» «محطمة» لا تصل الى قلبه بينه وبينها الالام والوفاء. وخيلاء الزهرة الوفية لا يستطيع ان يصل اليها، فبينه وبينها طريق طويل. طويل ...

أبعد من الطريق الى دير نجران ٠

لست أدرى هل هذه الاجـواء التى رسمها « محمد فريد أبو حـديد » كان يجد فيها نفسه ؟ ٠

لا أريد أن أمضى فى هذه العمليـة وأحاول أن استخلص أحداث حياته من أعماله الفنية ، فانا أعلم ان العمل الفنى عندما يخرجه صاحبه يصبح عالما جديدا له ظروفه وقوانينهالموضوعية ، وينفصل تماما عن مبدعه وظروف حياته ، وقد تكون تلك الظـــروف التى تحيـــط بصاحب العمل والقيم الفكرية التى يؤمن بها من بواعث العمل الفنى ومن مكوناته الاصيلة ، ولكنها عندما تدخل فى نسيج العمل الفنى تصبح شيئا جديدا مختلفا عن الواقع الذى جاءت منه ٠ فليسالعمل الفنى وثيقة نفسية او سياســـية او اجتماعية ، ولكنه كون كامل متفـــرد يحتدم بكل القيم الفكرية والاجتماعية والانسانية ، وأهميـــــة هذه القيم وصدقها وأصالتها ، بمـــا تحقق من اكتمال العمل الفنى وانضــاجه حتى تنصهر القيم التعبيرية والتصــويرية بالتجربة الشعورية بحيث يصبح العمل الفنى عالما متكاملا لا تنفصل أشـواقه الفكرية والاجتماعيــــة عن قيمـــه التعبيرية والتصويرية ٠

ولهذا فلا يمكن أن نحـــول رواية « الوعاء المرمرى » الى وثيقة نفسية ونؤكد أنها تجربة « محمـــد فريد أبو حديد » ٠ ولكن قد يحدث العكس عندما نجد كل وثائق حياته النفسية ، فقـد تضىء من خلال تلك المعرفة جـوانب كثيرة من سراديب العمـل الفنى التى يحاول الفنان أن يحيطها بالغموض ٠

وعلى كل حال فلم ابعد كثيرا وانا اشير الاشاراتالسابقة عن هذه الرواية لأن المؤلف نفسه قال عنها « اكتب هذه القصة تذكارا لقطعة عزيزة من حياتى ٠٠ واهديها الى هزة الشباب الكبرى فى عام ١٩١٩ » ٠

وانا أعتقد ان هذه الرواية من انضج ما كتب محمد فريد ابو حديد ٠ وقـد نالت جائزة الدولة فى عام ١٩٥٢ ٠ وقد أشاد تقرير لجنة الجائزة بهذا العمل وأكد ان المؤلف استطاع « بما وهبه الله من قوة الخيال وبراعة التعبيـــر ان يصور العصر والمناظر تصويرا قـويا رائعا ٠ ومع انه اجاد كثيرا فى مؤلفاته السابقة ، فانه بلا شك قد سما بكتابه الجديد الى الذروة ، وابدى فيه براعة فى التصوير وجمالا فى التعبير ، مما يحقق لهذه القصة مكانا ملحوظا بين القصص المصرى الحديث » ٠

وانا مع هذا الرأى واعتقد ان نضج التجربة الشعورية فى نفس الفنان ، كان له أكبر الاثر فى انضــــاج كل القيم التعبيرية والتصويرية التى ترى لجنـة الجائزة أنها وصـــلت الى الذروة ، وحققتلها مكانامملحوظا فىأدبنا الحديث

وقد توجت الدولة نضال « محمد فريد أبو حديد » الفنى، ومنحته جائزة الدولة التقديرية فى عام ١٩٦٤

على ان أهم تقدير يحصل عليه الفنان هو ان يرى أعماله تؤثر فى النـــاس وتجلب لهم السعادة ، وتلقى شعاعا من الضوء ينير الطريق

وقد حقق « محمد فريد أبو حديد » كثيرا من هذا ، بل لقد أثر فى أجيـال من الكتاب والهمهم كتابة الرواية التى تستلهم التراث الشعبى وانا استـــاف أريجا من انفاس محمد فريد أبو حديد بعطر الروايات الشعبية التى كتبهـــا « عباس خضر » و « عبد الرحمن فهمى » و « فاروق خورشيد » وغيرهم ٠

تطور التيار التاريخى

وتبقى حقيقة هامة يجب ان أشير اليها فى نهاية هذا المقال ، وهى أن التيار التاريخى فى الرواية العربيـــة الحديثة ، والذى راده جرجى زيدان برواياته ، وجعله « محمـــد فريد ابو حديد » اكثر عمقا وهيأ له بناء متمكنا شاعريا ٠ قد تطور على يد مجموعة من الاعلام من اهمهم محمد ســعيد العريان ، وعلى احمد باكثير ، وعلى الجارم ٠ وارجو ان ينالوا حظهم من الدراسة والتقدير ٠



قصة قصيرة

السباق

نجيبة العسال

امتدت الشمس على الرمال الرطبة الندية ، واسرع الاطفال الصغار يلقون بانفسهم فوقها ، وراحت ايديهم تعمل فيها …

حفر وسياج واكوام صغيرة وكبيرة وانفاق بعضها ممتد والبعض الآخر لم يمتد بعد … اقدام الصغار تسرع ذاهبة آتية تجلب مياه البحر على دفعات بعضها قليل وبعضها كثير ، كل حسب قدره ، من اسرع يجلبها من البحر العريض الذى لا يهدأ هديره ولا تسكن امواجه …

الوقت مبكر والمياه مازالت باردة ولن ينزل الصغار الآن الى البحر ، انن فليحاول كل التمتع بالرمال الحانية قبل ان تشتد اشعة الشمس وقبيل ان تدفأ مياه البحر وتستعد لاستقبال افواج من اجساد الصغار .

انتحت الام ركنا على الشاطىء ، وشردت عيناها فى السماء التى مازالت مشوبة باللون الرمادى السائر الى الزرقة حينما تتخذ الشمس طريقها المعتاد ، وتنهدت الام وعيناها معلقتان بالموج الهادر .

وارخت الام اهدابها فاستقرت عيناها على الرمال ولم تر غير اقدام … اقدام ذاهبة واقدام آتية . منها الصغيرة والكبيرة … منها المفلطح ، والمقوس والمستقيم … منها الجميل المتسق والقبيح المنفر …

بعضها يسرع وبعضها يبطىء … البعض ثابت والآخر مهتز … اقدام تدوس على الرمال بشدة ، واخرى تستهين بالرمال ، ولكنها كلها ذاهبة آتية ، ان توقفت لحظة فهى

السباق

تسير لحظات ، ثم تسير وتسير ...

تلفتت الام ، باحثة عن ابنائها بين الاقدام السائرة وبين الاجساد المنثورة على الرمال ، واستقرت عيناها عليهم: انهم هناك ... ها هو مازن متكفىء على الرمال ويداه تعملان بهمة ونشاط ، فهوهكذا دائما لا يعرف غير الهمة والنشاط حتى وان كان يلعب ... ان مازن ذا الطلعة الناصعة البياض والجبين العريض يذكرها دائما بصفاء السماء وقت الضحى وان كان يشعر من حوله بعدم الراحة للحركة الدائمة التي تلفه وتجعله لا يهدأ ابدا ...

اما الذي يجلس ويداه ترتبان على الرمال بخفة وبطء فهو ماجد ، الاوسط الرفيع الاسمر ذو العينين السوداوين اللتين لا تستقران لحظة من كثرة ما يتطلع بهما الى كل ما يصادفه .

والقائم الذي يحمل الدلو في يده ، انه مختار ولدها الصغير المدلل الواثق دائما من انه يستطيع ان يفعل كل شيء ... انه كعادته الدائمة يقف ناظرا حوله في فراغ ، والدلو في يده ، ترى ما الذي يشد نظره ؟ .. آه ... انهم جماعة من الصبية الصغار يلعبون .

***

نادت الام على ابنائها ، لقد حان موعد الطعام ... وجاء مازن على عجل ، وتلاه ماجد .. اما مختار فهو لم ينتبه اول الامر لنداء امه ، لكنه عندما لم يجد اخويه في مكانهما نظر ناحية امه في سرعة واستقرت عيناه عليهما بجانبها ، واسرع اليهما ... ولكن لقد نادت عليه هدى صديقته الصغيرة . ووقف معها لحظات يقص عليها ماذا سيفعل في يومه ، ان يومه مشحون بعدة مشروعات ، سينزل البحر ويبني بيوتا على الرمال ، بيوتا اكثر مما يبني شقيقاه ... ... وملاه الزهو ، فتركها سريعا بعد ان فرغ امامها كل مشاريع يومه ، ثم سار الى امه واخويه ... وامتدت يد الام اليه بنصيبه من الطعام ، لكنه لم يلبث ان نظر اليها في استنكار وغضب قائلا :

– لا ... هذا النصيب لا يكفيني !

ونظرت اليه الام بحزم قائلة : انه مثل نصيب اخويك !

– وما يدريني ... انني لم ارهما وهما يأكلان !

وانبته الام في شدة. ثم سرعان ما اخذته في لين :

– لو انك حضرت معهما لرايت بنفسك ماذا اخذ كل منهما ولوفرت على نفسك كل هذا الغضب !

– ولكن نصيبي يجب ان يبقى لي كالآخرين !

وابتسمت الام :

– على ان تحضر معهما لتحصل عليه ، ثم اني اعطيتك مثلهما تماما وحتى ان لم اعطك مثلهما ، فهو نصيبك وانا التي احدد !

واخذ مختار نصيبه متذمرا ساخطا يشعر انه مغبون في حقه ، وحانت فرصة سريعة ، لقد فرغ مازن من طعامه وان كان لم يأت على كل نصيبه ، وامتدت يده الى امه بما

تبقى منه ، وحاولت الام ان تجعله يستزيد شبعا لكنه قال فى حزم :

ـ لقد شبعت يا أمى وتصرفى انت فى باقى طعامى !

وتركها سريعا ليذهب الى الرمال التى كـان يحفرها منذ وقت قليل ... كان مازن قد ازمع بينه وبين نفسه ان يفرغ اليوم من بناء اربعـة بيوت ونفقين تحـت الرمال ، وبرج عـال .. وبدأ فى الحـال بجلب الميـاه من البحر لينتهى من اعمـاله فى اقرب وقت .

فى هـذه اللحظات كانت الام داخل معركة بين ولديها الآخرين ماجد ومختار ، فكل منهمـا يريد اخذ ما تبقى من طعـام مازن ... ان ماجد اكل كل طعـامه ومازال يشعر بالجوع ، ومختار لم يمس طعامه بعد لكنه يحـاول فى استماتة ان ياخذ باقى طعام مازن ... واقسمت الام الا تعطى ايهما ما تبقى من طعام اخيهما .

ان هنـاك من يستحقه غيرهما . واقتنع ماجد وترك المعركة سريعـا قائلا وملامحه تستكين وتهدأ وتلمع فى عينيـه نظرة طارئة :

ـ اه ... لقد تذكرت يا امى ان بيننـا انا واخوتى سباقا يفوز فيه من ينتهى من بناء بيوته وانفاقه وبرجه العـالى قبل الآخر !..

ـ وموعد انتهـاء السباق ؟

ـ لحظة تناديننا ياامى لنستقبل الموج ... هيا يا مختار ..

ولم يزد مختار باكثر من هـزة من كتفيه ، وسار ماجد فى الحال وهو واثق أن مازن قد انتهى فى هذه اللحظةمن بناء بيته الاول . وجرى



مبتهجا سعيدا عازما ان يفعل المستحيل ويبذل اقصى الجهد حتى يفوز بالسـباق مع مازن ، ونادته من بعيد ابنة عمه الصغيرةليلى . وتوقفت قدماه لحظـات وهـو يستجيب الى رجائها فى ان يلعـب معهـا ، لـكنه تذكر فورا مـا كان عازما عليه ، فنظر اليها باسف قائلا :

ـ ان مازن يبنى بيوتا من الرمال ، وبينى وبينه سباق ، احضرى معى وراقبينى وشجعينى ، ويمكنك ان تقومى انت باحضار المياه من البحر . تعالى يا ليلى تعالى !

وامسك باصابعهـا وانطلق معها الى مازن ..

اما مختار فكان مازال يبكى غاضبا وامه تعمل على ارضـائه ، وتحثه عـلى ان يسرع ليلحق باخويه . واخيرا امتثل مختار لنصيحتها بدأ ياكل لكنه لم يهدأ ولم يستكن ان اخويه يضطهدانه ، وامه تساعدهما على ذلك .. انها تحبهما اكثر مما تحبه ، وتعطيهمـا اكثر مما تعطيه ، مع انه يستحق اكثر منهمـا ، أليس هو اجمل منهمـا واذكى ايضا ؟.. الم ينظر اليه الجميع دائمـا بالاعجـاب ويمدحون قوامه الجميل ؟.. الم يلتف الصبية حوله فى كـل وقت ليستمتعوا باحاديثه الشيقة ... وفجأة نظر الى امه قائلا فى ثورة :

.. لماذا لم تنادني كما ناديتهما ؟...

وقالت الام فى حزم:

ـ لقــد ناديتك ولم تسمعني فقد كنت بعيدا عني لاهيا بمن يلعبون معك !

ـ انني لم اسمعك ، وكان يجب عليــك أن تكرري النداء .

ونظرت اليه الام فى حزم قائلة : لا تضيع الوقت ... افرغ مـن طعامك سريعا حتى تلحق بهما لتحــاول أن تبني مثلهما بعض البيوت .

وقضم قطعة الخبــز الاخيرة دفعة واحــدة وبانت على ملامحـــه مخايل العزم والحزن . وجــرى مسرعا ليلحق بأخويه .

ووصل مختــار الى اخويه والقى نظرةسريعة على ايديهما وهى تعمل، ونظر الى ما اتماه مـن بناء ... ان مازن فرغ من بناء بيتين كاملين ، وحفر نفقا موصلا اليهما ثم نظر فى شــروع الى ما اتمه ماجــد ، لقد فرغ ماجد من النفقين وانتقل الى البيت الاول. آه ... ولكن ليــلى تساعده ... انها تجلب اليه المياه من البحر !. وعمل ذهنه فى سرعة.. ثم قال :

ـ ليــلى .. ان امك تبحث عنك ، وكلفتني ان رأيتك ارسلك اليهــا فورا !

وتركت ليلى الــدلو واسرعت الى أمهــا .. ودون أن تستمع الى رجاء ماجد ، ونظر ماجد الى اخيه مختار نظرةطويلة، ثم بدأت يداه تعملان فى نشاط اكثر بينما اتسعت ابتسامة مختار وقدماه تتجهان فى سرعة الى البحر ليجلب المياه ، ثم بدأ العمــل فى الرمال سيفرغ أولا من بنــاء البيوت الاربعة ، ثميحفر الانفاق ، ثم يبنى البرج .. ماابسط هذا ! وشرع مختار يعمل وهو سعيد هانيء يثق بأصــابعه التي تعمل وعقله الذى يخطط... ويحسبالوقت أمامه متسعا رحبا لن ينتهى قبل ان ينتهى هو من بناء بيوته وأنفــاقه وبرجه العالى !

السباق

لم تعد الزرقة مشربة باللون الرمــادى ، ولم تتنازل الشمس عنسيرها المعتــــاد فأسرعت من خطواتهاالنشطة الملوءة حرارة وضوءا جعـــلا الزرقةتصفو وتملاالسماء ولم تترك الشمس مياه البحــر باردة حتى يظل الصغــــار يلعبون على الرمال . ابدا ... لقد قامت حــــرارة الشمس بمهمتها الملقــــاة على عاتقها منذ امد بعيـــد لا يعرف مداه احــــد وسرى الدفء الى ميـــاه البحــر ، وزادت سرعة الاقدام الذاهبــــة الى الامـــواج ، ونادت الام ابناءها . لقد حانموعد ذهابهم الى الامواج ، مع كل الصغار والــكبار ، ولابد لاقدامهم ان تسرع مع الاقدام ... وسمع الصغار النــداء فجاءوا على عجل ... ونظرت الام الىعيونهم وملامحهم ان مازن غير سعيدتماما فهو يهز رأسه بين فينة وفينة ، لقد فاجأه نداء امه دون استعداد ... وسألها معاتبا :

ـ لماذا ناديتنى الآن يا امى .. انى لم افرغ بعد من بيوتى !

ـ لقــد قلت لكم ان موعــد انتهاء السباق هو اللحظة التى أحدد فيها انا موعــد نزولكم الى الماء . لماذا لم تنته من بيوتك فى سرعة ؟؟

واجابهاماجد ،وكانت

تبدو على وجهه الراحة والسعادة • انه مازن يا أمي •• كان اولنا في الانتهاء من بناء كل بيوته ، وأنفاقه ، وبرجه العالي !

وأجابته الام وعيناها تبتسمان :

ـ اذن لماذا يعترض؟ تململ مازن فيوقفته وتلفت حوله ، وأجاب :

ـ لأني لم اخذ اى قسط من الراحة قبلنزولي الى البحر •

ـ ولماذا لم تسترح ؟ وبصوت خافت اجاب:

ـ لاني كنت قد شرعت في بناء غيرهما• وضمت الام شفتيها وهي تمد الحروف ••

ـ انك لم تقتنع بما بنيت ، وهـا أنت تحس بنفسك مدى الك•اذهب الى الموج •••

وتركها وهو يسير متألما مرهقا لا يستطيع سحب قدميه ••• ونظرت الام الى ماجد الضاحك البادي أمامها في اتم صحةوراحة ، وقالماجد في سرعة :

ـ اما انا فقد انتهيت من بناء بيوتي وأنفاقي وبرجي العالي واخذت قسطي من الراحة • وأنا انتظر نداءك يا امي لكي اذهب الى الموج سعيدا راضيا !

وابتسمت الام وهي تنظر اليه وثمة شعور باهر يغمر جوانحها :

ـ اذن اليالموج يااحب ابنائي !

واندفع ماجد الى الموج ، منتعشا منتشيا يستقبله يابتسامة واسعة

ثم التفتت الام الى صغيرها الطفل الواثق بنفسه بغير حدود ،

كان يقف مرتعدا خائفا• لكنها عندما نظرت اليه• شد قامته ونظر اليها في تحد قائلا :

ـ لقد تضافرت ضدي عوامل كثيرة ••• لم افرغ من طعامي قبلمازن ولم يساعدنيأحد مثلما

ساعدت ليلي ماجد ، ولقد بنيت البرج وحفرت الانفاق أولا ••

فقالت الام :

ـ لقد حان موعد نزولك الى الموج •• وكل ما فعلته لا يساوي شيئا !

وصاح :

ـ والبرج والانفاق؟!

ـ بدون البيوت لا تساوي شيئا ••• هيا الى الموج !

وسار مختار الىالموج كاسف البال حزينا لا يقوى على استقباله •••

ونظرت الام الى اثار ابنائها وامتلأت عيناها بما خطت أيديهم على الرمال ، وجاءت موجة عالية اغرقت الشاطيء

ثم انحسرت عنه ثانية بعد ان اخذت معها كل البيوتوالانفاق والابراج العالية ••• وظلت الام سابحة بنظراتها في الفضاء تتذكر اثار أولادها على الرمال

والصورة التي ذهب بها كل منهم الى •••••• الموج ! • • •





ماذا لو انفجر مفاعل نووي ؟

● عند ما تصطدم بالمفاعل النووي طائرة أو يقع في منطقته زلزال ، أو تلقى عليه دولة معادية قنبلة نووية صغيرة .

ميشيل تكلا



احتمال هروب الطاقة النووية

يوجد اليورانيوم في الطبيعة على هيئتين : « يورانيوم ٢٣٨ » و « يورانيوم ٢٣٥ » . وتصنع القنابل النووية من « اليورانيوم ٢٣٥ » الصافي الذي يصعب فصله من الخليط الاصلي . وتتكلف المصانع التي تقوم بفصله حوالى ثمانيمائة مليون دولار .

والقنبلة الذرية عبارة عن جهاز يولد سلسلة من التفاعلات لا يمكن السيطرة عليها . وعندما تنفجر فان تفاعلا يسري في كتلتها ، وفي اقل من جزء على مليون جزء من الثانية ، يتحول « اليورانيوم ٢٣٥ » الى غاز تصبح درجة حرارته ملايين من الدرجات المئوية . ويبدا التفاعل بارتطام كتل « اليورانيوم ٢٣٥ » لتكوين كتلة ضخمة .

اما المولد النووي فيحتوي على سلسلة من التفاعلات يمكن السيطرة عليها . ولا توجد طريقة لتكوين كتلة ضخمة من اليورانيوم . وبدلا من استخدام « اليورانيوم ٢٣٥ » الصافي يستخدم « اليورانيوم ٢٣٨ » . ويمكن السيطرة على التفاعلات عن طريق قضبان طويلة ، مصنوعة من سبائك « الكادميوم » والفضة و « الانديوم » . وتتحرك هذه القضبان في قلب المفاعل، وتمتص مادة القضيب النيتروناء والجسيمات النووية التيتعمل كطلقات الرصاص وتساعد على انجاز عملية التفاعل .

ومادامت القضبان في داخل المفاعل ، فلا شيء يحدث على الاطلاق، لان جميع النيترونات تمتص عن طريقها ، ولكن اذا سحبت هذه القضبان فان سلسلة التفاعل تبدا في الحال . ويسيطر العلماء على كثافتها وقوتها بتعديل وضع القضبان . فاذا حدث خطأ وارتفع النشاط النووي الى درجة عالية ، فهناك ضوابط اوتوماتيكية ، او تتدخل قضبان اخرى خاصة في قلب المفاعل لتوقف النشاط المرتفع المفاجيء .

ولكن ما هو الخطأ الذي يمكن ان يحدث ؟

يقول « روبرت جالون » : ان العلماء لا يخافون من الانفجار بل من « الانحراف النووي » وهو تعبير علمي جديد عن احتمال هروب الطاقة النووية ، وافلاتها منسيطرتهم . وهذا الخوف حقيقي ومحتمل » .

والواقع ان شيئا من هذا لم يحدث بعد في اي مركز من مراكز القوى النووية .. ولكنه حدث في بعض معامل مثل معمل انتاج الوقود في بريطانيا ، وفي مفاعل « ايداهو » فقد نزع أحد العمالقضيبا من قضبان الضبط اثناء ترميم قلب المفاعل ، فحدثت سلسلة من التفاعلات شقت حاجز البخار فمات ثلاثة رجال بسبب انفجار البخار والاشعاعات ، وربما

ان قلب المفاعل كان محكوما بقضيب واحد ، وان جميع المفاعلات الاخرى لها قضبان متعددة ، فان مثل هذه الحادثة لا يمكن أن تحدث مرة أخرى .

بعيدا عن الكرة الارضية

يقول علماء التكنولوجيا النووية : هناك احتمال وقوع حوادث أخرى منها التوقف المفاجىء لماء التبريد عن اداء عملها . فهذا الماء يستخدم اما للتسخين واما لتحويل الحرارة . فاذا توقفت دورة هذا الماء لسبب او لآخر ، أو لان انسانا أغلق عن طريق الخطأ الصمام الخاص بذلك ، او اذا تمزقت احدى الانابيب الرئيسية ، او تصدع لصمام ، فان الحرارة سوف ترتفع الى نقطة لانصهار القضبان فى مدى دقيقة واحدة .

وفى مدى ساعة ، فان قلب المفاعل الذى يقدر بمائتين وخمسين طنا ينهار ويتحول الى بركة مصهورة تتسرب منها الاشعاعات ، وهى تشق طريقها خلال المفاعل المحطم الى قاعدته الاسمنتية، كما ان ضغط الغاز بسبب التفاعلات الكيميائية والانفجارات البخارية قد يشق طريقه خلال المبنى الخاص بالمفاعل ، ومن ثم تتبعثر الاشعاعات ولا يمكن السيطرة عليها ..

ولكن مثل هذه الحادثة لا يمكن أن تقع رغم ما يقوله علماء التكنولوجيا النووية . وذلك بسبب وجود عدد كبير من نظم التبريد الاضطرارية فى قلب المفاعل . ان الكثيرين قد يعترضون على ذلك ولكن الامر فى غاية البساطة ففى حالة فقدان الماء ، فان نظاما خاصا بالتبريد يبدأ عمله فى الحال لترطيب القلب الذى ارتفعت درجة حرارته ارتفاعا خطيرا ، ويعد هذا النظام من أعقد الانظمة بمضخاته وصماماته وأنابيبه . ومن المؤسف انه حتى كتابة هذه السطور لم يجرب نظام الطوارىء بعد نظرا لكثرة تكاليف التجربة ان أجريت فى يوم ما .

وقد نجح نظام التبريد عندما تسربت اشعاعات كثيرة من المفاعل الذرى ببريطانيا ، لذلك أغلق المفاعل لحين اجراء تعديلات عليه .

وهناك احتمالات وقوع حوادث اخرى منها :

اولا : احتمال اصطدام طائرة باحد المفاعلات الذرية .

ثانيا : قد يحدث زلزال فى المنطقة القائم عليها المفاعل فيحطمه . ولكن العلماء يستشهدون بوجود مفاعل ذرى على بعد ميل واحد من صدع كريستيانيتوس بكاليفورنيا . ويجرى حاليا اقامة مفاعلين على بعد الفى قدم من الصدع نفسه .

ثالثا : قد تلقى دولة معادية قنبلة نووية صغيرة فوق احد المفاعلات الذرية .

رابعا : ان القطار الذى ينقل الوقود او عادم الاشعاعات قد تقع له حادثة .

ولكن العلماء يؤكدون ان الخزانات المحفوظ فيها الوقود او الاشعاعات لن تتحطم . وقد وقعت حوادث من هذا النوع خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية .

ولعل اخطر هذه الحوادث جميعا هو تسرب الاشعاعات . فالعناصر المشعة التى تتسرب الى الجو هى « الكرايبتون » و « اليود » ، فى حين

ماذا لو انفجر مفاعل نووي

أن « التريتيوم » يفرز في مياه التبريد بكميات قليلة لا ضرر منها · والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أن الاشعاعات الكونية تهطل على الانسان بصفة دائمة من الشمس ، ومن مصادر الاشعاعات الارضية ، ومن أشعة اكس ، والاجهزة التليفزيونية · ويصل كل انسان منها ٠٫١ رونتجن – وهي وحدة قياس اشعة اكس – ولكن ما هو قدر الاشعاعات التي يمكن أن يحصل عليها الانسان دون أن يحدث له أي ضرر ؟

يقول العالم « روبرت جاتون » : ان خمسمائة ملليريم من جرعة الاشعاعات التي يحصل عليها الانسان كل عام قد لا تسبب له أي ضرر · فأي انسان يعيش في منطقة مجاورة للمفاعلات الذرية ، لا يجب أن يحصل على اكثر من هذا القدر · ويجب كذلك الا يتعرض الانسان العادي لأكثر من مائة وسبعين « ملليريم » كل عام · ومعنى هذا ان اكثر من اثنين وثلاثين الف حالة وفاة بالسرطان واللوكيميا تحدث كل عام ·

ويقول دكتور « تيلر » أب القنبلة الهيدروجينية : « أن تسرب الاشعاعات بصفة مستمرة من المفاعلات الذرية الموجودة هنا وهناك قد تنتشر لعدة مئات من الأميال المربعة بطريقة قاتلة مميتة · ولهذا السبب أرى أنه لا يجب أن تقام المفاعلات النووية على الكرة الارضية ! »

وتجرى بحوث دقيقة في الوقت الحالي لازالة « الكرابيتون » المشع · ولكن طريقة ازالته لاتزال شديدة التعقيد · كما أن « التريتيوم » يصعب ازالته كذلك · ولهذا السبب فكر العلماء في تخزين الماء حامل « التريتيوم » في كهوف تحت الارض · و « التريتيوم » يقضي على الحياة العضوية ويشلها ، ولكنه في الماء يصبح جزءا من النظام البيولوجي ويظل محبوسا ويشع الى الابد ·

وفي عام ١٩٥٧ اجريت تجارب لمعرفة ما سوف يحدث في حالة وقوع حادثة نووية تحت أسوأ العوامل الجوية · فاتضح أن أجهزة الامن لم تعمل ، وان نصف المواد المشعة وجدت طريقها الى الخارج فلوثت الجو ، ولم يتم اجلاء أي انسان من المنطقة بالسرعة المطلوبة · ويتوقع العلماء انه في مثل هذه الحالة فان عددا كبيرا من الناس سوف يصابون باصابات قاتلة وقد تقع خسائر تقدر بمليارات الجنيهات · لذلك يجب أن نعمل برأي عالم الذرة دكتور « والتر جوردان » عندما قال :

« يجب أن يعد الناس أنفسهم لمواجهة احتمال وقوع حادث او انفجار نووي تماما كما تتوقع وقوع زلزال او انفجار بركان » ...

كمال النجمي

الأغنية العربية بين القومية والمحلية

الأغنية هي الاصل في فن الموسيقى العربية ، لان شعبنا العربي في جميع اقطاره يميل منذ الزمان الأول الى الغناء اكثر من ميله الى الموسيقى الخالصة التي تعزفها الآلات غير مصحوبة بالغناء .. وليس هذا عيبا ولا قصوراً في طبيعة الشعب العربي ووجدانه ، فلكل شعب طبيعة ووجدان صنعتهما عوامل تاريخية ينفرد بها ، ولا أحد يستطيع أن يفرض عليه طبيعة ووجدانا من خارج ذاته ،ولا يمكن الغاء الذوق الفني لشعب من الشعوب فجاة واقناعه بان يتكلف ذوقا آخر يستعيره على علاته ، من هنا او هناك .

ليس فى مقصودنا أن الشعب العربى ينفر من عزف الآلات الموسيقية ، فان هذا ابعد شىء عن مقصودنا ، وان لنا نحن العرب لتاريخا طويلا فى تذوق عزف الآلات الموسيقية العربية كالعود والناى والقانون والبزق والآلات الاخرى التى استعربت ونطقت بالنغمات العربية كالكمان . ولم تنفصل الاغنية العربية الحضارية قط عن مصاحبة الآلات الموسيقية .. ونشأت حول الاغنية هوامش موسيقية خالصة ، بعضها عزف منفرد ، وبعضها الآخر عزف جماعى اتخذ اسماء فنية مختلفة، منها ما نعرفه الآن بالبشارف والسماعيات والتحميلات واللونجات وغيرها .

هذا هو واقع الاغنية العربية - حتى اليوم - قوميا ومحليا . فهى أصل السماع عند الغالبية الكبرى من المستمعين العرب .. يتصل بها العزف منفردا أو جماعيا ، ولا ينفصل عنها الا فى مقطوعات قصيرة تكاد تكون بجملها الموسيقية وايقاعاتها لونا من الغناء الصامت - ان صح هذا التعبير - ولا تخرج هذه المقطوعات فى تكوينها الاساسى عن « اللازمات » الموسيقية التى تصاحب الاغانى ، الا فى بعض المؤلفات ذات القوالب الفنية المتعارف عليها سماعيا وهى قوالب بسيطة خالية من التراكيب الموسيقية.

وهذا الواقع في الاغنية العربية - وبخاصة الاغنية القومية - يحاول بعض المتعجلين تغييره فورا ، بل ينادى بعضهم بالغائه ، لانهم يرون أن سيطرة الاغنية على المستمع العربى تحول دون اهتمامه بالتأليف الموسيقى البحت المستند الى أسس فنية اكثر تركيبا ، على غرار ما نسمعه فى الموسيقى الاوربية ..

ولكن منصفى الاغنية العربية يرون أنها ليست هى الحائل دون انتشار التأليف الموسيقى البحت بتركيباته الفنية ، وانما الحائل هو التقليد الحرفى للموسيقى الاوربية ، ثم محاولة فرض هذا التقليد على ذوق المستمع العربى .

مشكلة المقلدين

ومشكلة مقلدى الموسيقى الاوربية فى الوطن العربى كله هى عجزهم عن التأليف بغير الاساليب والاشكال والمفاهيم الاوربية فى الموسيقى ، لانهم تعلموا هذه الموسيقى مدرسيا وفاتهم أن يتعلموا الموسيقى العربية ، بل فاتهم أن يتذوقوها بلا تعال عليها ولا دراية بها ..

ولو اتيح لهم بناء موسيقى عربية الملامح بقدر الامكان ، ولا نقول « عربية الوجه واليد واللسان » .. لكان خيرا

الأغنية العربية

لهم والمستمع العربي الذى ليس فى الامكان ان يفرض عليه الموسيقيون المقلدون موسيقاهم بحذافيرها ، لان له ان يرفضها كما ان لهم ان يؤلفوا .. وقديما قيل : « الذوق شيء ليس فى الكتب » .. ونجتزىء هنا من معانى الذوق المتعددة بالذوق الفنى ، وبخاصة الذوق الموسيقى ، وعلى الاخص ذوق المستمع العربي الذى يحاولون الغاءه بعد بضعة عشر قرنا من الزمان اكسبته ثباتا هائلا ، وان كان فى جوهره من اكثر اذواق الشعوب مرونة وتقبلا للجديد والمستحسن من كل ما يرد عليه من انحاء العالم بلا استثناء ..

صحيح ان الموسيقى لغة عالمية . ولكن اللغة الواحدة – نقصد لغة الكلام – ذات الاصل الواحد والقواعد الراسخة ، ينطقها اهلها انفسهم بلهجات متعددة ، كتعدد اقطارهم وبيئاتهم وظروفهم .. فكيف يصح فى الاذهان ان يقال ان لغة الموسيقى ، يتحتم على الناس جميعا فى كل اصقاع الارض ان يتكلموها بلهجة واحدة ، وحرام على قومية هنا او قومية هناك ان تكون لها فى الموسيقى لهجة مستقلة وطريق خاص ؟!

اليس الاصح ان يقال ان الموسيقى – على طابعها العالمى – لا تضيق بتعدد القوميات فى داخلها ، وانها وان كانت لغة واحدة ، فانها ليست باللغة المصطنعة او المفتعلة كلغة الاسبرانتو ، لا روح تنبض فيها ، ولا جنسية تنتمى اليها ؟

ان الغناء والموسيقى يفرقهما التجريد الميتافيزيقى ، ويزهقهما البطلان والاخفاق اذا تجردا من الطابع القومى والمحلى ، وخلت تعبيراتهما ونغماتهما من الملامح التى يرى فيها كل شعب وجهه ، كما يرى سماء بلاده وماءها وخضرة ارضها وجمال طبيعتها ..

نحو موسيقى عالية

ومن المفارقات ان الذين هاجموا الاغنية العربية فى الزمن الاخير بوصفها عقبة كئودا فى طريق التأليف الموسيقى البحت وازدهاره ، اسهموا – على عكس ما ارادوا – فى توسيع نطاق الاستماع والاستمتاع بالاغنية الغربية العربية على المستويين القومى والمحلى ، لان مؤلفاتهم الموسيقية المترفعة عن ملاقاة ذوق المستمع العربى ، تعمدت أن تترفع عن ملاقاته وآثرت أن تتحدى هذا المستمع المتواضع

المتطلع دائما الى الجديد ، المستعد فى كل وقت للتذوق والتفهم والتصفيق لما يستحسنه ويستطيبه .

ومع ذلك فان الاتجاه السائد الآن فى غالبية الاوساط الموسيقية المصرية والعربية المتصلة بالمستمعين اتصالا مباشرا وثيقا ، هو الاعتراف بضرورة تطوير مفهومنا للغناء والموسيقى بوجه عام ، وما يترتب على تطويرهما شكلا ومضمونا من خطوات فنية بصيرة لا تتخبط ولا ترتطم بالتقليد الحرفى ، فالشعب العربى فى يقظته الحديثة لم يعد يغض الطرف عما فى التاليف الموسيقى الخالص كالسيمفونيات مثلا من آفاق رحبة ، بشرط أن تكون المؤلفات الموسيقية متفقة والذوق العربى ، غير متعالية عليه ، ولا متأففة من عدم استجابته لما لا يرتضى عنه .

ومن المستطاع فى هذا المجال تاليف موسيقى عربية الذوق والوجدان قائمة على أسس الموسيقى الاوروبية او « العالمية » — على حسب التعبير المتداول — ومن الواجب تاليف موسيقى عربية قائمة على السلالم الموسيقية العربية ، مستعينة بتكنيك الموسيقى الاوربية فى الحدود المناسبة التى لا تؤثر فى جوهر الموسيقى العربية والغناء العربى ، فان سلم الموسيقى العربية المنقسم الى اربعة وعشرين قسما قد تعددت طرق استخدامه من عصر الى عصر ولكنه لبث دائما محتفظا بقياس تردد الاصوات الموسيقية العربية التى يتذوقها العرب على المستوى القومى والمستوى المحلى معا ..

ولو صدقت النيات والجهود فى هذا الاتجاه لتحولت الموسيقى العربية — بفرعيها الغنائى والآلى البحت — الى موسيقى عالمية ذات كيان خاص ، بجانب الموسيقى الاوربية التى اصبحت عالمية بفضل سعة جمهورها الذى استغرقته أساليبها قرونا متوالية ، وبفضل غلبة أصحاب هذه الموسيقى على الشعوب الاخرى ومن بينها الشعوب العربية فى الماضى ، فكان من الاسباب التى لا يمكن انكارها — حين التحدث عن غلبة الموسيقى الاوربية .. ما ذكره ابن خلدون من قوله الشهير عن تقليد المغلوبين للغالب ..

ومن حسن الطالع أن أشهر وأبرع العاملين فى الغناء العربى والموسيقى العربية الآن كعبد الوهاب والسنباطى والرحبانية ، فضلا عن أم كلثوم ، لا تغيب عنهم هذه الحقائق وقد ساير انتاجهم الفنى تمسك الشعب العربى فى غالبيته بالغناء العربى والموسيقى العربية وما يمتازان به من خصائص فنية رئيسية مثل السلم الموسيقى وتركيب المقامات وكسور الاصوات التى اشتهرت بأرباع الاصوات — وحقيقة ربع الصوت هنا هى ثلاثة ارباع الصوت — وما الى ذلك من خصائص تتشكل على اساسها الاغنية العربية القومية والمحلية ويقوم كيان متطور خاص لهما ، يطرق باب « العالمية » ويدخله حين تصبح وراءه امة متحدة متطورة قوية ذات صوت مسموع فى العالم ..

نشأة الأغنية العربية

نشأت الاغنيةالعربية نشأةخاصة ، فهى لم تنشأ تراتيل جماعية فى المعابد كالاغنية الاوربية مثلا ... ومازال مؤرخو الاغنية العربيـة يبحثون عن تاريخ ميلادها • وبعضهم يرد ميلادها الى ثلاثة آلاف سنة مضت ، عنـدما كانت القبائل العربية تتبلور فى الجزيرة العربية وكانت اللغة العربية ايضـا تتبلور وتتجه نحو شكلها الذى اتخذته فى نضجها كما يعرضه علينا الشعر الجاهلى الذى وصل الينا جانب منه وضاع جانب ..

وارتبطت أصول الغناء العربى منذ نشأته بالشعر العربى ، بل بالكلمة العربية المفردة ، فان تفعيلات الشـعر العربى فى ايقاعات ميلودية قصـيرة قائمة على سلم الغناء العربى الـذى ينقسم كما اسلفنا ـ دون سائر السلالم الموسيقية فى العالم ـ الى اربعـــة وعشرين قسـما .. وليس ممكنا ـ على سبيل المثال ـ توزين تفعيـلات الشعر العربى ـ فضلا عن بحـوره الكاملة ـ على ايقاعات الموسيقى الهندية التى ينقسم سلمها الى اثنين وعشرين قسما .. دعك بطبيعة الحـال من الايقـاعات الانسيابية فى الموسيقى الاوربية الكلاسيكية ، فليس ممكنـا توزين الشعر العربى عليها .. ولو تمردت تفعيلات الشعر العربى عـلى ايقاع الغناء العربى ـ بالشروط التى ذكرناهـا ـ لخرجت من الاوزان العروضية العربية القائمة على أساس الصوت العربى وأجزائه الدقيقة ..

كذلك الكلمة العربية المفردة ، لا تخرج عن هذه القاعدة ، لان اشتقاق المفـردات العربية أساسه التوزين الصوتى فى سلم الموسيقى العربية • وبهذه الميزة أو هذه الخاصية تنفـرد اللغة العربية عن اللغات الاوربيـة القائمة على النحت ، ويختلف الغناء العربى عن الغناء الاوربى .. وقـد التفت الخليل بن احمد الى هـذه الناحية ـ قبل الف عام ـ فى كتابيه « كتاب النغم » و « كتاب الايقاع » ..

هذا الامتزاج الدقيق بين الغناء والشعر واللغة عند الامة العربية جعل للغناء العربى منذ بداية أمره طابعا قوميا لا يخص قبيلة فى الجاهلية ، ولا يخص قطرا بعد الاسلام ، بل يعم العرب جميعا ، ويعم العجم المستعربين ايضا ، واحتوت فطرة الانسان العربى على الغناءوالشعر واللغة كلا لايتجزأ ، حتى عنـد الاميين وغير العـارفين بالشعر واللغة الفصيحة •

وفى عصور التدهور القومى والاجتماعى اغتربت الامة العربية فى أوطانها – كما اعتدنا أن نقول – ولكنها احتفظت فى أعماقها بهذه الفطرة الراسخة العجيبة التى لم يكد فجر النهضة العربية يبزغ ، حتى انطلقت من جديد تعمل عملها ، وتعلن عن وجودها واستمرارها ..

ولم يكن مدهشا ان يحمل لواء النهضة فى الغناء العربى والشعر العربى مجموعة واحدة متجانسة فى مصر والشام وبقية البلاد العربية ..
وقامت نهضة الغناء العربى فى القرن التاسع عشر على اسس قومية، فان كتاب « سفينة شهاب » الذى الفه الشاعر الموسيقى الشيخ محمد شهاب قائم كله على الموشحات الاندلسية القديمة ، اى على تراث قومى كانت له بطبيعة الحال محليته فى زمنه القديم ..

وحتى الكوارث الماحقة التى نزلت بالامة العربية كهجمة هولاكو وتدميره بغداد ثم غزوة تيمورلنك وتخريبه دمشق وغيرها ، ثم سقوط غرناطة فى أيدى القشتاليين وانطواء صفحة العرب فى الاندلس .. كل هذه الكوارث التى مزقت روح الامة العربية لم تستطع أن تغير اتجاه فطرتها القومية فى فن الغناء ..

وبعد هبوط غزوة بونابرت لمصر ، أسهم ملحنو النهضة العربية الاوائل فى تخليص الغناء العربى من العجمة العثمانية والفارسية والغجرية ، وإعادته الى أسلوبه القومى مضافا اليه ما أتاحه زمانهم من اضافات وتجديدات استخرجت من مقامات الغناء العربى ألحانا لم تكن تخطر على بال الاولين الذين نشأ الغناء على أيديهم فى بداية الدولة العربية الكبرى نشأة قومية ، كطويس وابن مسجح وابن سريج والغريض وابن محرز .. ثم عباقرة العهد العباسى كالموصليين ابراهيم وابنه اسحق ، وابراهيم بن المهدى ومخارق وغيرهم كثيرون .

الأسس القومية للأغنية

بعد بداية الغناء العربى فى الجزيرة العربية حداء وراء الابل ، أو هزجا أو تطريبا بألحان بسيطة موقعة على عروض الشعر ، جاءت الدولة العربية الكبرى بعد الفتوح الكبرى ، فتأسس الغناء العربى الحضارى فى الجزيرة العربية وبخاصة فى المدينة ومكة .. ثم فى دمشق .. وأرسى الفنانون الذين ذكرنا بعضهم آنفا تقاليد الغناء والتلحين والعزف .. وظهر اول كتاب عربى عن الغناء ، ثم ظهر الكتاب الثانى ، وهما « كتاب النغم » و « كتاب القيان » .. الفهما الملحن المطرب الاديب يونس الكاتب الذى سبق ابا الفرج الاصبهانى فى الكتابة عن الغناء بعشرات السنين ..

وأصبح الغناء – كأى فن عربى يعلو كل فن عندهم – فى عصر العباسيين ..
قال ابن خلدون فى مقدمته : « مازالت صناعة الغناء تتدرج الى ان كملت فى أيام بنى العباس » .. حتى أصبح الغناء العربى فنا عميق الاصول كثير الفروع ، يتخصص فيه الدارسون ، ولا يفلح فى احترافه الا من اخذ الحظ

الاولى من علومه .. قال المستشرق البريطانى هـ . ج . فارمر فى كتابه القيم « تاريخ الموسيقى العربية » : منوها بما بلغه تراء العلوم الموسيقية فى العصر العباسى الاول : « قام اسحق الموصلى بتلحين صوت استرعى انتباه ابراهيم بن المهدى فكتب اليه يسأله عنه ورد اسحق يعلمه بشعره وايقاعه وبسيطه ومجراه واصبعه وتجزئته واقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير ادواره واوزانه »

هذه الكلمات ـ كما قال فارمر ـ « تعطينا مثالا جميلا لاصطلاحات ذلك العصر فى الموسيقى العربية » .. وهى اصطلاحات علم بلغ غايته من التقدم والتعقد بعد عهد السذاجة فى بدايته .. ويرى فارمر أن من المحتمل جدا أن يكون رد اسحق على « ابن المهدى » قد اشتمل على رموز موسيقية كالرموز التى تسميها اليوم « النوتة الموسيقية » .. ومن المعروف أن الكندى قد استعمل فى هذا المجال رموزا موسيقية ، لو استقامت الحال للامة العربية ولفن الموسيقى فيها لاستبحرت هذه الرموز تبعا لاستبحار الموسيقى العربية ..

هذه النهضة فى الغناء والموسيقى اتخذت طابعا قوميا لان الامة العربية فى ذلك الحين لم تكن قد انقسمت الى اقطار تفصلها جوازات السفر ، حتى بعد أن كثرت فيها الدول والامارات والحكومات .. وقد تجلت قومية هذه النهضة الفنية فى انتقال الطرب الملحن

الأغنية العربية

زرياب من بغداد فى اقصى المشرق العربى الى قرطبة فى الاندلس اقصى المغرب العربى قبل الف سنة ، حاملا معه فن استاذه الموصلى وفن الغناء العربى ..

عود على بدء

ويطول الحديث فى هذا الاتجاه ، ولكن الثابت انه ينتهى بنا فى كل حال الى التدهور القومى والاجتماعى الذى اثر فى الغناء والشعر وكل فن وعلم بعد تلك النهضة التى قل ان شهد لها التاريخ مثيلا ..

وقد نوهنا بما صنعه رواد النهضة الحديثة منذ القرن التاسع عشر حتى الآن فى الغناء والشعر .. ولعلنا لا نغالى اذا قلنا انه بتحرير هذين الفنين العربيين الاصيلين من العجمة اكتملت لهما ثورة فنية مزدوجة ردت اليهما الملامح العربيـة ..

واكتملت لفن الغناء العربي في أيامنا أسباب التقدم والتطور على الصعيد القومي لان الاسس التي صحت عند الملحنين والمطربين لا خلاف فيها الا على التفاصيل ·· فلا فرق في استعمال مقام الحجاز كاركرد مثلا بين ملحن مصري وملحن مغربي أو ملحن عراقي الا في طريقة التعامل مع هذا المقام ، على حسب موهبة الملحن وقوة نفاذه الى أسرار الجمال في هذا المقام ·· وقس عليه المقامات الاخرى ، والايقاعات ·· مع الاعتراف بانه ـ حتى الآن ـ لاتوجد مناهج ثابتة للتعليم والتمرين في الغناء والموسيقى عند جميع البلدان العربية ··

ان النهضة الحديثة في الغناء العربي كانت بمثابة حركة احياء ولكن ـ برغم كل ما حققته حركة الاحياء هذه من نجاح ـ بقيت مشكلات تواجه الغناء العربي والموسيقى العربية في جميع البلاد العربية ·· مثل التوزيع الاوركسترالي في الموسيقى العربية وعلاقته بالآلات الموسيقية العربية التي لا تستعمل في الاوركسترا الاوربي ·· وتطبيق قواعد الهارموني والكونتربوينت في المؤلفات الموسيقية والغنائية العربية ·· ثم المسرح الغنائي الذي انكمش امام الاغنية الفردية ، وعجز عن ان يحقق مثلها امتدادا شاملا في الوطن العربي كله ، فاصبحت الاغنية الفردية قومية بينما بقي المسرح الغنائي محليا · ويمكن ان يقال انه مازال امتدادا غير ناضج للمسرح الغنائي الاوربي الا في عدد من الاعمال التي قدمها الرحبانية وفيروز في لبنان وقدمها من قبل سيد درويش والخلعي وزكريا احمد وغيرهم في مصر ·

وهناك مشكلة التدوين الموسيقي المستعار من الطريقة الاوربية ·· هل يمكن ان يقال انه يلبي جميع حاجات الموسيقى والغناء العربي بلا استثناء ؟

وهناك المقامات العربية الكثيرة · وقد اقترح بعض الموسيقيين الجادين في خدمة الموسيقى العربية ضغط المقامات الكثيرة الى احد عشر مقاما فقط ·· ثم اقترح آخرون ضغطها الى سبعة مقامات أساسية على أن تبقى مشتقاتها لمن يريد أن يتبحر ويتوسع كيفما شاء ·

هذه المشكلات تواجه الاغنية العربية قوميا ، مما دعا الى عقد مؤتمرات للموسيقى العربية في السنوات الاخيرة

الأغنيـــة العربيـــة

بعد ان انقطع عقدها زمنا طويلا منذ اول مؤتمر للموسيقى عقد سنة ١٩٣٢، كما انشىء فى ظلال جامعة الـــدول العربية « مجمع الموسيقى العربى » الذى عقد حتى الآن مؤتمرين ، وكان مـن بحوثه فى مؤتمره الثانى بحث موجز عن « الاغنية العربية » جاء فيه انه « من الشواهد الواضحة على تغلغل الغناء فى طبيعة الشعب العربى طغيان العنصر الغنائى فى الموسيقى الشعبية بالمقارنة الى موسيقى الآلات البحتة . وهذا كله يفرض على الباحثين فى هذا المجال ان يتعمقوا فى بحث هـذه الحقيقة ذات المغزى البعيد ، حقيقة سيطرة الجانب الغنائى فى الموسيقى العربية بجانبيها الشعبى والفنى » .

وقد تأذنون لكاتب هذه السطور ان يشير الى أنه يواصل منذ عشر سنوات بحوثا فى هذا المجـال تضمنتها ثلاثة كتب عن الغناء العربى اصدرها حتى الآن . وكان التفـات مجمع الموسيقى العربى الى هذه الناحية فى اجتمـاعه الاخير فى فبراير الماضى دليلا على أن المجمع يؤدى دوره وسط الجمـاهير التى تستمع الى الغناء العربى بأشكاله القومية والمحلية ، ويحاول أن يجـد تفسيرات وحلولا للمشكلات والمسائل المتعلقة بهذه الامور منواقع الحال ..

ان الاغنية بمعناها الحـديث هى المتداولة الآن فى الوطن العربى .. وقد سبقت مصر غيرها من الشقيقات العربيةبمائة سنة فيهذا المجال - على حـد تعبير للمطرب اللبنـانى وديع الصافى - وهو تعبير صحيح اذا مـا قسناه علميا ، لان تلاميذ الشيخ محمد شهاب يعملون فى هذا المجال منذ مائة سنة على الاقل ..

وهذا ما جعل الاغنية الحديثة ذات الشكل الفنى اغنية قومية ، ولما كانت مصر هى التى سبقت تاريخيا فى هذا المجال فقد اصبحت الاغنية المصرية معروفة ومحبوبة ومتداولة علىالمستوى القومى ، اى فى جميع انحاء الوطن العربى - واثرت الاغنية المصرية فى اغانى البلاد الشقيقة ، فنهضت الاغنية اللبنانية الفردية وبدأت تتخطى حدود لبنان الى المجـال القومى الواسع ، وكذلك الاغنية السورية ..

ويستمر تأثير الاغنية المصرية فى البلاد العربية التى سارت حديثا فى طريق التطور والنهضة ، فتجد الاغنية الكويتية الحديثة تنسج على منوال الاغنية المصرية ، وكذلك الاغانى فى

بقية البلاد العربية ، مما يدل على أن جميع البلاد العربية تحاول أن تسمع صوتها الغنائي لشقيقاتها من المحيط الى الخليج .

الا أن التراث القديم كالموشحات مثلا ، يتقاسمه عدد من البلدان العربية، ففي تونس مثلا تنهض الموشحات على مستوى يتيح لها القبول والاعجاب من جميع البلاد العربية وقد أعلنت في تونس أخيرا نتيجة مباراة في تلحين تواشيح جديدة ، فاز بجائزتها الاولى ملحن لبناني واشترك فيها ملحنون من الوطن العربي كله ، بينهم ملحنون مصريون ..

ويتجه الملحنون والمطربون في جميع البلاد العربية الآن الى توحيد اتجاههم في التلحين والغناء على نحو ما يصنعه مشاهير الملحنين المصريين الذين كانوا ومازالوا - للاسباب التاريخية التي أشرنا اليها - هم القدوة لسائر أهل هذه الصناعة في البلاد العربية ..

ومعنى ذلك أن الاغنية القطرية تتجه الى طابع قومي مشترك في طريقة الغناء والتلحين ، وحتى في الكلمات التي تلحن وتغنى .. وهذا من أسباب ما تتمتع به الاغنية القطرية الآن من كثرة جمهورها في البلاد العربية ، وبخاصة اذا أديت بأصوات محبوبة كصوت أم كلثوم مثلا ... وقد طافت أم كلثوم أخيرا بالمغرب وتونس ولبنان والكويت والسودان ، فكانت أغانيها تقابل في كل مكان بتذوق وفهم . لان أغنية أم كلثوم هي الاغنية النموذجية الآن عند المجتمع العربي ولهذا اتخذ الالتفاف حول فن أم كلثوم شكلا قوميا، تتمثل فيه اذا أنعمنا النظر وحدة الذوق الغنائي لدى شعوب الامة العربية ..

وتتخذ التواشيح والادوار والقصائد القديمة التي تؤديها فرقة الموسيقى العربية في مصر ، طريقها الى المستمع العربي ، لانها تتيح له الاستماع الى شكل قومي للغناء تتفق عليه جميع الاذواق العربية ، وتوجد في البلاد العربية الاخرى فرق من هذا القبيل تؤدي الى الهدف نفسه ..

ولا جدال في أن وسائل الاعلام الحديثة كالاذاعة والتليفزيون تحمل على جناحيها كل هذه الاصوات التي تعمل لتوحيد الذوق الغنائي في البلاد العربية ، وتجميعه حول شكل قومي للغناء ، هو الشكل الذي بدا في مصر ومازال أكثره ينبع من مصر .. ويتوقف مستقبل الغناء القومي على مدى التفاعل بين الانتاج الغنائي في البلدان العربية وانتشار هذا الانتاج وتبادله .

الأغنية ... بعد الاستقلال

ولكن هناك بلادا عربية استقلت حديثا ، نخص منها بالذكر الجزائر ، مازالت الاغنية العربية ، و القومية ، فيها أقل انتشارا منها في البلاد العربية الاخرى ، لان الجزائر لها في هذا المجال وضع خاص ، فاللغة العربية ذاتها مازالت هناك تكافح للعودة الى مكانها الطبيعي الذي عمل

الأغنية العربية

المستعمرون على طردها منطوال مائة وثلاثين عاما·· والعمل من اجل اللغة العربية والغناء العربي في وقت معا ، هو بلا جدال عمل شاق فكلاهما مرتبط بالآخر ، وكلاهما يصطدم بالتفرنس اللغوى والادبى الطويل الذى فرضه الاستعمار على الجزائر ·· ومع ذلك استطاعت الجزائر تكوين فرق للغناء العربي ، بعد انبعاث العروبة هناك·· وارتبط تعريب اللسان فى البلد الشقيق بتعريب الحناجر فلا يمكن ان يكون لبلد لسان عربى وغناء غير عربى ··

وفي السودان يوجد نوعان من الغناء ·· أحدهما الغناء الذى يتخذ من أسلوب الغناء المصرى منوالا ينسج عليه ، والثاني هو الغناء المحلى ·· وبين هذين اللونين من الغناء فروق فنية معروفة ، فالغناء السوداني المحلى قائم على السلم الخماسى ، وهو غير السلم العربي ، ولهذا يقوم هناك ازدواج غنائى بين الاغنية السودانية الحديثة وهي قومية فى اتجاهها الفنى ، اى أنها تسير على درب الاغنية العربية ·· وبين الاغنية المحلية ذات الطابع المحلى المحض ··

وبعض الموسيقيين السودانيين يرون أن الاغنية السودانية المحلية ذات السلم الخماسي يمكن الاستغناء عنها، ولكن هذا الرأى لايمكنه ان يثبت وجوده او يحقق غرضه بجرة قلم ، لان الاغنية المحلية فى كل مكان من العالم تقوم الى جانب الغناء الفنى ، او « الغناء المتقن » على حد التعبير الذى نراه فى كتاب الاغانى ، وليس السودان هو البلد العربى الوحيد الذى توجد فيه الى جانب السلالم الموسيقية العربية ، سلالم افريقية او أسيوية·· ففى بعض ما يغنيه مطربو سواحل الجزيرة العربية أثر هذه السلالم غير العربية ، نظرا للاختلاط الذى استمر طويلا بين سكان هذه الجهات وبين النازحين اليهم من الاقطار الافريقية والآسيوية على مر الاجيال ·

وفى كل بلد عربي ، يوجد غناء شعبي بسيط ، او غناء محلى الى جانب الغناء الفنى او الغناء المتقن ، ومعظم هذا الغناء من الفلكلور القديم، وقد انبعثت فى السنوات الاخيرة حركة للتذكير المستمعين بهذا الفلكلور ، واتخذت هذه الحركة طرقا متنوعة بعضها يعود بالضرر على الفلكلور لانه يطمس معالمه ، او يبتره ··

الا ان الفلكلور والغناء الشعبي بصفة عامة ، لا يبتعد فى مصر والبلاد العربية التى لم تعلق بغنائها خيوط السلم الخماسى والموسيقى الآسيوية··

لا يبتعد عن أصول الغناء العربي ، فالاغنية المحلية المصرية أو اللبنانية أو العراقية أو السورية وغيرها ، تقوم في صميمها على أصول الغناء العربي ، وان كانت عليها مسحة من السذاجة ، مما يدل على أن الفلكلور الغنائي في هذه البلاد العربية هو في صميمه تفرعات من الغناء العربي المتقن انبثقت منه على مر العصور ولم تخرج عن أصوله الفنية ..

وهذا هو السبب في ان الاغاني الفلكلورية المصرية – مهما قيل عما لحق بأصلها من تغيير او تشويه – قد لاقت نجاحا في اكثر البلاد العربية ، لان المستمعين هناك – كالمستمعين في مصر – وجدوا فيها طرافة خاصة استمتعوا بها الى جانب استمتاعهم بالغناء العربي الفني او المتقن الذي سميناه الغناء القومي ..

بقي أن نقول انه بالرغم من انتشار الاغنية الفردية الآن واتخاذها الطابع القومي أو الطابع المحلي ، فان مستقبل الغناء العربي – على الصعيدين القومي والمحلي – لا يتعلق بالاغنية الفردية وحدها – على أهميتها عندنا الآن وفي المستقبل أيضا – ويستطيع المسرح الغنائي أن يلعب في هذا المجال دورا بالغ الاهمية .. ولن يضير نهوض المسرح الغنائي مستقبل الاغنية العربية بفرعيها القومي والمحلي ، ولن يكف المستمع العربي عن الاستماع الى الاغنية الفردية ابدا ، لان الاغنية الفردية موجودة في العالم كله ، بانواع متعددة قومية ومحلية لا حصر لها ..

كذلك ينبغي الا نقول ان المجتمع العربي يميل الى الغناء اكثر من ميله الى عزف الآلات غير مصحوبة بالغناء .. ثم نسكت عند هذا القول .. فان من تمام نجاح الغناء العربي أن يقوم الى جانبه فن الموسيقى العربية على مستوى رفيع .

شيء واحد يجب أن نحرص عليه ، هو الا نقول ان فننا الغنائي والموسيقي متخلف واننا نستطيع أن نستبدل به فنا ننقله بلا تصرف وبلا تبصر من « نوتات » الموسيقى الاجنبية ومن قوالب الموسيقى الاجنبية .. فليس التقليد – طبق الاصل – هو السبيل الصحيح الى اغنية عربية باللغة الفصيحة او باللهجة المحلية ، ولا الى مسرح غنائي عربي قومي أو محلي .. ولا الى موسيقى عربية بحتة ذات تركيبات رفيعة المستوى كالتركيبات التي نراها في شوامخ الموسيقى الاوربية .. لان الغناء العربي بألوانه المختلفة لم تنقض مرحلته التاريخية ، ولم يستنفد أغراضه ، ولم يتحول الى تمثال عتيق يوضع في المتاحف .. ولان الشرط الاول لتطوير غنائنا وموسيقانا هو أن نتجنب النقل الحرفي من « نوتات » الموسيقى « الجاهزة » .. والا يتعالى الموسيقيون – أو بعضهم – على ذوق شعبنا وعبقريته الخاصة في فن الغناء والموسيقى ..

وفي مثل هذا الجو الفني الصحي تستطيع جميع الوان الغناء العربي أن تلعب دورها في خدمة المستمع العربي ، وان تستمر الاغنية في اداء دورها الدائم بين القومية والمحلية .


لوسي يعقوب
قصة قصيرة
عواء الكلب

الدم يا ست ... ابعدى عن الدم ... قتيل ...

قتيل !

بادرني ابن البواب بهذه الصرخات فور دخولي من باب العمارة التي أسكنها .

وتخطيت الدماء .. وارتجفت اوصالى ... وسألت :

– ماذا تقول ؟

فأعاد : قتيل ... قتيل !

قلت : من ؟

قال : «سليم وهدان»!

وزكمت انفى رائحة كريهة لا تحتمل . رائحة تنبعث من كل ارجاء العمارة . وتتزايد عند الدخول . وتختنق فى الطابق الثالث .. بالشقة رقم ١١ ، شقة القتيل » – « سليم وهدان » ..

نهاية غير متوقعة لشخص غير مهم ... شخص عادى ، لا يلفت الوجه الا ببلاهة المحيا، والعينين المفتوحتين ، والابتسامة البلهاء .. والاصوات المنفرة العالية التى تنبعث منه بصفة دائمة ، مشاكسة، وكلبة ضخمة . حجمها يكبر حجم صاحبها ، وتلازمه ملازمة الظل .

***

مهنته على ما أعلم . ترزى سيدات ، ولو اننى لم أسمع أو أعلم بأن هناك من تعاملت معه على هذا الاساس .. كل ما أعرفه انه انفصل عن أسرته التى كانت تسكن معه بنفس الشقة رقم ١١ وتركتها له ، وانتقلت الاسرة باكملها الى الدور العاشر ، واستقلت بمعيشتها بعيدا عنه ، وعن شوشاته ومشاكساته ..

والاسرة كريمة ، افرادها مثال لكل ما هو جميل ، بعكسه تماما . ولا تلام هذه الاسرة فى قرارها هذا .

هذا الشخص الذى لم يكن شيئا يذكر ، اصبح شيئا يذكر ، فى تلك الليلة الليلاء ... وحام حولى بطيفه الأبله، وضحكته العالية ..

وكاننى كنت اعرفه ، وكاننى اناجى طيفه حتى يلتصق بى ، ويلوح لى وجهه ، واسمع صوته ... ولا أجد من خيالاتى مهربا منه الا فى السهر والقراءة .. والعين ترى الحروف ، والعقل لا يستوعبها ، وصورة « سليم وهدان » متربعة فى صفحة الكتاب .

بدا لى كأنه يعاتبنى . واننى قد اذنبت فى حقه ، فكم من مرة قابلنى فى المصعد .. وكم من مرة انفرجت أساريره ، وانفرجت عيناه وشفتاه عند رؤيتى ، وبالترحيب ورغبة فى التحية .. فلا أبادله هذه الرغبة ابدا ، ولا أرد له هذه التحية . بل غالبا ما كنت أترك له المصعد . ولا أصعد معه ... لم ؟ لست أدرى !

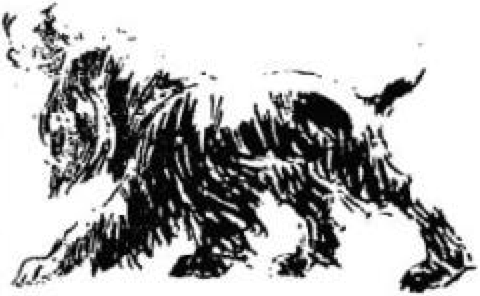
ربما كنت اخافه ... ربما كنت انفر منه ...

ولكن نظراته لى ، ورفعه لحاجبيه ، وتحياته بيديه ، ودعوته الدائمة لى باشارات تدل على انه يرغب فى أن يحيك لى ثيابى . اذ انه كان أصم . وكلامه غير مفهوم . وكل حركاته تدل على انه يكن لى اعجابا ، وانا اتجاهله، وأبعد عن طريقه . وها هو ذا يلوح لى ... ويحوم حولى ، ويقلق ليلى ، ويقض مضجعى . ويجبرنى على رؤيته وسماع صوته ، باصرار وتحد وتشف بأنه قد اقتحم خيالى رغما عنى ، أردت أم لم أرد ... وانه فى مماته اقرب الى منه فى حياته . لهو قوة خارقة تخيفنى الآن وتلزعنى ، ترجفنى .. وأستجديه الرحمة بى . ليبعد عنى ، ويرحم وحدتى .

***

وكان طاغيا فى فرض ذكراه ، برائحته ...

رائحة كريهة تهب على متى فتحت نافذة . تخنقنى ... فانه ظل قتيلا بشقته ، ولم



تكتشف الجثة الا بعد ان تعفنت ... بعد ثلاثة

ايام . ووجهه منكفيء على الارض . مكور الجسد فى مطبخ شقته.

وعند سحبه الى خارج العمارة ، نزفت الدماء المكتومة من أنفه . فلقد مات مخنوقا !

من قتلك يا « سليم وهدان » ؟

الهمس كثير .. والمتعاملون معه كثيرون .. فلقد ظهر الخفى من امره .. ولم يكن ترزياء، بل مرابيا ، يقرض نقوده ويستكتب العميل كمبيالات مضاعفة . وطرق معاملة لا يقرها قانون ... وتدور هذه العمليات فى المطبخ ، مكان عمله ، والمكان الذى لقى فيه حتفه .

وكما عاش فى صخب وضجيج ، مات فى صخب وضجيج ..

رجال الشرطة تملأ المنزل ... مباحث ... جو مكهرب ، مراقب للخارج والداخل .. لاقتناص قاتل « سليم وهدان » .

واراه فى تلك الليلة التى عرفت فيها بمقتله. يحوم حولى ... فرحا ، مرحا ، يقفز ، وانه لسعيد بهذه الضجة .. فانه لم يلفت وجه احد فى حياته ، ولكنه لفت كل الوجوه فى مماته ،

وحطم الاعصاب . وخنق سكان العمارة برائحته ... لا يهمه أن كانت عطرة ام كريهة .

فالمهم هو ان يعرف الكل بان هذه هى رائحة « سليم وهدان » ، واسمه على كل لسان .

والهمس بين الجيران ... والنظرات حائرة ... والقلوب واجفة خائفة ... وهو يحوم حولى ، ويقفز فرحا لانتصاره على ، وهز مشاعرى فى مماته . وهو الذى لم يستطع ان يهزها فى حياته !

وعواء الكلبة ... وصراخ كالندب يصم الآذان ويوجع القلب .. وتجرى الكلبة بجنون ، تشم رائحة صاحبها .. وتبكيه ، وتهز الجدران بنداء موجع أليم ، لصاحب ذهب وراح !

كان « سليم وهدان » اذن « محبوبا » من شيء ما ... حتى لو كان هذا الشيء كلبا ! ترك اثرا ووفاء . فالعويل لا ينقطع من الكلبة المضربة عن الطعام ...

ويلتف الناس من حولها ... ينادونها ، ويدللونها ، يحاولون ترضيتها بكافة اغراءات الرضاء ... لتكف عن الاضراب .

وسمعت النداء :

– تعالى يا ماجى !.

لا تبكى يا ماجى !.

كفاية حزن يا ماجى !.

حرام عليك يا ماجى !.

قطعت قلبنا يا ماجى !.

وذهلت عما حولى ، وصعقت ... وادركت فعلا ان « سليم وهدان » قد انتصر على ... وظل اسمى ملتصقا به حتى فى مماته .

وفى خلال النداءات ، تراءت لى سحنته . ملهقهة ، منتصرة ، فرحة ، بعيون تهزها نشوة الانتصار ، فلقد استطاع حقا أن يهزنى، ويرغمنى على الوفاء له ... والبكاء عليه !..

فلقد كان اسمى انا الاخرى «ماجى»

أحمد محمد آل خليفة

اليها

هتفت بي وشعاع البدر تاه فوق ربوه
ها هنا واد اقاموا فيه ـ اهل الحب ـ ندوه
خلنا نمرح فيه ، في هناءات ونشـوه
ونغني بهوانا ... ان دنيـا الحب حلوه

***

اى دنيا ياحبيبي مشرق فيها السعـود
وليال ساحرات ، قد زهى فيهـا الوجود
قهقهـات للمحبين والحـان وعـود
هذه رؤيا من الاشواق ام حلم سـعيد ؟



وجلسنا نتناجى تحت ضـوء القمر
والشوادي صادحات بالهوى للسـمر
نهزة كانت لنـا من حسـنات القـدر
نغمات من صبايا ساحرات النظر

وكئوس تتـــلاقى فى رنين حـــالم
رجع الليـــل صـــداه فى العبير الغائم
والمحبـــــــون ذراع فى ذراع ناعم
وارتشاف يشتهى من كلّ ثغر باســـم

***

غرقت عيناى فى صمت الدجى فى مقلتـــين
وسكرنا عندما لاح الســــنا من قبلتـــين
شاعر قد عاش من احساسه فى غربتـــين
ذوب الليلة ما ينتـــابه فى لحظتـــين !



سالت الفرحة من قلبى على العرس نشيدا
ودنا لى كل ما قد كان بالامس بعيـــدا
انه ليل يهيج صار للعشــاق عيــدا
حرمت منه اناس فى الدجى كانوا هجــودا

***

وتجلى الفجر من خلف الروابى بالشـــعاع
فتعانقنــــا وكانت قبــلات الـــوداع
ومضــــت فاتنتى تنأى وتومى بالذراع
وانا اقرا فى الافق اســـاطير ضـــياعى

● البحرين ●   ● احمد محمد آل خليفة ●

عاطف مصطفى



كان ابراهيم جابر اول خريجي دفعته بمدرسة الفنون العليا ، واول بعثة النحت المصرية التي سافرت الى فرنسا سنة ١٩٢٨ ، وزميل الفنان الخالد مختار ، وتلميذ اكبر فناني فرنسا « بول لاندوفسكي » الذى خلدته اثاره العظيمة في التاريخ ، والذى قدمه الفنان الفرنسي العظيم الى رئيس جمهورية فرنسا قائلا : « ابني وتلميذي جابر » !

وابراهيم جابر علم من اعلام مدرسة كان رائدها الفنان مختار عملت جاهدة لبعث الفن الفرعوني الى سابق عهده ، وعودة الشباب اليه من جديد

ابراهيم جابر وعودة الفن الفرعوني إلى شبابه



من وحي القصص
الديني . . لوحة
نحت بارز . . .



في زاوية القبــــانية ، شـــارع ابراهيم الاول بالاسكندرية ، ولد الفنان ابراهيم جابر عام ١٩٠٢ .

من هذا الحي الشعبي خرج طفـل جديد يجوب الشوارع المحيطة به يتأمل ويرى مستفسرا عن كل شيء ، متجنبا لهو لداته ، متشبثا بمعرفة ما يدور حوله في الحياة .

وفي الرابعة من عمره الحقه والده بمدرسة النيـاوي الخاصة المجـاورة لمنزله ، وفي سن السادسة أصر والده على الحاقه بالمعهـد الديني ، خاصة وأنه خشي أن يكون شاذا منذ صغره حيث شاهده اكثر من مرة وهو يعبث بعصا في الارض محـــاولا أن يربط النقط بالخطوط بالدوائر ليصنع منهـا اشكالا مختلفة .

حفظ ابراهيم جـابر القــرآن ، وساعده هذا على ادراك أسرار ابداع الخالق سبحانه وتعالى . وكان يسير كل يوم على قدميه الى مينا البصل يتأمل العمال ويسمع صيحاتهم ويتمايل مع الانغام الصـادرة منهم ، ثم يتجه الى كوم الدكة معجبا بهـذا التراث الفني القديم مرددا الحان فنان الشعب ســيد درويش ، ثم يعود الى المنزل متأخرا ليجد والده في انتظاره ليحاسبه حسابا عسيرا .

ولكن لم يستمر هذا الحال طويلا بعد أن أصبح صبيا يحمل معه الكراسة والقلم يرسم كل ما تراه عينه مـن باعين جائلين ومحلات ومنـــازل ومنشدين وأصبحت حوائط المنزل مملوءة كلها برسومه ، بل استخدم أرضية الشارع لرسم الاشـكال المحببة الى نفسه وقـد أصيب ابراهيم جابر في سن مبـكرة بالعمى المؤقت ، ولعبت خالته دورا كبيرا في تخفيف حـدة الالم وذلك عن طريق تشجيعه عـلى ممارسة النحت ، واحضرت له كـــل الخامات التي كان في احتياج اليها ، وظل يعالج من مرضه هذا طوال عامين كاملين الى أن من الله عليه بالشفاء .

وانتقل الى القاهرة وعمره سبعة عشر عاما بعد ان قرأ اعلانا لمدرسة الفنـــون الجميلة تطلب فيه دارسين جددا ، وتقدم للامتحان ونجح فيـه وظل طوال فترة الدراسة من الاوائل الى ان تخرج في عام ١٩٢٦ بتقدير ممتاز ، ثم عين مدرســـا بمدرسة راس التين الثانوية بالاسكندرية ، ومنذ ذلك الوقت بدأ فكره ينضج ، وانشأ مع نفر من زملائه الفنـــانين مدرسة الفنون الجميلة الحرة .

وسافر الى فرنسا في عام ١٩٢٨ في أول بعثة حكومية ، ودرس في مرسم الفنان «لاندوفسكي» الذى كان في ذلك الوقت عميدا لكلية الفنون الجميـلة بفرنسا . وبعد رجوعه من فرنسا عمل أستاذا بكليتي الفنون الجميلة بالقاهرة والاسكندرية وآخر عمل له كان مديرا لمعهد النماذج الاثرية وترميم الآثار .

وامتاز الفنــــان ابراهيم جـــابر بالخصوبة في انتـــاجه والتنوع في موضوعاته ولكن في نفس الوقت كانت

« امراة من الشرقية » : من المرحلة الثانية فى اعمال المثال ابراهيم جابر . .



أعماله تتسم بالبساطة والدراسة العميقة بأسلوب واقعى ملىء بالصوفية ومتأثرا بالفن الفرعونى . ومن أبرز سمات فنه أنه عبر بواقعية عن حياة الشعب المصرى الذى أحبه وظل ملتصقا به طوال حياته فكان يحس الامه وآماله .

ولنتعرف على نتاجه يجب أن نقسم أعماله الى ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى — ١٩٢٧ — ١٩٣٥

من أهم أعمال جابر تمثال « الفلاح » الذى أخذ به جائزة صالون باريس سنة ١٩٣١ ويعتبر ثانى مصرى بعد الفنان الراحل مختار يعرض فى صالون باريس حيث كان العرض فى صالون باريس يعتبر فى ذلك الوقت جائزة كبرى لاى فنان فى العالم وقد تصدى الفنان لعمل هذا التمثال ممثلا لشخصية مصرية تعتبر فى ذلك الوقت مقهورة أيما قهر ، حيث أن الفلاح كان يعتبر عبدا على الرغم من أنه زارع الارض وفلاحها ، وأراد المثال أن يكرم هذا المناضل البعيد عن الاضواء فكان أن صنع تحفته هذه التى تعتبر خير نتاج للفن التعبيرى ، ولم يتقيد بالملابس الواقعية بل مال بها نحو الزخرفة ، وتظهر الصوفية واضحة فى وقفة الفلاح حيث عبر عن نفسيته ودخيلته بعد أن أدى عمله الشاق فى حفر القناة .

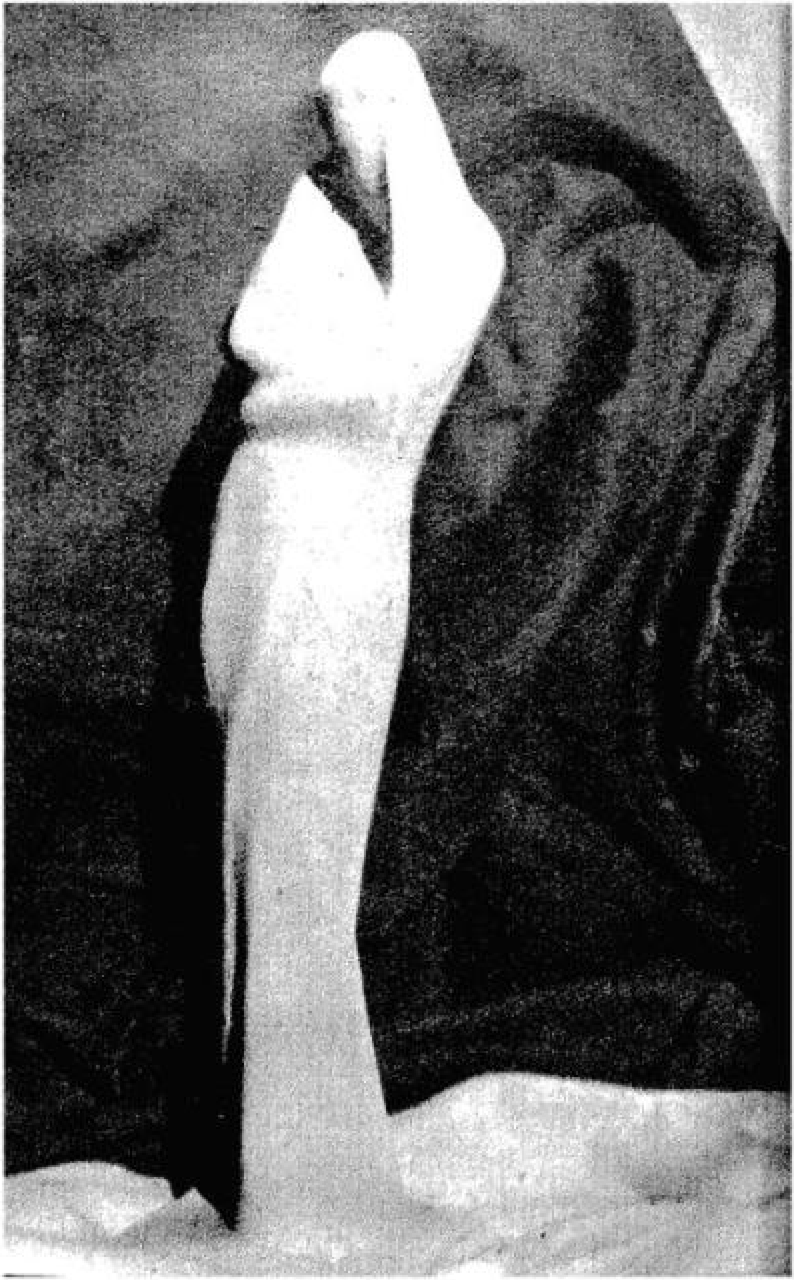
وهذا التمثال خير نموذج للفن الفرعونى الاصيل المتطور فى القرن العشرين حيث أن الكتلة — على الرغم من وجود الفراغات المحسوبة — تبدو فى تماثل وتماسك جميلين . برغم اختلاف الحركة ، فاليد اليسرى يشاهد





« المنشدة » : بداية استخدام الفنان للعمود الفرعوني . . . .

« الأمومة » : يمثل اتجاه الفنان الى التبسيط والتجريد . .





الفراغ بينها وبين الجذع وبين القدمين واليد اليمنى ، وكذلك القدم والفأس بنسبة مدروسة ومحسوبة ، بحيث تعطى المشاهد شكلا جماليا متكاملا ، ويظهر ايضا فى التمثال التشريح البسيط .

واذا كان الفن الفرعونى يستخدم الرمزية فى الاحجام والابعاد من القمة الى القاعدة حيث يعتبر الملك القمة ثم تليه الحاشية فالشعب ، فان فناننا استخدم عكس هذا حيث جعل القاعدة بمفهوم الشعب هي الاساس. ولذا تجد العامل والفلاح هما سيمفونيته التى الفها وكأنما يعبر عنهما ويتحدث بمشاكلهما .

وفى سنة ١٩٣٢ حصل تمثاله « البؤساء » على جائزة صالون باريس ، وهذا التمثال من التماثيل المركبة ، اذ يتكون من ثلاثة تماثيل : الام تحمل ابنتها الرضيعة ، وابنهما

ثلاث لوحات من النحت البارز

العدالة .



سيد درويش .



الصغير وكانها مريم تحمل وليدها ، والثالث يعبر عن شخصية يوسف النجار ٠

وقد التزم الفنان في تمثاله « البؤساء » التعبير بصدق عما يعانيه الشعب المصري في العشرينات وما بعدها ، وفي هذا التمثال تتمثل الكتلة بشكل هرمي بداخله ثلاثة تماثيل بينها فراغ يعبر عن الخلفية التي يعيش فيها هؤلاء البؤساء وفي العام نفسه حصل الفنان على جائزة الشرف من صالون باريس عن لوحته « الرحيل » وهي ضمن مقتنيات وزارة الثقافة ، وأخذ الجائزة عن هذه اللوحة لانه اعتبر اول فنان يجمع بين اللوحة والتمثال ، وتعتبر لوحة « الرحيل » نظرة متقدمة من الفنان للفلاح وأسرته ، وتجد التكوين يعيش داخل مساحة بشكل رائع تربطه علاقات خطية كأنها قطعة موسيقية تعزف لحنا مؤثرا عن حياة عمال التراحيل ٠

وفي عام ١٩٣٣ قدم تمثال «القسم» هذه الكتلة الضخمة التي نحتها المثال وحجمها ثلاثة اضعاف الحجم الطبيعي ممثلا فيه مصر بشكل هرمي ضخم ٠٠ امرأة فلاحة يبدو على قسمات وجهها الاصرار والصرخة المصممة على الجلاء ، وعلى النهضة ، محتضنة بيديها صانع نهضتها الفلاح والعامل ٠

هذه التماثيل الثلاثة تعتبر حركة سياسية فنية نابعة من احساس وطني عايش شباب هذا الجيل ، كما كان اصرار جابر على ان يقدم الفلاح والشخصيات المصرية العامة في محافل اوربا هو في حقيقة الامر نداء واصرار على ان يساند العالم مصر في قضيتها من اجل التحرر والاستقلال التي كانت تطالب بها ٠

***

وخلال المرحلة الاولى كان جابر يعيش في باريس مع أسرته التي كانت تدفعه دفعا الى الامام رغم الصعوبات الكثيرة التي صادفته في باريس لاصراره الدائب على ان يهتم بالفن قبل اي شيء آخر ، خصوصا أنه ترك الاكاديمية التي رشحتها له ادارة البعثة ، وفضل أن يعيش ويتعلم في اتيليه الفنان « بول لاندوفسكي » ٠ وقد هدد رئيس البعثة ان لم يلتحق

جورج ابيض



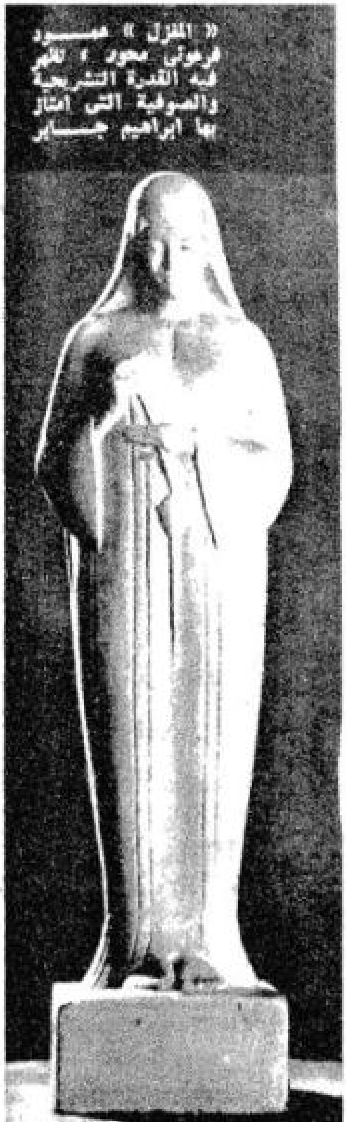




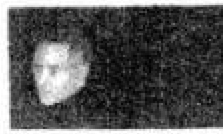
« العمدة » : من الانماط المصرية التي اشتهر بها الفنان ، ويتضح مدى تأثره بالفن الفرعوني



« احمد شوقي » : تمثال نصفي من اشهر الشخصيات التي نحتها جابر



« المغزل » عمـــود فرعوني محور ، تظهر فيه القدرة التشريحية والصوفية التى امتاز بها ابراهيم جـــابر



بالاكاديمية التى رشحتهـــا له ادارة البعثة فلن يعترف بشهادته فى مصر ، ولكنه رفض باصرار قائلا ، جئت الى باريس لاتعلم فنا لا لآخذ شهادات » .
وقد رشحته فرنســـا فى عام ١٩٣٣ ليكون ضمن بعثة Prey de Rome تحت اشراف أستاذه ميول لاندوفسكى، وكان هـــذا الترشيح يعتبر أول مرة تقوم به باريس من ايفـادها لاجنبى ضمن بعثاتها الفنية الى روما ، وقــد منحته الحـــكومة الفرنسية المسكن والرسم المخصصين لاول هذه البعثة.

وقد نفذ مع أستاذه تماثيل كثيرة مازالت موجودة حتى الآن بميـــادين باريس وهى تمثال المارشال فوش ، المارشال دوجلاس ، الاميرال جراس ، فرنسا ، الاشباح ونشيد الاناشيد ، شاتوبريان ، نفور الصان كلود .

المرحلة الثانية ١٩٣٥ ــ ١٩٤٩

وهذه هى مرحلة الخصوبة التىقدم فيهاً التال أعمالا فنية مشبعةبالاسلوب الفرعونى الواقعي الرمزى ، المشبع بالصوفية الناتجة منتجاربه وخبراته، والتى تدعو الى التـــأمل والتفكير ، ونلاحظ فى هذه الاعمال تخلصهالكامل من أسلوب البنـاء الغربي ، الفرنسي والايطـالى ، واتجـاهه الى الاسلوب المصرى بناء وتكوينا وروحا . وانتج فى هذه المرحلة اشهر تماثيله عـلى الإطــلاق .. ، المغزل ، العمــدة ، الراقصة ، الملاية اللف ، شيخ البلد ،

البائع المتجول ، امراة من الخطارة ، نبين زين » ·

وفي هذه التماثيل نجسد البناء أساسه العمود الفرعوني الذى صوره وجرده ليصنع منه هذه الشخوص ·

ومن الطريف أنه خلال رحلته عبر الفن الفرعوني اكتشف أن هناك ٢٣ تاجا للعمود الفرعوني ، وهذه التماثيل لا يزيد ارتفاعها عن ستين سنتيمترا ·

وتظهر مهارته الفنية في قدرته على اظهار التشريح الكامل والتعبير الواضح عن كل شخصية من هذه التماثيل على الرغم من صغر الحجم

وأيضا يظهر بوضوح مقدار تطوره من المرحلة الزخرفية الى المرحلة التجريدية حيث أن الملابس في هذه الفترة تظهر وكأنها غلالة على الاجسام توحى بأن هناك زيا يلبس بهذا الشكل ·

وتعتبر هذه مرحلة جديدة ومدرسة فنية حديثة ظهرت بعد وفاة المثال مختار ، وهذه المرحلة هي المرحلة « **الواقعية التجريدية** » من خلال صوفية العمل الفني ، واستتبع هذه المرحلة مرحلة **الرمزية المطلقة** عند الفنان جمال السجيني ، والى جانب تماثيله الشهيرة في هذه المرحلة فقد نبغ في عمل التماثيل النصفية ومن أشهرها :

« تمثال أحمد شوقي ، حافظ ابراهيم ، مصطفى كامل ، هدى شعراوى ، روز اليوسف ·· الخ »

وتمتاز هذه الاعمال النصفية على الرغم من أنها وصفية بسمة فنية واضحة وهى اظهار طبيعة وروح وعمل صاحب التمثال ·

ورغم انتاجه الغزير طوال هذه

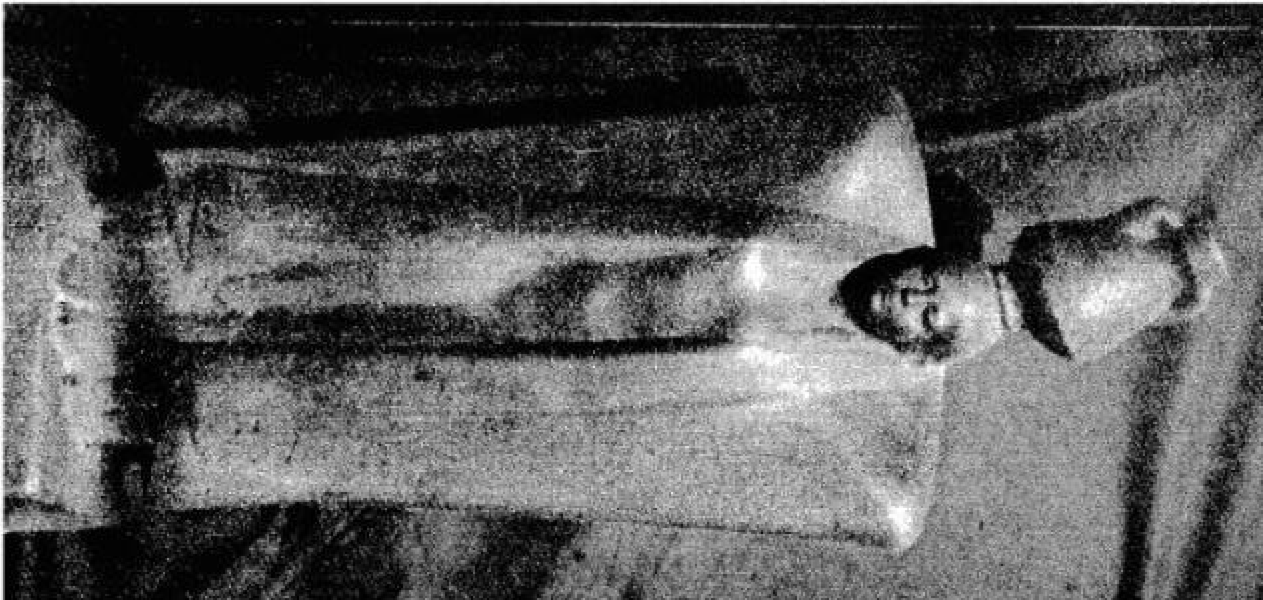
« نبين زين » شخصية شعبية



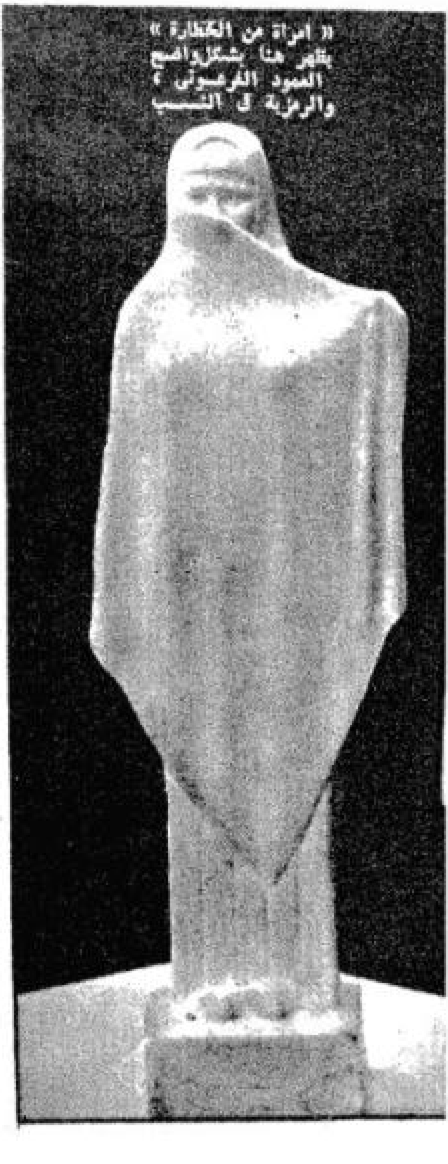




العالم « أبو بكر
الرازي » تمثال نصفي
يعرض في شيكاغو
بأمريكا



« حاملة الجرة » طراز فرعوني تتضح فيه رشاقة الحركة



« امرأة من الكظارة »
يظهر هنا بشكل واضح
الصمود الفرعوني ،
والرمزية في النسب



« الفلاح » .. إصرار
على العمل ، وأمل في
حياة أفضل ..

المرحلة التشكيلية فانه اتجه الى نشر القيم الفنية وتعريف الناس بالفنون الجميلة عن طريق الصحافة ، ودفاعا عن امكانية وقدرات المصريين انشأ

رابطة الفنانين المصريين لحماية نشاطنا الفني وحقوقنا من سيطرة الاجانب ، وقد اقامت الرابطة كثيرا

من المعارض المحلية ، واوجدت بدارها مركزا للدراسة المجانية لهواة الفن .

وكان جابر يعانى طوال هذه الفترة معاناة شديدة لاهتمامه بالسياسة

وايمانه الشديد بقدرة المصريين على التخلص من الاستعمار وعلى انهم قادرون على التطور .

المرحلة الثالثة — ١٩٥٠ — ١٩٦٥ :

كثرت أعمال الفنان جابر النحتية ، فقد نحت لوحات كثيرة اشهرها .. « العدالة ، تاريخ الثورة ، تاريخ

القضاء ، الجلاء ، الاستعمار ، فرحة الشعب ، السهم » .. وآخر هذه

الاعمال لوحة .. «يا أبي اني أدعوك» وقد تميزت هذه الاعمال النحتيةبالقدرة

الفائقة على أن يكون للوحة بعد ثالث، وقد لون هذه اللوحات بالوان مصرية تعطى الرائىاحساسا مصريا فرعونيا

على الرغم من موضوعاتها الحديثة .

وانتقل بعد هذه الفترة الى التماثيل الميدانية ، فقد نحت « الصقر »

للشرطة ، « الجندى المجهول » ووضع



« ندوة عن حياة الفنان واعماله » اشترك فيها الفنانون عبد الحميد حمدى ، وسعيد نيسه والحسين فوزى

بالقنطرة ، « الجندى المجهول » بالاسماعيلية ، وتمثال عرابى والذى

يمتاز بخروج التمثال من جموده الى

الحركة الواضحة والتى اهتم فيها بدراسة الحركة اللحظية التى تعطى للمشاهد احساسا بأن التمثال يتحرك فى هذه اللحظة .

وكان جابر حريصا كل الحرص على أن يسجل عظماء مصر من فنانيها وادبائها بصرف النظر عن مقابلها

المادى ، ايمانا منه بعمل سجل للخالدين من ابناء مصر البررة الذين سهروا

وضحوا من اجلها وافنوا زهرشبابهم ووهبوا حياتهم لها .

وظل يعانى من مشكلة البحث عن





« شيخ البلد » من اشهر اعمال الفنان جابر

كيفية الارتقاء بمستوى التذوق الفنى ، وفكر فى أكثر من مشروع يمكن الاستفادة منه ، وكم كان يؤلمه أن يجد ميادينا وحدائقنا الواسعة وواجهات مؤسساتنا الفكرية والثقافية خالية من الاعمال النحتية ونحن أول بلد أعطى العالم فن النحت بسخاء .

وقد مرت السنوات الست الاخيرة من حياته وهو يحاول أن ينقل مفهومه متطوعا بأعماله ومشروعاته كبداية لنشر الاعمال الفنية فى هذه الاماكن للارتقاء بالمستوى الحسى والفنى لدى الجماهير .

وفى ليلة ١٢ مايو ١٩٧١ ظل ساهرا يكتب خواطره وذكرياته عن زميله الراحل مختار ليلقيها فى ذكراه فى اليوم التالى .. وكان هذا هو آخر عمل لم يكمله .. رحلة من النضال، وامة وفاء لزميل عزيز اراد ان يذكره .. لكن القدر لم يمهله ، ولحق بزميله فى الوقت الذى كان من المفروض ان يرثيه فيه ..

ذهب ابراهيم جابر وترك لنا ٣٦٠ عملا من اروع ما قدم الفنان المصرى الاصيل تتحدث عن مصر ، من خلال حب أحد ابنائها المخلصين ووفائه لها ....

كلما جاء ذكر الالعاب الاوليمبية اتجهت الاذهان الى الالعاب الرياضية وحسب ، وهذا خطأ كبير ..

فالواقع يؤكد أن الالعاب الاوليمبية للابدان والاذهان والوجدان أيضا فالبرنامج الثقافى الذى يواكب العاب كل دورة اوليمبية ، بل الذى يسبقها ويواكبها ويتصل بعدها ، يتضمن مسابقات فى الاداب والفنون والعلوم والموسيقى والشعر والدراما والرقص والسينما والتليفزيون ..

ولكن وسائل الاعلام – والعربية منها بالذات – تركز فى الغالب نشاطها فى تغطية البرنامج الرياضى وتهمل البرنامج الثقافى الفنى الادبى والاوليمبى الذى تهتم بتنظيمه كل لجنة تفوز بشرف اقامة الالعاب الاوليمبية .

وفى السادس والعشرين من الشهر القادم – اغسطس – تبدا الدورة الاوليمبية العشرون فى ميونيخ ، وقد حرص منظمو الدورة على ان يبدأ البرنامج الفنى ... قبل الالعاب بعدة اسابيع .

عادل شريف

أضواء على
سوق عكاظ الأوليمبية

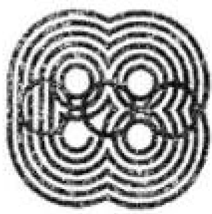
ان الاهتمام بالجانب الفني في أثناء الألعاب الاوليمبية ليس بدعة أدخلها المحدثون وأضافوها الى المهرجان الرياضي الاوليمبي الذي يقام كل أربع سنوات.

لقد كانت الالعاب الاوليمبية القديمة التي بدأها الاغريق في عام ١٢٧٠ ق.م – أو ٧٧٦ ق.م – كما يقول رأى آخر – تحفل بالنشاط الفني والادبي.

وكان أهل « هيلاس » – أي اليونان – يعشقون الجسم البشري المتكامل التركيب والقوام المثالي. وعكس فنانو الاغريق في انتاجهم القوة والجمال ورشاقة الاداء الحركي.

لقد كشفت الحفريات الالمانية في النصف الثاني من القرن الماضي عن روائع فنية من الحجر والخشب والخزف والفخار.

وفي متحف « أوليمبيا » حيث كانت تقام الالعاب الاوليمبية القديمة، تكريما لـ « زيوس » كبير آلهة الاغريق، مئات الادلة على أن فناني وأدباء



اليونان القديمة تجاوبوا في حماسة شديدة مع الالعاب الاوليمبية، وعلى أن الفن الاغريقي القديم قام بدور « الريبورتاج » – أي التحقيق الصحفي المصور – ليترك للاحفاد سجلا حافلا بكل دقائق مهرجانات الالعاب والفنون القديمة.

حتى لا يقتبسها الاحفاد

ومن وحي انتصارات الابطال في الالعاب الاوليمبية القديمة، جادت قرائح شعراء الاغريق بأروع القصائد والاناشيد والاغاني.. وأشهرها « اغاني بيندار ».

ولحسن الحظ أن نصوص الاغاني وقصائد مديح الفائزين من الابطال والاغاني الجماعية التي كان « الكورس » يشترك في أدائها في نهاية كل يوم من أيام الالعاب، قد نجت من الزلازل والحرائق والسيول التي دمرت « أوليمبيا »، كما أمكن العثور على الآلات الموسيقية التي عزف عليها الموسيقيون ألحان تلك الاغاني..

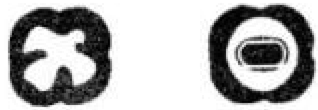
ولكن الالحان لم تدون.

فلم يكن لديهم اسطوانات أو آلات تسجيل أو « نوتة » موسيقية... ولعل أطرف « تشنيعة » أطلقت في هذا المجال أنهم لم يدونوا ألحانهم حتى لا « يقتبسها » المؤلفون الموسيقيون من الاحفاد!

قصيدة من أجل الرياضة

وفي عام ٣٩٤ ميلادية أصدر الامبراطور الروماني « ثيودوسيوس » قرارا بالغاء الالعاب الاوليمبية ومهرجاناتها الفنية والادبية.

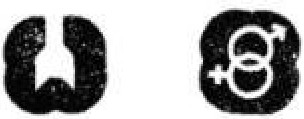
وبعد كفاح طويل مرير مثير، تمكن البارون « بيير دي كوبرتان » الفرنسي من أن يحقق أحلامه وينجح في اعادة



احياء الالعاب الاوليمبية ... وتكريما لليونان - مهد الحركة الاوليمبية - عهدت اللجنة الاوليمبية الدولية الى اثينا بتنظيم أول دورة من دورات الالعاب الاوليمبية الحديثة فى ١٨٩٦

واخذ « دى كوبيرتمان » فى اعتباره ضرورة اهتمام الدورات الحديثة بالجانب الحضارى والثقافى والفنى والادبى القديم والمعاصر ...

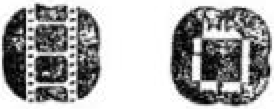
وعلى الرغم من انه حرص على النص على ذلك فى « البروتوكول الاوليمبي » الا ان منظمي الدورات الاولى لم يتجاوبوا مع اهتمامات « دى كوبيرتمان » الفنية . ثم جاءت دورة لندن ١٩٠٨ وحقق منظموها بعض



امال منشيء الالعاب الاوليمبية الحديثة .

ولكن الدنيا كلها لم تسع « دى كوبيرتمان » عندما ابدى منظمو دورة ستكهلم ١٩١٢ اهتماما ضخما بالمهرجان الثقافى الفنى الادبى ، وعندما منحوا المتسابقين ما فات منظمى الدورة السابقة منحهم اياه ، وهو الوقت الكافى لاعداد انتاجهم الفنى .

وفاز شاعران المانيان بميدالية الشعر الذهبية عن قصيدة اشتركا في وضعها بعنوان « قصيدة من اجل الرياضة » ... ونحت أمريكى تمثالا برونزيا لحصانه المفضل لاحرز ميدالية النحت الذهبية ... وفاز احفاد ليوناردو دافنشى بميدالية الرسم عن لوحة رائعة لالعاب الشتاء ... وصور موسيقار ايطالى بموسيقاه غناء وجهد وفرحة الانتصار ، ففاز بميدالية الموسيقى الذهبية ، وكانما كان يصور مشاعره هو !



حمى الاوليمبياد الفنية

لم يسبق لدورة اوليمبية ان نجحت جماهيريا كما نجحت دورة باريس « مدينة النور » عام ١٩٢٤ ، فقد واكب الدورة اقامة معرض باريس الدولى وحجت الملايين ستتها الى مدينة النور واقبلت على معرض الفنون الاوليمبية اقبالا منقطع النظير ، واستمتعت فى المسرح الصيفي المكشوف بامسيات شاعرية عذبة ، وبنثر مأثور وشعر منثور ، واعمال درامية مختارة ... و « اغانى السيوف » . وسحر المتفرجين تمثال « رامى القرص » لنحات يونانى فاق تمثال جده الاغريقى القديم المثال الشهير « ميرون » . (ومثل مصر الرسام ابراهيم عنايت الله بثلاث لوحات) ومن يومها اجتاحت العالم « حمى الاوليمبياد الفنية » !

و .. مرت الايام ، وكرت الاعوام .

وبعد أربع سنوات نظمت امستردام الدورة الاولمبية التاسعة فى ١٩٢٨ وبلغ تنظيم احفاد « فان جوخ » من

الهولنديين للأوليمبياد الفنية حـــدا مذهلا من النجاح .. وشهد معرض الفنـــون الجميلة ١١٥٠ قطعة فنيـــة وتفـــادى منظمو الدورة كل ثغرات التحـــكيم والتنظيم والتقديم والاعداد المسبق ..

وبلغ الانتاج الأدبي المقدم أربعين قطعة مختارة ، واسهم الموسيقيون باثنين وعشرين لحنا . وفاز بالميدالية الذهبية للنحت مثال استوحى اللعبـة الشعبية الاولى في العالم ـ كـرة القدم ـ ففاز تمثاله «لاعب كرة القدم» .. الذي كان وهو التمثال الجامد يكاد يموج بالحركة والحيوية والتحكم في الكرة !

وعلى الرغم من احجام الكثير من الدول عن الاشتراك في دورة ١٩٣٢ التي نظمتها «لوس انجلوس» ، فقـد نجح شطرها الفني الادبي . وظهرت فيها لأول مرة تماثيل كلاب الصـيد والسباق ، وفاز بجائزة الادب كاتب صور ببراعة احداث رياضة تسلق الجبال المثيرة الخطيرة .

الفوهرر «ودورة برلين»

من المعروف في تاريخ الحـــركة الأوليمبية أن اعباء الدورات التـالية لدورة برلين ١٩٣٦ اثقلت كاهـــل





منظميها كما لم يحدث من قبل ، بسبب محاولة التفوق على ما قدمته برلين . وكان السبب في ذلك هو «الفوهرر» : ادولف هتلر !!

فقد اراد أن يثبت عمليا نظريته التي تقول بتفوق الجنس الآري ، ومن ثم كانت اوامره المشددة «بانجاح» دورات ١٩٣٦ «الشتوية» التي اقيمت في «جارميش» ، و «الصيفية» ، و «الفنية» اللتين اقيمتا في برلين .

لقد بلغت من الدقة حدا لم يسبق له مثيل .. واتى هتلر بما لم يستطع الاوائل والأواخر !

وفي ليلة افتتاح مهرجـان الادب والفنون سحرت الحان «ريتشـارد شتراوس» الوف الحاضرين . وملايين المستمعين «للحن الاوليمبي» من الاذاعة التي نقلت الحفل على الهواء مباشرة .

ولأول مرة ترجمـت روائع الادباء والشعراء الى عدة لغات أجنبيـــة ووزعت في العالم كله .

و .. وجاءت الحرب العالمية الثانية .. واطفأت نيرانها شعلة الحـــركة الاوليمبيـــة ـ التي تدعو للسلام والصداقة والمحبـة والاخـوة بين الشعوب ـ لمدة اثني عشر عاما .

وعندما عاد الســـلام ، وبدات الالعـــاب الاوليمبيـة ثانية ، تطورت الاوليمبياد الفنية ، واتســـع نطاق برنامجهـا ، واصبحت منبرا عالميـا لعـــرض التطــــور الثقافي والفني والحضاري والادبي والتكنى لكل الدول المشتركة ، وتضاعف الاهتمام بابراز الفنون الشعبية تجاوبا مع الموجة التي اجتاحت العالم تطلعا الى الابقاء على التراث القديم وتطويره .

وتنافست الدورات الاوليمبيـــة في الاهتمام بالجانب الثقافي ..

وفي الدورة التي اقيمت بالمكسيك ، استغرق برنامج الالعـاب الاوليمبيـة خمسة عشر يوما ، واحتفل الملايين عشاق الفن بمهرجان الفنون والاداب والعلوم على مدى «العام الاوليمبي» .





كله ، من اول يناير ١٩٦٨ حتى آخر ديسمبر .

انسان القرن العشرين

ورغبة من المكسيك فى أن تصبح دورتها الأوليمبية أفضل من الدورات السابقة ـ وهذا ما يحاوله منظمو كل دورة ! ـ واعلاء لشأن أول دورة تقام على أرض أمريكية لاتينية ، شملت دورتها الاوليمبية الثقافية عشرين مجالا من مجالات الثقافة والفنون والآداب والعلوم أسوة بالعشرين لعبة التى تضمنها برنامجها الرياضى !

وقد صمموا شعارا لكل فقرة ثقافية أسوة بشعارات الالعاب العشرين !

وشرح « جوستافو أورداز » رئيس جمهورية المكسيك أهداف التوسع فى البرنامج الفنى كما وكيفا ومدى فقال :

« رغبة فى ربط المثل الاوليمبية الخاصة بالصداقة والأخوة .. مع الخلفية التاريخية لشعب المكسيك ، وحساسية هذا الشعب وتذوقه الفنى والجمالى ، فان البرنامج الثقافى سيمكن المشتركين من تكوين روابط أوثق عندما تزداد معرفتهم بثقافاتهم المختلفة ، وبذلك يتاح تعبير الانسان، بغض النظر عن لون بشرته وايديولوجيته ودرجة تقدمه ، أن يصل الى مستوى من المساواة الجديدة بانسان القرن العشرين .. »

●● وقسمت الفقرات العشرون الثقافية الى خمس مجموعات :

● المجموعة الاولى : وهى « الالعاب الاوليمبية والشباب » وتتضمن استقبال شباب المكسيك لشباب العالم ، ومهرجان الافلام القصيرة عن واجبات الشباب ، والمعسكر الاوليمبى المكسيكى لشباب العالم .

● المجموعة الثانية : وهى « الالعاب الاوليمبية والفن » وتتضمن معرض الاعمال المختارة من الفن العالمى ، ومهرجان الفنون الجميلة الدولى ، والاجتماع الدولى للمثالين، والاجتماع الدولى للشعراء ، ومهرجان رسوم الاطفال .

● المجموعة الثالثة : وهى « الالعاب الاوليمبية والتعبير الفنى الشعبى » وتضمنت مهرجان الفنون الشعبية العالمى الذى افتتح كل المهرجان الثقافى بباليه القارات الخمس ، والمعرض الدولى للفن الشعبى .

● المجموعة الرابعة : وهى « الالعاب الاوليمبية فى المكسيك » وتضمنت المهرجان الفنى لوصول الشعلة الاوليمبية الى ميناء « تيوتيهوا كان » ، ومعرض طوابع البريد الاوليمبى الدولى ، ومعرض تاريخ وفنون الالعاب الاوليمبية .

● المجموعة الخامسة : وهى « الالعاب الاوليمبية والعالم المعاصر » وتضمنت معرض استخدام الطاقة النووية لصالح الانسانية ، ومعرض

بحوث الفضاء ، وبرنامج علم الاجناس والاحياء ، ومعرض الرياضة والنشاط الثقافي ، والاجتماع الدولي للمهندسين المعماريين الشبان ، والاعلان في خدمة السلام ، والعاب الدورة التاسعة عشرة في افلام السينما والتليفزيون ...

ولعل ذكر هذه الفقرات الثقافية بالتفصيل يقلل من عدد من ترسب في اذهانهم ان الالعاب الاوليمبية ، مجرد جري ولعب ! ولعله وضح الآن انها .. جد ولعب !

ولكم أجهد منظمو دورة «ميونيخ» انفسهم ليعدوا ما سيواجهون به ذلك التحدي المكسيكي التاريخي الضخم ، فقد أسهمت أكثر من ثمانين دولة في تقديم انتاجها الفني في المكسيك ، على مدى عام كامل !

من الخليج الى المحيط

ولا ريب ان بلاد امتنا العربية لديها الكثير لتقدمه في مهرجان « ميونيخ » الثقافي الفني الادبي القادم ، والدورات الاوليمبية الاخرى المقبلة .. فثقافاتنا اقدم وأعرق من ثقافات الكثير من الدول التي تسهم في النشاط الثقافي الاوليمبي ، ولكن الامر يحتاج الى تنسيق في مجال تحرص اسرائيل الباغية على الاسهام فيه . ففي حركة تمثيلية بارعة قدم ابراهام داروم سفير اسرائيل في المكسيك الى متحف السلالات البشري والتاريخ ، المخطوطات المسماة بـ « لفائف البحر الميت » كاسهام من بلده الغاصب في البرنامج الثقافي .. ووضعت اللفائف في معرض « القطع المختارة من الفن العالمي » .

اما ماذا عرضه العرب في المكسيك فهو سؤال غير ذي موضوع ...

وان كنا نرجو أن يكون ما سوف يعرضونه في « ميونيخ » شيئا ... ذا موضوع !

ومن الاعماق نرجو من المثقفين والادباء والعلماء والفنانين العرب حث لجانهم الاوليمبية - من الخليج الى المحيط - على الاسهام في البرامج الثقافية للالعاب الاوليمبية ... ومن يدري فقد يحقق المثقفون العرب ، لو أتيحت لهم فرصة عرض انتاجهم المتنوع ، الفرصة التي حرموا منها طويلا بلا ادنى سبب ! انتصارات أوليمبية اضخم من التي يحققها اللاعبون العرب ، أو التي يحاولون تحقيقها !

وطالما ان اسرائيل قد بدأت تستغل هذا المنبر العالمي ذلك الاستغلال الماكر المغرض ، فليس أقل من أن يهتبل العرب الفرصة المتاحة والنافذة العريضة المفتوحة على الدنيا ، ويسهموا في البرنامج الثقافي الاوليمبي ليرفعوا راس بلادهم عاليا ، وليؤكدوا للعالم انهم بالايمان والعلم يحثون الخطا على درب التقدم والحضارة ، في محاولة شريفة لاحياء أمجاد الاجداد ، ونيل حقوقهم المشروعة في كل مجال من مجالات الحياة ، وليؤكدوا لكل عربي يمر بباب لجنته الاوليمبية أن الالعاب الاوليمبية جسد وروح ... بدن ووجدان .. ومنبر مفتوح لكل لاعب وفنان ! ...

شهداء القصة

● أمين يوسف غراب
● على أحمد باكثير
● محمد عبد الحليم عبد الله

ونحن فى ذكرى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، التى باركتها ثورة التصحيح يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١ .. ينبغى لنا - نحن خدام الكلمة - ان نذكر ان الكلمة الحرة المؤمنة قد سقطت طويلا تحت سنابك خيل الظالمين الذين كتب الرئيس الشريف محمد أنور السادات نهايتهم يوم ١٥ مايو

وكان فى طليعة خدام الكلمة الشرفاء الذين جرد عليهم الظالمون سلاح الحرمان من ارزاقهم ، وحاربوا نتاجهم فى ميادين النشر والمسرح والسينما ، هؤلاء الثلاثة الذين وهبوا حياتهم للكلمة الشريفة ، وذهبوا الى الله مستشهدين .

اشياء كثيرة تستوقف الدارس فى عوالم امين يوسف غراب ، بعضها شديد الوضوح يخطف البصر مثل الحب او الجنس ، والبعض الاخر يحتاج الى نظرة متانية تصاحب الكشف عن الابعاد مثل الاهتمام بشخصية الخادم وتناولها فى كثير من اعماله . فالعلاقة اذن بين الخادم او من تواضعت التقاليد على ان يكون فى مستواه كالبواب او السفرجى او السائق - خاصة فى السنوات



الماضية - وبين احد افراد الاسرة من « السادة » ، هي احد المحاور الهامة في قصص فناننا ، ولم يجيء الامر مصادفة بالطبع فلقد اراد كاتبنا الكبير وقد عاش في صباه بعض صور هذا النوع من الكدح ، ان يكون تناول هذا المحور تسليطا للضوء على دقائقه التي تشارك في تشكيل ملامح مجتمعنا في اصغر خلاياه ، وهي الاسرة في داخلها وخارجها .

علاء الدين وحيد

ملامح من شخصيات

أمين يوسف غراب



الخادم ، ذكرا وانثى ، الثانية بالذات ، تلعب دورا غير قليل الاهمية من العلاقات الانسانية المختلفة • فهذا الدور تمسكه جوانب وجدانية وجنسية واقتصادية وصراع طبقات ايضا • ولكن لا يعنى هذا من ناحية أخرى ، أن نتجاهل أن الخادم بصورته العامة فى الحياة المصرية وفى أجيال متعاقبة حتى فى أيام الرقيق فى القرون الماضية ـ ولنتذكر ما تحفل به الأوقاف من الأنصبة الكبيرة والصغيرة للعبيد الذين اعتقوا ـ كان فى أكثر الاحيان واحدا من الأسرة معاملة واهتماما ، ويذوق بالطبع كل ما يذوقه أفرادها من قسوة التعامل وصرامة التربية بالمفاهيم التقليدية السائدة !

ولذا كانت الخدمة ترتفع كثيرا عن أن تكون اذلالا واذعانا لتسلط موجه اليها بالذات كما تتشكل فى العلاقة بين السيد والرقيق فى النظام الاقطاعى • وليست شخصية الخادم « مبروك » فى رواية توفيق الحكيم « عودة الروح » ببعيدة عن الاذهان ••

غارقة فى قاع المجتمع

ولعل القارىء يدرك من احتفال غراب المتتابع بهذه الشخصية ، أنه لم يرد أن يقف بها عند حدود تناولها المباشر ، كشخصية واقعية معطاء • بل عمل على أن يبلور فى مجموع معالجته لها شيئا عظيم الاهمية ، هو الشعب نفسه الذى لا يمكن أن تمثله بصورة دقيقة مثل الطبقات الفقيرة التى فى القاع أو القريبة من القاع • هنا نجد المسافة قريبة جدا أو متلاشية بين الظاهر والباطن ، لا أعنى بين الجلد وما تحت الجلد • بل أقصد فى التقاء الفكر بالفعل أو الرغبة بالموقف فى شكله الصريح • الوصول الى الأغوار لا يتم عبر متاهات والتواءات وضبابية ، بل هو أقرب الى أن يكون الطريق المستقيم بين النقطتين •

الفطرة فى هذا الموقع وعلى هذه الأرض تطل برأسها وتتنفس بلا ادعاء ، لا تربطها امجاد مزعومة فى الماضى أو بطولات لا وجود لها فى الحاضر • ولذا فهى تتحرك بحرية لا تخشى من البلل لأنها الغارقة فى قاع المجتمع ، ونتيجة لذلك فان حركتها تتسم بنوع من الجراة التى تعطى لها ملامحها المميزة ، وكان هذه الجراة هى سلاحها الذى تعتمد عليه فى توكيد ذاتها والحفاظ على الأرض التى تقف عليها • وما اكثر ما بدت هذه الشخصية بما تمثل خارج الحياة ، لا يعترف بها ولا يؤبه لها وكأنها سقط القاع فى التركيب الطبقى •

فالنظرة الى الخادم وان كانت وما زالت ـ بدرجة أقل ـ تلون بيئته عند البعض بالعالم السفلى بالنسبةللطبقات المتوسطة والراقية ، التى تتخيله دنيا الجريمة التى لا ترتع الا فى الفساد وكان أصحابه يسكنون تحت الارضبعيدا عن الحياة الانسانية بكل مظاهر رقيها وعظمتها •

وهذا الحكم المسبق بالانحطاط يفرض

بالتالي موقفا عدائيا أو شبه عـدائي من هذا الفريق من الأجراء ، ينعكس بوضوح في ألوان التعامل القاسي التي يجابهون بها ، تصل أحيانا الى درجة الوحشية التي تسجلها صفحات الحوادث في الصحف اليومية ·

مع هموم الاخرين

واذا انتقلنا الى جانب آخر يستوعب حجم هذا الاتجاه المهتم بالخادم ، فانه يمكن القول ايضا أن الالتفات الى هذه الشخصية ، شكل احد روافد الواقعية في القصة المصرية · واقصى مد بلغتـه هذه الواقعية وقتها، كان في استشعارها هموم الأحياء الشعبية ، ولكن هـذه الأحياء تضم أيضا السادة الصغار وغير السادة ··· وهكذا تغيرت بعض ملامح الرجل العادي ، واخـذت تخرج عن « تقليديتها » التي وصلت اليها من كثرة تكرار الاغتراف من منابع معينة · واذا كان القصاص قد تناولوا أحيانا في ذلك الوقت الذي بدأ هذا الاتجاه عند غراب يتبلور ، شخصيات مثل أجير الأرض والعامل في المصنع ، فقد كانت تلك أشياء متناثرة متباعدة لا تشكل تيارا عاما ·

ومن الأعمال المعروفة التي تنـاول فيها أمين يوسـف غراب ملامح بعض هذه الشخصيات الهـابطة في السلم الاجتمـاعي ، في روايتـه الاخيرة « السـاعة تدق العـاشرة » ، التي تعالج اكثر من شخصية أجيـرة · فهناك أولا السائق ، هذا الشاب المتين الذي جنت عليه وسامته ، فجعلت الآباء يخافون على بناتهم « الغابرين » من اختلائه بهن في السيارة بحكم عمله ·

وهذا السائق الذي يقدمه غراب في روايته ، من الشخصيات الهامة التي أحبها فناننا وكتب عنها أكثر من مرة ، وجعلها بؤرة لشخوص مثل الخادمة والبواب ، تتجمع حولها وتقترب منها كثيرا أو قليلا · وان لم يعن هذا كله ، ان كاتبنا جعلها منبتة الصلة بالطبقات الأخرى غير طبقتها ·

ولكن كيف صور غراب ملامح هـذه الشخصية ؟ النبض الاول الخفيف يبدو في تعايش قلة من نفس البيئة مع هموم الاخرين ، كما في شفقة البواب على السائق بعد ان طردته احدى الأسر لأن ربها خشي على بناته من وسامته · ان مثل هذا النموذج لا يتكرر كثيرا ، وكان عدم تكراره هذا ادانة للروابط الانسانية بين البشر والمجتمع المتفرج على مآسي ابنائه ·

وفناننا يفعل ذلك لأن واقعيته تنأى به عن المفهوم التقليدي الذي يصـور الجماهير المتسحقة ، متـرابطة بدرجة كافية ، وذلك لسبب بدهي هو أن الوعي بالانسحاق ليس قريب الوصول ، بل هو عملية شديدة التركيب ، تحتـاج الى استشعار الخطر والرؤية غير الجزئية التي لا تتوقف عند موضـع القدم بل تتجاوزه الى الغد وبعد الغد · وكذلك الحاجة الى تجمع الطاقات وما يمكن أن يسـمى بتنظيم الغضب ، ورفض المواقف السلبية ·

في غيبة مثل هذا الوعي يكون من الطبيعي في مجتمع الكادحين ـ وغير الكادحين ـ أن يرفع لواء الأنا ويسود الاستغلال وتتفرخ العداوة وتتحـول العلاقات الى ضارب ومضروبوحاصلهما في مصلحة عدوهما المشترك ·

لقد كان في ماضي هذا السائق الذي



اشرنا اليه ، حادث يبلغ من قوته فى تشكيل أعماق صاحبه ، ان كان له : الأثر الكبير فى حياتى . فقد ظل السوء الذى لحقنى بسببه يلازمنى حتى الآن . يلازمنى كلما نهضت أو قعدت . يلازمنى كلما فتحت عينى على نور أو حتى على ظلام (ص ١٧) . وسببه رفضه لجسد خادم حسناء فأبغضته ، ولما كانت الفتاة عشيقة للزوج وكيل الوزارة الذى يغار عليها غيرة شديدة حتى من صاحبنا ، فقد تآمرا ضده بحجة ملاحقته لها ، حتى وافقت الزوجة التى الحقته بالخدمة على طرده .

هذا الصنف من النساء

وهذا الحادث لا يبلغ أثره الضخم فى حيـــاة بطل رواية « الساعة تدق العاشرة » فحسب ، بل يتجاوزها الى مؤلفها أمين يوسف غراب أيضا !

فقد تناوله فناننا قبلا فى احـــدى قصصه القصيرة وهى « مباراة » ـ والتى نشرت بعد ذلك فى مجموعتـــه « يحدث فى الليل فقط » ـ والطريف أن الأحداث والشخصـــيات ليست هى هى فحسب ، بل تصل الزوايا والتناول الى درجة أن تكون نقل مسطرة !

على اية حال فلاتحول هذا الحادث الى عقدة تثير بطلنـــا وتربكه وتفزعه اذا سمحت الظروف بتشابه سمات ، واصبح يخشى من هذا الصنف من النساء : الخادمات . وتشاء الحياة أن تجعـــل الخـــادمة التى جمعها واياه العمل الجديد ، لعوبا هى الأخرى تعمل على ان تستميله اليها . واذا كان الرفض هو الذى غلف المحـــاولة الاولى ، فان الكراهية هى التى غطت على التجربة الجديدة .. فقد خاف أن يكون اعجابها نوعا من الكيد ايضا أو الامتحـــان ، خاصة أن التعرض للبطالة ليس شيئا مستحبا .

ومما يعطى للموقف شكل الأزمة ، طبيعة الشخصية ذاتها . فهى يخلقها ونزعها من الحرام كما يتنفس ابن البلد صاحب المبدأ ، تقيس ما يقع بمقياس الخير والشر . ومن هنا ينبثق الصراع الحقيقى فى النفس البشرية ، عنيفا حادا بلا هوادة الى درجة التمزق . حتى ليستصرخ بطلنا السماء مستغيثا : أخاطب نفسى حينا ، واخاطب الله حينا . واسأله لماذا كلما استقامت لى الأمور وامتلئ من خوف ووجدت لقمة العيش التى آكلها بشرف ، آكلهـــا نظيفة غير ملوثة ـ سلطت على الخادمات وهـــذا الصـــنف منهن بالذات ؟ هل تريد أن تمتحنى ؟ وهل كنت فى زيغ حتى أمتحن؟ واذا كنت كذلك فهل من عدالتك سبحانك أن يكون الامتحان بهذه القسوة وبهذا العنف وبهذه المرارة التي تشبه السياط تلهب جسدى الضعيف ؟

ولم تكن المثل هى وحدها التى تعطى لموقف بطلنا من الخادم . هذا المذاق العدائى .

تهناك ايمانه أيضا بفروسية الناس الزائفة للجنس الضعيف الذى لا يكون هو الجاني ، خاصة اذا كان الجنس هو القياس .. ويلفظ آخر أن الناس أميل الى تصديق مزاعم المرأة التى تتهم الرجل بالتجنى عليها أو خداعها أو افتراسها ، وليس العكس صحيحا فى مفاهيمهم غالبا ! هذه الرؤية جعلته يعمل لها ألف حساب ، فيخشى أن يغضب الفتاة اللعوب أو يضربها فتجمع حوله من فى المكان . ومن ثم يهتكون الفضيحة !

وما أكثر ما تساءل بأسى بينه وبين نفسه : ولكن هل سيصدقنى أحد ؟ وهل ستتكشف الحقيقة عارية للجميع ؟ وهل صدق أحد من قبل مثل هذه الحقيقة ، عندما كان يقع أى حادث بين رجل وامرأة ؟ ان التبعة لا بد أن تقع فوق رأس الرجل . وهذه حقيقة مقررة منذ بداية الخليقة .. هذا الواقع هو الذى جعله يفرق زيادة من الخادم الحسناء !

ومن الطريف ان غراب يجعل خادماته غالبا من ذوات الجمال الساحر !.. ففتنة فاطمة هذه مثلا كما يقول « من ذلك النوع المخيف ، جسدها أشبه بتمثال من المرمر » .. الخ .. ونتيجة لذلك فقد اقترن عند صاحبنا حسنهن بالضد . الجمال بالخبث والفتنة بالدهاء ، وعذوبة الوجه بالنفاق والرياء وبالوقيعة . ولا تسمح لنا الشخصية بأن نظن انها تلقى الكلام على عواهنه أو على عمومه ، فهى فى موضع آخر تفرق بين الخادم وبين فتاة جميلة أيضا .. فيصور كيف تتهادى الثانية كما تتهادى الموجة تماما . وجسدها تحت الثوب وهى تسير لا يتلوى كالأفعى كجسد فاطمة ، فيظهر ان هذه الأفاعى لا تكمن الا فى جسد الخادمات فقط (ص ٥٤) !

واذا كانت بعض هذه الملامح تشى بنوع من الادانة لهذه الفئة من العاملات .. وتقف قليلا أو كثيرا عند الانفعال الخارجية ، الا أن صاحبها لم يلغ بها أعماق الشخصية . ويجر بذلك أشياء ذات دلالة تبعث بها الأغوار . تجد فاطمة الخادم يوما اهتمام السائق بهندامه وقد استدعته السيدة سريعا ، فلا يطوف بذهن صاحبتنا فى هذه اللحظة الا الجنس ويردد لسانها ما أحست : « ما احنا برضه ستات » !

معرض الكتب الملاقة

وأمر أخرى لم يحس المتلقى سواء أكان قارئا عاديا أم دارسا ، أن سائقنا بطل « الساعة تدق العاشرة » يتفق فى بعض ملامحه الهامة مع أمين يوسف غراب نفسه ، أو على الأقل يقترب كثيرا منه خاصة فى شبابهما . فمن المعروف مثلا أن فناننا مرض فى طفولته وانقطع عن الدراسة ، حتى انه عندما بلغ السادسة عشرة من عمره لم يكن يعرف القراءة والكتابة . تماما كبطل روايتنا.

وسواء استوحى غراب شخصية قصته من شخصيته هو أم لم يفعل ، فان الوقوف على هذا الملمح بالذات ، يمكن أن يفسر الكثير من مشاعر غراب فى هذه الفترة عينها ، التى جابه فيها الحياة وجها لوجه وهو أعزل بعد أن تغير حاله من اليسار الى الفاقة .

يقول بطل القصة فى سطور صادقة أقرب الى الاعتراف بحمل النبض الدقيق للمعايشة : عندما كنت فى صباى وفشلت فى الدراسة لمرضى ،

احسست بعد ان شفيت وكبرت ، بمهانة قاسية تطاردنى . كنت لا أستطيع أن اتصور اننى فى السادسة او السابعة عشرة من عمرى واجهل القـــراءة والكتابة ، ولا اعرف حتى كتابة اسمى . ولذلك اردت ان اتحلل من هذا الجهل وان اتطهر من هذه المهانة مهما يكـن الثمن . ورحت اجاهد نفسى جهـــادا كبيرا ، وكانت فرحتى لا تقدر عندما حفظت الف باء ، وفاضت على هــذه الفرحة عندما حفظت « ابجد هوز » .

ومن محاولة فك الخط ينقل قدمه الى باب عالم القراءة الواسع ، ويستطيع أن يطالع عناوين الصحف مثل « المقطم » و« السياسة » . ويقوده حبه للقراءة الى دنيا الكتاب يتمسح به فى ود ظاهر ، ويبدأ بالاماكن التى تعرضه والتى يمكنه الوصول اليها بيسر . وسواء اكانت المدينة الملتصقة بهذه الاحداث هى طنطا كما فى الرواية أم هى بنها بلدة غراب . « ففى اهم شوارعها ، كنت اتطلع من بعيد الى الكتب العـــديدة المعلقة فى مشابك الغسيل والتى كان ينتظمها حبل طويل فوق واجهات الحوانيت ، حوانيت البقالة والخردوات بالذات » .

وكان احساسه ازاءها انها قمم عالية .. ولهذا كان يرهبها بشكل ما . « مكثت زمنا لا اجرؤ على الاقتراب من هــذه الكتب ، حتى لا يرانى احد وانا ادقق النظر فيها وحتى لا يسخر منى ومن هذا الطفل الذى يريد أن يتسلق الجبل . ولم يكن بالطبع يستطيع ان يلج بسرعة هذا العالم ويقف على اسراره بين يوم واخر . واكتفى فى البداية ان يعرف - بتلذذ - عناوينها واستهوته اسماؤها : الزناتى خليفة .. الزير سالم .. ابو زيد الهلالى .. ناعسة الاجفـــان .. الشاطر حسن والسبع بنات .. سيف ابن ذى يزن »

فقد كان هذا المعرض المنشور قصصا شعبية . ولم تكن قدرته المحدودة على فك الخط تمنعه من أن يشترى هــذه الكتب باعزاز ويحـــاول أن يكتشف طلاسمها . ولم يكن غريبـــا اذن الا يعرف وقتها النثر من الشعر .

ومن الطريف أن نقف فى هذا الموضوع على عالم شخصيتنا ، فى هذه الوثيقة الفنية التى قدمها لنا اديبنا وصاحبها يعمل على أن يفرق بين هذين الفنين من الكتابة ، فيما تشمل هذه الحواديت الشعبية . يقول بطل « الســاعة تدق العاشرة » :

كنت افرق بين الشعر والنثر بوضع الصفحة فى الكتــــاب . فاذا كانت الصفحة سوداء وكلهـــا كتابة وكلمات متلاصقة ، عرفت أنه نثر . اما اذا كانت الصـــفحة يتوسطها خط افقى مستطيل وأبيض عرفت أنه شعر (ص ٥٢) !

ولما كان شعر هذه الحكايات عادة



أمين يوسف غراب

ركيكا او مفتعلا او مستعارا ، فان صاحبنا لم يفهمه ولذا لم يستطع استساغته . وكان ذلك كان من القدر بمثابة توجيه « غراب » الى الوجهة التى تتفق مع هذا التكوين الذى يتبلور فى قابل الايام ، فيختار فناننا لكتابته احد قوالب النثر لا الشعر وهو القصة قصيرة او طويلة !

عميد الادب العربي يقول

على اية حال ، اضحى هذا القصص الشعبى فى بداية قراءات صاحبنا هو « قمة الأدب والفن ، كما يقول : الى أن ظهر رجل رأيت صورته فى الصحف وكان وسيما فى ملابسه التقليدية · الجبة والقفطان والعمامة · وكانت أمنيتى أن القاه يوما وأن اقبل يده ، ولكن لم تتحقق هذه الأمنية · كان اسمه مصطفى لطفى المنفلوطى · وكنت اقرأ له بنهم والتهم كلماته التهاما » ·

وكانت هذه هى المرحلة الثانية فى قراءاته وهكذا طابع ماجدولين أو تحت ظلال الزيزفون ، وبول وفرجينى ، وغادة الكاميليا ، وغيرها من مترجمات المنفلوطى · أما المرحلة الثالثة فكانت فى الأدب العالمى : شكسبير ، بلزاك ، دانتى ، جورج صاند ، الفريد دى موسيه ، جى دى موباسان ، ديماس الأب والابن ، ديستوفسكى ، ترجنيف ، وحفظ عن ظهر قلب جان جاك روسو وطاغور ، واناتول فرانس ، وتولستوى ·

وواضح أن اكثر هذا الأدب من الفن القصصى الذى عشقه صاحبنا ، وكان أحب هذه القصص اليه ، هى التى تتحدث عن المرأة ومأساتها ، وكان هذا ارهاصا ايضا بما ستعالج قصص امين يوسف غراب فى المقام الأول · لذا كانت شخصيات تاييس ، وتس ، وناتا ، وناتالا ، وايرما ، وسالومى ، وغيرها ، هى الصقها بوجدانه وفكره · ولا شك أن تفصيل المطالعات هذه فى الرواية ، لا يعنى شيئا بقدر ما يشير الى التصاقها بنفس كاتبها الذى يجد فيها نبضا حبيبا اليه يشجيه معاودة ذكراه بالدقائق ·

ولنذكر هنا قبل أن ننتقل الى جانب آخر ، التفات عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الى هذه السمة فى تكوين غراب ، وهو يتناول مجموعتيه « يوم الثلاثاء » و « ارض الخطايا » اذ يقول : لم يتخرج فى الجامعة ولا فى الأزهر ، ولم يختلف الى المدارس ، ولم يجلس الى الأساتذة والمؤدبين ، وانما علم نفسه فأحسن تعليمها ، واخذها بفنون من العنف حتى انقادت له فأحسنت الانقياد ، وقرأت ما أرادها على أن تقرأه فعرفت كيف تقرأ وكيف تفهم ، وكيف تسيغ ما تقرؤه وما تفهم · وكيف تتمثله ثم ترده بعد ذلك ادبا طريفا فيه كثير

من روعة وفيه كثير من جمال ، لأنها أضافت اليه من خلاصة طبعها ما أسبغ عليه سذاجة حلوة وأجرى فيه روحا مصريا عذبا » (الاهرام ـ ٢٩ / ١١ / ١٩٥٢) .

احتفظ لنفسي بالحقيقة

وإذا كان هذا التكوين يشكل ملامح قاصنا أو بطلنا، فقد كان بالنسبة للأخير يعد بعدا هاما في شخصيته ، يزهو به في اعتداد بينه وبين نفسه . فسائقنا يدرك واعيا مقدار ما أكسبته الثقافة ، من رحابة رؤية واستيعاب ما وراء الظاهر وتعايش مع قضايا الناس ولابد أن تبدو شيئا غير عادي في بيئته وبيئة السادة الذين يعمل عندهم على السواء :

ولهذا لم يكن صاحبنا يكشف هذا البعد من نفسه ، فهو يخفيه بين ضلوعه، يسفر فحسب الوجه العادي في شخصيته .. خشية أن يستقبله الآخرون بالسخرية أو الهزء . أو كأنه لون من المقاومة يحتفظ به لوقت الشدة ، تماما كما كان



يفعل الشعب المصري أيام المماليك ، وهو يخفي مدخراته القليلة في باطن الارض خوفا من سلبهم التقليدي للقليل الذي يملك . لنطالع هذه الخطوط التي صور فيها قاصنا هذا الموقف .

« كنت اشعر بسعادة غامرة عندما كنت اتقدم للخدمة في بيت من البيوت ويسألني صاحبه : هل أجيد القراءة والكتابة . فكنت أحيانا أجيب بالنفي ، وكنت اشعر بسعادة كبيرة وانا احتفظ لنفسي بالحقيقة . وكانت لذتي تتضاعف عندما يرميني أحد السادة الذين كنت اعمل عندهم بالجهل والغباء ويظن في نفسه هو الفهم والذكاء والفطنة ، ولولا هذا التعويض لكنت قد تعذبت أكثر مما تعذبت وشقيت أكثر مما شقيت ».

والوجه الآخر لعالم أدنى مراتب العمل ، هو الذي يتصل بالشاطيء الثاني الذي يقف عليه السادة . وقارىء «غراب» غير المتسرع الذي يتجاوز قضاء وقت طيب مع كاتبه ، يفاجأ بما يحمل مضمون فنانه من التزام صادق بقضايا مجتمعه التي تشغله . ولعل في هذا الوجه الذي نتناول مصداقا لذلك يبعد كثيرا عن الصورة التقليدية التي تأخذ من أمين يوسف غراب وأدبه أبهت ملامحها . ولقد عالج قاصنا في الكثير من أعماله بشكل غير مباشر ـ وأغلب الظن أنه لذلك لم يسترع الانظار جيدا الى هذه الناحية ـ وفي المجال الانساني الذي يستوعب كتاباته ، بعض الجوانب التي تعكس موازين القوى الاجتماعية والصراع بين الطبقتين الغنية والفقيرة . ولنعرض

هنا سريعا بعض النبض الذي يستخلصه في هذا الميدان : عالم الخدمة .

في احدى قصصه القصيرة وهي « عندما يأتي الربيع » ـ مجموعة « آثار على الشفاه » ـ تقول بطلتها الممرضة: ترى ما الذي جعل هذا الشاب يركب رأسه ويهمس لها بما همس ؟ لأنه ابن عظيم من العظماء ؟ لأنه رجل ثري ؟ وهل بالمال يباع الشرف ويشترى ؟ ترى أية سوق هذه التي يعرض فيها ؟ أو هو ارتكب هذا الجرم ، أو هو يريد ارتكابه، لأنها تقوم على خدمته ؟ أو لعله ظن ـ اذ تفعل ذلك ـ انها خادمة .. وهل من المفروض على الخدم أن يقدموا للسادة كل ما يريدون حتى لو كان يغضب الله ولا يرضي الناس ؟ (ص ١١)

وفي رواية غراب « الابواب المغلقة » نجد نكاية المحقق وكيل النيابة ـ الثري ابن الباشا ـ لنظيرة السيدة العجوز ارملة عربجي الكارو ، لمجرد انها فقيرة ذات سحنة نحاسية صدئة تنم ـ كما يقول ـ نظراتها الصفراء الشاحبة التي تنبعث من عينيها الضيقتين عن الغلظة والقسوة والانانية ، ولذا فهو يوجه اليها تهمة القتل ويعلن بصراحة شعوره بالضيق كلما وقع بصره عليها .. » ومع انها كانت تبكي وكانت فعلا في حالة ذعر شديد ، الا أن هذا لم يقلل من اهمية خطرها في نظري » (ص ١٤١) وتتضح براءتها في النهاية !

كسرة طاهرة من الخبز

ومن الطبيعي أن يستغل فنان الهوى موضوع الحب في تناول هذا الصراع فيجعله في أحيان كثيرة محوره الاول كما فعل في آخر رواياته . وبأكثر من زاوية عمل امين يوسف غراب على تجسيد هذا الجانب . فالزاوية الأولى تقتنص فاطمة الخادم الحسناء وهي تقع بين براثن الباشا ، وكأنه يحاول أن يثأر من زوجته التي تخونه . في جسد الشغالة . ان الفتاة مجرد اداة تستخدم حسب طلب السيد ولا تملك من اغتصابها الا الاذعان الظاهري ، لأن جسدها كان يقاوم بمفهوم ما ويخفي مقت صاحبته لما يدور بينها وبين السيد . ورغم أن لقمة العيش كانت تضع الخاتمة قبل أن تتشكل البداية ، الا أن الفتاة كانت تتخذ موقف الرافض .. « كنت وأنا في أحضانه احس كالذبيحة التي ينهش لحمها كلب مسعور . كنت اذا التفت ذراعاه حولي ، اختنق جسدي وصمت فجأة وغدا كالمصباح الذي اطفئ . مصباح جميل ولكنه مظلم معتم .. ولا يعني هذا أن الباشا كان يقدم على عمليته شرسا ، بل كانت وداعته خارج النطاق ، فالانتهاك هو الذي يسم الفعل ورد الفعل أيضا » .

واذا كان الرجل هو السيد في هذا الموقف الذي يملي شروطه ، فان الزاوية الثانية تلتقط القطبين وقد تغير وضع كل منهما . فالمرأة هي التي في قمة السلم الاجتماعي فهي ربة القصر ، اما الرجل فهو السائق الشاب . ورغم أن قضية التسلط الرأسمالي في ذلك العهد ونهبه لخيرات الشعب ، هو هنا ايضا الذي يحدد العلاقة بين الجانبين ، والتي تشكلها من الناحية الاخرى حاجة الطبقة العاملة الى لقمة العيش التي لا

تكاد تجدها الا عند الذين يستحوذون على مقدرات البلاد ، الا ان عاملا جديدا يطرأ . هو هذا الشيء الذى يبدو على السطح رقيق التكوين يشوبه الكثير من الزغبلات ، ولكنه في الأعماق كائنا اصيلا عملاقا تمتد جذوره الى قرون وقرون ، الا وهو الدين .

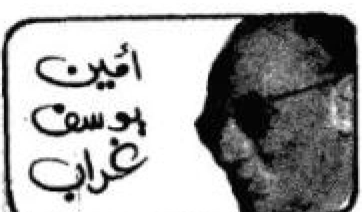
تسابقنا اثنى متدين في هذا الشكل الفطرى الاقرب الى السذاجة ، مقياسه عنده كما اشرنا تلا هو الحلال والحرام .. وعلى صخرة هذا القياس تحطم في البداية اعتداد الارستقراطية التى ظنت ان ما تدعيه من الحق في الاستحواذ على ما في ايدى الآخرين ، من غير طبقتها بالطبع ، كفيل بان ينيلها ما تريد عند ايسر اشارة

ولكن بطلنا الذى ذاق التشرد وعرف مرارة البطالة ـ الوجه الآخر لبصمات سيطرة الذين يملكون وحدهم ـ قاوم ... لا بالبطولة التى تصورها الاعمال الرخيصة . بل بالتمزق الداخلى الحاد الذى ينبع من امال شخصيتنا القانعة التى تطمئن الى « كسرة طاهـرة من الخبز وقطعة طاهرة من الجبن » .. ترضى عنهما معا..انا عبدك.وانت الذى خلقتنى . انا خادمك وانت الذى امرتنى بطاعتك . وقلت لى هذا اثم لا تقربه وهذا ماء زلال فانهل منه (ص ١٢٨) .

ورغم ان سيدة القصر تتنازلت عن زوائدهـا الشوكية وحنت راسهـا للعاصفة ، واذعنت مضطرة للواقـع وقبلت ان تدفع ثمنـا للارتواء من رجولته .. زواجا عرفيا في الكتمان ، ـ الذى يعد نجاحا لمقاومة الشاب الفقير الاعزل ـ الا ان الحقيقة لم تكن بهـذه الصورة . فقد تظهر ان صاحبتنا لم تخن طبقتها باى شكل من الاشكال ولا باية درجة من الدرجات فالثمن الذى دفعتـه وضح بطلانه وتزييفه، فقد كانت متزوجة من اخر سرا ايضا ! .. وكان اديبنـا يريد ان يقول ان التنازلات التى تقدمها الراسمالية المستغلة من ناحية، تعوضها سريعا اضعافا مضاعفة من الناحيـة الاخرى !

حكاية من تراثنا

واذا كان تناول الصراع بين الخـدم والسادة كما مر بنا في « الساعة تدق العاشرة » صريحا ، فأديبنا يزيده بعدا في عمل آخر له وهو مسرحية ذات فصل



واحد وثلاثة عشرة مشـــــهداً هى « السلطان » ، التى شملتها مجموعتـه المعروفة « امرأة غير مفهومة » • صحيح ان المعالجة ايضاً تكون حول الجسد ، الا ان الذى يعطيها المزيد من الرؤية هو رمزيتها المتصلة بالعدالة وحق الجماهير فى تنصيب حكامها •

ان امين يوسف غراب يعتمـــد فى بنائها على حكاية من تراثنـــا ، وهى زواج احد السلاطين العرب باعرابيــة راعية حسناء قسرا ، لانها كانت تحب احد زملائها • ورغم القصر والشـــرف والسلطان ، فقد رفضت أن تبادله حبا او عاطفة ، ولم يجد الا جسدا جميـــلا ـ نعم ، ولكنه بارد بلا روح !•• لقد استوحى كاتبنا هذه القصة كمـا فعل قبله على احمد باكثير فى مسرحيتـــه الغنائية « قصر الهودج » التى نشرت فى عام ١٩٤٤ •

ولقد قدم غراب عمله بهـــذه الآية الكريمة ذات الدلالة ، وخاصـــة فى آخريات العهد الملكى البائد :

ـ « ان الملوك اذا دخلـــوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلهـــا اذلة ، وكذلك يفعلون » ••

ولقد استوعب كاتبنا فى شـــخصية الحاكم فى مسرحيته ، كل ما تمثل طبقة السادة من مفاهيم وما تفرز من قيم هابطة تسعى للمزيد من المتع بغض النظر عن تدمير الآخرين وافســـاد حياتهم ولذلك لا يكاد يذكر اسمه على مسـمع المواطن حتى يلعنــــه : طمس الله على اذانه بحجر ، وأعماه وافقده البصر • فهو لا عمل له غيـــر الكاس والطاس واغتصاب النساء واراقة الدماء • واذا كان بغض الرعية لاميرها المتسلط هـو الذى يشكل الاطار العام ، فلا يعرف وقع الظلم مثل الخدم • حتى هـــؤلاء الذين يعيشون فى القصر السلطانى : فالجارية «شمس» تجد السجن احب اليها من هذا القصر ، بكل طغيان صاحبـه الذى ليس له آخر من نفوس تزهق وقلوب تفجع وعيون لا يجف لها طرف • وكذلك حارس السجن لا يملك الا ان يبكى على عامر السجين الذى يعذبه بأمر ولى الأمر •• وعامر هو حبيب عزة الراعية التى تزوجها غصبا • وهناك ايضا شخصية المهرج الذى دبر مؤامرة قتل السلطان• ونظام الحكم الاستبدادى سواء فى القرن العشرين بعد الميلاد أم قبل الميلاد ، هو هو فى جوهره مهما اختلفت الالفاظ : امراء وعبيد ، او سادة وخدم • جانب يستولى على الحقوق جميعاً والآخـــر صفر اليدين منها • وبالتالى تصبـح المزايا من صفات القوى والنقـــائص سمات للضعيف • وهذا ما اراد امين يوسف غراب أن يصوره فى الصراع بين المـــالك والمملوك مهمـــا حمـــل كل منهمـــا من اسم جـــديد أو قديم •

■ محمود يوسف ■



قليل من كثير عن باكثير

باكثير في سطور

- ولد علي أحمد باكثير في مدينة «سورابايا» باندونيسيا سنة ١٩١٠ من أبوين عربيين من حضرموت ، وارسل وهو دون العاشرة الى حضرموت حيث نشأ وتعلم العربية
- ظهر ميله الى الادب مبكرا ، فنظم الشعر وهو في الثالثة عشرة
- غادر حضرموت اثر أزمة عاطفية فجال في «عدن» و «الصومال» و «الحبشة» ، وفي الحجاز حيث كتب مسرحيته الأولى «في عاصفة الاحقاف» - نشرت بالقاهرة سنة ١٩٣٤
- قدم الى مصر سنة ١٩٣٤ والتحق بكلية الآداب وحصل على الليسانس سنة ١٩٣٦ ثم دبلوم معهد التربية سنة ١٩٤٠
- اشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية ١٤ سنة ، ثم نقل الى وزارة الثقافة حيث عمل في مصلحة الفنون ثم في الرقابة على المصنفات الادبية
- قام برحلة ثقافية الى فرنسا سنة ١٩٥٤
- اختير عضوا في لجنة الشعر وفي لجنة القصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
- حصل على جائزة الدولة في الأدب عن مسرحية «هاروت وماروت» سنة ١٩٦٢
- حصل على منحة تفرغ سنة ١٩٦١ لمدة سنتين وضع فيهما ملحمة عن عهد «عمر بن الخطاب» تقع في حوالي عشرين فصلا
- بدأ شاعرا ثم اتجه الى القصة المسرحية ، وله نحو خمسين كتابا معظمها مسرحيات ومنها خمس روايات
- آخر أعماله الادبية مسرحيتا «الثورة الثائفة» و «حرب السويس» . كتبهما بعد نكسة ١٩٦٧ ، صور في أولاهما سبب النكسة في عدونا ، وفي الثانية سبب النكسة في أنفسنا .

تقاس الخسارة فى الموت الى مواهب الانسان وأعماله ، وقد عرفت المرحوم على احمد باكثير مدة طويلة من الزمن ، حيث كان زميلا لى بلجنة القصة بالمجلس الاعلى للفنون والاداب وجمعية الادباء .. كان ذا ذكاء نادر واطلاع واسع . ذكاء يكاد يدرك ما فى ضميرك قبل ان تبادره الحديث ، واطلاع لا يصل اليه الا المجتهد الاصيل الحريص على وقته المحب لكتبه ، الزاهد فى متاع دنياه ..

لقد وعى باكثير فى صدر حياته الحركة الادبية كما تتبع عن كثب سير الحركة السياسية والاجتماعية فاكتسب خبرة ومعرفة يسرت له سبل الشهرة فكان ثقة فى ادبه حجة فى مادته ، مثاليا فى حبه لبلده ووطنه

كان صريحا لا يحابى ولا يدارى فى سبيل الكلمة الحرة اخا او صديقا ، ولا يهمه ارضاء احد قبل ارضاء ضميره وعقيدته اضف الى ذلك ادبا فى الحديث ، وطلاقة فى اللسان ورقة فى المعاملة ودماثة فى الاخلاق .

هذا هو على احمد باكثير الذى اكتب عنه اليوم بعد عام ونصف من وفاته .

على ان على احمد باكثير ليس من هؤلاء الذين يطوى الزمن ذكراهم ، ولا من هؤلاء الذين تستطيع الايام نكران جهادهم وادبهم او فنهم الذى سيبقى أبد الدهر لسانا ناطقا لفنه وادبه وعبقريته

كان على احمد باكثير ــ رحمه الله رحمة واسعة وانزل على جسده الطاهر شآبيب رحمته ورضوانه ــ اديبا مرموقا وفنانا موهوبا . وكان ايضا ذا فلسفة وعبقريا ، ومن كان مثله فهو بالموت يختفى ولكن لا يزول ، يتجرد من صورته المادية ، اما ذكراه فملء الاسماع والقلوب .

الحب شرارة الوجود

عرف على احمد باكثير بالوفاء والحب والتضحية والايثار ، وكان يعمل فى صمت تاركا اعماله تتحدث عنه ، اما اسلوبه فى النضال فكان اسلوب الاديب المتمكن الذى يشرع قلمه لنصرة الحق فى غير هيبة ولا وجل ، فنال التقدير والحب ، وحتى الطبيعة فتحت له ذراعيها واحتضنته فى حنان وصورت له نفسها كالكتاب المفتوح يشغل فكره وبصره ، واذا عن له الانصراف فلا تنصرف هى عنه الا اذا قرأ فى كتاب آخر كالطبيعة سعة وجمالا وغموضا ، وهذا الكتاب هو المرأة .. فأعجبه وأحبه ، وكان الحب بمثابة شرارة الوجود يلهب القرائح كما يلهب الخدود



باكثير

وبعد ان احب نضب الماء من النبع الذى ينهل منه ليروى ظماه ، فقد غمرته رمال الحياة وتافت معالمه ..

فاين هو منه ؟!.. ولكن هل ييأس او يتجاهل المرأة التى احبها وشاركته الحياة ؟ والمرأة هى المرأة التى قال فيها المتنبى :

ويبسمن عن در تقلدن مثله
كأن التراقى وشحت بالمباسم

والتى قال فيها ابن محترق :

وزندين لو لم يمسكا بمبالغ
لسالا من الاكمام سيل الجداول

وامرؤ القيس :

اغرك منى ان حبك قاتلى
وانك مهما تامرى القلب يفعل

اما جرير فقال :

ان العيون التى فى جفنها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن اضعف خلق الله انسانا

ويتوه مجنون ليلى ويشرد فى الصلاة من اجلها ويقول :

اصلى فما ادرى اذا ما ذكرتها
اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

ويبلغ من اعجاب عنترة بالمرأة قوله :

وودت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وبعد أن ماتت ملهمته أو زوجته الاولى راح يتنقل من بلد الى بلد فمن حضرموت الى عدن الى الصومال الى الحبشة ثم الحجاز .

وبالرغم من ظروف حياته الصادة استطاعت طبيعته العاطفية أن تعبر عن انفعالاتها فى شعر وجدانى مؤثر يشتعل حرارة وينتفض ألما .

ولم يعبر بشعره عن عواطفه ووجدانه فحسب بل كان ينطق أحيانا بنقد اجتماعى بناء يعبر فيه عن رأيه فى صراحة ووضوح ... فمثلا كان يكره البدع والخرافات فيقول :

ولى الله ذو الجبو
ة والاردية الخضر
وذو المسواك فى العمة
قد اربى على الشبر
ورب السبحة الفارق
فى التسبيح والذكر
بها يذكر فى الناس
ولا يذكر فى السر

قضايا العروبة والاسلام

وباكثير كان متطورا فى فنه وأدبه ومجتمعه ونادى بتحرير المرأة قبل أن تتحرر وطالب بالعمل على منحها حقوقها السياسية والاجتماعية وجاء ذلك على لسان بعض الفتيات فى مسرحية همام حيث قالت احداهن :

صاحبات الزمان نحن
حياة الناس فيه والموت فى ايدينا

ومسرحية همام أو فى بلاد الاحقاف أول مسرحية كتبها أيام أن كان بالطائف فى الحجاز ، وقد صور فى فصولها ما يعانيه الشعب الحضرمى من اضطهاد الحاكم والمستعمر له ، بأسلوب شيق رصين وتعبير هادف جاد ، كما كان

يعبر عن افكاره على لسان بطل المسرحية همام حيث يقول :

انا لم ادع الى غير الهدى
والى غير نهوض المسلمين
انقمتم دعوة الناس الى
سنة المختار خير المسلمين
لا تهابوا اليوم ان تجتهدوا
ان سر العلم للمجتهدين

وفي عام ١٩٣٤ قدم الى مصر حيث اتخذها وطنه النهائي ، والتحق بكلية الاداب قسم اللغة الانجليزية • وانشغل فكر الطالب على احمد باكثير وقتذاك بقضية مطاوعة الاوزان الشعرية للحوار المسرحي ، ويخطر له ان يجرب اللغة العربية في وزن شعري اطلق عليه « الشعر المطلق » وترجم رواية روميو وجولييت وألف مسرحية « اخناتون » .

ولكنه لم يمض في هذه التجربة لان الجو الادبي في ذلك الوقت لم يكن مهيئا لها فلم تلق تأييدا الا من كاتب واحد هو الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

واتجه باكثير بعد ذلك الى كتابة مسرحياته بالنثر أما الشعر فكان يقوله قصائد في بعض الاحيان ويرجع ذلك

على احمد باكثير : عمل في صمت وراء اعماله تتحدث



لانشغاله بالقضايا العربية والتاريخ الاسلامي وكان من ابرزها القضية فلسطين فقد كتب عنها مسرحية « شيلوك الجديد » . وفي كتابه « فن المسرحية » يقول عنها :

« كان ذلك في غضون ١٩٤٤ قبل نكبة فلسطين الكبرى بثلاثة أعوام · كانت القضية تشغلني وكنت اتابعها باهتمام سواء فيما ينشر عنها في الصحف أم ما يرشح عنها في الكتب ، وذات يوم قرأت أن الزعيم الصهيوني جابوتنسكي خطب مرة في مجلس العموم البريطاني فضرب المنضدة بيده وهو يقول :

« اعطونا رطل اللحم ، لن نتنزل ابدا عن رطل اللحم » ، مشيرا بذلك الى الوطن القومي الذي تضمنه «وعد بلفور» فقلت في نفسي ، قد وجدت الضالة التي كنت انشدها ··· هذه الكلمة حجة على الصهيونية لا لها وسأتخذها الفكرة الأساسية لمسرحيتي ·

وجاءت المسرحية معبرة في وضوح عن نهم الصهيونية وجشعها وخستها وحبها للسيطرة والامتلاك ·

وجاءت بعدها مسرحية سماها



باكثير

« شعب الله المختار » تناولت القضية فلسطين ·

ولما تحررت اندونيسيا كانت فرحته كبيرة وكتب من وحي فرحته مسرحية « عودة الفردوس » وهاجم الاستعمار في مسرحية « مسمار جحا » التي فضحت فصولها مخازي الاستعمار وكشفت عن حيله والاعيبه ···

وعندما ضعفت الامبراطورية البريطانية واحس باكثير انها تسير الى نهايتها ·· كتب مسرحية « امبراطورية في المزاد » ·

أما المسرح الاسلامي فقد أولاه باكثير اهتماما كبيرا وكان واضح المعاني ، ومن مسرحياته الاسلامية انكر :

« دار ابن لقمان ـ شادية الاسلام ـ واسلاماه ـ التودة والثعبان ـ ملحمة عمر بن الخطاب »

هذا عدا المسرحيات الاجتماعية التي حفلت بها حياته الادبية مثل « قطط وفيران ـ وجلفدان هانم ـ وحبل الغسيل » ·

ويقول رحمه الله في هذا :

« انه بالمنطق الهادىء ، وبما اقتنع به بان الاصلاح الاجتماعي ينبغي أن يكون أساسا للاصلاح السياسي ، وان الامة لا يستقيم لها تحررها السياسي ولا يرجى لها الدوام والبقاء ما لم تكن مستندة الى مجتمع سليم ، غير أن هذا الذى يقضي به المنطق سرعان ما يترك مكانه لما يمليه ذلك الشعور التسلط على ·

ومن المعلوم أن الفن أوثق اتصالا بالشعور المتأجج منه بالمنطق الهادىء

فلا غرو أن تكون له الغلبة عليه من حيث كونه حافزا على الخلق الفنى .

وكان باكثير يتجه بنفسه وحسه الى القومية العربية والسياسية متفعلا بها فى جميع اطوار حياته .

وكثيرا ما وضعت العقبات فىطريق باكثير الفنى . وفى يقين وثقة يقول فى هذا :

« لم تقابلنى عقبات فى العمل الفنى كما قابلنى اشخاص فى الحقل المسرحى اكتشفت انهم يضحون بمثل كثيرة فى سبيل مصالح خاصة ، ولكنى ماض فى طريقى اكتب وسياتى الوقت الذى تظهر فيه الاعمال وفقا لمنطق البقاء للاصلح

ومن مؤلفـات باكثير فى القصة : سلامة القس ـ واسلاماه ـ ليلة النهر ـ الثائر الاحمر ـ سيرة شجاع .

ومن مسرحياته :

اخناتون ونفرتيتى (شعرية) ـ الهودج (شعرية) ـ أوزيريس . الفرعون الموعود ـ مسمار جحا ـ دار ابن لقمان ـ شيلوك الجديد ـ مسرح السياسة .

ومن تمثيلياته السياسية :

قطط وفيران ـ عودة الفردوس ـ مأساة أوديب ـ الدودة إسرائيل ـ سرالحاكم بأمر الله ـ سر شهرزاد ـ هاروتوماروت ـ السلسلة والغفران ـ شعب الله المختار ـ الزعيم الاوحد ـ الدكتور حازم ـ امبراطورية فى المزاد ـ جلفدان هانم ـ أبو دلامة ـ الدنيا فوضى .

عظمة الخالق المبدع :

وحصل على أحمد باكثير علىجائزة الدولة التشجيعية فى الاداب عام ١٩٦٢ عن مسرحية « هاروت وماروت » التى أعتمد فيها على المعانى الانسانية التى تتلخص فى أن الله خلق الانسان ليكون افضل شىء فى خلقه وليبلغ من الكمالات منازل لا نهاية لها .

أن عظمة الانسان من عظمة الخالق الذى خلقه على صورته وجعله خليفته فى الارض ولا تعارض فى ذلك بينهما فكل ما يبلغه الانسان من كشف مجاهل الكون والسيطرة على بعض قوىالطبيعة أن هو الا دلالات على عظمة الله مبدعه وخالقه ...

وفى هذا الاتجاه الاسلامى تفنيد للفكرة الوثنية التى كانت سائدة عند الاغريق فى اديهم من قيام الصراع بين الانسان والالهة ، والتى لا يزال مشهورا بها بين الكتاب الى اليوم .

ومسرحية هاروت وماروت تهدف بجانب ذلك الى اصطناع التفاؤل بمستقبل الانسان سواء اكان ذلك فى وطنه الحالى أم على الارض أم فى أى كوكب يستوطنه غدا من كون الله الواسع .

والمسرحية على جانب عظيم من الجودة فى سياقها وحوارها وتوزيع الاحداث فيها ورسم شخصياتها وتأهيلها لاداء ما هو مطلوب منها فى غير فضل ولا فضول ، هذا فضلا على ان الحركة فيها حركة محكمة صاعدة وان لغتها تجمع الى الجمال نبض الصدق وبراعة الاقناع .

هذا قليل من أدب باكثير الكثير .. وسلام عليك فى جنة الخلد والى لقاء ...

مأمون غريب

– ما الذي تتمنى أن تكتبه؟

– أن أسجل حياة قريتي في قصة طويلة • ومن خلال هذه القصة أعبر عن هموم الفلاح الحقيقية •

– ولكن ما أكثر ما كتبت من إنتاج يدور إما في جو القرية حيث الصراع الطبقي • وإما عن فلاح نزح من بيئة القرية إلى المدينة لطلب العلم حاملا معه كل ما امتصه من جو الريف وهو يواجه حياة المدينة ••



ـ هذا صحيح • ولكن عن قريتى بالذات التى عشت فيها • وفيها مقابر أعز الناس لدى مازال يعاودنى الحنين . الى الكتابة عن شخصياتها وصراع أسرها • والحياة فيها كما انطبعت على صفحة خيالى صغيرا ، وما عرفته عندما امتدت بى الحياة عن سبب شقاء الريف المصرى •

ـ وهل تبدأ الكتابة فى هذه الرواية قريبا ؟

عبد الحليم عبد الله .... كما عرفتُه

ـ الفكرة مختمرة فى ذهنى ، ولا أدرى متى أبدأ فى الكتابة ، وان كنت أخشى الا يمتد بى العمر لاتمامها •••

ـ دع هذا التشاؤم !

وعلى الطرف الاخر من التليفون سألنى :

ـ متى تذهب الى القرية ؟

ـ بعد غد •

وكان هذا اخر حديث بينى وبين الاديب الراحل محمد عبد الحليم عبد الله •

وعندما ذهبت الى القرية بعد يومين من هذا الحديث لم يحدث لقاء بينى وبينه ، ولكن حدث الوداع الاخير ••• ومع مئات المشيعين من اهل القرية والقرى المجاورة كنت اسير وانا غير مصدق لما حدث ••• ان ما حدث اشبه بقصة قصيرة تسير احداثها بسرعة نحو النهاية ولا يبقى سوى أصداء حزينة •

وأتصوره بجسمه الناحل ، وعوده القصير • وأتصور رحلة عمره مع الفن والحياة ، ويتداعى الى ذهنى قوله لى عندما سألته يوما هل يكتب من أجل الخلود ؟••

يومها سرح بفكره طويلا قبل أن يجيبنى بقوله :

ـ رأيى فى الخلود حتى وان كتبت من أجله هو رأى أبى العلاء المعرى الذى سخر منه بما معناه انه خدعة انسانية فماذا بعد خلود الف عام سوى النسيان •• وفى رأيى ان الفنان الحقيقى يجب أن يكون مشغولا عن هذه الغاية ، وان تكون غايته أن يقول للناس باخلاص كل ما يعرفه » •

● هل يرون القمر ؟ ••

لقد كان عبد الحليم عبد الله مغرما

بالقرية الى اقصى حد . وكان يؤمن ان القرية قادرة على اعطاء منح تعجز عنها الاماكن الاخرى ، فهى قادرة على اعطاء الرضا وصفاء النفس ، وعدم الخوف ، وعدم القلق ، والدليل على ذلك فى رأيه بسيط : فى القاهرة مئات المآذن لكن هل تتعلق عيون النـاس بها كما تتعلق عيون الناس بمئذنة وحيدة بين عدة قرى ؟

هل يرون القمر فى المدينة ؟

– هل يحتاجون اليه ؟..

هل يعرفون فى المدينة معنى التحية لمن لا تعرفه ؟

المار فى القرية يقرىء السلام كل الناس . فتصور انك فى شارع مأهول ومررت تقول (الســلام عليكم) لمن تلقاهم ... لا شك انهم سيقولون (ان الابعد مجنون) !

فللقرية عطــاء سخى وبسيط فى بساطة (الفطيرة)

وللمدينة عطاء صغير ومركب مثل قطعة « الجاتوه » ، وكذلك الناس ..



وهو يرى أن مهمة الكاتب أن يكتب عن الشيء الـذى يعرفه حقيقة لا عن اى شيء ، فليس مجرد النظر الى شيء يعنى اننا عرفناه . اللهم الا اذا كان جزءا من تجارب عمرنا ، وحقــائق نشأتنا .

● الحل الوحيد : الموت

وحب عبد الحليم للقرية ، ومــا تركه فى أعماقه من أثر صاحبه طوال حياته ، حتى اننا نراه يعكس ذلـك بوضوح فى قصصه ورواياته ...

واذا كان المؤلف قد عانى من القلق والتوتر فى صباه وشــبابه ، وشق طريقه فى الحياة سابحا عكس التيار ، فكل ذلك تسرب الى انتاجه الفنى ... لهذا نراه فى انتاجه الاول – وهى رواية « لقيطة » – يتحدث عن المعاناة النفسية فى الطبقات الدنيا التى تحاول أن تعيش فى ســلام مع نفسها ومع المجتمع .. فبطلة القصة تواجه الحياة بلا سلاح . فهى بلا أسرة لانها لقيطة انها اعطت المجتمع كل شيء . ولكن لم تأخذ منه سوى الازدراء .

كان من حقها كبشر أن تحب ، وأن تحيا حياتها . ولكن المجتمع يقف امام احلامها بالمرصاد .. وكيف يسمح مجتمع الطبقات أن تحب (لقيطة) طبيبا ؟! ان نظام الطبقات يقف ضـد احلامها ... والحل الوحيد لمشكلتها هو الموت !!

وبالفعل تنتهى القصة بهذه النهاية الحزينة ..

والعبرة منها كما يصورها بطل القصة جمال :

ـ بات ليلته عند اهله ، واخبرهم
ان القضاء قد فض الخصام ، وان ليلى
باتت فى العالم الآخر الهادىء ، تركت الدنيا ونظام الطبقات

وينهى قصته بهذا التصوير الشاعرى الجميل :

« وتجمع على المقبرة تراب كثير
.. وامسكت الايام عن ذكرى ليلى ،
وفرغت من شئونها الاقدار »

محمد عبد الحليم عبدالله :
احب الريف وخلده فى ادبه.



● كل المشاعر الإنسانية

ولكن لا شك ان اول عمل تناول القرية وملامحها بصورة دقيقة هو قصة « بعد الغروب » لانها تناولت حياة الفلاحين وآلامهم بصورتين .

صورة ابن الفلاح الذى يريد أن يهزم الطبقة المتحكمة فيه بملكية الارض ، يهزمها بسلاح العلم والاخلاص فى العمل .

وهذه القصة لم تتناول حياة الفلاحين بالصورة التى تصرخ فى وجه القارىء . بل بصورة رقيقة تحمل كل المشاعر الانسانية . على أن هذه الصورة اختلفت فى قصة (الجنة العذراء) فبدا الفلاح فيها مقهورا مظلوما . وفى قصة (للزمن بقية) بدت صورة الفلاح القديم ، وصورة المتحكمين بالارض ، وفى الارض بدت بشكل اكثر وضوحا وتأثيرا .

ـ لماذا ؟..

لانه فى قصة (للزمن بقية) يعالج مشكلة الحرية وهذه الرواية كانت خطوة اكثر تكاملا من اعماله السابقة، وتعالج قضية من اهم قضايانا الحيوية.

فبطل القصة ـ (صلاح النجومى) الشاب المثقف الطموح الذى ورث عن ابيه أرضا كثيرة ـ يرى ان مشكلة الحرية فى قلب العمدة ، او مشكلة الفلاحين على العموم الذين كان يمثلهم فى ذلك الوقت حزب الفلاح المزيف .

وكان صلاح يرى ان امله هو منح الفلاحين الحرية عن طريق جهاده بفكره عن الفلاحين ، ويذهب الى القاهرة ويلتقى بالبدوى السيد المثقف الصوفى ، والسيدة أسرار ذات الخبرة والثقافة والتجربة .

عبد الحليم عبد اللـه كما عـرفتـه



تدور احداث طويلة ، اهمهـا ان صلاح النجومى يشـترى مجلة حزب الفلاح ، ولكنها تحارب ، ويهزم فى الانتخابات ، ويضيع ماله ، وعندما يعود يائسا ، ويلتقى بالبدوى السيد، والسيدة اسرار تقول له بضحكتهـا المستهترة الموعودة

ـ لا تجزعوا يا رجال ·· فـان للزمن بقية !

وهو فى هذه الرواية يختلف عنه فى قصصه السابقة ، لانه تعرض لمشكلة اجتماعية تعرضا مباشرا ، وهى مشكلة تحرير الفلاح ، كما انه ركز عـلى الهدف ، وتخلص من كل استطراد فى السرد القصصى · فكانت حبكة القصة فى منتهى القوة والتكامل الفنى ·

● الحب شىء آخر :

ولست هنا بصدد تقييم اعمال عبد الحليم عبد الله نقديا ، فهذا يحتـاج الى دراسة مطولة ، ويحتاج الى جهود عدد كبير من الدارسين ··· انما اريد فقط ان اعطى صورة عن انسـان عرفته عن قرب ، واعطى نبـذة عن ارائه فى مختلف شئون الحيـاة ، ونظرته وفلسفته فى الحياة ···

كان عبـد الحليم يرى فى الحب اكسير الحياة ، حب الناس للناس ، حب الانسان للبيئة التى ترعرع فيها

اذكر انى سالته يوما عن زواجه ، وهل تزوج عن حب ··· يومها صمت قليلا ، وبصراحة شديدة اجاب :

ـ لم اتزوج عن حب ·· تزوجت عن خبرة · على اننى اعتقد ان الزواج عن حب اشبه بكائن عيناه ليستا فى وجهه ، بل عيناه فى رأسه من الخلف·

فالزوجان بعد الزواج عن حب غالبا يريان الماضى بكل جماله ، اما الحاضر فهو ان رضيا عنه فانهما لا يمكن ان يجداه فى حلاوة ما فات ·

لغة الحب (افعال ماضية) كلها بعد الزواج · وهذا الشىء مخيف ·· خصوصا ان الحب فى سن الزواج ، لابد ان يبدأ ما بين الخامسة عشرة والثـلاثين ·· وهو عمـر الامل والعاطفة ، والعقل آخر ما يفهمهما · لذلك فان الحب يجب ان يكون مدخلا للزواج ·· دهليز يؤدى الى البيت ، اما البيت فهو شىء آخر تماما ···

الحب فى رأيه

واحد + واحد = واحد

٢ ـ ١ = صفر

● اقلّ الناس كسبا

كان للكاتب الراحل رأى فى مستقبل الرواية المصرية · انه كـان خائفـا عليها ، لا من قلة المواهب ، بل مـن الاغراء الشديد الذى يحوط المسرح

سواء من ناحية المال أم النقــــد أم سرعة العرض ·

أما الرواية فهى فى حاجــــة الى شهداء ··· ولكن اذا تذكــــرنا أن الادباء أقل الناس كسبا ، وأكثرهم عملا ، فانه يجب علينا أن نمنح الرواية اهتمـــامنا ، والا حدثت فجوة ستملا حتما بما يلى :

- الرواية المترجمة
- الرواية الرخيصة
- الرواية (غير المصرية)

كان عبد الحليم عبد الله يشك فى الحركة النقدية ، ويرى أن النقــــاد الحقيقيين هم القراء وان على الاديب الا ينتظر من النقاد شيئا لانه قــــد تفشت فيهم (روح الشللية) ·· فالنقد فى معظم حـــالاته كان يراه علاقات شخصية لا رسالة ادبية ·

● قدم عطايه فى صمت

هذه صورة سريعة عن حياة فنان حقيقى ، عشق الفن والادب وأحــب الحياة الفنية ، وقدم عطاء ملموســا بأسلوب من أجمــــل وأرق الاساليب العربية ، ومضامين جادة عاشهــــا وانفعل بها ·· وقدم عطاءه فى صمت دون أن ينتظر من أحــد أن يقرع له الاجراس · وفى صمت أيضـــا ودع الحياة ··

وكلما عدت الى قريتى ، ومررت على قبره فى الليالى المقمرة ، حيث تعكس أضواء القمر ظلال الاشجار فتبــدو كأشباح حزينة ساكنة ، أتذكر قصيدة ضوء القمر على القبــــور ·· التى كتبها الشاعر الراحل عبــد الرحمن شكرى ، وقدم لها بقوله :

ـ اذا رأى الانسان ضوء القمـر على القبور ، خشع من جـــلال ذلك المنظر الذى يحكى فناء الجمـــال فى الموت ، وفناء الموت فى الجمال ·

وأتذكر كلمات الشاعر :

ولقد رأيت على الهـــلال سآمة
سأم يعــــالج مثله المتــــامل

فكأنه الحسناء يطرقهـــا الردى
فتبيت تلوى فى الفراش وتذبل

واعود من رحلتى حزينـــا ··· وأتذكره فى روايته ـ بعد الغروب ـ وكأنه يرسم شخصيته هو ، ورحلتــه المضنية مع الحياة عندما يقول :

ـ ان موكب الحياة قد يلفظ أناسا فيتخلفون عنه وهم فى مقتبل العمر ، فتجيش نفوسهم بآمال مختلفة ، يتحقق بعضها ، ويتخلف بعضهـــا الآخر ، ولكن العظيم منها هو ما تبخل به علينا دنيانا ·

« طلبت الشهرة فنلت منهـــا ما يرضينى ، فأحببت الاسرة فاقمــــت دعائمها ، وأحطت وجودها ، وكانت هذه كبريات أمانى ، وتسالنى اليوم بعد أن غربت شمسى ، ولم يبق لى من الحياة الا آثار نور يرسلها الشفق وحده على الافق · هل نلت كل مـــا تتمناه ؟··· فأقول لك : الا شيئا واحدا ، أعده اليوم أعظم أمانى جميعـــا ·· الولد ·· الولد ··· معذرة يا صديقى كأننا لا نفهم حقــائق الامانى الا فى أخريات العمر ··· بعد الغروب ! »

ولكن الفنان الراحــــل وهبه الله الاولاد · ورحل دون أن يكمل بقيـــة أحلامه ·· ولكنه سيعيش فى قلوب الذين قرأوه وقدروه وعرفوا قيمـــة فنه الحقيقى ·· وستردد الاجيال دائمـــا عقب قراءة كل رواية له :

ـ رحمه الله ·· فقـــد كان فنانا عظيما ! ···


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه فى الشرق العربى
موقد مسطح :
شعلتان ونصف وتمتاز الشعلة الكبرى بوجود سبرتاية
الفرن الشعبى :
شعلتان ونصف وشواية
اقتصادى وسريع
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباق السفرة
مزهرة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

هل تعرف من القائل؟



● الغلاف الأول ●

تحت ساعة الجامعة ..
تصوير : هاني الصباغ



● الغلاف الأخير ●

خلوة مع الكتاب ..
تصوير : سعيد عبدالحميد

– ربا وطني لقيتك بعد يأس
كأني قد لقيت بك الشبابا

●

● علي الجارم – أحمد شوقي
– ولي الدين يكن

●●●

– كيف لا أندب الشباب وقد
أصبحت كهلا في محنة واغتراب
أخلق الشيب جدتي ، وكساني
خلعة منه رثة الجلباب

●

● محمود سامي البارودي –
أبو العلاء المعري – النابغة الذبياني

●●●

– كنا الملوك على الشباب
وكانت الدنيا لدينا
كنا الغصون الخضر في
روض الملاحة ، والتوينا

●

● حافظ جميل – أمين نخلة –
احمد رامي

● الاجوبة ●

١ – احمد شوقي

٢ – محمود سامي البارودي

٣ – امين نخلة




الهلال
عدد خاص
أدب البحر

الهلال

أغسطس ١٩٧٢

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال -
العدد الثامن -
السنة الثمانون -
اول اغسطس ١٩٧٢ -
٢١ جمادى الآخرة ١٣٩٢

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم - عن الكميات المرسلة بالطائرة في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ؛ في الاردن والعراق ١٢٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوي : ١٢٥ عددا ؛ في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربي والافريقي ١٠٠ قرش صاغ . في سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات أو ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بتحويل أو بشيك مصرفي قابل الصرف في ج . م . ع - والأسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادي - وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

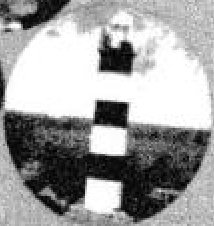
في هـذا العـدد

د. سيد نوفل : العرب والبحار منذ القدم ..





«لامارتين» : أجمل وأخلد قصائده



شعراء أوربيون على شفاف الإسكندرية ..

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

● هذا عدد الصيف ، عن ادب البحر ، تقرءونه ونسمات البحر تخطر بكم وترفه عنكم ، وكل عام وانتم بخير .
ورغم اتساع رقعة الشـــواطىء المصرية ، وامتدادها على طول ضفاف البحرين الابيض والاحمر ، وكثرة المصايف على هذا الامتداد الواسع ، فان الصيف يرتبط فى اخيلة أهل مصر ـ اكثر مايرتبط ـ بالاسكندرية ، عروس الماء ، كما سماها امير الشعراء .
ذلك لان الاسكندرية كانت ـ منذ بناها الاسكندر الاكبر ـ حاضرة مصر الى الفتح العربي، وكانت مقر العلماء والحكماء، واصحاب المدارس، كما كانت بها المكتبة المشهورة باشعاعها الفكرى على العالم باسره .

وقد ظلت للاسكندرية ـ رغم انتقال حاضرة الحكم الى القاهرة ـ مكانة خاصة عنـد أهل الادب والفن حتى العصر الحـديث . ومن الاسكندرية صدرت الاعداد الاولى من جريدة « الاهرام » ... كما كانت بها جريدة « وادى النيل » على رأس الصحف السيارة التى حملت لواء الحركة الوطنية حينا من الدهر .

وكانت الاسكندرية منزل الوحى لامير الشعراء احمد شوقى ، ولشاعر القطرين خليل مطران ، ولكثير من شعرائها المصريين والاجانب الذين نحدث عنهم فى هذا العدد ، ومنهم الشاعر اليونانى « سفيرس » صاحب جائزة نوبل .

كما كان قيام « جامعة الاسكندرية » فى عصرنا هذا بعثا جديدا للحركة الفكرية فى الاسكندرية يبشر بعودة مجدها القديم .
ومن وحى الابتسامة الحلوة على هذا الثغر ، تقدم هذا العدد عن ادب البحر .

● صالح جودت ●

د. سيد نوفل



عندما ركب العرب البحر

اتصل عرب الجزيرة منذ القدم بالبحار المحيطة بهم : بحر الروم (البحر الابيض المتوسط) ، وبحر القلزم (البحر الاحمر) ، وبحر العرب (المحيط الهندى) ، وبحر العجم (الخليج الفارسى - او العربى على الاصح) ... لكن هذا الاتصال كان عابرا فى رحلات التجار منهم الى اطراف بلادهم .. وظل البحر فى الجاهلية مثار الرهبة ومصدر الاقاصيص والاساطير ، صادرة عن الخيال العربى الثرى على فقر بيئته بفنونه واعاجيبه ممثلة فى الوقت ذاته التأبى عن اقتحام البحر، وركوب عبابه

●

الذى فتن العرب فى الجاهلية اعظم الفتنة ، وأثار فيهم القوة والبأس ، هو الماء والخضرة بصورهما القليلة المتيسرة فى شبه الجزيرة ... فالعرب فى تشبثهم ببيئتهم شديدو الاعجاب بجنات الحضر ونعيمه ، يقصون عنه القصص ويعجبون برخائه . وكان نزول الغيث مثيرا لشجاعتهم ، حتى قالوا انهم اذا أخصبوا هاجت أضغانهم ، وطلبوا الثأر من أعدائهم . وتمنوا أن يتصل الغيث حتى تتغير أحوالهم ، وينقلوا العربى من قبته البالية الى بناء مرموق .

لو وصل الغيث لأبنينا (١) امرأ
كانت له قبة سحق بجاد (٢)

وقال الشاعر :

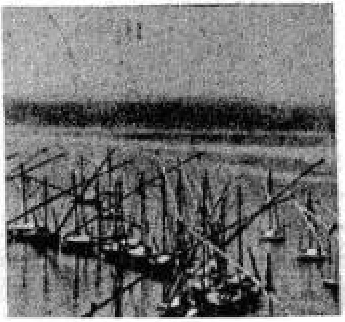
ان الكلاب قد اخضرت براثنها
والناس كلهمو بكر اذا شبعوا

وقال ثان متصورا ان الماء والشبع ودر الضرع هو الذى يدفع العرب الى الحرب :

يا ابن هشام اهلك الناس اللبن
فكلهم يسعى بقوس وقرن

وقال ثالث :

وفى البقل ان لم يدفع الله شره
شياطين ينزو بعضهن الى بعض



وقال رابع مصورا أثر الماء والخضرة فى الحرب :

قوم اذا نبت الربيع لهم
نبتت عداوتهم مع البقل

ولعل معنى الحرمان هو الذى جعل العرب يبالغون فى تقدير الخصب ، ويرون له رونقا رائعا فى بيئتهم الجرداء .. ولهذا قصدوا مواطن الماء القديمة ، واعتقدوا ان فيها أسرارا غامضة .

الاسكندر والبحر والعرب

واذ كان الاسكندر من أصحاب الفتوحات البحرية القديمة ، وكان العرب يعرفون من أمره ما يعرف غيرهم من شعوب الارض — فقد دارت حول مغامراته البحرية اقاصيص او اساطير عربية موفورة . ومن ذلك قولهم ان الاسكندر لما سار عند بحر الظلمات — يعنون المحيط — مر بجزيرة فيها أمة رءوسهم مثل رءوس الكلاب ، يخرج من أفواههم مثل لهب النار . وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ، ولكنه قضى عليهم . وسار فى البحر ، فرأى صورا متلونة بألوان شتى ، وسمكا طوله مائتا ذراع أو أكثر ...

ومر بجزيرة « الواق » خلف جبل يقال له « اصطفيون » داخل البحر الجنوبى . وفيها من العجائب شجر يشبه الوز ويحمل ثمرة كهيئة الانسان .. فاذا نضجت سمع لها صوت مثل « واق واق » ثم سقطت ...

وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده نام ، فصعد اليه حيوان عظيم من البحر الى ان علا وسد الافق ، فظن من حول الملك المقدونى انه يريد ابتلاعهم . فانتبه الملك على فزعهم ، وسألهم أمرهم .. فأشاروا الى حيوان البحر العظيم . فطمأنهم الاسكندر مؤكدا ثقته فى الله وفى رعايته اياه . وحينئذ دنا

---

(١) بنينا .
(٢) سحق بجاد : كساء بال .

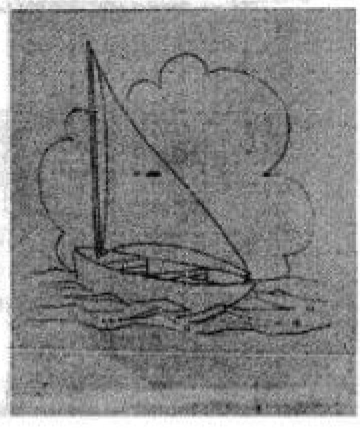
الحيوان البحرى من الملك وقال : « أيها الملك ··· أنا حيوان من هذا البحر ، وقد رأيت هذا السد قد بنى وخرب سبع مرات » . ولم يزد على ذلك ، ثم عاد الى البحر وغاب .

فأقاصيص البحر كثيرة عند العرب قبل الاسلام . وكلها تبين عن نظرتهم الرهيبة الى مجهول البحار ، وتهيبهم اياها ، وتصورهم لها عالما حافلا بخلقه الذى يشبه عالم البر من الانس والجن والعمالقة والشياطين ···

البحر فى الشعر الجاهلى

وكان طبيعيا الا يحظى البحـــــر فى الشعر الجاهلى بقدر مذكور من عناية الشعراء . ولعل ابا الشعر القديم ، « امرؤ القيس » لو تهيأت له الرحلة الى بلاد الروم فى أول حياته ، لاغنى شعر الجاهلية بصور البحر ، والحديث عن طبيعته ، ولتبعه الشعراء فى بحرياته مثلما تبعوه فى الوقوف بالاطلال ورحلة الصيد ووصف الطبيعة البدوية .

أما الشاعر الجاهلى الذى ظفر منه البحر ببعض العناية فهو طرفة بن العبد ·· لكن هذه العناية لا تتفق ونشأة طرفة ومماته بالبحرين على شاطىء الخليج . ولعل لموته فى ريعان الشباب وحياته القلقة المضطربة المتنقلة بين بلاد الجزيرة ـ لعل لهما اثرا فى انصرافه



عن وصف الطبيعة البحرية ومباهجهـا واهوالها .

ومهما يكن من أمر فقد ظهرت عناية طرفة بن العبد بالبحر واستيلائه على مشاعره . ولهذا جاء شعر الطبيعة عند طرفة ممثلا حياته وثقافته أصدق تمثيل ·· انه يمثل الجمع بين معانى البادية التى تنقل بها وطافها على ظهر ناقته وبين معانى الحضر البحرى الذى نشأ فيه بين جماعة بكر بالبحرين ، وشاهد مظاهر القوى له عند عمرو بن هنـــد بالحيرة وفى أطراف الجزيرة الساحلة للبحر ···

انه يبدأ المعلقة بحديث الاطلال ووصف مراكب النساء ، متبعا الأسلوب العربى القديم الذى ابتدعه أو أبدع فيه امرؤ القيس . لكنه لا يلبث أن يعبر عن فتنته بالبحر حين يقول كان مراكب الحنيية وصواحبها سفن عظام يوجهها الملاح الى أمام تارة ، وينحرف بها أخرى ، تشق صدورها الماء وتقسمه كما يقسم اللاعب التراب بيده . ويذكر من مواطن البحرين « عدولى » ومجارى الميـــــاه ببعض الوديان ومنها :

كأن حدوج المالكيـــــــة غـدوة
خـــلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من ســـفين ابن يا من
يجور بها الملاح طورا ويهتـــدى
يشق حبــاب الماء حيزومها بها
كما قســـم الترب المفايل باليـــد

وقد سبقه المرقش الاكبر ، بل امرؤ القيس ذاته فى تشبيه الرحيـــل بسير السفن ، لكن طرفه أول من أطنب قليلا فى وصف السفن والملاحة البحرية على هـذا النحو .

القصص والأساطير البحرية

وبعد الاسلام ، ورغم أنه خلق العرب خلقا جديدا ، ومكنهم من السيطرة على البحر ، وهيأ لهم قوة بحرية مرموقة فى مدى قرن أو نحوه ـ رغم ذلك كله

فقد ظل اللون الاسطورى من ادب البحر سائرا لم يتوقف ...

ومن ذلك تفسير المد والجزر فى البحر ، بأنه من عمل ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله فى البحر حدث المد ، وان رفعها حدث الجزر .

عن حيوان البحر

اما الروايات الخاصة بحيوان البحر او سمكه ، فلا تخلو من طرافة ودلالة .. ومنها ما روى عن جابر بن عبد الله وكان فى بعثة ابى عبيدة الى ساحل البحر للاقاة عير قريش فى مطلع الرسالة ... فقد نسب اليه القول بأن البعثة حين اشرفت على ساحل البحر ،

رات شيئا خالته كثيبا ضخما من الرمال . لكنها حين دنت منه وجدته دابة من دواب البحر تدعى العنبرة . وظلت البعثة ، وكان عددها ثلاثمائة ، تأكل منها شهرا كاملا . وكان افراد

البعثة يغترفون بالآنية الكبيرة الدهن من موضع عينيها ويقطعون منه القطعة فى حجم الثور . واجلس ابو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فى احد تجويفى عينيها .. كما حملوا من لحمها ودهنها الى المدينة بعد ذلك كله ...

وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة،

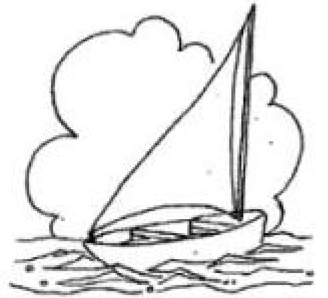


فتتبعها سمكة أخرى لتأكلها ، فتهرب منها الى مجمع البحرين ، وعرضه مائة فرسخ ، فيضيق عليها فترجع من حيث أتت ..

وقال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الألباب : « رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود ، كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمة .. فأخذته ، وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى الارض التى كنت فيها عنب . فرمت أن آكل منه ، فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم اقدر ان اقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة، فجذبتها جذبة أقوى من الاولى .. فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب ، وفى داخلها عجم كعجم العنب.. فسألت عن ذلك ، فقيل لى : هذا من عنب البحر ، ورائحته كرائحة المسك »

الاسرائيليات وعالم البحر

والمطالع لروايات البحر واقاصيصه العربية ، يتبين انه عالم متكامل به الصالح والطالح من الخلق ، والوان النبات والحيوان المشاكلة لالوان النبات والحيوان فى البر ، وان لهذه الروايات أصولها وان اضفى عليها الخيال الكثير من المبالغة والتضخيم . واذا كانت الاسرائيليات قد دخلت كل شىء فى المعارف العربية فلم يكن مناص من أن تدخل عالم البحر . ومن ذلك ما قيل من أن فى البحر حيوانا رأسه يشبه رأس العجل ، وله انياب كانياب السباع، وجلده له شعر كشعر العجل . وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجل الضفدع وليس له يدان ، ويعرف بالسمك اليهودى. وذلك انه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقى نفسه فى البر لا يتحرك ولا يأكل ولو قتل . ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد . فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته . وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس ، فلا يجد له ألما ما



دام ذلك الجلد عليه · وهو من العجائب (١)

وهكذا خلق الخيال اليهودى سمكا يهوديا ، يجمع من الفضائل ما لم يتوفر فى يهود البشر · فهو مؤمن متمسك بايمانه اشد التمسك · وهو ذو بأس وشجاعة خارقين ، وفيه خير وشفاء للمرض العضال الذى يعجز الطب والدواء عن شفائه !

المجد البحرى فى الاسلام

واقصد ذلك المجد الذى نشأ فى شبه جزيرة العرب وخاصة المناطق الساحلية منها · اما المناطق العريقة فى الحضارة التى شملها العالم العربى بعد الاسلام، فلها امجادها البحرية وفى مقدمتها مصر ببحريتها التاريخية منذ الفراعنة الى العهد الاغريقى حتى عهد صلاح الدين ثم محمد على ··· وكذلك الاساطيل البحرية للبابليين والاشوريين ·· والسفن التجارية للعربية السعيدة بمينائها التليد عدن · وقد كان لوحدة هذه المناطق فى صدر الاسلام اكبر الاثر فى التقدم البحرى العربى العام ·

وفى القرن الاول الميلادى ، اى قبل الاسلام بستة قرون ، كتب بلينى Pliny المؤرخ الرومانى الشهير يقول : « وتنتظم الرحلات فى هذه الايام بين مصر وشبه جزيرة العرب على مدار العام » (٢) ·

وقد ارتبط ساحل عمان بالمجد العربى البحرى بعد الاسلام · وكان منطلق الفتوح الاسلامية البحرية الى الشرق الاقصى وافريقية الشرقية ، والعلاقات العربية التجارية النامية مع مختلف بلاد العالم الاسيوى الافريقى، وما اتصل بهذه وتلك من حركة حضارية عربية شملت العالم لتلك الايام ·

والمؤرخون الاوربيون ، فضلا عن العرب ، يطنبون فى الحديث عن مهارة العرب واستعداداتهم البحرية فى مختلف العصور حتى القرن التاسع عشر ··· وابن خلدون يورد فى نهاية القرن الثامن الهجرى ، او الرابع عشر الميلادى ، طرفا من هذه الاحاديث ·

ويقول ريتشارد سانجر Richard Sanger المؤرخ الامريكى المعاصر ، منوها بتقدم العرب البحرى بعد الاسلام وحركته الحضارية العالمية : « ويمكن تقسيم سكان شبه الجزيرة العربية الى اهل الصحراء ، واهل الجبال ، واهل البحر ·· » ويطنب فى الحديث عن مهاراتهم البحرية فى الصيد والتجارة مع مختلف البلاد · (٣)

وحين وصل الرحالة البندقى « ماركو بولو » الى سواحل شبه جزيرة العرب، بهره تقدمها البحرى والعمران والاستقرار فيها · ووصفها فى القرن الثالث عشر الميلادى وصفا يدل على ان العرب قد خطوا حينذاك فى سبيل التقدم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية خطوات واسعة المدى ·

---

(١) المستطرف فى كل فن مستظرف، للشيخ شهاب الدين أحمد الابشيهى ، جـ ٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٨ ، مطبعة بولاق ١٢٩٢ هـ ·

2 R.H. Sanger : The Arabian Penishsula, New York 1954; p.p. 172.

(٣) المصدر السابق ص ١٧٠ ·

ومن أقوال « ماركو بولو » الكثيرة في وصف ساحل عمان : « وعلى شاطىء الخليج تقوم مدينة اسمها هرمز . ولهذه المدينة مرفأ . وفي هذا المرفأ رأيت تجارا من الهند مع مراكبهم المليئة بالتوابل ، والاحجار الكريمة ، والنسيج الثمين النادر من الصوف والحرير ، وأنياب العاج وغيرها من المواد التجارية .

« وفي هذا المرفأ تنتقل جميع هذه البضائع من سفينة الى أخرى، ويحملها التجار الى سائر انحاء العالم . فهو مرفأ تجارى هام . وله مرافىء تابعة له في مدن كثيرة حيث تروج هذه البضائع » .

وبعد ذلك يتحدث في اسهاب عن معيشة أهلها ، ومهارتهم الفائقة في بناء السفن الوفيرة لديهم ، وتقدمهم الزراعي ، وطلائهم السفن بزيت السمك حتى تتغلب على حرارة الجو وتقلباته (١) .

ويتحدث الكاتب الفرنسي المعاصر جان جاك بيربي Jean Jacque Berebie في كتابه عن الخليج ، فيقول ان العرب قد اتخذوا الخليج مجالا للرحلات البحرية مثلما اتخذوا منذ القدم الصحراء مجالا للرحلات البرية ، وان أهل الخليج العرب أصحاب ضمير تاريخي اجتماعي موحد ، وانه « من الخليج العربي الى بحر الصين ، كانت المراكب الصينية والعربية تتهادى بأمان دون انقطاع ، حاملة البضائع والمنسوجات المختلفة . وفي كل مرفأ ومدينة ساحلية، كنت ترى البحارة الصفر الصينيين ، يختلطون بالبحارة السمر العرب ، ويتعاونون كما يتعاون الاخوة المتحابون .. وذلك لانهم جميعا كانت تربطهم رابطة الاخطار المشتركة ، من عواصف ورياح وقراصنة وغزاة ، كما كانت تجمعهم رابطة الارباح المشتركة أيضا » .

ثم يتحدث عن الشخصية العربية التي سادت المنطقة بأسرها ، منذ معركة السلاسل بالبصرة في عام ٦٣٤ ميلادية، حيث انتصر المسلمون على الفرس ، وانتهى سلطان الاكاسرة، وبدأت الحقبة الذهبية من تاريخ العرب ، ولعبت فيها منذئذ مصر دورا بارزا ، ولاتزال رياح القومية العربية تهب من القاهرة على أرجاء الوطن العربي (٢) .

وعلوم البحار التي نبغ فيها العرب ، والفوا فيها الموسوعات ، كانت مرجعا هاما من مراجع النهضة البحرية العالمية الحديثة .

والبحار العربي ابن ماجد من عمان الذى قاد « فاسكو دى جاما » الرحالة البرتغالي في اكتشافاته البحرية التاريخية ، وفي مغامراته التي كانت ذات اثر بالغ في تاريخ السياسة والاستعمار .

وادب الرحلات البحرية السائر في العصور العربية الإسلامية ، وسيرورته في العالم اجمع ، كل ذلك برهان على ان العرب الذين خافوا البحر ورهبوه في الجاهلية ، قد اصبحوا سادته ومالكي ناصيته من بعد الاسلام ، وان مجدهم البحرى كان أحد الوان المجد التي لبسوها بالايمان والعمل والوحدة ،



1 Roderie Owen : The Golden Buble, London 1967 p.p. 16-18.

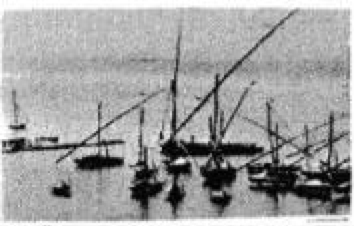
(٢) جان جاكبيربي : الخليج العربي، ط بيروت ١٩٥٩ ص ٢١ و ٢٢ و ٨٢ و ٢١١ و ٢٢٨ .

فبدلوا حياتهم تبديلا ، وقدموا للبشرية ايادى خالدة على مر الزمان ، وأظلوا العالم قرونا طوالا بالوية العدل والحرية والمساواة والسلام ..

البحر فى الشعر العربى

لقد كانت الفتنة فى البحر والتفنن فى أوصافه من التحولات الكبرى للعرب التى احدثها الاسلام فيهم . فقد كان العرب ، بطبعهم وبطبيعتهم ، ينفرون من البحر ، ويخشون ركوبه ، ويتفادونه فى غزواتهم ، ويرون اعتراضه لطريقهم حائلا دون التقدم أى حائل . لكنهم لم يلبثوا ان تحرروا من هذه الافكار .. وكانت تعاليم الاسلام خير عون على هذا التحرر . وكان اساسها قول الله تعالى الجامع : « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره. ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . »

فالاسلام بهذا قد دفع الانسان الى اقتحام البحار والفضاء وكل ما فى الارض والسماء ، غير هياب ولا وجل ، بل مطمئنا بايمانه وسعيه الى رعاية الله وفضله . وكانت فتوحات الشام ومصر وفارس والاندلس ، وانضمامها جميعا الى دار الاسلام ، من عوامل هذا التحرر ، ومن أهم مظاهره فى الوقت ذاته .



ولهذا رأينا الشعراء يتجهون الى البحر ، ويصفون الاساطيل الغازية المنتصرة ، والسفن الجارية من فوقه . وقد أبدع مسلم بن الوليد فى وصف البحر والسفينة . ومنه قوله :

وملتطم الامواج يرمى عبابه
بجرجرة الآذى للعبر فالعبر (١)
مطعمة حيتانه ما يقبها
ماكل زاد من غريق ومن كسر
اذا اعتقت فيه الجنوب تكفأت
جواريه او قامت من الريح لاتجرى
كأن مدب الموج فى جنباتها
مدب الصبابين الوعاث من الغفر
كشفت اهاويل الدجى عن مهوله
بجارية محمولة حامل بكر
لطمت بخديها الحباب فاصبحت
موقفة الدايات مرقومة النحر (٢)

فهو فى هذه القصيدة يمثل مرحلة الانتقال والمزاوجة بين البداية والبحر ، ويشبه السفينة بالبعير ، وتتجلى فتنته بها حين يصفها بانها محمولة على الماء .. وحاملة للناس ولمتاعهم ، ولكنها لا تزال بكرا .

وظهر التفنن فى أوصاف البحر والسفن على أتمه عند الاندلسيين وخاصة أبو عمرو القسطلى ، وابن خفاجة ، وابن يزيد ، وابن الابار ، وابن وهبون .

لكنهم فى هذه الاوصاف ، وكثير غيرها ، لم يجاوزوا الشكل والصورة ، ولم ينفذوا الى أسرار الطبيعة فى البحر ، ولم يتعمقوا فلسفتها . بل ان بعض الشعراء ، ظلوا يركبون البحر على خوف ، ويتصورونه سبيل الخطر ، ويصفون الاهوال فى مركبه (٣) .. وذلك أمر طبيعى .. فالشاعر يصدر عن منهاجه وعن تجاربه ومعاناته ...

---

(١) الجرجرة : الصوت . الآذى : الموج . العبر بكسر العين : الشاطىء .
(٢) موقفة على وزن معظمة : الداية فى قوائمها خطوط سود . الدايات ج داية بفتحتين . موضع الرحل من البعير .
(٣) الذخيرة ص ٧٤ و ٣٩٤ و ٣٩٥

البحر في القرآن

د. أحمد الشرباصي

وسخر لكم الفلك لتجري في

ان لله تبارك وتعالى كتابين : الاول منهما مخلوق مبسوط وهو الكون ، والآخر منهما منزل من لدنه وهو القرآن ، ونستطيع ان نقول ان لله جل جلاله قرآنين الاول مشاهد منظور ، وهو ملكوت السموات والارض ، والقرآن الثاني مقروء مسطور ، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، والكتاب الاول وهو الكون يعاون - بتأمله والتدبر في مشاهده - على فهم ما نستطيع من معاني الكتاب الثاني وهو القرآن ، وبذلك تكون مشاهدة الكون

لا شك أن « البحر » بمفهومه العام الواسع مشهد جليل من مشاهد الكون ، ومظهر كبير من مظاهر الطبيعة ، فالتأمل فيه جزء من المطالعة في كتاب الله الكوني الواسع ، والمطالعة في القرآن الكريم تعرض علينا حديثا فسيحا عن « البحر » ، فتصلنا به وتدفعنا الى التدبر بشأنه .

وقد يحسن — قبل أن نمضي في حديث القرآن عن البحر — أن نعرف المراد بكلمة « البحر » في اللغة والاصطلاح ، فكلمة « البحر » في الاصل يراد بها كل مكان واسع جامع للماء الكبير ، ويسمى العرب كل متوسع في شيء : بحرا . حتى قالوا عن الحصان الواسع الجرى : حصان بحر . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عن فرس سريع ركبه : « وجدته بحرا » . وقالوا عن الرجل الفقيه الواسع العلم : عالم بحر .

وقال بعض العلماء : البحر يقال — في الاصل — للماء الملح دون العذب ، وقال آخرون : بل يطلق على كل منهما ، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى : « وهو الذي مرج البحرين ، هذا عذب فرات ، وهذا ملح اجاج » أي هذا بحر عذب شديد العذوبة ، وهذا بحر ملح شديد الملوحة والظاهر أن البحر : هو الماء الكثير ، ملحا كان أو عذبا ، ولكن غلب استعماله في الملح ، وقل استعماله في العذب .

والبحر — جغرافيا — هو جزء من محيط ، يكون مسطحا مائيا واسعا يتصل بهذا المحيط ، كالبحر المتوسط ، والبحر الاحمر ، والبحر الاسود ، وبحر الشمال ...

ومن كلمة « البحر » اشتق العرب كلمة « البحرية » ، وهي كلمة كانت تطلق على جميع السفن التي تمتلكها الدولة ، لغرض الحرب أو التجارة .

البحر آية وسخر لكم الأنهار

وسائل ايضاح امامنا تقودنا الى عمق الصلة بهذا الهدى الالهي الباقي الذي جعله الله « روحا » للانسانية على مدى مسيرتها الموصولة ، ولعل هذا هو بعض ما نفهم من قول الله عز شأنه : « وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدي الى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ، الا الى الله تصير الامور »

وتطلق الآن على السفن المخصصة للقتال او حماية الدول .

ونعود الى حديث القرآن عن البحر ، فقد ورد ذكر « البحر » في عشرات من مواطن الكتاب الالهي المجيد ، وتحدث هذا الكتاب عن البحر حديثا عجيبا ، فيه اثارة للعقل ، وايقاظ للقلب ، وعبرة للنفس ، وايراد لدقائق من العلم المتعلق بالكون والسنة الطبيعية وما أودع الله في ملكوته من عجائب وأسرار .

ولقد روى « تفسير المنار » أنه حدث في أوائل القرن العشرين أن ترجمة انجليزية للقرآن الكريم وقعت في يد ربان انجليزي يقود احدى البواخر الكبيرة ، فقرأ في الترجمة آيتين في سورة يونس عن البحر تقولان : « هو الذي يسيركم في البر والبحر ، حتى اذا كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا انهم احيط بهم ، دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ، فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق ، يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ، ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون » .

فأحس الربان بالروعة من بلاغة هذا الوصف القرآني الدقيق لطغيان البحر واصطخابه ، وما تفعله الرياح الموسمية العاتية بالبواخر والبوارج العظمى في المحيط الهندي في فصل الصيف ، فأخذ يتتبع كل الآيات القرآنية التي تتحدث عن البحر ، ثم سأل بعض المسلمين : هل ركب نبيكم محمد البحر وسافر فيه ؟ فقالوا له : « انه لم يرد عنه أنه سافر في البحر قط » .

وهنا اعتقد ذلك الربان أن ما في القرآن من حديث وعلم لم يكن الا بوحي من الله تعالى الى هذا النبي العظيم !

دلائل الابداع الرباني

ولعل أول ما ينبغي أن نستذكره من الحديث القرآني عن البحر أنه يشير الى احتواء البحر في ظاهره وباطنه كثيرا من الاشياء ، ولذلك يجعله عديلا للبر ، فيقول في سورة الانعام : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر » . قال اهل التفسير : وانما ذكر الله علمه بما في البحر ، لان البحر يحوي اشياء غريبة وعجيبة ، عرف الانسان منها جوانب ، وبقيت منها جوانب مازالت من الغيب يعلمها الله .

وعد القرآن ركوب الانسان البحر ، وسيطرته على بعض قواه ، لونا من ألوان التكريم الالهي للانسان ، فقال في سورة الاسراء : « ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . ويذكرنا القرآن بهذه النعمة ، لنقدرها ونشكرها ونعتبر بها فقال : « هو الذي يسيركم في البر والبحر » .

وكأن كتاب الله قد اراد أن يشير امامنا اشارات موجزة معجزة الى انواع هذه النعمة ، فقال في سورة ابراهيم : « وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار » . وقال في سورة الاسراء : « ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من

فضله ، انه كان بكم رحيما » • وقال في سورة لقمان : « ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ، ان في ذلك لايات لكل صبار شكور » •

وحينمـــا قال في سورة البقرة : « والفلك التي تجرى في البحر بمـــا ينفع الناس » كأنه أراد ـ وهو أعلم بمراده ـ التذكير بالسفن التي تسير مسرعة بقوة الهواء أو البخار أو غيره، لتحقيق ألوان من المنافع للنـــاس في أسفارهم وتجاراتهم ، وقــــد صارت البواخر من الضخامة بحيث تعـــد الباخرة الضخمة كأنها مدينة تتحرك فوق سطح البحر ، ففيها جميع المرافق التي يتمتع بها الناس من غرف وسرر وأرائك وحمامات وملاعب وسينما ومسارح ومطابع وغير ذلك •

والله جل جـــلاله هو الذى خلق النواميس التي تسمح بجريان السفن في البحر ، وعلم الله الانسان كيف يهتدى الى هذه النواميس ، ليسخرها لمصلحته ، وينتفع بها هـــذا الانتفاع الضخم ، ولو اختلفت طبيعة البحـار أو طبيعة السفن ، أو اختلفت مدارك الانسان ، ما كان شيء من هذا الــذى كان ، ولا شك أن هذا النظام البـديع من فضل الله ورحمته ولطفه بعباده • فلا غرابة اذن حين يقول في سورة الحج : « ألم تر أن الله سخر لـــكم ما في الارض والفلك تجرى في البحر بأمره ، ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ، ان الله بالناس لرءوف رحيم » •

ومادام الامر كذلك فمن حق القرآن أن يتخذ من ذلك الابداع الربانى دليلا على وجود الله وربوبيته والوهيتـــه وعظمته ، واذا كان القرآن قد حدثنا في سورة البقـــرة عن آيات الله في السموات والأرض ومنها « الفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس » فقد قال قبلها مباشرة : « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » وكان هذا حكم ومعه البرهان والدليـــل ، فالبحر بما فيه من نعم دليل ناطق وشاهد صادق على الوهية الله ورحمته الواسعة •

والامام المفسر فخر الدين الرازى المتوفى سنة ست وستمائة للهجرة ، أى منذ قرابة ثمانمائة سنة يتحدث عن الاستدلال على وجود الله تعالى عن طريق جريان السفن في البحار ، فيقول :

« المسألة الرابعـــة : في كيفية الاستدلال بجريان الفلك في البحر على وجود الصانع تعالى وتقدس ، وهي من وجوه :



أحدها : أن السفن ، وان كانت من تركيب الناس ، الا أنه تعالى هو الذى خلق الآلات التي بها يمكن تركيب هذه السفن ، فلولا خلقه لها لما أمكن ذلك

وثانيها : لولا الرياح المعينة على تحريكها لما تكامل النفع بها •

وثالثها : لولا هذه الرياح وعدم عصفها لما بقيت ولما سلمت •

ورابعها : لولا تقوية قلوب مـــن يركب هـــذه السفن لما تم الغرض ، فصيرها الله تعالى من هـــذه الوجوه مصلحة للعبـــاد وطريقا لمنـــافعهم وتجاراتهم •

وخامسها : أنه خص كل طرف من أطراف العـالم بشيء معين ، وأحوج الكل الى الكل ، فصار ذلك داعيـــا

يدعوهم الى اقتحام هذه الاخطار فى هذه الاسفار ، ولولا انه تعالى خص كل طرف بشيء ، واحوج الكل اليه ، لما ركبوا هذه السفن ، فالحامل ينتفع به لانه يربح ، والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه ·

وسادسها : تسخير الله البحر لحمل الفلك ، مع قوة سلطان البحر اذا هاج وعظم الهول فيه ، اذا أرسل الله الرياح فاضطربت امواجه وتقلبت مياهه ·

وسابعها : أن الاودية العظام مثل جيحون وسيحون تنصب أبدا الى بحيرة خوارزم على صغرها ، ثم ان بحيرة خوارزم لا تزداد البتة ولا تمتد ، فالحق سبحانه وتعالى هو العالم بكيفية حال هذه المياه العظيمة التى تنصب فيها ·

وثامنها : ما فى البحار من الحيوانات العظيمة ، ثم ان الله تعالى يخلص السفن منها ، ويوصلها الى سواحل السلامة ·

وتاسعها : ما فى البحار من هذا الامر العجيب ، وهو قوله تعالى · (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) وقال : (هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج) ، ثم انه تعالى بقدرته يحفظ البعض عن الاختلاط بالبعض ، وكل ذلك مما يرشد العقول والالباب الى افتقارها الى مدبر يدبرها ومقدر يحفظها » ·

ولنتذكر ان هذا كلام قد قاله الرازى منذ قرابة ثمانمائة سنة !··

صيد البحر وطعامه

ولم يستقص القرآن الوان المنافع والخيرات المستمدة من البحر ، لانه كتاب ايجاز ، ومع ذلك اشار الى الاسماك واللحوم البحرية وما يستخرج من البحر من جواهر ، فقال فى سورة النحل : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون » · وقال فى سورة المائدة : « احل لكم صيد البحر وطعامه ··· » ·

وليس صيد البحر مقصورا على الاسماك التى تبلغ عشرات من الانواع ، ولكن هناك ايضا النباتات البحرية ، وما اكثرها · وفى مطلع هذا القرن العشرين قام رئيس « مجمع تقدم العلم الانجليزى » باحصاء يبين فيه أن الارض لا تبلغ سنة ١٩٢٨ م حتى تقل المواد الغذائية البرية لكثرة التناسل بين البشر ، وذكر أن فى قاع البحار وعلى شواطئها وسواحلها اصنافا من النباتات البحرية لا تقل القيمة الغذائية فيها عما فى افضل النباتات البرية ، وذكر اسماء عدة اصناف منها تكثر فى المحيط الأطلنطى عند شواطئه الغربية ، وقال ان فى سواحل مقاطعة سرقوسة وحدها من النباتات البحرية ما لو أحسن استخراجه ومعالجته لكفى لتغذية سكان اوربا كلها طول السنة ، ولكنها متروكة للطبيعة ، فكيف لو احصينا ما فى البحار الاخرى ، ذاكرين أن مساحة هذه البحار اكثر من ضعفى مساحة اليابس ؟· ويراجع تفصيل الحديث عن ذلك فى كتاب « صلوات على الشاطىء » ومجلة « الهلال » فى اكتوبر ١٩٠٨ م ·

وليس الاغتذاء بالاعشاب البحرية بدعا عند الناس ، فبعض الامم تغتذي بها كما في اليابان والصين وجزائر المحيط ، وقد مرت عليهم دهور ولا غذاء لهم سواها ، وفي النباتات البحرية ما في النباتات البرية من مواد الغذاء اللازمة للجسم ، ألم لا يلتفت العالم اليها للانتفاع بها ؟

موج من فوقه موج

واذا كانت البحار بسعتها وخيراتها ووسائل الانتفاع بها تعد مظهرا رائعا من مظاهر قدرة الله جل جلاله ، فان القرآن الكريم قد جعلها من جانب آخر محكا ومختبرا للايمان عند الانسان ، فهذا البحر الهادىء اللين الحلو الجميل ، الذي يلجأ اليه الناس متمتعين بالسباحة فيه رغم عرائه والارتياح الى جوه وسمائه وزرقة مائه هو هو البحر المخيف المرعب المزمجر احيانا ، ليكون اختبارا وابتلاء ، وتذكيرا بأن المنقذ هو الله ، وأن المنعم على من يستحق النعمة ، هو المنتقم ممن يستحق الانتقام .

ونحن قد قرأنا قول الله تعالى في سورة يونس : « هو الذي يسيركم في



البر والبحر ، حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا انهم احيط بهم ، دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ، فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق ، يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم ، متاع الحياة الدنيا ، ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون » .

وفي سورة لقمان جاء قوله تعالى : « الم تر ان الفلك تجرى في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ، ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ، واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور » .

وفي سورة الشورى جاء قوله عز من قائل : « ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام ، ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ، ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ، أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير » .

والبحر الذي يضرب مثلا للصفاء والنقاء وطيب الهواء في كثير من الاحيان ، هو نفسه البحر الذي يكفهر فيكون فيه ظلام وظلمات ، وأهوال من اللجج الثائرة والامواج الهائجة ، ولذلك حدثنا القرآن ، فقال في سورة الانعام : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية ، لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون » .

ويقول في سورة النور : « او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

ويقول فى سورة النمل : « أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون » .

والبحر الذى يلطف عنده الجو ، ويرق على شاطئه النسيم ، ويتخذه الناس وسيلة للترويح عن النفوس ، واستعادة النشاط ، وتقوية الصحة وتجديد الحركة ، هو نفسه الذى يطوى بين أحشائه الواسعة الكثير من الغرقى والضحايا ، ولم يفت القرآن المجيد أن يشير الى ذلك فحدثنا عن اغراقه فرعون وقومه الكافرين فى البحر ، فقال فى سورة البقرة : « واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون » .

والبحر الذى أغرق فرعون وقومه بقدرة الله ، هو هو البحر الذى صان الرضيع « موسى » نبى الله باذن الله .

ألم يقل القرآن فى سورة القصص : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » . ثم يقول : « فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون » .

مرج البحرين يلتقيان

والقرآن الكريم عن طريق حديثه عن البحر ، يحثنا على الدراسات الفلكية وبحوث الفضاء والسماء ، ويشير الى التوسع فى هذه الدراسات ، حيث يقول فى سورة الانعام : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » . وما أدق الرمز والاشارة هنا حين يذكر التفصيل : «قد فصلنا» وحين يذكر العلم : « لقوم يعلمون » .

وقد يؤكد هذا الفهم أن القرآن المجيد ضرب « البحر » مثلا فى السعة والكثرة ، فقال فى سورة الكهف : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » .

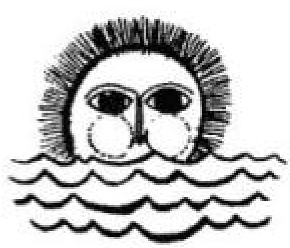
وكأن القرآن المجيد يريد ـ عن طريق حديثه عن البحر ـ أن نتعلم التمييز بين الحلو والمر ، أو بين العذب والملح ، وأن نتعود الفصل بين الاشياء المتغايرة ، وأن نستعمل كل شىء فى مكانه ووظيفته ، دون أن يطغى جانب على جانب ، ولذلك يقول فى سورة الفرقان : « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » . أى هيأ الله جل جلاله البحر المالح الشديد الملوحة وأجراه ، كما هيأ النهر العذب الظاهر العذوبة واجراه ، وجعلهما يتدانيان ويلتقيان ، دون أن يقلب أحدهما الآخر ، أو دون أن يطغى أحدهما فى الآخر ، بل أقام بينهما من طبيعتهما التى فطرهما الله عليها ، حاجزا يمنع كلا منهما أن يطغى على الآخر ، فالانهار تجرى ـ غالبا ـ فى مستوى أعلى من مستوى البحار ، ولذلك يصب الماء العذب فى ماء البحر الملح ، ولا يقع العكس الا نادرا ،

وعاد القرآن فأكد هذه الصور من مظاهر قدرة الله ، فقال في سورة الرحمن : « مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

وكما تلتقى البحار والانهار ، فلا يبغى احدهما على الآخر ، لأن الله « جعل بين البحرين حاجزا » ، ترى البحرين يلتقيان أيضا فلا يطغى احدهما على الآخر . وقد حدثنا القرآن عن « مجمع البحرين » ويراد بمجمع البحرين منطقة التقاء بحر الروم وبحر القلزم . وهما البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر . يقول القرآن فى سورة الكهف : « وإذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا . فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا » .

كشفت له الحقيقة

وكأن الله جل جلاله قد جعل مساحة البحار – بالمعنى العام الذى يشمل المحيطات والبحيرات ونحوها – أوسع من مساحة اليابسة . وأوسع وأوسع من مساحة المعمور من هذه اليابسة ، لكى يكون فى البحار متسع يخفف حدة الطمع عند الانسان الذى



يتصارع ابناؤه أشد الصراع على خيرات الارض وطاقاتها . ولذلك يحس الانسان العادى حين ينزل البحر سابحا ، أو يجلس اليه مستروحا ، أن ساحة البحر أقرب الى روح المساواة من ساحة الارض ، وتعجبنى هنا عبارة للمرحوم الرافعى يخاطب بها البحر حول ما يقرب من هذا المعنى فيقول له :

« أيها البحر ، قد ملأتك قوة الله لتثبت فراغ الارض لأهل الارض . ليس فيك ممالك ولا حدود ، وليس عليك سلطان لهذا الانسان المغرور ، وتجيش بالناس وبالسفن العظيمة ، كأنك تحمل من هؤلاء وهؤلاء قشا ترمى به .

والاختراع الانسانى – مهما عظم – لا يغنى الانسان فيك عن ايمانه ، وأنت تملأ ثلاثة أرباع الارض بالعظمة والهول ، ردا على عظمة الانسان وهوله فى الربع الباقى . ما أعظم الانسان وأصغره !

« ينزل الناس فى مائك فيتساوون حتى لا يختلف ظاهر عن ظاهر ، ويركبون ظهرك فى السفن ، فيحن بعضهم الى بعض ، حتى لا يختلف باطن عن باطن . تشعرهم جميعا أنهم خرجوا من الكرة الارضية ومن أحكامها الباطلة . وتفقرهم الى الحب والصداقة فقرا يريهم النجوم نفسها كأنها أصدقاء اذ عرفوها فى الارض .

« يا سحر الخوف ، انت انت فى اللجة كما انت انت فى جهنم !

« واذا ركبك الملحد أيها البحر ، فرجفت من تحته ، وهدرت عليه ، وثرت به ، وأريته رأى العين كأنه بين سماءين ستنطبق احدهما على الاخرى فتقفلان عليه ، تركته متطامنا ويتواضع ، كأنك تهزه وتهز أفكاره معا ، وتدحرجه وتدحرجها ، وأطرت كل ما فى عقله فيلجأ الى الله بعقل طفل ، وكشفت له

عن الحقيقة : أن نسيان الله ليس عمل العقل ، ولكنه عمل الغفلة والامن وطول السلامة » .

لماذا خلق البحر

والعقل البشرى عقل طلعة وثاب ، ولذلك لا يبعد فى مجال كمجالنا هذا أن يسأل سائل فيقول : ولماذا خلق الله البحر ؟ . ومن العجيب أننى اكتب هذا الفصل فى يوم من صيف عـــام ١٩٧٢ ، وفى صيف عام ١٩٤٦ م ــ أى منذ قرابة ربع قرن ــ نشرت كتابى « صلوات على الشاطىء » ، وجعلت فيه فصلا عنوانه : « لماذا خلق الله البحـــــر » استغرق اكثر من عشر صفحات ، ولا أحب أن أعيد هنا كلاما قلته ونشرته فى ذلك العهد البعيـــد ، ولكنى اكتفى هنا بايراد ما قاله الامام ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد » اجابة عن هذا السؤال . قال :

« وقد جعل الله البحر ملحا اجاجا ، مرا زعاقا ، لتمام مصالح من هو على وجه الارض من الآدميين والبهـــائم ، فانه دائم راكد كثير الحيوان ، وهـــو يموت فيه كثيرا ولا يقبر ، فلو كان حلوا لأنتن من اقامته وموت حيـــوانه فيه وأجاف ، وكان الهــــواء المحيط بالعالم يكتسب منه ذلك وينتن ويجيف فيفسد العالم » .

« فاقتضت حـــكمة الرب سبحانه وتعالى أن جعله كالملاحة التى لو القى فيها جيف العالم كلها وانتانه وأمواته لم تغيره شيئا ، ولا يتغير على مكثه من حين خلق ، والى أن يطوى الله العالم . فهذا هو السبب الغـــائى الموجب لملوحته ، وأما الفاعلى فكون أرضه سبخة مالحة » .

ولكن ... اذا كانت منافع البحر كثيرة وخيراته لا تحصى ، فهل استقام الانسان فى الانتفاع بهـــذه المنافع والخيرات ؟ وهل تعـــامل مع البحر معاملة القويم الامين ؟ . الواقع ينادى بخلاف ذلك ، فالانسان المعاصر قـــد امتد بتنافسه وصراعه الى البحـــار وشواطئها ، وتبارت الدول والأمم فى السيطرة على البحار وحشدها بآلات القتال والدمار ، من مدمرات ونسافات وبوارج وحوامل طائرات ... الخ .

ولم يقتصر الامر فى التنكر لمنـــافع البحر وخيراته على هـــذا اللون من الانحراف أو الاعتساف ، بل كان هناك انحراف آخر فى الانتفـــاع بالبحر ، وهذا الانحراف يتمثل من كثير مـــن الناس فى ذلك الفجور الذى يأتونهعلى شواطىء البحار ، دون تقيـد بقيود للفضيلة أو العفة أو الوقار .

وهـــذا يذكرنا ، من قرب أو من بعد ، بقول الحق جل جلاله : « ظهـــر الفساد فى البر والبحر بمـــا كسبت أيدى الناس ، ليذيقهم بعض الـــذى عملوا لعلهم يرجعون » .

ليت كل انسان عاقل يحسن التدبر والتفكر فى قول الله جل جلاله : « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملنـــاهم فى البر والبحـــر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .



«أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم ...» لوحة للفنان جمال قطب

البحر الأبيض

أمير الشعراء
أحمد شوقي



امن البحـــر صائغ عبقـــرى بالرمال النواعم البيض مغـــرى
طاف تحت الضحى عليهن والجو هر فى سوقه يباع ويشـــرى
جنه فى معاصـــم ونحـــور فكســـا معصما وآخر عـــرى
وابى ان يقـــلد العبقريـــا قوت نحرا وقلد الماس نحـــرا
وترى خاتمـــا وراء بنـــان وبنانا من الخـــواتم صـــفرا
وسوارا يزين زند كعـــاب وسوارا من زند حســـناء فرا
وترى الغيـــد لؤلؤا ثم رطبا وجمانا حوالى المـــاء نثـــرا
وكأن السماء والمـــاء شـــقا صـــدف حمـــلا رفيفا ودرا
وكأن الســـماء والمـــاء عرس مترع المهـــرجان لمحا وعطـــرا
او ربيع من ريشـــة الفن ابهى من ربيع الربى وافتن زهـــرا
او تهاويل شـــاعر عبقـــرى طارح البحر والطبيعة شـــعرا
يا سوادى فيروزج ولجـــين بهما حليت معاصم مصـــرا
فى شعاع الضحى يعودان ماســـا وعلى لمحة الأصـــائل تـــبرا
ومشت فيهما النجـــوم فكانت فى حواشيهما يواقيت زهـــرا
لك فى الارض موكب ليس يالو الا ريح والطير والشـــياطين حشرا
سرت فيه على كنوز (ســـليما ن) تعد الخطا اختيـــالا وكبرا
وترنمت فى الـــركاب فقلنـــا راهب طاف فى الاناجيـــل يقرا
هو لحن مضـــيع لا جـــوابا قد عرفنـــا له ولا مســـتقرا
لك فى طيـــه حديث غـــرام ظل فى خاطر اللحن ســـــرا
سيد الماء كم لنـــا من (صلاح) و (على) وراء مائك ذكـــرى
كم ملأناك بالســـفين مواقـــر كنســـم الجبال جندا ووفـــرا
شـــاكيات الســـلاح يخرجن من مصر بملمـــومة ويـــدخلن مصرا
شارعات الجناح فى ثبج المـــاء كنسر يشـــد فى السحب نسرا
وكأن اللجـــاج حين تـــنزى وتسد الفجـــاج كرا وفـــرا
اجم بعضـــه لبعض عـــدو زحفت غابة لتمزيق اخـــرى !
قذفت ههنـــا زئـــيرا ونـــابا ورمت ههنا عـــواء وظفـــرا
انت تغل الى القيـــامة كالقـــدر ، فلاحظ يومهـــا لك قـــدرا

وردزورث ـ كولردج

في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وخلال القرن السادس عشر ، أخذت النهضة الاوربية في الظهور . وتجلى تأثيرها في شتى نواحي الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وصحب النهضة منذ انبثاق فجرها ما هو معروف في الآداب الاوربية باسم « الحركة الكلاسيكية » . وكان في طليعة الآثار الحسان لهذه النهضة احياء العلوم والآداب والفنون ، وكانت هناك مجموعة من الظروف المواتية والاحداث الهامة ساعدت على ذلك ومهدت له السبيل ، منها سقوط القسطنطينية في أيدي الاتراك العثمانيين ، وهجرة العلماء اليونانيين حاملين مخطوطاتهم الاغريقية الى ايطاليا،وكشف الطباعة الذي جعل من الميسور تداول الكتب ونشر المؤلفات القديمة ، ومن الاسباب القوية لهذا البعث تأثر الاوربيين بالفلاسفة والمفكرين الاسلاميين الذين ظهروا بالاندلس ، وقيام حركة الاصلاح الديني .

علي أدهم

● سوزبي

لقد ساعدت الحركة الكلاسيكية على تنوير العقول ، وأحدثت نشاطا فكريا ، وتقدما أدبيا ، وأفاد المثقفين وغير المثقفين من الاطلاع على كنوز الادب اليوناني والادب الروماني ، واتسعت آفاق تفكيرهم ، وصقلت أذواقهم ، وسمت مداركهم ولكن هذه الحركة الكلاسيكية حينما توطدت مكانتها وترامى تأثيرها اخذت تظهر عيوبها ، وتتكشف مساويء الاسراف في الاخذ بتعاليمها ، والتعبد لطرائقها .

وكان اشد تلك العيوب خطرا المبالغة في اكبار الشعراء والكتاب الرومانيين واليونانيين القدامى ، واتخاذهم امثلة للكمال ، وقدوة لا تخالف ، ولايعرض عنها بحال من الاحوال ، وأنهم الحجة والمرجع في سلامة التفكير ، ورهافة الذوق ، وسمو الخيال ، وكان هذا التقديس للقدماء يفرض على الكتاب والشعراء الناشئين أن يسيروا في آثارهم ، وينهجوا نهجهم .

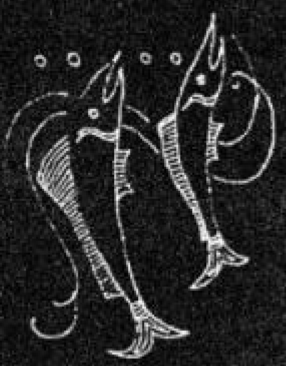
وقد غالى نقاد القرن السادس عشر في جعل الادب القديم مقياس الجودة، وأنموذج الكمال ، واستمدوا منه القواعد الواجب اتباعها ، والصور التي لا مناص من احتذائها ، وتحول الشعر الى صناعة آلية تعتمد على الزخرف والتنميق ، وأصبح الادب محاكاة للنماذج القديمة ، خالية من الروح ، مقفرة من العاطفة ، وصار للمحسنات البديعية ، والصناعة البلاغية المكان الاول ، والمنزلة العليا .

وأحدث هذا التشدد الصارم في المطالبة باحتذاء الادب القديم ردود الفعل المنظورة ، وبدأ الكتاب والشعراء يملون القوالب المفروضة ، والاوضاع المرسومة ، ويثورون على القيود والاغلال التي تمنعهم من الانطلاق والتحليق ، وقويت الرغبة في العودة الى الطبيعة التي كان كبير دعاتها « جان جاك روسو » ، وعاد الدارسون الى قراءة الشعراء الذين سبقوا العهد الكلاسيكي ، مثل « شكسبير » الذي كان ينتقص عبقريته « فولتير » ابان ازدهار الحركة الكلاسيكية ، ورد اليه اعتباره ، وبدت النزعة الرومانسية ، وصحبتها الرغبة في التخلص من القيود ، والتطلع الشديد الى الحرية الذي اسفر عن الثورة الفرنسية .

عهد الأيام العاصفة

وفي الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، ومطالع القرن التاسع عشر ، مثل الاتجاه الرومانسي في الادب الانجليزي حشد من كبار الشعراء قل أن يجتمع امثالهم في عصر من العصور ، وكان في طليعة هؤلاء الشعراء « لورد بيرون » و « شيلي » و « كيتس » و « السير ولتر سكوت » ، والشعراء الثلاثة الذين اطلق عليهم اسم « شعراء البحيرة »،

وهم « وردزورث » ، و « كولردج » ، و « سوذى » . وقد اطلق عليهم هذا الاسم لطول اقامتهم فى منطقة البحيرات الواقعة فى شمال غربى انجلترا ، والتى تشمل مقاطعة « كمبرلاند » و « ويستمورلاند » ، وجزءا صغيرا من مقاطعة « لانكشاير » وهى منطقة ملأى بالبحيرات والتلال ، والمناظر الطبيعية الجميلة ، والجداول الرقراقة ، والمزارع والقرى البعيدة عن ضوضاء المدن . وقد ربطت بين هؤلاء الشعراء الثلاثة أواصر المودة وحسن التفاهم والتعاون فى اثراء الحياة الادبية .



وربما كان اقدرهم تمثيلا للاتجاهات الرومانسية الشاعر الكبير « وليام وردزورث » الذى عاش من سنة ١٧٧٠ الى سنة ١٨٥٠ . وقد ولد « وردزورث » فى مدينة « كوكرماوث » الواقعة فى حدود مرتفعات « كمبرلاند » . وكان والده وكيلا للقضايا السير « جيمس لوثر » . ومات والده وهو فى الرابعة عشرة من عمره . وقد لازمته طوال حياته شقيقته الوحيدة « دوروثى » .

ولم يظهر « وردزورث » تفوقا ملحوظا أثناء دراسته الجامعية . وقد حصل على درجته الجامعية سنة ١٧٩١ ودخل ميدان الحياة العملية دون أن يكون له هدف محدد ، أو غاية مبتغاة . وفى سنة ١٧٩٠ زار فرنسا وسويسرة . ولما ترك الجامعة فى سنة ١٧٩١ عبر القناة الى القارة الاوربية ، وامضى بها عاما ، وكان ذلك عهد الايام العاصفة بفرنسا .

وتحمس « وردزورث » مثل الكثيرين من شبان ذلك العصر للصراع القائم من أجل الحرية الذى تمخض عن الثورة الفرنسية . ولم يجد بأسا من التعرض للخطر فى سبيل اعجابه بمبادىء الثورة ، وفرط تحمسه لها . ولكن آماله المحلقة فى قرب اشراق عهد الحرية لم تتحقق ، وعاد الى بلدته بعد أن بدأ عهد الارهاب .

فكرة المقطوعات الشعرية

وفى سنة ١٧٩٣ قدم للطبع « جولة فى المساء » و « صور وصفية » وصف فى الاولى تجاريبه فى « وستمورلاند » ، ووصف فى الثانية رحلته فى سويسرة . ولكن هذه الانطلاقات الشعرية لم تلفت اليه الرأى العام ، وانما اكسبته ما هو أجدى عليه من ذلك ، وهو تقدير معاصره الشاعر « صموئيل تيلور كولردج » .

وقد أشار الى ذلك « كولردج » فى كتابه المشهور « سيرة أدبية » قائلا : « فى أثناء السنة الاخيرة من اقامتى فى « كمبردج » اطلعت على اول ما قدمه المستر « وردزورث » للطبع ، وعنوانه « صور وصفية » ، ويبدو أن كان ذلك قد سبق حدوثه ، ظهور مثل هذه العبقرية الشعرية الاصيلة فى « الافق الادبى » وكان الشاعر حينذاك ليس له مورد رزق يعتمد عليه ، أو عمل يعيش منه ، وفى سنة ١٧٩٦ اقام مع شقيقته « دوروثى » فى « ريسداون » ، وقد عقد العزم على أن يجعل الشعر عماد حياته ، وكان لشقيقته الفضل الاكبر فى توجيهه ، والاخذ بيده ، وقد اشاد بذلك فى شعره ونثره ، وهو يقول انه وجد فى الطبيعة بديلا من والدته التى نكب بفقدها فى ابان طفولته .

وزاره « كولردج » فى « ريسداون » ، وكان قد لقيه قبل ذلك فى « بريستول » ، وانتقل فى سنة ١٧٩٧ الى « الفوكسدن » ليكون قريبا منه ، وفى أثناء تجوالهما معا اتفقا على اخراج « المقطوعات الشعرية » .

وكانت الثمرة المبكرة لتلاقيهما ، وقد اسهم « كولردج » فى هذه المجموعة الشعرية بقصيدته المشهورة « الملاح العتيق » وبعض مقطوعات شعرية أخرى ، وقد وصف « كولردج » الاسس التى قام عليها تأليف هذه المجموعة الشعرية بقوله (١) :

« فى خلال السنة الاولى التى كنت « ومستر « وردزورث » فيها متجاورين ، كثيرا ما كانت تعرج بنا الاحاديث على النقطتين الرئيسيتين فى الشعر ، قوة اثارة وجدان القارىء بعرض الطبيعة عليه فى ثوبها الحقيقى ، وقوة اثارة الاحساس بالطرافة عنده بما يضيفه خاطر الشاعر الى الطبيعة من أضواء وألوان .

« وقد عنت لنا (لست أذكر لأينا) اذ ذاك فكرة هى أن نقوم بنظم سلسلة من القصائد من نوعين : احدهما يقوم على احداث واشخاص مما وراء الطبيعة (على الاقل فى بعض نواحيه) ، على أن يكون الهدف اثارة عناية القارىء من طريق التنبيه التخيلى والتمثيل للاحاسيس والانفعالات التى تصاحب تلك الاحداث لو انها كانت واقعية » والنوع الثانى يقوم على موضوعات منتزعة من الحياة العادية حيث الحوادث والاشخاص مما يجده العقل الباحث فى كل قرية ومحلة ، على شريطة أن يكون عقلا ذا روية وحس مرهف ، أو على الاقل ذا ملاحظة لا تفلت منها تلك الحوادث والاشخاص متى عرضت لها .

« وبهذا نشأت عندنا فكرة المجموعة التى سميناها « مقطوعات شعرية » ، والتى اتفقنا على ان تتجه فيها جهودى الى ناحية ما فوق الطبيعة من أشخاص وحوادث يتصورها الخيال ، على ان اقربها الى القلوب ، والبسها الثياب السائغ المألوف ، واثير من العناية بها والالتفات اليها ما ينسى القارىء ـ لحظة ما ـ عدم اعتقاده فى حقيقتها .

« وعلى ان يكون نصيب « وردزورث » ان يحول المألوف الشائع الى جذاب غير عادى ، فيتناول اشياء الحياة اليومية واشخاصها ، ويخلع عليها ثوبا من الجدة والطرافة ، وينبه فى النفوس احساسا بها شبيها باحساس ما فوق الطبيعة ، وذلك بأن يوقظ

(١) صفحة ٤٩ من كتاب « من الوجهة النفسية فى دراسة الادب ونقده » للاستاذ محمد خلف الله .

العقل من غلوة العـــادة والتقليد ، ويوجد انتباهه الى ما فى الحيـــاة المحيطة به من عجب وجمال ·

« وعلى هذا كتبت بعض قصائدى التى كنت آمل أن أحقق فيها المثل الذى وضعته نصب عينى ، ولكن نشـــاط « وردزورث » كـــان أكثر توفيقـــا ونجاحا ، فكثرت قصائده كثرة فقد بها التوازن بين نصيبى ونصيبه » ·

ارضاء العقل المفكر

وعندما ظهرت هذه المجموعة سنة ١٧٩٨ لم تسترع الالتفات الجـديرة به ، ولكنها بدأت عهـــدا فى تطوير الادب البريطانى ، فقد تخلص فيهـــا « وردزورث » تخلصا تاما من تأثير الكلاسيكية ، ونصب نفسه مدافعـــا شديد الوطأة عن تحرى البساطة فى النظم ··· وقد تجلت فىهذه المجموعة محاسن شعر « وردزورث » وعيوبه ، فهو فى بعضها يرتفع الى مستويات الشعر الجيد القوى ، وفى بعضهـــا يهوى الى حضيض الضعف والتفاهة·

وفى سنة ١٨٠٠ ظهر الجزء الثانى من « المقطوعات الشعرية » ، ونظم الشاعر خير قصائده وهى « الاخوة » و « ميخائيل » و « أغنية الواجب » و « شخصية المحارب السعيد » ·

وحياته خالية من الاحداث الهامة، وقد شغل من سنة ١٧٩٩ الى ســـنة ١٨٠٥ بنظم ما سماه « القمة » وهى قصيدة تتبع فيها تطوره الفكرى ، ولم تقدم للطبع الا بعد وفاته ، وقد أثارت أشعار « وردزورث » الكثير من النقاش بين نقاد الادب ، ووجه اليه الكثير من النقد ، ولم يكن ذلك مستغربا ، فقد خرج على الاصول الشعرية التى كانت متبعة فى ابان نشأته ، واعتمد على ذوقه الخاص ووحى طبيعته ، وقال فى ذلك « ان على الشاعر أن يخلق الذوق الذى يحكم بموجبه على شعره » وكان هذا بطبيعة الحال من عمل الزمن ·

وفى المقدمة للطبعة الثالثـــة من مقطوعاته الشعرية التى ظهرت ســنة ١٨٠٢ يقول « وردزورث » مدافعا عن مذهبه ومتحديا نقـــاده : « يمكن أن نؤكـــد ونحن فى مأمن من الخطأ انه ليس هناك فرق جوهرى بين لغة النثر ولغة المنظومات الشعرية » ··· واذا كان من الممكن تأكيد أن النظم ووزن الشعر يكونان بطبيعتهما تمييزا ينقض ما قلته عن مطابقة لغة الشعر للغـة النثر مطابقة شديدة ويمهد ذلك الطريق لفروق أخرى يسلم بها العقل طائعا راضيا ، فانى أرد على ذلك بقولى ان لغة الشعر الـذى أوصى به وأمتدحه هى فى حدود المستطاع مختارة من اللغة التى يتحدث بها النـــاس فى الواقع ، وان هذا الاختيار اذا كان رائده الـــذوق السليم والشعور فانه يكفى بنفسه أن يكون تمييـــزا أعظم بكثير مما نتخيل فى بادىء الامر ، وسيفرق تفريقا تاما بين الانشاء وبين ضعة الحيـــاة الدارجة وخشونتها ، فاذا أضيف الى ذلك الوزن فانى أعتقد انه سيكون هناك عـــدم تشابه يكفى لارضاء العقل المفكر ، وأى تمييز آخر نريد ؟ ومتى يأتى ؟ وأين يوجد ؟ »

ومصارحة « وردزورث » للنقـــاد بأنه جاهد جهادا عنيفا ليتجنب مـــا سموه اللغـة الشعرية كانت تنطوى على تحد شديد ، وذهابه الى أن الفرق الوحيد بين النثر والنظم الشعرى هو فى مجرد تنسيق الالفاظ التى يتداولها النـــاس فى أوزان شعرية ــ يتضمن تمجيدا لا يستسيغه النقاد للغة الحياة العامية الدارجة ، ولم يجد مخالفوه صعوبة فى اثبات انه فى ممـــارسته للشعر يخالف ما ذهب اليه وقرره ·



صمويل كولردج : شارك في ديوان المقطوعات الغنائية

الصور والأحداث والمواقف

وقد أظهرت المنافسة بين «وردزورث» ونقاده أن الفكرة لها المكان الاسمى . وأن الفكرة الوضيعة لاتفقد ضحتها اذا عبر عنها في لغة منمقة . «وان الفكرة العظيمة – كما قال «وردزورث» – ليست في حاجة الى حلية أجنبية . وهي في تجردها من الحلى تبدو كأنها مزدانة بأكثر ما يمكن من الحلى» .

ويرى النقـــاد ان نقص العنصر الدرامي في أدب «وردزورث» كان من العوائق في تقدير مكانته ، وقد بذل «كولردج» جهدا محمودا في سبيل تقدير أدب صديقه التقـدير الجدير به ، وذلك في كتابه «سيرة أدبيـــة» . وقد نوه بالصفات التي اختلف بها شعر «وردزورث» عن شعر الشعراء الذين سبقوه ، والتي استحق بها تقدير المعجبين بأدبه ، والمكبرين لمكانته . وعند «كولردج» أن امتياز شعر «وردزورث» يرجع الى «الجمع بين الشعور العميق والتفكير العميق، والموازنة الجميلة بين صدق الملاحظة وملكة التخيل في تعـديل الاشياء المشاهدة ، وفوق كل شيء الموهبـة الاصلية في اضفاء النغم والجو ومعهما عمق العالم المثالي وتساميه حـول الصور والاشكال والاحداث والمواقف التي غشي تألقها وأطفأ بريقها الإلف الشائع والعادة المطردة» .

ومع تسليمه بوجود بعض العيوب في شعر «وردزورث» ، فانه يشير الى خصائص شعره قائلا : «أولا صفاء اللغة وصرامتها سواء من ناحيـة النحو أم من ناحية المنطق ، وباختصار الملاءمة التامة بين الالفاظ ومعانيها ، وثانيا التجاوب بين الافكار والعواطف المكتسبة من تفكير الشاعر وملاحظته، لا من الكتب ، فهي غضة يانعة تعلوها قطرات الندى ... وحتى في أشعاره الموجزة يندر أن تخلو مقطوعة مـن تفكير أصيل صائب ...

انبل اهداف الشعر

ويرى «كولردج» أن «وردزورث» من ناحية قوة الخيال أقرب الشعراء المحدثين الى «شيكسبير» و «ملتون» .

وكان «وردزورث» يرى أن مـن انبل اهداف الشعر أن يكون تعليميا . وكان يزعم أن على كل شاعر كبير أن يكون معلما ، وأنه هو نفسه كان يرغب في أن يكون معلما أو لا شيء ، وفي رسالة بعث بها الى الليدي «بومونت» في مايو سنة ١٨٠٧ يقول متحـدثا عما يرمي اليه بشعره «أن أسلي المحزون ، وأن أضيف أشعة الشمس الى ضوء النهار ، لأجعـل السعيد أكثر سعادة ، وأن أعلم الشاب الناشيء والسمح الكريم من كل جيل أن يرى ويفكر ويشعر ، وبذلك يصبح أكثر نشاطا وأشد حرصـــا في مناصرة الفضيلة» .

وقد عرف «وردزورث» بقوة الملاحظة والاخلاص في تناول الموضوعات التي يطرقهـــا وفرط الولاء للحق وعمق التفكير واصـــالته وثراء الخيـــال

وحيويته ، ولم يكن مغاليا ولا مبالغا في تقدير أعماله الشعرية حين قال عنها « انها ستتعاون مع الاتجاهات الخيرة في الطبيعة الانسانية والمجتمع، وستكون بقدر ما تستطيع عاملة على ان تجعل الناس اكثر حكمة ، واحسن حالا ، واسعد نفسا » .

ومناجاته للطبيعة وخلوه بها في تلال « كمبرلاند » وبين جداولهـــا وبحيراتها جعلاه لسان الطبيعة المعبر عنها ، والحـــاكي لاسرارها ، وكان الجبال كانت تخاطبه ، والاودية تتجاوب مع تفكيره ، ولم يكن يشعر بالوحدة او الغربة وهو في رحاب الطبيعة ، وكان بقدر ما في كلمة الشاعر بليك من صدق حينما قال : « تحدث الاشياء العظيمة حينما يلتقي الناس بالجبال » .

خفايا ماوراء الطبيعة

اما الشـــاعر « صمويل تيلور كولردج » الذى ولد سنة ١٧٧٢ في قرية « اترى سنت ميرى » بمقـــاطعة « ديفون » بانجلترا .. فهو احـــد كبار الشعراء الرومانسيين ، واحـــد شعراء البحيرة البارزين ، وكان الى جانب ذلك ناقدا من الطراز الاول ، ويعده الكثيرون من دارسي الادب والنقد في بريطانيـــا من أعظم النقاد الذين عرفهم الادب البريطاني ، ويرون أن كتابه « سيرة أدبية » من الكتب التى ليس لها نظير في النقد الادبي .

وكان والد « كولردج » قسيس القرية التي ولد بها ، وناظر مدرستها ، له قسط من العلم والاطلاع ، وان كانت بعض تصرفاته تنم عن شيء مـــن الشذوذ ، اما والدته فكانت ربة منزل ليس لها نصيب من المواهب العقلية ، وهو على ما يبدو لم يستمد عبقريته ولا مكونات شخصيته من أبيه ولا من أمه . وكان في طفولته ميالا الى العزلة، وقد قال عن نفسه فيما بعد انه لم يكن له عادات الاطفال وطرائقهم ولا احاديثهم وافكارهم !. ولابد انه منح الطبيعة الحب الذى لم يجد له مجـــالا في منزل اسرته ، وكان ميـــالا الى القراءة والانطواء على نفسه .

وكان « كولردج » في التاسعة من عمره حينما مات والده ، وقد انتقل في أعقاب ذلك الى لندن لكى يلتحق



باحدى مدارسها الشهيرة . ويبدو انه لم يكن هناك جد سعيد ، فقد كانت النظم السائدة بالمدارس مرهقة خشنة . ولم يكن له صديق في المدينة الكبيرة يرتاح اليه وينعم بصداقته ، وفي اثناء دراسته نشأت صداقة بينه وبين احد زملائه وهو « تشارلز لامب » ـ الذي اصبح بعد ذلك من الكتاب الانجليز البارزين ـ ودامت هذه الصداقة طوال حياة «كولردج» . وحينما مات « كولردج » ونعاه صديقه « لامب » وصفه بأنه حينما كان تلميذا كان شاعرا واسع الاطلاع ، يحاول سبر اغوار النفس ، والوقوف على اسرار الفلسفة وخفايا ما وراء الطبيعة .

والتحق « كولردج » بعد ذلك بجامعة « كمبردج » ، ولم يظهر تفوقا في دراسته الجامعية مثل اكثر شعراء عصره ، وظهرت براعته في الحديث ، وميله الى الشعر والخوض في مشكلات السياسة .

وكان مثل اكثر النفوس المتوثبة في عصره والشبان الطموحين النزاعين الى الحرية شديد التعصب للديمقراطية، وكانت الاحداث الجارية في فرنسا قد اثارت حماسة الشبان البريطانيين ، وبدا لهم ان العالم يتهيأ لاستقبال عهد جديد تسود فيه الحرية والمساواة والاخاء ، ثم بدا الايمان بالثورة يهتز وتتزلزل قواعده ، وتراجعت الآمال العريضة ، وتولت الاحلام الذهبية .

وفي السنة الاخيرة من اقامته في « كمبردج » عرف « سوذي » ، وتوثقت بينهما صلات المودة لتضارب ميولهما واتجاهاتهما الفكرية ، ودعاه « سوذي » لزيارته في مدينة « برستول » اثناء العطلة الصيفية ، وهناك عرف « كولردج » « سارة فريكر » اخت خطيبة « سوذي » .

وقد تزوجها كولردج فيما بعد ..

وقد التقى « كولردج » بعد ذلك بالشاعر « وردزورث » ، ونشأت بينهما تلك الصداقة التاريخية المأثورة ، وصحب « كولردج » « وردزورث » وشقيقته حينا من الزمن ، وتبادلا الآراء التي اجدت كثيرا على الادب والنقد ..

لم يكن سعيدا

وفي الفترة بين ۱۷۹۷ و ۱۷۹۸ كتب « كولردج » اجود شعره ، وهي قصائد « قوبلاخان » و « الملاح العتيق » و « كريستابل » ، واشترك مع « وردزورث » في اصدار ديوان « القطوعات الشعرية » .

وذهب « كولردج » بعد ذلك الى المانيا ، والتحق بجامعة جوتنجن ، واقبل على قراءة الفيلسوف الالماني الكبير « ايمانول كانت » وعاد الى انجلترا سنة ۱۷۹۹ وانصرف الى دراسة الفلسفة ، وعنى بفلسفة « اسبينوزا » بوجه خاص . واضطرته احواله المالية السيئة الى العمل في ميدان الصحافة ، واشتغل بتحرير المقال الافتتاحي في صحيفة « المورننج بوست » ، ولكنه لم يلبث ان مل العمل الصحفي فاتفق مع احدى دور النشر على ترجمة مسرحية « ولنستاين » للشاعر الالماني « شيلر » .

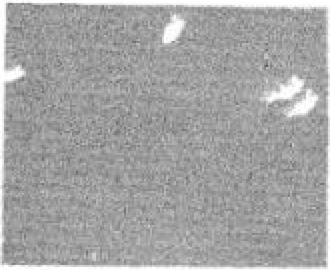
وفي سنة ۱۸۰۰ انتقل الى منطقة البحيرات لكي يكون قريبا من صديقه « وردزورث » ، وكانا يقضيان كثيرا من الوقت معا يتبادلان الآراء ، ويتناقشان في الادب والشعر والنقد والفلسفة ، ويتجولان في انحاء تلك المنطقة الجميلة المشاهد ، ولكن جوها المشبع بالرطوبة لم يكن ملائما لصحة « كولردج » ، واصيب من جراء ذلك

بالمرض وكان يستعين على تهدئة الالام المبرحة بتعاطى المخدر ، وبالانغماس فى التفكير الفلسفى ومعالجة مشكلات النقد وما وراء الطبيعة ، ولم يكن سعيدا فى حياته الزوجية لاختلاف المزاج بينه وبين زوجته ، وقد تم انفصاله عنها سنة ١٨٠٦ ومنذ هذا التاريخ قضى « كولردج » حياته وحيدا او ضيفا على اصدقائه العاطفين عليه .

وكان « كولردج » يرى أن ما نراه من جمال او جلال فى الغابات والتلال والمياه مصدره افكارنا الخاصة التى نلقى ظلالها عليها ، وان هذه القدرة على التقدير لا تنمو وتقوى الا فى القلوب الصافية النقية ، وهى تكاد تكون غير موجودة فى الذين استبعدتهم الشهوات وتملكتهم الكبرياء ، وهذه القدرة هى الفكرة الالهية التى تغشى نفوسنا ، ومن ثم كان انعكاس تأثير الطبيعة هو تأثير الروح الالهى ، وقد تمكنت هذه الفكرة من نفس «كولردج» حتى اصبحت بمثابة العقيدة الراسخة

اشد الكتب ازعاجا

وفى سنة ١٨٠٨ دفعته الفاقة والديون المتراكمة الى التماس الخروج من أزماته بالقاء محاضرات عامة فى الادب بمدينة لندن ، وتناول فى هذه



المحاضرات شعر « شيكسبير » وغيره من كبار الشعراء الانجليز مثل « سبنسر » و « ميلتون » و « دريدن » و « بوب » ، وقد عرض فى هذه المحاضرات اراءه فى الخيال والعاطفة والتذوق الادبى ، وكان يرتجل هذه المحاضرات ، وفى كتابه «سيرة ادبية» الكثير مما تناوله فى هذه المحاضرات .

وقد كان لادمانه تعاطى المخدر الذى ابتلى به تأثير سيىء فى حياته وانتاجه ، اذ اضعف صحته ، وانهك قواه ، ونال من عزيمته ، وكان لايمكنه من المثابرة على انجاز الكثير من المحاولات الادبية التى كانت تحدثه بها نفسه وتحدوه خواطره على القيام بها

وفى سنة ١٨٠٩ شرع فى اصدار جريدة اسبوعية سماها « الصديق » حاول فيها أن يناقش مبادىء السياسة والعدالة والاخلاق والذوق وما الى ذلك من مشكلات الادب والنقد والفلسفة ، وحاول فى هذه الجريدة تعريف القراء بأدب السويد والنرويج والدانمرك ، والادب الالمانى والادب الايطالى والادب الاسبانى ، وأن يذكر فيها تجاريبه ومشاهداته فى أسفاره ، وتنقلاته ، ولم تعش هذه الجريدة طويلا ، فقد اضطر الى ايقافها فى سنة ١٨١٠ دون أن ينجز سوى جزء يسير من البرنامج الذى وعد به قراء جريدته .

وعاد الى الاشتغال بالصحافة ، ثم الى القاء المحاضرات العامة ، وقد تناول فيها المبادىء العامة للشعر كما تظهر فى شعر « شيكسبير » و « ميلتون » ، واتخاذ هذه المبادىء قواعد للنقد الادبى .

واشتدت عليه بعد ذلك وطأة المرض ، وحالت بينه وبين الاستمرار فى القاء المحاضرات ، ولم يستطع أن يعود الى نشاطه الادبى الا فى



سنة ١٨١٥ ، وطبع قصائده مجموعة في جزءين ، وفي سنة ١٨١٧ ظهر كتابه « سيرة أدبية » — وهو ليس ترجمة ذاتية بالمعنى المألوف تبين احداث حياته وتطور تفكيره — ويقول عنه الناقد « آرثر سيمونز » :

« كتاب « سيرة ادبية » اعظم كتب النقد في الادب الانجليزي ، ومن اشد الكتب ازعاجا للخاطر في اية لغة من اللغات ، فان علينا ان نتابع تفكير « كولردج » خلال احجار واخاديد وبطائح وفي سرعة وتريث وخيبة امل ، وهو يلف ويدور ، ويضل طريقه ويطوف بدوائر واسعة ولا ينتهي الى غاية منظورة ، ولكن عليك أن تتابعه خطوة خطوة ، واذ كنت لا تتوقف عن الانتباه فلن تنقطع عنه المثوبة » .

وهو تقدير صادق ووصف دقيق لهذا الكتاب الحافل بالخواطر والافكار اللامعة العميقة ، ولكن يصعب متابعتها ان لم يحشد الانسان قواه العقلية في تلك المتابعة ، فهو يستطرد من موضوع الى موضوع استطرادا سريعا ولايستوفي معالجة الموضوعات التي يتناولها وانما يبدى فيها افكارا

ويلقى ملاحظات غاية في التعمق والاصابة ، وهو يستمد اراءه من تجاريبه في معالجة الشعر ونظمه ومن اطلاعه الواسع على الآداب الاوروبية قديمها وحديثها ، ويربط الظواهر الادبية بالحقائق السيكلوجية .

اجمل واشهر قصائده

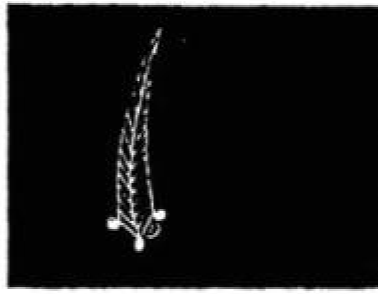
وفي السنوات الاخيرة من حياته ركز جهوده في ميدان الفلسفة والدين، وزار المانيا في سنة ١٨٢٨ مع صديقه القديم « وردزورث » ، والتقى فيها بالكثيرين من كبار الادباء الالمان مثل « شليجل » و « تيبور » ، وتوفي في سنة ١٨٣٤ .

وقد شغل « كولردج » في المرحلة الاولى من حياته بنظم الشعر ، وفيها كتب أشهر قصائده وابقاها على الدهر ، وخلد اسمه بين كبار الشعراء الذين اخرجتهم بريطانيا ، ولمع اسمهم في الادب الانجليزي .

وفي المرحلة الثانية من مراحل حياته عنى بالنقد الادبي ، واستأثر النقد بجهوده الادبية ، وعكف على القاء المحاضرات ، اما في المرحلة الاخيرة من حياته فقد عنى فيها بالبحوث الفلسفية والدينية ، وكان « كولردج » شخصية نادرة ممتازة اجتمع فيها الشاعر المطبوع بالناقد الاصيل والفيلسوف المفكر العميق ، وهكذا قضى « كولردج » حياته متنقلا في بحار عجيبة بعضها كان خاليا من المرافيء والثغور والجزائر ...

احلام المجتمع المثالي

الشاعر الناثر « روبرت سوذي » هو ثالث شعراء البحيرة ، وكان صديقا لـ « كولردج » و « وردزورث »،



وبرغم ما له من مكانة في الادب الانجليزي فان شعره لم يصل الى مستوى شعر صديقيه ، وكان الى جانب شاعريته مؤرخا ، وكتابه عن حياة « نلسون » لايزال من المراجع المأثورة .

ولد « سوذي » سنة ١٧٧٤ في مدينة « بريستول » . وكان والده تاجر اقمشة وقد الحقه أبوه بالمدارس المحلية التى ظل بها حتى سنة ١٧٨٨ ، وارسله بعد ذلك عمه – وكان من رجال الدين – الى مدرسة « وستمنستر » ، وظل بها أربع سنوات نشأت فيها صداقات بينه وبين الكثيرين من اقرانه ، وقد نفعته هذه الصداقات في سائر مراحل حياته ، واشترك وهو طالب بالمدرسة في تحرير مجلة مدرسية حمل فيها على العقوبات الجسدية القاسية الهادمة للاخلاق ، وكان جزاؤه على ذلك الطرد من المدرسة في سنة ١٧٩٢ ، فذهب الى جامعة اكسفورد والتحق بكلية « باليول » ، ولم يستفد كثيرا من دراسته بها .

وفي سنة ١٧٩٤ عرف « كولردج » في اكسفورد ، وبنات بينهما صداقة قوية الاواصر ، وكان « سوذي » حينذاك يفكر في مستقبله ، وخطرت له فكرة الارتحال والهجرة لتكوين المجتمع المثالي الخالي من نظام الطبقات ، وشاركه « كولردج » في هذا التفكير المثالي ، ولكنهما سرعان ما استيقظا من هذا الحلم الرائع .

حافلة بالمواقف المؤثرة

وفي سنة ١٧٩٥ ظهرت أول مجموعة من شعر « سوذي » ، وتلتها بعد ذلك في سنة ١٧٩٦ منظومة « جان دارك » ، وقد بعثه على نظمها تحمسه للثورة الفرنسية ، وأراد عمه بعد ذلك أن يلحقه بالكنيسة وأن ينتظم في سلك رجال الدين ، ولكنه رفض هذا الاقتراح ، وفكر في ممارسة الجراحة ، ولكن فظائع حجرات التشريح لم يكن في مقدوره احتمالها ، واشير عليه بدراسة القانون ، وعرض عليه عمه أن يذهب الى أوروبا ويقضي ستة أشهر في دراسة الادب واللغة والتاريخ الاوروبي ثم يعود الى انجلترا ليدرس القانون .

وحرص « سوذي » على الا تفلت منه هذه الفرصة ، فذهب الى لشبونة في مصاحبة عمه ، وبعد عودته بدأ دراسة القانون ، ولم تكن هذه الدراسة مناسبة لطبيعته ، ولكنه وجد أن الواجب يقتضيه أن يرغم نفسه على قبول هذه الدراسة ، وفي سنة ١٨٠٠ زار « سوذي » اسبانيا والبرتغال ، وقضى في تلك الرحلة عشرة أشهر اتم فيها قصيدته المشهورة « ثعلبة المخرب » ، وهي قصة شرقية تروي مغامرات بطل عربي يحارب قوى الشر .

وفي سنة ١٨٠٣ صمم « سوذي » على أن يتفرغ للادب ، وفي سنة ١٨٠٥ قدم للطبع ملحمته الشعرية « مادوك » ، وهي تصف كشفا خياليا

للمكسيك وغزوها قام به أمير من « ويلز » في القرن الثاني عشر ، وقد اعجب بهذه الملحمة السير « ولتر سكوت » والكاتب « لاندور » ، ولكنها لم تلق التقدير المرجو من جمهرة القراء والمتأدبين .

وفي سنة ١٨١٠ قدم للطبع « لعنة كيهاما » ، وهي قائمة على أسطورة هندية ، وقد ظفرت بالاعجاب والتقدير ، وبعض مشاهدها تمتاز ببراعة الوصف وروعة الاداء .

وفي سنة ١٨١٣ اختير « سوذي » شاعرا للملك ، وفي السنة التالية قدم للطبع منظومته « رودريك القوطي » ، وهي آخر منظوماته وأقواها ، وهي حافلة بالمواقف المؤثرة ، وقد وصف فيها فرار « رودريك » من ساحة المعركة التي اشترك فيها في صفوف العرب الكونت « جوليان » انتقاما لابنته « فلورندا » ، وتقلب « رودريك » في المنفى ولقاءه بعد ذلك للكونت « جوليان » .

وفي خلال سنة ١٨١٣ حينما كان « سوذي » في لندن قدم للورد « بيرون » ، وقد اعجب « بيرون » بمظهره وسلوكه واحاديثه ، وقال عنه « ان مواهبه من الطراز الاول ، وان نثره اوفى على الغاية » واثنى كذلك على شعره .

طبيعة قوية سمحة

واصيب « سوذي » في السنوات الاخيرة من حياته بفقدان الذاكرة حتى صار لا يعرف اقرب أصدقائه اليه وأعزهم عليه ، وتوفي سنة ١٨٤٣ .

وقد عرف « سوذي » في حياته بسمو الاخلاق والاستقامة وسماحة النفس والهمة الناشطة التي لا تفتر ، والعزيمة الماضية التي لا تقف في طريقها العقبات ، وقد جعلته هذه الصفات يبدو عملاقا بين اهل جيله ومعاصريه ، قال عنه صديقه السير « هنري تيلور » :

« كان في جيله شعراء أعظمُ منه ، ورجال لهم مواهب فلسفية بعيدة المدى ، ولكن اذا نظرنا اليه في جملته بقواه المتحمسة البهيجة ، وقوته الاخلاقية وعظمة مواهبه وتنوعها والمكانة التي شغلها في عالم الادب وجمال حياته ــ فانه يمكن ان يقال عنه بحق دون مبالغة انه كان بين معاصريه اعظم الرجال » .

ومن مؤلفاته التاريخية كتابه عن حياة « نلسون » ، وكتابه عن حياة « جون ويسلي » وكتابه عن « تاريخ حرب شبه الجزيرة » و « تاريخ البرازيل » و « حياة كرومويل » و « حياة بنيان » وقد كتب عن « توماس مور » و « كوبر » و « شاترتون » وغيرهم ، ويقول الناقد الاستاذ « دودن » عن شعره :

« اذا حكمنا عليه بأسمى المقاييس نجد انه يشغل مكانا وسطا ، فهو لا يقدم للفن مجموعة عظيمة من الافكار والميول ، ولا يعطي اللحظات الغنائية تعبيرات خالية من الاخطاء ، ولكنه نتاج عقل كبير ناشط وثاب تشد ازره معرفة ضخمة ، وانفاس الحياة فيه صادرة من طبيعة قوية سمحة ، ولذا لايمكن ان تفقد قيمتها » .

وبرغم انه كان بعيد الطموح في شعره الا انه كان يتوقع ان العالم سيذكره بوصفه مؤرخا لا بوصفه شاعرا .

البحيرة

أجمل قصائد لامارتين



بين ثلاثة شعراء وناشر

نظم « لامرتين » هذه القصيدة الخالدة فى بحيرة « بورجيه » عام ١٨١٧ وكان ينتظر قدوم « جوليا » اليها ، وجوليا يومئذ تكابد غصص الموت على سرير المرض فلم تلب نداءه ولم تستطع لقاءه . .

١

ترجمة : إبراهيم ناجى

من شاطىء لشواطىء جدد ... يرمي بنا ليل من الأبد
ماض منه مضى فلم يعد ... هيهات مرنى يومه لغد !

**

سنة مضت ! وختامها حانا ... والدهر فرق شملنا أبدا
ناج البحيرة وحدك الآنا ... واجلس بهذا الصخر منفردا !

قل للبحيرة تذكرين وقـــد ـــ سكن المـــاء ونحن باللج
لا صوت يسمع في الدنى لاحد ـــ الا صـــدى المجداف والموج

**

فاذا بصوت غير معتـــاد ـــ هز السكون هتافه العـــذب
اصغى العبـــاب ورجع الوادي ـــ اصـــداءه وتناجت السحب

**

يادهر في رفـــق ولا تدر ـــ ساعاته ، في هينـــة وقفي
حتى تتـــاح هناءة العمر ـــ وتطـــول للذتهـــا لمقتطـف

**

هلا التفت لذلك الكـــون ـــ وعلمت كم في النـاس من باكي
يدعوك خلفني والاسى المضـــنى ـــ خل المتع وامض بالشـــاكي

**

هـــذا النعيم وهاته المحن ـــ يتنافســـان الدهر اقلاعا
فبـــاى عدل أيهـــا الزمن ـــ تتشـــابه الحالان اسراعا

**

يا ايها الابد السحيق اجب ـــ وتكلـــمى ياهـــوة الماضي
ما تصنعان باشـــهر وحقب ـــ ونعيم عمر غيـــر معتـــاض

**

ناج البحيرة والصـــخور وعد ـــ فاستحلف الاغـــوار والغابا
قل ! صن ذكر غرامنا فلقـــد ـــ صـــين الشباب عليك احقـــابا

**

وليـــبق ياهـذى البحيرة في ـــ حاليـــك ثائرة وهادئة
في باســـق للماء منعطف ـــ في رائعـــات الصخر ناتئـــة

**

في عابر النســـمات مرتجفـــا ـــ في النجم فضـــض صفحة الماء
في الريح ان انينه وهفـــــا ـــ في الغصن نفس حر احشـــاء

**

في الجـــو معتبقـــا برياه ـــ خطرت ملاعبة رقيق صـــبا
في كل هـــذا هاتف باكي ـــ سيقول يا اسفا لقد ذهبـــا !



٢

ترجمة: نقولا فياض

اهكذا ابدا تمضى امانينا
نطوى الحياة وليل الموت يطوينا
تجرى بنا سفن الاعمار ماخرة
بحر الوجود ، ولا نلقى مراسينا ؟
بحيرة الحب ! حياك الحياء فلكم
كانت مياهك بالنجوى تحيينا
قد كنت ارجو ختام العام يجمعنا
واليوم للدهر لا يرجى تلاقينا
فجئت اجلس وحدى حيثما اخلت
عنى الحبيبة آى الحب تلقينا
هذا انينك ما بدلت نغمته
وطال ما حملت فيه أغانينا
وفوق شاطئك الامواج ما برحت
تلاطم الصخر حينا والهوا حينا
وتحت اقدامها يا طال ما طرحت
من رغوة الماء كف الريح تامينا . .

**

هل تذكرين مساء فوق مائك اذ
يجرى ، ونحن سكوت فى تصابينا
والبر والبحر والأفلاك مصغية
معنا فلا شىء يلهيها ويلهينا

الا المجاذيف بالامواج ضـــاربة   يخال ايقاعها العشاق تلحينا ..
اذا برنة انغام سحرت بهـــــا   فخلت ان الملا الاعلى يناجينـــا !
والموج اصغى لمن اهوى، وقد تركت   بهذه الكلمات الموج مفتـــونا :
يادهر قف ، فحرام ان تطير بنا   من قبل ان نتملى من امانينـــا
ويازمان الصبا دعنا عـلى مهـل   نلتذ بالحب فى احلى ليالينـــا
اجب دعاء بنى البؤسى بارضك ذى   وطربهم فهمو فى العيش يشقونا
خذ الشقى ، وخذ معه تعاسته   وخلنا ، فهناء الحب يكفينـــا

هيهات هيهات ان الدهر يسمع لى   فالوقت يفلت ، والساعات تفنينا
اقول لليل: قف ! والفجر يطرده   ممزقا منه سترا بات يخفينا ..
فلنغنم الحب مادام الزمان بنا   يجرى ، ولا وقفة فيه تغرينـــا
مادام فى البؤس والنعمى تصرفه   الى الزوال ، فيبلى وهو يبلينـــا
تالله يا ظلمـــة الماضى وياعدما   فى ليله الابدى الدهر يرمينـــا
ماتزال لجك للايام مبتلعـــا   فما الذى انت بالايام تجرينـــا
ناشدتك الله قولى وارحمى ولهى   اترجعين لنا احلام ما ضـــينا ؟

فيابحيرة ايام الصـــبا ابـــدا   تبقين بالدهر والايام تزرينـــا
تذكار عهد التصابى فاحفظيه لنا   ففيك عهد التصـــابى بات مدفونا
على مياهك فى صـــفو وفى كدر   فليبق ذا الذكر تحييه فتحيينـــا
وفى صخورك جرداء معلقـــة   عليك والدوح مسود الافانينـــا
وفى ضفافك والاصوات راجعـة   منها اليها كترجيع الشـــجينا
وليبق فى القمر السارى ، مبيضة   انواره سطحك الزاهى بها حينا
وكلما صافحتك الريح فى سحر   او حركت قصبات عطفها لينـــا
اوفاح فى الروض عطر فليكن لكذا   صوتا يردد عنا ما جرى فينـــا
أحبها ، واحبته ... وما سـلما   من الردى ، رحم الله المحبينـــا !



٣

ترجمة : على محمود طه

ليت شعرى اهكذا نحن نمضى   فى عباب الى شواطئ، غمض
ونخوض الزمان فى جنح ليل   ابدى يضنى النفوس وينضى
وضفاف الحياة ترمقها العين   فبعض يمر فى اثر بعض
دون ان نملك الرجوع الى ما   فات منها ولا الرسو بارض

***

حدثى القلب يا بحيرة مالى   لا ارى (اولفير) فوق ضفافك
اوشك العام ان يمر وهذا   موعد للقاء فى مصطافك
صخرة العهد وبك هانذا عدت   فماذا لديك عن اضيافك ؟
عدت وحدى أرعى الضفاف بعين   سفكت دمعها الليالى السوافك

كنت بالأمس تهدرين كمـــا انت   هديرا يهز قلب الســـــكون
وجفـــاف امواجهـــا يتداعين   عل هـــذه الصـــخور الجون
والنسيم العليل يحمل وهنـــــا   زبد المـــوج للربى والحـــزون
ملقيا رغوها على قدميهـــــــا   لين المس ، مســـتحب الانين

***

اترى تذكرين ليلة كنـــــــا   منك فوق الامواج بين الضفاف
وسرى زورق بنا يتهـــــادى   تحت جنح الدجى وستر العفاف
في سكون فليس نسمع فوق   الموج الا اغانى المجداف
تتـــلاقى على الربى والحوانى   باناشـــيد موجك العـــزاف

***

وعلى حين غـرة رن صـــــوت   لم يعـــود ســـماعه انسى
هبط الشـــاطى، الطروب فما يســـمع فيه للهاتفـــات دوى
واذا الليـــل ساهم سكن النو   ء اليــــــه وانصـــت اللجى
يتلقى عن نباة الصوت نجـوى   كلمــــــات القى بهن نجى

***

يازمانا يمر كالطـــير مهـــلا   طائر انت ؟ ويك ! قـف طيرانك
اهناء الساعات تجرى وتعـــدو   نا عطاشـــا فقف بنـا جريانك
ويك دعنا نمرح بأجمـــل ايام ونلقى من بعد خـــوف امانك
واذا نحن لـــذة العيش ذقنـــاها   ومرت بنا فـــدر دورانك
بيـــد ان الشقاء قـد غمر الار   ض وفاض الوجود بالتاعسينا
كلهم ضارع اليك يرجيك فاسرع   ! اسرع الى الضارعينا
وافترس مشقيات ايامهم وامض رحى تطحن الشـــقاء طحـــونا
رحمة : فاذكر النفـوس الحزانى   وانس يادهر انفس الناعمينـــا !

***

عبثا انشد البقـــاء لعهـــد   يفلت اليـــوم من يدى ويفر
وســـويعات غبطـــة ما اراها   ووشـــيكا ما تنقضى وتمر
واناديى ياليلة الوصـــل قرى   ان بعـــد السرى يطيب المقر
اسفا للصـــبا وغر ليـــال   ليس يبقى على صـباهن فجر

***

فلنحب الغـــداة ولنحى حبا   ولنكن فى الحياة بعضـــا لبعض
ولنسارع فنقتفي اثر ســـاعا   ت فقد تؤذن النـــوى بالتقضى
اننا فى الحيـــاة فى عرض بحر   ليس تلقى المرســـاة فيه بارض
مابه مرفا يبـــين . . . ولكـن   نحن نمضى فى لجه وهو يمضى..

اكذا انت ايها الزمن الحـــا قد تغتال نشوة اللحظـــات ؟
حيث يزجي لنا السعادة امواجاً من الحب زاخـر اللجـــات ؟
اكذا انت ذاهب بليـال الصـفوعنــا سريعــة الخطــوات
اكذا تنقضي صلاوة نعمــا ها كما ينقضي شقاء الحيـاة ؟

***

كيف حدث : اغالها منـك صرف في ابيـد الزمان حيث طواها ؟
ويك قل لي : اليس نملك يوما ان نراها ؟ اما تبين خطــاها ؟
اتراها ولت جميعـــا ، ولما تبــق حتى آثارها ، اتراها
او ذاك الدهر الذى الفتن في صبو غ صباها هو الذى قد محاها ؟

***

اى ابيد الزمان والعدم العـا تى غريقين في سكون وصمت
اى عميـق اللجـات ماذا بابا م صبانا ماذا بهن صـنعت ؟
حـدثيني اما تعيـدين ما من سكرات الغرام منـا اختطفت ؟
او ما تطلقينها من دياجيــك اما تبعثينها بعــد مـوت ؟

**

انت يا هـــذه البحيرة ماذا يكتم الموج فيك والشــطآن
ايها الغابـة الظليلـة ردى انت يامن ابقى عليهـا الزمان
وهو يستطيع ان يجنك حسـنا احفظي ، لااصـابك النسيان
قل حفظا ان تذكرى ليلة مرت وانت الطبيعـة الحسـان

***

ليكن منك يا بحـيرة مالج بك الصمت او جنـون اصطخابك
في مغانيك حاليـات ترائى ضاحكات على سفوح هضـابك
في مروج الصنوبر الحو تهفـو سابغات الالياف حول شـعابك
في نتوء الصخور مشرفة الاعنـا ق بيضا تطل فوق عبـابك

***

وليكن في العباب يهـدر امواجا على شاطئيك مثـل الرعود
في انتحـاب الرياح تعـول في الوديان اعـوال قلبى المفئود
في صدى الجدول الموقـع انا ت حشاه بالجنـدل الجلمــود
في شذاك السرى ينشق منـه القلب ريا فردوسـه المفقـود

***

وليكن في النسـيم ماهب سـاريه يجوب الشـطآن نحوك جوبا
في جبـين النجم اللجيني يلقي فضة الضـوء في مياهك ذوبا
وليكن في شتيت ما تسمع الاذن وفيمـا نراه عينـا وقلبـا
ليكن هاتف من الصوت يتلو : قد احبــا ، واخلصا ما احبا

٤

ترجمة : أحمد حسن الزيات



أهكذا قضى الله أن نمخر في عباب الحياة مدفوعين في ظلام الأبد من شاطىء الى شاطىء ، دون أن نملك الرجـوع الى ملجأ ، أو الرسو ذات يوم على مرفأ ؟

**

انظري أيتها البحيرة ا٠٠ هاهو ذا العام قد كاد يشرف تمامه ، وأنا وحدي بجانب أمواجك الحبيبة أرتقب عبثـاً عودة « جوليا » اليهـا ، جالساً فوق الصخرة التي كنتخترينها جالسة عليها!

كذلك بالأمس كنت تهدرين فوق هذه الصخور المعلقـة وتتكسر أمواجك على جوانبها المزلقة ، ويقذف هواؤك الزبد على قدميها المعبودتين ٠

**

أتذكرين ليلة كنـا فوق صفحتك بين الماء والسماء نجدف في سكون وصمت، وقد ضرب الله على آذان الطبيعة وختم على أفواه الخليقة ، فلا نحس حركة ولا نسمع ركزاً (١) غير ايقاع المجاديف على أنغام الموج ؟

---

(١) الركز : الصوت القوي ٠

واذا بصوت لا عهد للآذان بمثله ينبعث من شفتك الجميلة . فشق حجاب السكون واطلق لسان الصدى . وهناك انصت الموج ، واصغى الهواء ، واخذ هذا الصوت الحبيب الى تساقط هذه الكلمات .

✿✿

أيتها الأرض قفى دورانك !.. وأنت أيتها الساعات قفى جريانك !.. ودعينا نتمتع بعاجل لذاتنا ، ونتنعم بأجمل أيام

✿✿

• ان كثيرا من صرعى الحياة وفرائس البؤس يتضرعون اليك أن تسترعى بهم ، لتخففى من كربهم ، فاستجيبى اليهم ، وكرى مسرعة عليهم ، وخذى من عمرهم الذاهب الم عذابهم الواصب ، واتركى السعداء والناعمين غارين فى غفلات العيش وظلال الأمن !..

✿✿

• على أننى واويلتاه كلما لججت فى الطلب ، لج الزمان فى الهرب . فاذا اتمنى عليه المنى فلاتحقق ، واستزيده البرهة اليسيرة فلا أرفق ، فسالت هذه الليلة أن تكون أطول وأمهل ، ولكن السؤال خاب وبازى الصبح قد افترس غراب الليل !..

• فلنتساق اذن كئوس الهوى دهاقا ، ولنقض مآربنا عجالا ، فليس لسفينة الانسان مرفأ ، ولا لخضم الزمان ساحل : ان الزمان ليتدفق ، وانا مع تياره نمر ونمضى !

✿✿

• أيها الزمن الحاقد الحاسد !.. أكذلك قضيت أن تمضى لحظات الانس وسكرات الحب سراعا كما تمضى أيام الشقاء والبؤس ؟

• ويلك .. أما نستطيع على الاقل أن نتبين آثارها ونلمح أنوارها ؟.. وكيف ؟.. أتراها قد ذهبت الى غير رجعة ، وماتت الى غير بعث ؟.. واويلتاه !.. هل انقضى كل شىء ؟.. وهل الزمن الذى منحها واعطاها ، والذى طمسها وعفاها لا يردها ثانية علينا ؟

✿✿

• حدثنى أيها الابد !.. أيها العدم !.. أيها الماضى !.. أيها الغور العميق !.. ماذا تصنع بهذه الايام التى تغيبها فى احشائك ، وتطويها فى أثنائك ؟.. أما ترجع الينا ما سلبتنا من سكرات نبيلة ومسرات جميلة ؟..

✿✿

• أيتها البحيرة الصاخبة .. أيتها الصخور الصامتة ! أيتها الاشجار الوحشة ! أيتها الغابات المظلمة .. أنتن اللاتى يبقى عليهن الدهر ، فيجددهن بعد البلى ، ويخصبهن بعد المحل .. فاحتفظن من هذه الليلة السعيدة على الاقل بذكراها ، وانطوين على شذا أرجها وطيب رياها !

✿✿

لتبق ذكراها أيتها البحيرة فى هدوئك الشامل ، وعواصفك الهوج ، وهضابك الضحوك ! لتبق فى هذا الصنوبر الذاهب فى السماء ، وفى وعر الصخور المعلقة فوق الماء !.. لتبق فى النسيم العابث بوجهك ، وفى الهدير المردد بين ضفافك ، وفى الكوكب الفضى يضىء سطحك بأنواره الرخية الزهية !..

وليقل الهواء الذى يصفر ، والقصب الذى يزفر ، والنسيم المعطر الذى يضوع !.. ليقل كل ما نرى وما نسمع وما نتنسم : « لقد كانا عاشقين » ! ..

د. يوسف
عز الدين



أيها البحر

رعشات الحنين نحو الوصال ... عصفت بالمشوق عصف الليالي
فتغنت ذكرى الغرام اضطراما ... وحنينا ولوعة للوصال
جئت يا بحر اشتكى من نواها ... فاصغ يا بحر ان شكوتك حالي
كم لهونا فوق الرمال سرورا ... وبنينا القصور كالاطفال
ما خشينا الوشاة نموا علينا ... او حفلنا بنقمة العذال
ونهبنا لذاذة العيش صفوا ... وانطلقنا نهيم بالآمال
بين امواجك الحبيبة همنا ... وسبحنا فى مائك السلسال
وعلى الرمل كم نظمنا نشيدا ... ساحر اللحن عبقرى الخيال
و شكونا لك اضطراب معنى ... طالما عاش ناعما بالجمال
وشربنا من الليالى كئوسا ... طافحات بالمدمع الهطال
هات يا بحر ذكريات هواها ... فهواها يفوح بين الرمال
خفقات المهجور نحو حماها ... آهة الحب فى فم الاجيال

● بغداد ●
● د. يوسف عز الدين ●



لن أتناول شعراء الاسكندرية جميعا فى هذا المقال ، فهو أضيق من أن يتسع لهم وانما ساكتفى بتناول حياة ستة منهم ، مع انتاجهم خلال النصف الاول من هذا القرن ....

ولقد آثرت أن أبدأ بالشاعر « خليل شيبوب » باعتباره يمثل طائفة كبيرة ، كان لها اثرها فى الاسكندرية وأدبها ، تلك هى طائفة اشقائنا من ابناء « الشام » ، الاسم الذى كان يطلق فى بداية ذلك الوقت على ابناء سوريا ولبنان وفلسطين والاردن جميعا ، وقد كان اسهامهم فى الانشطة الصحافية والادبية والتجارية والصناعية واضحا مما كان له اثره فى التكوين الاجتماعى للمدينة ..

البحر عند شعراء الاسكندرية

خليل شيبوب

ولد « خليل شيبوب » في « اللاذقية » ذلك الميناء السورى الجميل ، في اليوم الثامن والعشرين من يناير سنة ١٨٩٢، وتلقى دراساته هناك في احدى مدارس « الفرير » ، ولما حصل على شهادة التجارة ، وفد الى الاسكندرية سنة ١٩٠٨ تصحبه آماله في مستقبل بهيج .

وفي « الاسكندرية » ، تجلى ادب « خليل شيبوب » العربى ، المتأثر بالرومانسية الفرنسية ، كما تجلى انتهاجه لمنهج الشاعر الكبير « خليل مطران » ، ومن ابرز محاولاته في هذا الصدد ، نظمه لقصة « سليم وسلمى » وكان نظم القصص الشعرية ، غرضا لعدد من الشعراء الشوام وقتئذ ، وتابعهم فيه بعض المصريين .

ثم بدا اثر الطبيعة السكندرية يتضح في شعر « شيبوب » وبخاصة بحرها الكبير ، وكان يحلو له ان يقارن ، بين ما تطويه جوانحه ، وبين ما يضمه ذلك البحر بقوله :

صدرى ، وهذا البحر ، غورهما
ابدا يضلل كل من سبرا

ولنصحبه في جلسة على الشاطىء ، حيث نشهد معه مجموعة من الصور المتتابعة التى يقدمها البحر ، والتى سجلها « شيبوب » في قصيدة طويلة ، نختار منها هذه الصورة لغضبة البحر :

ترى نفسها فيك السماء ، فتجلى
مباسمها ، والنور غزل ملاعبه
وأنت ترى فيها جمالك زاهرا
فمن منكما ، رب الجمال وصاحبه ؟
ولكن ، اذا ما ثار قلبك حاقدا
عليها ، وهذا الماء جاشت غواربه
زخرت ، كأن الضاريات ، زئيرها
علا ، وصداها من بعيد يجاوبه
وهجت وهاج الكون حولك ناقما
يقاصيك الدنيا وانت تقاصيه
وأبرق هذا الجو يرسل سخطه
غيوما ، كما أربدت بليل غياهبه
أثار عليك الراعدات ، فأطبقت
واطبقت ، كل ثائرات كتائبه
نهضت بموج ، كلما كر ، كرة
علا ، وترامى سيله وضرائبه
ونازلته مستهزئا بسيوله
تطاوله مستبسلا ، وتواثبه
فاتعبته ، حتى اسقرد جيوشه
وعاد وبانيه من الذل غائبه
وارسل هذى الشمس ، تطلب هدنة
اليك ، ورب الحسن تقضى مطالبه
فعدت الى ما انت ، وجهك ضاحك
ونورك رقراق ، وماؤك شاربه

مرآة الحياة الدنيا

ولنصحبه فيجلسة أخرى ، حيثجلس يتابع موكب الغيد بنظراته ، ومن ثم يتوجه بالحديث الى البحر فيقول :

هذى عرائسك الجميلة انها
مشمولة بالحسن والاحسان
المائسات بطيئة ، مياسة
اعطافهن ، نواعم الأبدان
والجالسات على الصخور زواهرا
مثل الرياض ، قطوفهن دوان

البحر عند شُعراء الاسكندرية

والسابحات ، رشـــيقة حركاتهن
... ببيعة التصريف والاتقان

والناس يمشون الهوينى مثلمــــا
بتريث المتفـــرج المتــــوانى
والبشر ترسمه الحيـــاة سعادة
فى اوجه الفتيات والفتيـــــان

غير انه لايلبث أن تتغلب عليهطبيعته الحزينة ، فيختتم قصيدته الطويلة هذه بابيات ماساوية يقارن فى آخـرها بين الحياة والبحر فيقول :

يا بحر زد والنقص فاتك مثلهـا
فــان ، ومثلك كل شىء فـــان

وهو يرى فى البحر ، مرآة للحيـاة الدنيا ، ويعجل رأيه فى المقارنة التالية حيث يقول :

ارى البحر ، مرآة هذى الحيـــاة
فهو يحاكى مداهـــا اتســـاعا
وابعــــاده مثــــل ابعـــادها
يضــيق على الفهم ان تستطاعا
وتغتال سفر الوجود خـــداعا
ويغتال سفر الســـفين خداعا
فلا هى هابت عليها حصـــونا
ولا هو هاب عليهـــــا شراعا
واياامنـــــا مثــل امواجـــه
تجىء سراعا ، وتمضى سراعا !

مقدمة « الفجر الاول »

فى سنة ١٩٢١ اخرج « خليــــــل شيبوب » الجـــزء الاول من ديوانه ، بعنوان « الفجر الاول » ويضم حوالى ٩٠ قصيدة ، جمعها من بين ما نظمه خلال المدة من سنة ١٩١٢ حتى ســـنة

١٩٢٠ وتحتوى بدايته ، على تمهيد بقلم الشاعر ، ثم مقـــدمة « نثرية » بقلم الشاعر « خليل مطران » يؤكد فيهـــا شاعرية « شيبوب » وانه يرى فى ديوانه فتحا جديدا » او وثبة على طريق الشعر العربى ، بينما كتب أمير الشعراء احمد شوقى المقدمة الثانية وكانت « شعرا » وقد جاء فيها قوله :

شــــيبوب ديوانك باكورة
و « فجرك الاول » نور السبيل

الشعر صنفان ، فباق على
قائله ، او ذاهب يوم قيـل

ما فيـه عصرى ولا دارس
الدهر عمر للقريض الاصيل

عمل « خليل شيبوب » بأحـــد بنوك الاسكندرية منذ أن قدم اليهـــا ، ونال اجازة الحقوق الفرنسية بالانتساب سنة ١٩٢٦ وظل يحرر صفحة الثلاثاء الادبية بجريدة البصير السكندرية الى نهاية حياته ، ونشر شعره بالمجلات الادبيـة المختلفة وخاصة الرسالة ، وجمع مـن شعره ديوانا ثانيا سماه « أحـــلام النهار » لم يطبع بعـــد ، والف قصة طويلة عنوانهـــا « ندى » واشترك مع « عثمان حلمى » فى ترجمـــة ديوان



« قبس من الشرق » كما نشر كتابا عن « الجبرتي » في مجموعة « اقرأ » وأصدر المعجم القضائي (فرنسي وعربي) في ثمانمائة صفحة ، وأسهم في تأسيس جماعة نشر الثقافة ، والاتحاد العربي بالاسكندرية .

وانتقلت روح الشاعر الى بارئها بالاسكندرية في اليوم الثالث من فبراير سنة ١٩٥١ .

احمد زكي ابو شادي

اما شاعرنا الثاني الدكتور « أحمد زكي أبو شادي » ، فهو قاهري المولد ، اذ أنه ولد بالقاهرة سنة ١٨٩٢ ، وكان أبوه « محمد أبو شادي » المحامي ، من كبار رجال عصره ، المعروفين بوطنيتهم وأصالتهم ، كذلك كان معروفا بحبه للأدب واشتغاله به ، وفي ظل من رعايته ، نشأ ولده « أحمد زكي » فتى متعدد المواهب الادبية والعلمية ، وان يكن الشعر أظهرها جميعا .

أحب الفتى في بداية شبابه ، وكتب عن هذا الحب ديوانه الاول « زينب » ولكنه اخفق في حبه ، وكان قد اتم العشرين من سني حياته ، فأرسله ابوه الى « انجلترا » ليدرس الطب من جهة ، ولعله يجد السلوان في بعده عن مواطن شجونه ، من جهة أخرى ، ولكنه اخذ يبعث بوجدانياته من هناك الى مجلات « الهلال » و « المقتطف » و « انيس الجليس » وغيرها ، ثم جمع من هذا الشعر ديوانا ثانيا سماه « الحان الغريب » وكان الى جانب حبه هذا يحب وطنه كأعمق ما يكون الحب ، فألف في « انجلترا » جمعية سماها « جمعية آداب اللغة العربية » تولى هو امانتها ، بينما تولى رئاستها الدكتور « مرجليوث » المستشرق الانجليزي المعروف .

وفي سنة ١٩٢٢ عاد أو أعيد الى « مصر » نظرا لنشاطه الوطني ، لكنه عاد ليبدأ نضاله الادبي ، في معركة طويلة الامد ، قاسية الاسلوب ، انقسم جمهور الادباء فيها الى قسمين ، له وعليه ، اذ كان « ابو شادي » يؤمن ان وظيفة الشعر هي التعبير عن وجدان قائله ، وبأن الحفاظ على الفن يجب أن يفضل الحفاظ على اللغة ، بينما يأخذ عليه خصومه ، ارتماءه في احضان الاسلوب الغربي في صوره الشعرية ، وفي بعض التراكيب اللغوية ، ومجافاة الذوق العربي الموروث والمألوف .

وبدأ « ابو شادي » في اصدار دواوينه تباعا ، يتقدم كل ديوان منها مجموعة من المقدمات بقلمه وبأقلام انصاره ، وينتهي كذلك بطائفة من التعليقات التي تكفي لان تكون كتابا

مستقلا ، ومن أوائل هذه الدواوين « الشفق الباكى » ١٩٢٦ ، الذى يقع مع ملاحقه ، فى أكثر من ١٢٠٠ صفحة ، ثم « أشعة وظلال » ، ١٩٢٨ ، و « مختارات وحى العام » ١٩٢٨ ، و « الشعلة » ١٩٣٣ ، و « فوق العباب » ١٩٣٥ ، واطياف الربيع ١٩٣٨ ، كما اخرج مجموعة من المسرحيات الشعرية ، نذكر منها « اخناتون » و « الآلهة » و « ازدشير وحياةالنفوس » و «احسان» و « الزباء ملكة تدمر » و « عبده بك » وعدد من القصائد الطويلة المطبوعة فى طبعات مستقلة .

جماعة مجلة « ابوللو »

والى جانب مجلتيه اللتين أصدرهما عن النحالة والدجاج ، أصدر سنة ١٩٣٢ مجلة أخرى خاصة بالشعر والبحوث المتعلقة به ، تلك هى مجلة « أبوللو » أول مجلة للشعر العربى فى هذا الوطن — وسرعان ما أخذت هذه المجلة مكانتها فى البلاد العربية ، ومن ثم ابرزت عددا من الشعراء المعروفين الى الآن ، ولقد يحلو لبعض الناس أن يسمى مجموعة شعرائها بأنهم من التابعين لمدرسة « أبوللو » لكنه يمكن أن نقول أن هذه التسمية غير دقيقة ، فان المجلة أفسحت صدرها لكل الشعراء برغم تفاوت اتجاهاتهم وتباينها ، فقد كان بعضهم مغرقا فى التشبث بالاسلوب القديم ، كما كان بعضهم يحاول كتابة الشعر الحر .

وفد « أبو شادى » الى الاسكندرية ، منقولا اليها من القاهرة فى منتصف الثلاثينات ، وذلك بفضل نفوذ خصومه الذين ظنوا ، أن فى نقلته هذه ما يبعده عن مجال نشاطه فى العاصمة الام ، ولكنه كان كما قال « جمال الدين الافغانى » « لا يعدم الليث فريسته أينما ذهب » فعندما تسلم عمله كطبيب بكتريولجى فى المستشفى الاميرى بالمدينة ، ما لبث أن تحول الى طاقة أدبية تبث اشعاعاتها فى كل اتجاه ، وكان أن التف حوله أكثر الادباء الشبان ، من الذين رحبوا بمقدمه واتخذوه لهم قدوة واماما ، وكان أن أسهم فى تشجيعهم ماديا وأدبيا ، كما أسهم فى انشاء مطبعة « التعاون » التى أخذت تطبع مؤلفاتهم الى جانب مؤلفاته، وكذلك أسهم فى اصدار مجلة « الامام » .

اثر البحر فى شعره

اثر البحر فى شعر « أبى شادى » أوسع من أن نحيط به ، فى مقال غير متخصص له وحده ، ولذلك نكتفى بعرض بعض النماذج التى تشير الى هذا الاثر ، ولا تستقصيه أو تتعمقه ، فنقول ان القاهريين اكثر انبهارا بالبحر من سكان السواحل ، ذلك لأن عنصر المعاشرة ، يخفف عادة من حدة الاثر .

وكان « ابو شادى » قاهريا وفد الى المدينة ذات الشاطىء الرائع الجمال ،



فأخذت بلبه ، واستولت على مشاعره استيلاء ظـل ينمو وينمو حتى غادر الاسكندرية فيما بعد ، ولنستمع اليه وهو على صخرة ، ببير مسعود ، بسيدى بشر حيث يخاطب البحر بقوله :

هيمان مثلك يا صـديق الشاعر
انظر تلهف ناظرى وخاطـــرى

انا من علمت محبـة وتفانيـا
فى كل معنى من نشيدك ســاحر

اصغى اليه ولا امل كانمـــا
اصغى الى لحن الخلود العـامر
لغة الجمال طـــلاقة بل ثورة

والفن يعبد فى الجمال الثـــائر

او ، لا ، فقيم تامــلى وتفهمى
نجواك ، وهى عميقــة بسرائرى

وعـــلام اصحب كل موج واثب

واعد ذرات الندى المتنـــاثر
وعلام اشغف بالصخور روانيــا

وكانها قامت ، عروش قيـــاصر

وهو يقدس الجمال فى كل ألوانه ، ويتسامى فى نظرته الى الجمال العارى الذى اتخذ من الشاطىء مسرحا لاظهار فتنته :

هذى الجسوم العاريات هيـاكل
للحب بين النـــار والانوار



انا ما التمت بنظـــرتى وتصوفى
فى هـــــذه الالوان والآثار

فيم الطبيعة ان جحدت بناتهــــا
فيم الحياة استسلمت لاســـار

شاعر الوطنية والنضال

و ، ابو شادى ، وقد ارتقى بعلمه الى أعلى الوظائف الطبية بالمدينـة لم يسكن الى الوظيفة ، ولم تهدأ عاطفتـه الوطنية ، فظل ينظم شعرا يغضب حكام عصره ، فهو لا يغفر لحزب الوفـــد ـ برغم انه كان وفديا ـ أنه ضم الى صفوفه عددا من كبـار الاقطاعيين ـ وهذا على سبيل المثال ·

كما ظل ينظم شعرا فيه النقمة على مجتمعه وسوء توزيع الثروة فيـــه ، واسمعه وهو يتحدث على لسان فلاح يقول لزوجته :

غلب الجوع فهاتى (المش) هاتى
لا تقولى اللحم ان اصبر سياتى

ســادتى اولى به مـــذ نهبوا
كل حق لى وعاثوا بحيــــاتى

لا تقــولى الدود قد افســده
انما الدود ـ وان يحقر ـ لذاتى

مدحونى مثلمـــا قــد لعنوا
قد تســاوى المدح واللعن لذاتى

آلام الشاعر المهاجر

ولم يجد ، ابو شادى ، بدا ـ وقـد ضـاق به الحـكام والمحكومون على السواء فى ذلك العهد ـ من ان يهاجر الى الولايات المتحدة الامريكية ليعمل هناك ، فى المعاهد الخـاصة بعلمه ، وبأدبه فى الصحافة والاذاعة ، ولعله يجـد ما كان يفتقـــر اليه من الامان والاستقرار وبخاصة بعـــد ان ماتت زوجته الحبيبة ·

ولكنه ما لبث ان شعر بكيانه يتحطم

بتأثير الغربة والحنين ، ومن محاربة بعض الحاقدين عليه هناك .

واخيرا انطفأت هذه الشعلة المتوهجة، فمات « ابو شادي » غريبا عن وطنه في منتصف سنة ١٩٥٥ ، تاركا وراءه ، غير المؤلفات التي اشرنا اليها ، والتي تكون قد نسيناها ـ ديوانا مطبوعا في « نيويورك » بعنوان « من السماء » وكتابا آخر بعنوان « دراسات ادبية » وطائفة من الدواوين التي لم تطبع وهي ـ فيما اعلم ـ (١) ايزيس ، (٢) الانسان الجديد ، (٣) النيروز الحر ، (٤) من اناشيد الحياة .



عبد الحميد السنوسي

هذا شاعر سكندري المولد والاقامة والوفاة ، فقد ولد « عبد الحميد السنوسي » مع مستهل سنة ١٨٩٩ ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره ، توفي والده ، ومن ثم عاش يتيما في كنف شقيقته الكبرى . وكان شعوره باليتم ـ رغم رعية اخته له ـ حادا قاسيا ، أرهف مشاعره وطبع صباه بطابع حزين تجلى فيما كان ينظم من شعر في هذه الفترة المبكرة من حياته .

وعندما التحق بمدرسة « رأس التين الثانوية » التقى فيها بأستاذ شاعر كان له أثره الكبير على شعراء جيله ، ذلك الاستاذ هو « عبدالرحمن شكري » الذي تتلمذ الشاعر على يديه ، علما وشعرا .

كان « السنوسي » في بدايته ، مغرقا في التأثر بالقدماء ، لايكاد يفترق في اسلوبه عنهم ، تخاله واحدا منهم ، ولكنه مالبث ان تأثر بأستاذه «شكري» ، ونسج على منواله ، وتتبين هذا من قراءتنا لقصيدته « قلب هائم » التي يقول فيها :

اما آن ان يبدي لي الدهر عطفه
فينعم ولهان ويهجع ساهر
اما آن ان تنجاب عني غشاوة
فان حياتي ظلمة ودياجر
واني قضيت العمر والروض ذابل
فلا الطير صداح ولا الغيث ماطر

تأثر « السنوسي » بالبحر في شعره تأثرا كبيرا ، فنظم شعرا في هدوئه وغضبه والشروق والغروب على صفحته ، بل ويصل التأثر به الى حد التعبير بمظاهره ، عن المشاعر الخاصة به فحياة السنوسي كما يقول :

اعيش كأني في الحياة سفينة
تكالبها الامواج واليوم زاخر
أئن كما ان الجريح من الصدى
فتهزأ بي الايام وهي ثوائر

وهو ـ حين يحب ـ يرسم لنا النهج الذي يرجو من محبوبه أن يتبعه ، وهو نهج للبحر فيه أثر واضح :

لا أريد الحب نهرا راكدا
شئت السحب عليه بالنواح
بل أريد الحب بحرا هائجا
مزبد الامواج خفاق الرياح
احقر الآمال ما تدركه
ان ملأت اليد ، من غير كفاح
فاذا ما شئت ان يبقى الهوى
فاعبثي في كل يوم بجراحي



وقد نال الشاعر « عبد الحميد السنوسي » اجازة الحقوق واشتغل بالمحاماة حتى أصبح من كبار المحامين في الاسكندرية ، وشارك في الحياة السياسية بها ، فانتخب عضوا بمجلس النواب عن دائرة الرمل ، وانتهى به المطاف في هذه الحياة في اليوم الرابع والعشرين من فبراير سنة ١٩٥٦ تاركا

ديوانين هما « لغة القلوب » و « نغم النفوس » ··· وقد جمع الاستاذان « مصطفى السحرتي » و « مفيد الشوباشي » ما استطاعا جمعه من شعر ونشراه ضمن مجموعة « تراثنا » غير انهما لم يهتديا الى الديوان الثاني الذي توجد منه نسخة بمكتبة محافظة الاسكندرية ·

عثمان حلمي

عاش « عثمان حلمي » سكندريا ، ومات سكندريا ، وهو يرجو أن يبعثه الله على ذلك ، فما كان ـ رحمه الله ـ ليرضى عن سكندريته بديلا ···

عاش عمره ، وهو يرى أن مدينته هذه فوق المدائن جميعا ، لا تفضلها مدينة أخرى من مدن العالم فلم يبرحها ـ فيما يقول الرواة ـ غير مرتين الى القاهرة ؛ الاولى لاستلام قيمة جائزة المجمع اللغوى ، والثانية لتسوية معاشه ·

كذلك كان يغضب اشد الغضب ، لو انك غيرت حرف الثاء من اسمه وجعلته « ثاء » مثلا ليصبح اسمه (عثمان)

انك حينئذ تكون قد ارتكبت اثما في حقه لا تكاد تغفره اعتذاراتك له ، مهما اكثرت منها ·

وبقدر حدة مزاجه وحرصه البالغ على كرامته ، وتقديره الاعظم لفنه فان شعره كان سمحا ميسورا سهلا لا وعورة فيه ولا حوشية ، لا تزيد

الكلمات الاصلية في ديوانه « نسيم السحر » على ثمانمائة كلمة ، بينما تزيد صفحاته على الثلاثمائة صفحة ، ومن هنا كان ينبع احساسك دائما وانت تقرأ أى قصيدة فيه ، بعد بضع صفحات ، انك قرأت مثل هذا الكلام من قبل ، ومع ذلك فقد حصل بديوانه هذا

على الجائزة الاولى في الشعر من المجمع اللغوى المصرى ، لاستفادة الشاعر الكاملة ، من هذا المحصول اللغوى الضئيل ، ولتنوع موضوعاته ، والتعبير بشعره عن كل الاغراض ·

وهو ـ مع ذلك ـ كان يسخر من الشعراء كثيرا وينعى عليهم الالتجاء الى القديم البالى ، من الالفاظ والافكار ، وهو يرى ، أن كل لفظ لا يتداوله الناس انما هو لفظ ميت ، لا يجب أن يوضع في حساب شاعر يخاطب الاحياء ، ويقول لزملائه :

مالكم من فرط حمقكم
تمزجون جد باللعب
كل بيت من قصائدكم
كبقايا المنزل الخرب

ولقد كتب « عثمان » القصة الشعرية الطويلة كما فى « البخت النائم » التى تجاوزت الالف من الابيات ، وترجم بالاشتراك مع « خليل شيبوب » ديوانا من الشعر الشرقى عنوانه « قبس من الشرق » وكذلك نظم عددا كبيرا من الرباعيات العثمانية الفلسفية والحكمية نشرها بمجلة الرسالة القديمة .

فى حدائق الشلالات

ولد الشاعر « عثمان حلمى » بالمكس احدى ضواحى الاسكندرية ، فى ١٨ مايو سنة ١٨٩٤ ، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية أمضى عامين آخرين فى التعليم الثانوى ثم لم يواصل الشوط بعد ذلك ، وعين فى بلدية الاسكندرية بحدائق « الشلالات » لبضعة أعوام ، انتقل بعدها الى مصلحة البريد حيث ظل يعمل بها الى أن أحيل على المعاش سنة ١٩٥٤ .

وفى خلال عمله بحدائق الشلالات تعرف عليه عدد من شعراء المدينة منهم « عبد اللطيف النشار » و « عبد الحميد السنوسى » و « حسن فهمى » و « زكريا جزارين » و « مفيد الشوباشى » وعلى رأسهم « عبد الرحمن شكرى » الذى كان يرعاهم فى هذه الفترة ، وكانوا جميعا يعقدون ندواتهم الشعرية بالحدائق المذكورة ، كما كان يزورهم فيها وقتئذ الاستاذان « عباس العقاد » و « ابراهيم عبد القادر المازنى » ، حيث يأنس الجميع بهذه الزيارة ، ويتبادلون معا آخر ما دار فى مجالات الشعر العالمية ثم يعرض الجميع أشعارهم للاستماع والنقد والتوجيه ، وكان لكل منهم أسلوبه الخاص فى شعره ، فلم تصهرهم – من الناحية الفنية – بوتقة الجماعة ...

فاذا ما حاولنا أن نتلمس أثر البحر فى شعره ، وجدناه فى بعض تعابيره التى تجرى فى سهولة هنا وهناك ، فهو يقول عن نفسه مثلا :

قلبه كالبحر مضطرب
فوق موج الحلم والغضب

وان اجمل ساعات استمتاعه ، تلك التى يقضيها :

فى وقفة يوما على شاطىء
حيث نسيم البحر يلهو بنا

وانه يقطع الحياة على سفينة يقول فيها :

وسارت بي علي مهل تهادى
سفينتى التى لا كالسفين
فريح الهلك تصرخ عن يسارى
وموج الموت يرعد عن يمينى
تسامى الموج فى حال وتهوى
هوى الشهب فى برج مكين

وكذلك حين يتحدث عن الحسن المتجدد على الشاطىء ، حيث يصبح الشاطىء معرضا لالوان شتى من هذا الجمال الذى لا تمله العيون .

وعندما أخرجت الدار القومية مسرحية « الظافر برقوق » لم يشهدها مؤلفها « عثمان حلمى » فقد أدركته منيته قبل

البحر عند شعراء الاسكندرية

ان تعرض هذه المسرحية بأيام ، وكان ذلك في اليوم السادس من ديسمبر سنة ١٩٦٢ .

عبد اللطيف النشار

في السادس والعشرين من فبراير من هذا العام «١٩٧٢» ، فقدت الاسكندرية شاعرنا الكبير عبد اللطيف النشار ، وقد كان النشار ابا روحيا لاغلب شعراء المدينة الشبان من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٥٠ يستمع الى اشعارهم باهتمام ويعلن رأيه في صراحة وأبوة أيضا ، ويرشدهم في دعابة لطيفة الى الطريق الصحيح .

والنشار — في شعره — اقرب الى العقلانيين ، من ناحية تصور الفكرة وتسلسلها ، والخضاع نتيجتها للمنطق ، وان ادعى في غير ذلك وقال :

خذوها على العلات لا شعر صانع
ولكن كمـــا يملى على فؤادى

كذلك دارت بينه وبين عـــدد من زملائه ، وفي مقدمتهم عثمان حلمي ومحمد فضل اسماعيل اهاجي كثيرة ، كانت تتسم بالقوة والذكاء الى جانب خفة الظل مما جعلهـا انسا للمجالس الادبية ، ولكنهـا لم تنشر ، وقد كان الفنان المرحوم محمد ابراهيم الخطاط يحتفظ بمجموعة كبيرة منها ولا ندرى مصيرها الآن .

في مدينته الحبيبة

ولد « النشـــار » واسمه بالكامل « محمد فرحات عبد اللطيف » ابن الشاعر « محمد حمدى » ابن الشاعر « الشيخ محمد على النشار » بدمياط في ٢٨ مايو سـنة ١٨٩٥ ، ثم رفـد الى الاسكندرية بعد عامين من مولده بصحبة والده الذى كان قد نقل كاتبا بمحكمة اسكندرية ، وقد كان جده الشيخ محمد على يعمل من قبل مدرسا بمعهد مسجد الشيخ ابراهيم باشـا بحى الميدان باسكندرية .

درس « النشار » حتى منتصف المرحلة الثانوية ثم التحق كاتبا بالمحكمة الاهلية باسكندرية وعاش شبابه وصـدرا من شيخوخته لا يفـارق الاسكندرية الا للضرورة القصوى ، حتى انه لما صدر قرار نقله الى القـاهرة نفـذ القرار بالسفر ثم عاد في اليوم التالى ، وقابل المسئول الكبير الذى قرر نقله ، واخبره « انه التقى بابراهيم باشا في ميدان الاوبرا وان ابراهيم باشا اشار اليه باصبعه أن يعود ثانية الى الاسكندرية ، وانه لم يملك الا طاعة ولى الامر الاعلى وعاد الى الاسكندرية ! » فضحك المسئول وابقاه في المدينة الحبيبة .

وعندما قرر وزير الحقانية أن ينقل النشار الى طنطا كتب قصيدة يستعطف بها الوزير لابقائه في الاسكندرية .

النشار والاسكندرية

أحب النشار الاسكندرية كأعمق ما يكون الحب وكان اثرها في وجـدانه وشعره واضحا ، وكان تمسكه بالبقاء فيها شديدا الى درجة أنه عندما غادرها أهلها في الحرب العالمية الثانية خوفا من قنابل الالمان والطليان ، لم يغـادر المدينة مع من غادر ، وانما اصر على البقاء فيها الى النهاية ، وقد كتب في هذه الفترة عددا من القصائد العـامرة بالوفاء ، اسمعه وهو يقول عن الثغر وخلوه من المصـطافين رغم اشتداد الحر وقتئذ ، وتأمل اللهفة والاستدراك في البيت الثالث :

ما راعني فيه ما انقضت صواعقه
بل راعني ان خلا في الصيف مصطاف

البحر عند شعراء الاسكندرية

هذى الديار ، فاين الوداعون بها
لم يبق الا ســمادير واطيــاف
اضحت خلاءواضحىأهلها احتملوا
لف بالسانى فبعض القول اسفاف
لم يخن دهر عليها ، لا ، لا ، ابدا
ما مثل اكنافها فى الدهر اكنــاف
الفان تملى على الدنيا محاسنهــا
وسوف يشــهد الالف والالاف

وتأمل احساسه المسحوق وهو ينصهر بنار القنابل التى تتفجر فى المدينةومدى الالام التى يحسها فى قوله :

وتوالت الضربات لا مــن حاسب
يحصى ، ولا المحصى لهــا بتذكر
وتجاوبت بالنــار السنة الردى

باســمع ، كم اسد بجوفك يزار
راسى ، كسندان القيون وناظرى
تحت المطارق جفنه والحجــر

ثم اســمعه وهو يتحــدث عن الاسكندرية وقد خلت ايامئذ من النساء فيقول :

يا بلدة امست بلا نساء
أين ابتسامات على استحياء
وآخريات جمــة السخاء
والواعدات دونمــا وفاء
يخلطن مر الياس بالرجــاء
ودانيــــات ودهن ناء
ابعد فى القرب من السماء
ما صبر ايوب على البلاء
كصبر أهل البلدة البيضاء

النشار الساخر

قضى النشار القسط الاكبر من حياته ساخرا من كل شيء ، فلم يسلم مــن سخريته أحد .

على انه فى نهاية حياته كان اقرب الى المتصوفة المثقفين ، بعد أن فارقه غرور الشباب والرجولة وان لم يفقد

التحرر الذهنى ، فقــد كان اكثر فى تحرره ، من الاجيــال التى جاءت من بعده .

وقد أمضى النشار أيامه الاخيرة فى حى العباسية بالقــاهرة بالقرب من كريمته الوحيدة التى كان يحبها حبــا جما ، وكان ـ وهو فى القاهرة ـ يبعث

الى جريدة « السفير » السكندرية باربع مقالات فى الاسبوع تقريبا ، يتحدث فيها عن كل شيء ، وكذلك كان يصنع اثنــاء

غيابه فى انجلترا فى رحلة دامت اكثر من نصف عام ، كما كان يترجم ـ وهو بالقاهرة ـ قصة هندية عن الانجليزية

لتنشر فى مجلة « صوت الشرق » التى اشتغل بالتحرير فيها ، وماضى النشار حافل بالروايات العــديدة التى كان يترجمها للطلاب وغيرهم عن الانجليزية.

ومن اهم مترجماته رواية « كوخ العم توم » و « حاجى بابا أصفهانى » وقد نشر الاخيرة مسلسلة فىمجلة «الرواية» التى كان يصدرها « الزيات » .

وترك النشار ديوانين من الشعر هما « جنة فرعون » و « نار موسى » ، كما اخبرنى أن له مجموعة من شعره كتبها

بخطه وأودعهــا دار الكتب المصرية بالقاهرة .

حسن فهمى

أما الشاعر « حسن فهمى المحامى » فمن صنف يختلف الى حد ما عن الذين

اسلفنا الحديث عنهم ، فعلى الرغم من انه كان واحدا من « جماعة الشلالات » ومن الذين تاثروا برائدها « عبد الرحمن شكرى ، الا ان خلفية دينية عميقة قد امتدت ظلالها الى شعره ، فلونت الكثير منه بلون دينى مقبول ، ولهذا كان فى صراع فكرى عنيف مع التيارات الشاكة المرتابة التى غذت افكار شباب عصره ، خلال الحرب العالمية الاولى ، وقصيدته التى يفتتح بها ديوانه « مراتى » عنوان لاتجاهه هذا فهو يناجى فيها القوة الازلية الابدية بقوله :

يا صباح الأزل
يا مساء الأبد
يا علة للعلل
يا حيرة المجتهد
اين الثريا والثرى
من بحرك المجتد
الكائنات كثرة
ليست بذات عدد
ومن رآه مرة
فلن يرى من احد

أما اثر البحر فى شعره ، فيبدو فى ابيات متناثرة خلال ديوانه ، وفى بعض الصور التى نكتفى بواحدة منها ، يتحدث فيها عن لقاء عاطفى وقت الاصيل ، وقد استرسل فى عرض مشاعره حتى انتهى بنا الى هذه الصورة التى اخترناها وفيها يقول :

فلما انتبهنا راعنى البحر منظرا
اذ اتصلت امواهه بلهيب
اضاء السحاب المظلمات وميجه
فاسفر وجه الجو بعد قطوب
الول لذى ودى وبالافق جونة
وقد هم فيها حاجب بمغيب
تمتع بهذين الجمالين ساعة
جمال خضم فى جمال غروب
وقد صور الرحمن فى الافق صورة
وأبدع فى تلوينها بضروب
فمن برتقالى ولون بنفسج
الى لون ذى وجد وخد حبيب
اطلت على الكون العشية فاكتسى
بثوب بديع فى الجمال قشيب
فللبحر من بعد التهيج سكنة
وللريح هنا بعد طول هبوب
وغابت ذكاء فى الخضم فاصبحت
على الجانب الغربى غير قريب

وقد ولد حسن فهمى سنة ١٨٩٥ ودرس بالاسكندرية دراساته الاولية والثانوية ثم درس الحقوق ونال اجازتها واصبح محاميا نابها بالبيئة ، وجمع شعره الذى نظمه بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٩ فى ديوانه « مراتى » ، وقد صرفته المحاماة عن الاشتغال بالادب حتى ادركته وفاته سنة ١٩٢٠ ، ولعل انقطاعه هذه الفترة ، هو الذى صرف عنه انظار عشاق الادب بالاسكندرية فلا يكاد احد يعرف عنه شيئا الا القلة من المتخصصين .

وبعد ...

فان الاسكندرية غنية بابنائها الشعراء ، وانما اردنا ان نجعل من هؤلاء الذين اخترناهم من بين الشعراء الذين عاشوا خلال النصف الاول من هذا القرن ، نماذج لما كانت عليه الاسكندرية من ثراء فنى ، واعتقد انها ستظل على هذا الثراء الى ما شاء الله .



مراكب البحر في

محمد
عبد الغنى
حسن

ايتصور احد ان يذكر البحر ولا تذكر معه السفن ومراكبه ، مع أن القرآن الكريم يقرن بينهما فى اكثر من موضع ، كقوله تعالى فى سورة البقرة (والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) وقوله فى سورة ابراهيم (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره) وقوله فى سورة الاسراء : (ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) .ومن هنا كان (ادب البحر) يقتضى استحضار أدب الفلك والمواخر فيه

كانت الثغور والموانيء البحرية المتناثرة على سواحل شبه جزيرة العرب مرابط ومواقف للسفن والمراكب البحرية التي كانت تقع عليها عيون العرب الوافدين على شطآن المياه . ولا شك أن بعض تلك العيون الشواعر قد وصفت تلك السفن والمراكب وهي رابضة على الثغور ، أو وهي تشق حباب الماء بصدورها . كما أن بعض هؤلاء الشعراء قد استعملوا تلك السفن في تشبيهاتهم وضروب بيانهم ، فشبهوها ، وشبهوا بها .

ومن أقدم ما وصل الينا من ذلك ما استعمله الشاعر الجاهلي « طرفة بن العبد » في معلقته الدالية من تشبيه مراكب النساء على ظهور الابل - وهي المسماة بالحدوج - بالسفن العدولية الضخمة التي يملكها الملاح «ابن يامن» من أهل هجر . ولا بأس هنا من ايراد شعر طرفة حيث يقول :

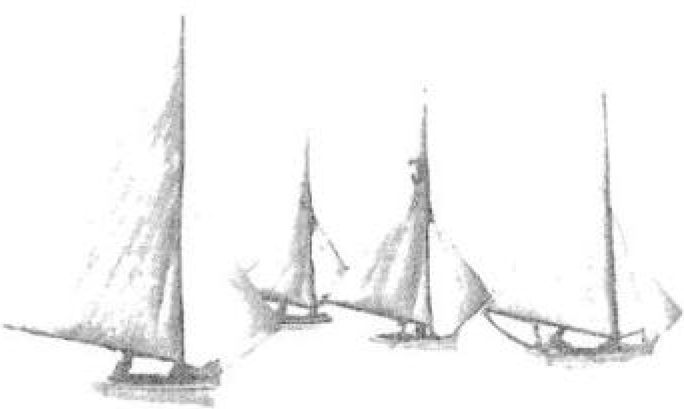
كأن حدوج المالكية غدوة
خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية ، أو من سفين ابن يامن
يجور بها الملاح طورا ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها
كما قسم الترب المفايل باليد

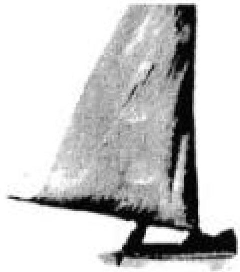
ولقد أجاد الشاعر طرفة في تشبيه عملية شق صدر السفينة للماء بما يفعله لاعب « المفايلة » من شق التراب باليد . وهو تشبيه مشتق من صميم البيئة الجاهلية .

ويصادفنا شاعر جاهلي آخر هو « بشر بن أبي خازم الأسدي » يصف السفينة ويصف قطعها للخليج ، فيستحضر راكبها ما قدمه من ذنوب لهول ما يلاقيه ، فيقول :

معبدة السقائف ذات دسر
مضبرة جوانبها ، رداح
اذا ركبت بصاحبها خليجا
تذكر ما لديه من جناح
يمر الموج تحت مشجرات
يلين الماء بالخشب الصحاح

الشعر العربي





ونحن على جوانبها قعود
تفض الطرف كالابل القماح (١)

الشعراء فى رحلاتهم البحرية

وما سكت الشعراء فى العصور الاسلامية عن متابعة السفن والمراكب، ووصف اعيانها، وحركاتها على أثباج المياه، ووصف الحياة فوقها لمن عانوا هذه التجربة بأنفسهم، بل وصف بعض الشعراء هبوب الرياح والعواصف على السفن التى ركبوها فى أسفارهم ورحلاتهم البحرية • وتصادفنا، لابن الرومى، أبيات دقيقة فى وصف السفن يقول فيها :

رحلنا من بنات البحر جونا
تهادى بين شبان وشيب
نواج فى البطائح ملقيات
حيازمها على الهول المهيب
مزممة الأواخر، سائرات
على اصلابها شبه الزبيب!
تكاد اذا الرياح تعاورتها
تفوت وفودها عند الهبوب
مسخرة تجوب دجى الليالى
بملء الليل كالفرس النئوب
أبت اعجازها بمقدمات
لها الا مطاوعة الجنيب
غنين عن القوائم والهوادى
وعن اسراجهن لدى الركوب
حططن «بواسط» من بعد سبح
وقد مال الشروق الى الغروب

وقد وقف ابن الرومى وقفة ثانية عند سفينة ركبها الى ممدوحه أبى سهل بن نوبخت ••

فقال يصفها :

الیك ركبنا بطن جوفاء جونة
تخايل فى درع من القار فاحم
تواهق أشباها لها ونظائرا
ملمعة بالودع، سفع اللاطم (٢)

وللشاعر، مسلم بن الوليد، المعروف بصريع الغوانى والمتوفى سنة ٢٠٨ ه قصيدة جيدةمتينة السبك فى وصف سفينة ضرب الماء صدرها فجعل فيها خطوطا ورقما أسود • وهى اذا أقبلت تفزع الرائى بمقعد ربانها الذى يشبه رأس ثور أسود، واذا ادبرت أعجبت الناظر اليها والى صفى مجاديفها كأنهما جناحا نسر، وفيها يقول :

لطمت بخديها الحباب فأصبحت
موقفة الدايات، مرقومة النحر
اذا اقبلت راعت بقنة قرهب
وان ادبرت راقت بقادمتى نسر
تجافى بها النوتى حتى كأنما
يسير من الاشفاق فى جبل وعر
أطلت بمجدافين يعتورانها
وقومها كبح اللجام من الدبر
فحامت قليلا، ثم مرت كأنها
عقاب تدلت من هواء على وكر

ولم يحجم الشاعر، البحترى، عن وصف السفينة، فقد تصادف فى عصره أن بنى الخليفة المتوكل سفينة اسمها (الزو) • وكان من حظ الشاعر أن ركبها على متن نهر القاطول الذى حفره الخليفة هارون الرشيد، فقال يصفها :

غنينا على قصر يسير بفتية
قعود على ارجائه وقيام

---

(١) معبدة السقائف أى موطأة الالواح، والدسر ما تشد به الالواح من الياف ومسامير، والمضبرة المحكمة، والرداح، الواسعة، والابل القماح هى التى ترفع رءوسها عند الحوض ولا تشرب ••

(٢) تواهق أى تجارى فى السير • والودع خرز أبيض مجوف • وسفع اللاطم أى سود الخدود • والقار هو الزفت الاسود، والجونة أى السوداء



تظل البزاة البيض تخطف حولنا
جاجيء طير في السماء سوامي

وكذلك فعل الشاعر « مهيار الديلمي » حين ركب متن سفينة ، فعقد موازنة بينها وبين الابل ، فالسفينة وهى تشق الماء تبدو وكأنها تعبه عبا ، سواء أكان صافيا أم كدرا . أما الابل فانها تعاف الماء اذا لم تكن بها حاجة اليه :

ململمة ... لها ظهر مصون
وبطن تحت راكبها مباح
تعب الماء بين قذ وصاف
اذا ما عافت الابل القماح

وقد شبه الشاعر « السرى الرفاء » السفينة تارة بالزنجية لسواد لونها ، وطورا بالحية السوداء التى تنساب فى الرمل فتترك فيه أثرا :

كل زنجية كأن سواد الليل اهدى لها سواد الاهاب
تسحب الذيل فى المسير فتختال وطوراً تمر مر السحاب
وتشق العباب كالحية السوداء ابقت فى الرمل اثر انسياب

ثم عاد مرة أخرى يصف جماعة من السفن ، فيشبهها بالقلاع وهى تمد على الامواج باعا :

ركائب تحدوها الشمال كأنها
قلاع اذا اوفت عليها قلوعها
تمادى بها السير الحثيث فلم تجل
لبعد المدى اغراضها وتسوعها
تمد على الامواج باعا ، كأنه
يعانقها فى مده وينوعها

واذا كان الشاعر « بشار بن برد » لم تفته — على فقد بصره — صفة الاشياء بدقة فائقة ، فان صفة السفينة لم تفته حين شبهها بعذراء لاتجرى بلحم ولا دم :

وعذراء لا تجرى بلحم ولا دم
قليلة شكوى الاين ملجمة الدبر
تلاعب تيار البحور ... وربما
رايت نفوس القوم من جريها تجرى!

وقد دخل الشاعر « أبو نواس » ميدان وصف السفن ومراكب البحر بما أتيح للخليفة « الامين » العباسى من بناء حراقات — أو سفن — كانت تحمل هذه الاسماء : الليث ، والعقاب ، والدلفين ، فقال شاعرنا يصف السفينة المسماة بالليث :

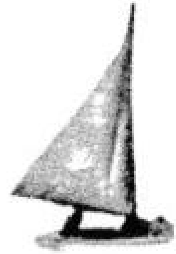
سخر الله للأمين مطايا
لم تسخر لصاحب المحراب (١)
فاذاً ما ركابه سرن برا
سار فى الماء راكبا ليث غاب
اسدا باسطا ذراعيه يعدو
اهرت الشدق ، كالح الانياب
لا يعانيه باللجام ولا السوط ولا غمز رجله فى الركاب

الاسطول العربى الاسلامى

ولم يقف شعراء العرب عند وصف سفن الركوب او سفن الملاحة والنزهة فوق المياه . فقد رأينا شاعرا مثل « ابن هانىء الاندلسى » يرى قوة الاسطول العربى الاسلامى الذى بناه الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، ويرى — بحق — ان هذا الاسطول قد بات خطرا على دولة الروم فباتوا يتضرعون الى الخليفة العربى المسلم طلبا للصلح . فمدح شاعرنا الخليفة المعز لدين الله بقصيدة رائعة محكمة النسج قوية الديباجة ، وصف فيها قطع الاسطول العربى الاسلامى وصفا لا يكاد يدانيه وصف للسفن البحرية الحربية فى الشعر العربى .

وما ابدع شاعرية ابن هانىء ، وما

(١) صاحب المحراب هو سليمان بن داود ، والاهرت الشدق هو واسعه



في تصويره للسفن حيث يقول :

وما راع ملك الروم الا اطلاعها
تنشر اعلام لهـا وبنـود
مواخر في طامي العباب ، كأنها
لعزمك باس ، أو لكفك جود
أنافت بها أعلامها ، وسما لها
بناء على غير العراء مشيد
من الراسيات الشم ، لولا انتقالها
فمنها قنان شمخ ، وريود
من الطير الا انهن جوارح
فليس لها الا النفوس مصيد
من القادحات النار تضرم للصلى
فليس لها يوم اللقاء خمود
اذا زفرت غيظا ترامت بمارج
كما شب من نار الجحيم وقود

وقد بلغت الابيات الخاصة بوصف سفن أسطول المعز لدين الله ثمانية وعشرين بيتا ، من مجموع القصيدة التي تبلغ ستة وتسعين بيتا .

ولم يقتصر ابن هانيء الاندلسي على هذه القصيدة الرائعة في وصف سفن الاسطول العربي ببحر الروم ، فله مقطوعة أخرى يقول فيها :

معطفة الأعناق نحو متونها
كما نبهت ايدي الحواة الأفاعيا !
اذا ما وردن الماء شوقا لبرده
صدرن ولم يشربن عزفا صواديا . . .
اذا أعملوا فيها المجاديف سرعة
ترى عقربا منها على الماء ماشيا !

ولم يكن الشاعر ابن هانيء الاندلسي أسبق شعراء الشمال الافريقي الى وصف أسطول الدولة العربية الاسلامية . فقد سبقه بقليل الشاعر ، على بن محمد الايادي ، التونسي من شعراء القرن الرابع أيضا ، حين وصف أسطولا للخليفة الامام محمد القائم خليفة العبيديين ـ أو الفاطميين ـ فقال وأبدع :

أعجب لأسطول الامام محمد
ولحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الأمواج أحسن منظر
يبدو لعين الناظر المستعجب
شرعوا جوانبها مجادف أتعبت
شادي الرياح لهـا ، ولما تتعب
والبحر يجمع بينها . . . فكأنه
ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أسود خلافة
تختال في عدد السلاح المذهب

وكأنما البحر استعار بزيهم
ثوب الجمال من الربيع المعجب

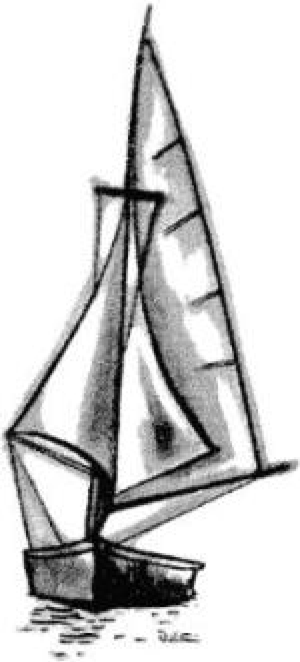
وفيها يقول في وصف الشراع :

ولها جناح يستعار يطيرها
طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطاره
في كل لج زاخر مغلولب
يسمو بأخر ذي الهواء منصب
عريان منسرح الذؤابة ، شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة
لو رام يركبها القطا لم يركب !

وقصيدة الايادي طويلة جيدة . وقد وصفها صاحب « نفح الطيب » بالقصيدة الفريدة ، ثم عاد فنعتها بأنها (من غرر القصائد) ، وأورد كثيرا من أبياتها كما أورد المرحوم العلامة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب أكثر أبياتها في (منتخباته من الادب التونسي) المطبوع بالمطبعة الاميرية في القاهرة سنة ١٩٤٤ .

الفنان الصانع المتانق

والحق أن شعراء الشمال الافريقي والمغرب والاندلس هم شعراء العرب والاسلام وصفا للأساطيل ، فعلى حين اتجه شعراء المشرق الى وصف السفن العادية ومراكب البحر ، نرى شعراء



المغرب والاندلس يوجهون اهتمامهم الى وصف الاساطيل العربية التى ظلت تمخر عباب بحر الروم ، او البحر المتوسط ـ المسمى خطأ بالبحر الابيض ـ زمانا طويلا . ومن هؤلاء الشعراء « عبد الجليل بن وهبون » ـ كما ذكره صاحب نفح الطيب ـ واسمه كما جاء فى « قلائد العقيان » : أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى . فهو من مدينة مرسية بالاندلس ، وقد كان من شعراء المعتمد بن عباد اولا ، والمعتصم بن صمادح ـ امير المرية ـ اخرا . ولم يذكر لنا الفتح بن خاقان فى قلائده تاريخ وفاته ، وان كان معروفا انه عاش فى أخريات القرن الخامس الهجرى . وقد جعل ابن وهبون السفن فى الاسطول الاندلسى لابسة ـ بسواد لونها ـ من الثياب ملاءة سوداء ، وجعلها تزأر زئير الاسد وهى صامتة، وشبه مجاديفها بكبار الثعابين التى تكرع من غدير مملوء بالماء :

من كل لابسة الثياب ملاءة
حسب الفذار الصائغ الفائق
زارت زئير الاسد وهى صوامت
وزحفن زحف مواكب فى مازق
ومجادف تحكى اراقم ربوة
نزلت لتكرع من غدير متاق (١)

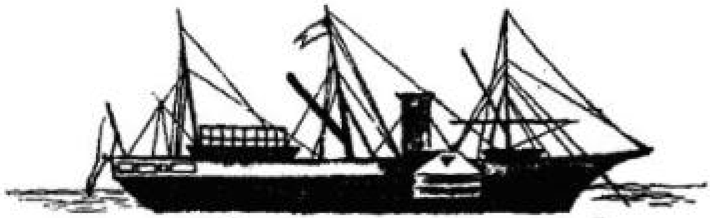
ومن شعراء الاندلس الذين وصفوا الاساطيل البحرية الشاعر « أبو عبد الله بن محمد الحداد » ، وقد ترجم له ابن بسام فى « الذخيرة » وهو من شعراء القرن الخامس الهجرى . وقد أورد له صاحب « نفح الطيب » أبياتا

فى وصف أسطول المعتصم بن صمادح، وأعجب فيها صاحب النفح بتشبيه الشاعر مجاديف السفن بأهداب الجفون .. والحق أن أبيات ابن الحداد لا ترقى الى مستوى جيد . وان كان قد أفاد من بعض تشبيهاتها الشاعر الاندلسى

« ابن أبى خالد اللخمى الاشبيلى » ، المتوفى سنة ٦١٢ هـ ، حيث قال فى وصف السفن ، وشبه مجاديفها بالحيات التى تمد رءوسها على وجل فى الماء لكى تروى ظماها :

وياللجوار المنشآت وحسنها
طوائر بين الماء والجو عوما

(١) الغدير المتاق = الملآن بالماء . وقد أتاق الرعاء اى ملأه



اذا نشرت في الجو اجنحة لهـــا
رأيت به روضا ونورا مكمـــا
وان لم تهجه الريح جاء مصالحا
فصنت له كلا خضيبا ومعصما
مجاديف كالحيات مدت رؤوسها
على وجل في الماء كي تروى الظما

وقد اشترك الشاعر « ابن خفاجة » الاندلسي المتوفى سنة ٥٣٣ هـ في وصف السفن ، فذكر سواد جسمها وبياض شراعها ، وارتفاع الموج حـــولها ، واحداق الخطر بركابها فقال :

وجارية ركبت بهـــا ظلاما
يطير من الصباح بها جنـــاح
اذا الماء اطمـــأن ورق خصرا
علا من موجـــه ردف رداح
وقد فغر الحمام هنـــاك فاه
واتلع جيده الأجل المتـــاح !

ولم يتخلف المؤرخ الاديب الشاعر الاندلسي « ابن الابار القضاعي » من رجال القرن السابع الهجـــرى ، عن وصف السفن شـــعرا ، فشبه جسم السفينة الاسود بالغراب ، وشـــبه قلاعها البيض بأجنحة الحمام ، حيث قال في مقطوعة رواها صاحب النفح :

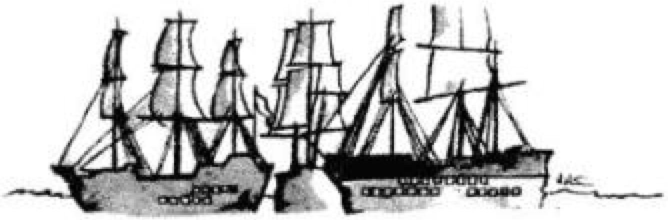
ياحبذا من بنات الماء ســـابحة
تطفو لما شب اهل النار تطفئــه
تطيرها الريح غربانا بأجنحةالحما
ئم البيض للاشـــراك ترزؤه
من كل ادهم لا يلفى به جـــرب
فما لراكبه بالقار يهنـــؤه ؟
يدعى غرابا ، وللفتخاء سرعتـــه
وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه (١)

وتمضي الايام وتمر على اهل المشرق والمغرب، فلا تصادفنا ـ فيما لدينا من مراجع ـ قصيدة جيدةفي وصف اسطول عربي الا ماكان من قصيدةالشاعر الاديب المصري « المهذب الاسواني » التي مدح بها الصالح بن رزيك الوزير المصري الفاطمي ، وفيها يصف الاسطول المصري وانتصاراته على الروم في بحر الروم. وقد روى العماد الاصفهاني في الخريدة بعض الابيات في وصف الاسطول حيث قال الشاعر :

وكأن بحر الروم خلق وجهـــه
وطفت عليه منابت المرجـــان
ولقد اتى الاسطول حين غزا بما
لم يات في حين من الاحيـــان
احبب الي بها شـــواني أصبحت
من فتكها ولها العداة شوانى (٢)
شبهن بالغربان في الوانهـــا
وفعلن فعل كواسر العقبـــان

(١) يتعجب الشاعر من أن السفينة تطلى بالقار ، مع أن القار لا يطلى به الا الحيوان الاجرب ! والفتخاء العقاب اللينة الجناحين ، والشاهين طائر من جنس الصقر ، والجؤجؤ صدر السفينة

(٢) الشواني الاولى هي الســـفن ، والثانية اصلها شوانيء ، جمع شانىء أي كاره ومبغض .



امجاد البحرية المصرية

ولقد كانت البحـــرية المصرية فى الثلث الاول من القرن التاســع عشر الميلادى جديرة بشاعر يسجل امجادها، ويدون مفاخرها ، ويصور تقاليدها . ولكننا نظل نبحث عن ذلك الشاعر فلا نجده .. حتى نلتقى بالشاعر الناثر ، عبد الله فكرى باشا ، وزير المعارف فى الثورة العرابية ، فنراه يصور لنا البوارج الضخمة فى الاسطول المصرى فى شعر رصين متين السبك فيقول :

بوارج امثال البــــروج تقاذفت
بحمر كامثال الصــــواعق رجم
بواخر ترمى الشاهقات بمثلهـــا
سراعا كاسراب الحمام الحـــوم
دوارع يلقين المخاوف امنـــا

بها سربها من كل هول ومرغـــم
من اللاء لا يتركن حصنا محصنا
ولا الف برج شامخ غيــــر مرغم
يطارحن اسراب الدافع فى الوغى
بكل رجيج وزنه غير اخــــرم

والحق اننا كنا ننتظر من الشـــاعر ، محمود سامى البارودى ، وصــــفا للاساطيل البحرية كما وصف الواقــع والوقائع البرية ، التى لقيها شـــجاعا فى ، القرم ، و ، كريد ، وغيرهمـــا .

ولكنه لم يفعل ، بل نقرا له ابيـــاتا طيبة فى وصف السفن والقوارب وهى تجول وتروح وتجىء فوق مياه النيـل الخالد حيث يقول :

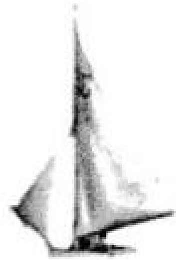
وترى السفين تجـول فوق سراته
زف الرئال تمطرت بسهوب (١)
من كل راقصة على نقـر الصبا
تختال بين شمائل وجنـــــوب
ملكت ازمتهـا الرياح ، فسيرها
ضربان بين تحفـــــز ونبيب
فاذا اطلت عنانها وقفت ، وان
الصرته سارت بغير لغـــــوب

وهذه اللمحة العابرة من الشـــاعر محمود سامى البارودى للسفن والمراكب على اديم النيل تذكرنا بلمحة مثلهـــا للشاعر المصرى الرقيق ، البهاء زهير ، حيث يقول من قصيدة :

حبذا النيل والمراكب فيـــــه
مصعدات بنـــــا ومنحدرات

واذا بلغنا من التطواف بحـــديث الشعراء عن سفن البحار والاساطيل مبلغ عصرنا هذا راينا الشاعر ، احمد شوقى ، يخص الاسطول الاسلامىببعض اهتمـــاماته . فحين اشترت الـــدولة العثمانية بارجتين من المانيا وضمتهما الى اسطولها ، وسمتهما ، بربروس ، و ، طرغود ، رايناه ينظم قصيدة خاصة

(١) الزف = الاسراع . والرئال جمع رال ، وهو ولد النعام ، وتمطرت اى ذهبت ، والسهوب الارض الواسعة .. يقول : ان السفن تسرع فوق مياه النيل كما تسرع اولاد النعام مضـــيا فى الارض المستوية



لهذه المناسبة يقول فيهـــا مخاطبـــا ، بربروس ، أحـــد ابطــــال البحرية العثمانية :

يابربروس على ثراك تحيــــــة
وعلى سميك في البحار سلام (١)
أعلمت ما أهدى اليك عصـــــابة
غر المآثر من بنيك كـــــرام ؟
نشروا حديثك في البرية بعـــدما
همت بطى حــــــديثك الايام
خصوك مـــن اسطولهم بدعـــامة
يبنى عليها ركنه ويقـــــــام
شماء في عرض الخضم كأنهـــا
برج بذات الرجـــع ليس يرام
كانت كبعض البارجات ٠٠ فحقها
لما تحلت باسمك الاعظـــــام

على أن شوقي في قصيدته ، صدى الحرب ، التي يصف فيهـــا الوقائع العثمانية اليونانية ، قد وصف سفن الاساطيل الدولية وهي تتأهب في بحر الروم - أو البحر المتوسط - استعدادا للدخول في الحرب الدولية التي كانت توشك يومئذ أن تندلع نيرانها ، ومن مأثور قوله في وصف السفن التأهبة للحرب :

ركبت اليها البحر وهو معصـــبدة
تمد بهـــا سفن الحديد وتنصب
تروح المنايا الزرق فيه وتغتدى
وما هي الا المـــوج يأتي ويذهب
وتبدو عليه الفلك شتى كأنهـــــا
بؤوز تراعيهاعلىالبعد اعقب (٢)
حوامل أعـــلام القيـــاصر ، حضر
عليها ســـــلاطين البرية غيب
تجارى خطاها الحادثات ، وتقتفى
وتطفو حواليها الخطوب وترسب
ويوشك يجرى الماء من تحتها دما
اذا جمعت اثقالهـــــــا تترقب
فقلت : أأشراط القيامة ما أرى
أم الحرب أدنى من وريد وأقرب ؟

وما أروع شوقي في قصيدة أخرى وهو يستحضر أمجادنا البحرية فوق أديم ، البحر المتوسط ، وقد ملأناه بالسفين وهي موسوقة كشم الجبال ، فيقول مخاطبا هذا (البحر) الحافل بأروع الامجاد :

سيد الماء : كم لنا من (صلاح)
و (علي) وراء مائك ذكـــرى
كم ملأناك بالسفين مواقيـــر
كشم الجبال جندا ، ووفـــــرا
شاكيات السلاح يخرجن من مصر
بملمومة ، ويدخلـن مصرا ٠٠٠
شارعات الجناح في ثبج المـــا
ء كنسر يشد في السحب نسرا
وكأن اللجـــــاج حين تنزى
وتسد الفجاج كرا وفـــرا ٠٠٠
٠٠٠اجم بعضه لبعض عـــدو
زحفت غابة لتمزيق اخــرى ؟

وما أجمل ما وصف لنـــا الشاعر شوقي منظر الشروق والغروب في الماء من أعلى سفينة ، وذلك في قصيدته (الهلال) ، أو في المقطوعة الاخرى التي على وزن قصيدة الهلال وقافيتها ، وان كان في قصيدة أخرى رائيـــة

(١) بربروس هو أحد أبطال البحر العثمانيين وقد سميت احدى البارجتين باسمه .

(٢) البؤوز جمع باز ، والأعقب جمع عقاب وهما من جوارح الطير . وأشراط القيامة هي علامات الساعة .

وصف لنا منظر طلوع البدر من سفينة حيث يقول :

والفلك مشرقة الجوانب فى الدجى
يبدو لها ذيل من الانـــــوار
بينا تخطـــــر فى لجين مائج
اذ تنثنى فى عسجد زخـــار
وكأنها والموج منتظم وقـــد
اوفيت ثم دنوت كالمحتـــار
غيداء لاهية تخط لاغيـــد
شعرا ليقراه ، وانت القــارى

ولقد اتيح لشاعر النيل محمـــد حافظ ابراهيم أن يركب متن البحـــر المتوسط على سفينة الى ايطاليا فى رحلة له سنة ١٩٢٣ ، فوصف البحر وصفا جميلا ، وهنا – فى معرض الحـــديث عن مراكب البحر – نذكر أبياتا له فى وصف السفينة يقول فيها :

ثم اوفت مثل الجبال على الفلك
وللفلك عزمة لا تخـــــور
تترامى بجؤجو لا يبـــالى
امياه تحوطه ام صـــخور
ازعج البحر جانبيها من الشـــد
فجنب يعلو وجنب يغـــور
وهو انا ينحط من علو كالســـيـ
ـل وانا يحوطهـــا منه ســـور
وهي تزور كالجـــواد اذا ما
ساقه للطعان ندب جســـور
وعليها نفوسنا خـــائرات
جازعات كادت شعاعا تطير ..
فى ثنايا الامواج والزبد المقـــ
ـوف لاحت اكفاننـــا والقبـور !

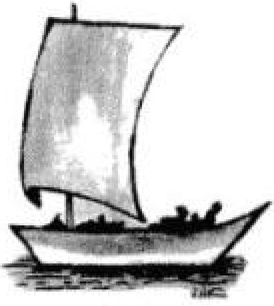
وحين تعود السفينة بالنازحين الى اوطانهم فان قلوب الشعراء تتجه اليها لتسرع بهم الى تراب الوطن ورحابه . وما أرق الشاعر أحمد شوقى وهـــو يتلفت من منفـــاه بالاندلس الى مصر فيخاطب السفينة التى كناها بابنة اليم، قائلا فى نفس حنون :

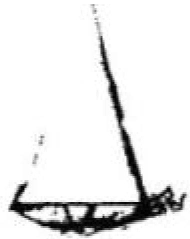
يا ابنة اليم ما أبوك بخيـــل
ما له مولعا بمنـــع وحبس ؟
احرام على بلابله الـــــدو
ح حلال للطيـــر من كل جنس ؟
كل دار احق بالاهـــل الا
فى خبيث من المذاهـــب رجس
نفسى مرجـــل وقلبى شراع
بهما فى الدمـــوع سيرى وأرسى
واجعلى وجهك الفنـــار ومجرا
ك يد الثغريين « رمل » و « مكس »
وطنى لو شغلت بالخلد عنـــه
نازعتنى اليه فى الخـــلد نفسى

تجمع الاحباب وتفرقهم

واذا كانت « السفينة » ترد العائدين الى أوطانهم بعد طول نأى كما رأينا عند الشاعر شوقى ، فانها أيضا تحمل المغتربين عن أوطانهم وتدفعهم بعيـــدا الى آفاق الارض . وقد عبر عن هذا المعنى الشاعر المهجرى شفيق المعلوف بقوله من قصيدة « نداء المجاذيف » :

مجاذيف عبر اليم ، طاب لها صدى
يرجعه صفق على الموج هـــادىء
متى رحن يشققن العباب تصاعدت
من القعر تجرى خلفهن اللآلىء





يدفعن فتيانا تتريهم النــــوى
على كل أفق والرياح تتــاويه
فوالله ما أدرى أعنــف وداعهم
تئن الصوارى ام تئن المراقيه ؟
اطلوا بوجه من كوى السفن واجم
كأنى بهم دمع بكته الشواطيه !

وليست هذه هي الوقفة الوحيدة للشاعر شفيق المعلوف على متن السفن وهي تحمل الاحباب وتفرقهم . فله قصيدة أخرى بعنوان (بين شاطئين) يصور فيها موقف الوداع على الميناء ، ومناديل المودعين البيض تلوح في الفضاء ، وقد تحرك صدر السفينة لتشق بركابها صدر العباب . وكأن مقدمها يجرى على أمواج متعاقبة متحركة كأنها قطيع خراف متدفع مذعور :

مناديل من ودعت يخفقن فوقهم
فلا ترهقيهم يا سـفين واقلعى
بعدن ، فغشــاهن دمعى كأننى
أراهن من خلف الزجاج المصــدع
ومال بنا صدر السفينة فانثــوت
تشق بنا صــدر العباب المروع
كأنى بها يجرى مقـــدمها على
قطيع خراف مجفــــل متدفع

وما أبأس الشاعر المغترب وهو يرى نفسه على ظهر سـفينته ترمى به في مطاوى البحار ، وتقذف به من شبح الى شبح . وقد مرت هذه التجربة بالشاعر المهجرى الياس فرحات حينما ركب متن السفينة (أرلانزا) التى اعادته من الارجنتين الى البرازيل في غربة ممدودة فقال :

رباه رفقا بمخلـــوق رميت به
في الارض تسعده طورا وتشقيه
ما ان تفيض لتسليم مدامعـــه
حتى تفيض لتوديع ماقيـــه
قد حاربته الليالي الغبر عاصبة
عينيه ، تعصر صاب الياس في فيه
وقد تجـاوز حد الاربعين وما
ينفك يقذف من تيه الى تيه ..

على أن (السفينة) قد مرت بخاطر شاعرنا الياس فرحات مرة أخرى ، وهو يرثى أمه التى ماتت في أرض الوطن ، وهو بعيد عنها في مهاجره الامريكى البرازيلى ، فوصف قلقها وتطلعها الى رؤية أولادها المغتربين ، وهى ترقب على ميناء بيروت كل سفينة قادمة لعلهــا تكون حاملة ابناءها أو واحدا منهم ، فقال في بيت من الشعر الرقيق المؤثر مخاطبا أمه :

انفقت عمرك ترقبين رجوعنـــا
وتجوس كل سفينة عينـــاك

وهذا التطلع أو الترقب نحو الاكباد النازحة قد عبر عنه كاتب هذا المقال في قصيدته (بعيدون حتى بالظنون) التى نظمها في الحنين الى أبنائه الثلاثة المهندسين المغتربين بأمريكا والبرازيل حيث يقول :

اسائل عنهم كل نجـــم مشرق
واسأل عنهم كل نجم مغـــرب
واستروح الانباء من نحو ارضهم
لاشفى جراحات الفؤاد المعــذب
واستخبر الركبان عن كل قــادم
واستنطق الربان عن كل مــركب

واذا كانت الابل والنوق هى مفرقة الاحباب ، وغراب البين عند الشاعر العربى القديم الذى يقول :

ما فرق الاحباب بعـــ
ـد اللـــه الا الابل
وما غــراب البين
الا ناقة او جمــل !

فان أغربة البين اليوم هى الطائرات، والسفن البحرية التى تحمل الاحباب والاصحاب بعيدا بعيدا الى مواطن لا تدركها الظنون.

ذكريات صيف

لشاعر الكرنك أحمد فتحي

سهرت ارعى لمحات الجوى   في خاطري ، والليل ساج ينام
واشتعل الوجد وراح الهوى   يسكب في الاضلع نار الهيام

***

ولم يزل بي السهد ، حتى جرى   دمعي ، ولاح الصبح لي بعد حين
وانتفض القلب على ما يرى   من ذكريات عبرت بي سنين

***

سعيت الى النيل اشكو له   غرام الفؤاد واهواله
ورن هتاف الربى : ما له   ترى غير العشق احواله ؟
فهل روع الوجد آماله ؟   وهل حطم الصيف تمثاله ؟

***

وضفاف النيل مغناي ومرعاي ، وفيها
انس روحي
وعلى سرحتها غنى شبابي وعذابي
وجروحي

***

وانا ابن النخيل والنيل والظل ، وخضر الربى ، ونجم الصباح
يسمع الفجر آهتي اخر الليل ، ويسري على المساء نواحي

***

وبدمعي يبكي الغمام ، وما بحت اليه بسري المكنون
وبانفاس لوعتي تسرع الريح خطاها الى عناق الغصون

***

يا باعث الشجون   وموقظ العيون
بالوجد والحنين   والسهد والانين

***

عنك اداري الشوق ، لكنما   تبوح بالاشواق لي وحدتي
واشرب الدمع ، فيروى الظما   وتنطوي الاوهام عن ليلتي

***

انت غدي والامس والحاضر   فلا تقل امسي اضحى بعيد
ركنك هذا الهادئ العاطر ؟   ام ذكرياتي فيه ليست تعود ؟

عبد الرحمن صدقي

البحر في



الكنود هوجو : اصدر في شبابه ديوان « الشرقيات »

لم يدخل « البحر » دخـول الطاغي المقتحم على الادب الفرنسي الاعلى أثر الحروب الصليبية التى كان قوامها الفرنسيين ، مما جعل العرب يطلقون على الصليبيين اسم « الفرنجة » وهو تعريب Francs اسم الفرنسيين القديم . ومعلوم ان الحملات الصليبية دامت نحو قرنين من الزمان ، زادت خلالهما الحاجة الى اسـتعمال السفن الضخام في نقـل الالوف من الصليبيين فرسانا ومشاة مع العدة والمؤن ، متجهة في محـاذاة الشواطئ الى شرق البحر الابيض المتوسط قاصدة بيت المقدس في فلسطين . ثم بعد اكثر من قرن من الزمان ، ما كان في عهد الملك لويس التاسع من عبـور السفن الضخام عرض البحر الى شـمال افريقيا قاصدة مصر ، حيث كانت هزيمة الصليبيين واسر ملكهم في الخامس من ابريل سنة ١٢٥٠ ، وما كان بعد دفعه الفـدية من حملته الصـليبية الاخيرة سنة ١٢٧٠ قاصدا تونس حيث اصابه الوباء وادركته المنية .

والفضل في خروج السفن بمن عليها الى عرض البحر منذ القرن الثـاني عشر يرجع الى تقـدم الملاحين المطـرد في اسـتخدام « البوصلة » : اى بيت الابـرة ذات السن المغناطيسية التي يهتدون بانجذابها نحـو نجمـة القطب الشمالي الى تعيين سائر الجهات .

كانت الموضوعات الدينية هي الغالبة في فرنسا طوال العصور الوسطى على الفنون الادبية ، واكثرها كان يكتب شعرا بما في ذلك المسرح الذي كان اروجها ، واشدها ملاءمة لارضاء الاذواق وموافقة الاهواء عند سائر الطبقات من عامة الناس والنبلاء والسيدات والعلماء ·

واذا نحن ذكرنا ان قمةالنجاح لهذا المسرح في الاعوام المائة الاخيرة في العصورالوسطى ـ ترجعالىالمسرحيات الدينية المسماة « الاسرار » التي تتعرض لوصف الجنة والنار ، مع الافتنان ـ على نحو يكاد يخلو من الجد لمجاوزته الحد ـ في تصوير الزبانية الشياطين ··· اذا نحن ذكرنا ذلك ، ادركنا ما كان من استغراق اهل تلك العصور ـ نظريا على الاقل ـ في عالم الغيب ، حتى صرفهم عن آيات الله في عالم الشهادة ، فلم يعنوا عناية تذكر بوصف بديع صنعه تعالى في مجال الطبيعة في هذه الحياة الدنيا ، وتصويرها كما هي في خلقتها الطبيعية نابضة حية ·

هذا البحر ، نضرب المثل على وجوده عند شعراء العصور الوسطى، بتقديم هذه المقطوعة باللغة الفرنسية القديمة في القرن الثاني عشر وهي للشاعر « فيليب دي توم » من شعراء الجنوب الفرنسي ، وهم المشهورون باسم « التروبادور » جيران العرب من الجانبين : الاندلس والصقليتين (جزيرة صقلية وجنوب شبه الجزيرة الايطالية) · وهذه ترجمتنا لها :

الأدب الفرنسي



شارل بودلير : رائد الشعر الرمزي ···

هذا البحر ، تغشاه عروس الماء
واذا هاج عليه الاعصار طاب لها الغناء
ان لها جسم المراة حتى حقويها
وساقاها كمثل ساق الصقر ،
وكالسمكة ذيلها
فان هي ارادت ان تدخل السرور على قلبها
عمدت الى الغناء فرفعت به صوتها الرخيم
فلا يكاد يسمعها النوتي الملاح ·
حتى يسكر حسه وينام داهلا عن نفسه ·
فمن تكون عرائس الماء هذه ؟

. . . .

انهن عروض الحياة الدنيا وزخارفها
ومن هذا البحر ـ بحر الحياة المضطرب ·
تطلع فتنة هذه الدنيا ،
اما السفينة فترمز الى راكبيها ، ابناء الارض
ولما كان النوتي الملاح رمزا للنفس
فالسفينة هي الجثمان الذي يحتوى نفس الانسان

. . . .

والمغزى : ان النفس حين تقارف الاثم
ياخذها السبات الى ان يسلمها الى الموت ·

وهكذا دخل « البحر » فى ادب العصور الوسطى ، عصور الايمان ، رمزا للدنيا الغرور ، المتقلبة ، الخادعة ، الغدارة التى ليس لها امان ·

البحر والاساطير اليونانية

فى القرن السادس عشر ، جاء عصر النهضة باعثا التراث الدفين الذى كانت تعفى عليه السنوات ، من علوم اليونان والرومان وآدابهم وفنونهم ، وهم اهل حضارة بعيدة عن الروح المسيحية · فلا غرو ان يتحول الاهتمام فى فرنسا وعند اهل الغرب منذ ذلك العهد ، عن البحث فى امور الدين وما وراء الطبيعة ، الى طلب المتعة فى الحياة الدنيا وعبادة الجمال فى الانسان والطبيعة ·

فكانت اولى مظاهر هذا التحول ، ان تنكر الجيل الجديد لكل ما يمت الى العصور الوسطى من قريب او بعيد ، لا فى الاداب والفنون فحسب ، بل فى اسلوب المعيشة الفردى والاجتماعى ، ومفهوم المسلك الاخلاقى ، وبالجملة فى النظرة الى الحياة من حيث المبدا والهدف ·

ولقد بلغ جيل النهضة من الفنانين والادباء فى الغرب المسيحى ، ومنه فرنسا ، من حماسته لهذا التراث القديم للعلوم والاداب والفنون ، ان تقبلوه على علاته ، وتاثروا به كله حتى اساطيره الدينية وتماثيل الهته الوثنية ، الى حد ان صار لها نصيب عظيم من اعمال فنانى النهضة من مثالين ورسامين ، سواء من حيث الموضوعات ام من حيث الطابع الفنى ، والمبالغة فى التجسيم ، وابراز التقاطيع الجسدية فى الجنسين ، حتى فى الشخصيات الدينية ·

بحيرة بورجيبه ..
خلدتها قصيدة « لامرتين »



وقد ظهرت بطبيعة الحال هذه الظاهرة بعينها وبنفس هذا الجلاء . بل اجلى منه واطول منه زمنا . فى الادب الفرنسى الكلاسيكى طول عهده. من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر فى المسرح وسائر الفنون الادبية التى تكتب شعرا ·

وفيما يلى تأييد لما ذكرناه عن هذه الظاهرة السائدة على الشعر الكلاسيكى فى وصف الطبيعة ، وخاصة « البحر » وما يجرى مجراه ونبدأ باكبر شعراء النهضة فى فرنسا غير مدافع . وهو « رونسار » Ronsard الذى يكفى لاظهار مبلغ حماسته للشعر اليونانى القديم قوله فى مقطوعة من أجمل مقطوعاته الشعرية التى يتغزل فيها على عادته بالحسان :

« اريد ان اقرأ « الياذة هومر » كلها فى ثلاثة ايام
« فاغلق الباب باحكام ، وامنع الزيارة عنى ، باغلام »

هذا الشاعر الذى ذهب فى شدة حرصه على اعادة القراءة للملحمة « هومر » العتيقة ، أن حرم نفسه ثلاثة ايام ولياليها من زيارة حسناته المشوقة ··· اتفق فى زمنه ، وعلى وجه التحديد فى سنة ١٥٧٠ ، أن هاجم الاتراك فى عهد السلطان سليم الثانى جزيرة قبرص فى البحر الابيض المتوسط ، لانتزاعها من جمهورية البندقية التى بسطت سلطانها عليها منذ سنين · فماذا فعل شاعر النهضة المسيحى ؟ انه — فى تأثره بالشعر اليونانى القديم — اتجه بالدعاء والابتهال الى آلهة الجمال « فينوس » باعتبار أن ميلادها كان هنا من زبد البحر بالقرب من هذه الجزيرة ، فهى حاميتها ، وفى مستطاعها بكل تأكيد حمايتها ، لأن عشيقها هو « مارس » اله الحرب نفسه · وحسبنا هذه الاشارة الى مقطوعة شاعر النهضة ، فما نظن بالقارئ حاجة الى المزيد من التفاصيل الوثنية التى اشرنا لها ·

ولعل هذا الشعر وامثاله ، قد جاء من اتصال « رونسار » وامثاله الشعراء من قبله وبعده ، بالبلاط · ومع ذلك ، فقد كان للشاعر — وهو شاعر الملك — من استقلال الشخصية والشجاعة الادبية ، ما جعله يخاطب « شارل التاسع » بهذين البيتين من قصيدة له فى التهنئة بتنصيبه بعد بلوغه سن الرشد وتسلمه مقاليد الحكم :

« مولاى ! كونك ملك فرنسا ليس كل شىء
« فلابد من أن يكون للنسب ، ما يطرفه من صفات الفضيلة »

ونحن نخطىء فى حق « رونسار » أشد الخطأ ، اذا أطلنا الوقوف عند كونه « شاعر الملك » فقد كان أكثر من ذلك بكثير · فلقد نظم العدد العديد من مطولات القصائد الوطنية التى تشتعل حماسة وتفيض اخلاصا . كما نظم المقطوعات الوفيرة الشهيرة ، المحببة للقراء حتى اليوم فيمن أحبهن من الحسناوات· والقارىء لهذه الاشعار الرقيقة — وما يتصل بها من مناجاة الحمامة الورقاء « La tourterelle » — يكاد يحسبها ترجمة لما تقدم فى العصور الوسطى من شعر الغزل عند العرب ·

واذا تركنا· هذا كله الى موضوع كلامنا وهو البحر ، فان للشاعر فيه وصفا كانما استوحاه من القرآن الكريم فى قوله تعالى : « وجعلنا من الماء كل شىء حى » وذلك فى الابيات التى يصف فيها رونسار « البحر » بعيدا عن الاساطير اليونانية المألوفة الاستعمال فى عصره ذلك فى قوله :

« البحر رحم الكون »
« La matrice de L'univers » .

وفيما يلى عصر النهضة تكتفى من

الامثلة على غلبة الاساطير اليونانية الرومانية على وصف الطبيعة ومنها البحر في العصور الكلاسيكية بهذا المثال من القرن الثامن عشر ، وهذا القرن التزم الكلاسيكية في شعره ، وان كان قد مهد في نثر « جان جاك روسو » الى قيام المدرسة الرومانتيكية التي خلفتها . وذلك لان العصر كان عصر انتقال بدليل انتهائه بالثورة الفرنسية الكبرى .

ومن عجيب المصادفات ان الشعر الكلاسيكي الذي اخترناه مثالا للقرن الثامن عشر يحمل اسم « روسو » مع اختلاف في وسطه . فهو « جان باتيست روسو » من المشهورين في زمانه وصاحب مدرسة في الشعر . ولا حاجة بنا الى القول ان لا وجه للشبه بين الاثنين :

على سواحل ارجوس اليونانية
حيث يقبل في جلاله البحر ، محطما امواجه على الصخر
تقدمت صغرى فتيات ارجوس الى اله البحر
تستعديه على داعر من ساكني الغاب
من ذلك الجنس الذي الف الاعتداء على كل كاعب عذراء
وقد رفعت صوتها مستنجدة :
يا اله البحر « نبتون » العظيم
« استمع لصوتي الضارع الحزين
« لا تدع طهارتي مطمع الغاصبين
« صن حياتي وسمعتي من كل عشق اثيم
« ويلاه ، لو ان هذا الدعاء
« ضاع سدى في الهواء !
كذا تكلمت فتاة ارجوس الصبية الحسناء
والدموع تهمي غزارا من عيونها النجلاء

ونقف في الترجمة عند هذا الحد ، تاركين للقارىء ان يتخيل اله البحر « نبتون » يخرج الى صبية « ارجوس » الحسناء ، مقبلا على صدفة وضاءة تجرها خيل مطهمة ضخام ، ومن وراثه حاشية جمة العدد من الاعوان ، وفي اثرهم جنيات الماء يترنمن بالغناء على موسيقى يعزفها افواج من حيوان البحر في ابواق من الودع والمحار ، مما يذهل صبية ارجوس الحسناء عن نفسها وعن موضوع شكواها . ولكن الاله « نبتون » يحييها في احترام ويقدم لها مع اللطف الابتسام بعض ما تكنه بحاره من اللآلىء والمرجان ، فتطمئن نفسها ويتهلل وجهها بالبشر وتلتمع عيناها بالهوى العذري وتفيض بالرضا كل جوارحها . فتركب الصدفة معه وهما يتناجيان ، الى حيث يضمهما الخدر في اعماق البحر .

وايا كانت الحال ، فان هذا الباقي الحي من الادب التقليدي في القرن الثامن عشر ، ظهر الى جانبه من مستحدث الادب في النثر والشعر ، ما كان له في الازمنة الحديثة اعظم تأثير .

في الازمنة الحديثة

الواقع ان التجديد الذي دخل في الازمنة الحديثة على الشعر ، واشتهر في الاداب باسم «الشعر الرومانتيكي» في القرن التاسع عشر ، لا يمكن ان يكون تطورا ، ولو بعيد المدى ، مثل شعر « جان باتيست روسو » المتوفى في منتصف القرن الثامن عشر ، لان الاختلاف بين الجيلين لا يقف عند الفارق في الخيال ، واسلوب التصوير وضروب الايقاع الشعري ، بل هو اختلاف يذهب الى اعمق من ذلك ، الى ذلك النوع من الحساسية الذي اختصت به المدرسة الرومانتيكية .

واعجب ما في الامر ، ان هذه الحساسية التي يؤرخها تاريخ الادب الفرنسي بالعام ١٨٢٠ وهو موعد ظهور ديوان الشعر المسمى « تأملات » للشاعر الفونس « لامرتين » قد سبق اليها رائد من ادباء القرن الثامن عشر ،



نفسه ، ولكنه رائد من كتاب النثر ، عاش حياته خصما للشاعر «فولتير» وتوفى فى سنة وفاته . انه الكاتب العصامى الذى تعلم وحده من غير معلم جلس اليه او جامعة التحق بها ، جان جاك روسو » . فهو باتفاق الرأى عند النقاد أجمعين «جد الرومانتيكية» الذى امتد بعد ذلك تأثيره خلال السنين المتعاقبة بدرجات متفاوتة الى كل الادب الفرنسى العصرى حتى اليوم .

فقد كان الادب منذ قرون عدة قبله — نثرا أو شعرا — باستثناء « فرانسوا فيللون » فى القرن الخامس عشر — أدبا لا يعبر عن صاحبه ، فادخل عليه — مع الموسيقى الداخلية — تلك الحساسية الشخصية الخاصة ، وذلك القران بل الوحدة بين الطبيعة والانسان .

وهذه الحساسية الفردية الخاصة التى ظهرت أول ما ظهرت فى نثر « جان جاك روسو » منبثة فى جميع ما سطره قلمه من سيرته الذاتية ، كالاعترافات ، الى كتاباته الاجتماعية والسياسية ، وسرعان ما سرت الى اكثر من كاتب من كتاب النثر بعده ، وعلى الاخص « برناردان دى سان بيير » الذى يعرفه قراء الشيخ الاديب مصطفى لطفى المنفلوطى فى مصر والوطن العربى كله . ولما كان هذا الكاتب الفرنسى ممن عرفوا البحر أول ما عرف ، لولده بجواره فى ميناء « الهافر » الكبير شمال فرنسا ، فقد ترك لنا الكثير عن البحر فى كتاباته عن الطبيعة ، نكتفى منها بهذه الفقرة

« كنت فى ايام طفولتى كثيرا ما اذهب وحدى الى شاطىء البحر ، فاجلس فى تجويف صخرة من الصخور الساحلية مصقول كالحرير ابيض كالحليب ، فى وسطه بقايا مما يحمله العباب من النباتات الساحلية فتظل فى موضعها تضربها امواجه المتكسرة المزبدة . هنا كنت اهرب ممن يكبروننى سنا من الناس ، فاجد الراحة فى الشكوى الى الشمس من استبدادهم .

وكانت الرياح فى زفيرها والامواج فى خريرها كانما تنحازان الى جانبى .. وتتظاهران بهذه الاصوات المرددة عطفهما على محنتى وعذابى . وانى لاراهما — الرياح والامواج — مقبلتان نحوى من اقاصى الافق ، وهما تعبران ماخرتان لجة البحر الرجراج الازرق ، تسوقان امامهما المئات من الاكاليل البحرية ، فاتلقاها على انها من قبيل التحية لى . ثم لا يلبث ذلك اللغط الغامض الذى يتوارد على سمعى من بعيد ، ذلك اللغط الخليط بين اللطيف والعنيف ، من حفيف وعزيف ، ووسوسات وهمهمات ، فضلا عن الحركات المتصلة الخفية ، لا تلبث فى سمعى تشغلنى وتستبد بى ، حتى تحتوينى وتستغرقنى فى ما لا آخر له من أحلام اليقظة ... »

وبعد هذه الفقرة التى ربما تقرأ هنا فى العربية لاول مرة ، نحيل القراء الى قصة لهذا الكاتب معروفة لديهم لا محالة عن الحب المثالى بين « بول وفرجينى » التى عربها على طريقته وتحت عنوان « الفضيلة » أديبنا الشيخ المنفلوطى ، حيث يجدون نموذجا مشهورا فى وصف هياج البحر ، فى المشهد الفاجع لموت

« فرجيني » على مرأى من « بول » ، من جراء غرق المركب الذى كان يقلها فى عودتها الى الحبيب · ولا بد لنا – مع ذلك – من تنبيه القارىء الى أن الترجمة العربية لا تظهر ما كان يتميز به التلميذ المؤلف عن استاذه من الصبر الطويل على ذكر التفاصيل حتى ادقها شكلا ولونا وحركة وصوتا فى اوصافه للطبيعة ·

ولكن هذا التلميذ الصبور الذى عرفه عندنا الكثير لم يلبث – مع بقائه على المسرح الادبى – أن بدا فى حجم أصغر من حجمه الطبيعى ، حين ظهر من كتاب النثر على طريقة « روسو » شخصية أخرى – هى باعتـــراف الجميع ، الشخصية الكبرى التى تمثل النثر الرومانتيكى فى القرن التاسع عشر ·

صاحب هذه الشخصية الادبية هو « شاتوبريان Chateau Briand » الذى كان كالرحالة الكثير الاسفار ، كما كان من رجال السياسة الناجحين. ومن انصار العقيدة والاشادة بالدين ، ثم هو – اولا وآخرا – أسبق من أدخل على الادب الفرنسى ذلك الحزن الغامض ·· الاليم فى الحس ، المحبوب للقلب، الشهى الى النفس : ذلك الحزن الذى اشتهر باسم « الحزن الرومانتيكى » ، كما اطلق عليه النقاد اسم « داء العصر » .

وقد كان مولد هذا الكاتب الناثر الكبير بجوار البحر فى بلدة « سـان مالو » التى كانت فى عصر من العصور مأوى لقراصنة البحار · وسـكان المدينة معظمهم من الصيادين الـذين يتعرضون فى طلب العيش لما يتعرض له امثالهم فى أحيان كثيـرة من الاخطار ، من سوء الاحوال الجوية والانواء وهياج الامواج ، فى خروجهم الى صيد الحيتان فى عرض البحار·

ومن ثمة كانت كتابات شاتوبريان عن « البحر » مستمدة من انطباعاته ومعاناته العملية طوال حياته المديدة الحافلة ، فى اسفاره العديدة التى نذكر منها على الترتيب رحلته عبر المحيط الاطلسى – الذى ابترد بين امواجه ذات يوم قائظ – فى طريقه الى امريكا سنة ١٧٩١ ، ومنفاه بعد ذلك الى انجلترا نحو سبع سنوات ، وسفره الى روما سفيرا ، ثم رحلاته بعد استقالته الى اليونان وفلسطين ومصر وتونس واسبانيا ، ثم سفره الى برلين ولندن سفيرا ، ثم مقامه فى سويسرا حتى سنة ١٨٣٣ وهكذا حتى وفاته فى سنة ١٨٤٨ ·

والكاتب الكبير يحدثنا فى أول « مذكرات من وراء القبر » التى طبعت بعد وفاته ، فيقول : « ما من يوم مر بى ، وذكرت فيه اول ايامى ، الا تراءت فى اعماق ذاكرتى ، الصخرة التى كان يعلوها البيت الذى ولدت فيه ، والحجرة التى جنت على فيها أمى أن جاءت بى الى الحياة ، والعاصفة التى كان هديرها أول ما هز مهـد نومى · كما يتراءى لى ساحل البحر الزاخر ، ما بين القصر والقلعة حيث كانت نشأتى رفيق الامواج والرياح· لقد كان أول ما ذقتـــه من اللذآت مقاومتى للعواصف ، ولعبى مع الموت، وهو ينحسر أمامى الى عرض البحر، أو يجرى ورائى الى الساحل ··· »

ثم يصف لنا الكاتب الكبير ما كان يشهده فى الحين بعد الحين وخاصة فى فصل الشتاء من زحام فى كنيسة القرية ، والكل ركوع من شــيوخ الصيادين المتقاعدين ، وصبايا النساء الارامل وابنائهن ، يصلون وفى أيديهم الشموع على هذا الميت المسجى فى التابوت من الصيادين الذين أغرقهم البحر كالعادة كل حين · من هـذا المشهد المتكرر ، عرف الغــلام « شاتوبريان » الموت اول ما عرفه فى صورة البحر · أن ذلك البحر نفسه رفيق العابه ومسرح احلامه – هـو

الذى يختطف الرجال من عقر دورهم ومن احضان نسائهم ، ليملأ به بطنه الكبير ويشبع سمكه ...

ولما كان دور الكنيسة يشمل ايضا مباركة الصيادين كلما خرجوا للغياب فى عرض البحر اياما للصيد ، فقد اقترنت فى ذهن « شاتوبريان » ، منذ هو غلام حتى وهو شيخ فان ، معانى الحياة والموت والدين والبحر .

البحر والرومانتيكية فى الشعر

كان القرن التاسع عشر عصرا للشعر العظيم فى فرنسا . فما من عصر غيره طالعنا بمثل ما طالعنا به من الحيوية والتنوع فى الشعراء والموضوعات ، فى مثل هذا النطاق المحدود من الزمان .

ويعتبر هذا العصر فاتحة عهد جديد للشعر ، دون انفصام تام عما قبله ، كالانفصام الذى قضت به النهضة فى القرن السادس عشر القضاء الاخير على عهد العصور الوسطى فى أوربا . فنحن لا نزال نرى حتى اليوم بعض الاتجاهات الكلاسيكية الرئيسية قائمة ، يتداول عليها الضعف والقوة باختلاف المؤثرات مع سير النظم الاجتماعية ، وعلى حسب الاتجاهات العلمية فضلا عن تقلبات الشعور العام تجاه المسائل العامة .



وقد كان أمام الادباء الفرنسيين منذ مستهل القرن التاسع عشر ، الدراسات التى اثارتها الاديبة النابغة « مدام دى ستايل » فى كتابها سنة ١٨٠٠ وعنوانه « الادب من حيث علاقته بالمجتمع » الذى رددت فيه نداءها « لا بد لكل مجتمع جديد من ادب جديد » . كما الحت سنة ١٨٠٢ فى قصتها « دلفين » التى تدور حول حياتها الخاصة تحت هذا الاسم المستعار ، الى حرية الفرد أمام المجتمع . وأخيرا قدمت سنة ١٨١٣ فى كتابها عن « ألمانيا » نماذج عن أصحاب الادب الجديد فى ألمانيا مثل « جوته » و « شيلر » ، الى جانب حملات الشاعر الناقد الالمانى « شليجل » على القيود الكلاسيكية التى يتقيد بها المسرح الفرنسى ، بدلا من الانطلاق والحرية .

وقد كان من الطبيعى ، أن يستقبل الجيل الجديد الفرنسى هذه الدعوة ، من مصادرها الفنية — فرنسية وأجنبية — الى الانطلاق والحرية ، بتلك الثورة الرومانتيكية التى بلغ فورانها قمته سنة ١٨٤٠ ، ولم يهدأ الا فى منتصف القرن .

وكانت الاشارة الاولى هى — كما سبق ان ذكرنا — ديوان « تأملات شعرية » الذى صدر فى ١٣ مارس ١٨٢٠ مشتملا على اربعة وعشرين قصيدة باسم « الفونس دى لامرتين » .. واذا بالديوان الصغير ينجح نجاحا فوريا ومدويا ، حتى طبع سبع مرات فى تسعة اشهر ، اذ لقى فيه الجيل الرومانتيكى الشاعر الذى كان ينتظره .. ولم يكن الديوان مع ذلك يعرض جديدا من حيث الشكل والموضوعات فقد كان الجديد شيئا اخر . انه هذه الحساسية الجديدة التى تنطق بها موسيقية غريبة عن الشعر الفرنسى ، كأنها مستنزلة من الافلاك السماوية قد أوحى بها اليه .

والواقع ان الديوان كان من وحى حب عفيف طاهر ، لمن سماها «الفيرا» ـ واسمها الحقيقى السيدة « جيلى شارل » ـ كانت فى خريف سنة ١٨١٦ تستشفى فى مدينة المياه المشهورة « اكس لى بان » من مرض اشتبه فى انه جرثومة السل ٠

واتفق فى ١٠ من اكتوبر ان كانت فى نزهة فى زورق على بحيـــرة « بورجيه » وتعرضت للغرق ، فبادر الى انقاذها شاب وسيم فى السادسة والعشرين ، هو ـ كما قد تبادر بالطبع الى ذهن القارىء ـ شاعرنا «لامرتين» ٠٠ ولما كانا متقاربين فى السن ، فقد انعقدت الصلة بينهما ، وتكـــرر لقاؤهما على البحيرة ٠ ولكن الصلة لم تدم الا اياما معدودات فقد اضطرت السيدة الى العودة لرعاية زوجهـــا الكهل الذى اشتد به المرض ٠ ولم يجد الشاب الشاعر ما يغريه بالاقامة بعد رحيلها ، فعاد الى بلدته «ماكون» ٠٠ ولكنه لم يلبث ان حاول الاتصال بها فى باريس ، وتجدد اللقاء بينهما فى حدائق « التويلرى » ، من يناير ١٨١٧ حتى اخر مايو ٠ وكان المرض قد استفحل بحيث لا تخطئه عين الرائى لفرط نحولها وشحوب طلعتها والوهن فى مشيتها ٠ ثم انقطع لقاؤهما وغادر الشاعر باريس الى بلدته ٠

فلما أن جاء الخريف التالى نازعته نفسه الى السفر الى معاهد هواهما فى « اكس لى بان » ٠ فلم يتحقق ما كان يحلم به من تجدد لقائهما ثانية فى نفس المكان والزمان ٠ فجعل فى غيبتها يستعيد على البحيرة ذكريات ما كان ، ويتمنى لو احتفظت الطبيعة بهذه الذكريات تخليدا لهذا الحب ، فكانت قصيدة الشـــاعر نفسها « البحيرة » هى الكفيلة ـ بدلا من



شـاتو بريان : معنى
الحياة والموت والبحر

الطبيعة ـ بتحقيق حلم التخليـــد المنشود ، بفضل خلودها عند أجيال القادمين ٠

ولم يبق « لامرتين » وحده طويلا فارس الميدان ، فقد ظهر بعده فتى يصغره باثنتى عشرة سنة وهـــو « فيكتور هيجو » ٠ وكان « هيجو » قد تعلق بالادب من صغره ، حتى بلغ من ولعه ـ وهو طالب بمدرســـة الليسيه ـ بكتابات الناثر الرومانتيكى الكبير « شاتوبريان » وشخصيته ، انه كان يسطر هنا وهنـــاك على كراساته المدرسية هذه العبـــارة : « أريد أن اكون شاتوبريان ، أو لا شىء » ٠

وقد انتهى الامر أن انصرف الفتى عن اتمام دراساته ، ليتوفر على نظم الشعر ٠ وكان ينتهز كل فرصـــة للمباريات الشعرية ليتقدم اليها ، بما طبع عليه من الحماسة العملية وروح النضال والمزاحمة على الحيـــاة والطموح الى الشـــهرة ٠ فلم تمض

سانان على ديوان « لامرتين » « تأملات » حتى نشر « هيجو » ، وهو في العشرين من عمره ديوانه « قصائد » ، فبلغ من النجاح ما اقتضى ظهور طبعات في السنوات التالية مع الزيادة فيه في كل مرة حتى سنة ١٨٢٨ .

ولكن المفاجأة الكبرى كانت في سنة ١٨٢٩ حين نشر ديوانه « الشرقيات » الذي جاء بعد موضوعات « لامرتين » العاطفية يكشف عن ناحية اخرى من الرومانتيكية ، وهي الاهتمام بالشرق، مجلوا في ابهى وأروع الوانه المحلية

ان نجاح « الشرقيات » فاق كل نجاح قبله « لفيكتور هيجو » نفسه . وقد توالت الطبعات الواحدة اثر الاخرى ، فنفدت ولم ينفد الطلب عليها .. ذلك ان الشاعر أتى بالجديد في الشكل والمضمون ، كما أنه — طبقا لما اسلفنا — على العناية كلها باللون المحلى الذى صار في المقدمة من

اغراض الفن الرومانتيكى . يضاف الى ذلك ان الشرق الذى وصفه الديوان او استحضر خياله في هذه الاشعار المشرقة الساطعة ، هو ذلك الشرق الذى كان يشغل اوربا بأسرها منذ بدء التمرد اليونانى سنة ١٨٢١ على الحكم العثمانى . فان هذه

الحرب التحريرية ، لم تكن قد انتهت تماما حين ظهر هذا الديوان وفيه الكثير مما يدور حول وقائعها ، مثل منظومات « كناريس » ، و « نافارين » و « المعركة الخاسرة » و « الطفل » وامثالها ، بالاضافة الى لوحات شرقية

او اسبانية مثل : مصر، وكرم العربية، والقمر على البسفور ، وغرناطة وغيرها ، وكلها شائقة الموضوع ، قوية الخطوط ، مشبوبة الالوان مع مزج الانوار بالظلال ، وبالجملة تخاطب الخيال الاوربى اضعاف ما تخاطب العاطفة أو العقل . وقد اثرنا هنا ان نترجم للقارىء ما استفتح به الشاعر ديوان : «الشرقيات» وعنوان المقطوعة : « الطوفان » :

البحر ! البحر في كل مكان
امواج ، ثم امواج
على الدوام امواج لا اخر لها
تدفعها على الدوام امواج لا اخر لها
لا ترى عين هناك او هنا
الا امواجاً متراكمة

تتارجح كالجبال على سطح الهاوية
متدحرجة فوق لجج في الاعماق متراكبة متلاحمة

**

وفي الحين بعد الحين تبدو في هذا البحر حيتان
تسبح افواجا بعد افواج ممتطية ظهر الامواج
عارضة زعانفها بلون الفضة
او ذيلها العريض الضارب للزرقة .
والبحر كالوادى فيه قطعان الاغنام
تتراكض فتهتز فروتها الصوفية وسط الزحام ،
ولكن بعيدا هناك ، دائرة من الفولاذ تسد الافق
حيث تتصل زرقة السماء بزرقة الماء .

وبعد هذه المقطوعة الصغيرة من فاتحة القصيدة الطويلة التى افتتح بها « هيجو » ديوانه « الشرقيات » ، كنا نود أن نقدم له قصيدة مشهورة من دواوينه الاخيرة وعنوانها باللاتينية Ocean Nox أى « الليل يطلع من البحر » وهى عن فجيعة من فجائع الملاحين ، هبت الاعاصير على سفنهم في البحر الهائج فاغرقتها ، ولا يعرف أهلهم ان

كانوا مغرقين أو مفقودين ، فهم نهارا وليلا حيارى على الساحل ينتظرون ·

ولما كانت القصيدة من المطولات ، فقد اجتزانا بذكر خلاصتها ، مؤثرين عليها مقطوعة جاءت في أواخر ديوان « الشرقيات » بعنوان « نشوة » Extase » ، لم نتمالك أن سرت اليها منا ـ دون تعمد ـ هذه النفحة الاسلامية ·

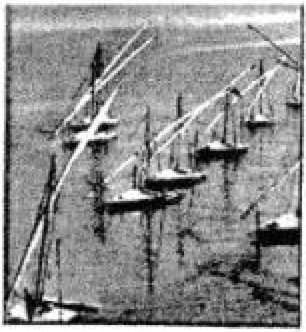
كنت وحدى مع الامواج الطامية
في ليلة طلعت نجومها الزاهية
والسماء ليس فيها سحابة
وعلى البحر لا شراع
وناظـــرى شاخص يتطلع الى الغوص ، الى ما وراء عالم الحس ،
فاذا الغابات والجبـــال والطبيعة كلها
كانها ـ في همهمة لهـــا مختلطة خافتة ـ
تسائل أمواج البحـر ، ونجـــوم السموات

••

وهذه هي أمواج البحر
تجيش كالجحافل ايما جيشان
وهذه هى نجوم السموات
تدور في مسراها متصاعدة الانغام
فيمتزج العـــالى والخفيض مـــن اصواتها في اتم انسجام
ويكون جواب الامواج في البحر
ان تحنى هاماتها التي يعلوها ناصع الزبد
تحية خاشعة لمالك الملك
الرب الرحمن ، الله

البحر والشعر الرمزى

بعـــد سنين طوال مـــن الثورة الرومانتيكية التي تزعمها في فرنسا « فيكتور هيجو » ، وأعلن المبادىء التي تقوم عليها مدرستها في المقدمة التي كتبها لمسرحيته « كرومويل » سنة ١٨٢٧ ، وبعد أعوام معدودات من قيام



المدرسة البرناسية التي خرجت عـلى دعوة الرومانتيكيين المتطرفة للشـعر الغنـــائي من حيث النظم ، الشخصي العاطفي من حيث الموضوع ، وذهبت في معارضتها لها الى الطرف النقيض، داعية الشاعر أن يدع التحـــدث عن نفسه ، الى الاهتمام بالوصف الجميل الموضوعي للجمال في الاشياء ، وهو ما سموه « مذهب الفن للفن » ···

وسط هؤلاء وهؤلاء ظهر شاعر جديد هو « بودلير » وصفه « فيكتور هيجو » بقوله : « لقد ادخلت انتفاضة جديدة على الشعر الفرنسي الحديث » والواقع ان هذا الشاعرفيه من «الرومانتيكيين» حزنهم الدفين ، وروحهم المتشائمة ، ونزعتهم الفردية المتكبرة ، ثم فيـــه كذلك من « البرناسيين » العنـــاية بالجمال التشكيلي في كل ما يصفونه جميـــلا كان أو قبيحا ، وفوق هذا وذاك ، فانه زاد على هـــذه المذاهب اتجاها جديدا للشعر يطـــالبه فيه أن ينظر الى الأشياء على أنهـــا رموز ظاهرة لمعـــان باطنة ، يتعين عـــلى الشاعر انيكتشف وجودهاويستحضرها في خاطره ، ومنه الى خواطر القراء·

والذى يقرأ ديوان هـــذا الشاعر الذى ظهر ١٨٥٧ باسم « أزهـــار الشر » ، ويقرأ كذلك اكثر ما يستطيع قراءته لمن كتبوا عن حياته ، يرىمبلغ تأثره الشديد العميق بالبحر ، ذلك ان

زوج أمه القائم على تربيته وهو فتى ، قام بذهنه لكي يصرفه عن الشعر الذى ولع به منذ صغره، أن يشغله بالاسفار لعله يصبح تاجرا · فعهد به الى قبطان يعرفه ، كان على وشك الاقلاع بمركبه الذى سماه « بحار الجنوب »

وقد أقلع المركب فعلا فى ٩ يونيو ١٨٤١ وعليه الفتى « بودلير » من ميناء « بوردو » الفرنسى ، ومخر فى المحيط الاطلسى حول افريقيا حتى المحيط الهندى · وكان من الشواطىء التى أرسى المركب بها ، جزيرة مدغشقر وجزائر مورس وبوربون والشاطىء الغربى للهند · واستغرقت هذه الرحلة نحو عشرة أشهر ظل فيها الفتى « بودلير » منطويا على نفسه مستوحدا يراعى موج البحار ، مستغرقا فى الكآبة والوجوم ، وقد اشتد به للعودة الى باريس الشوق والحنين · وهذا هو يعود الى باريس فى أوائل ابريل ١٨٤٢ من هذه الاسفار ، وهو على حاله من الاصرار على ألا يحترف يوما حرفة التجارة ، وأن تكون حرفة الادب ونظم الاشعار وحدها هى حرفة حياته التى لن يزاول غيرها ، مهما لقى فى سبيلها من شقاء ·

بيد أن هذا لا يعنى أن « بودلير » لم يستفد شيئا من الرحلة ، بل هو قد عاد يحمل منها الحب العظيم للبحر ، ذلك الحب الذى يظهر ـ سيان فى ظهوره المباشر ، أو غير المباشر ـ متقد الحرارة مشبوب الالوان فى شعره ، كما لم يظهر قط فى اشعار غيره فى أى عصر ·

وسوف نكتفى هنا لضيق المقام بمقطوعة واحدة من أشعاره التى يظهر فيها بجلاء ووضوح جانب من المذهب الرمزى ، وموضوعها مأساة طائر عجيب من بحار الجنوب :

كان الملاحون كثيرا ما يلهون
فيقتنصون طيور البحر العظام
وهى ملازمة لهم كرفيق الطريق
فى صحبة السفينة النسابة فوق لجج الخضم السحيق

فما هو الا أن هوى بعضها على أرض المركب

حتى رأينا هذا الملك من ملوك الاجواء فى حال شوهاء
وأجنحته البيض الطوال مسلوبة الكبرياء

يجرها الى جانبيه كالمجاذيف
ذلكم فارس الهواء ، ما أسمج ما صار اليه ، وما أهونه !
ذلك الذى كان مرموق الابهة ، ما أقبحه وادعاه للتفكهة

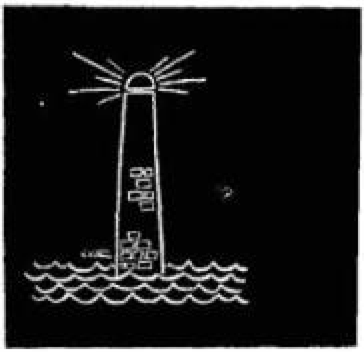
والقوم من حوله بعضهم يمس بقصبة التبغ منقاره مضايقا
والبعض يتعارج محاكيا هذا الجريح الكسيح وقد كان محلقا
كذلك الشاعر ، أشبه الاحياء بأمير الاجواء

يقتحم العواصف ولا يبالى الرماة وهو فى أوج السماء
ولكنه على الارض غريب طريد ، ويتعرض لاستهزاء وهوان
يمشى متعثر الخطو ، يعوقه عن المشى ، جناحاه الجباران ·

وعندنا ، أن هذا التشبيه فى ختام القصيدة ، هو أصدق تشبيه قيل فى تصوير شخصية الشاعر العبقرى المحلق ، يمنعه أن يسعى ليظفر بحظ من رغيد العيش ، كسائر الناس على وجه هذه الارض ، أنه كما قال « بودلير » الشاعر الرمزى :
« يمشى متعثر الخطو ،
يعوقه عن المشى ،
جناحاه الجباران » ·

نقولا يوسف

شعراء أوربيون على ضفاف الإسكندرية



عاش معنا فى هذه المدينة الشاعرة ـ الاسكندرية ـ بجوار بحرها ، جمع من الشعراء والشاعرات ، الاوربى الاصل ، السكندرى المولد او النشأة ، ممن أحبوا بلادنا . وتغنوا فى شعرهم بمحاسنها ، وكانوا لها الاوفياء الصادقين

كانت الاسكندرية وطن اولئك الشعراء ، يقاسمونه آماله وآلامه ... منهم من ولد فيها وعاش عمره ، وربطته بها ذكريات الطفولة ، ورفات الآباء ، ومغانى الشباب ... ومنهم من جاءها طفلا او صبيا ، وشب بها وشاب .. وهذه باقة من هؤلاء الشاعرات والشعراء الاوربيين السكندريين ، المحدثين ...

يرى السائر اليوم فى « طريق الحرية » بالاسكندرية ـ وهو شارع كانوب» البطلمى بالامس ـ رافدا متراضعا يخرج من ذلك النهج الكبير ، على مقربة من حى « كوم الديماس » أو « كوم الدكة » كان يسمى الى عهد قريب « شارع ليبسيوس » ثم تبدل الاسم فاصبح « شارع شرم الشيخ » ـ ويتوسطه بيت قديم ذو ثلاث طبقات ، يعلوه رقم ـ ٤ ـ وعلى بابه لوحة من الرخام كتب عليها بالعربية واليونانية هذه العبارة : « فى هذا المنزل قضى السنوات الخمس والعشرين الاخيرة من حياته : الشاعر الاسكندرى ـ ق٠ب٠ كفافيس ١٨٦٣ـ١٩٣٣ » .

وعلى بعد خطوات من هذا المنزل ، مازال يقوم بيت عتيق لم تزل تشغله جريدة « تشيدروموس » اليونانية اليومية وما برحت تصدر منذ تسعين عاما ، طاوية فى مجلداتها مئات الاقلام ، واسماء كتاب وكاتبات وشعراء وشاعرات عاشوا تحت سماء الاسكندرية وجاوروا بحرها .

شاعر المدينة العجوز

وعلى هذا الحى ومقاهيه كان يتردد جموع الادباء والفنانين ابناء البحر المحدثين من اهل المدينة وزائريها ؛ كما فعل قدماؤهم منذ ثلاثة وعشرين قرنا ، يوم كانوا يتمشون فى امسيات الصيف بين شارعى « كانوب » و « سوما » ، وبين الاكاديمية وقبر الاسكندر ، وبينهم اعضاء رابطة شعراء بلياد ـ « الثريا » وشيخها الشاعر « كاليماخوس » .

وقد ولد الشاعر « قسطنطين كفافى » بالاسكندرية يوم ١٧ من ابريل ١٨٦٣ وتوفى بها فى ٢٩ من ابريل ١٩٣٣ شيخا فى السبعين ودفن بمقابر الشاطبى ، وكان قد قضى بعض سنى شبابه فى استانبول وانجلترا واثينا غير انه ظل متشبثا بمسقط رأسه ، لا يعرف غيره ، ولا يحب ان يبرحه ، ففيه ولد ونشب وتوظف وشاب . وبه نظم شعره جميعا ، ومنه الكثير المستلهم من الاسكندرية وبحرها ومن تاريخها القديم والحديث . كما كان يحب مصر وأهلها وله قصيدة سماها : « مصر الحلوة » .

وكان والده « بترو » تاجرا ميسورا استوطن الاسكندرية عام ١٨٤٥ ، وتزوج من احدى بنات القسطنطينية اليونانيات، ثم توفى عام ١٨٧٠ تاركا ابناءه فى رعاية امهم التى ماتت عام ١٨٩٩ ـ وعاش الشاعر وحيدا لم يتزوج ، واشتغل مترجما عن الانجليزية واليها فى «تفتيش الرى قسم ثالث»، ثم تقلب فى وظائف اخرى حتى عام ١٩٢٢ ، وكان قد ضعف بصره فاعتزل الوظائف وعاش بقية عمره ينظم الشعر الكثير وينشر منه القليل .

وكان فى طوافه باتجاه هذه المدينة العريقة ، التى احتلها الغزاة « الانجليز » ومرح فيها اعوانهم الملاك ـ يشعر بانه يشابه الطائر الحبيس فى القفص ، الا انه ايضا أسير الحاجة ، اسير الضجر ، أسير الحرمان ، أسير الزمن الذى يسير به الى النهاية المحتومة ـ فى المدينة التى أصابها يومذاك الانحلال ...

وقد صوره « لورانس داريل » فى « رباعية الاسكندرية » وختم جزءها الاول « جستين » بقصيدة ترجمها الى الانجليزية عن « شاعر المدينة العجوز » ـ « كفافى » ـ حين يقول :

تقول لنفســك : سوف أذهب الى ارض أخرى

الى بحر آخر ...

الى مدينة اجمل من هذه بكثير ...
ـ قد توجد ـ او يرجى أن تكون .
فهاهنا كل خطوة تزيد العقدة احكاما
والقلب مدفون في جسد ، ومستهلك
ما من ارض جديدة يا صديقي ..
ما من بحر جديد !

فالمدينة سوف تتبعك !

ولسوف تطوف دون غاية بالشوارع ذاتها

وفي الاحياء نفسها تنحدر مــن الشباب الى الشيخوخة .

وفي البيت نفسه تشيب في النهاية.
فالمدينة قفص ! وليس ثمة مكان آخر

فهذا على الدوام مهبطك الارض .
وما من فلك هناك يخلصك مــن ذلك ...

آه ... ألا ترى ؟

انك مادمت قد حطمت حياتك في هذه البقعة من الارض
فقد حطمتها بالذل في كل مكان على الارض قاطبة ! ـ »

ويقول « كفافي » في أبيات عن ملاح البحر بعنوان « الصلاة » ـ وقــد ترجمها عن الانجليزية المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد في سياق حديث عنه :



« ملاح آخر أخذه البحر الى اعماقه
ولاتزال له شمعة موقدة .

تحفظها امه في انتظاره ...

تحفظها موقدة امام ايقونة العذراء
عسى ان يصحو الجو في البحــر
يوما ويعود اليها .

وتتسمع الرياح كلما هدات من بعيد
ولكن الايقونة تعلم ، وهي تستمع
الى الصلاة ـ

وتشفق ان تقول : انه لن يعود »

ولقد ترجم ديوان « كفافي » الى اللغات الانجليزية والفرنسية والايطالية بعد ان جمعت أشعاره في اليونانيــة عقب وفاته في مجموعة تتضمن مائة وتسعين قصــيدة ومقطوعة ـ (عام ١٩٣٥) .

وفي عام ١٩٥٧ طبــع الديوان مترجما الى الايطالية ، وظهرت له ترجمة انجليــزية جديدة عام ١٩٦١ قدمها الشاعر « اودن » ، وترجمــة فرنسية قام بها « جورج بابوتساكيس » عــام ١٩٥٨ ... وكذلك وضع عن « كفافي » عدد من المؤلفات النقــدية منهــا كتاب « مالانوس » عام ١٩٤٣ بعنوان : « كفافيس .. حياته وآثاره » وكتاب « ستراتي تسيركا » عام ١٩٥٨ بعنوان : « كفافيس وعصره » ، تحدث فيه عن بيئة الشــاعر السكندرية في عهده وأثرها في شعره ، ثم كتــاب « مانولي يالوركي » عام ١٩٥٩ عن « كفافي الانسان والشاعر » ...

بيت قرب البحر

وكان يعاصر « كفافي » بالاسكندرية عدد من الشــعراء المســكندريين ـ يونانيين ، وايطاليين ، وفرنسيين ـ منهم الشاعر « قسطنطين قسطنطينيدس» المولود بالاسكندرية عام ١٨٩٠ مــن والــدين يونانيين جاءا من جزيرة رودس . وتعلم بمدارس الثغر وأجاد اللغتين اليونانية والفرنسية والحديث



عبد الرحمن شكرى : مع الشاعر القادم من فرنسا

بالعربية ، وطالع الكثير من الادب العالمى .. وكان ابوه يشتغل بتجارة القطن فى مدينة ميت غمر . وذهب شاعرنا لمعاونة ابيه فى عمله ، وتوفى الوالد فى ميت غمر ودفن بها ، وحل الابن مكانه وخالط هناك الفلاحين واحبهم واحبوه .

وقد نظم « قسطنطينيدس » الشعر عن الريف والفلاح ، وارض الفراعنة، ولكن نزعته الادبية طغت على عمله التجارى بالرغم من مكاسبه ، فعاد الى مسقط رأسه وانشأ مع اصحابه الادباء ناديا ادبيا سموه : « نادى الحياةالجديدة » ـ واصدروا عام ١٩٠٤ مجلة « الحياة الجديدة » ظلت تصدر حتى عام ١٩٢٧ وبها نشر شاعرنا الكثير من بواكير شعره ، كما نشر بها الشعراء والكتاب اليونانيون اشعارهمومقالاتهم ـ ومنهم مكفافى »، و « جيكا » ، و « غنلتوس » ، و « بابا زافيروبولو » ، وغيرهم . وبدأ فى نتاجهم جميعا اثر البيئة السكندرية البحرية ..

وظل « قسطنطنيدس » السنين الطوال ، والى قبيل وفاته عام ١٩٧١ ـ يسكن بيتا قريبا من البحر تملكه اسرته بحى « جناكليس » برمل الاسكندرية ـ تطل شرفاته على بيت الفنان السكندرى محمود سعيد ، ودار المؤرخ بجامعة الاسكندرية جمالالدين الشيال . وفى تلك الصومعة المجاورة لشاطىء البحر وامواجه نظم الشاعر مئات القصائد والكثير من المؤلفات النقدية والتاريخية مما اجتمع فى دواوينه : « اغنية حسناء الشمس » ـ ١٩١٧ ـ « وبلسم » ـ ١٩٢٣ ـ و « من ابولو الى ابولونية رودس » ١٩٣٥ ـ وقد استلهمه من زيارة قام بها لجزيرة رودس ـ و « الينبوع ١٩٣٨ » ـ وغيرها ...

ومنقصائده ما يحمل هذهالعناوين : « متحف الاسكندرية » ، و « كليوباترا» و « الاسكندر الاكبر يخاطب مصر »، و « فرعون » ، و « الفلاح المصرى » و « النيل بميت غمر » ، و « رودس الاغنية » ، و « قبرص ا ـ الثائرةعلى الاستعمار » .

كما ترجم بعضا من اثار صديقه الشاعر واصف غالى الى اليونانية عام ١٩٣٠ ، وسافر شاعرنا فى صيف ١٩٧١ للاستشفاء فى اليونان وتوفى هناك فى ديسمبر من ذلك العام .. مخلفا نحو العشرين من دواوين الشعر ، والمؤلفات فى الاثار والتاريخ والنقد .

عقود حبات اللؤلؤ

كما كان يعاصره فى فترة من الوقت الشاعر السكندرى المولد ، والايطالى الاصل : « جوسيبى اونجاريتى » ـ الذى أصبح شاعرا عالميا ، وقد ولد بشارع منشة بحى محرم بك بالاسكندرية يوم ١٠ من فبراير ١٨٨٨ من والدين هاجرا الى

مصر من مدينة « لوكا » الايطالية . وتعلم بمدارس الثغر ، وتأثر بالبيئة السكندرية البحرية ، واستلهمها بواكير شعره ، وعرف شعراءها .

ثم غادر الاسكندرية في الشباب ليتم دراسته في باريس ، وتزوج من زميلته الفرنسية ، وعاد الى روما وجند في الحرب العالمية الاولى ، ثم استقر بروما على احدى رباها السبع ، واصدر ستة دواوين شعرية وكتابا في النثر — منها : « الميناء المدفون » و « فرحة الغارقين » و « عاطفة الزمن » و « الفرح » وشهد نصب تمثال صديقه احمد شوقي بحدائق روما .

ولما زار الاسكندرية مسقط راسه عام ١٩٥٩ في طريقه ليحاضر بالمركز الثقافي الايطالي بالقاهرة كان يتحدث عن ذكريات طفولته وصباه بالاسكندرية وعن صديقيه محمد ناجي وأحمد شوقي .. وكانت الاسكندرية — كما يقول : « حلمه العادي الذي صحبه طوال حياته ، وترك على شعره اثار ذكرياته وانطباعاته ، وخيالاته » كما كان لبحرها اثر واضح في شعره ، وفي تعلقه بالتجديد ، وصفاء الديباجة ..

وكان شعره كما وصفه النقاد « أشبه بحبات البلور التي تنتظم في عقود قد لا تتجاوز الكلمتين او الحبتين في بعض الاحيان » ، او حبات لؤلؤ البحر ، وبللورات الامواج ... وفي صيف ١٩٧٠ ، كان « اونجاريتي » في رحلة الى اميركا فتوفى هناك وقد نيف على الثمانين .



أناشيد الصومعة البحرية

ومن فرنسا قدم الى الاسكندرية عام ١٨٩٥ صبي في العاشرة ، ليمضي بها زهرة العمر ، ومن بحرها يستوحي الشعر — هو الشاعر « هنري تويل » الذي جاء مع أبيه المهندس بالسكك الحديدية المصرية ، ثم ذهب في فجر شبابه ليدرس الهندسة بفرنسا ، وعاد الى الاسكندرية مهندسا بالموانيء والفنارات ، وما لبث ان أصبح من شعرائها أصحاب الدواوين .

ويروي الشاعر الايطالي المتمصر « جان موسكاتيلي » — صاحب عدة دواوين شعرية ومؤلفات في الفرنسية والحائز عام ١٩٥٣ على جائزة واصف غالي في الشعر من رابطة « فرنسا — مصر » بباريس — ان الشاعر « هنري تويل » وجد على الشاطيء الرملي بين « المكس » و « العجمي » من ضواحي الاسكندرية ، بيتا مهجورا بنته « شركة قناة السويس » القديمة ، فجدد شاعرنا هذا البيت ونمقه ، وجعله واحة للشعر والشعراء ، ومنتدى أدبيا مقصودا يؤمه ايام الآحاد من شاء من أبناء الاسكندرية ، وكان منهم الشاعر « اونجاريتي » الايطالي السكندري ، والفنان محمد ناجي ، والقصاص « انريكو بيا » ، وغيرهم ...

وقد زار هذه الدار يوما « بيير بنوا » ، وهناك قرأ على هذه الجماعة مخطوطته « بئر يعقوب » .. وخلال السنوات الطوال كانت هذه الناحية من خليج العجمي المشمس ، مهبطا لوحي « هنري تويل » . فهناك نظم قصائد ديوانه الاول : « مصباح الارض » المطبوع بباريس ١٩١٢ .. ووضع كتابه : « أدب وشرق » المطبوع

١٩٢٠ مصورا فيه انطباعاته الشرقية والسكندرية ، وشغفه بالاســــلام وصوفيته وروحانيته .

وفى عام ١٩٢٧ رحل « هنــرى تويل » الى « مونبليه » بفرنســا حيث ظل بقية حياته وفيا للشاطىء الذى ألهمه فنه ، وبه تغنى فى شعر أخاذ رفيع . وهناك نشر مجمـوعة شعرية أخرى عام ١٩٣٢ .

ومما نظم « هنــرى تويل » فى صومعته البحرية بالعجمى هــذه الانشودة :

العجمى ، والمصراوى ، والمكس !

ســهولى البيضاء ، جزر بلادى ، وطنى الافريقى .

روابى التى تعابثهـا الريح بين كفيها !

لكم كنت فى نسيان عنائى .

والربيع يطوق قمح السهل .

انعطف نحوك وبالكاد تحسين بى

وفى سبتمبر حين يستحم نخيلك فى فجر من ذهب

لم تكن بى حاجة الى المســير بقربه .

وهــذه اليــد فى يدى اصفى من الذهب !

الوان خدود العذارى

ويجىء الى الاسكندرية عام ١٩١٩ الشاعر « فرناند ليبرت » قادما من فرنسا ، ليعلم اللغة الفرنســية بمدرسة رأس التين الثانوية ، مزاملا هناك الشاعر عبد الرحمن شكرى ، والمؤرخ شفيق غربال .

وكان قد طبع بباريس عام ١٩١٦ أول دواوينه الشعرية : « أصوات من



قسطنطين كفافى : الحياة والحب للاسكندرية ...

الظل » ، وما لبث أن طبع بالاسكندرية عام ١٩٢٠ ديوانه : « ترنتيك » ـ وبالقاهرة : « أغانى البحيرة » ١٩٣٦ ، ووضع كتبا فى النقد الادبى ، وكتاب « مصر أرض النيل » ١٩٣٩ ، و « جدار الصمت » ، و « ذكرياته بمصر فى أثناء الحرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤١ » ، كما نشر القصص

ويمتاز ديوانه : « أغانى البحيرة » ـ كما يقول الشاعر السكندرى أحمد راسم . « بطائفة شائقة من الخواطر الكريمة عن مصر .. تصور عاطفة الشاعر فى تأثره بالحيــاة المصرية بأسلوب جزل وخيال جذاب .. ولقد تمكن « ليبرت » بدقة تصــويره أن يرجع بنا الى ساعات مضت كانت سماء مصر فيهــا وردية اللون لا تستطيع أن تجد لها شبيها اليوم الا خدود العذارى اللاتى يزيد فى جمالهن بعدهن عن الزينة ! » .

وعاش « ليبرت » طويلا قرب بحــر الاسكندرية ، ونظم القصــائد فى شاطئها ، وفى طريقــه منها الى دمنهور وريف البحيرة .

مولد الزهرة العبقرية

خلال النصف الاول من القــرن العشرين ، توالى ظهور الشـاعرات الاوربيات السكندريات ، وجلهن من اليونانيات ـ وتوالى نشر اشعارهن فى الصحف والمجلات الفرنسية واليونانية بمصر ، واصدار المجموعات الشعرية تباعا ، الى جانب مقالاتهن الادبيـة والمؤلفات القصصية والنقدية، وكانت الاسكندرية ومصر جميعا موضع حبهن ورفائهن ٠ وكن المريدات المتعشقات للبحر الذى ولدن ونشأن فى كنفه ، تشدهن اليه الوان مظهره وعجـائب مخبره ، وما دار من الاحداث على مسرحه ، وما نشأ من الحضارات عند شواطئه ، ومن يكدحون فوقه وحوله وبجواره ٠

ووسط هذه الطاقة من الشاعرات تبدو « اليجيني باليولوغو بترونده » زهرة عبقرية ٠ ولدت بالاسكندرية مع الحرب العالمية الاولى وشبت مكافحة ثائرة شاعرة٠ وتوفى والدها المحامى السكندرى « باليولوغو » وهى طفلة فالحقت بالقسم الداخلى من مدرسـة اليتيمات « بيناكيو » بالثغــر ، ثم بالمدرسة اليونانية الثانوية بالشاطبى ٠٠ وارسلت عام ١٩٣٧ الى كليـة المعلمات باثينا ، وعادت بعد عام لتمارس التــدريس ٠ ثم عينت بين عامى ١٩٣٩ ـ ١٩٤٤ ناظرة لمدرسة



اليزابيث بساراس : مختارات من الشعر العربى القـديم

البنــــات الابتدائية ، ثم لمدرسة « افيروف » الثانوية ٠

وفى عام ١٩٤٤ انشأت «بتروندە» مدرسة نموذجية خاصة سـمتها : « ليسيه الاسكندرية » واشركت معها المعلمة الادبية الشـاعرة : « ايرين ماريه روسيا » ، وسـافرت عـام ١٩٥٠ فى بعثة الى جامعة السوربون ومعهد التربية ببـاريس ، ورجعت لتدير مدرستها على أحدث النظم ، وكانت ترحل للدرس والاطـلاع على أحدث الطرق التربوية فى الخارج ، وزارت لذلك : سويسرا وفرنســا وانجلترا وبلجيكا وامريكا ٠

وتزوجت شاعرتنا من مدرس زميل لها ، تحابا ومازالا الى الســاعة شريكين متعـاونين ٠٠ وظلت تدير مدرستها الخاصة وتعلم فيهـا مدة ستة عشر عاما ، وتؤلف لتلاميـذها الكتب والقصص، والاناشيد والترانيم ٠٠ وكانت لهم الام الــرءوم ، ولم تنجب أطفالا ، ولها قصيدة تناجى بها الهة الحب لترزق طفـلا تقر به عينها ٠ وفى عام ١٩٦٠ دعى زوجها القبرصى الاصـل للتعليم بمدارس قبرص ، فارتحلت معه عن موطنها ،



وتركت مدرستها لزميلاتها ، حتى اغلقت بعدها .. وهى لا تزال تعمل بمحطة الاذاعة فى قبرص ، ولم تنس المدينة التى بادلتها الحب والوفاء . وهى هناك بالروح مع الامة العربية .

وكانت شاعرتنا « بترونده » ، فيما بين عامى ١٩٣٩ ـ ١٩٥٨ قد طبعت بالاسكندرية تسعة دواوين شعرية ، واربعة كتب تربوية ـ فى اللغة اليونانية .

وصدر ديوانها الاول عام ١٩٣٩ بعنوان : « قطرات الندى » . واعقبته بديوان سمته : « واغان اخرى » ـ ١٩٤١ ـ ثم بمجموعتين نشرتا عام ١٩٤٢ احداهما باسم : « الخلاص » ، والاخرى : « اغنيات للاطفال » نظمتها لتلاميذها ـ وبها اغان عن البحر ، والنيل ، والقطن ، والنخلة ، وطفل عربى ، وقارب الصيد ، والعامل ، والعمل ، والالات ، والصحة ...

ثم ظهر ديوانها : « نحو النور » ١٩٤٥ ، و « الشرق الاوسط » ١٩٤٦ ، و « سيمفونية الحب » ١٩٥٠ ، و « اهداء » ١٩٥٦

وكان آخر ما طبعته بالاسكندرية ـ عام ١٩٥٨ ـ من مجموعاتها الشعرية التسع ، ديوانا باسم : « نطاق الحب » أو « فى محيط الحب »

وبعثت الشاعرة ديوانها الى الزعيم الراحل جمال عبد الناصر مشفوعا بحبها لمصر وثورتها وزعيمها ، فارسل اليها شكرا وتقديرا ..

وبيْن عشرات القصائد والاناشيد التى تضمها دواوين الشاعرة الموهوبة « اليجينى باليولوغو بترونده » ـ فى مناجاة الاسكندرية وامجادها ، ومصر واهلها وكفاحها ، تصادفنا هذه القصيدة المنظومة باليونانية تخاطب بها وطنها السكندرى وبحره :

اسمك موقور .. يا وطن روحى !
يا عروس الفنون ، يا اسكندرية !

ها انت تهبين من سبات السنين ذات المرتقيات والمهابط .

وتطلين على البحر بعين اكثر سطوعا من عين منارتك !

مواهب شعرية مبكرة

وعلى شاطىء الاسكندرية ـ عاصرت الشاعرة اليونانية الابوين ، السكندرية الموطن والنشأة : « اليزابيث بساراس » ـ زميلتها الشاعرة « اليجينى باليولوغو » ، وشابهتها فى سمو الموهبة الشعرية ، وفى سعة الثقافة ، وقد عاشت كلتاهما حياتهما الادبية على هذا الشاطىء ، وهناك ظهر نتاجهما وانتشر .

وولدت « بساراس » قبيل الحرب العالمية الاولى فى قرية جبليةباليونان .. وجاءت فى طفولتها مع والدها المحامى المثقف « بنايوتى بساراس » .. وتوفى هذا الوالد فى رحلة الى باريس ، واشتغلت الام بالتدريس ثم لحقت بزوجها ، وبقيت الفتاة تواجه الحياة « بالاسكندرية » وحيدة طوال عمرها ، ولم تتزوج ، ولكنها استعانت على العيش بقلمها وفنها وثقافتها ، فقد عنى والداها بتثقيفها على ايدى كبار المعلمين ، فاجادت اليونانية والفرنسية والانجليزية ، وبرعت فى الرسم والتصوير . وتعلقت بالادب والاطلاع ، وتجلت مواهبها الشعرية باكرا ، واخذت منذ فجر شبابها تنشر شعرها باللغتين اليونانية والفرنسية فى صحف الاسكندرية ومجلاتها .

ثم اختيرت منذ عام ١٩٤٢ محررة رئيسية بجريدة « تشيدروموس » اليومية ـ التى لم تزل تصدر

بالاسكندرية منذ سنة ١٨٨١ ـ وفي هذه الصحيفة نشرت شاعرتنا المئات من المقالات والقصص والقصائد ، واشرفت على صفحتها الادبية ، واخرجت عام ١٩٤٣ مجموعتها المسماة : « الاسكندرية الكافحة » التي استلهمتها من احداث الحرب العالمية الثانية ـ الفكه منها والحزين ·

ويلاحظ انها في جل ما تنظم وتنثر تعيش بمشاعرها في هذا الجو السكندري العربي الذي نشأت فيه فهي لم تبرح مصر منذ صباها غير مرة واحدة عام ١٩٥١ حين زارت اليونان ، ثم هاجرت اليها عام ١٩٧٠ للاستشفاء والكتابة في الصحف ، بعد أن ملأت الفضاء شعرا ، فتكلمت عن الاسكندرية في حاضرها وامسها ، وعن بحرها وبرها · وعن مريوط ، والنيل ، وحقول القطن والقصب ، والفلاح ، ورمضان · وافردت ديوانا خاصا بشعراء العرب نشرته عام ١٩٥٤ ، ترجمت فيه الى اليونانية ـ نظما ـ عددا من القصائد العربية القديمة والحديثة ·

البلابل والمزامير الغربية

وظلت بساراس منذ عام ١٩٣٥ تصدر مجموعاتها الشعرية والنثرية تباعا ، وقد بلغ عددها حتى عام ١٩٦٠ ستة عشر كتابا ـ طبعت جميعا بالاسكندرية ـ منها تسع مجموعات



من الشعر باليونانية ، ومجموعتان بالفرنسية ، وثلاث مترجمة عن الشعراء الاوربيين والعرب ـ ففي ١٩٣٥ ظهر ديوانها : « ورد ولهب » وفي عام ١٩٤٠ : « على اجنحة النصر » استلهمت قصائده من احداث الحرب العالمية الثانية ، وكفاح الشعوب من أجل حريتها ، وما لبثت ان اعقبته عام ١٩٤٢ بديوان مماثل سمته : « اذهب الى المعركة وعد منتصرا أو لا تعود » وهي العبارة التي كانت الام الاسبرطية في القديم توصي بها ابنها في طريقه الى الميدان·

وفي عام ١٩٥١ ظهر للشاعرة ثلاث مجموعات : « طيور البحر » ـ و « ورود متناثرة » ـ وتضم الثالثة عددا من قصائد بعض كبار الشعراء مترجمة نظما الى اليونانية · وفي ١٩٥٢ نشر ديوانها : « الفراشات » وبه ثمانون قصيدة باليونانية ـ منها قصائدها عن الاسكندرية ، والبحر ، ومريوط ، واكتوبر بالاسكندرية ـ وثمان قصائد عن مصر بعنوان : « ازاهير النيل » ·

وقد اختصت كتابها النثري : « المزامير الغربية » بشعراء العرب القدامى والمحدثين وتتخلله نماذج من الشعر العربي ترجمته الى اليونانية نظما ، وبه محاضراتها عن : « الاغاني المصرية الشعبية » ترجمت معها نماذج من تلك الاغاني والمواويل ومن الشعر المصري الحديث ·· ومحاضرتها عن « الشعر المصري القديم » وبها بعض اناشيد اخناتون··وثالثة عن « الشعر العربي القديم » وبها مختارات من شعر المتنبي وابن الرومي ، وابن زيدون ، وعنترة ، وامرىء القيس ، والخنساء، ومجنون ليلى ، وابن المعتز ـ نحو عشرين شاعرا عربيا ترجمت نماذجهم الى اللغة اليونانية · كما تضمنت هذه المجموعة ايضا قصائد مترجمة عن شوقي ، وخليل مطران ، واحمد راسم ·



وفى عام ١٩٥٧ نشرت «بساراس» ديوانا باليونانية سمته « ليال ممطرة » . وظهر ديوانها : «البحار» عام ١٩٦٠ ومن قصائده : بنات بحرى . ومنارة الاسكندرية . ومريوط والعلمين . وقصب السكر . والعصور والزمن . وأحبك ...

ومن قصائدها عن الاسكندرية والبحر تقول :

« البحر الابيض ، اللازوردى ، يقبلك ..
والنيل العظيم فى رقة يعانقك ..
والتاريخ بشع مجدك ..
ـ طفلة افريقيا تدعين ..
ووليدة يونان تسمين .
مليكة عظيمة ذات تاجين ...
وطفلة جميلة ذات امين
امامك تسجد العصور .
وعند كل غروب شمس .
تخلفين صورة متاججة .
فى سمائك الذهبية المتوهجة ...

شاعرات مجيدات

ومع هاتين الشاعرتين الكبيرتين كانت هناك بضع شاعرات مجيدات من بنات البيئة البحرية ـ منهن : الشاعرة « اماليا نيقولانيدى » . وكانت تعيش بين الاسكندرية والقاهرة . وظهرت لها مجموعة شعرية فى اليونانية عام ١٩٥٢ . وظلت تنشر شعرها فى الصحف والمجلات بمصر . ومنها قصائدها عن البحر «والقاهرة «والاقصر . والفلاح» والآثار المصرية .

والشاعرة « مارى ينولى » المولودة عام ١٩١٣ والتى امضت جل حياتها بالاسكندرية . ونشرت باليونانية عام ١٩٣٣ ديوانها الاول : « امسيات شاحبة » ـ وبه قصائد من الشعر المنظوم . والمرسل . والمنثور .

والشاعرة : ايرين « ماريه » روسيا ـ السكندرية . وقد نظمت فى اليونانية شعرا رقيقا وكتبت القصص والمسرحيات للأطفال . ونشرت رواية « الغرباء » عام ١٩٥١ . كما نشر لها بمجلة « بانوراما » الادبية بالاسكندرية . وبمجلة « فينيكيا » ـ أى النحلة ـ باثينا . الكثير من الشعر والقصص والمقالات ... وكانت تشتغل بالتعليم فى مدارس الاسكندرية اليونانية كما كانت ناظرة لمدرسة « فامليادو » واشتركت مع الشاعرة « باليولوغو بتروندو » فى ادارة مدرسة « ليسيه الاسكندرية » الخاصة منذ عام ١٩٤٤ حتى توفيت عام ١٩٥٨ ..

الشعر المُعاصِر

عبد العزيز الدسوقي

وقف الشعر العربي المعاصر من مظاهر الطبيعة وقفة جديدة . ووصفها على نحو جديد ، وصور مظاهرها ، وجسدها بطريقة تختلف عن طريقة الأقدمين . ولهذا نحس بمذاق خاص . وطعم متفرد ، لشعر الطبيعة المعاصر ... وقد تفرد البحر - دون مظاهر الطبيعة الأخرى - بجاذبية مرهفة نافذة . حتى تحول في الشعر المعاصر ، عند معظم الشعراء ، الى رؤيا شعرية . . . . .

لا شك أن البحر قد فجر في نفوس الشعراء كثيرا من التأملات والخواطر الفلسفية ... كانوا يلجأون اليه ويتأملونه في انفعال شعري حار ويحلمون فيه ، ويبادلونه المشاعر والخواطر ، ولعل من أعظم قصائد الحلول الشعري في البحر قصيدة « المساء » التي ابدعها (خليل مطران) في الاسكندرية وقد كان عليل النفس والجسم معا ، وقد مزج أحزانه بالبحر والغروب وكل مظاهر الطبيعة . والقصيدة مشهورة متداولة ، وقد تناولها الدارسون والنقاد بكثير من الشرح والتحليل ، ولكنني سأكتفي هنا بايراد أبيات قليلة ترسم صورة الضياع والحيرة للشاعر ، وهو متفرد بكآبته ، يشكو الى البحر أحزان نفسه . وضياع آماله ، واضطراب خواطره ويتأمل حيرته ، ويمزجها باضطراب الموج والرياح الهوج التي تزمجر في البحر :

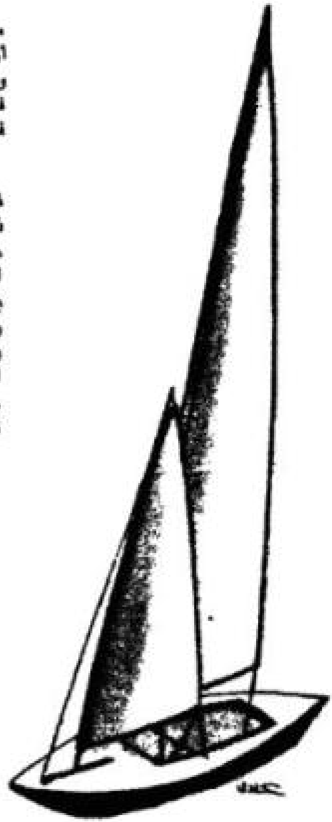
عبث طوافي في البلاد وعلة
في علة ، منفاي لاستشفاء
متفرد بصبابتي متفرد
بكآبتي ، متفرد بعنائي ...
شاك الى البحر اضطراب خواطري
فيجيبني برياحه الهوجاء
ثاو على صخر أصم وليت لي
قلبا ، كهذي الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهي
ويفتها كالسقم في أعضائي

وهناك تجربة طريفة للمرحوم الدكتور

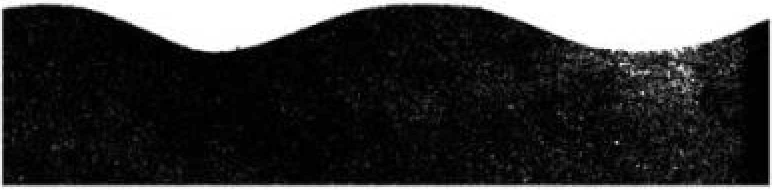
محمد عوض محمد . وزوجه طرافتها أن الاديب الكبير لم يعرف بالشعر ، ولكن جاذبية البحر قد حركت شاعريته فكتب قصيدة بعنوان « البحر » ونشرها في الرسالة .

وهي « رؤيا شعرية تأملية » يقف فيها وجها لوجه أمام البحر ويناجي ذلك الخضم الزاخر الذى طوى في صدره كل الاحلام والاسرار وشهد ميلاد الكون . وسيظل حتى يشهده وهو ينحدر نحو الغروب ، وتعصف الخطوب وتنقرض السنون ، وتتوالى الاحداث وهو رزين ، يسخر حينا من تكالب الناس واصطراعهم في الحياة ، ويهزأ حينا اخر من احلامهم وما يلاقون من نعيم زائل :

أيها الزاخر ذو الصدر الرحيب
كم طوى صدرك من سر رهيب ؟
قد شهدت الكون . والكون فتى
وسترعاه الى وقت المشيب
كم قرون عصفت وانقرضت
وخطوب نزلت اثر خطوب
ومحياك رزين ناظر
بابتسام تارة أو بقطوب
ساخرا مما يلاقيه الورى
من نعيم زائل او من كروب
ثائرا حينا وحينا هادئا
باعثا رعبا وامنا للقلوب
مهلكا طورا ، وطورا منقذا
كعدو ناقم ، او كحبيب ...



فوق أمواج البحر





باسما حينا وحينا عابســـــا
فى كلا الحـــالين ذو شان عجيب

والشاعر يتامل مصـــائر الناس ، واحداث الحياة من خــلال البحر ، ويصوره حارسا رهيبـــا ، شهد مولد البشرية وواكبها ورعاها وسيظل معهـا حتى تشيب ثم يمزج البحر بمظهر آخر من مظاهر الطبيعة هو الشمس :

عانقتك الشمس من افق الســما
وهى تجرى من شروق لغـــروب
هل راى العالم فى غيركمـــا
كيف يحلو مزج مـــاء بلهيب

وهى صورة نافذة موحية لانصـــهار اشعة الشمس فوق سطح البحر فى جميع الاوقات . وفيهـا ايحاء غزير لدورة الحياة ، واختلاط الاشياء ، واجتماع المتناقضات .

ثم يصل الشاعر الى حالة من الرهبة والجلال امام عظمة (البحر) الجبار فيناجيه مرة اخرى فى انفعال عميق :

قلبك الهــادىء لا تزعجـــه
زعزع نكبـــاء ثارت فى الهبوب
لم تحـــرك منك الا ظـــاهرا
واقعتــه لشمال او جنـــوب
تحته قلب عميق ســـاكن
هازىء من حادث الدهر العصيب

ثم تهول الشاعر فى نهـاية المطاف روعة هذا العالم العجيب المحجب الذى لا تصل الافهام الى اسراره او تنفـــذ العقول الى اغواره ، فيهتف فى نهـاية القصيدة :

ليت شعرى ما الذى تضمـــر فى
قلبك الهـــائل من امر غريب
عـــالم اياته قـــد اتعبت
فـــكرة الحاسب او عقل الاديب

ومن الحق ان نقرر ان هذه القصيدة قد هاضتها فى بعض الاحيان هـــذه التامـــلات الذهنية والافكار المجردة وحولتها فى بعض المقاطع الى مجــرد نظم بارد يخلو من الماء والرواء .

ولكنها فى كثير من مقاطعها خلت من هـذا العيب واكتسبت سحرا نافذا من خلال الايحاء الفكرى الذى كانت تثيره معظم صورها التاملية .

عطور الفن والفكر

وللشاعر حسن كامل الصيرفى « رؤية تاملية » نحو البحر ، صاغهـــا فى قصيدته « انا والبحر » .

وهى تجربة شعورية عاتية تصور ما يجيش فى نفس الشـاعر من اضطراب واحتدام وقلق وثورة ، وتنقلنا بنا الى عالم الشاعر الباطنى ، لنشهد ما يمور فيه من اعتـــداد بالنفس واحساس بالجحود .

وقد اتخـــذ من البحر « معادلا موضوعيا » جسد من خلاله رؤيته الفنية والفكرية وتصوره للحياة ، ثم اخـــذ يزيد على ذلك فوازن بينه وبين البحـر وراح يعـــدد ملامح البحر ، وملامحه النفسية التى يزيد بها عليه . يقول :

انا والبحـر شـــاعران
بالاناشـــيد عـــامران
غيـــر انى نظمتهـــا
من ســـلام ومن حنـــان



د. محمد عوض محمد : النفس فوق سطح اليم ..



ميخائيل نعيمة : يا ترى هل تغلبت عليك ؟

وهـــو يلقي نشــيده
في ضـــجيج وفي اضطغان
انا اكســـو عرائس
بالجديدات من معـــــان

وهـــو يزهو بعريهـــا
في ابتذال وفي امتهـــان
انا اختـــار مـــن برا
حسنها الله في افتتـــان
وهو في اللهو جـــامع
القبيحـــات بالحســـان

●●●

انا والبحـــر شـــاعران
في الدياجير ســـاهران
بالأناشـــيد عازفـــان
بالأســـاطير • زاخران

نحن في الضوء عابثـــان
نحن في الفجر كاهنـــان
نحن الفـــان صاحبـــان
نحن ضـــدان حائران

انا للافق حـــــاضن
وهو للشط في احتضـــان
ليس لي من شـــواطيء
ثم للبحـــر شـــاطئان

والمقطوعة ، ببساطة ألفاظها ورشاقة تعبيراتهـــا ، وموسيقاها ، تتسلل الى النفس الانســـانية شيئا فشيئا ، ثم تتلاشى بعد قليل مظاهر جمالها الشكلية وننسى عذوبة ايقاعها الراقص وسلاسة تعبيراتها ، والفاظها الوحية الشفافة ، لننشغل بها كتجربة انسانية كبيرة ، لا تنفصل قيمها الجمالية والفنيـــة عن اشراقها الفكرية والروحية ، ونعيش مع الشاعر هموم نفسه وأحـــزان فؤاده ، التى لم يسفر عنها بصورة مباشرة في هـــذه القطوعة • فهو يتأبى حتى عن الافصاح عن مشاعره الحزينة الآسية ولكنه من خلال البحر وحلوله فيعبوحى لنا بما يمور في داخله من هموم لا حدود لها ولا تخدعنا كلماته اللينة عن السلام والحنان ، لاتعزيكد لنا في نهايةالقصيدة أنه يحتضن الافق وأنه لا نهاية له ••• ليس له من شواطيء :

انا للافق حـــاضن
وهو للشط في احتضان
ليس لي من شواطيء
ثم للبحـــر شاطئان

ثم تجيش في نفوسنا كل معـــاني الحزن والالم ونتعاطف مع هذا الشاعر العظيم الذى يرتفع على الزمان والمكان ويحتضن الآفاق • ويمتد في كل مكان ، وينقلنـــا الى عالم التجربة الانسانية الرفيعة التى تعم النفس الانســـانية بسطور الفن والفكر •

شعراء المهجر

ولشعراء المهجر شعر كثير فى هذا المجال اتخذ من موضوع البحر رؤية شعرية حارة ، راحوا يتأملون من خلالها الحياة ومصائر الايام وتقلبات الزمان ، ويمزجون همومهم الذاتية بهذا الخضم الزاخـــــر · ويضطربون مع امواجه العاتية ، ويغوصون الى اعماقه الساكنة الغامضة غموض المجهـــــول · وفى « الطلاسم » افرد ايليا ابو ماضى مقطعا لمناجاة البحر · اما ميخائيل نعيمة فيقف عند « النهر المتجمد » ويناجيه قائلا :

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟

ام هل هرمت · وخار عزمك فانقطعت عن المسير ·

ثم يوازن بين هذا النهر المتجمد فى الشتاء والذى سيعود الى المسير فى الربيع وبين قلبه المكبل باحزان شتاء ابدى · فيقول :



يا نهر ذا قلبى اراه كما اراك مكبلا
والفرق انك سوف تنشط من عقالك وهو لا

وهنــاك شعراء كثيرون من شعراء المهجر لهم شعر تأملى حول البحر يحتاج الى كتاب كبير ·

وراء استار الغيب

والشاعر عبد الرحمن شكرى بطبيعته النفسية الشاكة المتأملة ، وقف طويلا عنـــد البحر ، وصوره هـــادئا · ومضطربا ، مائجا وساكنا ونفـــذ الى شعابه وازمته المجهولة ، وغاص الى اعماقه المظلمة السحيقة وجسد منـــه كائنـــا ، وجعله بشرا سويا ، وحوله احيانا الى غول رهيب واحيـانا اخرى تصوره ماردا جبارا ، ونكتفى بالاشارة الى بعض ابياته من قصـــيدته الطويلة « البحر » التى مطلعها :

الا ليتنى لج كلجك زاخـــر
اعبكما تهوى النهى والبصائر

ويروح يناجى البحر ويحدثه حديث الصديق ويقول له :

اتطرب من لحن الخـــرير كانه
خواطر تتلوها عليـــك السرائر
كما طرب النشوان من لحن صوته
فجاشت لديك الراقصات الزواخر

وهو يشبه خرير البحر بصـــدحة الدهر · ويشبه البحر بالدهر :

خريرك يحكى صدحة الدهر صامتا
كانك دهـــر بالحوادث مــــائر
هو الدهر لا يخشى المنايا ولا يهى
صباه · ولا تقضى عليه المقـــابر
وانت شبيه الدهر ، لا انت هارم
ولا انت منقوص ولا انت خـــاسر

وهنا يسفر عبد الرحمن شكرى عن « رؤياه » الفنية والفكرية بقوله :

يحن الى ما خلف الفلـــك ناظر
كما تنشد الغيب النهى والبصائر
كان منى للنفس من خلف الفلـــه
تلوح كما لاح السراب المبـــادر



نازك الملائكة : تجارب شعرية حول البحر

بلى كـــل نفس للغريب مشوقة
وان خوفتها من سطاه المحـــاذر

فهو يبحث عن المجهول ويحـاول أن يهتك أستار الغيب · مهما خوفوه بكثرة الماء واضطراب الموج وطول السفر ، انه يشعر دائما ان آماله وأمانيه هناك خلف افق هذا البحر المضطرب الجياش الذى تغرق فى لجته الدول والامم ·

ومن الشعراء الذين تأملوا مظـاهر الطبيعة ووقفوا عنـد البحر متأملين ، الشـاعر محمـد عبـد الغنى حسن ، وقد تحول البحر عند بعض الشعراء الى معنى آخر ، فهو « بحر الصمت » عندالشاعرة ملك عبد العزيز، وهو « بحيرة العطش » عنـد الشاعر حسن عبـد الله القرشى · وله ديوان بهذا الاسم ، يقول فيه :

الحب يا صغيرتي بحيـرة من العطش
وكيف يرتوى الظماء من بحيرة العطش

ويتحول البحر الى «بحر من الحزن» عند الشاعر عبده بدوى · عميق مثل الموت · غريب مثل الغايات :

« والناس تغوص ··· والقاع بعيـد »
لاقاع لبحر الحزن··· لاقاع لمالخوف»

الرؤية العاطفية والبحر

فاذا انتقلنا الى الرؤيا العاطفية نحو البحر وهى الرؤية التى تمزج الحـب والعلاقة بين الرجل والمرأة بالبحر على نحو ما· او تتخذ من المرأة على شاطىء البحر او سابحة على صفحات امواجه موضوعا للقصيد · وقد حفل الشـعر المعاصر بسيل من القصائد تدور كلهـا حول هذه الموضوعات · ومن العسير ان اختار بمعيار موضوعى فى هذه العجالة فحسبى أن أتناول بعض هذه التجـارب حيثما اتفق ·

ومن التجارب التى نبدأ بها فى هذا المجال قصيدة « غادة البحر » للشاعر احمد زكي أبو شادي ، وهو يتحـدث عن حسناء تسير على شاطىء البحـر بثيابها فتأخذ بالالباب والقلوب، وتشغل الناس عن الفاتنات العاريات :

هيفاء ينبض باللاحة جســمها
فترى الحياة من الثياب تطــل
فكأنها الزهر المحجب بعضـــه
بالظل لو يخفى الملاحة ظـــل
أو انما هذى الثياب تحـــولت
فغدت مثالا للحياة يجــــل

●●●

والناس قد شغلوا بها عن لهوهم
وعن الحسان اللاعبات تخـلوا
ونظمت شعرى من شعور عبادتى
« للحسن » فهو من الحيـاة اجل

مع السابحات الفاتنات

وللشاعر صالح جودت تجـارب عاطفية متعددة مع البحر ، وكأن البحر شرك الحسان عنده ، يرى على شاطئه الجسد العبقرى ، او يلتقى على صفحاته بالفاتنات السابحات ، واحيانا يغوص معهن الى الاعماق ، ومن قصائده فى هذا المجال « قصيدة الجسد العبقرى على شاطىء ستانلى باى ، يقول فيها :

عبقرى انت فى كل تثنوء وتثنيــة
عبقرى انت اوحيت لشـعرى العبقرية

لست انسى لحظة الصيف وما جرت عليه
لحظة بين غواني الماء في الاسكندرية
اذ تجردت وابقيت من الثوب بقية
حدثته عما طوته من ثنايا قصية

وهذا الشعر قاله صالح جودت الشاعر الغزل اللعوب فى فجر شبابه الاول منذ اكثر من ربع قرن قبل ان تنتابه هذه الموجة من التصوف ، وقد كان فى تلك الايام الخوالى يطارد الحسان حتى فى الماء ، وله قصيدة جريئة بعنوان « عهد المياه » يقول فيها :

فرحنا الى صخرة في المياه
اجابت يد البحر في نحتها
ولم نبق ساكنة في النوازع
الا عدونا على بيتها
تكفر عن عهد حرمانها
ونصرخ بالبعث في ميتها

***

فغنت مع الصيف حتى انتهى
فعادت الى باسها تستكين
وتضحك في القلب مجنونة
بعهد المياه . فهل تذكرين

***

وللشاعر العراقى هلال ناجى تجربة مع الدانوب الازرق ، يخاطبه قائلا :

سجد الشعاع كانه ذهب
وتراقصت امواجه اللجب
دانوب ان مقالتا جليت
عند الضفاف يسوءها الادب
الراقدان وليس تحلهما
غير الحشائش والهوى تعب
يتبادلان الحب فى شغف
ويزقزقان فيزهد الذهب

تتحدث الاجيال عن ملع
بدع وليس يؤودها وصب
ومياهك الزرقاء خلدها
اللحن والتصوير والادب

***

وتجربة الدكتور يوسف عز الدين يمزج فيها غرامه بالبحر فى قصيدته « أيها البحر » ويناجيه ويتذكر قصة غرامه ويشتكى الى البحر من هجر حبيبته ونواها

***

وللشاعر قاسم مظهر ابيات يناجى فيها الموج قائلا :

أيها الموج ترفق
بالجسوم الناعمة
بين احضانك دنيا
من امان حالمة
فتقبلها بلحن
من أغان باسمة
هى للروح سلام
فاعدها سالمة

من وحى المرأة

وللشاعر عبدالرحمن صدقي مجموعة من القصائد عن البحار والخلجان فى « فلورنسا » ، « وجنوا » ، « والبندقية » ، يمكن أن نطلق عليها ديوان « البحر والمرأة » ففي تلك المعاهد وبين احضان المياه وعلى تلك الشواطيء يتذكر غرامه وذكريات زوجته الراحلة . ويرسل الدموع قطرات حارة وفى قصيدته « الليلة الاولى على البحر » يتذكر زوجته فيقول

وحيد على ظهر السفينة ساهر
وقد لججت فى الغمر ، والليل غامر
غريق حوالي ظلمة طي ظلمة
كانى الى الغيب السحيق مسافر
ويقول :

لقد طاف بى ذكرى التى قد عدمتها
شريكة عيشى غيبتها المقـــــابر
ويقول :

فلما اطل البدر وانســـاح نوره
على البحر فاختالت عليه المناظر
تنبهت الاحلام فى النفس بغتـــة

وهبت خفافا من كراها الخواطر
وخيل لى انى عليـــــه وزوجتى
وقوفا نناجى موجه ونحـــاور

وله قصائد أخرى بعنوان « مينـــاء نابولى » و « المدينــــة الخــــالدة » « وجنوا » و « البندقية » . وفيها يتحدث

عن الخلجان وعروس الماء والفلك التى تمخر عباب الماء . ويذكر ذلك بزوجته

الراحلة . ثم يقف على « بحيرة كومو » ويهتف :

فى شطك الاحوى ختام مطـــافى
يا جنة الملتاع والمصــــطاف
طافت بشطيـــك الربا مخضرة
بالسرو والزيتون والصفصـــاف



ويقول :

لو دمت احيا فى ضفافك مخلـدا
بعض الحياة هنا خلـــود كافى
لو دمت ، لولا ان عودى معجـــل

نادى به داعى الهوى المتــلاف
نادت به زوجى هناك ضـجيعة
فى ارض وادى النيل كالاضياف

●●●

وللشاعرات نازك الملائكة ، وروحية القلينى ، وسلمى الخضراء الجيوسى ، تجارب شعرية حول البحر ، وقد جسدت روحية القلينى من البحر عاشـــــقا تناجيه :

يا ليت عمرى صيف لا انتهاء له
حتى اظل هنا فى ظلك الحـــانى
والكاس اشربها بالعطف متـــرعة

انسى الهموم بها والهم ينسانى
اعيش هائمة فى ظل رابيــــــة
مع الخيال ، والقى عنه اشجانى

وللشاعر « سعد درويش » مجموعة من الصور الشعرية النافذة الغـــزيرة

الايحاء تتخذ من البحر اطارا تعبر من

خلاله عن احزان الشاعر الغراميـــــة الشبوبية .

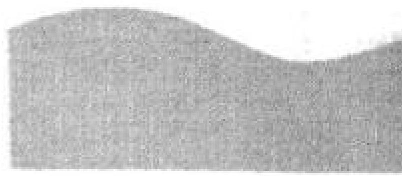
الشباب والشعر والبحر

وللشباب الشعراء من الجيل الجديد رؤية جديدة نحو البحر لها نكهة خاصة ومذاق متميز ، وعلى الرغم مما فى

تجارب بعضهم من غموض واحالة الا ان الموهوبين منهم تمكنوا من ان يديروا

حول البحر مجموعة من الاعمال الفنية الناضرة المعبرة ..

ومن انضج هذا الجيل من شـــباب الشعراء فى رأيى أمل دنقل ، ومحمـــد ابراهيم ابو سنة ، وكمال عمـــار ، ثم محمد أبو دومة ، ونصار عبد الله .



يقول محمد ابراهيم ابو سنة من قصيدته « النهر والذين يعبرون » :

رايتهم هناك يعبرون فى المساء

عيونهم فجيعة بلا عزاء

خيولهم مهمومة غريقة الاذان
يا ويلها فى صمتها الكئيب كالانسان
قابلتهم اولئك الذين يعصبون حزنهم
على الجباه

شباكهم مشدودة الى الصخور فى
القرار

والبحر كالسماء واسع ولا قرار
وكلما يمر شاطىء قديم . يكفكفون
العبرة العقيم

وينشدون ... لا شىء غير حزننا
يظلل الطريق

والحزن وحده هو الصديق

وهموم هؤلاء الشباب كثيفة مركزة كهموم العصر واحزانه . ونبضهم وحساسيتهم يختلفان بعض الاختلاف عن الشعراء الذين سبقوهم ، ولذلك تميزت انغامهم ، بهذا الايقاع الخاص . وتشابكت فى صورهم تلك المعانى المركبة التى لا تسلم نفسها بسهولة للفهم

الرؤية الاجتماعية والبحر

واخيرا لنا وقفةعند الرؤيةالاجتماعية والبحر ... وقصائد هذا اللون تدور حول بعض الافكار الاجتماعية والتاريخية والاخلاقية وتستوحى من البحر فكرة تنفذ من خلالها الى فكرة اصلاحية . او عبرة اخلاقية او موعظة تاريخية .

وقد اتخذ الشعراء من البحر مثيرا يبعث فى نفوسهم الذكريات المجيدة . فالشاعر احمد شوقى يقف على « البحر الابيض » فيتذكر امجاد المسلمين الاوائل وغزواتهم عبر البحار ، وجنود الله التى كانت تملأ البحر بالسفن والات الحرب يخيفون بها عدو الله وعدوهم . ويمزج ذلك كله بالوصف الشعرى للرمال النواعم البيضاء ، والمعاصم والنحور التى يكسر بعضها ويعرض البعض الاخر والشاعر عمر ابو ريشة يحدثنا عن « شطآن بلادى » حديثا مثل حديث شوقى يستعيد فيه أمجاده وذكرياته يقول :

رمل وصخور
ومطاف نور
ومواكب اخيلة تهمى
من كوة عالمها المسحور

ووراء سراها فى الديجور
ذيل من نور

شطآن بلادى كم غنتك
بسمع المجد شفاه عصور

أتموت ارجاؤك الا من
حلم فى جفن الرمل يثور

الفلك والقى فى اليم
اسراب الاجنحة الدهم
جاءتك من الغرب المسعور
هدام قصور ... وبناة قبور

***

والشاعر على احمد باكثير يكتب

قصيدة بعنوان « وحى الشـــاطىء » يمزج فيها الوصف الساخر بالعظـــة النافذة :

بالله حدثنا حديثك يا جمال بلا تقيه
ماذا رايت عـــلى « ستانلى باى » بالإسكندرية

اشهدت اتصاف الكواسى ينتثرن على الشواطى

مثل الكواكب فى السماء او اللآلى فى البساط

اارحت جسمك من متاعبه وقلبك من اساه

وكرعت من ماء الحياة، فعدت ممتلئا حياه

ام عدت موقوذا بسهم صويته اليك عين

فعرفت ان على جفون الغيد حينا اى حين

د . عبده بدوى :
البحر وبحر الحزن..



... ونضع القلم

وبعد ، فلا يزال فى ديوان الشعر العربى المعاصر نتاج غزير يدور حول « البحر » وتجـــارب كثيرة غير التى ذكرت يختلط فيها الوصـــف الناعم بالسخرية اللاذعة بالتأمل النـــافذ بالدعابة الرشيقة - وتجارب اكبر من

ان تدخل تحت تصنيف ضيق مثل هذه التقسيمات التى اصطنعتهافىهذا المقال، ويكفى ان نذكر قصيدة الشاعر العربى

جورج صيدح بعنوان « المستحمات » لنتأكد أن بعض الشعر يستعصى على التقسيم يقول « صيدح » :

الدى الحمائم باكرت حمامهـــا
فى شاطىء فرش العيون امامهـــا
مستعرض فوق الرمال هيامنـــا

مستعرض فوق المياه هيامهـــا
الكاســـيات العـــاريات تؤمه
بغلائل ما غلفت اجسامهـــا

تركت الى عبث النسيم شـــفوفها
فتخشا النسيم عن النجوم غمامها

***

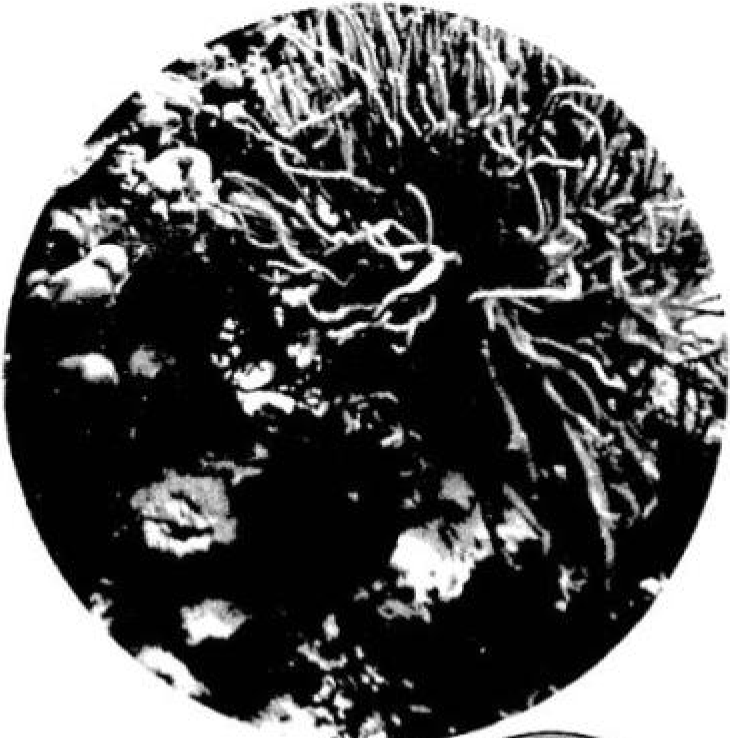
يا موكب الطوفان اسراب المهـــا
كلفت لآساد الشرى هندامهـــا
الفت جوار الصيد فى سرحاتهـــا

متحببات فى الهوى ضرغامهـــا
وتمرغت فى الرمل تخدع شـــهوة
لجت ولم تفض المهود مرامهـــا

البحر ناداها وقلقـــل فى الحصى
متقدما يتعمد استقدامهـــا
فمشت على الرقراق واجلة الخطا
بعد التردد سددت اقدامهـــا ...

وهكذا تمضى هذه القصيدة الوصفية النـــافذة المتأملة العـــابثة ...

ونضـــع القلم حتى لا
لا نغـــرق مع الشـــعر
فى أعمـــاق البحـــار !



صالونات في أعماق

د. عبد المحسن صالح

يبدو اننا مازلنا نجهل الكثير من أسرار حياة المخلوقات فى البحار التى تضم فى مياهها كل ما هو مثير وغريب .. فكلما اكتشفنا شيئا جديدا من التنظيم البديع الذى يجرى بين كائناته الكثيرة المتنوعة ، وقفنا امامه حيارى متاملين ، ولروعة الفكرة مقدرين ، واحسسنا بصفعة كبيرة لغرور البشر الذين ينسبون لانفسهم كل الافكار العظيمة ، ولا جديد تحت الشمس .. كما يقولون

قبل أن نتعرض لهذا الموضوع المثير ، دعنا نقدم لك أولا « كونراد ليمبر » وهو واحد من العلماء الممتازين الذين درسوا الطبيعة الحية ، وبالتحديد مخلوقات البحار والمحيطات .. ولهذا قضى شطرا كبيرا من حياته وهو يغوص فى الأعماق حتى راح ضحية الواجب فى أحضان مياه البحر الابيض المتوسط فى ٢٠ مارس ١٩٦٠

يقول « ليمبر » : بينما كنت اقوم بالغوص فى المياه الباردة بجوار شواطىء كاليفورنيا فى ربيع عام ١٩٤٩ لاحظت لقاء عجيبا بين سمكتين من جنسين مختلفين ، احداهما اكبر من الاخرى بعشرات المرات .. ولقد شاهدت السمكة الكبيرة وهى تترك سربها وتنطلق مسرعة الى السمكة الصغيرة ، وتوقعت انها ستلتهمها ، فمن عادة السمك الكبير ان ياكل الصغير ، ولكن ما حدث اثار شكوكى .. وأطاح بما كان يختلج فى نفسى ، اذ رايت السمكة الكبيرة تسلم نفسها للصغيرة ، وتقف امامها فى وضع غريب وهى هادئة مستكينة لم تفرد لها زعانفها عن اخرها ، وهنا تتقدم الصغيرة لتلف وتدور بفمها الدبب على جسم الكبيرة وزعانفها ، وكانما هى ترضع منه !

ومرت الدقائق بطيئة متثاقلة وانا أرقب المنظر ، حتى كاد صبرى ينفد ، وفجاة انطلقت السمكة الصغيرة واختفت بين الاعشاب البحرية ، بينما أسرعت السمكة الكبيرة لتلحق بسربها .. ولم أملك الا أن ادون هذه المشاهدة العابرة فى مذكراتى علنى أجد لها فيما بعد تعليلا

لكن ما رآه « ليمبر » واعتبره شيئا عابرا ، ليس فى الحقيقة الا بداية متواضعة لمشهد يتكرر فى البحار والمحيطات ملايين المرات يوميا .. ويسير على نفس المنوال قبل أن



ينشأ الجنس البشري بعشرات الملايين من السنين !

فماذا يعني هذا اللقــاء الغريب والمريب بين سمكة صغيرة وكبيرة ؟ يعني أن هناك ميثاقا غير مكتوب بين السمكة الصغيرة « سنيوريتا » وبين الاسماك الكبيرة، ولقد احترمناه فيما بينهما كما لم يحترم البشر مواثيقهم المكتوبة وغير المكتوبة ، وكأنمــــا الاسماك الكبيرة قد اعطت لسنيوريتا « كلمة شرف » بالا تلحق بها أدنى أذى ، رغم انها على بلعها لقادرة · اذ كيف تؤذى او تأكل « ولية نعمتها » والحامية لحياتها من ادران البحـار وامراضها وطفيلياتها ·· أضف الى ذلك ان الاسماك الكبيرة لو اكلـت « سنيوريتا » لتفشت بينها الامراض والأوبئة والموت وكأنما « سنيوريتا » فى هذه الحالة بمثابة هيئـة صحية مائية شعارها دائما « النظـافة من الايمان » ·· و « درهم وقاية خير من قنطار علاج » ·· الى آخر هذه الشعارات الجميلة التي يرددها البشر بأفواههم، ولا يطبقونها غالبا فى حياتهم !

من هي « سنيوريتا »

اذن ·· من تكون « سنيوريتا » هذه ؟ وما قصتها ؟

« سنيوريتا » اسم على مسمى ·· فالاسم جميل كصاحبه تماما، كما انها من أسرة « لا بريدى » ، اكبر أسرة سمكية تسكن مياه البحار والمحيطات، ثم انها قد توارثت – أبا عن جد – امتلاك صـــالونات للتجميــــل ، ومستشفيات للتطبيب ، ولكن بدون مبان او ادوات او لافتات واعلانات وضجة وغلبة كالتى يقوم بها البشر ·· فكل شيء فى البحار يسير بهدوء ونظام ، ومن يرغب فى التوجه الى « مؤسسات ســــــــــنيوريتا » ومصحاتها ، فسوف يجد منها كـل ترحاب وعناية ، فالباب مفتـــــوح للجميع كما ان الخدمة مجانا ، فلا دفع أتعاب او « روشتة » او دواء او اى شيء آخر من امور عالمنا التى تؤرقنا وتشقينا ، ثم ان « سنيوريتا » لا تمتلك من المؤهلات غير فمهـــــا المدبب الذى يساعدها على القيـام بوظيفتها وخدماتها للاسماك الاخرى ·· ولكن ، مم تشكو الاسماك ؟ ··· وكيف تتسخ أجسامها وهي تعيش فى مياه البحار النظيفة الصافية ؟

الواقع ان ما يجرى على المخلوقات الارضية ، يجرى أيضا على الكائنات المائية ، فللاسماك قائمة طويلة من امراض فطرية وبكتيـــرية وطفيليات تعيش على جلودها وزعانفها وخياشيمها ·· كما انها قد تصاب فى حادثة كأن تعض سمكة سمكة اخرى وتنهش قطعة من لحمها ، فيصاب المكان المنهوش بميكروب وتقيح كما يحدث لنا على أرضنا ، ولهذا لم تترك الحيـــــاة مخلوقاتها بدون رعاية وحماية من الامراض والاصابات ، فكان ان أسست لها ملايين « المستشفيات » تحت الماء وعلى « سنيوريتا » أن تديرها وتشرف عليها !

ولكي يتأكد العلماء من هـــــذه الحقيقة ، قاموا باصطياد أســـــماك النظافة – كما يحبون أن يطلقوا عليها – ومن بينها ســــــكتنا الحلوة « سنيوريتا » من المناطق او المحطات الثابتة التى تعيش دائمـــا فيهـا ،

فتناقصت أعداد الاسماك التى كانت تفد الى هذه المحطات طلبا للنظافة مما يكون قد علق بها من طفيليات، أو أصابها من ميكـــروبات . اذ ليس لحضورها من فائدة ما دامت « هيئة الرعاية الصــحية » قد اختفت من مناطقها . واغلب الظن انها قد توجهت الى مناطق اخرى لتبحث فيها عن « سنيوريتا » وأترابها ..

واغرب من ذلك أن أسماك المنطقة التى غابت عنها أسماك النظافة قد ظهرت على جلودها وخياشــيمها وزعانفها تورمات وتقرحات واصابات جلدية بعد أسبوعين اثنين . يعنى هذا أن الامراض قد تفشت بينها . فى حين أن أسماك المناطق الاخرى التى تسكن فيها « ســنيوريتا » بقيت فى غاية الصحة والسعادة . ولقد تاكد العلماء من هذه الحقيقة باجراء مزيد من التجارب فى أحواض كبيـــرة فى



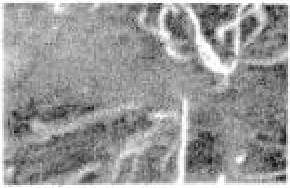
معاملهم ، فظهر أن الاحواض التى تتواجد فيها « سنيوريتا » لا تمــرض أسماكها ، فى حين تتفشى الأوبئة بين أسماك الاحـــواض التى لا ترعاها « سنيوريتا » !

ولقد قام العالم الطبيعى « راندال » بتحليل محتويات الطعام الذى ابتلعته « سنيوريتا » ، فوجده يتكون من خلطة عجيبة لعدد من الطفيليات التى تعيش على جلود الاسماك وزعانفهـــــا وخياشيمها . كما يحتوى على انواع من الكائنات الفطرية التى تصيبهـا بالمرض . وانواع من البكتيريا التى تسبب تقيحات الجروح أو التورمات، بالاضافة الى انسجة ميتة من الجروح التى قامت « سنيوريتا » بتنظيفهـــا مستخدمة فى ذلك فمها المدبب .. لكن الغريب انها لا تمرض بما بلعت ، بل اصبح لها كل هذا بمثابة غذاء طيب مستساغ . وعليه تعيش

صحيح أن الطريقة التى تعالج بها الاسماك نفسها بواسطة « سنيوريتا » طريقة بدائية ، ولكنها فعالة ، وتؤدى الى الهدف ، كما انها قد حلت بهـا مشكلاتها ، دون أن تلجأ الى مضادات حيوية ، أو مبيدات طفيلية وفطرية ، أو عمليات جراحية ، فى حين أن البشر لم يتوصلوا بعد الى طريقة ناجحة فى التخلص من امراضهـــم وطفيلياتهم وميكروباتهم رغم الهيئات الصحية ، والميزانيات الهائلة ، ولهذا فعلينا أن نعود الى نظم الطبيعة لنتعلم منها كل ما هو مفيد ومتقن وبديع .

مستشفيات تحت الماء

لكن « سنيوريتا » الممرضة والطبيبة والمنظفة ليست وحدها فى الميدان ، فأسرتها تضم — حتى الآن — حوالى ١٤ نوعا تخصصت جميعها فى نفس العمل الذى تقوم به « سنيوريتا » ، وليست هذه هى الاسرة الوحيدة أيضا



التي تعرض خدماتها على الاسماك الاخرى ، فقد اكتشف العلماء حتى الآن اكثر من ١٦ اسرة ، تضم حوالي ٤٥ نوعا من الاسماك الصغيرة التي تسهر على تمريض الاسماك الكبيرة ، ولكل نوع منهـا زبائنه وبيئتـه و « تاكتيكه » وسلوكه ، وكأنما نحن نقف امام مجتمعات غريبة لها نظمها وعاداتها وتقاليدها ليسير كل شيء الى هدفه العظيم ، وكما تريد الحياة ان يكون

الغريب ان الاسـماك التي تطلب النظافة أو التمريض والتطبيب تعرف كيف وأين تجد المحطات الثابتة التي اتخذتها هذه « الهيئات الصـحية السمكية » بمثابةمواقع «استراتيجية» حتى تهتدي أسراب السمك اليها ، فلقد لاحظ العالمان «راندال» و «بيدرسون» ان الاسماك المريضة تأتي من مسافات بعيدة الى هذه المحطات التي تقع عادة بين الشعب المرجانية أو عنـد رءوسها، أو بجوار النتوءاتالصخرية البارزة تحت الماء ، أو على مشارف الاعشاب البحرية الكثيفة ، أو قـد تسكن بجوار حطام السفن الغارقة .

شي لا يحب الفوضى

ومن الظواهر الغريبة التي يذكرها « ليمبو » أنه شاهد عددا من الاسماك المصابة بقرح جلدية وأورام مميـزة يواظب على الحضور يوميا ، وفي فترات منتظمة الى تلك المحطات ، ووجد أن « سنيوريتا » أو اترابهـا تبدي اهتماما كبيرا بتلك القـروح والاورام ، وتزيل منها الانسـجة المتقيحة بفمها الصغير وتأكلها

ومما يذكر هنا ان احد العلمـاء ظل ست ساعات تحت الماء وهـو يرقب وفود السمك التي تأتي الى محطة واحدة تسكنها « سنيوريتا » ، فأحصى خلال هذه الساعات الست حـوالي ٣٠٠ سمكة تم لها جميعا اجـراء المطلوب بواقع سمكة في الدقيقـة الواحدة تقريبا .

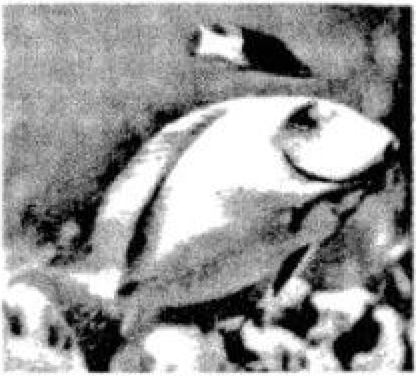
لكن هناك اجراءات خاصة يجب ان تسير الاسماك على هـداها حتى لا تضيع وقت « سنيوريتا » فيمـا لا يفيد ، اذ يذكر « جورج بارلو » أن على السمكة التي تطلب العلاج أنتقف امام « طبيبتها » في وضع عمـودي بحيث يكون رأسها الى اسفل ، وذيلها الى اعلى ، ولا تتحرك من مكانهـا ، وان تفرد زعانفها الى آخرها ، وكأنما قد نومت تنويما مغناطيسيا .

واذا كانت تشـكو من شيء في خياشيمها أو حلقها ، فعليهـا أن تفتحهما عن آخرهما حتى تدخل السمكة الصغيرة الى داخلها ، وتزيل كل ما علق بها من أدران ، وقد تشـعر السمكة المصابة بخطر يهدد حياتها ، فتلفظ السمكة الصغيرة من فمها حتى تختفي في مكان أمين ، وتهرب السمكة الكبيرة ، أو قد تدخل مع السمكة المهاجمة في معركة ، وكأنما السمك هنا يعرف كيف يحافظ على مواثيقه حتى ولو ألمت به الظروف الصعبة ، ثم انه لا يحاول ان يقطع اليـد التي امتدت اليه بالاحسان ، أو أن يتمثل بقولنا نحن معشر البشر عندما نقع في المصائب فنقـول « علي وعلى اعدائي » !

وقد تفد اسراب السمك الى هـذه المحطات في جماعات كبيرة ، ويحدث



الاسماك التى تطلب الرعاية والعلاج يجب ان تقف فى الماء عموديا ، كما ترى فى الصورة ـ لكن « سنيوريتا الطبيبة » مشغولة مع سمكة اخرى



السمكة الصغيرة هى الممرضة ، والكبيرة هى التى جاءت تطلب التمريض والعلاج .. وقد التقطت الصورة قبل ان تبدأ الصغيرة فى الكشف على الكبيرة

الازدحام والتنافس ليكون لكل منها الاسبقية فى العناية والتنظيف ، ولكن يبدو أن « سنيوريتا » لا تحب الفوضى .. كما انها تريد ان تقوم بعملها باطمئنان واتقان دون عملية « سلق أو طبخ » كالتى يقوم بها بعض البشر .. اذ يحدثنا الذين شاهدوا « سنيوريتا » عن كثب انها تسرع بالتقهقر الى مخبئها عندما تفاجأ بهذه الفوضى ، وقد يقف السمك فى طريقها ، ويحول بينها وبين الهرب ، فتذعن للعمل .

الذكور اجمل من الإناث

الا ان هناك انواعا اخرى من السمك تعرف فى معاملاتها معنى النظام ، كما لم يعرفه بعض اصحاب العقول ، ولهذا اذا جاءت للعلاج فانها تفد الى محطات التمريض فى مجموعات صغيرة ، وتقف هادئة ساكنة حتى يحين دورها ، او ربما لتهيىء الجو الصالح للعمل ، لسنا ندرى ، ولكن الذى ندريه ان « سنيوريتا » واترابها تقوم بالواجب خير قيام ، وكانما هى تهوى هذا النظام ، فكلما انتهى العمل فى مجموعة ، تركت مكانها لغيرها حتى تأخذ دورها وبالترتيب .. حقيقة عرفتها ايضا بعض انواع من السمك قبل ان يعرفها بعض البشر

ومن الامور الغريبة التى لاحظها العلماء وهم يدرسون سلوك هذه الكائنات تحت الماء ، ان بعض الاسماك تحضر الى هذه المحطات دون ان تكون قد اصابتها امراض طفيلية أو بكتيرية .. الخ ، والغريب كذلك ان معظم الزوار من الذكور ، وقد يخرج الذكر من محطة ليدخل محطة أخرى مجاورة ، أو قد يزور نفس المحطات عديدة فى اليوم الواحد ، حتى لقد قيل ان وقت ذكور الاسماك موزع بالتساوى بين العناية بالمظهر والزينة والنظافة ، وبين البحث عن الطعام ، وكانما هذه



المحطات قد تحولت الى « صالونات » من نوع جديد !

والتعليل المقبول لهذه الظاهرة أن معظم ذكور الاسماك تدخل فى معارك من أجل الأنثى ، وقد تصاب فى هذه المعارك بجروح ، وعندما تصاب الجروح بالتقيح ، فلا بد من الذهاب الى محطات التمريض ، ولهذا فان زبائنها من الذكور اكثر من الاناث ، لكن بعض هذه الذكور قد يأتي فقط من أجل الزينة ، فالمعروف فى عالم الاسماك ان الذكور أجمل بكثير من الاناث ، فللذكر زعانف مزركشة طويلة ، وألوان بديعة ، ومظهر مهيب حتى يروق فى عين الاناث التى تظهر بعض الدلال .. لا فرق هنا بين انثى سمكة وانثى بشر .

ويبدو أن الانثى تفضل الذكر النظيف الانيق على الذكر المهلهل الضعيف ، ذلك أن النظافة تؤدى الى الصحة والجمال ، وكلاهما مطلوب فى حسن الاختيار ، الاختيار الطبيعى الذى تسعى اليه الحياة لتحافظ على أجيالها المقبلة قوية صامدة منيعة .. طبق هذا على البشر والشعوب تخرج بنفس النتيجة .. فالحياة لا تعرف شيئا عن التفرقة العنصرية ، حتى ولو كانت بين سمك وبشر .

اسرار الظواهر الغريبة

ولقد استعان العلماء بهذه المحطات السمكية في دراسة توزيع الاسماك الكبيرة وأسماك الاعماق فى البحار والمحيطات ، فما عليهم الا أن يختاروا محطة ثم يراقبوا الوفود السمكية التى تزورها ، ومنها يعرفون انواع السمك وتوزيعه فى مناطقه المختلفة .

لقد عرف بعض الصيادين هذه الحقيقة أيضا ، فاذا ارادوا صيدا وفيرا ، فما عليهم الا أن يذهبوا الى هذه المحطات ليصطادوا الوفود القادمة دون تعب او مشقة .

ويبرز الآن سؤال هام : كيف يتعرف السمك الكبير على أسماك التمريض والنظافة ؟..

ولماذا لا يأكلها رغم صغرها كما يفعل مع غيرها من الاسماك الصغيرة وكما هى العادة ؟

يذكر « راندال » فى بحث منشور عام ١٩٦٢ أنه لم يتوصل الى اكتشاف سمكة واحدة من أسماك النظافة فى داخل أحشاء الاسماك الكبيرة التى كانت تزور هذه المحطات ، بل وجد بدلا منها أسماكا أخرى صغيرة فى حجم أسماك النظافة ، ولكنها ليست من نفس الاسرة ... أضف الى ذلك أن « سنيوريتا » ، أو غيرها قد تدخل فى فم السمك الكبير دون أن تخشى شيئا ، ثم تخرج منه مطمئنة البال .

والواقع أن العلماء لم يستطيعوا أن يجدوا تعليلا لمثل هذه الظواهر الغريبة ، ونحن لا نستطيع أن نقول أن السمك له القدرة على التفريق بين الصالح والطالح ، أو أنه يدرك معنى النافع والضار ، فيحافظ مثلا على هذه السمكة ، ويبلع غيرها ، ومع ذلك فقد قدم البعض تعليلات غير منطقية .. منها مثلا أن السمكة الكبيرة تذهب الى محطة التمريض وهى « شبعانة » ، أو أن الامها التى تؤرقها تضيع شهيتها أو أن اسماك النظافة سامة ، ثم ظهر بعد ذلك أن

الكثير منها غير سام .. الى اخر هذه التعليلات التى لا تقوم على اساس ، ولايزال السر مطويا حتى الآن ، وما اكثر الاسرار التى لانزال نجهلها .

بطاقات سمكية عائلية

اما كيف يتعرف السمك الكبير على افراد الاسرة التى تعتنى بتمريضه وعلاجه ، فذلك يحتاج الى شرح طويل يتناول مسائل التطور والاختيار الطبيعى الذى نشأ على الارض منذ مئات الملايين من السنين ، ولكن يكفى ان نقول ان الامر قد دبر بواسطة « البطاقات الشخصية والعائلية » التى تحملها هذه الأسماك ، لتوضح بها شخصياتها للاسماك الاخرى !

لكن ليس معنى ذلك أن أسماك النظافة تحمل معها بطاقات كالتى نحملها ، بل منحتها الحياة بديلا يتوافق مع مجتمعاتها ، ذلك أن اسر أسماك النظافة قد جاءت بالوان زاهية ، وزركشة متقنة ، واختلاف صارخ فى اللون مع « ارضية » البيئة المائية التى تعيش فيها ، بحيث يمكن تمييزها دون حدوث اخطاء تؤدى الى ما لا يحمد عقباه ، وكأنما هذه الالوان البديعة قد اصبحت بمثابة لافتات حية تقول « نحن هنا ... لنعرض عليكم خدماتنا ، فلا تهاجمونا او تأكلونا » ... ولقد نجحت الفكرة ، واستمرت عشرات الملايين من السنين !

الا ان الغريب حقا أن بعض الاسماك التى تأتى الى هذه المحطات طلبا للعلاج تغير الوانها عندما تبدأ « سنيوريتا » أو غيرها فى التجول على جسمها ، فسمكة « الجراح » مثلا (اسمها هكذا) يميل لونها الى السواد قبل أن تأتى الى المحطة ، وبمجرد أن تتقابل مع السمكة التى تنظفها يتحول لونها الى زرقة فاتحة، وتتحول السمكة « المعزة » من لونها الفاتح الى حمرة كحمرة الخجل ، فى حين أن سمكة سليمان يتغير لونها الفضى الى البرونزى .. الخ ، ويبدو أن تغير هذه الالوان بمثابة اشارة تقول « مشغول .. وتحت التنظيف أو العلاج » ..

لكن أغرب هذه الامور جميعا أن « أرباب المهنة » قد اندس بينهم من ليس منهم ، فلقد اكتشف العلماء حتى الآن نوعين — على الاقل — من الاسماك المقلدة لاسماك النظافة ، فكان التقليد بالشكل والحجم واللون ، ولكن الوظيفة مختلفة تماما، لانها تقوم على الخداع والاحتيال .. من ذلك مثلا سمكة صغيرة أسمها « البليني » ، تتقدم هذه السمكة الى الاسماك القادمة للعلاج ، وكأنما هى تعرض عليها خدماتها ، وتتخدع السمكة القادمة فيها وفى مظهرها ، وتعطيها نفسها ، وبدلا من ان تقوم بعلاجها ، تقضم شيئا من جسمها أو زعانفها بفمها الحاد ، ثم تولى الادبار، لكن الاسماك البالغة احيانا ماتتعرف على هذه السمكة المحتالة وتطاردها ، فلا تلدغ سمكة من « بليني » مرتين !

ثم .. الا ترى معنا أن ما يحدث بين البشر ، يحدث أيضا بين السمك؟

فلا شك اننا سمعنا كثيرا عن طبيب مزيف ، وكذلك تجيء انواع من السمك لتقوم بنفس الحيل ، مع فارق هام : ذلك ان عمليات النصب والاحتيال قد ظهرت بين السمك قبل أن يظهر الجنس البشرى على الارض بعشرات الملايين من السنين ! ..

على ضفاف بحيرة المتنبى

د. بدوى طبانه

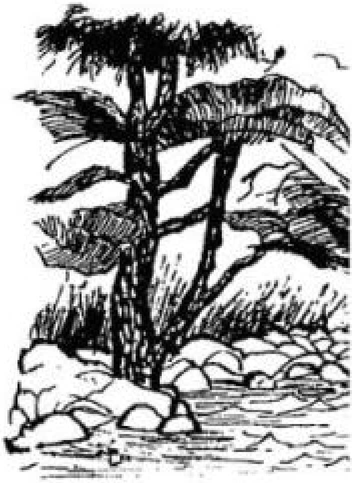




ما أعجب هذه اللغة العربية . وما أبدعها فى وضعها وفى اشتقاقها وفى تصرفها . وماأروعها فى حقائقها ومجازاتها !

سن أصحاب تلك اللغة ذلك النهج الفريد من التصرف والاشتقاق والتجوز ، فاتسعت الكلمة بحروفها باليسير من الحركة ، وبالقليل من التغيير لما لا يحصى من المعانى الماديةوالعقلية فكانت كالزاد الذى لا ينفد ، وكالخضم الذى لا ينضب ، مع قدرة على التخصيص الذى يحدد كل معنى مقصود ، وفى مخارج حروفه ، وكان فى هذا حياة للغة العرب ، ونماء لها ، وقدرة على الدلالة على المعانى المتجددة .

وهذا « البحر »الشاهد على تلك السمة فى ذلك البحر المحيط من لغة العرب ، ولسانها المبين



كان « البحر » في أصل هذه اللغة هو الشق ، ومن هذا الاصل كانت « البحيرة » وهي الناقة التي كانوا يشقون في اذنها شقا ، وكانت تلك عادتهم اذا نتجت الناقة

خمسة أبطن ، فكان آخرها ذكرا ، بحروا أذنها ، أي شقوها ، وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح .

ولا تمنع من ماء ترده ، ولا تصد عن مرعى تقصده ، حتى نهاهم عن ذلك الاسلام .

وعلى هذا جاء حديث عبد المطلب أنه « حفر زمزم ، ثم بحرها بحرا .. » أي شقها ، ووسعها حتى لا تنزف !

ولذلك سمي « البحر » بحرا ، لأنه شق في الارض شقا ، وجعل ذلك الشق للماء قرارا .. وكان في هذا الشق سعة وانبساط وعمق ، ولذلك قالوا « التبحر » و « الاستبحار » لكل ما فيه سعة وانبساط ، فسموا الفرس الواسع الجرى « بحرا » ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في « مندوب » فرس أبي طلحة زيد بن سهل ، وقد ركبه « ان وجدناه لبحرا » أي واسع الجرى . قال ابو عبيدة : « يقال للفرس الجواد انه لبحر » .

وكذلك قالوا : تبحر الراعي في رعي كثير ، وتبحر فلان في المال ، ورجل بحر اذا كان سخيا ، سموه كذلك لفيض كفه بالعطاء كما يفيض البحر .

وقالوا : استبحر فلان في العلم ، وسمي عبد الله بن العباس « بحرا » لسعة علمه وكثرته .

و « البحر » بعد ذلك هو الماء الكثير ملحا كان أو عذبا . ومن استعمال « البحر » في العذب قول ابن مقبل :

ونحن منعنا البحر أن يشربوا به
وقد كان منكم ماؤه بمكان

وقال جرير :

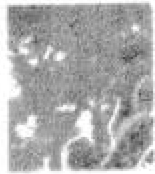
اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية
ما في عطائهم من ولا سرف
كوما مهاريس مثل الهضب لو وردت
ماء الفرات لكاد البحر ينتزف (١)

وقال عدي بن زيد :

وتذكر رب الخورنق اذ اشـ
ـرف يوما وللهدى تذكير

---

(١) هنيدة مائة ناقة ، ويحدوها ، يسوقها ثمانية أعبد ، والسرف الخطأ والاعطاء في غير وجه ، والكوم العظام الاسنمة ، والمهاريس الكثيرة الاكل واللبن .



سره ماله وكثرة ما يمـــــلك ، والبحر معرضا والسرير

أراد بالبحر ماهنا الفرات ، لأن رب الخورنق كان يشرف على الفرات. وقال الكميت :

أناس اذا وردت بحــــرهم
صوادى الغــــرائب لم تضرب

وقال ابن سيدة : وكل نهر عظيم بحر ، وقال الزجاج : وكل نهر لاينقطع ماؤه فهو بحر . وقال الازهرى : كل نهر لا ينقطع ماؤه مثل دجلة والنيل وما اشبههما من الانهار العذبة الكبار فهو بحر . وأما البحر الكبير الذى هو مغيض هذه الانهار فلا يكون الا ملحا اجاجا ، ولا يكون ماؤه الا راكدا ، وأما هذه الانهار العذبة فماؤها جار .

وعلى هذا تكون الانهار كلها بحارا، ولا تكون البحار كلها انهارا ، وان كان البحر قد غلب على الملح ، حتى قل فى العذب ، وخرج البحر من الاسمية الى الوصفية ، فقالوا : الماء البحر ، وهو الماء الملح قل او كثر ، وبذلك خصص البحر بالماء الملح .

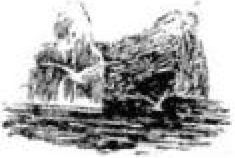
وفى آيات من الكتاب الكريم استعمل البحر فيما يعم البحر والنهر ، أى فيما يعم الملح والعذب كما فى قوله تعالى : « وما يستوى البحران ، هـــذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح اجاج ، ومن كـــل تأكلون لحمـــا طريا ، وتستخرجون حلية تلبسونها ؤ وترى الفلك مواخر فيه ، لتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون » وكقولهتعالى « وهو الذى مرج البحرين ، هذا عذب فرات، وهذا ملح اجاج ، وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » ..

أما النهر فانه لم يرد فى القرآن الا مرادا به العذب ، كما فى قوله تعالى : « وان من الحجارة لما يتفجر منـــه الانهار » وقوله عز وجل : « فلمـــا فصـــل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فانه منى » وقوله تعالى فى صفة الجنة التى وعد بها المتقون : « فيها انهار من ماء غير آسن » .. كما استعمل كلا منهما فى معنــــاه المخصص كمـــا فى قوله عز وجل : « وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحـــر بأمره ، وسخر لكم الانهار » ...

وعلى هـــذا فان عامة أهل مصر لا يبعدون عن الصواب ، ولا يجاوزون الاصل فى لغة العرب اذا اطلقوا لفظ « البحر » على نهرهم العظيم الخالد ، أو عـــلى فرع من فروعه الكبيـــرة الجارية فى مثل قولهم : « بحر النيل » و « بحر يوسف » و « بحر مويس » و « البحر الصغير » .. أو فى اطلاقهم « البحر الغـــربى » على فرع رشيد ، و « فم البحر » على الموضـــع الـــذى يتفرع فيه النيـــل الى فرعيه الكبيرين فرع رشيد وفرع دمياط ..

والادب العربى زاخر فى عصـــوره المختلفة بالحديث عن البحار المتلاطمة والانهار الجارية التى ابدع شـــعراء العربية وكتابها فى وصف أمواجها ، واصطخاب أمواجها ، وانبساط مدها، وانحسار جزرها ، وما يجرى فوقهـــا من الفلك التى تجرى بما ينفع الناس . ومن ابدع ذلك فى الشـــعر قول أبى هلال :

شققن بنـــا تيـــار بحر كأنه
اذا ما جرت فيه السفين بعريد
ترى مستقر المـــاء منـــه كأنه
سبيب على الأرض الفضاء ممدد
ويجرى اذا الأرواح فيه تقابلت
كما مال من كف النهامى مبرد
فان تسكن الأرواح خلت متونه
متون الصفاح البيض حين تجرد



فطورا تراه وهو سيف مهند
وطورا تراه وهو درع مسرد
تصعد فيه وهو زرق جمامه
فتحسب أنا في السماء تصعد

وقال السرى الرفاء في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

احذركم امواج دجلة اذ غدت
مصندلة بالمد امواج مائها
فانالتصغار السفن يرقصن وسطها
كرقص بنات الزنج عند انتشائها
تفرقها هوج الرياح وتعتلي
ربا الموج من قدامها وورائها
فهن كدهم الخيل جالت صفوفها
وقد بدرتها روعة من ورائها
كأن صفوف الطير عالت بأرضها
وقد سامها ضيما أسود سمائها
او الشبح المسود حلت عقوده
على قرية محمرة من فضائها

سهام جفون الفاتنات

وندع الحديث عن البحر الذي لا ينضب ولا ينضب عنه حديث وان طال ·

ولنعرض لشيء من الحديث عن « البحيرة » التي صغرها أصحاب هذا اللسان ، وكبرت في أعين الشعراء ، الذين انتجعوا شواطئها ، وسبحوا فوق مياهها ، واجتلوا مشاهد الجمال في البشر وفي الطبيعة برحلتهم اليها ، وتسريح الطرف في مفاتنها ··

وقد رأى المرحوم حفني ناصف في احدى زياراته لأوربا « بحيرة جنيف » فراعه منظرها البديع ، ومنظر الأسهم النارية التي كانت تطلق في سمائها ، فتفعل في قلبه ما تفعل سهام جفون السابحات الفاتنات فوق مياه البحيرة فأنشد :

سل المهابين « افيان » و « لوزان »
ماذا فعلن بقلب المغرم العاني
اذ كن في الفلك كالأقمار في فلك
يشرفن فيه على العباب نيران
فكم من الأرض سهم للسماء ، وكم
سهم تسدد لي من تحت اجفان !
يعلو البحيرة من نيرانها شرر
كزفرتي حين يجري مدمعي القاني
يذهبن بالفلك ايمانا وميسرة
منها ويطربن من توقيع الحان
سرب يغنين بالأفواه مطربة
وثلة بربابات وعيدان
والورق في الشاطيء الأدنى تجاوبها
تبدي الفاتين شدو بين افنان

وتلك صورة للبحيرات الفاتنة في اوربا ، وقد غالى أهلها في اناقتها ، وفي الاستمتاع بها في أوقات لهوهم وفراغهم ، وهي أيضا صورة لما اثارته من مشاعر في نفوس شعرائنا المعاصرين سواء أكانوا صادقين في التعبير عن مشاعرهم وتجاربهم ، أم كانوا مقلدين المبدعين في وصف البحيرة من الذين طارت شهرتهم في وصفها ·

البحرة والبحيرة

و « البحيرة » تصغير البحر ، كذلك قال ابن منظور في لسان العرب · قال: كأنهم توهموا « بحرة » والا فلا وجه للهاء · يريد أن يقول : ان تصغير البحر « بحير » ولا موضع للهاء في التصغير الا أن يكون ذلك مبنيا على توهمهم انها تصغير « البحرة » وهي الارض والبلدة · وان كان من العلماء من نص على نسبتها الى البحرة ، وهي ما يقتضيه القياس · قال أبو البقاء العكبري : ان البحيرة تصغير البحرة ، وهي الواسعة وليست تصغير البحر ، لان البحر مذكر ، قال الله تعالى : « والبحر يمده من بعده سبعة أبحر » ·

والبحيرة عندهم هي كل ماء مجتمع عظيم ، لا اتصال له بغيره ، فيكون



ملحا كما يكون عذبا ، وذلك مثل قولهم في البحر ، وقد سلف ·

وقد عرف العرب البحيرات وسموها بهذا الاسم على الرغم من ندرتها في بلادهم ، فقد رأوا كثيرا منها في المواطن التي وطئوها ، وفي البلاد التي انتجعوها · ومن البحيرات القليلة في جزيرة العرب « بحيرة هجر » وهي على باب الأحساء ، قرب بلاد البحرين ، وماؤها زعاق ، وهي البحيرة التي ذكرها جرير في قوله :

كأن ديارا بين أسنمة النقا
وبين هذاليل البحيرة مصحف
فلست بناس ما تغنت حمامة
ولا ماثوى بين الجناحين زفزف (١)
ديارا من الحي الذين نحبهم
زمان القرى والصارخ المتلهف

ومن البحيرات التي عرفوها خارج جزيرتهم « بحيرة أرمية » بينها وبين أرمية نحو فرسخين ، وهي بحيرة مرة منتنة ، واستدارتها نحو خمسين فرسخا · و « بحيرة أنطاكية » وهي بحيرة عذبة الماء ، بينها وبين أنطاكية ثلاثة أيام ، وطولها نحو عشرين ميلا في عرض سبعة أميال ، في موضع يعرف بالعمق · و « بحيرة الحدث » في أطراف بلاد الروم ، على اثني عشر ميلا من الحدث نحو ملطية وتمتد الى الحدث ، وهي قلعة حصينة هناك ، وفي الحدث كانت موقعة مشهورة بين العرب والروم انتصر فيها سيف الدولة انتصارا عظيما ، ومدحه المتنبي باحدى روائعه التي أولها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

وفيها يقول :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها
وتعلم أي الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله
فلما دنا منها سقتها الجماجم

و « بحيرة خوارزم » وتنصب اليها أنهار كثيرة ، منها سيحون وجيحون · و « بحيرة قدس » قرب حمص طولها اثنا عشر ميلا في عرض أربعة أميال، تنصب اليها مياه ما حولها من الجبال ، ثم يخرج منها النهر المسمى « نهر العاصي » وهو نهر حمص وحماة وشيزر ، وينصب في البحر قرب أنطاكية · و « بحيرة المرج » في شرق دمشق · و « بحيرة زغر » في غرب الأردن ، وهي بحيرة منتنة لا يعيش بها حيوان ·

ومن أشهر هذه البحيرات « بحيرة طبرية » وهي نحو عشرة أميال في ستة أميال ، وهي كالبركة تحيط بها الجبال ، وتصب فيها فضلات أنهار كثيرة · ومدينة طبرية مشرفة عليها ، ويخرج منها نهر الأردن فيشق الغور طولا الى « بحيرة زغر » ·

وفي بحيرة طبرية صاغ المتنبي أبياتا من روائع شعره في وصف هذه البحيرة — وهي المنشورة على الصفحة المقابلة — فقال موجها خطابه الى علي ابن ابراهيم التنوخي ··

←

(١) الأسنمة اسم موضع ، والهذاليل ما استدق من الرمال ، والزفزف الريش الذى بين الجناحين ··



لولاك لم اترك البحيرة وال
غور دفء وماؤها شبم
والموج مثل الفحول مزبدة
تهدر فيها ومابها قطم
والطير فوق الحباب تحسبها
فرسان بلق تخونها اللجم
كأنها والرياح تضربها
جيشا وغى هازم ومنهزم
كأنها في نهارها قمر
حف به من جنانها ظلم
ناعمة الجسم لا عظام لها
لها بنات ومالها رحم



يبقر عنهن بطنها ابدا
وما تشكى ولا يسيل دم
تغنت الطير في جوانبها
وجادت الروض حولها الديم
فهي كماوية مطوقة
جرد عنها غشاؤها الادم
يشينها جريها على بلد
يشينه الادعياء والقزم





لقد أبدع أبو الطيب ، فصور بريشة الفنان الصناع تلك البحيرة بتلك الصور المتلاحقة ، والتشبيهات التي أمدتها بالحياة ، فلم تعد البحيرة ذلك المجتمع العظيم للماء الساكن المتد بين شواطئها وانما جعله متحركا يفيض بالحركة التي تبعث فيه الحياة ، ولم يدع شيئا من ذلك المنظر الأخاذ الا صوره بهذه الصور المتصل بعضها ببعض ، فازدادت أجزاؤها ترابطا :

١ – فقد وصف أمواجها التي تهدر اذا هبت عليها الريح ، وشبهها بالفحول الثائرة المزبدة التي تريد أن تستفرغ طاقتها بهذه الثورة الجامحة .

٢ – ووصف الطير على وجه مائها في حالة رفرفتها فوقه ، وانغماسها فيه ، وشبهها بالفرسان التي تضطرب على ظهور الخيل ، فكان الامواج المختلفة الخيل البيض ، وقد تقطعت أعنتها ، فاتجهت حيث تشاء .

٣ – والطير يتبع بعضها بعضا على وجه الماء اذا ضربها الريح ، وكأنها جيشان يهزم أحدهما الآخر ، فيتبع الهازم المنهزم ، وهي تنشط وتطير فوق الماء اذا ضربتها الريح ، أو أنها تضرب الموج فتهزمه ، ثم تعود فكأنها منهزمة بين يديه .

٤ – وماء البحيرة في صفائه وقد أحاط به سواد الجنان وخضرتها كأنه قمر أحاط به الظلام ، وذلك في النهار دون الليل ، حين ينعكس على وجه البحيرة ضوء الشمس .

٥ – وانتقل من ذلك الى البحيرة التي تبدو ناعمة حية من غير عظام يقوم عليها بناؤها ، وهو يريد بنائها : أي السمك الذي يحيا فيها ، ويستخرج منها من غير عناء .

٦ – وعاد الى الطير فوصفها وهي تتغنى في جوانبها فوق الغصون التي تحيط بها وقد سقتها مياه المزن التي لا تكف عن تعهدها ، والى سطحها الذي شبهه في الصفاء ، بالماوية وهي المرآة المطوقة بطوق من الفضة أو الذهب ، وقد نزع منها طوقها ، وجردت من غلافها .

٧ – وأخيرا فقد شاقه ذلك المنظر الفاتن ، وأخذ بمجامع قلبه ، ولم يغض من هذا الجمال الساحر الا ما رأى من لؤم أهل هذا البلد .

وهذا الوصف في جملته أثر من آثار الفنان الشاعر العبقري بمحاسن الطبيعة وجمالها الآسر ، وليست هذه الصور المترادفة سوى مرآة لأحاسيسه ومشاعره ، وقد انتزعها من حياته العربية وتجاربه فيها .

زورق الشاعر

محمود العتريس

شعاع أطل من المشرق   على لجة الخافق الأزرق
يداعب - في خشية المشفق -
بقايا شراع على زورقي
بقايا شراع عراه الضنى   وأوغل فيه الأسى موهنا
تكاد تموت غضون المنى
على خده الشاحب المرهق
على خده من دبيب القدر   أخاديد عمر جفاه المطر
فأجدب - إلا بقايا صور
تحدث عن رحلة المخفق
تحدث عن رحلة الشاعر   عن البحر والقيد والسامر
عن الكأس في ليله الساهر
وما خلف العمر في المفرق
وما خلف العمر بعد النوى   سوى واهن في ضلوعي ثوى
تؤرقه لفحات الجوى
وسحر شعاع الصبا المحنق
وسحر شعاع الصبا المحنق   تغطى سياج الأسى المرجف
والفل يعبث في أحرفي
وينفث من حسنه الريق
وينفث من حسنه والصبا   فتهتز بالأغنيات الربى
وترجى المنى موكبا موكبا
مع الموج في لجة الزنبق
مع الموج في عرسه الزاهر   يداعب خلف الأسى ناظري
فتخفق للسحر والساحر
بقايا شراع على زورقي

● الإسكندرية ● محمود العتريس ●

رحلة الشهر

الخلاعة .. في معناها الجميل



امير الشعراء
احمد شوقى

سمعت فى تونس ، اذ كنت هنـــاك على ابواب الصيف ، كلمة عجيبة كانت تتردد كلما جاء ذكر الاصطياف ، هى « الخلاعة » !

وكلمة « الخلاعة » هناك لا تحمل المعنى الذى نعرفه « نحن المشارقة » لهذه الكلمة ··· بل انهم يعنون بها الاصطياف ··· مجرد الاصطياف ··· فاذا قالوا : « نحن ذاهبون الى الخلاعة فى حلق الوادى ··· أو فى سيدى بوسعيد ··· أو فى المرسى » ··· فكما نقول نحن ، بكل بساطة : « نحن ذاهبون الى الاصطياف فى الاسكندرية ، أو فى رأس البر ، أو فى مرسى مطروح » ·

ولعل التوانسة اشتقوا الكلمة بهذا المعنى ، من « خلع » الملابس للتخفف منها ، أو للاستحمام فى البحر ··· ولم يأخذوه قطعا من الخلاعة بمعنى التهتك والابتذال ·

الاسكندرية ··· أيام ابوللو

وبهذا المعنى التونسى ، نقول ان موسم الخلاعة يبلغ ذروته مع صدور هذا العدد من « الهلال » عن ادب البحر ، ويعيد الينا كثيرا من ذكريات الصيف ، يرجع اكثرها الى عهد الشباب ·

فى عهد جماعة ابوللو ــ وكنت يومئذ طالبا بالجامعة ــ كنت اذهب مع الجماعة ، وعلى رأسنا الدكتور احمد زكى ابو شـــادى ، رحمة الله عليه ، لنقضى امسيات الصيف فى « القهوة التجارية » بالاسكندرية ، حيث كان ملتقى جمـــاعة

نشر الثقــافة ، وهى الجمــاعة التى غرست بذور النهضة الفكرية فى الثغر ، وكان من أعمدتها :

● الشاعر خليل شيبوب ، وكان « جراند سنيور » كما يقول الفرنسيون ... يتميز بالاناقة والادب وبراعة الحديث والسماحة والندى . وقد تتلمذ فىمدرسة مطران الرومانسية ، ولكنه بز مطران فى موسيقاه .

● وشقيقه صديق شيبوب ، وكان ناقدا وقاصا ، وصحفيا يسهر على تحرير جريدة « البصير » ذات الشأن الاقتصادى بالإسكندرية فى ذلك الحين . ولكنه كان دون اخيه فى بريق شخصيته .

● والشاعر عثمــان حلمى ، وهو سكندرى قح ، يتعصب للاسكندرية ، ويراها أم المدائن ، ويرى أن الشعر لا يخرج الا منها ، فشعراؤها هم سادة الشعراء .

وعلى الرغم من أنه كان موظفا بوزارة المواصلات (مصلحة البريد) وكانت له تذاكر مجانية فى السكك الحديدية يذهب بها الى شاء ، ومتى شاء ، فانه لم يغــادر الاسكندرية فى حياته الا مرة أو مرتين ، جاء فيهمــا الى القاهرة لتسوية معاشه . وكان لا يبقى فى المرة منهما الا يوما أو يومين على مضض .


احمــد فؤاد الصاعقة : شرلان الف بيت ...

● والشاعر الصياد » عبد اللطيف النشار . وكان يحب الصيد ولكنه لا يحســنه . وطالما شوهد طوافا بشواطىء الإسكندرية ، والشص فى يد ، والسلة خاوية فىاليد الاخرى .

وكان هو وعثمان حلمى فى الاسكندرية ، كما كان شوقى وحافظ فى القــاهرة ، ينطويان على غيــرة ، يكتمانها اذا التقيا ، وينفعلان بها اذا أثارهما احــد الاشقياء فالفاضل بينهما .

● والكاتب عبد الحميد سالم . وكان صحفيا وطنيا ذا قلم ملتهب ، يكتب افتتاحيات نارية فى جريدة « وادى النيل » ... وكانت ــ على سكندريتها ــ واسعة الانتشار فى أرجاء مصر ، كما كان أديبا وناقدا ذا حاسة مرهفة .

على أنى عرفته متأخرا ، بعد أن فقد مكانته وتشرد هائمــا على وجهه فى الطرقات بلا قوت ولا مأوى . ومأساته ، أنه خــلال الحرب التركية اليونانية ، تعصب ككل المصريين لمصطفى كمــال ــ أتاتورك ــ وصب مقــالاته فى « وادى النيل » حمما على رءوس اليونانيين ، وكانوا يومئذ كثرا فى الاسكندرية .

وبلغه أن قسيسا منهم سيغتاله ، فأصابته لوثة ، فكان كلما لمح قسيسا خيل له أنه هو الذى سيغتاله ، فصرخ رعدا فى الطريق .

ومازال على هذه الحال حتى أدركته رحمة الله

● والناقد محمود احمد البطــاح . وكان رقيق الحال ، ولكنه كان جامح القلم ، عنيف اللسان » وبهذين لم يبق على صديق .

بكل هؤلاء ـ رحمهم الله جميعا ـ كنا نلتقي طوال امسيات الصيف في الاسكندرية ، وتدور أحاديث شتى حول الادب والشعر والنقد .

وكان يؤم مجلسنا في بعض الليالي ، المرحوم احمد فؤاد .. أو « فؤاد الصاعقة » ... كمـــا يسمونه ... صاحب جريدة « الصاعقة » . وكان ـ رغم صممه ـ محدثا لبقــا ، وراوية يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من الشعر .

وكان يعبد « شوقي » ... ومع هذا ، فانه كان كلمـــا اعوزه المال ، أوفد من يبلغ « شوقي » أن « فؤاد الصاعقة » يعد نقدا قاسيا لشعره .

وكان شوقي يفرق من النقد . ولهذا فانه ما كان يكاد يسمع هذا القول ، حتى يوفد الى فؤاد الصاعقة من يسد فمه بخمسين جنيها ، أو مائة جنيه !

بعـــد أبـــي شـــادي


د. احمد زكي ابو شـــادي

ولما انتقل الدكتور ابو شادى الى الاسكندرية ، وكيلا لكلية الطب ، بعد النهاية الحزينــة لمجلة « ابوللو » ... استحدث هناك حركة ادبيةواسعة لم تخل من معارك فكرية مثمرة كالمعارك التى اثارتهـــا « ابوللو » في القاهرة بين مدرستي شوقي والعقاد .

ثم ركدت الحركة الادبية في الثغر بعد نزوح أبي شادى الى امريكا ، ورحيل النشار الى القاهرة ، حيث توفاه الله اخيرا ، وذهاب جيل خليل شيبوب جميعا للقاء الله .

ثم كان البعث ، عقب نهضة جامعة الاسكندرية ، بمن فيها من اساتذة في الادب والنقد ، وقيـــام الهيئة المحلية للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ، التي ورثت جماعة نشر الثقافة ـ أو احتوتها على الاصح ـ ثم قيـــام قصور الثقافة هناك ، حيث تفتحت مواهب أدبية شابة واعدة ...

ومن جديد ، انطلقت من الاسكندرية أصوات أدبية عالية : الدكتور حسن ظاظا ، والدكتور الجـــارم (ابن عم الشاعر الراحل علي الجارم ، وادوار حنـــا سعد ، وعبد العليم

القباني ، ومحمد محمود زيتون ، ومحمود العتريس ، وعبد المنعم الانصارى ، وعزيزة كاتو ، وفلورى عبد الملك وغيرهم.

وتصدر الآن - باسم دار الهـــلال - مجلة مشرقة باسم « الاسكندرية » ... نرجو أن تتوســع صفحاتها لتحتضن مواهب الثغر وتنشر نتاجها على الناس ليعود للادب السكندري عصره الذهبي .

مـــــذهـــب رواقـــ الحكيـــم



د . مصطفى القللى: جيل لامـع من تلاميـذه ..

وفي الشهر الماضى ، أغلق « رواق الحكيم » الذى ينعقد صباح كل جمعة فى ردهة فندق سميراميس بالقاهرة ، أبوابه مؤذنا بانتهاء موسم الشتاء ، وانتقال الرواق الى موسمه الصيفى بمقهى مبترو، بالاسكندرية ورواق الحكيم بالقاهرة ، غيره بالاسكندرية ...

فللرواق بالقاهرة اربعة أعمدة ، ظفروا بجـــائزة الدولة التقديرية فى مجالات مختلفة ، هى الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

هؤلاء الاربعة هم : توفيق الحكيم و د. حسين فوزى ، ويوسف وهبى .. و د . مصطفى القللى ، العـــالم الاديب القانونى ، وعضو مجمع اللغة العربية ، الذى شاءت ارادة الله أن تستدنيه الى دار البقاء منذ ايام ، قبل ان يتسلم الجائزة ، فذهب الى لقاء ربه راضيا مرضيا ، بعد ان ترك وراءه جيلا واسعا لامعا من تلاميذه فى مناصب القضاء ، وخلف للمكتبة العربية تراثا قانونيا وتشريعيا ثريا .

وقد توالت جائزة الـدولة التقديرية على اعضاء الرواق عاما بعد عام ، حتى سرى الى الأذهان أن الجـــائزة آتية لا ريب فيها ، لسائر اعضاء الرواق واحدا بعد الآخر .

ورواق الحكيم ، هو ارفع صالون ادبى بالقاهرة فى هذا الجيل ، فله دستور غير مكتوب - كالدستور البريطانى - يولج الباب فى وجه ادعياء الادب ويمنع المهاترات ، ويتقبل كل ثقافة ثريـة ، ويرفض الانتماء الى أى مذهب وافد ، ويعتز بشخصية مصر فى اطار القومية والعقيدة .

ويختلف رواق الحكيم فى الاسكندرية عنه فى القاهرة ، بأنه هناك يومى ، وهنا - فى القاهرة - اسبوعى - وأن عمودا خامسا من حملة الجائزة التقديرية ، يضاف الى أعمدته الاربعة ، هو صديقنا نجيب محفوظ .

كمـــا تختلف بعض وجوه الرواق ، فتختفى وجوه تظل مشغولة برزقها فى القـــاهرة ، وتظهر وجوه من نتـــاج الاسكندرية ، ولكن مبادىء الرواق تبقى قائمة ، هنا وهناك.

في ندوة الجناح



احمد رامي : ندوات لبنان

وما أجمل موسم الخلاعة – بالمعنى التونسي – في لبنان .

كانت لنا – حتى الصيف الماضي – ندوة حلوة هناك ، انفضت برحيل شيخها الى دار البقاء .

وكان شيخها ، هو الشاعر اللبناني ميشيل سمعان ، صاحب شاطيء « سان ميشيل » بضاحية الجناح ، وهي ضاحية جميلة من بيروت ، نائمة على ذراع البحر الابيض .

كان هذا الشاعر من اكرم الناس ، واكبرهم قلبا ، وارهفهم احساسا .

وكان يطوف بالشعراء اللبنانيين ، والمصطافين في لبنان ، كل ليلة ، ليجمعهم حول مائدة من اشهر موائد لبنان الادبية

وكنت الزم ندوته ، ومعي رامي ، ومعنا شاعر لبنان الكبير امين نخلة ، والاديب الكبير تقي الدين الصلح ، وشاعر سوريا عمر ابو ريشة ، ومؤرخ لبنان يوسف يزبك .

والصحفي اللبناني روبيرا بيلا ، وغيرهم وغيرهم ، وتحلو السهرة ، ويلذ الحديث ، ويطيب الشعر ، ولا تنفض الندوة الا قبيل الفجر .

وذهب ميشيل سمعان للقاء الله منذ شهور قريبة ، وانفضت ندوته ، ولم يعد هناك ما يغرى امثالنا بالخلاعة في بيروت .

جائزة الشعر لشفيق معلوف

واذكر انني دعيت الى لبنان منذ عامين ، لاشارك في حفلة ازاحة الستارة عن تمثال العلامة اللغوى الكبير عيسى اسكندر المعلوف ، الذى اقيم بحديقة قصر الاونسكو ببيروت ، كان حلمي أن التقى بشاعر لم التق به أبدا في عالم الواقع ، وان كنت قد التقيت به طويلا ، منذ أول الشباب ، في دواوينه المشرقة « عبقر » و « لكل زهرة عبير » و « نداء المجاذيف » و « حبات الزهود » و « عيناك مهرجان » و « ليلى الأخيلية » وغيرها .

والشاعر هو شفيق المعلوف ، الذى يقيم في سان باولو بالبرازيل ، وهو احد اخوة ثلاثة ، ورثوا عن أبيهم عيسى اسكندر المعلوف حب الادب والشعر منذ نعومة اظفارهم .

وقد ذهب اكبرهم ، فوزى ، للقاء ربه ، وهو في أجمل

العمر ، بعد أن أثرى الشعر العربي بملحمته الرائدة « بساط الريح » .

اما شفيق ، فقد اختار مقامه في المهجر البرازيلي ، حيث نظم ملحمته الكبرى « عبقر » ... قرية الجن ...

واما رياض ـ أصغر الاخوة الثلاثة ... وهو من شعراء أبوللو ـ فقد آثر البقاء في عرينه بزحلة ، يكتب وينظم ويرعى مكتبة ابيه الراحل ويسهر على نشر تراثه .

واعود الى الشاعر شفيق المعلوف ، فاقول ان ملحمته « عبقر » قد ترجمت الى اللغة البرتغالية والى غيرها من اللغات الحية . واخر انبائه ، انه قد ظفر هذا العام بجائزة الشعر العربي للاتحاد الثقافي « برازيل ـ لبنان » بسان باولو ، وقدرها عشرة ملايين كروزو قديم (أى خمسة آلاف ليرة لبنانية) ـ كما فاز بجائزة مماثلة ، عن الشعر البرازيلي ، الشاعر البرازيلي الدكتور مونتى دل نيكيا .

و « الهلال » اذ تهنيء الشاعر المهجرى الكبير ، يسعدها ان تقدم باقات من شعره في الاعداد القادمة .

مـــــات أمـــير شعـــــراء الإنجلـيز

◆ فقدت انجلترا في منتصف هـــذا العام ، امير شعرائها سيسيل دبى لويس ، عن ثمان وستين سنة ، بعد مرض عضال هد قواه والزمه الفراش في بيت صديقه القصصى المشهور كنسجلي اميس مدة طويلة .

وقد كان سيسيل دبى لويس قصصيا وناقدا وشاعرا وكاتب سيرة .

وعلى الرغم من انه كان يحمل لقب امير الشعراء ، وله عشرون ديوانا ، فانه لم يكن أحسن شاعر انجليزى معاصر . ذلك ان هذا اللقب يمنح لصاحبه في انجلترا بامر ملكى ، منذ ستمائة سنة ، وليس حتما ان يمنح لاحسن شاعر ، بل للشاعر الـذى يلتزم بتسجيل كبـار الحوادث في الدولة شعرا .

وقـد ظفر دبى لويس بهـذا اللقب بمرسوم من الملكة اليزابيث الثانية ، سنة ١٩٦٨ ، عقب وفاة امير الشعراء السابق ، السير جون ماتسفيلد .

ولامير الشعراء هناك مرتب قدره خمسة وسبعون جنيها في السنة ـ اى ستة جنيهات وربع الجنيه في الشهر ـ ولهذا فان دبى لويس حينما تلقى نبا الانعام عليه بهذا اللقب ، قال

« ان هذا المرتب يسقيني بالكاد ارخص انواع الويسكى يوما او يومين فى الشهر » !

وقد قوبل نبأ تعيينه اميرا للشعر يومئـــذ بفتور عام ، لاشتهاره بالشعر التقريرى والتسجيلى ، ولان النقاد لقبوه فى سنة من السنوات بـ « اقبح شعراء السنة » !

وقـد بدأت شهرة دبى لويس فى الثلاثينات ، اذ كان من جماعة « شعراء اكسفورد » ٠

وكانت « موضة » عند الناشئين فى مجال الثقافة فى ذلك الحين أن ينتموا الى الحـزب الشيوعى ، ففعل دبى مثلهم ، واخذ ينشر فى جريدة الحزب ليحقق بعض الكسب المادى ٠

وفى سنة ١٩٣٩ ، استقال من الحزب ، ووصف تعاليمه بانها « كالاعمى الذى يقود آخر قصير النظر » ٠

وقد الف دبى لويس اكثر من عشرين رواية من روايات الجاسوسية ، باسم مستعار ، هو « نيكولاس بليك » ٠ والف اربع روايات اخرى ، وكتب سيرة حياته ، كما وضع اكثر من عشرة كتب فى النقد الادبى ، وترجم الى الانجليزية اعمال الشاعرين فرجيل ، وبول فاليرى ٠

وقد حاضر فى جامعـــة كمبردج ، ثم عين اســتاذا فى اكسفورد سنة ١٩٥١ ، والقى بعد ذلك كثيرا من المحاضرات فى بعض جامعات امريكا ٠

وقد تزوج دبى لويس مرتين ، انتهت الاولى بالطـلاق ، وكللت الثانية بالسعادة الغامرة ، الى حد انه كان يقول دائما انه لم يذق طعم السعادة الا وهو فى الخامسة والخمسين !

رحــــلات جـــادة مـــرحة

« رحــلات جادة مرحة » ... كتــاب فى ادب الرحلات ، صدر منـــذ ايام لصديقنا الصحفى الكبير مصطفى بهجت بدوى واحسب ان هـــذا الكتاب هو اجمل ما قرات من ادب الرحــلات فى السنوات العشر الاخيرة ، لان صاحبه ليس كمـــا اسلفت القول ، صحفيا كبيرا وحسب ٠ ولكنه شخوص متعددة الجوانب ، اجتمعت فى شخصية كتب عليها القدر ان تنتهى الى الصحافة

كان قبل ذلك ضابطا بالقوات المسلحة ، ثم هفت نفسه الى

المحاماة فمارسها حينا ، ثم استهوته الكتابة ــ وهو طليق اليدين ــ فكتب ، ثم اجتذبته الصحافة ، فاحترف ·

ولكنه قبل كل هؤلاء الشخوص جميعا ، شاعر ، وشـــاعر موهوب ، كانت بيني وبينه اكثر من معركة ــ معركة حب ــ في خلال السنوات الطويلة التي عرفته فيها عن بعد ، ثم عن قرب ·



مصطفى بهجت بدوى : باقات من القـــول المنثور · · ·

هو شاعر أصيل ، أراد أن يجتاز التجربة الجديدة ، المسماة بالشعر الجـديد · ومن حبى له حملت عليه ، وصرخت فى وجهه : عد كما كنت !

وعاد مصطفى بهجت بدوى ، الشاعر ، الى اصالته ، وراح ينفحنا بخرائد فائقة ·

ثم كف عن الشعر ، فثرت عليه مرة أخرى ، ولم اتركه قبل أن يعد بالعودة الى الشعر ·

وحينما قال لنا أستاذنا الراحل عباس محمود العقاد ، ونحن فى لجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب ، اننا نريد أن نطعم اللجنة بعناصر خصبة ، اقترحت عليه ثلاثة أسماء ، دخلت اللجنة جميعا ، وكان أولها اسم مصطفى بهجت بدوى ·

وازداد شاعرنا قربا ، حينما عمل هـــذا الشاعر معنا ، عضوا منتدبا بدار الهلال ، واستغرقه العمل الادارى الى حد خشيت عليه معه أن ينسى قلمه ، فحملت عليه ، وقلت له : اكتب كل اسبوع ، ولو بيتين ! فان استعصى عليك الشعر ، فاكتب كل اسبوع نثرا ، ولو سطرين ·

ثم نأى به الركب فانصرف عن دارنا ليرأس دار زميلتنـــا « الجمهورية » ·

وانطلق القلم فى يديه ، وتجمعت له من هـــذه الانطلاقة باقات حـــلوة من القول المنثور ، لم تخــــل من شعر ، او من شاعرية ، جمعها فى هـــــذا الكتاب الأنيق : « رحـــــلات جادة مرحة » ·

(الناشر : كتاب الجمهورية)

● ص · ج ●

هل أحرق العرب

محمد الساكت

فى القرن الثالث قبل الميلاد انشأ البطالمة مكتبة فى الاسكندرية جمعوا بها كتب العلم من اقطار العالم المتمدن فى ذلك الحين ، لنقل الاداب اليونانية الى مصر . وتوالت على هذه المكتبة احوال كثيرة فى ايام الرومان وغيرها الى ان ضاعت بين احراق ونهب .

عندما وصل يوليوس قيصر الى الاسكندرية ، سنة ٤٧ (ق.م) ، نشبت معركة بحرية واشتعل حريق هائل أتلف دار صناعة السفن وما جاورها من المباني، ومنها مكتبة الاسكندرية ، حتى اتى على ما بها من كتب الا جزءا قليلا من الكتب اودع معبد السرابيوم وأعد له فيه مكان خاص . ولم يسلم هذا المعبد أيضا من الحريق فى عهد الامبراطور تيودوسيوس المسيحى الذى امر بهدم المعابد والهياكل والكتب فأمر بتدمير معبد السرابيوم ومكتبته .

وبعد ان وقفنا على تاريخ مختصر لمكتبة الاسكندرية والظروف التى مرت بها ، وسواء اخذنا بفرية احراق هذه المكتبة بامر عمر بن الخطاب ام لم نأخذ ، فان التاريخ على ءبقصص كثيرة من هذا القبيل .

فعلى سبيل المثال :

١ ــ لما اغار هولاكو التترى على بغداد سنة ٦٥٦ هـ امر بالقاء كتب العلم التى كانت فى خزائنها فى نهر دجلة والتخلص منها .

٢ ــ لما فتح الافرنج طرابلس الشام فى اثناء الحروب الصليبية احرقوا مكتبتها بامر الكونت برتران سنت جيل وكان قد دخل غرفة فيها نسخ كثيرة من القرآن فامر باحراق المكتبة كلها .

٣ ــ امر الامبراطور تيودوسيوس المسيحى فى سنة ٣٨١ م بهدم معابد الوثنيين وهياكلهم وآثارهم ثم تعقب

جميع معالم الدنية الوثنية فى سائر انحاء الامبراطورية فخرب معبد السرابيوم بالاسكندرية واعدم ما اشتمل عليه هذا المعبد من كتب وتحف ومقتنيات .

٤ ـ وحتى فى العصور الحديثة لم تسلم أمم عريقة فى المدنية من هذه الروح . فعندما استعمر الفرنسيون بلاد الجزائر قاموا باحراق كل الكتب المطبوعة والمخطوطة التى وجدوها بمكتبات مدينة قسطنطينة .

***

الواقع ان عمر بن الخطاب برىء من هذا الوزر . والسبب واضح ، وهو ان دار كتب الاسكندرية لم تكن موجودة حين فتح العرب مصر سنة ٦٤٠ م اذ هى قد أحرقت قبل ذلك الفتح بزمن طويل .

وهناك روايات مشكوك فى صحتها تقول ان عمر بن الخطاب قد أمر باحراق مكتبة الاسكندرية ، فقد ذكر ابن القفطى وأبو الفرج الملطى وغيرهما أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية

كان فى جملة علمائها رجل اسمه (يحيى الغراماطيقى) فدخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه ، وسمع من ألفاظه الفلسفية التى لم تكن للعرب بها انسة ما هاله ففتن بها .

وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر ، فلازمه وكان لا يفارقه . ثم قال له يحيى يوما « انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاصناف الموجودة بها فما لك به انتفاع فلا نعارضك فيه ، وما لا انتفاع لك به فنحن اولى به » . فقال له عمرو « وما الذى تحتاج اليه ؟ » . قال « كتب الحكمة التى فى الخزائن الملوكية » فقال له عمرو « هذا ما لا يمكننى أن آمر فيه الا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » .

تقول الرواية :

فكتب الى عمر وعرفه قول يحيى فورد عليه كتاب عمر يقول فيه « واما الكتب التى ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنها غنى ، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها » فشرع عمرو بن العاص فى تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها فى مواقدها فاستنفدت فى مدة ٦ اشهر .

وتدلنا كتب التاريخ ان ابا الفرج الملطى نقل هذه الرواية عن ابن القفطى ، ومما يؤخذ على ابى الفرج الملطى انه استغل رواية لا سند لها من الواقع ليحط من قدر الخليفة عمر ابن الخطاب وعمرو بن العاص ، وانه لو توخى الحق فى تدوين وقائع التاريخ لشك على الاقل فى صحة تلك الرواية والتى لم يسبق ابن القفطى اليها احد من المؤرخين طوال ستة قرون والتى لا يذكر لنا واضعها من اين جاء بها ولا السند التاريخى الذى يعول عليه فيها .

***

ومما يقلل من قيمة هذه الرواية ويدعو الى عدم الثقة بها ان ابن القفطى

مكتبة الإسكندرية

هل أحرق العرب مكتبة الإسكندرية ؟



عمرو بن العاص :
كما تخيله رسام الهلال

لم يذكر المصدر الذى استقى منه تلك القصة ولماذا سكت عنهـا المتقدمون عليه من مؤرخى الفتوحات الاسلامية؟ خاصة وان حوالى ستة قرون مضت على فتح العرب لمصر ولم يقل احد من الناس ولم يذكر احد من المؤرخين او الرواة خلال تلك القرون ان عمرو بن العاص احرق مكتبة الاسكندرية بوحى من نفسه او بامر من الخليفة عمر بن الخطاب .

وهناك من الادلة والبراهين ماينفى رواية ابن القفطى ويظهر بطلانهـا ، وهى أن عمرو بن العاص قبل دخوله الاسكندرية أعطى لاهلها مهلة طويلة جعلها احد عشر شهرا لا يدخلهـا قبل انقضائها ، فكانت فرصة ثمينة للرومان الا يغفلوا عن نقل هـذه الكنوز العلمية التى كانت تحويهـا مكتبة الاسكندرية لو ان هذه المكتبة كانت باقية .

ودليـل اخر هو اذا كان عمرو بن العاص قد احرق الكتب خشية ان يتسرب ما فى كتبها الى عقول المسلمين فما القصد من القول بانه امر بتوزيعهـا على الحمامات لحرقها واستغرقت هذه العملية ستة اشهر ، افلم يكن من السهل ان تحرق فى مكانها ولا تكون عرضة للسلب والنهب ؟

ولزيادة الايضاح وقفنا على آراء لبعض المؤرخين الغربيين فى العصر الحديث ممن تناولوا هذه المسالة بعين الاعتبار والبحث فتبين لهم عدم حقيقتها وزيفها .

يقول المؤرخ لوكلير فى المجلة العلمية الفرنسية :

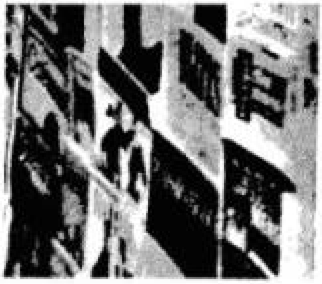
« ان مكتبة الاسكندرية لم تبق الى عهد الفتح الاسلامى لمصر ، حتى يقال ان العرب احرقوها » .

وفى دائرة المعارف الفرنسية تحت عنوان (عمرو بن العاص) :

« لقد كان عمرو رجلا واعيا مهذبا فليس مما يثق به ان يكون قد احرق بقـايا مكتبة الاسكندرية التى كان المسيحيون قد سبقوا فاعدموها » .

وتقول دائرة المعارف البريطانية :

« ان ما ذكره أبو الفرج الملطى عن احراق العرب لمكتبة الإسكندرية ان هو الا افتراء وكذب ، لان المكتبة لم تكن عند فتح العرب لمصر تحوى شيئا ذا قيمة بعد ما اصابها من الحرائق قبل



يوليوس قيصر : احرق
اسطول الاسكندرية



العرب بزمن طويل » ٠

وتحت عنوان (اسكندرية) كتبت نفس الدائرة البريطانية :

« كانت هذه المكتبة قد اتت عليها النيران عندما أحرق يوليوس قيصر اسطول الاسكندرية الذى كان راسيا فى الميناء سنة ٤٧ ق٠م٠ »

ومن كتاب (فتح العرب لمصر) لمؤلفه المؤرخ الانجليزى الفرد باتلر يقول :

« ٠٠ لم نقصد بكلامنا هذا سوى اثبات الحقيقة ، ولا شك فى ان العرب عنوا بعد فتوحاتهم بجمع كثير من الكتب القديمة وغيرها مما وقع فى ايديهم وعنوا بحفظها وترجموا منها فى كثير من الاحوال ٠ وفى الحق انهم ضربوا امثلة يجدر بالقائمين فى العصر الحديث ان يحذوا حذوها فليس مما يسهل تصديقه اذن انهم كانوا من الوحشية بحيث يخربون كنوز العلم والفن مغتبطين راضين » ٠

ومن كتاب (حضارة العرب) للكاتب المعروف جوستاف لوبون يقول : « اما مازعموه من أحراق مكتبة الاسكندرية فخرافة لا تصدقها لان مثل هذا العمل الوحشى لا يتفق وعادات العرب بل هو يتنافى واياها الى حد يجعلنا نتساءل كيف رضى بعض المؤرخين أن يقبلوا هذه الخرافة ويسلموا بصحتها ٠ لقد تولى كبار المؤرخين من معاصرينا ومن اسلافنا تفنيد تلك الفرية تفنيداً يغنينا عن تناولها ببحث جديد والا فليس أيسر من التدليل بنصوص صريحة وباسانيد لا تناقش على أن المسيحيين كانوا قبل الفتح العربى بزمن طويل قد اعدموا الكتب الوثنية التى كانت مكتبة الاسكندرية تحتويها وانهم اعدموها بنفس العناية التى هدموا بها كل التماثيل والهياكل الوثنية حتى لم يبق منها شيء يحرقه العرب » ٠

وختاما اليس العرب هم الذين جلبوا كتب العلم من بلادها المختلفة ونقلوها الى لغتهم ثم حملوها الى شمال افريقيا وجنوب اوربا ، فحملوا اليهما بذلك شمس المعارف والعلوم ؟ فهل الذين فعلوا ذلك هم الذين يصدق فيهم انهم أعداء العلم وكتب العلم يحرقونها حيث وجدوها ؟ ٠ ٠ ٠

عادل ثابت

الفن و البحر



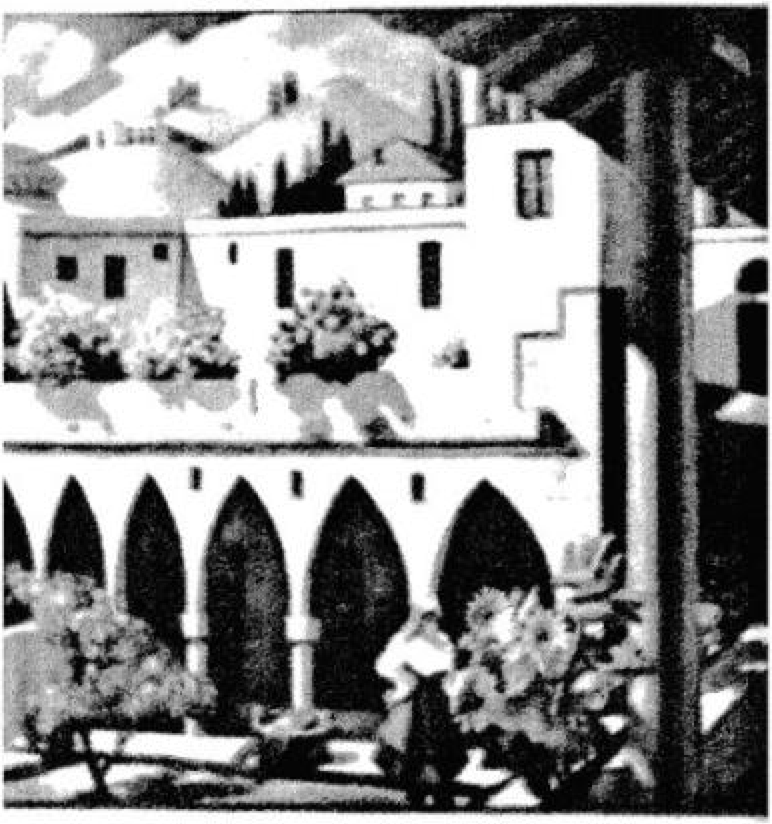
● المثال محمود موسى ، وتمثال من اعماله ●



● كان التركيز كله . في الفترة السابقة . على فناني القاهرة . وسواء كان هذا التركيز مقصودا او غير مقصود ، فالنتيجة هي دائما اهمال كافة الفنانين بعيدا عن القاهرة . واذا كان ذلك الاهمال واضحا منذ امد بعيد ، ففنانو البحر ـ وخاصة فناني الاسكندرية ـ كانوا أسعد حظا من غيرهم في هذا المجال . وعلى الصفحات التالية تعريف مختصر بفناني الاسكندرية باعتبارهم فناني البحر الاوائل . . . . .



● احدى لوحات الفنان محمود سعيد بمتحف الفنون الجميلة ●



●● كثير من الفنانين التشكيليين رسموا البحر وشواطئه وعايشوه بوجدانهم ، منهم من كانت البلاد الساحلية مولده واقامته ، والبعض الآخر من مواليد القاهرة او الدلتا أو اقاصى الصعيد ... جماعة ارتبطت حياتها بالبحر ارتباط الارض والمناخ فجاءت لوحاتهم فيها صدق السواحل ومشاعر ابناء البحر من صيادين وملاحين وسواهم . وجماعة ثانية كان البحر مادة خصبة لهم فاستلهموا منه موضوعاتهم .

واذا كانت اللوحة خلاصة معايشة واحساس وتفاعل بين الفنان والموضوع من خلال الرؤية البصرية , الديناميكية المتبادلة التى تنتقل من الاثنين الى سطح اللوحة عن طريق الالوان مارة باسلوب تطويع الخامة ، اذا كانت اللوحة هكذا ، فان الفنانين التشكيليين السكندريين يمتازون بانهم ذاتقبى الرؤية، فالبحر والشاطىء والسمك ورطوبة الجو .. كل هذه تركت بصماتها على شخصية الفنان السكندرى .. فكل عمل من اعماله يكاد يحمل فى طياته، بطريق مباشر او غير مباشر ، معنى من معانى البحر وما يختزنه سواء كان هذا العمل يعبر عن موضوع ام ينتمى الى المدارس الفنية الحديثة التى تطرح الموضوع جانبا ويبقى اهتمامها تشكيليا فى المقام الاول .

واذا اتيحت لاحد فرصة زيارة قصيرة للاماكن التى يؤمها فنانو الاسكندرية ، فسوف يتعرف على السمة التى تميزهم والرابطة الفنية التى تجمع بينهم ، فالعمل الفنى والانتاج والمعارض والبحث والتجريب ، قبلتهم التى يتجهون اليها دائما

●● وعندما تدخل باب « اتيليه الاسكندرية » تجدهم قابعين كل فى مرسمه الذى يستاجره ، مع ادواته والوانه ولوحاته ، أو تماثيله .. راضيا بما يعمل ، متاملا لانتاجه دون تعال أو فخر ، يحنو على أى عمل من اعماله حنو الاب على الابن الوليد ، وهذه صفات البحر والبحارة التى نعرفها منذ القدم .

وكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية مليئة بالنشاط والحركة .. ليست هناك صراعات قاهرية فى سخونتها ، لكن ليس معنى هذا انها هادئة وادعة، ويطالعك عند باب الكلية متحفها المكتظ بالاعمال الفنية ، الذى يجمع انتاج أغلب فنانى الاسكندرية ، القديم منهم والحديث .

واذا تاملت متحف الفنون الجميلة



ستجد ايضا ما يوحي اليك بالبحر في كل لوحة تقف أمامها .. سواء كانت صورة شخصية (بورتريه) لرجل أم سيدة أم طفل ، أم صورا لمناظر طبيعية أم موضوعات اجتماعية .. فمعايشة فنان السواحل لمظاهر الحياة يتضح أثرها جليا في انتاجه الفني ...

●● وعندما زرت الاسكندرية أخيرا للتعرف على انتاج فناني البحر، أحسست احساسا صادقا بأن هناك البذرة الخصبة التي تثمر في تربة صالحة والتي ينتظر لها أن تثمر في فترة وجيزة ... فهناك فنانات ، وفنانون يعملون ويفكرون .. ويتنافسون في اطار شرف المهنة .. ويتصافحون كلما دب بينهم خلاف ليبدءوا من جديد . فلا تعجب عندما تسمع عن فنانين من الاسكندرية قد فازوا بجوائز عالمية لمرات عديدات .. ورغم أن أسماءهم لم تصل الى أذنيك ، أو لم تتح لك فرصة مشاهدة أعمالهم ، فانهم يؤكدون أنفسهم باستمرار .. يصارعون ويتحدون كما قلت في اطار شرف المهنة .

ولقد أقيمت معارض عديدة لفناني الاسكندرية داخل الثغر وخارجه ، وفي القاهرة أيضا . بعض هذه المعارض كان





● الى اليمين «خطوات» ـ حفر ـ جائزة اليوبيل الذهبي هذا العام ، والى اليسار « مأساة المحبين » ـ حفر أيضا ـ للفنان فاروق شحاتة ●







▲
● صيادو السمك: للفنان محمد عويس ●

◀
● احدث اعمال الفنان فؤاد تاج التى عرضت فى « بينالى » الاسكندرية عام ١٩٧٢ ●



جماعيا وبعضها الآخر كان فرديا او ضمن مجموعات صغيرة تندرج تحت اسماء مختلفة ، كما انهم اشتركوا في اغلب المعارض التي تقيمها جمعيـــة محبي الفنون الجميلة بالقاهــرة و « بينالي » الاسكندرية و « فينيسيا » و « سان باولو » ، وفي اغلب الدول الغربية ، ولهم مقتنيات كثيــرة في القاهرة والاسكندرية ٠

● سيف وانلي ● : يعتبره الفنانون السكندريون ابا الفنانين هنــاك ، فله تاريخ طويل مع الرسم ٠ فقد بدأ منذ صباه بتعلم الرسم ، ومر بالمراحــل الطبيعية التي يمر بها اي فنان تشكيلي عادي ، من الكلاسية الى الواقعية ، الى الفن الحديث ، وفي رسومه ما يحمل موضوعا ومنها ما يعتمد على التجريد المعبر عن معنى بطريق الرمز السهل ٠

وسيف وانلي فنان تشــكيلي غني عن التعريف ، كل من يعمل في حقــل الفنون التشكيلية يشير اليه والى انتاجه مؤكدا تأثيره الواضح في الحركة الفنية لبلدنا ٠ فهو بلا شــك فنان متمرس بصبغ افكاره بمعاناة صادقة كي تصل الى عين المشاهد ٠

والمقياس الحقيقي لاي فنان تشكيلي يشمل التجربة ، والاحساس ، ونمـاء المعرفة ، ثم الاستمرار في الانتـــاج ٠٠٠ وهكذا سيف دائما ٠ فانتـــاجه غزير ٠٠

والقول بأن عمر الفنان يقاس بمـا يعيش ، هو قول غير سليم ٠٠ فكم من فنانين عاشوا ســنوات طويلة وكان انتاجهم قليلا ٠٠٠ في حين ان فنانين آخرين لم تمهلهم المنية ، ورغم ذلك جاء انتاجهم وفيرا ولامعا ٠٠

● كامل مصطفى ● : من الفنانين التشكيليين الذين يحافظــــون على اسلوبهم منذ فترة طويلة ، فلم يلحظ المشاهد لأعماله تغييرا يذكــر طوال سنوات طويلة ، اللهم الا في تنــاول الموضوع ٠٠ لكنك تقف امام شخوص لوحاته وتكويناتها فتحس فيها خلجات ابن الاسكندرية ، او بمعنى ادق ابن البحر الذي يشده اليه بقلبه الطيب الصبور اللماح ٠٠

والفنان كامل مصطفى (٥٥ سنة) تسري دماء الشباب في حركته ، في موضوعات لوحاته ، في حديثه اليك ٠٠ وتمتلىء جدران منزله بلوحاته التي ضاقت بها ٠ فهو غزير الانتاج ٠٠٠ وارتباطه بالبحر ارتباط روحي ، فهو يستغل كل دقيقة تتبقى من رعايته لكلية الفنون الجميلة في انتاجه المتجدد ٠

تخرج الفنــــان كامل مصطفى عام ١٩٤١ في مدرسة الفنون الجميلة العليا بالقاهرة (قسم التصوير) ثم عين معيدا بالمدرسة ، وفي عام ١٩٤٦ سافر في بعثة الى ايطاليا ، وبعد عودته منها عين مدرسا للتصوير بكلية الفنــــون الجميلة بالاسكندرية ، ثم رئيسا لقسم التصوير بها عام ١٩٥٨ ، واخيــــرا عميدا للكلية ٠

● محمد عويس ● : يمتاز بنوعية خاصة في انتاجه ، فالتكوينات الضخمة التي تعبر عن لمحات من جهود الطبقة العاملة وحماسها من اجل رفع مستوى الجمال ، وتنزه الاطفال في الحديقة ٠

كل هذه السمات تجعل محمد عويس فنانا تشكيليا عريقا ، كما ان التقسيمات

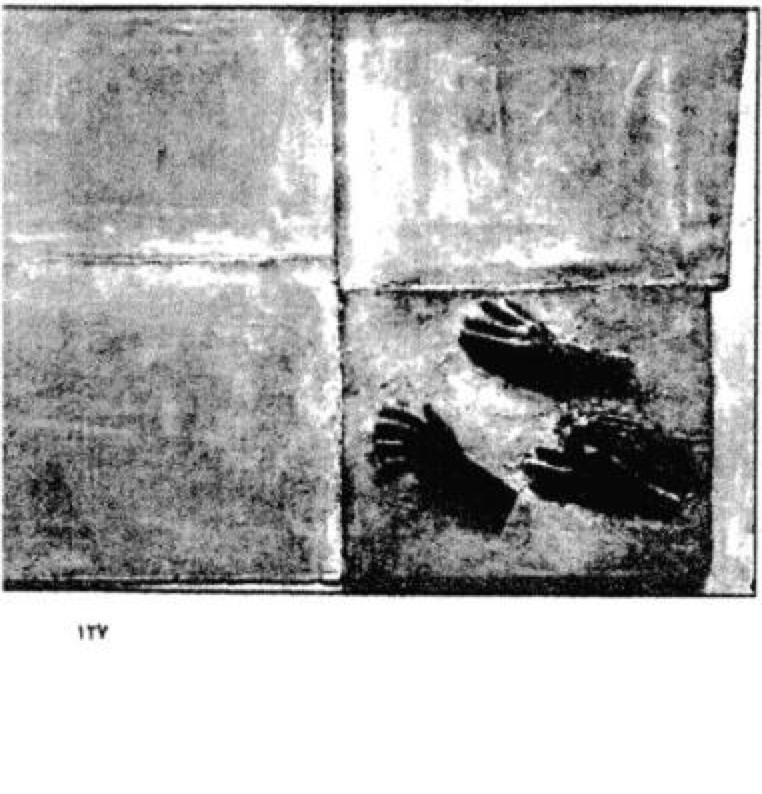
الهندسية والتلخيص الشديد مع الفراغات التي تتخلل الاشكال بصورة او باخرى كأساس معماري ، يؤدي بدون مبالغات الى العمق اللازم للابعاد في كل عمل خلاق لمحمد عويس ، خاصة في اللوحات التي تناول فيها موضوعات العمل والصناعة .

وقد تخرج الفنان في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٤٤ ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالي . ويعمل رئيسا لقسم التصوير بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية .

● ادريس فرج الله ● : فنان تشكيلي صامت ، لا يحب أن يعلن عن نفسه أو عن اعماله . ويعمل استاذا للتصوير بالكلية ، تخرج في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة بامتياز ثم حصل على دبلوم معهد التربية الفنية للمعلمين عام ١٩٥٨ ، ثم دبلوم اكاديمية الفنون الجميلة ببودابست ، وفي عام ١٩٧٢ حصل على الماجستير من كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية بامتياز ، ولقد مثل هذا الفنان مصر في خمس دورات من « بينالي » الاسكندرية ، كما عرضت اعماله في برلين - المجر - اسبانيا - فرنسا - موسكو ، وفي المعارض المحلية الاخرى ، وله مقتنيات بوزارة الثقافة ومتحف الفنون الجميلة ومتحف الكلية بالاسكندرية .

● فؤاد تاج ● : يمتاز بالبساطة والرقة في لوحاته بجانب التعبير الفني

● « الانسان يدور في فراغ » : اللوحة التي فازت بالجائزة الاولى في « بينالي » الاسكندرية هذا العام .. لفؤاد تاج ●



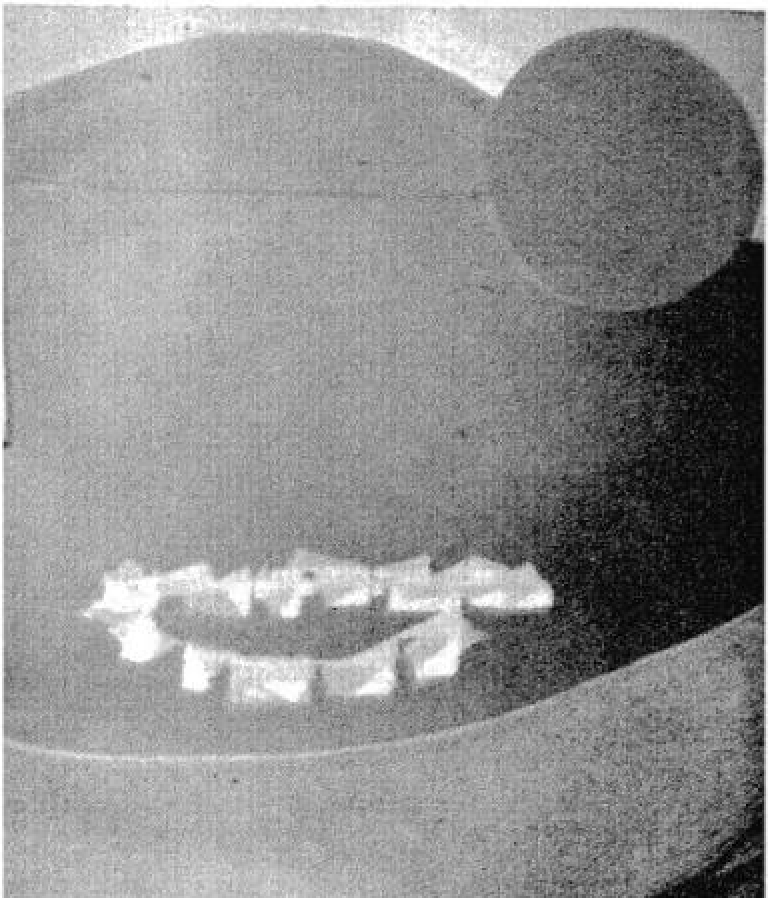


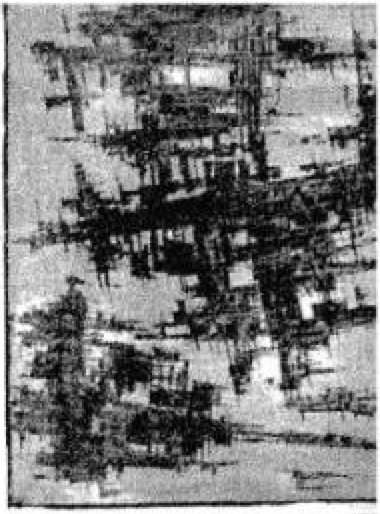


● لوحة من الإسكندرية للفنان كامل مصطفى ●



● « الطريق الى بيتلا » .. للفنان سيف وانلى ●





● تجربة للفنان محمود حلمي ●

السهل الذي يصل الى عين الرائي دون معاناة او دخول في متاهات . فهو الفنان الفائز بالجائزة الاولى للبينالي في التصوير لهذا العام ..

وقد عمل معيدا بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية منذ تخرجه ، حتى عاد بعد حصوله على دبلوم اكاديمية روما وعين مدرسا للتصوير .. لم يقم لنفسه معرضا خاصا ، ولكنه اشترك في كل معارض الفنانين السكندريين والقاهريين .. كما أن له انتاجا في باريس وبرلين والمجر وله مقتنيات بوزارة الثقافة وغيرها .

● نعيمة الشيشيني ● : أول معيدة بكلية الفنون لتاريخ الفن ، وقد عملت من قبل امينة لمتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية .. اعمالها الاخيرة تعبر عن القلق او المأساة التي يعيشها فنانو هذا الجيل ، لا تطلق اسماء على لوحاتها ، فهي ترى أن الاسم بمثابة جسم غريب لا يفيد ولا يضر . تكويناتها التجريدية يغلب عليها اللون الاحمر والبرتقالي والرمادي . وهي من الاعضاء النشطين ، باتيليه ، الاسكندرية .

● محمود حلمي ● : يعتبر من المصورين المحنكين المكبين على الدراسة الإسلامية والقراءة بنهم ينعكس على انتاجه . فهو فنان متصوف بتفكيره ، ولوحاته تحمل هذا الطابع .

والتجريد عند محمود حلمي التقاء واع بتراث اسلامي فني عريق ، ونزعة شخصية متصوفة ترمي الى التجريد الصافي الروح والنفس والمشاعر ، وهو يعتمد كثيرا في لوحاته على الترتيبات الهندسية التي خططت بوعي وتفكير دون أن يصيبها جمود الالتزام الهندسي .. وهناك لوحات أخرى رسمها الفنان بغير فكرة مسبقة عنها وانما سمح لألوانه بأن تنساب فوق اللوحة كما يحلو لها ، على أن تأتي اللوحة في النهاية بتوازن ماهر اساسه التوافق والانسجام في الالوان بتعبيراتها المختلفة .



● « قبل القيامة بلحظات » للفنان أحمد مصطفى ●

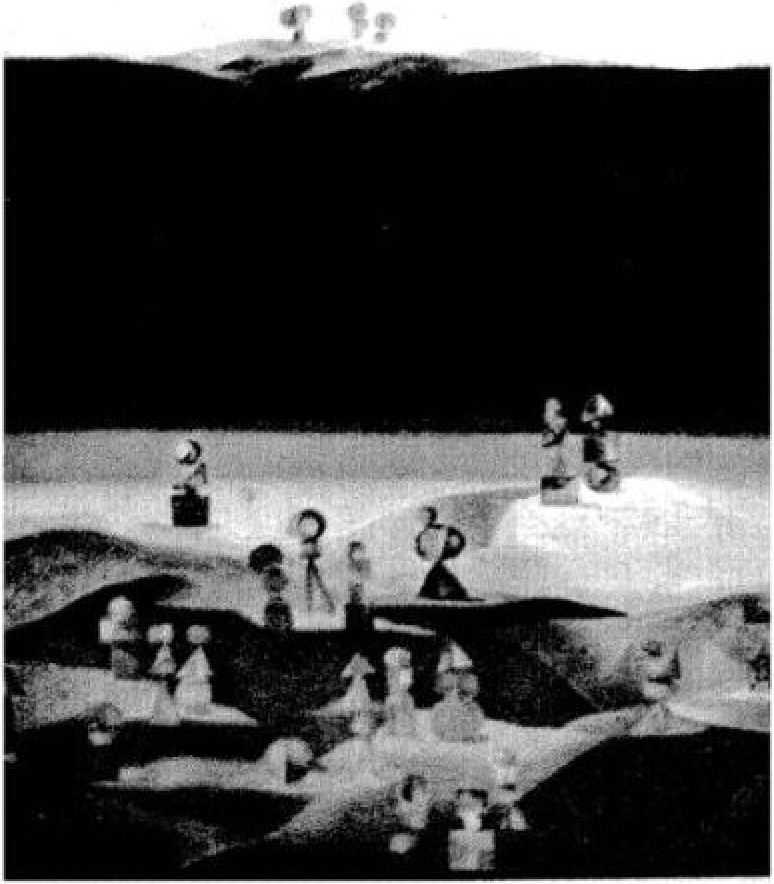


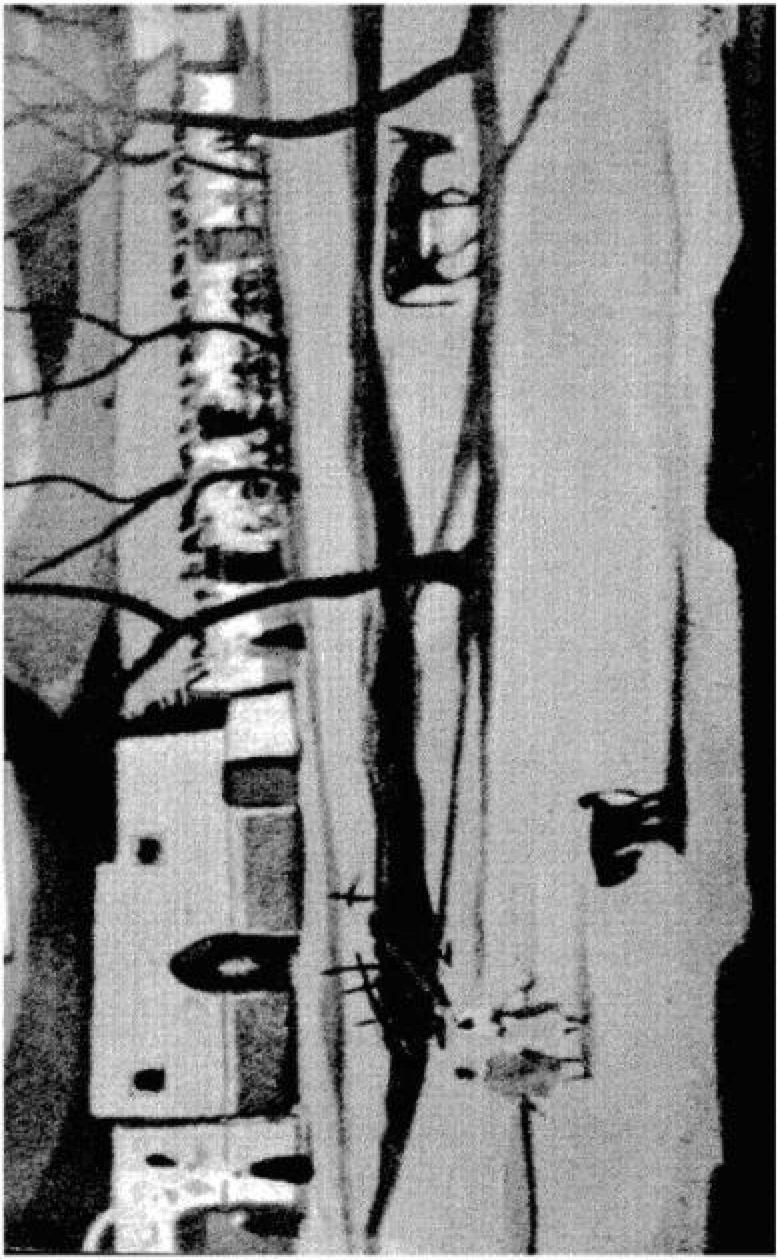


● « تجربة » للفنان مصطفى عبد المعطى ●



● « ادعوا للى » واحدى لوحاته التي تتصدر متحف كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية ●





وقد عرض الفنان محمود حلمي لوحاته في كثير من البلدان منها باريس واستانبول وعدة مدن المانية ، وهو من مواليد الاسكندرية « رأس التين » عام ١٩١٦ ، وحصل على دبلوم اكاديمية روما عام ١٩٣٧ وله عدة مؤلفات على هيئة كتيبات ·

● احمد مصطفى ● : فنان له شخصية متميزة ، يعشق كل فناني اسبانيا ، وتتسم تصميماته المبدعة بالاتزان والبساطة سواء من ناحية التكوين أم من الناحية اللونية التي يغلب عليها اللون الرمادي ، كما تتسم افكار لوحاته بالموضوعات ذات الصبغة الانسانية ·

وهو من مواليد الاسكندرية عام١٩٤٣ ·· وقد تخرج في كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية وعين معيدا بها منذ تخرجه ، كما أنه حاز على الجائزة الثانية في التصوير في « بينالي » الاسكندرية الثامن ·

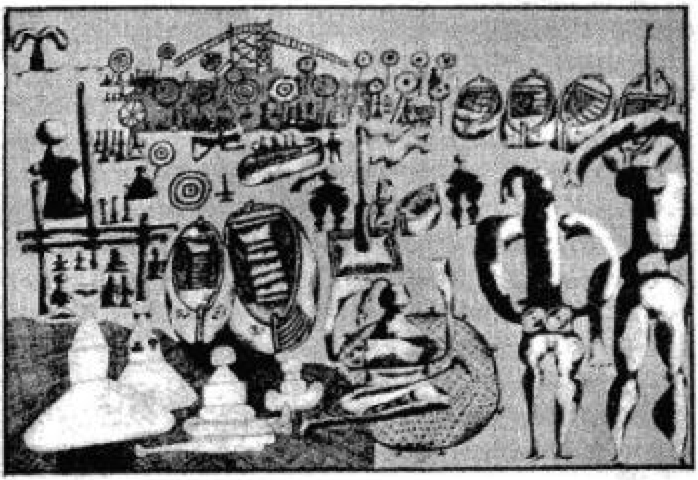
● مصطفى عبد المعطي ● : هادىء الطبع ، وينعكس هدوءه على أعماله ، فتشعر امامها بوقار ، وتغوص في أعماقها لتتعرف عليها اكثر واكثر ·· يستخدم وحدات تجريدية يلعب بها في أغلب انتاجه ، وبالرغم من ذلك فلا تجد لوحة مثل الثانية · وتتميز ألوانه بالرصانة والامتزاج الروحي مع أرضية لوحاته ، مما يجعلها في تآلف محبوب.

تخرج في كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ويعمل معيداً بالكلية

●● وفي الاسكندرية ايضاً نحاتون مثالون :

● محمود موسى ● : مثال فنان يغادر منزله في الثامنة صباح كل يوم قاصدا حجرته الخاصة باتيليه الاسكندرية ، ولا يعود اليه الا في آخر اليوم ، وخلال هذه الساعات الطويلة ، يعمل المثال محمود موسى دون توقف

● « على البلاج » للفنان سعيد العدوى ـ تهشير بالحبر الشيني ●



او تعب ٠

انتج مئات التماثيل ، وعرض في كثير من المعارض الخاصة والعامة ٠ والفنان محمود موسى لم يتلق تعليمه في المدارس لكنه بجهـــده الخاص وبالدراسة الحرة تمكن من الوصول الى مستوى عال من الكفاءة الفنيـــة ، والتأمل في تماثيله يجده متـــأثرا بالاسلوب المصرى القديم عن اقتناع ٠٠

● **احمد عبـد الوهاب ● : من الفنانين الذين تعرف أعمالهم ولو لم تكن تحمل توقيعاتهم ، فله معالجتـه المتميزة في تماثيله ، وقد حصل على منحة التفرغ عامي ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ كما حصل على منحة دراسية لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٦ وحصل على جائزة «بينالى» الرابع والسادس والجـــائزة الاولى لصالون القاهرة ١٩٥٧ ٠**

له مقتنيات باكاديمية الفنون بروما، ومتحف الفن الحديث بتشيكوسلوفاكيا ، ووزارة الثقافة ، ومتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ٠٠ ويعمل مدرسا بكليـة الفنون الجميلة ٠



● **الفنانة نعيمة الشيشيني ، امام احدى لوحاتها التجريدية ●**

●● وبجانب المصورين والنحاتين، هناك الفنانون الحفارون :

● **فاروق شحاتة ● : فنـــان لا يتوقف ابدا ، انتـــاجه دائم ، غزير ومتنوع ٠٠٠ يستخدم اللون الواحـــد (الاسود) مع لون أرضية اللـــوحة والذى يكون غالبـــا (ابيض) ٠** فتحدث مفارقة لونية ، لا يحسن حبكة تكوينها وربطها الا فنان متمرس كفاروق شحاتة ٠ فهو يستخدم الزنك بعد عمل ملامس مختلفة عليه وفقا لما يتطلبـه الموضوع ٠

وقد حصل على دبلوم الدراســـات التربوية عام ١٩٦٢ بعد تخـرجه في كلية الفنون الجميلة بدرجة الامتياز ٠ يعمل معيدا بكلية الفنـــون الجميلة بالاســــكندرية منذ تخرجه ، مثـل جمهورية مصر العربية في اربع دورات من « بينالي » الاسكندرية و « بينالي » باريس و «بينالي » لوبليانه و «بينالي» اثينا و « بينالي » فلورنسا، وحصل على جائزة الحفر لليوبيل الذهبي للصالون عام ١٩٧٢ ٠

● **مريم عبد العليم ● : تعمـــل استاذة مساعدة للحفر في كلية الفنون الجميلة ، مثلت ج٠م٠ع في « بينالي »** الاسكندرية سبع دورات ، كما عرضت اعمالها في فرنسا ، واسبانيا ، والالمانيا الديمقراطية ، والغربية ، وقد حصلت على ثلاث جوائز في الحفر في ثلاث دورات « ببينالي » الاسكندرية ٠

● **سعيد العدوى ● : من مواليد الاسكندرية عام ١٩٣٨ ، يعمل معيدا** للحفر في كلية الفنون الجميلة ، وحصل على جائزة « بينالي » الاسكندرية عام ١٩٧٢ الدورة التاسعة ٠٠ استخدم في لوحاته الاخيرة اسلوب (التهشير) بالريشة مع الحبر الشيني ، حيث يبدو المنظر لاول وهلة كأنه حفر ، ولم يقصد الفنـــان بذلك التمويه ، لكنها تجـــربة يمر بهـــا ، فقـــد انتج بهذا الاســـلوب عدة لوحات بالابيض والاســـود ٠٠



شاطئ الحب

صالح جودت

اسكندرية ، فيك الرى والظمأ ... باى قصة حب فيك ابتدىء ؟
اقصة الحب طفلا ، فى ملاعبه ... لا هم اترابه الدنيا ولا عبأوا
ايام كنا نرى الحرمان معصية ... ونأخذ اللهو كلا ليس يجتزأ
ونجعل الرمل قصرا ، ثم نهدمه ... ونركب الموج عرشا، ثم نتكفىء؟
ولت طفولتنا كالحلم مسرعة ... ودب فى اثرها المستقبل اللكىء
جاء الشباب ، وكنا فى ملاوته ... نلهو فنغلو، ونستشرى فنجترىء
اما الشباب ، فقد فضت موائده ... وما تخلف الا الجوع والظمأ

* * *

تحية يا «اباالعباس» من نفس ... على شفاعتك الحسناء يتكىء(١)
وانت من تجتبى للروح غايتها ... من الصفاء ، ويجلى عندك الصدأ
ان كان ذنبى انى ضعت فى نهمى ... الى الجمال ، وعينى ليس تمتلىء
او اننى فى اشتهاء الحسن ما برحت ... نفسى تمور وقلبى ليس ينطفىء
او علتى اننى فى الحب عاصفة ... من الجموح ، فارشدنى لمن هدأوا
اسائل الزاهدين الحسن، اى ضنى ... يسترحمون عليه بعد ان برئوا
وانت حارس هذا الحسن، تنشره ... على الضفاف وتدنيه لمن هنئوا
امضنى الذنب، لكن لم ازل كلفا ... به ، فجئت الى مثواك التجىء

* * *

اسكندرية ، عفوا عن خطيئتنا ... ويجمل العفو اما يكبر الخطأ
كم مهرجان اقمناه هنا وهنا ... قد كنت أولى به لو انصف الملأ
منازل الوحى فى مغناك ما برحت ... والملهمون على شطيك ما فتئوا
يا ربة الشعر ، يا بلقيس دولته ... جودى علينا ، فانا كلنا سبأ
بناك للصيف ذو القرنين مروحة ... تشفى بها المهج الحرى وتبترىء
سماء غيرك تزهى ان حوت قمرا ... وانت ارضك بالاقمار تمتلىء
انى رايت طلوع البدر من بحرى ... فقلت : هب لى أمانا ايها الرشأ

---

(١) « ابو العباس المرسى » ولى الله صاحب المسجد المأثور بالاسكندرية

● كوثر عبد الدايم ●

الحزن الأخضر

● قصة قصيرة ●

مات طفلها ...
مات رضيعا .
حزنت عليه...
حزنت كما لم تحزن من قبل ...

رأيتها في الطريق . لم تتعرف عيناى عليها أول الامر لولا علامة في وجهها شدتني اليها ... وعلمت سبب ما طرأ عليها من تغيير ، بللت مقلتاي دمعتان . حاولت مداراتهما فوقفتا حائرتين لاتدريان طريقا آخر عبر خدى ... سارعت بمنديلي وبحركة رشيقة التقطهما وانا مستمرة فى حديثى معها . لست ادرى ماذا كنت اقول بالتحديد . المهم انني كنت احاول ان انقل اليها بعضا من صلابتي في مثل هذه الاحوال .

قالت بصوت متهالك :

ـ أريد أن أراك اليوم

قلت : « نعم » ، وتركتها وصوتها الواهن يزحف الى أذني فيعيد اليها ذكرى ذلك اللقاء البعيد .

جاءتني يومها مضطربة . افرغت قلقها فى مضغ اللبان . قالت دون أن تتوقف عن المضغ :

ـ انني حامل

نظرت اليها بفرح ممزوج بدهشة . فقد كانت حديثة الزواج وكان يغلب على تصرفاتها طفولية محببة ، كانت تبعد عن مخيلتى رؤيتها كأم . قلت :

ـ مبروك

بكت . فزادت دهشتي . ألقت باللبان من النافذة فى عصبية ...

قلت لها :

ـ الا تريدين ذلك ؟

زاد بكاؤها ، وعلمت من الكلمات المتقطعة المبللة بالدموع أن زوجها يحاول اقناعها بالتخلص منه .

يومها طالت الزيارة أكثر من المعتاد .

فهمت وجهة نظر كليهما .

هى تريد أن تصبح أما بسرعة ، أما هو فيرى أنها ليست كفؤا

لذلك فى الوقت الحاضر، فمازالت صغيرة غير ناضجة . هذا ما قالته لى وان قالت كلاما اخر كثيرا فى لحظات الصمت .

كنت أعرفُ زوجها . زوج عادى ولكن من الصمت والصمت وحده عثرت فيه على كراهية للفكرة الابوة . هو يكره ان يكون ابا ... وفهمت أن هذا ما يعذبها ، قلت فى هدوء:

– كل شىء ممكن ان يتغير

– لا..لا مستحيل !

قالتها بنفس العصبية والتوتر

قلت :

– انن ستتخلصين من الطفل ؟

– لا ...

وساد الصمتُ لحظات قالت بعدها :

– اعلم انه زميلٌ من الدراسة وانت صديقتى وجارتى ارجو ان تتدخلى لاقناعه بترك الطفل . اريد ان يكون لى طفل

وصلت الى المنزل .

تناولت الغداء وانا شاردة .. قالت أمى :

– ما بك ؟





قالت : ابن سهير مات ·

ومر خيط رقيق في الذاكرة لم يبعد كثيرا

نعم ، لقد تدخلت واقنعت زوجها بان التخلص من الطفل في هذه الحال يمثلخطورة على حياة زوجته · وكلمات ··· وكلمات قيلت في هذا المجلس اكدت ظني من هربه من الابوة ·

وجاء الطفل··وعاش الزوج لحظات القلق التي يعيشها كل الازواج لحظة الميلاد ، ورأيته ينحني على الطفل في أيامه الاولى في حنان همست لصديقتي :

– انتهت العقدة

– ربما ···

وفي العصر اردت ان اذهب اليها اقضي معها بعض الوقت بالمنزل حتى اخفف عنها ، اولسؤال قفز الى رأسي : ماذا ارتدي من ملابس ؟

فتحت صوان الملابس ·· ألبحث فيه · تنبهت فجأة انني لم اعد العدة لمثلهذه المناسبات، وليس لدي أي لباس أسود فيما عدا سترة واحدة ولكنها ثقيلة لا تليق بحر الصيف ·

ووجدت يدي تقلبان في الملابس ، وكانحركتها مستمدة من عقل اخر·· غير ذلك العقل المستقر برأسي ، وبلا تفكير مني وجدتني امسك بفستان أخضر وبلا تردد ارتديته وجلست على حافة الفراش ووجدت نفسي اتساءل :

– هل تغير حقيقة ؟!

وقفت امام المرآة · اصطدم اللون بعيني القلق ·

– اهذا يليق ؟

عدت اتأمل الفستان واردد :

– اهذا يليق ؟

وجاء الجواب من شريان صغير داخل الصدر :

– نعم

عدتأستعرض الملابس ·· منها ما هو اكثر دكانة مثل هذا الفستان الازرق ·

وجدت يدي تمسك به في حنان تحتضنه ·

وارتفعت منه موسيقى حالة وهمسات دافئة ، كم كانت ليلة سعيدة كان فيها رقيقا ، رقيقـا ، جعلنى انسى الناس من حولنا .

ـ هذا الفستان اكثر نكانة

تنبعث منه موسيقى الحب والفرحة ، لا يليق بمناسبة اليوم .

فلأرتديه لعل موسيقاه تخفف من وطأة المناسبة

لا ، اذا ارتديتـه ستقتلين ما به من حياة، ستصمت الموسيقى للابد ، للابد ...

وعدت الى المرآة انظر الى ردائى الاخضر فى اقتناع لا ادرى مصدره

خرجت الى الشارع بعد أن وضعت حول خاصرتى حزاما اسود وان كنت فى غير حاجة لاحس بحزن الرداء غير اننى حاولت به اقناع من يرانى بحزنه . سرت فى الطريق انظر بعين الى المارة وبعين اخرى افتش عن مصدر احساس بحزن هذا الرداء . لست ادرى كم استغرق ذلك من وقت ، المهم ان صورة قفزت فجاة امام عينى .

لم يكن وحده ، كانت يده ملتفة حول كتف فتاة . لا اذكر شكلها . شىء غريب .. الغريب اننى تأملتها من قمة رأسها الى نقطة التقاء قدميها بأرض الشارع .. تأملتها بكل بركان انفجر فى عروقى .

نعم ، كان ذلك هناك فى ذلك الطريق الهادىء كنت فى طريقى لزيارة احدى قريباتى ، رأيته من السيارة ، نعم كنت ارتدى هذا الفستان الاخضر . كان ذلك من زمن بعيد . بعيد لدرجة اننى اخذت اتساءل كيف احتفظ بهذا الرداء كل هذا الزمن ؟

ورغم ذلك فانا اكرهه .. نعم اذا كنت لا احبه لماذا احتفظ به . وعادت صورة الموقف امام ناظرى ..

وقرعت راسى حروف ساخرة :

ـ لماذا تألمت ، وكم كنت صغيرة بلهاء

وابتسمت وظلت الابتسامة حتى وصلت الى صديقتى ، وجدتنى استقبل نظراتها الحزينة بهدوء ، وشيئا فشيئا يعترى هدوئى حزنها ، واذا بها تقول :

ـ زوجى حزين . حزين بلا حدود

وكان ذلك جوابا عن سؤال حائر . قلت :

ـ ما سبب الوفاة ؟

ـ كان مصابا بعيب خلقى فى القلب من ساعة الميلاد

وجدت نفسى اتمتم :

ـ الميلاد ، الميلاد . احبه بعد الميلاد . احبه اخيرا بعد ان مقته الى حد الموت . وانا بدأت بالحب .

تنبهت اليها مجهشة بالبكاء .

احسست فجأة ان الغربة بين الرداء وبينى قد تلاشت ..

حافظ
جميل



أطياف

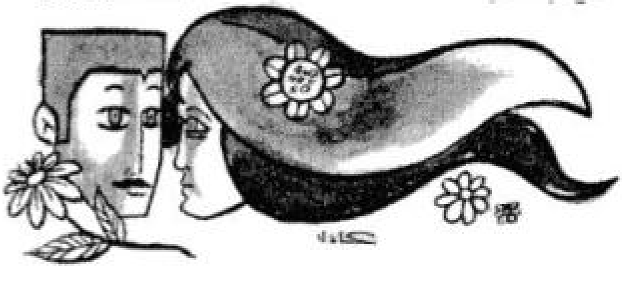
من اين اشرى الدمع من اينا … ابكى به سالف عهدينا
ابكى به ما مات من امسنا … وما سيبل من جديدينا
ايه امانينا التى ودعت … ولم تكن بعد تمنينا
أكلما جدت لنا فرحة … اجريتها دمعا بعينينا
لم نذكر منك ولا ساعة … تم بها انس لقاءينا
لو بعد اقصى البين من فرقة … جشمت اقصى بيننا البينا
هام الاحباء وجازوا المدى … ونحن فى اول شوطينا
هل تذكر الازهار من عمرها … اقصر من عمر وصالينا
لو روجعت ايام لذاتنا … لم تعد طيفا فى منامينا

يا نورة كالطيف لم تكتمل ... افراحهـا حتى تلاشـينا
لم نحتفل فيك سوى ليلة ... هل كنت (نيروز) حياتينا
بتنا دجانا نتعاطى الهـوى ... فكان اشـهى ما تعاطينا
هل عرف الناس وهل آنسوا ... راحا من الحب كراحينـا
راحا اذا جالت بارواحنـا ... صبحن فى سكر ومسـينا
راحا ولا كالروح فى لطفها ... اسرت الى الخلد بروحينا
لفت ذراعينا على ضـمة ... كانها تلحم شـطرينا
اذا ارتوت من ريقة ريقـة ... اظماهـا حر عنـاقينا
او تعبت من شمة شـمة ... انعشـها طول اشتياقينا
او ثملت من قبلة قبلـة ... حامت فحطت فوق ثغرينـا
واضطرمت انفاسنا جـلوة ... تحرق اذ تحرق خدينـا
وارتعشت اوصالنا نشـوة ... نحسها بين ضـلوعينا
نخشى مغبات هـوى فاضح ... فنجعل الصمت حوارنـا
هيهات تغرينا ولو همسـة ... تكشـف من سر غرامينا
فليس ما نخشيه من حبنـا ... الا اختـلاجات فؤادينا
نكاد ان شبت لنا آهـة ... نخمدها وهى بصدرينـا
فليس يغشى السمع من بثنا ... الا صـدى دقات قلبينـا
كأن ما يفضى به صـمتنا ... ابلغ من شرح لسـانينا

***

يا نشوة الامس واحـلامه ... ايذهب الامس وتبقينـا
ويا تباريح صـبـاباتنا ... افى ظلال البين تحيينـا
ولت ليـالينا وافراحها ... وراح من غنى وغنينـا
لم يبق ما نحيى به ليلنـا ... الا مناجـاة شـقاءينا
لعـل ما ننفثه من اسى ... يأسو قليلا من جراحينـا
واحسرتا نندب طول المـدى ... اطيـاف لذات توارينـا

● بغداد ● ● حافظ جميل ●





تطور الأزهر فى ولبه الأخيرة على صورة تبشر بالأمل الكبير ..

بعد أن ظلت أبوابه موصدة أمام دخول المرأة الى رحابه زمنا طويلا مع أن تاريخ الاسلام حافل بأسماء نساء كثيرات قمن بأدوار بارزة فى المجتمع الاسلامى من دعوة وارشاد وأدب وشعر ، ورواية حديث ، وبطولات قومية . وقد تنبهت الدول الحضارية الى أهمية المرأة فى نشر الدعوة الدينية . ففتحت لها المدارس كما زودت بها الارساليات التابعة لها فى الدول المتخلفة ....

وفى التطور الجديد للأزهر الشريف عام ١٩٦٢ فكر المسئولون فى انشاء كلية للبنات الاسلامية ، يعتمد منهجها على دراسات اسلامية انسانية تهدف فى صميمها أولا الى تهذيب الفرد وربطه بالمجتمع العام والخاص ، وتوقظ فيه الوجدان المؤمن

عـاطف مصطفى

المرأة

في الأزهر

حوار صريح مع جيل الأساتذة وجيل الطالبات

لقد مرت مراحل التحاق الفتاة بالازهر بأدوار عديدة .. ففي الوقت الذي لم تكن الفتاة المصرية تفكر فيه في دخول الازهر ، فكرت فتيات مسلمات من بلاد مختلفة في دخول الازهر ، وجاءت ثلاث فتيات من بلاد الملايو الي القاهرة عام١٩٥٠ للالتحاق بالازهر الشريف ، ولكن رفض طلبهن بحجة أن اللائحة لا تبيح ذلك

ولقد كان الشيخ المراغي رحمه الله من مشجعي فكرة دخول الفتاة الازهر ، كما كان المغفور له عبد العزيز جاويش من أنصار الفكرة ، وكان ينادي في خطبه ومحادثاته بوجوب انشاء فرق في المعاهد الدينية لتعليم المرأة الدين والعربية ووسائلهما

**

وكلية البنات الاسلامية هي النواة لانشاء جامعة للبنات ، وقد زاد الاقبال على هذه الكلية بصورة واضحة كنتيجة للدور الواضح الذي تقوم به ، والسمعة الطيبة التي تتمتع بها



وتجمع الفتاة فى دراستها بكلية البنات الاسلامية بين علوم الدين والدنيا التى تدرس لها فى كل سنوات الدراسة . وهى الدراسات الاسلامية الانسانية والتدبير المنزلى ، والفنون الطرزية ، الى جانب علوم التخصص فى الهندسة والطب والاجتماع وباقى فروع العلم ، وبذلك ستصبح خريجة هذه الكلية اما صالحة وعاملة منتجة فى نفس الوقت ، ونظرا لما لهذه التجربة الفريدة فى نوعها من اهمية بالنسبة للمرأة المعاصرة ، فقد كان لابد لنا من لقاء مع المهتمين بهذه التجربة .. لنلقى ضوءا على ابعادها وصولا الى دور الازهر البارز من حيث تطويره وانطلاقه الى ابعاد جادة خلاقة .

وبدءا لقاؤنا بالدكتورة زينب راشد عميدة الكلية

سألتها : على ضوء تجربتك بالنسبة للحياة الجامعية ، ما اوجه الاختلاف بين الفتاة الجامعية الازهرية وزميلتها فى الكليات الاخرى ؟

فاجابت : هو الاختلاف بين التعليم المنفصل والتعليم المختلط . كل من النوعين له مزاياه الواضحة فالتعليم المنفصل الذى ادى الى انشاء كليات خاصة بتعليم البنات ، تجربة تبنتها اكثر الدول تمدينا وتقدما منذ اهتمامها بحركة التعليم ، ومنها الدول الاوروبية العريقة مثل فرنسا وانجلترا ، ومن الدول الاحدث الولايات المتحدة الامريكية .

وهناك امثلة متعددة فى العالم الحضارى الذى قطع شوطا بعيدا فى ميادين التقدم العلمى والتربوى . وفى هذا اكبر دليل على أن تعليم البنت وتثقيفها فى معاهد أو كليات خاصة بها ، ليس دليلا على التخلف ، وقد أخذت مصر بهذا فى عصرها الحديث وسياستها التقدمية حتى انشأت كلية مستقلة للبنات فى جامعة عين شمس

ومن مزايا هذا النوع من التعليم ان الفتاة تستطيع فى حرية مطلقة ان توجه الاسئلة وتتاح لها الاستزادة من العلم دون حرج وبخاصة فى بعض المواد كالفقه والشريعة والطب . والى جانب ذلك لا يجوز أن نغفل ما للعامل الدينى من اثر فى تكوين الشخصية ولا سيما فى العصر الحاضر ، الذى نفتقد فيه القيم الدينية والروحية والاخلاقية ، ثم ان جامعة الازهر جامعة دينية قبل كل شيء ، قامت منذ اكثر من الف عام لتربية الناشئين على اساس من العقيدة الدينية والتمسك بالقيم الاخلاقية والروحية لا فى مصر وحدها بل فى العالم الاسلامى كله ، وهذه الرسالة ترجمت فى صورة مناهج فى العلوم الاسلامية تدرس لجميع طالبات كلية البنات ، مهما كان تخصص الطالبة منهن ، فطالبة الطب ، وطالبة العلوم الطبيعية وطالبة اللغات الاجنبية ، مثل طالبة الدراسات العربية والاسلامية ، تعطى بنصيب فى التربية الاسلامية من شريعة وفقه وتفسير وحديث ، وحفظ لآيات الله الكريمة **واقول بصراحة ان التحاق الفتاة بجامعة الازهر يعتبر فكرة رائدة بالنسبة للفتاة المسلمة بصفة خاصة ، وللاسرة المسلمة بصفة عامة ، وان تزويد الفتاة المسلمة بهذه الثقافة الاسلامية الواعية بطريقة علمية ، يعود بفوائد عظيمة على المجتمعات الاسلامية ، لأنه اهتمام بنصف المجتمع الذى كان مهملا .**

ويفكر القائمون على أمر هـــذه الكلية فى انشاء فرع جديد تتخصص فيه الفتاة بالاقتصاد المنزلى والريفى حتى يكون لخريجـــاتها فى هذا التخصص الاثر الفعال فى توجيه الاسر المسلمة فى قلب الريف المصرى .

● هل نجحت تجربة الفتـــاة فى الازهر .. وما مدى نجاحها ؟ ..

ـ الاجابة عن هـــذا السؤال تقتضينا أن ننبه الى أن هذه التجربة لم تبدأ الا منذ أعوام قلائل . ولست احب أن أفيض فى مدى نجاحها فى غير تحفظ ، فبشائرها قد بدت واضحة على الرغم مما قام فى سبيل النهوض بهذه الكلية من عقبات لا أقول أنهـا خاصة بمثل هذه التجربة ، ولكنهـا عقبات تقوم فى سبيل كل تجـــربة جديدة .

وبحسبى أن أشير الى ما يتعلق فيها بالبيئة ووسائل الاعلام : فمن المفروض أن طالبة الازهر تحتـــرم الكلية التى تنتمى اليها ، وتتمشى فى سلوكها ومظهرها مع التقاليد الاسلامية العريقة . ولكن بعض الطالبات لايتبعن هذه التقاليد ، وهذا يتنافى تماما مع الحكمة التى من أجلها أنشئت هذه الكلية . ومما لا شك فيه أن هـــذا يرجع الى قصور تفكيرهم والى عدم اسهام المنزل فى التعاون مع الكلية لتوجيههن التوجيه السليم وتحقيـــق الهدف الذى تسعى اليه الجامعة ..

وقد قامت الكلية بمحاولات عـــديدة لتصحيح هذا الوضع ، منها انهـــا اشترطت فى بادىء الامر زيا معينا ، ورغبة فى التشجيع على محافظـــة طالبة الازهر على مظهرها اللائق ، كانت وزارة الاوقاف تسهم بما يزيد على نصف تكاليـــف كل من الزيين الشتوى والصيفى للطالبة .

ولما ازداد عدد الطالبات ، وتعذر وجود الكميات اللازمة من الخامات لصنع هذا الزى وتوقفت الوزارة عن الاسهام فى تكاليف الزى ، تهـــاونت الطالبات أولا فى شرائه ، ثم امتنعن بعد ذلك عن ارتدائه .

ورأت الكلية عندئذ أن تكتـــفى بفرض مواصفات معينـــــة للابس الطالبات ، وأعلنت ذلك اكثر من مرة فى الكلية ، واستعانت بموظفات رعاية الشـــباب من المشرفات الاجتماعيات والمشرفات الرياضـــيات على ضبط العملية ، مما ترتبت عليه مشـــاكل عديدة ، وفشلت هـــذه المحـــاولة . فطلبت الكليـــة الى مجلس الجامعة صراحة أن تضمن شروط القبول بالكلية شرط ارتداء زى معين ، وبعـــد المناقشة رؤى أن هذا الموضوع لايمكن ادراجه ضمن شروط القبول ، واكتفى بتوصية خاصة بارتداء طالبة جامعة الازهر زيا مناسبا .

ومما يعيد الطمأنينة الى القلوب أن السيد الدكتور وزير الاوقاف وشئون الازهر قد أبدى اهتماما بالغا بمسألة زى الطالبات ، وتم الاتفاق على أن تعود وزارة الاوقاف مرة أخرى الى تمويل مشروع الزى المناسب الخـــاص

صفاء منيزع : الاختبار حقيقى لنجـــاح الازهـــريات ...



بطالبات الكلية فى العام الدراسى المقبل باذن الله ٠

ولا يفوتنى أن اذكر أن من مظاهر نجاح تجربة الفتاة فى جامعة الازهر أن الكلية تبينت عند اتصـال بعض أولياء أمور الطالبات بها فى المناسبات المختلفة أن بناتهن قد بدأت تظهر فى سلوكهن اثار التربية والتوجيه الدينى الاسلامى ، مما جعلهن ينصحن ذويهن وجيرانهن بارتداء الملابس المناسبة وتادية الصلاة فى مواعيدها ، وهذه ارهاصات تبشر بالخير ٠ ومثل ذلك ما ينتهى الى علمى من الاقطـار الاسلامية الاخرى التى تدرس بناتها فى الكلية الاسلامية ٠٠

● ما الذى تتمنيه لنجاح التجربة على اطلاقها ؟

ـ هناك أمور نرجو أن تنجح فى تحقيقها ليتم لنا ما ينبغى لهـذه التجربة من نجاح :

١ ـ تعميم معاهد الفتيات الثانوية والاعدادية بالاعداد الكافية التى تصب فى الكلية ليسهل عمل الجامعة اذ تجد فيهن المثل الطيب الذى يستطيع تفهم الجـو الاسلامى والتمشى مع تقاليده ٠

٢ ـ أن تتيح الكلية للفتاة ممارسة حياتها الدينية بكل الوسائل الممكنـة وذلك ببناء مسجد أو ايجـاد مكان متسع لأداء فريضة الصلاة للنساء ٠ وأن الكلية لتتـامل فى أن يكون للطالبات فى الترب وقت مسجد خاص بهن ، فيه من الوعاظ ما يمكن الفتاة من اداء واجباتها الدينية على النحو الكامل ٠

٣ ـ تفهم القـائمين بالأمر فى وسائل الاعلام لطبيعة رسالة جامعة الازهر والمعاونة فى تحقيق أهدافها ٠

وأمنيتى أن يعيش الطالبات كلهن فى دار واحدة كما يعيش الطلاب فى المعاهد العسكرية ، فهى حياة قوامها النظام الكامل القائم على احتـرام القوانين الروحية والمبادىء الساميـة والأخلاق الكريمة يغذيها الايمـان الصادق بكل ذلك ٠

**

الدكتور احمد ابراهيم الشـعراوى وكيل الكلية

● أيعتبر دخول الفتـاة جامعة الأزهر تجربة جديدة على المجتمـع الاسلامى ؟

ـ الأزهر صورة للمدرسة الاسلامية الأصيلة ، ولأن الله كتب له أن يعيش هذا العمر الطويل ، فقد أصـبح النموذج الحى الباقى لهذه المدرسة منذ عهد البعثة النبوية الشريفة الى الآن ٠٠ والدين الاسـلامى كرم المرأة وأعطاها حقوقا لم تحصل عليهـا المرأة عموما قبله ٠ من ذلك اعطاؤها الحق فى تلقى العلم وتشجيعها عليه٠

وقد كانت النساء فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يشاركن الرجال فى تلقى العلم عنه ، حتى لقد خصص لهن يوما لذلك ٠ ومنذ عصر الرسول الى الآن والمرأة المسلمة تشارك فى تلقى المعرفة وتلقينها ٠ والصحابيات اللاتى نقل المسلمون عنهن أصـول الدين كثيرات ، ومن الأمثلة البارزة



على ذلك السيدة عائشة رضى الله عنها . التى قال الرسول عليه صلاة الله وسلامه : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » .

وتسجل لنا صفحات التاريخ أن بعض السيدات وصلن فى العصور الاسلامية المختلفة الى نفس المستوى العلمي للرجال فى التخصصات الدقيقة ، كوصول بعضهن الى درجة الافتاء . من هؤلاء ، فاطمة بنت الامام الكاشانى صاحب كتاب « البدائع فى الفقه الحنفى » . فقد كانت تشارك والدها فى اصدار الفتاوى فى المسائل التى يستفتى فيها وتوقع عنه ، وبعد أن تزوجت انضم زوجها الى اللجنة المكونة من والدها ومنها ، فأصبحت ثلاثية ، تصدر عنها الفتاوى ممهورة بتوقيع الثلاثة .

أما الازهر فقد ظلت أبوابه مفتوحة لطالبات العلم منذ انشائه، ولم توصد الا بعد الحملة الفرنسية واذن ، فدخول الفتاة المسلمة جامعة الازهر ليس بالتجربة الغريبة على الازهر ، بل هو استئناف لتقليد اسلامى قديم درج الازهر عليه ، ودرج المجتمع الاسلامى عليه منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

● هل نجحت فتاة الازهر الحديثة فى تحقيق الاهداف المرجوة منها ؟

ـ انه لا ينتظر لأى عمل فى مجال التربية والتعليم أن يبدأ بنجاح مائة فى المائة ، وهذا شيء يعرفه المشتغلون فى ميادين التعليم المختلفة . ومع ذلك فمقدار النجاح الذى حققته الفتاة الحديثة فى جامعة الازهر مرض ، بل وفوق ما كان منتظرا . ونحن على الطريق نعمل بدون ملل ولا يأس للاصلاح ، وتجنب الاخطاء ، والاخذ بيد فتاة جامعة الازهر حتى تصل الى المستوى الرفيع الذى نرضاه لها .

والمتتبع لتطور نمو كلية البنات الاسلامية يدرك لأول وهلة التضاعف السريع لاعداد الطالبات بها . فقد بدأت الكلية عند افتتاحها منذ حوالى عشر سنوات بحوالى ثلاثمائة طالبة، وبلغ عدد طالباتها الان أربعة الاف منهن فتيات من احدى وعشرين جنسية

واننا نرجو أن تسمح ظروف الكلية باستيعاب اكبر عدد من الفتيات المسلمات اللاتى يرغبن فى الالتحاق بالكلية من جميع الاقطار الاسلامية وبخاصة حينما تتحول كلية البنات الى جامعة للبنات ، وتحويل اقسامها الى كليات .

❋❋

الدكتورة أميرة على توفيق المدرسة بالكلية

● ما الذى تضيفه فتاة الازهر الجديدة الى المجتمع ؟

ـ لا تقتصر رسالة جامعة الازهر على العلم وحده ، انما رسالتها الاولى هى الدين . فهى جامعة تعد الفتاة العالمة المؤمنة . الفتاة التى تواجه مشكلات العصر الحاضر مسلحة بالعلم بجانب العقيدة والايمان . الفتاة التى تعيد الى المجتمع الاسلامى ما افتقده فى الاونة الاخيرة من الاسس والمبادىء الاخلاقية الاسلامية الصحيحة .

واننا نعقد آمالا كبارا على أن تكون فتاة الازهر من العوامل الفعالة فى نشر مبادىء الاخلاق الكريمة ، وأسس الدين الحنيف فى تعاملها مع افراد المجتمع . طبيبة . ومهندسة ، وكيمائية ومربية ، وزوجة واما قبل كل شيء .

● باستثناء دراسة المواد الاسلامية فى كلية البنات الاسلامية ، هل تختلف الدراسة فيها عن غيرها من الجامعات ؟



ـ الواقع أن الدراسة العلمية فى كلية البنات تدرس فيها التخصصات المختلفة تماما كما تدرس فى غيرها من الجامعات فى جمهورية مصر العربية ، عدا تدريس المواد الاسلامية لجميع التخصصات لا للمتخصصات فى الدراسات الاسلامية فقط · غير أن جامعة الازهر تتميز ببعض الامور ، فطالبات قسم التجارة مثلا من الوحيدات بين طالبات التجارة فى الجامعات المصرية اللاتى يدرسن الآلة الكاتبة والاختزال ويتدربن عليها ضمن مواد تخصصهن وقسم اللغات والترجمة الفورية فضلا عن انه لا نظير له فى الجامعات الاخرى ، فانه الشىء به معملان للصوتيات للتدريب على اللغات الاجنبية واللغة العربية

هذا من حيث المنافع الدراسية ، أما من حيث رسالة فتاة الازهر واتجاه الدراسة فيها ، فانى ارى أن فتاة جامعة الازهر هى التى يجب أن تحمل أمانة احياء الحضارة العربية والثقافة الاسلامية ، والتعريف بها ونشرها ، باعتبارها الحضارة التى ظلت نبراسا يهتدى به العالم طوال العصور الوسطى ·· أو العصور المظلمة كما يسميها بعض المؤرخين ، فواجب فتاة الازهر التى تتخصص فى الطب مثلا ، أن تبدأ بدراسة طب العرب الذى ظل يدرس فى بعض جامعات أوربا حتى أواخر القرن السابع عشر · وواجب فتاة الازهر التى تتخصص فى العلوم الاسلامية أن توضح كيف أن احكام الشريعة الاسلامية هى الاسس التى اخذت منها القوانين الوضعية ، وأن التساهل فى احكام الشريعة الاسلامية عن طريق القوانين الوضعية يعتبر من اهم الاسباب فيما انتشر فى المجتمع العربى الاسلامى من عيوب ·

وواجب فتاة الازهر التى تتخصص فى العلوم الادبية احياء التراث الادبى بدراسته وتحقيق مخطوطاته ونشره وشرحه ونقده ودراسة النابهين من أبنائنا وعلمائنا وانتاجهم باعتبارهم جزءا من ثروتنا الادبية والقومية ، وهكذا· وهدف الدراسةفى الازهر يجب أن يؤخذ من أحياء الحضارة والثقافة العربية الاسلامية منطلقا لدراسة ما تطورت اليه العلوم المختلفة وما توصل اليه العلم الحديث ، ثم الاسهام فى هذا التطور بما يستطاع

● ما الاقتراحات التى ترين انها تساعد على تحقيق ما يرجى للفتاة الجامعة الازهرية ؟

ـ هناك اقتراحات كثيرة اعتقد ان اهمها :

١ ـ استكمال مبانى الجامعة فى أسرع وقت ممكن حتى تستطيع الكلية أن تؤدى واجبها على الوجه المرضى ·

٢ ـ انشاء مدينة جامعية تستوعب اكبر عدد من فتيات الجامعة ، يمارسن الحياة الاسلامية ويتعلمن السلوك الاسلامى الصحيح تحت اشراف عناصر تربوية حكيمة ذات مستوى علمى عال ، تصلح لان تكون قدوة للطالبات فى هذه السن ، وليس هذا بغريب ، ففى اغلب الجامعات المشهورة فى أوربا يتولى الاشراف على المدن الجامعية أساتذة من الجامعة ·

٣ ـ العمل على اعداد الملاعب الخاصة التى تستطيع طالبة جامعة الازهر أن تمارس فيها انواع الرياضة المختلفة ، لما فى الرياضة من اثر فى

تكوين الروح الرياضية والخلــق الرياضي الحق ٠

٤ ـ انشاء مركز لانواع النشاط المختلفة يخصص له وقت معين في جدول الدراسة بالكلية حتى يمتص نشاط الطالبات ، وتتفتح مواهبهن ، وتبرز القوى الابداعية فيهن ٠

٥ ـ اتخاذ الخطوات اللازمة والمقنعة لظهور طالبة الازهر بالمظهر الذى يتناسب مع ما للجامعة الازهر من مركز ديني ٠

٦ ـ انشاء مدينة لطالبات البعوث الاسلامية على غرار مدينة الطــلاب للبعوث الاسلامية حتى تتمكن البنات المسلمات في انحاء الوطن العربي من الالتحـــاق بالجامعة ، ولا تعوقهن الصعاب والمتاعب التى تصادف الفتاة الغريبة في مدينة كبيرة مثل القاهرة ٠ وان الاهتمام بالفتاة المسلمة في البلاد الاسلامية اهتمام بهذه الشـعوب نفسها ٠

٧ ـ أن تأخذ كلية البنات وضعها الطبيعي فهي وان سميت كلية فانهـا في الواقع جامعة بمعنى الكلمـــة ، ووضع الامور في نصابها يساعد على تحقيق الاهداف ٠

مهجة محمد خلف الله ٠٠٠ احدى خريجات كلية البنات قسم الدراسات الاسلامية ٠

تقول عن تجربتها في كلية البنات الاسلامية : عاصرت جيلا في كليـة البنات ، وكنت سعيدة جدا بالتحاقى بهذه الكلية ، مملوءة بالامل لانني سوف أجد بغيتي في الدراســات الاسلامية التى لا يوجد نظير لها في أى جامعة أخرى من جامعاتنا ٠ وكنت أعتقد في بداية التجربة انني سوف **أصبح داعية اسلامية ، ولكنني صدمت اذ وجدت أن المعلومات التى حصلت عليها طوال دراستى لا تمت الى التعمق بشيء ، والمفروض أن تلم الطالبة بكل القضايا الاسلامية الهامة ٠٠ وأرى أن سبب ذلك هو ضـعف التخطيط في المناهج الدراسية ٠**

ومن أجل اعداد جيل من الفتيات الداعيات للاسلام يجب اتباع الاتى :

١ ـ الرجوع الى دراسة الكتب القديمة التى ركزت على كل القضايا الاسلامية وفصلتها تفصيلا وأسهبت في شرحها مع ربطها بالمناهج الحديثة المعاصرة ٠



مريم وهبان : لابد من وضع حد لهذه الظــاهرة الخطيرة ...

٢ ـ اعداد المدرس الذى يستطيع التأثير على الطالبات واقناعهن ·

٣ ـ ضرورة البحث المستمر من جانب الطالبات للارتفاع بمستواهن العلمى والالمام بكثير من المعارف التى يحتجنها فى الحياة العملية ·

وعلى الرغم من وجهة النظر هذه فاننى أعتبر ان الفكرة قد نجحت بنسبة لا تقل عن خمسين بالمائة ، خصوصا فى اعداد الفتاة المتمسكة بالقيم والمبادىء الدينية ·· واذا وجدت الفتاة التى تتحلى بالقيم الاسلامية ، اصبح لدينا جيل صالح يعمل من أجل المجتمع الاسلامى ويؤثر فيه تأثيرا طيبا ·

ومع أننى من خريجات القسم الاسلامى الا انه لا يعترف بنا فى تدريس المواد الدينية ، والامل كبير فى ان تتغير هذه الصورة ، ويخرج جيل جديد من كلية البنات قد حصل على قسط وافر من المعارف الدينية والدنيوية لتؤدى فتاة الازهر دورا فعالا فى مجتمعنا ، وتقف على قدم المساواة مع الرجل الذى يؤدى رسالته فى هذا الميدان ·

مريم وهدان : طالبة بكلية الطب وعضو اتحاد جامعة الازهر

تقول مريم : كلية البنات الاسلامية تعتبر نوعية فريدة بالنسبة للكليات العديدة الموجودة فى جمهوريتنا ،



ودورها يخدم الفكر الاسلامى بالدرجة الاولى ، فمنها يتخرج الطبيب والمهندس والمدرس الذى زود بقسط وافر من علوم الدين التى يضعها نصب عينيه حين يؤدى عمله ، وكذلك مجموعة من الفتيات أخذن فكرة وتأثرن بالناحية الدينية ، ولكنها فى الوقت نفسه لم تخلق الايمان الكامل عند الطالبات ، والمطلوب أولا أن توجد عقيدة قوية عند الطالبة ثم بعد ذلك تصبح عندها القدرة على نقل هذه الدعوة وغرسها فى النفوس ·

وتطوير المناهج بما يتناسب مع روح العصر وضرورة الرد على البدع التى دخلت المجتمع الاسلامى لا يتأتى الا بالدراسة والتحليل ، وليس بمنطق الرفض ، ويتم هذا عن طريق الاستاذ المؤمن بفكرة العقيدة وتكوينها بالنسبة للطالب ، وهذا يستلزم ايجاد جيل جديد من المؤمنين بفكرة تطوير الازهر بطريقة علمية صحيحة ، واختيار الاستاذ المناسب هو الدعامة الاساسية لانجاح التجربة ، لأن الطالبة حينما تدخل الازهر يكون لديها حد أدنى من العبادات الاسلامية والمسئول عن تنمية العقيدة داخل الكلية هو الاستاذ فمن الممكن أن يرتفع بمستواها العقائدى أو العكس ·

وتقول مريم عن الزى الجامعى للفتاة فى كلية البنات الاسلامية :

الكلية عبارة عن « كرنفال » ، فتجد المحتشمات ومرتديات آخر ما وصلت اليه « الموده » ، وهذا يستلزم وضع حد لهذه الظاهرة ، لأن التعاليم الدينية لم ترسخ بعد عند الفتاة بالقدر الكافى ، والمطلوب ليس هو محاربة هذا ، بل يجب أولا ترسيخ العقيدة عند الفتاة التى ستقوم تلقائيا بعد ذلك باتباع التعاليم الصحيحة ومراعاتها ·

واذا آمنت الفتاة بالعقيدة الراسخة، فسوف تعمل على تطبيق تعاليم الدين



مهجة محمد خلف الله : نسبة النجاح في اعداد جيل من الداعيات للاسلام . . .

الاسلامي جوهرا ومظهرا بمعنى انها داخل الجامعة ستراعى التعاليم الدينية، وبعد تخرجها ستظل متمسكة بالعقيدة السليمة لأن تمسكها هذا صادر عن ايمان قوى ، والمفروض أن تكون كلية البنات الاسلامية مركزا للاشعاع للفتاة المثقفة المسلمة .

وأما عن الاختلاط ، فليست مشكلة جامعة الازهر هى مشكلة الاختلاط ، ولكن من المفروض توعية الشباب وتعريفه بأسس العلاقات الاجتماعية والانسانية .

والازهر كجامعة لها طابعها المميز الذى يجب أن يحترم ، والاختلاط داخل الازهر ليس مطلوبا وليس ملحا ، لأن الاختلاط له كثير من العيوب ، ومع هذا فلو طبق نظام الاختلاط داخل الازهر فلابد أن يكون بصورة حافلة بالقيم ، واحترام تعاليم الدين الحنيف ، وهذه مرحلة لابد أن تسبق الاختلاط .

**

صفاء متيزع .. طالبة وأمينة اللجنة الفنية بجامعة الازهر

تقول : تجربة كلية البنات الاسلامية قصيرة الى حد ما ولا نستطيع أن نقيمها، والفتاة لم توضع فى محك عمل حقيقى لتتعرف على أبعاد التجربة ، ومدى نجاحها .

لكن فتاة الازهر تحس بمسئولية اكبر من أى فتاة فى جامعة أخرى ، فهى تحمل رسالة نشر الدين وتعاليمه، وهذا هو الدور الاساسى الذى لابد أن تفهمه وتعيه جيدا .. ومن حيث الاختلاط فانا لا أوافق عليه ، فبدون الاختلاط تستطيع الفتاة أن تمارس نشاطها بطريقة أكثر حرية وايجابية. ومن أمثلة الانشطة ، النشاط الرياضى والفنى ، والرحلات .. الخ ....

وعن برامج الدراسة تقول : ان الدين ليس مجرد مناهج تدرس ، والغرض منها هو النجاح آخر العام ، لكن المهم أن تثار قضايا عامة وتتعلم الطالبة من خلالها كيفية التوصل الى الحلول الصحيحة خاصة وأن هناك نظريات جديدة تطالعنا كل يوم، وتجعل الشباب فى حيرة من أمره، ولايستطيع أن يعرف الصواب من الخطأ .

ومن الضرورى تدريس الموضوعات الكافية التى تبرز لنا كنوز الدين الاسلامي الحنيف ، لأن ما يدرس فى السنة التأهيلية هو نفسه ما درس لنا فى المرحلة الابتدائية وكذلك لابد من تدريس الموضوعات الحيوية التى تهم المجتمع والتى ستقوم الداعية الاسلامية بنقلها الى المجتمع الذى تعيش فيه .. ومن هذه الموضوعات مثلا : الاشتراكية فى الاسلام وعلى اى الاسس قامت ـ البهائيون ودورهم فى محاولة افساد العقيدة الاسلامية بنظريات خاطئة ـ وقد تثار هذه القضايا خارج نطاق حجرة الدرس ، وهذا لا يكفى أبدا ولا بد من تعديل المنهج الدينى على اساس أن فتاة الازهر الجديدة اذا نالت قسطا وافرا من التركيز على النواحى الدينية فسيكون مستقبل الداعية الاسلامية له شأن كبير فى مجتمعنا العربى وفى المجتمعات الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها . . .



بينما كنت احلق ذقني امام المرآة في الحمام ، ادركت ان منزلي يهتز ... يتعرض للسقوط ... ننتظره فرقعة ما كي ينهار ... ان نتفق انا وزوجتي وحماتي ، امر صعب للغاية !

متناقضات تعيش تحت سقف واحد . مطحون انا بين شقي الرحى .

الماضي والحاضر . امراض مزمنة في المفاصل من قديم الزمان . امراض الحساسية تتزايد كل يوم في منزلنا .

نظرت الى وجهي في المرآة ، وقد تراكمت على جانبيه رغاوي الصابون البيضاء . كميات كثيفة حجبت وجهي كله ماعدا العينين .

عينان مفتوحتان تحملقان في المرآة ... تذكرت واقعة الارنبة البيضاء التي تلد سبعا ولهما عينان في لون الدم .

احسست أن كتفي يهتزان في حركة رافضة او يائسة .

غريب أمر حماتي ، غريب ومثير سلوكها معي . تحاصرني في الاركان الحرجة ، تشن على حربا لا هوادة فيها

.. تقوم بعملية التخطيط باحكام مذهل . سندها التجربة وتاريخها البعيد ، وسنها السبعون .

تقوم زوجتي بعملية التنفيذ بكل وسائل حواء

اتولى انا عملية

عـــزمي لـــبيـــب

قصـــة قصـــيرة

التمويل • بنك يدفع في صمت كلما طلب منـــه ذلـــك ، ولا يعترف له بالوفاء •ولا يحصل على كلمة شكر • ولا حتى ابتسامة عابرة تنم عن رضا •

اليوم تطلب خروفـــا ابيض له عـــلامة مميزة بين الاذنين • تتوج راسه نجمة سداسية لونهـــا احمر • دائما لون الدم

••• غريب امر حماتي• رغباتها الوهمية جعلتني ارتاب ارتيابا لا حد له•

نجمة سداسية في لون الدم تتوج رأس الخروف الابيض !

فجـاة ، اطل وجه زوجتي في المرآة • كانت نظراتها حادة ووجهها غاضبا • جاءني صوتها متحديا من خلف ظهري، كانما سمعت اعتراضي :

ــ دماؤه الدافئـــة المتدفقة علاج ناجع لآلام الرومـــاتيزم ورجـــع المفـــاصل وتنـــميل الاطراف •

ثم استطردت ساخرة:

ــ لو كانت الوصـــفة مكتوبة باللاتيني وعـــلى « روشتة » دكتور ، كان الامر هان يا عزيزي••• اليس كذلك ؟

قلت في ضـــيق • وبصوت مرتفـــع كي تسمعني حماتي ايضا :

ــ لو كـــان الخروف بمناسبة العيد ، أو من أجل الفقراء لهان الامر•

ــ لا تقف ضد رغبات أمنا ••• لن تجد ــ في النهاية ــ سوى سخطها وتبرمها وكراهيتها لك• لن تحبـــك ابدا مادمت سلبيا ولا تنفذ رغباتها• اريدك أن تكسب دعواتها الطيبة • وأن تكون ابنها البار •••

كانت زوجتي تتكلم بهـــدوء مثير • وضعت وجهي ورأسي تحت الماء المنهمر من الصنبور • وما فتىء صوتهـــــا يلاحقـــني ، حتى وانا ارتدي ملابسي :

ــ امنا مريضة ، حالة نفســـية ، اعتبرها اي شيء • دمـــاء الخروف الابيض ، العلاج الوحيد لمثل حالتها • تريد مني ان اذكرك انهـــا فقدت الزوج والابن •••

حملت اعتـــراضي ، واصرار زوجتي،ورغبات امنا الوهمية ، وشرعت في الخروج من المنزل •

عنـــد البـــاب وقفت زوجتي بجـــانبي تعالج رباط عنقي وقد أسندت صدرها على ذراعي • كان وجههـــا مبتسما وعيناها نصف مغمضتين •• لم افهم المعنى الكامن وراء هـــذه الحركة •



كنت افكر بعمق كيف مضمت زوجتى فكرة العلامة المميزة لخروف أبيض ...

طوال الطريق الخالى فى ذلك الصباح المبكر ، سالت نفسى ربما للمرة المليون . نجمة سداسية تتوج راس خروف ابيض ! دماؤه المتدفقة الدافئة علاج ناجع لامراض الروماتيزم والام المفاصل ، والصداع ، والضغط ، وارتخاء الاعصاب . كم حاولت ان اقبل منطقها وان احترم رغباتها ، كى اجعل الود معها متصلا . كم طلبت منها ان تمتنع عن التوابل والحوادق ، والماكولات الثقيلة الدسمة « المسبكة » وان تكثر من الخضراوات الطازجة ومن الفاكهة .

تشابكت فى راسى صور ماضيها معى . انها تبدو ـ ما فى ذلك شك ـ وكانها ملاك يحتضن منزلنا بالمحبة والود . لم اكن صلبا ، ولم اكن مستسلما . اننى اقوم بجهد وافر كى اتوازن بينهما . زوجتى وحماتى .

قبل أن أصل الى المدرسة ، اكتشفت سر وجود منزلنا قائما حتى الآن . رغم المتناقضات والاستفزازات تخرج اعتراضاتى مرنة ... الشيء الوحيد الذى يحكمنا نحن الثلاثة ، هو اننا نرفض أن يتحطم منزلنا . نرفض هذا شكلا وموضوعا . لذلك نرقص كل يوم على حبل واحد .

***

استغرقنى جهد اليوم الدرسى . نسيت تماما رغبة أمنا المريضة .. شغلتنى مشاكل الطلبة التى لاتنتهى مضايقاتهم اليومية ، واستفزازاتهم واحراجهم المدمر اكثر من أى شيء آخر ...

حتى الاشياء الصغيرة التافهة تحتاج لسعة صدر لا حد لها .

اثناء فترة استراحة الظهيرة ، دخلت حجرة المدرسين . تناولت الكراسات وشرعت فى تصحيحها . اخرجت قلمى الجاف الاحمر وحركته فوق الصفحات متتبعا الكلمات والسطور بنفس « الروتين » اليومى . لكن فجاة ، اكتشفت التباين الواضح بين اللون الاحمر القاني والمساحات البيضاء . وخرجت عن مضمون العمل . سرحت قليلا ... فكرت أن اشير الى هذا التباين لزملائى . ان انقل لهم هذا العمق المتباين بين اللونين . الابيض والاحمر . بلا اى تفكير مسبق ، وجدت نفسى اسال الزملاء عن العلامات المميزة فى الخراف . خرج الكلام منى بشكل عام . حرصت على الا انكر شيئا عن رغبات امنا وافكارها ...

قال احدهم :

ـ البلدى ،والبرقاوى، والسودانى

بدا لى استخفافه فى الاجابة ، فشعرت انه يسخر منى

قال آخر :

ـ أوزن صغير . كبش . سمين . النوع البلدى أعظمها .

انتشرت روح الدعابة عندما صاح ثالثبصوت مرتفع :

ـ أنا لا أعرف سوى خروف العيد !

واضاف متهكما :

ـ فى نية سيادتك تقديم دعوة مفتوحة للزملاء ، أو ماذا تقصد ؟

ثم أردف وهو يلعق شفتيه ، كأنما انتشرت رائحة الشواء :

ـ يا عزيزى شوقتنا . حرام عليك !

وضحك الجميعبصوت مرتفع . لم يستطع أحد منهم أن يكشف عن التوتر المتزايد فى أعماقى . سيطر عليهم جميعا احساس بالرغبة العارمة فى التهام لحم الضأن . كشفت عنه حركات الشفاه والنظرات النهمة . لقد تركزت عيونهم المتسائلة على وجهى . وراحت تحاصرنى .. كأنها ألوف الأصابع الممدودة تشير نحوى .

وشعرت بالحرج ... سلطت فكرة الدعوة المفتوحة للزملاء فى داخلى لحظة . ربما تساعدنى على الخروج من هذا الحصار .

والتقطنا جميعا الكرة فى وقت واحد . أخذنا نناقش الفكرة بطريقة موضوعية ، وندرس بالعمق الكافى ما يمكن أن تحققه من فائدة .

ان التجمع فى لحظة ترفيه بغض ـ بشكل ما ـ على مخاوفنا الوهمية ، ويبدد هذا القلق السخيف المدمر ، ويستطيع ـ أيضا ـ ان يعيد ذلك الاتصال الوجدانى النقى . الذى افتقدناه فى دوامة جهد المرسة اليومى .

* * *

فى المساء عدت الى منزلى . كنت منشرحا مسرورا . لحم الضأن فى فمى ورائحة الشواء فى أنفى ... لقد حققنا راحة نفسية وسعادة كنا عنها غافلين . السير البطىء مع الزملاء فى ميدان الحسين .

وعندما كنا نشرب الشاى الأخضر فى مقهى الحسين ، اتفقنا على أن يكون اللقاء القادم بعد أسبوعين . لقد اكتشفنا ـ ربما دون قصد ـ أن التجمع أسهم فى تحطيم التقوقع فى كل شىء وهمى ...

استقبلتنى زوجتى بترحاب زائد على الحد . لفت نظرى اهتمامها البالغ وحركتها الرشيقة .. سألتنى بتعاطف عن سبب تخلفى عن موعد عودتى للمنزل . نظرت الى شعرها المرتب .





وقد ملأ انفى عطرها الفواح • غمرني احساس بدفء الاسرة • انه ذلك الدفء الذى كان يغمرني ايام وليالى الخطبة •

دارت حول الفراش ، بعد أن ساعدتني فى تبديل ملابسى • جلست أمام المرآة واخذت تعيد ترتيب خصلات شعرها • بينما ظلت عيناها ترقبان حركاتى أمامها فى المرآة • أخيرا جلست على حافة السرير وذكرت لها ما حدث لى اليوم مع الزملاء فى المدرسة • تكلمت بهدوء وبيساطة وحسن نية • حددت لها الهدف والغاية •• وكيف التقطنا جميعا الكرة فى وقت واحد •

وقبل أن أصل الى الخاتمة ، لاحظت توترها على شكل ما •

فى بادىء الامر لم تستطع أن تخفى تبرمها وتشنجات وجهها • ثم نهضت فى حركة ساخطة ، واغلقت خلفها باب الحجرة فى غضب •

خيل الى انها تصرخ فى صمت ، لانى لم اسمع صراخها •

كان هذا كاجابة بدون كلمات •

تمددت على السرير وحدى ، وقد خيم على جو الحجرة صمت كثيف ، اخذ يزداد كثافة فى الدقائق التالية •

حاولت أن اشعل سيجارة • انطفأ عود الكبريت الوحيد بفعل الهواء القادم من النافذة المفتوحة • كان آخر عود ثقاب • استسلمت وركنت الى الراحة •

فى وحدتى ، اخذت افكر فى التباين الواضح ، بين اللون الاحمر ، لون الدم • واللون الابيض لون الصفاء والسلام ••• مفارقة عجيبة وربطها مثير • شغلت فكرى طول الليل ، بأن انزع من راس زوجتى خرافة الخروف ولاسيما اننا نعيش فى عصر تزرع فيه الاسنان ، والاطراف الصناعية • هناك شىء ما يختفى وراء كل هذا ، سر رهيب يتعين على كشفه •

وتقلبت فى فراشى كالمحموم ••• اشباح عملاقة ترتدى ملابس بيضاء فضفاضة تلف وتدور — على صدى دفوف وهمية — حول حماتى فى حركات متشنجة • بخور كثيف يتصاعد برائحته الزكية لينتشر على الجميع ويلفهم — فى النهاية — بالهدوء والسكينة •

ويعود المكان يغرق فى الصمت • كان الصمت له ثقل زئبقى على حواسى وتفكيرى • ان التفكير فى الخرافة يسبب لى الارهاق ويحرمنى النوم •

فى الصباح استيقظت على صوت حماتى يهدر ساخطا • جاءنى صوتها حادا غاضبا من ثقب باب حجرتى المغلق ، يلهث مسرعا ويطرقنى ويثقب الاذنين :

— زوجك لا يرغب فى شفائى • يكرهنى • يتمنى لى الموت • سبق أن رفض الارنبة البيضاء • انا لا انسى له واقعة الارنبة • الآن يرفض الخروف ويتظاهر بالنسيان ••• انا فى مقام امه وبنى الخروف • أنت بخته اسود • لماذا اخذت الزوج والابن يا ربى ؟ ••• هذه حكمتك !



استمرت كلماتها تتدفق ساخطة ، بينما كانت زوجتي تتحرك داخل الحجرات وتتحاشى أن تلتقي بي . أحسست بمشاعر قائد منسحب خسر معركة . وضحكت بالرغم مني . ضبطتني زوجتي وأنا اضحك .. ظهر على وجهها الاستياء

.. بدت نظراتها كسهام تغرز في لحمي . ورغم هذا قالت بهدوء :

ـ انت الوحيد الذى يحقق الشفاء لامنا . لن يتم ذلك الا بذبح الخروف الابيض تحت قدميها . دماؤه المتدفقة لها فوائد كثيرة . انت لا تدرك ذلك . الم تسمع الحواديت وحكايات زمان ؟ ربما تكون لا تحب الحواديت . مع ان الحواديت تمتلىء بكثير من الرموز ، وقد تكون احداها مفتاحا لكثير من الاحداث . انت لا تعلم هذا ولا تدركه . عليك ان تقوم بواجبك الآن . امنا تنتظر ان تحقق لها الكثير .

حبست انفعالاتي في صدرى واغلقت الشفتين والاذنين . وجدتأنه من الاصوب أن ارتدى ملابسي واترك المنزل قبل ان يشتعل .

***

كان اليوم يوم جمعة .. وقد حجبت سحابات كثيفة ضوء النهار .

نظرت الى ساعتي وسرت في الطريق بلا هدف... في رأس الوف الرموز تحتاج لالوف المفاتيح .

ابحث في نفسي وفي صدرى عن مفتاح واحد لرمز واحد فقط . انا بطبيعتي لا اثق في اى خرافة . ظل هذا الاعتراض يلازمني طوال الطريق خطوة بعد خطوة

في النهاية ، وجدت نفسي اقف حائرا امام الساحة الفسيحة لسوق الخراف في امبابة .

سألت نفسي كيف جئت الى هنا ؟ لم تكن لي اى ارادة . بدون تفكير مسبق وقفت بي قدماى في مواجهة ، سمسار ، اعترض طريقي بجسمه الممتلىء وملابسه الداكنة المغبرة . كشف عن نفسه بسرعة عندما سالني عن رغباتي . وانه وسيط لبق يحترم رغبات الزبون ويقف بجانبه . رأسه الكبير وشعرها الاشيب . تلك أول مرة ادخل فيها سوقا . نظرت اليه في صمت . وانا اخفى في صدرى رغبات حماتي . ان احدثه عن نجمة سداسية تتوج رأس خروف أبيض . حرصت على الا يشعر الرجل انى أسخر منه . ونظر الرجل في عيني طويلا وبعمق . ثم تقدمني الى الداخل . دهمنا زحام الناس الكثيف . عمليات بيع وشراء تلهث مسرعة وتختفي وراء الغبار المتصاعد .

همس الرجل في اذني : هذه نعجة سمينة انظر مؤخرتها .

وعندما لم استعاضى توقف عن الكلام . دار بي دورة كبيرة داخل السوق والناس تقترب وتبتعد . وتتصاعد رائحة تزكم الانف . الخراف امامي كثيرة ومتشابهة .

فجاة صاح الرجل بصوت واضح :

ـ انظر الى هذا الخروف الابيض . الصغير السن .. مخصى طعامه الفول . انه يناسب طلبك ، انظر الى رأسه ...



وثبتت قدماى امام الخروف . اخذ يمسح الارض برجله اليمنى وتقدم نحوى خطوتين .

رفع راسه وركز عينيه على وجهى . وتلاقت النظرات . خيل الى انه يهمس قائلا :

– ليست خرافة ! كلنا خراف . خلقنا من اجل الفداء . الفداء فقط . هكذا يتحدثون عنا من قديم الزمان .

فى لحظة الفداء ، اكون انا الضحية والتضحية .

فى لحظة وهمية . تشكلت بينى وبين الخروف احاسيس ما ... قد تكون مزيجا من التعاطف والدهشة . ظل واقفا امامى فى استسلام ودعة ينتظر قرارى . ونظرات « السمسار » المهووفة تنتظر ايضا . وزوجتى تنتظر . وامنا المريضة تنتظر ... الجميع ينتظرون منى ان اعمل من اجلهم شيئا ما

احسست انى اتارجح بين الحقيقة والوهم . ومع هذا رشقت عينى فى وجه « السمسار » وسألته عن الثمن ؟ تبادلنا كلمات المساومة وقد اخذت تتاوى – فى صخب السوق – كصفار الافاعى قبل أن تصل الى رقم محدد . وبعد جهد اعطيته ثلاثين جنيها . ارتخت عضلات وجهه وظهر عليه الابتسام . عدت انظر الى فروة الخروف البيضاء الغزيرة ، والى راسه والى اذنيه .

فجأة . ومض – فى راسى – خاطر . سريعا ما استجبت له .

بينما كان السمسار يراجع اوراق النقد ...

اخرجت من جيبى القلم الجاف الاحمر الذى استعمله فى تصحيح الكراسات ورسمت به نجمة سداسية الاضلاع فى منتصف المسافة بين الاذنين . رغم صيحات الخروف المتلاحقة ٠ل٠ل٠ وضربات الاكتاف المتزاحمة حولى .

كانت نظرات الناس اللاهثة تحاصرنى فى فضول مثير . رغم كل هذا خرجت من السوق وانا اضحك . احسست ان اعصابى المشدودة ترتخى وان راسى يكاد يلامس السماء .

مرة اخرى ملأنى الضحك عندما استقبلتنى زوجتى بابتسامة عريضة وعينين مسرورتين . لقد عاد القائد منتصرا ... ضمتنى الى صدرها ، حتى قبل أن تنظر الى الخروف . كانما اكتفت بصياحه المجلجل . ماء . ماء .. ظلت ملتصقة بى الى ان مر الخروف من بين ارجلنا . سبقنا الى الداخل بحيوية ونشاط . اتجه ناحية حجرة امنا ودفع براسه الصلبة الباب المغلق . وما لبث أن انفتح الباب على مصراعيه فاندفع الى الداخل كانما يتحدى قدره .

لم تكد تمر لحظات ، حتى خرجت امنا وهى تغرز اصابعها النحيلة فى فروة الخروف البيضاء . لقد وقفت امنا على قدميها بعد ان كانت طريحة الفراش . بدت نشطة وقد كست حيوية متوثبة وجهها الشاحب . تقدمت نحوى وضمتنى الى صدرها بحنان ...

نظرت الى زوجتى مدهوشا وسألتها بعينين واسعتين – بدون كلام – عن الوهم ! وعن الحقيقة ! .

نصري عطا الله

بين البحر والشاعر روابط وصلات لعلها اقوى من روابط الدم ، واوغل في القدم من وشائج القربى وصلات الرحم ، ذلك لان اساسها ومصدرها ميراث الانسان الاول الهائم فى فجاج الارض والذى لم يعرف الاستقرار فى مكان ما الا بجوار الماء ، والذى ارتبطت حياته بالماء ارتباطا تاما ، فالعلاقة بين الانسان والماء علاقة حياة ابتدات حاجة ومنفعة وانتهت شعرا وخيالا ، اقترنت دائما بالخير ولم تكن تخلو فى كثير من اوقاتها من الرهبة والخوف من ناحية ، ومن الالفة والمتعة من ناحية اخرى ...



البحر في شعر



يظفر الشاعر بلحظات من السعادة فيولي وجهه شطر البحر وهو موقن ان سعادته هناك على الشفاف سوف ترق وتصفو وتتضاعف ... ويضيق بالحياة والناس فيلوذ بالبحر يبثه شجونه ويتفرس في صفحته ويستمع الى ترانيمه او صرخاته فيجد العزاء كل العزاء ...

ترى هل عزلة الانسان التي تتكاثف مرات ومرات في قلب الشاعر وندرة التجاوب والمشاركة الوجدانية بينه وبين من حوله من البشر ، هي التي تدفع به الى الطبيعة ، والبحر خاصة ، يبثها احزانه ويفضي اليها بأسراره وآماله؟..

قيل شيء من هذا عن الشاعر الانجليزي « شيلي » ويقال ايضا عن الشاعر المصري ابراهيم ناجي ...

أترى الماء حلم كل ظمآن – ظمأ الجسد وظمأ الروح – مهما تعددت الوان الظمأ واشكاله ؟.

أترى البحر في تعدد وتنوع صوره ومظاهره ، في الفجر والضحى والغسق، في الصحو والغيم ، في وهج الشمس وفي ضوء القمر ، في وداعته وفي ثورته ، في همسه الناعم وفي جبروت صخبه ، في انسيابه هادئا لينا يتأمل، وفي هرولته كأنه يريد أن يلحق بموعد فات ، وفيما ترسمه الرياح على صفحته من صور واشكال وتكوينات لا نهاية لها – أترى في كل هذا زادا لروح الشاعر التي لا تفتأ تحس الوحدة والوحشة والحرمان ...ذلك الظمأ اللانهائي الذي لايكاد يرتوي حتى يحس لوعة العطش من جديد ، العطش الى الاندماج في الكون الوسيع الذي لا يجد خيرا من البحر صورة له ورمزا ؟..

كم وقف الشاعر ازاء البحر ينصت الى تسبيحاته صاخبة او وادعة ، والى ولولة الريح تلطم الماء في عنف ، او همسات النسيم كأنه ينقل الى الماء رسالة حب فيحس أن في كل هذا شيئا موجها اليه ، ان هناك رسالة تفد اليه على هذه الانغام ، والا فلم تتسلل الى روحه وتسبي قلبه وتفعمه بالخواطر والاحساسات التي يجهد في تبينها وفك رموزها فيفلح – ولكن الى حد – ويظل

إبراهيم ناجي



باقيها على حاله من الغموض والعمق والحلاوة والسحر ؟ ...

الوفاء للحب والبحر

كانت منحة الطبيعة لابراهيم ناجي (١٨٩٨ _ ١٩٥٣) هي القلب الكبير والحساسية المفرطة ، والروح الانساني البعيد الآفاق ... فلا عجب أن يعرف ناجي الحب وهو غلام يافع ، ولا عجب أن يألف البحر ويصحب حبيبة القلب الى الشاطىء كأنهما في ضيافة قلب حنون ...

ويتكرر اللقاء عند صخرة تطل على الماء ، ثم يحدث ما لابد أن يحدث ، فيتدخل الدهر الذى لا يبقى على شيء ويفرق بين الحبيبين ، ويذهب ناجي الى الشاطىء وحيدا هائما ملتاعا لا يجد بين الاحياء من يبثه شجونه ولواعجه ، ولا يجد الا الصخرة التى طالما شهدت لقاءهما فيفضى اليها بنجواه ... ولم يكن ناجي في ذلك الحين قد جاوز الثالثة عشرة :

هل انت ســـــامعة انيني
يا غاية القلب الحـــــزين
يا قبلـــــــــــة الحب الخـ
ـفي وكعبة الامـــــل الدفين
انى ذكــــــرتك باكيـــــا
والافق مغبـــــــر الجبين
والشمس تبدو وهي تغـــــ
ـــرب شبه دامعـــة العيون
امسيت ارقبهـــــا عـــلى
صخر وموج البحـــر دوني
والبحر مجنون العبـــــــا
ب يهيج ثائره جنـــــوني

ورضـــــاك انت وقايتي
فـــــلماذا غضبت فمن يقيني ؟

وتتكرر هـــــذه الصورة في شعر ناجي ، تجد فيهـــــا الوفاء للبحر ، والوفاء للحب ، فبعد سبعة عشر عاما يوجه شعره مرة أخرى الى صخرة بين البحر والصحراء كان يلتقي عندهـــــا مع الحبيبة ويستلهم البحر اشعاره ..

وفى هذه القصيدة تبرز صورة أخرى من صـــور الحساسية المفرطة يسعد بها صاحبها لانها تجعل حيـــاته غنية خصبة واسعة الآفاق ، ويضيق بهـــا أحيانا ، لما تسببه له من ألم فادح ، ولكنه لا يلبث أن يتمرد على التمرد ويحن الى مشاعره الفوارة ويباركهـــا رغم الآلام واللوعات :

سألتك يا صـــــخرة الملتقى
متى يجمع الدهر ما فرقـــا
يا صـــخرة جمعت مهجتين
أفاءا الى حسنهـــا المنتقى
اذا الدهر لج باقــــداره

اجدا على ظهرها الموثقـــا
قرأنا عليك كتاب الحيـــاة
وفض الهوى سرها المغلقـــا
نرى الشمس ذائبة في العباب
وننتظر البـــدر في المرتقى

ويحادث صخرة العهد عن حيرة قلبه بين الحب والسلوى :

شكا اسره في حبال الهوى
وود على الله ان يعتقـــا
فلما قضى الحظ فك الاســـــ
ـــــر حن الى اسره مطلقـــا

ويستبد الشوق بالشاعر في وحدته فيذهب الى البحر ، حزينا ملتـــاعا فيسأله عن الحبيبة وانبائها :

يا نسيم البحر ريان بطيب
ماالذى تحمل من عطر الحبيب
صافحتنى من نواحيـــك يد
تمسح الدمعة عن جفن الغريب
وتلقانى رشــــاش كالبكا
وهدير مثل موصول النحيب

الشاعر والليل والبحر

واذا كان الليل هو عالم الشعراء والمتشردين – كما يقول جبران – فكم من مرة خلف ناجي الحياة وأعباءها وراء ظهره ، ولم يكن يتاح له ذلك الا في المساء ، وقصد البحر تتصفو نفسه وترق وتتدفق مشاعره نغما عذبا :

في هدأة الاظــلام
أحبــا مع الامواج
أحيا على الانغـــام
من مـــائك الرجراج

ويظلّ على ولائه لصخرة العهد :

الصخرة الســمراء
راحت تنـــاديني
والنجمة العــذراء
أمست تنــاجيني
***
والرمل والاصــداف
في بهجـــة العرس
والشــاطيء العراف
محبـــب الهمس

ولكن الانسان لا يحيـــا بالعاطفة وحدها ولابد له أن يعيش في دنيا البشر وفيها ما يسر وما يسوء وفي خضمها يختلط الخير بالشر اختلاطا محيرا ، وتعلو كلمة الباطل حينـــا ويتجبر ، وتختنق الحقيقة ويحار العقل وتنتـــابه الشكوك ، ويحاول أن يخرج من ظلامة حيرته فلا يجد الطريق سهلا .

ويقصد ناجي البحر عله يساعده على الخروج من حيرته :

البحر اساله ويســـالني
ما فيه من ري لظـــامئه
متمـــرد عات يضللني
كذب السراب على شواطئـــه

ورغم الحيرة التي لا دواء لهـا يظلّ القلب الوفي مفتونا بالبحر :

قلت للبحر اذ وقفت مساء
كم أطلت الوقوف والاصغاء
وجعلت النسيم زادا لروحي
وشربت الظـــلال والاضواء

لقطة تذكارية للشـــاعر ابراهيم ناجي يلـــقي قصيدته المشهورة « البحر أساله ويسالني » . . .



لكان الاضواء مختلفات
جعلت منك روضة غناء
مر بي عطرها فاسكر نفسي
وسرى فيجوانحي كيف شاء

ولكن حيرته تلح عليه وتفرض نفسها على فكره ولغز الوجود يستعصى على الحل ، ويقيس الشاعر نفسه الى الابد فيحس هول الطبيعة وجبروتها وابديتها . اما الانسان فمازال ذلك الكائن الصغير الذي لا يستطيع شيئا ازاء القدر عندما يقسو عليه ويتنكر له :

وهدير الامواج يعصف كالرعـ
ـب بنفسي وفي وحدتي الخرساء
صارخ انت في ظلام على الار
ض وان كنت في شفيف الضياء
انت اعمى يسير في وحشة القفـ
ـر وحيدا يدب في الظلماء

وهكذا ترجح كفة الاسى ويروح ناجي يلتمس الاعذار للبحر الذي لا يستطيع أن يرئ له جرحا :

نشوة لم تطل صحا القلب منها
مثل ما كان او اشد عناء
انما يفهم الشبيه شبيها
ايها البحر ! نحن لسنا سواء
انت باق ونحن حرب الليالي
مزقتنا وصيرتنا هباء
انت عات ونحن كالزبد الذا
هب يعلو حينا ويمضي جفاء

***

كل يوم تساؤل ليت شعري
من ينبي فيحسن الانباء
ما تقول الامواج ! ما الم الشمـ
ـس فولت حزيلة صفراء

تركتنا وخلفت ليل شك
ابدي ، والظلمة الخرساء
وكان القضاء يسخر مني
حين ابكي وما عرفت البكاء
ويح دمعي ، وويح ذلة نفسي
لم تدع لي احداثه كبرياء

هل في هذه الابيات ما يوحي بأن ناجي قد تنكر للبحر ؟ ابدا ، ان الصلة القوية بينهما تبقى والاحساس بالقرابة الروحية يزداد عمقا ويروح ناجي يحلل مشاعره ويعترف للبحر أن التصور يأتي من ناحيته هو :

هو روحي الذي يحاكيك في البا
س ولكن يؤوده عبء جسمي
فاذا ما اجتلاك والجسم غفلا
ن توخاك في مضاء وعزم
هو روحي الذي يحاكيك يا بحـ
ـر ويخشى قلبي الجزوع اذاكا
ضعضع الجسم عزم روحي المعنى
يا اخا الروح بث فيه قواكا

اين شط الرجاء

وعندما يكون ناجي في المدينة ولايجد سبيلا الى البحر يقصد الى النيل يبثه صباباته ويشكو الحرمان والظما :

يا نهر رويت كل ظامي
فـراح ريان ان يذق
فكن رحيما على اوامي
قلبي قد بات يحترق

***

يا نهر لي جذوة بجنبي
هادئة الجمر بالنهار
فان دنا الليل برحت بي
وساكن الليل كم اثار

***

وقفت حيران في ازائك
فهل يرى منك مسعد
وددت القي بها بمائك
لعلها فيه تبرد

ويشكو ناجي الى النهر هوان الحياة والاحياء ... يستعرض تلك الصور التي كان يتمنى أن تختفي من الحياة ولكنها تزداد وتتكاثر ويصاب الشاعر بالوجوم

والاسى الذى لا يستطيع له دفعا ويشكو محنته بالناس الى النهر :

طال بنا الصمت والجمود
لا البحر يوحى ولا الغدير
يا عالم الضيم والقيود
برحت بالطائر الاسير

***

يا ايها العالم الاخير
ماذا ترى فيك من نصيب
اراحة فيك للضمير
ام موعد فيك من حبيب

***

مللت فى هذه العوالم
مهزلة الموت والحياة
وصورة القيد فى المعاصم
ووصمة الذل فى الجباه

ويلح به الياس فيرى نفسه ملاحا يستغيث ، والزورق يغرق والبحر لا يابه ... بل ان ماءه هموم :

اين شط الرجاء
يا عباب الهموم
ليلتقى انواء
وتبارى غيوم

***

البلى والثقوب
فى صميم الشراع
والضنى والشحوب
وخيال الوداع

كبرياء الهموم

ولعل ناجى قد عرف بالتجربة ان البحر يرد اليه انسانيته ويجلوخصائصه التى لا تجد لها مكانا فى عالم البشر الذين يلتقون ويتفرقون فى اسار المادة ، ولا فكاك منها اذا اراد الانسان ان يجد لقمة العيش ، ولذا قال فى احدى قصائده :

.... وانا ابدا يومى بالمساء

وذلك بعد ان ينتهى من أعماله ، وعالم ناجى كطبيب لفناحيته الانسانية الرفيعة ؛ ولكنه طب الابدان وما يخلفه من انطباعات مفعمة ألما وتعاسة ... تعلم ناجى أن يقصد الشاطىء كى يلتقى بالانسان الكبير الذى يعيش داخله فيرتد اليه ايمانه بنفسه ويعثر على معدنه النقى ، ويشعر بتعاسة الحياة وقدرته على مواجهة كل ما تاتى به...

بين الياس والرجاء

ومهما علت نبرة الالم فى شعر ناجى فهو يظل دائما مفتونا بالحياة يغفر لها ، كما كان يغفر لمن يحب ، يهديه احساسه الفياض ومشاعره الرقيقة الى مواطن الفتنة والجمال ، ولان عنصره الحب يحس انه فى حضن أمه الطبيعة فلا يرى فى الموت نهاية بل اندماجا فى الكون الوسيع فيهتف :

يا ليتنى موجة
من موجك الهدار
القى مع اللجة
سرا من الاسرار

وتمضى السنوات والشاعر يحيا بين يأس ورجاء يغزل الفرحة من احساساته الباطنة فتأبى تجارب الحياة الا ان تحيلها الى مرارة واشجان فلا يرى فى البحر « الروضة الفناء » ولا « بهجة العرس » ولا « الظلال والاضواء » :

صورة للبحر ام صورة نفسى
عندما النفس من الياس تثور
قد علا الموج وقد عز التأسى
لم يعد الا عباب وصخور

***

غرب الحظ كما مال الشراع
هكذا الاعمار فى الدنيا تميل
وسرت فى الجو اشباح الوداع
وتنادى كل شىء بالرحيل

وهكذا يمضى العمر بين يأس ورجاء. بين لهفة محرقة وامل لا يتحقق حتى تلوح مغارب العمر واطياف الوداع والشاعر لا يجد فى الدنيا بابا للعزاء ، ولكنه ينظر الى ما وراء البحر ويهتف :

اذا اشتد على القلب البلاء
اذا جار عباب وتناهى ...
تعصف الامواج عصفا بالرجاء ؟
كيف ننسى ان للكون الها ؟



شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم الانتاج العربي المشرف للصناعة العربية
أحدث إنتاج على أسس علمية
مصنوع من الصاج المطلي بالمينا
شوايات
للحوم والدواجن
مقاسات وأحجام مختلفة
جذابة
اقتصادية
تعمل:
بالكهرباء
بأنابيب البوتاجاز
بالفحم
لاقت الشوايات اقبالا في الدول العربية الشقيقة
والشركة على استعداد للتصدير
لمختلف بلاد العالم خصوصا
الدول العربية الشقيقة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي / الحضرة - الاسكندرية
معرض البيع : ٤٥ شارع صفية زغلول بالاسكندرية

● الغلاف الأول ●



« ادب البحــر »
لوحة للفنان جمال قطب

● الغلاف الأخير ●



« صــيد البحـر »
لوحة للفنان حسنى البنانى

من القائل ؟

١ ـ ودع الصبر محب ودعـك
ذائع من سره ما استودعك
يا اخا البـدر سناء وسنى
حفظ الله زمانا اطلعـك

*

● ابن زيدون ـ احمد شوقى
ـ زكى مبارك

***

٢ ـ اكبر عبء يحمله الانسان فى الحياة ، هو شعوره بانه لا يحمل اى عبء بالمرة ٠

*

● برنارد شو ـ برتراند راسل
ـ ديكارت

***

٣ ـ قلم المـاذون هو خرطوم الاطفاء، الذى يخمد النار المتاججة فى قلوب العشاق !

*

● احمد رامى ـ عبد العزيز البشرى ـ محمد البابلى

● الاجوبة ●

١ ـ ابن زيدون

٢ ـ برتراند راسل

٣ ـ احمد رامى




الهلال
عدد خاص
فلاسفة
الإسلام
اليواسف الأربعة
أعلام القصة

الهلال

سبتمبر ١٩٧٢

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال –
العدد التاسع –
السنة الثمانون –
أول سبتمبر ١٩٧٢ –
٢٢ رجب ١٣٩٢

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم – من الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ؛ فى الاردن والعراق ١٢٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : ١٢٥ عددا ، فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات أو ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل الصرف فى ج . م . ع – والأسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المبينة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

يوسف السباعي في مرآة النقد



في هذا العدد



الزهاوي: نظم «النبوة والارتقاء» شعراً



د. عبد العزيز كامل: الفكر الديني المعاصر

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

عندما انشا افلاطون جمهوريته الخيالية الفاضلة ، جعل الحكم فيها للفلاسفة ، لانه كان يرى ان الحياة لن يسودها الحب والسلام والرفاهية الا اذا حكمها الفلاسفة .

ولا احسب ان احدا يختلف معي اذا قلت ان العرب لم يعرفوا الفلسفة قبل بعث محمد عليه الصلاة والسلام برسالته العامرة .

يومئذ ، هبط على القوم نور يخرجهم من بداوة الجاهلية الى حضارة الاسلام ، ويفتح لهم آفاق التأمل والتفكير والاجتهاد ، ويحضهم على طلب العلم ، ويبشر العلماء بانهم سادة الناس بعد الانبياء ، وينقلهم من عبادة الأحجار الى سموات الروح ومرتقيات الفكر ..

وهكذا نشات الفلسفة الاسلامية ، فلسفة روحية انسانية مؤمنة ، لا تقيدها « المادة » باصفاد الجمود ، ولا تدفعها الهرطقة الى ادغال الشرود .

وبهذه الروح نقدم هذا العدد من « الهلال » ليلم القراء ببعض ابعاد الفلسفة الاسلامية التي تمد هذه الأمة بالروحانية، وتدعم العلم وتزكي الايمان ، وهما السبيلان الى النصر .

● صالح جودت ●

د. عبد العزيز
كامل

الفكر طريق إلى الإيمان

● ثلاثيات :

الذين يدرسون موضوعا كبيرا كالدين او العلم او التاريخ الانسانى ، يطيب لهم فى كثير من الاحيان محاولة تبسيط الحقائق عن طريق اظهار حركاتها الكبرى ..

التاريخ عندهم قديم ووسيط وحديث .. الفكر الانسانى مر من عصر الخرافة الى الدين الى العلم ...

ونرى هذا حتى الى الفن . فالكوميديا الالهية لدانتى الايطالى مقسمة الى الجحيم والمطهر والفردوس .

المجتمع المعاصر مقسم الى المعسكرين الكبيرين ثم العالم الثالث ، وهو يمثل امتدادا ضخما الى جانب المعسكرين الاول والثانى .

وهم من قبل هذا قسموا البشر الى ثلاثة اجناس كبرى .

القوقازى والمغولى والزنجى .

ومع أن هذه التقسيمات لاتلقى قبولا اجماعيا من الباحثين ، الا انها تمثل خطأ فكريا مازلنا نرى آثاره فى الدراسات البشرية ، بعامة والفكرية بخاصـــة . ذلك لان التبسيط يحـــوى بطبيعته قدرا كبيرا من التجاوز . واذا كـــان حديثنا اليوم عن الدين ، فنحن عمليا لا نستطيع أن نفصل بينه وبين العلم ، كما ان بعض جـوانب من الفـكر الذى علق بالدين هو الى الخرافة اقـــرب وجوهر الدين منــــه برىء . ولـكن فى حيـــــاة الانســــــان تتعايش او تتفاعل الافـكار الدينية فى صفائها مع اشراقات العـلم وغيـوم الخـرافة .

واذا ما نظـــرنا الى ثلاثية الخـــــرافة والدين والعلم . وجدنا أنه لا مجـــال للدفاع عن الدين فى عصر كان الدين هـــو سمته الكبـــــرى ، وهو ما يقابل اصطلاحا . العصور الوسطى » وانما ينبغى أن يتجه القول اكثر ما يتجـه الى وضع الدين فيما يسمى « بعصر الخرافة » ثم الى وضعه فى « عصر العلم » الذى نعيش فيه .

أقول هذا ونحن نبنى مجتمعنا على العلم والايمان .

الوثنيون وايمانهم

وفى الفكر الدينى كثيرا ما نقرأ أن الانسان بدأ بعبادة مظاهر الطبيعة من حوله خوفا وطمعا . وهذه الصـــور نستطيع أن نراها فى الحضـــارات القديمة . وما زالت نماذج منها حية فى قلب افريقية .. وارتقى الانسان الى عبادة عدد محدود من الالهة : اثنين واربعين كما فى فترات من حياة مصر القديمة ، وتسعة احيانا ، واكثر من هذا واقل ... وسار الى ثلاثة ، والى اثنين يمثلان النور والظلمة . وانتهى به المطاف الى التوحيد المطلق

الذى نراه فى الاسلام ، حيث الراحت هو الذى يقوم بنفسه ، ما دونه كسور وما فوقه تعدد ·

وغلب الايمان بالله الواحد على ديارنا مهبط الاديان السماوية الكبرى ·· ومع تباين فى التصور والتجريد والتجسيد يؤمن كل من اليهود والنصارى والمسلمين باله واحد · تنص على هذا كتبهم ولا اريد ان اقف فى هذا البحث عند قضايا الذات والصفات والاقانيم وربط الاله بشعب من الشعوب ·

هذا الخط الفكرى يذهب اليه الذين يؤمنون بمدرسة التطور ، وان كانت المدرسة الوصفية فى الفكر الدينى لا تعنى كثيرا بخط التطور الذى استقطب جانبا كبيرا من الفكر الانسانى بعدما نادى به « داروين » ·

والذى ارد ان اقف عنده قليلا : ان القول بالتعدد عند القبائل الوثنية خضع لدراسات علمية حديثة القت عليه ضوءا يكشف جوانب جديدة من الفكر الدينى عندهم ·

وليس فينا من شهد مولد الحياة البشرية على الارض ولا مولد الدين· وليس امامنا بعد النصوص الدينية الا ان نقرا فى كتاب الحياة المفتوح · فى هذه الشعوب التى طالما رميناها بالوثنية ، لنرى فيها صورة اقرب ما تكون الى فجر الحياة الانسانية ·



فى قلب افريقية

وسنرحل معا ـ فكريا ـ الى قلب افريقية · ودليلنا فيها بحث كتبه الاستاذ « هانزبرى » عن الديانات الافريقية المحلية ونشره فى كتاب « افريقيا كما يراها الدارسون من الزنوج الامريكيين (١٩٥٨) » وهذا الكتاب حلقة من سلسلة من الدراسات العميقة قام بها ابناء افريقيا فى امريكا ، حاولوا فيها ان ينظروا الى قارتهم من جديد بعيونهم هم، لا بعيون المستعمرين · وان يعيدوا تقييم حياتهم وقارتهم · وهو يتراكب مع جهود كبيرة من ابرزها ما اتجه اليه « اليونسكو » اخيرا « وما يضع خطوطه الرئيسية هذا العام ١٩٧٢ ، من كتابة التاريخ العام لافريقية ، على اساس من اظهار وحدتها الحضارية ·

وبحث الاستاذ « هانزبرى » يستند الى تقارير اصيلة لباحثين يرجعون الى مطلع القرن السادس عشر وما بعده حتى القرن العشرين ·

فهو ينقل عن الدكتور « داير » (١٦٦٨) ودراسته من اعظم الدراسات الواعية عن ممالك وثقافات افريقية المدارية · وقد كتب عن مواطنى مملكة بنين · وكانت وقت ذاك من اعظم دول ساحل غانا « انهم كانوا شعبا دمث الاخلاق · يعيشون معا فى سلام وتسودهم عدالة وقوانين صالحة ·· وعرفوا حق المعرفة ان هناك الها فطر السمواتوالارض وهو حاكمهما »

وتتعاقب الدراسات ···

يقول « دافيد فان نايندال » عن – مملكة بنين . ليست لديهم فكرة خاطئة عن الله . فهم ينسبون اليه صفات القدرة والعلم بكل شيء وعدم امكان رؤيته . ويؤمنون انه يسير الاشـــياء كلها بحكمته . ولان الله لا يمكن رؤيتـــه فانهم يقولون بانه من الحمق صنع اية تماثيل تجسيدية له ، ويصرون على استحالة صنع صورة لمن لم تره عين »

ويقـــول « منجوبارك » – وكانت دراسته في العقود الاخيرة من القـــرن الثامن عشر ، وقد درس دول غانا ومالي والصنغاي – ويقول عن السكان غير المسلمين هناك « ولقد تحـــدثت مع اناس من جميع الطبقـــات عن عقيدتهم ، واستطيع ان اجـــزم دون ادنى شك – انهم يؤمنون باله واحد وباليوم الاخـــر وما فيه من ثواب وعقاب · ويعتقـــدون ان الله خالق الاشياء جميعا » ·

وبعد هذا بنصف قرن جاء مبشر امريكي هو « ليتون ولسون » ليقول « بين الشعوب الوثنية في ســـاحل غانا ، وما بين الـــــراس الاخضر والكمرون ، يسود ايمان بكائن اعلى خلق الاشياء جميعا وحفظها ، ولا يشوب هذه الفكرة في اذهانهم غموض او نقص · بل ان هذه الفكرة محفورة في طبيعتهم الاخلاقية والعقلية حتى ان الالحاد في اية صورة من صوره هو عندهم سخف وانحـــــراف عن الصواب لا يستحق حتى عنـــــاء الانكار » ·

وبينما كان « ولسون » يقـــوم بدراساته في غرب افريقيـــــة كان « لفنجستون » يقوم بدراســـــات في منطقة الزمبيزي يقول عنها « لدى كل الاهالي في هذا الاقليم فكرة واضحة عن الكائن الاعلى خالق الاشـــياء جميعا والمهيمن عليها · وهم جميعا ومن حولهم يؤمنون بوجود الله وخلود الروح والمجازاة على الخير والشر »

واضيف الى هذا تاكيدا آخر من القرن العشرين جاء في كتابات العلامة الفرنسي الكبير « موريس ديلافوس » (١٨٧٠ – ١٩٣٦) فهو يذهب الى ان التصوف الديني عند الافـــريقي لا يسيطر على نظرته الى الدنيا فقط ، وانما يتعداها الى عالم الغيب · فكل نشاط فردي او جماعي سواء اكان ذا طبيعة اجتماعية ام ســـــياسية ام اقتصادية ام دينية تتحكم فيه اساسا اعتبارات ذات طبيعة صوفية ودينية ·

ويذهب « ديلافوس » الى ان الزنوج الذين يقال عنهم انهم لا دين لهم هم في الواقع من اشد شعوب العـــالم تدينا ·

بل ان الافريقيين يطلقـــــون على الخالق الاعلى صـــــفات نراها في الاديان السماوية الكبرى : الخالق · الهادي · الحفيظ (على العالم) ·

ونود ان نقف عند هذا الحد من اعتمادنا على بحث « هانزبري » ، وفيستايع – في تفصيل – نظرة الافريقي الى العلاقة بين الله والانسان وفكرة

الروح الخ .. فالذي يعنينا اساسا هو وجود « الايمان بالله الكبير المتعال » عندهم .

هذه النظرة قد لا تتفق مع المدرسة التطورية . ولكن هذه البحوث العلمية تؤكد وجود الايمان بالله فيما تعارف كثير من الباحثين على تسميته بعصر الخرافة .

عودة الى الاسلام

واذا ما عدنا الى كتاب الله ، نسأله تفسير ذلك قرأنا قوله تعالى عن رسله « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » وقوله تعالى « وان من امة الا خلا فيها نذير » وقوله عن الايمان واسلام النفس لله « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

نعم . انها فطرة الله ..

تراها وسط الغابة العذراء ...

تراها فى قلب افريقية ...

تراها عند شعوب طالما نعتها بعض كتاب الغرب بالتخلف والتأخر ، ليتخذ من هذا تبريرا لاستعمارها واستنزاف خيراتها .

انه يدعى القيام بواجب تطويرها . فهذا عنده عبء الرجل الابيض . ولكن البحث المنصف والنظرة المتأنية تثبت وجود الايمان وجذوره الاصيلة فى النفس الانسانية .

قد تشوب هذه النظرة بعض الخرافات . وقد يلحق بها شيء من الزيف . ولكن الحقيقة التى تسيطر على هذا كله هى الايمان بوجود الله الكبير المتعال .

ولا نستطيع - على اساس علمي - ان نجد جماعة بشرية لا دين لها . الدين مرتبط بالحياة . والانسان بهذا كائن مؤمن . هذه هى الفطرة . وهذه هى النظرة العلمية لهذه الشعوب .

ونستطيع بعد هذا ان ننتقل الى وضع الدين فى عصر العلم .

فى عصر العلم

والفكر الدينى المعاصر يمر فى تفاعل كبير من ابرز مظاهره :

١ - انحسار فى المد الدينى فى عدد من الدول امام الفكر المادي . ولكن جانبا من البحوث الحديثة فى هذه الدول وبخاصة فى مجالات علم النفس ابرزت امام العلماء ظاهرات وقف امامها العلم المادى حائرا . وهذه الظاهرات تؤكد وجود قوى وراء الحس المتعارف عليه .

٢ - عمق الفكر الدينى وبخاصة فى العالم الثالث . وذلك لارتباط الشعور القومى والرغبة فى التحرر من السيطرة الاستعمارية ببعث كل القوى القومية ومن بينها الدين لتكون مددا لمعارك التحرير والتطوير . وليس هذا البعث مقتصرا على الاسلام وانما هو ظاهرة تشمل المسيحية بكنائسها المختلفة واليهودية والهندوكية والبوذية .

٣ - ان هذا البحث يستهدف ربط الدين بالحياة ، بحيث يصبح الدين مددا لهذه الحياة ، لا عقبة فى سبيل تطورها . وحين اقول الدين فلا جدال فى ان جوهره الصافى يمد الحياة

بزاد قوى ، وانما القضية فى موقف بعض رجال الدين ـ أى دين ـ من قضية التنميـــة وما يرتبط بها من تغييرات فى المجتمع ·

وليست مهمة الدين هنا ان يبرر امرا قائما وانما ان يكون عونا على الحياة ·

٤ ـ وفى دول اخرى متقدمة حاول رجال الدين القيام بهذا الربط ، بينما انصرفت طوائف من المجتمع عن الدين انصرافا جزئيا او كليا فرحين بمـا اوتوا من العلم ومتع الحياة · كأن هذه الحياة هى كل شىء · لا قبل ولا بعد ·

وهنا نجد أنفسنا على مفترق طريقين فى البحث :

١ ـ طريق مع الذين لا يؤمنون ·

٢ ـ طريق مع الذين يؤمنون ولا يعملون أو يتطورون ·

ولنبدأ بالطريق الاول ··

مع الذين لايؤمنون

واهل الدين يلجــأون عادة الى براهين اذا كانت محددة المسالك فهى مختلفة الوسائل او على الاصــح متطورة الوسائل ·

يتحدثون عن دليل الصانع · كـل مصنوع له صانع · وعن دليل الغاية ·· فلكل عمل غاية وجزاء ·· وهـذا الكون الى غاية وجزاء · وعن دليل الكمال فنحن نستهدف الدقة والكمال فى كل شىء · فلا بد من الكمــال المطلق ·

فالله فى الاسلام « هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم »

> الدين ليس بديلا للعلم ولا منافسا لتطوير الحياة . إنه عصارة حية تسري في جسم المجتمع " انه صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة

هو ـ الذى احسن كل شىء خلقه »

وينبغى مع تطور العلم ان نتخـذ منه اداة لتاكيد الايمان · دليـــل الصانع · دليل الكمال · كل اولئك نستطيع ان نؤكده بكشوف العـــلم الحديث ·

واصبحت المؤتمرات الان تعقد على الصعيد العالمى لوضع العلم فى خدمة الدين · وقد لا يتسع المجال لعرض تجارب الاديان الأخرى · ولكنى أود أن اقول فى ايجاز : ان علمــاءهم المختصين يجتمعون ليضع كل منهم خبرة علمه فى خدمة دينه · وتعطى هذه المادة العلمية الى رجال الدين ليحولوها الى عظات ومؤلفات· ويتابع رجال الدين تطبيق التجـــربة على الطبيعة ، وتقييمها وتطويرها ·

هذه المسائل لا تعالج فى عالمنا المعاصر بحساسية ، وانما لهــــا مؤتمراتها ومؤلفاتهـــا · ونحن فى أشد الحاجة الى تطوير وسائلنا على هدى من هذه الوسائل · فهى منهج علمى انسانى غير متقيـد بدين من الاديان ·

علم كلام جديد

وإذا كان آباؤنا في العصر العباسي قد قابلوا التفاعل مع الفكر اليوناني والفارسي والهندي « بعلم الكلام » وبذلوا ما بذلوا من جهد في تأكيد العقيدة والدفاع عنها . وقام الحوار بينهم خصبا بين الاديان والمذاهب المعاصرة فمن أجل ذلك ذهبت وفود الى بلاد الروم ، وجاءت كتب ونشطت حركة الترجمة .

وما أحرانا الآن بأن يكون لنا « علم كلام جديد » يقابل مشكلات العصر بفكر العصر ، ويضع منجزات العلم في خدمة الدين ويكون قريبا من فكر شبابنا وعقله .

نماذج

ولعل النماذج توضح شيئا من ذلك ...

عالم النحل على سبيل المثال كان مجال دراسات مستفيضة من أبرزها دراسات العالم « فون فريتش » . ولقد بين بها أن النحل له لغة يتفاهم بها ، لغة من الرقص والحركة .

● هناك الرقصة الدائرية التي تتخذ صورة دوائر صغيرة متتالية في اتجاه عقرب الساعة ثم تعكس اتجاهها .. وهذه يستخدمها النحل للدلالة على المسافات التي تقل عن مائة متر .

● رقصة الذنب وهذه على شكل رقم 8 وهي لما زاد على مائة متر .

● ولاحظ الباحث ان النحلة تستطيع أن تستعين باتجاه رأسها على تحديد مكان الهدف (الزهور) بالنسبة الى الخلية ؟

فاذا كان الرأس الى أعلى كان الطعام في اتجاه الشمس وإذا كان الرأس الى أسفل كان الطعام عكس اتجاه الشمس .

● ولاحظ ان النحلة لا تواجه الشمس دائما بحركة رأسها في رفعها وتنكيسها ، وانما تنحرف احيانا عن هذه المواجهة يمينا او يسارا بزوايا انحراف متباينة . وزاوية الانحراف هذه تثبت ان ضلعيها :

– الخط الوهمي الممتد بين الخلية واتجاه الشمس وهو الخط الاساسي عند النحلة .

– الخط الوهمي الممتد بين الخلية ومكان الطعام او الزهور .

فالنحل بهذا يستخدم الشمس في تحديد مكانه وتحديد زاوية انحرافه عنها . وهذه هي بوصلة الشمس التي يستخدمها النحل في صفو السماء وغيمها ويحدد بها سبيله .

ولنقرأ مع هذا قول الله تعالى :

« وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا » .

إن ديني هو إيماني العاطفي العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا في الكون المعجز للإفهام ومن هنا ينبع الإيمان بالله

«أينشتين»

ولنقف متأملين فى قوله تعالى ، « فاسلكى سبل ربك ذللا » .

ومازالت الدراسات مستمرة ، وعرف الانسان بها جانبا من منطق الطير .

وهناك آفاق واسعة فى عالم الحشرات والاسماك .

بل والانسان وبديع صنع الله فيه، وما يكشف العلم من قوى مذخورة .

ولنا بعد هذا أن ننتقل الى عالم الطيور وما فيها من هجرات جبارة تصل الى خمسة الاف ميل فى الرحلة .. ثم ننتقل الى عالم الفلك ومواقع النجوم ، ثم الى عالم الذرة والوزن الذرى للعناصر . والروعة المعجزة فى جدول « مندليف ، وترتيب العناصر فيه كأنها سلم موسيقى . وكيف انتهى الانسان الى تحويل المادة الى قوة .. وتبقى بعد هذا الجاذبية وهى تلك الرباط الذى يربط الكون كله . بقى الزمان والمكان ويربط بينهما « اينشتين ، فيجعلهما شيئا متواصلا فى أعماق الحقيقة :

ولنذكر قوله « ان دينى هو ايمانى العاطفى العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا فى الكون المعجز للافهام . ومن هنا ينبع الايمان بالله » .

كل هذه أساليب حديثة يمكن ان نستعين بها على تأكيد العقيدة واثبات الايمان بالله .

مع الذين يؤمنون ولا يعملون

فاذا ما أحسنا عرف العقيدة والايمان كان علينا بعد هذا أن نربط بينهما وبين واقع الحياة . ان العقيدة بالنسبة للانسان دافع الى عمل ، وعاصم من الانحراف ، ومعيار للمستوى الاخلاقى الذى نمارس به الحياة .

الدين ليس بديلا للعلم ، ولا منافسا لتطوير الحياة .

انه عصارة حية تسرى فى جسم المجتمع . انه « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .

أنت تراه فى السياسة والادارة والاقتصاد والاجتماع .

تراه على مستوى الفرد وعلى مستوى الاسرة والمجتمع والانسانية كلها .

هو ترجمة قوية لاهدافنا وعمل صادق من أجلها .

ما الدين عند الطالب ؟ انه عكوف على عمله وعناية بصحته واداء لواجبه نحو وطنه ليكون مددا لكل من الجيش والجبهة الداخلية .

ما الدين عند الجندى ؟ انه استعداد متكامل وسلاح قادر على ارهاب الخصم واستيعاب للعلم الحديث ، وتعاون وتلاحم مع قيادته وزملائه وثبات فى المعركة .

ذلك أن نقول هذا عن كل موقع ..

وعلينا ان نترجم الدين الى واجبات وثيقة الصلة بالحياة . هكذا يفعلون، وعلينا ان نفعل ..

ولا نكتفى فيه بمجرد الوعظ النظرى ولا مذهب الرفض لكل جديد ، ولا ادانة اى تطوير . وانما تفاعل صادق مع الحياة يثريها ويثرى بها على مسيرة مبصرة الى غد واضح مخطط شعاره العلم والايمان ...


« ... واذا ما عدنا الى كتاب
الله ، قرانا قوله عن الايمان
واسلام النفس لله : « فاقم
وجهك للدين حنيفا فطرة الله
التي فطر الناس عليها »

يتصـــور الناس بعامة أن شـــيخ المعرة ، وفيلسوف العروبة وشاعرها وعالمها الخـــالد ، رجلٌ سئم الحياة وتكاليفها ونأى عنها كل النأى، واكتنفته سلبيةٌ رهيبة ، فعـــــاش غير حافل بالخلق ؛ ولاآبه للمجتمع .. وخـــالوه قــــد انطوى على نفسه فى عزلته بذهاب البصر ووحدة المحبس فى بيته . ولم يكن له من أنيس فى الحياة سوى المتاع الفكرى لذاته يعبر عنه فى أماليه الشـــعرية والنثرية ، وان خلف آثاره الباقيات على الزمان ، التى سجلت مواهبه والحيـــاة فى عصره أروع تصوير ، وأعانت البشرية فى ســـلوك سبل التقدم من بعده ...

لكن آثار أحمد بن عبد الله أبى العلاء المعرى والتاريخ لعصره ، يتحدثان بغير ذلك ... ان آثار أبى العلاء جميعاً تبين فى جلاء أنه خبر الحيـــــاة والمجتمع خبرة الممارس المـــلابس المداوس ، وأحاط بأعماقهما وحواشـــيهما : وان الرواية والسماع لم يكونا وحدهما مصدر خبرته ودرايته الفائقتين بشئون العامة والخاصة فى زمانه .. وان التاريخ ليحدثنا فى استفاضة عن روابطـــه الوثقى بأعلام مجتمعه وعامتهم ، ومشـــــاركته التامة فى معالجة مشاكل الحياة المختلفـة ..



د . سيد نوفل

أبو العلاء ... حياته وفلسفته

ولد أبو العلاء عام ٣٦٦ هـ (٩٧٩م) فى قرية « معرة النعمان » بشمالى الشام بين حلب وحمص . وعاش ثمانين عاما سويا الى أن توفى لمنتصف القرن الخامس الهجرى ولأواخر العقد السادس من القرن الحادى عشر الميلادى .. وأسرته عربية عريقة موسرة تنتمى الى قبيلة تنوخ ، وكان منها الاديب واللغوى والشاعر والقاضى . وكان عبد الله أبوه أديبا لغويا شاعرا . وعرف من اخوة أبى العلاء أبو المجد وأبو الهيثم الشاعران ، وأبو محمد وأبو الحسن القاضيان ..

وأسرة بنى سليمان ، أسرة أبى العلاء ، معروفة بوفرة العلم والفضل والتقدم فى أعضائها من قبل أبى العلاء ومن بعده .. وقد فصل الرواة أحاديثهم ، وفى مقدمتهم ابن العديم الحلبى مؤرخ القرن السابع الهجرى فى رسالته : « الانصاف والتحرى ، فى دفع الظلم والتجرى ، عن أبى العلاء المعرى » .. وكان للمعرى معاش سنوى يدفع له من مال محبوس أو موقوف قدره ثلاثون دينارا ، وهو مبلغ مرموق لذلك الزمان .

ما قبل المحبسين

وحياة أبي العلاء قبل محبسه ، هي حياة النابهين لعصره . ففي هـذه المرحلة التي امتدت خمسة وثلاثين عاما ، طاف بأرجاء الشام ، ودرس في حلب وطرابلس وانطاكية على النحاة وعلماء اللغة والادب ، ومارس فنون الشعر المختلفة التي مارسها المتنبي من قبل ، واعجب ابو العلاء بها ايما اعجاب .. ويمثل ديوانه « سقط الزند » اتجاهات المعرى الادبية لهذه المرحلة . فقد نظم في فنون الشعر المختلفة ، ومن بينها مدائح في « سعد الدولة الحمدانى » ، وان عرف ابو العلاء ببغضه المدائح . ولهذا أوضح في صراحة انه لم يطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ولا مدح طلبا للثراب .. وانما نظم هذا اللون من الوان الشعر العربي في شبابه اثباتا لمقدرته الفنية . ولعل نظمه كان كذلك اتباعا للمتنبي الذي اتخذه مثلا له في بداية حياته الادبية .

ومع تجوله في ارجاء الشام في هذه المرحلة ، فقد كان وثيق الصلة بقريته « معرة النعمان » ، بل كان اماما لاهلها ، يمحضهم النصح والعون ، ويبادلونه الود والتقدير ، ويتخذون منه خير موئل .. واية ذلك ان ابا القاسم بن على المغربي ، السياسي والكاتب المعاصر للمعرى ، حين وجه الى اهل بلدته رسالة ، يريد ان يفرض عليهم أمورا ، وان يحملهم على اتجاهات ومسالك لم يرضوا عنها ، اجمعوا على اختيار ابي العلاء المعرى للجواب عنها ، ووفق في جوابه ايما توفيق ..

رحلته الى بغداد

ودفعته حياته الاجتماعية ، المتشعبة الجوانب والاطراف ، الى أن يمد بصيرته الى بغداد العاصمة الكبرى لعهده ، ومنزل القيادة والحكمة والمعرفة . ولهذا رحل الى بغداد في عام ٣٩٧ هـ (١٠١٠ م) ، لكنه ظل بها عاما ونصف عام في رواية ، وعاما وسبعة أشهر في رواية أخرى ، وهما متقاربتان .. ثم عاد الى بلده « معرة النعمان » ، وقضى فيما سمي المحبسين : لزوم المنزل وكف البصر ، خمسة واربعين عاما .

ويقال ان أم المعرى كانت تمانع في سفره الى بغداد ، ولكنها اقتنعت من بعد برأيه . ودفعت خاله الى أن يعد له سفينة يسافر بها في الفرات . وحين بلغ المعرى القادسية اغتصب عمال السلطان سفينته واساءوا معاملته . واضطروه الى أن يسلك طريقا وعرة الى بغداد .. ومن هنا أعد قصيدته الى أبي حامد الاسفرايينى يصف سفره ، ويمدح أبا حامد وأعلام بغداد، ويناشد الفقيه صاحب الكلمة في العاصمة أن يعيد اليه سفينته ، ومطلعها :

لا وضع للرحل الا بعد ايضاع فكيف شاهدت امضائي وازماعي (١)
يا ناق جدي فقد افنت اناتك بي صبرى وعمرى وأحلامي وانساعي (٢)

وينتقل بعد حديث مع الناقة الى مدح الرئيس الفقيه ووصف سفينته ، مقارنا بينها وبين الناقة في تفضيل واضح للسفينة ، ومشيرا الى ما حل بها من عمال السلطان فيقول :

---

١ ـ ايضاع : اسراع في السير . امضاء : انفاذ للامر . ازماع : عزم ثابت .

٢ ـ انساع : جمع نسع وهو السير العريض تشد به الرحال .

الى الرئيس الذى اسفار طلعتـــــه
في حندس الخطبساع بالهدىشاع (١)
بممتــــــــــــــه وبودى اننى قلم
أسعى اليه وراسى تحتى الساعى (٢)
على نجاة من القرصاد ابدهـــــــا
رب القدوم باوصـــــــال واضلاع (٣)
تطلى بقار ولم تجرب كان طليـــت
بسائل من نقار العبس متبـــــــاع
ولا تبالى بمحل ان الم بهــــــــــا
ولا تهش لاخصـــــاب وامــــراع (٤)
سارت فزارت بنا الأنبار ســـــــالة
تزجى وتدفع في مــــــــوج ودفاع
والقادسية ادتها الى نفــــــــــــر
طافوا بها فاناخوها بجعجـــــاع (٥)

وبعد أن يتحدث المعرى عن فضائل نفسه ، وترفعها عن التكسب وطلب العون المادى ، يطلب عون الفقيه ، ويشكره ان أجاب داعيه او لم يجب :

مطيتى في مكان لست آمنـــــه
على المطايا وسرحان له راع (٦)
فارفع بكفى فانى طائش قدمى
وامدد بضبعى فانى ضيق باعى (٧)
وما يكن فلك الحمد الجميل به
وان أضيعت فانى شـــاكر داع

وقد حاول الفقيه رد سفينة المعرى اليه دون طائل ، لكن ابا احمــــــد الحكارى استطاع أن يردها اليه ، واستحق لهذا مدحه ، وأن يذكـــــر فضله بعد عودته الى المعرة ·

ويقول ابن العديم : ان المعرى رحل الى بغداد لطلب العلم ، والاطلاع على آثارها النفيسة ، ولم يرحل لطلب مال من حاكم ، او تقرب اليه · وقد عبر أبو العلاء عن ذلك فى قصيدة بعث بها الى أهله بمعرة النعمان ، جوابا عن رسائلهم بالعودة الى مسقط رأسه ·· ومنها قوله :

أأخوالنا بين الفــــرات وجلق
يد الله لا خبرتكم بمحال (٨)
أنبئكم انى على العهد ســـالم
ووجهى لما يبتذل بســـؤال
وانى تيممت العراق لغيــر ما
تيممه غيلان عنـــد بلال (٩)
فأصبحت محسودا بفضلى وحده
على بعد انصـــارى وقلة مالى



١ ـ اسفار : اشراق · حندس :ظلمة · الخطب : الامر الشديد المكروه
٢ ـ بممته : قصدته ·
٣ ـ القرصاد : شجر التوت · رب القدوم : النجار ·
٤ ـ المحل ، الجدب ·
٥ ـ الجعجـــاع : المكان الضيق الخشن ·
٦ ـ السرحان : الذئب ·
٧ ـ الضبع : العضد · البـاع :قس مد اليدين ·
٨ ـ يد الله : نعمته او قدرته · المحال : الشدة والعذاب والهلاك ·
٩ ـ تيممت : قصدت ·

وغيلان هنا هو ذو الرمة الشاعر الاسلامي عصرا ، الجاهلي الشعر منزعا . وقد قصد بلال بن ابي برده بمدائحه يطلب بره ورفده .

وذلك يدل على حياة المعرى ومكانته الاجتماعية في قومه قبل محبسه ... وقد حفظ تاريخ الادب طرفا من رسائل أهل المعرة الى أبي العلاء ، وخاصة من ذوى قرباه ، يرجونه العودة اليهم. ومن ذلك قصيدة أخيه ابي الهيثم اليه ومنها :

ابا العلاء نداء عبد ادركت
منه النوى لما نأت بك ثارا
حاشاك أن تبدى الجفاء لخلة
وتعيد أقران الوفاء قصارا (١)
ادرك بادراك المعرة مهجة
تفني عليك مخافة وحذارا
اغرت نواك بها الحمام مناجزا
ونجا بها حسن الرجاء مرارا(٢)
بلغت بك الهمم المراد فاياست
منك الحسود ولم تنط بك عارا(٣)
فاقمت في الزوراء ثم غدوت في
افق المفاخر كوكبا سيارا

ويدل على مقصد ابي العلاء من زيارة بغداد الكثير من الروايات . وهو في المقام الاول ، كما اشرنا قبلا ، الاطلاع على كتبها والاتصال بعلمائها، والنهل من المعارف العربية في اغزر منابعها ..

وفي احدى الروايات المسندة أن ابا العلاء حين رحل من المعرة الى بغداد صادف يوم وصوله اليها موت الشريف الطاهر ، والد الشريفين الرضي والمرتضى ، فدخل ابو العلاء الى المنزل للتعزية ،، ولقاء الاعلام من اهل بغداد عاصمة الدولة العربية لذلك العهد . وكان المجلس غاصا باهله ، ولكن اعتزاز المعرى بنفسه ومكانته جعله يتخطى الناس نحو صدر المجلس .. فقال له احد الجالسين ممن لا يعرفه : الى اين يا كلب ؟ فقال المعرى مباهيا بعلمه اللغوى ومحتفظا بثبات جنانه : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما ..

ثم جلس حيث بلغ من المجلس .. وقام الشعراء فانشدوا في رثاء الشريف الطاهر . وقام ابو العلاء وأنشد قصيدته الفائية ، ومطلعها :

اودى فليت الحادثات كفاف
مال المسيف وعنبر المستاف

فلما سمعه الرضي والمرتضى ، قاما اليه ورفعا مجلسه ، وقالا له : لعلك ابو العلاء المعرى ! قال : نعم ... فاكرماه واحترماه ، وسالاه مطلبه ، فكان جوابه : مطلبي هو أن تعرض على الكتب التي في خزائن بغداد . فادخل اليها ، وجعل لا يقرأ عليه كتاب الا حفظ جميع ما يسمعه ...

وسجل ذلك في شعره

يذهب المؤرخون لابي العلاء الى انه لم يطل مقامه ببغداد لاسباب يمكن ايجازها فيما يأتي :

أولا — اخفاقه في نيل الثراء .

ثانيا — سوء المعاملة التي لقيها من بعض الزعماء البغداديين ، وحسد الحاسدين لعلمه ، وكيد الكائدين له .

ثالثا — اضطراب الاحوال السياسية الذى لم يهيىء له عيشا اكثر استقرارا وطمأنينة من العيش في معرة النعمان .

وبالنسبة للثراء ونشدان ابي العلاء اياه من رحلته ، فانه يبدو امرا بعيدا عن تفكيره ، فقد اكد ، كما اشرنا قبلا ، انه لم ينشد سوى الاطلاع

---

١ — الخلة : الخليل والصديق . اقران : جمع قرن وهو النظير .
٢ — الحمام : الموت . مناجزا : مبارزا ومقاتلا .
٣ — تنط بك عارا : تلحق بك عارا.

والتوسع في المعرفة من رحلته · كما أن حالته الاجتماعية ، ويسر مقامه ومقام أسرته بالمعرة ، لا يجعل ذلك الغرض من مقاصده الاولى · كما تشير الروايات بأن المال عرض عليه كثيرا في بغداد ، وأن المعرى ترفع عنه · وسجل ذلك في شعره ··

وحسد الحاسدين لأبي العلاء ، وسوء معاملة بعض قادة بغداد له ، تروى فيه الروايات · ومنها قصته مع الشريف المرتضى · فهم يذكرون أنه حضر أحد مجالس الشريف ، وكانت صلة المعرى به وبآله وثيقة منذ قدم بغداد ورثى والده · فجاء حديث المتنبي ، وكان الشريف متعصبا عليه، فأخذ ينتقد شعره ، ويبالغ في تتبع مساوئه ، لكن المعرى قد اتخذ المتنبي أستاذا وأسوة له ، ولهذا علق على نقد الشريف للمتنبي بقوله :

« لو لم يكن له الا قوله : « لك يا منازل في القلوب منازل » لكفاه · فغضب المرتضى وأمر بإخراج أبي العلاء من مجلسه · ويزيد البعض فيروى ، أن المعرى قد سحب برجله حتى أخرج من المجلس مهينا · ثم قال المرتضى للحاضرين مجلسه : « أتدرون لم اختار الاعمى هذه القصيدة دون غيرها من غرر المتنبي ؟ » قالوا : « لا » · قال انما عرض بقوله :

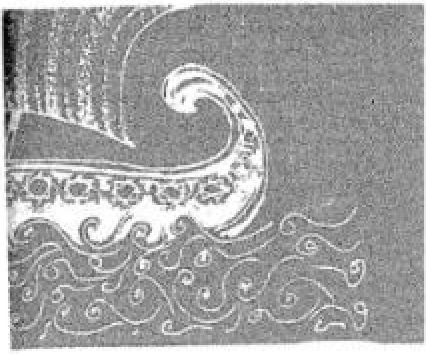
واذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

وعندي أن هذه القصة مستبعدة ، لأن المعرى قد لقي من اكرام أهل بغداد في مقامه بها ورحيله عنها ، ما عبر عنه في شعره ونثره ، وما حفلت به روايات المؤرخين لعصره ·· كما أن له من المكانة العلمية ومن دقة الاختيار للألفاظ والتصرف في المواقف ما يجله عن الاهانة ، وما يبعده عن مواطنها · كما ان المعرى أفاض في مدح أهل بغداد بعد مغادرته لها ، والاشادة بما لقيه من كرم ورعاية · ولم يكن من اليسير عليه أن ينسى مثل هذه الاهانة وهو الرجل الكريم الأبي ، العالم العامل ، باجماع الرواة والمؤرخين ·· ولم يكن من اليسير على أهل بغداد أن يكرموا رحيله ، وأن يتوددوا اليه بالكثير من العطايا والهبات كي يثنوه عن الرحيل اذا سقطت منزلته لدى آل المرتضى ، وتقطعت بينه وبين هذه الاسرة – ذات النفوذ الكبير – الاسباب ·

ومن الروايات انه استأذن في الدخول على النحوى الشهير أبي الحسن الربعي ، فأجابه : ليدخل الاصطبل (أي الاعمى بلغة أهل الشام) ، فانصرف أبو العلاء مغضبا ولم يعد اليه قط ·· وما يقال في الرواية السابقة يقال في هذه ، كما



ان أبا العلاء حين ذهب الى بغداد سبقته شهرته ومكانته ولم يكن من اليسير على نحوى بارز مثل الربعي، وخاصة انه لم يعرف بسوء الخلق ، أن يلقاه مثل هذا اللقاء ، وأن يعيبه بأمر لا يعتبر لدى غير الجهال عيبا · ويزيد ذلك الرأى رجحانا أن المعرى لم يثبت أيا من الحادثين في شعره ، وهو الذى أثبت جميع ما مر به من أحداث ، وما واجهه من ظروفه ، بل سجل آراءه وخواطره جميعا في حرية



وصراحة لا تعدلهما حرية ولاصراحة·

وأما اضطراب الاحوال السياسية فى بغداد ، وعدم اطمئنانه الى مستقر فيها ، فذلك أمر كان يعرفه المعرى قبل سفره اليها ، ولم يكن يجهله حتى لا يقدر له ·

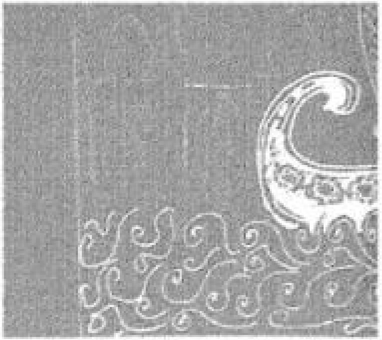
ولعل سبب ذلك الانصراف عن بغداد ـ كما يدل عليه خلق المعرى والروايات التى اشرنا الى بعضها ـ تعلق المعرى بقريته ووالدته وأهله ، ثم حالته الخاصة من ذهاب البصر ، التى لا تيسر له الخوض فى مجتمعات بغداد الصاخبة ، والبعد عن أهله الذين الفهم والفوه ، ولا سيما أن المعرى قد قضى وطره باستيعاب كتب بغداد والالتقاء بأعلامها ·

ومهما يكن من أمر فان المعرى فى رسالته الى خاله أبى القاسم عند عودته من بغداد يؤكد ذلك · انه يتحدث فى استفاضة عن ان أهل بغداد حين سمعوا بعزمه السفر عن مدينتهم والعود الى المعرة ارتاعوا ، وتجمع الكثيرون عليه باذلين اقصى الجهد لاثنائه عن عزمه ، ومقدمين له الوفير من الاموال والهدايا ، ولكنه أبى ذلك كله ، وودعهم الى قريته ، حزينا أعمق الحزن على مغادرة بغداد ·

حياة العزلة فى المعرة

انتهى مقام المعرى فى بغداد ، واتخذ مع قرار مغادرتها قرارا آخر باعتزال الناس ، والاقامة رهن محبسه فى منزله · وتبين الرسالة التى وجهها الى أهل المعرة ، اثر عودته اليها ، هذا القرار ، كما تدل على أمور أخرى مؤكدة لما استظهرناه من رأى ·

انه يبدأ الرسالة ، التى تشبه البيان الموجه من الزعيم الى اتباعه ، بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم · هذا كتاب الى السكن المقيم بالمعرة ، شملهم الله بالسعادة ، من احمد بن عبد الله ابن سليمان · ثم يذكر انه بعد عودته من بغداد موطن الفلسفة وبقية السلف الصالح ، وبعد أن خبر الحياة بحلوها ومرها ، قد اتخذ قرارا متأنيا يعبر عنه فيقول : « فوجدت أوفق ما اصنعه فى أيام الحياة · عزلة تجعلنى من الناس كبارح الاروى من سانح النعام · » ويضيف أن هذا القرار قد اتخذه بعد تفكير عميق ، لا يحده يوم ولا شهر ولا سنة ، بل هو وليد تقليب للأمر على جميع وجوهه ، واستشارة الخاصة من اصدقائه ·· ويضيف انه قد وجه هذا الاعلان حتى لا يقصد منزله قاصد ، فيرد عنه ، ويتهم المعرى بسوء الادب وسوء القطيعة · ثم يؤكد



عزلته فى منزله ، وتمسكه بالاقامة فى المعرة العـــزيزة عليه ، وان احتلها الروم المهددون لاطراف الشـــام . ويختم الرسالة بالشكر العميـــق للبغداديين الذين اكرموه كل الاكرام ، وعرضوا عليه جميع عروض الدنيا ، ووضعوه فوق مكانته ، وينهيها بهذه العبـــارة : « ورحلت وهم لرحيلى كارهون . وحسبى الله وعليه يتوكل المتوكلون » .

وهذه الرسالة تبين فى وضوح أن قرار العزلة ليس وليـــد الرحلة الى بغداد ، وأن المعرى ذهب اليها مؤمنا بالله متوكلا عليه ، متمسكا بفروض الدين كما يدل شعره فى الطريق الى بغداد ، وانه عاد أشد ايمانا واقوى يقينا ..

المحبس : مجتمع كبير

ومع أن المعرى قد نفذ قراره بالاقامة فى منزله طوال خمسة وأربعين عاما ، هى أطول حيـــاته قدرا ، وأغزرها انتاجا – فانه لم يستطع أن ينفذ الشطر الاخر من قراره باعتزال الناس .. فان أهل قريته والحاجين الى علمه من الشام والعراق ومصر وغيـــرها لم يتركوه فى عزلته ، وانما اقتحموا عليه داره ، وتقلوا الى هذه الدار المجتمع العربى الكبير لعصره .. ولعل هذا الصنيع قد أرضى طبيعته التى نشأ عليها ، كما أرضى فى الوقت ذاته ما ينشده من النفع والخير والارتفـــاع بالناس ، مع عدم تعريض نفســـه ، بحالته الخاصة من ذهاب البصر وشدة الاعتزاز بالنفس ، لما لا يقوى عليه من خوض المجتمعـــات والتقلب بين البلاد والاوساط .

وفى هذه الحقبة ألف أبو العـــلاء كتبه البالغة نحو مائة والتى لم يصلنا منها سوى خمسة فقط . وهذه الكتب بتنوع موضوعاتها تدل على انه كان يقصد العلم للحياة والتقدم بالمجتمع .. لقد كتب فى اللغة والادب والشعر والقصة ، ولم يغفل الوعظ والتقوى ونمـــاذج الخطب المنبرية فى فصول السنة ومناسباتها المختلفة بل كتب للجليلات من النساء فى زمانه يبصرهن بالخلق الامثل والسلوك الافضل .. وروى عنه المئات ، وعرف من كتابه عدد غير قليل . وذكر ناصرى خسرو وغيره أنه كان فى جميع أوقاته يحيط به عدد من الطلاب لا يقل عن مائتين . كما أن تلاميذه يعدون بالمئات ومنهم الوعاظ الورعون ، والقضاة المتمكنـــون والشعراء والعلماء النابهون .

ولهذا لم يكن عجبا حين مات أن يرثيه على قبره أعظم شعراء عصره ، والا يقل عددهم عن سبعين شاعرا فى رواية ياقوت والقفطى والـــذهبى وغيرهم .

ورثاه أبو الحسن على بن همام بقصيدة طويلة مطلعها :

العلم بعد ابى العلاء مضـــيع
والارض خالية الجوانب بلقـــع

ومن أقـــواله الدالة على كرم أبى العلاء واجتماعيته وتقواه وبيته الذى أصبح معهدا أو جامعة كبـــرى لمعاصريه :

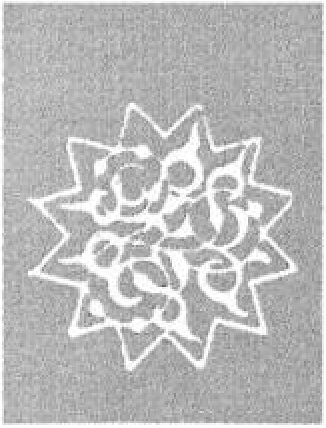
لا تجمع المال العتيد وجـــد به
من قبل تركك كل شىء تجمـــع

فان استطعت فسر بسيرة أحمد
تأمن خديعة من يغر ويخدع
رفض الحياة ومات قبل مماته
متطوعا بأبر ما يتطوع
عين تسهد للعفاف وللتقى
أبدا وقلب للمهيمن يخشع
جانبت ثراك أبا العلاء غمامة
كندى يديك ومزنة لا تقلع
قصدتك طلاب العلوم ولا أرى
للعلم بابا غير بابك يقرع
مات النهى وتعطلت أسبابه
وقضى التأدب والمكارم أجمع

فلسفة المعرى • • •

ونقصد بفلسفة المعرى بحثه فى علل الموجودات ونتائجها ، وامتثاله لعلوم الطبيعة وما وراء الطبيعة والاخلاق ، وشرحها والاضافة اليها ، واستقصاء تاريخ الفلسفة كما وضعه العرب والاجانب ، ينتهى بنا الى أن الفلسفة العربية امتداد للفلسفة اليونانية وتابعتها الرومانية وأن هاتين الفلسفتين اعتمدتا على الفلسفة المصرية والبابلية القديمة ، وأن العرب قد اتصلوا بالفرس منذ الجاهلية الاولى ، وتناقلوا وأياهم الحكمة والشعر ، كما اتصلوا بالهند عن طريق فارس والعلاقات التجارية ، وأن الاسلام بما جمع من بلاد الحضارة لعصره قد مكن علماءه من امتثال الفلسفات وشرحها والاضافة اليها ، وان العرب قد بسطوا سلطان الفلسفة على علوم اللغة ، وفى مقدمتها الشعر والبلاغة والنحو ، وانهم اضافوا فلسفيين تميزوا بهما ، ذلك هما علم أصول الفقه كما قعده الشافعى ، وعلم الكلام الذى هذب القديم فيما وراء الطبيعة ، وخدم الدعوة الاسلامية .

ولم يكن المعرى مبتدعا فى ميدان الفلسفة بل متبعا لمن سبقوه ، وان تميز باضافاته وجديده .. والمتنبى أستاذ أبى العلاء قد عالج قضايا



الفلسفة من قبله ، وتحدث عن الجبر والخير والشر ، وفساد النظم السياسية والاجتماعية ، ودعا الى تغيير الاحوال القائمة . بل أبدى أن الحياة كلها شر حتى بالغ بعض كبار الباحثين ، فحسبه من المتشائمين أو مؤسسى الفلسفة المتشائمة فى الادب العربى ..

وعندى أن التشاؤم بمعنى النقد اللاذع والدعوة الى الاصلاح ، وبعده عن السلبية التى لا تتفق واجتماعيات المتنبى وطموحه ومغامراته فى طلب المال والسلطان ، هذا التشاؤم قديم فى الحياة العربية وخاصة فى صدر الاسلام حين نجم الدين الاسلامى وانقل العالم بألوية الحرية والعدل والسلام ، وواجهه فى عنف خصومه الاولون من المشركين واليهود .. فقد هاجم الاوضاع القائمة ، ودعا الى تحرير الانسان فى العالم كله وتقدمه ، وفضل الاخرة على الاولى . ودعا فى الوقت ذاته الى العمل والايجابية فى بناء الحياة الاولى وتقدمها ، سبيلا من سبل الظفر بالثواب فى الاخرة . وقد ظهر مثل هذا التشاؤم فى الاداب

والفلسفات القديمة والوسطى والحديثة جميعا .

ومهما يكن من أمر ، فان الجديد في فلسفة أبي العلاء وتشاؤمه بارز سامق . وهو لم يتعد الحق حين قال بيته السائر :

وانى وان كنت الاخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الاوائل

ايمان المعرى ومذهبه

يرمى الناس ظلما أبا العلاء بالالحاد ، ويجمع بعضهم بين المتناقضين حين يقول انه آمن بالله وحده ، ولم يؤمن بالنبوات جميعا . وينقض هذه التهمة التاريخ المأثور ، وطبيعة الحياة العلمية لعهد أبي العلاء وللعهود التي سبقته .

فأبو العلاء قد عاش بمعرة النعمان طوال حياته الا قليلا موضع الاحترام والاعزاز والاكبار من العامة والخاصة .. وحين مات رثاه الشعراء والقضاة من اعلام الورع والدين ، مثلما تتلمذ عليه الالوف من أهل الدين والتقى في حياته . والمؤرخون يكثرون في التعريف بتلامذته ومريديه ومكانتهم الدينية والقضائية، وان الاكثر من كتب المعرى وكتبهم في هذا المجال وغيره من مجالات العلم والادب .. ولا يمكن ان تتوفر هذه المكانة في مجتمع اسلامي لملحد او متناقض على دعوة الاسلام ، ورسالة افضل المرسلين وخاتمهم .

والامر الثاني : ما أوردنا بعضه قبلا من انه رحل الى بغداد مؤمنا مسلما وعاد منها اشد ايمانا واسلاما .. وكتبه الكثيرة التي أوردنا عناوين بعضها ، دالة على دعوته للاعتصام بمبادىء الدين الحنيف ، وتعظيمه للرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، والصحابة والتابعين المخلصين ، ومهاجمة مذاهب الشيعة والمعتزلة والباطنية والقرامطة وغيرها من المذاهب ، المناقضة لمذهبه السني المأثور في كتب التاريخ القريب لعهده وخاصة رسالة ابن العديم التي اشرنا اليها قبلا ، والتي ضاع الكثير منها في هجمات الصليبيين والتتار التي حاولت فيما حاولته تدمير الحضارة العربية ، سبيلا للقضاء على عزة العرب وآمالهم في الوحدة والتقدم .

والامر الثالث : هو ان ما يبدو من متشابه في قول ابي العلاء له تأويلات كثيرة .. منها أن أسلوب ذلك العصر - منذ عهد الجاحظ - كان اظهار المهارة في الحديث عن المساوىء والاضداد . وتكفي الاشارة الى صنيع الجاحظ حين كتب في ذم الخمر ومدحها اجابة لسائليها من المتشيعين لها والمنكرين لاثمها ، والى ان المعرى بحكم شاعريته مثل في شعره جميع أوقات حياته بما تفيض به من المشاعر المتناقضة ، والى ان المعرى حسب المأثور في روايات الطاعنين عليه انفسهم كان يكتب في كثير من الاحيان استجابة لطالبي الكتابة منه على اختلاف منازعهم ومسالاتهم ، والى ان كون الشك احد وسائل اليقين من المبادىء الاسلامية المقررة .

وجمهرة الباحثين المستشرقين ، فضلا عن العرب المعاصرين لابى العلاء ومن بعدهم يلتقون في ان رميه بالالحاد ثمرة من ثمرات التدهور السياسي والاضطراب الاجتماعي لعصره وللعصر الذى سبقه ، ففي مثل هذه العصور تكثر الاتهامات بالخيانة والزندقة من المتنافسين على عروض الحياة التي فقدت قوتها ومكانتها لعهدهم ، كما يكثر الانتحال على النابهين في جميع العصور .

ويكفى في هذا المقام ان نشير الى قول المعرى ، وهو الاديب الجرىء

الصادق الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم :

لحى الله قوما اذا جئتهم
بصدق الاحاديث قالوا : كفر

وسأله الوزير الفازى عن تقولات بعض الناس عليه ، فقال ابو العلاء : « قوم حسدونى ، فكذبوا على » .

ومن اقواله المروية المسندة :

« لزمت مسكنى منذ سنة اربعمائة ، واجتهدت ان اتوفر على تسبيح الله وتحميده » وروايات الذهبى وابن الاثير والتبريزى وابن الوردى وابن العديم وغيرهم كثير تتحدث عن سلامة دينه وورعه ..

شبهات لا تثبت للمناقشة

على ان الشبهات التى استند اليها متهموه بانكار النبوات ، وان لم ينكر التوحيد ، لا تثبت للمناقشة ، وخاصة مع ما اشرنا اليه من أسلوب معاصريه ومن سبقهم ، ويمكن ان نذكر كذلك أبا العتاهية الذى تقلب فى المسالك وانتهى الى الورع والتقوى الفائقين ..

ان متهمى أبى العلاء بانكار البعث يتحدثون عن اضـــطراب اقواله بين اثباته وانكاره .. ولا ادرى لم غلبوا الانكار مع ما قدمنا من حقائق أوضاع ذلك الزمان ، وما اشرنا الى الروايات المثبتة لمذهبه السنى وورعه السلوكى ؟

ومن الاقوال المثبتة لايمانه بالبعث قوله :

وانى لارجو منه يوم تجــاوز
فيأمرنى ذات اليمين الى اليسرى

وقوله :

قال المنجم والطبيب كلاهمــــا
لا تحشر الاجسام قلت اليكمــا
ان كان رأيكما فلست بخــاسر
أو صح قولى فالخسار عليكما

ويدعون أن ما يثبت انكاره للبعث قوله :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننـــــا
زجاج ولكن لا يعاد له ســبك

ومع أن الباحثين المنصفين رأوا فى هذا تعبيرا عن معنى سار قبل أبى العلاء ومن بعده ، وعبر عنه الشاعر بقوله :

ان القلوب اذا تنافر ودهـــــا
مثل الزجاجة كسرها لا يجبـــر

ومع ذلك فان المتشككين يتمسكون بهذا القول السائر لمختلف العصور ، والدال على أن الانسان لا يعود الى الحياة الدنيا بعد موته ·

ويتمسك المنكرون بما يصـدر عن التطرف والمهارة التى تجاوز فيها أبو العلاء الافاق فى لزومياته وما تشيع فى مختلف الايام والعصور ، وذلك قوله :

ريب الزمان مفـــرق الالفين
فاحـــكم الهى بين ذاك وبينى
انهيت عن قتل النفوس تعمــدا
وبعثت انت لقتلها ملكين ؟!

ولكنه يمر دون عناية باثباته الصريح للبعث فى اقوال كثيرة منها :

وان صدئت ارواحنا فى جسومنا
فيوشك يوما أن يعاودها الصقل

ويجب هنا أن نذكر اراء الفقهـاء القدامى فى طبيعة البعث ، وانهـــا تخطت جميع القيود التى تفرض على الفكر ، اقتناعا من العامة والخاصة بأن الاسلام اثبت من الشوامخ ، وأنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ·· وان حرية البحث ونزاهتـه تزيد الباحث ايمانا وتثبيتا ··

آراؤه الفلسفية الاخرى

وآراء أبى العلاء ، فى جــوانب الفلسفة اليونانية أو الاسلامية بعد تطور اليونانية اليها متنوعة · وهى تتناول عنده فى سعة ، ما تناوله غيره فى ايجاز ، وتتحدث عن الطبيعـــة والمادة والاخلاق ، والزمان والمكان ، والخير والشر ، كما تتناول السياسة والاقتصاد ·· وهى جميعا تصـدر عن مصدر واحد هو الايمان والدعوة الى الحق والخير ، ومحاربة الفساد فى جميع مواطنه · وحديثها يقتضى بحثا أطول · لكننا فى هذا المقـام نكتفى بالاشـــارة الى آرائه ، فى الاشتراكية الاسلاميـة ، التى حاول بعض الباحثين التهـــوين من مدى تطورها الفكرى ، مع أن حديث الاصول الاشتراكية فى الاسلام أصيل أصالة الدعوة الاسلامية لفجر الاسلام ·

وما حديث أبى ذر الغفارى ببعيد ··

ان أبا العلاء يعبر نظريا عن مبادىء اعتصم بها ، وطبقها عمليا حين بذل جميع ما له للعانين والمحتاجين من أهل قريته وقاصديه من خارجها ··

وكان صادق التعبير حين يقول :

لو كان لى أو لغيرى قيد أنملة
من البسيطة خلت الامر مشتركا

وقوله :

ويا بلادا مشى عليهـــــــــا
اولو افتقار واغنيـــــــاء
اذا قضى الله بالخـــــازى
فكل من فيك اشــــقياء

وقوله :

كيف لا يشرك المضيقين فى النعـ
ــــمة قوم عليهم النعماء ؟

وعبر عن الزكاة فى هذا المجال حين قال :

وقد رفق الذى اوصى اناســـا
بعشر فى الزكاة ونصف عشر

وبعد فان أبا العلاء من أعلام الفكر الاسلامى وقادته ، وان لنا فيه وفى الكثير من أمثاله خير أسوة وأبهى نور · وما أجدرنا أن نبنى تقدمنا بحق على مبادئنا القويمة التليدة ، والتقدم العلمى المعاصر الذى تزكيه هذه المبـــادىء ·

محمد عبد الغني حسن

ابن سينا

بين الفلسفة والشعر



لم يكن الشاعر البحترى بعيداً عن الحق حين أراد أن يميز بين شعر الحكماء والمناطقة وشعر الشعراء الخالصين : في قوله :

كلفتمونا حـــدود منطقـــكم والشعر يغني عن صدقه كذبه
ولم يكنذو القروح(١) يلهج بالـ نطق ما نوعه ، وما ســـببه
والشعر لمح تكفي اشـــارته وليس بالهذر طولت خطبه ...

ولم يكن الشاعر أبو العلاء المعرى بعيداً عن الفصل بين الحكمة والشعر حين سئل عن أي الشعراء الثلاثة اشعر ، فأجاب : أبو تمـــام والمتنبي حكيمان والشاعر البحترى .

فليس من الضرورى أن يكون الشاعرحكيما أو مشتغلا بقضايا الفكرالفلسفي ، وان كان جائزا أن يكون الحكيم والفيلسوف ذا نصيب من الشاعرية التى تتلون بالوان مذهبه الفلسفي .

وحين نستعرض تاريخ فلاسفة الاسلام ورجال التفكير فيه نرى أن مجموعهم فى جملته لا يخلو من شاعرية . وما منهم الا من له شعر يروى ويؤثر عنه ، وان كان شعرا عليه مسحة من التفكير ، وخاصة فى الغيبيات والقضايا التى تشغل الفكر الانسانى الظامىء الى المعرفة .

وقد يكون للاصول العربية عند بعض مفكرى الاسلام وفلاسفته اثر فى هذه الشاعرية التى تظهر عندهم ، وان كانت قد غلبتهم عليها الفلسفة والحكمة .

---

(١) يقصد بذى القروح الشاعر الجاهلي امرأ القيس .



ابن طفيل : صاحب رسالة
« حى بن يقظـــــــان »

ولكن بعض مفكرى المسلمين من غير الاصول العربية قد ظهرت عليهم الآثار الشاعرية التي لا نجد صعوبة في ردها الى الثقافة العربية التى نشأوا فيها ، ونطقوا بها ٠

ولا نعني بالحكمة هنا تلك الموعظة العابرة التى يرسلها الشاعر على سبيل النصح والتعليم ، كحكم الشاعر الجاهلى زهير بن ابى سلمى ، وحكم بشار ، وحكم صالح بن عبد القدوس ، وحكم المتنبى فى القديم ، وأحمد شوقى فى الحديث ٠ ولكنا نعنى - بالحكمة - ذلك الضرب من التفكير العقلى الذى يرتاد الفكر الانسانى الى آفاق بعيدة ، ويذهب به الى مشكلات الوجود والعدم، والبدء والغاية ، والحياة والموت ، والمسئولية والجزاء ، والقضاء والقدر ، والغيب والشهادة ، والخير والشر ، واللذة والالم ، والله والانسان ، وغيرها من أمثال هذه المسائل التى حيرت الحكماء والفلاسفة والمفكرين على مدى القرون ٠

● منهج فى النقد والتذوق ●

وقد بلغ من « شاعرية » الفلاسفة والحكماء المسلمين أنه كان لبعضهم مشاركات فى الادب كما ظهر عند « أبى حيان التوحيدى » الذى جمع بين الادب والفلسفة بالقسط ٠ وكما كان عند فيلسوف العرب « الكندى » الذى ظهر تذوقه الادبى فى نقد الشعر واضحا ، فقد ذكروا انه سمع مرة انسانا ينشد هذين البيتين :

وفى أربع منى حلت منك اربع ... فما انا ادرى ايها هاج لى كربى
خيالك فى عينى ؟ ام الذكر فى فمى ... ام النطق فى سمعى ؟ ام الحب فى قلبى ؟

فقال معقبا عليه : والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا ٠

فنحن هنا امام فيلسوف له منهج فى النقد والتذوق الادبى والذوق البلاغى ٠

ولم يكن « الكندى » ذواقة ناقدا للشعر وحسب ، ولكن اثر عنه بعض مشاركات فى النظم أشار اليها صاحب « عيون الانباء فى طبقات الاطباء » ، كما أشار اليها اديبنا المصرى الشاعر ابن نباتة فى كتابه « سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون » ، وغيرهما ممن ترجموا للكندى ، فمن شعره قوله فى وصف قصيدة :

تقصر عن مداها الريح جريا ... وتعجز عن مواقعها السهام
تناهب حسنها حاد وشاد ... فحث بها المطايا والمدام ٠ ٠ ٠

وقوله فى وصف الناس والزمان :

أناف الذنابى على الأرؤس ... فغمض جفونك او نكس
وضائل سوادك ، واقبض يديك ... وفى قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابغ العلو ... وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى فى قلوب الرجال ... وان التعزز بالانفس
وكائن ترى من أخى عسرة ... غنى ، وذى ثروة مفلس ٠٠٠

● الحكمة المثالية للحياة ●

وقد أثر عن الفيلسوف الشيخ الرئيس « ابن سينا » شعر ليس بالقليل ،





الفـارابى : دعـا الى
الانطلاق فى آفاق السموات

رينان : كتب عن الفيلسوف
الاندلسى ابن رشـد

وكلنا يذكر قصيدته العينية فى « النفس » ، وتلخص لنا فى ابياتها العشرين – كما فى رواية ابن ابى أصيبعة – مذهبه فى المادة والروح ، والمبدأ والمعاد ، بما ليس هنا موضع بحثه · وفيها يقول عن النفس :

هبطت اليـك من المحل الارفع   ورقاء ذات تعزز وتمنـع
محجوبة عن كل مقلة عـارف   وهى التى سفرت ولم تتبرقـع
وصلت على كره اليك ، وربمـا   كرهت فراقك وهى ذات تفجـع

ويمضى فى الشعر يصف تلبسها بالجسد ثم مفارقتها له عند الموت ، وما بين حلولها ورحيلها الا ومضة برق ···

فكانهـا برق تالق للحمى   ثم انطوى فكانه لم يلمـع

وقد عارضها فى القديم والحديث كثيرون من الحكماء والشعراء والمفكرين ، منهم الحكيم السهروردى شهيد الفكر المقتول سنة ٥٨٧ هـ ، والشاعر احمد شوقى فى عينيته التى تبلغ ابياتها خمسة واربعين بيتا والتى يقول فى مطلعها :

ضمى قناعك يا سعاد او ارفعى   هذى المحاسن ما خلقن لبرقـع
الضاحيات الضاحكات ، ودونهـا   ستر الجلال وبعـد شأو المطلع

ومنهم الاديب الشاعر محمد رجب البيومى الذى يقول فى مطلع معارضته :

طف بالسماء محلقا وتسـمع   فالـروح تهتف بالمحـل الارفع
ورقاء تبعث لحنها ، فتخالهـا   سلبت شعورك بالرخيم المبـدع
دعها تخفق لجج الاثير فوجهـا   بسط الظلال على الجهات الاربع

وقد شرح عينية ابن سينا كثيرون منهم عبد الله بن عبد الرحمن الصوفى ، وغلام حسين الطبيب المتوفى سنة ١٢٧٩ هـ ، والسيد نعمة الله الجزائرى المتوفى سنة ١١١٣ ، وقد نشر هذا الشرح الاخير الدكتور حسين على محفوظ الباحث المعاصر المعروف ·

واطول ما فى شعر ابن سينا قصيدته الميمية التى مطلعها :

ياربع لكرك الاحداث والقـدم   فصـار عينـك كالآثار تتهم
الشيب يوعد ، والآمال واعـدة   والمـرء يغتر ، والايام تنصرم

وتبلغ عدة ابياتها ثلاثة واربعين بيتا ، وقصيدته اللامية التى يقول فيها :

قفا نجزى معاهدهم قليـلا   نفيض بدمعنا الربع المحيـلا

وتثير بعض مقطوعات ابن سينا الفلسفية قضايا فكرية هامة كقوله :

انما النفس كالزجاجة والعلـــم سراج ، وحكمة الله زيت
فـــاذا اشرقت فـــانك حي واذا اظلمت فـــانك ميــت

وكقوله في معرفة النفس :

خير النفوس العارفات ذواتهـــا وحقيق كميات ماهياتهـــا
وبم الـــذي حلت ، ومم تكونت اعضاء بنيتها على هيئاتهـــا
نفس النبات ونفس حس ركبـــا هلا كذاك ســـماته كسماتها ؟

ويلاحظ دوران بعض المصطلحات الفلسفية فيما روى لنا من شعر الشيخ الرئيس ابن سينا ، كالكمية ، والماهية ، والنفس النباتية ، والنفس الحسية ، والناسوت ، واللاهوت ، والحيز ، والعلة الاولى وما اليها • على انه لم يبعد كثيرا عن اسداء الحكمة والموعظة في معرض بحثه وراء (الحكمة) العالية للحياة • فلا نعدم أن نجد في شعره أمثال هذه الحكم والامثال :

ولا تجشعن فما ان ينـــال من الرزق كل سوى قسطه
وكم حاجة بذلت نفسهـــا لفوتهـــا الحـــرص من فرطه

وقوله في قصيدته اللامية :

ومن يستثبت الدنيـــا بحال يرم من مستحيل مســـتحيلا

وقوله في قصيدته البائية :

كذا دنياك تراب لانصـــــداع مغـــالطة وتبنى للخـــراب

وقوله من قصيدته الميمية يحض على الزهد في الدنيا :

جولت في هذه الدنيا وزخرفهـــا عيني ، فالفيت دارا ما بها ارم
كجيفة دودت ••• فالدود منشؤه فيها ، ومنها له الارزاء والطعم !

● ينطح الصّخرة بقرنيه ●

ويظهر أن زهد ابن سينا طارىء عليه في آخريات عمره ، بعد أن افنى حياته فكرا ومتعا وشهوة ، وشرابا • وقد شرب « الشيخ » كثيرا وافرط في الشراب ، وفلسف الخمر ، فلم يشعشعها بالماء ، ولكنه مزجها بالفلسفة قائلا :

شربنا على الصوت القديم قديمة لكل « قديم » أول ، وهي « أول »
ولو لم تكن في حيز قلت إنهــا هي « العلة الأولى » التي لا تعلل

وقد أثر عن الشيخ الرئيس ابن سينا شعر في الفخر ، وما أبعد الفلاسفة والحكماء عن الافتخــار بما يعلمون علم اليقين أنه زائل ، ولا ندري – مع استغراق الشيخ ابن سينا في الفلسفة وفي الغيبيات وما وراء الطبيعة كيف يصدر عنه فخر مسمج لا يتفق مع حكمة الحكماء ، اسمعه يقول في ميميته :

بأى مأثرة يقاس بي أحــــد بأى مكرمة تحــكيني الأمم ؟
مميز من بني الدنيا بميــزتي أقل ما في لبس الجل والعظم ..
أما البلاغة فاسألني الخبير بها أنا اللسان قديمــا والزمان فم

ألا ليت شعري هل كان ينظر ابن سينا الى المتنبي الذي قال من قبله :

وما الدهر الا من رواة قصــائدي اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا؟

فقال هو : أنا اللسان قديما والزمان فم ؟

ويخيل الى أن كثيرا من شعر ابن سينا مدسوس عليه ، فقد نسبوا اليه شعرا ليس على التحقيق من شعره ، كرائية ابن الشبل البغدادي التي مطلعها :

بربك أيهــا الفلك المــدار أقصد ذا المسير أم اضطرار ؟

وكالبيتين اللذين أولهما :

اجعــل غــذاءك كل يوم مرة واحذر طعاما قبل هضم طعام !

وكالبيتين القائلين :

لقد طفت في تلك المعاهد كلهــا وسيرت طرفي بين تلك المعــالم
فلم أر الا واضعا كف حــائر على ذقن ، أو قــارعا سن نادم

فقد نسبهما اليه « الشهرستاني » ، ونقلهما عنه ابن خلكان في « وفيات الأعيان » . ويظهر أن « ابن سينا » كان مبتلى بكثرة الخصوم والأعداء والحساد الذين طالما أنكروا محاسنه ، وجحدوا فضائله . ولم يبلغ به الغضب أنه هجاهم مفحشا ، فقد كان أصون لسانا ، وأعف قولا من أن يفعل ذلك ، ولكنه اكتفى بوصف حالهم ، وأنهم لا يضيرون من نطحهم له الا إيهــاء قرونهم ، كالوعل حين ينطح الصخرة بقرنيه فلا يضر الا نفسه .. فقال :

عجبا لقوم يحسدون فضــائلي ما بين غيــابي الى عــذالي
عتبوا على فضلي وذموا حكمتي واستوحشوا من نقصهم وكمــالي
انى وكيــدهم وما عتبوا به كالطود يحقر نطحة الأوعــال
واذا الفتى عرف الرشــاد لنفسه هانت عليه ملامة الجهــال

● على طريقة الفلاسفة ●

ونجد الفيلسوف « الفارابي » ، قبل ابن سينا ، يعالج الشعر كما عالجه من بعده « الشيخ الرئيس » ، وكما عالجه أكثر فلاسفة المسلمين وحكمائهم ، وهو شعر تجد فيه ثقل الفلسفة ومصطلحاتها . فقد روى أنه مزج في دعاء له بين النثر والنظم فقال على طريقة الفلاسفة :

يا علة الاشياء جمعا والـــذي   كانت به من فيضه المتفجـــر
رب السموات الطباق ومركـــز   في وسطهن من الثرى والابحـــر
اني دعوتك مستجيرا مذنبـــا   فاغفـــر خطيئـــة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل مـــن   كدر الطبيعة والعنـــاصر عنصري

وقد ابتلى « الفارابي » كابن سينا بالخصوم والحساد ومنكري الفضل ، الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، فاعتزل الناس بعد أن ساء فيهم رأيه ، وصاحب الموتى في كتبهم ومصنفاتهم ، وعبر عن ذلك قائلا :

لمـــا رأيت الزمان نكســـا   وليس في الصحبة انتفـــاع
كـــل رئيس به مـــلال   وكـــل رأس به صـــداع
لزمت بيتي ، وصنت عرضـــا   به من العـــزة اقتنـــاع
أشرب ممـــا اقتنيت راحـــا   لهـــا على راحتي شـــعاع
لي مـــن قواريرهـــا ندامى   ومن قراقيرهـــا سـمـــاع !
وأجتني مـــن حديث قـــوم   قـــد اقفرت منهم البقـــاع !

ودعا الفارابي الى « الحقيقة » شعرا مادامت الدنيا ليست بدار مقام ، كما دعا الى الانطلاق في آفاق السموات بدلا من التمركز في مركز ضيق :

أخي ! خـــل حيـــز ذي باطل   وكن للحقائق في حيـــــز
فما الدار دار خلود لنـــــا   ولا المرء في الأرض بالمعجـــز
وهل نحن الا خطـــوط وقعن   عـــلى كرة وقع مســـتوفز !
ينافس هـــذا لهـــذا على   أقل من الـــكلم الموجـــز
محيط الســـموات أولى بنـــا   فكم ذا التزاحم في المـــركز ؟

وهنا نجد المصطلحات الفلسفية سارية في شعر الفارابي أيضا ، وما كان له عن ذلك محيد ، فما كان يمتح الا من معين الفلسفة . ومن هذه المصطلحات : علة الاشياء ، والطبيعة ، والعناصر ، والحيز ، والحقائق ، والمركز .

● من أسرار الحياة والكون ●

ومن الفلاسفة الذين غلب عليهم الشعر « ابن الشبل البغدادي » من رجال القرن الخامس الهجري ، وقد اشتهر بقصيدة رائية له في الحكمة يتساءل فيها ويسأل الفلك الدار عن كثير من أسرار الحياة والكون ، ويعبر عن خطيئة آدم التي أخرج بها من الجنة ، وأهبط الى الأرض فحل به وبذريته الصغار ، وفيها يقول :

بربك أيهـــا الفلك المـــدار   أقصد ذا المسير أم اضطـــرار ؟
مدارك قل لنـــا في أي شيء   ففي أفهامنا منك انبهـــار
وفيك نرى الفضاء ، وهل [illegible]   سوى هذا الفضـــاء به تدار .

وهذه ترقع الارواح ام هـــــل ... مع الاجساد بدركيـــــا البوار ؟

ويظل يثير ابن الشبل البغدادى أسئلة محيرة ، ولكنه لم يبلغ بنا جوابا شافيا ، ولا ردا مطمئنا · وفي بعض مقطعات ابن الشـــبل الشعرية ينصحنا بالتسلى عن كل شيء في الحياة بالحياة نفسها ، فانها جوهر يهون بعــــده كل عرض ، ويبدو هنا استواء منطقه في الشعر حيث يقول :

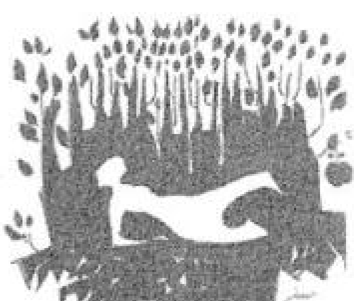
تسل عن كل شيء بالحياة فقـــــد ... يهون بعـــد بقاء الجوهر العرض
يعوض الله مالا انت متلفــــــــه ... وما عن النفس ان اتلفتها عوض

على أن ابن الشبل يجنح الى الحكمة والتفلسف دائما في كل ما يتناوله من أغراض شعره ، حتى في رثائه لاخيه أحمد يقول :

نمضى وفي المنى قصر العمـــــــ ... ـــــر فنغدو بما نسر نســـــاء
ـــــــحة المرء للسقام طـــريق ... وطريق الفناء هــــــذا البقاء
بالذى نغتـــــذى نموت ونحيـــا ... اقتل الـــــداء للنفوس الـــدواء
ليت شعرى حلما نمر بنـــــا الايا ... م أم ليس تعقــــل الاشيـــاء
من فساد يجنيه للعـــــالم الكو ... ن فما للنفوس منه اتقـــــاء
قبـــــح الله لـــــذة لأذانا ... نالهـــــا الامهـــــات والآباء
نحن – لولا الوجود – لم نألم الفقـ ... ـد فايجادنا علينـــا بلاء ···

ومن حكماء الاطباء الذين اشتهروا بالشعر وعرفوا بالنظم فيه على مختلف الاغراض والمعانى ، الطبيب الحكيم « أبو بكر محمد بن زكريا الرازى » ، وقد اشتهر في الطب بالرأفة بالمرضى والاجتهاد في علاجهم وبرئهم ، كما اشتهر في الحكمة بشرح مذاهب أرسطو وآرائه الفلسفية · وعجيب ألا يؤثر له في الشعر الفلسفى الا هذين البيتين :

لعمرى ما أدرى وقد آذن البلى ... بعاجل ترحال الى اين ترحـالى
وأين محل الروح بعـــد خروجه ... من الهيكل المنحل والجسد البالى ؟



أحمد لطفي السيد : ترجم « الكون والفساد » لأرسطو



على كثرة ما الف من الكتب فى الطب والتشريح والادوية والفلسفة ٠

● صاحب « مفاتيح الغيب » ●

ولم يكن ابو بكر الرازى الطبيب هو الحكيم الوحيد الذى انجبته بلد « الرى » من بلاد الاعاجم ، فهناك سميه فى اللقب « الامام فخر الدين الرازى » الذى يوصف بانه (سيد الحكماء المحدثين) ٠ وهو صاحب التفسير الكبير المسمى « مفاتيح الغيب » ، وقد جرى فيه على طريقة الحكماء ٠ والامام الفخر الرازى كان شاعرا ايضا ٠ ومن شعره المنطوى على الحكمة والفلسفة قوله :

ارواحنا ليس تدرى اين مذهبها ... وفى التراب توارى هذه الجثث
كون يرى ، وفساد جاء يتبعه ... الله اعلم ما فى خلقه عبث

ويلاحظ ما فى هذين البيتين من استعمال لفظتى « الكون » و « الفساد » وهما من مصطلحات الفلاسفة ٠ ويكفى ان يكون كتاب « الكون والفساد » مما الفه ارسطو ، وترجمه المرحوم أحمد لطفى السيد عن الفرنسية ٠

ويلتقى الامام الفخر الرازى مع غيره من الفلاسفة الشعراء الذين يرون « الدنيا اوهاما زائلة » ، واحوالا حائلة ، وان ذلك طبعها لا تحيد عنه من طويل الازمان والآباد ، فيقول من مقطوعة حكمية :

نهاية اقدام العقول عقال ... واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا فى عقلة من جسومنا ... وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد راينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال ، فزالوا والجبال جبال

ويمعن حكيمنا الفخر الرازى فى اساءة ظنه بالدنيا ، وفى اليأس منها ، وعدم الطمع فيها بشيء ، وفى التيقن من فسادها وانحلالها ، فيقول :

فلو قنعت نفسي بميسور بلغة ... لما سبقت فى المكرمات رجالها
ولو كانت الدنيا مناسبة لها ... لما استحقرت نقصانها وكمالها
ولا ارمق الدنيا بعين كرامة ... ولا اتوقى سوءها واختلالها
وذاك لانى عارف بفنائها ... ومستيقن ترحالها وانحلالها ...

● فلاسفة الفردوس المفقود ●

واذا انتقلنا من المشرق الى المغرب رأينا فلاسفة هذا الفردوس الاسلامى المفقود ينظمون الشعر كما ينظمه اخوانهم فلاسفة المشرق وحكماؤه. الا فيلسوفا اندلسيا واحدا حيرنا أمره فى عدم نظم الشعر ، وهو الفيلسوف « ابن رشد » الذى توفى سنة ٥٩٥ هـ • فما نعرف فيما لدينا من مصادر أن لهذا الفيلسوف العظيم شعرا • ولم يذكر مؤرخوه ومترجمو حياته من أمثـــال ابن أبى أصيبعة ، ومحمد لطفى جمعة ، ودى بور ، وريتان ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد يوسف موسى أنه كان يعالج نظم الشعر • والذى نعرفه انه كان فقيها من بيت اشتهر بالفقه ، وطبيبـــــا وقاضيا ، وفيلسوفا • ومن مزاياه فى الفلسفة انه كلف شرح مذهب ارسطو ، فصحح كثيرا من أخطاء النقلة السابقين وأسلم الى الانسانية مذهب ارسطو بريئا خاليا من الشوائب •

على أن ثلاثة من أخوانه فى الاندلس ومن معاصريه فى القرن الســـادس الهجرى اثر لهم من الشعر ما يجرى القاعدة على مساقها ، وهم « ابن باجة » ـ او ابن الصائغ ـ المتوفى سنة ٥٣٣ هـ ، و « ابن زهر » الاشبيلى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ ، و « ابن طفيل » المتوفى سنة ٥٨١ هـ • وابن طفيـل هذا هو الـــذى قدم الفيلسوف ابن رشد الى الامير يوسف بن عبد المؤمن زعيم دولة الموحدين فاقترح هذا عليه تلخيص كتب ارسطو وشرحها شرحا يزيل غموضها ، ويقرب منالها •

وابن باجة ـ او ابن الصائغ ـ قد شهد له لسان الـــدين بن الخطيب فى « الاحاطة » بأنه « آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الاندلس » • وان كانت العداوة التى بينه وبين ابى نصر الفتح بن خاقان صاحب كتاب « قلائد العقيان » قـد جعلته يحمل عليه حملة شديدة •

ويظهر أن الشاعرية عند الفيلسوف « ابن باجة » الاندلسى كانت أوضح منها عند غيره من الفلاسفة الذين قالوا الشعر ، ويبدو ذلك فى مدائحه ومراثيـــه وغزله الرقيق الذى روى صاحب القلائد بعضه حين يقول :

أسكان نعمـــان الاراك تيقنوا ... بأنكم فى ربع قلبى ســـكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالمـــا ... بلينا بأقوام اذا استحفظوا خانوا
سلوا الليل عنى اذ تناءت دياركم ... هل اكتحلت لى فيه بالنوم اجفان ؟

وله أبيات غزلية أخرى يقول فيها :

أتأذن لى آتى العقيق اليمانيـــا ... اسائله ما للمعالى وماليـــا ؟
وهل داركم بالحزن قفراء ؟ اننى ... تركت الهوى يقتاد فضل زماميـــا
فيا مكرع الوادى اما فيـك شربة ... لقد سال فيك الماء ازرق صافيا !
ويا شجرات الجزع هل فيك وقفة ... وقد فاء فيك الظل اخضر ضافيا ؟

ولم يكن ابن باجة الاندلسى هو وحده الفيلسوف شاعر الغزل الذى يذوب رقة فى غزلياته ، فان معاصره الحكيم الطبيب المفكر « ابن زهر » عرف بالغزل الرقيق ، وقد أدخل فى شعره الفاظا من مصطلحات الاطباء والفلاسفة ، كقوله فى الغزل :

يا من كلفت به وذلت عـــــزتي لغرامه وهو العـزيز القـــــاهر
رمت التصبر عندما القى الجفـــا ويقـــول ذاك الحسن مالك ناصر
ما الجاه الا جاه من ملك القـوى وأطاعه قلب عزيز قـــــــــادر

وكقوله من مقطوعة غزلية أخرى :

يا راشقي بسهام مالهــــا غرض الا الفؤاد ، وما منه لهـــا عوض
وممرضي بجفـــــون حشوها سقم صحت،ومنطبعها التمريض والمرض
أمنن ولو بخيـــــال منك يطرقني فقد يسد مسد الجوهرالعرض ...

أما « ابن طفيل » الفيلسوف الاندلسي ، وصاحب رسالة « حي بن يقظان » فقد جمع بين الفلسفة والشعر على السواء ، وقد روى عبد الواحد المراكشي بعض شعره في كتابه « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » ، وهو حين يتغزل يرق ويلطف ويذوب وجدا ، وحين يزهد ويعظ يلين أقسى القلوب . فمن غزلياته قوله :

ولما تلاقينا بعيد تهــــــاجر وقد كاد حبـــل الود أن يتصرما
جنت عن ثناياها ووجهي باسم فقد آن عن شق الدجنة مبهمـــا ؟
وساعدني جفن الغمام على البكـا فلم أر دمعا أينا كان أسجمـــــا
فقالت وقد رق الحديث وأبصرت قرائن أحوال أذعن المكتمــــــا :
تشوقك لا يذهب بك الشوق مذهبا يهون صعبا أو يرخص مالعبا ؟
فأمسكت مستعفيا عن أنسـ...ـــا ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرما ..

ومن زهدياته قوله :

يا باكيا فرقة الاحباب عن شحط هلا بكيت فراق الروح للبـــدن ؟
نور تردد في طين الى اجــــل فانحاز علوا وخلى الطين للكفن
يا شد ما افترقا من بعد ما اعتلقا اظنها هدنة كـــــانت على دخن
ان لم يكن فرضا الله اجتماعهما فيالها صفقة تمت على غبن ...

ومن شعره التفكيري في اختلاف الطبائع بين طلب القشور واللباب في الحياة :

ما كل من شم نال رائحــــــة للنـــاس في ذا تبـــاين عجب



قوم لهم فـكرة تجـول بهم ... بين المعانى ، اولئك النجب
وفرقة فى القشور قد وقفوا ... وليس يدرون لب ما طلبوا
لا غاية تنجلى لناظرهم ... منه ، ولا ينقضى لهم ارب
لا يتعدى امرؤ جبلته ... قد قسمت فى الطبيعة الرتب

● ادين بدين الحب ●

هذا شعر الفلاسفة والحكماء فى تاريخ الفكر الاسلامى العربى ، ويدخل مدخله شعر المتصوفة وخاصة ما كان فيه تثبيت لبعض المذاهب كالحلول والفيض الالهى ووحدة الوجود · وقد اتخذ شعراء التصوف الاسلامى الخمر والغزليات والتأويل سبيلا الى التعبير عن أشواقهم ومواجدهم الالهية · وقد كان « ابن الفارض » امام الشعر الصوفى فى كل العصور ، ويمتاز من دون شعراء التصوف جميعا بقوة الروح ، والميل الى الوضوح ، واشراق العبارة ، والتقليل من التكلف ، مع أن عصر ابن الفارض كان عصرا يميل الى التكلف والبعد عن الفطرة ·

ولا نتعرض لقضية أثيرت من عهد غير بعيد وهى أن جزءا غير قليل من ديوان ابن الفارض منحول أو من صنعة أحد أسباطه ومن اضافاته · ولكننا لن نمسك عن الاعجاب بهذا الشعر الذى يمثل ظاهرة صحية فى الشعر الصوفى الحكمى · على ان اعجابنا بشعر ابن الفارض وشاعريته لن ينسينا الاشادة بقبسات روحية فكرية عند حفنة من شعراء التصوف العربى من أمثال محيى الدين بن العربى ، وعبد الله الشهرزوى المتوفى سنة ٥١١ هـ ، والسهروردى الحكيم المقتول سنة ٥٨٧ هـ شهيدا لعقيدته ·

ويمثل لنا بعض الشعر الذى قاله محيى الدين بن العربى اتساع نظرته الى الوجود ، وانفتاح قلبه على قبول كل شىء فى الحياة ، فالحب العام هو الذى يحدد موقفه من الاشياء ، لان الحب دينه وايمانه ، ومن هنا صار قلبه متفتحا للاديان كلها حتى غير السماوية منها · ويقول فى هذا :

لقد صار قلبى قابلا كل صورة ... فمرعى لغزلان ، ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... والواح توراة ، ومصحف قرآن
ادين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه ، فالحب دينى وايمانى

وهذه الابيات التى تنضح بالحب والشعور الانسانى العام هى من قصيدة لابن العربى فى ديوانه (ترجمان الاشواق) · ومن عجب أن مطلع هذه القصيدة يغاير وزنه وزن بقيتها · ولا ندرى كيف حدث هذا لابن العربى مع بصره الدقيق بالشعر والاوزان · والمطلع المغاير فى الوزن هو :

انى عجبت لقلبى من محاسنه ... يختال ما بين ازهار وبستان

وواضح أن هذا المطلع من البحر البسيط ، وبقية القصيدة من البحر الطويل · ولابن العربى شعر كثير ، اكثره فى ديوانه (ترجمان الاشواق) ، وكثير منه موزع فى بقية مؤلفاته ، وقد سلك مسلك الشعراء المتصوفة من الغزل الحسى

ظاهرا ، المعبر عن الحب الالهى فى جملته ٠
ونفحات هذا الغزل الحسى المعبر عن معان علوية نجدها عند أكثر شعراء التصوف ٠

والحكيم السهروردى يقول فى حائيته المعروفة :

ابدا نحن اليكم الارواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم والى لذيذ لقائكم ترتاح

ولقد صرحت (رابعة العدوية) بحبها الالهى مباشرة دون ايهام أو ابهام ، وخاصة فى أبياتها التى رواها كبار القوم ، والتى تقول فيها :

احبك حبين : حب الهوى وحبا لانك أهل لذاكا
فاما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواكا
واما الذى أنت اهل له فكشفك للحجب حتى اراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

● رغم اختلاف الاسماء ●

واذا كان الشاعر المعاصر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى يكنى عن « اللغة العربية » فى أكثر قصائده باسم « ليلى » ، فان شعراء التصوف الاسلامى فى جملتهم لم يكتفوا فى الرمز الى احبابهم — أو حبيبهم الاوحد — باسم واحد ، فكثيرا ما رأينا الشاعر ابن الفارض يتغزل فى غزله الالهى باسم : سعاد ، وليلى ، ونعم ، وسعدى ، وجمل ، وعتبة ، ووريا ٠ واختلاف الاسماء ليس الا رمزا لمحبوب واحد هو الذى تهيم به قلوب المتصوفة ٠٠٠

ولن يفوتنا ونحن فى معرض الحديث عن شعر المتصوفة أن نشير الى « الحلاج » الذى قتل مصلوبا بسبب التطرف فى مذهبه ٠ وقد عبر عن رأيه فى الحلول ووحدة الوجود تعبيرا شعريا لا نجد له نظيرا عند غيره من شعراء التصوف ، كقوله فى خطاب بعض الاحباب :

كتبت ولم أكتب اليك وانما كتبت الى روحى بغير كتاب
وذلك أن الروح لا فرق بينها وبين محبيها بفصل خطاب
فكل كتاب صادر منك ، وارد اليك بما رد الجواب جوابى

ويقول من مقطوعة أخرى

مزجت روحك فى روحى كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فاذا مسك شىء مسنى فاذا أنت انا فى كل حال

ولن نتعرض هنا لاشعار ابى حمزة الصوفى ، وابن الكيزانى الشاعر المصرى المتوفى سنة ٥٦٢ فى آخريات العصر الفاطمى ، وابى الحسن بن الصباغ المصرى الذى له ذكريات صوفية فى بساتين قوص بالصعيد ، واليافعى ، وعبدالغنى النابلسى والبرعى ، والشيخ حسن رضوان المصرى صاحب كتاب « روض القلوب المستطاب » ، فان المقام لا يتسع هنا لذكر اشعارهم الصوفية الرقيقة

د. يوسف عز الدين

الزهاوي

شاعرا فيلسوفا

الزهاوي شاعر ومفكر ومجدد ، هذه صفات ثلاث يمكن ان تلحقها باسمه على تفاوت في الفكر والتجديد ، والشاعرية ، في فترة خرج فيهما الفكر في العراق من ركود دام حوالي اربعة قرون او تزيد ، ولم يكن المتعلمون في عصره الاقلة محدودة ، قاعدتها المسجد ودروسه ، وبناؤها التعليم الديني الذي ورثناه عبر العصور الطويلة

كان العرب يعيشون كتلا بشرية هائلة ، لا تعرف من الدنيا الا الامور الساذجة ، التي يحتاجها الفلاح في حقله من اكل وشرب ونوم ، وكان رجال الدين واصحاب الطرق المتصوفة هم قادة الفكر والمجتمع والحياة العامة ، وديدن الاكثرية من المريدين الرضوخ التام والسير وراء الشيوخ كالقطيع دون تفكير وادراك .

فى هذا الدور كانت أنماط الثقافة محدودة الافق لأن البيئة العامة فى العراق كانت منغلقة ومغلقة لبعدها عن التطورات الحضارية العالمية ٠ وفى هذه البيئة وجدنا عبد الغفار الأخرس ، وعبد الباقى العمرى ، والحبوبى ، والتميمى ، والحليين ، والجومرد ، والبزاز ، وقد اختص كل واحد بناحية من نواحى الأدب والمعرفة ، كالمديح والرثاء والخمريات والتصرف والشعر الدينى ٠

لأن مطاليب الحياة كانت محدودة والقضايا العسكرية تعيش فى اطارها التقليدى ، وتستمد معلوماتها من حضور الدواوين ، والمقاهى ، ومن حاجات الانسان الفردية ٠ والحياة هادئة راكدة ، وقد رضى الناس عن الدولة لأنها تخدم الدين وتجمعهم بها أوثق الاواصر وأمتنها ٠

وظهرت ومضات فكرية محلية فى عصر داود باشا ، وسليمان باشا ، وعلى باشا ولكن هذه الومضات لم تصل الى درجة الاضاءة والنور والاشراق ٠ ثم جاء قبس اخر جديد للفكر العراقى فى زمن مدحت باشا عندما اسس جريدة « الزوراء » سنة ١٨٦٩ ، واستمر يرعاها حوالى ثلاث سنوات محاولا ادخال النور الى الفكر المنغلق ٠ غير أن عزله حرم الجريدة والفكر من موجه عميق الاثر ، واستحالت الجريدة بعده رمزا للحكم ومرآة للولاة فى عملهم الرسمى ٠
ولم تأت « الزوراء » أكلها ، رغم انها دامت حتى الحرب العظمى الاولى لان التعليم كان محدودا ، والمجتمع كان فى صلابته وقوته ، فلم تؤثر فيه الاشعاعات الجديدة الضئيلة التى وصلته بيسر ولين ٠

ونحن نعرف أن التيارات الفكرية عندما تأتى هادئة رخية الخطا تملأ الفراغ الذى تلاقيه فيكون اثرها عميقا ، ولم تصلنا التيارات الغربية على مختلف اتجاهاتها ، الا بعد أن أعلن الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ ٠ واحس العراقى بشيء جديد حدث فى حياته ، فأرهبه بشعارات من الحرية والعدالة والمساواة ، ونظر اليه بحذر وحيطة ، ولم يكن يفهم معنى الدستور ، ولا يدرى مقدار ما سيقدمه له من فوائد او مضار ٠ وشعارات الدستور لم تحقق للشعب ما كان يحلم فيه ، ولم يستفد منها غير جمعية الاتحاد والترقى ومن ترضى عنه ٠ فقال الرصافى يخاطب الدستور :

قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به ... وسدوا على من حولهم منبع الرزق
كانا لهم شاء فهم يحلبوننا ... وكم مخضوا اوطاننا مخضة الزق
وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها ... ولم يتركوا لساكنيها سوى المذق
اترضى بأن تختص بالحكم معشرا ... وتصبح للباقين حبرا على رق !!
وهم يردون الصفو منك ولم نرد ... سوى نغبة من بعض سؤرهم الرنق
فما نحن الا كالظماء وانهم ... كساق يرينا الماء عذبا ولا يسقى
الم ترانا طول عهدك لم نقم ... نسابق أهل المجد فى حلبة السبق
ولم تك تدرى لاهتضام حقوقنا ... أنحن من الاحرار او نحن فى رق ؟

***

غير أن الدستور رج الفكر ، وازعج العراقى لأنه أيقظه من سبات طويل المدى مر فى حياته ٠ وكانت مصر فى هذه الفترة قد قطعت شوطا بعيدا فى الحضارة ، فقد مر عليها عهد طويل منذ الحملة الفرنسية ، وبعوث محمد على ، وبروز مفكرين مثل رفاعة رافع الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وعبد الله النديم ، كما حدثت فيها ثورة عرابى ، وبرز قاسم امين ، وجاءها الكواكبى ، وجمال الدين



○ الزهاوي ◄

الافغاني وصحبه محمد عبده ، وأديب اسحاق ، وسعد زغلول وغيرهم . وكانت الطباعة والصحافة والترجمة والكتابة الفنية قد بلغت مبلغا كبيرا من الرقي والتطور والتجديد بالنسبة لأدب الزوراء ، وما نشرته مطبعة الولاية في بغداد ولم نجد مكانا في بغداد لشراء الكتب ، حتى قال الرحالة نيبور : « وجدت في بغداد عددا قليلا من الناس ممن يعرفون القراءة والكتابة . وان وجد في القاهرة مكان لشراء الكتب فليس في بغداد محل كهذا ابدا » .

لكن النهضات الفكرية والحركات الادبية في مصر والشام ، لم تكن قد احتجبت الاحتجاب الكبير عن أن تصل الى العراق ومفكريه لكنها كانت غير واسعة الانتشار ، لان بعض المفكرين كانوا ينظرون الى الفكر الجديد ، والجرائد والمجلات بأنها بدعة (رأنها ضلال ، وورقها نجس يجب الا يلمس .

أما الفكر الجديد عند الشباب فبدأ يتسلب من أقلام الذين احتكوا بالحضارة الغربية في الاستانة مباشرة أو بوساطة الفكر المترجم من الادب الغربي ، الى التركيـــة ولم تبعد عن زمرة من الضـباط وطلاب العلم والموظفين ونواب (المبعوثان) ، كالرصافي ، والزهاوي ، وفهمي المدرس ، وسليمان فيضي .

ولما انتهت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ ، وعاد هذا النفر ، كان يحمل زادا فكريا ضخما اذا قيس بأكثرية الشعب الجاهلة ، لان نسبة التعليم لم تتجاوز واحدا بالمائتين (٠٥ و ٪)

وأخذ الضباط مناصب الدولة الكبيرة ، وابتعد غيرهم عن العمل في الدولة الجديدة لامور كثيرة منها كراهية الاستعمار والامل في عودة الحكم العثماني مرة أخرى ، او عدم الاطمئنان للحكم الجديد الذى كان ظاهره عربيا وحقيقته (غربي الشناشن) .

عندما اعجبته الكلمة

كانت بداية الثورة الفكرية الجديدة عند الشباب ، او كما يسمونهم (طبقة الافندية) وهم من غير الضباط من المتعلمين ؟ وفي هذا الجو برزت تيارات

اخذت تتزاحم من جديد ، وبرزت بالتحديد عقليتان أخذتا تتصارعان بين التطور والتجديد ، وبين المحافظة على القديم ·

وكان الزهاوي من رجال الطبقة المثقفة المتطورة ، الذين حازوا المناصب الكبيرة في الدولة العثمانية · وهو من القلة التي كانت مرموقة ، وسرعان ما فقد كل شيء ، ولم يكن بقادر على أن يكون موظفا كبيرا لأنه كان مريضا ، فاستمر في أسلوب حياته ، ودراسته ، وبدأ في البحث عن مسرب يبرز فيه في المجتمع الجديد ، ينال احترامه ، وينعم ببارق أنواره · وكان في البلد شعراء مجيدون يفوقونه أسلوبا ومتانة وجزالة ، وهم في عز الشباب والصحة · ولم يكن قادرا على مجاراتهم والسير معهم في أساليبهم ، فعكف على الاراء الغربية، والتيارات الفكرية ، التي تصل العراق عن طريق « المقتطف » و « الهلال » ، وقد حملت « المقتطف » بالدرجة الاولى لواء العلم الغربي ، ونشر نظرياته ، فعكف المتطورون على دراستها ، فقد بهرتهم بطرازها وأسلوب تكوينها ، وتأثروا بها وانفعلوا أشد الانفعال بجديدها ·

وفي مذكرات الزهاوي انه كان شديد العناية بدراسة هذه الاراء ، وشديد الاعجاب بالعلماء الغربيين وسبل فكرهم · وهزته كلمة الفلسفة وعبـــارة فيلسوف ، فاراد أن يسمي بها · وقد حدثني احد ابناء الجيل الماضي بان الزهاوي كان يذهب بنفسه الى الجرائد ، ويضع امام أسمه مختلف الالقــاب والنعوت ومنها لفظة (الفيلسوف) ، وليظهر بهذا المظهر ، فقد اطلق لحيته وشاربه ، ودل بملبسه وطريقة حياته على انه يريد ان يكون فيلسوفا ·
فهل كان فيلسوفا حقاً ؟

كان للادب الجديد نهج واضح وفكر معروف الحدود ، وفيه دعوة للتجديد ، والمناداة بالعصرية للخروج على المألوف من مناهج الأدب القديم · فالتفت الاديب المجدد الى المعنى ، وترك المحسنات اللفظية ، واختيار الالفاظ ، وعشق الجديد بارائه الغربية ، وبالنظريات والمخترعات الجديدة · وقد برز الرصافي في هذا كله ، وفاق الزهاوي بما ادخله على شعره من نظريات العلم الغربي ، ومخترعاتها بسهولة ويسر · وامتاز بجزالة الاسلوب والجراءة على الحاكمين، والاعتداد بالشخصية لأنه أصغر منه سنا ، وليس يملك ما يخاف عليه · وكان



رفاعة الطهطاوي : شوط
بعيـد في الحضـارة



الكواكبي : مع النهضة الفكـــرية في مصر

الزهاوى خائفا مريضا ضعيف الاسلوب ركيك العبارة بالمقارنة الى الرصافى ، فاختار الزهاوى أن يكون فيلسوفا ، واخذ يؤكد ذلك في شعره وحياته ، حتى اسف في شعره طلبا للتجديد ورغبة في المعانى ·

قضايا رياضية وعلمية

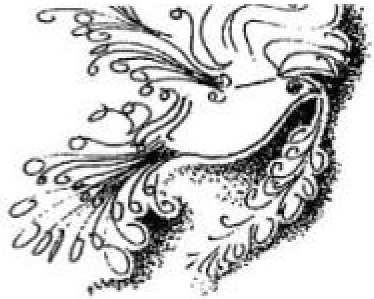
ان دارس شعر الزهاوى ونثره لا يجد له فلسفة واضحة المعالم يتميز بهـا عمن سواه من المفكرين ، الا اذا كانت الفلسفة هي اسلوب حياة الانسان، وطرق معادلته للاخرين ، أو ان الفلسفة البحث عن حقائق الاشياء وجوهرها للوصول الى غاية علمية او فكرية مطلقة لفهم الحياة بالعقل ·

ومن هنا ظهرت لنا فلسفة النحو وفلسفة البلاغة وفلسفة الشعر · او ان الفلسفة بمعناها القديم كما قال الكندى « علم كل شيء ينظر فيه يقع تحت الفلسفة التي هي علم كل شيء » وبذلك تدخل جميع المعارف تحت علم الفلسفة ، ومن هذه الفلسفة العلوم الطبيعية والفلكية التي ولع بها الزهاوى ولعا خاصا ، وبث على نثره في مقالاته وكتبه (الكائنات) و (المجمل مما ارى) و (الجاذبية وتعليلها) و (الدفع والظواهر الطبيعية) ، وفيما كتبه هو عن حياته ومذكراته واخيرا (النزغات) التي حققها الصديق الشاعر هلال ناجى ·

أما اذا كانت الفلسفة التطلع العميق لفهم العالم وادراك كنهه واصله وجوهره بتحليل العناصر والمكونات ، خلال العقل البشرى لوضع نظريات فلسفية جديدة ونظريات حديثة لتفسير (حقائق الموجودات) للسير نحو قصد المسلى ـ فلا اظن الزهاوى من هؤلاء ، لأن الزهاوى أعتمد على آراء الفلاســـفة والنقاد والمصلحين ، وأخذ ينادى بها ، واعتمد في الدرجة الاولى على العلوم الفلكية والطبيعية ، فقد قال : (وأول مجلة لذتني مطالعتها هي الاجـــزاء الاولى من المقتطف ، وأول الكتب في العلوم العصرية هي مؤلفات فانديك في الفلك ···)

وقال في موضع آخر : (واقرأ خاصة في المقتطف ما جد في العالم وما ارتاه كبار علماء الغرب في الفلك وبناء الكون أو في الاشعة) ·

وزراه حتى بآراء « اينشتاين » في النسبية وغيرها ، وأخذ يبدى آراءه في قضايا رياضية وعلمية ، ولا يمكن الحصول عليها الا في المختبرات وأكثر من



ذكر الذرة والالكترون والجاذبية والسدم والحرارة والكهرباء والدفع والجذب. وأراد المخالفة فقال « ان الظواهر الطبيعية لم يفسرها العلماء بصورة صحيحة ... وانا أول من انكر الجاذبية واقام مقامها الدفع » و « وخلاصة ما ارتأيته في هذا الباب هي أن الحركة لا تتم الا بدافع القوة . والقوة هي الاثير ، فالحركة هي نتيجة دفع الاثير ، ولما كانت الالكترونات المارة في حركة سريعة فانها تستهلك الاثير بنسبة كثافة المادة فتختل موازنة الاثير في داخل المادة » ويدخل في هذا المد والجزر حسب قواعده ، ثم يناقش « ماكس بلانك » الالماني في نظرية (الكوانتم) مناقشة بعيدة كل البعد عن الروح العلمية ·

ثم يتكلم في النظريات الحديثة التي قرأها في المقتطف بصورة عامة ، ولا ادرى كيف يتحدث عن النسبية وهو نظرية رياضية صرفة ، اشتقت من المعادلات الرياضية المعقدة التي لا يعرفها الا العلماء المختصون · فعندما توصل « اينشتاين » للعلاقة القائمة بين المادة والطاقة وان احداهما صورة للثانية فجعل الطاقة تساوى الكتلة في مربع سرعة الضوء أي أن كمية قليلة من المادة تتحول الى طاقة هائلة ، ومن هذه العلاقة استفاد العلماء في اختراع القنبلة النووية (المسماة خطأ الذرية) وسعوا لاستخدامها في الاغراض السلمية ·

نظم النظرية شعرا

وقد سألت صديقي المجمعي العالم الدكتور فاضـــــل الطائي عن رأيه في (الكوانتم) فقال :

« ان نظرية الكوانتم لماكس بلانك تقول بأن الطاقة تنبعث على هيئة « كوانتم » وهنا ان طاقة الكوانتم تعتمد على ذبذبة الضوء المنبعث ، وليس على الالكترون كما يدعي الزهاوي ، أي أن الطاقة تساوي ثابت الكوانتم مضروبة في ذبذبة الضوء، وأن الضوء طاقة تعتمد في كميتها على ذبذبةالضوء الناتج، فتارةتكون ضمن الضوء المرئي وتارة تكون بعيدة عنه اقوى أو أضعف ، وأن الكوانتم قيمة ثابتة ، لذا نرى أن ذبذبة الضوء الناتج هي العامل الاساس في قــوة او ضعف طاقة الكوانتم وانها تنتج عن تحرك الالكترون من مدار الى مدار اقل طاقة من المدار الاول ، وهكذا تتحول الطاقة بينهما الى ضوء » ·

ومعنى هذا أن الالكترون نفسه ليس بضوءوانما الطاقة التي تنبعث منتحوله من مدار الى مدار آخر تختلف في الطاقة ويكون الضوء الذي ينبعث معتمدا

على نبذبة : أى على فرق بين المدارين طالما ان سرعة الضوء ثابتة ، فالوجة اما أن تكون ضمن الضوء المنظور من قبل العين واما أن تكون أعلى على الاقل، وتعتمد نبذبة الضوء المنبعث على مقدار الفرق بين مدارى الالكترون وبعبارة أخرى على طاقة الكوانتم نفسه ·

وبذلك فتفسير الزهاوى للنظريتين بعيد عنهما كل البعد ، وان الزهاوى فى مقياس العلم الحديث بعيد عن المعرفة ، ولم يعرف هاتين النظريتين وان الذى كتبه لا يقدر على فهمه غيره ·

وعندما أراد أن ينظم قضايا الكون وما فيها من جاذبية وقف امام نظرية الجذب وقال ان الدفع هو الذى ينظم حركة الكون ونظم النظرية شعرا فقال :

تحوى السماء نجوما ذات انقضة … من الشموس كثارا ليس تنحصر
تخالها ثابتات وهى مسرعة … كأنها الخيل فى بيداء تحتضر
وكل شمس لها جرم بنسبته … يجرى الأثير اليها فهى تستعر
وهو الذى يوسع الأجسام قاطبة … دفعا عليها به الاجسام تنهمر
وللأثير يد فى الكون قاهرة … تدحرجت بعصاها هذه الاكر
الجرم يأخذ منه بعض حاجته … وللذى زاد عن حاجته يذر
وعند ذلك يجرى فى جواهره … كالماء قد صادفته جاريا حفر
ردءا لما اختل فيه من موازنة … ان التوازن فى القوات معتبر
والجوهر الفرد فى الأجسام ليس سوى … كهيربات بها يقوى وينقمر
والبعض منه كما فى الرا'يوم يرى … ينحل من نفسه فيها وينتثر
هذا الذى انا مبديه لكم نظرى … وانما كل انسان له نظر

وتحدث عن المد والجزر أشياء غريبة أصبحت اليوم معروفة وواضحة ، فلا نريد أن نعيد رأيه اذ ليس فيه جديد ولا ننسى أن « الكندى » له بين رسائله التى حققها « أبو ريدة » رسالة فى العلة الفاعلة للمد والجزر ، تحدث عن الظاهرة قبل الزهاوى وقبل الغربيين بقرون ·

وسمى نفسه « فيلسوفا »

هذه النظريات التى عنى بها الزهاوى ، لم يكن يهتم بها المثقفون والادباء

علي مبارك العلم
اساس التقدم



كثيرا وان ظهرت بعض الكتابات ضدها ، وأثرت في بعضهم · لكن الزهاوى عكف عليها لينفرد بالحديث عنها ، ويبرز ويلفت الانظار اليه بأنه (فيلسوف) يتحدث عن شيء جديد ، لم يكن يفهمه أغلب القراء ، وسمى نفسه (فيلسوفا) غير ان الحديث عن هذه الامور لم يلفت النظر اليه ، ويثير الناس عليه ، ولكن الذى اثار عليه الناس آراؤه الالحادية ، التى كانت مثال التفكير العصرى ولصقت من أجل ذلك به تهمة الكفر والالحاد ، وقاطعه علماء الدين ، ولم يمش في جنازته ابن عمه الشيخ أمجد الزهاوى رئيس محكمة التمييز الشرعى لأنه خرج عن المألوف ، واعتبر من الملحدين كما حدثنى الاستاذ الصديق ضياء شيت خطاب · وليس هذا غريبا على الزهاوى فعندما توفى محمد سعيد الزهاوى قال للمعزين ، لماذا تعزوننى فيه وغدا سنأكله فاصولية ··· .

وليذا اشار الاستاذ ناجى القشطينى عندما رثاه :

قالوا تزندقت يا هذا فقلت لهم ... ان الزناديق أصحابى واخواني
هم يعلمون عن البارى وقدرته ... ما دق عن بعض افهام واذهان
ماذا يضير بنى الايمان ان مرقت ... نفسى وضلت بلا دين وايمان

وليس للزهاوى فلسفة جديدة خاصة به ، وانما هى آراء متحررة وجريئة ملحدة متأثرة بالآخرين او انها تقليد للمفكرين والفلاسفة ، مثل ابى العلاء المعرى ، والخيام ، وجوستاف لوبون ، اعجب بها واندفع فى تقليدها فى شعره ونثره · دافعها القلق الروحى والاضطراب النفسى ، وحب اثبات الذات ، فكان بين الالحاد والايمان مترددا ، وان كان ايمانه يغلب عليه ، لذلك جمع مثل هذه الآراء كلها فى (النزغات) وطلب أن تنشر بعده ومن هذه قوله :

توقفت لا ادرى تجاه الحقائق ... التى خلقت الله ام هو خالقى ؟
لئن وثق الجمهور بالله خائفا ... فرب حكيم بينهم غير واثق

ومنها قوله :

بقلبى ان الله يهدى عباده ... فاكتم ما فى القلب كتم المنافق

ولم تقف الثورة على فكرته الالحادية عند حدود العراق ، وانما وجدناها عندما يذهب الى مصر وينشر قصيدة تثير عليه الناس ، وتطالب باخراجه من



عبد الله النديم :
الفكر الثورى والحرية

مصر لان القصيدة تمس العقيدة الاسلامية التى تؤمن بالاخرة • ومن هـذه القصيدة :

وسائلة هل بعد ان يبعث البـلى   باجسادنا نحيا طـويلا ونرزق ؟
فقلت مجيبا اننى لست واثقـا   بغير الذى حس له متحقـق
وهيهات ان ترجى حياة لميـت   اليه البلى فى قبره يتطـرق

ولو أن الزهاوى أصبح وزيرا ، أو نال ما كان يأمله فى الحياة ، لما قلق ولما اضطرب، لكن احساسه بالاهمال دعاه الى ركوب هذه الامور ، وساءه أن يطلب اليه أن يكون شاعر البلاط بعد أن كان يمثل العراق فى المجلس العثمانى فى استانبول ، وبعد أن كان استاذا له مقامه العلمى والفكرى ، وهو من الصفوة القليلة المرموقة الجانب • وزاد الطين بلة فى آخر أيامه اخراجه من مجلس الاعيان بالقرعة •

مؤمن فى اعماق نفسه

ان التأكيد على الذات او النرجسية العميقة فى نفسه غلبته على أمره ، وعمق هذا الشعور عوامل المجتمع العراقى المضطرب ، ومرضه ، لذلك كان يجب أن يتفرد فى شىء بين الشعراء ، فكانت لفظة فيلسوف من أحب الالفاظ الى نفسه، مع لفظة الشاعر التى كان يريدهما أمام اسمه • فقد قال الزميل المجمعى المدقق كمال ابراهيم (ان لفظتى « الشاعر الفيلسوف » هى أحب ما يكون لنفسه) • ولن يكون فيلسوفا الا بعد ان ينظم ما لم ينظمه الشعراء المعاصرون له من النظريات التى كان أبرزها « نظرية التطور والنشوء » فقال :

عاش فى الغاب القرد دهـرا طويلا   قبل أن يلقى للرقى سـبيلا
ولد القرد قبل مليون عـام   بشرا فارتقى قليلا قليـلا
أى شىء الم بالقـرد حتى   هجر الغاب نجله والقبيـلا
انه لولا العقل كان ضعيفـا   وعليه الحياة عبئا ثقيـلا
وعلى رجليه مشى بعد أن سـا   ر على اربع زمانا طـويلا

واراد ان يذكر حكمتى النشوء والارتقاء أو التطـور فقال فى بيتين من القصيدة :

يا له من تطور حول القـر   د لانسان يحسن التخييـلا
اننى اخشى للنشوء انقـلابا   فيعود الانسان قردا كسـولا

وفى هذه القصيدة يجد الباحث اشياء كثيرة من السوبرمان والاشـعة وأنواعها ، ثم يعرج على القضايا الالحادية التى لا يرضاها المجتمع لتثيره عليه ، وليعرفه الناس بالتفوق والفلسفة ، لكنه فى اعماق نفسه كان مؤمنا اشد الايمان (ولان شعره فى اليقين ينبع من اعماقه بصدق واصالة فهـو حرى بتفضيل الزهاوى كما قال الشاعر هلال ناجى •

ونحن نقدر الضجة والثورة الفكرية التى احدثها فى عصره ، وتبنى الاراء الجديدة المعاصرة ونقول كما قال الله تعالى :

حنانك لا تؤاخـذنا   على نسياننا الامـرا
ولا تحمل علينـا ان   زللنـا ربنا الاصرا

رحم الله الزهاوى ، يكفى أثره أننا ندرسه حتى الان حيا رميتا •

بغداد   يوسف عز الدين

شفيق جبري

هكذا الدنيا



حيرتنا السماء والارض فالناس من الارض والسماء حيارى
كلما لاح منهما وجه سر زادنا الخوض فيهما اسرارا
فكان الرجال من حيرة الفكر سكارى وما هم بسكارى
ظلمات لفت نجادا فغطتها وغطى سوادها الاغوارا

***

ليت لى كهفا او مغارا فانى اجد الكهف جنتى والمغارا
ترى العين ما يشق على العين ولا ما يبلبل الابصارا
لم تزدنا العلوم الا ضلالا ، فى سبيل الهدى والاخسارا
هكذا العلم للدمار سبيل ، كبر العلم ان يجر الدمارا

***

تدرج الليل والنهار لعمرى ، ملت العين ليلها والنهارا
يفرح الخلق بالليال اذا طالت وقد تشبه الطوال القصارا

ليتني كنت والسـمـاء مهادي ، فلكا في عنـانها دوارا
فأعيش العمر الطويل ومالى ، فيه حس ينقص الاعمـارا
ما حياة الفتى اذا قيس بالنجم ، وهل تشبه السواقى البحارا
أنعيش الافلاك دهرا طـويلا ، ويموت الفتى نضيرا صغارا
يعجـز الفكر عن حسـاب مداها ، افلم يتعب المدى الافكارا

***

تسمع الاذن فتنة كل يوم ، وترى العين ضـجة ومثارا
فكأن الحيـاة اضحت أعاجيب تسلى صغارها والكبارا
ضجر يغمـر النفوس ويأس ، يتلظى فيلهب الاضجارا

***

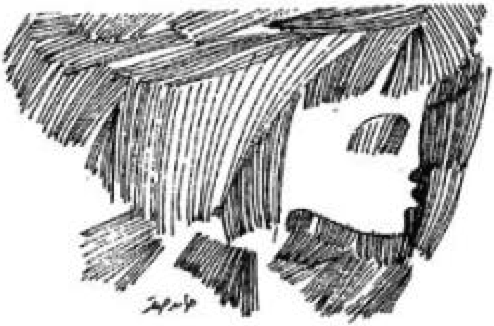
بدعة فى الاطوار كل صبـاح ، تتجلى فتنسخ الاطوارا
بدعة فى اللباس والزى والعيش تمادت هل تسمع الاخبارا
يتغنون بالسـلام خداعا ، افلم يجعلوا الحروب شعارا
افلم يملأوا الديار صواريخ ليغنوا رجالهـا والديارا
ام همها التبسـط فى الاقطـار حتى تزلزل الاقطارا
هكذا الدنيا تطحن الشعب ان لم يك فى الدنيا ماردا جبـارا

***

فكأن الحيـاة طمر عتيق ، أترانا نجـدد الاطمـارا
سئم الناس كل وجه فثـاروا ، وغـدا النـاس كلهم ثوارا
ما خلت بقعة من الارض منهم ، ملأ الدنيـا صوتهم أنارا
هكذا الخلق ثورة وانقلاب ، فاذا شئت فاقلب الاسـفارا
غير ان النيـات مختلفات ، لا ترى النـاس كلهم ابرارا
أسـواء من يقلع الشوك فى الارض ومن راح يجمع الازهارا

باودان

شفيق جبرى



د. عثمان أمين

النقد الفلسفي في المجتمع الاسلامي المعاصر



ان النقد ، بمعناه الفلسفى الصحيح ، لا يعنى الهدم او التجريح ، بل يعنى البناء والتاصيل والنقد شاهد صدق على النزعة المثالية التى ترمى الى مجاوزة الواقع القاصر الى ما هو افضل منه واسمى ... وفى هذا الحديث لقاء برائدين من رواد النقد المثالى فى المجتمع الاسلامى المعاصر ، هما : السيد جمال الدين الافغانى ، والامام محمد عبده .

لقد رأيت أنهما قادا حركة التحرر الفكرى فى العالم الاسلامى ، وكان هدفهما ايقاظ الوعى الانسانى فى النفوس ، وتنبيه الناس الى الاخطار المحدقة بهم · ورأيت أن المبادىء التى دعا اليهما هذان المفكران هى نفسها المبادىء الضرورية لقيام وعى للانسان بما هو انسان : كرامة الانسان ، ويمثلها الافغانى ، وتنوير الاذهان ويمثله محمد عبده ·

ورأيت كذلك ان هذين العلمين يشتركان فيما بينهما فى سمات واضحة جعلتهما ينتميان الى سلالة روحية واحدة ·

السمة الاولى : أنهما مفكران جوانيان على الاصالة : النظر والعمل عندهما متصلان أوثق اتصال ، وهما متفقان على أن « الدين – كما يقول محمد اقبال – ليس احكاما جامدة ولا كهنوتية ولا انكارا · وانما يتيسر بالدين تهيئة الانسان المعاصر لحمل العبء الثقيل الذى يحمله اياه تقدم العلوم فى عصرنا · والدين وحده يرده الى الايمان بالله والثقة بالنفس » ·

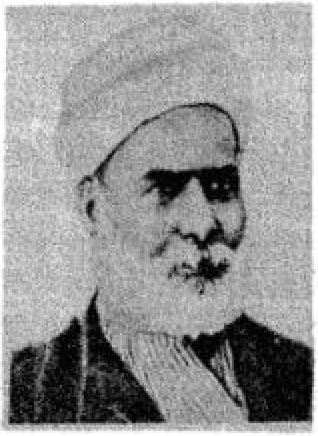
وهما مشتركان كذلك فى نظرتهما الجوانية الى العلاقة بين الدين والسياسة : ولا يريان تعارضا بينهما لو فهما على الوجه الصحيح · كما يريان أن اصلاح المفاهيم الدينية أقرب طريق للاصلاح السياسى ولرفع شبهة التعارض بين الدين والعلم ·

والسمة الثانية : هى أنهما ، بعد نجاح دعوتهما لايقاظ الوعى الانسانى ، أصبحا من رواد الوعى القومى · والواقع أن الدعوة الى الوعى الانسانى لا بد أن تسبق الدعوة الى الوعى القومى ، خلافا لما يتوهم بعض الناس : فانك لا تستطيع أن تحرك فردا من الافراد الى معنى أو عمل ينفع قومه ،

جمال الدين الافغانى



الشيخ محمد عبده



ما لم تحرك فيه انسانيته اولا • ولاريب ان من لوازم الانسانية الايثار والغيرية ، والعمل من أجل المجموع ، والتحرر من أسر الانانية • وكل دعوة قومية لا تعتمد على دعوة انســـانية يكون نصيبها الفناء؟ فبالوعي الانساني ترسخ في نفوس الناس المثل العليا والقيم الروحية والمعاني الجميلة •• وبه يشعر الانسان ، كما يقول عبـــد الرحمن الكواكبي ، بأن :

« الحرية افضل من الحياة نفسها واكرم • وان الشرف اعز من المنصب والمال » •

والوعي الانساني هو الذى « ينبه الى الظلم كيف يرفع ، ويشـــير الى الكرامة البشرية وقيمتها » •

والسمة الثالثة : انهما قد وقفـــا جهودهما على احياء الاسلام : فقـــد كان ذلك هو رسالة حياتهما •

وقد كان محمد عبده اكبر تلاميـــذ جمال الدين الروحيين ، وكان ابرز انصاره في الحركة الفكرية التجديدية التى تؤذن بان تؤتى ثمارها دانيـــات في مختلف الارجاء •

والسمة الرابعة : انهما من الادباء المفكرين ، فكان ادبهما كما قيل بحق : « اسرع نبوعا وابعد مدى واعظم دويا واحكم اصابة للهدف في ميـــادين التحرر الفكرى والانقلاب الاجتمـــاعي والتقدم البشرى » ، لانه ادب « توجيهي » هادف ، او ادب « ملتزم » كما يعبر الوجوديون اليوم •

ومن هذه الجهة كان لهذين الرائدين في عصرهما اثر كبير يندر ان نجـــد له نظيرا في اداب الامم الاخرى• وقد قيل في وصف عن جمال الدين انه رجل « يتناول السعوط بيمنـــاه ، ويزرع الثورة بيسراه » وقيل عن محمد عبده « ان دعوته لتحرير الفكر من قيـــد التقليد تفوق ما صنعته الجيوش من فتح البلدان او رد العدوان » •

قطرة من بحر

ونبدأ الحديث عن نقد جمال الدين للمجتمع الاسلامى لنشير الى رأيه في « عقلانية الاسلام » : كان الافغاني مسلما حقيقيا ، وكان في الوقت نفسه نصيرا للعقـــــل قويا ، وكان يهيب بالمسلمين على اختلاف مذاهبهم ان يستعملوا هذا المبدأ العقلى الذى امتاز به الاسلام على سائر الاديان • وفى ذلك يقرر الافغاني رأيه بوضوح لايحتاج الى تعقيب ، فيقول :

« ان الدين الاسلامى يكاد يكون منفردا من بين الاديان بتقريع المعتقدين بلا دليل ، وتوبيخ المتبعين للظنون ، وتبكيت الخابطين في عشواء العماية ، والقدح في سيرتهم• هذا الدين يطالب المتدينين بان يأخـــذوا بالبرهان في اصول دينهم • وكلما خاطب خاطب العقل ، وكلما حاكم حاكم الى العقل ، تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة ، وان الشـــقاء والضلالة من لواحق الغفلة واهمـــال العقل وانطفاء نور البصيرة » •

وكان جمال الدين ينفر من « التقليد » وينعى على المقلـــدين اتباعهم لآراء غيرهم دون تمحيص ، كما كان يستنكر قول بعض المتأخـــرين من أن باب « الاجتهاد » مســـدود لتعذر الوفاء بشروطه ، ويقول : ما معنى ان باب الاجتهاد مسدود ؟ وبأى نص ســـد باب الاجتهاد ؟ او اى امام قال : لا ينبغى لاحد من المسلمين بعدى ان يجتهد ليتفقه في الدين او ان يهتدى بهدى القرآن وصحيح الحديث ، او ان يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما ،

والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجات الزمان واحكامه ولا ينافي جوهر النص ؟

« ان القرآن ما انزل الا ليفهم ، اى لكي تتدبر معانيه بالعقل ، وتدرك احكامه ومقاصدها • انظر قوله تعالى « انا انزلناه قرآنا عربيـــا لعلكم تعقلون » •• فمن كان عالما باللســان العربي ، وعاقلا غير مجنون ، وعارفا بسيرة الســـلف ، ومحيطا بطرق الاجماع ، وما كان من لاحكام مطلقا على النص مباشرة او على وجه القياس وصحيح الحديث ، جاز له النظر في احكام القرآن وتدبر مراميها »

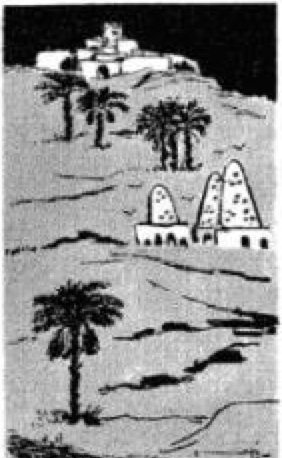
ويقول ايضا : « ان الفحول من ائمة الاسلام اجتهدوا واحسنوا ــ جزاهم الله عن الامة خيرا ــ ولكن لا يصح أن نعتقد انهم احاطوا بكــل أسرار القرآن او تمكنوا من تدوينهـــا في كتبهم ، والحقيقة أن ما وصلنا من باهر علمهم واجتهادهم ما هو بالقياس الى ما حواه القرآن من العلوم الا كقطرة من بحر او ثانية من دهر ••

وهل يجوز الجمود والوقوف عند اقوال اناس هم انفسهم لم يقفوا عند حد اقوال من تقدمهم ؟ لقد اطلقوا لعقولهم عنانهـا ، فاستنبطوا وادلوا دلوهم في ذلك البحر المحيط من العلم، واتوا بما يناسب زمانهم ويقـــارب عقولهم وتتبدل الاحكام بتبدل الزمان•

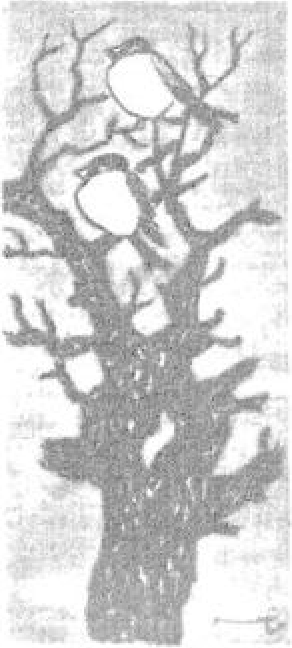
خطر الاستعمار الثقافي

وكما دعا جمال الدين المسلمين الى التنبه الى الخطر الخارجي ، خطــر الاستعمار السياسي ــ دعاهم ايضا الى الالتفات الى خطر آخر « جواني » وهو الاستعمار الثقافي ، فكان يقول :

« ويتخذ الغربيون في الشرق أساليب عجيبة للقضاء على الروح القومي وقتل التربية الوطنية وتقويض الثقافة الشرقية فتراهم يزينون للشرقيين ان ينكروا على قومهم كل مأثرة وكــل فضيلة ، ويلقون في روعهم انه ليس في لغاتهم العربية او الفارســية او الهندية آداب تؤثر ، ولا في تاريخهم مجد يذكر ، ويوهمونهم بأن قصارى المجد للشرقي النابه أن ينفــر من سماع لغته ، وان يتباهى بأنه لا يحسن التعبير بها ، وان ما تعلمه من الرطانة الغربية هو غاية ما يستطاع بلوغه من الثقافة الانسانية !



« الا ليت الشرقيين يدركون انه لا جامعة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا تاريخ لهم ، ولا تاريخ لقــوم اذا لم يقم منهم اساطين يحمون ذخائر بلادهم ويحيون مآثر رجالهم » •



وعلى الرغم مما نعاه جمال الدين على المسلمين في زمانه فقد أعلن عن تفاؤله بمستقبل الاسلام فقال : « ما دام القرآن يتلى بين المسلمين ، وهو كتابهم المنزل ، وامامهم الحق وهو القائم عليهم ، بأمرهم بحماية حوزتهم والدفاع عن ولايتهم، ومغالبة المعتدين،

وطلب المنفعة من كل سبيل ، فاننا لا نرتاب في عودتهم الى مثل نشأتهم، ونهوضهم الى مطالبة الزمان بما سلب منهم ، وأنهم يتقدمون على من سواهم في فنون الملاحة والمنازلة والمصاولة ، حفظا لحقوقهم وضنا بأنفسهم عن الذل وملتهم عن الضياع ·

··· ان هذه الملة لن تموت ما دامت هذه العقائد الشريفة آخذة أخذها من قلوبهم ، ورسومها تلوح في أذهانهم، وحقائقهامتداولة بين العلماء الراسخين منهم· وكل ماعرض عليهممن الامراض النفسية والاعتلال العقلي فلا بد أن

تدفعه قوة العقائد الحقة ويعود الامر كما بدأ ، وينشطون من عقالهم ، ويذهبون مذاهب الحكمة والتبصر في انقاذ بلادهم وارهاب الامم الطامعة فيهم وايقافها عند حدها ، وما ذلك ببعيد·

نظرة انسانية عميقة

وننتقل الى الاستاذ الامام فنقول ان شعار فلسفته هو تنوير الاذهان ·

نظر محمد عبده الى الفلسفة نظرة انسانية عميقة ، فأخذها على معنى محبة الحكمة وممارسة الفضائل الاخلاقية وهداية السلوك الانساني · وقد فهم الفيلسوف العربي المعاصر ان التفكير الفلسفي لا يصح أن يظل دائما نظريا (تأمليا) فحسب ، وانه لايستطيع ان يعطينا عن الوجود وعيا تاما صحيحا الا اذا استطاع ان يخوض غمار الدنيا بدلا من أن يخرجنا منها ، وأن يلزمنا أن نتحمل مسئولية شخصية بازاء كل ما يحدث فيها ، بدلا من أن يدعونا الى أن نجد في عزلة الفكر واحجامه ملاذا نلوذ به ·

بهذا المعنى الانساني كان الاستاذ الامام فيلسوفا جديرا بهذا الاسم الجميل · على يديه عادت الفلسفة في العالم الاسلامي الى ما كان ينبغي ان تكون عليه دائما، فاضحت املا روحيا في معنى الحياة الانسانية وتحقيقا لوعي الانسان لذاته وبحثا عن دعائم العمل والاخلاق ·

ويرى الاستاذ الامام ان الخطوة الاولى في كل مسعى فلسفي هي تنبيه الوجدان وايقاظ الضمير واثارة روح النقد تمهيدا للفهم · ولذلك وجدناه

فى جميع أقواله ورسائله ومؤلفاته دائبا على مهاجمة « التقليد » أى تقبل آراء الغير دون المطالبة بالدليل ، ودون الالتفات الى حق كل شخص فى استقلال النظر والفحص .

ومن أجل هذا نراه دائم الاشادة بمبدأ « الاجتهاد » ، أى الفكر المتحرر من كل عائق ، وشديد الحملة على المقلدين . ذلك ان « باب الاجتهاد » لم يغلق كما ظن البعض ، بل لا يزال مفتوحا لجميع المسائل التى تثيرها الظروف المتجددة ، ظروف الزمان والمكان . فيجب الا تكون الكلمة الاخيرة للآراء البالية او السلطات البائدة ، بل للحياة النابضة ، ولروح الترقى المتصل ، وتوخى المصالح العامة. فان فكرا يكون مقيدا بالعادات مستعبدا للتقليد لهو فكر ميت لا حياة فيه ولا قيمة له . والاستاذ الامام يقول فى ايجاز صريح شديد الدلالة :

« الفكر انما يكون فكرا له وجود صحيح ، اذا كان مطلقا مستقلا يجرى فى مجراه الطبيعى الذى وضعه الله تعالى ، الى أن يصل الى غايته .. »

ولا يكف الامام عن التنبيه الى ان واجب الانسان ألا يذل فكره لشيء سوى محبة الحق : « ان الدليل للحق عزيز » ..

نعم ان واجبنا ان نسير فى وجودنا الحاضر مهتدين بتجارب السلف . لكن من واجبنا ألا نقبل جميع ما يؤثر عنهم من تقاليد دون تدبر وتمحيص ، بل ينبغى أن نعمل الفكر فى موروثاتنا : فان وجدناها صحيحة - أى موافقة لصريح العقل - قبلناها وزكيناها ، والا رفضناها غير آسفين .

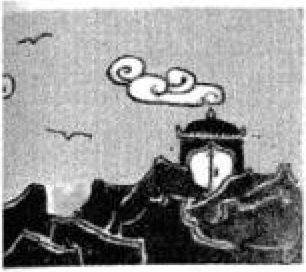
وهذا البحث الحر ، وهذه الحاسة الناقدة - على معناها عند الفيلسوف « كانت » - هى فيما يرى الاستاذ الامام - الخاصية الانسانية على الحقيقة ، هى ما يميز « الحيوان الناطق » عن سائر الحيوان ، انها بعبارة أخرى : الشجاعة فى طلب الحق ، تلك الشجاعة التى تجعل طالب الحق صابرا صامتا ، لاتزعزعه المخاوف ، وتجعل المرء عزيزا كريما ، بعيدا عن اوهام العوام ، محطما لاصنام السوقة . وبهذه الشجاعة يقول الامام محمد عبده « يكون الانسان حرا خالصا من رق الاغيار ، عبدا للحق وحده » .

نقد المجتمع الاسلامى

فى أوائل هذا القرن انتهت زعامة الفكر فى العالم الاسلامى الى الاستاذ الامام ، فاشتغل بالتجديد الدينى ودعا الى الاصلاح الاجتماعى . وكان - بحق - رجل علم وعمل ، ورجل دنيا ودين ، راح يهاجم ما يخالف الصواب من أفكار وأخلاق وعادات شائعة سواء بين علماء العصر أم عامة الناس .

ففى الجانب العقلى وجه الامام شديد النقد للمشتغلين بالعلم فى عصره وكثيرا ما نعى عليهم جهلهم وضيق آفاقهم ، كما نعى على الفقهاء تزمتهم فى فهم النصوص الدينية ، وتشبثهم بحرفيتها وظاهرها ، دون التفات الى روحها وجوانيتها ، وحملهم تبعة ماوصل اليه المسلمون من قلة الاكتراث بجوهر العقيدة . وانحى باللوم على العلماء خاصة ، لافتقارهم الى روح النقد والتمحيص ، وتمكن الاوهام والخرافات من أكثرهم .

اما فى الجانب الاخلاقى فقد رأى الفيلسوف الناقد أن ضعف المسلمين



مصدره جمودهم وقصورهم عن فهم الاركان الاساسية للاخلاق الاسلامية ، وانهم فقدوا الايمان بالله « لانهم اخذوه اسما،واكتفوا به علما ورسما » وكان يعيب عليهم ان ليس بينهم مايدل على تضامنهم او الثقة بانفسهم ، ولم يعد لديهم أمل في النهوض ببلادهم

وقد نشأت عن هذه الحال النفسيةآفات التردد وفتور الهمة وضعف العزيمة وفساد السلوك . وهذه الآفات تبدأ من البيت وتنتهي الى سواد الامة ، وتمر في كل طبقة .وتجول في دوائر الحكومة .

وفي الجانب الديني أخذ محمد عبده على المسلمين انهم زيفوا تعاليم الاسلام السمحة الواضحة ، وكان يندد بما درج عليه العلماء من « شكلية » قطعية ، تنبيء عن وسوسة ارتيابية ، اذ تجعلهم يسرفون فيفترضون ـ اليا ـ أبعد ضروب الاحتمالات ويلاحظون ـ من الخارج ـ أدق تفاصيل العبادات .

أما عقائد العامة فكان الامام يرى انها الفاظ لا تمت الى الدين بسبب ، فهي عند الجمهور عود الى العقائد الجبرية ، وذهاب الى انه لا حرية ولا اختيار للانسان فيما يفعل ، وانما هو مجبر فيما يصدر عنه جبرا محضا ، ولهذا لا يؤاخذ على ترك الفرائض واقتراف المعاصي !

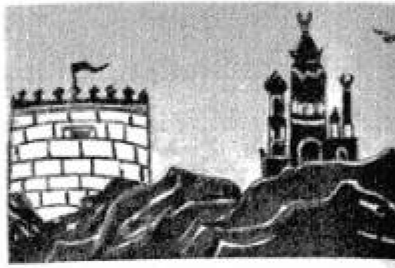
وقد وجه الناقد المصلح اعنف هجوم على البدع المذمومة التي كانت منتشرة بين المسلمين في عصره . وقد كتب ابان نفيه في بيروت :

« ان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف طبقاتهم الا من عصم الله ، وهم قليلون » ...

ولهذا نراهم « يبخلون بأموالهم اذا دعت الحال الى معاونة الدولة والانفاق على مصالح الامة ، ولا يبخلون بذلك على شهواتهم .. بعكس ما نرى في سائر الامم » .

تربية اخلاقية جديدة

أما في الجانب الاجتماعي للحياة الاسلامية فقد وجه الفيلسوف شديد اللوم الى رجال الفكر في عصره ،لانهم لم يقدموا على اى محاولة لاصلاح مجتمع هم اعلم الناس بما يشوبه من عيوب . وكان يدعو الاغنياء الى بذل المال اسهاما في المشروعات العامة ، ويهيب بالافراد ان يتضامنوا فيما يعود بالخير على الجماعة .



وقد نأب الأستاذ الفيلسوف المصلح، حتى في تفسيره للقرآن الكريم ، على التنديد بما يلاحظ عند أكثر افــراد الجماعات من الانانية او عدم المبالاة، وهى حالة لابد أن تؤدى الى تفكك الروابط الاجتماعية بين الناس، وتؤدى بالمجتمع نفسه الى البوار . وهـــو يهيب بكل فرد أن يشعر بانه جزء من كل ، وانه عضو عامل فى المجتمـــع الانسانى الكبير ، ويستحث النفوس على الاتحاد والوفاق ، وذلك بغرس بذور تربية اخلاقية جديدة ، هى ابقى اثرا من القوانين التى تفرضـــــها الحكومات .. فان « الاتحــــاد ثمرة لشجرة ذات فروع واوراق وجذوع ، هى الاخلاق الفاضلة بمراتبهـــا » . وبغير الاتحاد والمحبة لا تقوم للاخلاق قائمة ، فيجب اذن ان تكون التربيـــة الجديدة تربية اجتماعية مستنيرة ، اساسها الايثار ومحبة الغير .... « فالعلم الحقيـــــقى هو الذى يعلم الانسان من هو ومن معه ، فيكون من ذلك شعور واحد ، وروابط واحدة ، هى ما يسمونه بالاتحاد » .

لكن هذه التربية الاجتماعية يجب أن تبدأ بالاسرة . وقد عرف الفيلسوف المصلح من تجاربه فى القضاء بالمحاكم المصرية أن نحو ثلاثة ارباع القضايا انما هى بين الاقارب بعضهم مع بعض

ومجمل رأى الاستاذ الامام أن الاصلاح الاخلاقى يجب أن يسبق الاصلاح الاجتماعى بل قد يغنى عنه فى أكثـر الاحيان . وكان يرى أنه ينبغى لتحقيق هذا الاصلاح الشروع فى تطهير واسع يتناول اهل النفوس الضعيفة ومحترفى السياسة ، والنهازين ، والتخاذليين ، والمهـــرجين ، « والديماجوجيين » ، فيقصيهم عن مناصب الحكومة ذات المسئولية ليفسح المجال لاهل الارادة القوية ، والتصميم الحازم ، والضمير الحى .

الاساس : تحرير العقول

واذا كان محمد عبـــده قد لخص رسالة حياته فى أمرين : الدعوة الى تحرير الفكر من قيد التقليــــد ، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حـــق العدالة على الحكومة ، فقد لاحظ أن أكثر الناس قد اســـاءوا فهم المعنى المقصود من الطاعة للسلطة الحاكمة، فالقوا كل شأن من شئونهم على عاتق الحكومة ، معتقدين انهم غير ملزمين بأن يعاونوا من جانبهم الا بدفـــــع الضرائب التى تفرضها عليهم .

اما الحكام فلم يفهموا من معنى الحكم الا تسخير الناس لاهوائهم ، واذلال الافراد لسلطانهم ، وجمـــع الثروة ، وابتزاز الاموال ، لانفاقها في ارضاء شهواتهم ، لا يرعون في ذلك عدلا ولا قانونا ، فكانوا اسوأ مثل يقتدي به الشعب ٠

وبعد فقد راى الاستاذ الامام ان موطن الداء في المجتمع الاسلامي هو ضعف النفوس وجمـــود الاذهان وانصراف المسلمين عن شعار الاخلاق الاسلامية الاصيل وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وراى ان اساس الاصلاح هو تحرير العقول من سيطرة الخرافات واطلاق النفوس من اسر الشهوات ، فنهض لبناء جيل جديد يدرك قيمة العلم فى خوض معـــركة الحياة ، ويفهم رسالة الدين فى العمل على اسعاد المجتمع ، ويميز بين ما للحاكم من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العـدالة على الحاكم ٠

واستطاع الامام بتعاليمه فى بلاد العروبة والاسلام ان يرفع لواء القيم الروحية ، وان يؤدى للوعى القومى والوعى الانسانى ما ينبغى لهما من احترام ٠ واستطاع امام بطش القوة الغاشمة ، ان يؤيد حقوق الضـــمير ومطالب الاخلاق ، ففتح بذلك لرسالة الاسلام افاقا بعيدة واسعة ٠

وعلى الجملة نستطيع ان نقول ان الاستاذ الامام لم يكف عن نقد الاراء الباطلة والاعمال الفاسدة فى مجتمع جهل معنى الدين فى جوهره وابتعـد عن ادراك روحه ولم يبق له منه الا ظواهر لا تطابقها البواطن ، مجتمـع تحكمت فيه الشهوات ، ، فلم تبـق رغبة بالناس الى العمل الا ما تعلق بالطعـــام والشراب والزينة والرياش والمناصب والالقاب ، مجتمع اخـذ بلب افراده المجد الكاذب ، واحب كل واحد ان يحمد بما لم يفعل ، وذهب الناقص يستكمل ما نقص منه بتنقيص الكامل » ٠

جوهر المدنية الصحيح

ويقول : ان الذين يرومون الخيـر الحقيقى لوطنهم ، يجب ان يوجهـــوا اهتمامهم الى اتقان التـــربية ونشر التعليم ، اذ ان اصلاح نظم التربية والتعليم فى البلاد يجعل وجوه الاصلاح الاخرى اكثر يسرا ٠ ولكـــن الذين يتخيلون ان نقل افكار الغرب وعاداته الى بلادهم، سيصلبها بعد زمن وجيز الى درجة من المدنية تماثل مدنيـــة الغرب ، هؤلاء يخطئون خطأ كبيرا ٠ فهم يبدأون بما هو فى الحقيقة نهاية تطور طويل المدى ٠

ويظهرنا تاريخ الدول الاوروبيـــة العظيمة على انها لم تصل الى درجتها الحالية من المدنية الا بعد ان عانت عناء شديدا ، وضحت تضــــحيات عظيمة ، ومع هذا فلاتزال تلك الدول بعيدة عن الغاية التى ترمى اليها ، فان الدول الاوربية لم تصل الى ما وصلت اليه بعد ان صـــهرت بوتقة الزمن عقليتها ، وساقتها ضرورات الحياة الى يقظة وعيها ٠ وادى الصراع الحربى والاقتصادى بينها الى تطور الفكر فيها ٠٠

ان موقف الاستاذ الامام لاصلاح المجتمع الاسلامى موقف هو غاية فى الوضوح٠ اقتنع المفكر المصلح اقتناعا يقينيا بان التقدم الصحيح هو تقدم العلم والتربية والاخلاق ، وان هذا التقدم لن يكـــون ثابتا باقيا الا اذا سار وئيدا اكيـــدا ٠٠

كيف أنسى ؟



كلما مر بسمعي لحن عصفور حـــزين
لمحت في الافق عيني صور الامس الدفين
وشـــدا قلبي كالبلبل الحسان الحنين
بمقـــام يرسم الحـــزن والوان الانين

***

يا حبيبي ، لا تقل عني طويت الامس ، اني
لا ازال اليوم احيــــاه بفني وبلحني
لا تقل انساه يوما ، كيف انسى وحي فني
انا لـــولاه حبيب العمر ما كنت اغني !

***

غير اني قد سئمت اللحن اذ اشدوه وحدي
بعـدما كنا نغنيـــه معا انغــــام ود
ما الــذي غيرنا حتى قتلنــا كل ورد
آه لو عدنا وغنينا الهوى الحســـان خلد

● الرباط ● ● محمد علي الرباوي ●

وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا

الوسطية في

عبدالصمد الشاذلى

قلمـــا نجد فى دين من الاديان السماوية أو فىعقيدة فلسفية ، من الاديالية حتى الديالكتية المادية ، تلك العناية الفائقة فى بحث العلاقة بين المادة والروح ، بين الجسد والعقل ، كما نجدها فى الاسلام ··· وصدق الله حين يقول : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداءعلى الناس ويكون الرسولعليكم شهيدا » ·

و « الوسطية » تقوم على أساس ان الاسلام لم يتجــاهل حقيقة ان الانسان مادة : جسم ورغبات ، وهذه الرغبات نوازع تلك الطبيعة البشرية، التى خلقهاالله عليها ، فأباح له التصرف والفعل فى الحدود التىشرعها ، والتى تتفق ومنطق العقل · اذ العقل يخرج عن قيود المادة ، بل يخضعها له ، كما نرى فى واقع الحياة ، وبه يقوم تكريم الله للانسان « ولقد كرمنــا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ·

الاســلام

و « الوسطية » مبدأ للعبادة فى الاسلام اذ يدعو الى أن يرعى الانسان حقه فى الحياة ، وتلك غريزة طبيعية، كما يدعو الى رعاية حق الله وتلك مبدأ وغـاية « يايها الذين امنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »

على أساس هذا المبدأ وتلك الغاية يقع الحد الفاصل بين الانسان وغيره من المخلوقات « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبـال فابين ان يحملنها واشفقن منهاوحملها الانسان» انها أمانة المسئولية التى تقوم على أساس العقل ، والتصرف الذى يصدر عنه، سواء فىعلاقة الانسان بالله أم كعضو فى الجماعة البشرية · ومـا أكثر ما ينفر الانسان من تحمل أعباء تلك الامانة ، كما يدلنا على ذلك واقع التجربة · « انه كان ظلوما جهولا » ·

بل ان الاسلام دعا الى رعاية هذا المبدأ ـ مبدأ « الوسطية » ـ فى كل تصرف انسانى سواء كــان ذلك من شئون الحياة العامة او الفردية ،ونرى ذلك فى قوله تعــالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عنـد كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحـــب المسرفين » ···

وفى علاقة الانسان بالمجتمع شرع الاسلام من المبادىء ما يحد من طغيان الغرائز الطبيعية فى الانسان ونزعته الى الفردية وحب السيطرة والتملك ، فوصف الحياة الدنيا بأنها فتنة وان الانكباب عليها مفسدة للحياة ، ويدعو الى تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعى فى كثير من صوره « واعلموا انمــا أموالكم واولادكم فتنة ، وان الله عنده اجر عظيم » ·

وكما وصف العبادة الحقة بأنها التي تكون عن خالص نية وصفاء قلب في مراعاة حق الله وحق البشر معا : « يايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » .

هذا النقد الديني والاجتماعي الذي يوجهه القرآن انما يسعى من ورائه الى القضاء على الرهبنة الكاذبة والنفاق الديني ، وكذا القضاء على الطغيان المادي في المجتمع البشري . وجعل العبادة خالصة لله والانفاق في سبيله وحده . ويقول في سبيل ذلك صراحة : « وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون » ، « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين

عذابا مهينا» ، «والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » .

هكذا يدعو الاسلام الى فهم صحيح لمعنى العبادة ، والى عمل يكون لخير الفرد والمجتمع في محاولته تطهير النفس البشرية من رواسب الوثنية والفردية .

كما اقر الاسلام مبدأ ثورة الانسان على الظلم والطغيان ، وحب الانسان للتطور ونزعته في التقدم وتغيير واقعه المرير ، طالما أن هذا يقوم على غاية تهدف الى تحقيق العدالة الاجتماعية

بين الناس ، الا أنه قرر في الوقت نفسه أن تحقيق تلك الغاية انما يقوم أولا على اساس ثورة الوعي داخل الفرد نفسه ، ثورة يغير بها سلوكه ونظرته الى الحياة الى مستوى أفضل

وجعل ذلك شرطا من شروط التطور وتغيير واقع الظروف الاجتماعية اذ يقول القرآن « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

كما جعل القرآن أساس العقوبة في تغيير ما في وعي الانسان ، وانحرافه

عن الايمان بالله : « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

هكذا نرى أن « الوسطية » عقيدة الاسلام ، ومبدأ تقوم عليه فلسفته الاجتماعية ، وما علينا الا ان نعمل

فكرنا في سبيل تحقيق برنامج العمل هذا الذي وضعه القرآن لنا

رحلة فيلسوف

اصداء قصيدة للشاعر التركى محمد عاكف

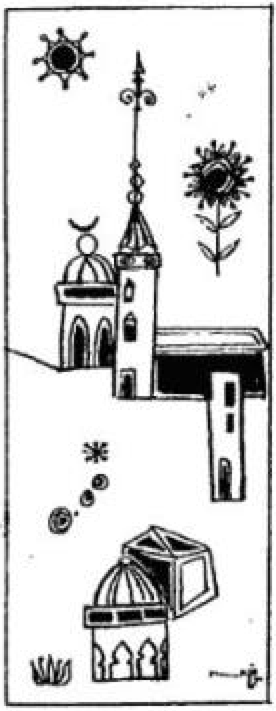
عبد العليم القباني

ولد الشاعر التركى « محمد عاكف » بالآستانة سنة ١٨٧٣ ، وأتم دراسته فى كلية الطب البيطرى بجامعة « استانبول » ، وتلقى الى جانب هذه الدراسة نصيبا وافرا من الثقافة الاسلامية ، أهله لان يستقيل من خدمة الدولة ، بعد اعلان دستور سنة ١٩٠٩ ، وأن يتولى رئاسة تحرير مجلة دينية اسمها « الصراط المستقيم » وقد تغير عنوانها – فيما بعد – الى « سبيل الرشاد »

واشتهر « عاكف » بأشعاره التى تتميز بروح دينية قوية ومن ثم شاع لقبه « شاعر الاسلام » ورشحه هذا ، لان يكون أمينا لدار الحكمة بالمشيخة الاسلامية ، مع احتفاظه بمجلته ·

ولما قامت الثورة الكمالية سنة ١٩٢٢ التحق بخدمة الحكومة والف لها « نشيد الاستقلال » وانتخب نائبا فى برلمانها ، ولكنه اختلف معها ، فهاجر الى « مصر » سنة ١٩٢٤ واستقر بها حيث عين أستاذا للغة التركية وآدابها بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وظل بها حتى منتصف سنة ١٩٣٦ اذ اشتدت عليه وطأة المرض ، فسافر الى « استانبول » بغية العلاج ، ولكن منيته أدركته هناك ، ليلة السابع والعشرين من ديسمبر ١٩٣٦ ·

ولمحمد عاكف ديوان شعر كبير ، فى سبعة أجزاء بعنوان « صفحات » ، وقصيدته « رحلة الفيلسوف » التى ننقل صداها هنا ، تفصح لنا عن احساسه ، ازاء ماض طويل ، قضاه الرجل مكافحاً فى سبيل عقيدته ···



تسامى « حسام الدين » عن كل ريبة
وعف فلم يخبث فـؤادا ولا فمـا
ولما يزل يدعـو الى الحق جهـده
ويامر بالمعـروف انى تيممـا
وديعـا ، رضى النفس الا بقيـة
من العزم تحمى حوضه ان يهـدما
الى ان سـرى فى كل ناد حديثـه
وطـوف بالقصر العظيم وحـوما

***

وصـفق رب القصر : اين تـوابعى ؟
رجـال .. وابـدى نابه وتجهمـا
ائمت شيخ .. مثل هذا .. ولا يرى
له ها هنا ، فوق الموائد ، مطعمـا ؟ !
الى بـه .. حتى ارى فيـه ما ارى
فمن دقـة الاحـكام ان اتوسـما
الى به .. حيـا ، عزيـزا ، مـكرما
فانى اخشى ثـورة تهرق الدمـا

***

وطـار رجـال القصر فى كل وجهـة
تحـاول ان تلقى الفقيـه لتغنمـا



وكان « حسـام الدين » يجتاز رحلة
سـماوية الاهـداف فـرعا ومنتمى
تنقـل يسـتل النفوس من الدجى
ويجعـل من اشراقه النور بلسـما
فان تلقـه ، تلق الجماهـير خشـعا
يرون به الفجـر الذى قد تبسـما

***

وجـاء رجـال القصر يدعـونه الى
لقاء ، يراه الناس للعـز سـلما
واحنوا رءوسـا · عودتها انحناءها
تقاليـد لم تترك نفوسـا واعظما
وقالوا ··· رحاب القصر، طال انتظارها
وأوشـكت الأبهاء ، أن تتكلمـا
وان أمـير المؤمنـين ـ تقدسـت
أوامره ـ يرجـوك أن تتـكرما

***

فقال « حسـام الدين » فى هيبة التقى
وقد أطبق الصمت الجليـل وخيما
الا ابلغوا السـلطان : ما بى حاجة
اليه ··· الى القصر الذى طاول السما
رأيت طريقى فوق عمرى مسـافة
ولى هـدف يغـرى بأن أتجشـما
فان كان عمـرى لا يفى برغبـتى
فأيسر ما أرجـوه ··· أن أتقـدما

إخوان الصفا

ودورهم فى التفكير

د. أبو الوفا التفتازانى

لعب اخوان الصفا دورا هاما على مسرح الحياة العقلية الاسلامية يتمثل فى انهم قدموا للمسلمين فى رسائلهم مزيجا غريبا من الفلسفات الاجنبية التى عرفوها ، وألوانا من المذاهب والاراء السياسية والاجتماعية التى استملوها من كل مصدر أمكنهم الوصول اليه ، فأتاحوا للمسلمين بذلك الوقوف على ثقافات الامم الاخرى ، والانفتاح على الاراء والمذاهب اليونانية والفارسية والهندية.

وكانت رسائلهم فى الجملة موسوعة فلسفية علمية تأثر بها كثير من مفكرى الاسلام منذ القرن الرابع الهجرى وما بعده ، سواء فى ذلك الذين امتدحوها منهم ، أم الذين عارضوها ..

الإســـــــلامى

نشأت جماعة اخوان الصفا فى مدينـــــة البصرة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وقيل أنها ظهـرت قبل ذلك ، الا انه لم يسمع بها وبرسائلها قبل ســـنة ٣٣٤ هـ أى قبل انتصار بنى بويه ، وكان لاخوان الصفا فرع فى بغداد .

ومعلوماتنا عن مؤسسى هـــــذه الجماعة تعتبر الى الآن قليلة للغاية، فقد عمد مؤسسوها الى اخفاء حقيقة أمرهم ، وستر مذهبهم ، وقـــد ذكر ابو حيـــان التوحيـــدى فى كتابه « المقابسات » أن منهم أبا سليمان محمـــــد بن معشر البستى المعروف بالمقدسى ، وأبا الحسن على بن هارون الزنجانى ، وأبا احمـــد المهرجانى ، والعوفى ، وزيد بن رفاعة . ويقال ان الفاظ الرسائل للمقدسى ، وأن زيد بن رفاعة صحب الاخوان وأخذ عنهم .

ويبين لنا القفطى تضـــارب اراء المؤرخين فيمن كتب رســـائل اخوان الصفا فيقول : « ولما كتم مصنفوها (أى رسائل اخوان الصفا) اسماءهم ، اختلف الناس فى الذى وضعها ، فكل قوم قالوا قولا بطـــريق الحـــدس والتخمين ، فقوم قالوا : هى من كلام بعض الائمة من نسل على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) ... وقال آخرون : هى تصنيف بعض متكلمى المعتـــــزلة فى العصر الاول . وقال آخرون ان الرسائل من تاليف الحكيم المجريطى القرطبى ، وذلك انه حمل الى الاندلس « الرسالة الجامعة » لاخوان الصفا انفسهم ، واملاها على تلاميـــــذه محـــــاضرات ، فظنوا ان المجريطى واضع الرسائل لان الرسالة الجـــــامعة » هى تفسير للرسائل وتعليقات عليها ، وفيها من الرسائل نصوص واســـعة . وقال آخرون بل الرسائل من وضع جعفر الصادق ، ونسبها بعضهم الى مسلمة بن قاسم الاندلسى ، كمـــا نسبها غيرهم الى أحمد بن عبـــد الله ، وهو من عقب جعفر الصادق » ـ (أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٥٨ وما يليها)

وكان القرن الرابع الهجرى الذى ظهرت فيه جماعة أخوان الصفا ذا خصائص معينة من الناحيتين الفكرية والسياسية : فمن النـــاحية الفكرية كان ثمة انتشـــــار واسع للفلسفة اليونانية ، وذلك فى دوائر أصحاب الفرق ، الذين تدارسوا هذه الفلسفة ومزجوا بينها وبين عقائد الاســلام، وأما من الناحية السياسية فقد شهد هذا القرن اضـــمحلال الخـــلافة

العباسية ، وزوال سلطانها السياسي، وتفكك الدولة الاسلامية الى دويلات .

وقد انعكس هذا كله على فكر اخوان الصفا الذين اعتبروا دعوتهم اصلاحية ، وان الاصلاح الاجتماعي والسياسي لا يتم في رايهم الا باصطناع الفلسفة ، ووضع خطة ثقافية جديدة للتغيير الديني والسياسي والاجتماعي تعتمد على العقل وحده ، وتقتبس من كل الآراء والمذاهب ، ولما كان اخوان الصفا على الارجح من الشيعة الاسماعيلية ، فقد وجدوا من دولة بني بويه الشيعية تشجيعا وتاييدا لهم على المضي في رسالتهم ، او وجدوا — على الاقل — الفرصة في ظل دولة بني بويه متاحة لهم لتاليف رسائلهم ، ونشر دعوتهم التي يبدو في وضوح انها مناهضة لحكم العباسيين ، ورافضة للاوضاع الاجتماعية السائدة انذاك .

تغيير الأفكار اولا

وقد يدهش القارىء اذا علم ان جماعة اخوان الصفا كانت جماعة سرية شبيهة بالجماعات السياسية العقائدية المعاصرة لنا ، والرافضة للاوضاع السياسية والاجتماعية القائمة ، بل انها سبقت الجماعات المعاصرة في وضع التنظيمات الخاصة، والقواعد الصارمة في انتماء الاعضاء اليها ، والاصرار على توحيد عقيدة أفراد التنظيم ، وكان اخوان الصفا في الحقيقة يهدفون الى قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الاسلامي انذاك ، واعتقدوا ان افضل وسيلة لتحقيق ذلك هي تغيير الافكار أولا ، ولذلك وضعوا رسائلهم ليضمنوها « أيديولوجية » جديدة وغريبة في آن معا .

وقد بين المستشرق « جولدزيهر » ان اسم « اخوان الصفا » قد اخذ من قصة « الحمامة المطوقة » من كتاب « كليلة ودمنة » ، والتي مضمونها أن الحيوانات اذا صفت اخوتها ، وتبادلت المعونة فيما بينها تستطيع ان تنجو من شباك الصياد وكافة المخاطر الاخرى . ويضيف اخوان الصفا الى انفسهم صفة اخرى هي انهم « خلان الوفا » وان ما بينهم من صداقة هو « قرابة رحم » ، وانهم متعاونون فيما بينهم ، وأن احدهم يضحي بنفسه في سبيل اخوانه .

وقد جعل اخوان الصفا رسائلهم مؤلفة من احدى وخمسين رسالة ، خمسون منهـا في انواع الحكمة ، والواحدة والخمسون جامعة لانواع المقالات على طريق الايجاز والاختصار .. ويحتوي الجزء الاول من هذه الرسائل على اربع عشرة رسالة في الرياضيات والمنطق ، ويحتوي الجزء الثاني منها على سبع عشرة

رسالة فى العلوم الطبيعية بما فيها علم النفس . أما الرسائل العشر التى تضمنها الجزء الثالث فتبحث فى الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة ، وأما الرسائل الاحدى عشرة الاخيرة فتتناول التصوف والتنجيم ، وتتناول الرسالة الخامسة والاربعون شئون تنظيم الجماعة .

وواضح من هذا التقسيم أن اخوان الصفا يبدأون فلسفتهم بالنظر فى الرياضيات (وهم متأثرون في هذا الصدد بالفيثاغوريين) ، ثم المنطق والطبيعيات رادين كل شيء الى النفس وقواها حتى يقتربوا من معرفة الله على طريقة الصوفية ، وبذلك ينتهون فى الحقيقة — كما يقول المستشرق « دى بور » — الى فلسفة روحية التمسوا فيها سلوى لنفوسهم أو خلاصا وتطهيرا لها .

وقد طبعت هذه الرسائل فى بومباى ، وفى مصر عام ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨م ، مع مقدمة للأستاذ الدكتور طه حسين .

● جعل إخوان الصفا رسائلهم مؤلفة من إحدى وخمسين رسالة ـ خمسون منها فى أنواع الحكمة ـ والحادية والخمسون جامعة لأنواع المقالات عن طريق الإيجاز والاختصار ●

الاعتقاد والمصلحة والاجتهاد

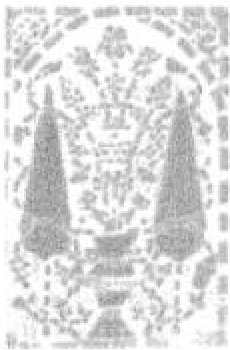
والمتأمل لرسائل اخوان الصفا يلاحظ فى وضوح حقيقة مراميهم ، فهم يدعون أساسا الى اعادة فهم الدين على أساس الفلسفة ، واقامة دولة جديدة على دعائم فكرية جديدة، مع الانفتاح على كل مذهب ورأى ، وعدم معاداة دين من الأديان ، ولذلك اصطدموا برجال الدين فى عصرهم ، لأنهم نادوا بتطهير الشريعة الاسلامية من الجهالات التى لصقت بها فى زعمهم ، كما دعوا الى مزج هذه الشريعة بحكمة اليونان وبذلك يحصل فى رأيهم الكمال ، وقد نقل القفطى عن أبى حيان التوحيدى قوله عنهم : وكانت هذه العصابة (يقصد اخوان الصفا) قد تألفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله . وذلك أنهم قالوا ان الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، لأنها حاوية الحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية ، فقد حصل الكمال » .

ولا شك فى أن هذا المزج بين الشريعة والفلسفة ما كان ليرقى

علماء المسلمين ، ولذلك تجد الحملة تشتد على اخوان الصفا من جانب الفقهاء ، الذين ذهبوا الى أن رسائلهم مخـــالفة للشريعة ، لما تضمنته من الاراء والمذاهب الغريبة التي مزجوها بالعقائد الاسلامية ، فيذكر ابن الالوسي البغدادي مثلا في كتابه « جــلاء العينين » أن هذه الرسائل هي « اصل مذهب القرامطة (القرامطة هم اتباع حمدان قرمط ، وتعد حركتهم في اقليم واسط في القرن الثالث الهجري ثورة سياسية متطرفة ، ومن المعتقــد أن (اخوان الصفا منهم) ، وقد صنفت (اى رسائل اخوان الصفا) بعــد المائة الثالثة في دولة بني بويه .. وكلهم (اى اخوان الصفا) حـكماء اجتمعوا وصنفوا هـذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجة عن مســلك الشريعة المطهرة » . (مقدمة احمد زكي باشا للرسائل ص ٣٠ ومايليها)

تعالى المذاهب والديانات

وقد نلتمس لفقهاء الاسلام عــذرا في موقفهم من اخوان الصفا ورسائلهم اذا علمنا أن هؤلاء قد جعلوا الفلسفة سبيلا الى النجاة بأن تتشبه النفس بالله بقدر ما يستطيعه الانسان ، كما أنهم عمدوا الى تأويل القــرآن تأويلا رمزيا لكي يتمشى مع تصــــورهم للاديان ، وأنهم كانوا يرون العبادات الشرعية من صوم وصلاة وحج ليست مقصودة لذواتها وانما هي اشـــارات ورموز الى مقاصد أخرى ، فالحج عندهم على سبيل المثــال مثل ضربه الله لطواف الانسان على هذه الارض (انظـــر أمثلة لذلك في الرســــائل جـ ٢ ، ص ٢٧٠ ــ ٢٧٥) .



وليس من شك كذلك في أن معــــا يحفظ صدور علماء الاســــلام على اخوان الصفا أن هؤلاء الاخوان كانوا لا يعادون مذهبا من المذاهب ولا دينا من الاديان ، مهما كان فساد هـــذا الدين أو ذلك المذهب ، وقـــد اعلن اخوان الصفا موقفهم هذا في وضوح لا لبس فيه ، فقد اعلنوا انهم يقتدون بالحكماء وبالفيثاغوريين منهم خاصة ، وهم يقولون ايضا : « وبالجملة ينبغي لاخواننا ايدهم الله تعالى الا يعــادوا علما من العلوم او يهجروا كتابا من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ، لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ، ويجمع العلوم كلها » (الرسائل جـ ٤ ، ص ١٠٥) .

وليس أدل كـــذلك على نزعتهم التلفيقية بين المذاهب والآراء مـــن قولهم ان الانسان العـــالم الخبير الفاضل الذكي المستبصر هو « الفارسي النسبة ، العــــربي الدين ، الحنفي المذهب ، العراقي الآداب ، العبراني

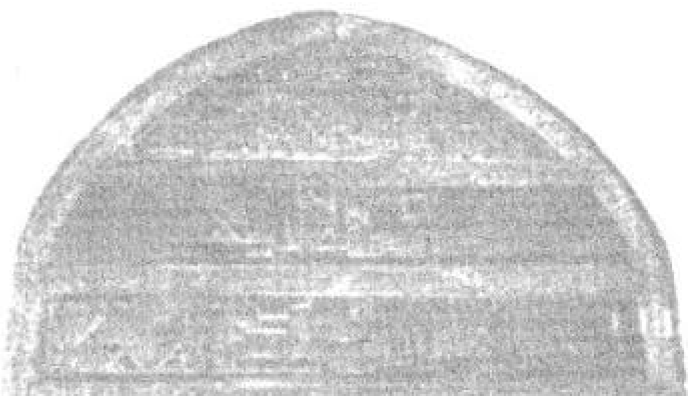
الخير ، المسيحى المنهج ، الشامى النسك ، اليونانى العلوم ، الهندى البصيرة ، الصوفى السيرة ، الملكى الاخلاق ، الربانى الرأى ، الالهى المعارف » . (الرسالة الثانية والعشرون ، وخاصة اخرها ج ٢ ، ص ٣١٦) .

وواضح من ذلك ان اخوان الصفا يجعلون المثل الانسانى الاعلى حاويا لكل كمالات الامم والمذاهب والديانات، ووراء رايهم فى هذا الصدد هدف سياسى هو ان يضعوا حدا لجميع الصراعات العرقيـة والمذهبية فى مجتمعهم تمهيداً للقيام دولة واحدة لا تقوم على فكرة القومية ، او التعصب لدين معين ، او وطنية معينة ، وانما تقوم على ايديولوجية شاملة توحد بين الافراد .

ويدلك على هذا قولهم : « وقد نرى أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أنه قد تناهت دولة أهل الشر (لعلهم يشيرون هنا الى الدولة العباسية) وظهرت قوتهم ، وكثرت العالهم فى العالم فى هذا الزمان ، وليس بعد التناهى فى الزيادة الا الانحطاط والنقصان... واعلم يالاخى أن دولة أهل الخير (يشيرون هنا الى دولتهم) يبدأ أولها من قوم علماء حكماء وأخيار فضلاء يجتمعون على رأى واحد ، ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد ، ويعقدون بينهم عهدا وميثاقا الا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضا ، ويكونون كرجل واحد فى جميع أمورهم ، وكنفس واحدة فى جميع تدابيرهم » (الرسائل ، ج ١ ، ص ١٣١) .

عالم الكائنات المركبة

وقد يتبادر الى الذهن أن عناية اخوان الصفا كانت مرجهة أساسا



الى الامور السياسية والاجتماعية ، ولكن الواقع غير هذا ، فان رسائلهم تعد فى المحل الاول موسوعة فلسفية وعلمية شاملة ، فقد عنوا بمباحث الالهيات أو ما بعد الطبيعة ، والمنطق والاخـــلاق ، والعلوم الطبيعيـــة والرياضية عناية كبيرة .

وطالما صرح الاخوان أن مذهبهميقوم على النظر فى جميع علوم الموجودات التى توجد فى العالم ، كيف حدثت ونشأت عن علة واحدة ، والاستشهاد على بيانها بمثالات عددية وبراهين هندسية على طريقة الفيثاغوريين .

ومن هنا جاء اهتمامهم غير العادى بالاعداد وخواصهاودلالاتها . فاعتبروا العدد جذر العلوم ، وعنصر الحكمة، ومبدأ المعارف . وأصل الاعدادعندهم الواحد ، ونسبة الله الى الموجودات كنسبة الواحد الى الاعداد .

ويأخذ اخوان الصـفا فى فلسفتهم بنظـرية الفيض الافلوطينية التى ترد الكثرة المشاهدة فى العالم الى الواحد او الله ، وترى كل ما فى الكون فيضا أو اشراقا فاض عن هـذا الواحد ، والعقل الفعال عندهم هو الواسطةبين الله والعالم ، وهو اول فيض فاض عن الله ، ثم توالت الفيوضات بعد ذلك حتى وصلت الى عالمنا الارضى هذا ، عالم الكائنات المركبة من المعـــادن والنبـات والحيوان ، ويتصورون ان جملة جسم العالم يجرى مجرى جسم واحد وانسان واحد ومدينة واحـــدة خالقها ومديرها هو الله .



وعرض اخوان الصفا فى رسائلهم لعلم المنطق بالتفصيل ، وهو وثيق الصلة عندهم بالرياضة ، ومـــن أهم الاراء التى تميزوا بها فى المنطق انهم اضافوا الى الالفاظ الخمسة المنطقية عنـد فورفوريوس (الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض) لفظـــا سادسا هو « الشخص » ، بحيـــث اصبح ثلاثة منهـــا ، وهى الجنس والنوع والشخص ، تدل على الاعيان، والثلاثة الاخرى ، وهى الفصـــــل والخاصةوالعرض ، تدل على المعانى، وجدير بالذكر أن الصوفى الاندلسى المتفلسف ابن ســـبعين (المتوفى ٦٦٩ هـ) قد تأثر برأيهم هـــذا فى الجزء الخاص بالمنطق من كتـــابه « بد العارف » .

واتجه اخوان الصفا فى ميـدان الاخلاق الى الزهد والتصوف ، ورأوا أن الوصول الى السعادة لا يكون الا بطرح شهوات البدن ، ويستشهدون فى هذا الصدد بآيات قرانيـــة واقوال مأخوذة عن المسيح عليهالسلام ، ولهم اقوال فى المحبة التى تنتهى بالحب الى الفناء فى الله المحبوب . ويؤكدون على خلود الروح ، ويؤمنون بالجنـــة

والنار ، وأن الجنة هى عالم الارواح ، والنار هى عالم الاجسام .

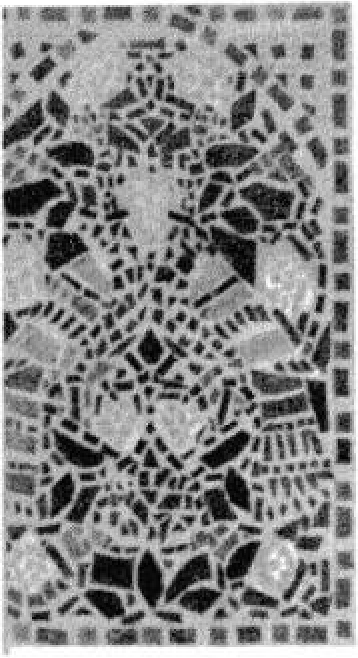
ونحن واجدون لاخوان الصفا بعد هذا كله مشاركة فى ميدان العلوم الطبيعية ، وهم على الجملة يبحثون فى هذه العلوم على طريقة القدماء من فلاسفة اليونان ولايتسع المقام لذكر آرائهم فى هذا الصدد ، ومن اراد زيادة فى هذا الباب فيمكنه الرجوع الى الجزء الاول من الرسائل ، الرسالة السابعة (ص ٢٠٢) وما بعدها ليرى تصور الاخوان للعلوم الطبيعية واقسامها .

عماد كل تقدم

والآن بعد أن عرضنا لآرائهم الفلسفية عرضا موجزا ، نحب أن نوقف القارىء معنا وقفات قصارا عند بعض ما نعتقد انه طريف وهام مما ذهبوا اليه :

(أ) فمن ذلك أن أخوان الصفا أحيوا النزعة العقلية مرة أخرى بعد ركود حركة الاعتزال فى الاسلام .

وليس أدل على تأكيدهم على قيمة العقل من أنهم ، فى بعض رسائلهم يجعلونه رئيسا حاكما يخضع الناس جميعا لحكمه ، فيقولون : « والحكم بيننا العقل الذى جعله الله رئيسا على الفضلاء من خلقه الذين هم تحت الامر والنهى ، ورضينا بموجبات قضاياه على الشرائط التى ذكرناها فى رسائلنا وأوصينا بها اخواننا . فمن لم يرض بشرائط العقل ، وموجبات قضاياه ، ولم يقبل تلك الشرائط التى أوصينا بها اخواننا ، أو خرج عنها بعد الدخول فيها ، فعقوبته فى



ذلك ان نخرج من صداقته ، ونتبرأ من ولايته ، ولا نستعين به فى امورنا ، ولا نعاشره فى معاملتنا . ، ولا نكلمه فى علومنا ، ونطوى عنه اسرارنا ، ونوصى بمجانبته اخواننا » (الرسائل ، ج ٤ ص ١٨١ وما بعدها) .

ولو قدر للنزعة العقلية هذه ـ وهى قرآنية المصدر ـ أن تستمر قوية بين المسلمين لما انطفأت جذوة حضارتهم واشتعلت فى أوروبا فى عصر النهضة ، ولكن المسلمين فى عصور تدهورهم الفكرى والحضارى ركنوا الى التقليد الضار الذى يلغى شخصية المفكر ، ويعوق حركة المجتمع الى امام .

(ب) ومن طريف ما عني به اخوان الصفا فى عصرهم كيفية قيادةالشباب وتوجيههم · وهذا من غير شك من أصعب الهام فى كل عصر · وقــد فطن اخـوان الصفا الى أن الشباب بطبيعتهم اكثر فئات المجتمع حماسـا للتغيير السياسى والاجتمـاعى . فهم بذلك عماد كل تقدم · ولاخوان الصفا مناهج وطرائق فى توجيه الشباب لم يعن أحد من الباحثين بعد بدراستها، وقد تضمنت الرســــالة الخامسة والاربعون من رسائلهم شيئا منها ، وحسبنا أن نقف عند بعض ما جاء فيها :

« واعلم ايها الاخ أن من سعادتك ايضا أن يتفق لك معلم ذكي، جيــد الطبع ، حسن الخلق ، صافي الذهن، محب للعلم ، طالب للحق ، غيــر متعصب لرأى من المذاهب ·

« واعلم أن مثل افكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلـــوم ، واعتقاد من الاراء ، كمثل ورق أبيض نقى ، لم يكتب فيه شيء ، حقا كان أم باطلا . فاذا كان الامر كما وصفت فينبغى لك أيها الاخ الا تشـــغل باصلاح المشايخ الهرمة الذين اعتقدوا من الصبا آراء فاسدة وعادات رديئة وأخلاقا وحشة ، فانهم يتعبونك ، ثم لا يتصلحون . وان صلحوا قليلا قليلا فلا يفلحون !

« ولكن عليك بالشباب الســالى الصــدور ، الراغبين فى الاداب ، المبتدئين بالنظر فى العلوم ، المريدين طريق الحق والدار الاخرة ، والمؤمنين بيوم الحساب ، المستعملين شرائع الانبياء عليهم السلام ، الباحثين عن أسرار كتبهم، التاركين الهوى والجدل، غير متعصبين على المذاهب ·

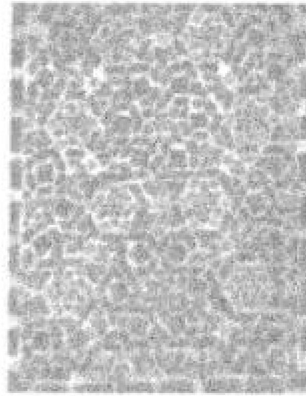
« واعلم أن الله تعالى ما بعث نبيا الا وهو شاب . ولا أعطى لعبد حكمة الا وهو شاب .. الخ » (الرسائل ، ج ٤ ص ١١٤ ـ ١١٥)

[illegible]

يتبين من ذلك أن اخوان الصفا ، باعتبارهم جماعة عقائدية ، وجهـوا عنايتهم الى الشباب ليتعلموا مبادىء دعوتهم ، لانهم كالورق الابيض النقى الذى لم يكتب فيه شيء بعد ، ثم هم يؤكدون فى نفس الوقت على أهميـة المعلم بالنسبة للشباب ويشترطون له شروطا خاصة أهمها محبة العلم وعدم التعصب وحسن الخلق ·

ويمثل الشباب فى جماعة اخوان الصفا الركيزة الاولى ، يدلنـا على ذلك أنهم قسموا الجماعة الى أربع مراتب كل مرتبة منها ســابقة على الاخرى ، فيتدرج المبتدىء فى هذه المراتب كلها حتى يصل الى أعلاها :

● .. وكان إخوان الصفا يعتقدون أن أفضل وسيلة لتحقيق أهدافهم فى تغيير النظام السياسى فى عصرهم ـ هى تغيير الأفكار أولاً . ولذلك وضعوا رسائلهم ليضمنوها « ايديولوجية » جديدة وغريبة معاً ●



واول هذه المراتب خاصة بالشباب، او الاعضاء المبتدئين ، الذين تقع أعمارهم بين الخامسة عشرة والثلاثين ، ويسمى هؤلاء الاعضاء « الاخوان الابرار الرحماء » ، ولانهم من الشباب فانهم يمتازون في رأى اخوان الصفا « بصفاء جوهر نفوسهم، وجودة القبول (للعلوم والافكار) وسرعة التصور » ، وبذلك يكونون اسرع في قبول الدعوة من غيرهم .

وثاني هذه المراتب مرتبة خاصة بمن هم بين الثلاثين والاربعين وهم « الاخوان الاخيار الفضلاء » ، ويتميزون بمراعاة اخوانهم وسخاء نفوسهم ، وشفقتهم ورحمتهم .

وثالث المراتب مرتبة « الاخوان الفضلاء الكرام » وهم بين الاربعين والخمسين ، ويعتبرون أصحاب الامر والنهي ، ويحسمون الخلاف عند ظهوره من المعاند ، ولهم قدرة على الرفق والاصلاح والمداراة .

والمرتبة الرابعة والاخيرة خاصة بمن هم فوق الخمسين ، واصحابها هم الحكماء الذين وصلوا الى اعلى المراتب ، وهم أصحاب الكشف الذين يعاينون حقائق الدين ، وكل الاخوان مدعوون الى الوصول الى هذه المرتبة .. (الرسائل ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤) .

ويتحدث اخوان الصفا عن كيفية تنظيم اجتماعاتهم الدورية كل اثنى عشر يوما ، في مكان معين يأمنون فيه على أنفسهم ، وشروط هذا الاجتماع وكيفيته وما يدور فيه (الرسالة الجامعة ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٨) . وهم في كل هذا يشعرونك بأنهم جماعة منظمة تنظيما دقيقا للغاية ، ولهم أهداف محددة يعملون جاهدين على تحقيقها .

بين الفلسفة والدين

(ج) وننتقل بعد ذلك الى بيان أحد الادوار الهامة التي قام بها أخوان الصفا في تاريخ الفكر الاسلامي ، وهو دور التوفيق بين الدين والفلسفة :

لقد كانت مشكلة التوفيق بين الفلسفة والدين احدى مميزات الفلسفة الاسلامية ، وقد شغل بها المتكلمون والفلاسفة ، فالمتكلمون بحثوا في صلة العقل بالشرع، وهل يتقدم العقل الشرع أو يتقدم الشرع العقل ـ والى أي حد يمكن أن يعول على العقل في مجال العقائد والتشريع، أما الفلاسفة فكانوا يرمون من بحثهم في هذه المشكلة الى اظهار أن ما يصل اليه الفيلسوف بعقله متفق مع ما جاءت به الشريعة ، فلا خلاف اذن بين الفلسفة التي

● « واعلم أيها الأخ أن من سعادتك أيضاً أن يتفق لك معلم ذكي ، جيد الطبع ، حسن الخلق ، صافي الذهن ، محب للعلم ، طالب للحق ، غير متعصب لمذهب من المذاهب .. » ●

"من الرسالة الخامسة والأربعين من رسائل إخوان الصفا"

تستخدم منهج العقل ، والشريعة المستندة الى الوحي .

وكانت محاولة المتكلمين البحث في علاقة الشرع بالعقل اسلامية النشأة والطابع ، فقد حث القرآن الكريم العقول على تدبر ما في الكون من ايات ، ودعا الى استخدام العقل صراحة من اجل الوصول الى الايمان .. فكان المتكلمون في محاولتهم تلك في نطاق الشرع تماما .

اما محاولة الفلاسفة - ومنهم اخوان الصفا - التوفيق بين الفلسفة والدين ، فلا تخلو في رأينا من تعمل وتكلف ، فقد كان الفلاسفة معجبين بالفلسفة اليونانية وبغيرها من الفلسفات الاجنبية اعجابا لا حد له ، فتكلفوا في ان يظهروا هذه الفلسفات وكانها متفقة مع الدين ، واستخدموا في هذا الصدد ضروبا من التاويلات للنصوص في معرض التدليل على ارائهم لا يقرهم عليها علماء الشرع من متكلمين وفقهاء ، كما اصطنعوا في هذا السبيل نظريات بعيدة عن روح الإسلام في بعض الاحيان .

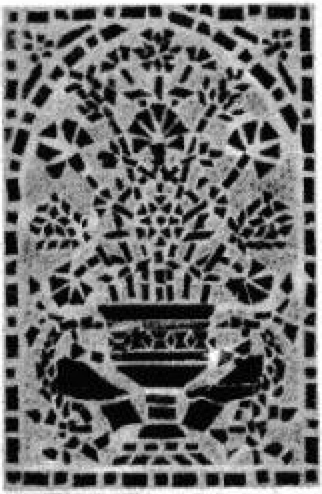
ويدلنا على أهمية التوفيق بين الفلسفة والدين عند اخوان الصفا انهم افردوا لها رسائل عديدة (الرسائل ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٢ ، الجامعة وغيرها) ، ولا يتسع المقام هنا للحديث عن نظريتهم فى هذا الصدد ، وانما سنكتفي بأن نشير فيما يلي الى خلاصة لوجهة نظرهم فى أن الاديان من ناحية واحدة فى جوهرها ، أو ان شئت قلت : الدين واحد ، وان الدين من ناحية اخرى لا يتعارض مع نواميس الحكماء والفلاسفة .

فيقول اخوان الصفا عن وحدة الدين : « ان معنى الدين في لغة العرب هو الطاعة من جماعة لرئيس واحد . ثم اعلم ان الانبياء عليهم السلام لا يختلفون فيما يعتقدون من الدين سرا وعلانية ولا فى شيء منه البتة ،

كما قال تعالى : « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٤٢ : ١٣) ٠٠٠ وأما الشرائع التي هي أوامر ونواه وأحكام وحدود وسنن فهم فيها مختلفون ثم اعلم أن اختلاف الشرائع ليس بضار

اذا كان الدين واحدا ، لان الدين هو طاعة وانقياد للرئيس الآمر فيما يأمر وينهى المرءوسين بحسب ما يليق بواحد واحد ، وما يرى أنه يصلح

له ويصلح فيه ٠٠ فهكذا شرائع الانبياء واختلاف سننهم بحسب أهل كل زمان ، وما يليق بهم أمة أمة ، وقرنا قرنا ٠٠ » (الرسائل ، ج ٤ ص ٢٤ ـ ٢٦) ٠



ولا خلاف بين الدين والفلسفة كذلك في رأى الاخوان ، « لان غرض الانبياء عليهم السلام وواضعي النواميس الالهية أجمع (يقصد الفلاسفة) غرض واحد ، وقصد واحد ، وان اختلفت شرائعهم وسنن مفترضاتهم وأزمان عباداتهم وأماكن بيوتاتهم وقرابينهم وصلواتهم كما ان غرض الاطباء كلهم غرض واحد ، ومقصد واحد في حفظ الصحة الموجودة ، واسترجاع الصحة المفقودة ، وان اختلفت علاجاتهم في

شراباتهم وأدويتهم بحسب اختلاف الأمراض العارضة للابدان في الأوقات المختلفة ، والعادات المتغايرة ٠٠٠ فهكذا غرض الانبياء عليهم السلام وغرض جميع واضعي النواميس الالهية من الحكماء والفلاسفة ، وذلك

انهم اطباء النفوس وغرضهم ، هو نجاة النفوس الغريقة في بحر الهيولى (اى المادة) واخراجها من هاوية عالم الكون والفساد وايصالها الى الجنة ٠٠ ») الرسائل ، ج ٢ ، ص ١٢٠ ـ ١٢١) ٠

ونعتقد ان تأثير اخوان الصفا في محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين كان كبيرا على من جاء بعدهم من مفكرى الاسلام والمسيحية على السواء فابن رشد (المتوفى سنة ٥٩٥ هـ) ، مثلا ظل يؤكد في حماس بالغ ما أكده من قبله اخوان الصفا من ان الغرض من الدين والفلسفة واحد ، وذلك في كتابه المشهور « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » ، وانتقل هذا الاهتمام بمشكلة التوفيق

بين الدين والفلسفة من فلاسفة الاسلام الى فلاسفة أوروبا في العصر الوسيط، وقد ظهر على الخصوص عند كل من البرت الأكبر وتوماس الاكويني اللذين حاولا التوفيق بين العقائد المسيحية والفلسفة الارسطية ٠٠٠

مصطفى جمال الدين

إنت.. وأنا..



قيل لها : « ذهب الى اهله .. »
فهرعت تكتب اليه : « ومن اكون انا؟! »

تسـائلني حلوتي من اكون اذا انت ابعـدت عن حينا
واسلمتني لركام الهمـوم يعيا بوطأتها بيننـا
وياحبذا لوتركت فؤادي ـ كماكان من قبل ـ جهم المنى
ترف مسالكه بالاضوب ، فتجنى خطـاه ثمار الونى
ولكنك اقتدته لطريق لذيذ الضيـاع ، حبيب العنا
فابدلت حيرته باليقيـن وصيرت فقر رؤاه غنى
وحورت من ظلمات الشكوك بعينيه حتى استحالت سنا

واغدقت دمعك فى حقله فاثقلت افنـــانه بالجنى !
الى ان اطل على واحـــة من الحب لم تزدهر قبلنـــا
وعش رايت ، على ضيقه ــ وانت معى فيه ــ كل الدنا

فكيف ذهبت وخلفتنى لليل العذاب ، وصبح الضنى
اسائل عن طائرى وكره وابحث عنه هنا .. او هنـــا
فيخبرنى كل شيء رآك تعب بكاسى رحيق الهنـــا

بانك كنت (هنا) زائرا وكان ســـواى لك الموطنا
فان كان ما زعمته الظنون قولا ، صريح الهدى ، بينا
وكان لقلبك غيرى هوى اصيل .. واهل فقل : من انا؟!

***

سؤال يحيرنى يا مناى ، ويركبنى شـــوطه الارعنـــا
ويقذف بى حيث صخر الطريق مدى صلدة كرءوس القنا
اهذى التى كنت لى تقول: من هى؟ قد جهلت: من انا؟!

اما كنت انت .. وكنت انا ، وكنا جميعا صدى بعضنا
اما ذبت فيك لظى جاحمـــا ، وذبت بقلبى ندى لينا
الم اهدى اذنى كلمـــــة موسقة كرفيف الســـنا
وادخل من اذنيك بثوب من الشعر قد حيك لى والغنا!

الم يتسلق شبابك عمرى فيقلب عوسجه سوسنا !
الم تتقحم ظلامك روحى فتصـــهر مارده مؤمنـــا ؟
الم انتظـــرك ثلاثين عاما وتسعا تحديت فيها الفنـــا

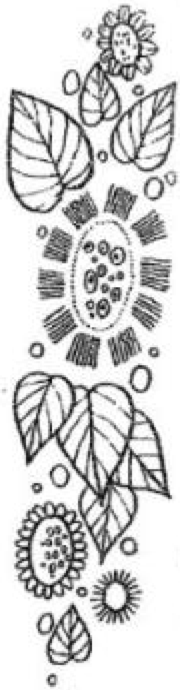
الى ان نجمت بعمرى زهرا . وشعرى معنى . وغصنى جنى
وخلفت تلك الدموع ورائى كان لم افجر بها الاعينـــا

***

فياطلعة الفجر حلو الهبوب ، وياضحكة القلب عذب المنى
ويا فرحة العيد يبنى الصغير على حلمها المرتجى ما بنى
ويا نشـــــوة الكاس ما ذاقها نديمك .. لكنه ادمنا
لانت لى الوطـــن المرتجى ، وانت بـــه روعـــة المقتنى

وانت لى الاهل ، والاصدقاء ، والناس كلهم ، والدنا
وياحلوة العتب .. ليل العذاب طويل الخطا فاقصريه لنا
اتى العيد يحمل للاصدقاء هداياه محفـــوفة بالثنـــا
وهذى هدية عيدى السعيد اليك .. وما هى الا (انا)

النجف ــ العراق مصطفى جمال الدين



ألبير كامو في نظر جزائري

د. أحمد طالب الإبراهيمي
وزير الإعلام والثقافة الجزائري



كانت حياة «ألبير كامو» غريبة في أطوارها، فقد ولد في أسرة فقيرة، وكانت والدته أمية لا تحسن القراءة ولا الكتابة، لكن شاءت الأقدار أن يصبح أحد أساطين الأدب في العالم، [illegible] من آثاره أن انتقل إلى خمس عشرة من اللغات والأكثر من ذلك فقد بلغ القمة من الرفعة والتشريف إذ أسندت إليه جائزة «نوبل» في الأدب، وهو في الرابعة والأربعين من عمره، مما لم يحصل عليه الكثير من أمثال «أندريه مالرو» وهو الذي كان يقول عنه «كامو» نفسه: «إنه لأستاذي دوما».

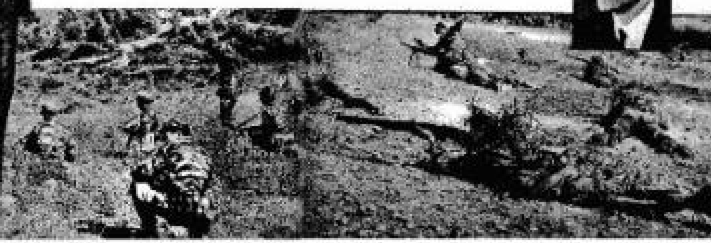
أجل، إن حياة الرجل لتشكل قصة متناقضة الأطوار، فهو وليد الجزائر والقائل في [illegible]: «إن الجزائر لهي وطني حقا، وما أكثر ما يلتقي بجمال بلدنا مشيا [illegible] ساحقة وسحر شواطئه وتلقي أضوائه»، ومع هذا فقد غادر الجزائر في السابعة والعشرين من عمره، ولم يعد إليها إلا لفترات متقطعة وجيزة المدى

وكان للمستعمر «كامو» [illegible] بمشروع معزول في السلك التعليمي [illegible] عضوا بالحزب الشيوعي خلال فترة وجيزة نسبيا، وأصبح سنة ١٩٤١ رئيس تحرير لجريدة منبثقة عن حركة المقاومة، لكنه لا يلبث أن ينسحب تدريجيا ويبتعد عن [illegible]، حتى إذا كانت سنة ١٩٥٧ وأسندت إليه جائزة «نوبل»، نجده مصرا على رؤوس الملأ بأنه، رجل [illegible] الرسمية له سوى [illegible] التي تخلص والكائن التي ما فتئ يعالجها، هذا إلى أنه [illegible] في تلك الفترة، [illegible] إلى [illegible] والاقتداء.

ونحن إذا أحببنا أن نذكر [illegible] الرجل [illegible] فليس من غرضنا الحكم له أو عليه، إنما هدفنا أن نظهر [illegible] عليه، ولكن سنحاول من حوله أجواء من الخرافات الخاطئة والأحاديث الملفقة، [illegible] ألبير «كامو» بالجزائر [وهو ما يهمنا مباشرة] فإننا سنحاول ما استطعنا أن نلقي بعض الأضواء الكاشفة [illegible] إلى استقلال



ألبير كامو



كل أثر لسوء التفــاهم واللبس ، مسهمين عنــد الاقتضاء في تحطيم بعض الاوهام والخرافات ، سواء أكان منشؤها عن نية أم عن محض الجهل ٠

البدايات الاولى أبداء

ولكن لزاما علينا قبل أن نتفهم أي انسان ، أن نعمد ـ على حــد تعبير « منتاني » ـ الى « اقتفاء أثره مليـا وبمزيد الامعــان » ٠ فلننظر بادىء ذى بدء الى المراحــل الرئيسـية لحيــاة الرجل ، تلــك التى اخترمتها المنيــة وهو فى السابعة والاربعين أثناء حادثسيارة بأحد دروب فرنسا فى الرابع من يناير سنة ١٩٦٠ ٠



اندريه مالرو : « انه اســتاذى دومــا »

معلوم انه ولد بمندوفى وقد أصبحت تدعى اليوم دريعان بولاية عنابة ، فى نوامبر من سنة ١٩١٣ ، وكان والده عاملا بمستودع للخمور فى ضيعة فلاحية ، فلقى حتفه بساحة الوغى فى مستهل حرب ١٩١٤ ، عندئذ قصدت والدته عاصمة الجزائر واستقرت بحى بلكور برفقة ولديها ، واشتغلت اولا بالترسخانة ، ثم انصرفت للعمل فى المنازل ٠

ومما خطه قلم « كامو » فيما بعد قوله : « لقد ترعرعت انا وعامة ابنــاء جيلى فى جو ملؤه جلبة النفير للحرب الاولى ، وما انفكتاريخنا من يومئــذ عبارة عن القتل والظلم والعنف » ، (الصيف) ، كما يقول فى « حاليات رقم ١ » : « اننى لم أتعلم الحرية عن ماركس انما تعلمتها عن البؤس » ٠ (وكان متوجها بقوله هذا خاصة الى « ج ٠ ب ٠ سارتر » ٠

وزاول الصبى « كامو » تعليمه الابتدائى بمدرسة نهج أومرات حيث أعانه لويس جرمان أحد معلميه بها على متابعة دروسه فى الثانوية المعزوة اليوم الى « الامير عبد القادر » ولم ينس « كامو » لمعلمه هذا منته الكبرى نحوه ، فما أن خول جائزة « نوبل » حتى وجه اليه رسالة ضمنها خالص مودته وعرفانه لما طوقه به من احسان ، وهى الرسالة التى القيت منذ زهاء سنة على ضريح ذلك المعلم الذى تقدمت به السن ، وظل مقيما بالجزائر بعد نيلها الاستقلال ٠

وبدت ملامح النبوغ على « كامو » خلال تردده على الليسيه فلفت اليه انظار مدرسه فى مادة الفلسفة « جان قرينيه » الذى اصبح فيما بعد أستاذا له وصديقا حميما وكان « لجان قرينيه » الاثر الحاسم فى توجيه « كامو » ٠ فهو الــذى بعث فيه موهبة الكتابة ، وعمل على اذكاء جذوتها فيه ، كمــا كان المرشــد له ، وهو لما يتخط طور المراهقة ، فى مضمار المطالعة والدرس ، مما يتاح له فى الغالب اثر لا تمحوه الايام ٠

وأتيح « لكامو » فى تلك الفترة ان يطالع على الخصوص تآليف « نتشه » « ودستويفسكى » ، وكذلك كتب « مالرو » الذى كان يومئذ قد نشر له « فتنة الغرب » و « الغزاة » و « الجادة الملوكية » ٠

وكانت سنة ١٩٣٠ نهاية دراساته الثانوية ، ومنتهى المرحلة الاولى لحياته بالجزائر · ثم كانت أيضاً موعد الذكرى المئوية لغزو الجزائر ، وهي التي أقام لها الاوربيون رائع الحفلات ، لكنها كانت بالخصوص السنة التي انتابت « كامو » خلالها الطعنات الاولى لداء السل المستعصي شفاؤه يومئذ · واغلب الظن أن تلك الطارئة كان من اثرها ارساخ ملكة الكتابة لدى الفتى المولع الى ذلك التاريخ بارتياد الشواطىء ولعب كرة القدم ·

وتولى رعاية الشاب في مرضه عم له مولع بمطالعة الكتب محب للجـدل والنقاش ·

وفي سنة ١٩٣٢ انخرط « كامو » في فصل الآداب العليا وهو الذي يدعوه الطلبة باسم « كاني » في مصطلحهم · وقد احدث انخراطه ثورة في وسطه العائلي حيث لم تكن البيئة الشعبية لتنظر بعين الرضا الى من ينصرف من ابنائها الى طويل الدراسات ذات المستوى الرفيع · ومما يؤثر بهذا الصدد ان احد القرابة توعد برصاص بندقيته من حاول الزج بالفتى « كامو » في زمرة « المثقفين » ·

بعيداً عن الروتين

كانت سنوات « كامو » الدراسية مليئة بالنشاط · كان بعد عودته لقضاء امتحاناته ، لكن كان عليه أيضا ان يشتغل ويكدح من اجل ما كان يعانيه من عوز وخصاصة ، وكانت القروض الشرفية غير وافية بحاجياته · فهـو يعمل كمناضل ، ويقبل على التحرير ، وكذلك يشرع سنة ١٩٣٥ وهو في الثانية والعشرين من سنيه في تاليف « القفا والوجه » ·

وهو يعنى بشئون « دار الثقافة » التي فتحت ابوابها بعاصمة الجزائر ، ويؤسس مع بعض اصدقائه « مسرح الشغل » ومن اجله يحرر باشتراك مع بعض الرفاق أول مسرحية له وهي « ثورة استوريا » تمجيـداً للمضربين الاسبانيين ، ولكنها تحجز بموجب قرار ، ثم هو الى ذلك ينهمك طبعـــاً في المطالعة ، منصرفاً خاصـــة الى مؤلفات « ابيكتيتس » و « بسكال » و « كير كجورد » و « مالرو » و « جيد » وكان لهذا الاخير الاثر البالغ في صقل أسلوبه الانشائي ثم هو الى ذلك يرسم كممثل في جولة محطـــة الجزائر للاذاعة ·

و بوسعنا القول ان احتراف الادب كمهنة من قبل « كامو » قد تقرر نهـائيا سنة ١٩٣٧ ، ولربما كان اوفر اقبالا على التأليف المسرحي منه على الرواية او الدراسة الذهبية · وانما اتضحت خطته تلك اثر الفحص الطبي القانوني الذي اجرى عليه قبل مناظرة التبريز مما اضطره الى العدول عن اقتحامها ، وكان قبل ذلك قد احرز شهادة في الدراسات العليا تتنـاولت موضــــوع اتصالات المسيحية بالثقافة اليونانية كما تتجلى من خــــلال كتب القديس اوغسطينوس ·

وكانت نفسه مع ذلك تحدثه بادراك شأو بعيـــد ، فهو يرفض خطة تدريس بمعهد سيدى بلعباس الثانوي خشية الوقوع على حـــد تعبيره في « حمأة الروتين والرسوب في اوحال المهنة » · فيعتزم تحرير دراسة عن « مالرو » ، ويقوم بجولة عبر ايطاليا · حتى اذا آب من رحلته انضم الى هيئة تحـرير (الجزائر الجمهورية) وكانت هذه صحيفة تم بعثها حديثاً عن طريق اكتتاب من طرف فرنسي احزاب اليسار وثلة من ابناء الجزائر ، وكانوا قد ضـاقوا

ذرعا باكاذيب صحيفتي « ايكودالجي » و « الديبش الجيريان » ، فتاقت أنفسهم الى تصفح جريدة تنبئهم عن الحقيقة دون مواربة في كل صباح ·

وعرف « كامو » بفصوله بها ، وتحقيقاته البارعة في أسلوبها والمتسمة باعتدال لهجتها ، مما كان يمنحها المزيد من الحظوة لدى القراء ·

وبديهي ان الانتقادات التي كان يوجهها « كامو » لسياسة الحاكم العـــام للجزائر لم تكن لتتعرض مهما بلغ من عنفها لمبدأ سيادة فرنسا · ذلك أن صحيفة « الجزائر الجمهورية » كانت يومئذ تناضل من اجل تحقيق سياسة الادماج التي كان يرفضها المستعمرون وان لم تكن ملبية رغائب السواد الاعظم من المسلمين·

و بالنظر الى فصوله بصحيفة «الجزائر الجمهورية» ، نرى أنه وان ناضل عن مفهوم للعدالة الاجتماعية في دائرة نظام سياسي الا انه لا يضع محـــل النقاشوضع الاوروبيين المواطنين بالجزائر، فهو في سنة١٩٤٥ أشد احترازا بكثير ازاء المطالب السياسية الرامية الى اقامة جمهورية جزائرية · حتى اذا كانت سنة ١٩٥٤ أصبح المناهض كل المناهضة لفكرة استقلال الجزائر ·

الجمال والشعر وحدهما

وقد أعرض « كامو » عن التيار العنصري الذي تفشى في أوربا قبل الحرب العالمية الثانية (ونقول العنصري اذ لم تكن عرفت بعد كلمة استعماري) وعن احلام المتنصرين لفكرة « افريقيا اللاتينية » أي المسيحية · فلم يول « كامو » واتباعه وجوههم صوب روما المسيحية بل نجدهم منصرفين بأمانيهم صوب الاغريق وثقافتهم الخاشعة في جوهرها ولبها الى قيم أصيلة تقدس الجمال وتدين بالتوازن والاعتدال ·

معنى الاسم المستعار

ومهما كان من أمر فمن البديهي أن الشمس والبحر غير كافيين وحدهمـــا لتشكيل وطن بالمعنى المتعارف لدينا · لذلك انصرفت همة أولئـــك المثقفين اليساريين الى الذود عن بعض القيم المستلهمة من تراث اليونان وخاصــــة الى تأكيد رغبة عارمة ملحة في تحقيق سعادة أرضية صرفة « هنــــا وفي اللحظة الراهنة » وفي موضوع الشمس والبحر ما يرمز الى هـــذه القيم الارضية ، ونحن نعلم مدى تفشي هذا الموضوع بعينه في سائر ما خطه «كامو» وهو عندما يكتب تحقيقه عن بلد القبائل نجده يعنون الفصل الاول منه تلقائيا : « يونان في الاسمال » ·

وهكذا ففي نفس الوقت الذي تنمو فيه لدى مسلمي المغرب حركات متسمة بطابع « الشباب الجزائري » او « الشباب التونسي » نجد هذه الطائفة من الاوروبيين المناهضين للفاشية يتفانون في بعث شبه حركة « شباب متوسطي » حيث لا شعور لديهم بشخصية جزائرية حقه ولا حتى بانتماء خالص الى الفرنسيين ·

ويذهب « ٦ · روبليس » الى أن « مورصو » وهو اسم الشخصية الرئيسية لرواية « الغريب » شديد الشبه باسم « جان ميرصو » وهو الذي انتحله لنفسه « كامو » بصفته صحافيا · ومعلوم ان « ميرصو » عبارة عن تركيب مزجي لكلمتي بحر وشمس ·

وقد كان « كامو » يتخذ له هذا الاسم المستعار سنة ١٩٣٩ في صـــحيفة « المساء الجمهوري » التي خلفت « الجزائر الجمهورية » وكانت هذه الاخيرة قد احتجبت تحت ضغط الرقابة المنتصبة اثر اعلان الحرب في سبتمبر ١٩٣٩ ·

وفي شهر مايو ١٩٤٠ اتم « كامو » تحرير رواية « الغريب » التي اجل نشرها الى سنة ١٩٤٢ بايعاز من « مالرو » والتي كتب لها نجاح صاعق . على حين ان « كامو » كان عند مبارحته مسقط راسه الجزائر شبه النكرة في عالم الادب حيث لم يطبع له من تاليفه « القفا والوجه » و « الاعراس » سوى بضع مئات من النسخ ، بيد انه كان يحمل يومئذ في حقائبه نسخا غير جاهزة تماما لرواية « الغريب » التي ظهرت سنة ١٩٤٢ . كما اسلفنا وله « اسطورة سيزيف » ، التي نشرت سنة ١٩٤٣ ، ومسرحية « كاليجولا » التي مثلت سنة ١٩٤٤ .

ولما اكتسح الجيش الالماني تراب فرنسا لجا « كامو » الى مدينة ليون لكنه ما

شباب ثورة المليون شهيد حول
علم الجزائر الباســــــلة



لبث ان عاد الى « وهران » حيث كانت تقيم زوجه ، وهنالك انخرط فى سلك التعليم وينهى عندئذ كتابه عن « اسطورة سيزيف » ، ويعده رواية « الطاعون» وهو لايخفي ما افاده في تحرير هذه الاخيرة عن رواية « موبي ديك » الشهيرة لميلفيل ، التى يقول عنها « انها من اشد ما ابدعه الخيال اثارة فى قضية صراع الانسان ضد الشر ، بما هنالك من جدلية قاهرة تجعل المرء ينتصب خصما لله لخلق الكون ، ثم يتمادى ثائرا على امثاله الاوادم وعلى نفسه ايضا » ·

ومرة أخرى يكون للمرض مفعوله فى حياة « كامو » اذ يمنحها وجهة غير وجهتها الاولى ، قيل انه اصابه برد بينما كان يشاطر تلاميذه اللعب بكرة القدم · فاضطر الى العودة الى فرنسا بغية التداوى · وكان من اثر نزول الحلفاء بافريقيا الشمالية فى نوفمبر ١٩٤٢ أن حال بينه وبين أسرته التى بقيت بوهران · وحتى بينه وبين الجزائر نفسها من وجه ما ، حيث لم يتح له فيما بعد أن يزورها الا فى النادر · وفى أثناء هذه الفترة كتب أحلك مسرحياته وهى « سوء التفاهم » التى كتب لها أن تمثل فى باريس المحتلة باسهام الممثلة « ماريا كازاريس » ونلتقط ضمن حوارها هذه الكلمة المأثورة : « اياك والحكم على شيء ما ، انك لم تحط بكل شيء علما » ·

وضرب « كامو » يومئذ بسهمه فى حركة المقاومة ، ولا امتراء ان ذلك كان من طرفه بجمع المعلومات والاسهام فى تحرير النشرات السرية · وما لبث أن اوفدته حركة « كمبا » الى باريس نائبا عنها ، وعندئذ ينخرط فى دار النشر المشرف عليها « قاليمار » بصفة أحد أعضاء هيئة المطالعة بها ، فلا يبرح هذه الخطة الا يوم يوافيه اجله المحتوم ·

وبمجرد تحرير باريس عين «كامو» رئيسا لقلم التحرير بجريدة « كمبا » وبرزت الصحيفة بهذا العنوان الضخم : « من المقاومة الى الثورة » ·· ثم مرت الايام واضحت تلك النار رمادا كما يعلم الجميع ·

ليلة الحقيقة الوحيدة

وطفق « كامو » يصور لنا بأسلوب خلاب ما نشب من معارك لتحرير باريس ·· فليت شعرى هل خطر على باله يومئذ أن فصوله الرئيسية كان يقرؤها ويعجب بها فى الجزائر أيضا ثلة من الاحداث بفصول الثانويات ، ممن أصبحوا بعد اثنتي عشرة سنة أولئك الطلبة الذين سوف ينحى عليهم « كامو » باللائمة مؤاخذا اياهم على استعمال جبهة التحرير القومى لأساليب العنف ؟



وهو يكتب غداة ذلك التاريخ ، أي يوم ٢٥ اغسطس بنفس الاسلوب الشعرى الملتهب عاطفة :

« في أجمل ليالي اغسطس واحرها ، تلوح سماء باريس كما هي بنجومها الخالدة على الدهر ، وقد غشيها الرصاص المشع بخطوطه ، وتصاعد بها دخان الحرائق وأطبقتها الشماريخ الملونة تعبيرا عن فرحة الشعب .. اجـل انها ليلة الحقيقة ، الحقيقة الوحيدة الحرية بان يقام لها وزن ، حقيقـة الكفاح والظفر » .

وفي مايو ١٩٤٥ بينما كان الحلفاء يحتفلون بالنصر ، بعد استسلام جيوش هتلر ، كان الجزائريون يبكون الالوف من الضحايا التي اغتالها الجيش الفرنسي لا لشيء سوى أن الجزائريين ارادوا التظاهر من أجل تحرير وطنهم .

ويرتحل « كامو » الى الجزائر بغية القيام بتحقيق إ، ويدوم هذا التحقيق ثلاثة أسابيع . وقد تضمنت « حاليات ٣ » جانبا من الفصول التي نشرت أولا بهذه المناسبة في صحيفة « كمبا » تحت عنوان « أزمة بالجزائر » .

ويتجلى لنا من البدء ابتعاد الكاتب عن اتخاذ المواقف الواضحة الجذرية ، كما كان شأنه في ملابسات أخرى طبعا ، زمن انخراطه في هيئة « الجـزائر الجمهورية » . ففيما بين سنتي ١٩٣٩ و ١٩٤٥ ثارت الحرب العالمية الثانية التي زعزعت أوربا وايقظت عددا من الشعوب الرازحة تحت نير الاسـتعمار ، ويمعن « كامو » في البحث عن حل وسط ، كما لو كانت الحقيقة ضرورة في الوسط فيكتب لنا :

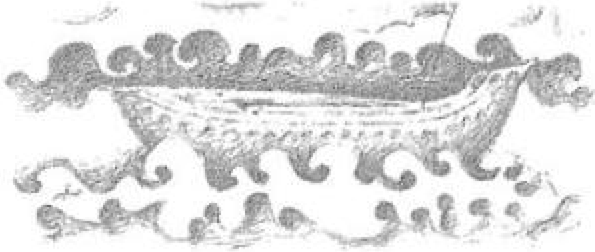
« علينا ازاء ما تضطرب به افريقيا الشمالية في يومنا من الاحداث أن نتحاشى موقفين متطرفين ، أولهما : أن نحشر في عدد الماسي مالا يعدو أن يكون مدعاة الى القلق ، وثانيهما : أن نتعامى عن جهم المصاعب التي تجتازها الجزائر اليوم » .

لأني أعشق الحياة

وفي سنة ١٩٤٧ ينتثر عقد جماعة « كمبا » (أن روح المقارمة وأخوة المعارك لا يضمن لهما البقاء دوما) وعندئذ يتخلى « كامو » عن تسيير الصحيفة « لكلود بورديه » . ويقول بعضهم بهذا الصدد أن مبارحته لجريدة « كمبـا » كان معناه اعتزالا من طرفه في نفس الوقت للنضال السياسي .

وفي مدى عشر سنوات أي فيما بين سنتي ١٩٤٠ و ١٩٥٠ كتب ونشر « كامو » الصفوة من آثاره . وبعد نشره « الطاعون » سنة ١٩٤٧ وهي الرواية التي لقيت نجاحا منقطع النظير ، مثلت له في السنة بعدها مسرحية « حالة الحصار » واسهمت نخبة من الممثلين في الاضطلاع بأدوارها حيث انتدب لها « جان لويس بار » و « مادلين رينو » و « ماريا كازاريس » و « بيار براسور » بيد أنها منيت بالاخفاق . وفي سنة ١٩٥٠ اثر رحلة له الى امريكا الجنوبية مثلت له مسرحية « العادلون » ولعلها من بين سائر قصص ومسرحيات « كامو » هي الاثر الذي يتيح لنا أكثر من غيره أن نستخلص رأيا عن ردوده للفعل تجاه الصراع النفسي بأنواعه ، مما ينشأ عن متطلبات العمل الثوري في تعارضه مع نوازع العاطفة ومقتضيات السلوك الاخلاقي المألوف . وقـد استلهم الكاتب موضوعها عن الحملة الارهابية التي شنها الثوريون الروس سنة ١٩٠٥ على النظام القيصري .

وفي أواسط سنة ١٩٥٥ يعود الى احضان الصـحافة وقد فتحت له مجلة « اكسبريس » اعمدتها . وفي ١١ يوليو بينما كانت الثورة الجزائرية في



مستهلها برزت له بها مقالة تحت عنوان « ارهاب وقمع » جاء فيها :

« انما يحلل الارهاب في الجزائر وفي غيرها بفقدان الامل ، فمنشؤه في كل موطن وعلى مر الدهر هو شعور المرء بوحدته وانعزاله ، وما قد يخامره من انه لم يعد له من ركن يعتمده أو من غد يرجوه ، وان الجدر المحدقة به عديمة المنافذ متناهية الكثافة بحيث لا مفر من نفسها عنوة لكي يتاح له مجرد التنفس وحتى الخطو شيئا ما الى الامام · وهكذا انغلقت الجدر حول سواد أعظم ليس له من ممثل او سلطان يتكلم عنه ويشخصه للعيان · فالصمت الحاف به والبؤس الغامر له وانطماس الغد الافضل في وجهه وفقدان الامل لديه والشعور المرهق بمهانة خاصة لحقته حين جاءت كل أمة تجادل عن نفسها كل ذلك جعل ليلا من اليأس ينيخ بكلكله على جموع الجزائر ، فلا مفر أن ينطلق المكافحون من أحشاء ذلك الظلام » ·

وكذلك يدرك « كامو » لماذا حمل ابنـــاء الجزائر السلاح ، بيد انه لم يتمثل ذلك الا في صورة تمرد لا اكثر ولا اقل · ولم يتنبه الى انه ثورة في واقع الامر · فهو اذ ينتقل الى الجزائر العاصمة بعد اشهر ليلقي بنـادى « التقدم » محاضرة ينادي فيها بما ســـماه « مهادنة المدنيين » ، يتجلى واضحا للعيان مبلغ منافاة دعوته لواقع الاحداث ·

على ان الجزائريين من ابناء العاصمة اكرموا يومئذ وفادته ومنحـــوه عطفهم ·· وكيفما كان الامر فقـــد كان من اثر استســـلام « جي موليه » اثر ذلك بأيام لمتطرفي الاوروبيين ورضـــوخه لارادتهم ان بدد جميـــع الاوهام ، وأدى الى متابعة النضال بما يفرضه من التضحيات الباهظة حتى الاستقلال ·

وانقطع « كامو » عن اسهامه في مجلة « اكسبريس » ولازم الصـــمت الى شهر اكتوبر من سنة ١٩٥٦ حيث أسهم في ندوة احتجاج عنيف ضـــد أحداث بودابست ، وعلى عكس ذلك لم ترتفع عقيرته ابان الحملة الفرنسية الانجليزية على قناة السويس ، ثم تنصرف من يومئذ وجهتـــه الى المسرح خاصة ·

علمتني سنوات الاحتلال

وتعرض «كامو» للمرة الاخيرة لقضية الجزائر في «حاليات٣» وكان بروزها في يونيو ١٩٥٨ اي بعد مضي شهر على الثالث عشر من مايو واستلام الجنرال دي جول لمقاليد الحكم · وكان الجزائريون ما فتئوا معلقين أملهم « بكامو » رغم ما كان من تحاشيه ادانة أعمال التعذيب على غرار نخبة من المثقفين الفرنسيين

فاختار موقفه ذاك استنكارهم بما تقدم به الكاتب من حل مزر على غرار التائب لوبول . فبينما كان قد استشهد يومئذ مئات الالوف من ابناء الجزائر من أجل استقلال بلادهم اذا « بكامو » يقترح اقامة نظام للحكم يقول عنه : « انه جامع مزايا الادماج الى محاسن الفيدرالية «وهو بالضبط الحل الذى كانت قد تخطته الاحــداث منذ سنة ١٩٤٥ ، كما تبين بنفسه فى التحقيق الذى اجـــراه يومئذ لصحيفة « كمبا » . واعجب من ذلك انه قد اعترف هو نفسه بان « سياسة فرنسا بالجزائر هى دوما متخلفة بعشرين سنة عن واقع الاحداث » .

ذلك ان « كامو » غير متفق مع الثورة الجزائرية لا بالنظر الى اهدافها ولا بخصوص وسائلها :

١ ـ فهو يتخذ موقفا متسما بالرجعية . ويقول : « اننى منـــاهض كل جميع مظاهر الاستسلام » ويردف قائلا : « مهما كان من حسن نوايانا ازاء مطالب العرب ، فعلينا ان نسلم بأن الاستقلال القومى انما هـــو بخصوص الجزائر عن صياغة قوامها العاطفة ليس الا .

« وفى رسالة الى الجزائر » نراه يلجأ فى شيء من الغلظة الى اســـتعمال تعابير من صنف قوله : « انتم العرب » و « نحن الفرنسيين » و « رهطكم » و « رهطى » .. الخ .

٢ ـ وهو الى ذلك يناضل عن فكرة للعدالة غير متضحة السمات ويحاول تبرير رفضه للاستقلال بما له من وجهة فى النظر مرتجلة ومفرغة فى قالب من اللبس فهو يكتب : « مهما كانت المصادر القديمة والمتأصلة لمأساة الجزائر، فثمة أمر هام : ليس هنالك من سبب يبرر موت البريء » .

اما نحن فان ننس لا ننسى ما كتبه « كامو » نفسه من قبل فى صحيفة «كمباء اذ يقول : « لست قائلا بأن العنف يرد عنه باستدرار البركات على جانبيه . انما اظن أن العنف لا مفر منه بتاتا ، ولقد علمتنى ذلك سنوات الاحتلال » .

٣ ـ ان من شنشنة « كامو » ان ينضم الى جانب رهطه و « ذويه » على حد تعبيره أى الى شق الاوروبيين فى الساعات الرهيبة . والحق ان هنالك تعليلا نفسيا لموقفه هذا سواء اكان ايجابيا ام سلبيا : ذلك ان حجة العاطفة والقلب انهض لديه من حجة العقل . وكفانا ان نذكر بهذا الصدد ما كان من رده فى ستوكهلم اثر تسلمه جائزة نوبل على شاب جزائرى كان قد استفسر خلال ندوة صحفية عما اذا كان مساندا الثورة الجزائرية ام مناهضا لها ، فأجابه « كامو :

« اننى ما فتئت ادين الارهاب . فعلى ان ادين عمليات الارهاب الاعمى الجارية بازقة الجزائر مثلا ، والتى قد تصيب امى ذات يوم . اننى لمؤمن بالعدالة (وهذه منه محض فكرة مجردة) ، لكننى ادافع (هنا تتكلم العاطفة) عن امى قبل العدالة .

الرموز فى رواية الغريب

وفى مواقف اخرى عمد « كامو » الى تشويه ثورة الجزائر والنيل من مقامها ويتهاوى فى « حاليات ٣ » الى حضيض مزر اذ لا يتحاشى فى هذا الصدد من الادلاء بحجج من صنف قوله مثلا :

« علينا ان نعتبر المطالبة الجزائرية بالاستقلال كظاهرة بين ســـواها من مظاهر الامبريالية العربية الجديدة التى تشرئب مصر الى تزعمها فى نعرة من الغرور والتى تستخدمها لحد الآن روسيا لفائدة نواياها الاستراتيجية ضد الغرب » .

ومثل هذا التعامي عن واقع الثورة كان يبدو منتظرا من طرفه من يوم أن حرر رواية « الغريب » وهي الوحيدة التي كتبها « كامو » بالجزائر من أولها الى آخرها ، والتي يتخذ منها اليوم مادة لشريط سينمائي · فليت شعري هل يتيح لنا هذا الشريط الوصول الى مغزى هذا الاثر الادبي ؟ وكيفما كان الحال فمعلوم ان الشرح الذي تقدم به « سارتر » للرواية . وكذلك التحاليل التي كتبها بهذا الصدد عدد من النقاد لم تحظ برضا المؤلف فلا باس أن نضم الى ذلك بدورنا تأويلا لنا قوامه الرمزية لا سيما اذا سلمنا بأن الكاتب قد لجأ الى الرموز في كتابته رواية (الغريب) ·

لقد كان « كامو » ابن عامل زراعي فكان يحز في نفسه بذخ المعمرين وصلفهم المتناهي ، ثم انه ناضل في صفوف الحركة المناهضة للفاشية وأصبح مثقفا من صنف ممتاز ، ومن اجل ذلك كان الواعي لنزلة اوربيي الجـــزائر بمـــا اتسمت به من خصائص ·

وان ننس فلا ننسى انه شرع يكتب (الغريب) في سنة ١٩٣٩ وهو ما فتيء ينتمي الى صحيفة « الجزائر الجمهورية » فكان يدرك ما في الوضع الراهن من لا معقولية متمثلة في وجود جالية موطنة بالبـلاد وسـط مجمـوعة بادية التفوق عدديا من ابناء الجزائر · فلا امتراء حينئذ من أن (الغريب) في نظر « كامو » انما هو الاوروبي بارض الجزائر · هذا المشهد الرئيسي للرواية وهو اطلاق « مورصو » خمس رصاصات من مسدسه على « العربي » المجهول انما هو رمز الى العدوان الكامن في نفس الاوروبي ، والذي هـو يحلم بالتخلص من وقرة ما يشعر به من وحشة مليئة بالقلق والمخاوف في مجابهته للعربي · ولست بالقائل ، على غرار بعض المتأولين ، أن « مورصو » – او بالاجدر « كامو » – قد تخلص بذلك الموقف من عقدة في نفسه من صنف ما ينتاب صبيان الاوروبيين في البلاد المستعمرة · وانها كانت علقت به من يوم أن اعتدي بالعنف على أمه من طرف رجل جزائري في منزلهم بحي بلكور · على انني أرى أن « كامو » بقتله العربي في روايته قد حقق عن طريق اللاوعي ما كان يحلم به كل أوروبي اســتوطن الجزائر وأحبها لكنه لا يتصورها الا مجردة من ابنائها ·



أما الحكم بالاعدام على «مورصو» كما جاء في الرواية فهو غير محتمل، ذلك انه ماحدث قط أن اقتص بالاعدام من قاتل أوروبي· لا ريب أن ذلك الحكم الصارم انما هو اشعار بنهاية نظام آثم مناف للعدل· وكان «كامو» متوقعا هذه النهاية منذ سنة ١٩٣٩ ، ولو انه لم تسغ نفسه استقلال الجزائر بعـد

مضى عشرين سنة على ذلك التاريخ ، ولنا أن نلمح وجها للشبه بين « كامو » المتضامن مع أوروبيي الجزائر أو « الارجل السود » كما سموها وبين فولكنر المتغنى بمآثر بنى رهطه من الجنوبيين الامريكان ٠

بين ((لا)) و ((نعم))

اما في روايته « الطاعون » فليس ثمة جزائرى مطلق بوهران ، وهى المدينة التى تتجلى في روايته تلك بملامح غريبة حقا ، حيث يقول لنا عنها فى أول القصة : « انها مدينة من الطراز المألوف لا تزيد شيئا عن أى مركز ولاية فرنسية بالساحل الجزائرى » ٠

وفى كتابه « المنفى والملك » يقدم لنا ضمن اشخاص قصة له بعنـــــوان « الضيف » معلم صبيان فرنسى أنيط به أن يقود الى السجن رجلا جزائريا كان أودعه رجال الدرك ٠

ولا مفر من أن تحرجنا مثل هذه الجزئيات ٠ فليت شعرى هل كان يرمى من ورائها الى اضفاء مفهوم الشمول الانسانى على تصانيفه ، بينما لو اقحم فى طيها اشخاصا من العرب لآلت القضية برمتها الى الواقع الراهن المتأجج سعيرا والمكهرب نضالا بما فيه من مطالبة العرب بحقوقهم !

وفى مكتبه بمقر صحيـة « الاكسبريس » عنـد مستهل سـنة ١٩٥٦ القى كامو كلمة فى وفد جاء لزيارته من قبل الاتحاد العام للطلبـــــة المسلمين الجزائريين ، كنت انا من بين أفراده ٠ فبعد أن اقتبلنا اقتبالا وديا والتمس منا الجلوس على الارض فوق بساط مفروش (كما هو الشأن فى منزله حسب تعبيره) شرع يفيض القول فى كلمة طويلة لم تكن فى واقعها سوى صورة جديدة طبق الاصل من تأرجحه المتعارف بين كلمتى « نعم » و « لا » ، وتردده المعهود بين الرفض والقبول ٠ وقد الح فى القول بأن العنف واحد فى جوهره ، وانه لا ينبغى له ادانته وقد تلبس به المظلومون ، أن هو لم يدنه كذلك مسلطا من قبل الارهابيين ، ولم يكن للبراهين التى ادلينا بها أى أثر فى اقناعه وزحزحته عن رأيه ٠

وقد ادهشنا خاصة من طرفه أن كان يستعمل كلمة « نحن » متحدثا عن فرنسيى الجزائر ، ولفظة « انتم » متوجها الى ابناء الجزائر ٠ وادركنا فحوى أمره عندما انهى كلمته بهذه العبارة : « وهى التى نقلها جان دانيال » الا تخذوا حذركم ٠ لقد أوشكت تدق الساعة التى لا سبيل فيها لاى كان أن يبقى على الهامش او فى الوسط او بأعلى الربوة ٠ انه اذا تمادى العنف واستفحل فالواجب المحتم حتى بالنظر لمثلى هو العودة الى رهطه وذويه ، حيث يستحيل الحياد او البقاء خارج المعمعة » ٠

ذلك هو « كامو » كما ترده لنا « الابدية الى كنهه وحقيقته الخالدة » ٠ لقد كان كاتبا ذا موهبة لا غبار عليها ، وكان ذا حساسية مرهفة متسما على الدهر بتضامن عنصرى فى جوهره يشده الى المجموعة الانسانية التى ولد وترعرع فى احضانها ، وما فتئت أمه منتمية اليها ٠

لا غرو أن « كامو » قد خط بقلمه بعض الصحائف الرائعة عن جمـــال شواطئنا وبهاء شمسنا ٠ وحتى بهذا الصدد قد تحولت وجهة النظر فهو اذ يعود الى « تيبازة » بعد عشرين سنة نجده يصارحنـــا قائلا : انه لمن الهوس المفرط والمستوجب غالبا للزجر أن يعود المرء الى مواطن صباه ، محـــاولا أن يحيا من جديد ، وهو قيد الاربعين ما كان قد أحبــه واوغل فى الاستمتاع به فى العشرين من سنه ٠

ثم ليت شعرى هل يصح بشأن المرء ان يقال عنه انه احب بلدا وهو المقتصر على الاشادة بشمسه المشرقة وشواطئه الرائعة ، وقد أعرض ونأى بجانبه عن بنيه بما لهم من الام وآمال ، كأنما وضعهم بين قوسين ·

و للمرة الاخيرة نستشهد هنا بكلمة « لكامو » ، فهو الذى كتب يقول : « اجل ان هنالك الجمال وهنالك المستضعفين · بودى أن أظل دوما مخلصا للاثنين معا ، مهما كلفنى ذلك من المشاق » ·

لاعظمة بدون وفاء

ونحن الان وقد استعرضنا الاطوار المتتابعة لحياة الرجل – من محقق حر النزعة فى جريدة « الجزائر الجمهورية سنة ١٩٣٩ » الى صحفى مقاوم بجريدة « كمبا » سنة ١٩٤٥ الى معلق منفرد بوجهة نظره فى صحيفة « اكسبريس » سنة ١٩٥٦ نحن الان بعد استعراضنا حياة « كامو » قد يحق لنا أن نستخلص الفحوى والزبدة منها ، وهو أن « كامو » قد تغير كثيرا ، وان ما زعموه من تعلقه ببلدنا انما كان تعلقه الجثماني الصرف بطائفته ورهطه عندما دقت ساعة الحقيقة وانتفت كل الريب ·

لقد تحول كثيرا عن اتجاهه الاول ، ولم يكن بمقدوره أو هو لم يشا ان يرفع عقيرته بصفته حاملا لجائزة « نوبل » لفائدة شعب كان هو ايضا كغيره يكافح لنيل حريته ، من اجل ذلك لم يكن بالوفى لقضية المستضعفين ، ونحن اذا ما استعدنا ملامح « كامو » كما كانت تبدو سنة ١٩٣٦ لم نتمالك من ان نذكر هذه الكلمة لاستاذه « جان قرينى » : « ليس هنالك من عظمة حقه دون وفاء » اى دون ايمان باق على الدهر » ·

لقد كانت تعوز « كامو » رباطة الجاش ونفاذ البصيرة عندما تدق الساعة للاختبارات الحاسمة · وما اغنت عنه حدة الذكاء ولا سعة الثقافة من شىء ، حيث لم تصرفه عن الانصياع لانعكاساته العمياء بدلا من التفكير واعمال الراى ، ولا صدته عن ركوب العصبية الضيقة بدلا من ترجيح القيم الانسانية الشاملة · لقد طغت عليه الاوهام والاراء القبلية الراسخة من عهد الطفولة الى حد انه اشتبه عليه الامر ، فلم يبد لعينيه ما سماه « التمرد العربى » سوى مظهر للنزعة الاسلامية العالمية واثر من اثار الكراهية للاجنبى ·

لقد كان الجزائريون يأملون عن جدارة من رجل مثله محرز على جائزة « نوبل » ان يقف تجاههم موقفا افضل من موقفه المعلوم ، فليست تلك الجائزة العالمية عبارة عن شرف وفخار لا نظير له ، بل هى ايضا امانة فى عنق من اسندت اليه وعبء ثقيل يضطلع به · ذلك انها تهبه جنسية من صنف متسام حيث هى تناشد صاحبها بان يقدم خير الانسانية جمعاء على صالح امته الخاصة ·

ولم يكن « كامو » مع الاسف فى مستوى هذا المثل الاعلى ومع هذا فقد كان الجزائريون يمنحون عن طيب خاطر لقب « كامو الجزائرى » لو انه تسامى عن احاسيسه العنصرية التافهة وسلم لنا بشرف ما كنا بصدده من الكفاح ولم يكن مشاحنا بشأن الحل الاوحد المرضى لقضيتنا وهو الاستقلال ·

واذن لكان لقب « كامو الجزائرى » بمثابة جائزة « نوبل » ثانية تخول له ، مما يجوز ان تعده جائزة « نوبل » لتصفية الاستعمار ·، اى لاعظم حركة فى التاريخ المعاصر · لكن « كامو » لم يكن جديرا بهذه الجائزة العظمى · لذلك سيظل فى نظرنا كاتبا جليل القدر او بالاحرى صاحب اسلوب فنى ممتاز ولكنه سيبقى الى ذلك غريبا عنا لاصلة بيننا وبينه مطلقا ·

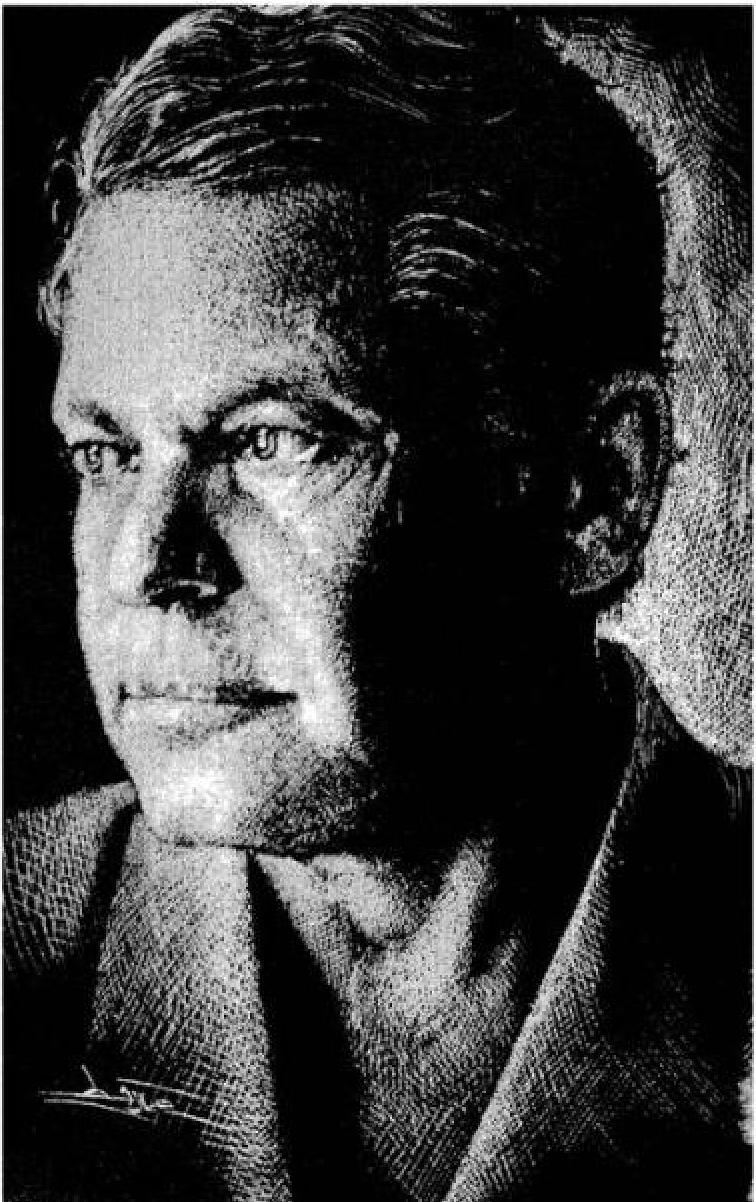
الهلال

أعلام القصة

يوسف السباعى

فى مقدمة الطبعة الاولى من رواية « انى راحلة » اولى روايات يوسف السباعى ، نجده يخاطب القراء قائلا انه يجد فى رضائهم عنها اول ثمن يتلقاه على ما بذله من جهد .. « والا فكفانى اعجابى بها ورضائى عنها ، واغنانى الله عنكم وعن اعجابكم .. انى قد كتبتها اولا لنفسى ثم لكم » وهكذا نجد يوسف السباعى يحافظ فى مقدمة اولى رواياته فيعلن انه كتبها اولا لنفسه ، وان كان يعلن انه ينشد رضا القراء ..

يوسف الشارونى



غير أن هناك صنفاً آخر من القراء ـ حقاً هم أقلية لكن روح الفنان لا تلبث أن تلتفت اليهم فى مقدمة الطبعة الثانية للرواية نفسها ـ مدراه يقول :

« ا ـ بعض الكتاب تعودوا ان يرصعوا كتبهم بأقوال التقدير والمديح من ذوى الحيثية من الصحافة ورجال الادب ولكنى أشعر انى فقير فى هذه المرصعات ... لست أدرى لماذا ؟ قد يكون السبب هو انى لا أكتب ادباً ، او يكون لأن رجال الادب لا يقراون الادب ٠ على أية حال لقد اغنانى الله عن تقدير ذوى الحيثية بتقدير القارىء العزيز المجهول ، التقدير المخلص الحار الخالى من النفاق والرياء ، الذى لا يرجو ثمنا ولا يطلب ردا ٠ »

ثم يقص قصة قارئة مجهولة اتصلت به فى منتصف الليـل تبلغه اعجابها بكتابه ، ثم تردف اعجابها التليفونى بخطاب ، ويختم مقدمته بقوله انه يحس فى الخطاب المجهول ومحادثة نصف الليل خير عزاء عن ذوى الحيثيات من أهل الصحافة والادب ٠

ومنذ ذلك الوقت ويوسف السباعى يعلن من حين لآخر أن بينه وبين النقاد شيئاً من نفور أو عدم استلطاف ، وأن الله قد أغناه عنهم بقرائه الـذين يعدون بالألوف فى العـالم العربى ٠ وله فى ذلك تعليلات شتى ٠ لكن هل صحيـح أن يوسف السباعى لا يهتم بالنقد ، وأن النقد لا يهتم بيوسف السباعى ؟

● الفكر والفن فى أدبه ●

كثيرا ما يحلو لى أن أقسم الادباء الى نوعين : نوع فاز بالدنيا ونوع فاز بالآخرة ٠ والدنيا هنا معناها جمهور واسع من القراء وجمهور أوسع ممن لا يقرأون الاديب مباشرة فى قصصه ولكنهم يتلقونها عن طريق وسائل وسيطة مثل الاذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما ، وبهذا يفوزون بمباهج الدنيا من شهرة وثروة وما يستتبع الشهرة والثروة من هيبة ونفوذ ٠ أما الآخرة هنا فهى الاهتمام النقدى بالاديب ، فلئن كان اقبال الدنيا ـ بالمعنى الذى قصدنا ـ موقوفا على حياة الكاتب ، فان الاهتمام النقدى هو الذى يكون مدخله الى دنيا الخلود الادبى فيما بعد ، وهو اهتمام قد لا يكون فى حياة الكاتب بل بعد موته بعشرات أو مئات السنين حين يتم اكتشافه من جديد ٠



توفيق الحكيـــم :
اسلوب يوسف سـهل
عذب ســـاحر ...

د ٠ طه حســين :
جاذبية اسلوب السباعى
وفكاهتـــه الحلوة



وكل أديب يتطلع الى الفوز بالدنيا والآخرة معا ، وان كان الجمع بينهما متعذرا فى كثير من الاحيان ، حتى ليبدو أن ما يعجب الجماهير لا يعجب النقاد والعكس بالعكس · ولقد عبر عن ذلك **يوسف السباعي** اكثر من مرة حين أبدى دهشته أن رواية « **السقا مات** » التي اعجبت النقاد كانت اقل رواياته توزيعا ·

ولا شك أن يوسف السباعي واحد من أدبائنا القلائل الذين فازوا بالدنيا · أما الفوز بالآخرة فيجيب عليه كتاب صدر اخيرا في بيروت بعنوان « الفكر والفن في أدب يوسف السباعي » · وهو مجموعة مقالات نقدية بقلم أجيال مختلفة على رأسهم طه حسين ، حتى علاء الدين وحيد من نقادنا الشباب · فاذا علمنا ان الاثنى عشر كاتبـــــا ليسوا الا نماذج لمن عرضوا لأدب يوسف السباعي ، ادركنا أنه ليس صحيحا أن النقاد لم يهتم بيوسف السباعي ، واذا علمنا من ناحية أخرى أن يوسف السباعي أولى هذا الكتاب اهتمامه أدركنا أنه يهتم بالنقد اهتمامه بجمهور قرائه وجمهور متذوقيه عن غير طريق القراء ·

سر الرواية وغزارة الانتاج

ان صدور كتاب يجمع عدة مقالات تتناول أدب كاتب من كتـــابنا ظاهرة جديدة صحية فى حياتنا الأدبية ، نتمنى أن تتزايد وتجد اقبـــالا من الناشر والقارىء على السواء ، فهى توفر على الدارس عناء الرجوع الى مراجع شتى قد يتعذر حصوله على بعضها ، كما أنها تقدم صورة متكاملة لتطور النقــــد الأدبى عندنا حول كاتب واحد وفى الوقت نفسه تقدم لنا صورة لتطوره الروائي ·

وقد اشرف غالى شكرى على تقديم هذا الكتاب واعداده ، وكنا نود لو أنه اثبت فى نهاية كل مقال مكان نشره وتاريخ النشر ، فهذه هى ابسط القواعد العلمية فى مثل هذا النوع من المؤلفات · وكنا نود لو ان هذه المقالات رتبت على أساس معين ، وان يشار الى هذا الاساس فى المقدمة ، فاما ان يكون الترتيب تاريخيا حتى تسهل ملاحظة تطور الحركة النقدية لدينا من ناحية وتطور الكاتب من ناحية أخرى ، واما ان يكون اساسه موضوعيا كان تكون المقالات العامة معا ، والمقالات الخاصة بكل رواية متجاورة حتى تسهل المقارنة بين اراء النقاد حول العمل الادبي الواحد ، حتى الفهرس لا وجود له ، ولكن تلك العيوب لا تطمس الجهد المبذول ، ونرجو تلافيها فى الطبعة الثانية ان شاء الله ·

فاذا رجعنا الى المقدمة وجدنا غالى شكرى يعلن أن هذا الكتاب فى أدب يوسف السباعي يعد دفاعا عن النقد « فهو يشتمل على نماذج متعددة للنقد فى بلادنا نماذج من الاجيال المختلفة والمناهج المتنوعة » ·

كما يعلن أن أدب يوسف السباعى فى مجمله ظاهرة اجتماعية ، ولانه ليس لدينا دراسات احصائية ترصد العلاقة بين الانتاج الادبى ومستهلكيه ، فمن هنا تنبع الاهمية القصوى فى اصدار هذه النماذج النقدية بين دفتى كتاب حول أدب يوسف السباعى · فبالرغم من انه يخلو كأى كتاب نقدى فى اللغة العربية من هذه الدراسات العلمية ، الا انه يقدم مجموعة من الصور لمفاهيم بعض نقادنا الذين يمثلون أجيالا متعددة واتجاهات مختلفة ···

ثم يتنبأ بأن هذه المفاهيم قد يثور عليها هذا الجيل او ذاك من الاجيال القادمة · فسوف يتوفر لهم بكل تأكيد من ادوات البحث العلمى ما لم يتوفر لجيلنا ولا للجيل السابق علينا ، وبالتالى فانهم سيضيفون الى تصوراتنا عن

ادب يوسف السباعي ابعادا لم نحظ بالتعرف عليها بسبب هذا القصور في ادواتنا النقدية • ولعلهم يستطيعون ان يفسروا لنا في المستقبل ذلك الرواج المذهل الذى صادفته اعمال يوسف السباعي خلال الاعوام العشرين الاخيرة ••• ولعلهم يستطيعون أن يفسروا لنا هذه الغزارة في الانتــــاج التي تلبى احتياجا نفسيا دفينا عند الكاتب قبل ان تلبى احتياجا ملحا في اسواق التوزيع •

● سوط يلهب السخفاء ●

وقد لاحظ غالي شكرى ظاهرة غالبة بين النقاد هى عنايتهم باللغة ، واللغة في ادب يوسف السباعى لها اكثر من شأن؛ اذ انها من عناصر الجذب التى تفسر لنا وجها من وجوه الرواج الذى تناله مؤلفـــاته والرواج بين الشباب بصفة خاصة ، فهى لغة شابة تهمس ولا تصرخ ، تأسر ولا تأخذ بالخناق ، تمنحك احساسا مغريا بانك قارىء ممتاز بالتهامك للصفحات ــ الالف أحيانا ــ فى نفس واحد ، اى فى ليلة واحدة او ليلتين • حتى أن اديبا مثـــل طه حسين يعترف قائلا : « واشهد انى رضيت عن نفسى حين رايتنى افرغ من قراءة الصـــفحة الحادية عشرة بعد المائتين والالف وكنت اقدر انى لن ابلغها ، فهى تستجيب لمقتضيات العصر وتنفذ الى اعماق الجيل الذى تعبر عنه » •

واخيرا فان من أهم مميزات هذا الكتاب أن معظم فصوله خلت من ذلك القبح الاخلاقي الذي تتسم به بعض الكتابات النقدية ، وهو قبح يتصل بموقف الناقد من الكاتب اذا كانت أواصر المودة الشخصية معقودة بينهما ، فهو حين ذاك يكيل له من المديح ما يزيف حقيقة الادب والنقد على السواء ، وكذلك موقف الناقد من الكاتب اذا كانت العلاقة الشخصية بينهما ليست على ما يرام ، فهو حين ذاك يكيل له من الهجاء ما يزيف حقيقة الادب والنقد على السواء •

وفي مقدمة الذين كتبوا عن يوسف السباعي الدكتور طه حسين • وهو معجب كل الاعجاب بادب يوسف السباعي ، وان كان يقسو عليه في أحيان قليلة فهى قسوة الوالد المحب • فقد عرض لخمسة من اعماله كان اسلوب التقديم والتلخيص هو الغالب عليها ، هى على التوالى : « انى راحلة ، وطريق العودة ، ورد قلبى ، وليل له آخر ، واقوى من الزمن » •

وبرغم ما أخذه على اللغة من اخطاء الا انه اعترف من ناحية اخرى بجاذبية الاسلوب وما فيه من فكاهة حلوة حتى انه يقول عن رواية ليل له آخر : واشهد أن طول القصة بل اسرافها فى الطول لم يزدنى الا جمالا واعجابا بهـــا حتى قراتها مرتين ولا استبعد انى ساقرؤها مرة ثالثة •

اما توفيق الحكيم فهو يصف اسلوبه بانه سهل عذب باسم ساخر ، ويحدد محور كتبه بقوله انه يتناول بالرمز والسخرية بعض عيوب المجتمع المصرى • ويتفق فريد أبو حديد مع توفيق الحكيم فيعلن أن اسلوب يوسف السباعي سائغ عذب سهل سليم قوى متين ، وليست استباحته ان يستخدم من الالفاظ بعض ما يتداوله الناس في كل يوم فى شئون معاشهم او فى احاديثهم الا ضرورة يستلزمها فنه ، اما من ناحية الموضوع فهو يعلن ايضا ان يوسف السباعى يملك سوطا له الهوب طويل يستطيع أن يهوى به على السخفاء وسخافاتهم فيشوى جلودهم ويعرض للسخرية سخفهم •



هو اديب من ادباء الحياة . .



عبد الحليم عبد الله: وقفة أمام: « طريق العودة »

● الاصطدام بالكائنات الاخرى ●

ويعرض الدكتور محمد مندور لرواية « السقا مات » فيعلن أن يوسف السباعي اديب من ادباء الحياة ، بل من أدباء السوق التى تمج بالحياة والاحياء وتزدحم بالاشخاص والمهن ... ومن مجموع حيواتهم تتكون الحياة المصرية . او الحياة القاهرية ، أو حياة الحسينية التى تتمتع فى القاهرة بسمعتها الخاصة .

ثم يشير الى الاسلوب قائلا : « انه لم يحاول أن يفرض اسلوبه الخاص على هؤلاء الناس ، بل تركهم يتحدثون بلغتهم الخاصة مكتفيا بان يدون ما استطاع أن يتسقطه من حديثهم الذى جاء طبيعيا حيا شيقا ، مفصحا خير افصاح عن عقليتهم ومشكلاتهم ومسراتهم واتراحهم وما يعتزون به من قيم » .

ويوسف السباعى حين تعرض لمشكلة الموت فى هذه الرواية انما تعرض فى الواقع للمشكلة الاساسية التى تضنى عقلية الشعب المصرى ، بل وعقلية كافة الشعوب .

وتعرض بنت الشاطىء لرواية « أرض النفاق » فتعترف أن كثرة اخطاء يوسف السباعى اللغوية صدمتها فى أول الامر فصرفتها عن قراءة مؤلفاته . لكنها حين قرأت أرض النفاق اضطرت أن تغير رأيها ، « فقد فرض الكاتب نفسه على وانتزع استجابتى على الرغم منى ، فاندمجت شيئا فشيئا فى عالمه ، ورحت اتابع الكتاب وهو يكشف اثواب الرياء واحدا فى اثر آخر ، عن ابطال اللعب الكبير فى أرض النفاق » .

اما انيس منصور فيقدم لنا صورة من ارشق الصور ليوسف السباعى ، وينتقل فى يسر من شخصه الى فكره فيقدم لنا فكرة فلسفية كانت تتولد فى وجدانه الخالق ويحاول ان يجسدها فى قصة طويلة ، قصة يتحرك ابطالها بقوة ذاتية ويتضاربون ويتصارعون حتى النهاية كانهم كرات البلياردو تتضارب وتتخبط . وملخص هذه الفكرة ان اى كائن حى عبارة عن طاقة متحركة ، تتحرك دائما ، ومصيرها يتوقف على اصطدامها بالكائنات الاخرى او بالطاقات الاخرى، وهذا الاصطدام يحدث أثره فيها ويغير اتجاهها . وتصدمها كائنات اخرى فتدفعها الى أعلى أو الى اسفل أو تعطلها عن الانطلاق فى حركتها .



أنيس منصور : فكــــرة فلسفية في الوجدان الخالق

(٦) أسلوب مرح منطلق ●

ويقف محمد عبد الحليم عبد الله أمام البطولة فى رواية « طريق العودة » فيرى أنها فى هذه القصة نوعان : نوع نبع عن نفس مندفعة قوية شجاعة الى حد عدم المبالاة فهى فى السلم لا تخاف شيئا حتى صرامة التقاليد . وفى الحرب لا تخاف حتى رهبة الموت · وهذه هى شخصية « مراد » البطل الاول فى القصة ·· بينما يمثل « محسن » فى القصة نوعا ثانيا من البطولة · نوعا طبيعيا كذلك، هو مجاميع الشباب الذين تجرفهم الحرب وهم فى زمن الاحلام وعهد الحماسة التى تصور لاصحابها أن قبسا صغيرا منها قادر على أن يمحو المظــــالم من العالم . حتى اذا خاضوها لم يجدوا وقتا كافيا ليفحصوا أفكارهم من جــديد لانهم يقتتلون ·

ويتناول أنور المعداوى قصة « نائب عزرائيل » فيرى أن فكرة القصة وما فيها من العــــــرض والحوار نموذج مثــــالى لا يقدر عليهــــا الا فنان يملك من أصالة فنه ما يؤكد موهبته ورسوخ قدمه فى عالم القصة ، لكنه يســتدرك قائلا : ولو قدر لهذه القصة أن تعالج فى شىء من الاناة والاحتشاد وسعة الوقت لكان من الممكن أن تحتل مكانها فى الصـــدارة من هذا اللون القصصى الطريف الذى لا تلمسه كثيرا فى القصة العربية ·

ويأخذ على يوسف السباعى انه ليس لديه من الوقت ما يحتشــــد فيه لفنه الاحتشاد الذى يرضيه كقاريء ، حتى يقول : « أن السرعة فى رأيه جناية على الفن والفنان وارهاق للملكة القاصة يجعل منها آلة يفسدها العمل المتواصل » ·

وما يراه أنور المعداوى من انتقاد فن يوسف السباعى الى الاناة والاحتشاد نجد أن عباس خضر يراه على العكس من ذلك انطـلاقا على السجية فيقـول : « واعتقاد انه عندما يكتب ينطلق فى الكتابة كأنه يحدث صديقا لا كلفة بينه وبينه، فهو يتحرر من القيود التى يتقيد بها كثيـــر من الكتاب كأن القلم فى أيديهم حاجز بينهم وبين الحيـــاة الطبيعية المتحررة ... وهو بذلك ينطلق متدفقـــا فى أسلوبه ولغته ، كما يتدفق فى صوره وخواطره وأفكاره ، وله فى هذه كثير مما ينطبق عليه القول المأثور (عفو الرأى خير من استكراه الفكرة) وهو بذلك ينتج كثيرا ، وقد أخذ عليه بعض النقاد هذا الاكثار ذاهبين الى أنه لو تمهل لكان انتاجه أحسن ، وأنا أرى أن تمهله لا يحسن النوع ··· لانه هو هــكذا

خلق .. وهل يمشى القطـــــار أحسن اذا كف عن الاسراع ؟ ولانه يأتى بقريحة متدفقة يأتى أسلوبه مرحا منطلقا فيه عذوبة المرح ، ويترتب على ذلك ألا يقف عند كلمة ليعرف هل هى صحيحة أو غير صحيحة من جهة اللغة أو القواعد ، ولهذا تكثر فى كتاباته المخالفات وينظر اليه قلم مرور اللغة شزرا وهو مغيظ محنق » .

وهكذا نجد أن يوسف السباعى أحد ضحايا ثنائية اللغة عندنا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد واجهها بجرأة ونحت لنفسه أسلوبه الفنى بغض النظر عما يسمعه حوله من صيحات ، ولهذا لايلبث عباس خضر أن يستدرك قائلا : « ان **يوسف السباعى يصر على ما يسميه هو « مخالفات » ، وان صراحته وطبيعته تأبيان عليه أن يعهد الى المصحح فى ازالتها كما يصنع بعض الكتاب لانه يريد ان يبدو كما هو ولا حيلة ولا قدرة لاحد على ان يغيره ، بل هو يريد ان يغير اللغة لتكون كما يكتب .**

ثم يربط عباس خضر بين هذا الانطلاق وبين ما يتناوله يوسف السباعى من موضوعات ، فيقول ان ذلك الانطلاق الملحوظ فى كتابته يؤدى حتما الى النقد الصريح والشديد . ولهذا فهو يعرض مسرحية « وراء الستار » لا لانها أحسن ما أعجبه فى كتابات يوسف السباعى ، ولكن لانه انفعل بموضوعها انفعالا شديدا وهو موضوع الصحافة والصحفيين فى بلادنا .

هندسة البناء الروائى

اما كاتب هذه السطور فيحاول أن يضع يده من خلال رواية « نحن لا نزرع الشوك » على جانبين من أهم الجوانب التى سادت أدب يوسف السباعى : جانب اجتماعى يتمثل فى نقد المجتمع المعاصر سواء على الصعيد الدولى حيث يتربع على قمته ساسة لا هم لهم الا اشعال نار الحروب وما تعانيه البشرية نتيجة لذلك . أم على الصعيد المحلى حيث تتربع على قمته طبقة اجتماعية تعانى من الانحلال.

وتعاطف يوسف السباعى مع الطبقات الشعبية انما يرجع الى نشأته فى احد الاحياء الشعبية بالقاهرة . كذلك يتجه النقد الاجتماعى عند يوسف السباعى الى وضع المرأة فى المجتمع العربى حيث يتم الجمع بينها وبين الرجل بطريقة تعسفية ، فالمجتمع يضغط على الفتاة لتتزوج ممن يراه من وجهة نظره جديرا بها بينما هى تنشد حريتها والتعبير عن شخصيتها فى التطلع الى حبيب لايرضى عنه الاهل . وتتولد عن هذه المشكلة مشكلة أخرى حين تتمرد الفتاة على الرجل الذى تزوجته بالرغم منها وتحاول أن تهجر بيت الزوجية فان القانون يحرمهـا هذا الحق ويرغمها على البقاء مع من تكره .

اما الجانب الآخر الذى يبرز فى معظم قصص يوسف السباعى فهو الجانب الميتافيزيقى ممثلا فى مشكلة الموت ، والموت الفجائى بوجه خاص وفى مواجهته هذه المشكلة ومحاولة التغلب عليها . ولا شك أن الوفاة الفجائية لوالد يوسف السباعى حين كان ادبينا فى سن مبكرة (الرابعة عشرة) كانت لها أثرها الذى لا يمحى والذى الح عليه فى رواية بعد أخرى ، والموت الفجائى فى ادب يوسف السباعى ليس مجرد صدفة تقع فى السياق الروائى للتخلص من مأزق ، بل ان له وظيفته الروائية الى جانب ما له من دلالة ميتافيزيقية .

اما اهم ما يميز البناء الروائى فى رواية « نحن لا نزرع الشوك » فهو تماسكه بشكل يكاد يكون هندسيا . فالبداية هى النهـــاية ، والشخصيات لا تفترق

فى أول العمل الروائى الا لتلتقى على مستويات جديدة بعد أن تطور الزمن وتقدم بكل منها ٠

● روح مضيئة فى الكلمات ●

ويفسح الكتاب مكانا لثلاث مقالات للناقد الشاب علاء الدين وحيد ، أولاها عن مسرحية « أقوى من الزمن » ، والثانية عن المأساة الفلسطينية بين « طريق العودة » و « ابتسامة على شفتيه » ، والثالثة بعنوان الكون والانسان واكتشاف الفضاء فى رواية « لست وحدك » ٠

ولعل أبرز ملاحظة لعلاء على مسرحية « أقوى من الزمن » هى اقترابها من روح حديث عيسى بن هشام ، ويستبعد أن يكون ذلك بسبب عرض وقع الحاضر على انسان الزمن القديم حين يبعث حيا ، لكنها رغبة المؤلف فى اعطاء الكثير من المعلومات ، أو على الاصح تسجيل الكثير من ألوان التغيير التى حدثت ، حتى لقد ملكت السباعى رغبته القوية فى أن يلم بكل شىء عن السد العالى الى درجة انزلاقه فى بعض الاحيان الى حديث تقريرى جاف عن تصميمه وطريقة بنائه مثلا ٠

وفى مقالته عن المأساة الفلسطينية يرى علاء وحيد أن يوسف السباعى تطور من رواية الى أخرى ٠ ففى « طريق العودة » كانت معركتنا مع « اليهود » بشمول اللفظة ، وهى معركة استرداد حق أو عاطفة أو ثأر ، بينما فى « ابتسامة على شفتيه » أصبحت معركة الحضارة العربية والمصير العربى كله ٠ وهذه الرؤية فى رواية السباعى الثانية عن فلسطين هى التى تحدد وقع أقدام شخوصها وهى التى تجمعهم سواء فى الحياة المدنية أم حياة المقاومة ٠

وفى هذه الرواية يرى فناننا أن أساس حل القضية هو المساواة بين الجانبين ، وبينما نجد الامانى والاحلام مغرقة فى خيالاتها فى رواية طريق العودة بحيث لا تقف على امكانيات الواقع ، نجدها فى « ابتسامة على شفتيه » على العكس من ذلك لا تظهر الا نادرا لكى تقوم بعملية توازن ضرورية لحياة الكفاح الخشنة التى يعيشها المجتمع الفدائى ٠

ومن لفتات علاء الدين وحيد الذكية قوله ان يوسف السباعى يحاول عادة ان يبلور فى المرأة كل سمات وطنها ، ومن الطريف ان نجد عادة أن السيدة قبل الآنسة هى التى تستقطب أولا هذه السمات ٠ ربما لأن خبرة الحياة وتركيزها عامل هام فى نضج الملامح المحلية ٠

أما فى مقالته الثالثة الكون والانسان واكتشاف الفضاء فى رواية « لست وحدك » فان علاء الدين يبحث أولا عن جذور اهتمامات يوسف السباعى بهذا الموضوع ، فهو يؤمن بأن الانسان على الارض ليس منقطع الصلة بالانسان وارتباطه بالسماء ٠ ان يوسف السباعى يرفض النظرة الجزئية المقصورة على زاوية واحدة ٠

ثم يعرض علاء وحيد للمحاولات المشابهة فى أدبنا مثل مسرحية « أشواك السلام » لتوفيق الحكيم ورواية « الساخن والبارد » لفتحى غانم ٠ ثم يتابع رواية يوسف السباعى حتى يعرض لأسلوبه فيصفه بأنه روح مضيئة تتمشى فى عصب الكلمات ، تتشكل من مرح وتفاؤل وحب للانسان ٠ لذلك فان القتامة لا تلحق بما يكتبه قاصنا حتى والمأساة تبلغ ذروتها ، وأداة قاصنا الى هذا الأسلوب هى المزاج الشعبى الذى يعكس فى المقام الاول تكوين يوسف السباعى ٠

● مؤرخ لثورة ٢٣ يوليو ●

وفى رأيى أن رواية « لست وحدك » تهدف أولا وأخيرا الى نقد المذاهب السياسية التى تسيطر على حضارتنا المعاصرة من ناحية والى خلق مدينة فاضلة من ناحية أخرى لا يتخيل مؤلفها نظاما فاضلا يسودها فحسب ، بل وكائنات من نوع مغاير للانسان . فهى كائنات نباتية ، شعب بلا مشاكل يضرب جذوره فى الارض ليتناول طعامه بغير عناء ويمد فروعه فى الهواء يلتقط شهيته بلا مشقة ، حتى الجنس عنده مشكلة المشكلات ، لا يسبب له اية مشكلة حيث يحمل النسيم حبوب اللقاح من الذكر الى الانثى فتتلقاها بلا حياء ولا عيب لتخصب وتنجب · مما يذكرنا بآخر مدينة شاهدها « جاليفر » فى رحلاته حيث الكائنات الممتازة على هيئة خيل شديدة الذكاء لا تعرف الا الفضيلة ·

بقيت أخيرا دراستان هامتان احداهما لعبد العزيز الدسوقى والاخرى لغالى شكرى · أما عبد العزيز الدسوقى فيقف عند أرض النفاق التى اكتشف من خلالها أن يوسف السباعى لا يجيد فقط تصوير التجارب الوجدانية بل يمتلك منذ وقت مبكر رؤية ثورية محددة ، وتشبه « ارض النفاق » المقامة فى الادب العربى القديم او على الاقل تسبح فى الجو الذى كانت تسبح فيه الروايات الحديثة التى نسجت على منوال المقامة العربية مثل حديث عيسى بن هشام حتى ليمكن أن نطلق عليها « المقامة الثورية » فهى تستفيد من تكنيك المقامة تلك المقدمة الخيالية أو الحيلة الفنية التى لجأ اليها هؤلاء الرواد لنقد الواقع وتصوير الحياة التى يعيشون فى ظلالها ·

ثم يعرض لرواية « السقا مات » حيث يتفق مع بقية النقاد فى اعتبار هذه الرواية وثيقة فنية لحياة الشعب فى مدينة القاهرة فى مطلع هذا القرن · واذا كان يوسف السباعى فى رواية « أرض النفاق » الفنان المبشر بالثورة . فهو فى هذه الرواية مصور الطبقات الشعبية ومؤرخ حياة الكادحين ·

ثم يشير الى أن يوسف السباعى تمكن من خلال فنه المرهف الناضج ان يؤرخ لثورة ٢٣ يوليو ويسجل سيرتها ويقف عند اهم معالمها · وانه تمكن من أن يمزج بين التجربة الوجدانية والتجربة السياسية والاجتماعية· وهكذا يمكن القول أن لادب يوسف السباعى ثلاثة أوجه : الوجه الوجدانى ، والوجه الشعبى ، والوجه الثورى ·



بنت الشاطىء :
غيرت رايهـا بعد
« أرض النفاق »

أما غالي شكري فهو يتابع ـ بطريقـــة أخرى ـ مراحل يوسف السباعي الأدبية ، فأولى مراحله هي ما يطلق عليها اسم « الفانتازيا » وهي الاطار الفني الذى يسمح بكل ما هو خارق للعادة والمألوف فى مزيج من الدهشة والفكاهة ، ويعتبر يوسف السباعى رائدا لهذا الاتجاه فى أدبنا العربى المعاصر ، وذلك على نحو ما فعل فى روايتيه « نائب عزرائيل » و « أرض النفاق » · وهو يتساءل ما اذا كان الدافع الى هذا الاتجاه هو قراءات يوسف السباعى العلمية أم أن الضغط السياسى فيما قبل الثورة بلغ حداً مذهلا من البشاعة جعل من غير المستطاع ان يواجهه الفنان مواجهة حرة مبـــاشرة · و « الفانتازيا » الفاجعة فى أدب يوسف السباعى جاءت تجسيداً عميقــا لما يمكن تسميته بالرؤية الرومانسية للمأساة التى نتجت عن ثورة التناقض بين القيم القديمة والعلاقات الاجتماعية الجديدة · وهى ثورة فى البناء اللغوى والتركيب النفسى والهيكل الفكرى والمحتوى العاطفى ·· ولهذا واجهت هاتان الروايتان مشكلات العــامية والفصحى ، والمباشرة والتقريرية ، والفوضى والحــرية ، والفرد والمجتمع ، والتخطيط والعشوائية ، والمادية والمثالية ·

ثم يقف عند روايات « انى راحلة » و « بين الاطلال » و « فديتك يا ليلى » باعتبارها تمثل مرحلة « الاسطورة الرومانسية » · والبناء الاسطورى ـ فى المستوى الفنى للرواية ـ هو ذلك البناء الموغل فى الكثافة والتركيز حتى ليقترب من الشعر · وفى المستوى الفكرى هو ذلك البناء العاطفى أو الاجتماعى المحكم الغلق بحيث يعكس أزمة الحرية فى حضارة متخلفة مقهورة ·

ويرى غالى شكرى أن نجيب محفوظ هو رائد البناء الاسطورى فى الرواية الواقعية المصرية ، كمــا كان يوسف السبــاعى رائده فى الرواية المصرية الرومانسية · ويحدد غالى شكرى العناصر الرومانسية فى الصياغة الروائية عند يوسف السباعى بالخيال والحلم والماضى والمستحيل ، كما يشترك فى تلك الصياغة المكان كالشرفة ، والشخصيات كالفارس ·

أما فى « السقا مات » فان غالى شكرى يرى أن يوسف السباعى يعود فيها ليبحث عن منفذ يفرج به عن همومه الاجتماعية التى خنقتها أسوار الاسطورة الرومانسية · وهو يرى أن يوسف السباعى كابن مخلص للطبقة المتوســطة ما أن يصل الى حدود التضجيج الاجتماعى فى « السقا مات » حتى يكتشف أنه يلامس حافة حرجة بين الرومانسية والواقعية فى الادب فيهرول عائدا فى حيرة واضطراب حتى يعثر على تحصن فى موضوع جاهز دائمــا هو الثورة · فـ « السقا مات » تشق عصا الطاعة على الفنان الرومانسى وتتحول الى أرض الادب الواقعى · كما يرى غالى شكرى أنهــا العمل الروائى الوحيد فى أدب يوسف السباعى الذى استطاع أن يخلق فيه الشخصية المتطورة · (وربما كان هذا الرأى قبل رائعته « نحن لا نزرع الشوك » فليس للمقالات تاريخ) كما يعتبر أن الموت هو البطل الحقيقى لهذه الرواية ·

***

رحلة طويلة قطعهــا يوسف الســباعى فى طريق القصــة والادب والفن ، وتلك صورته كما يراها ـ ونراها معه ـ فى مرآة النقد ، فيرى على وجهه مباهج الرحلة وغبــارها · فهل هــذه يا ترى صورته ، كمــا يراهــا هو نفسه وكمــا يراها جمهوره ؟··

د. أحمد هيكل

النسيج القصصي



لعلي لا اجاوز الحق اذا قلت : أن يوسف ادريس من ألمع كتابنا المعاصرين ، واغزرهم انتاجا ، واكثرهم تنويعا ، واسرعهم تطورا ، وانضجهم فنا . فهو يتألق في صف الصدارة بين كتاب جيله ، ذلك الجيل الثالث الذي يلي جيل نجيب محفوظ ومن قبله جيل تيمور . وهو قد اخرج اكثر من عشرين عملا ادبيا ، بين مجموعات قصص قصيرة ، وروايات ، ومسرحيات ، ومختارات من مقالات ثم هو دائم التحرك الى الامام في بحث جاد عن الجديد . كما انه مستمر الاجتهاد في الصعود الى مشارف الكمال ، حتى بلغت بعض اعماله ذروة عالية من ذرى الخلود

عند يوسف إدريس

ليس من الانصاف - ولا من الدقة - أن يتناول دارس هذا الفنان وفنه في مقال مهما طال ، فهذا عمل مجاله الحقيقي رسالة جامعية يتوفر عليها باحث صابر بضع سنوات ، أو مجاله - في أقل تقدير - كتاب جاد يعكف على انجازه ناقد منصف عدة شهور .

ومع ذلك يمكن - بحذر شديد - رصد أهم ملامح فن يوسف ادريس من خلال تتبع اعماله ومعايشتها ، ثم تقديم هذه الملامح - مع الحذر الشديد - لا على انها دراسة ، وانما على انها انطباع قارىء معايش ، أو متتبع راصد لا أكثر . وربما يكون في تقديم مثل هذه الملامح ما يساعد على مزيد من فهم الفنان وتذوقه . وبهذا يكون هذا المقال اسهاما متواضعا في تفسير يوسف ادريس بشكل عام .

والحق أن كاتبنا فنان تتدفق اعماله جميعا من نبع اصلي واحد ، وان أخذت تضاريس مختلفة ، كما ان هذه الاعمال تتجه الى هدف كلي واحد ، وان سارت في مسالك متعددة ، ثم أن هذه الاعمال تنتمي الى جوهر اساسي واحد ، وان تلونت بالوان شتى .

اما النبع الاصلي الواحد الذي تتدفق منه أعمال يوسف ادريس ، فهو الوجدان المصري الانساني ، العامر بالتفتح والايجابية والارادة والحرية ..

واما الهدف الكلي الواحد الذي تتجه اليه كل تلك الاعمال ، فهو تجسيد الشخصية المصرية الانسانية ، بكل ملامحها وسماتها ، والامها وامالها ، واشواقها وهمومها ، ومشكلاتها وقضاياها ، وبكل حضارتها المضيئة لماضيها ، واعبائها المثقلة لحاضرها ، واحلامها الداعبة لمشارف مستقبلها ... واما الجوهر الاساسي الذي تنتمي اليه تلك الاعمال ، فهو الفن المجدد المتطور الذي يجمع بين

محلية اللون وعالمية القالب وانسانية النزعة ...

فاذا ما أردنا تحديدا أكثر لهذه السمات العامة ، أمكن أن نقول : ان أهم ملامح أدب يوسف ادريس - بكل أشكاله وفى كل مراحله تقريبا - هى الملامح الآتية :

● اولا - الروح الانسانية : حيث يجعلنا الكاتب نتعاطف مع الانسان عموما فى ضعفه وصراعه لمقاومة هذا الضعف ، وفى قهره وارادته الدافعة لهذا القهر ، وفى قيده وحريته التى تستميت فى تحطيم هذا القيد ، وفى انسحاقه وتجمعه ونهوضه لسحق هذا الانسحاق ، وفى موته وحياته التى هى انبعاث من هذا الموت ، والتى تعفى على هــذا الموت وتخلق ابدا الاخضرار والازدهار والاستمرار ...

● ثانيا - الشخصية المصرية : حيث يجعل الكاتب وسيلته - غالبا - الى ابراز الروح الانسانية هى المادة المصرية ، فهو فى اكثر اعماله يعرض مشكلات مصرية ، ويرسم شخصيات مصرية ، ويسرد أحــداثا مصرية ، ويرصد تفصيلات مصرية ، قد تكون بالغة الدقة صارخة المحلية . بل لكى ينفذ منهــا الى القضــايا الانسانية والشخصيات الانسانية ، او الى ما هو انسانى على وجه العموم . فهو فى تجسيمه للشخصية المصرية لا ينعزل ولا يتقوقع ولا ينغلق ، وانما ينطلق وينفتح ويرتبط بالانسان فى كل مكان .

● ثالثا - العقيدة الاشتراكية : فكتابات يوسف ادريس تعبير صريح - بل صارخ - بأن صاحبهــا يؤمن بالاشتراكية ويدين بالالتزام ، ممــا يدفعه الى الاهتمام بمعالجة مشكلة الطبقات الكادحة والانتصاف لها .

وانطــلاقا من الاشتراكية الملتزمة التى يدين بها الكاتب نراه يلح كثيرا - بل ربما دائما - على تأكيد قيم العدالة والحرية والكرامة الانسانية .

● رابعا - النزعة التقــدمية : فكتابات يوسف ادريس تنم عن انسان يؤمن بحتمية التطور حتى فى القيم الاخلاقية ، فلا ثبات عنده لشىء ، ولا تجمد لامر ، ولا تحجر لقيمة . ومن هنا نراه يعالج كثيرا من القيم المقررة بما يهز ثباتها ، ويحــاول أن يضعها فى مكانها الطبيعى وبحجمها الــذى ليس لها سواه من وجهـــة نظره ، وبحكم نزعته التقدمية المؤمنة اشــد الايمـــان بالحركة الدائبة والتطور المستمر .

● خامسا - المـــادة العلمية : فيوسف ادريس تنعكس على كثير من آثاره ثقافته العلمية - وبخـــاصة الطبية - ولذا نراه يقدم فى عدد من أعماله مشاهد وتفصيلات ومعلومات غاية فى الروعة ، لانها مستمدة من ثقافته العلمية الطبية أولا ، ولانهــا معروضة بطريقة فنية أدبية ثانيا .

● سادسا - الصبغة الجنسية : فيوسف ادريس كذلك يؤمن بمـــا للجنس من فاعليــــة ، بل من جبرية تشترك مع قوى أخرى فى توجيـــه الانسان وتشـــكيل سلوكه ، بل فى ارغامه أحيـــانا وجبره على بعض

الامور ° ومن هنا نرى الكاتب كثيرا ما تصبغ أعماله - وبخاصة القصصية - صبغة جنسية صارخة ، حيث يتخذ من عنصر الجنس محورا اساسيا تدور حوله القصة ، أو محركا رئيسيا تندفع به الشخصيات فيها ، وكثيرا ايضا ما يكون ذلك لا بهدف التحليل والتعليل ورد المسببات الى الأسباب ، وانما يكون بهدف الرمز أو الاسقاط او رسم معادل موضوعي لما يريد الفنان أن يقول عن امر بعيد كل البعد عن موضوع الجنس °

ولهذا ، وللانصاف ، يجب أن يكون مفهوما أن يوسف ادريس لا يستخدم عنصر الجنس - برغم اتضاحه فى قصصه - استخداما ساذجا أو ترفيهيا أو تجاريا كما يفعل البعض ° وانما هو يستخدم عنصر الجنس استخداما علميا ، حيث يوظفه اما

● النبع الأصلي الواحد الذي تتدفق منه أعمال يوسف إدريس هو الوجدان المصري الإنساني العامر بالتفتح والإيجابية والإرادة والحرية

لاستكمال تحليل نوازع النفس الانسانية فى موقف ما ، وأما لرسم صورة فنائية صارخة فى مقام التعريض بصورة أخرى مشابهة تستحق أن يضرب المثل لها او يرمز اليها بصورة أكثر حدة واثارة °°°

● سابعا - تعدد الأبعاد : فنحن نرى بوضوح أن يوسف ادريس بسبب ما تقدم متعدد الابعاد فى أعماله الفنية ° فالقصة الواحدة من قصصه مثلا يمكن أن تؤخذ على ظاهرها ، فتفهم باعتبارها تحكى بطريقة فنية حادثة محلية وقعت فى قرية أو مدينة ° وحكايتها قد جاءت بقصد الامتاع الفنى أو الاثراء الوجدانى أو ما الى ذلك °° °

كما يمكن أن تؤخذ القصة نفسها على أنها تجسيم لوضع عام أو خاص فى بلدنا أو رمز له ، وذلك بقصد التنبيه الى هذا الوضع والدعوة الى الاسهام فى معالجته ، انطلاقا من الاخذ بالالتزام وتحمل المسئولية °°° على أنه يمكن أن تؤخذ القصة نفسها على انها تحليل لنوازع النفس الانسانية واستبطان للاعماق البشرية عموما ، وذلك بهدف الكشف عن عالم النفس والتعرف أكثر على حقيقة الانسان °

بحكم الالفة والعادة

وهكذا نرى أن كثيرا من قصص يوسف ادريس يمكن أن تؤخذ على أنها « حدوتة » محلية بسيطة ، ويمكن أن تؤخذ على انها قذيفة نضالية

مركبة ، ويمكن ايضا أن تؤخذ على انها عملية تحليلية انســانية هادئة متأملة ...

ولكن الذى لا شك فيه أن كاتبـــا واعيا ملتزما مثـــل يوسف ادريس لا يمكن أن يقصد الى « الحواديت » بل لعله ايضـــا لا يهتم بالتحليل والاستبطان لذات التحليل والاستبطان، واغلب الظن انه يقصد أول ما يقصد أن يقول ما يتفق مع انسانيته ومصريته وعقيدته وتقدميته والتزامه !

ويمكن أن نأخذ قصة « بيت مـــن لحم » شاهدا على ما نقـــدم من ملاحظات ... وهى ببساطة وايجاز – أرجو الا يكون مخلا – تحكى حكاية أرملة فقيرة وبناتها الثلاث ، وقـــد عشن وحيدات بعد موت رب الاسرة ، فى حجرة واحدة ضيقة ، كان لايدخل عليهن فيها من الرجال الا ذلك المقرىء الكفيف الذى يأتى عصر كل يوم جمعة الى حجرتهن ليرتل ما تيسر من القرآن

واستمر الحال على هذا سنتين ، ثم انقطع المقرىء لانتهاء مدة الاتفاق بينه وبين الام · وتتنبه الجميـــع فى الحجرة فجأة الى أن شيئا مهمـــا وعظيما قد غاب · فالمقرىء كان برغم ذهولهن عنه وعن قراءته يمثل شيئا فى حياتهن ، وكانت عصـــاه لا تدق الباب وحده حين يأتى وانمـــا تدق كذلك اشياء أخرى ، لم ينتبهن اليهـــا الا حين انقطع · ولذا استدعينه من جديد ... ونظرا لادراكهن حاجتهن اليه بعد تلك الحـــادثة ، نشأ بينهن سؤال ، وهو : لماذا لا تتزوج احداهن رجلا يملأ الدار – أو الحجرة على الاصح – ويصون من فيها · وانتهى النقاش بوجوب زواج الام من المقرىء الضرير · وتزوجته بعد تمنع امـــام البنات ، وبعد عرض منها على البنات أن تتزوجه احداهن ، وبعد رفضهن ايثـــارا للام ومراعاة للسن واملا فى ازواج انسب ...

وانضم المقرىء الى الحجـــرة ، وبرغم أن رزق من فيها زاد قليلا ، قد نشأت مشكلة ، وهى كيف ينـــام الشيخ ، وكيف تتم المعاشرة الزوجية بينه وبين أم البنات ؟ ولكن الحـــل بدأ بتحشم الشيخ والام أولا بالليل، ومغادرة البنات للحجرة بالنهـــار · ثم رويدا رويدا احس الجميـــع بأن المسألة طبيعية ، وذلك بحكم الألفـــة والعادة، وكون الشيخ زوجا على سنة الله ورسوله ·



وهكذا دبت فى الحجرة حيـــاة ومرح بل وصخب احيانا • وانزاح الصمت والجمود عن الجميع ، حيث كانت الاحاديث تتوالى بعد العشـــاء وتتناثر الفكاهات ويغنى الشـــيخ مقلدا عبد الوهاب حينـا وام كلثوم حينا اخر • وبعد هذا كانت الامتاوى الى الفراش مع الشيخ ، واما البنات فكن ينمن معا مبعثرات متباعدات ، يفهمن ويدركن ، ولكن مسمرات فى مراقدهن •

وكانت الام تقضى نهارها تغسل فى بيوت الاغنياء ، كما كان الشـــيخ ينفق يومه يقرا فى بيوت الفقراء • ولم يكن من عادته ـ أول الامر ـ ان يعود الى الحجرة ظهرا • ولكن حين أرهقه السهر بعد الزواج ، بدا يعود ساعة الظهر الى البيت ليستريح من ليل فائت ، وليستعد لليل مقبل •••

ومع تردده نهارا فى غيـــاب الام وقعت الواقعة وكان سببها ـ قبل عمى الفاعل ـ سكوت المفعول به • ثم تكررت الواقعة وتضاعفت المأســـــاة مع الباقيات ، وكان وراء الواقعة المكررة والمأساة المضاعفة سكوت اثم مجرم ••• ولنترك المؤلف يتحدث عن الشيخ والزوجة حين بدات تعرف عـدوانه الاول واثم ابنتها الاولى معه :

« وذات مرة بعد ما شبعا من الليل وشبع الليل منهما ، سالها فجاة عما كان بها ساعة الظهـــر ، ولماذا هى منطلقة تتكلم الآن ومعتصمة بالصمت التام ساعتها ، ولماذا تضع الخـــاتم العزيز عليه الآن ، ولماذا لم تكن تضعه ساعتها ؟ كان من الممكن أن تنتفض هالعة واقفة صارخة ، كان ممكنا أن تجن . كان ممكنا أن يقتله أحـــد ، فليس لما يقوله الا معنى واحد ، ما اغربه وأبشعه من معنى !•

ولكن غصة خانقة حبست كل هذا ، وحبست معـــــه أنفاسها ، سكتت ، وهمها الاول أن تعرف الفاعلة ، انها متأكدة لامر ما انها الوسطى ••• ثم غرقت فى حلالها الثانى ونسيت حلالها الاول ـ بناتها ـ

> **● إن كثيرا من قصص يوسف إدريس يمكن أن تؤخذ على أنها أحدوثة محلية بسيطة. ويمكن أن تؤخذ على أنها قذيفة نضالية مركبة. ويمكن أيضا أن تؤخذ على أنها عملية تحليلية إنسانية هادئة متأملة ..**

وعلى الافطار كانت تماما ـ كما قدرت ـ الوسطى ، فهى صـــامتة ، وعلى الدوام ظلت صامتة •

والعشاء يجىء ، والشيخ سعيد ، ومستمتع ينكت ويغنى ويضحك ، ولا يشاركه الا الصغرى والكبرى فقط •

لو نطق الصمت

« وتتامل الكبرى ذات يوم خـــاتم أمها فى اصبعها وتبدى الاعجـــاب به ، ويدق قلب الام ، وتزداد دقاته ، وهى تطلب منها أن تضعه ليوم ، لمجرد يوم واحـــــد لا غير ، وفى صمت تسحبه من اصبعها ، وفى صـــمت

● همسة فى اذن الفنان المقتدر يوسف إدريس : ليتك تخفف من حدة اللون الجنسى فى اعمالك فأنت فى كثير من الأحيان تجعل القارئ يحس إن عنصر الجنس يكاد يكون أبرز خيط فى النسيج القصصى عندك دون داع ..

تدفعه الكبرى فى اصبعها القابل •

وعلى العشاء التالى تصمت الكبرى وتأبى النطق • والكفيف الشاب يضحك ويغنى ويصخب • والصغرى تكاد تشاركه •

ولكن الصغرى تصبح بالصبر والهم وقلة البخت اكبر • وتبدا تسأل عن دورها فى لعبة الخاتم • وفى صمت تنال الدور •

والخاتم بجوار المصباح • الصمت يحل فتصمى الآذان • وفى الصمت يتسلل الاصبع صاحب النور ويضع الخاتم • وفى صمت أيضا يطفأ المصباح • والظلام يعم • وفى الظلام تعمى العيون • ولا يبقى صاخبا متكلما مغنيا الا الكفيف الشاب • فوراء صخبه وضجته تكمن رغبته • تكاد تجعله يثور على الصمت وينهال عليه تكسيرا •

انه هو الاخر يريد أن يعرف • كان أول الامر يقول لنفسه : انها طبيعة المرأة التى تأبى البقاء على حالة واحدة ••• ولكن السؤال يباغته ذات عشاء : ماذا لو نطق الصمت ؟ ماذا لو تكلم ؟ مجرد التساؤل أوقف اللقمة فى حلقه •• ومن لحظتها لاذ بالصمت تماما وأبى أن يغادره • بل هو الذى اصبح خائفا ان يحدث المكروه ويخدش الصمت • ربما كلمة واحدة تقلت لينهار بناء الصمت كله • والويل له لو انهار بناء الصمت •• الصمت الارادى هذه المرة ، لا القهر ، لا القبح لا الصبر ، ولا اليأس سببه • انما هو أعمق أنواع الصمت ، فهو الصمت المتفق عليه اقوى انواع الاتفاق ، ذلك الذى يتم بلا اتفاق ••

والقريب الكفيف الذى جاء معه بذلك الصمت ، وبالصمت راح يؤكد لنفسه أن شريكته فى الفراش على الدوام هى زوجته وحلاله وزلاله وحاملة خاتمه • تتصابى مرة أو تشيخ ، تنعم أو تخشن ، ترفع أو تسمن ، هذا شأنها وحدها ، بل هذا شأن المبصرين ومسئوليتهم وحدهم ، هم الذين يملكون نعمة اليقين ، اذ هم القادرون على التمييز • واقصى ما يستطيعه هو أن يشك ، وهو شك لا يمكن أن يصبح يقينا الا بنعمة البصر • وما دام محروما منه فسيظل محروما من اليقين ، اذ هو أعمى ،

وليس على الاعمى حـــرج ، « أم على الاعمى حرج ؟! »

رمز لما هو اخطر

فهذه القصـــة يمكن أن تفهم على أنها حكاية أسرة مصرية فقيرة فقدت العائل . وساقتها الظروف الاجتماعية القاسية الى أن صـــارت كومة ، بل بيتا من لحم طرى شهى ، ينهش فيه هذا الرجل الذى تزوج الام ، واستغل - برغم عجزه وعاهته - بيت اللحـم كله لارضاء شهواته

ويمكن أن تفهم القصة على أنهـا تحليل للنفس الانسانية وما ينتابهـا من انهزام أمام قوى جبرية كقـــوة الجنس ، بحيث تخضــــع النفس لمتطلبات تلك القوة مسوغة خضوعها متلمسة لستره أوهى التعلات .

على انه يمكن ان تفهم القصة على انها تجسيم رمزى لما هو اكبر واضخم واخطر . وهو جريمة الصمت على الخطأ الكبير ، والسكوت فى مواجهة الجريمة البشعة ، والتواطؤ بالتسليم حيال ما يمس العرض وما فى درجته من كل المقدسات .

ان المؤلف يجعــــل الصـــامتين والساكتين على الباطل فى مثل وضع هؤلاء البنـــات اللاتى تواطأن على انفسهن فخسرن كل شىء . كما يجعل فارض الصمت والذل من نفس نوع هـذا الاعمى الغائص فى الآثام الى نخاعه . فهو مجرد حيوان لا يعرف الا ارضاء شهواته واشباع غرائزه .. وفيما سوى ذلك هو أعمى ، بل يضيف الى عماه تعاميا عن مواجهة الحقيقة ، بل يستند الى عماه - وهذا أفحش - فى تسويغ عدم مسئوليته أمام الحقيقة !

أبرز خيط فى النسيج

بقيت كلمة أحب أن أهمس بهـــا للفنان المقتدر **يوسف ادريس : ليتك** يا صديقى تترك الاحاجى والالغاز فى كل أعمالك ، مهما كان ذلك بدافـــع التقية أو البحث عن شـــكل جديد . فانت ترتفع جدا حين تكتفى بالرمز الغريب أو الايحـــاء اللطيف وتترك لقارئك متعة الكشف بعد اعمال الذهن .. اما حين تتجاوز ذلك الى الالغاز والتعمية، فانك تبتعد عن قارئك كثيرا وتكاد تنفصل . وفرق بين الارتفاع والانفصال ، وانت سيد العارفين .

ثم ليتك يا صديقى تقترب - كمـا كنت قديما - من الواقع المصرى ، ولا تبعد عنه جريا وراء الواقـــع الانسانى من خـــلال مادة مصرية فحسب .

واخيرا ليتك تخفف من حدة اللون الجنسى الذى يبدو صارخا فى كثيـر من اعمالك . فانت مهما استخدمت عنصر الجنس استخداما علميا - كما قلت انا - **ففى كثير من الاحيان تجعل القارىء يحس ان عنصر الجنس يكاد يكون ابرز خيط فى النسيج القصصى عندك دون داع .**

وانت رجل متمكن ومتمـــــرس وموهوب وغنى الادوات ، فلا ضرورة لحـــدة لون الجنس عندك .. ولك حبى وتقديرى



محمـــود يوسف

يوسف الشاروني

الماضي والحاضر والمستقبل

فرحة آنست من النفس ارتياحا
خاصة لاني وجدت لها مزايا ليست
في سواها فالاديب الذي ساتناول
موضـــوعه له على حق .. حق
الزمالة : زمالة الادب ، وزمالة العمل
.. وهي زمالة اوسع رحابا وامتن
اسـبابا من غيرهـا ...

فكرت قبل أن أكتب ، وأحببت أن أراجع نفسى وأتبين السبب الذى من أجله أحس بهذا الميل من الحب نحو الأستاذ الاديب يوسف الشاروني ،

فوجدت أني على حق فيحبي وتقديرى له لانه يمشي فى الحياة حاملا أعباء غيره من الناس ولا يتكىء على غيره من الناس .

والذى يعرف الاديب يوسف الشاروني منذ كان صغيرا يجلس على مقعد المدرسة حتى انتظم فى طلب العلم بالجامعة ليحصل على ليسانس الاداب فى الفلسفة ، تتأكد له أصالته الادبية التى وضحت معالمها بمحاولاته فى كتابة الشعر عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٤ حيث قال :

انا من انا ؟ .. انى زهـــرة
اتت فى الربيع ذوت فى الشتاء

وقال فى قصـــيدة أخرى بعنوان « التراب » ، نشرت فى مجلة «القبس» التى كانت تصدرها كلية الآداب فى ذلك الوقت :

عالم الانســان طين وتراب فى تراب
فلماذا ياصديقى تشتهيسكن السحاب؟
أو تخشىالقلقالرابض فىالاعماق حقا؟
اغد عمقاواندفع نشوانفى البحرالعباب
والتصقبالطين والاوحال فىعنقهالىأن
تطهر النفس فتبــدو مثل بللور مذاب
من هنا .. من ذلك الوحل اتينا فتعال
يا صديقى لنمرغ بجنون فى التراب !

وظل الاديب الشاروني فى محاولاته للهروب من التراب الى أن قال :

كشباب حينتبدو الشمسفجرا يترك المو
ج ، ويسمو فى نقاء بين اكمامالروابى
فاذا ماأشتد حر الشمس او اقبل ليل
ارتعشنا ثم نهوى كالندى بين التراب
واذا وحل كثيف ليس منا أو من الار
ض ، ولكنمنلقانا..اصبهذا العذاب
قد علمنا اليوم انا قد المنا يوم جئنا
فلنكفر برقاد هـــادىء تحت التراب

الخلق فى الشكل والمضمون

والشاروني من مواليد المنوفية عام ١٩٢٤ . شدته المعرفة وهو فى الثالثة عشرة من عمره الى مكتبة والـــده التى تضم الكثير من الكتب الدينية والادبيـــة ... وفى المكتبة استوقفه كتاب تأمله وأعجب به فشده من بين الكتب وعاش معـــه ... عاش مع « كليلة ودمنة » حتى نهايته ، وانتقل بعده الى كتاب آخر هو « مجاني الادب فى حدائق العرب » .

وقرأ الشاروني ، وانعكست القراءة فى محاولاته التى بدأها فىربط القصة العربية الحديثة بجذورها القديمة عن طريق استلهام النادرة العربية .

واتجه بعد ذلك الى الكتب المترجمة وكان أولها بعنوان « سياح الخليج » لجون نيان الذى كتبه فى القرن السابع عشر الميلادى ، ويتناول قصة سياحة المؤمن فى عالمه .

وازدادت رغبتـه فى القراءة وحب الكتب فبحث عن كتب تولســتوى ، وديستيوفسكي ، وهول كين ، ورايدر هاجرد ، وموريس لابلان ، وقرأها فى امعان وفهم ...

واتسعت دائرة افق المعرفة فى كيانه الفكرى واتجه يطرق ابواب المكتبات العامةواتجه ايضاً الى الكتاب العرب المعاصرين امثال : جبران خليل

جبران ، وميخائيل نعيمة ، وسلامة موسى ، وحسين هيكل ، وحسين عفيف .

وتخرج الشارونى فى جامعة القاهرة عام ١٩٤٥ بعد حصوله على ليسانس الآداب « فلسفة » ، وحدث أن كانت سنة تخرجه فى الجامعة هى نفس

السنة التى انتهت فيها الحرب وبدأ يتأهب للكتابة والنشر وجمع العديد من قصصه نشرها فى مجلة الاديب

محمد حسين هيكل :
اتساع افق المعرفة .





تشيكوف : استاذ
القصة القصيرة .

البيروتية تحت عنوان « من أيام الرعب » ...

وعرف الشارونى فى بداية كتاباته الادبية بممارسة اكثر من شكل ادبى لاعتقاده بأن الخلق الادبى يتم دائما فى الشكل كما يتم فى المضمون .

حتى تختمر الفكرة

وتتلمذ فى القصة على كبار كتاب القصة القصيرة امثال : موباسان ، وتشيكوف ، وادجار الان بو ، والشارونى لا يكتب القصة لمجرد انبثاق الفكرة عنده ، بل يتركها حتى

تختمر وتلح وقد تطول مدة اختمار الفكرة سنوات ولكنه عندما يبدأ فى الكتابة تكون هناك فكرة عامة لها بداية ونهاية .

وللشارونى فى معالجته الدرامية فى قصصه طريقة قد تبدو جديدة وهى تحطيم الفاصل او الحاجب بين

الشخصى والعام ، بحيث أن الحدث الشخصى يتسلسل زمنيا ، بينما الحدث العام يتسع مكانيا ويكون خلفية وبيئة

للحدث الشخصي بينما الحدث العام يتسع مكانيا .

ويحرص الشارونى على كتابةالحوار بالفصحى ولو أنه فى بعض الاحيان يتحرر من هذا الالتزام ، ويظهر هذا واضحا فى كتاب « العشاق الخمسة »

و « العشاق الخمسة » مجموعة من القصص اتخذت موضوعا واحدا

وان اختلفت فى الاشخاص والحوادث، ويتلخص موضوع القصص فى موجة القلق التى كانت تسود القرن العشرين

نتيجة لتقدم الحضارة وسيطرة الآلةعلى التفكير البشرى اولا ثم على عواطف البشر ونوازعهم بعد ذلك ، لان

الشاروني يؤمن بأن هذا العالم وحدة واحدة وان اى حادث يقع فى اقصى الارض يتردد صداه فى أنحائها ، وان اى اتجاه فى الثقافة او الفكر ، او فى تطور الحضارة بمعناها العام سيؤثر من غير شك فى العالم كمجموع ٠

و « العشاق الخمسة » هم نفر من شباب الجامعة فى مصر شاهدوا الماضى ينطفىء وراءهم وشاهدوا المستقبل لغيرهم ، ولم تستطع اقدامهم ان تثبت فى الحاضر ، وكانوا يكافحون فى بطولة حتى تتحطم اعصابهم وتمزق الوحدة اجسادهم فيفقدوا الثقة فى انفسهم وفى العالم ، ومن هذا الجيل كانت مصر تتطلع الى القادة الذين سينقذونها من الانحلال والتأخر ومن كل صنوف العذاب الذى تعانيه ٠

هذا هو الحب

اما تلك القوة التى يكتسبها الفكر البشرى فينشر أجنحته فى الفضاء ، ويخرق بأشعته حجب الخفاء ، ثم يجمع من الالفاظ ما يموت ويحيا على كل لسان ، فيؤلفه نظاما فريدا ويفرغه قالبا جديدا ، ثم يمثل للسمع فاذا هو خمر ، واذا هو سحر ، واذا هو ماء سلسبيل ونسيم عليل ··· هو الحب !

والحب وحده شرارة الوجود يلهب القرائح ويلهب الجذور ، ولكن الشاروني يصوره تصويرا آخر ويخالف بذلك بعض الكتاب والشعراء الذين يربطون بينه أحيانا وبين عاطفة الدين فى شىء يشبه التصوف ٠

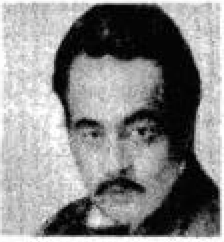
واستطاع الشاروني ان يتحرر فى كتاباته من قيود الزمان والمكان والتقاليد التى تسيطر على كتاب الادب العربى فى العصر الحديث ، واستطاع ان يخرج الى ميدان أرحب وأوسع ٠

وفى كتابه « رسالة الى امرأة » ، لم يخضع المؤلف أسلوبه للبلاغة الكاذبة ٠

تجاور الموت والحياة

وعن قصة « العيد » وهى قصة خادم صغير فى أسرة تعمل بالمدينة تحكى قصة ذهابه الى أسرته بالريف ليقضى

جبران خليل جبران : قرأت له وأحببته ..



سلامه موسى : الاسلوب والفكر .. المعاصر ..



العيد معها ، وهو يصور ذلك في تتابع زمني ، ومن هنا كان انتماؤها الى الشكل التقليدي في القصة فالقصة

تبدأ بالطفل وقد اقبلت امه لتتسلمه من سيدته ، فركوبه السيارة العامة ثم وصوله الى قريتـه ، ثم ذهابه مع

والدته الى المقابر لتزور قبر ابيه حتى عودته الى المدينة مرة اخرى ، وهذا التتابع الزمني هو الذي يكون عنصر

الحركة في القصة ، بل هو الـذي يجعل منها قصة ، وبدونه تصـبح مجرد وصف .

يقول الشاروني : ان هذه الحـركة الظاهرية تقابلهـا حركة داخلية في نفسية الطفـل ، بل ان القصة مكتوبة

بضمير المتكلم ، فهي تلتزم بوجهة نظر الطفل ونفسية الطفل لا تعبر عنهـا

انفعالاته فحسب بل أحلامه أيضا .

القصة تصور انسانية هذا الطفل ،

لاسيما انه يفكر – على صغره – في اخته الصغيرة حتى انه يحمل اليهـا

هدية من المدينة ، وفي العيد لا ينسى

ادجـار الن بو :
حتى تختمر الفكـرة



ان يجعلها تشاركه – ومعها ابن خالته – ما يشتري .

ويقول ان القصة تصور أيضا تجاوز الفرح والحزن في حياتنـا ، فبجوار الدافن تقام المراجيح وتجري عمليات البيع والشراء ، فالموت والحيـاة متجاوران، وبينما يبكي الكبارموتاهم يمارس الاطفال العابهم .

رسالة الى امرأة

وقال الشاروني عن قصة جاءت في كتاب « رسـالة الى امرأة » بعنوان « الرجل والمزرعة » : ان التداخل في

هذه القصة بين واقعين احدهما يرمز الى الاخر ، فالمزرعة في حياة بدوي الشبس حقيقة ، ولكنهـا في الوقت نفسه رمز لزوجته ، فالرمز في هـذه القصة ارتفع الى مسـتوى الواقع ،

وبتعبير آخر فان مهنة بدوي الفندي وهي مهنة المزارع – لم تكن اعتباطا بل لها وظيفتها الفنية .

ويقول ان موضوع القصة أو هدفها التحدث عن مشاكل النسل والعقم كما خيل لبعض النقاد ، فليست هـذه المشاكل الا الاطار الذي يبرز من خلاله هدف القصة وهو الكشف عن اهمية

الانسان واحترامه ، وكيف أن عـدم وجود طفل يزعج شخصين كل هـذا الازعاج ويجعلهما يلجأن الى وسائل علمية وأخرى خرافية من أجل الحصول عليه .

كما أن وحـدة القصة تتحقق عن طريق الزمن ، فاحداثها تقع ما بين بدوي الفندي يطلب الطبيب حتى اللحظة التي تلد فيها زوجته ، ولكن في هذه

اللحظات امكن الرجـوع الى الزمن الماضي للكشف عن مقومات هذا الموقف مع العودة الى الحاضر من حين لآخر حتى لا يختفي عنها .

ترجمته في اللغات الاجنبية

ومن مؤلفات يوسف الشاروني في عالم القصة : العشـــاق الخمسة ، ورسالة الى امرأة، والزحام ٠٠٠ وله في النثر الغنـــائي كتاب بعنوان « المساء الاخير » ، وله فيالدراسات : دراسات أدبية ، ودراسات في الادب العربي المعاصر ، ودراسات في الحب ودراسات فيالرواية والقصةالقصيرة٠ واخيرا أخرجت له المكتبة الثقــافية كتابا بعنوان « اللامعقول في الادب المعاصر » ٠

وقد ترجم للاستاذ يوسف الشاروني العــديد من القصص ، ترجمت الى الفرنســية والانجليزية والاسبانية والايطــالية واليونانيــة والروسية والالمانية نذكر منها قصة « مع فائق الاحترام » التي ترجمت ضمن مجموعة المانية للكاتب : Paul Kunitzgh

وترجمت قصة « آخــر العنقود » ايضا الى الالمانية ٠٠ للكاتب H.L. Tewelelt

والى الفرنســية ترجمت قصــة « موجود عبد الموجود » وقد ترجمها الاديب رءول والاديبة لورا مكاريوس ضمن مجموعة صدرت في باريس ، عن الادب العربي المعاصر ٠

اما قصة اللعبة فقد ترجمتها نرجس صــــــوبل في العدد رقم ١٥ من Arab Observer كما ترجمتها الى الانجليزية أيضــا الانسة انطوانيت بطيخة ٠

وترجمت قصة مع فائق الاحترام الى الانجليزية في كتــاب اقاصيص مصرية حديثة ، للدكتور لويسبرقص ونشرت له مجلة Middle East Forum قصة « العدم » ترجمها ديلس جونسون ديفس ٠

اما « الرجل والمزرعة » فقد ترجمت مرة أخرى الىالاسبانية ضمنمجموعة بعنوان سبع قصص مصرية معاصرة،

وترجمت قصة « آخر العنقود » الى الفرنسية في كتاب بعنوان مختارات من الادب العربي المعاصر « الرواية والقصة القصيرة » ٠

وفي روسيا ترجمت له قصة « زيطة صانع العاهات » ٠

وفي امريكا ترجمت قصة «الوباء» في مجلة القصة القصيرة العالمية ٠

اما قصة « الزحام » التي فاز بها الاستاذ الشاروني بجــائزة الدولة التشجيعية في القصة القصيرة لعام ٦٩/٧٠ فقد ترجمتها الاديبة نادية فرج الى الانجليــزية ، ونشرت في كتاب من « أدبنا العربي اليوم » ٠

ولولا ضيق الوقت لـكان لي مع الزميل يوسف الشاروني وحيــاته الادبية مجالات أكثر ، فالشاروني قد بلغ منالعلم والادب والتفكيروالاخلاص ما بلغ ، واتم طوافه حول المعــرفة البشرية واستفاد بها وافاد ٠٠ ومثله لجدير بكل حب واخلاص وتقدير ٠٠٠

جي دي موباســان
الفكرة والبداية والنهاية



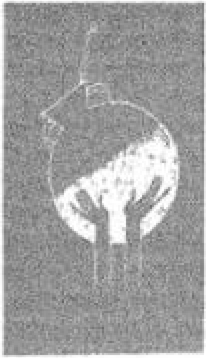
يوسف جوهر

نصر الدين عبد اللطيف



سرقت منى الايام والليالى عنوان أول قصة قرأتها له .. ! لكنها أبقت لى ملامح تلك القصة التى طاف بى من عطرها خاطر توائب يهتف معجبا : يا لها من سيمفونية حسناء ، متنكرة فى ثياب قصة قصيرة ! ..

ومنذ ذلك اللقاء الاول ، وعلى امتداد سنى الخمسينات وما بعدها ، لا يزال مثل هذا الخاطر يغزو مشاعرى مع كل قصة جديدة للكاتب الصلب الانيق ، موسيقار القصة القصيرة : يوسف جوهر ..



موسيقار القصة القصيرة

ان « الاسلوب » هو أول وأجمل ما يلفت ويبهر ، فى كتابات يوسف جوهر ·· فهو ـ أسلوبه ـ شاعرى ، مفعم بالرقة والعذوبة، واللمحات الجمالية التى تكاد تحجب كل ما عداها من عناصر الفكرة والحبكة والشكل والمضمون !

وهو ، أيضا ، أسلوب عميق الظـلال والالوان والتركيز ، محمل بالرمز والايمـاء ، حتى لكأنه يكتب « للاذكياء فقط » !

وفى كل قصة من مجموعة «دموع فى عيون ضاحكة» ـ احدث ماصدر له ـ ومن قبلها فى «نار ورماد» و «أمهات لم يلدن ابدا » ـ تلتقى كثيرا بمقدرته الساحرة على ان يطوى عالما زاخرا بالحياة والمشاعر والاحـداث فى كلمات قليلة يصوغها جملة ـ موسيقية ـ قصيرة !

وسواء كان يكتب من وحى الخيـال أم من صميم الواقع ، فانه بالاحساس المرهف الموهوب يعرف كيف يلتقط المواقف الانسانية المتميزة والمثيرة ، ليتناولهـا بأسلوبه المبدع ، فيشيع فيها نبض الحيوية والسحر ، ويجلوها تحفا ، ولوحات حية ، وصورا لا تنسى !

فى مثل هذه المواقف ، واللوحات ، واللمحات ـ وهى كثيرة كثيرة فى قصص يوسف جوهر ـ يتالق أسلوبه ويحلق !··

يقول يوسف فى قصته الحزينة القصيرة « الرغيف القاتل » :

« كان بائع الفول يقف فى واجهة الدكان على منصة عالية ، والقدر امامه يتصاعد منها بخار اخاذ ، ومن حولها الغلمان والبنات يرفعون الاطبـاق مختلفة اشكالها ، كأنها أكف مرفوعة بالتضرعات الى اله ··· »

وفى قصة « هذا انت » ـ القصة الثالثة فى مجموعة « دموع فى عيون ضاحكة » ـ يصور ضيق زوج ببرودة حياته الزوجية الرتيبة :

كان صوتها يطن فى اذنه ... انها مولعة بالخدمة ، خدمة الاخرين ... انها تنسى نفسها فى بيتها ، ولا تمنح نفسها الا القليل ... حقا ان الزواج شركة ، ولكن التعب هو البضاعة الوحيدة على رفوف الشركة ، شركة على بابها نحاسة علاها الصدأ مكتوب فيها : «حياة لاطعم لها» ...

● لاذت الكراهية بالفرار ●

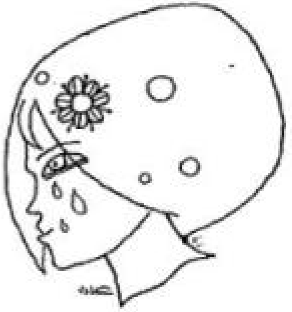
وحتى عندما يبدو الموضوع جافا مقفرا ، كما فى بداية قصة « رحلة صيف » عن حيـــاة حشمت كاتب الحسابات المكدود الذى كلفه مشوار الوصول الى الدرجة السابعة معركة طولهــا ربع قرن من الزمان ، فان اسلوب يوسف جوهر لا يفارقه سحر موسيقاه المحملة بالعطر والشعر .. :

« كان للمعركة غبار غطى عـلى بصره ، واصابه بنعمة الرضـــا ، فتسربت اعوامه فى حلم تافه طويل من البؤس والاقلال مشى فيه كالنائم .. »

« ولم يكن يؤنبه ان يرفـــع الى شفتيه كأس القناعة لينتشى من خمرها الغثة المغشوشة ، ويتـأمل بلا ملل الصدا يعلو جدرانها المتآكلة .. »

« وهكذا يعود بسهولة الى الغيبوبة التى تلتهم حيـــاته ، ويستغنى عن كراهية الذين خطفوا منه ادواره فى الترقية ، بمخالب الشفاعة ...وينسى فى صفح جميل اسماء اقرانه الـذين ســمنوا من الرشـاوى ، واقتنوا العقار ... ثم يقبل بلا تذمر اكداس الاوراق التى يتخلص منهــا زملاؤه الكسالى عنـدما يقولون له متملقين انه « شيال الحمول » !

وفى واحدة من ارق واعذب مــا تضم مجموعة « نار ورماد » ــ قصة



« الإكذوبة » ــ يبدع يوسف جوهر فى تصوير اشواق الحب الـذى يعصف بقلب عذراء الجسد والعاطفة ، فاطمة بنت الريف ، ذات الضفائر الطويلة والصدر المرتفع ، ثم يقول :

« كانت تحس على جبينها الدافىء لذع الهواء البارد الداخل من الطاقة ... ولم يكن للطـاقة مصراع يمنع الهواء ، ولكن كان هناك قفص مــن الجريد يملأ فراغها ... وكان فى القفص حمام راقد على بيضه ، يرف باجنحته حينا ، وحينا يقطع الصمت بالهديل ، وكأنه يسأل عن الوقت » ! ..

وعن الحب أيضا ، حب من نوع آخر ، فى قصة أخـــرى ، من نفس المجموعة ، يرسم يوسف جوهـــر بأسلوبه الباهر هذه اللوحة المفعمة بعطر الظلال والالوان ، خلال حديثه عن الامومة ، بعد أن « وقع الطلاق » ، وكانت تخفى أنها حامل ... :

« وعاشت وحيدة مع الضيف الذى اخذ يتوسد كبدها ، ويتكىء عـلى احشائها ، ولكن فرحها به كان فرحا جريحا ... فلم تنس ابدا ان ابطاء ذلك الصغير الماكر فى القدوم هو الذى

فصلها عن زوجها وهدم هناءها ...

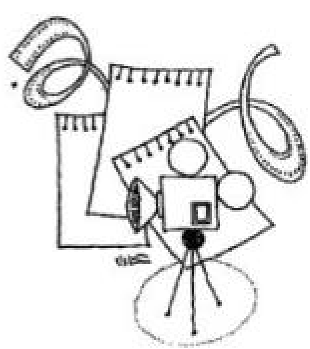
« وتخيلت ــ في حيرة ــ ملامحه التي ستفتنها ، مع أنها ملامح أبيه ... أحقا سيكون كلحبها وهو بعض الرجل الذي صار خصمها ؟... لا ، لن تحبه !..

« ولكنها كانت واهمة ، ومنذ شقت قلبها صرخته الاولى ، تبددت الاوهام وبقيت الحقيقة ، وصارت في غمضة عين أسيرة ذلك الرضيع الذي كان منذ حين حبيسا بينجوانحها...

« ومضت الايام و « محسن » ينظر اليها بعيني أبيه ، ويوقظ في نفسها مع كل ايماءة وكل لفتة ذكريات تلك العشرة التي كانتحلوة ومرة معا... وكان الصغير حاذقا في حصار كرهها للرجل الذي أحبته يوما ، واستيقظت يوما لتجد الكراهية قد لاذت بالفرار » ! ..

● دقات اجراس الختام ●

الاسلوبالساحر ، اذن ، والاحساس الذكي بالمواقف الانسانية ، هما أجمل ما تعطي للقصة القصيرة موهبة



يوسف جوهر ... ولكن بناء القصة لا يقوم على « الاسلوب » و « الموقف » وحدهما ، هناك عناصر أخرى كثيرة تشملها الفكرة والحدث والتفاصيل وغيرها ، ومن الملاحظات الجديرة بوقفة فاحصة أن بعض هذه العناصر في بعض قصص يوسف جوهر .

كذلك فان النهاية أو الخاتمة في معظم القصص بوجه عام تشكل ظاهرة لافتة ، ان النهاية ساخرة أحيانا ، مأساوية أحيانا ، سعيدة في معظم الاحيان ... ولكنها في كل الاحوال نهاية محددة ، واضحة الملامح ، كأنها أجراس تعلن انتهاء العرض ، أو أيد تصفق للختام ، أو كلمات منغومة تقول « توتة ، توتة ... فرغت الحدوتة » !

لقد كانت « الحدوتة » ، ولاتزال ، هي مرحلة الطفولة الاولى لفن القصة ... فهل كان « » للحدوتة » أثر ما في الحياة المبكرة ليوسف جوهر القصاص اللامع ؟..

ــ نعم ... فقد تفتحت مشاعري الاولى على « حواديت » أمي ... وأمي ــ مد الله في عمرها ــ كانت تتمتع بموهبة ساحرة الخيال والاسلوب في رواية « الحواديت » .. ولاتزال هذه الموهبة حتى الآن ــ ورغم سن الثمانين ــ جذابة متألقة لم ينطفيء بريق سحرها !..

ويبتسم الفنان الانسان الرقيق لفضاء المكان في مقهاه الاثير ، ثم يقول مجيبا عن سؤالي حول أثر الوالد في تلك المرحلة المبكرة من حياته واختيار موهبته ... :

كان والدى يهوى الشعر والادب ويتمنى لى من فرط شغفه بالادب أن اكون أديبا ... ولكننى كنت فى تلك الوقت تلميذا بالمدرسة الابتدائية ، مغرما كأى طفل باللهو واللعب . منصرفا تماما عن الهواية التى يحبها ويريدها لى ابى ...

● حكاية الفيلم الاول ●

و ... مرت الايام والليالى ...

ـ وانتقل والدى بحكم وظيفته ـ وكان من رجال الدين ـ من بلدتنا قوص (محافظة قنا) الى كنيسة طنطا . وعندما حصلت على ليسانس الحقوق عام ١٩٣٥ ، فتحت مكتبا للمحاماة فى طنطا ، حيث ظللت هناك سبع سنوات أقف أمام القضاة للدفاع عن المساكين الذين يضيعون أعمارهم فى التفاهات ...

ولقد كانت هذه السنوات فى حياتى فترة لا تنسى ... فمن مكتبى فى طنطا عرفت الكثير من اسرار البشر وعرفت ان قصص الحياة اعجب واكثر حبكة من قصص الخيال !

● وفى هذه الفترة كتبت اول قصة فى حياتك ؟!

ـ لا ... كتبتها قبل ذلك بسنوات. على وجه التحديد فى عام ١٩٣١ وانا طالب بالسنة الثانية فى كلية الحقوق ... كانت قصة ساذجة عنوانها « حين ماتت » ، وكانت تحكى حكاية طفلة فى الرابعة من عمرها شهدت وفاة أمها ، وكان لهذا المشهد آثره وانعكاساته على حياتها فيما بعد ...

وقد بعثت بهذه القصة الى مجلة « السياسة الاسبوعية » فنشرتها ... وكان الاستاذ الكبير عطية الابراشى

جائزة تقديرية من احد المؤتمرات السينمائية فى الخارج يتسلمها يوسف جوهر عن فيلم « ارضنا الخضراء »



يدرس لنا الادب العربي ، ففـــرح بنشر قصتى ، وشجعنى ، حتى لقد اجلسنى مكانه فى المدرج ، وطلب الى قراءتها على اخوانى الطلبة ...

وتوالت بعـد ذلك خطواتى ... القصة الثانية وكانت باسم « المعلم لوقا ، كمسارى الترام » نشرتهـا لى مجلة الرسالة ... والقصة الثـالثة وكان عنوانها « الساقية تدور » نشرت فى « مجلتى » التى كان يصدرهـــا الاستاذ الكبير أحمد الصاوى محمد ، الذى كتب لى تحت العنوان عبـــارة « بقلم القصصى اللامع » ، ثم ذيل القصة بانه يتوقع لكاتبها مستقبلا مجيدا ...

كل هذا وانا فى طنطا التى بقيت بها حتى سنة ١٩٣٩ ، وكان انتقـالى بعد ذلك الى القاهرة نقطة تحول فى حياتى ، فقد تفرغت للكتـــابة فى الصحف والمجلات ... ثم جاءت نقطة التحول الاخرى فى حياتى ، بالاتجاه منذ عام ١٩٤٥ الى الكتابة للسينما..

ومازلت اذكر حكاية « الفيلم » الاول فى حياتى ، فقد اتصلت بى السينمائية اللامعة السيدة آسيا ، فكتبت لهـا قصة كان اسمها « المتهمـة » وكتبت لها الحوار ، وبعد فترة قصيرة شاهدت قصتى معروضة على الشاشة الفضية، فشجعنى ذلك على الكتابة للسينما ، وكتبت قصة فيلم « هذا جناه أبى » الذى مثله زكى رستم وصباح ، ثم فيلم « الزلة الكبرى » لانور وجـدى وسراج منير ــ رحمهما الله ــ وتوالت بعد ذلك كتاباتى للسينما ...

● أغراء الجدل المقارن ●

عنـــــدما تفتحت ، فى منتصف الثلاثينات ، موهبة يوسف جوهر ، وبدأت تعطى ثمارها للقصة المصرية، كانت ألمع الاسماء فى ميدانها اسماء الاساتذة تيمور ، وطـــاهر لاشين ، ويحيى حقى ، وابراهيم مصرى ، والمازنى ، وغيرهم من الرواد ...

وبهؤلاء الرواد تأثر يوسف جوهر ، وازدهرت موهبته ، ولكن اكثر تأثره



فى تلك المرحلة كان ، كمـا يقول : بالاستاذ الرائد الاول محمود تيمور، الذى كنت اقرأ له وانا طالب بالمدرسة الثانوية فى طنطا ، وكان يكتب فى مجلة « الهلال » متتابعات اطلق عليها اسم « رسائل لوزان » يبعث بها من هناك الى « الهلال » ... وكنت ادخر من مصروفى اليومى لاشترى جميـع المجلات التى يكتب فيها محمود تيمور.

ولكن اتجاه يوسـف جوهر الى الكتابة للسينما منذ عام ١٩٤٥ وما بعده ، لم يكن نقطة تحول فى حيـاته

فقط ، وانما كان ايضا ، والى حد كبير ، نقطة توقف بالنسبة لانطلاقه فى عالم القصة القصيرة ..

لقد شغلته السينما واستقطبت منه اكثر الوقت ومعظم النشاط ... صحيح ـ كما يقول هو ـ ان السينما ايضا بالنسبة له كتابة وفن وقصة ... ولكن ، وبغير توقف أمام اغراء الجدل المقارن ، فان القصة القصيرة شيء آخر غير السينما على اى حال

ولقد شمل نشاط يوسف للسينما تأليف القصة وكتابة السيناريو والحوار ، ولعل من أنجح أعماله فى هذا الميدان كتابة السيناريو والحوار لقصص عدد من كبار الكتاب عندنا ، منها « دعاء الكروان » قصة الدكتور طه حسين و « الرباط المقدس » و « الايدى الناعمة » لتوفيق الحكيم ، و « بين القصرين » لنجيب محفوظ ، وغيرهم كثير ...

ولا شك أن السينما المصرية من حيث التأليف والمعالجة السينمائية قد اكتسبت من نشاط يوسف جوهر دما جديدا وموهبة ممتازة ... وذلك هو ما افتقدته ، فى نفس الوقت ، القصة المصرية الحديثة التى تضاءل انتاجه لها ، وضعف نبض الحيوية التى كانت تدفع تطلعات فنه القصصى الى آفاق جديدة ...

● طريق مفروش بالورد ●

عندما بدأت محاولاتى الاولى فى كتابة القصة ، وأرسلتها الى أشهر المجلات الادبية فى العاصمة ـ رحبت بها ونشرتها ... وعندما قررت التفرغ لمهنة الكتابة ـ أفسحت الصحف والمجلات أوسع الصفحات... وعندما قدمت أول قصة للسينما ـ اخذت طريقها الى الشاشة فى سهولة وسرعة ، وتفتحت لى بعدها أوسع الابواب ..

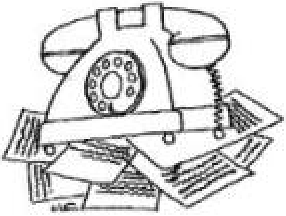
● يبدو أن طريقك الى النجاح .. كان مفروشا بالورد ؟!..

ـ أبدا !.. وكل ما فى الامر أننى كنت ـ ومازلت ـ أعطى لعملى جهدا مخلصا جادا ، وأمنحه أقصى الطاقة فى العناية والامانة فى التجويد والتجديد ... واننى أحمد الله على اننى طوال مراحل الكفاح قد أعفيت من المرور فى نفق الوساطات المظلم ، فلم أعرض انتاجى على أحد ، ولكن المسئولين فى الصحف والمجلات وشركات الافلام هم الذين طلبوا ويطلبون منى قصصى ...

● درجة حرارة المناقشات ●

كل ما فى متناول يدى الآن من قصص يوسف جوهر ، مجموعات : « دموع فى عيون ضاحكة » و « نار ورماد » و « أمهات لم يلدن ابدا » و « الحياة قصص » و « سميرة هانم »

وسواء كان الحديث للنقد أم التحليل أم العرض ، فان كل قصة



فى كل مجموعة ، فيهـــا ما يغـرى بالحديث عنها . ولست أدرى لمـاذا أغرتنى هذه القصة بالذات ـ « يد على الزناد » ـ لا لاتحدث عنها ، وانمـــا لادعها تتحدث عن نفسها !..

ربما ... لان أصابع يوسف كانت تتوقف عنـــدها وتعبث بصفحاتها ، كلما ارتفعت درجة حرارة مناقشاتنا خلال ساعات اللقاء فى مقهاه الاثير !..

ربما أيضا ، لاننى التمس محاولة تقطع عليه محاولة التفكير فى تناول قصصه القديمة ، بصياغة جديدة !..

والمهم الآن ... كيف يمكن أن أدع هذه القصة تتحدث عن نفسها ؟..

وبالطبع ، فان تلخيص القصة هنا يظلمها .. ونقلها بالنص يظلمنى !

ان باقة الزهور الجميلة ، ليست هى كل الحديقة ... ولكنها تستطيع أن تثير فينا الخيال والاحساس بأنه لاتزال هناك فى الحديقة زهور جميلة أخرى ، على الاغصان !..

الآن ... فلنستكشف الفقرات التى أقدمها فيما يلى هى البـــاقة التى جمعتها من القصة ... أما النقط ، فانها ـ فيما أرجو ـ بمثابة الزهور التى تثير فينا الخيـــال والاحساس بأنه لاتزال هناك زهور جميلة أخرى فى الحديقة ... أعنى فى صفحات قصته القصيرة : « يد على الزناد » ...

. . . .

. . . .

ما كدت أصـــل الى بيتهـا عقب استغاثتها التليفونية ، حتى ابتدرتنى قائلة : « أنا امرأة شقية عاثرة الحظ وآية شـقائى أننى تزوجته وربطت حياتى بحياته .

. . . .

و . . . .

مصيبتى التى أحببته ، وتصـــور شقائى اذ أحب ذئبا ماكـــرا ، قاسى القلب ، ولا أطيق له بعادا ؟ !

. . . .

. . . .

وخنقتها العبرات ، فكفت عن الكلام ريثما تجفف دمعها بمنديلها لا أدرى من فرط رقته أهو من الحـرير أم هو قطعة من التنهد ، خرجت من صدرها الرقيق وتجمدت فى نسيم المســـاء البارد !

. . . .

. . . .

ان الذئب الذى تشكوه ـ زوجها ـ صديقى ، وكنت أعهده حملا وديعـــا يعيش فى مرعى الحب منذ شـهرين ناعم البال يطعم عشب الحب ..

. . . .



انه خائن ، يخونني مع أخرى ...

رقم تليفونها في مفكرته ، والى جواره حرفان فقط هما : س . م .

ربما أحسبك تزعم ان الرجال يرمزون الى اسماء الرجال بهذه الطريقة !

. . . .
. . . .

● **اذن ، فقد رسمت خطة للانتقام ؟**

ـ وبدأتها بحرب الاعصاب .. اللى دائما اطالبه بان يذكر لى اسما جميلا لسيدة ، يبدأ بحرف س ، واكرر هذا على الطعام ، وقبل النوم ، وعندما يفتح عينيه في الصباح !

. . . .
. . . .

وأدرت الرقم الذي ضبطته في المفكرة واجابني صوت رقيق ..

. . . .
. . . .

شتمتني ، واقفلت التليفون في وجهي !

وجعلت ادير قرص التليفون مرات في اليوم ، حتى أجابني صوت خشن .. انه الزوج .. وصارحته بأن زوجته تخونه !

. . . .
. . . .

وجدت نفسي اذكر له اسم زوجي ، وعنوان مكتبه ، والدليل الحاسم الموجود في مفكرته التي يحملها في جيبه : رقم التليفون !

و ... انفجرت باكية ، تقول : « هذا هو السبب في أني استدعيتك ... أخاف أن يقتلوه ! »

. . . .
و . . . .

فوجئنا بالذئب قادما ، بادي الاعياء ، ورأسه مغلف بالقطن والشاش ... وسألناه عن جلية الامر ...

. . . .
. . . .

وبقيت وحدي في المكتب لدراسة بعض القضايا ، ودق جرس الباب ، فذهبت وفتحته ، واذا فوهة مسدس مصوبة الى صدري .

. . . .
. . . .

وامرني الرجل الضخم ان الصق وجهي بالحائط رافعا زراعي ،وجلس يقلب اوراق مفكرتي باصابع محمومة، ثم صاح فجأة كالنسر الضـــــارى قائلا :

. . . .

. . . .

وصحت به ، وهو موشك أن يضغط علـى الزناد : ..... انه رقم ورقة يانصيب ، وليس نمرة تليفون ... وحرفى س ٠ م يعني سباق المواساة، وقد قيدت الرقم عنـــدى لان الورقة نفسها فى حيازة صديق شـــاركنى فيها .

. . . .

. . . .

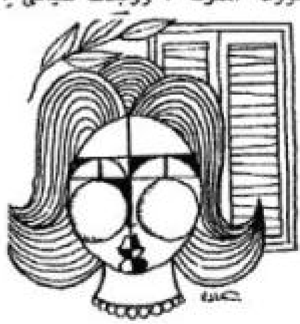
وعمدت الى التليفون ، والدم يسيل من راسى ، فخاطبت الصـــديق الذى يحتفظ بالورقة ، فاذا هو ينبئنى بانه مزقها منذ ساعتين فى بار الانجلو بعد ان راجع السحب وعرف انها خاسرة

. . . .

وصحبنى الى بار الانجلـــو لكى نبحث فى القمامة عن الورقة الممزقة، ويده الى جـــوارى طول الوقت على الزناد ، ليطلق النار فورا اذا حدثتنى النفس بالاستغاثة أو الهرب ..

. . . .

بعد بحث محفوف بالخطـــر تحت مقاعد رصيف بار الانجلو وجـــدت الورقة الممزقة ، ووجدت حياتى !



. . . .

و . . . .

قلت وانا انظر الى دموع التوسل فى عينى الزوجة :

« على كل حال ان تقع بين يدى مجنون ، أسلم عقبى من أن تقع بين براثن مجنونة ! »

واجابت هى و ".........." :

« هذا حق ... وخاصـــة اذا كان جنونهم مبعثه الحب !! »

● ولعبة الحب والحرب ●

وتبقى الآن ، فى الختـــام ، كلمة قصيرة ...

عندما سألنى يوسف جوهر الرأى فى فكرة أن يتناول بعض مافى قصصه القديمة بنظرة جديدة ، أو صـــياغة جديدة ـ تعجبت كثيرا واعترضت .

واقول له الآن فوق ما قلت :

يوسف ، ايها العزيز ، لقد تضاعف الآن رصيدك الثمين من الموهبـــة والتجـــربة ، وحولك نبض العصر القلق ، والتناقضات ، وانكســـار حواجز ما بين الواقع والخيال ، ولعبة الحب والحرب ، والمعذبون فى الارض، والسائرون على وجه القمر !

فهيا اغمس قلمك ... وقدم للملايين من عشاق اللغة الشاعرة ، سحرك الجديد !

دع قصصك القـــديمة الجميلة ، واحداثها وشخصياتها ، وما تحمل من عطر الاربعينات وما بعدها ـ فقد اطلقت أضواءها على تلك الحقبـــة الغـــارية ، واصبحت قطعة من قلب التاريخ ...

هل تصدق حقا ان التاريخ يعيـــد نفسه ؟...

ان هذه المقولة ، من حيث التطبيق العلمى الدقيق ، غير صحيحة !

ومع ذلك ، وحتى لو كان التاريخ يعيـــد نفسه ...

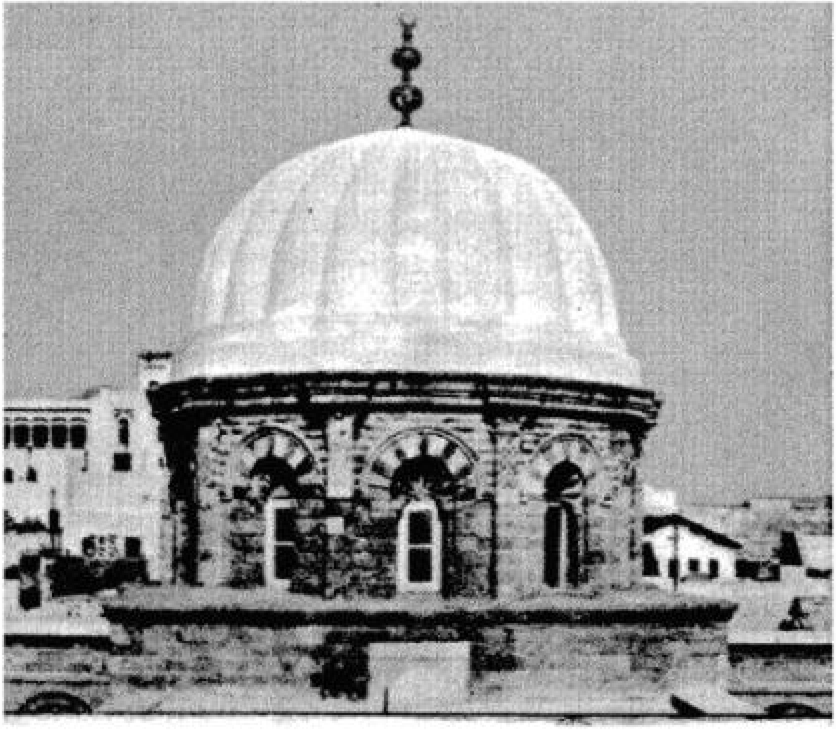
فان الفنـــان ـ يا ابا حجاج ـ لايعيد نفسه !!

صالح جودت

الفن التونسى تراث



لمسة فن البربر ، فى زى المرأة التونسية «للرسام التونسى فرحات»



قبة جامع الزيتونة بتونس .
« كان جامعة ، فاصبح مسجدا فقط ، بعد قيام الجامعة الحديثة »

الحضارات الأربع

كان اسم قرطاج ...
تلك المدينة التاريخية العظيمة القائمة على ذراع البحر المتوسط ، على مسيرة خطوات من العاصمة التونسية ، مصدر فخر في أعماق التونسيين ، إلى حد أن الصحيفة التونسية المسائية تحمل اسمها ، والطائرة تهبط في مطار قرطاج ، على أن الأول ، وله حفلات ، تقام في مكان قرطاج ـ قرطاج ... ومسرحها كلها في ذاكرتنا .

ويتساءل من يتساءلون لماذا تكون « قرطاج » هي العاصمة ، بدلاً من تونس ، العاصمة الحالية .

والتونسيون ، حينما يتحدثون عن الحضارات التي عاشتها بلادهم ، يعتزون أيضاً اعتزازاً بحضارة قرطاجة ، كما نعتز نحن في مصر بحضارة الفراعنة ، لأنها حضارة دام بقاؤها مدة عشرة قرون (من القرن الثاني عشر إلى القرن الثاني قبل الميلاد) .

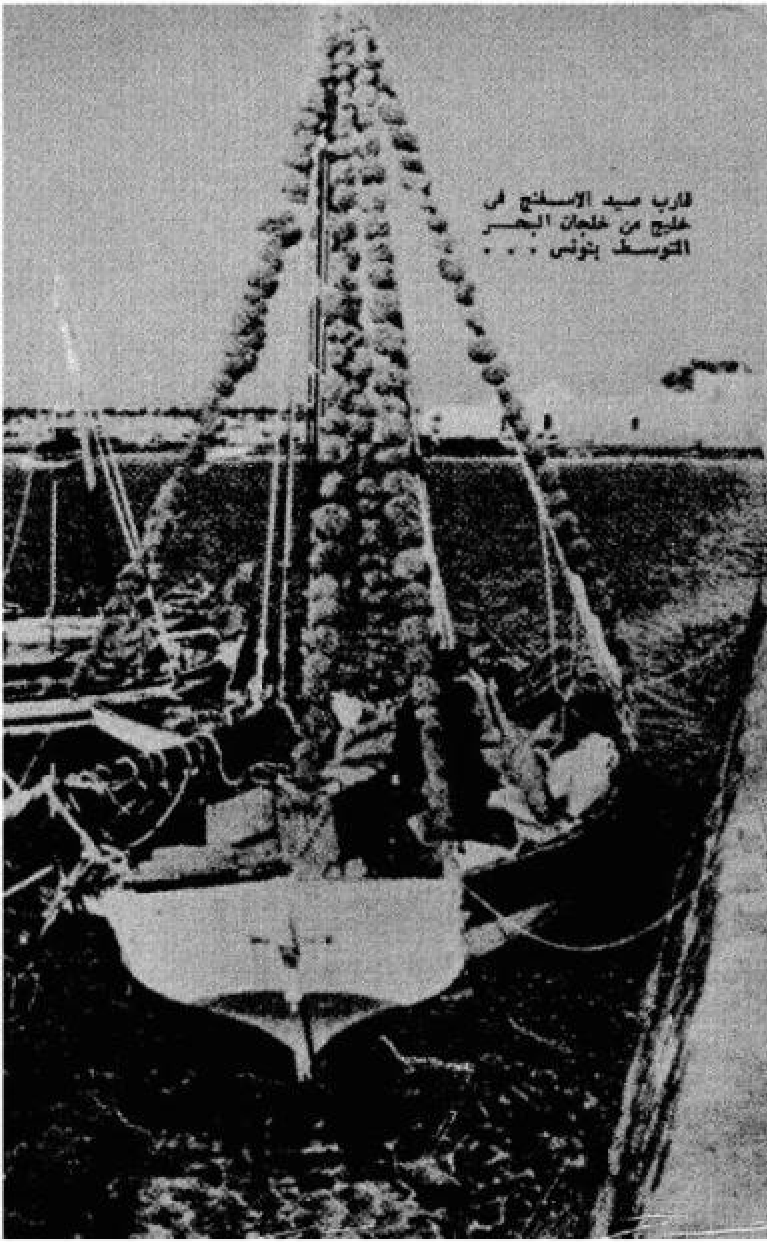
وقد جاءها البحارة الفينيقيون ، في مسار يحتمون من الغضب وغيرها من المدائن في لبنان ، في أوائل القرن الثاني عشر (ق.م.) واختاروا مدينة « قرطاج » سنة ٨١٤ ق.م.

وما لبثت أن أصبحت هذه الأرض المختارة امبراطورية بحرية العالم ... وازدهرت تجارتها على امتداد قوة في وجه الإغريق ، الذين يسيطرون على البحر المتوسط ، فانتشرت علاقاتها إلى التوغل في الأرض الافريقية شرقاً وغرباً ، على طول رحلاتها حول شواطئ ، وعبوره إلى أسبانيا وفرنسا ... حتى انتهوا إلى ايرلندا ، كما أسسوا جنوباً إلى خليج غينيا وجبال الكامرون

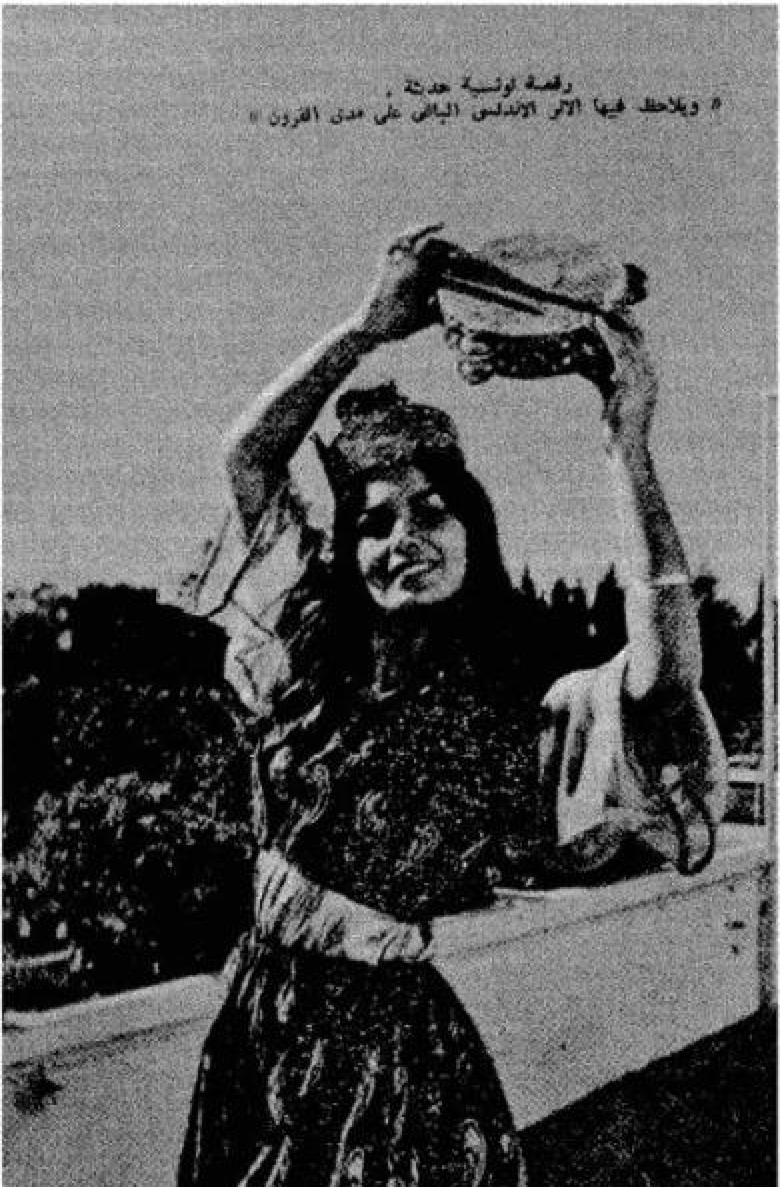
■■■

وعندما بلغت امبراطورية قرطاجة





قارب صيد الاسفنج فى
خليج من خلجان البحر
المتوسط بتونس . . .



رقصة تونسية حديثة ،
« ويلاحظ فيها الأثر الأندلسي الباقي على مدى القرون »



منبر جامع الزيتونة

ذروة المجد ، كانت امبراطورية روما اخذة فى النمو · ولم يتسع البحر المتوسط للقوتين معا ، فكان لابد من الحرب ··· وهكذا قامت ضروسا بينهما ، ودامت زهاء ١١٨ سنة (٢٦٤ ـ ١٤٦ ق·م·) وكان من عمالقتها البطل القرطاجنى الجهير : هانيبال ·

***

ثم وهن هذا الملك كله ، وانتهت القصة بانهيار قرطاجنة ، وسقوطها فى يد الامبراطورية الرومانية الصاعدة

واقبل القائداوغسطس سنة ٢٧ ق·م لانشا هناك قاعدة للقيصر ، زود منها روما بخيرات البلاد ، وفى مقدمتها القمح والزيت ·



قطعتان من النحاس المزخرف، من الفن الاسلامى فى القرن التاسع عشر (من متحف باردو بتونس)



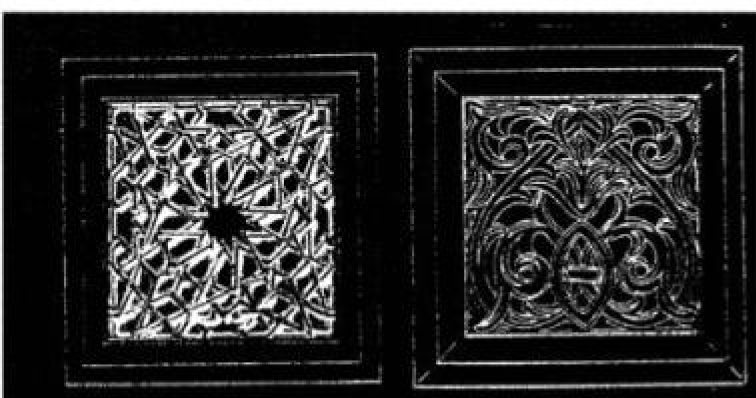
حائط الحمل في مسجد القيروان .
«تعتقد النساء ان من تلوذ به منهن تحمل»

وظل ملك الرومان هناك ثلاثة قرون بعد الميلاد .

ومنذ مطلع القرن الرابع ، بدأت المتاعب ، بسبب كثرة ما انشأوا من المدائن ووفرة ما بنوا من المسارح والهياكل والتماثيل وأبات الفنون، كما أن كبار الاقطاعيين احتكروا مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية ، مما اصاب الانتاج الزراعي بالشلل ، الذي انتهى الى ثورة كبرى كان ابطالها الفلاحين ..

وفي هذه الفترة ، جاء الوندال البرابرة من الشمال ، عبر فرنسا واسبانيا وشمال افريقيا ، وهاجموا قرطاج ، عاصمة الرومان هناك ، فسقطت في أيديهم دون مقاومة تذكر ، سنة ٤٣٩ م.

وبقي الوندال هناك ٩٥ سنة ، حتى



لوحتان من فن الحفر على الخشب

وعاء من الفخار المزخرف بالمينا

الكابيتول في مدينة دوج
«من القرن الثاني بعد المسيح»







ديانا الرومانية جامحة بجوادها في لوحة من الموزاييك

انتزعها البيزنطيون من أيديهم ، وأرادوا بعث افريقيا الرومانية ، فوجدوا الكثير من مقاومة عناصر البربر ، الى أن جاء نصر الله والفتح ، وبدأت صفحة جديدة خالدة في هذه البقاع ، هي تونس العربية الاسلامية ٠

وقد استمرت عملية الفتح من سنة ٦٤٧ الى سنة ٧٠٢ م ٠ حينما سقط آخر معقل من معاقل البربر ٠

وانتقل المجد والملك من قرطاج الى القيروان ، التي أصبحت قاعدة للولاة الذين يمثلون الخلفاء ٠٠ خلفاء الاسلام الذين سيطروا على مقادير المغرب كله ، وصعدوا الى اسبانيا ، فأنشأوا دولتهم في الاندلس ، وأوشكوا أن يقتحموا حدود فرنسا ويصعدوا شمالا ، لولا الفرقة

التى دبت بينهم وضيعتهم فى الصراع على الملك .

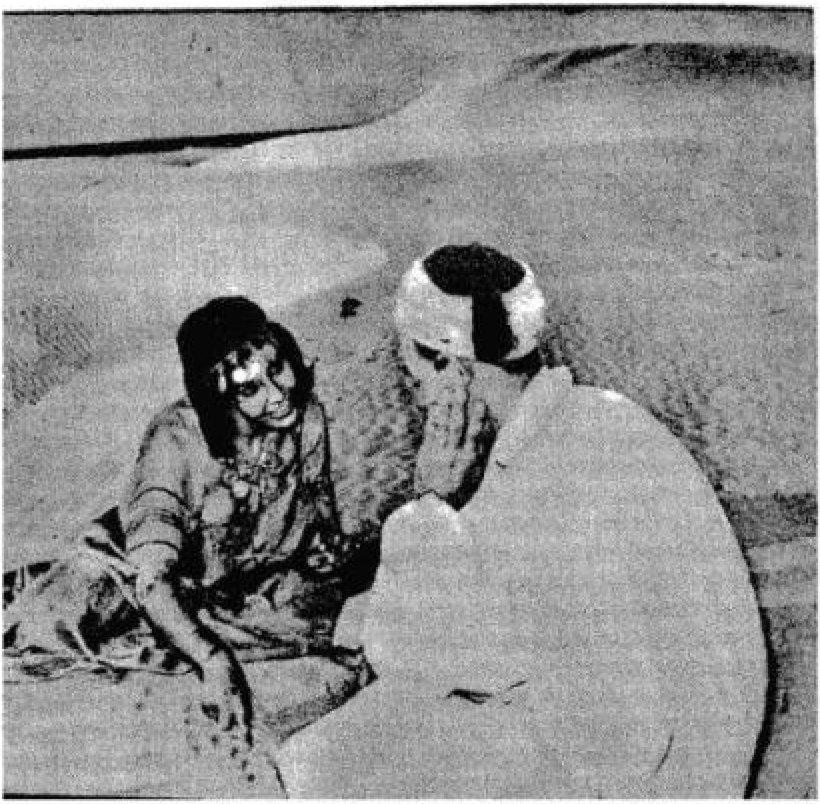
***

فى القرن التاسع الميلادى ، قامت دولة الاغالبة ، ثم أعقبتهـا الدولة الفاطمية ، وكان هـذا هو العصر الذهبى لافريقيا الاسلامية ، فازدهرت الزراعة بفضل استخدام الوسـائل الهيدروليكية ، وراجت التجـارة ، وزهت المدائن ، وساد الاسطول البحر المتوسط حتى غزا صقلية وأنشأ فيها المساجد والمدارس الاسلامية .

ثم كانت غارات الهلالية الحـافلة بالاساطير ، ثم قيام الدولة المهـدية وغيرها وغيرها .

ثم دارت الصراعات بين شارلكان والدولة العثمانية فى البحر الابيض، وانتهت بسيطرة الاتراك على أرض

فارئة البخت ، فوق حبات الرمال .







رقصة شعبية ، يشترك فيها الفتية والفتيات . بغير اختلاط ! .

سوق السمك في جزيرة الجربة،
وثمار البحر من اشهى
الاطعمة في تونس ...

آدم وحواء ، والحية ، والشجرة المحرمة ، في مربع من الموازييك ، من القرن الخامس الميلادي ـ متحف باردو



تونس ، التي شعرت في عهد الدولة العثمانية بشيء من الحكم الذاتي ، وتولت الاسرة الحسينية الحكم ، وهي آخر أسرة حكمت تونس ، وظلت سيادتها قائمة من سنة ١٧١٠ الى سنة ١٩٥٧ ـ أي حتى في عهد الاستعمار الفرنسي الذي دام ثلاثة أرباع القرن ، وانتهى بالتراجع ، واعلان الجمهورية التونسية المستقلة ذات السيادة .

وتنازل آخر البايات ـ سي محمد الامين ـ عن منصبه ، ورضي أن يعيش مواطنا عاديا في قصره ، حتى لقي وجه ربه منذ سنوات قريبة ، وخلصت تونس لابنائها المجاهدين .

***

كل هذه الحضارات التي عبرت بتاريخ تونس ، تركت بصماتها العميقة على هذه الارض الخضراء وخلفت آثارا فنية رائعة بدأ الكشف عنها منذ أواخر القرن الماضي ، ولايزال الطريق طويلا في العثور على جديد منها كل عام .. فيمس من وقرطاج والقيروان والجربة وغيرها من المدائن التونسية ... مما يمثل حضارات قرطاجنة والرومان وبيزنطة والعصر الاسلامي ، مع قليل من الآثار اليونانية .

***

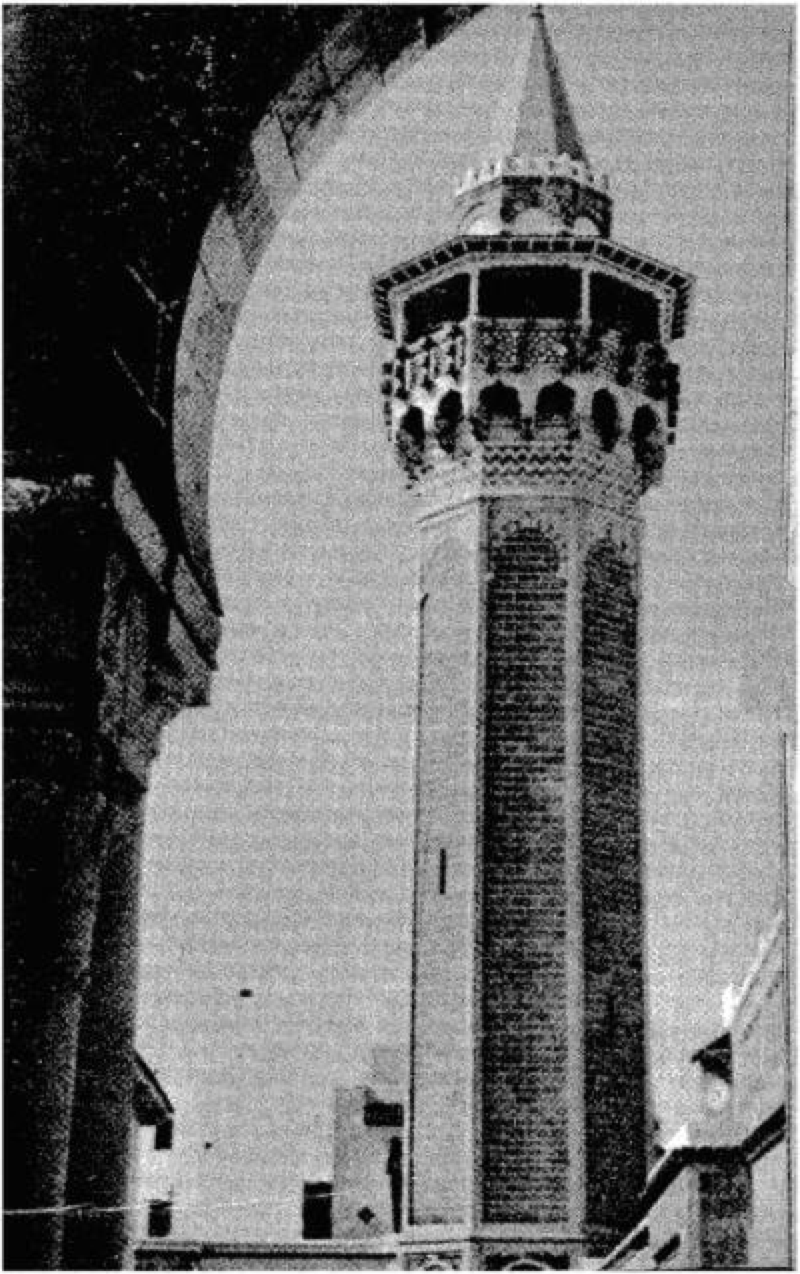
ولايزال المسرح الروماني الكبير في



السيدات يلتمسن البركات عند مدخل مسجد القيروان



٣ أقنعة للشيطان – « عثر عليها في قرطاج »



تونس من أروع الدور للعروض الفنية الكبرى حتى الآن ، وقد قدمت عليه فرقة « الكوميدي فرانسيز » الكثير من روائعها .

***

وفي اعتقادي ، وقد زرت اكثر متاحف العالم ، أن متحف « باردو » في تونس هو اغنى متاحف العالم باللوحات والتحف المصنوعة من الفسيفساء « الموزاييك » التي تنتمي الى مختلف العصور ، والتي تمثل صورا من العبادات القديمة ، واخرى من حياة الملوك والابطال ، وثالثة من الحياة اليومية وصراعات الحياة والطبيعة وحياة الرعي والصيد والزراعة ، ومراسم الزواج ومشاهد الحب والغزل .. الخ .. مما ننقل بعضه على هذه الصفحات .

***

من اجل هذا كله ، يفد علي تونس اكثر من مليون سائح كل عام ، اذا انتهوا من مطالعة الآثار ، اجتذبهم جمال الطبيعة على البحر وفي الواحة ، فاذا خلصوا من كل ذلك ، راحوا يتذوقون جمال النغم والحركة ممثلا في الموشحات الاندلسية، وغناء المالوف ، ورقصات البدو ، والرقصات الشعبية ، التي لا تخلو من التأثير الاندلسي البديع ...

مئذنة مسجد حمودة باشا بتونس ، القرن السابع عشر الميلادي ...

بين اطلال معابد الدوجة ، يقدمون روائع « راسين »




ليس من شك فى ان «الازهر»
اصبح من اكبر القسمات
المميزة لحياتنا الثقافية
والادبية والروحية ، على
امتداد الارض العربية ،
والعالم الاسلامى ، منذ
اكثر من الف عام .. بل
لعلى لا اغلو كثيرا اذا قررت
ان « الازهر » لعب دورا
هاما فى تاريخ الحضارة
الانسانية . ومنح التاريخ
الانسانى انضر الصفحات ،
واعطى الحياة الفكرية
والروحية أعظم الرجال ..
الأزهر
... ومدارس

لن أستطرد الى المجالات المتعددة التى أسهم الازهر فيها اسهاما كبيرا وسأقصر هذه الدراسة على أثر الأزهر فى اتجاهات الشعر بصفة عامة ومدارس الشعر المعاصر بصفة خاصة • فقد أصبح من البديهيات التى لا يمارى فيها أحد أن من بين أبناء الازهر كثيرين ممن أسهموا فى صنع نهضتنا الحديثة ، فمن بين جدرانه ومن أروقته امتلأت المدارس الحديثة والمعاهد التى انشئت منذ مطالع القرن التاسع عشر كمدرسة الطب والهندسة والالسن ودار العلوم والقضاء الشرعى وغيرها من المعاهد التى طورت الحياة فى مصر وانتقلت بها الى ركب الحضارة الانسانية •

ومن بين ابنائه شكلت البعثات العلمية التى وصلت الشرق بالغرب وتفتحت على المعارف الحديثة وعادت الى البلاد تغرس فيها تلك البذور التى أثمرت فيما بعد اشهى الثمرات •

وفى مجال الزعامة العلمية والقومية والسياسية والتشريعية تجد اشهر الاسماء التى تخرجت فى هذا المعهد العتيد •

كوكبة الشعراء الاعلام

على أن الازهر كان له دور كبير فيما يتعلق بالادب والثقافة وبصفة خاصة ما يتعلق بالشعر • وذلك بفضل التكوين الثقافى والاعداد العلمى الذى كان يتوافر لابنائه بصورة كبيرة فى مجال العلوم العربية • الى جانب الفقه والتفسير وبقية العلوم الشرعية •

وكانت طريقة التدريس فى ذلك المعهد ـ مهما شابها من عيوب ـ تكون العقل العربى تكوينا متينا ، وتربى فى الطالب ملكة مقتدرة يستطيع من خلالها، ان يستوعب كل المعارف الانسانية مهما كانت • وكانت هذه الطريقة تصقل الطالب وتعوده الصبر والمثابرة والجلد وحسن التلقى والقدرة على التحصيل والاستيعاب • وعندما كان يتاح لهذه العقول ان تتفتح على ثقافة حديثة أو تتصل بالحضارة الانسانية ، كانت تفيد اكبر الافادة ، وتؤثر بعد ذلك اكبر التأثير •

وكانت دراسة الشعر والعروض وتاريخ الادب ، من الدراسات التى احتفظ بها الازهر فى مختلف مراحله ، وكان الطلاب يلوذون بهذه العلوم فرارا من متون الفقه والاصول والمنطق وشروحها وحواشيها وتقاريرها •

الشعر المعاصر

عبد العزيز الدسوقى

وقد كان هؤلاء الطلاب يحفظون كثيرا من الشعر بكل أنواعه وفى كل عصوره ، جاهليا واسلاميا وأمويا وعباسيا ، ومن هنا كانت تتكون لهم ملكة النظم · ويمكن أن نقول أن شعراء القرن التاسع عشر ـ كلهم او معظمهم ـ كانوا من الازهر ، ولقد عشت فترة من الزمان فى تاريخ الجبرتى ، حتى اتبين ملامح هؤلاء الشعراء ، فهالنى أن أجد تلك الكوكبة الكبيرة من شعراء الازهر الاعلام ، ومهما قيل حول شعرهم الان · فانه كان متلائما مع المرحلة الحضارية التى كانوا يعيشون فيها · ونخطىء كل الخطأ ، لو حاسبناهم بتلك المعايير الفنية التى نقيس بها شعرنا المعاصر الان ، فهـــذا ـ فوق كونه خطأ منهجيا ـ يفصل الظاهرة الفنية عن سياقها الحضـــارى ويتجاهل ظروفهـــا وبيئتها ···

ومع ذلك فهناك عدد كبير من هؤلاء الشعراء يمكن ان نلتمس فى بعض اشعارهم اشعاعات نافذة تعبق بعطور القدم ، وتثير فى العقول والنفوس لذة ومتاعا ·

ولن نستطيع أن نتتبع كل شعراء الازهر وأثرهم فى النهضة الادبية الحديثة، والا تحولت هذه الدراسة الى مجرد سرد أسماء ، ويكفى ان نشير الى أنهم طوروا ما نسميه الان تجوزا ـ مدارس الشعر الحديث ـ او بمعنى ادق ، أسهموا فى تطوير اتجاهات الشعر العربى ـ عبر قرنين من الزمان ولقد كانت لهم قيادة فكرية وروحية فى المجتمع العربى فى مصر ، ومن هنا كان يجىء تأثيرهم



الشيخ حسن الطويل :
أساتذة الرعيل الأول



محمد الأسمر :
سجل حافل بالأمجاد

القوى فى الرأى العام ·

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر ، كان هؤلاء الشعراء الازهريون يستخدمون الشعر سلاحا وطنيا وقوميا ، ويكفى ان نشير الى عبد الله النديم الثائر العظيم الذى كان يستخدم الشعر والزجل والكلمة ـ بصورة عامة ـ سلاحا فى معركته التى خاضها طوال حياته المثيرة المشعة ، حتى ثوى فى ارض الغربة وقبل عبد الله النديم ، ترجم رفاعة الطهطاوى « المارسلييز » نشيد الثورة الفرنسية، شعرا الى العربية ، ونظم بعد ذلك عدة اناشيد وطنية وثورية ·

فى هذا الوقت المبكر من الزمان ظهر من شعراء الازهر الاعلام « الخشاب وحسن العطار (١٨٢٤) وعبد الله الشبراوى · وعلى الدرويش (١٨٥٣) ومحمد شهاب الدين المصرى ، ومصطفى الصاوى · وعلى ابو النصر (١٨٨٠) وعلى الليثى (١٨٩٦) · وحسن قويدر الخليل (١٨٤٥) وعبد الهادى نجـا الابيارى (١٨٨٨) وغيرهم ، وغيرهم ··

طرائف وغرائب

ومن الغريب اننا نجد فى هذه الفترة المبكرة من الزمان تحررا وجرأة من هؤلاء الشعراء الاعلام من رجال الازهر ، فبعضهم وصل الى مشيخة الازهر ، وهى اكبر منصب دينى كان له سطوة كبيرة ، وتأثير جليل ، ومع ذلك وجدت لهم شعرا فى الغزل · وبعضهم نظم ما يمكن ان نسميه الان بشعر المجون او الشعر المكشوف ·

وقد اثار دهشتى ان اجد فى القرن الثامن عشر شاعرا من شعراء الازهر يسمى حسن البدرى (١٧١٨ م) يكتب الشعر فى مجالات مختلفة فى النقد الاجتماعى والاخلاقى الى جانب اراجيزه فى التصوف ، ثم يكتب مع هـذا شعرا فى الغزل المكشوف او بمعنى ادق يكتب « شعر المجون » ومع ذلك فقد كان هذا الرجل ورعا متصوفا كثير الانتقاد لاهل عصره وعاداتهم الفاسدة وتظـاهرهم بالورع والتقوى · وكان خفيف الظل ، بارع الفكاهة · يقول عن ادعياء التصوف :

ليتنا لم نعش الى ان رأينـــــا كل ذى جنة لدى الناس قطبــــا

ويقول عن بعض اصحاب اللحى الزائفة :

رب قصير فى الورى لحيتـــــه طولهـــــــا الله بلا فائدة !
كأنها بعض ليالى الشـــــتا طويلة مظلمـــــــة باردة !

وجهة نظر متقدمة

وهناك شاعر آخر من شعراء الازهر فى القرن الثامن عشر (١٧٧٠ م) اسمه « عبد الله سلامة الادكاوى » وهو علم من اعلام الفكاهة والمجون ، ويحدثنا الجبرتى ان له مقامة فى المجون اسمها « المقامة القندية » · وفيها هزل كثير · ولكن الذى يلفت النظر فى الشـــاعر (الادكاوى) انه كان واسع الافق متفتح النفس ، له وجهة نظر متقدمة فى القديم والجديد ، وكان حسه العاصر يدفعه الى تقبل كل جيد وعدم رفض اى شىء بحجة انه لايلتزم الصورة القديمة وقد صاغ هذه الرؤية المتقدمة فى ابيات واضحة يقول فيها :

كن للمعـــاصر خيـــر ناصر كم للاواخر من مفـــــاخر
لا تحقـــرن جـــديدهم كم فى جديدهم جواهــــــر
ودع التعصـــــب للأوا ئل ، يافتى ، او للاواخـــــر
من كـــان منهم مبـــدعا فاعقـــد عليه من الخنـــاصر

هذه المرحلة المتقدمة يمكن أن نسميها المرحلة التقليدية على الرغم مما فيها من بعض اللمحات الذكية والنقدات الاجتماعية الواعية ، وبعض الشعراء المتقدمين ٠

ولقد امتدت هذه المرحلة فشملت مجموعة من شعراء القرن التاسع عشر وبعض شعراء القرن العشرين ومنهم عبد الله فكرى ، وعبد الرحمن قراعة ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، واحمد محمد الحملاوى ، وغيرهم ٠

الشعر والوحدة الوطنية

ومن هؤلاء الشعراء من هو فى حاجة الى دراسة خاصة تعرف به وتكتشف أسرار فنه ، فقد ابتلع طوفان الزمان كثيرا من هؤلاء الشعراء ظلما وعدوانا ٠ وكان يجب أن تظل أسماؤهم فى دائرة الضوء ، أو على الاقل تأخذ حظها من التألق والبريق ٠

ومن هؤلاء الشاعر الازهرى احمد محمد الحملاوى (١٨٥٦ ــ ١٩٣٢) وهو عالم لغوى حجة وله مؤلفات ذائعة فى الصرف والبلاغة ، أخذت شهرة أكثر من اسمه منها « زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع » و « شذا العرف فى فن الصرف » ٠٠

ولكن شهرته كشاعر عفى عليها الزمان ، على الرغم من شاعريته الناضجة ، وفى ديوانه المطبوع كثير من الشعر السياسى والقومى وشعر التصوف وشكوى الزمان ، وله قصيدة يناجى فيها مصر نداء عاطفيا حارا تحس فيها بمعاصرة شديدة ٠ يقول فيها :

يا مصر لا تقنطى فالنصر قد حانا ... سبحان من ارغم الاعداء سبحانا
ولا تخافى فعين الكل ساهرة ... فالدهر ابدنا جمعا وريانا
ولقنتنا الليالى من تصرفها ... ما شان من حالة الدنيا وما زانا

وهى قصيدة طويلة حافلة بالنظرات السياسية التى تكاد تلامس همومنا المعاصرة فهو يتحدث عن الوحدة الوطنية بين أبناء الأمة ، ويرفض وصاية الاعداء وحمايتهم ٠٠٠ يقول :

فالكل بالروح يفديها وينصرها ... وان هم اختلفوا رسلا واديانا
القلب مؤتلف والدين مختلف ... لكن تراهم ــ أمام الأم ــ أخوانا

ثم يقول :

فلا وربك لا نرضى حمايتهم ... وان هم رفعوا للعدل ميزانا
وكيف والغدر والعدوان ديدنهم ... وقد أسالوا دماء العزل خلجانا

***

وهناك شاعر آخر متين النسج قوى الديباجة هو عبد الرحمن قراعة ، وقد سبب له الشعر كثيرا من المتاعب ، فقد كتب قصيدة بعد أن ترك الشيخ المهدى مشيخة الازهر ، وأصبح الشيخ الامبابى شيخا له يقول فى مطلعها :

خذوا حذركم فالامر قد جاء بالضد ... لقد ظهر الدجال واختفيا المهدى

فنكل به الشيخ الامبابى ، وظل ينقله فترة طويلة ٠ وقد كتب قصيدة بعد زمان طويل يستعطف الشيخ الامبابى قال فيها :

أما آن ان تنسى الرباب وزينبا ... وتقلع عما كان فى زمن الصبا
الم تعتبر اذ كنت اجرد أمردا ... ودهم الليالى قد تركنك اشيبا

وهو استعطاف عجيب يدل على اباء الشيخ قراءة واعتداده بنفسه ...
بعد ذلك لا أبقى المضى فى استعراض أسماء الشعراء من الازهر على هذا النحو بطريقة غير منهجية ، بل لابد من تأصيل نظرى يجمع كل هذه الاسماء فيما يشبه أن يكون مدارس شعرية أو اتجاهات ... وهنا لا يمكن فصل هؤلاء الشعراء عن مدارس الشعر التى سادت فى الامة العربية منـــذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن ، وهى :

مدرسة البعث
ومدرسة التجديد
ومدرسة ابوللو
وجيل الشعر الحديث أو جيل الشعر الحر
وقد أمد الازهر كل هذه المدارس بأبرز أبنائها وروادها •

فكرة جديدة

وقبل أن أتعرف على أبناء كل مدرسة من هذه المدارس ، احب أن أعرض فكرة جديدة اقتنعت بها بعد سياحة طويلة فى اتجاهات الثقافة العربية الحديثة وهى اننى أعتبر أبناء الازهر ودار العلوم والقضاء الشرعى أبناء ثقافة واحدة ، وفى مجال الظاهرة الادبية والفنية أعتبرهم جميعا ازهريين ، وانا اعلم ان هذه الفكرة ستغضب بعض اشقائنا البراعمة الذين يعتبرون أنفسهم الان أبناء جامعة القاهرة ، ولكن فليغفروا لى هذا التصور الذى برز بصورة واضحة أمامى وانا أكتب هذه الدراسة عن شعراء الازهر وأثرهم فى مدارس الشعر المعاصر •
والفكرة على كل حال تستند الى اسس علمية موضوعية ، فلا شك أن (دار العلوم) تلك المدرسة العتيدة منذ قامت فى عام ١٨٧١ كانت رافدا عميقـــا أو فرعا من فروع الازهر • والفرع الثانى هى مدرسة القضـــاء الشرعى التى انشأها سعد زغلول عندما كان وزيرا للمعارف فى عام ١٩٠٧ ، واذا مضينا فى التشبيه واعتبرنا الازهر هو النيل ، وهذين المعهدين هما فرعاه فاننى أعتقد أن هذين الفرعين اكتسبا حيوية وشبابا جددت شباب النهر الام ...
فاذا بعدنا عن التشبيهات وعمدنا الى الحقائق وجدنا أن مدرسة دار العلوم منذ قامت تستمد تلاميذها من الازهر وكذلك مدرسة القضاء الشرعى • بل أن الرعيل الاول من أساتذة دار العلوم كان من الازهر •
نذكر على سبيل المثال الحسين المرصفى ، ومحمد عبده ، وحسن الطويل ، وحمزة فتح الله ، وحسونة النواوى ، وسليمان العبد •
وكذلك أمد الازهر مدرسة القضاء الشرعى بصفوة من ابنائه الاعلام قاموا بالتدريس فيها منذ انشائها نذكر منهم عبد المجيد سليم ، وابراهيم حمروش ، ومحمد بخيت المطيعى ، ومحمد طموم ، وحسين والى •
حتى الجامعة المصرية منذ قامت فى عام ١٩٠٨ استضافت بين أساتذتها من رجال الازهر محمد المهدى ، ومحمد الخضر ، والسيد بن على المرصفى ، وغيرهم ... لهذا اعتبر الشعراء الذين تخرجوا فى دار العلوم والقضـــاء الشرعى شعراء أزهريين •
وعلى كل حال هناك سبب موضوعى يدعونى الى هذا وهو أن هؤلاء تكونوا



عبد الله فكرى

علميا وفنيا في الازهر طوال تسع سنوات ، واتيح لهم من الزاد الفنى والادبى قسط كبير صقل ملكاتهم الفنية ونمى مواهبهم الشـعرية • واظن أن ملامح الشاعرية تتكون وتتحدد فى تلك السن المبكرة من الشباب (حتى العشرين)

وهؤلاء جميعا ظلوا فى الازهر الى ما بعد سن العشرين بقليل وذهبوا الى معاهدهم الجديدة ، وهم شعراء متكونون ··· بطبيعة الحال تفتحوا على معارف جديدة ، وثقافات مختلفة زادتهم تفتحا ونموا • ولكن لون شاعريتهم ظل يدين لهذا التكوين الاول فى الازهر •

وليس هناك شك فى أن هؤلاء أغنوا مدارس الشعر العربى الحديث •

مدرسة البعث

ففى مدرسة البعث التى رادها البارودى وشوقى وحافظ ، يمكن أن نضيف محمد عبد المطلب ، وعبد الوهاب عزام ، وعلى الجارم ، ومحمود غنيم ، ومحمد الاسمر ، وعلى الجندى ، وعبـد الله عفيفى ، وعبـد الجواد رمضان ، والباقورى ، ومحمد نايل ، والبديوى ، « وأبو الخشب » والخفاجى وغيرهم ، وغيرهم •

مدرسة التجديد

وأما مدرسة التجديد التى رادها العقاد وشكرى والمازنى فيمكن أن نضيف اليها العوضى الوكيل ، وأحمد مخيمر ، وعبد العزيز عتيق ، وغيرهم •

مدرسة ابوللو

وفى جماعة أبوللو التى رادهـــا على محمود طه ، وأبو شادى ، وناجى ، والصيرفى ، وصالح جودت ، وتلالأت مجموعة من ألمع أبناء هذه المدرسة من الازهر ودار العلوم منهم محمود حسن اسماعيل ، ومحمد عبد الغنى حسن ، وطاهر ابو فاشا ، وأحمد عبد المجيد الغزالى ، والمهدى مصطفى · وغيرهم ·

جيل الشعر الحر

وقد جاء بعد جيل أبوللو جيل جديد من الشعراء يطلقون عليه جيل الشعر الحر ···

وقد رفد الازهر ودار العلوم هــذا الجيل بصفوة من ابنائه اعتبرهم النقد شعراء هذه المدرسة الحديثة التى تتخذ من التفعيلة وحدة لبناء القصيدة وتحاول أن تدخل على القصيدة أصواتاً متعددة وتفيد من اشكال فنية أخرى فى تنسيق القصيدة ، وتتخذ من الاسطورة والموروثات الشعبية رموزاً تغنى القصيدة ··

هؤلاء الشعراء الذين تكونوا فى الازهر ودار العلوم وتفتحوا على هــذا اللون الجديد من الشعر أو هذا النسق ، أظهروا مقدرة فنية هائلة لانهم يملكون الادوات الفنيـــة ويمزجون فى تكوينهم العقلى والروحى انضج ما فى التراث بابهى ما فى الثقافة المعاصرة ، لذلك خــلا ابداعهم الفنى من هــذا الغموض الكثيف الذى يصل الى درجة الالغاز · ومن هــذه العجمة وتلك الركاكة التى تحيل القصيدة الى ما يشبه الترجمات الركيكة ، واذا كان هذا الجيل قد أنتج موجتين متعاقبتين فان أبناء الازهر ودار العلوم قد قادوا هاتين الموجتين ، على الرغم مما يوضع فى سبيلهم من عقبات ، ومـمـا يتربص بهم من اضطهاد جعل بعضهم يحسون أنهم مزنوج الثقافة العربية ،

قاد الموجة الاولى عبده بدوى ، وسعد دعبيس ، وفاروق شوشة ، وكيلانى سند ، وغيرهم ·

وقاد الموجة الثانية محمد ابراهيم ابو سنة ، وكمال عمار ، ومحمد أحمد

على الجنـــــــدى :
قلب يفيـــــض بالحب



محمـــود غنيم : مـــع
البــــارودى وشـوقى



العزب ، وأنس داود ، وغيرهم ·

وانا اعتبر عبده بدوى همزة الوصل بين جيل ابوللو وهـذا الجيل الجديد بل لعله اسـبق شعراء المدرسة الحديثة ـ فى مصر ـ ابداعا فى هـذا اللون من الشعر بل نشر شعرا فى جريدة المصرى قبل صلاح عبد الصبور ·

ثم هو دائما يبحث عن آفاق جديدة يستثمر فيها هذا اللون الجديد من الشعر فمرة يكتب « أوبرات » مثل أوبرا الارض العالية ، ومرة يكتب « قصـيدا سيمفونيا » يتناول فيه حياة النبى العربى « عليه السلام » ، ومرة يحيل المواقف الاسلامية والاحداث والشارات والشخصيات رموزا يستعملها برشاقة وفنية ، ولذلك آن الاوان لان نقول ان رائد هذه المدرسة الحديثة فى مصر هو عبده بدوى · ثم هو لم يهجر عمود الشعر العربى بل يبدع فيه ايضا كثيرا من نتاجه· وحتى وهو يبدع فى هذا اللون الجديد يقبع فى اعماقه هذا التراث العربى كله يشكل تجربته ويمنحها الاصالة والعمق ·

***

تلك هى اهم المدارس الشعرية المعاصرة ، وهذا هو الاثر الكبير الذى احدثه الازهر فيها ، وتلك بعض الاسماء من أبنائه التى كان لها أعمق الاثر فى تطوير شعرنا الحديث ولا يمكننى ان اتناول كل هذه الاسماء بالدراسة التفصيلية · فحسبى تلك الاشارة ·

ولكن لابد من الوقوف عند شخصيتين من اكبر شعراء مدرسة البعث انسحبت عنهما الاضواء فى الاعوام الاخيرة وهما الشاعران على الجندى ، ومحمـد الاسمر · فهذان الشاعران من أعذب الاوتار فى قيثارة شعرنا المعاصر وهمـا شخصيتان من اعذب الشخصيات فى عالم الفن ·

صاحب « ترانيم الليل »

أما الشاعر على الجندى فهو نسمة من أرق النسـمات ، روح عذب ونفس وديعة صافية ، وقلب يفيض بالحب والرحمة والحنان ويحتدم فى باطنه شخص مقتحم غزل يحب الجمال ولكنه يقمعه بهذا المظهر الوديع الهادىء النبيل ·

ولد فى شندويل من أعمال سوهاج وحفظ القرآن ودخل الازهر ثم دخل دار العلوم وتخرج فيها وعمل مدرسا بالمدارس ثم مدرسا بدار العلوم ثم ظل يترقى حتى صار عميدا لكلية دار العلوم ·

وقد أصدر ثلاثة دواوين من الشعر هى « اغاريد السحر » فى عام ١٩٤٧ ، و « الحان الاصيل » فى عام ١٩٥٠ ، وأصدرت دار المعـارف فى عام ١٩٦٤ ديوانه الثالث « ترانيم الليل » ·

وشعره رصين جزل قوى البناء فيه كثير من الماء والرواء يمتاز شعره كما يقول الدكتور شوقى ضيف فى مقدمة ديوانه الثالث : « بجزالة الصـياغة ورصانتها ومتانتها وقوتها · وقد تجرى السهولة المفـرطة فى بعض جوانب صياغته ولكن يظل الرونق لا يفارقها وتلازمها العذوبة والسلاسة ··· ويوقع الشاعر ترانيمه والحـانه على أوتار قيثارتنا الشـعرية الموروثة عن الآباء والاسلاف والتى تهزنا وتروعنا بما تقدمه لنا من غذاء للعقول ، وشفاء للقلوب والنفوس » ·

والشاعر مرهف النفس رقيق الشعور ثرى العواطف ظاهره كباطنه تلوح على صفحة وجهه كل التيارات التى تمور فى باطنه ··· يتحول الى دموع لمجرد أن

يرى منظرا مؤلما أو يرتطم بعقبات الحياة ، ثم هو رجل متدين شديد الاعتماد على الله ...

صورة نفسية

وقد رسم لنفسه لوحة نفسية تكاد تكون مفتاح قلبه وعقله يقول :

لكل امرىء جهر يخالف سره ... ومالي من سر يخالفه جهري ...
تطالع في وجهي صحيفة خاطري ... وتقرأ في عيني ماجال في صدري
خلقت كعيسى لا اجن ضغينة ... بقلبي ولا اطوي ضلوعي على غدر

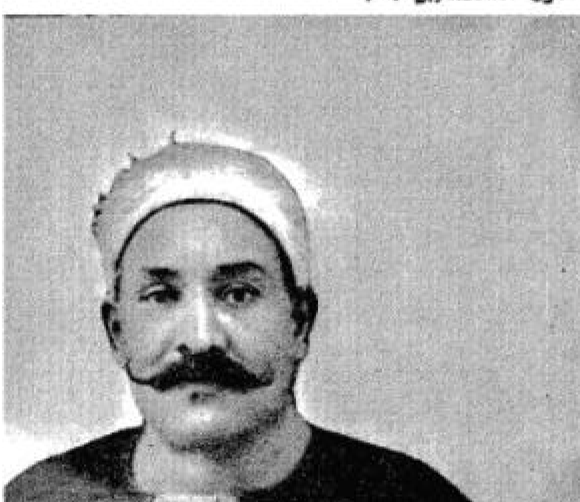
ثم هو دائم الشكوى والحزن والألم يشكو ظروف حياته . ويشكو حظه . ويتألم لشعرات بيضاء تلم برأسه ، يقول من قصيدته (بين الرأس والقلب) :

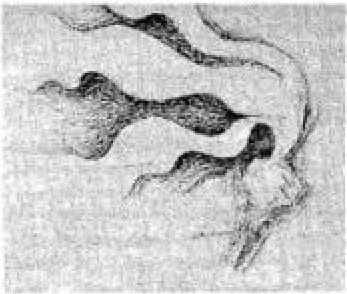
شعرات في مفرق الرأس لاحت ... كنجوم تضيء في الديجور
تركتني في نضرة العمر ابكي ... ذكريات الصبا بدمع غزير
وكستني ثوب الوقار وهل أسمج ... في العين من وقار الصغير
يا لظلم الأيام اذ وقفتني ... بين رأس شيخ وقلب غرير
ذاك يدعو الى الرشاد وهذا ... مستهام بكل وجه نضير

أما الغزل فله فيه جولات وصولات وكلها لا تتعدى وصف تجاربه مع الفاتنات الحسان وتجاربه عادة تقف عند النظر الابيض البريء ، وفي شعره الفكاهي سخرية نافذة تصل الى درجة الايلام يقول في « بعض الثقلاء » :

ثقيل على أرواحنا ثقل الحجر ... تلقبه من شؤمه « زحل البشر »
تغيب بشاشات المنى بحضوره ... وتهجر أحزان النفوس اذا هجر

مصطفى لطفي المنفلوطي:
مجموعة شعراء
القرن العشرين . .





كان ثلوج القطب حشو ثيـــابه   فان هو والى كاد يقتلنا الخضر(١)
ترى الصحب منه مشفقين كانمـا   تساورهم من قربه الحية الذكـر
فان لمحوه من بعيد تغــامزوا   ولاذوا سراعا بالاخاديد والحفـر

وهو دائم الحنين الى ماضيه • وله قصيدة نافذة بعنوان « مغنى الصبا الاول » من أرق الشعر المعاصر وهى تجربة عميقة عاد الشاعر فيها الى حجرة كان يسكنها فى أيام التلمذة فوجدها ساحة خرابا يبابا تتناثر فيها الحجارة واكوام الصبا فراح يناجيها فى انفعال عميق :

امغنى الصبا والصبـا اخضر   حيا فوقك العارض المطـــر

وعلى الرغم من أن الشاعر كتب فى كل الاغراض الشعرية بمقدرة واصالة الا أن شعره الذى رثا فيه أصدقاءه من أعمق ألوان الشعر عنده تحس فيه ذوب الدموع ونبض القلب وصدق العاطفة •

وله شعر يعبر عن تمرده وثورته على واقعه وله قصيدة بعنوان « ليتنى كنت صفيقا » يقول فيها :

سر تعس وخيبتى وشـــقائى   انني حامل محيا رقيقـــــا

ونحن لا نوافق الشاعر بطبيعة الحال على هذه السخرية النافذة • ونعتبر أن هذه الخلال النبيلة والاخلاق الفاضلة والمنزلة العلمية الرفيعة والطبيعة الانسانية السمحة ؛ كل هذه السجايا التى يتمتع بها شاعرنا الكبير هى التى جعلت منه هذا الصرح الشامخ الذى سيخلد على الزمان • مد الله فى عمره وزاده بسطة فى العلم والنبل •

سجل حافل بالابداع

اما الشخصية الثانية التى سأقف عندها فهى شخصية الشـــاعر المرحوم محمد الأسمر ، وهو شاعر من شعراء البعث الكبار ، تمرس بالشعر فترة طويلة من الزمان وهو شخص مصقول النفس والذوق والسمت ، مرح خفيف الظل ، بارع النكتة ، صافى الطبع ، دمث الاخلاق ولد فى دمياط وتعلم فى الازهر واشتغل فى مكتبة الازهر • وظل لهذا متفرغا للشعر • وقد أصدر ديوانه الكبير بعنوان « ديوان الأسمر » فى عام ١٩٥١ فى نحو ٦٦٠ صفحة وضع

---

(١) البرد

فيها عصارة قلبه وذوب نفسه ونبض وجدانه .

وقد وصف الشيخ مصطفى عبد الرازق شعره بقوله : « لشعرك تأثير فى نفس احسبه يفوق ما يفعل الشعر ، ذلك أنه فيض نفس احبها . وقد يكون سحرا ذلك الذى ترسله نغما موسيقيا فى أسلوب سهل فيسرى فى الارواح ويفجر العواطف خلالها تفجيرا » .

والحق ان ذلك السحر الشجى الذى نشعر به ونحن نعيش مع تجارب الأسمر الشعرية ثمرة من ثمار موهبته الكبيرة التى امتزجت بأدواته التعبيرية والتصويرية وأخرجت لنا هذا الفيض الشعرى العميق . وديوان الشاعر سجل حافل لحياة الامة العربية بأمجادها السياسية والاجتماعية . وتصوير لمعالم الحياة فيها ووصف لظاهر الطبيعة . ثم فيه الكثير من الاخوانيات والداعبات التى تنم عن نفس مرحة وذوق رفيع ، ولكنه كان يعبر أحيانا عن تجاربه الذاتية واحساسه الحاد بالحياة فيجىء شعره فلسفيا نابضا بالمرارة والالم يقول فى قصيدة له بعنوان « أسير » :

أنا كالطير أسير	واقع بين الشباك
طال ما بين جناحى	وحبالى من عراك

ويكاد يكون من أوائل الشعراء الذين صوروا مأساة الحرب العالمية الثانية أدق تصوير فى مجموعة من القصائد الحارة . فكتب (قبيل الحرب العالمية) وكتب عندما قامت الحرب وكتب عن المخابىء (وليالى الغارات الجوية) ويقول فى هذه القصيدة الاخيرة :

وناعبة فى الليل يسرى نعيبها	تحذر شر الطائرات وتنذر
نهضنا لها متيقظين وعلمت	اخا القوم فيما علمت كيف يسهر
ونطفىء او نخفى المصابيح نتقى	عواقب بعض النور والنجم ينظر
ولو نالنه ما نالنا لم تلح له	مصابيح مثل الروض وهو منور
وبات كما بتنا على شر حالة	تعانى ظلام الليل والليل أعكر

وقد خص فلسطين بباب كبير من ديوانه ، وفى شعره الروحى تتجلى قدرته الشعرية وطاقته الفنية .

وقد كتب الشاعر فى مقدمة ديوانه تجربته وهو يبدع قصائده فى دقة تفيد الباحث يقول « وانى فى أول نظمى للقصيدة اجدنى مسوقا الى نظمها بشعور خفى ليس فيه ما يرهق اعصابى ، ثم يأخذنى التيار الجارف فيربد وجهى ، واظل ذابل البصر ، غائبا بعض الغياب عما حولى . وفى هذه الحالة اذا نمت كان نومى متقطعا اشبه الإغفاءة ثم اقوم ناهضا الى القلم والقرطاس ، لان معنى من المعانى تمت صياغته بيتا من الابيات وانه ليخيل الى أن مضى فى أول عمل القصيدة ، انما هو « ساعة » املؤها . وهو بعد ذلك يؤدى عمله بنفسه . ولا سلطان لى عليه « كما تؤدى الساعة عملها » .

وفى هذه اللمحات مفاتيح نفسية كثيرة يمكن من خلالها ان نقوم بدراسة الشاعر وتجربته الشعرية على ضوء من التحليل النفسى وقد نعود مرة أخرى لندرس شعر الأسمر وحده بالتفصيل .

رحلة الشهر

وقفة أمام الذكرى



نقف – فى أول رحلة هذا الشهر – لحظات خاشعة ، اجلالا لذكرى البطل الذى رحل عنا فى مثل هذا الشهر منذ عامين : جمال عبد الناصر رحل وفي صدره غصة النكسة ...

ولقد كان للرجل من الشجاعة ما جعله يخاطب الناس – بعد ثلاثة ايام من النكسة – فيقول لهم انه يحمل وحده مسئولية ما حدث :

ولكنه يومئذ ظلم نفسه . فالحقيقة اننا نحن العرب جميعا مسئولون عن النكسة .

مسئولون ... بتخلفنا عن العصر

ومسئولون بتفككنا ... ففينا من كان يقول بالاقليمية... وفينا من كان يقول : مالنا وللقضية فلسطين ؟.. لقد ضاعت فلسطين ... ولا يجوز ان تضيع بقية الدول العربية من أجل فلسطين .

ومسئولون بأحلامنا الكاذبة ...

ومسئولون ... لان المتفرجين منا كانوا أكثر من المقاتلين

ومسئولون لألف سبب وسبب ...

فلتكن هذه الذكرى عبرة لنا ، وصحوة ندرك فيها انه ليس لنا الا مصير من مصيرين : الوحدة التى تجلب النصر ، أو الفرقة التى تنتهى بنا جميعا الى الضياع .

اما نكون ابدا ...

او لا نكون ابدا !

وعلى طريق النصر تكتب هذه الايام حدثا من اجل احداث التاريخ العربى ، هو لقاء مصر وليبيا فى ظل دولة واحدة ٠

واذكر فى هذه المناسبة ، اننى لم اسعد بزيارة ليبيا حتى الآن ، على وفرة رحلاتى حول العالم حتى القطب شمالا ، واليابان شرقا ، وامريكا غربا ٠

ولكننى اذكر اننى كنت اصطاف فى بعض الاعوام - واظنه عام ١٩٥١ - فى مرسى مطروح ٠ وقال رفاقنا : لنذهب الى السلوم ٠

وذهبنا ، ووقفنا على حافتها نطل على « كابوتزو » ... وهى بلدة صغيرة داخل حدود ليبيا ، متاخمة للسلوم - اخر

الرئيسان انور السادات ومعمر القذافى - على طريق النصر





محمود سامي البارودي

حدود مصر ـ فرأينا ضباط الحدود المصريين والليبيين يشربون الشاى معا ، وكأنهم اسرة على مائدة واحدة ٠

وكانوا كراما ، فدعونا الى الشاى ، وراحوا يحدثوننا عن ذكريات الحرب العالمية الثانية فى هذه المنطقة ، وعن البيت الذى فى كابوتزو ـ (ولعله لايزال قائما) الذى كان القائد الايطالى يسكنه ايام معركة « العلمين » ٠٠٠ وكيف رسم الايطاليون ـ وهم فنانون بطبعهم ـ لوحات جميلة على جدرانه ٠

وتمنينا لو رأينا هذا البيت ولوحاته ، لولا اننا لم نكن نحمل جوازات سفر ، ولا تأشيرات دخول الى ليبيا ٠

وقلنا لهم هذا ٠٠٠

فهب ضابط ليبى مغضبا ، وقال :

ـ وهل انتم فى حاجة الى جوازات وتأشيرات ؟ ادخلوا ٠٠٠ ادخلوا كما شئتم ٠٠٠ والى اى مدى تريدون ٠٠٠ انها بلادكم !



احمد عرابى

ودخلنا ، ورأينا البيت ، وهممنا بالعودة ، لولا انه هو ورفاقه اصروا على ان نواصل الطريق ـ داخل حدود ليبيا ـ لنقف على مزيد من ذكريات الحرب فى طبرق والبردية ٠

وعدنا فى المساء ، وانا اسائل نفسى : هل يجىء اليوم الذى يدخل فيه اى عربى اى بلد عربى بهذا الاسلوب الجميل ؟

وذكرت يومئذ حكاية قرأتها فى تاريخ الحركة العرابية :

عندما شاءت قسوة القدر أن ينهزم العرابيون ، أعلن عرابى لرفاقه أنه سيستسلم وسيذهب الى ثكنات العباسية ، ليسلم نفسه وسيفه للقائد الانجليزى ٠

أما صاحب السيف والقلم ، محمود سامى البارودى ، فقد رفض هذه الفكرة ، وحاول أن يقنع عرابى بأن الاستسلام هزيمة أكبر من الهزيمة ، وأن الرأى أن يجمعوا فلول الجيش المصرى ، ويضيفوا اليه ، ويسيروا الى ليبيا ، ويدعوا اخوانهم الليبيين الى الانضمام لصفوفهم ، ويعيدوا تنظيم هذه الصفوف ، ويعودوا جميعا لمحاربة الانجليز من جديد ٠

ولكن عرابى رفض الفكرة ، وذهب ، وسلم نفسه وسلاحه

أما البارودى ، فقد أبى أن يذهب معه ، وآثر أن يبقى فى بيته الى أن يأتى الانجليز فيفعلوا به ما يشاءون ٠

اليوم ٠٠٠ تعاودنى ذكرى قصة البارودى ٠٠٠

اليوم ٠٠٠ تتأهب الدولة الموحدة ـ دولة مصر وليبيا ـ لحشد قواها للذهاب الى المعركة من جديد ٠

وعلى ذكر حديث الوحدة

يسعدني أن أتوجه بتحية عربية خالصة الى صديقين كبيرين ، أفنيا أجمل سنوات العمر خادمين أمينين للقضية العربية ، هما الاستاذان عبد الخالق حسونة ، أمين الجامعة العربية السابق ، ومحمود رياض ، أمينها الحالى ·

عرفتهما زهاء عشرين سنة ، فأصبحت لى دالة عليهما أن أطلب الى كل منهما أن يتحدث الى قراء « الهلال » عن الجامعة ، فبهذه الدالة ، طالما ظفرت منهما بأحاديث لزميلتنا « المصور » خلال هذه السنوات العشرين ··· منذ أن تولى عبد الخالق حسونة أمانة الجامعة ، ومنذ أن كان محمود رياض ضابطا مرموقا فى غزة ، ثم سفيرا لمصر فى سوريا ، قبيل الوحدة الاولى ، التى كان هو من أول الساعين اليها ·

عبد الخالق حسونة



محمود رياض



أما محمود رياض ، فلم أسع اليه حتى الآن ، لأنه لايزال يطوف بالدول العربية ، فى جولة للدراسة المتعمقة ، ولا سيما أن بينها دولا لم يزرها من قبل ·

وليس من الحكمة أن أسأله قبل أن ينتهى من جولاته ، ويستقر فى مكانه ، ويضع لجهاز الجامعة التنظيم الذى يرتئيه ·

وأما عبد الخالق حسونة ، فبابتسامته الراضية دائما ، قال لى : لقد آليت على نفسى ألا أتحدث قبل انقضاء ستة أشهر على مغادرتى للجامعة ، وبعدها ·· سأحدثك كما شئت ·

ولم يسعنى الا أن أحترم هذا الصمت ·

على أننى أعتقد أنه صمت مثمر ، وأكاد أقطع بأن عبد الخالق حسونة متفرغ طوال هذه الاشهر الستة لكتابة ذكرياته عن الجامعة ، وهى ذكريات حافلة بالاسرار والخفايا والدهاليز والسراديب ·

وأقول ـ وأنا أعرف حصافة الرجل ـ انه قد لا ينشر هذه الذكريات على الناس قريبا ، كما سيفعل أو ثانت ، أمين الامم المتحدة السابق ، ولكنه يكتبها الآن ··· للتاريخ ·

صاحب الذكريات العارية



د . سيد
أبو النجا

« ذكريات عارية » .. اسم جرىء لكتاب جليل ، مؤلفه كاتب وصحفى ومحاسب واعلانى وادارى وأستاذ جامعى من طراز نادر ، هو استاذنا الدكتور السيد ابو النجا ، دعامة « دار المعارف » .

وانا استمتع اكثر ما استمتع فيما اقرأ ، بكتب الادب ودواوين الشعر .

ولكنى اقر بان هذا اول كتاب من غير هذين اللونين ، قرأته بمتعة اكبر من متعة الادب والشعر .

الكتاب يكاد يكون ترجمة لحياة صاحبه ، وحديثا جميلا عن قصة من قصص الكفاح والنجاح .

وكنت أود ان انقل الى القراء كثيرا من حكايات هذا الكتاب ، لانها حكايات رائدة ومرشدة ، لولا اننى خشيت – لو رويتها – أن افسد على القراء متعتهم بقراءة هذا الكتاب برمته .

ولهذا اكتفى بهذه الحكاية العارية ... العارية من اجل الحق ، ولوجه الله والعلم :

« ويذكر صاحبنا انه اشترك فى اللجنة التى وضعت برامج كلية الادارة والمعاملات بجامعة الازهر .

« وكان احد الشيوخ عضوا فى اللجنة ، فاشترط ان تنبعث البرامج كلها من القرآن ، فيقول المحاضر « واذن فى الناس بالحج » اى « اعلن لهم » ... ثم يتكلم عن الاعلان فيقول « يا أيها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه » . ثم يتكلم عن السندات الاذنية ...

« واشتد الضيق باحد الاعضاء فى اللجنة فقال مستطردا : « والنفاثات فى العقد » ثم يتكلم عن الطائرات النفاثة ...

« فثار الشيخ لهذا التعليق الساخر ، ووقف يعلن انسحابه من اللجنة .

ولكن صاحبنا تدارك الموقف ، وهو محسوب على أهل الدين لان والده منهم ، فقال انه لا يأتمن الاساتذة التجاريين على الدين ، وانما يأتمن الشيوخ وحدهم عليه ، ولذلك يقترح ان تسير الدراسات التجارية والدراسات الدينية فى اتجاهين متوازيين ، فيدخل الاستاذ التجارى ليتحدث عما هو كائن ، ويدخل الاستاذ الشيخ ليتحدث عما يجب ان يكون

« وهكذا انحلت العقدة واعتمدت البرامج » !

ص : ج



محمود البدوى

● قصة قصيرة ●

طلقة فى الظلام

كانوا ثمانية خرجوا فى الظلام من مدينة «العريش» والعدو على مبعدة ثلاثة كيلو مترات منها . وهدير القصف يسمع فى كل مكان .

وعندما تجاوزوا حدود المدينة . وجدوا خلقا كثيرا يتحرك مثلهم الى الغرب ..

واكتسحت الجموع الطريق الضيق .. كانوا يسيرون فى مشقة ..

كانت الحرب تتحرك بسرعة رهيبة . والحياة نفسها تتحرك فى قلوب هؤلاء المشردين بسرعة ولهفة .

وكانت السيارات قد اختفت عن المنطقة كلها،

والطريق المألوفة قد خربت بالقنابل

وساروا على وجوههم .. وكانت الارض والسماء ملفوفتين بالدخان . والنار والطيور تطير مذعورة ، وريح الصيف تزفر نارا وبخارا .

وكان القلق يعصف برءوسهم ..

وظلوا يسيرون طوال الليل ، والقنابل تتناثر حولهم، ودوامات الرمال تثور فى وجوههم ، والفراغ الرهيب الذى يحدث من الانفجار ، يعريهم من ثيابهم، ويطير متاعهم من أيديهم .

***

ورغم تفكك الجموع ، ظل الثمانية كما هم .

وكانوا جميعا من الموظفين المصريين الذين يعملون فى « العريش » ومن بينهم سيدتان .

ورغم تزايد عدد الرجال على النساء فى

هذه الرحلة الرهيبة ..

فقد استراحت المرأتان الى الصحبة .

ولم تكن بين هذه الجماعة اية علاقة عمل او جوار . ولكنهم اجتمعوا على الطريق لغرض واحد .

وساروا اولا حذاء البحر ، والنخيل الكثيف الثابت فى الماء على يمينهم يتمايل ، ويلطف الجو كله . فلما جاءتهم الانباء بنزول الاعداء من ناحية البحر غيروا اتجاههم ودخلوا فى الصحراء .

وبعد نهار خانق وشمس حامية ، ورمال حارقة . عثروا فى الليل على سيارة قديمة . وقبل سائقها بعد مساومة طويلة ، وبعد الضراعة ، وكل ضروب التوسل .. قبل أن يحملهم الى القنطرة شرق . وهم وحظهم فى العبور !.

وتقاضاهم الاجر مقدما قبل ان يضعوا اقدامهم فى العربة .

وقال السائق القصير العنق ، المنمش الوجه ، الاحمر الشعر ، بعد أن تحرك بالسيارة فى طريق ملتو يعرفه امثاله :

ـ سنتعرض فى الطريق للتفتيش . فقد نزلوا بالمظلات وهم الان امامنا . ونظر للسيدتين بخبث فالتهب وجهاهما .

ثم اضاف :

ـ وارجو الا يكون معكم سلاح . والا تعرضنا للمهالك .

فلم يرد عليه أحد . كان الانكسار قد سحق مشاعرهم ، وجمد احساسهم ، فلم يعودوا يعبأون بأى شىء يقع لهم . وكانوا قد خرجوا من بيوتهم دون أن يتزودوا بزاد الطريق . حملوا نقودهم فقط ..

وتركوا كل شىء آخر ، ومنهم من نسى حتى ذلك

ولم يجدوا على الطريق من يبيع لهم الماء . وشكروا الله لانه ليس معهم اطفال .



وبعد سير بطيء أسرع منه المشي على القدم ، وفي جو الحرب والقصف فاجـاتهم غارة مروعة فخـرجوا جميعا من السيارة ، وطرحوا على وجوههم ، يدفنـون اجسامهم في التـلال الرملية المحيطة بهم ..

***

ولما فتح « اسماعيل » عينيه وافاق من غشيته

وجد « أمينة » وحـدها هي الباقية من الثمانية .

ولم يعـرف أين ذهب البـاقون . غيبتهم

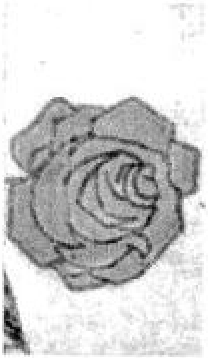
الصحراء في جوفهـا أم مزقتهم القنابل ؟

وشكرت امينة ربهـا لانها وجدت رجـلا بجانبها في الليـل والحرب . وكانت قـد

استراحت الى «اسماعيل» منذ ركبت معه السيارة، استراحت الى اعصـابه الهادئة وجلده . واشتمت من ملامحه وطبـاعه النبل . ولم تكن فراستها تخيب ابدا في نظرتهـا الى الرجل .

فمنذ بدأت تعمـل وتخرج الى الحيـاة ، وتنتقل من بلد الى بلد ، وهي تحمل بين جنبيهـا ذخيرة تجارب صادقة .

ولم تكن ، وهي الانثى الشابة الجميلة الى حد



الفتنة ، ترفض البعد عن

الاهل في سبيل العمل ، والحصـول على رزق

أوسع .. وكانت بعـد « العريش » تتطلع الى

العمل في الكويت ... وليبيا .. والسعودية .

لتجمع لاسرتها من المال ما يبنى لهم بيتا ، أو

« فيللا » جميلة بدلا من السكن بالايجار .

ولكن أحلامها أوقفتها الحرب عند وجـه « اسماعيل » .

وتطلع اليها في غبش الظلمة . والصحراء في

لون الرماد . والطلقات تصفر .

وقال بتؤدة وهو يتألم لما لاقته في سفرها من عذاب :

– يجب أن نخرج من هذا المكان ، ونسرع ما

أمكن .. وكنت أود أن يعطيني الله القوة لحملك

وما أحسبك ثقيلة في الوزن .

ابتسمت رغم الضنى وقالت :

– في حدود ستين كيلو .. !

– ليس هذا بالصعب انه وزن استطيع حمله

والسير به عشر خطوات

ونظر الى عينيها على اتساعهما تلتمعان في

الظلمة . وقد هزتهـا كلماته الداعبة في هذا الجو ..

وقال وهو يجلس على الارض :

– يجب أن نتخفف من

حملنا لان المشوار طويل .. وسابدا بنفسي !

وفتح حقيبته ، وأخرج حاجات قليلة وضعها في

جيبه . وألقى بالحقيبة وما بقى فيها في الرمال

وقالت بعد أن شاهدته يضع مسدسا في جيبه :

– أكنت تحمل المسدس

.. بعد أن حذرك السائق من التفتيش ؟

— المسدس حملته من أجلك .. ومن كان يضع يده عليه كنت سارديه قبل أن يتحرك له أصبع

فانشرحت الموله وقالت فى رقة :

— ولكنك ستموت بعدها ..

— وما قيمة الموت للمرء ، بعد أن يشعر بأنه أدى واجبه كرجل!

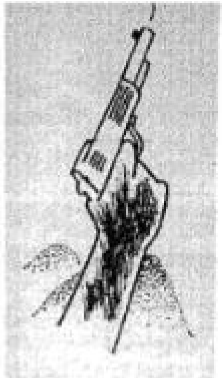
وقال وهو يشير الى حقيبتها :

— والآن جاء دورك !

فقالت وهى تفتح الحقيبة :

— انظر ليس بداخلها سوى أشياء قليلة . ما تتزين به النساء . ونقودى وجواهرى، اما ملابسى كلها فقد تركتها فى البيت ، وليس معى سوى فستانى الذى ارتديه .

وتأمل فستانها الوردى ، الذى كان لا يزال منسجما على جسمها ، رغم رحلة العذاب . وكانت رشاقتها تنبع من حيوية جسمها . فبعد التمرغ فى الرمل يبدو كل شىء بعد لحظات بكل جماله



الطبيعى . الوجنتان والعينان والشفتان كلها تفيض بالحرارة والفتنة

وكانت قد غطت شعرها الاسود المتموج بوشاح، وخلعت ساعتها الذهبية . كما خلعت حذاءها. وأبقت سلسلة ذهبية فى عنقها لان فى نهايتها « المصحف »..

واعطاها جوربه وهو يقول :

— البسى هذا ، وستسير فى الليل وفى بكائر الصباح .. اما فى وهج الشمس فستتوقف عن السير . وتحتمى فى أى مكان تراه صالحا .

ووضعت يدها فى داخل حقيبتها، واخرجت منها حزمة من الاوراق المالية وقالت له :

— ضع هذه النقود فى جيبك ..

— خليها فى مكانها ، وسأحمل عنك الحقيبة بمافيها. ولكن ما هذا المبلغ كله ؟

— كنت ذاهبة الى « غزة » لاشترى ثلاجة وتليفزيون ، وأدوات مائدة لاختى . والحمد لله لو ذهبت ما استطعت العودة .

— خذى هذا المبلغ احتياطا للظروف ،فربما طوقونا وفصلوا بيننا .

— معى ثلاثون جنيها

— أين ؟ !

واستغرب فلم يكن لثوبها جيوب . واشارت الى صدرها فى خجل .

— يا لبراعة النساء

وابتسم والليل تبدو غياهبه فى كل موضع .. وبقيت النجوم وحدها تتلألأ فى السماء بين الدخان ولهب الحرب .

وحمل لها الحقيبة وسارا . وعجب — وهو يسير الى جانبها فى الليل والحرب — لما احس به .. فقد شعر بقوة لم يشعر بمثلها فى جسمه . وكانت الريح

الخفيفة تحرك الرمال · ولكن سماء شهر يونية بدت صافية كلما خف الدخان ووهج النيران ·

وشعرا معا ، بوجود جسم رمادى يتحرك عن بعينهما ، على مبعدة مائة خطوة لا أكثر · ثم تبينا انها سيارة عسكرية للعدو · وكانت تسير ببطء شديد فى طريق متعرج ، وتتوقف لتسير ·· ولعلها ترسل الاشارات ·· واحس « اسماعيل » بالخطر · فامسك بيد « امينة » وجذبها الى الارض ·· فانبطحت بجانبه فى رملها وترابهما · وهمس فى اذنها ·· فكتمت انفاسها ، والتصقت بالرمل اكثر واكثر ·· وتخشبا تماما · ووضع يده على مسدسه ، ثم تركه بعد ان تبين انها مخاطرة ، فيها من الطيش اكثر مما فيها من التعقل · وما ذنب « امينة » فهى ان نجت من القتل لن تنجو من العار ·

وامسك بيدها وضغط واحس بالحرارة والعرق والتراب والرمل· انهما ترابه ورمله · ولن يخوناه ابدا ·· وراقب السيارة بعين الصقر حتى ابتلعتها الصحراء فى جوفها ·

***

وانهضها واستأنفا السير ··

ولم يكن يدرى اهى خائفة ؟ كما تخاف النساء من الليل والحرب أم لا · ولكنه كان مستيقنا من أنها شجاعة ، وأنها سريعة الخاطر ومتحركة ·· وتبين له هذا من كل الأشياء التى اعترضتهما فى الطريق ·

ولم يكن يسير فى طريق يعرفه ولكنه كان بحسه يتجه الى القناة، بعيدا عن طريق الحرب ·· وعن جوف الصحراء حتى لا يضل فى التيه ·

سار على هدى بصيرته مستغشيا بالنجوم · وسارت بجانبه مطمئنة راضية · ونسى تعبه وجوعه ، ونسى قدميه وقد اخذتا فى التورم · ولم يكن يدرى الذى جرى لقدميها ولكن كانت تتحمل العذاب فى صمت ·



واحس بأن له هدفا وسط هذه المعمعة التى لم يشترك فيها بسلاح . وهو ان يهون عليها السير ، ويحميها من شر الليل ، وشر الانسان .

***

وقبل الفجر بساعتين استراحا بجانب تل ، بعيدا عن كل قدم يمكن أن تتحرك . ووضع لها الحقيبة تحت رأسها الذى عصبته بوشاح .

وتمددت على الرمال وهو قريب منها .

ولما شعر بأنها نامت، وأحس ببرد الليل خلع سترته وغطاها فى رفق حتى لا توقظها حركته .

ولكنها كانت متيقظة، وشاعرة براحة النفس ، واطمئنانها لانها لا تزال حية . وفى رفقة رجل أدركت بغريزتها كل ما فى طباعه من نبل وشهامة . وان لم يحدثها أحد عن ذلك . وكانت تلاحظه بعينيها . وهو على مبعدة خطوتين منها. وتخاف عليه من حشرات الصحراء فى الليل .

نسيت أنها فى حرب. وما يأتى ساقطا من السماء هو شر من كل حشرات الارض ولاحظت انه لم يدخن حتى فى النهار . وضوء السيجارة لا يشير فى هذه الساعة .. ولا يكون دليلا للاعداء . حرم نفسه من هذه المتعة لاجلها ، حتى لا يضايقها برائحة الدخان ويثير أعصابها وهى جائعة تعبة ..

كان قميصه قد اتسخ، وتهدلت بذلته وعلق بها العرق والغبار . وطال شعر ذقنه وبدا خشنا . وعلا الشحوب وجهه ، واتسعت عيناه من الارهاق والجوع .

كانت الصورة فى مجموعها تثير الشجن ، ولكنها شاقتها .. كانا فى حالة عذاب مشترك وقد سرح بها خيالها حتى جعلها تتصور . انه فى هذا الطريق الشاق من اجل ان يحميها . ولو كان وحده لسهل عليه الامر . ونجا ..

وفتح عينيه ، وهى تمشط شعرها ، ورأى حبات الرمال فى لون الزمرد عالقة بثوبها كأنها تطريز جديد عمل فيه بدقة . فعجب للطبيعة التى تزيد من



جمالها فى كل ما تفعله بها .

وقالت بعفوية ..

ـ الا تحلق ذقنك ؟

وضحك لداعبتها وقال :

ـ وينقصنا الحمام ايضا، ومرآة زينة كبيرة له . وكل العطور الجميلة التى فى العالم. والآن هيا .. مع الجوع والعطش .

ومشيا بعد طلوع الشمس على مهل . كانا ينزعان اقدامهما من الارض بمشقة .. واشتد بهما الجوع وبلغ العطش مبلغه . فظهر الشحوب على وجهيهما، وابيضت الشفاه وتشققت . بصعوبة . ولكنهما كانا من الشجاعة بحيث لم يتطرق الى قلبيهما اليأس .

ومشيا اقل من مائة خطوة . ثم ارتميا على الارض كميتين . واغلقا عيونهما من الشمس واخذ هو يتشهد فى سره ..

***

وتحرك اسماعيل بعد ساعة ، وفتح عينيه وشاهد على مرمى البصر .. وفى وهج الرمال الصفرة من الشمس ، خيطا من الدخان يتصاعد من ظهر كوخ ، فنبه « أمينه » الى ما شاهده وهو يشعر بالفرح ، فقد وجد خيطا من الامل وسط ظلام اليأس والجوع القاتل ..

وجعلها تستريح فى مكانها ، واتجه هو نحو الكوخ ، محاذرا منهوكا .. ولما اقترب تصلبت رجلاه ، ويده على المسدس . كانت تحدق فيه من فتحة الكوخ عينا رجل . وجه نحيل خشن وحاجباه كثيفان .وعيناه فيهما صرامة وتحد .

واظهر اسماعيل كل ضروب الوداعة واللطف وهو يقترب من الرجل ويقف على بابه . ويطلب منه الماء والطعام ...

وحمل « اسماعيل » الخبز واللبن فى ركوة ومنديل ... عاد الى امينة وحكى كلاهم لهما وهما يجلسان للطعام .

وبعد أن أكلا وشبعا لم يستطيعا مواصلة السير الا قليلا. جعلهما الشبع بعد الجوع القاتل فى حاجة شديدة الى النوم ، فناما فى فجوة منخفضة .

واستيقظ اسماعيل وأمينه « نائمة » بجواره وتكاد تكون ملاصقة له .. وقد جعله الطعام الذى اجرى الدم فى عروقه وغير من حاله ينظر اليها لاول مرة كما ينظر الرجل الى المرأة .. ويشتهيها .

وكانت نائمة مستسلمة وما تكشف من جسمها رغم ما علق به بسبب الطريق . كان لا يزال يثيره ولو اقترب منها ما مانعته ، ولا رفضت له رغبة . ولقد لفتهما الحرب فى اعصارها والموت يترصد لهما فى كل خطوة. فلماذا يحرم نفسه من متعة الدنيا ، وحياته مهددة بالموت فى

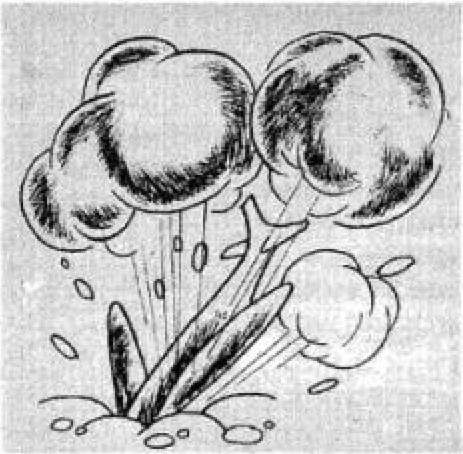
كل لحظة ..

وهم بان يقترب منها ولكنه احس بمثل الاعصار يشق عينيه . فظل جالسا مدة في مكانه ساهما سادرا .. ثم رجع الى نفسه يلومها على ماانتابه من هواجس وادرك انها كانت تحتقره لو فعل بها شيئا .. تحتقره كرجل ، لانه استغل ظروف المكان وخان الامانة التي جعلتها تضع نفسها ومالها وجواهرها في حماه ..

ولما استيقظت من نومها .. ابتسم لها ، وامسك بها من يدها ، واتجها الى القناة .

وفاجأتهما غارة عنيفة وهما على مداخل القناة .. وغاب « اسماعيل » عن وعيه .

ولما افاق احس بأثر الضربة في صدغه . ولا يدري أكانت من شظية أم من الحصى المتطاير من فعل القنبلة . وسال منه الدم ولكنه تحامل على نفسه ونهض واخذ



يبحث عنها كالمجنون .

وبعد طول البحث لم يعثر عليها . وادركه اليأس وبلغ منه التعب منتهاه . فارتمى على حافة القناة وكأنه يموت

***

ومضت ساعات وهو مضطجع بجانب التل يتابع بعينيه موج البحر، وكان شهاب من نار ودخان يتفجر في الصحراء .

وظل « اسماعيل » الليل بطوله يسمع الدوى ويرقب البحر وهو في اشد حالات الحزن لفراق « امينه » وقد نهش قلبه القلق عليها ولفه في اعصار .

ورأى في مواجهته زورقا يقترب من شاطىء القناة بحذر. فنهض في تثاقل وتعب . واخذ يتجه اليه ولمحه الصياد، وهو يسير على الشاطىء، فحرك الزورق ليقترب منه

وقال له اسماعيل :

ـ تعديني القناة يا ريس ؟

ـ أعديك .. ولكن انت شايف الحال .

ـ أي حال ؟

ـ اليهود في كل مكان في الشمال والجنوب وطائراتهم تدك والتعدية مخاطرة ، وثمنها غال.

ـ انا مستعد لما تطلب ٠

ونزل « اسماعيل » فى الزورق وشد الصياد المجاديف ٠٠ واضطجع اسماعيل فى باطن الزورق من الخلف، وهو يحس بتعب شديد فى عظامه ولحمه ٠ كانت الاوجاع قد اخذت تتوزع على جسمه كله ٠ ورأسه ينفجر من أشد انواع الصداع ٠ فوضع رأسه على الخشب الصلب ليغلقه نصفين ويستريح وظل نائما على جنبه ، وظهره الى الصياد الذى كان يجدف فى حذر وسكون ٠ وتكاد مجاديفه لا تمس الماء ولا يسمع لها صوت ٠

ولاصطدم «اسماعيل» بالمصادفة معدنا صلبا صغير الحجم ٠ وهو يدس يده بين فتحات الخشب فى باطن الزورق ٠ وجعله حب الاستطلاع يفرسه بين اصابعه ٠ حتى تبين انه سلسلة ناعمة خارجة من فتحة فى صندوق ٠ غيبه الصياد فى باطن الزورق ٠٠ وحدق اسماعيل فى الظلام - بين شقوق الخشب فلم يتبين نوع السلسلة فحول وجهه الى الصياد وسأله :

ـ أمعك ثقاب « ياريس » ٠

ـ لماذا ؟

ـ اشعل سيجارة ٠٠

ـ السيجارة تضيعنا، اننا فى حرب !

فاذعن اسماعيل للامر ٠٠ وصرف ذهنه عن السلسلة والصندوق ، بعد ان ادرك انالصندوق موجود غالبا فى كثير من الزوارق التى تبحر فى البحر ٠

وسال وهو يتطلع الى وجه الصياد الجامد ٠ وكان يراه طويلا مستقيم العود ٠ رغم انه يزاول التجديف كثيرا ويحنى جذعه ٠

ـ عديت ناس كتير يا ريس ؟

ـ كتير ٠٠ من يومين وانا اعدى خلق !

ـ وتحت اى بلد نحن الان ، الاسماعيلية ام السويس ؟ ٠

ـ اننا فى الخليج قريبا من السويس ٠ ولو كنا تحتها كنا ضعنا من زمان ٠

ـ الم تعدى سيدات ؟

وحدق اسماعيل فى وجه الصياد ، وهو يلقى عليه هذا السؤال ، فرآه جامدا لم يتغير ٠

ـ سيدات فى هذه الاهوال ، ابدا ٠

كان صوته هادئا وواضحا ٠

ـ بقى كثير على البر ؟ ٠٠

ـ اننى احاول ان ابعدك عن الخاطر ٠٠ ولذلك تحس بطول المسافة٠ قربنا٠ امامنا القليل ٠

ـ سأنام وعندما نصل ايقظنى ٠

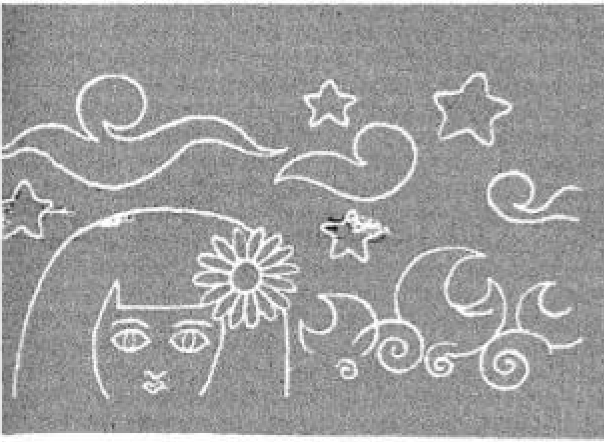
ـ حاضر ٠

ومضى زمن ٠٠

٭٭٭

وعندما صعد الى شارع القناة كان الظلام لا يزال يخيم ٠ والمدينة ساكنة بعد ان توقف الضرب ٠ ووجد «امينه» جالسة تحت الشجر وحدها تنتظره ، وكانت حزينة وجائعة ونعسانة

ولما رأته استردت روحها ، وجرت اليه وارتمت على صدره ٠٠



ليلة صيف

اطل ركب الصيف　　من شرفة السحر
على رعايا .. الوف　　فى ساحة البحر
وعالم من طيوف　　من امسنا تسرى

فيها هوى ولى
فى قصة عجلى
لم تبق لى الا
شجون ليلة صيف

***

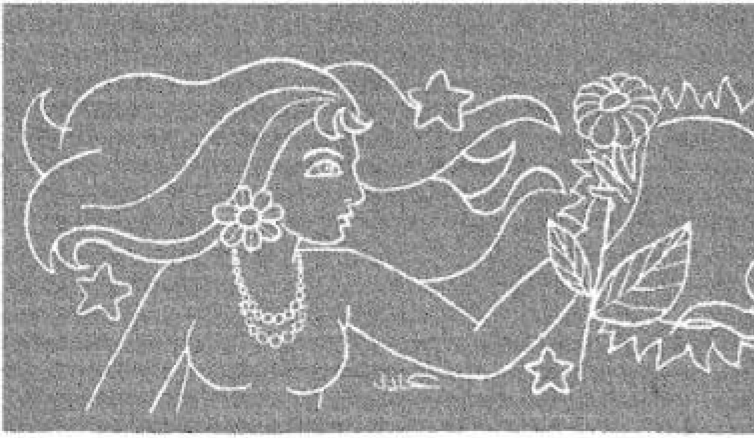
مظلة حمراء　　كوردة الرمل
مدت بها الحسناء　　سجادة الظل
اصغت على استحياء　　واستهولت سؤلى

لما جلست اقول
لحسنها المذهول
سر الحنين الطويل
للقرب ، ليلة صيف

***

ثم التقت مهجتان　　فى لعبة الاقدار
كما دنت نجمتان　　كلتاهما فى مسار
او التقت موجتان　　فى دفعة التيار

ادوار حنا سعد



هو السرور الراع
على وجود ضياع
فيه اللقاء وداع
وغمر ليلة صيف

***

يا طعنة اليأس — فى ساحة الصدق
عرف رمى نفسى — فى هوة الرق
سى على شمس — لا افقها افقى
ولا غدى المأسور
فى قبضة المقهور
يسلو نداء النور
وطيف ليلة صيف

***

طيف كهمس العتاب — وكالعزاء ... رقيق
له وراء الضباب — وفى الغيوم بريق
فان اتى العذاب — وشب فيه الحريق
ضجت بقلبى الشكايه
فيم انتهاء الروايه
ولم تزل فى البدايه
لقاء ليلة صيف

● الاسكندرية ● انوار حنا سعد ●


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم الانتاج العربي المشرف للصناعة العربية
أحدث إنتاج على أسس علمية
مصنوع من الصاج المطلي بالمينا
شوايات
للحوم والدواجن
مقاسات وأحجام مختلفة
جذابة
اقتصادية
تعمل:
بالكهرباء
بأنابيب البوتاجاز
بالفحم
لاقت الشوايات اقبالا في الدول العربية الشقيقة
والشركة على استعداد للتصدير لمختلف بلاد العالم خصوصا الدول العربية الشقيقة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي / المحضرة - الاسكندرية
معرض البيع : ٤٥ شارع صفية زغلول بالاسكندرية

هل تعرف من القائل؟

١ – قم الى الابطال نسمح جرحهم لمسة تسبح بالطيب يدانا

قم نجع يوما من العمر لهم هبه صوم الفصح.. هبه رمضانا

*

● الشاعر القروى – المهدى الجواهرى – الاخطل الصغير

***

٢ – ان رفض المديح ليس فى غالب الاحيان سوى رغبة فى استجلاب مديح مضاعف .

*

● جورج برناردشو – لاروشفوكو – ابراهيم المازنى

***

٣ – كاتب القصة – فى نظرى – له نصيب من الالوهية البشرية

*

● محمود تيمور – تشارلز ديكنز – يوجين أونيل

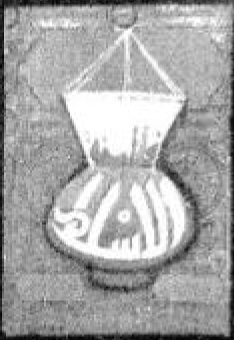
● الاجوبة ●

١ – الاخطل الصغير

٢ – لاروشفوكو

٣ – محمود تيمور

● الغلاف الأول ●

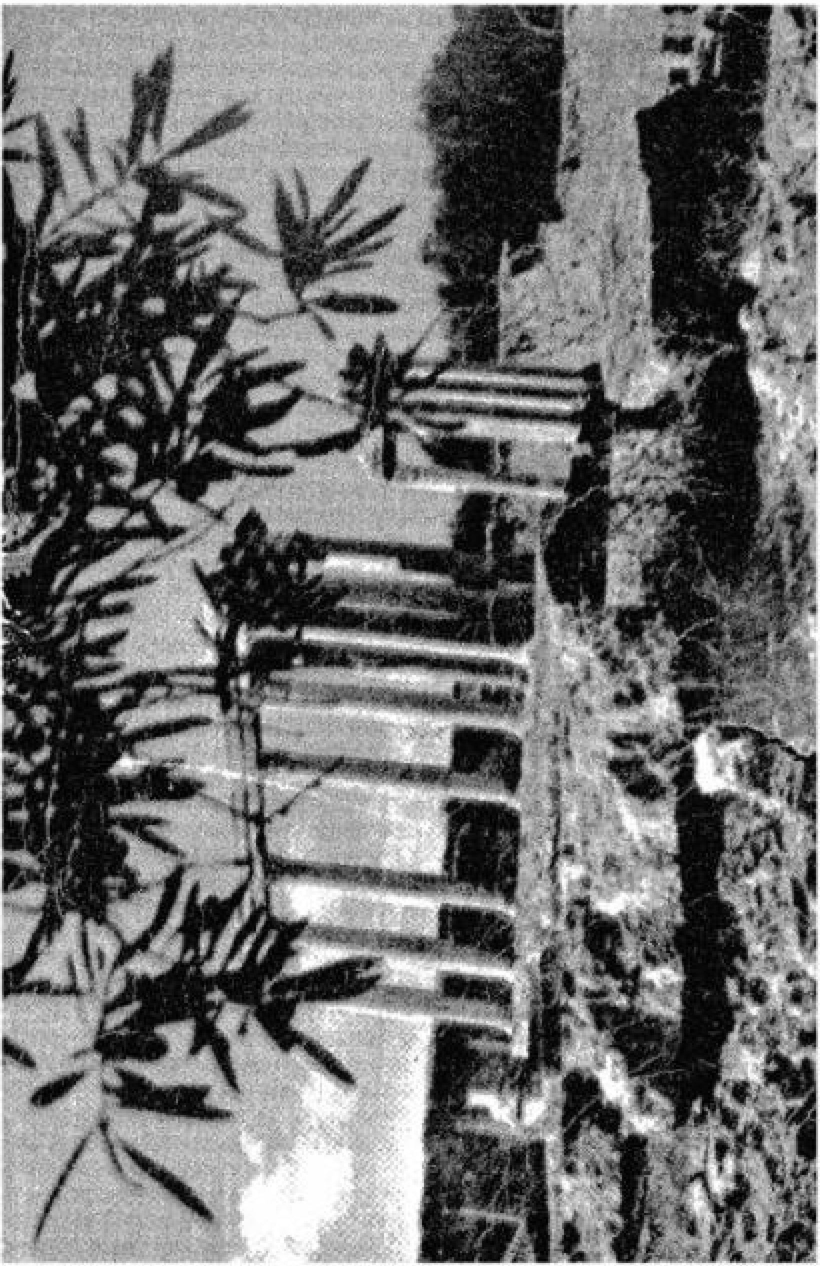


فلاسفة الاسلام . لوحة للفنان جمال قطب

● الغلاف الأخير ●



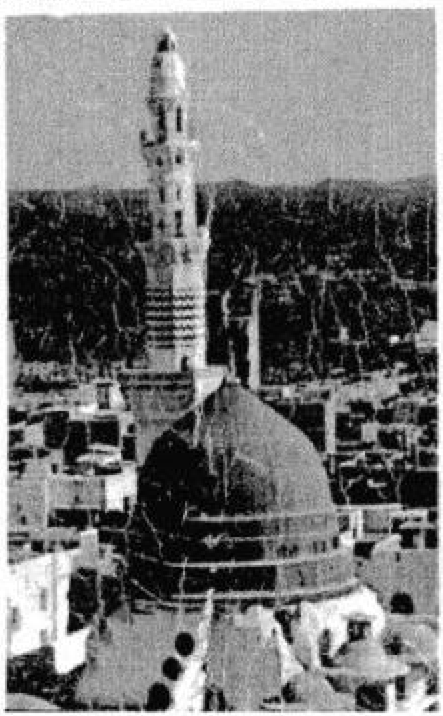
اطلال معبد فى الدوجة من القرن الثالث الميلادى – فى تونس



الهلال

عدد خاص

النبى



الهلال

أكتوبر ١٩٧٢

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال –
العدد العاشر –
السنة الثمانون –
اول اكتوبر ١٩٧٢ –
٢٣ شعبان ١٣٩٢

رئيس مجلس الإدارة
يوسف السباعي

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفني
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم – من الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٢٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : ١٢٥ عددا ، فى جمهورية مصر العربية وبلاد البريد العربي والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات او ٢ جـ ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل الصرف فى ج . م . ع – والأسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط) .

د. عبد العزيز كامل :
الرسالة في محنة

في هذا العدد



فكرى اباظة :
متصلا بعلوم الازهر

د. عبدالحليم محمود :
جوهر الدين

بسم الله الرحمن الرحيم



■ كلمة الهلال

وما أجمل – ونحن فى ارتقاب ايام رمضان المباركة – ان تكون الكلمة عن النبى الذى نزلت عليه رسالة القرآن فى مثل هذا الشهر، هدى الناس ، وما كان احوجهم للهدى ، وما اشد حاجتهم الى التذكرة بالهدى فى كل عصر ، كلما صرفتهم الدنيا عن الدين ، وطغت المادة عندهم على الروح ، واستدرجتهم الايديولوجيات المستحدثة الى مهاوى الهرطقة والافك .

ان رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ليست مجرد دعوة دينية، وانما هى قبل ذلك وبعد ذلك اول دعوة ايديولوجية عالمية نزلت على الناس ، قبل ان تظهر اية ايديولوجية من الايديولوجيات المعاصرة

ومع هذا ، فان اية من هذه الايديولوجيات المعاصرة ، لم تستطع ان ترقى الى المستوى الانسانى الذى رقت اليه دعوة الاسلام ،التى نزل للبشر كافة ، لم يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لسان ولسان ، ولا بين ارض وارض ، ولا بين لون ولون ، ولا بين عنصر وعنصر ، وانما جعل الفاضلة بينها بالتقوى ، بينما الايديولوجيات المعاصرة تسقط معنى التقوى – التى هى قوام الخير والحب والسلام – وتلبس فى ظاهرها ثوب الدعوة الانسانية ، بينما تحتوى فى باطنها دعوات العنصرية البيضاء أو الحمراء او الصفراء ، وما ينطوى وراءها من مطامع وشهوات

ان رسالة هذا النبى هى التى فتحت للاسلام ابواب المشرقين ، والغفوة عنها هى التى أسقطت المسلمين فى وهدة ما يعانون اليوم من احتلال وانحلال

فليكن فى هذا الحديث عن النبى تذكرة بالعودة الى الله .. فانها السبيل الى النصر .. « وان ينصركم الله فلا غالب لكم »

● صالح جودت ●

أخلاق النبي

صلى الله عليه وسلم

د. عبد الحليم
محمود
وزير الأوقاف
وشئون الأزهر

سئلت السيدة عائشة – رضوان الله عليها – عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: « كان خلقه القرآن » ..

ومع أن هذا الوصف من أم المؤمنين واضح وضوحا لا لبس فيه، فاننا مع ذلك نحاول له تحديدا نراه ضروريا، وبيانا نراه حتميا ..

ذلك ان الاخلاق القرآنية تحدد الخلق الكريم في حده الادنى، وترسم الفضيلة في درجاتها الاولى، ثم لا يقتصر القرآن على ذلك، وانما يرسم القمم من مكارم الاخلاق، ويوجه الى السنام منها، ويقود الى المشارف العليا من درجات المقربين ..

انه ـ القرآن ـ يتحدث عن المقتصد
وعن السابق بالخيرات
انه يتحدث عن أصحاب اليمين
ويتحدث عن المقربين ، ويبين ان المقربين اقل عـــددا من أصحاب اليمين ، فهم ثلة من الاولين ، وقليل من الاخرين ••
اما أصحاب اليمين فانهم ثلة من الاولين ، وثلة من الاخرين •• على حد التعبير ـ عن أصحاب اليمين ، وعن المقربين ـ في سورة الواقعة ••
ولنضرب لذلك مثالا :
ان مقابلة السيئة بالسيئة عدل ، يقول الله تعالى :
« وجزاء سيئة سيئة مثلها » ••
ولكن القرآن ـ مع بيان عدالة هذا ـ يذكر درجة أعلى من الخلق الكريم ، تلك هي :
درجة : « كظم الغيظ »
وهذا الذي ـ مع مقدرته على مقابلة السيئة بالسيئة ـ يكظم غيظه ، أسمى في ميزان الاخلاق الكريمة من الذي يقابل السيئة بالسيئة ••

من كريم الى اكرم

ولا يقف القرآن عند هذا الحد •
ذلك انه يرسم درجة ثالثة من الخلق الكـــريم ، فيتجاوز « مقابلة السيئة بالسيئة » و « كظم الغيظ » الى « العفو » • والعفو مع المقدرة ، أسمى من « مقابلة السيئة بالسيئة » ، وأسمى من « كظم الغيظ » ••
ثم يتجاوز القرآن كل ذلك الى الدرجة العليا ، درجة المقربين •• وهي الاحسان •• يقول تعالى :
« وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجـره على الله » ••
ويقول تعالى :
« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »
انها درجات من الخلق الكريم ، كلها كريمة ، بيد أنها تتفاوت فيما بينها من كريم الى أكرم ، كتفاوت الناس في الشرف ، من شريف الى أشرف ••

درجات الخلق القرآني

ويحق لنا الآن أن نتساءل :

ما الذي تريده السيدة عائشة – رضي الله عنها – حينما تصفه – صلى الله عليه وسلم – بأن خلقه القرآن ؟..

هل تريد الخلق القرآني الكريم في حده الأدنى ؟

أو تريده في حده الأوسط ؟

أو تريده في حده الأسمى ؟

ويحل لنا القرآن هذه المسألة ، فيحدد – بصورة عامة وبطريقة مجملة – الدرجة التي وصل إليها الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الخلق القرآني فيقول سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« وإنك لعلى خلق عظيم » .

يقول صاحب الشفاء :

« أثنى عليه بما منحه من هباته ، وهداه إليه . وأكد ذلك – تتميما للتمجيد – بحرفي التأكيد ، فقال تعالى :

« وإنك لعلى خلق عظيم »

قيل القرآن ، وقيل الإسلام ، وقيل الطبع الكريم ، وقيل : « ليس لك همة إلا الله » ١ . هـ

قال الواسطي :

« أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه ، وفضله بذلك على غيره ، لأنه جبله على ذلك الخلق » ١ . هـ

وقد تحدث الصحابة والتابعون عن هذه الآية الكريمة ، قال ابن عباس – رضي الله عنهما – معناه : (على دين عظيم ، لا دين أحب إلى الله ، ولا أرضى عنه منه ، وهو دين الإسلام) .

وقال قتادة :

« هو ما كان يأتمر به من أوامر الله ، وينتهي عنه من نهي

الله تعالى ، والمعنى : انك على الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن » أ • هـ ••

يشرح صدور المحبين

ومع ذلك ، ومع كل ما قيل فى هذه الآية الكريمة ، من أنهـا تكريم وتمجيد ، ومدح وثناء ، ومع ايماننا بأنها تتضمن كل المعانى الكريمة التى قيلت ، والمعانى الشريفة التى ستقال ، فاننا نرى أن الامر مازال بحاجة الى بيان الدرجة بيانا تاما •

فقد يتساءل بعض الناس عن هذا الخلق العظيم ، أكان يشارك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيه نبى مكرم ؟ أكان يشاركه فيه رسول مجتبى ؟ ، أكان يشاركه فيه ملك مقرب ؟ ••

ألم يكن سيدنا ابراهيم على خلق عظيم ، وهو الحليم الاواه المنيب ؟

ألم يكن سيدنا اسماعيل على خلق عظيم ، وكان عند ربه مرضيا ؟

ألم يكن سيدنا عيسى على خلق عظيم ، وقد جعله الله مباركا أينما كان ؟

على نبينا وعليهم افضل الصلاة وازكى التسليم •

والملائكة الذين لا يعصـــون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ومنهم جبريل وميكائيل وحملة العرش ، أليسوا على خلق عظيم ؟•

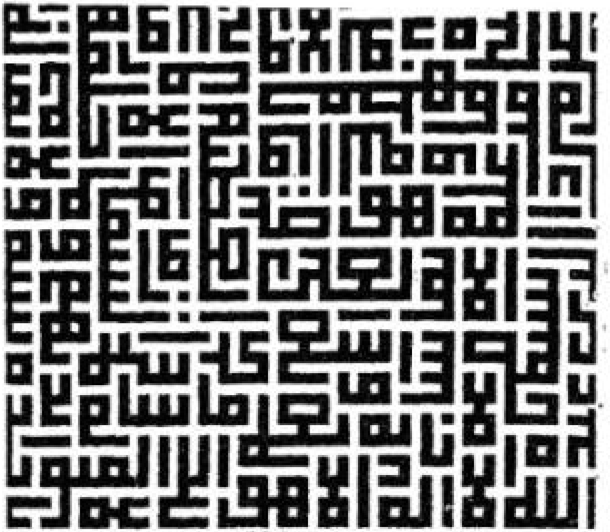
أيشارك أحد من هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى درجته ؟

أيماثلون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخلـــق العظيم ؟ •

ويسعفنا القرآن الكريم بهذا التحديد ، اسعافا يرضى التطلع الى المعرفة ، ويشرح صدور المحبين لرسول الله صلى اللهعليه وسلم •

ليتمم مكارم الاخلاق

ان القرآن يحسم الامر حسما لا يدع فيه مجالا للبس ، ويسفر عنه اسفارا لا يدع مجالا لريب ، يقول الله لرسوله الكريم :



« قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين » ..

هذه الاية الكريمة تحدد درجة الاخلاق القرآنية التي وصل اليها الرسول صلى الله عليه وسلم .

انها ذروتها وسنامها ..

ولقد بعث صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الاخلاق ..

انه صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم المكارم الاخلاقية ..

ليتممها بذاته : بسلوكه

وليتممها بقوله : برسالته

انه لم يبعث لينشر الاخلاق الكريمة فحسب ، وانما بعث ليتمم مكارمها ، ومكارم الاخلاق لم تكن ـ قبل الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد تمت ..

ان اول المسلمين لم يكن قد وجد بعد ، وكانت بذلك مكارم الاخلاق ناقصة ، كان ينقصها أكمل صفة لمكارم الاخلاق ، وهي اسلام الوجه لله اسلاما تاما .

النص الالهي الفريد

ان الكائنات لم تكن قد وصلت ـ لا في نبي مرسل ، ولا في ملك مقرب ـ الى الذروة من اسلام الوجه لله ، والذروة من اسلام الوجه لله او اول المسلمين ـ والتعبيران سواء ـ انما هي الذروة من مكارم الاخلاق ..

ان الكائن الرباني ، ان اول المسلمين ، اولهم باطلاق ،

اولهم بالنسبة للملائكة ، واولهم بالنسبة لبنى ادم ، اولهم قديما واولهم حديثا واولهم الى الابد ، ان اول المسلمين ـ لم يكن قد وجد بعد ..

وكانت الانسانية بذلك ناقصة ، وكانت الكائنات كلها بذلك ناقصة ..

كان الكون ناقصا مادة ومعنى ، كان ينقصه أن تتعطر ارضه بازكى الاجساد ، وأن يتعطر جوه بازكى الارواح ، وكان لابد من وجود كائن بهذه المثابة يكمل الله به الدين ، ويتم به النعمة ، ويرضى رسالته دينا عاما خالدا للانسانية أجمع : هو اسلام الوجه لله ..

وينزل القرآن محددا اسلام الوجه لله وسائل ، ومحددا اسلام الوجه لله غايات ، ومحددا اسلام الوجه لله طرقا واساليب ، ومحددا له بواعث واهدافا ..

ومن أجل أن الاسلام هو اسلام الوجه لله ، والتسليم له ، والاستسلام لما يحبه ويرضاه .

كان من يبتغى غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ..

وكيف يقبل منه ما يتنافى مع اسلام الوجه لله ؟ ..

ان اسلام الوجه لله هو جوهر الدين .

انه دين القيمة .

انه الدين الخالد والنص الوحيد ، النص الالهى الفريد فى العالم كله ، الذى يبين كيفية اسلام الوجه لله انما هو القرآن ..

واذا ما وصل الانسان الى اسلام الوجه لله ، كان بذلك فى ذروة الانسانية وفى الذروة من مكارم الاخلاق ..

الاول باطلاق مطلق

ويتفاوت الناس فى اسلام وجوههم لله ، ولا بد من أن يكون أحدهم أول ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولهم باطلاق مطلق ..

« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين » ..

ولم يصف القرآن بـ « اول المسلمين » شخصا آخر غير الرسول صلى الله عليه وسلم ولو لم يوجد أول المسلمين ، المتمم لمكارم الاخلاق ، ذلك الذى كانت صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين ، لو لم يوجد هذا الكائن الربانى لظل العالم مستشرفا اليه ، ليكمل به ، ولظل العالم ناقصا مادة وروحا ..

فلما وجد ـ صلى الله عليه وسلم ـ انتهت حكمة الله بوجوده وبرسالته الى ما بينه الله تعالى بقوله :

« اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

صلوات الله وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله .

د.

د. عبد العزيز كامل

النبي صلى الله عليه وسلم والعلم

ليلة فى مكة :

منذ عامين ، وبالتحديد فى اوائل شهر شوال ١٣٩٠ هـ ، كنت فى مكة اؤدى منسك العمر بعد عودتي من رحلة في الشرق الاقصى ٠

كان قمر شوال يغمر الجبال حول مكة بفيض من النور الهادى ، ومعى صديق حجازى قديم الود واتفقنا عل ان نقضى الليلة اقرب ماتكون الى رسولنا عليه الصلاة والسلام ٠

وذهبنا الى شعب بنى هاشـــم حيث ولد المصطفى ، وقد أصبح المكان الآن «مكتبة عامة» يفد اليها طلاب العلم ٠٠٠ وارتبط مكان المولد ـ عمليا ـ بالعلم والسعى اليه ٠

وغير بعيد عن مكان المولد الشريف ، بيت ابى طالب وبيوت الكرام من الصحب والاهل والعترة التى حملت مع الرسول الاعظم لواء العلم والعمل

سرنا فى الطريق التى كان يسلكها الرسول الاعظم الى غار حراء ...ووقف صديقى عند صخرة :

هنا كان يجلس الرسول فى طريقه الى الغار . هنا مساره ..

وتابعنا السير ما استطعنا . وحملتنا السيارة الى قرب جبل النور .. وصعدت عيوننا على الطريق الوعر الى الجبل الصحيق الذى قضى فيه الرسول ما شاء الله له أن يقضى

نور من القمر ...
ونور تحس به منبعثا من الجبل .

والليل قارب الانتصاف . والصمت يلفنا ويلف الاحياء من حولنا . وجلال الذكرى يصرفنا عن الاحساس بالزمان ...

أنحن قريبون من المكان الذى نزل فيه الروح الامين ؟

وهنا . نعم هنا . نزل الامر الالهى الاول « اقرأ » نزل على النبى الامى الذى أجاب أول ما أجاب « ما أنا بقارىء » ... ويتكرر الامر « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ...

اقرأ باسم ربك

ولنقف قليلا عند هذا الامر الاول لنرى فيه بعض توجيهات الله لنا فى طلب العلم ..

وان أكبر تكريم للعلم أن يكون الامر الاول الذى أنزله الله على رسوله .

واذا ما رجعنا الى سورة القلم وهى ثانية سور القرآن نزولا بعد سورة العلق . وجدنا فى صدرها أن ربنا يقسم بالقلم وما يسطرون ...

الامر الالهى الاول هو القراءة :

القسم الالهى الاول بالقلم اداة الكتابة .

والله يقسم بالقلم فى حركته « وما يسطرون » فعامل الحركة هنا انما هو تعبير عن وظيفة القلم . عن الاداء ...

ونعود الى سورة العلق لنرى فيها ان القراءة « باسم ربك الذى خلق » ونحن فى حياتنا نرى أنواعا كثيرة من القراءة .

قد تكون القراءة باسم التسلط والهوى والشهوة والاستعلاء الكاذب

قراءة الدول الاستعمارية وما عندها من علم وضعته فى خدمة عدوانها الاستعمارى .

قراءة الاستعمار الامريكى فى أرض

« فيتنـــام » • وقراءة اسرائيل فى فلسطين والارض العربية السليبة •

كل اولئك علم وقراءة • ولكنهـــا ليست باسم الله •

ويبدو من ذلك ضرورة ربط العلم فى الاسلام بهدفه الاخلاقى • أن يكون باسم الله • وأن يكون فى خـدمة الانسان •

بل لو تعمقنا التأمل فى هذا الامر الاول لوجدنا فيه عمقا عميقا فى قول الله « باسم ربك » ولم يقل باسم الله •• لماذا ؟ لفظ رب يدل على التربية والتكوين والرعاية • رعاية تبدو فى الاية فى رحلتين :

الاولى : رحلة الخلق : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ••

الثانية : رحلة العلم : اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ••

وكان القلم فى الاية أول « اداة » يذكرها القرآن ، كما كان أول ما اقسم به الله كما رأينا فى سورة « القلم »

عبقرية هذا الدين

وأعود الى ليلة فى مكة ، على خطا الرسول الاعظم • وهو فى تنقلة بين داره وغار حراء • أسير مع صاحبى فى ليل يغمره ضوء القمر ، ويحتوينا صمت مبين ، نسمع فيه باذان القلب، صوتا حبيبا جاء رحمة للعالمين ••

وكنت أتخيل لفظ « اقرأ » حينما نزل على الرسول ، كأنما نزل على سطح التاريخ فأحدث فيه سلسلة من التموجات المستمرة التى استطاعت أن تعبر الجزيرة العـــربية الى ما وراءها فى مشـــارق الارض ومغاربها ، ومازال أثرها مستمرا •

فلننظر الى بعض هذه الاثار فى حياة الرسول وبعد لقاء ربه •••

الظاهرة الكبرى فى حياة الرسول أن المجتمع الاسلامى ـ بكل مقوماته ـ كان يتكون والوحى ينزل وبعبـــارة اخرى : أن تكوين المجتمع الاسلامى لم يأت «لاحقا» و « متأخرا تاريخيا» عن نزول الوحى على الرسول ••• وتبدو من هذه الزاوية عبقرية هـذا الدين اذا ما قارناه بغيره من الاديان الكبرى •

فالاوامر الالهية لم تبق نصـــوصا مكتوبة تبحث عن التنفيذ • ولم يعش الاسلام على المستوى النظـــرى دون ارتباط وثيقبالقاعدة العملية • وانما جمع الرسول بين شخصية «القائد» الذى يدير المجتمع ، و « الداعى » الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة •

والقيادة مشـــكلات وصراعات • والسمة الغالبة للنبوة دعوة وتجميع وكان على الرسول أن يخوض ـ على الاقل ـ هاتين المعركتين بكل ابعادهما ••• ووسط هذه الصراعات جميعـا كانت الدعوة الى العلم ووضعه فى مكانته الكريمة ••

١ ـ كان الوحى يسجل اولا باول •• والذين قاموا بهذا حملوا اللقب



جبل النور وبه غار حراء مهبط الوحي على النبي ، حيث شع نور العلم

الكريم ، كتاب الوحي ، وكان هناك تجميع دقيق من اول الامر بمقاييس العصر لهذا العمل . ومراجعة مستمرة عن طريق القراءة والحفظ والتطبيق . ولم يشهد القرآن فجوة تاريخية بين نزول الوحي والتسجيل .

وعندما اشتد الصراع بين القاعدة الإسلامية وما حولها ، واستشهد فيه نفر غير قليل من حفاظ القرآن . بذل الخلفاء الراشدون جهودا علمية دائبة دقيقة في حفظ وجمع وكتابة المصحف الجامع .. فكان الدفاع عن الإسلام دفاعا عن أرض الدين وكتابه الاكبر في الوقت نفسه . ويسر الله لهذا الكتاب ما لم ييسره لغيره ومازال في مقدور الطفل قبل ان يبلغ الحلم أن يحفظ القرآن كله .

٢ – ولم يكن حفظ القرآن مجرد ترديد كلمات ، وانما دعوة دائبة الى طلب العلم والعمل به ...

المسلم يقرأ في كتاب الله :

● قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

● وقل ربي زدني علما .

● وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما .

٣ – وهو يسمع من الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه :

– العلماء ورثة الانبياء .

– العلماء أمناء الله على خلقه .

٤ – وهو يرى هذا العلم شاملا كل نواحي المعرفة الانسانية . وطلب المعرفة عبادة وحياة . ويقرأ قول الله تعالى :

« الم تر أن الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها .. ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن

الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك . انما يخشى الله من عباده العلماء . ان الله عزيز غفور»

فيرى فى الاية اشارات الى الظاهرات الجوية والنبات والصخور والناس والحيوان . وهى رءوس موضوعات أصبح كل منها علما بل علوما رحبة .

والاية تضم هذه العلوم جميعا وتربطها بخشية الله . فتعطى العلم العبادة الاخلاقية ، وتراه طريقا الى معرفة الله وخشيته وأن مطالعة اياته تزيد الانسان احساسا وايمانا بعظمة الله وقدرته .

٥ ـ وبرزت مكانة العلم فى مجتمع المدينة حينما حدد الرسول لكل أسير من غزوة « بدر » أن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة فكان فداء الاسير مقابلا لتحرير المسلم من رق الامية .

٦ ـ وشجع الرسول الصحابة على طلب العلم ومعرفة اللغات الاجنبية فكان الصحابى الحافظ زيد بن ثابت يعرف السريانية والفارسية والحبشية والقبطية والرومية ... وعندما احتاج المجتمع الى من يجيد العبرية ليكون ترجمان الرسول بها ، تعلمها زيد وقام بهذه المهمة .

٧ ـ واستعان الرسول بخبرات الصحابة والبعوث العلمية لتعلم فنون من الحرب استلزمها حصار المدن كصناعة المجانيق والعدادات والدبابات .

وثبة بالفكر الانسانى

ومما يسترعى الانتباه تمجيد القرآن للعلم وضخامة هذه المادة فى القرآن بحيث أنها وردت فى

برزت مكانة العلم فى مجتمع المدينة حينما حدّد النبى لكل أسير من غزوة "بدر" أن يعلّم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، فكان فداء الأسير مقابلًا لتحرير المسلم من رق الأمية .

واشتقاقاتها نحو ثمانمائة وثمانين مرة .

هذا الرقم الذى يقرب من الألف ، يعطينا وحده فكرة عن مكانة هـذه المادة فى الاسلام ، والوثبة الجبارة التى وثبها بالفكر الانسانى حـاملا معه التراث القديم من الصين والهند وفارس واليـونان والرومان ، فى الوقت الذى كانت أوربا فيه متنكرة لهذا التراث ، وحفظه وأضاف اليـه اضافات مبدعة وقدمه الى الاجيـال التالية فى أمانة وسعة افق .

وما بعد الرسول

وقد تكون من أدق المقاييس التى توزن بها دعوة ، قدرتها على الاستمرار بعد وفاة قائدها .

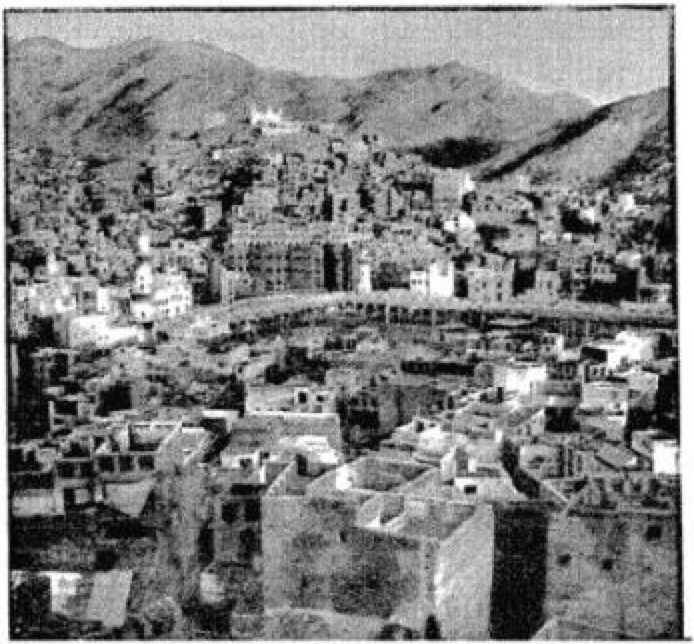
والنبى عليه الصلاة والسلام علم المسلمين ، والدنيا معهم ، أن جهـاد الانسانية واحد . والاسلام ـ كدين ـ ليس منقطعا عن النبوات السابقة .

ومحمد (ص) كنبى ورسول هو ختـام هذه السلسلة النورانية من الانبيـاء والمرسلين . والذين يأتون من بعده هم الامناء على هذا التراث الكبير .

ولنا ان نعود الى سورة الانبيـاء فى القرآن الكريم لنرى تصويرا لهذا الاخاء الانسانى الكريم ...

فى السورة يقص علينا ربنا قصص موسى وهارون وابراهيم ولوط واسحاق ويعقوب ، ويعـود الى قصة نوح ثم

« مكة المكرمة » شهدت خطا الرسول الاعظم بين داره وغار حراء



يدرس قصص داود وسليمان وأيوب واسماعيل وادريس وذىالنون وزكريا ويحيى ومريم وعيسى ·· ويعقب على هذا القصص بآية جامعة هى قوله تعالى :

« وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » آمة تضم هذا الجهاد كله وتتقرب الى الله باحترام جميع الانبياء وما دعوا اليه من خير · آية هى على الصعيد المحلى اية الوحدة الوطنية · وعلى الصعيد العربى آية الوحدة العربية · وعلى صعيد العالم الاسلامى اية الاخاء · وعلى الصعيد العالمى اية المحبة التى تصور الناس جميعا أمة واحدة ··· ومن هذا المنطلق المؤمن جاءت نظرة الاسلام الى التراث الانسانى ·

هذا هو الاساس الذى نظر به المسلمون بعد عهد الرسالة الى التراث الانسانى · وحفظوا به ما أبدعته عقول الامم الاخرى وأضافوا اليه ·

واذا ما تتبعنا هذه النهضة العلمية الكبيرة والمساحة العلمية التى شهد بها مؤرخو تاريخ العلم مثل « جورج سارتون » فى مؤلفاته لبعد بنا القول عن الموضوع الذى نطرقه فى هذا الحديث · ولكننا نرد هذا الى البذور الاولى فى عهد النبوة ·

ولم يقتصر جهد الحركة العلمية الاسلامية على مجرد التحصيل والتوثيق ، وانما امتدت الى البحث عن قوانين الحياة فى مجالاتها الطبيعية والبشرية ·· واذا شئنا تعبيرا قرآنيا كان مجال البحث هو الافاق والانفس ··

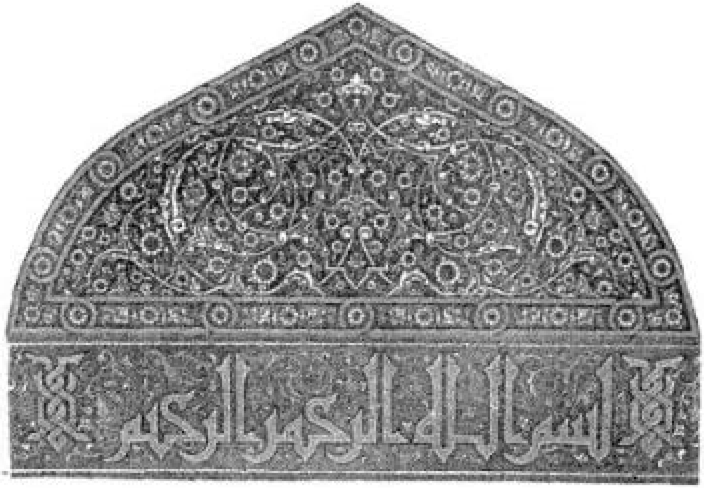
واقرب النماذج الينا ما قام به ابن خلدون فى مقدمته من محاولات لكشف قوانين تطور المجتمع ··

وفى مجال الفن تستطيع أن ترد أى قطعة من الفن الاسلامى الى أصلها ، ومن اليسير عليك أن تعرف ملامحها اذا ما رأيتها بين قطع من فنون أخرى وكأن هؤلاء جميعا تأثروا بمصدر أصيل هو العقيدة الاسلامية التى عبرت عن نفسها فى مجالات الحياة جميعا ···

خاتمة

وأعود الى ليلة فى مكة غير بعيد عن جبل النور وأتذكر نزول الوحى أول ما نزل والقرآن وكيف شع نور العلم من جبل النور يحمله الرسول الاعظم ويتحرك لسانى بقول الله تعالى :

« يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ···



غزوات

د. سيد نوفل

عاش محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاثة وستين عاما ، كانت اعظم انتصاراته فيها سلمية ، وكانت اكبر انجازاته التاريخية سياسية .. وكانت دعائمها الدعوة الى سبيل الله بالحسنى ، والاعتصام بالاسلام ومثله العليا ووحدة المؤمنين وتضامنهم ، والاعداد في الوقت ذاته للقوة مواجهة لاحتمالات العدوان ، بل نذره الماثلة ، من اعداء الله : اعداء دينه الحنيف واعداء الحرية والحياة الانسانية الفضلى ..

ولهذا لم يكن عجبا الا تشغل الغزوات من حياة الدعوة الاسلامية ، التى امتدت ثلاثة

ظل الرسول وصحبه الاولون بمكة ثلاثة عشر عاما حسوما ، يدعو الى الدين الحنيف بالحسنى ، ويتحمل هو والمسلمون الوان العذاب والالم والعنت ، تتصاعد من الايذاء بالقول واليد الى فرض الحصار والمقاطعة للمؤمنين السابقين . فاذا اشتد عدوان المشركين على المسلمين ، هاجر المسلمون الى الحبشة نجاة بأنفسهم وبدينهم . واذا بلغ العدوان اقصى مبلغ ، واحاط المشركون بمنزل الرسول للفتك به ، لم يدفع الرسول العدوان بالقتال قبل اكتمال الاعداد له ، وانما دفعه بعمل سلمى ، كان اكبر ظفر للاسلام فى فجره ، ونقطة تحول فى مسار انتصاره . وكان فى الوقت ذاته دفاعا سلبيا فى طبيعته ، الا وهو الهجرة الى يثرب : عاصمة الاسلام طوال عهد الرسالة كله ، ومثوى الرسول الاخير فى جوار ربه .

وبعد ثمانية اشهر من مقام الرسول بيثرب ، ودعمه الوحدة بين المسلمين من المهاجرين والانصار ، ومعاهدته غير المسلمين من أهل المدينة على قواعد للتعايش السلمى ، ومحالفته القبائل المقيمة حول المدينة ـ بعد ذلك اتجه الرسول الى تجمع المشركين من أهل مكة واعدادهم لحربه فى مهجره ، وتأليبهم القبائل فى شبه الجزيرة على المسلمين ، لا يكتفون باخراج الرسول وصحبه من مكة موطنهم ، ومحاولة فتنتهم عن الدين والقضاء على حرية العقيدة المقدسة ، وحرمانهم من اداء احد الاركان الاساسية فى الاسلام ، الا وهو حج البيت الحرام ...

عندئذ فكر الرسول الكريم فى اثناء قريش عن سياسة العدوان ، والتلويح لها بخطر اقتصادى جسيم ، تتعرض له تجارتها المربحة ، التى كانت تدر عليها ربحا سنويا قدر بربع مليون

النبي صلى الله عليه وسلم

وعشرين عاما خالدة على الزمان ، سوى تسعة اعوام ، ابتداء من موقعة « بدر » فى السنة الثانية للهجرة النبوية الى غزوة تبوك فى السنة العاشرة لها ، وان تكون جميع تلك الغزوات صدا لاعمال عدوانية باغية ، ودفاعا عن حرية العقيدة وكرامة الانسان ، وان يعتصم الرسول الامين ، مع اعداده للقوة ، بمبادىء الاسلام السمحاء منذ اوحى الله اليه بالقراءة والعلم والقلم عام خمسمائة وسبعين ميلادية ، الى ان اختار الرفيق الاعلى فى الثامن من يونية (حزيران) لعام ستمائة واثنين وثلاثين .

لدينار ، أو نحو مائة وستين الف جنيه ذهبا ، وهو ربح كبير لذلك الزمان ... وكان ان أرسل الرسول السرايا الاولى الثلاث ، تعترض تجارة قريش ، وتلوح لها بالخطر ، ولا تشتبك معها في قتال الا ما كان من سهم لسعد بن أبي وقاص رمى به قافلة أبي سفيان . فكان اول سهم رمى به المسلمون ، وان لم يعقب قتالا .

في مواجهة الخطر

واتم الرسول اثنى عشر شهرا بالمدينة ، واستيقن خطر المشركين بمكة ، وعملهم الحثيث للعدوان على المسلمين فى مقامهم الجديد ... ومضيا في سياسة الرسول منمواجهة الخطر والعمل لابعاده ، وعدمالانتظار للقمه – اخذ ، صلوات الله وسلامه عليه ، يقود السرايا بنفسه لمواجهة قوافل المشركين ، ردا على حوادث غدرهم ببعض المسلمين . وفى سرايا انتهت فى مطلع السنة الثانية للهجرة بما يطلق عليه اسم غزوة « بدر » الاولى التى لم يجر فيها قتال ، ولكنها مهدت لغزوة « بدر » الكبرى التىاهتز بها الاسلام والمسلمون ...

وكان اول قتال للمسلمين فى سرية



عبد الله بن جحش . فقد اوفده رسول الله في رجب من السنة الثانية للهجرة ، في بعثة استطلاعية ، وقوفا على تبييرات قريش ، واعداداتها العدوانية ضد المسلمين ، وتبينا لحقائق هذه الاعدادات وتلك التدبيرات ، حتى ياخذ لها الرسول والمسلمون حذرهم ، ويواجهوها بما تقتضيه من اعمال رادعة .. وعين لعبد الله وجهته ، واسلمه كتابا مغلقا ، امره ان لا ينظر فيه الا بعد يومين ، وان لا يكره احدا من اصحابه على امر ، بل يدع كلا منهم حرا في تصرفه ووجهته ...

وبعد يومين ، قرأ عبد الله الكتاب النبوى الشريف ، فاذا فيه : « اذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنزل « نخلة » فترصد بها قريشا ، وتعلم لنامن اخبارهم ! » وعلم اصحابه بما فى الكتاب ، وبحرية كل منهم فى تصرفه ووجهته ، ولكنهم جميعا اعتصموا بصحبة عبد الله ومشاركته مهمته ، عدا سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان ، فقد ذهبا يتلمسان ابلا لهما ضلت طريقها ، فاسرتهما جماعة من قريش .

حرمة الشهر الحرام

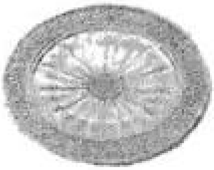
وسار عبد الله بن جحش فى سريته الى « نخلة » بين مكة والطائف ، وقد بلغهما اسر قريش لسعد وعتبة ، ومرت بهما عيرلقريش تحمل تجارة يرعاها عمرو بن الحضرمى . وتشاور هو وصحبه فى الامر ... لقد بدأ القرشيون العدوان .. والقرآن الكريم ينكر حرب الاعتداء ، « ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » . أما القتال دفاعا عن النفس ، وعن الايمان وحرية العقيدة فليس منكرا ، بل هو واجب يدعو الى الدين : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

وذكر عبد الله وجماعته صنيع قريش بهم ، واعتداءاتها المتصلة عليهم ، واستيلاءها على أموالهم في مكة بغيا وقسرا . وذكروا مع ذلك انهم في رجب الشهر الحرام الذى حرم فيه القتال . وانتهى الرأى الى مقاتلة القرشيين المعتدين . ورمى أحد المسلمين عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، ودارت بين المسلمين والمشركين معركة انتهت باستيلاء المسلمين على العير القرشية وما عليها من تجارة وأسر رجلين من المشركين ..

وقدم عبد الله وسريته على الرسول بعد اقتسامهم المغنم ، وحجز الخمس لرسول الله ... لكن محمدا ، صلوات الله وسلامه عليه ، اغضبه صنيعهم ... فقد بعثهم مستطلعين لا محاربين غانمين . وقال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ! ووقف العير والأسيرين وما حجزوا من خمس ، وأبى ان يأخذ من ذلك شيئا ...

وعنف المسلمون عبد الله وجماعته على ما صنعوا ، وأخذت قريش تثير ما خشيه الرسول من ثائرة القبائل في الجزيرة على المسلمين الذين انتهكوا حرمة الشهر الحرام وقاتلوا فيه ... ودخلت عناصر من اليهود





والمنافقين تحاول اشعال نار الفتنة ، وتوهين وحدة المسلمين ، وتقوية الكفار والمشركين ...

وحسم الله سبحانه الامر ، فاوحى الى رسوله بقوله تعالى :

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجدالحرام . واخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل . ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » .

وحينئذ اطمأن الرسول والمسلمون، واخذ النبي العيـــر والاسيرين . وحاولت قريش افتـــداء الاسيرين ، ولكن الرسول أبى حتى يردا سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان . ورد المشركون الاسيرين المسلمين ، وأطلق رســـول الله سراح أسيري قريش . ولكن أحدهما ، وهو الحكم بن كيسان، أسلم واقام بالمدينة ، وأبى العودة الى دار الشرك ، بعد أن رأى ســـمو الاسلام والمسلمين ، وصدق دعـــوة الرسول الامين ...

وكانت هـــذه الايات البينات بداية مرحلة جديدة في حياة الاســـلام والمسلمين ، ونقلة واسعة المـــدى من أربعة عشر عاما عانى فيها الرسول والمؤمنون الوان العذاب والطغيان من القرشيين ، واعتصموا مع ذلك بسياسة السلام والدعوة الى الله بالحسنى . ولم يكن مناص لهم ، في هذه المرحلة الجديدة ، من مواجهة العـــدوان والتصدي للمعتدين الباغين ...

وهذه الايات تضيؤها لا ريب أعلام باهرات .

واول هذه الاعلام ان الله نصر عبد الله بن جحش ورأيه ، وأن الرســـول الكريم لم يجد في ذلك بأسا ، لانه ينشد الحق ونصرة الايمان وحدهما ، والحق والنصر من عند الله وحده ...

وثاني هذه الاعلام اقرار الاسلام بأن القتال في الاشهر الحرم كبيرة ، لكن هنالك ما هو اكبر منه واشـــد جرما ، وهو اخراج المواطن من موطنه والباعدة بينه وبين الحج الى بيت الله ، والاصرار على فتنته عن دينـــه اكراها وعنتا .

وثالثها : الشرعية لقتال المسلمين المشركين دفاعا عن العقيدة ، وحماية لاساس الوجود الانساني ، الا وهـــو حرية الرأي .

وكانت المواقف العدوانية القرشية المتصاعدة ، وكانت هـــــذه الايات الباهرات ، بداية مرحـــلة الغزوات الاسلامية المظفرة التي اتصلت تسع سنوات ، وكان لهـــا أعظم الاثر في اعلاء كلمة الله ، ونشر مبادىء الاسلام السمحاء في أرجاء العالم ، واستظلال البشرية بالويتها : الوية الحـــرية والعدل والمساواة والسلام ...

تطوير الاسلام لفكرة الحرب

وهكذا طور الاســـلام فكرة الحرب في عالم وعصر سادتهما سياسة القوة والطغيان على يد فارس والـــروم ، وكان العرف العـــربي استباحة الغزو للغنيمة والثـــار ، وكانت البشرية ولاتزال أبعـــد ما تكون عن التصور الاسلامي السامي لفكرة الحرب ... ذلك بأن الله لم يرد لها من قبل ، ولما يرد لها ، نضج الضمير ، واستقرار العدل والتقدم والرخاء . وحين يريد الله للانسانية المتاع بالامن والسعادة، وحين ينضج ضـــميرها ، ستنتصر

الفكرة الإسلامية أبد الدهر ، كما انتصرت حقبة سعيدة من الزمان في فجر الاسلام .

فالله ودينه يدعوان الى كفالة حرية العقيدة ، ويكرهان الحرب العدوانية ... « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم . ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » . والله ورسوله والاسلام يبغضون الاكراه في الدين ، لان سبيل الرشد بين وسبيل الغى بين ، ولان العقيدة قوامها الاقتناع والحرية ... « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى » .

وهذا التطوير السامى لفكرة الحرب في الاسلام ، دين البشرية الى يوم الدين ، كانت له قواعد كثيرة اشرنا الى بعضها من قبل ، وسنشير الى بعضها فيما يأتى .

المؤمنون جند الاسلام

وفى عصر الحرب للغنيمة والقهر والاعتزاز بالبغى والعدوان ، واذ طور الاسلام فكرة الحرب وسما بها اعلى درجات السمو فجعلها لله ولدينه وحدهما ، وجعل النصر من عند الله للمؤمنين ــ لم يكن بد من أن يكون جنود الاسلام القادرون على الحرب بمعناها الجديد ، وقدرتهم على السلم بمعناه الجديد أيضا ، هم المؤمنون



بالله ورسالته وحدهم ، الصادقون في ايمانهم دون سواهم ...

ولقد التزم الرسول بذلك منذ بدء غزواته الى نهايتها ... ففى غزوة « بدر » الكبرى ، اولى الغزوات الاسلامية واخطرها واروعها ، اراد جماعة لم يسلموا أن ينضموا الى الغزاة طمعا في الغنيمة . وقد خيل اليهم ان الرسول سيقبلهم بعد أن تثاقل بعض المسلمين خشية الاخطار وكثرة عدد القرشيين ... ولكن الرسول أبى عليهم الانضمام الى جند الاسلام الا ان يؤمنوا بالله ورسوله من قبل ...

وفى غزوة « أحد » ، تقدم محمد بالمسلمين وعدتهم ستمائة للاقاة المشركين من قريش وعدتهم ثلاثة آلاف ، كلهم مغيظ محنق على المسلمين يطلب الثأر لـ « بدر » وما نزل فيها من عار وهوان بالقرشيين المشركين .. وحين مضى الرسول بالقلة المؤمنة من صحبه للاقاة الكثرة المشركة ، بصر بكتيبة لا يعرف كنهها . فاستفسر عنها ، فقيل انها من حلفاء عبد الله بن ابى من يهود المدينة ، وخيل للبعض أن الرسول سيرحب بمشاركتهم جند المسلمين القليلين في غزو مشركى قريش الكثيرين .. لكن الرسول استبعد هذا التصور في قوة ، وأجاب في حزم : « لا يستنصر بأهل الشرك على اهل الشرك ما لم يسلموا » . وانصرف اليهود عائدين الى المدينة ، متخذلين غاضبين لما علموا من مقالة الرسول فيهم ...

وصنيع الرسول في « بدر » ، وتثبته من اقبال الأنصار على القتال في عزم وايمان ، وثقته بالله وبنصره بعد هذا التثبت ، كل ذلك أوضح برهان على أن المؤمنين هم جند الاسلام وحدهم ، وأن الايمان متى اكتمل للمقاتلين الصادقين الصابرين اكتمل لهم معه النصر ، وتمت لهم الغلبة على أعداء الايمان ...

فبعد أن استوثق الرسول من عزيمة المهاجرين ، التفت الى الانصار ، وقال : « أشيروا على أيها الناس ! » فأجابه سعد بن معاذ ، صاحب راية الانصار ، فى ثقة المؤمن بالله ورسوله ، قائلا : « لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك لذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ! فوالذى بعثك لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد ... انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ، فسر بنا على بركة الله ! »

ولم يكد الرسول يسمع كلام سعد، ويزداد ثقة بايمان الانصار ازدياد ثقته بايمان المهاجرين ، حتى أشرق وجهه بالمسرة ، وازداد ايمانا بنصر الله للمؤمنين ، وقال – صلى الله عليه وسلم : « سيروا وأبشروا .. والله لكأنى الآن انظر الى مصارع القوم ... »

الحرية والسلام العادل

ومثلما طور الاسلام فكرة الحرب تطويرا واسع المدى ، يتفق مع رسالته للناس كافة الى يوم الدين ، وصلاحيته لكل زمان ومكان – فقد تقدم بسياسة الحرب أعظم تقدم ، وبلغ بها ذروة الاكتمال . والآيات على ذلك كثيرة، والبراهين البينات لا تحصى ...

فالحرب فى الاسلام هدفها كفالة حرية الرأى وتأمين أسباب السلام العادل ، والتعاون الحر المتكافىء ، والتخلى عن جميع وسائل البغى والعدوان والاكراه . ولهذا لم يكن بد من أن تكون سياسة الحرب عند محمد، رسول الاسلام ، متحرية لهذه الاهداف السامية الباقية ...

ولهذا لم يكن بد من أن يكون أساس سياسة الحرب عند رسول الاسلام ، هو التمسك بأسباب السلام ، وما يتصل به من حفاظ على العهد مع الاعداء ، وحرص شديد على أرواح المؤمنين ، وعزوف عن معانى البغى والفتك والتشفى والتمثيل مع الاعداء ذاتهم ، وتطلع الى أن يكون أوفر الكسب للدين الحنيف عن طريق السلام الذى يسعى الى أن تعمر به الدنيا كلها ، وتستظل باعلامه البشرية كافة فى كل مكان . ولن يستطيع بلوغ هذا الهدف السامى الا بأسباب الرحمة والعدل ...

فمن مبادىء الحرب الاسلامية أن القتال لاعلاء كلمة الله وليس للغنيمة ولا لغيرها من أعراض الدنيا ... فالدين هو القوة الخالدة فى الحياة الانسانية ، أما أعراض الدنيا فهى جميعا الى زوال . وعندما خرج المسلمون الى « بدر » ، وفاتتهم تجارة قريش ، وبقى من جاءوا للنجدة من المحاربين الكيين وحدهم . وجادل بعض المسلمين رسول الله كى يعودوا الى المدينة دون قتال المحاربين المشركين ، مادامت الغنائم قد فاتتهم، ولم تبق سوى المخاطر ... وحينئذ حسم القرآن الموقف حسما مبينا ، اذ نزل قوله تعالى : « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم . وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم . ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . »

كما تأكد من بعد حين نزل فى أمر الاسرى وقتلهم أو فدائهم قوله تعالى: « ما كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ».

وهكذا لم يبق ريب فى أن الحرب للدين الحق ، وعلى الكفر الباطل ، وليست لشىء آخر. وكان الرسول يثبت ذلك المعنى تثبيتا فى كل موقف . ومن ذلك دعاؤه لربه ، أثناء القتال فى « بدر » ، قائلا فى ابتهال بليغ عميق: « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسوله !.. اللهم فنصرك الذى وعدتنى ... اللهم ان

تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ! » .
واذن فمحور النزاع هو الايمان بالله وعبادته ، أو الكفر به سبحانه وعبادة الاوثان ...

وكان محمد ، صلوات الله عليه ، يلتزم بسياسة الوفاء للعهـد مع أعدائه ، وكان يكسب من ذلك أعظم الكسب ، ويمهد للنصر على أعدائه الذين لا يرعون الا ولا ذمة ، فتتكشف حقائقهم لانصارهم وخصومهم ، فيفقدون بذلك انصارهم ، ويزيدون المسلمين قوة وتثبيتا في نضالهم .

وعهد الحديبية من أظهر الامثال في سياسة محمد السلمية ، وحرصه على الوفاء بالعهد ، مهما لاقى في ذلك من عنت وتعرض لنقد .

فبعد ست سنوات مـن الهجرة ، وعدول الله بمحمد وبالمسلمين مـن استقبال المسجد الاقصى في الصلاة الى استقبال المسجد الحـرام تعبيرا عن التعلق بمكة ، وبعد أعمال الجهاد الاسلامي المتصلة طوال تلك السنين ، والم الحرمان الذي يقاسيه المسلمون من الحيلولة بينهم وبين أداء فريضة الحج ، بعد ذلك كله اخبر الرسول صحبه في المسجد برؤياه الصادقة التي انبأته بأن المسلمين سيدخلون المسجد الحرام في سلام وبغيـر قتال ...

وأذن الرسول في المسلمين ليخرجوا للحج في سلام ، بل سعى لكي يدعمه في مسيرته أكبر عـدد من القبائل المتحالفة مع المسلمين ... وأكـد الرسول وصحبه في مسيرتهم ، وفي جميع أعمالهم اثناءها ، أنهم يقصدون الحج والسلام لا القتال ولا العدوان .
لكن قريشا خرجت اليهم تدق طبول الحرب . وتقارب الجمعان : جمع السلام وجمع العدوان ...

ولكن الرسول تمسك بسياسة السلام الى نهاية الموقف ، وأبى أن ينزلق الى الحرب رغم مغرياتها من أصحابه ومسلك أعدائه . ويكفي أن المشركين [illegible] وأن المسلمين تعرضوا لهم واحضروا للنبي نحـو خمسين من المشركين المعتدين ... لكن الرسول تمسك بسياسة السلام ، وأطلق سراحهم ، واخـذ يبعث الرسل الى المشركين لمصالحتهم على حل للموقف ، وعلى تفادي الحرب التي لايزال يرى أن هنالك بديلا سلميا عنها ... وأرسل عثمان بن عفان رسولا ثـقة الى المشركين ... وظن المسـلمون أن المشركين فتكوا به ، فبايعوا الرسول على القتال : بيعـة الرضوان ... ونزل في ذلك قول الله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا » .

مكاسب عهد الحديبية

وعاد عثمان ، وتم عهد الحديبية بين المسلمين والمشركين ، على أن يرجع المسلمون عن مكة ذلك العام ، وأن يعودوا اليها في العام التالي لاجئين في سلام ... وأصر محمد على رعاية العهد ، رغم تحرشات بعض المشركين ، وضيق بعض المسلمين المبالغة في التمسك بالعهد وبالسلام ، واطمأن المسلمون الى سلامة العهد حين نزل قول الله تعالى في الوقف : « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما » .

فكان عهد الحديبية فتحا سياسيا مبينا ، فمع ما انطوى عليه مـن اعتراف قريش بالدولة الاسلامية ، وبحق المسلمين في الحج ، فقد مهد للاسلام كثيرا من المكاسب .. اخذ الرسول اثره يدعو الملوك والحكام في مختلف البلاد الى الاسلام ، ويتلقى من اكثرهم ردا جميلا ... كما أخذ نساء المشركين ورجالهم يتوافدون الى المدينة تبرؤا من الشرك ، واعلانا

للاسلام . كما هيأ العهد للرسول أن يضع الكثيــــر من قواعد التنظيم الاجتماعي للمسلمين ، وأن يقضي على اليهود الذين أصروا على فتنةالمسلمين والعدوان عليهم ، وأن يدخل مكة حاجا في سلام ، وأن يدخلها من بعد ذلك فاتحا في أضخم جيش اسلامي لعهد الرسول ، دون قتال ، ودون أن يسفك دما الا قليلا في اشتباك جانبي لم يرض عنه النبي ، لأنه أراده فتحا سلميا أبيض نقيا ...

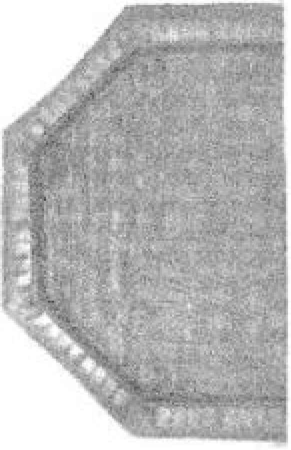
مداهمة الخطر في موطنه

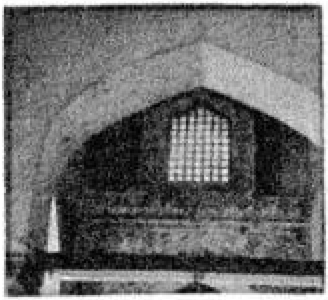
ومثلما سما الاسلام بفكرة الحرب وسياسة الحرب ، فقد بلغت ممارسة الرسول والمسلمين للأعمال الحربيــة أسمى درجات الكمال . ولم يكن عجيبا لذلك أن يكسب المسلمون جميــــع المعارك التي خاضوها لعهد الرسول، الا ما كان في بعضها من تحــــول المسلمين عن المواقع المعينة أو غفلة عن مبادىء الاسلام كالانصراف الى جمع الغنائم ، تحولا كان جزاؤه بعض التضحيات في صــفوف المسلمين ، لكنهم لا يلبثون أن يجمعوا صفوفهم ، ويستعيدوا قواهم ، ويمضوا فيسبيل النصر الى غايته التي أرادها الدين الحنيف .

لقد كان من المبادىء الحربيـــة الاسلامية لعهد الرسول ، كما أشرنا قبلا ، مداهمة الخطر في موطنه قبل أن يدهم المسلمين . فمع الحرص على أن تكون مكاسب الــدعوة سلمية ، وعدم تكليف المسلمين مشـــقة حرب يمكن تلافيها ، فان الرسول كان اذا استيقن من تدبير عدواني للمشركين وغيرهم من أعداء الاسلام ، يواجهه في قوة وتصميم ، ولا يقبــــل في مهاجمة المدبرين للعدوان مشورة ولا ترددا مهما بعدت الشقة ، أو اشتدت الأهوال ...

وجميــــع سرايا الرسول وغزواته شاهدة بذلك ، وغزوة « تبوك » مــن أعظمها دلالة . فحين ساد الاســلام شبه جزيرة العرب ، وعلا صـــوته خارجها ، واستيقنت الدولة الرومانية من مواجهة الدولة الاسلامية الفتية لسلطانها الغاشم ، أخذ الرومتجهزون الجيوش لغزو بلاد العرب من الشمال ... وجاءت الأنباء الرسول ، والقيظ في أشده ، والطريق بعيد عن المدينة الى بلاد الشام ، وقوة الرومتجيوشهم الجرارة التي غلبت الفرس في كثير من المواقع يعلم بها المسلمون . وتردد الكثيرون ... لكن الرسول أصر على السير الى الشمال ومهاجمة الخطر ... وأيده وحي الله ، وقضى عــلى جميع أسباب التردد والتخلف .

وقــاد الرسول الجيش بنفسه الى بلاد الروم حتى بلغ « تبوك » ... حينئذ انسحبت جنود الروم التيتوجهت الى غزو الشمال العربي ، وكسبت الدعوة الاسلامية بمسلمين سعوا الى الاسلام الوفا مؤلفة من نحو خمسين قبيلة وبطنا ، حتى خلصت شـــبه الجزيرة للاسلام ...





وكان الرسول يقود الجيش بنفسه ، بل يقود السرايا التي تستطلع الاخبار ، ويحفر الخندق بيديه مع الحافرين ، ويتعرض لاخطار القتال مع سائر المقاتلين بل اشد منهم . ويضرب بذلك خير أسوة ، ويزيد المسلمين شجاعة وعزما ...

وكانت المشورة ديدنه في الاقدام على القتال وفي تنظيم مواقع المقاتلين ... واذا انتهت المشورة الى رأى حرص على تنفيذه في دقة والتزام لا هوادة فيهما ، ولا يقبل فيه مناقشة ولا جدلا . وان كان رأى غيره الذى كتبت له السيادة على رأى الرسول ...

وكانت السماحة من السمات البارزة في الحروب الاسلامية ... فلا تمثيل بقتلى الاعداء وان مثلوا بقتلى المسلمين ، ولا حقد على المنهزمين بل عفو وصفح وتسامح ، ولا قسوة في معاملة الاسرى بل كسب لقلوبهم وعقولهم ...

ففي « أحد » حين ظنت قريش ان رسول الله قد مات وأن الشرك قد انتصر على الاسلام هاجت ضغائنها الجاهلية ، وأخذت تمثل بقتلى المسلمين . وانطلقت هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان والنسوة معها يجدعن الآذان والانوف ويتخذن منها أقراطا وقلائد ... بل بقرت هند بطن حمزة عم النبي وعمه واخرجت كبده واخذت تلوكها .. ورغم ذلك فقد نهى الاسلام عن المثلة ، ونزل القرآن مؤيدا الصبر ، والتزم رسول الله حكمة الاسلام ...

ملامح التخطيط الكامل

أما الخطط الحربية ، وما يتصل بها من استطلاع وخداع للمعتدين ، وسلوك المسلمين الطرق غير المألوفة ، ووحدة المحاربين المسلمين ، والسعي لتفريق صفوف الاعداء وتوهين قواهم – أما هذه الخطط فقد اكتملت على نحو يدعو لاعظم التقدير ...

وصنيع الرسول الامين في قسمة الفيء بعد غزوة « بدر » ، يدل أعظم دلالة على اكتمال الفقه لعناصر النصر ... فليس النصر بالمحاربين في الميدان وحدهم ، وانما بجميع المسلمين ، سواء منهم من يقاتل ومن يعمل في الزراعة او الصناعة ، أو يؤدى عملا عهد اليه به بعيدا عن ميدان القتال ... فقد قسم محمد الفيء بين المسلمين جميعا على سواء ... أعطى للمقاتلين الناجين ولورثة القتلى ، ولمن تخلفوا في المدينة للعمل أو لعذر مقبول ، ولكل من كان له حظ في دعم القوة الإسلامية ...

***

ومن ذلك يتبين في جلاء ان المستعمرين الغربيين والصهيونيين المعتدين ، قد تجنوا أكذب التجني ، حين زعموا ، تبريرا لحروبهم الاستعمارية التوسعية ، ان الاسلام قد انتصر بالسيف ، وانه لذلك يجب أن يواجه بالسيف .

فبالمبادىء السامية ، وبالسياسة الحكيمة ، وبمبادىء الحرية والعدل والمساواة ، وبالممارسة الكاملة السمحاء لاعمال القتال ، انتصر المسلمون ، وعلت كلمة الله في فجر الاسلام وضحاه . وسينتصرون وتزداد كلمة الله علوا الى يوم الدين ...

الأحاديث القدسية

أهي من عند الله

د. أحمد الشرباصي

الاسلام دين نهض عماده على « الكلمة » ، فهو الدين الذى يمثل « كلمة التوحيد » ويدعو الى « توحيد الكلمة » واكبر معجزة لرسول الاسلام عليه الصلاة والسلام هى « الكلمة » التى تجلت فى البيان الالهى المعجز ، وهو « القرآن » الذى قال فيه رب العزة : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ،

والكلمة فى الاسلام اما ان تكون لله خالصة فى معناها ومبناها ، او فى منطوقها ومفهومها ، وهذه كلمة القرآن المجيد . واما أن تكون موحى بها من عند الله فى غير القرآن ، وهذه يمثلها « الحديث القدسى » ، واما أن تكون من تعبير النبى ، وهذه يمثلها « الحديث النبوى الشريف » ، فهناك اذن : القرآن ، والاحاديث القدسية ، والاحاديث النبوية ، وهذه الثلاثة بمجموعها تؤدى رسالة الكلمة فى دين الله : الاسلام .

والذى يشغلنا الآن هنا هو « الاحاديث القدسية »

أم من عند النبي ؟

صلى الله عليه وسلم

نسبت هذه الاحاديث الى كلمة « القدس » وهي بمعنى الطهر ، والتقديس هو التطهير ، ومن أسماء الله الحسنى اسم « القدس » أو « القدوس » ،

وقد جاء لفظ « القدس » في القرآن أربع مرات ، وجاء لفظ « القدوس » فيه مرتين • ولعل السبب في نسبة الاحاديث القدسية الى كلمة «القدس» هو اظهار اضافتها في المعنى الى الله وحده •

ويسمى جبريل عليه السلام « روح القدس » لانه مخلوق من طهارة ، أو لانه ينزل بالقدس من عند الله ، أى بما يطهر به نفوسنا من كلام الله وهديه ، و « حظيرة القدس » هي الجنة ، لانها طاهرة ، وقيل انها الشريعة ، لاننا نستفيد منها الطهارة •

وجاء في الحديث النبوى : « لا قدست أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويها » أى لا تتحقق لها الطهارة •

ويسمى الحديث القدسي ايضا باسم « الحديث الالهي » ، ويسمى كذلك « الحديث الرباني » ، وذلك لاظهار نسبته الى الله والى الرب ، وتميزا له عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم •

هذا هو حديث اللغة •

فما المراد بالحديث القدسي ؟ أو ما تعريفه ؟•

الحديث القدسي هو الحديث الذى يرويه الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن ربه سبحانه وتعالى ، سواء أكان ذلك بوساطة سفير الرحمن جبريل عليه السلام ، أم بالوحي ، أم بالالهام ، أم في أثناء النوم ، مع تفويض الله تعالى رسوله في أن يعبر عن هذا الحديث بما ييسره له من تعبير

وقيل ان الاحاديث القدسية هي الاحاديث الالهية التى أوحاها الله عز شأنه الى نبيه ليلة المعراج ، وتسمى بأسرار الوحي ، ولكن الرأى الاول أظهر وأقرب •

الملامح بصفة مجملة

وقد يحسن أن نستعرض عددا من هذه الاحاديث ، لكى نتعرف الى

ملامحها العامة بصفة مجملة ، قبل أن نتعرض لتفاصيل ما يتعلق بها ٠ فمن الاحاديث القدسية ما يلى :

١ ــ « أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة »

٢ ــ « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ٠

٣ ــ « اذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فان عملها فاكتبوها بمثلها ، وان تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة ، واذا أراد عبدى أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها ، الى سبعمائة ضعف » ٠

٤ ــ « ان رحمتي سبقت غضبي »٠

٥ ــ « عبدى ، أنفق أنفق عليك »٠

وما ينطق عن الهوى

ومن عادة السلف اذا رووا حديثا قدسيا أن يقولوا فى أوله : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه تعالى ٠٠٠ » ثم يوردون نص الحديث القدسى ٠ وبعضهم يرويه هكذا : « قال الله تعالى فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم » ٠٠٠ ثم يروى نص الحديث ٠

وهنا يمكن أن نتساءل : هل الحديث القدسي موحى به من عند الله بلفظه ومعناه ، أو بمعناه فقط ؟٠ وقد تعرضت للاجابة عن هذا السؤال فى كتابي « أدب الاحاديث القدسية » ،

فذكرت ان العلماء قد اجمعوا على ان معاني الاحاديث القدسية ــ الصحيحة فى روايتها ــ من عند الله عز شأنه ، ثم كان بينهم بعد ذلك خلاف فى لفظ الحديث القدسي : أهو من كلام الله تعالى ، أم من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

هناك من يرى أن الالفاظ فى الاحاديث القدسية من عند الله لا من عند النبى ، لأن الله سبحانه هو المتكلم بالحديث أولا ، ومن المستبعد أن ينسب النبى الى ربه الا ما نسبه الوحى الى الله سبحانه ٠ وهناك من يقول ان لفظ الحديث القدسى من عند النبى ، ولكنه نسبه الى ربه لان معناه قد أوحى به من عند الله ، وقد اعترض معترضون على ذلك بأن الرواة يقولون عند رواية الحديث القدسى : « قال رسول الله فيما يرويه عن ربه » ٠٠٠

ورد بعض العلماء على هذا الاعتراض بأن الله سبحانه قد فوض نبيه بأن يبلغ عنه ، وينسب الحديث اليه ٠

والذى لا شك فيه ان النبى عليه الصلاة والسلام قد روى بعض الاحاديث القدسية بمعناها لا بلفظها،

كما ترى فى الحديث الذى جاء بهذه الصورة : « قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : اتانى ات من ربى فأخبرنى — او قال فبشرنى — انه من مات من امتى لا يشرك بالله شـــيئا دخل الجنة » .

فهذه العبارة التى قالها الرسول انما لا يمكن أن تكون حكاية لنفس الالفاظ التى أوحيت اليه . ومهما يكن من امر هذا الخلاف ، فلا جدال فى أن النبى كان امينا كـــل الامانة فى التبليغ عن ربه ، وحسبنا فى ذلـــك قول القرآن عن الرسول : « ومـــا ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى » .

ويتعرض كتـــاب « الحـــديث والمحدثون » لبيـــان مكانة الحديث القدسى ، ومن أى أقسام الوحى هو ، فيذكر أن للعلماء قولين ، أولهما أن الاحاديث القدسية من كـــلام الله ، وليس للنبى فيهـــا الا الرواية ، ويستأنس لذلك بأمور :

اولها : أن هذه الاحاديث تضـــاف الى الله سبحانه ، فيقال عنهـــا : قدسية ، والهية ، وربانية ، فلو كانت الفاظها من عند النبى ، لما كان لهـــا فضل اختصاص لتضاف الى الله دون سائر الاحاديث النبوية .

ثانيها : انها اشتملت على ضمائر التكلم الخاصة بالله سبحانه كقوله : « ياعبادى انى حرمت الظلم عـــلى نفسى » ، وقوله : « اصبح من عبادى مؤمن بى ... الخ » .

ثالثها : رأينا ان رواة الاحـــاديث القدسية لا يقفون بروايتها عنـــد النبى ، بل يقولون : « قال رسول الله فيما يرويه عن ربه ... » أو « وقال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله... » .. فلو كانت الفاظها من عند النبى لانتهى الرواة بالرواية اليه ، كمـــا يفعلون فى الاحاديث النبوية .

والقول الثانى للعلماء أن الاحاديث القدسية من كلام النبى والفاظه ، لان أبا البقاء يقول فى كتابه « الكليات » هذه العبارة : « القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى ، وأما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعناه من عـــند الله بالالهـــام أو بالمنام » . وكذلك قال الامام الطيبى :

« أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى مـــلأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرّب إلىّ بشبر تقربت إليه ذراعًا ، وإن تقرّب إلىّ ذراعًا تقربت إليه باعًا ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » حديث قدسى

« القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبي صلى الله عليـــه وسلم ، والحديث القدسي اخبار الله معنـــاه بالالهام او المنام ، فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بعبارة نفسه ، وسائر الاحاديث لم يضفها الى الله تعالى ، ولم يروها عنه تعالى » ، وعلى هذا القول تجوز رواية الحديث القدسي بالمعنى دون التزام اللفظ .

ويتحدث « الدكتور أبو زهو » في كتابه السالف الذكر عن الحكمة في أن الوحي منه ما نزل باللفظ ومنه ما نزل بالمعنى ، فيقول فيما يقول : « انك لتلمس اثار رحمة الله وحكمته في ان جعل الوحي قسمين : قسما لا تجوز روايته بالمعنى ، بل لابد فيـــه من التزام الالفـاظ المنزلة ، وهو القرآن الكريم ، وقسما تجوز روايته بالمعنى لن يستطيع ذلك ، وهو السنة النبوية المطهـــرة ». وفي ذلك صون الشريعة والتخفيف عن الامة ، ولو كان الوحي كله من قبيل القرآن الكريم ، في التزام ادائه بلفظه، لشـــق الامر وعظم الخطب ، ولما استطاع النـــاس ان يقوموا بحمل هذه الامانة الالهية » .

اولها واشرفها القرآن

ولو كان الوحي كله من قبيل السنة في جواز الرواية بالمعنى ، لكان فيه مجال للريب ، ومثار للشك ومغمز للطاعنين ومنفذ للملحـــدين ، اذ يقولون : لا نأمن خطأ الرواة في اداء الشريعة ، ولا نثق بقول نقلة العقائد والاحكام والاداب » .

وهناك طـــائفة من الفروق بين القرآن الكريم والحديث القـــدسي ، نجملها فيما يلى :

١ – القرآن يتجلى فيه الاعجـــاز وتحديه للبشر ان يأتوا بمثله ، بخلاف الحديث القدسي ، فالقرآن معجـــز ، والحديث القدسي ليس معجزا .

٢ – القرآن هو كلام الله المتعبد به لفظا ومعنى ، ولا تصح الصـــلاة بغير القرآن ، فلا تجوز تلاوة الحديث القدسي في الصلاة بدلا عن القرآن .

٣ – القـــرآن متواتر اللفظ في نقله ، اى نقله جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب ، عن جـــماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب ، وهكذا حتى رسول الله عليه الصـــلاة والسلام ، بخلاف الحديث القـــدسي لانه مروى بطريق الاحاد .

٤ – القرآن لا تجوز روايتـــه ولا تلاوته بالمعنى ، ويجوز ذلك في الحديث القدسي ، حيث تجوز روايتـــه بالمعنى عند الحاجة الى ذلك ، بشرط ان يكون الراوى عالما بمعاني الالفاظ والتراكيب علما يمكنه من اداء المراد .

٥ – القرآن اوحى بطريق جبريل فقط ، واما الحديث القدسي فقد يكون بطريق جبريل ، أو بطريق الرؤيا ، أو طريق الالهام .

"أعددت لعبـادي الصـالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطـــر على قلب بشـــر"

حديث قدسي

٦ ـ القرآن لا يجوز مسه ، عند جمهور العلماء للمحدث ولا تلاوته للجنب والحائض ، بخلاف الحديث القدسي ٠

٧ ـ جاحد القرآن يصير كافرا خارجا عن الملة ، ولكن جاحد الحديث القدسي لا يبلغ أمره حد الكفر ٠

٨ ـ القرآن يثاب قارئه بكل حرف عشر حسنات ، بخلاف الحديث القدسي ٠

وقد ورد هنا عن الامام ابن حجر العسقلاني العبارة التالية :

« اعلم أن الكلام المضاف الى الله تعالى اقسام :

اولها واشرفها القرآن لتميزه عن البقية باعجازه ، وكونه معجزة باقية على مر الدهور ، محفوظة من التغير والتبديل ، وبحرمة مسه للمحدث ، وتلاوته للجنب ، وروايته بالمعنى ،

وبتعينه للصلاة ، وبتسميته قرآنا ، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات ، وبامتناع بيعه في رواية عند أحمد ، وكراهته عندنا ، وبتسمية الجملة منه اية وسورة ، وغيره من بقية الكتب والاحاديث القدسية لا يثبت لها شيء من ذلك ، فيجوز مسه وتلاوته لمن ذكر ، وروايته بالمعنى ، ولا يجزىء في الصلاة بل يبطلها ، ولا يسمى قرآنا ، ولا يعطي قارئه بكل حرف عشر حسنات ، ولا يمنع بيعه ولا يكره اتفاقا ، ولا يسمى بعضه اية ولا سورة اتفاقا ايضا ٠

وثانيها : كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل تغيرها وتبدلها ٠

وثالثها : بقية الاحاديث القدسية ، وهي ما نقل الينا آحادا عنه صلى الله عليه وسلم ، مع اسناده لها عن ربه ، فهي من كلامه تعالى ، فتضاف اليه وهو الاغلب ، ونسبتها اليه حينئذ نسبة انشاء ، لانه المتكلم بها أولا ،

وقد يضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم ، لانه المخبر بها عن الله تعالى ، بخلاف القرآن فانه لا يضاف الا اليه تعالى ، فيقال فيه : قال الله تعالى ، وفيها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه ٠

واختلف في بقية السنة ، هل كل السنة بوحي أولا ؟ وآية « وما ينطق عن الهوى » تؤيد الاول ٠ ومن ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : (الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه) ٠

ولا تنحصر تلك الاحاديث في كيفية من كيفيات الوحي ، بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته ، كرؤيا النوم والالقاء في الروع ، وعلى لسان الملك » ٠

وكذلك فرق العلماء بين الحديث القدسي والحديث النبوي ، بأن الحديث القدسي يكون عن طريق الايحاء ، سواء أكان بوساطة جبريل ، أم بوساطة الرؤيا ، وأما الحديث النبوي فقد يكون بوحي ، وقد يكون باجتهاد من رسول الله عليه الصلاة والسلام ٠

على سبيل المثال

وعدد الاحاديث القدسية اقل في العدد من الاحاديث النبوية ، لأن الاحاديث النبوية تعد بالالوف ، على حين أن أصل الاحاديث القدسية تقارب

المائة ، وان كنا نراها في مصادرها تزيد على ذلك العدد وتتضاعف حتى تقارب اربعمائة حديث ، والسر في هذه الزيادة هو ان كثيرا من الاحاديث تروى عبارتها باكثر من رواية ، وقد حرص العلماء على نقل كل هـذه الروايات ، حتى ولو كان الاختلاف بين رواية ورواية قليلا يسيرا ، وعلى سبيل المثال نجد ان الحديث القدسي الخاص بالشفاعة يوم القيامة قد ورد بما يقرب من عشرين رواية ساقها المحدثون كلها حرصا منهم على الدقة والامانة في الرواية •

ويضاف الى ذلك ان هناك طائفة من الاحاديث التى جاءت بصورة احاديث نبوية ، ومع ذلك ساقها الرواة او أصحاب كتب الحديث بين الاحاديث القدسية ، ومن امثلة الاحاديث النبوية التى سيقت وسط مجموعة الاحاديث القدسية ما يلى :

١ ـ « عن عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قوله : سبحان الله وبحمـده ، استغفر الله واتوب اليه • فقلت : يارسول الله ، اراك تكثر من قول سـبحان الله وبحمده ، استغفر الله واتوب اليه • فقال : خبرني ربي عز وجل انى سارى علامة فى امتى ، فاذا رايتها اكثرت من قول : سبحان الله وبحمـده ، استغفر الله واتوب اليه ، فقد رايتها : (اذا جاء نصر الله والفتح • ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) •

٢ ـ عن أبى هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثـل المجاهد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد في سبيله ـ كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنـة ، أو يرجعه سالما مع اجر أو غنيمة •

٣ ـ عن ابن عمر قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن النـذر . وقال : انه لا يرد شيئا ، وانمـا يستخرج به من البخيل •

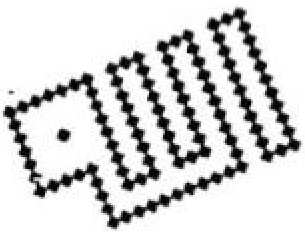
٤ ـ عن حذيفة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا مات فدخل الجنة ، فقيل له : ما كنت تعمـل ؟ فقال : انى كنت ابايع الناس ، فكنت انظر المعسر ، واتجوز فى السكة ـ او فى النقد ـ فغفر له •

٥ ـ عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان تاجـر يداين الناس ، فاذا راى معسرا قال لفتيانه ، تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه •

التهذيب الروحي والاخلاقي

والواقع ان اكثر المسلمين لايتيسر لهم الاتصال المباشر بمجموعة الاحاديث القدسية فى الغالب والسبب فى ذلك هو ان هذه الاحاديث تأتى متنـاثرة فى الابواب الكثيرة المختلفـة التى تضمها كتب الاحاديث النبوية الضخمة ٠٠ من امثال صحيح البخـارى . وصحيح مسلم ، وغيرهما •

والكتب التى عنيت بجمع هـذه الاحاديث القدسية والتعرض لشرحها وتوضيحها قليلة نادرة بين أيدينا ، ومن هـذه الكتب كتـاب عنوانه



"إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد عبدي أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف.

حديث قدسي

« الاتحافات السنية بشرح الاحاديث القدسية » للامام المحدث المحقق زين الدين محمد عبد الرءوف بن علي ابن زين العابدين المناوى المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٣١ هـ وهذا الكتاب مطبوع منذ حين ، وعليه تعليقات للشيخ منير الدمشقى ، وقد نفعني هذا الكتاب في كتابي « ادب الاحاديث القدسية » الـذى تولت نشره دار الشعب في أول سنة ١٩٦٩م ٠ ثم أصدر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية مجموعة « الاحاديث القدسية » في جزءين ، وقد جمعتها لجنة من العلماء ، وظهر الجزءان في سنتى ١٩٦٩ و ١٩٧٠م ٠

وأما من ناحية حجية الاحاديث القدسية ودرجتها في الاستدلال واستمداد الاحكام أو العظات ، فينبغي لنا أن نلاحظ أولا أن أغلب هذه الاحاديث تدور حول التهذيب الروحي والاخلاقي ، وحول التذكير بجلال الله وعظمته ، وثوابه وعقابه ، ويقل فيها التعريض للاحكام الفقهية، ولذلك يستعان بها كثيرا في ترقيق النفوس وتهذيب الارواح ، وتقوية ارتباط الانسان بالمعاني الاخلاقية والنواحي التربوية ٠

والاحاديث القدسية من ناحية مصادرها تشبه الاحاديث النبوية ، فالاحاديث القدسية نجد فيها في صحيح البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، ومسند الامام مالك المتوفى سنة ١٧٩ هـ ٠ وصحيح مسلم المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ٠ وسنن الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ وسنن ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ وسنن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، وهذه هي الكتب الصحاح الستة التي تضم بين دفاتها تلك المجموعة الضخمة من الاحاديث القدسية ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

واذا كان من هذه الاحاديث القدسية قدر كبير بلغ درجة الصحة والقوة ، فان بعض هذه الاحاديث يتسم بالضعف أو الغرابة ، مثل الاحاديث التالية :

١ ـ « اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فان الله ينزل فيها لغروب الشمس ،

الى سماء الدنيا فيقول : الا من مستغفر فاغفر له ؟ الا مسترزق فارزقه ؟ الا مبتلى فاعافيه ؟ الا كذا ؟ الا كذا ؟ حتى يطلع الفجر » . قال العلماء ان اسناده ضعيف ، لان بعض رواته يضع الحديث .

٢ ـ « ان رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما ، فقال الرب عز وجل : اخرجوهما . فلما اخرجا قال لهما : لاى شيء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا . قال : ان رحمتى لكما ان تنطلقا فتلقيا بانفسكما حيث كنتما من النار ، فينطلقان فيلقى احدهما نفسه ، فيجعلها عليه بردا وسلاما ، ويقوم الاخر فلا يلقى نفسه ، فيقول له الرب عز وجل : ما منعك ان تلقى نفسك كما القى صاحبك ؟ فيقول : يا رب ، انى لارجو الا تعيدنى فيها بعد ما اخرجتنى ، فيقول الرب : لك رجاؤك . فيدخلان جميعا الجنة برحمة الله » .

هذا الحديث رواه الترمذى ، ولكنه ضعيف ، لان فى سنده رجلين من الضعفاء عند اهل الحديث .

٣ ـ « يجاء بابن آدم يوم القيامة كانه بذج (ولد الضأن) فيوقف بين يدى الله ، فيقول الله له : اعطيتك وخولتك وانعمت عليك ، فماذا صنعت؟

.. فيقول : يا رب جمعته وثمرته فتركته اكثر مما كان ، فارجعنى آتيك به ، فاذا عبد لم يقدم خيرا ، فيمضى به الى النار » . هذا الحديث رواه الترمذى ، ولكن بعض المحدثين يحكم عليه بالضعف .

٤ ـ « ان الله اوحى الى النبى : اى هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك : المدينة ، او البحرين ، او قنسرين » . هذا الحديث اخرجه الترمذى، وهو حديث غريب، والحديث الغريب هو ما كان فى بعض طبقات سنده راو واحد ، وهو اقوى من الحديث الضعيف اذا كان هذا الواحد ثقة ضابطا ، والغرابة فى سند الحديث لا تجعله ضعيفا اذا كانت طبقة الانفراد من رجال الصحة والحسن .

قال الإمام الطيبي :
"القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم ، والحديث القدسي إخبار الله معناه بالإلهام أو المنام ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بعبارة نفسه ، وسائر الأحاديث لم يضفها إلى الله تعالى ، ولم يروها عنه تعالى"

٥ ـ « لما خلق الله الارض جعلت تميد ، فخلق الجبال ، فعاد بها عليها فاستقرت ، فعجبت الملائكة من شدة الجبال . قالوا : يا رب ، هل من خلقك شيء اشد من الجبال؟ . قال : نعم ، الحديد . قالوا : يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ .. قال : نعم ، النار . فقالوا : يا رب ، فهل من خلقك شيء اشد من النار ؟ . قال : نعم ، الماء . قالوا : يا رب ، فهل من خلقك شيء اشد من الماء ؟ . قال : نعم ، الريح ، قالوا : يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ .. قال : نعم ، ابن آدم ، تصدق بصدقة بيمينه ، يخفيها من شماله » ، هذا حديث أخرجه أبو عيسى الترمذي ، وهو حديث غريب .

٦ ـ « أحب عبادي الى اعجلهم فطرا » هذا حديث رواه الترمذي ، وهو حديث غريب .

وهنا ينبغي أن ننبه الى ما يلزم الانسان من الحيطة والتدبر وهو يجول بين مجموعة الاحاديث القدسية .. حتى لا يقع على حديث ضعيف أو غير صحيح ، وعليه أن يتثبت من صحة الحديث الذي يطالعه . وأن يراجع فيما يشتبه فيه أهل العلم بالحديث ، حتى لا يقع في خطأ أو ضلال .

تنمية الثروة اللغوية

وهناك ناحية لها أهميتها في مجموعة الاحاديث القدسية ، وهي انها تحوى ثروة لغوية ضخمة ، اذ يرد فيها كثير من مفردات اللغة العربية التي تحتاج الى مراجعة لغوية في فهم المراد منها ، ولا شك أن تتبع هذه المفردات مع الوقوف على معانيها فيه انماء للثروة اللغوية عند الانسان ، ومن هذه المفردات ما يلي :

اجتالتهم الشياطين : ذهبت بهم .
جنابذ اللؤلؤ : عقوده .
يده سحاء : دائمة العطاء .
امتحشوا : احترقوا واسودوا .
انفهقت : انفتحت واتسعت .
خداج : غير تام .
قشبني ريحها : أهلكني ريحها .
الخردل : المقطع قطعا .. الخ .

اما بعد ، ففي رأيي أن الاحاديث القدسية ما زالت صالحة لدراسة علمية واخلاقية واسعة ، تشمل الجمع في احصاء . والتبويب في موضوعات .. والتمحيص لدرجات السند والمتن فيها ، والتمييز بين صحيحها وضعيفها وما يلحق بها وليس منها ، والتيسير لها أمام القارئين ، لانها منبع ثرار من منابع الثقافة الدينية والتوجيه الاخلاقي .

صلى الله عليه وسلم

بدوى طبانه

« محمد رسول الله ، والذين معه اشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ، ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » ...

تضمنت هذه الآية الكريمة من كتاب الله شيئا من خلال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشمائل صحابته الذين شرفهم الله تعالى بتلك الصحبة ، وكتب لهم السبق الى الايمان به ، وبالنور الذى انزل معه .

وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اولئك « الذين آمنوا به ، وعزروه ، ونصروه ، واتبعوا النور الذى انزل معه ، اولئك هم المفلحون » — وهم اولئك « السابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، واعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، ابدا ، ذلك الفوز العظيم »

لقد كان أولئـــــك المؤمنون ــ أصحاب النبى ــ هم الذين حملوا الامانة ، والدوها كما تلقوها عن امامهم الذى رفعوا معه راية الجهاد ، وحملوا معه مشاعل الهداية ليشمل نور الله الذى جاء به

محمــد مشارق الارض ومغــاربها ، وليخرج الناس من ظلمات الجهــل وضلال الشرك ، ومن حيــاة البغى

والهمجية الى حيــاة الامن والعدل والســلام ، والى نور الحق ، والى الصراط المستقيم ·

وفى الآية الكريمة ، وفى غيرها من آيات الكتاب المجيد ، وصف الله نبيه واصحابه الذين امنوا معــــه باوصاف من الكمال الانسانى ·

وتلك الاوصاف فى جملتهـــا هى شمائل المؤمنين الذين توغل الايمان فى قلوبهم ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وهى الخلال التى اقتبسوها

من امامهم المصطفى ، ورسول الله الذى أدبه لأحسن تأديبه ، وجعلــه بالفضائل ، ووصفه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » ثم كرمه بحمــل رسالة السماء المشرقة ، ليحيى بها موات القلوب ، ويضىء بها ظلمات



النفوس ، ويطهر الارض من الرجس والاوثان ، ويملأ الدنيا نورا وعدلا، كما ملئت ظلاما وجورا ·

ولقد كان لاولئك الصحب فى محمد صلوات الله عليه النور الذى به يهتدون، والامام الذى به يقتدون ، كمــا اخبر بذلك كتاب الله فى قوله جل شانه : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ·

غايات عظيمة الخطر

والحقيقة أنه لم تكن هنالك مسئولية أشق من تلك المســئولية ، ولم تكن هنالك تبعة أخطر من تلك التبعة التى ألقيت أعباؤها على السيد الرسول ،

وعلى ذلك الرعيل الاول من صحابته الابرار ، لانهـــا مسئولية كثيرة الجوانب ، متعــددة الابعــاد والاتجاهات ، تتسع لتشمل حيـــاة الفرد فى مجتمعه الصغير ، وحيــاة المجتمع الانســانى الكبير ، بدقائقه

وتفصيلاته ، وتتعمق حتى تصل الى أغوار النفس الانســانية ، وتمس خلجات القلوب ، وحركات العقول ، وتبحث فى أسرار الوجود ، وعظمة الملكوت ، وتتدبر فى خلق السموات والارض ، وفيمـــا وراء الطبيعة والحياة ·

ثم لأن لها بعد ذلك هدفا بعيدا هو سعادة الانسان بالعيشة الراضـــية والنعيم المقيم ، واسترجاع ما ذهب من كرامتــــه ، واحترام وجوده ،

واستنقاذ عقله من المهاوى التى تردى فيها ، ومن أسباب الذل والاستعباد الذى رزح تحت نيره فترات طويلة من الزمان ·

وفى بعــــد ذلك مسئولية تحطيم

عروش ، وقضاء على زعامات وقيادات قامت على البغي والضلال ، واستئصال قيم فاسدة ، وتقاليد بالية ، وعقائد وخرافات لا تليق بمقـــام الذكاء البشري ، وما أودع الله في الانسان من بذور العقل والتفكير ، والقـــدرة على استبانة معالم الرشاد من الغي والفساد ، وتمييز الخبيث من الطيب ، وما يجيء بعد ذلك من غرس العقائد الصافية ، والقيم الرشيدة ، ومكارم الاخلاق ، وتوجيه البشرية الى العمل الجاد الشريف في سبيل الخيـــر في الدنيا ، والسعادة في الآخرة ٠

وكل غاية من تلك الغايات عظيمة الخطر ، لانها تقلب الموازين ، وتغير نظام المجتمع ، وليس شيء من ذلــك يسيرا على من يطلبه ، بل كـــان من دونه خـــرط القتاد ، وتعريض النفوس للهلكة والدمار

ولذلك اصطفى الله محمدا واجتباه من خيـــرة خلقه ، وكمله بصنوف الكمالات ، حتى يكون أهـــلا لحمل الامانة ، واداء الرسالة ، والنهوض بتلك التبعات التي لا ينهض بها بشر الا بحول من الله ، ولا يعصم مـــن اهوالها الا عناية من السماء ، لانها



دعوة الى الله ، وجهـاد في سبيله ، واعلاء لكلمته ، ونشر لدينه ، وبذلك ثبت الله قلب نبيه ، وقلوب الذين آمنوا معه ، والقى في قلوب الذين كفروا الرعب ، وعصم الله أوليـــاءه من كيدهم ، وقال لنبيه : « فاصدع بمـا تؤمر ، واعرض عن المشركين » كمـا قال له : « يأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فمـــا بلغت رسالته ، والله يعصـــمك من الناس » ٠

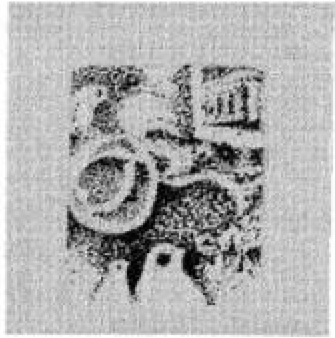
ومن بدهيات الحقائق انه لا تكون هنالك دعوة من غير داعية ، وانه لابد ان يكون ذلك الداعية في مستوى الدعوة التي يدعو اليها ، وأن يكون الرسول في مستوى تلك الرسالة التي حمل امانتها ، وفي مستوى القـــدرة على ادائهـــا والنهوض باعبائها ٠

وكذلك كان محمد صلى الله عليـــه وسلم اشرف خلق الله واقدر عبـــاده على ان يحمل الامانة ، ويبلغ الرسالة ٠

ومن بدهيات الحقائق كذلك انه لا يكون داعية من غير حواريين يؤمنون بما آمن به ، ويستجيبون لما يدعوهم اليه ، ويشاركونه في تأدية رسالته ، ويحـــوطونه بقلوبهم وسيوفهم ، وبالايمـــان الــذي غرس أصوله في أعماقهم ٠ وكان أولئك الحواريون هم صحابة محمد صلى الله عليه وسلم ،

وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان ممن خدموا دينهم ، ونقلوا سـنة نبيهم ٠ قـال ابن عبـــد البر في « الاستيعاب » : « ان من أوكد الآلات السنن المعينة عليهـــا ، والمؤدية الى حفظها ، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم

صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، وحفظوها عليه ، وبلغوها عنه ، وهم صحابته الحواريون الــذين وعوها ، وأدوها ناصحين محسنين ، حتى كمل بما نقلوه الدين ، وثبتت بهم حجـة



الله تعالى على المسلمين ، فهم خير القرون ، وخير امة اخرجت للناس ، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم ، وثناء رسوله عليه السلام ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته ، ولا تزكية افضل من ذلك ولا تعديل اكمل منه » ..

مجاهدون في سبيل الله

ونعود الى تلك الآية الكريمة لنرى ما وصف به الله تعالى صحابة نبيه ، اذ كانت تلك الآية على وجازتها ، وكانت تلك الاوصاف على قلتها جماع كثير من الاخلاق والشمائل التى هى الزم اللوازم للمؤمنين الصادقين.

فهم اقوياء اشداء على الكفار والمعاندين ، وهم ضعاف أمام اخوانهم المؤمنين ، لا يحملون لهم ضغنا ، ولا يرفعون فى وجوههم سيفا .

وهاتان خلتان من صميم الخلال التى تميز المؤمنين واصحاب العقائد الخالصة الذين لا يحبون الا فى الله ، ولا يبغضون الا لله . أى ان عواطفهم تدور مع عقيدتهم ، ومع مقتضيات ايمانهم ، لانهما المحور الذى يدور حوله تفكيرهم ، والاساس الذى يبنون عليه سلوكهم وعلاقاتهم فى هذه الحياة الدنيا ، ولا تتحكم فيهم عصبية جاهلية ، ولا شهوة من شهوات الدنيا الفانية .

ولم تكن تلك الشدة التى وصف الله بها عباده المؤمنين ، وصحابة رسوله الامين ، شدة الحمقى او المغرورين ، ولا شدة البغاة المعتدين الذين يستبدون بالضعفاء او المستضعفين ، ولكنها الشدة على الطغاة ، وعلى المعتدين الآثمين الذين كفروا بربهم ، واعترضوا سبيل دعوتهم ، واجمعوا على حربهم ، وحاولوا أن يئدوا رسالتهم فى مهدها . فتصدى لهم المؤمنون ، ولقوهم بشجاعة قلوبهم ، وقوة ايمانهم ، وان قلت فئتهم ، وضعفت شوكتهم ، لانهم اقوياء بربهم ، يؤمنون بنصره وتاييده ، وهم يعرفون انهم اصحاب حق ، ونصراء حق ، ودعاة الى الحق الذى لا مرية فيه ، ولم يشعروا ان حياتهم اغلى عندهم من كرامتهم ، او كرامة العقيدة التى جرت فيهم مجرى الارواح فى الاجساد ، او مجرى الدماء فى العروق « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم » وقد قال لهم ربهم : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » وقد صدقوا وصدقوا « فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا » ...

وقد تكرر ذلك الوصف لاولئك الصحابة الصادقين بالشدة على الكفار ، والرحمة بالمؤمنين فى آية أخرى من الكتاب الكريم ، وذلك فى قوله تعالى : « اذلة على المؤمنين ،

اعزة على الكافرين ، يجـاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » .

فهى اذن شدة الاباء ، وحميـــة العقيدة ، التى يبدو فيها المؤمن قويا عزيزا ، شـامخا بانفه ، لا تهواه الاعداد ، ولا تفزعه كثرة العتاد ، حتى اصبح بمـا ثبته الله يرى كثرة اعدائه فى نور بصيرته قلة ، وقوتهم ضعفا ، فثبت فى مواقف يشيب لهولها الولدان ، وهانت عليه حيـــاته فى سبيل نصرة دينه ، وأعلاء كلمة الله .

وكذلك كانت شدتهم مظهر عزتهم ، وعزتهم من عزة دينهم وشرف عقيدتهم، وهيهات أن يرضى مؤمن بالذل ، أو يقيم على الهوان ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ...

ولقد صبر أولئك المؤمنون ماوسعهم الصبر على البلاء ، وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفســـهم ، وقدموا أرواحهم ودماءهم قربانا لـــدينهم ، وزلفى الى ربهم ، يملؤهم اليقين بانهم « لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ، ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح ، ان الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ، ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون » ...

هذه هى شدة الصحابة الاطهـــار على المشركين والكفـــــار ، بلغ من تشددهم عليهم انهم كانوا يتحرزون من ثيـــابهم ان تلزق بثيـــابهم ، ويتحـــرزون من ابدانهم ان تمس ابدانهم .

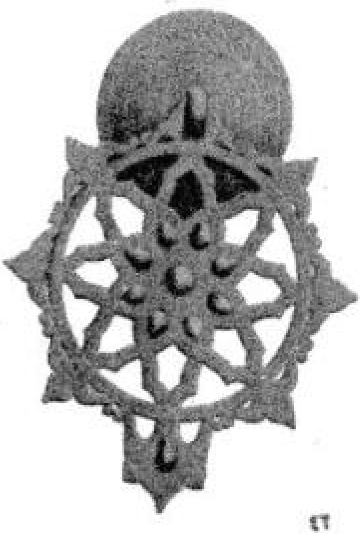
بل ان الغيرة على الدين ، وعلى من جاء به ، كانت تدفع اولئــــك الصحابة الى الشدة مع أقرب الناس اليهم ، وامسهم بهم رحمـــا ، لانهم نسوا ذلك الرحم ، وماتت فيهم تلك العصبية ، ولم يبق الا رحم الدين ، وآصرة العقيدة .

وذلك من أعجب ما فعل الاسلام بتلك القلوب المؤمنة ، فقد انتزع منها بتلك السرعة المذهلة حمية الجاهلية، وعصبيتها للآباء أو للأهل أو للقبيلة وأوليائها ، ولم يبق فيها الا ذلك الولاء لله ورسوله ، وللدين الـــذى جمع شملهم ، ووحد قلوبهم .

مضرب الامثال فى الشجاعة

ومصداق ذلك امثلة كثيرة :

منها ما كان من أبى بكر الصديق الذى سمع اباه أبا قحافة يذكر الرسول





صلى الله عليه وسلم بسوء ، فصكه صكة شديدة هوى بها الى الارض .ثم ذكر ذلك لرسول الله . فقال له رسول الله : أو فعلته ؟ قال : نعم ! فقال له الرسول : فلا تعد اليه : فقال ابو بكر : لو كـــان السيف قريبـــا منى لقتلته ! ومنها ما كان من ابى عبيدة عامر بن الجراح الذى قال فيـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل أمة أمين ، وأمين أمتى أبو عبيدة بن الجراح ــ لم يتردد أبو عبيدة الامين فى أن يقتل أباه الجـــراح فى يوم « بدر » ، وقد جاء فى جموع المشركين يحارب محمدا ومن آمن به .

ومنها ما كان من مصعب بن عمير الذى أجمع أصحاب السير أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بيده يوم « بدر » ويوم « أحد » ، ولم يستشهد فى يوم « أحد » الا بعد أن قتل كثيرا من المشركين فيهم أخــوه عبيد بن حمنة .

ومنها ما كان من عبـــد الله بن عبد الله بن ابى ، كان جالسا الى جنب رسول الله ، فشرب رسول الله ماء ، فقال عبد الله : يا رسول الله ابق لى فضلة من شرابك . قال : وما تصنع بها ؟ قال : أسقيها أبى ، لعـــل الله سبحانه يطهر قلبه ! ففعل ، فأتى بها اباه ، فقال له : ما هـــذا ؟ قال : فضلة من شراب رسول الله ، جئتـــك بها لتشربها ، لعل الله يطهر قلبـــك .. فرفض باستنكار ، فرجـــع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ائذن لى فى قتل ابى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفق به ، وأحسن اليه !

وفى أولئك الصحب جميعا ، وفى كثير من أمثالهم نزل قول الله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليـــوم

الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا اباءهم او اخوانهم او عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الايمان ، وايدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، اولئك حزب الله ، الا ان حزب الله هم المفلحون » !

وقد بينت هذه الآية أن مودة الكفار تقدح في صحة الايمان ، وأن من كان مؤمنا لم يوال كافرا ، وان كان اباه او ابنه أو أحدا من عشيرته .

ويقصر الحديث عن بسالة صحب رسول الله ، وما ملأ الله قلوبهم من الشجاعة ، فان هذا الحديث ليملأ اسفارا كثيرة من الروايات الوثيقة والاخبار الصادقة . وانما نلم الماما بالقليل ، ليكون شاهدا يستدل به على الكثير .

وقد كان الرسول الامام قدوتهم في تلك البسالة ، وقائدهم الى البذل والفداء ، يتقدم الصفوف المجاهدة من صحابته ، ويلقى بهم عدوه وعدو الله ، ويضرب بسيفه رقاب الكافرين . لقد قاتل رسول الله في قلة من اصحابه جموع الكفار يوم « أحد » ، حتى اصابته جراحات ، ووقف اصحابه من دونه يحمونه بظهورهم من نبل المشركين ، حتى خلص اليه واحد من صناديد الكفار ممتطيا صهوة جواده ، وهو يقول : اى محمد ، لا نجوت ان نجوت !.. فقال الصحابة : يارسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال لهم رسول الله : دعوه !.. فلما دنا منه تناول رسول الله بيده حربة رجل من أصحابه ، واستقبل هذا الفارس المتحدى ، فطعنه في عنقه طعنة ، خر بها عن فرسه صريعاً الى الارض ، وعاد به المشركون قتيلا الى مكة .



وموقفه صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفى حرب هوازن وثقيف ، وفى سائر المشاهد مضرب الامثال في الشجاعة . وقد اقتدى به صحابته الابرار . ويحدثنا الطبرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم « أحد » حين غشيه القوم : من رجل يشرى منا نفسه ؟ فنهض اليه خمسة من الانصار ، فقاتلوا دونه رجلا رجلا حتى قتلوا جميعا .

انما المؤمنون اخوة

اما الخلق الآخر الذى وصفت به الآية الكريمة أصحاب محمد ، فهو الرحمة بالمؤمنين ، أو التراحم بينهم ، فقد كان ذلك الخلق مظهرا من مظاهر التكامل في بناء المجتمع الاسلامى الوليد الذى وضع الرسول أساسه الراسخ في كلمته الخالدة التى قال فيها : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وفى كلمته الاخرى التى شبه فيها المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم بالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالحمى والسهر .

وقد كان الرسول الامام المثل الاعلى لصحابته وللمؤمنين في هذا الخلق الكريم ، قال الله تبارك وتعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين

رءوف رحيم » .. ويتخذ هذا الخلق مظهرا عمليا منذ أول يوم وطئت فيه اقدام المهاجرين أرض المدينة المنورة في ذلك الاخاء بين المهاجرين والانصار الذين قاسموهم عيشهم ، ونزلوا لهم عن ديارهم ، وعما تحرص عليه النفوس من مال الدنيا ومتاعها . فقد آخى رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والانصار ، وقال : تآخوا في الله أخوين أخوين ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ، وليشد أزر بعضهم ببعض ، وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخي ، وكان حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين ، وكان جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك من الخزرج أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بين العوام وسلامة بن سلامة أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت من بني النجار أخوين ، وطلحة ابن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين، وأبو بكر وخارجة بن زهير من الخزرج أخوين .

وهكذا حتى انتهى الرسول من ايجاد هذه الرابطة ، حتى انزل الله تعالى : « واولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » فكان ذلك في الميراث فقط ، ثم جعل المسلمين اخوة في قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » .



تلك النفوس الكبار

وقد ذكر الله تعالى فضل الفريقين من المهاجرين والانصار ، والى فضيلتي الرحمة والايثار اللتين تجلى بهما أولئك الصحابة الابرار تشير الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : « للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رءوف رحيم » !

أي بر فوق هذا البر ؟ وأية رحمة وراء هذه الرحمة ؟ وأية محبة تفوق هذه المحبة في الله ولله ؟ .. يحبون من هاجر اليهم من الذين أخرجوا من ديارهم ، وأبعدوا عن أموالهم حفاظا على دينهم ، ونصرا لله ولرسوله ، ولا ينفسون عليهم نعمة من نعم الله عليهم، ويؤثرونهم بالخير على انفسهم ولو كانوا في أشد الحاجة اليه ، ويسألون الله المغفرة لاخوانهم الذين سبقوهم بايمان ، وأن ينتزع من صدورهم كل حقد على اخوانهم المؤمنين .

ثم انظر بعد ذلك الى آثار الرحمة والى فضيلة الايثار ونكران الذات فى تلك النفوس الكبار ، نفوس صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام .

جاء رجل الى رسول الله ، وقد أصابه الجهد ، فقال : يا رسول الله، انى جائع فاطعمنى ! فبعث الرسول الى أزواجه : هل عندكن شيء ؟ فقلن جميعا : والذى بعثك بالحق ماعندنا الا الماء ! فقال للرجل : ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة ! ثم قال : من يضيف هذا هذه الليلة يرحمه الله ؟ .. فقام رجل من المؤمنين ، فقال : انا يا رسول الله ! فأتى به منزله ، فقال لاهله : هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاكرميه ، ولا تدخرى عنه شيئا ، فقالت : ما عندنا الا قوت الصبية ! فقال : قومى ، فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئا ، ثم أصبحى سراجك — أى اوقديه — فاذا اخذ الضيف لياكل فقومى كانك تصلحين السراج ، فاطفئيه ، وتعالى نمضغ السنتنا لاجل ضيف رسول الله حتى يشبع ! ففعلت ذلك ، وظن الضيف انهما ياكلان معه ، فشبع هو، وباتا طاويين .. فلما اصبحا غدوا الى رسول الله ، فلما نظر اليهما تبسم ، وقال : لقد عجب من فعالكما أهل السماء !

واهدى الى رجل من أصحاب رسول الله رأس شاة ، فقال : ان اخى فلانا وعياله أحوج الى هذا منا ، فبعث به اليه ، فلم يزل يبعث به احد الى واحد ، حتى تداولها أهل بعة أبيات ، حتى رجعت الى اولئك!

فى سبيل المثل العليا

اما النفقة فى سبيل الله ، وفى سبيل الرحمة بالمؤمنين ، فقد كان صحابة رسول الله أزهد الناس فى متاع الحياة الدنيا ، وكانوا احرصهم على ما عند الله مما هو خير وابقى.. ومن الطبيعى الا يبخل بماله من كان ،



يجود بنفسه ، ومن كان يضحي بدمه وروحه راضيا في سبيل المثل العليا التي يؤمن بها ، وذلك قياس عـام في سائر صحابة رسول الله رضـوان الله عليهم ، ولكننا نجتزىء هنـــا

بالاشارة الى شيء يسـير من صنيع ذى النورين عثمان بن عفان ، فقـد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : من يزيد في مسجدنا ، اى يوسعه ؛ فأسرع عثمان رضي الله عنه فاشترى موضع خمس سوار ، فزاده

في المسجد ، وجهز جيش العسرة في غزوة « تبوك » بتسعمائة وخمسين بعيرا ، وأتم الالف بخمسين فرسا .

وكان المسلمون يشربون من ركيـة (بئر) يملكها يهودى كان يبيع لهم الماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : من يشتري رومة – اسم تلك البئر – فيجعلها للمسلمين ، يضرب بدلوه في دلائهم ، وله بها مشرب في الجنة ؟

فجاء عثمـان الى ذلك اليهودى فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها فاشترى عثمان نصفهـا باثنى عشر

الف درهم ، فجعله للمسلمين ، واتفق هو واليهودى على أن يكون لكل منهما يوم ، فكان اذا جاء يوم عثمان استقى

المسلمون من البئر ما يكفيهم يومين ، فلا يحتاجون لشراء الماء من اليهودى في يومه ، فلمـا رأى اليهودى ذلك

قال لعثمان : افسدت علي ركيتي ، فاشترى النصف الآخر ، فاشتراه منه عثمان بثمانية الاف درهم ، ووهبها كلها للمسلمين ، وهو يشرب منهـا كواحد منهم .

وهـكذا كانت صحابة رسول الله صلى الله عليـه وسلم يسرعون الى التضحية والفـداء ، ويسرعون الى

البذل والعطاء ، كما كانوا يترفعون عن الصغائر ، ويقنعون أنفسهم عن التطلع الى شهوات النفوس ، ومتاع الحياة الدنيا ، ويعفون عند المغانم ، وقد أثنى على اولئك الصحابة الاطهار

امامهم رسول الله حيـث قال لهم : « انكم لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع » . وذلك من أعظم مـا يمدح به ذوو المروءات الذين يبرزون للنجدة عند الشدائد ، ويتوارون عن الانظار عندما تبرق بروق الاطماع ..

حياة المعرفة والنور

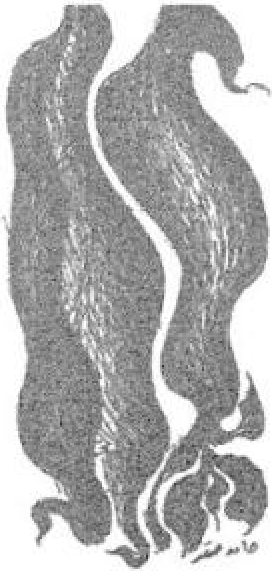
وبعد ، فهذا طرف يسير من الحديث عن صحابة محمد ، وصورة سريعة من شمائلهم السـمحة ، واخلاقهم الرضية ، بعد أن هداهم الله للاسلام ،

وسعدوا بصحبة الرسول الامام ، واشربوا في قلوبهم حب الله وحـب رسوله ، وذاقوا حلاوة الايمـان ، وانجلت عن ابصارهم وبصـائرهم غياهب الشرك والوثنية ، وودعوا ما

كان عليه أسلافهم من الجاهلية وحياة الظلام الى حيـاة المعرفة والنور ، واصبحوا امثلا للخير والفضيلة ، وقدوة لمن اتبعوهم باحسان الى يوم الدين .

ولقد صدق رسول الله اذ شـبه صحابته بالنجوم تهتدى بهـا السراة في حالك الظلمات في قوله عليـه الصلاة والسلام « اصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتـديتم اهتـديتم » ! ثم

استطاعوا بتلك القيم الفـاضلة ، والنفوس الزكية ، والقلوب المؤمنة ان يقودوا جحـافل النصر الى الفتح المبين ، والى موطن العزة والكرامة ، وينشروا راية الامن والسلام ويرفعوا راية العرب والاسلام عالية خفاقة في مشارق الارض ومغاربها ، ويغرسوا في الانسانية مبادىء الحق والعدل والتوحيد ...



خلق النبي العظيم

من همزية أمير الشعراء
أحمد شوقي

يا من له الاخلاق ما تهوى العلا ... منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا لقامت وحدها ... دينا تضيء بنوره الآناء
زانتك في الخلق العظيم شمائل ... يغرى بهن ويولع الكرماء
اما الجمال فانت شمس سمائه ... وملاحة الصديق منك اياء
والحسن من كرم الوجوه وخيره ... ما أوتى القواد والزعماء
واذا سخوت بلغت بالجود المدى ... وفعلت مالا تفعل الانواء
واذا عفوت فقادرا ومقدرا ... لا يستهين بعفوك الجهلاء
واذا رحمت فانت ام او اب ... هذان في الدنيا هما الرحماء
واذا غضبت فانما هي غضبة ... في الحق لا ضغن ولا بغضاء
واذا رضيت فذاك في مرضاته ... ورضا الكثير تحلم ورياء
واذا خطبت فللمنابر هزة ... تعرو الندى ، وللقلوب بكاء

واذا قضيت فلا ارتياب كانما ... جاء الخصوم من السماء قضاء
واذا حميت الماء لم يورد ولو ... ان القياصر والملوك ظماء
واذا اجرت فانت بيت الله لم ... يدخل عليه المستجير عداء
واذا ملكت النفس قمت ببرها ... ولو ان ما ملكت يداك الشاء
واذا بنيت فخير زوج عشرة ... واذا ابتنيت فدونك الآباء
واذا صحبت راى الوفاء مجسما ... فى بردك الاصحاب والخلطاء
واذا اخذت العهد او اعطيته ... فجميع عهدك ذمة ووفاء
واذا مشيت ال العدا فغضنفر ... واذا جريت فانك النكباء
وتمد حلمك للسفيه مداريا ... حتى يضيق بعرضك السفهاء
فى كل نفس من سطاك مهابة ... ولكل نفس فى نداك رجاء
والراى لم ينض المهند دونه ... كالسيف لم تضرب به الآراء
يايها الامى حسبك رتبة ... فى العلم ان دانت بك العلماء
الذكر آية ربك الكبرى التى ... فيها لباغى المعجزات غناء



د. عيسى عبده

التجارة في حياة النبي

خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى بلاد الشام « بفتح الشين وسكون الهمزة » مرتين ·· الاولى وهو فى الثانية عشرة من عمره (على ارجح الاقوال) والثانية وهو فى الخامسة والعشرين ·· وكانت التجارة هى الباعث فى كل من الرحلتين ·· وان كان موضع النبى ، عليه الصلاة والسلام فى السفرة الاولى موضع الصاحب فحسب ، للتجارة · وفى الثانية كان قاصدا فى مال السيدة خديجة ، رضى الله عنها ·



لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة سنة خرج مع عمه أبى طالب الى الشام .. وسبب ذلك ـ كما فى سيرة ابن اسحاق ، شيخ كتاب السيرة ـ أن أبا طالب لما تهيأ للرحيل تعلق به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب وقال والله لأخرجن به معى ولا أفارقه أبدا .

فخرج به حتى بلغ بصرى (بضم الباء وهى أول مدينة فتحت بالشام) فرآه بحيرا الراهب ، وكان اليه علم النصرانية .. قال ابن اسحاق (واسمه جرجيس ـ بكسر الجيمين) .. قال المسعودى فى مروج الذهب : (اسمه جرجس ـ بحذف الياء) وكان نصرانيا من عبد القيس .. ووقع فى سيرة الزهرى أن « بحيرا » كان حبرا من أحبار « يهود تيما » فعرف النبى عليه الصلاة والسلام بصفته التى يجدها فى علوم أهل الكتاب ..

قال « بحيرا » وهو أخذ بيده : هذا سيد المرسلين ، هذا سيد العالمين .. ثم قال : هذا يبعثه الله رحمة للعالمين .. فقال له الأشياخ من قريش : وما علمك بذلك ؟ قال : انكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا .. ولا يسجدان الا لنبى ، ثم قال : وانى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل من غضروف كتفه . وانا نجده فى كتبنا .. ثم سأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود (رواه ابن أبى شيبة عن أبى موسى الأشعرى) .

وفى حديث عند البيهقى وعند أبى نعيم أن « بحيرا » رأى ، وهو فى صومعته ، فى الركب حين أقبلوا غمامة بيضاء تظله ـ وعند الزرقانى على المواهب اللدنية أن الرؤية هنا من قبيل التأمل ، وليس حتما أن تكون رؤية بصرية ، لعلمه بخروج المصطفى للسفر حينئذ من الكتب القديمة .

ثم أقبل القوم حتى نزلوا بظل شجرة قريبا من « بحيرا » فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت .. فقام « بحيرا » الى النبى عليه الصلاة والسلام فاحتضنه وجعل يسأله عن أشياء .

وعند ابن اسحاق انه قال له : يا غلام . أسألك بحق اللات والعزى



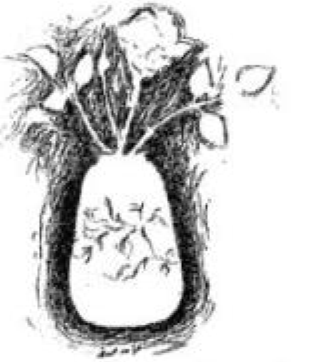
... فقال عليه الصلاة والسلام : لا تسالني بهما شيئا فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما . فقال « بحيرا » فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه ... فقال النبي عليـه الصـلاة والسلام : سلني عما بدا لك . فجعل يساله عن اشياء من حـاله ونومه وهيئته واموره . ليعلم هل هو هو (الموصوف في كتبهم) ، وجعل النبي يخبره فيوافق ذلك ما عند « بحيرا » من صفته ...

وانما ساله باللات والعزى اختبارا كما عند القاضي عياض في «الشفاء» او ساله بحق اللات والعزى لانه سمع قومه يحلفون بهما كما عنـد ابن اسحاق .

ويقـول « الزرقاني » ان ما ذهب اليه القاضي عياض هو الانسب . ثم ان « بحيرا » اقبل على ابي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال ابني . قال ما هو ابنك ... ومـا ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا ... قال ابو طالب : انه ابن اخي ... قال « بحيرا » فما فعل ابوه ؟: قال مات وامه حبلى به . قال صدقت ... فارجع بابن اخيك الى بلـده واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ، ليبغنه شرا . فانه كائن لابن اخيك هذا شان عظيم فاسرع به الى بلاده . فخـرج ابو طالب سريعا حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

التثبت من خاتم النبوة

وفي الخبر انه في هذه السفرة اقبل سبعة من الروم يقصـدون قتل النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو بعـد غلام في الثانية عشرة ، وقد كـان « بحيرا » يحـذر الرهط من قريش (وابا طالب بوجه خاص) من اليهود ومن الروم جميعا فيما تقدم بيـانه من مواقف شديدة . واذا بسبعة من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم « بحيرا »



وسالهم : ما جاء بكم ؟ فقالوا ان هذا النبي خارج في هـذا الشهر (الى السفر) فلم يبق طريق الا بعث اليه باناس !. قال « بحيرا » افرأيتم امرا أراد الله ان يقضيه ، هل يستطيع أحد من النـاس رده ؟ قالوا لا ... ثم بايعوه ... واقاموا معه .

وعند بعض كتاب السيرة (ومنهم ابن سيد الناس) ان هؤلاء السبعة من الروم قد بايعوا « بحيرا » على الا يأخذوا النبي ولا يؤذوه بحسب ما أرسلوا فيه . واذ خافوا على انفسهم اذا رجعوا بدونه فقـد اقاموا مع الراهب الذي ارشدهم الى ما لهـذا الغـلام من شان مرتقب . قال ابن سيد الناس ، وقال غيره ان هـذا قريب (اى يقبله العقل) .

ولقد كان لهذا الراهب ـ «بحيرا» ـ شان في السفرة الثانية حين خـرج النبي عليه الصلاة والسلام في تجارة السيدة خديجة (قبل زواجه منها) فقد لقي الراهب « بحيرا » محمـدا صلى الله عليـه وسلم ، وقد توسط العقد الثالث من عمـره الشريف ، فاستوقفه في رحلته . وقال له : قد عرفت العلامات فيك كلها الا خـاتم النبوة ، فاكشف لي عن ظهـرك . فكشف له عن ظهـره فرآه . قال « بحيرا » أشـهد أن لا اله الا الله

واشهد انك رسول الله النبي الامي الذي بشر به عيسى بن مريم ، عليه السلام ...

ولا اشكال ولا مخالفة عند من يتساءل كيف عاد « بحيرا » الى التثبت من خاتم النبوة في السفرة الثانية بعد ان رآه في السفرة الاولى ... قال كتاب السيرة : لعله نسي ... فقد مضى بين الرحلتين ثلاثة عشر عاما وليست بالزمن القصير في اعمار الافراد . ولعله لم ينس . وانما اراد . التثبت من جديد . لان سائر العلامات ظاهر الا خاتم النبوة ، ودونه الثياب .. وهكذا يكون التثبت شاملاً لكل العلامات ، ما ظهر منها . وما استتر ، ويكون منطق الاحداث ان « بحيرا » آمن بالرسول عليه الصلاة والسلام في السفرة الثانية . اما حرصه على حياته في السفرة الاولى فقد كان اول الطريق الى معرفته بصفته التي يجدها في الكتب القديمة .

وقد وقف العلماء عند شخصية « بحيرا » وتساءلوا : اهو صحابي ؟ وتتوقف الاجابة الصحيحة على تعريف الصحابي ... من هو ؟ فاذا قيل بانه من لقى النبي صلى الله عليه وسلم بعد البعثة وآمن به وثبت على الاسلام ما بقى له من العمر – فان دائرة الصحابة تضيق حتى يخرج منها كثيرون من امثال « بحيرا » وزيد بن عمرو بن نفيل واضرابهما ، ممن آمنوا بالرسول قبل أن يبعث وماتوا على الحنيفية السمحاء ولم يثبت انهم ادركوا الدعوة الخاتمة .

وفي هذا تفصيل مفيد في كتب الحديث ومراجع السيرة وطبقات الصحابة ، ويحسبنا ان نعلم بان « بحيرا » رأى من الآيات ما يطابق علمه القديم (ومصدره الاول من رسالات السماء) فآمن قبل ان يبعث المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ثم ان الراهب الذي لقيه النبي في سفرته الثانية ، قد يكون « بحيرا » وقد يكون غيره كما سنرى بعد قليل . ولكن هذا لا يقدح في موقف « بحيرا » من الرسول قبل ان يبعث ، اذ لم تذكر المراجع كلمة ولا اشارة تفيد تردد هذا الراهب او رجوعه عن قوله الذي كان في السفرة الاولى .

ويرحم الله الاولين رحمة واسعة ، فقد جهدوا في رصد كل شاردة وواردة في حقب من الزمان قل فيها القرطاس والقلم ، وقل الكاتب والقارىء . وكانت الحروف كالدمى الخوالي ، يتشابه بعضها ببعض ولا ترقيم ولا شكل يساعد على الاعراب حتى تتضح المعاني في دقة ويقين .

ونحن نعيش في زمن دانت فيه طاقات الارض ومكناتها للعقل البشري . ولايزال الحادث الجلل يخفى على الراقب والمعقب والمحقق والمؤرخ ...



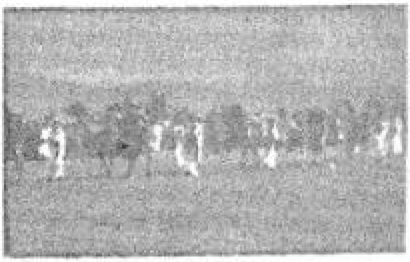
هدى للناس ونورا

ولقد يطيب للبعض أن يتساءل : انى للراهب أن يعرف صفات النبى المرتقب ... وانى لملك الروم أن يعلم بالخبر قبل أوانه ، حتى السفر ... ثم يوفد من الرجال في كل طريق من يترصد النبى المنتظر للقضاء عليه ، قبل أن يجيء زمان بعثته ؟

وفى كتاب الله ، وهو الحق ، الرد الذى تطمئن اليه النفس .. فالله جل جلاله واحد احد ، ورحمته بالعباد سابغة ، والرسالة واحدة من لدن آدم عليه السلام الى خاتم النبيين . والكتب السماوية جاءت للناس هدى ونورا . كما جاء كل رسول بشيرا ونذيرا . وما خلت علوم الدين من الاخبار بما كان من شأن الاولين وبما هو مرتقب من أحداث تتصل بالرسالات في تتابعها ... فلم يكن عجبا ، اذن ، أن يعلم فرعون وهامان وجنودهما بمولد نبى يكاد زمانه أن يظلهم ويكاد دينه (حين يظهر) أن يزعزع عروش الطغاة ... ومن ثم كان جمع الواليد للعهد الذى غلب عليه الظن حتى كان ذبحهم وهم الابرياء ... بهذا يحدثنا التاريخ وعلوم أهل الكتاب . ثم يأتى القرآن الكريم مؤيدا وموثقا ، فيقول عز من قائل مخاطبا موسى عليه السلام وهو في الموقف العظيم « ... ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى امك ما يوحى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له ، والقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى اذ تمشى اختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كى تقر عينها ولا تحزن ... »

الى آخر الآيات التى يطيب للنفس أن تصاحبها أبد الآبدين ، ويثقل على النفس قطع ما اتصل منها فى سياق القصص أو فى غيره من علوم القرآن . ولكنه الاستشهاد ، وحسب ، بقدر ما هو ضرورى للقضية المطروحة بين يدى القارىء ... فهذا رب العالمين ينبىء رسوله ومن تبع الدين القويم ، بما كان من أمر فرعون وقومه وعلمهم بموعد ميلاد موسى عليه السلام ، فذهب جلود فرعون الى كل أرض عرفوها ... والى كل وليد فى هذا العهد بالذات يوردونه موارد الهلاك ، وكل ذلك بقصد الخلاص من وليد واحد هو النبى الذى أظل زمانه ... فكيف علم فرعون مصر ووزرائه وأعوانه بذلك ؟

بل ان أم موسى عليه السلام ادركت من أمر وليدها ما أدركت فاستبد بها الخوف عليه ، وهو طفل رضيع ... فاستمع لكتاب الله وهو يقول « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » ... فالقوم اذن من آل فرعون وأعوانه كانوا يعلمون ويترقبون ، والمؤمنون من أمثال أم موسى كانوا يعلمون ويترقبون ، ومن العلم ما تعيه الصدور ومنه ما تسجله السطور . فليس عجبا اذن أن تتوارث أجيال الاحبار والكهان علوم الدين وقصص الانبياء وما



أخبرت به السماء من توالى الرسالات .. وليس عجيبا اذن كل ما تحدثت به الركبان وحفلت به كتب الاولين من قرب ظهور نبى آخر الزمان وخاتم الانبياء ...

هذا بمجرد القياس على ما كان من قبل ، حتى نزل القرآن الكريم وفيه من النصوص ما يصحح صادق الانبياء التي تواترت من قبل ، استنادا لسابق الرسالات ... ولننظر معا في قوله تعالى : « واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .. والحق ان ما بعد هذه الآية الكريمة من تتمة لما نحن بصدده ، جدير بالتأمل . ولكنه طابع العصر الحاضر : الايجاز والاختصار ، خشية انصراف القارىء اذا طال المقال !

وفى هذه الآية التى ذكرناها من سورة الصف قول ظاهره الخبر وباطنه العلم اليقينى . ومنه نعلم أن سيدنا عيسى عليه السلام قد بشر بسيد المرسلين . فلا عجب اذن مما عرفه « بحيرا » و « نسطور » ، وما قال به ورقة بن نوفل وغيرهم كثير من قبل البعث ومن بعده – استنادا الى كتب الاولين .

وفى الآية الكريمة لطائف وقف عند بعضها اعلام من كتاب السيرة . كما وقف الامام السهيلى امام اسم الرسول « احمد » كما ورد على لسان عيسى . واسمه عليه الصلاة والسلام فى غالب القول .. « محمد » .. قال السهيلى : « انما كان محمدا لانه كان من قبل احمد » . والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اكثر الناس معرفة بفضل الله ونعمته على عباده فكان اكثرهم حمدا ومن ثم جاء ذكره على لسان عيسى بوصفه احمد ... واذا كان اكثر الناس حمدا فقد كان جديرا بالحمد واختار له الله أن يكون محمدا ، بمعنى ان الناس يثنون عليه ويصلون عليه وبهذا نزل القرآن الكريم يقول : « ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

- ومن آيات الله جل شأنه التى تؤيد صحة العلم بالنبوة من قبل زمانها ، قوله تعالى : « ... فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » ..

لا شبهة اذن فى أن الاخبار التى تواترت عن قرب زمان النبى ، فى سفرتيه الى الشام وفى غيرهما من مواقف السيرة ، قد كان حقا ... وهذا يدعو الى قبوله من حيث المبدأ وتدقيق الروايات من حيث التفصيلات : كالسن يوم السفر ، واسم الكاهن ، وما اذا كان حبرا من احبار اليهود أم كان من علماء النصارى ، هذه كلها تفصيلات لا تمس جوهر الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم .

السفرة الكبرى

وهى الثانية .. وانما نصفها بالكبرى .. لانه وقع فى أعقابها اتجاه السيدة خديجة الى عرضيدها على النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا تقول كتب السيرة ، عن نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية ، قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسم الا الامين لما تكامل فيه من خصال الخير ، قال له أبو طالب : يابن أخى انا رجل ، لا مال لى وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة . وهذه عير قومك وقد حضر خروجها الى الشام ، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى عير لها يتجرون فى مالها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لاسرعت

اليك وفضلتك على غيرك لا يبلغها عنك من طهارتك .. وان كنت لاكره أن تاتى الشام واخاف عليك من يهود . ولكن لا تجد من ذلك بدا ...

وكانت خديجة بنت خويلد امراة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة عير قريش ، وكانت تستاجر الرجال ، وتدفع اليهم المال مضاربة، واشتهرت قريش بالتجارة من قديم . ومن لم يكن منهم تاجرا ، فليس عندهم بشيء ، فقال رسول الله (ص) فلعلها ترسل الى فى ذلك ، فقال ابو طالب : انى أخاف أن تولى غيرك فتطلب امرا مدبرا . وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له فأرسلت اليه فى ذلك وقالت له : انا اعطيك ضعف ما اعطى رجلا من قومك ، وقد بلغنى عنك من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك ما رغبنى فيك .

ولقى محمد أبا طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا لرزق ساقه الله اليك... فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به اهل العير حتى قدم الشام فنزل فى سوق بصرى فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له : نسطور . الراهب . فاطلع الراهب الى ميسرة ، وكان يعرفه .. فقال : يا ميسرة من هذا الذى نزل تحت الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبى . ثم قال لميسرة : أفى عينيه حمرة ؟ قال ميسرة نعم ... لا تفارقه . قال الراهب : هو هو ... وهو آخر الانبياء . وياليت انى ادركه حين يؤمر بالخروج .

يا ميسرة هذا نبى

ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التى خرج بها واشترى غيرها فكان بينه



وبين رجل اختلاف فى سلعته ، فقال رجل : أحلف باللات والعزى فقال رسول الله (ص) ما حلفت بهما قط . فقال الرجل : القول قولك ، ثم قال لميسرة ، وخلا به : يا ميسرة هذا نبى والذى نفسى بيده ، وانه لهو .. تجده أحبارنا منعوتا فى كتبهم . فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا ..

وكان ميسرة اذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس وهو على بعيره ، فوعى ذلك كله ميسرة .

وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون .. فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران قال ميسرة يا محمد انطلق الى خديجة فأخبرها بما صنع الله لها على وجهك فانها تعرف لك ذلك ... فتقدم رسول الله (ص) حتى دخل مكة فى ساعة الظهيرة ، وخديجة فى علية لها ، معها نساء فيهن نفيسة بنت منية فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظلانه ، فأرته نساءها فعجبن لذلك .

ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما ربحوا فى وجههم فسرت بذلك ... فلما دخل ميسرة عليها أخبرته بما رأت ..

فقال ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام ، واخبرها بما قال الراهب « نسطور » ، وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع .

السعي في طلب الرزق

بقي أن ننظر في موقع التجارة من الرسالة وهي خاتمة الرسالات .. كاستطراد لموقع التجارة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم – فنقول : يقول الحق تبارك وتعالى ، من سورة الممتحنة « قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه – (الآيات) » ثم يقول من السورة ذاتها « لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد » كل ذلك في ابراهيم ، أبي الأنبياء ، والذين معه ، أي الذين اتبعوه . حتى جاءت خاتمة الرسالات فنزلت آية الاحزاب ونصها « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

فكل ما في حياة النبي عليه الصلاة والسلام ، عمل شريف جليل ، وعلى هديه وبه يسير المؤمنون ... وفي هذا بحث قائم بذاته وانما نقف عند آيات من كتاب الله جل شأنه ، وبعض من وقائع التاريخ الاسلامي ، ليعلم



المسلمون أنهم اذ تأخروا في ميادين التجارة الداخلية والعالمية أصابهم ما هم فيه ، وهو غني عن البيان .

أما كتاب الله جل وعلا فيقول عن الفلك في آيات كثيرة قولا يفيض بالنور لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ... ومن ذلك قوله تعالى : « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته . ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

وفي ختام سورة الجمعة يقول الحق تبارك وتعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » . وفي هذه الآيات الكريمة، وفي نظائرها حض على السعي في طلب الرزق ، ودعامتاه : العمل والتجارة .

ذلك الفوز العظيم

أما وقائع التاريخ فتقول بأن المسلمين قد بسطوا نفوذهم على مداخل البحار وعلى ما في الارض من برزخ ومن بوغاز ، في عشرات السنين .. ثم حملوا الرسالة الصادقة الى مشارق الارض ومغاربها ، مع التجارة ، فكان العدل في المعاملات والصدق في العهود من عوامل التنبيه الى عظمة الاسلام.

ثم رفع الله من شأن التجارة اذ اطلقها مجازا على الايمان واخلاص العمل لوجهه تعالى ، فقال جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم » ...

محمد عبد الغني حسن

يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شئ قدرا ومن يتو

ايجوز ان نتحدث عن شعراء النبى عليه الصلاة والسلام وشعر الدعوة الاسلامية دون ان يتطرق بنا القول الى التحدث عن رأى النبى عليه الصلاة والسلام فى الشعر وموقفه منه وتلوقه له ؟

الم يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله: (ان من الشعر لحكمة، وان من البيان لسحرا) ؟ ثم الم يذكر الرواة والاخباريون ان الشاعر النابغة الجعدى حين وفد على النبى فانشده قصيدته ، الرائية وبلغ منها قوله :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له   بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له   حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

طرب النبى لهذا المعنى الكريم واستحسنه وقال للشاعر : « احسنت يا ابا ليلى ! لا يفضض الله فاك ! »

ثم الم يرو ابن عائشة فى حديث مرفوع ان رسول الله قال: (الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به فى بواديها ، وتسل به الضغائن من بينها) ؟

شعراء النبي وشعر

[illegible]

لقد كان النبي القرشي يعرف قيمة الشعر ، وخطره ، وأثره في تأليف القلوب واستلال الاضغان ، واثارة الاشجان . فلقد كان يكثر من استنشاد شعر الخنساء في أخيها صخر ، ويستعيدها ويستزيدها

ويقول لها : « هيه يا خناس ! » وكأنه وجد في صدق العاطفة ومواجد الحزن في شعر الخنساء ما تتمثل فيه مراحم القلوب ، ومواجع الاكباد .

ولما قتل النبي عليه السلام « النضر ابن الحارث » اثر غزوة بدر لموقف كان منه يستحق هذه العقوبة ، جاءت ابنته — كما يؤكد اثبات المؤرخين وعلى راسهم السهيلي صاحب الروض الانف لا اخته — واسمها قتيلة بنت النضر ، فأسمعت النبي قصيدة لها في رثاء أبيها النضر تقول فيها موجهة الخطاب الى محمد عليه السلام :

أمحمد ، ولانت ضن (١) كريمة
في قومها ، والفحل فحلٌ معرق
ما كان ضرك لو مننت ، وربما
من الفتى ، وهو المغيظ المحنق ؟

فتأثر النبي لشعرها الحزين وقال : « لو سمعت هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه وما قتلته » . ثم الم يكن النبي يتأثر لكلمة حق قالها شاعر مخضرم هو « لبيد بن ربيعة العامري » فيقول : « أصدق كلمة قالهـا شاعر قول لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل »

ثم الم يذكر الخطيب العمري التبريزي صاحب « مشكاة المصابيح » ، وعنه نقل من بعده ، أن النبي عليه السلام كان يحب أن يسمع شعر « أمية بن ابي الصلت » لما فيه من ذكر الله والبعث ؟ ولم تزل الكلمة من الشعر تؤثر في نفس النبي بعد أن يرسلها صاحبها لتتناقلها الالسنة ، فقد روى « ابن سلام الجمحي » صاحب « طبقات الشعراء » أن أبا سفيان بن الحارث الشاعر الجاهلي المخضرم قال بعد أن هداه الله للاسلام شعرا يقول فيه :

لعمرك اني يوم احمـل راية
لتغلب خيل « اللات » خيل محمد

---

(١) الضن : النسل .

الدعوة الإسلامية

لكالمدلج الحيــــران اظلم ليله
فهذا أوان حين أهدى واهتــدى

هداني هاد غير نفسي ، وقادني
الى الله من طردت كل مطـــرد

اى هدانى الى الله النبى محمد الذى كنت أطرده قبل اسلامى . فلما سمعها النبى أنكرها عليه قائلا : « أنت طردتنى كل مطرد ؟ » . ومازال يرددها انكارا لها ...

وكثيرا ما كان النبى عليه السلام يتمثل بالشعر الصـادق الطيب حين يدعو المقــام الى الاستشهاد بأكرم الاشعار ، فهــو لا يكتفى بأن يحسن الاستماع الى أجود الشعر وأصدقه ، ولكنه لا يرى بأســا فى رواية البيت الصادق الحكيم . فقد حدثوا أنه كان يتمثل بقول الشاعر الجاهلى المخضرم « سحيم » :

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

ولكنه عليه الصلاة والسلام كــان يرويه هكذا :

كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا .

بزيادة الباء على كلمة « الشيب » ، وهى فاعل الفعل « كفى » . وهى زيادة تجيزها اللغة والنحو ، ولا يجيزهـا وزن الشعر لانها تكسره . وقد صححها أبو بكر للنبى قائلا : انما هو : كفى الشيب والاسلام ... فأعادهـا النبى كالاول – اى بالباء – فقال أبو بكر : (أشهد انك لرسول الله « وما علمنــاه الشعر وما ينبغى له » .)

ولا نتعرض هنا لما قاله ابن فارس فى « فقه اللغة » وعنه نقــل الامام السيوطى فى « المزهر » من الحكمة فى تنزيه الله نبيه عن الشعر . فليس هنا مجاله . ولكنا نكتفى بأن نشير الى ان النبى عليه السلام لم يكن شاعراً ولا وازنا للشعر او مقيما له . ومع هــذا لم يغض ذلك من الشعر فى ذاته . كما لم تغض أميته عليه السلام من الكتابة فى ذاتها ، وحسب هذه الامية شرفا ان تكون كما قال الشاعر أحمد شوقى :

يأيها الأمى : حسبك رتبــــة
فى العلم أن دانت بك العلمــاء

الـــذكر أية ربك الكبرى التى
فيها لباغى المعجزات غنـــاء

واذا كان القرآن الكريم قد حكم على الشعراء بقوله : « والشعراء يتبعهم الغــاوون ، الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون » ، فان الحكم هنا لم يكن على عمومه ، فقد أتبعه بالاستثناء بقوله : « الا الذين امنــوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ... » ومعنى هذا ان هناك شعراء مستثنين من الهيمان فى كل واد ، ومن القول الذى لا يطابق الفعل . وهــذا الضرب من الشعراء هم الذين كان النبى عليه السلام يستمع لهم . ويعجب بهم ، ويروى بعض شعرهم ، ويدعو الله أن يؤيدهم بروح القدس . أما كان يقول لشاعره المنافح عنه : شن الغارة على بنى عبــد مناف . والله لشعرك أشد عليهم من وقع الحســام ، فى غلس الظلام !

نعم ! كان يقول هذا لشاعره « حسان ابن ثابت » ، بل حين تصدى حســان لهجاء قريش ، وهم أهل النبى وقبيله ، قال له محمد عليه الســلام : كيف تهجوهم وانا منهم ؟ فقـــال حسان : « انى أسلك منهم كما تسل الشــعرة من العجين » .

فهؤلاء الشعراء الصادقون الناطقون

بالحق هم الداخلون فى الاستثناء من قوله تعالى : (والشـــعراء يتبعهم الغاوون) ، مما جعل مؤرخا جليلا كابن عبـــد البر القرطبى يقول فى « الاستيعاب فى معرفة الاصحاب » : انه فى الشاعر الحمدى عبد الله بن رواحة ، وفى صاحبيه حســـان بن ثابت ، وكعب بن مالك نزلت : (الا الذين امنوا وعملوا الصـــالحات ، وذكروا الله كثيرا) ·

شعراء المناضلة والمنافحة

فهؤلاء الشعراء الثلاثة بالذات من دون شعراء الصحابة جميعـا ـ وهم



يقاربون المائة والعشرين شـــاعرا أو يزيدون ، فى رأى ابن عبد البر ـ هم ، كما قال تقى الـــدين التميمى الدارى المصرى صاحب « الطبقات السنية » : شعراء النبى « الذين كانوا بصـــدد المناضلة عنه ، والهجاء لكفار قريش)

وليس معنى هذا أن بقيـــة شعراء الصحابة المائتين او المـــائة والعشرين قعدوا عن نصرة النبى ، والمنـــافحة دونه ، فلهم ـ رضـــوان الله عليهم ـ مواقف فى هذا الباب لاينبغى اغفالها· الا أن أبرز الجميع فى هذا الميدان ، الذى كان ظاهرة متميـــزة فى عصر الدعوة الاسلامية ، هم هؤلاء الثلاثة ·

على أن شعراء المناضلة والناقصة عن محمد عليه الصـــلام لم يحجبوا شعراء المديح الذين كانوا بحكم قربهم من رسول الله اقـــدر على تصويره وتصوير نواحيه الشريفة المتعددة فى لوحات رائعة · وكانت هـــذه المدائح تسرى وتسير فى شبه الجزيرة العربية، ويتناقلها الرواة بحكم ما كان للشعر دائما من سيرورة وانتشـــار فى بلاد العرب · ولم يتخل شـــعراء المناضلة والمنافحة انفسهم عن شـــعر المديح النبوى ، فقد كان لحسان بن ثابت ، وعبد الله ابن رواحة مدائح نبوية غير قليلة · فمن مدائح حسان بن ثابتقوله فى الدالية :

اغر عليه للنبـــوة خـــاتم
من الله مشهود يلوح ويشـــهد
نبى اتانا بعـــد ياس وفتـــرة
من الرسل ، والاوثان فى الارض تعبد
فامسى سراجا مستنيرا وهـــاديا
يلوح كما لاح الصقيل المهنـــد
وانذرنا نارا ، وبشر جنـــة
وعلمنا الاسلام ، فالله نحمـــد

ومن مدائحه النبوية أيضا قوله فى دالية أخرى :

والله ربى لا نفـــارق ماجدا
عف الخليقة ، ماجد الأمجـــاد
متكرما يدعو الى رب العـــلا
بذل النصيحة ، رافع الاعمـــاد

مثل الهلال ، مباركا ، ذا رحمة
سمح الخليقة ، طيب الأعواد

ومن لطائف « حسان » فى المدح النبوى انه كان لا يبخل بمدائحه على القوم الذين كانوا يناصرون النبى ، كما فى قصيدته العينية التى يقول فيها :

ان الذوائب من فهر واخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الاله ، وبالامر الذى شرعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة
ان الخلائق ـ فاعلم ـ شرها البدع
اعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم
فما ونى نصرهم عنه وما نزعوا

ومن مدائح شاعر المناضلة والمنافحة « عبد الله بن رواحة » للنبى عليه السلام قوله من قصيدة كان يعير بها قريشا بالكفر :

يا هاشم الخير ! ان الله فضلكم
على البرية فضلا ما له غير
انى تفرست فيك الخير اعرفه
فراسة خالفتهم فى الذى نظروا
ولو سالت او استنصرت بعضهم
فى جل امرك ما آووا وما نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ، ونصرا كالذى نصروا

أما بقية شعراء الرسول غير الثلاثة القدمين : حسان ، وكعب بن مالك ، وابن رواحة ، فلم تخل اشعارهم فى جملتها من المدائح النبوية ، غير ما كانوا يعالجونه من فنون الشعر الاسلامى الاخرى . « فالنابغة الجعدى » احد الشعراء المخضرمين ، ووصاف الخيل المشهورين يفد على الرسول الكريم فينشده مدحته التى أولها :

خليلى عوجا ساعة وتهجرا
ونوحا على ما احدث الدهر اوذرا
اتيت رسول الله اذ جاء بالهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيرا ...

و « أبو دهبل الجمحى » الشاعر الصحابى الذى أسلم يوم فتح مكة يقول مادحا الرسول :

ان البيوت معادن ، فنجاره
ذهب ، وكل بيوته ضخم
متهلل بنعم ، بلا متباعد
سيان منه الوفر والعدم
نزر الكلام من الحياء تخاله
ضمنا (١) وليس بجسمه سقم
عقم النساء فما يلدن شبيهه
ان النساء بمثله عقم

و « كعب بن زهير » الشاعر المخضرم ، وابن الشاعر الجاهلى الحكيم زهير بن ابى سلمى ، وصاحب قصيدة « بانت سعاد » المشهورة يقول من هذه اللامية فى مدح الرسول :

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
انبئت ان رسول الله اوعدنى
والعفو عند رسول الله مامول
مهلا هداك الذى اعطاك نافلة الـ
ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل

نقد يحتاج الى رد

وليس من الضرورى ان يكون كل الشعراء الذين ادركوا عصر النبى عليه السلام ومبعثه قد اكتحلت عيونهم برؤية

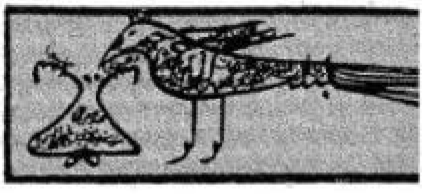
---

(١) الضمن بفتح الضاد وكسر الميم هو السقيم الهزيل .

النبى ، او كانت لهم به صحبة . فنحن نعرف منهم جماعة ادركوا النبى واسلموا ولم يحظوا برؤيته . ومن هؤلاء : الشاعر « الحطيئة » . فقد ذكر المؤرخون أنه لما جاء الاسلام اسلم ، ولم يكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم . ولعل مزاج « الحطيئة » العجيب » وطبيعته الشاذة، وجهالة نسبه ، ورقة دينه ، وغلبة الخسة والهجاء عليه ، ودناءة نفسه قد باعدت بينه وبين مجالس النبى . وكذلك كان الشاعر « سحيم » على الرغم من أن النبى عليه السلام كان يتمثل ببعض شعره فى قوله : « كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا » ...

ويلاحظ أن شعراء النبى عليه السلام كانوا بالضرورة من المخضرمين الذين عاشوا فى الجاهلية زمنا قل أم كثر ، ثم ادركوا الاسلام . وهم بهذا أصحاب عصرين مختلفين كل الاختلاف فى الفكر والعقيدة والسلوك فى الحياة. فهل نجد تبعا لذلك فرقا بين شعرهم فى الجاهلية وشعرهم فى الاسلام ؟

لقد لاحظ النقاد القدامى وعلى رأسهم الاصمعى أن شعر حسان فى الجاهلية كان « عاليا قويا » ، فلما جاء الاسلام (سقط شعره) . ويعنى الاصمعى بسقوط شعر حسان فى الاسلام ضعف ديباجته واسترخاء اسره عما كان عليه فى العصر الجاهلى . وعلل الاصمعى لقضيته بقوله : « ان الشعر نكد يقوى فى الشر ويسهل ، فاذا دخل فى الخير يضعف » .



وكلام الاصمعى هنا يحتاج الى رد ، فهل كان هناك شر فى الاسلام اول أمره اكثر وانكد من موقف قريش والمشركين من الدعوة الاسلامية وصاحبها ؟ وقد دخل « حسان » هذه المعركة التى لم يكن منها بد ، ودخلها بالكلام وبالشعر الهجائى الذى كان أشد على المشركين من وقع السهام . وهذا باب من الشر قوى فيه شعر حسان واشتد .

ولعل الاصمعى يقصد بضعف شعر حسان بن ثابت فى الاسلام ابتذال الفاظه وسقوط اسلوبه عما كان عليه شأنه فى الجاهلية . وحسان بن ثابت هنا كان شاعرا خبيرا بأساليب الدعاية والاعلام لدين جديد . فجنح الى السهولة المطلقة فى شعره الاسلامى وفى أهاجيه للمشركين ، حتى يضمن لهذا الشعر الموجع السيرورة التى كان يرمى اليها . وقد علل حسان بن ثابت نفسه السر فى لين شعره الاسلامى وضعفه بقوله لمن سأله : لان شعرك وهرم يا أبا الحسام ! فأجاب : يا ابن أخى ! ان الاسلام يحجز عن الكذب . وقد فسر ابن الاثير صاحب « اسد الغابة » هذا الجواب بقوله : (ان الاجادة فى الشعر هى الافراط فى الذى يقوله ، وهو كذب يمنع الاسلام منه ، فلا يجيء الشعر جيدا ..)

مع التيار الاسلامى الجديد

على انه مما لا شك فيه ان الفاظ شعراء النبى وعباراتهم قد تأثرت بالمعانى الاسلامية الجديدة ، واكتست حلة اسلامية ظهرت فى اشعارهم كالبدر ليلة التمام . وكان فى هؤلاء الشعراء فطنة وتنبه للتيار الاسلامى الجديد .

فالشاعر المخضرم « حميد بن ثور الهلالي » يسلم ، ويسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لو لم يكن لابن آدم الا الصحة والسلامة ، لكفاه بهما داء قاتلا) فيأخذ هذا المعنى الحكيم وينظمه في شعر يقول فيه :

ارى بصرى قد رابني بعد صحة
وحسبك داء ان تصح وتسلما

ونجد في شعر « حميد » هذا بعض الفاظ اسلامية ، ومصطلحات جديدة لم تكن معروفة في العصر الجاهلي ، كقوله حين اسلم واتى النبي عليه السلام :

حتى ارانا ربنا محمدا
يتلو من الله كتابا مرشدا
فلم نكذب ، وخررنا سجدا
نعطي الزكاة ، ونقيم المسجدا

ونجد في شعر « سواد بن قارب » مثل هذه العبارات الاسلامية في مثل قوله :

فأشهد ان الله لا رب غيره
وانك مأمون على كل غائب
وأنك ادنى المرسلين وسيلة
الى الله يا ابن الأكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا
وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة
بمغن فتيلا عن « سواد بن قارب »

ونجد في شعر « النابغة الجعدى » صورا والفاظا وعبارات تكاد تكون قرآنية ، كقوله :

الحمد لله لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظلما
المولج الليل في النهار ، وفي
الليل نهارا يفرج الظلما
الحافظ الرافع السماء على الارض
، ولم يبن تحتها دعما
الخالق البارىء المصور في الار
حام ماء حتى يصير دما

ولا نرى كبير عناء في رد بعض عبارات النابغة الجعدى الى آيات من كتاب الله الكريم ، كقوله تعالى : (يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل) وقوله تعالى : (الله لا اله الا هو الخالق البارىء المصور) .



وتظهر هذه الظاهرة واضحة مكرورة في شعر حسان بن ثابت ، كقوله :

وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا
عمى ، وهداة يهتدون بمهتدى ؟
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله
ويتلو كتاب الله في كل مسجد

وقوله في النبي عليه السلام :

مصدقا للنبيين الالى سلفوا
وابذل الناس للمعروف للجادى

وقوله :

وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا
للنائبات ، فما خاموا وما ضجروا

وقوله في النبي عليه السلام :

رسول تصدق ما جاءه
من الوحي كان سراجا منيرا

التصدى لهجاء المشركين

وإذا كانت الالفاظ والعبارات قد تاثرت عند شعراء النبي والدعوة الاسلامية بالدين الجديد ، فان اغراض الشعر واهدافه عند هؤلاء الشعراء قد تغيرت في جملتها عما كانت عليه قبل مبعث الرسول ، وظهور الدعوة ، وهو تغير كان لابد منه لاندماج الشعراء في العقلية الجديدة ، والا كانوا متخلفين جامدين ...

وليس معنى هذا ان شعراء النبي والنبوة قد هجروا ألاغراض القديمة للشعر من مدح ، وهجاء ، ورثاء ، وفخر ، وحماسة ، وحكمة وغيرها ولكنهم استعملوا هذه الاغراض في خدمة الدين الجديد وخدمة نبيه ، بل اضافوا اليها أغراضا مستحدثة ، كنشر العقيدة ، واعلان الشهادة ، والحض على القتال والاستشهاد في سبيل الله ، ووصف الغزوات والمعارك التي كانت تدور بين المسلمين والمشركين ، والفرح بالاصابة في سبيل الله مع الاستهانة بما يصيب الانسان من اجل ربه وعقيدته .

ففي باب المديح نجد مدائح كثيرةفي النبي عليه السلام لحسان بن ثابت ، وابن رواحة ، وعبد الله بن الزبعرى ، والجمحي ، وأبى اياس الديلي وغيرهم، بل نجد مدائح في الصحابة والانصار ورهط النبي عليه السلام . وفي باب الهجاء نجد شعراء النبي يهجون قريشا والمشركين واليهود . وقد برع حسان بن ثابت في هذا الباب وبلغ الغاية ، حتى اربى على زميليه : كعب ابن مالك ، وعبد الله بن رواحة بما لا يكادان يلحقانه فيه .

والحق ان « حسان » قد قبل عن طيب خاطر ان يتصدى لهجاء المشركين والرد على أهاجيهم للمسلمين حين قال النبي عليه السلام : ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بالسنتهم ؟ فنهض حسان للقيام بهذا العبء الكبير قائلا : انا لها يا رسول الله ! وقد احاله النبي الى ابى بكر الصديق ليعرف منه انساب القوم واخبارهم فيصوغ اهاجيه فيهم على قدرها ...

والحق ان حسان بن ثابت كان اقدر شعراء النبي الثلاثة ، بل اقدر شعراء الدعوة الاسلامية على ان يكيل للمشركين الهجاء ، ويرد لهم الصاع صاعين . فقد كان طويل اللسان ، وكان يضرب بلسانه ارنبة انفه من طوله ، ويقول : والله لو وضعته على شعر لحلقه ، او على صخر لفلقه ! فلم تكن مهمة هجاء المشركين تصلح الا له ، ولم يك يصلح الا لها ... والحق ان حسان بن ثابت لم يكن عنيفا قاسيا وحسب في هجائه للمشركين ، بل كان مقذعا مفحشا في مواضع كثيرة بما لا يجمل بنا هنا الاستشهاد به ، فانه يجرح آذاننا في هذا العصر ، ويخدش حياءنا ، ولكنه كان ضرورة في وقته ، وجزاء وفاقا في عصره ، ولا يفل الحديد الا الحديد ...

الفرح بنصر الله

وما استشهد شهيد في سبيل الله الا وجدنا شعراء النبي وشعراء الدعوة الاسلامية ينهضون الى رثائه وتعزية اهله والمسلمين فيه ، ولحسان في هذا الباب شعر كثير في رثاء شهداء مؤتة ، وشهداء بئر معونة ، وشهداء أحد ،

وحمزة عم النبي وغيرهم • وكذلك نجد لكعب بن مالك الانصاري مراثي كثيرة لشهداء بدر ، وأحد ، وغيرهما •

وما أرق حسان بن ثابت شاعر الرسول وهو يرثى عمه حمزة بن عبد المطلب حين قبضت بنته « أمامة » المدينة تسأل عن قبر أبيها الشهيد ومصرعه ، فيقول حسان :

تسائل عن قرم ، هجان ، سميدع
لدى البأس ، مغوار الصباح ، جسور
أخى ثقة يهتز للعرف والندى
بعيد المدى فى النائبات ، صبور
فقلت لها : ان الشهادة راحة
وغفران رب يا أمام (١) ، غفور ...
فان اباك الخير حمزة فاعلمى
وزير رسول الله خير وزير

وتهون كل مصيبة الا المصيبة فى وفاة رسول الله ، وهنا نجد الشعراء يعبرون عن هذا الخطب الجلل أصدق تعبير . وفى طليعتهم حسان بن ثابت ، وعلى بن أبى طالب ، وسواد بن قارب ، وعبد الله بن أنيس وغيرهم • ومراثى حسان للنبى متعددة مثبوتة فى ديوانه يرجع اليها من يشاء ، وهى تدل على الركن الذى انهد من حسان خاصة ، والمسلمين عامة ، بوفاة النبى الكريم •

وفى باب الدعوة ونشر العقيدة نجد شاعرا مخضرما مثل « بجير بن زهير » يدعو أخاه كعب بن زهير الى الاسلام قائلا فى حنان الأخ الشفيق :

فمن مبلغ كعبا فهل لك فى التى
تلوم عليها باطلا وهى أحزم
الى الله لا العزى ، ولا اللات وحده
فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من النار الا طاهر القلب مسلم
فدين « زهير » وهو لا شئ غيره
ودين « أبى سلمى » على محرم

وفى باب الحض على قتال المشركين واليهود ، ووصف المغازى والمعارك ، والفرح بنصر الله للمسلمين نجد شعراء النبى الثلاثة : حسان ، وكعب ابن مالك ، وابن رواحة يقولون فى هذا المجال شعرا غير قليل ، وهو مبثوث فى سيرة ابن هشام ، وفى ديوان حسان ، وفى مصادر تاريخية وأدبية كثيرة ، وحسبنا ان نشير فقط الى شعر عبد الله بن رواحة فى يوم مؤتة ، وشعر كعب بن مالك فى يوم بدر ، وأحد ، وشعر حسان بن ثابت فى يوم بدر ، وأحد ، وغزوة بنى قريظة ، وشعره يوم الفتح • ولن يخطئنا هذا الشعر الرائع فى كتاب من كتب المغازى والسير

الاراجيز النبوية

ولقد كان أكثر الشعر الذى يصنعه شعراء النبى من القصيد المعروف بأوزانه وبحوره المعروفة ، ولكن بعضهم كان يلجأ الى « الرجز » فينظم منه بعض الحين ، وهو ضرب من الشعر كان يمتطيه الشعراء أحيانا فرارا من البحور المألوفة ، واستجماما للقول •

(١) يا أمام : أى يا أمامة ، وهو نداء مرخم •

ونجد لحسان بن ثابت بعض الرجز النادر ، كقوله يمدح سعد بن زيد من الانصار :

اذا اردت السيد الاشدا
من الرجال فعليك سعدا
سعد بن زيد ، فاتخذه جندا
ليس بخوار يهد هدا ...

كما نجد لعبد الله بن رواحة شاعر النبي الذى كان عظيم القدر فى قومه – كما يقول ابن سلام – رجزا كالذى قاله يوم أن اعتمر النبى عليه السلام عمرة القضاء ، فأخذ ابن رواحة بزمام ناقة الرسول يقودها ، وقد اجتمع أهل مكة وغلمانهم ينظرون اليه وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله
خلوا ، فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله ...

وكالرجز الذى قاله يوم غزوة مؤتة، فقد بعثه الرسول عليه السلام الى مؤتة ثالث ثلاثة امراء : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة ، فلما قتل صاحباه أحس كأنه تكره الاقدام خشية أن يصير الى ما صارا اليه ، فصنع رجزا يحمل به نفسه على المصابرة والقتال قائلا :

اقسمت يا نفس لتنزلنه
طائعة او لتكرهنه
وطالما قد كنت مطمئنه
مالى أراك تكرهين الجنه ؟!

فقتل يومئذ عليه رضوان الله ...

ومن شعراء النبى الذين قالوا رجزا يوم وفدوا عليه : مالك بن نمط ، والنمر بن تولب ، وعمرو بن سالم بن كلثوم ، وعبد الله بن بديل ، وعامر بن الاكوع ، وأعشى مازن ، وعمار بن ياسر ، وغيرهم ، وأراجيزهم النبوية مبثوثة فى كتب السيرة من ناحية ، وكتب الطبقات وتراجم الصحابة من ناحية أخرى .

قصتهم فى سورة « براءة »

وبعد ! فقد وقف الشعر العربى بجانب محمد صلى الله عليه وسلم ، وبجانب الدعوة الاسلامية ذاتها ، يناضل ،

ويصاول ، ويرد الاذى عن النبى فى ايمان وفى صدق وفى ثبات على الحق . ولقد بلغ من صدق شاعر

النبى : كعب بن مالك الانصارى ، أنه كان أحد الثلاثة الذين خلفوا فى الارض وتخلفوا عن « تبوك » هو وصاحباه : هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، فندموا حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت ، وقص القرآن قصتهم فى سورة براءة .

وقال قوم كعب بن مالك له فى ذلك: لو اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخلفك عن تبوك ببعض ما يعتذر به الناس لعذرك .. فقال :

انى لاصنعهم لسانا ، واقدرهم على ذلك ، ولكن والله لا اعتذر الى رسول الله بكذب ، وان عذرنى ، فيطلعه الله عليه ...

وقد جاءت شهادة الله مكرمة للشاعر الصادق كعب بن مالك فى قوله تعالى فى سورة التوبة : **« يأيها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .**

ولقد بلغ من ثبات شعراء النبى على الحق الذى وقفوا دونه أن النبى حين سمع رائية لشاعره عبد الله بن رواحة، اقبل عليه بوجهه مبتسما ، ثم قال : وإياك فثبت الله !...

لقد جاهد شعراء النبي بالسنتهم فى سبيل الله ، كما جاهد بعضهم بالسيف فوق جهادهم باللسان . وصدق رسول الله حين قال : « المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه » .. وما اجمل ان يجتمع الجهادان، فى كل زمان ومكان ...

علي أدهم

النبي

« توماس كارلايل » أحد كبار الكتاب الذين اخرجتهم الجزائر البريطانية فى القرن التاسع عشر، وربما كان اسماهم مكانة، وابعدهم شهرة ، وابلغهم تاثيرا فى معاصريه ، وهو يعد فى طليعة مؤرخى ذلك القرن وقد عرف بجزالة اسلوبه واصالته وقدرته على الاثارة بروائع تشبيهاته وغرائب استعاراته ، وحفوله بالاخيلة اللامعة والخواطر النفاذة الكاشفة وذلك برغم صعوبته ووعورة ناحيته. ولذلك يتطلب من قارئه اعمال الخاطر وكد الذهن ومما اعان على توطيد مكانته ، واعلاء شانه ، نزاهته الفكرية ومثاليته الاخلاقية ، وصراحته فى النقد، وجراته فى تقرير آرائه ، وارسال احكامه سواء فى الادب أم السياسة أم الاجتماع . وقد اشتهر « كارلايل » بطائفة من المؤلفات اشهرها كتابه عن « الابطال وعبادة البطولة » الذى نقله الى اللغة العربية فى مطالع القرن الراهن الكاتب القدير المرحوم الاستاذ محمد السباعى بعبارته البليغة، وادائه الممتاز ، وطبعه صاحب مجلة البيان الكاتب الاديب المرحوم الشيخ عبد الرحمن البرقوقى ، واستقبله قراء العربية فى ذلك العهد بالاهتمام به ، والاقبال على قراءته ، وبخاصة بمناسبة الفصل الممتع الذى اختص به نبينا الكريم . صلى الله عليه وسلم ..

فى صورة بطل

استطاع « كارلايل » فى هذا الفصل من كتابه الرائع ، وبتساميه فوق دوافع التعصب المقيت ، والتحزب الاعمى ، أن يصل بعبقريته المشرقة وخواطره اللامحة الكاشفة الى تبين الكثير من جوانب البطولة والعظمة والصدق والاخلاص فى حياة نبينا العظيم ، وفند الكثير من الادعاءات الباطلة ، والسفاهات الجارحة ، والاحكام الملتوية الظالمة التى أولع بها الكثيرون ممن أعمى بصيرتهم الجهل والتعصب وعدم القدرة على الموضوعية فى النظر الى الاشياء ، وتقويم أعمال الرجال ، واصدار الاحكام الصحيحة عليهم .

وقد بدأ « كارلايل » فى سنة ١٨٤٠ القاء سلسلة من المحاضرات تناول فيها أحد عشر بطلا من أبطال التاريخ العالمى ، وتناول فى المحاضرة الاولى البطل فى صورة اله ، وقد عبر فى مستهل تلك المحاضرة عن نظريته المعروفة فى فلسفة التاريخ ، وهى أن التاريخ الحقيقى للعالم هو تاريخ حياة الابطال ، وما انجزوه من أعمال فى هذه الدنيا (١) .



توماس كارلايل : «الابطال وعبادة البطولة»

---

(١) اعتمدت فيما نقلته من كتاب « كارلايل » عن الابطال على ترجمة الاستاذ محمد السباعى وعلى الاصل طبعة « شابمان وهول » .

وشيمة البطل أن يجمع بين العقل والتقوى ، نحن طريق العقــل يعرف حاجة عصره ، وبقوة عزمه يمضى فى ابلاغ العصر حاجته ، ويقول كارلايل : « انى اشبه العصور الضعيفة الواهنة المصابة بالكفر والبــلاء والحيرة ، واذهانها الشاكة العاجزة ، وأحوالها المختلطة المضطربة يحدو بها ســائق الشقاء الى غاية التلف ـ اشبه كــل هذا بحطب يابس ميت ينتظــر من السماء شهابا يشعله ، وما الرجــل العظيم مرسلا من قوس الله يجيش فى صدره العزم ويغلى فى عروقه البأس الا ذاكم الشهاب . وما كلمته الاشفاء الغلة ، والتئام الجرح ، ومجتمــع الاهواء ، ومستقرالعقائد ، ثم لايصيب الحطب حتى يلتهب من كل جانب نارا كناره ، ولكن المنتقد يحسب أن الحطب هو الذى أوجد ذلك الشهاب » ونحن لا ننكر أن الحطب كان فى شــدة الحاجة الى الشهاب ، فاما انه أوجد الشهاب فقول يدل على سخافة اولئك النقاد وحمقهم » وعنــد « كارلايل » انه ليس ادل على حطة اى انســان وضعته من عدم ايمانه بالعظماء .

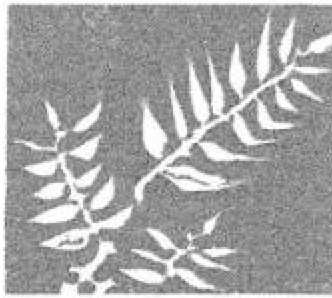
والواقع ان شدة اكبار « كارلايل » للأبطال والعظماء كان رد فعل قوى على نزعة الاستخفاف بالايمان والميل الى الكفر والالحاد التىاصابت القرن الثامن عشر بتأثير « فولتير » وغيره مـن المفكرين الملحــدين ، ويلاحظ « كارلايل » أن الجيل الــذى كان يستهزىء بكل شىء ولم يبق فى نفسه موضع للاجلال والاكبار ولكنه مع هذا احتفل احتفالا رائعا بدخول «فولتير» الى باريس وهو شيخ فان متهــدم قد جاوز الرابعة والثمــانين ، لانه احس ان فى محاربة « فولتير » طوال حياته للضــلال والظلم وكشف امور المنافقين من ارباب المناصب ما يكفى لاعتباره بطلا من ابطال التــاريخ الخليقين بالتمجيد والاكبار .

الرسالة والسراج المنير

وتحدث « كارلايل » فى المحاضرة الثانية عن البطل فى صورة نبى ، وقد قصر فيها الحديث عن النبى العربى محمد بن عبد الله صلى الله عليــه وسلم ، وهو يقول فى مســتهل تلك المحاضرة ان اعتبار الرجــل العظيم الها كان غلطة وحشــية فاحشة ، ويعتذر للقدماء عن ذلــك بقوله : « دعنا نقل ان الرجل العظيم ما برح فى جميع الازمان لغزا مــن

محمد السـباعى :
ترجمة ممتازة للأبطال





الالغــاز لا ندرى كيف نفسره ، ولا كيف نستقبله ونعامله !

« ولعل أهم مزايا جيل من الاجيال فى كيفيــة استقباله لرجله العظيم ، وســواء استقبلوه كاله أم كنبى أم كيفما كان فذلك هو السؤال الاكبر ، ومن طريق اجابتهم عن هذا السؤال وكيفية مذهبهم فى ذلك الامر يمكننا أن نبصر صميم حالتهم الروحية كما لو كان ذلك من خلال نافذة » .

وعبادة البطل فى صورة اله قــد طوى عهدها ، ويقول « كارلايل » انها لن تتكرر ، ويقول كذلك أن ظهــور البطل فى صورة أحد الانبياء والرسل قد ذهب كذلك زمانه ، ولــكنه فى الوقت نفسه يؤكد تأكيدا قاطعا ان كل ضروب الحكمة ليست سوى وحى من الله العلى ، ويرى أن كل ملهم موهوب ليس مع ذلك معصوما من الخطأ ، لأن أكثر الناس نصيبا من الالهام لايتحدث الا بمقدار ما وهب من الحكمة .

ويمضى بعـد ذلك فى الحديث عن النبى قائلا انه سيتحدث عن جوانبــه الطيبــة ، وهو مطمئن الى أنه ليس هناك خطر من تحويل سامعيه الى اتباع للنبى محمد ، ولم يكن « كارلايل » من منكرى النبوة مثل بعض منكرى القرن الثــامن عشر وبعض معــاصرى « كارلايل » ، وانما كان يؤمن بامكانها .. بل كــان يلمح فى نواحى نفسه شواهد دالة على صدق وجودها ، وتساميها عــلى الكذب والادعاء ، ويقول فى مبتدأ المحاضرة مؤكــدا ذلك :

« لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدين من ابناء هذا العصر أن يصــغى الى ما يظن من أن دين الاسلام كذب ، وان محمدا خــداع مزور ، وان لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التى اداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتى مليون من النــاس امثالنا خلقهم الله الذى خلقنا ، افكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التى عاشت بها ، وماتت عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والاحصاء اكذوبة وخدعة ؟..

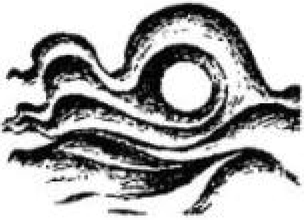
« أما أنا فلا أستطيع ان أرى هــذا الرأى أبدا ، ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هــذا الرواج ، ويصادفان منهم مثل ذلك التصــديق والقبول فما الناس الا بله ومجانين ، وما الحياة الا سخف وعبث ، وأضلولة كان الاولى بها الا تخلق ، فمــا أسوأ مثل هذا الزعم وما أضعف أهله واحقهم بالرثاء والرحمة ، وعلى مــن أراد أن يبلغ منــزلة ما فى علوم الكائنات الا يصدق شيئا البتة من اقوال اولئك السفهاء .. فانها نتائج جيل كفر وعنصر جحود والحاد ، وهى دليل على خبث القلوب ، وفســاد

الضمائر ، وموت الارواح فى حياة الابدان ، ولعل العالم لم ير قط رأيا اكفر من هذا والأم ، وهل رأيتم معشر الاخوان ان رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد دينا وينشره ؟»

« ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبنى بيتا من الطوب ، فهو اذا لم يكن عليما بخصائص الجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذى يبنيه ببيت وانما هو تل من الانقاض ، وكثيب من اخلاط المواد ، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا ، يسكنه مائتا مليون من الانفس ، ولكنه جدير ان تنهار اركانه فينهدم وكأنه لم يكن » .

حوافز الرجل العظيم

وينفى « كارلايل » الكذب والخداع والغش والتلفيق عن العظماء والابطال ، لان الصدق هو اساس العظمة ، ورأس فضائلها ، وحب الخير والصدق والاخلاص هى حوافز الرجل العظيم التى تثير همته ، والرجل العظيم صادق النية جاد مخلص قبل كل شىء ، ويؤكد « كارلايل » أن اخلاص الرجل العظيم غير متوقف على ارادته ، فهو مخلص على الرغم من نفسه سواء اراد أم لم يرد ، لانه يرى الوجود حقيقة كبرى تروعه وتهوله فلا يستطيع ان يهرب من جلالها الباهر مهما حاول ، وهكذا خلق الله ذهنه ، وكون نفسه ، وتكوينه على هذه الصورة هو اول أسباب عظمته ، وقد يوجد جانب من ذلك فى الرجل الصغير ، لان شيئا منه فى كل نفس



خلقها الله ، ولكنها من لوازم الرجل العظيم ، ولا يكون عظيما الا بها .

ويرى « كارلايل » أن مثل هذا الرجل هو مبعوث العناية الالهية من الابدية المجهولة برسالة الينا ، وقد نسميه شاعرا أو نبيا أو الها ، وقوله صادر من لباب حقائق الاشياء .

ويطبق « كارلايل » هذه الآراء على حياة النبى محمد فيقول :

« وعلى ذلك فلسنا نعد محمدا هذا قط رجلا كاذبا متصنعا يتذرع بالحيل والوسائل الى بغية ، أو يطمح الى درجة ملك او سلطان او غير ذلك من الحقائر والصغائر ، وما الرسالة التى اداها الا حقا صراحا ، وما كلمته الا صوت صادق صادر من العالم المجهول ، كلا ما محمد بالكاذب ولا الملفق ، وانما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة ، فاذا هى شهاب قد اضاء العالم أجمع ، ذلك امر الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهذه حقيقة تدفع كل باطل ، وتدحض حجة القوم الكافرين» .

ويوجه الخطاب الى الذين يدعون انهم وقفوا للنبى العظيم على أخطاء وهفوات ، فيقول لهم : « وهب لمحمد

غلطات وهفوات – واى انسان لا يخطيء وانما العصمة لله وحده ، فانه ليس فى طاقة اية هفوات او غلطات ان تزرى بتلك الحقيقة الكبرى ، وهى أنه رجل صادق ، ونبى مرسل » .

ويغتنم « كارلايل » هذه الفرصة للدفاع عن أخطاء العظماء فيمضى قائلا : « أليست حياة الانسان فى هذه الدنيا سلسلة عثرات ؟ .. فما ينهض من عثرة الا لاخرى ، وانا لنصفح عن كثير من الجزئيات مادام اللباب حقا ، والصميم صحيحا ، وما كانت الجزئيات وحدها لتعرفنا حقيقة انسان » .

ذروة الشرف الباذخ

ويشير « كارلايل » الى حياة عرب الجاهلية فيقول عنهم : « كان عرب الجاهلية أمة كريمة تسكن بلادا كريمة ، وكانما خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق ، فكان ثمة شبه قريب بين وعورة جبالها ووعورة أخلاقهم ، وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم ، وكان يلطف من قسوة قلوبهم مزاج من اللين والدماثة كما كان يبسط من عبوس وجوه البلاد رياض خضراء ، وقيعان ذات أمواه وأكلاء ، وكان الاعرابى صامتا لا يتكلم الا فيما يعنيه اذ كان يقطن أرضا قفراء يبابا خرساء تخالها بحرا من الرمل يصطلى جمرة النهار طوله ، ويكافح بحر وجهه نفحات القر ليله ... والحق اقول لقد كان أولئك العرب قوما أقوياء النفوس كان أخلاقهم سيول دفاقة لها من شدة حزمهم وقوة ارادتهم أحصن سور ، وأمنع حاجز ،



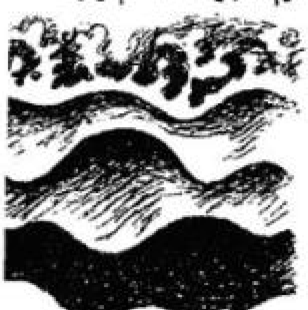
فولتير : حرب الضلال وكشف المنافقين

وهذه هى أم الفضائل وذروة الشرف البالغ ... وكان العربى اغلب وقته صامتا فاذا قال افصح ، وكان لمعاصرى زمن محمد منافسات فى الشعر يجرونها بسوق عكاظ فى جنوب البلاد حيث كانت تقوم اسواق التجارة ، فاذا انتهت الاسواق تناشد الشعراء القصائد » .

ويتحدث عن نشاة النبى فيقول :

« بين هؤلاء العرب وتلك حالهم ولد محمد عام ٥٨٠ ميلادية ، وكان من أسرة هاشم من قبيلة قريش ، وقد مات ابوه عقب مولده ، ولما بلغ عمره ستة أعوام توفيت أمه ، وكان لها شهرة بالجمال والفضل والعقل ، فقام عليه جده ، شيخ كان قد ناهز المائة من عمره ، وكان صالحا بارا ، وكان ابنه عبد الله أحب أولاده اليه ، فابصرت عينه الهرمة فى محمد صورة عبد الله فأحب اليتيم الصغير ، بملء قلبه ، وكان يقول يحسن القيام على ذلك الصبى الجميل الذى قد فاق سائر الاسرة والقبيلة حسنا وفضلا .

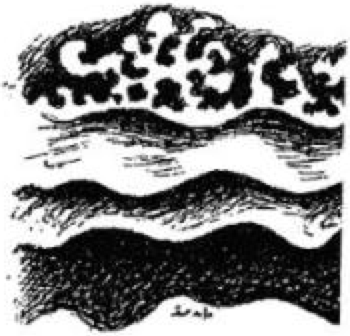
« ولما حضرت الشيخ الوفاة والغلام لم يتجاوز العامين عهد به الى أبى طالب اكبر أعمامه ورأس الاسرة بعده ، قرباه عمه ، وكان رجلا عاقلا كما يشهد بذلك كل دليل على أحسن نظام عربى ، ولما شب محمد وترعرع صار يصحب عمه فى أسفار تجارته وما أشبه ، وفى الثامنة عشرة من عمره نراه فارسا مقاتلا يتبع عمه فى الحروب ، غير أن أهم أسفاره ربما كان ذلك الذى حدث قبل هذا التاريخ ببضع سنين – رحلته الى مشارف الشام ، اذ وجد الفتى نفسه هنالك فى عالم جديد ازاء مسالة أجنبية عظيمة الاهمية جدا فى نظره – أعنى الديانة المسيحية ، وكان لهذا الغلام عينان ثاقبتان ، ولابد أن يكون قد انطبع على لوح فؤاده أمور وشئون ، فاقامت فى ثنايا ضميره ريثما ينضجها له كر الغداة ومر العشى ، ويظهر لى أن محمدا لم يكن يعرف الخط والقراءة ، وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها ، وكل ما وفق الى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينيه ، ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية ، انه لم يعرف



من العالم ولا من علومه الا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل الى سمعه فى ظلمات صحراء العرب ، ولم يضره ولم يزر به انه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها ، لانه كان بنفسه غنيا عن ذلك كله ، ولم يقتبس محمد من نور أى انسان اخر ولم يغترف من مناهل غيره ، وانما نشأ وعاش وحده فى أحشاء الصحراء ، ونما هناك وحده بين الطبيعة وبين أفكاره » .

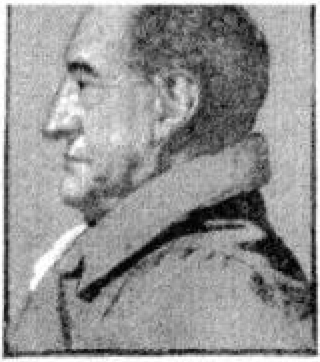
رجل الصدق والوفاء

ويقول « كارلايل » : « وقد لوحظ عليه منذ صباه انه كان شابا مفكرا ، وقد سماه رفقاؤه الامين ـ رجل الصدق والوفاء ـ الصدق فى افعاله واقواله وافكاره ، وقد لاحظوا انه ما من كلمة تخرج من فيه الا وفيها حكمة بليغة ، وانى لاعرف عنه انه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام فاذا نطق فما شئت من لب وفضل واخلاص وحكمة ، لا يتناول غرضا فيتركه الا وقد انار شبهته ، وكشف ظلمته ، وابان حجته ، واستثار دفينته ... وقد رأيناه طوال حياته رجلا راسخ المبدأ ، صارم العزم ، بعيد الهمة ، كريما رءوفا ، تقيا فاضلا حرا ، شديد الجد مخلصا ، وهو مع ذلك سهل الجانب ، لين العريكة ، جم البشر والطلاقة ، حميد العشرة ، حلو الايناس ، تضىء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق ، وقد كان رجلا عقليا بفطرته ، لم تثقفه مدرسة ، ولا هذبه معلم ، فادى عمله وحده فى أعماق الصحراء » .



ويشير « كارلايل » الى قصته مع السيدة خديجة وسفره فى تجارات لها الى أسواق الشام وزواجها منه وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وكيف عاش معها على أتم وفاق وألفة ، واخلص لها الحب ، ويتخذ من ذلك حجة لابطال دعوى القائلين انه لم يكن صادقا فى رسالته ، فقد قضى عنفوان شبابه فى تلك العيشة الهادئة المطمئنة ، ولم يحاول أثناءها احداث ضجة ، ولم ينهض برسالته السماوية الا بعد الاربعين ، وكان حتى ذلك الوقت قانعا بالعيش الهادىء الساكن ، وكان حسبه من الذكر الحسن والشهرة حسن ظن جيرانه به .

ويدحض « كارلايل » حجة الذين كانوا يعزون قيامه بالدعوة الى الاسلام الى حب الشهرة والمجد



جوته : الآن كلنا مسلمون

الشخص ، فيقول : « ويزعم المتعصبون من النصارى ، والملحدون ، أن محمدا لم يكن يريد بقيامه الا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان ، كلا وايم الله ، لقد كان فى فؤاد ذلك الرجل الكبير ــ ابن القفار والفلوات المتوقد المقلتين العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة وحجى واربة ونهى ــ افكار غير الطمع الدنيوى ، ونيات خلاف طلب السلطة والجاه ‥ وليس الطمع وحب الدنيا هو الذى اثار محمدا واستنهضه » .

الصلاح روح الوجود

ولا يكف « كارلايل » عن انتقاص الذين يذهبون هذا المذهب ولا يتردد فى نعتهم بالسخف وفساد الرأى والسطحية والغباء .

ويتحدث « كارلايل » عن الاسلام فيقول « ثم الاسلام وهو ان نسلم الامر لله ، ونذعن له ، ونسكن اليه ، ونتوكل عليه ، وان القوة كل القوة هى فى الاستنامة لحكمه ، والخضوع لحكمته، والرضا بقسمته . اين كانت فى هذه الدنيا وفى الآخرة ، ومهما يصبنا به الله ولو كان الموت الزؤام نتلقاه بوجه مبسوط ، ونفس مغتبطة راضية، ونعلم أنه الخير وان لا خير الا هو » ويستشهد هنا بكلمة « جيته » الشاعر الحكيم الالمانى : « اذا كان ذلك هو الاسلام فكلنا اذن مسلمون » .

ويرى « كارلايل » ان الحكمة ليست فى مجرد الاذعان للضرورة لان الضرورة تخضع المرء برغم انفه ، بل فى اليقين بأن الضرورة الاليمة المرة هى خير ما يقع للانسان وافضل ما يناله وان لله فى ذلك حكمة تدق عن الاذهان ، وانه من السخف أن يجعل الانسان من دماغه الضئيل ميزانا لذلك العالم واحواله ، بل عليه ان يعتقد ان للكون قانونا عادلا وان غاب عن ادراكه ، وان الخير هو اساس الكون ، والصلاح روح الوجود .

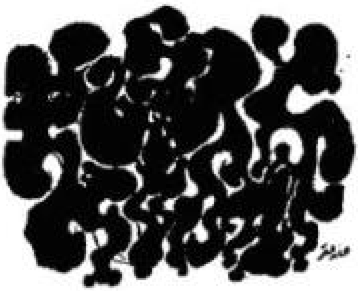
ويحاول « كارلايل » التوفيق بين الاسلام والنصرانية فيقول : « الاسلام والنصرانية يأمراننا أن نتوكل على الله قبل كل شيء ، وان نعظم النفس عن الشهوات ، وننهى القلب عن الهوى ، والا نجمع فى عناق المنى ، وأن نصبر على البث والاسى ، وأن نعرف اننا لا نعرف شيئا ، وأن نرضى من الله كل ما قسم ، ونعدها يدا بيضاء ونعمة غراء ، ونقول الحمد لله على كل حال » .

وينوه « كارلايل » بفضل على بن

ابى طالب ، ويشيد بموقفه فىمناصرة النبى ، وهو لايزال غلاما فىالسادسة عشرة من عمره ، ويقول عنه ، اما على فلا يسعنا الا أن نحبه فانه فتى شريف القدر ، كبير النفس ، يفيض وجدانه رحمة وبرا ، ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة ، وكان أشجع من ليث ، ولكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف ورأفة وحنان » ٠

اشرف الخلال فى الاسلام

ويرد « كارلايل » على القول بأن النبى محمدا نشر دينه بالسيف ويقول : « لقد قيل كثيرا فى شأن نشر محمد دينه بالسيف فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فشد ما أخطأوا وجاروا ، فهم يقولون ما كان الدين لينتشر لولا السيف ، ولكن ما هو الذى أوجد السيف ؟ ٠٠ هو قوة ذلك الدين وأنه حق ٠٠٠ وأرى على العموم أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال أو لم تروا أن



النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانا ، وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون ، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ولندعها تكافح فانها لن تهزم الا ما كان يستحق أن يهزم » ٠

ويعلل « كارلايل » عدم تقدير الاوربى للقرآن باختلاف الاذواق من ناحية ، ومن ناحية اخرى بأن الترجمة تذهب بأكثر جمال اللفظ وحسن الصياغة ٠

ويذكر « كارلايل » لمحات من حياة الرسول الكريم ، واشارات من كلماته دالة على براءة طبعه من الرياء والتصنع ، وينوه بخلة يراها من أشرف الخلال وأجلها فى الاسلام ، وهى التسوية بين الناس ، فالناس فى الاسلام سواء ، ويؤكد براءة الاسلام من تغلب الحسية والمادية ، والميل الى اللذات ، ويوصى سامعى محاضراته بأن يعرفوا للاسلام قدره ، والا يبخسوه حقه » ٠

وقد وفق « كارلايل » فى هذه السلسلة من المحاضرات عن البطولة والابطال وكان يحشر لسماعها عدد كبير من المستنيرين من مختلف الطبقات ، وأصحاب المواهب المتنوعة ، وقد قدمت للطبع فى السنة التالية ، وصادفت اقبالا وتقديرا ، وكانت المحاضرة التى اختص بها نبى الاسلام دعاية موفقة أبطلت الكثير من الادعاءات الظالمة ، وحملات التعصب الهوجاء ضد الاسلام ، وساعدت على ايجاد نوع من التقدير المنصف لفضائل النبى محمد ومزايا الدين الاسلامى ٠

النبي

محمد حسن

صلى الله عليه وسلم

كما يراه

توفيق الحكيم
•
العقاد
•
عبد الرحمن الشرقاوى
•
جبران خليل جبران

من خلال السيرة العطرة امعن اربعة من الكتاب المعاصرين النظر فى محمد : احدهم رآه « المحرر العظيم » ، والثانى رآه « القائد العظيم » ، والثالث رآه ، « الانسان العظيم » .. اما الرابع فقد رآه ، رغم اميته « المعلم العظيم »



محمد المحرر العظيم

عبدالرحمن الشرقاوي

بعد خمسين يوما من اندحار أبرهة الحبشي وجيشه وفيله — ولد محمد ... ولد والليل الرهيب يخيم على مكة : المال، والآلهة ، والكعبة ، والمتاع للسادة الاغنياء ... أما الفقراء الذين سقطوا من قمة كبرياء الحياة الموفورة تحت ضربات الحاجة ، فيعيشون فى العدم ، وأحلام الخلاص

ولد الهدى ، وأم القرى — مكة — غارقة فى الظلم : استبد بها كبرياء الاشداء ... فهم يسرقون ، ويزنون ، ويكذبون ، ويجورون فى القضاء ... أصبح الربح هو الغاية ، ولو كانت وسيلته هى الكذب والنفاق والسرقة والاغتصاب ، فان مجرد الطواف بالكعبة ، والتمسح بأركانها ، وتقديم القرابين للآلهة يبيح كل شىء ... أما الفقير الذى لا يسرق ولا يغتصب ولا يملك ثمن القرابين ، فان أصنام الكعبة لا تقبله ، لانهـا آلهة مترفة تحب الاغنياء !

هل بنى ابراهيم هذا البيت العظيم لهذه الآلهة ؟

كلا ... لقـد كان لابراهيم رب آخر ، هو رب الجميع ، وكان ابراهيم ينهى عن عبادة اله غيره ، ويعد قومه بالامن ان أطاعوه ، رب ابراهيم كان لا يبارك صلف الاشداء ، ولا ينبذ المستضعفين . ونظر نفر من قريش لما يدور من حولهم ، وقالوا : « ما قومكم على شىء ... لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم » . وكان هذا النفر هم ورقة بن نوفل ، وعبد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو ... وكلهم عنى بالبحث عن الحقيقة وسط زحام الخديعة والاكاذيب ... ولكن صرخات هؤلاء ضاعت وسط المترفين والقساة والمخمورين والخادعين والضللين وممتهنى القيم . وبعضهم دفع حياته ثمنا لجرأته على البهتان .

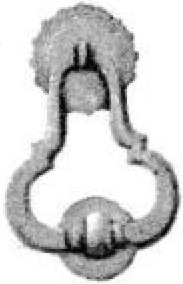
الفقراء والمستضعفون يشعرون فى أعماقهم بالحاجة الى محرر يضع أسلوبا عادلا لتنظيم علاقة النـاس ببعضهم ، وقيما روحية جديدة تعكس تطور هذا المجتمع ، فلو انهم لم يعملوا لما غنى السادة ، ومع ذلك فقد كتب عليهم الحرمان والهوان كمـا تكتب اللعنة ، ولكن سادة قريش لن يسمحوا بهذا التغيير وسوف يقاومونه بغاية القسوة .

ونظر محمد فى أمور الناس ... كان يرى أن ترميم بناء هذا المجتمع المتداعى لا جدوى منه ، لابد أن يهدم هذا كله ، ليبنى من جديد . لابد أن يقول كلمته ، لم يعد السكوت على الضلال يجدى ، لقد عوده قومه أن يحترموا كلمتـه ، فليقم يبشر ... وينذر . ويأتيه الوحى ، ليحمل الرسالة

في شجاعة وقوة – رسالة تحرير بني الانسان ·

وحذره آخر البشرين الطيبين ، ورقة ابن نوفل : كل من قال كلمة الحق طرد وعذب وأوذي وقوتل وقتل ، ولكنه لم يبال ، وخرج ليعلن أن هذا القضاء الغاشم الذي فرضته الآلهة والكهنة والاصنام ، انما هو اكذوبة ، ومصيدة للضعفاء والفقراء والذين لا يملكون من الامر شيئا ، فكل نفس بما كسبت رهينة ·

وحدث ما توقعه ورقة بن نوفل ، لقد صدقوه ··· فهو الصادق الامين، ولكن حين طالبهم أن يؤمنوا بما أنزل اليه ، وقفت دون ذلك مصالحهم وثرواتهم وسطوتهموسلطاتهم ، فهبوا جميعا ضد الاخطار التي تنطوي عليها تعاليمه ··· غير أنها شاعت بين الاجراء والمستضعفين والعبيديوما بعد يوم : فهي تحرر العبد ، وتجعل للفقير حقا معلوما في مال الغني ، وتكرم المرأة · وفي بداية الامر استخف به السادة وقالوا ، ما اتبعه الا الاراذل » ، ثم ادركوا الخطر الكامن وراء تعاليمه : صراع يدافع فيه الاغنياء عن وجودهم ، والفقراء عن حقهم في الحياة الكريمة وأحلامهم في عالم افضل ، فصبوا اهوال العذاب على محمد وأتباعه ·



ومع ذلك بلغ أتباع محمد أربعين رجلا وامرأة ··· منهم العبيد والاجراء والجواري والضعيفاتوالذين طحنتهم الاوضاع الاجتماعية القائمة.

فضلا عن المثقفين وبعض التجار الاغنياء ··· الخطر الذي يزيد ويستفحل · وبعض « السادة » اسلم،

بعد أن أدرك أن تعاليم محمد لا تعني الفقر وانما الربح الحلال ··· والحب والاخاء والتعاون والاتحاد : أسلم أبو

بكر ، وحمزة ، وعمر ، وما من سيد أسلم الا وتنزل عن بعض مالهليشتري العبيد والجواري الذين أسلموا ، ثم يعتقهم ليتحولوا الى أحرار يطاولون السادة ، بل ويؤمنون بأنهم أفضل منهم – بعملهم الصالح

وهددوا محمدا وأتباعه ، ثم آذوهم ، ثم طردوهم من ديارهم ··· ومع ذلك لم تتوقف دعوة التحرير بل اقتحمت سدود قريش وعذابها بثبات عطف القلوب اليها ، وملأت نفوس أشد المنكرين لها – اعجابا !

وفي المهجر ينشيء محمد مجتمعا جديدا ، تقاربت فيه المستويات : لا جوع ولا عري ، الكل يعمل ويأكل ،

والذين لا يستطيعون العمل يجدون حقوقهم المعلومة في اموال اخوتهم القادرين ··· ووراءهم محمد بكل حكمته وشجاعته يواجه التنافس

ويخوض الحرب دفاعا عن مبادئه··· ويواجه ويلات الحرب بنفسه : فيجري على اسر الشهداء نفس المعاش الذي يكسبهعائلوها ، اما الارامل الصغيرات فكان يعتبر نفسه مسئولا عنتعويضهن بالازواج · ومن لم تجد لها زوجا ، تزوج هو منها ، ليكفل لها بيتا ومعاشا كريما ·

سبعة اعوام قضاها محمد مهاجرا، حتى آن له أن يحرر ام القرى مكة :

لقد رسخت دعوته في أرض الجزيرة كلها ، وقضى على أعداء دعوته من المنافقين والدساسين • وأدرك سادة قريش أن محمدا ودعوته لا يقهران ، والا لسحقته قريش عندما ظهر ، ولردعته ثقيف عندما طاردته أهلها بالحجارة ، أو لاستطاعت الاحزاب المؤتلفة أن تقتحم عليه مدينته • أثرياؤها أصبحوا يدركون أنهم يفقدون الارض التي وقفوا عليها طويلا ، ولا سبيل على الاطلاق الى مقاومة المد التحرري المتزايد الاتساع الذي انشاه محمد • أما فقراؤها فقد ادركوا أن سلطان سادتهم يزداد عنقا كلما أتقدهم المنافسون الجدد أسواقهم،

وهم اليوم اشد معاناة من صلف السادة وسطوة القرانين وجشع المرابين فضلا عن الحاجة • وفي كل يوم ينزل رجل منهم لدائنه عن الحرية بكل انسانيته ، ليصبح عبدا يمتلكه هذا الدائن ، هذا بينما العبيد ينضمون الى محمد فيصبحون أحرارا يتساوون مع السادة في كل شيء ، في مجتمع جديد لا ربا فيه ، ولا سلطان للدائن على حرية المدين ولا على امرأته أو بناته، عند محمد يستطيع عبد أن يقود أعرق الاسر ، ويحكم زاهد فقير مدينته في غيبته ، يستطيع أي رجل أو امرأة أن يكون ما يريد ، عمل الانسان هو الذي يشكله ويحدد له مكانه ••• العمل وحده ، لا الثراء ، ولا صداقة محمد أو قرابته له ••• لا شيء الا ما قدمت يداه •

محمد يحض أتباعه على تحرير العبيد : « أيما رجل أعتق امرءا مسلما ، استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار » ، ويطالبهم أن ينفروا لانقاذ المستضعفين في كل مكان ، ويتذرهم أن تخلفوا ، « الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم » •

لو أن محمدا قاد جيشه الى مكة ، لانضم اليه كل المستضعفين الذين يمثلون غالبية سكان المدينة ، ولانضم اليه التجار الذين أوشكت منافسة المسلمين أن تفقرهم • أن مكة تشعر الآن بالضعف ، لذلك فهي تسعى الى محمد ، الذي نبذته وحاربته ، فقد أعجبها فيه البساطة ، والمساواة ، والطريقة التي يتعامل بها المسلمون فيما بينهم على سواء ••• لقد نفذ محمد الى قلوب الناس رغم كل حصار

ودخل محمد مكة ، ودخل أهلها في دينه أفواجا ، بعد أن رفع عنهم سيف الارهاب••• وتقدم الى الكعبة ، وتمتم لنفسه وعيناه تدمعان : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا » •

وبعد عشرين عاما من الضنى ، والجهد المتصل ، ومكابدة الاهوال ، تم له النصر ، ولكن لا أكاليل الغار ، ولا الملك ، ولا أبهة السلطان كان مرة بين ما يبحث عنه ••• لقد جاء يحمل كلمات مضيئة الى الناس ، وما كان يلتمس غير الحقيقة : كل ما ينشده هو أن يجمع العرب تحت راية واحدة، ليكونوا أمة واحدة • يتحرر فيها الانسان من سيطرة قوى الظلام •



محمد القائد العظيم

عباس محمود العقاد

لم يكن الاسلام دين قتال ، ولم يكن النبى رجلا مقاتلا يطلب الحرب للحرب ، ولكنه كان قائدا عظيما ، اذا وجبت الحرب ، ودعته اليها المصلحة، يعلم من فنونها بالالهام ، ما لم يعلمه غيره بالدروس والمران ، ويصيب فى اختيار وقتها ، وتسيير جيشه ، ورسم خطط غاية التوفيق ، مع دقة الحساب ، واصابة الاستشارة ... بل لعل الاخذ بالشورة الصالحة ، اية من أيات حسن القيادة • فالقائد العظيم يستفيد من خبرة الخبير ، كما يستفيد من شجاعة الشجاع ، ويجند ما بين يديه من قوى الآراء والقلوب والاجسام •

ولقد كانت غزوة بدر هى التجربة الاولى للنبى فى قيادة المعارك ، ولم يأنف فيها من أن يستجيب لمشورة صادرة من أحد رجاله ، ثم وعى من هذه التجربة ما قل أن يعيه القادة المتعلمون للحرب من تجارب كثيرة ... بحيث أصبح الكثير من فنه يدرس الان على أساس انه أحدث نظريات العصر !

محمد هو صاحب نظرية المبادرة ، لانها تحقق ثلاث مزايا : اختيار الموقع الملائم ، والموقف الملائم ، ومعاجلة العدو قبل تمام استعداده • كان النبى لا يبدأ أحدا بالعدوان ، ولكنه اذا علم بعزم الاعداء على قتاله ، لم يمهلهم حتى يهاجموه • وربما وصل اليه الخبر فى وقت غير ملائم ، فلا يثنيه ذلك عن خطة المبادرة ، ولا يكف عن التأهب السريع ، وحض المسلمين على جمع الاموال والرجال ، ولا يبالى مايرجف به المنافقون • كان هدفه القضاء على قوة العدو العسكرية ، فيقضى على عزائم أعدائه بالقضاء عليها ، ولا يضيع الوقت فى انتظار ما يختاره الاعداء ، واضعاف انصاره بتركه زمام الحركة فى أيدى المهاجمين ... الا أن يكون الهجوم فى غير صالح المهاجمين ، فيلجأ الى المواقع الحصينة ، كما حدث فى غزوة الخندق

ومحمد كان لا يغفل عن قوة الروح المعنوية لدى مقاتليه • وأعظم قوة معنوية اعتمد عليها النبى هى قوة الايمان ، وبفضلها غلبت فئة قليلة فئات كثيرة ، لانها تودع فى نفوس رجاله الصبر والعزيمة • وكان يقظا لكل ما يمكن أن يؤثر فى الروح المعنوية لرجاله ، فلم يكن يغفل عن اشاعة خبيثة ، أو دسيسة دنيئة ، أو محاولة للفت فى عضد رجاله ... كان دائما يقظا يشهر سلاح الحقيقة فيجب كل سلاح موجه الى معنويات رجاله •

ومحمد القائد العظيم لا يقتصر عمله على القوة العسكرية لعدوه ، بل يعمد أيضا الى تحطيم قواه الاقتصادية ، وكم حارب قريشا فى تجارتها ، وقطع الطريق على قوافلها • وسنة « المصادرة » التى يقرها اليوم القانون الدولى ، سبق اليها محمد بمصادرة قوافل أعدائه•

ومحمد القائد العظيم يركز عمله فى تحطيم جيش أعدائه ، ففى غزواته لا نراه حاصر مدينة ، الا أن يكون الحصار هو الوسيلة الوحيدة لمبادرة القوة التى عسى أن تخرج منها قبل استعدادها ، أو قبل نجاحها فى الغدر والوقيعة ... وكان حصار النبى لبنى قريظة وبنى قينقاع مبادرة بالهجوم

فى الميدان المختار والوقت المختـــار تماما ٠

ومحمـــد القائد العظيم هو مبتدع مجلس الحرب ، للمشورة فى خطط القتال ، وحيل الدفاع ، ولا يأنف من العمل بمشورة خبـــرائه ، متى رأى صوابها ٠ وعلى هذا الاساس اخذ بمشورة الحباب بن المنذر فى غزوة « بدر » ، وسلمان الفارسى فى حفـر الخندق لحماية المدينة ، وهو عمل من اعمال القيادة الرشيدة ٠ وكان النبى شديد الالتفات الى سد الثغوروحماية الظهور ٠

ومحمد القائد العظيم لم يكن يغفل قيمة الاستطلاع وعمل المخابرات فى الحروب ، وكان لا يعتمد على فراسته الصادقة فى هذا السبيل فقط ، بل يرسل فرق الاستطلاع وأفراده ليتزود بالمعلومات الصحيحة عن قوة عدوه وتكتيكاته ٠ وكان يعتمد فى استطلاعه على الخبـــراء والموثوق بصـــدق اخبارهم ٠

ومحمد كان ايضـــا لا يغفل عن الدعايات الضارة ، فقـــد كان اعرف الناس بفعل الدعوة فى كسب المعارك، وتقليب المقاصد ٠ كان يبلغه عنبعض الافراد انهم يحنثون بمـــا عاهدوا عليــه ، ويشهرون به او بدينه ، او يثيرون العشائر لقتاله ، فيرسل اليهم من يحاربهم فى عقر دارهم ، او يتكفل بالخلاص منهم ٠

والقـــــائد العظيم عرف الحرب النفسية ، وطبقها على اعدائه بقصـد اضعاف مقدرتهم القتالية ، باضعاف عزائمهم وايقاع الشتات بين صفوفهم ٠٠٠ وربما بلغ النبى برجل واحد فى هذا الغرض ما لم تبلغه الدول الحديثة بالفرق المنظمةوالكتائب والدواوينوبذل الاموال ٠ فى واقعة الخنـــدق ، وقد اشتدت الامور ، اتى مسعود الغطفانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا رسول الله ، انى قـــد اسلمت ، وان قومى لم يعـــرفوا باسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال له رسول الله : « انما انت فينا رجـــل واحد ، فخذل عنا ــ اى ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا ــ ان استطعت ، فان الحرب خدعة » ٠٠٠ فخـــرج ابن مسعود حتى اتى بنى قريظة ، وكان لهم نديما فى الجاهلية، فقال : « يا بنى قريظة ، قد عرفتموودى واياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم » قالوا : « صدقت ٠٠٠ لست عنـدنا بمتهم » فقال لهم : « ان قريشـــــا وغطفان ليسوا كانتم : البلد بلدكم ، فيه اموالكم وابناؤكم ونســـاؤكم ، لا تقدرون ان تتحولوا منه الى غيره ، وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد واصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهمواموالهم ونساؤهمبغيره ٠٠ فليسوا كانتم ٠ فان راوا نهـزة اصابوها ، وان كان غير ذلك ، لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجـل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به ان خـــلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتىتاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا محمدا حتى تناجزوه » ، فقــالوا : « لقـــد اشرت بالراى » ٠

ثم خرج ابن مســـعود حتى اتى قريشا ، فقال لابى سفيان : « قـــد

عرسم ودى لكم وفراقى محمداً ، وانه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم ، فاكتموا عنى » قالوا : « نفعل » قال : « تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا اليه : انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من أشرافهم ، فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم ؟ فأرسل اليهم أن نعم ... فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم ، فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا » .

ثم خرج ابن مسعود حتى أتى غطفان ، فقال : « يا معشر غطفان ، انكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهموننى » فقالوا : « صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم » قال : « فاكتموا عنى » قالوا : « نفعل ، فما أمرك ؟ » فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان الى بنى قريظة ، عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : « انا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه » ، فأرسلوا اليهم : « ان اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ولسنا مع ذلك بمقاتلى محمد حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا ، فاننا نخشى أن ضرستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك » .

فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : « والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق » ، وارسلوا الى بنى قريظة : انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا » وقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا : « ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم الا أن تقاتلوا ، فان راوا فرصة انتهزوها ، وان كان غير ذلك ، انشمروا الى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم » ... وخذل الله بينهم !

ومحمد القائد كان دائما على طليعة رجاله حين تحتدم نار الحرب ، قال أحد فرسانه : « كنا اذا حمى البأس اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب منه الى العدو » ، ولولا ثباته فى غزوة حنين لحقت الهزيمة على المسلمين ، ولولا استطلاعه بنفسه حول المدينة لما أفلح فى انقاذها من الاعداء ، هذا فضلا عن أن مشاركته فى الوقائع الاخرى هى مشاركة شجاعة مسئولة ، وان أعفته القيادة من مشاركة الجند .

ومن خصائص عظمة القائد العظيم انه وصف بالنقيضين لدى اعدائه . فريق منهم يراه صاحب رقة تحرمه القدرة على القتال ، وفريق آخر يراه صاحب قسوة تغريه بالقتل واهدار الدماء ، مع انه تنزه عن رقة الضعف

والخوف المعيب ، كما تنزه عن القسوة والجفاء !

ان عبقرية محمد فى قيادته لعبقرية ترضاها فنون الحرب ، وترضاها المروءة ، وترضاها شريعة الله والناس ، وترضاها الحضارة فى أحدث عصورها ، ويرضاها المنصفون من الاصدقاء والاعداء .



محمد الإنسان العظيم

توفيق الحكيم

لقد « مسرح » الحكيم السيرة العطرة ، ومن خلال مسرحيته تتجلى انسانية محمد بأجلى معانيها : فويبكى مصرع البشر الصالح زيد بن عمرو ، ويتألم لظلم المستضعفين ، ويتفطر قلبه لقسوة الانسان على أخيه الانسان ..

وفى فجر الدعوة لم يكن يتألم لما أصابه من أذى ، بقدر ما تألم لمجتمعه الذى يتنفس الظلم والقسوة : كان عذابه من أجل خلاص بنى جنسه .

ولقد قاوم محمد محاولات تأليهه ، وكره التعالى والكهانة ، وكذب نسبة المعجزات اليه : انما المعجزات من عمل الله ، وكان دائما يردد : « انما انا بشر مثلكم » ... وكان حقا اسمى البشر ... جاء بمكارم الاخلاق ... وأنه ليضحك ويبكي ، ويأكل الطعام، ويمشى فى الاسواق ، ويستشير الناس حتى لا يخطىء ، ويرضى ويغضب ، ويرفض أن يقبل احد يده او ينحنى له او يسجد . الرجل الذى حرر العبيد ، وساوى بين الغنى والفقير ، وجعل من الصدق والامانة والوفاء دستورا للعلاقات بين الناس ... كان يؤكد دائما انه بشر مثل الاخرين !

هذا الانسان النقى السيرة ، لم يصنع شيئا انكره ، ولم يسمح لنفسه أن يبيت شبعان، وله جار جائع ، ولم يبتدر انسانا باساءة ، يكره الكذب ، ويقدس الوعد ، ولا يرتكب ما ينفر منه الناس ، لذلك دخل قلب العدو قبل الصديق .

هو يعرف الحزن على فراق من احبهم ، ولكنه يكره النواح : ماتت زوجه خديجة بعد عمه أبى طالب بأيام ، وعلى قبرها بكى ، وعندما أخذه أصحابه ألى بيته بقى واجما لا يتكلم : الزفرات تتصاعد والدموع تسيل من عينيه ... كم عانى عمه من أجله ، وكم عانت زوجه ، وهاهو يفتقدهما ، ليجد نفسه وحيدا ...

انسان متواضع غاية التواضع . يكره الصلف والاستعلاء . سمع أن عثمان بن عفان ، الثرى ، زوج ابنته رقية ، قد استعلى على العمل بيديه ، وحين حثه عمار بن ياسر على ذلك بشدة ضربه وعيره بأمه ، فكبر عليه ذلك ، ان عمارا لأفضل من عثمان ، فقد ضحى فى سبيل الدعوة باكثر مما ضحى عثمان ، وهو افضل منه لانه يعمل ، ومحمد لا يحب أن يشعر أحد أنه يفضل أخاه ... الا بعمله ، ومضى يعنف عثمان بن عفان، فاعتذر هذا لعمار ... واقبل يعمل بيده . وفى شدة كربه جاءه المؤيدون يواسونه ويطرونه ، فقال لهم فى ضيق : لا تطرونى ، فقالوا : لماذا لا نطريك وانت سيدنا جميعا ، فنهرهم وثار عليهم ... يجب الا يجعلوا له مقاما فوقهم ، يجب الا يقدسوه ، فان هو الا بشر مثلهم يخطىء ويصيب... لايعرف الغيب ، وما هو بمعجز ، فما البشر بمعجزين !

ويوم فتح مكة ، اقبلت نساء كثيرات يبايعنه ، وركعت امامه امرأة، فامر بأن تنهض ... فلا ركوع لغير الله !

ومحمد الكبير القلب يدرك أن ليس كالعفو شيء يفتح القلوب المغلقة، وكم عفا عن ألد الأعداء فدخل دينه على الفور، يوم «أحد» حزن لمصرع حمزة، وتوعد أن يقتل في مقابله ٣٠ رجلا وعلى رأسهم وحشي الذي قتله، غير أنه بعد الفتح حين جاءه وحشي نادما عفا عنه، فكافأه بالاستبسال في قتال أعداء دعوته··· ويوم جاءته هند، التي حرضت على قتل حمزة وبقرت بطنه ومثلت به، نادمة نسي الإساءة الأليمة وعفا··· وواجه زعماء قريش في الكعبة: انهم الآن جميعا في قبضة يده، وما منهم رجل لمسيء اليه، قال لهم: «يامعشر قريش، ما ترون اني صانع بكم؟» قالوا: «خيرا··· أخ كريم وابن أخ كريم» قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»

وجاءه رجل كان قد بالغ في ايذائه وهو في فجر دعوته بمكة، ولاحظ أن الرجل يخشاه ويهابه حتى يرتعد أمامه، فابتسم له وقال: «هون عليك، انما انا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد في مكة»!

ومحمد الانسان يكره قتل النفس التي حرم الله قتلها··· الا بالحق· لم يلجأ الى القتال الا مضطرا، ولكن الحرب شيء والاغتيال شيء آخر··· كم عانى من أبي سفيان حتى تمنى قتله، وكم أرسل له أبو سفيان القتلة المحترفين، ولكن حين أوفد بعض أصدقاء محمد من يغتال أبا سفيان، أرسل محمد الى الرجل من يعيده، ولما عاد الرجل أخذ النبي يعنفه، ويعنف الذين أرسلوه··· فما كان الاغتيال سبيلا لمحمد: سيقهر أبا سفيان يوما، وسيقتله، ان أراد، وجها لوجه··· فلما جاءه أبو سفيان قبل فتح مكة نسي كل شيء، وأقبل ليقنعه بدعوته، فلما دخل دينه··· جعل بيته بعد الفتح آمنا لكل من يلوذ به!

وحدث عن محمد حبيب الأطفال··· كان لا يأنف وهو في شدته أن يقف بجواري مكة يلاطف الأطفال ويلاعبهم· وكان يسعده أن يرى أحفاده الحسن والحسين يلعبان أمامه: الحسين يختبيء في حجره، والحسن يطارده فيمتطي ظهر الجد، وهو يتأملهما ضاحكا· وتأتي أمهما فاطمة فتنهرهما، ولكنه يشير أن تتركهما، ويأتي أبوهما علي فيزعجه أن يعلو أحد ولديه كتف محمد، مثله الأعلى، ولكن محمدا يطلب منه الا يزعج الطفلين· وحتى في صلاته كان يسعده أن يمتطيا ظهره في سجوده··· وكم من مرة وجدت فاطمة أباها وسط طفليها المتجادلين، تختلط بجدلهما ضحكة الجد، وهو يعلم الطفلين ويحسم ما اختلفا عليه!

غير أن قمة انسانية محمد كانت في تحرير العبيد··· كان لا يفتأ يحض أتباعه على أن يحرروا عبيدهم· رأى مرة أحد أصحابه يضرب عبده، فغضب وقال له: «الله أقدر عليك منك عليه» فقال له صاحبه: «هو حر لوجه الله» فقال له محمد: «أما انك لو لم تفعل للفحتك النار»··· وكثيرا ما قال لأتباعه: «أيما رجل أعتق امرءا مسلما، استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار»··· وكثيرا ما كان يطالبهم أن ينفروا لانقاذ المستضعفين في كل مكان، وينذرهم ان تخلفوا: «الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما»·

ان «محمد» الانسان العظيم، كان قدوة ربه لبني جنسه···



محمد
المعلم العظيم
جبران خليل جبران

ان يكون نبي الله أميا ، فذلك لحكمة أرادها الله ... ولكن النبي الامي كان دائما يحض اتباعه على العلم ، كان يقول : « العلماء ورثة الانبياء » ... كان يطلق سراح الاسير اذا علم مسلما · وكان دائما يقول : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » ·

وما رسالة محمد الا تعليما كلها · صاغها خليل جبران شعرا بالانجليزية، قال :

سأله معلم : « حدثنا عن التعليم » فقال المصطفى : المعلم الذي يمشي في ظل المعبد بين مريديه لا يعطي من حكمته ، بل من ايمانه ومحبته ، فان كان قد أوتي الحكمة حقا ، فانه لا يدعك تلج باب حكمته ، بل يقودك الى عتبة فكرك أنت ... والعالم المتمكن من حساب الاعداد يستطيع أن يحدثك عن مجالات الوزن والقياس ، ولكنه لن يستطيع أن يقود خطاك اليها ، لان بصيرة هذا لا تعير ذاك جناحها ·

وقال شيخ : « حدثنا عن الخير والشر » فقال المصطفى : عن الخير فيكم استطيع الحديث ، لا عن الشر · وهل الشر الا خير اضناه ما كمن فيه من جوع وظما ... وانت خير اذا ثبت على مبدأ واحد مع نفسك ... وانت خير حين تجد في البذل من ذات نفسك ... وانت خير حين تتحدث في كامل يقظتك ·· وانت خير حين تمضي الى غايتك ثابتا جريء الخطا!

وسألته كاهنة عن الصلاة ، قال : « انتم تصلون اذا مسكم ضر أو أعوزتكم حاجة ... وليتكم تصلون أيضا اذا غمر قلوبكم الفرح وعمر أيامكم الرخاء !

وسأله ناسك عن المتعة ، فقال : المتعة أنشودة حرية ، ولكنها ليست الحرية · انها رغباتكم تتفتح أكمامها، ولكنها ليست ثمارها · انها عمق ينادي العلا ، ولكنها ليست العمق ولا العلا !

وسألوه عن الحب قال : اذا أومأ الحب اليكم فاتبعوه ، وان سلكتم الصعب وصعدتم في الوعر · اذا دب فيكم الخوف فلم تنشدوا في الحب الا الدعة والمتعة ، فأولى بكم أن تستروا عريكم وتخرجوا من بيدر المحبة · اذا أحببت فلا تقل : لقد وسع قلبي الله ، بل قل : وسعني قلب الله ، ليحب أحدكما الآخر ، ولكن لا تجعلا من الحب قيدا ، بل اجعلاه بحرا يتدفق بين شواطيء أرواحكما·

وسئل عن العطاء فقال : انك تعطى القليل حين تعطى مما تملك ، فاذا اعطيت من ذاتك ، اعطيت حقا ... بعض الناس يعطى القليل مما عنده من كثير ، اولئك يعطون تباهيا بالعطاء ، فتذهب نياتهم المستورة بطيبات عطاياهم . وبعضهم لا يملك الا القليل ، فيجود به كله ، اولئك هم المؤمنون بالحياة وما فيها من خير ، فلا تفرغ خزائنهم ابدا . جميل ان تعطى من يسالك ، واجمل منه ان تعطي من لا يسالك ، وقد ادركت عوزه .

وسئل عن العمل ، فقال : كل عمل خواء ، الا اذا امتزج بالحب ، فاذا امتزج عملك بالحب ، فقد وصلت نفسك بنفسك ، وبالناس ، وبالله .

وسئل عن الحزن والفرح ، فقال : انما فرحكم حزنكم رفع عن وجهه القناع !

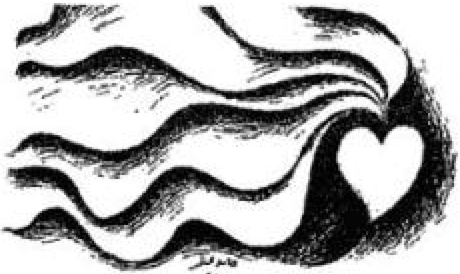
● وخيال الشاعر المسيحى جبران عن تعاليم محمد « صلى الله عليه وسلم » لا غرابة فية ، فلقد قيل انه كان يحتفظ بيسوع فى نصف صدره ، وبمحمد فى النصف الاخر .. كان جبران يؤمن بوحدة الاديان ، وتلمح فى عقيدته نظرة التصوف الاسلامى ، فلا غرابة اذا كان خياله لا يبعد عن الحقيقة كثيرا ●

محمد هو القائل : « رأس الحكمة مخافة الله » و « لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين » و « لا يجنى على المرء الا يده » و « ليس الخبر كالمعاينة » و « الشديد من غلب نفسه » و « المسلم مرآة المسلم » و « لاتزال امتى بخير ما لم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما » و « رحم الله من قال خيرا فغنم ، او سكت عن شر فسلم » و « المرء كثير باخيه » و « اليد العليا خير من اليد السفلى » ... « الغنى غنى النفس » ، « الاعمال بالنيات » ، « السعيد من وعظ بغيره » ، « ان من الشعر لحكمة ، وان من البيان لسحرا » ، « ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء » ، « الدال على الخير كفاعله » ، « الندم توبة » ...

واخيرا فالنبي هو القائل : « فضل العلم خير من فضل العبادة » ...

من القلب

صالح جودت



يا حبيباً لستُ أخشى فيه عينَ الرقباء
أتمناهُ ، ولا يمنعنى عنه حيائى
هو فى البأساء عونى ، وهو فى الليل ضيائى
وعليه صلواتى . . . ولمغناه دعائى

***

يا حبيبَ الله والناس ... ويا نورَ السماء
يا مجيرى من مصيرى ، يا أمير الأنبياء
يا شفيعى ، يوم لا يسأل عنى شفعائى
يا ثرائى يوم ألقى عَرَض الدنيا ورائى

***

أنا غنّيتُ بذكراك صباحى ومسائى
وبذكراك انتشتْ روحى فأبدعتُ غنائى
وبنجواك ازدهت نفسى وتاهت خيلائى
وعلى بابك يا أحمدُ ألقيتُ رجائى
كلما عانيتُ ناديتك فانزاح عنائى

***

يا بشيرَ المسلمين المؤمنين الأتقياء
إن تكن عنى رضيا فأنا فى السعداء
يا حبيبَ الله والناس . . . ويا نورَ السماء

طه ويس هل هما من أسماء النبي

« طه » و « يس » ... هل هما اسمان من اسماء النبي العربي الكريم ، او انهما « طاء هاء » و « ياء سين » كسائر الحروف المقطعة التي وردت في اوائل بعض سور آي الذكر الحكيم ؟

لقد انكر الدكتور طه حسين ان يكونا من اسماء النبي عليه الصلاة والسلام ، فما هو راى سائر العلماء ؟

ليستا من أسماء النبي

أحمد حسن الباقوري

أغلب الظن أن كلمة طه ، وكلمة يس ليستا من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان كلمة طه هي « طاء ، هاء » ، وكلمة يس هي « ياء ، سين » على مثال « طس » وعلى مثال « الم » فهي كسائر الحروف المقطعة في أوائل السور ، والحروف المقطعة في أوائل السور هي على مايقول ابن‌عباس رضي الله عنهما اشارة الى ان الكتاب الموعود به على لسان آخر الانبياء هو هذا الكتاب المؤلف من هذه الحروف



احمد حسن الباقوري

أسماء النبي ؟

صلى الله عليه وسلم
وجه من إعجاز القرآن

عبد الجليل عيسى

اختلف العلماء في الالفاظ التي تقع في بعض أوائل السور مثال : طه ، يس ، الم ، حم ، المص .

نقل الالوسي في تفسيره عن مجاهد انهما من الفواتح التي تصدر بها السور وفي رواية أخرى عن مجاهد وابن عباس وغيرهما ان معنى (طه) على الخصوص يا رجل وقال ابو حيان ان كل هذه الحروف المذكورة في أوائل السور انها اسماء لهذه السور. فيقال سورة (حم) وسورة (طه)

العربية ، اشارة الى ان حملة رسالة هذا الكتاب الى العالمين هم هذه الامة العربية باللسان العربي المبين .

وبيان ذلك ان اسلافنا في العصور الاسلامية الاولى ، كانوا يتسمون بمحمد كثيرا ولكننا لم نجدهم يتسمون ب « طه » ولا ب « يس » ، فدل ذلك على ان هذين الاسمين في اعتبار سلفنا الصالح لم يكونا من اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا يجعلنا نعتقد ان هذين الاسمين ليسا من اسماء النبي والا لوجدنا في الاسلاف من تسمى بهما ، لانهم حرصوا على ان يتسموا بمحمد .

وبعض المفسرين حملوا « طه » على انه خطاب لرسول الله يأمره بأن يضع قدمه على الارض ويثبت عليها في الصلاة لانه كان يطيل القيام حتى يتعب فيرفع احدى رجليه ويعتمد على الاخرى فأمره الله أن يطأ الارض بكلتا قدميه ، وهذا من الكلام الذي لم يرد به عن المعصوم خبر . واذا صح لهم هذا في سورتي « طه » و « يس » فماذا يقولون في بقية الحروف الموجودة في اوائل السور ؟



عبد الجليل عيسى

وسورة (الم) السجدة وهكذا . وقال ابن عباس ان كل هذه الحروف المبدوء بها السور هى قسم أقسم الله به . وقال أبو جعفر ان (طه) من أسماء النبى .

وقال القرطبى : قال أبو بكر الصديق ان كل أوائل السور سر من أسرار الله . وقيل انها مما اختص الله بعلمه . وقيل انها حروف مقطعة يدل كل منها على معنى ، فمثلا كلمة (طه) الطاء تدل على شجرة طوبى والهاء تدل على النار الهاوية .

وقال مجاهد ومحمد بن الحنفية ان معنى (طه) طوبى لمن اهتدى .

فبعد ما تسمع كل ما تقدم تعلم انه كله رجم بالغيب وان اقرب الاقوال الى العقل ما حققه كبار العلماء انها اما اسم للسور التى ذكرت فى اولها واما انها حروف مفردة ذكرت فى أوائل بعض السور لبيان وجه من اوجه اعجاز القرآن . وبيان ذلك ان الله سبحانه وتعالى كأنما يقول لهم ايها العرب ان هذا القران مؤلف من الفاظ تنطقون بها وهذه الالفاظ مؤلفة من حروف تعرفونها ، فالالفاظ عندكم ، وهذه الحروف لديكم ، فاذا استطعتم ان تؤلفوا من هذه الحروف والالفاظ كلاما معجزا مثل هذا الكلام فأتوا به ، ولن تأتوا كما قال : « فافعلوا ولن تفعلوا » .

وذلك مثل الكيماوى الماهر الذى يؤلف دواء من بضعة أجزاء ثم يعالج به فينجح نجاحا عظيما فى شفاء بعض الامراض ، ولكن لاحتفاظه بسر تركيبه يعجز جميع الكيماويين أن يأتوا بمركب من الاجزاء يأتى بنفس النتيجة مع معرفتهم بهذه الاجزاء التى تركب منها الدواء . وسبب ذلك أن فائدة الدواء ليست مجرد تركيبه من هذه الاجزاء ، بل فى مقادير كل جزء ، وما هو الجزء الذى يبدأ به ، وكم نسبة كل جزء للجزء الآخر .

ومما يلاحظ أن القرآن عند سرده لهذه الحروف تارة ، ينطق باسم الحرف ، كقوله تعالى فى أول سورة البقرة « الم » تنطق (ألف·لام·ميم) وأول سورة الاعراف (المص) تنطق (الف·لام·ميم·صاد) .

وتارة تنطق هذه الحروف بمسماها مثل (طه) و (يس) ، فالياء والهاء

فى أول سورة مريم فمسمى الطاء (ط) ومسمى الهاء (هـ) ومسمى الياء (ى) وهكذا ٠

ويلاحظ ايضا انه مما يدل على ان هذه الكلمات الموجودة فى اوائل السور مراد بها اعجاز الكفار ان اغلب السور التى ذكرت فى اوائلها يذكر فيها بعد هذه الحروف مباشرة الحديث عن القرآن ٠

ففى أول سورة البقرة يقول تعالى : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) ٠

وفى أول سورة الاعراف : (المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدره حرج منه) ٠

وفى أول سورة الرعد : (المر تلك ايات الكتاب والذى انزل اليك من ربك الحق) ٠

وفى أول سورة ابراهيم : (الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس) ٠

وأول سورة طه : (طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) ٠

الى اخر الايات التى ذكر فيها الكتاب الحروف المعجزة ٠

وقد يشار الى القرآن ضمنا ولا يصرح به كما تقدم فى هذه السور ولكنه يفهم من سياق الكلام ، كسورة القلم (ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون) ٠

وقوله فى سورة مريم (كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا) ٠

ذكره : تعنى ذكر الكلا بدال على تاريخه وهو ما جاء فى قصة زكريا فى القرآن ايضا وأما سورة طه (طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) فمعناها : هذه الحروف المؤلف منها ويعدها مباشرة ، قال له مسليا عن عناد الكفار ، لا تتعب نفسك بعد هذه الحجج اننا لم ننزل عليك القرآن لتشقى ، كما قال فى أول سورة الشعراء (طسم تلك آيات الكتاب المبين) ، ثم رجع ثانيا لذكر الرسول وقال : (لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين) ٠

ولهذا فطه و يس احرف كبقية الحروف المعجزة ، ولكنها شاعت بين الناس على انها من اسماء النبى عليه السلام ٠

متى ينجز المجمع وعده؟

احمد الشرباصى

كلمة طه ذكر فيها المفسرون القدامى اكثر من رأى ، فبعضهم قال ان معناها يا رجل ، وقالوا ان هذه الكلمة بهذا المعنى مأخوذة فى الاصل من اللغة النبطية او السريانية او الحبشية ٠

وقيل ان معناها يا انسان ، وقيل انها اسم من اسماء الله تعالى ، وقيل انها من قبيل الحروف المقطعة

من الأسماء العشرة للنبي

محمد سيد جاد الحق

اختلف العلماء وتباينت مذاهبهم وتفرقت بهم الطرق حول تسمية النبى بطه ويس

وهل تجوز الدلائل هذا الاطلاق ، او ترده ، فذهب فريق الى أن الحروف المقطعة التى جاءت فى مطلع السور انما هى من الاسرار التى اختص الله بعلمها • ورأى فريق آخر انها لغة معروفة فى لسان طيىء وهى من القبائل العربية ، ولكن ابن جرير الطبرى فى تفسير طه أزال ذلك اللبس



د. احمد الشرباصى

الموجودة فى اوائل السور القرآنية مثل « الم » ومثل « الر » وقيل انها بمعنى « اطمئن » فعل أمر من الاطمئنان ، وقيل ان معناها فى الاصل « طأها » اى ضع قدمك على الارض بقوة وثبات

وقد رجح الامام ابن جرير الطبرى أن معنى الكلمة هو يا رجل ، والمخاطب بهذا النداء هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك اشتهر بين المسلمين استعمال كلمة « طه » اسما من اسماء النبى عليه الصلاة والسلام ، وهذا الاستعمال غير بعيد وغير غريب مادمنا قد عرفنا أن المخاطب بالكلمة هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم •

واما كلمة « يس » فقد قال القدامى من المفسرين انها اسم من اسماء الله تعالى او اسم من اسماء القرآن، أو مفتاح كلام اى اداة افتتاح تستخدم فى اول الكلام لاستلفات السمع والاصغاء ، وقيل ان معناها يا انسان وهى فى الاصل كلمة حبشية ، وقيل معناها يا رجل ، وقد اشتهر بين المسلمين ايضا استعمال كلمة « يس » اسما من اسماء النبى صلوات الله وسلامه عليه ، ولعل السبب فى ذلك كما رأينا فى كلمة طه هو أن المنادى بكلمة رجل او انسان هو رسول الله عليه الصلاة والسلام،

وليت أحد العلماء المتخصصين فى أصول اللغات وفقهها يعكف على دراسة الكلمتين دراسة لغوية اشتقاقية ليبين لنا أولا أصل الكلمتين ويعين لنا ثانيا اللغة التى تنتسبان اليها فى الاصل ، ويبين لنا ثالثا المعنى المراد من كل منهما ، ثم يبين المراحل الاستعمالية التى مرت بهما ، ثم يحدد لنا أخيرا المعنى المختار لكل من الكلمتين • وهذا يذكرنى بأمنية طالما تطلعنا الى تحقيقها وهى أن ينجز مجمع اللغة العربية وعده بإخراجه معجم اعلام القرآن ، فلا شك أن مثل هذا المعجم سيفصل لنا الحديث عن امثال هذين الاسمين ونرجو أن يتحقق ذلك قريبا •



محمد سيد جاد الحق

وأماط اللثام عن الغموض ببيانه ، فقال بعدما ذكر فى معناهما عدة أقوال ، والذى هو أولى بالصواب عندى من الأقوال قول من قال فى طه أن معناها يا رجل كأنه يقول : يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .. وفى يس أى يا رجل والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين وهذا ما رآه ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد ابن جبيروقتادة وعكرمة والكلبى رضى الله عنهم .

ثم يقول ابن عباس أن طه ويس اسمان سمى الله بهما نبيه كما سماه محمدا والمزمل والمدثر ، وأخرج الحافظ أبو نعيم وابن مردويه فى تفسيره والديلمى فى مسند الفردوس عن أبى الطفيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى عشرة أسماء عند ربى ، أنا محمد وأحمد والفاتح والخاتم وأبو القاسم والحاشروالعاقب والماحى ويس وطه . وقد ذكر الحافظ ابن دحية فى كتابه المستوفى فى أسماء المصطفى ثلاثمائة اسم ، وفى البخارى عن سعيد بن جبير قال فى يس وطه معناهما يارجل بلغة طيىء أو يا سيد ، فطه ويس ليسا من الحروف المقطعة ، وإنما كل واحد منهما موضوع بإزاء يا رجل بلغة طيىء والمراد به حضرة الرسالة .

فكلمة طه اسم للنبى ودليله الخطاب ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أى لتتعب بالمبالغة فى مكابدة الشدائد فى أمر العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم والتحسر على عدم إيمانهم .

وكلمة يس معناها يا إنسان أو يا رجل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى بعده ، إنك لمن المرسلين وهو جواب القسم . وهذه الشهادة من الله لنبيه بالرسالة من جملة ما أشير إليه بقوله تعالى « قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم » . فلم يقسم الله لأحد من أنبيائه على الرسالة فى كتابه إلا له .

قال فى « إنسان العيون » ومن خصائصه عليه السلام أن الله تعالى أقسم على رسالته بقوله يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين فالله يشير بقوله يس إلى صراط مستقيم إلى سيادةالنبى عليه‌السلام وفيها بيان أنه ما بلغ أحد من المرسلين رتبته فى السيادة .

فكري أباظة يفسر



الأحاديث النبوية

سبق ان ذكرت في مقال نشر « بالهلال » ، انني لما كنت طفلا ، الحقني والدي بكتاب « خان جعفر » الملحق بالازهر لكي اتخرج شيخا معمما ، عالما من علماء الدين ، لان والدي رحمه الله كان من علماء الازهر • ولكن لم تطل اقامتي ، وعدلت عن استمراري بالازهر والتحقت بالمدارس العادية ، ولكنني ظللت متصلا بعلوم الازهر اذ كنت بمثابة « سكرتير » لوالدي اقرا له الكتب ، واكتب المذكرات الدينية التي يمليها علي •

ولما بدات اذاعة احاديثي سنة ١٩٣٤ حتى اليوم ، وقد اربت على الفي اذاعة ، لم اغفل ان اخصص بعض اذاعاتي لتفسير بعض آيات القرآن الكريم ، وتفسير بعض احاديث النبي « محمد » صلى الله عليه وسلم

وقد آثرت ان انشر هذا الحديث باللغة العامية التي امتنت ان اخاطب بها جمهوري في الاذاعة • وقد اذيعت الاحاديث التالية منذ اكثر من ربع قرن •

فكري اباظة

سيداتي – انساتي – سادتي الشتيمة الودة بتاعة الايام دي قبيحــــة ومؤلة وجارحة للاحساس . لكن يظهر اني انســـان تلم وتعود عليها ، وعلى قباحة الناس فماعادش نيمال ولا بتترفز وبيصهين ويعر على السب والشتم من الكرام .

ناس كتير بتشتمني شتيمة مودرن، الامور ، الافرنكا ، فباستحملها واقول في عقلي ياواد : اهو « بروتوكول » الايام دي كده ، و « اتيكيت » الايام دي كده والناس اتلحست والنيري نص عقلها من كتر الهم والغم فماتعملش عقلك بعقلهم وسامح والمسامح كريم.

وعشان ماباستحمل الشـــــتيمة والقبـاحة قاموا اصــحابي كانازني وانعموا عـــلى بالرتب والنياشـين الاتية : فكري بك الطويل البال ، فكري بك العـــاقل ، فكري الباشا الامير ، فكري بك الاصـــيل ، فكري بك ابن الناس .

يعني بالاختصــار انتزع كل كلمة واختها ، ويقبضوني مقـابل الاهانة الكام لقب اللي قلت لحضرتكم عليهم، ماتفتكروش ان ده ضعف مني وجبن فانا بشـــــيل ١٥٠ كيلو حديد بأيد واحدة . اتعلمت ٥ سنين بوكس واقدر احتمل دقيقتين برده قدام جونسون وكارنيرا . باعرف العب الشيش واضرب المسدس وخدت دروس في المصـارعة اليابانية ، لكن بقول ياواد خليك اكبر من الناس واللي يغلط معاك ســيبه يرن لحد ما ييجي من كسوفه يبوس رجليك ، ويوطي على ايديك ، ويقول لك الحق عليه ، ماتآخذنيش .

ادي اخلاقي وصفاتي ونعاتي واللي عاوز يشتم من حضراتكم يتفضل على العين وعلى الراس . انما بشرط تكون الشتيمة شتيمة مودرن – الامودة . من بتاعة اليوم .

لكن صدقوني امبارح بس واحـد صاحبي شتمني شـــــتمة ماقدرتش استحملها ، دمي فار وبصيت لقيت ضوافري غرزت في رقبته من نفسها ، وبصيت لقيت راسي راحت ناطحـــة راسه نطحة زي ضربة الزلطة ، وبصيت لقيت « لكميتي » راحت لاطشاه حتة دين « نوك أوت » زي بتوع البوكس وعديت عشر مرات ماقامش فاستريحت وهتفت : ليحيا الشرف .

تعرفوا قال لي ايه ؟

قال لي : يا قليل الدين .

تعرفوا حصل ايه كمان بعد كده ؟

رحت سايب القهـــوة وماشي في الشوارع زي المجنون ماتيش شـايف حد قدامي ، ٥٠٠ أوتومبيـــل كانوا حيدوسوني .صدمت كم مدموازيل وكم ست في السكة وســـمعت صرختهم وماقلتش لهم « باردون » . . . نده لي كام واحد من اصحابي وماسالتش على صحة سلامتهم . طول السكة ماشي عمال اندم واتمتم واهمهم واقول : انا قليل الدين ؟ انا قليل الدين ؟



لحد ماوصلت لبيتى خدت اسبرناية وفنجان قهوة واستريحت شوية وقعدت افكر فى الموضــــوع فلقيت الحق معاه : واتضح لى صحيح : انى قليل الدين !

قلت فى عقلى لنفسى : آه · قليل الدين وخمسين قليل الدين فى بعض · علمتك الحــكومة ايه فى المدرسة ؟ شوية قرآن فى الابتدائى وفى آخــر حصة كنت بتحفظهم زى البغبغان ومن صغر سنك ماتنتش فاهم حفظت ايه ــ مارحت الثانوى وابتدات تفهم ، ماعلمتكش الحكومة الدين · لحــد مارحت المدارس العـــالية علموك قانون ، وفلسفة ، ومنطق ، ولاوندى ، وهروغليفى ، وماحدش قال للــدين انت فين !

آه ، قليل الدين وقليل الــدين خمسين الف مرة · حافظ كم آية من القرآن ؟ صليت كم ركعــة فى حياتك ؟ حجيت لكة وزرت المدينة زى ما رحت للنــدرة وباريس وجنيف وفيينا ؟

رحت الجامع ماتبقيه وسواريه زى مابتروح ســـينما رويال وتريمف والمتروبول ؟

زكيت وتصدقت واحسنت عــلى الغلابة والمساكين زى مابتزكى عــلى هدومك وينابيعك وجزمك وفســحك وهلسك ولهوك الخفى ؟

آه ، قليل الدين وقليل الدين مليون مرة ، الجدع اللىشتمكفى القهوتسماه حق ، قوم اعتذر له وقول له واترجاه يشتمك كل يوم شتمة م العينــة دى علشان ترجع للدين ، وتبقى عندك عقيدة ويقين ·

وعنها ، رحت اعتذرت للواد اللى ضربته وبقيت آخذ ايده والطش بيهــا صدغى الايمن والايسر واجيب لكميته ، فحسب عتها ، وانق بيها فى راسى · ومن امبارح ابتدات اتعلم الدين مــن جديد وأعرف ان الله حق من جديد ·

سيداتى ـ آنساتى ـ سادتى

انا حاعمل امتحان وحاوضع شوية اسئلة وابقوا جاوبوا عليها فى سركم وانتم وذمتكم ·

● السؤال الاول :

انت يا فيللا ياحمرا يامتقرشة يا ام جنينة فيها ورد وقرنفل ويانســيه مسخسخ واسود وملون · انت يا فيللا يا للى فى الزمالك : فيك سجادة صلا بالذمة ؟

انت يا فيللا يا للى فى هليوبولس يابمبة يا ام « ستيل » مودرن فيــك مصحف قرآن بالذمة ؟

انت يا عربية يا « اوبرن » يا للى ماشية زى العروسة فى الشـوارع عمرك وصلت اللى راكبينك للجـامع بالذمة ؟

انت يا - فول - يا مدندشة سقفك وبلاطك ويا ام عـــدان رومانى ، وحيطان كلها صور بالزيت جنان فى جنان - عمر حد قرا فيك ايه قران بالذمة ؟؟

● السؤال الثانى :

انت يا بيه يا بو شعر مكوى ، وشنب مبروم بالجزماتيك ، وبابو فنلة صوف جمل شتوى وحرير مخـرق صيفى وقميص بانيسيال تعرف تقول لى اتوضيت فى حيـــاتك كم مرة بالذمة ؟

انت يا ست يا ام مســولوتيرات وفوربرات وريتارات تعرفى تسمعينى « قل هو الله أحد » والا « قل أعوذ برب الناس » بالذمة ؟

انت يامدموازيل يا رشيقة يارقيقة يا انيقة ياللى بتنطقى الفرنســاوى أحسن م العربى بتاع جدك الحـاج مخيمر ، وجدتك الحاجة مسـعدة ، تعرفى مين أكتر : كلارك جابل والا نوح ؟ جـرن جلبرت والا أيوب ؟ روبرت مونتجمرى والا ذو الكفـــل بالذمة ؟؟

سيداتى - انساتى - سادتى

المدرسة مافيهاش دين .

والبيت مافيهش دين ، وماتبقوش بقى تصرخوا وتقولوا الدنيا جرى فيها ايه ؟ الرزق جرى فيه أيه ، الخيرجرى فيه ايه ؟ الاخلاق جرى فيهـا ايه ؟ الاخلاص جرى له ايه ؟..

كل ده راح مادام الناس لم تتمسك بالدين وحاتشرقوا واديتى عايشوياكم ان الرجـــوع للدين فى الدنيـــا كلها حيبقى « مودة » بس اســتنوا شوية لحد الناس ماتزهق من القلب والشر والفساد .

***

العيب مش علينا احنا بس ياقلات الـــدين ، العيب عـلى اللى مش عارفين يفهمونا الدين ، وقالوا وقلنا لا فلاح عارف يفسرضرب القلة بتاعهم، ولا مدموازيل شـيك عارفة رموز الهيروغليفى ولا بتوع الجامعة اولاد ارسطو وافلاطون ، وارسطوطاليس وديموستين ، راضيين يوطوا رءوسهم ويدرسوا علوم الدين ...

سيداتى - انساتى - سادتى

الحمد لله . يظهر ان الدنيـــــا هتتصلح حالها ، ابتدوا كتابنا الكبار يتكلموا فى الدين ويراجعـوا الدين ويؤلفوا فى الدين ، ادى هيكل الكاتب الكبير اصدر كتابه عن محمد العظيم، وقبله طه حسين العالم الكبير اصدر كتابه على هامش السيرة ، عاوز من كل واحدة منكم بتقرا رواية فرنساوى والا انكليزى والا عربى ، تقرا الكتب العصرية دى فى الدين . عاوز كـل واحدة هاى لايف - شيك - مودرن -

فى البيوت تقرالها فى السنة كتاب دينى واحد ، وتعرف ربنا والنبى فى السنة مرة واحدة ، عشان حرام عليها حيكون لها اولاد صـــــغيرين ، لازم يعرفوا منها ربنا والنبى مين ؟

الليلة انا جامع لكم شوية احاديث نبوية ، من احاديث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام · اسمعوا وخدوا بالكم من الحكم العصرية والمودرن عشان تعرفوا صحيح انه فاتكم كتير، وان الدين شاف لقدام الالف السنين ،
وحكم لقدام الالف الحنين ·
ونظم لقدام الالف السنين ·

الحديث الاول :

« اياكم والغلو فى الدين · فانما اهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين »

يا سلام ·· يا سلام ·· الله اكبر ·· والله ولا ميت الف سنة لقـــدام تسمعوا كلام زى ده · بيقــــول لكم سيدنا محمد عليه الســـلام : اياكم تتشددوا فى الدين ، وتخوفوا الناس من الدين ، وتفهموا الناس ان الدين صعب ، لان اللى عملوا كده قبلكم هلكوا وماتوا وموتوا الناس وياهم ·

نيجى لواحد متزمت من دول فى رمضان ونساله : الا يا اخينـــــا لو الواحد شم وردة والا قرنفلة يفطر، يروح شاند حيله وقايل : معلوم : قطعا من شم وردة او قرنفلة افطر !

نيجى نساله فى رمضان : الا يا اخينا لو الواحــــــد حط قطـــــرة فى عينيه اللى واجعاه والا حقن تحت الجلد حقنة علشان الالم يخف يفطر ؟ يروح شاند حيله ويقـــــول معلوم ، قطعا · من وضع القطرة فى عينيه او الحقنة تحت جلده افطر ·

– الا يا اخينا لو الواحـــــــد الزنق ، وبيته قرب ينخرب ورهـــن اطيانه للبنك العقارى بالفايظ يكفر ؟

يروح شاند حيله ويقول : معلوم ، قطعا ، من تعامل بالربا والفائظ كفر والعياذ بالله !

العيب على اللى مش فاهمين روح الدين وســـــماحته من المتزمتين اللى بيتشددوا قوى ، ويحمروا مناخيرهم قوى ، ويخلو اللى من دين يكرهوا الدين التانى ، ويخلوا اصحاب الدين الواحد يتناسوا الدين · النبى بتاعنا بيقول «اياكم والغلو فى الدين»عشان نعرف نعيش كلنا يا مســـلمين ويا مسيحيين وحتى وثنيين احبـــاب مع بعض ، وكل واحد يعرف دينه تمـــام المعرفة ، ومتى مشى كل واحـــد على دينه انصلح حال الناس كلها مع بعض



وتصبح الدنيا أمان . مافيها غش ولا زور ولا بهتان ولا عدوان .

● الحديث الثانى :

« اتقوا الله واعدلوا فى اولادكم »

يعني يا سيدنا الباشا أو يا سيدنا البيه أو يا سيدنا الشيخ ، ما دام اولادك كلهم من لحمك ومن دمك فحرام عليك تخلى واحـد عايش فى قصر والثانى متلقح فى كوخ . تخلى واحـد بيتغطى بالحرير والقطيفة والثـانى مش لاقى حتة خيش ، تلاقى واحـد عمال بيعزق يمين وشمال فى القهوة على الشلل والخلان ومجالس الانس والثانى مش لاقى له بيت يستر نفسه ويستر اولاده ، تخلى واحـد متنعم بعد وفاتك وواحد عمال يلعن حيـاتك واللى عملته فى حياتك ..

شوفوا النبى كريم ، ازاى ، وبعيد النظر ازاى ، دا حتى فيه حديث تانى قال فيه صلى الله عليه وسـلم :

« ان الله تعالى يحب ان تعدلوا بين اولادكم حتى فى القبل » .

يا سلام .. الله اكبـر .. حتى البوس اللى بيبوسه الاب لاولاده لازم يكون بالعدل . ما يبوسش اسم الله عليه ابن المحظية ٥ بوسات . وابن القصية المنفية بوسة واحدة ..

شفتوش أحسن مـــن ده كرم ، وأكثر من دى رحمة ؟

الناس الوحوش اللى بيعزوا اولاد ويذلوا اولاد ويميزوا أولاد ويبخسوا اولاد عمرهم ما هم شايفين الجنـة حيشوفوا العذاب الاليم : لو كانوا دول اتعلموا الدين وعرفوا وسمعوا كلام النبى الكريم كانوا صـــانوا اجسادهم عن جهنم ونار جهنم ..

بيدوا أولاد ويحرموا أولاد فيتركوا فى البيت بعد وفاتهم حريقة تكــون نتيجتها الخراب والدمار مش العمار

● الحديث الثالث :

« اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا احدهم » .

يعنى اذا جمـاعة حبت تسافر فى فسحة او مامورية او فى بعثة لازم يكون لها ريس ...

وحديث سيدنا « محمد » ده حديث عظيم . ومش عاوز اقول لكم عـلى مصايب الفوضى ومصايب التسـابق على المناصب . هيه اللى جابت لنا الكافية لغاية الان .

انما احكى لكم حكاية عشان تعرفوا قيمة الحديث . سافرنا مرة للشــام خمس شبان قرايب وأصدقاء نسـينا حكمة الدين وحكمة النبى محمــد فماعملناش لنا ريس . فاهمين ان الحب يقوم مقام الرياسة وان الصداقة اللى بيننا تقوم مقام الامارة والزعامة . أول ما وصلنا بيروت انا قلت : نقعد فى بيروت شوية ايام نشترى هدايانا وناخد كام حمام فى البحر .. صديقى نمرة ٢ قال لا ناخذ بيت فى برمانا ، ونبقى ننزل بيروت على كيفنـا ولو فضل معانا فلوس نبقى نشـترى هدايا . ما فضلش ان شالله ماحد هادى .

صديقنا نمرة ٣ قال : لا دى فسحة الشام لازم » فقالى » ماناخدش بيت وننزل فى اللوكاندات من بلد لبلد • الرابع قال : لا نروح دمشق الاول نتفرج عليها وبعدين نرجع على جبل لبنان‥ الخامس قال : لا انا بافتكر لازم نروح فلسطين الاول نتفـــرج فيها وبعدين نرجع للشام ‥

اختلفنا عشان ماعملناش « ريس »

وحصلت خناقة على الينا فى بيروت وفى اول ساعة • ماامكنش يحصـل بيننا اتفاق • اتفرتكنا واتفرقنا ‥ اللى عاوز بيروت قعد لوحـــده فى بيروت ، واللى عاوز دمشق ســافر لوحده لدمشق ، واللى عاوز فلسطين سافر لوحده فلسطين ‥ واللى عاوز بيت سكن له فى بيت ، واللى عاوز

لوكاندات اتلقـح فى اللوكاندات ‥ جينا لمصر متخاصمين ولغاية دلوقت متخاصمين ‥

كل بلد له زعيم • وكل مركب له ريس • ولو كان لكل بلد الف زعيم ولكل مركب كام ريس • عمر البلد ما ينجح وعمر المركب ما يرسى على بر

اسمعوا كــلام الانبيــا والمهوه

واعملوا به وطبقوه ‥

اللهم صلى وسلم عليك يانبى • امتى امتك تفهم كلامك • وتعــرف حلالك من حرامك ‥

● الحديث الرابع :

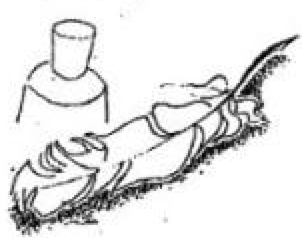
« اذا نظر احدكم الى من فضــل عليه فى المال وفى الخلق فلينظر الى من هو اسفل منه »

يعنى ان الله سبحانه وتعالى خلق الغنى والفقير والجميــــل والوحش والضعيف والقوى فمش لازم الواحد يحسد اللى ربنا فضله عليه ويتواسى باللى اقل منه ‥‥

● الحديث الخامس :

« ان المراة خلقت من ضلع ، وانك ان ترد اقامة الضلع تكسرها ، فدارها تعش بها »

يعنى ان الست من نوع زى العضم المنحنى من الصدر على المعدة • ان جيت تعدله بالشدة والعنف انكسر وراح • والمراة لا تنصلح الا بالسياسة والليونة والملاطفة • لما تحمر لهـــا العين تحمر هيه رخره العين وتطلع



فيها · ولما تاكل مخها بالكلمة الظريفة الطعمة وبالسياسة واللطف واللين

بتلين · فعلى كل زوج أن يكون مجاملا مع امرأته حتى لا تكون لها شكوى

وحتى لا خرج عليه وأحسن موديل هو الحزم مع اللطف · والسيطرة

مع مسح الجرح ··

● الحديث السادس :

« خيرهن أيسرهن صداقا »

يعنى النبى بيقول لكم يا عائلات الهاى لايف · ياللى طالعين فيها

وحاطين مناخيركم فى السما ياللى مسببين أزمة الزواج بسبب غلو المهر

اعرفوا ان أحسن بنت فى نظر الدين، ونظر الله ونظر النبى · ونظر

الاسلام · هيه اللى مهرها ضعيف ·· اللى مهرها هين ·· اللى اهلها

ناظرين للعيشة السعيدة والحياة الطويلة مش للفلوس وللفرش ··

لو كنا اتبعنا أمر النبى ماكانتش

البلد بتشتكى دى الوقت من قلة الزواج

·· وكان كل شاب صان نفسه ، وصحته ومستقبله · واتجوز ما دام

المهر الخفيف بيقول له اتفضل مش بيقول له : لا أنت فقير ··

● الحديث السابع :

« لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء »

شوفتوش ابدع من كده حديث · لعن الله الست اللى عاملة راجل ·

والراجل اللى عامل ست · لعن الله الست اللى عاوزة تعمل حكمدارة بوليس ، وشيخة جامع أزهر وجاويشة

فى الشارع ومديرة أمن عام ، وعاوزة تاخد وظايف الرجال وتقفز محلهم على الكرسى بالديكولتيه والكورسيه

والبيريه ·· ولعن الله الراجل اللى عامل ست · اللى بيتتف حواجبه ، ويهف شواربه ، ويحدق وسطه ،

ويسبسب شعره ؟ ويتكلم من مناخيره سيكا ، ويتموج ويتقصع ويمكن يعمل « رميل » كمان فى رموش عنيه

●●●

سيداتى – آنساتى – سادتى

راجعوا الدين واقروا أحاديث النبى وافهموها فهم مودرن عصرى

تجدوا ان الدين دين عصرى على آخر طراز وانيكو شلتو العينة ·

وماتخافوش : كل العلماء الكبار فى العالم الخارجى دى الوقت بيؤكدوا أن الدين حيرجع له عزه تانى

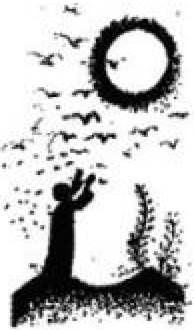
·· وان العالم مش حينصلح الا اذا رجع الدين ·

فطاوعونى الحقوا يا ستات ويابنات ويا رجاله ويا شبان اتعلموا

الدين من جديد عشان ماحدش يقول لكم يا قلالات الدين ···

أنور العطار

نور على الأفق



صلوة الخلق اى نور عل الأفـ ق بهي جم التلاميع حـائم !
سطعت من سناك هذى السموا ت ورفت بك الدنا والعـوالم
انت نجوى الارواح فى كل جيل وشعاع الهدى ، وروح النواسم
تتناجي بك القلـوب الحيارى وتغني بك النفوس الهـوائم
يا سماء الجلال يارفرف الخلـ ـد ويا صورة النعيم الـدائم
لأصوغن من نداك الأناشـيـ ـد وأفتن فى ضروب الـملاحم
كل بيت يكاد يقطر بالرفـ ق ويخضل بالدموع السـواجم

***

يانداء المعذبين الأسـارى ودعـاء المروعات النوادم !
كلهم لاجيء اليك يرجيـ ك ، وكل معلق بك هـائم
ظفروا منك بالسماحات تترى وغنوا بالرضا الشهي المناعم
دينك السمح شرعة من علاء وحنـان وطيبة ومراحم
الهدايات حانيات عليـه والعنايات طائفات حوائم

***

سعدت بالهدى رحاب الصحارى وتلالت فيها الموامي الطواسم
اعشب القفر منه وازدهر الحجر الصلـ د ، وفاضت منه العيون النواجم
وتندت هـذى الرمال العطاشى كاللآلي فرائـدا وتـوائم
تتغنى فيهتف الكون جـذلا ن وتهتز فى العلاء الغمـائم
فهى حلم عل الليال جميـل وهى ناى عل مدى الدهر ناغم

***

يانبي الهدى لقد ذلت العر ب وقيدت الى الردى بالشكائم
سلبت حقهـا وديس حماهـا واستكانت لمستبد هـادم
يا سماء اهبطي ، ويا أرض ميدى غصب الآلامون مجـد الاكارم

عبد العزيز الدسوقي

أدعياء النبوة.. وبواعثهم السياسية

كما تتجلى عظمة الكون فى الطبيعة ، وتتألق روعة الطبيعة فى الربيع حيث يجيش الخامد ، ويتفتح الهامد ، وتعبق الحياة بالجمال ، يتجلى جلال الألوهة فى النبوة ، وهى اعظم ظاهرة الهية يمتزج فيها النور الالهى بالجانب البشرى فى نفس العظيم ، وتتصل الارض بالسماء ، وتتغير قوانين الحياة ، ونلتقى بالرجل الالهى يسير بيننا حاملا أعظم ما فى الانسانية ، واروع ما فى السماء . بتلك الخصائص الروحية والانسانية ، احدثت شخصية النبى العربى محمد بن عبد الله ، عليه صلوات الله ، أكبر التحولات فى تاريخ الانسانية ، وغيرت عقائدها الروحية والسياسية ونظمها الاقتصادية ومؤسساتها الثقافية ، وانشأت فى أعوام قلائل أعظم مدرسة فى السياسة والاجتماع وتطوير الحياة .

والاجتماعية

لقد غيرت المدرسة المحمدية خارطة العالم وغيرت تاريخ البشرية بأرفع القيم والمبادىء ... فهل أنجز النبي صلوات الله عليه رسالته ومدرسته ، كل أولئك في يسر وفي سهولة ؟ أو وقفت أمامه وأمام رسالته ، جحافل الشرك ، وكتائب الظلام ، وحاولت أن تطمس النور الجديد الذى كان يبشر به ، وأن تبيد الرجال الأبطال ، الذين آمنوا به ونصروه ، وحملوا معه عبء التغيير والتطوير ... تلك أمر طبيعى ، فقد تحمل النبي وصحبه فى سبيل الرسالة الالهيـــة فوق ما يحتمل البشر ، وصمدوا حتى تهاوت كتائب الشرك والظلام ، وأضاء النور الالهى آفاق العالم ، وأصبحت كلمة الله هى العليا

ولكن الشىء اللافت للنظـــر فى النبوات والرسالات ، انهـــا تواجه بمعارضة من نوع عجيب ـ غيـــر الاضطهاد والايذاء ـ يحمل رايتهـــا رجال يدعون النبوة ، ويمشون بين الناس بهذه الاكاذيب ، ويزعمون أنهم رسل من عند الله ، يهبط عليهم وحى السماء ، محاولين بذلك أن يستميلوا قلوب العامة ، ويجمعوا حولهم الاتباع والانصار .

ولقد صادفت الرسالة المحمـــدية بعض هؤلاء الادعياء ، الذين كانت تختلف بواعثـــهم الســـياسية والاجتماعية ، ولكنهم كانوا جميعـــا يلتقون عند هدف واحد ، هو محاربة الدعوة الاسلامية ، والســـيطرة على الاتباع والاعوان واتخـــاذ قاعدة للدعوة يثبون منها لمحاربة الـــدولة الاسلامية .

ولقد بدأت هذه الظاهرة فى حياة الرسول عليه السلام ، وأول مرتد فى الاســـلام ، هو « الاسود العنسى » واسمه « عبهلة بن كعب » ولقبـــه « ذو الخمار » لانه كان يمشى رقـــ ـغطى وجهه بغطاء . وقد ادعى النبوة فى اليمن ، وكان كاهنـــا يشتغل بالسحر والشعوذة ، وقد بهر العامة بسحر حديثـــه وجاذبية منطقه ، واستخدم شعوذته وحيله فى الاتيـــان بالافعال العجيبة التى تخدع العـــامة ويستولى على عقولهم .

ويحدثنا ابن خلدون فى تاريخه ان (الاسود العنسى) استولى عـــلى صنعاء وحضرموت الى أعمال الطائف الى البحرين « وجعل يطير استطارة الحـــريق . وعـــاملة المسلمون بالتقية (١) » .

وكان يستخدم الســـجع فى خطبه وكلامه الذى يلقيه بين الناس . ولكن الجيش الاسلامى قتله شر قتلة وتفرق اتباعه وعادوا الى الاسلام .

ومن الذين ادعوا النبوة ـ أيضا ـ فى حيـــاة الرســـول « مسيلمة » و « طلحة بن خويلد ، الاسدى » .

وسنتحدث عن « مسيلمة » فيمـــا

---

(١) تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ٨٤٤

بعد بالتفصيل ٠

أما طليحة فقد كان يهذي بكلام مسجوع يزعم فيه أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء ، ثم أمر أتباعه بترك السجود في الصلاة قائلا لهم : « اذكروا الله واعبدوه قياما » ٠

وقد أرسل اليه النبي عليه السلام « ضرار بن الازور » ففرق أتباعه وضربه بالسيف ولكنه نجا وهرب ٠ وشاع بين العامة أن السيوف لا تؤثر في « طليحة » فكثر أتباعه واجتمع عليه « غطفان » و « هوازن » و « طيء » ٠

« وهم ضرار بمناجزته فأتى الخبر بموت الرسول عليه السلام ، فعاد ضرار ومن معه الى المدينة (١) ٠

ولكن هذا الدعي لم يستمر طويلا فقد اقبلت جيوش ابي بكر تفرق أتباعه وتبيد قواعده وحصونه ٠ وهزموا شر هزيمة وعادوا الى الاسلام ٠

بعد رحيل الرسول

٠٠٠ وبعد أن لحق رسول الله بالرفيق الاعلى حدثت هزة كبيرة بين المسلمين ، وزلزل يقين البعض منهم ، وارتدت بعض القبائل عن الاسلام ، وراح البعض الآخر يمتنع عن دفع الزكاة ويرى فيها لونا من الاتاوة لا يليق بهم ٠

ويحدثنا ابن الاثير « أنه لما مات النبي (ص) وسير أبو بكر جيش أسامة ارتدت العرب ، وتضرمت الارض نارا ، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة ، الا قريشا وثقيفا ، واستغلظ أمر « مسيلمة » و « طليحة » واجتمع على « طليحة » عوام طيء وأسد وارتدت (غطفان) تبعا « لعيينة بن حصن » فانه قال : نبي من الحليفين (يقصد أسد وغطفان) أحب الينا من نبي من قريش » (٢) ٠

وليس عجيبا أن يحدث الذي حدث،



فقد كانت شخصية الرسول القائد والنبي ، بما تمثله من قيم روحية وجاذبية سياسية وفكرية وعظمة انسانية ، تجمع حولها القبائل ، وتسيطر على الدولة ٠

فلما غابت تلك الشخصية أحدث موتها فجوة كبيرة في نفوس المسلمين ٠٠ وحدث نوع من التخلخل الاجتماعي والروحي في الدولة الاسلامية الوليدة وترك رحيل الرسول القائد فراغا سياسيا واجتماعيا كبيرا ٠ فتح الطريق أمام تسلل الادعياء والمغامرين من الكهان والسحرة والمشعوذين ٠ وبعض سادة القبائل الذين أنفوا من دفع الزكاة ٠

في هذا الجو النفسي والاجتماعي تهيأت الفرصة لظهور مجموعة من ادعياء النبوة والدجالين والطامحين السياسيين الذين خرجوا على الدولة الاسلامية وحاربوها ٠

وقد ظن بعض الكهان الطامحين ممن يجيدون صناعة الكلام ، والتأثير النفسي على الجماهير ، أنهم يملكون الادوات التي كان يملكها الرسول ٠ وما عليهم الا أن يلقوا بين العامة بأكاذيبهم في لغة مسجوعة ، ويبشروا بدعوتهم حتى يستميلوا الناس وبذلك

---

(١) المصدر السابق ٨٦٩

(٢) ابن الاثير – الكامل جـ ٢ ص ٢٣١

يجمعون الانصار والاعوان . وفات هؤلاء القوم أن هذه الادوات الشكلية التي يملكونها ليست الا مظهرا شكليا من مظاهر التأثير والابلاغ يتحول الى شيء بارد جامد يثير النفور والاشمئزاز اذا خلا من جوهر الرسالة ولب النبوة والجوهر واللباب يتمثل في شخصية النبي ووحي السماء ، ولذلك حاولوا ادعاء النبوة كذبا وافتراء ، واشاعوا بين الناس أن وحي السماء يهبط عليهم ، وبذلك استولوا على بعض عقول العامة ...

البواعث السياسية والاجتماعية

ولكن هناك بواعث أخرى وراء ظاهرة التنبؤ هذه ، غير هذا الطموح وحب السيادة والسيطرة ، والكهانة والشعوذة ، والا لما استجاب لهؤلاء الادعياء احد ، ولتحولت دعواتهم الى صرخة في واد .

ابو الطيب المتنبي :
يحس بتفرده وامتيازه



ويمكن أن نحصر هذه البواعث فيما يلي :

١ ـ العصبية القبلية التي كانت لاتزال متأصلة في بعض النفوس

٢ ـ النظام الاجتماعي المتخلف الذى انف من القيم الجديدة التى اشاعها الاسلام

٣ ـ التحالف الوثني اليهودى الذى حاربه الاسلام .

وهناك بواعث أخرى يمكن أن نعددها ، ولكن حسبنا هذه الثلاثة فهى أهمها . فلا شك أن نزعة التعصب القبلى كانت لاتزال متأصلة فى بعض النفوس ، وخاصة نفوس قبائل البادية ، فكانوا ينقمون على قريش أن تحظى دون بقية العرب بالنبوة ، وأن تستأثر بالمجد والسلطان ، ونفست قحطان على عدنان ، وراحت كل قبيلة تؤيد ما يظهر من بين افرادها من ادعياء ، ولعلنا لانزال نذكر ما اشرنا اليه من قول «عيينة بن حصن» « نبي من الحليفين احب الينا من نبي من قريش » .

الى جانب هذه العصبية القبلية ، ضاق الاعراب بهذه القيم الجديدة التى جاء الاسلام يرسيها ، من العدل والمساواة والحرية والاخاء بين بني البشر ، لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى . ولا تفاضل بين الناس بأموالهم وأحسابهم . ولكن بعملهم الصالح .

ضاق الاعراب بهذه القيم وعبروا يلتمسون تغييرها باتباعهم هؤلاء الادعياء .

وكانت لاتزال تقاليد الوثنية وسلطانها مؤثرة على بعض النفوس الى جانب رجال الدين من اليهود الذين تحالفوا على الدعوة الجديدة كل هذه العناصر كانت مناخا صالحا لظهور ادعياء النبوة من امثال « الاسود العنسى » و « طليحة » و « لقيط الازدى » الذى ادعى النبوة في عمان . و « سلمى بنت مالك » و « مسيلمة الكذاب » و « سجاح

بنت الحارث » وغيرهم .

ومن العجيب أن يلاقى هـؤلاء الادعياء الكذابون والمشعوذون الدجالون اتباعا وانصارا يجندون من بينهم الجيوش ويحاربون الدولة الجديدة ويسببون لها المتاعب .

ومن هنا تجىء عظمة الصديق أبي بكر الـذى أعاد للدولة الاسلامية هيبتها وللعقيدة صفاءها ونقاءها بعد أن قضى على هؤلاء الادعياء وخرب حصونهم وقتل رؤساءهم ، وجعل الدائرة عليهم . وسنقف عند بعض تاريخ هؤلاء الادعياء وأفكارهم لنرى لونا من ألوان المعارضة التى صادفت الدعوة الاسلامية .

مسيلمة الكذاب

ومن الاسمـاء التي يجب ان نقف عندها من ادعيـاء النبوة مسيلمة الكذاب (ثمامة بن كبير بن حبيب) الذى « تنبأ » فى اليمامة والذى شهد مصرعه على يد سيف الله خالد بن الوليد فى « حديقة الموت » باليمـامة لما لهـذه الموقعة من اثر كبير فى التاريخ الاسلامى .

وقد بدأ « مسيلمة الكذاب » ادعاء النبوة فى عهد الرسول صلوات الله عليه ، وزعم أن الرسول اشركه معه فى أمر النبوة ، وشهد له رجل يقـال له « الرجال بن عنفوة » وصـدقه



واتبعه بنو حنيفة وغيرهم ممن كانوا فى اليمامة ، فبدأ يمارس عمله ويبشر بدعوته وأرسل الى النبى صلى الله عليه وسلم خطابا مع رجل من بنى عامر بن حنيفة يدعى « عبـادة بن الحارث » يقول فيه :

« من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد ، فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها . ولكن قريشا لا يعدلون والسلام عليك » .

ونحن نلاحظ أن فـكرة العـدل الاجتماعى التى أشاعها الاسـلام والنظام الجديد الذى حرم السادة من اكتناز المال واغتصاب الارض ، هو الذى كان يؤرق العرب الذين لم يدخل الايمان فى قلوبهم . ولذلك كان هؤلاء الادعياء يستغلون هذه الناحية ويثيرون النزاع القبلى والعصبيةالتى جاء الاسلام يحاربها .

وقد رد النبى عليه الصلاة والسلام على هذا الدعى الدجال بخطاب حاسم، صار دستورا للمسلمين فيما بعد قال فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبى الى مسيلمة الكذاب ... اما بعد فان الارض لله يورثهـا من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .

وقد زعم « مسيلمة » أن له قرآنا ينزل عليه من السماء ويأتيه به ملك من السـمـاء يسمى « رحمن » ومن قرآنه الذى زعم انه يهبط عليه أخزاه الله : « والمبذرات بذرا والحاصدات حصـدا ، والذاريات قمحـا ، والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما اهالة وسمنا . لقـد فضلتم على أهل الوبر . وما سبقكم أهل المدر ، ضعيفكم فامنعوه ، والمعتز فآووه ، والباغى فناوئوه » .

وقد توالت الاحداث بعـد ذلك وانتقل الرسول الى الرفيق الاعلى ، وحدث ما حدث من ارتداد العرب عن الاسلام الا قريشا وثقيفا . وذاع أمر « مسيلمة » و « طليحة » وغيرهما من أدعياء النبوة .



ابو العلاء المعرى ·
بعيد عن ادعاء النبوة

وبدأت خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، فامتحن بهذه المحنة القاسية التى عرفت فى التاريخ الاسلامى بـ « الردة » ·

وكان من اكبر الانجازات التى قام بها الخليفة الاول رضوان الله عليه هى تلك الحروب المظفرة التى سميت (بحروب الردة) والتى اعاد فيها ابو بكر للدولة وحدتها وهيبتها· ثم تفرغ بعد ذلك لحروب الشام ·

ولكى ندرك مدى ضراوة تلك المحنة التى امتحن بها ابو بكر نذكر قول ابنته عائشة رضى الله عنها حول هذا الامر ، قالت : « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بأبى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها · اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب » (١) ·

ولم يقتصر أمر هؤلاء المرتدين على التبشير بدعوتهم ، بل بدأوا يمتنعون عن دفع الزكاة ، وراح « مسيلمة » يجند الجنود ويسير الجيوش ليحارب المسلمين ، ويجمع حوله كل من يناوىء الدولة الاسلامية ·

سجاح بنت الحارث

وكانت هناك كاهنة من بنى تميم تقيم عند أخوالها فى تغلب تسمى « سجاح بنت الحارث بن عقفان » ، وكنيتها « أم صادر » ، ادعت النبوة فى تغلب وراحت تبشر بدعوتها من فوق منبر بالسجع وتجمع عليها بنو تغلب ، وقصدت بنى حنيفة لتجمعهم حولها · وكانت تريد محاربة أبى بكر ·

ولما علم « مسيلمة » بأمر هجرتها الى بنى حنيفة حاول أن يتصل بها وقد سجعت « سجاح » ذات يوم فقالت « ان (٢) رب السحاب يأمركم أن تغزو الرباب ··· » ، ثم اتجهت مع قومها لغزوهم فهزموها هزيمة منكرة ورأت « سجاح » أن تتصل هى الاخرى بـ « مسيلمة » الكذاب ، فأتت اليه وقد كان يقيم فى « حجر » واستأمنته فخرج اليها من الحصن الى قبة ضربت لها بعد أن جمرها وطيبها · ودخلا معا وسجع لها وسجعت له من أسجاع القرية وشهدت له بالنبوة وخطبها لنفسه فتزوجته ، وأقامت عنده ثلاثا ووحدت دينها مع دينه فصارا دينا واحدا ، ولما رجعت الى قومها لاموها على زواجها بدون صداق ، فرجعت الى « مسيلمة » فقال لها : نادى فى أصحابك أنى وضعت عنهم صلاة العشاء وصلاة الفجر ، وصالحته على نصف غلات اليمن (٣)

وبذلك قويت شوكة « مسيلمة » الكذاب · ولكن الخليفة الصديق رضى الله عنه بدأ يوجه ضرباته الى المرتدين وادعياء النبوة فأرسل جيوشه فى كل

(١) فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٣٢
(٢) المصدر السابق ص ١٣٨
(٣) تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ٨٧٤ وراجع فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٣٨

مكان وكان فيها اجلاء الصحابة وقد ابلى خالد بن الوليد بلاء حسنا في القضاء على المرتدين فقضى على الردة في بني اسد وفي بني تميم وقتل زعيمهم مالك بن نويرة .

ثم ذهب الى اليمامة وتعقب « مسيلمة الكذاب » وقاتله مع اعوانه قتالا مريرا . والجأهم الى حديقة ثم اعملوا فيهم القتل الذريع . وقتل « مسيلمة » في هذه الحديقة التي سميت ـ فيما بعد ـ « حديقة الموت » لكثرة ما قتل فيها ... وبذلك طويت صفحة المرتدين وادعياء النبوة ، وفرت « سجاح » وعادت الى الاسلام وحسن اسلامها وهاجرت الى البصرة عند اخوالها حتى ماتت عندهم .

ولكن واقعة « اليمامة » كانت ملحمة من اكبر ملاحم الاسلام ، استشهد فيها الف ومائتان من اعلام الصحابة .

وفي هذه الواقعة استشهد معظم القراء ، وكان ذلك من اكبر الاسباب التي جعلت عمر بن الخطاب يطلب الى ابي بكر ان يعمل على تدوين القرآن وجمعه .

وعادت الدولة الاسلامية سيرتها الاولى كما كانت في عهد الرسول صلوات الله عليه ، ولم يفلح هؤلاء الادعياء والمشعوذون في الصمود امام نور الحق وصدق الله العظيم (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) .

تطور فكرة ادعاء النبوة

ولكن مع ذلك ظلت فكرة ادعاء النبوة تراود بعض النفوس ، ولكنها كانت تأخذ واجهات مختلفة .

فبعض اخوان الصفا راودته هذه الفكرة . وظهرت في بعض رسائلهم . ويقال ان « ابا العلاء المعري » كان على صلة بطائفة من الفاطميين والباطنية ينكرون ان يكون النبي عليه السلام خاتم النبيين ، وانه ادعى بينهم النبوة .

ولا اظن ذلك صحيحا فقد يكون « المعري » قد اتصل بالفاطميين وقابل بعض اعضاء الجمعية السرية الفاطمية في بغداد من قبيل الفضول لمعرفة تلك الدعوة الغامضة .

وان كان مارون عبود يؤكد « ان المعري كان على صلة تامة بالفاطميين وكان من كبار دعاتهم (١) » .

ابو الطيب المتنبي

وشاعر العربية الاكبر أبو الطيب (احمد بن الحسين الجعفي الكندي) قيل عنه انه ادعى النبوة ولقب من

---

(١) مارون عبود ـ زوبعة الدهور ص ٧٨

اجل ذلك (بالمتنبى) ويقال ان ابا الطيب ادعى النبوة فى بادية السماوه (بين الكوفة والشام) وتبعه خلق كثير من بنى كلب . وقيل انه تلا على البوادى كلاما زعم انه قرآن انزل عليه ، ومنه :

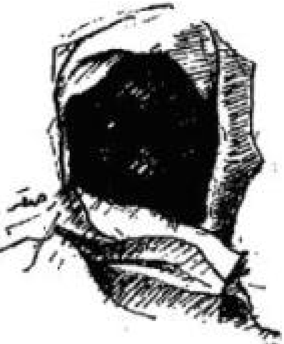
« والنجم السيار . والفلك الدوار . والليل والنهار . ان الكافر لفى اخطار . امض على سنتك ، واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من الحد فى دينه وضل عن سبيله » .

وأنا أستبعد ذلك ،وقد تكون كبرياء المتنبي واستعلاؤه واحتقاره لخصومه كل ذلك قد اثار عليه الثائرة وجعل أعداءه ينسجون حوله الاقاصيص ولا أظن ان تلك الابيات تكفى وحدهاالاثبات ادعاء ابى الطيب النبوة ... كقوله :

انا فى امة تداركها الله
غريب كصالح فى ثمود
ما مقامى بارض نخلة الا
كمقام المسيح بين اليهود

وقوله :

تغرب لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلا الا لخالقه حكما



وقوله :

وفؤادى من الملوك وان كا
ن لسانى يرى من الشعراء

فهذه اقوال شاعر يحس بتفرده وامتيازه وعظمة نفسه وان كنت ارجح انه كان على علاقة وثيقة بالقرامطة وقد ظهر اثر ذلك فى شعره كما اكد الدكتور طه حسين (١) .

وقد قرر بعض الباحثين « ان المتنبى كانعلى علاقة وثيقةبالقرامطة الاسماعيليين . وكان احد دعاتهم الكبار لدى القبائل . وفضل ان يظل امره من الاسرار الغامضة ، فعمد الى حذف أغلب اشعاره التى تدل على هذه العلاقة من ديوانه » (٢)

ولست ادرى هل كان ابو العلاء المعرى او ابو الطيب المتنبى يعتقدان عقيدة بعض الفرق الضالة فى الاسماعيلية والفاطمية فى انكار « ختم النبوة » والزعم بوجود انبياء بعد النبى محمد عليه السلام ؟ ولكننى أعتقد انهما لم يدعيا النبوة ولم يدعوا الى ذلك .

وعلى كل فقد ظلت الفرق الباطنية تروج لفكرة انكار « ختم النبوة » وتبشر بمجيء نبى جديد .

البهائية والقاديانية

وقد حاول الاستعمار والصهيونية ان يستغلا هذه الفكرة فى العصر الحديث فساعدا على قيام جماعتينمن اهم الجماعات التى تدعى النبوة وهما « البهائية » و « القاديانية » وهما وغيرهما تقوم على « تاويل الكلمات الشرعية الاسلامية المتواترة تاويلا لا يقوم على اللغة والقياس والمنطق ، والاتجاه الى انكار الحقائق الغيبية ، والخرق للسنن الطبيعية ، وتلتقى اولا

(١) طه حسين ـ مع المتنبى ص ٤٦
(٢) اعلام الاسماعيلية للاستاذ مصطفى غالب ص ٩١



واخرا على انكار عقيدة ختم النبوة » (١)

وقد ادعى غلام أحمد النبوة وزعم أنه أوحى اليه « وانى جاعلك للناس اماما . ينصرك رجال نوحى اليهم ».

وقال عن نفسه « بعث الله تعالى فى هذه الامة مسيحا أفضل من المسيح الاول فى جميع الكمالات والذى نفسى بيده لو كان عيسى بن مريم فى زمانى أنا فيه ، لما استطاع عملا مما عملته ولم يكد يظهر المعجزة التى ظهرت ». وقد ألف غلام احمد كتابا قال عنه « هذا هو الكتاب الذى الهمت حصة منه من رب العباد ».

وقد كان غلام احمد من اكبر مناصرى الاستعمار الانجليزى فى الهند وسخر نبوته المزعومة لمساعدة الانجليز . وقد أعلن غلام احمد ان أمر الجهاد قد الغى الآن وان الفقه الاسلامى اذا كتب من جديد فيجب ان يلغى منه باب الجهاد .

هذه آراء زعيم « القاديانية » . اما زعيم « البهائية » فى ايران « الباب » فيقول فى كتابه البيان : « هذا كتاب من عند الله المهيمن القيوم الى من يظهره الله . انه لا اله الا انا العزيز المحبوب أن اشهد انه لا اله الا هو وكل له عابدون (٢) » .

وجاء بعد « الباب » « ميرزا حسين على » الذى اعلن انه « البهاء » واعتبر نفسه « مظهر الله الاكمل وجماله البهى الابهى » (٣) .

وقد كانت « البهائية » على صلة بالوكالة اليهودية فى عكا . وكان عبد البهاء يؤيد اليهود فى ايجاد وطن قومى لهم فى فلسطين (٤) .

ونحن نلاحظ ان الافكار التى حملها مدعو النبوة فى العصر الحديث تختلط فيها كثير من الثقافات والديانات والآراء . ويتردد هؤلاء الدعاة بين ادعاء النبوة وادعاء الالوهة .

ولكن افكارهم لم تؤثر تأثيرا كبيرا وظلت محصورة فى بعض البلاد التى حاول فيها الاستعمار ان يستغل مثل هذه الدعوات الشاذة او فى بعض البقاع التى تنتشر فيها الطائفية .

ولكن الدعوة الاسلامية ظلت نقية الجوهر صافية . وظل القرآن الكريم يتردد فى انحاء العالم الاسلامى .

وظل المؤذن يردد كل يوم خمس مرات على مآذن العالم الاسلامى كله « اشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » .

ليجدد كل يوم شباب الدعوة المحمدية ، ويؤكد استمرارها وشبابها الدائم بينما تبددت اراجيف ادعياء النبوة وابتلعها النسيان « فأما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ..

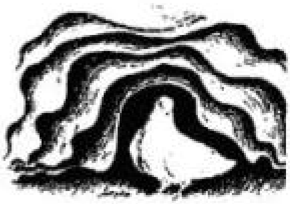
---

(١) رجال الفكر والدعوة فى الإسلام لأبى الحسن الندوى ص ١٤٨ والقاديانية ثورة على النبوة المحمدية – وراجع القاديانية للشيخ محمد الخضر حسين

(٢) خفايا الطائفة البهائية للدكتور احمد محمد عوف

(٣) المصدر السابق ص ٩٨

(٤) المصدر السابق ص ١١٦



صحراء يثرب

للشاعر المهجري

جورج صيدح

لا يعجز الله الذى   ان قال كن للشيء كان
امر الرمال فاطلعت   صحراء يثرب الحوان
للرسل آيات وهذا ال   طفل آيته البيان
الروح يملى ما يتر   جمه ونعم الترجمان
بالفؤاد آذن ربه   فتخلفت لغة الاذان
يا صاحبى باى آلاء الرسول تكذبان ؟

***

شرفا حراء الغار هل   كحراء فى الدنيا مكان
اخذ الشهادة من شفا   ه المصطفى اخذ البنان
فى صدره ضم النجى   وصان معجزة الزمان
وتنزلت ام الكتا   ب على اليتيم مع اللبان
فهدى الاعارب ذلك الامى بالسور الحسان
اضحوا وفى الدنيا لهم   شان وعند الله شان
يا صاحبى باى آلا ء النبى تكذبان ؟

***

يا من سريت على البرا   ق وجزت اشواط العنان
آن الاوان لان تجد   د ليلة المعراج .. آن
عرج على القدس الشر   يف ففيه الناس تهان
ضج الحجيج به ور   يع ضريحه والمسجدان
والقوم السنة مبلبلة كان الحشر حان
هذى « سدوم » تصاعد النيران منها والدخان
والذعر يحنو الشاردين كانهم قطعان ضان
ماذا دهاهم هل عصو   ك فاصبح الغازى جبان ؟
انت الذى علمتهم   دفع المهانة بالسنان
ونذرت للشهداء جنات وخيرات حسان
يا صاحبى باى آلا ء النبى تكذبان ؟

رحلة الشهر

الموتى ينتقدون الأحياء



احمد شوقى

منذ بضعة أعوام ، قرأت فى احدى الصحف المصرية مقالا لواحد من هؤلاء الذين يكتبون الشعر الجديد ، يقول فيه أن شوقى لو عاش الى أن ادرك هـذا الجيل ، لاعتبره النقاد شاعرا من الدرجة الثالثة (كذا) !

وكان معى ، وأنا اقرأ ذلك المقال ، المرحوم كامل الشناوى ، ودمعت عيناى ...

فقال لى كامل الشناوى : لا تبك من مثل هذا القول ، بل اضحك ، لأن الموتى ينتقدون الاحياء !

ومنذ ايام ، قرأت فى زميلتنا « الانوار » اللبنانية أن كتابا صدر فى بيروت بعنوان « مختارات من شعر أمير الشعراء أحمد شوقى » ... اختار فيه مصنفه ما شاء من الشوقيات ، ثم اضاف اليها ما يزعم به انه يسحب كرسى الامارة من تحت أمير الشعراء ، ويزلزل عرشه الذى اجمع عليه الشرق والغرب فمصنف الكتاب يهاجم المدح السائد فى شعر شوقى ، وينسى أن المدح كان سمة سائدة فى شعر ذلك العصر .

واذا جاز أن ننكر شاعرية شوقى لانه مدح ، لوجب على هذا الاساس ان ننكر شاعرية المتنبى وابن الرومى والبحترى وجميع فحول شعراء العربية الذين مدحوا من قبل .

وهو يرفض غزليات شوقى .. ويتهم روح الفن عنده ، ويرميه بانفصام الشخصية ، ويزعم أن مفاهيمه كانت غير واضحة المعالم ، ويجرده من روح الخلق والابتكار !

انا لم اقرأ الكتاب ولكن ان صح ما نسبه كاتب المقال الى المصنف ، فلست املك بازاء ذلك الا ان أستعيد كلمة كامل الشناوى : ان الموتى ينتقدون الاحياء .

سرقة كتاب بـ ١٠,٠٠٠ جنيه



وليم شكسبير

قد لا يدهشنا أن نسمع أن لصا سرق جوهرة أو لوحة أو تحفة فنية يقدر ثمنها بعشرة آلاف من الجنيهات ... ولكننا نقف مبهوتين اذا سمعنا أن الشيء المسروق هو كتاب ، أو على الاصح مجلد ، يقدر ثمنه بعشرة آلاف من الجنيهات ... على الاقل !

وعنوان المجلد — وهو انجليزي — « كوميديات وتاريخيات وتراجيديات المستر وليم شكسبير » ... وقد امتدت اليه منذ اسابيع يد سرقته من مكتبة جامعة مانشستر .

وقد طبع هذا المجلد في لندن سنة ١٦٢٣ ، وظل معروضا في مكتبة جامعة مانشستر منذ أن اهداه لها السير ادوارد دونر سنة ١٨٩٨ .

وتعتقد سلطات الامن أن السارق قد سطا عليه بليل ، بوساطة مفتاح مصطنع ، وكسر الجزء الاعلى من النافذة الزجاجية التي تحتويه ، ويغلب على ظن المحققين انه سيحتفظ به لنفسه ، لان عرض مثل هذا المجلد للبيع في السوق ، أو على القادرين من عشاق شكسبير ، ليس بالامر الهين .

وقد اذيعت نشرة بأوصاف المجلد ، جاء فيه أن طوله ١٢,٥ بوصة ، وعرضه ٨,٥ بوصة ، وجلدته حمراء ، ومن علاماته المميزة ، الخطأ الوارد بالصفحة الاخيرة منه ، فقد ورد في ذيلها أن رقمها ٩٩٣ ، وصحته ٣٢٩

فاذا اهتدى احدكم الى هذا الكتاب ، فليتوقع جائزة قدرها الف من الجنيهات ترسلها اليه جامعة مانشستر .

الكتابة بنت حرام

سألني قارىء كريم — بعد أن قرأ روايتي الاخيرة « الشباك » التي نشرتها « روايات الهلال » — أن أقص عليه كيف تكتب القصة .

القصة ... أو الرواية ... أو القصيدة ... أو حتى المقالة ... هي عمل فني عندما تبدو في صورتها النهائية .

اما في البداية ، فانها تنشأ في خيال الكاتب كقضية يتطلب الاقدام عليها كثيرا من المعاناة الذهنية الجبارة ...

ولكل شيخ طريقة ... كما يقولون

لكل كاتب طريقة في ممارسة هذه القضية الى ان تصبح عملا فنيا كاملا .

صديقنا الشاعر الكبير ، أحمد رامي ، مثلا ... عندما ينظم القصيدة ، فلابد أن ينظم مطلعها أولا .. ثم يسترسل فيها بيتا وراء بيت حتى النهاية .

اما امير الشعراء شوقي ، فلم يكن يهتم بأن ينظم المطلع منذ البداية ... وكثيرا ما كان يتركه ليعود اليه عندما يفرغ من القصيدة ... وكثيرا ما كان ينظم القصيدة جزءا جزءا ، وقد يبدأ بالجزء الاخير ... ويرجع الى الجزء الاول .. ثم يتحول الى الجزء الاوسط ، ثم « يشبك » هذه الاجزاء ... أى يصل هذا الجزء بذاك ، برباط فنى يجعلها انسيابية كأنما نظمت متتالية لا قطع فيها .

والمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله ، كان لا يفكر فى اسم الرواية ابدا ، الا بعد أن ينتهى من الفصل الاخير فيها .

واحسان عبد القدوس ... لا تتعبه كتابة القصة كلها ... الى ان يقترب من النهاية ... فيتردد فيها دائمـا ، ويضع للقصة اكثر من نهاية ، ثم يسأل عينات مختلفة من المحيطين به اية هذه النهايات انسب للقصة .

والروائى الانجليزى الراحل سومرست موم ... روى لى ـ عندما زار مصر منذ عشرين سنة ـ انه كلما جلس مع اناس فى أى مجتمع من أى بلد ، فانه ينتقى من بينهم الشخصيات التى تصلح كشخصيات قصصية ، وقبل أن يذهب الى مخدعه فى الليل ، يسجل هذه الشخصيات ومواصفاتها وخصائصها فى مذكراته .

وعندما يهم بكتابة قصة ، يراجع مذكراته ، وينتقى منها الشخصيات التى يمكن أن تتعايش فى قصة واحدة ، ويتوهم لقاءها وحوارها وصراعها ... الخ ... حتى اذا اكتملت الصورة فى ذهنه ... راح يكتب بسرعة فائقة ، الى درجة انه كان يستطيع أن ينجز رواية كاملة فى اقل من اسبوعين !

وقد قرأت اخيرا حديثا طريفا للقصصى الامريكى جيمس هانلى ، قال فيه : « الكتابة بنت حرام ... انها لاتواتى المرء بسهولة . انني اعانى من المعاناة عندما اشرع فى كتابة الرواية ، حتى اذا انجزت الفصل الثالث منها ، اتضح امامى الطريق الذى تتكامل وتتحرك فيه الشخصيات . ان كتابة القصة ، كالدخول فى نفق مظلم ، يدخله الكاتب على رهبة ، متطلعا الى بصيص من النور ينبعث من الجانب الاخر من النفق ، فمتى لمحه ، اقدم على المسيرة ، وهانت عليه مشقة الطريق » .



جيمس هانلى

وفاة حبيب الزحلاوى

كانت لنا – فى ايام الشباب الاولى – جلسات عامرة وليال ساهرة فى مقاهى الادب والفن بشارع عماد الدين ، تجمع ناجى وتيمور والحكيم وحسين فوزى وطاهر لاشين وغيرهم من « ادباء الشباب » يومئذ ٠

وكان يجالسنا رجل طيب ، يحب الادب والادباء ، ويحاول ان يكون اديبا ٠٠٠ ولكن محاولته الاولى ، وهى كتاب « ادباء معاصرون » الذى تناول فيه بالنقد مقدمات الكتب التى ظهرت فى ذلك الحين – ومنها كتبنا ، نحن جلساءه كل ليلة – كانت غير موفقة ٠

لم يكن نقده علميا ، ولا كان من عنده ، بل لقد جمعه من حديث المقاهى ، واقله من افواه المتصفين ، واكثره من افواه الكاشحين ٠

وقد اثار عليه كتابه هــــذا سخط الكثيرين ، وعدوانهم فى بعض الاحيان ، فاعتزل الرجل مجالس الادب والادباء ، وراح يقرأ ، ويمعن النظــر فيما يقرأ ، ويفيد منه ، الى ان استقام له رأى ، ونضجت له فكرة ، ووضع اكثر من كتاب ، وكتب اكثر من قصة ، ونشر اكثر من مقال ، خلال ثلاثين او اربعين سنة ، حتى ادركته الشيخوخة ، وتقاعد عن تجارته – وهى تجارة الحديد – وضاق به الرزق فى مصر ، فهــاجر منذ اعوام قريبة الى كولومبيا ، بامريكا اللاتينية ، حيث نزل عند اقارب ميسرين له هناك ٠

وكان لا يفتأ يكتب لى بين الحين والحين ، يشكو حنينه الى مصر ، والى اولاده الذين تركهم فى مصر ، ويسأل الله ان تكون رقدته الاخيرة فى تراب مصر ٠

هذا هو صديقنا حبيب الزحلاوى ٠

ومنذ ايام ، تلقيت من المهاجر العربى الكريم محمد جعفر ، بكولومبيا ، رسالة حزينة ، ينعى الينا فيها حبيب الزحلاوى ، وقد شارف التسعين من العمر ، ويقول انه ظل وهو على فراش الموت يذكرنا ، ويذكر مصر ، ويأس على انه سيرقد فى تراب غير تراب مصر ٠

رحمه الله ، وكتب لروحه الامن والسلام ٠

سامي الكيالي


سامي الكيالي

ورسالة اخرى حزينة ... تلقيتها من الاديب اللبناني الكبير الاستاذ وديع ديب ، يبكي فيها شيخ أدباء حلب ، المرحوم سامي الكيالي ، ويهدي هذه الابيات الى روحه في مستقرها الى جوار الله :

« شهباء » ما انت الا دارة الشهب
وساحة المجد ان تسمى وتنتسبي
ما مثل « سيفك (١) » سيف في وغى وقرى
ولا يراعك في علم وفي ادب
اطايب الشعر ما غناه « طيبها » (٢)
واي فنيك يا شهباء لم يطب
لولاك ما خطط « الفاراب » (٣) عاصمة
للفكر تسمو بذي راي وذي لبب
ابناؤك الصيد من عز البيان بهم
وانزلوا « الضاد » (٤) منهم منزل الحسب
من كل « سام » رهيف الحس ذي قلم
يصوغ أي المعاني في « حديث » (٥) نبي
اخا البشاشة هل عود الى سمر
وهل بزحلة بعد اليوم من ارب
وادي العرائش وادي الشوق حيث شدا
فوزي وشوقي وغنى كل مغترب
وهل لقاء على وعد المصيف غدا
والغيد تصغي الى غريدها الطرب
وفي يمينك من « طه » (٦) كتاب حجى
ومن « بشارة » (٧) اكواب من الحبب
تروى لهذا وهذا باحثا فطنا
روائعا خالدات في مدى الحقب
ما هزك الشعر منثورا ولا حفلت
يمناك بالفن في وشي من الكذب
اصالة الشعر في صدق الشعور وما
تجاوز الصدق لا يحلو لغير غبي
فما اعزك نقادا وراوية
وما احبك في الخلاصة العربي
هيهات اسلوك او انسى اللقاء على
هضاب لبنان في رهط من النجب

---

(١) سيف الدولة . (٢) ابو الطيب المتنبي . (٣) الفارابي
(٤) مجلة الضاد الحلبية . (٥) مجلة الحديث للكيالي .
(٦) طه حسين . (٧) الأخطل الصغير ..

حركة التعريب في المغرب العربي

اشرت – في مقال لي بالزميلة « المصور » عقب عودتي من تونس الخضراء – الى الصراع القائم بين الداعين الى حركة التعريب والمناوئين لهذه الدعوة هناك ، لتأثرهم بالثقافة الفرنسية · وقلت أن حركة التعريب – رغم هذه المناوأة – تأخذ مسارها الجدي المبشر بانتصارها في النهاية ، بفضل جهود الاستاذ محمد مزالي وزير التربيـــة القومية ، وهو رائد حركة التعريب هناك ·

وقد تلقيت من الاستاذ مزالي رسالة شكر رقيقة تضمنت اجمل معاني الغيرة على الثقافة العربية ، وهو يذكرني فيهـا باللقاء القادم ان شاء الله ، في مارس سنة ١٩٧٢ ، حيث ينعقد مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر – لاول مرة – في ظلال تونس الخضراء ·

ويبدو أن صراعا مشابها لايزال قائما على أرض الجزائر الشقيقة ، التي لم يسعدني الحظ بزيارتها حتى الآن · ولكني قرات اخيرا في مجلة « المجاهد » الجزائرية بحثـــا للاستاذ نادر نارلو عنوانه « **التعليم والعربية والتحدي الكبير » يقول فيه ان التعليم في الجزائر يشق طريقه وسط جموع الجماهير العريضة بشكل مضطرد ، والعربية تاخذ سبيلهـــا في زحمة المكاتب وعلى كل المستويات** ، وما تلك الصيحات التي نسمعها على ألسنة الناس أو التي نقرؤها على صفحات المجلات عن الاستهتار بالعربية من قبل بعض المسيرين ، ووضع العراقيل امام المثقفين بالعربية ، الا علامة صحية على أن العربيـــة اصبحت تفرض وجودها ، فليست هناك لغة ضعيفة ولغة قوية ··· لغة للعلم ولغة للدين ، فاللغة ليست وعاء للفكر ، بل هي الفكر بذاته ، بتقدمه وازدهاره ، وبتأخره وجهله ·

مثل هذا القول الجميل يطمئننا على انتصار لغة الضاد في مغربنا ·· وهو جزء عزيز من امتنا العربية

● ص · ج ●



محمـــد مزالي وزير التربية القومية في تونس


مكتبة
الأزهر
منارة

عــاطف مصطفى



د . عبد الحليم محمــود :
آفاق جديدة لمكتبة الازهــر

مكتبة الازهر من أشهر المكتبات فى العالم،يعرفها الباحثون والعلماء من الشرقيين والغربيين على السواء احتفظت على طول العصور بقيمتها التـاريخية لانها ضمت بين دفتيها نفائس الكتب ونوادر المخطوطات ، ففيها ما ليس فى مكتبات الاستانة والقيروان وبغداد ،وفيها من الادب النادر والتـاريخ القيم ، وكتب الشريعــة من مختلف أنواعها .. التفسير وغريب الحديث والحكمة والفلسفة ، وكتب الســياسة الرشيدة ، وهى زاخرة بما تحويه من انتاج افكار العلماء المسلمين الذين ضربوا بســهم وافر فى المعرفة والثقافة الاسلامية ، يسير طالب العلم بين جوانبها فيحـار فيما جمعتـه تلك المكتبة من اندر المخطـوطات التى لم تتوفر لغيرها من المـكتبات ، ورغم تعرض هذه المكتبة للسرقات المتـكررة ، وبيع كتبها ومخطوطاتها بابخس الاثمان، الا انهـا ما زالت تحتفظ بكنوزها الوافرة ونوادرها القيمة ..

العلوم الإسلامية والإنسانية

ولو رجعنا الى الوراء قليلا لوجدنا ان الاسلام عنى قديما بتكوين المكتبات ، وممن عنى بذلك أهل مصر ، ومن اشهر مكتباتهم القديمة مكتبة الاسكندرية التى اسسها بطليموس الاول فى القرن الثامن قبل الميلاد · ويقال أن عدد الكتب بهذه المكتبة قد وصل الى اربعمائة الف مجلد ·

وأول من انشا مكتبة فى العصر الاسلامى هو خالد بن يزيد الاموى فى دمشق وبأمره ترجمت كتب الطب والكيمياء من اليونانية والقبطية الى العربية ، كما اسس هارون الرشيد مكتبة ببغداد جمع فيها ما وجده من الكتب النفيسة ، ثم وسعها المامون وسماها « بيت الحكمة » واهتم بها من حيث ترتيب خزائنها وتبويب فهارسها تسهيلا لمحبي القراءة والاطلاع واهتم المامون بمراسلة الملوك فى شان الكتب ، وكان يضع فى شروط معاهداتهم تقديم الكتب له باللغات التي اشتهرت في ذلك الوقت · وقد أسند الاشراف عليها الى كبار العلماء والادباء ، وممن تولى شئونها الاديب المشهور سهل بن هارون ·

كما انتشرت المكتبات العامة فى بغداد والشام والاندلس ومصر · واهتم الحكام فى كل بلد اسلامى بانشاء المكتبات وصل الى حد المنافسة فى اقتناء الكتب وتقريب الادباء الى مجالسهم والاهتمام بامورهم ، وقد بلغ عدد المكتبات فى غرناطة وحدها سبعين مكتبة ·

وقد اقتدى الفاطميون بمصر بخلفاء بغداد والاندلس فى انشاء المكتبات والاهتمام بها وتنشيط الحركة العلمية ، فانشاوا مكتبة « خزانة الكتب » ومكتبة « دار الحكمة » ومكتبة « الجامع الازهر » ،

ونالت المكتبات فى ذلك الوقت اهتماما شديدا من العزيز بالله ، فكان يجرى الارزاق على العلماء والاطباء ، ويهتم بكل ما من شانه رفع الثقافة وزيادة المعرفة بين أهل مصر ·

صراع من اجل البقاء

ليست المكتبة الازهرية الموجودة الآن هى مكتبة الازهر القديمة التى اشار اليها المؤرخون فى كتبهم ، وانما هى مكتبة حديثة قامت على اطلال المكتبة القديمة ، فقد قال ابن ميسر فى كتابه « اخبار مصر » سنة ٥١٧ هـ « انه قد أسند الى داعى الدعاة ابى الفخر صالح منصب الخطابة بالجامع الازهر مع خزانة الكتب » ·

وقد ذكر المقريزى (خطط جـ ٢ ص ٢٧٣ ، ٢٧٥) « أن الحاكم امر بنقل نصف الكتب التى كانت بدار الحكمة الى الجامع الازهر ، والباقى الى مسجده ، ومسجد المقس » ويتضح من هذا أن مكتبة الازهر كانت تضم اكثر من خمسين الف كتاب ·

وقد وزعت معظم كتب مكتبة الازهر على الاروقة التى بلغ عددها زهاء





الإمام محمد عبده : جهود واسعة للاهتمام بالتراث

الثلاثين رواقا وزاوية ، وأشهرها رواق الشوام والمغاربة والاتراك ، والشراقوة والاروام ، وآخرها الذى انشىء قبل نهاية القرن التاسع عشر بقليل وهو الرواق العباسى ، وذلك لاطلاع الطلبة عليها ، وخصص منهم من يقوم على هذه الكتب وحفظها ·

ولكن الشيخ ان كثيرا من نفائس الكتب التى كانت مودعة بمكتبات الاروقة تسرب الى ايدى علماء اوربا ومكتباتها الشهيرة وذلك عن طريق سماسرة الكتب الذين استغلوا الجهل والضعف الخلقى فى نفوس بعض القائمين على هذه المكتبات فى بعض الفترات · والى جانب تسرب الكتب وبيعها بابخس الاثمان ، فقد اهمل البعض وترك فى سراديب طعاما سائغا للحشرات وتكومت فوقه الاتربة ، فتلفت اوراقها ، وبليت ، ومزقت وقطعت جلودها ، وكاد لا يوجد منها كتاب سليم الا ما ندر · كما ان الفرنسيين حينما اقتحموا الازهر اثناء الحملة الفرنسية على مصر نهبوا كثيرا من هذه الكتب التى يوجد البعض منها بمكتبة باريس حتى الآن ·

ولقد كان تعرض كتب الاروقة للضياع والتسرب الى ايدى المتربصين بها ممن يعرفون أقدارها والذين تخصصوا فى الحصول عليها وارسالها الى أوربا ، هو الذى اوحى للشيخ محمد عبده بفكرة انشاء مكتبة الازهر بعد أن راعه أن هذه الكنوز العلمية مبعثرة لا يهتم بها احد وكان ذلك ضمن برنامجه الاصلاحى للازهر والذى أخذه على عاتقه ، وقد تقدم الشيخ محمد عبده بفكرته هذه الى مجلس ادارة الازهر ، فنالت الفكرة القبول من اعضائه وبخاصة الشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الازهر فى ذلك الوقت والذى وهب مكتبته الخاصة لهذا المشروع الجليل دون تردد ليقتدى به الآخرون · واجتمع مجلس ادارة الازهر لدراسة هذا المشروع وما لبث أن وافق عليه ، واختار المكان المناسب لعمل مكتبة الازهر · وكتب لديوان الاوقاف الذى كان يتولى الاشراف على شئون الازهر لاعداد تنفيذ هذه الفكرة ، وتم تنفيذها فعلا فى أول المحرم سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٧م) ·· وقد لاقى الامام محمد عبده كثيرا من الصعاب فى اقناع القائمين على الاروقة بفائدة مكتبة الازهر ، وضرورة تنفيذها حفاظا للتراث الاسلامى من الضياع ، وتجميعه فى مكان واحد ليكون اكثر فائدة ، واعم نفعا لطلاب الازهر من كل بلاد العالم الاسلامى ·

ولم يكتف محمد عبده فى تكوين المكتبة بما جمع من مكتبات الاروقة بل دعا الاغنياء والعلماء فى المشاركة فى تكوينها مستعينا فى ذلك بمدى حبهم له ومكانته عندهم فاستجاب



البعض لذلك وعلى راسهم الشيخ حسونة النواوى ، وورثة سليمان باشا اباظة .

مكتبة مبعثرة

ومكتبة الازهر ليست ـ كما يتبادر الى الذهن ـ مكانا محدد المعالم تستطيع أن تجد فيه بغيتك من قاعات مجهزة للقراءة ، كافية الاضاءة ، لكنها تشمل اماكن كثيرة ، فهى تشغل اربعة امكنة متفرقة داخل الجامع الازهر ، وهى المدرسة الاقبغاوية والمدرسة الطيبرسية ، ورواق الاحناف ، والرواق العباسى .

والمدرسة الاقبغاوية على يسار الداخل الى الازهر من بابه الغربى الكبير ، وقد انشاها الامير اقبغا عبد الواحد على نظم المدارس الاسلامية فى ذلك الوقت . وفى المدرسة الاقبغاوية توجد المكتبة العامة بجميع فنونها التى تبلغ اثنين وستين فنا .

اما المدرسة الطيبرسية فهى على يمين الداخل الى الازهر من بابه الغربى ، وقد انشاها علاء الدين طيبرس نقيب الجيوش المصرية ، واتم بناءها سنة ٧٠٩ هـ .

وقد شغلت المكتبة أولا المدرسة الاقبغاوية ، وعندما ضاقت بالكتب ضمت اليها المدرسة الطيبرسية حتى تستوعب الكتب الكثيرة والمخطوطات التى أمكن تجميعها بعد جهود شاقة بناء على اهتمام الشيخ محمد عبده بجمع التراث والاحتفاظ به لكل طالب علم .

ومن اجمل ما تراه العين بمكتبة الازهر تلك المكتبات الخاصة الملحقة بها والتى اهداها اصحابها الى راغبى العلم بالازهر ، وهذه المكتبات موضوعة فى اماكن خاصة داخل المكتبة العامة ، ومن هذه المكتبات الفرعية :

مكتبة سليمان باشا اباظة ، مكتبة الشيخ محمد بخيت المطيعى ، مكتبة الشيخ الانبابى ، مكتبة الشيخ حسونة النواوى ، ومكتبة الشيخ محمد حسنين البولاقى .. الخ

وبقيت مكتبات المغاربة والاتراك والشوام بأروقتها تحت اشراف امناء يحافظون على ما تحويه من نوادر المخطوطات وبخاصة مكتبة رواق المغاربة التى يوجد بها كثير من المخطوطات النادرة والكتب القيمة .

ربع مليون كتاب

ومكتبة الازهر بها ربع مليون كتاب ومخطوط وتشمل اثنين وستين فنا ، وهى ثانى مكتبة فى مصر بعد دار الكتب ، ويوجد بها اكبر مجموعة فى العالم من التراث العربى الاسلامى منها مخطوطات ثمينة لا توجد فى أية مكتبة سواها برغم السرقات والاهمال الذى لحق بها حقبا طويلة من الزمن ، وبعض هذه المخطوطات بخط مؤلفيها الكبار ، ولو طبعت هذه المخطوطات وتداولها الباحثون لغيروا رأيهم فى كثير من مفكرى العرب والاسلام ،

وليعرفوا قدرهم فيما توصلوا اليه بثاقب علمهم ، وغزير انتاجهم لشتى النظريات في الطب والفلك والرياضيات

وليس أدل على ذلك من الاجهزة العلمية الفريدة الموجودة بمكتبة الازهر ومنها أجهزة الرصد الفلكية والتى تدل على التفاعل العميق بين الازهر ومجالات العلم المختلفة والتى تبلورت الآن بالازهر في مراحل تطويره كخطوة على طريق طويل من الاستجابات لتطورات الحياة . وهذا الربط يتم عن طريق الكليات الحديثة بالازهر ، كالطب والصيدلة والهندسة، بالاضافة الى تطوير المناهج بالكليات الاصيلة كاللغة العربية وأصول الدين والشريعة ...

كنوز بمكتبة الازهر

وتضم المكتبة نوادر الكتب والمخطوطات في كثير من الفنون من العسير أن نجدها في أى مكتبة أخرى ، ذلك لان مكتبة الازهر ورثت خلاصة الثقافة الاسلامية في الشرق ممثلة في مؤلفات علماء الجامع الازهر بصفة خاصة وعلماء الاسلام بصفة عامة ، فالازهر قبلة العلماء ، وصفوة النابهين من المسلمين لاكثر من الف عام مضت ، وكان ولايزال مصدرا من مصادر الثقافة الاسلامية الرشيدة لراغبي العلم من كل بلاد العالم .

وفى المكتبة بعض مؤلفات السيوطى بخطه ، وبعض مؤلفات ابن حجر ، وبها جزء من القاموس بخط مؤلفه الفيروز بادى ، وبها نسخة ينقصها

مكتبة الازهر .. مفتوحة دائما لطلاب العلم والمعرفة



جزء من شرح ابن بطال على البخارى ولا تعرف هناك نسخة أخرى فى جميع

مكتبات العالم غيرها ، وبهامخطوطات ترجع الى نحو من الف سنة مثـــل

كتاب غريب الحديث لابن ســلام ، وكتاب البعث لابن داود السجستانى،

ومن الكتب النادرة فيها كتاب رسوم دار الخلافة الذى نشر أخيرا محققا لاهميته ٠

وأهم ما يلفت نظـــرك بالمكتبة المصاحف المختلفة الاحجام والتى كتبت بماء الذهب ، ومنها المصحف

ذو الحجم الضخم الــذى وقفه البقـــا صاحب المدرسة عام ٧٤٠

هجرية ، ومصحف شريف فى تسع عشرة ورقة مهدى الى المكتبة مــن عباس حلمى ، ومصـــحف بالخط

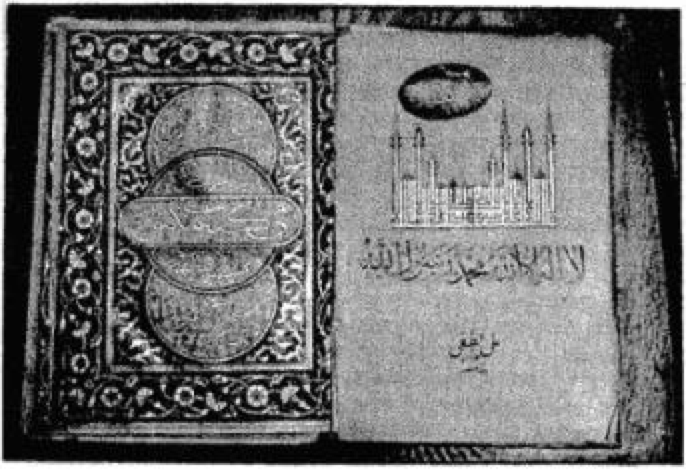
الكوفى مكتوب على رق الغزال يرجع تاريخه الى أوائل القـــرن الرابع الهجرى ٠

ويوجد أيضا صندوق صغير غاية فى الروعة ودقة الصنع به « ربعــة قرآن » وهو باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وهذا الصندوق من أندر روائع الفن الاسلامى الباقية حتى الآن ٠

هذا بالاضافة الى مجموعات نادرة من المخطوطات فى علوم اللغـــة والتاريخ والفلك وبعضها يحتوى على « حواشى » بخط المؤلف نفسه ٠

والى جانب هذه الكنوز الموجودة بمكتبة الازهر ، تمتاز المكتبة بوفرة فى العلوم الدينية والعربية ، وذلـك لصلة المكتبة بالازهـــر ، وصبغته

غلاف أحد المصاحف النادرة : مكتوب بماء الذهب ..





صفحة من رسائل العالم الإسلامى جلال الدين السيوطى مكتوبة بخط يده

الدينية ، ولانها تكونت فى الغالب من مكتبات العلماء الذين تنبع ثقافاتهم من معين دينى عربى ·

تطوير المكتبة

وفى الآونة الاخيرة كان للمكتبة الازهرية حظ كبير من النشاط العلمى، ولزيادة الكتب وكثرتها ضم اليها الرواق العباسى ، لكى تستوعب اكبر عدد من الكتب ، وكذلك محاولة انجاز فهرس المكتبة والذى طبع منه حتى الآن سبعة اجزاء والثامن تحت الطبع، وقد تميز هذا الفهرس باستيفاء البيانات عن موضوعات الكتب مع ذكر مواليد المؤلفين ووفياتهم ، وقد عنى بالمخطوطات عناية خاصة ، ولا سيما ما يتعلق بالناحية العلمية ،والفنية ، وذلك ببيان ما عليها من سماعات واجازات وتصحيحات وما فيها من نقوش وزخارف تمثل روح العصر ·

ولا يفوتنا أن نشير الى ان العناية بتصنيف واعادة ابراز الكتب المجهولة فى القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين من شانها ان تلقى ضوءا على الكثير من التيارات الفكرية التقدمية التى تشيع لها الازهر فى فترات الاحتلال وفى عهود التخلف العثمانى · وكان الازهر مليئا باصحاب النزعات والافكار التجديدية والتى اهتم بعضهم بالعلم فى حد ذاته فالفوا اهم المراجع فى أبواب العلوم والمنطق والتفسير ، واهتم بعضهم الاخر بجوانب التجديد الاجتماعى · ان مكتبة الازهر بكل ما تحويه من هذه الكنوز ، وهذا التراث العلمى الفريد الذى يحتاج الى مراجع كثيرة لحصره ، ونقله الى محبى التراث العربى والاسلامى ، لتحتاج الى تغيير جذرى فى كل شيء ، وباسرع ما يكون ، ولابد لوزارة الاوقاف وشئون الازهر وعلى راسها الدكتور عبد الحليم محمود بان تسرع بانشاء مبنى يتناسب وهذا التراث الإسلامى العريق ، وتجند كل القوى المحبة للعلم ، والتى لها المام بتراث تلك المكتبة فتضاعف من مجموعه، حتى تحفظ تلك الدرة الثمينة التى تعد تاجا على جبين مصر والشرق العربى ·

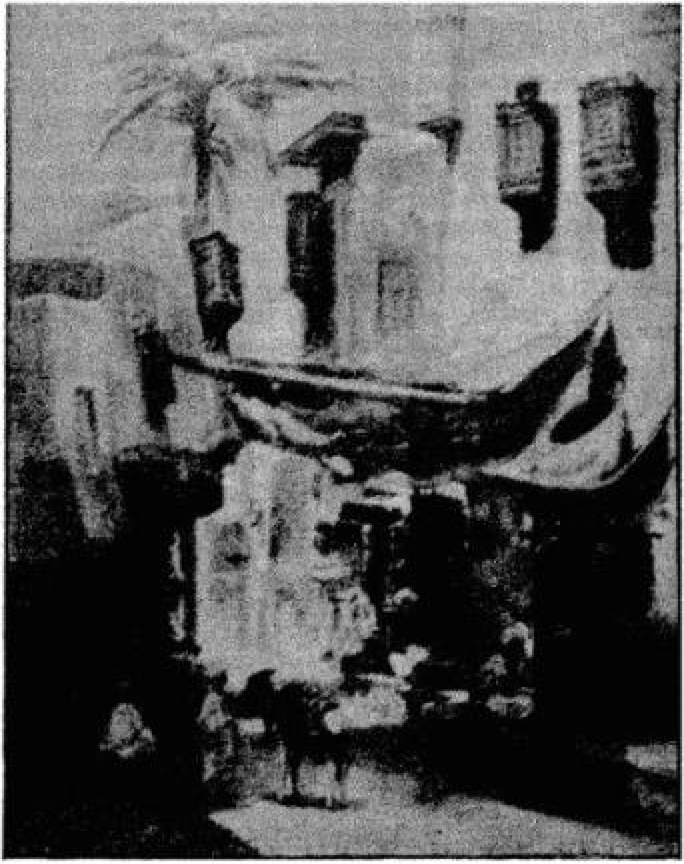
والحفاظ على مكتبة الازهر وما بها من كنوز ما هو الا نوع من التدعيم للمكتبة الاسلامية فى شتى بقاع العالم الاسلامى ، حتى يتزود المسلم بكل فنون المعرفة من نتاج سلفه الصالح والذى يملأ خزائن كبيرة للكتب الفريدة المتنوعة فى كل علم وفن ·

عبد الفتاح عيد

فن وفنانون

منابع الوحى فى مصر والشرق

يبحث الفنان دائما عن مواطن الجمال وهو يحب الترحال من بلد الى بلد سعيا وراء فكرة جديدة او عالم يعيش فيه بفكره ووجدانه .. وفى القرون الوسطى كان الكثير من المصورين الاوربيين يغادرون بلادهم متجهين نحو الجنوب ومعهم اللوحات والالوان يفتشون عن المناظر الجميلة والضوء المشرق ، وفى نهاية العام يعودون الى وطنهم بحصيلة من الاعمال الفنية يقيمون بها المعارض الحافلة بمعطيات مواهب الخلق والابداع



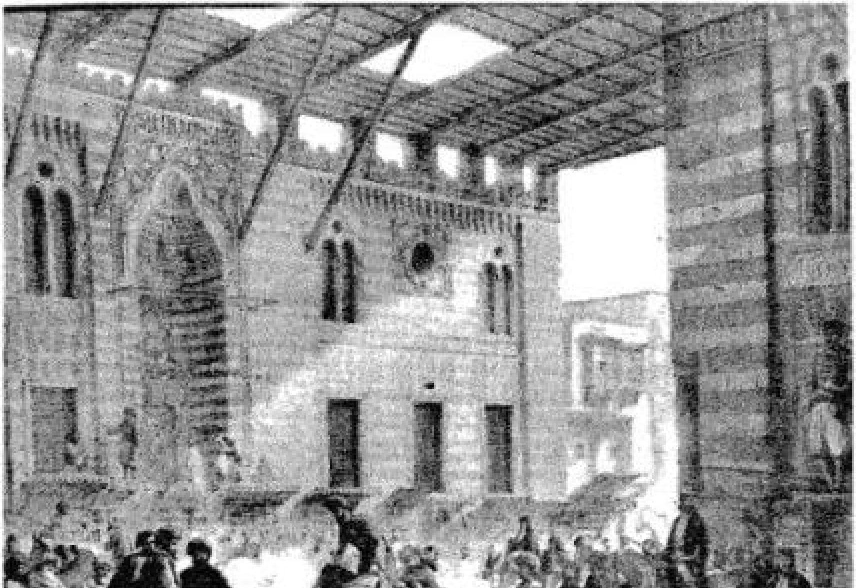
« شارع في القاهرة القديمة » للفنان « جيروم » من مقتنيات متحف الفنون الجميلة بالاســـــكندرية ..

كان الشرق دائما محط انظار رجال الفن فى العصور المختلفة ، ومصر بالذات لها سحر خاص عند الفنانين الغربيين .. فحضارتها اقدم الحضارات ، وهى تقع فى ملتقى آسيا وافريقيا ، قريبة من اوربا ، مناخها معتدل وشمسها ساطعة ، نيلها يفيض بالخصب والخير والنماء وعلى شواطئها تراث عريض من الآثار الفرعونية والاسلامية ، وطبيعة ساحرة حافلة بالخضرة والنخيل والرمال ، وبيئات وعادات وتقاليد عريقة ...

موسوعة « وصف مصر »

والقصص والحكايات عن الشرق وسحره التى رواها فى اوربا التجار والجنود الذين شاركوا فى الحروب الصليبية ، كان لها وقع كبير لدى

• سوق الغورية • لوحة منفذة بطريقة الحفر للفنان
• هاى • تمثل العمارة والازياء فى القرن التاسع عشر



العلماء والرحالة المغامرين والفنانين المستشرقين ، وقد بهرهم ما سمعوا عن مصر وجوها ونيلها وحضارتها القديمة ، وأصبحوا مشوقين لمعرفة الكثير عن فخامة الشرق وعظمته ٠

وعندما بدأت الحملة الفرنسية تعد لاصدار كتاب « وصف مصر » حشدت لاخراجه نخبة من العلماء والمهندسين والمصورين الفرنسيين ، سجلوا كل ماوقع عليه بصرهم خلال السنوات الثلاث التى مكثوها فى مصر ٠٠ وبعدها ، ومنذ حوالى عام ١٨٠٠ بدأ المستشرقون المصورون يتوافدون على بلادنا ٠٠

فى هذه الموسوعة الفرنسية الكبيرة كتاب « وصف مصر » سجل الفنانون الفرنسيون رسومهم بطريقة الحفر ، لأن التصوير الفوتوغرافى لم يكن قد اكتشف بعد ، فرسموا أهم المبانى الأثرية الفرعونية فى الصعيد ، وسقارة وأهرام الجيزة ، والمساجد الإسلامية وعناصرها المعمارية والزخرفية ، ودور الأمراء والأعيان ، والحمامات الشعبية ، والحرف والصناعات الدقيقة ، والعادات والتقاليد التى كانت موجودة فى مصر فى ذلك الوقت ، حتى الحيوانات والنباتات والحشرات رسموها بدقة وبأسلوب أقرب الى التسجيل منه الى العمل الفنى الخالص ، معتمدين على براعة الرسامين الفرنسيين فى الرسم بالحبر الصينى الأسود والى قوة ودقة ملاحظتهم ٠

الملامح المصرية القديمة

ومن الذين شاركوا فى اخراج هذه الموسوعة مهندسون ومصورون ، أمثال « بلزاك » و « سيسل » و « شابرول » و «جيرارد» و «لانسرت» ونظرا للمجهود الكبير الذى كان عليهم أن يبذلوه فى هذه المدة البسيطة فقد كانوا يخططون رسومهم الفنية بسرعة فى « اسكتشات » لكى يعيدوا رسمها بعد ذلك باتقان ، وقد اتخذوا من منزل « الستارى » بحارة منج بالسيدة زينب مركزا فنيا لهم ٠

وبالرغم من نجاح هؤلاء الفنانين فى تسجيل مظاهر العمارة الاسلامية وبعض العادات والتقاليد تسجيلا علميا ناجحا ، الا أن التوفيق خانهم فى تسجيل الرسوم الفرعونية ، اذ سجلوا أشكال المصريين القدماء المنقوشة على حوائط المعابد والمقابر بملامح اغريقية رومانية ٠٠ ولهم عذرهم فدراساتهم فى بلادهم كانت بعيدة عن الفن المصرى القديم ، والمعروف أنه ليس من السهل تسجيل الوجوه المصرية القديمة بدون دراسات للنسب والملامح الفرعونية ٠

رحلات فنية تسجيلية

بعد الحملة الفرنسية مباشرة حضر الكثير من الفنانين المستشرقين من جنسيات مختلفة الى مصر ، بعد أن انفعلوا بروعة ما لمسوه فى كتاب





◀ على شغاف الغدير» لوحة بالجواش للفنان «جرزيوني» رسمها عام ١٨٥٦

▲ «عازفة الرق» لوحة تمثل جارية بأزياء القرن التاسع عشر من مقتنيات متحف سراى عابدين

« وصف مصر » من حضارة عظيمة كانت مجهولة لديهم ، فقام بعضهم بسياحات من شاطيء البحر الابيض في الاسكندرية صاعدين في النيل حتى منابعه في السودان وأوغندا ، وبعضهم وصل الى الحبشة امثال الفنان « لوكيت » وله لوحات بالالوان المائية محفوظة بالجمعية المصرية الجغرافية .

وقام الفنان « فريدريك كليود » بين عام ١٨١٩ وعام ١٨٢٢ ، برحلة فنية الى السودان ومصر سجل فيها اثار السودان الفرعونية في سيبسي وصولب ومعبد تحتمس بسمنة ، وسجل في مصر اثار الواحات الداخلة والخارجة والفرافرة وسيوة ، وهذه من اقدم التسجيلات الفنية للواحات وكانت رسومه التي نشرها في مجلد واحد كلها بطريقة الحفر ، فيما عدا بعض رسوم ملونة للطيور والحشرات والنباتات .

وقد نشرت في ذلك الوقت ايضا أعمال أخرى لفنانين اهتموا برسم الحياة العامة على النيل ، وطرق ووسائل الري ، ومنها « الطنبور » و « الشادوف » وغيرهما .

كما اهتم بعضهم بالمدن والاحياء الشعبية في القاهرة ، ولكن أعمالهم لا يمكن أن ترقى الى مستوى الاعمال الفنية الاخرى ، فقد كانت عبارة عن تسجيل عادي أشبه باللقطات الفوتوغرافية السريعة .

أشهر المذاهب الفنية

بالرغم من ذلك فقد كان لنشر أعمال هؤلاء الفنانين الاوائل الفضل في لفت أنظار غيرهم من الفنانين الاوربيين الى مصادر خصبة للعمل الفني توجد عبر البحر الابيض حيث الشمس المشرقة والمناخ المعتدل والالوان

« بائع ... » لوحة من الجواش للفنان « جرزيوني » رسمها عام ١٨٥٠ باحد أسواق القاهرة القديمة ..





• زفة الطاهر • لوحة من الحفر للفنان « هاى » وقد اشترك مع المهندس
• كارتر • فى رسم لوحات عن العمارة الاسلامية والتقاليد العربية •

الزاهية والحضارة العريقة وتنــوع البيئات ، مع طرافة العادات والتقاليد .. فاخذوا يتوافدون على تلك المنطقة

وفى ذلك الوقت كان اشهر المذاهب الفنية المنتشرة فى اوربا هو المذهب الرومانتيكى ، وقد حضر الى الشرق من معتنقى هــذا المذهب المصــوران « دوكان » و « ماريلهـــات » ولهما لوحات زيتية معروفة ، ثم ظهر فى فرنسا بعد ذلك المــذهب الواقعى ثم المذهب التأثيرى فى التصــوير وهو الذى يعتمد على ابراز جمال الضوء ومحاسن الالوان وتصوير الطبيعـة والحياة •

وفى عام ١٨٥٠ وما بعده جاءت الى مصر مجموعة كبيرة من المصورين





تفاصيل وجه لاحدى الجوارى فى قصور الحريم فى القرن الثامن عشر من مقتنيات متحف المتيل

الفارسين والرومانيين ، منهم « لويس غريس » وهو فنان نشط غزير الانتاج له لوحات زيتية كثيرة عن مصر محفوظة الآن في متاحف القاهرة والاسكندرية ، وكذلك المصور « جيروم » وله لوحات في متحف النيل والاسكندرية ، و « جيرارديتي » وله رسوم ملونة نشرت عام ١٨٤٦ عن القاهرة تشاهد فيها بروعته الشوارع القديمة المزدحمة والاسواق والباعة المتجولين ..

اروع اعمال المستشرقين

ومن الفنانين الفرنسيين الذين سجلوا في القاهرة واصبحت لوحاتهم ثروتها التسجيل الوحيد لهذه الفترة من تاريخ هذه المدينة الخالدة « ديكامب » و « بيليو » و « فرات » و « الكسندر بيدا » و « فرومنتان » و « تورنمين » و « شارل هولبيت » و « موجرين » و « جيرودم » و « شارل ... » و « ريبو » و « شارل لوري » ...

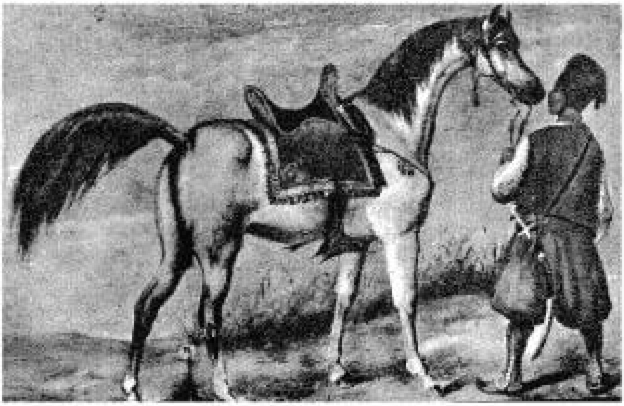
وكذلك الفنان « جيرارد » الذي عاش فيها حيناً قصيراً ورسمه صورة شخصية بالالوان المائية ، وكان هذا الفنان معجباً بالازياء الشعبية المتوكية في تلك الحقبة ، وله رسمها في لوحات محفوظة بمتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية .

الى جانب المصورين الفرنسيين الذين رسموا القاهرة في تلك الفترة كان هناك آخرون من جنسيات مختلفة منهم الروسي والايطالي والبلجيكي وكذلك الهولندي « ماريو دارم » وله عرضت له لوحات بالقاهرة منذ سنتين بمناسبة الفية القاهرة ، ويسجل فيها الازهر والقرية وفرسان من الصحراء .

ومن الانجليز كان هناك الفنان « روبرت هاي » والفنان الهولندي « اوين كارتر » ، وله كتاب مطبوعة نشرها عام ١٨٤٠ بمجموعة من اروع اعمال الفنانين المستشرقين عن القاهرة ، وهو مرسوم بطريقة الحفر (ليتو) لشوارع القاهرة القديمة مثل شارع المعز لدين الله ومساجده وبالاته الرخامية ، وبوابات القاهرة ، والسوق القديمة ، وبركة الازبكية ، وبركة الرطل ، وبركة الفيل ، ونوافذ مراكب النيل الشراعية وقوارب النزهة ، وبحيرة اللاهة في بولاق ...

ومازال هذا المجلد بلوحاته المرجع الوحيد لطلاب الفن الذين يدرسون القاهرة تشكيليا ومعماريا في القرون الوسطى .

كانت تربية الخيول العربية والعناية بها موضع اهتمام كثير من رسامي الغرب والشرق من خلال تلك الفترة ..





• بائع البطيخ • لوحة زيتية من مقتنيات متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية رسمت في أواخر القرن التاسع عشر ..


سيدة القصر وجواريها
للفنان « جيروم »
سجل الحياة في مطلع
القرن التاسع عشر



• المملوك الشارد يهرب من مذبحة المماليك • من مقتنيات متحف النيل

المرجع الفنى الوحيد

ولقد كان لتعاون الفنان « هاى » والمهندس « كارتر » الفضل فى اخراج هذا المجلد الفريد ، وكل من يطلع على هذا العمل الفنى الكبير لابد أن يلحظ مدى الجهد الذى بذلاه علميا وفنيا واعتقد أنه لولا حبهما لمصر ولفنهما ما تمكنا من انجازه بهذه الصورة ·

واذا كان هذا المجلد اهتم اهتماما كبيرا بالمناظر الخارجية فقط ، فقد

صدر مجلد اخر عن العمارة الداخلية في المساجد والقصـور بالالوان الطبيعية ، سجلت فيه النقوش الملونة بالاثار الإسلامية من مصـاحف ، ومشكاوات ، وقاشانى ، وسـقوف وجدران بتصميماتها والوانها ، وكان ذلك قبل اسـتخدام التصـوير الفوتوغرافى الملون بوقت طويل ...

وقد اشترك فى رسم هـذه التحف مجموعة من الفنانين الاوربيين منهم « بروك » و « بنل » و « هـوجت » و « سبيجل » و « شـميدث » و «كوبنهـايم » و « دمون » و « فيشوت » و « اسيلنو » و «بأيوت» تعاونوا جميعا فى اخراج هذا المجلد الذى يعتبر المرجع الاول والاخير وقد اختاروا لهذا المجلد اسم « الفـن العربى » ..

وقد يقول البعض الان ان التسجيل والنقل عن الطبيعة ليس فنا ، ولكننا لو راعينا قلة امكانيات العصر الذى تم فيه التسجيل ، وايمان الفنـان بعمله ودقته وامانته فى اخراج هذه الروائع لتغير راينا بلا شـك .. وبالاضافة الى ذلك فان هذه الاعمال الفنية تعتبر الوحيدة من نوعها اذ لم يصدر بعدها ما يماثلها ، وقـد اصبحت هى المرجع الوحيد عن اثارنا وتراثنا القديم ...

تراثنا الفنى العظيم

والقيمة الفنية لهذه الاعمـال خاصـة اللوحات الزيتية ، ترتفع على مر الايام ، فلها اسواق فى اوربا وامريكا ، وجامعو التحف الفنيـة يتسابقون على اقتنائها ويدفعون فى شرائها الوف الدولارات . ليس لانها أصبحت قديمة فقط ، بل ولطرافة وقوة موضوعاتها وتناسق الوانها ..

اننا مطالبون الان بتجميع هـذه اللوحات فى متحف واحد يكون نواة لمتحف عن القاهرة بدلا من بعثرتها فى متاحف مختلفة فى القاهـرة والاسكندرية ، ولان بعضها قـد اصابه التلف من سوء العـرض والتخزين وهى الان جزء من تاريخ

« العودة من الثورية » رسم بالجواش للفنـان « جرزيونى » عام ١٨٥٠



بلادنا ٠

هناك خطوة أخرى هامة وهى ضرورة نشر هذه الاعمال الفنية فى مجلدات مصورة ٠ وهذا يدفعنا الى بذل الجهود الايجابية المثمرة فى مجال البحوث الفنية والاهتمام بفنون حضارتنا العريقة ٠٠٠

ان مؤسساتنا الفنية والثقافية لم تنجز حتى الان طبع أو نشر مجلد واحد بالالوان ، بالرغم من التوسع

« عازفة العود » لوحة من القرن التاسع عشر من مقتنيات متحف النيل





مماليك في ازيائهم الفخمه للفنان « دوزات » ود« غاصر » مراد بك » ورسم صورة شخصية له .

التكنولوجي في الطباعة والتصوير الملون . والكتاب الوحيد المصور الذى طبعناه عن القاهرة بمناسبة عيدها الالفى طبع فى المانيا .

نريد كتبا مصورة عن متاحفنا : المصرى والاسلامى والقبطى والحديث وعن النيل من منبعه الى مصبه . وعن الفنون الشعبية فى النوبة والواحات وسيناء . وبلادنا من اغنى بلاد العالم بالاثار والفنون .

لقد كان المصريون القدماء اجدادنا ابعد نظرا عندما سجلوا تاريخهم المجيد على جدران معابدهم ومقابرهم بمادة صلبة قوية نقشا على الحجر

... ومؤرخونا العرب أمثال الجبرتى والمقريزى وعلى مبارك قاموا أيضا

بواجبهم وفى حدود امكانياتهم فسجلوا بالكلمة كل ما سمعوا

وشاهدوا فى حياتهم وخدموا بلادهم خدمات جليلة ... وبقى ان نقوم

بواجبنا ونؤدى الامانة كاملة فى حفظ تراثنا الفنى العظيم ونشره على أوسع نطاق . وبما يليق به من عناية وفخر واعتزاز ...

المؤامرة

د. حسن ظاظا

علماء السلالات البشرية يقولون ان العرب واليهود جميعا ينتمون الى ما كان يسمى بالجنس السامى نسبة الى « سام » احد ابناء نوح الثلاثة الذين نجوا معه من الطوفان . اما الاثنان الاخران فهما « حام » الذى ينسب اليه اليهود كل انسان اسود البشرة فى هذا العالم ويعللون هذا السواد بانه لعنة من نوح على هذا الابن بعد ان سخر من ابيه فى بعض المواقف و « يافث » الذى تجعله التوراة الاسرائيلية الجد الاعلى لكل الامم التى تملا هذا العالم باستثناء الزنوج ابناء « حام » والساميين سكان منطقة الشرق الاوسط .

وهذا التقسيم ينم بوضوح عن فكرة جهنمية مدمرة اساسها التفرقة العنصرية وعصبية النسب التى سبق اليهود الى اختراعها ليصلوا منها الى القول بانهم صفوة البشر ، والارومة النبيلة بين بنى الانسان ، او كما يقولون « شعب الله المختار » .

الحقيقة التاريخية أن الامم التى عاشت فى منطقة الشرق الاوسط منذ فجر التاريخ ، بل منذ ما قبل التاريخ ، وكانت تسمى « الامم السامية » قد اندثرت الواحدة تلو الاخرى : الاكاديون والبابليون والاشوريون والكلدانيون فى العراق القديم . والفينيقيون والكنعانيون والاراميون والعبريان والنبط والادوميون فى بلاد الشام والاردن ، ومعين وسبأ وحمير وقتبان فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

اندثرت هذه الامم كلها فى مراحل متفاوتة من تطور الانسانية ولم يبق على قيد الحياة الا العرب ، الذين

لت اليهم مهمة استمرار الحضـــارة السامية في المنطقة كلها ، وكرس ذلك ظهور الاسلام ببعثة النبي العـــربي محمد صلى الله عليه وسلم في أوائل القرن السابع الميلادي ، بحيث أصبح الاسلام بكتابه العربي المبين ، القرآن الكريم ، منطلقا لثورة انسانية شملت التشريع والاقتصاد والاجتماع والفكر جميعاً .

وكانت هناك بقية من تلك الامم السامية المندثرة ، وهم اليهـــود ، الذين ورثوا التعاليم الموســـوية واحتكروها ، وتصرفوا فيها بالزيادة والنقصان والتفسير والتأويل ، ولكنهم مع ذلك ظلوا يتعصـــبون لعنصريتهم السامية ، ولعقيدتهم الخرافية في أنهم شعب الله المختار ، بعد أن جرت عليهم المقادير بالسبي والجـــلاء والتشريد مرات كثيرة ، أهمهـــا ما كان من تخريب الامبراطور البابلي ، بختنصر ، لملكتهم قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام بأكثر من ألف سنة ، ثم ما كان من تآمرهم مع قـــدماء المستعمرين لهذه المنطقة من الفرس واليونان والرومان في سبيل أحـــلام صهيونية متخلفة ترمي الى العـــودة لاحتلال فلســـطين ، وما كان من استئصال شأفتهم منها سنة ٧٠ ميلادية على يد الرومان بقيادة الامبراطور « فسبازيان » وابنه « تيتوس » ، ثم ما كان من اتمام القضاء عليهم نهائياً سنة ١٣٦ ميلادية على يد الامبراطور الروماني « هدريان » .

وهكذا يتبين لنا أن الســـاميين القدماء لم تبق منهم الا الامة العربية، قائمة في هذا الوطن السامي الكبير ، متحملة أعباء استمرار الحيـــاة

اليهـــودية حول النبي

صلى الله عليه وسلم

والحضارة ابا ، منافحة عن حريته واستقلاله ، لم اليهود المشتتون في جميع انحاء الارض المتمسكون بعنصريتهم ، المتطلعون الى فرض ارادتهم على العالم كله ، من خلال هذه العصبية العنصرية • ومع ذلك فقد كانوا فقدوا من ساميتهم هذه : الوطن ، واللغة ، والحضارة ، ونستطيع ان نقول ان دينهم نفسه كان قد انطمست معالمه بكل ما تراكم عليه من رواسب خلال الفي سنة من الشتات •• بحيث غرقت تعاليم موسى في مستنقعات التلمود ، واوحال كتب « القبالة » الصوفية ، والصيحات الاسرائيلية المتضاربة المتناقضة المتأرجحة بين الاندماج السياسي والاجتماعي والفكري في الامم الاخرى، والتكتل الذاتي في سبيل اغتصاب وطن ، وخلق لغة ، واحداث دولة ، بقوة الحديد والنار •

الدروس والعبر والاسرار

وبقيام الصهيونية الحديثة منذ مؤتمر « بال » بسويسرا سنة ١٨٩٧ الذى انعقد برياسة « تيودور هرتزل »



•• ثم تكريس بريطانيا للوجود اليهودى في فلسطين وتشجيعها لعملية الاغتصاب الرهيبة التى خططها الصهاينة ، مما هو واضح في اعلان « بلفور » سنة ١٩١٧ ، وما تمخض عن ذلك من قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ ، واعمال العدوان السافر المستهتر بجميع القيم الانسانية ، التى تمت على الامة العربية في فلسطين في اشخاصها وممتلكاتها وكيانها ، والتهديد المباشر للسلام العالمي بتخطيط البناء السياسي والاجتماعي والاقتصادي لاسرائيل من اوله الى آخره على ضرورة استمرار شبح الحرب في العالم ، وبقاء حالة التوتر في هذه المنطقة العصبية الشديدة الحساسية ـ بقيام ذلك كله تمت المواجهة الساخنة بين الامتين الساميتين الوحيدتين الباقيتين في هذا العالم : العرب واليهود • وقد تبين لنا أن مسار التاريخ كان دائما ، بالنسبة للساميين ، على خط « التصفية » ، بأن تندثر الامم السامية تباعا عندما يضعف شأن كل منها ، فترثها الامة السامية الاقوى وتنتهى اليها القوامة على المنطقة كلها • وهكذا نستطيع ان نتبين ابعاد الخطر الذهل الذى يتهدد الامة العربية في الجولة الاخيرة التى لم يعد باقيا امامها فيها الا هذه الامة اليهودية الجديدة ، المصنوعة من الاعيب السياسة العالمية الحديثة واطماعها •

وهذا الموقف الفذ ينطوى على نقطة هامة في صالح العرب • ذلك ان اليهود على مدى تاريخهم كانوا كلما وقعوا في نكسات الصراع مع الامم

الاخرى يسرعون بتهمة يصدون بها هذه الامم هي التعصب العنصري ضد الساميين ، أو ما يسمونه «اللاسامية» .. او « عداء السامية » . وهي تهمة لا تنطبق علينا نحن العرب في نضالنا من اجل استقرار البقاء واتصال الحضارة في منطقتنا ، لاننا نحن ايضا ساميون ، ولاننا لسنا معتدين وانما ضحية عدوان .

النبوة في الفكر الاسرائيلي

ولكي نفهم ما كان من تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع اليهود المقيمين في وطنه بالجزيرة العربية ، ينبغي أن نشير الى تصور اليهود عموما للنبوة ، اذ هو تصور مختلف تماما عما استقر في فكرنا نحن العرب مسلمين ومسيحيين حول هذا الوضوع

واول ما يطالعنا في ذلك هو أن اليهود لم يعرفوا كلمة « نبي » الا في وقت متأخر نسبيا . فسيدنا موسى لم يكن يسمى عندهم نبيا ، وانما كانوا يسمونه رجل الله . ذلك أن لفظة النبي لم يكن معناها في استعمالهم القديم الرجل الذي يتلقى الوحي من الله تعالى ، بل كان النبي نوعا من العراف الذي يرى المغيبات ويقص ما سيكون ..

حيث تتلاطم الامواج

لم تقل الشريعة الاسرائيلية بخاتمة للنبوة ، بل تركت الباب مفتوحا على مصراعيه ، بعد أن اكتفت باحتكار موسى وشريعته ، واعتبارهما ملكا خاصا « لشعب الله المختار » ، بني اسرائيل . وربما مال بعض مفكريهم الى جعل النبوة كلها محصورة فيهم ايضا ، لاسيما في عصور الاضطهاد التي تشبع فيها اليهود بكره الامم الاخرى والحقد عليها . والشيء الوحيد الذي كانوا يقومون ويقعدون له هو انتظار ظهور المسيح المخلص . وكانت لهم فيه شروط ، فهو لا بد أن يكون يهوديا من سبط يهوذا ، ولا بد أن يكون سليل بيت الملك الذي اسسه داود وسليمان .

اما ظهور نبي من الامة العربية فلم يكن في عقيدتهم حدثا يستحق أن يثوروا من اجله أو ان يثوروا عليه ، لولا كراهية قديمة ، ومنافسة ضارية بين عشائر بني اسرائيل القدماء وبين القبائل العربية منذ عصور تاريخية موغلة في القدم .

فلسطين منذ فجر التاريخ ، وقبل أن يظهر فيها أي ذكر للعبريين ــ كانت امتدادا طبيعيا للوطن العربي في شبه الجزيرة ، مأهولة بالعرب ، مملوءة بتجارتهم ، تشقها قوافلهم في كل اتجاه . فسيدنا ابراهيم عندما يمر بالقدس يجد فيها شخصية تتولى الملك والزعامة الدينية ، وتقيم الشريعة والعبادة باسم الله العلي ، هي شخصية « ملكيصادق » (التوراة ــ سفر التكوين ١٤) ، قبل اليهود بقرون وقرون .

ثم اننا نعلم أن ابراهيم عندما رزق باسماعيل من زوجته هاجر المصرية ، وولد له بعد ذلك اسحاق من زوجته ساره السامية الاصل ــ

لا العبرية كما يزعم اليهود (١) ـ واشتعلت نيران الغيرة بين الزوجتين، قرر ابراهيم ان يأخذ هاجر وابنها الى بلاد العرب ، وان ينزلهما حيث مكة المكرمة الآن · واختيار ابراهيم لبلاد العرب بالذات أمر لم يقف عنده

المؤرخون كثيرا رغم اهميته وخطورته ·· فالمسافة من حبرون (مدينـــة الخليل) بفلسطين ، الى مكة طويلة

جدا ، والانتقال بينهما امر تحفـــه الاهوال ، من نقص الماء ، والتعرض لوحوش البرية ، وقطـــاع الطرق ،

والامراض الفتاكة ، وما الى ذلك · وكانت هناك وســـيلة ايسر واقرب للفصل بين الزوجتين المتشاكستين ،

بان يترك احداهمافي مدينة الخليل ، ويسكن الاخرى فى القدس مثلا ، تحت حكم حليفه الطيب المؤمن «مليكصادق»

·· ولكن يرجح لدينا ، بالاضافة الى الارادة الالهية العليا التى قضـــت بتكريس مكة لتكون فيمـــا بعد قبلة الاسلام ، ومهبط الحجاج من كل مكان، ومنطلق دعوة الحق فى اخر الزمان ـ ان ابراهيم اختار هذه البقعة ، على بعدها ومشقة الوصول اليهـــا وقلة مائها ، لان له فيها عزوة واقارب

يطمئن اليهم ، ويستطيع ان يكل اليهم أمر زوجته وابنه · وما كان ابراهيم ليفكر فى تلك البقعة بالذات الا عن علم بها ، ومعرفة باحوالها ، وثقـة باهلها · ومنذ ذلك الوقت والموجات العربية والعبرية تتلاطم فى منافسة بدات مبكرة فى التاريخ ·

وقد استمرت الضغينة بين العـرب واليهود بسبب تراطؤ اليهود الدائم

ضدهم ، وتحالفهم مع كل الغــزاة الذين يريدون بسط سلطانهم على هذه المنطقة · وتبدو هذه الكراهيـــة فى حملة تشويه مستمرة يديرها احبار

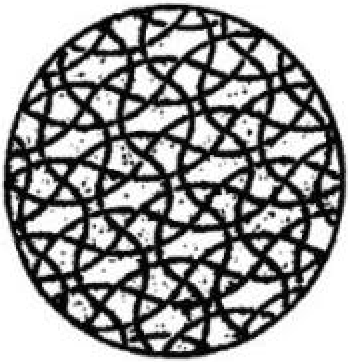
اليهود ، وتتضـــــح بها الكتابات التلمودية ، بين الحين والحين · وقد جروا على تسميتهم للعـــــرب

، الاسماعيلية ، نسبة الى ســيدنا اسماعيل ، وافتى كثير من علمائهم بان ذبائح العرب كلها حرام ·

ومع ذلك فان القارىء للتلمـــود يلاحظ ان هذه الدعاية السيئة ضــد العرب لم يكن منبعها الاحتقار بقدر ما كان الشعور بالخوف والتبـــرم بالوجود العربى منذ القـــــدم فى

فلسطين · فاسواق هذه البلاد كانت فى ايدى التجار العرب ، وطرقهـــا

تسيطر عليها القوافل العربية ، بحيث كان العربى يمثل فى نظر اليهـودى خطرا دائما لا يمكن توقيه ·



---

(١) لان التسمية « عبرى » لم تعرف الا بعد ابناء يعقوب من الاسباط على أبعد تقدير ، اى بعد ابراهيم وسارة بزمن طويل ·

تصفية حساب طويل

عندما بدأ محمد بن عبد الله «عليه السلام» ــ في مكة ــ يدعو الى عبادة الله ، اقام في قومه قريش ثلاثة عشر عاما يحــاول أن يلين قلوبهم لذكر الله · وترامت الانباء اذ ذاك بظهور نبي عربي مــن ذرية اســماعيل بن ابراهيم · وبدأ الناس ، حتى الكفار، يرددون آيات من كتـــابه المعجز ، القرآن الكريم ·

وهناك قصـــة في تاريخ الكهانة اليهودية يبرز فيها الكثيـــر من تلك الخواطر هي قصة حياة الحبـــر اليهودي الفارسي « بستناتي ابن الحبر حنيناي » الذي ينتسب الى سليمان وداود · وهذا النسب الشريف هـام جدا عند بني اسرائيل ، لانهم ، وهم لايزالون ينتظرون مجيء المســيح المخلص حتى الان ، يعتقدون انه لا بد ان يكون من نسل داود ·

وشب هذا اليهودي وبرع في مختلف العلوم والثقافات ، واتقن لغات كثيرة في مقدمتها العربية · وكان الاضطهاد اليهودي في ايران قد انتهى ، ووصل « بستناتي » الى مرتبـــة الوزراء ، واصبح يجلس بجانب كسرى نفســه ليترجم له ما يرد من رســــائل شفهية أو مكتوبة ·

وفي ذات يوم دخل الحرس على الملك واعلنوا أن بالباب رجلا عربيا يحمل رسالة مكتوبة · واعطاه كسرى الامان ودفع بالرسالة الى « بستناتي » فاذا بها من محمد عبد الله ورسوله الى كسرى ملك الفرس يدعوه فيهـا الى الاســـلام · والتفت كسرى الى « بستناتي » وساله عن رايه ، فقال ان هذه الدعوة دعوة حق ، لانهـا تشبه الدعوة الموسوية ، ولما كان الله يرسل الى شعبه المختار الانبيـــاء الواحد تلو الاخر ليهدوه الى ســواء السبيل ، فمن الطبيعي ان ينظر الله برحمته لغيرهم من البشر ، فيرسـل انبياء الى الامم الاخرى · ثم قال لكسرى ان هذا النبي العربي جدير بان يؤمن به كل من لم تصله دعوة موسى ، وانه ينصــح الله باتباع شريعته ·

وتقول الرواية ان كسرى مزق كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام ورفض دعوته ، ثم اتهم «بستناتي» بالتواطؤ مع العرب ضد الامبراطورية الفارسية والقى به في السجن · قالوا : ونجح هذا الحبر اليهودي بعد سنين طوال في الفرار من سجن كسرى ، وذهب يسال العرب عن نبيهم · وكان قــد توفي كما توفي خليفته ابو بكـــر الصديق · فقادوه الى سيدنا عمر ابن الخطاب ، فقص عليه القصة ، وشرح له من امر بلاد الفرس ما شجعه على فتحها ونشر الاسلام فيها ·

ويقولون ان سيدنا عمر شــــك في اخلاص « بستناتي » ، وساله عن السبب الذي من اجله اراد مســاعدة العرب والمسلمين وهو اليهودي العريق في يهوديته ، فاجابه بانه يهدف من وراء ذلك الى ثلاثة امور : اولها ان ينتقـــم من الدولة الكسروية التي اضطهدته وسجنته وشددت التكيـــر على قومه ، كما انه يرجو ان يخفف

الخليفة عمر بن الخطاب من حسنة في معاملة اليهود ولاسيما يهود ثقيف، والامر الثالث . ولعله الاهم بالنسبة لهذا الحبر اليهودى ، هو أن يعده الخليفة عمر بعد فتح بلاد الفرس بالاعتراف الرسمي بهذه الطائفة من اهل الكتاب ، وان يكون هو ، الحاخام « بستنائي » ، اول رئيس ديني في بلاد الفرس معترف به من قبـــل الحكومة ·

ومع ذلك فان جولة تاريخيـــة من تصفية الحساب بين العـــرب واليهود قد جرت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت ساخنة دامية ، استعمل فيها اليهود كل ما وصلت اليه يدهم من اساليب الاضعاف والتشكيك والتخريب بل اساليب الارهاب ايضا · وسنرى ان النبي العربي كان يعرفهم حق المعرفة وانه تعامل معهم بما توجبه ظروف الحفاظ على الدعوة وبما يستحقونه جزاء وفاقا لما قدمت أيديهم ·

كان موقف السكوت الذى التزمه اليهود ازاء الدعوة الاسلامية، والنبي لايزال بعد يجـــاهد في نشرها بين أبنـــاء مكة من قريش ، ومن عرف الطريق اليه من سائر العرب ــ موقفا مؤقتا ، أساسه محاولة الاهمـــال والاغضاء من شان هـــذه الدعوة ، والتهوين من خطرها · كان حيادا « تكتيكيا » المقصود به تهيئة جـــو من التجاهل والتناسى حيال رجل ليس من بنى اسرائيل ، قام في بلد بعيد يدعو دعوة دينية جديدة ·

ولكن الامر تغير كله من أول يوم اقترب فيه هذا النبي العـــربي من مستعمرات اليهود حول المدينة · لقد رأوا باعينهم تفاني صحابته ، عليهم رضوان الله ، في الذود عن عقيدتهم، وفي تحويلها الى الوضع الذى اراده الله لها ، دعوة تحررية حضـــارية عالمية · رأى اليهود دخـــول عرب المدينة من الاوس والخزرج في دين الله افواجا ، واحتفالهم بمقـــدم الرسول الى بلدتهم ، واتخاذها مقرا لدعـــوته · وبدأ يزعجهم ذلك ، فراحوا يتحركون تحركات سرية مريبة تنبه اليها الرسول منذ وصوله ، ولذا نراه في السنة الاولى من هجرته ، وفي اول وثيقة يكتبها في أمر التنظيم السياسي للمجتمع الجديد ، يركـــز اهتمامه على أولئك اليهود بالذات ·

يقول ابن هشام في السيرة النبوية، رواية عن ابن اسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ، وادع فيـــه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط واشترط لهم : ــ « بسم الله الرحمن الرحيم · هـــذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمســـلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهـــاجرون من قريش على ربعتهم ، يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهـــم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين · وبنو ساعدة ·· وبنـــو

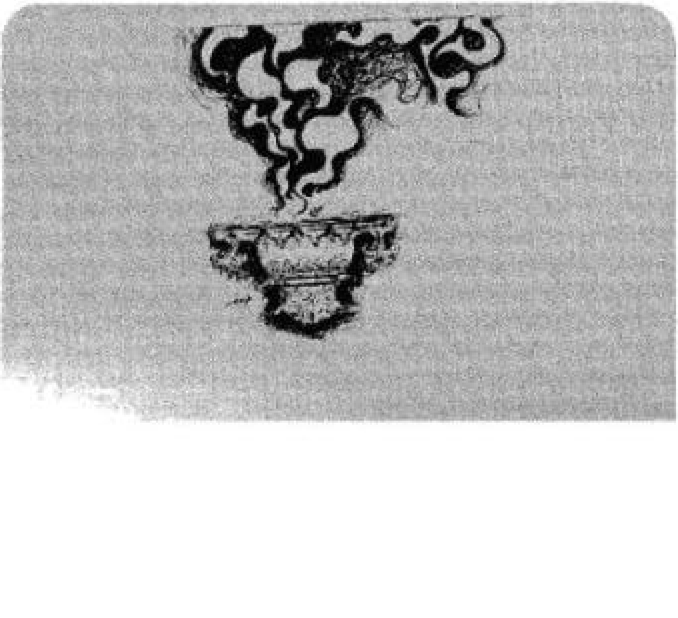
الحارث ·· وبنو جشم ·· وبنـــو النجار ·· .

واستمر صلى الله عليه وسلم في ذكر بيوت الانصار وعشـــائرهم ، وتحديد الحقوق والواجبات المفروضة على الجميع في السلم والحرب من التعاون والاخاء ودفع الفسادومحاربة الفتنة والدسيسة · ثم انتقـــل الى القسم الاكبر والاهم في هذه الصحيفة وهو الخاص باليهود ، فالزمهم جميعا بتحمل نصيب من نفقـــات الدفاع العســـكرى عن المدينة ، قال : وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين · وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وانفسهم ، الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته ·

ثم بدت معرفة الرسول التفصيلية لليهود في هذه الصحيفة عندما راح يذكرهم بيتابيتا ، وعشيرة عشيرة الى أن قال : وأنه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الله على أتقى ما في هـــذه الصحيفة وابره · وأنه لا تجـــار قريش ، ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر عـــلى من دهم يثرب · وأن يهود الاوس ، مواليهم وانفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ·

وواضح من هذا النص أن يهود اقليم المدينة ، على الرغم من كـل ثرائهم كانوا يعيشون موالى للعرب ، كما يتضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أملى هذه الصحيفة كان يحاول وضع حد لما ينتظـــــره من مؤامرات اليهود ، بادئا باتخـــاذ الحل السياسي ، مع انه كان يملى نظمه من مركز القوة ·

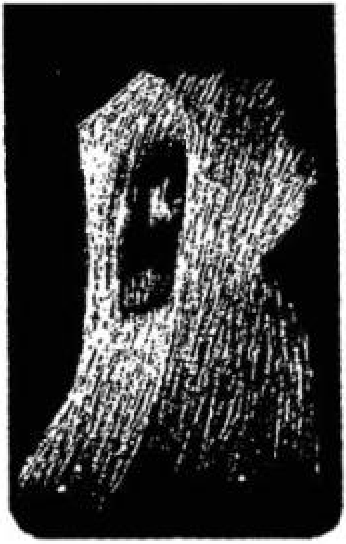
وبالرغم من ذلك كله فان تلك الامة اليهودية ، التى وصـــفها انبياؤها أنفسهم بشدة العناد وصلابة الرأس والعنق ، لم تكن لتقبل السلامالوادعة من النبي الامي الذى جاء من غيـــر بني اسرائيل · وهكذا بدأ الحقـــد يأكل قلوبهم · فقد روى أن اليهود كانوا اذا رأوا عرب المدينة من الاوس والخزرج قبل البعثة المحمـــدية ، يستفتحون عليهم ، ويقولون لهم انه قد آن الاوان ليبعث الله نبيا في هذه البلاد ، فلما بعثه الله من العـــرب



كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فراجعهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وغيرهما قائلين : يا معشر يهود . اتقوا الله . وأسلموا . فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك . وتخبروننا انه مبعوث . وتصفونه لنا بصفته . فرد عليهم اليهودى سلام بن مشكم احد بنى النضير قائلا : ما جاءنا بشىء نعرفه، وما هو بالذى كنا نذكره لكم . فانزل الله فى ذلك : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » .

وكان لابد لحقد اليهود ذاك أن يترجم الى عمل تخريبى فى صميم دعوة الاسلام . لاسيما بعد أن علت نبرات الاذان خمس مرات فى اليوم تخرق أسماع اليهود ، وتقض مضاجعهم . لقد حاولوا اغتيال الرسول اكثر من مرة ، كما أوعزوا الى أحد الدجالين منهم ، وهو لبيد ابن الاعصم أن يصنع له سحرا يسقط به قوته ويحل رجولته ، ولكن انى تجدى هذه الالاعيب ، وهو المؤيد بروح الله ؟

وانتقل النشاط اليهودى الى ناحية أخرى ، اذ بدأ زعماء اليهود يستقطبون لهم عملاء من ضعاف النفوس والموتورين والحاقدين ، بين العرب أنفسهم . كانوا يشككونهم فى دينهم ، ويغرسون فى نفوسهم التشاؤم حول مستقبل دعوة هذا النبى العربى ، وفجأة وقف المسلمون أمام أكبر ظاهرة كيدية عرفها الاسلام وهى ظاهرة « النفاق » . كان الزعماء الدينيون



اليهود فى المدينة كثيرين وكانوا أغنياء ، ولم يكونوا على خلق . والظاهر أنهم لم يكونوا على علم كثير بشئون دينهم .

ورأى الرسول أن « الحل السياسى » قد استهلك دون جدوى ، وأن صحيفة الموادعة قد نقضت اكثر من مرة ، وأن خطر التدمير الاخلاقى للامة العربية قد بدأ يظهر واضحا فى جماعة « المنافقين » . وهكذا فرض الحل الساخن نفسه ، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وبدأ العمل الايجابى العنيف من جانب الرسول ، عملا عربيا له دلالته . فبعد سبعة عشر شهرا من هجرته الى المدينة حول قبلة المسلمين من بيت المقدس ، حيث يتجه اليهود فى صلاتهم ، الى مكة المكرمة حيث البيت العتيق الذى رفع قواعده ابراهيم واسماعيل .

واشتد ضجر اليهود بالمسلمين ورغبتهم في كسر شوكتهم بعد انتصارهم المبين في غزوة « بدر » الكبرى · فبعد هذه الوقعة الحاسمة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق اليهود من بنى قينقاع ، ودعاهم الى الاسلام قائلا : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فانكم قد عرفتم انى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم ، وعهد الله اليكم · قالوا : يا محمد ، لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة · انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس !·· وهكذا كان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين « بدر » و « أحد » · وعلى كل حال فقد انكشف الغطاء ، وبدأت المواجهة المسلحة بين الرسول واليهود ·

وما أن تحرك بنو قينقاع حتى بدأت اليهود جميعها تتحرك ، وكان فى مقدمتهم بنو النضير ، الذين هموا باغتيال الرسول ، حتى قال صلى الله عليه وسلم للمسلمين : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه · وهكذا لم يعد أمام الرسول الا أن يهدر دمهم جميعا ، وروى البخارى ومسلم عن ابن عمر قال : حاربت النضير وقريظة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلى بنى النضير ، وأقر قريظة ، ومن عليهم · حتى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم ، وقسم نساءهم وأموالهم وأولادهم بين المسلمين ·

كان ذلك بعد غزوة « الاحزاب » كما كان خروج بنى قينقاع بعد غزوة « بدر » · والمتتبع لتاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم يلمس توقيتا يهوديا لاعمال العنف والتخريب والارهاب من جانب تلك الطائفة الحاقدة ، فقد كانوا لا يتحركون الا عندما يكون الرسول ومن معه من المسلمين فى ضائقة من أمرهم بعد صراع عنيف مع الكفار · وكان آخر ذلك عندما قرر رسول الله أن ينهى أمر اليهود منوجه الدعوة الاسلامية بمهاجمة معاقلهم الكبرى فى خيبر ، وكانت خيبر بعد غزوة الخندق · وفى خيبر شتت العرب من بقى لديهم من العبريين ، وطهروا بلادهم منهم ·

واذا كان النزال بين العرب واليهود ، ضد بنى قينقاع ثم بنى النضير ، ثم بنى قريظة ، ثم سائر اليهود فى خيبر قد جرى على الصعيد الحربى الجماعى ، فان الرسول لم يسلم من التآمر الفردى الذى أشرنا الى طرف منه · بل لم يسلم من سفهاء اليهود ، والساقطى المروءة منهم ·

وكانت « خيبر » خاتمة حساب طويل بين العرب واليهود صوره ابن القيم العبسى الصحابى ، الذى حضر هذه الوقعة ، بقوله من قصيدة طويلة :

ولقد علمت ليغلبن محمد
وليثوين بها الى اصفار
فرت يهود يوم ذلك فى الوغى
تحت العجاج غمائم الابصار

رسالة محمد.. رسالة الله

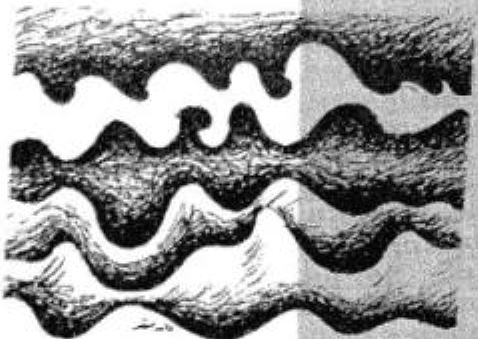
لشاعر القطرين: خليل مطران



رسـالة الله لا تنتهى بلا نصب
يشقى الامين وتغريب وتنكيـد
رسالة الله لو حلت على جبـل
لا ندك منها واضحى بطن أخدود
ولو تحملهـا بحر لشب لظى
وجف وانهال فيـه كل جلمود
فليس بدعا اذا ناء المصطفى بها
وبات فى الم منهـا وتسهيد
ينوى الترحل عن اهل وعن وطن
وفى جوانحه احزان مكبود
يكاد يمكث لولا ان تـداركه
أمر الاله لأمـر منه موعود

***

قاذ غلا القوم فى ايذائه خطـلا
وشردوا تابعيـه كل تشريد
دعا المـوالين ازماعا لهجـرته
فلم يجبه سوى الرهط الصناديد
مضى هو البدء والصديق يصحبه
يغامر الحزن فى تيهـا. صيخود
موليا وجهه شـطر المدينة فى
ليل اغر على الادهـار مشهود
حتى اذا اتخذ الغار الامـين حمى
ونام بين صفاه نوم مجهـود
حماه وشى بباب الغار منسدل



من الالى هـددوه شر تهـديد
يا للعقيدة والصديق في سـهر
رؤيه افعى ويبكى غير منجـود
ان العقيـده أن صحت وزلزلهـا
مغنى القرى فهى حصن غير مهدود
اما الصحاب الذين استاخروا فتلوا
سارين فى كل مسرى غير مرصـود
ماجند قيصر او كسرى اذا افتخروا
كهؤلاء الاعـزاء المطـاريد
كانهم فى الدجى ـ والنجم شاهدهم
فرسان رؤيا لشان غير معهـود
كانهم وضياء الصبح كاشفهم
آمال خير سرت فى مهجة البيـد
فى حيطة الله ما شـعت اسنتهم
فوق الظلال على المهـرية القـود

***

عانى محمـد ما عانى بهجـرته
لمارب فى سـبيل الله محمـود
وكم غـزاة وكم حرب تجشـمها
حتى يعـود بتمـكين وتاييـد
كلا الحياة جهاد ، والجهـاد على
قدر الحياة ، ومن فادى بهـا فودى

د. سعاد ماهر

الاحتفال بالمولد النبوى

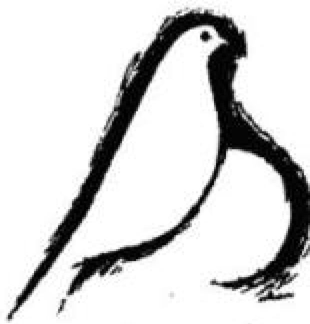
كان المسلمون الاوائل يعنون عناية خاصة بحفلات الزواج ، فقد حث على ذلك الرسول صلوات الله عليه بقوله: اظهروا زواجكم ولو بدق الدفوف . أما الاحتفالات الدينية ، كالاحتفال بشهر رمضان وبالعيدين فكان يقتصر فيها على قراءة القرآن وعل اعمال البر دون غيرهما من مظاهر الفرح والطرب والغناء وخروج الخلفاء والامراء فى المواكب والمسيرات . فقد كان المسلمون فى صدر الاسلام يتوخون الخشونة فى العيش فكان الخليفة من الراشدين يمشى فى الاسواق وعليه القميص الخلق او ثوب من كرباس غليظ وفى رجليه نعلان من ليف وحمائل سيفه من ليف ، وفى يده درة ليستوفى بها الحد وكان عمالهم فى مثل حالهم ، اذا وفد احدهم على الخليفة لبس جبة صوف وتعمم بعمامة دكناء واحتذى خفين مطارقين ودخل عليه . واول من اتخذ زى الملوك من امراء المسلمين معاوية بن ابى سفيان عندما كان اميرا على الشام ، فلما رآه الخليفة عمر بن الخطاب انكرها عليه وقال له جملته المشهورة (أكسروية يا معاوية ؟)

بدأه العباسيون وزينه الفاطميون

عندما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وخالط المسلمون الفرس والرومان . كان عليهم أن يسايروا ركب الحضارة فى تلك البلاد التى فتحوها ولا يتخلفوا عنها . ومن ثم فقد قلدوا الفرس والاعاجم فى معظم عاداتهم وتقاليدهم التى لا تتعارض والخلق العربى الكريم والتى لا ينهى عنها الدين الاسلامى الحنيف . وكان أول من هم بذلك التقليد الامويون ثم تبعتهم الدولة العباسية التى تعتبر القدوة فى ارساء قواعد أبهة الملك .

وكانت الاحتفالات فى العالم الاسلامى بعضها دينى كالمولد والاعياد وكسوة الكعبة وبعضها وطنى كالنيروز وشم النسيم وفتح الخليج . واكثر الدول الاسلامية عناية بهذه الاعياد الفاطميون ، فقد كانوا يحتفلون بالمولد النبوى الشريف وموالد الامام على بن أبى طالب وفاطمة الزهراء والسبطين الحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين ، وكذا مولد الخليفة القائم . كما احتفلوا بيوم عاشوراء وليالى الوقود الاربعة وهى ليلة أول رجب ، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه . وكذا شهر رمضان وعيد الفطر وعيد النحر هذا بالاضافة الى الاعياد الوطنية .

وكان أول من احتفل بمولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه هم العباسيون . ومن اشتهرت عنايته بالاحتفالات الدينية فى العصر العباسى مظفر الدين صاحب أربل . وكان احتفاله بالمولد النبوى بالغا حد النهاية بالابهة . والمشهور انه أول من احتفل به على الصورة التى عرفتها الدولة الفاطمية ونعرفها اليوم ، كما حذا حذوه السلطان أبو حمو موسى صاحب تلمسان بالمغرب .



باب القصر الذهبي

واذا كانت الدولة العباسية هي القدوة في ارساء مظاهر الابهة في العالم الاسلامي ، فان الدولة الفاطمية هي التي وضعت تلك المظاهر والاحتفالات في أطر معينة لها قواعدها وتقاليدها الخاصة . ولم تكتف بذلك بل خصصت لهذه الاحتفالات دواوين معينة سجلت فيها القواعد التي يجب ان تتبع في كل حفل من حفلاتها العديدة السابق الاشارة اليها ، مما اعطى فكرة واضحة عن مظاهر الحضارة في تلك الاونة من تاريخ مصر ، والتي لاتزال مصر الحديثة تتبع خطاه وتسير على هديه .

كان من تقاليد المولد النبوي الشريف وقواعده الرعية في العصر الفاطمي ، كما يقول المقريزي في خططه ، ان يبدأ الخليفة الاحتفال بالجلوس بالمنظرة التي تعلو باب الذهب بالقصر الشرقي الكبير . وكان موقع هذا القصر في الجهة الشرقية من القاهرة ولذلك كان يقال له القصر الكبير الشرقي ، كما كان يسمى القصر المعزى نسبة الى الخليفة المعز لدين الله الذي أمر عبده وكاتبه جوهر الصقلي ببنائه حين سيره من رماده أحد بلاد افريقية (تونس الحالية) بالعساكر الى مصر والقى اليه ترتيبه ، فوضعه على الترتيب الذي رسمه له .

ويقص علينا المقريزي تاريخ القصر الكبير الشرقي فيقول ، وكان ابتداء وضعه مع وضع أساس سور القاهرة في ليلة الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وركب عليه بابان . ثم أدير عليه سور محيط به . وكان هذا القصر هو دار الخلافة وبه سكن الخلفاء الى اخر ايامهم ، فلما انتهت الدولة على يد صلاح الدين الايوبي ، أخرج أهل القصر منه واسكن فيه الامراء ، ثم خرب شيئا فشيئا .

وقد فتحت عدة ابواب في القصر الفاطمي غير البابين اللذين بناهما جوهر . وكان لكل باب وظيفة معينة يؤديها في مناسبة خاصة وفي وقت معلوم ومن اهم هذه الابواب ، باب الذهب ، وهو الباب الذي تدخل منه العساكر وجميع اهل الدولة وموكب الخليفة في يومي الاثنين والخميس . اما عن السبب الذي من اجله سمي بباب الذهب كما قال ابن ابي طيء ، فان المعز لما خرج من بلاد المغرب

اخرج معه اموالا كانت ببلاد المغرب وامر بسبكها أرحية كأرحية الطواحين وامر بها حين دخل مصر فألقيت على باب قصره فعرف بباب الذهب ، كما صنعت عضادتا الباب من الذهب الخالص .

اما الابواب الاخرى فهى باب البحر ، وباب الريح ، وباب الزمرد (الباب الاخضر الان بجامع سيدنا الحسين) وباب العيد ، وباب قصر الشوك ، وباب الديلم ، وباب الزهومة (باب المطبخ مكانه بالمدرسة الصالحية بشارع الصاغة) وغيرها مما لايتسع المقام لذكرها ووصفها .

شمسية كرسى العرش

ويحتوى القصر كذلك على عدد كبير من القاعات ، يهمنا منها الان قاعة الذهب التى كان يعقد فيها الاحتفال بالمولد النبوى الشريف .

ويصف ابن عبد الظاهر هذه القاعة فيقول . كان بها سرير الملك وكان يقال لها قصر الذهب ، وهو احد قاعات القصر التى بناها الخليفة العزيز بالله ابن الخليفة المعز ، وكان يدخل اليها من باب الذهب المقابل للدار القطبية التى هى اليوم مارستان (مستشفى) قلاوون .

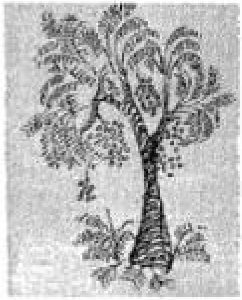
وفى هذه القاعة كان الخلفاء يجلسون فى الموكب يومى الاثنين والخميس .. وبها يعمل سماط المولد النبوى الشريف وشهر رمضان والعيدين . ويحدثنا ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز ، عن قاعة الذهب فيقول :

« وللنصف من رمضان جلس المعز فى قصر الذهب على سرير الذهب الذى عمله عبده القائد جوهر واذن بدخول الاشراف اولا ثم اذن بعدهم للاولياء ولسائر وجوه الناس ، وكان جوهر قائما بين يديه يقدم الناس قوما بعد قوم » .

ووزن ما استعمل من الذهب الابريز الخالص فى سرير الملك الكبير مائة الف مثقال وعشرة الاف مثقال ، ووزن ما حلى به الستر من الذهب ايضا الف مثقال وانه رصع بالف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر الوانه . وذكر أن الشمسية التى تظل كرسى العرش تحتوى على ثلاثين الف مثقال ذهبا وعشرين الف درهم مخرقة وثلاثة الاف وستمائة قطعة جوهر من سائر الوانه وانواعه .

وكان جلوس الخليفة بمنظرة باب الذهب يبدأ فى مستهل شهر ربيع الاول ايذانا ببدء الاحتفالات بمولد سيد الاولين والاخرين محمد صلى الله عليه وسلم التى تستمر ثلاثة عشر يوما ، فيرسم الخليفة بما هو ات : الصدقات من مال النجاوى خاصة ستة الاف درهم ، ومن دار الفطرة « ٤٠ صينية فطرة » .

اما عما تحتويه هذه الصوانى من الفطرة ، فكانت دار الفطرة تبدأ فى عمله منذ شهر صفر فيرسل لها جميع ما تحتاجه من اصناف السكر والعسل والزعفران والطيب والدقيق ويجرى العمل بالدار ليلا ونهارا . اما مرتب



ما يرسل لدار الفطرة التى كان موقعها قبالة المشهد الحسينى ، للاحتفال بالولد النبوى الشريف ، فنوعان ، أحدهما مرتب من يعمل بهـا من الجوارى المستخدمات وجملتها عشرة آلاف دينار ، والجملة الثانية فصلت فيها أصناف كثيرة منها دقيق ألف حملة ، سكر سبعمائة قنطار ، قلب فستق (أى مقشر) ستة قناطير ، قلب لوز ثمانية قناطير ، قلب بندق أربعة قناطير ، تمر أربعمائة أردب ، زبيب ثلاثمائة أردب ، خل ثلاثة قناطير ، عسل نحل خمسة عشر قنطارا ، شيرج (زيت) مائتا قنطار ، حطب ألف ومائتا حملة بالاضافة الى أنواع العطارة ومـا يعطى لوكيل « دار الفطرة » وقيمته خمسمائة دينار برسم المواعين والبيض والسقائين وغير ذلك من المؤن على ما يحاسب به .

فى انتظار وجه الخليفة

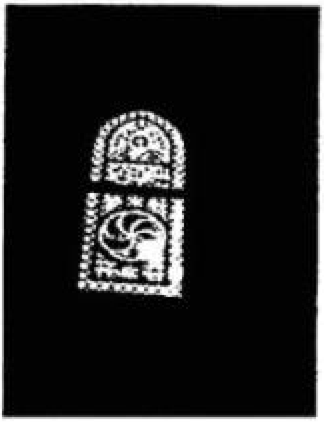
وكانت « الفطرة » توزع فى الاحتفال بالمولد النبوى على الوجه التالى ، يرسل لكل مشهد من مشاهد أهل البيت وأولياء الله الصالحين ، سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج ، وخمسمائة رطل حلوى تفرق على القراء والفقراء والمساكين بالجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر (جامع عمرو) . ويوزع بالقرافة خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق . كما تحمل صوانى « الفطرة » للأعيان والمستخدمين بما فى ذلك مستخدمى القصور والدار المأمونية ، كما تحمل صينية لقاضى القضاة والداعى والمستخدمين بدار العيد .

أما ما يحدث يوم المولد وهو الثانى عشر من ربيع الأول فيفصله لنا المقريزى ويقول : فاذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الاول يرسل من « دار الفطرة » عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة تعبأ فى ثلاثمائة صينية من النحاس ، فتفرق تلك الصوانى على أرباب الرسوم من أرباب الرتب . وكل صينية فى قوارة . وتبدأ عملية التوزيع من أول النهار حتى الظهر . أما أرباب الرسوم فأولهم قاضى القضاة ثم داعى الدعاة ويدخل فى ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقوام المشاهد (الاضرحة)

ويبدأ الاحتفال الرسمى ، كما يقول ابن الطوير ، بعد صلاة الظهر ، اذ يركب قاضى القضاة والشهود بأجمعهم الى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى . فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة

ثم يستدعى قاضي القضاة ومن معه ، فان كانت الدعوة « الدعوة الي المذهب الشيعى) اليه والا حضر الداعي ومعه نقباء الرسائل فيركبون ويسيرون الى ان يصلوا الى اخر المضـــيق من السيوفى (بالقرب من باب زويلة) قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين (الصاغة الان) فيقفون هناك وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق (بجانب الجامع الاقمر) ومن سويقة أمير الجيوش (بالجمالية) .
وقد كنست الطريق فيمـــا بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش تحت منظرة قاعة الذهب التى يجلس فيهـا الخليفة بالرمل الاصفر .

ثم يستدعى صاحب الباب (فى درجة وزير) من دار الوزارة ومتولى حسبة القاهرة « ماض وعائد » لحفظ النظام والامن والاخلاق فى ذلك اليوم خشية الازدحام . لرؤية وجه الخليفة .. ويبدأ الاحتفال بظهور صـــاحب الباب من الركن المخلق عنـــدما يستدعيه القاضى ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنظرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمنيـــة بصمت وتشوق (بلهفة وشوق) لانتظار ظهور وجه الخليفة .



بروتوكول « لكل المناسبات »

ولظهور وجه الخليفـــة لكى يراه عامة الشعب تقاليد مرعية مســـجلة فى الديوان لا يستطيع مخالفتها طبقا للمذهب الشيعى الاســـماعيلى الذى يدعو الى الباطنية ، هذا بالاضافة الى ان الخليفة المعـز لدين الله مؤسس الدولة الفاطميـــــة فى مصر وولده الخليفة العزيز بالله قد وضـــعا (البروتوكول) الخاص بكل مناسبة من المناسبات التى يظهر فيها وجـــه الخليفة لكى تراه العـــــامة ، فلم يستطع احـــد ممن اتى بعدهما من الخلفاء ان يحيد عنها .

فقد كانت تفتح احـــدى طاقات منظرة قاعة الذهب ، فيظهر منهـــا وجهه وهو مغطى بمنديل .. وحوله عدد من خاصته واســــتاذان من مستشاريه ، ويفتح أحد الاستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى فى كمه ويشير به قائلا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام ، فيسلم على القاضى أولا وينعته بنعوته ثم بصاحب الباب وينعته بنعـــوته كذلك ، ثم يحيى الجماعة الباقية من كبار الـــموظفين



والهيئات والطوائف من غير تعيين أحد ٠

وبعد أن تتم عملية التحية التي يقدمها أحد الأستاذين المحنكين باسم الخليفة أمير المؤمنين ، يطلب من قراء الحضرة قراءة قصة المولد النبوى الشريف ٠ ويكون القراء أثناء ذلك في وضع معين ، اذ يجب أن يكونوا قياما في الصدر ووجوهم للحاضرين وظهورهم الى حائط المنظرة التي يطل منها الخليفة ٠

وفي أثناء هذه القراءة التي تتم بصوت خفيض ، يتقدم خطيب الجامع الانور ، وهو الجامع الذى بدأ بناءه الخليفة العزيز باللهواتمه ولدهالخليفة الحاكم بأمر الله ، فعرف بالجامع الحاكم وهو يعد ثاني جامع بني بمدينة القاهرة بعد الجامع الازهر ، بين باب النصر وباب الفتوح ، ويخطب خطيب الجامع كما يخطب فوق المنبر في صلاة الجمعة خطبة خاصة بالمولد الشريف ، حتى اذ وصل الى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ٠٠ فيقول « وان هذا يوم مولده الى ما من الله به على ملة الاسلام من رسالته » ، ويختم كلامه بالدعاء للخليفة ٠

واذا ما انتهى من خطبته رجع الى صف القراء ٠ ويتقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ، فاذا ما انتهى رجعالى جوار خطيبالجامع الحاكم ، ثم يتقدم خطيب الجامع الاقمر ، الذى أنشأه الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ ، ويقع بحى الجمالية ، فيخطب كذلك ٠ والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرءون فاذا ما انتهوا أخرج الاستاذ المحنك رأسه ويده في كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فينفض الناس ٠٠

من رياحين الجنة

وبعد الانتهاء من الاحتفال بقراءة قصة المولد التي تتم عادة قرب صلاة المغرب يأمر الخليفة برسم توزيع الخلع من دار الكسوات ٠٠٠ ويصف المقريزى دار الكسوة فيقول أنشأها المعز لدين الله وسماها دار الكسوة وكان يفصل فيها من جميع أنواع الثياب والبز ويكسى بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكسوة المولد النبوى وغيره من الموالد الخمسة الاخرى ، وهي مولد الامام على والسيدة فاطمة الزهراء والحسن والحسين سبطي الرسول ومولد الخليفة القائم ٠

وكانت كسوة عامة الشعب تتكون من العمامة الى السروال وما دونه

من المنديل من فاخر الثياب وتقبس الملبوس • وكانت خلعهم على الامراء الثياب الدبيقي (نسبة الى مدينة دبيق بدمياط وتشتهر باغلى انواع النسيج) والعمائم بالطراز الذهب • والطراز شريط من الكتابة يحتوى على اسم الخليفة والدعاء له واسم صاحب الصنع ومكانه والتاريخ الذى صنعت فيه العمامة او الثوب • ويقول المقريزى ان ثمن العمامة ذات الطراز الذهب خمسمائة دينار • كما كان يخلع الخليفة على الامراء الاطواق (الحزام) والاسورة والسيوف المحلاه، اما الوزير فكان يخلع عليه عوضا عن الطوق عقد جوهر •

ويحدثنا ابن الطوير عن مكانة دار الكسوة بين دواوين الحكومة فيقول : الخدمة فى خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة فى المباشرات ، وهى تحتوى على خزانتين ، الخزانة الظاهرة ويتولاها اكبر حواشى الخليفة كاحد الاستاذين المحنكين او غيره • وفيها من الحواصل (المخازن) ما يدل على اسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشروب (نوع رقيق من القماش النفيس) الدبيقى الملونة رجالية ونسائية ، والديباج الملون والسقلاطون (حرير متغير اللون يمثل رقبة الحمامة) واليها يحمل ما يستعمل فى دار الطراز بتنيس ودمياط والاسكندرية من خاص المستعمل • وبالخزانة الظاهرة يوجد صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولاصحابه مكان لخياطتهم • والتفصيل يعمل على مقدار الاوامر وما تدعو الحاجة اليه ثم ينقل الى خزانة الكسوة •

اما الخزانة الثانية فتعرف بخزانة الكسوة الباطنة وهى خاصة بلباس الخليفة وتتولاها امراة تنعت بزين الخزان يعاونها ثلاثون جارية • ولا يغير الخليفة ابدا ثيابه الا عندها •

ومن الخزائن التى ينشط عملها بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوى ، خزائن الطيب ، فقد كان يجب عليها أن تخرج فى هذه المناسبة ، كما يقول المقريزى، خمسة ، صوارى • (عمود طويل) عود هندى ، كل واحد من تسع اذرع الى عشر اذرع ،وكافور قيصورى زنة كل حبة من خمسة مثاقيل الى ما دونها ، وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة الاف مثقال • كما كان عليها ان تخرج منارد صينى (وعاء صينى كبير) محمولة على ثلاث ارجل ملء كل وعاء مائتا رطل من ماء الورد وعدة قطع شب وماء زهر ، والف مثقال ند •

وكان هذا الطيب يستعمل برسم المساجد فى ليلة المولد فى جميع انحاء مصر ، كما كان يعطر به القصر الكبير الشرقى والطريق الذى سيتم الاحتفال فيه (منطقة الصاغة والغورية والجمالية) ، حتى تصبح رائحة القاهرة وكانها ريحانة من رياحين الجنة فى ذكرى مولد اشرف الخلق اجمعين •

النبي

صلى الله عليه وسلم

لانهــا موفورة الحب ، عامرة بالعــاطفة والحكمة والهدى ـ : حيــاة النبى ..

ولاننى مريد ، مؤمن ، زوج ، أب ، ورب بيت حزين.. ـ فلقد تناولت بالرضا قلمى واوراقى، واتجهت الى المهمة المهيبة الى خـلوة مع تراث الخالدين ، كتاب السيرة النبوية وائمة الدنيا والدين ، اتزود لرحلة تطوى الزمان القهقرى ، حتى عصر النبوة ومشرق الرســالة المحمدية ،

فالمس العتبات الطاهرة لدى الحــرم الاقدس وعند المسجد الحرام ، والتمس بالدعاء شفاعة ، ومثوبة ، وبرءا لجراحات النفس والياس ...

ثم اطوف بالبيتين الكريمين فى مكة وفى المدينة، لاستلهم نفحات الهدى والاسوة الحسنة من لدن

صاحب الخلق العظيم ، الرسول البشر ، والنبى الانسان ، محمد ، فى حياته الخاصة والعاطفية، رب بيت سعيد ، وزوجا ، وابا ...

نصر الدين عبد اللطيف

زوجاً وأباً

عند ذروة الربيع ، والنضج ، والريعان — سن الخامسة والعشرين — كيف كان يبدو « محمد » ؟ ...

لم يكن قد تزوج بعد ...

ولم يحن موعد مبعثه برسالة الاسلام ..

وكان فى أبرز ملامح حياته الاجتماعية شابا هاشميا ، عريق المنبت واسع الخبرة بالدنيا والناس ، موفور المهابة والمحبة ، اسمه « محمد » وشهرته « الصادق » و « الامين » ...

أما صورته الشخصية ، المنظر والمظهر العام ، فكان كما وصفه ابن عمه « الامام على » وسجل كتاب السيرة — وبالذات الطبرى فى تاريخه والسهيلى فى الروض الأنف — :

« ... شابا وسيما ، مشرب الملامح أزهر اللون · ربعة فى الرجال ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد .. ضخم الرأس ، مبسوط الجبين ، مرسل الذقن ، عالى العنق ، عريض الصدر ، غليظ الكفين والقدمين · يتوج هامته شعر كث شديد السواد ، وتشع عيناه الدعجاوان الواسعتان جاذبية وسحرا ، تحت أهداب طوال حوالك ، وتتألق أسنانه المفلجة البيضاء اذا تكلم أو ابتسم ...

« وكان يسرع الخطو ، ملقيا بجسمه الى الامام ، ويحسن الاصغاء

ملتفتا الى محدثه بكل جسمه ، لطيف المحضر ، يضحك أحيانا حتى تبدو نواجذه ، فاذا غضب لم يخنه حلمه ، بل ينفر عرق بين حاجبيه السابغين المتصلين من أثر الغضب ...

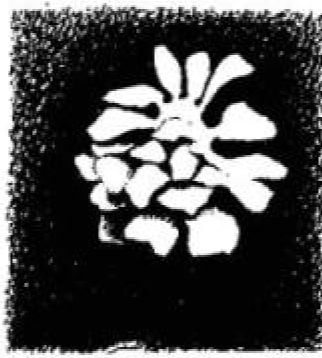
● ظاهر الوضاءة ●

وفى النظرة الفاحصة من عينى حواء للرجل ، أى رجل ، دقة وقوة ملاحظة تتميز بهما منذ الازل .. وفيما سجل ابن عبد البر، عن الرواة الثقاة فى كتابه « الاستيعاب ، فى معرفة الاصحاب » فان أم معبد الخزاعية « عاتكة بنت خالد » بعد أن رأت « محمدا » قالت تصفه :

« رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، وسيما قسيما ، فى عينيه دعج . وفى عنقه سطع . وفى صوته صحل . وفى لحيته كثاثة . أزج ، أقرن .. ان صمت فعليه الوقار ، وان تكلم سما وعلاه البهاء ... أجمل الناس وأبهاه من بعيد . وأحسنه وأجمله من قريب . حلو المنطق ، فصل ، لانزر ولا هذر .. ربعة ، لا بائن من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر .. له رفقاء يحيطون به ، انْ قال أنصتوا لقوله ، وان أمر تبادروا لأمره ... »

هكذا كان يبدو « محمد » فى ربيعه الخامس والعشرين ، وكان قد عاد من





رحلة تجارة الى الشام لحساب خديجة بنت خويلد ، وهى تسبقه فى العمر بنحو خمسة عشر عاما ... ولقد ألف بينهما تقدير واعجاب متبادل ، فمهدت له أن يتقدم لها ، وسرعان ما التقى الاهل والاصدقاء ببيت خديجة فى حفل حضره مع محمد من عمومته أبو طالب وحمزه ، ومع خديجة عمها عمرو بن أسد ، وابن عمها ورقه بن نوفل ... وتم اعلان عقد الزواج ، ودقت الدفوف ، ونحرت الذبائح ، وأطعم الناس ...

● نقطة التحول العظيم ●

واطمأنت بالرضا والاستقرار حياة محمد ...

ففى مكة بجوار الحرم الاقدس حيث دور قريش حافة بالمسجدالحرام، مستاثرة دون سائر القبائل بذلك الشرف الاسنى ـ أصبحت دار خديجة بيته الاول ...

وعلى امتداد خمسة عشر عاماً بعد ذلك ، وقبل موعد المبعث والجهاد قياما برسالة الاسلام ، شهد هذا البيت السعيد أهنأ وأرق السنوات فى حياة « محمد » زوجا وأبا ...

وخلال هذه السنوات ، اتم الله عليه وعلى زوجه نعمته ، فرزقهما من البنين القاسم ، وعبد الله ، ومن البنات زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ... ولقد احاطت بالبيت الهانىء سحابة ثقيلة من الحزن لموت الصغيرين العزيزين القاسم وعبد الله .. ولكن الرضا بمشيئة الله وقضائه كان ملاذا للتجمل والعزاء ...

وبلغت مسيرة الايام نقطة التحول العظيم ...

فقد حان موعد المبعث ، وتلقى « محمد » وحى السماء ليحمل الأمانة ويبشر برسالة الاسلام ...

ولم يكن ذلك الحادث الخطير فى حياته ، وحياة قريش والعرب ، بل وحياة الانسانية جمعاء (١) ، مفاجاة لمحمد ، فمنذ استقرت به الحياة فى رعاية زوجه الرءوم واعفته ظروفه

---

(١) ـ نساء النبى ـ للدكتورة بنت الشاطىء ، ط ـ دار الهلال ، القاهرة

المادية من عناء الكفاح اليومى ، اتيح له أن يستجيب لما فى نفسه من نزوع الى التأمل ، وميل الى التفكير المستغرق . وهى نزعة ظهرت فيه واضحة منذ الصبا ، ووجدت فى ساعات فراغه ـ ايام رعيه للغنم ـ مجالا رحبا ، ثم صرفه عنها كدح العيش ، لتعود فتظهر من جديد ، قوية أصيلة ، كأنما هى فطرة فيه ... »

● أضاءت صفحات التاريخ ●

وعندما فجاه الوحى ، وهو فى غار حراء ، وأصابه ما أصابه أول الأمر من الذهول والحيرة ، انطلق فى الفجر عائدا الى بيته يرتعد انفعالا وفزعا ، ثم اتجه من الفور الى حجرة خديجة يحدثها بما كان ، فضمته اليها تثبت فؤاده وتسكن روعه، وهى تهتف بكلماتها النبيلة التى خلدت فى كتب السيرة واضاءت صفحات التاريخ :

« ... الله يرعانا يا ابا القاسم ... أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .. والله لا يخزيك الله أبدا .. انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ... »

واطمأنت نفسه ، فاستراح واستسلم فى فراشه لنوم هادىء عميق ... بينما تسللت خديجة تغادر البيت مسرعة الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، تروى له ما حدث لزوجها ، فاهتز العجوز الحكيم حماسة وهتف مستبشرا : « قدوس ... قدوس ... والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى وعيسى وانه لنبى هذه الأمة ، فقولى له فليثبت ... »

وعادت خديجة بالبشرى الى زوجها الحبيب .

ثم اعلنت له ايمانها بدعوته ، فكانت بذلك أول من صدقه وآمن به..

● ذكرى خالدة فى القلب ●

توثق نزول الوحى ...

وقام محمد يجهر بالدعوة للاسلام..

واستيقظت قريش على صوت محمد يهزها ، ويعصف بهدوئها ، ويسرى فى شعاب مكة والبطاح ، فتحيط به المناوشات ، ويشتد من حوله صراع المعارك والمؤامرات ...

ورغم الأعباء والمشاغل الجسام ، تبقى لمحمد كل المزايا والشمائل التى احبته من اجلها خديجة... واستقرار حياته الخاصة فى بيته زوجا وفيا رقيقا محبـوبا ، وابا جم الرعاية والحنان ..

ولقـد توالت المحن والارزاء على محمد ، وصحبه خلال السـنوات العشر الاولى من عمر بعثته ، وتفاقم اضطهاد المعارضين لدعوته ... ورغم ذلك لم يهتز ايمان خديجة ولم يفتر تعلقها بزوجها ، لقد حرصت على أن تكون بجانبه دائما ، تسانده وتأسو بعطفها جراحه ...

وعندما قست قريش فى عدوانها حتى اخرجت بنى هاشـم والمطلب وحاصرتهم فى شـعب ـ ومنعتهم الماء والزاد ـ لم تتردد خديجـة فى الخروج مع زوجها ، لتكون بجواره تشاركه المحنة ، وتقاسى ما يقاسى من أهوال الحصار هو ومن تبعه من قومه.

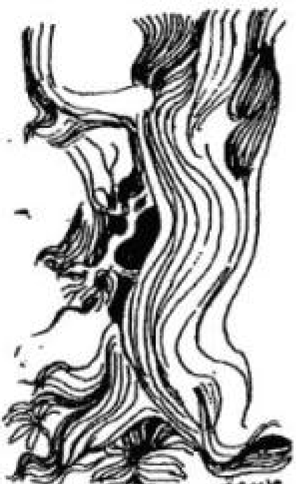
ومرت ثلاث سنوات عصيبة ، قبل ان يتحطم ويفشل الحصار امام مقاومة الصمود وصدق الايمان ... فعـاد محمد وعادت معه خديجة الى بيتهما فى مكة ، وكانت قد بلغت الخامسـة والستين ، ونال منها الاعياء والمرض، فلم تلبث بعد العودة غير أيام قلائل أسلمت بعدها الروح بين يدى الزوج الحبيب الذى اختارته، وعاشت لحبه، وكانت اول من صدقه وآمن بدعوته، ثم كانت له بعد ذلك ، وكما ذكر ابن اسحاق ـ شيخ كتاب السيرة ـ:

« وزير صدق على الاسلام » ...

وخلا البيت من خديجة ، ولم يخل من ذكرها قلب محمد ...

لقد وفى لها فى حياتها ، فلم يتزوج عليها .. ووفى لها بعد الموت فعاش بذكرها ...

وعندما أرسلت اليـه ابنته زينب



بقلادة قلدتها اياها أمها خديجة ، لتفتدى بها زوجهــا أبا العاص بن الربيع ، وكان قد أسر فى « بدر » ــ رق النبى لذلك رقة شديدة ٠٠ ثم قال لاصحابه : « ان رأيتم أن تطلقوا لها اسيرها ، وتردوا عليهــــا مالها ، فافعلوا ٠٠٠ »

وفعل الصحابة ما دعا اليه النبى الوفى ذو القلب الكبير ٠٠

وحتى بعد أن تزوج عائشة ، وهى آثر نسائه لديه، واجملهن، واصغرهن سنا ــ كان لا يفتأ يذكر خديجة ويثنى عليها ، فأثار ذلك غيرة عائشة ٠٠٠

ويروى ابن الأثير مســــندا الى عائشة أنها قالت :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجه فيحسن الثناء عليها ، فذكـرها يوما من الايام ، فادركتنى الغيرة ، فقلت : « هل كانت الا عجوزا ابدلك الله خيرا منهــــا ؟! » فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : « لا والله ما ابدلنى الله خيرا منها ، آمنت بى اذ كفر الناس، وصدقتنى وكذبنى الناس ، وواستنى فى مالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيـــــرها من النساء ٠٠٠ »

قالت عائشة : فقلت فى نفسى لا اذكرها بعد بسيئة ابدا » ٠٠

● أموالكم واولادكم فتنة ●

وفى حياته الزوجيـة السـعيدة مع خديجة ، كان أول أولاده هو القاسم ،

وبه كان صلى الله عليه وسلم يكنى ، فيقال : « يا أبا القاسم » ٠٠ وقد عاش القاسم حتى مشى ، ومات قبل المبعث

أما ولده الثانى عبد الله ، فقد ولد بعد المبعث ، ومات صغيرا ٠٠

وبناته الاربع : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ــ كلهن ولدن قبـل النبوة ، وادركن الاسلام ، وتزوجن، وهاجرن ٠٠٠



وقد تزوجت زينب ، ابن خالتها ابا العاص بن الربيع ، ولما أرادت قريش حمله على أن يطلق زينب نكاية فى أبيها محمد ، رفض ذلك أبو العاص رغم أنه لم يكن قد أسلم بعد ٠٠ أما رقية فقد ، تزوجها عثمان بن عفان ، فلما توفيت وراءه النبى حزينا (١) مهموما ، زوجه أختها أم كلثوم ٠٠ وكانت فاطمة عند زوجها على بن أبى طالب بالمحل الرفيع والمكان الممتاز »٠

« وفاطمة هى التى رزئت بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم دون غيرها من بناته ، فاتهن متن فى حياته » ٠٠٠

وقد رزقت فاطمة وعلى ، بالحسن والحسين ، وزينب ، وأم كلثوم ٠٠

وعندما ولد الحسن اختارا له اسم « حرب » ، وجاء رسول الله فقال : « أرونى ابنى ٠٠ ما سميتموه ؟ » قالوا : « حرب ٠٠٠ » فقال : «بل هو حسن » ٠٠٠

وحدث مثل ذلك عند مولد الحسين٠٠

ولقد كانت فاطمة عند أبيها النبى أحب أهله اليه ٠٠ ولم تكن أعباء الجهاد ومشاغله الجسام تصرفه عن رعايتها وتعلقه بمحبة أطفالها ، فكان يحلو له أن يدللهم ويداعبهم وربما كان يقف على المنبر فى المسجد فيقبل الحسن والحسين يمشيان ويتعثران ، فيسبقه حنانه اليهما ، وينزل من المنبر ليحملهما وهو يقول : صدق الله العظيم - « انما أموالكم وأولادكم فتنة ٠٠٠ »

وكان اذا سمع أحدهما يبكى ، نادى فاطمة ، وقال لها معاتبا :

ما بكاء هذا الطفل ؟ ٠٠ ألا تعلمين أن بكاءه يؤذينى ؟!

● أحب الناس الى ●

فى بيته الثانى بعد الهجرة الى المدينة - ومعارك الجهاد فى سبيل الدعوة يحتدم صراعها - دخلت حياة النبى زوجات عدة ، لكل واحدة أسباب وظروف هيأت او اوجبت زواجه بها ، وهن بعد خديجة أم المؤمنين الاولى : سوده بنت زمعة ، وعائشة

(١) الرسول فى بيته - للاستاذ عبد الوهاب حمودة - ط ٠ دار القلم

بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر ، وزينب بنت خزيمة، وأم سلمة بنت زاد الركب ، وزينب بنت جحش ، وجويريه بنت الحارث ، وصفية بنت حيي ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ومارية القبطية .. وميمونة بنت الحارث ...

لم يكن الامر مجرد رغبة فى تعدد الزوجات ، أو طلبا للتمتع بالحلال ، وكما ذكر الاستاذ عبد الوهاب حمودة فى كتابه الرسول فى بيته ، « فلقد راعى النبى صلى الله عليه وسلم المصلحة ، فى اختيار كل زوج من ازواجه ، عليهن الرضوان ، فى التشريع ، والتأليب ، والمودة ، والتأليف ، وكفالة الارامل والايتام .

« فجذب اليه كبار القبائل بمصاهرتهم ، وعلم اتباعه احترام النساء واكرام كرائمهن ، والعدل بينهن ، وقرر الاحكام بذلك ، وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الاحكام ما يليق بهن ، مما ينبغى أن يتعلمه النساء دون الرجال . ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغنى فى الامة غناء التسع » ..

وفى حياته معهن ، كان صلى الله عليه وسلم مثالا انسانيا عظيما فى حسن معاشرة الازواج بالمعروف ، والقسمة بينهن بالعدل فى المبيت ، والنفقة ، واللطف ، ومواجهة نوازع الغيرة وتقلباتها بالرفق والموعظة الحسنة ...

فى الصباح كان يزورهن للتوجيه والوعظ والتعليم ، وفى المساء للمجاملة والمؤانسة ... وكانت لعائشة بنت الصديق فى قلبه مكانة لم تتح لأحد من نسائه بعد خديجة .

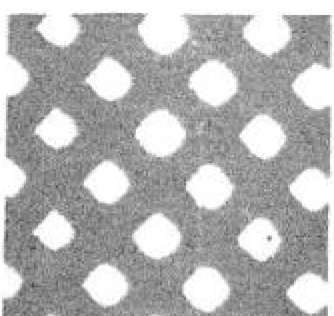
فهى أحبهن اليه ، وأكثرهن دلالا عليه وقد روى عنها قالت :

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعلم اذا كنت راضية عنى واذا كنت على غضبى ...

فقلت : مَنْ اين تعرف ذلك ؟

قال : أما اذا كنت عنى راضية فانك تقولين : « لا ورب محمد » .. واذا كنت على غضبى قلت : « لا ورب ابراهيم » .. فقلت أجل والله يارسول الله ، لا أهجر الا اسمك ..

وكانت عائشة تباهى ضرائرها بمكانتها فى قلب الرسول ، وترند فى مواجهتهن قوله عليه الصلاة والسلام : « حبك ياعائشة فى قلبى كالعروة الوثقى » .. كما كانت تروى لهن ما كان بين الرسول وعمرو بن العاص ، فقد قال عمرو يسأل : « يارسول الله ، من أحب الناس اليك ؟ » فأجاب الرسول : « عائشة »



... فقال عمرو : « انما اسأل من احب اليك من الرجال ؟ » ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أبوها » !

● انما أنا بشر ●

عندما سرت البشرى فى المدينة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ينتظر مولودا من زوجه مارية .

كانت قلوب زوجاته امهات المؤمنين تفيض غيرة وحيرة وقالت عائشة :

ما غرت على امرأة الا دون ماغرت على « مارية » وذلك انها كانت جميلة جعدة . فأعجب بها رسول الله ، وكان انزلها أول ما قدم بها فى بيت لحارثة بن النعمان . فكانت جارتنا ، فكان عامة الليل والنهار عندها ... فجزعت . فحولها الى العالية ، وكان يختلف اليها هناك . فكان ذلك أشد علينا ، ثم رزقه الله منها الولد وحرمناه منه ... »

وبينما كان رسول الله بين رهط من الناس فى حى بالمدينة ، جاءته البشرى : « يا رسول الله ، ابشر ... ابشر ! ولدت لك « مارية » الليلة غلاما ... » واستبشر الرسول فرحا، ثم نهض ينصرف الى بيته ، فهنأ « مارية » بولدها الذى أعتقها من الرق ، ثم قال وهو يحمل وليده بين يديه فى غبطة وابتهاج : وانى سميته باسم أبى « ابراهيم » ...

ومرت ايام وايام ... واقبل الرسول حاملا « ابراهيم » بين ذراعيه ، وتلطف يدعو عائشة : « انظرى يا عائشة الى شبهه بى ... » وقالت عائشة وهى تكابد حرقة الغيظ والغيرة : « ما أرى شبها ... » وابتسم لها الرسول وهو ينصرف بولده فيقول : انك والله قد غرت يا عائشة ...

ومرض « ابراهيم » ولما يبلغ العامين من عمره ، وبدات تنطفىء فى جسده الصغير معالم الحياة ، حتى أسلم الروح بين يدى أبيه وكان محزون القلب يقول من خلال دموعه :

« انا يا ابراهيم لا نغنى عنك من الله شيئا » ...

واقبل الفضل بن عباس فغسل الفقيد العزيز ، وحمل جثمانه الطاهر الى البقيع فصلى عليه النبى ، واضجعه بيده فى قبره ...

وخلال العودة الحزينة من جنازة ابراهيم ، غام الافق وانكسفت الشمس ، وتحاور الناس يقولون :

« انكسفت الشمس لموت ابراهيم » ... وسمعهم الرسول فالتفت يقول لاصحابه ومن حوله : « أيها الناس .. ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله ، ولا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ... »

واهتزت مشاعر الفضل بن عباس، حين رأى اثر الدموع فى عينى النبى، فهتف جزعا :

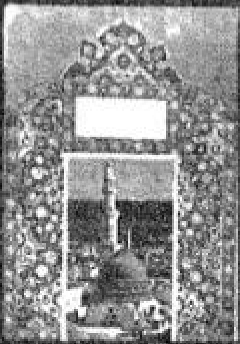
– يا رسول الله .. اتبكى ؟!

فقال الرسول : انما انا بشر ... تدمع العين ويخشع القلب ، ولا نقول ان شاء الله الا ما يرضى الرب ...

والله لولا انه اجل معدود ، ووعد صادق ، ووقت معلوم ، وان آخرنا لاحق باولنا ، لجزعنا عليه جزعا غير هذا .. انا عليك يا ابراهيم لمحزونون ...


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم الانتاج العربي المشرف للصناعة العربية
أحدث إنتاج على أسس علمية
مصنوع من الصاج المطلي بالمينا
شوايات
للحوم والدواجن
مقاسات وأحجام مختلفة
جذابة
اقتصادية
تعمل:
بالكهرباء
بأنابيب البوتاجاز
بالفحم
لاقت الشوايات اقبالا في الدول العربية الشقيقة
والشركة على استعداد للتصدير لمختلف بلاد العالم خصوصا الدول العربية الشقيقة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي / المحمودية - الاسكندرية
معرض البيع : ٤٥ شارع صفية زغلول بالاسكندرية

● الغلاف الأول ●



تصميم الفنان :
جمال قطب ..

● الغلاف الأخير ●



مئذنة مسجد الامير الصرغتمش»
بالقاهرة تصوير
الفنان : عبد الفتاح عيد

هل تعرف من القائل؟

١ - والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة .

● أبو بكر الصديق - عمر ابن عبدالعزيز - الامام الحسين

***

٢ - مدحت المالكين فزدت قدرا فحين مدحتك اقتدت السحابا

● البوصيري - اسماعيل صبري - أحمد شوقي

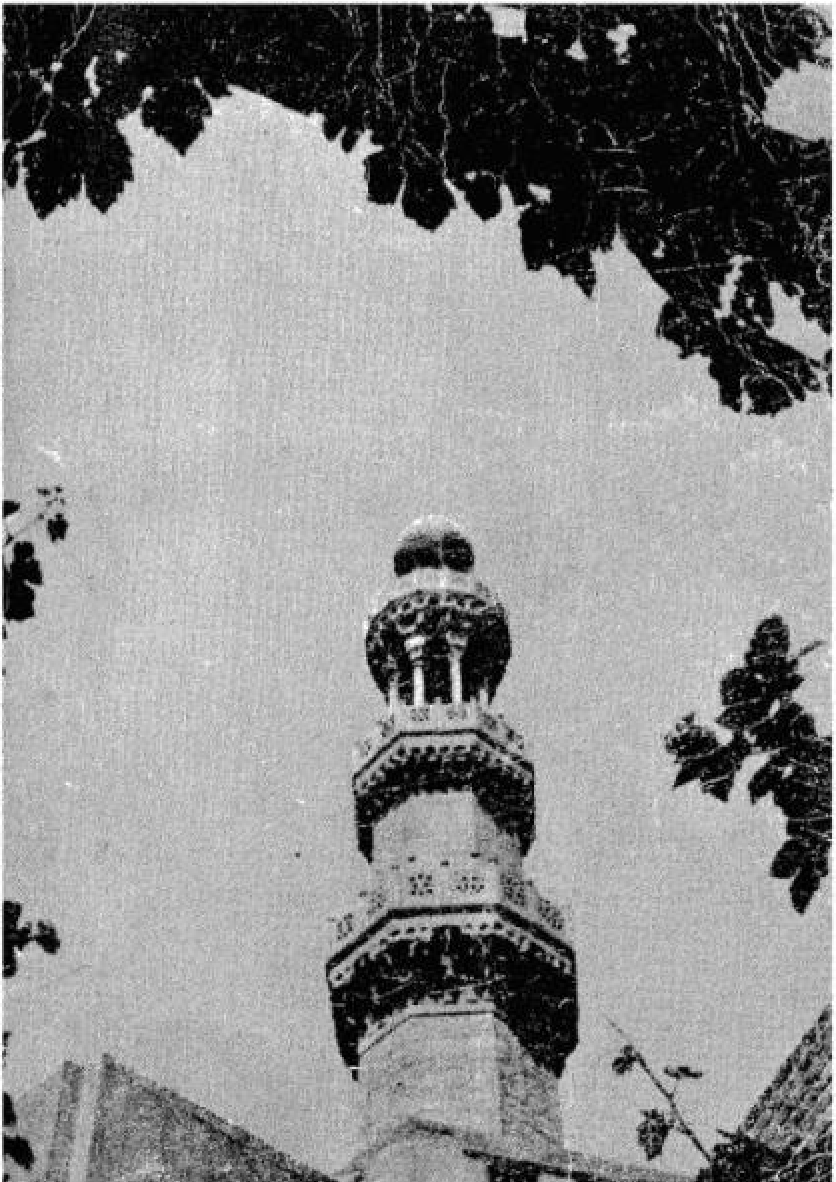
***

٣ - ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده

● عمر بن الخطاب - حديث شريف - الامام محمد ....

● الاجوبة ●

١ - أبو بكر الصديق
٢ - أحمد شوقي
٣ - حديث شريف



الهلال



الهلال

نوفمبر ١٩٧٢

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال -
العدد الحادى عشر -
السنة الثمانون -
اول نوفمبر ١٩٧٢ -
٢٥ رمضان ١٣٩٢

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم - ثمن الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر انحاء العالم « ونصف دولارات أو ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل الصرف فى ج. م. ع» - والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

د . يوسف عز الدين
الأدب المعاصر في العراق





ذكريات الصبا في الأزهر ...



د . عبد العزيز كامل
تسابيح الليلة المباركة

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

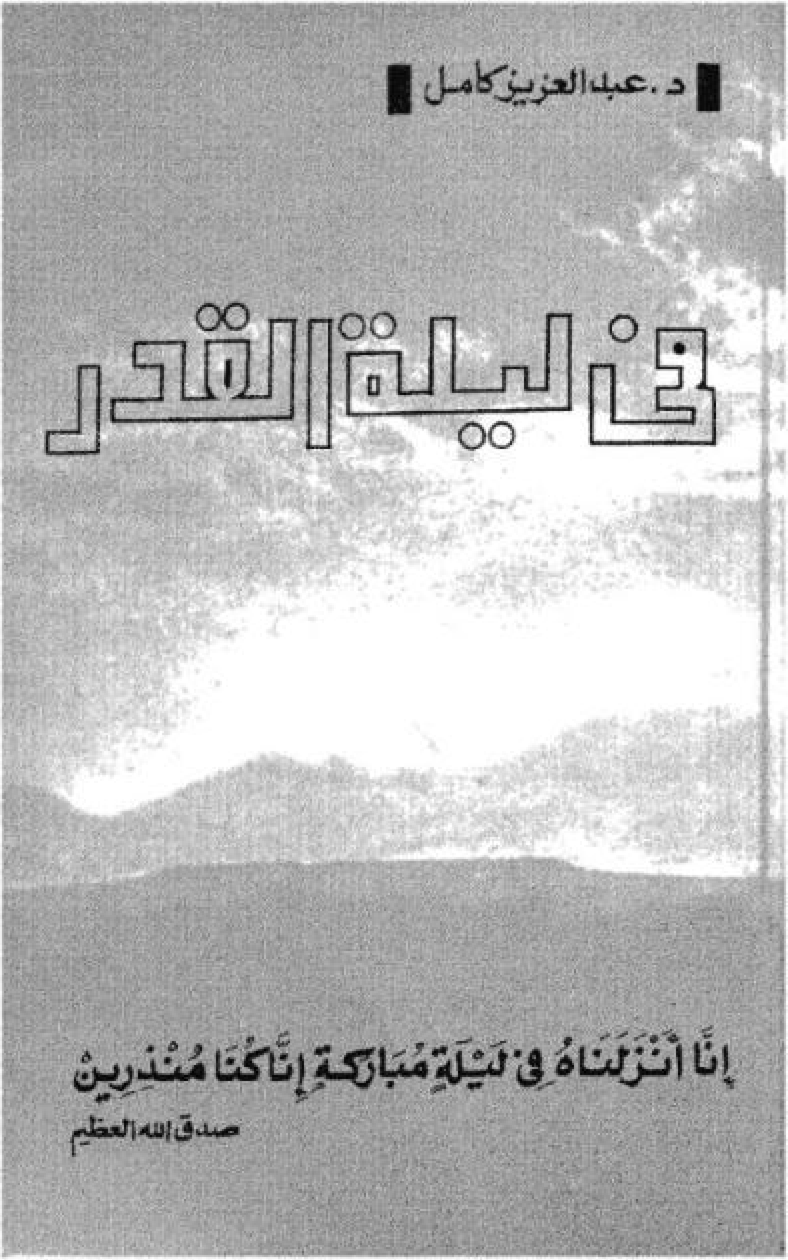
دعاء لسيلة المقتدر

اناديك يا من تلبى النـداء وادعوك يا مستجيب الدعاء
انلنا الأمانا
وسدد خطانا
وطهر حمانا من الاشـقياء بحقّ حبيبك فى الانبيـاء

***

ايرضيك يا صاحب القبلتين
قيـام اليهود على الحرمتين
مسار المسيح وجد الحسين
ونحن نلبيـك فى المشرقين
ونمنوا لذاتك ياذا الجـلال ونبذل ارواحنا فى النضـال
لنحمى حماك ونمحوا الضلال
فبسم محمد واسم المسيح
وبسم الأسير وبسم الجريح
وبالثار اقسـم لا يستريح
الى ان يحين انتقام السماء
اناديك يا من تلبى النـداء وادعوك يا مستجيب الدعاء
انلنا الامانا
وسدد خطانا
وطهر حمانا من الأشـقياء بحق حبيبك فى الأنبيـاء

● صالح جودت ●



د. عبد العزيز كامل

في ليلة القدر

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ

صدق الله العظيم

انا أنزلناه فى ليلة القدر

هناك ترابط بين ظاهرتين فى القرآن : نزول الوحى ، ونزول المطر.
الأولى حياة القلوب . والثانية حياة الأرض بعد موتها .

ولنستمع الى قول الله تعالى فى سورة الرعد :

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا . ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله . كذلك يضرب الله الحق والباطل . فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

ثم قوله تعالى :

« أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولو الألباب » .

ولنقف قليلا عند هذا التشبيه :

ينزل المطر فتحمله أودية تتباين ضيقا واتساعا . وتنزل أوامر الله فتحملها قلوب تختلف قوة وضعفا .

وفى تدافع المـاء يطفو الزبد ويلمع ويجتذب النظر ، ولا قيمة له ... بينما يحمل الماء الطين الداكن ويتعاونان معا على ايجاد التربة الصالحة ، وهى ما ينفع الناس .

وفى صناعة المعدن لحلية أو متاع يطفو خبث المعدن وهو زبد ، ويظل أفضل المعدن دون ذلك .

الزبد باطل . وهو يطفو على سطح الماء ، والتيار مندفع .

والخبث باطل وهو يطفو على سطح المعدن ، والنار مشتعلة .

كذلك باطل الحياة قد يطفو . باطل النـاس والقول . قد يدفعه التيار أو نيران الحياة الى السطح . ولكن فى الصراع بين الحـق



والبـــاطل يبدو قانون الهى . كذلك يضرب الله الحق والبـــاطل .
« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع النـــاس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » .

ولنا أن نرجع الى سورة البقرة لنرى نماذج من الترابط بين أمر الله والعمل به والنية فى الاقبال عليه :

فالذى ينفق ماله رئاء الناس ... « مثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا » .

والذى ينفق ماله خالصا لوجه ربه مثله « كمثل جنـــة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين . فان لم يصبها وابل فطل . والله بما تعملون بصير » .

هذا عن الوحى ، ونزوله ، والعمل به ..

خير من ألف شهر

ويوم نزول الوحى خير من ألف شهر ...

ويوم من الغيث خير من ألف شهر تتطلع فيها الأعين الى المطر ، انتظارا لرحمة السماء ...

ليلة القدر خير من ألف شهر .

ورحم الله أم المؤمنين أم سلمة حينما بكت عند موت النبى عليه الصلاة والسلام وعبرت عن جانب من ألمها فى قولها :

ـ انما أبكى لانقطاع خبر السماء .

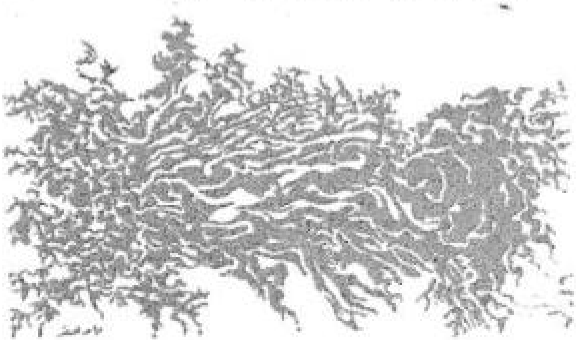
هذه هى الصلة الدائمة . وحى من السماء يتنزل فتلقاه القلوب الواعية حفظا وعملا ... كلامه أفضل الكلام . ويومه أفضل الأيام . انه صلة السماء بالأرض فما صلة الأرض بالسماء ؟ .

العبـــادة

فلنسمعها فى قول الله تعالى :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان . فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .



وليست هناك ليلة تقترب فيها السماء من الأرض كما تقترب ليلة القدر . ولا دعاء يرفع فى ليلة أفضل منها ..
ليلة القرآن والملائكة والروح والسلام ..

والعبادة فى الاسلام معنى شامل . انه قصد الله بأى عمل طيب . وكل منا يستطيع أن يعبد ربه حيث يكون . فى المحراب وفى الميدان فى قاعة العلم . فى جوف المنجم . فى الفضاء .

والدعاء قصد وتوجه نحو خزائن الله . ومفاتيحها طاهرة لايمسها الا المطهرون .

والدعاء والعبادة والعمل ـ كل أولئك تعبير عن الايمان .

أنها جميعا « الحركة الثانية » ، بعد « نزول الوحى »

من أجل ذلك نجد فى القرآن الكريم تشبيه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

الشجرة نتيجة الغيث وثمرته .

والدعاء نتيجة الوحى وثمرته .

كلاهما تعبير نبت من الأرض الطيبة والقلب الطيب . ومن نبينا تعلمنا « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا »

وبهذا تكتمل الدائرة نزولا من السماء وصعودا اليها ، وحى وعبادة . وتتمثل هذه « الدائرة » فى أروع صورها فى ليلة القدر ،

وتخبرنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن سؤالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دعاء ليلة القدر .

فيأتى رد الرسول الكريم .

ـ قولى : اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة .

ولك أيها القارىء الصديق أن تعرض عملك كله على هذا الدعاء ، عفوا عما فرط منك وأنت على الطريق . عافية فى أمر دينك ودنياك وأخراك .

سلام هى ..

والوحى والعمل والدعاء والعبادة ـ كل أولئك ينتظمه اطار كبير هو السلام .

والسلام فى الاسلام من أسماء الله الحسنى

وهو تحية المسلمين فى الدنيا .

وهو تحيتنا حين نختم الصلاة .

وهو دعاؤنا يوم الحج الأكبر : اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام ، فحسبنا ربنا بالسلام ..

وهو حديث أهل الجنة .. « لا تسمع فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما » ..

وهو تحية الملائكة للمؤمنين فى جنات النعيم .. « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » ..

ومن أجل السلام جاء الاسلام ..

وليلة القدر هى ليلة السلام ..

ولكن أى سلام نريد ؟

انما نريد سلاما قائما على العدل ... سلاما يباركه الوحى والملائكة والروح .

ومن أجل هـذا السلام نعمـل ونجاهد ونعد أنفسـنا سياسيا واقتصاديا وعلميا على أساس من هدى القرآن الذى جاء مصدقا لكل نبى ورسول ..

من أجل السلام القـائم على العدل . نعمل لاسترداد القـدس الأسير والأرض السليبة وحقوق شعب فلسطين .

ومن أجل السـلام القائم على العدل ننصر كل مظلوم ، ونتعاون مع كل يد حرة شريفة . حتى يطلع الفجر ... فجر العدل والسـلام .

تدور مع العام

وهذه الليلة مع فضلها تدور مع العام • تأتينا صيفا وشـتاء ، تطول وتقصر .. ونحن نلتمسها فى العشر الأواخر من رمضان . ولك أن تربط هذا بأوقات الفضـل فى الدعاء ، ستجدها هى الأخرى دائرة مع العام أو مع اليوم أو مع العمل ..

وكل أولئك يدعوك دائما الى أن تعمل دون أن تقصر جهدك على يوم أو ليلة .

وما دمت تحمل بين جنبيك روح القرآن فأنت تحمل بين جنبيك روح هذه الليلة المباركة . فما تقرب عبد الى الله بأفضل مما جاء من الله .. وهو القرآن الكريم : تدارسا وعملا وصياغة للحيـاة على أساس من هداه الكريم .

وان أمة تقوم بهذا كله تكون أمة « القدر » التى استفادت من « ليلة القدر » .



سالم محمود اليمانى
أمين محافظة سيناء

شهدت دار الاتحاد الاشتراكى العربى بالقاهرة فى الشهر الماضى اسبوعا حافلا ، انعقد فيه اول مؤتمر للتثقيف واحتشدت فيه القيادات من جميع المحافظات ، وعقدت فيه عدة ندوات جامعة للتوعية فى كثير من قضايا الساعة، ودراسات لفكر العدو الاسرائيلى .. وننشر فى هذا العدد خلاصة اثنين من اهم البحوث التى دارت فى هذه الندوات عن سيناء، وعن الوحدة الوطنية ..

سيناء ومحاولات العزلة المصرية

ان التأمل في تاريخ مصر قديمه وحديثه يخرج بحقيقة مفادها أن سيناء كانت في أكثر عصور التاريخ ، بل كانت بعد الاسلام في كل العصور تابعة لمصر وجزءا متمما لهـا غير منفصل عنها .

وتشهد بذلك آثار مصر الفرعونية الباقية فيها من عهد الاسر (الدول) العشرين الاولى المصرية منذ سنة ٥٢٩١ ق.م وحتى ١٩٥٦ ق.م اذ انه منذ عصر الاسرة الاولى على الاقل « ٣٠٠٠ ق.م » ، كانت سيناء داخلة ضمن حدود مصر ولا تخلو سجلات الفراعنة من ذكر الحملات التي ارسلها ملوك تلك الاسر لاستخراج المعادن من سيناء لاسيما النحاس والفيروز من وادى المغارة جنوب سيناء ..

كما كانت تلك الاسر تحتفظ باستمرار بنقط دفاعية على الحدود قرب رفح وفي غزة نفسها التي اثبتت حفائر تل العجول قربها والتي قام بها الاثرى البريطاني « فلندر بترى » ونشر نتائجها سنة ١٩٣١ ان غزة كانت حامية مصرية امامية ..

وبانتهاء عصر الفراعنة تملك اليونان مصر وسوريا على يد الاسكندر المقدونى سنة ٣٣٢ ق.م. ثم تغلب الرومان على البطالمة في مصر والسلوقيين في سوريا فملكوا سوريا سنة ٦٤ ق.م. ومصر سنة ٣٠ ق.م.

ثم جاء الفتح الاسلامي في عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب وبقيادة عمرو بن العاص لفتح سوريا سنة ٦٣٨ م ومصر سنة ٦٤٠ م عبر سيناء وعن طريق الفرما على الساحل الشمالي لها ..

ثم كانت سيناء هي الطريق الذى سلكه العرب في العصور الوسطى لتبديد احلام الصليبيين وامالهم .. اذ عبرتها جيوش صلاح الدين الايوبى لتحرز الانتصارات الكبرى التي توجت باسترداد بيت المقدس وتحريره سنة ١١٨٧ من بين براثن الصليبيين .. كما عبرتها جيوش الملك قطز والظاهر بيبرس لتصد التتار في عين جالوت سنة ١٢٦٠م .

ولما تولى محمد على ١٨٠٥ - ١٨٤٨ م مصر كانت سيناء ضمن ما دخل في حوزته من املاك مصر وكانت مدينة الطور تابعة الادارة لمحافظة السويس وقلعة نخل وغيرها من القلاع الحجازية ملحقة بقلم الرزمانة بالمالية المصرية ونظارة العريش تابعة رأسا لنظارة الداخلية المصرية .

كانت سيناء قبل سنة ١٨٨٢ م (بداية الاحتلال البريطاني) امتدادا بل وجزءا من مديرية الشرقية والدليل

الاستعمارية

● وثيقة خطيرة للمخابرات البريطانية تكشف المحاولات البريطانية الصهيونية لفصل سيناء عن مصر



على ذلك أنه يوجد رهط كبيـــر من قبائل البدو ممن يقطنون بجهة (قطية) وقطية بسيناء لهم أبناء عمومة بجهة بلدة القطاوية مركز أبو حماد شرقية وانهم لايزالون يتزاورون حتى الان وبينهم أقوى الروابط ..

ولما دخلت انجلترا مصر فى سنة ١٨٨٢ م باســم حماية الخديو والصالح الاوربية تحت زعم مفاده أن الاحتـــلال مؤقت ، ثم لم تلبث أن امسكت بيـــدها السلطة الحقيقية فى البلاد رغم ابقاء العـــلاقات الرسمية بين مصر وتركيا ..

طابة : أو أزمة العقبة

وفى سنة ١٩٠٦ نشبت ازمة عرفت باسم حادثة طابة أو أزمة العقبـــة حينما أراد السلطان عبد الحميد أن يجعل من خليج العقبة بحرا تركيـــا وذلك لتأمين فرع سكة حديد الحجاز وذلك بابعاد مصر الخاضعة للنفـــوذ البريطانى حينئذ عن مداخله وساحله الغـــربى خاصة وأن سيناء متصلة بطريق الحج بين مصر والمدينـــة المنورة ..

فقام السلطان عبد الحميد باجراء بعض التعديلات على حـــدود الولاية المصرية سلبتها من ادارة المراكز التى كانت ممنوحة لها شرقى خليج العقبة (وهى طابة والمويلح والعقبة) طبقا لنص فرمان يونيو سنة ١٨٤١ وظلت هذه البلاد تدار من قبل الولاية المصرية حتى سنة ١٨٩٢ م ثم تم الاتفـــاق اخيرا بين الجانبين التركى من جانب والمصرى والانجليزى من جانب اخر على تشكيل لجنة لتحديد الحـــدود المصرية اتمت أعمالها فى أول اكتوبر سنة ١٩٠٦ ..

وعينت الحدود بتحديد خط ادارى فاصل بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وشبه جزيرة سيناء جعل كل شبه جزيرة سيناء ملكا لمصر بما فى ذلك مدينة طابة وامتد خط الحدود من رفح فى خط مستقيم الى رأس خليج العقبة وبقيت شبه جزيرة سيناء جزءا لا يتجزأ من الاراضى المصرية كمـــا كان شأنها دائما منذ أقدم العصور .

المخطط الاستعمارى الصـــــهيونى

منذ جاء الاحتلال البريطانى لمصر سنة ١٨٨٢ وهو يعمـــل دوما على تحقيق عزلة كاملة لهذا الجزء الغالى من أرض الوطن « سيناء » أرضـــا وبشرا ، ويتضح ذلك من تبعية سيناء اداريا لادارة الاستخبارات البريطانية حتى سنة ١٩٠٦ ، وحادثة الحـــدود المشهورة « طابة » والتى على اثرهـــا انشئت مصلحة اقسام الحدود لادارة مناطق الحـــدود المصرية الممثلة فى اربع محـــافظات هى سيناء ، مرسى مطروح ، البحر الاحمـــر ، الوادى الجديد التى تحولت فيما بعد الى سلاح الحدود ..

واذا كان الغرض من انشاء مصلحة اقسام الحدود (سلاح الحدود) فيما بعد يتضمن فى ظاهره احاطة مصر بسيـــاج مانع من شأنه تحقيق أمن وسلامة البـــلاد والضرب على أيدى العابثين من المهربين وغيرهم وهـــذا أمر نحمده كل الحمد باعتباره قمة الامل المرجو والمبتغى من كل وطنى غيور على مصلحة البـــلاد حتى لو أدى ذلـــك للتضحية بمصـــالحه الشخصية ..

كان هذا هو المعنى الظاهر ..
أما الحقيقة المرة فهى أن بريطانيا كانت تنفرد بادارة سيناء بصفة خاصة وهى تحت ادارة مصلحةاقسام الحدودالمصرية منذ سنة ١٩٠٦ وحتى سنة ١٩٤٦ حيث كان محافظوها من الانجليز وهم كولونيل باركر ١٩٠٦ ـ ١٩٢٣ ـ وثانيهم جارفس ١٩٢٣ ـ ١٩٣٦ .. ثم همر سيلى باشا ١٩٣٦ ـ ١٩٤٦ ..

وخلال هذه الفترة كانت سيناء تابعة اسما للادارة المصرية وفعلا وحقيقة للادارة الانجليزية بما يحقق عزلتها عن بقية أرض الوطن والادلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

١ ـ كانت سيناء المصرية أرضا حراما على المصريين ومحظور دخولها الا بتصاريح خاصة من مصلحةاقسام الحدود ذات اجراءات معقدة الى درجة كان يفضل الزائر معهاالاحجام على الاقدام لزيارة هذه المنطقة ..

٢ ـ ابناؤها المصريون (ابناء سيناء) كانت لهم تصاريح خاصة مخالفة تماما للبطاقات الشخصية والعائلية التى يحملها بقية أبناء مصر تسمى (بالهوية) .

٣ ـ عدم التفكير فى انشاء أى مشروعات اقتصادية فى البلاد واظهار أهلها من البدو والحضر بمظهر الكسالى والاكتفاء بتوزيع بعض الهبات القليلة مما يأكل الحيوان ، كالشعير والذرة العويجة ، بطريقة لا تتناسب مع الآدميين الذين أطل عليهم القرن العشرون بعلمه الزاخر ومدنيته الحديثة ..

٤ ـ كانت العملة المتداولة فى شبه جزيرة سيناء هذه الاثناء هى العملة الفلسطينية والمصرية وكذلك كانت المكاييل والموازين والمقاييس فلسطينية .. وكان معظم أهل سيناء يعتمدون أساسا فى مورد رزقهم على فلسطين فيما يسمى رحلة الشتاء والصيف اذ كان أهل سيناء يذهبون مع موسم الحصاد من كل عام الى فلسطين ليشاركوا بجهدهم وكدهم أصحاب الارض فى فلسطين فى حصاد القمح ودرسه ثم يأخذون نصيبا لقاء هذا الجهد ولم تتوقف هذه الرحلة الا فى أعقاب حرب سنة ١٩٤٨ .

٥ ـ كانت أسمعها دوما وكانت تؤلمنى كثيرا ما كان يتردد على ألسنة أبناء سيناء المصريين من قولهم على أى موظف قادم للعمل بأرض سيناء من وادى النيل ، هذا مصرى ، لقد كانت تفرقة بين أبناء الوطن الواحد ولكن كان الزيف فى ذلك على الاستعمار الذى صنع هذه التفرقة ..

٦ ـ انخفاض المستوى التعليمى خلال هذه الحقبة الى درجة كان يمكن القول معها مجتمع تسوده الامية والقبلية ، وتحضرنى فى هذا المجال واقعة مازلت أذكرها ، كان والدى الامى عمدة لقبيلة البياضية بسيناء ، وكان يقطن فى منطقة بئر العبد بين العريش والقنطرة شرق ، وكان يقيم

اثار المعارك على ارض سيناء



فى مكان يبعد عن محطة القطار « بئر العبد » بحوالى ٢٠ كم وكان كلما اتته مكاتبة من محافظة سيناء ارسل احد رجاله راكبا جملا ليقرأ ناظر المحطة مضمون الرسالة ليفهمه ما بهـا ، ثم يعود الرجل لوالدى ناسيا ثلاثة ارباع الرسالة الامر الذى جعله يعلم ابناءه جميعا .

٧ - عدم قيد المواليد حتى لقد كان معظم ابناء سيناء من ساقطى القيد باستثناء ابنائنا فى الحضر كالعريش والقنطرة اما السواد الاعظم فقد كان كما مهملا ...

عزلة لم تكن عفوية

والسؤال الذى يطرح نفسه : هل كانت عزلة سيناء من جانب المستعمر البريطانى عملية عفوية او أنها كانت مخططا استعماريا مشتركا بين بريطانيا والصهيونية لا نجد ادنى صعوبة فى التدليل عليه كما يلى :

١ - فى سنة ١٩٠٢ وقت أن كانت سيناء تابعة لادارة الاستخبارات البريطانية جاءت لجنة « هرتزل » نبى الصهيونية الى ساحل سيناء الشمالى واجرت عليه معاينة بقصد امكان انشاء مستعمرات صهيونية استيطانية حتى اذا ما جاءت الغزوة الصهيونية الى ارضنا وجدت كل شىء معدا .

٢ - وعد « بلفور » الشهير وزير خارجية بريطانيا الاسبق فى ٢ مايو سنة ١٩١٧ بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود وهو الوعد الذى قطعته

سهرات المساء فى سيناء يلتقى فيهـا ابناء الاسرة الواحدة



بريطانيا على نفسها لتمكين اليهود من جمع شتاتهم بارض الميعاد فى مقابل مساعدة اليهود للانجليز فى الحرب العالمية الاولى ٠

٣ ـ تقرير المخابرات البريطانية عن مستقبل سيناء سنة ١٩١٩ الذى أعده ضابط المخابرات البريطانى (م ـ تسهاجن) زميل ضابط المخابرات البريطانى الشهير (توماس ٠ ١٠ لورانس) الموجه للمستر لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩١٩ والذى جاء فيه :

«عزيزى رئيس الوزراء » ٠٠

لقد طلبت منى أن ارسل اليك تقريرا عن مستقبل سيناء وهى مسألة سوف تكون لها أهمية كبرى فى السنوات القادمة ـ **اننا لا نستطيع البقاء فى مصر للابد ٠ واذا نجح اليهود فى مشروع هجرتهم فسيكون عليهم ان يعملوا على توسيع رقعتهم ولن يكون ذلك الا على حساب العرب ومعنى ذلك سفك الدماء ٠**

« اننا لا نستطيع ان نكون اصدقاء اليهود والعرب فى نفس الوقت ، ولذلك يجب الا نتردد فى مصادقة الذين يدينون لنا بالكثير ويمكن ان يكون مخلصا لنا وهو الشعب اليهودى ٠ ولكن مصر بحكم وضعها ستكون العدو للدولة اليهودية » ٠٠٠

ويستطرد ضابط المخابرات البريطانى فى رسالته :

« وأصل الآن الى مركز فلسطين بالنسبة لمصر ٠ ان امتياز قناة السويس سينتهى بعد ٤٧ سنة (١٩٦٧) وهناك احتمالات كثيرة بأن نفقد مركزنا أيضا فى الشرق الاوسط فلو استطاعت انجلترا من الان أن تضم اليهم سيناء فسوف نجنى المزايا التالية :

أ ـ نقيم منطقة فاصلة بين مصر وفلسطين اليهودية ٠

ب ـ يمنح هذا الوضع انجلترا مركزا قويا فى شرق البحر المتوسط وفى البحر الاحمر معا ٠

جـ ـ ويمنحنا ذلك قاعدة استراتيجية يمكن بموافقة اليهود ان نقيم فيها أفضل ميناء فى المنطقة ، الامر الذى يجعلنا نتمكن من احباط أى خطة مصرية ضدنا فى القناة ، كما يتيح لنا عند اللزوم حفر قناة موازية تصل البحر الاحمر بالبحر الابيض ٠٠

د ـ لايمكن أن تقوم أية مشكلة قومية فى سيناء لان أهلها بدو رحل ولا يتجاوز عددهم بضعة الاف ٠ »

وقد تأيد ذلك بما رددته اذاعة بريطانيا فى أعقاب عدوان ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ حينما اقترح عدد من أعضاء مجلس العموم البريطانى توطين الفلسطينيين فى سيناء بمعونة دولية كحل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ٠

٤ ـ ما ورد على لسان مستر « جارفس » محافظ سيناء الاسبق فى مؤتمر لندن سنة ١٩٣٩ من أن سيناء أسيوية وسكانها اسيويون ولا بأس من أن يستضيفوا لديهم اليهود ليعيشوا معا على ارض واحدة ٠

فى سنة ١٩٤٦ تم تعيين أول محافظ مصرى لسيناء فى ظل ادارة سلاح الحدود ، ولقد استبشرنا واستبشرت جماهير سيناء كلها بالخير بعودة الوطنية المصرية لادارة البلاد الا انه قد ثبت أن الادارة البريطانية قد انتهت من سيناء بأشخاصها ولم تنته بفكرها وأساليبها ٠

فقد ظلت سيناء كما هى مغلقة تماما على أبنائها رغم النداءات والصيحات العالية لابنائها بضرورة الانفتاح على الوطن الام مصر ليحل التعمير محل التدمير والعلم محل الجهل والنور محل الظلمة ولكن دون جدوى ٠

وشهادة لله فانى لا احمل المحافظين من أبنائنا المصريين فوق طاقتهم ولا اختلق لهم من الاسباب ما يمكن القول معه بأنهم قصروا فى ادارتها

ـ ذلك انهم كانوا يعملون بقدر الامكانيات المتاحة لهم وقد كانت اكثر من قليلة .

ولقد استطاع بعضهم أن يرتقي بتلك الإمكانات المحدودة في النهوض بعض الشيء بسيناء واهلها ولكن ذلك لم يحقق الأمل المرجو في مواجهة المخطط الاستعماري الصهيوني الضالع وهكذا .

ولقد ترتب على ذلك كله أن بقيت أرضنا الطيبة سيناء على كنوزها الوفيرة وثرواتها المتعددة صديقة للفقر والجدب معا اللهم الا اذا كانت تمطر السماء ليختلط الماء بارضها فتبوح بالقليل من أسرارها في مجال الزرع والضرع وقليلا ما كان يحدث ذلك ..

هذا عن الارض أما عن أهل سيناء فقد تخلفوا عن الركب اقتصاديا واجتماعيا وفكريا الامر الذي ادى الى اضعاف المواطنين بها فقد حاول عديد من ابنائها تركها الى بلاد اخرى داخل وادي النيل طلبا للعيش وسعيا للرزق رغم انها أحب بلاد الله اليهم .

سيناء وثورة ٢٣ يوليو

ما أن قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ حتى بدا نورها يشع على كافة أرجاء مصر وبصفة خاصة عبر سيناء ، وقد استطاعت الثورة أن تحدث تغييرا شاملا في مجتمع سيناء ...

زاد عدد المدارس الابتدائية والثانوية حتى لقد شمل الجزيرة باكملها باستثناء بعض الجهات النائية بها وقد ظهرت المواهب الممتازة لابناء سيناء الذين اظهروا تفوقا يفوق حد الوصف ونبوغا في شتى المجالات وفي ميادين العلوم والطب والهندسة والقانون . وقد اكتشف ابن من أبنائها « منجم الفحم » بالمغارة واستحق جائزة الدولة التشجيعية من



الرئيس جمال عبد الناصر ـ وهو الجيولوجي درويش مصطفى الفار

وفي المجالات الاجتماعية : ازداد نشاط أبناء سيناء بسبب قيام الثورة ببعض مشروعات التعمير في سيناء كتعمير الصحاري ومشروعات التعدين والزراعة ، وكان آخر مشروع هو ادخال مياه النيل تحت قناة السويس لري ٢٠٠٠٠ فدان على الضفة الشرقية من قناة السويس ، وقد تم بالفعل لولا عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ الذي حال دون استمراره .

وبهذه المشروعات وغيرها يبدو الفارق واضحا وملموسا قبل وبعد الثورة فيما يتعلق بالحالة الاجتماعية لابناء سيناء ...

وفي مجال الصحة : انشئت المستشفيات في المدن ، واما بالنسبة للجهات الصحراوية النائية فقد قامت المستشفيات المتنقلة بتأدية واجبها بين ربوع البدو في الصحراء واخذت تعمل على تحسين الناحية الصحية ونشر الوعي الصحي بين المواطنين وتسجيل المواليد ، بعد ان كان ذلك أمرا غير موجود على اطلاقه .

وكثير كثير من المنجزات التي كان لها في نفوس ابناء سيناء اكبر الاثر، وهنا يثور في الذهن سؤال :

هل كان ما قامت به الثورة كافيا لمقابلة المخطط الاستعماري الصهيوني في سيناء ؟؟ والجواب طبعا انه على الرغم من قيام الثورة بواجبها في سيناء الا أن ذلك لم يكن بحيث يمكن أن يسوى بينه وبين المخطط الاستعماري الصهيوني المقابل . والدليل على ذلك ما يلي :

١ ـ بقيت سيناء كما هي في شبه عزلة عن أرض مصر تحت ادارة سلاح الحدود .

٢ ـ بقيت الاوضاع القديمة كبقائها ، منطقة حرام ، لا يدخلها المصري الا بتصريح يجعله يؤثر الاحجام على الاقدام بسبب اجراءاته الروتينية المعقدة .

٣ ـ كانت مشروعات التعمير في سيناء اذا ما قيست بالنسبة لارض مساحتها ٦٠٫٠٠٠ كم٢ لا تساوى الا النذر اليسير .

٤ ـ حينما طبق نظام الادارة المحلية على مصر سنة ١٩٦٠ طبق على جميع المحافظات عدا محافظات الحدود الاربع . ولقد طلبنا ابانها من خلال تنظيم الاتحاد القومي السابق ضرورة تطبيق هذا النظام على جميع هذه المحافظات ومن بينها سيناء على اساس عدم جدوى التفرقة بين ابناء الوطن الواحد وعلى اساس آخر واهم هو ان الادارة المحلية تعني موازنة مستقلة لكل محافظة تدير من خلالها كل شئونها ومن بينها التخطيط للمشروعات التي تعود على المحافظة بالنفع والخير .

وقد اصطدم رأينا ابانها بأن امن قواتنا المسلحة يقتضي التريث في تطبيق هذا النظام على محافظات الحدود حاليا ، وان كان المؤتمر قد أصدر توصية في نهاية انعقاده مفادها ، بصير تطبيق نظام الادارة المحلية تدريجيا في محافظات الحدود ، ثم طبق هذا النظام بعد ذلك على جميع محافظات الحدود عدا سيناء الذي لم يطبق عليها حتى عدوان ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ .

وهكذا ظلت سيناء مختلفة عن بقية المحافظات ، ومحظور دخولها على ابنائها المصريين .

واذا كانت المبالغة في الحيطة واجراءات الامن من جانب المسئولين بسبب متاخمة هذا الجزء من أرض مصر « سيناء » الى حيث يقطن العدو الاسرائيلي .. الامر الذي ادى الى تركه على ما هو عليه من سنين طويلة بلا تعمير ـ فان من واجبنا أن نسأل أنفسنا هل فعل العدو ما فعلناه عن طريق ترك مواقعه وأرضه المتاخمة لسيناء بلا تعمير ؟ .

والجواب طبعا لا ... فلقد كان العدو حريصا دائما على تعمير كل مواقعه المتاخمة لسيناء .

على رمال سيناء

على اثر القرار التاريخي الخطير الذي أعلنه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر في ١٩٥٦/٧/٢٦ بتأميم قناة السويس ، جن جنون الاستعمار وقامت ثلاث دول بالعدوان علينا هي بريطانيا وفرنسا واسرائيل . ولكن الارادة الصلبة لشعبنا الاصيل كانت اكبر من هذا العدوان الثلاثي الذى مني بالخزى والهزيمة والعار .

ثم تلا ذلك عدوان ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ او ما سمى بحرب الايام الستة وانتهى باحتلال اسرائيل لاجزاء من اراضي ثلاث دول عربية (مصر ، والاردن وسوريا) وللانصاف فانه يمكن القول بأن هذا النصر الخاطف لم تحققه اسرائيل بل حققته الولايات المتحدة الامريكية التي تعتبر اسرائيل ولايتها الواحدة والخمسين .

لكن الذي يعنينا من التعرض لهذين العدوانين هو سيناء وقواتنا المسلحة ابانهما . فلقد حارب ابناؤنا معارك صعبة على رمال سيناء زاد من صعوبتها ان أرضنا القاحلة كانت اصعب واقسى على محاربينا من العدو نفسه ومن سلاحه المتقدم بسبب



بنات سيناء يقدمن ابدع المنتجات من الصناعات اليدوية

مساحاتها الشاسعة ، والدليل على ذلك أن كتبت السلامة لقواتنا العائدة عبر الاماكن العامرة الآهولة بالسكان وما اقلها .

وكان العكس لتلك التى . دت عبر الاماكن المقفرة وما اكثرها .

[illegible] من [illegible] الخالد

ويجرنى الحديث عن العدوانين المذكورين ، وقد قدر لى أن أشهدهما على أرض سيناء وأن أعيش أحداثهما الى التحدث – فى عجالة – عما لا يجب الحديث عنه تفصيلا حتى يحين الوقت ليأخذ كل ذى حق حقه تكريما وتقديرا .

بطولات نادرة ، وتنافس بغير حدود تحت شعار طبقه اهالى محافظة سيناء ! (كل مواطن من سيناء جندى بالقوات المسلحة – وكل جندى بالقوات المسلحة مواطن فى سيناء) .

بذل دونه كل بذل وتضحية دونها كل تضحية ايمانا بالله وبالوطن – ومن عجب أن هذا البذل وهذه التضحية كنت تراهما من الكبير والصغير . من المرأة والرجل . من الموسر والمعوز .

وفى أعقاب عدوان سنة ١٩٥٦ ظفرت بورسعيد المدينة البطلة بأكبر قدر من التكريم عن طريق وسائل الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة ، بينما بقيت سيناء وأهلها فى نطاق عزلتها وبغير حديث عن بطولات أبنائها ، ولو أن ما قاموا به هو من أوجب واجباتهم ، والقاعدة أنه لا شكر على واجب .

الامر الذى كان له أسوأ الاثر على نفوس الاهلين بها اذ كيف لم يمجدوا أسوة باخوانهم فى بورسعيد الباسلة .

وخلال المؤتمر القومى العام للاتحاد القومى السابق للجمهورية العربية المتحدة ابان الوحدة سنة ١٩٦٠ زارنا السيد الزعيم الخالد جمال عبدالناصر فى لجنة التوجيه القومى ، **وقد كنت أحد أعضائها ، فتوجهت لسيادته بسؤال : « لماذا لم تكرموا سيادتكم سيناء كما كرمتم بورسعيد فى أعقاب العدوان الثلاثى ؟ »**

وأجاب سيادته : « ان أهالى سيناء ابطال ، وانهم قد ضحوا مع قواتنا المسلحة وعرضوا أنفسهم للقتل والتعذيب فى أحلك الظروف ، وقد قلت مسبقاً انهم عملوا وانهم ابطال » وهذه شهادة تكريم وتقدير من القائد كان لها فى نفوس أهالى سيناء أحسن الاثر وانعكست فى مزيد من التفانى والبطولات النادرة ، من أبناء سيناء مع قواتنا المسلحة فى عدوان ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ .

المخطط الاسرائيلى فى سيناء

للوهلة الاولى منذ تحقق لاسرائيل هذا النصر الخاطف فى أعقاب حرب الايام الستة ، بدأ القادة الاسرائيليون ينتهجون سياسة بناء المستعمرات الاستيطانية فى أجزاء عديدة من أرضنا الحبيبة سيناء ، بعد أن طردوا عديداً من أبنائنا بالارض المحتلة من أرضهم العامرة الى الاراضى المقفرة ، وهى مستعمرات زراعية ومستعمرات لصيد الأسماك كتلك التى أنشئت عند مصفق، على بحيرة البردويل وسميت « بنحاليم » . كما بدأوا يستغلون المناطق السياحية بأرضنا الحبيبة سيناء ، ويشقون الطرق وخاصة فى الجزء الجنوبى كالطريق من ايلات الى شرم الشيخ ، ويقيمون الفنادق السياحية ويستغلون آبارنا من البترول بأكبر طاقة ممكنة .

وحاولوا ومازالوا يحاولون سياسة التودد والتقرب من الاهل فى سيناء على غرار السياسة الاستعمارية الانجليزية القديمة فى سيناء أيام المحافظين الانجليز ، حينما كانوا يصدرون أوامرهم الى الوكلاء المصريين بعدم تلبية مطالب أهل سيناء الذين كانوا يذهبون بعد ذلك للمحافظ الانجليزى فيجيبها فتحدث الفجوة بين ابن سيناء المصرى ووكيل المحافظة المصرى بسبب عدم اجابة المطالب ... والامر كذلك بالنسبة لجلوب باشا الملقب بـ « أبو حنيك » ، قائد القوات الاردنية الذى كان يجلس الى بدو الاردن فى دواوينهم ويجيد العربية بطلاقة كما يتحدثها بدو الاردن ، حتى لقد أعجبوا به ونظموا فيه القصائد الرنانة نذكر منها :

باللى تبشر بأبجتنا
علوك اليوم كذابه
يسلم أبو حنيك لاعزتنا
وان حتى عطوينا اجابه

واسمعوا بعض ما كان يقوله هذا القائد المحنك لبدو الاردن :

« حنا بالعرب زينين وما مخسرتنا غير الدول الاجنبية »

فيساله البدو « وايش هى الدول الاجنبية يابو حنيك »

فيجيبهم : « تراها مصر والسعودية »

ولكن رغم كل محاولات العدو لاستقطاب الاهل فى سيناء فانتائجها باءت بالخيبة والخزى ، فان جماهير سيناء المؤمنين بربهم ووطنهم ومصرهم الخالدة يتحدون بعزائم صلبة يقلقها ايمان قوى لا يتزعزع ، تتحطم عليه كل مخططاته وأساليبه ، والدليل على ذلك هو مضى أكثر من خمس سنوات على العدوان والصامدون فى سيناء يزداد صمودهم على مر الايام مستعذبين العذاب فى سبيل اشرف غاية وانبل قصد فى سبيل النصر بعون الله وعودة سيناء الينا وعودتنا اليها ، بقيادة ابن مصر المؤمن : محمد انور السادات .

ثلاثة عناصر رئيسية للوحدة

د. محمد عبد الرحمن بيصار

الحديث عن الوحدة الوطنية ، قد يعرض الباحث لمواجهة الكثير من العناصر ، والعديد من الموضوعات والنقاط ، التى تكون ذات صلة وثيقة ، او على نسب متفاوتة بهذا الموضوع .

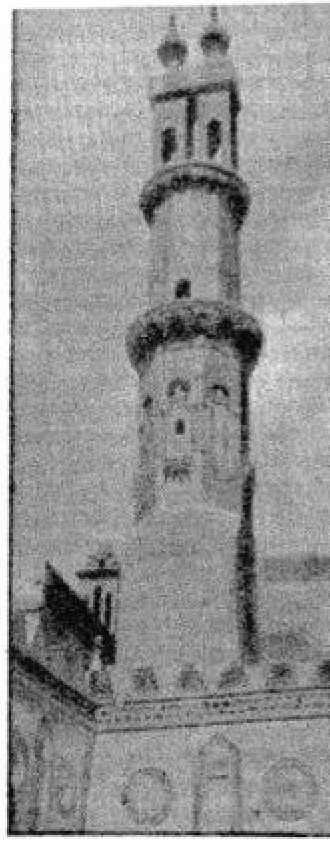
وتفاديا للوقوع فى متاهات التشعب ، وتشتيت الاذهان ، يمكننا ان نرجع كل هذه العناصر على كثرتها الى موضوعات رئيسية ثلاثة ، يتضمن بحثها ، والحديث عنها كل ما يمس الموضوع من قريب أو من بعيد ، ويصب فى محيط افكارها الرئيسية كل ما يوجد من جداول وروافد لافكار، أو وجهات نظر جانبية او جزئية.

هذه الموضوعات الرئيسية الثلاثة هى :

أولا : الاسس التى تقام عليها الوحدة الوطنية .

ثانيا : المقوضات لدعائم الوحدة الوطنية .

ثالثا : عوامل تحقيق هذه الوحدة ، وطرق الحفاظ عليها .



إن تاريخ أي أمة من الامم هو الماضي الضارب في الاعماق الى الجذور البعيدة التي تتماسك عليها الامة الواحدة ، وتشدها الى المستقر الذي يحتضنها ، ومهما كانت العوامل والاحداث فإن اصالة الامة التي تحترم هذا الماضي وتؤمن به ، لديها من معطيات المناعة مايؤهلها للمقاومة والصمود ، فلا تنال منها الفواعل ، ولا تعصف بها الاحداث .

وشعب مصر على طول التاريخ وعرضه ، يمثل وحدة الامة ، وكان ذلك التاريخ من أكبر عوامل الوحدة ودوافعها .

وارتباطا بهذا الواقع التاريخي كان على كل فرد من افراد الامة أن يكون على مستوى هذا الواقع ، احتراما للرقعة التي تمثل الابعاد الجغرافية لوطنه ، وعملا متواصلا لرفعته ، وعينا ساهرة لحمايته ، فلا يؤثر على هذا الواجب خلافات مهما بلغ امرها ، لان العدو المتربص لا ينشد الا أن يرى خلافا ينشأ حتى يسارع الى اذكاء ناره بكل ما اوتي من وسيلة ، بل كثيرا ما يتعمد اثارة الخلافات بواسطة عملائه الذين تعمى ابصارهم وقلوبهم عن شباكه المنصوبة لاغراضه الرخيصة ، ولا غاية للعدو من وراء كل ذلك الا أن يرى افرادا متهالكين

الوطنية

بتمزيق الخلافات لايستطيعون الصمود أمام اندفاعه المخطط الى اقتحام حرم الوطن الذى ينادى تاريخه بجهير العبارات ان يكون بنوه على مستوى المسئولية . وفوق الخلافات بعد نظر وسداد رأى .

فوحدة التاريخ التى تحمل معها معالم الحضارة الواحدة وتحكى قصص الفكر الواحد والتراث الواحد، عاصم من التفرق . وجامع على الوقوف صفا واحدا امام كيد العدو ، الذى لا يمكن ان ينجو منه فرد ان تمكن .

ولا تستطيع وحدة التاريخ ان تكون عاصما وجامعا الا اذا كان هناك وعى صحيح يقدر هذه الوحدة قدرها ، والوعى الصحيح ينبع من استشعار الماضى بكل ما احتوى من معطيات الحفاظ على الوحدة .

فليس تاريخ أى وطن مجرد قصص تروى ، وأحداث تردد ، وانما هى فى جملتها وتفصيلها معطيات ايجابية تشد الاجيال الى تراب الارض حفاظا على الماضى الضارب فى الاعماق الذى صنعته طاقات أمة اجتمعت على خير ما تجتمع عليه أسرة كبيرة ، خطت سطور ماضيها بعرق ابنائها كفاحا فى سبيل وجوده ، مشرقا بحضارته وعلمه وفنه وتراثه وامجاده بين تواريخ الامم والشعوب ، واقامت من جثث الضحايا جسورا تحول بين الارض المرعية ومحاولة تدنيسها .

ومن البديهى أن وحدة التاريخ ترتبط ارتباطا كليا وثيقا بوحدة الارض والتراب ذلك أن الموقع الجغرافى لاى وطن والمستقر الطبيعى لاى شعب لا يمكن أن ينفصل عن تاريخ هذا الشعب ولا يمكن ان ينفصل عنه تاريخ هذا الشعب ، من هنا كانت وحدة التاريخ تعنى وحدة الارض وبالعكس .

وحدة المناخ الروحى

لا نعرف شعبا من الشعوب ، بلغ نزوعه الى الارتباط بالخالق جل وعلا مابلغه الشعب المصرى على مر الاجيال والحقب ، واذا كانت السبل قد حادت بهذا النزوع احيانا كثيرة عن طريق المسار الصحيح ، فان هذا لا يقدح فى وجود هذه الحقيقة التى ارتبط بها ابناء هذا الشعب الذى التف حول الرابطة الوثقى للتدين ، انبل جامع والواء .

أما انه جامع فلانه ملتقى الارواح التى تنحى كل هوابط الاغراض غير الشريفة عن طريق المسيرة الواحدة .

وأما انه اقوى جامع فلانه يؤلف الارواح ويصهرها فى بوتقة واحدة تلتحم فيها خلايا المجتمع التحاما يستعصى على الخلخلة فضلا عن الانفصام .

وظاهرة التدين هذه التى يمتاز بها شعب مصر والتى تؤرخ التاريخ بزكى نفحاتها ، هى التى دفعت الاجداد فى البعيد ان تاخذ فى محاولات الوصول الى الطريق الصحيح للتدين، وبالتالى للوحدة الاصيلة التى تقوم على ارسخ القواعد وأرساها .

والتاريخ الصادق يحدثنا أن (اخناتون) دعا الى عبادة اله واحد ليس له مثيل ولا شبيه ، بيد أنه فى غيبة رسالة السماء الهادية اتخذ من قرص الشمس رمزا للاله الواحد .

وقد تغنى الشعب المصرى قديما فى اناشيد (أخناتون) بالنيل الذى ينساب بين جنبات الوادى ، فقد ورد

في احدى هذه الاناشيد ، وفي معرض المناجاة لله :

(انت خالق النيل في السماء ليسقط عليهم ماؤه فيسيل على الجبال كالبحر ، ويسقى حقولهم بما تحتاج اليه ، ما أعظم تدبيراتك يا سيد الأبدية ، فقد وهبت شعوب الجبال نيل السماء – يقصد المطر – اما النيل الذى يخرج من العالم السفلى فقد وهبت مصر اياه ، ان اشعتك تغذى الارض ، وعندما تشرق تحيا وتنمو لاجلك وجعلت فصول السنة لتغذى ما خلقت) ٠

مثل هذه المعانى – على علاتها – التى وردت في هذه الانشودة ، وفي غيرها مما ماثلها من الاناشيد المناجاة ، والتى حفظ لنا العهد القديم الكثير من مضامينها ، تدل على حقيقة النزوع الروحى القائم على طبيعة التدين لدى هذا الشعب العريق الاصيل ٠

وهناك احداث تاريخية تؤكد اتجاه التدين الى الوحدة التى تنبغى أن تكون الرابطة الوثقى لشعبنا الماجد ٠

ونستطيع ان نقول غير مبالغين ومجاوزين حد التفكير المنطقى ، أن هذه الاحداث التاريخية نستشف من ورائها تأكيد هذا الاتجاه ، ولا نعدد الاحداث آحادا وانما نشير الى كبيرها

تلك هى هجرة ابى الانبياء ابراهيم الى مصر ، والتجاء السيدة مريم بطفلها رسول الله عيسى الى مصر ، وذلك التعاطف النفسى بين خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين زعيم مصر بدا في دعم الاواصر بينهما ، واصهار خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم بمارية وانجاب احب ابنائه ، وسمى ابى الانبياء ابراهيم ٠

واما التعاطف بينه صلى الله عليه وسلم وشعب مصر فيبرز واضحا في وصاياه المتكررة لمن بعده بقوله :

(استوصوا بقبط مصر خيرا) وفي رواية أخرى مكملة (فان لكم فيهم ذمة ورحما) وظلت هذه الوصية دستور المسلمين وصراطهم الذى عليه يسيرون ولا يحيدون ٠

ما دلالة هذه الاحداث ، وما هو التفسير لرموز القدر فيها ؟

ربما يربط مفسرو هذه الاحداث بينها وبين أسبابها قبل أن يأخذوا فى تفسيرها ، بيد أن كل ذلك لاينفى بأى وجه من وجوه التفسير ذلك الالتقاء على مناخ واحد هو مناخ التدين ، الذى يجمع فى صدق على التى هى أحسن ٠ ويجذبهم جميعا الى ما هو أقوم لهم من اتحاد وترابط وتحاب وتواد ، مما هو ضرورى لتجاحهم فى كل مقومات وطنهم الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية ٠

اللغة دعامة الوحدة

لا مراء فى أن لغة جماعة من الجماعات هى الوعاء الذى تتشكل فيه وتنتقل بواسطته أفكار شعبها ، فتؤثر فى التفكير العام والخاص تأثيرا عميقا ، وتسدده وتوجهه ، وروح الشعب تكمن فى لغته ، فهى قلبه الذى ينبض ، فيندمج فى مجتمعه ، ويصبح عضوا متحركا فى الشعب الكبير الذى يتحرك بوحدة اللغة نحو آماله وأهدافه ٠

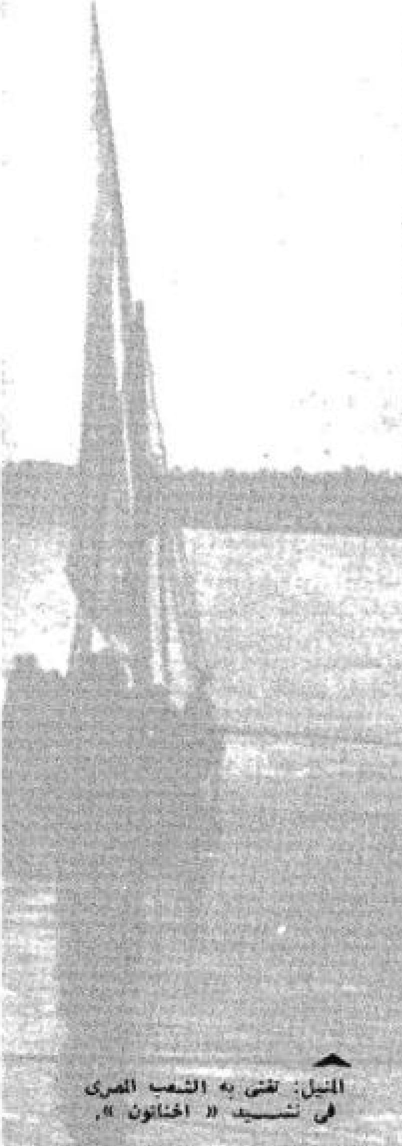
فاللغة مقوم أساسى موحد للشعب فى أفكاره ومشاعره وأحاسيسه ، ويكفى أن نذكر بان اللغة كانت من أركان الوحدة فى بلاد كثيرة من أرض الله الفسيحة ، فقد تمت الوحدة الالمانية على أساس شعور جميع الناطقين باللغة الالمانية الى الانضمام والاتحاد ، انهم ابناء امة واحدة على الرغم من انقسامها الى ما يقرب من الفى دويلة فى وقت من الاوقات ،

وعمل الالمان بما يحتمه عليهم هذا الشعور وهذا الايمان فقاوموا وجاهدوا حتى كونوا دولة واحدة ، وكذلك الوحدة الايطالية كانت اللغة دوافعها ، ومثل تلك الوحدة ، تماسك البولنديين على اساس اعتبار اللغة البولندية جامعا وموحدا .

واللغة الواحدة لا تؤثر فيها تعدد اللهجات ، ذلك أن هذا التعدد فى اللهجات واقع لا غنى عنه فى أى لغة . وليس أدل على صحة ذلك من أختلاف لهجة الاسكتلندى عن الولمس ، من مقاطعة ويلز بانجلترا ، واختلاف هاتين اللهجتين عن اللهجة الانجليزية القح ، وكذلك تختلف لهجة الامريكى الشمالى اختلافا كبيرا عن لهجة الامريكى الجنوبى ، بل انه فى شمال أمريكا تختلف اللهجات تبعا للولايات ، ولم يقل أحد أن اختلاف هذه اللهجات يقدح فى توفر عنصر وحدة اللغة فى كل من المملكة المتحدة أو فى أمريكا .

واللغة الفصحى التى نتكلم بها اليوم هى لغة الدين والعلم والادب والثقافة والسياسة ، وهى لغة أجهزة الاعلام ، فهى اذن تلتحم بنفوسنا جميعا ، وعلى صعيدها تتحرك أفكارنا جميعا ، وتحرك مشاعرنا وأحاسيسنا جميعا ، فحسبها اذن أكرم رباط شديد العرى ، يتخذ منها المغتربون وطناً فى مغتربهم ، ينسيهم الام الاغترابووحشته ، وحسبى أيضا أن أقدم برهان ذلك من شعر (جورج عساف) من اخواننا المسيحيين المغتربين فى البرازيل يقول :

افديك من لغة احببتها وطنا
فانتــا لغتى فى غربتى وطنى
اظل منهــا عليه فى مرابعه
اجتاز من حسن فيها الى حسن
فانشد الريح عطراً من حدائقه
واسمع الطير نايات على الفنن
انى لأعبد فيها الشمس ساطعة
والبحروالثلج مفروشا على القنن



النيل: تغنى به الشعب المصرى فى نشيد « اخناتون ».

وحدة المصالح المشتركة

الوطن وحدة متكاملة من مختلف نواحيه الاقتصادية والثقافية والدفاعية ، وأمهات المصالح هذه ضرورة من ضرورات وجود المجتمع ، كما هي ضرورة من ضرورات بقائه .

وكما لا يستطيع فرد أن يعيش وحده ويستقل بما يحتاج اليه ، لا تستطيع مجموعة ما في وطن من الاوطان مهما بلغ بها الحذق والبراعة والمقدرة أن تستقل بما تحتاج اليه ، ولا يمكن أيضا أن تنغلق على نفسها وتعيش في قمقم الانعزالية ، فحاجات الحياة على الرغم منها تجذبها الى باقي المواطنين جذب المغناطيس للحديد ، وعامل الجذب هو المصالح المشتركة التي تقهر على الانفعال والتفاعل المستمرين .

فالافراد اذن يكمل بعضهم بعضا بالضرورة ، ويقوى بعضهم بعضا بمنطقها ، ذلك أن تبادل المنافع على نوعيها المادي والمعنوي قوام حياة الافراد لا يستغني عنه فرد يعيش في مجتمع .

وتبادل المنافع فوق انه تحقيق للمصالح المشتركة يوثق الروابط ويضاعف من هذه المصالح وينميها ، ولا يمكن لفرد او افراد في مجتمع ان ينعزل او يعزلوا انفسهم عن أشقائه وأشقائهم ، والا كان التعرض لأفدح الاخطار .

ومن أجل ذلك كانت المصالح المشتركة عاملا بارزا بين عوامل الوحدة ، وذلك صحيح في المبدأ والمنتهى .

فالوطن الواحد يشكل كتلة واحدة وبناء كبيرا ، اذا اهتز منه جزء أدى هذا الاهتزاز الى ضعف البناء ، وأنذر بخلخلته ، تماما كالجسد الواحد ، اذا أصيب منه عضو تجاوب سائر الجسد بالسهر والحمى ، لأن أثر اصابة العضو يمتد الى باقي الاعضاء .

فبقاء المجتمع قويا ناهضا ، متحركا بمصالحه على المستوى المرضي المحقق لتطلعات الجماهير ، مرهون بترابطه القوي ، وتماسكه العصي على بواعث الفرقة وأحابيل التمزيق .

وكل أمة من الامم في أرض الله الفسيحة تحاول بكل ما استطاعت أن تدفع بعجلة مصالحها الاقتصادية الى الامام ، وأن تنمي ثقافتها ومعارفها وعلومها في مختلف المجالات ، وأن تهيء وسائل الدفاع الذي يضمن لها الحفاظ على وطنها حرا ، الامر الذي يؤكد أن وحدة المصالح المشتركة من أقوى عوامل الوحدة الوطنية ، ودعامة راسخة يتساند عليها الافراد لخير الوطن وعزته ، ومواصلة التقدم والارتقاء ، فيكونون جميعا دائما قوة واحدة ، ويدا واحدة ، وقلبا واحدا وبذلك يكونون صفا واحدا يعيش في أمن واستقرار وسلام ، ثم من قبل ذلك ومن بعده يحمي الحوزة ، ويدافع عن العرين ، ويدرأ الخطر ، فلا ينال منه متربص ، ولا يستطيع أن ينوشه ذو شنآن .

اذا كنا قد عرضنا لمقومات الوحدة الوطنية وأسسها الضرورية فانه يكون من كمال البحث عن هذه الوحدة أن نعرض ولو بايجاز الى ما قد تتعرض له هذه الوحدة من معوقات وآفات وما قد يصيبها من عوامل الضعف والانحلال .

وعوامل الوحدة التي قدمنا تسلمنا الى التأني على معوقاتها ، ومعوقات الوحدة تتمثل في عدة أمور وعوامل تأخذ شكل الاتجاه المعاكس تلقائيا للوحدة ومن شأنها أن تعمل على مقاومتها والذهاب بجوهرها . وهذه المعوقات هي :

١ ـ انفصال الامة عن تاريخها .

٢ ـ اهدار جوهر لغتها .

٣ ـ احياء العصبيات الاقليمية

والجنسية والقومية، والثقافة.

٤ – إثارة الأحقاد بين طوائف الأمة وهيئاتها.

٥ – تنحية الدين عن حياة الأمة.

١ – انفصال الأمة عن تاريخها

فما في التاريخ أخطر من محاولات [illegible] الردة: إنه الشيء الذي صنعته أجيال الأجداد والآباء بعرق الكادحين ودماء شهدائهم عبر الأجيال، وهو الأثر الدائم والقلب النابض للانتماء والوجدان الذي [illegible] تلك الأمة [illegible] فروع الشجرة المثمرة جميعها.

وكما لا تستطيع الفروع أن تقاوم بالحياة إلا معتمدة على جذع الشجرة وجذورها، فكذلك لا يمكن لأي مجتمع أن يعيش حياته إلا معتمدا على الالتحام بتاريخه [illegible] الضارب في أعماق [illegible] الذي يستمد [illegible] منها، والأمة التي تنفصل عن تاريخها لا يمكن أن يكتب لها البقاء، وسرعان ما تتهاوى أمام أعاصير الحياة وعوامل الزمن الغاشمة.

تلك أهميتها [illegible] تلك قوة الدفع التي [illegible] الصمود، وتمنح طاقات [illegible].

والذين يحاولون طمس [illegible] وحدة التاريخ [illegible] هزائم الشعوبية وسلطتها، لا تحاول استقطاع تاريخ [illegible] توجه طاقاتها إلى [illegible] الذي ضرب الله عليها الذل والمسكنة، وترمي [illegible]

مظاهرها في ميادين المعارك الرهيبة لتصنع التاريخ ثم يأتي الحاقد العابث، وهذا الزائغ الشعوبي على الرغم من زيفه [illegible] الذي يقف موقفها ضد وحدة التاريخ التي تدفع [illegible]، ومن هنا كانت محاولات الحاقدين تتمركز حول العمل بمختلف الوسائل لإقامة السدود والحواجز بين الأمة وماضيها، وتسفيه الأفكار والأخلاق [illegible] في التركيز على ذلك بمختلف الأساليب على تلك الطاقة التي تدفع إلى الصمود والمقاومة.

والحقيقة التي يجب ألا [illegible] عن الحاقدين أن التاريخ يتكون دائما من مظاهرات وردود الفعل، والتاريخ دائما عندما كان العدوان الأجنبي بكل عتاده ووسائله، وردود الفعل كانت دائما هناك حيث [illegible] القتال، وتوحد الجهود، وتدفع العدوان، وترده على أعقابه.

وعطاء الماضي ماثلا في تاريخنا كل من يدرس الصراع بارزا [illegible] الصبر [illegible] الشعور، [illegible] على هذا الماضي بكل ما تحتويه من آمال وآلام [illegible] وحدة الأرض العربية التي [illegible] عليها [illegible] البلاد [illegible] التي لم [illegible] على مر الأجيال.

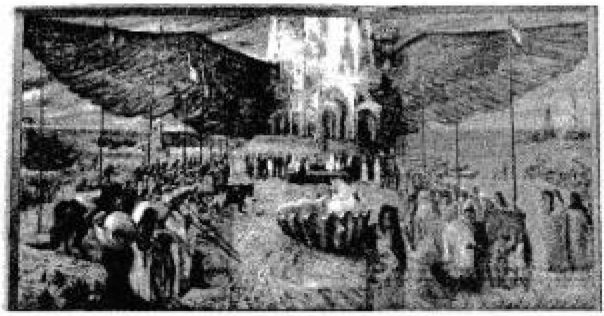
٢ – انهيار جوهر الثقافة

إذا كانت اللغة هي الرباط الذي تتشكل فيه الأمة وينتقل بواسطته أفكار الشعب عبر الأجيال فإن اللغة العربية [illegible] في [illegible] روحها التي يحركه [illegible] الذي [illegible].

والقصص التي تحتوي ثقافتنا وفكرنا وحضارتنا، كانت الرابطة [illegible] تحركنا في الصحراء [illegible] على وحدة الثقافة ووحدة الصف.

ولا شك (الأستاذ) [illegible] إلى أن اللغة الواحدة في الربط والتجميع للأمة، فحاولوا جاهدين أن يحطموا

[illegible] العربية الإسلامية [illegible] وحدة [illegible] الوطنية



على ازالة هذا الرباط والقضاء على وجوده ، واخذوا يشجعون العامية ، واحياءاللهجات المحليةحينا ، والدعوة الى كتابة اللغة بالحروف المقررة حينا آخر ، وقد بذلوا من المحاولات لتفتيت اللغة العربية وايهام الناس انه ليست هناك لغة واحدة تجمع العرب ، فقالوا العربيـــة السورية والعربية المصرية والعربية الجزائرية وهكذا ، مع أن اللغة العربية الفصحى كيان واحد لا يختلف فى دولة عربية عنه فى دولة عربية اخرى .

فالاستعمار فى شتى أشـــكاله وصوره ينتهز فرصة حلول العـــامية بلهجاتها المختلفة فيضرب على وترها ليشيع الفرقة بين الشعب الواحـد ، وليس ببعيد عن الاذهان تلك الدعوات المشبوهة التي كانت تطلو أحيـــانا وتتوحى أخـــرى فى دهاء ، جاهرة باحلال العامية محل الفصحى ، متذرعة بأباطيل وترهات ، حتى ظهر لـكل ذى عينين ان من وراء أولئك جميعـا قوة الدفع الاستعمارى تحرك عرائس المسرح ، وتحقق بهـــذا الاستخفاء الناقص هدفين هابطين :

اولا : اشباع الرغبة الاستعمارية وتحقيق امالها وأهدافها بتمزيق الامة الواحدة التى تجمعها وحدة اللغـــة فتصير مزقا على لغات جديدة ، وهذا الهدف يحقق اهدافا أخرى أهمهـــا صرف طاقات الشعب عن الوجهـــة الصحيحة للبناءوالتقدم ودعمالحياة ، واغرائه بلغات اجنبية اخرى بوضعها فى صيغة العالمية .

ثانيا : تخـــريب البيوت بأيدى أصحابها ، ويظهر المستعمرونبمظهر البراء الذين لم يقترفوا موبقة ، ولم يرتكبوا جريمـــة ، تزويرا للواقع وافتراء على حقائق التاريخ .

٢ ـ احياء العصبيات بأنواعهـــا

ومن العوامل القوية فى تقويض دعائم الوحـــدة الوطنية عامل اثارة العصبيات بأنواعها المختلفة التىيمكن حصرها اجمالا فيما يأتى :

أ ـ القومية
ب ـ الجنسية
جـ ـ الطائفية
د ـ الاقليمية
هـ ـ الطبقية
و ـ القبلية

واثارة أيةواحدة من هذهالعصبيات فى محيط الوطن الواحد او المجتمع الواحد من شأنه أن يفت فى عضـده وينخر فى عظامه ويدب فى جســمه كميكروب قاتل يقضى على خـــلاياه ويجعل النزاعات الدائمة والصراعات المستمرة مستبدة به مسيطرة عليه ، فيذهب كيان وحـــدة الوطن وتنقضى بواعث قوته مما يمهد لاعدائه وييسر لهمالتسلط عليه والتحكم فىمقدراته ، بل يمكنهم من ادارة دفة أموره مـن خارج وبيد أعدائه انفسهم .

وأنا لا استطرد فى شرح وايضاح الخطر الكامن وراء اثارة هـــذه العصبيات . وانمـــا اشير فقط الى بعض ما نعانيه منها فى رقعة العـــالم بصفة عامة وفى رقعة عالمنا العربى بصفة خاصة .

فبالنسبة لرقعة العالم الفسيحةنجد أن أكبر دولتين فى العالم وهمـــا

امريكا والاتحاد السوفييتي رغم قوتهما العسكرية والاقتصادية ورغم نفوذهما السياسي ، فأن وحدتهما الوطنية تتعرض في كثير من الاحيان للتصدع ويصيبها بعض الوهن بسبب هذه القوميات ·

ففي الولايات المتحدة الامريكية ـ وقد تكون شعبها من شتات من الوافدين والمهاجرين اليها من مختلف انحاء العالم ـ نجد أن كل فئة رغم انها أصبحت تحمل اسم الجنسية الامريكية وتتمتع بمختلف الحقوق ، تحتفظ بقوميتها ولا تدخر وسعا في ابرازها والتفاخر بها كلما سنحت الفرصة ·

فنجد هذه التصنيفات والفئات تقرع اسماعنا اينما ذهبنا وفي كل ولاية من الولايات او بلد من البلاد · مثل الامريكان الفرنسيين والامريكان الانجليز والامريكان الالمان والامريكان السوريين أو اللبنانيين أو المراكشيين او الزنوج · ويحتفظ هؤلاء جميعا باعيادهم القومية في بلادهم الاصلية ويحتفلون بها · واذا سألت احدهم أنت امريكي ؟·· لا يتردد في اجابتك: لا ·· انا أمريكي فرنسي أو ألماني وهكذا ···

ومعنى ذلك انهم جميعا يحتفظون بقسط كبير من ولائهم لوطنهم الام ، وليس من شك اذن في حالة غزو هذا الوطن الام للوطن الجديد ، في أن مشاعر هؤلاء ستكون مع ولائهم لوطنهم الاصلي أو على الاقل يزيد حجم ولائهم له بمقدار ما يجدون لدمن تفوق واحتمال في النصر ·

اذا كان هذا هو الحال في الولايات المتحدة الامريكية فاننا نجد شبيهه في الاتحاد السوفييتي حيث تبرز في محيطه الجنسيات والقوميات بشكل واضح ، فهناك مثلا الروس أهل البلاد الاصليون وهناك الناجك المنتسبون الى ناجيكستان ، والازبك المنتسبون الى ازبكستان · وهكذا مع تميز كل جنس بلغته الخاصة وعاداته وتقاليده المعينة

وهذا الوضع نفسه نجده في بريطانيا بين الاسكتلنديين والانجليز والولش ·

وربما كانت قوة النظام السياسي والاساليب العلمية التي تسير عليها هذه الحكومات من عوامل توحيد هذا الشعب المكون من اقليميات ، وربما ساعدت على تغطية ما قد يصيبه من وهن وضعف بهذه القوميات ، وكذلك قوة هذه الدولة لم تدع مجالا لقوى أخرى للتفكير في استغلال هذه القوميات ، ولكن ذلك لا ينفي بحال من الاحوال ان هذه عوامل لاضعاف الوحدة بحيث لو وجدت طريقها الى النمو والى الاثمار ، لكانت خطرا كبيرا على كيان هذه الاوطان وتهديدا صارخا لوحدتها وقوة تماسكها ·

٤ ـ اثارة الاحقاد

وفي رقعة عالمنا العربي بصفة خاصة ، فاننا نرى في بعض اجزائها بعض المتناقضات والعصبيات التي تنشأ عن اختلاف القومية او عن الطائفية او القبلية ، مما يؤثر الى حد كبير في اضعاف الوحدة الوطنية في كل وطن من هذه الاوطان بصفة خاصة ، بل وفي الوطن العربي كله بصفة عامة ·

اما عندنا في مصر فاننا نجد ظاهرة القوميات والقبليات لا وجود لها ، وبالتالي ليست هناك مشكلات من هذا النوع ، وحتى ظاهرة الطائفية ـ بالرغم من وجود الاديان الثلاثة الاسلام والمسيحية واليهودية في محيط الوطن المصري ـ فانها لا تشكل مشكلة التناقض ، ولا تأخذ الشكل الذي يهدد وحدة الامة كنتيجة للوعي الوطني والشعور القومي الواحد الذي تقدسه كل طوائف الشعب وهيئاته وفئاته وتضعه في الاعتبار الاول قبل أي شيء آخر ، بحيث لا تسمح بمفارقات او تعصبات تهدد وحدة الامة او تسمح لدخيل أن يستغل ذلك

لتهديد وحدتها ·

ومع ذلك قد توجد محاولات بحسن نية أو بسوء نية من الداخل أو من الخارج أو منهما معا ، لاستغلال هذه الطائفية لصالح استعمارية أو فكرية من أعداء الوطن العربي كله وأعداء الفكر الاسلامي والمصالح الوطنية ـ ولكن وعي المواطن المصري ويقظة الشعب كفيلان بالقضاء على ذلك كله واحباط كل عمل يستهدف النيل من هذه الوحدة ، مهما كانت قوة نشاطه ومهما بلغت قوة الدعم الذي تحظى به مثل هذه الحركات المشبوهة ·

وقد تجد من حين لآخر بعض اثارات اقليمية او طبقية ناشئة عن تصرفات هوجاء لبعض الجهال الذين لا يدركون مبلغ ما تعانيه وحدة الامة من هذه التصرفات ، ويحاولون أن يحققوا عن طريقها مصالح خاصة عابرة مما لا يكون شديد الخطر على وحدة الامة وانما يتضمن احتمال شرارات ضعيفة قد يستغلها في ساعة العسرة أعداؤنا ـ بوجه أو بآخر ـ لتحويلها الى لهب مشتعل أو صواعق ماحقة · اذا لم تفطن الامة الى العمل على ايقاف هذه الاثارات واحباط هذه النعرات ·

٥ ـ عزل الدين عن حياة الامة

وأخيرا وليس آخرا تعمل الجبهات الاستعمارية على عزل الدين عن حياة الامة واثارة النعرات الطائفية والخلافات المذهبية بين أبناء الامة الواحدة ·

والدين كما قلنا في براعته وأصالته جامع على الهدى نحو اطهر الاهداف وأشرفها ، وهذا ما لا يمكن ان يصبر عليه المستعمر ، اذ يصادم كل المصادمة لاغراضه وأهدافه ، الامر الذي يجعله دائما مصرا على أن يثير النعرات الطائفية الهوجاء ويشعل الخلافات المذهبية بين الاغرار الذين لا يبصرون مواقع أقدامهم من المخاطر التي يتحركون نحوها ، فيشغلون أنفسهم ويشغلون غيرهم عن الواقع الاليم الذي يعانيه الوطن من مكايد الاعداء ودسائسهم وأحابيل فتنهم ·

عوامل تحقيق الوحدة الوطنية

وماضينا وحاضرنا ومستقبلنا يجهر ثلاثتهم بأن نحترم عوامل الوحدة ومقوماتها ، وأن تكون منا جميعا في أعماق القلوب ، وأن تحتل أقطار النفس وأبعاد الروح فلا نفرط في احترامها ولا ننام عن عابث بحقها ولا نتهاون مع هازل في مجالات الجد ، فنحترم جميعا تاريخنا ولغتنا ومناقنا الروحي ومصالحنا المشتركة ·

والعوائق التي يعمل لها الاعداء ، ويسخرون لها متنوع الطاقات ، ويصطنعون لغاياتها مختلف الاساليب لا مخلص لنا منها الا بأمرين لا ثالث لهما :

الاول : التنبيه الدائم لذكيات الفتن ومثيرات الخلاف ، والتفتح الناضج الواعي على مصادر الخطر ومهب العواصف ، اذ ان ذلك يفوت كل الفرص التي يحاول العدو ان يهتبلها ويخطط لها بافانينه التي يفرغ لها طاقات مدخورة ·

الاخر : الوقوف صفا واحدا متآزرا على درء المخاطر ، والصمود امام قوى الكيد والتربص ، مؤمنين بحقوقنا متطلعين الى أهدافنا ، وذلك يكسبنا الرضا من الله في الاولى والآخرة ، كما يكسب حمد التاريخ وذكراها ·

وفي نفس الوقت نتجه الى البناء والتنمية والتعمير ، شأن كل جيل يحرص على أن يحتل مكانته من سجل التاريخ ، ويعبر عن وجوده في المسيرة على طريق الانماء ·



عـــزيــزة
هـــارونــ

١ ـ لقاء

أأنت ذا يا فاتني ... أم دفقة المطـــر ؟
أمْ روعةُ الحظِّ على بوّابة القَــدَرْ ؟
أمْ طلعة الأمن اذا ما داهم الخَطَــــر ؟
رجعتَ لي يا فاتني ... فليَرقص الحجرْ !

تسألني : وأين كنتِ ؟ .. كنتُ في سَفَر
أبحث عن وجهك في مفاتن الصـــوَرْ
يا بسمة الفجر .... ويا إطلالةَ القمـر
تحبني ؟ ... تخجلني ... تملؤني خَفَرْ !

٢ ـ كنت معه

كنتِ لديه تلمسين قلبه .. كنتِ معه
يا نسمة رقاقة في روحه موزّعه
ما أروع الحلم الذي يضمنا ... ما أروعه
أهدي إليه نسمة ... يُهدي إليّ زوبعة
لو شاء أن يأخذ مني مهجتي .. لن أمنعه !

حبيبي ... اشتريتُ زجاجةَ عِطْـــرِ
وعقـــداً جميـــلاً يزيّن صـــدري
ورحتُ أغنّيكَ أعـــذب شـــعْري
لعلك ترنـــو إليّ
وتسرح في مُقلتيّ
فإني نذرتُ لعمرك عمري

● دمشق ● ● عزيزة هارون ●

الأدب المعاصر

مع تيارات

اتخذ المؤرخون الحملة الفرنسية حدا فاصلا بين فترتين من الزمن فى مصر لتاريخ النهضة الفكرية ..

اما فى العراق فقد اتخذ اعلان الدستور العثمانى بداية وعى جديد فى المجتمع العراقى ، اذ انتشرت الجرائد العربية وكثر كتابها ، وتبارى المفكرون فى الاسهام فيها حبا فى الظهور ، او رغبة فى الاصلاح ، ومع ثقتى بان اكثر المسهمين لم يكونوا قد فهموا الدستور ، وما عرفوا بنوده ، شان كل حدث جديد طارىء لم يستوعب اطرافه المفكرون قبل ان يكتبوا فى مزاياه – غير اننى – رأيت ان هذه البداية كانت داعية للتحرر الفكرى المضطرب . وسببا فى حركة ادبية وفكرية بعثت القلم من رقاده ليسهم فى هذا الحدث الجديد .

د. يوسف عزالدين

الوعي الفكري في العراق

كان اسم الدستور شيئا لم يسمع به الشعب ولم يسبر غور مواده ومزاياه . لهذا كان القلق الفكري والاضطراب الادبي والتناقض الثقافي يشمل كل ما وجدناه في فترة الدستور العثماني ولعل اهم فائدة جناها الادب هي التخلص من المحسنات البديعية واختيار الالفاظ وانتقاء العبارات . لان الاديب اراد ان يعبر عن كثير من الامور التي رانت على قلبه ، وهيمنت على فكره في جو من الحرية التي لا يعرف حدودها ويخاف من مداها غير الواضح ، فقد أعلن الدستور العثماني شعاره في (الحرية والعدالة والمساواة) ولكن في واقع الامر لم تكن هناك حرية حقيقية ، ولم يجد المفكر العدالة التي يريدها للشعب ، وانعدمت المساواة ... وبقيت هذه الكلمات وقفا على جمعية الاتحاد والترقي ، واعضاء هذه الجمعية هم وحدهم الذين تمتعوا بكل شيء . أما الشعب العثماني والعربي على وجه أخص فقد حرم من كل ميزة ، فلا نعجب أن نرى الرصافي يقول :

قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به   وسدوا على منحولهم منبع الرزق
كانا لهم شاء وهم يحلبوننا   وكم مخضوا اوطاننا مخضة الزق
وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها   ولم يتركوا للساكنيها سوى اللق
أترضى بان تختص بالحكم معشرا   وتصبح للباقين حبرا على رق
فما نحن الا كالظماء وانهم   كساق يرينا الماء عذبا ولا يسقي!

ولم يطلب المفكرون الحكم لهم ، وانما دعوا للمساواة بين العرب وبين العثمانيين ، فقال الرصافي :

ولسنا نريد اليوم حكما عليهم   ولكن نناديهم وندعو الى الحق
تعالوا الى امر نساويه بيننا   وبينكم في الحل منه وفي الوثق

وفي هذه الفترة سرت السلامة واليسر في شعر الشعراء ونثر الادباء رغم الاسفاف الذي نزل اليه كثير من هؤلاء . وبهذا يمكن ان أعد هذه الفترة متشابهة او جامعة لعصرين من أهم عصور الادب العربي . فقد شملت عصر الجبرتي وسجعه ، وعصر البارودي وتجديده ، فاستفاد الادب العربي في العراق من مصر فكانت النقلة الادبية سريعة وكان الوقت قصيرا في التطور والتجديد .

وبعد هذا توثب الفكر بما جاءته الصحافة المصرية ، كالمقتطف ، و « الهلال » فانتبه المفكرون الى النظريات الجديدة في النشوء والارتقاء ، والتطور ، واتخذ « داروين » مثلا و « انشتاين » نبراسا ، كما تأثر الكتاب بـ « ديكارت » ونظريته ، ودرس « ماركس » وجيمس جيز وأصاب التيار الفكري هزة علمية ما كان قادرا على هضمها واستيعابها ، لان قاعدة الفكر هي الدين ، ومثل هذه النظريات والتفلسفات هزت عقيدته وطورت رأيه وغيرت نظرته الى الحياة والمثل ، فلا عجب ان وجدنا بعض المفكرين يخافون من الجهر بآرائهم ويكتبون بأسماء مستعارة .

غير ان الدين بقي في قرارة انفسهم الملاذ الامين الذي يعودون اليه متى قلقت نفوسهم واضطربت احاسيسهم ، لان الفكر العربي لم يتطور والحضارة العربية لم تسمق الا بالدين الاسلامي الذي ملأ نفوسهم اعتزازا وفخرا .

وعندما أراد المصلحون تطوير حياتهم ، لم يكونوا يخرجون عن الاطار الاسلامي العربي ، لان الفكر العربي العميق النظر لا يقدر أن يفصل بين الفكر العربي وبين الاصلاح ، فقد وجدنا هذا واضحا عند كل الشعراء والكتاب وقادة الرأي .

وكانت غاية المصلحين اصلاح شأن العرب .

وقد سبق هذه الفترة أسلوب الاصلاح الذي سار على نهجه « عبد الرحمن الكواكبي » في كتابيه « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » وأسلوب جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، فلا عجب ان وجدنا مصر مصدر الالهام وينبوع الاصلاح لكل القضايا الفكرية والادبية .

وعندما ظهرت القومية تلقت كل ترحاب من المفكرين العرب ، وبخاصة الشعراء كالرصافي والزهاوي ، وخيري الهنداوي ، وكاظم الدجيلي ، ورضا الشبيبي ، وفهمي المدرس ، وابراهيم صالح شكر ... وكان أجلى صوت هو صوت الكاظمي في الوحدة والقومية .

كان الوعي شرقيا وعربيا ومسلما ، فكثرت الاشارات الى الشرق والعرب والاسلام . وكانت أحداث الشرق في كل بقعة تجد صداها ان كانت في اليابان أو الصين مثل الاحداث العربية في طرابلس والمغرب وتونس ، ولا تختلف عن احداث تركيا وايران والافغان .

***

وقد استحدثت أحداث السياسة أثرها الواضح في العراق لان العراقي بطبعه سياسي كثير الحديث عن أمور السياسة ، لا يختلف السائق في سيارته عن الاستاذ في كليته ، والقصاب مع سكينه عن الجندي والضابط مع المدفع والبندقية . فحديث السياسة والحكم شغل العراقيين مهما علت منزلتهم أو تواضع قدرهم .

وأقوى الاحداث الفكرية والسياسية في الفكر العراقي القومية والوطنية وكان الدين يتخذ سبيلا لهذا الفكر ، وقد تسابق الشعراء في التعبير عن قوميتهم بأسلوب صادق وحماسة دافقة وقصائد حلوة الرنين عذبة التوقيع مثيرة للعواطف ، ولا سيما خلال الثورة العراقية أو عند الاعداد لها ... ويظهر ذلك بكل وضوح في شعر محمد مهدي البصير ، وناجي القشطيني ، وعيسى عبد القادر ، وعبد الكريم العلاف ، وغيرهم .

وعندما اخفقت الثورة سنة ١٩٢٠ اتخذ الادب اسلوبا جديدا في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني ، فما رضي هؤلاء السكوت ودفعتهم نفوسهم الشماء وايمانهم الصادق الى بعث الروح الوطنية والقومية في النفوس والدعوة الى اخراج المحتل من الوطن ، واتخذ الشعراء هذا التيار سبيلا للشهرة والفائدة الفردية ، حتى قال الرصافي :

احبولة الدين ركت من تقادمها   فاعتاض عنها الورى احبولة الوطن

***

وقد وقف الشعراء من الثورة عدة مواقف باختلاف اتجاهاتهم الفكرية ومصالحهم الخاصة ، لان الادب ظاهرة فردية وتجارب شخصية ، وعلى قدر احساس الاديب وانفعاله بالحدث يكون عمق ادبه وصدق تعبيره ، فلا نعجب ان نرى شاعرا يقف مناديا بمواصلة القتال لانه فقد عمله ، واتسق هذا الفقد مع أمانيه القومية وأحلامه الوطنية فطالب بالنضال ومواصلة الكفاح ، فقد قال خيري الهنداوي :

ويك لا ارتضي الحياة بعر   قم فمزق اهابها تمزيقا
وادر لي في الرافدين حميا الحر   ب ، صرفا وكسر الابريقا
يا القومي لقد دهتها الدواهي   وهي تأبى من نومها أن تفيقا

ويقف غيره ضد الثورة رهبة او فائدة مثل علي الشرقي وجميل الزهاوي الذي يخاطب الحاكم السياسي السير ، برسي كوكس ، الذي عاد الى العراق بقوله :



عد للعراق ، واصلح منه ما فسدا   واثبت العدل وامنح اهله الرشدا
اراق بشعب بغاة الشر ما قصدوا   اثارة الشر فيه وهو ما قصدا

والغريب انني وجدت شعرا كثيرا غزير المادة في هذه الفترة ، وكله يهاجم الاستعمار البريطاني ، والاغرب ان اكثره منشور في الجرائد والمجلات التي كانت تسيطر عليها سلطات الاحتلال ، لان الوطنيين كانوا يتخذون كل سبيل وكل طريق ممكنة للنشر .

ولما سئم الاستعمار من حرب العراق وكثرة قلاقله ، شكل له حكومة وطنية اسهم العراقيون في انشائها ، وكان منهم النواب والاعيان والوزراء ، فكانت هذه الحكومة مدعاة سخرية لاذعة من الشعراء وفضح الاسلوب الذي سارت فيه قوى الاحتلال – فقال الشاعر :

ان الوزارة لا اباك عندنا   ثوب يفصل في معامل « لندنا »
لا يرتقيه سوى امرىء اضحى له   طبعاً وداد الانكليز وديدنا

وكان وجود هذه الحكومة مدعاة لانتشار روح التبرم والسخط عند المفكرين فقاوموها بكل طاقاتهم الفكرية ، واتخذوا التاريخ العربي والاسلامي مادة لبعث الثقة بالنفوس ، لان الامة التي لا تاريخ لها ، تكون ضائعة بين التيارات العالمية ، والشعب الذي لا يعرف بطولات قواده يكون فريسة سهلة لكل تيار اجنبي ، فكثرت عند الشعراء مفاخر الامجاد العربية والاسلامية ومواقع الانتصارات مثل خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص والمثنى بن حارثة الشيباني والمعتصم كما كثر ذكر ومفاخر النبي (ص) واصحابه وقادة الاسلام ، فقد قال محمد الهاشمي :

اين اللواء على البلاد جميعها   يرجو العراق خفوقه والشام
بين الحطيم وارض يثرب خافق   لا الدهر ينكره ولا الايام
في كل لون منه ذكرى دولة   صال الرشيد بها وصال هشام

وحذر الهاشمي الحاكم الانكليزي من خضوع العراق وهدوء شعبه الذي اغرى كثيرا من الحاكمين قبله ، وقد ظن الانكليز انهم بقوتهم وجواسيسهم واتباعهم ارهبوا الشعب فقال لهم بوضوح وصراحة بان القلوب التي امتلأت غيظا من اعمالكم لابد لها يوما ان تثور :

كيف الامان وللمطامع سورة   وعلى القلوب ضغائن وسخام
قالوا انتهى زمن الحروب وجاءنا   يوم عليه من السلام نظام
لاتامنوا غضب الشعوب فنارها   نار تنك يوقعها الاعلام

وقد كثرت السخرية اللاذعة من الوزراء والوزارة فقد حسبوا انفسهم يحكمون ولم يكونوا غير ادوات بيد الحاكم ، لكنهم صالوا على ابناء جلدتهم وساموا شعبهم الهوان مع انهم لا يملكون شيئا – قال محمد باقر الشبيبي :

قالوا استقلت في البلاد حكومة   فضحكت اذ قالوا ولم يتاكلوا
الحكم حكمهم بغير منازع   والامر مصدره هم والمورد
المستشار هو الذي شرب الطلا   فعلام يا هذا الوزير تعربد ؟!

اما اكثر الشعراء سخرية وزراية بالحكم وبمظاهره البرلمانية من دستور وعلم ووزراء وانتخابات فقد كان الرصافي اذ وجد هذه الاسماء والشعارات كاذبة كل الكذب محرفة كل التحريف عن اسمائها ، فقال :

علم ودستور ومجلس امة   كل عن الحق الصريح محرف
اسماء ليس لنا سوى الفاظها   اما معانيها فليست تعرف !

ويصف هؤلاء الوزراء بصورة (كاريكاتورية) لطيفة ضاحكة بقوله:



معروف الرصافي :
اسلوب جديد في
مكافحة الاستعمار

فوزير ملحق كالــبـنـت ... بل في عجز العبارة
نُصب أصبح شحمه ... به الفيح فسارة
وهو لا يملك أمرا ... غير كرسي الوزارة

وكيف يملك الوزير الامر والمستشار هو الذى يبرم الامر ، وعنــده الكلمة النهائية ولا يقدر أن يعمل شيئاً دون أمره ...

***

واستمر الشـــعر العربي صورة واضحة للمشكلات الفكرية والاجتماعية والسياسية في العـــراق ، فأسهم في ثورة ١٩٤١ اسهاما فعالا ، وكـــانت له صولات واضحة في انقـــلاب بكر صدقي وفي الحرب العظمى ، وبقي رائدا من خير رواد دراسة الاحداث القومية والسياسية والاجتماعية ، فوجدناه قد رسم صورا رائعة للثورات الداخلية والانتفاضات المختلفة .

وبرز بعد ذلك الجواهرى علما من الاعلام فما يمر حدث رغم تنـــاقض الاحداث الا أسهم فيه اسهاما ، وانفرد حافظ جميل بنوع خاص هو الشـــعر الخمري فلانجد له ضريبا في الشعراء المعاصرين فقد جاء باوصاف وتشبيهات عديدة لم يكن يعرفها الشعر المعاصر . وابدع نعمان ماهر الكنعاني في مطولاته اسلوبا عذبا جميلا ومعالجة واضحة .

أما المشكلات الاجتماعية فقد أخذت جانبا من الفكر الادبي لا يمـــكن أن يضاهي ما كتب في السياسة بصـــورة عامة - لان المشـــكلات العربية لاتزال سياسية في الدرجة الاولى ، فالاستعمار يهددنا في ديارنا ويمزق الشمل ويفـــرق الكلمة وله بينـنــــا ركائزه ، فانصب اهتمام الفكر على العدو الذى يهدد أهم مصالحنا للقضاء على الفكر العـــربي وتراثه المجيـــد بكل الطرق ومختلف الاساليب ، ولعل أبرز هـــذه المشكلات وضوحا هي قضية فلســـطين وما جر عليها الاستعمار من نكبات ، فلا نجد شاعرا أو مفكرا أو باحثـــا الا أسهم اسهاما مخلصا ، فلا تخلو القصـــة والرواية والمسرحية من شـــعر في فلسطين . ورغم كثرة ما نظم في الجزائر وتونس والمغرب وليبيا وسورية عندما كانت تجاهد في سبيل الحرية ، فان الشعر الذى قيل ويقال في فلسطين ، يحتاج الى مجلدات ، وذكر أسماء هؤلاء الشعراء يحتاج الى صفحات وصفحات

***

وبرزت مشكلات المجتمع حولَ تحرير المرأة متأثرة بقاسم أمين ومشـــكلات

الفلاح والاقطـــاع والمرض والفقر في المدن والارياف ، وقد انفرد محمـد صالح بحر العلوم بقضية الفلاح ونظم له ديوانا اختص بعنوان (العواطف) ، كما أسهم الجواهري وأحمــد الصافي النجفي بأعذب القصائد .

والشعر الحر نبع في العراق وبرز فيه نازك الملائكة ، وبدر شاكر السياب، والبياتي ، وشاذل طاقة . وقـد نشر انتاج الثلاثة الاول بصورة واسعة . وكان انتاج شاذل محدودا وهو من خير الشعراء الذين جاءوا بعـده بأصالته العربية وأسلوبه الجزل ، وقد تكاثر على نظم الشعر الحر الشباب فأسف الاكثر الاعم منهم .

ولكن ممن ثبت له قدم في هــذا المضمار جماعة مختارة منهم هــلال ناجي الذي امتاز على زملائه بالجمع بين الجزالة ورقة الاسلوب وجمع بين الشعر الحر والشــعر الاصيل ، لان قاعدته الادبية عميقة الجذور في الفكر العربي ، ولميعة عباس عمارة ، وحسين مردان ، وشفيق الـكمالي الذي ينظم بروح الفنان والرسام ، وكاظم جواد ، وعلي الحلي ، وســعدي يوسف ، وصالح الطعمة ، ومحمــد شلش ، ورزوق فرج ، وحسن البياتي ، وعبد الجبــار البصري ، وراضي مهـدي السعيد ، وكاظم السـحاوي ، وداود سلوم ، وغازي الكيلاني ، وزهيــر غازي ، ومالك المطلبي ، وسـامي مهدي ، وقحطــان المدفعي ، وهاشم العطار ، ويوسف الصائغ ، وخالـد عــلي مصطفى ، واكثر هؤلاء اهتم بالاطر الشعرية ، ولما اراد ان يجدد في المضامين غمضت معـانيه لان ادواته الادبية لم تسعفه على التعبير ، فكان شعره نثرا غير متناسق في المعاني والالفاظ ، ولم يتميز عن النثر بشيء ظاهر ، فقد خلط بين النظم والنثر ، ولا يجد القــارىء العربي متعة فنية او لذة روحية في قراءة اكثر هــذا الشعر . فكان ذلك سببا في الاحكام المتناقضة التي يصدرها النقاد .

***

اما القصة والمسرحية والرواية في الادب العربي في العراق فلم تظهر بمثل ظهور الشعر بمثل تكامله ، لان الشعر العراقي بقي مستمرا ، ولم ينقطع طوال القرون الوسطى والحديثة أو القرون المظلمة كما يسميها المؤرخون ، اذ لم تكن مظلمة في العراق شعرا . ولان هذه الافانين الغربية أو هذه الفنون الادبية بالاسلوب الغــربي جاءت الى العراق متأخرة كثيرا بعـد أن وصلت الشام ومصر ، وبوساطة مصر تأثر الكتـاب الذين مارسوا هذه الفنون رغم وجود محاولات قديمة في شمالي العراق .

ولعــل أول مسرحية أو قصة في العراق هي التي كتبها سليمان فيضي على حـد قول اخي وزميلي الاستاذ الدكتور جميل سعيد ، اذ لم يعهد قبل هذا التاريخ في العراق من عالج كتابة القصة الحديثة ، لان الشعر هو الادب وحده .

ولما بدأ الاديب بالـكتابة في القصة والمسرحية كان الكاتب يوقع انتاجه منهما بتوقيع مستعار ، ولكن هذا لم يمنع من انتشارهما في الجرائد والمجـلات او العكوف على الترجمة من اللغات الحية كالفرنسية والالمانية والانكليزية ، لانها كانت خير زاد يتزوده الكاتب ويطلع الاديب على انواع جديدة من الفنـون الادبية ، فكثرت القصص المترجمة التي كانت تنشر متسلسلة وأخذ الجمهور يألف هذا النوع الجديد وساعد على قبوله ما يجده في تراثه الضخم من قصص وأحاديث وانبــاء وغزوات في تاريخه المجيد .

ومن الرواد الذين عنوا بالقصة في العراق كتابة وترجمة يوسف رجيب ، ورفائيـل بطي ، ويوسف متي ، وخلف شوقي الداودي ، وحســين الظريفي

ومعمر خالدالشابندر ، وسعيد الشهابي،وعبد الوهاب الامين ، وعبد الستار فوزي ، ولطفي بكر صدقي ، وعبدالحق فاضل ، وشــالوم درويش ، ورءوف الجبوري ، واكرم فاضل ، فقــد ترجم لتورجنيف ، ودى موبسان ، وجوجول ، ودستويفسكي ، وتولستوى ، وديماس .

اما ألمع اسم في مضــمار القصة العربية في العراق فهو محمود السيد أحمد . فهو من ابرز كتاب هذه الفترة وقــادتهم لانه كان يعرف ما يريد أن يكتب ، وكان منهج الكاتب واضــحا سليما ، وقد أثرت فيه الاداب الغربية وبدت في كتاباته اثار سفرته للهند ، فقد عاد بفكر جديد ورأى اصــلاحي واضح في الاجتماع ، واتخــذ الفكر الثوري سبيلا في كتاباته ، كمـا تأثر بالمطبوعات المصرية لاسيما المقتطف و « الهلال » وما كان ينشر فيهما مــن اراء في الفلسفة والادب والاجتمــاع ، وكان متفتح الذهن واضح القصد ميالا كل الميــل الى الادب الروسي الواقعي لشابهته للحياة العراقية ، وريادته ان لم تكن قد تكاملت فنيا خير شفيع له في أن يحتل مركز الصدارة .

وقد اسهم أنور شاءول في خــدمة القصة بانتاجه وباصداره مجلته الخاصة وان لم تواته الظروف على الاســتمرار في الخدمة لمدة قابلية يمكن الاستفادة منها على أوسع نطاق .

اما الاديبان اللذان لهما فضل واضح في اغنــاء القصة والرواية في العراق بالانتاج الوفير فهما ذو النون أيوب ، وجعفر الخليلي ، ويظهـــر أسلوب الخليلي واضحا بما حواه من اصــالة العبارة العربية وبسرده الممتع وان أخذ عليه النقاد بأنه لم يكن في انتــاجه مصلحــا اجتماعيــا أو فيلسوفا له فلســفة خاصة . ولا اتفق مع هؤلاء النقاد مادام الخليلي قــد أغنى أي انتــاجه الادب العربي وزوده برشاقة الاسلوب وجمال التعبير . وذو النون ايوب امتاز بالتصاقه بالشعب العراقي وصور البؤس والشقاء ، كما صــور مهاويء نظام الحكم وفساده ، وكان واقعيا ، وسافر الى « فينا » فتطور ادبه وتجدد كثيــرا في المفهوم الفني لاختلاطه بالحياة الغربيــة وتفهمه لكثير من التيارات .

ولا يمكن لمؤرخ الرواد أن يتجاهل عبد المجيد لطفي اثر الانتاج الواسع الافانين ، ولا يكاد الانسان يحس بابتعاده عن ميادين الكتابة في كل الاوقات وله ملكة غريبة في الكتابة والافاضة ؛ـما يكتب ، وهو رقيق العاطفة والخلق الفردي، وقد انعكس هذا في أدبه بوضوح .

[illegible]



وجاء الى هذا الميدان جمهرة طيبة مثل صلاح الناهي ، وشاكر خصباك ، وصفاء خلوصي ، وفؤاد التكرلي ، وعبــد الحق فاضل ، ونزار سليم ، ونهاد التكرلي ، وحمدى علي ، وعبد الرزاق الشيخ علي ، وعبد الله نيــازى ، وعبد الصـــمد خالقاه ، وعبـــد الملك نوري ، ومحمــد روزنامجى ، وغــائب



الزهاوي : كل ترحاب للقومية العربية ..

طعمة فرمان ، وخالد الدرة ، وجبرة ابراهيم ، وابراهيم حقي ، وعبدالواحد خماس ، وادمون صبري ، وعبد الغني الملاح – واكثر هؤلاء محدود الانتاج رغم اصالة الانتاج وصدق الرؤية وسعة الادراك ، وقد ترك الكثير منهم الكتابة او اصبح محدودها ولعل عدم وجود الناشر المنصف الامين قد ابعدهم عن ميدان الكتابة وفقدنا عناصر التجديد والتطور عند قسم من هؤلاء .

وبعد هذا الجيل جاءنا جيل الشباب الطالع مثل موفق خضر ، وعزيز السيد جاسم ، وعبد الرحمن الربيعي ، وحازم مراد ، وعبد اللطيف الراوي ، وغازي العبادي ، وسعيد الحكم ، ويوسف الصائغ ، وعامر رشيد السامرائي ، وعبد الرزاق المطلبي ، وغانم الدباغ ، وصاحب كمر ، وغيرهم كثير . وبين هؤلاء نجد الرفض الواضح والغضب الصامت والغموض العميق ، واكثرهم يتدفق عاطفة ، وفيهم كتاب سيكون لهم مكان واضح في كتابة هذا النوع من الادب ، غير أن بينهم نرى ركة الاسلوب وسطحية الفكرة لضحالة الثقافة وسرعة الكتابة وقليل منهم الجيد الممتاز .

اما المسرحية فاول ظهورها كان في المقاهي وبشكل هزلي وكانت تعرض بين فصول الغناء والرقص القديم لتسلي الحضار ، وليكون هذا الوقت فسحة لتجديد الفصل المقبل ، وكانت بصورة بدائية ساذجة تتماشى مع طبيعة الحياة الهادئة الساذجة ، واشتهر في العراق جعفر لقلق زاده ، واحتكر هذا الفصل الهزلي وقتا طويلا ، كما يشهد أهل العراق المسرحية الساذجة التي تمثل مقتل الامام الحسين في كل بقاع العراق وكنا نتسابق في الاسهام في هذه المسرحية ونحن اطفال صغار ونرتدي ما يليق بنا من ملابس التمثيل تبركا وحبا بالظهور والمباهاة .

اما أشهر المسرحيات التي هزت الضمير الشعبي بعمق وصدق واثارت عواطفه فهي مسرحية (وحيدة) لموسى الشابندر الذي نشرها بتوقيع مستعار ، بيد أن الزميل الدكتور جميل سعيد يشير الى أن رواية سليمان فيضي هي قبلها وان كتبت لتقرأ الا انها مسرحية رائدة ، وقال الزميل الدكتور علي الزبيدي هي صورة تعكس حياة المجتمع وما اعتوره من خمود وانشقاق وتردد .

***

ولما كانت بغداد هي العاصمة ومركز الثقل الفكري والثقافي ، فقد عنيت

الحركة الادبية بالانتباه الى المسرحيات التي كانت تمثل في العراق وبخاصة الموصل ، وقد تحرى الدكتور الزبيري الامر واطلع على مسرحيات مثلت سنة ١٨٨٩ ، وكان الطابع الغالب عليها دينيا مثلت لنشر المبادىء الاخلاقية على الاكثر . ولم تمثل المسرحيات الفنية او ما يقاربها الا بعد العشرينات لما اخذت فرق التمثيل تصل بغداد من القاهرة ، وسرت روح جديدة واسلوب واضح وفنية راقية بالقياس الى سذاجة البداية في العراق .

ويرى بعض المؤرخين أن هناك قبل الحرب العظمى روايات مثلت مترجمة عن نامق كمال وغيره من الادب التركي، وليست العبرة بالقدم وان كانت الريادة وحدها من الفضل . انما يجب أن تكون المسرحيات قد استوفت جوانبها المتطورة .

وبالرغم من تفاؤل بعض الكتاب بحركة المسرح في العراق فاراه مازال بحاجة الى دعم والى روح فنية عالية لان التمثيل ظاهرة شعبية وحضارة فكرية تنبع من وجود التطور الفكري والتمثيل الحضاري الجديد ، وشاهدي على دعواي كثرة الشكاوى من عدم مساعدة الممثلين واسناد الفرق التمثيلية، ونحن لسنا أمة تمثيل لاننا نسأم من الجلوس ساعات ، لهذا قلت الرواية في الادب فطبيعة العراقي كر وفر وحرب واخذ الامر بالسرعة والغلب ، وهذا ليس من طبع رواد المسارح الذين يحلقون ساعات في صور المسرح التي يتخيلها الحاضرون ، ويشتد الاقدام على المسرحية عندما تداعب العواطف العميقة ولا تخاطب العقل وتكلم الفكر .. ولهذا برزت المسرحيات الوطنية والقومية عندما هاجمت الاحتلال والاوضاع الفاسدة ، وكانت الموصل من أهم مراكز القوى العربية الاصلية عندما هم الاستعمار باضافتها الى تركيا الكمالية ، فبعث الادب كله من قواعده لدعم الفكر القومي واثارة الروح الوطنية في النفوس فكثرت أمجاد العرب والاسلام في التمثيل ، فمثلت فتح الاندلس ، وفتح عمورية ، ووفاء العرب ، وخروج العرب من الاندلس ، وهارون الرشيد والزباء .

ومما لا جدال فيه ان ابرز شخصية رائدة هي حقي الشبلي فقد قاد الحركة بكل قواه ورغم مواهبه وقابلياته والدعم المستمر ، الا أن حركة المسرح لم ترتفع بالقدر الذي بذل من جهد وطاقة وحتى الان لم يستمر اكثر الممثلين في العمل ، وكم من فرقة انحلت ، ومن الصفوة الباقية يوسف العاني .

واثر المسرح المصري واضح السيرة سواء في المسرح القومي أم الوطني ام الانساني ، وظهرت على المسرح كما ظهرت على الادب النزعة التقدمية بعد أن أصبح العراق بلدا اشتراكيا ...

ومن كتاب المسرح حقي الشبلي ، وصفاء مصطفى ، ويوسف العاني ، وسليم بطي ، وسليمان الصائغ ، وناجي الراوي ، ونديم الاطرقجي ، ومحمد منير ال ياسين . ويرز كتاب المسرحية الشعرية منهم محمد الهاشمي ، وعبد الغني الملاح ، وخضر الطائي ، وعلي الصغير ، وعبد الجبار الطلبي ، وعاتكة وهبي الخزرجي ، وعبد الستار القرغولي . ولعل من خير رواد المسرحية وكتابها خالد الشواف فقد نظم ثلاث مسرحيات : «الاسوار» و «شمسو» و «الزيتونة» ...

هذه مقدمة سريعة عن تيارات الادب العربي في العراق ، وبالطبع فانه لا يمكن أن يستوعب الكاتب هذا الخضم الزاخر من مختلف الوان الادب في مقال واحد ، وعسى أن تحين فرصة في مقالات أخرى لبحث الوان الادب الاثرة والمكملة لصورة الادب العربي العراقي المعاصر ...

الأدب المعاصر

عدنان الداعوق

ينابيع الثقافة العربية في سورية



كوليت خوري : المذهب التحليلي في القصة المعاصرة

لابد ان يتبادر للذهن ــ في اول الحديث عن الادب المعاصر في سورية ــ حديث الشعر ، حديث النــاس منذ اقدم العصور حتى ابعدالعصور كذلك .. ربما لان الشعر هو غناء الناس ، همسهم ، عواطفهـم ، احاسيسهم ، وتفاصيل مشاعرهم ، الذاتية تجاه النفس وتجاه المطلق ..

ولعل الشعر هو اقدم الفنــون الادبية المعروفة في سورية ، يليه فن القصة ، واخيرا فن المسرح ...

لو أننا أردنا الحديث عن ينابيع الثقافة العربية وتاريخها في سورية ، لكلفنا ذلك عودة الى الماضي البعيد مما يستلزم بحثا كاملا ومنفصلا ، وربما يعود الى فترة ممتدة عبر أزمان سحيقة

لذا في هذا البحث سنحاول أن نلقي الاضواء على مختلف الفنون الادبية المعاصرة ، مع التجاوز قليلا عن الدراسة التاريخية التي قد تكون معروفة لدى العديد من الدارسين المختصين ، ودون أن نعرض كل الاسماء التي لعبت ادوارها في هذه الفنون ، وسوف نكتفي بالملامح البارزة والمدارس الادبية التي رافقت هذه المعاصرة من شعر وقصة ومسرح ·

فالشعر العربي في سورية – حتى بداية الخمسينات وظهور المدرسة الشعرية الحديثة – لم يكن الا شعرا (كلاسيكيا) ما خلا بعض المحاولات المتفرقة التي تنضوي تحت مفهوم (الشعر المنثور) ، وتلك كانت محاولات وجدانية تأثرت بالاشعار الغربية ، اذ أن اغلب من كتبها حملها معه من الغرب الى الشرق حيث كان في الغرب يتلقى العلوم والمعارف ·

ان الشعر العربي في سورية جزء من الحياة الثقافية في الوطن العربي ، وكان منذ الامد الطويل يتسم بصفتين رئيسيتين هما : (الصفة القومية) ، وصفة (الالتزام) ·

ولعل ابرز صفات الشعر في سورية هو الشعر القومي · ذلك لان سورية كانت على احقاب متتالية من الزمن تئن تحت وطأة الحكم العثماني وتبعه الحكم الفرنسي في الانتداب على سورية ، وكان لابد للشعراء من أن يقولوا الشعر ، وأي شعر يقال غير الشعر القومي في زمن الاستبداد والاستعباد ؟!

فهذا (جبرائيل الدلال) ١٨٣٦ ـ ١٨٩٢ ، وهو شاعر تأثر « بفولتير »

عبد الله ونوس : اتجه مباشرة للكتابة المسرحية



وأنكاره ، وقصيدته المعروفة باسم (العرس والهيكل) تدور حول مقاومة السلطان وتدعو الى الحكم الجمهورى ، وقد سجن الشاعر ومات فى السجن من أجل هذه القصيدة ، وكذلك (أديب اسحاق) ١٨٥٦ ـ ١٨٨٥ ، الذى تتلمذ على يدى المصلح الكبير (جمال الدين الافغانى) ، وكان أول داعية فى أشعاره الى فكرة القومية والوحدة العربية ...

كوكبة فى سماء العروبة

ففى مدرسة الشعر الكلاسى ، تبرز كوكبة من الشعراء تشرق فى سماء العروبة وتضيء ، وتترامى ظلال اضوائها فتنبعث فى كل أرض عربية ، وقد لا نستطيع أن نقدم واحدا من هؤلاء على الآخر لانهم كلهم فى الجودة سواء ، وهم على التوالى :

(بدوى الجبل) الشاعر الذى تأثر بروح العصر فجانب سهولة التعبير عن المشاعر الذاتية بتحرره من المعانى والأطر القديمة التى كانت تتمسك بالتقليد الخشن ، فجاء هذا الشاعر بثراء الايقاع اللفظى المرهف وألوان الصور المتباينة ، متخطيا مرحلة البلاغة اللفظية فى اشعار (خير الدين الزركلى ، وخليل مردم بك ، وشفيق جبرى .. وغيرهم) .

ويلى (بدوى الجبل) الشاعر (أنور العطار) : الذى يمثل المدرسة (الرومانسية) فى الشعر العربى المعاصر فى سورية خير تمثيل ، فهو وصاف الطبيعة الذى لا يجارى ، وهو الهامس الرقيق فى نسيم الربيع . وهو شاعر (الغوطة) الغناء ..

أما الشاعر (عمر أبو ريشة) فهو نسيج وحده فى هذه المدرسة الكلاسية، وهو الى جانب تمسكه بالجزالة الشعرية الاصيلة ، شاعر مجدد من حيث الرؤية الجديدة للعصر ، متفهم للدنيا ، طواف الافاق ، راكب أجنحة الشعر شرقا وغربا . سفير بلاده ، متنقلا من قارة الى قارة ، فهو تارة فى باريس وأخرى فى الهند ، وثالثة فى الارجنتين ورابعة فى البرازيل ..

ولعل هذا الطواف المستديم أتاح له الرؤى الجديدة ، فنظر الى العالم وقضايا الانسان ، نظرة الانسان فى كل مكان . كل هذا دون أن تحول الاسفار بينه وبين أرضه وبلده وما تعانيه أمته :

أمتى ، هل لك بين الامم ... منبر للسيف او للقلم ؟
أتلقاك وطرفى مطرق ... خجلا من امسك المنصرم
ويكاد الدمع يهمى عابثا ... ببقايا كبرياء الالم !

....

الاسرائيل تعلو راية ... فى حمى المهد وظل الحرم
رب (وامعتصماه) انطلقت ... ملء افواه البنات اليتم
لامست أسماعهم لكنها ... لم تلامس نخوة المعتصم .

من قصيدة (بعد النكبة) عام ١٩٤٨

أما الشاعران (سليمان العيسى ، وخليل الهنداوى) فهما يمتدان من المدرسة (الكلاسية) حتى المدرسة (الجديدة) فى الشعر الحديث ، وان كان (العيسى) أوفى من رفيقه للشعر ... اذ أن (الهنداوى) متعدد الجوانب الادبية غير ملتزم بالشعر ، فهو الكاتب القصصى المبدع ، والكاتب المسرحى المجيد ، والشاعر الذى لايزال يغنى ، والناقد الدارس المتأمل .



غادة السمان :
مع كتاب القصة
الفني في القصة
السورية . . .

اصالة الشعر الكلاسى

بعد هذا الرعيل فى مدرسة الشعر الكلاسى ، تجتاح الوطن العربى موجة (الشعر الحديث) ويكون للشعراء السوريين نصيب فى هـــذا الضرب الشعرى المتجدد علي أيدى ثلاثة هم فى الواقع طليعة الشعراء المجددين فى سورية ، وهم :

(وصـــفى قرنفلى) الـذى تميز بايقاعات جديدة فى الشعر الرومانسى ، وباسلوب عاطفى مرهف ، عبـــر عن احاسيسه تجـــاه الطبيعة والخمـــر والمرأة ، الى جانب (الالتزام) القومى باللامح الاشتراكية :

أما الشاعر (عبـــد السلام عيون السود) ١٩٢٢ ـ ١٩٥٤ ، فقد كانت حياته القصيرة تختصر معنى واحـــدا لحياته الشعرية : الحزن والمرض ٠٠ ابتلى بمرض القلب ، فحزن عـــلى نفسه وعلى قلبه ، وتهالك يرسم ظلال ماساته : ـ الحزن مهنتى ـ وكانما ماخلق هذا الشاعر الا ليحزن :

انا يا اخت متعب ، وسلى الريح سليها تجبـــك عن اعيـــائى
وانا انت فى انفلات الاعاصير بنثيـــــاى وامتـــداد شتائى
لـــفنى الــــدرب ، فارتميت على الدرب ، مصيرا معصبا بعمائى
وتهاويت مثقـــلا ، ناء بالعبء فالقى يديه : خيطى عنـــــاء

اما الهرم الثالث فى مدرسة الشعر الحديث ، فهو (عبد الباسط الصوفى) ١٩٣١ ـ ١٩٥٩ ، صـــــاحب ديوان « أبيات ريفية » الذى طبع عام ١٩٦١ ، بعد أن مات الشاعر فى غينيا بافريقيا عام ١٩٥٩ ٠

وهذا الشاعر يكاد يكون « نسيج وحده » فى الشعر العربى المعاصر ، وهو يمتاز بانه يجمع بين أصالة الشعر الكلاسى وتجديد الشعر الحديث ، ويعبر تعبيرا عميقا عن مأساة الضياع والتيه التى يعانيها الجيل العربى الجديد فى سعيه لتحقيق ذاته ٠٠٠

عاش هذا الشاعر ضائعا ، وأراد أن يتعـــرف على نفسه فارتحـل الى افريقيا ـ ليدرس هناك اللغة العربية ـ لعله يلقى فى تلك القـــارة السمراء نفسه الضائعة ، فما زادته الغربة الاالما وضياعا :

« أنا والشراع ، وقيثارتي : غربة وارتحال » .

في الغربة عاش هذا الشاعر أعمق التجارب الشعرية الانسـانية ، عاش الألم والمأساة ، عاش الحب المنى ، عاش الوجود المزيف ، عاش الذكريات التي هرب منها وتراءت أمامه سـبل الخلاص ..

ويصاب (عبد الباسط الصوفي) في مدينة - لابي - بغينيا ، بالتهـاب السحايا ، فيقدم على الانتحار ، ويموت في الغربة بعد أن يخلف وراءه بعض الرسائل وحفنة الاشعار ...

رياح الغموض والرمزية

كان هؤلاء الثلاثة (وصفي قرنفلي - الذي لايزال يموت مشلولا منـذ سـنوات طريح الفراش بلا كلمة ولاهمسة - وعبد السلام عيون السود - وعبد الباسط الصوفي) الهرم المجدد في الشعر العربي المعاصر في سورية..

وقد ترك هؤلاء الثـلاثة بصماتهم الشعرية على أغلب الشعر الحديث .. فجرى على تقليدهم شعراء كثر ، منهم من استطاع الوقوف ، ومنهم من جرفته رياح الغمـوض والتوغل في الرمزية والانحراف والتحلل من بقايا الاصالة العربية أو من ملامح التجديد الاصيل، الى نسيان أحسن اليهم وأنصفهم .

مولد القصة السورية

لن ندخل ، منذ البداية ، في متاهات البحث التاريخي أو الفلسفي لمولـد القصة السورية ، اذ أن مولدها علـى السطح وليس عميق الجذور..وتاريخها كشكل من أشكال الفنون الادبية تاريخ قصير .

فالقصة كمـا ائتلفت وعرفت به اليوم ، لم تكن معروفة بالامس .. لكن القصة بوجه عام ، وكفن قائم بذاته ، وكعالم مثير وعجيب وغامض أحيانا، استهوت الكاتب السوري ، وأثارت في نفسه مختلف المشاعر واقصى الحماس.

لم يكن أمـام الادباء السوريين الاوائل سوى باب (الترجمـة) ... باب واسع عريض أطلوا منـه على العالم ، واشرفوا من خـلاله على ثقافات الامم وفنونهـا وفي القصـة على وجه الخصوص .

فاذا كان عام ١٨٨٦ صـدرت في دمشق أول نشرة ادبية قصصية روائية لصاحبها (سـليم وحنا عنحوري) .



توفيق الحكيم . عندما وقفت القصة المصرية على قدميهـا

وكانت بداية حال الادباء السوريين في الترجمة ككل بداية ٠٠ لا تخلو من ركاكة في الاسلوب وتعرض المترجم لرأيه الخاص فيما يترجم في غالب الاحيان - كما لم تخل هذه الترجمات من كثير من التعابير العامية المفرطة، الى لجوء جزئي حينا وكلي أحيانا الى ترجمة النص نظما وشعرا وزجلا ٠

وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر بعض القصص الموضوعة ٠ وكان أول المهتمين بها (فرنسيس مراش) الذي أصدر قصة (غابة الحق) عام ١٨٦٢ وتبعه (نعمان القساطلي) بقصة (مرشد وفتنة) و (أنيس وانيسة) في عام ١٨٨٠ ٠

أما (القصة القصيرة) فقد ظهرت لاول مرة على يدي (شكري العسلي) عام ١٩١٣ وكانت بعنوان (نتائج الاهمال) ٠

لكن القصة السورية بدأت في النضج في الفترة الواقعة ما بين الحربين العالميتين ، نتيجة لعدة أسباب :

اولا : الصحافة : فقد تنوعت الصحافة وتعددت بحيث أخذت تغرى الادباء بالنشر ٠

ثانيا : الاحتكاك الثقافي ، وذلك بعد ان انجبت سورية عددا كبيرا من الشباب المتطلع الى الثقافة العالمية ، اما نتيجة حتمية التطور ، واما بعيد بعثات الدراسة ، هذا بالاضافة الى اتصال سورية مباشرة بالثقافة الفرنسية بعد الانتداب الفرنسي لسورية ٠

ثالثا : أن سورية كانت على صلة وثيقة جدا بالدول العربية الاخرى وخاصة مصر التي قطعت أشواطا بعيدة في التجديد والفنون الادبية ، وبرزت في مصر في تلك الآونة ثمرات القصة الناضجة التي وقفت على قممها عند (الدكتور حسين هيكل ، وحسين فوزي ، وأحمد تيمور ومحمود تيمور ، وطاهر لاشين ، وتوفيق الحكيم ويحيى حقي) وغيرهم ٠٠٠

طليعة كتاب القصة

وقد عرفت القصة السورية التكامل والنضج الفني على يدي واحد من روادها الاوائل هو (على خلقي) صاحب المجموعة القصصية (ربيع وخريف) الصادرة عام ١٩٣١ ، وتعاقب من بعده عدد آخر من الرواد أمثال (محمد النجار ، نسيب الاختيار ، فؤاد الشايب ، معروف الارناءوط ، والدكتور شكيب الجابرى) ٠

وان نحن أردنا دراسة القصة السورية وتصنيفها ٠٠ كان ذلك من خلال مذهبين أدبيين ينتمى اليهما كتاب القصة المعاصرين في سورية ، وهما :

المذهب الواقعي : ويبرز في طليعة أدبائه (الدكتور عبد السلام العجيلى) الذى نشر أول مجموعة قصصية له عام ١٩٤٨ بعنوان (بنت الساحرة) ولايزال يتدرج في النضج الفني المتكامل كما وكيفا ، يعطي ويثرى القصة العربية بنتاج يقف على أحسن المستوى الفني للقصة العربية ٠

ولا أزال أذكر مرة كنت أتحدث فيها بنبوة عن (الدكتور عبد السلام العجيلي) أن قلت :

(اذا كان للشعر امير ، فللقصة اميرها وهو الدكتور عبد السلام العجيلي) ٠ والمتتبع لانتاج هذا الكاتب الفذ يضعه حتما في طليعة كتاب القصة في الوطن العربي وليس ضمن الكتاب السوريين فقط ٠



د . عبد السلام العجيلي : في طليعة كتاب المذهب الواقعي . .

ويمارس عدد من الكتاب الواقعيين كتابة القصة وتتفاوت درجة انتاجهم كما وكيفا منهم (خليل الهنداوي . مظفر سلطان ، حسيب كيالي ، جورج سالم ، وداد سكاكيني ، اديب النحوي، فاضل السباعي ···) وغيرهم ·

اما المذهب الثاني في القصة السورية المعاصرة فهو (المذهب التحليلي): ويضم عددا من الكتاب امثال (اسكندر لوقا ، وليد اخلاصي ، غادة السمان ، كوليت خوري ، زكريا تامر ، وعدنان الداعوق) · (١)

والمتتبع الدارس لادب القصة في سورية ، يلمح امرا مهما هو تاريخ فترة ما بين أعوام ١٩٥٠ـ١٩٦٠ ، فان كتاب القصة خلال هذه الاعوام قد تجاوز العد والحصر ، وقفز الى العشرات والعشرات ، لكن هذه الاسماء سرعان ما انحسرت عن الساحة القصصية ولم يبق منها للان سوى عدد اقل مما كان ·

ولا شك ان لاختفاء تلك الاسماء اسبابا منها اقتصادية وسياسية واجتماعية وفكرية ، بالاضافة الى ان فن القصة فن يستهوي الكاتب الناشيء ويغريه ، وككل تجربة يسقط فيها من لا يكرس نفسه لها · ويبدع فيها من يعتبرها الهدف والغاية ووسيلة التعبير الحقيقية ·

عن المسرح السوري

اما عن المسرح السوري فاننا نستطيع منذ البداية ان نحدد امرا ثابتا هو ان المسرح المكتوب عرف في سورية في الثلاثينات ·· أو ما قبل بقليل ·· أما المسرح الجماهيري : (تمثيل وديكور واضاءة وما الى ذلك) – فلم يعرف الا في بداية الستينات ·

لكن الشيء الثابت هو أن الاندية الخاصة والفرق المسرحية كانت منذ بداية القرن العشرين تعتمد على النصوص المترجمة والمحرفة من

---

(١) ويضع الاستاذ (عدنان بن ذريل) في كتابه الموسوعة (القصة في سورية) المذهب الوجودي ، والرمزي ، وادب اللامعقول ، مع كتاب المذهب التحليلي ويشير اليهم بالتحديد والاسماء وهم : (عدنان الداعوق ، غادة السمان ، زكريا تامر ، ولبد اخلاصي) ·

مسرحيات أجنبية ، ولم تكن هذه الفرق والاندية الخاصة تسهم بحركة تأليف مسرحي سوري لانهـــا في الاصل لم تكن مهيأة لهذا الفن ٠

ولم يظفر المسرح في سورية الا بعدد قليل جدا من الكتاب المسرحيين امثال (خليل الهنداوي ، ومصطفى الحلاج) ، لكن المسرح ـ فيما بعد ـ وبالتحـديد منذ بداية الستينات ، انتزع عـــددا كبيرا من الكتاب والقصصيين والشعراء امثال : (وليد مدفعي ، مراد السباعي ، صدقي اسماعيل ، حسيب كيـــالي ، مطاع الصفدي ، محمد الماغوط ، علي كنعان ، عـــدنان مردم بك ، ممـــدوح عدوان ، وليد اخلاصي) وغيرهم ...
بالاضافة الى عدد آخر اتجه مباشرة للكتابة للمسرح امثـــال : (سعد الله ونوس ، غسان ماهر الجزائري) ٠

ولعل السبب يتضح في أن المسرح لم يجتذب اليه كتابه ومؤلفيه لعـــدم وجوده في الاصل ، ولان الدولة لم تكن لتهتم بالمسرح من قبل ، عـــلى العكس مما هو اليوم اذ يعتبر المسرح السوري الان المدرسة الشعبية الاولى التي تتناول مختلف أوجه النشـــاط الاجتماعي والسياسي والفكري ٠

وكتـــاب المسرح السوري ينتمون ، كذلك ، الى عدة مذاهب فنية ٠ فهناك (المسرح الواقعي) ويضم (وليـــد مدفعي) و (حسيب كيالي) وغيرهما ، وهناك (المسرح الفكري) ـ مطاع الصفدي ـ في مسرحيـــة (الاكلون لحومهم) وهذا المسرح يعتمد على الفكر والفلسفة والطرح الغامض ..

وهناك (المسرح الشعري) كاغلب مسرحيات (عدنان مردم بك) ـ مصرع الحسين ، عبد الرحمن الداخل ، غادة افاميا ، العباسة ، الملكة زنوبيـــا ـ وكذلك مسرحية (السيل) للشاعر علي كنعان و (الغائض) للشاعر ممدوح عدوان و (العصفور الاحدب) لمحمد الماغوط ـ وهذه المسرحيات الثلاث من الشعر الحديث الممسرح ٠

كذلك لابد هنـــا من ذكر (مسرح الشوك) وهو مسرح شعبي انتقـادي هدفه النقد البناء والتوجيه السليم ، ويدين مسرح الشوك لكل من الفنانين (دريد لحام ، وعمر حجو) ولقـــد اجتذب هذا المسرح جمهورا كبيرا من الناس ، وصار له رواده ومحبوه مما يدل على نجاحه وتفوقه ٠
ومن معالم تشجيع الدولة للمسرح في سورية :
١ ـ انشاء وزارة الثقافة السورية الفرقة القومية للفنون المسرحية ٠
٢ ـ تقديم مواسم مسرحية ثابتـــة ومتنوعة ٠
٣ ـ تشجيع الدولة لحركة التأليف المسرحي ٠
٤ ـ انعكاس نشاط المسرح في مصر على سورية ٠
٥ ـ نمو النشاط المسرحي وارتفاع سوية الفن عموما ٠

وليس ادل على الاهتمـــام بالمسرح السوري من الظاهرة المسرحية الكبرى في (مهرجان دمشق للفنون المسرحية) الذي يعقد في دمشق كل عام وتدعى اليه الفرق المسرحية من مختلف ارجاء الوطن العربي لتقـــدم عروضهـــا ومسرحياتها وتختتم في النهاية هـذا المهرجان الكبير بندوة تبحث فيهـــا شئون المسرح وتوضـــع التوصيات لدراستها في العام التالي ٠
هــذه هي بالاختصار حكاية الادب المعاصر في سورية من شعر وقصة ومسرحية ٠

أدب المعاصر

الشعر أجمل تعبير عن الواقعية

يختار الشاعر السوداني بحوره ، فى الغالب ، قصيرة ومجزوءة ، ومقاطعه يغلب عليها النبر الحاد ، كما أنه يتعرض ، فى الغالب أيضا،للجليل لا للجميل ويقترب من لغة الحياة ، معبرا عن واقعه أجمل تعبير ..

د . عبده بدوى

من قديم والجزيرة العربية تفيض على جيرانها بمدد انسانى غزير ، ولقد كان نصيب الحبشة والنيل الازرق ، وعطبرة ، وسواحل السودان الشرقية وافرا ومتتابعا . وقد ساعد على هذا ضيق البحر الاحمر فى المكان المسمى « باب المندب » بحيث اصبح يغرى الناس على العبور بعد العبور .. ثم جاء الاسلام فساعد على ان تكون هذه المنطقة جسرا ثابتا لا يمتنع على احد ، فاذا اضفنا الى هذا الرافد فى منطقة الشرق روافدين أخرين فى الشمال والغرب أدركنا النتيجة التى ستترتب على ذلك . وهى « تعريب السودان » وقد تمت بالفعل حين تكونت مجموعتان كبيرتان أولاهما : المجموعة الجعلية والكواهلية وتمثل عرب الشمال ، وثانيتهما المجموعة الجهنية وتمثل عرب الجنوب فى الجزيرة العربية .

وقد زاحمت هذه القوى الجديدة مملكة « المقرة » الشمالية ، ومملكة « علوة » الجنوبية ، بحيث لم يمض وقت طويل الا والراية العربية ترفرف

العربية فى السودان

فوق هاتين المملكتين بيد « العبدلاب » و « الفونج » . وقد تعلقت الابصار بهذه الراية لانها ارتفعت بين حقبتين من أقسى الحقب على المسلمين ففى عام (٨٩٧ هـ ــ ١٤٩٢) سقطت أسبانيا بسقوط غرناطة . وفى عام (٩٢٢ هـ ــ ١٥١٧) احتــل الاتراك العثمانيون مصر ، وفى الوقت نفســه كان العراق مازال يعانى من عملية تخريبية ، وكانت بلاد الشام قد وقعت هى الاخرى فى يد العثمانيين ــ وكان المغرب قد فقــد بريقه . أما المسلمون فى الحبشة فبعد أن ارتفعت رايتهم وشمخوا ، وأصبحوا مغلوبين على أمرهم ...

وفى هذه العتمة الحقيقية ظهرت ثلاث دول فتية فى السودان هى ممــالك الفونج ، والفور ، وتقلى ، وقد أسهمت هذه الدول اسهاما رائعا فى نشر الاسلام واللغــة العربية ، فقــد استقدموا العلمــاء ، واكرموهم ، واستقدموا المتصوفة ورفعوا مكانتهم ، وهكذا كان من المناظر المألوفة أن تحــاط زاوية الشيخ بالدواب ، وأن يملأ المدخل ــ كما قيل ــ بيغال الفونج والعرب ، بل لقــد كان المسئولون فى دولة الفونج مثــلا يخرجون لامر الناس ، فاذا علموهم الاسلام أطلقوهم ، كمــا أنهم كانوا يلاحقون العلماء فى أكثر من مكان فى العالم العربى بالهــدايا ، وبالدعوات للحضور .

لا تعجل باللوم

ومهما يكن من شىء فقد حمل هؤلاء العرب القدامى لغتهم ، بالاضافة الى عدد من اللهجات الى هذه الاماكن التى ظهروا فيها ، وللحقيقة يمكن القول بأن فى عربية السودان جزالة وشدة أسر تذكر بما هو موجود داخل المعجمات ، ثم ان عامية السودان تعتبر من أفصح العاميات فى العالم العربى ، وهى تقرب ــ كما قيل ــ من لهجة بنى أسد فى الجاهلية .

ومن هنا يقول حسن نجيلة : « اذا أتيح لك الاستماع الى بعض هــذه الالفاظ ، أو رأيتهم يبدلون الحروف على غير ما تعهد ، فلا تعجل عليهم باللوم وانما ، اتهم نفسك بالعجمة أولا وعد الى كتب اللغــة واستفتها تنبئك

باليقين » (١) فهمثلايستعملون الاضاة بدلا من الغدير ، والبطحا للمكان المتسع ، والبرمة للجرة من الخزف ، والقلوص للجمل الصغير ، والتلتلة للحركة بعنف ، والجداية للظبي ، والحوار للتلميذ ، والزول للانسان ، والسرحان للفجر ، والكراع للرجل ··· حتى ان الدكتور طه حسين حين عاب على الدكتور عبد الله الطيب ورود هذه الكلمات في شعره ، رد عليه بأن هذه الكلمات ـ وامثالها ـ من المتداول في السودان ، وكان مما قاله : ·· اما بعد يا سيدى فانا بدوى حقا لان اهل السودان الشمالى كلهم اقرب الى البداوة ، ولهجتهم الدارجة فيها غريب كثير ، وقد حاكيتها في نظمى كثيرا ، واجتهدت ان انقل الى القارىء لونا من جزالتها وجزالة قومى ، وليعذرني سيدى ان قلت ان اول معرفتى بالعربية كانت من طريق هذه اللهجة الدارجة فى اناشيدها وشعرها (٢) » ·

وقد بدأ الشعر فى السودان شعبيا لا يخضع لتقاليد الفصحى ـ وان خالف فى هذا محمد محمد على ـ وان كان ينطوى على الاغراض والصور والموسيقى المتوارثة ، واللاحظ انه فى اول امره قد امتزج بالغناء ، بل يمكن القول بانه كان غناء خالصا ، وترنيما محضا ، فعندهم غناء « النميم » الذى يدور حول حث الابل على السير ، وحول التشوق والتلهف على الحبيب ، وعندهم الغناء المسمى «الطرق» لاقترانه باصوات العصى المتتابعة ، وقد كان لكبار القوم مغنون يسمى كل واحد « اللبيب » أو « الغناى » ، كما ان البقارة عرفت الرجل الذى يغنى على فرسه بما يهم الناس ويسمى « البوشنى » ··

ثم ان هناك المداحين الذين يتغنون بالاثر النبوية على نحو ما نعرف من الذين عرفوا باسم « الزمال » ، وهناك اغانى « الدابة » التى تقتصر على الرجال المتخاصرين ، ثم نراهم ينحنون على الارض قليلا و « يدبون » على الارض فى خطو موقع عنيف ، وهناك الاغانى السريعة التى تصاحب رقصة « الهسيس » وهى مقصورة على النساء ، وهناك الاغانى التى تصاحب الراقصة التى تصحب سوطا ، ـ بالاضافة الى اغانى الافراح والمناحات ·

وقد تعدى الشعر الشعبى هذه الاغراض الى التصوف ، ومن هنا

---

(١) ذكرياتى فى البادية ص ٢٢١
(٢) جريدة الراى العام فى ٣٠/٣/١٩٥٧



محمد الفيتورى : التيار الواقعى فى شعره

انتشر لون من الغناء الصوفي الجماعي بصفة خاصة يسمى « كرير » ولم يقف عند حد الرجال ، وانما نراه كذلك بين النساء ٠

٠٠ وعلى كل فنحن نرى الشـــعر يتماسك بعد ذلك ، ويدخل على حيـــاء دائرة الفصحى ، وان كانت العامية في أول الامر قد استمرت تتعلق به ، ثم تبدأ العامية في الابتعـاد طوال العصر التركي ، ثم حين يجيء عصر المهدية تظهر اللغة متماسكة ونقية ، فقد جددت هذه الثورة اللغة ، وربطتها بالجيـد من التراث ، وبعثت في السودانيين عزة تمثلت في اللغة السليمة ، واكثر مـا نجد هذا عند الشيخ محمد عمر البنـا الذى سمع يقول في المهدى :

الحرب صبر واللقاء ثبـــات ... والموت في شان الاله حيـــاة
قوم ! اذا حمي الوطيس رايتهم ... قمم الجبال وللضعيف حمـــاة
ولباسهم سرد الحـديد ، وباسهم ... شهدت به يوم اللقا الغـــارات
في السلم تلقاهم ركوعا سجدا ... اثر السجود عليهم وسـمات
وتخالهم يوم الجهـــاد ضراغمـا ... اسدا ٠٠ وأسل رمـاحهم غابات
ركبوا الجياد ، وغادروا شلو العدا ... رزق النســور ، ولحمهم القوات
والخيل ترقص بالكماة كأنهـــا ... تختـــال في ميدانها فتيـــات
فأثرن نقع الموت في عرصـــاتهم ... والغرن صبحا اذ علت اصوات !

ومن هنـــا يمكن القول بأنه كان « بارودى » السودان ، وان الــدعوة الى التجديد من خـــلال التراث كانت متوازية مع الحركة التى كانت في مصر ٠٠ ثم انا لا ننسى أن « المهدى » كان يجيد كتابة الكلمة العربية ، وقد احاط نفسه بطائفة ذكية ازدهرت اللغة مـن خلال كتاباتهم ٠

انكسار ثم ازدهار

وحين انكسرت الثورة نجد انكسارا في اللغة وفيما يكتب باللغة ، ولكن حين تصحو الآمال ، وتشرئب النفوس ، وحين يصحو العزم للخـــلاص من الانجليز ، نجد ازدهارا جـــديدا في اللغة ، ونجد هذا الازدهار متمثلا بصفة خاصة في شعر الشعراء محمد سعيد العباس ، وعبد الله محمد البنـــا ، وعبد الله عبد الرحمن ، وأحمد محمد صالح ، بل انا نجـــد بعض هؤلاء الشعراء لا يرى الا ما هو عربي ، ومن هنا نراه يجادل الـــذين يقولون ان السودان للسودانيين ، والذين يقولون بان هنـــاك شعرا سودانيا ، بدلا من القول بالشعر العربي في السودان ـ كما يقال الشعر العربي في الاندلس ـ

وهناك من نظر الى الشعر السوداني من منظور « الجزالة » كالدكتور احسان عباس (١) فقد ذهب الى أن هنـــاك ما يســـمى « الشعر الكلاسيكي الجزل » ودعامته محمد سعيد العباس ، وهناك ما يسمى « الرومنطيقية القائمة عـــلى الجزالة » وممثلهـــا التجانى يوسف بشير ، ثم ان الشاعر صلاح أحمـــد ابراهيم حين يقـــول « ان شعرى خشن كالخيش » يرى أن تلـــك الخشونة هي الجـــزالة التى ظلت تميـــز الذوق السوداني حتى اليوم ٠٠ وان كنا نحن نقصر تلك الميزة على الفتـــرات التى كان السودان فيها يهتدى الى عروبته ويتحمس لها ٠

---

(١) بحث في « الشـــعر السوداني نظرة تقييمية » ص ٢ وما بعدها ٠

.. ومهما يكن من شيء فقد وجد شعراء كبار لم يروا السودان .. بل ومصر .. الا في ضوء العروبة ، في الوقت الذي كان فيه صوت العروبة في العالم العربي واهنا وضعيفا ، ويجيء في مقدمة هؤلاء الشعراء عبد الله عبد الرحمن ، فمع أنه كان من أشد الدعاة الى الاتحاد مع مصر الا أن هذا كان مشروطا «بالعروبة» ، على حد قوله :

انمــــا مصر والعروبة والسو دان شعب أبى الاله انفصــــاله

وكقوله :

بلغ النيل ان بالنيـــل شعبا همه فى العـــلاء هم بعيـــد
ربط النيل والعروبة منــــه وهـــداه بنوره التوحيـــد

وكقول مبارك المغربي :

ان العروبة جسم لا انفصــــام له لا يعرف الجسم اجناسا واوطانا

وكقول جعفر حامد البشير :

نحن جميعـــا بنو العـــروبة ان ننسب فصـــا ثم غير عم وخـال

ملامح اخرى

على أن وجه السودان لم يخـــل للعروبة تماما ، فقد كان هناك عـــدد من المثقفين الانجليز قد القوا بعدد من القضايا العاكسة على نحو ما نعرف مثلا من « رتشارد هيل » الذى تحدث عن مستقبل الثقـــافة فى السودان ، والذى ذهب الى القول بأن العرب غزاة. وأن العربية لم تتغلب على اللغات فى السودان الا لانها هزيلة ، وانه سيأتى الوقت الذى سيعبر فيـه السودان عن عواطفه باللغة الانجليزية .

ثم لقد رأينا فى مجلة «الفجر»(١) من يقول: « ..اما اليوم وهذا آخر الزمن تطلع فيه الشمس من مغربها فلا غرابة فى أن ننظر الى هذا الغرب نتلقى عنـــه دروسا قاسية فى كيف تخدم الاوطان ».ثم كان هناك تيار يؤكده محمد أحمد المحجوب ويوسف التنى ، وقد كانا يريان ان تقوم الثقافة السودانية بذاتهـــا منفصلة عن الثقافة المصرية ، فقد وقر فى ذهن البعض انه ليست هناك ثقافة مصرية لان هيـــكل « كشاتوبريان » ،و « اناتول فرانس » ، و « ســـنت بيف » ، و « جورج صـــاند » ، ولان العقاد والمازنى كالكتاب الالمـــان أو « مـــارك توين » ، و « هازلت » ،و « ماثيو أرنولد » ، ثم ان نظـــرة مدرسة الديوان – وبخاصة العقاد – فى قيمة الشعر القومى ، وفى مفهومه قد وجدت لها صدى عنـــد كثير من المثقفين السودانيين .

ومن هنا سمعنا « الامين على مدنى » يقول : نحن فى حاجة الى كاتب مقلد تقليد العقاد فى فصوله ومطـــالعاته لا عبد الحميد الكاتب ، وفى حاجة الى ناقد يقلد طه حسين لا ابن رشيق . وهكذا بعد أن رأينا الممثلين للجزالة العربية يكتسحون الساحة ، رأينـــاهم يأخذون موقع المدافع كقول عبد الله عبد الرحمن :

أرى الضاد فى السودان امست غريبة وابناؤهـــا امست لهـــــا تتجهم

---

(١) العدد « ١٢ » فى ١٩٣٦/١١/١٦



الهادى آدم : اصوات جديدة لا تنكر القديم

ونبتت في السودان قوما ثمـــروا   على اللغة الفصحى اساءوا واجرموا
وبالادب القومي قالوا ســـفاهة   وما لمحوا حقـــا ولكن توهمـــوا

ثم لقد ظهرت للمجددين راية بكتاب، الادب السوداني وما يجب أن يكون عليه ، لحمزة الملك طنبل ·

وتحت هـــذه الراية ظهرت اصوات جديدة لا تنكر الجديد ولا تحتقر القديم وقد كان في مقدمة هـــذه الاصوات التجاني يوسف بشير ، ومحيي الدين صابر ، وكامل الباقر ، والنـــاصر قريب الله ، ومحمد المهدى مجذوب ، ومحمد محمد علي ، وادريس محمـــد جماع ، ومنير صالح ، والهادى ادم ، ومبارك المغربي ، وابو طراف النميرى، والعمرابي ، ويوسف التني وغيرهم···

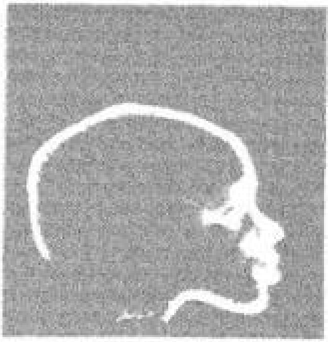
مدارس جديدة

على أن حركة التجديد لم تقف عند حد ، التوفيق ، بين القديم والحديث ، وانما رأينـــاها تتوثب وتنطلق من الكلاسيكية والرومانسية الى العديد من المدارس الادبية كالرمزية ، والواقعية ، والسريالية ·· بل لقد وجدت تيارات لا يمكن فهمها الا في اطار سوداني بحت ، وان كان اللاحظ انها انطلقت أساسا من حدة الشعور بالقوميـــة السودانية ، وبالتعرف على ابعادهـــا وعلى تاريخها ·

واذا كان محمد احمد المحجوب قد قال من فترة ، نحن قوم شعرة كجبالنا، في طباعنا جد لان الحياة لم تبتسم لنا كما ابتسمت لغيرنا من عباد الله ، (١) فان الفنـــان ابراهيم الصلحى يقول، فناننا جوال ، والجوال كما يقولون لا يحمل من الزاد والعتاد الا ما خف وزنه وغلا ثمنه ، وكذا كان في مجال التعبير والانتاج ، ولذا لم يكن مـــن نصيبنا ان نرث عنه من فنون الاستقرار كالنحت والتصوير والعمـــارة الشيء الكثيـــر ، ولكنه اعاشنـــا عن ذلك بالكثير ·· منحنـــا الكلم الطيب ، والمعنى ، والنغم ، والايقـــاع ، والزخرف ، ·

---

(١) الحركة الفكرية في السودان الى اين تتجه ص ٣٦



وهو يرى أن هذا المجتمع يهيمن عليه « الروح الافريقي » المتمثل اساسا في الزخرف والايقاع .

من هنا نرى أنه قد اندفع الى الساحة « تيار افريقي » بالغ الحدة والعنف ، وقد ساعد عليه التيار الواقعي المتمثل اساسا في شعر الفيتوري ، وجيلي عبد الرحمن ، وتاج السر ، ومحيي الدين فارس ، وصلاح احمد ابراهيم ، ومحمد المكي واللاحظ ان هذا التيار قد بدأ كنزوع من حب الطلاقة ، والبراءة الاولى ، كقول محمد المهدي مجذوب – وهو من اسرة عربية عريقة :

عندى من الزنج اعراق معاندة   وان تشدق فى انشادى العرب

وكقوله :

فليتني في الزنوج ولى رباب   تميل به خطاى وتستقيم
وفى حقوى من خرز حزام (١)   وفى صدغي من ودع نظيم
واجترع المريسة (٢) فى الحوانى   واهذر لا الام ولا الوم
واصرع فى الطريق وفى عيونى   ضباب السكر والطرب الغشوم
طليق لا تقيدنى قريش   باحساب الكرام ولا تميم !

ولكن بمرور الزمن ، وبانفتاح السودان على الدول المجاورة له قد أصبح هذا الاتجاه الافريقي في الشعر صاحب صوت مسموع ، وقد ظهرت باسمه في الستينات جماعة تنادي بالعودة الى « الغابة » ، وتجعل الغابة رمزا لهذا الاتجاه ، ومن ثم قال « النور عثمان ابكر » كل ما هو غيبي وعميق انما هو عطاء الغابة ، وفي الوقت نفسه قال : لست عربيا ولكن ... (٣)

ومن رأى أصحاب هذه المدرسة ان صوفية السودان لا تتردد من اوتار شرقية ، ذلك لانها عطاء رخيم للغابة والطبل والبوق ، ومن رأيها ان كثيرا من المظاهر الإسلامية لم تقبل الا لشبه بينها وبين ما هو محلي ، وهم يتشوقون للغة الاولى لان الشاعر كما يقول محمد عبد الحي : يتغنى بلسان ، ويصلي بلسان ، ولان العربية كما يقول النور عثمان ابكر هي اللغة الثانية ، بل ان هناك من يسمى السودان – كخليل فرح – جنة بلال

(١) نطاق مصنوع من الخرز الملون يسمى « السكسك » .
(٢) نوع من الخمر .
(٣) الصحافة في ١٩٦٧/٩/١٩

على أن هـــذه الدعوة الصاخبة قوبلت بالقول بأن السودان « عرب العرب » وبتصور جديد لقضية العروبة يوضحه صلاح احمد ابراهيم فى قوله « نحن لفخورون بهذا الانتماء ، ولا نرفع هذا الشعار ضد من ليس له فى العـــروبة شيء ، بل العروبة تفتح أبوابها لاستقبال المزيد من الابناء » ، فكما يقول النبي : « ليست العروبة لكم بأب ولا أم انمـــا هى اللسان » ، ثم يقول : « ان للثقافة العربية السيادة وهى فى صورتها السودانية » (١) .

والى جانب تيار « الغـــابة » فى الشعر السودانى المعـــاصر ، نلمح تيـارا آخر يسمى جيل « اكتوبر » نسبة الى ثورة اكتوبر ، وفى مقدمة الممثلين لهذا الاتجاه محمـــــد المكى ابراهيم . الذى يذكر أن اكتوبر كان فى رفقة السودانيين الاولى مع الملك نمر ، وكان أسياف « العشر » ، وكان مع البطل الماظ ، ومن ثم يقول :

سـنـدق الصـــخر حتى يخـرج الصـــخر لنـــا ماء وخضرة
ونـــدق الارض حتى تنبـــت الارض لنـــا مجـــدا ووفره !

وهنـــاك حركة أخرى فى الشعر السودانى تسمى حركة « ابادماك » ظهـــرت فى أواخـــر الستينات . و « أبادماك » هذا هو الاله الاسد وهو اله الحرب والصحراء فى مملكة « مروى » القديمة ، وقد عمل عـــلى التخلص من الفرعونية ، فهو يرمز به للقوة فى مواجهة « أمون » .

على امواج الفصحى

تلك خلفية سريعة نحس أن وراءها تراثا صوفيا ضخما ، وهو يعتمـــد أساسا على « السماع » وعلى ظاهرة « الترنيم » وسواء انشق طريقه على امواج الفصـــحى ، أم على امواج العامية الا انا نرى هـــذا التراث واضحا وعميقا فى الشعر السودانى، فكثيـــر من البحور التى يتردد من خلالها الشعـــر السودانى هى البحور المستعملة عنـــد الصوفية كالرمل والهزج والخبب وبخاصة هؤلاء الذين لهم صلة حميمة بالصوفية كالنـــاصر قريب الله ، والتجانى يوسف بشير ، ثم ان عندهم القـــافية التى تصلح اساسا للترنم .

ثم انا نجد عندهم بصفة خاصة ظاهرة التكرار التى تســـاعد على التنغيم بصورة لا يسلم منهـــا الا القليل ، وكثيرا ما نجد هذا متوافقـــا مع الطبول والاصوات المنشدة ، ومع انغام سابحة فى وجدان المجتمع ، وأكثر من نجد عنده هذا محمد المهدى المجذوب صـــاحب ديوان « نار المجاذيب » والـــــذى يكتب اسمه فى الديوان « المفتقر الى الله محمـــد المهدى مجذوب » ولنتأمل هذا الايقاع الذى يتردد بحدة فى قصيدة كلب وقرية :

فى بيت (الفحـــل ابى مره)   جـــــرو رباه على الكسره
الله اللـــه عـــــلى الكسره
بيضاء تهيج لها (الحضره)
اللـــه اللـــه اللـــه

كما نجد هذا فى العديد من قصائده وبخاصة قصيدة « المولد » .

***

والى جانب هذا التأثير الصوفى، نجد تأثير « المكان » على الشـــاعر السودانى . فقل أن تجـــد شاعرا سودانيا أصيلا لم يقدم « الجغرافيـــا

---

(١) الصحافة فى ٦/١١/١٩٦٧

الشعرية » للسودان ، فهو عاشق للمكان اكثر من الزمان فى السودان ، واذا غادر مكانه حتى الى بلد داخل السودان تجده فياض الحنين ، ملتهب العواطف ، فهو يحمل داخله « المكان » ٠

ونظرة واحدة الى أى ديوان توضح صدق هذا فمثلا نجد التجانى يتكلم عن « الخرطوم » و « جزيرة توتى » ، وجعفر حامد البشير يتكلم عن « الدامر » ، والناصر قريب الله يتكلم عن « أم بادر » ، وعبد الله الطيب يتكلم عن قرية « أم دجاج » ، وادريس جماع يتكلم عن « القضارف » ومثل هذا نجده عند كجراى ، وعند سيد أحمد الحردلو ، وحسن صبحى

الواقعية العربية

ثم ان الشاعر السودانى يتمتع بكثير من القلق والشك والخوف والتردد ، وكثيرا ما ينعكس هذا على الاداة ، فبحوره فى الغالب قصيرة ومجزوءة ، وصوره نافرة وفى حالة شروع وحركة ، ومقاطعه يغلب عليها النبر الحاد ، ثم انه يتعرض للجليل لا للجميل ، ويقترب من لغة الحياة لشدة انفعاله ، ولقلة ترويه ، فهو يعبر أجمل تعبير عن تلك « الواقعية العربية » التى عبر عنها الامدى بقوله انها الطريقة التى يخبر فيها بالشيء « على ما هو عليه ! » ٠

وفى ضوء هذا نراه يقدم الحياة من حوله بلا حذلقة ، ولا تهويم ، فهو لا يقدم شخصية الشاعر قدر ما يقدم شخصية السودان « على ما هى عليه » ومن ثم فستقابل حشدا من الصور المحلية عن « الدنقر » ، و « الشتم » ، و « الدلوكة » ، و « الشوتال » ، و « العشر » وستجد استيحاء للامثال والاساطير ، وستجد رموزا لن يعرفها الا من عرف السودان ، أو من كانت له صلة بالثقافة الافريقية ، الا أن الذى لا شك فيه أنهم يمتلكون هذا الشيء الذى يسميه لوركا « الروح المبدع » فهم يعشقون الشعر ، ويتواجدون ـ كالصوفية ـ عند سماع اسمه ٠

وكل هذا قد أعطى للشعر السودانى « خصوصية » لا توجد فى بلد عربى آخر ، فهو يمتاح بحكم تكوينه من تراثين كبيرين هما التراث العربى والافريقى بالاضافة الى التراث العالمى ، صحيح أنه يبدو أحيانا من خلال هذا التراث ممزقا ، ومجهدا ، ولكن تبقى دائما لمسة « التفرد » فى كل ما يكتب ، وبخاصة عند هؤلاء الشعراء الذين يتركون أنفسهم على سجيتها ، والذين يحاولون أن ينسابوا برفق الى طبقات هذه النفس من غير ضجة ، وبدون ادعاء ٠

جنة بلال

ان صوتهم قد يبدو خافتا لضعف جهاز النشر عندهم ، ولاننا مازلنا نفكر كشعوب لا كأمة ، ولان الشاعر اذا لم يجد له صدى من حوله يذبل ويسقط ، ولكن الذى لا شك فيه أن عددا كبيرا منهم يقودون مسيرة الشعر العربى فى تدفق واسترسال ، وفى اصرار ايضا ، ومن خلالهم يمكن القول بان الشعر العربى بخير ٠ وانه لن يموت ٠

تلك لمحة قصيرة عن الشعر السودانى كتبتها بعيدا عن مراجعى التى تركتها فى السودان ، أرجو أن أكون بها قد زحزحت الغطاء عن الشعر فى السودان ، أو عن الشعر فى « جنة بلال »



إبراهيم عيسى

امرأة

فؤادي من بالهوى نبأه   وبين ضلوعي قد خبأه ؟
ومن ارضع النور شدى الدجى   ومن ايقظ الشوق .. من جراه ؟

انا .. ؟ ام عيونك يا لهفة   ابت عند جرحي أن تنكأه ؟

عيونك بحر .. انا فيه اغفو   وفى البحر ما اضيع اللؤلؤه
تعلقت كل عذول لاجاك   حتى رعى القلب او برأه

وكنت لك النبض بين الضلوع   وكنت لى النار والمدفأة
وتزحمنى الذكريات ولكن   اذا فرغ الكاس لن املأه

وان جنح القلب للامنيات   دعوت له الله أن يبرئه
لانى بلهفة قلبى ضنين   على من رمى الحب او جزأه

لقد تاه من قدمى الطريق   وهيهات يا قلب ان نبدأه

واحرقت كل رسائل حبى   ولن اكتب الشوق .. لن اقرأه

وعدت وبى ظمأ كالصحارى   ولن يسأل الكاس من اظمأه
وارقص رقص الجريح الذبيح   رماه الجحود فما اخطأه

لقد كنت فى تمتمات صلاتى   سراجا .. سنا الحب قد لألأه

وكنت نشيدى .. وفجر وجودى   وغدرك بالقلب قد اطفأه

دعى زورق الشوق كى يستريح   فملاحه قد أتى مرفأه
فانى كدابى اصون الوفاء   وانت كعهدى بكل امرأه

رحلة الشهر

الهلال تنبت الزهور

للشباب ، بأدبهم وشعرهم وقصصهم وطموحهم ، علينا حق الرعاية والتنمية والتوجيه .

انهم يقولون : نحن جيل بغير أساتذة ... ونحن جيل له رأى جديد ، أو آراء جديدة ، فى كل لون من ألوان الادب . وفى كل وجه من وجوه الحياة . والشيوخ يحاربوننا ، أو على الاصح ، لا ينظرون الى أدبنا ولا يحاولون تقييمه ، أو على الاقل ، يسدون علينا الطريق برصيدهم الكبير من التجربة والشهرة ، والمكانة عند القراء ، والبريق على وجوه الصحف ، والميزان الراجح عند دور النشر .

لقد سمعنا هذه الصرخة ، لا من شباب مصر وحدها ، بل من شباب كل رقعة من الامة العربية .

وهكذا انطلقت قصة الشباب الغاضب ... وهم أبناؤنا وفلذات أكبادنا ... وهم — قبل ذلك — مستقبل هذه الامة ، وأصحاب الريادة الفكرية فيها بعد جيل أو جيلين .

وهم مخطئون اذا زعموا أننا — نحن الشيوخ — نتنكر لهم ، أو نعترض طريقهم ، فهم ورثتنا ، شئنا أو لم نشأ . ولا نحسب — ونحن بازاء الحديث عن الثراء الفكرى — ان موروثا يتمنى أن يكون وريثه أفقر منه .



● نحن ، مثلا ، ندعوهم الى الا ينبتوا عن أصولهم ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى .



تدعوهم الى ضرورة الاتصال بالتراث ، واقامة منشآتهم الفكرية على أسس منه ، ونذكرهم فى هذا الصدد بمحاضرة قيمة القاها الاستاذ « رينيه ويج » ، عضو مجمع الخالدين الفرنسى ، الاكاديمى فرانسيز ، وأستاذ علم الجماليات فى « الكوليج ده فرانس » منذ سنوات قريبة بدار جامعة الدول العربية بالقاهرة ، ذكر فيها أن الحضارة كالمصعد ، **يجب أن يكون له قاعدة يرتبط بها ، ثم يصعد بما يحمل من تراث الاولين ، طابقا بعد طابق ، ليجد فى كل طابق جيلا جديدا ·**

وعلى كل جيل أن ينفض الغبار عما يحمله المصعد حينما يصل الى طابقه ، ويستقرئه ، ويضيف اليه شيئا جديدا ···

وهكذا يفعل كل جيل تال فى كل طابق يصعد اليه المصعد ·

وبهذا تنمو الحضارة ، وتلتحم الثقافة وتتجدد ·

● **ولكن الشىء الذى لا يجوز لاى جيل ان يغفل عنه ، هو الحفاظ على الخيط الذى يشد المصعد الى أعلى ، قويا متينا ، لان هذا الخيط اذا انقطع فى احد الطوابق ، على يد اى جيل منبت ، فان المصعد يسقط بكل ما فيه فيتحطم وتتحطم معه ثروة الامة من تراث الاجيال ·**

هذا الخيط ، يسميه الاستاذ « رينيه ويج » : الخيط الذهبى ·

● فبحور الشعر التى سجلها الخليل بن أحمد ، مثلا ، هى الخيط الذهبى الذى يشد عمود الشعر العربى منذ عصور المعلقات السبع فى الجاهلية الى اليوم ·

واذا كان الشعراء الجدد فى هذا الجيل يحاولون استكشاف آفاق موسيقية جديدة للشعر فى عصرهم ، فانه لما يطمئننا على مصير الثقافة العربية ـ حتى ولو لم نرض عن كل هذا الشعر ـ **ان الشعراء الجدد لم يقطعوا الخيط الذهبى تماما ، ولايزالون يحرصون على بناء قصائدهم على أساس تفعيلة الخليل بن أحمد ، ومن الظواهر الطيبة فى هذا الصدد ، انهم ينكرون الشاعر منهم ، الذى لايجيد بناء هذه التفعيلة ·**

● وكذلك القول فى مجال القصة والرواية والمسرح والسينما · هناك تيارات مستحدثة فى مجال فن قص القصة وعرضها على مسارح النشر أو الرؤية ، منها تيارات مبتكرة لايجوز لنا أن نغلق فى وجهها أبواب الاجتهاد ، ومنها تيارات وافدة ، لا يجوز لنا أن نغلق فى وجهها أبواب الاستيراد ، الى ان يفصل الزمن فى أحقية بقاء هذه أو تلك ، والبقاء للاصلح دائما ، « **وأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض** » ·

● من أجل كل هذا ···

ومن أجل هذا الشباب ··· وهم أبناؤنا وفلذات أكبادنا وورثتنا فى تراث الاجيال وأصحاب المستقبل فى هذه الامة ·

رأت مجلة « الهلال » أن تحتفظ بذاتيتها التى توارثتها منذ زهاء ثلاثة أرباع قرن وأن تحتضن فى الوقت ذاته أدب

الشباب الجديد ، لا فى مصر وحدها ، بل فى الامة العربية بأسرها ، احتضان الام الرءوم لاولادها المأمولين ، وذلك باصدار مجلة جديدة تلحق « بالهلال » الشهرى ، وتصدر معه كهدية منه للجيل الجديد ، تمثل الادباء والشعراء الشبان بمختلف مدارسهم .

وستحمل المجلة الجديدة اسم « الزهور » .. وتوزع مع « الهلال » ابتداء من أول يناير سنة ١٩٧٣ باذن الله .

وهكذا سيتاح للقارىء أن يقتنى ـ بنفس الثمن ـ مجلتين بدلا من مجلة واحدة ، ويتاح لقارىء « الهلال » أن يتعرف على أدب الشباب الجديد فى الامة العربية ، ولقارىء « الزهور » أن يفيد بثمرات عقول الشيوخ على صفحات « الهلال » ...

رسالة من إلياس فرحات



الياس فرحات

ذكرت فى كتابى « بلابل من الشرق » الذى صدر عن دار المعارف فى منتصف هذا العام ، وفيه تراجم لخمسة عشر من شعراء العربية المعاصرين ، ان الشاعر المهجرى الكبير الياس فرحات قد كافح كفاحا مريرا فى سبيل الرغيف الشريف فى مهجره ، دون أن يسكت يوما عن اعداء القومية العربية ، أو يدخر جهدا فى سبيل الدعوة الى الوحدة العربية .

وقلت ـ استنادا الى ما وقع فى يدى من مراجع ـ أنه فى هذا السبيل حمل « كشة (صندوق الزنك) على ظهره وراح يتجول فى بلاد الله يبيع المساطر ، كما اشتغل بتربية الخنازير طورا ، وطهو الاطعمة الشرقية تارة .

وقد تلقيت من شاعرنا الكبير ، حيث هو فى « الافق الجميل » بالبرازيل ، رسالة شوق وعتاب ، يقول فيها :

« يا صالح يابن الصالحين ، السلام عليك بقدر الشوق اليك ، وأنت تعرف انه كثير . ثم ابلغك باننى أصبحت نصف أعمى ، وسلامة عينيك ، ومع هذا فانا أكتب اليك لاشكر لك حصتى من كتابك الجديد « بلابل من الشرق » .

« أكتب بقلم تخين ، وحبر أسود ، حتى أتبين الحروف ، فاذا شئت أن تكتب الى فى يوم من الايام ، فافعل فعلى .

« ولقد اخذت معظم ما كتبته عنى ، عن جورج صيدح ، وهو كاذب ، واخذت بعض الشىء من توفيق ضعون ، وكان هذا

كاذبا أيضا ، ولكنه على كل حال أصدق من صبدح الذي جعل حياتي أسطورة . وأنتم تحبون الاساطير .

« والحقيقة انى لم أحمل الكشـــة قط ، ولم « افبركه » مأكولات شرقية ولا غربية ، ولم أجعل تربية الخنازير مهنة لى »

ثم يستطرد الشاعر الكبير فى حديث عن اتحاد الجمهوريات العربية ، ويتمنى ـ وهذه أمنية عمره من قديم ـ أن يتحـــول الاتحاد الى وحدة تذوب فيها الحكومات فى حكومة واحدة ، وتذوب فيها الشخصيات الاقليمية فى شخصية عربية تؤمن بهذا الوطن ككل لا يتجزأ .

بارك الله فى شاعرنا المهجرى الكبير ، ورد له نور عينيه ، وليغفر لنا ما ذكرنا عنه من معلومات استقيناها من اثنين من مؤرخى أدب المهجر ، نعرف أنهما من محبى الياس فرحات ، ومقدرى أدبه وعروبته ، واذا كانا قد وقعـــا فى بعض الهنات ، فلا عن كذب ولا عن حفيظة ، وانما عن نقص فى المعلومات ـ كما وقع لنا ـ وبمنتهى حسن النية .

محمـــود غنيم فـــى ذمـــة اللـــه

فقدت الامة العربية فى الشهر الماضى ، علما من أعلام الشعر الكلاسى الرصين ، خدم قضـــية الشـــعر ، والادب عامة ، زهاء نصف قرن من الزمان . وعاصر رواد عصره ، شوقى وحـــافظ ومطران ، وصاحبهم على حب ووفاء ـ هو الشاعر المصرى الكبير محمود غنيم . الذى اشتهر بقومياته وبيانياته المجلجلة ... واشتهر بعد ذلك بأنه كان من ظرفاء عصره ، وله فى الاخوانيـــات والمداعبات الاخوانية باع طويل لا أحسب أن أحدا من معاصريه قد بلغ شأوه .



محمود غنيم

من ذلك ، أنه ذهب يوماً مع بعض أصـــحابه فى زيارة للشاعر محمود الخفيف ـ رحمه الله ـ وطال مكثهم عنده حتى كان الظهر ، ثم كان العصر ، وهم بغير طعام .

فقال محمود غنيم ، عفو الخاطر :

ايه يا محمود جعنـــا هات لحما ورغيفـــا
وأدر شايا ثقيـــلا لعن الله الخفيفـــا

وقد شغلت نفسى بعض هذا العـــام باعداد دراسة عن « شعراء المجون » لتصدر عن « كتاب الهـــلال » فى الشهر

القـادم ، وجلهم من العصرين الاموى والعباسى ، واختتمها بفصل عن الشعر الفكه فى عصرنا هذا ، مع نماذج منه ، لشوقى ورامى وناجى وحسين شفيق المصرى وعبد السلام شهاب وغيرهم ، فوجدت أن لمحمود غنيم من هذا الشعر نصيب الاسد ، فاجتزأت منه بما ينشر ، وتركت لذواكر الحفظة من أصدقائه الاقربين ، كالشيخ صقر القاسمى ـ رد الله غربته وفرج كربته ـ وحسن كامل الصيرفى ، والعوضى الوكيل ، وأحمد مخيمر ، وعامر بحيرى ··· أقول ··· تركت لذواكرهم أن تعى ما لا ينشر ، وتذكره ، مع روائع شعر محمود غنيم ، ونسأل الله له واسع رحمته ومغفرته ·

شعر النشار

وعلى ذكر الشعر الفكه ··· تلقيت رسالة طريفة من الاستاذ أحمد مصطفى حافظ ، الذى كان له فضل جمع ما تناثر من شعر شاعر السويس الراحل ، محمد فضل اسماعيل (وهو من فحول شعراء البؤس) ونشره بين دفتى ديوان تفضلت بطبعه محافظة السويس ·

ويتناول الاستاذ حافظ فى رسالته طرفا فكها من سيرة حياة شاعر الاسكندرية الراحل عبد اللطيف النشار (١) ، الذى قضى جل حياته كاتبا بدار القضاء بالاسكندرية ، وكان لايطيق الابتعاد عن الاسكندرية ·

وقد بلغه يوما أن أحمد خشبة باشا ، وزير العدل ، أجرى حركة تنقلات تضمنت نقله من الاسكندرية الى القاهرة ، فكتب له قصيدة يقول فيها متفكها متوعدا :

فكل ما صادف النشار ينشره
فاحذر مغاضبة النشار يا خشبه

وأخفقت كل محاولات النشار لالغاء هذا النقل ، فجاء الى القاهرة كارها مستسلما ، وشرب كاسين ، ومر بميدان الاوبرا ، فرأى تمثال ابراهيم باشا مشيرا باصبعه الى الشمال ، فخيل له انه يأمره بالعودة الى الاسكندرية ، فقال له:

تشير الى « باب الحديد » باصبع (٢)
لك الامر يا مولاى ، أرجع ثانيا

---

(١) راجع مقال « البحر عند شعراء الاسكندرية » الهلال ـ أول اغسطس سنة ١٩٧٢

(٢) باب الحديد : محطة السكة الحديدية بالقاهرة ·

وقتل راجعا الى الاسكندرية بالفعل ، فلما تناهت تمته الى وزير العدل ، ضحك والغى قرار نقله ٠

ومرة أخرى ـ بعد ذلك ـ نقل الى محكمة طنطا ، ليشغل الوظيفة التى خلت بوفاة الاديب الكبير مصطفى صادق الرافعى

وكانت النقلة شديدة الوطأة عليـــه ، فلم يلبث أن فر الى الاسكندرية مرة أخرى ، بعد أن بعث لوزير العدل بهذه الابيات، مخاطبا طنطا :

أقالقســـمت المواعد [illegible]
لدنــــيا أنت شاقتــــــا [illegible]
على أولى وثانيــــة [illegible] (١)
وطنطا ما اليســـا الا التجـــــــنى
أرى ، البـــــدوى ، محفة [illegible] (٢)
[illegible]
أحلم بين [illegible]
[illegible] يكــون [illegible] أو [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] أحلى [illegible]
[illegible]

ويذكر الاستاذ حافظ ـ فى رسالته ـ أنه ليس للنشـــــار شـــعر مطبوع ، غير ديوانين صغيرين هما « نار موسى » و « جنة فرعون » وهما نافدان من السوق ، وأولهمــــا غير موجود بدار الكتب ٠

وقد ذكر الاستاذ القبانى فى مقاله بالهـــلال (أغسطس ١٩٧٢) أن النشـــــار قال له أنه أودع دار الكتب مجموعة مخطوطة من شعره ، بيد أن الاستاذ حافظ لم يجد لهـــذه المجموعة أثرا فى دار الكتب ، ولكن هناك الكثير من شـــعر النشار ، متناثرا فى الصحف والمجلات وبيوت الاصدقاء ، يستطيع الاستاذ حافظ أن يجمعه لو أن مجلس الفنون والاداب كلفه ذلك ، أسوة بما فعل بشعر محمدفضل اسماعيل

والكلمة الان لمجلس الفنـــون والاداب ، وفاء للشـــاعر الاسكندرية الكبير ٠٠٠

---

(١) الاولى ، القاهرة ـ والثانية ، الاسكندرية ٠

(٢) ولى الله ، السيد احمد البـــدوى ، صاحب المسجد المشهور بطنطا ٠

هذه رسالة وفاء لذكريات عزيزة ، تلقيتها من الاستاذ الاديب هاشم عثمان المحامي باللاذقية ـ سوريا :

عدد « الهلال » الخاص (الراحلون في الشباب) ـ ابريل ١٩٧٢ ـ ذكرني بادباء شباب ، لم يمتعوا بالشباب · رأيت من الوفاء لهم ، ولذكراهم ، أن أخصهم بهذه الكلمات القليلة فتنشر على صفحات « الهلال » ···

واول هؤلاء ، الاديب الحلبي الذائع الصيت المرحوم

● فرنسيس مراش (١٨٣٦ـ١٨٧٣) وكان شاعرا ، عالما ، روائيا قاصا ، درس الطب وتعلق بالادب · وقضى شبابه بين باريس وحلب · له من المؤلفات ديوان شعر بعنوان (مرآة الحسناء) ، ورواية (غابة الحق) نشرها في حلب عام ١٨٦٥ وله رواية أخرى بعنوان (غرائب الصدف) نشرها في بيروت عام ١٨٧٢ ··· الخ ···

وكانموذج من شعره اذكر له هذه الابيات المقتطعة من قصيدة طويلة :

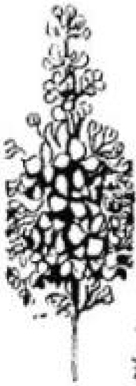
تقلبني الدنيا على موقد البلا
ولي همة في الصبر عز انصرامها
ويجري على الدهر جيش خطوبه
وما انا ذا نفس يهون اقتحامها
ومن عرف الدنيا وادرك سرها
تساوى لديه حربها وسلامها

● د·وجيه محيي الدين (١٩٠٩ـ١٩٣٩) · ولد في قرية جورة الجواميس (قضاء صافيتا) ـ محافظة اللاذقية ـ درس في كلية طرطوس وعنيطوره · وتلقى دروسه العالية في معهد الطب العربي بدمشق · أصدر عام ١٩٣٧ مجلة النهضة بطرطوس (اللاذقية) وكان الساحل السوري وقتئذ يخلو من اية مجلة ، اصيب بالتيفوئيد وتوفي على اثر هذه الاصابة صباح يوم السبت الموافق ٢٨ ك ٢ (يناير) ١٩٣٩ وقد رثته جمهرة أدباء الساحل · ومن هؤلاء الاستاذ محمد المجذوب وقال :

يا زهرة عبث الردى بشذاها
لهف الربيع على ندى صباها
متعتنا بأريج عطرك برهة
وذويت بين عشية وضحاها ···

كان رحمه الله شاعرا رقيقا ، نشر نفحاته على صفحات مجلة (النهضة) · ومن جميل شعره هذه القصيدة (الغرام المخنوق) :





وربَّ هوى ، لو ثار من مكمن الهوى
لكان الـــذى تدرى وتجهل من أدرى
ضغطت عليــه ، بل تجــاهلت شانه
وأسكنته مستسلما جانب الصـــــدر
وحاربته حتى استكان الى الهـــدى
وأغفى سعيدا تحت أجنحة الطهـــر
هوى من ندى الصبح ينهل والضحى
ويرفض فى السيال عن صفحة البدر
هوى من أريج الروض فى عاطر المنى
من الامل البسام ، من حمــرة الفجر
ترعرع فى طهر ، وشب على هـــدى
ونام على تقوى ، وصـــار الى حبر

● عبد السلام عيون السود (١٩٢٢_١٩٥٤) زهرة ذوت قبل الاوان . أدركها الصقيع فى الربيع فأهلكها . ولـــد فى حمص ، وبعد الدراسة الابتدائية التحق طالبـــا فى الكلية الشرعية بحلب . عمل موظفا فى الانتاج الزراعى ثم فى وزارة المالية .. أصيب بمرض التوسع الاكليلى فى القلب واكتشفه فى مراحله الاخيرة قبل وفاته بثلاث سنوات . أغلب شعره مقطوعات وجدانية موشاة بحزن منمنم .. ومن لطيف شعره هذه القصيدة (مع الجراح) :

يا دفء . . . مـــاذا جنيت
طويتنى .... فانطـــــويت
مـــا ترتئين . . . ارتأيت
وتشـــتهين اشـــتهيت
اردتنى لـــك ظـــلا
فكنتـــه واكتفيـــت
وأنت انت جـــــراح
عـــلى شـــذاها ارتميت
وكنت قبـــل ضـــياعا
اليـــه وحـــدى انتهيت
جنيت ؟ مـــــاذا جنيت ؟
مضـــيت بى فمضـــيت .

● معلى أحمد غانم (١٩٢٣_١٩٤٦) لم يصل الى ما يعطى فكرة عن حياته . كل ما لدى بعض قصائده التى نشرها فى (امالى) (١) الدكتور عمر فروخ . له فى الدراسة كتـــاب مخطوط بعنوان (النبوءة فى الادب العـــربى) ومسرحية شعرية باسم (عمر وهند) توفى قبل أن يتمها . وهذه المسرحية تثير كثيرا من التساؤلات حول مضمونها . وهذا مقطع منها :
« تتململ هند فى الفراش .. عمر بينه وبين نفسه »

---

(١) الامالى مجلة أصدرها عام ١٩٣٩ الدكتور عمر فروخ ببيروت ثم احتجبت .

عمر : فتلظي يا بنت حواء بالشهوة
انســــاك كي أراك حريقــــــه
رؤية النار تسكب الشـــعر هذا
وتدب الحيــــاة فيه ··· رقيقـــه
وتلوى يا حية البغي فيهـــا ···
كيفمـــا شئت حرة وطليقـــــه
هي خصمي وانت قيـــد شهايا
ي ادمع حققتـــــه لن اريقـــه
« يهمس قليلا مخاطبا الشهوة »
انت في خاطـــرى وبين يديـــا
وعلى مبســـمي وفي شـــفتيا
بسمك القاتل الزعاف اجـــال الضعـ
ـــف في بنيتي وكنت قـــويا ···
ان دمعي يا رجعـــة النفس حقن
ســـيطول الجحيم مـــاء وريـــا
فتلظي ما شئت طيف الفجـــاءات (م)
يناجي قواه في مقلتيــــا · · ·
« تفيق هند وكأنها في حلم فتنشد »
هند : يا بغيتي ·· أملي ··· عتادى
افـــرغ ســـمومك في فؤادى
خشـــعت رمال البيـــــد في
وجـــف مرتبـــعي وزادى
الشـــهوة الحمــــراء ترقص
للظي مـــن الســـهاد · · ·
عقلـــت يدى وجـــــاء يد
عم ذاك ما بك مـــن عنــــاد
الصـــمت منـــــزلق يعض
النفس والنهــــيان وادى
« يسقط غطاؤها »

● كريم سيف الدين (١٩٣٠ــ١٩٤٥) فرخ أزغب ، احترق قبل أن ينبت ريشه · كانت وفاته نهار الجمعه ١٩٤٥/٢/٢ اثر احتراق سيارة كان من بين ركابها مع أخوته الثلاثة : محمد ومحسن وعز الدين ·

جمع صديقه الاستاذ محمد عباس ، قصائده ونشرها عام ١٩٥٧ بعنوان (ابتسامة ربيع) وهذه القصيدة (ظما) احدى قصائد الديوان :

لا تسامي مني ومـــن اكرامي
الكاس ســـلان واني ظامي
ليت أروى النفس من خمر الهوى
وأصب في تيـــارها أيامي
شات اسقاني أخرى فنفسي لم تزل
ظامـــئة وحنين قلبي نامي

(اني عشقت فمن تصورني الهوى
لم يدر من انا وهمه مستسامي)
وغدا اذا سكنت عظامي في الثرى
تهتز من شوق اليك عظـــامي
قومي انى لحب الهــوى وفتونه
قومي ابنك صـــبوتي وغرامي

ومن شعره القومي اذكر له هذا المقطع من قصيدة طويلة بعنوان (العروبة فوق الجميع) :

قل للعروبة ان وقت جهـــادها
لينال اهلوها زمام رضائهـــــا
واذا تناديك العروبة قل لهـــا
نفسي تسير اليك من تلقائهـــا
يكفيك مفخـــرة واية امــــة
لا تشترى استقلالها بدمائهـــا

وقد قالها أيام الانتداب الفرنسي على سورية ٠ وكان يومئذ يتلقى العلم في معهـــد اللاييك بطرطوس وجل أســـاتذته من الفرنسيين ، وكذلك مديره ٠٠٠

ويطول الحديث عن الراحلين في الشباب ، لكنني اختمـــه بالفراشة المحترقة المرحومة فاديا حلمي سلام (١٩٤٩ـ١٩٦٩) التي جمعت سلسلة (اقرأ) مذكراتها ونشرتها في العـــدد (٢٤٣) مع دراسة بقلم الاديب الكبير فتحي رضوان ٠

بين العقاد وخادمه



عباس العقاد

وهذه رسالة انسانية ٠٠٠ من عبد المجيد حسن خليل ، الطالب بكلية التجارة ، وحفيد الرجل الوفي ، أحمد حمزة ، طاهي العقـــاد ، وخادم حياته ، وحارس قبره بعد موته ، يدفع فيها عن جده ما اتهمه به العقاد في كتابه « عالم السدود والقيود » :

اكتب اليك بعد فراغي من قراءة كتاب « عالم الســـدود والقيود » للعملاق عبـــاس محمود العقاد ، وفيه افتراء كبير ومبالغة زائدة من العملاق على رفيق عمره « وتلميذه البليد » كما يسميه العقاد ، وطباخه المخلص الوفي « أحمد حمزة » ٠

عندما قرأت الكتاب أول مرة اعتقدت أنه تناول ما كتبه عن طباخه من باب المزاح، ولكن عندما أعدت قراءة الكتـــاب كعادتي مع كتب العملاق تأكد لي أن عمـــــلاقنا كان جادا في

كتابته وفيما يقوله عن طباخه ٠

وقد صور العقاد طباخه أحمد حمزة — وهو جدى لأمى — فى صورة « الأمى الجاهل الغبى الشديد الغباء » وهذا وصف فيه افتراء ومبالغة ، وشيء جديد لم أكن أتعود أن أقرأه للأستاذ العملاق ٠٠٠

وساق الاستاذ العقاد عدة حوادث تؤكد قوله ووصفه لطباخه وهى فى الواقع مجردة من الحقيقة ، فقال مثلا انه طلب من جدى أن يعلق لوحة « الجيوكندا » فعلقها مقلوبة وجعل عاليها سافلها وسافلها عاليها ٠ وانه عندما طلب منه قياس جدران حجرة من حجرات منزل العقاد قاس الجدران الاربعة ، وكان عليه أن يقيس الطول والعرض فقط ٠

وعندما كان يتصل أحد تليفونيا بالاستاذ العقاد ولا يكون موجودا بالمنزل ينقل له طباخه الاسماء التى طلبته فى التليفون محرفة ومضحكة ، فمثلا اذا تحدث طاهر الطناحى ذكر له اسما آخر يضحك ، وغير طاهر الطناحى ولكنه مشابه له ٠

وعندما وجد العملاق صعوبة في ذلك طلب من جدى أن يكتب له أسماء المتحدثين فى التليفون فى ورقة خاصة ، ومرة تحدث ثلاثة أشخاص فكان المدون فى الورقة :

أحـد تكلم
أحـد تكلم
أحـد تكلم

وفي الكتاب الكثير من الامثلة التى ساقها الاستاذ العقاد والتى تدل على جهل « تلميذه البليد » ٠

وبصفتي حفيد طباخه وأقرب الى معرفة الحقائق عنه من عملاق الادب أرى أنه هناك مبالغة وافتراء على رجل دين يجيد القراءة والكتابة ومتفتح الذهن وهو من حاملى كتاب الله ودائم لتلاوته ، وما أدراك ما كتاب الله وما فيه من ألفاظ وعبارات ومعان لايحدها ولايقبلها ٠

والعقاد نفسه يؤكد بطريقة غير مباشرة عدم صدق ما قاله

فكيف يكون اديب كبير مثله يسهر على خدمته طباخ بهذا العقل والاديب يتوخى من يريحه ويفهمه ويعمل على توفير جو الراحة له · ولم يكن هناك سوء تفاهم قط بينهما طيلة خمسين سنة قضاها جدى فى خدمته ، وهو الان يعمل على خدمته وراحته حتى بعد موته اذ يعمل حارسا على مقبرته ويطلب ان يدفن بجواره وفاء منه له ·

وعندى الكثير من الخطابات والنوادر والمواقف عن حياة العقاد لم تنشر ولم يعرفها أحد من قبل عرفتها من زيارتي لجدى في بيت العقاد فى مصر الجديدة وانتظر منى رسائل أخرى ·

كتابان إسلاميان

فى هذه الايام المباركة التى تتالق فيها مآذن الازهر الشريف بأضواء رمضان ، وتهرع القلوب كل ليلة الى روضة الحسين عليه الرضا والرضوان ·

وتتطلع عيون المسلمين الى ذكرى من أعز الذكريات على تاريخهم ، هى ذكرى مرور الف سنة على قيام اول صلاة جامعة بالازهر ··· يمتعنا الاستاذ المؤرخ الامين ، الدكتور عبد الرحمن زكى ، بكتاب عنوانه « الازهر وما حوله من الآثار » ويعرض علينا ، بالكلمة والصورة ، شريطا ألقيا روحيا ممتعا ، لكل مسلم ، ولكل محب للتاريخ والرواية والفن ·

وفى هذه الايام المباركة أيضا ، يمتعنا الدكتور محمد شوقى الفنجرى ، المستشار بمجلس الدولة ، والاستاذ المنتدب بالجامعة الازهرية ، بالجزء الاول من الدراسة القيمة التى توفر عليها فى السنوات الاخيرة بعنوان « المدخل الى الاقتصاد الاسلامى » مثبتا فيه ان الاسلام كشريعة دنيا ودين معا ، لم يترك شاردة ولا واردة من التنظيم الاقتصادى للحياة فى كل زمان ، الا ارسى اصولها وحدد معالمها وهيأ فيها للناس اسباب العدالة الاجتماعية فى ضوء الايمان الحق ····

● ص · ج ●

د. عبد الفتاح الديدي

التيارات الغربية المعاصرة في القصة

بدأ القرن العشرون — في عالم القصة والرواية — بالروح الانطباعية والتجريبية والسينمائية ، وتلاها بالروح السريالية والبادية . غير أنه كان قد سئم الأنساق الحسية ، وشعر بأهمية المناهج أظهر بوادر القلق بالغد والمستقبل لكنه مما أحس بالسيادة في الحاضر الآني ... ينعم بالحياة فيه . وغرست أهمية المستقبل وفكرة الطليعة والريادة ، والاحساس بالمسئولية ازاء أبناء الأجيال القادمة .. أظافرها وأنيابها في قلوب أبناء القرن العشرين .

كان القرن التاسع عشر معماريا بطبيعته • فبدأ القرن العشرون وكأنه يحطم كل شيء ازاء الكلاسيكيات المسيطرة على الأفهام والاذواق والمشارب •

ولكن اذا قسنا الامور بالمنظور الجديد وبروح الفضول الذى ساد العلم وسيطر على الاذهان فى صورة افتراض وتشكك ، بدا لكل ذلك وضعه وقدره فى جلال هذا العصر وفى عظمته • فقد أسبغ هذا القرن الجديد طابع الجمال على التجربة ، وطابع النبل على الشك ، وطابع القيمة الحقيقية الاصيلة على حياة الانسان الدنيوية فى العالم الارضى • واحب انسان القرن العشرين أرضه وهمومه ومشاكله واعتز بحمل مسئولياته ازاء معاشه اليومى وحياته المحدودة وواجه مصيره وقدره بشجاعة •

وأظهر أبناء هذا القرن ارتباطهم بالفكر والادب عن طريق متابعتهم للرواية والقصة • فعرف الجمهور روايات ثلاثة من العمالقة الذين فرضوا اتجاههم الفكرى على النصف الاول من هذا القرن واخضعوه لكل القلاقل الروحية والمواقف الذهنية التى تميزوا بها وتميزت بها ظروف حياتهم • هؤلاء الثلاثة هم « اندريه جيد » و « جان جينيه » و « لوى فيردينان سيلين » • وكان من وراء هؤلاء الثلاثة روايات « دوستويفسكى » •

حدث فى بدرومات « الفاتيكان »

كانت الرواية على العموم فى مسرح الفكر المتطور ابتداء من بشائر القرن العشرين • فتعرف الناس فى الغرب على روايات وأعمال « دوستويفسكى » ، وعابوا عليها أول الامر ما فيها من طابع اللامعقول والتفكك • وصدمهم الاحساس بأن شخصياته كانت فى معظمها لاتستشعر المسئولية وينعدم لديها الاحساس بالغيرة •

وكان من بين روايات « دوستويفسكى » التى عرفتها أوربا روايته « زوجة الآخر » التى قال فيها انه لا يرى فى « عطيل » نموذجا للرجل الغيور • ولم يلبث أن اشار مرة أخرى الى واقعة « عطيل » فى روايته : « البالغ » — وهى آخر أعماله — وقال فيها أنه لا يعتقد أن « عطيل » قتل « ديزدامونه » لاحساسه بالغيرة ، ولكن لان الظروف التى عاش فيها حرمته من المثل الاعلى •

وهنا بدأت تتبلور هذه المسألة فى ذهن « اندريه جيد » ، الذى خرج على الناس بشتى الروايات : « المزيفون » ، « الباب الضيق » ،



« السيمفونية الرعوية » ، « الاغنية الارضية » ، و «بدرومات الفاتيكان» ..

كان اندريه جيد من مواليد ١٨٦٩ ، وخرج على الناس سنة ١٩١٤ بهذه الرواية الاخيرة ، التى احتوت على ظاهرة او على موقف عرف فى تاريخ الادب الحديث باسم الفعل العشوى ، واطلق هذا الاسم منذ ذلك الوقت على ظاهرة العشوية فى الاحداث الزمنية داخل القصص .

اذ روى « جيد » فيما رواه فى مطلع هذه الرواية ان شابا سافر الى روما فى قطار الليل . وكان معه فى نفس المقصورة رجل آخر لا يعرفه . وكانا وحيدين فى ليل دامس والقطار ينهب الارض نهبا . وكانت القطارات تتألف فى ذلك الوقت من عربات تنقسم كل منها الى عدد من المقصورات ذات الباب الهابط الى سلم الرصيف والمعزول كل منها عن سواه تماما . وبدا للرجل الغريب ان ينهض وان يفتح باب المقصورة ليشم بعض الهواء النقى والقطار يطوى الارض طيا .

ونطق بعدد من الكلمات المعبرة عن الجو والهواء والليل والجمال ، فى حين لم يجد الشاب المسافر فى ذلك الوقت شيئا يعمله سوى انه ركله بقدمه بقوة فالقى به فى العراء بسرعة لا تخطر على البال . واقفل الباب بعد ذلك على هذه الجريمة العفوية التى لا تحمل اى ذيول ولا تلعب اى دور فى حياته . ونفض يديه وجلس من جديد يدخن فى هدوء !

موقف مع العدل

و « لوى فرديناند سيلين » من مواليد سنة ١٨٩٤ ، توفى سنة ١٩٦١ ، وكان طبيبا واشتهر فى يوم وليلة عندما حازت روايته الاولى سنة ١٩٣٢ « رحلة فى آخر الليل » جائزة هامة .واقبل الجميع على « سيلين » : اليمين ـ اليسار ـ الوسط ـ ودعى الى رحلة الى الاتحاد السوفييتى ، وزار بعد ذلك كل ارجاء العالم . وعرف افريقيا وكندا وامريكا وانجلترا .. ولكن خيم دائما على كل مواقفه شبح واحد هو تجربته مع اليهود وصدى هذه التجربة فى نفسه وفى كتاباته .

ولاول مرة عرف كاتب روائى لنفسه موقفا فى غضون اعماله الادبية والروائية بالذات . فقد ظهر من كتابات سيلين حسية مستعقلة غريبة لم يعرفها الادب من قبل . واهتم بتفصيل الوصف للاشياء حتى كان

الاشياء هي نفسها التي تعيش من خلال فتحات يسمح الاديب لها ان تمر منها وأن تنفذ الى الوجود عن طريقها · وعرف « سارتر » فيه هذا الاتجاه وهذه النزعة الروائية فأشاد بها وناش في حديثه عنها وابرزها خير ابراز ·

ولكن « سيلين » ـ الذى عانى من الاضطهاد والظلم بسبب اليهود وكراهيتهم له واشاعة فكرة العداء للسامية عنه والصاقها بمؤلفاته ـ عرف كيف يحيل هذا الفهم لطبيعة اليهود الى موقف كامل · لم يكن « سيلين » معاديا للسامية كما حاولوا ان يصفوه بهذه الوصمة · ولكن احساسه بالعدل كان شيئا يفوق الوصف ، ولم يكن يهادن اطلاقا في سبيل نصرة قضية يحسب بحسابه العقلى ان اهلها مظلومون ·

قال « سيلين » ان العداء للسامية فكرة ماتت موتا فيزيائيا · واليهود من سماسرة الشعب اليهودى موجودون في موسكو بكثرة تزيد على كل ما تتخيله من أعداء اليهود الذين يعملون في بنوك أمريكا ونيويورك · ولكن هذا لا يمنع تصور اليهودى تصورا فكريا كانسان نموذجى لفكرة معينة هي فكرة الرجل الغنى المسيطر على ماليات العالم وأحواله السياسية والاعلامية ، والذى يحرص على ان يوقع البلاد في الحروب من اجل مصلحته الشخصية · اى ان تصور اليهود عند « سيلين » واتخاذه نموذجا للبطل الروائى او للشخصية الروائية التى تطمع في تحقيق أحلامها على حساب الآخرين ، لا يعنى اطلاقا انه يعادى العنصر اليهودى · ومفهوم اليهودى في أعمال « سيلين » ظاهرة ادبية كما ان اليهودى ليس بالضرورة يهودى الدين ·

وأصدر « سيلين » كتابا يضم مجموعة منشورات ضد اليهود وسماه « سفاسف لا تستحق معركة » · وكان ظهوره سنة ١٩٣٧ بفرنسا في الوقت الذى كان « هتلر » يحرض ضد قراءة كتبه ويحرقها · وأراد ان يقول في هذه المنشورات حذار يا فرنسا ان تقعى فريسة المعركة القائمة ضد المانيا · ان اليهود يريدون أن يستدرجوك ضد الحرب ·· لكن حذار · حذار ·· فهم يدفعونك الى الحرب ويقدمونك ضحية رغباتهم وشهواتهم في الانتقام والثأر من النازيين · ولم يقل احد ان الحروب تدار من أجل أسباب كهذه الاسباب الشخصية اليهودية ·

موقف العدل هو موقف « سيلين » ، فهو قد حارب « هتلر » طيلة الثلاثينات وهاجم تصرفاته ضد

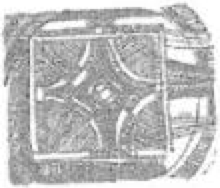


الحضارة والمدنية ، ورفع من شأن « زولا » الذى دافع عن درايفوس اليهودى متعمدا تحقير الالمان والهجوم على موقفهم الانسانى . ولكن هذا لا يعنى أن يتضامن اليهود فى كل مكان من اجل دفع فرنسا الى دخول معركة لصالحهم ولمصلحتها . وفى سنة ١٩٥٦ انتصر « سيلين » فى روايته « من قصر لآخر » يقصد من سجن لآخر .. السجون التى زارها بين المانيا والدنمارك وباريس بسبب مواقفه الادبية — انتصر « سيلين » فى هذه الرواية للعرب وقال انهم حفروا قناتهم باظافرهم وايديهم وماتوا من اجل حفرها وهى حق لهم . انه مع العدل ...

وقد الف « سيلين » عددا من الروايات الهامة .. « الموت بالتقسيط » ، و « خطيئتى » ومسرحية اسمها « الكنيسة » !

نافذة للتمرد والشر

اما « جان جينيه » فهو من مواليد سنة ١٩٠٩ ، وقد ولد من أب غير معروف وانزلته امه فى ملجأ تابع للاعمال الخيرية متخلية عنه . ولكنه قام بسرقة فى سن العاشرة وضبط متلبسا بالجريمة فاودع الاصلاحية ، وعمل فى الفرقة الاجنبية فى الجيش الفرنسى . ثم عاش احيانا فى صورة شحاذ واحيانا أخرى كلص محترف



وتعرض لاحكام كثيرة بالسجن . وتبنى « سارتر » موضوعه الادبى وعاونه « جان كوكتو » . والفروايات هى : مذكرات لص ، معجزة الزهرة ، مواكب الدافن . واخرج « سارتر » كتابا عنه تحت عنوان : « القديس جينيه الممثل الهزلى والشهيد » .

ويبرع « جينيه » براعة لا مثيل لها فى وصف نفسه كما هو فى حياته فى الواقع . وهو يعلن تصرفاته على الملا ويفخر بها . وهو يشيد بأعمال « الجستابو » الالمانى فى زمن «هتلر» ويثنى على السرقة والشذوذ الجنسى ، ويظهر هذا الكاتب تحديا خسيسا للمجتمع لانه ينشد المباهاة والمجد عن طريق الاوصاف المنتنة المخزية لما يقع فى حياته . ويحاول أن ينال من المجتمع وأن يناطح الطبيعة . وتصبح الرذيلة فى نظره هى الفضيلة وهى الخير . وقد عجز عن أن يبلغ المثل الاعلى فى النور فحاول أن يبلغه فى الظلمات . والسيادة عنده للشر وللشر وحده . ومزج موقفه هنا





فرانسواز ساجان: رؤية جديدة لحياة الانسان ٠ ٠ ٠

جول فيرن : حقائق العلم بأسلوب روائي

بمفهوم معين من الحرية كنافذة للتمرد والشر ٠

[illegible]

وكانت هذه الاتجاهات أساس التحولات التي جرت في تاريخ الرواية ٠ وكان لابد أن يكون تأثيرها متنوعا وفعالا على الكتاب والقراء على السواء ٠ فالكاتب لم يعد يكتب الرواية كأي شيء معروف من قبل ٠ وظهرت روايات « جيرودو » و « مارسيل ايميه » بالافكار العصرية القوية والاسلوب الشائع ٠ ولكن لم يكن يمكن أن تبقى هذه الروايات الجديدة بمعزل عن المذاهب الفلسفية الكبيرة ٠ وبدأت بادرة التحول مع علم النفس في روايات « بروست » ٠ ووضع « بروست » رواياته بطريقة لا تتبع أى أسلوب معروف من قبل في كتابة القصة ٠ ووضع الرواية في مجلدات طويلة وجعل من الرواية عملا ضخما مهيبا واثرا جليلا يكتبه الانسان على مدى السنين والاعمار ٠

وامتلأت رواية « بروست » : « البحث عن الوقت الضائع » باحداث طويلة وتطورات ووقائع في حياة الناس والمجتمع وفي تفسير الحب والامل والمشاعر العامة ٠ واستوحى « بروست » علم النفس في حين استوحى « بيرنانوس » في رواياته الدين ، واستوحى « مالرو » المفاهيم والعقائد ، واستوحى « سارتر » الظاهرية واسس « كامو » منهجية الفعل العشوى وابعاد سعادة البشر ٠

غير أن ظهور رواية « بروست » كمذكرات شخصية ، عن كل الناس الذين عاش بينهم وتعرف عليهم ، في حجم يزيد على ثلاثة عشر جزءا اخل باحجام القصص المعتادة ، وخلق ظروفا جديدة بالنسبة الى عدد الصفحات التي تتألف منها القصة عادة٠

وفي نفس الوقت صار الكتاب سلعة ، واصبح الناشرون يستفيدون من حجم الرواية ، فتدخلوا من حين

الدوس هكسلي : بداية انتشار الرواية العلمية



الى حين فى حجم الكتب التى يقبلون على طباعتها • ولما كانت القصة هى اهم نوع يتحكم به الناشر فى سوق الكسب والربح ، فقد اضاف ذلك عاملا جديدا الى جملة العوامل التى تدخلت فى تغيير حجم الروايات تغييرا غير متوقع • واصبحنا نرى الرواية فى اكثر من الف صفحة وفى اكثر من مجلد •

دور فى الكوميديا الهزلية

وبدات الاتجاهات الروائيـــة فى الانقسام منذ رواية « الغثيان » التى الفها « سارتر » سنة ١٩٣٨ • وهى رواية فذة تكاد تكون تطبيقا للمذهب الظاهرى وايحاء بكل جزئيـــاته وتفصيلاته • و « روكينتان » هو بطل الرواية ويعيش فى مدينـــة من مدن الاقاليم ، وقد ثقف نفسه بنفسه فقرا المكتبة الخاصة بالمدينة (مكتبة البلدية) كتابا كتابا حسب الترتيب الابجـدى للكتب • وبدا الوجــــود فى نظـر « روكينتان » عرضيا وعابرا وظهر فى تقديره بلا مبرر وبلا غاية • ويبقى « روكينتان » وسط الناس ويتظـاهر بحياته معهم لحظة بلحظة ، ولـكن شعوره بالغربة ازاءهم عميق فى قلبه وخـــاطره بحيث يوحى اليـــه بانهم يقومون جميعـــا بتمثيل الكوميـــديا الهزلية •

ولكن فوق ذلك كله « روكينتان » هو مكتشف العزلةالعميقة وسط مظاهر الوجود • وهو بطل الفكر الوجودى فى أولى مراحله •

واهم شىء هنا هو ان الجمهـــور العادى بدا يشارك فى اكبر الافـكار الفلسفية عن طريق الرواية • وهو امر حرمت منه اداب كثيرة فى العالم بحجة ان الجماهير لا تقبل علىمظاهر الفكر • ولكن هذه الرواياتالوجودية روايات حقيقية ، وتقبل عليهاالجماهير دون احساس على الاطـــلاق بقراءة كتاب فى الفلسفة • وصار القـارىء الاوربى يشـارك فى الاطـــلاع على المذاهب الفكرية الكبيرة بدون عنـاء . لانه صـــار يستشعر قمـــامات والتماعات موقوتة مقتبسة من لمحات الاحداث الروائية بدون اصطناعفلسفى

وبدا « ســارتر » يبلور مفهــوم (اللقيط) فى أعماله ابتداء من لحظة اكتشافه للمثقف المنبوذ بين الناس ، وكتب رواياته عن طرق الحرية •

وبدا ايضـــا يدرك معنى الالتزام ويتخـــذه مفهوما أساسيا لكتاباته • وليس الالتزام فى الادب وحده بل فى الاخلاق كذلك لان الانسان ملتزم ازاء المجموع وازاء مطالب المجموع •

واظهرت « سيمون دى بوفوار » فى نفس الوقت تقريبا رواية « المدعوة » ورواية « دم الاخرين » ، و « كـــل الرجال يموتون » ، و « المثقفون » •



جان جينييه : براعــة فائقة فى وصـف نفســه

وصار الموت عندها اساسا للسلوك الاخلاقى ٠

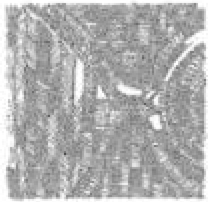
وكان « مونترلان » قد اظهر قبـل ذلك أعظم مؤلفاته الروائية وهمـــا « الغراب » و « البنات » ٠ وكـذلك كان « مالروه » قـــد ألف روايته الشهيرة « المتمردون » و « القـدر الانسانى » ٠

عمل رائع الخيال

اما « سانتيكزوبيرى » «ذلك الروح السماوى الجميل » فكان قـد أخرج اروع قصص الطيـران وانطبـاعات الحياة فى الجو مع الانتقال بين اقاليم نائية ومتباعدة ومختلفة ٠ وصدرت « رسالة الجنوب » سنة ١٩٢٨ وتبعها بعد ذلك ظهور رواياته الاخرى التى تصور انطباعاته كطيار وهى طيران الليل وارض البشر ٠ و «سانتيكزوبيرى» هو مؤلف « الامير الصـغير » التى يستمتع بها الصغار والكبار ٠ وهى عمل رائع الخيال ورائع الاعداد ، تصور حياة الكواكب والفضاء ٠

ولكن هـــذا لا ينسينا « كامو » الكاتب الروائى الوجودى الذى عاصر « سارتر » وألف روايتــه الشهورة « الغريب » سنة ١٩٤٢ ٠ وتبعهـــا « بالطاعون » سنة ١٩٤٧ و «السقوط» سنة ١٩٥٦ ٠

ولم يؤلف « كـــامو » روايـــاته مستوحيا مذهبه وحسب ، بل وضع لنا ذلك المذهب فى رواياته نفسهـــا ٠ وكانت كتابته الانيقة الجميلة الموحية تصور عالما من صميم حياة الانسان بكل احتمالاتها وعرضيتها ٠ وهـدم كل شرء واظهر غربة الانسان وابرز أن الانسان هو كــــل شيء ، الامل والرجاء والقانون ٠٠ وتنبـــه انه انســان ملزم بأن يعيش وسط الشر والشقاء ليفرض الخير وليرسم معالم السعادة ٠ وفى « الطاعون » استبعد معاول الهدم ليخط أول خطوط لبنـاء



الانسانية وليجاهد من اجل الخير لانه خير النـــاس وخير الآخرين • وفى « الســقوط » يشرع فى الكشف عن أغوار الانسان فى الذنوب • ويبـدأ عندئذ رسم ملامح الامل والعـــدالة ويرفض العبث فى الحيـاة والوجود ويقيم منهجية جديدة فى العمل الانسانى مبنية على واقع صلب •

وكتبت « فرانسواز ســـاجان » رواياتها التى ذاع صيتهـــا بين يوم وليلة ، ومنها « مرحبا ايها الحزن » ، « ابتسامة ما » ، « فى شهر فى سنة » وكذلك « هل تحبين برامز » وكل هذه الروايات تعبر عن رؤية جديدة لحياة الانسان مع تعبير جميـــل عذب عن الصلات البشرية فى ابسط صورها • ولكن الصـــلات البشرية لا تكون الا عميقة حتى فى ابسط صورها واكثرها عفويـــة • والقت « فرانســـواز ساجان » بملاحظاتها عن كـــل شيء عرضا وقصـــدا واستخرجت كوامن الحيـاة الانسانية وابعادها الجديدة من الاعماق ، ومن فوق السطح الخارجى اكتفاء بالمظهر ذى الدلالة فى الوجود الانسانى •

وكتب « جوليان جرين » عددا من الروايات الشبيهة بالتعبير السيريالى عن خوارق الانسان فى وجوده المتصل بالسموات وبالوجود المطلق • وهـو اميل الى الطـــابع الدينى مع ظهـور القلق والهواجس والمعجزات بين لحظة واخـــرى • واشهر رواياته « مون سينير » ، « ادريان ميـــزوراه » ، « التنبيه » ، « ليفياتان » وكذلك « لكل رجل ليلته » •

« ميشيل بيتور » فى مصر

ولكن كل هـــذا العـــالم المزدحم بالافكار لم يمنع ظهور الرواية العادية مـــن تاليف « سيمينون » كـــذلك « ميشيل دى سان بيير » الذى الف عددا من الروايات الممتازة كروايته عن « الادباء » وعن « همســـات الشيطان » •

***

وفجأة فى أوائل الخمسينات اختلت احجام الرواية واختلت معـــاييرها الادبية وظهرت قدرات جديدة فذة لم ينهكها تعب الحرب او جوع الحرب • واحس المثقف والاديب بقدراته علـى الخلق والابداع الروائى وبطـــاقاته الكبيرة على العمل والابتكار • وكانت



دستويفسكي : الظروف التي عاش فيها « طفل » . .



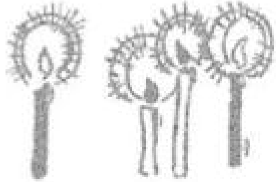
أندريه مالرو المحرون والقدر الانساني .

روايات « جول فيرن » قد أبرزت قدرة الانسان على أن يذيب حقائق العلم للناس في أسلوب روائي · فتساءل المؤلفون : وما بال الافكار الكبيرة ··· ألم يئن الأوان لنقلها الى الناس في الروايات التي يقرأونها ؟

وهـــكذا أصبحت الرواية النوع الادبي السائد لدى كل الناس وفي كل الاوساط وعند معظم القراء · وتكشفت قدرات الرواية الهائلة فاتسعت لمعظم الافكار واستقبلت العديد من الاتجاهات ونقلت الى الناس أدق تفصيلات النفس البشرية والوعي الانساني · وأصبحت المواهب الادبية زاخرة بشتى القدرات والاستعدادات · وصار تأليف الروايات عملا يقوم به ألوف الكتاب الشباب ، واقترنت الرواية بالمغامرة والخيال ·

وظهـــر شيء في فن الرواية عرف باسم الرواية الجـــديدة ، كان أول ظهوره في رواية « ميشيل بيتور » عن « التعـــديل » ثم روايته عن « استخدام الزمن » · و « ميشيل بيتور » ظاهرة جـــديدة في الادب العالمي · وكان قد بدأ حياته سنة ١٩٥٠ مدرسا للغة الفرنسية بمدرسة المنيا الثانوية · وكان – منذ وجوده بمصر – بادي التأثر بالمذهب الظـــاهري · واستغرقه هذا المذهب حتى تفرغ منه الى موقف نقدي هو الادب المعنوي · واتجه الى كتابة الرواية فنجح نجاحا باهرا في روايتيه السابقتين · ورواية « استخدام الزمن » هي أحد معالم هذا العصر الادبية الفريدة · وتعد هـــذه الرواية في الواقع من أروع الاعمال الروائية بعد الخمسينات ·

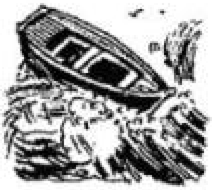
والواقع أن « الان – روب جرييه » سبق « بيتور » في اصدار روايته عن « الاسائيك » سنة ١٩٥٣ · غير أن السحة البوليسية التي تميزت بهـــا هذه الرواية لم تدع المجال واضـــحا أمامها في ذلك الوقت بعد ، لتعبر تعبيرا مميزا عن الرواية الجديدة · وفي هذه الرواية يظهر الحدث الرئيسي ابتـــداء من وجود رجل مجهول في



مدينة مجهولة . ولا يدرك أحـد فى البداية او فى النهاية من هو هـذا الرجل حقيقة وما هى حقيقة ما دار فى تلك المدينة من أحداث . ولا يقف الكاتب وراء أى احتمال من الاحتمالات التى يتوقع المرء أن تكون هى التى جرت بالفعل او قد تأيدت . ولهـذا فميزة الرواية الجديدة انهـا ترتسم دائما بخطوطها ووقائعها فى مجتمـع غير محدد وسط وقائع مسلسلة فى غير منطق ضرورى . وهى بطبيعتهـا لا ترتكن الى مسبقات معروفة وتشبه ما هو معروف باسم اللغز أو الفزورة

ومهما يكن من شيء فالمؤلفون الذين انضـمـوا الى « بيتور » و « روب جرييه » فى كتابة الرواية الجديدة هم « ناتالى ساروت » و « كلود سيمون »

و « روب جرييه » مؤلفَ « المتاهة » .. وتمتاز الرواية الجديدة فى طابعها العام بالموضوعية والتجريبية . وهى رواية تحرص على تركيز الانتباه بدون أى ميول أخلاقيـة أو اجتمـاعية أو نفسية . والعالم فى هـذه الرواية الجديدة لا يمـكن فك رموزه ولا يقبل التعليق عليه أو تفسيره . ولهـذا فالرواية الجديدة مجرد بحث وتنقيب بدون بلوغ مستوى النظرية . وهى بحث فى الانسان ووضعه فى العالم لان الانسان حاضر فيهـا من اول سطر الى آخـر سطر . ولا وجود



للاشياء داخل اطار هـذه الرواية الجديدة الا من حيث تسقط عليهـا ابصار الناس وادراكاتهم اى مـن حيث هى مدركات حقيقيـة كانت أو خيـالية . ولهذا فهى اذ تحرص على الموضوعية وعلى التجريبية الانسانية لا تلبث أن تجد نفسها قد تحولت الى ذاتية مطلقة بحـكم متابعتها الدقيقة لانعكاسات الابصار وانطباعات الخيال

فجر الرواية العلمية

وقد عرفت الرواية العلمية ابتداء مـن « ويلز » و « برادبرى » و « هكسلى » . واستطاع « جـول فيرن » أن يلعب دورا هاما فى تأليف الرواية العلمية . وقام « جان ريه » و « جاك استينبرك » بدور كبير فى تحقيق هذه الرواية . ونجح « فيرن » فى تحريك الخيال فى رواياته وبالذات فى روايته « عشرون الف فرسخ تحت سطح البحر » و « خمسة أسابيع فى المنطاد » .

ولا يفوتنا هنا ان نشير الى دور « فوكنر » و « كافكا » و « جول رومان » و « رومان رولان » و « ديهامل » في الرواية · ورسم « كافكا » بالذات في « القضية » وفي « القلعة » خطا اصيلا في تاريخ الرواية المعاصرة · وهو دور رئيسي بغير شك انفعل به الكثيرون واقتداه المؤلفون من كافة الاتجاهات في الرواية المعاصرة ·

ولايزال « فرانز كافكا » عملاقا في الرواية المعاصرة · و « لورانس داريل » ايضا من اهم روائيي هذا العصر ·

ونذكر من بين الالمان « جوتفريد كيلر » و « كونراد ماير » و « فون هرفمنستال » و « توماس مان » الذين شاركوا مشاركات جادة في الرواية المعاصرة وخلقوا فيها تيارات بارزة الملامح واضافوا اضافات جديدة الى خصائصها العامة · واقربهم الى النزعات الجديدة المعاصرة « روبيرت موزيل » الكاتب الروائي الالماني الذي قضت عليه النازية · وهو من الذين حولوا الرواية الى شكلها الجديد اي الى حكاية · وروايته عن « رجل خالي الصفات » هي أبرز اعماله · ومن اهم رواياته المعروفة « تيرلس الصغيرة » · ومصخريته كروائي مضرب امثال الجميع بين النقاد ·

والرواية الآن بصدد تطور جديد · لقد اختل حكمها واختلف اسلوب حكايتها واستغلها اصحاب المذاهب للتبشير بافكارهم ، واستغلها النقاد لاستعراض مواقفهم ونظرياتهم ، واستغلها الناشرون لترويج بضائعهم كسلع روائية ذات سوق مضمونة ، ولابد فيها من التجديد والتلوين واجتذاب الانتباه · والرواية تقبل التحوير وتقبل كل ما يطرأ عليها بفعل ما ينشد تحقيقه الناشرون من التجديدات · ولهذا فهي مسرح مستمر للتغيير لا يهدأ له قرار ولا يبلغ آخر الطريق · وهم احيانا كناشرين يفعلون هذا بعامل التشجيع للمؤلفين وبعامل حثهم على الجرأة ودفع المبالغ الكبيرة لكل ما يدونه من تطلعات في هذا الحقل كي يجتذبوا اهتمام القراء الذين لايزال معظمهم ينتمي الى قراء الرواية بالذات ·

الرواية مسرح التجارب المستمرة لدى المؤلفين والناشرين على السواء لوجودها كسلعة وكفن ادبي وكفن غير ادبي · وقد ظهرت اليوم اتجاهات مضادة للادب لانتزاع الرواية من أيدي الادباء · وسوف تظهر غدا شتى الاتجاهات · ولن تمضي سنوات حتى تكون الحياة الادبية قد تغيرت ، وحتى تكون التحولات الروائية قد بلغت اقصى ما يطمح فيه الخيال الحديث ·

والسؤال الآن على حد تعبير « سيمون دي بوفوار » : كيف يمكن أن نقيم خطوطا مستقيمة في عالم دائري اعوج ، وفي كون مستمر الاستدارة والانحناء ؟؟



نور الدين صمود

رائحة

وجه من اليونان حلو مشرق
وفم يكاد من الصبابة ينطق
جلست أمامي فالربيع مغازلي
لا تجتني ازهاره بل تنشق
واضيع في دوامة العطر التي
اشتاقها في كل ركن تخفق
واكاد المح ما وراء ثيابها
عطرا واغراء وسحرا يفهق
ونداء كنز بالحرير مكبل
مثل الحمائم اذ تكاد تحلق
يا فتنة ترك الصباح بثغرها
احلامه الوسنى وهب يصفق
اكرم ببسمتك الانيقة كالضحى
كالفجر مبتسما يهل ويشرق
البركتان من اللجين اضاءتا
وانساب في لون اللجين الفستق
وتحلق الاملاك في اجوائها
ما اجمل الاملاك حين تحلق
جفنان بل شفتان اوماتا ، فهل
اعصى الجمال وبحره لي مغرق
ويدان ناعمتان يلمع فيهما
لون الشموع وضوءها المتألق
ويهل فجر في الشفاه فثغرها
مثل السنى يفتر عنه المشرق
الكرم اينع فيهما فشفاهنا
ظماى الى تلك الكروم تمطق
هي فوقها يهب الجمال ، وفوقها
يصف الخيال ، ويعشق المتعشق
وجمالها ؟! ماذا اقول ؟! جمالها
ـ يا حسنه ـ يحتار فيه المنطق

وتلوح في كرسيها فتلوح لي
تمثال شمع لفه الاستبرق
فوق الاريكة دمية من مرمر
فخذ على فخذ وقلبي يخفق
وبصدرها نافورتان من السنى
ضوء الصباح عليهما يتدفق
واروح اسال في ذهول غامر
- ويغيب قلبي ذا السؤال ويرهق - :
من ذلك النحات ضيع عمره
يحيي الرخام براحتيه ويخلق
ويغازل الازميل حلمة نهدها
حتى الحديد له فؤاد يعشق !
وتطير اشلاء الرخام امامه
فاخالها تهوى الجمال فتشهق
ويخاف ان تطغى به شهواته
فتراه في لمساته يترفق
لو يخلق الحسن البديع خلقته
لكنه - يا للاسى - لا يخلق
او كنت (بجماليون) - يا معبودتي -
لنحت اروع ما يصاغ ويعشق
ولرحت ادعو (افروديت) لعلها
تهب الحياة لذا الرخام فينطق
لكنما عهد الاساطير انقضى
والمعجزات قضى عليها المنطق
وانا هنا مثل المخدر جالس
واكاد من هذي المحاسن اصعق
يتراكض النبض السريع باضلعي
فاحس ركض الخيل اما يخفق
ارهقتني - يا حسنها - وانبتني
افديك يا هذا اللهيب المرهق
● تونس ● ● نورالدين صمود ●



د. أحمد هيكل



نجيب محفوظ

بعد المرحلة الرمزية

لعل من اصعب الامور ان يتناول الدراس موضوعا اصبح من البديهيات وكاتبنا الكبير نجيب محفوظ قد أصبح - فيما يبدو - بديهية ادبية فلا مجال للاختلاف على اصالته وموهبته ولا مراء في مكانته ومنزلته ..

وادب نجيب محفوظ قد حظي بدراسات جادة متعددة منوعة ، مما جعل هذا الادب يبدو وكانه من الوضوح بحيث لا يحتاج الى مزيد من الايضاح ، لان الشمعة مهما تالقت فلن تضيف شيئا الى نور الصباح !

على الرغم من مخاطرة تناول موضـــوع نجيب محفوظ باعتبـــاره بديهية ادبية او مسلمة فنية ، وعلى الرغم من مغامرة الخوض فى أدب نجيب محفوظ الذى لم يترك الكاتبون عنه مزيدا لمستزيد على الرغم من ذلك كله لم أتردد لحظة فى الترحيب بعرض « الهـــلال » أن اكتب مقالا عن « نجيب محفوظوأدبه » لينشر ضمنتلك المقالات التيتخصصها المجلة لدراسة أعلام الفن القصصى ·

وذلك لأن الحديث عن نجيبمحفوظ يمثل بالنسبة الى تعبيرا عن حب ، فيأخذ فى أبسط صوره شكل تحية لا امل من تكرارها كلما سنحت الفرص للتحيات ، تماما كمـــا احيى الهرم والنيل وتراب مصر ، وكلها بديهيات خالدات مسـلمات ··· ثم لأن أدب نجيب محفوظ مهما بدا — بالدراسات المكتوبة عنه — واضحا جليا ، فهو فى كثير من جوانبه لم يزل — ولن يزال — يحوى كنوزا خفية غائرة فى منتهى الثراء ··· ومن هنا سوف يظل أبدا محتـــاجا الى مزيد مـن الضوء والكشف ، ليقدم دائما الغنى العطاء ···

ان كاتبنا الكبير يقف فى شموخ بينكبار كتابنا القصصيين المعاصرين، ويأخذ بكل جدارة مكانه المرموق فى الطليعة ممن يتصدرون المسيرة الادبية المعاصرة المتطورة بل انه بنتـــاجه الوفير الاصيل المتاز المنوع المواكب لروح العصر ، والمعبر عن روح مصر ، وتاريخ مصر ، وضمير مصر ، ونبض قلب مصر ، انه بهـــذا النتاج يعد معلما مضيئا من معالم حياتنا الادبية والفنية بعامة · بل لعل الانصـــاف يقضى بأن نطلق على نجيب محفوظ لقب « الظاهرة » لا المعلم المضيء ، لانه فعلا « ظاهرة » باهـــرة بكل ما تحدث الظواهر العظيمة من تغيير ، وبكل ما تثير من ادهاش وما تحتاج من تفسير ·

لقد أسهم نجيب محفوظ فى تأصيل الأدب القصصى فى لغتنـــا ، وكان الفذ من تسـلم الراية من يد جيل الرواد ، فسار بها متقدما الجيـــل الثانى ، جيل الاعلام الأصلين ·· وظل أكثر من ثلث قرن يكتبمبدعا فى هذا الفن الجـــديد ، الذى لم يكن له عمر يذكر قبل عهـــد نجيب وجيله العظيم · واستطاع هذا الفنــان المقتدر الخصب أن يقدم نحو عشرين رواية طويلة ، ومئـات من القصص القصيرة ، مضافا اليها ما اتجه اليه اخيرا من الحواريات والمرحيات ·

ونجيبفى هذا النتاج الغزيرالاصيل المنوع يعكس دائما فكرا واعيا فى اطار من الفن العالى وهو فى فكره وفنه متأثر بمجمـــوعة حتمية من المؤثرات التى صـــاغت شخصيته ، وشـــكلت طريقته ، وأمدت بالالوان ريشته ·

مسيرة التكوين [illegible]

وهنـــا — وقبل أن نمضى مع أدب نجيب محفوظ — نقف وقفة يسيرة عند أهم معالم حياته ، لنتعرف على أهم مكونات هذه الشخصـــية — أو الظاهرة — الفريدة ، ثم لنتعرف بعد ذلك — فى وضوح — على ابرز ملامح أدب هذه الشخصية من خلال مالها من تاريخ فى عهـــد التكوين ، من شأنه أن يؤثر فيها ويحدد تضاريس نهرها الفنى ، ويلون ماء هذا النهر بلونه المميز ·

ولد نجيب محفوظ عبد العـــزيز السبيلجى بالقاهرة فى أسرة متوسطة سنة ١٩١٢ · وكان ميلاده ونشأته بأعرق أحياء القاهرة الوطنية واكثرها شعبية ، بين العباسية والجمالية ·

وبعد أن أتم تعليمه الثانوى التحق بكلية الآداب فى جامعـــة القاهرة سنة ١٩٣٠ · وواصـل الدراسة فى قسم الفلسـفة حتى نال درجـــة

الليسانس سنة ١٩٣٤ . ونظرا لتفوقه كان المفروض أن يسافر فى بعثة الى فرنسا للتخصص فى الفلسفة ونيل درجة الدكتوراه . ولكن ظروف فساد الأداة الحكومية حينذاك حرمته من تلك البعثة كما حرمته من بعثة أخرى كان من المفروض أن يتخصص خلالها فى اللغة الفرنسية والأدب الفرنسى ...

وكان من نتائج ذلك أن حاول نجيب محفوظ أن يتم دراسته العليا في مصر فسجل موضوعا لنيل درجة الماجستير تحت اشراف الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ولكن ظروف الحياة والوظيفة والانجذاب الى ابداع الأدب صرفت كاتبنا عن انجاز رسالته ومواصلة دراساته العليا فى الفلسفة ..

وقد عمل نجيب فى عدد من الوظائف الحكومية ، وتقلد طائفة من المناصب المختلفة ، كان من أواخرها منصب رئيس مجلس ادارة مؤسسة السينما ، ثم منصب مستشار وزارة الثقافة ، الذى ظل يشغله حتى أحيل الى المعاش .

وقد عايش نجيب محفوظ البيئة الشعبية القاهرية الأصيلة وبخاصة فى حى الجمالية ، وعرف الكثير من عاداتها وتقاليدها ومشكلاتها وهمومها ، فاتسعت بتلك المعايشة انطباعاته ومعارفه ، وخرجت من الدائرة الضيقة – دائرة الأسرة التى تمثل شريحة صادقة التكوين من كيان الطبقة الوسطى – الى دائرة اوسع هى دائرة الحى الشعبى ، الذى تتمثل فيه خصائص تلك الطبقة وملامحها بصورة أوضح وأشمل وأصدق .

وكان لمعاصرة نجيب محفوظ للصراع السياسى بين القوى الوطنية الصامدة التى كان يمثلها حزب الوفد ، وبين القوى الرجعية الفاسدة التى كانت تمثلها الاحزاب البائدة ، والتى كانت تعمل ما يمليه القصر والاستعمار لضرب القوى الوطنية والقضاء عليها ، ليقتسم القصر والاستعمار ، والاقطاعيون والرأسماليون خيرات البلاد ، كان لذلك كله أثره فى تكوين نجيب محفوظ الفكرى والسياسى ، فقد اتسعت دائرة رؤيته – المؤثرة فى كيانه كله – من الأسرة المتوسطة والحى الشعبى، الى مصر كلها بكل ماتحوى من صراع سياسى وطبقى واجتماعى ، تقود مسيرة التطور الحقيقى فيه وتحاول أن تحميه وتنهض به قيادات مخلصة – نسبيا – من تلك الطبقة الوسطى التى تنتمى اليها أسرته وتتعلق بها حارته ويتجاوب معها حيه .

اما تلك القوى الاخرى التى تمثل الطبقة العليا او الارستقراطية فى ذلك الحين ، فقد كانت تجسد له شبح العدو والخصم المتآمر دائما . ومن هنا كان ينفر منها ويرفضها ، ولا يكاد يهتم بها لأنه أساسا لايعرف الكثير عن صورة حياتها أو لايريد أن يعرف.

أتوقع أن تكون مرحلة الرمزية فى أدب نجيب محفوظ رحلة مؤقتة بتلك الظروف الخاصة التى فرضتها ، وبعدها يعود لنا قصاص مصر ونبض مصر بكل وضوح رؤيته وشفافية روحه

وأما دراسة نجيب فى كلية الآداب فكانت ذات اثر عظيم على شخصيته واتجاهه واهتماماته ونظرته ، فتلك الدراسة قد شدته الى القضايا الكونية والميتافيزيقية ، كما شغلته بشئون النفس الانسانية وتعقيداتها الخفية ، ثم بصرته بكثير من شئون الاجتماع ووصلته بأهم المذاهب التى تعنى بالمجتمع .

على أن تحصيل نجيب محفوظ لم يقف عند حدود دراسته الرسمية ، ولم ينحصر فيما تلقاه من اساتذته فى قسم الفلسفة ، وانما تعدى ذلك الى التثقيف الذاتى الجاد النهم ، المعتمد على القراءة الواسعة المتنوعة ، وبخاصة فى التاريخ المصرى ، والادب العربى ، والقصص الانجليزى ..

وهناك رافد لايمكن أن يغفل فى مقام الحديث عن ثقافة نجيب محفوظ ومكونات اتجاهه الفكرى ، هذا الرافد هو صلته بالثقافة الاشتراكية عن طريق بعض روادها الاوائل ، الذين من أهمهم الاستاذ سلامة موسى .

فى الحياة .. والوجود .. والناس

وهكذا تفتحت عيون نجيب محفوظ منذ فترة تكوينه ، كما تفتح عقله وقلبه على أمور رئيسية هى التى استحوذت على اهتمامات أدبه ، ولونت هذا الأدب بلونها فيما بعد . أما هذه الامور فهى :

١ ـ تاريخ مصر بكل ما لماضيها من عراقة وأشراق ، وما لحاضرها من نضال وصبر ومعارك تثير الاشفاق .

٢ ـ سياسة مصر بكل مايصطرع فيها من مبادىء وبكل ما يصطدم بها من نزعات ، من لدن ثورة ١٩ وحزب الوفد الى ثورة ٥٢ والاتحاد الاشتراكى .

٣ ـ مجتمع مصر بكل تطوراته وتحولاته ، التى فرضتها مسيرة التاريخ ، ولونتها أوضاع السياسة ، وشكلتها أحوال الاقتصاد .

٤ ـ نفس مصر ، بكل ما يتفاعل داخلها ـ أى داخل أفرادها ـ من تأزمات وما يطرأ لها من حلول ، وبكل ما يهزها من افراح ، وما يدميها من جراح ، وبكل ما يبهرها نشوة أو يزلزلها تمزقا ، مما تسببه العوامل السياسية والاجتماعية ، بالاضافة الى ما تفرضه النظرة التأملية الميتافيزيقية .. وقد كانت الطبقة الوسطى هى ـ غالبا ـ المادة البشرية التى يشكل منها نجيب محفوظ نماذجه وينفخ فيها من روحه ويجرى على ألسنتها أفكاره ، كما يشكل من علاقاتها وتحركاتها وانفعالها ما يريد لرواياته من احداث .

وهكذا أيضا كانت المجالات الرئيسية لكتابات نجيب محفوظ هى : التاريخ المصرى ، والسياسة المصرية ، والمجتمع المصرى ، والنفس المصرية .

وكل ذلك مقدم ـ غالبا ـ من خلال عالم الطبقة الوسطى وهذه المجالات تؤلف ـ تقريبا ـ نسيج اعمال نجيب محفوظ ، وان غلب بعض الخيوط فى عمل على بقية الخيوط ، فبدا هو الجزء البارز أو العنصر الأساسى ...

وليس من العسير بعد ما تقدم تفسير اهتمام كاتبنا الكبير بهذه المجالات بصفة خاصة ، فكلها تضرب بجذور فى ثقافته البعيدة منذ فترة التكوين وعهود الدراسة وسنوات النشأة . فميله الى موضوع تاريخ مصر ، قد جاء انطلاقا من هوايته المبكرة لتاريخ بلاده ، تلك الهواية التى جعلته يترجم فى أول عهده

بحرفة الكتابة كتابا عن تاريخ مصر .. واهتمامه بموضوع سياسة مصر، قد جاء من معايشته الحية للحياة الحزبية المتصارعة منذ أعقاب ثورة ١٩ ، والتى بلغت درجة مؤلمة من الفساد منذ الثلاثينات .

وتركيزه على الناحية الاجتماعية قد جاء من دراسته فى قسم الفلسفة بكلية الاداب أولا ، ثم لاتصاله بالثقافة الاشتراكية ثانيا . أما نزعته النفسية والميتافيزيقية ، فقد

كانت من ثمار دراسته فى كلية الاداب أولا ، ثم من قراءاته لالوان من الادب الغربى الذى عنى بمثل تلك القضايا النفسية والميتافيزيقيةثانيا ، واخيرا من تأملاته هو وتجاربه فى الحياة والوجودوالناس والكون ثالثا .

وليس يخفى سر اهتمام كاتبنا بالطبقة الوسطى ، وجعلها المادة الاساسية لتشكيلاته القصصية . فهو من ابناء هذه الطبقة ، وهو من اشد الناس حبا لها ومعرفة بها وتمثلا لمشكلاتها وهمومها ... ومن هنا لا ينبغى أن يسأل سائل : كيف لم يكتب نجيب محفوظ عن الفلاحين

لقد أسهم نجيب محفوظ فى تأصيل الأدب القصصى فى لغتنا، وكان أقدر من تسلم الراية من يد جيل الرواد، فسار بها متقدما الجيل الثانى جيل الأعلام المؤصلين..

واهل الريف ؟ او لماذا لم يهتم بشئون الطبقة الارستقراطية او « ابناء الذوات » كما كانوا يسمون ؟! لان الجواب ببساطة هو ان هذا الكاتب يصور تجربته ويعكس رؤيته ويقدم

لنا عالمه الذى عاش فيه ولايزال جزءا منه . ولا يمكن ان يطالب بتخيل تجارب أو أفتعال رؤى ، او تقديم عالم هو نفسه قد رفضه منذ سنين

فلم يرتبط به ، ولم يحاول ان يعرف عنه أكثر من انه مرفوض ، ولا يمثل موضوعه الكلى الحبيب الخالد ، وهو « مصر » .

حصاد المراحل الثلاث

كذلك ليس من الصعب بعد ما تقدم تصنيف أعمال نجيب محفوظ بناء على هذه الدوائر التىاستأثرت باهتمامه ، والتى تمتد جذورها الى ثقافته الاولى ونشأته المبكرة وكل مكونات شخصيته الفنية منذ عهد

تكوين هذه الشخصية . وعلى هذا الاساس يمكن وضع أعمال نجيب موضوعيا فى ثلاثة أصناف ، أو تقسيم مراحلها الى ثلاث مراحل ، على النحو التالى :

١ ــ المرحلة التاريخية ، وهى المرحلة التى قدم فيها رواياته التاريخية الثلاث : « عبث الاقدار » سنة ١٩٣٩ و « رادوبيس » سنة ١٩٤٣ ثم « كفاح طيبة » سنة ١٩٤٤

٢ ــ المرحلة السياسيةالاجتماعية، وهى المرحلة التى انتقل فيها الىمجتمع مصر الحديثة . وهذه المرحلة ذات

شقين ، أولهما يتناول المجتمع المصرى وسياسته من ثورة ١٩ الى ما قبل ثورة ٥٢ . وثانيهما يتناول

المجتمع المصرى وسياسته ، أو أطرافا من هذا المجتمع وجوانب من



لقطة من فيلم « ميرامار » : قصة نجيب محفوظ

سياسته بعد ثورة ٥٢ والروايات التى تمثل الشق الاول من هـــذه المرحلة هى : « القاهرة الجديدة » التى ظهرت سنة ١٩٤٥ ، و « خان الخليلى » التى نشرت سنة ١٩٤٦ و « زقاق المدق » التى خرجت سنة ١٩٤٧ و « السراب » التى طبعت سنة ١٩٤٨ ، و « بداية ونهاية » التى اذيعت سنة ١٩٤٩ ..

وقد توج نجيب محفوظ روايات الشق الاول من هذه المرحلة ـ شق ما قبل الثورة ـ بثلاثيته الرائعـــة « بين القصرين » ســـنة ١٩٥٦ و « قصر الشوق » سنة ١٩٥٧ ، و « السكرية » سنة ١٩٥٧ ايضا .

اما الروايات التى تمثـــل الشق الثانى من هـــذه المرحلة ، فأهمها : « اللص والكلاب » التى ظهرت ســـنة ١٩٦١ ، و « السمان والخريف » التى خرجت سنة ١٩٦٢ ، و « ثرثرة على النيل » التى طبعت ســـنة ١٩٦٦ ، و « ميرامار » التى اذيعت ســـنة ١٩٦٧ .

ويدخل فى النتـــاج الممثل لتلك المرحلة كثير من قصص نجيب محفوظ القصيرة ، التى ضمتها مجموعتاه : « خمارة القط الاســـود » و « تحت المظلة » التى تحوى عددا من المسرحيات القصيرة والحواريات التى تمثل ايضا هذه المرحلة .

٣ ـ المرحلة النفسية والميتافيزيقية ، وهى مرحلة بدت بواكيرها مع المجموعة القصصية القصـــيرة الاولى لنجيب محفوظ ، تلك المجموعة التى ظهرت سنة ١٩٣٨ والتى تحمل اسم « همس

"ولا ينبغي أن يسأل سائل : كيف لم يكتب نجيب عن الفلاحين وأهل الريف ؟.. أو لماذا لم يهتم بأبناء "الذوات" كما كانوا يسمونه ؟.. لأن الجواب ببساطة أن هذا الكاتب يصور تجربته ويقدم لنا عالمه الذى عاش فيه ولا يزال جزءاً منه .."

الجنون » . ثم نمت من جديد خلال المرحلة السياسية والاجتماعية ، وبخاصة خلال الشق الثانى من تلك المرحلة اى بعد ثورة يوليو وبصفة اخص بعد نكسة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ . ويمكن أن نمثل لتلك المرحلة « بأولاد حارتنا » التى ظهرت سنة ١٩٥٩ مسلسلة فى جريدة الاهرام . ثم جمعت فى كتاب طبع سنة ١٩٦٧ . كذلك يمكن أن تمثل تلك المرحلة روايتا « الطريق » و « الشحاذ » والاولى ظهرت سنة ١٩٦٤ ، والثانية سنة ١٩٦٥ . كما تمثلها بعض القصص القصيرة فى مجموعته « دنيا الله » التى ظهرت سنة ١٩٦٢ . وتمثلها أيضا قصص عديدة فى مجموعاته السابقة مثل « خمارة القط الاسود » و « تحت المظلة » اللتين ظهرتا بعد يونيو سنة ١٩٦٧ .

التجزئة مرحلة موقوتة

ويجب ان نلاحظ هنا ما سبق ان اشرنا اليه من قبل ، وهو تداخل الموضوعات غالبا فى النسيج القصصى عند نجيب محفوظ ، فليس هناك موضوع تاريخى خالص ، ولا موضوع سياسى او اجتماعى فحسب ، ولا موضوع ميتافيزيقى او نفسى منفرد .

ففى جل اعمال نجيب محفوظ تقريبا تمتزج هذه الموضوعات وتتداخل هذه الدوائر ، حتى لنرى فى رواياته التاريخية المبكرة جوا سياسيا قوميا معاصرا ، حيث يحاول نجيب محفوظ ان يستخدم التاريخ القديم فى توجيه سياسة العصر الحديث ، وحيث يلمح من خلاله ـ بل يكاد يصرح ـ بآراء وافكار هى فى صميم السياسة المصرية المعاصرة .

كذلك نجد فى رواياته الاجتماعية والسياسية الحديثة اهتماما بالتاريخ ورصدا لاحداثه ، التى تاتى احيانا بكل تفاصيلها ودقائقها وكأنها وثيقة حية .. ثم نجد فى جل اعماله ـ تقريبا ـ هذه التحليلات النفسية ، وتلك الازمات الميتافيزيقية ، التى يتصل بعضها بالقدر ، وبعضها بالله ، وبعضها بالغيب ، وبعضها بالموت وبعضها بعجز العقل وحيرته أمام الكثير من غوامض الكون !.. فقط ـ كما قلنا من قبل ـ يغلب جانب على جانب فى مرحلة ما او فى عمل ما ، حتى ليبدو هذا الجانب اوضح خيط فى النسيج ، ومن هنا نستسيغ أن نقول ما قلناه من تقسيم ، مع الاعتراف الكامل بعدم التمايز الكامل

اما تصنيف هذا النتاج الغزير من ناحية اتجاهاته الفنية ، فيمكن ـ فى مجال التبسيط المركز والايضاح الذى

يعترف ابتداء بالتورط فى التعميم ـ يمكن ان نقول : ان المرحلة الاولى وهى المرحلة التاريخية كانت فنيا مرحلة رومانسية ، تعتمد أساسا على الخيال ، وتتعاطف ابتداء مع التاريخ ، وان حاولت أن تفيد الواقع من خلال هذا الخلق الرومانسى ...

أما المرحلة الثانية ،وهى المرحلة الاجتماعية السياسية ، فقد كانت فى شطرها الاول مرحلة واقعية ، تعنى ابتداء برسم الواقع ، وتقدمه بطريقة طبيعية كل ما فيها مسوغ ومعقول ، حيث تنمو الاحداث وتتطور وفقا لمبررات منطقية ، وحيث تتحرك الرواية دائما فى نمو طبيعى يجعل القارىء يقول ابدا : ثم ماذا ؟.. ولا يقول ابدا : كيف حدث هذا ؟!.

واما تلك المرحلة الثانية فى شطرها الثانى فقد كانت مرحلة تعبيرية ، لم يقف فيها الكاتب عند حدود المدرسة الواقعية التقليدية ، وانما تجاوز ذلك الى تقديم الاحداث من خلال وجدان الابطال وعلى السنتهم احيانا .. وقد افاد كثيرا من طريقة « تيار الوعى » او نهر الشعور ، تلك الطريقة التى عرفتها « جويس » .

وأما المرحلة الثالثة ، فقد كانت ذات نزعة رمزية ، ترك فيها الفنان الواقعية والتعبيرية بكل ما لهما من منطق مباشر وغير مباشر ، وبكل ما فيهما من وضوح جلى وخفى ، ولجأ الى طريقة الرمز ولف الافكار فى اردية كثيفة والباسها اقنعة ساترة ، تاركا لذكاء القارىء أن يفهم ما يشاء ويستخرج ما يريد ، وأحيانا مورطه فى الحيرة والتخبط والتخليط !

وربما لم يكن اللجوء الى هذه الطريقة تطورا فنيا لكاتبنا العظيم ، بقدر ما كان تحايلا فنيا فرضته بعض الظروف التى اراد فيها الفنان أن يقول كلمته بأية طريقة ليؤدى رسالته ويريح ضميره .. وفى يقينى أن هذه الطريقة غريبة على طبيعة نجيب محفوظ الجلية النقية ، التى ترتبط جذورها بتلك البيئات الشعبية المصرية الاصيلة ، التى تحب الصراحة وتؤثر النور وتعيش حياتها اليومية فى الواقع بكل افراحه واتراحه ، وبكل الامه وآماله ... ومن هنا اتوقع أن تكون مرحلة الرمزية مرحلة مؤقتة بتلك الظروف الخاصة التى فرضتها . وبعدها يعود لنا نجيب محفوظ قصاص مصر وتاريخ مصر ونبض قلب مصر ـ بكل وضوح رؤيته وجلاء عبارته وشفافية روحه (١)

---

(١) اهم مراجع « نجيب محفوظ وادبه » هى :

١ ـ « ثلاثية نجيب محفوظ » للاب « جومييه » ، ترجمة الدكتور نظمى لوقا .

٢ ـ « المنتمى » لغالى شكرى .

٣ ـ سلسلة المقالات التى كتبها احمد عباس صالح ونشرها فى جريدة الشعب سنة ١٩٥٩ .

٤ ـ الحديث الذى نشره الكاتب لنجيب محفوظ فى عدد يناير سنة ١٩٦٣ بعنوان « رحلة الخمسين » .

٥ ـ عدد مجلة الهلال الخاص الصادر فى فبراير سنة ١٩٧٠ ، وخصوصا مقالات ابراهيم عامر ، وفؤاد دوارة ، والدكتورة لطيفة الزيات ، والدكتور انعم رجب ، وصبرى حافظ .

رجاء النقاش



عبد الرحمن الشرقاوى وأدبه

فى سنة ١٩٥٢ بدأ اسم عبد الرحمن الشرقاوى يظهر ويلمع ككاتب روائى ، وذلك عندما نشرت جريدة المصرى رواية « الارض » فى حلقات مسلسلة ، ثم ظهرت هذه الرواية بعد ذلك فى كتاب سنة ١٩٥٤ ، وبعد صدور « الارض » بحوالى اربع سنوات ظهرت رواية الشرقاوى الثانية « قلوب خالية » ثم ظهرت الرواية الثالثة سنة ١٩٥٩ وهى «الشوارع الخلفية» ، واخيرا ظهرت الرواية الرابعة للشرقاوى وهى « الفلاح » سنة ١٩٦٨ .

وبهذه الروايات الاربع استطاع الشرقاوى ان يحتل مكانة بارزة فى الادب الروائى العربى المعاصر حيث اصبح واحدا من كتاب الصف الاول فى هذا الميدان .

المرضوع الاساسى الذى اهتم به الشرقاوى هو موضوع القرية المصرية . وقد كان هذا الموضوع هو المادة الاساسية فى رواية الارض . وهو المادة الاساسية - ايضا - فى رواية « الفلاح » . أما فى رواية « قلوب خالية » فقد كانت الاحداث تدور فيها بين القرية والمدينة . والرواية الوحيدة التى دارت كل أحداثها فى المدينة كانت رواية « الشوارع الخلفية » .

وفى روايات الشرقاوى نجد عناصر مشتركة من الناحية الفكرية والناحية الفنية على السواء . فشخصية الشرقاوى كمفكر وفنان تظهر وتفرض نفسها بوضوح على أعماله الروائية المختلفة .

واهم العناصر الفكرية التى تربط بين روايات الشرقاوى المختلفة هى أن هذه الروايات كلها سياسية ، فالاطار العام الذى تدور فيه الاحداث الروائية هو دائما اطار سياسى .

الروائى

والصراع الذى يقع بين الشخصيات المختلفة هو صراع يدور فى جو سياسى معين يحدده لنا الشرقاوى . فرواية « الارض » تتحدث عن القرية وصراعها ضد الاقطاع والارهاب السياسى فى ظل حكومة اسماعيل صدقى ، الذى كان يتولى الحكم سنة ١٩٣٤ ويفرض قبضته الحديدية الرهيبة على الشعب ، حيث استطاع أن يجعل هذا الحكم الارهابى فى خدمة الملك والانجليز والطبقات المستغلة فى مصر .

ورواية « الشوارع الخلفية » تدور فى اطار سياسى هو اطار سنة ١٩٣٥ حيث قامت حركات متعددة من التمرد الثورى العنيف ، اعتبرها المؤرخون صورة مصغرة من ثورة ١٩١٩ ، وقد قامت المظاهرات فى شتى أنحاء البلاد فى ذلك العام وسقط الشهداء العديدون ، وكانت الشرارة التى أشعلت هذه المظاهرات هى تصريح للسير « صمويل هور » وزير خارجية بريطانيا فى ذلك العام ، وكان يتضمن رفضا من بريطانيا لاعادة دستور ١٩٢٣ الذى الغاه صدقى والذى كانت الامة كلها تنادى باعادته .

● مكانة الفنان الرائد ●

أما رواية « قلوب خالية » فتدور فى اطار الحرب العالمية الثانية وما أحدثته من اضطراب واسع فى المجتمع المصرى .

أما رواية « الفلاح » فتدور أحداثها حول المشاكل الجديدة للقرية المصرية بعد تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى ، وتستمد هذه الرواية كثيرا من أحداثها من وحى ما وقع فى قرية كمشيش سنة ١٩٦٥ من صراع بين الفلاحين وبين بقايا الاقطاعيين .

فالاحداث السياسية تمثل عنصرا رئيسيا مشتركا فى شتى روايات عبد

الرحمن الشرقاوى ، وهذه الرؤية السياسية تجعل للشرقاوى وضعا خاصا بين الكتاب الروائيين فى مصر ، ففى الوقت الذى نجد الكتاب الروائيين من جيل الشرقاوى يقدمون نماذج متنوعة من الموضوعات الروائية ، فان الشرقاوى يركز جهوده فى الحديث عن الاوضاع السياسية وما تركته من تأثيرات مختلفة على المجتمع والانسان فى بلادنا .

على ان الشرقاوى من ناحية أخرى يحتل مكانة خاصة فى ادبنا الروائى باعتباره الروائى الاول الذى صور القرية المصرية وما فيها من مشاكل وصراعات ، وحرص على ان يصور هذه القرية من وجهة نظر واقعية متعاطفة أعمق التعاطف مع الفئات الشعبية فى القرية .

وهذه النظرة الواقعية الى القرية المصرية تجعل للشرقاوى مكانة الفنان الرائد ، لان القرية المصرية قد ظهرت فى الاعمال الفنية السابقة على ظهور روايات الشرقاوى بصورة بعيدة عن الواقع ... فنحن نجد مثلا رواية « زينب » لمحمد حسين هيكل ، التى ظهرت سنة ١٩١٤ ، تقدم نظرة خاصة الى القرية المصرية والفلاح المصرى .. انها النظرة الرومانسية البعيدة تماما عن ان تلمس مشاكل الواقع الاجتماعى فى القرية . ففى هذه الرواية اهتمام بالغ بالطبيعة فى القرية المصرية ، ومحاولة لتمجيد هذه الطبيعة وما فيها من سحر وجمال ، وكأن القرية المصرية هى جنة ارضية خالية من المشاكل والصراعات ، حتى الفلاح الذى يصوره « هيكل » فى روايته لا يحس بأى نوع من المشاكل لانه ذائب فى الطبيعة الجميلة ، سعيد بها ، مقتنع بما تعطيه له من سحر وعذوبة ودفء .

يقول هيكل فى زينب .. عن ليالى القرية :

« فى هاته الليالى الساهرة ، هاته الليالى البديعة يموج فى جوها نسيم الصيف البليل وتتلألأ فى سمائها الكواكب اللامعة ، يقوم جماعة الفلاحين فيتماشون بها عما ينساه المترفون من أسفارهم الى اجمل بقاع الارض ، وعن نشرهم الناعمة يستعيضون القمر الساهر يكلؤهم بحراسته ، وفى جوف الظلمة الصامت الامين يرسلون بآمالهم وأمانيهم ويحمل هواؤها الحلو أغانيهم على جناحه ، ويملأ بها بين السموات والارض » ..

تلك هى صورة الفلاح ، الذى يجد فى الطبيعة عزاء إننا لا نحس فى رواية « زينب » أن الفلاح يتعرض لاى مصاعب أو تعقيدات حقيقية ، فهو سعيد راض بما تقدمه له الطبيعة من جمال وسحر . ومن ناحية اخرى نجد أن الاقطاعى فى رواية هيكل « ... من اطيب الناس قلبا واصفاهم سريرة واحبهم لاخوته وأحناهم على الصغار منهم » ...

وهكذا تقدم لنا رواية « زينب » صورة مثالية خيالية معتمدة على الاحلام والاوهام للقرية المصرية والفلاح المصرى . ولا شك أن عذر « هيكل » هو أنه كتب هذه الرواية فى وقت مبكر من القرن العشرين ، حيث ظهرت الرواية لاول مرة سنة ١٩١٤ ، كما ان « هيكل » كتب روايته فى اوروبا بين باريس وجنيف ، عندما كان يدرس هناك ، وهذه العوامل كلها جعلت الموضوع الرئيسى للرواية هو التعبير عن الحنين الى مصر تحت تأثير الغربة ، وعن محبة مصر التى كانت انذاك واقعة فى قبضة الاحتلال الانجليزى ، فالصورة التى يرسمها « هيكل » ليست هى صورة المشاكل الواقعية التى يعانيها المجتمع او يعانيها الانسان وانما هى صورة البلد المضطهد الذى يريد الكاتب ان يثبت لنفسه وللقراء انه بلد جميل أصيل يستحق الحب بما فيه من جمال فى الطبيعة وجمال فى الانسان .



كانت المشكلة هى أن يقنع الكاتب نفسه ومواطنيه بقيمة مصر وسحرها فى وقت كان الاحتلال الانجليزى يحاول تحطيم صورة مصر وتحويلها الى صورة قاتمة فكأنها بلد لا جمال فيه ولا أمل ، وبلا مستقبل من أى نوع ·

● النظرة الواقعية الجديدة ●

واذا انتقلنا الى توفيق الحكيم فى روايته اللامعة « عودة الروح » وجدنا نفس الصورة للفلاح وللقرية المصرية. فتوفيق الحكيم فى هذه الرواية التى كتبها سنة ١٩٢٧ ، كان يهدف أيضا الى تمجيد مصر وتمجيد شعبها فى فترة كانت مصر فيها معرضة لضغط الاستعمار الانجليزى الذى أوشك أن يفقدها الثقة فى نفسها وفى مستقبلها ، وفى هذه الظروف اندفع توفيق الحكيم بعاطفة قوية صادقة الى تمجيد مصر بكل ما فيها ومن فيها بشكل مثالى رومانسى بعيد عن المشاكل الواقعية التى تعانيها القرية وتتألم منها ، وكانت صورة القرية المصرية والفلاح المصرى فى عين توفيق الحكيم صورة جميلة ساحرة ·

يقول الحكيم فى « عودة الروح »: « هل وجدت أفقر من هذا الفلاح المصرى ؟ أو أطول عملا ؟··· عمل ليل نهار فى الشمس المحرقة ، والبرد القارس ، وكسرة من خبز الاذرة ، وقطعة من الجبن مع بعض الاعشاب من السريس وغيره مما ينبت وحده ··· تضحية مستمرة وصبر دائم ومع هذا فهاهم أولاء يغنون » بل أن توفيق الحكيم ليعتبر أن مشاعر الجهل والتخلف عند الشعب المصرى غير حقيقية وذلك حيث يقول فى « عودة الروح » ·· أيضا : ان هذا الشعب الذى نحسبه جاهلا ليعلم أشياء كثيرة ، لكنه يعلمها بقلبه · ان الحكمة العليا فى دمه ولايعلم والقوة فى نفسه ولا يعلم ··· هذا شعب قديم : جيء بفلاح من هؤلاء واخرج قلبه تجد فيه رواسب عشرة آلاف سنة من تجاريب ومعرفة رسبت بعضها فوق بعض وهو لا يدرى ··· نعم هو يجهل ذلك ، ولكن هناك لحظات حرجة تخرج فيها هذه المعرفة وهذه التجاريب فتسعفه وهو لا يعلم من أين جاءته » ·

هذه هى الرؤية الرومانسية للقرية والفلاح فى الرواية المصرية قبل ظهور عبد الرحمن الشرقاوى · وهذه الرؤية الرومانسية كانت تعتمد على العاطفة والمحبة العميقة للفلاح والقرية فى مصر · كان هيكل أو توفيق الحكيم ينظران الى القرية والفلاح فلا يريان الا مجتمعا متناسقا يستحق أن تلتف حوله القلوب وتسانده كل المشاعر وتمجده ، وكانت هذه النظرة الرومانسية ملائمة لعصرها وظروفها ، حيث كانت مصر أيامها تعيش فى مشكلة أساسية هى مشكلة الاحتلال والعمل على الخلاص منه وكان كتابها الموهوبون يتحدثون فى تلك المرحلة عن مصر العزيزة الحبيبة التى هى أجمل بلاد الدنيا طلبا للثقة فى النفس والتى يمكن أن تدفع الى العمل والتخلص من الاحتلال ·

ومثل هذه النظرة الرومانسية الى

مصر والى القرية والفلاح لا يمكن أن تكتشف الشاكل الحقيقية للقرية أو الالام التى يعانيها الفلاح . بل كانت هذه النظرة بعيدة كل البعد عن الواقعية وعن الفهم الحقيقى لما فى القرية من صراع وهموم ومشاكل عنيفة .

على أن الشرقاوى لم يظهر فجأة ، ككاتب روائى يصور القرية والفلاح تصويرا واقعيا . فقد ظهرت مقدمات النظرة الواقعية الى القرية والفلاح فى رواية أخرى لتوفيق الحكيم هى « يوميات نائب فى الارياف » . ففى هذه الرواية نظرة تختلف عن النظرة التى نجدها فى « عودة الروح » للحكيم أو فى « زينب » لهيكل . لقد عاش الحكيم فى القرية بعد أن كتب « عودة الروح » ... عاش فيها كوكيل للنائب العام وعرف هموم القرية ومشاكلها عن قرب ، ولذلك جاءت « يوميات نائب فى الارياف » مليئة بالكشف عن العيوب والامراض الكامنة فى جسد القرية المصرية .

وكانت « يوميات نائب فى الارياف » هى المقدمة التى بشرت بظهور كاتب روائى كبير يكشف تفاصيل الحياة فى القرية المصرية ، وتفاصيل مشاكلها الحقيقية وألوان الصراع المختلفة فيها . وقد ظهر هذا الكاتب فى ميدان الرواية بظهور عبد الرحمن الشرقاوى ... فمنذ أن قدم الشرقاوى رواية « الارض » أصبح هو الكاتب الاول الذى يقدم هذه النظرة الواقعية الجديدة للقرية فى الرواية المصرية .

واذا كان الشرقاوى قد كشف كشفا شاملا عميقا فى أدبه الروائى عن الام القرية والفلاح ، فانه لم يكتف بمجرد الكشف المحايد . بل لقد انطلق من الكشف الواقعى الى تحديد موقف واضح من مشاكل القرية . وهذا الموقف هو موقف التأييد الفكرى والعاطفى الكامل لكفاح الفلاحين الاجراء الذين يبذلون عمرهم دفاعا عن الارض والذين تعرضوا رغم جهدهم الكبير لقرون متصلة من العذاب والالم والاضطهاد والجوع .

وقد استغل الشرقاوى موهبته الفنية فى سبيل ابراز وجهة نظره فى الدعوة الى تحقيق العدل والحرية للفلاح على اعتباره صانع الخير والحياة فى القرية المصرية ، ومن هنا استحق أدب الشرقاوى الروائى أن نصفه بأنه أدب ثورى ... أى انه أدب يدعو الى التغيير الاجتماعى فى القرية لصالح الفلاحين والطبقات الشعبية . والذى يساعدنا على أن نعرف موقف الشرقاوى بوضوح ودقة فى رواياته المختلفة هو أنه استخدم

لقطة من فيلم « الارض »



في كل رواياته شخصية « الراوي » وقد كان هذا الراوي في معظم الاحيان ينطق بلسان الشرقاوي نفسه ، ويعبر عن ارائه ومواقفه . وقد حرص الشرقاوي على أن يربط بين نفسه وبين الراوي حرصا شديدا . حيث أن الراوي في رواية « الارض » هو صبي صغير في الثانية عشرة من عمره ·

واذا عرفنا أن الشرقاوي قد ولد سنة ١٩٢٠ وأن رواية « الارض » تدور أحداثها حوالي ١٩٣٤ . أصبح من الواضح لدينا أن الراوي هو الشرقاوي نفسه مع فوارق بسيطة في العمر . كل ذلك بالاضافة الى أن الراوي كان طالبا في مدارس القاهرة يعود الى قريته في الاجازات . وأن هذا هو نفسه كان خط حياة الشرقاوي · ويساعدنا على هذا الاعتقاد ايضا أن الراوي الذي كان صبيا صغيرا في رواية « الارض » ، يعود الينا في رواية « الفلاح » وهو رجل ناضج ، واحداث رواية « الفلاح » تدور في سنة ١٩٦٥ ، حيث اصبح الشرقاوي رجلا ناضجا في الخامسة والاربعين من عمره ·

● الراوي والشاعر ●

وقد حرص الشرقاوي في رواية « الفلاح » على أن يذكر بعض الاحداث التي مرت في حياة الراوي، وكانت هي نفسها أحداث مرت بحياة الشرقاوي ، وأبرز مثال على ذلك أن الشرقاوي قد قضى عاما من حياته في باريس والراوي في رواية « الفلاح » يذكر لنا أيضا أنه قضى عاما من حياته في باريس ويحدثنا عن ذكرياته المتعددة هناك ·

وهكذا يبدو لنا الراوي الذي يتكرر ظهوره في روايات الشرقاوي شخصية تتحدث بلسان الشرقاوي نفسه وتعبر عن آرائه ومشاعره ·

وهذا الراوي . الذي يصر عليه الشرقاوي دائما يجعل من روايات الشرقاوي في جانب من جوانبها تسجيلا لحياة الشرقاوي وتجاربه وذكرياته المختلفة . فبقدر ما تصور لنا هذه الروايات حياة المجتمع المصري ومشاكله ، وبخاصة في القرية المصرية . فانها تسجل حياة الشرقاوي وتطوره الفكري والوجداني ، وقد اضفى هذا الجانب الذاتي على روايات الشرقاوي نوعا من الشاعرية العذبة والغنائية الجميلة ، خاصة أن الشرقاوي هو نفسه شاعر موهوب لم ينس شاعريته ابدا في رواياته ··· وقد اتاح له الجانب الذاتي في هذه الروايات المختلفة أن يفجر في كتابته ينابيع الحنين الى الماضي والتغني بالذكريات التي مرت بحياته والتأمل العميق لمشاعره الداخلية ···

وكل هذه التجارب هي ولا شك ينابيع مليئة بالشعر . وقد فجرها الشرقاوي في رواياته واستفاد منها على اوسع نطاق · وكانت هذه الشاعرية التي تبعث من الجانب الذاتي في روايات الشرقاوي عنصرا رئيسيا من عناصر التوازن الفني في هذه الروايات ، فلو أن الشرقاوي اعتمد في رواياته على وعيه السياسي الواسع بمشاكل القرية والفلاح والمجتمع المصري عموما ، واكتفى بهذا الوعي السياسي لخرجت الروايات المختلفة نوعا من التقرير السياسي او الدراسة الاجتماعية لمشاكل الواقع ، وهذا كله يمثل خطرا شديدا على اي عمل فني، لانه يصيبه بالجفاف ويقوده الى التعبير المباشر الصارخ الخطابي عن مشاكل الحياة ·

ولكن الشرقاوى لم يكن مفكرا سياسيا فقط بل كان شاعرا أيضا ومن هنا توازنت العناصر الفنية المختلفة في رواياته الى حد كبير .

على أن نجاح روايات الشرقاوى لم يتوقف عند حدود نضجها الفكرى ووضوح ما فيها من رؤية سياسية ، وخلاصها من النظرة الرومانسية للقرية والفلاح واستلازها بعد ذلك بالشعر العذب والتأملات العميقة .. بل اكتملت لها عناصر فنية رئيسية أخرى ساعدتها على النضج والاكتمال

.. فالشرقاوى يحس احساسا عميقا فى رواياته بمعنى « الصراع » القائم فى المجتمع . وهذا الصراع هو الذى يقود حركة الرواية عند الشرقاوى ويعطيها الكثير من الحرارة والحيوية . فالحياة فى روايات الشرقاوى لا تمضى فى رتابة وتكرار ، بل هى مجموعة من المواجهات والصدامات العنيفة ، ففى رواية « الارض » يدور الصراع قويا وحادا بين الفلاحين من جانب وبين السلطة واعوانها من جانب اخر ، وتمضى مراحل هذا الصراع خلال فصول الرواية بوضوح وقوة ، فكان هذا الصراع يتحول الى شلال عنيف يشد كل افكارنا ومشاعرنا . حتى نصل معه الى النهاية الحتمية لمثل هذا النوع من الصراع الحاد ، وخلال هذا الصراع يرسم الشرقاوى نماذجه الانسانية الكثيرة بقوة وحيوية وتنوع كأنه يرسم لوحة كبيرة مليئة بالتفاصيل دون أن يغفل عن الاطار الرئيسى لهذه اللوحة ودون أن يغرق فى الجزئيات وينسى المعنى الرئيسى الكبير .

وهذا المعنى الرئيسى هو فى رواية « الارض » : معنى التمسك بالارض والدفاع عنها لانها مصدر الكرامة والشرف ... مصدر الحياة .

وهذا ما نجده أيضا فى رواية « الفلاح » ، حيث يدور الصراع عنيفا بين الفلاحين . وبين الطبقة الجديدة التى أرادت أن تغتصب مكاسب الفلاحين بعد الثورة وتقضى عليها .

وهو ما نجده فى « الشوارع الخلفية » حيث يدور الصراع بين القوى الشعبية المختلفة وبين سلطات الاحتلال ومن يعاونهم من المصريين . أما فى « قلوب خالية » فالصراع يتحول الى داخل الابطال ، حيث تعرض الرواية ما فى نفوس هؤلاء الابطال من رغبات وما يتعرضون له من الحرمان الحاد العنيف .

وفى روايات الشرقاوى نلتقى بعنصر آخر من عناصر القوة والجاذبية الفنية ، فقد حرص الشرقاوى على أن يصور القرية المصرية فى « الارض » و « الفلاح » و « قلوب خالية » على انها قرية مفتوحة للتأثرات الخارجية الوافدة عليها من المدينة ، وبذلك لم تظهر القرية المصرية فى رواياته كقرية مغلقة معزولة عن الحياة .

وقد تسربت التأثرات الخارجية الى القرية من خلال الطلاب الذين يتعلمون فى المدينة ويعودون الى القرية فى فترات مختلفة . أو من خلال الموظفين الذين يعملون فى المدينة ويعودون الى القرية بين الحين والحين ، ومن هنا كان قلب القرية المصرية وعقلها يقظين رغم ظلام الجهل والارهاب الذى تعرضت له هذه القرية طويلا .

ولذلك لم يكن غريبا ان تحس القرية فى رواية « الارض » — مثلا — بكل الاحداث السياسية الكبيرة التى تقع فى العاصمة ... انها تعرف طغيان



د. محمد حسين هيكل
نظرة رومانسية للقرية

اسماعيل صدقي وترفضه ، وتعرف جرائمه السياسية وعلى رأسها الغاء الدستور ، وترفض هذه الجرائم وتقاومها ، وبذلك يكشف الشرقاوي لنا عن حساسية تكوين القرية وسرعة تأثرها وانفتاحها على العالم . ولو كان هذا الانفتاح من خلال ثقب صغير .

●●●

هذه هي العناصر الاساسية التي أعطت لروايات الشرقاوي قيمتها وعمقها ، فهو كاتب صاحب موهبة روائية خصبة ، ولكن هذه الموهبة كان يمكن أن تضيع لو لم تساندها عناصر رئيسية أخرى . فالشرقاوي صاحب ثقافة سياسية واسعة ، وصاحب موقف سياسي ثوري .

وقد أفادته ثقافته السياسية وموقفه السياسي في توسيع رؤيته لصراع المجتمع ومشاكل الانسان ، ولذلك لم يقتصر على التعبير عن مشاعره وتجاربه الخاصة ، ولم يعجز عن رؤية مشاكل المجتمع في صورتها الحقيقية العميقة وقد ساعدته ثقافته السياسية وموقفه السياسي على أن ينطلق بموهبته الروائية ليصبح — في مبـــدأ الرواية المصرية — رائدا للنظرة الواقعية في مشاكل القرية المصرية . فقد كان أدبنا الروائي قبل ظهور الشرقاوي ينظر — في معظمه وربما باستثناء يوميات نائب في الارياف — الى القرية والفلاح نظرة رومانسية تمجد الطبيعة وجمالها الساحر ، وتتغنى بالسعادة الوهمية التي يعيش فيها الفلاح المصري ...

... أو كما كانت أغنية عبد الوهاب المشهورة تقول ، محلاها عيشة الفلاح ، متهني وعايش مرتاح » ...

لقد مزق الشرقاوي بوعيه السياسي العميق هذا الوهم وكشف عن الحقيقة الاجتماعية المرة بصدق وأمانة وشجاعة .

وكانت شاعرية الشرقاوي عنصرا رئيسيا آخر من عناصر تفوقه الروائي فقد تخلص عن طريق شاعريته من الجفاف الذي يمكن أن تتعرض له الرواية الواقعية التي تعالج مشاكل المجتمع والانسان . لقد وفرت له شاعريته الخصبة كثيرا من لحظات الاشراق والعذوبة والتأمل في رواياته المختلفة . وارتفعت قيمة روايات الشرقاوي أيضا بأنه لم يكن مصورا محايدا للمشاكل والهموم التي أحس بها ، بل كان دائما صاحب رأي يدعو الى التغيير والتعديل نحو عالم أفضل وأعمق ... عالم يعيش فيه الانسان المسحوق ويحصل على قيمته الحقيقية وكرامته ..

وربط الشرقاوي رواياته بأحداث كبرى في حياة المجتمع المصري المعاصر ، مما أضفى على هذه الروايات لمسة قومية عميقة ، فلم تعد مجرد تصوير لمجموعة من الناس أو مجموعة من المشاكل ، بل أصبحت نوعا من التاريخ الوجداني والاجتماعي العميق للمجتمع من خلال القرية المصرية .

على أن هذه الايجابيات العديدة فى روايات الشرقاوى لم تخلص هــذه الروايات من سلبيات واضحة لاحظها كثير من النقاد . وينبغى حتى تكتمل صورة هذا الروائى الرائد أن نشير الى هذه السلبيات اشــارة مجملة تتناسب مع هذه الدراسة السريعةعن روايات الشرقاوى .

وأهم هــذه السلبيات ولا شك أن الشرقاوى كان يميل فى بعض اجزاء رواياته الى التعبير المباشر الــذى يشبه الوعظ والخطــابة والتقرير . وهــذا كله يتناقض مع روح الفن الحقيقى الذى يعتمــد على الايحاء والاقناع النفسى وقد دفعت هــذه الظاهرة بعض النقاد الى مهــاجمة رواية «الارض» ووصفها بأنهــا « مجــرد ريبورتاج سياسى » . ووصفها ناقد آخر بأنها ليست اكثر من رواية « تمجد حزب الوفد الــذى نشرت هذه الرواية فى جريدته » .

وهذه الاراء النقدية ولا شك تبــدو نوعا من المبالغة فى الهجوم والاتهام، وهى مبالغة لا تعتمــد على دراسة متأنية لرواية « الارض » ، ومع ذلــك فان الظاهرة التى يأخذها النقاد على الشرقاوى موجودة ولا شك فىرواياته المختلفــة ، حيث ينسى الشرقاوى فى بعض صفحات رواياته كل مواهبــه الفنية ويستسلم للاحاديث المباشرةالتى تضعف حركة الرواية وتسىء اليها .

والمثل الذى يمكن أن نسوقه فى هذا المجال هو الحوار الذى نجــده فى صــفحات ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ من رواية « الارض » حول « الاســتعمار الامريكى » ، حيث يلقى الشرقاوىعلى لسان الفلاحين البســطاء بمعلومات دقيقة عن الاستعمار الامريكى ، ناسيا أن احــداث الرواية كانت تدور فى سنة ١٩٣٤ ... وكما يقول الدكتــور عبد المحسن بدر فى كتــابه القيم « الروائى والارض » : « أن من الغريب أن يتحدث الشيخ حسونة فى هذهالفترة عن ضراوة الرأسمالية الامريكية ، فى وقت لم يكن فيه المثقفون قد أدركوا ضراوة الاستعمار الامريــكى لانه لم يكن قد كشف بعد عن أنيابه » .

ومن السلبيات الاخرى التى تؤخذ على روايات الشرقاوى أن الدقةالفنية فى بنــاء رواياته تخونه فى بعض الاحيــان ، فشخصية الراوى فى « الارض » تظهر فى الجزء الاول من الرواية وتختفى – تقريبا – فى الجزء الاخير ، وكان المفروض أن يواصــل الراوى حياته داخل الرواية أو أن يستغنى عنه الكاتب من البداية .

وبينما يقول الشرقاوى فى «الارض» أن عددا صغيرا من أبناء القرية هم الذين يملكون أرضا فيها تظهــر الــرواية ومعظم شخصياتها يملكون جزءا من الارض مما يعطى صــورة مناقضة لمــا يقوله المؤلف فى بداية الرواية ... وكل هذا بالطبع عيب من عيوب النقص فى الــدقة الفنية ، وهــو العيب الذى تتعرض له روايات الشرقاوى أحيانا ، ولعل سبب ذلــك فى رواية « الارض » بالــذات أن الشرقاوى كــان ينشرها فى فصول مسلسلة بجريدة المصرى . ولعلهكان

يكتبها فصلا بعد فصل ... وهـــذا كله تفسير للخطأ الفني ولكنه لا يمكن أن يكون تبريرا له .

ومن السلبيات الاخرى التي يأخذها بعض النقـــــاد على الشرقاوى في رواياته أنه لم يتـابع تطور الرواية الحديثة ولم يهتم بذلك . ومن هنـــا ظل مرتبطا كل الارتبـــــاط بالشكل الكلاسيكى للرواية في أعماله الاربعة . وليس المطلوب من الشرقاوى بالطبـع أن يخوض في تعقيـــــدات الرواية الجـــديدة وغموضها . خاصة وأنه كاتب واقعى صاحب قضية يريد أن يشرحهـــا ويدافع عنهـــا . ولكن الشرقاوى ولا شك كان **يستطيع أن يستفيد من التطور الجـــديد في فن الرواية نوعا من التركيز ومزيدا مـن الالتفات الى العالم الداخلى للبشر في رواياته ... لو انه عنى بالتطورات الجديدة في هذا الفن ... كل ذلـك بالطبع دون أن يفقـــــد خصائصه الاصيلة التي ضمنت له الوضـــوح والعمق والقدرة على مخاطبة جماهير واسعة والتأثير عليها .**

ومن السلبيات التي تؤخذ عـــلى الشرقاوى أيضا انه يكرر بعض أبطاله تكرارا واضـحا في رواياته المختلفة .. وهذا التكرار أو التشابه نجده على وجه الخصوص في روايتى «الارض» و «الفلاح» . وهـــذا التشابه واضح مثلا - بين « عبـد الهـادى » في « الارض » و « عبـــد العظيم » في « الفلاح » ، و « محمد أفندى » في « الارض » و « عبـــد المقصود » في « الفلاح » ... الخ .

● اتهام خاطىء تماما ●

وأخيرا فان الشرقاوى يتأثر بقراءاته الفنية وتنعكس هذه القراءات عـــلى رواياته المختلفة . ومن الواضـح أن هنـــــاك مواقف عديدة في رواية « الارض » تأثر فيهــــا برواية « فونتامارا » للكاتب الايطـــــالى « اجنازيو سيلونى » .

واذا كانت هذه التأثرات قد ظهرت بوضوح في بعض المواقف ، فانهـــا ولا شك لم تبلغ الدرجة التي دفعت بعض النقاد الى اتهام الرواية كلهـا بأنهــا مسروقة من « فونتمـارا » .

فمثل هذا الاتهام خاطىء ولا شك ، وقد كان كاتب هذه السطور أحـــد الذين اتهموا رواية « الارض » بأنها « مسروقة » من « فونتمارا » اعتمادا على ما بين الروايتين من تشابه في بعض المواقف ... **ومن الحق ان اقول - هنا - ان هذا الاتهام - الـــذى شاركت في توجيهه الى الشرقاوى - والذى راجعت نفسى فيه بعد ذلــك هو اتهام خاطىء تماما وغير منصف وفيه نوع من التسرع النقـــدى ... فرواية الارض لها قيمتها الفنية واستقلالها وبناؤها الخاص ، واذا كان الشرقاوى متأثرا . بفونتمارا » وهـــو يكتب « الارض » في بعض المواقف فان هـــذا التأثر شيء مختلف تماما عن قضية الاقتباس أو السرقة . فالارض في جوهرها رواية أصيلة . وكل ما فيهـــا من تأثرات هي تأثرات جزئية يمكن ان يأخذها النقاد - بحق - على الكاتب دون ان يكون في ذلك اتهام بعدم الاصالة الفنية في رواية « الارض » ... أو بأن هذه الرواية هي النسخة العربية من « فونتمارا » . ذلك كله ليس من الحقيقة في شيء .**

هـــذه هي خطوط عامة لشخصية الشرقاوى الروائية . وهي في مجملها - ورغم السلبيات والعيوب - شخصية روائية خصبة متميزة موهوبة . لها نور واضح وجذور [illegible] في [illegible] النظرة الواقعية الى [illegible] الارض والفلاح [illegible] . ثم ان هـــذه الشـــخصية الروائية تعتبر اضافة هـــامة الى الرواية العربية المعـــاصرة ...



يوسف الشاروني

ولد ثروت أباظة بالقاهرة في ٢٨ يونية عام ١٩٢٧ – وهو يوم ميلاد العقاد – لكن والده لم يقيده رسميا في سجلات المواليد الا بعد أكثر من أسبوعين في قرية غزالة مركز الزقازيق . فتاريخ ميلاده الرسمي ١٥ يوليو عام ١٩٢٧ قبل موت سعد زغلول بخمسة أسابيع فقط . وبذلك فهناك مسافة زمانية ومكانية بين ميلاده الحقيقي وميلاده الرسمي ..

ثروت أباظة

على ضوء روايته الأخيرة

وقد نشر ثروت اباظة حتى الان ثماني روايات واربع مجموعات قصصية · اما الروايات فهي ابن عمار (١٩٥٤) وهي قصة تاريخية عن الشاعر الوزير الاندلسي ابن عمار الذي كما كان طموحه سببا في وصوله الى كرسي الوزارة كان ايضا سببا في القضاء عليه ··· ثم « هارب من الايام » (١٩٥٧) وهي التي حصل عنها على جائزة الدولة التشجيعية في الرواية عام ١٩٥٩ «قصر على النيل» (١٩٥٨) وبعد ذلك « ثم تشرق الشمس » (١٩٥٩) ثم « لقاء هناك » (١٩٦١) ثم « الضباب » ١٩٦٤) ثم « شيء من الخوف » (١٩٦٧) . واخيرا « امواج ولا شاطيء » التي نشرت هذا العام مسلسلة بجريدة الجمهورية دون ان يضمها كتاب بعد ·

اما مجموعاته القصصية فهي على التوالي : الايام الخضراء (١٩٦٠) ذكريات بعيدة (١٩٦١) هذه اللعبة (١٩٦٧) حين يميل الميزان (١٩٧٠)

واذا كانت الرواية الاولى ابن عمار رواية تاريخية . فان الروايات السبع التالية تدور حول موضوعين اساسيين هما :

علاقة الاباء بالابناء ، والجماعة في مواجهة الفرد الخارج على السلطة والعرف والقانون · وتتركز المشكلة الاولى في « الضباب » ، بينما تتركز المشكلة الثانية في « هارب من الايام » اما « شيء من الخوف » فانها وان كان موضوعها الاساسي الفرد الخارج على الجماعة الا أنها تتصل على نحو ما بموضوع علاقة الاباء بالابناء ·

ومع ذلك فان هذين الموضوعين ليسا الا وسيلة الافصاح عن القضية المحورية في روايات ثروت اباظة ، تلك هي قضية الحرية بتفريعاتها المختلفة: الحرية السليمة والحرية المريضة · فالفرد الخارج على سلطة الجماعة يريد اصلا أن يتحرر منها ليصبح بدوره سلطة فوق السلطة ، وما تلبث المعركة الرهيبة ان تدور بين السلطتين ، وما يلبث القاريء أن يتساءل في نهاية القصة عن المغزى

الحقيقي للحرية ، هل هو لدى من حصل على حريته الفردية وافقد الاخرين حرياتهم ، فحريته لا تكون الا على حساب حريات الاخرين ، أو هو لدى الفرد الذى يقف امام الطاغية بشجاعة ليحرر الجماعة من طغيانه ؟

ولئن كان الجواب هنا يبدو سهلا ، فان الاجابة تبدو أصعب وأعقد في حالة تصادم حريات الآباء بحريات الابناء · وتقدم لنا رواية « الشباب » هذه القضية في أعنف مظاهرها · فثمة أسرتان مصابتان بالعقم · وقد استطاعت كل منهما وبطريقتها وبعد جهد أن تنال بغيتها فيكون لديها طفل أو طفلة ، بل ان احدى الاسرتين تبنت طفلا آخر · وكانت كل من الاسرتين تحلم أن تصوغ طفلها أو طفلتها وفق نموذج مثالي معين ، لكن هؤلاء الابناء الذين طال الشوق الى وجودهم ما يلبثون أن يضربوا عرض الحائط بكل أحلام آبائهم ويفجعونهم في أقدس مقدساتهم · يقول أحدهم « هل أريد أبى حقا ؟ ألم أكن أضيق بتسلطه وفرضه رغباته دون أن تكون لى فرصة أن أقول ما أريد ، فاذا أنا آخر الامر لا أرى الا ما يرى ، بل ولا مستقبل الا مايرسم · فهأنذا وحدى أخط مصير نفسى بيدى » ·
(الشباب ، دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ص ١٧٥-١٧٦) ·

ونستمع الى الجانب الاخر على لسان أحد الوالدين : « أربى اثنين فيصبح الاول زانيا لا يحفل بالمعروف الذى قدمته له حتى ليتزوج طليقة ابنى وأخيه ، ويصبح الثانى مقامرا ··· ، ويحتسب الله في أولاده ، ويعاوده السؤال القديم : لماذا نصر على أن نأتي بالاولاد ؟ (المرجع السابق ص ١٩٥) ·

وهكذا تتصادم حريات الجيلين ، وكأنما ثروت اباظة يريد أن يعلن صعوبة التوفيق واللقاء بينهما حيث أن حرية أحد الجيلين - فيما يبدو - لابد وأن تكون على حساب الجيل الآخر · ان ثروت اباظة يدين في تلك الرواية نظام الزواج كله ، أو على الاقل جانب الابوة والبنوة منه ·

— ا —

« وقصة » شيء من الخوف « لايخرج محورها الروائى عن قضية الحرية أيضا · وهى مقسمة الى ثمانية عشر جزءا بلا عناوين ولكن لها أرقام · ولست أعرف التبرير الفنى لعدم وضع عناوين لكل جزء · فالقصة في رأيى تنقسم أولا الى قسمين رئيسيين واضحين : القسم الاول وفيه يقدم المؤلف شخصيات قصته ويشمل عشرة أقسام ، والقسم الثانى وفيه تدب الحركة بين هذه الشخصيات فيحدث الصدام · أى أن النصف الاول يكاد يكون « ستاتيكا » والقسم الثانى « ديناميكا » · ونقول ان القسم الاول يكاد يكون « ستاتيكا » ، لان الشخصيات تتحرك ولكنها حركة حول نفسها أكثر مما هى حركة مع غيرها . أما القسم الثانى فتتصادم فيه الشخصيات التى سبق التعرف عليها في القسم الاول بحيث تخرج عن أفلاكها التى تدور فيها وتتغير مصائرها نتيجة لهذا التصادم ·

وكان يمكن للمؤلف أن يطلق على كل جزء من أجزاء القسم الاول اسم الشخصية التى يقدمها لقرائه . وهى - كما ذكرت - عشر شخصيات بعضها شخصيات رئيسية وبعضها شخصيات ثانوية ، كما أن هذه الشخصيات

العشر ليست كل شخصيات القصة وان لم يغفلها المؤلف من خلال تقديمه شخصياته العشر ، لكنه لم يفرد لها جزءا مستقلا مع انها ليست اقل اهمية من غيرها مثل شخصية الشيخ عبد التواب مأذون القرية وامام جامعها .

اول هذه الشخصيات هو حافظ والد فؤادة بطلة القصة ، وهو ليس مجرد فرد يعيش فى احدى قرى الدلتا فى زمان معين ومكان معين بل ان له ابعادا تمتد الى مصر كلها .

وهذا البعد الرمزى هو اول تفرقة واضحة بين قصة شيء من الخوف وقصة هارب من الايام التى نشرها المؤلف منذ عشر سنوات تماما قبل ان تنشر روايته الاخيرة ، والتى تعالج الموضوع نفسه وهذا البعد الرمزى يجعلنا نرتفع طوال ما يقلو ذلك من صفحات من الجزئى الى الكلى ، ومن المحسوس الى المجرد . فاذا ذكرنا ان قصة « شيء من الخوف » صدرت فى ابريل سنة ١٩٦٧ اى قبيل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ادركنا دوافع التحذير الذى ضمنه ثروت اباظة قصته لمجتمعه الذى يعيش فيه ، وكيف ان فنه يلتحم بمجتمعه دون ان يكون التفاته الى مجتمعه على حساب فنه ، وبهذا استطاع هنا ان يواجه المعادلة الصعبة بين الفن والتعليم خيرا مما راجهها فى روايات سابقة جعلت ناقدا ذكيا مثل الدكتور شكرى عياد يعلن رأيه فى ادب ثروت اباظة قائلا:

ان معتقداته الظاهرة تقتحم عليه عمله الفنى ، وان انشغاله بقضية يريد اثباتها ، يحرمه — وهو الفنان الاصيل — من اثباتها بالطريقة الوحيدة التى يملكها الفنان ، وهى الطريقة غير المباشرة . والصعوبة فى ادب ثروت اباظة انه يتجه الى اخضاع الفنان للمعلم ... والصراع بين الفنان والمعلم (او قل المؤدب) عند ثروت اباظه لم يزل موضوع خصومة بينه وبينى ، وحجة ثروت اباظة ان الفنان لا يستطيع ان يخلص من معتقداته حين يكتب فنه ، وحجتى ان الفنان يتجاوز معتقداته نفسها ، ولولا ذلك لما كان الفن خلقا (مجدى يندق ، الـدين والفن فى ادب ثروت دار النهضة العربية . ١٩٦٨ ، المقدمة ص ٨ — ٩) .

تلك هى التفرقة الثانية بين « شيء من الخوف » ومعظم روايات ثروت اباظة السابقة . اما التفرقة الثالثة فهى تفرقة أسلوبية . فقد قدم لنا ثروت اباظة شخصية حافظ بضمير الغائب ، غير اننا ما نلبث ان نستمع اليه يحدثنا بضمير المتكلم : ضمير الغائب حين يتحدث عن وحدة وجوده الزمانية والمكانية بارض مصر ، حتى اذا وصلنا الى الحاضر توارى ضمير الغائب وبرز ضمير اكثر حضورا هو ضمير المتكلم ليعترف لنا بتجربة حبه ثم يعود ضمير الغائب وهكذا ، كأنما الضميرين زاويتان مختلفتان يلتقط منهما المؤلف الموقف حتى يصبح اكثر تجسيما ... وهذه الحرية فى التنقل من ضمير الى آخر هى التفرقة الثالثة بين قصة « شيء من الخوف » وروايات ثروت اباظة السابقة التى كانت تكتب جميعها بضمير واحد هو ضمير الغائب .

ومن خلال حافظ استطعنا ان نتعرف على زوجته فاطمة وابنتهما فؤادة ، وعلى صديقه عبد الصادق وزواجه بنبوية بنت المجرم حسين العكر وابنها عتريس الذى شب مجرما كجده ، وعلى صديق طفولته ايضا فايز بك وزوجته نفيدة وابنتهما طلعت . ونحن نتعرف على هذه الشخصيات من خلال ماضيها وحاضرها معا . فقد نتلقى هذه المعرفة من خلال ذاكرة حافظ مرة ومن خلال ضمير الغائب الملاصق لذاكرة حافظ مرة أخرى ، ونحن ننتقل من خلال هذه الذاكرة بين الماضى والحاضر ، والحاضر والماضى ، فى سرعة ويسر . وهذا التداخل بين الازمنة او حرية

التنقل بينهـا سمة أخرى من سمات ، شيء من الخوف ، تضاف الى حرية التنقل بين الضمائر .

أما السمة الرابعة فهي سـمة أسلوبية أيضا ، تلك هي سـمة الايجاز . فالاشارة تغني عن الافاضة، واللفظة عن الجملة . لقد تخفف ثروت اباظة من ايراد كثير من التفاصيل ، ولهذا جاءت القصر رواياته (١٢٢ صفحة من القطع الصغير) باستثناء قصته الاولى التاريخية ابن عمار . فانت تحس كأنمـا لاوقت لديه للدردشة ، المهم أن يصـل الى هدفه باقصر طريق وأوضحه ، فهو ايجـاز لا يخل ولا يتسبب في غموض المعنى .

شيء آخر نلاحظه هنا كما نلاحظه في معظم روايات ثروت اباظة السابقة، ذلك انه يقدم شخصياته من خـلال جيلين على الاقل . فمعظم ابطـال ثروت اباظة معروفو الوالدين والاجداد احيانا . انه يهتم بتقـديم التكوين الاسرى لشخصياته ، رغم غالبا ابناء وحيدون او اثنان على الاكثر ، ربما حتى لا تزدحم الرواية بشخصيات ليس لوجودهم ضرورة فنية بل يشتت الانتباه . ومعنى هذا اننا نتعرف على الشخصية من اطار اسرتها . أحيانا يقوم الاسلاف بدور القدر بالنسـبة للابناء أو الاحفاد كما في حالة عتريس في قصتنا . فعندما أعلن عبدالصادق لصديقه حافظ انه ينوى الزواج من نبوية حسين العكر (لاحظ اسم الوالد الذى يصف مهنته) حذره حافظ لئلا يصبح أولاده مجرمين مثل جدهم ،فلم يعبأ عبد الصادق بل تحدى مخاوف صديقه قائلا : انني حينئذ ساكون أسعد أب في الدنيا (ص١٤) . وهكذا فاننا حين نلتقي بعتريس حفيد حسـين العكر مجرما نحس أن هذا قدر مفروض عليه بحكم الوراثة وربما بحكم التأثر والتقليد،وأن النبوءة قد سبقته واعدته لهذا المصير الذى لا فرار منه .

وعلى العكس من ذلك نجد فؤادة ابنـــة حافظ وبطلة القصة والطرف المناقض لعتريس ــ نجــدها ــ قد ، أخذت عن أمهــا اشراقة نفسها وايمانها المطلق بالله ، واخذت عن أبيها طيبة نفسه وسماحة مشاعره . لكن شيئا غريبا آخر تسرب في فؤادة واصرار الى اخلاقهـا ... من حيث لا يدرى أبوها ولا يدرى أحد ، عناصر من العناد والاصرار ، فهى ان ارادت شيئا حشدت كل قواها لتناله ، لم يكن أبوها كذلك ، هو تعود الا يريد شيئا .. وأما أمها فملقية أمرها كله على الله ... من أين تسرب هـذا العناد الى نفس فؤادة ... من أين ؟ (ص ١٩ و٢٠) .. فلئن كان الشـر يتسلمه الابنـاء من الاباء ، فان الفضيلة هنا يضاعفها أن صاحبتهـا غير مدينة بها لاحد . وهكذا فالاباء ليسوا دائما قدرا مفروضـا على ابنائهم ، وها هي ذى فؤادة تتميز بصفة ليست في والديها تضفى على شخصيتها قوة واحتراما .

فاذا رجعنا الى رواية الضباب ــ وهي عندى ذروة ما كتبه ثروت اباظة في مرحلته التقليدية ــ وجدنا الاباء هنا لا ينجبون أشباههم ولا ينجبون من هم أفضل منهم ، بل ــ على العكس من ذلك ــ ينجبون من يفجعونهم في احلامهم فيهم . بحيث يمكن القول انها مرثية للابوة من ناحية ، وانها رواية مكتوبة لحساب الاباء وعـلى حساب الابناء من ناحية اخرى .

واذن فان وجود الاجيال جنبا الى جنب في روايات ثروت اباظة ليس له دلالة واحدة ، فقد يكون حينا لابراز التشابه بين الاجيـال بحيث يكون السلف نبوءة للخلف ، وقد يكون حينا لابراز الصدام الدرامى المروع بين اوثق علاقتين انسانيتين ، وقد يكون حينا ثالثا لابراز شيء من التشـابه وشيء من التباين .

في الجزء الثاني من القسم الاول نتعرف على فاطمة زوجـــة حافظ

ووالدة فؤادة • وهنـــا نلاحظ أن العاطفة الدينية ـ اذا صح هـــذا التعبير ـ عند نســاء ثروت اباظة اقوى مما هى عند رجاله •

والسمة الثانية لكثير من نساء ثروت اباظه انهن يمارســـن حق ابداء رأيهن فى زواجهن رغم ما يبدو على بعض بيئاتهن من جو محـــافظ ••

فعنـدما يقـــدم المؤلف ثالثة شخصيـاته وهى فؤادة نجدها تعلن رأى أمهـــا •• كانت تعتبر الحب هو الزواج الحقيقى وان ورقة المأذون انما جعلت لاعلان هـــذا الحب •• وباطالما سمعت امها تعيد هـــذا الكلام (ص ٢٨ـ٢٩) • لهذا فاننا ندرك مدى عدم شرعية زواج عتريس لفؤادة حين يتم هذا الزواج بغيـــر موافقتها ورغم موافقة أبيها المهـدد ووجود شاهدين • فحين يحـــاول خارج على القـــانون ان يجبر امرأة على الاذعان له فى اخص شأن مـن شئونها تكون هذه هى ذروة الطغيان:

ولئن كان الخوف هو ما يحس به والدا فؤادة من شعور نحو عتريس ، فان الغضب هو ما تحس به فؤادة من شعور نحوه ، لانها « كما تعرف الحب الشديد الصانع للحياة وابناء الحياة تعرف البغض الشديد لاعداء الحياة وابناء الحياة » (ص ٣٠ـ٣١)

وفى نهاية هذا الجزء نتعرف على الشيخ ابراهيم عـــلام الرجل الذى يملك فى القرية فدانين يزرعهما هو وولداه محمود وطه ويعيشون مـــن محصولهما • وكان كلما التقى بفؤادة احب أن يحادثها وكانت هى أيضـــا تحب أن تحادثه حديثا عابرا لكنه كان حبيبا الى كل منهما •

فاذا كان الجزء الرابع وجـــدنا المؤلف قد خصصه لشخصية الشيخ ابراهيم علام ، وهو يقدمه لنا مـــن خلال حدث ، يغلب فيه الشيخ ابراهيم الشر بالخير ، فقد أصر جاره على أن يروى غيطه قبل أن يروى ولداه غيطهما ، فاذا به يعلن أن الجـــار أغلى من الارض • ويسمح للجار أن يروى غيطه أولا • وعنـــدما يسأله أحد أبنائه لماذا يخاف منه ، يعلن أنه لا يخاف من المخلوق أبدا • وحين ينصرف الشيخ ابراهيم وولـــداه ما تلبث الاخبار أن تأتيهم بأن المـــاء يغرق أرضهم ، فاذا عادوا وجـــدوا جارهم يروى أرضهم أولا ، فيتعانق الاخوان مع الجار ويتعاون الجميع على رى الارض كلها معا •

ويقـــدم المؤلف شخصيته الخامسة انعام غانية القرية من خلال تحولها من فتاة صـــغيرة جميلة فى الثـــالثة عشرة حتى زواجها فى السابعة عشرة الى أن طلقت زوجها الذى فقد عقله وأصبحت تمارس تجارتها بلا خوف أو حذر • وشخصيتها أشبه بشخصية « وطنيـــة » فى رواية « هارب من الأيام » • فكلاهما ـ برغم ما بينهما من فروق تفصيلية بالطبع ـ تمثـــل المرأة الخارجة على قانون المجتمـــع النسائى • فلا عجب أن يكون منزل

● «.. إنها كما تعرف الحب الشديد الصانع للحياة وأبناء الحياة ـ تعرف البغض الشديد لأعـــداء الحيـــاة وأبنـــاء الحيـــاة..»

شخصية «فؤادة» فى «شىء من الخوف»

كل منهما ملتقى الرجال الخارجين على القانون والمجتمع ·

اما الاستاذ عليوة المحامى الشخصية السادسة فيقدمه المؤلف خلال حلمه أن يتزوج ابنة رئيس النيابة ، ثروته الان الف وخمسمائة جنيه يريد أن يكملها الى الفين حتى يتقدم لخطبتها مطمئنا ، لكن العتريس المجرم يخيف الناس ، ولو لم يخافوا منه لاستطاعوا أن يقيموا قضايا اعتداءاته عليهم فيحصل اتعابها ·

ولئن كانت فؤادة الشخصية النسائية الرئيسية قد اطلت علينا فى بداية القصة ، فان الجو الآن أصبح مهيأ لمقدم الشخصية الرئيسية بين الرجال وهو عتريس ، وكنا قد عرفنا نتفا عنه فيما تقدم ، لكن ها هو ذا يتحدث بضمير المتكلم ، اننا ندخل الان عرينه ونسمعه يتساءل « الا اخاف ··· المهم الا يبدو منى الخوف » (ص ٥١) ، اذن فهو رغم تمرسه بالاجرام يشعر كبقية خلق الله بالخوف ، كل ما بينه وبينهم من فرق هو أنه قادر على الا يظهره · ومن خلال عتريس نتعرف على أفراد عصابته · واذا كان عتريس قد أصبح مجرما بالوراثة ، فان هؤلاء اصبحوا خارجين على القانون بسبب حدث حاسم فى حياتهم ، وربما هى الوراثة أيضا وكانت مهمة الحدث هى الافصاح عن هذا العنصر الموروث · أحدهم رجل دين لكنه يحب النساء والحشيش فلجأ الى سرقة حصير الجامع ، والثانى وكيل دائرة اختلس من عهدته ، والثالث وكيل محام مزور ·

ولئن كان اسماعيل العصفورى الذى جمع فى شخصيته بين الدعوة الى الدين واقتراف ما هو ضد الدين لافتا للنظر ، فان تطلع عتريس نحو فؤادة ـ كما تطلع المجرم كمال الطبال الى درية بنت العمدة فى رواية «هارب من الايام» ـ وهيامه بها كان بمثابة اشارة البدء ، فخرجت كل شخصية عن فلكها الذى كانت تدور فيه ودبت الحركة واضطربت · هل هو تطلع النقيض الى نقيضه ليكمله ، أو هو دلالة على أن نفسية المجرم مهما أوغلت فى الشر لايزال فى أعماقها ركن قصى يحن الى عالم الخير هو الذى يجعل التوبة أمرا محتملا ، أو هى الرغبة فى تملك المحال ؟ كانت فؤادة بلا شك هى أمنع المعاقل على عتريس ـ كما كانت درية بالنسبة لكمال الطبال ـ وكان الاستحواذ عليها معناه انتصار الشر وسيطرة الطغيان نهائيا ·

من هذا الاحتكاك بين عتريس وفؤادة ، بين الشر والخير ، وبتحديد أدق بين الطغيان والحرية ، تتفجر العنصر الدرامى فى القصة ·

فى الطرف الاخر تبرز شخصية طلعت · وبينما نجد عتريس يقول : « ان هى الا اشارة ·· كلمة اقولها فلا يشرق صبح الا وتكون فؤادة زوجتى » (ص ٥٢) نجد طلعت يهمس : « أريدها أن تختارنى ··· يجب أن توافق على هذا الزواج موافقة صريحة لا شك فيها بارادة حرة لا سلطان عليها فيها الا ما تمليه خوالج نفسها هى ··· ما تريده فى البعيد البعيد من أعماقها دون أن يكون لرأى أبيها أو امها دخل فى ذلك » (ص ٥٥ ـ ٥٦) ·

وكما بدا حافظ والد فؤادة رمزا لمصر كما رأينا ، فان فؤادة هنا ـ ومن خلال شخصية طلعت ـ تتكشف شخصيتها وتتكشف حتى تصبح بدورها رمزا للحرية ··

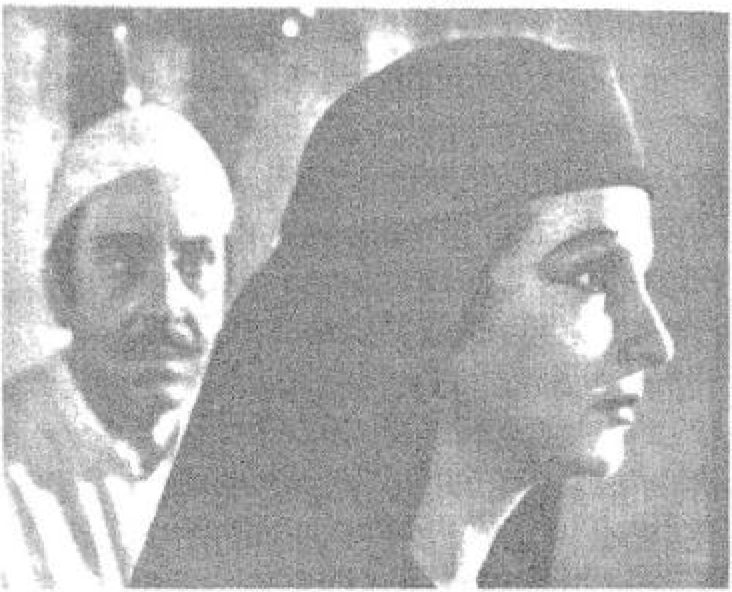
ولئن كانت شخصية فؤادة ترتبط بفكرة الحرية ، وشخصية عتريس تمثل الطغيان ، فان شخصية الشيخ

بسيوني نموذج لتقبل الطغيان ، كأنما في نفسه نفسان : احداهما تلقي به الى مهاوى التردي والخنوع والضعف ، والاخرى تلقي عليه ألوان الهزء والتأنيب والسخرية . حتى زواجه لم يكن بيده ، بل أن اباه هو الذي خطب له ، وما تزوج حتى أصبحت زوجته رتيبة هي الآمرة الناهية في البيت والغيط . ارادته تقف عند الرغبة ولا تعدوها الى التنفيذ . وهكذا يتم تعليم اولاده وبناته طبقا لهوى زوجته ولا قيمة لرأيه " يدعى في كل فرح بالقرية ليكون شاهدا في العقد ، شاهد أنت في الحياة لو سئلت يوما ما وظيفتك » (ص ٦١) . لهذا فهو يتمنى أن يحترم نفسه التي لا يحترمها .

أما الشخصية العاشرة والاخيرة التي قدمها لنا المؤلف فهي شخصية هنداوي افندي ناظر المدرسة الالزامية في القرية ، وهو انتهازي لا هم له الا مصلحته . فاذا كان الامر لا يمس مصلحته تظاهر بالدقة والشدة .

كل شخصية من هذه الشخصيات قدمها المؤلف وهي تدور في فلكها الخاص ، جذورها تمتد في أرض الواقع لكن قامتها تطل — بنسب متفاوتة — على دنيا الرمز . وبمعنى آخر انها تتفاوت في التأرجح بين الشخصية المحددة والنموذج العام . ثم تدب الحركة بينها حين يطلب عتريس أن يتزوج فؤادة ... يحاول الطغيان أن يستولى على امتع معاقل الحرية . أتى في جنح الليل مع عصابته وفاجأ اباها : « اليوم السبت ، كتب الكتاب الخميس القادم ... عندك ارض . وفي الارض قطن الآن وارز واحيانا يكون في الارض قمح

لقطة من فيلم « شئ من الخوف » :
يدور محورها الروائي حول قضية الحرية



● قضية الحرية ماتزال هى الشغل الشاغل للروائى ثروت أباظة، وهى قضية لاتلح عليه فى رواياته فحسب، بل وفى قصصه القصيرة أيضا.

... وعندك ساقية ... وعندك بهائم ... وعندك — عند اللزوم أيضا — ابنتك فؤادة نفسها وأنا عتريس » (ص ٧١) . أما فؤادة فكان جوابها الواضح القاطع : لا .

هنا يبرز الطرف الاخر طلعت . ففى الصباح التالى اقبل طلعت مع والده الى بيت حافظ ليطلب فؤادة . لكن حافظ — ولدهشة صديقه فايز وابنه طلعت — يرجوهما : لمصلحتك ومصلحة طلعت ألا يعرف احد انك طلبت منى هذا الطلب (ص ٧٧) . أما طلعت فكان جوابه : أيا كان الامر فسأتزوج فؤادة .

فى يوم الخميس الموعود طاف حافظ على ثلاثة بيوت يستدعى رجالها : المأذون وشاهدين دون أن يطلعهم على حقيقة دورهم : الشيخ عبد التواب مأذون القرية وامام جامعها ، وهنداوى افندى ناظر المدرسة الالزامية ، والشيخ بسيونى شاهد الافراح بالقرية .

وعندما فاجأهم عتريس أصيب ثلاثتهم بالذهول ، وتظاهر هنداوى افندى بالاصرار على اخذ رأى فؤادة ، فلما دخلوا اليها وسألوها أعلنت رفضها ، غير انهم لم يجرءوا أن يعلنوا هذا الرفض لعتريس . فقرروا أن يزعموا أنها قبلت توكيل والدها عنها . وهكذا تم الزواج وأرغمت فؤادة على مرافقة عتريس الى بيته . وتم الانتصار — شكليا — للطغيان .

وعندما نستمع الى عتريس وهو يعترف بحبه لفؤادة ، نحس كأنما كمال الطبال بطل الهارب من الايام يبعث من جديد وهو يهم بالاعتراف بحبه لدرية بنت العمدة بعد أن اختطفها بدوره الى مغارته فى حادث مشابه لكن بدون عقد زواج . وعندما نشهد موقف فؤادة من عتريس نتذكر على الفور موقف درية من كمال فى هارب من الايام .

ثم ما نلبث أن ندرك مدى اندماج النقيضين فى وحدة عضوية واحدة عندما تقول فؤادة : اذا قتلتنى فانى لن اموت ... أنا أمل فى نفسك ، فكرة فى ضميرك ، الزواج منى حلم طفولتك وصباك وشبابك . اذا قتلتنى فسأظل فى نفسك أملا وفكرة وحلما ... سيظل الحلم حلما لم يتحقق (شىء من الخوف ، ص ٦٩) .

هنا نستمع الى لغة تنأى بنا عن الواقع ، وندرك تماما أننا لم نعد أمام قرويين فى كهف قاطع طريق . لقد نزع ثروت اباظة اللحم والعظم عن شخصيتيه وجعلهما كائنين أثيريين مجردين ، بينما فؤادة تصيح : الفكرة لن تموت (ص ١٠٠) .

لقد اختل هنا التوازن بين الواقع والرمز الذى حرص عليه المؤلف وبنجاح — طوال قصته ، فنزع قناع الواقع وسفر الرمز .



وهكذا خرج عتريس يبحث عمن يعينه على نيل مآربه · قصد أولا أباها فلما أيقن أنه كتب عليه في أمر الوكـــالة أمر باغراق أرضه واحراق أرزه ، فشهية الطغيـــان مفتوحة ، ثم قصد الى بيت أنعـام فلم يجد عندها السلوى ، فقصد عليوة المحامي عله يفتيه فتوى تكون في صالحه لكنه أبلغه أن العقد غير صحيح ، فما كان من عتريس الا أن استولى على كل مدخراته التى كـان يريدها أن تبلغ الالفين ليتزوج بنت رئيس النيـــابة · فسرق منه بذلك احلامه ·

وسط هذه الظلمة : الطغيـــان مسيطر ، والحرية مقيـــدة وان لم تستسلم ، برز الشيخ ابراهيم عـلام يهيب بالوالد : مت واخرج ابنتـك من بيت رجل ليســت على ذمته · فتخرج الام باحثة عن مكان ابنتهـا والشيخ ابراهيم علام يحملها رسالة شفهية تبلغها لعتريس ، ان العقـــد باطل ··· باطل ، ·

الحق يقف الى جانب الحرية في مواجهة الطغيان · والثمن هواغراق أرض الشيخ ابراهيم · ويقول قائل : يا عم الشيخ طول عمرك رجل طيب لم يرتفع صوتك ، حتى وان اعتدى عليك فما معنى ثورتك هذه المرة ؟ فيرد قائلا : حق الله ·

وفي يوم الجمعة أعلن الشـيخ ابراهيم للمصلين في جامع القـرية أن زواج عتريس من فؤادة باطل ·

وكان الثمن أفدح هذه المرة · كـان الثمن هو حياة محمود بن الشـيخ ابراهيم · ومن قبل دفع الشـيخ حسن حياة ابنه فخرى ثمنا لوقف مماثل في رواية ، هارب من الايام ، حين رفض أن يدفع لكمال الطبـــال عشرين جنيها دون حق · ولكن تضحية الطغيان كانت بموتها هذه المرة أقوى مما هي في حياتها ، فلقد مضى صوت الحق لا يعبأ بفداحة ما يتكلف فكتب على حائط الجامع ، زواج عتريس من فؤادة باطل ·· باطل ، · وحين مرت جنازة محمود وجد المشيعون انفسهم يسيرون دون وعي ليسدوا الطـريق بعيونهم على عتريس ، فنكس رأسه في استسلام بينما كانت فاطمة تحمل ابنتها فؤادة بين ذراعيها والطـريق ينفسح لها ·

— ٣ —

وهكذا يمكن اعتبار ، شيء مـــن الخوف ، نقطة تحول هامة في تطور الفن الروائي عنـــد ثروت أباظة ، تتميز بأربع اضافات : أولهـــا أن الواقع عنده اصبح مشحونا بالرمز ، وللأحداث ايحاءاتها التى تتجـــاوز حدودها · وثانيها انه استطاع أن يواجه المعادلة الصـعبة بين الفن والتعليم بدرجة اكثر نجاحا ، فمعأنه لم يتخل عنهما معا الا أنه حـــاول الا يجعل احدهما يفسد مهمـــة الآخر · وثالثها تنقله في يسر بين ضمير المتكلم وضمير الغائب ، وبين الحاضر والماضي · أما الاضافةالرابعة فهي التركيز ·

أما قضية الحرية فلاتزال شـغله الشاغل ، وهي قضية لا تلح عليه في رواياتـــه فحسب بل وفي قصصه القصيرة أيضـــا · ففي مجموعته القصصية ، الايام الخضراء ، نقـرأ قصتين احداهما بعنوان ، حنـــان الهوى ، والاخرى بعنوان ، ملاعب الصبا ، وبطلا القصتين رجـــلان خارجان على الجمـــاعة لكن مسرح الاحداث الصحراء وليس ريف مصر ·

ثروت أباظة مايزال إذن محتفظاً بتفاؤله الذى أصبح أكثر وعياً من خلال تجربته الحية وتمرسه الشقى معـاً...

فاياس بطل قصة « حنان الهوى » قد دفعتـــه أسباب نفسية وليست اجتماعية الى ان يكون قاطع طريق. فأبوه قد مات وهو لايزال طفــلا ، وتزوجت امه برجل سامه العذاب فنقم على امه ثم على البشرية فاصبح قاطع طريق لا رحمة تأخذه ولا ضـــمير يردعه . حتى اسر ذات يوم قافلة بها هودج ضخم خرجت منه امرأة رائعة الجمال تحمل على صـدرها الذهب واليواقيت . وعندما علمت «عاتكة» أن « اياس » هو رئيس قومه لانت برجولته روجته ان يأخذ اموالها .. « لكن حريتى يا سيدى .. لا تسلبنى يا سيدى ، فما عرفت الاسر وماأظننى أطيقه ... أم تراك ترد مستجيرة بك ؟ » وهكذا اقنعت عاتكة اياس أن يفك أسرها ويطلق قافلتها . وعندما وقع اياس فى الاسر فيما بعد توسطت عاتكة له وقصت على اميرها قصـة اياس وشهامته معها فأطلق الاميــر سراحه « وطلع القمــر على زوجين يسيران الى الكعبة المقدسة » (الايام الخضراء ، الكتاب الذهبى ، ١٩٦٠ ، ص ٨٧) . فثروت اباظة فى هــذه القصة يعلن أن التوبة يمكن أن تكون لونا من الوان القضاء على الطغيان، ويحلم أن يتم ذلك عن طريق التصالح بين الطغيان والحرية . فيذعن الطاغية لمن تطالب بحريتها ذات لحظة ، لترد له الجميل حين يكاد يستحق ما يناله من عقاب . وفى مقابل ذلك تستطيع الحرية أن تنزع عن الطاغية أسلحته، حتى يتم التصالح والتزاوج .

أما « حمدان » بطل قصة « ملاعب الصبا » فقد أصـــبح خارجا على الجماعة لسبب قريب جـدا من ذلك الذى دفع كمال الطبـــال ان يخرج بدوره على الجماعة . ذلك هو الفقر وانحطاط مستواه الاجتماعى . وكانت لياء بالنسبة لحمدان — كمـا كانت درية بالنسبة لكمال — تطلعا نحـو حياة أرغد امتزج بعواطفه منـــذ الطفولة فاستحال عشقا لا يستطيع أن يحققه . وظن أن القوة يمكن أن تكون وسيلة الحصـــول على ما لم يستطع أن يحصل عليه برضـــاء المجتمع . فما ان علم أن قافلتها تمر حتى تعرض لها وأسرها . غير أن لياء تصرفت تماما كما تصرفت درية وكما تصرفت فؤادة ، وقفت أمامه بشجاعة تستنكر تصرفه .

— انا لا اعرفك ... لقـــد كنت اعرف حمدان آخر ، وجهـه كوجهك وقوامه كقوامك . لكن نفسه غيرنفسك ... لقد مات حمدان الى غير رجعة .. فيخرج حمدان من ثيابه خنجـرا لامع النصل وهو يقول : ساجعل منك أعظم امرأة فى هذه الاحياء ... لقد طلب الرجال قتلى فلم يستطيعوا .. لاكونن قتيلك . سأقتل نفسى بيدى ، وقولى لمن يسألك انك قتلتنى لتدافعى عن شرفك فأنقذته . (الايام الخضراء — ص ٤١) . وما أن يتم حمـــدان قوله حتى يغرس خنجره فى قلبه ، فتركع لياء الى جانبه تبكيه ثم تذهب الى قومها لتروى الحقيقة لتنال مـن قلوبهم الغفران للص الــذى غسلت دماؤه خطاياه .

هنا لا سبيل الى تزاوج الطغيـــان والحرية . لكن الموقف لايزال علـــى شىء من السذاجة ، فالطاغية الــذى لا يعرف الا سفك الدماء يقضى على نفسه بنفسه ليأسه أمـــام اصرار

الحرية على عدم الاستسلام له . وبذلك يحصل على الصفح - كما حصل عليه اياس - لكن بعدموته . والصفح قبل الموت نسميه قبول التوبة، والصفح بعد الموت نسميه الغفران .

فاذا انتقلنا الى روايتى « هارب من الايام » و « شيء من الخوف » وجدنا انه لا التزاوج ممكن بين الطغيان والحرية ، ولا الطغيان على استعداد للقضاء على نفسه بنفسه ، وبذلك فلا توبة تقبل من الطغيان ولا غفران له . فكمال الطبال وعصابته قتلهم لطيف بك ورجاله . وهم لا يقلون اجراما عمن قتلوهم . فالشر قضى على الشر ، والطاغية لم يقض عليه الا طاغية آخر ، اى انه تم القضاء على طاغية ليخلو الجو لطاغية آخر فالطغيان لايزال يجثم على صدور الافراد .

ويبدو أن ثروت اباظة نفسه قد ادرك أن كل هذه الوسائل من القضاء على الطغيان مجرد وهم . لقد صرع كمال الطبال فحل محله - وبعد عشر سنوات - عتريس . وكان عتريس هو الوحيد من بين قطاع الطريق الاربعة الذى اهوى بعصاه الغليظة على فؤادة حتى انهارت ، دلالة على أن لا سبيل الى تلاقى الطغيان والحرية نهائيا . ولهذا كان من الطبيعى بعد هذه السنوات التى وصلت وفصلت بين الروايتين أن نجد الجماهير هى التى تتولى بنفسها تحرير فؤادة ومحاصرة الطغيان .

حقا لقد تزعم حركتهم الشيخ ابراهيم علام ، لكن ما أبعد الفرق بين ابراهيم علام ولطيف بك . انه لم يحاول القضاء على الطغيان بعصبة له ولا تحت جنح الظلام كما فعل لطيف بك مع كمال ، بل استطاع أن يثير الجماهير ويحفزها بعد أن ضحى بمحصوله ثم ابنه ، فاندفعت ثائرة نحو بيت عتريس فى وضح النهار حتى سدت بعيونها الطريق وهو يصيح : سأقتلكم جميعا . فيجيبه الصوت مرة أخرى : اننا نحن الذين نقتل .... فؤادة تذهب الى بيت ابيها .

وتختتم القصة بهذه الجملة : ونكس عتريس رأسه فى استسلام ، وحين رفع بصره لينظر الطريق الذى سارت فيه فاطمة بفؤادة وجد الطريق وقد أغلقته العيون مرة أخرى .

ان كل من يقرأ ادب ثروت اباظة سيظل يذكر اياس وحمدان وكمال وعتريس كنماذج للطغيان ، كما سيظل يذكر عاتكة وفؤادة ودرية ولمياء كنموذج للحرية وان لاحظ اختلاف وسائل تحرر كل منهن . وقد يبدو ان اختلاف هذه الوسائل ان هى الا تنويعات يعزفها الكاتب على لحن انتصار الحرية على الطغيان ، لكن يجب الا يلهينا ذلك عن الدلالة التى تكمن وراء هذا الظاهر لاسيما اذا علمنا ان القصتين القصيرتين كتبتا قبل الروايتين وأن نشرتا فى مجموعة الايام الخضراء عام ١٩٦٠ اى بعد ثلاث سنوات من نشر رواية « هارب من الايام » .

معنى هذا أن الطغيان لايزال يتلقى هزيمته أمام الحرية ، وأن ثروت اباظة لايزال اذن محتفظا بتفاؤله الذى اصبح اكثر وعيا من خلال تجربته الحية وتمرسه الفنى معا . . .

> ● فى قصة "الأيام الخضراء" يعلن ثروت أباظة أن التوبة يمكن أن تكون لوناً من ألوان القضاء على الطغيان ويحلم أن يتم ذلك عن طريق التصالح بين الطغيان والحرية



علاء الدين
وحيد

ابراهيم الورداني
... روائيـــــــا

هل أبناء الجيل الماضي اكثر اخلاصا لفنهم من كتاب الجيل الحالى ؟

تساؤل يفرض نفسه أحيانا ، ويسوقه موقف كل من الجيلين من تقديس الكلمة وتأصيل الفن ، والتوفر على لون بعينه من الوان الادب ، يكاد يقتصر عليه مجودا مفجرا أعمق أعماقه ... كاتب مثل كامل الشناوى

وصل الى أوج الشهرة ، ورغم ذلك يفرق من ان يتحمل مسئولية اخراج كتاب الى الناس . ولذا لم يدفع مؤلفه الاول الى المطبعة في سنواته الاخيرة ، الا تحت الحاح اصدقائه والناشر .

واذا كان البدوى يعد بحق راهب القصة القصيرة الذى يرفض ان يكتب غيرها من الاعمال الدرامية أو من المقالة ، كما لم يفعل غيره من

جيله أو من غير جيله فان ابراهيم الورداني الذى امتد نشاطه الى الصحافة والسينما والاذاعة .. استمر يكتب القصة القصيرة اكثر من

ثلاثين عاما كون فيها مدرسة ، لم يفكر خلالها ان يرتاد الفن الروائى

الا متاخرا جدا ، فى العام الماضى فقط ، وكانت « برديس » أول اعماله فى هذا المجال ...

مثال نادر اخر لفنان رائد مازال يقدم خبرة فنه ، هو الاستاذ محمود البدوى الذى لم يكتب فى غير القصة القصيرة طوال عمره متوفرا عليها .

يحس فى قرارة نفسه بتواضع الفنان الاصيل الذى يطمع دائما فى المزيد من الامتياز ـ بالحاجة الى ان يجود فنه أكثر ـ لايخطر بباله يوما أن

يتشبه بالكثير من جيل الشبان ، الذى لم ينته الواحد منهم بعد من كتابة عشر قصص قصيرة فجة طوال حياته ، حتى ينقلب فجأة الى روائى .. ثم لا تمر أيام حتى يدعى القدرة العبقرية على كتابة المسرحية !

وايمان الورداني بالتقسيم الثلاثي لبناء القصة ، من الوضوح بحيث لا يحتاج القارىء الى مشقة يلفته اليه ، لان مقدمة قصته تبلوره أول ما تقدم . ولا شك أن هذا المستوى

الذى يبلغه فناننا بعد ممارسة اكثر من ربع قرن للفن القصصى ، يلفت الى استيعاب أديبنا للاسلوبالتقليدى الناضج ، وبما يملك هذا الاسلوب نفسه من امكانيات كثيرة قادرة على

البقاء والتطور . وان الامر ليس كما يدعى محاولو الادهاش والاغراب والتقطيع المفتعل للجملة المصطنعة التكثيف والغموض ، التى يقود

«برديس» تستيقظ

حملتها المفتعلة اقلام اكثرها يريد ان يغطى عجزهالفنى بلونجنيدمنالاثارة الرخيصة ، مما يعدى القواعد والمبادىء الاولية ظاهرياً ، شيئا لا يتسامى الى هذا النوع الحديث من الحذلقة والبهلوانية !

ان ما نطلبه من وعند الكاتب الا يكون سطحيا وأن يعيش عصره وقضاياه ، وأن يعبر عنها متخذا موقف الجماهير • وهذا كله لا يجعل من الاديب تقدميا او رجعيا ، ملتزما او غير ملتزم • فالادعاء بأن مسئولية الفنان يمكن ان تنفصل عما يكتب ، غير حقيقى • ولذلك بدت الشعارات الزائفة التى تقسم الادباء غير مقنعة للقارىء قبل كل شىء ، فلم تخلف الا رمادا فى بعض حلوق الكتاب • ومن الطريف ان ابراهيم الورداني بدا في مرآة هذه التقسيمات ، اديبا هامشيا ! بحدث هذا للفنان الذى قضى شطرا كبيرا من حياته قبل ١٩٥٢ يهاجم الارستقراطية ودولة الثراء الفاحش فى قصصه ، كما يكاد يكون القاص المصرى الوحيد الذى التفت الى اهمية الانفتاح على العالم الثالث وخاصة فى قصته الاسيوى الافريقى ، فاخرج الكثيرمن الاعمال التى تحطم العوائق بين الشعوب ، منادية بالانسانية فوق اللغة والجنس واللون والدين ••

مدخل القصة اذن عند فناننا بهذا القدر من حيوية التركيب ، الذى يجعلها بلا شك تدخل فى اهم سماته التكنيكية • ومن هنا أصبح ابراهيم الورداني من قصاصينا القلائل الذين يدفعون القارىء فى سحر سطورهم الاولى ، وبالتالى فى بقية أجزاء العمل ، معتمدا ، كما قلت يوما ، على روح الايناس التى تسرى فى كتابته وتحمل الود الخالص الى المتلقى • هذه الروح يطلق عليها كاتبنا « المعاشرة بطريق المصارحة » ، عاملا محاولا كما يقول فى روايته - أن يجعل عزيزه القارىء ضيفه ••• « وعندى لك فى مسكنى ثلاث غرف انامة تتنقل فى ارجائها ما شئت •• الغرفة الاولى « قلب » المؤلف لتنام فيها ، والغرفة الثانية « وجدان » المؤلف لتاكل فيها ، والغرفة الثالثة « عين » المؤلف لتتنزه فيها !

التغيير حركة وموقف

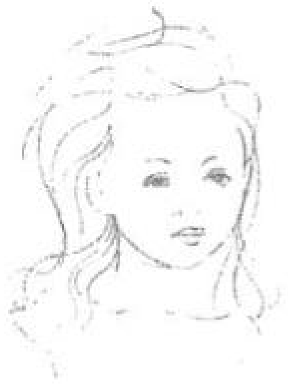
ماذا تقدم « النصف المفقود » ؟

في الانطباع الاول تبدو الرواية وكأنها مجرد عمل يلهث وراء حسناء ارمل ، فى مغامرة بحثها عن ضرتها التى لم تكن تعرف بوجودها ، فى حياة الزوج الذى استشهد !

ولكن سرعان ما ينهار هذا الانطباع •• ليخلى مكانه لنقائق فى حياتنا •• وتدرك ان فناننا الذى يعيش بيننا، يكتب عن ايامنا الحاضرة ومازال عنده ما يقوله ، فهو لا يجتر الذكريات والماضى •

ولعل الورداني عندما جعل راويه صحفيا روائيا يقترب منه فى السن ، لم يفعل ذلك عبثا ، لانه يعيش الحياة وقضاياها ويضعها فى حدقة عينه • لذلك فان احداث الرواية وهى تتتابع متجاوزة عالم « بربيس » الخاص ، الذى يعد أيضا فى بعض جوانبه جزءا من الحياة العامة - ولنتذكر ان زوجها الطبيب كان ضابطا وقضى فى احدى المعارك الفدائية بعد حرب ٦٧ - تفجعنا بفوران الحركة الشعبية التى تلفها ضمن حياتها اليومية العادية •

خلال الحرب وانتظار المعركة معا • يجمع قاصنا خطوطها وكأنه لا يفعل بالذات •• فالشيخ ابراهيم الذى يشارك فى بناء ضريح جديد فى القرية



.. لا يقوم بذلك تحت الحاح العشق التقليدى للفلاح المصرى لاقامة اضرحة اولياء الله الصالحين الذين يفتعل صلاحهم افتعالا .. وحتى يكون لكل قرية وليها وحارسها ومجيرها ، بل انه ليقيم ضريحا يضم رفات اربعة شهداء من أبناء القرية استشهدوا فى يونية ٦٧ ، ابنه نفسه واحد منهم . أن التغيير الذى يلم بارضنا كما يرى الورداني ليس كلاما يقال ، بل هو حركة وموقف ..

صداقة وعداوة المرأة

ويمكن القول ان اختيار ابراهيم الورداني لاسم « مى الصغيرة » يحمله فى دخوله عالم القصة ، لم يكن لمجرد ان يشق الاديب الناشىء لنفسه طريقا وسط الصخور ، بل جاء لاستهوائه الشديد لعالم المرأة ، الذى يتضح بعد ذلك بصورة أكبر . وبين صداقة وعداوة المرأة التقليديتين اللتين يتارجح بينهما عادة الفنان المصرى ، الاولى وهو يبثها لواعج هواه واشتهاءه ، والثانية وهو يعمد الى السخرية فلا يجد الا المرأة هدفا سهلا للسهام ... فعل الوردانى !

واذا كانت روايتنا لم تخلص تماما من هذا التأرجح « التقليدى » الذى يتعرض له اكثر كتابنا ، فان صاحبها استطاع ان يقدم فيها رؤية ناضجة سواء اتفقنا أم اختلفنا معه ، واكثر استقرارا للمرأة فى بعض جوانبها .

فهو يقف مثلا مبهوتا ازاء بعض ما يلمس من معالم دنيا حواء ، ويشدهه واقعيتها الشديدة وخيالها الشاهق فى الوقت ذاته . ويتساءل او يجيب .. ربما فى خلقة المرأة اجهزة اخرى تعطيها معلومات ومرونة عن الحياة لا يملكها الرجل ! وان كان هذا لا يمنعه من ان يلفت الى انها قاصرة عن ادراك هذا الانهاك الرهيب الذى يعيش فيه الرجال ، من أجل تأسيس الاسرة وبناء البيت والحصول على لقمة العيش . وهى ايضا كما يقول قاصنا — مهما عملت او تعلمت — ترى فى الحب والتفرغ له ، اهم مسئولية بل هو كل قائمة العمل ..

ولذلك — نحن الرجال — نمسح العرق عن الجباه ، وننظر اليها احيانا فى غيظ وضيق ، ونطلق من حولها سباب الاحاسيس ، بانها تافهة وفارغة وسطحية وناقصة وعى وعقل ودين !

ولا يترك الوردانى الظاهرة بلا تعليل . فالمرأة تغل هذا القوة جلدها رغم بنيانها الذى يبدو من الخارج هشا ضعيفا . ويفسر فناننا ما تحت السطح ببراعة : « النساء ، كأنهن اشجار تعرف سر جذورها ، وهن فى الواقع ، لديهن منح — ليست لدى الرجال — للدخول فى تجارب رائعة مرعبة مثل الحمل والولادة .. انهن منتجات الرجال ، الرجال خرجوا من لحمهن ، تلك التجربة الدهشة الفذة ، لها نوعية هائلة فى اعماقهن ، حصص مباشرة بين الخالق والمخلوق ، يتم

ولكن هذه الشخوص جميعا لا تجعلنا نهمل ، الست صابحة ، العجوز والدة « برديس » وخاصة في قسم حياتها الاول · فهي شخصية ذات ابعاد انسانية تستولي على القارئ ، وهي تعكس صراعا اجتماعيا من نوع غريب ·

لقد نشأت في احدى قرى الصعيد شابة حسناء ، وتزوجت فلاحا فقيرا · ورغم ان رجلها كان فتى لا غبار عليه ·· الا انها لم تهنأ بزواجها منه · فقد كان شاكا غيورا ، خاصة وهو يجد أن زوجه مهوى الافئدة ··

ويصور الورداني ضراوة المجتمع بالنسبة الى الفقير ، الذي يطمع الكل فيه وفي جمال زوجته ووفرة انوثتها ، وكانهم يستكثرونها عليه · فهم يغرونه ثم يهددونه ويطاردونه ، وهو صامد · ولكن عندما ينهشونه بالاشاعات التي تتهم رجولته ، يأخذ في التداعي · فهو لم ينجب بعد السنوات الطويلة ·· ويكون حمل الزوجة المفاجيء لطمة أكثر منها فرحة ·· وتتسمم حياته ، ولا يجد مفرا في النهاية من أن يهجر قريته والصعيد كله الى القاهرة ، بعد ان كان في البداية ينتقل من قرية الى اخرى ·

يحدث هذا كله وصابحة صامتة ·· فهي شريكة وهو يعرف انها كذلك · انها لم تعد تحاول ان تهدئه ·· فقد ادركت فشل مثل هذا العمل منذ وقت طويل · ولعلها وصلت الى نوع من يأس ، يجعل الاشاعات التي تتردد لا شأن لها بها مطلقا ، لانها ·· امور تجرى بين الرجال !

وفي المدينة الكبيرة التي قدر الزوج ان يذوب فيها ، فرض على امرأته حصارا قاسيا ·· فهي لا تخرج ، لا



فيها طبخ هذا السر الكبير ، وابدا غير مسموح للرجال بحضور حصة منها ، انها اختصاصات لهن ــ واحيانا ، بل وفي الغالب ــ لا تقدر المرأة على التعبير عنها ، او اعطاء الوصف منها لرفيقها او حبيبها الرجل ·· فتكتفي بان تلقي عبء التعبير على غرائزها ومشاعرها ! » (ص ٩٠ ج٦)

معرض مختلف الالوان

والغالب الظن ان قدرة ابراهيم الورداني على تناول حواء ، جعلت « النصف المفقود » بشكل ما معرضا مختلف الالوان للمرأة ، ذات الطعوم المختلفة ، وفي لقطاتها المباشرة وغير المباشر وبايقاعها السريع والبطيء ، وفي المدينة والقرية ايضا ·· فمن زوجة المؤلف الراوي وداد ست البيت · الى ام معلوف زوجة الشيخ ابراهيم الريفية التي تتهيب منظر سيدات الحضر · ومن بهيرة الصبية ابنة الاستاذ امين ، اجمل بنات شارع الدقي ــ بلسان الاب ــ وهي تنمو تحت عيني نموا سريعا يفزعني من ذئاب الجيل القادم ، الى « برديس » نفسها بطلة الرواية الاولى والشخصية التي تتمثل فيها فتاة الجيل الجديد ذات الشخصية الواثقة المستقلة الحرة ·

تزور ولا تزار ·· فهو وحده عينها وقدمها في شوارع العاصمة التى لا يخلو مجتمعها بالطبع من عالم الرجال الذين يشتهون زوجات الفقراء !

ويستطيع الرجل ان يحصل على عمل صغير يقيه غائلة الموت جوعا هو وزوجة والطفلة الصغيرة باعتبا بها · ويكون مجيء الاخيرة باعثا

للزوجة على لون من التمرد ، لم يعرف قبل في استسلامها · فهى تعرف لاول مرة المطالبة بالحقوق ، ليس لها ولكن للابنــــة التى لا يجب ان تقاسى ما يلاقيانه هى وزوجها من هوان وفقر ومسغبة وسكن في « بدروم » ولا يفهم

الرجل جيدا هذا الباعث ، ولا يسوقه فهمه الا الى شكه القديم ، فيأخذ في مقارنة ملامح الطفلة بملامحه وملامح من كان يعرف من الرجال !

وفى دوامة الحيرة والريبة والظن التى يقع الاب الصغير فريستها ، يشرب «البوظة» ويدمن المخدرات ويضرب امرأته عند عودته من سهرته ! ··· ولا تخشى الام على نفسها بقدر ما تخشى على فتاتها الصــــغيرة · وفي



احدى المرات تصل يده الى الطفلة ويضربها· ولاول مرة تعرف الام معنى التنمر ، فتهاجم رجلهــــا وتضربه وتطرحه ارضا وتهدده بذبحه بالسكين وهو نائم ، اذا كرر فعلته ثانية !

وفي حادث قطار يموت الرجل ·· ولا تنتهى المتاعب ، بل يبدأ الفصــــل الثانى منها ·· فكيف تحصل على لقمة عيشها هى وابنتها وتعلمها فى المدرسة ؟ ! اقتراح الزواج ترفضه

تماما ، وتفكر في أن تحول جانبـــا من « البدروم » الى متجر تبيع فيه الوانا من منتجات الالبان تصنعها ، وتكون « المكافأة » هى رأس المال ، وتنجح الفكرة ·· ولكن مجتمع الرجال

ـ يقصد راوينا « الذئاب » ، وبعضهم من المحلين والبلطجية ـ لها بالمرصاد ·· فهى بفتنتها التى نضجت ، ثمرة شهية لذيذة تســــتوجب القطف ·· **يغوونها ، يعرضون عليها الزواج ، فترفض ·· يثيرونها ، يستفزونها ، يرجمون دكانها ، فيهشمون محتوياته ، يسرقون اوانيها ، يلقون بالاتربة على البانها ·· ماذا تفعل ؟ ماذا تفعل ؟ الارملة الفقيرة الكادحة ؟ هل تتــرك القاهرة وتهاجر كما كان يفعل زوجها ؟ هل تستســـــلم وتتزوج وهو اهون**

الشرين ؟ ولكن ابنتها ؟ ··· وعند هذا الحد تجد الحل ·· اذا كان جمالهــا هو باعث هذا البلاء كله ، فلتسترح منه ·· ويشتعل وابور الجاز فى شعرها ويحرق وجهها ! ·· وارتاحت وبعد الذئاب واستقر العيش الكافح··

ملامح دامية لشخصية حيــــــة استطاع الوردانى بحذق أن يجسدها··

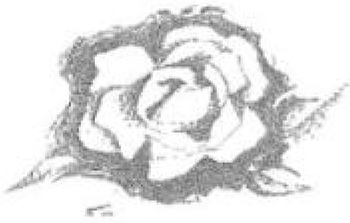
على كرسى الاعتراف

والحديث عن المرأة فى عمــــل الوردانى ينقل الى الرجل ، وكما سبق من سطور تجد أن الاسم او الطبيعة او الصفة لهذا الجنس الذى يتحــرك

على مسرح الاحـــداث ، هـــو الذئب والذئاب ! فرغم ان صابحة وزوجهـا مثلا عرفا الحاج عبد الرسول الشيخ الطيب ، فقد بدا وجـــوده او اثره هامشيا بالنسبة الى الغالبيـــة من الرجال .. الذئاب ، وهو نفس العالم الذى تجده الابنة « برديس » عنـدما تكبر .

ومن الطريف ان يذكر القارىء ايضا ، ان هذا النعت للرجل يجيء على لسان الشخصية الرجـــل كذلك ـ معظم الصفحات تحكيها « برديس » ـ كما نجد فى حديث المؤلف نفسه ، المستعار او الاصلى .. اى الشخصية الروائية او شخصـــية الوردانى . ويبدو ان اختيار هذا اللون وتغليبه او الاكثار من استخدامه ، قد جاء نتيجة تحركه فى دوائر يصـــنعها مركزه الخاص ، وهوفتنة الحسن ، ومدى ما تثيـــره فى النفوس على اختلاف نوازعها . لقد اوجد كاتبنا شخصية مثل حسن ـ حفيد الحاج عبد الرسول ـ ولكنه بدا كجده ممثلا للاقلية .. شيئا شاذا باهتا وسط الاغلبية الذئبية ! ....

ولعل هذا ما اعطى بعض جـــوانب الاحداث لونا فاقعا ، وجعل عاطفـة مثل الاعجاب تبدو احيـانا نوعا مـن تلمظ الذئب الرجل قبل التهام ضحيته . ولعلنا نذكر فى هذا الوضع قول الفتاة « برديس » عن طوان باشا فى الفترة الاولى من تعارفهما قبل الزواج « كنت اعرف واشعر ان فى داخله ذئبا ، مثل كل الرجال » .. يحدث هـــذا والباشا الذى يعيش مأساة هجـــر زوجته الاجنبية وابنته منها له ، يقف بجـــــانب « برديس » التى كانت تسحق لمرض امها التى ادخلهـــا الباشا مستشفى اجنبيا خاصا ، ولا يكن لفتـــاتنا حتى تلك اللحظة على الاقل ، كما صـــور الوردانى ـ الا اعجابه الخالص .



ولست ادرى سر هذا التعصب ضد الرجل ، على الاقل فى قسمات شخصية الباشا ؟

هل وجد الوردانى بعد هذا العمر ان « يقصقص » قليلا من ريش الرجل بعـد طول سيادته وتسلطه ؟! او هى لحظة من الجلـــــوس على كرسى الاعتراف ؟ ! ويتكرر الهجـــوم على الباشا الشيخ ـ لا دخل بالطبـــع للباشوية او الراسمالية بذلك ـ الى درجة تشبه التناقض غير المفهوم .

لنناقش هذه النقطة والزوج العجوز الذى قبلت فتاتنا الصغيرة الاقتران به سعيدة ، لانه درعها ضد الفقـــر الذى تكرهه وضد مرض امهـا التى تحبها ـ يمارس حقوقه الشرعية لاول مرة . ان الشيخ المحنك الذى يعرف كيف يداعب برقة ويغازل بذوق ، زئر النساء السابق ، يجعله فتاتنا فى هذه اللحظة ، لا ندرى كيف لان المؤلف نفسه تجاهل ذلك خنزيرا حقيـــرا وضيعا !! ـ لا اختلاف كبير ان يجيء هذا الحكم من خـــلال رؤية البطلة وحديثها ـ المتهم والقاضى فى آن ! ـ فان كاتبنا لم يحاول من ناحية اخرى ان يفند ما خالط هذه الرؤية ! .

ورغم هذه القتامة التي صورها روائينا في طبائع الرجال وحجمها الكبير ، مواقف وشخصيات ، الا ان الورداني يعود فيتمثل في شخصية الطبيب سالم ابو المجد ، الوضاءة المتقدة ·· وهو ينفث مبادئه او احلامه او فلسفته التي تتركز جميعا في كلمة واحدة هي الانســـانية ·· « حب البشر ، وطبعا هو حجم العمولة الاكبر لنا ، البشر كلهم اخوة من بطن واحد ، ·· مؤكد مؤكد ، الابيض لم يلده حوت ·· والاسود لم يلده تمساح ، والاصفر لم يلده جمل ، كلنا من بطن هندسة الخلقة الانسانية ، ليس فينا كاسر وذو انياب او مخالب ، سلاحنا اظافر واسنان ·· ومنذ ملايين السنين تعلمنا ان نقص اظافرنا ، اما اسناننا النضيدة الرقيقة فنحن من اجـــل رقتها ، نطبخ لها مضغة الفريســة ناعمة وهشة وطرية (ص ١٢٨ ج ٢)

هذا الخيط الانساني هو الذى جعل القارىء يتابع العزيزة « برديس » فى مغامرة البحث عن سر اقتران زوجها وهو يشارك فى معركة التحرير ·· لم تكن الغيرة او الحقد او الغضب باعثها ·· بل كان اضفاء المزيد من الحب على كل اثر تركه الزوج الحبيب الشهيد·

ولكن ماذا بشأن « برديس » نفسها بطلة القصة ، هذا الاسم الذى يبدو فرعونيا وربما مبتكرا ايضا ؟ فى البعد الواقعى لصاحبته ، نجدهـا احدى الشخصيات التى يهيم ابراهيم الوردانى بمعالجتها . فتاتنا الحديثة غيـــر التقليدية . التى لا تتـــابع فى بلادة طريق امها وجدتها . بدعوى الاذعان للقدر والاستسلام للتقاليد والرضـاء بالمكتوب ، بل هى تشمخ الانف وترفع الراس حافرة طريقها باظافرها ·

اما فى البعد الرمزى ، فهى مصر الثائرة المتطورة التى تنتقل من طور الى طور في دأب واصرار ، محطمة القيد رافضة الذل ، يتلهف اصحابها عليها بتقديس واعزاز ·· ويضعونها فوق الرءوس · ولعل هـــذا الحب المتفاني ، الذى ساق هذه الكلمات على لسان الراوى يبين شدة الايمان بهـا وعظم العشق لها : « لا تتخيل انه الافتتان الذى يحوم به رجل حول امرأة ، او العشق الذى يلهث به ذكر خلف انثى ، انما هو افتتان الروائى الذى اكتشف كنزاً من توارث الاساطير فى اعماق امرأة ، وعشق الـكاتب الذى استلمت حواسه هزة سحرية ، لتجعل الحرف المكتوب من قلمه ، فيه رنين الشعر وطرب الموسيقى ونشوة الرقص وبهاء لوحة الرسم » ·

هذه هى « برديس » التى تتخــذ شعارها زهرة اللوتس ·· ويستروح صاحبها منهـا « شهقة الشروق فى ظلام الحياة » ·· فتاة ضالعة عجيبة مسكينة قاست طويلا وبذلت كثيراً ·· انتقلت بين زوج هرم اشترى شبابها وباعته اباه ، الى شـاب مريض برجولته لم تجد فى احضانه القـوية الا الصقيع ، واخته الشاذة الجنسية التى لعبت معهـــا دورا تنفست فيه الحرمان بشكل مرضى ·· ورغم كل ما تلقاه « برديس » فى حياتهـــا ــ لا يملك الوردانى نفسه احيانا مـن الاشـــارة الى خمســـة الاف عام بل ثمانية الاف (ص ٧٧ ج ٢) ـ من الوان الالام والمحن والضــعف والتهالك ·· الا ان ناسها يعـاودون معها المرة بعد المرة وفى محـــاولات مستميتة عمليات الانقــــاذ · يقول الطبيب سالم ابو المجد « تجربة احلم بها ، اعادة الروح الى جثة نفس ، مسئولية لا يملكها الا الله ، ينفخها فى اللحم والدم ، اما واللحم عنـدنا

مازال باقيا نابضا حيا ، فيامرحبا بتجربتي الكبرى لو نجحت ! » .

جواد خاسر في السباق

ويجد صاحب « النصف المفقود » ضرورة أن يبلور في هذا البعد الرمزي ، القضية الاولى للبقظة . نعيش الحياة أو لا نعيشها . يذكرها بوضوح وصراحة وان كان بالنسبة الى « السيدة » « برديس » · ولكنه لا يغفل بصورة تسمها بالتجريدية وتجعل الواقع المعاش شيئا منبت الصلة بما يقدم ، فهموم الاحداث هذه الايام – والرواية نشرت مسلسلة في السنة السابقة فحسب – تلقى ظلالها على بنت الشرابية · نعم نعيش أو لا نعيش ، هي القضية لا غيرها بكل تكاليفها .

وابراهيم الورداني يؤكد على شيء هام ، ان مسئولية اليقظة لايمكن ابدا أن تقع على عاتق القادة وحدهم ··· فالبلد بلد الجميع ، وطن الجماهير كلها . مشاركتهم ضرورية ، لا لانها حق حقوقهم ·· بل لانها قبلا أول واجباتهم ايضا · مشاركة تصل الى حد الالتحام والتداخل الكامل لجانبي القاعدة والقمة ، وكأنها شكل جديد لاسلوب « العاشق والمعشوق » ·· فاذا التبادل متكامل بين الرغبة والفداء ، والجزء والكل ، والناس والوطن · وهي في النهاية كما صورها فناننا نصفان يجتمعان ·

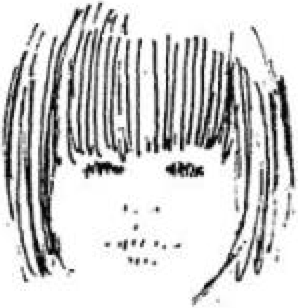
ولقد نطق سالم أبو المجد الزوج الاخير لبطلتنا بهذا المعنى ، كما قرأنا في الفقرة السابقة ، وكما تكرر وهو يطلب من « برديس » التي لايشك في ذكائها وعقلها النادر ·· أن تبدأ مرحلة التفكير :

– **أريد أن اخاطب عقلك قبل احساسك · اتقلي عقلك واخرجيه للهواء الطلق · لا يوجد انسان غبي · يوجد فقط انسان لا يستعمل عقله !**

– **يا الهي ··· وما هذا التردي** الغبي العبيط اذن الذي كنت فيه **ومازلت فيه ؟**

– **لم تكوني تستعملين عقلك ، تتهيبين استعماله · كل استعمالك فقط لاحاسيسك · بل لجناح واحد منها فقط ، هو احساس حسن النية . وياله من جواد خاسر في السباق القط الشرير الذي يتلاطم فيه اغلبية الناس !**





ولا شك أن « برديس » الفرعونية العربية قد أثارت في اللحظات الأولى، دهشة القارىء الذي يتذكر للورداني سخريته الشهورة بالتراث الانساني، ووصفه للتراث الاغريقي يوما أنه أعمال عفاريت أو ما أشبه !٠٠ صحيح أن فناننا اعتذر بعد ذلك عن هذه الدعابة الثقيلة ، الا أن شكا ظل يراود المتلقي دائما في ايمان أديبه بماضي الانسان الحضاري ، ولكن « النصف المفقود » تظهر لتوثق ارتباط صاحبها المتين بهذا الأمس خاصة فرعونيته ٠ ولقد استطاع قاصنا الكبير بلا اعتماد على نصوص قديمة كعادة الكتاب في هذا المجال ، أن يقيم الجسر الممتد بين المصرى القديم والمصرى المعاصر ، مقويا دعائمه ملفتنا الى عمق جذوره التى يتجاهل أكثرنا وجودها ٠ نستروح هنا جانبا من المراة المصرية التى تستصغر شأن النكبات التى نمر بها اليوم ، فهى أم الحضارات التى مازالت الاصالة تسرى في عروقها ، فتقوم بمهمة البعث من جديد ٠

وبالطبع لا يمكن مثلا أن نعد ظهور الاهرام في كثير من الصفحات ومنذ السطور الاولى في الرواية — حيث يطل عليها من بعيد مسكن المؤلف — مصادفة لا معنى لها ٠ ويكفى هنا أن نستوعب بعض الحوار الذى دار بين سالم أبو الجد و « برديس » حول كيف يتأتى لحضارة الاجداد الفراعنة أنكى ناس ظهروا على وجه الارض ٠٠علماء الدنيا الكبار الضخام وحتى اللحظة ، أن تحصر أعظم أهدافها حول شيء واحد لا سواه ، اسمه « بعث الروح » تحفظ موميات أجسادهم سليمة في اللفائف حتى الآن ؟ ويكون جواب « برديس » ودلالته الواضحة ، عن احتمال أن تكون نحن أحياء المصريين في أي عصر ، الارحية التى سوف تتلقى بعث تلك الارواح الجيدة وعندما يأتى الاوان !

وبعد أن خرجت « برديس » من شرنقة النار التى صهرتها وازالت شوائبها وجلت معدنها ، بعد أن حررت عقلها واستجمعت قواها البعثرة ، كانت ولادتها الجديدة ولم تكن الخاتمة بل البداية والبعث : « أحسست أننى ارادة الله في العالم ، وان بوسعي أن أفعل أى شيء ، أحقق أى شيء ، أحصل على أى شيء ، مادام سحر الايمان في يدى ، الايمان بما أفعل ٠٠٠ »

لقد اكتشفت امكانياتها ، ولا بديل لهذه الإمكانيات الذاتية أبدا أبدا٠٠٠ ان الخلاص لا يمكن أن يأتي من الخارج ، مهما بدا هذا الخارج قويا أو صديقا ، وكما أن هذا هو نشيدنا القومى الذي يردده شعبنا ، فان « برديس » تغنيه مع أهزوجتها وهى تلتفت الى أرضها ، حب الارض أهم حب ٠٠٠ انه ذروة اكتشاف الامومة ، فمنها نولد ومن ضرعها نرضع ، وعلى صدرها نحبو ، وفي حضنها نثوى حين يأتى الاجل ! ٠٠٠

محمد عبد الغنى
حسن

الشاعر محمود غنيم

من يملأ الكون يا « محمود » تغريدا ؟
انا فقدنا الاغانى والاغاريدا

مات الذي كان ملء الأرض تفكهة
وملء أسماعها لحنا وترديدا

غنت باشعاره الدنيا باجمعها
وعطر السهل بالالحان والبيدا

كنا نفر اليه من متاعبنا
فنلتقى ببساط الانس ممدودا

ينسى الحزين لديه ما يفزعه
ولا يعود به المكدود مكدودا

قد كان « محمود » أنسا فى مجالسنا
وكان حوضا من الايناس مورودا

قضيت أكثر عمرى فى مودته
فلم أجد افقه فى الود محدودا

اذا هجا كان أحلانا معابثة
وان روى كان أعلانا أسانيدا

تكاد أشعاره من طول ما فعلت
بلب سامعها تحكى العناقيدا

ولا يكاد يجلى فى فكاهته
حتى يميل اليه الاذن والجيدا

يود مهجوه من حلو نكتته
لو زاده بالهجاء المر تخليدا !

تلك المواهب يا « محمود » قد عطلت
والدهر بددها بالامس تبديدا



واخرس الموت — جل الموت — حنجرة
واسكت الموت — جل الموت — غريدا
هذا التراب يضم اليوم لؤلؤة
كان البيان بها والله منضودا
انا فقدناك فقدان الربيع اذا
ايامنا البيض حالت بعده سودا ...

***

(محمود) قد شاه وجه الشعر وانقلبت
فيه الاصالة للافرنج تقليدا
قالوا : نجدد - قلنا مرحبا بكمو
وما راينا لهم فى الحق تجديدا
بات المجدد فى الشرع الذى شرعوا
مستهترا باصول الشعر ، عربيدا
ولا ترى غير دعوى منه كاذبة
اذا تحققتها ضاعت ابادیدا
يبدى العداوة للماضى ، ويجهله
والجهل يقلب صدق الشىء تفنيدا
كن تافها ، فارغا من كل موهبة
باق الجديد بكفيك اقاليدا ... !

***

استغفر الله : ما التجديد زلزلة
تهد كل بناء شامخ شيدا
لكنه يتوخى فى طرافته
ان لا يضيع اصلا او تقاليدا
اهلا بكل جديد ليس منحرفا
وكان الادب البناء تاكيدا ...

● القاهرة ● ● محمد عبد الغنى حسن ●

جمال قطب

من رواد الفن اللبناني المعاصر:

المجرد.. والمجسّد

في صيف هذا العام، وبعد ربع قرن من العمل الفني الدائب، وقف الفنان العربي الكبير رشيد وهبي ليتسلم من رئيس الجمهورية اللبنانية – ولأول مرة في تاريخ لبنان – جائزة الدولة التقديرية للفنون التشكيلية، تقديرا لدوره القيادي في الحركة الفنية المعاصرة!



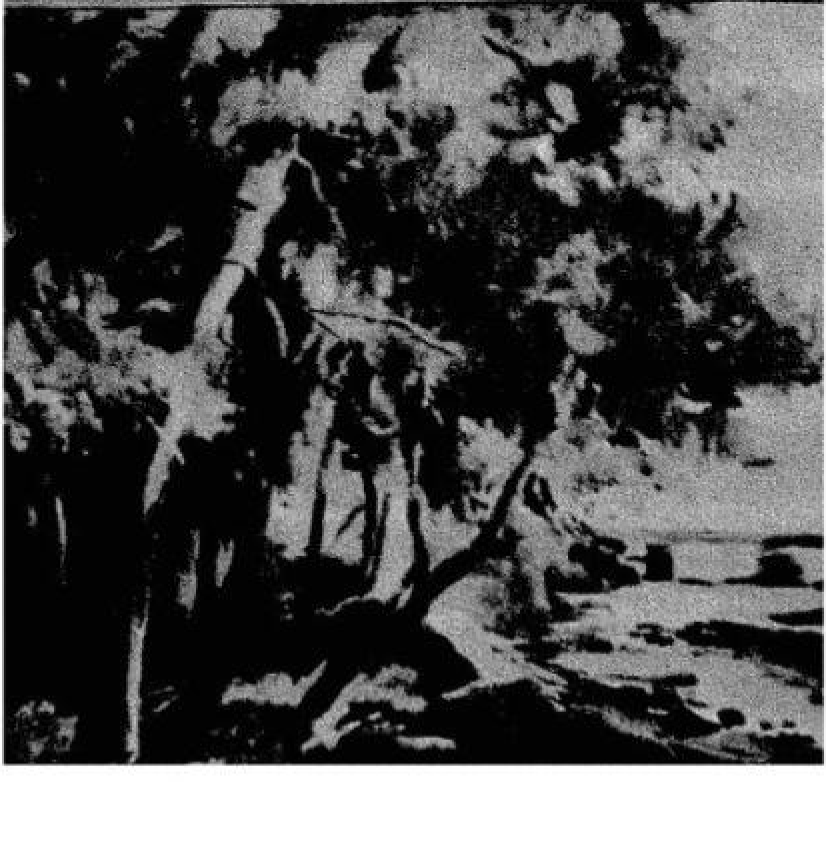
* المعلم "فؤاد"، وجه من لبنان

الفنان رشيد وهبي



والأطياف الحالمة

« من الطبيعة » .. التألق والتألم يطلقان جوا أشبه بالسيمفونية الرائعة





ولم تمض أسابيع قليلة على هذا الحدث الفنى الرائع ، حتى وقف الفنان اللبنانى الكبير مرة أخرى ، وبنفس الحفاوة والتقدير والاعزاز ، ليتسلم جائزة سعيد عقل – وهى جائزة رفيعة تمنح لمن يضيف جديدا الى التراث الحضارى – من وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة ، وقد قدم الفنان قائلا :

« ... والفنان رشيد وهبى هو دعامة الفن اللبنانى المعاصر ، ويعرف الجميع جهوده المخلصة فى نشر الوعى الفنى والتربية الفنية ، وكان لفنه الرائع اكبر الاثر فى قيام نهضة فنية يفخر بها كل عربى ! »

حدثان فنيان اهتزت لهما الأوساط الفنية والصحفية فى لبنان ! ولعل ذاكرة القارىء تعى ماكتبناه عن الفنان رشيد على صفحات « الهلال » منذ أكثر من عامين ، وكانت هذه هى المرة الاولى للتعريف بالفنان العربى الموهوب فى صحافة القاهرة ، وقد تنبأنا بهذا التقدير الذى هو أهل له من وطنه ومواطنيه !

وان كان الرجل قد حظى بهذه المكانة المرموقة ،وعلى أعلى المستويات الرسمية والشعبية مما جعله نجم الصحافة والنوادى الفنية البيروتية.. الا أن مسيرته الطويلة الجادة فى دروب الفن تحتاج الى وقفة متأملة لنستخلص بعدها ، كيف ينهض الرجال وكيف تصقل المواهب والعزائم ، ثم كيف يجزل العطاء ، ويكون الجزاء !

عشق الفن منذ الصغر

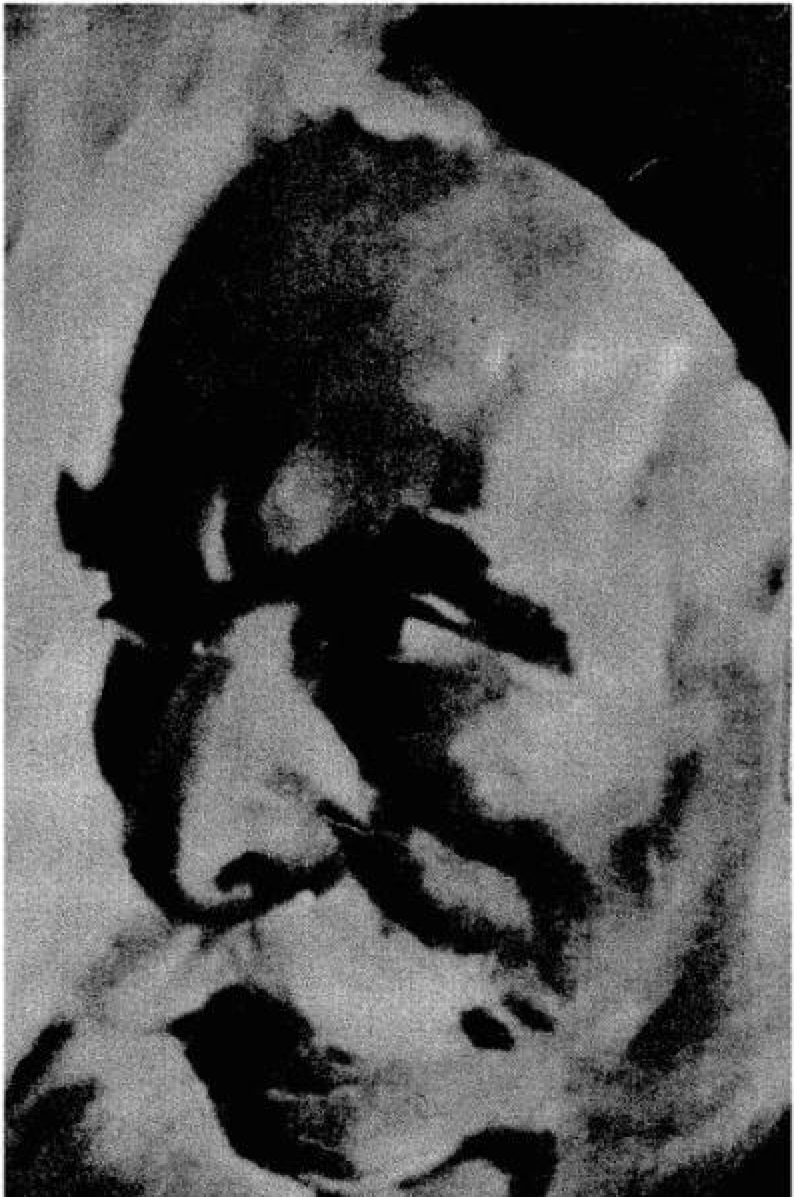
كانت أنامله الرقيقة الحساسة فى طفولته وشبابه المبكر تعبث بالأقلام والألوان ليعبر بها عن كل مايجول بخاطره فى أشكال عفوية ساذجة ، وتحولت أوراقه وكتبه الى لوحات فوضوية تعكس انفعالاته المكبوته بالخطوط والالوان فتكون مزيجا مضطربا غامضا ، ولكنه فى النهاية يحكى عن شىء كامن فى نفسه يسيطر على مشاعره الذكية المتقدة بحب الفن والحياة !

كانت آماله العريضة .. تتمركز فى السفر الى القاهرة .. وكانت كلية الفنون الجميلة هى قبلته وأمنيته الغالية ، فالتحق بها وتخرج فيها عام ١٩٤٦ ، واظهر نبوغا لفت اليه أنظار أساتذته آنذاك ، فأولوه عناية خاصةحتى انه اقام معرضا لأعماله فى نفس العام الذى تخرج فيه ، وكان

« زهـــود » .. تكون
جزئياتها عوالم لتجريدية
تتآلف فيما بينها . . .

« نظرة باسمة » ..
دراسة نفسية متكاملة







"ابو فارس".. من ابرز سمات فن رشيد وهبي براعته في رسم "البورتريه" وقد اقتنته كثير من متاحف العالم . . .

بـراءة

اول معرض لبنانى فى القاهرة · وعاد الى وطنه ، بكل حماس الشباب رآماله : لم يفكر الا فى فنه ، وهب نفسه متعبدا فى محرابه ، سعى الى

عواصم العالم لينهل من كل معين فنى أصيل · ويكون مع رفاقه واصدقائه جمعية الفنانين اللبنانيين وعمل امينا لسرها ثم رئيسا لها ، واستمر فى ثقة بنفسه وايمان بفنه يترك

بصماته فى كل مجال فنى بلبنان : فى دار المعلمين ــ فى الجامعة اللبنانية ــ فى الجامعة العربية ــ فى النوادى الفنية ، يلقى المحاضرات ، ويقيم المعارض ، ويدعو لاعتناق الفن كمن يدعو لاعتناق دين جديد !

وفى كل مكان ، وعلى مدى ربع قرن من حياة حافلة بالنشاط والبحث والممارسة ، انشأ رشيد وهبى جيلا من الفنانين الصاعدين انتشروا فى انحاء العالم يحملون رسالة من اسمى رسالات الفكر الانسانى ، ممتلئة قلوبهم بحب استاذهم الرائد الذى يعمل فى صمت مقدس ·· وكأنه فى الصلاة !

لم ينزلق رشيد وهبى فى متاهات الاساليب التى لا يؤمن بها ، وابتعد

عن المحاكاة والتقليد ، وظل مؤمنا بالجدية الفنية فى اطار اسلوبه المميز ، وهو التأثيرية المتحررة القابلة دائما للبحث والتطور فى جزئيات تجريبية تكون فى مجموعها سيمفونية متآلفة

فى اطار اسلوبه التأثيرى المتحرر ·

ويعتبر اسلوبه قفزة ارتقائية تجمع بين العناية الحاذقة بالعنصر



المجرد في اشكال الموضوع مع الحرص الدائم الواعي على ابراز الملامح الواقعية لهذا الموضوع • وبذلك تتحقق في أعمال رشيد وهبي وحدة المتناقضين : المجرد والمجسد على مستوى رفيع من القيم الجمالية في تناغم وتداخل تلقائي يخلق بصرية حالمة جميلة !

عنايته باللوحة الفنية

ويحدث دائما ان يكون العنصر المجرد في خدمة المجسد ، ولا يحدث العكس ، لذلك نرى أنه من مميزات فن رشيد وهبي عنايته بالمجرد لا للتزيين ولكن للكشف عن شخصية الموضوع وخصائصه واثرائه بشتى الانطباعات والانفعالات التي يثيرها هذا الموضوع في وجدان الفنان ! ولذلك أصبحت عنايته بهذه الجزئيات المجردة هي السبب الرئيسي والهام للارتقاء بلوحاته الى مكانتها الفنية الأصيل بعيدا عن النقل الموضوعي أو المحاكاة

ولذلك ليس عجيبا أن يجمع نقاد الفن على أنّ الطابع الشعري البالغ الصفاء والشفافية في لوحات رشيد وهبي يرجع أساسا الى تآلف المجرد والمجسد في أسلوبه ، واذا نظرنا بدقة تحليلية لهذه الجزئيات لوجدناها كخلايا حية ، لكل خلية تكوينها التجريدي الخاص ، ولكنها في النهاية تترابط فيما بينها في علاقات تشكيلية

صورة لها قصة

منذ بضع سنوات ، قدم أحد متعهدي الحفلات الى مجتمع بيروت مصارعة الثيران الاسبانية الشهيرة الحسناء : امينة قيس ...

واستطاعت امينة ببطولتها وجمالها ان تغزو قلوب الجماهير في لبنان ، وخاصة بعد أن أشهرت انها عربية الاصل، والدها أردني ، وهي تحمل الجنسية الاسبانية ...

وفي حفل التكريم الذي اقيم لها في المدينة الرياضية ببيروت وحضره كبار الشخصيات في لبنان ، فوجئت امينة بخبر منحها وساما كبيرا ، ورحبت امينة على المفاجأة السعيدة بمفاجأة مثلها ... فقد اختارت أن تتسلم الوسام في مرسم الفنان الكبير رشيد وهبي ...

وبسرعة تحققت رغبة امينة ، وانتقل معها كبار الحاضرين الى مرسم الفنان في بيروت ، وهناك اكتمل حفل التكريم وتسليم الوسام ، وسجلت لها هذه الصورة التذكارية الطريفة في المرسم ، للفنان الكبير والبطلة الحسناء ...

وابدعت ريشة الفنان « بورتريه » للبطلة الاسبانية امينة عبد العزيز ، حملته معها كأغلى هدية تحتفظ بها حتى الآن !

« القدس » ..
حلة بهيجة الطلعة
بهية وضيئة ناعمة
يزدهيها الفرح
لعينيها العاشق »





أيلول

متعاونة ومتجانسة وتكون فيمجموعه كائنا فنيا واقعيـــا له كل الميزات الفنية والجمال الشكلى !

وهذا ما نلخصه فى ان اللوحة عند رشـــيد وهبى هى بصرية فنية جميلة وجزئياتها عوالم مستقلة مجردة !

موهبة رسم الشخصيات

ويعنى فناننا الكبير عناية خاصة بفن الصورة الشـــخصية ويتعمق فى دراسة مايميز هذه الشخصية من حيث المعنى الانفعالى والتعبيـــر الخاص .

ويعتمد على بصـــيرته النافذة الى الاعماق مترجما ذلك الى قيم خطية ولونية تخضع الى القواعد العامة من حيث الشبه والظل والنور والتجسيد وغيرها ، ولكنها فى النهاية دراســة نفسية بارعة للشخصية المرســومة منعكسا عليها شـــخصية الفنان واحساسه الذاتى .

وقدتفوق الفنانفى رسم الشخصيات حتى ازدانت باقتنائها معظم البيوتات اللبنانية ، بل وكثيـــر من المعارض والمتاحف العالمية !

ان رشيد وهبى ظاهرة فنية فذة على ربا الجبال الخضراء فى لبنان.، فهلا وجهنا اليه دعوة كريمة لعرض اعماله فى القاهرة ؟

وان كان الرجل اليوم ملء السمع والبصر فى وطنـــه الا انه لم ينس – ولو للحظة – وطنه الثانى .. مصر ويتحدث عن ذكرياته فيهـــا بشاعرية هامسة ، وكأنها اطياف لوحاته الحالمة !

جانب واحد في حياة فنان متعدد المواهب

الفنان فاروق سعد



هكذا تقول بطاقته المطبوعة الانيقة :
فاروق سعد ... محام

وعندما تدخل مكتبه الكبير الذى يموج بالحركة والحيوية ، ويزدحم بمكاتب خمسة من المحامين يعملون فيه ، يلفتك ان المكان يزدحم ايضا بمئات من المراجع القانونية التى تلمح بينها بضعة مؤلفات تحمل اسم (فاروق سعد) لتؤكد رسوخ قدمه فى مضمار القانون والتشريع !

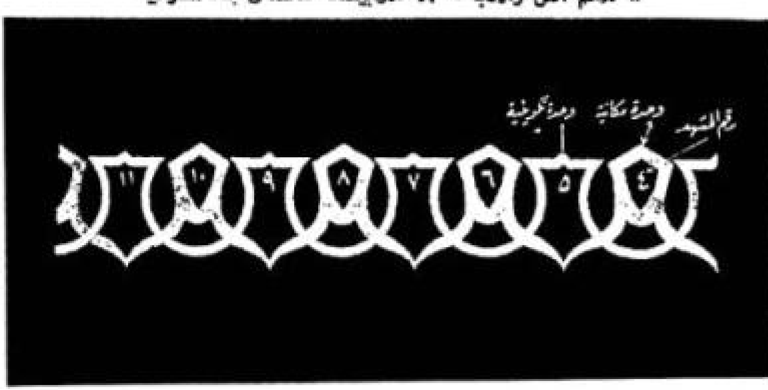
ولكن مايعنينا اليوم هى جوانبه الفنية المتعددة التى تراها فى مجالات كثيرة ومتباينة ، الا أن خيطا متينا من فكره المميز يقارب بينها ويجمع شملها ليصبح المحامي نجما فنيا يتحدث عنه فى مصر احمد رشدى صالح فى الاذاعات ، وعبد الحميد يونس فى موسوعة « الهلال » ، وتفرد دار الشعب ومجلة الفنون الشعبية صفحات عنه كاديب وفنان له بحوثه القيمة المتطورة فى الأدب والمسرح والموسيقى والفن التشكيلى ووسائل الاعلام بانواعها المختلفة .

اما فى لبنان فهو من الرواد الذين يحتلون مكانة مرموقة فى كل هذه المجالات .

وفى واجهات المكتبات الانيقة فى بيروت يطالعك اسم فاروق سعد على مؤلفات كثيرة تكون فى مجموعها صورة واضحة المعالم لفكره ومواهبه المتعددة :

سلفادور دالى ـ القضايا

« تلاحم الفن والادب » .. الارابيسك كقاعدة فى بناء المسرحية

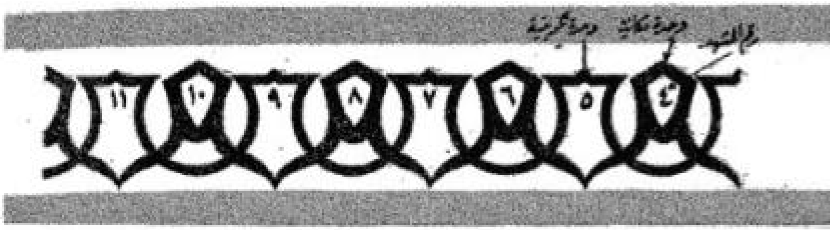




« شارلي شابلن » في كتابه عن
شارلي شابلن كان الروائي يمجد
هو الكاتب والفنان في وقت
واحد، وكانت هذه اللوحة
احدى مكونات الكتاب.

احد الرسوم الاسطورية التي رسمها وتزدان بها معظم مؤلفاته عن عوالم « ألف ليلة ».





الإنسانية فى افلام شارلى شابلن مسرحيات شكسبير فى السينما ـ مع البخلاء ـ مكيافيللى ـ عودة شهريار ... وغيرها وغيرها . اما حكايته مع « الف ليلة وليلة » فهى حكاية طويلة ، حتى اصبحت بحوثه الادبية عن « الف ليلة وليلة » تصدر فى مجلدات متعاقبه ، يثار حولها غالبا مساجلات ادبية تنتهى دائما بان فاروق قد اضاف جديدا وكشف عن جوانب خفية فى هذا العالم الاسطورى المليء بالكنوز المذهلة !

نظرية الارابيسك

ويتحدث كتاب شهر حديثا عن نظرية جديدة وضعها فاروق سعد تمزج بين الفن والأدب لتكوين القصص المسرحى سماها نظرية « الارابيسك » وهى صورة تشكيلية يستعير فيها جماليات الزخارف العربية فى الفن الاسلامى القائمة على تكرار وتناوب الوحدات واجزاء الوحدات الزخرفية ، ولعل هذا التكوين يبدو واضحا فى قصص الف ليلة وليلة ، لان التكوين العام لهذه الحكايات متأثر اصلا بجمالية الزخارف العربية الاسلامية ، فان كل حكاية عبارة عن وحدة أو وحدات قصصية مجزأة يتكرر بينها فاصل هو جزء من وحدة قصصية تشكل الاطار (حكاية شهر زاد وشهريار) وتربط بالتالى بين الوحدات القصصية الاخرى .

اما الجديد فى نظرية (الارابيسك) فهو ايجاد بناء حديث للحكاية يستعار فيه جماليات الزخارف العربية الاسلامية فى حدود الحكاية الواحدة وعلى أساس التكرار المكانى والتناوب التكوينى بين المشاهد فى ترجيع زمنى متقابل .

وهذا مانفذه فاروق سعد بنجاح فى مؤلفه « منصة الاعدام » وكذلك فى مسرحية « عودة شهريار » .

ويؤمن المحامى الفنان بمبدأ تلاحم الفنون المختلفة ، فليس عجيبا ان تراه يؤلف كتبه فى شتى العلوم والآداب ، بل ويرسمها ويخرجها اخراجا فيه الكثير من الذوق والاحساس المرهف ، واذا تحدث أو كتب عن الفن التشكيلي



صورة شخصية للفنان - بريشة رشيد وهبي ..

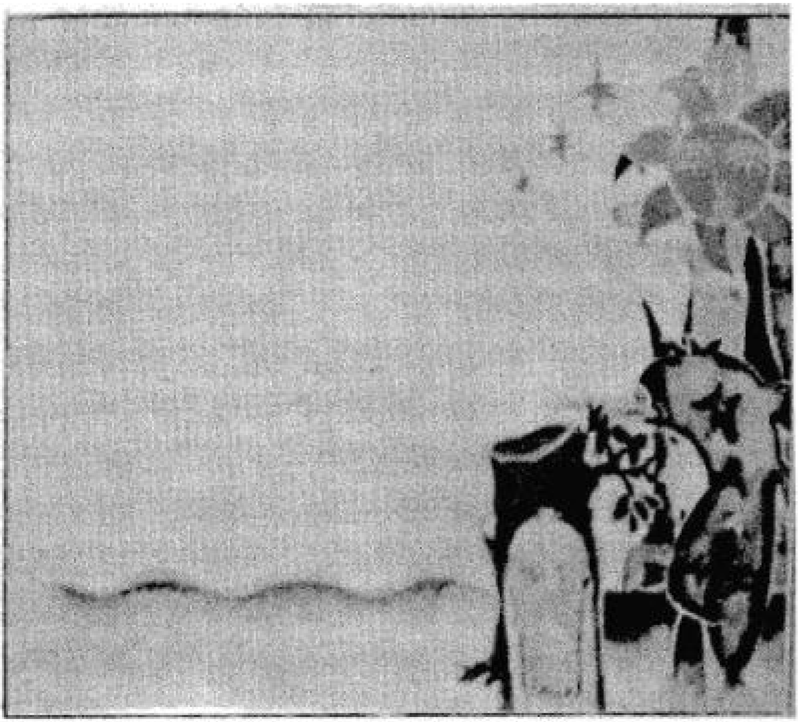
أو المسرح والموسيقى كان ناقدا قديرا متحمسا بخلفيـــة واعية مــن التحصيل والاطـلاع ، فبقدر الجدية التي يكتب بها مؤلفه «قوانين القضاء الكوني» أو «قانون الايجـــار الاستثنائي» ، نجد هـــذه الجدية نفسها في مؤلفه «سلفادور دالي والفن الحديث» !

كلمات تنبض بالصدق

في احدى امسيات بيروت - وعلى غير موعد - التقيت بالقانوني اللامع الفنان ، الاديب ، وصـاحب نظرية «الارابيسك» : فاروق سعد ...

وخلال هذا اللقاء السريع ، قفز الى ذهني سؤال : كيف يتاح له ان يجمع بين القـانون والفن والادب ، ويبدع فيها ذلك الانتـاج المتنوع والمتجدد ؟...

وفي كلمات تنبض بالصـــدق والبساطة يجيب فاروق سعد : ان شغفي بالفن والادب ، وتعلقي بالعلم والقانون ، يمنحني طاقات واسعة متجددة ... فانا اجمع بين هــذه



رسم اسطوری لاحد مؤلفات الفنـــان فاروق سعد .

الالوان وانتج فيهـــا بالحب ... والحب ـ كمـــا تعرف ـ يصـــنع المعجزات !

أن فاروق سعد ظاهرة فنية تثير الاعجـاب ، ونموذج عربى مشرف ، لا يقف فى تطلعاته وبحوثه عند حد ، ولا يألو جهدا فى السعى وراء المعرفة ليرتوى منها فى كل منهل !

وأن كان المجال لايتسع لاكثر من نشر بعض رسومه الا أن ذلك مثل واضح لجانب واحد من جوانب مواهبه المتعددة !..

ميشيل تكلا

تطور الفكر الرياضي من الرجل



يقول « هنرى مارينو » أستاذ الطبيعة بجامعة بيل : ان انسان ما قبل التاريخ كان يعيش فى رعب وهلع من الاحداث الطبيعية لانه لم يجد لها تفسيرا ، وسيطرت الاساطير والسحر على تفكيره ، ولكنه تدرج بعد ذلك فى فهم الطبيعة وتعلم كيف يسيطر عليها ويمتع نفسه بمباهجها ·

ويصف المؤرخون هذه الحقبة التى اثرت على الحضارة الغربية بحقبة الاستنارة أو الثقافة ··· غير ان مبادىء هذه الاستنارة التى جعلت الانسان يعيش فى سلام مع وحوش الغابة ، ومد وجزر المحيط · والرعد والبرق ، لا تتفق ، أو لم تعد تتفق ، مع عصر الصواريخ والاجهزة الحاسبة « الكومبيوترز » والعقاقير المذهلة ، حتى اننا أصبحنا نعيش فى عالم سحرى صنعه الانسان هذه المرة ويحاول أن يتلمس فيه معالم الطريق بين الانسان الالى الذى يهدد وجوده ·· ولذلك فنحن فى حاجة الى حقبة جديدة من الثقافة تمكننا من التعايش السلمى مع اختراعات العصر الذى نعيش فيه ···

ويقول العالم « دافيد برجامينى » صاحب اشهر كتاب ظهر منذ سنوات بعنوان « الكون » : سيأتى اليوم الذى يلتقط فيه احد علماء الفلك اشارة لاسلكية موجهة من كوكب اخر ، وسوف تصادف هذا العالم مشكلة فك طلاسم الاشارة الجديدة ، ولكن العلماء قد اجمعوا على أنها لابد ان تكون مكونة من مجموعة من الارقام الحسابية ، لان اشارات من هذا النوع سبق التقاطها · وان مجموعات من الحقائق والقوانين الرياضية يمكن مبادلتها لتكوين لغة كونية للتفاهم بها بين سكان الارض والكواكب الاخرى · ···

ونحن نتفق مع رأى « برجامينى » لان الرياضة ليست مجموعة من المعلومات أو لغة خاصة ، لذلك يمكن أن تفهمها المخلوقات الذكية فى الكواكب الاخرى رغم اختلاف أعضاء حسهم وادراكهم ···

البدائى .. إلى عالم الذرة

ان نحو اللغة تحـــدده قوانين المنطق ، وكلماتها تحتوى على رموز مثل الكلمات العددية للارقام والحروف للاعداد المجهولة والمعادلات للعلاقة بين الاعداد والرموز الاخرى المعروفة

فى الرياضيات ، كرمز نسبة الدائرة الى قطرها ، والجذر التربيعى – فكل

هذه الرموز تعين العالم وتوفر عليه وقت الاستغراق فى التفكير للوصول الى حقيقة الاشياء ...

ان للرياضيات عـــلاقة مباشرة بالفلسفة والاقتصـــاد والاستراتيجية الحربية والموسيقى والذرة ، فقـــد يتعذر على انسان أن يعرف رصيده فى البنك ما لم يطبق بعض العمليات الحسابية التى سبق أن توصل اليهـا أهل ما بين النهرين والهندوس .

ولا يستطيع انسان أن يبنى حائطا ما لم يخط له رسما ، ويستخدم نفس

الطرق الهندسية التى استخدمهاقدماء المصريين من علماء الرياضة . وعن

طـــريق الرواد اليونانيين فى علوم الهندسة تكونت فكرة أن الارض ربما

كانت دائرية الشكل ، كمـــا الهبت الرياضـــــة الكلاسيكية روح عصر « كوليس » وكذلك رضع الرجال الذين

قاموا بثورات صناعية فى العـــالم فتهم وثقتهم فى الماكينـــات والالات

بفضل بحوث « جاليليو » و « نيوتن »

وتعتمـــد البحوث الذرية اليـــوم اعتمادا كبيرا على نظرية النســـبية للعالم « اينشتين » ، والتى اعتمدت بدورها على غوامض علم الجبـــر الذى ازدهر فى القـــرن التاسع عشر ...

ان اعمدة الرياضة فى العاديات القديمة كانت تعتمد ايضـا على علم

الارقام وعلم الهندسة ، كمـــا كانت

تعتمد على العـــلاقة الفراغية بين العلمين . وعلى مر القرون كان علم

الحساب متفوقا على علم الجبر الذى قدم اختزالا لمعرفة الكميات المجهولة . وفى القرن التاسع عشر اتحـــد علم الحساب مع علم الهندسة التحليلية

وذلك لتحويل المعادلات الى اشـــكال هندسية وتحويل الاخيرة الى معادلات .. ومنهـا أمكن الوصول الى علوم

الرياضة المعقدة . وقد عاونت هذه العلوم على حل مشـــكلات القوى

المحـــركة ، وفهم تموج الامواج

واقواس النجوم الهاوية ، وحســـاب

التفاضل والتكامل الـــذى يستخدمه علماء التكنولوجيا الحديثة عنـــد

تصميمهم للســيارات الجـــديدة والصواريخ .

● تطور علم الحساب وعلم الجبر على يد الرياضى العربى « الخوارزمى »

● الأبحاث الذرية تعتمد اليوم على نظرية النسبية للعالم « أينشتين »





وعندما ظهر حساب التفاضل والتكامل لاول مرة ظن العلماء أنه يمكنهم عن طريقه معرفة سلوك كل شيء متحرك . ولكنهم سرعان ما اكتشفوا قوانين الاحتمال ، وهى التي تستخدم اليوم لمعرفة ما يجب أن يدفعه انسان لشركة تأمين عندما يصل الى الخمسين من عمره . وتستخدم كذلك فى التجارب الذرية وفى حل المسائل العويصة فى الكهرباء والمجال المغناطيسى وفى الاجهزة الحاسبة (الكومبيوترز) والتليفزيون .

من الواحد الى العشر

ان الارقام من واحد الى صفر التي توصل اليها الانسان ، كانت ولاتزال الاساس لارتقاء العلوم الرياضية وعلى الاخص علم الحساب وذلك بعد مرور ٦٠٠٠ سنة ، فقد بدأ علم الحساب يشق طريقه عندما اخترع الانسان الاعداد . وكانت معرفة انسان ماقبل التاريخ بالعد محدودة .

فقد اتضح من الاثار التي تركها رجال القبائل البدائية انهم لم يستطيعوا أن يعدوا أكثر من العددين ٢ أو ٣ وذلك لانهم كانوا يعيشون فى عائلات محدودة العدد ، وربما كانوا يستخدمون كلمات معينة للتعبير عن الاعداد أو الاكوام . وعندما انحسر طغيان العصر الجليدى منذ عشرة آلاف عام طور بعض سكان الشرق الاوسط من الصيادين فى العصر الحجرى ، طرق الزراعة . فصادفتهم مشكلة معرفة الايام والمواسم وكميات الطعام والحبوب .

وعندما ازدهرت الزراعة فى وادى النيل ودجلة والفرات صادفت الفلاح عدة مشكلات اخرى منها معرفة الوقت الذى يدفع فيه ضرائب الحكومة . فاضطر أن يطلق اسماء على الارقام . وكان لابد من توسيع دائرة العد الى ما بعد الرقم واحد فاستخدم الالفاظ للدلالة على الكميات ...

واعتقد العلماء أن بعض القبائل القديمة استخدمت الرقم ٢ كأساس للعد وكانوا يعدون على النحو التالى: (١) - (٢) - (٢-١) - (٢-٢) (٢-٢-١) وهكذا .

واعتادت بعض القبائل الاخرى استخدام الرقم ٣ على النحو السالف ذكره . وعندما شرعت الحضارة تسير فى طريقها الطبيعى استخدم الانسان أصابع يديه وقدميه وبذلك توصل الى العد حتى الرقم (٢٠) ولايزال أثر ذلك واضحا فى الاعداد الفرنسية .

فالفرنسيون يستخدمون الرقم ٢٠ عند عدهم الرقم ٨٠ Quatre vingt

ونفس العدد عند عدهم الرقم ٩٠ Quatre vingt dix

والنظام التقليدى الانجليزى يستخدم ثلاثة بنسات وستة بنسات وشلنات

ونصف جنيه • وان كان هذا النظام قد ابطل أخيرا ، وكان التجار يستخدمون الحصى لمعرفة الشيء الذى باعوه ومن هذه الطريقة ظهر « العداد » وهو اداة للحساب أو العد لاتزال تستخدم فى أسواق ايران وهونج كونج •

ويقال ان كتابة الارقام التى نستخدمها اليوم ترجع الى الهندوس فقد كانوا يستخدمون رقم ١٠ كاساس للعد وكذلك الكسور العشرية •

وفى عام ٨٢٥ ميلادية ظهر كتاب للرياضى العربى « ابو عبد الله محمد ابن موسى الخوارزمى » فى مدينة بغداد استطاع ان يعرف فيه العرب والاوربيين بنظام الاعداد الهندى • وكان كتابه فى الحساب الاول من نوعه ، نقل الى اللاتينية ودخل أوربا وبقى بها زمنا طويلا مرجعا للعلماء والتجار والحاسبين • ونسب علم الحساب اليه فسمى (غورتمى) كما انه يعتبر مؤسس علم الجبر علما مستقلا عن الحساب • وقام بحل معادلات الدرجة الثانية بطرق هندسية واوجد جذريها اذا كانا موجبين • كما نشر اول جداول عربية عن المثلثات للجيوب والظلال ترجمت ايضا الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر ، ويعتقد كما جاء فى الموسوعات العلمية ، انه اشترك فى قياس محيط الارض ايام المأمون • كما انه ادخل تحسينات على جغرافى بطليموس • وله كتاب اسمه « صورة الارض » •

فى احدى أوراق البردى التى يرجع تاريخها الى ٣٦٠٠ سنة مضت اكتشف



اينشتين : البحوث الذرية تعتمد على نظرية النسبية

أحد قوانين علم الجبر الذى وضعه العلماء المصريون القدماء • فكلمة « أها » المكتوبة على ورقة ريند البردية يرمز اليها الان بحرف س • وكان القانون المصرى القديم يقول :

ان أها ومجموعها وسبعها تساوى = ١٩ فاذا استخدمت الرموز الجبرية الحديثة كانت النتيجة ١٦٥/٨ أى ما يقرب من النتيجة التى توصل اليها العالم المصرى القديم فى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد •

بين المنحنيات والكميات

خدم حساب المثلثات الفلك والملاحة من أيام البابليين الى ما قبل ظهور العالم الفرنسى « ديكارت » ، فكثيرون من راصدى النجوم ، والبحارة كانوا يحاولون قياس المسافات التى لا يمكن قياسها بالمسطرة • فطبقوا القواعد الاساسية لمعرفة العلاقة بين اضلاع

الثلاث وزواياه ، وكانت هذه العلاقة أو النسب قد سبق أن وضعهـا اليونانيون فى تحليلهم لمنحنيات الدائرة • وأول من استطاع أن يطبق هـذه النسب هو العـالم الفلكى « ابياركوس » فى عام ١٤٠ قبـل الميلاد •

والنسب الثلاث المعروفة اليوم يطلق عليها : جيب الزاوية ، وجيب تمام الزاوية ، ومماس القوس أو الدائرة• فهذه النسب الثـلاث لزاوية تتغير قيمتها العددية عندما تتغير الزاوية فى القياس •

واستخدم العلماء جداول الرياضيين اليونانيين حتى اثبت العالم الفرنسى « فرانسيس فتيـا » الـذى سبق « ديكارت » بنصف قرن انه يمـكن استخدامها لحل المعادلات الجبرية •

وأمكن لـ « ديكارت » بعد ذلك فى عام ١٦١٦ أن يثبت العلاقة بين المنحنيات والكميات وذلك برسمهـا نقطة نقطة فوق الورق ومنهـا ظهـر علم اللوغارتمات أو النسب بين الاعداد

● حساب التفاضل والتكامل يكشف سلوك كل شئ متحرك

● علم جديد يشغل العلماء اسمه الـ « توبولوجى » أو رياضة « التحريف » !

من اسرار الحركة

فى القرن السـابع عشر استطاع « ايزاك نيوتن » و « جوتفريد ديلهلم فون لايبنز » أن ينقما علم التفاضل والتكامل ، ويقدما لعلماء الرياضة أسس الصورة المتحركة ، فالافـلام السينمائية تتكون من صور متكررة ثابتة لجسم متحـرك ، وكذلك علم التفاضل والتكامل يجعل الحركة فى حالة ثابتة يمكن ملاحظتهـا ، وعن طريقه اعتبر العلماء اى جسم متحرك كنقطة تسير فى الفراغ ، وعنـد رصدهم لحـركة ذلك الجسم امكنهم حساب سرعته عند نقطة معينة • واصبحت رياضيات الحـركة أساسا علميا ، فالارض التى نعيش فوقهـا فى حركة دائمة وكذلك جزئيات الهواء الذى نستنشقه •

ويمكن تحديد هذه الحركات رغم انه لا يمكن رؤيتها • وعلى ذلك فان هذا العلم يستند على أسس بسيطة هى الاحتمالات ونسبة التغير والاتجاه او الانحراف الى نقطة واحـدة واخيرا التكامل أو التكميل ••

وفى الوقت نفسه يبحث العلمـاء فى تكوين علم جديد أطلقوا عليـه « توبولوجى » او رياضـة التحريف وهو علم من علوم الهندسة يختص بدراسة الطرق التى يمكن عن طريقها أن تنثنى الاسطح وتطوى وتنقـد وتمد او تتشكل من شكل لآخر ومعالجة الاسطح التى لايمكن ان يكونها الانسان وفهم الاشكال التى تبـدو مستحيلة • • •!

ذكريات الصبا في الأزهر

على هذه الصفحات ذكريات جميلة لشخصيات شقت طريقا صعبا ، حتى وصلت فى النهاية لتقود أجيالا جديدة ، تحمل رسالة العلم والإيمان وتنطلق بها فى آفاق واسعة نحو قيادة الأزهر فى المشرقين



د. عبد الحليم محمود

وزير الأوقاف وشئون الأزهر

دائما بجوار كرسي الأستاذ

يروى لنا فضيلة الدكتور ذكرياته فيقول : بدأت الطريق الى الازهر بكتاب القرية .

وكتاب القرية اذ ذاك هو الطريق الطبيعى الى الازهر ، وحفظت القرآن فى فترة مبكرة من الحياة . حفظته فى الكتاب ، واعدته وكررته فى هذه المدارس التى كانت تسمى المدارس الاولية . وكان يدرس فيها القرآن والحساب وقليل من النحو العربى .

وكان والدى - رحمه الله - حريصا كل الحرص على ان يلحقنى بالازهر . فقد كان بالازهر وكان يجب ان يخلفه من ابنائه من يسير فى نفس الطريق . وكنت اول هؤلاء الابناء الذكور ، فوهبنى كما كانوا يقولون اذ ذاك للازهر . وحينما بلغت من السن المبلغ الذى ادخل به الازهر فكر والدى فى ان يأخذنى الى القاهرة . وكان يوما مشهودا فى نفسى لاننى كنت اسمع دائما والدى يتحدث عن الازهر وعن مشايخ الازهر وعن عادات طلبة الازهر باسلوب جميل . فيه المدح . وفيه التقدير . فكنت متشوقا الى الذهاب الى هذا المعهد الذى احببته قبل أن اراه . وكان يوما مشهودا بالنسبة للأسرة فوالدتى لم تتعود على فراقى . واخواتى البنات اللواتى اكبر منى سنا كن يشفقن على من المكث فى القاهرة وحدى . ورغم أن الاسرة باكملها كانت تحب ان ابقى معها فانها باكملها ايضا اثرت ان افارقها . لما كانت تأمله من مستقبل بسام بالنسبة لى .

وفارقت القرية . وجئت الى القاهرة . والتحقت بالازهر . وبدأت الدراسة . وقد اشترى لى والدى الكتب . وسعدت بها سعادة كبيرة واخذت اقلب فيها فافهم منها ما افهم ويصعب على فهم الكثير . وبدأت الجو العلمى فى الازهر بكل ما املك من ارادة وعزيمة . وما ازال اذكر اننى كنت دائما بجوار كرسى الاستاذ . المستلكل كلما يقولها . واما ما اخذته فى المدارس الاولية فقد عاوننى كثيرا فى الدروس وبذلك كنت متفوقا على الذين لم يدرسوا الا فى الكتاب.

ولقد كان عندى مبادىء فى النحو، وكنت احسن مادة الاملاء . ولكن هذا التفوق النسبى جعلنى اجد فراغا من الوقت كيف املاه . وبدون اختيار منى اخذت يدى تقع هنا وهناك على هذا الكتاب أو ذاك من الكتب التى لا تتصل بمنهج الدراسة او بمادتها . فكنت اتسلى بهذه الكتب . ثم اصبحت هذه الكتب نفسها هى التى تشغل اكثر وقتى .

وانتهت السنة الاولى على هذا الوضع ... كتب للدراسة لا تستنفد الجهد كله . وكتب اخرى نظرية فى

مادة الدين على وجه العموم ، واللغة العربية ـ ولكنهــا تشغل كثيرا من الوقت الذى لا تشغله مادة الدراسة ·

ومر العام علىهذا النسق ، وعدت الى القرية فى الاجـــازة الصيفية ، وكان عندنا حديقة متسعة امام المنزل فنقلت اليهـــا الكثير من كتبى التى اقتنيتها ، ومن كتب والدى ، وكنت فى هذه الحديقة اشبه بالمعتكف طيلة اليوم اقرأ ، فاذا ما آن اوان القيلولة نمت فى الحديقة واذا ما آن اوان الاكل اكلت فى الحـــديقة ايضــــا ، وكذلك الصلاة فى مواعيدها حتى اذا جاء المساء تركت الكتب وعدت الى البيت للنوم ، وانقضـــت سنواتى الاولى فى الازهر على هذا الغرار ·

ولقـــــد قضيت السنتين الاوليين بالازهر فى القـــاهرة ثم انتقلت الى معهد الزقازيق الدينى حينما انشىء ··· وقد حصلت على الشـــــهادة الابتدائية من هذا المعهد ولما دخلت السنة الاولى الثـــانوية اعتكفت فى حجرتى التى كنت اسكن بها وظللت اذاكر طوال العام ، وتقدمت لامتحان الثانوية العامة منـــازل ، اى أننى ذاكرت مقرر أربع سنوات فى ســـنة واحـــدة ، وكان من الممكن فى ذلك الوقت أن يتقدم الطالب من الخارج الى اى سنة يريدها ، وفعلا تقدمت ، وفى هذا العام لم ينجح من طلبةالمنازل سوى طالب واحد ، هو انا ··· ولكن كان هناك دور ثان فى مادة النحو ، ولكى أضمن النجاح فى مادة النحو عكفت على ألفيـــة ابن مالك وحفظت المتن كله ويبلغ ألف بيت ، وذلـــك لضمان نجاحى فى الامتحان ، وفعلا تم لى ما أردت ·

والتحقت بعد ذلك بالازهر فى عام ١٩٢٨ وكنت اصغر طالب يحصل على على الشهادة العـــالية واقول لطلبة الازهر فى معرض النصيحة : القرآن الكريم يرسم الطريق لكم فيقول الله تعالى : « قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومـــن اتبعنى » وكلمة على بصيرة تبين الهدف ···

هناك طريق رســـــمه الله سبحانه وتعالى ، لابد من العلم به ، أى لابد من أن يكون طلبة الازهر على علم بهذا الطريق الذى رسمه الله ، ثم لابد لهم بعد ذلك من الدعوة الى الله على اساس من العلم ···

اما المسالة الثـــــانية : فهى قوله تعالى : « الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله »

واذا كانت الاولى قد رسمت الطريق فان هذه الاية الثانية ترسم الشعور القلبى الذى يجب أن يصاحب الداعى فى كل لحظة من لحظاته ·

ان طلبة الازهر دعاة والداعى لابد له من امرين : العــــلم من جانب ، والثقة فى الله ســــبحانه وتعالى من جانب آخر ···



الدكتور: محمد محمد الفحام

شيخ الجامع الأزهر

نصيحة لشباب الازهر

الفضل لانتسابي الى مشيخة علماء الاسكندرية ، والتى تسمى الان المعهد الدينى الازهرى الاسكندرى - يعود الى والدى ، فقد علمت أنه كان قد نذر : ان جاءنى ولد فسادخله الازهر ، واربيه تربية ازهرية .

ولم يشأ والدى أن يدخلنى الازهر الا بعد تجويدى القرآن ، وقد حفظت القرآن وسنى ثلاثة عشر عاما ولكن والدى رغب فى تأخير دخولى حتى أجود القرآن فجودته فى عام كامل . وقد عرفت أثر هذه الرغبة فيما بعد، فان تجويد القرآن لازم ، وعدم تجويده اثم .. ومازال أسمع بين بعض من لهم الشأن والكانة من يقرأون القرآن فى الصلاة وفى غيرها بدون مراعاة قواعد التجويد واتألم لذلك الما شديدا وآخذ عنهم صورة سيئة واول شىء اتذكره فى الدرس الاول الذى حضرته على فضيلة استاذى عبد الهادى الدرامى رحمه الله ، وكان عبارة عن نصيحة لنا جميعا ، وقال : اذا اردتم ان يفتح الله عليكم فحافظوا على الصلوات فى اوقاتها وفى جماعة ، واذكر انه كان يقرأ قوله تعالى : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » .

وتقوى الله شرط فى الافادة من العلم والانتفاع به . وقد سمعت استاذى بالازهر ، يقول : قال الشافعى :

شكوت الى وكيع سوء حفظى
فارشدنى الى ترك المعاصى
واخبرنى بأن العلم نور
ونور الله لا يهدى لعاص

أما أستاذ الاخلاق فاتذكر انه اكد على اللسان وعلى حفظه . وكان يذكر ابياتا من الشعر فى فضيلة السكوت ومضرة الكلام . ومن هذه الابيات التى حفظناها فى صدر حياتنا الاولى :

وزن الكلام اذا نطقت بمجلس
واذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوتى مرة
ولقد ندمت على الكلام مرارا

ويقول لنا فى معرض ذلك :

احفظ لسانك ايها الانسان
لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعان

ثم يحكى لنا أستاذنا حكايات عن فائدة السكوت ومضار الكلام ، وقد صادفت هذه الحكايات والنصائح هوى في النفوس فأصبحت لا أحب الكلام الا لضرورة ملحة ، والى حد اننى اذا كنت فى مجلس الى الان وعرضت لى فرصة للكلام وفرصة للسكوت فأنا افضل السكوت على الكلام ، وقد افدت من هذا فائدة كبيرة ، ولاتزال عبارات أستاذى الاول فى الاخلاق ، وصوته يرن فى اذنى الى الان مع مرور خمسة وستين عاما على دروسه وماكان يسرده لنا من الشعر .

وسمعك صن عن سماع القبيـ
ـح كصون اللسان عن النطق به
فانك عنـد سماع القبيـ
ـح شريك لقـائله فانتبه

ويحقق هذا عندى ، الواقع الذى عشته ، وما اقرؤه فى بعض الكتب . وقد قرأت فى بعض الكتب الفرنسية من النصائح الامساك عن الكلام ما يقال : « اذا اراد الانسان ان يتكلم وجب عليه ان يلوك الكلمة بلسانه سبع مرات قبل أن ينطق بها » .

وفى صغرى حفظت بيتا هو :

لم تعط مع اذنيك نطقا واحدا
الا لتسمع ضعف ما تتكلم

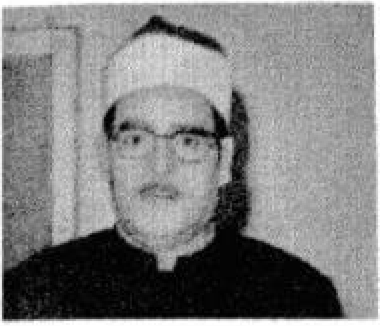
وأيضا اتذكر هـذا البيت من الشعر :

جراحات السنان لها التئـام
ولا يلتام ما جرح اللسـان

ولى نصيحة اقولها لشباب الازهر وهى الالتفات الى دروسهم وتحصيل العلم :

ومن فاته التعليم وقت شبابه
فكبر عليه اربعـا لوفـاته

ذلك لان وقت الشباب هو وقت التحصيل .. والشباب هو عماد أمتنا الناهضة ودرعها الواقية ...



الدكتور
أحمد
الشرباصى

اين تلك الايام ؟

التحقت بالمعهد الدينى بدمياط فى سن الحادية عشرة ... وكنت فى تلك السن أحفظ القرآن كله . وفى هـذا السن المبكرة اعتدت أن اتلو جـزءا او جزءين من القرآن قبل ان انام فقد احسست بالهيبـة والرهبة للقرآن ومازالتا تصاحبانى حتى اليوم . ذلك انهم كانوا يقولون لى : « انت حامل القرآن على قلبك » وكنت اشعر بان هذه امانة كبيرة جليلة ينهض بهـا صـدرى ولابد لى ان ارعاها حق رعايتها . البسونى وانا دون الثانية عشرة عمامة وكاكولة وسـموني شيخا ، وجعلونى احس بالشيخوخة قبل الاوان .

كنت أحب الاعتماد على الله ثم على

نفسي ، ومن أشق الاشياء على نفسي أن يعاونني زميل في تلك السن على تعلم شيء جديد ، ولكن العمامة كانت تحتاج الى لف وتكوير ، وهو

شيء لم أتعود عليه ولم أتعلمه من قبل ، وحاولت اكثر من مرة الاعتماد على نفسي في لف العمامة فلم اتقن ذلك ، فكنت أضع طربوش العمامة

على رأسي ثم ألف الشال حوله كما اتفق ، فكانت العمامة تبدو غير متسقة ، ومن العجيب ان بعض الشيوخ كانوا يظنون أن هذا علامة من علامات الانشغال بالعلم ، وعدم

تضييع الوقت في المظاهر ، وبمرور الايام تعلمت لف العمامة في اجادة واتقان .

كان والدي يرسل النقود الى لشراء ملابسي وحاجياتي ، ولكنني كنت اشتري بهذه النقود أو باغلبها كتبا

ادبية ومجلات ثقافية واحرم نفسي من التمتع بشراء ما احتاجه من متع الحياة التي أحلها الله ، وقد جمعت مجموعة

ضخمة من مجلة « النهضة الفكرية » التي كان يصدرها الدكتور محمد غلاب في أواخر العشرينات وأوائل

الثلاثينات وقد سطا على هذه المجموعة من سطا ، وحزنت حزنا بليغا على ضياعها .

وقد فتنت ايما فتنة بمدينة رأس البر حينما زرتها لاول مرة ، وكانت رأس البر يومئذ مثلا في الهدوء ، وصفاء التربة ، ونظافة الماء وروعة

النسيم ، وتأثرت بهذا الجو الساحر وكتبت فصلا طويلا عنوانه « الى

رأس البر » وقد نشرته مجلة السياسة الاسبوعية حينئذ على حلقات .

وانتقلت الى المعهد الديني الثانوي بالزقازيق ، وكنت أسكن في حي شعبي متواضع هو حي « الحسينية » وكان

هذا الحي مجتمعا لطلاب المعهد . وهناك تعودت أن آكل السمك المقلي في زيت « الطعمية » والطعمية المقلية

في زيت السمك ففي الطعمية أجد رائحة السمك . وفي السمك أجد رائحة الطعمية .

وكان يوم الثلاثاء موعدا اسبوعيا للطلاب في الزقازيق أن يأكلوا من سوق الثلاثاء المرتين والفسيخ والبصل ، ويختموا بمص اعواد

القصب والشاي . وبرغم ثقل الوجبة لم نكن نحس بمرض أو تعب فالشباب هو الشباب ، أين تلك الايام !! .

وفي معهد الزقازيق اشتركت في أول فرقة كشافة أسست في تاريخ الأزهر.

وكتبت عن ذلك في كتابي الاول « حركة الكشف » والذي صدر في سنة ١٩٣٧

واذكر رحلة قام بها فريق الكشافة الى بلبيس ، وكان من نصيبي في هذه الرحلة أن اعود ماشيا حاملا امتعتي

من بلبيس الى الزقازيق ليلا ، مع زميل لي بالمعهد وبشرط ان نمر على كل محطة سكة حديد لتشهد لنا باننا قد مررنا عليها ماشيين .

وعند الفجر وصلنا الى مدينة الزقازيق ، وكانت هذه مجازفة لم تنس حتى الآن وقد نوهت جريدة الاهرام بذلك في صفحتها الرياضية .

وقد انتقلت بعد ذلك الى القاهرة طالبا بكلية اللغة العربية ، وظللت طوال سنوات الدراسة بها متفوقا

وترتيبي دائما الاول . وفي عام ١٩٤٣ تبرعت بمبلغ عشرين جنيها هي مكافآتي لحصولي على ترتيب الاول

بين زملائي ، لتكون نواة لانشاء مجلة لكلية اللغة العربية ، وأتمنى أن تصدر هذه المجلة ولو مرة واحدة في العام .



الشيخ
محمد
الغزالي

روابط التراث العريق

الواقع أن الشعور الديني عند آبائنا هو الذي دفع بنا الى الازهر ، ووجهنا الى دراسة الاسلام وثقافاته المختلفة والتوفر عليها منذ نعومة أظفارنا ...

وقد التحقت بالتعليم الابتدائي في الازهر عام ١٩٢٨ بمعهد الاسكندرية الديني . وكان التعليم الازهري يومئذ مزيجا حسنا من العلوم العربية والاسلامية والانسانية ، وكان اقبالنا على الدراسة يتسم بالحرارة والجد ، وأذكر أنني حفظت القرآن وعمري عشر سنوات فكنت أصغر طالب التحق بالازهر .

وفي الاسكندرية كان هناك نشاط اجتماعي وسياسي يجرفنا في تياره ، وأذكر أن المظاهرات الصاخبة التي حدثت ضد حكم اسماعيل صدقي ، وضد نسيم (باشا) حينا آخر كانت تغرينا بالانتظام في مواكبها متعرضين في ذلك لاطلاق الرصاص وخطر الموت ، ولكنها النزعة الوطنية الحادة لابد من الوفاء لها ، وتحمل ما تفرضه

ولايزال عالقا بذهني ، أن عددا من الادباء الاحرار الف لجنة لنشر الثقافة العربية في حي الرمل كنا نذهب اليها في حماس لنستمع الى محاضراتها وهي محاضرات جيدة وصلتنا بتراثنا العريق ، وعززت القيم التي نعمل لها .

وأبرز ما عانيته في مراحل الدراسة أنني فصلت من التعليم كله بسبب المظاهرات التي شاركت فيها والتي كان الطلاب الازهريون يشغبون فيها على الاوضاع التي تراد لهم . فان القصر الملكي كان يومئذ باطشا بالازهر مجتهدا في أن يجعل ولاء العلماء الكبار والاجيال الناشئة له وحده . وحدثت الفتنة المعروفة بين الشيخين الكبيرين الظواهري والمراغي وعطلت الدراسة أمدا غير قصير ، وفصلت في السنة الثانية الثانوية من التعليم ثم تقدمت من الخارج بالشهادة الثانوية القسم الاول (الكفاءة)

واتصل حبل الدراسة مرة أخرى بعد ان استقرت الاوضاع قليلا •

وفي مراحل عمرنا الاولى كنا نعاني معشر الازهريين ضيقا من الحالة العامة وننظر الى المستقبل نظرة متشائمة ، بالغة التشاؤم ، لان مئات العلماء كانوا متعطلين ، ولان الازمات العالمية نضحت على بلدنا فعكرت صفوه ، وضيقت ما اتسع من آفاقه ، كان امل الواحد منا ان يعين ببضعة جنيهات تعد على اصابع اليد الواحدة كي يستطيع ان يعيش ، ولكن الحالة السياسية والاقتصادية في مصر تطورت على نحو لم يكن متوقعا ، وجعلت المستقبل افضل مما تصورنا•• واقول ان الشعور الديني في بلدنا كان ولايزال القوى المشاعر وراء الثورات التي تحركت في مجتمعنا واحدثت تغييرات ملحوظة في سبر الحياة المصرية •

ويؤسفني أن اقول ان المستوى العلمي للشباب الازهري ايام الشدة والعسف كان اقوى منه في هذه الايام التي كثل فيها مستقبله ، وينبغي ان يلقى هذه الكفالة بما يجب لها من توفر على العلم واقبال على الثقافة ، كما ان تقدير الاساتذة المربين كان اظهر في حياتنا شكلا وموضوعا ، ولعل ذلك كان معينا لنا على الانتفاع بالاساتذة ومشجعا لهم على أن يمنحونا كل ما لديهم من علم وخبرة •••

د.عبد المحسن صالح



فلسفة اليوجا

عندما تزحف عجلة المدنية بتقدمها العلمي والتكنولوجي وتحوى الناس بين تروسها وتحملهم معها الى دوراتهـــا ، وتغرقهم فى صراعها وماديانها ، وتباعد بينهم وبين حيـاة الهدوء والسكينة والتامل ، عندئذ قد تطغى الحياة المادية على روحانياتنا ، ففى الماديات للنفس تلوث وبـلاء ، وفى الروحانيات نقاء وصـفاء ولاشك أن هذا وذاك ينعكس على النفس اولا ، ثم على البدن ثانيـا ، فاما مرض وشقاء ، واما صحة وعناء.

في مدنيته الحديثة من الانسان، مرغما ، بتجـارب اشبه بالتجـارب التي يجريهـا العلمـاء على الحيـوانات وهى حبيسة اقفاصها ، فلقـد أصبحت المدنية الحديثة بمثابة الاقفـاص من ذهب أو فضة أو حديد ، وصـارت البشرية سجينة هذا القفص ، وكان لابد من دفع الثمن ، فكان أن ظهرت عليها أمراض نفسية وعضوية ، منها على سبيل المثال لا الحصر : الذبحة الصدرية ، والسكتة القلبية ، وضغط الـدم ، والزيادة المضطردة فى السرطان ، وقرح المعدة ... الخ ، ثم العصبية والتوتر وعدم الرضا ...الخ

ولقد كان الشرق – من قديم الزمن – صاحب الفلسفات ، ومهبط الديانات التى تأخذ بيد الانسان وتوجهه فى حياته الوجهة الصحيحة ، ليكون قرير النفس ، مطمئن البال ، راضي الفؤاد.

فاتجاه الانسان الى ربه ، وبكـل حواسه وعقله – ولو ساعة من زمن فى كل يوم – تجعله يشعر بالراحة والسكينة والطمانينة ، وقد ينعكس ذلك على فسيولوجية جسمه . الا اننـا لا نستطيع أن نقدم هنا دليلا علميـا ملموسا على هذا – لسبب بسيط – ذلك لأن الانسان اثناء المناجاة والتامل فى صلواته ودعواته لم يوضع تحت التجربة العلمية لقياس التغيرات التى تحدث فى مخه وجسمه ، لكن يحضرنا فى هذه المناسبة حديث شريف ...

فلقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فى المسجد وهو قائم يصلى – رآه وهو يعبث بلحيته – فنظر الرسول عليه الصلاة والسلام الى من حوله وقال ما معناه « لو خشع قلب هذا الرجل ، لسكنت جوارحه » ...

وتجارب العلـــم

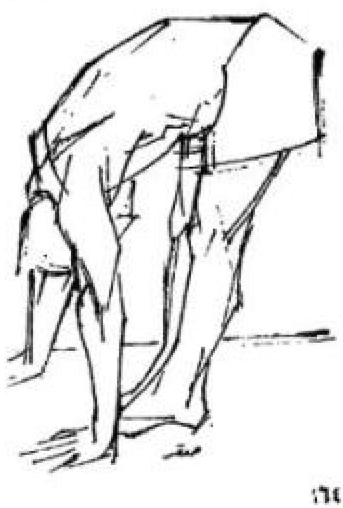
درجات الرياضة الذهنية

لكن ما دخل كل هذا بالعلم وتجارب العلم ؟

ان البحوث العلمية التى تجرى هذه الايام على فريق من البشر الممارس لبعض الرياضات النفسية والعضوية تؤكد ان هناك تغيرات فسيولوجية هامة تحدث فى أجسامهم أثناء عملية الممارسة ، وأنها مفيدة للنفس والبدن .

فلقد سمع العلماء عن أمور غريبة تحدث للذين يمارسون رياضة « اليوجا » و « اليوجا » مذهب هندى واسع الانتشار فى بلاد الشرق الاقصى كالهند ، وفيتنام ، والصين ، واليابان وغيرها ، وهى تعتمد أساسا على رياضات بدنية عنيفة ، او تدريب للذهن على التأمل والتركيز للوصول بالنفس الى اتحاد روحى بالذات الالهية أو « النيرفانا » كما يطلق عليها الهنود .

و « اليوجا » ـ بمعناها العريض ـ حالة من حالات السمو بالوعى او



الشعور التى يمكن التوصل اليها من خلال تدريب البدن على الاسترخاء والراحة التامة مع يقظة العقل وصفائه واسترخائه وعدم انشغاله بأى امر من امور الحياة ، ثم التركيز والتأمل اللذين يؤديان الى نوع من الخشوع والاطمئنان النفسى .

والواقع ان لهذه الرياضة الذهنية درجات ، كما للعبادة والصوفية ايضا درجات ، لكن الذى يهمنا هنا هو دور العلم فى هذا المجال .

لقد انتشرت بين الناس اخبار مثيرة عن اشياء اشبه بالمعجزات يقوم بها الممارسون لرياضة «اليوجا» بين الهنود واليابانيين ، فمن قائل ان « اليوجى » يستطيع ان يتحكم فى قلبه ، فيوقفه اذا شاء ، ويجعله ينبض اذا اراد ، او على اسلم الفروض نراه يتحكم فى سرعة نبضه ...

ومن قائل ان « اليوجى » قد يدفن نفسه لساعات قد تطول فى قبر محكم الغلق دون ان يتسرب اليه الهواء ، ومع ذلك لا يختنق ولا يموت ، وهذا شىء غير محتمل لنا نحن معشر البشر العاديين ...

ومن قائل ان « اليوجى » قد يتحمل اجهادات جسدية ونفسية عنيفة لا يقدر عليها الناس مهما كانت قوة احتمالهم ، من ذلك مثلا انه قد يتحمل درجات عالية من البرودة ، او قد يمشى على النار دون ان يتألم ، او قد يصوم عن الطعام لايام قد تطول . الخ ... وليس ادل على ذلك من ان بعض الرهبان البوذيين فى فيتنام قد جلسوا برضائهم وسط اكوام من القش ، ثم اشعلوا فيها النيران ، واحترقوا دون ان يصرخوا او يتحركوا ، وكأنهم يموتون راضين احتجاجا على الوحشية الامريكية فى حرب فيتنام ...

هل هى خدعة ذكية ؟

المهم ، أن هذه الظواهر الغريبة قد جذبت انظار بعض العلماء .. فمنهم من صدق ، ومنهم من كذب ، لكن القول الفصل فى هذا يرجع أساسا الى دراسات علمية هادفة من خلال أجهزة حساسة لا تكذب ولا تخدع ، وبهذا يمكن « غربلة » الغث من الثمين .

ومن أوائل الباحثين فى هذا المجال اخصائية القلب الفرنسية « تيريز بروس » التى حملت أجهزتها ، وتوجهت بها الى الهند فى عام ١٩٣٥ ، لدراسة « الظاهرة اليوجية » فى مواطنها ، واختارت عددا من الممارسين لهذه الرياضة ، لتجرى تجاربها عليهم، وكان أهم ما يشغل بالها قلب « اليوجى » الذى يتحكم فيه ، واستعانت على ذلك بجهاز رسام القلب الكهربائى ، وبعد أن درست كثيرا من الحالات ، ذكرت أن « اليوجيين » يستطيعون بالفعل ان يتحكموا فى نبضات قلوبهم، الا انها اضافت الى ذلك حقيقة غريبة عندما اكتشفت ان واحدا من اساطين « اليوجا » قد استطاع التحكم فى ايقاف قلبه ، وان جهازها لم يسجل نبضة واحدة ، وهذا امر يدعو الى الفزع حقا !

وتمر السنوات ، ويبعث هذا الموضوع الشائك من سباته فى أوائل النصف الثانى من القرن العشرين ، اذ تناوله ـ فى عام ١٩٥٧ ـ ثلاثة من علماء الفسيولوجيا ـ أمريكيان وهندى ـ « م.أ. وينر » من جامعة كاليفورنيا و « ب.ك. باجشى » من كلية الطب بجامعة ميشيجان و « ب.ك. أناند » من معهد العلوم الطبية بنيودلهى ..

ولقد استخدموا أجهزة أكثر حساسية وتطورا ، ودرسوا بها عددا كبيرا من الممارسين لرياضة اليوجا ، الا انهم لم يتوصلوا الى حالة واحدة حدث فيها توقف فى القلب كما ذكرت « تيريز بروس » من قبل ، وأشاروا الى أن الحالة التى سجلتها قد تكون نتيجة لخدعة ذكية فاتت عليها وعلى جهاز رسام القلب ، فأحيانا ـ والقول هنا لعلماء الفسيولوجيا ـ ما ينبض القلب ، الا أن نبضاته لا تسجل على الجهاز ، وليس ذلك نتيجة لخلل أو عيب فيه ، انما يرجع أساسا الى أن النبضات الناشئة من القلب قد تمحوها نبضات كهربية أخرى نابعة من انقباض عضلات الحلق ، فيحدث التداخل ، وتفوت على الجهاز فرصة تسجيل النبضات ، وفى هذه الحالة الغريبة ـ التى يطلقون عليها « فالسالفا » ـ يأخذ « اليوجى » شهيقا عميقا ويحبسه فى رئتيه ليحدث فيهما ضغطا كبيرا ، ثم يميل برأسه الى اسفل حتى تلتصق ذقنه بصدره ، فيختفى النبض ، ظاهرا لا باطنا !

حقيقة اخرى مثيرة

لكن علماء الفسيولوجيا الثلاثة يعودون فيؤكدون ان بعض « اليوجيين » لديهم القدرة على التحكم فى ابطاء نبضات القلب وسرعة التنفس بشكل ملحوظ .

وفى اليابان قام العالمان « ى . سوجى » و « ك. أكتسو » بفحص بعض الرهبان اليابانيين الذين يمارسون رياضة قريبة من « اليوجا » ـ ويطلق عليهم هناك اسم « زن » ـ ووجدوا أن معدل استهلاك الاوكسيجين اثناء عملية التنفس ، وكذلك كمية ثانى أوكسيد الكربون الخارجة مع هواء الزفير قد نقصا الى حوالى ٢٠٪ .

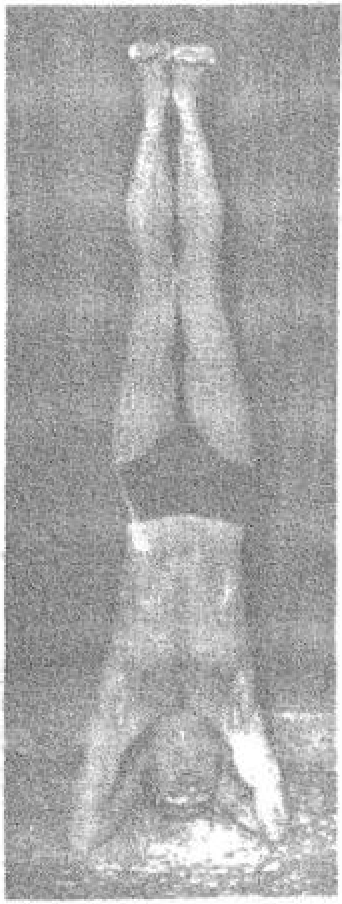
ثم توجهت البحوث الى فحص موجات المخ بعد تسجيلها بواسطة

وسام المخ الكهربائي اذ من المعروف أن امخاخنا تطلق اربعة طرازات من الموجات ، وانها تختلف باختلاف ما يحتاج المخ من انفعالات فتى اثناء النـــوم واليقظة .. فماذا يجرى ـ اذن ـ في امخاخ من يمارسون هذه الرياضة الذهنية ؟

لقد قام « ١٠ كاساماتسو » و « ت٠ هيراى » من جامعة طوكيو باختبار مجموعة من رهبان « الزن » ، وسجلوا موجات امخاخهم اثناء عمليات التأمل والتركيز التى يمارسونها ، فوجدا ان موجات المخ من طراز « ١ » قد سادت على ما عداها ، والواقع أن هـــذه الموجات لا تظهر بوضوح الا اثنـاء النوم ، لكن الرهبـــان لم يكونوا نائمين ، بل كانوا فى حالة استرخاء تام ، ولقد اظهر البعض عدة تغيرات جوهرية فى شدةموجات المخ وترددها، فحيث يكون تردد موجـات « ١ » فى امخاخ البشر العاديين ما بين ٩ ـ ١٢ ترددا فى الثانية الواحدة ، نجد ان هذا المعدلينخفض اليسبعة او ثمانية ترددات فى الثانية عنـــد ممارسة « اليوجا » !

ويضيف بعض الباحثين الهنود الى ذلك حقيقةاخرى مثيرة بعد انفحصوا سبعة من « اليوجيين » برسام المخ الكهـــربائى ، فلاحظوا أن ممارسة رياضة التأمل لفترات طويلة قد ادت الى اختفاء موجات « ١ » ليحل محلها موجات اخرى تتردد ما بين ٤٠ـ٤٥ سيكل فى الثانية ، ثم اخذت تتناقص تدريجيا ليحل محلها موجات « ١ » من جديد .

واخيرا .. جذبت هـــذه الظواهر الغريبة عالمين امريكيين ـ « روبرت ك ٠ والاس » ، و « هربرت بنسون » من مدرسة الطب بجامعة هارفارد ـ فقررا ان يكرسا وقتهما وبحوثهمـــا



في هذا المجال ، خاصة وأن هذه الفلسفة أخذت تنتشر تدريجيا بين الامريكيين والاوربيين — الا أن روادها كانوا من شباب الجامعات أساسا ، أو ممن أثقلت الحياة المادية البشعة كواهلهم ، فلجأوا الى ممارسة رياضة السكينة والتأمل علها تدفع الطمانينة الى نفوسهم الحائرة .

الجمعيات العالمية للتأمل

ومن الظواهر الغريبة التي بدأت تنتشر الآن في أمريكا جمعيات خاصة يطلقون عليها اسم « الجمعيات الطلابية العالمية للتأمل » .. ولقد كان عدد المشتركين فيها حتى عام ١٩٦٥ ما يقرب من ٢٢١ طالبا وطالبة ثم ارتفع العدد الى ٣٣٣٢٣ مشتركا في عام ١٩٧٠ ، ثم قفز الى حوالي ٩٠ ألفا في أيامنا هذه ، ولا شك أن ذلك يعني اقبالا كبيرا على ممارسة رياضة ذهنية أو روحية قريبة من « اليوجا » — وكأنما الناس هناك قد لجأوا الى روحانيات الشرق المشرقة ، بدلا من ماديات الغرب المهلكة !

ففي فصول خاصة يجتمع الالوف في حجرات معزولة ، ليعزلوا عقولهم عن متاعب الحياة وصراعها مرتين في اليوم الواحد ، ولمدة نصف ساعة أو ساعة ، ثم يستكينون ويهدأون ويتأملون ، متبعين في ذلك منهجا خاصا يؤدي — كما يقول دكتور والاس : « الى صفاء العقل وتعمقه في الفكر والاستيعاب والادراك ، وفي الوقت نفسه يحس الممارس كأنما جسده قد تفكك وتحرر واسترخى » .

ولعل ذلك لا يهمنا بقدر ما تهمنا نتائج الدراسات العلمية التي حصل عليها العالمان « والاس » و « بنسون » من فحص ستة وثلاثين شخصا — ٢٨ من الذكور و٨ اناث — تتراوح أعمارهم ما بين ١٧–٤١ عاما ، ويمثلون مراحل مختلفة في هذه الرياضة النفسية .

وبدأت الفحوص قبل وأثناء وبعد عمليات التركيز والتأمل ، ولقد وضعت التصميمات العلمية اللازمة عن طريق أجهزة حساسة تقوم برصد الانشطة العضوية والفسيولوجية والكيميائية التي تجري في الجسم أثناء الممارسة وقبلها وبعدها ، على شرط ألا تتدخل هذه القياسات في الحالة النفسية والجسمية للممارس وهو يجلس مسترخيا على « كرسي » مريح ، ودون أن يحس بوجود شيء قد يؤدي الى القلق والاضطراب .

ومن هذه التسجيلات قياسات أوتوماتيكية مستمرة لمعدل نبضات القلب والتنفس وضغط الدم ، ودرجة الحرارة ، ومقاومة الجلد للتيارات الكهربية الضعيفة ، والموجات التي يبعثها المخ ، كما وضعت أجهزة أخرى لتسجل نسبة أوكسيجين الدم ، ومعدل الشهيق والزفير ، والهواء الداخل والخارج في عملية التنفس .. الخ .

وتجمعت نتائج كثيرة ومثيرة ، بعضها كان مشابها للنتائج التي حصل عليها العلماء السابقون .. من ذلك مثلا أن « والاس » و « بنسون » قد وجدا أن كمية الاوكسيجين المستهلكة في التنفس قد تناقصت في غضون دقائق تعد على أصابع اليد الواحدة من ٢٥١ سنتيمترا مكعبا في الدقيقة الى ٢١١ سنتيمترا مكعبا ، وعندما طلبا من الممارس أن يكف عن التأمل ، ارتفعت الكمية تدريجيا الى ٢٤٢ سنتيمترا مكعبا .

وعلى نفس هذا النمط تناقصت أيضا كمية ثاني أوكسيد الكربون

الخارجة مع هواء الزفير من ٢١٩ سنتيمترا مكعبا في الدقيقة قبل ممارسة التأمل الى ١٨٧ سنتيمترا مكعبا اثناءالممارسة ، ثم ارتفعتالى معدلها بعد أن تخلى عن تامله ·

لكن هذا النقص الواضح في تركيز غاز الاوكسيجين المستهلك ، أو ثاني أوكسيد الكربون الخارج مع هواء الزفير ، كان نتيجة حتمية لعملية التنفس التي يحكمها الجهاز العصبي اللاارادي ، ويجعلها تسير أبطأ في الممارسين ، كما أن كميات الهواء الداخلة الى الرئتين والخارجة منهما تتناقص أثناء التأمل ·

النشاط الحيوى اللاهوائى

وأغرب ما أسفرت عنه بحوث العالمين الامريكيين كانيختص بالدم، وبالتحديد في تركيز حامض خاص اسمه « لاكتيك أسيد » أو حامض اللبن ، وهو أحد نواتج احتراق السكر في خلايا العضلات ، فكما اجهدنا عضلاتنا ، زاد تركيز هذا الحامض ، وقد يؤدى الى وجع فيها ، وقد يصاحب ذلك تقلصا كالذى يحدث مثلا للاعب الكرة (كرامب) أو أثناء العوم لفترات طويلة دون سابق تمرين ·

والواقع أن هذا الحامض لا يظهر في الدم أو العضلات الا تحت ظروف خاصة نطلق عليها علميا اسم « النشاط الحيوى اللاهوائي » أي الذى تتم فيه سلسلة من التفاعلات الكيميائية الناتجة من احتراق السكر في العضلات احتراقا غير كامل لعدم ورود الاوكسيجين اليها بتركيزات كافية ·

طبيعي أن يزيد تركيزهذا الحامض في دماء « اليوجيين » ، لانهم يستنشقون أوكسيجينا أقل من الاشخاص العاديين الذين لا يبذلون أية مجهودات تذكر ، لكن تركيز الحامض قد انخفض في دماء الممارسين لرياضة التأمل اكثر من أربعة أضعاف عنه في بشر في حالة استرخاء تام ·

والى هنا نكون قد وقعنا في « حيص بيص » كما يقولون ، اذ كيف يقل تركيز الحامض في الوقت الذى يتناقص فيه تركيز الاوكسيجين، وهذا - في الواقع - لا يتمشى مع أبسط المبادىء العلمية المعروفة ، فكلما زاد الاوكسيجين ، نقص تركيز الحامض ، والعكس أيضا صحيح ، لكن الممارسين « لليوجا » قد ضربوا بهذا المبدأ عرض الحائط !

لابد أن هناك سرا مثيرا يحتاج الى اعادة النظر ···

وعاد « والاس » و « بنسون » الى تقصى الحقائق في المراجع العلمية السابقة علهما يجدان فيها شيئا ينير لهما الطريق ، ولقد جذبتهما تجربة مثيرة قام بها « هـ · ريكيرت » من جامعة توبنجن على بعض «اليوجيين» الذين مارسوا هذه الرياضة لسنوات طويلة ، واصبحوا على درجة كبيرة منالسمو والصفاء ، ويذكر «ريكيرت» في هذه التجربة أنه قام بقياس سريان الدم في أذرع بعضهم ، ووجد لدهشته أنه قد ارتفع الى حوالي ٣٠٠٪ من معدله عند الاشخاص العاديين !

وأعاد العالمان الامريكيان هذه التجربة على عدد من الامريكيين ، الا انهما لم يلاحظا مثل هذا الارتفاع الكبير في سريان الدماء خلال عضلات الذراع ، ولكنهما - على اية حال - قد سجلا زيادة تصل الى ٣٢٪ وهذا الارتفاع في حد ذاته يدعو الى الاثارة والعجب ، ويوضح لنا سر تناقص حامض اللبن فيالعضلات والدماء ، فسريان الدم أسرع ، يؤدى الى منح العضلات كميات من الاوكسيجين اكثر ، وهذه تؤكسد (او تحرق) حامض اللبن بمعدلات اكفأ ، وتؤدى الى انخفاض تركيزه الى ادنى مستوى ·



وتحدث امور غامضه

لكن .. لماذا يسرى الدم فى عروق « اليوجيين » اسرع ؟

هناك – فى الواقع – عدة آراء ، الا أن الرأى السائد يعود بنبا الى الجهاز العصبى السمبثاوى (أو الودى) الذى يتحكم فى انقباض الاوردة والشرايين وانبساطها

بمساعدة بعض الهرمونات الناتجة من الغدد الصماء ، وفى اثناء ممارسة رياضة التأمل الذهنية تحدث أمور غامضة لسنا ندريها بعد ، ولكن الذى ندريه أن الجهاز العصبى يتأثر بها ، ويؤدى الى خفض نشاطه ، فيمنع الاوعية الدموية من الانقباض ، وبهذا يسرى الدم بحرية تامة ، أى تزيد سرعته بنسب متفاوته تتوقف – بطبيعة الحال – على درجات الممارسة .

وماذا يعني انخفاض معدل هذا الحامض أو زيادته في الدم ؟

يعنى الكثير ... ذلك ان الاشخاص العصبيين او المصابين بقلق او توتر نفسى ترتفع عندهم نسبة هذا الحامض ومما يؤكد هذه الحقيقة ان « ف.ن. بيتس » و « ج.ن. ماكلور » من كلية الطب بجامعة واشنجطون قد اوضحا لنا بالتجربة ان حقن المرضى بمحلول

من هذا الحامض او املاحه يؤدى الى نوبات من العصبية والتوتر ، ويظهر نفس هذا التأثير ايضا على الاصحاء .. اضف الى ذلك ان الاشخاص المصابين بضغط الدم تظهر فيهم تركيزات حامض اللبن بنسب اعلى من الاشخاص العاديين .

والغريب ايضاً أن نقص تركيز هذا الحامض فى الممارسين « لليوجا » يحدث فيهم انخفاضا ملحوظا فى ضغط الدم ، ويعنى هذا ـ كما تدل النتائج ـ أن « اليوجا » تؤدى الى حالة من الاسترخاء والرضا النفسى، بدلا من التوتر أو القلق الذى قد يقود الى انهيار عصبى ، أو جلب مرض السكر أو ضغط الدم والقرح وما شابه ذلك .

تجربة أخرى مثيرة قام بها « والاس » و « بنسون » ، وتتناول قياس مقاومة الجلد لتيار كهربى ضعيف ، فحيث تقل مقاومة جلودنا لسريان التيار الكهربى يزيد افرازها للعرق ، ولكن جلود « اليوجيين » تقاوم نفس التيار بدرجات ملحوظة أثناء الممارسة ، وقد تصل مقاومتها لسريان الكهرباء الى أربعة أضعاف بالنسبة لجلود الاشخاص العاديين ، ويشير بعض العلماء الى ان مستويات مقاومة جلودنا للتيارات الكهربية تعكس درجات قلقنا وتوترنا ، فاذا سرى التيار بسهولة أكبر ، دل ذلك على قلق وتوتر أعظم ، وتختلف مقاومة جلودنا للتيار الكهربى ما بين النوم واليقظة ، ففى أثناء النوم تزيد المقاومة ، ولكنها لا ترتفع الى المستوى الذى يحصل عليه « اليوجيون » أثناء ممارستهم لرياضتهم النفسية ، وهذا يعنى أنهم أقل منا قلقا وتوترا .

ولو الى حين

وأخيرا يدخل رسام المخ الكهربائى فى تسجيل هذه الحالات ، ويلتقط الموجات التى يبعثها المخ من سبع مناطق مختلفة ، ثم تسجل على أشرطة مغناطيسية ، وتدخل المعلومات الى عقل اليكترونى ليقوم بتحليلها ، فيوضح لنا تغيرات أساسية فى موجات المخ أثناء الممارسة ، فتزداد شدة موجات « ا » فى مراكز المخ الامامية والوسطى ، وفى معظم الاحيان سادت موجات « ثاء » فى المنطقة الامامية من المخ وما زالت هذه الاحداث غامضة أشد الغموض ، فلا نعرف ماذا تعنى ، ولا الى أى مغزى تشير .

وملخص القول : ان السكون أو التأمل الخاشع يؤدى الى سكون نسبى فى بعض العمليات الحيوية التى تتم فى الجسم ـ أو بمعنى آخر يؤثر عليها ويبطئها ـ فتتناقص كميات الاوكسيجين وثانى أوكسيد الكربون المستهلكة والمطرودة ، بالاضافة الى تباطؤ عمليات التنفس ونقص حجم الغازات المتبادلة، مع زيادة طفيفة فى حامضية الدم ، وانخفاض ملحوظ فى نسبة حامض اللبن ، ونبضات القلب ، وزيادة فى مقاومة الجلد للتيار الكهربى ، وتغير



فى موجات المخ ، وانخفاض فى ضغط الدم ، وكل هذا يؤدى الى نقص التوتر والقلق والعصبية ، اى اطمئنان النفس ولو الى حين .

ثم يتساءل « والاس » و « بنسون » بعد ذلك : هل هناك وجه للمقارنة بين العمليات الفسيولوجية التى تتم فى اجسامنا اثناء النوم او الاسترخاء او الايحاء بواسطة التنويم «المغناطيسى» وبين ما يتم فيها اثناء ممارسة « اليوجا » ؟

ويجيبان عن ذلك بالقول : لا وجه للمقارنة ... صحيح أن استهلاك الاوكسيجين يتناقص بالتدريج بعد ساعات من النوم ، لكن ذلك يحدث بسبب سوء التهوية ، فى حين أن ممارسة التأمل قد تحدث فى الهواء الطلق ، ومع ذلك ينقص استهلاك الاوكسيجين فجأة فى الدقائق الخمس او العشر الاولى من بداية الممارسة للتأمل ، ولا يحدث أى تغير يذكر فى استهلاك الاوكسيجين أثناء عملية التنويم المغناطيسى .

وصحيح ان مقاومة جلودنا للتيار الكهربى تزيد اثناء النوم ، ولكنها زيادة طفيفة اذا ما قورنت بالمقاومة التى تحدث اثناء التأمل ، اما فى حالات التنويم المغناطيسى فلا يحدث تغير يذكر .

كذلك تختلف موجات المخ اختلافا واضحا فى حالات التأمل « اليوجى » والنوم والتنويم المغناطيسى ، اذ قد تجتاح المخ موجات خاصة اثناء التنويم ، لكن هذه الموجات تنطلق على حسب ما يوحى المنوم لوسيطه من افكار ، فيجعله يتصبب عرقا او يرتعد من شدة البرد ، او يوحى اليه بالعطش او الجوع ، فيجف ريقه او تتقلص معدته .. الى آخر هذه الامور التى تختلف اختلافا واضحا عن الظواهر التى تحدث اثناء ممارسة « اليوجا » الذهنية ، فهى لا تتم عن طريق ايحاء أو احلام ، بل يصبح الانسان فيهما سيد نفسه وعقله .

قد يبدو مذهب « اليوجا » للكثيرين على أنه مذهب دينى أو عقائدى أو فلسفة غيبية ، لكن العلم لا يتناولها على هذا الاساس ، بل ينظر اليها من زاوية أخرى مختلفة تماما ، ويتناولها كظاهرة خاصة تستحق البحث والدراسة خاصة بعد ان ثبت مفعولها على بعض عملياتنا الحيوية والفسيولوجية ، وقد يؤدى ذلك الى استخدامها فى مجال الطب وعلم النفس ، ذلك أن الدلائل الاولية تشير الى فائدتها ، على الاقل فى حالات القلق والتوتر الذى قد يؤدى الى مضاعفات سيئة فى البدن والعقل .

وبغض النظر عن العقائد والمذاهب والفلسفات ، فان ما يسعى اليه البشر المعذبون فى الارض هو طلب ساعة من الرضا والطمأنينة النفسية لتحل محل القلق النفسى ، والتوتر الذهنى – وهما آفتان من آفات عصرنا الحديث – ولجوء الانسان الى كل ما يعتقد فيه خيرا ، لهو خير وابقى ، فمناجاة الانسان لربه ، وتأمله الصامت الاصيل يؤدى الى طمأنينة فى النفس ، وراحة فى البدن .

ومما يستحق الذكر هنا ما روى من أن واحدا من الصحابة رضى الله عنه ، كان يتجه فى صلاته الى ربه بكل حواسه وعقله ، فاطلق عليه احد الاعداء سهما ، فاستقر فى قدمه ، وظل الصحابى بين يدى ربه دون احساس بما اصابه ، ولم يعرف أنه أصيب الا بعد أن انتهى من صلاته ، فشعر بالالم ، واكتشف نزيف الدم .

ولا جديد تحت الشمس ، كما يقولون ...

ولو خشعت قلوبنا ، لسكنت حواسنا ... وقد تختلف الوسائل ، والهدف واحد ، والبشر وما يعتقدون ، لكن أكثر الناس لا يعلمون ، ...

قصة قصيرة

لا يحب

قص علينا الملازم الثانى حلمى عزت القصة الآتية على المائدة قرب الفراغ من تناول الغداء بمنزل خطيبته الآنسة منى

كانت المائدة حافلة بألوان الطعام ، وكان البط المحمر هو الطبق الرئيسى ، بيد أن الملازم الشاب كان الوحيد الذى لم تمتد يده اليه قط ولم يذق له طعما ، بل شعر بحالة غثيان عندما وقعت عيناه على أطباقه



غبريال وهبة

وطلب بدلا منه قليلا من الجبن القديم .

وفي خلال تلك المأدبة لم نكد نتنـاول من الموضوعات الا موضوع الملازم حلمي وهو من أفراد فرقة الصاعقة .

وقد عاد توا من اليمن في اجازة لمدة أسبوع .

لقد أثار تعجب خطيبته ووالديها عندما رأوه يعاف البط بهذا الشكل في الوقت الذي يعرفون فيه أن أفراد الصاعقة لا يأنفون حتى من اكل الثعابين والفيران والصراصير ، وهو كثيرا ما قص عليهم انه يتناولها بتلذذ .

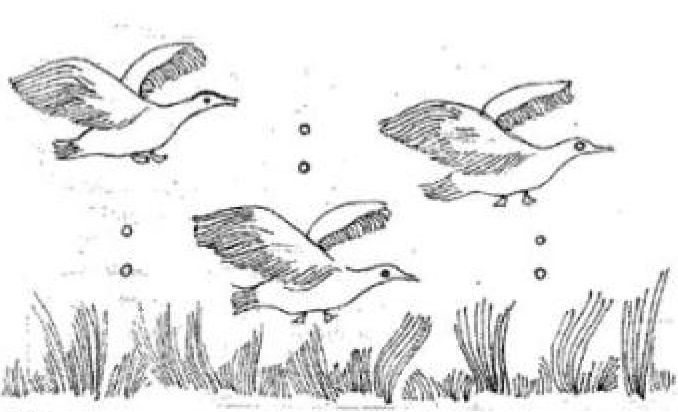
استهل حلمي عزت الكلام قائلا :

ـ كنت في الحادية عشرة من عمري عندما كان والدي يعمل مهندسا للري بمدينة الزقازيق .

كنت اعيش معه وحدي . اما اخوتي الصغار فكن في القاهرة في رعاية والدتي التي تعمل مدرسة بالعاصمة . وكنا نقضي معهن مساء الخميس ويوم الجمعة من كل اسبوع .

وفي أحد الاسابيع لم نذهب الى القاهرة ، بل دعاني والدي الى رحلة للصيد وكان من هواة صيد البط . حدث ذلك في عام ١٩٥٦ حيث أيقظني والدي في الساعة الثالثة صباحا وشربنا الشاي على عجل وتوجهنا الى « الجراج » وهو يحمل بندقيته وما يلزم من أدوات الصيد ، ثم ركبنا عربتنا وقادها والدي ، فسارت بنا تنهب الارض نهبا

البط



فى ظلمة الليل القاتمة وقد هدأ من حولنا كل شيء ، وجثم على الكون سكون رهيب .

وكنت تارة أنظر من النافذة رافعا بصرى الى السماء فأرى فيها نقطا من النور ضئيلة منتثرة ، وتارة أمد بصرى الى الامام فأرى ضوء الكشاف يخترق حجب الظلام الكثيفة . وكانت رائحة الخريف تملأ أنوفنا .

وأخيرا وصلنا الى بقعة قريبة من بحيرة المنزلة ، كان الضباب كثيفا . وأعطانى والدى علبة ثقاب ، وقال لى :

— اشعل الفانوس ..

وضعت الفانوس الذى كنت أحمله على الارض واشعلت عود ثقاب . ولكننى لم أستطع ثنى يدى الباردتين بسرعة لاحيط بهما اللهب الضعيف وانطفأ العود ، وسقط منى العود الثانى قبل أن اشعله من فرط اضطرابى .

شعرت بالخجل عندما مد والدى يده يتلمس يدى فى الظلام قائلا لى :

— اعطنى علبة الثقاب ايها الخائف !

ناولته العلبة وأنا أراقبه وهو يشعل الشمعة بداخل الفانوس ، فبدونا



كالاشباح وسط الظلام ، وناولنى والدى الفانوس ...

كان الضباب جاثما فى اتجاه البحيرة ، وها هو ذا الفانوس قد صنع لنا غديرا من الضوء نسير وسطه .

وقد جعلنى الضوء المترجرج اشعر بالدوار فصاح بى والدى :

— لا تهز الفانوس هكذا .

فتوقفت عن أرجحة ذراعى وسرت به متصلبا . لن السير بذراع ثابتة كان يجعلنى أشعر كأن لى ذراعا من الخشب أو ذراعا ميتة .

كانت أقدامنا تغوص فى الرمال ونحن نقترب من شاطىء البحيرة . ولفح الهواء المالح وجوهنا فانعشنا ...

نفخ والدى قاربا من المطاط أحضره معه ، ووضعه فوق سطح الماء ، وقفزنا بداخله ، وأنا أحمل الفانوس معى . كانت ظلمة الليل لاتزال تنشر أرديتها السود على المكان . وسمعنا من الاحراش البعيدة ، كروان ، يغرد بصوته الجميل . ثم جثم الليل على البحيرة ثقيلا مرهقا وفرض الهدوء والصمت المخيف .. ولكننى فى لحظة نسيت الخوف عندما رأيت شبح القارب وهو يتحرك فوق الماء وأصبحت أتوق الى سماع طلقات الرش . كنت فى الواقع قد شعرت بالماء يزحف داخل حذائى ويبلل جوربى وساقى حتى وصل الى بنطلونى الذى ثنيته قرب ركبتى .

تناولت المجداف الثانى ونفخ والدى المصباح لاطفائه . فاستنشقت للحظة رائحة الدخان المنبعث من فتيل الشمعة ثم تلاشت الرائحة .

اطبق الظلام على من كل جانب ، واعترانى الخوف من أن نفقد فى هذا التيه اللانهائى . اخذنا نجدف بنشاط دون أن ننبس بكلمة وأنا أرغب فى أن ينتظرنى والدى حتى أخلع حذائى وجوربى ، فقد كنت أشعر بلسع المياه المثلجة فى قدمى . ولكن التجديف سرعان ما دفع الدم فى

اطرافي المرتجفة وشعرت بالدفء .

ولم البث أن رأيت نور الفجر يمد لسانه الدقيق فوق البحيرة فاتجهنا الى احد جوانبها حيث نبتت فيها حشائش مرتفعة . وقبعنا هنـاك ساكنين دون أن يصدر منـا صوت .

رفع والدي بندقيتـه وصوبهـا . وانكمشت وانا اعاني من عـذاب الانتظـار .. وأخذت اتوسل الى والدي قائلا في نفسي :

ـ اطلق .. هيا .. اطلق !

ثم اصـدر والدي صـفيرا من فمه كان كافيا لان اسمع في اثره حفيف اجنحة البط وهو يطير صاعدا الي اعلي.

وفي الحال سمعت عدة طلقات متتالية من بندقية والدي مزقت سكون الفجر .. وقـد رأيت بطتين تنقلبان رأسا على عقب، وثالثة تدور ساقطة في المـاء كطـائرة كسر جناحها . وهوت رابعة وقد تناثر من حولهـا رشاش ضخم من المـاء عندما مست سطحه .

انطلقنا بالقارب نجدف بسرعة وطفقت التقط البطـات الصريعة وانا اريها لوالدي وقد غمرني شعور بالزهو .. كانت ابدانهـا لاتزال دافئة تختلج واعينهـا تحملق الى اعلى . واخـذت افكر محدثا نفسي :

ـ ما افظع ان تطلق النار على المرء هـكذا في لحظة استيقاظه من النوم !

واسقطت الطيور في القارب واستدرنا بعيـدا عن البط العائم بعيـدا فوق سطح الماء .

كانت هناك اثنتان . ولكن بدا الآن ان هناك ثلاثة أشـياء سوداء تتنازع مع الماء . رفع ابي احداها ولوى عنقها كاسرا عمودها الفقـري تماما مثلما كنت ارى جدتي تفعل ذلك بعد ان تذبح البط . اصـبح لدينا الآن ثلاث بطات . واقتفينا اثر الباقي . كانت على الجانب المواجه لي ...

جاءت احداها تتمايل وتهتز بالقرب من حافة القارب .. فأسرعت اضع يدي في المـاء وقبضت علي شعر مبتل . لقـد هزتني اللمسـة ولحت بسرعة ما فغر فمي ، وقلب النهـار ليلا في لحظة واحدة ..وتركت ما عثرت عليه بعد ان اطلقت صيحة رعب ...

ـ ابي .. !. ابي !. انه غلام في الماء !

لم استطع ان احول عيني بعيدا عن الرأس الذي يتمايل ويهتز خلفنا .. لقـد شحب وجه والدي وقال لي :

ـ فلنقتف اثره !

واعمل مجدافه بسرعة في الماء فحاولت ان اجدف معه ولكنني لم اقو على



ذلك ، فتناول مجدافى منى مستعملا المجدافين معا . واقترب القارب من الرأس العائم مرة أخرى . وتمكنت من رؤيته بوضوح الآن ،

وعجبت كيف ظننت من قبل أنه بطة ! كان وجها مشوها ممسوخا .. ولحما أبيض متورما

منتفخا : أوه .. ان هذا لفظيع ! .. لقد أعملت الطيور مناقيرها فى العينين فاقتلعتهما

من محجريهما . وهانذا أدير وجهى بعيدا مستقرا فى مكانى مثبتا لا آتى

حركة ولا أنطق بكلمة ، وفى نفسى ما فيها من حسرة وألم . وقد انتابنى شعور بالغثيان .

تجلد والدى وأمسك بسترة الفلاح القاتمة ، بيد أن القماش كان متعطنا ومثقبا كالغربال

فتمزق بين أصابعه فألقى يديه فى الماء وأمسك بكتفى الفلاح المسكين يرفعه الى أعلى ...

نظرت مرة أخرى الى الجثة ، ويا لهول ما اكتشفت ... كانت هناك ثلاث رصاصات مستقرة فى الرقبة وعشرات أخرى قد مزقت الصدر ... وقال والدى فى انفعال وألم :

– لا شك أن المسكين قد قتل فى اثناء الاعتداء الثلاثى اذ كانت طائرات

الاعداء تطلق رشاشاتها على القوارب والمراكب التى استقلها الاهالى فى بحيرة المنزلة مهاجرين الى مناطق أكثر أمنا .

ثم أردف قائلا :

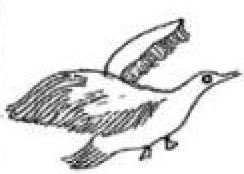
– سأخبر مديرية الامن بالحادث عندما نصل الى الشاطىء .

رقدت الجثة فى قاع القارب وتجويفا العينين يتجهان الى أعلى .. وكان الفم مفتوحا . وأخذت المياه تسيل من

الملابس المبتلة محدثة قنوات على الارضية فرفعت قدمى بحركة غريزية . وفجأة بينما القارب يتحرك تجاه الشاطىء سقطت رأس

الفلاح على أحد جانبيها وانبثقت المياه من فم الصبى البائس الذى كان فى مثل سنى . وهنا صرخت .. وجمدت مكانى

وكانت أسنانى تصطك وأطرافى ترتجف ... وشعرت أننى على شفا الموت . أقفلت عينى ..



ولكن هذا زاد الموقف سوءا . فقد كنت لا أزال أرى الجثة وقد بدت كأنها تتحرك ... ففتحت عينى مرة أخرى وأخذت أراقبها . انها لن تتحرك

وأنا أنظر اليها ... فانني أعلم أنها جسد ميت . ولكن عندما لطمت احدى الموجات القارب بدا لى كما لو أن جثة الفلاح قد تحركت . قد أخذت وضعا مريحا ...

ولعقت شفتى المتورمتين .. أحسست بملوحة دموعى على خدى تتدحرج الى شفتى ... كنت قد بدأت أبكى صامتا ...

أهو الخوف ؟!

أم الحزن ؟!

لم أكن ساعتها أعرف .. لكن حين انقشع الضباب ، وبدأت خيوط الشمس تصعد بطيئة الى الافق ، رأيت كل شىء حولى مثيرا للتأمل .. كنت قد بدأت افكر فى

معنى الحرب . وسؤال غامر يطرق رأسى . ربما اندفعت مئات من الجثث المنتفخة المتورمة من قاع البحيرة صاعدة الى السطح فى هذه اللحظة ...

جسدى كان ساعتها لايزال مقشعرا جلده .. ولسانى يهمس فى فمى .. بكلمة الحرب .. الحرب .. العدوان ...



شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
تعلن شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية وهي إحدى
شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية والكهربائية
والإلكترونية .. الشركة الأولى بل الوحيدة في منطقتنا العربية
التي تقوم بتنفيذ مشروعات إشارات المرور الأتوماتيكية
والإلكترونية في الوقت الذي تهدف إلى إزالة الوقت الضائع وإقلالاً
للحوادث الناجمة عن عدم انتظام سير المرور في التقاطعات
المختلفة ، ومن أهم مزايا النظم المختلفة التي تنفذها الشركة
إمكانية التوسع في أي نظام سبق تنفيذه للوصول إلى
نظام أكثر تطوراً ومسايرة للظروف التي تطرأ على حالة التقاطع
من حيث كثافة المرور والاتجاهات المختلفة للسيارات
والشركة على استعداد تام للقيام بالآتي :-
١- دراسة المشروع من حيث وضع أنسب الأنظمة الملائمة للمرور بعد إجراء الدراسات الإحصائية
٢- وضع المواصفات الشاملة للعمليات التنفيذية
٣- تنفيذ المشروع بالكامل مطابقاً للمواصفات العالمية
وتقوم الشركة بتقديم الحلول اللازمة بحيث يلائم كل حالة الإمكانيات
الاقتصادية المتاحة وقد قامت الشركة بتنفيذ عدة مشروعات مختلفة
في الوطن العربي ، ومن بين الأنظمة التي يتم إنتاجها حالياً :-
١- تقاطعات مرورية ذات صندوق تحكم مبرمج بأزمنة ثابتة
٢- تقاطعات مرورية ذات مؤثرات حسية تعمل بالمرور وتتعرف على الحركة
٣- تقاطعات مختلفة ذات تحكم مبرمج
٤- تقاطعات مختلفة في شبكة مترابطة
في التقاطعات المختلفة
صندوق التحكم الإلكتروني في تنظيم دورات زمنية لإشارات المرور
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والإلكترونية
ص.ب : ٣٨٦ الإسكندرية
برقياً : سيلاك - الإسكندرية



هل تعرف من القائل ؟

١ – لا يصح أن تكون اللذات العامة مقيـــاس الفضيلة ، بل يجب أن تـــكون الفضيلة هي مقياس اللذات العامة .

*

● أرسطو – ابن تيمية – أحمد لطفي السيد

***

٢ – أمهات الأخلاق أربع : الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدل .

*

● حديث شريف – عمر بن الخطاب – الغزالي

***

٣ – الفضــائل أوساط بين أطـراف ، وتلك الأطراف هي الرذائل .

*

● ابن مسكويه – أفلاطون – فرجيل

● الاجوبة ●

٣ – ابن مسكويه
٢ – الغزالي
١ – أرسطو





الهلال

ديسمبر ١٩٧٢

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال —
العدد الثاني عشر —
السنة الثمانون —
أول ديسمبر ١٩٧٢ —
٢٦ شوال ١٣٩٢

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم — عن الكميات المرسلة بالطائرة في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، في الأردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوي : ١٢٥ عددا» في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٠٠ قرش صاغ . في سائر أنحاء العالم « ونصف دولارات أو ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بتحويل أو بشيك مصرفي قابل الصرف في (ج. م. ع) — والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادي — وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد



د. محمد حسين هيكل رائد القصة العربية القصيرة

المهندس صلاح عامر : موعد مع « التلفزيون العربى » ...

د. سيد نوفل : القمر في الديانات القديمة

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

هذا العدد - ايها القارىء العزيز - يأخذك فى رحلة الى القمر ، هى رحلة علم وايمان معا

وفى الحق ان العلم لا يختلف مع الايمان فى شىء . ولعل فى حكايات رجال الفضاء الذين خرجوا عن نطاق كوكبنا وراحوا يلتمسون الاقمار فى فضائها الخارجى ، ما يزيدنا ايمانا بالله جلت قدرته .

فقد ذكر احدهم ساخرا انه صعد الى الفضاء فلم ير الله ..
ولم يلبث صاحبنا هذا ان ادركته آية الموت !
وذكر آخر منهم انه صعد الى الفضاء فوجد ان كل خطوة فيه تشير الى وجود الله ، سبحانه وتعالى .

وعاد صاحبنا هذا ليعتزل مهنة الفضاء ، ويتفرغ لعبادة الله
يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الحج :
« وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون »
بمثل هذه الآية نزل القرآن منذ اربعة عشر قرنا ، قبل ان يحلم انسان على الارض بحقائق العلم الحديث

وجاء هذا العصر الذى نعيش فيه - عصر العلم - ليؤكد لنا اختلاف ايامنا عن ايام الكواكب الاخرى ، حتى لقد ذكر الدكتور جمال الفندى - فى بعض احاديثه العلمية بالاذاعة - ان اليوم فى بعض الاجرام السماوية يعادل مائة الف من ايامنا المعروفة

فما على الله بمستبعد بعد ذلك ان يكون اليوم عنده - فى ملكوته الواسع - بألف سنة مما نعد .

● صالح جودت ●

د. سيد نوفل

الذين عبدوا القمر

سلك الانسان ، منذ طفولته الأولى ، في سبيله الى الايمان السالك ، وتوزعته الشكوك الدروب والشعاب ، فقد أدرك بفطرته التي فطره الخالق عليها قانون السببية الطبيعي ، ذلك القانون الذي يجعل لكل معلول وأثر سببا ، وينتهي بالاسباب جميعا الى سبب أكبر . وقوى هذه الفطرة ضعف الانسان وقصوره في مواجهة الكون وآياته وخلائقه واحداثه :

وحين تقدم بالانسان الادراك في مسيرته الدائبة نحو التفتح البشري ، وقف حيران وهنا يتساءل: هل هذه الحياة بنهايتها البادية الفانية تضع حدا لآمال الانسان وآفاقه غير المتناهية ؟ لو صح هذا لكانت حياة الانسان باطلة، ولكان سعيه وعناؤه ضربا من العبث والهراء ، ولكانت السلبية انتظارا للموت خيرا من العناء في حياة معدودة لا عقب لها

ولم يكن مناص لفقه الحياة ، وفطرة الانسان فيها ، من الايمان بأن للكون مدبرا ، وبأن الحياة الأولى تعقبها حياة اخرى باقية.

ومن هنا كانت الصلة الوثقى بين الايمان بالخالق والايمان بالحياة الأخرى ...

وفى مسيرة الانسان الى الايمان بالله وكتبه ورسله عبد الكواكب والنجوم ، كما عبد الحيوان والانسان والبحار والانهار والجبال والاشجار ، واتخذ لمعانى الحياة وقواها الهة معبودة ، وصنع الأصنام والأوثان رمزا للآلهة الدبرة وعبدها من دون الله .

وقد حفظت النصوص القديمة أسماء عدد كبير من الاصنام ، كان الناس يتقربون اليها ، ويسهرون الليالى فى الصلاة لها ، ويقدمون القرابين والنذور طلبا للرضا والخير منها .. وقد بحث بعض الباحثين فى تاريخ العقيدة البشرية أسماء هذه الأصنام ، وانتهى الى أنها صفات لآلهة قليلة وكنى لمعبودين معدودين .

ومهما يكن من أمر ، فقد انتشرت عبادة الكواكب فى مصر ، وبابل وآشور ، وسبأ ، وسمين ، واليونان ، وغيرها من الأرجاء المعمورة فى العصور القديمة وما تلاها . ثم ظلت آثار هذه العبادة باقية فى بعض التقاليد والاوهام ..

عند قدماء المصريين

وقد عبد قدماء المصريين الكواكب بين ما عبدوا من موجودات الكون وخلقه ، وكان القمر الهاً عندهم . بل ان (ول ديورانت) فى موسوعته الكبرى « قصة الحضارة » يستظهر أن يكون القمر أقدم الآلهة التى عبدت فى مصر ، وان كانت الشمس فى التاريخ الرسمى للدولة المصرية القديمة أعظم الآلهة . فكانت تعبد على أنها الاله رع أو حورس ، وكانت تصور على أنها عجل مقدس يولد مرة فى فجر كل يوم ، ويصبح الى السماوات العلا فى مركبة علوية ، ثم يهبط الى الغرب ليختفى كل مساء ، كى يعيد سيرته السابقة فى كل صباح . كما كانت تصور فى صورة باشق رشيق ، يطير فى عظمة وجلال مشرقا من السماوات على مملكته الارضية ...

ورأى بعض الباحثين أن عبادة العجل أو الثور أو التيس أو الكبش ، بقرونها الملتوية المتقابلة ، انما هى رمز لعبادة القمر ، وأن القرنين الملتويين انما هما صورة للقمر حين يكون هلالا ..

على ان الذى استوقف النظر فى عبادة المصريين للقمر والشمس ، هو توكيد فكرة الخلود والتجدد ، ممثلة فى هذين الكائنين العظيمين .. فهما يتجددان يوما بعد يوم وليلة بعد ليلة . وكان المصريون القدماء يستدلون على الحياة الأخرى بأدلة واضحة بسيطة .. ويقولون انه ما دام اوزير النيل يحيا بعد موته ، وما دام النبات يحيا بعد موته ، فان الانسان وهو فى مقدمة الكائنات الحية يحيا لا ريب بعد موته .

بل ان صاحب « قصة الحضارة » يرى ان فكرة الخلود ، التى سيطرت على العقيدة المصرية آلاف السنين ، انتقلت من المصريين القدماء الى الدين المسيحى (١) .

وهكذا كانت عبادة الكائنات عند قدماء المصريين عبادة متقدمة الفكرة ، وان تخيل بعض الناس انها متأخرة الأسلوب ...

فى شبه جزيرة العرب

وكان القمر حينا من الزمان هو

---

(١) قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٦ ، جـ ٢ ص ٢٦٢.

كبير الالهة عند الجمهرة من عـــرب الجزيرة . وكانت له صفات كثيرة تمجده وتقدس ذكره كما تسمى باسمه كثيرون من العرب . وكانت عبادته ابرز ماتكون في الجنوب العربي ، او العربية الجنوبية، او العربية السعيدة : كما كانت تسمى في العصر الروماني ولهذا ذهب بعض المستشرقين الى ان ديانة عرب الجنوب كانت هي عبادة القمر وحده ..

وانتهى البعض الى ان ديانة جميع الساميين الغربيين وعرب الجنوب هي عبادة القمر ، وانه مقدم فيهما على الشمس . وذلك على عكس ما كانت عليه الحال عند البابليين .. فقد قدموا الشمس على القمر . ولهذا كان القمر مذكرا عند عرب الجنوب والغـــرب ، مؤنثا عند البابليين . وكانت الشمس مذكرا عند البابليين ..

وكان القمر يسمى عند الساميين باســـم (ورخ) او (سين) أو (شهر) . وكان اسم شهر اكثرها سيرورة في الجنوب ، وفي النصوص الجاهلية القديمة التي عثر عليها مكتـــوبة في جنوب جـزيرة العرب وشمالها وفي الحبشة ..

ولم يعثر في هذه النصوص على اسم (القمر) . ولذا ظن البعض ان هذه التسمية للتابع الارضي متأخرة، لكن ورود اسمه في القرآن الكريم ، يدل على انه اسم قديم ، وأن عبادة الشمس والقمر كانت شائعة عند عرب الجزيرة الى ان جاء الاسلام . ولذا نهى عنها القرآن الكريم في قوله تعالى ، مسميا الشـــمس والقمر باسميهما :

« ومن اياتـــه الليل والنهـــار والشمس والقمر . لاتسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون » .

وكانت النصوص العربية الجنوبية في شبه الجزيرة لاتسمي القمر باسمه بل باحدى صفاته ، وذلك ... به الساميون جميعـــا في مخاطبة الآلهة .

واتخذ الثور كائنا عند العرب من الحيوانات المقدسة التي يرمز بهـــا للقمر ، بسبب قرنيه اللذين يشبهان الهـــلال كما اشرنا قبلا . ويسمى القـــمر في بعض النصوص القديمة ثورا ... ورد في النصوص اللحيانية والثمودية والبابلية .

اسماء وصفات واصنام

كان لاله القمر اسماء وصـــفات كثيرة عند العرب . فتشادوا يطلقون عليه الاب والعم والكهل توقيرا له ، وتعبيرا عن صورة الهيبة والسماحة التي يراه فيها الانسان . واضيفت اليه صفات للكمـــال كثيرة . فهو صديق ، يؤنس ابناء السبيل في ليلهم العاتي ... وهو صـــادق ، لايختلف وعده من الهلال الى المحاق، ولا تتعطل دورته بمرور الايـــام والشهور والسنين وهو حكيم يوحي الى الناس الافكار المطمئنة ، ويلهمهم الآراء المتزنة على شـــاكلته من الاطمئنان والروية .. وهو عـــالم يرقب الكائنـــات ويحيط باسرارها وبالداخل والخارج من امورهـــا ومســـالكها .. وهو محرم ، اي مقدس ، لايصـــح أن يتطاول عليه متطاول ، ولا ان ينال من قداســـته واهم او طاغية .

وهناك غير هذه صفات اضـــفاها العرب على القمر ، ودلت على معان اخلاقية سامية . فهي تصور القمـــر حاميا للناس من المهالك والمزالق ، حافظا اياهم من الضر ، والقيـــا من

القمر ... وهي تصوره أبا رحيما ، يحنو على ابنائه ، ويسهر عليهم في عطف وحنان مخلصين صادقين ، ويتعهد ابناءه المؤمنين الأتقياء في جميع مراحل حياتهم ، واينما وجدوا .

وهكذا ارتفع العرب بفكرة الديانة مثلما ارتفع المصريون القدماء . ولم يعد الإله مجرد ظاهرة كونية ، أو يرمز له بحجر أو صنم مصنوع من معدن أو خشب كما يتصور المتصورون وانما أصبح رمزا لمعان أخلاقية سامية ، جديرة بأن تعصم الناس من الزلل ، وان تهديهم سواء السبيل .

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت هنالك أصنام كثيرة ، صنعت رمزا للقمر ، وفي مقدمتها « ود » . وقد ورد ذكر « ود » في القرآن الكريم مع أسماء بعض الأصنام التي أنكر الدين الحنيف عبادتها . وكان « ود » يعبد في جنوب الجزيرة منذ القدم . ثم ذهبت عبادته ، وبقيت في الحجاز الى أن جاء الاسلام . فكان « لود » صنم ، وكان له سدنة وكهنة يدعونه ويروون عنه اجابات لدعوات الداعين .. وظل كذلك الى ان حطمه الاسلام فيما حطم من أصنام .

فقد بقي « ود » في مقامه الى أن وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خالد بن الوليد لهدمه بعد غزوة تبوك . وهنالك أعترض خالدا عبدة « ود » من بني عبد ود وبني عامر . فحاربهم سيف الله المسلول حتى هزمهم ، واستطاع بعد هزيمتهم أن يحطم صنمهم ..

أسرة الثالوث الكوكبي

وكماكان القمر يعبد وحده ، فقد كان يعبد في ثالوث كوكبي ، يتألف من القمر والزهرة والشمس .. بل انتهى بعضهم الى أن جميع الآلهة والأصنام ، وخاصة في جنوب جزيرة العرب ، تنتهي الى هذا الثالوث ، وأن ماعداه من المعبودات صفات أو كنى أو رموز لأفراده الثلاثة ...

والثالوث الكوكبي المعهود يؤلف أسرة واحدة من ثلاثة افراد . والقمر هو الأب في هذه الأسرة ، والزهرة هي الابن ، والشمس هي الأم .

ومن اليسير تفسير عبادة هذه الكواكب الثلاثة مجتمعة . فهي ، وخاصة الشمس والقمر ، أبرز الكواكب السماوية . والزهرة تمتاز بالنسبة لسكان المعمورة ، بالظهور على غيرها من الكواكب والنجوم ، كما تمتاز ببهائها وجمال منظرها ، وبهدايتها السالكين دروب الأرض ليلا حين يفقدون القمر ... وقد جعلهم شبيهها بالقمر يعبدونها مثله ، ويسمونها ابن القمر . فهي تقع بين عطارد والأرض مثلما يقع القمر



فى موضعه من الشمس والأرض . وهى أنع الأجــــرام السماوية بعد الشمس والقمـــر . وأكثر الكواكب اقترابا من الأرض . وهى ذات أوجه كالقمر . ويتغير حجم قرصـــها تبعا لقربها من الأرض وبعدها عنها .

ولكوكب الزهرة دورة يتمهــا فى ٢٢٥ يوما مثلما يتم القمر دورته فى عام قمرى . وذلك يدل على أن هؤلاء القدامى قد ظفروا بمعارف مذكورة ، وأنهم لم يكونوا فى غفلة كما يتوهم المتوهمون .

وهكذا ، كان القمر عندهم هـــو الأب ، وهو كبير الأسرة المعبودة . وكان اسمه يرد فى طليعة أســـماء الآلهة الواردة فى النصوص القديمة لعرب الجنوب .. وذلك أمر لا يتسق فى النصوص القديمة لعرب الشمال .

وقد فسر بعض الباحثين هـــذا الاختلاف بين الجنوبيين والشـماليين فى تقديم القمر على الشـــمس أو الشمس على القمر تفسيرات عديدة وأقرب هذه التفسـيرات هو اختلاف البيئة والثقافة .

فأهل الجنوب يعيشـــون فى بيئة حارة مرهقة بحرها ورطوبتها .. وكانت الشمس مصدر ارهاق وعناء شديدين لهم . ولهذا سموها ، ذات حميم ، وكان حر الشمس الشديد من الأسباب المعطلة لعملهم نهـــارا .. أما القمر فانه يأتى فى جو أقــل حـــــرارة ، وأكثر تهدئة للنفس ، وتمكينـــا من ممارســـــة العمل .. فكان يهدىء نفوسهم بعد اضطرابها ، وكان سميرا للتجـــار ، ولأصـــحاب القوافل ، وللعاملين فى المجالات المختلفة ...

ولم يكن أهل الجنوب يعرفون أن القمر تابع للشمس وأنه يستمد نوره منهــــا ... أما فى جزيرة العرب ، فلم تكن الشـــمس مرهقة لمشاعر أرقائهــا لهم من مصـــدر الجزيرة . بل كانت مصـــدر النور ونمو الزهر والنبات وأسماء القمر ، ومصدر الدفء لمن يقاسيه البرد فى فصل الشتاء ...

العبادة فى أرجاء العالم

ومن آثار عبادة القمر فى أرجاء العالم أن اتصلت به خرافات شتى فى مختلف الأمم . وظلت باقية الى عصور قريبة . بل ظل بعضها قائما فى بعض المناطق المتخلفة الى يومنا هذا ...

فعامة الشعب الانجليزى كانوا ، حتى القرن السابع عشر ، يعتقدون أن للقمر تأثيرا كبيرا على شئون البشر . فكانت أوقات ذبح الحيوانات للطعام ، وجمع الأعشــاب ، وقطع الأخشاب للوقود ، وبذر بذور مختلفة الأنواع – كانت أوقات هذه الأشياء جميعـــا ، تحدد بعمر القمر . وكانت المعرفة بهذه الأوقات المحدودة تعتبر من لوازم المعـــرفة العملية . وكان الجهل بها أو اهمالهـــا يفضى فى رأيهم الى الخسران المبين . وعلى مســـار القمر كانوا يحددون فترات معينة لتناول أدوية خاصة أو لعلاج أمراض معينة .

ولقد ساد الكثير من هذه الخرافات اسكتلندا ، حتى وقت متأخر . فكان التنبؤ بالآثار الطيبة أو الســـيئة لحدث ما يتم تبعا لعمر القمر ابان وقوع الحـــــدث كمـــا كان الاســـكتلنديون يعتقدون أن للقمر الداخل فى مرحلة المحاق أثرا سيئا

على الناس وأن أكثر المواسم تبشيرا بالخير لبدء أي مشروع ، هي تلك التي تصادف بدرا أو هلالا ...

وكان هذا الاعتقاد يسود اسكندناوه والمانيا كذلك • وتاريخ الامم مليء بمثل هذه الخرافات • ولاتزال اللغة الانجليزية ، وغيرها من اللغات الاوربية ، تحتفظ بتأثير القمر الخاص على الاشخاص الضعاف العقل أو المضطربي الاعصاب • وذلك في كلمات مثل «Lunatic»

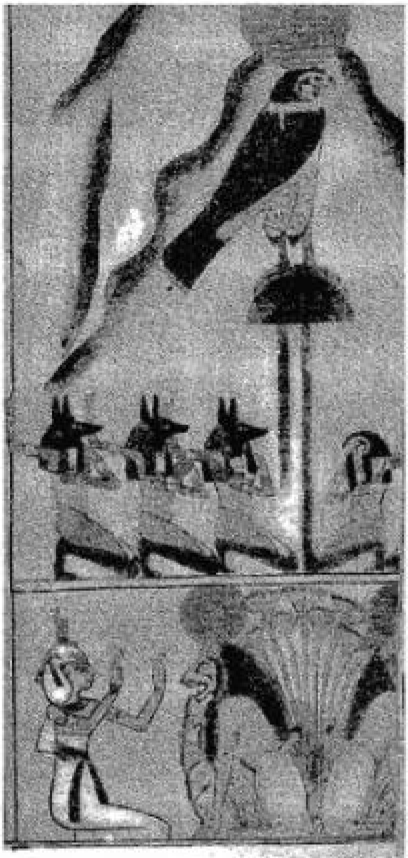
بمعنى مجنون ، وهي مشتقة من «Lune»

بمعني قمر » وكلمة Moonstruck

أي مأخوذ بالقمر بمعنى مجنون أيضا •

ومن بين الخرافات الاعتقاد الذي ساد قديما ، والقائل بأن التغيرات التي تطرأعلى القمر تؤثر على جو الارض ، فتأتي بالطقس اللطيف أو المطير أو المستقر أو العاصف •وعلى ذلك كان التنبؤ بحالات الجو يتم بحسب المراحل التي يمر بها القمر من محاقه الى بدره • أما الان فان الأثر الوحيد المعروف للقمر على حالة الجو هو تفرق السحب بعد زمن وجيز من ظهور البدر •

وفي قصة «Edda» ، الملحمة الالمانية ، نقرأ أن « موند لفوري » بطلها كان له ولدان ــ ابن يسمى « ماني » أي « قمر » ،وابنة تسمى « سول » أي شمس • وفي اللغة الالمانية القمر مذكر والشمس مؤنث • وكان ذلك يصدق على اللغة الانجلوسكسونية •



من الديانات المصرية القديمة : الشمس في مكمنها اثناء الليل على الارض ......

لكن اللغة الانجليزية الحديثة حذت في هـــذا الشأن حذو الاساطير الكلاسيكية التي يرد فيها · Sol أى « شمس » على أنه اله و Luna أى « قمر » على أنه الهة ··

وفي كتاب « جريم » أو « الاساطير الالمانية » يرد دعـــاء موجه الى الهلال · السيد الرحيم من أجل زيادة الثروة ·

وحتى وقت متأخر كان الالمان مغرمين بالحديث عن « Frausonne

اى « السيدة شمس » و Herrmond

اى « السيد قمر » ··

رأهل لتوانيا كالعـــرب يجعلون القمر مذكرا والشمس مؤنثة · كما ان كلمة « Mnzle » الكســيكية القديمة · بمعنى قمر · كانت مذكرة · أما السلافيون فانهم يعتبرون القمر مذكرا · والنجم مؤنثا · والشمس بلا جنس اى ليست مذكرة ولامؤنثة ··

من خرافات الخسوف

ومن آثار عبادة القمر الخرافـات التي ســارت في مختلف البلاد حول خسوفه · وتشابهت الى حد قريب · ولايزال بعضـــها باقيا في المناطق المتخلفة من ريف بـلادنا وبلاد كثيرة أخرى ·

لقد كان القدماء يعتبرون خسوف القمر خروجا على نظـــام الطبيعة وفذيرا بالشر المستطير · وكانت روما تعتبر الحديث عن خســـوف القمر وكسوف الشمس بانهما ظاهرة طبيعية كانت تعتبره امتهـــــانا للمقدسات يعاقب عليه القانون ·

وظلت هذه الخرافة مسيطرة على اذهان العامة من الناس وقتا طويلا · فظلوا يرجعون خسوف القمر الى قوة خارقة للطبيعة حتى بعد ان ثبت تفسيره العلمي وهو وقوع القمر بين الارض والشمس ··

وعندما كان القمر يخسـف كان الناس يغادرون بيوتهم · ويضربون الات نحاسية محدثين صخبا شديدا · ويدعون للقمر معتقدين انهم بهـــذا يخففون من الكرب الذى يعـــانيه · ولايزال ذلك قائما لدى المتخلفين من الناس فى بعض المناطق · ؟

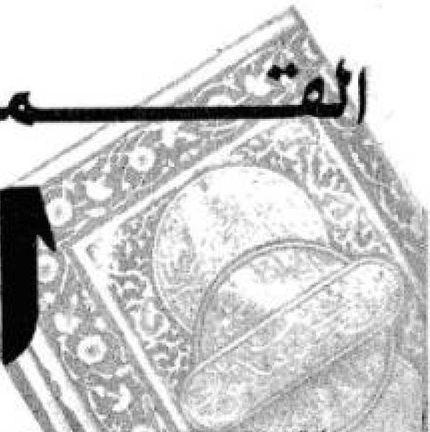
وكان البعض يعتقدون أن القمـر في خسوفه يمر بالام المخاض · وكان البعض الآخر يعتقدون انه يعـــاني من مكائد السحرة الخبثـــاء ·· وســـادت مثل هذه الخرافات بين القبـــائل الهمجية · وكان عامة الصينيين الى وقت قريب يعتقدون ان ما يسبب الخسوف والكسوف هو ان حيات بالغة الضخامة · تحاول التهام الشمس والقمر · ولذلك فانهم كانوا يضربون الطبول والآنية النحاسية · لتخويف هذه الوحوش الجبـــارة · حتى تدع فريستها وشانها ···

***

وبعد · فقد حـــرر الدين العقول مما ران عليهـــا من وثنية وشرك وخرافة · وجـــاء العلم الحديث · فزاد ذوى الالباب معرفة بالكون · وايمانا بالله

د. أحمد الشرباصي

القمر في القرآن



مادة « القمر » اللغوية تدل في الاصل على البياض في الشيء ، ومن هنا جاء اسم كوكب « القمر » لبياضه ، وقيل انه سمى بذلك لانه يقمر ضوء الكواكب ، أي يغلبه ويفوز به ، من المقـــامرة ، ولذلك لا يظهر ضوء الكواكب عند سطوع القمر .

والقمر هو ذلك الكوكب السماوى السيار ، الذى يستمد نوره من الشـــمس ، ويدور حول الارض وينيرها ليلا ، وهو كوكب تابع للارض ، ويؤثر فيها ، اذ يسبب حركة المد والجزر في مياه البحار ، ويؤثر في الامواج والرياح ، وهو اقرب الاجرام السماوية الى الأرض ، ولذلك يبدو لنا اكبر من حجمه بكثير ، وهو ليس ساكنا في مكانه ، بل له حركته ، واتجاهه يتغير على الدوام ، وان كانت مسافة بعده عن الارض تظل ثابتة ، فهو يســـير حول الارض فيما يقـرب من الدائرة ، فيطوف حولها كل شهر مرة ، ومعنى هذا انه يدور حول نفسه في الفضاء مرة في الشهر .

هكذا تحدث علماء الفلك والكون فيما تحدثوا عن القمر .

فما حديث القمر في القرآن الكريم ؟ .

ذكر كتاب الله القمر أكثر من خمس وعشرين مرة ، وهذا الذكر المتكرر يدل – بادىء ذى بدء – على عناية التنزيل المجيد بهـــذا الكوكب الذى خلقـــه الله وأبدعه ، ويسر الانتفاع به لعباده ، ثم تكرر قسم القرآن بالقمر ، فقال فى سورة المدثر : « كلا والقمر » • وقال فى سورة الانشـــقاق : « والقمر اذا اتسق » أى اذا تم واستدار وصـــار بدرا • وقال فى ســـورة الشمس : « والشمس وضـــحاها ، والقمر اذا تلاها »• والمعروف أن القسم يكون بما له قيمة ومكانة ، ولذلك يذكر الامام الرازى أن الله تعالى ينبه عباده دائما بأن يذكر فى القســم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة ، حتى يتأمل المكلف فيها ، ويشـــكره عليها ، لأن الشىء الذى يقسم الله تعالى به يحصل له وقع فى القلب ، فتكون الدواعى الى تأمله أقوى •

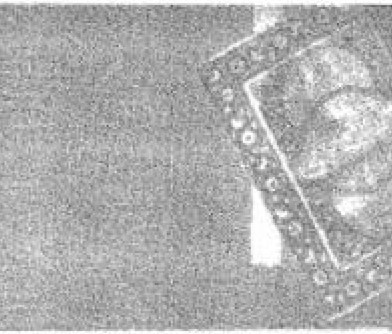
ومن مظاهر عناية القرآن بالقمر أن سورة من سوره سماها « ســـورة القمر » وافتتحها بذكـــره فقال : « اقتربت الساعة وانشق القمر » •

ولقد امتن الله تبارك وتعـــالى على عباده بنعم كبرى تقوم عليها الحياة ، ويحتاج اليها الاحياء ، ومن بينهـــا القمر ، ولذلك قال القرآن فى ســـورة الانبياء : « وهو الذى خلق الليـــل والنهار والشمس والقمر ، كل فى فلك يسبحون » • كما ذكر وكرر وأكد أنه الذى تفضل على خلقه فسخر لهم هذه الاشياء ، ومنها القمر ، ليتمكنوا من استخدامها وقطف ثمراتها ، فقال فى سورة الاعراف : « ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » •

وقال فى سورة ابراهيم : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » • وقال فى ســـورة العنكبوت : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وســـخر الشمس والقمر ليقولن الله ، فأنى يؤفكون » •

ولم يقتصر حديث القرآن الكريم عن القمر على التذكير بنعمة التسخير ، بل أعطانا فى مواطن منه كثيرا من الاشـــارات والرموز التى تهدى الى أضواء من العلم والمعرفة ، فيما يتعلق بنظام الكون وأسراره ، فيقـــول فى سورة يونس : « هو الذى جعـــل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصـــل الآيات لقوم يعلمون » • ونحن نعرف





من المعلومات الكونية أن الضوء اقوى وابلغ من النور ، ولذلك نسبت الآية الضياء الى الشمس ، ونسبت النور الى القمر ، لان الشمس اقوى من القمر .. وقال أهل التفسير ان الضوء ما كان بالذات كالشمس والنار ، وأما النور فيكون بالعرض والاكتساب من الغير .

وقد ذكرت الاية أن الله تعالى قدر القمر « منازل » أى جعله على مقادير معينة مخصوصة ، فجعل للقمر أماكن للنزول ، أو قدر سـيره فى فلكه وللقمر ثمانية وعشرون منزلا ، ينزل كل ليلة فى واحد منها بنظام دائب دائم لا يضطرب ، وهو يحتجب عن الرؤية ليلة أو ليلتين كل شهر ، فيغيب ليلة اذا كان الشهر القمـرى تسعة وعشرين يوما ، ويغيب ليلتين اذا كان الشهر ثلاثين .

النظام الربانى الدقيق

وهذا الكلام من أهل التفسير يتلاقى وكلام العلماء الكونيين ، فهم يذكرون أن القمـر جسم كروى مظلم ، ولكن أشعة الشمس تضىء نصفه المقابل لها ، ويتغير الجسم المستضىء من القمر من يوم لآخر فى الحجم والشكل ، فأول ما نراه يكون خيطا رفيعا منحنيا مستقيرا ثم يزداد حجمه شيئا فشيئا ، حتى يصير دائرة تامة ، ثم يأخـــذ فى التناقص حتى يصبح خطا كما كان فى أول ظهوره ، وتسمى هـذه الاشكال المختلفة : أوجه القمر .

وفى أول الشهر القمرى يتوسـط القمر بين الارض والشمس ، فلا يظهر منه نور على الارض ، ويقال أنه فى المحاق ، ولا يمكن حينئذ رؤية القمر ، ثم يظهر خط رفيع من النور ، ويسمى الهلال ، ثم يأخذ الجـزء المستضىء فى الازدياد ، حتى اذا مضت سبعة أيام تحول شكله الى نصف دائرة ويقـــال حينئـــذ انه فى التربيع الاول ، ثم يأخذ فى الازدياد عن نصف الدائرة ، ويدعى بالاحدب ، وفى اليوم الخامس عشر تتوســـط الارض من الشمس والقمر ، فيظهر لنا القمـر على شكل دائرة ، ويسمى البدر ، ثم تتكرر الاوجه السابقة على عكس ما مضى ، وهكذا .

هذا كلام أهل التفسير ، وهذا كلام أهل العلم ، وكل من الفريقين يتركز علمه فى قوله تعالى : « وقدره منازل » الذى يأتى عقبه التذكير بثمرة هـذا التقدير فى قوله سبحانه : « لتعلموا عدد السنين والحسـاب » . أى أن الحكمة فى تقدير الله منازل القمر هى أن تضبطوا حساب الايام والشـهور والاعـوام ، ومن وراء هذا الضبط تنتظم حيــاتكم وواجبــاتكم ، وتستطيعون القيام بعباداتكم وتعاملاتكم الدينية والمالية والمدنية .

ولولا هذا النظام المشاهد ـ كمـا يذكر تفسير المنار ـ لتعذر على الاميين من أهل البدو والحضر العلم بذلك ، لان حساب السنين والشهور الشمسية فن يحتاج الى دراسة وعلم ، ولذلك جعل الشرع الاسلامي شهر الصـوم واشهر الحج وعدة الطلاق ومدة الايلاء

«إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين»

ونحو ذلك بالحساب القمرى الذى يعرفه كل واحد بالمشاهدة ، فلا يتوقف على علم فنى يندر وجوده فى غير أماكن العلم والحضارة . وان كان هذا لا يمنع أن عبادتى الصوم والحج حكمة أخرى فى ربطهما بالحساب القمرى ، وهى دورانهما فى جميع الفصول ، فيعبد المسلمون ربهم فى جميع الاوقات من حارة وباردة ومعتدلة ، وهذا لا يمنع أهل العلم من الانتفاع بالحساب الشمسى الذى له فوائد أخرى .

ولقد أكد القرآن الاشارة الى الحقيقة العلمية ، وهى أن ضوء الشمس ذاتى ، وأن نور القمر مأخوذ عنها ، فقال فى سورة الفرقان : « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » ، والمراد بالسراج هنا هو الشمس ، بدليل قوله فى سورة نوح : « وجعل القمر نورا وجعل الشمس سراجا » .. والسراج فى الاصل هو الضوء الزاهر بفتيلة ودهن ، أى أنه ضوء منبعث من ذات الشىء ، وهذا ينطبق على الطاقة الحرارية المضيئة فى الشمس ، وأما القمر فهو نور أو منير، أى ينير بوساطة الاشعاع الشمسى المنبعث من طاقتها التى تسقط على القمر فتنيره ، فكان كلمتى السراج والنور تشيران الى أن الشمس هى مصدر الطاقة الحرارية ، وهذا ما يقرره العلم .

ويعود القرآن فى سورة « يس » ليتحدث عن وظيفة القمر فى ذلك النظام الربانى الدقيق المتعلق بالكون والزمن ، فيقول : « واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » . فالقمر له منازل مقدرة وأشكال متوالية ، وكل شكل له من هذه الاشكال يكون بمقدار معين ، وزمان محدد ، وبترتيب تصاعدى فى النصف الاول من الشهر ، ثم بترتيب تنازلى فى النصف الاخير من الشهر . وهذا التنظيم الالهى ثابت لا يضطرب ولا ينحرف ، فالشمس فى حركتها ونظامها ، والقمر كذلك فى حركته ونظامه ، لا يطغى أحدهما على الاخر .. ولذلك يقول خبراء العلم فى التعليق على هذا النص القرآنى الكريم :

« ان الشمس لها حركتها الذاتية ، ولكنها تتميز عن النجوم الاخــرى لقربها من الارض ، وبأن لها مجموعة من الكواكب والاقمار والمذنبـــات والكويكبات تتبعها دائما ، وتخضــع لقوة جاذبيتها ، حيث تجعلهــا من حولهـــا فى مدارات متتــابعة بيضاوية الشكل ، وجميع افراد هذه المجموعة تتنقل مع الشمس خـــلال حركتها الذاتية ·

والخلاصـــة أن الشمس والارض والقمر وسائر الكواكب والاجــرام ، تجرى فى الفضاء بسرعة محددة وفى اتجاه محدود ، ولم يعرف العلماء أن الشمس تجرى لمستقر لها الا فى اوائل القرن العشرين ، ولا يمكن ان تدرك الشمس القمر ، لان كلا منهما يجرى فى افلاك متوازية ، فيســتحيل ان يتقابلا ، كما يستحيل أن يسبق الليل النهــار ، حيث يتطلب ذلك أن تدور الارض حول محورها من الشرق الى الغرب ، بدلا من اتجاهها الحالى من الغرب نحو الشرق · والقمر خلال دورته حــول الارض ، ودورة الارض حول الشمس ، يمر بمجمــوعات من النجوم تسمى منـــازل القمر ، وفى التربيع الاول والاخير من الشهر يظهر القمر كالعرجون القديم ، اى يصــير كالسباطة اذا قدمت ويبست واعوجت·

مدار حساب الايام

ولعل هـــذا هو السر فى أن الله تبارك وتعالى كرر قوله عن الشمس والقمر : « كل يجرى لاجل مسمى » ومن ذلك قوله فى سورة لقمــــان :

« ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار، ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى ، وأن الله بما تعملون خبير » · أى أن الله تعــالى ينقص من زمن الليل بقدر ما يزيد من النهار ، وينقص من زمن النهار ما يزيد فى زمن الليل ، وسخر الشمس والقمر لمصالحكم ، واخضعهما لنظام دقيق بديع ، حيث يجرى كل منهما فى فلك معين لا يحيــد عنه ، ويســتمر ذلك حتى يرث الله الارض ومن عليها ·

وهذا النظام المحكم يشير اليه ايضا قول الله سبحانه فى سورة الانعام : « فالق الاصباح ، وجعل الليل سكنا ، والشمس والقمر حسبانا » · ويفيدنا هذا النص أن القمـــر قد اقامه الله بحساب دقيق فى مكانه وبعـــده عن الارض التابع لهـــا ، المؤثر فيها ، والعامل القوى فى حركة المد والجزر، ويقرر علماء الطبيعة ان القمر لو كان اكبر من حجمه الذى هو عليه ، لكان المد الذى يحدثه فى البحار كافيـــا لاغراق الارض ، وكذلك لو كان اقرب من بعده عن الارض ·



وكذلك يمكن أن نفهم من عبارة : « والشمس والقمر حسباناً » معنى أن الله جعل القمر مع الشمس سببا لضبط الحساب في الزمن ، لان طلوعهما وغروبهما ، وما يظهر من تحولاتهما واختلاف مظاهرهما ، كل ذلك بنظام وحساب يحدد الايام والليالي ، والناس محتاجون أشد الاحتياج الى هذا الضبط .

وعلماء الكون يقولون ان للارض حركتين : احداهما تتم في أربع وعشرين ساعة ، وهي مدار حساب الايام ، وحركة تتم في سنة ، وبها يكون اختلاف الفصول ، وعليها مدار حساب السنين الشمسية .

ويؤكد القرآن هذه الحقيقة مرة اخرى حين يقول في سورة الرحمن : « الشمس والقمر بحسبان » . اى ان الشمس والقمر يتحركان ويجريان في بروجهما ومنازلهما ، بحساب مقدر منتظم ، يترتب عليه تنظيم امور الكائنات الارضية ، وتتعاقب الفصول والاوقات ، من صيف وخريف ، وشتاء وربيع ، ومن ليل ونهار ، ومن نور وظلام ، ومن برودة وحرارة ، وتعرف السنون ويضبط الحساب ! .

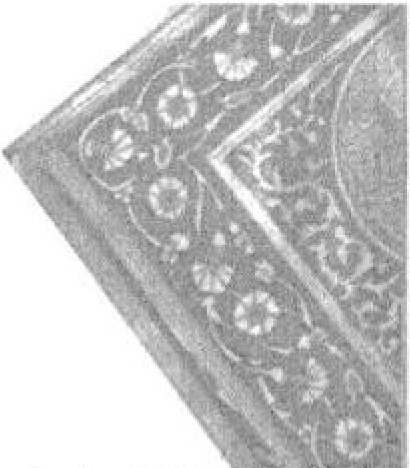
عن مفردات القرآن

ويمضي القرآن المجيد في حديثه المعجز عن القمر ، مضمنا هذا الحديث كثيرا من الرموز والاشارات لقوم يتفكرون ويتبصرون ، فيدركون الكثير من الحقائق الكونية التي تشعرهم بجلال الله سبحانه ، ومن امثلة ذلك قوله عز من قائل : « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها » . فقوله « تلاها » فيه اشارة الى أن القمر يتبع الشمس ويتلوها ويأتي من ورائها ، فاذا غابت الشمس ، ودخل الليل ، ظهر القمر . وفيه كذلك اشارة الى ان القمر ليس فيه نور ذاتي ، وانما يستمد نوره من انعكاس ضوء الشمس عليه ، وكأن القمر يتبع الشمس ليطالبها بدين عليها له ، وهو ان تمده بالنور ، ولذلك يقول الامام الاصفهاني في كتابه « مفردات القرآن » ان قوله تعالى : « والقمر اذا تلاها » اراد به اتباع القمر للشمس على سبيل الاقتداء والاستمداد ، لان القمر يقتبس النور من الشمس ، وهو لها بمنزلة الخليفة عنها ، ولذلك نسب الضياء الى الشمس ، ونسب النور الى القمر ، لان الضياء اقوى من النور ، وكل ضياء نور ، وليس كل نور ضياء .

وقوله : « والليل اذا يغشاها » فيه اشارة الى حالة الظلمة الحالكة التي تعرض للارض حينما لا يظهر ضوء الشمس ، لا مباشرة كما في النهار ، ولا بالواسطة كنور القمر المستفاد من الشمس ، وهذا يحدث كل شهر ليلة أو ليلتين ، وقد قال أهل التفسير ان الكلام هنا فيه مجاز عقلي لانه أسند التغشية – وهي التغطية – الى الليل ، وانما الذي يغشى الشمس في الحقيقة هي الارض ، حين تتوسط بين الشمس والقمر تماما ، فأسند التغشية الى الليل لانه أثر من اثار ذلك .

معجزة من الله

ويذكر القرآن الكريم انشقاق القمر في قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » . وقد ذكر أهل التفسير والسنن أن انشقاق القمر معناه أنه قد انفصل بعضه عن بعض ، فصار فرقتين ، وقد جاءت أخبار قوية متينة تؤكد أن ذلك قد وقع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قبل الهجرة بنحو خمس سنوات ،



معجزة من الله تعالى أيد بها رسوله عليه الصلاة السلام ، وقد جاء ذكر ذلك في صحيحي البخاري ومسلم .

وفي الحديث المتفق عليه أن أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة ، فنزلت السورة : « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ، فانشق القمر فلقتين : فلقة من وراء الجبل ، وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله : اشهدوا .

وقد ثار نقاش طويل حول انشقاق القمر ، وأنكر الملاحدة وقوع ذلك ، وقد أورد الامام الالوسي في تفسيره اعتراضهم ورد عليه ، بهذه العبارة :

« وقال بعض الملاحدة : لو وقع لكان متواترا واشترك أهل الارض كلهم في معرفته ، ولم يختص بها أهل مكة ، لانه أمر محسوس مشاهد ، والناس فيه شركاء ، والطباع حريصة على رواية الغريب ونقل ما لم يعهد ، ولا أغرب من انشقاق هذا الجرم العظيم ، ولم يعهد أصلا في الزمن القديم ، ولو كان له أصل لخلد أيضا في كتب التسيير والتنجيم ، ولذكره أهل الارصاد فقد كانت موجودة قبل البعثة بكثير ، واطباقهم على تركه واغفاله ، مع جلالة شأنه ووضوح أمره مما لا تجوزه العادة .

وأيضا لا يعقل سبب فرق هذا الجرم العظيم ، وأيضا خرقه يوجد صوتا هائلا أشد من أصوات الصواعق المهلكة بأضعاف مضاعفة ، لا يبعد هلاك أكثر أهل الارض منه ..

وأيضا : متى خرق وصار قطعتين ، ذهبت منه قوة التجاذب ، كالجبل اذا انشق فيلزم بقاؤه منشقا ، ولا أقل من أن يبقى كذلك سنين طويلة .

والجواب عن ذلك أنه وقع في الليل وزمان الغفلة ، وكان في زمان قليل ، ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد ، ضرورة اختلاف المطالع ، فقد يكون القمر طالعا على قوم غائبا عن آخرين ، ومكسوفا عند قوم غير مكسوف عند آخرين ، والاعتناء بأمر الارصاد لم يكن بمثابته اليوم ، وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد ، والانشقاق لاتختلف به منازله ولا يتغير به سيره ، . غاية ما في الباب أن يحدث في القطعة الشرقية قوة سير لتلحق أختها الغربية .

وأي مانع من أن يخلق الله تعالى فيهما من السرعة نحو ما خلق الله سبحانه في ضوء الشمس ، فقد قال أهل الحكمة الجديدة ان بين الارض والشمس ثلاثمائة الف فرسخ وأربعين الف فرسخ ، وان ضوءها ليصل الى

".. والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون"

الأرض في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية ، فيقطع الضوء في كل ثانية سبعين الف فرسخ .

ولا يلزم أن يعلم سبب كل حادث ، بل كثير من الحوادث المتكررة المشاهدة لم يوقف على أسبابها ، كرؤية الكواكب قريبة مع بعدها المفرط ، فقد ذكروا أنهم لم يقفوا على سببه ، ويكفي في ذلك عدم وقوفهم على سبب بالعين على الحقيقة ، ولو أخبرهم مخبر - بفرض أن لم يكن لهم أبصار - بخواص البصر ، مع كونه قطعة شحم صغيرة معروفة أحوالها عند أهل التشريح ، لأنكروا عليه غاية الانكار ، وكذبوه غاية التكذيب ، ونسبوه الى الجنون ؟؟ .

وقد حاول بعض الناس أن يفسر انشقاق القمر بأنه عبارة عن انشقاق الظلام عند طلوع القمر ، كما يسمى الصبح فلقا عند انفلاق الظلمة منه . وحاول بعض

آخر أن يقول ان معنى « انشق القمر » هو : وضح الأمر وظهر .

ولكن الألوسي حمل على هذين الرأيين قائلا : « وكلا الزعمين مما لا يعول عليه ، ولا يلتفت اليه ، ولا أظن الداعي اليهما عند من يقر بالساعة التي هي أعظم من الانشقاق ، ويعترف بالعقائد الاسلامية التي وقع عليها الاتفاق ، سوى عدم ثبوت الأخبار في وقوع ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام عنده ، ومنشأ ذلك القصور التام ، والتمسك بشبه هي على طرف الثمام ، ومع ذلك لا يكفر المنكر ، بناء على عدم الاتفاق على تواتر ذلك ، وعدم كون الآية نصا فيه ، والاخراج من الدين أمر عظيم ، فيحتاط فيه مالا يحتاط في غيره . والله تعالى الموفق » .

قطعة من سطح الارض

ولولا ما ورد في شأن انشقاق القمر من أحاديث صحاح قوية تؤكد وقوعه بالصورة المذكورة في كتب السنة ، لما استبعد العلماء أن يكون المراد بانشقاق القمر هو انفصاله عن أمه الأرض ، لأن علماء الفلك يقولون الآن ان القمر وليد الأرض ، كان قطعة منها ثم انفصل عنها ، وقد جاء في كتاب « مع الله في السماء » هذه العبارة :

« أمنا الأرض تلد طفلا . انه القمر ، نعم انه القمر ، قطعة انقطعت من الأرض والأرض لاتزال مائعة ، فان صح هذا فعمر القمر من عمر الأرض ، من عمر قشرتها يوم بدأت تتجمد . والذي اقتطع هذه القطعة من الأرض الشمس ، اجتذبت اليها من الأرض طرفا ، ظل يبرز ثم يبرز ، حتى اذا تهيأ للانفصال ، انفصل ، كقطرة صغرى من ماء



تنفصل عن قطرة كبرى ،وكانت الأرض تدور ، تدور حول نفسها ، وتدور حول الشمس ، فظل فصيلها — طفلها — يدور حول نفسه ويتبعها ، فيدور معها حول الشمس

واستقر القمر اليوم على بعد من أمه الارض متوسطه ٢٣٨٨٦٠ ميلا ، ولنقرأه مقربا ٢٤٠٠٠٠ ميل ، وقطر الارض نحو من ٨٠٠٠ ميل فبعد الارض عن القمر نحو من ثلاثين قطرا من أقطار الارض ، وقطر القمر نفسه نحو من ٢١٦٠ ميلا ، فهو يزيد قليلا عن ربع قطر الارض ، والارض أثقل من القمر ٨٢ مرة ،

نذكر هذا كله لتنسب الوليد الى أمه ، لتتكون في ذهن القارئ صورة قريبة من حال مما هما عليه اليوم في السماء ، وهو حال لا شك تغير كثيرا عن حال كان لهما في سالف الايام : الايام البعيدة التي نحصيها بالاف آلاف السنين ،

وأول شيء يهمنا فيما نهدف من ايضاح وحدة الكون ، مابين الارض والقمر من تشابه في التركيب ، ان القمر اقتطع من الارض ، وعلى هذا الفرض وجب أن يكون تركيبه كتركيب الارض ، ويقول العلماء انه اقتطع من سطح الارض والارض على وشك انجماد ، ولا تزال في سطح الارض حفرة هائلة تشهد على هذا الاقتطاع ، فذلك هو الحوض الذى فيه الماء الغمر ، الذى يعرف بالمحيط الهادى ،

وانجمد القمر من بعد ذلك ، فوجب أن يشبه الارض من بعد انجمادها ، وننظر الى القمر بالمناظير الحديثة ، ونأخذ بها له صورا ، وننتهى بأن نقول : ما أشبه الوليد بأمه ، وهو ان اختلف عنها ، فلاسباب نعلمها كان هذا الاختلاف ، ،

لفت الابصار والبصائر

ومع هذه العناية البادية التى رأيناها من القرآن المجيد بشأن القمر، ولفت الابصار والبصائر الى مكانته ومنفعته ومنزلته ، نجد القرآن يحدثنا بأن هناك ما هو اكبر من القمر ومن الشمس ، ومن غيرهما ، وأن هناك ما هو أقوى من الكائنات جميعا،ذلكم الله جل جلاله ، القاهر فوق عباده وكائناته ، الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير ،

ان القمر الذى يجرى بحسبان ، المنتظم في مسيرته الى ما شاء الله ، سيناله التغير والتبدل عند موعد يعلمه الله ، ولذلك يقول القرآن في سورة القيامة : « فاذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر، يقول الانسان يومئذ : اين المفر » ؟ ،

ان هذه الايات الكريمة تتحدث عن حالة الدنيا عند خرابها ، قبل بداية العالم الاخر ، فتذكر أن البصر حينئذ يزيغ ويتحير ، ويذهب ضوء القمر ويظلم حينما يتأذن الله بدمار هذا العالم، وتغيير نظامه ، ونسخ أحكامه وهناك لا تصير الارض أرضا ، ولا السماء سماء ، فتخرج الشمس عن

افلاكها ، وينتثر القمر ، وتضطرب الجاذبية القائمة الان بين الشمس والقمر فاذا هما يتهاويان فيلتقيان ويجتمعان ، وهذا تصوير لنهاية الدمار والاضطراب ، ولذلك يفزع الانسان غاية الفزع قائلا : اين المفر؟.

ان القمر عظيم كبير بالنسبة الى مخلوقات اخرى كثيرة ، ولكنه امام عظمة الله صغير ضئيل .

ولهذا نبه القرآن الكريم الى ان القمر مع الشمس ، مع كل من في السموات والارض ، يخضع لعظمة الله جل جلاله ويخشع لعظمته وجبروته ، ولذلك يقول القرآن في سورة الحج : « الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ، ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء » .

« ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ، ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء »

واكد القرآن المجيد معنى خضوع الكائنات لجلاله وعظمته ، ومعنى سيطرته على ما في السماء والارض ، ومن بين ذلك القمر ، فقال في سورة فصلت : « ومن اياته الليل والنهار ، والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون » .

في ملكوت السموات والارض

واخيرا نجد القرآن يتخذ من نظام النجوم وفى طليعتها الشمس والقمر وسيلة للنظر في ملكوت السموات والارض ، وللتدبر في ايات الله ودلائل عظمته ، وللاهتداء الى استحقاقه الربوبية دون سواه ، لان الذى خلق كل هذه الاجرام العظيمة ، وقدر لها منازلها ، واجراها في مسالكها ، وهيمن على امرها ، وقدر على التصرف فيها ، هو الله الذى لا اله الا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الارض .

يقول الله تعالى في سورة الانعام : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ، وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل راى كوكبا ، قال هذا ربى ، فلما افل قال لا احب الافلين ، فلما راى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما افل قال : لئن لم يهدني ربى لاكونن من القوم الضالين ، فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين »



أحمد الشرقي

الحسن بن

رائد الفضاء العربي

ان كل الاكتشافات التي حققها ابن الهيثم ، في عصر لم يعرف الطيران ولا الصواريخ قد أكدها الغربيون في القرنين التاسع عشر والعشرين •

وقد شرح ابن الهيثم ظواهر طبيعية كثيرة تحدث عند انكسار الضوء في الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الارضية ، واول ما اورده في كتابه « المناظر » ــ مما يتعلق بهذا الموضوع ــ طريقة الاستدلال بالتجربة على أن الضوء الوارد من الاجرام السماوية يحدث له انكسار عند نفوذه في الطبقة الهوائية المحيطة بالارض •

والغرض الذى يرمى اليه ابن الهيثم من وراء الاعتبار التحقق من حدوث هذا الانكسار ، والتحقق من الاتجاه الذى ينكسر فيه الضوء ، هل هو الى جهة العمود او الى الجهة المعاكسة للعمود ؟ فاذا ثبت با لتجربة ان الانكسار هو الى جهة العمود ، استدل من ذلك على ان الضوء الوارد من الاجرام السماوية يرد من وسط الطف ، وينكسر فى وسط اغلظ . فيكون ما يسميه هو « جسم السماء » اشد لطافة واكثر شفيفا من جسم « الهواء » .

وبعد ان فرغ من هذا البحث استعان با لتجربة فى بيان ما يترتب على حدوث هذا الانكسار من الحوادث التى لها علاقة بالرصد كاختلاف اوضاع الكواكب وكبرها وابعادها بين بعضها والاخر .

الهيثم

● هل يصلنا الضوء من الكواكب والنجوم على خط مستقيم ؟

كيف اكتشف ابن الهيثم ان الارض محاطة بطبقة من الهواء ، والهواء محاط بجو الطف منه ؟

قد اكتشف ابن الهيثم ان جسم السماء اشد لطافة وشفيفا من جسم الهواء بتجربتين .

التجربة الاولى بـ « ذات الحلق »

« وذات الحلق » الة فلكية قديمة يطول شرحها ، وتستعمل لبيان كيفية تعيين موضع القمر با لنسبة إلى دائرة البروج ، وهى تتركب من حلقات مستديرة بعضها داخل بعض ، قابلة للدوران حول محاور مثبتة بطريقة خاصة وتؤدى كل حلقة منها غرضا خاصا .

وقد شاع استعمالها عند العرب وعند اوربا من بعدهم وتعرف عندهم باسم « الارملاء »

وقد ورد تفصيل استعمال « ذات الحلق » لتعيين موضع القمر من الشمس فى المجسطى نقلا عن تحرير الطوسى اذ قال بلفظه :

« فاذا نصبنا حلقة نصف النهار نصبا ثابتا فى سطح دائرة نصف النهار قاطعا سطحها الافق على قوائم مرتفعة احد قطبى معدل النهار منها عن موازاة سطح الافق بقدر عرض البقعة ، بأن مدار الحلقة داخلها حول قطبى معدل النهار شبيها بحركة

● هل الأرض محاطة بطبقة من الهواء لانهائية البعد ومتجانسة الكثافة؟

[illegible] ، ففي تهيئة كون الشمس والقمر معا ظاهرين ، جعلنا العرضية الخارجية قاطعة لفلك البروج على الجزء الذى فيه الشمس في ذلك الوقت ، وادرنا المارة الى ان يصير ذلك التقاطع محاذيا للشمس فتستظل الحلقتان بنفسهما ٠ ٠

وان كان القياس من كوكب غير الشمس فالي ان يرى الكوكب في موضعه من حلقة البروج لاصقا ببسيطها معا ، وحينئذ تصير حلقة البروج في سطح دائرة البروج وعلى وضعه ،

ثم كنا ندير العرضية الداخلة نحو القمر او غيره مما نريد قياسه وندير داخلتها الصغيرة نحو القطبين الى ان يرى القمر بالثقبين معا فيكون موضع تقاطع هذه العرضية وحلقة البروج من حلقة البروج موضع القمر في الطول ، وما بين وسط الثقبة وحلقة البروج من اجزاء العرضية الداخلة عرض القمر » ٠٠٠

واعتبار ابن الهيثم يتلخص في – تخير نجم من النجوم الثوابت التي تمر بسمت الراس او قريبا جدا منه ، وقياس هذه الزاوية والنجم اولا عند الافق او قريبا جدا منه ثم قياسها ثانيا والنجم عند سمت الراس او قريبا جدا منه ، ولاهمية هذا الاعتبار نورد فيمايلي ما جاء في وصفه وبلفظه :

فليعتمد (اى المعتبر) الالة التي تسمى « ذات الحلق » وينصبها في موضع مرتفع من الارض ، بحيث يظهر منه افق المشرق وينصبه « ذات الحلق » التى تخصها ، وهى ان تجعل الحلقة التي فيها والتى تقوم مقام دائرة نصف النهار في سطح دائرة نصف النهار ، ويكون القطب الذى فيها مرتفعا عن سطح الارض بقدر ارتفاع قطب العالم عن افق الموضع الذى تنصب فيه ٠

فاذا كان في الليل اعتمد كوكبا من الكواكب الثابتة الكبار التى تمر بسمت الراس في ذلك الموضع او قريبا جدا من سمت الراس ٠ ويراعيه في وقت طلوعه من افق المشرق ٠ فاذا طلع الكوكب فليدر الحلقة من « ذات الحلق » التى تدور حول قطب معدل النهارالى ان توازى الكوكب ٠٠ ويحقق موضع الكوكب من الحلقة ، فيحصل له بذلك بعد الكوكب عن قطب العالم ثم يراعى الكوكب الى ان يصير الى دائرة نصف النهار ، ويحرك الحلقة التى كان حركها حتى توازى الكوكب فيحصل له بذلك بعد الكوكب عن قطب العالم عند كونه على سمت الراس او قريبا جدا من سمت الراس٠

فاذا فعل المعتبر ذلك فانه يجد بعد الكوكب عن قطب العالم في وقت طلوعه اقل من بعده عن قطب العالم (عند) كونه على سمت الراس » ٠

والنتيجة التى يستنبطها ابن الهيثم من هذه التجربة هى بلفظه٠

« ان ادراك البصر الكواكب

انما هو بالانعطاف لا على استقامة ويبين السبب فيقول :

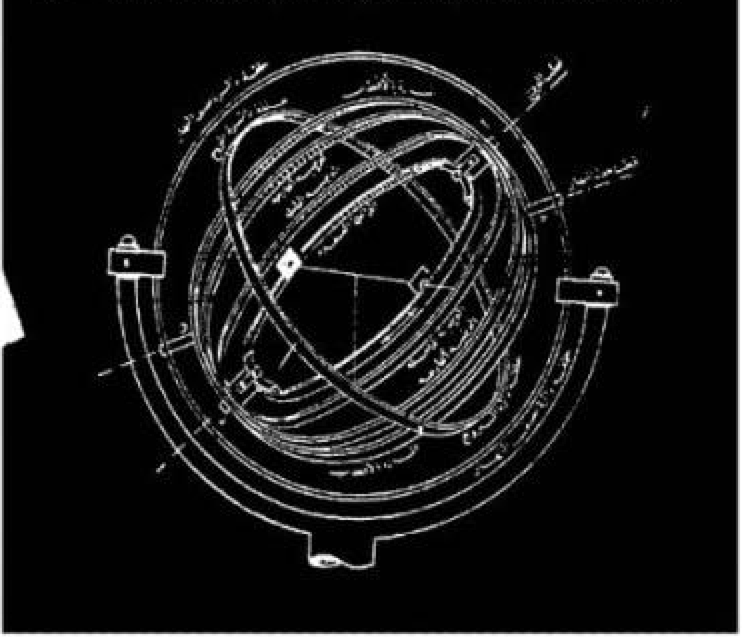
وذلك ان الكوكب الثابت يتحرك ابدا على دائرة واحدة من الدوائر الموازية لمعدل النهار وليس يخرج عنها . ولا يظهر خروجه عنهـا الا في الزمان الطويل ، فلو كان البصر يدرك الكواكب على استقامة لكانت خطوط الشعاع تمتد من البصر الى الكواكب على استقامة وكانت صورة الكواكب تمتد على خطوط الشعاع على اسـتقامة الى ان تصل الى البصر ..

ولو كانت الصـورة تمتد من الكواكب الى البصر على استقامة لكان البصر يدرك الكوكب في موضعه فلو كان يدرك الكوكب في موضعه لكان يجد بعد الكون الثـابت عن قطب العالم ابدا في الليلة الواحدة بعداً واحدا لا يتغير ...

فمن اختلاف بعد الكوكب الواحد في الليلة الواحدة عن قطب العـالم في رأي العين ، يظهر ظهورا بينـا تسقط الشبهات ، ان ادراك البصر للكواكب انما هو بالانعطاف » .

ويعود ابن الهيثم مرة اخرى الى تجربته هذه ليبين بها ان الانعطاف في الهواء هو من قبيل الانعطاف من الالطف الى الاغلظ والفكرة الاساسية بسيطة وسهلة الادراك . فاذا كان الكوكب يمر بسمت الرأس فضـوءه وهو عند السمت يرد الى الرصـد

« ذات الحلق » آلة فلكية تستعمل لبيان كيفية تعيين موضع القمر بالنسبة للشمس





من غير انعطاف ، فيرصد الكوكب في موضعه فاذا دل الرصد على ان بعده عن القطب وهو عند السمت أعظم من بعده عن القطب وهو بالقرب من الافق ، فذلك يدل على انه وهو عند الافق ينعطف ضوءه في مستوى المستقيمين والواصل من موضع الرصد الى الكوكب والواصل من موضع الرصد الى السمت انعطافا الى جهة العمود .

ويتوسع ابن الهيثم في تفصيل هذا بكل الوضوح والدقة في مخطط مقالته السابعة من كتاب المناظر ونلخصه فيما يلي :

اذا فرضنا ان النقطة هـ في الشكل عدد ٢ مركز الارض وقطرها د د ١ هي محور دوران الارض يشير نحو النجم وتخيلنا الكرة التي مركزها مركز الارض وقطرها د هـ د ١ وحسب الاصطلاحات الفلكية القديمة تكون هذه الكرة فلك الكواكب الثابتة او كرة السماء ، وتكون النقطة (هـ) ما كان يسمى مركز العالم ولما كان محور دوران الارض يشير نحو النجم القطبي ، فليكن هذا النجم على امتداد هـ د وتكون النقطة (د) موضع النجم القطبي من كرة السماء ، وتمثل في الشكل ما كان يسمى قطب العالم . والنجوم الثوابت تعد كأنها ثابتة في كرة السماء ، وتعد كرة السماء كأنها تدور حول القطر د د هـ د ١ دورة كاملة في اليوم الواحد .

فاذا فرضنا النقطة (ر) المكان من الارض الذي يرصد فيه الكوكب . فان هذه النقطة تمثل ما يعبر عنه ابن الهيثم بمركز البصر والمستوى المار بمحور دوران الارض والنقطة (ر) هو ما نسميه الآن مستوى الزوال

وهذا المستوى يقطع كرة السماء على محيط دائرة تسمى دائرة نصف النهار كما يقطع كرة الارض على دائرة يكون خط الطول للمكان المعين

على سطح الارض نصف محيطها . والمستقيم (هـ ر) يمتد الى سمت الراس فيقطع كرة السماء في النقطة (ب) .

وبما ان الضوء الممتد على سمت العمود لا ينكسر ، تبين ان الكوكب اذا كان عند السمت وصل ضوءه الى (ر) من غير انكسار فيدركه البصر على امتداد (هـ ر) وفي موقعه الحقيقي من كرة السماء وبذلك تكون النقطة (ب) الموقع الحقيقي للكوكب .

فاذا تخيلنا دوران الشكل دورة كاملة حول (د هـ د ١) فان النقطة (ب) ترسم محيط دائرة (و ب ك) في كرة السماء ، وهذه الدائرة هي المسار الحقيقي للكوكب الذي يدور فيه دورته اليومية حول القطب . ويقاس بعد الكوكب عن القطب بالزاوية (ب هـ د) وتسمى بالبعد الزاوي .

والمستوى الذي يلمس كرة الارض في النقطة (ر) هو افق المكان ويقطع محيط الدائرة (و ب ك) في نقطتين ك و ، حيث ك موقع الكوكب عند الشروق و (و) عند الافول .

واعتبار ابن الهيثم يدل على ان بعد الكوكب عن القطب والكوكب عند الافق او قريبا منه ، اصغر من بعده وهو عند السمت فالكوكب لا يدرك فى موقعه الحقيقى (ك) بل يدرك فى موقع اخر «ح» اقرب الى القطب (د) وذلك لانه لما كان الموقع الحقيقى للكوكب هو النقطة (ك) والضوء الوارد من (ك) الى (د) اذا انكسر ينكسر فى مستوى (ب هـ ك) وهذا المستوى يقطع كرة السماء فى (ب ح ك) كما فى الشكل واذا كان مسير الضوء فى السماء على سمت (ك م) وانكساره فى كرة الهواء نحو العمود على سمت (م د) فان امتداد المستقيم (د م) يقطع كرة السماء فى نقطة من قوس (ب ح ك) فى النقطة ح وبذلك لا يدرك الكوكب فى موقعه الحقيقى (ك) وانما فى النقطة (ح) ويكون بعده الزاوى فى (ح) أصغر من بعده الزاوى فى (ك) .

واما اذا كان انكسار الضوء الى عكس جهة العمود كان البعد الزاوى اكبر فى موقعه الخيالى من موقعه الحقيقى فاذا ثبتت الحالة الاولى بالاعتبار يتبين ان انكسار الضوء من السماء فى الهواء هو من قبيل الانكسار من وسط الطف الى وسط اغلظ .

تلك هى الفكرة التى تتضمنها اقوال ابن الهيثم فى هذا الشان وهو يختم اقواله هذه بقوله :

« فقد تبين ان ما يوجد بالاعتبار من رؤية الكواكب يدل دليلا برهانيا على ان ادراك البصر للكواكب انما هو بالانعطاف وان جسم الهواء اغلظ من جسم السماء ، وان جسم السماء اصفى واشد شفيفا من جسم الهواء وذلك ما اردنا ان نبين » .

التجربة الثانية : بآلة تسمى « بذات الشعبتين » .

يستدل بالقمر على الانكسار فى الطبقة الهوائية ، والحديث عن هذه التجربة يطول ، وسنقتصر على وصف ابن الهيثم لهذه التجربة فيقول بلفظه :

« انه اذا قوم القمر وحقق موضعه فى ساعة قريبة من وقت طلوعه ومن بعد طلوعه ، فى ليلة معلومة فى موضع معلوم ، وحصل من (ذلك) موضعه عن قطب العالم ، ثم نصبت آلة الساعات فى تلك الليلة من قبل طلوع القمر ، وعلقت آلة يعرف بها الارتفاع ، وروعى القمر الى ان يطلع وينتهى الزمان الى الدقيقة بعينها من الساعة بعينها التى (قوم) لها القمر وحرر ارتفاع القمر فى ذلك الوقت وحصل بعده عن سمت الراس ، واعتمد ان تكون الآلة التى يوجد بها الارتفاع مقسومة بدقائق ويأدق ما يكون من الاجزاء فانه يوجد بعد القمر عن سمت الراس فى ذلك الوقت بالآلة ، اقل من المقدار الذى حصل من بعده عن سمت الراس فى ذلك الوقت بالحساب » .

راى ابن الهيثم فى نقصان كثافة الهواء بالارتفاع

قد اعتبر ابن الهيثم فى تجاربه السابقة ان كرة الهواء يحدها سطح كروى يفصل بينها وبين السماء ويحدث عندها الانكسار .

ويمتد الضوء بعد حدوث الانكسار فى الطبقة الهوائية على استقامة حتى يصل البصر ، لكنه فى بحوثه الاخرى ينفى بصريح العبارة وجود مثل هذا السطح الفاصل ويذكر ان الهواء يتدرج فى اللطافة كلما اقترب من السماء اى كلما ازداد الارتفاع وهو يقول بلفظه :

• وليس في الوجود جسم مشف الطف من الهواء من ورائه مبصرات يدركهـا البصر غير جسم السماء وجسم النار وليس (اى جسم النار) ينفصل عن جسم الهواء بسـطح يفصل احدهما عن الاخر · وانمـا الهواء كلما قرب من السماء لطف الى أن يصير نارا ، فلطافته انمـا هي على تدريج من غلظ الى لطافة لا من فصل محدود » ·

وقد ورد في قول ابن الهيثـم جسم النار وذهب في هـذا مذهب كثير من القائلين بالعنـاصر الاربعة ممن تقدمه وممن عاصره وظل شائعا مدى ستة قرون أو اكثر من بعده ·

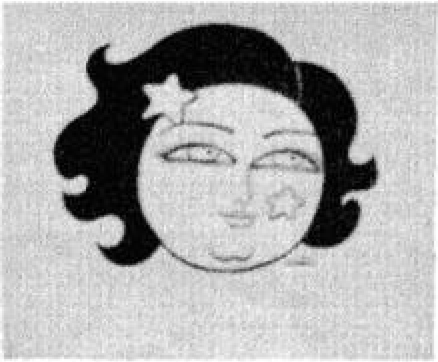
والمهم في كـلامه هو ان الهـواء تتناقص كثافته بالارتفـاع ، هـذا الكـلام الذى نجده اليوم في كتب الفيزياء في كل معاهد العالم بدون اشارةالى هذا العبقرى الذى انبتته الارض العربية وقدم للحضـارة الانسانية كنزا لا ينكره الا العـاقون او الجاحدون او العنصريون ·

وان الارض التي انبتت ابن الهيثم وغيره من أعلام الحضـارة والذين يجب ان نعرف شبابنا بهم وببحوثهم تستطيع ان تنبت في عصرنا هذا « هيثميين » اخرين من ابنائها يعيدوا مجد امتهـم وكرامة بلادهم اذا التزم الجميع بشـعار ابن الهيثم المسجل في مقالة من كتـابه بخط يده :

رب ميت قد صـار بالعلم حيـا
ومبقى قد مات جهلا وغيـا
فاقتنوا العـلم كي تنالوا خلودا
لاتعدوا البقاء في الجهل شيـا

● العام – تونس ●

● احمد الشرف ●



صالح جودت

«كانت مع الشاعر سمراؤه يوم انطلاق القمر الروسي الاول ، فراح يرقبه في السماء فغارت السمراء من القمر الاحمر» ..

القمر الأسمر

راتنى اطل لأفق السمـــاء   وارنو الى القمــر الاحمر . . .
فقالت : اينسيك هـذا الجديد   جنونك بالقمر الاســمر ؟
فقلت :معاذ الهوى أن تغارى   معاذ الســنا الشرق النير !
وماقده فى حســاب الجمــال   بالطف من قدك الســمهرى
وما وهجـة وشــعاعاته   باخطــف من طرفك الاحور
وما ناره وصـــواريخه   باحرق من صــدرك المثمر !

• • •

تغــارين منه ، ولو غار منـك   لكان من الأخلق الاجـدر
ينابيعه زمهرير الشـــمال   وانت مـن الخلد والكــوثر

• • •

تغـــارين من قمر طائر   يبيع الحيــاة ولا يشــترى
وانت التى تهبين الحيـــاة   وتمشـــين كالأمـل المزهر

• • •

وكيف تغــارين من كوكب   يراه ذوو العلم بالمجهــر
وانت التى تملئين الوجـــود   باضواء هـذا الجمال الثرى

• • •

تغـــارين مـن قمـر الاثمى   ومن نوره الآفـل المـدبر
وانت التى يتحـــدى الاله   بك التجبر والعبقـــرى
اعيذك يا فتنتى ان تغـــارى   فتوبى الى الله واســتغفرى

د. محمد جمال الدين الفندى

القمر والأرض والمستقبل

عاش الانسان منذ وجد على الارض ، حبيس هـذا الكوكب ، تقيده اغلال جاذبيته ، ويحول بينه وبين سائر اجرام السماء ذلك الفضاء الفسيح المترامى الاطراف ، الذى يهدد بالموت كل من يقترب منه او يلج فيه ... وظل الامر على هذا الحال حتى ١٢ من ابريل سنة ١٩٦١ عندما اقتحم رائد الفضاء الاول « يورى جاجارين » الفراغ المحيط بالارض .

وعندما حطم الانسان بعلمه قيود الجاذبية ، وتغلب على الفضاء واهواله ... وصل الى القمر اقرب اجرام السماء الينا ، وها هو ذا بعد ذلك يرسم خطط الوصول الى المريخ والزهرة ..

من الطبيعى أن يعقب النزول على القمر اقــــامة قواعد قمرية ومســتعمرات ثابتة ، وقد تنشـــأ بعد ذلك المصــــانع والمصحات ٠٠٠ ومن مثل تلك القواعد سوف يقلع الانســـان الى الكواكب السيارة ، بل وربما وصـــــل الى مجموعات الشمس الاخرى ، مثـــل مجموعة « قنطور س » التى هى أقرب مجموعات الشمس الينا » وهى لا تبعد عنا الا بنحو ٤½ من السنين الضوئية ـ علما بأن السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضــوء فى سنة كاملة بسرعته البالغة ٣٠٠ الف كيلو متر فى الثانية ٠

ولقــــد ظهرت عدة طرق تعـالج موضوع الملاحة الى القمر ، وأهم هذه الطرق التى وافق عليها الخبراء هى :

١ ـ طريقة الانطلاق من مدار من حول القمر ٠٠

٢ ـ طريقة الطيران المباشر الى القمر ٠٠

٣ ـ طريقة الانطلاق من مدار من حول الارض ، (وسوف نعـــود الى شرحها مع شىء من التفصيل) ٠

وكما هو متوقع ، يعتمد الانسان فى نجاحه فى كافة هذه العمليات على مقدرته الفـــائقة فى أى ظرف على تكييف البيئة التى يريد أن يعيش فيها، ويجعلها ملائمة له من كافة الوجوه ، مثل الضغط الجوى ، ودرجة الحرارة، وكثافة الاشعاع الشمسى ٠

ويستخدم رواد الفضاء على القمر حلل الضـــغط المحكمة التى تتصـــل بالمركبة القمرية بموصلات تشبه حبل السرة ، كما يحملون معهم خزانات الاوكسيجين اللازم للتنفس ، ومعدات التحكم فى درجات الحرارة ، وغيرها من مستلزمات الحياة الاخرى ٠٠

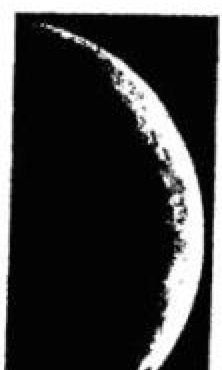
ولاول مرة فى تاريخ عصر الفضاء استخدمت الطاقة النووية كمصــــدر للطاقة اللازمة لتشغيل بعض اجهزة سفن الفضاء ومحطات الرصـــد التى انزلت على سطح القمر من اجل رصد الزلازل هنـــــاك ، ولتوليد الطاقة الحرارية اللازمة للتدفئـــة والتكييف خلال ليالى القمر الطويلة ٠

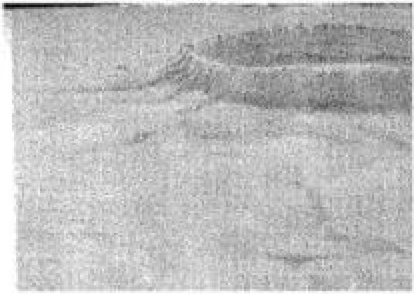
وخوفا من عدوى كائنات الفضـــاء الدقيقة التى لا علم لنا بها ، وحرصا على سلامة الناس ، يتم نقـــل ... العينـــات التى يجلبها الرواد معهم بطائرات خاصـــة الى معمل البحوث القمرية فى « هيوستون » ليجـــرى المختصون عليهـــا بحوثهم ودراساتهم قبل أن توزع على العلماء الاخرين ٠

ثلاث مراحل فى الخطة الروسية

هناك ، رغم الرقابة العسكرية فى كل قطر ، مبـــدأ اتفقت عليه الدول الكبرى ، فحواه حفظ سجل أسماء الفضاء كاملا بمكتب التسجيل بالأمم المتحدة ، ولكن من المفهوم انه يوجد ارتباط بين تجـــارب الفضـــاء (أو الصواريخ) والاستعدادات العسكرية المعتمدة على القـــذائف ذات المدى البعيد ٠

وقد انبثقت تجارب الفضـــاء أول الامر فى أعقاب الحرب العالميةالثانية بسبب الحاجة الماسة الى اعداد رءوس





فوهات سطح القمر تشبه فوهات براكين الارض . . .

نووية تطلق على اهداف بعيدة ، ثم الحاجة الماسة الى دراسة عناصر الجو العلوى والفضاء المحيط بالارض خلال السنة العالمية الاولى لطبيعيات الارض (١٩٥٧) .

ولقد سارت خطة الروس فى مراحل ثلاث هى :

المرحلة الاولى : مرحلة الاقمار الصناعية او توابع الارض ، وقد تضمنت هذه المرحلة اضافة مجموعة صناعية من الاقمار التى تدور حول الارض على غرار القمر الطبيعى لجمع المعلومات اللازمة الخاصة بغلاف الارض الجوى والفضاء الخارجى ، مثل تجمعات السحب واحزمة الاشعة الكونية التى تضرب نطاقا حول الارض .. وكان اول قمر صناعى دار حول الارض هو « سبوتنيك ـ ١ » الذى اطلقه الروس فى ٤ اكتوبر ١٩٥٧ وظل فى مداره ٥٧ يوما .

المرحلة الثانية : مرحلة القمر الطبيعى والقمر كما هو معروف هو باب السماء لاهل الارض ، لانه يمثل محطة الفضاء الكونية التى هيأتها الطبيعة من تلقاء نفسها وجعلت لها ارضا صلبة لتكون بمثابة الباب الذى يخرج منه الانسان الى ما شاء الله من ارجاء الكون الفسيح ويطور المجموعة الشمسية .

ومن اوائل اسفار هذه المرحلة اطلاق سفن الفضاء « لونيك ـ ١ » و « لونيك ـ ٢ » و « لونيك ـ ٣ » .

ومشروع لونيك ـ اى القمرى ـ انما يهدف الى خلق اقمار صناعية تدور حول القمر وتظل على اتصال دائم مع الارض ، ثم يلى ذلك انزال بعض اجهزة الرصد والات التتبع والتسجيل انزالا هينا لينا على سطح القمر ، وتقوم تلك الاجهزة بارسال ما ترصده او تسجله من عناصر البيئة المحلية هناك ، مثل درجات الحرارة ، وكثافة الاشعاع ، وهزات القشرة ورخات الشهب الخ .

ويقوم البرنامج السوفييتى على اساس انه بعد جمع تلك المعلومات والتثبت منها وتحليلها عمليا تجىء مرحلة طيران الانسان الى القمر ، ليدور من حوله ، ثم ليهبط على سطحه .. وتفسر لنا هذه الحقيقة ذلك التضارب الذى قرأناه او سمعناه عن مهمة لونا (١٥) ، فهى ولا شك تدخل ضمن برامج « لونيك » التى تهدف الى خلق جيل من الاقمار الصناعية تدور حول قمر الارض الطبيعى لجمع المعلومات اللازمة عنه وعن سطحه وبيئته .

المرحلة الثالثة : السفر الى الكواكب ، وتطوير المجموعة الشمسية .

يقول الفلكى البريطانى المشهور السير « برنارد لوفيل » فى مقال له نشرته مجلة (نيوز اند وورلد ريبورت عام ١٩٦٣) : « ان الروس انما يركزون على هدفين فى برامج غزو الفضاء :

الهدف الاول هو انزال أجهزة وآلات للرصد انزالا لينا على سطح القمر من أجل جمع المعلومات المطلوبة ، وثانيا دراسة بعض الكواكب الاخرى بنفس الطريقة هذه » .

وعلى ذلك فان البرنامج الروسي لارتياد الفضاء يتركز في تشييد محطة ضخمة تحمل آلات الرصد من الفضاء .

« ابوللو » من الارض الى القمر

هذا البرنامج كان برنامج أمريكا الثالث لانزال الانسان على سطح القمر واعادته سالما الى الارض ، وتتكون السفينة من ثلاثة عناصر رئيسية هي :

أ ـ عنصر القيادة الذى يطلق ليصل الى القمر ويدور في مدار من حوله ثم يعود الى الارض حاملا رواد الفضاء الثلاثة بالاضافة الى أجهزة التوجيه والاتصال ، ومقومات الحياة ..

ب ـ عنصر الخدمات وهو مجهز بمعدات وآلات لاجراء المناورات وعمليات الانفصال والاتصال والخروج من المدار القمرى عند بدء العودة الى الارض .

ج ـ عنصر نقل رجال الفضاء من المدار القمرى الى سطح القمر ، ثم العودة بهم من جديد الى المدار القمرى من أجل اللحاق بالسفينة الام ويسمى هذا العنصر أيضا باسم المركبة القمرية . وتميزها مثلا قوائم تشبه سيقان العنكبوت تساعد على الهبوط اللين فوق القمر .

حجر سماوى أو نيزك ، يصيب القمر بقوة لعدم وجود غلاف هوائى . . .



ومركبة الاطلاق هي من طراز الصاروخ « ساتيرن ـ ٥ » التي يقارب ارتفاعها عندما تنتصب واقفة ارتفاع ٢٨ طابقا ، بينما يعادل ارتفاع السفينة ٨ طوابق ، وتعمل المرحلة الاولى على ارسال السفينة الى مسارها المرسوم من حول الارض . وبعد ذلك تشتعل المرحلة الثانية لاكتساب المجموعة سرعة تكفي للهروب بالمجموعة من مدار الارض اي الى نحو ٢٥ الف ميل في الساعة لكي تنطلق في مسارها المرسوم من الارض الى القمر .

والغالب انه في تلك المرحلة يتولى رواد الفضاء بمعرفتهم عمليات التحكم في سفينة الفضاء المكونة من العناصر الثلاثة السابقة . وعادة تبدأ تصويبات منتصف الطريق بعد مضي ٤٥ دقيقة على انتقال سفينة الفضاء من مدارها الارضي باستخدام اجهزة عنصر الخدمات .

وبعد أن يستتب أمر السفينة في مدارها القمري المرسوم يستعد الملاحون للهبوط على القمر في البقعة المختارة ، وبعد ذلك يستقل رائدا الفضاء المكلفان بكشف معالم القمر الى العنصر الثالث ، بينما تظل السفينة (الام) منطلقة في مدارها القمري ومن داخلها الرائد الثالث . وتعمل الالات الخاصة بمرحلة الهبوط وكذلك الاجهزة اليدوية على ابطاء سرعة دوران العنصر الثالث أو مركبة القمر لتهبط الى علو نحو ٥٠ مترا من السطح . والمفروض انه اذا ما وقع خطأ ليس في الحسبان عاد الملاحان في الحال الى السفينة الام من غير أن يهبطا على القمر ، لان هذه المرحلة هي في واقع الامر ادق مراحل الرحلة واخطرها .

ملاحة الفضاء الى القمر

ان حدود النجاح في الوصول الى القمر وفي الدوران حوله هي حدود ضيقة تماما . فالسفينة يجب قبل كل شيء أن تنطلق من الارض بسرعة لا تقل عن ٦٫٩٢ من الميل في الثانية لكي تخرج من جاذبية الارض ، كما انها يجب كذلك أن تنطلق بسرعة اصغر من ٧٫٢٧ من الميل في الثانية حتى تقع في نطاق جذب القمر .. وحتى بين هذين الحدين من السرعة يجب أن تقترب السفينة من سطح القمر قربا يجعلها على بعد مناسب لا يزيد على نحو ٥٥٠٠ ميل .

ان الانطلاق من فوق سطح القمر الى الفضاء ليس بالامر الصعب كما هو الحال على الارض ، وذلك نظرا لانخفاض الجاذبية الى نحو سدس قيمتها على الارض ، بالاضافة الى انعدام الغلاف الهوائي الذي يقاوم الحركة . وتتضمن مناورات التشابك بين المركبة القمرية الصاعدة والسفينة الام التي تسبح حول القمر ، عمليات دقيقة يقوم فيها الرائدان بدور هام جدا ، يستغلان فيه خبرتهما وتجاربهما السابقة على الارض مما يسهل امر تلك المناورة الى حد كبير ..

وبعد أن يتم التشابك يزحف الملاحان من المركبة القمرية الى عنصر القيادة لينضما الى زميلهما الثالث في السفينة الام ، ثم يتم بعد ذلك فصل المركبة القمرية لتظل تدور من حول القمر الى ما شاء الله .

وفي تلك المرحلة من الرحلة يقوم الرواد بفحص عنصري القيادة والخدمات من جديد وذلك بمساعدة المختصين والات الحساب الضخمة في محطات التتبع الارضية . وتتم مراجعة جميع الحسابات ويشعل محرك السفينة « ابوللو » لتنطلق بسرعة الى امها الارض ، ثم تجرى تصحيحات في منتصف الطريق كالمعتاد حتى اذا ما اقتربت لحظة دخولها جو الارض ، حيث تبدأ المقاومة للحركة

وتوليد الحرارات العالية والاحتكاك يؤخذ فى الاعتبار أمران هامان هما :

(أ) ضبط انحراف المسار ٠

(ب) فصل عنصر الخدمات ٠

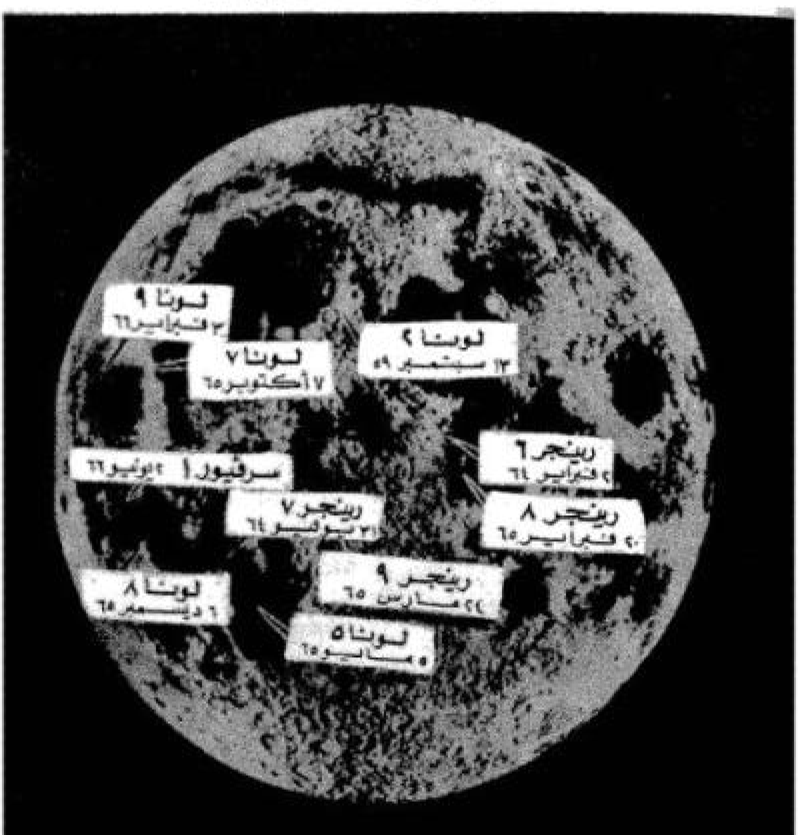
وتوجه السفينة فى حماية درع حرارى نظرا لزيادة السرعة ، حتى تصل الى علو ٥٠ ألف قدم مثلا ، وعندئذ تفتح المظلات موطئة لتهدئة السرعة واستقرار السفينة ثم تفتح مظلة الهبوط الرئيسية من أجل الهبوط اللين على الخيط بلب السفينة الذى بداخله رواد الفضاء ٠

أسماء جذابة لبحار القمر !

دلت ارصاد برامج « ابوللو » على أن القمر كوكب مثل الارض ٠ ويبلغ حجم القمر نحو جزء واحد من ستين جزءا من حجم الارض ٠

وتذهب احدى النظريات القديمة الى انه كان قطعة من الارض مكانها المحيط الهادى الحالى ٠ ولعل هذا هو السبب فيما يدعيه الصينيون من

مناطق هبوط سفن الفضاء المختلفة على القمر



ان اجدادهم نزحوا فى القدم من القمر ·· ومن القرائن التى تؤيد هذا الزعم ان قاع المحيط الهادى ليس تماما على غرار قاع المحيط الهندى او الاطلسى

من حيث تركيب الصخور التى طفت على سطح الارض عند بدء تكوينها ·· وتقدر كتلة القمر بنحو جزء من واحد وثمانين جزءا من كتلة الارض·

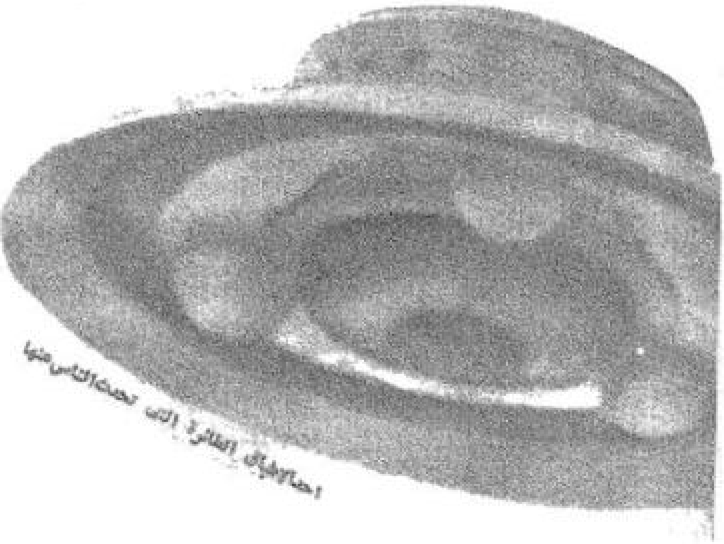
اما قوى الجاذبية على سطح القمر فهى تعادل نحو سدس قوى الجاذبية على الارض ، اى ان الرجـــل الذى

وزنه ٦٠ كيلو جراما يزن هنـــاك ١٠ كيلو جرامات مما يجعل القفز والنط والحركة على سطح القمر امرا سهلا ميســورا (اى يمكن للرجل ان يقفز هناك كما يقفز البرغوث على الارض)

ولهذا يرى الاطباء ان مرضى القلب والمتقاعدين والذين يحظر عليهم القيام بأى مجهود عضلى يستطيعون المحافظة على سلامة ابدانهم هناك رغم القيام بسبب توجب النشاط العضلى الذى تحتم عليهم فى الارض ·· زد على ذلك ان اليوم هناك يعادل نحو ثلاثين يوما من أيام الارض ، فمن يمضى هنـــاك ٣٦٥ يوما قمريا يكون نظيـــره على كوكبنا قد أمضى ثلاثين سنة ، وهكذا تختلف الاعمار وتتباين ·

فهل معنى ذلك أن المرضى يمكنهم أن يتخذوا من القمر خيـــر مكان لاطالة أعمـــارهم ثلاثين مرة ؟ الى جانب الشفاء من امراض القلب المعروفة على الارض ؟ ··

وليس للقمر هواء يذكر ، كما انه خلو من الماء الا ما بقى محتبسا بين الصخور او بين الشقوق ·· ولهذا فان القمر عالم ميت لا وظيفة له حتى الان الا ان يعكس ضوء الشمس ويرده الى أهل الارض ويعينهم على حســاب الشهور والسنين منذ رصد الانســان السماء فى العصـــور القديمة حتى الان ·



احد الاطباق الطائرة التى تحدث الناس عنها

وفي هذا المعنى يقول القرآن الكريم في سورة البقرة الآية (١٨٩) :

« يسـألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج .. »

وترتفع درجة حرارة سطح القمر المواجه للاشعاع الشمسي الى ما يقرب من نقطة غليان الماء ، كما تنخفض اثناء الليل الى ما دون الصفر المئوى بكثير ، وعندما تسلط على جباله ووديانه الكبرى مناظيرنا الكبيرة نستطيع أن نتتبع شروق الشمس على قمم جباله العالية التى تظهر وقد اشرقت بضوء الشمس واستقبلته قبل الاجزاء التى من حولها بزمن طويل وتبدو كأنما هي جزر صغيرة من الضوء يزداد اتساعها رويداً رويداً وسط محيط الظلام الدامس الذي يتصف به الفضاء الكوني كما نعلم .

ومرة اخرى نجد أن اهم ما يميز سطح القمر الجبال القمرية الى جانب الوديان الواسعة التى ظنها الناس عندما رصدوها اول مرة بحاراً تزخر بالماء على غرار بحار الارض، فراحوا يطلقون عليها اسماء جذابة مثل :

« بحر الرحيق ، بحر الصفاء ، بحر الهدوء ، وبحر الرغد ... » ومن اعلى جبال القمر قمة جبل نيوتن التى يصل ارتفاعها نحو ٩ كيلو مترات . وكانت تحسب مثل تلك الارتفاعات عن طريق قياس الظلال التى ترميها الجبال على سطح القمر . وهناك العديد من فوهات البراكين التى لا تشبه تماما براكين الارض .. ويعتقد بعض الفلكيين انها انما تكونت بفضل النيازك والشهب ، كما ينظر اليها فريق اخر ويعتبرون انها من نتائج نشاط بركاني متكرر .

وينظر الفلكيون اليوم الى القمر كمحطة فضاء مثالية بالنسبة الى اهل الارض ، منها يمكن جمع معلومات عديدة قيمة خاصة بالكون او الفضاء وسكان الكواكب باستخدام الفلك الراديوى الحديث ، وكذلك الاشعة الكونية ، كما يمكن السفر الى الكواكب بأقل التكاليف وأقل مقادير من الوقود . ولهذا فان النزول عليه خطوة لازمة من أجل تطوير المجموعة الشمسية بمعرفة الانسان . ولكن يسبق ذلك حتما انشاء مستعمرة القمر .

ومن القمر يستطيع الانسان أن ينطلق الى الفضاء الخارجي ليرى عجائب الكون .. وليس للقمر غلاف هوائى ، ولذلك لا توجد من حوله طبقة « الايونوسفير » والطبقة المتأينة التى يحول وجودها دون وصول اذاعات العوالم الاخرى الراديوية الى السطح . ويستطيع من على القمر أن يسترق السمع الى العوالم الاخرى .

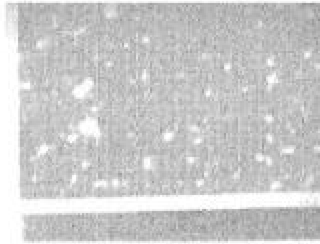
هل هناك من سبق بالنزول على القمر

هبط الامريكيون على القمر مراراً ضمن برامج « ابوللو » ولكننا لا نستطيع الجزم بشيء من حيث امكان وجود من سبق أن هبط هناك . وربما يكون أهل العوالم الاخرى قد فعلوا ذلك . ونحن نعرف أو نتوقع أننا لسنا وحدنا في هذا الوجود . وأن العقل البشرى ليس فريداً ولا وحيداً ..

وقد تحدث الناس عن الاطباق الطائرة وجواز كونها من صنع عالم اخر جاء يدرس ما يجرى على الارض من احداث .

والطبق الطائر كما تصوره فريق من العلماء عبارة عن سفينة فضاء انسيابية كالطبق يدور وسطها حول محور الطبق لكي يولد قوة طاردة الى الخارج تجعل من في الطبق يشعرون بما يعوضهم انعدام الجاذبية ، الا أن فوق وتحت تصبح الى الخارج والى الداخل بالنسبة للطبق .

وقد يكون أصحاب الاطباق الطائرة ممن تحولوا الى طاقات تجوب الفضاء بسرعات تفوق ما نعرفه عن سرعة



الضوء ، وهو قول نستبعده .

وقد طالعتنا بعض الصحف اثناء تنفيذ برامج « ابوللو » بأخبار رؤية ما يشبه آثار اقدام على سطح القمر ودخان يتصاعد من على سطحه ، وفسر بعضهم ذلك الدخان بانه ربما يكون عبارة عن غبار دقيق يتصاعد بسبب ارتطام النيازك او الشهب به .

ووجود عوالم اخرى غير عالم الارض ، وامكان اتصال تلك العوالم بعضها ببعض وردت الاشارة اليه فى القرآن الكريم فى العديد من الايات ، مثل قوله تعالى فى سورة الشورى « ومن اياته خلق السموات والارض ومابث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » . . .

تصميمات المستعمرات القمرية

هناك نظريتان أساسيتان عن طبيعة سطح القمر وما تحت سطحه ، هما النظرية البركانية ، ثم النظرية النيزكية . .

ويعتقد المؤمنون بالنظرية البركانية أن مرتفعات القمر وجباله انما تتميز بفوهات البراكين التى كونها النشاط البركاني المتكرر ، مما يجعلها معرضة للانهيار . اما السهول فقد تكون واهية كذلك بسبب نشوئها علىهيئة مستنقعات هائلة من الحمم ، الا انهـا اكثر تماثلا وتزداد صلابتها بازدياد العمق الى الداخل .

واصحاب النظرية النيزكية يعتبرون السهول ضعيفة ايضا ، بل وربما تكون اكثر ضعفا من المرتفعات ، وذلك نظرا لان هروب الغازات وافلاتها انما يتم بمعدلات اقل من هروبها من على المرتفعات ، مما يوفر وجود الفجوات الغازية . ومن ناحية أخرى ربما يكون ما تحت سطح تلك المرتفعات من صخور محطمة تغطيها الحجارة الصغيرة ومساحيق الرمال التى احرقتها اشعة الشمس عبر الاجيال الطويلة .

وهنا يمكن أن تقام القاعدة القمرية أو المستعمرة التى يعيش فيها أهل القمر بعد نزوحهم من الارض ، وبطبيعة الحالتختلف بقعة النزول فى انها يجب أن تكون الى جانب من صلابتها مسطحة خالية من العقبات التى قد ترتطم بها سفينة القمر عند تكرار الهبوط .

وتبعا للنظرية النيزكية فان الهزات فى القشرة التي تشبه هزات الزلازل الناجمة من ارتطام النيازك بسطح القمر انما تعمل دائبة على زحزحة الحصى ومساحيق الصخور من فوق المرتفعات لتجمعها على سطح منبسط نسبيا ، وتعمل ايضا الهزات البركانية نفس الشيء ، وعلى ذلك فانه بالنسبة الى سهول القمر تتكهن النظريتان معا بانها ذات سطوح ممهدة باستثناء الشقوق والكسور هنا وهناك الناجمة عن الانفجارات ، وهى فجوات قد يبلغ قطر الواحدة منها اكثر من متر، وتتفق النظريتان ايضا فى أن ترابا وفيرا يغطى سطح القمر .

وتتركز وظيفة برنامج « ابوللو » فى هذا الميدان وتقتصر على تحديد مقادير تلك المساحيق ، واماكن تجمعها واعماقها ، وانواعها . وكذلك امكان وجود مواد مشعة واتربة كونية ضارة . . صخور لها انشطة اشعاعية . .

ويعمل العلماء دائبين على استنباط وسائل يكيفون بها اية بيئة طبيعية على الارض او تحت الماء ، أو فى الفضاء او حتى على القمر . وفى

واقع الامر ارتقى الانسان الى منزلته الحالية العليا فى الترتيب بين سائر الكائنات عن طريق مقدرته على تغيير البيئة المحيطة به لكى تناسبه ، وليس عن طريق تطوره هو أو تكييف جسده ليلائم ما صادفه من بيئات · وهكذا عاش فترات طويلة فى أعالى الجو حيث لا يستطيع كائن حى آخر أن يعيش بسبب انعدام الاوكسيجين وازدياد الحرارة ، ووفرة الاشعاع الشمسى المحرق ، كما استطاع أن يعيش فى قاع المحيط حيث تسود ضغوط تربو على ٣٠٠ ألف رطل على البوصة المربعة ·

ومن الواضح أن الانسان يعمد فورا الى بناء حواجز بينه وبين مثل هذه البيئات ، ثم يعيش فى مكان مكيف بعده من وراء تلك الحواجز · وما الملابس والبيوت وأجهزة التكييف الا من أنواع وأصناف الطرق التى يسلكها الانسان من أجل حماية نفسه من تقلبات الجو وغوائل البيئة ·

ولهذا كله فليس عجيباً ولاغريبا أن نقرر أن قيام حياة بشرية على القمر ليست الا أمرا طبيعيا يستمد من مقدرة الانسان الخارقة على تكييف أو تطوير بيئته التى يعيش فيها · وسوف يكون ذلك متوفرا داخل المستعمرات القمرية ·

شىء من القفز فى التصور

يحتاج تصميم عمارة قمرية الى شىء من القفز فى التصور ، لأن كثيرا من الاشياء التى نألفها ونسلم بها كبديهيات هنا على سطح الارض ، لن تكون موجودة على القمر ··

فأولا وقبل كل شىء لايوجد على القمر هواء ولا ماء ·· رغم أن ممن رصدوا القمر فريقا يعتقد أن الماء يوجد على هيئة ثلج داخل الفجوات والشقوق التى يغطيها الظل على سطح أرض القمر · ومرة أخرى تعتبر كل من النظرية البركانية والنظرية النيزكية القنوات القمرية غنية بالماء وبعض العناصر الهامة · أما انعدام الهواء فهو أمر مقطوع به ·

وانعدام عوامل الهواء والماء على سطح القمر جعل سطحه غير معبد على خلاف الارض التى بسطها الخالق وجعل فيها سبلا عبدتها عوامل التعرية كالمياه الجارية والثلوج والرياح ونحوها ·

ومن نتائج عدم وجود الهواء انعدام الرياح وتقلبات الطقس والسحب والمطر · حتى أن مهندس القمر المعمارى يجد أمامه مشاكل عديدة فريدة يجب أن يحلها · وسوف نحتاج التصميمات المعروفة على الارض الى ادخال تعديلات شاملة لتوفير مأوى الانسان المناسب على القمر ·

وربما يكون الاساس الاول الذى تقوم عليه المبانى والمنشآت القمرية هو تلاحمها تماما مع بعضها البعض بحيث لا يتسرب الى خارجها أى شىء من الهواء المضغوط فى داخلها · وقد تتصل المبانى بواسطة سراديب مقسمة الى حجرات من أجل تقليل أخطار الانفجار أو الانبعاج الى الفضاء الخارجى ·

ونظرا لصغر الجاذبية سوف يكون توزيع الغازات والسوائل على المبانى أسهل بكثير بالنسبة الى ما يجرى على الارض · ومن الممكن أن تكون السلالم أعظم انحدارا لأن الفرد يمكنه هناك أن يرفع نفسه ببذل سدس المجهود الذى يقوم ببذله على الارض ·

وبينما لا يوجد ما يدعو الى اتخاذ الحيطة لحماية المبانى من الرياح والامطار ونحوها · نجد أن هناك عينات أخرى عديدة من الاخطار التى تهدد المستعمرات القمرية ، مثل الاشعة الكونية ، والشهب التى تفد من غير هوادة ليل نهار ·· وليس من السهل

اقامة حواجز ثقيلة لحماية الانسان من تلك الجسيمات وسيلها القاتل على القمر . ولذلك يقترح فريق من المهندسين توليد طاقة كهربائية عالية، لها شحنة موجبة قوية تعمل دائبة على رد الجسيمات الكونية وارسالها الى الفضاء أولا بأول كما تعمل « ماجنيتو » سفير الارض .

وبطبيعة الحال يؤدى عدم وجود غلاف هوائى الى وصول النيازك العظيمة على حالها الى سطح القمر لانه على الارض يعمل الغلاف الهوائى على مقاومة حركتها وتفتتها الى مساحيق دقيقة فى اغلب الحالات قبل ان تصل الى الارض ، كما حدث مرة عام ١٩٤٦ حين تلونت السماء لون أصفر شاهده أهل القاهرة بسبب تفتت نيزك جبار فى أعلى سمائها ..

وباستثناء مثل هذه الحالات يتساقط على سطح القمر ما يقرب من ١٤٠ طنا من تراب الشهب كل يوم من ايام الارض . لهذا سوف تكون الاسقف السماوية لمبانى القمر كروية الشكل بحيث تجعل النيازك والشهب المتساقطة تحيد بعيدا عن المبانى بكفاءة فائقة .

والمفروض أن يكون السطح الخارجى محدبا لامعا بحيث يعكس معظم ما يتساقط عليه من الاشعاع الشمسى الوفير ، بينما يكون الوجه المقابل (البعيد عن الشمس) أسود معتما لكى يمتص الاشعاع الوارد اليه .. كل ذلك لتنظيم درجة الحرارة فى الداخل . وكل هذا يذكرنا مرة أخرى بسماء الارض التى يعبر عنها الخالق بقوله تعالى فى (سورة الانبياء) الاية ٣٢ « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون ».

الطاقة والاحتفاظ بالحرارة

وهناك اعتبار هام فى القاعدة القمرية هو الحصول على الطاقة والاحتفاظ بالحرارة . وسيكون المد المستمر من الطاقة الكهربائية اساس لبقاء المستعمرة القمرية . فمن المعروف أن كافة أوجه النشاط تقريبا انما تحتاج الى الطاقة .

ويمكن توفير الطاقة بواسطة أعمدة كهربائية متجددة الشحن وذات كفاءة عالية وحجوم مناسبة . ويجدد شحن هذه البطاريات باستخدام الطاقة الشمسية . وأمام العلماء الان مشكلة ابتكار وتطوير طرق فعالة لاستغلال الطاقة الشمسية . والمنتظر أن تستخدم محولات « كهر حرارية » عالية الكفاءة تستمد طاقتها مباشرة من الشمس وتستمر فى العمل باستمرار سقوط الشمس عليها . ويمكن بناء أجهزة لتجميع الطاقة الشمسية داخل بؤرات . ومثل هذه الاجهزة سوف تنجح على القمر بسبب انعدام الرياح وعواصف الرمال والمطر ونحوها ...

كما فكر عباس بن فرناس

هناك عدة فوائد يمكن أن تجنيها البشرية من المستعمرة القمرية ، أولها نشوء فنون وتكنولوجيا جديدة مثل تكنولوجيا صناعة الفراغ . ومعنى ذلك انه لن يقتصر التعدين فى القمر على مجرد جعل القاعدة القمرية مكتفية ذاتيا ، بل ستعود بعض المناجم القمرية بالفائدة على أهل الارض .

وسوف تقوم صناعات محلية لامداد السائحين والراغبين فى الاستمتاع بأسفار الفضاء بما يلزمهم لسد حاجياتهم . ومن المرغبات الكبرى للسفر الى القمر سماء القمر المليئة بالنجوم التى ترى كل يوم ، الا أن أعظم المناظر اثرا وأروعها وقعا على المرء هو منظر الارض من على القمر .. ولسوف تمر الارض عبر أوجه معينة أثناء ظهورها معلقة فى الفضاء أمام منظر النجوم الخلفى ، وعندما تكتمل الارض أى تصبح بدرا يكون

قطرها أربعة أمثـــال قطر القمر البدر ! وتقدرا لما لها من مقدرة عالية على رد اشعة الشمس سوف يكون لمعان الارض ٨٠ مرة قدر لمعان القمر ·

وسوف تنشأ صناعة طيارات خاصة بسيطة على حساب الجاذبية الصغيرة على القمر · وربما استخدم الانسان اجنحة يطير بها داخل المســتعمرات القمرية كما سبق ان فكر عباس بن فرناس !

وقد يبدو هذا القول وهما أو خيالا، الا أن العلماء يفكرون فى مثل هــذه المسائل تفكيرا جديا · وهناك فريق من الاطبـــاء يعتقدون أن الجاذبية المنخفضة على القمر سوف تعين كثيرا على الشفاء من بعض الامراض والعلل · وسوف يتمكن المصـــابون بالتهاب المفاصل والشلل او ما شابه ذلك من الوان العجز من التحرك بسهولة الى حد كبير · وكما قلنا يســـتطيع المصابون بأمراض القلب ممارســـة النشاط العادى ·

وفى المستقبل سوف يتوصــــــل الانسان الى طرق ناجحة للنقل عبـر الفضاء ، بحيث لا تزيد تكاليف النقل من القمر على تكاليف السفر المألوفة على الارض · وبمرور الوقت ســوف تستعمل الصواريخ أكثر من مرة كما سوف يكون الوقود أكثر فاعليـــــة ونجاحا ولن يقتصر الامر على مجرد الوصول الى القمر بل ستتخذ القاعدة القمرية محطة فضاء كونية ·

ما اهمية القاعـــدة القمرية فى الحرب

يفكر الناس فى أهمية القاعـــدة القمرية من الوجهة الحربية تفكيـرا تغلب عليه العاطفة فى أغلب الاحايين ·· ولكن الرأى العلمى السليم يتلخص فى أنه الى حين الحصول على وقود



الغلاف المغناطيسي يحمي سطح الارض من الاشعة الكونيـــة

ناجح عظيم الفاعلية تتطلب القذيفة الموجهـــة من الارض الى القمر (أو العكس) نحو يومين للوصـــول الى الهدف ، مما يعطى أو يوفر الفسحة الكافية من الوقت لعمل هجوم مضاد · وهذا يقلل كثيرا جدا من قيمة القاعدة القمرية فى حالة الحرب ·

واذا كان الحربيون او العسكريون يتطلعون الى الاستخدامات الممكنـة للقاعدة القمرية فى شئون الحرب ، فاننا نأمل ان يكون العلمـاء هم الذين يوجهون دفة البحوث ويجعلون الفوائد العلمية هى الغرض الاســـاسى من المستعمرة القمرية والا فربما تعرضت لغزو من خارج مجموعاتنــا الشمسية اذا صـــارت قاعدة حربية ، والله اعلم ··

علي محمود طه

« الى ذات الغلالة الرقيقة
النائمة تحت نافذتها المفتوحة
في ليالي الصيف المقمرة »

القمر العاشق

اذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضنى
ورف عليك مثل الحلم أو اشراقة المعنى
وانت ، على فراش الطهر ، كالزنبقة الوسنى
فضمى جسمك العارى ، وصونى ذلك الحسنا

***

أغار عليك من سار كأن لضوئه لحنا
تدق له قلوب الحور أشواقا اذا غنى
رقيق اللمس ، عربيد ، بكل مليحة يعنى
جرىء ، ان دعاه الشوق ، أن يقتحم الحصنا

***

تحدر من وراء الغيم ، حين رآك ، واستأنى
ومس الارض في رفق يشق رياضها الغنا
عجبت له ، وما اعجب كيف استلم الركنا ؟
وكيف تسور الشوك ؟ وكيف تسلق الغصنا؟

***

على خديك خمر صبابة افرغها دنا ..
رحيق من جنى الفتنة لا ينضب أو يفنى
وفي نهديك طلسمان في حلهما افتتنا
الى كنزهما المعبود بات يعالج الردنا



اغار ، اغار ان قبــل هــذا الثغر او تني
ولف النهد في لين وضم الجســد اللدنا
فان لفتونه قلبــا وان لسـحره جفنــا
يصيد الموجة العــذراء من أغوارها وهنــا

***

وكم من ليلة لما دعاه الشــوق واستدني
جثا الجبار بين يديك طفــلا يشتكي الغبنا
أراد ، فلم ينل ثغرا ورام ، فلم يصب حضنا
حوتك ذراعه رسـما وأنت حويته فنــا !

***

عصيت هواه فاستفرى كان بصــدره جنا
مضى بالنظرة الرعناء يطوى السهل والحزنا
يثير الليل أحقادا وصــار سحابه ضـغنا
وعاد الطفـل جبــارا يهز صراعه السـكونا

***

فردى الشرفة الحمراء دون المخدع الاسـنى
وصوني الحسن من ثورة هذا العاشق المضنى
مخافة أن يظن الناس في مخــدعك الظنــا
فكم اقلقت من ليــل وكم من قمر جنــا !



القمر في الشعر العربي القديم

محمد عبد الغنى حسن

لايكاد المتتبع للشعر العربى فى الجاهلية وصدر الاسلام والعصر الاموى تقع عينـه على بيت او ابيات فى وصف القمر وضوئه الباهر ومراحل نموه ، والانس اليه ، وتشبيه الحبيب به ، او صفة لياليه المقمرة الزاهرة ، او تشبيهه وهو فى السماء ، هلالا وبدرا ، بالتشبيهات البديعة الرائعة التى افتن فيها المحدثون منذ ايام الشاعر عبد الله بن المعتز الى من جاء بعده من شعراء الصنعة البيانية حتى العصر الحديث .

ويلفت نظرنا شاعر مثل « مجنون ليلى » يتخذ الشمس والنجم رسولا الى محبوبته ، ولا يفكر فى أن يحمل القمر هذه الرسالة ... ولعل افتضاح الليلة المقمرة بنور البدر هو الذى منعه ان يكلفه حمل رسالة لا يجوز فيها الا الكتمان ، ولا يستحب الاشتهار ، لما فيه من فضح الحبيبة عند اهلها وقومها ...

ولعل هذا هو الذى حمل « نعما » صاحبة « عمر بن ابى ربيعة » واختيها على ان يشفقا على « عمر » من الخروج الى محبوبته فى ليلة مقمرة :

فلما اجزنا ساحة الحى قلن لى :
اما تتقى الاعداء والليل مقمر ؟

وما ارق « مجنون ليلى » وهو يطلب من « الشمس » ساعة طلوعها او دنو مغيبها أن تحمل تحياته الى آل الحبيبة فيقول :

الا هل طلوع الشمس يهدى تحية
الى آل ليلى ، او دنو غروبها ؟

عجيب جدا الا تقع فيما وصل الينا من شعر عربى قديم على وصف للقمر على كثرة ما يجتمع فيه من معانى الانس والغزل ، والاغتباق والاصطباح بالشراب • مع أن الشمس النيرة كانت موضع الاهتمام من الشعراء القدامى • والاختصاص بالوصف المتتبع الطويل ، لا الاكتفاء باللمحة العابرة •

على أن المحدثين ممن جاءوا بعد الاسلام والعصر الأموى لم يسقطوا اهتمامهم بوصف الشمس من حسابهم ، كما نجده فى شعر ابن المعتز ، وابن طباطبا العلوى ، وابن الرومى ، وأبى هلال العسكرى نفسه ، والشرى الرفاء ، وأبى نواس • وهل يستطيع البدر — ومجاله ومعرضه فى هذا المقال — أن ينسينا الأبيات العينية الرائعة المشهورة التى قالها ابن الرومى فى وصف الشمس الغاربة ، ويبدأها بقوله :

وقد رنقت شمس الأصيل ونفضت على الافق الغربى ورسا مذعذعا (١)
وودعت الدنيا لتقضى نحبهـــا وشـــول باقى عمرها وتشعشعا

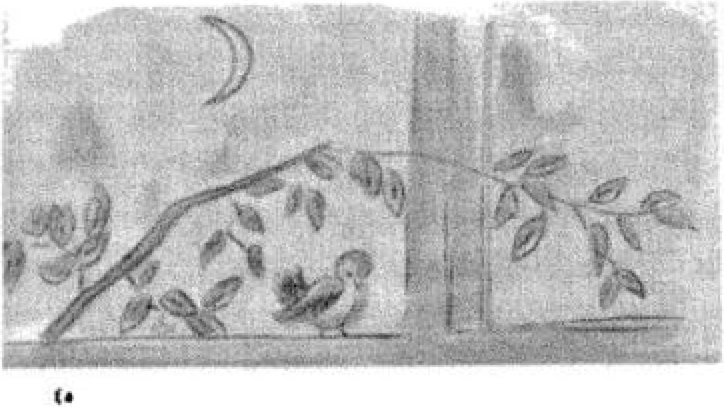
ليلة بيضاء مقمرة

والليالى المقمرة هى نتاج القمر حين يزداد نموه من غرة الشهر يوما بعد يوم •• وتمتاز بالبهاء والصفاء والأنس • ولا أدرى لماذا لم يكثر شعراء العربية على مر العصور من وصفها ؟ فقد اهتم الشعراء بعد صدر الاسلام بأوصافهم — فى أبيات متفرقة — للقمر والبدر والهلال ، ولم يهتموا بأوصاف الليالى المقمرة ذاتها ••

على أن ذلك لايمنع أن بعض شعرائنا القدامى وقفوا عند الليالى المقمرة وقفة المتلذذ المستمتع ، وأكثر ما يكون ذلك عند الشراب ، أو التقاء الأصحاب ولا أقول الأحباب فأن الليالى المقمرة كاشفة للأسرار ، هاتكة للأستار •••

---

(١) الورس نبات أصفر الزهر ، والمذعذع المتفرق



ويذكر لنا أبو هلال العسكرى أن أجود بيت سمعه فى الليلة المقمرة ما انشده اياه « أبو أحمد » ولم يدر قائله :

هل لك فى ليلـــة بيضـــاء مقمرة
كأنهـــا فضـــة ذابت على البلـــد

ويبدو ان اعجاب ابى هلال العسكرى بهذا البيت هو من حيث تشـــبيه ضوء القمر بالفضة الذائبة على البلد . على أن « أبا هلال » نفســـه لم يفته أن يدخل فى ميدان تشبيه الليلة المقمرة مع الداخلين . فلم يجعـــل بياضها فضة ذائبة ولكنه جعلهـــا من القصب المفضض الذى تطرز به الثياب . فقال :

كم قد تنـــاولت اللذائذ من كثـــب
والدهر مســـكون الحوادث والنـــوب
فى ليلة قمراء تحسبـــب أنهـــا
تلقى على الافـــاق اردية قصـــب !

ويبدو ان « اباهلال » مقتف آثار الشـــاعر المجهول قبله فى البيت الذى أعجب به ...

وقد أعجب الشاعر « محمد بن طباطبا » الشاعر المشهور المتوفى سنة ٣٢٢ هـ بليلة مقمرة اتيح له فيها الانس والاشراق . فقال يصفها :

وليلـــة مثل يوم شمسهـــا قمر
بدت بدو الضـــحى ظـــلا والاء
باحســـنها ليلة عاد النهار بهـــا
انســـا وطيبا واشراقـــا ولألاء

المحبوب او الممدوح

ونلاحظ ان الشـــعراء القدامى حين التفتوا الى القمر — او البدر — فى اشعارهم بتلك اللمحات العابرة ، والخطرات السائرة ، دون الأوصـــاف المتخصصة الطويلة ، قد اتخذوا من البدر مثالا لتشـــبيه المحبوب به أو لتشبيه الممدوح به . واذا كان من المستساغ أن تشبه الحسناء بالبدر ،فهل من المألوف أن يشـــبه الرجل الممدوح بالبدر ؟ الواقع أن الذوق العربى لم يرفض هذا التشبيه ولم يمجه ... فابن المعتز — وهو شاعر حاذق صناع — يقول فى الخليفة « المعتضد » ممدوحه :

وكالليث شـــد على قرنـــه   وكالغيث جاد ، وكالبدر لاحـــا

على أنه يقول فى تشبيه محبوبته بالبدر :

كأنها حين تبدو من مجاســـدها   بدر تمزق فى أركانه الغســـق

ونرى شاعرنا المصرى « الشريف العقيلى » — شـــاعر مصر الفاطمية — يشبه حبيبته فى قوامها بغصن البان ، وفى وجهها بالقمر الضاحك ، وفى سواد شعرها بالليل ، فيقول :

اذاق قلبى أسى بهجـــرته   من كـــان لى مســـعدا بمهجته
منعم طالمـــا نعمـــت به   برغـــم من لام فى محبتـــه
غصن من البـــان فوقه قمر   يضحـــك زهوا فى ليـــل طرته .



ابو نواس : ابدع من التشبيهات في وصف القمر . . . . .

ثم يقول فى غزلية أخرى مخاطبا محبوبه :

يا بدر تم محيــــــاه تحيته　　　وغصن بان تهـــاديه هديته

ثم يقول فى غزلية أخرى :

ياطلعــــة القمر المنيــــر　　　يا قــــامة الغصن النضيــر

وقد بلغ من اغراق الشــعــراء فى تشبيه احبابهم بالاقمار والبدور ، أن بعضهم قد زعم فى أغزاله أن وجه القمر ووجه الحبيب قد اختلطا عليه ،فلم يدر أحدهما من الآخر ! كالشاعر العراقى « أبى القاسم الخبزارزى » ، المتوفى سنة ٣١٧ هـ الذى يقول :

رأيت الهــــلال ووجه الحبيب　　　فكانــــا هــــلالين عند النظر
فلم أدر من حيـــرتى فيهمــــا　　　هلال الدجى من هــــلال البشر
ولولا التورد فى الوجنتيــــن　　　وماراعني من سواد الشـــعر
لكنــت أظن الهـــلال الحبيب　　　وكنت أظـــن الحبيب القمـــر !!

وهكذا كان للسماء بدرها المنير ، وللمحب بدره المحبوب ، واذا كان بدر السماء طالعا ومؤنسا الدنيا بحضوره ، فان بعض الشعراء تمنى حينئذ أن يكون بدره – أى حبيبه – حاضرا ... والى هذا يشير « ابن الفارض » بقوله :

يا ليـــل طل ! ياشـــوق دم　　　انى على الحـــالين صـــابر
يهنيـــك بدرك حـــاضر　　　ياليت بدرى كـــان حـــاضر !
حتى يبيـــن لناظـــرى　　　من منهمـــا زاه وزاهــــر
« بدرى » ارق محاســــنا　　　والفرق مثل الصـــبح ظاهر !

وقد جمع الشاعر « ابراهيم بن العباس » بين البدرين فى قوله :

وليلة من الليـــالى الزهـــر　　　قابلت فيهـــا بدرهـــا ببدرى

على أن من المؤسف أن ليلة شاعرنا هذا كانت قصيرة جدا ، وكذلك الاوقات السعيدة قصيرة الأعمار ، فوصف قصرها وصفا أبدع فيه وطرب ، حيث يقول فى وصف ليلته :

لم تك غير شـــفق وفجــــر　　　حتى تولت وهى بكر الدهـــر !

واذا كان شعراؤنا القدامى قد شـــبهوا أحبـــابهم بالبدر ، فان عددا غير قليل منهم قد جروا – على سنة التشبيه المقلوب – بتشـــبيه البدر

بأحبابهم ، وذلك على سبيل المبالغة المستملحة ، كما فعل الشاعر ابن « المعتز » في وصف حبيبه قائلا :

ويكـــاد البدر يشــبهه   وتكاد الشــمس تحـــكيه

ويقول في موضع غزل آخر :

كنت اقول البدر شـــبه لهـــا   اجعلهـا كالبدر ؟ حاشـــاها !

وهو قريب من قول « مسلم بن الوليد » :

فبت اسر البدر طورا حديثهـــــا

وطورا اناجي البدر احسبها البدرا !

وليس في « الايهام » بالحسن أجمل من هذا الايهام ...

ولم يجر الشعراء القدامى في تشبيه وجوه الاحبه بالبدور على درب واحد ، فقد رأينا بعض الشعراء يشبهون وجوه أحبابهم بطلعة « الصـــــباح » ، أو يعكسون فيشبهون طلعة الصبح بوجوه الأحباب · ومن هؤلاء شاعرنا المصري « العقيلي » الذي يقول :

عانقني والدجى كطـــــــرته   حتى بدا الصبح مثل طلعتـــه

واذا كان القمر موضع التشبيه في الغزل أو المدح عند شعرائنا كما رأينا مما سلف ، فانه كان موضع التشبيه أيضا في مقام الرثاء · ويحضرنا في هذا المجال مرثية الشاعر « أبي تمام » لمحمد بن حميد الطوسي حيث يقول :

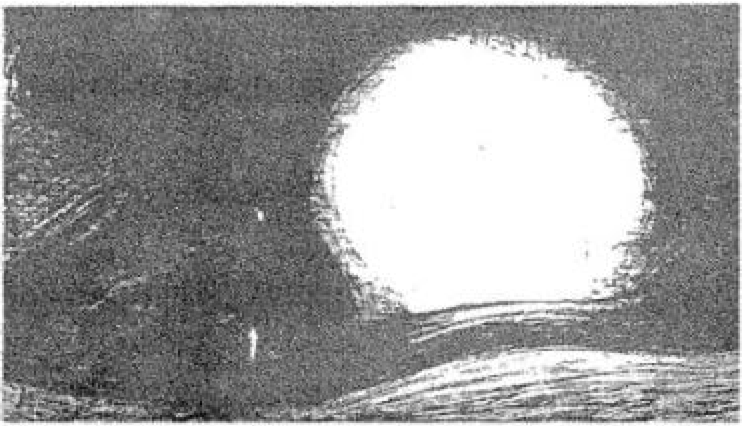
كأن بني نبهـــان يوم وفـــاته   نجوم سماء خر من بينها « البدر »

ولعل من أبدع التشبيهات في هذه المقامات ما قاله الشاعر أبو نواس في وصف حسناء نائحة في مأتم :

يا قمــرا ابصرت في مـــاتم   ينـــدب شــجوا بين اتراب

يبكي فيـــذري الدر من نرجس   ويلطـــم الورد بعنـــاب

وقد احتال شعراء الافتتان في المعاني على الظواهر والسمات والملامح المحيطة بالقمر فجعلوها موضوعا لمعانيهم المتنوعة · فشاعرنا القديم يلاحظ (الكلف) المحيط بالبدر ، فيســتغله في مقام الرثاء ويجعله اثرا من لطم القمر وجهه حزنا على المرثي ، فيقول :





وما كلفة البدر المنير قـــديمة ولكنهـــا فى وجهه اثر اللطم !

وهى مبالغة بالطبع باردة وغير سائغة . وشاعرنا القديم الآخر يلاحظ أن القمر يلوح حينا ثم يختفى وراء السحاب ، فيستغل ذلك فى معرض المدح ، ويزعم أن القمر يختفى استحياء من وجه الممدوح : ـ

ارى قمر السماء يلوح حينـــا ويبدو ثم يلتحـــف السحابا
وذلك انه لما تبـــــدى وابصر وجهك اســتحيا وغابا !

يا اخا البدر

واذا كان البدر هو دائما مجال التشبيه ومداره عند الشعراء ، حيث يشبهون المحبوب به أو يشبهونه بالمحبوب ، فليس عجيبا أن يسفر هذا عن مؤاخاة بين البدر وبين الأحباب ... فالمحبوب عند الشعراء هو اخ ، لبدر السماء . ولا يتحرج الشاعر من أن ينادى حبيبه بقوله : يا اخا البدر! وهو تعبير نراه غير قليل عند شعراء الغزل الوالهين بالبدور والأقمار .... فالشاعر الأندلسى الرقيق « ابراهيم بن سهل » المتوفى سنة ٦٤٩ هـ يقول فى مطلع قصيدة غنائية مشهورة :

سل فى الظلام اخاك البدر عن ســهرى
تدرى النجوم كما يدرى الورى خبـرى !

وشاعرنا « الشريف العقيلى » المصرى يقول فى احدى خمرياته الغزلية :

نســــيم كخلقى فى لطفتــه
ومــاء كشــــعرى فى رقتــه

وقــــد برز الروض فى وشــــيه
غــــداة بدا الجو فى مصـــمته

فقم (يا اخا البدر) هـــات الذى
غدت اخت خدك فى حمـــرته (١)

فقـــد نثر الغيم در النـــدى
على ذهب النبـــت من فضـــته

---

(١) اخت خد المحبوب فى الحمرة هى الخمر التى يدعو الشــاعر الى شربها

ثم يقول في روضية له :

زفت الينا مواشط الطرق عرائسا في غلائل الورق
(فيا اخا البدر) في الملاحة لا تخل اخا البدر من سنا الشفق

على ان ارق استعمال لعبارة (يا اخا البدر) ما نصادفه في ابيات الشاعر ابن زيدون الرقيقة في ذكرى محبوبته « ولادة » بنت المستكفي حيث يقول :

ودع الصبر محب ودعه
ذائع من سره ما استودعه
يقرع السن على ان لم يكن
زاد في تلك الخطا اذ شيعه
(يا اخا البدر) سناء وسنى
رحم الله زمانا اطلعك !
ان يطل بعدك ليلي فلكم
بت اشكو قصر الليل معك !

واذا كان البدر ــ أو القمر ــ قد اقترن ذكره غالبا في الشعر العربي القديم بذكر الاحباب كما سلف القول ، فان بعض شعراء الخمر قد لجأوا اليه حين دعاهم الشراب ٠

وكثيرا ما ينفرد الشعراء في الليالي القمرة بانفسهم ، وليس أمامهم ــ أو فوقهم ــ الا بدر السماء وهو يتألق بضيائه ، فيذكرهم باحبابهم الغائبين ، فيزيد ذلك اشجانهم ومواجدهم وصبابتهم ، كما جرب ذلك الشاعر الاديب « أبوهلال العسكري » ، فقال واجاد :

وذكرنيه البدر ، والليل دونه فبات بحد الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحمى،والحي في منعرج اللوى وذكر الصبا ، والراس اخلس أشيب !
فازداد في جنح الظلام صبابة فلا صعب الا وهو بالليل اصعب !

اتهام الكمال بالنقص

ولم يسلم « القمر » على بهائه وضيائه من السنة العائبين ، ومن هجاء الساخطين الذين لم يجدوا في الورد عيبا فقالوا له : يا احمر الخدين ! وعابوه باجمل محاسنه ، واحسن مفاتنه ٠ وقديما قال العرب في أمثالهم : (لاتعدم الحسناء ذاما) ، وهذا قلب للأوضاع وتغيير للطباع ٠ واذا كان المحب يجد محبوبه يتجنى عليه الذنوب ، ويقلب حسناته الى مساويء ، فكيف يعتذر المسكين من ذنبه ؟

اذا محاسني اللاتي ادل بها كانت ذنوبا ،فقل لي : كيف اعتذر؟

ويحكون في هذا الباب أن اعرابيا رأى رجلا يرقب الهلال ، فقال له : ما ترقب فيه ، وفيه عيوب لو كانت في الحمار لرد بها ! قال : وماهي ؟ فقال :انه يهدم العمر ويقرب الأجل ، ويحل الدين ، ويفضح الطارق ، ويدل السارق ٠٠٠

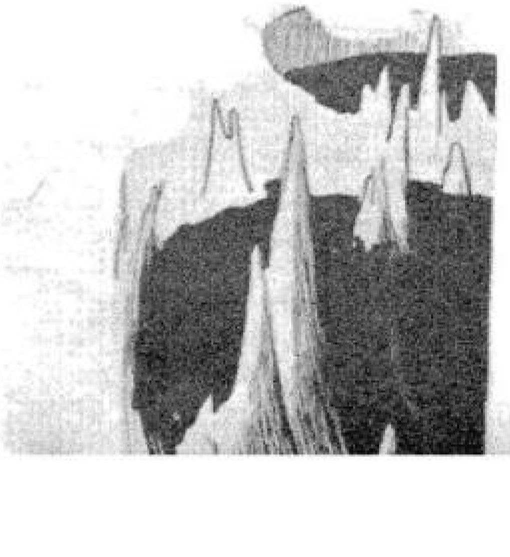
وقد ادرك « ابن الرومي » معنى اقترابه الذنوب على الأبرياء ، واتهام

الكمال با لنقص ، فاتخذ من اتهام القمر بالعيوب توكيدا للقضية حيث قال :

رب عرض منـــزه عن قبيـــح ... دنســـته معرضات الهجـــاء
لو أراد الأديب أن يهجـــو البــد ... ر رمـــاه بالخطة الشنعـــاء
قال : يا بدر أنت تغدر بالقصـــا ... ر وتزري بزورة الحســـناء
كلف في شــــحوب وجهك بحكي ... نكتا فوق وجنة برصـــاء
يعتريك المحاق ثم يخليك شـــبيه القلامة الحجنـــاء
ويشينك النقصان في آخر الشهر فيمحوك من أديم الســـماء
فاذا البدر نيل بالهجو هل يأمن ذو الفضل ألسن الشعراء ؟

وقد نسب المؤرخ الموسوعي « النويري » المصري صاحب « نهاية الأرب » هذه الأبيات الصادقة المحكمة الى الشاعر « ابن الرومي » ، وهي بنفســـه أشبه ، وبطريقته في الصوغ والعبارة ألصق ، ولكنا لم نجدهـــا في ديوان الرجل في طبعتيه الشهيرتين اللتين حقق أولاهما المرحوم الشيخ محمد شريف سليم ، وحقق الأخرى المرحوم كامل كيلاني ، ولعلهـــا في احدى مخطوطات ديوان هذا الشاعر المشئوم !

واذا كنا – قبل سطور – قد رأينا الأعرابي يذم القمر ، ويخليه من فضيلة ، ويصوره للرجل الذي يرقبه بصورة الشيء المستكره ، فاننا ، والحمد لله – نعثر في كتب الطرائف والمحاضرات والأسمار على صورة أخرى للوفاء والعرفان عند أعرابي آخر حكي عنه أنه ضل الطريق ، فبات جزعا ، وأيقن بالهلاك . فلما طلع القمر اهتدى ووجد الطريق . فرفع رأسه اليه ليشـــكره قائلا : والله ما أدري ما أقول لك ولا ما أقول فيك . أأقول رفعك الله ؟ فالله قد رفعك . أم أقول نورك الله ، فالله قد نورك . أم أقول : حسنك الله ، فالله قد حسنك . ولكن مابقي الا الدعاء أن ينسىء الله في أجلك ، وأن يجعلني من السوء فداك !



زورق من فضة

وقد افتن شعراء البيان فى تشبيهاتهم ، حتى لقد غدا الشاعر « ابن المعتز » مضرب المثل فى تشبيهاته التى قالوا انه استمدها من بيئته المترفة الناعمة لأنه كان من ابناء الخلافة العباسية ، حتى لقد نسبوا الى ابن الرومى انه قال عنه انه كان يصف ماعون بيته ، حين يطرف ويغرب فى تشبيهه • ولقد حظى « القمر » فى حالتيه — بدرا وهلالا — بطائفة كثيرة جدا من التشبيهات الشعرية التى أصبحت مثال الاحسان والتجويد والابداع ، وصارت نماذج تساق فى كتب البيان •

فابن المعتز يشبه « البدر » وهو ملقى فى أفق السماء بدرهم من الفضة طبعا — ملقى على ديباجة زرقاء فيقول :

والبدر فى افق السماء كدرهم
ملقى على ديباجة زرقاء

وقد أخذ هذا المعنى منه « أبوطالب الرقى » فى قوله واصفا النجوم :

كأن اجرام النجوم لوامعا
درر نثرن على بساط ازرق

« والسرى الرفاء » يصفه وهو يظهر من خلف السحاب ، فيشبهه بعذراء تنظر من وراء سجاف فيقول :

والبدر يظهر فى السحاب كأنه
عذراء تنظر من وراء سجاف

و « عبد الله بن على الكاتب » يشبهه بعروس سافرة غير منتقبة فيقول :

كشف البدر وجهه لتمام
فوجوه النجوم مستترات

وكأن البدر التمام عروس
وكأن النجوم • مستنقبات

وبعضهم يصفه حين تتعاوره الغيوم ، فيشبهه بخد ملطوم فيقول :

البدر يأخذه غيم ويتركه
كأنه سافر عن خد ملطوم

« وابن المعتز » يعود ثانية فيصفه وهو يضحك فى وسط « دجلة » فيشبهه بالطراز المذهب قائلا :

البدر يضحك وسط دجلة وجهه
والماء يرقص حولنا ويصفق

فكأنه فيها طراز مذهب
وكأنها فيه رداء ازرق •••

أما تشبيهات الشعراء القدامى « للهلال » فكثيرة ومتنوعة كذلك :

« فابن المعتز » يصفه أول الشهر فيشبهه بزورق من الفضة قد أثقلته حمولة من العنبر قائلا :

وانظـــــر اليه كزورق من فضـــــة
قد أثقلته حمــــــولة من عنبـــــر

و « السرى الرفاء » يشبهه بشطر طوق على صدر فتاة مرتدية بالثياب الزرق فيقول :

ولاح لنا الهـــــلال كشـــطر طوق
على لبـــات زرقـــــاء اللباس

ويشبهه شاعر آخر ، والثريا فى مواجهته ، بفاتح فمه لأكل عنقود من العنب قائلا :

قد انقضت دولة الصيام وقد ... بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريـــا كفاغر شره ... يفتح فاه لأكل عنقود !

ويشبهه الأديب الشاعر « أبو هلال العسكرى » بحية على الرمل قد صادفت لها مقيلا من الحر ، فيقول :

فى هـــــلال كأنه حية الرمـ
ـل أصابت على اليفاع مقيـــلا
بات فى معصـــم الظلام ســـوارا
وعلى مفـــرق الدجى اكليـــلا

والحق أن « أبا هلال » قد جمع فى بيتيه تشبيه الهلال بثلاثة أشياء : حية من حيات الرمال ، وسوار فى معصم الظلام ، والاكليل على مفرق الدجى ...

واذا كان « أبو هلال » قد جعل الهلال سوارا كاملا فى معصم الظلام ، فان شاعرا آخر قد جعله نصف سوار ، فى مقابل الشمس الغاربة التى جعلها دينارا كاملا فى الاستدارة واللون ، حيث قال :

قلت لما دنت لمغيبهـــا الشمـــ
ـس ، ولاح الهـــلال للنظـــار
أقرض الشرق صـــنوه الغرب دينا
را ، فأعطـــاه الرهن نصف ســـوار .

أما الشاعر الشهير « الوزير الدمشقى » فقد شبه الهـــلال وهو تحت الثريا بملك انعقد على رأسه اكليل ، فقال :

وكأن الهـــلال تحت الثريـــا ... ملك فوق رأســــه اكليل

واذا كان بعض الشعراء قد شبه الهلال بمنجل الحصاد ، فان ابن المعتز قد عاد مرة أخرى فشبهه بالقلامة التى قدت من الظفر ، فيقول فى وصفه « مثل القلامة قد قدت من الظفر » ، وتشبيهه له بالقلامة يدانى تشبيهه له بالمنجل الذى صيغ من الفضة وهو يحصد نرجس النجوم ، حيث يقول :

انظـــر الى حسن هــــلال بدا
يهتـــك من أنواره الحندســـا

كمنجـــــل قد صــــيغ من فضة
يحصـــد من زهر الدجى نرجســـــا !

ويستمر ابن المعتز فى الاطراف بغرائب تشـــبيهاته للهلال ، فيشبهه بهامة الأسود الذى شابت هامته قائلا :

اذا الهـــــلال فارقته ليلـــــة
بدا ان ييصــــــــره وينعتــه
كهامة الأسود شـــــابت هامته !

ويعود أبو هلال العسكرى مرة اخرى الى وصف الهلال من بداية نموه الى أن يصير الى تمامه فيشبهه بمرآة من التبر تنجلى اصبعين كل ليلة : قائلا :

وكئـــوس اذا دجى الليـــــل اسرت
تحت ســـقف مرصــــــع با للجين
وكـــان الهــــــلال مرآة تبر
تنجلى كل ليلـــــــة اصـــبعين

كما يعوج السرى الرفاء – بعد تشبيهه بشطر طوق – الى تشبيهه بشعيرة السكين قائلا :

قم ياغـــلام فهاتها فى كاســـــا
كالجلنـــارة فى جنى نســــــرين
او ما رايت هلال شــــــهرك قد بدا
فى الافق مثل شعيرة الســــــكين

ويبدع « الشريف الرضى » فيصف سواد الهلال منذ نموه الى أن يتكامل بدرا منيرا ، ويشبه ذلك كله بنقاب أســـود لفتاة تركية تنزل منه كل يوم شيئا قليلا ! فيقول مخاطبا الهلال :

ســـــــوادك من حيث تمس هــــلالا
الى حيث تكمـــــل بدرا منيــــــرا
نقـــــاب لتركية اســـــود
تنزل منه يســـــــــــيرا ، يسيرا

وما اكثر الشعراء القدامى الذين شـــبهوا « الهلال » بحرف النون ، ولم يكن أبو العلاء المعرى أسبقهم الى هذا التشـــبيه ، ولكنه كان واحدا من المشتركين فيه بقوله :

ولاح هـــــلال مثل نون اجادهـــــا
بذوب النضار الكاتب « ابن هـــــلال »

وهذا البيت من قصيدة أبى العلاء فى ديوانه « سقط الزند » التى قالها وهو ببغداد يحن الى وطنه بمعرة النعمان ، ومطلعها :

طربن لضــــــوء البارق المتعالى
ببغـــــداد وهنا ما لهن ومـــــالى

و « ابن هلال » هو الكاتب الخطاط المشهور المتوفى ببغداد ســــنة ٤١٣ هـ ، وله ترجمة فى « معجم الأدباء » ، و « وفيات الأعيان »

فى الامثال العربية القديمة

ولقد أصبح القمر عند الشـــعراء مضرب المثل فى اختلاف الأحوال ، والزيادة والنقصان ، والانتقال من البداية الى التمام . « فالشاعر ابوتمام » يرثى ابنين لعبد الله بن طاهر ماتا صغيرين ويعزيه فيهما قائلا :

تبقى على تلك الشواهد فيهما
لو أمهلت حتى تكون شمائلا !
ان الهلال اذا رأيت نموه
ايقنت أن سيصير بدرا كاملا

و « الصنوبرى » الشاعر المتميز فى وصف الطبيعة ومن رجال القرن الرابع الهجرى ، والذى كان يعمل قيما على خزانة كتب « سيف الدولة الحمدانى » - يشير فى أبيات رصينة الى عدم بقاء الأمور على حال ، فالصبح يؤوب بعد غياب ، والبدر يزيد بعد نقصان ، وينقص بعد زيادة فيقول :

وقالوا :البس الصيف يبلى لباسه
فقلت : الفتى فى الصيف يقنعه طاق
وما الصبح الا آيب ثم غائب
توارية آفاق وتبديه آفاق
وما البدر الا زائد ثم ناقص
له فى تمام الشهر حبس واطلاق

والشاعر « ابن بحر » وزميله الآخر ينظمان هذين البيتين بالمشاركة فيقولان :

المرء مثل هلال حين تبصره
يبدو ضعيفا ضئيلا ثم يتسق
يزداد ، حتى اذا ما تم أعقبه
كر الجديدين نقصا ، ثم ينمحق ٠٠٠

وبعد ٠: فهذا هو «القمر» فى الشعر العربى القديم ٠ أفاد الشعراء منه فى أوصافهم وتشبيهاتهم وغزلهم وأمداحهم ومراثيهم وكثير من معانيهم الدائرة٠ ولم يعدم هذا الكوكب المنير أن يجد له فى الأمثال الشعرية مجالا ، كما إتسع له المجال فى الأمثال العربية القديمة التى يستطيع القارىء أن يعاودها فى كتب الأمثال ٠ من مثل مجمع الأمثال « للميدانى » ، « وجمهرة الأمثال » لأبى هلال العسكرى ، و « أمثال العرب » للمفضل الضبى ، « والمستقصى » للامام الزمخشرى ، و « الدرة الفاخرة » لحمزة الأصبهانى

ومن الأمثال الشعرية أبيات كاملة ، كبيت أبى تمام فى رثاء ابنين لعبد الله بن طاهر :

ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت أن سيصير بدرا كاملا

وكبيت الشاعر الفارس « أبى فراس الحمدانى » :

سيذكرني قومي اذا جد جدهم
وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

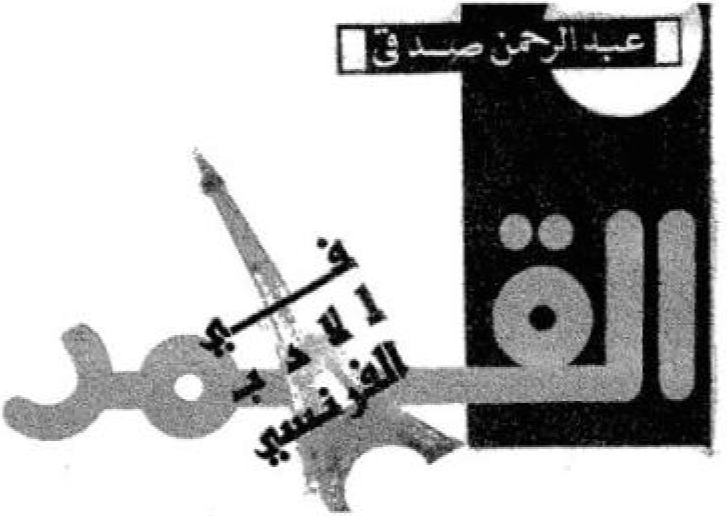
ومن أنصاف الأبيات السائرة :

هكذا البدر فى الظلام يوافى
كذاك كسوف البدر عند تمامه
اريها السها وتريني القمر !
لا تخرج الأقمار من هالاتها

اما القمر فى الشعر الحديث والمعاصر فقد بلغت العناية به أنه أفرد بقصائد كاملة لم تجد لها مثيلا فى الشعر القديم،كما صنع عباس محمود العقاد والدكتور ابراهيم ناجى،وعلى محمود طه ومحمد الهزم ، ونجيب الحداد وخير الدين الزركلى وغيرهم من أعلام الشعر العربى الحديث ٠

عبد الرحمن صدقي

القمر في الأدب الفرنسي



الكثير من اللغات ومنها اللغة العربية ، تابى الا أن تشير الى عناصر الطبيعة ، حتى في الجماد ، بما يحدد مشخصاتها من التذكير والتانيث • وهذا التحديد في حد ذاته ، ليس مشكلة اذا كانت سائر اللغات في ذلك على اتفاق • ولكنها بالعكس من ذلك ، على اختلاف يسبب الحيرة في اكثر الحالات ، فهي مختلفات في الالسن الاجنبية بعضها عن بعض في التذكير والتانيث فوق اختلافها واللسان العربي •

فالقمر ـ موضوع حديثنا ـ يعامل في لغتنا معاملة المذكر ، في حين ان الشمس تعامل معاملة المؤنث وهي اكبر منه بما لايقاس اضعافا مضاعفة ، كما انها من دونه مصدر الحرارة والنور ، فالقمر نوره مستفاد منها ، وليس له في انارة ارضنا ليلا الا دور سلبي ، دور المرآة العاكسة •

ولا نقول هذا في مستهل كلامنا بقصد التفضيل ، فالتذكير والتانيث يتعلق بداهة باسماء هذه الكائنات ، لا بالكائنات ذاتها ، على حد التعبير الذى التزم به المتنبى في قوله :

وما التانيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

ولكن الذى اضطرنا الى ذلك التنبيه حاجة الموضوع نفسه ، لان اللغة الفرنسية التى سنتناول الكلام عن « القمر » في ادبها ، لا تعامله معاملة المذكر مثلنا ، بل هي ـ كسائر اللغات المشتقة من اللاتينية ـ تراه في صورة المؤنث

لا نكاد نعرف في أدبنا العربي دورا للقمر ، الا دوره السلبي في تشبيهنا به كل انسانا جميل ذكرا كان او انثى . ولكن الحال تختلف عن ذلك في الاداب الأوربية ومنها الادب الفرنسي . وذلك بفضل القصص الاسطوري او « الميثولوجيا » التي صورت القمر ، كما شاء خيال أصحابها ، كائنا حيا كسائر الاجرام السماوية ، له في السماء شخصيته الخاصة ، وحياته الخاصة وان كانت تجرى في حدود النواميس الكونية . كما ان له كذلك ــ انعكاسا على عالمنا الارضي ــ حياة انسانية أشبه بحياة البشر ، مع الفارق في المرتبة

ويدلنا على تغلغل « الميثولوجيا » في الأدب الفرنسي القديم منه والعصري ، قول الشاعر الرمزي الفرنسي «مالارميه» : « القصص الاسطوري هو المادة الأبدية لكل شعر»

والقمر كما قلنا من قبل يعامل في اللغات المشتقة من اللاتينية ومنها اللغة الفرنسية، باسم مؤنث .ومن اجل ذلك تجده بحكم ضيائه اللطيف الناصع البياض، وذلك الحسن الرقيق الساجي الساحر في محياه ، وتلك العذوبة والدماثة ، ومظهر الخفر والحياء الحلو في مسراه ــ معروفا منذ قديم في لغة الشعر عند الشعراء الغربيين الاقدمين والمحدثين ــ وفي طليعتهم الفرنسيون ، باسم ربة الطهر والنقاء في « الميثولوجيا » القديمة اليونانية والرومانية : « ديانا » العذراء

ونقدم الى القراء ، من أدباء القرن السابع عشر الاديب الفرنسي عضو الاكاديمية « فونتنيل » الذى رفى « ديانا » القمرية حق وصفها وسيرتها في هذه الابيات :

ديانا ، يا كوكب الليلَ الوضاء ،
يا من اذا غابت شمس النهار غيابها
لبث مظاهها تتويج في الليل متابها
ان مركبتك الفضية
وهي تدور في الفلك دورتها

تفرب على الكون السكينة والصمت الرهيب
والنجوم الدراري من حولك في نظام كالحاشية حولَ الملكة ،
واذا أنت هبطت من سموائك الى ارضنا المضطربة
هبطت في الغابات الشجراء الترابية الابعاد الشاسعة
بين حوريات الغابات العذارى مثلك ،

حيث تزجين اوقات فراغك ، تجدين وراء الوحش مطاردة صائدة
والوحش ــ في لهوك العربي النبيل
يتهاوى تحت سهامك المسددة الصائبة .


شاتوبريان : رواد الرومانسية العظام

ثم جاء بعده من أدباء القرن الثامن عشر مواطنه الاديب « ديموستييه » فأدار حوارا بين فتاة يائسة من الصبايا المتطلعات للحب ، وبين « ديانا » العذراء ربة الطهر والنقاء ، فاستطاعت الفتاة استدراجهـا الى الادلاء بحديث عن نفسها ، رواه الاديب الفرنسي في أسلوب من النثر بديع الصياغة ،كثير الصناعة ، رصعه في المواضع المناسبة برقائق الاشعار ، مما سننقله مع الاختصار

في عودة ديانا من الصيد في بعض الغابات بدا لها ان تستريح قليلا على ضفة نهر بالقرب من اثينا ،وعلى هي قد وضعت جانبا قوسها الفضي وجعبة السهام ، واتخذت

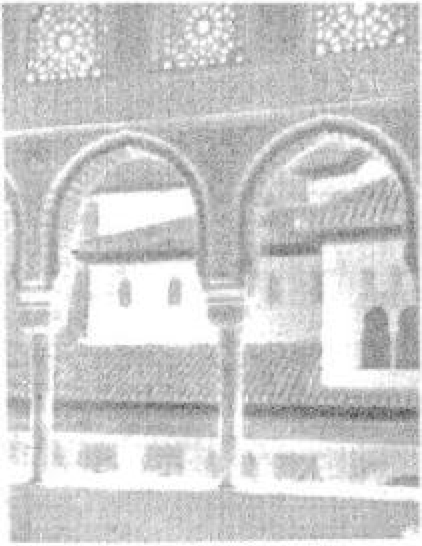
تصلح شأنها ، وترفع ما تهدل من شعرها، ولم تلبث أن طلعت عليها فتاة تقطف الزهر وهى تردد هذه المقطوعة من الشعر :

كل من فى الحياة للحب مخلوق
فهل تراني احلو بعين العشيق ؟
وتلك « ديانا » العذراء ، قد استوفت كل جمال
فكيف - على حبهم لها - ترفض الرجال،
من لم يكن لها احباب
هيهات يغنى انها من الارباب .

على هذه الحال ، مرت الفتاة امامها تغنى باسم « ديانا » وهى لا تعرفها . فطاب لها أن تستوقفها ، وسألتها : « لاى الاغراض قطفت كل هذا ؟ »

فقالت : « انى معتزمة أن أملأ بالازهار سلة ، احملها الى محراب القرابين فى معبد « ديانا » ، مبتهلة اليها أن تشد أزرى وتقوينى على احتمال حياتى بلا رجال ،وأن تتقبل نذرى للبتولة مثلها »

عندها أقبلت ربة القمر على الفتاة تطيب خاطرها . ثم كشفت لها عن انهـــا هى « ديانا » نفسها ، وبلغ من عطفهـــا على الصبية العاشقة أن أمرتهـــا بالمضى الى الحبيب بهذا الزهر الندى ، بعد أن تعلن ماهنا بين يديها النـــذر ، الا يكون بين الاثنين غير الحب العذرى



جانب من برج«المارش» احدى روائع قصر الحمراء بالاندلس، زاره الكاتب الفـــرنسى شـــاتوبريان . . . . . .

ولم يكن هذا من ربة القمر « ديانا العذراء » عجيبا ، اذا ذكرنا قصة اختلاف موقفها من الشابين : الامير « اكتيون » والراعى « انديميون » والى القارىء نسوق القصتين كما أوحتهما « الميثولوجيا »

لقد كانت « ديانا » ربة القمر قاسية الى أقصى حدود القسوة ، حين ساق القدر خطا الامير « اكتيون » بعد فراغه من الصيد الى التماس الراحة فى ظل غيضة متكاثفة ملتفة الشجر ، عند سفح الجبل . فاوغل فيها الامير حتى بلغ الى سياج عال طبيعى من دوح الصنوبر والسرو ، يحجب النظر عن مدخل غار يؤدى الى حوض طبيعى من الصخر ، مسجور بالماء من نبع فى أحد جوانبه . فازاح بعض الفروع المعترضة ليشبع الفضول الذى جبل عليه البشر ، ولم يكن عنده علم ولا خبر ، بان هذا المكان الخفى الذى تستحم فيه العذراء « ديانا » ربة القمر . فلما لمحته حاشـــيتها من العذارى ، اندفعن نحوها ليحجبنها ، ولكنها كانت تعلوهن بقامتها الفارعة . فاستشاطت واشتد غضبها وشقت طريقها وسطهن ، واندفعت - وهى عارية - صوبه . فلما التقى لحظها بعينى الشاب الشاخصتين فى عجب ودهشـــة لهذا الجمال العديم المثـــال ، صاحت فى وجهه صيحة مدوية : « اذهب الآن ، وقل - ان استطعت - انك شهدت « ديانا » العذراء مجردة من الثياب ! » . فلم تمض اللحظة ، حتى حوله سخطها الى وعـــل من وعول الصيد ، دون أن يشعر . فلمـــا فر من الغـــار الى حيث ترك مع الخادم كلابه ، لم تعرفه ، فهاجمته الكلاب وهو فى صورة الوعل ، وانشب كل منها فيه انيابه ، فمات قتيلا شر قتلة !

أما في قصة الراعي الجميل « انديميون » ، فكان موقف ربة القمر « ديانا » العذراء منه على النقيض من ذلك . فانها في ليلة من الليالي الصافية الساجية ، رأت وهي تطل على الارض ، راعيا هو أجمل شباب البشر ، غارقا في سبات النوم ، مستسلما الى أجمل الاحلام . فهبطت من أعلى السماء الى صعيد الغبراء . واتجهت على الفور اليه ، وانحنت عليه في رفق وقبلته . ثم ظلت برهة قائمة على رأسه ترعاه وتناجيه . ولم تزل على ذلك حريصة كل ليلة ...

والشعراء في بلاد الغرب يتفننون في صياغة هذه القصة « الميثولوجية » وهم بها مفتونون ، لأن كلا منهم يرى نفسه في « انديميون » ذلك الحالم طوال عمره في ضوء القمر ، هربا من شمس الظهيرة المحرقة وضجة الحياة المقلقة

في قصر الحمراء بالاندلس

زار الكاتب الفرنسي الشهير « شاتوبريان » ١٧٦٨ - ١٨٤٨ من رواد الرومانسية العظام ، ربوع الاندلس في فردوس العرب المفقود ، وفي ابريل سنة ١٨٠٧ وهو يدلف الى سن الاربعين . وعلى أثر هذه الزيارة القصيرة وضع قصة ليست بالطويلة . عنوانها « مغامرات آخر بني سراج » .. وكان قد بلغ أوج الشهرة بكتابه « عبقرية المسيحية » الذي اتفق نشره في الوقت الذي اعيدت فيه الكاثوليكية . الديانة الرسمية للدولة الفرنسية . وبلغ من اعجاب نابليون به أن أقام صاحبه سفيرا في روما .

ولعل الترفع على هذه القمة من الشهرة ، او شيئا اخر خارجا عن ارادته أو من ملابسات حياته الشخصية ، كان العلة في عدم نشر هذه القصة الاندلسية الا بعد عشرين سنة . ومن العجيب انها حين نشرت بعدها ، لم تلق بعد طول التأخير النجاح الوفير ، مع انها تجد اليوم أكثر من ناقد يعتبرها درة من أجمل ما اخرجه المؤلف الكبير من فرائد درره . وخاصة ان القصة في اطارها الاسباني العربي . تستحضر في خيالنا كل ما كان في ذلك الحب المهذب الصادق . من وقدة العاطفة وليض الشاعر ولطف الحس ورقة الشمائل

ومما يذكره النقاد للمؤلف من المقدرة الفائقة وجودة الملكة . انه وصل الى ميناء قادس الاسباني في ٧ من ابريل ١٨٠٧ ، ومنها كانت رحلته الى غرناطة التي كانت مقصده الوحيد . فاكتفي - كما قيل - بيومين فقط لاختيار خير ما يوافق القصة هنا من مواقع ، ومن مشاهد الطبيعة وآثار العمارة الاسلامية ، معتمدا على خياله القوى في رسم ملامح أبطالها من واقع من التقى بهم من الاسبان الفلح وبعض من لم تغب عنه اصولهم العربية . وقد اسعفته تلك الشحنة العاطفية التي كان لا يزال ينطوى عليها لواطفته الشاعرة « الكونتيسة دي نواي » في تصوير ذلك الحب الشاعرى الشديد بين بطل القصة العربي « ابن سراج » وبطلتها الاسبانية « بلانكا »

وهكذا أصاب المؤلف الفنان غرضين لا غرضا واحدا : خدمة الفن العظيم والتنفيس عن حبه المكظوم ، بتأليف قصة هو بطلها الحقيقي ، اذ روحها مستوحاة من روحه ، وان يكن ظاهرا في ملبس عربي غير ملابسه الافرنجية . وفي اندلس أخرى غير اندلسه الباريسية



فلوبير : اعمق قصة تحليلية للمرأة

و « بنو سراج » قبيلة مغربية اجلاها الاسبان كسائر من اجلوهم من المسلمين عن شبه الجزيرة الاسبانية بعد سقوط غرناطة آخر الامارات الاندلسية في أواخر القرن الخامس عشر . ولقد اختار « بنو سراج » بعد الهجرة من الاندلس ، الاقامة في ربض من أرباض تونس الخضراء ، فاستوطنوا محلة بين أهل المغرب يتصفون بلطف الخلق وحسن الشارة مثلهم

وتدور القصة على حفيد لاحد أجداد بني سراج ، كان له قلب يعشق النساء ، حتى اشتبه « بنو الزغري » انه يهيم بالسلطانة « فهيمة » ، وكانت لهما لقاءات عذرية في مقصورتها في قصر الحمراء . والذى يعنينا ونحن نتحدث عن القصة هو حفيده « ابن حامد بن سراج » ، الذى اعتزم بعد عشرين سنة من وفاة والده ، أن يرى البلاد التى كانت لاجداده فأجلاهم عنها الاسبان بعد المقام فيها نحو سبعة قرون . وهو يحتج لهذه الرحلة بأسباب عدة : أولها أن يزور مقابر أجداده المتهدمة ويقرأ الفاتحة على أرواحهم ، وقد مضت عليهم السنون الطوال ، لم يزرهم من أهلهم زائر . ثم ليملأ عينيه من آثارهم الدينية والحضارية الفخمة العظيمة . وربما — وهو أمر طبيعى لمن كان فى مثل سنه — زاد على ذلك كله داع خفى فى باطن الوعى من رواسب ما كان يسمعه على السن رواة القصص الغرامى من شيوخ قبيلته ، عن قصة جده ولقاءات الحب العذرى فى مقاصير الحمراء .

وقد تحقق للفتى ، فتى بنى سراج ، كل ما جاء من اجله ، حتى واقعة الحب وهذه محبوبته الاسبانية مع علو منزلة اسرتها تصحبه كالدليل ، وهى طوال الوقت متعطفة ، حتى كانت زيارتهما ليلا لقصر الحمراء ، فافصح كل منهما عما يكنه للآخر من حب عذرى ، تحت تألق ضياء القمر فى الليلة القمراء .

وفيما يلى ترجمة وصفها :

« كانت الشمس آذنت بالمغيب وراء الافق ، أثناء طواف العاشقين فى قصر الحمراء فلله ، ما أكثر شجون الذكريات التى طافت بخاطر الفتى العربى « ابن حامد السراجى » فهنا كانت تجلس السلطانة « فهيمة » مجلسها فى البهو حيث يرتفع اليها من مخادع غير ظاهرة فى الرخام ، بخور الطيب من العود والند المحترق فى مجامر تحت الارض . وهناك — فى تلك المقصورة المنعزلة ، كانت السلطانة « فهيمة » تتزين بأبهى زينة الشرق من حلل وحلى . يا لها من أوصاف جميلة ، زادها فتنة على فتنتها ، أنه التى كانت تتغنى بها فى سمعه هى الحبيبة المسيحية الاسبانية الحسناء « بلانكا » ، التى كانت تصحبه متهادية الى جانبه ، وقلبها يفيض بالحب مثل قلبه

ثم طلع القمر ، فنشر ضياءه الشاحب كالغلالة البيضاء على هذه المحاريب المحرومة ممن كانوا يعمرونها من المصلين الاتقياء ، وكالابسطة من خيوط الفضة على الرحبات الموحشة الخالية من الغادين والرائحين من سادة القصر والسفراء . كذلك نقش القمر بأشعته على العشب وعلى جدران المقاصير واساطين الاروقة ، تخاريم معمارية أخف من « الدانتلا » ، بل ألطف من الهواء ، كما حركت أشعته الظلال على شآبيب مياه النوافير الصاعدة المتناثرة ، وعلى اعطاف الشجيرات المائسة المترنحة مع نفحات النسيم

هذا والبلبل قائم كالمؤذن يهتف على رأس شجرة سرو عالية اخترقت قباب مسجد متهدم ، فتتجاوب الارجاء فى هدأة الليل المقمر بأصداء هتافه الشجى ، الرخيم الحزين

فى هذه الليلة القمراء ، العامرة بالجمال والحب ، لم يتمالك « ابن حامد السراجى » ان نقش اسم « بلانكا » على الرخام الاملس المسنون الذى يزين من أبهاء قصر الحمراء « قاعة الاختين » . وكان الفتى العربى — مع المامه باللغة الاسبانية — قد آثر ان يكون نقش اسمها بحروف عربية ، ليجد زوار المكان من غير العرب ، سرا غامضا جديدا يفكرون فى حله فى هذا القصر العربى الكثير الاسرار »

دور فى قصة قصيرة



اميل زولا : رواد مذهب الطبيعة

والآن لنتقل مع القمر من ذلك الوسط الراقى الاسبانى العربى فى قصة الكاتب الفرنسى الفيكونت دى شاتو بريان ، الى الوسط الشعبى من تجار وفلاحين فى قصة لاشهر كتاب القصص القصار « موباسان ١٨٥٠ ـ ١٨٩٣ » الـذى قضى صباه فى الريف النورماندى ، حتى انتظم فى سلك الحرس المتنقل فى حرب السبعين بين الالمان والفرنسيين وهى خاتمة عهد الامبراطور نابليون الثالث ، وبعدها التحق ـ رغبة الاقامة فى باريس ـ بوظيفة صغيرة فى مكتب من مكاتب احدى الوزارات ، ولكنه كان معظم الوقت بعيدا عن مكتبه يزاول الرياضة البدنية ، ويعد نفسه للحياة الادبية تحت رعاية الروائى الكبير « فلوبير » مؤلف أعمق قصة تحليلية للمرأة « مدام بوفارى » ، علاوة على حضوره كل خميس للندوة التى كان يعقدها فى منزله « اميل زولا » صاحب مذهب « الطبيعية » الداعى الى تصوير النوازع الدنيا فى الطبيعة البشرية

وقد كان من رضا « اميل زولا » عنه أنه عندما نشر مجموعة قصص لنفسه ولتلاميذه بعنوان « ليالى ميدان » خص قصته بمكان الصدارة وجعل المكان الذى يليه لقصة « موباسان » عن احدى العواهر وفضائح المحتلين الالمان معها ومقاومتها لمقاتلهم اثناء الاحتلال ، وقد بلغ من اجتذابها الجميع الى قراءتها ان جعلت صاحبها علما من اعلام القصص بين عشية وضحاها

ذكرنا هذا كله عمدا لنكشف عما كان عليه « موباسان » من سوء الظن بالطبيعة البشرية ، وعلى الاخص غلبة ما فيها من الجانب الحيوانى عليها ، لكى ننوه بأن قصته التى تعنينا هنا وهى « القمراء » شذت وحدها عن جميع قصصه كما سنرى

وتدور القصة حول قس فى بعض القرى الفرنسية « الاب مارنيان » ، وكان من أشد رجال الدين بغضا للمرأة ونقمة عليها باعتبارها شيطان الغواية ٠

وكانت له ابنة أخت تعيش مع أمها فى منزل صغير مجاور ٠ وكان هائم السعى فى اقناعها بدخول الدير كانت من أخوات الرحمة ، ليأمن عليها من الانزلاق الى الخطيئة كغيرها ، ولكنه لم يوفق ٠ وفى ذات يوم ، تشجعت القروية العجوز القائمة على تدبير منزله ، فاخبرته لولا احتياط وتردد ، أن لبنت أخته عشيقا ٠ فابطل القس ولم يصدق سمعه ٠ فاكدت العجوز انها تذهب الى لقاء عشيقها كل ليلة بعد ان تأوى أمها الى مضجعها ، وأنهما يتلاقيان هنالك على ضفاف النهر ٠٠

وهنا ندع جانبا تلخيص البقية ، ولنترجم « موباسان » نفسه ، بنصه وحرفه : « حاول « الاب مارنيان » بعد العشاء أن يقرأ قليلا ، ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا ، فازداد حنقا على حنق ٠ ولما دقت الساعة العاشرة تناول عصاه ، وهى عصا من

البلوط رهيبة يستصحبها دائما في جولاته الليلية عند ذهابه لعيادة مريض ، وتأملها مبتسما ، لوح بها في قبضة يده الشديدة الاسر شأن أيدي أهل الريف ، ثم رفعها على حين فجأة وأهوى بها — وهو يصرف بأسنانه ويعض نواجذه — على أحد المقاعد ، فانهار تمره مطلوقا على أرض الغرفة .

وفتح الباب للخروج ، ولكنه .. وقف على الوصيد مبهوتا مأخوذا بلألاء القمراء تفيض فيضا قلما رأى الراءون مثله

كان كل شيء في حديقته الصغيرة غارقا في الضياء اللبني اللطيف ، وأشجار الفاكهة المصفوفة ترسم على اديم المشى خيال أوصالها المتفرعة الدقيقة التي لا يكسو عريها الا القليل من مخضوضر الورق .. على حين تعبق من النبات الباسق المتسلق على جدار بيته ، أنفاس زهرة العسل الذبلة العبير حتى لكأنها في حقيقة الواقع مصولة . وهذه الأنفاس تهفو في الليل المقمر أشبه بروح عاطرة



فيكتور هوجو :اشهر شعراء النزعة الرومانسية . . .

وجعل الاب يتنفس ملء صدره ، ويعب الهواء كما يعب الخمر معاقرها المدمن . ومضى متمهلا متريث الخطا مسحورا مدهوشا ، وقد غابت ابنة أخته عن باله

فلما صار في وسط الحقول ، توقف يتأمل الوادى المنبسط مغمورا بهذا السنى المترقرق ، غارقا في هذا الحسن الرقيق الذى يأنسه السارى في الليالى الساجية . وكانت الضفادع تزجى في الفضاء طوال الآناء ترجيع نقيقها المقتضب المعدنى ، والبلابل من بعيد تسلسل مثل الجمان نغمها الرخيم ، الباعث الى سبحات الاحلام دون جهد التفكير ، لتمتزج موسيقاها بلألاء هذه القمراء التى تسبى الألباب وتتيم القلوب

وبدا هنالك صف من أشجار الحور الباذخة ينثنى وينعرج متابعا للجدول في تعاريجه وحول ضفاف الجدول المرتفعة وفوقها ينعقد رباب لطيف .. بخار أبيض تتخلله أشعة القمر وتفضضه ، وتجعله وضيئا شعشعانيا

وعلق الرباب الوضىء يلف مجرى النهر المتعرج بمثل منفوش القطن الخفيف الشفيف توقف القس مرة أخرى . لقد غامر نفسه في أعماقها حنو متزايد لا يغالب وغشيته حيرة وقلق مبهم ، وأحس باستفهام يخالجه من قبيل تلك الاستفهامات التى يطرحها على نفسه في كثير من الاحيان

فيم يصنع الله هذا ؟ وما دام الليل قد جعل للنوم ، للسبات وفقدان الوعى ، للراحة ، للنسيان الشامل .. فما الداعي الذى جعله أبدع من النهار رونقا وحسنا ، والطف من الاسحار والاصائل ؟ وما بال هذا الكوكب السارى الباهر يطلع بطلعته

الشاعرية ، فيكون أشجى شاعرية من الشمس ، وكأنه بضيائه اللبن الذى لا يغلو غلوها في كشف الأستار وفضح الاسرار ، مهيأ للتجلية عن أشياء الطف مادة وادق معنى من أن يجلوها النور .

ما بال هذا الكوكب السارى يغشى الليل بضيائه ، حتى تنشف غياهب ظلماته ؟

فيم اظهار هذه الفاتن التى لا يبصرها الناس الا هم في مضاجعهم راقدون ؟ ولمن هذا المشهد الجليل ، هذا الفيض الشعرى تغدقه السماء على الارض ؟

لم يدرك القس لذلك سببا .

وإذا هناك ، في أطراف المرج ، تحت قباب الشجر المبلل بالرباب الفضي ، خيالان متراتيان يسيران جنبا الى جنب

الرجلُ أطول قامة ، وهو يماشي صاحبته مطوقا جيدها ، يلثم من حين لآخر جبينها . وقد انبعثت الحياة فجأة منهما في هذا المنظر الماثل الجامد الذي يحيط بهما كاطار سحارى صيغ لهما !! وكأنما هما معا كائن واحد .. الكائن الذي اختصته القدرة بهذه الليلة الهادئة الساجية

عندها قال الفتى في نفسه : « لعل الله خلق هذه الليالي ليسبغ أروع الاستار على حب البشر » .

وولى الفتى مدبراً مشدوها ، يكاد يتعثر من الخجل ، كأنما اقتحم هيكلا لا يحق له دخول حرمه .

« ألفريد » يداعب القمر

كان « ألفريد دى موسيه » ١٨١٠ ــ ١٨٥٧ من أبناء باريس ، وقد جرب بعد دراسته الثانوية دراسة الحقوق ثم الطب ، وأخيرا انصرف بكليته الى الاشتغال بالادب استجابة من قلبه الشاب لنداء عرائس الشعر ، وكان للفتى من موهبة الحساسية استعدادات طبيعية لا مثيل لها ، ولكنه أتلفها من التمادى في حياة الملاهي والانغماس في الملذات مبكرا منذ حداثته ، وهو ذو طبع عصبي ، متقلب الاطوار .
وكان قد انضم منذ سنة ١٨٢٨ الى سهرات الندوة الرومانسية الاولى ، ومن أشهر شعرائها « فكتور هيجو » فأحسنوا استقباله ، فكان طفلهم المدلل ، وقد جاراهم على ملعبهم الشعرى ، من الاعجاب بكل غريب ، وكذلك كل غامض حزين أو حالم مثل غروب الشمس ومنظر المقابر في القمراء بالليل ، وطلعة القمر الشاحب وسراء التعب الوالي ، وغيرها من أمثالها ، مع عرض تلك المناظر في قوالب من النظم جديدة ، وفي تعابير غريبة وتخيلات أغرب

ومن الاشعار التى ينطوى عليها ديوان « الاشعار الاول » لألفريد دى موسيه « أنشودة الى القمر » وهذه الانشودة الشهيرة هي أغرب ما في هذا الديوان من شعر من حيث الاغراب في معانيها وألفاظها ومبانيها ، لا مصادفة ولكن عن عمد ، تهكما وسخرا من بعض شطحات الرومانسيين وعلى رأسهم « فكتور هيجو » الزعيم .
يقول « ألفريد دى موسيه » في هذه الانشودة :

يا قمر !.. أية روح كئيبة ، تهيم
معلقة بخيط مثل « البالون »
في ظلام الفضاء الرحب
عارضا وجهك كاملا أو من جنب

***

أتراك عين للسماء
يالك من ملاك صغير مراثى
تغمز لنا بعين واحدة
من وراء قناعك الابيض الكابي

***

أم تراك لست الا كرة مكعبرة
أو عنكبوت الحقل ضخما كالكتلة المكورة
متدحرجا
لا ساق له ولا ذراع

***

أم أنت ــ وذلك وهم من ظنونى ــ
وجه لساعة من حديد قديم

ساعة دقاقة
ولكن للمعذبين اهل الجحيم
***
حول جبينك تدور العقارب
وكل من في الجحيم يرقب سيرها ، ويحاسب
كم بقى لنا
من هنا حتى آخر الأبد ؟

فى حقل النجوم

وأخيرا ، فان الادب الفرنسى ، وخاصة الشعر ، قلما يجد فى دنيا الواقع كلهـــا ينسيه أن الرمز من ورائها ..

ومصداقا لهذا نذكر هذين البيتين المشهورين فى وصف القمر ، لشاعرنا العربى القديم « ابن المعتز » من شعراء القرن التاسع الميلادى ، حيث يقول :

انظر الى حسن هلال بدا ... يهتــك من انواره الحندســا
كمنجل قد صيغ من فضة ... يحصد من زهر الدجى النرجسا

لهذا التشبيه نجده عند زعيم الرومانسية فى القرن التاسع عشر ، وهو « فكتور هيجو » الذى ما كاد يتجاوز مرحلة الشباب حتى نصبه أهل جيله اميرا للشعراء ، وذلك فى مقطوعة من أشهر ما نظم فى شيخوخته ، ضمنها مجموعة الاشعار التى سماها « اسطورة الاجيال » ، وهى قصة من أساطير التوراة جاء فى ختامها وصف للهـلال يشبه فى جملته ما ذكرنا للشاعر العربى .

قال « فكتور هيجو » :

كان كل شيء ساكنا فى مدينة « اور » القديمة
والنجوم ترصع السماء العميقة الغور ، الحالكة السواد
والهلال الاغر ، الرقيق الجرم ، الواضح الجبين
يلتمع فى الافق الغربى متألق الضياء
بين النجوم المنثورة كأزهار الظلماء .
والمرأة فى الحقل « راعوث » الحسناء ، راقدة بغير حراك
ساهرة ترنو بشطر عينها تحت الغطاء ، متسائلة :
اى هلال هذا ! ... اى حاصد الهى جميل
نسى فى عجلة الرحيل ، فى ليل الصيف الطويل
هذا المنجل الذهبى ، فى حقل النجوم !

ولا شك أن الشاعر العربى ، له فضل السبق الى هذا التشبيه وما فيه من بديع التصوير، وان كان الشاعر الغربى يختلف عنه فى جميع الشواهد التى أوردناها بأنه ما زال يستلهم الاساطير

أحمد راجي

ليالي القمر



ظللت اعــد ليـــالى القمــر
وارتقب البـــدر حتى ظهـــر
وفى القلب امنيــة للقـــاء
وفى النفس عاطفـــة للســمر
اسوق اليك حديث الشـــجون
واشـــكو اليك صروف القـــدر
وارســـل شعرى عل مزهـــرى
فاســـمع منك حنين الوتـــر
***
تعـــال الى زورق ســـابح
نشـــق عليه عبـاب النهـــر
بصر بدر الـــدجى زاهيـــا
يرصـــع اعطافه بالبـــدر
ى الشـــاطئين حسان المغانى
تجلت لاعينتـــا كالصـــور
جا الليل الا اصطفاق الشراع
وابلس الا حفيف الشـــجر
***
لبى شـــكاة تـــكتمتها
وقد كتم القـــلب حتى صـــبر
والى المغيب وكان الغـــروب
وعينى عل الموعـــد المنتظـــر
للت اودع شـــمس النهار
واســـتقبل الليـــل بين الذكر
ـلا الـــكون الا نجى الفـــؤاد
تناغى مع المـــوج لما هـــدر
نا البحـــر امواجـــه اقبلت
هنا النيـــل طالعه وانحـــدر
ذالى الغريـــان بعد النـــوى
وغنى الـــلى ارتجى ما حضر

مهندس
سعد
شعبان

البحث عن الماء على القمر



ترتبط صورة الحيـــاة على الارض في ممالك الحيـوان والنبات بالماء ارتباطا وثيقا ، وذلك مصداقا لقوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » · ومن هنـــا فان أي صورة من صور الحياة في افق الانسان ترتبط الى حد كبيـــــر بوجود الماء ·

وتحقيق اطماع الانسان في تعمير سطح القمر ، ونقل صورة الحيـــاة البشرية اليه تتوقف على وفرة الماء عليه ، سواء كان ذلك لاستمرار حياة رواده وزواره ، ام لاستزراع سطحه واقـــامة المنشـــات الحيوية عليه مستقبلا ·

غير أن الدارس لطبوغرافية سطح القمر ، يجد أن تضاريسه تتفاوت بين جبال شاهقة ترتفع الى بضعة آلاف من الامتار ، وبين فوهات دائرية ترصع سطحه لتسجل آثار ارتطام النيازك والشهب في هذا الســطح منذ قديم الازل · وتتفاوت اقطار هذه الفوهات بين بضعة كيلو مترات وبضعة أمتار ·· هذا الى جانب بعض الشقوق التي تلتوي بين وديان وجبـــال القمـر ومنخفضاته ·

والناظر الى سطح القمر من الارض بالعين المجردة ، يلحظ تفاوت لمعان سطحه بين داكن ولامع ، ذلك ان اشعة الشمس تنعكس بوضوح على المرتفعات العالية ، بينما تبدو المنخفضات قاتمة داكنة ، ولقد اطلق الراصدون منــذ حضارات الصينيين وقدماء المصريين والفرس والعرب على هذه المنخفضات أسماء البحار والمحيطات ، رغم انها لا تحوي قطرة واحدة من الماء ·

ومنذ عهد « جاليليو » واختراعه المنظار المقرب وعمليات رصد سطح القمر ـ باعتباره اقرب أجرام السماء الينا ـ قائمة على قدم وساق · وكذلك عمليات اطلاق الاسماء على مرتفعات القمر وبحاره (أي منخفضـــاته) مضطردة مع تقدم عمليات الرصد ·

فهناك على القمر معالم منخفضة تحمل أسماء « بحر البخار » و « بحر الخصوبة » و « بحر الهدوء » و « بحر السحاب » · « ومحيط العواصف » و « خليـــــج قوس قـــزح » · وهـــذه كلها منخفضـــات ليس فيها قطرة من الماء ، وبالتالي فليس فيها نسمة من ريح أو قطـــرة من مطر أو نتفة من سحاب، رغم ماتحمله من أسماء تعبر عن تقلبـــات الجو وظواهره ! ·

وقد عرف منذ زمن بعيد أن [illegible] لا يجذب اليه هواء أو [illegible] [illegible] ولذلك [illegible] [illegible] الذي تترتب عليه دورة تقلبات [illegible] من رياح وسحب وأمطار

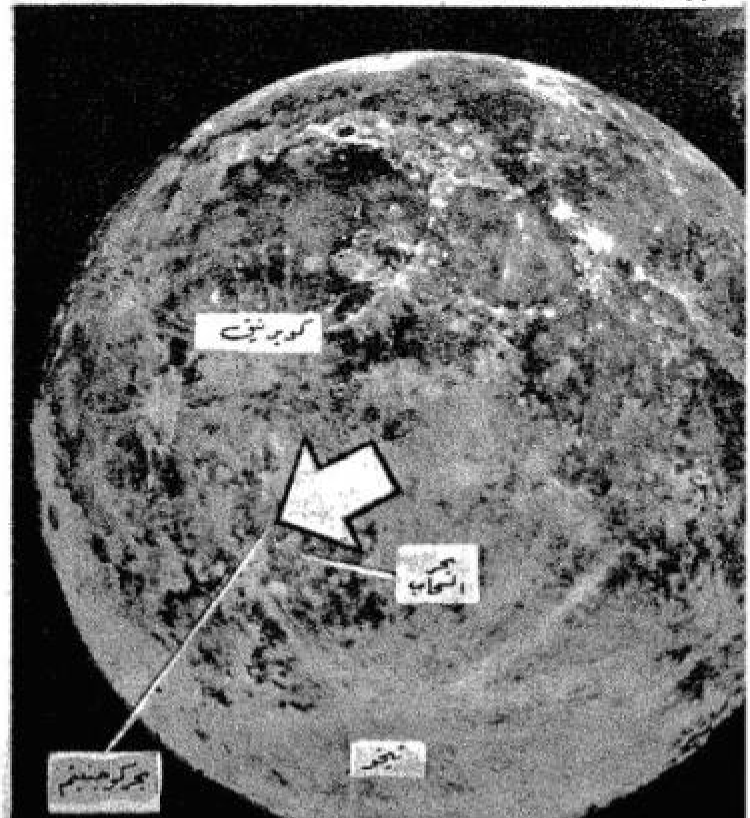
وليس عجيبا ان نجد اثار ولع علماء العرب برصد سطح القمر ، واضحة على بعض معالم سطحه ، حيث تطلق اسماء عربية على بعض معالمه مثـل فوهات « أبو الفدا ـ والفرجاني ـ والباطني » ·

ومنذ قام الاتحاد السوفييتى عام ١٩٥٩ بتصوير وجه القمر المختفى بواسطة القمر الصناعى لونيك ـ ٣، لم يشذ السوفييت عن سابقيهم فى تسمية منخفضات القمر باسماء البحار رغم يقينهم بأنها تخلو من أى آثار للماء • فهناك « بحر موسكو » و « بحر المصاعب » و « بحر همبولد » و « بحر سميث » •

السباق على الصخور

ليس بدعا أن نجد السباق محتدما بين أمريكا وروسيا فى الحصول على عينات من صخور القمر وتربته رغم اختلاف وسائلهما • فقد عمدت أمريكا الى انزال رواد الفضاء على سطح القمر لجمع الصخور بمعداتهم والعودة بها للارض • بينما عمدت روسيا الى

البحار على القمر،عبارة عن منخفضات ليس فيها قطرة واحدة من الماء ..



● كثير من فوهات القمر تحمل أسماء عربية ، أشهرها أبو الفدا والفرجانى

اطلاق سفن الفضاء الذاتية الانطلاق ، لتحط فوق القمر بدون رواد وتعمل ثقبا فى سطحه وتقوم بجمع نواتج الحفر والعودة بها الى الارض ، دون حاجة لايدى البشر .

ولقد بهر العالم عندما عادت السفينة السوفييتية « لونا ـ ١٦ » الى الارض عام ١٩٧٠ حاملة عينات من صخور القمر ، كتحد صامت لهبوط الرواد الامريكيين على القمر فى رحلة « ابوللو ـ ١١ » قبل ذلك بعام واحد .. وكبرهان سوفييتى على رخص التكاليف ، وعدم التعرض لاخطار الفضاء .

ومع توالى رحلات « ابوللو » اصبح على الارض بضع مئات من الكيلو جرامات من صخور القمر بين ايدى العلماء .. وقد تبادلت امريكا وبعض حلفائها بعضا من هذه الصخور ، كما تبادلت بعضها ايضا مع روسيا وقامت بعرض عينات منها فى عدة دول . ومنذ شهور قليلة عرضت عينة منها تحت ناقوس زجاجى فى قاعة من قاعات الجامعة الامريكية بالقاهرة .

والهم الاكبر لعلماء التحليل الكيماوى والدراسات الجيولوجية ، الكشف عن طبيعة تكوين هذه الصخور ، بمعنى حصر ما تحويه من عناصر ومركبات ، سواء كانت معدنية أم عضوية ، وبالدرجة الاولى الوصول الى ما قد تحويه من آثار للماء .

ويمكننا القول انه ليس هناك جزم او تأكيد الى الآن بوجود آثار للماء ضمن هذه العينات ، وان كان ذلك فى عداد الاسرار .

ابوللو ١٧ تبحث عن الماء

يوشك برنامج « ابوللو » على نهايته فى اواخر العام الحالى ، ذلك ان رحلة « ابوللو ـ ١٧ » التى ستنطلق الى القمر فى اوائل ديسمبر ١٩٧٢ ستكون آخر رحلات البرنامج .

وجدير بالذكر ان هذا البرنامج هو ثالث البرامج الامريكية فى الفضاء فقد سبقه برنامجا « ميركورى » ، و « جيمينى » . وقد حملت كل سفينة من سفن البرنامج الاول رائدا واحدا ، بينما حملت كل سفينة فى البرنامج الثانى رائدين . وتميزت رحلات « ابوللو » التى بدأت فى اكتوبر عام ١٩٦٨ ، بحمل ثلاثة رواد فى كل من سفنها .

ولقد حقق البرنامج انتصارات علمية وتكنولوجية ، لم يكن لها مثيل فى تاريخ البشرية ، بل لم تكن تجول فى احلام العلماء .

● بحار القمر ليس فيها قطرة ماء ● السوفييت يجلبون عينات من القمر بتكاليف زهيدة ● جهاز اليكتروني تحمله أبوللو ١٧ للكشف عن الماء في قاع القمر

وقد ركزت رحلات « أبوللو » الاخيرة ، الى جانب وضع الاجهزة العلمية فوق القمر ، على احضار عينات من ترابه وصخوره .

وتدرجت انشطة رواد الفضاء فوق القمر ، من جمع صخور المناطق التي حطوا فوقها الى الانطلاق بعيدا عن منطقة الهبوط في سيارات قمرية خاصة . ثم احضار عينات من الصخور القمرية من أعماق يصل اليها

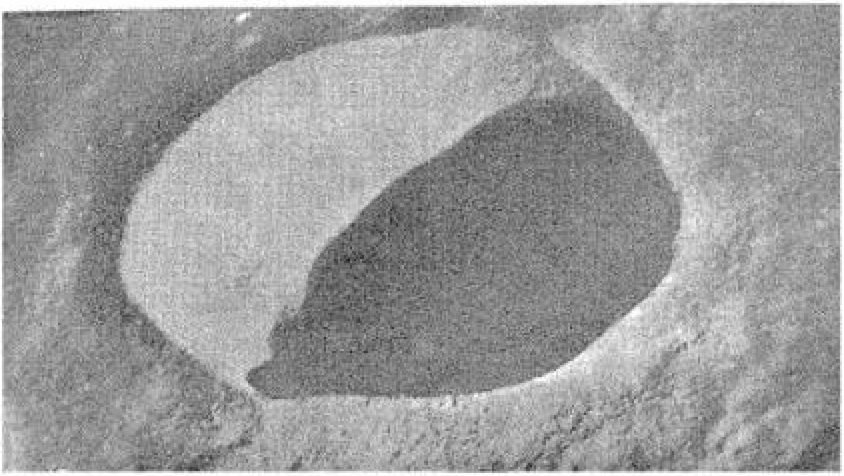
مثقاب يحفر به الرواد . كما عمدوا الى احضار كثير من الصخور من فوق جبال القمر ومرتفعاته ، ومن شقوقه ووديانه ومنخفضاته .

غير أن الهدف الرئيسي الذي ستحمل آخر رحلات برنامج « أبوللو » لحسمه

هو قضية هامة اختلف على تفسيرها كثير من العلماء ، وهي قضية احتمال وجود الماء على القمر .

ذلك أن هناك بعض الشك في وجوده وحتى الذين كان يساورهم هذا الشك من العلماء ، فقد رجحوا أن تكون آثار الماء على القمر طفيفة بحيث لا تعدو العدم . حتى طلع عليهم العالم

فوهة قمرية على وجه القمر المختفي



• بيكرنج • عام ١٩١٦ بنظرية يقرر فيها احتمال وجود الماء على القمر ، بعدما زعم أنه رصد لطعاخضراءأسفل الفوهة القمرية المسماه «أراتوسثينس» مرجحا انها لطع من الطفيليات التى تتضاءل مساحاتها بعد تعرضـــها لاشعة الشمس • ورجح بناء على ذلك أن يكون للقمر جو يحتوى على آثار طفيفة من بخار الماء يعادل جزءا من مليون جزء من بخار الماء الذى فى الغلاف للجوى الارضى •

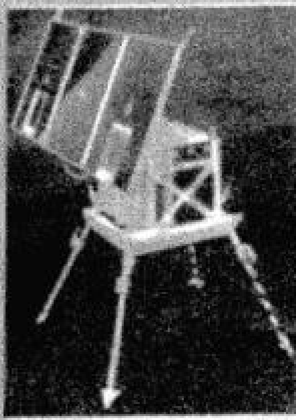
ولقد اطاحت الصور التى التقطت خلال «رحلة ابوللو – ٨ » التى تمت فى ديسمبر ١٩٦٨ بكل المفـــاهيم السابقة ، ذلك أن صور بعض المناطق المنخفضة على القمر ، ظهرت وكأنها تشبه الشواطىء التى انحسر عنهـــا الماء •

كما أن بعضا من هذه الفوهات العميقة ، ظهر على شكل حدوة حصان مفتوحة من أحد الاجناب ، وهذا لا يمكن حدوثه الا بتأثير الامواج المائية

ثورة العمران على القمر

ويرجح العالم الامريكى • مولر • وجود ماء فى قاع الفوهات العميقة على القمر، فى صورة بللورات ثلجية، وهذا هو الرأى الغالب بين ســـائر العلماء الى اليوم •

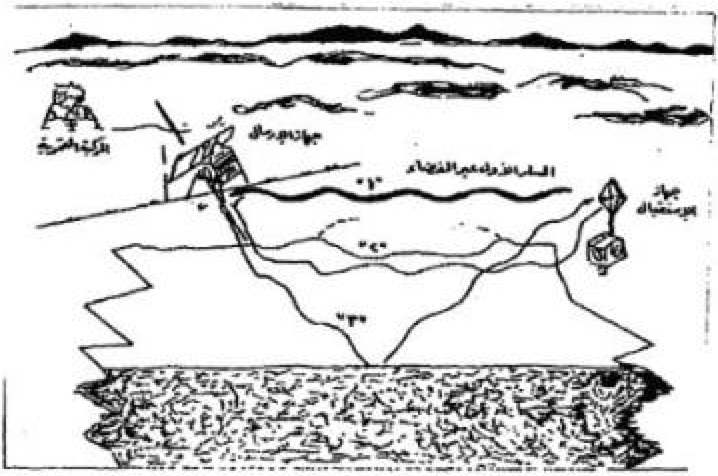
ومن هنا سيتركز البحث العلمى خـــلال رحلة • ابوللو – ١٧ • على الكشف عن وجود الماء فى أعمـــاق التربة القمرية • وقد انتقى الموقـــع المحدد لهبوط السفينة فوق أحـــد



جهاز الـــسبرتر للكشف عن الماء في أعماق القمر

الفوهات القمرية فى منطقة «[illegible]» المنخفضـــة والتى تحيط بها بعض المرتفعات البركانية •

وستعتمد عملية الكشف عن الماء أسفل تربة القمر على أجهزة الكترونية سيحملها رواد السفينة ، تتكون من أجهزة ارسال واستقبال ذات موجات خاصة ، بحيث يمكن أن تصـــــل الموجات الصادرة من أجهزة الارسال الى أجهزة الاســـتقبال عبر ثلاثة مسارات ، إما عبر الفضاء مباشرة ، وإما عبر التربة القمرية القـــريبة من سطحه ، أو عبر طبقات الصخـــور والرواسب العميقة أسفل السطح ، كل



شكل يبين كيفية البحث عن الماء فى اعماق القمر

حسب طبيعة توصيله للشرارات الكهربية .

وسيكون ممكنا التمييز بين الطبقات القمرية وطبقات الماء المتجمد او السائل لو وجد ، حتى عمق كيلو متر واحد من السطح .

ولقد صمم لهذا الغرض جهاز الكترونى ، له هوائيات ذات تصميم خاص .

وجدير بالذكر ان تجربة صلاحية هذا الجهاز على الارض استلزمت وجود عينات صخرية أرضية يمكن ان تضاهى التربة القمرية ، وقد استند فى ذلك الى بعض التجارب التى اجريت عام ١٩٣٠ بواسطة بعض الشركات الاجنبية فى مصر للكشف عن طبقات المياه الجوفية فى الصحراء الغربية .

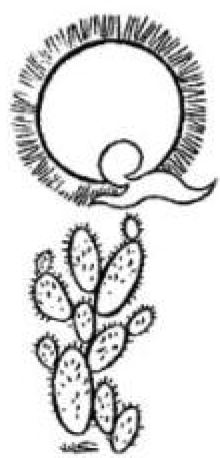
ولا شك ان مثل هذه التجارب على القمر ، لن تكشف عن طبقات الماء المتجمد تحت التربة القمرية فحسب ، بل ستكشف ايضا عن الطبقات القمرية .. واية رواسب معدنية او عضوية مثل الفحم او المعادن او الزيوت . بحيث يمكن القول بان خريطة جيولوجية لقاع القمر سترسمها هذه الاجهزة فى المستقبل القريب .

ولا شك ان بحوث الفضاء ، وثورة العمران على القمر ، ستتوقف الى حد كبير على هذا الكشف المرتقب ..

إيليا أبو ماضي



ليلة قمرية



اشرف البدر على الغابة فى احدى الليالى
فراى الثعلب يمشي خلسة بين الدوالى
كلما لاح خيال خاف من ذاك الخيال
واقشعرا !

وراى ليثا هصورا واقفا عند الغدير
كلما استشعر حسا ملأ الوادى زئير
فاذا بالماء يجرى خائفا عند الصخور
مكفهرا !

وراى البدر ابن آوى يتهادى فى الفضاء
كمليك حوله الشهب جنود واماء
قال : لو كنت رفيق البدر ، او بدر السماء
او خياله

عشت حرا ،جيرتى الشهب ، ولى الظلماء مركب
آمنا العب بالبرق ، وطورا بى يلعب
لا ابالى سطوة الراعى ، ولا الكلب المجرب
وصياله ٠

غير ان الليث لما ابصر البدر الضحوكا
قال : يا ابن الليل مهما اشتهى لا اشتهيكا !
انت وضاح ، ولكن فاحل لاصيد فيكا ٠ ٠ ٠
او حيالك !

لك هذا الافق لكن هو ايضا للكواكب
انما لو كنت ليثا ذا نيوب ومخالب
لم تعث فى وجهك الوضاح الحالك الثعالب
صن جمالك !


صلاح جلال
وماذا بعد هبوط

وضعت الادارة القومية للملاحة الجوية والفضاء (ناسا) برنامجا لرحلتين منفصلتين خلال السنوات العشر القادمة للمناطق البعيدة في المجموعة الشمسية .

وفي الرحلة الاولى ، يتم ارسال سفينتين فضائيتين من طراز « بيونير » الى مسار يسمح لهما بالوصول قريبا من المشترى ، والكشف لاول مرة عن محيط الكوكب العملاق . وقد انطلقت اول سفينة من طراز « بيونير – ف » في فبراير الماضي وستصل بجوار المشترى في اوائل ١٩٧٤ . اما « بيونير – جـ » فهي مخصصة لرحلة في ابريل ١٩٧٣ حيث تصل هناك قبل ١٩٧٥

وبرنامج التجارب المعلنة لهذه الرحلة من نوعين :

النوع الاول : مخصص لكشف الجو المغناطيسي للمشترى بقياس المجال المغناطيسي وطبيعة البلازما (احدى حالات المادة) والاشعة الكونية والجزيئات المشحونة ، وسيتم اخذ هذه القياسات اثناء مرور السفينة بين احزمة الاشعاع الموجودة في جو المشترى .

النوع الثاني : خاص بالكوكب نفسه لكشف مناطق الجو العليا عن طريق قياس نسب الاشعاعات فوق البنفسجية التي يبعثها المشترى ومعرفة حقل وتاريخ المشترى . وستحمل « بيونير – جـ » جهازا لكشف الاشعة تحت الحمراء .

سفينة واحدة لخمسة كواكب

وتعتزم (ناسا) في اواخر السبعينات اطلاق مركبتين فضائيتين في عام ١٩٧٧ وعام ١٩٧٩ ، للقيام برحلة واحدة الى خمسة كواكب بعيدة ، هي : المشترى ، زحل ، نبتون ، اورانوس ، بلوتو – على مدار بشكل يسمح لسفينة واحدة منطلقة من الارض ان تسير خلف المشترى ثم زحل وتتجه الى اورانوس ثم نبتون قبل أن تهرب من جاذبية النظام الشمسي .

ووضع الكواكب الخارجية على هذا النحو نادر للغاية ويحدث مرة كل ١٧٩ سنة ، وتقع هذه الفرصة في الوقت الذي يحصل الانسان فيه على امكانيات غزو الفضاء . وفي الظروف العادية يحتاج وصول سفينة فضاء في رحلة مباشرة الى « بلوتو » – الذي يبعد عن الارض بمقدار ٣٠ مرة المسافة بين الشمس والارض – الى ٤٠ سنة ، اما في الرحلة الكبيرة هذه الى الكواكب الخمسة في هذا الوضع فسيختصر زمن

الإنسان على القمر؟

الرحلة الى « اورانوس » و « نبتون » الى سنوات قليلة باستخدام المجال المغناطيسى القوى لكوكب المشترى ليجذب المركبة الفضائية ، وهذه المغناطيسية يمكن استخدامها لتعجيل او تبطيء السفينة .

وقد اتفق السوفييت والامريكيون على التحام فى الفضاء بين سفينتى فضاء سوفييتية من طراز « ساليوت – سيوز » وامريكية من طراز « ابو للو » .

وسيبدأ الاتحاد السوفييتى باطلاق سفينة فضاء من طراز « ساليوت » فى حوالى ١٠ يونيو ١٩٧٥ ، وفى اليوم التالى ستطلق سفينة فضاء من طراز « سيوز » تحمل ٣ رواد فضاء سوفييت لتلتحم بالسفينة « ساليوت » وليصبحا جسما واحدا .

وبعد ثلاثة ايام من هذا الالتحام ينطلق الصاروخ الامريكى من طراز « ساتيرن ا – بى » يحمل سفينة فضاء من طراز « ابوللو » لتدور فى الفضاء وفى مدار بيضاوى عرضه ١٦٠ كيلو مترا وارتفاعه ١٢٩٫٦ كيلو متر ، وفى اليوم التالى (١٥ يونيو ١٩٧٥) ، تغير « ابوللو » مسارها الى مدار دائرى قطره ٢٦٠٫٢ كيلو متر ، وهو نفس المدار الذى تتحرك فيه السفينة « ساليوت – سويوز » .

وفى هذا المدار يتم الالتحام التاريخى بوساطة اجهزة الالتحام المشتركة وسيبقى الالتحام مدة يومين حيث يتبادل رواد الفضاء الستة السوفييت والامريكيون الزيارات داخل السفينتين ، والقيام بتجارب علمية مشتركة .

وفى نهاية اليومين تنفصل « ابوللو » لتواصل برنامجها فى الفضاء لمدة ١١ يوما اخرى لدراسة مصادر الثروة الطبيعية على الكرة

● سباق الفضاء الحقيقى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى هدفه الوصول إلى الكواكب البعيدة

● المريخ والزهرة أول أهداف اكتشاف الفضاء البعيد

الارضية وتسجلها بالصور .

وفى عام ١٩٧٦ ، يمكن القيام بعمل مشترك اخر فى الفضاء على ان يستمر التحام السفينتين لفترة اسبوعين يتم خلالهما القيام بتجارب علمية كثيرة داخل السفينتين وخارجهما .

وسيخلع كل من رواد الفضاء السوفييت والامريكيين « بدلات » الفضاء اثناء عملية الالتحام عند تحركهم من سفينة الى اخرى .

وستبدأ الزيارات باثنين من الرواد الامريكيين الى السفينة السوفييتية « ساليوت – سويوز » ثم يزور رائدان سوفييتيان السفينة « ابوللو » ، وستبدأ التجارب العملية بدراسة اجهزة السفينة الاخرى والتعود على الحياة بداخلها لمدة ٤ ساعات ونصف الساعة ، وبعدها ٨ ساعات نوم او راحة ، ثم تعقبها تجارب علمية اخرى لمدة ٦ ساعات وتناول الغداء ثم النوم استعدادا لفترة العمل الثالثة التى تستمر ٤ ساعات ، ثم يتبادل الرواد

اماكنهم في السفينتين حتى تتاح الفرصة لكل الرواد الثلاثة السوفييت لزيارة « ابو للو » والعكس ٠

مشروعات السنوات العشر القادمة في الفضاء

(١) « فايكنج » ـ للبحث عن اثر حياة على المريخ ٠

(٢) « بايونير » ـ تنطلق الى محاذاة المشترى ٠

(٣) « مارينر » و « هليوس » ـ تقتربان من الشمس لدراسة عطارد٠

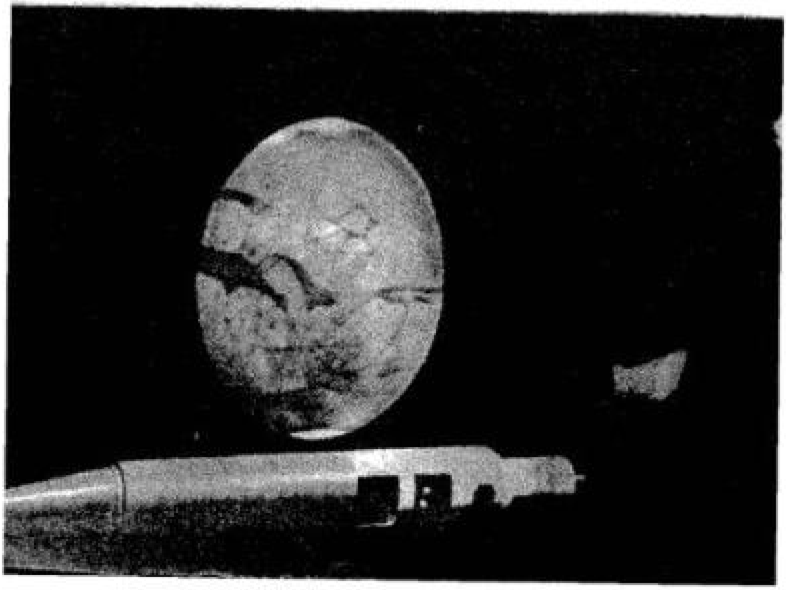
واذا كانت عمليات الاستكشاف للكواكب الاخرى بسفن فضاء ميكانيكية قد اقتصرت على اقرب جارات الارض وهما الزهرة والمريخ فان اوائل السبعينات ستوسع نطاق هذه الرحلات في مجال الفضاء الخارجى ، لتشمل الكويكبات السيارة والمشترى ، وتمتد في الفضاء الداخلى الى عطارد ، والى اجرام اخرى اقرب الى الشمس ٠ ثم الى التغلغل بعيدا في الفضاء الخارجى، والوصول الى ما وراء كوكب المشترى ٠

وفى عام ١٩٧٥ ستقوم سفينتان فضائيتان « فايكنج » برحلة الى مدار المريخ ، وبعد أن تبلغاه ستطلق كل منهما كبسولة تزن ٢٥ كيلو جراما تهبط هبوطا لينا على الكواكب ٠

وسيتم اختيار موقع الهبوط بعد دراسة المعلومات التى ترسلها « مارينر » الى الارض وستكون مهمة « فايكنج » البحث عن الجواب لسؤال : هل هناك حياة في مكان اخر غير الارض في هذا الكون ؟

ومع أن للمريخ جوا رقيقا وفيه القليل من الماء فانه كوكب يستحق

مركبة الفضاء التى يتم تجميعها على مراحل فى مدار حول الارض قبل انطلاقها للمريخ ٠ ٠ ٠ ٠



الفراغية بطريقة ما اذا كانت هناك داخل حياة عليه ·

وسيحوي ١٢ جهازا في مركبة الهبوط في السفينة « فايكنج » رصد العوامل البيولوجية ، والكيميائية ، والبيئة التي لها علاقة بوجود حياة او لا · كما ستقوم الكاميرات التليفزيونية والاجهزة الاخرى الموجودة في السفينة بدراسات لبيئة المريخ ·

واول رحلة الى ما وراء المريخ ستقوم بها السفينة الفضائية (بايونير) ، ومن المقرر ان تستكشف الكوكب العملاق المشتري (وهو خامس الكواكب السيارة من حيث البعد عن الشمس) · وقد جاء « بايونير » برحلته اليه في اوائل عام ١٩٧٢ · وستستغرق اكثر من سنتين · وفي طريقها اليه ستخترق ثلاثة « الحزام الكويكبي » بين المريخ والمشتري وعند وصولها اليه ستخترق حل سر موجات المشتري الراديوية وبقعته الكبيرة الحمراء ، التي يبلغ قطرها ثلاثة اضعاف قطر الارض ·

وبعد رحلة عام ١٩٧٣ ، ستنطلق سفينة الفضاء « مارينر » ، التي ستمر على مقربة من كوكب الزهرة ، وستقوم بحل الزهرة المغناطيسي وتحويل رحلتها الى عطارد ، اقرب الكواكب الى الشمس ·

وبعد سنة واحدة ستطلق السفينة الفضائية « هليوس » الارض الى نقطة تبعد ٤٥ مليون كيلو متر فقط من الشمس ، الى داخل مدار عطارد · و « هليوس » وهو مشروع تعاوني بين المانيا الاتحادية والولايات المتحدة · ويشتمل على اول استخدام صواريخ امريكا الفضائية الدولية · وتتولى المانيا بناء هذه السفينة « هليوس » التي ستحمل مجموعة اجهزة المانية والاجهزة امريكا · وستتحمل حكومة المانيا الاتحادية الجزء الاكبر

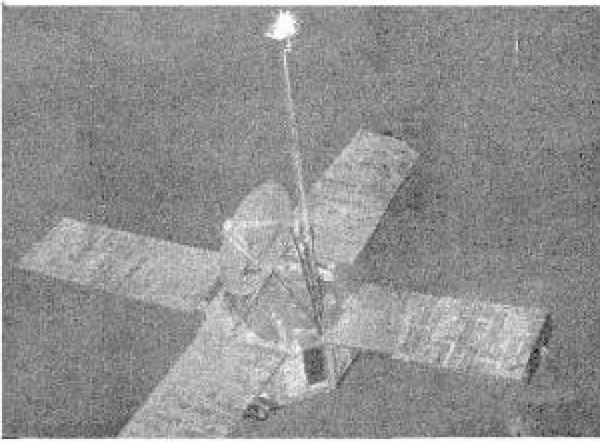
من التكاليف التي يتوقع ان تزيد على ١٢٥ مليون دولار ·

وتعتمد الولايات المتحدة للاستفادة من وضع نادر للكواكب وهو تلاقيها ، فخلال هذا التلاقي الذي يحدث مرة كل ١٠٠ سنة سيكون في وسع السفينة الفضائية التي تمر على مقربة من المشتري ان تواصل سيرها الى

● بعد ١٠ سنوات سيهبط الإنسان بنفسه فوق المريخ بحثا عن الحياة هناك

الكواكب الخارجية · في نفس الرحلة · وفي عامي ١٩٧٦ و ١٩٧٧ سيكون في الامكان القيام برحلتين من هذه الرحلات الكبيرة · الى المشتري ، وزحل ، ونبتون · وفي عام ١٩٧٩ برحلة الى المشتري ، واورانوس ، ونبتون · وستستغرق هذه الرحلات من ٨ الى ١٠ سنوات ·

سفينة الفضاء « مارينر ٩ » التي تدور الان حول المريخ ... ١٩٧٢ ... بكاميرات تليفزيونية واجهزة ...



ومن النتائج المحيرة التي توصل اليها العلم حديثا ، الاكتشاف المحتمل لواحد من « الثقوب السوداء » في الفضاء ، وهي نجوم بلغت من الكثافة بحيث تمنع جاذبيتها تسرب أي ضوء مرئي الينا ٠

وخلال السبعينات ستتركز عمليات الرصد الفلكي الامريكية على الفضاء الداخلي باتجاه شمسنا ، وفي الفضاء الخارجي حتى حافة الكون المعروف ٠

وعام ١٩٧٣ سيقوم ملاح فضائي ـ فلكي ، من المحطة الفضائية التجريبية « سكاي لاب » ، بتدعيم فاعلية « تلسكوب أبوللو » باضافة اربعة اجهزة لدراسة الشمس بالاضافة الى مراصد شمسية مدارية ميكانيكية تطلق مرة كل سنتين تقريبا ٠ مما سيمكن علماء الفلك من مواصلة استكشاف الفضاء الخارجي في اوائل السبعينات بالاضافة الى قمر صناعي الى أضخم ، هو « المرصد الفلكي ذو الطاقة العالية » ومن المقرر أن يبدأ رحلاته عام ١٩٧٥ ٠ وسيجهز هذا القمر الصناعي لتجميع الاشعة الكونية وبعض من مسبد المادة، الذي قد يأتي من المجرات البعيدة ، وكذلك اطلاق تلسكوب فضائي كبير (قطره متران) الى الفضاء ٠

محطة الفضاء « سكاي لاب »

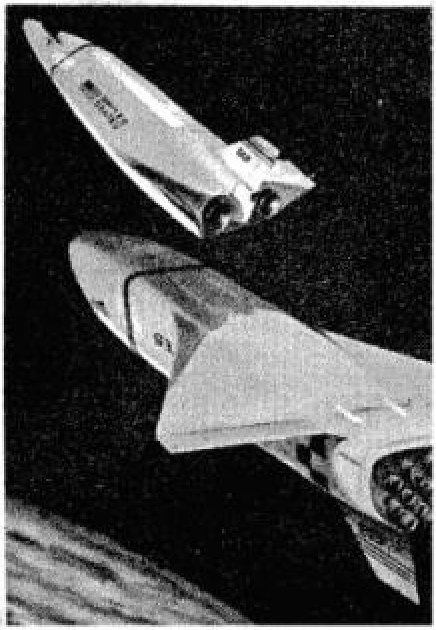
تجارب لاختبار قدرة رواد الفضاء على تحمل الرحلات الطويلة

لقد اظهرت رحلات الفضاء ، أن اشخاصا مدربين كما ينبغي يستطيعون أن يعيشوا ، وأن يؤدوا عملا نافعا مفيدا ، في المدار لفترات اقصاها ١٥ يوما ، وقد أمضى اثنان من (رواد الفضاء) السوفييت ثمانية عشر يوما في الفضاء ، وعام ١٩٧٣ سيطير رواد داخل محطة فضائية تجريبية لاختبار مدى قدرتهم على العمل ومدى اجادتهم لهذا العمل خلال رحلات طويلة داخل مركبات مغلقة واكبر حجما ٠ ومن المقرر أن تبقى محطة الفضاء « سكاي لاب » في الفضاء لمدة عام تقريبا ٠

وسيتم زيادة المحطة اثناء وجودها في الفضاء بثلاث مجموعات من رواد الفضاء في ٣ زيارات ٠ وكل مجموعة ثلاثة رواد كل منها ثمانية أسابيع ٠ وستضم قائمة الزوار بعض رواد الفضاء والعلماء ٠ ومن المقرر أن يجروا حوالي ٥٠ تجربة في مختلف المجالات العلمية والفنية ٠ ومنها ٢٠ تجربة في علوم الحياة لمعرفة كيف يمكن للبشر ان يتكيفوا ويعملوا لمدة طويلة في حالة انعدام الوزن ٠

وداخل المحطة الفضائية « سكاي لاب » مجال حيوي مساحته ٣٥٠ مترا مكعبا ، يوازي ما يتوافر في مسكن يتالف من سبع أو ثماني غرف ٠ والقسم الرئيسي في المحطة هو « الورشة المدارية » ، يتكون من خزان

مركبة الفضاء « فايكنج » والتي ستتكرر رحلاتها للفضاء



● تعاون علمي مباشر بين موسكو وواشنطن في برامج الفضاء القادمة لالتقاط الرسائل الواردة من الكواكب والنجوم

الايدروجين للمرحلة الثالثة في صاروخ الاطلاق « ساترن ٥ » .

واقسام المحطة هي : الممر الهوائي .. وحجرة المراقب (التلسكوبات) ، ووصلة الالتحام المتعددة المسالك ، حيث تلتحم مركبة « ابوللو » المعدلة بالمحطة الفضائية . وستحملهم « ابوللو » الى المحطة ، ثم تعيدهم الى الارض بعد انتهاء مهمتهم .

ومن التجارب الرئيسية دراسات تلسكوبية للشمس ورصد الثروة المعدنية على الارض .

وسيقوم رواد الفضاء داخل معمل الفضاء « سكاى لاب » بلحم ، وصهر ، وصوغ المعادن ، واجراء التجارب في الانتاج المعدني والبلوري في الفراغ ، وفي حالة انعدام الجاذبية .

محطات دائمة ومركبات يعاد استعمالها

لقد انخفضت تكاليف برامج الفضاء في السنوات العشر الاولى غير انها ما زالت مرتفعة ففي سنة ١٩٥٨ ، كلف اطلاق أول قمر صناعي امريكي « اكسبلورا ١ » باكثر من ٢٠٠ الف دولار للكيلو جرام الواحد .. وباستعمال صواريخ الاطلاق الحالية ، انخفضت هذه التكاليف الى ٢٠٠٠ دولار للكيلو جرام ، ولكن صنع واختبار اقمار صناعية تعمل لمدة طويلة ، فان تكلفة الكيلو جرام تبلغ نحو ٤٠٫٠٠٠ دولار .

واتجهت البحوث الى صنع سفن فضاء يعاد استعمالها مرارا في السفر الى الفضاء والعودة الى الارض .. تماما كطائرة عادية تقوم برحلة بعد اخرى .

وبوجود مثل هذه السفن الفضائية التي يعاد استعمالها تكرارا ، فان تكاليف اطلاق اقمار صناعية الى الفضاء واعادتها الى الارض يمكن تخفيضها الى حوالي ٢٠٠ دولار للكيلو جرام ، اي ما يعادل عشر التكاليف الحالية لرحلة من الارض الى المدار ، بل ويمكن تحقيق وفر اكبر في تكاليف الاقمار الصناعية ذاتها بمحركات نفاثة لاستعمالها وهي تقترب من الارض . كما يجب ان تكون قادرة على نقل ما زنته ٣٠٫٠٠٠ كيلو جرام – كحد اقصى – الى المدار والعودة بحمولة مماثلة الى الارض . ومع ذلك ، فقد تكون مسألة اعادة الاستعمال للناقلات الفضائية اعظم التحديات التي تواجه المشروع . فاعادة الاستعمال تعني تصميم مركبة فضائية تستطيع الصمود امام مشقة وضغط العودة الى جو الارض مرارا وتكرارا . كما تعني أيضا ايجاد نظام صيانة شبيه بالنظام المتوافر في المطارات لخدمة الطائرات .

وانخفاض التكاليف حالما يصبح نظام الناقلة الفضائية فعالا ، سيسهل الى درجة كبيرة ، تحقيق الفوائد من الطيران الفضائي . فبوجود الناقلة الفضائية والقارب الفضائي سيتسنى تخفيض تكاليف الرصد الجوي واقمار الطيران والاتصالات ، ومسح موارد الارض ، وكافة البرامج المتعلقة بالاستكشافات والبحوث الفضائية .

وبمثل هذه التكاليف المخفضة سيكون من المناسب نقل اعداد متزايدة من المتخصصين الى الفضاء — من علماء ، ومهندسين ، وفنيين ، ومصورين ، وصحفيين ، وتليفزيونيين — وكل ما ستتطلبه الناقلة الفضائية هو أن يكون ، ركابها ، بحالة صحية جيدة · وأى انسان يجد لديه من الاسباب ما يبرر ذهابه الى الفضاء سيذهب ، تماما كما يطير الناس الان ، بصورة روتينية ، الى القطب الجنوبى ، ومناطق اخرى نائية على الارض ·

وفى مثل هذه الاحوال لن يكون الطيران على المركبات الفضائية الامريكية مقصورا على المواطنين الامريكيين فأناس من بلدان كثيرة سيعملون فى الفضاء لتحقيق الفوائد المرجوة للبشرية جمعاء ·

الانسان سيهبط على المريخ خلال عشر سنوات

أكد الدكتور وارنر فون براون مدير برنامج « ابوللو » أن الانسان سوف يضع قدمه لاول مرة على المريخ بين عامى ١٩٨٠ ، ١٩٩٠ وسيواصل زحفه على الكواكب الاخرى · وفى المستقبل فان تكاليف رحلات الفضاء سوف تنخفض كثيرا بحيث تصل الى ١٠ فى المائة فقط مما هى عليه الان ·

وتبين من المعلومات الواردة من محطتى الفضاء « مارس — ٢ومارس — ٣ » اللتين دارتا حول المريخ وجود ذرات الهيدروجين والاوكسيجين فى الطبقات العليا من الغلاف الجوى المحيط بالكوكب ·

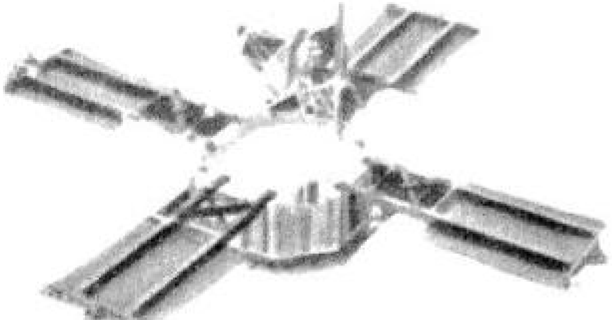
وقد سجلت أجهزة المحطتين وجود « غلاف هيدروجينى » على ارتفاع يتراوح بين ١٠ آلاف و ٢٠ الف كيلو متر من سطح المريخ ، ووجود « غلاف أوكسيجينى » على ارتفاع يتراوح بين ٧٠٠ الف كيلو متر من سطح الكوكب·

كذلك دلت هذه المعلومات على ان الحرارة لا تهبط فى بعض المناطق من الوجه المضىء للمريخ الى ادنى من ١٥ درجة مئوية تحت الصفر ، ولكن بعض مناطق الوجه المظلم ، الذى لا يواجه الارض اطلاقا · تصل فيها أقصى درجة لحرارة الجو الى ٢٥ درجة مئوية ·

وضمن برامج الفضاء لما بعد القمر انطلقت سفينة الفضاء « بيونير ١٠ » الى كوكب المشترى فى أطول رحلة سفينة فضاء تقطع خلالها حوالى الف مليون كيلو متر لتصل الى المشترى — اكبر كواكب المجرة — فى ٢ ديسمبر عام ١٩٧٣ ·

وتستهدف رحلة سفينة الفضاء الامريكية التقاط عدد من الصور للكوكب الغامض الذى يطلق عليه اسم « الكوكب الاحمر » بسبب وجود بقعة حمراء ضخمة فى وسطه ، وللاقمار الاثنى عشر التى تدور فى فلكه وقياس الاشعاعات القاتلة التى تحيط به والتى تقدر قوتها بحوالى مليون مرة من الاشعاعات المحيطة بالارض · ولكن اهم ما يتضمنه برنامج الرحلة هو معرفة ما اذا كان هناك اى نوع من انواع الحياة فوق سطح الكوكب الغريب الذى يبلغ قطره ١٣٩٨٠٠ كيلو متر ، ويبلغ حجمه ١٢٩٥ مرة من حجم الارض ·

وتحمل « بيونير ١٠ » على جانبيها لوحات بها رسوم مبسطةتوضح المكان الذى جاءت منه ، وتاريخ مغادرتها الارض ، وذلك فى حالة ما اذا هبطت السفينة على احد الكواكب فى المجرة حيث يحتمل ان تكون هناك بعض المخلوقات العاقلة · وتعتبر رحلة « بيونير ١٠ » التى تبلغ تكاليفها ٦٧ر مليون دولار اكثر رحلات الفضاء طموحا حيث أن محاولات ارتياد الفضاء الأمريكية والسوفيتية لا تتجاوز كوكبى المريخ والزهرة ، كما تعتبر « بيونير ١٠ » أسرع سفينة



تعبر سفينة الفضاء «مارينر» بمفاصل اجزائها ، احسب انواع سفن الفضاء للوصول الى المريخ . . . . . .

انطلقت في الفضاء حتى الان حيث انها تسير بسرعة ٥٠ الف كيلو متر في الساعة ، بزيادة قدرها ١١٢٠٠ كيلو متر عن أسرع سفينة فضاء انطلقت حتى الان .

ومن المنتظر ــ بسبب سرعة السفينة ــ أن تعبر مدار القمر خلال ١١ ساعة وفرص وصول « بيونيــــر ١٠ » الى الكوكب المتوغل فى أعماق الكون تصل الى ٩٠٪ بالرغم من الاخطـــار التى تعترضها وتتمثـــــــل فى احتمال اصطدامها ببقايا الشهب والنيـــازك المتناثرة فى الفضاء الخارجى .

وبالنسبة لامكان نشوء الحياة فوق كوكب لا توجد فيه مياه ، فقد أعلن عالمان من جامعة كولومبيا الامريكيــة أنهما أكملا تجارب علمية تشير الى احتمال نشوء الحياة فوق كوكب أو مكان آخر فى الفضاء لا توجد فيه مياه . وقد تمكن العالمان جوستا وولن « السويدى المولد » ودافيد أريكسون من تحضير أحماض أمينية « تعتبر من أسس تركيب الحياة » فى معملهمـــا وذلك بدون استخدام الماء .

محطات فضـــاء يقودها آدميـــون

أكد العالم الســـوفييتى بوريه. بتروف رئيس مجلس البحوث الكونية باكاديمية العلوم الســـوفييتية أن السنوات العشر القادمة ستشهد توسعا ضخما فى مجال اســـتخدام المحطات الدارية التى يقودها آدميـــون والتى تبقى فى الفضاء فترات طويلة ويتم خلالها استبدال الرواد بصفة دورية .

وقال بروفيسور بتروف ــ الذى يعد من أشهر علماء الفضاء السوفييت ــ « أن هناك برامج جديدة للفضاء ، وكذلك عمليات بناء محطات مدارية من طراز ساليوت تنتظرنا . ومما لا شك فيه أننا سنبنى محطات أضخم وأكثر تعقيدا يقودها آدميون وأن بعض هذه المحطات سيكون من النوع الخاص بالبحوث والبعض الآخر سيستخدم فى أغراض متعددة » .

ويعتزم الاتحاد السوفييتى اطلاق معمل فضاء ليبقى فى مدار حـــول الارض لمدة تصل الى عام كخطوة أولى

نحو القامة ، قواعد فضائية ضخمة ، تبقى في الفضاء الخارجي ١٠ سنوات

وقد رسم هذه الصورة عن برنامج الفضاء السوفييتي في السنوات القادمة البروفيسور «بوريس بتروف» احد كبار المتخصصين السوفييت في شئون الفضاء . وذكر أن البرنامج السوفييتي لتحقيق هذه الاهداف سيمر بثلاث مراحل :

الاولى : اطلاق محطات فضاء صغيرة لتحقيق أغراض محدودة وعليها مجموعة من رواد الفضاء يتراوح عددها بين ٢ و ١٢ فردا ولمدد تتراوح بين شهر وعام واحد .

اما المرحلة الثانية : فستكون تجميع محطات فضائية أكبر في الفضاء الخارجي لتبقى لفترات أطول يصل عدد افرادها الى ٢٠ .

وفي المرحلة الثالثة والاخيرة : تقام قواعد مدارية ضخمة متعددة الاغراض تتسع في البداية لما بين ٥٠ و ٧٠ شخصا ويزداد هذا العدد فيما بعد الى ١٢٠ شخصا .

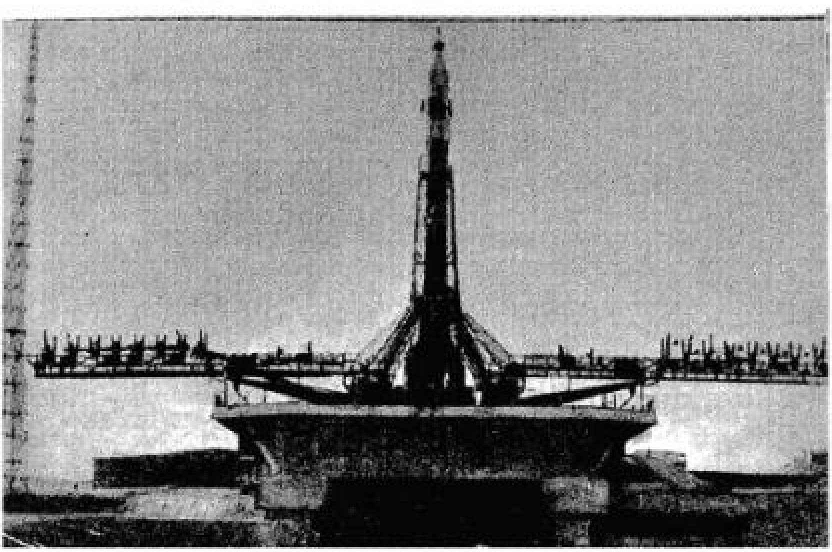
وستكون هناك نظم كاملة لتموين المراحل المختلفة من المحطات الفضائية .. وتشتمل على سفن نقل فضائية ذات أجنحة مماثلة لاجنحة الطائرات تكون مهمتها تغيير مجموعات المحطات والقيام بأعمال الانقاذ عند الضرورة وقطر سفن الفضاء المتعطلة على نحو ما يحدث للسفن البحرية .

وقال بروفيسور بتروف انه اذا كانت الستينات هي سنوات اختراق الانسان للفضاء وغزوه للقمر فان السبعينات ستكون سنوات المحطات المدارية الطويلة الاجل ، وستكون لهذه المحطات اهمية علمية واقتصادية كبيرة .

كهرباء من الشمس لمحطات الفضاء

ونتيجة للمشكلات الكثيرة التى تسببها البطاريات الكيميائية لتوليد الكهرباء من اتحاد الاوكسيجين مع الايدروجين ، وآخرها ما حدث في رحلة أبوللو ١٢ فان العلماء والخبراء في الاتحاد السوفييتي والولايات

سفينة فضاء معدة للانطلاق باحدى القواعد في الاتحاد السوفييتي



المتحدة يركزون بحوثهم على الخلايا الشمسية التى تولد الكهرباء من حرارة وضوء الشمس ، وقد ثبت نجاح هذا الاتجاه بالنسبة للاقمار الصناعية الخاصة بالارصاد الجوية ، وعدد من اقمار الاتصالات اللاسلكية والتليفزيونية ٠

وقد بدأت مؤسسة « روكويل » الامريكية تجاربها على محطة فضائية تسع راندين وتستمر فى دورانها حول الارض لمدة عام كامل على الاقل، يتم خلاله تغيير ٣ مجموعات من رواد الفضاء وتعيش كل مجموعة فترة تتراوح بين ٢٨ و ٥٦ يوما فى الفضاء داخل الجزء الامامى الاسطوانى الى اليمين ، وتبدو الاذرع الأربع التى تضم الوف الخلايا الشمسية لتوليد الكهرباء ٠

وتقوم الولايات المتحدة بتصميم سفينة فضاء ضخمة تستطيع القيام برحلات متعددة بين الارض ومحطات الفضاءحاملة عشرين من رواد الفضاء و ٢٥ طنا من المعدات ٠

وصرح أحد كبار العاملين فى بحوث الفضاء الامريكية أن السفينة الجديدة سوف تبدأ عملها قبل عام ١٩٧٨ ٠

وقد صرح « فرنر فون براون » عالم الصواريخ الامريكى الجنسية (الالمانى المولد) بأن سفينة الفضاء الامريكية التى تجرى التجارب عليها الان تمهيدا لاطلاقها يمكنها أن تقوم بمائة رحلة على الاقل ذهابا وايابا ٠

واذا حققت التجارب نتائج مرضية وحاسمة فان هذه السفينة يمكنها اتمام ٥٠٠ رحلة فى الفضاء ذهابا وايابا ٠

وسيساعد تنفيذ هذه الفكرة على تنشيط التعاون بين وكالة الفضاء الامريكية والاجهزة الاوربية المتخصصة ٠

الحياة العادية مستبعدة على بقية الكواكب

ولكن هل يحتمل وجود بعض اشكال الحياة على هذه الكواكب العملاقة ؟ لو استبعدنا الارض فان احتمال وجود الحياة ضعيف على الكواكب الاخرى ، فلا يوجد تقريبا غلاف غازى على عطارد والقمر ، وسطح المريخ يبدو كأنه ملىء بالفوهات البركانية والصحارى ، والزهرة التى ظلت لفترة طويلة تعتبر الكوكب الاخت للارض ، يحتوى الجو المحيط بها على نسبة كبيرة من غاز ثانى أوكسيد الكربون كما ان درجة الحرارة العالية تجعل اى احتمال للحياة غير ممكن ٠

والغريب انه اثناء قياس الطيف فوق البنفسجى للمشترى سنة ١٩٦٥ اثناء تجربة على صاروخ تبين أن هناك امتصاصا للاشعة لا يمكن أن ينسب الى أية مكونات معروفة فى جو المشترى ، ويمكن نسبتها الى مادة « الادنين » أحد الاجسام الكيميائية الهامة فى علم البيولوجيا ، وبالاخص الاحماض النووية ، واثبات هذه الظاهرة دلالة هامة حيث أمكن فى المعمل تحت جو مماثل لجو الكواكب العملاقة تكوين « الادنين » ٠

وقد اتضح أن لون الجزيئات العملاقة المكونة بهذه الطريقة قريب من لون السحب الموجودة فى جو المشترى ومن لون بقعته الحمراء الشهيرة التى لا يعرف الى الان تركيبها ٠

ان الفضاء اللانهائى مساحة وعددا : نجوما وكواكب ومجرات ونجيمات وكويكبات اكبر من كل خيال ، وفوق كل قدرات البشر ٠٠٠ وما جرى ويجرى بالنسبة لسباق الفضاء ماهو الا ذرة رمل فى بحار الرمال فى الدنيا

القمر

.. والأدب المعاصر

عبدالعزيز الدسوقي

لاسم القمر رنين سحرى هامس همس أسرار الطبيعة الشاعرة الساحرة ، ولضوئه الحالم جاذبية تمتلك النفوس ، وتستولى على الالباب تعلق به — منذ القدم — الادباء والشعراء والمحبون وسهد فى ظلاله المحرومون والمعذبون فى الارض، والحزانى والمكروبون .

ولقد تربع على عرش الكواكب فى الليل ، حتى هام به الناس وفتنوا به ، فعبدوه فى فترة من فترات الوثنية المظلمة ، التى غشيت التاريخ الانسانى .. وهناك فرقة من « الصابئة » الوثنيين الذين اشتهروا بعبادة الكواكب تسمى « الحرانية » ظلت تعبد القمر فترة طويلة من الزمان ، وتقدم له القرابين فى هيكله المسمى « هيكل سين »

بعد أن انقشع غبار الوثنية عن وجه الحياة الانسانية، ظل الناس يتعلقون بالقمر، كمظهر جليل من مظاهر الطبيعة الجياشة، وبالغ البعض في الاهتمام به، ونسبوا اليه امورا ليست من خصائصه، فقد كانوا يزعمون أن له تأثيرا عميقا على الانسان والنبات والحيوان وقوع الامطار وهبوب الرياح، واصطخاب المياه في البحار.

.. وبعد أن قضى العلم على كل تلك الاوهام، ظل الناس يتعلقون به ويهيمون بضوئه الساجي الحالم، ويكتبون حوله الخواطر، وينظمون القصائد، ويخلعون عليه أحزانهم وأشواق نفوسهم، حتى غدا رمزا للحب والجمال، وسلوى للنفوس المحترقة بهجير الحياة.

ثورة فنية عالية

واستأثر القمر بمكان رفيع في الادب المعاصر – شعره ونثره – ووقف عنده الادباء والشعراء، واتخذوه ملهما لخواطرهم وقصائدهم، وهاموا به وخاطبوه، وحلوا فيه – كما يحلون في كل مظاهر الطبيعة

ويندر ان تجد شاعرا لم يتناول القمر، او يصفه او يذكره على نحو من الانحاء.

● امتزج بكثير من تجارب الشعراء العاطفية.

● وفجر في شعرهم كثيرا من الرؤى التأملية والفلسفية.

● وامتزج عند بعض الشعراء بالتاريخ الاسلامي. ومظاهر الحياة الاجتماعية.

● وتناوله معظم الشعراء في قصائدهم الوصفية.

حتى بعد أن وطئت قدم الانسان سطح القمر، وجاس خلاله وهبط الى الارض بعينات من صخوره وترابه ظل الشعراء والادباء يحملون له هذا الشجي العاطفي النافذ، بل أن بعض القصصيين، اتخذ من هذا الحدث العلمي الباهر سحرا مزج به سحر القمر وتأثيره. فكتب المرحوم محمد عبدالحليم عبدالله قصة بعنوان « جولييت فوق سطح القمر » يجسد الرؤية الحالمة لغزو الفضاء. وكذلك فعل مجيد طوبيا في أقصوصته « فوستوك يصل الى القمر ».

اما يوسف السباعي فقد استلهم فكرة غزو الفضاء ووصول الانسان الى سطح القمر في بناء روايته « لست وحدك » وهي من أحسن رواياته واصدقها تعبيرا عن نبض العصر وحساسيته. وفيها يحاول يوسف السباعي ان يرسم حدود « مدينة فاضلة » يعيش فيها ناس جدد لا تعكر احلامهم تلك المذاهب السياسية والعقائد الفكرية التي اقلقت في اسعادهم، ولا يغشى نفوسهم، شجيج الشهوات الجسدية التي افسدت النفوس وافقدت الناس مثاليتهم.

وفي رأيي ان هذه الرواية اكبر ثورة فنية عالية توجه الى « الايديولوجيات » التي تحتدم وتفور وتغلي في عالمنا المعاصر.

القمر والنزعة العاطفية

ونعود الى القمر لنرصد أثره على الادب المعاصر بصورة محددة، ونرسم لوحة سريعة

يوسف السباعي : فكرة غزو الفضاء في روايته الشهيرة « لست وحدك » ..



تعطي للقارئ العادي صورة واضحة وتثير شوق الباحثين الى اقتحام هذه الموضوعات ودراستها في صبر وأناة .

ولقد بدأت بالنزعة العاطفية ، لانهـا أشد ارتباطا بالقمر من غيرها من النزعات .

ويحسن ان افرغ في بداية هذه النزعة من تأثر الخواطر النثرية بالقمر ليخلص الموضوع بعد ذلك للشعر ، وهو الاصل في تلك الدراسة . ولكن فيض القمر امتد الى كل الانواع الادبية وامتزج بهـا وأثر فيها . ولهذا نحاول أن نشير الى بعض تلك الاثار في مجال الخواطر النثرية **ولعل من اعمق تلك الخواطر المجنحة الرفافة ، ما كتبه مصطفى صادق الرافعي ، وأفرد له كتابا كاملا بعنوان « حديث القمر » وفي هذا الكتاب يحاول الرافعي ان يبث القمر تجربته العاطفية ، ويناجيه بهذا الاسلوب المتدفق الحار . « هلم ابثك نجواي ايها الروح العذب ، واطرح من اشعتك على قلبي لعل الحنين ينبع الدمعة التي فيه فانزفها .**

وكان للمرحوم الرافعي قصة حب عارمة بطلتها الكاتبة الشهيرة « مي » انتهت بالقطيعة ، وخلفت للرافعي جرحا لا يندمل ، وهموما عاتية حاول ان يتخلص منها ويطهر نفسه بما كتب في « حديث القمر » و « رسائل الاحزان » و « السحاب الاحمر » و « أوراق الورد » . وفي هذه الكتب الاربعة يصور الرافعي تاريخ غرامه العميق ، ونبض الحب في صدره .

عبد الحليم [illegible] :
الرؤية العلمية [illegible]



وسيظل « حديث القمر » أعمق هذه الكتب جميعا لانه كتبه وهو يأمل عودة التلاقي مع من يحب . ولذلك حاول أن يفيض في الثناء عليها والوله بها . يقول : **« يخيل الى ايها القمر الجميل حين اكتب عن اهواها ، انك لفظ في الفاظي تطلع من المداد . فاذا قلت وجهها فهل تظن هذا اللفظ الذي هو جملة الجمال ، الا قمرا في الكلام ؟ » ثم يشكو اليه** حزنه وبثه لواعجه « **ولعمرى ايها القمر انى لاشكو اليك بثي وحزني ، وأناجيك باحلام النفس الانسانية وانك لتجيبني الجواب الصامت البليغ ، فتطرح اشعتك في قلبي ، آخذ من بعضها قولا ، وارجع اليك بعضها قولا ، كالعاشق يرى في الحالة حبيبته بالنظرة الواحدة ما في نفسه ونفسها »** ..

« ذلك أيها القمر واني لاحس كذلك ان قلبي يطرح على ساحل أشعتك بقايا ما فيه من الامال المحطمة التي طال مثواها في لجج الهم ، كبقايا الغرقى في أعماق اليم » .

« فدعني أيها القمر احمل بقايا عمري ، اني كلما قطعت مرحلة في سبيل الحياة ، وضعت عندها أحمالي ، وعفت أدراجي لاجمع ما يكون قد تناثر مني » .. « أنت يا قمري الجميل راية السلام الالهية البيضاء ، لا ترفع للنهار حتى يغمد حسام الضياء في جفنه الاسود » .. « وكم ناجاك أيها القمر من عاشق قبل فانك ما انفصلت عن الارض ، الا ليجعل الله منك أفقا لامال الانسانية الجميلة » .

وهكذا تناول الرافعي تاريخ قلبه على هذا النحو وربطه بضياء القمر وأحلامه وما يفجر في النفس من أشواق ، فجاء الكتاب وكأن الطبيعة قد اوحت الى الرافعي « بقطعة من مناجاة الانبياء التي كانت تبتهل في سكون الليل فيعيها كأنه ذاكرة الدهر » وعلى الرغم من ان « مي » لم تعد اليه ، فقد ترك للادب هذه الصفحات النضيرة المشرقة من « أدب القمر » .

وهناك ادباء آخرون تناولوا القمر في نثرهم نذكر منهم حسين عفيف في كتابه « الاغنية » . ومحمد كامل عجلان في

« تحية القمر » ، ومحمد فخر الدين السبكى فى « القمر » . وطه عبدالباقى سرور فى « لحن القمر » (١) وغيرهم ، وكل هذه الخواطر النثرية حول القمر الى جانب كتاب الرافعى تدور حول العواطف الانسانية ونزعة الحب .

الاسكندرية تمتلىء بالاقمار .

ونعود الى الشعراء فهم الذين تفننوا فى وصف القمر ومناجاته ومزجه بتجاربهم العاطفية ، وتأملاتهم الفلسفية ، وربطه بأحداث المجتمع وظروف الحياة .. ولم يقتصر وقوفهم عند القمر على مجرد وصفه وصفا تقريريا مباشرا كبعض مظاهر الطبيعة الخلابة .

ومن الذين وصفوا القمر وربطوه بتجربتهم العاطفية شاعر العربية الاكبر «احمد شوقى» فى قصيدة له بعنوان «منظر طلوع البدر من سفينة » وهى قصيدة تربو على عشرين بيتا بدأها بمناجاة القمر الذى هو « ملك السماء » ، ووصف منظر المياه الساكنة وقد انعكست عليها أشعة القمر الفضية ، والسفينة تسرى على صفحة الماء الى وجهتها ، ويشبهها بغادة تخط شعرا على الماء يقول :

ملك السماء بهرت فى الانوار
فغداك كل متوج من سارى
لا طلعت على السماء تتوجها
سكنت ، وقد كانت بغير قرار
واهل لك السراة وازلفوا
لك فى الكمال تحية الاكبار
وتأملوك فكل جارحة لهم
عين تسامر نورها وتسارى

***

وافى بك الافق السماء فاسفرت
عن قلل ماس فى سواد قفار
ونهضت يزهو الكون منك بمنظر
ضاح ويحمل منك تاج فخار
الماء والافاق حولك فضة
والشهب دينار لدى دينار

والفلك مشرقة الجوانب فى الدجى
يبدو لها ذيل من الانوار

بعد ذلك يتذكر حبيبته « بدر الارض » فيروح يوازن بينها وبين قمر السماء قائلا :

فليهن بدر الارض انك صنوه
وتظيره قربا وبعد مزار
وحلاكما ما البدر الا انتها
وسواكما قمر من الاقمار
انت الكريم على الوجود بوجهه
وهى الضنينة بالخيال السارى
هيفاء اهواها واعشق ذكرها
لكن اداري والمحب يدارى

ويصنع « صالح جودت » صنيع شوقى، بمزج الوصف بالغزل ، ويرى فى حبيبته « بدرا » يفوق بدر السماء ، لانه هو الذى يمنحه الضياء . يقول :

ما رونق البدر الا
اشعة من عيونك

وعندما يصف « الاسكندرية » يتذكر قصص حبه الكثيرة ويحار بأيها يبدأ والاسكندرية تمتلىء بالاقمار اما السماء فليها قمر واحد :

اسكندرية فيك الرى والظما
بأى قصة حب فيك ابتدا

ثم يقول :

سماء غيرك تزهى ان رأت قمرا
وانت ارضك بالاقمار تمتلىء

ويرى « أحمد مخيمر » جمال محبوبته مثل الليل القمر لا الصبح المشمس :

جمالك مثل الليل والليل مقمر
وبعض جمال الغيد كالصبح مشمس
اذا ما رأتك العين طافت بى الرؤى
واحسست موسيقى بروحى تهمس

ويتذكر الشاعر أحمد عبد المجيد الغزالى تجربته العاطفية حيث يجلس مع حبيبته فى ظل القمر وبينهما الاشواق تستعر . ويبكى على ذلك الحب الغارب ويتمنى ان تعود تلك الايام الفاربة مع الربيع وفى

---

(١) راجع أدب العروبة ص ٣٣ وما بعدها بعنوان « مهرجان القمر »

الامسيات القمرية . يقول من قصيدة له بعنوان « القمر » :

قلبان في نورك الهيمان يا قمر
هاما . وبينهما الاشواق تستعر
يسترجعان الليال بعد ما غبرت
وقد تولى الندامى وانطوى السمر

ومنها :

قلبي تخــادعه انوارك البثات
ذكرى تعود مع الماضي وتنحدر

افنى الليـــال اثنان مرددة
والشاهدان على النجم والسهر

ياليلة النور في السفح القليل هنا
هل ترجعين بما قد كنت ادخر

وما ادخرت سوى الفيا فنيت بها
هنا . وكاد يعن الرمل والحجر

***

و « العقاد » يخاطب القمر في قصيدته « يا قمر » قائلا :

فضض الماء يا قمر
وانقش النور في الحجـر
وانظم الغصـــن بالندى
والثم الزهر في الشـجر
واجعل الكون ضاحكا
عن سهاد من الفـرد

***

في مجاليـك راحة
راحة النوم والسـهر
في لياليـك بهجـة
بهجة الفكر والنظـر

ثم يتذكر « العقاد » تجـربة غرامه فيطلب الى القمر أن يشاركه في حديث الذكريات وتناس ما مضى نفى الحاضر الفناء ، ومن ذاق لذة الهوى ، يسـل ما عداها من اللذات :

ساهد الليـل لا تجم
واتل ما شئت من ذكـر
قـد تناسيت ما مضى
ولنا اليوم ما حضر
من يذق لذة الهـوى
يسـلُ لذاته الاخـر

القمر والنزعة التاملية

على ان الشعراء جميعا لم يروا في القمر صورا ساجية حالمة ، بل كان يتفجر في نفوس البعض صورا قاتمة وأحزانا عميقة، ولعل ذلك يعود الى طبيعة الشاعر ومزاجه وفلسفته في الحياة .

ولا شك أن القمر يفجـر في النفس كثيرا من المعاني والصـور والاحـلام والشعراء المفكرون يتخـلون منه مفجـرا لصور تاملية مثيرة . ويمكن ان نعثر على نماذج كثيرة من هذا اللون عند شعراء « الديوان » و « جماعة ابوللو » وخاصة شكري ، والمازني ، واحمد زكي ابوشادي، وحسن كامل الصيرفي ، ومحمد عبدالغني حسن ، ومحمود حسن اسماعيل ، ومختار الوكيل ، والعوضي الوكيل . وغيرهم .. فقد تفنن هؤلاء في مزج الاحلام الساجية التي يفجرها ضوء القمر بصور غريبـة قاتمة ونذكر هنا مثالا واحدا للشـاعر « عبد الرحمن شكري » في قصيـدته : « ضوء القمر على القبور » وقد صـدرها بهذه البطاقة النثرية « اذا رأى الانسان ضوء القمر على الزهور ، خشع من جلالة ذلك المنظر ، ولكنه اذا رأى ضوء القمر على القبور امتلكه الفزع من قساوة ذلك المنظر الذي يحكي له فناء الجمـال في الموت ، وفناء الموت في الجمال » .

ثم تتوالى بعد ذلك أبيات المقطـوعة الصغيرة ، وهي تحتشد بالصور المفزعة المائية ، والتأملات الغـريبة والافـكار القاتمة

- فالبياض الذي يريقه القمـر على القبور متعب واهن كالسحاب المتهلل
- وصور الردى تفزع الجـسري المقتحم
- وبياض القمر على القبور مفـزع كبياض المشيب على الذوائب
- والقبور في ظل القمر كالاشـباح المراثل الساكنة المصلوبة
- وتلوح على وجه الهلال ساءة كساءة المتامل الذي يديم التفكير

يقول شكرى من قصيدته :

انى رأيت بياض ضوئك موهنا
فوق القبور كعارض يتهلل
لفزعت من ذاك البياض كأنه
لون المشيب على الذوائب يثقل
ولربما كره الفتى صور الردى
وهو الجرىء - على الحمام - المقبل
ولقد رأيتك والقبور كأنها
أشباح ساكنة النواظر مثل
نظر البرىء الى القتيل مجندلا
والروع فى ألفاسه يتعجل
ولقد رأيت على الهلال سآمة
سام يعالج شله المتامل
فكأنه الحسناء يطرقها الردى
فتبيت تلوى فى الفراش وتذبل
ضمورا يريك الموت فى لحظاته
حتى كأن الحسن داء معضل
وببيت طويا فى الرياض يعلها
مما يريق على الفضاء وينهل

وعلى الرغم مما فى هذه المقطوعة من بعض القلق وتكلف وغموض الا انها فى مجموعها ترسم صورة للفضاء مختلطا بجمال القمر ممزوجا بصور الروع والفزع الذى برع شكرى فى تصويرها فى شعره ·

القمر والنزعة الاجتماعية

ومن أهم النزعات التى امتزجت بوصف القمر النزعة الاجتماعية ، وقد اغرت معظم الشعراء · واستأثرت بكثير من أوصافهم وهم يهيمون مع أحلام القمر ، وكان فى أحلامه الساجية الساكنة مثيرا لاذعا لأشواقهم الروحية والاجتماعية

فالشاعر ابراهيم ناجى يمزج ظلام القاهرة والغارات الجوية بالاحلام السوداء التى تتربص بكل شىء حتى بالافق الصافى ووجه القمر :

فعرا الافق قتام وبدت
سحب تحجب الوجه القمر
كلما تقرب تبعد له
كالف شرفات تنتظر
صحت كالبدر تنبه للنذر
ادرك الهالة حلت بالخطر



شوقى : وصف القمر وربطه بتجربته العاطفية

والشاعر الذى ودعنا أخيرا ، المرحوم محمود غنيم فى قصيدته « لاح الهلال » يناجى العام الجديد فى مطلع ويصور ولع الغرب بالفضاء والتنافس والحروب والنزاع بين الامم ، ويعود الى التاريخ الاسلامى ليصور لنا ماذا فعل المسلمون الاوائل عندما بنوا الدولة الاسلامية وأرسوا قواعد العدل والاخاء والمساواة · يقول :

لاح الهلال لنا يومض شعاع
يحكى بريق الثغر خلف قناع
احسست خفق القلب حين لمحته
يزداد بين جوانب الاضلاع
تبدو الاهلة فى السماء وتختفى
ويسير ركب العمر فى اسراع
ما الحول حين يحول الا بضعة
من كل نفس آذنت بوداع

***

ويمزج الشاعر « طاهر ابو فاشا » الهلال بالتاريخ الاسلامى ، ليتحدث عن هلال المحرم بداية السنة الهجرية ، ويرى فيه شيئا غير الاهلة العادية يعود كل عام ليوقظ الامال والاحلام ، ويراه أول الطريق من العام ويتمنى لو تعود سيرتنا الاولى ، ويتساءل فى النهاية اترانا

على الطريق ، ام تفرقت بنا السـبل والتحرنا جدالا .

وشعر « طاهر ابو فاشا » عذب المذاق، رشيق الصور متين النسج به ماء ورواء . استمع اليه يجسم الصور ويحرك المشاهد في قصيدته « هلال المحرم » :

عاد بعد النوى والقى الرحالا
صامت قام يخطب الاجيـالا
وشهيد على الزمان قـديم
كالزمان القـديم يابى الزوالا
وكان الظلام حـول معـانيـ
ـه غبار الدهور مرت ثقالا
والزمان العجوز ناهيـة يـر
تجل الموت والحياة ارتجـالا

***

يا الهي : الى متى ؟ ولماذا ؟
« جل ربي سبحانه وتعـالى »
صامت قام يخطب الاجيـالا
من قريب ويضرب الامثالا
وبواكي من ضياء تهـادى
كتبانـي من رجاء ثلالا
خطه الغيب في السموات سطرا
وهو الدهر اذ دعاه هـلالا

هو همس في خاطر الكون مشبو
ب يقص التـاريخ والابطـالا
هو شيء غير الاعاليـل يولى
كل عام فيـوقظ الامـالا
خنجر في يد المجرم مسـلو
ل على عالم يفسح خيـالا
قد لواه الطغان في يد الدهـ
ـر . وعنف الطغان يلوي النصالا
هيه يا اول الطريق من العا
م . يمينا نهتدى ام شمالا
الزالا على الطـريق ام البـ
ـنت بنا السبل والتحرنا جدالا

***

والشاعر « عبدالله شمس الدين » يرى القمر شامخا في عليائه يحنو على الدنيا البنية المتجهية القسمات المتردة فيرسل اليها ضياءه في زهو وكبرياء ثم يطلب اليه ان يمنح الكون الحزين التائه ضياءه ونوره باستمرار يقول في قصـيدته « نجوى القمر » :

عجبا اراه يشع من عليـائه
مترنح الاشراق في خيـلائه
ويرى الحياة كما يراها طفلة
اليتم شردها على صـحرائه
نسجت دجى الحرمان ثوب حدادها
فتجهمت خرسـاء تحت لوائه
تسري مع الفلك المهيب ووجهها
متجهم القسـمات في ظلمائه
فحنا عليها شـامخا متعاليـا
الزهو اغراه يمنح ضـيائه
المنح والاغضاء منك نقيصـة
تزرى بشان الدهر في عليائه
ما ضر لو ابقيت نورك سرمدا
للهو الحياة بحسنه وصـفائه
الشمس تمنحك الحياة فجد به
للناس للكون الحـزين التائه

حصاد القمر

ولا بد من ان اقف وقفة متأنية عند تجربة شعرية من انضـج التجارب في شعرنا المعاصر ، وهي قصيدة « حصـاد القمر » للشاعر محمود حسن اسماعيل وهي « تجربة شعرية » بكل معاني هذه

العقاد: طلب الى القمر ان يشاركه حديث الذكريات





المازني : شعره في القمر امتاز بالاحلام الساجية والصور القريبة الفاتنة

الكلمة ، جديدة كل الجدة ، طريفة كل الطرافة ترسم الاجواء وتوحي وتجسمه ، وليس فيها تلك النغمة التقريرية التي تصاحب عادة الشعر الوصفي ، ولكنها قصيدة هامسة كأسرار الطبيعة تتعانق فيها الصور وتتلاحم الافكار ، وتمتزج فيها الادوات التعبيرية بالحقائق الشعرية في تناسق حميم ، وقد ضمنها الشاعر ديوانه « اين القمر » وهو في رأيي أحسن دواوين الشاعر ، وكان قد نشرها في مجلة « الرسالة » في ٧ يونية سنة ١٩٤٣ ، وقد كتب الشاعر تعريفا بها يقول فيه « وهي سياحة شعرية في ليلة من ليالي الحصاد » . فلما نشرها في الديوان استغنى عن هذا التعريف وكتب لها مقدمة أخرى يقول فيها « وانفتحت حانة القمر أبوابها للسنابل والاكواخ والنخيل ، فراح يشرب سرها من اللين الناحل » .

وفي هذه القصيدة تختلط الرؤية الفنية بالرؤية الاجتماعية بالرؤية التأملية وتكون كل هذه النزعات والرؤى التجربة في القصيدة فهي مجموعة من الرؤى الفنية تشكل ملامح هذه التجربة الكبيرة . وساحاول ان امتحن هذه القصيدة من خلال منهج جديد ادعو اليه هو منهج « التذوق الجمالي » يبدأ من داخل القصيدة نفسها ويكتشف عالمها الشعري وادواتها التعبيرية وصورها الفنية ومدى امتزاج هذه القيم التعبيرية بالقيم الشعورية والفكرية

وعالم الشاعر هنا عالم هامس صامت ، عالم الليل بين حقول القمح في ليالي الحصاد ، ولو تصورنا « حقلا » ممتدا او « نزلا » من الحقول بتعبيرنا القروي ، يمتلئ بالقمح الناضج وتهتز سنابله المثقلة بحبات القمح وتميل الى الارض كما تميل رأس الانسان المتعب حين يغشيه النعاس وهو يعمل . هذا الحقل الممتد بالسنابل يطلع عليه القمر وينشر سحره حوله ..

يبدأ الشاعر فيرسم لوحة فنية لهذا الحقل الذي يستوي في جنته الاغفاء والسهر ، لانه في النهار يتألق بالسنابل تحت وهج الشمس وفي الليل يتلألأ ضوء القمر فوق السنابل وهي مائلة من النسيم وكأنها غافية . غير ان القمر المنحدر من عالم النور يجثو بسناه الى هذا الحقل ويهمس له بأسرار كأسرار الوحي . أسرار توحي بها الطبيعة لشاعرها الخلاق .

هناك معالم أخرى تحدد هذا المشهد الهامس الساكن .. نخلة ترتعش ذوائبها كأنامل عجوز يرعشها الكبر . هذه النخلة الفارعة في هذا الجو الساحر تثير في نفس الشاعر صورة العابد المعتزل الذي يعيش وحده يتفكر في الله . هذه النخلة ظلها مضطجع وهي كناية لطيفة عن ندرة الظل الذي يكون عادة للنخلة . ولهذا لصمت السكون يحتفر لها .

أما الدوح فنشوان ساكن أغصانه الملتفة تذكر الشاعر باشباح قافلة تاهت في الصحراء ، وانقطعت عن الركب . هذه اللوحة الفنية يرسمها الشاعر قائلا :

سيان في جنته الاغفاء والسهر
نامت سنابله واستيقظ القمر
نعسان يحلم والاضواء ساهمة
قلب النسيم لها ولهان ينفطر
مال السنا جاثيا يلقي بهمسته
همسا من الوحي لا يدري له خبر
واطرقت نخلة نامت بتلعتها
كأنها زاهد في الله يفتكر
ان هف نسم بها خيلت ذوائبها
أناملا رعشات هزها الكبر
كأنما ظلها في الحقل مضطجع
صمت السكون اليه جاء يحتضر

الدوح نشوان فاخشع ان مررت به
لشيه الباهتان الليـل والقمر
كأن أغصانه أشباح قافلة
غاب الرفيقان عنها الركب والسفر
مبهورة شخصت في الجو ذاهلة
كأنهـا لحبيب غـاب تنتظـر
او انها نسيت عهدا واتعسها
شجو الرياح فهاجت قلبها الذكر

ولا يدرك معنى الابيات الاخيرة الا من عاشر تلك المشاهد وتأمل اغصان الاشجار الملتفة في الليل تتحرك مع النسيم الواني وتحدث صوتا « كهمسـيس » الاسرار ، ويختلط شجو الرياح بحفيف تلك الاغصان فتلمس هذه الصور التي رسمها الشاعر، صورة القافلة التي غاب عنهـا الركب والسفر ، وصورة الحبيب الذاهل الذي ينتظر حبيبه الغائب

اننا هنا حيال مشهد صامت من مشاهد الطبيعة الهامسة يفجر في نفس الشاعر تلك الرؤية الروحية المحفوفة بجلال الطبيعة ويناجي القمر :

يا صاحب النور لا يغري متابعه
لأنت قلب يشع الحب لا قمر

الدرة : ألهمت الرافعي كتبه الاربعة التي صور فيها نبض الحب بصدره



هيمان تحمل وجد الليل اضلعه
والليل تثقله الاشجان والفكر
كأنه زورق في الخلد رحلته
تياره من شفاف الحور منحدر
يا طائرا في ربا الاملاك مختفيا
يمشي على خطوه الاجلال والخفر

فالقمر قلب يشع الحب والنور ، وهو كائن انساني تحمل أضلعه وجد الليل وتحتدم في نفسه الاشجان وتثقل الافكار

وهو زورق يسري الى الخلد ، في نهر اثيري شفاف منحدر من شفاف الحور ، وكل هذه الصور والرؤى الشفافة ايحاءات ورموز لعالم علوي مغسول ثالة غزير الايحاء ، وهنا يوازن الشاعر بين هذا العالم الاثيري المشرق وبين عالمنا المظلم المنكود ، العالم الناقص الذي يحف به المرض والالم والفناء فيناجي القمر في حزن اليم قائلا :

علام ضنك بالانوار في زمن
اليه يظمأ فيه الروح والبصر
الارض مقتولة الاسرار ساخرة
كأنها شيجة بالناس تنجسر
تقبلت كل مولود بقهقهة
وقهقه اللحد لما جاء يندثر

وهنا تلقى الشاعر من القمر ومن مظاهر الطبيعة الايمان بالله وتفجرت في نفسه تجربة حبه ، وعذابه ، لمزج نفسه بالقمر وخلع عليه احزان نفسه :

آمنت بالله كل الكون في خلدي
هاد اليه : الحصى ، والذر والحجر
ذرت عيونك دمعا ليس يعرفه
الا غريب بصدري حائر ضجر
قلب كقلبك مجروح وفي دمه
هالات نور اليها ينصت البشر
سري كلانا ونبع النور في يدنا
انت السنا وانا الانشاد والوتر
واثربتنا الليالي السود ادمعنا
وانت سال ونفسي غالها الشرد

وهنا نحس كبد الشاعر المحترقة وقلبه المجروح يسيل دما وهمومه المتراكمة يخلع كل اولئك على القمر ، ويختفي قاموسه اللغوي فنحس بضجيج الالم وحشرجات الانين وبكاء الحياري .



ابراهيم ناجي : امتزج ... للشعر بملامحه السابقة .



محمود حسن اسماعيل : ونضج تجاربه الشعرية المعاصرة ..

وهنا تتداعى الى الشاعر التجربة الاجتماعية فهو يطلب الى القمر أن يستمع الى أنين المجهرين الذين سروا في الحقل وانتشروا يحملون المناجل ويحصدون القمح .. هؤلاء الفلاحون الذين يزرعون ولا يحصدون ، صور بؤسهم في صور شعرية ، نافذة تفتت القلوب وتستدر الدموع :

قف مرة في سماء النيل واصغ الى
مجهرين سروا في الحقل وانتشروا
قوم هم الدمع والآهات ، تحملها
أنفاس عظم لهم من خطوها أثر
كانت مناجلهم والله شربها
بأس الحديد من البأساء تنصهر
مشوا بها في مغاني النور تحسبهم
جنائزا ، زمر الت لها ، زمر
جاسوا الحقول مساكينا جلابيبهم
توراة بؤس عليها تقرأ العبر
يجنون أيامهم نسكا ومسغبة
مما الآلاء لهم واديهم النضر
ساءلت سنبلهم : ماسر شقوتهم
ومن غبار يديهم مرجك العطر
فمال واسترجعت عيدانه نغما
يلغو من الموت في أصدائه سمر
والآ بها في تراب الحقل نائمة
تحكي توابيت لم توجد لها حفر
بكى الحصيد على أحزان غارسه
متى سيحصد هذا الدمع يا قمر

وهكذا تنتهي هذه « التجربة الشعرية » رائعة وقد تلاحمت فيها الرؤية الفنية بالرؤية الاجتماعية بالرؤية العاطفية على نحو متسلسل متكامل .

ومن الغريب أن هذه القصيدة تعرضت لحملة عاتية شنها عليها المرحوم الدكتور مندور « في الميزان الجديد » .

فقد اتخذها مثلا للشعر الخطابي واتهم محمود حسن اسماعيل بأن شعره قوي الرنين ضخم الألفاظ ، وصوره الشعرية مجتلبة ، ورؤيته مضطربة ، وعاطفته غير متماسكة ، وتشخيصه للأشياء غير دقيق .

ولا شك أن الدكتور مندور قد قسا على هذه القصيدة وهو مفتون بفكرته عن « الهمس » الذي كان يدعو اليه ويتخذ من شعر المهجر دليلا عليه . وقد آن الأوان لأن نمحص تلك الأحكام النقدية التي أصبحت كالمسلمات الرياضية ، على الرغم من أن أصحابها قد تراجعوا عنها ، وقضية « الهمس » في الشعر هذه لا تسلم من النقد ، فليس كل همس محمودا في الشعر ، فهناك « همس » يصل الى درجة من القصور والخفوت والجمجمة يحول التجربة الشعرية الى نوع من الحصر والفأفأة الفنية ويفقد الرؤية الشعرية تماما كالرنين الأجوف الذي يصاحب عادة بعض الأنواع الرديئة من الشعر الجهير الذي اضطهده الدكتور مندور في مطلع حياته ..

المهندس صلاح عامر يحدثنا عن :

إذاعة تليفزيونية عربيّة على متن

قمر صناعى يحلق فى الفضاء العربي

«التلستار العربى» مشروع تبنته جامعة الدول العربية ، سوف يحدث ثورة فى كل أساليب الاتصال البرقى والتليفونى والتليفزيونى فى المنطقة العربية بأسرها .. وبتحقيق هذا المشروع الناجح الذى يحتاج الى عامين من العمل الجاد المتواصل يمكنك مشاهدة البرامج التليفزيونية المختلفة التى تقدمها كل محطات التليفزيون فى البلاد العربية الشقيقة والافريقية

وفى لقاء مع المهندس صلاح عامر مستشار شئون المواصلات السلكية واللاسلكية بجامعة الدول العربية تناول الحديث قصة التلستار العربى الذى سيملأ السماء العربية فكرا وثقافة وفنا.

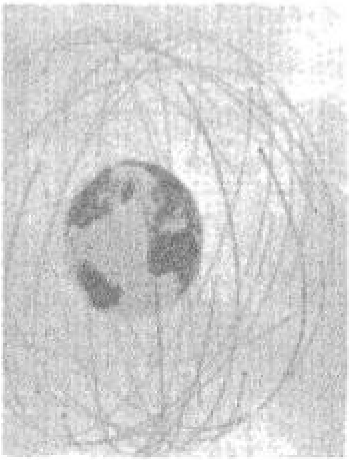
● **تحدث المهندس صلاح عامر في بداية اللقاء عن غزو الفضاء فقال :**

ـ تعتبر الاتصالات الفضائية ذروة من ذرا التقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر ، فقد انبنت على عديد من البحوث الكبرى ، بدأت بصناعة الصواريخ النفاثة تلك المردة الجبارة ، التي تمثل طائرة تسير بسرعة هائلة ، ولها محرك نفاث يستهلك طاقة حرارية ضخمة ، مركزة في وقود سائل أو جامد ، يحدث قوة دافعة كبرى للصاروخ ، تطلقه الى ارتفاعات بعيدة ، ثم في مدارات حول الأرض .

ولقد تطورت هذه الصواريخ الجبارة حتى أصبحت متعددة المراحل، اى مركبة من عدة صواريخ تعمل متوالية ، وتكون بذلك قادرة على ان تخترق أعماق الفضاء في استجابة رائعة لاشارات التوجيه الصادرة من الارض . حتى انه أصبح في امكان الانسان ان يحدد وجهه الصاروخ ، او حمولته ، باستخدام الموجة اللاسلكية في مكان ضيق جدا من الفضاء ، لا تتعدى نسبة الخطأ فيه اكثر من ثلاثين سنتيمترا .

ولقد أصبحت هذه القطارات الصاروخية ، وسيلة لحمل الاقمار الصناعية ، واسكانها في مدارات فضائية حول الارض ، بعد اكسابها قوة دافعة تجعلها قادرة على الدوران بسرعة معينة حول الكرة الارضية ، أو حول أي كوكب فضائي آخر .

ولا بد من تحقيق توازن حركي لمثل هذه الاقمار الصناعية ، حتى تبقى معلقةفي الفضاء رغم دورانها على المدار الثابت المحدد حول الارض . ويتحقق هذا التوازن عندما تكون قوة

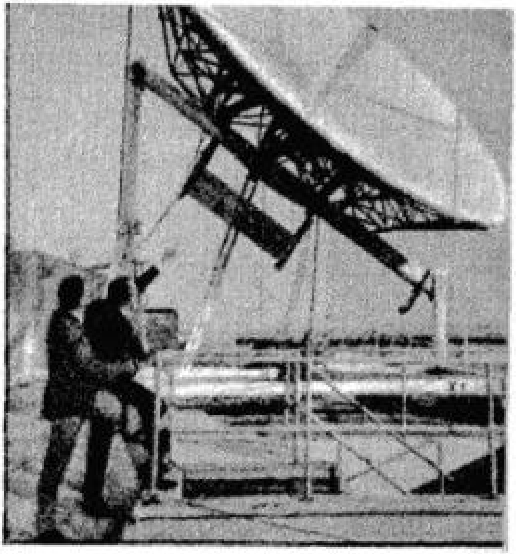


شبكة الاقمار التي تستقبل برامج التليفزيون والكالات التليفونية واشارات التلغراف واعادتهاالى الارض

جاذبية الارض معادلة لقوة الدفع المركزية الطاردة ، والتي تنتج عن الحركة الدائرية للقمر الصناعي .

● **كيف كانتالبداية لاستخدام الصواريخ في الاغراض السلمية ؟**

ـ كان الغرض من ذلك الوصول الى ارتفاعات شاهقة في الفضاء ، واجراء قياسات غازية ، أو كهربائية



نموذج من المحطات الارضية المستخدمة لتوجيه القمر الصناعي في الفضاء ...

أو اشعاعية لذلك الفضاء ، وكان هذا في مرحلة استخدام الصاروخ ذي المرحلة الواحدة . وبعد تطوير هذا الصاروخ الى مراحل متعددة ، أمكن أن يحمل على رأسه بقمر يمكن اطلاقه بواسطة الصاروخ الموجه ، وعلى مراحل تعادل عدد مراحل الصاروخ في مدار معين حول الارض ، لكي يبقى دائرا .

وكانت مدة الدورة المعتادة ساعتين لاجراء قياسات طويلة المدى . وبعد ذلك اتجه التفكير الى استخدامه في الاتصالات الفضائية ، وكانت المشكلة هي أن القمر لا يبقى ثابتا بالنسبة لنقط الاتصال على الارض ، اذ أنه يمر عليها نحو ست مرات في اليوم ، فلم يكن من الممكن استخدامه الا لفترة لا تتجاوز ثلث الساعة كل ساعتين . وعندئذ بدأ التفكير في تسكين قمر صناعي على بعد كبير من سطح الارض ، واكسابه سرعة بحيث تكون دورته حول الارض في فترة زمنية مقدارها ٢٤ ساعة ، وبذلك يكون متوافقا مع الارض في دورانها .

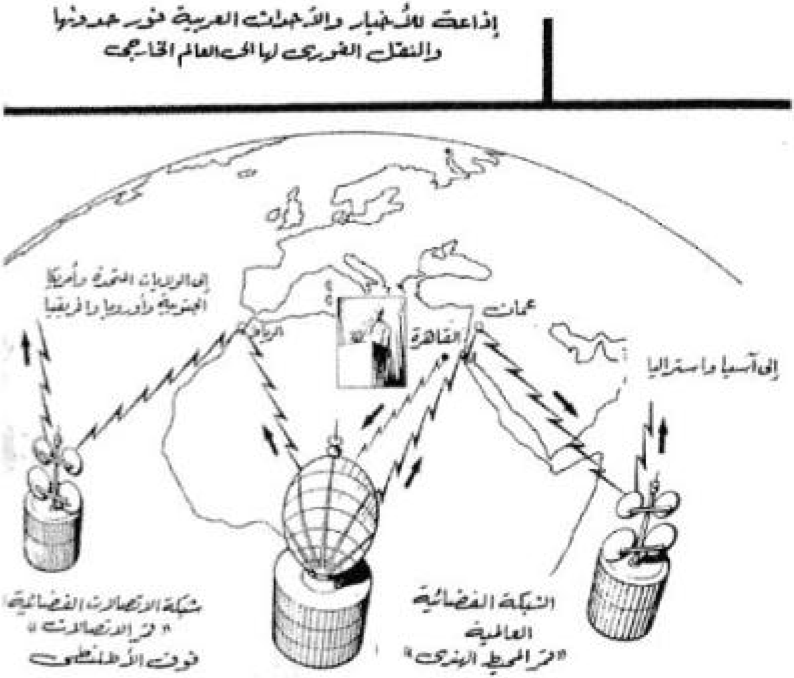
ويعتبر النجاح الهندسي والصناعي في اطلاق القمر الى هذا الارتفاع الشاهق الذي يبلغ ٣٦ الف كيلو متر نجاحا تاريخيا ، وعملية الاطلاق الى هذا الارتفاع ، وتسكين القمر في مدار دائري عند خط الاستواء ، وبقوة دفع تكسبه سرعة تجعله ثابتا في هذا المدار من المنجزات التاريخية التي

ستبقى خالدة ، فقد انبنى عليها ايجاد الفكرة الاساسية لاقمار الاتصالات الفضائية . والتى طورت وسائل الاتصال بين سكان الكرة الأرضية تطويرا مذهلا .

● **كيف تؤدى الاقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات الفضائية عملها، وكيف تغطى الكرة الارضية باسرها فضائيا ، سواء عن طريق الاتصال اللاسلكى . أم البرامج التليفزيونية العالمية كالدورات الأولمبية والمؤتمرات العالمية ؟**

— تقع هذه الاقمار فى مدار يقع فى مستوى خط الاستواء ، وعلى ارتفاع حوالى ٣٦ الف كيلو متر . وتدور أقمار الاتصالات فى هذا الفلك بسرعة تبلغ نحو ٧٠٠٠ كيلو متر فى الساعة ، وهو ما يحقق الاتزان الديناميكى للقمر الاتصالى . أى تتعادل جاذبية الأرض مع القوة المركزية الطاردة . وعلى هذا الأساس يقطع القمر الفلك الدائرى المحاذى لخط استواء الكرة الارضية فى ٢٤ ساعة . أى ان دورانه يتوافق مع دوران الكرة الارضية حول محورها . ولذا فان هذا التوافق بين القمر الاتصالى والكرة الارضية ، يزيل أى تحرك نسبى بينهما ويبقى القمر ثابتا بالنسبة للكرة الارضية .

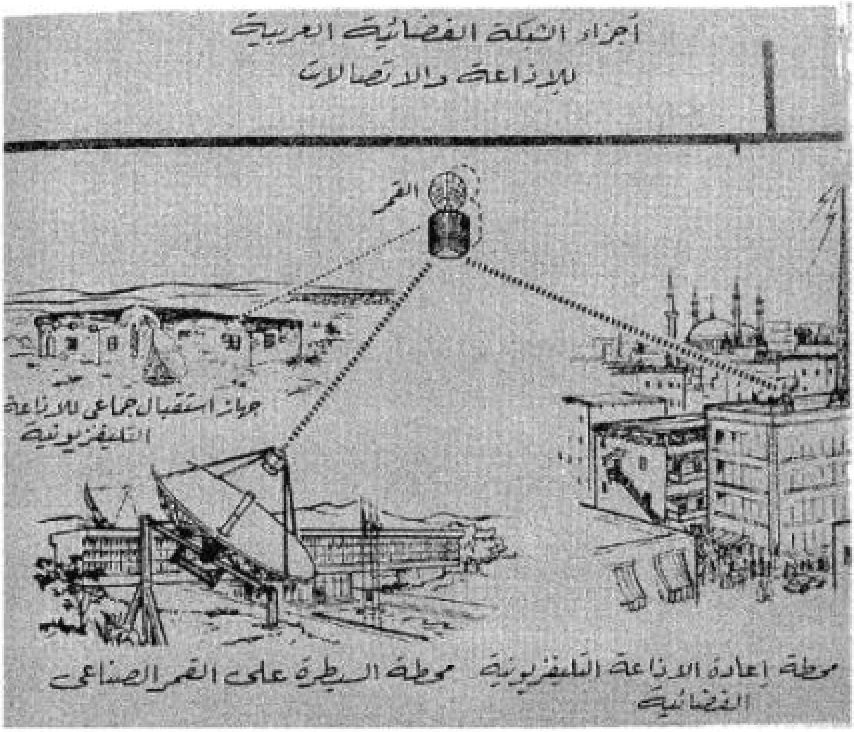
ويعتبر تحقيق هذه المهمة ، وهى الارتباط الدورانى بين الارض والشمس — عاملا مهما فى ان يواجه القمر جانبا ثابتا من الكرة الارضية .



وزاوية الرؤية للقمر الصناعي من الارتفاع الكبير الذى يقع فيه ، وهو كما قلنا ٣٦ الف كيلو متر هي ١٧٫٥ درجة أي ما يوازى رؤية نحو ثلث مساحة الكرة الارضية .

وعلى هذا الاساس ، فان اطلاق ثلاثة اقمار في مواقع تقابل ثلاثة جوانب مختلفة من الكرة الارضية ، يؤدى الى ارتباط ثابت بين كل من الجوانب الثلاثة . وكل من الاقمار الاتصالية الثلاثة المقابلة لها . ويكون كل قمر قادرا على أن يكون نقطة توصيل . او « سنترال فضائى » بين اي من محطات الاتصال اللاسلكية الارضية ، في ثلث مساحة الكرة الارضية المقابل له .

فالمكالمة التليفونية بين اى محطة اتصال فضائية ارضية ، واخرى ، تجرى على موجة لاسلكية سنتيمترية ، ترسل من المحطة الارضية ، ثم تعبر ٣٦ الف كيلو متر من الفضاء صوب القمر الاتصالى ، حيث تتردد على موجة اخرى ، تنبثق من القمر الاتصالى الى المحطة الارضية المعنية بالمكالمة التليفونية ، وتهبط هذه الموجة وتعبر نازلة رحلة ٣٦ الف كيلو متر اخرى الى المحطة الارضية المستقبلة للمكالمة التليفونية .



والفائدة البارزة للاقمار الاتصالية .. تستمد ثبتها من ان الارسال اللاسلكي من القمر يغطي ثلث مساحة الكرة الارضية ، وعندئذ فان الارسال التليفزيوني من القمر الصناعي يغطي بذلك مساحة شاسعة ، غير مألوفة ، بالنسبة للارسال التليفزيوني الارضي، والذي لا تتجاوز رقعته مدى مائتي كيلو متر ، بينما في حالة القمر الفضائي التليفزيوني ، فان مدى الاستقبال يبلغ على التقريب نحوا من عشرة آلاف كيلو متر يمكنه أن يغطي عشرات الدول باذاعة تليفزيونية واحدة . الامر الذي لم يكن مستطاعا أبدا باستخدام الوسائط التقليدية الأرضية .

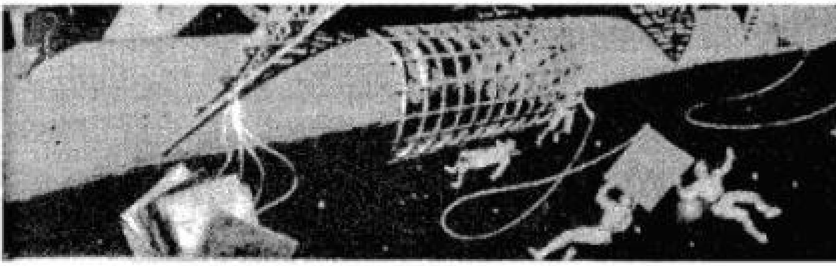
● متى بدأ التفكير في مشروع القمر الصناعي العربي ؟

– كان ذلك عندما اجتمع وزراء الاعلام العرب في بنزرت بتونس ، عقب نكسة يونيو ١٩٦٧ . وكان من بين قراراتهم ضرورة اجراء دراسة جادة لاستخدام التكنولوجيا الحديثة في تطوير وسائل الاعلام العربي .

وفي هذا الوقت ، التحقت كمستشار لجامعة الدول العربية ، وعهد الي باجراء دراسة مستفيضة لهذه القرارات . ولم يكن استخدام الاقمار الصناعية في التليفزيون ، والاتصالات اللاسلكية قد وصل الى صورته الناجحة التي وصل اليها حاليا . ولكنني كنت مدركا أن هذا التطوير الضخم ، هو قاب قوسين أو أدنى ، فواصلت متابعة هذا التقدم العلمي الهائل ، ودراسة الاسلوب الامثل لاستخدامه في المنطقة العربية ، ليتحقق هدف وزراء الاعلام العرب . ذلك لأن استخدام قمر صناعي عربي ، يمكن ان يضع بين أيدي وزراء الاعلام العرب محطة فضائية كبرى ، تذيع تليفزيونيا برنامجا موحدا ، يمكن أن تتولى اكفأ العناصر المثقفة في البلاد العربية اعداده ، وتهيئته ، من حيث الروح العربية الاصيلة ، بما يؤدي الى الاقلال من اذاعة البرامج الاجنبية التي تمثل نحو ثلث برامج التليفزيون في أي بلد عربي .

وبالاضافة الى ذلك فاننا بحق في حاجة الى استرداد أصلنا العربي الصحيح ، عن طريق وسيلة اعلام وتثقيف عربية خالصة ، تربط المجتمع العربي بخصائصه ورسالته ، ولا تجعله تابعا او مقتبسا من الثقافة أو العقيدة الغربية . ومثل هذا القمر يمكن أن يكون متعدد القنوات ، بحيث توفر فيه قناة لاستخدامها في التعليم المدرسي بما يقضي على مشاكل هذا التعليم ونقصان المدرس الكفء ، القادر على تدريس مواد علمية حديثة .

واخص بالذكر أن هذه الوسيلة الاتصالية بين البلاد العربية ، يمكن



أن تحقق الاتصال العضوى المفقود بين أرجاء الوطن العربي ، وذلك بالاضافة الى أن نفس هذا القمر يمكن أن يوفر دوائر الاتصال التليفوني ، والبرقى ، والتى لا تكفى الاحتياجات القائمة فى البلاد العربية ، عن طريق الشبكات الارضية الحالية .

● ما هى الخطة التى وضعت لتنفيذ المشروع عربيا ؟ ..

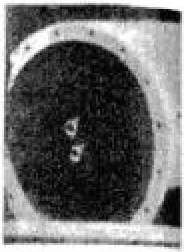
– لقد انتهت الدراسة التى جرت طيلة السنوات الثلاث الماضية ، الى انه من الممكن تنفيذ المشروع – أعنى صناعة القمر الصناعى العربى – بواسطة الجهات المتخصصة ، فى أمريكا وأوروبا . وبالفعل تم الانتهاء من تصميم الشبكة بشكل يحدد مواصفاتها الفنية ، وخصائصها ، والقدرة الاتصالية لها ، ونوع المحطات الارضية اللازمة ، وكذلك تكاليف المشروع والتى تصل الى ٢٠ مليون جنيه استرليني فيما يختص بمكونات القطاع الفضائى . وتشترك فى تمويل هذا المشروع ١٨ دولة عربية . وتعتبر هذه التكاليف معتدلة الى حد كبير بالنسبة للفوائد التى تعود من وجود هذه الشبكة والتى لا تقدر ماديا .

● ماهى الامكانيات الفنية المختلفة التى يوفرها القلستار العربى لتدعيم العمل العربي المشترك ؟ ..

– توفير خدمة تليفزيونية اذاعية موحدة على مستوى الامة العربية لتوفير الخدمة فى مجالات التليفزيون التعليمى ، والثقافة العربية ، والتعريب المهنى .. الخ .

– توفير دوائر اتصال تليفونية وتلغرافية عالية الجودة ووافرة ، بما يقضى على صعوبات الاتصال البرقى والهاتفى بين البلاد العربية ، وذلك كتنمية للشبكة الارضية القائمة ، أو التى يجرى انشاؤها .

– ايجاد امكانية اتصال ميسرة على مستوى احتياجات المرافق العامة مثل الطيران والارصاد الجوية ، بمعنى خلق شبكات اتصال ضرورية لهذه المرافق وكذلك ما يتطلبه الامن القومى من وسائل اتصال سريعة وفعالة . سواء بين قيادات البلاد العربية أم بين مراكز الحدود داخل الدولة الواحدة وبين قيادتها .



- تحسين دوائر الاتصال الهامة للبلاد العربية ، وغلقها دون وسائل التجسس عن طريق مراكز التوسط الاتصالي ، القائمة بين شبكة الاتصال للبلاد العربية ، وذلك بافراد هذه الشبكة الفضائية للاتصال المباشر بين العواصم العربية عن طريق قمر صناعي ، تحت سيطرة البلاد العربية ، وتزويده بكافة وسائل الحماية ضد التسمع أو التداخل الاجنبي ٠

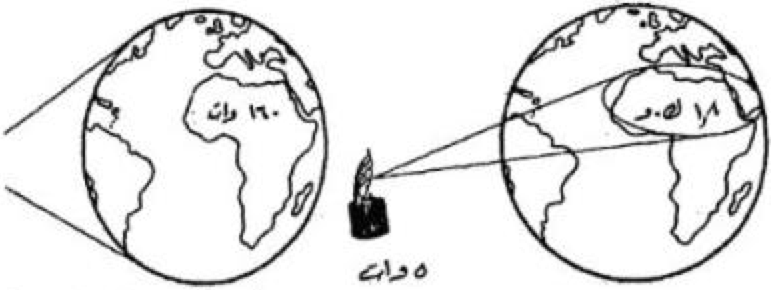
● ما هي الاسس التي يتم على ضوئها تكلفة المشروع وتمويله ؟ ٠

- يغطي هذا المشروع مساحة تضم نحوا من ٢٥ دولة ، منها ثماني عشرة دولة عربية ، هي صاحبة المشروع ، والباقي هي دول افريقية يصل الاشعاع اليها بحكم الجوار ، وبحكم وقوعها في اطار نمط الاشعاع المعتاد لمثل هذه الاقمار ٠

وتوزع عادة أعباء هذا المشروع على الدول المستفيدة ، ويكون التوزيع على أساسين مختلفين ٠ فبالنسبة لقطاع الفضاء تتفق الدول المستفيدة على طريقة الاسهام في تكاليفه ، وأما بالنسبة للقطاع الارضي فمن الطبيعي

مقارنة بين الشبكة الفضائية الإقليمية للدول العربية والشبكة الفضائية العالمية ...

الشبكة الفضائية الإقليمية للدول العربية — الشبكة العالمية



محطة أرضية صغيرة لا تحتاج إلى اتقان أثر القمر « الثمن حوالي مليون دولار »

محطة أرضية كبيرة وقادرة على ا[...] أثر القمر « الثمن حوالي ٣ مليون دو[...]



أن تتحمل كل دولة تكاليف المحطات الارضية المتعاملة مع القمر ارســالا واستقبالا ، كما تتحمل مصــاريف تشغيلها .

ومن صالح المشروع وتجــانس مكوناته ان يرتب بين الدول المستفيدة مايؤدى الى توحيد طراز المحطات ، وانماطها الفنية الاساسية ، وكذلك ما يحكم النظام الفنى للتشــغيل والصيانة .

ولما كان لمثل هذا القمر الاتصالى من اهمية بالغة ، فلابد من أن يوجد فى الفضــاء قمران ، أحدهما عامل ، والاخر مساند فى حالة اذا ما حدث بالقمر العامل اى خلل ، كذلك يحتفظ على سطح الارض بقمر اتصــال احتياطى لاطلاقه فى أى وقت . وعمر القمر فى الفضاء ما بين سبع الى ثمانى سنوات .

ومجموع تكلفة المشروع بالنسبة للقطاع الفضائي كما ذكرنا ٢٠ مليون جنيه أسترليني .

● ما هي المشروعات التي نفذت في [illegible] العالم ؟

— فى الاتحاد السوفييتى نفــذ مشروع القمر الصناعى منذ اكتوبر ١٩٦٧ ، ويغطى كل أرجاء الاتحــاد السوفييتى تليفزيونيا . وفى كندا تم مشروع أخر ، بدأ منذ نوفمبر من هذا العام . وسوف يستفيد المشروع العربى من المشروع الكندى بعد ادخال بعض التعديلات الضرورية عليه . ويغطى المشروع الكندى بلاده اذاعيــا وتليفزيونيا الى جانب شبكة اتصالات تليفونية وبرقية .

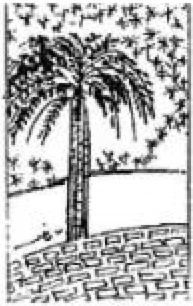
وفى الهند يجــرى تنفيذ مشروع سوف يبدأ استخدامه سنة ١٩٧٣ . هذا بالاضافة الى الشبكة العالميــة الحــالية والتى تستخدم أساسا للاتصــالات التليفونية والبرقية ، وتستخدم احيــانا لنقل البرامج التليفزيونية العالمية ولنقل الاخبــار الهامة عالميا كالهبــوط على القمر ، ونقل الدورات الأوليبية كمــا حدث أخيرا فى دورة ميونيخ وكذا انتخابات رؤساء الدول الكبرى .

***

لقد أصبح لدى جامعة الدول العربية مشروع مدروس من كــــافة نواحيه ، يمكن تنفيذه بدون أى عقبات دولية ، وعند صدور الموافقة بالتنفيذ سوف يســتغرق الانتهاء منه مدة عامين .

وسوف توفد جامعة الدول العربية لجنة من خبرائها لزيارة مختلف الدول العربية لمناقشة المشروع بما يجعــل دراسته داخل مجلس الجامعة والقراره اكثر يسرا ، خاصة وهناك مشروعات عالمية كثيرة فى أوربا وآسيا سيجرى تنفيذها ، وســتغطى الدول العربية باذاعات تليفزيونية اجنبية .. ومن الضرورى أن تحمى البــلاد العربية الفضاء العربي من هذا الغزو بتنفيذ مشروع القلســتار العربي سريعا ، وحتى يتسنى لكل وطننــا العربي الحبيب الاســتفادة منه علميا وثقافيــا .

د. إبراهيم ناجى



موكب القمر

أقبــل بموكبك الأغر ... ما اظمأ الابصــار لك
العين بعـدك ياقمـر ... عمياء والدنيا حلك

تمضى وراء سحابة ... تحنو عليك وتلثمك
وأنا رهين كآبة ... بخواطرى أتوهمك

كن حيث شئت فما أنا ... الا معنى بالمحال
أغدو لقدسك بالمنى ... وأزور عرشك بالخيال

وأقول صبرا كلما ... عز الفكاك على الاسير
روحى وروحك ربما ... طابا عناقا فى الأثير

مهما تسامى موضعك ... وعلا مكانك فى الوجود
فأنا خيالك أتبعك ... ظمآن أرشف ما تجود

قمر الأمانى يا قمر ... انى بهم مسقم
أنت الشفاء المدخر ... فاسكب ضياءك فى دمى!

أفرغ خلودك فى الشباب ... واخلع على قلبى الصفاء
أسفا لعمر كالحباب ... والكأس فائضة شقاء

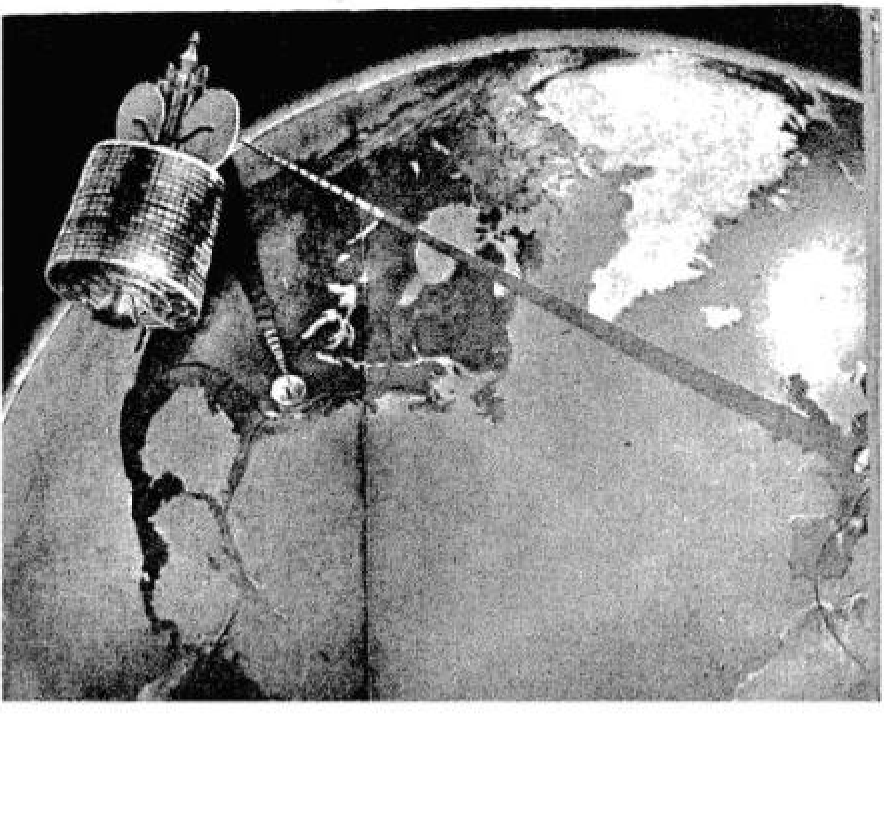
خذنى اليك ونجنى ... مما أعانى فى الثرى
قدحى ترقق ، فاسقنى ... قدح الشعاع مطهرا

واها لأحلام طوال ... وأنا وأنت بمعزل
نعلو على قمم الجبال ... ونرى العوالم من عل

ميشيل تكلا

القمر يتجسس

القمر الصناعي « انتلسات » الرابع يرسل اشارات بين فرنسا والولايات المتحدة ...



هناك مجموعات من الاقمار الصناعية تملأ الان سموات العالم ، كأنها عيون السماء ، ترصد حركات الامم والشعوب ، فما الذى تفعله هذه الاقمار حقيقة ؟ وكيف تعيش فى الفراغ البعيد ؟ وكيف يمكنها معاونة رواد الفضاء فى احدث رحلة لهم الى القمر (٦ ديسمبر ١٩٧٢) والى الكواكب البعيدة بعد ذلك ؟

فى اللحظة التى تصدر فيها الاوامر باطلاق صاروخ قوى من نوع مساترن، الى السماء ، ترتجف النفوس ، وتضطرب القلوب ، فالنجاح أو الفشل قد يكون معلقا بخيط واه يذهب معه ، فى حالة الفشل ، تعب الشهور الطويلة واحتراق ملايين الجنيهات فى السنة اللهب • واذا كان بمركبة الصاروخ رجال كانت الكارثة اشد وقعا على نفوس الناس •••

وعندما ترى وقود الصاروخ ، وقد بدأ يحترق فى وميض ملون مخيف • فان الارض تمتلىء بدوى يفوق دوى الرعود فى الوقت الذى يشق فيه الصاروخ طريقه نحو الفضاء العريض •• وكلما ازدادت سرعة احتراقه للوقود زادت سرعته حتى تبلغ خمسة وعشرين الف ميل فى الساعة ، وعندما ينتهى المحرك الاخير من حرق وقوده يكون الصاروخ قد بلغ مداره ••

بعد انطلاق الصاروخ يبدأ العمل الحقيقى للعلماء ، فالهدف الرئيسى من اطلاقه هو اكتشاف ما يحدث هناك فى الفضاء البعيد وراء جو الكرة الارضية وذلك بارساء قمر صناعى خاص ، تسجل اجهزته حقائق عدة ، وتبهم عقوله الاليكترونية باشارات وكلام اثناء عملها الجاد ، ففى السنوات القليلة الماضية اطلقت مئات من الاقمار الصناعية فى الفضاء ، وهى لا تزال تدور فى مداراتها وتزغرد فى الفضاء ، ولا بد من رصدها من الارض وهى تدور حولها ، وتسجل رسائلها واشاراتها أولا بأول •

والاقمار الصناعية متعددة الاشكال والاحجام والاغراض • فالقمر الصناعى ، نميس ، عبارة عن أجهزة مجنحة ارجوانية اللون تقيس اشعة الشمس ، بينما تخرج منه اجزاء تؤدى اعمال تجسس خاصة على درجة كبيرة من الاهمية • فاذا حدث لهذه الاجزاء ادنى خلل ، قام العلماء بارسال اشارات خاصة لتصحيح وضعها وحالتها •

وفى الاونة الاخيرة استطاع العلماء ان ينقذوا عددا كبيرا من هذه الاقمار الصناعية • ففى واحد من هذه الاقمار فشل جزء من الاجزاء فى اداء ما كلف به من التجسس على منطقة من المناطق ، وكانت الرسائل التى ترد من هذا القمر خاطئة ، وحاول العلماء معرفة السبب ، واخيرا فطن عالم الى رقم لا يعمل جيدا فى الحاسب الالكترونى ، فقام باجراء التغيير اللازم • ونجح القمر فى ارسال اشارات صحيحة الى الارض ••

وفى حالة اخرى كان العلماء يتابعون حركة صاروخ ضخم ، فلاحظوا انه كان شديد الحرارة ، فارسلوا فى الحال اشارة الى القمر الصناعى الركب فوقه ، لكى تقوم اجهزته اللاسلكية بتبريد درجة حرارة الصاروخ ، ونجحت المحاولة وظل الاخير يعمل بانتظام •••

والواقع ان الاقمار الصناعية ليست مجرد الات تعمل فى مداراتها ، بل هى اجهزة علمية دقيقة ذات اهداف هامة لخدمة العلم والانسانية • فهى تستمد قوتها الكهربائية من الشمس أو من اجهزة خاصة ، وتصور الاجواء وتقيس الاشياء الغريبة التى تحدث

● عقد من الأقمار الصناعية يحيط بالأرض لكشف الأسرار الحربية

● أقمار صناعية ترسم خرائط صحيحة للكرة الأرضية ..

وراء جو الكرة الارضية .. ويرقب العلماء حركة هذه الاقمار باستخدام الرادار أو التلسكوب . وقد افادت هذه المراقبة في قياس حجم وشكل الكرة الارضية . كما ساعدت على تصحيح وتعديل الخرائط التي تستعملها ، ومعرفة الاقمار الصديقة من الاقمار المعادية . واذا حدث وتحطم قمر صناعي الى جزءين أو اكثر استمرت المراقبة لحركة الجزءين ومسارهما وتسجيل ذلك أولا بأول .

عقد من الاقمار يحيط بالارض

نثر العلماء في الفضاء العريض عقدا من الاقمار الصناعية ، يحيط بالكرة الارضية ، وتحمل هذه الاقمار الوفا من القنوات التليفزيونية والارصاد الجوية ، وموافاة العلماء بتقارير سريعة عن حالة الجو والمناطق الاستراتيجية الجديدة . فقد أرسل قمر صناعي (الطائر المبكر) الى الفضاء البعيد منذ سنوات قليلة ، وكان يحتوى على ٢٤٠ قناة ووزنه ٨٠ رطلا . وقد نجح في اداء مهمته ولم يخطيء مرة واحدة منذ دورانه حول الارض .

ويعمل العلماء حاليا على انشاء اقمار صناعية كبيرة تحتوى على عشرة الاف قناة وتصلح للعمل مدة عشر سنوات كاملة دون ان يعتريها ادنى خطأ أو ارتباك . وتنشر على هيئة عقد وقطر كل واحد منها تسعة أقدام ووزنه ١٥٠٠ رطل . وسوف تمد هذه الاقمار الطائرات بانباء الاحوال الجوية لحظة بعد أخرى وكذلك السفن والبواخر .

كما بنيت أخيرا أربعة اقمار خاصة تمد سفينة الفضاء « أبوللو ١٧ » بالمعلومات اللازمة عند اطلاقها من قاعدة كيب كيندى يوم ٦ ديسمبر من هذا العام

ويعمل القمر الواحد حوالى ٨٨٦٠ ساعة في السنة وبعضها يعمل ٢٣٦٤٠ ساعة . كل حسب وزنه وقدرته وما به من اجهزة للبطاريات الدقيقة . ومن وظائف هذا العقد من الاقمار الصناعية الكشف عن الاسرار الحربية للدول الكبرى ونقل هذه الاسرار بشفرة معينة الى مراكز سرية في الكرة الارضية .

وقد اطلقت في السنوات الاخيرة عدة اقمار صناعية لقياس القارات والجزر قياسا دقيقا مضبوطا . وقاس أحد الاقمار المسافة الحقيقية من شرق الولايات المتحدة الى غربها . وكانت نسبة الخطأ في هذا القياس ما يقرب من ثلاثة وثلاثين قدما فقط ! .. ونجحت هذه الاقمار في قياس بعض الجزر الهامة كهاواى والاسكا وجزر الالوشيان . وقد زودت بكاميرات متحركة تصور جوانب الكرة الارضية

وتطلق هذه الاقمار عادة تجاه نجوم معينة معروفة اماكنها لعلماء الفلك . وكان « بطل » هذه الاقمار القمر الصناعي المعروف باسم « الصدى » فقد استطاع ان يرسل

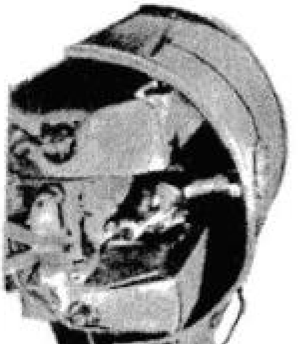
قياسات دقيقة لبعض مناطق واجزاء من الكرة الارضية اثبتت صحتها عند مقارنتها بالقياسات الحالية المعروفة للعلماء ·

الاقمار والتنبؤ بالاحوال الجوية

هناك أربعة أنواع من الاقمار الصناعية ارسيت للكشف والتنبؤ عن الاحوال الجوية، منها نوع يضم خمسة اقمار صغيرة ذات عجلات تدور حول العالم في الوقت الحاضر · وثلاثة من هذه الاقمار مزودة بعدسات تصوير دقيقة تلتقط الصور اوتوماتيكيا ، وترسلها الى الارض في الحال ، اى الى اربعمائة محطة مراقبة أرضية منتشرة في أطراف متفرقة من الكرة الارضية ·

اما القمران الاخران فمزودان بعدسات تصوير تلتقط الصور ثم تخزنها ، وتقرأ محتوياتها الى مراكز المراقبة الارضية · واخيرا ترسلها الى مبنى الادارة العلمية لبحوث الفضاء

« لايكا » في الكابينة الخاصة بالقمر سبوتنيك .....



في كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية ·

ومنذ عام واحد أرسل قمر صناعي سادس على هيئة بيضة لها أجنحة ، واحتوى على نوعين من عدسات التصوير السريعة وعدسات التسجيل التي تؤجل ارسال الصور الى الارض ·· بجانب عدد اخر من الاجهزة الحساسة الدقيقة المرهفة ·

وهناك اقمار تكنولوجية تدور حول الارض على ارتفاع ٢٣٠٠٠ ميل في وفاق مع سرعة دوران الارض وفي نقطة ثابتة فوق العالم · وقد اطلق عليها « الاقمار الثابتة » · وهناك قمران من هذا النوع خصص احدهما لتصوير الجو بالالوان · وتمد هذه الاقمار رجال الملاحة الجويه بمعلومات هامة عن الجو لا تستطيع محطات المراقبة الارضية بما لديها من اجهزة حساسة ان تحصل عليها · وتعطي هذه الاقمار صورة واضحة المعالم للارض بما في ذلك عدد من المناطق التي لا يستطيع ان يراها رجال الارصاد ، لان ٢٠٪ فقط من سطح الكرة الارضية تغطية مراكز مراقبة دائمة · اما الاقمار الصناعية فتستطيع ان تغطي الكرة الارضية باسرها في يوم واحد ·

ان المعلومات الدقيقة التي ارسلتها الاقمار الصناعية على هيئة صور فوتوغرافية عادية وملونة الى مراكز المراقبة الارضية اشتملت على تصوير لسطح الكرة الارضية والسحب الكثيرة التي تغطيها · ولكن رجل الارصاد المدرب يستطيع أن يقرأ هذه الصور قراءة علمية صحيحة ، ويحدد عليها مناطق العواصف ، والطرق النفاثة والضباب والثلج ومناطق الجو الصحو ، ويطلع الطيارين عليها لدراستها ايضا قبل مغادرتهم المطارات العالية · كما يحدد عن طريقها المناطق الثلجية في البحار

وكيفية تكوينها وذوبانها ·

وتقيس الاجهزة الحساسة فى الاقمار الصناعية درجة حرارة اسطح المياه فى كل منطقة من المناطق البحرية وتستخدم معلومات الاقمار الصناعية كذلك لتحديد مناطق الرطوبة فى الشرق الاوسط للسيطرة على المناطق التى تكثر فيها جحافل الجراد · وتبدو المناطق الرطبة عادة فى الصور ذات لون داكن ·

اقمار لمراقبة الحيوانات

اطلقت فى السنوات الاخيرة عدة اقمار صناعية لمراقبة الدببة القطبية وسلاحف البحار والحيتان والحيوانات الاخرى التى يتوقع لها العلماء انقراضا · وتحمل هذه الاقمار اجهزة خاصة تنقل عن طريقها المعلومات التى تحصل عليها من الفضاء الخارجى



مثل سرعة الرياح فى مناطق الجمد ودرجة حرارة البحار وسرعة التيارات البحرية ، والاشعاعات الصادرة من مناطق البراكين ·

ولما كان العلماء لا يعرفون الا القليل عن دببة المناطق القطبية ، فهم يبحثون حاليا عن انسب الطرق لحمايتها من سطوة الانسان · وقد ارسلت بعثات الى النرويج لمعرفة ما اذا كانت الدببة التى تقطن مناطق القطب الشمالى يمكنها ان تحمل حول اعناقها اجهزة ارسال تزن حوالى ٢٥ رطلا لكى يستطيع القمر الصناعى متابعة سيرها وحركاتها ، وهى تنتقل من منطقة الى اخرى ، اما هروبا من الصيادين واما بحثا عن الصيد عندما يشتد بها الجوع ·

الغريب فى الامر ان سلحفة البحر اللبونية الخضراء تقطع كل عام ١٢٠٠ ميل من الجنوب الى جزيرة « اسكنسيون » ثم تعود الى موطنها كما ان رحيل قطعان الفيلة فى القارة الافريقية كل عام لا يعرف العلماء خط سيرها بالدقة المطلوبة · ولكن اجهزة الارسال التى يركبها العلماء على بعض هذه الحيوانات المهددة بالانقراض ثقيلة فى حد ذاتها ولذلك يفكرون فى صناعة اجهزة دقيقة خفيفة يمكن ان تركب حول اعناقها وترسل اشارات وذبذبات يلتقطها القمر الصناعى فيحدد طريق سيرها ومن ثم يرسل تفاصيل رحلاتها الى علماء الارض · بل ويمكن تركيبها فى الطيور والاسماك لرسم خرائط دقيقة للطرق السرية التى تسلكها كل عام اثناء هجرتها ·

مراصد جوية لدراسة الكون

كانوا يقولون انه عندما يموت الفلكيون فان ارواحهم تذهب الى القمر ·· لان الرؤية تكون حسنة واضحة هناك ! ولكن لم يعد لهذا القول

● الأقمار الصناعية تقوم بدور كبير في التنبؤ بالاحوال الجوية
● اقمار صناعية لمراقبة الحيوانات وتسجيل هجرتها كل عام

الاسطورى مجال بعد ما حققه الفلكيون الاحياء من معجزات فى عصر الذرة والفضاء ·

فالعلماء اليوم على وشك النجاح فى سبر غور جو الارض ومعرفة اسراره · فجو الارض يعوق بحوث الفلكيين فى امور ثلاثة ، منهـا انه يرسل موجات ضيقة طويلة الى الارض بقوة تتراوح من ٢٩٠٠ الى ٣٠٫٠٠٠ « انجستروم » — ووحدة الانجستروم تعادل واحـدا على عشرة الاف من « المايكرون » · أو بمعنى مبسط تحمل واحدا على عشرة الاف سنتيمتر — وهى احدى النوافذ التى يرى الفلكيون من خلالها السماء وما حوته من اقمار ونجوم الكواكب فيصورونها تصـويرا دقيقا ·

وظاهرة لمعان النجـوم أو لمعان شريط من الهواء فوق ممر ساخن فى الفضاء، من الظواهر الملحوظة للعلماء ومصدرها الاصلى الفواصـل التى يعكسها جو الارض على عدسـات الفلكيين · وفى عصرنا هذا وبرغم صناعة عدسات قوية ، فلا تزال الرؤية غير واضحة ·· لذلك فان التغلب على هذه العوائق سـيفتح الباب امام الفلكيين ، ويقضى على نصف المشاكل القائمة حاليا ·

وقد فكر كثيرون فى حلول سريعة لتطوير علم الفلك وذلك بارسال أجهزة فلكية الى الفضاء البعيد او الى خارج جو الكرة الارضـية للتخلص من الموجات التى تعوق مواصلة الـ.. والاستقراء ، وذلك عن طريق الاقمار الصناعية أو البالونات أو الصواريخ وبعد تجارب كثيرة وجد العلماء .. افضل طريقة فى تثبيت الاجهـزة الدقيقة الحساسة فى اجسام الاقمار الصـناعية بحيث لا تدخل موجات الحرارة أو الضوء أو المغناطيسية من الفضـاء البعيـد · وكذلك تثبيت تلسـكوبات قوية لا تتأثر بالموانع والعوائق وذلك بارسالها الى مدار معين بحيث يمكنها ان تعمل من هناك مدة طويلة · وقد ارسـل فعلا أول تلسكوب الى الفضاء فى عام ١٩٥٧ · وفى مارس ١٩٦٢ ، وأرسل الى مدار معين تلسكوب آخر لرصد وتصوير النظام الشمسى فى قمر صناعى زنته ٤٥٠ رطلا ، وذلك للتمهيـد لرحلة الانسان وهبوطه على سطح القمر · وقد نجح هذا التلسكوب فى مهمتـه ونجحت رحلات « ابوللو » المتعددة ··

ابراج لدراسة الاشعاعات

كثيرا ما اطلق العلمـاء ابراج مراقبة الى الفضاء · وكان كل برج يحتوى على ثلاثة عشر جهازا منفصلا معظمها مسلط على الشمس ، وبهـا عدسات قوية لدراسة الاشعاعات القوية الصادرة عن الشمس مثل اشـعة اكس ، واشعة جاما ، وقياس ذرات الغبار المنتشرة فى الفراغ ، ولوضع خريطة للسماء وذلك عن طريق عجلة

دائمة الدوران مركبة فى أحد الاجهزة وتشمل جهازا لتصوير الاشعاعات الشمسية والكشف عن اشعاعات أخرى داخل القمر الصناعى ذاته أو الكشف عن ذرات نشطة تصطدم به ٠ وبالعجلة جهاز اخر لدراسة حزام (فان الن) المشع الذى تم اكتشافه منذ سنوات قليلة ٠

ولم يكتف العلماء بذلك بل ارسلوا عن طريق اقمار التجسس مراصد جوية بها مجموعات من الاجهزة الدقيقة وهى الان ترتفع فوق الارض بخمسمائة ميل ٠ وتنحصر مهمة هذه المراصد فى وضع خريطة كاملة لنجوم السماء فى المناطق ذات الاشعة فوق البنفسجية ـ ويستغرق هذا العمل ستة أشهر كاملة ـ ولدراسة عدة مئات من النجوم فى المنطقة ذاتها وكذلك دراسة عدد من النجيمات والسدم وما بينها ـ وأخيرا لقياس الاطياف فى المناطق ذات الاشعة فوق البنفسجية ٠

وهناك مراصد اخرى سوف تطلق قبل منتصف السبعينات بحيث ترتفع باقمارها الصناعية الى ٢٣٥٠٠ ميل فوق الكرة الارضية ، وسوف تكون اقطار التلسكوبات التى ستركب فى هذه المراصد الجوية من ٥٠ الى ٧٢ بوصة بحيث تستغرق فى الفضاء خمس سنوات كاملة ٠

ولن يقتصر الامر على ذلك ، بل سوف يرسل العلماء عددا كبيرا من الفلكيين فى هذه المراصد لتشغيلها وادارتها ورسم خرائط كاملة لما يرونه على هذا الارتفاع الشاهق من الكرة الارضية ٠

فاقمار التجسس تملا سموات العالم تجوبها بحرية مطلقة ، وتلتقط صورا للمناطق الحربية والصناعية باطمئنان وثقة وترسل هذه الصور أو المعلومات بطرق خاصة الى اصحابها ٠٠ وتسهم فى الوقت نفسه بتصوير المناطق ذات الخطورة البالغة فى البحار والمحيطات ، وتتنبأ بوقوع الكوارث والاعاصير ، وتمهد لغزو الاقمار والنجوم والكواكب ٠٠ وتنقل البرامج الرياضية فى الحال لجميع الدول فى مختلف القارات ٠٠٠

إن عملها معقد ٠ ووجودها فى الفضاء أمر شديد التعقيد ٠٠

اقمار التجسس المشروع

انطلق أول قمر صناعى من نوع « تلستار » فى يوم ١٠ يوليو ١٩٦٢ من قاعدة كيب كانافيرال بولاية فلوريدا بالولايات المتحدة ٠ وكان الغرض من ارساله على ارتفاع ٣٧٦٨٠ كيلو مترا من سطح الارض التجسس على الدول ونقل المعلومات الحربية الى مراكز معينة فى الكرة الارضية ٠

ويستطيع هذا القمر الصناعى نقل ٦٠٠ اذاعة صوتية من جانب واحد فى آن واحد ٠ كما يستطيع أن ينقل ٦٢ محادثة تليفونية من جانبين فى وقت واحد ٠ وقياس ١١٥ ظاهرة من ظواهر البيئة التى يمر بها ويبلغ عنها ٠٠ ومن هذه الظواهر درجة الحرارة والضغط الجوى واشعة الشمس ، وما يراه من هذا العلو الشاهق من

● مراصد جوية لدراسة الكون والفراغ

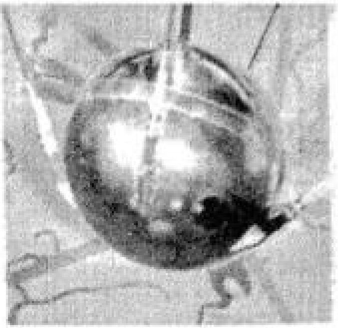
ترتيبات واستحكمات تجربيها بعض الدول للدفاع عن أراضيها في وقت الحرب الى غير ذلك ولهذا السبب أطلق عليه قمر التجسس المشروع ٠

والي جانب عمله كجاسوس جوي نجح التلستار في نقل الصور التليفزيونية من أمريكا الى غرب أوروبا وبالعكس ٠ وهو عبارة عن كرة من الالومنيوم والمغنسيوم مجوفة قطرها ٨٢٫٦ سم ، تغطيها ٣٦٠٠ بطارية شمسية تجمع الطاقة من الشمس وتقوم بتخزينها في ١٩ بطارية من النيكل والفاناديوم ٠ وتبلغ زنته ٧٦٫٥ كيلو جرام ٠ ويدور حول الارض مرة كل ١٥٧٫٨ دقيقة وأقصى سرعة له ٢٩٩٣٢١ كيلو مترا ، وادنى سرعة ١٩٠٥٢ كيلو مترا ٠

وترسل الاشارات الى هذا القمر الصناعي من الارض على ذبذبة قدرها ٦٣٩٠ ، ميجا سيكل ، ثم يعود فيرسلها الى الارض على ذبذبة قدرها ٤٢٧٠ ، ميجا سيكل ٠ ٠ وتقوم المحطات الارضية بعد استلامها الاشارات اللاسلكية من التلستار بتضخيمها ثم ارسالها عن طريق الدورات الكهربية العالية الى اجهزة الاستقبال على الارض ٠ وقد نقل التلستار دورة ميونيخ كاملة الى اوروبا وامريكا في وقت واحد طوال انعقاد الدورة الرياضية المثيرة ٠

ويداخل هذا القمر الفريد في نوعه جهاز صغير الحجم لاستقبال الاشارات ومكبرات للصوت وجهاز لاعادة ارسال الاشارات وغير ذلك من الاجهزة المعقدة ذات الحساسية المتفوقة ٠٠ وقد لعب هذا القمر أدوارا هامة منذ ارساله في عام ١٩٦٢ وكشف عن قواعد الصواريخ والقذائف الموجهة من عابرات المحيطات واعطى تقارير كاملة





عنها .

أما الاقمار الصناعية التى تعمل على ربط الدول بعضها بعضا فتعمل بطريقة منتظمة . ويشرف على قمر المواصلات اللاسلكية عادة مركز خاص لمراقبته فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار . ففى هذا المركز يرتفع « هوائى » بارتفاع مبنى به عشرة طوابق وبه طبق قطره ٩٧ قدما يرصد حركة قمر يطفو فوق منتصف المحيط الاطلنطى . وبرغم ان الطبق الذى يزن ٤٧٠ طنا يبدو ساكنا ، الا انه فى حركة دائمة ، يرصد كل نقطة مهما كانت دقيقة فى الفراغ . وبرغم المسافات العظيمة التى تقطعها الاشارات اللاسلكية بين القمر والطبق فان الطاقة الكهربائية اللازمة صغيرة جدا فقوتها لا تزيد على مائة وات وذلك لارسال ٢٤٠ صوتا او رسالة الى القمر الصناعى .

ويعيد القمر الصناعى الاشارات بقوة تقدر بجزء على تريليون جزء من الوات وتتسلم المحطات الارضية هذه الاشارات مليارات المرات عن طريق أجهزة مرهفة الحس .

والاقمار الصناعية عبارة عن مجموعات من الانتينات (الهوائى) ترسل وتستقبل الاشارات – ومرقب لقياس حالة القمر ، وخزانات صغيرة بها غاز الهيدرازين – ويستعمل لتعديل مكانها – اما القوة الكهربائية فتستمدها من الخلايا الشمسية التى تحول ضوء الشمس الخام او غير المخفف الى طاقة كهربائية .

ويراقب علماء المراكز الارضية الاقمار الصناعية بصفة دائمة لانها تتأثر بجاذبية الارض والقمر والشمس فاذا ابتعدت عن مداراتها ، ينشط فى الحال غازالهيدرازين النفاث ويعيدها الى امكنتها الصحيحة . وعندما يستهلك الغاز ويبعد القمر عن مداره فلا بد من احلال غيره محله .

وتدور ثلاثة اقمار صناعية فى وقتنا الحالى فوق المحيطات الثلاثة : الاطلنطى ، والباسيفيكى ، والهندى ، لامداد العالم بشبكة من المواصلات الفورية . وقد ارسيت خمسة اقمار اخرى فى السنوات القليلة الماضية للغرض نفسه . وهى كبيرة ضخمة بالمقارنة الى « الطيور » او الاقمار الاولى التى ارسيت فى عام ١٩٦٥ » فقد كان قطر كل « طائر » أو قمر صناعى لا يزيد على قدمين ويزن ٨٥ رطلا .

أما الاقمار الحالية فارتفاعها ١٧ قدما وعرضها ثمانية اقدام وتزن ١٥٨٧ رطلا وتستطيع ان ترسل ستة آلاف مكالمة تليفونية فى آن واحد ، وتنقل ما يجرى فى غرف العمليات الجراحية الى اطباء العالم . وكان اشهر هذه الاحداث العملية الجراحية التى اجراها جراح القلب دكتور

، ميشيل دى باكى ، فى هيوستون بتكساس ، وشهد الجراحة عدد كبير من اطباء سويسرا • وكانوا يسألون فيرد عليهم اثناء اجراء الجراحة فيلتقطون الاجابة فى كسور الثانية عن طريق الاقمار الصناعية •

ومن الاحداث الغريبة أيضا ان مهندسى الارجنتين صادفوا مشكلة هندسية معقدة وهم يبنون جسرا من الجسور ، فعرضوا المشكلة عن طريق عقل الكترونى على مركز ادارة الاقمار الصناعية فجاءهم الحل فى مدى ثلاث دقائق فقط •

دبلوماسية الاقمار الصناعية

هناك علاقة رئيسية بين النواحى العلمية والعسكرية التى ارسيت بسببها هذه الاقمار الصناعية التى يربو عددها على الالوف وهى تجوب الفضاء العريض أو تدور حول الكواكب البعيدة كالمريخ والزهرة والمشترى (وفى الوقت الحالى يدور القمر الصناعى « الرائد ١٠ » حول كوكب المشترى لكشف اسراره) •

وكانت بعض الثمار التى حصدها العلم فى هذا المضمار ، التوصل الى معلومات دقيقة عن حالة الجو وتقلباته فى الطبقات العليا • وكانت هذه المعلومات ذات فائدة حربية لان اى قذيفة موجهة لابد لها ان تمرق خلال طبقات الجو العليا ، ولا مفر والحالة هذه ان يعرف العلماء مقاومة السحب فى تلك المناطق المرتفعة لتؤدى القذيفة عملها على أكمل وجه • وعليه فان أى تقدم علمى قد يستخدم فى الاغراض السلمية أو الحربية • أى للبناء أو الهدم ...

وستظل بحوث الفضاء قائمة ، ما دام التطاحن بين الامم لا يزال قائما • هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فقد اوشكت المصادر الارضية للثروات الطبيعية ان تنضب تماما ، ولا بد والحالة هذه من البحث عن مصادر جديدة ، وحضارات اخرى اذكى من الحضارة الارضية ، وذلك فى الكواكب البعيدة فى النظام الشمسى •

ابن الشاطئ

جواز سفر.. إلى ميونيخ

قبل ان يذبح في نهر المجاعات زمن
قبل ان نعرف يا أحبابنا معنى الوطن
قبل ان نخطر فوق الشمس في كل الجهات
كان ميعاد طواحيني فراش الواجهات !

***

لا تغنوا عندما يحبل ميلاد المطر
ويصلي رغم طول البعد في رحم السفر
فشبابيك الهوى تغري ضلوع البرتقال
وتلاقي في ضحى اللد شرايين المحال !

***

يا احبائي ! تمددت طويلا في ظلال
وغزلت الشوق مشدوها على بخل الوصال
وعلى قفازة الآهات وجه من تراب
طبعته الريح والمنفى على طبل الإياب !

***

وبلدنا قلبنا الغاوي رمالا عربيه
ونسخنا برتقال الشوق مليون هويه
وبطولات زرعناها على برج السلام
وبريئا يسرق الاطفال من عمر الخيام !

كل ما قيل عن العـــــودة حلم بنوى
ختمته الاوف ، والناقة ، والنهد الغوى
ورمتـــه القلة الظمياء فى كـــل مكان
فتمطى اغبر الصوت، على اغصان (كان) !

يا احبائي ، تعبنا من مناديل الســـلامه
اكلتنا الارض ، واغتيلت مناوير الكرامه
آن ان نقتل حتى الحب ان صار سدودا
واستباح الضوء عربيدا ، وسوانا بربدا!

كل شيء كان كالطلقة في جسم الرماد
عبرته الريح والمنفى وتزوير الجهـــاد
فاجلدونا في مرايا الضوء لا تخشوا عتابا
واقتلونا ،واقتلوا الاحرف ما دامت سرابا

يا احبائى اذا سافرت فى (بون) غربيا
وعصرت الظل انسانا وحنيت الصلبا
فاعرفونى، واقرءوا فى المهد عنوان(تريزا)
واحملوا (ربما) الى الله ازيزا وازيزا !

لا تلوموني اذا خاصرت اطياف حبيبى
ورفضت الشوق، والذكرى، وآلام صليبى
وحفرت القدس مزهوا ، على كل زناد
فشهودى الله فى (موتو) ، وأجياد العناد

لا تظنوا انني اصـــبحت شرطي مرور
انني عمدت فى « ميونيخ » ازهار العبور
وعرفت العالم المسدود ، واللحن الجديد
وتواقيعا من الله على صـــدر شهيد !

● المجاهد الجزائري ● ابن الشاطيء ●

رحلة الشهر

عودة الزهور



انطون الجميل

ابتداء من اول يناير القادم ـ باذن الله ـ تقدم «الهلال» اليك ايها القارىء العزيز ، مع عددها الشهرى ، هدية شابة ، هى مجلة « الزهور » .. التى تصدر منفصلة عن « الهلال » فى ٦٤ صفحة ، ولكنها تقدم معها كهدية ، بدون اى ثمن اضافى

و « الزهور » هى الرسالة الادبية لشباب هذا الجيل ، الذى يشكو ضيق مجالات النشر امامه . وهى مفتوحة الصفحات للادباء والشعراء والقصصيين الشبان من جميع انحاء الأمة العربية .

وستقيم « الزهور » عدة مسابقات بين الادباء الشبان ، فى الشعر والقصة والدراسة الادبية ، وتخصص لها جوائز مالية

ومن الوفاء ان نقول ان اول من اصدر مجلة باسم « الزهور » فى القاهرة هو الصحفى الكبير المرحوم انطون الجميـل « رئيس تحرير الاهرام فيما بعد » سنة ١٩١٠ . وكانت صـفحاتها هى الاخرى مفتوحة للشعراء والكتاب من جميع الاقطار العربية ، وبينهم كثيرون ممن كانوا يومئذ فى سن الشباب

كان من بين كتاب « الزهور » : احمد شوقى ، وخليل مطران ، وحافظ ابراهيم ، وامام العبد ، ووديع البستانى ، وامين تقى الدين ، وشكيب ارسلان ، وحليم دموس ، ورشيد نخله ، والآنسة مى ، واسماعيل صبرى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وعبد الحليم المصرى ، وشبلى ملاط ، واحمد نسيم ، وولى الدين يكن .. وغيرهم

وكان اكثر هؤلاء يومئذ فى زهرة العمر ، وهم اليوم جميعا فى ذمة الله

واجمل احلامنا ان يأذن الله بأن تنمو على صفحات « الزهور » فى بعثها الجديد أسماء كتلك الاسماء ، يصبح لها فى جو الادب العربى مثل ذلك العبير الذى كان لشباب « الزهور » القديمة .

جائزة نوبـل والضمير الانسانى



هاينريش بول

فاز بجائزة نوبل للأدب هذا العــــام ، الأديب الألمانى الغربى « هاينريش بول » . وهو من مواليد سنة ١٩١٨ ، عمره الآن أربع وخمسون سنة

اما كيف تلقى النبأ ، فقد تلقاه وهو يقضى أجازة طويلة فى أثينا ، يستريح فيها من عناء السنين الطويلة التى قضاها فى اتمام اربعين مجلدا من الروايات ومجموعات القصص القصيرة التى عالج فيها ويلات الحرب العالمية الثانية ـ وقد خاضها وهو فى العشرين من عمره كجندى فى الجبهــة الشرقية . وجرح أربع مرات ـ كما استعرض فساد المجتمع البورجوازى ، ومشاكل الطبقة المتوسطة ، وانحدار المستوى الخلقى عقب ما يسمونه « بالمعجزة الألمانية » . أى موجة الرخاء التى سادت ألمانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية

و « لهاينريش بول » دين فى اعناقنا نحن العرب . فقد كان أعلى صوت مثقف ارتفع فى ألمانيا الغربية لمعارضة سياسة أعز أصدقائه .. « ويلى برانت » التى تدعو لطرد العرب من هناك .

اقول .. كان فى اجازة باثينا

وبعد الغداء ، عاد الى فندقه ، فسلم من موظف الاستقبال مفتاح غرفته ، ومعه رسالة وضعها فى جيبه دون أن يهتم بالنظر اليها وفى المصعد ، فض الرسالة ، والقى عليها نظرة عاجلة ، فاذا هى من استوكهولم ، تبشره بانه فاز بجائزة « نوبل » للأدب عن سنة ١٩٧٢ « ٤٠,٠٠٠ جنيه » !

ويقول الرجل انه ظل نصف ساعة كاملة غير مصدق للنبأ ..

وكانت هذه هى المرة الثانية التى يفوز بها كاتب ألمانى بهــذه الجائزة . اما الفائز السابق ، فهو « توماس مان » . منذ ٤٣ سنة

وقد بدأ « هاينريش بول » تاريخه مع الكلمة سنة ١٩٤٧ ، ولكنه اخلص لها كل الاخلاص على مدى الســــنوات الخمس والعشرين التالية ، وبيعت من قصصه أكثر من اربعة ملايين نسخة فى ألمانيا الغربية ، و ٣٠٠,٠٠٠ نسخة فى ألمانيا الشرقية ، وترجمت رواياته « البلياردو فى منتصف الساعة العاشرة » و « المهرج » ـ وهما أحسن قصصه ـ الى ثلاثين لغة . وهو يكتب الآن عن المأساة النفسية فى حياة رجل الشرطة

و « هاينريش بول » شاعر أيضا ، ولكنه ينشر شعره تحت اسم مستعار ، وكأنما يبدو له أن شعره ليس فى مستوى قصصه

ويقول « هاينريش بول » ان الكتابة لا تواتيه بسهولة ، فالرواية الواحدة تستغرقه نحو سنة كاملة ، يكتب خلالها المسودة ، ويعدلها ويبدلها ، ولا ينتهى منها الا بعد أن يكون قد كتب للرواية خمس مسودات أو ستا !

ويضيف أنه يعود بعد هذا الى مراجعتهـــا ، وقد لا تعجبه ،

فيتركها ويكتب غيرها .

ويسمونه في بلاده « ضمير ألمانيا المعاصرة » .. لأنه يحاول في قصصه أن يهدم الفساد الماثل الذي يسيطر على الحياة المعاصرة في ألمانيا الغربية .

ومما هو جدير بالذكر ، أن « هاينريش بول » ، كاتب تقليدي ، لم يحاول أن يغير التخطيط المصطلح عليه للقصة أو أن يساير الموجات الانقلابية التي طرأت على هذا الفن .

ولهذا قالت لجنة الجائزة في حيثيات منحه اياها انه يمثل حركة الاحياء للتراث الادبي الالماني

ويشبهه الكثيرون — في لونه القصصي — بالكاتب الكاثوليكي الفرنسي « فرانسوا مورياك » . ويذكرون على سبيل المثال قصته « رسالة الى كاثوليكي صغير » التي يستعرض فيها دور الكنيسة خلال حكم النازي وفترة ما بعد الحرب

و « هاينريش بول » ، كاتب قصصي متحرر ، ولكنه — رغم صداقته الوثيقة « بويل برانت » — يرفض أن يندمج في حزبه « الحزب الاجتماعي الديموقراطي » حتى لا يفقد ذاتيته وحريته الفكرية .

من الذى سرق .. أقدم قصيدة فى الأدب الالمانى ؟

« هايلد براندلايد » .. هذا هو اسم أول قصيدة عرفت في تاريخ الادب الالماني ، فقد نظمت سنة ٥٠٠ م.ولكنها لم تدون الا بعد ذلك بثلاثمائة سنة ، نقلا عن رواتها، وسجلت على ورقتين كبيرتين من ورق « البرشمان » المقوى

وكانت القصيدة من مقتنيات « الدوق اوف هيس » ، ثم انتقلت ملكيتها الى مكتبة مقاطعة هيس ، بالمانيا الغربية ، بعد انتهاء عهد الاشراف

وقامت الحرب العالمية الثانية ، فاحتفظ بها امناء المكتبة في خزانة مؤمنة ضد القنابل ، ومعها كتاب آخر له قيمته التاريخية ، اسمه « ويلهالم كاديس » يتألف من ٣٩٦ صفحة ، بها ٦٠ رسما ملمنا « منياتير » . ويروى هذا الكتاب قصة بعض النبلاء في اثناء الحرب الصليبية ، ويرجع تاريخه الى سنة ١٣٥٠

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، اتضح ان هذين العملين « اللذين يعدان أثمن الذخائر الادبية الالمانية ، قد اختفيا بطريقةمجهولة

وفي سنة ١٩٥٠ ، اكتشفت الورقة الاولى من قصيدة « هايلد براند لايد » في المكتبة الخاصة بأحد مساعدي وزارة الخارجية الامريكية ، في بيته بلوس انجلوس

ومنذ أسابيع ، اكتشفت الورقة الثانية ، مع كتاب « ويلهالم كاديس » برمته .. في مكتبة مؤسسة روزنباخ بفيلادلفيا ، بأمريكا

من الذى سرق الوثيقتين ؟

هل هو ذلك المساعد بوزارة الخارجية الامريكية .. واحتفظ بورقة من القصيدة ، وباع الثانية ، ليساوم على ثمن الاول في المستقبل؟

لا جواب .. ومهما يكن من أمر ، فقد أصرت حكومة ألمانيا الغربية على استرداد الوثيقتين ، واستردتهما بالفعل ..

رواية فى ٦٤٠٠ صفحة

فقدت فرنسا هذا العام علما من أعظم اعلام الادب فيها، هو الكاتب والشاعر والروائى والمسرحى جول رومان « ٨٧ سنة » **مؤلف رواية « الرجال ذوو الارادة » التى تعتبر من اعظم الاعمال الادبية فى هذا القرن ، وعضو مجمع الخالدين «الاكاديمى فرانسيز» منذ سنة ١٩٤٧ ، ورئيس نادى القلم الفرنسى، واكثر كتاب فرنسا جدية ، وابعدهم صيتا فى انجلترا وامريكا .** رغم أن فرنسا ذاتها لم تقدره كما قدرت بعض معاصريه ، من امثال « كلوديل » و « جيد » و « جيرودو » و « كوكتو » و « مورياك » و « مونترلان » .. و **« جول رومان » هو اسمه القلمى ، أما اسمه الحقيقى ، فهو « لويس فاريجول » .**

ولد هذا الكاتب فى اغسطس ١٨٨٥ فى الريف ، حيث تلقى تعليمه الاول ، ثم التحق بمدرسة المعلمين ليصبح مدرسا

وانتقل الى باريس .. التى اثرت على حياته واتجاهاته تاثيرا عميقا له طابعه فى قصته الكبرى « الرجال ذوو الارادة » .. التى يقول بعض النقاد انه لم يستطع خلال تحليلاته السياسية فيها أن يتخلص من شخصية « الخوبة » .

وبعد عشر سنوات فى مجال تعليم الفلسفة لتلاميذ « الليسيه » اعتزل هذه المهنة ، وتفرغ للكتابة منذ سنة ١٩١٩ . وكانت الحرب العالمية الاولى « ١٩١٤ - ١٩١٨ » قد تركت بصمات عميقة فى اعماقه دفعته الى هذا التحول الكبير ، وكونت له مذهبا فى السياسة ايقظ فيه روح البحث عن الزعامة .. وقد وجدها فى شخصية القائد الكبير الماريشال « بيتان » . وقد استنفد هذا اللعب وروائده مجلدين كاملين من روايته الكبرى « الرجال ذوو الارادة »

بدأ القلم يتحرك فى يد « جول رومان » وهو فى التاسعة من عمره ، حيث كتب قصة تدور فكرتها حول الطلاق ، ومارس بعد ذلك نظم الشعر وكتابة المقالة والقصة والمسرحية ، الى أن وصل الى قمة اعماله « الرجال ذوو الارادة » .. ولعلها اطول رواية كتبها كاتب فى التاريخ ، فقد بدأ « جول رومان » احداثها فى ٦ اكتوبر سنة ١٩٠٨ ، وظل يطوف بالواقع السياسى الفرنسى والاوربى عاما بعد عام ، خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها ، حتى اختتمها فى ٧ اكتوبر سنة ١٩٣٣ ، متنبئا بقيام الحرب العالمية الثانية ، التى اشتعلت سنة ١٩٣٩

وتقع هذه الرواية فى ١٤ مجلدا ، يبلغ مجموع صفحاتها ٦٤٠٠ صفحة

اليست هذه اطول رواية فى التاريخ ؟

جول رومان



سؤال من الجزائر

هذه رسالة من الجزائر الشقيقة ، من القارىء العزيز عبد الحميد شكيل ، بمدينة عنابة ، يسألني فيها :

- ما رأيكم في الأدب الجزائري المعاصر ؟
- ما رأيكم في معركة التعريب التي تخوضها الجزائر ؟
- ما رأيكم في أدب الشباب في العالم العربي ؟

– وأقول للأخ الجزائري ، انه من سوء الحظ ، أو هو قصور من الجانبين ، ومن الجهاز الثقافي بجامعة الدول العربية أيضا ، اننا نحن المشارقة لا نتلقى من نتاج الفكر الجزائري ما يهيىء لنا أن نحكم على مدى الكم والكيف في هذا الأدب ، اللهم الا فيما نقع عليه منه في الصحف الفرنسية ، أو في صحيفة « المجاهد » الجزائرية في بعض الأحيان ، مع اننا أعلنا أكثر من مرة أن صفحات « الهلال » مفتوحة لنتاج الأدباء والشعراء والمفكرين من جميع فجاج الأمة العربية ، على الرحب والسعة

ولكن الظاهرة المؤسفة ، ان المشارقة يستجيبون ، والمغاربة لا يستجيبون

– وأما معركة التعريب في الجزائر ، فأحسب انها قريبة الشبه بنظيرتها في تونس

وكان المفروض ان تسير حركة التعريب نحو الشمول ، ولا يختلف فيها رأيان ، لولا ان غريزة حب البقاء والدفاع عن النفس ، تدفع ببعض من فرضت عليهم الثقافة الفرنسية في ظل الاحتلال ، ولم تتح لهم فرصة الدراسة العربية ، الى مقاومة حركة التعريب ، لا كراهية في العربية ذاتها ، بل حرصا على مواقعهم في الدولة أو في المجتمع

على ان التعريب الكامل آت لا ريب فيه ، كمسار طبيعي لأصالة العنصر وطبيعة الاستقلال ودافع العقيدة ونداء الضمير

– وأما أدب الشباب ، فاني أسائل ، هل نلمح بين أدباء اليوم شوقيا جديدا أو عقادا جديدا أو « طاها » جديدا ؟

أكبر الظن أن الجواب بالنفي ..

هناك مواهب جديدة ، ومقدورة ، ومتطورة ، ولكن أكثرها متأثر بالثقافات الوافدة ، منبت عن التراث ، والتراث أولا هو الذي يفتح برعم الأديب والشاعر في أية أرض ، ثم تأتي الثقافات المتنوعة لتفتح البرعم وتضيف اليه اللون والعطر

السفير الجزائرى يقول..

كانت أمتع سهرات الشهر الماضي ، سهرة عامرة بالادب والشعر والقومية ، في صالون الوطني الكبير الاستاذ احسان الجابرى ، رئيس وزراء سوريا الاسبق ، على شاطىء النيل

وكان بين ضيوف السهرة ، السيد ابراهيم مزهودى سفير الجزائر

وقد انتهزت الفرصة لأسال السفير الجزائرى عن مسيرة حركة التعريب في القطر الشقيق ، لعل ألقى مزيدا من الضوء على سؤال القارىء العزيز عبد الحميد شكيل . فقال لى ان الحركة بدأت منذ سنة ١٩٣٠م ، على أيدى جماعة العلماء ، وعلى راسهم يرشد الشيخان الكريمان البشير الابراهيمي وعبد الحميد بن باديس ، عليهما رحمة الله ، كاسلوب لبث الروح الاستقلالية ، ومناهضة الاستعمار ، واحياء اللسان العربي

وقد أدت المدارس التي أنشأتها الجماعة رسالتها على خير الوجوه.

فلما تحقق استقلال الجزائر ، استعانت الحكومة ببضعة آلاف من المدرسين المشارقة ، ليلقنوا التلاميذ اللغة العربيـــة في المدارس الابتدائية . ولكن يبدو انهم لم يوفقوا في اداء رسالتهم لانهم كانوا يشرحون الدروس بلهجاتهم الدارجة

ومن ثم ، فقد ضاعفت الحكومة جهدها لتخريج مزيد من المدرسين الجزائريين ، الذين نجحوا في تحقيق **خطوة مقدورة في سبيل التعريب ، فاصبح التعليم في السنوات الثلاث الاول من المرحلة الابتدائية – فيما يختص باللغات – مقصورا على اللغة العربية . اما السنوات الثلاث التالية من هذه المرحلة ، فموزعة بين العربية والفرنسية**

أما في المرحلة التالية – في المرحلة التقنية .. أى الفنية – فالتعليم فيها باللغة الفرنسية وحدها ، لعدم توفر المدرسين المحسنين للمصطلحات باللغة العربية

أما في الدوائر الحكومية ، فهناك خطة طويلة الاجل للتعريب .

والسفير نفسه يحسن اللغة العربية كل الاحسان ، لانه تعلمها في مدارس جماعة العلماء

وقد فاتنى ان اقول له ان على المتحمسين لقضية التعريب في الجزائر الشقيقة ، وفي الشقيقتين تونس والمغرب ايضا ، ان يستغلوا اداتى الاذاعة والتليفزيون لمحو الامية وتعليم اللغة العربية ، كما نفعل نحن في مصر

وانه لما يطمئننا على سير حركة التعريب في الجزائر ، هـــذه الكلمة التي قرأتها اخيرا في مجلة « المجاهد » الجزائرية :

« ظهر من خلال المناقشات أن ثمة من ينطلقون وجودهم .. **انها مشكلة مزيفة وغير حقيقية ، فاتحاد ادباء وطني لابد ان تكون لغته هي اللغة الوطنية . وعلى الاديب باللغة الفرنسية ان يناضل** اليوم من اجل سيادة هذه اللغة ، اى العربية ، كما ناضل بالامس من أجل سيادة هذا الوطن .

اما ان ننطلق في اتحادنا من وجود لغتين تحت ستار – الله غالب – فذلك تنصل من المسئولية التاريخية غير مبرر . بل هو ادانة للاديب بالفرنسية ودلالة على اهماله لغة الجماهير التي ناضل من اجلها ، فالاديب مقاتل بالكلمات » ..



احسان الجابرى

كيف نفرض لغتنا على العالم

العقيد معمر القذافي



يوما ما ، حينما كانت الامة العربية في اوج مجدها – وكان لها حكم الأندلس – كانت اللغة العربية سيدة اللغات ، الى حد انها كانت

لغة الصالونات في اسبانيا ، يتحدث بها الرجال والسيدات من كبار البيوتات الاسبانية ، اذا ارادوا ان « يتفتزحوا » ويظهروا ثقافتهم

العالية .. كما تفعل بناتنا اليوم – بكل اسف – حينما يتحدثن بالفرنسية او الانجليزية في مجالسهن وانديتهن

ثم تقوقعت اللغة حينما تقوقعت الامة ، لان العالم يحترم لغات الاقوياء

وفي غمار هذه النكسة ، تنتفض ليبيا الشقيقة انتفاضة عربية مشرقة ، من سماتها المؤمنة انها تحاول فرض اللغة العربية مرة اخرى على العالم

فقد اصبح جواز السفر الليبي ، هو جواز السفر الوحيد في العالم العربي ، المكتوب باللغة العربية وحدها دون اية لغة اجنبية اخرى

كما ان ليبيا قد فرضت على السائحين الاجانب الذين يريدون زيارة ليبيا ، ان تكون البيانات المكتوبة في جوازات سفرهم مسجلة

باللغة العربية الى جانب لغات بلادهم ، والا ، فانهم لا يمنحون تاشيرات الدخول

لو حذت جميع الدول العربية هذا الحذو ، فان اللغة العربية تستطيع ان تفرض وجودها من جديد على كل ركن من اركان الوجود

حول قضية الأدب المهجري

ماكنت احسب ، وانا اكتب عن الشاعر المهجري الكبير الياس فرحات ، فصلا في كتابي « بلابل من الشرق » الذي صدر في منتصف هذا العام عن دار المعارف ، انني مشعل بهذا الفصل نيران الحرب بين الشاعر وبين صديقه القديم ، مؤرخ الأدب المهجري ، الاستاذ جورج صيدح .

استندت في كتابة هذا الفصل الى كل مرجع وقع في يدي ، ومنها ماكتب الاستاذان جورج صيدح وتوفيق ضعون عن أدب المهجر ، وقد ذكرا ان الياس فرحات قد اشتغل في بعض الأونة ببيع المناظر وتربية الخنازير وطهو الاطعمة الشرقية .

وقد كتب لي الاستاذ فرحات ينكر انه مارس هذه المهن ، وان « توفيق ضعون كاذب وصيدح اكذب منه » . ونشرت رسالته « مخففة » في العدد الماضي من « الهلال » محاولا أن اهدىء من روع فرحات واقرب بينه وبين صاحبيه ، بقولي انهما كتبا ماكتبا عنه بحسن نية .



الياس فرحات

ولكن الاستاذ صيدح – المقيم في باريس – غضب لقول فرحات غضبة مضرية ، وبعث لي برسالة انشرها « مخففة » هي الاخرى بعد استئذان صاحبها .

وقد أرفق الاستاذ صيدح برسالته ثلاثة خطابات ترجع تواريخها الى سنتي ١٩٦١ و ١٩٦٥ ، من الياس فرحات اليه ، يبدؤها بهذه الكلمات الحلوة « يا ابا الصوادح » و « ياحبيب القلب » يقول صيدح في رسالته لي « مخففة » :

« انا اعرف فرحات سبابا عيابا ، واعرف انى رهين مزاجه المتقلب بين الرضا والغضب ، لأى سبب أو دون سبب . ولكننى كنت احسب أن صلات الود التى ربطتنا منذ تعارفنا في سان باولو عام ١٩٤٠ . وماتلاها في عشر سنوات من المراسلات الاخوية ابتداء من عام ١٩٥٦ « تاريخ صدور الطبعة الاولى من كتابى من أدباء المهجر » وانتهاء بعام ١٩٦٥ « تاريخ انقطاع المراسلات » يجعلنى في مأمن من مفاجآت العدوان التى تعرض لها سواى من ضحايا قلمه .

« واعظم من ذلك أن يتذرع بشعرى للدفاع من نفسه امام مهاجميه ، فينشر قصيدتى في وداع لبنان في جريدة برازيلَ – لبنان ، ويجعلها لسان حاله على رءوس الاشهاد في ربيع عام ١٩٦١

« فماذا جرى بعد عام ١٩٦٥ حتى صار احب الاحباب لديه أكذب الكذاب المتحاملين عليه ؟ كيف اختفى ذلك التعاطف المتواصل والتجاوب الكامل والحب المتبادل ، حين لم يطرا طارىء على صلاتنا ولم نختلف على امر واحد في مراسلاتنا ؟

« انا نفضت يدى من قضية الادب المهجرى منذ عام ١٩٦٦ على اثر اختلاف وقع بينى وبين صاحبة مجلة المراحل ، فلم انشر شيئا من ادباء المهجر ولا تعرضت لذكر فرحات بخير او شر الى يومنا هذا . فلماذا تنز الآن فوق السنين الغابات باحثا من شبه حجة يتذرع بها الطعن بأبى الصوادح وحبيب القلب ، فيتذكر ملاحظات أبداها على كتابى في عام صدوره عام ١٩٥٦ ويتجاهل اننا تراضينا وقتئذ على تسوية عادلة لها ، فلم تقف حجر عثرة في مسيرة صحبتنا ومودتنا . فما باله ينبشها الآن من قبرها في هذا العام ، متحولا من صديق قديم الى خصيم وخيم ؟ »

هذا في الواقع بعض البعض من رسالة الاستاذ صيدح ، الذى لايزال عنده مزيد من القول في هذا الموضوع ، وان كنا – بعد ان قرانا خطابات فرحات الثلاثة اليه – نتمنى ان يعود الصفاء بين قلبى الاديبين الكبيرين ، ليثريا الادب العاصر بلمحات الحب والوفاء ، لا يقلقاه بقلمات البغضاء ..

● ص . ج ●

الله.. والإنسان

محمد الجبار

من وراء السكون اسمع خطو العمر يمشي، ملفعـا بالرجـاء
اعطني قوة التبسم ، حتى ... تحجب البسمة الخجـول بكائى

نامت الشمس ، والنجوم وعود .. حدثتني عن الامانى الوضـاء
اعطنى نعمة التناسى ، لاحيا .. دون امس يسير ظـلا ورائى
يا حبيبي ... والصمت اصغاءة الليل طويلا الى الصباح النـائى

يا عزائى .. عرفت حكمة آلامى وادركت ما يريد قضـائى
هل يئن الثرى اذا مزقته الفاس : فاخضـل بالشـذى والنماء ؟
وسـياط الرياح .. ان تلهب البحر رمى الدر فى انحسـار الماء

يا حبيبي . سجدت بالدمع شكرا ... وسجودى على الثرى كبريائى
انا للناس مهجة عذبوها ، فارحمهـا باليـاس . او بالرجـاء

واذا ما رضيت يارب عنى . يصبح الحـزن فى الحيـاة عزائى
ما ارتمت دمعة على الترب ... الا حلقت فى شـعاعها للسماء

***

كم توضأت بالدموع .. الى ان صرت ضـوءا مجسدا فى ردائى

تعب الليل . واستراحت خطا الريح واصغت مشـاعر الاشـياء
فاسالوا الغيمة الشرود ... ستحكى : كنت فى البحر موجة من غناء
بخرتنى نيران شمسى ، فهرولت سحابا محمـلا .. بالعطـاء

فاذا ما بكيت شبت دموعى .. ســـــوسنات على الربا الخضراء

***

يا لدنيا الانسان ... بحرا صخوبا ، يتراغى من هيجة الانـــواء
كل حى به كموجة حقـــد خاصمت توأما لهـــا فى عـــداء
ما أنا موجة ... وانى بحـــــر ... انما الريح مزقت اطـــوائى

***

جن عقـــل الانســـــان بالحقـــد يوما فاذا الارض مرجل للدماء
كان طفل يضم لعبـــــة عيد . ويغنى تغريدة للهناء ...
قتلوه ... ولعبة العيد كانت معزفا ناح فـــــوق صدر الفنـــاء
مات ، لكن ... هنـــاك خصلة شعر فى عتـــاب على انين الهواء

مات ، والمعزف الكسير يغنى ... فى نشيد جنائزى الغنـــــاء
يا حبيبى .. ان شئت موتى ، امتنى ... واقفا فى الطريق دون انحناء
واهد عمرى ريحانة لبلادى ... ربما عدت فى حـــكايا المســـاء

***

يا الهى ... والعمر فلك شرود . بين شـــطين من ضحى ومســـاء
طفت فوق البحـــار انشد مرســـــاى طريد العـــواصف الهوجاء

وشراعى يلتف حولى .. كاكـــفان غريق فى لجـــة ســـوداء
لاح لى شـــاطئ .. وراء رؤى البحر فجدفت مبحرا برجـــائى
وتشـــبثت بالحياة .. ولكن ... كان موتى هنـــاك فى الميناء
يا الهى الرحيـــم يا خـــالق العين لشىء فى الارض غير البـــكاء
لترى فى البذور بيدر قمح واعدا فى الخيـــال قبل النمـــاء



عاطف مصطفى



عزيزة أمير ... رائدة فى
عالم السينما المصرية

أقمار الفن

ومهما تفنن الانسان في ابتكار الاقمار الصناعية التي تطير في الهواء ، وتخترق حجب الفضاء ، وتتجسس على عباد الله ، وتنقل الصور والانباء وتصل الى ابعد الكواكب والاجرام ، فان الاقمار التي ابدعها الله ، ونفخ بها الحياة لتسعد العيون والقلوب والاذان ، لا تزال اكثر جاذبية لنفسنا من كل « ابوللو » وكل « سيوز » وكل « تلستار »

هذه هي اقمار المسرح والسينما والتليفزيون ..

سهير المرشدي .. اعطاها المسرح انطلاقة عبر السينما والتليفزيون لاظهار مواهبها الفنية ..



اقمار المسرح

اقمار المسرح سطعت منذ بداية هذا القرن ، فى الوقت الذى سمح فيه للمرأة بالوقوف على خشبة المسرح ، وبرزت عناصر نسائية لامعة كزينب صدقى ، وفاطمة رشدى ، وفردوس حسن ، وعزيزة أمـــير ، وروزاليوسف وغيرهن .

كانت فاطمة رشدى من ابرز أقمـــار المسرح فى بداياته ، فكانت صورتها تنشر على غلاف كل مجلة فى مصر أو البـــلاد العربية ، وقيل عنها انها اذا مشت فى اى شارع من الشوارع خرجت مظاهرات فنية تهتف بحياتها . وظلت فاطمة رشدى نجمة المسرح الاول فى مصر منذ عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٣٠ ، ولشـــدة اعجاب أمير الشعراء أحمد شوقى بها ألف من أجلها روايتى « مجنون ليلى » و « مصرع كليوباترا » ومن العجيب أنها مثلت دور « قيس » فى مسرحية « مجنون ليلى » فى ذلك الحين .

وفى الثلاثينات كان التنافس على أشده بين الفرق المسرحية من أجل تقديم ألوان عديدة لفنون المسرح ، ولاثراء الحـــركة الفكرية فى مصر ، وطوال هـــذه الفترة برزت أقمار سحرت رواد المسرح ومحبيه ، وارتبطت قلوب كثيرة بهذه الاقمار ، حتى ليقال أن أحد المعجبين بالفنانة فاطمـــة رشدى أنفق عليها مليونا من الجنيهـــات اعجابا بها وبفنها الراقى .

وفى الوقت ذاته ، وعلى نفس المسرح – مسرح رمسيس – بزغ « قمر جركسى » فاتن . بعينيه الزرقاوين وشعره الذهبى تلك هى زينب صدقى .

وهكذا وقف القمر المصرى – فاطمـــة رشدى – والجمال الجركسى – زينب صدقى ، على مسرح واحد ، وكأنه صراع بين اللونين تمزقت بينهما قلوب المعجبين .

ومما يؤثر عن زينب صدقى أنها كانت أكثر جاذبية بالنسبة لاهـــل الفن ، من شعراء ورسامين ومثالين وغيرهم ، حتى ليقال انه ما من شاعر أو فنان فى مصر فى ذلك الوقت ، لم يكتب قصيدة أو لم يصنع صورة أو تمثالا لزينب صدقى .

قال ناجى :

لمن هـــذه الاعين الساحره
وما هـــذه الطلعة الباهره
وما ذلك الرح القدسى ..
وما هـــذه الفتنة القاهره

وقال شاعر آخر :

عجبت ومن مثلك لا يعجب
أقاسى العذاب واستعذب
وهل دفعتنى لحمل الصبابة
الا عيـــونك يا زينب ؟

وواصل المسرح مسيرته ، ومـــع مـــرور السنين ظهرت أقمار كثيرة لاثراء أقمـــار المسرح وصقلها . فقد أقيمت معـــاهد للتمثيل ، وأرسلت البعثات الى الخارج للتزود بشتى الحضـــارات والوقوف على أحدث ما وصـــل اليه الفن المسرحى من اخراج وديكور واضاءة . وكان نتـــاج ذلك جيل من الفنانات المثقفات الواعيات

فاصبحت الاقمار الى جانب جمالها الساطع، تتمتع بثقافة وفكر لم تحظ بهما السابقات في اوائل الحركة المسرحية بمصر •

ومن اقمار المسرح في وقتنا الحاضر ، سهير المرشدى ، وليلى طاهر ، وزيزى البدراوى ، وكل قمر من هذه الاقمار يتمتع بلون خاص من الوان الجمال والجاذبية •

فسهير المرشدى جمالها هو جمال الشفافية والبساطة ، وابرز ادوار سهير دور بنت البلد في مسرحياتها وافلامها •

وليلى طاهر من اهم ما يميز جمالها أنه من النوع الهادىء البرىء ، ومع هذا فهو جمال ارستقراطى تظهر خلفه احزان لايستطيع جمالها الرقيق ان يخفيها •

اما زيزى البدراوى ، فجمالها طبيعى

فاطمة رشدى ... نجمة المسرح ومعبودة الجماهير في الثلاثينات





تحس فيه بشقاوة البنات في تعبيرات وجهها . ووجهها معبر دائما ، يوحي بذكاء وقدرة على التحكم في تعبيراته .

اقمار السينما

كان اعتماد السينما على الوجوه الشابة الجميلة التي لا تتعدى سنا معينة ، حيث لم تكن الامكانيات السينمائية في ذلك الوقت في ظروف تسمح لها بتلافي بعض العيوب التي تكون موجودة في الوجه .

وفي بدايات السينما كان الاحساس بجمال الوجه أكثر من وقتنا الحاضر ، ولم يكن الاغراء متفشيا كما حدث بعد ذلك ، حيث يقتضي ذلك استخدام الجسم كله .

وقد تقدمت صناعة السينما فيما بعد



أمينة نور الدين ... احبت العمل الفني ، فاعطت له بسخاء وساعدها على النجاح جمال وجهها وفتنته الرائعة ...

تقدما عظيما من ناحية « التكنيك » فامكن اظالة عمر الوجه الجميل على الشاشة باستخدام انواع مستحدثة من الماكياج وعمليات التجميل بحيث يمكن للكاميرا ان تقترب اكثر واكثر من الوجه حتى تبرز التعبيرات التي يتطلبها المشهد بدون ان يظهر اى عيب فيه *

وبتقدم الفن السينمائي تغيرت المعايير الجمالية ، وأصبحت مواصفات الجمال للاقمار تتركز في استدارة الوجه ، وجمال العينين ، والقوام السمهرى الطويل ، وامكن للكاميرا أن تبرز السحر والجاذبية المنبعثة من عيني القمر ، والانوثة والاغراء اللذين يتفجران من الجسد الفاتن * وغير



زينب صدقي . . . ملهمة الشعراء وآسرة قلوب الفاتنين ، منحها المعجبون لقب « شكسبيرة الفن » .



فردوس حسن ... وجه تلالا على خشبة المسرح

من تمتعت بهذه الاوصاف من اقمار السينما ، الفنانة الراحلة كاميليا ، كذلك الفنانتان الكبيرتان مديحة يسرى ، وليلى فوزى .

واقمار السينما لا تقف عند جمال الوجه وحده لان هذا يعتبر عنصرا واحدا من عناصر الجمال ، ذلك لان ذات الجمال لا بد لها ان تحصل على قسط وافر من الثقافه ، الى جانب الذكاء حتى يمكن ان يستفاد من هذا الوجه القمرى .

والفنانة الموهوبة هى التى تتمتع بوجه جميل ، وجسم متكامل المقاييس الجمالية بالاضافة الى الموهبة الفائقة ، والذكاء المتوقد ، وهذا هو جواز المرور لتصبح من اقمار السينما .

ومن اقمار السينما فى مصر :

● سعاد حسنى : تتمتع بالجمال المصرى الصميم ، وهو جمال صارخ وهادىء فى الوقت نفسه ، رقيق وعنيف وطيع . وبمعنى اشمل فهو جمال كل الالوان . ولذلك استطاعت ان تعطى كل دور من ادوارها حقه ، فاذا تطلب دورها فى فيلم من الافلام دورا رومانسيا ، اصبح جمالها رومانسيا ، واذا كان الدور يحتاج الى

زيزى البدراوى . . .
الجمال الهادىء ،
والشباب المتدفق . .

سعاد حسنى . . .
عروس السينما
المصرية ، دائما متألقة
فى كل ادوارها . .



ميرفت امين ... شباب
جديد يملأ السينما
حيوية وجاذبية . .




العنف فجمالها عنيف . واذا احتاج الدور الى الاثارة والاغراء فجمالها ملىء بالاثارة والفتنة . وجمال سعاد يجعل بينها وبين جمهورها صلة حب حقيقية نادرة المثال وهى بحق ساحرة الشاشة العربية .

● نجلاء فتحى : تمتاز بالجمال النادر الذى تتضح فيه الرقة والشاعرية وخفة الظل كما تتضح الشقاوة فى عينيها ، وهى شقاوة محببة الى النفس ، يصل جمالها الى القلب بسرعة ، ووجهها يألفه المشاهد الذى يراها لاول مرة .. يصدق عليها اسم سندريلا الجميلة .

● ميرفت امين : صاحبة الجمال الشاعرى الذى تلحظ فيه الاثارة والاغراء ولكن على مستوى الاناقة . تقاطيع وجهها هادئة متناسقة ومتناسبة ، وهذا يعطى وجهها براءة واضحة وصادقة .

كاميليا ... فتنة وجاذبية ، وتكامل فى مقاييس الجمال ، اختطفها الموت فى احلى ايام شبابها ..



مديحة يسرى ... سمراء الشاشة، اثرت السينما بادوارها العديدة، وحققت كثيرا من النجاح والشهرة



اقمار التليفزيون

ومما لا شك فيه أن التليفزيون زاد الالفة والمودة بين المشاهدين وبين تلك الاقمار التى تشترك فى برامجه المنوعة ، واصبح الوجه المطل علينا من شاشته الصغيرة يؤثر فينا تاثيرا كبيرا •

فالشاشة الصغيرة يمتلىء بها الوجه ، ويكون قريبا من عين المشاهد وقلبه معا •

والتليفزيون المصرى به اقمار كثيرة تعمل على امتاع المشاهدين من خلال البرامج التى تقدم فى صورة تمثيليات ومسلسلات ومنوعات وبرامج مختلفة تلعب فيها مذيعة التليفزيون دورا كبيرا •

وهذا الوجه الملىء بالامل ، المشرق دائما يرتبط به المشاهد ارتباطا كبيرا ، وبقدر محبته له ، يكون حرصه على مشاهدته ، ومتابعة برامجه •

وقد اعتمد التليفزيون فى حداثته على الاذاعة اعتمادا كبيرا ، فقد أسهم المذيعون

نجلاء فتحي ... سندريللا الساحرة بجمالها وبساطتها ورقتها





نجوى ابراهيم ... ▲ رشامدينة ... ▼



بدور كبير في تقديم مواده وبرامجه . ثم بدأت الشاشة الصغيرة تجذب الجميلات للعمل بها .

ومن أهم ما تتمتع به أقمار التليفزيون، السحر والجاذبية ، وخفة الدم ، وحلاوة الصوت ، وسحر العيون التي تنفذ الى أعماق المشاهد فتجعله دائما أسيرا للوجه الأليف ، والعيون الصادقة المعبرة ، والصوت المملوء بالخفة والمرح ، يضاف الى هذا رصيد هائل من الثقافات المتعددة والمتنوعة ، وحسن التصرف والذكاء المفرط ليكتمل الجمال .. جمال الوجه والموهبة والصوت العذب المعبر .

ومن أبرز أقمار التليفزيون :

ليلى فوزي ... جمالها الارستقراطي يعطي الاحساس بسحر الفن في أدوارها اللامعة .



● لبجوى ابراهيم : تمتاز بوجه تقاطيعه متناسقة مريحة ، والبراءة من أوضح سماته • يعطى الاحساس بانها ام بكل ما فى الامومة من حنان وطيبة ورزانة عقل وهذه الصفات خلقت صلة الحب بينها وبين جمهورها • وقد الف الاطفال وجهها واحبوها فى برامجهم التى تقدمها لهم • وقد أدت أدوار الفتاة المصرية ذات الوجه الاصيل المعبر فى السينما •

● رشا مدينة : وجهها يتمتع بالجمال العربى ، به عينان جميلتان • وجهها معبر ، محبب للمشاهدين ، اشتهرت بنطق العربية الفصحى ، أكثر ما تسحر به المشاهدين « الجيم » العربية المعطشة ، ناجحة فى عملها ، تصعد سلم الشهرة بسرعة على الرغم من قصر المدة التى عملت بها فى التليفزيون ، صادقة مع نفسها ، ففى الوقت الذى اختيرت فيه للعمل فى السينما واكتشفت أنها لن تنجح فى هذا العمل ، اعتذرت بشجاعة ودون أى تردد ، وهذا من سمات الفنان الذى يحافظ على اسمه ويود الا يقترن اسمه بغير النجاح •

● سلمى الشماع : تركت الصحافة من أجل التليفزيون • تقوم بدور بارز فى برنامج النادى الدولى ، وتعطى المشاهد احساسا قويا بانها تؤدى نفس الدور الذى يؤديه الصحفى فى عمل « الريبورتاج » تتمتع بخفة الظل ، وجمالها الساحر ، وسرعة البديهة والثقافة المتنوعة •



نجوى ابو النجا ... الذاعية تملك الى جانب صوتها الصلب وجها قمريا جذابا • •

والى جانب هذه الاقمار المشرقة فى المسرح والسينما والتليفزيون ، هناك اقمار اخرى تعمل فى الاذاعة ، عرفت بالصوت

الجميل ، والوجه القمري ، ومن حين الى اخر تجتذبهم الشاشة الصغيرة للعمل بها • واذا كانت الاقمار تظهر بشكل ساطع جذاب في مجال الفن بشعبه المختلفة ، ففي مجالات حياتنا وعلى اتساع رقعة ارض مصر الخصبة يوجد الجمال ، وتوجد الاقمار والاقمار تنتظر الفرصة لتبزغ في سماء الفن ، وتلمع في دنيا الشهرة والمجد •



سامي الشماع • • • جمال مزوقا بمرح الشباب وخفة الظل كانت دائما في البرنامج الناجح « النادي الدولي » • • • • •

محمــود
العتريس



رحلة الأقمار

لا تعذلونى .. بل اعذرونى   فلستمو فى الشقاء دونى
لو عقنى - مرة - وقارى   وعربد الوجد فى عيونى
فالحب ياقوم ليس لهوا   الحب كالحق .. كاليقين
وكلكم ذلك المعنى   ان لم يكنه .. فبعد حين

❋ ❋ ❋

ناشدتكم راحة القلوب   لا تذكروا بالأسى شحوبى
فمذ عرفت الهوى .. وقلبى   يهيم فى عالم غريب
يحلق الوجد فى سماه   وتلهث النار فى الدروب
كأننى واحد الخطايا   وكل عشق الورى ذنوبى

❋ ❋ ❋

السحر فى ملكه العتيد   ما بين فرع سما وجيد
ومقلة توقظ الليالى   وتوقد النار فى الجليد
تبوا الحسن .. ثم القى   لنا باسطورة الوعود
وضاع فى اسرها زمانى   فهنت حتى على قيودى

❋ ❋ ❋

تكاد من روعة الهموم   تصبح فى كفها نجومى
اداور النوم فى رقادى   وارتدى بردة الحكيم
واترع الكأس من شبابى   فتقلها الكأس للنديم
عجبت للحسن فى حبيب   يظل - دون الورى - غريمى

❋ ❋ ❋

لا تعجبوا للفتى الوقود   فقد اصل الهوى امورى
لولا بقايا من الحكايا   عن رحلة الشمس والبدور
تضىء فى جنح امنياتى   وتلهم الوجد فى سطورى
وهانا اذرع الليالى   فمنتها سوحتها - مصيرى

● الاسكندرية ●   ● محمود العتريس ●

أغانى القمر

كمال النجمى

لا غرابة فى الامر .. فالليل والعين قد عرفا طريقهما الى الغناء المصرى من عهد بعيد ، وكان لا بد ان يسبقهما اليه القمر ، فهو امير الليل، وعروس العين ، وحبيب المطربات والمطربين ، والمستمعات والمستمعين، فضلا عن مؤلفى الاغانى من الشعراء والزجالين .

والمعروف ان القمر دخل الغناء العربى الفصيح منذ عشرين قرنا واكثر ، منفصلا عن الليل والعين حين بدا الشاعر فى الجاهلية الاولى يشبه وجه حبيبته بالقمر ليلة تمامه ، وبعد دهر طويل جاء الليل تابعا للقمر ، ولحقت بهما العين .. لكن هذا الثلاثى الغنائى الفذ لم يجتمع الا فى الغناء المصرى .. ومهما بحثت فلن تجده فى غناء عربى فصيح من الجاهلية الى الدولة الاموية فالعباسية حتى نهايتها وبعد نهايتها . ولن تجده فى معرب عربى ولا مشرق ، من طليطلة وقرطبـــة ، الى بغداد وسامرا ..

الا ان الاغانى القمرية يتضاءل عددها جيلا بعد جيل فى الغناء المصرى ، ولا احدثك عـــن « ياليل يا عين » فهى اليوم اقرب الى الانقراض بعد ازدهار مازال فى الغناء مضرب الامثال ..

لو حسبنا ماغناه مطربو اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في مصر من الاغاني القمرية ، لهالتنا كثرتها ... اما الآن ، فالناس في لياليهم مشغولون عن قمر السماء ، وعن الليل ومايتلالا على حواشيه من العيون الغنائية التي اضناها السهر الطويل مع المطربين والمطربات في الافراح والليالي الملاح ..

ولكن القمر - مع ذلك - مازال يتسلل - الى الاغاني الحديثة ، وحيدا حزينا ، بعد أن فارقه صاحباه القديمان « الليل والعين » .. وكان للغناء المصرى منه ومنهما في سالف الاوان ثالوث غنائي يهز الاسماع والقلوب !

وقد حكم الزمان على المطربين والمستمعين ، فاداروا ظهورهم واسماعهم عن نداءات الليل والعين ، وقالوا : ماهذا التكرار لهاتين الكلمتين في كل غناء ، لاتجديد فيه .. ولماذا تبقيان ؟! ..

ولكن لابد من كلمة انصاف او كلمة رثاء في هذا المقام : فلماذا يختفي الليل والعين وحدهما ، ولا يختفي القمر ؟!

القمر نفسه لو سمع الغناء الذى يذكر فيه اسمه لادهشته كلمات الغزل التي توجه اليه ، او الى النساء الجميلات الشبيهات به !

نعم ... انتهى عهد الليل والعين ، مشيعا من الكثيرين او القليلين بدموع الذكريات ، ولكن : ألم ينته القمر بعد ؟!

صدق من قال ان الشعراء ومن يغني كلامهم اذا لبثوا يشبهون كل امرأة جميلة بالقمر فسوف ينتهي القمر ويفرغ التشبيه به ، وتبقى الجميلات بعد ذلك بلا قمر يشبه به الشعراء طلعتهن البهية !

ثم ان « القمر انكن مقبر ، يضرب أحيانا الى السواد ، فاذا عشق الشاعر زنجية ، فها هنا محل التشبيه بالقمر ، اما البيض الرعابيب فتشبيههن بالقمر من فساد الذوق » .. (1)

ومهما تباينت الاقوال في جمال القمر أو دمامته ، بياضه أو دكنته أو سواده ، فانه لبث مدى الزمان وجها موحيا للشعراء ، يذكرهم بوجوه حبيباتهم ، ويحكي لهم عنها ما لايسمعه سواهم ...

حتى الشمس نفسها - على جلالها - لاتنافس القمر في هذا المجال ، فلا مناص من الاعتراف بأن القمر في الشعر والغناء سيد عظيم ، والشمس تابع له صغير !

---

(1) من كلمات ساخرة للاديب الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعي .

محمد عبد الوهاب : ابدع اغنيات للقمر منذ العشرينات ..





ام كلثوم : غنت للقمر اجمل الاغاني

وقد لايتاح لنا فى هذه الصفحات القلائل أن نذهب مع القمر بعيداً فيما تغنى به المغنون ، فهذا تاريخ الغناء كله ·· وغاية ما فى أيدينا اليوم ،أو ما فى أسماعنا ، غناء عصرنا ، وغناء أمس غير البعيد ···

هلت ليــالى القمر

واشــهر أغانى القمر الآن أغنية أم كلثوم « هلت ليالى القمر » ·· من تأليف رامى وتلحين السنباطى ، مضى عليها أكثر من عشرين عاما ، ولكنها لروعتهـا مازالت أغنية القمر الأولى ، تنتهز الاذاعة اكتمال كل شـهر فتذيعها وكثيرا ماسمعناها فى غير اكتماله :

هلت ليــالى القمــر
تعالى نسـهر ســوا
فى نــور بهــاه ··
يــاللى القمر من بهــاك
نــور فى قلبى ســناه
تعــالى جدد صــفاك
تــروق وتحلى الحيــاه

وأم كلثوم غنت للقمر أجمل الأغانى فى عصرنا ، لا أداء وألحانا فحسب ، بل كلاما أيضا ، فقد ابتعد رامى عن « استخدام » القمر فى التشــبيهات المبتذلة الدارجة ، وحرص دائما أن يضعه فى مكانه من الأغنية ، اذا كان له مكان ··كقوله فى أغنية لأم كلثوم لحنها السنباطى :

فاكر لمــا كنت جنبى
والغمام داعب جبين القمر
والنيـل جــارى··
والليــل صــارى
وقوله من أغنية لها ، لحنها القصبجى :
ان كنت أشوف البدر أخوك
يلعب بنوره فى الميه ···
أقول لو العذال حجبوك
يبـان خيــالك لعينى
أسبح معاك ·· واشتاق لقاك
وقت السحر والليل أوهــام
ساعة القمر والنور أحلام



السنباطى : لحن أغنية هلت ليالى القمــر الشهيرة ·····



فها هنا يجيء القمر في غلالة من الكلام الرقيق ، مبتعدا عن التشبيهات المباشرة التى كثرت في أغاني القمر قبل عهد رامي وشوقي في تأليف الأغاني الزجلية ٠

والقمر في أغاني أم كلثوم يجيء دائما على هذا النسـق ، فلا تكلف لاستحضاره أو استنزاله من أفقه ، ولا موضع له في أغانيها إلا حيث يكون له موضع لا افتعال فيه ٠٠٠

ومن أبدع أغاني القمر وأبقاها حتى اليوم ، كلاما ولحنا وأداء ، أغنية محمد عبد الوهاب التى غناها في العشرينات بصوته الذهبي الشاب ، وهي من نظم السفير الشاعر أحمد عبد المجيد :

كلنـا نحب القمـر
والقمـر بيحب مين ؟
حظنـا منه النظـر
والنظـر راح يرضي مين

وفي أغنية « أحب عيشة الحرية » يتغنى عبد الوهاب :

القمر ساعة ظهوره
يحـلا نوره يا حبـايب
والفؤاد يزيـد سروره
كل مايشوف اللي غـايب

ولعبد الوهاب أغنيات تمس القمر من قريب أو بعيد ، بعضـها من تأليف رامي والآخرين ٠٠٠

ويطول الحديث عما غناه مطربو عصرنا ومطرباته عن القمر ، أو حول القمر ، أو على مقربة من القمر ، بالرغم من أن هذه الكثرة من الأغاني القمرية الحديثة لا تزيد على قطرات من بحر الأغاني القمرية التى سمعها أهلنا في الثلاثينات وماقبلها ٠٠ ولسنا هنا في مجال الاحصاء لكل ما استحدثه معاصرونا من أغاني القمر ٠٠

وأشهر الأغاني القمرية في السنوات القلائل الأخيرة أغنية عبد الحليم حافظ : « علشانك ياقمر ٠٠ أطلع لك القمر » وأغنية فايزة أحمد : « ياامه القمر عالباب » ثم أغنية شادية « غاب القمر يا ابن عمي » ٠٠ وأغنية فايدة كامل : (قمر الحته بدر الحته ٠٠ نوره بيملا كل الحته) ٠



سلامة حجازى : غنى القمر من الوشحات الاندلسية ...

ومن اشهرها اليوم اغنية شادية : « بست القمر » وأغنية عبد الحليم : « مداح القمر » .. وتتردد كلمة « القمر » فى اغان معاصرة كثيرة سمعناها من فريد الأطرش ، ومحمد قنديل ، ومحمد رشدى ، ونجاة الصغيرة وغيرهم .. وان كان الحيز الذى تشغله هذه الكلمة الشعرية الغنائية قد تقلص كثيرا ـ كما اشرنا انفا ـ عما كان ايام اباءنا واجدادنا فكيف كان القمر فى غنائهم ؟!

القمار العشرينات

فى الليالى القمرية ـ فى العشرينات ـ كان المطرب الكبير عبد الحى حلمى يطيب له أن يغنى :

كان عذولى له نظر
ـه قـام لقلبى يعذله
الا عذولى فى القمر
مالوش نظر يحـق له

ويمد عبد الحى صوته كأنه يحاول أن يصل بينه وبين القمر فى عليائه وذلك ما كان يفعله مطربو « القمر » فى عهده وقبل عهده . وكان عبد الحى يغنى موالا قمريا كان يغنيه من قبله عبده الحامولى ومطلعه :

قوم فى دجى الليل ترى بدر الجمال طالع
معجب بتيهه وسعده فى العلا طالع

ولكن الموال الذى كان يفتن مستمعيه ، هو الموال الذى يقول :

يا بدر تم الجميل واطلع لنـا بدرى
يااللى ملامح جمالك من جمال بدرى
أمسيت يا بدر لاأعلـم ولا أدرى
ان كـان حبيبى يوافينى أطيب وافرح
وانا ما وافانى أجـد بالنواح بدرى

وفى تلك الأيام كانت اشهر الأغنيات واحبها الى النـاس تلك الطقطوقةالتى يغنيها المطرب فريد المصرى . والكثيرون والكثيرات من معاصريه ومعاصراته .

قمر له ليالى ·· يطلع لم يبالى
على البستان ينور··فيهم ليلة ليله
قمر والأماره ·· فى نوره سهارى

وكان المطرب زكى مراد ـ والد ليلى مراد ـ يغنى :

يا قمـــــر دارى العيـون
أصل جــــرح القلب لحظك
واللى زاد عندى الشـــجون
يـــا حبيبى ورد خـدك

وكان زكى مراد يغنى أيضا ، من تلحين داود حسنى :

يســعد لياليك يا قمـر
نورت بالأنس الفضـــا ··

أما المطرب على البارى فله هذا الموال ضمن مواويل قمرية كثيرة :

بدر السعادة امر بالكاس وصالحنـــا
وقش تيهه وبتنا فى وصـــال احنـــا
يا ما القوام كل ما مال به وصـــال احنا
انظر وشـــوف يا عذولى هيئة الغذال
ولا تلمنا وخلينا فى وصـــال احنـــا

وله أيضا ولغيره من معاصريه الكثيرين :

البـــدر مملوك جمـــالك والدجى لالا
ونور جبينك باستار الجمـــال لالا
كم من متيم مشـــالى فى هواك لالا
انعم بقـــولة نعم ، واترك باه لالا

أما الملحن الكبير والمطرب القدير الشيخ محمد المسلوب فكان مما يغنيه من تلحينه :

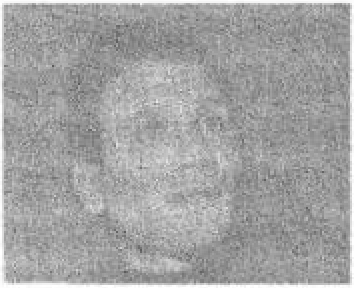
البـــدر لاح فى سمـــاه
بده يشـــاهد جمـــالك
قصــده وغاية متمـــناه
ينظـــر ولو طيف خيـــالك

ومن طرائف الأغانى القمرية فى تلك العهد أن الشيخ سلامة حجازى آخذ مطلع القصيدة الاندلسية المشهورة :

سل فى الظلام اخاك البدر عن سـهرى
تدرى النجوم كما يدرى الورى خبـرى

شادية : اشهر اغنياتها الحديثة عن القمر





عبد الحليم حافظ : أغنيات كثيرة للقمر أشهرها مداح القمر ...

وكانت هذه القصيدة الاندلسية شـــائعة على حناجر المطربين ، فأدخل الشيخ سلامة بعض كلام مطلعها على قصيدة غناها فى احدى مسرحياته ، قائلا : « سلى النجوم أيا شارلوت عن سهرى » .. فحول البدر الى نجوم ، ولكن المتفرجين أو المستمعين طلبوا اليه ادخال « يا ليل » فى القصيدة ، فأحتال لتلبية رغباتهم بادخال هذا البيت :

صـــبرت حينا على بين رميت به
وانت يا ليل لم تطلع ســـنا قمرى

وهكذا عاد « القمر » الى القصيدة بعد أن كان قد تحول الى نجوم ... وما عاد الا بفضل اصرار المتفرجين على سماع « الليل » من الشيخ سلامة !

وفى القصائد ، لم يكن القمر اقل سطوعا مما كان فى الطقاطيق والمواويل والتواشيح ، ومن اشهر القصائد القمريات حينذاك قصيدة الشاعر الأيوبى « ابن النبيه » التى مطلعها : « أمانا أيها القمر المطل » . وكانت تنافسها قصيدة تقول :

دنت الساعة وانشـــق القمر
عن غزال صـــاد قلبى ونفـــر
اهيف قد حرت فى اوصـــافه
نـــاعس الطرف بعينيه حـــور

ومن اشهر القصائد القمرية كذلك ، قصيدة غناها سلامة حجـــازى فى بعض مسرحياته :

تبدت كبـــدر التم فى الحلل الخضر
مفككة الازرار محلولة الشـــعر

وبعض التواشيح القمرية من التراث القديم ، عاشت طوال تلك الأيام على حناجر المطربين ، ولا ادرى اكان القمر هو مبعث اعجـــاب المستمعين بها أم كان لحنها هو مبعث اعجابهم .. وبعض هذه التواشيح اســـتكملت شهرتها حين غناها عبده الحامولى قبل ثمانين عاما ، وعاشـــت بعده طوال أيام الطرب القديم ، بل ما زالت تعيش الى أيامنا :

وجهـــك مشرق بالانوار
لحظـــك يســـبينى
فاسمح يا زين الاقمـــار
بعـــدك يضـــنينى

وترشيح آخر :

يا مخجل الاقمـــــار
بالحســـن والانـــوار
قلبي اشـــتعل بالنـــار

وفي عهد سـيد درويش كان القمر قد اخذ يتزحــزح قليلا عن مكانته القديمة ، ومع ذلك صنع سيد درويش حول القمر الحانا جميلة ، منها اللحن الذى يقول مخاطبا الحبيب :

انت اصـــل البدر عندى
والقمـــر دا من خيـــاله

ومهما يكن القمر قد تزحزح عن منزلته التى كانت في الغناء القديم وبخاصة الغناء المصرى ، فان القمر – بلا شك – كان اسعد حظا من الليل ومن العين ، وقد صحباه طويلا على تخوت اهل الطرب ، ثم اكرههما الزمان أن يتركاه وحيـــدا ··· فلا يوجد في ايامنا من يريد أن يغنى أو يســتطيع ان يغنى « ياليل ياعين » كما كانت تغنى فى الأيام الخوالى ·· ولكن يوجد من يغنى كلاما عن القمر او عن الحبيب الذى يشبه القمر ، أو عن الوعد الذى كـان له مع الحبيبفى ضوء القمر ·

وقد رأى الانسان أخيرا بعينيه صخور القمر ، ولمسها بيديه ، وداس عليها بقدميه ، ونشرت الصحف فى العالم كله صورة وجه القمـــر الحقيقية وهى صورة بعيدة كل البعد عن صورته التى نراها من بعد كالطيوف الخلابة ·

ولكن القمر مازال يسمع غناءنا له ولمن يشبهنه من بنات أرضنا ·· فان الغناء لم يكتشف بعد تشبيها شعريا اخر يستغنى به عن القمر ·· وعلى مؤلفى الاغانى ان يبحثوا عن « مشبه به » يصلح بديلا للقمر والا بقى القمر الى الأبد فى أغانيهم !

خير الدين الزركلي

وأنت تضحك يا قمر!

لم تبق أيدى الحادثات ولم تذر فعلام تضحك فى سمائك ياقمر ؟
ارايت تائهـة على اترابها
فتانة بسـفورها وحجابها
خـلابة بدلالها وعتـابها
غـلابة بحديثها وخطـابها
ذهب الزمان بمالها وشبابها
وتفردت بانينها ومصـابها
ناجتك شاكية تصـاريف القدر وظللت تضحك فى سمائك ياقمر

***

ارايت بين مسارح الاقلام
مترسلا أو مستجاد نظام
ما كاد يعـرف بهجة الايام
حتى رماه من الفوادح رامى
نهدت اليه قـوارع الآلام
فبكى اليراع مودعا بسـلام
عهد النبوغ وصوغ آيات العبر ونعمت تؤنسك الكواكب يا قمر

***

اشهدت فى غسق الظلام غريبا
ملأ الفضـاء تفجعا ونحيبا
نائى احبتـه وعاش كئيبـا
قلق الجنان على الزمان غضوبا
الشوق يذكى فى حشاه لهيبا
والدمع يجرح مقلتيه صبيبا
يرعاك مضطرب الجوانح والفكر وتتيه فى خيـلاء كبرك يا قمر

***

ومعـاقرا خمر الصبا يترنح
كالظبى يسكن فى الرياض ويسرح
يلهو بزورقه الصغير ويسبح



في سلسل كالنور او هو اوضح
قذفت به هوج العواصف تطرح
فهوى ووجه المـــوت اكــدر اكلح
وله على صــــفحات جدوله اثر   وعلوت تزهى في نجومك يا قمر!

***

اســمعت أنات الجريح مسهدا
يطوي الليـــــال لا يقر مسهدا!
لا العيش طاب لهولا اشتاق الردى
يمسي ويصبح شــــاكيا متنهدا!
ضعفت قــواه فمـــا يطيق تجلدا!
وتعاصت الزفرات ان تتصــــعدا!
غض الجفون وقال : حسبك ياغير   وسهرت تبسم للكوارث يا قمر

***

اشهدت في كرة الشقاء كتائبا
واســـنة وهاجـــة وقواضبا
جيشان : كل هب يحمي جانبــا
يتطـــاحنان تباعدا ، وتقـــاربا
هذا يئن ! وذاك يقضي صـــاخبا
ويح المطامع ! كم تجـــر معاطبا
تفنى النفــوس وانت تهزأ بالبشر   ويغرك الالق المحبب يا قمـــر !

***

ارعاك مبتئس شكا الم الطـــوى
ومروع ضـــل السبيل ، وما غوى
ومتوج ! عنت الجبال له ، هــوى
عن عرشه ، لا الملك دام ولا القوى
ومودع مستســــلم لهوى النـــوى
ومعذب بغرامه ، بادي الجـــوى
وقسوت،هل قدت ضلوعك من حجر   لم تحتجب ،لم ترث ،لم تقف ياقمر!

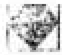


عاطف كشك

شئ غريب أن يجد الانسان نفسه فى موقف كهذا . فلم يحدث لغريلى من قبل ذلك الذى حدث له هذا اليوم فى « الاتوبيس » ولم يسمع فى الحواديت أو يقرأ فى الكتب أنه حدث لاحد غيره فى أى زمان أو مكان . فالانسان فى « الاتوبيس » يمكن أن يفقد حافظة نقوده أو قلمه الحبر أو ساعة يده وربما جزء من كرامته ، أما أن يفقد كل ملابسه – الخارجية والداخلية – ويبقى بالحذاء فقط ، فهذا هو أغرب ما يمكن أن يحدث لانسان !

● قصة قصيرة ●

غرفة المرايا المسحورة



ـس فرغلي يقف في «الاتوبيس»، تسنده الاجساد المتراصة من حوله ، غارقا في تفكير عميق جعله لا يشم تلك الرائحة النفاذة التي تأتي اليه من اختلاط روائح مختلفة المصدر : العرق وعطور السيدات والزيت والتراب ، بل جعله حتى لا يلاحظ الصراع الذي يدور بجواره خفية بين ذلك الرجل والسيدة البدينة التي تقف أمامه مباشرة .

كان فرغلي يفكر في اشياء كثيرة عندما أحس فجأة بأن كل ملابسه سرقت . لم يصدق أول الامر ، ولكنه بعد أن تفحص نفسه عدة مرات وجد أنه يقف وسط « الاتوبيس » عاريا تماما ، ولم يتبق له غير حذائه القديم ، وتلقائيا مد يده في محاولة يائسة لكي يستر نفسه ونظر حوله يستطلع الوجوه في فزع حقيقي، ولكنه وجد أن لا أحد يعيره أدنى اهتمام .

وببلادة حاول أن يفكر في مدى معقولية ما حدث له . هل يمكن أن يصدقه احد لو حكى له هذه الحكاية ؟ هل سرقت ملابسه حقيقة ؟ وهنا في « الاتوبيس » ؟ أو أنه خرج من منزله صباحا بدون ملابس ؟

وعندما تذكر أن ملابسه الداخلية كانت قذرة وممزقة أصابه الخجل . وعندما حاول أن يعرف الطريقة التي أخذت بها ملابسه دون أن يشعر ، أصابه يأس شديد ، لدرجة أنه ابتدأ يأتي بحركات لا شعورية .. يتفحص وجوه الناس المحيطة به جيدا، يحاول أن يتعرف على اللص وينحني لينظر تحت الكراسي ويمد يديه ويبحث في جيوبه فيجد أنه عار تماما ، فيعود بخجل ، يداري جسده . وانتابته الحيرة الشديدة عندما حاول أن يجد تفسيرا لتجاهل الناس له . رجل عار وسط « الاتوبيس » ولا أحد ينظر اليه بالمرة . شيء غريب بالفعل ، ومشكلة معقدة واجهها فرغلي وحيدا تماما ، فكل انسان في « الاتوبيس » لديه ما يشغله عما حوله ، والرجال والنساء في معاجلة لا تفتر .

●●●

في الليلة السابقة كان أولاد فرغلي السبعة قد ناموا وملأوا فراغ الحجرة، وكان هو يتقلب على السرير القديم ذي الاعمدة الصدئة ، عندما وجد زوجته قد تزينت وأقبلت تفوح منها رائحة صابون رخيص وعلى شفتيها ابتسامة . أصابه الغثيان وتذكر الفشل

الذى يعانيه منذ أكثر من ثلاثة اشهر ، والمرأة اللعينة تصر كل فترة على تكرار التجربة المريرة ثم تنام باكية • وهو قد سأل وجرب كل ما وصفوه له ولكن لا فائدة •

عندما ضاق ببكائها ارتدى بدلته الرسمية وخرج الى الشارع يتمشى .. ومن حارة الى حارة وصل الى الشارع الكبير وتاه باختياره فى شوارع المدينة اللامعة النظيفة •

ولا يتذكر فرغلى متى عاد الى المنزل ، ولكنه يتذكر انه شاهد اشياء كثيرة • وعندما رأى البطل والبطلة يتبادلان القبلات تذكر أنه ليس معه نقود ليدخل السينما يتفرج عليهما • واصل السير الى ان وصل الى مدينة الملاهى وراح يقرأ الاعلانات الملونة ببطء شديد • اللعبة الخطرة • لعبة الموت • رجل الموتوسيكل • الرجل الذى يأكل الزلط وينام على المسامير ويمشى على الحبل ويلعب بالبيضة والحجر • الفتاة العجيبة .. تمضغ الزجاج وتأكل الافاعى • غرفة المرايا المسحورة والابواب المغلقة والطرقات الملتوية • من يخرج منها له جائزة قيمة ... وعندما داعبت الفه رائحة الكبدة المشوية تذكر انه جائع فواصل السير • وفى احد الشوارع الهادئة رأى باب العربة يفتح والفتاة الواقفة على الرصيف تستجيب الى الاشارة •

وفرد فرغلى خطواته لان منزله بعيد •

***

عندما استيقظ فرغلى فى الصباح وجد أن رأسه ثقيل وقبل أن يخرج الى عمله سمع من زوجته موشح كل يوم : الولد الصغير امس طردوه من المدرسة لان هدومه ممزقة ولابس صندل قديم فى عز الشتاء ، لا حذاء ولا جورب ... والبنت اوشكت أن تعمى وحفيت وانا الف بها على المستشفيات وانت ولا سائل ... والولد الكبير يصرف الخمسة تعريفة التى يتقاضاها من الورشة ولا طايلة منه ولا مليم • ومائة مرة قلت لك ابحث لنا عن غرفة غير هذه ... السقف طول الليل ينقط مياه • واسمع • لابد أن تجد حلا فى حكايتك هذه • لقد مر اكثر من ثلاثة اشهر يا اخى .. ماهى الحكاية ؟ ، انا عارفة ما الذى جعلنى اتجوزك ؟ ،

ومن عادة فرغلى ان يسمع ولا يرد ، ويسرع بالخروج عندما تصل المرأة الى هذا الحد •

وعندما وصل الى الشركة ووقف كعادته امام باب المدير وجد ان المدير على غير العادة كان قد وصل الى المكتب قبله وسمع الجرس يدق بعنف ، وعندما دخل مسرعا وجد ان وجه المدير متكدر بعض الشىء ولح على المكتب رزمة من الاوراق المالية من فئة العشرة جنيهات • وافهمه المدير بسرعة انها مائة جنيه ، وان عليه ان يذهب بها سريعا لشراء صندوق من الويسكى •

وعندما ارتسمت الدهشة على وجه فرغلى افهمه المدير بسرعة ايضا من اين يشتريه وكيف واوصاه أن يحضر هنا فى المكتب سريعا •

وعندما ذهب فرغلى وعاد وجد مع المدير رجلين تبدو عليهما النعمة وكانوا ثلاثتهم منهمكين فى الحديث فلم يلتفتوا الى فرغلى الذى كان مازال يحمل الصندوق على كتفه لا يعرف اين يضعه • وسمع فرغلى طرفا من الحديث وفهم أن الرجلين من المؤسسة وأن الجو متوتر قليلا والكلام يدور عن مبلغ خمسين الف جنيه .. أين ذهبت ؟ ما الذى حدث ؟ من المسئول وهذه اموال الشعب •

يا افندم الحكاية ليست مقصودة بالمرة وكل شيء قابل للاصلاح وتتقابل الليلة عند سعادتك في البيت .

وهنا التوتر وارتاحت الاعصاب ، فلاحظوا ان فرغلي مازال يقف عند الباب وبدا ان الرجلين اصابهما الارتباك ، ولكن المدير بلا مناسبة قال ان فرغلي رجل مخلص وأمين .

وابتسم لفرغلي وأعطاه ربع جنيه وأمره أن يوصل المستدرق الى عربة «البك» . وفي آخر النهار وجد فرغلي أن في جيبه ربع جنيه فقرر أن يركب الاتوبيس ، الذي فقد فيه ملابسه .

***

في المساء أرسل فرغلي ابنه يشتري حلاوة طحينية بثلاثة قروش وتعشوا جميعا ، ولان فرغلي لم يشبع أمسك بالورقة التي كانت الحلاوة ملفوفة فيها

وحاول أن يداري خجله من أولاده فتظاهر بأنه يقرأ الورقة ولكنه وجد فيها حكاية شدت انتباهه فراح يقرؤها حتى النهاية . كانت ورقة من كتاب قديم ، وقرأ :

« قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك :

ـ عندما تنقلب الامور يامولاي يصبح كل شيء جائزا .

« قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف :

ـ وما مثل ذلك ؟

« قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك :

ـ يحكى انه كان في احدى المدن رجل يتاجر في الحديد ، واضطر ان يرحل من المدينة فجأة فذهب الى صديق له وأودع عنده مائة طن من الحديد حتى يعود فيأخذها . وسافر الرجل فطمع صديقه في الحديد وباعه وعندما

عاد الرجل بعد قرابة شهر ذهب الى صديقه يسأله عن الحديد ولكن الصديق اصطنع التأثر والاسف وقال للرجل :

ـ قد لا تصدقني .. ولكنك صديقي وتعرف مقدار امانتي .. لقد وضعت الحديد الذي أخذته منك في المخزن مع الودائع الاخرى ـ



فأنا رجل أمين والناس كلها تترك عندي ودائعها ـ وصباح اليوم ذهبت الى المخزن اتفقده فوجدت أن الجرذان أكلت حديدك .

« وفهم الرجل وانصرف دون أن يلوم صديقه . وكان لهذا الصديق ولد عمره حوالى خمس سنوات وجده الرجل يلعب في الطريق فأخذه وأخفاه . وفي اليوم التالي وجد الرجل صديقه يدور في طرقات المدينة كالمجنون فسأله الرجل :

ـ ماالخبر ؟ هل أكلت الجرذان شيئا آخر ؟!

ـ ولدي ... ولدي اختفى . خرج امس ولم يعد . ألم تشاهده ؟

ـ ما عمره وماذا يلبس ؟

ـ حوالي خمس سنوات ويلبس جلبابا مشغولا بالقصب

ـ قد لا تصدقني .. ولكنك صديقي ولا أكذب عليه . عندما خرجت من دارك بالامس شاهدت حدأة تهوي الى الارض وتخطف طفلا بالاوصاف التي ذكرتها وتطير به ا»

ـ ما هذا التخريف ؟ هل تستطيع الحدأة ان تخطف طفلا ؟

« فقال له الصديق :

ـ ان بلدة تأكل جرذانها مائة طن من الحديد لخليقة بأن

تخطف حدأتها الفيلة .

• قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك :

ـ ومثل ذلك أيضا حكاية الاسد وابن آوى حيث يحكى انه كان فى قديم الزمان أسد ... »

ولم يستسغ فرغلى أسماء بيدبا ودبشليم ، ولم يعرف ما هو الدن ، ومع ذلك كان يريد أن يواصل القراءة الا أن الورقة كانت قد انتهت .

***

فى صباح اليوم التالى كان قد بقى مع فرغلى قرش واحد ، وأغرته نفسه بأن يركب الاتوبيس ولكنه تذكر أن الاتوبيس سبب له مشكلة بدلته الكاكى التى سرقوها فى الاتوبيس وهى عهدة عليه أن يسلمها فى نهاية العام . وبدلته التى يلبسها الآن هى الوحيدة التى تبقت له فماذا لو سرقوها أيضا ... ولذلك فضل أن يمشى .

وعندما خرج من حارتهم ووصل الى الشارع الكبير شاهد سيارة طويلة جدا تمرق أمامه تقودها سيدة جميلة شعرها أصفر وعلى الكرسى بجوارها كلب جميل مهدل الشعر .. وبعد بضع خطوات وجد صاحبه الشحاذ يجلس على الرصيف ويمد ساقه المقطوعة فى وجوه العابرين ويقول : لله يا محسنين .



ورغم أن اليوم لم يكن أول الشهر الا أن فرغلى أعطاه القرش الذى يملكه .. ربما لكيلا تحدثه نفسه أن يركب الاتوبيس .. وفى طريقه الطويل الى الشركة حاول أن يتسلى بالفرجة على الناس والاشياء .

***

عندما وصل فرغلى الى الشركة فتح مكتب المدير كى ينظفه ووجد الزجاج يلمع على الجوخة الخضراء وأحس طراوة الكرسى تحت يده .. وفى حياة الانسان لحظات نادرة يحس فيها بدوافع غريبة . وكانت تلك هى اللحظة النادرة فى حياة فرغلى حيث أحس بدافع قوى جعله يجلس على الكرسى خلف المكتب .

وعندما وجد الجلسة مريحة استغرق تماما وفرد ساقيه فوق المكتب وراح يقهقه . وقبل أن يضغط على الجرس كان المدير قد دخل ووقف مذهولا .. ولكن فرغلى قطع قهقهته وقال له بطرف انفه :

ـ قل للآنسة عفت تحضر البوستة ولا تجعل احدا يدخل لمدة ساعتين . فاهم ياحمار .

غلى الدم فى عروق المدير فثار وشتم وهجم على فرغلى يخلعه من الكرسى ... وعندما أسرع الموظفون الى المكتب على صياح المدير وجدوا فرغلى كالثور الهائج ينهال على المدير صفعا ولكما وركلا فتكاثروا عليه وأمسكوه وراح بعضهم يتأسف للمدير ويحاول أن يسنده ليجلس على الفوتيل ويرتاح . وأسرع أحدهم يرفع سماعة التليفون ويدير القرص وبعد قليل سمعوه يقول :

ـ من فضلك .. عندنا هنا مجنون خطير .. آه .. بسرعة وحياتك ارسلوا العربة !

***

وكان بعض الناس فى الشركة عندما يلمحون الآنسة عفت خارجة من مكتب المدير تسوى ملابسها يتهامسون :

ـ مسكين فرغلى .. كان ... راجل طيب ، وعاقل !!

عادل أبو شنب

صفحة مجهولة

فى تاريخ القصة

اذا كانت القصة قد بدأت تقليدا وترجمة ، فانها بدأت تتقولب بقالب البيئة على أيدى كتاب متمكنين . وهذا المقال يطمح الى الكشف عن صفحة مجهولة فى تاريخ القصة المصرية ، هى بالتأكيد الصفحة التى بدأت القصة فيها تقبس من البيئة وتصور الواقع.. كما تروى «الهلال» منذ ٤٦ سنة ..

كانت القصة على الجانب الآخر من الساحة العربية لونا جـــديدا من الوان الادب المتداول فى مطلع هذا القرن ، وفى مجلة « الهلال » التى كانت تصدر بانتظام وقتئذ (١) تعليق من محررها يضيء الطريق للباحث عن الصفحات المجهولة فى تاريخ القصة المصرية ، فهو يقول (٢) :

(طالما وددنا أن ننشر فى الهلال قصصـــا ادبية واجتماعية تصـــف أحوالنا ، وتشرح عواطفنـــا ــ أسوة بما تفعله مجلات الغرب الراقية التى أصبح « للقصة » فيها المقام الاول · ولذا يسرنا اليوم أن ننشر هذه القصة المصرية الممتعة بقلم الاستاذ الكبيـر الدكتور محمد حسين هيكل بك) ·

كان هـذا التعليق استهلالا لقصة مجهولة للدكتور محمد حسين هيكل ، عنوانها « حكم الهوى » نشرت عـلى امتداد أكثر من عشر صفحات وبحرف كبير · وقبل تقسيم هذه القصة التى يمكن اعتبارها باكورة من البواكير التى ظهرت فى الساحة العربية ·· لابد لنا من وقفة متأنية أمام تعليق المحرر لاهميته فى القاء الاضواء على واقع القصة العربية فى تلك الفترة ·

المصـــــرية

ان هذا التعليق يقودنا الى الملاحظات التالية :

١ ــ لم تكن القصة فنـــا أو لونا ادبيا معروفا على نطاق واسع فى مصر ، بدليل أن المحرر يتمنى أن ينشر فى الهلال قصصا ادبية واجتماعية · وهذه الملاحظة تكشف عن زاوية أخرى عن ندرة الادباء العـرب المصريين ، الذين يركبون هذا المركب الصعب ، ويتبنون هذا اللون الادبى المعروف فى الغرب ·

٢ ــ كانت القصـــــة التى « تصف أحوالنا وتشرح عواطفنـــــا » نادرة ، ولذا يسرنا اليوم أن ننشر هـــذه القصة المصرية الممتعة ، مما يدل على أن القصة المتداولة وقتئذ لم تكن قصة معبرة عن البيئة ، وفى تقديرنا كـانت مجلات تلك الفترة تقتات من الترجمات التى لا تصور بأية حال من الاحوال الواقع المصرى من جميـع النواحى السياسية أو الاجتماعية ·

٣ ــ بدت مجلة « الهلال » وكأنهـا تتبنى الفن الجديد « أسوة بما تفعل مجلات الغرب الراقيـة التى أصبح للقصة فيها المقام الاول » وهو اتجـاه لم توله المجلات الاخرى عنايتها مـن جهة ، ويدل على أن المجلة تحل القصة

---

(١) الفترة المعنية بدء الربع الثانى من القرن العشرين والهلال صدرت أصلا عام ١٨٩٢ ·

(٢) الهلال ــ عدد شـــباط « فبراير » ١٩٣٦ الموافق لرجب ١٣٤٤ الجزء ٥ ــ

صفحة مجهولة

في تاريخ القصة المصرية

كلون ادبي جديد ، المحل اللائق من جهة اخرى .

٤ ـ ان وضع كلمة « القصة » بين هلالين يؤكد اختلاف تسمية اللون الادبي الوافد ، ففي حين سمت صحف ومجلات المشرق العربي (١) القصة .. رواية ، كانت مجلة الهلال تسميها قصة ، وهذا التباين ، وان كان يبدو شكليا ، يكشف عن عدم استقرار هوية القصة وقتئذ ، فهي عملية قص ورواية ، دون الاخذ بعين الاعتبار الى الفروق ما بين القصة القصيرة كفن مستقل عن الرواية .

٥ ـ يبدو أن الهلال قد استوعبت ، منذ ذلك الوقت ، معنى ان تكون القصة محلية ، فهي تصف « حكم الهوى » بأنها « قصة مصرية ممتعة » وهذه النسبة لم نلحظها في بواكير القصص العربية ، فكأنها اعلان غير مباشر عن ظهور القصة المصرية الخالصة .

٦ ـ رفع الدكتور محمد حسين هيكل القناع الذى اختفى وراءه (٢) في هذه القصة . ومع الاقرار بأن دوافعه الى التستر وراء اسم مستعار في السابق كانت دوافع سياسية أو اجتماعية ، فان ثمة دافعا آخر لا يقل اهمية ، وهو أن الدكتور هيكل في « زينب » لم يكن ليعرف مدى تقبل القراء لهذا اللون الادبي الجديد ، وكشف اللثام عن شخصه في مؤلفاته التالية يعني أن النتيجة ايجابية ، وان القراء قد استساغوا الرواية واقبلوا عليها ، وهو اعتراف بالفن الجديد .

« حكم الهوى »

يجعل المؤلف نفسه واحدا من شخصيات القصة ، فهو يزور صديقا مقيما في قرية من قرى مديرية الغربية، حدوبا على اسرته واطفاله بشكل ملحوظ ، واثناء احتفال في القرية .. يغمى على احد اطفاله فيجن جنونه ، ويسأله المؤلف عن سبب قلقه على الطفل والحادث ليس اكثر من اغماءة بسيطة ، فيقص الصديق قصته ، ونخرج ـ نحن القراء ـ من راوية أول الى راوية ثان يحكي عن حب بينه وبين فتاة من فتيات القرية ، يخطبها فيرفض ابوها بعد أن عرف الكثير عن علاقتهما ، ويتم زواجها من رجل آخر ، وبتحريض من والده يتزوج هو الآخر فتاة لا يحبها ، الا انه يبقى على حبه لتلك ، وعندما تتاح له الظروف يسعى الى طلاقها من زوجها حتى يتم له ذلك فيتزوجها ويرزق منها ببنت وولدين « هم زينة الحياة ، بل الحياة، هم تاج ذلك الجهاد الطويل الذى انفقه ابوهم السعيد بهم . فلا عجب بعد ذلك مما رأيت من ذهولي حين اغمى على الغلام لما جفل الجواد » .

هذا التكثيف لا يفي القصة حقها ،

---

(١) مجلة « العرفان » التي كانت تصدر في صيدا بجنوب لبنان ، وصاحبها المرحوم الشيخ احمد عارف الزين .

(٢) نشرت رواية « زينب » اول ما نشرت بتوقيع « مصري فلاح » .

وبتقييمها نجد الملاحظات التالية :

١ ــ تمس القصـــــة ، من حيث مضمونها ، جانبا من العلاقات التى كانت تبدو هجينة على مجتمع محافظ.

العرض يساوى الشرف ، والحب مسألة غير معترف بها ، وأى خرق للعرف

والعادة والمألوف .. ضرب من الخروج على المجتمع . من هذا المنطلق تأخذ القصة منحى متمردا ليس هو ذروة التمرد ، لكنه الاحساس بأن شيئا ما فى ذلك المجتمـــــع .. خطـأ ، وان

العلاقات ليست كما ينبغى أن تكون عليه .

والواقع أن الاهتمـــام ، وقتئذ ، بضرب الجدران الشاهقة من التقاليد

.. قد أصبح شغل الادباء والكتـــاب الشاغل ، لأن الاحتكاك بالحضـــارة الاوروبية لم يكن حادا فى يوم مـــن

الايام مثله فى تلك الايام ــ لا فى مصر وحدها ــ وانمـــا فى معظم البلدان العربية . ولقد اخذ الكتاب على عاتقهم

مهمة الارشاد والتوعية ، واستخدموا القصة فى الايصــــال .. استخداما ملحوظا .

٢ ــ يمكن أن نلاحظ فى هذه القصة، من حيث المضمون والشكل معا ، ثورة على رومانسيات تلك الفترة المتمثلة فى « مترجمات » المنفلوطى ومؤلفـات الرافعى وغيرهما ، ففى حين قدم كتاب

تلك الفترة نماذج من الحب الخيالى.. أسهم كتاب آخرون ، ومنهم الدكتور هيـــكل على ربط الحب بالظروف

الاجتماعية القائمة ، وهو تطور لايمكن لقارىء هذه الايام أن يدرك مداه وعمقه الا اذا اطلع ، بشكل أو بآخر ، على

أدب تلك الفترة الغارق فى وجدانيات

يعيشها شعبنا .. بأية صلة .

٣ ــ هزت القصة فى مأزق الوحدة الزمنية من حيث الشكل . وسياقهـا

يمتد ليحتضن حوادث مختلفة الازمان. ان القصة القصيرة تجسيد لحـادثة تقع فى زمن محدد ، قد يكون زمنـــا نفسيا ، فى حين أن الرواية تتنــاول زمنا قد يمتــد اياما أو شهورا أو أعواما ، وهذا الالتباس الذى وقعت

فيه قصتنا يقودنا الى التأكيد على أن القصة القصيرة لم تأخذ أبعــادها الشكلية فى تلك الفترة على تحويجطها

فنا آخر غير الرواية ، ولقد وقع هذا الالتباس فى مناطق اخرى من الوطن العربى .

٤ ــ واذا كان ثمة من تعليق على لغة القصة .. فالتعليق الوحيد هو التأكيد على نصاعة الاسلوب وجمـال اللفظ ، حتى ليمكن القول ان فى هذه القصة تمردا على أسلوب كتاب ذلك الزمان ، أسلوب السجع والالفـــاظ

المتقعرة ، وتطويرا لأسلوب الدكتور هيكل نفسه .

***

ان الكشف عن الصفحات المجهولة فى تاريخنا الادبى .. يضىء لنا الطريق،

نحن الأحفاد ، ويجعلنا نؤمن أن لأدبنا الحديث قاعدة صلبة ، يمكن أن نشد

ونحن نرنو اليها ، بمدى التطور الذى أصبنا .

ومما لا شـــك فيه ان مجلاتنــا ، كالهلال ، قد حملت على كتفيها هــذه المهمة منــذ القـــديم ، وكان لهـــا ولا يزال هذا الدور الهام . . .

● عادل ابو شنب ●

● دمشق ●

صفحة مجهولة

في تاريخ القصة المصرية

حكم الهوى

بقلم د. محمد حسين هيكل

عن: [illegible] فبراير ١٩٢٦



كان لنا في قرية من قرى مديرية الغربية صديق ذو كرم وشهامة ، تكتظ داره أبدا بمشايخ الفلاحين ومن عداهم من أصحابه وغير أصحابه ومن العظماء وذوي الحاجات . وكنت وجماعة من أصحابي نمضي عنده كل عام أسابيع نطمئن فيها الى نفوسنا وننسى فيها متاعب الحياة . فاذا ذهبنا اليه استقبلنا بالبشر والترحاب ونزلنا منه في رحب وسعة ، وقضينا وقتنا بين التنزه في رياض حدائقه ومشاهدة ملاعب الخيل التي تقام لسرتنا وبين المزارع الواسعة . نقطع شاسع مسافاتها سعيا على الاقدام أو ممتطين متون الجياد . ولقد غرس صاحبنا في مزارعه كثيرا من الشجر أسأله خصب الارض على نموها وكثرتها فكانت للسائرين تحتها ظلا وطيبا يبعد عن النفس أثر ذلك التشابه الممل الممتد على كل مزارع مصر وسهولها .

وكان لصديقنا ثلاثة أبناء لايزالون — على تقدم سن أبيهم — يتمتعون بلذائذ الطفولة ويرتعون في نعمة حريتها . وكان أبوهم يحبهم حب العبادة . فاذا وقعت عينه على أحدهم رأيت نظرات ملؤها الحنان والعطف ، ورأيت على ثغره ابتسامة الغبطة والنعيم . واذا اقترب أحدهم منه أخذه اليه في تلطف وقبل جبينه النقي وحدق به طويلا ثم أجلسه على ركبته وملس على شعره وبدا له من حنانه ما لا يبدو من أم لابنها الوحيد . وكذلك كان غلوه في محبة أبنائه موضع دهشة الكثيرين ممن يحاولون فناءه .

وقد انتقلنا يوما ونحن عنده من غرف دار الضيافة الى فنـــاء رحب لنشهد ملعب خيل اجتمع اليه شبان القرى المجاورة على اثر عودتهم من فرح كانوا يتسابقون فيه • وجاء أوسط أبناء صديقنا ووقف الى جانب أبيه فرفعه اليه وقبله وأجلسه الى جانبه •

وسرعان ما انتظمت الحلقة ودق الطبل وتقدم الى الميدان فارس جواد أدهم محجل ضامر البطن والســاق طويل شعر الذنب مشوال • وراض الفارس جواده حتى اذا تمكن من تتبع ايقاع الطبل رأيته كأنه الراقصة على المسرح ، يترنح ويميل ويدل ويعجب • يرفع رأسه طورا فتمسح أصداغه « كراريت » رأس لجامه ويتقدم الى الامام مسرعا تارة فيخيف الى نغمة الزمار نغمة صريف الاهلة الفضية التى تزين واسع صدره ، ثم اذا به كأنه ثمـل انتشى فتثنت سيقانه حتى كاد يمسح الارض بطنه الضامر • وما هى الا لحظة حتى تراه انتفض على سوقه فنظر يمنـــة ويسرة فى كبر وخيلاء •

وانا لكذلك مأخوذون برقص الجواد اذ أقبل أحد وجوه أهل البلد فوقف القوم يحيونه وأجلسه رب الدار الى جانبه وقام الابن فوقف مع الاطفال الواقفين • وعاد الجواد يدهش الناس بميله وتثنيه وبدله وكبـــره ويلعب أبدى فيه من جمال قوامه ما تحرص كل راقصة على ابدائه حين تفتن فى لين الحركات وتثنى القد وحثيث الجسم كله بما يستكن فيه من انغام الجمال• فلما أتم دوره خرج يتبعه الاعجـــاب والعطف • ودخل الحلقة جواد أشهب ليس به شامة الا ما سال من محاجره• وما كان أكبر الفرق بينه وبين سلفه• احتاج فارسه الى أن يعمل فيه السوط والركاب لينال منه بعض حركـــات تعجبه • وساد وسط الجمع فرح يدل صمتهم الاول •

وليت هذا الاشهب ما خرج • فانه لما أمضه السوط ومزق جنبيه الركاب أجفل فتدافع الناس من حوله وتفرقوا ونال ابن صديقنا المحبوب من الـذعر ما وقع معه مغشيا عليه • فقام أبوه كالمجنون يجرى اليه ليرى ما حل به• وجعل يحدق به فيرى عيونا مغمضة وخدودا مصفرة ولونا ذاهبـا فصاح « يا بنى » صيحة سمعهـــا النـــاس ومازالوا يتدافعون مولين لا يفـكر أحد منهم فى كلمة عزاء لهـــذا الاب الذاهل يشاركه بها فى ألمه بعد اذ دعا هو النــــاس ليشاركوه فى غبطته ومسرته •

واحطنا بصديقنا ، ومن بيننـــا طبيب أراد أن يستخلص الطفل مـن يد أبيه فاذا الاب ممسك بابنه حريص عليه تتنفج قلبه الزفرات وتجول فى عينيه العبرات حتى كأنمـــا بدا له اليأس منه فهو يريد أن يعانقه عناقا أخيرا طويلا •

ثم ذهبنا الى دار الضيافة واقتدناه معنا اليها • فلما احتوتنـــا أمسك الطبيب يد الطفل ونظر الى وجهـــه وأخرج من جيبه زجاجة صغيرةأدناها من أنفـــه فاذا الطفل يفتح عينيــه يجيلهما فى الغرفة ولايزال به أثر الذهول، فلما رآه أبوه رجع الى الحياة أخــذ يده وقبلها ، وجعل يلاطفــه ويداعبه حتى زايل الولد ذهوله، وعاد

الى الحياة ، وعاوده تورده الجميل .

بعد أيام وقد انصرف أصدقائي لبعض رياضتهم ولزمت البيت لبعض شأني وبقي صديقنا معي يحادثني . جاء هذا الابن الينا وجلس معنا . فقلت لابيه في ابتسامة :

ـ لقد أحدث عندك حادث ذلك اليوم من الشجن ما كنت تذهل معه . ولا انكرك ان ابا يحب ابناءه كما تحب ابناءك لجدير ان يصيبه من الهم مثل ما اصابك .

فتنهد طويلا وقال :

ـ اى هم او اى شجن رايت . لقد قضيت طوال السنين من حياتي في شجن وهم حتى ابيض شعرى وشاب مفرقى ، ثم انقضى الهم والشجن بعد ان بلغت ما اردت . وكانت ثمرة ذلك هؤلاء الابناء الذين ترى . افترانى بعد ذلك مغاليا اذا بلغ عندى حبهم الجنون ؟

لم افهم كل ما اراد أن يقول . لكنى ادركت ان له في الحب حديثا طويلا وانه قاسى في سبيله أكثر ما يقاسى الرجل ثم حصل على من أحب وبنى بها فانجبت له هؤلاء الابناء . فشاقنى أن أقف على همه الاول وشجنه الماضى . فقلت :

ـ أى هم تريد ؟ لعل لك حديثا لا تضن على بذكره ؟

قال : انه يا صاح حديث حياتي . وما ذكرته مرة وذكرت كيف توج القدر جهادى بالظفر الا احسست بجمال الحياة وجمال الجهاد فيها . وانك لصديق وفى لا يضن عليه بشيء فاستمع الى :

***

كان لنا جار من أعز أصدقاء أبى . وكان لهذا الجار ابنة أصغر منى بنحو ست سنوات ، جمعت الطفولة بيني وبينها برابطة المودة ، فلما كساها الشباب بديع حلته افتتن بقلبى محاسنها وفتنني جمالها وجعلت اختلس اللحظات لاخلو بها احدثها متعارف القول ومألوف الحديث واشعر بكل ما في ذلك من نعمة ومتاع وحياة . ثم احسست أن لى في نفسها مثل ما لها في نفسى ففاتحتها حديث الحب وتعاهدنا على الوفاء .

ومضت سنون وهذا الحب ينمو في نفسينا ونزداد نحن احساسا بعظيم ما له من سلطان علينا حتى بلغنا من ذلك انا كنا لا نتتارك الا على موعد اللقاء وان كنا نقضى ما بين اللقيين في شوق ولهف ما أشدهما .

فلما عرف أهلنا ما بيننا كان أول ما أتاه جارنا أن حجز ابنته عن الخروج من الدار . فهالني الامر وازعجني وأدخل الهم على نفسى وكدت أجن من فرط ما بى . ثم عولت على أن أستعيد وإياها عهدنا الجميل الطاهر . فتفتقت لى الحيلة أن أستعين بعجوز تتردد على بيتنا لاستطلع رأى محبوبتى فيما اعتزمت وجعلت احابى العجوز بالاحسان واسبغ عليها نعما ضئيلة القيمة ولكنها ذات شأن وأثر في نفوس هاتيك الريفيات . فلما استوثقت منها سألتها أن تكلم صاحبتى في أمرى لترى أهى لاتزال مقيمة على عهدى . فلما اطمأننت الى حرصها على لقياى فكرت مع العجوز في وسائل هذه اللقيا والطرق الخفية فيها . ولم يكن ذلك عسيرا على امرأة قضت السنين بريد المحبين ومستودع سر الشوقين .



وكانت لقيانا كل ليلة فى فترة ما بين المغرب والعشاء حين يكون ابوانا فى الجامع يصليان الفرضين ويقومان لله بواجب الحمد على عظيم نعمته . فى هاته الساعة كنا نلتقى فنجدد عهدنا ونتذاكر حبنا ونتمتع باللحظات التى تمر بنا ونزيد عليها المتاع بذكر الماضى . فاذا اذن المؤذن بالعشاء جاءت العجوز فنبهتنا مخافة ان يسرقنا الوقت السريع الذهاب . وما كان امر ساعة الفراق على نفسينالولا الامل فى اللقاء .

ثم تحادثنا فى امر الزواج كى ينتهى ما يوجب الفراق . لكن الشعور بأن حياة الزوجية ، وان خالطها الاخلاص ، تخمد سعير نار الحب الزاكية الحلوة ، جعلنا لا نتعجل هذا الزواج ولا نفاتح احدا من اهلنا فى امره . وبقينا قانعين بتلك السويعة بين الفرضين كل يوم مستمتعين منها بكل ما تحويه من سعادة .

وانقضى الصيف وتولت اوليات الخريف ونحن نرتشف كاس النعيم . وانا ذات يوم لجلوس فتناجى اذ اقبلت العجوز قبل موعدها مذعورة تنادى بصوت مختنق ، مخافة ان يسمع ،منذرة بالويل والثبور قائلة ان ابا محبوبتى عاد قبل عادته وكانما كان على علم بما بيننا . فانه ما عتم ان تخطى عتبة الدار حتى سأل عن ابنته والح فى المسالة غير مستمع لاعتذارات امها انها تستحم ولا منتظر مجيئها من حيث تكون .

احسست فى هذه اللحظة هزة القشعريرة وتولانى الجمود . اترانا سنفتضح ؟ وهل يمكن ان يطعن شرف محبوبتى بسببى ؟ لا . لا . انى لن احتمل هذا . ولابد من درء الخطر باية وسيلة ... ولم تمر لحظة حتى ملكتنى فكرة اللحاق بأبى وسحبه طوعا او كرها الى ابيها وخطبتها اليه زوجا لى وملازمته حتى يذعن لما تريد .. واخبرت صاحبتى بعزمى وطلبت اليها ان تبقى حيث هى حتى تجيئها العجوز بخبر دخولنا الى ابيها فتدخل هى الى الدار خفية بينما يكون ابوها مشغولا بنا عما هو فيه من الهياج .

وهرولت مسرعا الى ابى وناديت به وكان لا يزال فى المسجد فخرج الى وتبعنى من غير تفكير ومن غير ان يسالنى عن سبب مناداته مكتفية عواطفه بما رآنى عليه من الاضطراب لتسوقه كى يتبعنى ويقضى طلبتى وغرضى .

ولم أجد كبير عناء فى اقناعه بالذهاب من فورنا الى جارنا نخطب اليه ابنته . ودخلنا منظرة الرجل وبعثنا له الخبر بقدوم أبى اليه . فما لبث أن جاء متكلفا البشاشة مطرحا ما استطاع مظهر الهياج والغضب . وطلب القهوة ورحب بأبى وان لم تخف على نظرات منه كانت تتجه أحيانا الى وبها شىء من الحنق بل من حب الانتقام .

وحضرت القهوة فقمت من حضرتهما نائبا وتلفت ساعة خروجى من المنظرة فرايت العجوز تومىء الى كى اطمئن وازالت حركة العجوز مخاوفى فجعلت افكر فى امر ما سيتم هذه الليلة وانا مضطرب بين السرور به والوجل منه. ثم رجعت الى المنظرة فوجدت ابى وحده فسالته عن جلية الامر فأخبرنى ان صديقنا دهش لهذه الخطبة غير المنتظرة وطلب اليه ان يمهله حتى يدخل الى اهله فيشاورهم فى الامر لعل لهم فيه رأيا . وقد علمت من بعد انه اول ما دخل سأل زوجته :

ــ هل جاءت البنت ؟

ــ نعم انها فرغت من استحمامها وخرجت . أفأنادى بها اليك ؟

ــ ان جارنا يخطبها لابنه . فما رأيك ؟ وهل لك علم برأيها فى ذلك ؟

حكم الهوى

- ومن لي بأن اعلم وما سمعت الخبر الا منك هذه اللحظة . دعني اسالها .

فصاح الرجل بغتة :
- يا فاجرة . من لك بأن تعلمي ! او ما عرفت ما بينهما وكيف يلتقيان؟
- كيف يلتقيان ! هدىء روعك يا صاح . أن ابنتك من يوم احتجبت لا تعرف ما وراء بابنا . فاني لك بتصيد اخبار كالتي ترميها بها ؟

- كفى كذبا يا خبيثة . وادخلى البنت على لوقتها والا فاني قاتلها . لن ارضى الخنا تحت سقف يظله الشرف . أين هي ؟

فظهرت على الام سيما الجد وقالت بلهجة الحازم القدير :
- الا هنات من حمقك فلن تراها . اقتلنى ان شئت . لكنى لن ادعها تدخل على أب طائش الحكم يرمى فتاة طاهرة باقبح سبة من غير سبب .. فاما أن راجعك صوابك واعطيت على نفسك موثقا ان تقابلها ببشر الاب الرزين فستراها بين يديك قبل ان يرتد اليك طرفك .

فأطرق الرجل ثم خرجت الام ولم تك الا برهة حتى عادت تصحبهاالبنت وشعرها مبال مرسل على اكتافها وعيناها براقتان وخدها محمر . فلما رآها أبوها كذلك وجم هنيهة احتقن أثناءها الدم فى رأسه ثم سالها :
- ان جارنا يخطبك لابنه . فماذا تقولين ؟

فغضت الفتاة طرفها حياء وتولت الام الجواب :

- الامر لك . وما كان لبنت أن تراجع اباها رايا او ترد عليه قولا .
ثم اشارت لابنتها أن تخرج . فلما قاربت الباب نادى بها أبوها مغضبا :
- لعلك مرتاحة لهذا الخبر . الا فاعلمى أن الطلاق يلزمنى ثلاثا ان اتممت هذا الزواج . وانت أيتها الفاجرة . قومى من وجهى . اخرجا . اخرجا واعلما انى رقيب عتيد .

ورجع الرجل من حرمه الينا وهو فى هياجه . وسكت زمنا تمالك فيه غضبه ثم قال لابى :

- اسمع يا أخى . ما كنت أعز عليك شيئا وان جل ، ولا كنت لامنع عنك ما طلبت . لكنك تعلم انى حجزت ابنتى بسبب ابنك الذى لا اسميه كيلا اغضبك . ولقد حلفت اليوم بالطلاق ثلاثا الا ازوجها منه ولن أحنث فى يمينى . وما لك عندى من الحب والاحترام لن يؤثر فيهما أمر تافه كهذا . ولكن بحق هذا الحب الذى بيننا الا عقلت ابنك عما قد يمس بيتى وما يقيم بيننا ثأرا لا تمحوه يدالزمان وفتيات بلدنا كثيرات وبينهن من يفضلن ابنتى ، فما عليك الا تزويجه من احداهن ، وفى ذلك ....
لم أعرف ما قاله بعد ذلك فقد اصابتنى حمى صحت معها :
- الا لعنتى الله ان لم اتزوجها وتعسا لك ايها الشيخ وللزمان .
وخرجت هائما على وجهى وقد تولانى اليأس فاضل صوابى وضيق العيش فى وجهى وجعلنى أرى كل ما فى الحياة عدوا لى . وخيل الى لحظتئذ أن لابد لى من التغلب على كل قوة والذهاب الى محبوبتى وانتزاعها من بين اهلها والفرار وإياها لنقيم معا دائما والى الابد .
وكانت ليلة قر ، لكن السماء كانت صفوا وكان البدر المتألق يبعث فى لجة

الليل خيوطا من فضة تنير دجـاه بضياء رقيق مطمئن · لذلك خشيت بعد ما سكن هواء تلك الساعة روعى ان أنا هممت بتنفيذ عزمى أول الليل أحس الناس بى وكان الفشل نصيبى· فخرجت الى المسجد ومكثت فيه ردحا من الزمن أفكر فيما أنا فيه شارع · وانى لكذلك اذ مر بخاطرى أن مباغتة الفتاة على غرة ومن دون علمهـــا بالذى أنوى ربمـا أدخل الجزع الى نفسها وجعلهـــا تعترض ما أريد · لذلك رأيت أن ألجأ الى العجوز المدبرة أستعين بها وأتدبر الأمر معهـــا · وألفيتها عنـــد مجـاز الدار مكتئبة يائسة · فسألتها عما أصابها وفاتحتها بما اعتزمته ومنيتها كبار الامانى· فما زادت ، جوابا على ذلك كله ، الا أن قالت :

ــ قضى الامر يا مولاى · فقد أقفل بابهم فى وجهى فلا أستطيع أن أدخله بعد اليوم ·

قلت : واليوم · الآن · هل فى طاقتك الوصول اليها ولو عن طريق الشياطين ؟

فأطرقت طويلا ثم رفعت رأسهـــا وقالت : لا سبيل !

فلعنتهـا وخرجت قاصـــدا بيت محبوبتى لأتم فعلتى ولو كلفنى ذلك من الثمن ما كلفنى · فلما كنت ازاء بيتنا بصر بى أبى فنادانى اليه فالفت حين سمعت صوته وذهبت نحـوه فجعـل يطمئننى بكلمات رقاق وصحبنى حتى أمسى الليل وغلقت دونى الابواب · لكن ذلك لم يزدنى الا عزما · فخرجت بعد هجعة الناس وتسلقت جـــدار جـارنا ووقفت الى جانب الغـرف أتسمع : فلما أيقنت أن لا حسيس دلفت الى غرفة نومها ونوم أمها وطرقت البـــاب فانتبهت الام وفتحت · واذ تبينت وجهى فى ضوء القمر رجعت فزعة مذعورة · ثم أقبلت الى ثانيـة وأدخلتنى الى الغرفة وأوصدتهـــا وقالت بصوت تخنقه العبرات :

ــ بربك يا بنى · ارحم أسرة ان أنت أتممت ما قدمت له قذفت بها الى حضيض العار · بربك يا بنى · بحق هاته النائمة المهدودة أنهكها التعب · بحقى أنا وبحق الجـوار · لا تجن علينا · لا تقتل أباها المسكين··ابنتى تحبك ، ولكن نفذ القضاء · ارجع وأنت واجد فى النسيان خير تعلة وفى غيرها من تعدلها مرات · ارجع يا بنى ·

أما أنا فلم أتحرك وبقيت صامتا صلدا منتظرا أن تفرغ من خرافتهـا كى أحتمل فريستى وأذهب بهـــا · وفيما أنا فى انتظارها استيقظت الفتاة وحدقت بى · فلما تبينتنى على ضوء الصباح الضئيل انفلتت من مرقدهـا وأقبلت الى وتعـلقت بعنقى وجعلت تبكى ثم قالت :

ــ الوداع ···

ــ كلا بل فلتذهبى معى الآن الى حيث أريد ·

فارتجفت الفتاة ثم تمتمت :

ــ رحماك حبيبى بأمى وأبى ورحمة بى أنا الاخرى · الوداع الآن ولـكنا سـنلتقى فى المسـتقبل · بالله الا ما رجعت أدراجك وبحق هذه الزيارة



حكم الهوى

لن يكون لغيرك فى قلبى مكان ما حييت . وأغلظت فى الايمان والحت وبكت فاخمدت عبراتها عزيمتى وقبلتها قبله الوداع ورجعت ادراجى .

ooo

بعد هذا الحادث باشهر زوجها أبوها من أحد أعيان القرى المجاورة . وكانت ليلة عرسها ليلة ماتم عندى . لزمت البيت وانفردت فى غرفة من الغرف وذرفت الدمع وتولانى القنوط .

وفى الصباح رأيتها خارجة من القرية فى هودج وقد أحاط بها رجالها ورجال العريس وساروا جميعا وفى يد كل منهم نبوته ومع البعض طبنجات سمعت طلقات منها تذهب فى الهواء . فلما ابتعدوا رجعت الى نفسى افكر والحزن يفيض عنى . وانى لكذلك اذ جاء أبى وصديق له . فلما رأيا ما انا فيه من الهم اخذا يعزيانى واكد لى أبى انه سيزوجنى من فتاة متى عرفتها نسيت صاحبتى ونسيت ما كان بيننا من ماض طويل سعيد .

وصدق أبى وعده . فعقد لى بعد أسابيع على ابنة عمدة اكبر البلاد المحيطة بقريتنا واقيم لى ولها عرس نادر المثال . فلما حضرت زوجى عندى رأيت فتاة خفيفة الروح جذابة المحاسن .

فرأيت أن انسى فيها نفسى واجعل منها موضع حبى واسدل على ما قبل يومها عندى حجابا كثيفا يحول بيننا وبين ماض كان لذيذا وكان لى فيه سعادة وهناء . لكنه ماض انقضى وليس الى احيائه واستعادته سبيل . وعملت لذلك باخلاص وجد . ووجدت من زوجى نعيم العين . وكان أكبر ما وجهت اليه عنايتى أن أخلق بيننا فى وقت قصير ماضيا طويلا . فاكثرنا من التريض والاسفار وواصلنا ليلنا بنهارنا لنخلق اكبر قسط من السعادة يجب أن ننالـه . وكانت الفتاة نادرة الذكاء . عظيمة الحيلة . سرعان ما فهمت مواضع الضعف منى فاستفادت من فهمها هذا .

ونالت بذلك كثيرا من عطفى وميلى وجعلتنى أعتقد انى ساجد فيها ما ينسينى كل هم وشجن .

وبقينا كذلك شهورا اطمأنت فى فيها واطمأن كثير من أهلى الى انتشار كل اثر لحبيبتى الاولى من نفسى وشفاء كل جرح كلم به فراقها قلبى . والحق انه اشتمل نفسى هدوء صادق وذهب عنى ذلك اليأس القاتل الذى كان أخذا بتلابيبى الى ما بعد زواجى وسكنت كلوم طالما استثارت منى صيحات الحزن والاسى .

وانا لكذلك ناعمين بعيشنا اذ ازمع أبى وجارنا الخروج معا الى الحجاز . فلما انتهينا من التجهيز وآن موعد السفر اقبل جمع غفير من أهل بلدنا ومن القرى المجاورة مودعين .. وكان فيمن اتى محبوبتى وزوجها . وبقى الناس فى هرج الوداع ومرجه اياما . فلما جاءت ليلة «البرزة» خرج المسافران ومعهما جمع قليل فنصبوا الخيام خارج القرية واقاموا بها

ليلتهم .. الا سقيا لك يا ليلة بروز أبى للحج . لقد جررت على مصاعب ومتاعب كاد ينوء بها عاتقى لكنك توجتها جميعا بالفوز وختمتها بالسعادة .

كان فيمن خرج الى خيمة النساء

محبوبتي · وفيما انا أطوف والناس في ضجة العشاء لمحتها خارج الخيمة فوقفت مبهوتاً احدق بها · ورأتني هي الاخرى فبهتت · ثم اذا قوة قاهرة دفعت كلا منا نحو صاحبه فتقاربنا حتى وضعت يدها في يدي من غير ان ينبس أينا ببنت شفة · في هاته اللحظة الرهيبة الرغيبة ، لحظة اللقيا بعد طول الفراق ، في هاته اللحظة الجميلة المهيبة خيم علينا الصمت وتولانا الذهول ··· وبعد زمن خيل الى فيه أن وجودي تلاشى ، فلم يبق لي من الحياة الا هذه اليد الممسكة بيدي ، سمعت ملاكي تتمتم وكأنما خنقتها العبرة :

ـ هكذا تنسانا ؟

لو ان الارض انشقت والسماء هدت والجبال دكت، لكان ذلك أهون على وقعا من هذه الكلمة · نعم نسيتها أنا الشقي · فيم عساي أن أكفر عن ذنبي أو أي جواب أرد به عليها ؟ وبعد لأي قلت :

ـ غفرانك صاحبتي · لقد أحببت من نفسي لوعة لابد لي بعدها من الظفر بك أو الموت في سبيلك ـ وموعدنا غدا بعد عودتي من السفر حيث كنا نلتقي في رقابة العجوز ·

وتتاركنا ···

تتاركنا وقد نفر من كلومي ما كان سكن وجشأت نفسي وجاشت وثار وجودي كله وصرت لا أعي شيئاً مما يدور حولي ولا أبصر الا موعد الغد· وقضيت ليلة نابغية ملؤها الهم لما فرط مني والاستغفار من عظيم ذنبي· وقمنا في الصباح لنصحب الحجاج حتى السويس · وقابلت زوجي لبعض شأني · فما وقع نظري عليها حتى رأيت الثعبان الذي نفث سمه في حياتي ودفعني لارتكاب جريمتي ولم يتسع الوقت لأصب عليها جام غضبي فاختطفت من يدها ما قدمت وأسرعت الى الباب فتبعتني تريد أن تعرف ما بي فزجرتها بكلمة شديدة قابلتها بصبر وردت عليها بكلمة رقيقة كان جوابها مني :

ـ ارجعي يا لعينة أو انت طالق

رجعت · وسافرت انا الى السويس وأنزلت أبي الى الباخرة وعدت قبل أن يفكر أحد من الذين كانوا معي في العودة ومن غير أن يعلم أحد بعودتي ·· وقطعت الطريق بين المحطةوقريتنا راجلا سالكا اقرب الطرق رغموعورتها ويممت موعدي فاذا حبيبتي تنتظرني ·· فلما رأتني بادرت بالسؤال :

ـ كيف وجدت عودتك · ولعلك كما أحب وتحب

ـ نعم يا صديقتي · ولعل مقدمي يسرك · وكيف أنت الآن ؟

كيف أنا ··· أواه يا صاح لو تعلم · لقد قضيت أيامي منذ تزوجت وأنا أقطع نفسي حسرات من أجلك ··· ولكن ، مالك انت وهذا ···متعك الله بزوجك ومد في أيام سعادتك··· ولله أيام تقضت في هذا المكان غمرنا البدر في سابغ لجته وحدا بنا الميل والعطف الى أسباب الهناء والنعيم ·

أتذكر يا صاح تلك الايام ؟ أتذكر عهودنا ومواثيقنا ؟ أتذكر مجيء العجوز تنبهنا الى الوقت وقد نسينا الوقت ونسينا الوجود ؟ أتذكر مجيئك الى أبي تخطبني ؟ ثم أتذكر تسنمك دارنا وتعريضك نفسك واياي للخطر· وهل تذكر آخر وعدياياك ان لن يكون لغيرك في قلبي مكان ما حييت ؟ أقسم بهذه اللقيا على غير انتظار · أقسم بحب ما زاده البعد الا استعارا · أقسم بحياتك أنت ما حنثت في الوعد ولن أستطيع أن أحنث فيه ··· لكن · كل شيء يا صاح مضى وانقضى ، رحم الله ذلك العهد ويرحمني أنا الاخرى ·

··· وأجهشت بالبكاء ··· أما أنا

فقد صغرت أمام نفسي ، وتضاءل في عيني قدري ، ورأيتني مجرما بائسا شقيا . هذه السيدة امامي تبلغ من علو النفس هذا المبلغ ويكون جهادي انا ان اسدل على ما تذكره الساعة حجابا كثيفا وانسى مواثيقي وعهودي وانسى قلبي وروحي وانسى كل ما في الحياة من جميل وعظيم وارضى ذلك العيش السخيف الذي البسوني . كلا كلا : لابد من استعادة هذا الماضي ولو ضحيت الحياة في هذا السبيل .

وصح ذلك العزم عندي فهاجتني صاحبتي وقلت لها :

ـ ما نسيانا مني لعهد سلف ولا فتورا في حب يملأ وجودي . لكني خشيت ان انغص عليك عيشا ربما وجدت فيه الطمأنينة . والآن اقتعديني ان انا طلقتك من زوجك ان تكوني لي زوجا .

قالت ولاتزال العبرة تخنقها وعيناها مغرورقتان بالدمع :

ـ وهل رأيتني يا صديقي رجوت في الحياة غير هذا ؟

وقضينا ما بقي من الليل في حديث طويل تخللته الذكرى والعتاب والاستغفار . فلما اذن مؤذن القرية

حكم الهوى

انسحبت هي الى المخدع الذي أعد لها وقمت أنا الى المسجد ثلت فيه اغفاءة ما كان احوجني اليها بعد ليلتين مملوءتين بأقوى الاحساسات وأقساها وبعد يوم سفر طويل . فلما خلوت الى نفسي ساعة الضحى أخذت افكر في الوسيلة لتنفيذ ما اعتزمت .

عملت جهدي وافنيت كل وسائل السلم لاقناع زوجها بتسريحها . فكنت كلما ازددت اصرارا ازداد هو ضنا بها وامساكا عليها . ثم اصبح الامر بيننا عنادا وصار هو يرى عملي هذا جريمة انغص بها عيشه وافسد عليه حياته وأجني بها على الفضيلة والمروءة . وشاركه رأيه كثيرون بلغ من حنق بعضهم على ان خاطبني مواجهة بأن ما اجترحه اكبر الكبائر .

لم يكن ذلك ليغير من رأيي ولا ليرجعني عن عزمي . بل جاءت محبوبتي الى بيت أهلها باشارة مني وتبدلت وسائل السلم مع زوجها وسائل وعيد وتهديد . ولقد ساورتني يوما نفسي أن انس عليه من يجيء على أيامه وكنت مقدما على هذا لولا ان وقفت في دونه مخافة ما فيه من خطر ربما جر علينا فراق الابد .

وانا لفي تدبير أمرنا اذ جاءنا نبأ بغرق الباخرة التي كانت تقل ابوينا وهي عائدة من الحجاز . فانقلب الفرح مأتما ، وتردى النساء ثياب الحداد .

واصابت الفاجعة موضع الالم من نفسي ونفس صاحبتي وصارت تجمعني واياها مع رابطة الحب رابطة الاسى المتبادل .

وانتهى المأتم ومضت شهور بعده فتر فيها وعيدي لزوج صاحبتي وذهبت افكر في وسيلة أخرى لبلوغ غرضي .

وانتهيت الى وجوب رفع الدعوى الشرعية عليه بانه طلقها . وكم تهللت

هى حين عرضت عليها هذا الرأى من غير أن تفكر فيما تحتاج اليه مثل هذه الدعوى من المجهودات لتكون نتيجتها على ما نريد .

على أن هذه المجهودات لم تكن شيئا أمامى . ودعى الزوج للمحكمة الشرعية كي يسمع حكمها بأنه طلق زوجه . واستمرت هذه الدعوى أكثر من سنة استنفدت منى من العناية واليقظة والجهد ما لا يحيط به خيال انسان . فلم اترك شاهد زور الا اتيت به ولا كاتبا فى المحكمة الا رشوته ولا قاضيا الا وصلت اليه . ولقد كاد الملال من هذه الجهود يصل بى الى اليأس مرات . فلكم تأجلت الدعوى لغير سبب الا ان الكاتب رأى ما وصله غير كاف وأراد المزيد . ولكم طلب منى باسم حضرة القاضى فلم أجد حيلة الى رد طلبه . وكم مرة رأينا تحوير المحضر وتغيير ما ثبت على لسان بعض الشهود . ولولا دافع من الحب والكرامة كان يدفعني للوصول منتصرا لهان على أن أترك كل شيء .

ثم صدر حكم المحكمة بالتفريق فطرت فرحا وحملت الخبر الى صاحبتى وعانقتها عناقا طويلا . ولبثنا يومنا ثملين بلذة النصر فى هذه المعركة الطويلة مهللين للمستقبل الذى يتم فيه زواجنا . ولكن تعاقب الايام دس الى نفوسنا ما شغل بالنا . ذلك ان المحكمة حكمت بالتفريق من غير حق . فهل يكون زواجنا مع ذلك حلا عند الله ؟

هنالك ذهبت الى زوجها وعرضت عليه جلية الأمر وقلت له :

— يا شيخ . لقد أرهقناك من أمرك عسرا . لكنك رجل خير لا ترضى أن تحملنا وزرا . وأنت تعلم أنا لم يدفعنا الى ما عملنا الرقيعة بك أو المساس بشرفك . وانما دفعنا اليه ما لا قبل لنا بدفعه . فهل لك فى مثوبة من الله فتنطق بطلاقها فتريح نفسك وتريح ضميرنا .

فأطرق الرجل طويلا يفكر ثم قال:

— لقد — والله — حملتمانى هما طويلا . لكن قد رجعتما تريدان رضا الله فليرض الله عنكما . وهى طالق طالق طالق .

فشكرت له منته ورجعت الى أهلى وبلغت صاحبتى الخبر ثم ناديت زوجى وذكرت لها ما تعلم مما كان وما سيكون وقلت :

— وانى لاخشى بعد زواجي الا أعدل بينكما . فان شئت راضية سرحتك سراحا جميلا .

وانقضت شهور وتزوجنا . وكان يوم زواجنا حافلا . وجاء الذين كانوا يعيبون عملى يهنئوننى وأصبحت بينهم نصير الفضل والحق .

من ذلك اليوم أنا سعيد ومن ذلك اليوم أحس كل ما فى الحياة من جمال .

ورزقت من زوجتى أبناء ثلاثة : بنتا وولدين . هؤلاء الابناء هم عندى زينة الحياة بل الحياة . هم تاج ذلك الجهاد الطويل الذى انفقه ابوهم السعيد بهم . أفتعجب بعد ذلك مما رأيت من ذهولى حيث أغص على الفلام لما جفل الجواد !؟

●●●

الى هنا انتهت قصة صاحبى .. وهى قصة ألقت للهوى بزمام الحكم حتى فى دور القضاء . وقد غادرت صاحبى بعدها فغادرت رجلا من السعداء القليلين الذين رأيت فى حياتى ، وغادرته وأنا أغبطه على ما متعه الله به من نعمة سابغة وهناء مقيم ...


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم الانتاج العربي المشرف للصناعة العربية
أحدث إنتاج على أسس علمية
مصنوع من الصاج المطلي بالمينا
شوايات
للحوم والدواجن
مقاسات وأحجام مختلفة
جذابة
اقتصادية
تعمل:
بالكهرباء
بأنابيب البوتاجاز
بالفحم
لا تقل الشوايات قابلا في الدول العربية الشقيقة
والشركة على استعداد للتصدير
لمختلف بلاد العالم خصوصا
الدول العربية الشقيقة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي / العضيرة - الاسكندرية
معرض البيع : ٤٥ شارع صفية زغلول بالاسكندرية

لغة الكواكب

هل بات انسان الكرة الارضية عاجزا عن تفسير اشارات تاتيه كل يوم من انسان الكواكب ؟

زعم بعض المختصين بمراقبة الفلك ان هذه الاشارات حقيقية ولكن انسان الارض لايعرف معناها .

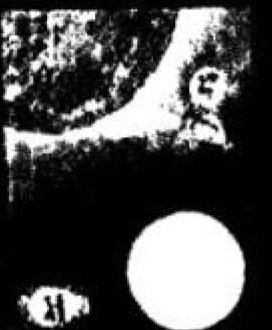
فحتى فى القرن الماضى عندما لم تكن المبادلات البرقية معروفة ، كان الناس يحاولون ان يتفاهموا بالاشارات مع جيرانهم فى الفلك . وفى هذا النطاق حاول بعض الباحثين ان يرسموا اشكالا هندسية منورة فى سهول فسيحة وفى بعض الصحارى ، راجين ان يفهم معناها سكان الفلك وان يتصلوا بسكان الارض ويفسروا لهم معناها .

وقد غير العلماء المعاصرون نظريات القرن التاسع عشر واخذوا منذ سنة ١٩٦٠ فى كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة يسجلون على الآلات الحديثة اشارات مبثوثة من النجوم الواقعة على مسافة بضعة مليارات سنة ضوئية . ومعروف ان سرعة انتشار الضوء تبلغ ٣٠٠ الف كيلو متر فى الثانية .

وفى سنة ١٩٦٧ اكتشف العلماء البريطانيون مايسمى اليوم « بولسار » اى موجات وذبذبات تاتى الى الارض فى اوقات منتظمة وتتضمن قدرة هائلة

واخذ كل عالم فلكي يحاول ان يفسر معنى هذه الاشارات . فمما لا شك فيه ان لها فى نظرهم معنى ، وانما ظل العلم ، يجهل حتى الان هذا المعنى .

• الغلاف الأول •



• فى عالم القمر
للفنان : جمال قطب

• الغلاف الأخير •



• سهرة حول فى ضوء القمر
للفنان : حسنى البنانى
تصوير : فباتى الصباغ